متن كتاب مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة، لأحمد بن مصطفى بن خليل الشَّهير بطاش كبري زاده (ت.968هـ)

بَدِيعُ بيَانٍ لا يُحْتَذَى مِثَالُهُ، وَمَنِيعُ[1] تِبْيَانٍ لا يُحْتَظَى[2] مَنَالُهُ، تَوْشِيحُ حَبِيرِ[3] الْكِتَابِ بِطِرَازِ الْمَحَامِدِ وأَعْلَامِهَا، وَتَوْشِيحُ صُدُورِ الْخِطَابِ بِرَايَاتِ الْمَدَائِحِ وأَعْلَامِهَا. فَلِلَّهِ الْحَمْدُ في الْآخِرَةِ والْأُولَى، وله الْمَثَلُ الْأعْلَى في فَاتِحَةِ كُلِّ كِتَابٍ، وله الشُّكْرُ على جَزِيلِ ما أَوْلَى من نِعَمٍ يَتَبَدَّى منها الْعَجَبُ الْعُجَابُ.

وَأَوْثَقُ عِصَامٍ ما له انْفِصَامٌ، الِاعْتِصَامُ بالصَّلَاةِ والسَّلَامِ، على رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ جَامِعِ عُلُومِ الْأَوَّلِينَ والْآخِرِينَ، وعلى آلِهِ وأَصْحَابِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، ما سُئِلَ في الْعُلُومِ عن الْمَسَائِلِ، وَوُشِّحَ بِالْمَحَامِدِ صُدُورُ الْكُتُبِ والرَّسَائِلِ.

أَمَّا بَعْدُ؛

فَهَذِهِ بَثٌّ لِمَا وَقَرَ في صَدْرِي من الْعُلُومِ الْفَاخِرَةِ، وَعَيْنٌ بَعْدَ أَثَرٍ[4] في تَحْصِيلِ سَعَادَةِ الْآخِرَةِ، أَمْلَيْتُهَا بِقَلَمٍ يُبْدِي الْعُجَابَ، إذا سَأَلَ أَوْ أَجَابَ،

---

(1) المَنِيعُ: صفة مشبَّهة تدلّ على الثبوت، من مَنُعَ مناعة فهو منيعٌ اعتزَّ وتعسَّرَ ولم يُرَمْ، ورجل منيع قوي البدن شديده. اللسان: منع.

(2) يختطى، في نسختي المحمودية وتونس، ولا يحتظى في سائر النسخ، وهو الراجح عندنا، وهو من الحُظوة: وهي المكانة والمنزلة، والمعنى هنا أي لا يُنال، ويتعسر الوصول إليه. ولا يُختطى أي لا يتجاوز.

(3) الحبير: الناعم الجديد. القاموس المحيط: 320.

(4) قلب المثل العربي: لا أطلب أثر بعد عين. مجمع الأمثال: 1/ 127.

وَيُنْسِي حَسَّانَ وسَحْبَانَ[1] إذا أَبَانَ في الْبَيَانِ، فَجَاءَتْ بِحَمْدِ اللهِ بَدِيعَ الْمِثَالِ في كُلِّ بَابٍ من الْبَيَانِ، مَنِيعَ الشَّأْنِ، رَفِيعَ الْجَنَابِ عند الْعُلَمَاءِ وَالْأَعْيَانِ، مَخَضْتُ فيها حقَائِقَ الْعُلُومِ عن دُرُرِهَا[2]، وَمَحَضْتُ نُصْحِي في اسْتِخْرَاجِ دُرَرِهَا، وَشَرِبْتُ من النَّهْرِ صُبَابَتَهَا[3] بَعْدَ أنْ عَرَفْتُ مَجَارِيَهَا، وتَعَلَّمْتُ الرَّمْيَ من الْقَوْسِ وقد كُنْتُ بَارِيَهَا.

فَهَاكُمْ إِخْوَانِي، وعلى التَّقْوَى أَخْدَانِي، مَدِينَةَ عِلْمٍ عَلِيِّ الْبَابِ، مَنِيعِ الْجَنَابِ، رَفِيعِ الْأَسْوَارِ، سَحِيقِ الْأَقْطَارِ، وَجَنَّةً، أَشْجَارُهَا مُورِقَةٌ، وأَنْهَارُهَا مُونِقَةٌ، وأُكْلُهَا دَائِمٌ في اللَّيْلِ والنَّهَارِ، وظِلُّهَا قَائِمٌ في الْهَجِيرِ والْأَسْحَارِ، ونَعِيمُهَا مُقِيمٌ، ومِزَاجُهَا مِنْ تَسْنِيمٍ[4]؛ ودُونَكَ خِزَانَةً، مَنْ فَضَّ خِتَامَهَا اطَّلَعَ على نَبَإٍ يَقِينٍ، وَحَقٍّ مُبِينٍ، وَسِرٍّ مَخْزُونٍ، وَدُرٍّ مَكْنُونٍ، ولَيْسَ وَرَاءَهَا مَزِيدٌ لِرَائِدٍ[5]، ولا دُونَهَا مَرَامٌ لِجَاهِدٍ، وَمَنَحْتُكَ[6] مَنِيحَةً[7] إنْ رُوِّيتَ فيها تُرَوِّيكَ

---

(1) سحبان بن زفر بن إياس الوائلي، خطيب يضرب به المثل في الفصاحة والبيان، اشتهر في الجاهلية، وعاش زمنا في الإسلام، توفي سنة 54هـ. ترجمته في: تاريخ الطبري: 6/ 484، جمهرة الأمثال: 1/ 202، خزانة الأدب: 10/ 371.

(2) دُرُرٌ، ودُرَرٌ (كسكَّر)، ودُرَّار، جمع درور؛ وهي الناقة الكثيرة الدَّرّ. **اللسان**: درر.

(3) الصُّبَّةُ والصُّبابة: بقية الماء واللبن وغيرها تبقى في الإناء والسقاء. اللسان: صبب.

(4) وظف المصنف ألفاظ الآية 21 من سورة التوبة والآية 27 من سورة المطففين لتسوية فواصل سجعه.

(5) الرائد: الذي يرسَل في التماس النجعة وطلب الكلإ، أي ينظر ويطلب ويختار أفضله، والجمع رواد. **اللسان**: رود.

(6) ومنحك، في قونية.

(7) مَنَحَهُ الشاةَ والناقة: يَمْنَحُهُ ويَمْنِحه: أعاره إياها وجعل له لبنها ووبرها وولدها وهي المِنْحَةُ والمَنِيحَةُ. **اللسان**: منح.

دَرَّهَا[1]، وَآثُرُ[2] لَكَ أَحَادِيثَ تَقُولُ حين تَسْمَعُهَا: للهِ دَرُّهَا! وقَدَّمْتُ إليكَ سَفِينَةً تَعْبُرُ بها بِحَارًا بَعِيدَةَ[3] الْأَغْوَارِ، وَتَتَخَلَّصُ في قَامُوسِهَا وتَيَّارِهَا من الْبَوَارِ، وَرَحَّلْتُكَ مَطِيَّةً تَصِلُ بها إلى رِيَاضٍ، وَتَشْرَبُ هَنِيئًا لك مِمَّا فيها من الْحِيَاضِ، وَتَجْتَنِي أَطَايِبَ أَثْمَارِهَا، وتَقِفُ على عَجَائِبِ أَسْمَارِهَا.

وَإِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تَظُنَّ - وبَعْضُ الظَّنِّ إِثْمٌ - أَنَّكَ حَصَّلْتَ من هذا الْعِلْمِ قَدْرًا لا مَزِيدَ عليه، حَتَّى تَنْتَصِبَ لِأَنْ يُرَاجِعَ الْكُلُّ إليكَ، فتَقْعُدَ مُتَّكِئًا على أَرِيكَةِ الْعُجْبِ، وتَسْتَلْقِيَ على كَتِفَيِ الْفَرَاغِ، وتَمُدَّ على بِسَاطِ الْكَسَلِ رِجْلَيْكَ، وَتَعُدَّ نَفْسَكَ من جَهَابِذَةِ الْفُضَلَاءِ، وتَحْسِبَ نَفْسَكَ من دَهْمَاءِ[4] الْعُلَمَاءِ، وتَظُنَّ أَنَّكَ أَحْرَزْتَ الْفَضَائِلَ بِشَطْرَيْهَا، وَمَلَكْتَ الكَمَالَاتِ بِقُطْرَيْهَا، وفُزْتَ مِنْ مَارِيَةَ بِقُرْطَيْهَا[5]، وَتَقُولَ: ها أنا بَرَّزْتُ على لِدَاتِي[6]، وتَفَرَّغْتُ عن تَكْمِيلِ ذَاتِي، فَيَهُبَّ في دِمَاغِكَ أَعَاصِيرُ حُبِّ[7] الرِّئَاسَةِ،

---

(1) الدَّرُّ: اللبن ما كان. **اللسان**: درر.

(2) الْأَثْرُ: مصدر قولك أَثَرْتُ الحديث آثُرُهُ إذا ذَكَرْتَه عن غيرك. وأَثَرَ الحديث عن القوم يأثُرُهُ أنبأهم بما سُبقوا فيه من الأثر. **اللسان**: أثر.

(3) بعيد، في قونية ورئيس الكتاب وأنطاليا.

(4) والدَّهْماءُ: الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ. **اللسان**: دهم.

(5) فيه توظيف للمثل العربي: أَنْفَسُ من قُرْطَيْ مارية، وفي آخر: خذه ولو بقرطي مارية، أو: ولو بِقُرْطَيْ مارية، قال ابن الكلبي: هي مارية بنت ظالم بن وهب الكندي، أم الحارث الأعرج ابن الحارث الأكبر الغساني ملك الشام، وهو مثل يُضرب في الشيء الثمين، أي لا يفوتك بأي ثمن يكون. مجمع الأمثال: 1/ 299، جمهرة الأمثال: 2/ 259.

(6) اللِّداتِ: جمع لِدة: وهو التِّرْبُ الذي وُلِدَ يومَ وِلادِك. المعجم الوسيط: لدد.

(7) حب أعاصير، في قونية.

وَتَهْتَاجَ لِتَرْبِيَةِ أَشْيَاعِكَ إلى تَقَلُّدِ السِّيَاسَةِ، فَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ما خَطَرَ بِبَالِكَ، وهَجَسَ في خَيَالِكَ، إنَّ هذا طَيْشٌ يُوجِبُ الْحِرْمَانَ، بل هَمْهَمَةُ[1] الْحُسْبَانِ[2]، وَوَسْوَسَةُ الشَّيطانِ، يَتَرَاءى منها مَخَايِلُ[3] الزُّورِ، ويَتَدَسَّسُ فيها حَبَائِلُ الْغُرورِ، أَيْنَ أَنْتَ من قَوْلِ سَيِّدِ الْأَنْبِياءِ، وسَنَدِ الْأَصْفِيَاءِ: «لَا بُورِكَ لِي فِي صَبِيحَةٍ لا أَزْدَادُ فيا عِلْمًا»[4]. مع أنَّ رَبَّهُ أَدَّبَهُ فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهُ.

وقَوْلِهِ صَلَواتُ الله عليه وسَلَامُهُ: «مَنِ اسْتَوَى يَوْمَاهُ فهو مَغْبُونٌ»[5].

وإنْ أَرَدْتَ الْمَزِيدَ عليه في هذا الْبابِ فَتَأَمَّلْ قَوْلَ رَبِّ الْأَرْبَابِ: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[6]. وَقَوْلَهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[7]. إلى غيرِ ذلِكَ مِنَ الْآياتِ الْوَارِدَةِ في الْكِتَابِ الكريمِ.

وإلى اللهِ الْمُشْتَكَى مِنْ قَوْمٍ وَقَعْتُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمُ الْيَوْمَ، إِذْ غَلَبَ عليهمُ الْجَهْلُ وَطَمَّهُمْ، وَأَعْمَاهُمْ حُسْنُ الظَّنِّ بأَنْفسِهِمْ وأَصَمَّهُمْ، كُلَّمَا هَدَيْتَهُمْ

---

(1) الهَمهمة: الكلام الخفي، أو ترديد الصوت في الصدر. **اللسان**: همم.

(2) الحُسبان: الظنّ والخاطرُ. اللسان: حسب.

(3) المَخايِلُ: جمع مَخيلة، وهي السحابة. اللسان: خيل.

(4) أورده أبو نعيم في الحلية: 8/ 188، بلفظ: "إذا أتى علي يوم لا أزداد فيه..."، وهو في الإحياء: 1/ 340، وتخريج أحاديث الإحياء: 405، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: 1/ 52، وورد بلفظ مغاير بالمعنى نفسه في نوادر الأصول: 4/ 6.

(5) الحلية لأبي نعيم: 8/ 35، اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي: 112، الإحياء: 1/ 335، المقاصد الحسنة: 631، وكشف الخفاء: 2/ 305.

(6) سورة طه، الآية: 114.

(7) سورة يوسف، الآية: 76.

إلى الْعِلْمِ كَانَ أَصَمَّ وأَعْمَى لَهُمْ، وَيَحْسِبُونَ أَنَّهم يُحْسِنُونَ أعْمَالَهُمْ(1)، وما غُرِزَ في غَرِيزَتِهِمْ إلا الْعَصَبِيَّةُ والْجِدَالُ، وما طُبِعَ نَحِيزَتُهُمْ(2) إلَّا على تَنْقِيصِ أَهْلِ الْكَمَالِ، والْعَالِمُ بينهم مَوْجُومٌ(3) يَتَلَاعَبُ(4) به الصِّبيانُ، والْكَامِلُ عِنْدَهُمْ مَذْمُومٌ دَاخِلٌ في كِفَّةِ النُّقْصَانِ. وَايْمُ اللهِ هذا الزَّمَانُ قد افْتُرِضَ فيه السُّكُوتُ، وأنْ تَصِيرَ حِلْسًا(5) من أَحْلَاسِ الْبُيُوتِ.

وَلَوْلا ما وَرَدَ في صَحِيحِ الْأَخْبَارِ: «مَنْ عَلِمَ عِلْمًا فكَتَمَهُ أُلْجِمَ بِلِجَامٍ مِنَ نَارٍ»(6). لَسَدَدْتُ فَمَ الدَّوَاةِ، وكَسَّرْتُ سِنَّ الْأَقْلَامِ، وانْقَطَعْتُ في زَاوِيَةٍ إلى وَقْتِ [يَوْمِ](7) الْحِمَامِ، بِأَمْرِ اللهِ الْمَلِكِ الْعَلَّامِ، إلا أنَّ الْقُلُوبَ بين أُصْبَعَيْنِ من أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ، وَكُلَّ يَوْمٍ هو في شَأْنٍ(8).

ثُمَّ إنَّكَ إنْ أُخطِرْتَ(9) بالْبَالِ، أيُّهَا الطَّالِبُ لِلْفَضْلِ والْكَمَالِ، أَنَّ الفُنُونَ كَثِيرَةٌ، وتَحْصِيلَ كُلِّهَا - بَلْ جُلِّها - غَيْرُ يَسِيرَةٍ، مَعَ أنَّ مُدَّةَ الْعُمُرِ قَصِيرَةٌ،

---

(1) وظف المؤلف ألفاظ الآية: 104 من سورة الكهف ومعناها، والآية: 4 من سورة محمد لتسوية فواصل سجعه.

(2) النَّحيزَةُ: الطبيعة، والجمع نحائز. **اللسان**: نحز.

(3) الوُجومُ: السكوتُ عَلَى غَيْظٍ. اللسان: وجم.

(4) تتلاعب، في قونيا ورئيس الكتاب وأنطاليا.

(5) الحِلْسُ والحَلس: كل شيء ولي ظهر البعير والدَّابة تحت الرَّحل والقتب والسَّرج. **اللسان**: حلس.

(6) أخرجه أحمد في مسنده: 13/ 18، والطبراني في الأوسط: 5027، والحاكم في المستدرك: 1/ 182، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله: 1/ 4.

(7) زيادة من قونية.

(8) وظف المصنف الآية 29 من سورة الرحمن لتتميم فواصل سجعه.

(9) خطرت، في قونية.

وتَحْصِيلَ آلاتِ التَّحصيلِ عَسيرَةٌ، فكَيْفَ الطَّرِيقُ إلى الْخَلَاصِ عن هذا الْمَضِيقِ، فتَأَمَّلْ فيما قَدَّمْتُ إليكَ مِنَ الْعُلُومِ اسْمًا ورَسْمًا، ومَوضُوعًا ونَفْعًا، وفيما اخْتَرَعْتُ من التَّفْصِيلِ، في طَرِيقِ التَّحْصِيلِ، ومن آدَابٍ بها غَرْسُ التَّمَنِّي يُثْمِرُ، وَلَيْلُ التَّرَجِّي يُقْمِرُ، بعد عَفَاءِ طَلَلِ العِلْمِ ودُروسِهِ، وأُفُولِ أقْمَارِهِ وشُمُوسِهِ، بِحيثُ يَقولُ الرَّاؤُونَ: أَعْجِبْ بما أُوتِيَ هذا مِنَ الْإِصَابَةِ، والتَّبْرِيزِ على الَّذِينَ مَضَوْا من الْعِصَابَةِ، فإنْ سَهُلَ عليكَ تَحْصِيلُ تلك الْعُلُومِ كُلِّها فَحَبَّذا، وقل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾[1]. لِمَا قال أَفْلَاطُونُ: ما مِنْ عِلْمٍ مُسْتَقْبَحٍ إلا والْجَهْلُ به أَقْبَحُ.

وكَمَا قَالَ الْقَائِلُ: [البسيط]

اِحْرِصْ عَلَى كُلِّ عِلْمٍ تَبْلُغِ الْأَمَلَا ... ولَا تَمُوتَنْ بِعِلْمٍ وَاحِدٍ كَسَلَا[2]
النَّحْلُ لَمَّا رَعَتْ مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ ... أَبْدَتْ لَنَا الْجَوْهَرَيْنِ الشَّمْعَ وَالْعَسَلَا
الشَّمْعُ فِي اللَّيْلِ ضَوْءٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ ... وَالشَّهْدُ يُبْرِي بِإِذْنِ الْبَارِئِ الْعِلَلَا[3]

وَإِنْ أَعْجَلَكَ الْوَقْتُ، وخَشِيتَ أن تَخْتَرِمَكَ الشَّوَاغِلُ بِالْفَوْتِ، فَخُذْ ما قَالَ الْقَائِلُ: [الرمل]

---

(1) سورة الأعراف، الآية: 43.

(2) كي لا تموت، في مراد ملا. وردت الأبيات غير منسوبة في مجموعة من المصادر منها: برنامج الوادي آشي: 80، ورفع النقاب عن تنقيح الشهاب: 6/ 117، ودرة الحجال: 3/ 49.

(3) نور يستضاء، في برنامج الوادي آشي ودرة الحجال.

مَا حَوَى الْعِلْمَ جَمِيعًا أَحَدٌ لَا وَلَوْ مَارَسَهُ أَلْفَ سَنَهْ[1]

إنَّمَا الْعِلْمُ مَنِيعٌ غَوْرُهُ فَخُذُوا مِنْ كُلِّ عِلْمٍ أَحْسَنَهْ[2]

وَإِنِ اخْتَلَجَ فِي صَدْرِكَ وَقَلْبِكَ، وَدَارَ فِي خَلَدِكَ وَلُبِّكَ، أنَّ الْأَغْرَاضَ مُخْتَلِفَةٌ فِي أمْرِ الْعُلُومِ، وَتَتَفَاوَتُ فِي الْمَيْلِ إليها الطِّبَاعُ والْفُهُومُ، وتتَبَايَنُ فِي اسْتِحْسَانِهَا الْعَادَاتُ والرُّسُومُ، حَتَّى يَعُدَّ طَائِفَةٌ مِنْ قَبِيلِ الْجُنُونِ، تَحْصِيلَ مَا عِنْدَ الْآخَرِينَ مِنَ الْفُنُونِ، إذْ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ[3]، فَمِنْ أَيْنَ نَعْرِفُ الْأَفْضَلَ على الْإِطْلَاقِ، الذي حَصَلَ فِي حُسْنِهِ الْإِطْبَاقُ، من عُلَمَاءِ الْآفَاقِ، فَنَقُولُ: الَّذِي يُثْلِجُ صَدْرَكَ بِبَرْدِ الْيَقِينِ، وَيُعَرِّفُ مَطْلُوبَكَ على التَّعْيِينِ، قَوْلُ مَنْ قَالَ بِطَرِيقِ الْإِجْمَالِ: [البسيط]

كُلُّ الْعُلُومِ سِوَى الْقُرْآنِ مَشْغَلَةٌ إِلَّا الْحَدِيثَ وَإِلَّا الْفِقْهَ فِي الدِّينِ[4]

وَالْعِلْمُ مَا كَانَ فِيهِ قَالَ حَدَّثَنَا وَمَا سِوَاهُ فَوَسْوَاسُ الشَّيَاطِينِ[5]

وَقَدْ قِيلَ: [الوافر]

جَمِيعُ الْعِلْمِ فِي الْقُرْآنِ لَكِنْ تَقَاصَرَ عَنْهُ أَفْهَامُ الرِّجَالِ[6]

---

(1) البيتان ينسبان للشافعي، وهما في ديوان شعره: 122، برواية: لن يبلغ العلم جميعا أحد.

(2) عميق بحره فخذوا من كل شيء، في الديوان.

(3) وظف المصنف الآية 32 من سورة الروم لتسوية فواصل سجعه.

(4) ينسبان للشافعي وهما في ديوان شعره: 124.

(5) وما سوى ذاك وسواس، في الديوان.

(6) ورد في مجموعة من المصادر منسوبا لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما، منها: مشكاة المصابيح: 11/ 302، وزاد المسلم: 5/ 59.

وَبِالْجُمْلَةِ، الْعُلُومُ التي يُتَوَسَّلُ بها إلى السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ في دَارِ السَّلامِ، في جِوَارِ الْقُدُسِ عند الْمَلِكِ الْعَلَّامِ، ما سَأَلَ جِبْرِيلُ عنه النَّبِيَّ عليهما الصَّلاةُ والسَّلامُ، وأَشَارَ بالسُّؤالِ عن الْإِيمَانِ، إلى أُصُولِ الدِّينِ، اَلْمُسَمَّى: بـالْكَلامِ، بِشَرْطِ أن لا يَتَّبِعَ الْبَاحِثَ على الْأَهْوَاءِ والْأَوْهَامِ، بل يَبْحَثُ على قَواعِدِ عَقَائِدِ الْإِسْلامِ، وعن الْإِسْلامِ، إلى عِلْمِ الفِقْهِ الْبَاحِثِ عن الْحَلَالِ والْحَرَامِ، وعن الْإِحْسَانِ إلى عِلْمِ التَّصَوُّفِ الذي هو ثَمَرَةُ الْإِيمانِ، ونَتِيجَةُ الإسْلَامِ؛ وأَمَّا التَّفْسِيرُ والْحَدِيثُ فَدَاخِلَانِ فيما ذُكِرَ كما سَتَعْرِفُهُ إن شَاءَ اللهُ الْمَلِكُ العَلَّامُ.

وإذا انْتَهَى الْكَلَامُ إلى هذا الْمَقَامِ، فلا علينا أنْ نُوَجِّهَ عِنَانَ الْأَقْلَامِ، إلى صَوْبِ الشُّرُوعِ في الْمَرَامِ، وباللهِ التَّوْفِيقُ والْإِعْلَامُ.

وَسَمَّيْتُ الرِّسَالَةَ: بـ "مِفْتَاحُ السَّعادَةِ ومِصْباحُ السِّيادَةِ"، وقَدَّمْتُ أَمَامَ الْمَقْصُودِ عِدَّةَ **مُقَدِّمَاتٍ**، هي مِفْتَاحُ الْمَيَامِنِ والْبَرَكَاتِ، ثم أُتْبِعُهَا في ضِمْنِ الطَّرَفَيْنِ بِعِدَّةِ **دَوْحَاتٍ**، فيها ثَمَرَاتٌ طَيِّبَاتٌ.

والْمَرْجُوُّ من فَضْلِ الله تَعالى أَنْ يَجْعَلَ سَعْيِي مَشْكُورًا، وصَنِيعِي مَبْرُورًا، ويَجْعَلَنِي غَدًا بأَعْمَالِيَ الْيَوْمَ مَسْرُورًا، إنَّه الْجَوَادُ الْكَرِيمُ، وَالْبَرُّ الرَّؤوفُ الرَّحِيمُ.

الْمُقَدِّمَةُ الأولى:

في بَيَانِ فَضِيلَةِ الْعِلْمِ وَالتَّعَلُّمِ والتَّعْلِيمِ[1]، **بِالْآيَاتِ وَالْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ،** ودَلائِلَ يَرْتَضِيهَا الْعَقْلُ السَّليمُ، واكْتَفَيْتُ من كُلٍّ منها بالْقَلِيلِ، إذِ الْعِبْرَةُ بِقُوَّةِ الْأَدِلَّةِ لا بِكَثْرَتِهَا.

فَضيلَةُ الْعِلْمِ:

أَمَّا الْكِتَابُ، فَقَوْلُهُ تَعالى: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾[2].

فَانْظُرْ كَيْفَ بَدَأَ بنفسِهِ سبحانَهُ، وثَنَّى بملائِكَتِهِ، وَثَلَّثَ بِأَهْلِ الْعِلْمِ.

وقالَ تَعالى: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[3].

وقالَ ابنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «لِلْعُلَمَاءِ دَرَجَاتٌ فوْقَ الْمُؤمِنِينَ بِسَبْعِمِئَةِ دَرَجَةٍ، ما بينَ الدَّرَجَتَيْنِ خَمْسُمِئَةِ عَامٍ»[4].

---

(1) اعتمد طاش كبري زاده في مقدمات كتابه في فضل العلم والتعلم والتعليم، وآداب العالم والمتعلم على ثلاثة مصادر أساس هي: جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر (ت.463هـ)، وكتاب الإحياء، للغزالي (ت.505هـ)، وإرشاد القاصد، لابن الأكفاني (ت.749هـ).

(2) سورة آل عمران، الآية: 18.

(3) سورة المجادلة، الآية: 11.

(4) الإحياء: 1/ 5، ومختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي: 13.

وقالَ تَعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

أَوَ لَمْ يَكْفِ بالْعِلْمِ وأَهْلِيهِ الشَّرَفَ الْأَصِيلَ، والمَجْدَ الْأَثِيلَ، أَمْثَالُ هذه الآياتِ الواردَةِ في التَّنْزِيلِ. [المتقارب]

وَمَـنْ كَـانَ حُـقَّ لَـهُ مَـادِحًـا فَحَقٌّ عَلَى النَّاسِ أنْ يَمْدَحُوه[2]

أَمَّا الْأَخْبَارُ، فَقَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ»[3].

وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لا رُتْبَةَ فَوْقَ النُّبُوَّةِ، ولا شَرَفَ فَوْقَ شَرَفِ الْوِرَاثَةِ لِتِلْكَ الرُّتْبَةِ.

وقالَ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «أَقْرَبُ النَّاسِ مِنْ دَرَجَةِ النُّبُوَّةِ أَهْلُ العِلْمِ وَالْجِهَادِ»[4].

أَمَّا أَهْلُ الْعِلْمِ، فَدَلُّوا النَّاسَ عَلَى ما جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، وَأَمَّا أَهْلُ الْجِهَادِ، فَجَاهَدُوا بِأَسْيَافِهِمْ عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ.

وقالَ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «يُوزَنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِدادُ الْعُلَمَاءِ بِدَمِ الشُّهَدَاءِ [فَيَرْجَحُ مِدَادُ الْعُلَمَاءِ][5]»[6].

---

(1) سورة الزمر، الآية: 9.

(2) لم نقف عليه، ولعله لطاش كبري زاده.

(3) أخرجه ابن حبان في صحيحه: 1/ 289، والترمذي في سننه: 5/ 48، وابن ماجه في سننه: 1/ 81.

(4) قوت القلوب: 1/ 241، الإحياء: 1/ 5، والمقاصد الحسنة: 459، رقم: 702، وكشف الخفاء: 2/ 64.

(5) ما بين معقوفين زيادة من أنطاليا.

(6) تاريخ جرجان: 92، جامع بيان العلم وفضله: 1/ 150، الإحياء: 1/ 6، أدب الإملاء والاستملاء: 162، العلل المتناهية: 1/ 71.

وقال صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «يَشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ: الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْعُلَمَاءُ، ثُمَّ الشُّهَدَاءُ»[1]. فأعْظِمْ بِرُتْبَةٍ هي تِلْوَ النُّبُوَّةِ، وفوقَ الشَّهادَةِ!

وقال صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «يَبْعَثُ اللهُ تَعَالَى الْعِبَادَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَبْعَثُ الْعُلَمَاءَ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا مَعْشَرَ الْعُلَمَاءِ، إِنِّي لَمْ أَضَعْ عِلْمِي فِيكُمْ إِلَّا لِعِلْمِي بِكُمْ، وَلَمْ أَضَعْ عِلْمِي فِيكُمْ لِأُعَذِّبَكُمْ، اِذْهَبُوا فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»[2].

وقالَ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِغَيْرِ اللهِ، لَمْ يَخْرُجْ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يَأْبَى عَلَيْهِ الْعِلْمُ فَيَكُونَ للهِ»[3].

و«مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ للهِ، فَهُوَ كَالصَّائِمِ نَهَارَهُ، وَالْقَائِمِ لَيْلَهُ، وَإِنَّ بَابًا مِنَ الْعِلْمِ يَتَعَلَّمُهُ الرَّجُلُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ أَبُو قُبَيْسٍ[4] ذَهَبًا لَهُ فَأَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ»[5].

وأَمَّا الْآثارُ، فَقَوْلُ عَلِيِّ بنِ أبي طالبٍ كرَّمَ الله وَجْهَهُ: العِلْمُ أفضَلُ من الْمَالِ بسبْعَةِ أَوْجُهٍ:

الْعِلْمُ ميرَاثُ الأنْبِيَاءِ، والْمالُ ميراثُ الْفَرَاعِنَةِ.

---

(1) أخرجه ابن ماجه في سننه: 2/ 1443، والغزالي في الإحياء: 1/ 6، والعجلوني في كشف الخفاء: 2/ 398.

(2) المعجم الأوسط: 4/ 302، جامع بيان العلم وفضله: 1/ 48، الإحياء: 1/ 7.

(3) الجامع لمعمر بن راشد: 11/ 255، مفاتيح الغيب: 2/ 401، سنن ابن ماجه: 1/ 95، جامع بيان العلم وفضله: 1/ 747.

(4) أَبو قُبَيْسٍ: بلفظ التَّصغير كأنه تصغير قبس النَّار، وهو اسم الجبل المشرف على مكة. معجم البلدان: 1/ 80.

(5) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي: 428، مفاتيح الغيب: 2/ 401، نشر طيّ التعريف في فضل حملة العلم الشريف: 56، تفسير النيسابور: 1/ 225.

الْعِلْمُ لا يَنْقُصُ بالنَّفَقَةِ، والْمالُ ينقصُ بها.

الْمالُ يَحْتَاجُ إلى الْحَافِظِ، والْعِلْمُ يَحْفَظُ صَاحِبَهُ.

إذا مَاتَ الرَّجُلُ خَلَّفَ مَالَهُ، والْعِلْمُ يَدْخُلُ معه قَبْرَهُ.

الْمالُ يَحْصُلُ لِلْمُؤْمِنِ والْكَافِرِ، والْعِلْمُ لا يَحْصُلُ إلا لِلْمُؤْمِنِ.

جميعُ الناسِ مُحْتَاجُونَ إلى العالِمِ في أمْرِ دينِهِمْ، ولا يَحْتَاجُونَ إلى صاحِبِ الْمالِ.

الْعِلْمُ يُقَوِّي الرَّجُلَ عند الْمُرُورِ على الصِّرَاطِ، والْمالُ يَمْنَعُهُ منه[1].

وقال حَكِيمٌ: الْقَلْبُ مَيِّتٌ، وحَيَاتُهُ بالْعِلْمِ؛ والعلمُ مَيِّتٌ وحَيَاتُهُ الطَّلَبُ؛ والطَّلَبُ ضَعِيفٌ، وقوَّتُهُ بالْمُدَارَسَةِ؛ ومُحْتَجِبٌ بعد الْمُدَارَسَةِ، وإظْهَارُهُ بالْمُنَاظَرَةِ؛ وإذا ظَهَرَ بالْمناظَرَةِ فهو عَقيمٌ، ونِتَاجُهُ بالْعَمَلِ؛ فإذا زُوِّجَ العلمُ بالعَمَلِ، تَوَالَدَ وتَنَاسَلَ مُلْكًا أبدِيًّا لا آخِرَ له[2].

وقال أبو الْأَسْوَدِ: لَيْسَ شَيءٌ أَعَزَّ من الْعِلْمِ، الْمُلُوكُ حُكَّامٌ على النَّاسِ، والْعُلَماءُ حُكَّامٌ على الْمُلوكِ[3].

وقال ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عنهما: «خُيِّرَ سُلَيْمانُ بْنُ داودَ عَلَيْهِما السَّلامُ بَيْنَ الْعِلْمِ والْمالِ والْمُلْكِ، فَاخْتَارَ الْعِلْمَ، فَأُعْطِيَ الْمَالَ والْمُلْكَ مَعَهُ»[4].

---

(1) النقل من مفاتيح الغيب: 2/ 403، مع اختلاف يسير في اللفظ.

(2) الفقيه والمتفقه: 2/ 8، مع اختلاف يسير في اللفظ.

(3) الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه: 53.

(4) الإحياء: 1/ 7، التبصرة لابن الجوزي: 2/ 193.

وقالَ أيْضًا: «تَذَاكُرُ الْعِلْمِ بَعْضَ لَيْلَةٍ أَحَبُّ إليَّ من إحْيائِهَا»[1]. وكذا رُوِيَ عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عنه، وَأَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ.

قال الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: مِنْ شَرَفِ الْعِلْمِ، أَنَّ كُلَّ من نُسِبَ إليه ولو في شَيْءٍ حَقِيرٍ فَرِحَ، ومن دُفِعَ عنه حَزِنَ[2].

قالَ الْأَحْنَفُ: كادَ الْعُلَماءُ أنْ يَكونوا أَرْبابًا، وَكُلُّ عِزٍّ لم يُوَطَّدْ بِعِلْمٍ فإلى ذُلٍّ[3] مَصِيرُهُ[4].

وَقالَ عَلِيٌّ رَضِيَ الله عنه: الْعالِمُ أَفْضَلُ من الصَّائِمِ الْقائِمِ الْمُجاهِدِ. وإذا ماتَ الْعالِمُ ثُلِمَ في الإِسْلامِ ثُلْمَةٌ[5] لا يَسُدُّهَا إلَّا خَلَفٌ منه[6].

وقالَ بعضَ الْحُكَماءِ: إذا ماتَ الْعالِمُ بَكَاهُ الْحُوتُ في الْماءِ، والطَّيرُ في الْهَواءِ، ويُفْقَدُ وَجْهُهُ، ولا يُنْسَى ذِكْرُهُ[7].

---

(1) جامع معمر بن راشد: 11/ 253، وأخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله: 1/ 117 رقم: 107، والغزالي في الإحياء: 1/ 8.

(2) جامع بيان العلم وفضله: 1/ 250، الإحياء: 1/ 8.

(3) الذلّ، في قونية.

(4) جامع بيان العلم وفضله: 1/ 255، الإحياء: 1/ 8.

(5) الثُّلْمَةُ: اَلْخَلَل فِي الْحَائِطِ وَغَيْرِهِ. اللسان: ثلم.

(6) الإحياء: 1/ 7، مَنَاهِجُ التَّحصِيلِ ونتائج لطائف التَّأْوِيل في شَرحِ المدَوَّنة وحَلِّ مُشكِلاتها: 1/ 51.

(7) الإحياء: 1/ 8.

فَضيلَةُ التَّعَلُّمِ:

أَمَّا الْكِتابُ، فقولُهُ تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾[1].

وقَوْلُهُ تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2].

وأَمَّا الْأَخْبارُ، فَقَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»[3].

وقالَ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضَاءً بِمَا يَصْنَعُ»[4].

وَقالَ: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»[5].

وَقالَ: «اطْلُبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ بِالصِّينِ»[6].

---

(1) سورة التوبة، الآية: 122.

(2) سورة النحل، الآية: 43.

(3) صحيح البخاري: 1/ 24، صحيح مسلم: 4/ 2074، رقم: 2699.

(4) مسند الشافعي: 17، مسند الطيالسي: 2/ 484، مسند أحمد: 30/ 9، مسند الدارمي: 1/ 164، والإحياء: 1/ 8.

(5) التاريخ الكبير للبخاري: 4/ 57، سنن ابن ماجه: 1/ 81، مسند البزار: 1/ 164، مسند أبي يعلى: 5/ 223، جامع بيان العلم وفضله: 1/ 8، الإحياء: 1/ 9.

(6) مسند البزار: 1/ 164، الضعفاء الكبير للعقيلي: 2/ 230، المجروحين لابن حبان: 1/ 382، شعب الإيمان: 3/ 193، جامع بيان العلم وفضله: 1/ 28، الإحياء: 1/ 14.

وَقالَ: «مَنْ جَاءَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ وَهُوَ يَطْلُبُ الْعِلْمَ لِيُحْيِيَ بِهِ الْإِسْلَامَ، فَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْجَنَّةِ دَرَجَةٌ وَاحِدَةٌ»(1).

وأمَّا الْآثارُ، فقد قال ابنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «ذَلَلْتُ طَالِبًا فَعَزَزْتُ مَطْلُوبًا»(2).

وقالَ أبو الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه: «لَأَنْ أتَعَلَّمَ مَسْأَلَةً أَحَبُّ إِلَيَّ من قِيَامِ لَيْلَةٍ»(3).

وقالَ أيضًا: «الْعَالِمُ والْمُتَعَلِّمُ شَرِيكَانِ في الْخَيْرِ، وسَائِرُ النَّاسِ هَمَجٌ لا خَيْرَ فِيهِمْ»(4).

وقالَ أيضًا: «كُنْ عَالِمًا أو مُتَعَلِّمًا أو مُسْتَمِعًا، ولا تَكُنِ الرَّابِعَ فَتَهْلِكَ»(5).

قالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ الله: طَلَبُ الْعِلْمِ أفْضَلُ من النَّافِلَةِ(6).

---

(1) مسند الدارمي: 1/ 163، الترغيب في فضائل الأعمال جامع لابن شاهين: 73، بيان العلم وفضله: 1/ 206، الإحياء: 1/ 9.

(2) العقد الفريد: 2/ 80، المجالسة وجواهر العلم: 4/ 439، أدب الدنيا والدين للماوردي: 67، جامع بيان العلم وفضله: 1/ 474، الإحياء: 1/ 9.

(3) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي: 428، الإحياء: 1/ 9، مفتاح دار السعادة: 1/ 345، فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب: 1/ 671.

(4) الزهد والرقائق لابن المبارك: 191، الزهد لأحمد بن حنبل: 112، جامع بيان العلم وفضله: 1/ 206، جمع الجوامع: 4/ 35، كشف الخفاء: 2/ 326.

(5) كتاب الزهد لوكيع: 827، ومسند الدارمي: 1/ 313، بلفظ: اغد عالما، التاريخ الكبير للبخاري: 4/ 99، تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي: 436، الإحياء: 1/ 9.

(6) الإحياء: 1/ 9، جمال القراء وكمال الإقراء: 579.

وقالَ ابنُ عبْدِ الْحَكَمِ: كُنْتُ عِنْدَ مَالِكٍ أَقْرَأُ عليهِ الْعِلْمَ، فَدَخَلَ وَقْتُ الظُّهْرِ، فَجَمَعْتُ الْكُتُبَ لِأُصَلِّيَ، فقال: يا هذا، ما الَّذي قُمْتَ إليهِ بأَفْضَلَ مما كنتَ فيهِ إذا صَحَّتِ النيَّةُ[1].

فَضيلَةُ التَّعْليمِ:

أَمَّا الْكِتابُ، فَقَوْلُهُ تَعالى: ﴿وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾[2]. والْمُرادُ هو التَّعْليمُ.

وقَوْلُهُ تَعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾[3]. وهو إيجابٌ للتعليمِ.

وقالَ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾[4].

وأَمَّا الأَخْبارُ، فقد قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إلى الْيَمَنِ: «لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا واحِدًا خَيْرٌ لكَ من الدُّنْيَا ومَا فِيهَا»[5].

وقَالَ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «مَنْ تَعَلَّمَ بَابًا من الْعِلْمِ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ، أُعْطِيَ ثَوَابَ سَبْعِينَ صِدِّيقًا»[6].

---

(1) الإحياء: 1/ 9.

(2) سورة التوبة، الآية: 122.

(3) سورة آل عمران، الآية: 187.

(4) سورة النحل، الآية: 125.

(5) صحيح البخاري: 5/ 18، رقم: 3701، بلفظ: «خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»، واللفظ من الإحياء: 1/ 9.

(6) الإحياء: 1/ 10، الترغيب والترهيب: 1/ 98، تخريج أحاديث الإحياء: 1/ 67.

وقالَ عِيسَى عليه السَّلامُ: «من عَلِمَ وعَمِلَ وعَلَّمَ، فذلك يُدْعَى عَظِيمًا في مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ»[1].

وقالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «مَنْ عَلِمَ عِلْمًا فَكَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ».

وقالَ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «لا حَسَدَ إلا في اثْنَتَيْنِ، رَجُلٌ آتاهُ اللهُ مالًا فَسَلَّطَهُ على هَلَكَتِهِ في الْحَقِّ، ورَجُلٌ آتاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ حِكْمَةً فهو يَقْضِي بها وَيُعَلِّمُهَا»[2].

وخَرَجَ رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ ذاتَ يَوْمٍ فَرَأى مَجْلِسَيْنِ؛ أَحَدُهُما يَدْعونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، ويَرْغَبونَ إليه، والثَّاني يُعَلِّمونَ النَّاسَ فقال: «أَمَّا هَؤلاءِ فَيَسْأَلونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إنْ شاءَ أعْطاهُمْ، وإنْ شاءَ مَنَعَهُمْ، وأَمَّا هؤلاء فَيُعَلِّمونَ النَّاسَ، وإِنَّما بُعِثْتُ مُعَلِّمًا، ثُمَّ عَدَلَ إليهِمْ، وجَلَسَ مَعَهُمْ»[3].

وأَمَّا الآثارُ، فَقَوْلُ عُمَرَ رضي الله عنه: «مَنْ حَدَّثَ بِحَدِيثٍ فَعُمِلَ به، فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ ذلكَ الْعَمَلَ»[4].

---

(1) الزهد لأحمد بن حنبل: 264، حلية الأولياء: 6/ 93، تاريخ بغداد: 3/ 17، جامع بيان العلم وفضله: 1/ 689، الإحياء: 1/ 10.

(2) صحيح البخاري: 1/ 25، رقم: 75، وصحيح مسلم: 1/ 559، رقم: 816.

(3) الزهد والرقائق لابن المبارك: 488، مسند الطيالسي: 4/ 11، مسند الدارمي: 1/ 162، سنن ابن ماجه: 1/ 83، الإحياء: 1/ 10.

(4) المدخل إلى الصحيح للحاكم: 87، جامع بيان العلم وفضله: 1/ 231، الإحياء: 1/ 11.

وقال ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «مُعَلِّمُ الخَيْرِ يَسْتَغْفِرُ له كُلُّ شَيْءٍ حتَّى الْحُوتُ فِي الْبَحْرِ»[1].

وقد رُوِيَ أنَّ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ قَدِمَ عَسْقَلانَ، فَمَكَثَ أَيَّامًا لا يَسْأَلُهُ إنْسَانٌ، فقالَ: اكْتَرُوا لي، هذا بَلَدٌ يَمُوتُ فيه الْعِلْمُ[2].

وقال عَطَاءٌ: دَخَلْتُ على سَعيدِ بنِ الْمُسَيَّبِ وهو يَبْكِي، فقلتُ له: ما يُبْكِيكَ؟ فقال: لَيْسَ أَحَدٌ يَسْأَلُنِي عن شَيْءٍ[3].

وإنَّمَا قالا ذَلِكَ حِرْصًا على فَضيلَةِ التَّعْليمِ، واسْتِبْقَاءِ الْعِلْمِ به.

وَاعْلَمْ أنَّ فَضْلَ الْعِلْمِ مما نَطَقَ به الْكُتُبُ السَّابِقَةُ من كُتُبِ اللهِ.

أمَّا التَّوْرَاةُ، فقد قالَ جَلَّ وَعَلَا فيها لموسَى عليه السَّلامِ: عَظِّمِ الْحِكْمَةَ، فإنِّي لا أَجْعَلُ الْحِكْمَةَ في قَلْبِ عَبْدٍ إلَّا وأَرَدْتُ أنْ أَغْفِرَ له، فَتَعَلَّمْهَا، ثمَّ اعْمَلْ بها، ثمَّ ابْذُلْهَا، كي تَنَالَ بذلكَ كَرامَتِي في الدُّنْيَا والْآخِرَةِ[4].

وأمَّا الزَّبورُ، فَقالَ سُبْحانَهُ: قُلْ لِأَحْبارِ بني إِسْرائِيلَ ورُهْبَانِهِمْ، حَادِثُوا مِنَ النَّاسِ الْأَتْقِيَاءَ، فإنْ لَمْ تَجِدُوا فيهم تَقِيًّا، فَحَادِثُوا الْعُلَماءَ، فإنْ لم تَجِدُوا

---

(1) مصنَّف ابن أبي شيبة: 5/ 284، مسند الدارمي: 1/ 161، الكامل في ضعفاء الرجال: 4/ 128، جامع بيان العلم وفضله: 1/ 67، رقم: 51، الإحياء: 1/ 11.

(2) مسند الإمام أحمد: 1/ 120، الجامع لأخلاق الراوي: 279، الإحياء: 1/ 11.

(3) الإحياء: 1/ 11.

(4) والأخرى: في قونيا وأنطاليا.

عالِمًا، فَحادِثُوا الْعُقَلَاءَ، فَإِنَّ التُّقَى والْعِلْمَ والْعَقْلَ ثَلاثُ مَراتِبَ، ما جَعَلْتُ واحِدَةً مِنْهُنَّ في واحِدٍ وأنَا أُرِيدُ هَلَاكَهُ[1].

وَاعْلَمْ أنَّ الْعَقْلَ كَالْبِذْرِ، والْعِلْمَ كالشَّجَرِ، والتُّقَى كالثَّمَرِ، ولذلك قَدَّمَ اللهُ سُبْحانَهُ التُّقَى على الْعِلْمِ، والْعِلْمَ على الْعَقْلِ.

وأمَّا الْإِنْجِيلُ[2]، فقد قالَ عَزَّ مِنْ قائِلٍ في السُّورَةِ السَّابِعَةَ عَشْرَةَ منه: وَيْلٌ لمن سَمِعَ العِلْمَ فلم يَطْلُبْهُ، كيفَ يُحْشَرُ مع الْجُهَّالِ إلى النَّارِ؟! اطْلُبُوا الْعِلْمَ وَتَعَلَّمُوهُ، فإنَّ الْعِلْمَ إنْ لم يُسْعِدْكُمْ لم يُشْقِكُمْ، وإن لم يَرْفَعْكُمْ لم يَضَعْكُمْ، وإن لم يُغْنِكُمْ لم يُفْقِرْكُمْ، وإن لم يَنْفَعْكُمْ لم يَضُرَّكُمْ، ولا تَقُولوا نَخافُ أن نَعْلَمَ فلا نَعْمَلَ، ولكنْ قولوا نَرْجو أنْ نَعْلَمَ فَنَعْمَلَ، إذِ الْعِلْمُ يَشْفَعُ لِصاحِبِهِ، وَحَقٌّ على الله أنْ لا يُخْزِيَهُ، وإنَّ الله تَعالى يَقولُ يَوْمَ الْقِيامَةِ: يا مَعْشَرَ الْعُلَماءِ، ما ظَنُّكُمْ بِرَبِّكُمْ؟ فَيَقولونَ: ظَنُّنا أنْ تَرْحَمَنا، وَتَغْفِرَ لنا، فَيَقولُ: إنِّي قَدِ اسْتَوْدَعْتُكُمْ حِكْمَتِي لا لِشَرٍّ أَرَدْتُهُ بِكُمْ، بل لِخَيْرٍ أَرَدْتُهُ بِكُمْ، فَادْخُلوا في صالِحِي عِبادِي إلى جَنَّتِي بِرَحْمَتِي[3].

ثُمَّ إنَّكَ إذا عَرَفْتَ مِنَ الْأَدِلَّةَ النَّقْلِيَّةِ قَدْرًا يَحْصُلُ به التَّنْبِيهُ على الْمَرَامِ، فَلْنُورِدْ من الشَّواهِدِ[4] الْعَقْلِيَّةِ ما يُحَصِّلُ لَكَ الْيَقِينَ التَّامَّ.

---

(1) ينظر مفاتيح الغيب: 2/ 407-408.

(2) الإنجيل: عبري معرب، جاء من النجل وهو الإظهار.

(3) ينظر مفاتيح الغيب: 2/ 408.

(4) الأدلة الشواهد، في قونية.

واعْلَمْ أنَّ شَرَفَ الشَّيْءِ وَفَضِيلَتَهُ إمَّا لِذَاتِهِ أو لِغَيْرِهِ، والْعِلْمُ حَائِزٌ لِكِلا الشَّرَفَيْنِ، وجامِعٌ لِكِلْتا الْفَضِيلَتَيْنِ، لِأَنَّهُ لَذِيذٌ في نَفْسِهِ، فَيُطلَبُ لِذاتِهِ، وَلِغَيْرِهِ فَيُطْلَبُ لِأَجْلِهِ.

أَمَّا الأَوَّلُ، فلا يَخْفى على أَحَدٍ مِنْ مُزاوِلِيهِ، أنَّ لَهُ لَذَّةً[1] لا نِهَايَةَ لَهَا، ولا لَذَّةَ فَوْقَهَا، وكان مُحَمَّدُ بنُ الْحَسَنِ يَقولُ عِنْدَما انْحَلَّتْ[2] له مُشْكِلَاتُ الْعُلومِ: أَيْنَ أَبْناءُ الْمُلوكِ مِنْ هَذِهِ اللَّذَّةِ؟! سِيَّمَا إذا كانَتِ الْفِكْرَةُ في مَلَكوتِ السَّماواتِ وَالْأَرَضِينَ، وفي أَسْرَارِ رَبِّ الْعالَمينَ.

وَأَيْضًا إنَّ شَرَفَ الْعِلْمِ لا يَقْبَلُ الْعَزْلَ؛ كَعَزْلِ الْوُلَاةِ والْأُمَراءِ، وَسائِرِ أَرْبابِ الْمَناصِبِ الدُّنيوِيَّةِ، ومع دَوامِها لا مُزاحَمَةَ فيها لِأَحَدٍ، لأنَّ الْمَعْلوماتِ مُتَّسِعَةٌ لِلطُّلابِ وإنْ كَثُروا، بَلْ يَزيدُ بِكَثْرَةِ الشُّرَكاءِ، بِخِلافِ حُطَامِ الدُّنْيا وجاهِها، ولهذا يَكْثُرُ فيها الْبَغْضاءُ، وَيَعْظُمُ في تَحْصيلِها الشَّحْناءُ، ومع كَوْنِها أَوْفَى اللَّذَّاتِ وَأَدْوَمَهَا، وأَشْمَلَهَا وأَعَمَّهَا، لا تَرَى أَحَدًا مِنَ الْوُلَاةِ والْأُمَرَاءِ وسائِرِ أَبْناءِ الدُّنْيا لا يَتَمَنَّوْنَ أنْ يكونَ عِزُّهُمْ كَعِزِّ الْعُلَماءِ، إلَّا أنَّ الْمَوانِعَ الشَّهْوانِيَّةَ تَمْنَعُ عن نَيْلِهَا.

هذه هي اللَّذَائِذُ الْحَاصِلَةُ في نَفْسِ الْعِلْمِ. وأمَّا اللَّذائِذُ الْحاصِلَةُ لِغَيْرِهِ[3]:

أَمَّا في الأُخْرَى، فَلِكَوْنِهِ وَسيلةً تارَةً إلى أَعْظَمِ اللَّذائِذِ الأُخْرَوِيَّةِ، وأخْرى إلى أكْمَلِ السَّعاداتِ الْأَبَدِيَّةِ.

---

(1) لأنها لذة، في الأزهرية ورئيس الكتاب. أنها لذة، في مراد ملا.

(2) انحل، في قونية ورئيس الكتاب وأنطاليا.

(3) بغيره، في قونية.

أمّا الأوّل، فَلَذَّةُ الْوُصولِ إلى جِوَارِ رَبِّ الْعالَمِينَ، والْبُلُوغِ إلى مَرْضاتِهِ التي هي الْمَقْصَدُ الْأقْصَى، والسَّعادَةُ الْكُبْرَى، ولَذَّةُ النَّظَرِ إلى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ، الَّتِي هي غايَةُ الْغاياتِ، ومُنْتَهَى جَمِيعِ السَّعَادَاتِ.

وأمّا الثّانِي، فَلِأنَّ الْعِلْمَ لا أقَلَّ مِنْ أنْ يَكونَ سَبَبًا لِلْوُصولِ إلى الْأُفُقِ الْمُبِينِ، ولُحُوقِ زُمْرَةِ الْمَلَإِ الْأعْلى في جِوارِ رَبِّ الْعالَمِينَ، ولا يَخْفَى أنَّهُ لا بُلوغَ إلى شَيْءٍ منها إلَّا بالْعَمَلِ الْمُتَوَقِّفِ على الْعِلْمِ، فهو رَأْسُ السَّعاداتِ وَرَئِيسُهَا.

وأمّا الْمَنافِعُ الدُّنْيَوِيَّةُ، فَالْعِزُّ والْوَقارُ، ونُفُوذُ الْحُكْمِ على الْمُلوكِ، ولُزومُ الِاحْتِرامِ في الطِّباعِ، ولَوْ ابْتُلِيَ بِداءِ الْحَسَدِ والْعِنَادِ، ألا تَرَى أنَّ بَعْضَ الْجَهَلَةِ الْمُعانِدِينَ قالوا عِنْدَ رُؤْيَةِ رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: [البسيط]

لَوْ لَمْ تَكُنْ فيهِ آياتٌ مُبَيِّنَةٌ ... كانَتْ بَدِيهَتُهُ تُنْبِيكَ عَنْ خَبَرِ[1]

وأيضًا تَرَى أَغْبِياءَ التُّرْكِ، وَأَجْلافَ الْعُرْبِ، يُصَادِفُونَ طِباعَ أَنْفُسِهِمْ مَجْبُولَةً على التَّوقيرِ لِشُيوخِهِمْ، لاخْتِصاصِهِمْ بِمَزِيدِ عِلْمٍ مُسْتَفادٍ من التَّجْرِبَةِ، بل الْبَهِيمَةُ تَجِدُها تُوَقِّرُ الإنْسانَ بِطَبْعِها، لِشُعورِها بِتَمَيُّزِ الْإنْسانِ بِكَمالٍ مُجاوِزٍ لِدَرَجَتِها، حتَّى إنَّهَا تَحْتَشِمُهُ، وتَنْزَجِرُ بزَجْرِهِ، وإنْ كانَتْ قُوَّتُهَا أضْعافَ قُوَّةِ الإنْسانِ، وما ذاك إلَّا لاخْتِصاصِهِ بالْعِلْمِ.

---

(1) البيت لعبد الله بن رواحة وهو في ديوان شعره: 160. بالخبر، في الديوان.

الْمُقَدِّمَةُ الثَّانيةُ:

فِي شَرائِطِ الْمُتَعَلِّمِ وَوَظائِفِهِ:

وهي كَثيرةٌ؛ قال زِينُونُ: سَمِعْتُ أَرِسْطو طاليسَ يَقولُ: سَمِعْتُ مُعَلِّمي أَفْلَاطونَ يَقولُ: سَمِعْتُ مُعَلِّمِي سُقْرَاطَ يَقولُ: يَنْبَغي لِمَنْ يَتَعَلَّمَ الْحِكْمَةَ أنْ يَكونَ شابًّا، فارِغَ الْقَلْبِ، غَيْرَ مُلْتَفِتٍ إلى الدُّنْيَا، صَحِيحَ الْمِزاجِ، مُحِبًّا لِلْعِلْمِ، حيثُ لا يَخْتارُ على الْعِلْمِ شيئًا من الأشْياءِ، وَيَكونَ صَدُوقًا لا يَتكَلَّمُ بغيرِ الصِّدْقِ، وَيَكونَ مُحِبًّا للإنْصَافِ بالطَّبْعِ لا بالتكَلُّفِ، وَيَكونَ مُتَدَيِّنًا، أَمِينًا، عَالِمًا بالْوَظائِفِ الشَّرْعِيَّةِ، وَالْأَعْمالِ الدِّينِيَّةِ، غيرَ مُخِلٍّ بِواجِبٍ فيها، ويُحرِّمَ على نَفْسِهِ ما يَحْرُمُ في مِلَّةِ نَبِيِّهِ، ويُوَافِقَ الْجُمْهورَ في الرُّسومِ والْعَاداتِ الْمُسْتَعْمَلَةِ عند أهْلِ الزَّمانِ، ولا يكونَ قَطُّ سَيِّئَ الْخُلُقِ، ويَرْحَمَ على مَنْ دونَهُ في الْمَرْتَبَةِ، ولا يَكُونَ أَكولًا ولا مُتَهَتِّكًا، ولا خاشِعًا من الْمَوْتِ، ولا جامِعًا لِلْمالِ إلَّا بِقَدْرِ الْحاجَةِ، فإنَّ الاشْتِغَالَ بِطَلَبِ أَسْبابِ الْمَعِيشَةِ مانِعٌ عنِ التَّعَلُّمِ.

واعْلَمْ أَنَّا نَكْتَفِي من الشَّرائِطِ بِعَشَرَةٍ، وَنُفَصِّلُهَا هاهُنَا في ضِمْنِ عَشَرَةِ وَظائِفَ:

الْوَظِيفَةُ الأولى:

تَزْكِيَةُ النَّفْسِ عن رَذائِلِ الْأَخْلَاقِ

وهذه مُتَقَدِّمَةٌ على الْكُلِّ تَقَدُّمَ طَهَارةِ الْجَوارِحِ على عِبادَةِ الْبَدَنِ - أَعْنِي الصَّلاةَ - إِذِ الْعِلْمُ عِبادَةُ الْقَلْبِ، وجَوارِحُهَا أَوْصَافُهَا وَأَخْلَاقُهَا، فلا بُدَّ من تَطْهِيرِهَا قَبْلَ الشُّروعِ في الْعِلْمِ، كما قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «لا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فيهِ كَلْبٌ»[1].

فكما أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لا تَدْخُلُ الْبُيوتَ الْمَحْسُوسَةَ إذا وُجِدَ فيها الْكِلابُ الصُّورِيَّةُ، كذلك لا تَدْخُلُ الْبُيوتَ الْمَعْنَوِيَّةَ - أَعْنِي الْقُلوبَ[2] - إذا وُجِدَ فيها الْكِلَابُ الْبَاطِنِيَّةُ - أعْنِي خَبَائِثَ الْأَخْلاقِ وَأَنْجَاسَ الصِّفاتِ.

حُكِيَ عن بعضِ الأُمَمِ السَّالِفَةِ أَنَّهُمْ [كانوا][3] يَخْتَبِرونَ الْمُتَعَلِّمَ أَوَّلًا، فإِنْ وَجَدوا فيه خُلُقًا رَدِيئًا مَنَعوهُ التَّعْليمَ أَشَدَّ الْمَنْعِ، وكانوا يَعْتَذِرونَ عنه بأَنَّ الْعِلْمَ يَصيرُ آلَةً يَسْتَعِينُ بها في الْفَسادِ، وإِنْ وَجَدوهُ مُهَذَّبَ الأخْلاقِ، قَيَّدوهُ في دارِ التَّعْليمِ، وعَلَّمُوهُ، ولا يُطْلِقونَهُ قبل الاِسْتِكْمَالِ، خِيفَةَ مِنْ أنْ يُقَصِّرَ في الْعِلْمِ فيَفْسُدَ به دِينُهُ ودِينُ غَيْرِهِ.

---

(1) صحيح البخاري: 4/ 114، رقم: 3225، صحيح مسلم: 3/ 1665، رقم: 2106.

(2) القلب، في رئيس الكتاب.

(3) زيادة من مراد ملا.

ويُرْوَى عن بعض الْحُكَماءِ أَنَّهُ قال: لا تُعَلِّمُوا أَوْلادَ السَّفِلَةِ[1]، فإنْ هُمْ نَالُوا الشَّرَفَ حَرَصُوا على مَذَلَّةِ الأحْرارِ[2].

والسَّبَبُ فيه غَلَبَةُ سوءِ الْخُلُقِ في أَوْلادِ السَّفِلَةِ، وأمَّا ما تَرَاهُ عالِمًا سَيِّئَ الْأَخْلاقِ فذلكَ عالِمٌ باللِّسَانِ دونَ الْقَلْبِ، وعالِمٌ بِاصْطِلاحِ هذا الزَّمانِ دونَ السَّلَفِ؛ إذْ لو ظَهَرَ نورُ الْعِلْمِ على قَلْبِهِ لَحَسُنَتْ أخْلاقُهُ، فإنَّ أقَلَ دَرَجاتِ الْعالِمِ أنْ يَعْرِفَ أنَّ الْمَعاصِيَ وَرَذائِلَ الْأَخْلاقِ سُمُومٌ مُهْلِكَةٌ، وهل تَطيبُ نَفْسُ عَاقِلٍ يَتَنَاوَلُ السُّمَّ؟!

ولهذا قالَ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «مَنِ ازْدَادَ عِلْمًا ولَمْ يَزْدَدْ هُدًى لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللهِ إلَّا بُعْدًا»[3].

وقال بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ: مَعْنَى قَوْلِهِمْ: تَعَلَّمْنَا الْعِلْمَ لِغَيْرِ اللهِ، فَأَبَى الْعِلْمُ أنْ يَكونَ إلَّا للهِ[4]، أنَّ الْعِلْمَ امْتَنَعَ وأَبَى أنْ يَحْصُلَ إلَّا[5] أنْ تَحْصُلَ النِّيَة للهِ تعالى، وما حَصَلَ قَبْلَهَا كانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى، وإنَّمَا الصَّيْدُ في جَوْفِ الْفَرَا[6].

---

(1) السَّفِلة والسِّفْلَةُ من القوم أراذلهم. اللسان: سفل.

(2) ينظر السلوك في طبقات العلماء والملوك: 1/ 262، وقلادة النحر في وفيات أعيان الدهر: 4/ 33.

(3) ميزان العمل: 343، الإحياء: 1/ 59، طبقات الشافعية الكبرى: 6/ 289.

(4) المصدر نفسه: 365، المصدر نفسه: 1/ 49-56، المدخل لابن الحاج: 2/ 124.

(5) إلى، في مراد ملا.

(6) كُلُّ الصَّيْدِ في جَوْفِ الفَرا، مثل عربي يُضرب لمن يُفَضَّلُ على أقرانه. جمهرة الأمثال: 1/ 165، مجمع الأمثال: 2/ 136. والفرأ: حمار الوحش، والجمع أفراء وفراء. اللسان: فرأ.

الوظِيفَةُ الثَّانيةُ:

تَحْصِيلُ الإخْلاصِ في مُقاساةِ هذا الْمَسْلَكِ الْوَعْرِ، وقَطْعُ الطَّمَعِ عن قَبولِ زَيْدٍ وعَمْرٍو. ولِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَاهُ، لا ما جَمَعَهُ صَدْرُهُ وحَوَاهُ، لا وَفْقَ عُجْبِهِ وهَوَاهُ.

أَمَا قَرَعَ سَمْعَكَ أنَّ بَعْضًا من الْعُلَمَاءِ لَمَّا سَمِعَ قَوْلَ حَبِيبِ رَبِّ الْعالَمِينَ: «مَنْ أَخْلَصَ للهِ تعالى أَرْبَعينَ صَباحًا، فُجِّرَتْ يَنابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ على لِسانِهِ»(1)، وفَعَلَ ذلكَ طَمَعًا في الْحِكْمَةِ فَلَمْ يَحْظَ منها بِطَائِلٍ، رَأَى في الْمَنَامِ هاتِفًا يقولُ: إنَّكَ ما أَخْلَصْتَ للهِ، بَلْ لِلْحِكْمَةِ؟ و«الأعْمالُ بالنِّياتِ وإنَّما لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى»(2).

فَيَنْبَغِي أنْ يَنْوِيَ في التَّعَلُّمِ أنْ يَعْمَلَ بِعِلْمِهِ للهِ تعالى، والْيَوْمِ الآخِرِ، وأنْ يُعلِّمَ الْجاهِلَ، وَيوقِظَ الْغافِلَ، ويُرْشِدَ الْغَوِيَّ، ويُؤَيِّدَ مَنْ لَيْسَ بِقَوِيٍّ، فإنَّ التَّعَلُّمَ لغَيْرِ اللهِ حَرامٌ باطِلٌ، وطَلَبَ الْعِلْمِ لا لِلْعَمَلِ به ضائِعٌ.

وفي الْحَديثِ: «عِلْمٌ لا يُنْتَفَعُ به كَكَنْزٍ لا يُنفَقُ منه»(3).

---

(1) مصنف ابن أبي شيبة: 7/ 80، مسند الشهاب القضاعي: 1/ 285، إكمال المعلم: 7/ 154، الموضوعات لابن الجوزي: 3/ 144، جامع الأصول: 11/ 556.

(2) صحيح البخاري: 1/ 6 رقم: 1، صحيح مسلم: 3/ 1515، رقم: 1907.

(3) مسند الدارمي: 1/ 213، تاريخ جرجان: 78، التَّدوين في أخبار قزوين: 3/ 6، مشكاة المصابيح: 1/ 92.

وَنَفْعُ الْعِلْمِ: حُسْنُ الاهْتِداءِ في الْعِبادَةِ، فَمَنْ لَمْ يَزْدَدْ بالْعِلْمِ وَرَعًا وزُهْدًا، لم يَزْدَدْ مِنَ اللهِ تعالى إلَّا مَقْتًا وَبُعْدًا.

وقَدْ كانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ بالله تعالى مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ[1].

وَكانَ يقولُ: «الْعِلْمُ عِلْمانِ، عِلْمٌ في الْقَلْبِ، فَذَلكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ؛ وعِلْمٌ على اللِّسانِ، فَذَلِكَ حُجَّةُ اللهِ تعالى على بَنِي آدَمَ»[2].

وَقالَ: «أشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا مَنْ لَمْ يَنْفَعْهُ اللهُ بِعِلْمِهِ»[3].

ومَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ زَلَّتْ مَوْعِظَتُهُ عن الْقُلُوبِ كما يَزِلُّ الْقَطْرُ عن الصَّفَا[4].

قالَ بَعْضُ الْعُلَماءِ الصَّالِحينَ: الْكَلَامُ إذا لَمْ يَخْرُجْ مِنَ الْقَلْبِ لَمْ يَصِلْ إلى الْقَلْبِ.

أَقولُ: وَلَقَدْ جَرَّبْتُهُ كَثيرا وَوَجَدْتُهُ كما قالَ.

---

(1) «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ...» الحديث، صحيح مسلم: 4/ 2088، رقم: 2722.

(2) الزهد والرقائق لابن المبارك: 407، مصنف ابن أبي شيبة: 7/ 82، عيون الأخبار: 2/ 142، جامع بيان العلم وفضله: 1/ 661، العلل المتناهية: 73.

(3) المجالسة وجواهر العلم: 1/ 392، الكامل في الضعفاء: 3/ 474، مسند الشهاب القضاعي: 2/ 171، شعب الإيمان: 3/ 274، جامع بيان العلم وفضله: 1/ 628.

(4) جامع بيان العلم وفضله: 1/ 700، الإحياء: 1/ 63.

وقالَ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ لِأَرْبَعٍ دَخَلَ النَّارَ، لِيُبَاهِيَ به الْعَلَماءَ، ولِيُمَارِيَ به السُّفَهاءَ، ويُقْبِلَ به وُجوهُ النَّاسِ إليه، ولِيَأْخُذَ به الْأَموالَ»[1].

ومِنْ جُمْلَةِ التَّسْويلاتِ الشَّيْطانِيَّةِ أنْ يُؤَخِّرَ الْعَمَلَ إلى أنْ يَتَمَهَّرَ ويَتَبَحَّرَ في الْعِلْمِ، وهذا مِنْ جُمْلَةِ خِداعِ النَّفْسِ، إذْ رُبَّمَا يُفاجِئُهُ الْمَوْتُ، وَيَخْتَرِمُهُ الْأَجَلُ، قَبْلَ الْقِيَامِ بِحَقِّ الْعَمَلِ، فَيَصيرُ إلى النَّارِ مَعَ الْفُسَّاقِ والْفُجَّارِ. نَبَّهَنَا اللهُ تعالى وإيَّاكُمْ عَنْ هذه الْغَفْلَةِ.

الْوَظيفَةُ الثَّالِثَةُ:

تَقْلِيلُ الْعَلَائِقِ[2] الدُّنْيَوِيَّةِ حَتَّى الْأَهْلِ والْأَوْلادِ والْوَطَنِ

فإنَّ الْعَلَائِقَ صَارِفَةٌ وشاغِلَةٌ لِلْقُلوبِ، و﴿مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾[3]. ومهما تَوَزَّعَتِ الْفِكْرَةُ، قَصُرَتْ عَنْ دَرْكِ الْحَقائِقِ، وفَهْمِ الدَّقائِقِ.

وقَدْ قيلَ: الْعِلْمُ لا يُعْطِيكَ بَعْضَهُ حَتَّى تُعْطِيَهِ كُلَّكَ، فإذا أَعْطَيْتَهُ كُلَّكَ، فَأَنْتَ على خَطَرٍ من الْوُصولِ إلى بَعْضِهِ.

---

(1) أخرجه أبو الليث السمرقندي في تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين: 436، والحاكم في المستدرك 1/ 86، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله 1/ 187.

(2) تَقليلٌ للعلائق، في مراد ملا.

(3) سورة الأحزاب، الآية: 4.

وَأيْضًا الْفِكْرَةُ الْمُتَوَزِّعَةُ كَجَدْوَلٍ تَفَرَّقَ ماؤُهُ، **فَيَخْطَفُهُ**[1] الْهَوَى، وتُنَشِّفُهُ[2] الْأَرْضُ، فلا يَبْقَى مِنْهُ ما يَبْلُغُ الْمَزْرَعَةَ.

الْوَظِيفَةُ الرَّابِعَةُ:

تَرْكُ الْكَسَلِ والتَّشْمِيرُ[3] لِنَيْلِ الْمَعَالِي، وإيثَارُ السَّهَرِ في اللَّيالِي

وقَدْ قِيلَ: مَا اشْتَارَ[4] الْعَسَلَ مَنِ اخْتَارَ الْكَسَلَ. فعليك بحَزْمِ الْعَزْمِ، وتَطَلُّبِ الْحَزْمِ.

ومن جُمْلَةِ أَسْبَابِ الْكَسَلِ: الاِعْتِمادُ على الاِسْتِقْبَالِ، فإنَّ ذلك رُبَّما يَخْتَرِمُ الْآمالَ، ويَمْنَعُ الْأَشْغَالَ.

وَمِنَ الْمُقَرَّرِ لَدَى الْعامَّةِ والْخاصَّةِ أنَّ فَوْتَ الْفُرْصَةِ مما يورِثُ الْغُصَّةَ.

قالَ الشَّاعِرُ: [الطويل]

إِذَا هَجَعَ النُّوَّامُ أَسْبَلْتُ عَبْرَتِي وَأَنْشَدْتُ بَيْتًا فَهْوَ مِنْ أَحْسَنِ الشِّعْرِ[5]
أَلَيْسَ من الْخُسْرَانِ أَنَّ لَيَالِيًا تَمُرُّ بلا شَيءٍ وتُحْسَبُ من عُمْرِي[6]

(1) فيختطف، في قونية وأنطاليا. فيتخطف، في رئيس الكتاب.

(2) ويتشف، في قونية وأنطاليا ورئيس الكتاب.

(3) التَّشمر: في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(4) شَار الْعَسَلَ يَشُوره واشْتَاره يَشْتارُه: اجْتَنَاهُ مِنْ خَلَايَاهُ وَمَوَاضِعِهِ. اللسان: شور.

(5) ينسب البيت الأول والثاني للإمام الشافعي، ولم نقف علهما في ديوان شعره، وهما في غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب: 2/ 444، والثالث ورد غير منسوب في بعض المصادر منها: اعتلال القلوب للخرائطي: 1/ 246.

(6) بلا نفع، في مراد ملا.

إذا أَنْتَ لم تَزْرَعْ وأبْصَـرْتَ حَاصِـدًا   نَـدِمْـتَ على التَّفْرِيطِ في زَمَنِ الْبَـذْرِ

وَمِنْ جُمْلَةِ أَسْبَابِ الْكَسَلِ في اكْتِسَابِ الْعِلْمِ: تَذَكُّرُ الْمَوْتِ والْخَوْفُ منه، فَاعْلَمْ أنَّ تَذَكُّرَهُ يَنْبَغِي أنْ يكونَ مِنْ جُمْلَةِ أَسْبابِ التَّحْصِيلِ، إذْ لا عَمَلَ يَحْصُلُ به الاسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ أفْضَلُ مِنَ الْعِلْمِ والْعَمَلِ بِهِ. وجَعْلُهُ سَبَبَ الْكَسَلِ إمَّا مِنْ عَدَمِ الْوُقُوفِ على فَضْلِ الْعِلْمِ، أو مِنْ جَعْلِهِ سَبَبًا لِلْأمورِ الدُّنيويَّةِ الْمُنْقَطِعَةِ بالْمَوْتِ.

وأمَّا الْخَوْفُ مِنَ الْمَوْتِ، فلا يَنْبَغِي أنْ يَتَسَلَّطَ على الْإِنْسانِ، بِحَيْثُ يَشْغَلُهُ عن الاسْتِعْدادِ لِلْأُمورِ الْأُخْرَوِيَّةِ.

وَقَوْلُ النَّبِيِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَّاتِ»[1]، يَدُلُّ على أَنَّهُ يَنْبَغي أنْ يَكونَ ذِكْرُهُ سَبَبًا لِلانْقِطاعِ عن اللَّذَّاتِ الْفَانِيَةِ دونَ الْباقِيَّةِ. وَطَرِيقُ نَفْيِ الْغَمِّ عن الْمَوْتِ أنَّهُ إمَّا لِأَجْلِ مُفارَقَةِ الدُّنْيَا، وذَلِكَ حُمْقٌ وخَرَقٌ، وإمَّا لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وذلك غَيْرُ مُفِيدٍ، إلَّا أنْ يَتَدَارَكَهُ، وتَدَارُكُهُ الاسْتِعْدَادُ له في الْحالِ، ولا نَفْعَ لِمُجَرَّدِ الْغَمِّ لذلك، بلِ اللَّائِقُ أنْ يَبْقَى سَاكِنَ الْقَلْبِ، مُنْتَظِرًا لِقَضاءِ الله وقَدَرِهِ، وَيَتَحَقَّقَ أنَّ ما قُدِّرَ فهوَ كائِنٌ، ويَتَذَكَّرَ قَوْلَهُ تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾[2]. الآية.

---

(1) مسند أحمد: 13/ 301، رقم: 7925، سنن ابن ماجه: 2/ 1422، رقم: 4258، المعجم الأوسط: 1/ 213، رقم: 691.

(2) سورة الحديد، الآية: 22.

ثُمَّ إنَّ الْغَمَّ لأجْلِ الْمَوْتِ، إمَّا لِفَوْتِ شَهْوَةِ بَطْنِهِ وَفَرْجِهِ، وإمَّا على ما يُخلِّفُهُ من مَالِهِ، وإمَّا على جَهْلِهِ بِحَالِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَمَآلِهِ، وإمَّا على ما قَدَّمَهُ مِنْ عِصْيانِهِ.

ـ أمَّا الأَوَّلُ، فَجَهْلٌ، لأنَّ لذَّةَ الطَّعامِ دَفْعُ[1] أَلَمِ الْجُوعِ، ولَذَّةَ الْجِمَاعِ دَفْعُ أَلَمِ دَغْدَغَةِ الْمَنِيِّ لِأَوْعِيَتِهِ. وطَلَبُ هاتَيْنِ اللَّذَّتَيْنِ؛ كَإِرَادَةِ دَاءٍ لِيَلْتَذَّ بِدَوائِهِ؛ وكَالْإِكْثَارِ مِنَ الْقُعُودِ في الْحَمَّامِ لِيَلْتَذَّ بِشُرْبِ مَاءٍ بارِدٍ.

ـ وأمَّا الثَّانِي، فَمِنْ جَهْلِهِ بِخَسَاسَةِ الْمَالِ، وحَقَارَةِ الدُّنْيَا، بِالْإِضافَةِ إلى النَّعِيمِ الْمُقِيمِ الْمَوْعودِ لِلْمُتَّقِينَ، على أنَّكَ إنْ لَمْ تَتْرُكِ الْمَالَ، فَهُوَ يَتْرُكُكَ قَطْعًا، كما قِيلَ: [الطويل]

تُنَاضِلُهُ الْآفَاتُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فَتُخْطِئُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا تُصِيبُهُ[2]

وَعَلَيْكَ أن تَعْرِفَ أنَّ الدُّنيا جَمَّةُ الْمَصائِبِ، وَكَدِرَةُ الْمَشارِبِ، تُورِثُ لِلْبَرِيَّةِ أنْواعَ الْبَلِيَّةِ، مع كلِّ لُقْمَةٍ غُصَّةٌ.

فإنْ تَأَمَّلْتَ لِمَاضٍ، فَذَلِكَ لا يَلُمُّ ما شَعَثَ، ولا يَرُمُّ ما انْتَكَثَ؛ وإنْ كانَ لِحاضِرٍ، فذلِكَ بِقَضاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ، ومع ذلك فَمُنْقَضٍ؛ وإنْ كانَ لِمُسْتَقْبَلٍ، فإنْ كانَ مِمَّا يُحْتَمَلُ وُقُوعُهُ فذلك حُمْقٌ، إذِ الْحُزْنُ الْحاضِرُ لأمْرٍ مُحْتَمَلٍ

---

(1) لدفع، في قونية.

(2) ورد البيت غير منسوب في الذَّريعة إلى مكارم الشريعة: 235، وميزان العمل: 1/ 389.

الْوُقوعِ خَارِجٌ عن طَوْرِ الْعَقْلِ؛ وإنْ كان مُحَقَّقَ الْوُقوعِ؛ كَالْمَوْتِ فَسَتَعْرِفُ حَالَهُ.

قالَ الله تَعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾[1]. قيل هذه الآيَةُ جامِعَةٌ لأصولِ الزُّهْدِ بتَمامِها.

ـ وأمَّا الثَّالِثُ، فَعَلَيْهِ أنْ يَطْلُبَ عِلْمًا يَكْشِفُ حالَهُ بَعْدَ الْمَوْتِ، كما قال حَارِثَةُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إلى عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا، وكأَنِّي أَنْظُرُ إلى أَهْلِ الْجَنَّةِ يتَزَاوَرُونَ فِيهَا، وإلى أَهْلِ النَّارِ يَتَعَاوَوْنَ فِيهَا»[2].

وهذا الْعِلْمُ إنَّما يَحْصُلُ بِمَعْرِفَةِ حَقيقَةِ النَّفْسِ، وكَيْفِيَّةِ عَلاقَتِها بالْبَدَنِ، وَوَجْهِ خاصِّيَتِهِ التي خُلِقَ[3] الْبَدَنُ لها، وَوَجْهِ الْتِذَاذِهِ بِخاصِّيَتِهِ وكَمَالِهِ، مع مَعْرِفَةِ الرَّذائِلِ الْمانِعَةِ له من كَمالِهِ. وقد نَبَّهَ الشَّرْعُ عليه في مَواضِعَ كَثيرَةٍ، وَأَمَرَ بالتَّفَكُّرِ في النَّفْسِ، كما أمَرَ بالتَّفَكُّرِ في مَلَكوتِ السَّماواتِ والأرْضِ.

ـ وأمَّا الرَّابِعُ، فلا يَنْفَعُ الغَمُّ فيه، بلِ الْمُداواةُ الْمُبادَرَةُ بالتَّوْبَةِ، وإصْلاحِ ما فَرَطَ مِنْ أمْرِهِ؛ كمَنِ انْفَجَرَ عِرْقُهُ وهو يَغْتَمُّ له ولا يُعَصِّبُهُ. وأيضًا الْفَائِتُ لا يُتدارَكُ، فليشتغلْ بالْمُسْتَقْبَلِ.

وأمَّا حالُ الإنْسانِ عند الْمَوْتِ فَثَلاثَةٌ:

---

(1) سورة الحديد، الآية: 23.

(2) الجامع لمعمر بن راشد: 11/129، الزهد والرقائق لابن المبارك: 106، مصنف عبد الرزاق: 10/194، مصنف ابن أبي شيبة: 6/170، الذريعة إلى مكارم الشريعة: 237، الترغيب والترهيب: 1/73.

(3) خلقت، في رئيس الكتاب وأنطاليا والأزهرية.

ـ**الأَوَّلُ**: ذو بَصيرَةٍ، يَعْلَمُ أنَّ الْحَيَاةَ رِقٌّ، والْمَوْتَ عِتْقٌ، وأنَّ الدُّنْيَا كَخَطْفَةِ بَرْقٍ، وإنْ طالَ مُكْثُهُ فيها، فهذا لا يَغْتَمُّ لِمَوْتِهِ إلَّا لِمَا يُفَوِّتُ مِنْ خِدْمَةِ رَبِّهِ، والازْدِيَادِ مِنْ قُرْبِهِ، فإذا عَجَزَ عن خِدْمَةِ رَبِّهِ، رُبَّمَا اشْتاقَ إلى الْمَوْتِ.

قيلَ لِبَعْضِهِمْ عند مَوْتِهِ: لِمَ تَجْزَعُ؟ قال: لأَنِّي أَسْلُكُ طَرِيقًا لَمْ أَعْهَدْهُ، وأَقْدُمُ رَبًّا لم أرَهُ، ولا أدْرِي ما أقولُ، وما يُقالُ لي.

والثَّانِي: رَدِيءُ الْبَصِيرَةِ، رَضِيَ بالْحَياةِ الدُّنْيَا، وَاطْمَأَنَّ بها، وَيَئِسَ مِنْ دارِ الآخِرَةِ، كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ[1]، فإذا خَرَجَ إلى دارِ الْخُلودِ، **أَضَرَّ به كَمَا تُضِرُّ رِياحُ الْوَرْدِ بِالْجُعَلِ**[2].

فالدُّنْيَا سِجْنُ الأوَّلِ، وجَنَّةُ الثَّانِي، وشَتَّانَ ما بينهما. والأوَّلُ كَعَبْدٍ دَعاهُ مَوْلاهُ للإحْسانِ، والثَّانِي كَعَبْدٍ آبِقٍ رُدَّ إلى مولاهُ مَأسورًا مَقْهُورًا، نَاكِسَ الرَّأْسِ، مَخْزِيًّا من جِنايَتِهِ.

والثَّالِثُ، رُتْبَةٌ بين الرُّتْبَتَيْنِ، رَجُلٌ عَرَفَ غَوائِلَ الدُّنْيا، وَكَرِهَ صُحْبَتَهَا، ولكن أَنِسَ بِهِ وَأَلِفَهُ، فَيَكْرَهُ الْخُروجَ منه، فإذا خَرَجَ، ورأى ما أُعِدَّ للصَّالحين، قال: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (34) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا

---

(1) وظف المصنف الآية: 13 من سورة الممتحنة لإتمام كلامه.

(2) هو عجز بيت من شعر المتنبي يسري مسرى المثل، وأوله: بِذِي الْغَبَاوَةِ مِنْ إِنْشادِها ضَرَرٌ. شرح ديوان المتنبي: 3/ 40.

يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾[1]. وذلك كالصَّبِيِّ يَبْكِي لِلِانْتِقالِ عن رَحِمِ الأمِّ، ثم إذا أنِسَ فَضاءَ الْعالَمِ لا يَتَمَنَّى الِانْتِقالَ إليها.

وقَدْ ثَبَتَ عند الْمُحَقِّقينَ أنَّ الْمَوْتَ وِلادَةٌ ثانيةٌ، وأنَّ فَضاءَ الدُّنيا بالنِّسْبَةِ إلى عالَمِ الآخِرَةِ نِسْبَةُ الرَّحِمِ إلى الدُّنْيا. كما قالَ بَعْضُهُمْ: يَنْبَغي أنْ يكونَ شُكْرُنَا لِعِزْرَائِيلَ كَشُكْرِنَا لِجِبْرَائِيلَ وَمِيكائِيلَ عليهِمُ السَّلامُ. كما وَرَدَ في الدُّعاء: اللَّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ وجِبْرَائِيلَ ومِيكَائيلَ ومَلَكِ الْمَوْتِ. فإنَّ جِبْرائيلَ ومِيكائيلَ سَبَبانِ لسَبيلِ الْخَلَاصِ في الآخِرَةِ بواسطَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ، وعِزْرَائيلَ سَبَبٌ لإخْراجِنَا إلى ذلك الْعَالَمِ، فَحَقُّهُ عَظيمٌ، وشُكْرُهُ لازِمٌ.

وقد حُكِيَ عن طائِفَةٍ من حُكَماءِ الأمَمِ السَّالِفَةِ تَعْظِيمُ رَجُلٍ بالتَّقْدِيسِ والتَّسْبِيحِ، لأنَّهُمْ اعْتَقَدوا أنَّهُ لا يُعِينُ على الْحَياةِ الْعَرَضِيَّةِ، بل هو سَيْفُ الْهَلَاكِ الذي به الْخَلَاصُ عن الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ[2].

الْوظيفَةُ الْخامِسَةُ:

أَنْ تُوَطِّنَ نَفْسَكَ على التَّعَلُّمِ إلى آخِرِ الْعُمُرِ، لِمَا قيلَ: الطَّلَبُ من الْمَهْدِ إلى اللَّحْدِ.

(1) سورة فاطر، الآية: 34-35.

(2) ينظر ميزان العمل: 397.

ومن كَلامِ الإمامِ الشَّافِعِيِّ: صِنَاعَتُنَا هذه رِقُّ الْأَبَدِ، فَمَنْ قَصَدَ أَنْ يَتْرُكَهَا سَاعَةً فَلْيَتْرُكِ السَّاعَةَ.

وقيلَ: مَنْ ظَنَّ أنَّ للعِلْمِ غايَةً فقد بَخَسَهُ حَقَّهُ، أمَا سَمِعْتَ قولَهُ تعالى لحَبيبِهِ وهو أعْرَفُ الْعارِفينَ بالله تعالى وصِفَاتِهِ وأحْكامِهِ: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾(1). وقولَهُ تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾(2).

وسُئِلَ عبدُ الله بْنُ الْمُبَارَكِ إلى مَتَى تتَعَلَّمُ؟ قال: لَعَلَّ الْكَلِمَةَ التي أنْتَفِعُ بها لم أسْمَعْهَا بَعْدُ.

رُوِيَ أنَّ حَسَنَ بنَ زِيَادٍ أخَذَ في التَّفَقُّهِ وهو ابْنُ ثَمانينَ سَنَةً، ولم يَبِتْ على الْفِرَاشِ أَرْبَعينَ سَنَةً، فَأَفْتَى بعد ذلك أَرْبَعينَ سَنَةً.

والْحِيلَةُ في صَرْفِ جَميعِ الْأَوْقاتِ إلى التَّحْصيلِ أنَّهُ إذا مَلَّ مِنْ عِلْمٍ، اشْتَغَلَ بآخَرَ. كَما قالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عنهما: إذا مَلَّ مِنَ الْكَلامِ مع الْمُتَعَلِّمِينَ هاتوا ديوانَ الشِّعْرِ.

وكانَ مُحَمَّدُ بنُ الْحَسَنِ لا يَنامُ اللَّيْلَ، وكان يَضَعُ عنده دَفَاتِرَ، وكان إذا مَلَّ مِنْ نَوْعٍ يَنْظُرُ في آخَرَ، وكان يُزيلُ نَوْمَهُ بالماءِ، وكان يَقولُ: إنَّ النَّوْمَ مِنَ الْحَرارَةِ، فعليكَ أنْ تَغْتَنِمَ مِنْ أزْمانِ الْعُمُرِ أيامَ الْحَداثَةِ، وعُنْفُوَانَ الشَّبابِ، ومِنَ الأوْقاتِ ما بين الْعِشاءَيْنِ، وأوْقاتَ السَّحَرِ. وأَصْلُ الْكُلِّ مُلازَمَةُ السَّهَرِ.

---

(1) سورة طه، الآية: 114.

(2) سورة يوسف، الآية: 76.

وقد قالَ موسى صَلَواتُ الله عليه وسَلامُهُ: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾[1]. لِيُعْلَمَ أنَّ سَفَرَ الْعِلْمِ لا يَخْلو عن النَّصَبِ. ولا بُدَّ مِنِ اخْتِيارِهِ، لأنَّ طَلَبَ الْعِلْمِ أَمْرٌ عَظيمٌ، بل هو أفْضَلُ مِنَ الْجِهَادِ عند الأكْثَرينَ، وأنَّ موسى عليه السَّلام مع كَوْنِهِ نَبِيًّا اخْتارَ هذا النَّصَبَ في طَلَبِ الْعِلْمِ.

وَيَنْبَغِي أنْ لا تُضَيِّقَ صَدْرَكَ، ممن يُنكرُ قَدْرَكَ. لما قال أفلاطون: لا يَضُرَّنَّ[2] جَهْلُ غَيْرِكَ بِكَ عِلْمَكَ بِنَفْسِكَ.

الْوَظِيفَةُ السَّادِسةُ:

أنْ تَخْتارَ من الْمُعَلِّمِ مَنْ هو ناصِحٌ، نَقِيُّ الْحَسَبِ، مَأْمونُ الْغِيبَةِ، عَدْلٌ في الدِّينِ، كَريمُ الْعِرْقِ، كَبيرُ السِّنِّ، لا يُخالِطُ السُّلْطانَ، ولا يُلابِسُ الدُّنْيا، بحيثُ تَشْغَلُهُ عن دِينِهِ. ويُسافِرُ في طَلَبِ الْأُسْتاذِ إلى أقْصَى الْبِلادِ الشَّاسِعَةِ، كما طَلَبَ موسى الْخَضِرَ[3] عليهما السَّلامُ بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ، ولو مَسَحَ الْأَرْضَ كُلَّها بِقَدَمِهِ، وضَرَبَ آبَاطَ الْإِبلِ في طَلَبِهِ، لكانَ أَحَقَّ وَأَوْلَى.

قال مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ: أَوَّلُ ما يُذْكَرُ مِنَ الْمَرْءِ أسْتاذُهُ، وإنْ كانَ جَليلًا جَلَّ قَدْرُهُ، وإنَّما خُفِضَ ذِكْرُ محمدِ بن مُقَاتِلٍ عند أهْلِ الْعِرَاقِ لأنَّهُ لم يُعْرَفْ له أستاذٌ جليل الْقَدْرِ.

---

(1) سورة الكهف، الآية: 62.

(2) لا يَضُرَّ، في مراد ملا.

(3) خضر، في قونية ورئيس الكتاب.

وإذا وُجِدَ مِثْلُ ما وَصَفْناهُ، فعليه أنْ لا يَتَكَبَّرَ على الْعِلْمِ، ولا يَتَأَمَّرَ على الْمُعَلِّمِ، بل يُلقِي إليه بِزِمامِ أمْرِهِ في تَفْصِيلِ طَرِيقِ التَّعْليمِ، ويُذعِنَ لِنُصْحِهِ إذْعَانَ الْمَرِيضِ لِلطَّبِيبِ؛ أمَّا التَّكبُّرُ على الْعِلْمِ، بأنْ يَسْتَنْكِفَ من اسْتِفادَتِهِ مِمَّنْ يَعْرِفُهُ، وهو عَيْنُ الْحُمْقِ، بلِ «الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ كُلِّ حَكِيمٍ، فَحَيْثُ يَجِدُهَا فهو أَحَقُّ بِها»[1].

فَيَنْبَغِي أنْ يَغْتَنِمَهَا، وَيَسْتَفِيدَهَا، وَيَتَقَلَّدَ بها الْمُنَّةَ: [الكامل]

فَـالْعِلْمُ حَرْبٌ لِلْفَتَى الْمُتَعَـالِي ... كَالسَّيْلِ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِي[2]

فَلَا بُدَّ مِنَ التَّواضُعِ.

وَلِذَلِكَ قالَ تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[3]، أي يَكونُ مُشْتَغِلًا بالْعِلْمِ، وهو الْمُرَادُ بِمَنْ له قَلْبٌ، أو كان فيه مِنَ الْعَقْلِ ما يُحْمَدُ على إلْقَاءِ السَّمْعِ، وَحُسْنِ الْإِصْغَاءِ والضَّراعَةِ.

---

(1) كشف الخفاء: 1/ 435، ويجري مجري المثل: ينظر: الأمثال والحكم للماوردي: 75، وزهر الأكم: 1/ 38.

(2) ورد غير منسوب في ميزان العمل للغزالي: 344، والإحياء: 1/ 50، وهو محرف من قول أبي تمام:

لا تُنْكِرِي عَطَلَ الْكَرِيمِ مِنَ الْغِنَى ... فالسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمَكانِ العَـــالِي

(3) سورة ق، الآية: 37.

قال النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «مَنْ لَمْ يَحْتَمِلْ ذُلَّ التَّعلُّمِ سَاعَةً، بَقِيَ في ذُلِّ الْجَهْلِ أبَدًا»[1].

قال الشَّاعِرُ: [الكامل]

إنَّ الْمُعَلِّمَ والطَّبِيبَ كِلَاهُمَا لا يَنْصَحَانِ إذا هُمَا لم يُكْرَمَا[2]
فَاصْبِرْ لِدَائِكَ إن جفَوْتَ طَبِيبَهُ واصْبِرْ لِجَهْلِكَ إنْ هَجَرْتَ مُعَلِّمَا

وَيَنْبَغِي أنْ يَكونَ الْمُتَعَلِّمُ لِمُعَلِّمِهِ كَأرْضٍ دَمِثَةٍ، نَالَتْ مَطَرًا غَزيرًا، فَتَلَقَّاهُ بالْقَبولِ مِنْ غيرِ دَفْعٍ، وليكُنِ الْمُتَعَلِّمُ مُتَّبِعًا لِمُعَلِّمِهِ، وإنْ ظَنَّ أنَّ الصَّوابَ في خِلَافِهِ، فإنَّ سَالِكَ الطُّرُقِ قد يَظُنُّ من يهديه أنَّه قد أخْطَأَ، ثم يَظْهَرُ أنَّ الصَّوابَ عنده. ألا تَرى أنَّ موسى عليه السَّلامُ لم يَصْبِرْ، وراجَعَ الْخَضِرَ عليه السَّلامَ حَتَّى حُرِمَ عن صُحْبَتِهِ، حيثُ قالَ: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾[3].

وأيْضًا فَلْيَحْتَرِزِ الْمُتَعَلِّمُ عن أن يَتَّكِلَ على ذِهْنِهِ، فَيَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا[4]. لِمَا قِيلَ: الْعِلْمُ في الصُّدورِ لا في السُّطورِ.

(1) المدخل إلى علم السنن للبيهقي: 2/ 698، أدب الدنيا والدين: 67، أدب الإملاء والاستملاء: 145.

(2) وردا بدون نسبة في التمثيل والمحاضرة للثعالبي: 164، وأدب الدنيا والدين: 68، ومحاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء: 1/ 76 وغيرهما.

(3) سورة الكهف، الآية: 78.

(4) وظف المصنف الآية 29 من سورة الإسراء لإتمام معنى كلامه.

وعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ الله عنه: «العِلْمُ قُفْلٌ ومِفْتَاحُهُ السُّؤالُ»[1].

ومِنَ الآدابِ أنْ يَتَواضَعَ لِمَنْ عَلَّمَهُ حَرْفًا، وَيَتَمَلَّقَ له، ويَخْدُمَهُ وَيَنْصُرَهُ، ويَدْعُوَ له سِرًّا وَجَهْرًا.

قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «مَنْ عَلَّمَ عَبْدًا آيَةً من كِتَابِ اللهِ تعالى فهو مَوْلَاهُ، ولا يَنْبَغِي [له][2] أنْ يَخْذُلَهُ، ولا يَسْتَأْثِرَ عليه أحَدًا، فإن فَعَلَ ذلك فقد قَصَمَ عُرْوَةً من عُرَى الإسْلَامِ»[3].

قُلْتُ: ومن جُمْلَةِ أسْبَابِ انْقِرَاضِ العِلْمِ في زَمانِنا: عَدَمُ تَحَرُّزِهِمْ عن مُراعاةِ حَقِّ الْمُعَلِّمِ، ولقدْ صارَ هذا سُنَّةً سيئَةً في زَمانِنا هذا. أماتَ الله تعالى هذه السُّنَّةَ من بين أَظْهُرِنَا، وقَاتَلَ مَنْ وَضَعَهَا وأَحْيَاهَا.

قيلَ: من تَأَذَّى منه أسْتَاذُهُ يُحْرَمُ بَرَكَةَ العِلْمِ، ولا يَنْتَفِعُ بِهِ إلا قَليلًا.

وَمِنِ احْتِرامِ الْمُعَلِّمِ وإجْلَالِهِ: أنْ لا يَقْرَعَ عليه بابَ دارِهِ، بل يَنْتَظِرُ خُروجَهُ، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾[4]، وَلَا يُخالفَهُ فيما يَأْمُرُهُ مِنْ مُباحِ الدِّينِ، ويَتَحَرَّى مَسَرَّتَهُ في ذَلِكَ كُلِّهِ. وكان النَّبي صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ يَتَخَوَّلُ الصَّحابَةَ في الْمَوْعِظَةِ كَرَاهَةَ السَّآمَةِ عليهم[5].

---

(1) البديع في البديع: 78، إعجاز القرآن للباقلاني: 68، الفقيه والمتفقه: 2/ 62.

(2) سقطت من قونية.

(3) شعب الإيمان: 3/ 505 رقم: 2023، المعجم الكبير: 8/ 112، رقم: 7528، جمع الجوامع: 9/ 556.

(4) سورة الحجرات، الآية: 5.

(5) الحديث في صحيح البخاري: 1/ 25، رقم: 68، بلفظ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الأَيَّامِ،كَرَاهَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا»، وهو في صحيح مسلم: 4/ 2172، رقم: 2821.

فإذا كان التَّخَوُّلُ في التَّعليمِ أحَبَّ، ففي التَّعَلُّمِ أوْلَى.

ويَنْبَغِي أنْ يُقَدِّمَ حَقَّ مُعَلِّمِهِ على حَقِّ أَبَوَيْهِ وسائِرِ الْمُسْلِمِينَ.

حُكِيَ أنَّ الشَّيْخَ الإمامَ شَمْسَ الْأَئِمَّةِ الْحَلْوَانِيَّ[1]، قد كانَ خَرَجَ مِنْ بُخَارَى، [وسَكَنَ في بعض الْقُرَى أيَامًا بِحَادِثَةٍ وَقَعَتْ لَهُ][2] وقد زَارَتْهُ تَلامِذَتُهُ، إلَّا الشَّيْخَ الْإِمامَ أبا بَكْرٍ الزَّرَنْجَرِيَّ[3]، فقالَ له: لِمَ لَمْ تَزُرْنِي، قالَ: مَنَعَتْنِي عنها خِدْمَةُ الْوَالِدَةِ، قالَ: تُرْزَقَ الْعُمُرَ، ولا تُرْزَقَ رَوْنَقَ الدَّرْسِ، وكانَ كذلك. فإنَّهُ كان يَسْكُنُ أكْثَرَ[4] أوْقاتِهِ في الْقُرَى.

قالَ الشَّاعِرُ: [البسيط]

آبَاءُ أَجْسَامِنَا هُمُ الَّذِينَ مَضَوْا ... قَدْ أَوْقَعُونَا هُمُ في مَوْقِعِ التَّلَفِ[5]
من عَلَّمَ القرآنَ كانَ خَيْرَ أبٍ ... وَذاكَ أَبُ الرُّوحِ لا أَبُ النُّطَفِ[6]

---

(1) عبد العزيز بن أحمد بن نصر شمس الأئمة الحلواني، نسبة لبيع الحلوى، والحلوائي في بعض المصادر، إمام الحنفية في وقته ببخارى، (ت.448هـ) ترجمته في: الأنساب: 4/ 194، سير أعلام النبلاء: 18/ 177، تاج التراجم: 179، الجواهر المضية: 2/ 429.

(2) زيادة في أنطاليا.

(3) بكر بن محمد بن علي أبو الفضل (وليس أبا بكر) الجابري البخاري الزَّرنجري، الفقيه المشهور، المعروف بشمس الأئمة، وبأبي حنيفة الأصغر (ت.512هـ). ترجمته في: الأنساب للسمعاني: 6/ 288، سير أعلام النبلاء: 19/ 415، الوافي بالوفيات: 10/ 137، النجوم الزاهرة: 5/ 316.

(4) في أكثر، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(5) لم نقف عليهما في المصادر السابقة على مفتاح السعادة، ووردت في بعض المصادر اللاحقة مثل: بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية: 3/ 258.

(6) من علم العلم... وهو أب، في بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية.

وقالَ آخَرُ: [الطويل]

رَأَيـتُ أحَقَّ الْحَقِّ حَقَّ الْمُعَلِّمِ وَأَوْجَبَهُ حِفْظًا عَلَى كُلِّ مُسْـلِمِ[1]
لَقَـدْ حَقَّ أن يُهْـدَى إليـهِ كَرَامَـةً لِتَعْلِيمِ حَرْفٍ وَاحِـدٍ أَلْفُ دِرْهَمِ

وأيْضًا لا يَتَّبِعُ زَلَّةَ الْمُعَلِّمِ وهَفْوَتَهُ، ويَحْمِلُ ما سَمِعَ منه من الْهَفَوَاتِ على أحْسَنِ الْمَحَامِلِ والتَّأْوِيلَاتِ.

قال بعض الْمَشَايِخِ: مِنْ تَوْقِيرِ الْمُعَلِّمِ أن لا يَمْشِي أَمَامَهُ، ولا يَجْلِسَ مَكَانَهُ، ولا يَبْتَدِئَ الْكَلامَ عِنْدَهُ إلا بإذْنِهِ، ولا يُكْثِرَ الْكَلامَ عِنْدَهُ، ولا يَسْأَلَ شَيْئًا عِنْدَ مَلَالَتِهِ، وَيُرَاعِيَ الْوَقْتَ، [فَالْحاصِلُ أنَّهُ يَطْلُبُ رِضَاءَهُ، ويَتَجَنَّبُ سُخْطَهُ][2] وَيَمْتَثِلُ أمْرَهُ في غير مَعْصِيَةِ اللهِ، إذْ لا طاعَةَ لِلْمَخْلوقِ في مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ.

ومِنْ تَوْقِيرِهِ، تَوْقيرُ أَوْلادِهِ، وَمَنْ يَتَعَلَّقُ به، ولِلسَّلَفِ في تَوْقِيرِ الْمُعَلِّمِ أمورٌ لا يَكادُ يَخْطُرُ فِعْلُهُ بِبَالِ أحَدٍ في زَمانِنا هذا.

يُرْوى أنَّ الشَّيْخَ أبا إسْحاقَ الشِّيرازِيَّ الْفِيروزَاباذِيَّ؛ صاحِبَ **الْمُهَذَّبِ وَالتَّنْبيهِ**[3] لمَّا صارَ سَفِيرًا لِلْمُقْتَدِي بأَمْرِ اللهِ في خِطْبَةِ ابْنَةِ الْمَلِكِ جَلالِ الدَّوْلَةِ، فَسافَرَ إلى نَيْسَابورَ، نَاظَرَ هناكَ إمامَ الْحَرَمَيْنِ، وَأَرادَ الانْصِرافَ من نَيْسابورَ، فَخَرَجَ إمامُ الْحَرَمَيْنِ إلى وَدَاعِهِ، وَأَخَذَ بِرِكابِهِ، حَتَّى رَكِبَ أبو إسحاقَ بَغْلَتَهُ. وظَهَرَ له في خُراسانَ مَنْزِلَةٌ عَظيمَةٌ، وكان النَّاسُ مِنَ

(1) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية: 4/ 3.
(2) زيادة من أنطاليا، وأخلت بها سائر النسخ.
(3) المهذب والتنبيه كلاهما في فقه الإمام الشافعي وقد طُبعا.

الْمُتَعَلِّمِينَ ومَنْ دونَهُمْ يَأخُذونَ التُّرابَ مِنْ أثَرِ مَوَاطِئِ بَغْلَتِهِ، فَيَتَبَرَّكونَ به. وكانَ رَحِمَهُ الله إمامًا عالمًا وَرِعًا زاهِدًا عابِدًا. وكانَتْ وَفاتُهُ سَنَةَ سِتٍّ وسَبْعينَ وأرْبَعِمِئَةٍ. وسَتَجِيءُ تَرْجَمَتُهُ في طَبَقاتِ الْفُقَهاءِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى.

ويُرْوى أيضًا أنَّ إمامَ الْحَرَمَيْنِ لمَّا تُوُفِّيَ، غُلِّقَتِ الْأَسْواقُ يَوْمَ مَوْتِهِ، وكُسِرَ مِنْبَرُهُ بالْجامِعِ، وكانَتْ تَلامِذَتُهُ قَرِيبًا من أربعمئةِ نَفَرٍ، فَكَسَّروا مَحَابِرَهُمْ وأقْلامَهُمْ، وأقاموا على ذلك عامًا كامِلًا. وَكانَتْ وَفاتُهُ سَنَةَ ثَمانٍ وَسَبْعينَ وأربَعِمِئَةٍ[1].

ويُرْوى أَيْضًا أنَّ الإمامَ أبا حَنِيفَةَ، كانَ له جارٌ إسْكافٌ، كان بالنَّهارِ في صِناعَتِهِ، وإذا كان باللَّيْلِ وتَعَشَّى، جَلَسَ يَسْتَعْمِلُ الشَّرابَ، فإذا دَبَّ فيه الشَّرابُ، يُغَنِّي ويقولُ: [الوافر]

أَضَاعُونِي وأيَّ فَتًى أَضَاعُوا لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسِدَادِ ثَغْرِ[2]

ولا يَزالُ يَشْرَبُ، ويُرَدِّدُ هذا الْبَيْتَ، حَتَّى يَأْخُذَهُ النَّوْمُ. والإمامُ أبو حَنِيفَةَ يَسْمَعُهُ كُلَّ لَيْلَةٍ. وكانَ الإمامُ أبو حَنِيفَةَ يُصَلِّي اللَّيْلَ كُلَّهُ. ثمَّ إنَّهُ فَقَدَ صَوْتَ جارِهِ لَيَالِيَ، فَسَأَلَ عنهُ، فقيل له: قَبَضَهُ أصْحابُ الْعَسَسِ منذ ليَالٍ، فلمَّا صَلَّى الإمامُ أبو حَنِيفَةَ صَلاةَ الْفَجْرِ مِنْ غَدِهِ، رَكِبَ بَغْلَتَهُ، وأتَى دارَ الْأَمِيرِ، فَاسْتَأْذَنَ عليه، فقال: اِئْذَنُوا له، وأقْبِلوا به إلَيَّ راكِبًا، ولا تَدْعوهُ يَنْزِلُ حَتَّى يَطَأَ الْبِساطَ، فَفُعِلَ ذلك به، فَتَلَقَّاهُ الأميرُ، وأَجْلَسَهُ في مَجْلِسِهِ، وقال: هَلْ مِنْ حاجَةٍ؟ فقال: نَعَمْ،

---

(1) سيأتي الخبر مفصلا في ترجمته وهو منقول من وفيات الأعيان: 3/ 170.

(2) البيت للعرجي وهو في ديوان شعره: 34.

جِئْتُ لِأَشْفَعَ في جَارِي، فقال الأمِيرُ: أطْلِقوهُ، وأطْلِقوا كُلَّ مَنْ أُخِذَ في تلك اللَّيْلَةِ، فَأَطْلَقُوهُمْ. ثم رَكِبَ الإمامُ أبو حَنِيفَةَ بَغْلَتَهُ، وخَرَجَ الإسْكافِيُّ يَمْشي وَراءَهُ، فقال له الإمامُ أبو حَنِيفَةَ: هَلْ أضَعْناكَ؟ فقال: بَلْ حَفِظْتَ وَرَعَيْتَ، فَجَزاكَ اللهُ خَيْرًا عَنْ حُرْمَةِ الْجِوَارِ. ثُمَّ تابَ إلى اللهِ تعالى، ولم يَعُدْ إلى ما كانَ يَفْعَلُ. قيل: إنَّهُ صارَ بَعْدَ ذلك مِنْ أَصْحابِ أبي حَنِيفَةَ في الْفِقْهِ[1].

وإذا عَرَفْتَ هذه الرِّواياتِ، وَكَيْفَ كانَ تَوْقيرُ الْعُلَماءِ في الزَّمانِ الْأَوَّلِ، فَأَنْصِفْ من نَفْسِكَ يا أخي، هَلْ بَقِيَ مِنْ تَوْقِيرِ الْعِلْمِ والْعُلماءِ شَيْءٌ أَصْلًا؟!

فإنِ اعْتَرَضْتَ وقُلْتَ: لم يَبْقَ مِثْلُ هؤلاء الْأَعْلامِ في هذه الْأَيَّامِ، فلا يَليقُ بهم التَّوْقيرُ.

فَنقولُ: قَوْلُكَ: لم يَبْقَ مِثْلُ هَؤُلاءِ الْعُلَماءِ، فَمُسَلَّمٌ، وأمَّا قَوْلُكَ: لا يَلِيقُ بهم التَّوقيرُ، فَمِمَّا يَحِقُّ عليه النَّكيرُ، لأنَّ التَّوْقيرَ لأجْلِ الْعِلْمِ، فلا تُقَصِّرْ أَنْتَ في حَقِّهِمْ إنْ كُنْتَ تُحِبُّ الْعِلْمَ، وَعَدَمُ كَوْنِهِمْ أَمْثالَ هؤلاءِ لَيْسَ عَلَيْكَ، بل الْعُهْدَةُ في ذلك عليهِمْ.

وبِالْجُمْلَةِ، حُبُّ الْعِلْمِ يُوجِبُ تَوْقيرَ كُلِّ من انْتَسَبَ إليه، وإلَّا فَلَسْتَ مِنَ الْمُحِبِّينَ له.

---

(1) القصة في مجموعة من المصادر منها: وفيات الأعيان: 5/ 400.

ومِنْ تَعْظيمِ الْعِلْمِ تَعْظيمُ الْكِتابِ، حَتَّى لا يَأْخُذَهُ إلَّا بالطَّهارَةِ، ولا يَمُدَّ الرِّجْلَ إليه، ولا يَضَعَ عليه شيئًا، ويَضَعُ كُتُبَ التَّفْسيرِ فَوْقَ الْكُلِّ، وتَأَمَّلْ ما قَالَهُ ابْنُ سُرَيْجٍ[1] في مُخْتَصَرِ الْمُزَنِيِّ حيثُ قالَ: [الطويل]

لَضِيقُ فُؤَادِي مُنْذُ عِشْرِينَ حِجَّةً وَصَيْقَلُ ذِهْنِي وَالْمُفَرِّجُ عن غَمِّي[2]
عَزِيزٌ على مِثْلِي إعَارَةُ مِثْلِهِ لِمَا فيهِ مِنْ عِلْمٍ لَطِيفٍ ومِنْ نَظْمِ
جَمُوعٍ لِأَصْنَافِ الْعُلُومِ بِأَسْرِهَا فَأَخْلِقْ بِه أنْ لا يُفَارِقَهُ كُمِّي

وقيلَ: [الخفيف]

لا يُمَلُّ الْحَدِيثُ منها مُعَادَا كَانْتِشَاقِ الْهَوَاءِ لَيْسَ يُمَلُّ[3]

وقيل: [الكامل]

هَذَا كِتَابٌ لو يُبَاعُ بِوَزْنِهِ ذَهَبًا لَكَانَ الْبَائِعُ الْمَغْبُونَا[4]
أَوَمَا مِنَ الْخُسْرَانِ أَنَّكَ آخِذٌ ذَهَبًا وَتَتْرُكَ جَوْهَرًا مَكْنُونَا

[ومِنْ تَعْظِيمِ الْعِلْمِ تَعْظِيمُ الشُّرَكاءِ][5].

---

(1) يقصد أحمد بن عمر بن سريج البغدادي، فقيه الشافعية في عصره (ت.306هـ).
(2) الخبر والأبيات في مناقب الشافعي للبيهقي: 2/ 101، وتاريخ دمشق: 5/ 191.
(3) البيت لابن حمديس، وهو في ديوان شعره: 353.
(4) البيتان في قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور: 137.
(5) ما بين معقوفين سقط من قونية.

الْوَظِيفَةُ السَّابِعَةُ:

أَنْ لا يَدَعَ الْمُتَعَلِّمُ[1] فَنًّا مِنْ فُنونِ الْعِلْمِ، ونَوْعًا مِنْ أَنْواعِهِ، إِلَّا وَيَنْظُرَ فيه نَظَرًا يَطَّلِعُ به على غايَتِهِ ومَقْصَدِهِ وطَرِيقَتِهِ، ثُمَّ إِنْ ساعَدَهُ الْعُمُرُ، وَوَافَقَهُ الْأَسْبَابُ، طَلَبَ التَّبَحُّرَ فيه، فإِنَّ الْعُلومَ كُلَّها مُتَعاوِنَةٌ مُرْتَبِطَةٌ بَعْضُها بِبَعْضٍ.

قيلَ: [الكامل]

اِحْرِصْ على جَمْعِ الْعُلُومِ مُجَاهِدًا ... ولَا تَمُوتَنْ بِعِلْمٍ وَاحِدٍ كَسَلَا[2]
النَّحْلُ لَمَّا رَعَتْ مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ ... أَبْدَتْ لَنَا الْجَوْهَرَيْنِ الشَّمْعَ وَالْعَسَلَا
الشَّمْعُ في اللَّيْلِ نُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ ... والشَّهْدُ يُبْرِي بإِذْنِ الْبَارِئِ العِلَلَا

لَكِنْ عليكَ أَنْ لا تَرْغَبَ في الآخِرِ، قبل أن تَسْتَحْكِمَ الْأَوَّلَ، لِئَلَّا تَصيرَ مُذَبْذَبًا، فَتُحْرَمَ من الْكُلِّ، ولا تكنْ مِمَّنْ يَميلُ إلى الْبَعْضِ ويُعادي الْباقِي، لأَنَّ ذلك جَهْلٌ عَظيمٌ. كما قيل: النَّاسُ أَعْداءُ ما جَهِلوا. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾[3].

قال الشَّاعِرُ: [الوافر]

وَمَـنْ يَـكُ ذَا فَـمٍ مُـرٍّ مَـرِيـضٍ ... يَـجِـدْ مُـرًّا بـه الْـمَـاءَ الـزُّلَالَا[4]

---

(1) المعلم، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(2) سبق تخريجها.

(3) سورة الأحقاف، الآية: 11.

(4) البيت للمتنبي، ينظر شرح ديوانه للعكبري: 3/ 228.

وقيلَ: [البسيط]

مَا ضَرَّ شَمْسَ الضُّحَى والشَّمْسُ طَالِعَةٌ أنْ لا يَرَى ضَوْءَهَا مَنْ لَيْسَ ذا بَصَرِ[1]

حُكِيَ عن بعضِ فُضَلاءِ الْقُضاةِ، أنه رُئِيَ بعدما طَعَنَ في السِّنِّ، وهو يَتَعَلَّمُ أشْكَالَ الْهَنْدَسَةِ، فقيل له في ذلك، فقال: وَجَدْتُهُ عِلْمًا نَافِعًا، فَكَرِهْتُ أنْ أكونَ لِجَهْلي به مُعَاديًا.

وإيَّاكَ ثُمَّ إيَّاكَ أن تَسْتَهِينَ بِشَيْءٍ من الْعُلوم، تَقْليدًا لِمَا سَمِعْتَهُ من جَهَلَةِ أسْلافِكَ من الطَّعْنِ فيه، بل يَجِبُ أنْ تَجْعَلَ لِكُلِّ واحِدٍ حَظَّهُ الذي يَسْتَحِقُّهُ، ومَنْزِلَهُ الذي يَسْتَوْجِبُهُ، وتَشْكُرَ من هَدَاكَ إلى فَهْمِهِ، وصارَ سببًا لعِلمِهِ.

فقد حُكيَ عن بعضِ الْفُضَلاءِ أنَّهُ قالَ: يَجِبُ أن نَشْكُرَ آباءَ الْعُلَماءِ الذين وَلَّدُوا لنا الشُّكوكَ، إذ كانوا أَسْبابًا لمن حَرَّكَ خَواطِرَنا للنَّظَرِ في الْعِلْمِ، فَضْلًا عن شُكْرِ مَنْ أَفادَنا طُرَفًا من الْعِلْمِ. ولولا مَكانُ فِكْرِ مَنْ تَقَدَّمَنَا لأصْبَحَ الْمُتَأَخِّرونَ حَيارَى، قَاصِرينَ عن مَعْرِفَةِ مَصالِحِ دُنياهُمْ، فَضْلًا عن مَصالِحِ آخِرَتِهِمْ.

فَمَنْ تَأَمَّلَ حِكْمَةَ اللهِ في أقَلِّ شَيْءٍ يَسْتَعْمِلُهَا النَّاسُ كَالْمِقْرَاضِ، حيثُ جَمَعَ بينَ سِكِّينَيْنِ، مُرَكَّبًا على وَجْهٍ يَتَوافَى حَدَّاهُمَا على نَمَطٍ واحِدٍ لِلْقَرْضِ، أكْثَرَ تَعْظِيمَ اللهِ وشُكْرَهُ، ويقولُ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾[2].

---

(1) نسب في طبقات الشيرازي: 107، ووفيات الأعيان: 5/ 290، لمنصور بن إسماعيل التميمي الفقيه.

(2) سورة الزخرف، الآية: 13.

فلا تكُنْ مِنَ الَّذِينَ يَسْتَهِينُونَ من الْعُلومِ ما جَهِلُوا به، مِثْلَ اسْتِهانَتِهِمُ الْمَنْطِقَ، الَّذِي هو أَصْلُ كُلِّ عِلْمٍ، وتَقْوِيمُ كُلِّ ذِهْنٍ.

وحَكَى أبو حَيَّانَ في **الْبَحْرِ** أنَّ أهْلَ الْمَنْطِقِ بِجَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ، كانوا يُعَبِّرونَ عن الْمَنْطِقِ بِالْمَفْعِلِ، تَحَرُّزًا عن صَوْلَةِ الْفُقَهَاءِ، حَتَّى إنَّ بَعْضَ الْوُزَراءِ أَرادَ أنْ يَشْتَرِيَ لابْنِهِ كِتابًا من الْمَنْطِقِ، فَاشْتَراهُ خُفْيَةً خَوْفًا مِنهُمْ(1).

وَمِثْلُ ذَمِّهِمُ الْعُلومَ الْحِكْمِيَّةَ، على الْإِطْلَاقِ، من غَيْرِ مَعْرِفَةِ الْقَدْرِ الْمَذْمُومِ والْمَمْدُوحِ منها.

وَمِثْلُ ذَمِّ عِلْمِ النُّجومِ على الْإِطْلاقِ، مع أنَّ بعضًا منه فَرْضُ كِفَايَةٍ، والْبَعضَ منه مُباحٌ، وبعضٌ آخَرُ حَرامٌ.

وَمِثْلُ ذَمِّهِم مَقالاتِ الصُّوفِيَّةِ الْمُوَحِّدينَ مُطْلَقًا، لِاشْتِباهِها عندهم بِكَلماتِ الْمُلْحِدينَ، وسَتَعْرِفُ تَفاصيلَ ذلك.

وَبِالْجُمْلَةِ، لا تُنْكِرْ قَدْرَ الْعُلومِ بِمُجَرَّدِ تَقْلِيدِ الْآباءِ والْأَجْدادِ، بلِ اطْلُبِ التَّحْقِيقَ تَصِلْ إلى الْمُرادِ.

قالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: لا تَعْرِفِ الْحَقَّ بالرِّجالِ، اعْرِفِ الْحَقَّ تَعْرِفْ أَهْلَهُ(2).

على أنَّ الْعِلْمَ وإنْ كان مَذمومًا في نَفْسِهِ فلا يَخْلو تَحْصِيلُهُ عن فائِدَةٍ أَقَلُّها رَدُّ الْقائِلِينَ بها.

---

(1) لم نقف على الخبر في البحر المحيط.

(2) أنساب الأشراف: 2/ 239، الذريعة إلى مكارم الشريعة: 171، الإحياء: 1/ 53.

ثُمَّ الْعُلومُ على تَكَثُّرِ دَرجاتِها، إمَّا مُوصِلَةٌ لِلْعَبْدِ إلى مَوْلاهُ، أو مُعِينَةٌ على أَسْبابِ السُّلوكِ، ولها مَنازِلُ مُرَتَّبَةٌ في الْقُرْبِ والْبُعْدِ من الْمَقْصَدِ، ولكُلٍّ واحِدٍ منها رُتْبَةٌ، تَرْتيبًا ضَروريًّا، يَجِبُ تَنْزيلُ كُلٍّ منها في رُتْبَتِهِ، فَيَنْبَغِي أنْ يُراعِيَ التَّرتيبَ في تَحْصيلِها، فَيَبْتَدِئَ بِالْأَهَمِّ فَالْأَهَمِّ، إذِ الْبَعْضُ طريقٌ إلى الْبَعْضِ.

ومن وُفِّقَ رِعايَةَ ذلك التَّرْتِيبِ والتَّدْرِيجِ فقد فَازَ بِمَطْلُوبِهِ فَوْزًا عَظِيمًا. قالَ اللهُ تَعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾[1]. أي لا يُجَاوِزُونَ فَنًّا حتَّى يُحْكِمُوهُ عِلْمًا وعَمَلًا.

وَلْيَكُنْ قَصْدُكَ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ التَّرَقِّيَ به إلى ما فَوْقَهُ، وإيَّاكَ أنْ تَظُنَّ مِنْ كَلامِنا هذا أنْ تَعْتَقِدَ كُلَّ ما أُطْلِقَ عليه اسْمُ الْعِلْمِ حَتَّى الْحِكْمَةَ الْمُمَوَّهَةَ الَّتِي اخْتَرَعَها الْفَارَابِيُّ وابنُ سِينَا، ونَقَّحَهَا نَصِيرُ الدِّينِ الطُّوسِيُّ، هَيْهاتَ هَيْهاتَ، إنَّ كلَّ ما خالَفَ الشَّرْعَ فهو مَذْمُومٌ، سِيَّمَا طائِفَةٌ سَمَّوْا أَنْفَسَهُمْ حُكَمَاءَ الْإِسْلامِ، عَكَفُوا على دِراسَةِ تُرَهَاتِ أَهْلِ الضَّلالِ، وَسَمَّوْها[2] الْحِكْمَةَ، ورُبَّما اسْتَجْهَلُوا مَنْ عَرِيَ عنها، وهُمْ أَعْداءُ اللهِ، وَأَعْداءُ أَنْبيائِهِ ورُسُلِهِ، والْمُحَرِّفونَ لِكَلِمِ الشَّريعَةِ عن مَواضِعِهِ، ولا تكادُ تَلْقَى أحَدًا منهم يَحْفَظُ قُرآنًا ولا حَديثًا؛ وإنَّما يَتَجَمَّلونَ بِرُسومِ الشَّريعَةِ، حَذَرًا مِنْ تَسَلُّطِ الْمُسلمينَ عليهم، وإلَّا فَهُمْ لا يَعْتَقِدونَ شَيْئًا مِنْ أحْكامِ الشَّرائِعِ، بل يُريدونَ أن يَهْدِموا قَواعِدَهُ، ويَنْقُضُوا عُرَاهُ عُرْوَةً عُرْوَةً.

---

(1) سورة البقرة، الآية: 121.

(2) ووسموها، في قونية ورئيس الكتاب وأنطاليا.

قيلَ: [الوافر]

وما انْتَسَبُوا إلى الْإِسْلَامَ إلَّا لِصَوْنِ دِمَائِهِمْ عَنْ أنْ تُسَالَا[1]
فَيَأْتُونَ الْمَنَاكِرَ في نَشَاطٍ وَيَأْتُونَ الصَّلَاةَ وهُمْ كُسَالَى

فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ منهم. وإنَّمَا الاِشْتِغالُ بِحِكْمَتِهِمْ حَرامٌ في شَريعَتِنا، وهُمْ أَضَرُّ على عَوَامِّ الْمُسْلِمِينَ من الْيَهودِ والنَّصارى، لِأَنَّهُمْ يَتَسَتَّرُونَ بِزِيِّ أهْلِ الإسْلامِ.

نَعَمْ إنَّ مَنْ رَسَخَ قَواعِد الشَّريعَةِ في قَلْبِهِ، وَامْتَلأَ قَلْبُهُ مِنْ عَظَمَةِ هذا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ وشَريعَتِهِ، وَتَأَيَّدَ دينُهُ بِحِفْظِ الْكِتابِ والسُّنَّةِ، وقَوِيَ مَذْهَبُهُ في الْفُروعِ، يَحِلُّ له النَّظَرُ في عُلومِ الْفَلْسَفَةِ، لكن بِشَرْطَيْنِ:

أَحَدُهُما: أنْ لا يَتَجاوَزَ مَسائِلَهُمْ الْمُخالِفَةَ لِلشَّريعَةِ، وإنْ تَجاوَزَ فإنَّما يُطالِعُهَا للرَّدِّ لا لِغَيْرِهِ.

وَثانيهِما: أنْ لا يَمْزُجَ كَلامَهُمْ بكَلامِ عُلَماءِ الْإِسْلامِ.

ولقد حَصَلَ ضَرَرٌ عَظيمٌ على الْمُسْلِمينَ من هذه الْجِهَةِ، لِعَدَمِ قُدْرَتِهِمْ على تَمْيِيزِ الْجَيِّدِ من الرَّديءِ، وَرُبَّما يَسْتَدِلُّونَ بإيرادِهَا في كُتُبِ الْكَلامِ على صِحَّتِهَا. وما كان هذا الْمَزْجُ إلَّا مُنْذُ ظَهَرَ نَصيرُ الطُّوسِيُّ وَأَحْزابُهُ ـ لا حَيَّاهمُ الله ـ وإنَّما السَّلَفُ مِثْلُ الْإِمامِ الْغَزالِيِّ، والإِمامِ الرَّازِيِّ، مَزَجوا كُتُبَ الْكَلامِ بِالْحِكْمَةِ، لكن

(1) البيتان في الذيل والتكملة: 3/ 517 والبحر المحيط: 4/ 109، والنقل من معيد النعم: 64، أن لا تسالى، في قونية والذيل التكملة والبحر المحيط.

لِلرَّدِّ كما تَراهُ في تَصانِيفِهِمْ، ولا بَأْسَ بذلك، بل ذلك إعانَةٌ لِلْمُسْلِمينَ، وَحِفْظٌ لِعَقائِدِهِمْ. ثَبَّتَنا وإيّاكُمْ على الصِّراطِ الْمُسْتَقِيمِ، إنَّهُ جَوادٌ كَريمٌ.

ويَنْبَغِي لِطالِبِ الْعِلْمِ أنْ يُفَوِّضَ تَرْتيبَ الْعُلومِ في التَّحْصِيلِ إلى رَأْيِ الْأُسْتَاذِ النَّاصِحِ، إذِ النَّاشِئُ أَمْهَرُ من الدَّخِيلِ، وهو أَعْرَفُ بما يَلِيقُ بِطَبْعِكَ منك، ولا يَذَّخِرُ نُصْحَهُ عنك، لِأَنَّ الْأُسْتاذَ قد حَصَلَ له التَّجارِبُ، وكَيْفِيَّةُ الِاهْتِداءِ إلى الْمَطالِبِ والْمَآرِبِ.

يُحْكى أنَّ الشَّيْخَ الْإِمامَ الْأَجَلَّ بُرْهَانَ الدِّينِ[1] كانَ يَقولُ: كانَ طالِبُ الْعِلْمِ في الزَّمان الْأَوَّلِ يُفَوِّضُ أَمْرَهُ في التَّعَلُّمِ إلى أُسْتاذِهِ، وكان يَصِلُ إلى مَقْصُودِهِ ومُرادِهِ، وَالآنَ يَخْتارونَ بِأَنْفُسِهِمْ، فلا يَبْلُغونَ مَقاصِدَهُمْ.

هذا الَّذِي ذَكَرْناهُ لِمَنْ ساعَدَهُ الذِّهنُ والسِّنُ والْوَقتُ، وَسامَحَهُ الدَّهْرُ عما يُفْضيهِ إلى الْحِرمانِ والْفَوْتِ، وإلَّا فعليه أن يَقْتَصِرَ على الأَهَمِّ، لأنَّ «ما لا يُدْرَكُ كُلُّهُ، لا يُتْرَكُ كُلُّهُ»[2]. وذلك الْأَهَمُّ هو قَدْرُ ما يُحْتاجُ إليه في الْحالِ، وهو ما يُحتاجُ إليه في كَمالِ النَّفْسِ وفَضيلَتِها، وما يُتَقَرَّبُ به إلى الله عزَّ وجلَّ في الآخِرَةِ، وما لا بُدَّ منه في إقامَةِ دينِهِ، وإخْلاصِ عَمَلِهِ لله، ومُعاشَرَةِ عِبادِهِ على الشَّرْعِ الشَّريفِ، والْوَرَعِ والتَّقْوى.

---

(1) يقصد برهان الدين الزَّرْنوحي، تلميذ الإمام الفرغناني.

(2) المعجم الأوسط للطبراني: 2/ 1329، كشف الخفاء: 2/ 231، والحديث يسري مسرى المثل.

وَمَرْجِعُ الْكُلِّ مَعْرِفَةُ الله بِالْآياتِ الواضِحَةِ، والشَّواهِدِ النَّاطِقَةِ، ومَعْرِفَةُ ما وَجَبَ عليه في نَفْسِهِ ومالِهِ، ولَيْلِهِ ونَهارِهِ، ويَدْخُلُ فيه أَحْكامُ الشَّريعَةِ، مِنَ الْجَوازِ والْفَسادِ، والْحِلِّ والْحِرْمَةِ، والكَراهَةِ والِاسْتِحْبابِ، ومَعْرِفَةُ سُنَنِ النَّبِيِّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ في إقامَةِ ما فَرَضَ الله تعالى على أَعْدَلِ السُّبُلِ، وأقْوَمِ الْمَناهِجِ، فإنه لا يُعْرَفُ إلَّا بِبَيانِ من أَدَّبَهُ فأَحْسَنَ تَأْديبَهُ.

وَيَدْخُلُ فيه أيضًا، عِلْمُ أَخْلاقِ الأنْبِياءِ والْمُرْسَلينَ[1]؛ مِنَ الْيَقِينِ والإخْلاصِ، والزُّهْدِ والتَّواضُعِ والنَّصيحَةِ، وعِلْمُ آدابِ النَّفْسِ؛ مِنَ الْعِفَّةِ والرِّفْقِ والتُّؤَدَةِ والْحَياءِ والسَّماعِ، وحُسْنِ التَّدْبيرِ والنَّظَرِ في الأمورِ، والأَخْذِ بالْحَزْمِ في الدِّينِ، ومُداراةِ الْعَدُوِّ، واحْتِمالِ أذى الْخَلْقِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ الْمَقْطوعَةِ، وَبَرِّ الْجافِي، وإعْطاءِ الْحَازِمِ، والتَّجاوُزِ عن الظَّالِمِ، والإحْسانِ إلى الْمُسِيءِ، وحُسْنِ التَّوَرُّعِ عن أذَى الْخَلَائِقِ بالْيَدِ واللِّسانِ والْجَنَانِ. وسَتَعْرِفُ تَفاصيلَ هذه الْعُلومِ.

وَبِالْجُمْلَةِ، أَصْلُ الأُصولِ، ومُنْتَهى السُّؤلِ، مَعْرِفَةُ اللهِ تَعالى، الَّتِي هي غايَةُ الْغاياتِ، وسَبَبُ الْفَوْزِ والنَّجاةِ، ورَئيسُ جَميعِ السَّعاداتِ. وهذا الْعِلْمُ حُرٌّ لا يَخْدُمُ غَيْرَهُ أَصْلًا بِوَجْهٍ من الْوُجوهِ، وما عَداهُ خَدَمٌ له، والْمَطْلوبُ الأَهَمُّ مِمَّا عَداهُ ما يُتوسَّلُ به إليه. ولهذا قالَ الله تعالى: ﴿قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[2].

(1) المرسلين، في قونية ورئيس الكتاب وأنطاليا.

(2) سورة الأنعام، الآية: 91.

وَمِنَ الظَّاهِرِ الْمَكْشوفِ أنْ ليس الْمُرادُ تَحْريكَ عَضَلاتِ اللِّسانِ بِكَلِمَةِ اللهِ تعالى، فإنَّ حَرَكَةَ الْأَطْرافِ لا تُجْدِي إذا لم تُؤَثِّرْ في الْقَلْبِ بِأَثَرٍ، هو الِاعْتِقادُ الْمُسَمَّى بِالْإِيمانِ، الَّذِي أَدْناهُ التَّصْديقُ، وله مَراتِبُ بِحَسَبِ الْقُوَّةِ، حَتَّى يَنْتَهِيَ إلى رُتْبَةٍ لو وُزِنَ بإيمانِ العالَمينَ لَرَجَحَ، وهو إيمانُ أبي بَكْرٍ رضِيَ الله عنه، كما قالَ النَّبِي صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «ما فَضَلَكُمْ أبو بَكْرٍ بِكَثْرَةِ صِيَامٍ، ولا بِكَثْرَةِ صَلَاةٍ، لَكِنْ بِسِرٍّ وَقَرَ في صَدْرِهِ»[1].

ولو كانَ مُنْتَهى الْعِلْمِ ما اعْتَقَدَهُ الْمُقَلِّدُ، أو ما حَصَّلَهُ المتكلِّمُ الْمُتَعَلِّمُ، لم يَعْجِزْ عنه آحادُ الصَّحابَةِ، فَضْلًا عن عُمَرَ وعُثْمَانَ وعَلِيٍّ رضِيَ الله عنهم حَتَّى كان قد فَضَلَهُمْ أبو بَكْرٍ به.

وبهذا تَبَيَّنَ أنَّ وَراءَ الْعِلْمِ الثَّابِتِ بالْأَدِلَّةِ يَقينًا يَخُصُّهُ الصُّوفِيَّةُ أُولُو الْكَراماتِ والْمُشاهَداتِ. وَناهيكَ بِشَرَفِهِمْ وفَضْلِهِمْ، أَمْثالِ ما ذُكِرَ من الشَّواهِدِ الْمُقَرَّرَةِ في الشَّرْعِ، فلا يُعاديهِمْ إلَّا الْجاهِلُ الشَّقِيُّ، أو الْمُعانِدُ الْأَشْقَى، وكيف لا؟!

[البسيط]

للهِ تَحْتَ قِبَابِ الْعِزِّ طَائِفَةٌ أَخْفَاهُمُ في رِدَاء الْفَقْرِ إجلَالَا[2]

---

(1) نوادر الأصول: 3/ 55، بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار: 40، 279، تخريج أحاديث الإحياء: 118.

(2) وردت الأبيات غير منسوبة في: خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي: 2/ 459، والنجوم الزاهرة: 8/ 24.

هُمُ السَّلاطِينُ في أَطْمَارِ مَسْكَنَةٍ اِسْتَعْبَدُوا من مُلُوكِ الأرْضِ أقْيَالَا[1]
غُبْرٌ مَلَابِسُهُمْ، شُمٌّ مَعاطِسُهُمْ جَرُّوا على الْفَلَكِ الْخَضْرَاءِ أذْيَالَا

وقد رُوِيَ أَنَّهُ رُئِيَ صورَتا حَكيمَيْنِ مِنَ الْحُكَماءِ الْمُتَقَدِّمِينَ في مَسْجِدٍ، وفي يَدِ أحَدِهِما رُقْعَةٌ فيها: إنْ أحْسَنْتَ كُلَّ شَيءٍ فلا تَظُنَنَّ أنَّكَ أَحْسَنْتَ شَيْئًا حَتَّى تَعْرِفَ اللهَ تعالى، وَتَعْلَمَ أَنَّهُ مُسَبِّبُ الأسْبَابِ، وَمُوجِدُ الأشْياءِ، وفي يَدِ الآخرِ: كنتُ قبل أنْ عَرَفْتُ الله أشْرَبُ وأَظْمَأُ، حَتَّى إذا عَرَفْتُهُ، رَوِيتُ بلا شُرْبٍ[2].

وسَمِعْتُ بعضَ الْعُلَمَاءِ نَقَلَ عن بعض الْمُحَقِّقينَ، أنَّ الأرْوَاحَ لما تَجَلَّى لها الْحَقُّ في الْأَزَلِ، عَشِقَتْهُ، وتَطْلُبُهُ في الدُّنْيا، فتارَةً تزْعُمُ أنَّ ذاكَ الْكَمالَ في حُسْنِ الصُّورَةِ والْجَمالِ، وتارَةً في الْمالِ، وتارةً في الْجاهِ؛ ثم تَقِفُ على نُقْصانِها، وتَرْغَبُ عنها في الآخرةِ، لِمَا تَعْلَمُ أنَّ الْكَمالَ الذي تَطْلُبُهُ لا يَعْتَرِيهِ نُقْصانٌ، ولا يَسْكُنُ هذا الطَّلَبُ عنها إلا عند مُشاهَدَةِ ذاكَ الْمَطلوبِ الْحَقِيقِيِّ.

وإيَّاكَ أنْ يَكونَ شُغْلُكَ من الْعِلْمِ أن تَجْعَلَهُ صَنْعَةً يُتَهَوَّسُ بها، بَلْ يَنْبَغِي لِكُلِّ ذي دِينٍ أنْ يَتَّخِذَهُ سَبيلًا إلى النَّجاةِ، ومَرْقَاةً إلى الزُّلْفى، يُتَوَصَّلُ بها إلى الْمَلَإِ الْأَعْلى، والْقُرْبِ من جَنابِ الْمَوْلى.

---

(1) الأطمار: جمع طِمْرٍ، وهو الثوب الخلق. لسان العرب: طمر.
(2) الإحياء: 1/ 52.

ولا تكُنْ مِنَ الَّذِينَ غَلَبَتْ صَنْعَتُهُمْ على قَلْبِهِمْ ولُبِّهِمْ، حَتَّى خُتِمَ بِتكْرارِ ذلك عند النَّزْعِ. كما يُحْكى أنَّ أبا طاهِرِ الزِّيَادِيَّ[1] كان يُكَرِّرُ مَسْأَلَةَ ضَمَانِ الدَّرَكِ[2] عند النَّزْعِ.

حُكِيَ أنَّ امْرَأَةً جاءَتْ إلى عَروضِيٍّ بَقَّالٍ، فَقالَتْ: أُرِيدُ بِذِي الْقِطْعَةِ زَيْتًا، وبِذِي الْبَيْضَةِ حِنًّا، فَشَغَلَهُ كَلامُها عنْ مُبايَعَتِها، وأَخَذَ يَقولُ: "فاعلاتن فاعلاتن"، يُقَطِّعُ كَلامَها، فقالَتِ الْمَرْأَةُ: أُمُّكَ الْفاعِلَةُ، وَسَبَّتْهُ، وانْصَرَفَتْ[3].

وحُكِيَ عَنْ رُكْنِ الدِّينِ ابْنِ الْقُرَيْعِ، أنَّ رجلًا سَأَلَهُ وهو في الطَّرِيقِ، فقال: يَفْتَحُ اللهُ، فقال: يا شيخُ قد فَتَحَ الله عليك: [الطويل]

إذا جادَتِ الدُّنْيا عَلَيْكَ فَجُدْ بِها[4]

فقال الشَّيْخُ: لِمَ قلتَ: إنَّها جادَتْ عَلَيَّ؟ وإنْ سُلِّمَ، فَلِمَ قُلْتَ: إنَّه يَجِبُ عليَّ الْجُودُ بها؟ وإنْ سُلِّمَ، فَلِمَ قلتَ: إنِّي ما جُدْتُ، وما انْحَصَرَتِ الْقِسْمَةُ فيكَ. وكان الْغالِبُ عليه الْمُناظَرَةَ، فاسْتعمَلَها مع رَجُلٍ لا يَعْرِفُها[5].

---

(1) الزبادي، في مراد ملا. وهو أيضا من أعلام القرن الرابع (ت. بعد 400هـ)، وقد أثبتنا ما ورد في مصدر النقل وهو معيد النعم: 75.

(2) ضمان الدرك عند الفقهاء: هو الكفالة برد الثمن للمشتري عند استحقاق المبيع، بأن يقول الضامن: تكفلت أو ضمنت بما يدركك في هذا المبيع أو يقول: ما لحقك من دَرَك فعلي خلاصه، ويُكتب في العقود والشروط.

(3) معيد النِّعم ومبيد النِّقم: 75-80.

(4) هو شطر بيت غير منسوب، وتمامه: على الناس طرا إنها تتقلب. ينظر: المنتخب من شيوخ السمعاني: 1827.

(5) الخبر في معيد النِّعم ومبيد النِّقم: 76.

وَأَقْبَحُ من ذلك ما يُحْكى أنَّ دَبَّاغًا خُتِمَ عند النَّزْعِ بِتكْرارِ ما يُناسِبُ صَنْعَتَهُ. وَبَعْضُ الْأُمَراءِ كانَ آخِرَ كَلامِهِ هاتوا الْقَباءَ الْفُلانِيَّ. إلى غيرِ ذلِكَ والْعِياذُ باللهِ تعالى.

لِأَنَّ مَنْ أَكْثَرَ من شَيْءٍ ظَهَرَ على فَلَتَاتِ لِسَانِهِ: [الطويل]

وَكُلُّ إنَاءٍ بالذي فيهِ يَنْضَحُ[1].

فلا تُعَوِّدْ لِسَانَكَ إلَّا بما تَنْتَفِعُ بِتكْرَارِهِ عند الْمَوْتِ. وكُنْ مِثْلَ أبي زُرْعَةَ، سُئِلَ عند النَّزْعِ عن حَديثِ: «مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لا إِلَهَ إلا الله دَخَلَ الْجَنَّةَ»[2]، فَساقَهُ بإسْنادِهِ إلى أَنْ وَصَلَ "لا إِلَهَ إلَّا اللهُ"، وماتَ قَبْلَ أَنْ يَقولَ: دَخَلَ الْجَنَّةَ. أُنْظُرْ كيف نَفَعَهُ الله بِعِلْمِ الْحَديثِ[3].

فعليكَ أنْ تَمْزِجَ[4] لَحْمَكَ وَدَمَكَ بما تَنْتَفِعُ به في الآخِرَةِ، وأن تُحَصِّلَ سائِرَ العلومِ، وَتَلْتَفِتَ إليها من حيثُ كونُها آلَةً، لا أنْ تَمْلأَ بها قَلْبَكَ ولُبَّكَ، بحيث تَخْتِمُ بها عند النَّزْعِ.

وَبِالْجُمْلَةِ، عليك أن تُنَزِّلَ كُلَّ عِلْمٍ مَنْزِلَتَهُ مِنَ الإقْبالِ عليه، والتَّوَجُّهِ به.

---

(1) هذا عجز بيت لابن الصيفي وصدره: **فَحَسْبُكُمُ هذا التَّفاوُتُ بَيْنَنا**، وقد جرى مجرى المثل، ينظر: مجمع الأمثال: 2/ 162، وفيه: يرشح، والمستقصى: 2/ 224، وفيه: يترشَّح. ومعجم الأدباء: 3/ 1355، ووفيات الأعيان: 2/ 365.

(2) صحيح ابن حبان: 1/ 433، سنن أبي داود: 5/ 34، رقم: 3116، سنن ابن ماجه: 2/ 437، رقم: 1444.

(3) الخبر في معيد النِّعم ومبيد النِّقم: 76.

(4) تمتزج، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

الْوَظيفةُ الثَّامِنَةُ:

مُذَاكَرَةُ الأَقْرَانِ ومُنَاظَرَتُهُمْ: لِمَا قيلَ: الْعِلْمُ غَرْسٌ، وَماؤُهُ دَرْسٌ؛ لكنْ طَلَبًا لِلثَّوابِ، وَإِظْهارًا لِلصَّوابِ، لا لِلْمُفاخَرَةِ وَالْعَصَبِيَّةِ، أو لِهَيَجانِ القوةِ الْغَضَبِيَّةِ، وما أَفْلَحَ من نَبَضَ فيه هذا الْعِرْقُ.

وفي **الْفَتَاوَى**: أنَّ مَنْ ناظَرَ لِتَخْجِيلِ الْخَصْمِ، يُخْشى عليه الْكُفْرُ.

فَيَنْبَغِي أنْ تكونَ الْمُناظَرَةُ والْمُطارَحَةُ بالْإِنْصافِ والتَّأَنِّي والتَّأَمُّلِ، وَيَتَحَرَّزَ عن الشَّغَبِ والْغَضَبِ، فإنَّ الْمُناظَرَةَ مُشاوَرَةٌ، والْمُشاوَرَةُ لِاسْتِخْراجِ الصَّوابِ، وذلك إنَّما يَحْصُلُ بالتَّأَمُّلِ والإنْصافِ، وأما إرادَةُ التَّمْويهِ والْحيلَةِ فلا يَجوزُ أصْلًا، إلا إذا كان الْخَصْمُ مُتَعَنِّتًا لا طالبًا لِلحَقِّ.

وكان مُحَمَّدُ بن يَحْيَى إذا تَوَجَّهَ عليه الْإِشْكالُ، ولم يَحْضُرْهُ الْجَوابُ، يَقولُ: ما أَلْزَمْتَهُ لازِمٌ، وأنا فيه ناظِرٌ، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[1].

وَفائِدَةُ الْمُطارَحَةِ والْمُناظَرَةِ إذا كان مع الإنْصافِ أقْوى من فائِدَةِ مُجَرَّدِ التَّكْرارِ.

وقيلَ: مُطارَحَةُ ساعَةٍ خَيْرٌ من تَكْرَارِ شَهْرٍ، ولكنْ مع مُنْصِفٍ سَليمِ الطَّبيعَةِ. وإيَّاكَ والْمُذاكَرَةَ مع مُتَعَنِّتٍ، غيرِ مُسْتَقيمِ الطَّبْعِ، فإنَّ الطَّبيعَةَ مُسْتَرِقَّةٌ، والأَخْلاقَ مُتَعَدِّيَةٌ، والْمُجاوَرَةَ مُؤَثِّرَةٌ.

---

(1) سورة يوسف، الآية: 76.

ويَنْبَغِي لطالِبِ العِلْمِ أن يَكونَ مُتَأمِّلًا في جَميعِ الْأَوْقاتِ في دَقائِقِ الْعِلْمِ، ويَعْتادَ ذلك، فإنَّما تُدْرَكُ[1] الدَّقائِقُ بِالتَّأمُّلِ.

ولِذا قيلَ: تَأمَّلْ تُدرِكْ، خُصوصًا قَبْلَ الْكَلامِ، فإنَّ الْكَلَامَ كَالسَّهْمِ، فلا بُدَّ مِنْ تَقْويمِهِ بالتَّأمُّلِ أَوَّلًا.

الْوَظيفَةُ التَّاسِعَةُ:

أنْ لا تُؤَخِّرَ شُغْلَ يَوْمِكَ إلى غَدِكَ، فإنَّ كُلَّ يَوْمٍ آتٍ بِمَشاغِلِهِ.

وَقيلَ: إنَّ يَوْمَ الْأَعْجَزِينَ غَدٌ[2].

وَقِيلَ: الْجِدُّ والْهِمَّةُ كَجَناحَيْنِ يَطيرُ بهما الْإنْسانُ إلى شَوَاهِقِ الْكَمالَاتِ.

رُوِيَ أنَّ أبا حَنِيفَةَ قال لأبي يوسُفَ: كُنْتَ بَلِيدًا أَخْرَجَتْكَ الْمُوَاظَبَةُ.

وإيَّاكَ والْكَسَلَ، فإنه شُؤْمٌ وآفةٌ. وعليكَ أيضًا أن تَكْتُبَ كلَّ ما اسْتَنْبَطْتَهُ من الزَّوَائِدِ، أو سمعتَهُ من الْفَوائِدِ، فإنَّ الْعِلْمَ صَيْدٌ، والْكِتابَةَ قَيْدٌ[3]، وَلله دَرُّ الإمامِ الْجَعْبَرِيِّ فيما قال: [الكامل]

---

(1) يدرك، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(2) قسم من عجز بيت للبحتري جرى مجرى المثل، وهو:

ولا يُؤَخِّرُ شُغْلَ اليَوْمِ يَدْخَرُهُ ••• إلى غَدٍ إنَّ يَوْمَ الْأَعْجَزينَ غَـدُ

ينظر ديوان شعره: 1/ 496.

(3) قال الشاعر في هذا المعنى:

العلمُ صيدٌ والكتابةُ قَيْـــدُه ••• قَيِّدْ صُيودَكَ بالحِبَالِ المُوثَقَهْ

وَمِنَ الجَهَالة أن تَصِيدَ حمامةً ••• وتتركُها بَيْنَ الأوانِس مطلقهْ

وَذَكَرْتُ حَافِظَتِي عَقِيبَ شَبِيبَتِي ... وَعَدِمْتُ من إفْرَاطِهِ الْإِحْسَاسَا[1]
وَظَلِلْتُ مَهْمَا عَنَّ لي مِنْ حَاجَةٍ ... أَوْدَعْتُهَا مِنْ خَوْفِيَ الْقِرْطَاسَا
فَبَقِيتُ أَنْسَاهَا وَأَنْسَى أَنَّنِي ... أُنْسِيتُهَا فَنَسِيتُ مَنْ قَدْ نَاسَا

لَكِنْ عليكَ ألا تَكْتَفِيَ بِثَبْتِهِ في الْقَراطيسِ، ولا تَتَّكِلَ على إيداعِهِ في بُطونِ الْكَرَارِيسِ، إذِ الْعِلْمُ ما ثَبَتَ في صَحائِفِ الْخَواطِرِ، لا ما أُودِعَ في صَفائِحِ الدَّفاتِرِ، بل الْغَرَضُ من إثْباتِها فيها، الْمُراجَعَةُ إليها عند عُرُوضِ النِّسْيانِ، لا الِاعْتِمادُ على الْأَوْراقِ. كما قال الشَّاعِرُ: [البسيط]

أضْحَى الْفَقِيهُ لِجَمْعِ الْكُتْبِ مُغْتَبِطًا ... لا بَارَكَ اللهُ في الْبَيْتِ الذي جَمَعَهْ[2]
وظَلَّ يَحْمِلُ أَسْفَارًا فَقُلْتُ له: ... أَنْتَ الْحِمَارُ الَّذِي في سُورَةِ الْجُمُعَهْ

وَقَالَ آخَرُ: [المتقارب]

إذا لَم تَكُنْ حَافِظًا وَاعِيًا ... فَجَمْعُكَ لِلْكُتْبِ لا يَنْفَعُ[3]
أَتَحْضُرُ بِالْجَهْلِ في مَجْلِسٍ ... وَعِلْمُكَ في الْبَيْتِ مُسْتَوْدَعُ

وقِيلَ: لا بُدَّ أن يَكونَ مع الطَّالِبِ مِحْبَرَةٌ في كُلِّ وَقْتٍ، حَتَّى يَكْتُبَ ما يَسْمَعَ مِنَ الْفَوائِدِ.

قِيلَ: ما حُفِظَ فَرَّ، وما كُتِبَ قَرَّ[4].

---

(1) تنظر مقدمة جميلة أرباب المراصد في شرح عقيلة أتراب القصائد، وفيها وفي قونية: عقيب شيبتي.

(2) لم نقف عليهما.

(3) البيتان لمحمد بن بشير، ينظر: جامع بيان العلم وفضله: 1/ 293، والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: 2/ 251.

(4) ينظر روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار: 46.

ورُوي عن الْأُسْتاذِ رُكْنِ الْإِسْلامِ الْمَعْروفِ بِالْأَديبِ الْمُخْتَارِ(1)، أَنَّهُ رَوَى عن هِلالِ بنِ يَسارٍ، قالَ: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ يَقولُ لِأَصْحابِهِ شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ والْحِكْمَةِ، فقلتُ: يا رسولَ الله، أَعِدْ لي ما قُلْتَ لهُمْ، فقال لي: هَلْ مَعَكَ مِحْبَرَةٌ؟ فقلتُ: ما معي مِحْبَرَةٌ، فقال: يا هِلالُ، لا تُفارِقِ الْمِحْبَرَةَ، فإِنَّ الْخَيْرَ فيها وفي أَهْلِها إلى يَوْمِ الْقِيامَةِ»(2).

وَوَصَّى الصَّدْرُ الشَّهيدُ حُسامُ الدِّينِ(3) لِابْنِهِ شَمْسِ الدِّينِ(4) رحمهما الله، أنْ يَحْفَظَ كُلَّ يَوْمٍ شيئًا من الْعِلْمِ والْحِكْمَةِ، فإِنَّهُ يَسيرٌ، وعن قَريبٍ يكونُ كَثيرًا.

وَاشْتَرَى عِصامُ بنُ يوسُفَ(5) قَلَمًا بدينارٍ لِيَكْتُبَ ما سَمِعَ في الْحالِ(6). فَالْعُمُرُ قَصيرٌ، والْعِلْمُ كَثيرٌ، فَيَنْبَغِي أن لا يُضَيِّعَ الْأَوْقاتَ والسَّاعاتِ، وَيَغْتَنِمَ اللَّيالِيَ والْخَلَواتِ، وَيَنْبَغِي أن يَغْتَنِمَ الشُّيوخَ، وَيَسْتَفِيدَ منهم، وَلَيْسَ كُلُّ ما فاتَ يُدْرَكُ!

---

(1) أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ يُوسُفَ الْفَرْغَانِيُّ (ت.594هـ) ينظر: تاريخ إربل: 2/ 593، الجواهر المضية: 2/ 36.

(2) تعلم المتعلم طريق التعلم: 111، والقسم الثاني من الحديث في: نشر طيّ التعريف في فضل حملة العلم الشريف والرد على ماقتهم السخيف: 167، الفواكه العديدة في المسائل المفيدة: 1/ 4.

(3) عمر بن عبد العزيز بن عمر بن مازة برهان الأئمة المعروف بالصدر الشهيد، وهو من أكابر الحنفية، (ت.536هـ). ترجمته في: سير أعلام النبلاء: 14/ 478، الوافي بالوفيات: 22/ 314، الجواهر المضية: 1/ 391.

(4) محمد بن عمر بن عبد العزيز بن عمر بن مازة شمس الدين، فقيه حنفي، شيخ بخارى وابن شيخها، (ت.560هـ). ترجمته في: الوافي بالوفيات: 4/ 172، الجواهر المضية: 2/ 101.

(5) عمر بن عبد العزيز بن عمر بن مازة برهان الأئمة المعروف بالصدر الشهيد، وهو من أكابر الحنفية، (ت.536هـ). ترجمته في: سير أعلام النبلاء: 14/ 478، الوافي بالوفيات: 22/ 314، الجواهر المضية: 1/ 391.

(6) عصام بن يوسف البلخي، الفقيه الحنفي، ومحدث بلخ، (ت.215هـ).

قالَ الشَّاعِرُ: [الوافر]

ولَسْـــتُ بِمُـدْرِكٍ مَـا فَـاتَ مِنِّي بِلَهْفَ، وَلَا بِلَيْتَ، ولا لَوَ انِّي[1]

الْوَظِيفَةُ الْعاشِرَةُ:

أنْ تَعْرِفَ مَعْنى شَرَفِ الْعِلْمِ وَرُتْبَتَهُ وَوَثاقَتَهُ في الْبُرْهانِ.

أَمَّا الشَّرَفُ، فإمَّا بِشَرَفِ ثَمَرَتِهِ، أو بِوَثَاقَةِ دَلائِلِهِ؛ والأوَّلُ كَعِلْمِ الدِّينِ، فإن ثَمَرَتَهُ الْحَياةُ الْأبَدِيَّةُ الَّتِي لا آخرَ لها، فَكانَ أَشْرَفَ مِنَ الْكُلِّ. وَالثَّانِي: كَعِلْمِ الطِّبِّ، فإنَّ ثَمَرَتَهُ حَياةُ الْبَدَنِ إلى غايَةِ الْمَوْتِ. فَعِلْمُ الدِّينِ أشْرَفُ من عِلْمِ الطِّبِّ أيضًا، وعِلْمُ الطِّبِّ أشْرَفُ من عِلْمِ الْحِسابِ، باعْتِبارِ غايَتِهِ وثَمَرَتِهِ، فإنَّ صِحَّةَ الْبَدَنِ أشْرَفُ من مَعْرِفَةِ كِمِّيَةِ الْمَقاديرِ، وعِلْمُ الْحِسابِ أشْرَفُ منه بحسبِ وَثاقَةِ دَلائِلِهِ، لكونِها ضَروريَةً، غيرَ مُحْتاجٍ إلى تَجْرِبَةٍ بِخِلافِ الطِّبِّ.

ثُمَّ إنَّ الشَّرَفَ لَمَّا كان من جِهَةِ الثَّمَرَةِ تارَةً، ومن جهة قُوَّةِ الدَّليلِ أخرى، فاعْلَمْ أنَّ شَرَفَ الثَّمَرَةِ أوْلى مِنْ شَرَفِ قُوَّةِ الدَّلالَةِ، فأشْرَفُ الْعُلومِ ثَمَرَةً: الْعِلْمُ باللهِ ومَلائِكَتِهِ وكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وما يُعينُ عليه، فإنَّ ثَمَرَتَهُ السَّعادَةُ الأبَدِيَّةُ.

---

(1) تنسب القصة أيضا لمحمد بن سلام البيكندي شيخ البخاري، (ت.225هـ) ينظر التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن: 2/ 571.

ومِمَّا ينبغي أن يُعْلَمَ أيضًا: أنَّ لكلِّ عِلْمٍ حَدًّا، بِحَسَبِ الْبُرهانِ لا يَتَعَدَّاهُ؛ مَثَلًا لا تَقْصِدْ إقامَةَ الْبَراهينِ في النَّحْوِ، ولا تَقْصُرْ عنه أيضًا؛ كَأَنْ تَقْنَعَ بالْجَدَلِ في الْهَيْئَةِ، وكذلك مِلَاكُ الْأَمْرِ في الْمَعانِي هو الذَّوْقُ، وَإقامَةُ الْبُرْهانِ عليه خارِجٌ عن الطَّوْقِ. ومَنْ طَلَبَ الْبُرْهانَ عليه أتْعَبَ نَفْسَهُ، ولم يَحْصُلْ من جِدِّهِ بِطائِلٍ.

قالَ السَّكَّاكِيُّ: وقَبْلَ أنْ نَمْنَحَ هذه الْفُنونَ حَقَّها، فَلْنُنَبِّهْكَ على أَصْلٍ لِيَكونَ على ذُكْرٍ مِنْكَ، وهو أنْ لَيْسَ مِنَ الْواجِبِ في صِناعَةٍ ـ وإنْ كانَ الْمَرْجِعُ في أُصولِها وتَفاريعِها إلى مُجَرَّدِ الْعَقْلِ ـ أنْ يَكونَ الدَّخيلُ فيها كَالنَّاشِئِ عليها في اسْتِفَادَةِ الذَّوْقِ منها، فَكَيْفَ إذا كانَتِ الصِّناعَةُ مُسْتَنِدَةً إلى تَحَكُّمَاتٍ وَضْعِيَّةٍ، واعْتِباراتٍ إِلْفِيَّةٍ؟ فلا بَأْسَ على الدَّخيلِ في صِناعَةِ عِلْمِ الْمَعاني أنْ يُقَلِّدَ صاحِبَها في بَعْضِ فَتاواهُ إنْ فاتَهُ الذَّوْقُ هناكَ، إلى أنْ يَتَكامَلَ له على مَهْلٍ موجِباتُ ذلك الذَّوْقِ[1].

---

(1) الإيضاح: 1/ 63.

الْمُقَدِّمَةُ الثَّالِثَةُ:

في وَظائِفِ الْمُعَلِّمِ

وهي أيْضًا عَشَرَةٌ.

الْوَظيفَةُ الْأولَى:

يَنْبَغِي أنْ يَكونَ تَعْلِيمُهُ لِوَجْهِ الله تعالى، ولا يُريدَ بِذَلِكَ رِياءً ولا سُمْعَةً، ولا رَسْمًا ولا عادَةً، ولا زِيادَةَ جاهٍ، ولا حُرْمَةً، وإنَّما يُريدُ ابْتِغاءَ مَرْضاةِ الله تعالى، والِامْتِثالَ لِأوامِرِهِ، والِاجْتِنابَ عن نَواهيهِ. وَيُريدَ نَشْرَ الْعِلْمِ، وَتَكْثيرَ الْفُقَهاءِ، وَتَقْليلَ الْجَهَلَةِ، وَإِرْشادَ عِبادِ اللهِ إلى الْحَقِّ، ودِلالَتَهُمْ على ما يُصلحُهُمْ في النَّشأتَيْنِ، وإظْهارَ دينِ الله، وَإِقامَةَ سُنَّةِ رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ، وَتَشْييدَ قَواعِدِ الإسْلامِ، والتَّفْريقَ بين الْحَلالِ والْحَرامِ. وَيَكونَ مُخْلِصًا في ذلك، راغِبًا في الآخِرَةِ، ومُتيَقِّنًا بما وَعَدَ الله لِلْعُلَماءِ الْعامِلينَ، راجِيًا ثَوابَهُ، وخائِفًا عِقابَهُ.

وَاعْلَمْ أنَّ الْعِلْمَ كَالمالِ، له حَالُ اكْتِسَابٍ، وحَالُ ادِّخارٍ، فيكونُ به غَنِيًّا عن السُّؤال. وحالُ إنْفاقٍ على نَفْسِهِ وعلى غَيْرِهِ، فيكونُ به سَخِيًّا مُتَفَضِّلًا، وهو أَشْرَفُ أحْوَالِهِ. فلا بُدَّ لِلْعِلْمِ أيْضًا مِنْ حالِ كَسْبٍ وَاسْتِفادَةٍ، وَحالِ تَحْصيلٍ وضَبْطٍ، وَحالِ اسْتِبْصارٍ وَانْتِفاعٍ، وهو التَّفكُّرُ فيما حَصَّلَهُ إنْ كان اعْتِقادِيًا، أو الْعَمَلُ به إن كان عَمَلِيًّا. وَحالِ نَفْعٍ وَتَعْليمٍ، وهو أشْرَفُ أحوالِهِ،

فَيَصيرُ كَالشَّمْسِ مُضيئًا لِنَفْسِهِ وَلِغَيْرِهِ، والْمِسْكِ الطَّيِّبِ الْمُطَيِّبِ لغيره. ومَنْ أَفادَ غَيْرَهُ ولم يَنْتَفِعْ به كان كَالدَّفْتَرِ الْمُفيدِ غَيْرَهُ وهو غَيْرُ مُنْتَفِعٍ به؛ وكَالْمِسَنِّ يَشْحَذُ غَيْرَهُ ولا يَقْطَعُ، وكَذُبَّالَةِ[1] الْمِصْباحِ يُضِيءُ وَيَحْتَرِقُ.

ولِيَعْلَمْ يَقينًا، لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ على يَدَيْهِ رَجُلًا، خَيْرٌ له مِمَّا طَلَعَتْ عليه الشَّمْسُ والْقَمَرُ، وَلَأَنْ يَرُدَّ عَبْدًا آبِقًا عن الله تعالى إلى طاعَتِهِ، أَحَبُّ إلى الله تعالى مِنْ عِبادَةِ الثَّقَلَيْنِ.

الْوَظيفَةُ الثَّانِيَةُ:

أن يُجْرِيَ الْمُتَعَلِّمَ منه مَجْرَى بَنِيهِ، كما قال صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ»[2]. بل ينبغي أنْ يَكونَ الْوَلَدُ الإلهِيُّ أحَبَّ إليه من الْوَلَدِ الصُّلْبِي.

ذَكَرَ حافِظُ الدِّينِ الْبَزَّازِيُّ[3]، عن الْمَرْغِينَانِيِّ[4]، عن عِصامٍ عَنْ[5] أبي يوسُفَ، لم يَكُنْ لِأَحَدٍ عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ كما كانَ له، وكانَ مُشْفِقًا على أَصْحابِهِ، لو وَقَعَ الذُّبابُ على أَحَدِهِمْ، يُرَى مَشَقَّةُ ذلِكَ عَلَيْهِ، وبَلَغَ من

---

(1) يُقَالُ للفَتِيلة الَّتِي يُصْبَح بِهَا السِّرَاجُ ذُبَالَةٌ وذُبَّالَةٌ، وَجَمْعُهَا ذُبالٌ وذُبَّالٌ. اللسان: ذبل.

(2) سنن ابن ماجه: 1/ 114، رقم: 313، صحيح: ابن خزيمة: 1/ 43، رقم: 80.

(3) محمد بن محمد بن شهاب الدين الكردري الخوارزمي حافظ الدين البزازي، فقيه حنفي (ت.827هـ). ترجمته في: تاج التراجم: 354، الشقائق النعمانية: 21.

(4) علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني، من أكابر فقهاء الحنفية، (ت.593هـ). ترجمته في: تهذيب الكمال: 24/ 226، تاج التراجم: 206، شذرات الذهب: 5/ 266.

(5) ابن أبي يوسف، في قونية وأنطاليا ومراد ملا.

شَفَقَتِهِ عليهم، أنَّ رَجُلًا دَخَلَ عليه مُتَغيِّرَ اللَّوْنِ، وقال: إنَّ فلانًا سَقَطَ من السَّطْحِ، وكان الإمامُ يُصَلِّي، فَسَمِعَ، وَصاحَ حَتَّى سَمِعَ مَنْ في الْمَسْجِدِ، فَلَمَّا فَرَغَ ذَهَبَ إلى الرَّجُلِ، وقالَ: إنْ قَدَرْتُ أنْ أحْمِلَ على نَفْسِي هذِهِ الْعِلَّةَ فَعَلْتُ، وخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ باكيًا، وَكانَ يَأْتِيهِ صَباحًا وَمَساءً حَتَّى بَرِئَ الرَّجُلُ.

وَلْيَعْتَقِدِ الْمُتَعَلِّمُ أنَّ حَقَّ الْمُعَلِّمِ أَكْبَرُ مِنْ حَقِّ الْأَبِ، فَإِنَّهُ سَبَبُ حَياتِهِ الْباقِيَةِ، وَالْأَبُ سَبَبُ حَياتِهِ الْفانِيَةِ. ولذَلِكَ قالَ الْإِسْكَنْدَرُ لَمَّا قيلَ له: أَمُعَلِّمُكَ أَكْرَمُ عَلَيْكَ أمْ أَبوكَ؟ فَقالَ: بَلْ مُعَلِّمِي. فَكَما أَنَّ الْإِخْوَةَ يَجِبُ بينهم التَّوَادُّ[1] والتَّحَابُّ، فَكَذَلِكَ شُرَكاءُ الدَّرْسِ، بل ينبغي أنْ يَكونَ فَوْقَهُمْ. فَإنَّ الْعُلَماءَ كُلَّهُمْ مُسافِرونَ، وسالِكونَ إلى طَرِيقِ الله تعالى، والْمُعَلِّمَ الْمُرْشِدُ والْهادِي، والشُّرَكاءَ الرُّفَقَاءُ، ولا يَنْتَظِمُ أَمْرُ الْمُسافَرَةِ إلَّا بِمُوافَقَتِهِمْ ومَحَبَّتِهِمْ؛ وإنَّما يَنْشَأُ الْبُغْضُ والتَّحاسُدُ لِجَعْلِهِمُ الْعِلْمَ وَسيلةً إلى الْمالِ وَالرِّئاسَةِ، فَيَخرجونَ به عن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[2]. ويَدْخُلونَ تحت قوله تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾[3].

ولا يَخْفى أنَّ الْمالَ والرِّئاسَةَ يوجِبانِ التَّحاسُدَ والتَّباغُضَ، كما وَقَعَ في زَمانِنا هذا ـ بِسَبَبِ حُبِّ الرِّئاسَةِ والْمَالِ ـ الْعَداوَةُ والْبَغْضاءُ والتَّحاسُدُ بين

---

(1) التودد، في أنطاليا.

(2) سورة الحجرات، الآية: 10.

(3) سورة الزخرف، الآية: 67.

الْعُلَماءِ، وإلى الله الْمُشْتكى من زَمانٍ مَلأَ اللهُ تعالى قُلوبَ أَهْليهِ من الْحَسَدِ، وغَلَبَ عليهم الْعِنَادُ حَتَّى جَرَى منهم مَجْرى الدَّمِ من الْجَسَدِ؛ قَوْمٌ غَلَبَ عليهم الْجَهْلُ وَطَمَّهُمْ، وَأَعْماهُمْ حُبُّ الرِّئاسَةِ وَأَصَمَّهُمْ، فَمِنْ طائِفَةٍ يُطَوِّلُونَ أَكْمَامَ الِافْتِخارِ، ويَجُرُّونَ أذْيالَ الِاسْتِكْبارِ، يَتَرَبَّعُونَ في صُدورِ الإيوانِ، وَيَتَنافَسونَ بِاحْتِشادِ الْحَواشي[1] والْغِلمانِ، يَسْتَبْدِلونَ الْجَوابَ بالإعْراضِ، ويَسْتَقِلُّونَ[2] في مَجالِسِهِمْ هَتْكَ الْأَعْراضِ.

أَسْأَلُ اللهَ تعالى مِنْ فَضْلِهِ أنْ يَتوبَ عليهم، وَيُسامِحَهُمْ بِبَرَكَةِ الْعِلْمِ والإسلامِ، وَيُبَوِّئَهُمْ أَحْسَنَ مُسْتَقَرٍّ وَمُقامٍ.

الْوَظِيفَةُ الثَّالِثَةُ:

أنْ يَقْتَدِيَ بِصاحِبِ الشَّرْعِ صَلواتُ اللهِ عليه وسَلامُهُ، ولا يَطْلُبَ على إفاضَةِ الْعِلْمِ أجْرًا وجَزاءً، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾[3].

فَيَجِبُ عليه قَطْعُ الطَّمَعِ عن الْمُتَعَلِّمينَ، والرِّفْقُ بهم في التَّعْليمِ، والتَّواضُعُ لهم، والْعَطْفُ عليهم، بل يَجِبُ عليه تَقْريبُ الْفَقيرِ لفَقْرِهِ

---

(1) حَشْوُ الإبلِ وحَاشِيَتُها: صِغارها، وَكَذَلِكَ حَوَاشِيها، وَاحِدَتُهَا حَاشِيَةٌ، وَقِيلَ: صِغارها الَّتِي لَا كِبار فِيهَا، وَكَذَلِكَ مِنَ النَّاسِ. اللسان: حشا.

(2) ويشتغلون، في أنطاليا.

(3) سورة الشورى، الآية: 23

وانْكِسارِهِ، كما كانَ رَسولُ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ يُجالِسُ الْفُقَراءَ، ويُحِبُّ الْمَساكينَ.

وَاعْلَمْ أنَّ [مَنْ][1] طَلَبَ الْمالَ وأعْراضَ الدُّنْيا بالْعِلْمِ، كمَنْ نَظَّفَ أسْفَلَ مَداسِهِ بوجْهِهِ ومحاسِنِهِ، فجَعَلَ الْمَخْدومَ خادِمًا، والخادِمَ مَخْدومًا، فعليكَ أنْ لا تَرْكَنَ إلى حُطامِ الدُّنيا وإقْبالِهَا، وَوِلايَةِ الْمَناصِبِ وإجْلالِهَا، فإنَّ ذلك حِبالَةُ الشَّيْطانِ، يَصْطادُ بها ضُعَفاءَ الأحْلامِ من الأنامِ، كما قال عيسى بنُ مَرْيَمَ صلواتُ الله عليه وعلى نَبِيِّنَا: الْعُلَماءُ دَواءُ الدِّينِ، والْمالُ داءُ الدِّينِ، فَمَنْ جَرَّ الدَّاءَ إلى نفْسِهِ فكيف يُداوي غيرَهُ، ألا إنَّ الْعَجَبَ الْعَجيبَ[2] أنَّ الأمْرَ قَدِ انْتَهى بِحُكْمِ تَراجُعِ الزَّمانِ، وخُلُوِّ الْأَعْصَارِ عَنِ عُلَماءِ الدِّينِ، إلى عَدَمِ ابْتِهاجِ الْعُلَماءِ بانْتِهاجِ سَبيلِ الْعُلومِ[3]، بَلْ بِالرِّئاسَةِ والتَّجمُّلِ اللَّذَيْنِ لا يَنْخَدِعُ بهما إلا الْعَوامُّ والْجَهَلَةُ: [الطويل]

فَسَادٌ كَبِيرٌ عَالِمٌ مُتَهَتِّكُ   وَأَكْبَرُ مِنْهُ جَاهِلٌ مُتَنَسِّكُ[4]
هُمَا فِتْنَةٌ لِلْعَالَمِينَ عَظِيمَةٌ   لِمَنْ بِهِمَا فِي دِينِهِ يَتَمَسَّكُ

قال مُحَمَّدُ بنُ الْحَسَنِ: لوْ كانَ النَّاسُ كلُّهم عَبيدي لَأَعْتَقْتُهُمْ، وَتبَرَّأْتُ عن وَلائِهِمْ، ومَنْ وَجَدَ لَذَّةَ العِلْمِ والْعَمَلِ به، قَلَّمَا يَرْغَبُ فيما عِنْدَ النَّاسِ.

---

(1) زيادة من أنطاليا.

(2) العجاب، في مراد ملا.

(3) النجاة، في أنطاليا.

(4) وردا في مورد الظمآن إلى زوائد ابن حبان: 1/ 189، نقلا من الهداية، وفي المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية صلى الله عليه وسلم من صحيح الإمام البخاري: 2/ 144.

قال أبو حَنيفَةَ رَضِيَ الله عنه: [مُخَلَّعُ البسيط]

مَـنْ طَـلَـبَ الْـعِـلْـمَ لِـلْـمَـعَـادِ فَـازَ بِـفَضْــلٍ مِـنَ الـرَّشَــادِ[1]
فَـيَـا لَـخُسْــرَانَ طَـالِـبـيـهِ لِـنَـيْـلِ فَضْــلٍ مِـنَ الْـعِـبَـادِ[2]

اللَّهُمَّ إلَّا إذا طَلَبَ الْجاهَ، لِلْأَمْرِ بالْمَعْروفِ، والنَّهْيِ عن الْمُنْكَرِ، وتَنْفيذِ الْحَقِّ، وإعْزازِ الدِّينِ، لا لِنَفْسِهِ وهَواهُ، فَيَجوزُ ذلك بِقَدْرِ ما يُقيمُ به الأمْرَ بالمعروفِ، والنَّهْيَ عن الْمُنْكَرِ، وَيَنْبَغِي أنْ يَتَفَكَّرَ في ذلك، فإنَّهُ يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ بِجَهْدٍ كَثيرٍ، فلا يَصْرِفْهُ إلى الدُّنيا الْحَقِيرَةِ الْفانِيَةِ.

وقال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «اتَّقُوا الدُّنْيَا، فوالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إنَّهَا لَأَسْحَرُ من هَارُوتَ وَمَارُوتَ»[3].

[الوافر]

هِـيَ الـدُّنْـيَـا أَقَـلُّ مِـنَ الْـقَـلِـيـلِ وَعَـاشِـقُـهَـا أَذَلُّ مِـنَ الـذَّلِـيـلِ[4]
تُـصِــمُّ بِسِــحْـرِهَـا قَـوْمًـا وَتُـعْـمِي فَـهُـمْ مُـتَـحَـيِّـرُونَ بِـلَا دَلِـيـلِ

---

(1) كذا وردت نسبتهما في تاريخ بغداد: 4/ 50، ونسبا للإمام الشافعي في مناقب الشافعي للبيهقي: 2/ 89.

(2) ويا لخسران من أتاه، في تاريخ بغداد.

(3) نوادر الأصول: 1/ 130، جمع الجوامع: 1/ 136، كشف الخفاء: 1/ 40.

(4) البيتان بدون نسبة في رسالة إنقاذ الهالكين لتقي الدين البركوي: 94، وبريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية: 3/ 16.

الْوَظِيفَةُ الرَّابعَةُ:

أنْ لا يَدَّخِرَ نُصْحَهُ عن الْمُتَعَلِّمِ، وَزَجْرَهُ عن الْأَخْلاقِ الرَّدِيئَةِ بِالتَّعْرِيضِ والتَّصْرِيحِ، ومَنْعَهُ أن يَتَشَوَّفَ إلى رُتْبَةٍ فَوْقَ اسْتِحْقاقِهِ، وأنْ يَتَصَدَّى للاشْتِغالِ فوق طاقَتِهِ، وأن يُنَبِّهَهُ على غايَةِ الْعُلومِ، وأنَّها هي السَّعادَةُ الأُخْرَوِيَّةُ دونَ أَعْراضِ الدُّنْيا. ويَنْبَغي أن لا يُزْجَرَ عن التَّعَلُّمِ، إذا رَأَى أنَّهُ يَتَعَلَّمُهُ لِأَجْلِ الرِّئاسَةِ ومُباهاةِ الْعُلماءِ، إذِ اشْتِغالُهُ ربَّما أَدَّى إلى اكْتِسابِ الْعِلْمِ، وتَنَبَّهَ بالْآخِرَةِ لِحَقائِقِ الْأُمورِ، وعَلِمَ أنَّ الطَّالِبَ بالْعِلْمِ لِأَعْراضِ الدُّنْيا مَغْبونٌ، وهو الْمَعْنِيُّ مِنْ قَوْلِهِمْ: «تَعَلَّمْنَا الْعِلْمَ لغَيْرِ اللهِ، فَأَبَى الْعِلْمُ أنْ يكونَ إلَّا للهِ».

وَلِهَذا يَنْبَغِي أَنْ يَرْغَبَ في نَوْعٍ مِنَ الْعِلْمِ تُسْتَفادُ به الرِّئاسَةُ بِالْأَطْماعِ في الرِّئاسَةِ، حتى يَسْتَدْرِجَهُمْ بعد ذلك إلى الْحَقِّ. ولهذا رَخَّصوا في عِلْمِ الْمُناظَرَةِ في الْفِقْهِيَّاتِ، لأنَّها بَواعِثُ على الْمُواظَبَةِ لِطَلَبِ الْمُباهاةِ أوَّلًا، ثُمَّ بالْآخِرَةِ يَتَنَبَّهُ لِفَسادِ قَصْدِهِ، وَيَعْدِلُ عنه إلى الْمَنْهَجِ الْقَوِيمِ، بل اللهُ سُبْحانَهُ وتعالى جَعَلَ الرِّئاسَةَ، وحُسْنَ الذِّكْرِ، حِفْظًا لِلشَّرْعِ والْعِلْمِ؛ مِثْلَ الْحَبِّ الْمُلْقى حَوالى الشَّبَكَةِ[1]، ومِثْلَ الشَّهْوَةِ الدَّاعِيَةِ إلى التَّناسُلِ. ولهذا قيلَ: لولا الرِّئاسَةُ لبطلَ العلمُ.

---

(1) أضيف في نسخة أنطاليا: ليقتنص به الطير، دون الإشارة إلى وجوب إلحاقها بالمتن بأحد الرموز المعروفة.

لَكِنْ ينبغي أنْ يُنَبَّهَ عليه أنَّ الْمُتَعَلِّمَ إن كان طَبْعُهُ على الشَّرِّ والفسادِ، وَحُبِّ الْمالِ والْجاهِ، فلا يَحْسُنُهُ الرِّئاسَةُ، لاحْتِمالِ أنْ يَرْسَخَ في طَبْعِهِ، ثُمَّ لا يَزولَ، أو يَشُقَّ زَوَالُهُ.

الْوَظِيفَةُ الْخامِسَةُ:

أن يَزْجُرَ عَمَّا يَجِبُ الزَّجْرُ عنه[1] بالتَّعْريضِ لا بِالتَّصْريحِ، لأنَّ التَّعْريضَ يُؤَثِّرُ في الزَّجْرِ، والتَّصْريحَ رُبَّما يُغْري بِالْمَنْهِيِّ عنه، قالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «لو نُهِيَ النَّاسُ عَنْ فَتِّ الْبَعْرِ لَفَتُّوا، وَقالُوا: ما نُهِينَا عنه إلَّا وفِيهِ شَيْءٌ»[2].

وَيُنَبِّهُ على هذا قِصَّةُ آدَمَ وَحَوَّاءَ، وما نُهِيَا عنه.

ولذا قيلَ: الْإِنْسانُ حَرِيصٌ على ما مُنِعَ.

وقد قيل: رُبَّ تَعْرِيضٍ أَبْلَغُ من التَّصْرِيحِ، إذ التَّعْريضُ لا يَهْتِكُ حجابَ الْهَيْبَةِ، والتَّصْريحُ يَرْفعُهُ بالْكُلِّيَّةِ، فَيَسْتَفيدُ الْمَنْهِيُّ جُرأةً على الْمُخالَفَةِ، إذا اضْطُرَّ إلى الْمُخالَفَةِ له مَرَّةً أُخْرَى. ولقد شاهَدْنا هذا في الْمَوْلَى الْوالِدِ رَوَّحَ اللهُ رُوحَهُ، حيث ما قابَلَنا في أمْرٍ بِتَصْريحٍ، بل كان يُعَرِّضُ، وكُنَّا نَنْزَجِرُ عن ذلك الْأَمْرِ فَوْقَ ما يَنْزَجِرُ النَّاسُ عن التَّصْريحِ.

---

(1) كتب بإزائها في نسخة أنطاليا: "من سوء الأخلاق"، وهي زيادة توضح المعنى، ولم ترد الإشارة إلى وجوب إلحاقها بالمتن.

(2) عيون الأخبار: 2/ 4، الذريعة إلى مكارم الشريعة: 179، محاضرات الأداء ومحاورات الشعراء والبلغاء: 2/ 112، ميزان العمل للغزالي: 366، الإحياء: 1/ 57، كشف الخفاء: 2/ 190.

وَيَنْبَغِي أَنْ يَكونَ ناصِحًا لهم، ومُتَواضِعًا لهم مع الْوَقارِ، صابِرًا على تَعْليمِهِمْ في أَكْثَرِ النَّهارِ، ومُحَرِّضًا لهم على كَسْبِ الْعُلومِ، وَمُشْفِقًا عليهم، ومُتَحَمِّلًا منهم ما يَصْدُرُ عنهم مِنَ الْهَفَواتِ، وناظِرًا في أَحْوالِهِمُ الدُّنيويَّةِ والأُخْرويَّةِ، يَبَرُّ حُقوقَهُمْ بقَدْرِ وُسْعِهِ وطاقَتِهِ.

الْوَظِيفَةُ السَّادِسَةُ:

أَنْ يَبْدَأَ في التَّعْليمِ ما يُهِمُّ لِلْمُتَعَلِّمِ في الحالِ، إمَّا في مَعاشِهِ، أو في مَعادِهِ، ويُعَيِّنَ له ما يَليقُ بِطَبْعِهِ من العلوم، إذ «كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»[1].

ويُراعِيَ التَّرْتيبَ الْأَحْسَنَ في تَرْتيبِ الْعُلومِ حَسْبَمَا تَقْتَضِيهِ رُتْبَتُهَا. ولا يَنْبَغِي أن يُرَقِّيَهُمْ من الْجَلِيِّ إلى الدَّقيقِ، ومن الْخَفِيِّ إلى الظاهِرِ دُفْعَةً، وفي أَوَّلِ رُتْبَةٍ، بل على قَدْرِ الِاسْتِعْدادِ، اقْتِداءً بِمُعَلِّمِ الْبَشَرِ كافَّةً، ومُرْشِدِهِمْ قاطِبَةً، حيثُ قال: «إِنَّا مَعْشَرَ الْأَنْبِيَاءِ أُمِرْنَا أن نُنَزِّلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ، وَنُكَلِّمَ النَّاسَ بِقَدْرِ عُلُومِهِمْ»[2].

وقال عَلِيٌّ رضي الله عنه، وقد أَوْمَأَ إلى صَدْرِهِ: إنَّ هاهنا لَعُلُومًا جَمَّةً، لو وَجَدْتُ لها حَمَلَةً[3].

---

(1) صحيح البخاري: 9/ 159، رقم: 7551، صحيح مسلم: 4/ 2041، رقم: 2649.

(2) الذريعة إلى مكارم الشريعة: 180، المفردات في غريب القرآن: 35، ميزان العمل: 367، وفيهم جميعا: «ونُكَلِّمَ النَّاسَ على قَدْرِ عُقولِهِمْ».

(3) الذريعة إلى مكارم الشريعة: 180، ميزان العمل: 367، الإحياء: 1/ 57.

وقال صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «كَلِّموا النَّاسَ بما يَعْرِفُونَ، وَدَعُوا ما يُنْكِرُونَ، أَتُرِيدُونَ أنْ يُكَذَّبَ اللهُ ورَسُولُهُ»[1].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾[2].

وسُئِلَ بعضُ الْمُحَقِّقينَ عن شَيْءٍ فَأَعْرَضَ، فقالَ السَّائِلُ: أما سَمِعْتَ قَوْلَ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «مَنْ كَتَمَ عِلْمًا نَافِعًا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلْجَمًا بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ».

فقالَ: اتْرُكِ اللِّجَامَ واذْهَبْ، فإنْ جاءَ مَنْ يَفْقَهُ فَكَتَمْتُهُ فَلْيُلْجِمْنِي بِهِ.

وقد نَبَّهَ اللهُ سبحانَهُ وتعالى بقولِهِ: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾[3] على أنَّ حِفْظَ الْعِلْمِ[4] وإمْساكَهُ عَمَّنْ لا يَكونُ أَهْلًا له أَوْلى، وَبِقَوْلِهِ: ﴿فَإِنْ آنَسْتُم مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾[5].

على أنَّ مَنْ بَلَغَ رُشْدَهُ في الْعِلْمِ يَنْبَغِي أنْ يُبَثَّ إليه حَقائِقُ الْعُلومِ، ويُرَقَّى مِنَ الْجَلِيِّ الظَّاهِرِ إلى الدَّقيقِ الْخَفِيِّ. وليس الظُّلْمُ في مَنْعِ الْمُسْتَحِقِّ بأَقَلَّ من الظُّلْمِ في إعْطاءِ غيرِ الْمُسْتَحِقِّ.

---

(1) صحيح البخاري: 1/ 37، رقم: 127.

(2) سورة الأنفال، الآية: 23.

(3) سورة النساء، الآية: 5.

(4) المعلم، في قونيا ورئيس الكتاب وأنطاليا.

(5) سورة النساء، الآية: 6.

قال أبو بَكْرٍ الشَّاشِيُّ رَحِمَهُ الله تَعالى: رَأَيْتُ الشَّافِعِيَّ رَضِيَ الله عنه في الْمَنامِ، فأنْشَدَني هذه الأبْياتَ: [الطويل]

أَأَنْشُرُ دُرًّا بَيْنَ رَاعِيَةِ الْغَنَمْ أَأَنْظِمُ مَنْثُورًا لِسَارِحَةِ النَّعَمْ[1]
فإنْ لَطَفَ اللهُ الْكَرِيمُ بِفَضْلِهِ وَصَادَفْتُ أَهْلًا لِلْعُلُومِ وَلِلْحِكَمْ
بَثَثْتُ مُفِيدًا وَاسْتَعَدْتُ وِدَادَهُمْ وَإِلَّا فَمَخْزُونٌ لَدَيَّ وَمُكْتَتَمْ
فَمَنْ مَنَحَ الْجُهَّالَ عِلْمًا أَضَاعَهُ وَمَنْ مَنَعَ الْمُسْتَوْجِبِينَ فَقَدْ ظَلَمْ

فَظَهَرَ منه أنَّ بَثَّ الْمَعارِفِ إلى غَيْرِ أَهْلِهَا مَذْمُومٌ في الْعُلومِ كلِّها.

قالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «لَا تَطْرَحُوا الدُّرَرَ فِي أَفْوَاهِ الْكِلَابِ»[2].

وَقالَ عيسى عليه السَّلام: لا تُعَلِّقُوا الْجَواهِرَ في أعنَاقِ الخَنَازِيرِ، فإنَّ الْعِلْمَ خَيْرٌ من الْجَوْهَرِ، ومُنْكِرَهُ شَرٌّ مِنَ الْخِنْزِيرِ[3].

وَقيلَ: [البسيط]

قَدْ ضَيَّعَ اللهُ مَا جَمَّعْتُ مِنْ أَدَبٍ بَيْنَ الْحَمِيرِ وَبَيْنَ الشَّاءِ وَالْبَقَرِ[4]

(1) لم ترد الأبيات في ديوان الشافعي، ونسبت له في مجموعة من المصادر منها: طبقات الشافعية الكبرى: 1/ 294، والمقفى الكبير: 5/ 216.

(2) أخرجه البغوي في جزئه: 37، وابن المقرئ في معجمه: 403، وابن عدي في الكامل في الضعفاء: 9/ 71، وابن الجوزي في الموضوعات: 1/ 232.

(3) - إحياء علوم الدين: 1/ 57 مع تغيير في اللفظ.

(4) - أنشده ابن أبي الدنيا لشيخ من الأزد من أهل البصرة، في المجالسة وجواهر العلم: 8/ 167، برواية: "ما ضيع..."، ونسب في الوساطة بين المتنبي وخصومه: 347، وفي شرح ديوان المتنبي للعكبري: 4/ 40 للسيد الحميري.

وَأَيْضًا ادِّخارُ حَقائِقِ الْعُلوم مِنَ الْمُسْتَأْهِلينَ لها فاحِشَةٌ عظيمَةٌ، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾[1].

قالَ بَعْضُ الْمُحَقِّقينَ: وَضْعُ الْعِلْمِ في غير أَهْلِهِ إضاعَةٌ، ومَنْعُهُ عن أَهْلِهِ ظُلْمٌ وجَوْرٌ، وكلاهُما حَرامٌ على الْعُلَماءِ.

الْوَظيفَةُ السَّابعَةُ:

أن يَحُثَّ الصِّغارَ على التَّعَلُّمِ، سِيَّمَا الْحِفْظُ، لأنَّ ذلك كَالنَّقْشِ في الْحَجَرِ، والتَّعَلُّمُ في الْكِبَرِ كَالرَّقْمِ على الْمَاءِ.

وَأَيْضًا ينبغي أن يَذْكُرَ لهم ما يَحْتَمِلُهُ فَهْمُهُمْ، ولا يَذْكُرَ لِلْمُتَعَلِّمِينَ أنَّ وَراءَ ما ذُكِرَ لهم تَحْقِيقٌ وتَدْقِيقٌ[2] ادَّخَرَهُ عنهم، فإنَّ ذَلِكَ يُفَتِّرُ فَهْمَهُمْ في تَلَقُّفِ ما أُلْقِيَ إليهم، بل يُخَيِّلُ إليهم أنَّ ما ذَكَرَهُ لهم كُلُّ الْمَقْصودِ، ثم إذا اسْتَقَلَّ به رُقِّيَ إلى غَيْرِهِ.

وعلى هذا الْقِياسِ يَنْبَغِي أن يُجَنِّبَ أَسْماعَ الْعَوامِّ الْمُتَشَرِّعينَ عن كَلِماتِ الصُّوفِيَّةِ التي يَعْجِزونَ عن تَطْبيقِها بالشَّرْعِ، فإنَّ ذلك يؤدي إلى انْحِلالِ قَيْدِ الشَّرْعِ عنهم، ولا يُمْكِنُ لهم التَّطْبِيقُ بينه وبين الشَّرْعِ، فَيَنْفَتِحُ عليهم بابُ الإلْحادِ والزَّنْدَقَةِ، فَيَنْقَلِبُ شَيْطانًا مَرِيدًا. كما نُشاهِدُ ذلك في بعض عَوامِّ

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 187.

(2) ما ذُكِرَ لهم تحقيقا وتدقيقا، في أنطاليا.

زمانِنا الْمُتَتَبِّعينَ لِكَلِماتِ "الْفُصوصِ"[1] وغَيْرِهِ، غَيْرِ الْمُسْتَأْهِلينَ لِتَحْقِيقِها وإتْقانِها.

فَيَنْبَغِي لِلْمُعَلِّمِ أنْ يُرْشِدَ الْعَوامَّ إلى عِلْمِ الْعِباداتِ الظاهِرَةِ، وأنْ يَمْلأَ نَفْسَهُمْ إلى الرَّغْبَةِ والرَّهْبَةِ، كما يَفْعَلُهُ الْوُعَّاظُ والْمُذَكِّرونَ. وإنْ عَرَضَ لهم شُبْهَةٌ يُعالِجُ بكَلامٍ إقْناعِيٍّ، وتَقْريرٍ واضِحٍ عَامِيٍّ، ولا يَفْتَحُ عليهم بابَ الْحَقائِقِ، فإنَّ في ذلك فَسادَ النِّظامِ. وإنْ وَجَدَ ذَكِيًّا ثابِتًا على قَواعِدِ الشَّرْعِ، ومُسْتَعِدًّا لِدَرْكِ الْحَقَائِقِ الْعَقْلِيَّةِ، وَالْأَسْرارِ الْإِلَهِيَّةِ، جازَ أن يَفْتَحَ له بابَ الْمَعارِفِ الرَّبَّانِيَّةِ، بعد امْتِحاناتٍ مُتَوالِيَةٍ، وَتَجارِبَ مُتَتالِيَةٍ، حَتَّى لا يَتَزَلْزَلَ عن جادَّةِ الشَّرْعِ، ويجمَعَ بينه وبين الحقائِقِ، وماذا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ[2].

وَقَدْ أَسْلَفْنا أنَّ السَّلَفَ كانوا يَخْتَبِرونَ الْمُتَعَلِّمَ في أَخْلاقِهِ، فإنْ وَجَدوهُ مُهَذَّبَ الأَخْلاقِ، اشْتَغَلوا بِتَعْليمِهِ، وإلَّا مَنَعُوهُ أَشَدَّ الْمَنْعِ، خيفَةً من أنْ يُقَصِّرَ في الْفَهْمِ، فَيَفْسُدَ به دينُهُ ودينُ غيرِهِ. ولهذا قالوا: نَعوذُ بالله من نِصْفِ فَقيهٍ، ونِصْفِ طَبِيبٍ، فإنَّ الْأَوَّلَ يُفْسِدُ الدِّينَ، والثَّانِي يُفْسِدُ الْبَدَنَ.

وإذا انْتَهى الْكَلامُ إلى هذا الْمَقامِ، فأنا أُوصِيكَ وَصِيَّةَ عَمَلِ مَنْ طَبَّ لِمَنْ حَبَّ، لعلك تَنْتَفِعُ بها وتَدْعُو لي بخيرٍ، وهي: أنَّ الواجِبَ عليك أيُّهَا الطَّالِبُ لِلْحَقِّ، والرَّاغِبُ في الصِّدْقِ، أن لا تُنْكِرَ أولياءَ الله تعالى، فإنَّهم الْوَسيلَةُ

---

(1) يقصد كتاب "فصوص الحكم"، للشيخ ابن العربي الحاتمي (ت.638هـ).

(2) وظف المصنِّفُ الآية 32 من سورة يونس لإتمام مراده من سياق الكلام.

بينَكَ وبينَ الله، والْخَليفَةُ من حَضْرَةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم [وشرَّفَ وعظَّمَ][1]: [الخفيف]

فـإذا كُـنْـتَ في الْـمَـدَارِجِ غِـرًّا ثُمَّ أَبْصَـرْتَ حَاذِقًا لا تُمَارِي[2]

لا تَـكُـنْ مُـنْـكِـرًا فَـثَـمَّ أُمُـورٌ لِطِوَالِ الرِّجَالِ لا لِلْقِصَارِ

فـإذا لَـمْ تَـرَ الْـهِـلالَ فَسَـلِّـمْ لِأُنَاسٍ رَأَوْهُ بِالْأَبْصَارِ

وما لا تَفْهَمُ من مقالاتِهِمُ الْخَفِيَّةِ، وأحوالِهِمُ الْغَريبَةِ، فَكِلْهُ إلى أَهْلِهِ، إذْ كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِما خُلِقَ له.

وقال الله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[3].

قال بعض الْحُكَمَاءِ: كُلُّ ما قَرَعَ سَمْعَكَ من الْغَرَائِبِ، فَذَرْهُ في بُقْعَةِ الْإِمْكانِ، ما لم يَذُدْكَ عنه قائِمُ الْبُرْهانِ.

وقالَ بَعْضُ الْمُحَقِّقينَ في حَقِّ أسْرارِ التَّوْحيدِ وَأَطْوارِ الْمُتَصَوِّفَةِ: [البسيط]

وكَانَ مَا كَانَ مِمَّا لَسْتُ أَذْكُرُهُ فَظُنَّ خَيْرًا ولا تَسْأَلْ عنِ الْخَبَرِ[4]

فإنْ قُلْتَ: كُلُّ ما يُخالِفُ الشَّرْعَ فهو كُفْرٌ، والتَّوَقُّفُ فيه لا يَصِحُ من الْمُسْلِمِ.

---

(1) زيادة من مراد ملا.

(2) البيت الأول والثالث في حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع: 2/ 513، رد المحتار على الدر المختار: 1/ 192.

(3) سورة المائدة، الآية: 48.

(4) البيت لابن المعتز، وهو في ديوان شعره: 247، وفيه: فكان.

قُلْتُ: نَعَمْ، إنَّ التَّوَقُّفَ في الْكَلامِ الذي هو كُفْرٌ صريحٌ، من حيث إنَّه يَجوزُ أنْ يكونَ صَحيحًا، لا يجوزُ من مُسْلِمٍ، فَضْلًا عن عالِمٍ، لأنَّ ذلك شَكٌّ في الدِّينِ، وَخَرْمٌ لنِظامِ الإسْلامِ والشَّرْعِ، لكنَّا ـ والْعِياذُ بالله تعالى ـ لا نَتَوَقَّفُ في ذلك أبَدًا.

عَصَمَنَا الله وإيَّاكُمْ عن التَّساهُلِ في الدِّينِ والإسْلام. لكنَّا نَتَوَقَّفُ في كَوْنِ مُرادِهِمْ ذلك الْمَعْنى؛ إذِ الدَّليلُ الْقاطِعُ دَلَّ على أنَّ ظاهِرَهُ غير مُرادٍ، فلا بُدَّ فيه مِنْ أنْ يُصْرَفَ عن ظاهِرِهِ إلى وَجْهٍ من وُجوهِ التَّأويلِ لِوَجْهَيْنِ:

أحدُهما: تَصْرِيحُهُمْ بأنَّ الْمَفْهومَ من ظاهِرِ كَلامِنا كُفْرٌ وإِلحادٌ، إذ التَّعْبيرُ عن أصْلِ الْمُرادِ، يُوهِمُ الْحُلولَ أو الاتِّحادَ، وليس الأمْرُ كذلك، بل ذلك لِضيقِ الْعِبارَةِ، وعُسْرِ الْإِشارَةِ، "فلا يُحاوِلُ مُعَبِّرٌ أنْ يُعَبِّرَ عنها إلَّا اشْتَمَلَ لَفْظُهُ على خَطَإٍ صَريحٍ لا يُمْكِنُهُ الاحْتِرازُ عنه"[1]. كذا ذَكَرَ الإمام الْغَزالِيُّ في كِتابِ: **"الْمُنْقِذُ من الضَّلالِ"**.

وثانيهما: ما ذَكَرَهُ بعض الْكامِلينَ أنَّ الْمَعارِفَ الإلهيَّةَ لم توضَعْ بإزائِها الْأَلْفاظُ، بل اقْتَصَرَ الْوَضْعُ بإزاءِ الْمُمْكِنَاتِ، وأيضًا لا يُمْكِنُ الْإِشارَةُ إليها بطَرِيقِ الْكِنايَةِ والِاسْتعارَةِ [خُصوصًا في ذاتِ اللهِ تعالى][2] إذ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[3]، فَغايَةُ حالِ مَنْ أَرادَ التَّعْبيرَ عن الْأَسْرارِ الْإِلَهِيَّةِ وقُصارَى أمْرِهِمْ

---

(1) المنقذ من الضلال: 178.

(2) زيادة من أنطاليا.

(3) سورة الشورى، الآية: 11.

التَّعبيرُ عنها بما يُماثِلُها[1] من جِهَةٍ من الْجِهاتِ، وإنْ كان مُخالِفًا له حَقيقَةً من سائِرِ الْجِهاتِ. فالتَّعبيرُ عن الْأسْرارِ الْإلَهِيَةِ وإنْ كان تَقْريبًا إلى الْأذْهانِ من جِهَةٍ، فهو تَبْعيدٌ عنها من وُجوهٍ كَثيرَةٍ.

وإنَّما الْغَرَضُ من التَّصْنيفِ التَّذْكِرَةُ لمن يَعْرِفُ تلك الْأَسْرارَ، لأَنَّهُ يَعْرِفُ الْعَلاقَةَ في إطْلاقِ اللَّفْظِ عليها، وكذا التَّنْبيهُ على من لا يَعْرِفُها، إنَّ لنا عِلْمًا يَجِلُّ عن الْأذْهانِ فَهْمُهُ، حتى يُرَغَّبَ في تَحْصيلِهِ، كما قالَ رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ مِنَ الْعِلمِ كَهَيْئَةِ الْمَكْنُونِ لا يَعْرِفُهُ إلا الْعُلَمَاءُ باللهِ، وإذا نَطَقُوا لا يُنْكِرُهُ إلا أَهْلُ الْغِرَّةِ»[2].

ورُوِيَ عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنَّهُ قالَ: «حَفِظْتُ من رَسُولِ الله صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ وِعَاءَيْنِ [مِنْ عِلْمٍ][3]، أمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ، وأمَّا الْآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ لَقُطِعَ هذا الْبُلْعُومُ»[4].

وَقيلَ: [البسيط]

إنِّي لَأَكْتُمُ مِنْ عِلْمِي جَوَاهِرَهُ كَيْ لا يَرَى الْحَقَّ ذو جَهْلٍ فَيَفْتِنَنَا[5]

---

(1) كتب بإزائها في نسخة أنطاليا: لعلها: ما يلائمها.

(2) أهل الغرة أهل الغفلة، الحديث في: الأربعون في التصوف للسلمي: 13، الترغيب والترهيب: 1/ 58، واللآلئ المصنوعة: 2/ 201، وكنز العمال 10/ 181.

(3) زيادة من أنطاليا.

(4) صحيح البخاري: 1/ 35، رقم: 120، الطبقات الكبرى: 4/ 331، تاريخ دمشق: 67/ 337.

(5) وردت الأبيات في طبقات الشافعية الكبرى: 2/ 231، منسوبة لأحد أهل البيت، ونسبت في روح المعاني: 3/ 356 لعلي زين العابدين.

وَقَدْ تَقَدَّمَ في هذا أبو حَسَنٍ ... إلى الْحُسَيْنِ وَوَصَّى قَبْلَهُ الْحَسَنَا
يا رُبَّ جَوْهَرِ عِلْمٍ لَوْ أَبُوحُ بِهِ ... لَقِيلَ لي أنْتَ مِمَّنْ يَعْبُدُ الْوَثَنَا
وَلَاسْتَحَلَّ رِجَالٌ مُسْلِمُونَ دَمِي ... يَرَوْنَ أَقْبَحَ ما يَأْتُونَهُ حَسَنَا

لكِنْ إيَّاكَ وإيَّاكَ أنْ تَظُنَّ أنَّهم أضمَروا الْكَلِماتِ الْمُخالِفَةَ لِلشَّرْعِ، وليس كذلِكَ، فَحاشاهُمْ، ثم حاشاهُمْ عن ذلِكَ، بل غَرَضُهُمْ عَدَمُ إمْكانِ التَّعْبيرِ، وخَوْفُ مُقايَسَةِ السَّامِعينَ الْأحْوالَ الْإلَهِيَّةَ بأحْوالِ الْمُمْكناتِ، فَيَضِلُّوا وَيُضِلُّوا، وَيُسِيئُوا الظَّنَّ في قَائِلِهَا، ويُقابِلوهُ بِالْإنْكارِ، "جَلَّ جَنَابُ الْحَقِّ عن أن يَكونَ شَرِيعَةً لِكُلِّ وَارِدٍ، أو يَطَّلِعَ على سَرَائِرِ قُدْسِهِ إلَّا واحِدٌ بعد واحِدٍ"[1].

وقيلَ: [الطويل]

لَقَدْ طُفْتُ في تِلْكَ الْمَعَاهِدِ كُلِّهَا ... وَسَيَّرْتُ طَرْفِي بَيْنَ تِلْكَ الْمَعالِمِ[2]
فَلَمْ أَرَ إِلَّا وَاضِعًا كَفَّ حَائِرٍ ... عَلى ذَقَنٍ أو قَارِعًا سِنَّ نَادِمِ

قال تاجُ الدِّينِ السُّبْكِيُّ: ومِنَ الْفُقَهاءِ طائِفَةٌ يَسْتَهْزِئونَ بالْفُقَراءِ وأهْلِ التَّصَوُّفِ، ولا يَعْتَقِدونَ فيهم شَيْئًا، ويَعِيبُونَ عليهم السَّمَاعَ، وَأُمورًا كَثيرةً، والسَّماعُ قد عُرِفَ اخْتِلافُ النّاسِ فيه. وتلك الْأُمورُ قَلَّ أنْ يَفْهَمَهَا مَنْ يَعِيبُهَا.

---

(1) الملل والنحل: 3/ 75.
(2) المصدر نفسه: 1/ 173.

والْواجِبُ تَسْليمُ أَحْوالِ الْقَوْمِ إليهِمْ، فَإِنَّا لا نَأْخُذُ أَحَدًا إلَّا بِجَريمَةٍ ظاهِرَةٍ، وَمَتَى أَمْكَنَنا تَأْويلُ كَلامِهِمْ، وحَمْلُهُ على مَحْمَلٍ حَسَنٍ، لا نَعْدِلُ عن ذلك، لا سِيَّما مَنْ عَرَفْنا منهُمُ الْخَيْرَ، ولُزومَ الطَّريقَةِ.

ثُمَّ [إِنْ][1] بَدَرَتْ لَفْظَةٌ عَنْ غَلْطَةٍ أو سَقْطَةٍ، فإِنَّها لا تَهْدِمُ عِنْدَنا ما مَضَى. وقد جَرَّبْنَا فلم نَجِدْ فَقِيهًا يُنْكِرُ على الصُّوفِيَّةِ إلَّا ويُهْلِكُهُ اللهُ، وَتَكونُ عاقِبَتُهُ وَخيمَةً، كما أَنَّا لم نَجِدْ جُنْدِيًّا يَهْزَأُ بِالْفُقَهاءِ إلَّا ويُهْلِكُهُ اللهُ، وَتَكونُ عاقِبَتُهُ شَديدَةً. وَالصُّوفِيَّةُ هم أَهْلُ الْقُلوبِ، فهم أَهْلُ اللهِ تعالى وَخاصَّتُهُ، نَفَعَنا الله تعالى بهم، وَأَكْثَرُ مَنْ يَقَعُ فيهم لا يُفْلِحُ[2]. هذا حاصِلُ ما ذَكَرَهُ السُّبْكِيُّ رَحِمَهُ الله تعالى.

الْوَظيفَةُ الثَّامِنَةُ:

يَنْبَغي أَنْ لا يُخالِفَ قَوْلُهُ فِعْلَهُ، بل يَأْمُرُ بما هُوَ أَوَّلُ عامِلٍ به، إذْ لو أَكْذَبَ مَقَالَهُ بِحَالِهِ يَنْفِرُ النَّاسُ عنه، وعن الِاسْتِرْشادِ به، لأَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ مُقَلِّدونَ، يَنْظُرونَ إلى حالِ الْقائِلِ. والْمُحَقِّقُ الذي لا يَنْظُرُ إلى الْقائِلِ، بل يَقْصُرُ النَّظَرَ إلى ما قالَهُ، فهو نادِرٌ، فَلْيَكُنْ عِنَايَتُهُ بِتَزْكِيَةِ أَعْمالِهِ، أَكثرَ منه بِتَحْسينِ عِلْمِهِ[3] ونَشْرِهِ.

---

(1) السياق يقتضي إضافة "إن" وهي ثابتة في المصدر المنقول منه، وهو معيد النعم ومبيد النقم: 71.

(2) معيد النعم ومبيد النقم: 70-71.

(3) عمله، في قونيا.

وإذا زُجِرَ الطَّبيبُ عما يَتَناوَلُهُ، إمَّا يُحْمَلُ على الْهُزْءِ والسَّفَهِ، أو يُتَّهَمُ على عِلْمِهِ وصِدْقِهِ، أو يُحَمَلُ على أنه يريدُ أنْ يَسْتَأْثِرَ به، فَيَنْقَلِبُ النَّهْيُ إغْراءً وتَحْرِيضًا. كذلك الْعامِّيُّ إذا رَأَى العالِمَ غَيْرَ الْعامِلِ، فهو بَيْنَ أنْ يَحْمِلَهُ على الْكَذِبِ، أو أنَّهُ يَعْرِفُ حيلَةً في فِعْلِهِ، وَيَخُصُّنَا بالنَّهْيِ عنه، أو يَحْمِلَهُ على السُّمْعَةِ والرِّياءِ، نَعوذُ بالله تعالى من آفاتِ التَّساهُلِ في الْعَمَلِ.

قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا [يَوْمَ الْقِيامَةِ][1] عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ اللهُ بِعِلْمِهِ».

وعنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوَّلُ ما يُسَعَّرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ عَالِمٌ، فَيَنْدَلِقُ لِسَانُهُ، فَيَدُورُ فيها كما يُدَوِّرُ الْحِمَارُ رَحًى[2]، فَيَجْتَمِعُ إليه أهْلُ النَّارِ فيقولونَ: يا هذا، أليْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فيقولُ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ ولا آتيهِ، وأنْهَاكُمْ عن الْمُنْكَرِ وآتِيهِ[3]»[4].

وفي الْحَديثِ أيضًا: «إنَّ أشَدَّ النَّاسِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلَانِ، رَجُلٌ عَلِمَ عِلْمًا فيَرَى[5] غَيْرَهُ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ به، وهو يَدْخُلُ به النَّارَ لِتَضْيِيعِهِ

(1) زيادة من أنطاليا.

(2) كما يدور الحمار في الرحى، في أنطاليا. وفي صحيح البخاري: كما يدور الحمار برحاه.

(3) فآتيه، في مراد ملا.

(4) صحيح البخاري: 4/ 121، رقم: 3267، والحديث بلفظه من معيد النعم ومبيد النقم: 67 مصدر النقل.

(5) فترى، في قونية ورئيس الكتاب.

الْعَمَلَ به، وَرَجُلٌ جَمَعَ الْمَالَ من غَيْرِ وجْهِهِ، وَتَرَكَهُ لِوَارِثِهِ، فَعَمِلَ بِهِ الْخَيْرَ، فَيَرَى[1] غَيْرَهُ يَدْخُلُ به الْجَنَّةَ، وهو يَدْخُلُ به النَّارَ»[2].

وكان الشَّيْخُ أبو إسْحاقَ الشِّيرازِيُّ يَسْتَعِيذُ بالله من هذا الْعِلْمِ، حيثُ كان يقولُ: نَعوذُ بالله مِنْ علمٍ يَكونُ حُجَّةً علينا، ويُنْشِدُ: [البسيط]

عَلِمْتَ مَا حَلَّلَ الْمَوْلَى وَحَرَّمَهُ ... فَاعْمَلْ بِعِلْمِكَ إِنَّ الْعِلْمَ لِلْعَمَلِ[3]

وَمِثْلُ الْوَاعِظِ وَالْمُتَّعِظِ، مِثْلُ النَّقْشِ والطِّينِ، والْعَمُودِ[4] والظِّلِّ، وكيفَ يُنْقَشُ ما لا يُنْقَشُ فيه[5]؟! وكيف يَعْتَدِلُ الظِّلُّ والْعَمُودُ أَعْوَجُ؟! ولذلك قيل: [الكامل]

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعَلِّمُ غَيْرَهُ ... هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمُ[6]
تَصِفُ الدَّوَاءَ لِذِي السَّقَامِ مِنَ الضَّنَا ... وَمِنَ الضَّنَا مُذْ كُنْتَ أَنْتَ سَقِيمُ
مَا زِلْتَ تُلْقِحُ بالرَّشَادِ عُقُولَنَا ... صِفَةً وأَنْتَ منَ الرَّشَادِ عَدِيمُ
اِبْدَأْ بِنَفْسِكَ فَانْهَهَا عَنْ غَيِّهَا ... فَإذا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَلِيمُ
فَهُنَاكَ تُقْبَلُ إنْ وَعَظْتَ وَيُقْتَدَى ... بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ

(1) فترى، في قونية ورئيس الكتاب.
(2) المدخل لابن الحاج: 1/ 6، والنقل من معيد النعم ومبيد النقم: 67.
(3) طبقات الشافية الكبرى: 3/ 94، ومعيد النعم ومبيد النقم: 68، وتاريخ الإسلام: 10/ 383.
(4) العود، فيهما معا في مراد ملا.
(5) وكيف ينقش الطِّين ما لا نقش فيه، في قونية ورئيس الكتاب ومراد ملا.
(6) اختلف في نسبة هذه الأبيات، فقد وردت في حماسة البحتري 247 منسوبة للمتوكل الليثي، وفي جامع العلم وفضله 1/ 674 لأبي الأسود الدؤلي أو للعرزمي، ووردت في معيد النعم ومبيد النقم: 68 غير منسوبة والنقل منه.

وقيل: [الكامل]

لا تَنْـهَ عـنْ خُلُقٍ وَتَـأْتِيَ مِثْلَـهُ عَـارٌ عَلَيْـكَ إذا فَعَلْـتَ عَظِيـمُ[1]

وقيل: [البسيط]

يا وَاعِظَ النَّاسِ قَدْ أَصْـبَحْتَ مُتَّهَمًا إذْ عِبْتَ مِنْهُمْ أمُورًا أنْتَ تَأْتِيهَا[2]

بل قال الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[3].

ولذلك قيل: وِزْرُ العالِمِ في مَعَاصِيهِ أكْثَرُ من وِزْرِ الْجَاهِلِ لأَنَّهُ يُقْتَدَى به.

كما قال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا»[4].

فَعَلَى الْعاصِي الْجاهِلِ في كلِّ مَعْصِيَةٍ وِزْرُ الْإِتْيَانِ، وعلى الْعالِمِ الْعاصي وِزْرُ الإتْيانِ، وَوِزْرُ أن يُقْتَدَى به.

ولذلك قالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: «قَصَمَ ظَهْرِي رَجُلَانِ: جَاهِلٌ مُتَنَسِّكٌ، وعَالِمٌ مُتَهَتِّكٌ؛ فَالْجَاهِلُ يَغُرُّ النَّاسَ بِنُسْكِهِ، والْعَالِمُ يُنَفِّرُهُمْ بِتَهَتُّكِهِ»[5].

---

(1) نسب في كتاب سيبويه 3/ 42 للأخطل، وورد في ديوان أبي الأسود الدؤلي: 404 ضمن قصيدة طويلة في قسم الشعر المشكوك في نسبته إليه، ونُسِبَ لغيرهما.

(2) البيت لأبي العتاهية، وهو في ديوان شعره: 469.

(3) سورة البقرة، الآية: 44.

(4) طرف من حديث أخرجه مسلم في صحيحه: 4/ 2059، رقم: 1017، وابن حبان في صحيحه: 8/ 102، رقم: 3308، سنن ابن ماجه: 1/ 142، رقم: 207.

(5) الذريعة إلى مكارم الشريعة: 184، والحديث والذي قبله نقلا من الإحياء: 1/ 58، وميزان العمل: 372.

رُوِيَ عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «وَيْلٌ لِلْجَاهِلِ مَرَّةً، ولِلْعَالِمِ سَبْعِينَ مَرَّةً»(1).

ومن الْعَالِمِ من لا يَتْرُكُ الْفَرائِضَ، ولكنَّهُ أحَبَّ الْمُناظَرَةَ، لِيُقالَ: فُلانٌ الْيَوْمَ فَقيهُ الْبَلَدِ، حتى اخْتَلَطَ بِلَحْمِهِ وعَظْمِهِ، فَيَتْرُكُ النَّوَافِلَ، ويَنْسَى القرآن بعد حِفْظِهِ، وإذا قامَ إلى الصَّلاةِ أَخَذَ يَتَفَكَّرُ في بابِ الْحَيْضِ، ودَقائِقِ الْجِناياتِ، وَيَعْتَذِرُ في ذلك وَيقولُ: طَلَبُ الْعِلْمِ أَفْضَلُ من صَلَاةِ النَّافِلَةِ(2).

وإنَّ الْخُشوعَ ليس مِنْ شَرائِطِ صِحَّةِ الصَّلاةِ. مع أَنَّهُ رُوِيَ عن الْأُسْتاذِ أبي عليٍّ الدَّقَّاقِ أنَّهُ كان يَقولُ: مَنِ اسْتَهانَ بِأَدَبٍ من آدابِ الإِسْلامِ، عُوقِبَ بِحِرْمانِ السُّنَّةِ، ومَنْ تَرَكَ سُنَّةً، عُوقِبَ بِحِرْمانِ الْفَريضَةِ، ومَنِ اسْتَهانَ بالْفَرائِضِ، قَيَّضَ الله مُبْتَدِعًا يُوقِعُ عنده باطِلًا، فيوقِعُ في قَلْبِهِ شُبْهَةً(3). انْظُرْ أَيُّهَا الْفَقيهُ إلى أيْنَ انْتَهى تَرْكُ الأَدَبِ والنَّوافِلِ.

ولا بُدَّ لِلعالِمِ من الْوَرَعِ لِيَكونَ عِلْمُهُ أَنْفَعَ، وفَوائِدُهُ أَكْثَرَ. رُوِيَ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قالَ: «مَنْ لَمْ يَتَوَرَّعْ فِي تَعَلُّمِهِ ابْتَلَاهُ اللهُ بِإِحْدَى ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: إِمَّا أَنْ يُمِيتَهُ فِي شَبابِهِ، أو يُوقِعَهُ في الرَّسَاتِيقِ، أو يَبْتَلِيَهُ بِخِدْمَةِ السُّلطانِ»(4).

(1) الكافي شرح البزودي: 5/ 2397، كشف الأسرار شرح أصول البزودي: 1/ 13.

(2) من أقوال الإمام الشافعي، تنظر حلية الأولياء: 9/ 119.

(3) طبقات الشافعية الكبرى: 4/ 330.

(4) تعليم المتعلم: 26.

وَمِنَ الْوَرَعِ: أن يَتَحَرَّزَ عن الشِّبَعِ وكَثْرَةِ النَّوْمِ، وكَثْرَةِ الكلامِ فيما لا يَعْنيهِ، وعن أكْلِ طعامِ السُّوقِ، فإنَّهُ أقربُ إلى النَّجاسَةِ والْخَباثَةِ والْغَفْلَةِ، وأبْعَدُ عن ذِكْرِ الله، وَيُذْهِبُ بَرَكَتَهُ بِوُقوعِ أبْصارِ الْمَحَاوِيجِ والْفُقَراءِ، وَيَنْبَغِي أنْ يَتَحَرَّزَ عن الْغِيبَةِ ومُجالَسَةِ الْمِكْثَارِ. وَقيلَ: مَنْ أكْثَرَ الْكَلامَ يُسْرَقْ عُمُرُهُ، ويُضَيِّعُ أَوْقاتَهُ؛ وَيَجْتَنِبَ مِنْ أَهْلِ الْفسادِ وَالْمَعاصي، وَأَهْلِ الْعُطْلَةِ، إذِ الْمُجاورَةُ مُؤَثِّرَةٌ. وَيَنْبَغِي أنْ يَخْتَلِطَ مع صاحِبِ الطَّبْعِ الْمُسْتَقيمِ وَالْأَذْكِياءِ، وَيَفِرَّ من الْكَسْلانِ والْمُفْسِدِ والْفَتَّانِ. [الطويل]

عَنِ الْمَرْءِ لا تَسْأَلْ وَسَلْ عن قَرِينِهِ فَكُلُّ قَرِينٍ بـالْمُقَارَنِ يَقْتَـدِي[1]

ومِنَ الْعُلماءِ مَنْ يَسْتَهِينُ بِصَغائِرِ الذُّنوبِ؛ كَالْغِيبَةِ، والِاسْتِهْزاءِ بِخَلْقِ الله تعالى، وغَيْرِ ذلك، أو كان له مَعْصِيَةٌ ابْتَلاه الله بها فلم يَسْتَتِرْ، وقال: عِلْمُنَا يُغَطِّي مَعْصِيَتَنَا. وهذا جَهْلٌ لا عِلْمٌ، إذِ الْمَعْصيةُ سِتْرُهَا واجِبٌ، سِيَّمَا مِنَ الْعالِمِ، لأنه يُقْتَدى به.

وَلِذَلِكَ كان بعضُ الْعارِفينَ لا يَظْهَرُ لِتِلْمِيذِهِ إلا على أشْرَفِ أحْوالِهِ خَوْفًا أن يُقْتَدَى به. فَيَنْبَغي لِلْعالِمِ الْكَفُّ عن صِغارِ الْمَعاصي فَضْلًا عن كِبارِها، فإنْ هو لم يَكُفَّ، فلا أقَلَّ من التَّسَتُّرِ صِيانَةً لِمَنْصِبِ الْعِلْمِ [الْجَليلِ][2].

ومن جُمْلَةِ أحْوالِهِمُ الشَّنيعَةِ: أن يَطْعَنوا في أُمَّةٍ قد سَلَفَتْ، والِاشْتِغالُ بِعُلَماءَ قد مَضَوْا، سِيَّمَا الْمُخالِفينَ في الْعَقائِدِ، حَتَّى إنَّ بَعْضًا مِنَ الْمُتَعَصِّبينَ

---

(1) البيت لطرفة بن العبد، وهو في ديوان شعره: 32.

(2) زيادة من قونيا.

مِنَ الْأَشاعِرَةِ يُكَفِّرونَ الْحنابِلَةَ، وَبَعْضٌ من الْحَنابِلَةِ يُكَفِّرونَ الْأَشاعِرَةَ. إلَّا أنَّ هذا مُنْكَرٌ من الْقَوْلِ وزُورٌ، إذِ الْأَئِمَّةُ الْمُعْتَبَرونَ من الْحَنَفِيَّةِ والشَّافِعيَّةِ والمالِكِيَّةِ والحَنابِلَةِ والأشاعِرَةِ، مَذْهَبُهُمْ على أن لا يُكَفَّرَ أحَدٌ من أهْلِ الْقِبْلَةِ، فلم هذا التَّعَصُّبُ؟ وما لنا لا نَسْكُتُ عن أَقْوامٍ مَضَوْا إلى رَبِّهِمْ، ولم نَدْرِ على ماذا مَاتُوا[1]. هذا الَّذِي فَعَلوهُ والله مِمَّا[2] لا يَنْبَغِي.

الْوَظِيفَةُ التَّاسِعَةُ:

في آدابِ الدَّرْسِ والْفَتْوَى وَالْقَضاءِ وَالتَّذْكيرِ

أَمَّا آدابُ الدَّرْسِ: أنْ يَكْظِمَ غَيْظَهُ عِنْدَ التَّعليمِ، ولا يَخْلِطَهُ بِهَزْلٍ فَيَقْسُوَ قَلْبُهُ. ولا يَضْحَكَ فيه، ولا يَلْعَبَ فَيَموتَ قَلْبُهُ. وَيَسْتَعْمِلَ الْحِلْمَ وَالْوَقَارَ والتُّؤَدَةَ والرِّفْقَ والْمُداراةَ فيما يَنْوِيهِ مِنَ الْأُمورِ، ولا يُبالِيَ إذا لم يُقْبَلْ قَوْلُهُ. وَيَقولَ: إنَّما عَلَيَّ الْبَلاغُ والْهِدايَةُ والتَّوفيقُ من الله تعالى.

ولا بَأْسَ بِأَنْ يَمْتَحِنَ فَهْمَ الْمُتَعَلِّمِ، ويَبْحَثَ عن حِرصِهِ على الْعِلْمِ. فإنَّ النَّبِيَّ صلَّى الله عليه وسَلَّمَ كان يُجَرِّبُ أَصْحابَهُ بِنَحْوٍ من ذلك. كما قالَ: «إنَّ من الشَّجَرِ شَجَرَةً لا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وإنَّها مِثْلُ الْمُسْلِمِ. فَحَدِّثُونِي: ما

(1) ينظر معيد النعم ومبيد النقم: 70.

(2) ما، في قونية ومراد ملا.

هي؟ فَوَقَعُوا في شَجَرِ الْبَوَادِي، وَوَقَعَ في نَفْسِ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أنَّهَا النَّخْلَةُ، فاسْتَحْيَى أن يَسْبِقَ الأَكَابِرَ بِذِكْرِهَا»[1].

وفي هذا الْحَديثِ إِشارةٌ إلى أنَّ الصِّغارَ لا تَتَقَدَّمُ الْكِبارَ في الْكَلامِ، اللَّهمَّ إلَّا أنْ يُفْهَمَ الإِذْنُ الْعَامُّ.

وَيَنْبَغِي أَنْ لا يُجادِلَ في الْعِلْمِ، ولا يُمَارِيَ في الْحَقِّ، فإنَّهُ يَفْتَحُ بابَ الضَّلالِ، ويَتَذَكَّرَ ما يَحْفَظُهُ في نَفْسِهِ لِيَنْجَحَ ويَرْسَخَ، ويُفِيدَ ما يُحتَاجُ إليه دونَ ما يُسْتَغْنى عنه. وإنْ كان الطُّلابُ مُبْتَدِئينَ لا يُلْقِي عليهم الْمُشْكِلاتِ، بل يُدَرِّبُهُمْ، ويَأْخُذُهُمْ بِالْأَهْوَنِ فَالْأَهْوَنِ. وإن كانوا مُنْتَهينَ، لا يُلْقِي عليهم الْواضِحاتِ، بل يَدْخُلُ بهم في مُشْكِلاتِ الْفِقْهِ، ويَخوضُ بهم عُبابَهُ الزَّاخِرَ.

ومِنْ أَقْبَحِ الْمُنْكَراتِ أنْ يَنْظُرَ الْمُدَرِّسُ كُلَّ يَوْمٍ في عِدَّةِ سُطورٍ ويَفْهَمَها، ويُلَقِّنَها الْمُتَعَلِّمَ، ولا يوجَدَ في ذِهْنِهِ الْمَعْلوماتُ في جَميعِ الْأَبْوابِ، أو في أَكْثَرِها. فإنَّ هذا يُطَرِّقُ[2] الْعَوامَّ إلى رَوْمِ مَنْصِبِ التَّدْريسِ، إذ قَلَّما يوجَدُ عامِّيٌّ لا يَقْدِرُ على فَهْمِ عِدَّةِ سُطورٍ[3].

وهذه الْبَلِيَّةُ شاعَتْ في زَمانِنا، ولهذا اجْتَرَأَ الْجُهَّالُ على الدُّخولِ في مَنْصِبِ التَّدريسِ. وبهذا انْدَرَسَ رَوْنَقُ الْمَدَارِسِ ورُسومُ الْعِلْمِ. ثم إنَّ مِثْلَ

(1) صحيح البخاري: 1/ 22، رقم: 61، صحيح مسلم: 4/ 2164.
(2) تَطَرَّقَ إلى الأمر: ابْتَغَى إليه طَرِيقًا. اللسان: طرق.
(3) معيد النعم ومبيد النِّقم: 84.

هؤلاء هم السَّبَبُ في انْدِراسِ الْعِلْمِ. ومع ذلك فَهُمْ يُعاتِبونَ الزَّمانَ. سَيَجْزيهِمُ الله تعالى بما فَعَلوهُ. والله الرَّقيبُ على كلِّ شيءٍ.

قُلْتُ في هذا الْمَعْنَى: [الطويل]

فَوَا أَسَـفًا رَسْـمُ الْمَدَارِسِ دَارِسٌ   فَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ[1]

وينبغي أن يَنْوِيَ بِتَعْليمِهِ إرْشادَ عبادِ الله إلى الْحَقِّ، ودَلالَتَهُمْ على ما يُصْلِحُهُمْ، ويَقْطَعَ الطَّمَعَ عن الْمُتَعَلِّمِ. وَيَنْبَغِي: أن يُقَرِّبَ الْفَقيرَ، ويَتَواضَعَ له، ويَعْطِفَ على الْمُتَعَلِّمِ، ويَبْدَأَ بِأَقْرَبِ ما يَفْتَقِرُ، وَأَهَمِّ ما يُغْنيهِ[2] في مَعاشِهِ ومَعادِهِ، ويُكَلِّمَ كلَّ صِنْفٍ بما يَبْلُغُهُ عَقْلُهُ، ويُدْرِكُهُ فَهْمُهُ. ولا يُجيبَ مُتَعَنِّتًا في سُؤَالِهِ، ولا ما يُلْقَى عليه مِنَ الْأُغْلوطاتِ.

ومن جُمْلَةِ آدابِ الدَّرْسِ: أنْ يَنْظُرَ في الطَّالِبِ إنْ كان له زيادَةُ فَهْمٍ، بحيثُ يقدِرُ على حَلِّ الْمُشْكِلاتِ، وكَشْفِ الْمُعْضِلاتِ، يَهْتَمُّ لِتَعْليمِهِ أشَدَّ الِاهْتِمامِ، وإلَّا فَيُعَلِّمُهُ قَدْرَ ما يعرِفُ الْفَرائِضَ والسُّنَنَ، ثم يَأْمُرُهُ باشْتِغالِ الِاكْتِسابِ، ونَوافِلِ الطَّاعاتِ، لكنْ يَصْبِرُ في امْتِحانِ ذِهْنِهِ مِقْدارَ ثلاثِ سنينَ.

---

(1) البيت لطاش كبري زاده، وهو من بيتين شطر فيها معلقة امرئ القيس، ينظر: العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم الملحق بالشقائق النعمانية: 340.

(2) يعينه، في أنطاليا.

وأمّا آدابُ الْفَتْوى: فَاعْلَمْ أنَّ السَّلَفَ لم يُجَوِّزُوا الِاجْتِرَاءَ على تَقَلُّدِ الْفُتْيا لقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَجْرَؤُكُمْ على النَّارِ، أَجْرَؤُكُمْ على الْفُتْيَا»[1].

وإِنَّ ظَهْرَ الْمُفْتِي جِسْرُ النَّاسِ إلى جَهَنَّمَ فيما يُحِلُّ وَيُحَرِّمُ من الْمالِ والدَّمِ والْفَرْجِ. فالسُّنَّةُ أنْ لا يَتَقَلَّدَ الْفَتْوى عن طَوْعِ قَلْبٍ، وطِيبِ نَفْسٍ، إلَّا أنْ يُكْرَهَ عليه بالْوَعيدِ الشَّديدِ، ولا يَسْتَعْمِلَ الْإِمامُ أيْضًا من يَطْلُبُهُ، فإنْ طَلَبَهُ وُكِلَ إلى نَفْسِهِ، وإنْ أُكْرِهَ عليه سُدِّدَ فيه[2].

وكان السَّلَفُ يَعُدُّونَ السُّكُوتَ والِاسْتِماعَ أفضَلَ من الْكَلامِ، والْخُمولَ أشرَفَ من النَّبَاهَةِ، فلم يكن أحدٌ منهم إلَّا وَدَّ أنَّ أخاهُ كَفاهُ الْحَديثَ والْفُتْيا.

وَكانَ عُمَرُ رضي الله عنه ربَّما يَجْمَعُ أهْلَ بَدْرٍ كُلَّهُمْ في واقِعَةٍ، ولا يَحْكُمُ فيها بِرَأْيِهِ. لكن إنْ لم يكنْ له بُدٌّ منها، بأنْ لا يوجَدَ أَفْضَلُ منه، أو أكْرِهَ عليه، إذ حينئذٍ يُفْتَرَضُ عليه. فعليه أنْ لا يُفْتِيَ إلَّا فيما يَقَعُ من الْمُهِمَّاتِ الدِّينيَّةِ، دونَ الْغَوامِضِ الْغَريبَةِ. وإن سُئِلَ عَمَّا يَشُكُّ فيه، يَقولُ: لا أَدْرِي، فإنَّ لا أَدْرِي نِصْفُ الْعِلْمِ.

---

(1) سنن الدارمي: 1/ 258، رقم: 159، سنن أبي داود: 5/ 403، رقم: 3577، جمع الجوامع: 1/ 157.
(2) مصنف ابن أبي شيبة: 4/ 542، سنن ابن ماجه: 2/ 774، سنن الترمذي: 3/ 7.

وسُئِلَ الإمامُ مالِكٌ عن أَرْبَعينَ مَسْأَلَةً. فَقالَ في سِتٍّ وَثَلاثينَ: لا أَدْري، مع أَنَّهُ من الْأَئِمَّةِ الْمُجْتَهِدِينَ اتِّفاقًا. وتَوَقُّفُ أبِي حَنيفَةَ في سِتِّ مَسائِلَ مَشْهورٌ[1]. وكذا يُحْكَى الْجَوابُ بلا أَدْرِي عن كَثيرٍ من عُلَماءِ السَّلَفِ.

وَيَنْبَغِي أنْ لا يَطْلُبَ بالْفُتْيا سِيادةً ولا رِئاسَةً، ولا إقبالَ النَّاسِ عليه، ولا سَبْيَ قُلوبِهِمْ لِجَلْبِ النَّفْعِ منهم، وكَسْبِ الْجاهِ منهم. بل كان نِيَّتُهُ حِسْبَةَ الثَّوابِ مِنَ اللهِ عَزَّ وجَلَّ. وابْتِغاءً لِمَرْضاتِهِ، وإعْلاءً لِكَلِمَتِهِ، ونُصْرَةً لدينِهِ، وأداءً للأمانَةِ عندهم، إلى مَنْ يَعْقُبُهُمْ من إخْوانِ الدِّينِ، فإن ذلك فَرْضٌ عليه.

وأَمَّا شَرائِطُ الْفَتْوى: قال الْإِمامُ مُحَمَّدٌ: إذا كان صَوابُهُ أَكْثَرَ مِنْ خَطَئِهِ يَحِلُّ له أنْ يُفْتَيَ ـ يعني بِرَأْيِهِ ـ رَواهُ عنه أبو نَصْرٍ الْعِراقِيُّ.

وقال أبو يوسُفَ: ـ وقد شَدَّدَ الْأَمْرَ فيه ـ لا يَحِلُّ له أن يُفْتِيَ حتَّى يَعْرِفَ[2] أَحْكامَ الْكِتابِ والسُّنَّةِ، والنَّاسِخَ والْمَنْسوخَ، وَأَقاويلَ[3] الصَّحابَةِ، والْمُتَشَابِهَ، وَوُجوهَ الْكَلامِ.

---

(1) ينظر: تيسير التَّحرير لأمير بادشاه: 1/ 11.

(2) يعلم، في مراد ملا.

(3) أقوال، في مراد ملا.

وعن أبي يوسُفَ، وَزُفَرَ، وعافِيَةَ بنِ يَزيدَ[1] أَنَّهمْ قالوا: لا يَحِلُّ لأحَدٍ أن يُفْتِيَ بِقَوْلِنا ما لم يَعْلَمْ من أينَ قُلنا، وإنْ كانَ حافِظًا كُتُبَ أَصْحابِنا لا بأسَ بالْجَوابِ على وَجْهِ الْحِكايَةِ. وإِنْ كَانَ غَيْرَ حَافِظٍ لا يَسَعُهُ الْقِياسُ، إلَّا أن يَعْرِفَ طُرُقَ الْمَسائِلِ، ومَذاهِبَ الْقَوْمِ[2].

قالَ أبو بَكْرٍ: وإن حَفِظَ جميعَ كُتُبِ أصْحابِنا، فلا بُدَّ أن يُتَلْمِذَ لِلْفَتْوى[3] حتَّى يَهْتَدِيَ إليه.

وقيلَ: يَنْبَغِي لِكُلِّ مُفْتٍ أنْ يَنْظُرَ إلى عادَةِ أهْلِ بَلَدِهِ فيما لا يُخالِفُ الشَّريعَةَ.

وَيَنْبَغي أن لا يُجيبَ مُتَعَنِّتًا في السُّؤالِ، ولا مَنْ يُلْقِي إليه مِنَ الأُغْلوطاتِ والْعَويصاتِ، وَيَحْرُمُ على السَّائِلِ إلْقاءُ ذلِكَ على الْعُلَماءِ، فإِنَّ حاصِلَهُ يَؤولُ إلى اسْتِخْفافٍ بالْعُلَماءِ، وتَهاوُنٍ بالدِّينِ.

ويَنْبَغي أنْ يَتَجَنَّبَ[4] الْمُفْتي عن تَتَبُّعِ الرُّخَصِ لِلْأُمَراءِ، وتَخْصيصِهم بذلك من بين الْعَوامِّ، مثلَ أنْ يَقولَ: لَعِبُ الشَّطْرَنْجِ حلالٌ عند الشَّافِعِيِّ، والْمُجاوَزَةُ عن الْحُدودِ في التَّعْزِيراتِ جائِزَةٌ[5] عند مالِكٍ، وبَيْعُ الْوَقْفِ إذا خَرِبَ وتَعَطَّلَتْ

---

(1) عافية بن زيد، في النسخ الخطية، والصحيح عافية بن يزيد الأودي القاضي الكوفي، من جلة أصحاب الإمام أبي حنيفة (ت. نحو 180هـ)، ترجمته في: تاريخ بغداد: 2/ 307، والجواهر المضية في طبقات الحنفية: 1/ 267، 543؛ وسير أعلام النبلاء: 7/ 398؛ وتهذيب التهذيب: 5/ 53.

(2) ينظر عيون المسائل للسمرقندي: 485.

(3) المفتي للفتوى، في أنطاليا.

(4) يجتنب، في قونية ورئيس الكتاب.

(5) جائز، في رئيس الكتاب.

مَنْفَعَتُهُ، ولم يكن له ما يُعَمَّرُ به، حَلالٌ عند أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ. وتَتَبُّعُ الرُّخَصِ وَإِنْ كانَ جائِزًا على ضُعْفٍ. لكن ذلك ابْتِلاءُ الضَّعَفَةِ بِسَبَبِ عَدَمِ الإِسْتِطاعَةِ.

وأمَّا تَخْصيصُ الْأُمَراءِ بِذَلِكَ، وتَخْصيصُ الْمُفْتي مَنْ يَشاؤُهُ بذلك، مِنْ غَيْرِ اعْتِقادِهِ بالصِّحَةِ، وإلَّا لَأَفْتى على الْعُمومِ مِنْ غَيْرِ تَخْصيصٍ بِالْبَعْضِ، فَمِنْ عَلاماتِ الِاسْتِهانَةِ بدينِ الله. نَعوذُ بالله من الْخِذْلانِ. وما هذا الْمُفْتي إلَّا ضالٌّ، خَارِقٌ لِحِجابِ الْهَيْبَةِ، مُسْقِطٌ لأَبَّهَةِ الشَّرْعِ، مُفْسِدٌ لنظامِ الدِّينِ[1].

قالَ بعضُ السُّفهاءِ من الشُّعَراءِ وَأَهْلِ الْمُجونِ: [الكامل]

الشَّافِعِيُّ من الْأَئِمَّةِ قَائِلٌ ... اللَّعْبُ بالشَّطْرَنْجِ غَيْرُ حَرَامِ[2]

وأبو حَنِيفَةَ قالَ وَهْوَ مُصَدَّقٌ ... في كُلِّ ما يَرْوِي من الْأَحْكَامِ

شُرْبُ الْمُثَلَّثِ والْمُرَبَّعِ جَائِزٌ ... فَاشْرَبْ على أَمْنٍ مِنَ الْآثامِ

وَأَبَاحَ مَالِكٌ الْفِقَاحَ تَكَرُّمًا ... في ظَهْرِ جَارِيَةٍ وظَهْرِ غُلَامِ[3]

والْحَبْرُ أَحْمَدُ حَلَّ جَلْدَ عُمَيْرَةٍ ... وبِذَاكَ يُسْتَغْنَى عن الْأَرْحَامِ[4]

فَاشْرَبْ وَلُطْ وَازْنِ وَقَامِرْ وَاحْتَجِجْ ... في كُلِّ مَسْأَلَةٍ بِقَوْلِ إِمَامِ

والرَّأْيُ الْحَقُّ في مِثْلِ هذا الشَّاعِرِ أنْ يُضْرَبَ بالسِّيَاطِ، ويُطافَ به في الْأَسْواقِ، فَقَبَّحَهُ اللهُ وَأَخْزاهُ كيف اجْتَرَأَ على أَئِمَّةِ الْمُسْلِمينَ، وهُداةِ الْمُؤْمِنِينَ، وقدِ افْتَرى على مالِكٍ فيما عَزاهُ إليه، وعلى غَيْرِهِ في تَسْمِيَةِ

---

(1) معيد النعم ومبيد النقم: 80

(2) الأبيات في المصدر نفسه بدون نسبة: 81.

(3) الفِقاح: جمع فقحة، وهي الدبر. اللسان: فقح.

(4) جلد عميرة كناية عن الاستمناء باليد.

الشَّطرنْجِ قِمارًا، وإطْلاقِ الشُّرْبِ واللِّواطِ والزِّنا على ما سَمَّاهُ[1]، ولَعَلَّ الْأَصْلَ في هذا قَوْلُ أبي نُواسٍ: [الطويل]

أَبَـاحَ الْعِرَاقِيُّ النَّبِيـذَ وَشُـرْبَـهُ وَقالَ حَرَامَانِ الْمُدَامَةُ والسُّكْرُ[2]
وقالَ الْحِجَازِيُّ الشَّـرَابَانِ وَاحِدٌ فَحَلَّتْ لنا مِنْ بَيْنِ قَوْلَيْهِمَا الْخَمْرُ

أَرَادَ بالْعِرَاقِيِّ: أبا حَنيفَةَ، وبالْحِجازِيِّ: الشَّافِعِيَّ. وادَّعى الشَّاعِرُ أنَّ أبا حَنيفَةَ قالَ بِحِلِّ النَّبِيذِ، وأنَّ الشَّافعِيَّ قال النَّبيذُ والْخَمْرُ واحدٌ، فَيَلْزَمُ من قَولِهِما حِلُّ الْخَمْرِ. وليس كذلك. إذِ الشَّافِعِيُّ قال: إنَّهما واحِدٌ في الْحِرْمَةِ لا في الْحِلِّ. وهذا الْقَوْلُ إنْ صَدَرَ عن اعْتِقادٍ فَزَنْدَقَةٌ وَالْعِياذُ بالله. إلَّا أنَّ الظَّاهِرَ من حالِ أبي نُواسٍ أنَّهُ لم يَقْصِدْ إلَّا نَوْعًا من الْمُجونِ الَّذِي لا يَخْلو عنه الْأُدَباءُ. ولَكِنَّ الْمُجونَ في هذا الْبابِ قَبيحٌ جِدًّا، لِأَنَّهُ تَلاعُبٌ بِدينِ اللهِ[3].

وَيَنْبَغِي أنْ يَكونَ الْمُفْتي بابُهُ مَفْتوحًا، ومُسْتَفْتِيهِ غَيْرَ مَرْدُودٍ.

قال الْفَقِيهُ أبو اللَّيْثِ رَحِمَهُ الله: يُرادُ مِنَ الْعُلَماءِ عَشَرَةُ أَشْياءَ: الْخَشْيَةُ، والنَّصيحَةُ، والشَّفَقَةُ، والاِحْتِمالُ، والصَّبْرُ، والْحِلْمُ، والتَّواضُعُ، والْعِفَّةُ عن أَموالِ النَّاسِ، والدَّوامُ على النَّظَرِ في الْكُتُبِ، وقِلَّةُ الْحُجَّابِ، وهو أنْ يَكونَ بابُهُ مَفْتوحًا لِلوَضيعِ والشَّريفِ، فإنَّهُ بَلَغَنا أنَّ داودَ عليه السَّلام إنَّما ابْتُلِيَ مِنْ شِدَّةِ الْحُجَّابِ.

---

(1) معيد النعم ومبيد النقم: 81.
(2) البيتان في المصدر نفسه: 81.
(3) المصدر نفسه: 81-82.

ومِنْ آدابِ الْفُتْيا: أنْ لا يُصِرَّ على الْخَطَإِ، ولا يَسْتَكْبِرَ عن قَبُولِ الْحَقِّ، وإنْ كانَ مِمَّنْ هو دونَهُ، وَقَدْ وَقَعَ مِنْ أَبِي حَنيفَةَ الرُّجوعُ إلى قَوْلِ تَلامِذَتِهِ، خُصوصًا أبو يوسُفَ ومُحَمَّدٌ. وَيَنْبَغِي أنْ لا يُنَازِعَ أَحَدًا ولا يُخَاصِمَهُ، لأَنَّهُ يُضَيِّعُ أَوْقاتَهُ.

قيلَ: الْمُحْسِنُ سَيُجْزَى بِإِحْسانِهِ، والْمُسيءُ سَتكْفيهِ مَساويهِ.

وعليه أنْ يَشْتغِلَ بِمَصالح نَفْسِهِ، لا بِقَهْرِ عَدُوِّهِ.

قيلَ: مَنْ أَرادَ أنْ يُرْغِمَ أَنْفَ عَدُوِّهِ فَلْيُحَصِّلِ الْعِلْمَ.

إيَّاكَ والْمُعاداةَ، فإنَّها تَفْضَحُكَ، وتُضَيِّعُ أوْقاتَكَ. وعليك بالتَّحَمُّلِ لا سِيَّمَا من السُّفَهاءِ.

قالَ عيسى بنُ مَريمَ عليه السَّلامُ: احْتَمِلوا من السَّفيهِ واحِدًا كي تَرْبَحوا عَشْرًا. وإيَّاكَ وظَنَّ السَّوْءِ، فإنَّهُ مَنْشَأُ الْعَداوَةِ، ولا يَحِلُّ ذلك، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ظُنُّوا بِالْمُؤْمِنِينَ خَيْرًا»[1].

وإنَّما يَنْشَأُ ذلِكَ من خُبْثِ النِّيَّةِ، وسُوءِ السَّريرَةِ، كما قال أبو الطَّيِّبِ: [الطويل]

إذا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ وَصَدَّق مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ[2]
وَعَادَى مُحِبِّيهِ بِقَوْلِ عُدَاتِهِ وأَصْبَحَ في لَيْلٍ من الشَّكِّ مُظْلِمِ

---

(1) لم نقف عليه بهذا اللفظ، ومعناه في الصحيحين بلفظ: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»، ينظر صحيح البخاري: 7/ 19، رقم: 5143، وصحيح مسلم: 4/ 1985، رقم: 2563.
(2) البيتان في شرح ديوان المتنبي للعكبري: 4/ 135.

ثُمَّ إنَّ مِمَّا يَجِبُ على الْمُفْتي: أَنَّهُ كما لا يُرَخِّصُ لِأَرْبابِ الظُّلْمِ في الْأُمورِ الشَّرعيةِ، كذلك لا يُغَلِّظُ عَلَيْهِمْ، بِحَيْثُ يُؤَدِّي إلى نُفورِهِمْ عن الانْقِيادِ للشَّرْعِ.

وَيَنْبَغِي أن يُراعِيَ في الرُّخَصِ والتَّشْدِيدِ حَالَ السَّائِلِ. يُروى أن ابنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما سُئِلَ: هل لِلْقاتِلِ تَوْبَةٌ؟ فقال: لا. وسَأَلَهُ آخَرُ. فقال: له تَوْبَةٌ. فَسُئِلَ ابنُ عَبَّاسٍ عن ذلك فقال: رأيتُ في عَيْنَيِ الْأَوَّلِ إرادَةَ الْقَتْلِ فَمَنَعْتُهُ، وأَمَّا الثَّانِي فقد جاءَ مُسْتَكِينًا قد قَتَلَ فلم أُقَنِّطْهُ.

ومِنْ ثَمَّ قالَ الصَّيْمَرِيُّ[1]: مَنْ سَأَلَهُ سائِلٌ: إنْ قَتَلْتُ عَبْدي فهل عَلَيَّ قِصاصٌ؟ يَسَعُهُ أنْ يَقولَ: إنْ قَتَلْتَهُ قَتَلْناكَ، لأنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ قَتَلَ عَبْدَهُ قَتَلْنَاهُ»[2].

ولِأَنَّ الْقَتْلَ له مَعانٍ، وهذا إذا لم يَتَرَتَّبْ على إطلاقِهِ مَفْسَدَةٌ[3].

وأيضًا يَنْبَغِي لِلْمُفتي أنْ يَتَجَنَّبَ في أَلْفاظِ جَوابِهِ عن الْإِلْغازِ، فَيوقِعَ الْخَلْقَ في جَهْلٍ عَظيمٍ، ويَقَعَ هو في أَلَمٍ كَبيرٍ. وَرُبَّما أَدَّاهُ ذلك إلى إراقَةِ الدِّماءِ لِغَرَضٍ، مِثْلَ قَوْلِ الْقائِلِ: أنا أَحْمَدُ النَّبِيِّ. وَيُريدُ بِـ"أَحْمَدُ" الْفِعْلَ، ويَجْعَلُ

---

(1) الضيمري، في رئيس الكتاب وأنطاليا ومراد ملا، ورجحنا ما ورد في نسخة قونية، ولعله يقصد أبا عبد الله الحسين بن علي بن محمد بن جعفر الصَّيْمَري الحنفي، يُنسب إلى صَيْمَرة من بلاد خوزستان، شيخ الحنفية في زمانه، وقاض وراوي حديث، (ت.436هـ). ينظر: الأنساب للسمعاني: 8/ 365، الجواهر المضية: 1/ 214، سير أعلام النبلاء: 13/ 347.

(2) سنن ابن ماجه: 3/ 674، رقم: 2662، سنن أبي داود: 6/ 570، رقم: 4515، سنن الترمذي: 3/ 78، رقم: 1414.

(3) معيد النعم ومبيد النقم: 82.

النَّبِيِّ مَنْصوبًا مَفعولًا، يَعْنِي أَحْمَدُ نَبيَّنا صلَّى الله عليه وسلَّمَ. ومِثْلَ قَوْلِ الْقائِلِ: معي ما لم يَخْلُقْهُ اللهُ، وَيُريدُ به الْقُرْآنَ. ونَحْوَ ذَلِكَ. وَحِكايَةُ بَعْضٍ من الْعُلَماءِ مع الْخَليفَةِ الْمَأمونِ شَهيرَةٌ. ولكنْ إنْ وَقَعَ مِثْلُ هذا عن أحَدٍ لا يَنْبَغِي لِلْمُفْتِي الْإِقْدامُ على التَّكْفيرِ من غير تَأَمُّلٍ وَفَحْصٍ، وإنْ كانَ الإِطْلاقُ نَفْسُهُ مُسْتَهْجَنًا ومُسْتَقْبَحًا.

وأمّا آدابُ الْقَضاءِ، فَاعْلَمْ أنَّ السَّلَفَ حَذَّروا الْعُلَماءَ عن تَقَلُّدِ الْقَضاءِ، والاجْتِرَاءِ عليه، لما رُوي أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «من جُعِلَ قَاضِيًا فكَأنَّما ذَبَحَ نَفْسَهُ بِغيرِ سِكِّينٍ»(1).

وقالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَاضِيَانِ في النَّارِ، وقَاضٍ في الْجَنَّةِ»(2).

ومِمَّا شاعَ بينَ النَّاسِ أنَّ أبا حَنِيفَةَ رَضِيَ اللهُ عنه اخْتارَ الْحَبْسَ والضَّرْبَ، ولم يَتَقَلَّدِ الْقَضاءَ. قيلَ: إنَّهُ دُعِيَ إلى الْقَضاءِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ فأبَى، حتى ضُرِبَ في كُلِّ مَرَّةٍ ثَلاثينَ سَوْطًا. فَلَمَّا كانَ في الْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ قالَ: حتى أَسْتَشيرَ أَصْحابِي. فَاسْتَشارَ أبا يوسُفَ، فقال أبو يوسُفُ: لو تَقَلَّدْتَ لَنَفَعْتَ النَّاسَ. فَنَظَرَ إليه أبو حَنيفَةَ نَظَرَ الْمُغْضَبِ، وقالَ: أَرَأَيْتَ لو أُمِرْتُ أنْ أعْبُرَ الْبَحْرَ سِباحَةً أكُنْتُ أَقْدِرُ عليه؟ وكأنِّي بِكَ قاضِيًا(3).

---

(1) مسند أحمد: 12/ 52، رقم: 7145، سنن ابن ماجه: 3/ 407، رقم: 2308، سنن أبي داود: 5/ 426، رقم: 3572.

(2) سنن الترمذي: 3/ 6، رقم: 1322، المستدرك على الصحيحين: 4/ 101، رقم: 7012، السنن الكبرى للبيهقي: 10/ 199، رقم: 20355.

(3) ينظر: شرح أدب القاضي للخصاف: 1/ 133.

ورُوي عنه أنَّهُ لمَّا تَقَلَّدَ نوحٌ[1] ـ الْجامِعُ من أَصْحابِهِ ـ الْقَضاءَ بِمَرْوَ، كَتَبَ إليه: يا نوحُ، وَرَدَ كِتابُكَ، ووَقَفْتُ على ما فيه، تَقَلَّدْتَ أَمانَةً عَظيمةً يَعْجِزُ عنها الْكِبارُ من النَّاسِ، وَأَنْتَ كَالْغَرِيقِ، واطْلُبْ لِنَفْسِكَ مَخْرَجًا، وعليكَ بالتَّقْوى، فإِنَّهُ مِلَاكُ الْأَمْرِ، والْخَلاصُ في الْمَعادِ، والنَّجاةُ من كُلِّ بَلِيَّةٍ، وبه يُدْرَكُ حُسْنُ الْعَواقِبِ.

قَرَنَ اللهُ تعالى بخيرِ الْعَواقِبِ أمورَنَا، وَوَفَّقَنَا لِمَرْضاتِهِ، إِنَّهُ سميعٌ قريبٌ.

قال بعض الْفُقَهاءِ: إذا كانَ لِلسُّلطانِ أو الْقَاضِي مِنَ الْعِلْمِ ما يَجوزُ به قَضاؤُهُ، لم يَسَعْهُ أن يَمْتَنِعَ. وإِلَّا ـ أي إِنْ لم يكن له ذلك ـ فهو في سَعَةٍ مِنَ الِامْتِناعِ.

وَقالَ بَعْضُهُمْ: لا بَأسَ بِالدُّخولِ في الْقَضاءِ لِمَنْ يَثِقُ بِنَفْسِهِ أَنْ يُؤَدِّيَ فَرْضَهُ، ويُكْرَهُ الدُّخولُ فيه لمن يَخافُ الْعَجْزَ عنه، ولا يَأْمَنُ على نَفْسِهِ الْحَيْفَ فيه. وَكَرِهَ بَعْضُهُمُ الدُّخولَ في الْقَضاءِ، وفَسَّرَ الْكَراهِيَةَ هنا بِعَدَمِ الْجَوازِ.

والصَّحيحُ من بين الْأَقْوالِ، أَنَّ الدُّخولَ فيه رُخْصَةٌ، والتَّرْكَ عَزِيمَةٌ، إِلَّا إذا كانَ هو الْأَهْلَ لِلْقَضاءِ دونَ غَيْرِهِ، فحينئذٍ يُفْتَرَضُ عليه التَّقَلُّدُ، صِيانَةً لِحُقوقِ الْعِبادِ، وإِخْلاءً لِلْعَالَمِ عن الْفَسادِ. فإذا لم يكنْ له بُدٌّ من الْقَضاءِ، فعليه أَنْ يَقْضِيَ بينَ النَّاسِ بالْحَقِّ والْإِنْصافِ، ويُعِينَ الْمَظْلومَ، ولا يَأْخُذَ الرِّشْوَةَ والْهَدِيَّةَ، لا هو ولا من يَتْبَعُهُ من أعْوانِهِ.

---

(1) يقصد نوح بن دَرَّاج النَّخعي (ت.182هـ).

وَقيلَ: يَجوزُ قَبولُ الْهَديَّةِ من ذي رَحِمٍ مُحَرَّمٍ إذا لم يكن له خُصومَةٌ، لأنه صِلَةُ الرَّحِمِ، وإذا كان له خُصومَةٌ لا تُقْبَلُ هَدِيَّتُهُ، لأَنَّهُ لأجْلِ الْقَضاءِ فَيَتَحَامَاهُ. ويَجوزُ قَبولُها مِمَّنْ جَرَتْ عادَتُهُ قَبْلَ الْقَضاءِ بِمُهاداتِهِ، لأَنَّهُ ليسَ لِلْقَضاءِ، بل جَرْيُ الْعادَةِ. ولا يَقْبَلُ الزِّيادَةَ عن الْمُعْتادِ، لأَنَّهُ يصيرُ آكِلًا بِقَضائِهِ، إلَّا أنَّ الأَحْوَطَ عَدَمُ الْقَبولِ بالْكُلِّيَّةِ، لِئَلَّا تَسْتَدْرِجَهُ النَّفْسُ إلى الزِّيادَةِ.

ولا يَخافُ السُّلْطانَ، ويقولُ الْحَقَّ بين يَدَيْهِ وإنْ كان مُرًّا، ولا يَتَكَلَّمُ بِهَواهُ في غير الْحَقِّ، ويقضي بينه وبين خَصْمِهِ بالْقِسْطِ، ويكونُ السُّلطانُ والرَّعايا والأغنياءُ والْفُقَراءُ عنده سواءً في الْحُكْمِ بينهم. ولا يَميلُ إلى أَحَدٍ منهم، ويَتَفَحَّصُ عن نُوَّابِهِ وَأَعْوانِهِ كَيْلَا يَظْلِمونَ[1] النَّاسَ، وَيَقْعُدُ ظاهِرًا كي يصلَ إليه الْغَريبُ والْفَقيرُ والخامِلُ والعاجِزُ بلا كُلْفَةٍ ومَشَقَّةٍ. ويكونُ مُسْتَمِعًا لكلام الْوَضيعِ والشَّريفِ، مُجيبًا لهم باللِّينِ والإنْصافِ، غيرَ مائِلٍ في الْحُكْمِ إلى صِنْفٍ دون صِنْفٍ، ولا يتواضَعُ لأحَدٍ لِغِنَاهُ، ولا لذي جَاهٍ لجاهِهِ، بل يكونُ تواضُعُهُ لِأَجْلِ الله تعالى، وَالْأَكْرَمُ عِنْدَهُ من هو الْأَكْرَمُ عند الله تعالى. وَيَكونُ مُحِبًّا لِأَهْلِ الْخَيْرِ، وَمُحَرِّضًا لهم على خَيْراتِهِمْ، ومُبْغِضًا لِأَرْبابِ الشُّرورِ، ناهِيًا لهم عن سُوءِ فِعالِهِمْ، ويَدُلُّهُمْ على الْخَيْراتِ، ويَهْديهِمْ إلى سَبيلِ الرَّشادِ. وَيَكونُ صادِقًا في كَلامِهِ معهم، مُسْتَقيمًا في مُعامَلَتِهِ معهم، وَعادِلا في أَحْكامِهِ بَيْنَهُمْ، وَنَاصِحًا لهم، وَداعِيًا لهم إلى الطَّاعَةِ، يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْروفِ، ويَنْهاهُمْ عن الْمُنْكَرِ.

---

(1) كذا في النسخ الخطية، والصواب حذف النون.

وَيَنْبَغِي أن يكونَ الْقاضِي وكذا الْأَمِيرُ مُحَكْمَي الرَّأْيِ، صَحِيحَي الْعَزْمِ، وكارِهَيْنِ لِعَمَلِهِما، وشَدِيدَيْنِ في غير عُنْفٍ، وَلَيِّنَيْنِ في غَيْرِ ضُعْفٍ، جَوَادَيْنِ مِنْ غير سَرَفٍ[1]، بَخيلَيْنِ مِنْ غير وَكَفٍ[2].

وَيَنْبَغِي أن يكونَ الْقَاضِي سَائِسَ الْوِلايَةِ بالْعِلْمِ، وَمُؤَيِّدَهَا بالْحِلْمِ، ومُزَيِّنَهَا بالْوَرَعِ. وَيَكونَ حَسَنَ السَّريرَةِ، وَمَرْضِيَّ السِّيرَةِ، ويَبْسُطَ يَدَيْهِ لهم بالْمَعْروفِ، وَيُؤَخِّرَ عليهم أَمْوالَهم، ويُنْصِفَ الضَّعيفَ مِنَ الْقَوِيِّ، ويَعْدِلَ بينهم. وَيَكونَ تَقِيَّ الْقَلْبِ، كَرِيمَ الْخُلُقِ، فإنَّ التُّقَى وَالْكَرَمَ رُكْنَانِ بهما صَلَاحُ الرَّعِيَّةِ. وَيَكونَ ناصِحًا لهم، رَحيمًا بهم، مُشْفِقًا عليهم، لا يَحْتَجِبُ عن ذوي الْخَلَّاتِ والْفَاقَاتِ لَيْلًا وَنَهارًا. ويكونَ دائِمَ الاِهْتِمامِ بِأَمْرِ العامَّةِ في النَّوْمِ والْيَقَظَةِ، في السَّفَرِ والْحَضَرِ. ويَعْدِلَ بين الْخَصْمَيْنِ في لَحْظِهِ وإِشَارَتِهِ ومَقْعَدِهِ، وفي كَلامِهِ، ويستعملَ معهم الْحِلْمَ، ويُكْثِرَ عنهم الْعَفْوَ والتَّجاوُزَ، ولا يُعَجِّلَ في تَغْرِيبِ الْجانِي، ويطلبَ له عن الْجِنايَةِ مَخْرَجًا، وَيَدْرَأَ الْحَدَّ عن الجاني بشُبْهَتِهِ، ويَطْلُبَ مَدْفَعًا، فإِنَّ خَطَأَهُ في الْعَفْوِ، خيرٌ من خَطَئِهِ في الْعُقوبَةِ. ولا يَقْضِيَ بين خَصْمَيْنِ إلا وهو رَيَّانُ وَشَبْعَانُ، راضٍ غيرُ غَضْبانَ.

وَالْأَوْلَى لِلْقاضِي أَنْ يُعَيَّنَ رِزْقُهُ مِنْ بَيْتِ الْمالِ، لأَنَّهُ مُشْتَغِلٌ بِحاجَةِ الْمُسْلِمينَ. وَقِيلَ: يَأْخُذُ قَدْرَ ما يَنْكِحُ زَوجةً، وَيَشْتَرِي به دابَّةً وخادِمًا ومَسْكَنًا،

(1) سراج الملوك: 140.
(2) والوَكَفُ، بِالتَّحْرِيكِ: الإِثم، وَقِيلَ: الْعَيْبُ والنقْصُ. اللسان: وكف.

فإنْ أَصابَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فهو غَالٌّ وسارِقٌ. وَجَوَّزُوا أنْ يأخُذَ الأجْرَ على كَتْبِ السِّجِلَّاتِ بِنَفْسِهِ، بِقَدْرِ ما أَخَذَ به غَيْرُهُ، لأنَّ ذلك ليسَ بواجِبٍ عليه.

وقيلَ: قاضٍ يَأْخُذُ الْأَجْرَ، فإِنَّهُ لا يَكونُ عامِلًا بِأَجْرٍ، لَكِنَّهُ يَعْمَلُ لله تعالى. وله أن يَسْتَوْفِيَ حَظَّهُ من مالِ الله تَعالى. وكذلك الْعُلَماءُ وَالْفُقَهاءُ وَأَرْبابُ الْإِفْتاءِ يَعْمَلونَ لله تعالى، ولَهُمْ أنْ يَأْخُذُوا حَظَّهُمْ من بَيْتِ الْمالِ. وكَذَلِكَ مُعَلِّمُ القُرْآنِ للنَّاسِ.

وَيقُولُ حين يَجْلِسُ لِلْقَضاءِ: اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ أنْ أُفْتِيَ بِعِلْمٍ، وَأَقْضِيَ بِحِلْمٍ، وَأَسْأَلُكَ الْعَدْلَ في الْغَضَبِ والرِّضا. ولا يَقْضي لِأَحَدِ الْخَصْمَيْنِ حتى يَسْمَعَ كَلامَ الآخَرِ ويَفْهَمَهُ على وَجْهِهِ، لِيَعْرِفَ وَجْهَ الْقَضاءِ.

وأَمَّا آدابُ التَّذْكِيرِ: فَاعْلَمْ أنَّ السَّلَفَ كانوا لا يَنْتَصِبونَ لِلْمَوْعِظَةِ والتَّعليمِ، وكانوا يَعُدُّونَ السُّكوتَ والاِسْتِماعَ أَفْضَلَ من الْكَلامِ. والْخُمُولَ أَشْرَفَ من النَّباهَةِ. وكانوا يَوَدُّونَ أنَّ صاحِبَهُ كَفاهُ الْحَديثَ والْجَوابَ، وإنْ لم يكن له بُدٌّ من ذلك. فلا بُدَّ أنْ يَدْعُوَ النَّاسَ مِنْ خَمْسٍ إلى خَمْسٍ: مِنَ الشَّكِّ إلى الْيَقينِ، ومِنَ الرِّياءِ إلى الإِخْلاصِ، ومِنَ الرَّغْبَةِ إلى الزُّهْدِ، ومِنَ الْكِبْرِ إلى التَّواضُعِ، ومِنَ الْعَداوَةِ إلى النَّصيحَةِ(1).

وَيَنْبَغِي أنْ لا يُخالِفَ قولُهُ فِعْلَهُ، بَلْ يَأْمُرُ بما هو أَوَّلُ عامِلٍ به. كما قيلَ:

[الكامل]

---

(1) الإحياء: 1/ 63.

لَا تَنْـهَ عَنْ خُلُقٍ وتَـأْتِيَ مِثْلَـهُ عَـارٌ عَلَيْـكَ إذا فَعَلْـتَ عَظِيـمُ

وَيَنْبَغِي أن يُزَيِّنَ حَديثَ النَّبي صلَّى الله عليه وسَلَّمَ بِأَحْسَنِهِ، أي يَرُدَّهُ إلى أَحْسَنِ التَّأْويلِ، وَيَحْمِلَهُ على أَسَدِّ الْوُجوهِ. ولا يُحَدِّثَ عَمَّنْ لا تُقْبَلُ شَهادَتُهُ، فإنَّ من رَوَى حَديثا يُرتابُ في صِحَّتِهِ فهو أَحَدُ الْكاذِبينَ. ولا يُحَدِّثَ إلَّا ما يَشْهَدُ[1] على صِحَّتِهِ أُصولُ الدِّين ويُصَدِّقُهُ، وأيضًا يُوافِقُهُ مَشاهيرُ الْأَخْبارِ والْآثارِ. وممَّا يُعْرَفُ به صِحَّةُ الْحَديثِ أنْ يَعْرِفَهُ قُلوبُ أَهْلِ الْبَصائِرِ، وَيُوافِقَ ذَوْقَهُمْ، ولن يُرْزَقَ هذا الذَّوْقُ[2] إلَّا لِأَهْلِ الْخُصوصِ مِنَ الْأَصْفِياءِ الْأَتْقِياءِ. ويَجْتَنِبَ الْقَصَصَ - وهو حِكاياتُ الْأَوَّلينَ - من غير ثِقَةٍ بِثُبوتِها، ولا اعْتِبارٍ ولا اتِّعَاظٍ بها. فَذِكْرُ هذه الْقِصَصِ بِدْعَةٌ حَدَثَتْ أَيَّامَ الْفِتْنَةِ.

وَيَفْتَحَ بالْحَمْدِ لله، والصَّلاةِ على النَّبي عليه السَّلام، والتَّسميةِ والاسْتعاذَةِ. ويَجْتَنِبَ اللَّحْنَ والْغَلَطَ والتَّصْحِيفَ. وَيَخْتارَ أَفْضَلَ اللُّغاتِ، وهي الْعَرَبِيَّةُ، الَّتِي هي كَلامُ أَهْلِ الْجَنَّةِ. ويَجْتَنِبَ الرَّطَانَةَ[3] وَالْفارِسِيَّةَ إلَّا عِنْدَ الضَّرورَةِ، فإنَّهما لُغَةُ أَهْلِ النَّارِ. ويَخْفِضَ صَوْتَهُ، فإنَّ أَنْكَرَ الْأَصْواتِ أَرْفَعُهَا، إلَّا بِقَدْرِ الضَّرورَةِ. ويَتكَلَّمَ بِفَصيحِ الْكَلامِ دونَ مُبْهَمِهِ، ويَجْتَنِبَ التَّفَيْهُقَ والتَّشَدُّقَ، والتَّعَمُّقَ فيه، ويُرَتِّلَ الْكَلامَ تَرْتيلًا، وَيَسْرُدَهُ سَرْدًا. فقد

---

(1) شهد، في قونيا.

(2) الرزق، في رئيس الكتاب.

(3) الرَّطانة، بِفَتْحِ الرَّاءِ وَكَسْرِهَا، والتَّراطُنُ كَلَامٌ لَا يَفْهَمُهُ الْجُمْهُورُ، وَإِنَّمَا هُوَ مُواضَعةٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ أَو جَمَاعَةٍ، وَالْعَرَبُ تَخُصُّ بِهَا غَالِبًا كَلَامَ الْعَجَمِ. لسان العرب: رطن.

«كانَ كَلَامُ نَبِيِّنَا صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ فَصْلًا يَفْهَمُهُ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ»[1]. وَلَوْ عَدَّهُ عَادٌّ لَأَحْصَاهُ، ويُفْهِمَ السَّامِعَ، فإنَّ النَّبِيَّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ «كانَ إذَا سَلَّمَ: سَلَّمَ ثَلَاثًا، وإذَا تَكَلَّمَ: تَكَلَّمَ ثَلَاثًا»[2].

وَيَتَجَوَّدَ في كَلامِهِ تَجَوُّدًا، ولا يَتَكَلَّفَ النَّظْمَ والسَّجْعَ. فإن النَّبِيَّ صَلَّى الله عليه وسلَّمَ نَهَى عن ذلك، وقالَ: «أَنَا وَأَتْقِيَاءُ أُمَّتِي بَرَاءٌ مِنَ التَّكَلُّفِ»[3].

وقالَ: «إياكُمْ وَسَجْعٌ كَسَجْعِ الْكُهَّانِ»[4].

ويُكْثِرَ في كَلامِهِ الصَّلاةَ على الرَّسولِ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ، ومن الاِسْتِغْفارِ، ومن كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، لا سِيَّمَا إذا نَسِيَ الْحَديثَ الَّذِي يُرِيدُهُ. فإِنَّهُ يُصَلِّي على النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وسلَّمَ، فربَّما يَتَذَكَّرُ، أو يَكونُ ذلك عِوَضًا عن حَديثِهِ. فإذا أَرادَ أنْ لا يَنْسى حَديثًا فَلْيَقُلِ: الْحَمْدُ للّهِ مُذَكِّرِ الْخَيْرِ.

وَيَنْبَغِي أن يُذَكِّرَ من كِتابٍ يُعْتَمَدُ عليه مِثْلَ: **"إحياءُ الْعُلومِ"**، لِلْغزالِيِّ؛ و**"رِياضُ الصَّالِحينَ"**، و **"الْأَذْكارُ"**، كِلاهُما لِلنَّوَوِيِّ؛ و**"سِلاحُ الْمُؤْمِنِ في**

---

(1) مصنف ابن أبي شيبة: 5/ 300، مسند إسحاق ابن راهويه: 3/ 983، سنن أبي داود: 7/ 208، الإحياء: 2/ 367.

(2) صحيح البخاري: 1/ 30، رقم: 94.

(3) الإحياء: 3/ 120، المقاصد الحسنة: 171، كشف الخفاء: 1/ 205.

(4) الاستذكار: 7/ 357، فتح الباري: 13/ 540، عمدة القاري: 14/ 204.

الْأَدْعِيَةِ"، لابْنِ الْإمامِ[1]؛ و"**شِفاءُ الْأَسْقامِ في زِيارَةِ خَيْرِ الْأَنامِ**"، لِلسُّبْكِيِّ. وكُتُبُ ابنِ الْجَوْزِيِّ في الْمَواعِظِ لا بَأْسَ بها[2].

وَيَنْبَغِي أَنْ لا يَأْخُذَ على وَعْظِهِ أَجْرًا من النَّاسِ، بل إنْ كانَ لا بُدَّ له من الرِّزْقِ فَلْيَأْخُذْ من بَيْتِ الْمالِ. وقد عَرَفْتَ مِقْدَارَ حَقِّهِ من بَيْتِ الْمالِ.

الْوَظيفَةُ العاشِرَةُ:

آدابُ الْعُلَماءِ في الْمَطْعَمِ والْمَلْبَسِ

ومِنْ آدابِهِمْ: أَنْ لا يَتَرَفَّهَ الْعالِمُ في الْمَطْعَمِ والْمَلْبَسِ، ولا يَتَجَمَّلَ في الْأَثاثِ والْمَسْكَنِ، بل يُؤْثِرَ الاِقْتِصَادَ في جَميعِ ذلِكَ. وَيَتَشَبَّهَ بِالسَّلَفِ الصَّالِحِ. وَكُلَّما ازْدادَ إلى جانِبِ الْقِلَّةِ مَيْلُهُ، ازْدادَ قُرْبُهُ من الله سُبْحانَهُ، وَارْتَفَعَ حِزْبُهُ في عُلَماءِ الْآخِرَةِ.

والتَّحْقيقُ أَنَّ التَّزَيُّنَ بِالْمُباحِ ليس بِحَرامٍ، ولكنَّ الْخَوْضَ فيه يوجِبُ الْأُنْسَ به، حتى يَشُقَّ تَرْكُهُ، واسْتِدامَةُ الزِّينَةِ قد تَتَوَقَّفُ على أَسْبابٍ مَحْظورَةٍ، مِنْ مُراعاةِ الْخَلْقِ والسُّلطانِ، ومُرَاءَاتِهِمْ ومُدَاهَنَتِهِمْ، وَأَمْثالِ ذلك. فالْحَزْمُ اجْتِنَابُ ذلك، لأَنَّ من خَاضَ في الدُّنيا لا يَسْلَمُ منها الْبَتَّةَ.

---

(1) أبو الفتح محمد بن محمد بن علي بن همام المصري الشافعي (ت.745هـ)، ترجمته في: توضيح المشتبه: 9/ 152، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: 3/ 65، والدرر الكامنة 5/ 469. والكتاب مطبوع.
(2) ينظر: معيد النعم ومبيد النّقم: 88-90.

وتَفْصِيلُ حالِ الْمَالِ: هو أنَّ الدُّنيا مَزْرَعَةُ الْآخِرَةِ، وأنَّ حُبَّهَا رأْسُ كُلِّ خَطيئَةٍ، فكم من غَنِيٍّ سَعيدٍ لا يُحِبُّهَا. وَكَمْ مِنْ فَقيرٍ شَقِيٍّ يُحِبُّهَا. ففيها الْخَيرُ النَّافِعُ، والسُّمُّ النَّاقِعُ. وتلك كالْحَيَّةِ تِرْياقٌ لمن عَرَفَهَا[1]، وسُمٌّ لمن جَهِلَها. ففي تَمْييزِ النَّافِعِ من الضَّارِّ منه خَمْسَةُ أَحْوالٍ:

الْأَوَّلُ: مَعْرِفَةُ رُتْبَةِ الْمالِ، واعْلَمْ أنَّ الْمُقْتَنَياتِ الْمَرغوبَ فيها، إمَّا مَخْدومٌ على الْإِطْلاقِ؛ كالْعِلْمِ الذي هو كَمالُ النَّفْسِ. أو مَخْدومٌ من جهةٍ، وخادِمٌ من جهةٍ أخرى؛ كالأحْوالِ الْبَدَنِيَّةِ، من الْمَطاعِمِ والْمَلابِسِ والْمَناكِحِ، فإنَّها تَخْدُمُ الْعِلْمَ، ويَخْدُمُها الْمالُ، الذي هو حالُ الْبَدَنِ الْخادِمِ للنَّفْسِ، أو خادِمٌ على الإطْلاقِ؛ كالدَّراهِمِ والدَّنانيرِ. فَمَنْ أَنْزَلَ كلَّ واحِدٍ من هذه الْأُمورِ في مَرْتَبَتِهِ التي تَليقُ به، صارَ داخِلًا تحت قولِهِ تَعالى: ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾[2].

وَقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ»[3].

وَمَنْ عَكَسَ الْأَمْرَ، وجَعَلَ الدَّراهِمَ والدَّنانيرَ مَخْدومًا، وَصارَ مُعْتَكِفًا بِكُنْهِ هِمَّتِهِ على تَحْصيلِهِ واقْتِنائِهِ، وَأَلْقَى شَرَاشِرَهُ[4] على حُبِّهِ، دَخَلَ تَحْتَ قَوْلِهِ

---

(1) علمها، في أنطاليا.

(2) سورة نوح، الآية: 12.

(3) مسند أحمد: 29/ 16، رقم: 17472، صحيح ابن حبان: 8/ 6، رقم: 3210، شعب الإيمان: 2/ 446، رقم: 1190.

(4) ألقى عليه شراشره: أي نفسه حرصا ومحبة، وهو أن يحبه حتى يستهلك في حبه. اللسان: شرر.

تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[1]. وقَوْلِهِ تعالى: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[2].

وقالَ الْخَليلُ صَلواتُ الله عليه وسَلامُهُ: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾[3]. أيْ هَذَيْنِ الْحَجَرَيْنِ، الذَّهَبَ والْفِضَّةَ. إذْ رُتْبَةُ النُّبُوَّةِ أجَلُّ مِنْ أنْ يَخْشَى فيها أنْ يَعْتَقِدَ الإِلَهِيَّةَ في شَيْءٍ مِنَ الْحِجارَةِ.

وَقالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّينارِ، ولا انْتَعَشَ، وإذا شِيكَ[4] فلا انْتَقَشَ[5]»[6].

فَعَلَيْكَ أنْ تَطْلُبَ الدِّرهَمَ والدِّينارَ لأجْلِ تَقْويةِ الْبَدَنِ بالْمَطاعِمِ والْمَلَابِسِ، وبَقاءِ النَّسْلِ بالْمَناكِحِ. وتَطْلُبَ تَقْوِيةَ الْبَدَنِ لأجْلِ كَسْبِ العُلومِ والْمَعارِفِ، الذي هو الْمَقْصَدُ الْأَقْصى، والْمَطْلَبُ الْأَعْلى، وإلَّا فَتَصيرُ كَمَنْ سافَرَ مع جَماعَةٍ في سَفينَةٍ مُتَوجِّهينَ إلى أشْرَفِ بَلْدَةٍ[7]، لِينالَ أَعْلى رُتْبَةٍ، فَخَرَجوا منها لِتَجْديدِ الطَّهارَةِ إلى جَزيرَةٍ ذاتِ أُسودٍ وَأَساوِدَ، وحَذَّروهُ منها، فَرَأَوْا حَجَرًا مُزَبْرَجًا، وزَهْرًا مُنَوَّرًا، فاشْتَغَلوا به عن رُفَقائِهِمْ،

---

(1) سورة التغابن، الآية: 15.

(2) سورة المنافقون، الآية: 9.

(3) سورة إبراهيم، الآية: 35.

(4) شيك الرجل يشاك شوكا: إذا وقعت شوكة. اللسان: شوك.

(5) نقش الشوكة ينقشها نقشا وانتقشها: أخرجها من رجله. اللسان: نقش. والمعنى: إذا وقع في شر فلا خلاص له منه.

(6) صحيح البخاري: 4/ 34، رقم: 2887.

(7) بلد، في قونية.

حَتَّى جَنَّ عليهم اللَّيلُ، فَثارَتْ عليهم الْأُسودُ تَفْتَرِسُهُمْ، وهَجَمَتِ عليهم الْأَساوِدُ تَنْهَشُهُمْ، فيَقولُ واحِدٌ منهم: ﴿يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾[1]. والآخَرُ: ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (28) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾[2]. والآخَرُ: ﴿يَاحَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾[3].

ولهذا قالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: يا حَمْراءُ غُرِّي غيري، ويا بَيْضاءُ غُرِّي غَيْري[4].

والثَّاني: مُراعاةُ جِهَةِ الدَّخْلِ، وهو إمَّا بالِاكْتِسابِ، أو بِالْبَخْتِ؛ كَالْمِيراثِ، أو وُجودِ دَفِينَةٍ، أو عَطِيَّةٍ غير مُتَرَقَّبَةٍ. وَأَمْرُ الْبَخْتِ لِكَوْنِهِ غَيْرَ اخْتِيارِيٍّ لا يَحْتاجُ إلى الْبَيانِ.

وأمَّا الْكَسْبُ، فَيَنْبَغِي أنْ يَأْخُذَهُ مِنَ الْوَجْهِ الْمَشْروعِ. فإنْ وَجَدَ حَلالًا طَيِّبًا فَبِها، وإلَّا فإنْ كانَ حَرامًا مَحْضًا فَلْيَجْتَنِبْهُ[5]، وكَذا وإنْ كانَ مُشْتَبِهًا والْحَرامُ غالِبٌ. وإنْ كانَ الْحَلالُ غالِبًا أو تَساوَيا، فإنْ قَدَرَ على الْحَلالِ الطَّيِّبِ فَلْيَتْرُكْهُ، فإنَّ «مَنْ حامَ حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أنْ يَقَعَ فِيهِ»[6].

---

(1) سورة النبأ، الآية: 40.

(2) سورة الحاقة، الآيتان: 28-29.

(3) سورة الزمر، الآية: 56.

(4) مصنف ابن أبي شيبة: 6/ 458، رقم: 32900، حلية الأولياء: 1/ 80، الإحياء: 4/ 203.

(5) فيتجنَّبه، في مراد ملا.

(6) صحيح البخاري: 1/ 20، رقم: 52، والنقل من الإحياء: 3/ 31.

وإنْ لم يَقْدِرْ يَأْخُذُ منه قَدْرَ الْحاجَةِ، وإنْ قَدَرَ على الْحَلَالِ، لكنْ بالتَّعَبِ واستغْرَاقِ الْوَقْتِ، فَعَلَى الْعامِلِ الْعَامِّيِّ أنْ يَخْتارَ التَّعَبَ، لأنَّ تَعَبَهُ في طَلَبِ الْحَلالِ عِبادَةٌ. وإنْ كانَ من أَصْحابِ الْقُلوبِ، فإنْ كانَ ما فاتَهُ من الْعِلْمِ والْحَالِ أَكْثَرَ من الثَّوابِ الْحاصِلِ في طَلَبِ الْحَلالِ، فله أنْ يَخْتارَ الْحَلالَ غَيْرَ الطَّيِّبِ؛ كَمَنْ غَصَّ بُلُقْمَةٍ يُسِيغُهُ بالْخَمْرِ؛ وَكَآكِلِ لَحْمِ الْخِنْزِيرِ عند الْمَخْمَصَةِ، لَكِنْ يُخْفِيهِ من الْجاهِلِ مهما أمْكَنَ. ويَتَلَطَّفُ فيه كَيْلا يُحَرِّكَ سَلاسِلَ الشَّيْطانِ، لأنَّ تناوُلَ الْعالِمِ ما زُجِرَ عنه الْجاهِلُ يُثَوِّرُ شَغَبَهُمْ.

ومِنْ هذا الْقَبيلِ ما اعْتادَهُ الْمُتَصَوِّفَةُ من الذِّكْرِ على وَجْهِ الدَّورانِ، حيث يَقولونَ: إنَّهُ حرامٌ، لكنَّهُ [قد][1] يُؤَثِّرُ في تَخْلِيَةِ الْقَلْبِ عن الشَّواغِلِ الدُّنْيَوِيَّةِ، ما لا يُمْكِنُ تَحْصيلُهُ بغيرِهِ من الْمُجاهَداتِ في أَضْعَافِ ذلك الزَّمانِ.

وهذا الْكَلامُ إنْ صَدَقَ، فَيَؤُولُ إلى ما قاله صَدْرُ الشَّريعَةِ[2] في كتاب **"تَعْدِيلُ الْعُلوم"**، في مَقاماتِ الْعارِفينَ، في بيان أنَّ الْعِشْقَ الْمَجازِيَّ قَنْطَرَةُ الْحَقيقَةِ، لأنَّ أَكْثَرَ ما زاوَلوهُ من الْمُجاهَداتِ لِتَخْلِيَةِ الْقَلْبِ عن الشَّواغِلِ الدُّنْيَوِيَّةِ.

ولا يَخْفى أنَّ الْعِشْقَ يُخْلي الْقَلْبَ عما سِوى مَحْبوبِهِ الْمَجازِيِّ. ثُمَّ نَقْلُ مَحَبَّتِهِ إلى الْمَطْلوبِ الْحَقيقِيِّ يَكونُ أيْسَرَ، لأنَّ قَطْعَ الْعَلائِقِ الْكَثيرَةِ أصْعَبُ من قَطْعِ عَلاقَةٍ واحِدَةٍ.

---

(1) سقطت من قونية.

(2) عبيد الله بن مسعود بن محمود المحبوبي البخاري الحنفي المعروف بصدر الشريعة الأصغر (ت.747هـ)، ترجمته في: الجواهر المضية: 2/ 365، وتاج التراجم: 203، والفوائد البهية في تراجم الحنفية: 109.

ثُمَّ قالَ: ولا يُبالي بِحِرْمَةِ هذا الْعِشْقِ، لأَنَّ قاطِعَ الْعَوائِقِ لا يُبالي بِحِرْمَتِهِ. ثُمَّ أَوْرَدَ نَظيرًا له من الشَّرْعِ، حيثُ قالَ: الدَّمُ الْيابِسُ إذا لم يُوجَدْ ماءٌ حارٌّ، وَعَسُرَ إزالَةُ أَثَرِهِ من الثَّوْبِ، يُغْسَلُ بالْبَوْلِ، ثُمَّ إزالَةُ الْبَوْلِ بالْماءِ الْبارِدِ يَكونُ أَيْسَرَ.

هذا كَلامٌ وَقَعَ في الْبَيْنِ. وَلْنَرْجِعْ إلى ما كُنَّا فيه.

واعْلَمْ أَنَّ طَلَبَ الْكَفَافِ من الْحَلالِ الطَّيِّبِ تَعَفُّفًا لا تَكَثُّرًا فَرْضٌ، وطَلَبَ ذلك بالْكَسْبِ الْمَشْروعِ سُنَّةٌ. وإنَّ أَطْيَبَ ما يَأْكُلُ الرَّجُلُ من كَسْبِهِ. وَكانَ الأَنْبِياءُ عليهم السَّلامُ يَحْتَرِفونَ ويَكْتَسِبونَ.

ويُبَاكِرُ في طَلَبِ الرِّزْقِ. قال النَّبِيُّ صَلَّى الله عليه وسلَّمَ: «بَاكِرُوا في طَلَبِ الرِّزْقِ، فإنَّ في الْغُدُوِّ بَرَكَةً ونَجاحًا»[1].

وَيَنْوِي بالِاكْتِسابِ التَّعَفُّفَ عن السُّؤالِ، والِاسْتِغْناءَ عن الْخَلْقِ، ولكن لا يُقْبِلُ على الْكَسْبِ إقْبالًا يَشْغَلُهُ عن ذِكْرِ الله تعالى، والْعِلْمِ والْعَمَلِ للآخِرَةِ.

وأَفْضَلُ الْمَكَاسِبِ الْجِهادُ في سبيل الله، إعْلاءً لكَلِمَتِهِ. ثم يَليها في الْفَضْلِ التِّجارَةُ، بشَرْطِ الْأَمانَةِ والصِّدْقِ والنَّصيحَةِ. ولْيَعْتَمِدْ على الله تعالى مُتَوَقِّعًا منه الرِّزْقَ والْفَضْلَ، وإذا رُزِقَ مِنْ شيءٍ فَلْيَلْزَمْهُ. فإنِ اتَّجَرَ في شَيْءٍ ثَلاثَ

---

(1) الكامل في ضعفاء الرجال: 1/ 490، المعجم الأوسط: 7/ 193، العلل المتناهية: 1/ 321، جمع الجوامع: 4/ 243.

مَرَّاتٍ فلم يُرْزَقْ منه فَلْيَتْرُكْهُ. هذا كلُّهُ حالُ الْمُتَوَسِّطينَ. وأمَّا الْكامِلونَ من أَهْلِ التَّوَكُّلِ فلهم في أَمْرِ الرِّزْقِ أَطْوارٌ وَأَحْوالٌ ذَكَرْناها في **رِسالَةِ الشِّفاءِ**[1].

الثَّالِثُ: في الْمِقْدارِ الْمَأْخوذِ منه، وَقَدْرِ الْحاجَةِ. وأَنْواعُ الْمالِ أَرْبَعَةٌ: الْمَسْكَنُ، والْمَطْعَمُ، والْمَلْبَسُ، والْمَنْكَحُ. وكُلٌّ منهما إمَّا أَدْنى، أو أَوْسَطُ، أو أَعْلَى.

أَمَّا الْمَسْكَنُ، فَأَدْناهُ: ما يُقِلُّكَ من الْأَرْضِ وَالسِّبَاعِ وَأَمْثالِها[2]، وما يُظِلُّكَ من الْفَوْقِ[3] من الْمَطَرِ والْحَرِّ، رِباطًا أو مَسْجِدًا وأمْثالَهُما. وَأَوْسَطُهُ: مِلْكٌ يَخُصُّكَ على حَدِّ الْكِفايَةِ كَمًّا وكَيْفًا، وتَخْلو فيه إلى آخِرِ عُمُرِكَ. وَأَعْلاهُ: دارٌ واسِعَةٌ، مُزَيَّنَةٌ، كَثيرَةُ الْمَرافِقِ، على ما هو عادَةُ الْمُتَرَفِّهينَ من أَهْلِ الدُّنْيا. والْأَوَّلُ: ما يَقْنَعُ به الْمُتَوَكِّلونَ والسَّالِكونَ لِطَريقِ الْآخِرَةِ. والْأَوْسَطُ: حَدُّ الْكِفايَةِ يُخِلُّ بِالتَّوَكُّلِ، ولا يُخِلُّ بالشَّرْعِ. وَالْأَعْلَى: مُخِلٌّ بالْوَرَعِ، ومُباحٌ في الشَّرْعِ إنْ أَدَّى على الْإِقْبالِ بِالدُّنْيا وَالِابْتِهاجِ بِزَخارِفِها. وإلَّا فَمُباحٌ في الْوَرَعِ أيضًا، لَكِنَّهُ حَرامٌ عند الْمُتَوَرِّعينَ، إذِ الدُّنْيا وزَخارِفُها حَرامٌ على أَهْلِ الْآخِرَةِ.

وأَمَّا الْمَطْعَمُ، فهو أَصْلٌ عَظيمٌ، إذ الْمَعِدَةُ مِفْتاحٌ لِلْخَيْراتِ والشُّرورِ. وله ثَلاثُ دَرَجاتٍ أَيْضًا:

أَدْناها: الْقُوتُ، وهو ما يَسُدُّ الرَّمَقَ، وَيَبْقَى معه الْبَدَنُ، وَيُقَوِّي على الْعِبادَةِ. وَقَدْرُ الْقُوتِ على قَدْرِ رِياضَةِ السَّالِكينَ، منهم مَنْ يَأْكُلُ في عَشَرَةِ

---

(1) **رسالة الشِّفاءِ لِأَدْوَاءِ الْبَلَاءِ**، لطاش كبري زاده (ت.968هـ)، وهي مطبوعة.

(2) ويقيك من السباع، في الإحياء.

(3) فوق، في قونية.

أيَّام، ومنهم مَنْ يَأْكُلُ في عِشْرينَ إلى أَرْبَعِينَ. وقدِ انْتَهَى بَعْضُهُمْ إلى قَدْرِ حِمِّصَةٍ كُلَّ يَوْمٍ. وهذه رُتْبَةٌ قَلَّما يَصِلُ إليها أَحَدٌ.

وَأَوْسَطُها: ثُلُثُ الْبَطْنِ. وهو الَّذِي حَدَّ له الشَّرْعُ. وما زادَ عليه فَبَطْنُهُ مَذْمومَةٌ. وكما يَنْبَغِي أنْ يَقْتَصِرَ على الْوَسَطِ من نَوْعِهِ، فكذلكَ يَنْبَغِي أنْ يَقْتَصِرَ على الْوَسَطِ من كَمِّهِ[1]. وَأَعْلاهَا كَمًّا ادِّخَارُ القُوتِ، وَكَيْفًا التَّلَذُّذُ بِالْأَطْعِمَةِ الشَّهِيَّةِ. وَالاِدِّخارُ مَذْمومٌ مُطْلَقًا. وَأَدْناها الاِدِّخارُ لِغَدٍ وَأَوْسَطُها الاِدِّخارُ لِسَنَةٍ. وَأَعْلاها الاِدِّخارُ لِمَا يُجاوِزُ السَّنَةَ. وإنْ كانَ لا بُدَّ مِنَ الادِّخارِ فَلِيَومٍ بل لِساعَةٍ فَقَطْ. وأمَّا الاِدِّخارُ لِسَنَةٍ فَجائِزٌ شَرْعًا، لَكِنَّهُ يُخِلُّ بالتَّوَكُّلِ لِلْمُبْتَدِئِينَ. وأمَّا الْكامِلونَ، فلا تَتَفاوَتُ عِنْدَهُمُ الْحالُ، فلا يُمْكِنُ حَصْرُ أَحْوالِهِمْ. وَأمَّا الادِّخارُ لِمَا فَوْقَ السَّنَةِ فَصاحِبُهُ من الْمَطْرودِينَ الَّذِي يَحْسِبُ أنَّ مالَهُ أَخْلَدَهُ[2].

وَأَمَّا الْمَلْبَسُ، فَأَدْناها كَمًّا ما يَسْتُرُ الْعَوْرَةَ، لِيُمْكِنَ له الْعِبادَةُ، وَكَيْفًا أَرْذَلُ الْأَنْواعِ وَأَخْشَنُها. وَأَوْسَطُها[3] ما يَليقُ بِحالِهِ من غَيْرِ حَرامٍ، ومن غَيْرِ تَرَفُّهٍ وَتَزَيُّنٍ. وَأَعْلاهُ، جَمْعُ ثَوْبِ الشُّهْرَةِ كَمًّا، وَاخْتِيارُ الْأَزْيَنِ وَالْأَلْيَنِ كَيْفًا، على ما عليه أَبْناءُ الدُّنْيا، والْمُقْبلينَ[4] على مُزَخْرَفاتِها.

---

(1) من نوعه، في قونية ورئيس الكتاب وأنطاليا.

(2) وظف المصنف الآية 3 من سورة الهمزة لتتميم مراده من الكلام.

(3) وأوسطه، في أنطاليا ومراد ملا. وأوسط، في رئيس الكتاب.

(4) كذا في النسخ الخطية وحقه الرفع في السياق.

وَأَمَّا الْمَنْكَحُ، فَاللَّائِقُ بالسَّالِكِينَ إلى طَرِيقِ الْآخِرَةِ التَّجَرُّدُ والصَّبْرُ على مَضَضِ الْعُزُوبَةِ، لئلا يُفْضِيَ إلى الْحِرْمانِ عن الْمَطْلَبِ الأعْلى.

قالَ أبو حَنيفَةَ رضي الله عنه في وَصاياهُ لأبي يوسُفَ: واطْلُبِ الْعِلْمَ أوَّلًا، ثُمَّ اجْمَعِ الْمالَ من الْحَلالِ، ثُمَّ تزَوَّجْ، فإنَّكَ إنْ طَلَبْتَ الْمالَ في وَقْتِ التَّعَلُّمِ عَجَزْتَ عن طَلَبِ الْعِلْمِ. رُبَّما دَعاكَ الْمالُ إلى شِراءِ الْجَواري والْغِلْمانِ، وتَشْتَغِلُ بِالدُّنْيا والنِّساءِ قَبْلَ تَحْصيلِ الْعِلْمِ، فإنَّهُ يَضيعُ وَقْتُكَ، ويُجْمَعُ عَلَيْكَ الْوَلَدُ، ويَكْثُرُ عِيالُكَ، فَتَحْتاجُ إلى الْقِيامِ بِحَوائِجِهِمْ فَتُحْرَمُ الْعِلْمَ. فَاشْتَغِلْ بِالْعِلْمِ في عُنْفُوانِ عُمُرِكَ، وَوَقْتِ فَراغِ قَلْبِكَ وَخاطِرِكَ، ثُمَّ تَجْمَعُ الْمالَ من الْحَلالِ. هذا كَلامُهُ.

ثُمَّ إنَّ اللَّائِقَ بالْعَوامِّ الْعامِلينَ، وَبِأَهْلِ الْعِرْفانِ الْكامِلينَ، التَّأَهُّلُ، ويُفْتَرَضُ في الْعوامِّ إنْ تاقَتْ نَفْسُهُ، وإلَّا فَيُسَنُّ. وفي الْكامِلينَ مَسْنونٌ لا غَيْرُ. إذْ ليس في أَنْفُسِهِمُ التَّوَقَانُ إلى الْأُمورِ الدُّنيويَّةِ، من حيثُ إنَّها شاغِلَةٌ عن الْمَطْلَبِ. وإنَّما يَميلونَ إليها إقامَةً لِلسُّنَّةِ الْوارِدَةِ في قَوْلِهِ صَلَّى الله عليه وسَلَّم: «حُبِّبَ لِي مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثٌ: النِّسَاءُ، والطِّيبُ، وقُرَّةُ عَيْنِي في الصَّلَاةِ»[1]. وَتكْثيرًا لِسَوادِ الإِسْلامِ، وَإِبْقاءً لِنَسْلِ الْأَنامِ.

(1) الطبقات الكبرى: 1/ 398، مسند أحمد: 19/ 305، مسند البزار: 13/ 296، سنن النسائي: 7/ 61، السنن الكبرى للنسائي: 8/ 149.

وَبِالْجُمْلَةِ، الصَّبْرُ عن الدُّنيا مَمْدوحٌ مهما أَمْكَنَ. كما قالَ صلَّى الله عليه وسلَّمَ: «مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا في سِرْبِهِ، مُعَافًى في بَدَنِهِ، وله قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ له الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا»(1).

الرَّابِعُ: أَحْوالُ الْخَرْجِ والْإِنْفَاقِ، فالْمَحْمودُ منه: الصَّدَقَةُ الْمَفْروضَةُ، وَالإِنْفاقُ على الْعِيالِ. ويَحْصُلُ بِهَذَيْنِ الْعَدالَةُ. ومنه ما يُكْسَبُ به الْحُرِّيَّةُ والْفَضيلَةُ، وهو إِيثارُ الْغَيْرِ على النَّفْسِ على الْوَجْهِ الْمَنْدوبِ إليه شَرْعًا. والْمَذْمومُ: إمَّا إفْراطٌ، وهو الإخْلالُ بِالْأَهَمِّ، وصَرْفُهُ إلى ما دونَهُ؛ وَتَفْريطُهُ الْمَنْعُ عن الْواجِباتِ بالْكُلِّيَّةِ، أو النَّقْصُ من قَدْرِ الواجِبِ.

ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ اخْتَلَفوا في أنَّ أَخْذَ الْمالِ الْحَلالِ وإنْفَاقَهُ على الْوَجْهِ الْمَشْروعِ أَوْلى أمْ تَرْكُهُ رَأسًا، ولا شَكَّ أنَّ الْإقْبالَ على الدُّنيا بِالْكُلِّيَّةِ مَذْمومٌ، وإنْ أَخَذَ من الْحَلالِ وَوَضَعَهُ [في](2) مَوْضِعِهِ. فَالتَّارِكُ بالْكُلِّيَّةِ، [غيرُ](3) الْمُقْبِلِ على الدُّنيا، أَفْضَلُ منه بلا شُبْهَةٍ. وَأَمَّا الْمُقْبِلونَ على الْآخِرَةِ، وَالصَّارِفونَ لِلدُّنيا في مَحَلِّهِ، فَهُمُ الْأَفْضَلونَ، لِكَوْنِهِمْ قِوامَ أَسْبابِ الدُّنْيا والآخِرَةِ، ومنهم عامَّةُ الْأَنْبِياءِ الْمَبْعوثِينَ لإقامَةِ مَصالِحِ الْعِبادِ، في الْمَعاشِ والْمَعادِ.

فإنْ قُلْتَ: قد قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(4).

---

(1) مسند أحمد: 19/ 950، التاريخ الكبير للبخاري: 5/ 373، الأدب المفرد: 112، سنن ابن ماجه: 2/ 1387، سنن الترمذي: 4/ 167.

(2) سقطت من قونية.

(3) زيادة من أنطاليا.

(4) سورة الذاريات، الآية: 56.

فَاعْلَمْ: أنَّ مُراعاةَ مَصالِحِ الْعِبادِ مِنْ جُمْلَةِ الْعِباداتِ، بل مِنْ أفْضَلِها.

قال رَسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ: «الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ اللهِ، وَأَحَبُّهُمْ إلى اللهِ، أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ»[1].

إلَّا أنَّ مَنْ شَغَلَهُ مَعَادُهُ عن مَعَاشِهِ، فهو من الْفائِزينَ. ومَنْ شَغَلَهُ مَعَاشُهُ عن مَعَادِهِ، فهو مِنَ الْهالِكينَ. ومَنْ جَمَعَ بينهما فهو من الْمُخاطِرينَ.

ولا يَخْفى أنَّ الْفائِزَ أحْسَنُ من الْهالِكِ. وأمَّا النَّظَرُ الْجَليلُ فيَقْتَضي فَضْلَهُ على الْمَخاطِرِ إلا أنَّ مُقْتَضى النَّظَرِ الدَّقيقِ عَكْسُهُ، إذِ الْخَطَرُ ليس إلَّا لِصاحِبِ الْمَنازِلِ الرَّفيعَةِ، والرِّئاسَةِ التَّامَّةِ، إذ خَطَرُ الْخِلافَةِ الإلهيَّةِ في أَمْرِ عِبادِهِ بَيِّنٌ، ولا يَتَرَشَّحُ لها إلَّا الْأَفْرادُ. قالَ الله تَعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾[2].

ثُمَّ إنَّ النَّاسَ على مَراتِبَ، إمَّا ضعيفُ الْهِمَّةِ، يَنْخَدِعُ بِمُزَخْرَفاتِ الدُّنيا وَزينَتِها، فعليه اخْتيارُ طَريقِ الْفائزينَ، والتَّحَرُّزُ عن وَرْطَةِ الْهالِكينَ؛ وإمَّا قَوِيُّ الْهِمَّةِ، جَسُورٌ، لا تَخْدَعُهُ النَّفْسُ والشَّيْطانُ، وله هِمَّةٌ عَلِيَّةٌ، تُريدُ مَعالِيَ الْأُمورِ، فعليه أنْ يَجْتَهِدَ رُتْبَةَ الْمُخاطِرينَ، ويَتَحَرَّزَ عن أن يَنْخَدِعَ من حيث لا يَدْرِي.

---

(1) مسند أحمد: 4/ 104، رقم: 2234، مسند البزار: 13/ 332، 6947، مسند أبي يعلى: 6/ 65، رقم: 3315.

(2) سورة القصص، الآية: 77.

الخامِسُ: أنْ تكونَ نِيَّتُهُ صالِحَةً في الْأَخْذِ والإنْفاقِ. أمَّا الْأَخْذُ فأنْ يَنْوِيَ فيه أنْ يَسْتَعينَ به على الْعِبادَةِ، وَيَأْكُلَ لِيَتَقَوَّى به على الْعِبادَةِ، وكذا في التَّرْكِ، يَتْرُكُهُ زُهْدًا واسْتِحْقارًا، لا عَجْزًا واضْطِرارًا.

قالَ صلَّى الله عليه وسلَّمَ: «مَنْ طَلَبَ رِزْقَهُ على ما سُنَّ فهو جِهَادٌ»[1].

وقالَ صلَّى الله عليه وسلَّمَ لابْنِ مَسْعودٍ: «إنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُؤْجَرُ في كُلِّ شَيْءٍ، حتَّى الُّلقْمَةِ يَضَعُهَا في في امْرَأَتِهِ»[2].

وَأَرادَ بالْمُؤْمِنِ: مَنْ يَقْصِدُ في كلِّ الأمور وَجْهَ الله تعالى، والاِسْتِعانَةَ بالدُّنيا على سُلوكِ طَرِيقِ[3] الآخِرَةِ. ومن هنا تَبَيَّنَ أنَّ الزَّاهِدَ من ليس مَشْغولًا بالْمالِ، وإنْ كان له أَمْوالُ الْعالَمينَ[4]. كما قالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: لو أنَّ رَجُلًا أخَذَ جَميعَ ما في الْأَرْضِ، وَأَرادَ به وَجْهَ الله تعالى فهو زاهِدٌ. ولو أنَّهُ تَرَكَ الْجَميعَ ولم يُرِدْ به وجْهَ الله تعالى فليسَ بزاهِدٍ[5].

وإذا تَأَمَّلْتَ مُلْكَ الْإنْسانِ[6]، ورُتبةَ النُّبوَّةِ، تَحَقَّقْتَ أنَّ الزُّهْدَ زُهْدُ النَّفْسِ لا خُلُوُّ الْيَدِ.

---

(1) الذريعة إلى مكارم الشريعة: 279، ميزان العمل: 385.

(2) صحيح البخاري: 7/ 62، رقم: 5354، الإحياء: 2/ 32.

(3) طريقة، في أنطاليا والأزهرية.

(4) على العالمين، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(5) الذريعة إلى مكارم الشريعة: 282، الإحياء: 3/ 264.

(6) كتب بإزائها في طرة نسخة مراد ملا صوابه: ملك سليمان.

فَاعْلَمْ أنَّ الإِنْسانَ مُسَافِرٌ، وله ثَلاثَةُ مَنازِلَ: بَطْنُ أمِّهِ، وفَضاءُ الْعالَمِ، والْبَرْزَخُ، والدُّنيا رِباطٌ يَنْتَهِي إليه الإِنْسانُ في الْمَنْزِلِ الْأَوْسَطِ، والْمالُ أَوانِي وأَقْواتٌ يَأخُذُها بِشُكْرٍ، وَيَأْخُذُها بانْشِراحٍ[1]. وَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ وُهِبَ له، وتَفَجَّعَ إذا فارَقَهُ وَاسْتَرْجَعَ[2]، فهو مِنَ الْحُمَقَاءِ.

---

(1) كتب بإزائها في طرة نسخة مراد ملا صوابه: ويتركها بانشراح.

(2) ينظر ميزان العمل: 387.

الْمُقَدِّمَةُ الرَّابِعَةُ:

فِي بَيانِ النِّسْبَةِ بين طَرِيقِ النَّظَرِ وطَرِيقِ التَّصْفِيَةِ

اعْلَمْ أنَّ الْكُلَّ مُتَّفِقُونَ على أنَّ السَّعادَةَ الْأَبَدِيَّةَ، والسِّيادَةَ السَّرْمَدِيَّةَ، لا تَتِمُّ إلا بالْعِلْمِ والْعَمَلِ. وأنَّهما تَوْأمانِ. وله تَوْجيهانِ:

أحدهما: الشَّائِعُ الْمَشْهورُ، وهو أنَّهُ لا يُعْتَدُّ بِواحِدٍ منهما بِدونِ الْآخَرِ، إذِ الْعِلْمُ بِدونِ الْعَمَلِ وَبَالٌ. والْعَمَلُ بلا عِلْمٍ ضَلالٌ. وقال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[1].

وثانيهما: أنَّ كُلًا منهما ثَمَرَةٌ للآخرِ[2]. مَثَلًا إذا تَمَهَّرَ الرَّجُلُ في اكْتِسابِ الْعِلْمِ، وحَذَقَ فيه، لا مَنْدوحَةَ له عن الْعَمَلِ بِموجِبِهِ. إذ لو قَصَّرَ في الْعَمَلِ، لم يكن في عِلْمِهِ كَمالٌ. وأيْضًا إذا باشَرَ الرَّجُلُ الْعَمَلَ، وجاهَدَ فيه، وَارْتاضَ حَسْبَمَا بَيَّنُوهُ من الشَّرائِطِ، يَنْصَبُّ على قَلْبِهِ الْعُلومُ النَّظريَّةُ بِكَمالِها. كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[3].

وهاتان طَرِيقَتانِ، الْأَوَّلُ[4] منهما طَرِيقَةُ الِاسْتِدْلالِ، والثَّاني طَرِيقَةُ[5] الْمُشاهَدَةِ، وَالْأَوَّلُ دَرَجَةُ الْعُلَماءِ الرَّاسخينَ. والثَّاني دَرَجَةُ الصِّدِّيقينَ. وقد

(1) سورة فاطر، الآية: 10.

(2) الآخرة، في رئيس الكتاب.

(3) سورة الروم، الآية: 69.

(4) والأولى، في مراد ملا.

(5) طريق، في قونية ورئيس الكتاب وأنطاليا.

يَنْتَهي كُلٌّ من الطَّريقَتَيْنِ إلى الْأُخْرى، فَيَكونُ صاحِبُهُ مَجْمَعًا لِلْبَحْرَيْنِ، أي بَحْرَيِ الِاسْتِدْلالِ والْمُشاهَدَةِ، أو الْعِلْمِ والْعِرْفانِ، أو الشَّهادَةِ والْغَيْبِ.

وإذا عَرَفْتَ أنَّ السَّالِكينَ إلى الْحَقِّ - مع كَثْرَةِ الطُّرُقِ وَخُروجِها عن حَدِّ الْإِحْصاءِ - نَوْعانِ:

أحدُهما: ما يَبْتَدِئُ من طَريقِ الْعِلْمِ إلى الْعِرْفانِ، ومن طَريقِ الشَّهادَةِ إلى الْغَيْبِ.

وثانيهما: ما يَتَجَلَّى الْحَقُّ له بالْجَذْبَةِ الْإِلَهِيَّةِ. فَيَبْتَدِئُ من الْغَيْبِ، ثُمَّ يَنْكَشِفُ له عالَمُ الشَّهادَةِ.

قال بعضُ الْعارِفينَ: يُشْبِهُ أنْ يَكونَ الْأَوَّلُ: طَريقةَ الْخَليلِ؛ حيث ابْتَدَأَ من الِاسْتِدْلالِ بأُفولِ الشَّمْسِ والْقَمَرِ إلى وُجودِ رَبِّ الْعالَمينَ. والثَّانِي: طَريقَةَ الْحَبيبِ؛ حيثُ ابْتَدَأَ بِشَرْحِ الصَّدْرِ، وكُشِفَ له سُبُحاتُ وَجْهِ ذي الْجَلالِ والإكْرامِ، وأَحْرَقَتْهُ حتى انْمَحَقَ جميعُ ما أدْرَكَهُ، وتَلاشى في ذاتِهِ، ولم يَبْقَ له لَحْظَةٌ إلى نَفْسِهِ لِفَنائِهِ عن نَفْسِهِ. فَيَتَحَقَّقُ[1] [رُتْبَةُ][2]: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[3] ذَوْقًا وحَالًا، لا عِلْمًا وقَالًا. هذا حالُ الْجامِعينَ بين الْمَرْتَبَتَيْنِ.

وأَمَّا السَّالِكونَ إلى إِحْدَى الطَّريقَتَيْنِ فقد اخْتَلَفوا.

---

(1) فتحقق، في قونية وأنطاليا.

(2) سقطت من قونية.

(3) سورة القصص، الآية: 88.

وقالَ أَرْبابُ النَّظَرِ: الْأَفْضَلُ طَريقُ النَّظَرِ، لأنَّ طَريقَ التَّصْفيةِ صَعْبُ الْوُصولِ، لأنَّ مَسْلَكَهَا وَعرٌ، وإفْضاءَها إلى الْمَقْصَدِ بَعيدٌ. لأنَّ مَحْوَ الْعَلائِقِ إلى حَدٍّ يؤدي إلى انْكِشافِ الْمَعارِفِ مُتَعَذِّرٌ، بل قَريبٌ من الْمُمْتَنِعِ، وإنْ أفْضى إلى الْمَقْصَدِ فَثَباتُهُ أبْعَدُ منه، إذْ أدْنى وَسْواسٍ وَخَاطِرٍ يَمْحو ما حُصِّلَ، ويَقْطَعُ ما وُصِلَ. على أنَّهُ قد يَفْسُدُ الْمِزاجُ، ويَخْتَلِطُ الْعَقْلُ في أَثْناءِ تلك الْمُجاهَداتِ الصَّعْبَةِ، والرِّياضاتِ الشَّاقَّةِ.

وَقالَ أَرْبابُ التَّصْفِيَةِ: الْعُلومُ الْحاصِلَةُ بالنَّظَرِ لا تَصْفُو في الْأَكْثَرِ عن شَوْبِ أَحْكامِ الْوَهْمِ، ولا تَخْلُصُ عن مُخالَطَةِ الْخَيالِ في الْغالِبِ. وَلِهَذا كَثيرًا ما يَقيسونَ الْغائِبَ على الشَّاهِدِ فَيَضِلُّونَ ويُضِلُّونَ. كما تَراهُ في أَكْثَرِ مَذاهِبِ الِاعْتِزالِ، وغير ذلك مِنِ اعْتِقاداتِ الْجُهَّالِ، من أَصْحابِ الضَّلالِ.

وأيضًا لا يَتَخَلَّصُونَ في مُناظراتِهِمْ ومُباحَثاتِهِمْ عن اتِّباعِ الْأَهْواءِ والْعَاداتِ بِخِلافِ التَّصَوُّفِ. فإنَّ ذلك تَصْفيةٌ للرُّوحِ، وجِلاءٌ لِلنُّفوسِ، وتَطهيرٌ لِلقُلوبِ عن أحْكامِ النَّفْسِ، وتَخْلِيَتِها عن الْأَوْهامِ والْخَيالاتِ، فلا يَبْقَى إلَّا الِانْتِظارُ لِلْفَيْضِ من الْعُلومِ الْإِلَهِيَّةِ الْحَقَّةِ، فتَنْكَشِفُ عليهم عُلومٌ إِلَهِيَّةٌ، وَمَعارِفُ رَبَّانِيَّةٌ. وَيَرِدُ عليهم وارِدُ إلْهامٍ هو حَديثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ.

وأمَّا وُعورَةُ الْمَسْلَكِ وبُعْدُهُ، فلا يَقْدَحُ في قُوَّةِ الْيَقينِ، وصِحَّةِ الْعِلْمِ، مع أَنَّهُ يَسيرٌ على مَنْ يَسَّرَهُ الله تَعالى من السَّالِكينَ سُبُلَ أَنْبيائِهِ، وَالْمُتَّبِعِينَ لكُلِّ أَوْلِيائِهِ.

وَأَمَّا اخْتِلَالُ الْمِزاجِ، فإِنْ وَقَعَ، فَيَقْبَلُ الْعِلاجَ، لأَنَّهُمْ كما أَنَّهُمْ أَطِبَّاءُ النُّفوسِ وَالْأَرْواحِ، كذلك عارِفونَ أَحْوالَ الْأَبْدانِ وَالْأَشْباحِ، فَالرِّياضَةُ على ما شَرَطوهُ من الْآدابِ وَالْأَحْوالِ، أَمانٌ مِنَ الْفَسادِ والِاخْتِلالِ، وَخَلاصٌ من الْأَفْزَاعِ وَالْأَهْوالِ.

يُحْكى أنَّ أَهْلَ الصِّينِ والرُّومِ في زَمانٍ قَديمٍ تَباهَوْا في صِناعَةِ النَّقْشِ والتَّرْسيمِ[1]، وَطالَ بَيْنَهُمُ النِّزاعُ والْجِدالُ، وَدارَ بَيْنَهُمُ الْكَلامُ في النَّقْصِ والْكَمالِ، حتَّى أدَّى الِافْتِخارُ في هذا الشَّأْنِ، إلى الِاخْتِبارِ والِامْتِحانِ. فَعُيِّنَ لكُلٍّ من الطَّائِفَتَيْنِ جِدارٌ بينهما حِجابٌ، لِيَتَمَيَّزَ الْكامِلُ من النَّاقِصِ في هذا الْبابِ. فَجَمَعَ أَهْلُ الصِّينِ من الْأَصْباغِ الْعَجيبَةِ، وَالْأَلْوانِ الْغَريبَةِ. وَتَكَلَّفُوا الصَّنَائِعَ النَّادِرَةَ، وَالرُّسُومَ الْبَاهِرَةَ، حتى اسْتَفْرَغُوا الْمَجهودَ، في تَحْصيلِ الْمَقْصودِ. وَاشْتَغَلَ أَهْلُ الرُّومِ عن التَّرْسِيمِ بِالتَّصْقِيلِ، وَعَرَفوا أنَّ تَرْكَ التَّحْلِيَةَ إلى التَّجْلِيَةِ هو التَّكْميلُ. فلما كُشِفَ الْغِطاءُ، وارْتَفَعَ الْحِجابُ، لِمَعْرِفَةِ الْحالِ بين الْأَصْحابِ، رَأَوْا أنَّ جانِبَ أَهْلِ الرُّومِ تَلَأْلَأَ بِجَميعِ نُقوشِ أَهْلِ الصِّينِ مع زِيادَةِ الصَّفاءِ، ولَطافَةِ الصَّقالَةِ والْجَلَاءِ. فهذا مِثالُ الْعُلومِ النَّظَرِيَّةِ والْكَشْفِيَّةِ. والأَوَّلُ يَحْصُلُ من طَرِيقِ الْحَواسِّ بالْكَدِّ والْعَنَاءِ، والثَّاني يَحْصُلُ من اللَّوْحِ الْمَحْفوظِ والْمَلَأِ الْأَعْلَى.

(1) كتب بإزائها في طرة نسخة مراد ملا: لعله الرسم.

إذا[1] **عَرَفْتَ هذا فَاعْلَمْ** أَنَّ الْمُحاكَمَةَ بين هذين الْفَرِيقَيْنِ، وتَعْيينَ الْأَفْضَلِ من الطَّرِيقَيْنِ. هي أنَّ الْعُلومَ مع تَكَثُّرِ فُنُونِهَا، وتَعَدُّدِ شُجُونِهَا، مُنْحَصِرَةٌ في أَرْبَعَةِ أَنْواعٍ؛ **وذلِكَ لِأَنَّ لِلْأَشْياءِ وُجودًا**[2] **في أَرْبَعِ مَراتِبَ: في الْأَعْيانِ، وفي الْأَذْهانِ، وفي الْعِبارَةِ، وفي الْكِتابَةِ.**

فَالْعُلومُ الْمُتَعَلِّقَةُ في الْأَوَّلِ من حيثُ حالُها في نَفْسِ الْأَمْرِ هي الْعُلومُ الْحَقيقيَّةُ، الَّتِي لا تَتَبَدَّلُ باخْتِلافِ الْأَزْمانِ، وَتَجَدُّدِ الْمِلَلِ وَالْأَدْيانِ. وهذه تُسَمَّى عُلومًا حِكْمِيَّةً؛ إنْ جَرى الْباحِثُ عن أَحْوالِها فيها على مُقْتَضى عَقْلِهِ؛ وعُلومًا شَرْعِيَّةً إنْ بَحَثَ عنها فيها على قانُونِ الْإِسْلامِ.

وَالْعُلومُ الْمُتَعَلِّقَةُ بالثَّانيةِ هي الْعُلومُ الْآلِيَّةُ الْمَعْنَوِيَّةُ؛ كَالْمَنْطِقِ ونَحْوِهِ. والْعُلومُ الْمُتَعَلِّقَةُ بالْأَخِيرَيْنِ، هي الْعُلومُ الْآلِيَّةُ اللَّفْظِيَّةُ وَالْخَطِّيَّةُ. وهذه هي الْعُلومُ الْعَرَبِيَّةُ الْمُعْتَبَرَةُ في دِينِنَا، هذا لِوُرودِ شَرِيعَتِنا هذه على لِسانِ الْعَرَبِ وعلى كِتابَتِهِ. ثُمَّ إنَّ الثَّلاثَةَ الْأَخيرَةَ من هذه الْأَنْواعِ، لا سَبِيلَ إلى تَحْصيلِها إلَّا الْكَسْبُ بالنَّظَرِ. وأمَّا النَّوْعُ الْأَوَّلُ منها فقد يَتَحَصَّلُ بالنَّظَرِ، وقد يَتَحَصَّلُ بالتَّصْفِيَةِ.

ثُمَّ إنَّ أَشْخاصَ الإنْسَانِ أَرْبَعَةُ أَصْنافٍ:

ـ صِنْفٌ منهم الشُّيوخُ، وهم الَّذِينَ تَجاوَزَتْ أَسْنانُهُمْ السِّتينَ، فَاللَّائِقُ بِشَأْنِهِمْ طَرِيقُ التَّصْفِيَةِ والرِّياضَةِ، والانْتِظارُ لِمَا مَنَحَهُ الله تَعالى من الْعُلومِ والْمَعارِفِ على قَدْرِ مُساعَدَةِ اسْتِعْدادِهِ الْفِطْرِيِّ. إذِ الْوَقْتُ لا يُساعِدُ في حَقِّهِمْ تَقْديمَ طَرِيقِ النَّظَرِ.

---

(1) فإذا، في مراد ملا.

(2) الأشياءَ وجودٌ، في مراد ملا.

وَصِنْفٌ منهم الشُّبَّانُ الْأَغْبِياءُ، فَحُكْمُهُمْ حُكْمُ الشُّيوخِ، لكنْ بِحُكْمِ الِاضْطِرارِ الطَّبيعِيِّ، لا الِاضْطِرارِ الزَّمانِيِّ.

وصِنْفٌ منهم الشُّبَّانُ الْأَذْكياءُ؛ الْقَابِلِينَ لِلْعُلومِ الْمُسْتَعِدِّينَ لِفَهْمِ الْحَقائِقِ طَبْعُهُمْ، ولِدَرْكِ الدَّقائِقِ نَفْسُهُمْ. فلا يَخْلو إمَّا أنْ لا يُساعِدَهُمُ التَّقديرُ في وُجودِ عالِمٍ ماهِرٍ في الْعُلومِ النَّظَرِيةِ، الْمُرْتَفِعِ عن رُتْبَةِ التَّقْليدِ في مِصْرِهِمْ أو عَصْرِهِمْ. فعليه ما على صِنْفِ الشُّيوخِ بِحُكْمِ الِاضْطِرارِ الزَّمانِيِّ. وإمَّا أنْ يُساعِدَهُمْ التَّقْديرُ في وُجودِ عَالِمٍ مَوْصوفٍ بما ذُكِرَ مع أَنَّهُ أَعَزُّ من الْكِبْرِيتِ الْأَحْمَرِ[1]. بل لا يَكادُ يوجَدُ إلَّا في الْأَقَلِّ الْأَنْدَرِ. فعليه تَقْديمُ طَرِيقَةِ النَّظَرِ، وأنْ يُحَصِّلَ من الْعُلومِ النَّظَرْيَّةِ قَدْرًا يُساعِدُهُ اسْتِعْدادُهُمْ وَوَقْتُهُمْ، ثُمَّ الإِقْبالُ بإِلْقاءِ شَراشِرِ النَّفْسِ والْفُؤادِ، وَصَرْفِ مَجامِعِ الْقِوَى مع الْأَحْشاءِ وَالْأَكْبادِ، إلى قَرْعِ بابِ الْمَلَكوتِ، والْوُلوجِ إلى حَظيرَةِ الْجَبَروتِ، ليكونَ فائِزًا بالطَّريقَتَيْنِ، وَجَامِعًا بين الرِّئاسَتَيْنِ، وَحَائِزًا لِغَنيمَةٍ بارِدَةٍ لا تَفْنى أبَدًا، ونِعْمَةٍ باقيةٍ لا تُحْصى عَدَدًا.

يَسَّرَ الله لنا ولكم الْجَمْعَ بين الْعِلْمِ والْعَمَلِ. فإنَّ ذلك مُنْتَهى السُّؤْلِ[2] والْأَمَلِ، ويَرْزُقَنا حُسْنَ الْعَفْوِ والْعاقِبَةِ، تاليا لِنِعْمَتَيِ السَّلامَةِ والْعافِيَةِ. وهو حَسْبي ونِعْمَ الْوَكيلُ، والْهادِي إلى سَواءِ السَّبِيلِ، إنَّهُ مُجيبٌ قَرِيبٌ، عليه تَوَكَّلْتُ وإليه أُنِيبُ.

وَلَمَّا انْحَصَرَ كَسْبُ السَّعادَةِ في الطَّريقَيْنِ[3]، رَتَّبْتُ الرِّسالَةَ على طَرَفَيْنِ:

(1) مثل عربي، يضرب في طلب الشيء الممتنع. جمهرة الأمثال: 2/ 32، مجمع الأمثال: 2/ 44.

(2) السؤال، في مراد ملا.

(3) طريقين، في قونية وأنطاليا ومراد ملا.

الطَّرَفُ الْأَوَّلُ من الرِّسالَةِ: في الْإِرْشادِ إلى كَيْفِيَّةِ تَحْصيلِ طَريقِ النَّظَرِ

وَاعْلَمْ أنَّ تَحْصيلَ الْعُلومِ لَمَّا لم يُمْكِنْ إلَّا بِتَصَوُّرِهَا اسْمًا ورَسْمًا، ومَوْضوعًا وَنَفْعًا، أَحْبَبْنا أن نُبَيِّنَ في هذه الرِّسالَةِ الْأُمورَ الْمَذْكورَةَ في كلِّ عِلْمٍ عِلْمٍ أَصْلًا وفَرْعًا، وَنُبَيِّنَ أَسْماءَ الْكُتُبِ الْمُؤَلَّفَةِ فيها، وَأَسْماءَ مُؤَلِّفيها، لِيَكونَ عَوْنًا لك في تَحْصيلِ الْعُلومِ، وتَرْغيبًا في طَلَبِها، وإرْشادًا إلى طُرُقِ تَحْصيلِها.

أَمَّا ذِكْرُ الْمُصَنَّفَاتِ، فَلِلتَّنْبيهِ على مَرَاتِبِهَا، وَجَلالَةِ قَدْرِهَا، والتَّفاوُتِ بين تلك الْكُتُبِ. وفي ذلك إرْشادٌ لِلطَّالِبِ إلى تَحْصيلِها، وتَعْريفٌ له بما يَعْتَمِدُهُ منها، وتَحْذيرُهُ مِمَّا يُخافُ من الِاغْتِرارِ.

وأَمَّا ذِكْرُ مُؤَلِّفيها:

فمنها: مَعْرِفَةُ مَناقِبِهِمْ وَأَحْوالِهِمْ، فَتَتَأَدَّبُ بآدابِهِمْ، وتَقْتَبِسُ الْمَحَاسِنَ من آثارِهِمْ.

ومنها: مَرَاتِبُهُمْ وأَعْصَارُهُمْ، فَيُنَزَّلُونَ مَنازِلَهُمْ، ولا يُقْصَرُ بالْعَالِي في الْجَلالَةِ عن دَرَجَتِهِ، ولا يُرْفَعُ غيره عن مَرْتَبَتِهِ. وقد قال الله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[1].

---

(1) سورة يوسف، الآية: 76.

وقالَ رَسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ: «لِيَلِيَنِّي مِنْكُمْ أُولُو الْأَحْلَامِ والنُّهَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثَلَاثًا»(1).

وعن عائِشَةَ رضي الله عنها قالتْ: «أَمَرَنَا رَسُولُ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ أنْ نُنَزِّلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ»(2).

ومنها: أَنَّهُمْ أئِمَّتُنَا وأَسْلافُنَا؛ كَالْوَالِدِينَ لنا، وأَجْرى علينا في مَصَالِحِ آخِرَتِنَا الَّتِي هي دارُ قَرارِنا، وَأَنْصَحُ لنا فيما هو أَعْوَدُ علينا، فيَقْبُحُ بنا أن نَجْهَلَهُمْ، وأن نُهْمِلَ مَعْرِفَتَهُمْ.

ومنها: أنْ يَكونَ الْعَمَلُ بِقَوْلِ أَعْلَمِهِمْ وَأَوْرَعِهِمْ إذا تَعَارَضَتْ أَقْوالُهُمْ.

وَغَيْرُ ذَلِكَ من الْفَوَائِدِ.

إذا عَرَفْتَ هذا، فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا بُدَّ أَوَّلًا من ذِكْرِ مُقَدِّمَةٍ في بَيانِ حَصْرِ الْعُلومِ على الْإِجْمالِ. ثُمَّ الشُّروعُ في تَفْصيلِ كُلِّ نَوْعٍ منها أُصولًا وفُروعًا.

---

(1) مصنف عبد الرزاق: 2/ 44، مسند الحميدي: 1/ 417، مسند أحمد: 7/ 380، سنن ابن ماجه: 1/ 312، سنن أبي داود: 2/ 13.

(2) صحيح مسلم: 1/ 176، رقم: 189.

مُقَدِّمَةٌ:

اِعْلَمْ أنَّ لِلأشْياءِ وُجودًا في أَرْبَعِ مَرَاتِبَ: في الْكِتابَةِ، والْعِبارَةِ، والْأَذْهانِ، وَالْأعْيانِ. وكُلُّ سَابِقٍ منها وَسِيلَةٌ إلى اللَّاحِقِ، لِأَنَّ الْخَطَّ دالٌّ على الْأَلْفاظِ. وهذه على ما في الْأَذْهانِ. وهذا على ما في الْأَعْيانِ. ولا يَخْفَى أنَّ الْوُجودَ الْعَيْنِيَّ هو الْوُجودُ الْحَقيقيُّ الْأَصيلُ. وفي الْوُجودِ الذِّهنيِّ خِلافٌ في أَنَّهُ حَقيقيٌّ أو مَجازِيٌّ. وأمَّا الأوَّلانِ: فَمَجازِيانِ قَطْعًا. ثُمَّ الْعِلْمُ الْمُتَعَلِّقُ بالثَّلاثِ الْأُوَلِ آلِيٌّ اَلْبَتَّةَ. وأمَّا الْعِلْمُ الْمُتَعَلِّقُ بالْأَعْيانِ، فإمَّا عَمَلِيٌّ لا يُقصَدُ به حُصولُ نَفْسِهِ بل غيرِهِ، أو نَظَرِيٌّ يُقْصَدُ به حُصولُ نَفْسِهِ فقط.

ثمَّ كُلٌّ منهما إمَّا أن يُبْحَثَ فيه مِنْ حيثُ إنَّهُ مَأخوذٌ من الشَّرْعِ، فهو الْعِلْمُ الشَّرْعِيُّ، أو من حيثُ إنَّهُ مُقْتَضَى الْعَقْلِ فقط، فهو الْعِلْمُ الْحِكْمِيُّ. فهذه هي الْأُصولُ السَّبْعَةُ. وَلِكُلٍّ منها أَنْواعٌ، ولأنْواعِها فُروعٌ، يَبْلُغُ الْكُلُّ على ما اجْتَهَدْنا في الْفَحْصِ والتَّنْقِيرِ عنه بِحَسَبِ مَوْضوعاتِهِ وَأَسامِيهِ، وَتَتَبُّعِ ما وَقَعَ فيه من الْمُصَنَّفَاتِ إلى مِئَةٍ وخَمْسينَ نَوْعًا. ولَعَلِّي سَأزيدُ عليه بعد هذا إنْ شاءَ اللهُ تعالى.

قِيلَ: [الوافر]

لَقَدْ جَادَ الْإلَـهُ على وُجُودِي بِمَـا أَخْفَـاهُ عَنْ خَلْقٍ كَثِيرِ[1]
مِنَ الْعِلْمِ الَّـذِي مَـا فِيـهِ رَيْـبٌ ولَا شَـكٌّ لَـدَى الْفَطِنِ الْخَبِيرِ

(1) البيتان لابن العربي الحاتمي، وهما في الفتوحات المكية: 7/ 218.

وقالَ بعض الْفُضَلَاءِ: عِلْمُ التَّفسير، لا يَتِمُّ إلَّا بِأَرْبَعٍ وَعِشرينَ عِلْمًا، على ما هو الْمُخْتارُ عند الْمُفَسِّرينَ.

وعَدَّ الإمامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ الله، في مَجْلِسِ الرَّشيدِ ثَلاثَةً وسِتِّينَ نَوْعًا من عُلومِ الْقُرآنِ.

وقال بعضُ الْعُلَماءِ: الْعُلومُ الْمُسْتَخْرَجَةُ مِنَ الْقُرْآنِ ثَمانونَ عِلْمًا، وَدَوَّنَ فيها كِتابًا.

وَقيلَ: إنَّ الْعُلومَ الْحِكْمِيَّةَ تَتَضَمَّنُ خَمْسَةَ عَشَرَ فَنًّا، إلَّا أنَّ فُروعَها أَكْثَرُ من خَمْسينَ. كما سَتَقِفُ عليه.

ثُمَّ قال نَقْلًا عن بعض الْعُلَماءِ: إنَّ الْعُلومَ الْمُدَوَّنَةَ ثَلاثُمِئَةٍ وَسِتَّةٌ وسِتُّونَ عِلْمًا. ثُمَّ قالَ: والْمُخْتارُ عِنْدِي أنَّ عَدَدَ الْعُلومِ أَكْثَرُ مِنْ أنْ يَضْبِطَهُ الْقَلَمُ.

ونَقَلَ الْإمامُ الْغَزالِيُّ عن بَعْضِهِمْ: أنَّ الْقُرْآنَ يَحْوِي سَبْعًا وَسَبْعِينَ أَلْفَ عِلْمٍ وَمِئَتَيْ عِلْمٍ. نَقَلَهُ في **الْإحْياءِ**[1] في كِتابِ آدابِ التِّلاوَةِ في الْبابِ الرَّابِعِ منه.

ونَقَلَ السُّيُوطِيُّ عن الْقَاضِي أبي بَكْرِ ابْنِ الْعَرَبِيِّ أنه ذَكَرَ في **"قانونُ التَّأويلِ"** أَنَّ عُلومَ الْقُرْآنِ خَمسونَ عِلْمًا وأَرْبَعُمِئَةِ عِلْمٍ وَسَبْعَةُ آلافِ عِلْمٍ وَسَبْعونَ أَلْفَ عِلْمٍ على عَدَدِ كَلِمِ الْقُرآنِ، مَضْروبَةٌ في أَرْبَعَةٍ، إذْ لِكُلِّ عِلْمٍ ظَهْرٌ وَبَطْنٌ، وَحَدٌّ وَمَطْلَعٌ[2].

---

(1) الإحياء: 1/ 289.

(2) قانون التأويل: 540.

ونُقِلَ عن الْغَزالِيِّ أيْضًا أنَّ مِنَ الْعِلْمِ ما اسْتَأْثَرَ الله تعالى بِعِلْمِهِ، ولم يُطْلِعْ عليه أحَدًا. ومنها ما يَعْرِفُهُ الْمَلائِكَةُ دونَ الْبَشَرِ. ومنها ما يَعْرِفُهُ الْأَنْبِياءُ دونَ مَنْ عَداهُمْ. ومنها ما تَصَوَّرَهَا أَذْهانُ الْعُلماءِ ولم يُدَوِّنُوهَا في الْكُتُبِ. ومنها ما دَوَّنُوهَا ثم ضاعَتْ كُتُبُهَا، وانْطَمَسَتْ آثارُها، وانْقَطَعَتْ أَخْبارُها. والْعِلْمُ عند الْمَلِكِ الْعَلَّامِ.

وَقيلَ: [البسيط]

عِنْدَ الْإِلَـهِ عُلُومٌ لَيْسَ يَعْرِفُهَـا ... إلَّا لَبِيبٌ له في الْوَزْنِ رُجْحَانُ[1]

للهِ فِـي ذَاكَ سِـــرٌّ لَـيْسَ يَـعْـرِفُـهُ ... إلَّا فَرِيـدٌ وذَاكَ الْفَرْدُ إنْسَـــانُ[2]

إذا عَرَفْتَ[3] هذا فَاعْلَمْ أنَّا نُرَتِّبُ الْكَلَامَ[4] في هذه الرِّسَالَةِ على سَبْعِ دَوْحَاتٍ. كُلٌّ منها في بَيانِ أَصْلٍ من الْأُصولِ السَّبْعَةِ. ثمّ نَذْكُرُ في كُلِّ دَوْحَةٍ شُعَبًا لِبَيانِ الْفُروعِ.

ومِنَ اللهِ التَّوْفيقُ لِحُسْنِ الِاخْتِتامِ، إنَّهُ مُيَسِّرُ كُلِّ مَرَامٍ.

(1) البيتان لابن العربي الحاتمي، وهما في الفتوحات المكية: 7/ 196.
(2) ليس يعلمه، في الفتوحات المكية.
(3) علمت، في مراد ملا.
(4) أنَّ ترتيبَ الكلامِ، في مراد ملا.

الدَّوْحَةُ الْأولى: في بَيانِ الْعُلومِ الْخَطِّيَّةِ

وفيها مقدمةٌ وشُعْبَتَانِ

الْمُقَدِّمَةُ: في فَضيلَةِ الْخَطِّ وَبَيانِ الْحاجةِ إليه وكَيْفِيَّةِ وَضْعِهِ

أمَّا فَضِيلَتُهُ نَقْلًا، فَقَوْلُهُ تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[1]. فأضافَ تَعْليمَ الْخَطِّ إلى نَفْسِهِ، وامْتَنَّ به على عِبادِهِ. وناهيكَ بذلك شَرَفًا.

وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[2]، فأقْسَمَ بما يَسْطُرُونَهُ.

وعن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، في قَوْلِه تَعالى: ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾[3]، إنَّهُ الْخَطُّ.

ويُروى أنَّ سُلَيْمانَ عليه السَّلامُ سَأَلَ عِفريتًا عن الْكَلامِ، فقال: رِيحٌ لا تَبْقَى. قال: فما قَيْدُهُ؟ قال: الْكِتابَةُ.

وقال عبدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ: الْخَطُّ لِسَانُ الْيَدِ[4].

وقالَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى: الْخَطُّ سِمْطُ الْحِكْمَةِ، وبه يُفَصَّلُ شُذُورُهَا، وَيَنْتَظِمُ مَنْثُورُهَا[5].

---

(1) سورة العلق، الآية: 3-5.

(2) سورة القلم، الآية: 1.

(3) سورة الأحقاف، الآية: 4.

(4) البصائر والذخائر: 1/ 92.

(5) المصدر نفسه: 2/ 75.

وقال إبْراهيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الشَّيْبانِيُّ: الْخَطُّ لِسَانُ الْيَدِ، وَبَهْجَةُ الضَّمِيرِ، وَسَفِيرُ الْعُقُولِ، وَوَصِيُّ الْفِكْرِ، وسِلاحُ الْمَعْرِفَةِ، وَأُنْسُ الْإِخْوانِ عند الْفُرْقَةِ، ومُحادَثَتُهُمْ على بُعْدِ الْمَسافَةِ، وَمُسْتَوْدَعُ السِّرِّ وَديوانُ الْأُمورِ[1].

وأَمَّا عَقْلًا، فلو لَمْ يَكُنْ مِنْ شَرَفِ الْخَطِّ إِلَّا أنَّ الله تَعالى أَنْزَلَهُ على آدَمَ، أو هودٍ عليهما السَّلام، وَأَنْزَلَ الصُّحُفَ على الْأَنْبياءِ مَسْطورَةً، وَأَنْزَلَ الْأَلْواحَ على موسى عليه السَّلامُ مَكْتوبَةً، لكانَ فيه كِفايَةٌ.

وَأَيْضًا ليسَ يَذْكُرُ ذاكِرٌ شَيْئًا مما يَجْرِي به الْخَطُّ، أو يَمِيلُ إليه الْعَقْلُ، أو يُلْقِيهِ الْفَهْمُ، أو يَقَعُ عليه الْوَهْمُ، أو تُدْرِكُهُ[2] الْحَوَاسُّ، إلا والْكِتابُ مُوَكَّلٌ به، ومُدَبِّرٌ له، وَمُعَبِّرٌ عنه، فَلَمْ تَكْتَفِ منه أُمَّةٌ بأمَّةٍ، ولم تَسْتَغْنِ عنه مِلَّةٌ دون مِلَّةٍ.

وَأَيْضًا [به][3] ظَهَرَتْ خاصَّةُ النَّوْعِ الإِنْسانِيِّ من الْقُوَّةِ إلى الْفِعْلِ. وَامْتازَ به عن سائِرِ الْحَيَوانِ في حِفْظِ الْعُلومِ في الْأَدْوارِ، وَاسْتِمْرارِها على الْأَكْوَارِ، وانْتِقالِ الْأَخْبارِ من زَمانٍ إلى زَمانٍ، وحَمْلِ سِرٍّ مِنْ مَكانٍ إلى مَكانٍ.

وَأَيْضًا فإِنَّ فيه من حِفْظِ الْحُقوقِ، ومَنْعِ تَمَرُّدِ ذَوِي الْعُقوقِ، بما يُسَطَّرُ عليهم من الشَّهاداتِ الَّتِي تَقَعُ في السِّجِلَّاتِ والْمُكاتَباتِ بين النَّاسِ لِحَوائِجِهِمْ من الْمَسافاتِ الْبَعيدَةِ الَّتِي لا يَنْضَبِطُ مِثْلُ ذلك لِحامِلِ رِسالَةٍ، ولا يَنالُهُ الْحاضِرُ بِمُشافَهَةٍ، وإِنْ كَثُرَ حِفْظُهُ، وَزَادَتْ بَلَاغَتُهُ. ولذلك قِيلَ:

---

(1) ينظر صبح الأعشى: 3/ 3-4. وقد اعتمد عليه في مقدمته هذه اعتمادا كليا.

(2) يدركه، في قونية وأنطاليا.

(3) سقط من مراد ملا.

الْخَطُّ أَفْضَلُ من اللَّفْظِ، لِأَنَّ اللَّفْظَ يُفْهِمُ الْحاضِرَ فقط، والْخَطُّ يُفْهِمُ الْحاضِرَ والْغائِبَ.

وَلِلَّهِ دَرُّ الْقائِلِ في وَصْفِ الْقَلَمِ: [المتقارب]

وَأَخْرَسُ يَنْطِقُ بالْمُحْكَمَاتِ وَجُثْمَانُهُ صَامِتٌ أَجْوَفُ[1]
بِمَكَّةَ يَنْطِقُ في خُفْيَةٍ وَبِالشَّامِ مَنْطِقُهُ يُعْرَفُ

ومِنْ فَضْلِ الْقَلَمِ: أَنَّهُ أَوَّلُ الْمَخْلوقاتِ. لِمَا رُوِيَ عن عُبادَةَ بن الصَّامِتِ قال، قالَ رَسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ: «أَوَّلُ ما خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ. فقال له: اكْتُبْ، فَجَرَى بما هو كَائِنٌ إلى يَوْمِ الْقِيامَةِ»[2].

وهذا اخْتِيَارُ ابنِ عَبَّاسٍ، والْحَسَنِ، وعَطاءٍ، ومُجاهِدٍ، وَعامَّةِ الْعَلَماءِ.

وَقالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، وقَالَ له: اِجْرِ بما هُوَ كَائِنٌ إلى يَوْمِ الْقِيامَةِ»[3]. فَجَرَى على اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ بذلكَ.

وفي رِوايَةٍ عن ابنِ عَبَّاسٍ: «فَسَبَّحَ الله تعالى وَمَجَّدَهُ أَلْفَ عَامٍ، قَبْلَ أَنْ يَكْتُبَ الْمُقَدَّرَاتِ»[4].

---

(1) البيتان بدون نسبة في صبح الأعشى: 3/ 6.

(2) مسند الطيالسي: 1/ 471، مصنف ابن أبي شيبة: 20/ 168، مسند أحمد: 37/ 378، التاريخ الكبير: 6/ 92، سنن أبي داود: 7/ 86، سنن الترمذي: 4/ 27.

(3) مسند أحمد: 37/ 378، مسند ابن الجعد: 494، مصنف ابن أبي شيبة: 7/ 264، الإبانة الكبرى لابن بطة: 371.

(4) ينظر: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: 1/ 21.

قال: وهو من زُمُرَّدَةٍ خَضْرَاءَ، طولُهُ أَلْفُ عامٍ، وهو مَشْقوقٌ بِالنُّورِ، ولمَّا نَظَرَ اللهُ إليه انْشَقَّ نِصْفَينِ[1] من هَيْبَةِ الله تعالى[2].

فَإِنْ قيلَ: فهذا الْقَلَمُ مُكَلَّفٌ أم لا؟

فَالْجَوابُ: أَنَّهُ مُكَلَّفٌ بِأَشْياءَ مَخْصوصَةٍ. وهي الْكِتابَةُ والْجَرَيَانُ، بِخِلافِ الْإِنْسانِ فإِنَّهُ مُكَلَّفٌ مُطْلَقٌ.

فإِنْ قيلَ: فقد أَقْسَمَ اللهُ به، بِقَوْلِهِ: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾[3]، فمِنْ أَيْنَ تَسَلَّطَ عليه الْقَطُّ[4]؟

فَالْجَوابُ: أنَّ هذا الْقَلَمَ ما احْتاجَ قَطُّ إلى قَطٍّ، وإنَّما احْتيجَ إليه في هذا الْقَلَمِ لِيَذْهَبَ عنه الْفُضولُ والْبُؤْسُ. ألا تَرَى أنَّ حَياةَ الشَّمْعَةِ في ضَرْبِ الْعُنُقِ.

رُوِيَ عن ابْنِ الْمُقَفَّعِ أَنَّهُ قال: الْأَقْلامُ مَطايا الْفِطْنِ، وَرُسُلُ الْكِرامِ، وبَيانُ الْبَنانِ[5]، وقِوامُ الْأُمورِ بِشَيْئَيْنِ بالْقَلَمِ والسَّيْفِ، والْقَلَمُ فَوْقَ السَّيْفِ. وأَنْشَدَ: [البسيط]

إِنْ يَخْدُمِ الْقَلَمُ السَّيْفَ الَّذِي خَضَعَتْ   لـه الرِّقَـابُ وَكَلَّـتْ دُونَـهُ الأُمَمُ[6]

---

(1) بنصفين، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(2) ينظر: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: 1/ 21.

(3) سورة القلم، الآية: 1.

(4) القطُّ: القطع عامة، وقيل: القطع عرضا، ومنه قط القلم. اللسان: قطط.

(5) بنان البيان، في مراد ملا. وبيان البنيان، في أنطاليا.

(6) البيتان في مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: 1/ 22، بدون نسبة، ونسبا في صبح الأعشى: 2/ 477 لأبي تمام، ولم نقف عليهما في ديوان شعره.

كَذَا قَضَى اللهُ لِلْأَقْلَامِ مُذْ بُرِيَتْ ... أَنَّ السُّيوفَ لها مُذْ أُرْهِفَتْ خَدَمُ

ولِأَبِي تَمَّامٍ الطَّائِيِّ: [الكامل]

ولَضَرْبَةٌ مِنْ كَاتِبٍ بِبَنَانِهِ ... أَمْضَى وَأَبْلَغُ مِنْ دَقِيقِ حُسَامِ[1]

قَوْمٌ إذَا عَزَمُوا عَدَاوَةَ حَاسِدٍ ... سَفَكُوا الدِّمَاءَ بِأَسِنَّةِ الْأَقْلَامِ

قيلَ: وقد نَاقَضَ أبو تمام قولَهُ: [البسيط]

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً من الْكُتُبِ[2].

قُلْتُ: لا تَناقُضَ لأَنَّهُ أرادَ بالْكُتُبِ كُتُبَ النُّجُومِ، لا مُطْلَقًا على ما شَهِدَتْ به الْواقِعَةُ.

ومِنْ أحْسَنِ ما قيلَ في هذا الْبابِ: [البسيط]

قَوْمٌ إذَا أَخَذُوا الْأَقْلَامَ مِنْ غَضَبٍ ... ثُمَّ اسْتَمَدُّوا بها مَاءَ الْمَنِيَّاتِ[3]

نَالُوا بها مِنْ أَعَادِيهِمْ وإنْ كَثُرُوا ... ما لا يُنَالُ بِحَدِّ الْمَشْرَفِيَّاتِ

وأَمَّا وَجْهُ الْحاجَةِ إلى الْخَطِّ، فَاعْلَمْ أنَّ فائِدَةَ التَّخاطُبِ والْمُحَاوَرَاتِ في إفَادَةِ الْعُلُومِ واستفادَتِهَا لمَّا لم تَتَبَيَّنْ للطَّالِبينَ إلَّا بالأَلْفاظِ وأحْوالِهَا، كان ضَبْطُ أحْوالِها مِمَّا اعْتَنى بها الْعُلماءُ الْعامِلونَ، والْفُضلاءُ الْكامِلونَ،

---

(1) البيتان في تفسير الثعلبي: 10/ 8، ومرآة الزمان في تواريخ الأعيان: 1/ 22 بالنسبة نفسها، ولم نقف عليهما في ديوان شعره.

(2) هو الشطر الأول من مطلع قصيدة مشهورة لأبي تمام في فتح عمورية، وتمامه: في حَدِّهِ الحدُّ بين الجِدِّ واللَّعبِ. ينظر ديوان شعره: 1/ 40.

(3) نسبا في مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: 1/ 23 للبحتري، ولم نقف عليهما في ديوان شعره.

فَاسْتَخْرَجوا من أَحْوالِها عُلومًا انْقَسَمَ أنْواعُها إلى اثْنَيْ عَشَرَ قِسْمًا، وسَمَّوْهَا بالْعُلومِ الْأَدَبِيَّةِ. لِتَوَقُّفِ أَدَبِ[1] النَّفْسِ والدَّرْسِ عليها. وبالْعُلومِ الْعَرَبِيَّةِ أيْضًا، لِبَحْثِهِمْ عن الْأَلْفاظِ الْعَرَبِيَّةِ فقط، لِوُقوعِ شَريعَتِنَا الَّتِي هي أَفْضَلُ الشَّرائِعَ وأَعْلاها، وَأَحْسَنُها وأَوْلاها، على أَفْضَلِ اللُّغاتِ وأَكْمَلِها ذَوْقًا وَوِجْدانًا، بَلْ يَقينًا وبُرْهانًا، وهي لُغَةُ الْعَرَبِ، الَّتِي هي أَوْسَطُ الْأُمَمِ وَأَكْرَمُهُمْ، وَفَصُّهُمْ في الصِّياغَةِ[2]، وأَخَصُّهُمْ في الْبَلاغَةِ.

ثُمَّ إنَّ أَرْبابَ الْهِمَمِ من بين الْأُمَمِ لَمَّا لم يَكْتَفوا بِالْمُحاوَرَةِ في إِشاعَةِ هذه النِّعَمِ - لِاخْتِصاصِهَا بالْحاضِرينَ - سَمَتْ هِمَّتُهُمُ السَّامِيَةُ إلى إطْلاعِ الْغائِبينَ، بلِ الَّذينَ سَيُولَدُونَ بَعْدَهُمْ على ما اسْتَنْبَطُوهُ من الْمَعارِفِ والْعُلومِ، وَأَتْعَبُوا نُفوسَهُمْ في تَحْصِيلِهَا وتَدْوِينِهَا، لِيَنْتَفِعَ بها عُلَماءُ الْأَقْطارِ، ولِتَزْدادَ الْعُلومُ بِتَلَاحُقِ الْأَفْكارِ. بَحَثوا عن أَحْوالِ الْكِتابَةِ الثَّابِتَةِ نُقُوشُهَا على وَجْهِ كُلِّ زَمانٍ، وعَنْ حَرَكاتِها وسَكَناتِها، ونُقَطِهَا وضَوابِطِها مِنْ شَدَّاتِها وَمَدَّاتِها، وعن تَرْكيبِها وَتَسْطيرِها، لِيَنْتَقِلَ منها النَّاظِرونَ إلى الْأَلْفاظِ والْحُروفِ، ومنها إلى الْمَعانِي الْحاصِلَةِ في الْأَذْهانِ.

وإِنَّمَا لم يَضَعُوا الْكِتابَةَ بإزاءِ ما في الْأَعْيانِ، بأنْ يَضَعُوا لِلْجَوْهَرِ مَثَلًا نَقْشًا، ولِلْعَرَضِ نَقْشًا آخَرَ، لِئَلَّا يَلْزَمَ عَدَمُ فَهْمِ الْأَلْفاظِ من الْكِتابَةِ، إذ لا يَلْزَمُ

---

(1) فَتَوَقُّفَ أدبُ، في مراد ملا.

(2) كتب تحتها في نسخة أنطاليا: لعلها وأفصحهم في الفصاحة.

من الدَّلالَةِ على الْمَدْلولِ الدَّلالَةُ على دَوَالِّه، بِخِلافِ ما إذا وُضِعَ بإزاءِ الْأَلْفاظِ، إذْ يَلْزَمُ من الدَّلالَةِ على الدَّالِّ الدَّلالَةُ على مَدْلُولِهِ.

وأيْضًا لم يَضَعُوهَا بإزاءِ ما في الْأَذْهانِ، لِاعْتِيادِ الْمُفَكِّرَةِ بِتَخَيُّلِ الْألْفاظِ عند تَصَوُّرِ الْمَعاني، حتى كأنَّ الْمُفَكِّرَ يُناجِي نَفْسَهُ بِأَلْفاظٍ يَتَخَيَّلُهَا عند الْفِكْرِ. ولِعُسْرِ الِانْتِقالِ حِينَئذٍ إلى اللَّفْظِ، إذِ الِانْتِقالُ من الْمَدْلولِ إلى الدَّالِّ أَصْعَبُ من عَكْسِهِ. ألَا تَرَى أنَّ إنْشاءَ الْأَلْفاظِ بِإزاءِ ما في النَّفْسِ مِنَ الْمَعاني أَشَقُّ عند النَّفْسِ من فَهْمِ الْمَعانِي من الْألْفاظِ[1].

وأمَّا كَيْفِيَّةُ وَضْعِهِ، فقيلَ: أوَّلُ مَنْ وَضَعَ الْخَطَّ آدَمُ عليه السَّلامُ، كَتَبَهُ في طِينٍ وطَبَخَهُ، فَأَصابَ بَعْدَ الطُّوفانِ كُلُّ قَوْمٍ كِتابَهُمْ وخَطَّهُمْ. وقيلَ: أَخْنُوخُ، وهو إدْريسُ عليه السَّلامُ. وقيلَ: هُودُ عليه السَّلامُ. وقيل: أُنْزِلَتْ على آدم عليه السَّلامُ في إحْدَى وعِشرينَ صَحيفَةً. والْأَصَحُّ أنَّها تَوْقِيفِيَّةٌ كلُّهَا، أو بعضُها، ولا تَبَايُنَ بين هذه الْأَقْوالِ، لِجَوازِ نُزولِ الْخَطِّ على كُلٍّ منها.

وعن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عنهما، أنَّ أوَّلَ مَنْ وَضَعَ الْخَطَّ الْعَرَبِيَّ ثَلاثَةُ رِجالٍ من بَوْلَانَ[2]، وهي قَبيلَةٌ من قَبيلَةِ طَيِّءٍ، نَزَلوا مَدينَةَ الْأَنْبَارِ، فَأَوَّلُهُمْ: مَرَّارُ[3]، وهو وَضَعَ الصُّوَرَ. وثانيهم: أَسْلَمُ، فهو وَصَلَ وَفَصَلَ. وثالِثُهم:

---

(1) ينظر رسالة في العلوم الشرعية والعربية للتوقاتي: 23.

(2) بنو بولان – بفتح الباء وسكون الواو نون في الآخر – بطن من طيء من القحطانية، وهم بنو بولان واسمه عصين بن عمرو ابن طيء. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب: 183.

(3) مُرامِرُ بن مُرَّةَ، في صبح الأعشى: 3/ 12، مصدر النقل ومصادر أخرى.

عَامِرُ، فَوَضَعَ الْإِعْجَامَ[1]. ثم نُقِلَ هذا الْعِلْمُ إلى مَكَّةَ، وتَعَلَّمَهُ من تَعَلَّمَهُ، وَكَثُرَ في النَّاسِ، وتَدَاوَلُوهُ.

ونَقَلَ الْجَوْهَرِيُّ عن شَرْقِيِّ[2] بنِ الْقَطَامِيِّ: أنَّ أَوَّلَ مَنْ وَضَعَهُ رِجالٌ من طَيِّءٍ، منهم مُرارَةَ بْنُ مُرَّةَ.

وقيلَ: أوَّلُ مَنِ اخْتَرَعَهُ سِتَّةُ أَشْخاصٍ من طَسْمٍ[3]، كانوا نُزولًا عند عَدْنَانَ بنِ أُدَدٍ، وكانتْ أَسْماؤُهُمْ: أَبَجَدَ وَهَوَّزَ وحُطَيَّ وكَلَمُنَ وسَعْفَصَ وقُرِشَتَ. فَوَضَعُوا الْكِتابَةَ والْخَطَّ على أَسْمائِهِمْ، وما شَذَّ مِنْ أَسْمائِهِمْ من الْحُروفِ، أَلْحَقوهَا وسَمَّوهَا الرَّوادِفَ[4]، وهي: ثَخَذُ وضَظَغُ[5].

---

(1) ينظر صبح الأعشى: 3/ 12، 149.

(2) شرفي، في النسخ الخطية والصواب ما أثبتنا، وهو الوليد بن الحصين الكوفي المعروف بشرقي بن القطامي، عالم بالآداب والأنساب والأخبار، من أهل الكوفة، استقدمه المنصور إلى بغداد لتعليم ولده المهدي، (ت.نحو 155هـ). ترجمته في: التاريخ الكبير: 5/ 420، المعارف: 234، تاريخ بغداد: 15/ 612، الوافي بالوفيات: 16/ 77.

(3) بنو طَسْمٍ: قبيلة من العرب العاربة، قال ابن الكلبي، والطبري: وهم بنو طسم بن لاوذ بن سام بن نوح، وذكر الجوهري أنهم من عاد قال: وكانت منازلهم الأحقاف من اليمن مع جديس، وذكر في العبر: أن ديارهم كانت اليمامة، وأنها كانت يومئذ من أخصب البلاد وأعمرها، وسبب هلاكهم حربهم مع إخوانهم من جديس. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب: 324.

(4) ينظر العقد الفريد: 4/ 39.

(5) ألف السيوطي رسالة في حروف الهجاء، وذكر وجوه ضبطها وإعرابها وهي مطبوعة ضمن كتاب جلال الدين السيوطي مسيرته العلمية ومباحثه اللغوية، لمصطفى الشكعة.

ويُروى أَنَّها أَسْماءُ مُلوكِ مَدْيَنَ، وأنَّ كَلَمُنَ كانَ في زَمَنِ شُعَيْبٍ عليه السَّلامُ. ثُمَّ انْتَقَلَ الْخَطُّ عنهم إلى الْأَنْبَارِ، واتَّصَلَ بِأَهْلِ الْحِيرَةِ، وفَشَا في الْعَرَبِ، ثم انْتَشَرَ بعد الْمَبْعَثِ.

وَقِيلَ: إنَّ نَفيسًا ونَصْرًا وتَيْمًا ودُومَةَ بني إسْماعيلَ، وَضَعوا كِتابًا واحِدًا، وجَعَلوهُ سَطْرًا واحِدًا، مَوْصولَ الْحُروفِ كُلِّهَا غَيْرَ مُتَفَرِّقٍ[1]، ثم فَرَّقَهُ نَبْتٌ وهَمَيْسَعُ وَقَيْذارُ، وَجَعَلوا الْأَشْباهَ والنَّظائِرَ.

وعن هِشامٍ[2] عن أَبيهِ مُحَمَّدٍ قال: أَخْبَرني قَوْمٌ من عُلَماءِ مِصْرَ أنَّ أَوَّلَ مَنْ كَتَبَ الْخَّطَ الْعَرَبِيَّ رَجُلٌ مِنْ بني النَّضْرِ بنِ كِنَانَةَ[3].

وفي السِّيرة، لابْنِ هِشامٍ: أنَّ أَوَّلَ من كَتَبَ بِالْخَطِّ الْعَرَبِيِّ حِمْيَرُ بْنُ سَبَإٍ، عُلِّمَهُ في الْمَنامِ.

قال السُّهَيْلِيُّ في **"التَّعْرِيفُ والإعْلَامُ"**[4]: وَالْأَصَحُّ ما رَوَيْنَاهُ من طَرِيقِ أبي عُمَرَ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ يَرْفَعُهُ إلى النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ قال: «أَوَّلُ مَنْ كَتَبَ بالْعَرَبِيَّةِ إِسْمَاعِيلُ عليه السَّلامُ»[5].

---

(1) متفرقة، في رئيس الكتاب ومراد ملا.

(2) يقصد هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت.204هـ).

(3) ينظر العقد الفريد: 4/ 39، وصبح الأعشى: 3/ 13، والنقل منه.

(4) التَّعْرِيف والإعلام فيما فِي الْقُرْآن من الْأَسْمَاء الْأَعْلَام.

(5) الروض الأنف: 1/ 78، صبح الأعشى: 3/ 14.

وَقيلَ لابْنِ عَبَّاسٍ: مِنْ أَيْنَ تَعَلَّمْتُمُ الْهِجَاءَ وَالْكِتابَ وَالشَّكْلَ؟ قال: عَلَّمَناهُ حَرْبُ بنُ أُمَيَّةَ. قيلَ: مِنْ أَيْنَ عُلِّمَهُ حَرْبُ بْنُ أُمَيَّةَ؟ قال: طارِئٌ طَرَأَ عليه مِنَ الْيَمَنِ. قيلَ: مِنْ أينَ عُلِّمَهُ ذلك الطَّارِئُ؟ قال: كانَ كاتِبَ الْوَحْيِ لِهودٍ عليه السَّلامُ.

وَذَكَرَ أبو عَمْرٍو الدَّانِيُّ في كِتابِ: "التَّنْبيهُ على النَّقْطِ والشَّكْلِ" نَحْوَهُ[1].

وَقيلَ: أَوَّلُ ما ظَهَرَتْ بِالْيَمَنِ مِنْ قِبَلِ أبي سُفْيانَ بنِ أُمَيَّةَ، عَمِّ أبي سُفْيانَ ابنِ حَرْبٍ، وأَتَتْهُ من قِبَلِ رَجُلٍ من أهْلِ الْحِيرَةِ. قالَ أَهْلُ الْحِيرَةِ: أَخَذْناها من أَهْلِ الْأَنْبارِ، وَتَعَلَّمَ من أبي سُفْيانَ بنِ حَرْبٍ عُمَرُ بنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، وجَماعَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ. وتَعَلَّمَهُ مُعاويَةُ بْنُ أَبِي سُفْيانَ مِنْ عَمِّهِ سُفْيانَ. وأمَّا الْأَوْسُ والْخَزْرَجُ تَعَلَّمُوهُ مِنْ يَهودِيٍّ، فَجاءَ الإِسْلامُ وفيهم بِضْعَةَ عَشَرَ يَكْتُبونَ؛ كَسَعْدِ بنِ زُرَارَةَ، والْمُنْذِرِ بنِ عَمْرٍو، وأُبَيِّ بنِ كَعْبٍ، وزَيْدِ بنِ ثابِتٍ. وهم يَكْتُبونَ الْكِتابَيْنِ جَميعًا الْعَرَبِيَّةَ والْعِبْرانِيَّةَ. ومنهم رَافِعُ بنُ مَالِكٍ، وأُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ، ومَعْنُ بنُ عَدِيٍّ، وأبو عَبْسِ بْنُ كَثيرٍ، وَأَوْسُ بْنُ خَوْلِيٍّ، وبَشيرُ بنُ سَعْدٍ رضي الله عنهم[2].

واعْلَمْ أنَّ جَميعَ كِتاباتِ الْأُمَمِ من سُكَّانِ الشَّرْقِ والْغَرْبِ اثْنَتا عَشْرَةَ كِتابَةً: الْعَرَبِيَّةُ، والْحِمْيَرِيَّةُ، والْيونانِيَّةُ، والْفارِسِيَّةُ، والسُّريانِيَّةُ، والْعِبْرانِيَّةُ، والرُّومِيَّةُ، والْقِبْطِيَّةُ، والْبَرْبَرِيَّةُ، والْأَنْدَلُسِيَّةُ، والْهِنْدِيَّةُ، والصِّينِيَّةُ. فَخَمْسٌ منها اضْمَحَلَّتْ،

---

(1) صبح الأعشى: 3/ 14.

(2) المصدر نفسه: 3/ 14-15.

وذَهَبَ من يَعْرِفُها وهي: الْحِمْيَرِيَّةُ، والْيونانِيَّةُ، والْقِبْطِيَّةُ، والْبَرْبَرِيَّةُ، والْأَنْدَلُسِيَّةُ. وَثَلاثٌ بَقِيَ اسْتِعْمالُها في بِلادِها، وعُدِمَ من يَعْرِفُهُا في بِلادِ الْإِسْلَامِ وهي: الرُّومِيَّةُ، والْهِنْدِيَّةُ، والصِّينِيَّةُ. وَبَقِيَتْ أَرْبَعٌ هي مُسْتَعْمَلاتٌ في بُلْدانِ الْإِسْلامِ وهي: الْعَرَبِيَّةُ، والْفارِسِيَّةُ، والسُّريانِيَّةُ، والْعِبْرانِيَّةُ[1].

قالَ صاحِبُ "**الْأَبْحاثُ الْجَميلَةُ في شَرْحِ الْعَقيلَةِ**"[2]: والْخَطُّ الْعَرَبِيُّ هو الْمَعْروفُ الْآنَ بالْكُوفِيِّ، ومنه اسْتُنْبِطَتِ الْأَقْلامُ الَّتِي هي الآنَ. وَنُقِلَ من الْكُوفِيِّ في أَواخِرِ خِلافَةِ بني أُمَيَّةَ وأوائِلِ خِلافَةِ بني الْعَبَّاسِ، وَأَوَّلُ من كَتَبَ الْخَطَّ البَدِيعَ الْمَنْسوبَ أبو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ حَسَنِ بْنِ مُقْلَةَ الْوَزِيرُ. وَماتَ سَنَةَ ثَمانٍ وَعِشْرينَ وثَلاثِمِئَةٍ[3].

ثُمَّ ظَهَرَ في سَنَةِ ثَلاثَ عَشْرَةَ وأَرْبَعِمِئَةٍ صاحِبُ الْخَطِّ الْبَديعِ الْمَنْسوبِ، عَلِيُّ بنُ هِلالٍ ابْنُ الْبَوَّابِ الْبَغْدادِيُّ[4].

ثُمَّ ظَهَرَ أبو الدُّرِّ يَاقوتُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْمَوْصِلِيُّ أَمِينُ الدِّينِ الْمَكِّيُّ. وتُوُفِّيَ سَنَةَ ثَمانِيَ عَشْرَةَ وسِتِّمِئَةٍ.

---

(1) وفيات الأعيان: 1/ 344.

(2) تنسب لإبراهيم بن عمر بن إبراهيم الجعبري (ت.732هـ).

(3) النقل من صبح الأعشى: 3/ 15.

(4) (ت.423هـ)، ترجمته في: معجم الأدباء: 5/ 1996، وفيات الأعيان: 3/ 342، سير أعلام النبلاء: 17/ 315، صبح الأعشى: 3/ 13.

ثُمَّ ظَهَرَ أبو الدُّرِّ يَاقُوتُ بْنُ عَبْدُ اللهِ الرُّومِيُّ الْحَمَوِيُّ شِهابُ الدِّينِ. وَتوفِّيَ سَنَةَ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وسِتِّمِئَةٍ[1].

ثُمَّ ظَهَرَ أبو الدُّرِّ يَاقوتُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الرُّومِيُّ مُهَذَّبُ الدِّينِ. وتُوُفِّيَ سَنَةَ سَبْعٍ وسِتِّينَ وسِتِّمِئَةٍ[2].

ثُمَّ ظَهَرَ أبو الدُّرِّ ياقوتُ الرُّومِيُّ الْمُسْتَعْصِمِيُّ، وهو الَّذِي طَبَّقَ الْأَرْضَ شَرْقًا وغَرْبًا اسْمُهُ، وسارَ ذِكْرُهُ مَسيرَ الْأَمْطارِ في الْأَمْصارِ، وَأَذْعَنَ لِصَنْعَتِهِ الْكُلُّ، وَاعْتَرَفُوا بِالْعَجْزِ عن مُداناةِ رُتْبَتِهِ فَضْلًا عن الْوُصولِ إليها. لِأَنَّهُ سَحَرَ في الْكِتابَةِ سِحْرًا لو رَآهُ السَّامِرِيُّ لَقالَ: إنَّ هذا سِحْرٌ حَلالٌ. وتُوُفِّيَ هو سَنَةَ ثَمانٍ وَتِسْعينَ وسِتِّمِئَةٍ[3]. وإنَّمَا ذَكَرْتُ هذه النُّكْتَةَ لِئَلَّا يَقَعَ الِالْتِباسُ، على كَثيرٍ من النَّاسِ في أَصْحابِ الْخَطِّ الْبَديعِ الْمَنْسوبِ من بُرَعَاءِ الْكُتَّابِ.

---

(1) الصحيح أنه توفي سنة 626هـ.

(2) الصحيح أنه توفي سنة 622هـ.

(3) المشهور أنه توفي سنة 689هـ.

الشُّعْبَةُ الأولَى: في الْعُلومِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِكَيْفِيَّةِ الصِّناعَةِ الْخَطِّيَّةِ

عِلْمُ أَدَواتِ الْخَطِّ من الْقَلَمِ، وَطَريقِ اسْتِعْلامِ جَيِّدِهَا من رَدِيئِهَا، وطَريقِ بَرْيِهَا، وَأَحْوالِ الْفَتْحِ والنَّحْتِ، والشَّقِّ والْقَطِّ. وَمِنَ **الدَّواةِ** وكَيْفِيَّةِ إلَاقَتِهَا، وكَيْفِيَّةِ إصْلاحِ الْمِدَادِ. ومن **الْمِدادِ**، وكَيْفِيَّةِ صَنْعَتِهَا، وأَنْواعِها، وَكَيْفِيَّةِ إصْلاحِها. وَمِنَ **الْكاغِدِ**، ومَعْرِفَةِ[1] جَيِّدِهَا مِنْ رَديئِها، ومَعْرِفَةِ أَنْواعِها، وطَريقِ إصْلاحِها. وَغَيْرِ ذلِكَ مِنْ أَدَواتِ الْكِتابِ.

ومِنْ بَديعِ وَصْفِ الْقَلَمِ: ما حَكاهُ الْعَتَّابِيُّ[2] عن نَفْسِهِ، قالَ: سَأَلَنِي الْأَصْمَعِيُّ قالَ: أيُّ الْأنابِيبِ أَصْلَحُ لِلْكِتابَةِ وعليها أَصْبَرُ؟

قُلْتُ: ما نَشَفَ بالْهَجِيرِ ماؤُهُ، وَسَتَرَ عن تَلْوِيحِهِ غِشَاؤُهُ، من التِّبْرِيَّةِ الْقُشُورِ، الدُّرِّيَّةِ الظُّهورِ، الْفِضِّيَّةِ الْكُسُورِ.

قالَ: فأيُّ نوعٍ من الْبَرْيِ أكْتَبُ وأَصْوَبُ؟

قُلْتُ: الْبِرْيَةُ الْمُسْتَوِيَةُ الْقَطِّ، عن يَمينٍ منها بِرْيَةٌ تَأْمَنُ عليها الْمَجَّةَ عند الْمَطِّ، الْهَواءُ في مَشَقِّهَا فَتِيقٌ، والرِّيحُ في جَوْفِها حَريقٌ، والْمِدادُ في خُرْطومِها رَقيقٌ.

قالَ: فَبَقِيَ الْأَصْمَعِيُّ شاخِصًا ـ أي ضاحِكا ـ لا يُحِيرُ مَسْأَلَةً ولا جَوابًا[3].

---

(1) من معرفة، في قونية وأنطاليا.

(2) كلثوم بن عمرو التغلبي العتابي أبو عمرو (ت.220هـ).

(3) العقد الفريد: 4/ 255، نهاية الأرب: 7/ 21، صبح الأعشى: 2/ 480.

ومن الْمُصَنَّفاتِ فيه:

تَصْنِيفُ عَلِيِّ بنِ هِلالِ ابْنِ الْبَوَّابِ الْبَغْدادِيِّ، حَيْثُ صَنَّفَ **قَصيدَةً رائِيَّةً** بَليغَةً غايَةَ الْبَلاغَةِ، واسْتَقْصى فيها أَدواتِ الْكِتابَةِ. رَأَيْتُ هذه الْقَصيدَةَ، وطالَعْتُهَا، وَانْتَفَعْتُ بها، سِيَّمَا قَوْلُهُ: [الكامل]

وَارْغَبْ لِكَفِّكَ أَنْ تَخُطَّ بَنَانُهَا خَيْرًا تُخَلِّفُهُ بِدَارِ غُرُورِ[1]
فَجَمِيعُ فِعْلِ الْمَرْءِ يَلْقَاهُ غَدًا عِنْدَ الْتِقَاءِ كِتَابِهِ الْمَنْشُورِ

ونَظِيرُ هذا قَوْلُ الشَّاعِرِ الآخَرِ: [الوافر]

وَمَا مِنْ كَاتِبٍ إلا سَيَفْنَى وَيُبْقِي الدَّهْرُ ما كَتَبَتْ يَدَاهُ[2]
فَلَا تَكْتُبْ بِخَطِّكَ غَيْرَ شَيْءٍ يَسُرُّكَ في الْقِيَامَةِ أنْ تَرَاهُ

فائِدَةٌ:

اعْلَمْ أَنَّ أبا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ هِلالِ الْكاتِبَ الْبَغْدادِيَّ، الْمَعْروفَ بابْنِ الْبَوَّابِ لم يُوجَدْ في الْمُتَقَدِّمِينَ ولا الْمُتَأخِّرِينَ من كَتَبَ مِثْلَهُ ولا قَارَبَهُ. وإِنْ كانَ أبو عَلِيٍّ ابنُ مُقْلَةَ، أَوَّلَ من نَقَلَ هذه الطَّرِيقَةِ من خَطِّ الْكوفِيِّينَ وَأَبْرَزَهَا في هذه الصُّورَةِ، وله بذلك فَضيلَةُ السَّبْقِ، وخَطُّهُ أيْضًا في نِهايَةِ الْحُسْنِ. لكنَّ ابْنَ الْبَوَّابِ هَذَّبَ طَرِيقَتَهُ، ونَقَّحَهَا، وكَساها طَلَاوَةً وَبَهْجَةً.

---

(1) البيتان من نهاية قصيدة طويلة لابن البواب، أوردها ابن خلدون في العبر: 1/ 530.

(2) نسبا لذي النون المصري في روض الرياحين في حكايات الصالحين: 43، ويكتبان كثيرا في نهاية تقييد ختام المخطوطات.

وَقِيلَ: إنَّ صاحِبَ الْخَطِّ الْمَنْسوبِ أَخوهُ أبو عَبْدِ اللهِ الْحَسَنُ. لَكِنَّ الْأَصَحَّ وَالْأَشْهَرَ ما ذَكَرْناهُ أَوَّلًا. وَالْكُلُّ مُعْتَرِفونَ لِأَبِي الْحَسَنِ بالتَّفَرُّدِ وَالسَّبْقِ وَعَدَمِ الْمُشارَكَةِ، ولا يَدَّعُونَ لُحُوقَ شَأْوِهِ، مع أَنَّ في الْخَلْقِ من يَدَّعِي ما لَيْسَ فيه.

ويُقالُ له: ابْنُ السِّتْرِيِّ أيْضًا، لأنَّ أباهُ كان بَوَّابًا، والْبَوَّابُ يُلازِمُ سِتْرَ الْبابِ[1]. وكانَ شَيْخُهُ في الْكِتابَةِ ابْنَ أَسَدِ الْكاتِبَ. وهو أبو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ ابْنُ أَسَدِ بْنِ عَلِيِّ بنِ سَعيدِ الْقَارِيُّ الْكَاتِبُ، الْبَزَّازُ الْبَغْدادِيُّ. تُوُفِّيَ ابْنُ الْبَوَّابِ سَنَةَ ثَلاثٍ وعِشْرينَ أو عَشْرٍ وأَرْبَعِمِئَةٍ بِبَغْدادَ. ودُفِنَ جِوارَ الْإِمامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَضِيَ الله عَنْهُ. وقِيلَ في مَرْثِيَّةِ ابْنِ الْبَوَّابِ: [الكامل]

اِسْتَشْعَرَ الْكُتَّابُ فَقْدَكَ سَالِفًا ... وَقَضَتْ بِصِحَّةِ ذَلِكَ الْأَيَّامُ[2]
وَلِذَاكَ سُوِّدَتِ الدَّوَاةُ كَآبَةً ... أَسَفًا عَلَيْكَ وَشُقَّتِ الْأَقْلَامُ[3]

ومن الْمُصَنَّفاتِ في الْعِلْمِ الْمَذْكورِ: تَأْليفُ ياقوتِ الْمُسْتَعْصِمِيِّ، وهو رِسالَةٌ لَطيفَةٌ في هذا الْفَنِّ نافِعٌ في الْغايَةِ.

فائِدَةٌ:

أبو الدُّرِّ ياقوتُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الرُّومِيُّ، كانَ من مَماليكِ الْخَليفَةِ الْمُسْتَعْصِمِ، كَتَبَ الْخَطَّ الْمَنْسوبَ الْبَديعَ، واشْتَغَلَ بالْعلومِ الْعَرَبِيَّةِ بِأَسْرِها،

(1) ينظر وفيات الأعيان: 3/ 342.
(2) البيتان بدون نسبة في معجم الأدباء: 6/ 2576، وفيات الأعيان: 3/ 343، وصبح الأعشى: 3/ 18.
(3) سُوِّدت الدُّويُّ، في صبح الأعشى: 3/ 18.

وَفاقَ في النَّظْمِ والنَّثْرِ. وأَكَبَّ على تَعْليمِ الْعِلْمِ وَتَعْليمِ الْكِتابَةِ، وَجَوْدَةُ خَطِّهِ غَنِيَّةٌ عن الْبيانِ، يَعْرِفُها أَهْلُ كُلِّ زَمانٍ. وتُوُفِّيَ سنَةَ ثَمانٍ وتِسْعينَ وسِتِّمِئَةٍ[1].

وَغَيْرُ هذا عِدَّةُ يَواقيتَ بعضُهم مَشهورٌ بحُسْنِ الْخَطِّ أيضًا، لكِنَّهُمْ لم يَبْلُغوا هذه الْغايَةَ. ويَمْتازُ عنهم بالنِّسْبَةِ إلى الْخَليفَةِ الْمُسْتَعْصِمِ وبِالسِّنِّ.

ومن الْمُصَنَّفاتِ فيه:

الْبَابُ الواحِدُ من كِتابِ "**صُبْحُ الْأَعْشَى في كِتَابَةِ الْإِنْشَا**"، لأبي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ الْقَلْقَشَنْدِيِّ ثُمَّ الْمِصْرِيِّ. وهذا الْكِتابُ سَبْعَةُ أَجْزاءٍ في صِناعَةِ الإنْشاءِ. وكلُّ جُزْءٍ[2] منها مُجَلَّدٌ ضَخْمٌ، لم يُغادِرْ صَغيرَةً ولا كَبيرَةً مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِصِناعَةِ الْإِنْشاءِ إلَّا أَوْرَدَهَا. ولَقَدْ أَكْثَرَ فيها من الِاسْتِطْرادِ. وَزَعَمَ أنَّ الْمُنْشِئَ لا بُدَّ له من الْمَعْرِفَةِ بِجَميعِ ما يُمْكِنُ مَعْرِفَتُهُ من الْعُلومِ والْأَحْوالِ[3] والْأَخْبارِ. فَتَعَرَّضَ ما أَمْكَنَ له التَّعَرُّضُ له. وأَوْرَدَ في الْبابِ الْمَذْكورِ ما يَتَعَلَّقُ بِعِلْمِ الْخَطِّ، وَأَجادَ فيه كُلَّ الْإِجادَةِ. وَنَقَلَ أَكْثَرَهُ عن ياقوتِ الْمُسْتَعْصِمِيِّ.

عِلْمُ قَوانينِ الْكِتابَةِ

وهو عِلْمٌ يُعْرَفُ منه كَيْفِيَّةُ نَقْشِ صُوَرِ الْحُروفِ الْبَسائِطِ، وكَيْفَ يوضَعُ الْقَلَمُ، وَمِنْ أَيِّ جانِبٍ يُبْتَدَأُ في الْكِتابَةِ. وَكَيْفَ يَسْهُلُ تَصْويرُ تِلْكَ الْحُروفِ.

---

(1) ذكر صاحب الأعلام أنه توفي سنة 689هـ.

(2) مجلد، في قونية ورئيس الكتاب وأنطاليا.

(3) الأقوال، في قونية.

ومن الْمُصَنَّفات فيه:

الْبابُ الْواحِدُ من كِتابِ: "**صُبْحُ الْأَعْشَى**"[1].

عِلْمُ تَحْسينِ الْحُروفِ

عِلْمٌ يُعْرَفُ منه تَحْسينُ تِلْكَ النُّقوشِ، وما يَتَعَلَّقُ به من أَدَواتِ الْكِتابَةِ، وكَيْفِيَّةُ اتِّخاذِها، وَتَمْييزُ جَيِّدِهَا عن رَديئِها، وأَسْبابُ الْحُسْنِ في الْحُروف آلَةً واسْتِعْمالًا وتَرْتيبًا.

وَمَشاهيرُ الْخَطَّاطينَ قد أَلَّفُوا في هذا الْعِلْمِ كُتُبًا كَثيرَةً.

وَلِياقوتِ الْمُسْتَعْصِمِيِّ: رِسالَةٌ لَطيفَةٌ في هذا الْفَنِّ، بَيَّنَ فيها طَريقَتَهُ الْخاصَّةَ.

ومَبْنَى هذا الْفَنِّ الِاسْتِحْسانات النَّاشِئَةُ من مُقْتَضَى الطِّباعِ السَّليمَةِ. ويَخْتَلِفُ بِحَسَبِ الْإِلْفِ والْعادَةِ والْمِزاجِ، بَلْ بِحَسَبِ كُلِّ شَخْصٍ شَخْصٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مما يُؤَثِّرُ في اسْتِحْسانِ الصُّوَرِ واسْتِقْباحِهَا. ولهذا يَتَنَوَّعُ هذا الْعِلْمُ بِحَسَبِ قَوْمٍ قَوْمٍ، بَلْ شَخْصٍ شَخْصٍ[2]. ولِهَذا لا يَكادُ يوجَدُ خَطَّانِ مُتَماثِلانِ من كُلِّ الْوُجوهِ.

---

(1) صبح الأعشى: 1/ 175.

(2) رسالة في العلوم الشرعية والعربية: 42-43.

عِلْمُ كَيْفِيَّةِ تَوَلُّدِ الْخُطوطِ عن أُصولِها

هو عِلْمٌ يُبْحَثُ فيه عن كَيْفَيَّةِ تَوَلُّدِ فُروعِ الْخُطوطِ الْمُسْتَنْبَطَةِ عن أُصولِها بالِاخْتِصارِ والزِّيادَةِ، وغَيْرِ ذلكَ من أنْواعِ التَّغَيُّراتِ بِحَسَبِ قَوْمٍ قَوْمٍ، وغَرَضٍ غَرَضٍ مَعْلومٍ في فَنِّهِ[1].

وَحُذَّاقُ الْخَطَّاطينَ صَنَّفُوا فيها رَسائِلَ كَثيرَةً سِيَّمَا كِتابُ: "**صُبْحُ الْأَعْشَى**"[2]، فَلْيُطْلَبِ التَّفاصِيلُ[3] منها.

عِلْمُ تَرْتيبِ حُروفِ التَّهَجِّي

وهو عِلْمٌ يُبْحَثُ فيه عن كَيْفِيَّةِ تَرْتيبِ حُروفِ التَّهَجِّي في الْكِتابَةِ بهذا التَّرْتيبِ الْمَعْهودِ فيما بيننا، واشْتِراكِ بَعْضِها بِبَعْضٍ في صورَةِ الْخَطِّ، وإزالَةِ الْتِباسِهَا بالنَّقْطِ، واخْتِلافِ تلك النُّقَطِ بكَوْنِها تَحْتانِيَّةً في الْبَعْضِ، وفَوْقانِيَّةً في الْآخَرِ، أو مُثَنَّاةً، أو مُثَلَّثَةً. إلى غَيْرِ ذَلِكَ مما يَتَعَلَّقُ بهذا الشَّأْنِ؛ كَتَرْجِيحِ صورَةٍ مُعَيَّنَةٍ من تِلْكَ الصُّوَرِ الْمُشاهَدَةِ الْمَعْلُومَةِ لِحَرْفٍ حَرْفٍ[4].

ومَوْضوعُهُ ومَبادِئُهُ وغَرَضُهُ وغايَتُهُ ومَنفَعَتُهُ ظاهِرَةٌ.

---

(1) رسالة في العلوم الشرعية والعربية: 43.

(2) صبح الأعشى: 1/ 373 وما بعدها.

(3) فَلْتَطلُبِ التَّفاصيلَ، في مراد ملا.

(4) ينظر رسالة في العلوم الشرعية والعربية: 41.

وَلِابْنِ جِنِّي[1]، والْخَبْرِيِّ[2] رِسالَةٌ في هذا الْبابِ. وكذا أَوْرَدَ الْقَلْقَشَنْدِيُّ ما فيه كِفايَةٌ في كتابِ: "صُبْحُ الْأَعْشى"[3].

واعْلَمْ أَنَّهُ قد تَقَدَّمَ أنَّ أَوَّلَ من وَضَعَ النَّقْطَ [مَرَّارُ][4]، والْإِعْجامَ عامِرُ. ويُفْهَمُ منه أَنَّهُما وُضِعَا مع وَضْعِ الْحُروفِ[5].

وقد رُوِيَ أنَّ أوَّلَ من نَقَطَ الْمَصاحِفَ، ووَضَعَ الْعَرَبِيَّةَ أبو الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ، مِنْ تَلْقِينِ أميرِ الْمُؤْمِنينَ عَلِيٍّ كرَّمَ الله وجْهَهُ، إلَّا أنَّ الظَّاهِرَ أن ما وَضَعَهُ أبو الأسْوَدِ الْإعْجامُ، إذ يَبْعُدُ أنَّ الْحُروفَ مع تَشابُهِ صُوَرِها كانَتْ عَرِيَّةً عن النَّقْطِ إلى حين نَقْطِ الْمُصْحَفِ.

وقد رُوِيَ أنَّ الصَّحابةَ، رَضِيَ الله عنهم جَرَّدُوا الْمُصْحَفَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حتَّى مِنَ النَّقْطِ والشَّكْلِ[6]. فإنْ كانَ الْمُرادُ مِنَ التَّجْرِيدِ مِنْهُما عَدَمَ وُجودِهِما في زَمانِهِ فلا يُخالِفُ ما رُوي سابِقًا، وإنْ كان إخْلاؤُهُمُ الْمُصْحَفَ عنهما، فَيُخَالِفُ.

---

(1) له رسالة في مَدِّ الأصوات ومقادير المدَّاتِ، وهي في حكم المفقود.

(2) عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الخَبريُّ (ت.476هـ)، كان حسن الخط، صحيح الضبط، ترجمته في: معجم الأدباء: 1486، وإنباه الرواة: 2/ 98، والوافي بالوفيات: 5/ 17، وبغية الوعاة: 2/ 29. وفي كشف الظنون: 1/ 712 الجنزي، ولعله تصحيف.

(3) ينظر صبح الأعشى: 3/ 22 وما بعدها.

(4) سقطت من قونية.

(5) الحرف، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(6) صبح الأعشى: 3/ 149.

ذَكَرَ ابْنُ خَلِّكَانَ في تَرْجَمَةِ الْحَجَّاجِ أَنَّهُ حَكى أبو أَحْمَدَ الْعَسْكَرِيُّ في "كتابُ التَّصْحِيفِ" أنَّ النَّاسَ مَكَثوا يَقْرَأونَ في مُصْحَفِ عُثْمانَ رَضِيَ الله عنه نَيِّفًا وَأَرْبَعينَ سَنَةً، إلى أَيامِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوانَ، ثُمَّ كَثُرَ التَّصْحيفُ، وانْتَشَرَ بالْعِراقِ، فَفَزِعَ الْحَجَّاجُ إلى كُتَّابِهِ، وسَأَلَهُمْ أنْ يَضَعوا لهذه الْحُروفِ الْمُشْتَبِهَةِ عَلاماتٍ، فيُقالُ: إنَّ نَصْرَ بنَ عاصِمٍ، وقيلَ: يَحْيَى بْنَ يَعْمَرَ[1]، قامَ بذلك، فوَضَعَ النَّقْطَ أفْرادًا وأزْوَاجًا، وخَالَفَ بين أماكِنِها، فَعَبَرَ النَّاسُ بذلك زمانًا لا يكتبونَ إلا مَنْقوطًا، فكان مع ذلك أيضًا يَقَعُ التَّصْحيفُ. فَأَحْدَثوا الإعْجامَ، فكانوا يَتَّبِعُونَ النَّقْطَ من الإعْجامِ. فإذا أغْفَلَ الاِسْتِقْصاءَ على الْكَلِمَةِ فلم يُوَفِّ حُقوقَهَا اعْتَرى التَّصْحيفُ. فَالْتَمَسوا حِيلَةً فلم يَقْدِروا فيها إلَّا على الْأَخْذِ من أَفْواهِ الرِّجالِ بِالتَّلْقِينِ[2].

وإذا تَقَرَّرَ ذلك، فَاعْلَمْ أنَّ النَّقْطَ والإِعْجامَ في زَمانِنا واجِبانِ في الْمُصْحَفِ. وأمَّا في غير الْمُصْحَفِ فعند خَوْفِ اللَّبْسِ واجِبٌ الْبَتَّةَ، لأَنَّهُما ما وُضِعَا إلَّا لإزالَتِهِ. وأمَّا مع أَمْنِ اللَّبْسِ؛ فإنْ لم يَكُنْ هُناكَ مَكْتوبٌ إليه أَصْلًا فَالْأَوْلى تَرْكُهُ، لئلَّا يُظْلَمَ الْخَطُّ[3] من غيرِ فائِدَةٍ.

وَقَدْ حُكِيَ أَنَّهُ عُرِضَ على عبدِ اللهِ بنِ طاهِرٍ، خَطُّ بَعْضِ الْكُتَّابِ فَقالَ: ما أَحْسَنَهُ لَوْلَا أَنَّهُ أَكْثَرَ شُونيزَهُ[4].

---

(1) يحيى بن يَعْمَرَ الوَشْقِيُّ الْعَدْوَانِيُّ (ت.129هـ).

(2) وفيات الأعيان: 2/ 32.

(3) لئلا يظلم الكتاب الخط، في قونية.

(4) شونيزه: نقطه وإعجامه. نهاية الأرب: 7/ 13، صبح الأعشى: 3/ 148.

وَإِنْ كانَ هُناكَ مَكْتوبٌ إليه، فإِنْ كان من أَهْلِ الْبَراعَةِ في الْخَطِّ فعليه أنْ لا يَرْتكِبَ إتْيانَ النَّقْطِ والإعْجامِ اَلْبَتَّةَ، لأَنَّهُمْ يَعْرِفونَ الرَّمْزَةَ وإنْ خَفِيَ مَكانُها، ويَتَفَطَّنُونَ النُّكَتَ وإن لَطُفَ شَأْنُهَا، اللَّهُمَّ إلَّا في مَوْضِعٍ يُحْتاطُ فيه جِدًّا.

وقَدْ حَكَى الْمَدَائِنِيُّ عن بَعْضِ الْأُدَباءِ أَنَّهُ قالَ: كَثْرَةُ النَّقْطِ في الْكِتَابِ سوءُ ظَنٍّ بالْمَكْتوبِ إليه. وقد يَقَعُ بالنَّقْطِ ضَرَرٌ.

كما حَكَى مُحَمَّدُ بنُ عُمَرَ الْمَدائِنِيُّ: أنَّ جَعْفَرَ الْمُتَوَكِّلَ، كَتَبَ إلى بعض عُمَّالِهِ، أنَ أَحْصِ مَنْ قِبَلَكَ من الْمُذْنِبِينَ، وعَرِّفْنَا بِمَبْلَغِ عَدَدِهِمْ. فَوَقَعَ على الْحَاءِ نُقْطَةٌ، فَجَمَعَ الْعامِلُ مَنْ كان في عَمَلِهِ منهم وَخَصاهُمْ، فَماتوا غَيْرَ رَجُلَيْنِ أو واحِدٍ منهم[1].

وإنْ لم يَكُنْ من أَهْلِ الْبَراعَةِ، بَلِ كانَ مِنَ الْمُتَوَسِّطينَ، فَيَجِبُ في مَوْضِعِ الِاحْتِياطِ، ويُخَيَّرُ فيما عَداهُ. وإنْ كانَ مِنَ الْمُبْتَدِئينَ فَعَلَيْهِ النَّقْطُ، الْتَبَسَ أَمْ لا، إلَّا في حُروفٍ لا يُحْتَمَلُ غَيْرُها، فإِنَّهُ يُخَيَّرُ في نَقْطِها؛ كَصورَةِ الْياءِ والنُّونِ الْمُفْرَدَتَيْنِ وكذا الْقافِ والْفاءِ الْمُفْرَدَتَيْنِ.

ومِنْ هذا الْعِلْمِ أَيْضًا: مَعْرِفَةُ كَيْفِيَّةِ الشَّدَّاتِ والْمَدَّاتِ والْهَمْزَاتِ والصِّلَاتِ وأَمْثالِها، وَبَيانُ وَجْهِ الْحاجَةِ إليها، واخْتِلافِ النَّاسِ في وَصْفِهَا.

---

(1) مصدر النقل صبح الأعشى: 1/ 147-148. وتنظر القصة أيضا في مجمع الأمثال: 1/ 251.

الشُّعْبَةُ الثَّانِيَةُ: فيما يَتَعَلَّقُ بِإمْلاءِ الْحُروفِ الْمُفْرَدَةِ

عِلْمُ تَرْكيبِ أَشْكالِ بَسائِطِ الْحُروفِ

وهو عِلْمٌ يُبْحَثُ فيه عن التَّراكيبِ بينَ أَشْكالِ بَسائِطِ الْحُروفِ مُطْلَقًا، لا من حيثُ دَلالَتُها على الألْفاظِ، بل من حيث حُسْنُهَا في السُّطورِ. فكما أنَّ لِلْحُروفِ حُسْنًا حالَ بَساطَتِها، فكذلك لها حُسْنٌ مَخْصوصٌ حالَ تَرْكِيبِها؛ مِنْ تَنَاسُبِ الشَّكْلِ، والنَّقْطِ، والْبَياضاتِ الْواقِعَةِ بينَ الْحُروفِ والْكَلِماتِ والسُّطورِ.

ومَوْضوعُ هذا الْعِلْمِ وأغراضُهُ وغاياتُهُ ظاهِرَةٌ.

ومَبادِئُها: أُمورٌ اسْتِحْسانِيَّةٌ يَرْجِعُ كلُّها أو جُلُّها إلى رِعايَةِ النِّسْبَةِ الطَّبيعِيَّةِ في الْأشْكالِ. وله اسْتِمْدادٌ من الْهَنْدَسِيَّاتِ(1).

واعْلَمْ أنَّ تَشْكِيلَ الْكِتابَةِ على ضَرْبَيْنِ:

الْأَوَّلُ: حُسْنُ التَّشْكيلِ في الْحُروفِ. وهي خَمْسَةٌ:

- **التَّوْفِيَةُ**: وهو(2) أن يُوَفَّى كُلُّ حَرْفٍ من الْحُروفِ حَظَّهُ من التَّقْوِيسِ والانْحِناءِ والانْبِطَاحِ.

- **والإِتْمَامُ**: وهو أن يُعْطى كُلُّ حَرْفٍ قِسْمَتَهُ من الْأَقْدارِ التي يَجِبُ أنْ يَكونَ عليها مِنْ طولٍ أو قِصَرٍ أو دِقَّةٍ أو غِلَظٍ.

---

(1) ينظر رسالة في العلوم الشرعية والعربية: 43.

(2) وهو، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

ـ **والإِكْمالُ**: وهو أن يُؤْتى كُلُّ خطٍّ حَظَّهُ من الْهَيْئاتِ الَّتِي يَنْبَغِي أنْ يَكونَ عليها مِنِ انْتِصَابٍ وانْكِبَابٍ واسْتِلْقَاءٍ.

ـ **والإِشْبَاعُ**: وهو أن يُؤْتَى كُلُّ خطٍّ حَظَّهُ من صَدْرِ الْقَلَمِ حتى يَتَساوَى به، فلا يَكونَ بَعْضُ أَجْزائِهِ أَدَقَّ، وَبَعْضُها أَغْلَظَ، إلَّا فيما يَكونُ وَضْعُ الْخَطِّ عليه.

ـ **والإِرْسَالُ**: وهو أَنْ يُرْسِلَ يَدَهُ بالْقَلَمِ بِسُرْعَةٍ مِنْ غَيْرِ احْتِباسٍ يُضَرِّسُهُ، ولا تَوَقُّفٍ يُرْعِشُهُ.

الضَّرْبُ الثَّانِي: حُسْنُ الْوَضْعِ في الْكَلِمَاتِ، وهي سِتَّةٌ:

ـ **التَّرْصِيفُ**: وهو وَصْلُ كلِّ حَرْفٍ مُتَّصِلٍ إلى حَرْفٍ.

ـ **والتَّأليفُ**: وهو جَمْعُ كلِّ حَرْفٍ غَيْرِ مُتَّصِلٍ إلى غَيْرِهِ على أفْضَلِ ما ينبغي ويَحْسُنُ.

ـ **والتَّسْطِيرُ**: وهو إضافَةُ الْكَلِمَةِ إلى الْكَلِمَةِ حتى تَصيرَ مُنْتَظِمَةً في السَّطْرِ.

ـ **والتَّنْصِيلُ**: وهو مَواقِعُ الْمَدَّاتِ الْمُسْتَحْسَنَةِ من الْحُروفِ الْمُتَّصِلَةِ، ومُراعاةُ فَواصِلِ الْكَلامِ، بأنْ يُفْصَلَ بين رِسالَتَيْنِ في التَّرَسُّلِ بِبياضٍ خَفيفٍ، أو إشارَةٍ، وبين سَجْعَيْنِ بِبَياضٍ أَخَفَّ منه، أو بِعَلامَةٍ خاصَّةٍ له. لكنْ يَنْبَغي أنْ لا يَجْعَلَ الْبَياضَ أو الْعَلامَةَ في أوَّلِ السَّطْرِ أصْلًا بأنْ يَجْتَهِدَ حتَّى يَجْعَلَهُ في آخِرِ السَّطْرِ(1).

---

(1) ينظر صبح الأعشى: 3/ 143-144.

- **وَحُسْنُ التَّدْبيرِ في قَطْعِ كَلِمَةٍ واحِدَةٍ**، إذْ ينبغي أنْ يَتحَرَّزَ[1] عن كَتْبِ بَعْضِ كَلِمَةٍ في آخِرِ سَطْرٍ، وَبَعْضِها في أوَّلِ سَطْرٍ يَليهِ؛ كَجَعْلِ الْباءِ من كِتابٍ في أوَّلِ سَطْرٍ يَلِي السَّطْرَ الْأوَّلَ، بعدَ أنْ جعَلَ الْباقِي[2] وَهُوَ "كِتَا" في آخِرِ السَّطْرِ الأوَّلِ.

- **وفَصْلُ الْكَلِمَةِ التَّامَّةِ وَصِلَتِها**: مِثْلَ؛ أنْ يَفْصِلَ[3] أَيَّدَكَ اللهُ، بأنْ يَكْتُبَ[4] أَيَّدَكَ في آخِرِ سَطْرٍ، واسْمَ اللهِ تَعالى في أوَّلِ الذي يَليهِ؛ وكَالْفَصْلِ بين الْمُضافِ والْمُضافِ إليه، والصِّفَةِ والْمَوْصوفِ؛ وكَالْفَصْلِ بين اسْمِ رَجُلٍ وَوَصْفِهِ بابْنِ فُلانٍ، نَحْوُ: زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو، اللَّهُمَّ إلَّا أنْ يُثْبِتَ له الْبُنُوَّةَ؛ كَقَوْلِكَ لِزَيْدٍ: إنَّهُ ابْنُ جارٍ لي؛ وكَالْفَصْلِ بين كُلِّ اسْمَيْنِ جُعِلَا اسْمًا واحِدًا، نَحْوَ: بَعْلَبَكَّ، وَحَضْرَمَوْتَ، وتَأَبَّطَ شَرًّا، وذِي يَزَنَ، وأحَدَ عَشَرَ.

وَبابُ الْخَطِّ وَحُسْنِ تَدْبِيرِهِ مُتَّسِعٌ لا يَسَعُ اسْتِيفاؤُهُ. وإنْ أرَدْتَ التَّفْصِيلَ فَعَلَيْكَ **بِكِتابِ ابْنِ جِنِّي**، وكِتَابِ **"صُبْحُ الْأَعْشَى"**[5]، سِيَّمَا أَحْوالُ مَدِّ الْحَرْفِ في الْكَلِمَةِ في السَّطْرِ، فإنَّهُ يَحْسُنُ في الثُّلاثِيَّاتِ، وقد يَحْسُنُ فيما فَوْقَهَا، وقد يَقْبُحُ ولا يَحْسُنُ في الثُّنائِيَّاتِ اَلْبَتَّةَ.

---

(1) يحترز، في أنطاليا.

(2) الثاني، في قونية ورئيس الكتاب.

(3) تفصل: في مراد ملا.

(4) تكتب، في مراد ملا.

(5) ينظر صبح الأعشى: 3/ 145 وما بعدها.

عِلْمُ إمْلاءِ الْخَطِّ الْعَرَبِيِّ

وهو عِلْمٌ يُبْحَثُ فيه بِحَسَبِ الْإِنِّيَّةِ واللِّمِّيَّةِ عن الْأَحْوالِ الْعارِضَةِ لِنُقُوشِ الْحُروفِ[1] الْعَرَبِيَّةِ، لا مِنْ حيثُ حُسْنُهَا في السُّطورِ، بل من حَيْثُ دَلالَتُها على الْأَلْفاظِ الْعَرَبِيَّةِ، بِحَسَبِ الْآلاتِ الصِّناعَيَّةِ - أَعْنِي الْقَلَمَ وَأَمْثالَهُ - بَعْدَ رِعايَةِ حالِ بَسائِطِ الْحُروفِ من حيثُ الدَّلالَةُ على الْحُروفِ الَّتِي هي أَجْزاءُ الْأَلْفاظِ.

وهذا الْعِلْمُ من حيثُ حُصولُ الْحُروفِ بالْآلَةِ من أَنْواعِ عِلْمِ الْخَطِّ، ومن حيثُ دَلالَتُها على الألْفاظِ من فُروعِ عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ[2].

وسَتَعْرِفُ تَفاصيلَهَا إنْ شاءَ اللهُ تعالى مع ذِكْرِ الْمُصَنَّفَاتِ الواقِعَةِ فيها.

عِلْمُ خَطِّ الْمُصْحَفِ

على ما اصْطَلَحَ عليه الصَّحابَةُ، رِضْوانُ الله عَلَيْهِمْ أجْمَعينَ، عند كِتابَةِ الْمُصْحَفِ عند جَمْعِ الْقُرْآنِ الْكَريمِ على ما اخْتارَهُ زَيْدُ بنُ ثابِتٍ رَضِيَ الله عنه.

ويُسَمَّى: الِاصْطِلاحَ السَّلَفِيَّ أيْضًا[3].

وهذا الْعِلْمُ، وإنْ كانَ من فُروعِ عِلْمِ الْخَطِّ - من حيثُ كَوْنُهُ باحِثًا عن نَوْعٍ من الْخَطِّ - لَكِنَّا نَبْحَثُ عنه في عُلومٍ تَتَعَلَّقُ بالْقُرْآنِ الْكَريمِ.

---

(1) الخطوط، في مراد ملا وعاطف أفندي.

(2) ينظر رسالة في العلوم الشرعية والعربية: 43-44.

(3) صبح الأعشى: 3/ 172.

ونُفَصِّلُهُ هُناكَ إنْ شاءَ الله تعالى. وإنَّما تَعَرَّضْنَا له هاهُنا تَتْميمًا لِلْأَقْسامِ.

عِلْمُ خَطِّ الْعَرُوضِ

وهو ما اصْطَلَحَ عليه أهْلُ الْعَروضِ في تَقْطيعِ الشِّعْرِ، واعْتِمادُهِمْ في ذلك على ما يَقَعُ في السَّمْعِ دونَ الْمَعْنى. إذِ الْمُعْتَدُّ به في صَنْعَةِ الْعَروضِ إنَّما هو اللَّفْظُ، لأنَّهُمْ يُريدونَ به عَدَدَ الْحُروفِ الَّتِي يَقومُ بها الْوَزْنُ مُتَحَرِّكًا وساكِنًا. فَيَكْتبونَ التَّنْوينَ نُونًا ساكِنَةً، ولا يُراعونَ حَذْفَهَا في الْوَقْفِ. وَيَكْتُبونَ الْحَرْفَ الْمُدْغَمَ بِحَرْفَيْنِ، ويَحْذِفونَ اللَّامَ مِمَّا يُدْغَمُ فيه في الْحَرْفِ الَّذِي بَعْدَهُ؛ كَالرَّحْمَنِ، والذَّاهِبِ، والضَّارِبِ. ويَعْتَمِدونَ في الْحُروفِ على أَجْزاءِ التَّفْعيلِ، فقد تَنْقَطِعُ الْكَلِمَةُ بحسب ما يَقَعُ من تَبْيينِ الْأَجْزاءِ. كما في قَوْلِ الشَّاعِرِ: [الطويل]

سَتُبْدِي لَكَ الْأَيَّامُ ما كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ[1]

فَيَكْتُبُونَهُ على هذه الصُّورَةِ:

سَتُبْدِي لَكَا لْأَيْيَا مُمَا كُنْ تَجَاهِلَنْ وَيَأْتِي كَبِلْأَخْبَارِ مَنْلَمْ تُزَوْوِدِي[2]

قال في الْكَشَّافِ: وقد اتَّفَقَتْ في خَطِّ الْمُصْحَفِ أَشْياءَ خارِجَةٌ عن الْقِياساتِ التي بُنِيَ عليها عِلْمُ الخَطِّ والْهِجاءِ، ثم ما عَادَ ذلك بِضَيْرٍ ولا

(1) البيت لطرفة بن العبد وهو من معلَّقته، ينظر ديوان شعره: 58.

(2) صبح الأعشى: 3/ 172-173.

نُقْصَانٍ لاسْتِقامَةِ اللَّفْظِ، وبَقاءِ الْخَطِّ. وكان اتِّباعُ خَطِّ الْمُصْحَفِ سُنَّةً لا تُخَالَفُ.

قال عبدُ اللهِ بْنُ دُرُسْتَوَيْهِ في كتابِهِ الْمُتَرْجَمِ بِكِتابِ: "الْكِتَابُ الْمُتَمِّمُ"[1]: في الْخَطِّ والْهِجَاءِ خَطَّانِ لا يُقاسانِ، خَطُّ الْمُصْحَفِ: لأَنَّهُ سُنَّةٌ. وخَطُّ الْعَرُوضِ: لأَنَّهُ يُثْبَتُ فيه ما أثْبَتَهُ اللَّفْظُ، ويُسْقَطُ عنه ما أسْقَطَهُ[2].

واعْلَمْ أنَّ خَطَّ الْعَروضِ وإنْ كانَ مِنْ أَنْواعِ عِلْمِ الْخَطِّ، لكن لَمَّا كانَ مِنْ فُروعِ عِلْمِ الْعَروضِ أيضا أَخَّرْنَا تَفْصِيلَهُ، وتَفْصِيلَ ما فيه من الْمُصَنَّفَاتِ إلى هُناكَ. والْمَسْؤولُ مِنَ اللهِ تعالى الْوُصولُ إلى هذا السُّؤْلِ[3]، إنَّه أكْرَمُ مَسْؤولٍ، ومُعْطِي كُلِّ مَأْمولٍ.

---

(1) نسبه إليه صاحب الفهرست: 1/ 185.

(2) الكشاف: 1/ 127.

(3) السؤال، في قونية ورئيس الكتاب.

الدَّوْحَةُ الثَّانِيَةُ: في علومٍ تَتَعَلَّقُ بالْألْفاظِ

وفيها مُقَدِّمَةٌ، وَعِدَّةُ شُعَبٍ:

الْمُقَدِّمَةُ

اِعْلَمْ أنَّ من الْمُقدِّماتِ الْمُقرَّرَةِ في الطِّباعِ، والْمَقْبولاتِ الْعامَّةِ في الْأَصْقاعِ، والْمُسَلَّمَاتِ الْمُسْتَحْسَنَةِ في الطِّباعِ، والْكَلِماتِ الَّتِي قَرَعَ بها جَميعَ الْأَسْماعِ، أنَّ الْإنْسانَ لَمَّا كانَ مَدَنِيًّا بالطَّبْعِ، احْتاجَ في تَعَيُّشِهِ إلى إعْلامِ ما في ضَميرِهِ إلى غَيْرِهِ، وفَهْمِهِ ما في ضَميرِ الآخَرينَ. فاقْتَضَتِ الْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ، وَالرَّحْمَةُ الْأَزَلِيَّةُ، إحْداثَ دَوَالٍّ يَخِفُّ عليه إيرادُها، ولا يُتْعِبُهُ إصْدارُها. بل لا يَحْتاجُ في تَحْصيلِها إلى آلاتٍ غيرِ الْآلاتِ الطَّبيعِيَّةِ، لئلا يَصْرِفَ أوْقاتَهُ إلا فيما يَهُمُّهُ وَيَعْنِيهِ، فقادَهُ الْإِلْهامُ الْإِلهِيُّ إلى اسْتِعْمالِ الصَّوْتِ الْعارِضِ لِلنَّفَسِ، الضَّرورِيِّ لِلْحَيَوانِ، بالْآلاتِ الذَّاتيةِ الطَّبيعيَّةِ، وتَقْطيعِهِ بِتَوَسُّطِ تلك الآلاتِ والْكَيْفِياتِ الْعارِضَةِ للأصْواتِ، بِتَوَسُّطِ تلك الآلاتِ على أنْحاءٍ مُخْتَلِفَةٍ، وطُرُقٍ شَتَّى، إلى حُروفٍ يَمْتازُ بعضُها عن بَعْضٍ باعْتِبارِ مَخارِجِها السِّتَّةَ عَشَرَ، وصِفاتِها؛ كَالْجَهْرِ، والْهَمْسِ، والْمُعْتَدِلَةِ، والشَّديدَةِ، والرَّخْوَةِ، والْمُعْتَلَّةِ، وَالْقَلْقَلَةِ، والْمُسْتَعْلِيَةِ، والْمُنْخَفِضَةِ، والْمُطْبَقَةِ، والْمُنْفَتِحَةِ، إلى غير ذلك. حتى يَحْصُلَ من الحُروفِ بحسب التَّرْكيباتِ الْمُتَنَوِّعَةِ كَلِماتٌ دالَّةٌ بحسبِ الأوْضاعِ الْمُخْتَلِفَةِ على الْمَعانِي الحاصِلَةِ في ضَمائِرِ الْمُتَكَلِّمينَ، الْخَفِيَّةِ عن الأَغْيارِ،

حَتَّى يَتَيَسَّرَ لهم فائِدَةُ التَّخاطُبِ والْمُحاوَراتِ، من الْوُقوفِ على ما في نُفوسِ الآخَرينَ، من الْمَقاصِدِ التي لا يَتَيَسَّرُ مَعايِشُهُمْ وضَرورِياتُ أَحْوالِهِمْ إلَّا بها. وَمِنْ إفادَةِ الْمَعارِفِ والْعُلومِ الَّتِي لا يُمْكِنُ الاطِّلاعُ عليها بدونها.

ثُمَّ إنَّ تَرْكيباتِ تلك الْحُروفِ لما أمْكَنَتْ على وُجوهٍ مُخْتَلِفَةٍ، وأنْحاءٍ مُتَنَوِّعَةٍ، مع التَّغايُرِ الْحاصِلِ في حُروفِها من جِهَةِ الْمَخارِجِ والأوْصافِ، حَصَلَ لهم ألْسِنَةٌ مُخْتَلِفَةٌ، ولُغاتٌ مُتَبايِنَةٌ، بحيث لا تُعَدُّ كَثْرَةً، إلَّا أنَّ أفْضَلَهَا وأعْلاهَا اللُّغَةُ التي خُصَّتْ بها أوْسَطُ الأمَمِ، وهُمْ خَيْرُ أمَّةٍ أخْرِجَتْ للنَّاسِ، وخَيْرُ الأمُورِ أوْسَاطُهَا[1]. وقد نُزِّلَتْ[2] عليها أَشْرَفُ الْكُتُبِ وَأَعْلاها وَأَقْوَمُها وَأَدْوَمُها ـ أعْنِي التَّنْزيلَ ـ الَّذِي شَرَّفَهُ الله تعالى بالْبَراءَةِ من النَّسْخِ والتَّبْديلِ؛ سِيَّمَا وقد نَطَقَ بهذه اللُّغَةِ أَفْضَلُ الْأنْبياءِ وَخاتِمُهُمْ، وأشرَفُهُمُ وفَصُّ خاتَمِهِمْ. وهَلِ اتَّصَفَ لُغَةٌ غَيْرُ هذه بالْبَلاغَةِ والإِعْجازِ، وبِسِحْرِ الْكِتابَةِ والْمَجازِ؟! وهَلِ اخْتَصَّ غَيْرُ هذه بِفُنونٍ لو عُدَّ أشْهَرُها لَبَلَغَتْ إلى أرْبعينَ؟! وهل تَشَرَّفَ ما عَداها بالتَّحَدِّي حَتَّى فاقَ واحِدٌ على مِئينَ؟! وقُلْ لي: هَلْ ظَهَرَتِ الْعُلومُ مُنَقَّحَةً بلغَةٍ أخرى؟ أفَلَيْسَتْ هذه بالتَّعْظيمِ والتَّبْجيلِ أحْرَى! الْحَمْدُ للهِ الذي جَبَلَنِي على الْحُبِّ لهذه اللُّغَةِ الْجَليلَةِ الشَّأْنِ، والشَّغَفِ لهذا اللِّسانِ الْباهِرِ الْبُرْهَانِ.

---

(1) أوسطها، في مراد ملا. ينظر: غريب الحديث لأبي عبيد القاسم: 4/ 388، والطبقات الكبرى: 7/ 142، جمهرة الأمثال: 1/ 411.

(2) أنزل، في مراد ملا.

وإذا تَمَهَّدَ هذا التَّصْوِيرُ، فَنقولُ: لَمَّا اخْتَلَفَتِ الْحُروفُ، باعْتِبارِ اخْتِلافِ اللُّغاتِ مَخارِجًا[1] وأوْصافًا، احْتِيجَ في تَمْييزِ اللُّغاتِ الْعَرَبِيَّةِ إلى بَيانِ كَمِّيَّاتِ حُروفِهَا وكَيْفِيَّاتِهَا بِحَسَبِ الْمَخارِجِ[2]، ثُمَّ أَحْوالِ تَرْكيباتِهَا بِحَسَبِ اشْتِقاقِ بعضِها عن بعضٍ، ثُمَّ أَحْوالِ وَضْعِ الْكَلِمِ لِلْمَعاني الْعَقْلِيَّةِ، ثُمَّ تَبْديلِ الْحُروفِ الْأُصولِ أو الزَّوائِدِ بعضِها إلى بعضٍ لِتَحْصيلِ الْخِفَّةِ، ثُمَّ كَيْفِيَّةِ إعْراباتِها، ثُمَّ تَطْبيقِها لِمُقْتَضى الْحَالِ، وإيرادِها بِعِباراتٍ جَلِيَّةٍ، فيجِبُ تَتَبُّعُ طُرُقِها لِيَخْتارَ الْأَوْضَحَ، ثُمَّ رِعايَةِ الْمُحَسِّناتِ اللَّفظِيَّةِ، وإنْ كانت عَرَضِيةً، لأنَّها تَكونُ باعِثَةً إلى قَبولِ الأذْهانِ لِمَعانيها، وَرَغْبَةِ الأسْماعِ في الِانْفِتاحِ لها، ثُمَّ مَعْرِفَةِ أَحْوالِ الْخُطوطِ الدَّالَّةِ عليها.

فَهَذِهِ جُمْلَةُ أُصولِ الْفُنونِ الْعَرَبِيَّةِ، الْمُسَمَّاةِ بالْفُنونِ الْأدَبِيَّةِ، لِتَوَقُّفِ أدَبِ الدَّرْسِ بلا واسِطَةٍ وأدَبِ النَّفْسِ بوسائط عليها. فعلى هذا عِلْمُ الأدَبِ يُحْتَرَزُ معه عن الْخَلِلِ في كَلامِ الْعَرَبِ لَفْظًا أو كِتابَةً. ولها فُروعٌ كثيرَةٌ سَتَعْرِفُ تفاصيلَها إن شاء الله تعالى.

إذا عَرَفْتَ هذا، فَاعْلَمْ أنَّ عِلْمَ الْأَدَبِ إمَّا أنْ يَبْحَثَ عن الْمُفْرَداتِ، أو عن الْمُرَكَّبَاتِ، أو عن فُروعِها، ففيها ثَلاثُ شُعَبٍ.

(1) كذا في النسخ الخطية، والصواب مخارج.

(2) رسالة في العلوم الشرعية والعربية للتوقاتي: 23-68.

الشُّعْبَةُ الأولى: فيما يَتَعَلَّقُ بالْمُفْرَداتِ

عِلْمُ مَخارِجِ الْحُروفِ

وهو مَعْرِفَةُ تَصْحيحِ مَخارِجِ الْحُروفِ كَيْفِيَّةً وكِمِّيَةً، وصِفاتِهَا الْعارِضَةِ لها بحسبِ ما تَقْتَضِيهِ طِباعُ الْعَرَبِ. وإنَّما قُلْنا طِباعَ الْعَرَبِ لِشَرَفِهَا، وشِدَّةِ اهْتِمامِنا بِضَبْطِ عُلومِهِمْ.

فَمَوْضوعُهُ: بَسَائِطُ الْحُروفِ الْعَرَبِيَّةِ بحسب مَخَارِجِهَا وصِفَاتِهَا.

وَمَبادِئُهُ: بَعْضُها بَديهِيٌّ، وبعضُها اسْتِقْرائِيٌّ. ويُسْتَمَدُّ من الْعِلْمِ الطَّبيعِيِّ، وعِلْمِ التَّشْريحِ.

وَغَرَضُهُ: تَحْصيلُ مَلَكَةِ إيرادِ تلك الْحُروفِ في الْمَخارِجِ، على ما هي عليه في لِسانِ الْعَرَبِ.

وغايَتُهُ الأَوَّلِيَّةُ: الِاحْتِرازُ عن الْخَطَإِ في تَلَفُّظِ كَلامِ الْعَرَبِ، بِحَسَبِ مَخارِجِ حُروفِهِ.

وَغايَتُهُ الأَخِيرَةُ: الْقُدْرَةُ على قِراءَةِ الْقُرْآنِ كما أُنْزِلَ، بِحَسَبِ مَخارِجِ حُروفِها وصِفاتِها[1].

واعْلَمْ أنَّ الْحُروفَ تَخْتَلِفُ باخْتِلافِ اللُّغاتِ بحسب تَعَدُّدِ مَخارِجِها، فَحُروفُ السُّرْيانِيِّينَ والرُّومِ والْفُرْسِ والصَّقْلَبِ والتُّرْكِ، من أَرْبَعَةٍ وعشرينَ

---

(1) رسالة في العلوم الشرعية والعربية للتوقاتي: 23.

حرفًا، إلى سِتَّةٍ وَعِشْرينَ حَرْفًا. وحُروفُ الْعِبْرانِيِّينَ والْيونانِيِّينَ والْقِبْطِ الأُوَلِ والْهُنودِ وغيرِهِمْ، من اثنينِ وثلاثينَ إلى سِتَّةٍ وَثَلاثِينَ. فَيوجَدُ في غير الْعَرَبِيَّةِ من الْحُروفِ ما لا يوجَدُ في الْعَرَبِيَّةِ، كما يوجَدُ في الْعَرَبِيَّةِ ما لا يوجَدُ في غيرِها من اللُّغاتِ، ويَكْثُرُ في الِاسْتِعْمالِ فيها ما لا يَكْثُرُ في غيرها. فالحاءُ الْمُهْمَلَةُ والظَّاءُ الْمُعْجَمَةُ، [والضَّادُ][1] ممَّا أُفْرِدَتْ بها الْعَرَبُ في لُغاتِها. واخْتَصَّتْ بها دونَ غيرِها مِنْ أَرْبابِ اللُّغاتِ. والْعَيْنُ الْمُهْمَلَةُ قَليلَةٌ في كلامِ بعض الْأَمَمِ، ومَفْقودَةٌ في كلام كثيرٍ منهم. وكذلك الصَّادُ والضادُ مَنْقوطَةً، وَغَيْرُها. والذَّالُ الْمُعْجَمَةُ ليست في الفارِسِيَّةِ. والثَّاءُ الْمُثَلَّثَةُ ليست في الرُّومِيَّةِ، ولا في الْفارِسِيَّةِ، والفاءُ ليست في التُّرْكِيَّةِ[2].

قال الشَّيخ أثيرُ الدِّينِ أبو حَيَّانَ[3] رحمه الله: ولذلكَ يَقولونَ في فَقيهٍ: بَقِيهٌ، بالباء الْمُوَحَّدَةِ الْمُشْرَبَةِ الْقَوِيَّةِ[4].

ومِنَ الْكُتُبِ الْمُخْتَصَرَةِ الْمُصَنَّفَةِ في عِلْمِ الْمَخارِجِ: "الأرجوزةُ الْمُسَمَّاةُ بالْمُقَدِّمَةِ"، للشَّيْخِ شَمْسِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْجَزَرِيِّ، رحمه الله. وعليها **شَرْحٌ** لِوَلَدِ الْمُصَنِّفِ، رحمه الله. وكَتَبْتُ عليها شَرْحًا

(1) زيادة من أنطاليا.

(2) ينظر صبح الأعشى: 3/ 19.

(3) أَثِيرُ الدِّينِ أَبُو حَيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ يُوسُفَ الأَنْدَلُسِيُّ الْجَيَّانِيُّ (ت.745هـ).

(4) الْفَيَوِيَّةِ، في صبح الأعشى: 3/ 19. وورد بإزاء هذه العبارة في نسخة أنطاليا: "كذا في نسخة الأصل، وشك فيه المترجم هنا".

جامِعًا لِلْفَوائِدِ، خالِيًا عن الزَّوائِدِ، في زَمَنِ الشَّبابِ، وانْتَفَعَ بذلك جماعَةٌ من الأَصْحابِ.

ومُعْظَمُ الْمُصَنَّفَاتِ في هذا الْفَنِّ مَأخوذَةٌ من قصيدةِ الإمامِ الشَّاطِبِيِّ - قَدَّسَ الله روحَهُ - في عِلْمِ الْقِراءَةِ. حيث أَدْرَجَ في ذَيْلِهَا عِلْمَ الْمَخارِجِ على وَجْهِ الإتْقانِ. وتَفاصيلُها في شُروحِها. وسَنَذْكُرُ شُروحَها عند التَّعَرُّضِ لِعِلْمِ الْقِراءَةِ إن شاء الله تعالى.

عِلْمُ اللُّغَةِ

وهو عِلْمٌ باحِثٌ عن مَدْلُولَاتِ جَواهِرِ الْمُفْرَداتِ، وهَيْئاتِها الْجُزْئِيَّةِ، الَّتِي وُضِعَتْ تِلْكَ الْجَواهِرُ مَعَها لِتِلْكَ الْمَدْلولاتِ بالْوَضْعِ الشَّخْصِيِّ، وعَمَّا حَصَلَ من تَرْكيبِ كُلِّ جَوْهَرٍ جَوْهَرٍ. وهَيْئاتِها الْجُزْئِيَّةِ على وَجْهٍ جزئِيٍّ، وعن مَعانيها الْمَوضوعِ لها بالْوَضْعِ الشَّخْصِيِّ.

ومَوْضوعُهُ: جَواهِرُ الْمُفْرَداتِ وهَيْئاتُها، من حيث الْوَضْعُ على الْمَعاني الْجُزْئِيَّةِ.

وغايَتُهُ: الِاحْتِرازُ عن الْخَطَإِ في فَهْمِ الْمَعاني الوَضعيَّةِ، والْوُقوفُ على ما يُفْهَمُ من كَلِماتِ الْعَرَبِ.

ومَنْفَعَتُهُ: الْإِحاطَةُ بهذه الْمَعْلوماتِ، وطَلاقَةُ الْعِبارَةِ وجَزالَتُها، والتَّمَكُّنُ من التَّفَنُّنِ في الْكَلامِ، وَإِيضاحُ الْمَعانِي بِالْبَياناتِ الْفَصيحَةِ، وَالْأَقْوالِ الْبَليغَةِ[1].

وَاعْلَمْ أنَّ من أرْبابِ اللُّغَةِ من اسْتَغْرَقَ أفْكارَهُ التَّقَعُّرُ في الألْفاظِ، ومَلَأَ خاطِرَهُ مُلازَمَةُ حُوشِيِّ اللُّغَةِ، بحيث خاطَبَ به من لا يَفْهَمُهُ. ولا يَخْفى أنَّ الْفَصاحَةَ فَنٌّ مَطْلوبٌ، واسْتِعْمالَ غَريبِ اللُّغَةِ عَزيزٌ حَسَنٌ، ولكن مع أهْلِهِ، ومع من يَفْهَمُهُ.

حُكِيَ أنَّ أبا عَمْرِو بنَ الْعَلاءِ قَصَدَهُ طالِبٌ لِيَقْرَأَ عليه، فَصادَفَهُ بِكَلَّاءِ[2] الْبَصْرَةِ، وهو مع العامَّةِ يَتَكَلَّمُ بِكَلامِهِمْ، لا يُفَرِّقُ بينه وبينهم، فَنَقَصَ من عَيْنِهِ. ثُمَّ لمَّا دَخَلَ الْجامِعَ أَخَذَ يُخاطِبُ الْفُقَهاءَ بغير ذلك اللِّسانِ، فَعَظُمَ في عَيْنِهِ، وعَلِمَ أَنَّهُ كَلَّمَ كُلَّ طائِفَةٍ بما يُناسِبُها من الْأَلْفاظِ. وهذا هو الصَّوابُ.

ومَنِ ادَّعَى مَعْرِفَةَ اللُّغَةِ، وتَكَلَّمَ مع كُلِّ أحَدٍ بِالْعالِي والْغَريبِ من اللُّغَةِ، فهو ناقِصُ الْعَقْلِ. إلَّا أنَّ بَعْضًا من الْعُلَماءِ يَصيرُ[3] بِمُلازَمَةِ اللُّغَةِ بحيث يَخْتَلِطُ بِلَحْمِهِمْ ودَمِهِمْ، ويَسْبِقُ لِسانُهُمْ إلى الْغَريبِ، وإنْ كانوا يُخاطِبونَ من لا يَفْهَمُهُ[4].

(1) إرشاد القاصد: 111، ورسالة في العلوم الشرعية واللغوية: 25.

(2) الكَلَّاء والمكلأ: شاطئ النهر ومرفأ السفن، ومنه سوق الكلاء، وهو موضع بالبصرة لأنهم يكلئون سفنهم بها أي يحبسونها. اللسان: كلأ.

(3) بصير، في نور عثمانية 1.

(4) معيد النعم ومبيد النقم: 72.

كَما يُحْكَى أنَّ عِيسَى بنَ عُمَرَ النَّحْوِيَّ سَقَطَ عن حِمَاره، وغُشِيَ عليه، فلمَّا أفاقَ، وأخَذَ في الِاسْتِواءِ لِلجُلوسِ، قال: ما لكم تَكَأْكَأْتُمْ عَلَيَّ تكأْكُؤَكُمْ على ذي جِنَّةٍ، افْرَنْقِعُوا عَنِّي. معنى تَكَأْكَأْتُمْ: تَجَمَّعْتُمْ. افْرَنْقِعُوا: تَنَحَّوْا بِلُغَةِ أَهْلِ الْيَمَنِ[1].

وحُكِيَ أنَّ يوسُفَ بْنَ عُمَرَ لمَّا وَلِيَ العِراقَ، أخَذَ عيسى بنُ عُمَرَ النَّحْوِيُّ يطالِبُهُ بِوَديعَةٍ أَوْدَعَهُ ابنُ هُبَيْرَةَ الْوَزيرُ إيَّاها، فَأَمَرَ بِضَرْبِهِ. فَقالَ والسِّياطُ تَأْخُذُهُ: إنْ كانَتْ إلَّا أُثَيَّابًا في أُسَيْفَاطٍ[2] قَبَضَهَا عَشَّارُوكَ[3]. وله من هذا النَّمَطِ شَيْءٌ كثيرٌ.

يُحْكى أن عَلِيَّ ابنَ الْهَيْثَمِ[4] مَرَّ به فارِسِيٌّ، قد رَكِبَ حِمارًا خَلْفَهُ جَحْشٌ، وبِيَدِهِ عِذْقٌ قد ذَهَبَ بُسْرُهُ إلا قليلًا، يقودُ به بَقَرَةً يَتْبَعُهَا عِجْلٌ لها. فَناداهُ عليُّ ابنُ الْهَيْثَمِ: يا صاحِبَ الْبَيْدَانَةِ الْقَمْرَاءِ، يَتْلوهَا تَوْلَبٌ بِيَدِهِ شُمْلُولٌ، يَطْبِي[5] بها خَزُومَةً[6] يَقْفُوهَا عِجَّوْلٌ، أُتَقَايِضُ بِعِجَّوْلِكَ جُحْجَحًا زَهِمًا. قال: فَالْتَفَتَ إليه الْفارِسِيُّ، وَقالَ: يا بابا فارسي هم ندانم[7].

(1) معيد النعم ومبيد النقم: 72.

(2) أسيفاط: تصغير أسفاط، جمع سفط، كالجوالق. اللسان: سفط.

(3) العشَّار: قابض العشر. اللسان: عشر.

(4) كذا في النسخ ومعيد النعم ومبيد النقم: 72.

(5) طبيته عن الأمر: صرفته، وكل شيء صرف شيئا عن شيء فقد طباه عنه. اللسان: طيب.

(6) الحرزمة، في رئيس الكتاب وقونية.

(7) معناه: أنا لا أعرف الفارسية.

الْبَيْدَانَةُ: الْأتانُ. والْقَمْراءُ: الْبَيْضاءُ الْوَجْهِ. والتَّوْلَبُ: وَلَدُ الْحِمارِ. والشُّمْلُولُ: الْعِذْقُ. ويَطْبِي: يَدْعو. والْخَزُومَةُ: الْبَقَرَةُ الْوَحْشيَّةُ. والْجُحْجُحُ: الْكَبْشُ. والزَّهِمُ: السَّمينُ. ولعله قَصَدَ بهذه الْمُؤانَسَةَ لبعضِ الحاضِرينَ، أو بَدَرَتْ منه هذه الْأَلْفاظُ بِغَيْرِ قَصْدٍ، وإلَّا فَهُوَ سَخِيفُ الْعَقْلِ[1].

حُكي أنَّ أبا عَلْقَمَةَ الْواسِطِيَّ مَرِضَ، فأتاهُ أَعْيَنُ الطَّبيبُ، فَسَأَلَهُ عن سَبَبِ عِلَّتِهِ، فقال: أَكَلْتُ من لُحومِ هذه الْجَوَازِلِ، فَطَسِئْتُ طَسْأَةً، فأصابَني وَجَعٌ بَيْنَ الْوَابِلَةِ إلى دَأْيَةِ الْعُنُقِ. فما زال يَتَمَامَى[2] وَيَتَنَمَّى حَتَّى خالَطَ الْخِلْبَ، وَتَأَلَّمَتْ له الشَّرَاسِيفُ. فقالَ له أَعْيَنُ: خُذْ شِرْفقًا وسِرْقًا[3] فَزَهْزِقْهُ وَدَهْدِقْهُ. فقال أبو عَلْقَمَةَ: أعِدْ لي فإنِّي ما فَهِمْتُ. فقال الطَّبيبُ: قَبَّحَ اللهُ أَقَلَّنا إفْهامًا لصاحِبِهِ.

الْجَوَازِلُ: فِراخُ الْحَمامِ، الواحِدَةُ جَوْزَلٌ. والطَّسْأَةُ: الْهَيْضَةُ. والْوابِلَةُ: طَرَفُ الْكَتِفِ، وهو رَأْسُ الْعَضُدِ. ودَأْيَةُ الْعُنُقِ: فِقَارُهَا. ويَتَمَامَى: يَتَمَدَّدُ. ويَتَنَمَّى: يَتَزَايَدُ. والْخِلْبُ بِالْكَسْرِ: حِجَابُ الْقَلْبِ، ويُقال: مُضْغَةٌ فوق الْكَبِدِ. والشَّرَاسِيفُ: غَضَارِيفُ مُتَّصِلَةٌ بالأضْلاعِ[4].

---

(1) النقل من معيد النعم ومبيد النقم: 73.

(2) يتمأى، في المصدر نفسه: 73.

(3) وشبرقا، في المصدر نفسه: 73.

(4) المصدر نفسه: 73.

حَكَى ابنُ دُرَيْدٍ عن الأصْمَعِيِّ: أنَّ أعْرابِيًّا شَهِدَ لرَجُلٍ مَشْجُوجٍ عند صاحِبِ الشُّرْطَةِ فقالَ: بينا أنا على كَوْدَنٍ يُضَهْزِزُنِي، إذْ مَرَرْتُ بِوَصِيدِ دَارٍ، فإذا أنا بهذا الْأُخَيْشِبِ يَدُعُّ هذا دَعًّا مُتَرَاشِفًا فَعَلَاهُ بِمِنْسَأَتِهِ، فَقَهْقَرَ، ثم بَدَرَهُ بِمِثْلِهَا، فَقَطَرَ، ثُمَّ أَدْبَرَ، وبِرَأْسِهِ جَدِيعٌ يَسُحُّ[1] نَجِيعًا على كَتِدِهِ. فقال صاحِبُ الشُّرْطَةِ: شُجَّنِي وأعْفِنِي من سَمَاعِ شَهادَةِ هذا الْأعْرابِيِّ.

الْكَوْدَنُ: الْبِرْذَوْنُ. يُضَهْزِزُنِي: يُحَرِّكُنِي، الْوَصِيدُ: الْبابُ، الدَّعُّ: الدَّفْعُ. الْمِنْسَأَةُ: الْعَصا. الْأُخَيْشِبُ: تَصْغيرُ الْأَخْشَبِ، وهو الْغَلِيظُ. قَهْقَرَ: رَجَعَ الْقَهْقَرَى. قَطَرَهُ: أَلْقَاهُ على أحد قُطْرَيْهِ، وهما جانِباهُ. السَّحُّ: الصَّبُّ. النَّجِيعُ: الدَّمُ. الكَتِدُ: ما بين الكاهِلِ إلى الظَّهْرِ، وهو بُعَيْدَ مَغْرِزِ الْعُنُقِ.

وذَكَرَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ أنَّ بعضَ الْمُتَقَعِّرِينَ كَتَبَ إلى وَكِيلٍ له بناحِيَةِ الْبَصْرَةِ: اِحْمِلْ إلينا من الْخَوْزَجِ والْكَنْعَدِ الْمَمْهورَيْنِ[2]، والإِوَزِّ الْمَمْهُوجِ، ولَحْمِ مَهَا الْبِيدِ، ما يَصْلُحُ لِلتَّشْزِيزِ[3] والْقَدِيدِ. فَكَتَبَ إليه وَكِيلُهُ: إنْ لم تَكُفَّ عن هذا الْكَلامِ بَارَتْ قَرْيَتُكَ، فإنَّ الْفَلاحينَ يَنْسُبُونَ من يَنْطِقُ هذه الألْفاظَ إلى الْجُنونِ.

الْكَنْعَدُ: ضَرْبٌ من سَمَكِ الْبَحْرِ. والشَّزَازَةُ[4]: الْيُبْسُ.

---

(1) يثج، في معيد النعم ومبيد النقم: 73.

(2) الممقورين، في المصدر نفسه: 74.

(3) التشرير، في المصدر نفسه: 74.

(4) الشيرارة، في المصدر نفسه: 74.

حُكِيَ أنَّ لِصًّا قَصَدَ دارَ نَحْوِيٍّ فاطَّلَعَ وناداهُ: أيّها الطَّارِقُ ما الذي أوْلَعَكَ بنا؟ إنْ أرَدْتَ المالَ فعليك بابْنِ الْجَصَّاصِ، وَفُلانٍ وَفُلانٍ، أَقْوامًا ذَوِي مَالٍ. وَإِنْ أَرَدْتَ الْجاهَ فَعَلَيْكَ بِالْقُضاةِ. وإنْ أَرَدْتَ الْكِتابَةَ فعليكَ بفلانٍ وفلانٍ، أَقْوامًا يَكْتُبونَ. وإنْ أرَدْتَ اللُّغَةَ والنَّحْوَ فَعَلَيْكَ بي. وإنْ كُنْتَ تَبْغِي الْقِرى، فَلِجِ الدَّارَ، وادْخُلِ الْمَخْدَعَ، وأَصِبْ من الزَّادِ ما يُمْسِكُ حُشَاشَةَ[1] رَمَقِكَ، فرَفَعَ اللِّصُّ رَأْسَهُ وقال: لو كانَتِ الْجَنَّةُ دارَك ما دَخَلْتُها.

حُكِيَ أنَّ طبيبًا دَخَلَ إلى نَحْوِيٍّ مَريضٍ فقال: ما كانَ أَكْلُكَ أَمْسِ؟ قال: أَكَلْتُ لَحْمَ عُطْعُطٍ، وساقَةَ خِرْنِقٍ، وجُؤْجُؤَ حَيْقُطَانٍ اقْتَنَصَهُ بَازِيٌّ، فَلَمَّا كانَ في الدُّجَى أَصَبْتُ منه مَعْمَعَةً في الْحَشَا، وقَرْقَرَةً في الْمِعَى. فقال الطَّبيبُ للحاضِرينَ: هذه خِفَّةٌ ارْتَفَعَتْ إلى الدِّماغِ، فَأَصْلِحوا الْغَذاءَ له قَبْلَ أنْ يُجَنَّ.

الْعُطْعُطُ: الْجَدْيُ. الْخِرْنِقُ: وَلَدُ الْأَرْنَبِ. الْجُؤْجُؤُ: الصَّدْرُ. والْحَيْقُطَانُ بالطَّاء الْمُهْمَلَةِ: الدُّرَّاجُ الذَّكَرُ.

حَكَى أبو القاسِمِ الرَّاغِبُ قالَ: ابْتاعَ تِلْميذٌ ليَعْقوبَ بنِ إسْحاقَ الْكِنْدِيِّ جارِيَةً فاغْتَاضَتْ[2] عليه: فَشَكَا حالَهَا إلى يَعْقوبَ. فقال له: جِئْنِي بها. قال، فَلَمَّا حَضَرَتْ عنده قال لها: يا لَعوبَةُ[3] ما هذه الِاخْتيارَاتُ الدَّالاتُ على الْجَهالاتِ؟

---

(1) خشاشة، في معيد النعم ومبيد النقم: 74.

(2) فاعتاصت، في المصدر نفسه: 75.

(3) لغوبة، في مراد ملا، ومعيد النعم ومبيد النقم: 75.

أما عَلِمْتِ أن فَرْطَ الإغْتِيَاضَاتِ[1] من الْمُوَاقَعَاتِ على طالِبِي الْمَوَدَّاتِ، مُؤْذِنَاتٌ بِعَدَمِ الْمَعْقولاتِ؟ فقالتِ الْجارِيَةُ: حَيَّاكَ الله وَبَيَّاكَ، أما عَلِمْتَ أنَّ هذه الْعُفُونَاتِ الْمُتَيَسِّرَاتِ[2] على صُدورِ ذَوِي الرِّقَاعَاتِ، مُحْتاجاتٌ إلى الْمَوَاسِي الْحَالِقَاتِ. فقالَ يَعْقوبُ: للهِ دَرُّهَا لقد قَسَّمَتِ الْكَلامَ تَقْسيمًا![3]

وَاعْلَمْ أنَّ الْحِكاياتِ في هذا الْبابِ تَخْرُجُ عن حَدِّ الْحَصْرِ، وتَقْتَضي الْخُروجَ عن الْجِدِّ إلى ضَرْبٍ من الْهَزْلِ.

والْحَاصِلُ أنَّ ما كان الحامِلُ عليه غَلَبَةَ هذه الصِّناعَةِ مَذْمومٌ، من جهة أنَّ ذا الصِّناعَةِ كانَ ينبغي أن يُقَوِّمَ قَلْبَهُ ودِينَهُ قَبْلَ أن يُقَوِّمَ أَلْفاظَهُ، فاللَّحْنُ في اللَّفظِ ولا اللَّحْنُ في الدِّينِ، وأَيًّا ما كانَ الْحامِلُ عليه مُجَرَّدَ التَّقَعُّرِ فهو رُعُونَةٌ[4].

ومنهم من تَكَلَّفَ الْمَسجوعَ من الْكَلامِ حتَّى انْتَهَى به الْحالُ إلى أنْ وَقَعَ في الْكَنِيفِ، فَجاءوهُ[5] بكَنَّافَيْنِ، فَكَلَّمَهُ أحدُهُمْ لِيَنْظُرَ أهو حَيٌّ، فقالَ: اطْلُبَا لي حَبْلًا دَقيقًا، وشُدَّانِي شَدًّا وثِيقًا، واجْذِبَانِي جَذْبًا رَفِيقًا. فقالَ أَحَدُهُمْ: أنا والله لا أُنْقِذُهُ فإنَّهُ في الْكَنِيفِ إلى الْحَلْقِ، ولا يَدَعُ الْفُضُولَ. حَكاها صاحِبُ الْبَصَائِرِ[6].

---

(1) الاعتياصات، في معيد النعم ومبيد النقم: 75.

(2) العثنونات المنتشرات، في المصدر نفسه: 75، وهي رواية راجحة على ما ورد في النسخ الخطية.

(3) المصدر نفسه: 74-75.

(4) المصدر نفسه: 74-75.

(5) فجاءوا له، في مراد ملا.

(6) البصائر والذخائر لأبي حيان التَّوحيدي: 3/ 90، والنقل من معيد النعم ومبيد النقم: 79.

ثُمَّ اعْلَمْ أنَّ مَقْصِدَ عِلْمِ اللُّغَةِ مَبْنِيٌّ على أُسْلُوبَيْنِ؛ لأنَّ منهم من يَذْهَبُ من جانِبِ اللَّفظِ إلى الْمَعْنى، بأنْ يَسْمَعَ لَفْظًا ويَطْلُبَ مَعْناهُ، ومنهم من يَذْهَبُ من جانِبِ الْمَعْنى إلى اللَّفْظِ. فبِكُلٍّ من الطَّريقَيْنِ قد وَضَعوا كُتُبًا لِيَصِلَ كُلٌّ إلى مُبْتَغاهُ، إذْ لا يَنْفَعُهُ ما وُضِعَ في الْبابِ الْآخَرِ، فمَنْ وُضِعَ بالاعْتِبارِ الْأَوَّلِ فطَرِيقُهُ تَرْتيبُ حُروفِ التَّهَجِّي، إمَّا باعْتِبارِ أواخِرِها أَبوابًا، وَبِاعْتِبارِ أوائِلِها فُصولًا، تَسْهيلًا لِلظَّفَرِ بالْمَقْصودِ، كما اخْتارَهُ الْجَوْهَرِيُّ في **الصَّحاحِ**، ومَجْدُ الدِّينِ الشِّيرازِيُّ في **الْقاموسِ**. وإمَّا بالْعَكْسِ، أيْ باعْتِبارِ أوائِلِها أبْوابًا، وبِاعْتِبارِ غير أوائِلِها فُصولًا، كما اخْتارَه ابنُ فارِسٍ في **الْمُجْملِ**، والْمُطَرِّزِيُّ في **الْمُغْرِبِ**[1].

وَمَنْ وُضِعَ بالاعْتِبارِ الثَّانِي: فَالطَّريقُ إليه، أنْ يَجْمَعَ الْأَجْناسَ بِحَسَبِ الْمَعاني، ويَجْعَلَ لِكُلِّ[2] جِنْسٍ بابًا، كما اخْتارَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ في قِسْمِ الْأَسْماءِ من كِتابِ **"مُقَدِّمَةُ الْأدَبِ"**.

ثم إنَّ اختلافَ الْهِمَمِ قد أَوْجَبَ إحْداثَ طُرُقٍ شَتّى، فمن واحِدٍ أدَّى رأيُهُ إلى أنْ يُفْرِدَ لُغاتِ الْقُرْآنِ الْمَجيدِ، ومن آخَرَ إلى أن يُفْرِدَ غَريبَ الْحَديثِ، وآخَرَ إلى أنْ يُفْرِدَ لُغاتِ الْفِقْهِ؛ كَالْمُطَرِّزِيِّ في كتابِ **الْمُغْرِبِ**. وإلى أنْ يُفْرِدَ

(1) المغرب في ترتيب المعرب، لأبي الفتح ناصر بن عبد السيد المطرزي الخوارزمي (ت.610هـ)، وهو مطبوع.

(2) كل، في الأزهرية.

اللُّغاتِ الْواقِعَةَ في أَشْعارِ الْعَرَبِ وَقَصائِدِهِمْ وما يَجْري مَجْراها كَنِظَامِ الْغَرِيبِ. والْمَقْصودُ هو الْإِرْشَادُ عند مَسَاسِ أَنْواعِ الْحَاجَاتِ.

واعْلَمْ أنَّ أوَّلَ من دَوَّنَ عِلْمَ اللُّغَةِ، أبو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى التَّيْمِيُّ.

فائدة:

هو مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى، اللُّغَوِيُّ، الْبَصْرِيُّ، أبو عُبَيْدَةَ، مَوْلَى بَنِي تَيْمٍ، تَيْمِ قُرَيْشٍ رَهْطِ أبي بَكْرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه. أَخَذَ عن يونُسَ، وأبي عَمْرٍو، وهو أَوَّلُ مَنْ صَنَّفَ غَرِيبَ الْحَدِيثِ. أَخَذَ عنه أبو عُبَيْدٍ[1]، وأبو حاتِمٍ[2]، والْمَازِنِيُّ، وَالْأَثْرَمُ[3]، وعَمْرُو بْنُ شَبَّةَ.

وكان أعْلَمَ من الْأَصْمَعِيِّ وأبي زَيْدٍ بالأنسابِ والأَيَّامِ. وكان أبو نُوَاسٍ يَتَعَلَّمُ منه ويَصِفُهُ ويَذُمُّ الْأَصْمَعِيَّ.

قيلَ: دَأْبُ الْأَصْمَعِيِّ الْإِنْشادُ والزَّخْرَفَةُ[4]، قَليلُ الْفائِدَةِ، وأبو عُبَيْدَةَ بِضِدِّ ذلك.

وقال يَزيدُ بْنُ مُرَّةَ: ما كانَ أبو عُبَيْدَةَ يُفَتِّشُ عن عِلْمٍ من الْعُلومِ إلا يُظَنُّ أنه لا يُحْسِنُ غَيْرَهُ.

أَقْدَمَهُ الرَّشيدُ من الْبَصْرَةِ إلى بغدادَ، وقَرَأَ عليه. وكان شُعوبِيًّا.

---

(1) أبو عبيد القاسم مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى (ت.224هـ).

(2) أبو حاتِمٍ سَهْلُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عُثْمانَ السِّجِسْتانيُّ (ت.248هـ) وقيل: (ت.250هـ).

(3) علي بن المغيرة أبو الحسن الأثرم (ت.232هـ).

(4) التفرقة، في مراد ملا.

قُلْتُ: الشُّعوبيَّةُ فِرْقَةٌ لا تُفَضِّلُ الْعَرَبَ على الْعَجَمِ.

وقيل: كانَ يَرَى رَأْيَ الْخَوارِجِ الإباضِيَّةِ[1].

قُلْتُ: هؤلاء مُتَابِعُونَ لعبد اللهِ بنِ إباضٍ. يَقولونَ: مُخالِفونا من أَهْلِ الْقِبْلَةِ كُفَّارٌ غيرُ مُشْرِكينَ، وإنَّ مُرْتكِبَ الْكَبيرَةِ مُوَحِّدٌ غيرُ مُؤْمِنٍ، ومُرْتكِبَ الْكَبيرَةِ كافِرٌ كُفْرَ نِعْمَةٍ لا كُفْرَ مِلَّةٍ، وكَفَّروا عَلِيًّا رضي الله عنه وأكْثَرَ الصَّحابَةِ رضوانُ الله تعالى عليهم أجْمَعينَ. إلى غيرِ ذلك مِنَ الْجَهالَاتِ.

قيلَ: قال الْجاحِظُ في حَقِّ أبي عُبَيْدَةَ: لم يَكُنْ في الْأَرْضِ خارِجِيٌّ أعْلَمَ بجميعِ الْعُلومِ مِنْهُ.

وقالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: كانَ الْغَريبُ أَغْلَبَ عليه وَأَيَّامُ الْعَرَبِ وأخْبارُها.

قالَ أبو حاتِمٍ: وكانَ مع عِلْمِهِ، إذا قَرَأَ الْبَيْتَ لم يُقِمْ إعْرَابَهُ[2]، ويُنْشِدُهُ مُخْتَلِفَ الْعَروضِ.

صَنَّفَ: **"الْمَجازُ في غَريبِ القرآنِ"، و"الْأَمْثالُ في غَريبِ الْحَديثِ"، و"الْمَثالِبُ"، في أيَّامِ الْعَرَبِ، و"مَعاني القرآنِ"، و"طَبَقاتُ الْفُرْسانِ"، و"نَقائِضُ جَريرٍ والْفَرَزْدَقِ"، و"الْخَيْلُ" و"الْإِبِلُ"، و"السَّيْفُ"، و"اللُّغاتُ"، و"الْمَصادِرُ"، و"خَلْقُ الإنْسانِ"، و"فَعَلَ وَأَفْعَلَ"، و "ما يَلْحَنُ فيه الْعامَّةُ"**. وَغَيْرَ ذَلِكَ. وَكانَ يَقولُ شِعْرًا ضَعيفًا[3].

---

(1) ينظر معجم الأدباء: 6/ 2705، والنقل من بغية الوعاة: 2/ 294-295.

(2) لم يقم بإعرابه، في أنطاليا ورئيس الكتاب.

(3) ينظر معجم الأدباء: 6/ 2705، بغية الوعاة: 2/ 294-295.

وقالَ هو: إنَّ أبي حَدَّثني أنَّ أباهُ كانَ يَهودِيًّا.

وُلِدَ أبو عبيدَةَ سنة ثِنْتَيْ عَشَرَةَ ومِئَةٍ. وَماتَ سَنَةَ ثَمانٍ أو تِسْعٍ أو عَشْرٍ أو إِحْدَى عَشْرَةَ وَمِئَتَيْنِ.

وَمِنَ الْكُتُبِ الْمُخْتَصَرَةِ في عِلْمِ اللُّغَةِ: "كِتابُ الْعَيْنِ"، لِلخَليلِ بنِ أَحْمَدَ. هذا هو الصَّحيحُ.

وَقالَ أبو الطَّيِّبِ اللُّغَوِيُّ: هو لِلَّيْثِ بنِ نَصْرِ بنِ سَيَّارٍ. وقيلَ: عَمِلَ الْخَليلُ قِطْعَةً منه - أي "كِتابُ الْعَيْنِ" - وكَمَّلَهُ اللَّيْثُ. لِأنَّ أولَهُ لا يُناسِبُ آخِرَهُ.

قال ابْنُ الْمُعْتَزِّ: إنَّ الْخَليلَ صَنَّفَهُ لِلَّيْثِ، وكانَ هو مُكِبًّا على حِفْظِهِ وقِراءَتِهِ، وَاتَّفَقَ أنَّ امْرَأةَ لَيْثٍ غَارَتْهُ لِأَجْلِ جارِيَةٍ، فَأَرادَتْ أن تُغِيظَهُ؛ وكانت تَعْرِفُ أَنَّهُ لا يُبالي بالْمالِ؛ فَأَحْرَقَتِ الْكِتابَ، فلمَّا عَلِمَ اشْتَدَّ أَسَفُهُ، ولم يكنْ عند غَيْرِهِ نُسْخَةٌ غيرَ تلك النُّسْخَةِ التي احْتَرَقَتْ، وكان الْخَليلُ ماتَ، فَأَمْلى النِّصْفَ من حِفْظِهِ، وجَمَعَ عُلَماءَ عَصْرِهِ، وأمَرَهُمْ أن يُكَمِّلوهُ على نَمَطِهِ. فَعَمِلوا هذا الَّذِي بِأَيْدي النَّاسِ اليوم، ولم يُماثِلوهُ وإنِ اجْتَهَدوا.

فائِدَةٌ:

الْخَليلُ هو ابْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَمْرِو بنِ تَمِيمِ الْأَزْدِيُّ الْفَراهِيدِيُّ، الْبَصْرِيُّ، أبو عبد الرَّحْمنِ، صاحِبُ الْعَرَبِيَّةِ والْعَروضِ. وهو أَوَّلُ منِ اسْتَخْرَجَ الْعَروضَ، وَحَصَرَ أشعارَ الْعَربِ بها. وكان دَعَا بِمَكَّةَ أن يَرْزُقَهُ الله عِلْمًا لم

يُسْبَقْ إليه. فرجَعَ، وَفُتِحَ عليه بِالْعَروضِ. وكانت له معرفَةٌ بالإيقاعِ والنَّغَمِ، وهو الذي أحْدَثَ له عِلْمَ الْعَروضِ، فهما[1] مُتَقارِبانِ في الْمَأْخَذِ.

وهو أُسْتاذُ سِيبَوَيْهِ. وَعامَّةُ الْحِكايَةِ في كِتابِهِ عنه. وكُلَّمَا قالَ سِيبَوَيْهِ: وسَأَلْتُهُ، أو قالَ مِنْ غَيْرِ أنْ يَذْكُرَ قَائِلَهُ؛ فهو الْخَليلُ. وكان من الزُّهَّادِ في الدُّنْيَا، والْمُنْقَطِعينَ إلى الْعِلْمِ.

وطَلَبَهُ سُلَيْمانُ بنُ عَلِيٍّ من الأَهْوازِ لِتَأْديبِ أَوْلادِهِ، فَأَخْرَجَ الْخَلِيلُ إلى رَسُولِهِ خُبْزًا يابِسًا. وقالَ: ما عِنْدِي غَيْرُهُ، وما دُمْتُ أَجِدُهُ فلا حاجَةَ لي إلى سُلَيْمانَ.

وقالَ النَّضْرُ بنُ شُمَيْلٍ: أَقامَ الْخَليلُ في خُصٍّ[2] بالْبَصْرَةِ لا يَقْدِرُ على فِلْسَيْنِ، وتَلامِذَتُهُ يَكْتَسِبُونَ بِعِلْمِهِ الأَمْوالَ.

وكانَ النَّاسُ يَقولونَ: لم يَكُنْ في الْعَرَبِ بعد الصَّحابَةِ أَزْكى منه. وكانَ يَحُجُّ سَنَةً، وَيَغْزو سَنَةً.

وَأَبوهُ أَوَّلُ من سُمِّيَ أَحْمَدَ بعد النَّبي صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ.

ويُقالُ: إنَّه كان عند رجُلٍ دَواءٌ لِظُلْمَةِ الْعَيْنِ يَنْتَفِعُ به النَّاسُ، فَماتَ واحْتاجَ النَّاسُ إليه، ولم يكن له نُسْخَةٌ، وكان له آنِيةٌ يَعْمَلُ فيها الدَّواءَ. فَأَخْرَجَ الْخَليلُ يَشُمُّهَا نَوْعًا نَوْعًا، حتى أَخرَجَ خَمْسَةَ عَشَرَ نَوْعًا، فَعَمِلَهُ فانْتَفَعَ به النَّاسُ. ثم وُجِدَتِ النُّسْخَةُ، فَوَجَدوا الأَخْلاطَ سِتَّةَ عَشَرَ[3] لم يَفُتْهُ منها إلَّا واحِدٌ.

---

(1) فإنهما، في مراد ملا.

(2) الخُصُّ: البيت من القصب. اللسان: خصص.

(3) ستة عشر جزءا، في مراد ملا.

والفَرَاهِيدِيُّ، ويُقال الْفَرْهُودِيُّ أيضا، وهو مُفْرَدُ الْفَراهِيدِ، نِسْبَةً إلى فَراهيدَ بْنِ مالِكِ بْنِ فَهْمِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ مالكِ بنِ مُضَرَ بنِ الْأَزْدِ.

وله تَصانيفُ غَيْرَ "**كتابُ الْعَيْنِ**": "**كتابُ النَّغَمِ**"، "**الْجُمَلُ**"، "**الْعَروضُ**"، "**الشَّواهِدُ**"، "**النَّقْطُ والشَّكْلُ**"، **كِتابُ** "**فَائِتُ الْعَيْنِ**"، "**كِتابُ الإِيقاعِ**".

تُوُفِّيَ الْخَليلُ سَنَةَ خَمْسٍ وسَبْعينَ ومِئَةٍ، أو سَبْعينَ أو سِتِّينَ، وله أَرْبَعٌ وسَبْعونَ. وَسَبَبُ مَوْتِهِ أَنَّهُ قالَ: أُريدُ أنْ أعْمَلَ نَوْعًا من الْحِسابِ تَمْضِي به الْجارِيَةُ إلى الْبَقَّالِ[1]، فلا يُمْكِنُ أنْ يَظْلِمَهَا. فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ وهو يُعْمِلُ فِكْرَهُ فَصَدَمَتْهُ سارِيَةٌ وهو غافِلٌ، فانْصَدَعَ وماتَ.

وَرُئِيَ في النَّوْمِ فقيل له: ما صَنَعَ الله بك؟ فقال: أَرَأَيْتَ ما كُنَّا فيه؟ لم يَكُنْ شَيْئًا، وما وَجَدْتُ أَفْضَلَ مِنْ "سُبْحانَ اللهِ، والْحَمْدُ لله، ولا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، واللهُ أَكْبَرَ"[2].

وَمِنَ الْكُتُبِ الْمُخْتَصَرَةِ في اللُّغَةِ:

- "**الْمُنْتَخَبُ**" و"**الْمُجَرَّدُ**"، لعَلِيِّ بنِ الْحَسَنِ الْهُنَائِيِّ، الْمَعْروفِ بِكُرَاعِ النَّمْلِ؛ بضَمِّ الكافِ؛ أبو الْحَسَنِ النَّحْوِيُّ الُّلغَوِيُّ[3].

قالَ يَاقوتٌ: هو منْ أَهْلِ مِصْرَ، أَخَذَ عن البَصْرِيِّينَ، وكان نَحْوِيًّا كوفِيًّا.

---

(1) القاضي، في بغية الوعاة: 1/ 560.

(2) المصدر نفسه: 1/ 559-560.

(3) توفي سنة 316هـ. النقل من إرشاد القاصد: 111.

صَنَّفَ: "**الْمُنَضَّدُ في اللُّغَةِ**"، "**الْمُجَرَّدُ**"، مُخْتَصَرُهُ، "**الْمُهَجَّدُ**"[1] مُخْتَصَرُهُ، "**أَمْثِلَةُ غَريبِ اللُّغَةِ**"، "**الْمُصْحَفُ الْمُنَظَّمُ**"، رَأَيْتُ خَطَّهُ على **الْمُنَضَّدِ**، وقد كَتَبَهُ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلاثِمِئَةٍ. انتهى[2].

ومن الْمُتَوَسِّطَاتِ:

- "**الْمُجْمَلُ**"، لابْنِ فارِسٍ، وهو أَحْمَدُ بنُ فارسِ بْنِ زَكَرِيَّا، أبو الْحُسَيْنِ اللُّغَوِيُّ الْقَزْوِينِيُّ. كان نَحْوِيًّا على طَرِيقَةِ الْكُوفِيِّينَ. سَمِعَ أباهُ، وَعَلِيَّ بْنَ إبْراهيمَ بنِ سَلَمَةَ الْقَطَّانَ. وقَرَأَ عليه الْأَديبُ الْهَمَذَانِيُّ. وكانَ مُقِيمًا بِهَمَذَانَ، فَحُمِلَ منها إلى الرَّيِّ لِيَقْرَأَ عليه أبو طالِبٍ ابْنُ فَخْرِ الدَّوْلَةِ فَسَكَنَهَا.

وكانَ شافِعِيًّا، فَتَحَوَّلَ مالكيًّا. وقال: أَخَذَتْنِي الْحَمِيَّةُ لهذا الإمامِ أنْ يَخْلُوَ مِثْلُ هذا الْبَلَدِ عن مَذْهَبِهِ.

وكانَ الصَّاحِبُ بنُ عَبَّادٍ تِلْميذَهُ[3]. ويقولُ: شَيْخُنَا ممن رُزِقَ حُسْنَ التَّصنيفِ.

وكانَ كَرِيمًا جَوادًا، رُبَّما سُئِلَ فَيَهَبُ ثِيَابَهُ وفُرُشَ بَيْتِهِ.

صَنَّفَ: "**الْمُجْمَلُ في اللُّغَةِ**"، "**فِقْهُ اللُّغَةِ**"، "**مُقَدِّمَةٌ في النَّحْوِ**"، "**ذَمُّ الْخَطَإِ في الشِّعْرِ**"، "**فَتَاوَى فَقيهِ الْعَرَبِ**"، "**الإِتْباعُ والْمُزاوَجَةُ**"، "**اخْتِلافُ**

---

(1) المنجد، في معجم الأدباء، والمجهد، في بغية الوعاة.

(2) ينظر بغية الوعاة: 2/ 158.

(3) تلمذ له، في رئيس الكتاب وأنطاليا وعاطف أفندي.

النَّحْوِيِّينَ"، "الِانْتِصارُ لثَعْلَبِ النَّحْوِيِّ"، "اللَّيْلُ والنَّهارُ"، "خَلْقُ الإنْسانِ"، "تَفْسيرُ أسْماءِ النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وسَلَّمَ". وَغَيْرَ ذلك.

قال الذَّهَبِي: ماتَ سنَةَ خَمْسٍ وتِسْعينَ وثَلاثِمِئَةٍ. وهو أصَحُّ ما قيلَ في وَفاتِهِ[1].

ومن شِعْرِهِ: [المتقارب]

إِذَا كُنْتَ في حَاجَةٍ مُرْسِلًا ... وَأَنْتَ بِهَا كَلِفٌ مُغْرَمُ[2]
فَأَرْسِلْ حَكِيمًا ولا تُوصِهِ ... وذاكَ الْحَكِيمُ هو الدِّرْهَمُ

ـ **ومنها: "دِيوَانُ الْأَدَبِ"**، لِلْفَارَابِيِّ، وهو إسْحاقُ بنُ إبْراهيمَ الْفارابِيُّ أبو إبْراهيمَ، وخَالُ أبي نَصْرٍ الْجَوْهَرِيِّ. وتَرَامَى به الاغْتِرَابُ إلى أَرْضِ الْيَمَنِ، وسَكَنَ زَبِيدَ، وبها صَنَّفَ: **"كتابُ الْمُجْمَلِ"**.

وَماتَ قَبْلَ أن يُرْوى عنه قَرِيبًا من سَنَةِ خَمْسينَ وثَلاثِمِئَةٍ وقيلَ: في حُدودِ السَّبْعينَ.

وقالَ ياقوتٌ: رَأَيْتُ نُسْخَةً من هذا الْكِتابِ بِخَطِّ الْجَوْهَرِيِّ، وقد ذَكَرَ فيها أنَّه قَرَأَهُ على أبي إبراهيمَ بِفَارَابَ.

وقال الْحَاكِمُ: قَرَأْتُ بَعْضَهُ على يوسُفَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ إبراهيمَ الفَرْغَانِيِّ. قال: قَرَأْتُهُ على أبي عليٍّ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ سَعيدِ الزَّامِينِيِّ. قال: قَرَأْتُهُ على

---

(1) بغية الوعاة: 1/ 352.

(2) البيتان في وفيات الأعيان: 1/ 119، وبغية الوعاة: 1/ 352.

مُؤَلِّفِهِ أبي إبْراهيمَ. فهذا يُبْطِلُ الْقَوْلَ الْمَذْكورَ، أعْنِي أَنَّهُ لَمْ يُرْوَ عنه هذا الْكِتابُ.

وله أيْضًا: "**شَرْحُ أدَبِ الكَاتِبِ**"، و"**بيَانُ الإعْرَابِ**"[1].

ومن الْمَبْسوطاتِ[2]:

- "**الْعَالَمُ في اللُّغَةِ**"، لِأَحْمَدَ بْنِ أَبانَ بْنِ سيّدٍ اللُّغَوِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ. أَخَذَ عن أبي عَلِيٍّ القَالِيِّ وغَيْرِهِ. وكانَ عالِمًا إمامًا في اللُّغَةِ والْعَربِيَّةِ، حاذِقًا أَديبًا سَريعَ الْكِتابَةِ. رَوَى عنه الإِفْلِيلِيُّ.

وَصَنَّفَ: "**الْعَالَمُ** - بفتح اللَّامِ - **في اللُّغَةِ**"، مِئَةَ مُجَلَّدٍ. مُرَتَّبٌ على الْأَجْناسِ، بَدَأَ فيه بالْفَلَكِ، وخَتَمَ بالذَّرَّةِ، و"**شَرْحُ كِتَابِ الأَخْفَشِ**". وَغَيْرَ ذَلِكَ.

ماتَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وثَمانينَ وثَلاثِمِئَةٍ.

قُلْتُ: أَسْمَعُ هذا الْكِتابَ ولم أَرَهُ[3].

- **ومنها**: "**التَّهذِيبُ**" و "**الْجَامِعُ**"، لِلْأَزْهَرِيِّ، وهو مُحَمَّدُ بنُ أحْمَدَ بنِ الْأَزْهَرِ بنِ طَلْحَةَ بنِ نوحٍ الْأَزْهَرِيُّ اللُّغَوِيُّ الأديبُ الْهَرَوِيُّ الشَّافِعِيُّ، أبو منصورٍ. وُلِدَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وثَمانينَ ومِئَتَيْنِ. وَأَخَذَ عن الرَّبيعِ بْنِ سُلَيْمانَ، ونِفْطَوَيْهِ، وابْنِ السَّرَّاجِ، وَأَدْرَكَ ابْنَ دُرَيْدٍ، ولم يَرْوِ عنه. وَوَرَدَ بغدادَ،

---

(1) بغية الوعاة: 1/ 438.

(2) ينظر: إرشاد القاصد: 111.

(3) بغية الوعاة: 1/ 291.

وأَسَرَتْهُ الْقَرَامِطَةُ، فَبَقِيَ فيهم دَهْرًا طويلًا، وكانَ رَأْسًا في اللُّغَةِ. أخَذَ عنه الْهَرَوِيُّ صاحِبُ "**الْغَرِيبَيْنِ**".

وله من التَّصانيفِ: "**التَّهْذِيبُ فِي اللُّغَةِ**"، "**تَفْسِيرُ ألفاظِ مُخْتَصَرِ الْمُزَنِيِّ**"، "**التَّقْرِيبُ فِي التَّفْسِيرِ**"، وَغَيْرُ ذَلِكَ.

وكانَ عارِفًا بالحديثِ، عَالِيَ الإسْنَادِ، ثَخِينَ الْوَرَعِ.

ماتَ في رَبيعِ الْآخِرِ سَنَةَ سَبْعينَ وثَلاثِمِئَةٍ[1].

- ومنها: "**الْعُبَابُ الزَّاخِرُ**"، للصَّغَانِيِّ، ويُقالُ: الصَّاغَانِيُّ بالْأَلِفِ، وهو الْحَسَنُ بنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ حَيْدَرَ بنِ علي الْعَدَوِيُّ الْعُمَرِيُّ، الإمامُ رَضِيُّ الدِّينِ أبو الفضائِلِ الصَّغَانِيُّ؛ بِفَتْحِ الصَّادِ الْمُهْمَلَةِ، وَتَخْفِيفِ الْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ؛ ويُقالُ: الصَّاغَانِيُّ بالْأَلِفِ، الْحَنَفِيُّ، حامِلُ لِواءِ اللُّغَةِ في زَمانِهِ.

قال الذَّهَبِيُّ: وُلِدَ بِمَدينَةِ لَوْهُورَ سَنَةَ سَبْعٍ وَسَبْعينَ وخَمْسِمِئَةٍ. ونَشَأَ بِغَزْنَةَ، ودَخَلَ بَغْدادَ سنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وسِتِّمِئَةٍ. وذَهَبَ منها بالرِّئاسَةِ الشَّريفَةِ إلى صاحِبِ الْهِنْدِ، فَبَقِيَ مُدَّةً وحَجَّ، ودَخَلَ الْيَمَنَ، ثمَّ عادَ إلى بَغْدادَ، ثم إلى الْهِنْدِ، ثمَّ إلى بَغْدادَ. وسَمِعَ من النِّظامِ الْمَرْغِينَانِيِّ، وكان إليه الْمُنْتَهى في اللُّغَةِ.

كان يقولُ لأصْحابِهِ: اِحْفَظُوا غَريبَ أبي عُبَيْدٍ، فمن حَفِظَهُ مَلَكَ أَلْفَ دينارٍ، فإنِّي حَفِظْتُهُ فَمَلَكْتُهَا، وأشَرْتُ على بعض أصحابي بِحِفْظِهِ فَحَفِظَها

---

(1) بغية الوعاة: 1/ 20.

ومَلَكَها. حَدَّثَ عنه الشَّرَفُ الدِّمْيَاطِيُّ، كانَ شَيْخًا صالِحًا صَدوقًا، صَموتًا عن فُضولِ الْكَلامِ، إمامًا في اللُّغَةِ والْفِقْهِ والْحَديثِ.

وله من التَّصانيفِ: **"مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ"** في اللُّغَةِ، اثْنَيْ عَشَرَ مُجَلَّدًا، **"التَّكْمِلَةُ على الصَّحاحِ"**، و**"الْعُبَابُ الزَّاخِرُ"**، وَصَلَ فيه إلى باب "بَكَمَ". وفيه[1] قيلَ: [مجزوء الرجز]

إنَّ الصَّـــغَـانِـيَّ الَّـذِي حَـازَ الْعُلومَ والْحِكَمْ[2]
كـانَ قُصَـــارَى أَمْـرِهِ أنِ انْـتَـهَـى إلـى بَـكَـمْ

وَصَنَّفَ: **"الشَّوَارِدُ في اللُّغاتِ"**، و **"تَوْشِيحُ الدُّرَيْدِيَّةِ"**، و **"التَّرَاكِيبُ"**، و**"فَعَّالٌ وفَعْلانُ"**، و **"الأَضْدَادُ"**، وكِتابَ **"أَسْماءُ السَّعادَةِ"**، و **"كِتابُ الأثَرِ"**، وكِتابَ **"أَسْماءُ الدِّينِ"**[3]، و **"مَشارِقُ الأنْوارِ"**، في الْحَديثِ ، و**"شَرْحُ الْبُخارِي"**، مُجَلَّدٌ، و **"دُرُّ السَّحابَةِ في وَفَياتِ الصَّحابَةِ"** ، و **"الْعَروضُ"**، و**"شَرْحُ أَبْياتِ الْمُفَصَّلِ"**، و**"نَقْعَةُ الصَّدْيَانِ"**، و **"كتابٌ في التَّصْريفِ"**، و**"كِتابُ مَناسِكِ الْحَجِّ"**، وغَيْرَ ذلِكَ.

قالَ الدِّمْيَاطِيُّ: وكان معه مَوْلودٌ، وقد حَكَمَ فيه بِمَوْتِهِ في وَقْتِهِ، فكان يَتَرَقَّبُ ذلك الْيَوْمَ، فَحَضَرَ ذلك الْيَوْمُ، وهو مُعَافَى. فَعَمِلَ لأصْحابِهِ طَعامًا شُكْرَانَ ذلك، وَفارَقْناهُ، وعَدَّيْتُ إلى الشَّطِّ، فَلَقِيَنِي شَخْصٌ أخْبَرَني بِمَوْتِهِ.

---

(1) وقد، في مراد ملا.

(2) البيتان مع سائر الترجمة منقولة من بغية الوعاة: 1/ 519-520.

(3) كذا في النسخ الخطية وفي بغية الوعاة: 1/ 520، ولعل الصواب كتاب أسماء الذئب، منه نسخة خطية في دار الكتب رقم: 1852 أدب، والكتاب مطبوع.

فقلتُ له: السَّاعَةَ فارَقْتُهُ. فقال: والسَّاعَةَ وَقَعَ الْحِمَامُ يُخْبِرُ بِمَوْتِهِ فَجْأَةً. وذلك سَنَةَ خَمْسِينَ وَسِتِّمِئَةٍ.

- ومنها: "**الْمُحْكَمُ**"، لابْنِ سِيدَه، وهو عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سِيدَه، اللُّغَوِيُّ النَّحْوِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ، أبو الْحَسَنِ الضَّريرُ. وقيلَ: اسْمُ أَبِيهِ مُحَمَّدٌ. وَقيلَ: إسْماعِيلُ. كانَ حافِظًا، لم يكنْ في زَمانِهِ أعْلَمَ منه بالنَّحْوِ واللُّغَةِ والأشْعارِ وأيَّامِ الْعَرَبِ وما يَتَعَلَّقُ بها، مُتَوَفِّرًا[1] على عُلومِ الْحِكْمَةِ.

رَوى عن أَبيهِ، وصاعِدِ بنِ الْحَسَنِ الْبَغْدادِيِّ.

قال أبو عُمَرَ الطَّلَمَنْكِيُّ: دَخَلْتُ مُرْسِيَةَ، فَتَشَبَّثَ بي أَهْلُها لِيَسْمَعوا عَلَيّ غَريبَ **الْمُصَنَّفِ**. فقلتُ لهم: انْظُروا من يَقْرَأُ لكم، فَأَتَوْا بِرَجُلٍ أعْمى يُعْرَفُ بابْنِ سِيدَه، فَقَرَأَهُ[2] عَلَيَّ من أوَّلِهِ إلى آخِرِهِ من حِفْظِهِ فَعَجِبْتُ منه.

صَنَّفَ: "**الْمُحْكَمُ والْمُحِيطُ الْأَعْظَمُ**"، في اللُّغَةِ، "**شَرْحُ إصْلَاحِ الْمَنْطِقِ**"، "**شَرْحُ الْحَمَاسَةِ**"، "**شَرْحُ كِتَابِ الْأَخْفَشِ**"، وَغَيْرَ ذَلِكَ.

ماتَ سنَةَ ثَمانٍ وخَمْسينَ وأَرْبَعِمِئَةٍ عن نَحْوِ سِتِّينَ سَنَةٍ[3].

- ومنها: "**الصَّحَاحُ**"، لِلْجَوْهَرِيِّ، وهو الْمَشْهورُ عند الْجُمْهورِ، واسْمُهُ إسْماعيلُ بْنُ حَمَّادٍ، الْإمامُ أبو نَصْرٍ الْفَارَابِيُّ.

---

(1) متوافرا، في أنطاليا.

(2) فقرأ، في قونية.

(3) بغية الوعاة: 2/ 143.

قال ياقوتٌ: كانَ مِنْ أعاجيبِ الزَّمانِ ذَكاءً وفِطْنَةً وعِلْمًا. وأصْلُهُ من فَارَابِ التُّرْكِ، وكانَ إمامًا في اللُّغَةِ والْأَدَبِ، وَخَطُّهُ يُضْرَبُ به الْمَثَلُ، لا يَكادُ يُفَرَّقُ بينه وبينَ خَطِّ ابْنِ مُقْلَةَ. وهو مع ذلِكَ من فُرْسانِ الزَّمَانِ والْأُصولِ[1]. وكان يُؤْثِرُ السَّفَرَ على الْحَضَرِ، ويُطَوِّفُ الْآفاقَ.

ودَخَلَ الْعِراقَ، فَقَرَأَ الْعَرَبِيَّةَ على أبي عَلِيٍّ الفَارِسِيِّ والسِّيرَافِيِّ، وَسافرَ إلى الْحِجازِ وشَافَهَ باللُّغَةِ الْعَرَبَ الْعارِبَةَ، وطَوَّفَ بِلادَ رَبِيعَةَ ومُضَرَ، ثم عادَ إلى خُرَاسَانَ، ونَزَلَ الدَّامَغَانَ عند أبي الحُسين ابنِ عَلِيٍّ، أَحَدِ أعْيانِ الكُتَّابِ والْفُضَلاءِ. ثمَّ أَقامَ بِنَيْسابورَ مُلازِمًا لِلتَّدْريسِ والتَّأليفِ، وتَعَلُّمِ الْخَطِّ وَكِتابَةِ الْمَصَاحِفِ وَالدَّفَاتِرِ، حتَّى مَضَى لِسَبيلِهِ عن آثارٍ جَميلَةٍ.

وَصَنَّفَ: **كِتابًا في الْعَروضِ**، **ومُقَدِّمَةً في النَّحْوِ**، و **"الصَّحَاحُ" في اللُّغَةِ**، وهو الْكِتابُ الَّذِي بأَيْدِي النَّاسِ الْيَوْمَ، وعليه اعْتِمادُهُمْ، أَحْسَنَ تَصْنِيفَهُ، وَجَوَّدَ تَأْلِيفَهُ. وفيه يَقولُ إِسْماعيلُ بْنُ عَبْدوسٍ النَّيْسَابُورِيُّ: [المنسرح]

هَذَا كِتَابُ **الصَّحَاحْ** سَيِّدُ مَا ... صُنِّفَ قَبْلَ الصَّحَاحِ في الْأَدَبِ[2]

يَشْمَلُ أَبْوَابَهُ وَيَجْمَعُ مَا ... فُرِّقَ في غَيْرِهِ من الْكُتُبِ

هذا مع تَصْحِيفٍ فيه في مَوَاضِعَ عِدَّةٍ، تَتَبَّعَهَا عليه الْمُحَقِّقونَ.

---

(1) كذا في جميع النسخ، وفي معجم الأدباء: من فرسان الكلام في الأصول. وفي بغية الوعاة مصدر الترجمة: والأصول، ولعله الأقرب للصواب، وأحسن منه التوليف بينهما، فتصير العبارة: وهو من فرسان الزمان في الكلام والأصول.

(2) بغية الوعاة: 1/ 447.

وَقِيلَ: إنَّ سَبَبَهُ أنّه لما صُنِّفَ سُمِعَ عليه إلى بابِ الضَّادِ الْمُعْجَمَةِ، وعَرَضَ له وَسْوَسَةٌ، فانْتَقَلَ إلى الْجامِعِ الْكَبِيرِ بِنَيْسَابُورَ، فَصَعِدَ سَطْحَهُ وقال: أيُّها النَّاسُ، إنِّي عَمِلْتُ في الدُّنْيا شَيْئًا لم أُسْبَقْ إليه، فَسَأَعْمَلُ للآخِرَةِ أَمْرًا لم أُسْبَقْ إليه؛ وَضَمَّ إلى جَنْبَيْهِ مِصْرَاعَيْ بابٍ، وتَأَبَّطَهُمَا بِحَبْلٍ، وصَعِدَ مَكانًا عالِيًا، وزَعَمَ أنَّهُ يَطِيرُ، فَوَقَعَ ومَاتَ. وبَقِيَ سائِرُ الْكِتَابِ مُسَوَّدَةً غَيْرَ مُنَقَّحٍ ولا مُبَيَّضٍ، فَبَيَّضَهُ تِلْمِيذُهُ إبراهيمُ بنُ صالِحٍ الْوَرَّاقُ، فَغَلِطَ فيه في مَواضِعَ.

قال ياقوتٌ: وقد بَحَثْتُ عن مَوْلِدِهِ وَوَفَاتِهِ بَحْثًا شَافِيًا فلم أَقِفْ عليهما. وقد رَأَيْتُ نسخةً من **الصَّحَاحِ** عند الْمَلِكِ الْمُعَظَّمِ بِخَطِّهِ، وقد كَتَبَها في سَنَةِ سِتٍّ وَتِسْعِينَ وثَلاثِمِئَةٍ.

وقالَ ابنُ فَضْلِ اللهِ[1] في **الْمَسَالِكِ**: ماتَ سنَةَ ثَلاثٍ وَتِسْعينَ وَثَلاثِمِئَةٍ. وقيلَ: في حُدودِ الْأَرْبَعِمِئَةِ.

ومن شِعْرِهِ: **[السريع]**

لَوْ كَانَ لِي بُدٌّ مِنَ النَّاسِ ... قَطَعْتُ حَبْلَ النَّاسِ بالْيَاسِ[2]
الْعِزُّ فِي الْعُزْلَةِ لَكِنَّهُ ... لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنَ النَّاسِ

هذا ما ذَكَرَهُ السُّيوطِيُّ[3].

---

(1) أبو العباس شهاب الدين أحمد بن فضل الله بن يحيى العمري، صاحب كتاب "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار"، (ت.749هـ).

(2) البيتان في يتيمة الدهر: 4/ 469، ومعجم الأدباء: 2/ 659، وبغية الوعاة: 1/ 447.

(3) بغية الوعاة: 1/ 447.

قُلْتُ: رَأَيْتُ في ظَهْرِ بعض نُسَخِ **الصَّحَاحِ** أنَّ الْجَوْهَرِيَّ ابْنُ أخْتِ الْفَارَابِيِّ، وهو أبو إبراهيمَ إسْحاقُ بْنُ إبْراهِيمَ الْفارابِيُّ صاحِبُ "**دِيوانُ الْأَدَبِ**"، ذَكَرَهُ أبو سَهْلٍ الْهَرَوِيُّ بِخَطِّهِ. ثُمَّ قالَ: تُوُفِّيَ رَحِمَهُ اللهُ في سنَةِ ثَلاثٍ وَسَبْعينَ وَثَلاثِمِئَةٍ، وقدْ تَلَقَّتِ الْأُمَّةُ كِتابَهُ بالْقَبُولِ.

ولابْنِ بَرِّي عليه **حَواشٍ** مُفيدَةٌ، وله **تَكْمِلَةٌ وحواشٍ**، لِلصَّغَانِي، ويَجْمَعُ بينهما وبينَ **الصَّحَاحِ في مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ**، إلَّا أنَّهُ قالَ ابْنُ الصَّلَاحِ في: **مُشْكِلِ الْوَسيطِ**: لا يُقْبَلُ ما تَفَرَّدَ به، وأَنْكَرَ عليه قَوْلَهُ: سائِرُ النَّاسِ جَميعُهُمْ. وقالَ: إنَّه تَفَرَّدَ به، وَرُدَّ بأنَّ التِّبْرِيزِيَّ والْجَوَالِيقِيَّ وغيرَهُمَا نَقَلُوا ذلك.

قال نَصْرُ بنُ عيسى بْنِ عَلِيٍّ خُزَرِيٌّ[1]: وَصَلْتُ إلى الْمَوْصِلِ في سَنَةَ خَمْسٍ وَثَمانِينَ وخَمْسِمِئَةٍ، فَوَجَدْتُ ثَمَّةَ "**صَحَاحُ اللُّغَةِ**" بِخَطِّ الشَّيخِ أبي زَكرِيَّاءَ يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ الْخَطيبِ التِّبْرِيزِيِّ، وعلى ظَهْرِهَا مَكْتوبٌ:

عَارَضْتُهُ مِنْ أَوَّلِهِ إلى آخِرِهِ، وهو كِتابٌ حَسَنُ التَّرْتِيبِ، سَهْلُ الْمَطْلَبِ لما يُرَادُ منه. وقد أَتَى بِأَشْياءَ حَسَنَةٍ، وتَفاسيرَ مُشْكِلاتٍ من اللُّغَةِ، إلَّا أنَّهُ مع ذَلِكَ فيه تَصْحِيفٌ كَثيرٌ لا يُشَكُّ أنه من الْمُصَنِّفِ لا من النَّاسِخِ، لأنَّ الْكِتابَ مَبْنِيٌّ على الْحُروفِ[2]. فَمِنْ جُمْلَتِهِ الْمَسْأَلَةُ الْمَعْروفَةُ من "**كتاب سِيبَوَيْهِ**":

---

(1) ابن خرويٍّ كذا في جميع النسخ، ولعلها خُزَرِيٌّ كما ضبطها صاحب توضيح المشتبه: 2/ 325، وتنظر أيضا ترجمة ابنه في قلائد الجمان: 1/ 131.

(2) الحرف، في أنطاليا. ينظر المزهر: 1/ 75.

"ما أغْفَلَهُ عنك شَيْئًا؛ أي دَعِ الشَّكَّ"[1]. ولَفْظُ سِيبَوَيْهِ بالْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ والْفاءِ، فأَثْبَتَهُ في فَصْلِ الْعَيْنِ الْمُهمَلَةِ والْقافِ. وإنَّما فَسَّرَهُ سِيبَوَيْهِ بِقَوْلِهِ: دَعِ الشَّكَّ، إشارَةً إلى أنَّ شَيْئًا لَيْسَ مَفْعولَ أَفْعَلَ، لأنَّهُ اسْتَوْفَى مَفْعولَهُ، ومَعْناهُ أنَّ إنْسانًا تَوَهَّمَ أنَّ إنسانًا مُعِينٌ بِأَمْرِهِ، كافِلٌ له، فقيل له: ما أَغْفَلَ هذا الذي تَظُنُّهُ مُعِينًا بِأَمْرِكَ عنك، ودَعِ الشَّكَّ فيما أَقولُهُ. فَقَوْلُهُ: شَيْئًا، مَفْعولُ دَعْ "الْمُقدَّرِ" كأَنَّهُ قالَ: دَعْ أَمْرًا يُشَكِّكُكَ فيه، كذا بَيَّنَهُ ابْنُ جِنِّي. وقد بَيَّنْتُ ما صُحِّفَ فيه، وأَثْبَتُّهُ في مَتْنِ الْكِتابِ بعلامَةِ "ط"[2] -قُلْتُ: أَرادَ به الْخَطِيبَ- ولا يَخْلُو الْكُتُبُ الْكِبَارُ من سَهْوٍ يَقَعُ فيها أو غَلَطٍ. وهذا أبو عُبَيْدٍ كَمْ رُدَّ عليه في "الْغَريبُ"، غير أنَّ الْقَليلَ من الْغَلَطِ في جَنْبِ الْكَثيرِ الَّذِي اجْتَهَدوا فيه، وَأَتْعَبوا نُفوسَهُمْ في تَصْحيحِهِ وتَنْقيحِهِ مَعْفُوٌّ عنه.

أَنْشَدَ الإمامُ رَشيدُ الدِّينِ عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ بْنِ نَصْرِ الْفَرْغَانِيُّ رحمه الله: [مجزوء الرجز]

لَيْسَتْ صَحَاحُ الْجَوْهَرِي إلَّا صِحَاحَ الْجَوْهَرِ[3]
ما فِيهِ مِنْ مُكَسَّرِ حَاشَاهُ مِنْ مُكَسَّرِ

وَلِبَعْضِ الْأُدَباءِ في اسْتِعارَةِ هذا الْكِتابِ مُخاطِبًا لِبَعْضِ الرُّؤَساءِ: [الكامل]

---

(1) كتاب سيبويه: 2/ 129.

(2) ظاهرة، في أنطاليا وعاطف أفندي.

(3) لم نقف عليهما.

مَوْلَايَ إِنْ وَافَيْتُ بَابَكَ طَالِبًا مِنْكَ الصَّحَاحَ فَلَيْسَ ذَاكَ بِمُنْكَرِ[1]
الْبَحْرُ أَنْتَ وَهَلْ يُلَامُ فَتًى سَعَى لِلْبَحْرِ كَيْ يَلْقَى صَحَاحَ الْجَوْهَرِي

قيلَ: يُقالُ: كِتابُ "**الصَّحاحُ**" بِفَتْحِ الصَّادِ، وهو اسْمٌ مُفْرَدٌ بمعنى الصَّحيحِ. يُقالُ: صَحَّحَهُ اللهُ فهو صَحِيحٌ وصَحَاحٌ، والْجَارِي على أَلْسِنَةِ الْأَكْثَرينَ كَسْرُ الصَّادِ، على أَنَّهُ جَمْعُ صَحِيحٍ؛ مِثْلَ: ظَرِيفٍ وظِرَافٍ، وبَعْضُهُمْ يُنْكِرُ الْكَسْرَ بالنِّسْبَةِ إلى تَسْمِيَةِ هذا الْكِتابِ، ولا مُسْتَنَدَ له إلَّا أنْ يُقالُ: إنَّهُ ثَبَتَ رِوَايَةً عن مُصَنِّفِهِ. واللهُ أَعْلَمُ.

قُلْتُ: وقد عَلَّقَ ابنُ بَرِّي نُكَتًا مُفِيدَةً على "**الصَّحَاحُ**"[2]. وهو عَبْدُ اللهِ ابنُ بَرِّي بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ، أبو مُحَمَّدٍ الْمَقْدِسِيُّ الْمِصْرِيُّ النَّحْوِيُّ اللُّغَوِيُّ. شاعَ ذِكْرُهُ واشْتَهَرَ، وَلَمْ يَكُنْ في الدِّيارِ الْمِصْرِيَّةِ مِثْلُهُ. قَرَأَ "**كتاب سِيبَوَيْهِ**" على مُحَمَّدِ بنِ عبدِ الْمَلِكِ الشَّنْتَرِينِيِّ، وتَصَدَّرَ لِلإِقْراءِ بِجامِعِ عَمْرٍو. وكان مع عِلْمِهِ وغَزارَةِ فَهْمِهِ ذا غَفْلَةٍ. يُحْكى عنه حِكاياتٌ عَجيبَةٌ، منها: أَنَّهُ جَعَلَ في كُمِّهِ عِنَبًا، فَجَعَلَ يَعْبَثُ به، ويُحَدِّثُ شَخْصًا حتى نَقَّطَ على رِجْلَيْهِ، فقال لِرَفيقِهِ: تُحِسُّ الْمَطَرَ، فقال: لا، وإِنَّمَا هو مِنَ الْعِنَبِ، فَخَجِلَ ومَضَى.

وكان قَيِّمًا بالنَّحْوِ واللُّغَةِ والشَّوَاهِدِ، ثِقَةً، قَرَأَ عليه الْجُزُولِيُّ، وَأَجازَ لأَهْلِ عَصْرِهِ، وكان له تَصَفُّحٌ على ديوانِ الإِنْشَاءِ.

---

(1) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين: 8/ 500، خلاصة الأثر: 3/ 327.
(2) سماها: "التَّنبيه والإفصاح عما وقع من الوهم في كتاب الصَّحاح".

وَصَنَّفَ: "**اللُّبَابُ لِلرَّدِّ على ابنِ الْخَشَّابِ**"[1]، في رَدِّهِ على "**دُرَّةُ الْغَوَّاصِ**"، لِلْحَرِيرِيِّ. وله **حواشٍ على الصَّحاحِ**.

قال الصَّفَدِيُّ: لم يُكْمِلْهَا بل وَصَلَ إلى وَقَش، وهو رُبُعُ الْكِتَابِ، فأَكْمَلَهَا الشَّيخ عبد الله بن محمد الْبَسْطِيُّ.

ماتَ ابْنُ بَرِّي لَيْلَةَ السَّابِعَةِ والْعِشْرينَ من شَوَّالٍ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثمانينَ وَخَمْسِمِئَةٍ[2].

قُلْتُ: لِلصَّحاحِ تَكْمِلَةٌ وحَوَاشٍ لِلصَّغَانِيِّ، وَيَجْمَعُ بينهما وبينَ **الصَّحاحِ** في **مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ**.

وَمِنَ الْمَبْسوطاتِ مِنْ كُتُبِ اللُّغَةِ[3]:

- "**اللَّامِعُ الْمُعْلِمُ الْعُجَابُ الْجَامِعُ بينَ الْمُحْكَمِ والْعُبَابِ**"، وقد بَلَغَ تَمامُهُ سِتِّينَ مُجَلَّدَةً[4]، ثُمَّ لَخَّصَهُ مُؤَلِّفُهُ مَجْدُ الدِّينِ الشِّيرَازِيُّ في مُجَلَّدَتَيْنِ[5] وسَمَّاهُ: "**الْقاموسُ الْمُحيطُ والْقابوسُ الْوَسيطُ الْجامِعُ لما ذَهَبَ من لُغَةِ الْعَرَبِ شَماطيطَ**".

---

(1) ردّ فيه على أبي محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن الخشّاب النحويّ (ت.567هـ)، وانتصر للحريري، وألف موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي الموصلي البغدادي (ت.629هـ) كتاب: الإنصاف بين ابن بري وابن الخشاب في كلامهما على المقامات.

(2) ينظر: بغية الوعاة: 2/ 34.

(3) ينظر: إرشاد القاصد: 111.

(4) مجلدا، في قونية. والكتاب في حكم المفقود.

(5) في مجلدين، في قونية.

قُلْتُ: الْقاموسُ: مُعْظَمُ ماءِ الْبَحْرِ، والْقابوسُ: الرَّجُلُ الْجَميل الْحَسَنُ الْوَجْهِ، الْحَسَنُ اللَّوْنِ. ويُقالُ: رَجُلٌ وَسيطٌ فيهم: أي أَوْسَطُهُمْ نَسَبًا، وَأَرْفَعُهُمْ مَحَلًّا. ويُقالُ: قَوْمٌ شَماطيطُ: أَيْ مُتَفَرِّقَةٌ، وَجاءَتِ الْخَيْلُ شَماطيطَ أي مُتَفَرِّقَةً أَرْسَالًا.

واعْلَمْ أنَّ صاحِبَ **الْقاموسِ** زادَ على **"الصَّحاحُ"** مِثْلَ ما فيه. ومَيَّزَ زِياداتِهِ بالْحُمْرَةِ، وَأَخَذَ على **"الصَّحاحُ"** في كَثيرٍ من الْمَواضِعِ، وبَيَّنَ أَغْلَاطَهُ وَأَوْهامَهُ.

وهو: مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقوبَ بْنِ مُحَمَّدِ بنِ إبْراهيمَ بنِ مُحَمَّدِ بْنِ أبي بَكْرِ بْنِ إِدْريسَ بنِ فَضْلِ اللهِ الشِّيرازِيُّ الْفِيرُوزَابَاذِيُّ الْعَلامَةُ مَجْدُ الدِّينِ أبو الطَّاهِرِ، إمامُ عَصْرِهِ في اللُّغَةِ.

قالَ ابْنُ حَجَرٍ: كان يَرْفَعُ نَسَبَهُ إلى الشَّيخِ أبي إسْحاقَ الشِّيرازِيِّ صاحِبِ **"التَّنْبِيهُ"**. ويَذْكُرُ بعد إبْراهيمَ بن عُمَرَ بنِ أَحْمَدَ بنِ مَحْمودِ بنِ إدْريسَ فَضْلَ اللهِ بنَ الشَّيْخِ أبي إسْحاقَ، وَكانَ النَّاسُ يَطْعَنُونَ في ذَلِكَ مُسْتَنِدِينَ إلى أن الشَّيْخَ لم يُعْقِبْ، وكان لا يُبالي من ذلك. ثم ارْتَقَى، فادَّعَى بعد أن وَلِيَ قَضاءَ الْيَمَنِ، أَنَّهُ من ذُرِّيَةِ أبي بَكْرِ الصِّدِّيقِ رَضِيَ الله عنه، وكَتَبَ بِخَطِّهِ **"الصِّدِّيقِيُّ"**.

قال ابن حَجَرٍ: ولم يَكُنْ مَدْفُوعًا عن مَعْرِفَةٍ، إلا أنَّ النَّفْسَ تَأْبَى قَبُولَ ذلك.

وُلِدَ [في رَبِيعِ الْأَوَّلِ][1] سَنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِمِئَةٍ بِكَازَرُونَ[2]، وتَفَقَّهَ بِبِلَادِهِ، وسَمِعَ بها من مُحَمَّدِ بنِ يوسُفَ الزَّرَنْدِيِّ الْمَدَنِيِّ، ونَظَرَ في اللُّغَةِ، فَمَهَرَ فيها إلى أَنْ بَهَرَ وفَاقَ، وَاشْتَهَرَ اسْمُهُ ـ وهو شابٌّ ـ في الآفاقِ، وطَلَبَ الْحَدِيثَ، وسَمِعَ من الشُّيوخِ، وقَدِمَ الشَّامَ بعد الْخَمْسِينَ، إمَّا سَنَةَ خَمْسٍ أو في السَّنَةِ الَّتِي بَعْدَها، فَسَمِعَ بها من ابْنِ الْخَبَّازِ، وابْنِ الْقَيِّمِ، والتَّقِيِّ السُّبْكِيِّ، وَوَلَدِهِ تاجِ الدِّينِ، والْعَرَضِيِّ، وابْنِ نُبَاتَةَ، والشَّيْخِ خَلِيلٍ الْمَالِكِيِّ، وعن الْقاضِي عِزِّ الدِّينِ ابْنِ جَمَاعَةَ، وخَلْقٍ كَثِيرٍ. ودَخَلَ الْقُدْسَ، وَسَمِعَ من الْحافِظِ صَلاحِ الدِّينِ الْعَلَائِيِّ[3].

ثُمَّ دَخَلَ مِصْرَ، وسَمِعَ بها، وقَدِمَ مَكَّةَ، وسَمِعَ بها، وجالَ في الْبِلادِ، ولَقِيَ جماعَةً من الْفُضَلاءِ، وَأَخَذَ عنهم، وأَخَذُوا عنه، وظَهَرَتْ فَضائِلُهُ، وكَتَبَ النَّاسُ تَصَانِيفَهُ.

وذَكَرَهُ الصَّفَدِيُّ في تَذْكِرَتِهِ، وكَتَبَ عنه في سَنَةِ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ بِدِمَشْقَ. وجَالَ في الْبِلادِ الشَّمالِيَّةِ[4] والشَّرْقِيَّةِ، ودَخَلَ الْهِنْدَ، ثمَّ زَبِيدَ، فَتَلَقَّاهُ مَلِكُها الْأَشْرَفُ إسْماعيلُ بالْقَبُولِ، وقَرَّرَهُ في قَضائِهَا، وبالَغَ في إكرامه، ووافَقَ دُخولُهُ بها وَفاةَ الْقَاضِي جَمالِ الدِّينِ الرِّيمِيِّ شارِحِ التَّنبِيهِ، فَقَرَّرَهُ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ إسْماعيلُ في الْقَضاءِ بِالْبِلادِ الْيَمَنِيَّةِ، فلمْ يَزَلْ ذلك بِاسْمِهِ إلى أنْ

(1) زيادة من أنطاليا.

(2) بكارزين، في بغية الوعاة وكلاهما حاضرتان من بلاد فارس.

(3) الحافظ صلاح الدين خليل بن كيكلدي بن عبد الله العلائي الدمشقي (ت. 761هـ) ينظر: تهذيب الكمال: 1/ 101، معجم الشيوخ للسبكي: 178، وفيات ابن رافع: 2/ 226.

(4) كتب تحتها في نسخة أنطاليا في البلاد الشامية الشمالية والشرقية.

ماتَ. وكانَ الْأَشْرَفُ يُكْرِمُهُ كَثيرًا، وصَنَّفَ له كِتابًا، وَأَهْداهُ على أَطْباقٍ، فَمَلَأَها له فِضَّةً. ولم يُقَدَّرْ أنه دَخَلَ بَلْدَةً إلا وأكْرَمَهُ مُتَوَلِّيهَا.

وكان مُعَظَّمًا عند الْمُلوكِ، أَعْطَاهُ تَيْمُورُلَنْكُ خَمْسَةَ آلافِ دينارٍ، ودَخَلَ الرُّومَ، فَأَكْرَمَهُ مَلِكُهُ ابنُ عُثْمانَ، وحَصَلَ له منه دُنْيَا طائِلَةٌ.

ومَعَ ذلِكَ إنَّهُ كانَ قَليلَ الْمالِ لِسَعَةِ نَفَقَاتِهِ، وكان يَدْفَعُهُ إلى من يَمْحَقُهُ بِالْإِسْرَافِ، ولا يُسافِرُ إلَّا وَصُحْبَتَهُ عِدَّةُ أَحْمالٍ من الْكُتُبِ، ويُخْرِجُ أَكْثَرَها في كُلِّ مَنْزِلَةٍ يَنْظُرُ فيها وَيُعيدُها إذا رَحَلَ، وكانَ إذا أَمْلَقَ باعَهَا. وكان سَرِيعَ الْحِفْظِ. يُحْكَى عنه أَنَّهُ كانَ يَقولُ: ما كُنْتُ أنامُ حتَّى أَحْفَظَ مِئَتَيْ سَطْرٍ. وأمَّا مَعْرِفَتُهُ باللُّغَةِ واطِّلَاعُهُ على نَوادِرِها، فَأَمْرُهُ مُسْتَفِيضٌ.

ومُصَنَّفاتُهُ كثيرَةٌ: وقد عُدَّ منها بِضْعٌ وأَرْبَعونَ مُصَنَّفًا، منها: **"اللَّامِعُ الْمُعْلِمُ الْعُجابُ الْجامِعُ بين الْمُحْكَمِ والْعُبابِ"**. لم يَكْمُلْ؛ و **"الْقاموسُ الْمُحيطُ"**، بالَغَ في اخْتِصارِهِ وتَحْريرِهِ، وحَذَفَ الشَّوَاهِدَ، و **"فَتْحُ الباري بالسَّيْحِ الْفَسِيحِ الْجارِي في شَرْحِ صَحيحِ الْبُخارِيِّ"**.

قالَ ابْنُ حَجَرٍ: مَلَأَهُ بِغَرَائِبِ الْمَنْقُولَاتِ، ونَوَادِرِ اللُّغَاتِ. كَمَّلَ منه رُبُعَ الْعِباداتِ، في عِشْرينَ جُزْءًا.

قالَ السُّيُوطِيُّ: وقد أَخَذَ ابْنُ حَجَرٍ منه اسْمَهُ، وسَمَّى به **شَرْحَ الْبُخارِيِّ** تَأْلِيفَهُ.

وَصَنَّفَ: "شَوارِقُ الأَسْرارِ في شَرْحِ مَشارِقِ الأَنْوارِ"[1]، أَرْبَعَ مُجَلَّداتٍ، وَصَنَّفَ لِلْأَشْرَفِ كِتابًا سَمَّاهُ: "الإِصْعادُ إلى رُتْبَةِ الِاجْتِهادِ"[2]، في أَرْبَعَةِ أَسْفارٍ. وَصَنَّفَ لِوَلَدِهِ النَّاصِرِ كِتابًا سَمَّاهُ: "تَسْهيلُ الْوُصولِ إلى الأَحاديثِ الزَّائِدَةِ على جامِعِ الأُصولِ"، أَرْبَعَ مُجَلَّداتٍ. و"بَصائِرُ ذَوي التَّمْييزِ في لَطائِفِ الْكِتابِ الْعَزيزِ"، مُجَلَّدانِ، و"شَرْحُ عُمْدَةِ الأَحْكام"[3] مُجَلَّدانِ، وكِتابُ: "الْمِرْقاةُ الأَرْفَعِيَّةُ في طَبَقاتِ الشَّافِعِيَّةِ"، وكِتابُ: "الْمَرْقاةُ الْوَفِيَّةُ[4] في الْطَبَقاتِ الْحَنَفِيَّةِ"، و"الْبُلْغَةُ في تاريخِ أَئِمَّةِ اللُّغَةِ"، كِتابٌ لَطيفٌ في الْغايَةِ، وَأَلَّفَ كِتابًا على الْمُجْمَلِ، لابْنِ فارِسٍ، أَخَذَ عليه فيه أَلْفَ مَكانٍ، ومع هذا كانَ يُثْنِي على صاحِبِهِ ابْنِ فارِسٍ.

وصَنَّفَ: "تَحْبيرُ الْمُوَشِّينَ فيما يُقالُ بالسِّينِ والشِّينِ"، "الرَّوْضُ الْمَسْلوفُ فيما له اسْمانِ إلى الأُلوفِ"، و"شَرْحُ الْفاتِحَةِ"[5]، و"كُورَةُ الْخَلاصِ في تَفْسيرِ سورَةِ الإِخْلاصِ"[6]، و"الْمُتَّفِقُ وَضْعًا الْمُخْتَلِفُ صُقْعًا"[7]، و["تُحْفَةُ الْقَمَاعِيلِ[8] فيمَنْ تَسَمَّى من الْمَلائِكَةِ والنَّاسِ

---

(1) لم يذكره صاحب بغية الوعاة، وذكره له ابن قاضي شهبة في طبقات الشافعية: 4/ 66، وابن حجر في إنباء الغمر: 3/ 49.

(2) الإسعاد بالإصعاد إلى درجة الاجتهاد، في درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة: 3/ 143.

(3) شرح عدة الأحكام، في طبقات الشافعية: 4/ 66.

(4) المرقاة الرضية، في رئيس الكتاب، المرقاة الرقية، في طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: 4/ 66.

(5) تيسير فائحة الإهاب في شرح فاتحة الكتاب، في أزهار الرياض: 3/ 43.

(6) حاصل كورة الخلاص في فضائل سورة الإخلاص، في البلغة: 17.

(7) صنعا، في رئيس الكتاب ومراد ملا.

(8) القماعيل: مفرده قمعال، وهو سيد القوم. اللسان: قمعل.

بإسْماعيلَ"(1)، و"أَسْماءُ السَّراحِ في أَسْماءِ النِّكاحِ"(2)، و"أَسْماءُ اللَّيْثِ"(3)، و"أَسْماءُ الْخَنْدَريسِ"(4)، و"أَسْماءُ الْغادَةِ"(5)، و"مَقْصودُ ذَوِي الْألْبابِ في عِلْمِ الإِعْرابِ"](6)، و"شَرْحُ خُطْبَةِ الْكَشَّافِ"(7)، و"شَرْحُ عُمْدَةِ الأَحْكامِ"(8). وغَيْرَ ذلِكَ من الْمُصَنَّفَاتِ الْكَثيرَةِ.

وَلَمَّا اشْتَهَرَتْ مَقالَةُ ابنِ الْعَرَبِيِّ بالْيَمَنِ، صارَ يُدْخِلُ منها فيه(9)، فَشَانَهُ، ولم يَكُنْ مُتَّهَمًا بالْمَقالَةِ الْمَذكورَةِ إلا أنه كان يُحِبُّ الْمُداراةَ(10).

تُوُفِيَ بِزَبِيدَ لَيْلَةَ الْعِشْرينَ من شَوَّالٍ سَنَةَ سِتَّ أو سَبْعَ عَشْرَةَ وثَمانِمِئَةٍ، وهو مُمَتَّعٌ بحَوَاسِّهِ. ودُفِنَ بِتُرْبَةِ الشَّيْخِ إسْماعيلَ الْجَبَرْتِيِّ. وهو آخِرُ من ماتَ من الرُّؤَساءِ الَّذينَ انْفَرَدَ كُلٌّ منهم بِفَنٍّ فاقَ فيه أَقْرانَهُ على رَأْسِ الْقَرْنِ الثَّامِنِ، وهم: الشَّيْخُ سِرَاجُ الدِّينِ الْبُلْقِينِيُّ في الْفِقْهِ على مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ. والشَّيْخُ زَيْنُ الدِّينِ الْعِرَاقِيُّ في الْحَدِيثِ. والشَّيْخُ سِراجُ الدِّينِ ابن الْمُلَقِّنِ

---

(1) ومن تسمى بإسماعيل، في رئيس الكتاب والأزهرية وعاطف أفندي.

(2) أسماء النكاح، في رئيس الكتاب ومراد ملا والأزهرية وعاطف أفندي. أسمى البراح في أسماء النكاح: في العقد الثمين: 2/ 428، ودرر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة: 3/ 143، ولعله الصواب.

(3) أنواء الغيث في أسماء الليث، في البلغة: 19.

(4) الجليس الأنيس في أسماء الخندريس، في البلغة: 19.

(5) أسماء الغادة في أسماء العادة، في البلغة: 19.

(6) ما بين معقوفين سقط من قونية.

(7) شرح قطبة الخشاف في شرح خطبة الكشاف، في البلغة: 19.

(8) سبق ذكره، وكرر هنا.

(9) أي يدخل من كلام ابن العربي في شرحه على البخاري.

(10) ينظر الضوء اللامع: 10/ 83-84، والبلغة: 22.

في كَثْرَةِ التَّصَانِيفِ في فَنِّ الْفِقْهِ والْحَديثِ. والشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ الْفَنَارِيُّ في الاِطِّلاعِ على كُلِّ الْعُلومِ الْعَقْلِيَّةِ والنَّقليَّةِ والْعَرَبيَّةِ. والشَّيْخُ أبو عبدِ اللهِ ابْنُ عَرَفَةَ، في فِقْهِ الْمالِكِيَّةِ، وفي سائِرِ الْعُلومِ بالْمَغْرِبِ. والشَّيْخُ مَجْدُ الدِّينِ الشِّيرَازِيُّ في اللُّغَةِ[1].

قُلْتُ: رَوَى لنا غَيْرُ واحِدٍ، وسُئِلَ بالرُّومِ عن قَوْلِ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ لِكاتِبِهِ: أَلْصِقْ رَوَانِفَكَ بالْجَبُوبِ، وخُذِ الْمِزْبَرَ بِشَنَاتِرِكَ، واجْعَلْ حُنْدُورَتَيْكَ إلى قَيْهَلِي حتى لا أَنْغِيَ نُغْيَةً إلَّا أَوْدَعْتُهَا حُمَاطَةَ جُلْجُلَانِكَ. ما مَعْنَاهُ؟ فقال: مَعْنَاهُ أَلْزِقْ عِضْرِطَكَ[2] بالصَّلَّةِ[3]، وخُذِ الْمُسَطِّرَ بِأَبَاخِسِكَ[4]، واجْعَلْ جَحْمَتَيْكَ إلى ثُعْبَانِي[5]، حتى لا أَنْبِسَ نَبْسَةً إلا رَعَيْتُهَا في نَمْطَةِ[6] رَبَاطِكَ[7]. فَتَعَجَّبَ الْحَاضِرُونَ من سُرْعَةِ الْجَوَابِ، مع هذا الإِبْدَاعِ والإِغْرَابِ.

قُلْتُ: الرَّوَانِفُ: الْمَقْعَدَةُ. والْجَبُوبُ: الْأَرْضُ. والْمِزْبَرُ: الْقَلَمُ. والشَّنَاتِرُ: الأَصَابِعُ. والْحُنْدُورتَانِ: الْحَدَقَتَانِ. وَقَيْهَلِي: أي وَجْهِي. وأَنْغِي: أي أَنْطِقُ. والْحُمَاطَةُ: الْحَبَّةُ. والْجُلْجُلَانُ: الْقَلْبُ.

---

(1) ينظر: بصائر ذوي التمييز: 1/ 12، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: 4/ 65، والشقائق النعمانية: 22.

(2) العضرط: العجز والاست.

(3) الصَّلَّةُ: الأرض.

(4) الأباخس: الأصابع.

(5) أثعباني، في بغية الوعاة: 1/ 274، وتاج العروس: 1/ 45.

(6) لمظة، في بغية الوعاة: 1/ 274.

(7) الرِّباط: الفؤاد، رُبُط.

هذا ما ذَكَرَهُ السُّيُوطِيُّ[1].

ومن الْكُتُبِ الْجامِعَةِ في اللُّغَةِ:

كِتابُ: "**لِسانُ الْعَرَبِ**"، الَّذِي جَمَعَ فيه بينَ **التَّهْذِيبِ والْمُحْكَمِ والصَّحاحِ** وَحَواشيهِ، و**الْجَمْهَرَةِ والنِّهايَةِ**، لِلشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ مُكَرَّمِ بْنِ عَلِيٍّ. وَقيلَ: رَضْوانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أبي الْقاسِمِ بْنِ حَبَقَةَ بنِ مَنْظُورِ الْأَنْصارِيُّ الْإفْرِيقِيُّ الْمِصْرِيُّ، جَمالُ الدِّينِ أبو الْفَضْلِ.

وُلِدَ في الْمُحَرَّمِ سَنَةَ ثَلاثينَ وسِتِّمِئَةٍ، وَسَمِعَ من ابْنِ الْمُقَيِّرِ وَغَيْرِهِ، وَجَمَعَ وعَمَّرَ وحَدَّثَ، واخْتَصَرَ كَثيرًا من كُتُبِ الأدَبِ الْمُطَوَّلَةِ؛ كـ "**الأغاني**"، و**الْعِقْدِ**، و**الذَّخيرَةِ**، و"**مُفْرَداتُ ابْنِ الْبَيْطارِ**"، وَيُقالُ: إنَّ مُخْتَصَراتِهِ خَمْسُمِئَةِ مُجَلَّدٍ. وَخَدَمَ في ديوانِ الْإِنْشاءِ مُدَّةَ عُمُرِهِ، وَوَلِيَ قَضاءَ طَرابُلُسَ، وكانَ صَدْرًا رَئيسًا فاضِلًا في الْأَدَبِ، مَليحَ الإِنْشاءِ.

رَوَى عنه السُّبْكِيُّ والذَّهَبِيُّ وَقالَ: تَفَرَّدَ بالْعَوَالِي. وَكانَ عارِفًا بالنَّحْوِ واللُّغَةِ والتَّاريخِ والْكِتابَةِ. واخْتَصَرَ "**تاريخُ دِمَشْقَ**" في نَحْوِ رُبُعِهِ. وعِنْدَهُ تَشَيُّعٌ بلا رَفْضٍ.

ماتَ في شَعْبانَ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ وسَبْعِمِئَةٍ.

ومِنْ نَظْمِهِ: [السريع]

بـالله إنْ جُـزْتَ بِـوَادِي الْأَرَاكْ وَقَبَّلَتْ عِيدَانُهُ الْخُضْـرُ فَاكْ[2]

---

(1) بغية الوعاة: 1/ 274.

(2) البيتان والترجمة من بغية الوعاة: 1/ 248.

اِبْعَثْ إلى عَبْدِكَ مِنْ بَعْضِهَا فَإنَّنِي واللهِ مَا لِي سِوَاكْ

ومن **الْمُخْتَصَراتِ في اللُّغَةِ**[1]:

- **"السَّامِي في الأسَامِي"**، لِلْمَيْدَانِيِّ، وهو أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بن أَحْمَدَ بْنِ إبْراهيمَ الْمَيْدَانِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ أبو الْفَضْلِ الإمامُ الْفاضِلُ الأَدِيبُ النَّحْوِيُّ اللُّغَوِيُّ.

قالَ ياقوتٌ: قَرَأَ على الْوَاحِدِيِّ وغَيْرِهِ. وَأَتْقَنَ اللُّغَةَ والْعَرَبِيَّةَ.

وَصَنَّفَ: **"الأَمْثالُ"**، و**"السَّامي في الأَسامِي"**، و**"الأُنموذَجُ في النَّحْوِ"**، و**"الْمَصادِرُ"**، و**"نُزْهَةُ الطَّرْفِ في عِلْمِ الصَّرْفِ"**، و**"شَرْحُ الْمُفَضَّلِيَاتِ"**، وَغَيْرَ ذَلِكَ.

وَوَقَفَ الزَّمَخْشَرِيُّ على كتابِهِ **"الأَمْثالُ"**، فَحَسَدَهُ عليه. فَزادَ في لَفْظَةِ الْمَيْدَانِيِّ نونًا قَبْلَ الْمِيمِ، فَصارَ: النُّمَيْدانِيَّ، وَمَعْناهُ بالْفارِسِيَّةِ: الذي لا يَعْرِفُ شَيْئًا، فَعَمَدَ إلى بعضِ كُتُبِ الزَّمَخْشَرِيِّ فَجَعَلَ الْمِيمَ نونًا، فَصارَ: الزَّنَخْشَرِيَّ وَمَعْناهُ: بائِعُ زَوْجَتِهِ.

قَرَأَ عليه أَئِمَّةٌ. **وماتَ** في رَمَضانَ سَنَةَ ثَمانَ عَشْرَةَ وخَمْسِمِئَةٍ[2].

قُلْتُ: الْمَعْنى الْمَذْكورُ - أَعْنِي بائِعَ زَوْجَتِهِ - ليس يَحْصُلُ بِتَبْديلِ الْمِيمِ نونًا فَقَطْ، بل يَجِبُ مع ذلك مِنْ تَقْديمِ الشِّينِ على الْخاءِ، ويُقالُ: زَنَشْخرِيٌّ. وأمَّا بِدونِ هذا التَّقْديمِ فَمَعْناهُ أَمْرٌ قَبيحٌ شَنيعٌ، وهو تَغَوَّطَ على ذَقْنِهِ.

---

(1) ينظر: إرشاد القاصد: 111.

(2) الترجمة من بغية الوعاة: 1/ 257.

والْمَيْدَانِيُّ نِسْبَةٌ إلى مَيْدانِ زِيادِ بنِ عبد الرَّحْمَنِ، وهي مَحَلَّةٌ في نَيْسَابورَ.

ومِنَ الْمُخْتَصَراتِ:

"الدُّستورُ"[1]، و**"مِرْقاةُ الْأَدَبِ"**[2].

وَمِمَّا يَخْتَصُّ بِلُغَةِ الْفِقْهِياتِ:

- **"الْمُغْرِبُ"**، لِلْمُطَرِّزِيِّ. وهو ناصِرُ بنُ عَبْدِ السَّيِّدِ بْنِ عليٍّ بن الْمُطَرِّزِ، أبو الفتح النَّحْوِيُّ الأديبُ المشهورُ بالْمُطَرِّزِيِّ، من أَهْلِ خُوَارَزْمَ. قَرَأَ على الزَّمَخْشَرِيِّ[3] والْمُوَفَّقِ[4]، أَخْطَبِ خُوَارَزْمَ. وَبَرَعَ في النَّحْوِ واللُّغَةِ والْفِقْهِ على مَذْهَبِ الْحَنَفِيَّةِ، وكانَ لهم كَالْأَزْهَرِيِّ لِلشَّافِعِيَّةِ. وكانَ يُقالُ: هو خَليفَةُ الزَّمَخْشَرِيِّ، وَكانَ مُعْتَزِلِيًّا.

صَنَّفَ: **"شَرْحُ الْمَقاماتِ"**، و**"الْمُعْرِبُ"**، **في لُغَةِ الْفِقْهِ**، و**"الْمُغْرِبُ في شَرْحِ الْمُعْرِبِ"**، و**"الإِقْناعُ"**، **في اللُّغَةِ**، والْمُخْتَصَرَ الْمَوْسومَ: بـ **"الْمِصباحُ"**، في النَّحْوِ. وهو مَشْهورٌ بِأَيْدِي النَّاسِ الْيَوْمَ، ومُخْتَصَرَ **الإِصْلاحِ، لابْنِ السِّكِّيتِ.**

---

(1) الدستور في اللغة، لحسين بن إبراهيم النَّطَنْزي الأصفهاني النحوي الملقب بذي اللِّسانين (ت.499هـ).

(2) مرقاة الأدب، كتاب منظوم في اللغة بالفارسية، لأحمد بن عبد الله الكرماني (ت.815هـ).

(3) هذا لا يصح عقلا لأن المطرزي وُلد – كما سيذكر طاش كبري زاده فيما يأتي- في السنة التي توفي فيها الزمخشري وهي 538هـ فكيف يأخذ عنه؟

(4) أبو الْمُؤيَّد الْمُوفَّق بن أحمد الْمَكِّيُّ الْخُوَارَزْمِيُّ (ت.568هـ).

وُلِدَ في رَجَبٍ سَنَةَ ثَمانٍ وثَلاثينَ وخَمْسِمِئَةٍ. وَماتَ بِخُوارَزْمَ في يَوْمِ الثُّلاثاءِ الْحادي والْعِشْرينَ(1) من جُمادى الأولى سَنَةَ عَشْرٍ وسِتِّمِئَةٍ(2).

ـ ومما يَخْتَصُّ بِلُغَةِ الْفِقْهِياتِ أيضًا كتابُ: **"طَلِبَةُ الطَّلَبَةِ"**، لِلشَّيْخِ الإمامِ الْأَجَلِّ الزَّاهِدِ نَجْمِ الدِّينِ أبو(3) حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدِ بنِ أَحْمَدَ بنِ إسماعيلَ بنِ محمدِ بنِ عَلِيِّ بنِ لُقْمَانَ. سَمِعَ الْحَديثَ، له كتاب: **"طَلِبَةُ الطَّلَبَةِ"**. **قُلْتُ**: الطَّلِبَةُ بِكَسْرِ اللَّامِ ما طَلَبْتَهُ من شَيْءٍ، والطَّلَبَةُ بِفَتْحِ اللَّامِ جَمْعُ طالِبٍ، ذَكَرَ فيه أَلْفاظَ الْفِقْهِ الْواقِعَةَ في كُتُبِ الْحَنَفِيَّةِ، و**"نَظْمُ الجامِعِ الصَّغير"**. وله كتاب: **"الْمَنْظومَةُ"**، في **الْخِلافِيَّاتِ**. وله كِتابُ: **"الْقَنْدُ(4) في عُلَماءِ سَمَرْقَنْدَ"**. وغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ التَّصانيفِ.

قالَ السَّمْعَانِيُّ: كانَ إمامًا فاضِلًا، مُبَرِّزًا مُتْقِنًا، سَمِعَ أبا مُحَمَّدٍ النُّوحِيَّ(5)، وأبا الْحُسَيْنِ مُحَمَّدَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْبَزْدَوِيَّ، وغَيْرَهُما. وصَنَّفَ في كُلِّ نَوْعٍ من الْعِلْمِ في التَّفْسيرِ والْحَديثِ والشُّروطِ. صَنَّفَ قَريبًا من مِئَةِ مُصَنَّفٍ. وقد اسْتَقْرَأْتُ مُصَنَّفاتِه فَرَأَيْتُ فيها أَوْهامًا كَثيرَةً. فَعَرَفْتُ أَنَّهُ كانَ مِمَّنْ أَحَبَّ الْحَدِيثَ وطَلَبَهُ، ولم يُرْزَقْ مُهْلَةَ التَّجْرِيدِ(6).

---

(1) الحادي عشر في قونية ورئيس الكتاب والأزهرية.

(2) الترجمة من بغية الوعاة: 2/ 311.

(3) كذا في النسخ الخطية.

(4) القند: عسل قصب السكر. اللسان: قند.

(5) في الأصل التنوخي، والصواب ما أثبتنا، وهو إسماعيل بن محمد النُّوحي (ت.481هـ). كما في تاريخ الإسلام: 11/ 674، ولسان الميزان: 6/ 139.

(6) ينظر تاريخ الإسلام: 11/ 674، وتاج التراجم: 220.

قالَ صاحِبُ "تاجُ التَّراجِمِ": ومَنْ ذَا سَلِمَ مِنْ ذَا[1].

قُلْتُ: وَلَقَدْ أَنْصَفَ في هذا الْقَوْلِ. فَرَضِيَ الله عنه وعن سائِرِ الْمُصَنِّفِينَ.

وَوُلِدَ بِنَسَفَ في شُهورِ سَنَةِ إحْدى أو اثْنَتَيْنِ وسِتِّينَ وأَرْبَعِمِئَةٍ. **وتُوُفِّيَ** لَيْلَةَ الْخَميسِ ثانِي عَشَرَ جُمادَى الْأولَى سَنَةَ ثَمانٍ وثَلاثينَ وخَمْسِمِئَةٍ[2].

وفي هذه السَّنَةِ تُوُفِّيَ أيْضًا الْعَلَّامَةُ أبو القاسِمِ الزَّمَخْشَرِيُّ.

- **ومما يَخْتَصُّ** بِغَريبِ الْحَدِيثِ: **"الْفائِقُ"**، لِمَحْمودِ بنِ عُمَرَ بنِ محمَّدِ ابنِ أَحْمَدَ الزَّمَخْشَرِيِّ؛ أبو القاسِمِ جارُ اللهِ. وسَتَسْمَعُ تَفْصيلَهُ في بابِ التَّفْسيرِ في ذِكْرِ كتابِ **"الْكَشَّافُ"**، لأنَّهُ أَشْهَرُ بذلك مِنْهُ بِغَيْرِهِ.

- **ومما يَخْتَصُّ** بغَريبِ الْحَديثِ: **"نِهايَةُ الأثَرِ"**، لِلْجَزَرِيِّ، وهو الْمُبارَكُ ابْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْكَريمِ بْنِ عَبْدِ الْواحِدِ الشَّيْبَانِيُّ، الْعَلَّامَةُ مَجْدُ الدِّينِ أبو السَّعاداتِ الْجَزَرِيُّ الْإِرْبِلِيُّ الْمَشْهورُ بِابْنِ الْأَثِيرِ، مِنْ مَشاهيرِ الْعُلَماءِ، وَأَكابِرِ النُّبَلاءِ، وَأَوْحَدِ[3] الْفُضَلاءِ.

وُلِدَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وأَرْبَعينَ وَخَمْسِمِئَةٍ بِالْجَزيرَةِ، وانْتَقَلَ إلى الْمَوْصِلِ، وَأَخَذَ النَّحْوَ عن ابْنِ الدَّهَّانِ، ويَحْيى بنِ سَعْدونَ الْقُرْطُبِيِّ، وَسَمِعَ الْحَديثَ مُتَأَخِّرًا من ابْنِ عبد الْوَهَّابِ ابْنِ سُكَيْنَةَ وَغَيْرِهِ.

---

(1) يسلم من ذا، في تاج التَّراجم: 220.

(2) الصحيح أن النَّسفي توفي سنة 537هـ.

(3) وواحد، في قونية.

وتَنَقَّلَ في الْوِلاياتِ، وكَتَبَ في الإنْشاءِ، ثُمَّ عَرَضَ له مَرَضٌ كَفَّ يَدَيْهِ ورِجْلَيْهِ ومَنَعَهُ من الْكِتابَةِ[1]، فانْقَطَعَ في بَيْتِهِ يَغْشاهُ الأكابِرُ والْعُلَماءُ. فجاءَهُ مَغْرِبِيٌّ فَالْتَزَمَ أَنَّهُ يُداويهِ ولا يَأْخُذُ أُجْرَةً إلا بعد بُرْئِهِ، وأخذ في مُعالَجَتِهِ بِدُهْنٍ صَنَعَهُ، وَلانَتْ رِجْلاهُ، وأشْرَفَ على الْبُرْءِ، فَأَرْضَى الْمَغْرِبِيَّ بشيءٍ وَصَرَفَهُ، فَلامَهُ أخوهُ عِزُّ الدِّينِ فقال: أنا كُنْتُ في راحَةٍ مما كنتُ فيه من صُحْبَةِ هؤلاء الْقَوْمِ، وَالْتِزامِ أَخْطَارِهِمْ، وقد سَكَنَتْ روحي إلى الانْقِطاعِ والدَّعَةِ، فإذا طَرَأَتْ لهم أُمورٌ ضَرورِيةٌ جاءوني بِأَنْفُسِهِمْ لِيَأْخُذوا رَأْيِي.

وله من التَّصانِيفِ: "**النِّهَايَةُ في غَريبِ الْحَديثِ**"، وهو كِتابٌ غَريبٌ لم يُعْهَدْ نَظِيرُهُ في بابِهِ، "**جامِعُ الأُصولِ في أَحاديثِ الرَّسولِ**"، وهذا الْكِتابُ أَحَدُ أَرْكانِ الْحَديثِ، وَعَوْنُ دينِ الإِسْلامِ، "**الْبَديعُ في النَّحْوِ**"، "**الْباهِرُ في الْفُروقِ**"، في النَّحْوِ، "**تَهْذيبُ فُصولِ ابْنِ الدَّهَّانِ**"، "**الإِنْصافُ بين الثَّعْلَبِيِّ وصاحِبِ الْكَشَّافِ**"، "**شَرْحُ مُسْنَدِ الشَّافِعِيِّ**"[2]، "**الْبَنينُ والْبَناتُ وَالآباءُ والأُمَّهاتُ**"، و"**الأَدْواءُ والذَّواتُ**". قالَ السُّيوطِيُّ: وَقَفْتُ عليه، ولَخَّصْتُ منه **الْكُنَى** في كُرَّاسَةٍ.

ماتَ يَوْمَ الْخَميسِ سَلْخَ ذي الْحِجَّةِ سَنَةَ سِتٍّ وسِتِّمِئَةٍ[3].

---

(1) ومنعه الكتابة، في رئيس الكتاب ومراد ملا.

(2) سماه: الشافي في شرح مسند الشافعي، ينظر وفيات الأعيان: 4/ 143.

(3) الترجمة من بغية الوعاة: 2/ 274.

عِلْمُ الْوَضْعِ

وهو عِلْمٌ باحِثٌ عن تَفْسيرِ الْوَضْعِ، وتَقْسِيمِهِ إلى الشَّخْصِيِّ، والنَّوْعِيِّ، والعامِّ والخَاصِّ، وبيانِ حالِ وَضْعِ الذَّواتِ، والهيئاتِ، إلى غيرِ ذلك من الأحْوالِ.

ومَوْضوعُهُ وغايَتُهُ ومَنْفَعَتُهُ لا تَخْفى على الْمُتَدَرِّبِ.

وهذا عِلْمٌ نافِعٌ في الْغايَةِ، إلَّا أنَّهُ لم يُدَوَّنْ بَعْدُ.

وَلَقَدْ ذَكَرَ نُبَذًا منها مولانا عَضُدُ الدِّينِ في رِسالَتِهِ الْوَضْعِيَّةِ، لَكِنَّها قَطْرَةٌ من الْبَحْرِ، ورَشْفَةٌ من ذلك النَّهْرِ. واللهُ أَعْلَمُ.

وَلَئِنْ وَقَعَ في الْأَجَلِ فُسْحَةٌ، وسَاعَدَنِي التَّوْفِيقُ، لَانْتَصَبْتُ في إيفاءِ هذا الْفَنِّ حَقَّهُ. وبالله التَّوفيقُ، وهو مُيَسِّرُ كُلِّ عَسِيرٍ.

عِلْمُ الاِشْتِقَاقِ

هو الْعِلْمُ الْباحِثُ عن كَيْفِيَّةِ خُروجِ الْكَلِمِ بعضِها عن بعضٍ، بِسَبَبِ مُناسَبةٍ بين الْمَخْرَجِ والْخَارِجِ بالأَصَالَةِ والْفَرْعِيَّةِ بِاعْتِبارِ جَوْهَرِها. وإنَّما ذَكَرْنا هذا الْقَيْدَ إذ يُبْحَثُ في الصَّرْفِ أيضًا عن الأصالَةِ والفرعِيَّةِ بين الْكَلِمِ، لَكِنْ لا بِحَسَبِ الْجَوْهَرِيَّةِ، بل بِحَسَبِ الْهَيْئَةِ؛ مَثَلًا يُبْحَثُ في الاِشْتِقاقِ عن مُناسَبَةِ نَعَقَ ونَهَقَ[1]، وهذا مُخْتَصٌّ بالْجَوْهَرِ فقط. ويُبْحَثُ في الصَّرْفِ عن

(1) نهق ونعق، في مراد ملا.

الْمُناسَبَةِ، لا بِحَسَبِ الْجَوْهَرِيَّةِ، بل بِحَسَبِ الْهَيْئَةِ، لأَنَّهُ باحِثٌ عن الْهَيْئاتِ بالاتِّفاقِ. وبهذا يَظْهَرُ امْتِيازُ الْعِلْمَيْنِ.

ومَنْ تَوَهَّمَ انْدِرَاجَ الِاشْتِقاقِ في الصَّرف لَزِمَ[1] أن يُؤْخَذَ فيه ما ليس له مَدْخَلٌ[2] في الْهَيْئَةِ، لكنه ليس كذلك اتِّفاقًا. وبهذا عَرَفْتَ ما في بعض **شُروحِ الْمِفْتاحِ**، حيث تَوَهَّمَ دَرْجَ الِاشْتِقاقِ في الصَّرْفِ، والتَّفصيلُ هناك في تَعْليقاتِنا على **"شرح الْمِفْتاحِ"**.

ومَوْضوعُهُ: الْمُفْرَداتُ من الْحَيْثِيَةِ الْمَذْكورَةِ.

ومن جُمْلَةِ **مَبادِئِهِ**: قَواعِدُ مَخارِجِ الْحُروفِ.

وَمَسائِلُهُ: الْقَواعِدُ التي يُعْرَفُ منها أنَّ الأصالَةَ والفرعِيَّةَ بين الْمُفْرَداتِ بأيِّ طَريقٍ يكونُ، وبأيِّ وَجْهٍ يُعْلَمُ.

ودلائِلُهُ: مُسْتَنْبَطَةٌ من قَواعِدِ عِلْمِ الْمَخارِجِ، وتَتَبُّعِ مُفْرَداتِ أَلْفاظِ الْعَرَبِ واسْتِعْمالاتِها.

وغَرَضُهُ: تَحْصيلُ مَلَكَةٍ يُعْرَفُ بها الانْتِسَابُ، على وَجْهِ الصَّوابِ.

وغايَتُهُ: الِاحْتِرازُ عن الْخَلَلِ في الانْتِسابِ، الذي يوجِبُ الْخَلَلَ في أَلْفاظِ الْعَرَبِ[3].

---

(1) للزم، في قونية ورئيس الكتاب. يلزم، في مراد ملا.

(2) مدخلا له، في رئيس الكتاب.

(3) ينظر رسالة في العلوم الشرعية والعربية: 26.

واعْلَمْ أنَّ مَدْلولَ الْجَواهِرِ بِخُصوصِها يُعْرَفُ من اللُّغَةِ. وانْتِسابُ الْبَعْضِ إلى الْبَعْضِ على وَجْهٍ كُلِّيٍّ إنْ كانَ في الْجَوْهَرِ فَالِاشْتِقاقُ. وإنْ كانَ في الْهَيْئَةِ، فالصَّرْفُ. ويُعْلَمُ من هذا الْفَرْقُ بين هذه الْعُلومِ الثَّلاثَةِ، وأنَّ الاِشْتِقاقَ كالْبَرْزَخِ بين الْباقِيَيْنِ. ولهذا اسْتَحْسَنوا تَقْدِيمَهُ على الصَّرْفِ، وتَأْخِيرَهُ عن اللُّغَةِ.

وهذا الْفَرْقُ قد اشْتَبَهَ على كَثيرٍ من الْفُضَلاءِ حتى شُرَّاحِ **الْمِفْتاحِ**. فَتَدَبَّرْ فيه فإِنَّهُ من الْفَوائِدِ الْمُهِمَّةِ.

واعْلَمْ أنَّ هذا الْعِلْمَ كثيرا ما يُذْكَرُ في كُتُبِ التَّصْريفِ، وقَلَّمَا يُدَوَّنُ مُفْرَدًا عنه، إمَّا لِقِلَّةِ قَواعِدِهِ، أو لاتِّصالِهِما في الْقَواعِدِ، واشْتِراكِهِما في الْمَبادِئِ. حتى إنَّ هذا من جُمْلَةِ الْبَواعِثِ على اتِّحادِهِما، حيث لم يَعْرِفوا أنَّ الاتِّحادَ في التَّدْوِينِ، لا يَسْتَلْزِمُ الاتِّحَادَ في نَفْسِ الْأَمْرِ، إذْ كَثيرًا ما يُدَوَّنُ عِدَّةُ فُنونٍ في كِتابٍ واحِدٍ. ولهذا لم نَذْكُرْ مُصَنَّفَاتِ عِلْمِ الاِشْتِقَاقِ، واكْتَفَيْنَا بِذِكْرِ مُصَنَّفَاتِ عِلْمِ الصَّرْفِ.

عِلْمُ الصَّرْفِ

عِلْمٌ يُعْرَفُ منه أَنْواعُ الْمُفْرَداتِ الْمَوْضوعَةِ بالْوَضْعِ النَّوْعِيِّ[1] ومَدْلولاتُها، والْهَيْئاتُ الأَصْلِيَّةُ الْعامَّةُ لِلْمُفْرَداتِ، والْهَيْئاتُ التَّغَيُّرِيَّةُ[2]، وكَيْفِيَّةُ تَغَيُّراتِها عن هَيْئاتِها الأَصْلِيَّةِ على الْوَجْهِ الْكُلِّيِّ بالْمَقاييسِ الْكُلِّيَّةِ.

ومَوْضوعُهُ: الصِّيَغُ الْمَخْصوصَةُ من الْحَيْثِيَّةِ الْمَذْكورَةِ.

---

(1) كبيان هيئة المعتلات قبل الاعتلال وبعد الاعتلال. طرة من نسخة مراد ملا.

(2) كصيغ الماضي والمضارع ومعانيهما ومدلولاتهما. طرة من نسخة مراد ملا.

وغَرَضُهُ: تَحْصيلُ مَلَكَةٍ يُعْرَفُ بها ما ذُكِرَ من الْأَحْوالِ.

وغايَتُهُ: الِاحْتِرازُ عن الْخَطَإِ من تلكَ الْجِهاتِ.

ومبادِئُهُ: مُقَدِّماتٌ مُسْتَنْبَطَةٌ من تَتَبُّعِ اسْتِعْمالِ[1] الْعَرَبِ[2].

فائدة:

يُسْأَلُ في كُلٍّ من الْماضِي، والْمُضارِعِ، والْأَمْرِ عن أَرْبَعَةِ أَسْئِلَةٍ: حَدِّهِ، وحُكْمِهِ، وَأَقْسامِهِ، وعَلاماتِهِ.

حَدُّ الماضي: ما وَقَعَ وانْقَطَعَ، والْمُضارِعِ: ما لم يَقَعْ، أو وَقَعَ وما انْقَطَعَ، وَالْأَمْرِ: ما دَلَّ على الطَّلَبِ، وقَبِلَ نُونَ التَّأْكيدِ[3].

وحُكْمُ الماضي: أنْ يُبْنى على الْفَتْحِ، والْمُضارِعِ: أنْ يُعْرَبَ ما لم يَتَّصِلْ به نونُ تَأْكيدٍ[4]، أو إِناثٍ فَيُبْنَى، وَالْأَمْرِ: أنْ يُبنى على السُّكونِ.

وَأَقْسامُ الْماضِي: صَحيحٌ، ومُعْتَلٌّ، والْمُضارِعِ: حاضِرٌ، ومُسْتَقْبَلٌ، وَالْأَمْرِ: ما كان على وَزْنِ افْعَلْ، وعلى وَزْنِ لِيَفْعَلْ.

وَعَلاماتُ الماضي: دُخولُ التَّاءِ عليه مَضْمومَةً كانت أو مَكْسورةً، أو مَفْتوحةً، أو ساكِنَةً. وَالْمُضارِعِ: دُخولُ أَحَدِ حُروفِ تَأْنِيثٍ عليه. وَالْأَمْرِ: دُخولُ نونِ التَّأْكِيدِ عليه.

---

(1) استعمالات، في أنطاليا.

(2) ينظر رسالة في العلوم الشرعية والعربية: 69.

(3) التوكيد، في مراد ملا.

(4) توكيد، في مراد ملا.

واعْلَمْ أنَّ أَوَّلَ مَنْ دَوَّنَ عِلْمَ الصَّرْفِ أبو عُثْمانَ بَكْرُ بْنُ حَبيبٍ الْمَازِنِيُّ، وَكانَ قَبْلَ ذَلِكَ مُنْدَرِجًا في عِلْمِ النَّحْوِ.

وَهُوَ بَكْرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ بَقِيَّةَ، وقيل: ابْنُ عَدِيٍّ بْنِ حَبيبٍ، الْإِمامُ أبو عُثْمانَ الْمَازِنِيُّ، مَازِنَ بَنِي شَيْبَانَ بْنِ ذُهْلٍ. وَقيلَ: هو مَوْلَى بَنِي سَدُوسٍ[1]. نَزَلَ في بَنِي مازِنٍ، فَنُسِبَ إليهم، وهو بَصْرِيٌّ.

رَوَى عن أبي عُبَيْدَةَ، والْأَصْمَعِيِّ، وأبي زَيْدٍ[2]. وعنه الْمُبَرِّدُ، والْفَضْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِيُّ، وجَماعَةٌ.

وكانَ إمامًا في الْعَرَبِيَّةِ، مُتَّسِعًا في الرِّوايَةِ، يَقولُ بالْإِرْجَاءِ. وكان لا يُنَاظِرُهُ أَحَدٌ إلا قَطَعَهُ، لِقُدْرَتِهِ على الْكَلامِ. وقد ناظَرَ الأَخْفَشَ في أَشْياءَ كَثيرَةٍ فَقَطَعَهُ.

وَقالَ الْمُبَرِّدُ: لم يَكُنْ بَعْدَ سِيبَوَيْهِ أَعْلَمَ بِالنَّحْوِ من أبي عُثْمانَ.

وَأَخَذَ عن الْأَخْفَشِ، وَقِيلَ: بل عَنِ الْجَرْمِيِّ، واخْتَلَفَ إليه إلى أنْ بَرَعَ، وكانَ يُناظِرُهُ.

وحَكَى الْمُبَرِّدُ أنَّ يَهودِيًّا بَذَلَ لِلْمازِنِيِّ مِئَةَ دِينارٍ لِيُقْرِئَهُ "كتاب سِيبَوَيْهِ"، فامْتَنَعَ من ذلك. فقيل له: لِمَ امتنَعْتَ مع حاجَتِكَ وعائلَتِكَ؟ فقال: إنَّ في "كتاب سِيبَوَيْهِ" كذا وَكَذا آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُقْرِئَ الْقُرْآنَ له، فَلَمْ

---

(1) بنو سَدوس -بفتح السّين - بطن من ذهل بن شيبان من العدنانية، وهم بنو سدوس بن ذهل بن شيبان. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب: 283.

(2) يقصد أبا زيد الأنصاري سعيد بن أوس (ت.215هـ).

يَمْضِ على ذَلِكَ إلَّا مُدَّةٌ قَليلَةٌ حَتَّى طَلَبَهُ الْواثِقُ، وَأَعْطاهُ ثَلاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وأَخْلَفَ اللهُ عليه أَضْعافَ ما تَرَكَهُ للهِ.

وسَبَبُ طَلَبِهِ أنَّ جاريةً غَنَّتْ بِحَضْرَةِ الواثِقِ: [الكامل]

أَظَلُومُ إنَّ مُصَابَكُمْ رَجُلًا أَهْدَى السَّلَامَ تَحِيَّةً ظُلْمُ[1]

فَرَدَّ التَّوَّزِيُّ عليها نَصْبَ "رَجُلًا" ظَانًّا أنه خَبَرُ إنَّ. فقالت: قد قَرَأْتُهُ على أَعْلَمِ النَّاسِ بالْبَصْرَةِ أبي عُثْمانَ الْمَازِنِيِّ، فَأُحْضِرَ مِنْ سُرَّ مَنْ رَأَى. قالَ: فَلَمَّا دَخَلْتُ على الْخَليفَةِ قالَ لي: مِمَّنِ الرَّجُلُ؟ قلتُ: من بَنِي مَازِنٍ. قال: مَازِنِ تَميمٍ، أم شَيْبَانَ؟ قُلْتُ: مَازِنِ شَيْبَانَ. فقالَ: بَسْمُكَ؟ يُريدُ ما اسْمُكَ؟ وهي لُغَةُ قَوْمِنَا، يُبْدِلُونَ الْمِيمَ بَاءً، وَعَكْسَهُ. فَكَرِهْتُ أنْ أَقولَ مَكْرٌ مُواجَهَةً له بالْمَكْرِ. فَقُلْتُ: بَكْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ. فَأَعْجَبَهُ ذلك. فقالَ: اجْلِسْ فَاطْبَئِنْ - أي اطْمَئِنَّ - فَجَلَسْتُ، ثم سَأَلَنِي عن الْبَيْتِ، فقلتُ: "مُصَابُكُمْ" مَصْدَرٌ مُضافٌ إلى فاعِلِهِ. وَرَجُلًا: مَفْعولُهُ. وَخَبَرُ إنَّ "ظُلْمُ". فَأَخَذَ التَّوَّزِيُّ في مُعَارَضَتِي. فقلتُ: هو كَقَوْلِكَ: "إن ضَرْبَكَ زَيْدًا ظُلْمٌ". والدَّليلُ عليه أنَّ الْكَلامَ مُعَلَّقٌ إلى أنْ تَقولَ: "ظُلْمٌ" فَيَتِمَّ. فَقالَ التَّوَّزِيُّ: حَسْبِي، وفَهِمَ. وَاسْتَحْسَنَهُ الْواثِقُ[2].

---

(1) اختلف في نسبة هذا البيت، فقد نُسب للعرجي، وهو في ديوان شعره: 193، ونُسب لأبي دهبل الجمحي، ينظر ديوان شعره: 66، ونسب في بعض المصادر؛ كمعجم الأدباء: 2/ 759، للحارث بن خالد المخزومي.

(2) ورد الخبر في عدة مصادر، والنقل من بغية الوعاة: 1/ 465.

وسُئِلَ الْمَازِنِيُّ عن أَهْلِ الْعِلْمِ فَقالَ: أَصْحابُ الْقُرْآنِ فِيهِمْ تَخْلِيطٌ وَضَعْفٌ. وَأَهْلُ الْحَديثِ فيهِمْ حَشْوٌ وَرَقَاعَةٌ. وَالشُّعراءُ: فِيهِمْ هَوَجٌ. وَالنُّحَاةُ: فيهم ثِقْلٌ. وفي رُوَاةِ الْأَخْبارِ الظَّرْفُ كُلُّهُ. والْعِلْمُ هو الْفِقْهُ(1).

وله من التَّصانيفِ: "كِتابٌ في الْقُرْآنِ"، و"عِلَلُ النَّحْوِ"، و"تفاسيرُ كتابِ سِيبَوَيْهِ"، وكتابُ "ما يَلْحَنُ فيه الْعامَّةُ"، و"كِتابُ الْأَلِفِ واللَّامِ"، و"التَّصريفُ"، و"الْعَروضُ" و"الْقَوافِي"، وكتابُ "الدِّيباجُ في جامِعِ كِتابِ سِيبَوَيْهِ". وكُلُّهَا لِطَافٌ.

وكانَ يَقولُ: مَنْ أَرادَ أنْ يُصَنِّفَ كِتابًا كَبيرًا في النَّحْوِ بعد "كِتابُ سِيبَوَيْهِ" فَلْيَسْتَحْيِ.

ماتَ في سَنَةِ تِسْعٍ أو ثَمانٍ وأَرْبَعينَ ومِئَتَيْنِ. كذا قالَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ. وقالَ غَيْرُهُ سَنَةَ ثَلاثينَ ومِئَتَيْنِ(2).

ومن شِعْرِهِ: [الكامل]

شَيْئَانِ يَعْجِزُ ذُو الرِّيَاضَةِ عَنْهُمَا ... رَأْيُ النِّسَاءِ وَإِمْرَةُ الصِّبْيَانِ(3)

أَمَّا النِّسَاءُ فَإِنَّهُنَّ عَوَاهِرٌ ... وَأَخُو الصِّبَا يَجْرِي بِغَيْرِ عِنَانِ

---

(1) بغية الوعاة: 1/ 465.

(2) الترجمة من بغية الوعاة: 1/ 463.

(3) البيتان والخبر في معجم الأدباء: 2/ 759، وبغية الوعاة: 1/ 465.

وصَنَّفَ في التَّصْريفِ: أبو الْفَتْحِ ابْنُ جِنِّي مُخْتَصَرًا سَمَّاهُ: **"التَّصْرِيفُ الْمُلُوكِيُّ"**(1) وهو عُثْمانُ ابْنُ جِنِّي(2) - بِسُكونِ الْياءِ مُعَرَّبُ كِنِّي - أبو الْفَتْحِ النَّحْوِيُّ مِنْ أَحْذَقِ أَهْلِ الْأَدَبِ وأَعْلَمِهِمْ بالنَّحْوِ والتَّصْريفِ، وعِلْمُهُ بالتَّصْريفِ أقْوى وأكْمَلُ من عِلْمِهِ بالنَّحْوِ. وسَبَبُهُ أنه كان يُقْرِئُ النَّحْوَ بجامع الْمَوْصِلِ، فَمَرَّ به أبو عَلِيٍّ الفَارِسِيُّ فسأله عن مَسْأَلَةٍ في التَّصْريفِ، فَقَصَّرَ فيها. فقال له أبو عَلِيٍّ: زَبَّبْتَ قَبْلَ أنْ تُحَصْرِمَ، فَلَزِمَهُ من يَوْمَئِذٍ مُدَّةَ أربعينَ سنةً، واعْتَنَى بالتَّصريفِ(3).

ولمَّا ماتَ أبو عَلِيٍّ، تَصَدَّرَ ابنُ جِنِّي مَكَانَهُ بِبَغْدادَ، وَأَخَذَ عنه الثَّمَانِينِيُّ(4)، وَعَبْدُ السَّلامِ الْبَصْرِيُّ، وأبو الْحَسَنِ السِّمْسِمِيُّ(5).

قال في "دُمْيَةُ الْقَصْرِ": وليس لأحَدٍ من أئِمَّةِ الأدَبِ في فَتْحِ الْمُقْفَلَاتِ، وَشَرْحِ(6) الْمُشْكِلَاتِ ما له، سِيَّمَا في عِلْمِ الإعْرابِ(7).

---

(1) ينظر: إرشاد القاصد: 113.

(2) لعل أصلها باللاتيني genius، وبقيت بالإنجليزية محتفظة بأصلها اللاتيني، وبالفرنسية: génie.

(3) بغية الوعاة: 2/ 132.

(4) أبو القاسم عمر بن ثابت بن إبراهيم الثمانيني النَّحوي (ت.442هـ)، نسبة إلى ثمانين: وهي مدينة بالجزيرة بناحية الموصل. ينظر أنساب السَّمعاني: 3/ 149.

(5) السِّمْسِمَاني، في تاريخ بغداد: 13/ 453، علي بن عبيد الله بن عبد الغفار، أبو الحسن اللغوي المعروف بالسِّمْسِمِي (ت.415هـ)، وقد صُحفت في كل طبعات مفتاح السعادة ومصباح السيادة. ترجمته في: معجم الأدباء: 4/ 1817، إنباه الرواة: 2/ 288، وفيات الأعيان: 3/ 312، بغية الوعاة: 2/ 178.

(6) وحل، في قونية.

(7) دمية القصر: 3/ 1481، والنقل من بغية الوعاة: 2/ 132.

وكان يَحْضُرُ عند الْمُتَنَبِّي، ويُنَاظِرُهُ في النَّحْوِ من غير أن يَقْرَأَ عليه شَيْئًا من شِعْرِهِ أَنَفَةً وَإِكْبارًا لِنَفْسِهِ. وَكانَ الْمُتَنَبِّي يقولُ فيه: هذا رَجُلٌ لا يَعْرِفُ قَدْرَهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ.

صَنَّفَ: "الْخَصائِصُ"، في النَّحْوِ، "سِرُّ الصِّناعَةِ"، "شَرْحُ تَصْرِيفِ الْمَازِنِيِّ"، "شَرْحُ مُسْتَغْلَقِ الْحَماسَةِ"[1]، "شَرْحانِ" على ديوانِ الْمُتَنَبِّي، "اللُّمَعُ في النَّحْوِ"[2]، "مَحاسِنُ الْعَرَبِيَّةِ"، "الْمُحْتَسَبُ في إعْرابِ الشَّواذِّ"[3]، و"شَرْحُ الْفَصيحِ". وغَيْرَ ذلِكَ.

مَوْلِدُهُ قَبْلَ الثَّلاثِينَ وثَلاثِمِئَةٍ. ماتَ لِلَيْلَتَيْنِ بَقِيَتَا من صَفَرٍ سَنَةَ ثِنْتَيْنِ وَتِسْعينَ وثَلاثِمِئَةٍ[4].

ولابْنِ مَالِكٍ: مُخْتَصَرٌ في ضَروريِّ التَّصْريفِ، وشَرَحَهُ وَوَسَمَهُ بالتَّعْرِيفِ. وهو مُحَمَّدُ بْنُ عبدِ اللهِ بْنِ عبد الله بن مَالِكٍ، الْعَلَّامَةُ جمالُ الدِّينِ أبو عبدِ اللهِ الطَّائِيُّ الْجَيَّانِيُّ الشَّافِعِيُّ النَّحْوِيُّ، نَزيلُ دِمَشْقَ، إمامُ النُّحاةِ، وحافِظُ اللُّغَةِ.

قال الذَّهَبِيُّ: وُلِدَ سَنَةَ سِتِّمِئَةٍ أو إحْدَى وسِتِّمِئَةٍ. وسَمِعَ بِدِمَشْقَ من السَّخَاوِيِّ، والْحَسَنِ بنِ الصَّبَّاحِ، وجَماعَةٍ. وَأَخَذَ العربيَّةَ عن غَيْرِ واحِدٍ،

(1) يعرف بكتاب "التنبيه على شرح مشكلات الحماسة"، وهو مطبوع.

(2) ذكر صاحب بغية الوعاة: 2/ 132 بعد هذا الكتاب "كتاب المذكر والمؤنث"، ولم يُذكر هنا.

(3) يعني شواذ القراءات، وهو مطبوع.

(4) الترجمة من بغية الوعاة: 2/ 132.

وجالَسَ بِحَلَبَ ابْنَ عَمْرُونَ[1] وغيرَهُ. وتَصَدَّرَ بها لِإِقْرَاءِ الْعَرَبِيَّةِ، وَصَرَفَ هِمَّتَهُ إلى إتْقانِ لِسانِ الْعَرَبِ حَتَّى بَلَغَ فيه الْغايَةَ، وَحازَ قَصَبَ السَّبْقِ، وَأَرْبَى على الْمُتَقَدِّمِينَ. وكانَ إمامًا في الْقِراءاتِ وعِلَلِهَا.

وأَمَّا اللُّغَةُ، فكانَ إليه الْمُنْتَهَى في الإكْثارِ من نَقْلِ غَرِيبِهَا، والاِطِّلاعِ على وَحْشِيِّهَا. **وأَمَّا النَّحْوُ والتَّصْريفُ**، فكان فيه بَحْرًا لا يُجَارَى، وحَبْرًا لا يُبَارَى. **وأَمَّا أَشْعارُ الْعَرَبِ**، الَّتِي يَسْتَشْهِدُ بها على اللُّغَةِ والنَّحْوِ، فكان الْأَئِمَّةُ الْأَعْلامُ يَتَحَيَّرُونَ فيه، ويَتَعَجَّبُونَ مِنَ أَيْنَ يَأْتِي بها. وَكانَ نَظْمُ الشِّعْرِ سَهْلًا عليه، رَجَزِهِ وطَوِيلِهِ وبَسيطِهِ، وغيرِ ذلك. هذا مع ما هو عليه من الدِّينِ الْمَتينِ، وصِدْقِ اللَّهْجَةِ، وكَثْرَةِ النَّوافِلِ، وحُسْنِ السَّمْتِ، ورِقَّةِ الْقَلْبِ، وكَمالِ الْعَقْلِ، والْوَقارِ والتُّؤَدَةِ.

أقامَ بِدِمَشْقَ مُدَّةً يُصَنِّفُ ويَشْتَغِلُ، وتَصَدَّرَ بالتُّرْبَةِ الْعَادِلِيَّةِ والجامِعِ الْمَعْمورِ، وتَخَرَّجَ به جَماعَةٌ كثيرةٌ. وصَنَّفَ تَصانيفَ مَشْهورَةً.

رَوَى عنهُ ابْنُهُ الإمام بَدْرُ الدِّينِ، والشَّمْسُ ابْنُ أبي الْفَتْحِ، والْبَدْرُ ابنُ جَمَاعَةَ، والْعَلاءُ ابْنُ الْعطَّارِ، وَخَلْقٌ. انْتَهَى كَلامُ الذَّهَبِيِّ[2].

قالَ أبو حَيَّانَ: لم يَكُنْ لابْنِ مالِكٍ شَيْخٌ مشهورٌ يَعْتَمِدُ عليه، إلَّا أنَّ بعضَ تَلامِذَتِهِ ذَكَرَ أَنَّهُ قالَ: قَرَأْتُ على ثابِتِ بْنِ حَيَّانَ. وجَلَسْتُ في حَلْقَةِ أبي عَلِيٍّ

---

(1) محمد بن محمد بن أبي علي ابن عمرون الحلبي النحوي، المعروف بالْجَمَّال (ت.649هـ)، ترجمته في: سير أعلام النبلاء: 23/ 251، الوافي بالوفيات: 1/ 197، بغية الوعاة: 1/ 231.

(2) تاريخ الإسلام: 15/ 249، والنقل من بغية الوعاة: 1/ 130.

الشَّلَوْبِينِ[1] نَحْوًا مِنْ ثَلاثَةَ عَشَرَ يَوْمًا. ولم يَكُنْ ثابِتُ بنُ حَيَّانَ مِنْ أَئِمَّةِ النَّحْوِ، وإنَّما كانَ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمُقْرِئينَ[2].

قالَ السُّيُوطِيُّ: وله شَيْخٌ جَليلٌ وهو: ابنُ يَعِيشَ الْحَلَبِيُّ.

وأما تَصانيفُهُ: فَكَثيرةٌ جِدًّا. نَظَمَهَا بَعْضُهُمْ في أَبْياتٍ ذَكَرَ فيها: **الْأَلْفِيَّةَ في النَّحْوِ، تُسَمَّى: "الْخُلاصَةُ"، و"الْعُمْدَةُ"**[3]، و"**إكْمالُ الْعُمْدَةِ**"، **وشَرْحُهَا**[4]، و"**التَّسهيلُ**"، وشَرْحُهُ، ولم يَتِمَّ، و"**قَصيدَةٌ في الْأَفْعالِ**"[5]، و"**أُرْجوزَةٌ في الْمُثَلَّثِ**"، و"**قَصيدَةٌ في الْمَقْصورِ والْمَمْدودِ**"، وشَرْحُها، و"**إِعْرابُ بَعْضِ أَحاديثِ صَحيحِ الْبُخارِيِّ**"، و"**قَصيدَةٌ في الضَّادِ والظَّاءِ**"، وأُخْرى في: "**ما هُوَ مَهْموزٌ وغيرُ مَهْموزٍ**"، و"**التَّعْريفُ في الصَّرْفِ**"[6]، وشَرْحُهُ، و"**كِتابٌ فيما جاءَ أَفْعَلَ وفَعَلَ**"، و"**مُخْتَصَرٌ في الْإِبْدالِ**"، و"**الْقَصيدَةُ الْمالِكِيَّةُ في عِلْمِ الْقِراءاتِ**"، هذا ما ضُمِّنَتْهُ تلك الْأَبْياتُ.

وله تصانيفُ غَيْرُ هَذِهِ، كِتابُ "**نَظْمُ الْفَوائِدِ**"، وفَتاوَى له في الْعَرَبِيَّةِ، ومَجْموعٌ يُسَمَّى: "**الْفَوائِدُ في النَّحْوِ**"، و"**شَرْحُ الْجُزولِيَّةِ**"، و"**سَبْكُ الْمَنْظومِ وَفَكُّ الْمَخْتومِ**"، و"**الْمُقَدِّمَةُ الْأَسَدِيَّةُ**"، وضَعَها باسْمِ ولَدِهِ تَقِيِّ الدِّين الْأَسَدِ.

---

(1) أبو علي عمر بن محمد بن عمر الأزدي الشَّلَوبين (ت.645هـ).

(2) بغية الوعاة: 2/ 130.

(3) عُمْدةُ الحافظ وعُدَّةُ اللَّافظ، وهو مطبوع.

(4) شرح عُمْدةِ الحافظ وعُدَّةِ اللَّافظ، وهو مطبوع أيضا.

(5) تعرف بلامية الأفعال.

(6) مطبوع بعنوان: "التعريف في ضروري التَّصريف".

ويُرْوَى أَنَّهُ كانَ إذا صَلَّى في الْعَادِلِيَّةِ ـ وكَانَ إمَامَهَا ـ يُشَيِّعُهُ قاضي الْقُضاةِ شَمْسُ الدِّينِ ابْنُ خلِّكَانَ إلى بَيْتِهِ، تَعْظيمًا له. وكانَ آيةً في الاطِّلاعِ على الْحَديثِ، فإذا لم يَجِدْ شاهِدًا في الْقُرْآنِ عَدَلَ إلى الْحَديثِ، ثُمَّ إلى أَشْعارِ الْعَرَبِ.

وَكانَ كَثيرَ الْعِبادَةِ والنَّوافِلِ، حَسَنَ السَّمْتِ، كامِلَ الْعَقْلِ. وَانْفَرَدَ عن الْمَغارِبَةِ بِشَيْئَيْنِ: الْكَرَمِ، ومَذْهَبِ الشَّافِعِيَّةِ.

وَكانَ الشَّيْخُ رُكْنُ[1] الدِّينِ ابْنُ الْقَوْبَعِ يَقولُ: إنَّ ابْنَ مالِكٍ ما خَلَّى للنَّحْوِ حُرْمَةً.

تُوُفِّيَ ابْنُ مالِكٍ ثاني عَشَرَ شَعْبانَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وسَبْعينَ وسِتِّمِئَةٍ[2].

ومن الْمُتَوَسِّطَاتِ في عِلْمِ الصَّرْفِ[3]:

كِتابُ ابْنِ الْحَاجِبِ الْمُسَمَّى بـ "الشَّافِيةُ"، وهو: عُثْمانُ بنُ عُمَرَ بنِ أبي بَكْرِ بنِ يونُسَ الْعَلَّامَةُ جَمالُ الدِّينِ أبو عمرٍو ابْنُ الْحَاجِبِ الْكُرْدِيُّ الدُّوِينِيُّ الْأَصْلِ، الْإِسْنَائِيُّ الْمَوْلِدِ، الْمُقْرِئُ النَّحْويُّ الْمالِكِيُّ الْأصوليُّ الْفَقيهُ، صاحِبُ التَّصانيفِ الْمُنَقَّحَةِ.

وُلِدَ سَنَةَ سَبْعينَ أو إحْدى وَسَبْعينَ وخَمْسِمِئَةٍ بـ إسْنَا من الصَّعِيدِ.

---

(1) زكي، في قونية.

(2) الترجمة من بغية الوعاة: 1/ 130.

(3) التصريف، في قونية.

قال الذَّهَبِيُّ: وكان أبوه جُنْدِيًّا كُرْدِيًّا، حاجِبًا للأميرِ عِزِّ الدِّين الصَّلاحِيِّ، اشْتَغَلَ في صِغَرِهِ بالْقاهِرَةِ، وحَفِظَ الْقُرْآنَ، وأخَذَ بعض الْقِراءاتِ عن الشَّاطِبِيِّ، وَسِمَع منه الْيَسِيرَ[1]. وَقَرَأَ بالسَّبْعِ على أبي الْجودِ[2]، وسَمِعَ مِنَ الْبُوصِيرِيِّ، وَجَماعَةٍ. وَتَفَقَّهَ على أبي مَنْصورٍ الْأَبْيَارِيِّ، وَغَيْرِهِ. وَتَأَدَّبَ على الشَّاطِبِيِّ وَابْنِ الْبَنَّاءِ، ولَزِمَ الِاشْتِغالَ حتَّى بَرَعَ في الْأُصولِ والْعَرَبِيَّةِ، وَكانَ مِنْ أَذْكِياءِ الْعالَمِ. ثُمَّ قَدِمَ دِمَشْقَ، ودَرَّسَ بجامِعِها في زاوِيَةِ الْمالِكِيَّةِ، وأَكَبَّ الْفُضَلاءُ على الْأَخْذِ عنه، وَكانَ الْأَغْلَبَ عليه النَّحْوُ.

وصَنَّفَ في الْفِقْهِ: **مُخْتَصَرًا**، وفي الْأُصولِ **مُخْتَصَرًا**، وآخَرَ أَكْبَرَ منه سَمَّاهُ: "**الْمُنْتَهى**"، وفي النَّحْوِ: "**الْكافِيَةُ**"، وشَرْحَها، ونَظْمَها "**الْوافِيَةُ**"، وشَرْحَها، وفي التَّصْريفِ: "**الشَّافِيَةُ**"، وشَرْحَها، وفي الْعَروضِ: "**قَصيدَةٌ**"[3]، و"**شَرْحُ الْمُفَصَّلِ**"، سَمَّاهُ: "**الإيضاحُ**"، وله "**الْأَمالِي**" في النَّحْوِ، مُجَلَّدٌ ضَخْمٌ في غايَةِ التَّحْقيقِ، بعضُها على أَبْياتٍ، وبَعْضُها على مَواضِعَ من "**الْمُفَصَّلُ**"، وَمَواضِعَ من **كافِيَتِهِ**، وأَشْياءُ نَثْرِيَّةٌ.

ومُصَنَّفَاتُهُ في غايَةِ الْحُسْنِ، ورُزِقَتْ قَبُولًا تَامًّا لحُسْنِها وجَزالَتِها. وقد خالَفَ النُّحَاةَ في مَواضِعَ، وَأَوْرَدَ عليهم إشْكالاتٍ وإلْزاماتٍ مُفْحِمَةً يَعْسُرُ الْجَوابُ عنها. وكان فَقيهًا مُناظِرًا، مُفْتِيًا مُبَرِّزًا في عِدَّةِ عُلومٍ، مُتَبَحِّرًا ثِقَةً دَيِّنًا

---

(1) التيسير، في أنطاليا.

(2) أَبُو الجُودِ غِيَاثُ بنُ فَارِسِ بنِ مَكِّيٍّ اللَّخْمِيُّ الـمُنْذِرِيُّ المِصْرِيُّ (ت.605هـ). ترجمته في: التكملة لوفيات النقلة: 2/ 162، سير أعلام النبلاء: 16/ 38، 21/ 473، نكت الهميان: 225.

(3) تعرف بالمقصد الجليل في علم الخليل، وهي مطبوعة.

وَرِعًا، متواضِعًا مُطَّرِحًا لِلتَّكَلُّفِ. ثمَّ دَخَلَ مِصْرَ هو والشَّيْخُ عِزُّ الدِّين ابنُ عبد السَّلامِ، وتَصَدَّرَ هو بالْفَاضِلِيَّةِ، ولازَمَهُ الطَّلَبَةُ.

قال ابنُ خَلِّكَانَ: وكانَ من أحْسَنَ خَلْقِ الله ذِهْنًا، وجاءَنِي مِرارًا بِسَبَبِ أداءِ شَهاداتٍ، وَسَأَلْتُهُ عن مَواضِعَ في الْعَرَبِيَّةِ مُشْكِلَةٍ، فَأَجابَ أبْلَغَ جَوابٍ، بِسُكونٍ كَثِيرٍ، وتَثَبُّتٍ تَامٍّ.

انْتَقَلَ إلى الْإسْكَنْدَرِيَّةِ لِيُقيمَ بها، فَلَمْ تَطُلْ مُدَّتُهُ، **ومات** بها في ضاحي نَهارِ الْخَميسِ سادِسَ عَشَرَ من شَوَّالٍ سَنَةَ سِتٍّ وأَرْبَعينَ وسِتِّمِئَةٍ[1].

وأَمْثَلُ الْمَبْسوطاتِ:

"الْمُمْتِعُ"، لابْنِ عُصْفُورٍ، وهو عليُّ بنُ مُؤْمِنِ بنِ مُحَمَّدِ بْنِ عليٍّ، أبو الْحَسَنِ ابْنُ عُصْفُورٍ النَّحْوِيُّ الْحَضْرَمِيُّ الإشْبِيلِيُّ. كاتِبُ[2] لِواءِ الْعَرَبِيَّةِ في زَمانِهِ[3] بِالْأنْدَلُسِ.

قال ابْنُ الزُّبَيْرِ: أَخَذَ عن الدَّبَّاجِ[4]، والشَّلَوْبِينِ، ولازَمَهُ مُدَّةً، ثم كانَتْ بينهما مُنافَرَةٌ ومُقاطَعَةٌ، وتَصَدَّرَ لِلإشْتِغالِ مُدَّةً، وأَقْبَلَ عليه الطَّلَبَةُ، وكانَ أصْبَرَ النَّاسِ على الْمُطالَعَةِ، لا يَمَلُّ من ذلك، ولم يكنْ عِنْدَهُ ما يُؤْخَذُ عنه غَيْرَ النَّحْوِ، ولا تَأَهَّلَ لِغَيْرِ ذَلِكَ.

---

(1) الترجمة من بغية الوعاة: 2/ 134.

(2) حامل، في المصدر نفسه: 2/ 210.

(3) كانت لواء العربية بيده في زمانه، في أنطاليا.

(4) أبو الحسن علي بن جابر ابن الدَّبَّاح الإشبيليُّ (ت.646هـ).

قالَ الصَّفَدِيُّ: ولم يَكُنْ عِنْدَهُ وَرَعٌ. وجَلَسَ في مَجْلِسِ شَرابٍ، فلم يَزَلْ يُرْجَمُ بِالنَّارَنْجِ إلى أَنْ ماتَ في رابِعَ عَشَرَ مِنْ ذي الْقَعْدَةِ سنةَ ثَلاثٍ أو تِسْعٍ وسِتِّينَ وسِتِّمِئَةٍ. ومَوْلِدُهُ سَنَةَ سَبْعٍ وتِسْعينَ وخَمْسِمِئَةٍ.

وصَنَّفَ: "**الْمُمْتِعُ في التَّصْريفِ**" كان أبو حَيَّانَ لا يُفارِقُهُ، "**الْمُقَرِّبُ**"، شَرْحَهُ، لم يَتِمَّ، "**شَرْحُ الْجُزولِيَّةِ**"، "**مُخْتَصَرُ الْمُحْتَسَبِ**"، ثَلاثَةَ شُروحٍ على الْجُمَلِ، "**شَرْحُ الْأَشْعارِ السِّتَّةِ**"، وَغَيْرَ ذَلِكَ[1].

ومن الْمَبْسوطاتِ:

"**شَرْحُ الشَّافيةِ**"، لِلإمامِ الْجَارَبَرْدِيِّ، وهو أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ، الشَّيْخُ فَخْرُ الدِّينِ.

قالَ السُّبْكِيُّ في "طَبَقاتُ الشَّافِعِيَّةِ": نَزيلُ تِبْريزَ، كانَ إمامًا فاضِلًا دَيِّنًا خَيِّرًا وَقورًا، مُواظِبًا على الْعِلْمِ وإِفادَةِ الطَّلَبَةِ. أَخَذَ عن الْقاضِي ناصِرِ الدِّين الْبَيْضَاوِيِّ.

وصَنَّفَ: **شَرْحَ مِنْهاجِهِ**، **شَرْحَ الْحَاوِي**[2] **في الْفِقْهِ**، لم يَكْمُلْ، **شَرْحَ الشَّافِيَةِ**، لابْنِ الْحاجِبِ، **شَرْحَ الْكَشَّافِ**[3].

وَماتَ في رَمَضانَ سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعينَ وسَبْعِمِئَةٍ بِتِبْرِيزَ[4].

(1) الترجمة من بغية الوعاة: 2/ 210.

(2) سماه: "الهادي في شرح الحاوي الصغير".

(3) الصحيح أنه حاشية، ينظر كشف الظنون: 2/ 1478، توجد منها نسخ خطية.

(4) الترجمة من بغية الوعاة: 1/ 303.

و"**شَرْحُ الشَّافيةِ**"، لرَضِيِّ الدِّينِ الْأَسْتَرَابَاذِيِّ. وسَتَعْرِفُ تَرْجَمَتَهُ في النَّحْوِ.

و"**شَرْحُ الشَّافيةِ**"، لِحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيِّ، الْمَشْهورِ بِالنِّظَامِ الْأَعْرَجِ[1]، وشَرْحُهُ مَمْزوجٌ مَشْهورٌ مُتَدَاوَلٌ.

قالَ السُّيُوطِيُّ: لم أَقِفْ له على تَرْجَمَةٍ[2].

وَمِمَّا اشْتَهَرَ في دِيَارِنَا مُخْتَصَرٌ مُسَمًّى بِالْمَقْصودِ، لم نَقِفْ على اسْمِ مُصَنِّفِهِ[3]. إلَّا أَنَّهُ كِتابٌ مُبارَكٌ مَشْهورٌ بِأَيْدِي النَّاسِ الْيَوْمَ. وعليه شُروحٌ مُفيدَةٌ مَشْهورَةٌ عند أَبْناءِ الزَّمانِ[4].

و"**مُخْتَصَرٌ**"، لِعِزِّ الدِّينِ الزَّنْجَانِيِّ، وهو عبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ إبْراهيمَ بْنِ عبدِ الْوَهَّابِ بْنِ أبي الْمَعالي الْخَزْرَجِيُّ الزَّنْجَانِيُّ، صاحِبُ "**شَرْحُ الْهَادِي**" الْمَشْهورِ، الَّذِي أَكْثَرَ الْجَارْبَرْدِيُّ مِنَ النَّقْلِ عنه في "**شَرْحُ الشَّافيةِ**". قالَ السُّيُوطِيُّ: وَقَفْتُ عليه بِخَطِّهِ، وذَكَرَ في آخِرِهِ أَنَّهُ فَرَغَ منه بِبَغْدادَ في الْعِشْرينَ من ذي الْحِجَّةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وخَمْسينَ وسِتِّمِئَةٍ.

---

(1) من رجال القرن التاسع توفي بعد 850هـ ترجمته في: سلم الوصول: 2/ 36، هدية العارفين: 1/ 283.

(2) بغية الوعاة: 1/ 525.

(3) كتاب المقصود في الصرف، يُنسب للإمام أبي حنيفة النعمان، وهو غير صحيح إليه.

(4) منها إمعان الأنظار على المقصود، للمولى محمد بن بير المعروف ببركلي، وعنقود الجواهر، لابن سماونه، وغيرهما. ينظر: كشف الظنون: 2/ 1806.

وَمَتْنُ "**الهادِي**"، له أيْضًا، وله التَّصْريفُ الْمَشْهورُ بـ: "**تَصْريفُ الْعِزِّي**"[1]. وله مُؤَلَّفاتٌ في الْعَروضِ والْقَوافِي. وخَطُّهُ في غايَةِ الْجَوْدَةِ. وعلى **مُخْتَصَرِهِ في التَّصْريفِ** شُروحٌ مُفيدةٌ مَشْهورَةٌ عند أَبْناءِ الزَّمانِ، أفْضَلُها وأحْسَنُها: **شَرْحَا الفاضِلِ سَعْدِ الدِّينِ التَّفْتازَانِيِّ، والفاضِلِ السَّيِّدِ الشَّريفِ الْجُرْجَانِيِّ**. وسَتَقِفُ على تَرْجَمَتِهِما إنْ شاءَ اللهُ تعالى.

ومِنَ الْمُخْتَصَراتِ:

مُخْتَصَرُ: "**مَرَاحُ الأَرْوَاحِ**"، لِأَحْمَدَ بنِ عَلِيٍّ بنِ مَسْعودٍ.

قالَ السُّيُوطِيُّ: لَمْ أَقِفْ له على تَرْجَمَةٍ[2].

وَعَلَيْهِ **شُروحٌ مُفيدَةٌ** يَعْرِفُها الْمُتَأَدِّبونَ مِنَ الصِّبْيانِ[3].

وأَكْثَرُ الْمُصَنَّفَاتِ في عِلْمِ النَّحْوِ مُذَيَّلَةٌ بعلم التَّصْريفِ. وسَنَذْكُرُ نُبَذًا منها هناك. إن شاء الله تعالى.

وَ"**مُخْتَصَرُ النَّجاحِ**"، مُفيدٌ في الْغايَةِ، لَكِنَّهُ غَيْرُ مَشْهورٍ، وهو لِحُسامِ الدِّينِ السِّغْنَاقِيِّ[4]، شارِحِ "**الْهِدايَةُ**"، وسَتَعْرِفُ تَرْجَمَتَهُ هناكَ.

و"**مُخْتَصَرُ نُزْهَةِ الطَّرْفِ في علم الصَّرْفِ**"، لِلْمَيْدَانِيِّ. وقد عَرَفْتَ تَرْجَمَتَهُ.

---

(1) بغية الوعاة: 2/ 122.

(2) المصدر نفسه: 1/ 347.

(3) ذكر بعضها صاحب كشف الظنون: 2/ 1651.

(4) السُّغناقي: في تاج العروس: 25/ 450، والسِّغناقي في الفوائد البهية: 62.

الشُّعْبَةُ الثَّانيةُ: فيما يَتَعَلَّقُ بِالْمُرَكَّبَاتِ

عِلْمُ النَّحْوِ

عِلْمٌ باحِثٌ عن أحْوالِ الْمُرَكَّبَاتِ الموضوعَةِ وَضْعًا نَوْعِيًّا، لنوعٍ نوعٍ من المعاني التَّرْكِيبِيَّةِ النِّسْبِيَّةِ من حيث دَلالَتُهَا عليها.

وغَرَضُهُ: تَحْصيلُ مَلَكَةٍ يُقْتَدَرُ بها على إيرادِ تَرْكيبٍ[1] وُضِعَ وَضْعًا نَوْعِيًّا لِمَا أَرادَهُ الْمُتَكَلِّمُ مِنَ الْمَعْنَى، وعلى فَهْمِ مَعْنَى أيِّ مُرَكَّبٍ كانَ بِحَسَبِ الْوَضْعِ الْمَذْكورِ.

وَغايتُهُ: الِاحْتِرازُ عن الْخَطَإِ في تَطْبيقِ التَّراكيبِ الْعَرَبِيَّةِ على الْمَعانِي الْوَضْعِيَّةِ الأَصْلِيَّةِ.

ومَبادئُهُ: الْمُقَدِّمَاتُ الْحَاصِلَةُ من تَتَبُّعِ الألفاظِ الْمُرَكَّبَةِ في مواردِ الِاسْتِعْمالاتِ.

ومَوْضوعُهُ: الْمُرَكَّبَاتُ والْمُفْرَداتُ من حيث وُقوعُهَا في التَّراكيبِ والأدَواتِ، لكونها رَوابِطَ التَّراكيبِ. وإنما يُبْحَثُ عنها في النَّحْوِ على وَجْهِ الْمَبْدَئِيَّةِ، لأنَّها من مَسائِلِ اللُّغَةِ حَقيقةً[2].

---

(1) تراكيب، في قونية.

(2) ينظر رسالة في العلوم الشرعية والعربية: 26.

وَاعْلَمْ أنَّ عِلْمَ النَّحْوِ من فُروضِ الْكِفَايَاتِ[1]، إذْ يَحْتاجُ إليه الإِسْتِدْلَالُ بِالْكِتَابِ والسُّنَّةِ، وإذ[2] ليسَ فَرْضًا عَيْنًا فكَذا النَّحْوُ. إلَّا أنَّهُ يَجِبُ أنْ يكونَ مُتَواتِرًا، إذِ اشْتِراطُ تَوَاتُرِ الشَّرْعِ يوجِبُ اشْتِراطَهُ في اللُّغَةِ أيْضًا، ومن جُمْلَةِ أقْسامِها النَّحْوُ.

وهاهنا إشْكالٌ من وَجْهَيْنِ:

ـ **أحَدُهُما**: أنَّ هذا بِدْعَةٌ، وكُلُّ بِدْعَةٍ حَرامٌ.

ـ **وثانيهما**: أنَّ النَّحْوَ يَحْتاجُ إلى الْأَلْفاظِ الْمُحْتاجِ إلى النَّحْوِ فَيَدورُ.

وَالْجَوابُ: أنَّ الصَّحابَةَ كانوا يَعْرِفونَ النَّحْوَ، وإنَّما الْمُبْتَدَعُ الِاصْطِلاحاتُ، ولا مُشَاحَّةَ فيها، بل هذه بِدْعَةٌ حَسَنَةٌ.

كما قيلَ: النَّحْوُ عِلْمٌ مُبْتَدَعٌ، وقِياسٌ مُخْتَرَعٌ. وأيْضًا بعضُ قَواعِدِ النَّحْوِ مَعْلومٌ بالضَّرورَةِ، وبعضُها مُكْتَسَبٌ. والذي يَتَوَقَّفُ عليه تَعَلُّمُ النَّحْوِ هو الْأَوَّلُ، والَّذِي يُكْتَسَبُ به هو الثَّانِي، فلا دَوْرَ.

ولله دَرُّ الْكِسَائِيِّ يَمْدَحُ النَّحْوَ[3]: [الرمل]

إنَّمَا النَّحْوُ قِيَاسٌ يُتَّبَعْ   وَبِهِ في كُلِّ عِلْمٍ يُنْتَفَعْ[4]
وإذا مَا أَتْقَنَ النَّحْوَ الْفَتَى   مَرَّ فِي الْمَنْطِقِ مَرًّا فَاتَّسَعْ
وَاتَّقَاهُ كُلُّ مَنْ يَعْرِفُهُ   مِنْ جَلِيسٍ نَاطِقٍ أو مُسْتَمِعْ

---

(1) الكفاية، في مراد ملا.

(2) كتب بإزائها في نسخة أنطاليا: لعلها: وذا ليس... أي الاستدلال.

(3) في النَّحْوِ، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(4) الأبيات في أخبار النحويين لأبي طاهر البزار: 54، ومعجم الأدباء: 4/ 1774، وإنباه الرواة: 2/ 267.

وإذا لَمْ يَعْرِفِ النَّحْوَ الْفَتَى هَابَ أنْ يَنْطِقَ جُبْنًا فَانْقَمَعْ
فَتَرَاهُ يَنْصِبُ الرَّفْعَ ومَا كَانَ مِنْ نَصْبٍ وَمِنْ خَفْضٍ رَفَعْ
أهُمَا فِيهِ سَوَاءٌ عِنْدَكُمْ لَيْسَتِ السُّنَّةُ فِينَا كَالْبِدَعْ

واعْلَمْ أنَّ كَثيرًا من النَّاسِ بِسَبَبِ جَهْلِهِمْ بِعِلْمِ النَّحْوِ وَقَعوا في مَضَاحِكَ يَضْحَكُ منها الصِّبْيانُ.

حَكَى أبو حَيَّانَ التَّوْحِيدِيُّ أنَّ رَجُلًا سُئِلَ عن قَوْمٍ فقالَ: هم خُرُوجٌ - أرادَ هم خارِجونَ - قيلَ: هذا غيرُ صَحيحٍ. قال: كما قال تعالى: ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾[1]؛ أي قاعِدونَ، فَضُحِكَ به.

قالَ أبو الْفَرَجِ الْبَغْدادِيُّ يُقال لعارِفِ اللُّغَةِ: لَغَوَي بِفَتْحِ اللَّامِ، فقيلَ: هذا غَيْرُ مَسْموعٍ. قالَ: أمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَهُ تَعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾[2]، فَضُحِكَ منه.

وأَعْرَبَ بعضُهُمْ "قَيِّمًا" صِفَةً "لِعِوَجًا" في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿عِوَجًا (1) قَيِّمًا﴾[3]. وهذه غَفْلَةٌ، إذ الْمُعْوَجُّ لا يكون قَيِّمًا، وإنَّما "قَيِّمًا" حالٌ من مَحْذوفٍ، أي أَنْزَلَهُ قَيِّمًا، أو من الْكِتابِ.

---

(1) سورة البروج، الآية: 6.

(2) سورة القصص، الآية: 18.

(3) سورة الكهف، الآية: 1-2.

وقالَ بعضُهُمْ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى﴾[1]، أنَّ "ثمود" مَفْعولٌ مُقَدَّمٌ، وهذا خَطَأٌ، فإنَّ ما النَّافِيَةَ [يَقْتَضِي][2] الصَّدْرَ، فلا يَعْمَلُ ما بَعْدَها فيما قَبْلَها.

وقالَ بَعْضُهُمْ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾[3]، أنَّ ما بِمَعْنى مَنْ، ولو كانَ كَذَلِكَ لَرُفِعَ قَليلٌ على أنَّهُ خَبَرٌ.

وقالَ بَعْضُهُم في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾[4]. أنَّ قَوْلَهُ: "أن نفعل" مَعْطوفٌ على أن نَتْرُكَ، وذلِكَ باطِلٌ، لأنَّهُ لم يَأْمُرْهُمْ أنْ يَفْعَلوا في أَمْوالِهِمْ ما يَشاؤونَ، وإنَّما هو عَطْفٌ على ما، فهو مَعْمولٌ لِلتَّرْكِ. والْمَعْنى أنْ نَتْرُكَ أنْ نَفْعَلَ.

وقالَ بَعْضُهُمْ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾[5]، إنَّ "مِنَ" مُتَعَلِّقَةٌ بأغْنِياءَ، وهو فاسِدٌ، لأنَّهُ متى ظَنَّهُمْ ظانٌّ أَغْنِياءَ من التَّعَفُّفِ، عَلِمَ أنَّهُمْ فُقَراءُ من الْمالِ، ولا يَكونُ جاهِلًا بِحالِهِمْ، وإنَّما هي مُتَعَلِّقَةٌ بـ "يَحْسَبُ"، وهي لِلتَّعْليلِ.

وقالَ بَعْضُهُمْ في قَوْلِ الشَّاعِرِ: [الطويل]

أَقُولُ لِعَبْدَ اللهَ لَمَّا سِقَاؤُنَا ... وَنَحْنُ بِوَادِي عَبْدِ شَمْسٍ وهَاشِمِ[6]

(1) سورة النجم، الآية: 51.

(2) زيادة من أنطاليا.

(3) سورة البقرة، الآية: 88

(4) سورة هود، الآية: 87.

(5) سورة البقرة، الآية: 273.

(6) البيت والخبر في معيد النعم ومبيد النقم: 77.

هذا لَحْنٌ. فأينَ فِعْلَا "لَمَّا"؟ وعَلامَ نُصِبَتِ "اللهَ"؟ ولأيِّ شيء فُتح الدَّالُ مِنْ "عَبْدَ"؟ وَجوابُهُ: أنَّ عَبْدَ تَرْخيمُ عَبْدَةَ، و"اللهَ" نُصِبَ على الإغْرَاءِ، وفِعْلَا لَمَّا سِقَاؤُنَا مَرْفوعٌ بِفِعْلٍ مَحْذوفٍ، فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ: وَهَى أيْ ضَعُفَ، والْجَوَابُ مَحْذوفٌ تَقْدِيرُهُ: قُلْتُ، بِدَليلِ قَوْلِهِ: "أَقولُ[1] لمَّا سَقَطَ سِقَاؤُنَا، وَنَحْنُ بِوادِي عَبْدِ شَمْسٍ، قُلْتُ لِعَبْدَةَ: اِحْذَرِ اللهَ شِمِ الْبَرْقَ.

وَقَرِيبٌ من هذا الْبَيْتِ قَوْلُ الشَّاعِرِ: [الطويل]

أقُولُ لِعَبْدَ اللهَ لَمَّا لَقِيتُهُ ... ونَحْنُ على جَنْبِ الظِّبَا والْقَنَاطِرِ[2]

"الْقَنَا": الرِّمَاحُ. وَ"طِرْ": فِعْلُ أَمْرٍ مِنَ الطَّيَرَانِ.

ونَظِيرُ هذينِ الْبَيْتَيْنِ في إِلْغَازٍ: [الخفيف]

عَافَتِ الْمَاءَ في الشِّتَاءِ فَقُلْنَا ... بَرِّدِيهِ تُصَادِفِيهِ سَخِينَا[3]

يُقالُ: كَيْفَ تُبَرِّدُهُ ثم تصادِفُهُ سَخِينًا، وهذه غَفْلَةٌ، وَالْأَصْلُ: بَلْ رِدِيهِ، ثم كَتَبَ جُمْلَةً واحِدَةً لِأَجْلِ الْإِلْغَازِ.

وقَوْلُ الشَّاعِرِ: [الكامل]

لَمَّا رَأَيْتُ أبَا يَزِيدَ مُقَاتِلًا ... أَدَعَ الْقِتَالَ وأشْهَدَ الْهَيْجَاءَ[4]

(1) وقوله شم فعل أمر من قوبك شِمْتَ البرقَ، إذا نظرت إليه، والمعنى أقول، كذا في معيد النعم: 77. وهو أوضح في المعنى.

(2) البيت لابن شهاب الزهري، وهو من الشواهد، والنقل من معيد النعم ومبيد النقم: 77.

(3) البيت من الشواهد المعروفة في كتب النحو، والنقل من المصدر نفسه: 77.

(4) البيت لأعصر بن سعد، وهو من الشواهد، والنقل من المصدر نفسه: 77.

يُقالُ: أينَ جَوابُ "لَمَّا"؟ وبِمَ انْتُصِبَ "أَدَعَ"؟ وهَذِهِ غَفْلَةٌ، فَالْأَصْلُ: لَنْ مَا، أُدْغِمَتِ النُّونُ في الْمِيمِ، وَوُصِلَا في الْخَطِّ لِلْإِلْغَازِ، وحَقُّهُمَا الْفَصْلُ، وانْتِصَابُ أَدَعَ بِلَنْ، ومَا الظَّرْفِيَّةِ وصِلَتُهَا ظَرْفٌ له فَاصِلٌ بَيْنَهُ وبَيْنَ لَنْ للضَّرورَةِ. فَيُسْأَلُ حِينَئِذٍ كَيْفَ يَجْتَمِعُ قَوْلُهُ: "لَنْ أَدَعَ الْقِتَالَ"، مع قَوْلِهِ: "لَنْ أَشْهَدَ الْهَيْجَاءَ"، والْهَيْجَاءُ: مُشْتَجَرُ الْحَرْبِ؟

والْجَوابُ: "أنْ أَشْهَدَ" لَيْسَ مَعْطُوفًا على "أَدَعَ"، بل نَصْبُهُ بِأَنْ مُضْمَرَةً، وأنْ والْفِعْلُ عَطْفٌ على "الْقِتالَ"؛ أيْ لَنْ أدَعَ الْقِتَالَ، وَأَشْهَدَ الْهَيْجَاءَ، على حَدِّ قَوْلِ الشَّاعِرِ: [الوافر]

لَلُبْسُ عَبَاءَةٍ وَتَقَرَّ عَيْنِي[1].

وقَوْلُ الشَّاعِرِ: **[الخفيف]**

وَيْحَ مَنْ لَامَ عَاشِقًا فِي هَوَاهُ   إِنَّ لَوْمَ الْمُحِبِّ كَالإغْرَاءُ[2]

يُقالُ: كَيْفَ ارْتَفَعَ "الْإِغْرَاءُ" بَعْدَ كافِ التَّشبيهِ؟ والْجَوابُ: أنَّ الكافَ ضَمِيرُ الْمُخاطَبِ مُتَّصِلَةٌ بِالْمُحِبِّ، والْأَلِفُ واللَّامُ في الْمُحِبِّ بِمَعْنَى الَّذِي. والْإِغْراءُ خَبَرُ إنَّ. والمعنى: إنَّ لَوْمَ الْمُحِبِّ هو الإغْراءُ، وحَقُّ الكاف أن تُوصَلَ في الْخَطِّ بالْمُحِبِّ، ولكن فُصِلَتْ لِلُّغْزِ.

---

(1) صدر بيت من الشواهد النحوية وتمامه: أَحَبُّ إليَّ مِنْ لُبْسِ الشُّفُوفِ. والنقل من معيد النعم ومبيد النقم: 77.

(2) البيت من الشواهد النحوية والنقل من معيد النعم ومبيد النقم: 78.

وقَوْلُ الشَّاعِرِ: [الكامل]

يَا صَاحِبِ مَلَكَ الْفُؤَادَ عَشِيَّةً زَارَ الْحَبِيبَ بها خَلِيلٌ نَائِي[1]
لَمَّا بَدَا لَمْ أَدْرِ بَدْرَ دُجَيَّةٍ أَمْ وَجهَ مَنْ أَهْوَاهُ طَرْفِي رَائِي[2]

فقالَ: كَيْفَ جُرَّ "صاحِبِ" وهو مُنَادى مُفْرَدٌ؟ وجَوابُهُ: إنَّ يا صاح مُرَخَّمٌ، وبِنْ: فعل أمْرٍ من بَانَ يَبِينُ، إذا فارَقَ، وكُتِبَتْ هكذا على نَحْوِ صاحِبٍ لِأجْلِ الإلْغَازِ. ويُقال: على مَا نُصِبَ بَدْرٌ في قوله: "بَدْرَ دُجَيَّةٍ" وما قَبْلَ الاِسْتِفْهامِ لا يَعْمَلُ فيه؟ وَجَوابُهُ: مَنْصوبٌ بِـ "رائي". والْمَعْنى: لَمْ أَدْرِ طَرْفِي رَأَى بَدْرَ دُجَيَّةٍ أم وَجْهَ من أهْواهُ.

وَقَوْلُ الشَّاعِرِ: [البسيط]

لا تَقْنَطَنَّ وكُنْ بِالله مُحْتَسِبًا فَبَيْنَمَا أنْتَ ذَا يَأْسٍ أتَى الْفَرَجَا[3]

الْفَرَجُ: مَفْعولٌ، الْعامِلُ فيه اسْمُ الفاعِلِ، وهو مُحْتَسِبٌ. والمعنى: فَكُنْ في اللهِ مُحْتَسِبًا الْفَرَجَ، فبينما أنت ذا يأسٍ أتى.

وقال الْعَبَّاسُ بْنُ مِرْداسٍ: [الطويل]

ومِنْ قَبْلُ آمَنَّا وقَدْ كَانَ قَوْمُنَا يُصَلُّونَ للأوْثَانِ قَبْلَ مُحَمَّدَا[4]

(1) البيتان في معيد النعم: 78.
(2) دُجُنَّةٍ، في أنطاليا.
(3) في الله، في أنطاليا. والبيت في الانتخاب لكشف الأبيات المشكلة الإعراب: 29، ومعيد النعم: 78.
(4) البيت والخبر من معيد النعم: 78.

قال ابْنُ السُّبْكِيِّ: قال لي طالِبٌ نَحْوِيٌّ مَرَّةً، كَيْفَ نَصَبَ مُحمدًا وهو مُضافٌ إليه؟ فقلتُ: فَفَكِّرْ فإنَّ أحَدًا لم يُصَلِّ لِلنَّبِيِّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ لا قَبْلَ الأوْثانِ ولا بَعْدَها. والْجَوابُ: أنَّ آمَنَّا في الْبَيْتِ مَعْناهُ صَدَّقْنَا، ومُحَمَّدًا مفعولُ آمَنَّا، أي ومِنْ قَبْلُ صَدَّقْنَا مُحَمَّدًا، وقَدْ كانَ قَوْمُنا يُصَلُّونَ لِلْأَوْثانِ قَبْلَ، و"قَبْلَ" مَقْطوعَةٌ عن الإضافَةِ بُنِيَتْ على الْفَتْحِ وهي لُغَةٌ. واللُّغَةُ الْعالِيَةُ بِناؤُها على الضَّمِّ. وَقِيلَ: أَرادَ النَّكِرَةَ، أي قَبْلًا، ثم حَذَفَ التَّنْوِينَ مُضْطَرًّا.

وَقالَ آخَرُ: [البسيط]

فِرْعَوْنُ مَالِي وهَامَانُ الْأُلَى زَعَمُوا   أَنِّي بَخِلْتُ بِمَا يُعْطِيهِ قَارُونَا(1)

"فِرْ": فِعْلُ أَمْرٍ من وَفَرَ له الْعَطِيَّةَ، ومنه عَطاءٌ مَوْفُورٌ، وَعَوْنَةُ امْرَأةٌ رَخَّمَهَا فقال عَوْنُ. والْمَعْنى: أَعْطِ عَوْنَةَ مَالِي. وأَمَّا "وهَا" فَدُعاءٌ، من وَهَى يَهِي إذا ضَعُفَ. و"مَانُ" جَمْعُ مَانَةٍ: الْبَطْنُ، وهي أَسْفَلُ السُّرَّةِ. يَقولُ: ضَعُفَ مانُ الَّذِينَ زَعَمُوا أنِّي بَخِلْتُ، وَقارونُ الْمَفْعولُ الثَّانِي لِـ "يُعْطِيهِ"، وَالْأَوَّلُ الْهاءُ الْعائِدَةُ إلى ما الْموصولَةِ، وَفاعِلُ "يُعْطِيهِ" مُضْمَرٌ لِلْعِلْمِ به، كَأَنَّهُ يُريدُ يُعْطيهِ الله قارونَ.

وَاعْلَمْ أنَّ هذا بَحْرٌ لا ساحِلَ له. ولو اسْتَقْصَيْنَا هذا الْبابَ لَأَدَّى الْكِتابُ إلى الْإسْهَابِ. وَاللهُ أَعْلَمُ بالصَّوابِ.

---

(1) البيت في المسائل البصريات: 2/ 795، والانتخاب لكشف الأبيات المشكلة الإعراب: 71، والنقل من معيد النعم ومبيد النقم: 79.

فَصْلٌ في واضِعِ عِلْمِ النَّحْوِ:

يُرْوى أنه دَخَلَتْ بنتُ خُوَيْلِدٍ الأسَدِيِّ على مُعاوِيَةَ فقالت: إنَّ أَبويَ[1] مَاتَ، وتَرَكَ لي مالًا، بإمالَةِ مالِ. فاسْتَقْبَحَ منها معاويةُ ذلك. وبَلَغَ الْخَبَرُ عليًّا كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، فَرَسَمَ لِأَبِي الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ بابَ إنَّ، وبابَ الْإِضافَةِ، وَبابَ الْإِمالَةِ.

ثُمَّ سَمِعَ أبو الْأَسْوَدِ رَجُلًا يَقْرَأُ: ﴿أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾[2]، بِخَفْضِ "رَسُولُهُ"، فَصَنَّفَ بابَ الْعَطْفِ، وَبابَ النَّعْتِ.

ثُمَّ إنَّ ابْنَتَهُ قالَتْ له يومًا: يا أَبَتِ ما أَحْسَنُ السَّمَاءِ، على طَرِيقِ الِاسْتِفْهامِ. فقالَ: أي بُنَيَّةُ نُجُومُهَا فقالتْ: إنَّمَا أتَعَجَّبُ من حُسْنِهَا. فقالَ: قُولِي ما أَحْسَنَ السَّمَاءَ. وافْتَحِي فَمَكِ.

وَقالَتْ يومًا آخَرَ له: يا أبَتِ ما أشَدُّ الْحَرِّ. على لَفْظِ الِاسْتِفْهامِ. فقالَ لها: أي بُنَيَّة، وغُرَّةُ الْقَيْظِ، ومَعْمَعَانُ الصَّيْفِ. فَقالَتْ له: إنَّمَا أَتَعَجَّبُ منه. فقالَ لها: قُولِي: ما أَشَدَّ الْحَرَّ، بالنَّصْبِ. ثم صَنَّفَ بابَ التَّعَجُّبِ والِاسْتِفَهَامِ.

فَعُلِمَ من هذه الرِّواياتِ: أنَّ أَوَّلَ من وَضَعَ النَّحْوَ أبو الْأَسْوَدِ. أَخَذَهُ عن عَلِيِّ بنِ أبي طالِبٍ، كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ.

---

(1) أبي، في قونية ورئيس الكتاب.

(2) سورة التوبة، الآية: 3.

وأبو الْأَسْوَدِ، اسْمُهُ ظَالِمُ بنُ عَمْرِو بنِ ظالِمٍ، وقيلَ: ابْنُ سُفْيانَ بْنِ عَمْرِو ابْنِ حِلْسِ بْنِ نُفَاثَةَ بْنِ عَدِّي بْنِ الدِّئِلِ بْنِ بَكْرِ بْنِ كِنَانَةَ، أبو الأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ، الْكوفِيُّ الْمَوْلِدِ، الْبَصْرِيُّ الْمَنْشَأ. أَوَّلُ مَنْ أَسَّسَ النَّحْوَ.

كانَ مِنْ ساداتِ التَّابِعينَ، ومِنْ أَكْمَلِ الرِّجالِ رَأْيًا، وَأَسَدِّهِمْ عَقْلًا، شِيعِيًّا شاعِرًا، سَرِيعَ الْجَوابِ، ثِقَةً في حَديثِهِ.

رَوَى عن عُمَرَ، وعَلِيٍّ، وابنِ عَبَّاسٍ، وأبي ذَرٍّ، وغيرِهِمْ. وَرَوَى عنه ابْنُهُ، ويَحْيَى بْنُ يَعْمَرَ، وصَحِبَ عَلِيَّ بنَ أبي طالِبٍ، وَشَهِدَ معه صِفِّينَ. وقَدِمَ على مُعاوِيَةَ فأكْرَمَهُ، وأعْظَمَ جائِزَتَهُ. وَوَلِيَ قَضاءَ الْبَصْرَةِ. وهو أَوَّلُ مَنْ نَقَطَ الْمُصْحَفَ وَقَدْ أَسَنَّ.

وماتَ سنَةَ تِسْعٍ وسِتِّينَ لِلْهِجْرَةِ بِطاعونِ الْجارِفِ(1).

وتَخَرَّجَ بأبي الأسْوَدِ مُعَاذُ بنُ مُسْلِمٍ الْهَرَّاءُ، أبو مُسْلِمٍ، وقيلَ: أبو عَلِيٍّ، مولى مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ، وعَمُّ مُحَمَّدِ بْنِ سَارَةَ الرُّؤاسِيِّ، وهو أَوَّلُ مَنْ وَضَعَ التَّصريفَ، وَأَدَّبَ عَبْدَ الْمَلِكِ بنَ مَرْوانَ، وَوُلِدَ في أيَّامِهِ.

قالَ السُّيُوطِيُّ: وقد وَقَعَ في "**شَرْحُ الْقَواعِدِ**"، لِشَيْخِنا الْكَافِيَجِي: أَوَّلُ من وَضَعَ التَّصريفَ مُعاذُ بْنُ جَبَلٍ، وهو خَطَأٌ بلا شَكٍّ. وقد سَأَلْتُهُ عنه، فلم يُجِبْنِي بشيءٍ. وكان مُعاذُ شِيعِيًّا.

---

(1) بغية الوعاة: 2/ 22.

ماتَ سنَةَ سَبْعٍ وثَمانينَ ومِئَةٍ. وقيلَ: سَنَةَ تِسْعينَ، بِبَغْدادَ. وكانَ شَدَّ[1] أَسْنانَهُ بالذَّهَبِ من طولِ عُمُرِهِ، وَماتَ أَوْلادُهُ وأَوْلادُ أَوْلادِهِ وهو باقٍ. وَرَوَى عن جَعْفَرٍ الصَّادِقِ. وله كُتُبٌ في النَّحْوِ. عاشَ مِئَةً وَخَمْسِينَ سَنَةً[2].

وَقالَ ابْنُ النَّجَّارِ في "تاريخُ بَغْدادَ": كانَ مِنْ أَعْيانِ النُّحاةِ، أَخَذَ عنه أبو الْحَسَنِ الْكِسَائِيُّ وَغَيْرُهِ. وَرَوَى الْحَديثَ عن جَعْفَرٍ الصَّادِقِ، وعَطاءِ بنِ السَّائِبِ. رَوَى عنه: عبدُ الرَّحْمَنِ الْمُحَارِبِيُّ، والْحَسَنُ بنُ الْحُسَيْنِ الْكوفِيُّ. وَكانَ يَبِيعُ الثِّيَابَ الْهَرَوِيَّةَ، فَلِذَلِكَ قيلَ له: الْهَرَّاءُ[3].

ثُمَّ إنَّ أبا الْأَسْوَدِ خَلَّفَ خَمْسَةَ نَفَرٍ قَعَدُوا أَدَّبوا النَّاسَ:

- أَوَّلُهم: عَنْبَسَةُ بنُ مَعْدَانَ الْفِيلُ، ولم يَكُنْ فِيمَنْ أَخَذَ عنه النَّحْوَ أَبْرَعَ منه. ورَوَى الْأَشْعارَ سِيَّمَا جَريرٍ والْفَرَزْدَقِ. وَكانَ لِزِيَادِ بْنِ أَبِيهِ فِيلَةٌ يُنْفِقُ عليها كُلَّ يَوْمٍ عَشَرَةَ دَراهِمَ. فَقالَ مَعْدانُ: ادْفَعوها إِلَيَّ وَأَكْفيكُمُ الْمُؤْنَةَ، وَأُعْطيكُمْ عَشَرَةَ دَراهِمَ كُلَّ يَوْمٍ. فَدَفَعوهَا إِلَيْهِ. فَأَثْرَى، وَبَنَى قَصْرًا. فَلِذَا قِيلَ: مَعْدانُ الْفِيلُ[4].

وَقِيلَ: قَتَلَ مَعْدانُ فِيلًا لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عامِرِ بْنِ كُرَيْزٍ، فُسُمِّيَ مَعْدانَ الْفِيلَ.

---

(1) يَشُدُّ، في بغية الوعاة.

(2) النقل من المصدر نفسه: 2/ 291.

(3) المصدر نفسه: 2/ 292.

(4) المصدر نفسه: 2/ 233.

ـ **وَثانِيهِمْ**: مَيْمونُ الْأَقْرَنُ: أَخَذَ النَّحْوَ عن عَنْبَسَةَ، وَقيلَ عن أَبِي الْأَسْوَدِ، وأنَّ عَنْبَسَةَ أَخَذَ عنه[1].

ـ **وَثالِثُهُمْ**: يَحْيَى بْنُ يَعْمَرَ الْعَدْوَانِيُّ التَّابِعِيُّ. قالَ الْحاكِمُ: فَقِيهٌ، أَدِيبٌ، نَحْوِيٌّ مُبَرِّزٌ. سَمِعَ ابْنَ عُمَرَ وَجابِرًا وَأَبَا هُرَيْرَةَ. وَأَخَذَ النَّحْوَ عن أبي الْأَسْوَدِ. وَلَمَّا بَنَى الْحَجَّاجُ واسِطًا، سَأَلَ النَّاسَ ما عَيْبُها؟ قالوا: ما نَعْرِفُ عَيْبًا، وسَنَدُلُّكَ على من يَعْرِفُ عَيْبَهَا، يَحْيَى بنُ يَعْمَرَ. فَبَعَثَ إليه فَسَأَلَهُ فقالَ: بَنَيْتَها من غير مَالِكَ، ويَسْكُنُهَا غَيْرُ وَلَدِكَ. فَغَضِبَ الْحَجَّاجُ وقال: ما حَمَلَكَ على ذلك؟ قال: ما أَخَذَ الله تَعَالى على الْعُلَماءِ في عِلْمِهِمْ أن لا يَكْتُموا النَّاسَ حَديثًا. فَنَفاهُ إلى خُراسانَ، فَوَلَّاهُ قُتَيْبَةُ بنُ مُسْلِمٍ قَضاءَها، فَقَضَى في أَكْثَرِ بِلادِها، نَيْسابورَ، ومَرْوَ، وهَرَاةَ، وآثارُهُ ظاهِرَةٌ[2].

وقيلَ: كان يَحْيَى أديبًا فَقيهًا، خَدَمَ الْعَبادِلَةَ، واسْتَقْضاهُ الْخُلَفاءُ الْأُمَوِيُّونَ.

ـ **وَرابِعُهُمْ وَخامِسُهُمْ**: ابْنَا أَبِي الْأَسْوَدِ عَطاءٌ وأبو حَرْبٍ، ثُمَّ خَلَّفَ هَؤُلاءِ رِجالًا.

ـ **أَحَدُهُمْ**: عَبْدُ الله بْنُ أَبِي إسْحاقَ زَيْدٍ الْحَضْرَمِيُّ: أَحَدُ الْأَئِمَّةِ في الْقِراءاتِ وَالْعَرَبِيَّةِ. أَخَذَ الْقِراءاتِ عن يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، وَنَصْرِ بْنِ عاصِمٍ. وَرَوَى عَنْ أَبِيهِ زَيْدٍ عن جَدِّهِ الْحَارِثِ عن عَلِيٍّ. وتَناظَرَ هو وأبو عَمْرِو بنُ الْعَلَاءِ.

---

(1) بغية الوعاة: 2/ 309.

(2) المصدر نفسه: 2/ 345.

قال السِّيرافِيُّ: وكانَ أَشَدَّ تَجْويدًا لِلْقِياسِ، وأبو عَمْرٍو أوْسَعَ عِلْمًا بِكَلامِ الْعَرَبِ ولغاتِهَا.

قال: وسُئِلَ عن يونُسَ، فقال: هو والنَّحْوُ سواءٌ. أي هو الْغايَةُ فيه.

قال: وكانَ يَطْعَنُ على الْعَرَبِ، ويَعيبُ الْفَرَزْدَقَ، ويَنْسُبُهُ إلى اللَّحْنِ، فَهَجاهُ الْفَرَزْدَقُ بِقَوْلِهِ: [الطويل]

وَلَوْ كـانَ عَبْـدُ اللهِ مَوْلًى هَجَوْتُـهُ ... ولَكِنَّ عَبْـدَ اللهِ مَوْلَـى مَوَالِيَـا[1]

فقالَ له: لَحَنْتَ. يَنْبَغِي أنْ تقولَ: مَوْلَى مَوالٍ. وكان مَوْلَى آلِ الْحَضْرَمِيِّ[2]، وهُمْ حُلَفاءُ لبني عَبْدِ شَمْسٍ.

مات سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ ومِئَةٍ. عن ثَمانٍ وثَمانينَ سَنَةً[3].

وَثانيهم: عِيسَى بنُ عُمَرَ الثَّقَفِيُّ أبو عَمْرٍو، مَوْلَى خالِدِ بن الْوَليدِ، نَزَلَ في ثَقيفٍ، فَنُسِبَ إليهم. إمامٌ في النَّحْوِ والصَّرْفِ والْقِراءَةِ، مَشْهورٌ، أَخَذَ عن أبي عَمْرِو بنِ الْعَلاءِ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ أبي إِسْحاقَ. وروى عن الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، والْعَجَّاجِ بنِ رُؤْبَةَ، وجَماعَةٍ. وأَخَذَ عنه الْأَصْمَعِيُّ وغَيْرُهُ.

وَصَنَّفَ في النَّحْوِ: الْإِكْمالَ، والْجامِعَ.

قالَ السِّيرافِيُّ: ولم يَقَعا إِلَيْنَا، ولا رَأَيْنا أَحَدًا ذَكَرَ أَنَّهُ رَآهُما. **وَيُقالُ**: إنَّ له نَيِّفًا وَسَبْعينَ مُصَنَّفًا ذَهَبَتْ كُلُّها. وَكانَ يَتَقَعَّرُ في كَلامِهِ.

---

(1) ديوان الفرزدق: 263.

(2) مولى الحضرمي، في مراد ملا.

(3) بغية الوعاة: 2/ 42.

حَكَى عنه الْجَوْهَرِيُّ في الصَّحاحِ وَغَيْرُهُ: أَنَّهُ سَقَطَ عن حِمارٍ فَاجْتَمَعَ عليه النَّاسُ فَقالَ: ما لي أَراكُمْ تَكَأْكَأْتُمْ عَلَيَّ تَكَأْكُؤَكُمْ على ذي جِنَّةٍ، افْرَنْقِعُوا عَنِّي.

واتَّهَمَهُ عَمْرُو بنُ هُبَيْرَةَ بِوَديعَةٍ فَضَرَبَهُ نَحْوَ أَلْفِ سَوْطٍ. فَجَعَلَ يقولُ: والله إنْ كانَتْ إلا أُثَيَّابًا في أُسَيْفَاطٍ قَبَضَهَا عَشَّارُوكَ.

ماتَ سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ أو خَمْسينَ وَمِئَةٍ[1].

- وَثالِثُهُمْ: أبو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ بنِ عَمَّارِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْمَازِنِيُّ النَّحْوِيُّ الْمُقْرِئُ، أَحَدُ الْقُرَّاءِ السَّبْعَةِ الْمَشْهورينَ. اخْتُلِفَ في اسْمِهِ على أَحَدٍ وعِشْرينَ قَوْلًا، والْأَصَحُّ أنَّ اسْمَهُ رَيَّانُ[2]. وسَبَبُ الِاخْتِلافِ أَنَّهُ كانَ لِجَلالَتِهِ لا يُسْأَلُ عنه. كانَ إِمامَ أَهْلِ الْبَصْرَةِ في الْقِراءَةِ والنَّحْوِ واللُّغَةِ.

أَخَذَ عَنْ جَماعَةٍ مِنَ التَّابِعينَ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ على سَعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ومُجاهِدٍ. ورَوَى عن أَنَسِ بنِ مالِكٍ، وأبي صالِحٍ السَّمَّانِ، وعَطاءٍ، وطائِفَةٍ.

قالَ أبو عُبَيْدَةَ: أبو عَمْرٍو أَعْلَمُ النَّاسِ بالْقِراءاتِ والْعَرَبِيَّةِ وأيامِ الْعَرَبِ والشِّعْرِ. وكانتْ دَفاتِرُهُ مِلْءَ بَيْتِهِ إلى السَّقْفِ، ثمَّ تَنَسَّكَ فَأَحْرَقَها.

وكان مِنْ أشْرافِ الْعَرَبِ وَوُجوهِها. مَدَحَهُ الْفَرَزْدَقُ. وَوَثَّقَهُ يَحْيَى بن مَعينٍ وغيرُهُ.

---

(1) بغية الوعاة: 2/ 238.

(2) في المصدر نفسه: 2/ 231: زبان، وهو كذلك في غيرها من المصادر.

وقال الذَّهَبِيُّ: قَليلُ الرِّوايَةِ لِلْحَديثِ. وهو صَدوقٌ، حُجَّةٌ في الْقِراءَةِ.

وكان نَقْشُ خاتَمِهِ: [الطويل]

وإنَّ امْرَأً دُنْياهُ أَكْبَرُ هَمِّهِ لَمُسْتَمْسِكٌ منها بِحَبْلِ غُرورِ[1]

قَرَأَ عليه الْيَزيدِيُّ، وعبدُ اللهِ بن الْمُبارَكِ، وخَلْقٌ. وأَخَذَ عنه الأدَبَ وغيرَه أبو عُبَيْدَةَ، والْأَصْمَعِيُّ، وخَلْقٌ.

وَقالَ سُفْيانُ بنُ عُيَيْنَةَ: رَأيتُ النَّبِيَّ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ في النَّوْمِ، فقلتُ: يا رَسولَ الله، قد اخْتَلَفَتْ عَلَيَّ الْقِراءاتُ فَبِقِراءَةِ مَنْ تَأْمُرُني؟ فقال: بِقِراءَةِ أبي عَمْرِو بنِ الْعَلاءِ.

ماتَ سنَةَ أربعٍ أو تِسْعٍ وخَمْسينَ ومِئَةٍ[2].

ثُمَّ خَلَفَهُمْ: الْخَليلُ بنُ أحْمَدَ، وقد سَبَقَ تَرْجَمَتُهُ. ويُقالُ له: فَيْلَسوفُ الْوَقْتِ. فاقَ مَنْ قَبْلَهُ وما أدْرَكَهُ مَنْ بَعْدَهُ.

ثم أخَذَ عنه[3] سِيبَوَيْهِ، وجَمَعَ العلومَ الّتي اسْتَفادَها منه في "كِتابِهِ"، فجاءَ كِتابُهُ أحْسَنَ من كُلِّ كِتابٍ صُنِّفَ في النَّحْوِ إلى الآن.

وَلِلَّه دَرُّ الْقائِلِ: [الوافر]

ألَا صَلَّى الْمَليكُ صَلَاةَ صِدْقٍ على عَمْرِو بنِ عُثْمانَ بْنِ قَنْبَرْ[4]

---

(1) البيت في طبقات النحويين واللغويين: 38، ومعجم الأدباء: 3/ 1318، ووفيات الأعيان: 3/ 118.

(2) بغية الوعاة: 2/ 231.

(3) منه، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(4) البيتان للزمخشري وهما في البلغة: 224، وبغية الوعاة: 2/ 230.

فَـإِنَّ كِـتَـابَـهُ لَـمْ يُـغْـنِ عَـنْـهُ ذَوُو قَـلَـمٍ ولا أَبْـنَـاءُ مِـنْـبَـرْ

وسِيبَوَيْهِ، وهو عَمْرُو بن عُثْمانَ بنِ قَنْبَرٍ، إمامُ الْبَصْرِيِّينَ أبو بِشْرٍ، وقيلَ: أبو الْحَسَنِ مولى بني الْحارِثِ بنِ كَعْبٍ، ثُمَّ تَوَلَّى الرَّبيعَ بنَ زَيادٍ الْحارِثِيَّ.

وَسِيبَوَيْهِ لَقَبٌ، ومَعْناهُ: رائِحَةُ التُّفَّاحِ. وَقيلَ: كانَتْ أُمُّهُ تُرَقِّصُهِ بِذَلِكَ فِي صِغَرِهِ. وَقيلَ: كانَ يُشَمُّ منه رائِحَةُ الطِّيبِ بِذَلِكَ سُمِّيَ. وَقِيلَ: كانَ يَعْتادُ شَمَّ التُّفَّاحِ. وَقيلَ: سُمِّيَ بِذَلِكَ لِنَظافَتِهِ، لِأَنَّ التُّفاحَ مِنْ لَطيفِ الْفَوَاكِهِ.

كانَ أَصْلُهُ مِنَ الْبَيْضاءِ، مِنْ أَرْضِ فارِسَ، وَنَشَأَ بِالْبَصْرَةِ.

وَأَخَذَ عن الْخَليلِ، وَيونُسَ، وَأَبِي الْخَطَّابِ الْأَخْفَشِ، وعيسى بنِ عُمَرَ. وسَبَبُ طَلَبِهِ النَّحْوَ أنه كان يَسْتَمْلِي على حَمَّادِ بنِ سَلَمَةَ الْحَديثَ، فقالَ يَوْمًا: قالَ رَسولُ الله صلَّى الله عليه وسَلَّمَ: «ما أَحَدٌ مِنْ أَصْحابِي إلَّا وَقَدْ أَخَذْتُ عليه ليسَ أبا الدَّرْداءِ»[1].

فقال سِيبَوَيْهِ: ليس أبو الدَّرْداءِ. فقال حَمَّادُ: لَحَنْتَ يا سِيبَوَيْهِ، فقال: لا جَرَمَ، لَأَطْلُبَنَّ عِلْمًا لا تُلَحِّنُنِي فيه أبَدًا، ثم لَزِمَ الْخَليلَ. انْتَهى ما ذَكَرَهُ السِّيرافِيُّ.

قال أبو عُبَيْدَةَ: قيل ليونُسَ بعد مَوْتِ سِيبَوَيْهِ: إن سِيبَوَيْهِ صَنَّفَ كِتابًا في أَلْفِ وَرَقَةٍ من عِلْمِ الْخَليلِ فاسْتَبْعَدَ هذا. فلما نَظَرَ في كِتابِهِ قال: يَجِبُ أن يكونَ صَدَقَ فيما حَكاهُ عن الْخَليلِ، كما صَدَقَ فيما حَكاهُ عَنِّي.

---

(1) أخبار النحويين البصريين للسيرافي: 35، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: 2/ 67، وأدب الإملاء والاستملاء: 105، والنقل من بغية الوعاة: 1/ 548.

ويُحْكى أَنَّهُ تَخَرَّقَ كِتابُهُ في كُمِّ الْمَازِنِيِّ بِضْعَ عَشْرَةَ مَرَّةً.

وَكانَ الْمُبَرِّدُ يَقولُ لِمَنْ أَرادَ أَنْ يَقْرَأَهُ عليه: هَلْ رَكِبْتَ الْبَحْرَ؟ تَعْظيمًا واسْتِصْعابًا.

قال بَعْضُهُمْ: كُنْتُ عِنْدَ الْخَليلِ فَأَقْبَلَ سِيبَوَيْهِ فَقالَ: مَرْحَبًا بِزائِرٍ لا يُمَلُّ. قالَ: وما سَمِعْتُ الْخَليلَ يَقولُهَا لغَيْرِهِ، وَكانَ شابًّا نَظيفًا جَميلًا، وَكانَ في لِسانِهِ حُبْسَةٌ، وقَلَمُهُ أَبْلَغُ مِنْ لِسانِهِ.

قالَ الْجَرْمِيُّ: في كِتابِهِ أَلْفٌ وَخَمْسون بَيْتًا، سَأَلْتُ عنها، فَعُرِفَ أَلْفٌ ولم يُعْرَفْ خَمْسونَ.

حُكِيَ أَنَّهُ وَرَدَ بَغْدَادَ على يَحْيَى الْبَرْمَكِيِّ، فَتَناظَرَ هو والْكِسائِيّ في قولِهِمْ: كُنْتُ أظُنُّ أنَّ الْعَقْرَبَ أَشَدُّ لَسْعَةً من الزُّنْبورِ. فإذا هُوَ هِيَ، أوْ هُوَ إيَّاهَا. فاخْتارَ سِيبَوَيْهِ الرَّفْعَ ولم يُجَوِّزِ النَّصْبَ. وقال الْكِسائِيُّ: أَخْطَأْتَ، الْعَرَبُ تَرْفَعُ ذلك وتَنْصِبُهُ، وجَعَلَ يورِدُ أمْثِلَتَهُ من ذلك، خَرَجْتُ فإذا زَيْدٌ قائِمٌ أو قائِمًا، وسِيبَوَيْهِ يَمْنَعُ النَّصْبَ. فقال يحيى: قدِ اخْتَلَفْتُما وأنتما رَئيسَا بَلَدَيْكُما فَمَنْ يَحْكُمُ بينكما؟ فقال الْكِسائِيُّ: هذه الْعَرَبُ ببابِكَ، قد وَفَدوا عليكَ، وهُمْ فُصَحاءُ النَّاسِ. فقال يَحْيَى: أَنْصَفْتَ. فَسُئِلوا فَاتَّبَعوا الْكِسائِيَّ، فَاسْتَكانَ سِيبَوَيْهِ. وَقالَ سِيبَوَيْهِ: أَيُّها الْوَزيرُ مُرْهُمْ أنْ يَنْطِقوا بذلك، فإنَّ أَلْسِنَتَهُمْ لا تُطاوِعُ خِلافَ الصَّوابِ. وَكانُوا إنَّما قالوا: الصَّوابُ ما قالَهُ هذا الشَّيْخُ.

يُقالُ: إنَّ هَؤُلاءِ الْأَعْرابَ قد أُرْشُوا على تَرْجيحِ جانِبِ الْكِسائِيِّ. فقال الْكِسائِيُّ لِيَحْيَى: أَصلَحَ اللهُ الْوَزِيرَ، إنَّهُ قد وَفَدَ عليكَ من بَلَدِهِ مُؤَمِّلًا، فإنْ رَأَيْتَ أن لا تَرُدَّهُ خائِبًا، فَأَمَرَ له بِعَشَرَةِ آلافِ دِرْهَمٍ. فَخَرَجَ إلى فارِسَ، ولم تَطُلْ مُدَّتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ. **وَماتَ** بِالْبَيْضاءِ، وَقِيلَ: بِشيرازَ سَنَةَ ثَمانينَ ومِئَةٍ.

قالَ الْخَطيبُ: وَعُمُرُهُ اثْنَتانِ وثَلاثونَ سَنَةً. وَقِيلَ: نَيَّفَ على الْأَرْبعينَ. وقيلَ: **ماتَ** بِالْبَصْرَةِ سنَةَ إحْدى وَسِتِّينَ. وقيلَ: سنَةَ ثَمانٍ وَثَمانينَ.

وقالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: **ماتَ** بِسَاوَةَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وتِسْعينَ(1).

قيلَ: إذا رأيتَ سِيبَوَيْهِ يَقولُ: سَأَلْتُ يونُسَ، فهو ابنُ حَبيبٍ. وإذا رأيْتَهُ يقولُ: حَدَّثَنِي الثِّقَةُ، فهو أبو زَيْدٍ أَوْسٌ الأنْصارِيُّ.

وأمّا عَلِيُّ بْنُ حَمْزَةَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عُثْمانَ الإمامُ أبو الْحَسَنِ الْكِسائِيُّ، من وَلَدِ بَهْمَنَ بْنِ فَيْروزَ، مَوْلَى بني أَسَدٍ، إمَامُ الْكوفِيِّينَ في النَّحْوِ واللُّغَةِ، وَأَحَدُ الْقُرَّاءِ السَّبْعَةِ الْمَشْهورينَ. وما ظَنُّكَ بِرَجُلٍ غُلامُهُ الْفَرَّاءُ!

وسُمِيَّ الْكِسائِيَّ لِأَنَّهُ أَحْرَمَ في كِساءٍ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ.

وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْكوفَةِ، واسْتَوْطَنَ بَغْدادَ. وَقَرَأَ على حَمْزَةَ، ثُمَّ اخْتارَ لِنَفْسِهِ قِراءَةً، وسَمِعَ من سُلَيْمانَ بْنِ أَرْقَمَ، وأبي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ.

قال الْخَطِيبُ: وتَعَلَّمَ النَّحْوَ على كِبَرٍ، فَلَزِمَ مُعاذًا الْهَرَّاءَ حَتَّى أَنْفَدَ ما عندَهُ. وَخَدَمَ أبا عَمْرِو بنَ الْعَلَاءِ نَحْوًا من سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً، ثم خَرَجَ إلى

(1) بغية الوعاة: 2/ 229-230

الْبَصْرَةِ، فَلَقِيَ الْخَليلَ، وجَلَسَ في حَلْقَتِهِ، فقالَ له رَجُلٌ من الأعْرابِ: تَرَكْتَ أسَدَ الْكوفَةِ وتَميمًا وعندهما الْفَصاحَةُ، وجِئْتَ إلى البَصْرَةِ. فقالَ لِلْخَليلِ: من أيْنَ أخَذْتَ عِلْمَكَ هذا؟ فقال: مِنْ بَوادِي الْحِجازِ ونَجْدٍ وتِهامَةَ، فَخَرَجَ وَرَجَعَ وَقَدْ أَنْفَدَ خَمْسَ عَشْرَةَ قِنِّينَةً حِبْرًا في الْكِتابَةِ عن الْعَرَبِ، سِوى ما حَفِظَ. فقَدِمَ الْبَصْرَةَ فوَجَدَ الْخَليلَ قد ماتَ، وفي موضِعِهِ يونُسُ. فَمَرَّتْ بينَهُما مَسائِلُ أَقَرَّ له فيها بِالْفَضْلِ يونُسُ وَصَدَّرَهُ[1] في مَوْضِعِهِ.

وَقالَ ابْنُ الْأَعْرابِيِّ: كانَ الْكِسائِيُّ أَعْلَمَ النَّاسِ، ضابِطًا عالِمًا بالْعَرَبِيَّةِ، قارِئًا صَدوقًا، إلَّا أَنَّهُ كانَ يُديمُ شُرْبَ النَّبيذِ، وَيَأْتِي الْغِلْمانَ، وَأَدَّبَ وَلَدَ الرَّشيدِ. وَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ أبي يوسُفَ الْقاضِي مَجالِسُ حَكَيْناها في **طَبَقاتِ النُّحاةِ**[2].

وَقالَ ابْنُ دُرُسْتَوَيْهِ: كانَ الْكِسائِيُّ يَسْمَعُ الشَّاذَّ الَّذِي لا يَجوزُ إلَّا في الضَّرورَةِ، فَيَجْعَلُهُ أَصْلًا، فَيَقيسُ عليه، وَاخْتَلَطَ بِأَعْرَابِ الْأُبُلَّةِ[3]، فَأَفْسَدَ بِذَلِكَ النَّحْوَ.

صَنَّفَ: **"مَعانِي الْقُرْآنِ"، مُخْتَصَرًا في النَّحْوِ، "الْقِراءاتُ"، "النَّوادِرُ الكبيرُ"، "الأَوْسَطُ"، "الأَصْغَرُ"، "الْعَدُّ والْهِجاءُ"، "الْمَصادِرُ"، "الْحُروفُ"، "أَشْعارُ الْمُعاياةِ**[4]". وغَيْرَ ذلِكَ.

---

(1) وقَدَّمَهُ وصدَّرهُ، في قونية.

(2) الطبقات الكبرى، في بغية الوعاة: 2/ 162.

(3) الأبلّة: بلدة على شاطئ دجلة البصرة. معجم البلدان: 1/ 76.

(4) أشعار المعاياة وطرائقها، في معجم الأدباء: 4/ 1752، وعايى صاحبه معاياة إذا ألقى عليه كلاماً أو عملاً لا يهتدي لوجهه. وتقول: إياك ومسائل المعاياه، فإنها صعبة المعاناه. أساس البلاغة: 1/ 691.

وَماتَ هو ومُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بِالرَّيِّ في يَوْمٍ واحِدٍ. وكانا خَرَجا مع الرَّشيدِ فقال: دَفَنْتُ النَّحْوَ والْفِقْهَ[1] في يومٍ واحِدٍ. وذلك سنَةَ ثِنْتَيْنِ أو ثَلاثٍ أو تِسْعٍ وثَمانينَ ومِئَةٍ، أو اثْنَتَيْنِ وتِسْعينَ ومِئَةٍ[2].

ثمَّ صارَ النَّاسُ فَريقَيْنِ: كوفِيًّا، وشَيْخُهُمُ الْكِسائِيُّ وتِلْميذُهُ الْمُبَرِّدُ. وبَصْرِيًّا، وشَيْخُهُمْ سِيبَوَيْهِ والْأَخْفَشُ تِلْميذُهُ.

أَمَّا الْمُبَرِّدُ، فهو مُحَمَّدُ بنُ يَزيدَ بنِ عَبْدِ الْأَكْبَرِ الأزْدِيُّ الْبَصْرِيُّ، أبو الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدُ، إمامُ الْعَرَبِيَّةِ ببغدادَ في زَمانِهِ. أَخَذَ عن الْكِسائِيِّ، والأزْدِيِّ، وأبي حاتِمٍ السِّجِسْتانِيِّ.

وَرَوَى عنه إِسْماعيلُ الصَّفَّارُ[3] وَنِفْطَوَيْهِ والصُّولِيُّ، وكان فَصيحًا بَليغًا مُفَوَّهًا، ثِقَةً أَخْبارِيًّا عَلَّامَةً، صاحِبَ نَوادِرَ وظَرافَةٍ، وكان جَميلًا لا سِيَّمَا في صِباهُ.

وَكانَ النَّاسُ بِالْبَصْرَةِ يَقولونَ: ما رَأَى الْمُبَرِّدُ مِثْلَ نَفْسِهِ.

ولمَّا صَنَّفَ الْمَازِنِيُّ "كِتابُ الْأَلِفِ واللَّامِ"، سَأَلَ الْمُبَرِّدَ عن دَقيقِهِ وعَويصِهِ، فَأَجابَهُ بِأَحْسَنِ جَوابٍ. فقال له: قُمْ فأنتَ الْمُبَرِّدُ بكسرِ الرَّاءِ، الْمُثْبِتُ لِلْحَقِّ، فَغَيَّرَهُ الْكوفِيونَ، وفَتَحُوا الرَّاءَ[4].

(1) الفقه والنحو، في قونية.

(2) بغية الوعاة: 2/ 162-164.

(3) أَبُو عَلِيٍّ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الصَّفَّارُ، عالم بالنحو وغريب اللغة، (ت.341هـ)، ترجمته في: تاريخ بغداد: 7/ 301، نزهة الألباء في طبقات الأدباء: 211، معجم الأدباء: 2/ 732، إنباه الرواة: 1/ 246.

(4) بغية الوعاة: 1/ 269.

وله من التَّصانيفِ: "مَعانِي الْقُرْآنِ"، "الْكامِلُ"، "الْمُقْتَضَبُ"، "الرَّوْضَةُ"، "الْمَقْصورُ والْمَمْدودُ"، "الِاشْتِقاقُ"، "الْقَوافِي"، "إِعْرابُ الْقُرْآنِ"، "نَسَبُ عَدْنانَ وقَحْطانَ"، "الرَّدُّ على سِيبَوَيْهِ"، "شَرْحُ شَواهِدِ الْكِتابِ"، "ضَرورَةُ الشِّعْرِ"، "الْعَروضُ"، "ما اتَّفَقَ لَفْظُهُ وَاخْتَلَفَ مَعناهُ"، "طَبَقاتُ النُّحاةِ الْبَصْريينَ"، وغَيْرُ ذلِكَ.

قالَ السِّيرافِيُّ: وَكانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ثَعْلَبٍ مِنَ الْمُنافَرَةِ ما صارَ مَثَلًا حَتَّى قالَ الشَّاعِرُ: [الطويل]

فَأَبْدَانُنا في بَلْدَةٍ والْتِقاؤُنا عَسيرٌ كَأَنَّا ثَعْلَبٌ وَمُبَرِّدُ[1]

وأَمَّا الْأَخْفَشُ تِلْمِيذُ سِيبَوَيْهِ، فهو سَعِيدُ بنُ مَسْعَدَةَ، أبو الْحَسَنِ الْأَخْفَشُ الْأَوْسَطُ، وهو أَحَدُ الْأَخافِشِ الثَّلاثَةِ الْمَشْهورينَ، إِلَّا أَنَّ الْحَقَّ أَنَّ الأخافِشَ أَرْبَعَةٌ وسَنَذْكُرُهُمْ.

كان مَوْلى بني مُجاشِعِ بنِ دارِمٍ[2]، مِنْ أَهْلِ بَلْخَ. وَكانَ أَضْلَعَ[3] لا يَنْطَبِقُ شَفَتاهُ على لِسانِهِ. سَكَنَ الْبَصْرَةَ، وَقَرَأَ النَّحْوَ على سِيبَوَيْهِ، وَكانَ أَسَنَّ مِنْهُ. ولم يَأْخُذْ عن الْخَليلِ.

وكانَ مُعْتَزِلِيًّا، حَدَّثَ عن الْكَلْبِيِّ، والنَّخَعِيِّ، وهِشامِ بنِ عُرْوَةَ. ورَوَى عنه أبو حاتِمٍ السِّجِسْتَانِيُّ. ودَخَلَ بَغْدادَ، وأَقامَ بها مُدَّةً. ورَوَى وصَنَّفَ بها.

---

(1) البيت مستل من مقطعة أوردها صاحب بغية الوعاة في ترجمة المبرد: 1/ 269.

(2) مُجاشِعُ بنُ دارِمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ مَناةَ بْنِ تَميمٍ. أنساب الأشراف: 1/ 538.

(3) يُقَالُ: رَجُلٌ ضَليعُ الثَّنَايَا غَلِيظُهَا. اللسان: ضلع.

قالَ: ولمَّا ناظَرَ سِيبَوَيْهِ الْكِسائِيَّ ورَجَعَ، وجَّهَ إليَّ فَعَرَّفَنِي خَبَرَهُ، ومَضى إلى الأهْوازِ وَوَدَّعَني. فَوَرَدْتُ بَغْدادَ فرأيتُ مَسْجِدَ الْكِسائِيِّ، فَصَلَّيْتُ خَلْفَهُ الْغَداةَ. فلمَّا انْفَتَلَ[1] من صَلاتِهِ، وقَعَدَ، وبينَ يَدَيْهِ الْفَرَّاءُ والْأَحْمَرُ وابْنُ سَعْدانَ[2]، سَلَّمْتُ عليه، وسَأَلْتُهُ عن مِئَةِ مَسْأَلَةٍ، فَأَجابَ بِجَواباتٍ خَطَّأْتُهُ في جَميعِها، فَأَرادَ أَصْحابُهُ الْوُثوبَ عَلَيَّ، فَمَنَعَهُمْ عَنِّي، ولم يَقْطَعْنِي ما رَأَيْتُهُمْ عليه مِمَّا كُنْتُ فيه. وَلَمَّا فَرَغْتُ قالَ لي: بِاللهِ أَنْتَ أبو الْحَسَنِ سَعيدُ بنُ مَسْعَدَةَ؟ فَقُلْتُ: نعم. فَقام إِلَيَّ، وَعانَقَنِي، وَأَجْلَسَني إلى جَنْبِهِ، ثُمَّ قالَ لِي: أَوْلادُ أُحِبُّ أَنْ يَتَأَدَّبوا بكَ، وَيَتَخَرَّجُوا عَلَيْكَ، وَتكونَ مَعِي[3] غَيْرَ مُفارِقٍ لي، فَأَجَبْتُهُ إلى ذَلِكَ. فَلَمَّا اتَّصَلَتِ الْأَيَّامُ بِالِاجْتِماعِ، سَأَلَنِي أَنْ أُؤَلِّفَ له كِتابًا في مَعانِي الْقُرْآنِ، فَأَلَّفْتُ كِتابًا في الْمَعاني فَجَعَلَهُ إمامَهُ، وَعَمِلَ عليه كِتابًا في الْمَعانِي، وَعَمِلَ الْفَرَّاءُ كِتابًا في ذَلِكَ عَلَيْهِما. وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْكِسائِيُّ كِتابَ سِيبَوَيْهِ سِرًّا، وَوَهَبَ له سَبْعِينَ دِينارًا[4].

وَكانَ الْأَخْفَشُ أَعْلَمَ النَّاسِ بِالْكَلامِ، وَأَحْذَقَهُمْ بِالْجَدَلِ.

صَنَّفَ: **"الْأَوْسَطُ في النَّحْوِ"، "مَعانِي الْقُرْآنِ"، "الْمَقاييسُ في النَّحْوِ"، "الاشْتِقاقُ"، "الْمَسائِلُ الْكَبِيرُ"، "الصَّغير"، "الْعَروضُ"، "الْقَوافي"، "الْأَصْواتُ"**. وَغَيْرُ ذلكَ.

---

(1) يُقَالُ: انفَتَلَ فُلَانٌ عَنْ صَلاتِهِ أي انْصَرَفَ. اللسان: فتل.

(2) محمد بن سعدان الضرير، أبو جعفر الكوفي النحوي المقرئ (ت. 231هـ)، ترجمته في: طبقات النحويين للزبيدي: 139، إنباه الرواة: 3/ 140، بغية الوعاة: 1/ 111.

(3) لي، في قونية.

(4) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي: 70، إنباه الرواة: 2/ 37، والنقل من بغية الوعاة: 1/ 590.

مات سَنَةَ عَشْرٍ[1]، أو إحْدَى وعِشْرينَ، أو خَمْسَ عَشْرَةَ ومِئَتَيْنِ.

فائِدَةٌ:

الْأَخافِشُ ثَلاثَةٌ: الْأَكْبَرُ، عَبْدُ الْحَميدِ بْنُ عَبْدِ الْمَجِيدِ، والْأَوْسَطُ، سَعيدُ ابنُ مَسْعَدَةَ، وَالْأَصْغَرُ، عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمانَ.

وَقِيلَ: أَرْبَعَةٌ: وَالرَّابِعُ أَحْمَدُ بْنُ عِمْرانَ.

وَقِيلَ: أَحَدَ عَشَرَ؛ وَالْخامِسُ: أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَوْصِلِيُّ، والسَّادِسُ: خَلَفُ بنُ عُمَرَ، والسَّابِعُ: عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَالثَّامِنُ: عَبْدُ الْعَزيزِ بْنُ أَحْمَدَ، والتَّاسِعُ: عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الْمَغْرِبِيُّ الشَّاعِرُ، والْعاشِرُ: عَلِيُّ بنُ إسْماعيلَ الْفاطِمِيُّ، والحادي عَشَرَ: هارونُ بنُ موسى بنُ شُرَيكٍ.

ومن جُمْلَةِ تَلامِذَةِ سِيبَوَيْهِ:

قُطْرُبٌ، مُحَمَّدُ بنُ الْمُسْتَنيرِ أبو عَلِيٍّ النَّحْوِيُّ. لازَمَ سيبَوَيْهِ، وكان يُدْلِجُ إليهِ، فإذا خَرَجَ رَآهُ على بابِهِ، فقالَ له: ما أَنْتَ إلا قُطْرُبُ لَيْلٍ، فَلُقِّبَ به.

وَأَخَذَ عن عِيسَى بْنِ عُمَرَ. وَكانَ يَرَى رَأْيَ الْمُعْتَزِلَةِ النَّظَّامِيَّةِ، فَأَخَذَ عَنِ النَّظَّامِ مَذْهَبَهُ. وَاتَّصَلَ بِأَبِي دُلَفٍ الْعِجْلِيِّ، وَأَدَّبَ وَلَدَهُ. ولم يَكُنْ ثِقَةً.

قالَ ابْنُ السِّكِّيتِ: كَتَبْتُ عنه قِمَطْرًا، ثم تَبَيَّنْتُ أنه يَكْذِبُ في اللُّغَةِ، فلم أَذْكُرْ عنه شيئًا.

---

(1) إحدى عشر، في قونية.

وله مِنَ التَّصانيفِ: "**مَعانِي الْقُرْآنِ**"، لم يُسْبَقْ إِلَيْهِ، وَعَلَيْهِ احْتَذَى الْفَرَّاءُ، "**الِاشْتِقاقُ**"، "**الْقَوافِي**"، "**المُثَلَّثُ**"، "**النَّوادِرُ**"، "**الصِّفاتُ**"، "**الْأَصْواتُ**"، "**الْعِلَلُ في النَّحْوِ**"، "**الْأَضْدادُ**"، "**الْهَمْزُ**"، "**خَلْقُ الإنسانِ**"، "**خَلْقُ الْفَرَسِ**"، "**إعْرابُ الْقُرْآنِ**"، "**الْمُصَنَّفُ الْغَرِيبُ**" في اللُّغَةِ، "**مَجازُ الْقُرْآنِ**". وَغَيْرُ ذَلِكَ.

ماتَ سنَةَ سِتٍّ ومِئَتَيْنِ.

ثُمَّ جاءَ صالِحُ بنُ إسحاقَ أبو عَمْرٍو الْجَرْمِيُّ الْبَصْرِيُّ، مَوْلَى جَرْمِ بنِ رَيَّانَ، مِنْ قَبائِلِ الْيَمَنِ. وَكانَ يُلَقَّبُ بِالْكَلْبِ، وبِالنَّبَّاحِ لِصُياحِهِ حالَ مُناظَرَةِ أبي زَيْدٍ.

قالَ الْخَطيبُ: كانَ فَقيهًا عالِمًا بالنَّحْوِ واللُّغَةِ، دَيِّنًا، وَرِعًا، حَسَنَ الْمَذْهَبِ، صَحيحَ الِاعْتِقادِ. قَدِمَ بَغْدادَ، وأَخَذَ عن الأَخْفَشِ ويونُسَ، واللُّغَةَ عن الْأَصْمَعِيِّ وأبي عُبَيْدَةَ.

وَحَدَّثَ عنه الْمُبَرِّدُ، وكان جَليلًا في الْحَديثِ والأَخْبارِ، وَناظَرَ الْفَرَّاءَ، وانْتَهى إليه عِلْمُ النَّحْوِ في زَمانِهِ.

وَماتَ سنَةَ خَمْسٍ وعِشْرينَ ومِئَتَيْنِ.

وله مِنَ التَّصانِيفِ: "**التَّنْبيهُ**"، وغَيْرُهُ[1].

ومِنْ شُرَكاءِ صالِحٍ، بَكْرُ بنُ عُثْمانَ الْمازِنِيُّ. وَقَدْ عَرَفْتَ تَرْجَمَتَهُ.

ثُمَّ جاءَ بَعْدَهُما مُحَمَّدُ بنُ يَزيدَ الْمُلَقَّبُ بالْمُبَرِّدِ. وقد عَرَفْتَ تَرْجَمَتَهُ.

---

(1) بغية الوعاة: 2/ 8.

ثُمَّ جاءَ بَعْدَهُ أبو إِسْحاقَ الزَّجاجُ، وأبو بَكْرٍ ابنُ السَّرَّاجِ، وابْنُ دُرُسْتَوَيْهِ، [وأبو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مَزْيَدٍ][1] وأبو بَكْرٍ محمَّدُ مَبْرَمانُ، وابْنُ كَيْسانَ، وهو أَخَذَ عن الْمُبَرِّدِ، وثَعْلَبٍ، إِلَّا أَنَّ أَخْذَهُ عن الْمُبَرِّدِ أَغْلَبُ. وَابْنُ مُجاهِدٍ، صاحِبُ الْقِراءاتِ أَخَذَ عنهما، إِلَّا أنَّ أَخْذَهُ عن ثَعْلَبٍ أَغْلَبُ.

وَاعْلَمْ أنَّ الزَّجَّاجَ هو إِبْراهيمُ بنُ السَّرِيِّ بنِ سَهْلٍ أبو إِسْحاقَ الزَّجَّاجُ.

قالَ الْخَطِيبُ: كانَ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالدِّينِ، حَسَنَ الِاعْتِقادِ، جَميلَ الْمَذْهَبِ. كانَ يَخْرُطُ الزُّجاجَ.

وَقالَ لِلْمُبَرِّدِ: كَسْبِي كُلَّ يَوْمٍ دِرْهَمٌ ونِصْفٌ، وأريدُ أنْ تُبالِغَ في تَعْليمي، وأنا أُعْطِيكَ كلَّ يَوْمٍ درهما، إلى أنْ يُفَرِّقَ الْمَوْتُ بيننا. ثم صارَ مُعَلِّمًا لأولادِ بعض بني مارِقَةَ[2]، فَنَفَّذَ إليه في كُلِّ شَهْرٍ ثلاثينَ درهمًا. ثم طَلَبَ من الْمُبَرِّدِ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ سُلَيْمانَ [بنِ وَهْبٍ الوزيرُ][3] مُؤَدِّبًا لابْنِهِ القاسِمِ. فقال له: لا أعْرِفُ لك إِلَّا رَجُلًا زَجَّاجًا عند بني فُلانٍ. فَكَتَبَ إليهم عَبَيْدُ الله فاسْتَنْزَلَهُمْ عَنِّي، وأُحْضِرْتُ، وأَسْلَمَ الْقاسِمَ إليَّ، وَكُنْتُ أُعْطِي الْمُبَرِّدَ بعد ذَلِكَ أَلْفَ دِرْهمٍ كُلَّ يَوْمٍ إلى أَنْ ماتَ، ولا أُخَلِّيهِ مِنَ التَّفَقُّدِ[4].

---

(1) سقط من رئيس الكتاب ومراد ملا. ترجمته في: الفهرست: 238، وتاريخ بغداد: 3/ 288، وسير أعلام النبلاء: 15/ 41، والوافي بالوفيات: 5/ 18، وبغية الوعاة: 1/ 242.

(2) بنو مارمة: في معجم الأدباء: 1/ 52، وتاريخ الإسلام: 6/ 613، وبنو مارية، في مرآة الزمان: 6/ 498.

(3) زيادة من أنطاليا.

(4) النقد، في قونية. والخبر من بغية الوعاة: 1/ 411.

ثُمَّ إنَّ الْقاسِمَ نَذَرَ لي عِشْرِينَ أَلْفَ دينارٍ إنْ وَلِيَ الْوِزارَةَ مَكانَ أَبِيهِ، فما مَضَتْ إلا قليلٌ حتى وَلِيَ الوِزارَةَ، وصِرْتُ مُلازِمًا له ونَديمَهُ. وهِبْتُ من إِذْكَارِهِ بالْوَعْدِ، فلمَّا كان في اليومِ الثالِثِ من وِزارَتِهِ قال لي: يا أبا إسْحاقَ لم أرَكَ أذْكَرْتَنِي بالنَّذْرِ. فقلتُ: عَوّلْتُ على رِعايَةِ الْوَزيرِ أَيَّدَهُ اللهُ تعالى، وأَنَّهُ لا يَحْتاجُ إلى إذْكارٍ بِنَذْرٍ عليه في أمْرِ خادِمٍ واجِبِ الْحَقِّ. فقال: أخافُ مَقالَةَ أهْلِ النِّفاقِ في دَفْعِهِ إليكَ دُفْعَةً، فَخُذْهُ[1] مُتَفَرِّقًا، وجَعَلَني على رِقاعِ النَّاسِ في الْحَوائِجِ الْكِبارِ، وآخُذُ منهم جُعْلًا. وربَّمَا قال لي: حَصَلَ مالُ النَّذْرِ؟ فكنتُ أقولُ: لا، مع أنه قد حَصَلَ في أقَلِّ مُدَّةٍ، إلى أنْ سألني يومًا، فاسْتَحْيَيْتُ من الْكَذِبِ الْمُتَّصِلِ. فقلتُ: قد حَصَلَ بِبَرَكَةِ الْوَزيرِ. فقال: فَرَّجْتَ واللهِ عنِّي، فقد كُنْتُ مَشْغولَ الْقَلْبِ، ثم وَقَّعَ لي بثلاثَةِ آلافِ دينارٍ صِلَةً. فَلَمَّا كانَ مِنَ الْغَدِ لم أَعْرِضْ عليه شَيْئًا، فقالَ: هاتِ ما مَعَكَ مِنَ الرِّقاعِ. قُلْتُ: النَّذْرُ وقَعَ الْوَفاءُ به، فقال: سبحانَ اللهِ، أتُرانِي أَقْطَعُ كَرَمًا صارَ عادَةً لي ولك، وعَرَفَكَ النَّاسُ به، وصار لك به عندهم جاهٌ، وربَّمَا يَظُنُّونَ ذلك لِضُعْفِ جاهِكَ عِنْدِي. اعْرِضْ عَلَيّ، وخُذْ بلا حِسابٍ. فَقَبَّلْتُ يَدَهُ، ودُمْتُ على عَمَلي إلى أنْ ماتَ.

وله من التَّصانيفِ: "مَعانِي الْقُرْآنِ"، "الِاشْتِقاقُ"، "خَلْقُ الإنْسانِ"، "فَعَلْتُ وَأَفْعَلْتُ"، "مُخْتَصَرُ النَّحْوِ"، "خَلْقُ الْفَرَسِ"، "شَرْحُ أَبْياتِ سِيبَوَيْهِ"، "الْقَوافِي"، "الْعَروضُ"، "النَّوادِرُ"، "تَفْسيرُ جامِعِ النُّطْقِ"[2]، وَغَيْرُ ذَلِكَ.

(1) فخذ، في رئيس الكتاب وأنطاليا وعاطف أفندي.

(2) تفسير جامع المنطق، في بغية الوعاة: 1/ 411.

ماتَ في جمادى الآخِرَةِ سنَةَ إحْدى عَشْرَةَ وثَلاثِمِئَةٍ. وسُئِلَ عن سِنِّهِ عند الْوَفاةِ فَعَقَدَ سَبْعينَ. وآخِرُ ما سُمِعَ منه: اللَّهُمَّ احْشُرْني على مَذْهَبِ أَحْمَدَ ابنِ حَنْبَلٍ، رضي الله عنه.

واعْلَمْ أنَّ أبا بَكْرٍ ابنَ السَّرَّاجِ، وهو مُحَمَّدُ بن السَّرِيِّ الْبَغْدَادِيُّ النَّحْوِيُّ(1).

قال الْمَرْزُبانِيُّ: كانَ أَحْدَثَ أَصْحابِ الْمُبَرِّدِ، مَعَ ذَكاءٍ وفِطْنَةٍ. قَرَأَ عليه **"كِتابُ سِيبَوَيْهِ"**، ثُمَّ اشْتَغَلَ بِالْموسِيقَى، فَسُئِلَ عن مَسْأَلَةٍ بِحَضْرَةِ الزَّجَّاجِ، فَأَخْطَأَ في جَوابِها، فَوَبَّخَهُ الزَّجَّاجُ، وَقالَ: مِثْلُكَ يُخْطِئُ في مِثْلِ هذه الْمَسْأَلَةِ! واللهِ لو كنتَ في مَنْزِلي ضَرَبْتُكَ، وَلَكِنَّ الْمَجْلِسَ لا يَحْتَمِلُ ذَلِكَ. فَقالَ: قد ضَرَبْتَني يا أبا إسْحاقَ. وكان عِلْمُ الْمُوسِيقَى قد شَغَلَني عن هذا الشَّأْنِ. ثم رَجَعَ إلى **"الكتاب"**، ونَظَرَ في دَقائِقِهِ، وعَوَّلَ على مَسائِلِ الْأَخْفَشِ والْكوفِيِّينَ، وخالَفَ أصولَ الْبَصْرِيِّينَ في مَسائِلَ كَثيرَةٍ.

ويُقالُ: ما زالَ النَّحْوُ مَجْنونًا حَتَّى عَقَّلَهُ ابْنُ السَّرَّاجِ بِأُصولِهِ.

أَخَذَ عنه أبو القاسِمِ الزَّجَّاجِيُّ، والسِّيرافِيُّ، والْفارِسِيُّ، والرُّمَّانِيُّ. ولم تَطُلْ مُدَّتُهُ، **وماتَ** شابًّا في ذي الْحِجَّةِ سَنَةَ سِتَّةَ عَشَرَ وَثَلاثِمِئَةٍ.

وله مِنَ الْكُتُبِ: **"الْأُصولُ الْكَبيرُ"**، **"جُمَلُ الْأُصولِ"**، **"الْموجَزُ"**، **"شَرْحُ سِيبَوَيْهِ"**، **"الِاشْتِقاقُ"**، لم يَتِمَّ، **"احْتِجاجُ الْقِراءَةِ"**(2)، **"الشِّعْرُ والشُّعَراءُ"**،

---

(1) بغية الوعاة: 1/ 411.

(2) احتجاج القراءات، في الفهرست: 1/ 182. وفي كشف الظنون: 1/ 15: احتجاج القراء في القراءة.

"الْجُمَلُ"، "الرِّياحُ والْهَواءُ والنَّارُ"، "الْخَطُّ والْهِجاءُ"، "الْمُواصَلاتُ والْمُذاكَراتُ"، في الْأَخْبارِ[1].

واعْلَمْ أنَّ ابْنَ دُرُسْتَوَيْهِ، هُوَ عَبْدُ اللهِ أبو مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ دُرُسْتَوَيْهِ، بضمِّ الدَّالِ والرَّاءِ الْمُهْمَلَتَيْنِ، ابْنُ الْمَرْزُبانِ النَّحْوِيُّ، أَحَدُ مَنِ اشْتَهَرَ، وعَلَا قَدْرُهُ، وكَثُرَ عِلْمُهُ، جَيِّدُ التَّصْنِيفِ. صَحِبَ الْمُبَرِّدَ، ولَقِيَ ابْنَ قُتَيْبَةَ. وأَخَذَ عنه الدَارَقُطْنِيُّ وغيرُهُ. وكانَ شَديدَ الِانْتِصارِ لِلْبَصْرِيِّينَ في النَّحْوِ واللُّغَةِ. وثَّقَهُ ابْنُ مَنْدَه وَغَيْرُهُ، وضَعَّفَهُ هِبَةُ اللهِ اللَّالَكائِيُّ.

وُلِدَ سنَةَ ثَمانٍ وخَمْسينَ ومئتينِ. **وماتَ** سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعينَ وَثَلاثِمِئَةٍ.

وَصَنَّفَ: **"الإرْشادُ في النَّحْوِ"، "شَرْحُ الْفَصيحِ"، "الرَّدُّ على الْمُفَضَّلِ في الرَّدِّ على الْخَليلِ"، "غَريبُ الْحَديثِ"، "الْمَقْصورُ والْمَمْدودُ"، "مَعاني الشِّعْرِ"، "أَخْبارُ النُّحاةِ"**. وَغَيْرَ ذَلِكَ[2].

واعْلَمْ أنَّ مُحَمَّدَ بْنَ مَزْيَدٍ، هو مُحَمَّدُ بنُ مَزْيَدِ بنِ مَحْمودِ بنِ مَنْصورِ بنِ راشِدٍ، أبو بَكْرٍ الْخُزاعِيُّ، الْمَعْروفُ بِابْنِ أبي الْأَزْهَرِ النَّحْوِيِّ، وسَمَّاهُ بَعْضُهُمْ: مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ مَزْيَدٍ.

قال الْخَطيبُ في "تاريخُ بَغْدادَ": حَدَّثَ عن الْمُبَرِّدِ، وكانَ مُسْتَمْلِيَهُ، والزُّبَيْرِ ابنِ بَكَّارٍ وجَماعَةٍ.

---

(1) بغية الوعاة: 1/ 109.

(2) المصدر نفسه: 2/ 36.

ورَوَى عنه أبو الْفَرَجِ الْأَصْفَهانِيُّ، والْمُعافَى بنُ زَكَرِيَّا، وأبو بَكْرِ ابنُ شَاذانَ، والدَّارَقُطْنِيُّ. وقال: كان ضَعيفًا يَرْوي الْمَناكِيرَ[1].

وقالَ غَيْرُهُ: كانَ كذَّابًا قَبيحَ الْكَذِبِ.

صَنَّفَ: "الْهَرْجُ والْمَرْجُ في أَخْبارِ الْمُسْتَعينِ والْمُعْتَزِّ"، و"أَخْبارُ عُقَلاءِ الْمَجانينِ".

وماتَ سنَةَ خَمْسٍ وعِشْرينَ وثَلاثِمِئَةٍ عن نَيِّفٍ وتِسْعينَ[2].

واعْلَمْ أنَّ مُحَمَّدَ بْنَ مَبْرَمَانَ، هو مُحَمَّدُ بنُ عَلِيِّ بنِ إسْماعيلَ، أبو بَكْرٍ الْعَسْكَرِيُّ، الْمَعْروفُ بِمَبْرَمَانَ.

وُلِدَ بطَريقِ رامَهُرْمُزَ، وأخَذَ عن الْمُبَرِّدِ، وأكْثَرَ بَعْدَهُ عن الزَّجَّاجِ، وكان قَيِّمًا بالنَّحْوِ، أخَذَ عنه الْفَارِسِيُّ والسِّيرافِيُّ.

وكان ضَنينًا، لا يُقْرِئُ "كتاب سِيبَوَيْهِ" إلا بمئة دينارٍ، فَوَعَدَهُ أبو هاشِمٍ الْجُبَّائِيُّ أَضْعافَ ما أَرادَهُ، على شَرْطِ أَنْ يُمْهَلَ في أَداءِ الْمالِ، فَلَمَّا تَمَّ "الْكِتابُ"، أَرْسَلَ إليه زِنْفيلجَةً[3] حَسَنَةً مُغَشَّاةً بالْأَدَمِ، مُحَلَّاةً، فَمَلَأَها حِجارَةً وقَفَلَها وخَتَمَها، وحَمَلَها في مِنْديلٍ، فقالَ: فَلْيَكُنْ عِنْدَكَ إلى أنْ يَجيئَني مالٌ لي بِبَغْدادَ، فلمَّا رأى مَنْظَرَها وَثِقْلَها، لم يَشُكَّ في أَنَّهَا دراهِم بل

---

(1) بغية الوعاة: 1/ 242.

(2) المصدر نفسه: 1/ 242.

(3) زِنفِيلجة الرَّاعِي وزَنْفَلِيجته الَّتِي يحمِل فِيهَا أداته. المخصص: 2/ 172.

ذَهَبٌ، ثم كَتَبَ إليه رُقْعَةً فيها: قد تَعَذَّرَ عليّ حُضورُ الْمالِ، وأرْهَقَنِي السَّفَرُ، وقد أَبَحْتُكَ التَّصَرُّفَ فيما عِنْدَكَ، من الْمالِ. وخَرَجَ أبو هاشِمٍ لِوَقْتِهِ إلى الْبَصْرَةِ، فَفَتَحَها، فإذا فيها حِجَارَةٌ، فَقالَ: سَخِرَ مِنَّا أبو هاشِمٍ لا حَيَّاهُ اللهُ.

وكان مَبْرَمَانُ ـ مع عِلْمِهِ ـ ساقِطَ الْمُروءَةِ، سَخيفًا، إذا أرادَ أن يَمْضِيَ إلى مَكانٍ بَعيدٍ، طَرَحَ نَفْسَهُ في طَبَقِ حَمَّالٍ، وشَدَّهُ بِحَبْلٍ، ورُبَّمَا كان مَعَهُ نَبَقٌ أو غَيْرُهُ، فَيَأْكُلُ، ويَرْمِي النَّاسَ بِالنَّوَى يَتَعَمَّدُ رُؤوسَهُمْ، وَرُبَّما بالَ على رَأْسِ الْجَمَلِ، فإذا قيلَ له يَعْتَذِرُ.

وله: **"شَرْحُ كِتابِ سِيبَوَيْهِ"**، لم يَتِمَّ، **"شَرْحُ شواهِدِهِ"**، **"شَرْحُ الأَخْفَشِ"**، **"النَّحْوُ الْمَجْموعُ على الْعِلَلِ"**، **"الْعُيونُ"**، **"التَّلْقِينُ"**، **"الْمَجاري"**، **"صِفَةُ شُكْرِ الْمُنْعِمِ"**.

قالَ الزُّبَيْدِيُّ: **تُوُفِّيَ** مَبْرَمانُ سنَةَ خَمْسٍ وأرْبَعينَ وثَلاثِمِئَةٍ[1].

وَاعْلَمْ أنَّ ابنَ كَيْسَانَ، هو مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بنِ إبْراهيمَ بنِ كَيْسانَ، أبو الْحَسَنِ النَّحْوِيُّ.

قالَ الزُّبَيْدِيُّ: وليسَ هذا بالْقَديمِ الذي له: **"الْعَروضُ والْمُعَمَّى"**[2].

قالَ الْخَطيبُ: كانَ يَحْفَظُ الْمَذْهَبَيْنِ الْبَصْرِيَّ والْكُوفِيَّ في النَّحْوِ، لأنه أَخَذَ عن الْمُبَرِّدِ وثَعْلَبٍ.

---

(1) النقل من بغية الوعاة: 1/ 175-177.

(2)"له في العروض والمعمى كتاب"، في معجم الأدباء: 5/ 2306. وإنباه الرواة: 3/ 59.

وَكانَ أبو بكر ابنُ مُجاهِدٍ يقولُ: إنَّهُ أنْحَى منهما.

قالَ ياقوتٌ: لَكِنَّهُ إلى مَذْهَبِ الْبَصْرِيِّينَ أَمْيَلُ.

وكان الْأَنْبَارِيُّ يَقولُ: خَلَطَ الْمَذْهَبَيْنِ، فلمْ يَضْبِطْ منهما شَيْئًا.

قال أبو حَيَّانَ التَّوْحِيدِيُّ: ما رأيْتُ مَجْلِسًا أكْثَرَ فائِدَةً[1]، وأجْمَعَ لِأَصْنافِ الْعُلومِ والتُّحَفِ والنُّتَفِ من مَجْلِسِهِ. وكان يَجْتَمِعُ على بابِهِ نَحْوٌ من مِئَةِ رَأْسٍ من الدَّوابِّ لِلرُّؤساءِ والْأشْرافِ الَّذينَ يَقْصِدونَهُ، وكان إقْبالُهُ على صاحِبِ الْمُرَقَّعَةِ والْخِلَقِ، كإقْبالِهِ على صاحِبِ الدِّيباجِ والدَّابَّةِ والْغُلامِ.

ومِنْ تَصانيفِهِ في النَّحْوِ: **"الْمُهَذَّبُ"، "غَلَطُ أَدَبِ الْكاتِبِ"، "اللَّاماتُ"**[2]، **"الْبُرْهانُ"، "غَريبُ الْحَديثِ"، "مَعاني الْقُرآنِ"، "عِلَلُ النَّحْوِ"، "مَصابيحُ الْكِتابِ"، "ما اخْتَلَفَ فيه الْبَصْرِيُّونَ والْكوفِيّونَ"**. وغَيْرُ ذَلِكَ.

ماتَ لِثَمانٍ خَلَوْنَ من ذي الْقَعْدَةِ سَنَةَ تِسْعٍ وتِسْعينَ ومِئَتَيْنِ. لكنَّ هذا سَهْوٌ، والأَصَحُّ أنَّهُ ماتَ سنَةَ عِشْرينَ وثلاثِمِئَةٍ[3].

ثم جاءَ بَعْدَ هؤلاء، أبو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بنُ أَحْمَدَ بنِ عبدِ الْغَفَّارِ الْفارِسِيُّ. ويُقالُ له: الْفَسَوِيُّ أيضًا، لأَنَّهُ وُلِدَ بمدينة فَسَا، من أَعْمالِ فارِسَ، وأبو سَعيدٍ الْحَسَنُ بنُ عبدِ اللهِ السِّيرافِيُّ، وعَلِيُّ بنُ عيسى الرُّمَّانِيُّ، ثُمَّ تِلْميذٌ لأبي عَلِيٍّ، وهو أبو

---

(1) من فائدة، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(2) السلامات، في قونية.

(3) بغية الوعاة: 1/ 18.

الْفَتْحِ عُثْمانُ ابنُ جِنِّي، وابْنُ أخْتِهِ مُحَمَّدُ بنُ الْحُسَيْنِ، ثُمَّ تِلْميذٌ له عبدُ الْقاهِرِ بْنُ عَبْدِ الرَّحمنِ الْجُرْجانِيُّ، وَفاقَ أكْثَرَ من تَقَدَّمَهُ في التَّحْقِيقِ والتَّدْقيقِ. ولو لم يَكُنْ له سِوَى كِتابِ **"أَسْرارُ الْبَلاغَةِ"**، و**"دَلائِلُ الإعْجازِ"** لَكَفاهُ شَرفًا وفَخْرًا.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْفارِسِيَّ، هو الْحَسَنُ بنُ أَحْمَدَ بنِ عبدِ الْغَفَّارِ، الإمامُ أبو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ الْفَسَوِيُّ الْمَشْهورُ، أوْحَدُ زَمانِهِ في عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ. أَخَذَ عن الزَّجَّاجِ، وَابْنِ السَّرَّاجِ، وطَوَّفَ بلادَ الشَّامِ. وَكانَ يَقولُ كَثِيرٌ مِنْ تَلامِذَتِهِ: إِنَّهُ أَعْلَمُ مِنَ الْمُبَرِّدِ. وَبَرَعَ مِنْ طَلَبَتِهِ جَماعَةٌ، كَابْنِ جِنِّي، وَعَلِيِّ بْنِ عِيسَى الرَّبَعِيِّ. وَكانَ مُتَّهَمًا بالِاعْتِزالِ.

وتَقَدَّمَ عِنْدَ عَضُدِ الدَّوْلَةِ، وله صَنَّفَ: **"الْإِيضاحُ" في النَّحْوِ**، و**"التَّكْمِلَةُ" في التَّصْريفِ**.

وَيُقالُ: إِنَّهُ لَمَّا عَمِلَ **"الْإِيضاحُ"** اسْتَقْصَرَهُ، وقالَ له: ما زِدْتَ على ما أعْرِفُ شيئًا، وإنَّما يَصْلُحُ هذا لِلصِّبْيانِ، فَمَضى وَصَنَّفَ **"التَّكْمِلَةُ"**، وحَمَلَها إليه، فَلَمَّا وَقَفَ عليها قالَ: غَضِبَ الشَّيْخُ، وجاءَ بما لا نَفْهَمُهُ نحنُ ولا هُوَ[1].

ومِنْ تَصانيفِهِ: **"الْحُجَّةُ"**[2]، **"التَّذْكِرَةُ"**[3]، **"أبياتُ الإعْرابِ"**، **"تَعْليقَةٌ على كِتابِ سِيبَوَيْهِ"**، **"الْمَسائِلُ الْحَلَبِيَّةُ"**، **"الْبَغْدادِيَّةُ"**، **"الْقَصْرِيَّةُ"**، **"الْبَصْرِيَّةُ"**،

---

(1) بغية الوعاة: 1/ 496.

(2) كتاب في القراءات طبعت بعض أجزائه.

(3) كتاب هذَّبه ابن جني.

"الشِّيرازِيَّةُ"، "الْعَسكريَّةُ"، "الْكَرْمانِيَّةُ"، "الْمَقْصورُ والْمَمْدودُ"، و"الإغْفَالُ"، وهو مَسائِلُ أَصْلَحَها على الزَّجَّاجِ. وَغَيْرُ ذَلِكَ.

تُوُفِّيَ بِبَغْدادَ سنةَ سَبْعٍ وَسَبْعينَ وَثَلاثِمِئَةٍ(1).

وَأَمَّا زَيْدُ بنُ عَلِيِّ بنِ عَبْدِ اللهِ الْفارِسِيُّ، أبو الْقاسِمِ الْفَسَوِيُّ النَّحْوِيُّ اللُّغَوِيُّ.

قال ابْنُ عَساكِرَ في **"تاريخُ دِمَشْقَ"**، وابنُ الْعَديمِ في **"تاريخُ حَلَبَ"**: كان فاضِلًا يَعْلَمُ(2) اللُّغَةَ والنَّحْوَ، عارِفًا بعلومٍ كَثيرَةٍ. **شَرَحَ الإيضاحَ، وَحَماسَةَ أبي تمامٍ.** وَأَقْرَأَ النَّحْوَ بحَلَبَ، وَرَوى بها **"الإيضاحُ"**، عن أبي الْحَسَنِ ابْنِ أخْتِ الْفارِسِيِّ، عن خالِهِ؛ والْحَديثَ عن أبي نُعَيْمٍ الْهَرَوِيِّ وغيره. قَرَأَ عليه الشَّريفُ أبو الْبَرَكاتِ عُمَرُ بنُ إبراهيمَ الْكوفِيُّ، وسَمِعَ منه أبو الْحَسَنِ عَلِيُّ ابنُ طاهِرٍ النَّحْوِيُّ وغيرُهُ.

وسَكَنَ دِمَشْقَ، وأَقْرَأَ بها. **وماتَ** بِطَرابُلُسَ في ذي الْحِجَّةِ أو ذي الْقَعْدَةِ سَنَةَ سَبْعٍ وسِتِّينَ وأربعمِئَةٍ(3).

وأَمَّا حَسَنُ بنُ عبد الله السِّيرافِيُّ، هو حَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمَرْزُبانِ الْقاضِي، أبو سَعيدٍ السِّيرافِيُّ النَّحْوِيُّ.

قالَ ياقوتٌ: كانَ أَبوهُ مَجوسِيًّا اسْمُهُ بَهْزادُ، فَسَمَّاهُ أبو سَعيدٍ عبدَ اللهِ، وكان أبو سَعيدٍ يُدَرِّسُ ببغدادَ عُلومَ الْقُرآنِ والنَّحْوَ واللُّغَةَ والْفِقْهَ

---

(1) بغية الوعاة: 1/ 497.

(2) بعلم، في قونية ومراد ملا. في بغية الوعاة 1/ 573: فاضلا عالما بعلم.

(3) بغية الوعاة: 1/ 573.

والْفَرائِضَ. قَرَأَ القرآنَ على أبي بكر ابنِ مُجاهِدٍ، واللُّغَةَ على ابْنِ دُرَيْدٍ، وقَرَءا هُمَا عليهِ النَّحْوَ، وأخَذَ هو النَّحْوَ عن ابنِ السَّرَّاجِ، ومَبْرَمانَ، وأخَذا عنه القُرْآنَ والْحِسابَ. وَوَلِيَ الْقَضاءَ بِبَغْدادَ.

وقال أبو حَيَّانَ التَّوْحِيدِيُّ في "**تَقْريظُ الْجاحِظِ**": أبو سَعيدٍ السِّيرافِيُّ شَيْخُ الشُّيوخِ، وإمامُ الْأئِمَّةِ، له مَعْرِفَةٌ بالنَّحْوِ والفِقْهِ واللُّغَةِ والشِّعْرِ والْعَروضِ والْقَوافي والْقُرآنِ والفَرائِضِ والْحَديثِ والْكَلامِ والْحِسابِ والْهَنْدَسَةِ. أفْتى في جامِعِ الرُّصافَةِ خَمْسينَ سَنَةً على مَذْهَبِ أبي حَنيفَةَ، فما وُجِدَ له خَطَأٌ، ولا عُثِرَ له على زَلَّةٍ. وقَضَى بِبَغْدادَ، هذا مع الثِّقَةِ والدِّيانَةِ والأمانَةِ والرَّزانَةِ، صامَ أرْبَعينَ سَنَةً، أو أكْثَرَ الدَّهْرِ كُلِّهِ[1].

وقالَ في "**مُحاضَراتُ الْعُلَماءِ**": شَيْخُ الدَّهْرِ، وقَريعُ[2] الْعَصْرِ، الْعَديمُ الْمِثْلِ، الْمَفْقودُ الشَّكْلِ، ما رَأَيْتُ أَحْفَظَ منه لِجَوامِعِ الزُّهْدِ نَظْمًا ونَثْرًا! وَكانَ دَيِّنًا وَرِعًا تَقِيًّا نَقِيًّا، زاهِدًا عابِدًا خاشِعًا. له دَأْبٌ بِالنَّهارِ مِنَ الْقِراءَةِ وَالْخُشوعِ، وَوِرْدٌ باللَّيْلِ مِنَ الْقِيامِ وَالْخُضوعِ، ما قُرِئَ عليه شَيْءٌ قَطُّ فيه ذِكْرُ الْمَوْتِ والْبَعْثِ ونَحْوِهِ إلَّا بَكَى وجَزِعَ، ونَغَّصَ عليه يَوْمَهُ ولَيْلَتَهُ، وامْتَنَعَ من الْأَكْلِ والشُّرْبِ، وما رَأَيْتُ أحَدًا من الْمَشايِخِ كان أذْكَرَ لحالِ الشَّبابِ وأكْثَرَ تَأَسُّفًا على ذَهابِهِ منه[3]، وكانَ إذا رَأى أحَدًا من أَقْرانِهِ عاجَلَهُ الشَّيْبُ تَسَلَّى به.

---

(1) النقل من بغية الوعاة: 1/ 507-508.

(2) القريع: السيد، يقال: فلان قريع دهره. الصحاح: 3/ 1263.

(3) منه، في رئيس الكتاب.

وَقالَ في "**الْإمْتاعُ**": هو أَجْمَعُ لِشَمْلِ الْعِلْمِ، وَأَنْظَمُ لِمَذاهِبِ الْعَرَبِ، وَأَدْخَلُ في كُلِّ بابٍ، وَأَخْرَجُ مِنْ كُلِّ طَرِيقٍ، وأَلْزَمُ لِلْجادَّةِ الْوُسْطى في الْخُلُقِ وَالدِّينِ، وَأَرْوى لِلحَديثِ، وَأَقْضى في الْأَحْكامِ[1]، وَأَفْقَهُ في الْفَتْوى، كَتَبَ إليه مُلوكٌ عِدَّةٌ كُتُبًا مُصَدَّرَةً بِتَعْظيمِهِ، تَسْأَلُهُ فيها عن مَسائِلَ في الْفِقْهِ والْعَرَبِيَّةِ واللُّغَةِ، وكان حَسَنَ الْخَطِّ. طُلِبَ أن يُقَرَّرَ في ديوانِ الإِفْتاءِ، فَامْتَنَعَ، وقال: هذا أَمْرٌ يَحْتاجُ إلى دُرْبَةٍ وأنا عارٍ منها، وسِياسَةٍ وأنا غَريبٌ فيها.

وَقالَ الْخَطِيبُ: كانَ زاهِدًا وَرِعًا، لم يَأْخُذْ على الْحُكْمِ أجْرًا، إنَّما كان يَأْكُلُ من كَسْبِ يَمينِهِ، فَكانَ لا يَخْرُجُ إلى مَجْلِسِهِ حَتَّى يَنْسَخَ عَشْرَ وَرَقاتٍ بِعَشَرَةِ دَراهِمَ تَكونُ قَدْرَ مُؤْنَتِهِ. وكان أبو عَلِيٍّ وأَصْحابُهُ يَحْسُدونَهُ كثيرًا[2].

مَوْلِدُهُ بِسِيرافَ[3] قَبْلَ السَّبعينَ ومِئَتَيْنِ، وفيها ابْتَدَأَ طَلَبَ العلم. وخَرَجَ إلى عُمَانَ، وتَفَقَّهَ بها، وأقام بالْعَسْكَرِ[4] مُدَّةً، ثم بِبَغْدادَ، إلى أنْ **ماتَ** بها في خِلافَةِ الطَّائِعِ، يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ ثانِيَ رَجَبٍ سَنَةَ ثَمانٍ وسِتِّينَ وَثَلاثمِئَةٍ.

وله مِنَ التَّصانيفِ: "**شَرْحُ كِتابِ سِيبَوَيْهِ**"؛ لم يُسْبَقْ إلى مِثْلِهِ؛ وَحَسَدَهُ عليه أبو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ وغَيْرُهُ من مُعاصِريهِ، و"**شَرْحُ الدُّرَيدِيَّةِ**"، "**أَلِفاتُ الْقَطْعِ والْوَصْلِ**"، "**الإقْناعُ في النَّحْوِ**"، لم يَتِمَّ، فَأَتَمَّهُ وَلَدُهُ يوسُفُ. وكانَ

---

(1) للأحكام، في قونية.

(2) بغية الوعاة: 1/ 508.

(3) سيراف: بكسر أوّله، وآخره فاء، مدينة جليلة على ساحل بحر فارس. معجم البلدان: 3/ 294.

(4) العسكر: يقصد عسكر المهدي وهي المحلة المعروفة اليوم ببغداد بالرّصافة من محال الجانب الشرقي. معجم البلدان: 4/ 124.

يَقولُ: وَضَعَ والدي النَّحْوَ في الْمَزابِلِ بـ "الإقناع"، يَعْني أنه سَهَّلَهُ جِدًّا، فلا يَحْتاجُ إلى مُفَسِّرٍ. "شَواهِدُ سِيبَوَيْهِ"، "الْمَدْخَلُ إلى كِتابِ سِيبَوَيْهِ"، "الْوَقْفُ والاِبْتِداءُ"، "صَنْعَةُ الشِّعْرِ وَالْبَلاغَةِ"، "أَخْبارُ النُّحاةِ الْبَصْرِيِّينَ"، وهو كُرَّاسَةٌ كَبيرَةٌ[1].

وَأَمَّا الرُّمَّانِيُّ، فهو عَلِيُّ بنُ عيسى بنِ عَلِيِّ بنِ عَبْدِ اللهِ، أبو الْحَسَنِ الرُّمَّانِيُّ. وَكانَ يُعْرَفُ أيْضًا بِالْإِخْشِيدِيِّ، وَبِالْوَرَّاقِ، وهو بِالرُّمَّانِيِّ أَشْهَرُ.

كانَ إمامًا في الْعَرَبِيَّةِ، عَلَّامَةً في الْأَدَبِ، في طَبَقَةِ الْفَارِسِيِّ والسِّيرافِيِّ، مُعْتَزِلِيًّا.

وُلِدَ سَنَةَ سِتٍّ وسَبْعينَ ومِئَتَيْنِ. وَأَخَذَ عن الزَّجَّاجِ، وابْنِ السَّرَّاجِ، وابنِ دُرَيْدٍ.

قال أبو حَيَّانَ التَّوْحِيدِيُّ: لم يُرَ مِثْلُهُ قَطُّ عِلْمًا بالنَّحْوِ، وغَزارَةً بالْكَلامِ، وبَصَرًا[2] بالْمَقالاتِ، واسْتِخْراجًا لِلْعَويصِ[3]، وإيضاحًا لِلْمُشْكِلِ، مع تَأَلُّهٍ وَتَنَزُّهٍ، ودِينٍ وفَصَاحَةٍ، وعَفافٍ ونَظافَةٍ.

وكانَ يَمْزِجُ النَّحْوَ بالْمَنْطِقِ، حتى قال الْفارِسِيُّ: إنْ كان النَّحْوُ ما يَقولُهُ الرُّمَّانِيُّ، فَلَيْسَ مَعَنا منه شَيْءٌ، وإنْ كانَ النَّحْوُ ما نَقولُهُ نَحْنُ، فَلَيْسَ معه منه شَيْءٌ.

قال السُّيوطِيُّ: النَّحْوُ ما يَقولُهُ الْفارِسِيُّ، وهذه مُؤَلَّفاتُ الْخَليلِ وسِيبَوَيْهِ ومُعاصِرِيهِمَا، وَمَنْ بَعْدَهُمَا بِدَهْرٍ، لم يُعْهَدْ فيها شيءٌ من ذلك[4].

---

(1) بغية الوعاة: 1/ 508.

(2) وبصيرا، في قونية ومراد ملا.

(3) للغويص، في مراد ملا.

(4) بغية الوعاة: 2/ 180.

صَنَّفَ الرُّمَّانِيُّ: "التَّفْسيرُ"، "الْحُدودُ الأَكْبَرُ"، "الأَصْغَرُ"، "شَرْحُ أُصولِ ابْنِ السَّرَّاجِ"، "شَرْحُ موجَزِهِ"، "شَرْحُ سِيبَوَيْهِ"، "شَرْحُ مُخْتَصَرِ الْجَرْمِيِّ"، "شَرْحُ الأَلِفِ واللَّامِ لِلْمازِنِيِّ"، "شَرْحُ الْمُقْتَضَبِ"، "شَرْحُ الصِّفاتِ"، "مَعانِي الْحُروفِ". وغَيْرَ ذلك.

ماتَ في حادِي عَشَرَ جُمادَى الْأُولَى، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمانِينَ وَثَلاثِمِئَةٍ(1).

وَأَمَّا أبو الْفَتْحِ عُثْمانُ ابْنُ جِنِّي فقد عَرَفْتَ حالَهُ.

وأَمَّا ابنُ أُخْتِ أبي عَلِيٍّ الفارِسِيِّ، فهو مُحَمَّدُ بنُ الْحُسَيْنِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ الْوارِثِ، أبو الْحُسَيْنِ الْفارِسِيُّ النَّحْوِيُّ(2).

قالَ ياقوتٌ: أَخَذَ عن خالِهِ أبي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ عِلْمَ الْعَرَبِيَّةِ، وطَوَّفَ الْآفاقَ، ورَجَعَ إلى الْوَطَنِ. وكانَ خالُهُ أَوْفَدَهُ على الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ إلى الرَّيِّ، فَارْتَضاهُ، وَأَكْرَمَ مَثْواهُ؛ وَوَرَدَ خُراسانَ، وَنَزَلَ نَيْسابورَ دَفَعاتٍ، وَأَمْلى بها من الْأَدَبِ والنَّحْوِ ما سارَتْ به الرُّكْبانُ.

وَآلَ أمْرُهُ إلى أَنِ اخْتَصَّ بِالْأَمِيرِ إسْماعيلَ بْنِ سُبُكْتُكِينَ بِغَزْنَةَ، وَوَزَرَ له، ثُمَّ عادَ إلى نَيْسابورَ، ثُمَّ جاوَرَ بِمَكَّةَ، ثُمَّ عادَ إلى غَزْنَةَ، ورَجَعَ إلى نَيْسابورَ. ثُمَّ انْتَقَلَ إلى أَسْفَرَايِينَ، ثُمَّ اسْتَوْطَنَ جُرْجانَ إلى أَنْ ماتَ. وَقَرَأَ عليه أَهْلُها، مِنْهُمْ عَبْدُ الْقاهِرِ الْجُرْجانِيّ، وليس له أُسْتاذٌ سِواهُ.

(1) بغية الوعاة: 2/ 180.

(2) ترجمته في: نزهة الألباء: 235، معجم الأدباء: 6/ 2523، إنباه الرواة: 3/ 116، بغية الوعاة: 1/ 94.

وله تَصانيفُ منها: "كِتابٌ في الْهِجاءِ"، "كِتابٌ في ماهية الشِّعْرِ"[1].

مات سَنَةَ إحْدَى وعِشْرينَ وأَرْبَعِمِئَةٍ[2].

وَأَمَّا عَبْدُ الْقاهِرِ الْجُرْجانِيُّ، فهو عَبْدُ الْقاهِرِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجُرْجانِيُّ النَّحْوِيُّ، الْإِمامُ الْمَشْهورُ أبو بَكْرٍ. أَخَذَ النَّحْوَ عَنِ ابْنِ أُخْتِ أبي عَلِيٍّ الْفارِسِيِّ، ولم يَأْخُذْ عن غَيْرِهِ، لأَنَّهُ لم يَخْرُجْ عن بَلَدِهِ. وَكانَ من كِبارِ أَئِمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْبَيَانِ، شافِعِيًّا أَشْعَرِيًّا.

صَنَّفَ: **"الْمُغْنِي في شَرْحِ الْإِيضاحِ"، "الْمُقْتَصِدُ" في شَرْحِهِ، "إعْجازُ الْقُرْآنِ الْكَبيرُ"، "الصَّغيرُ"، "الْجُمَلُ"، "الْعَوامِلُ الْمِئَةُ"، "الْعُمْدَةُ في التَّصْريفِ"**. وَمِنْ جُمْلَةِ مُصَنَّفاتِهِ: **"دَلائِلُ الإعْجازِ"، و"أَسْرارُ الْبَلاغَةِ"**، في عِلْمَيِ الْمَعانِي والْبَيانِ، وهما الْآيَةُ الْكُبْرى، والْيَدُ الْبَيْضاءُ في الْعِلْمَيْنِ الْمَذْكورَيْنِ، وإِلَيْهِمَا يَنْتَهِي عِلْمُ مَنْ تَأَخَّرَ في ذَيْنِكَ الْعِلْمَيْنِ. وَغَيْرُ ذلِكَ من التَّصانيفِ.

مات سَنَةَ إحْدى أو أَرْبَعٍ وَسَبْعينَ وأَرْبَعِمِئَةٍ.

ومن شِعْرِهِ رحمه الله: [مخلع البسيط]

كَبِّرْ عَلَى الْعِلْمِ يا خَليلِي ومِلْ إلى الْجَهْلِ مَيْلَ هائِمْ[3]
وعِشْ حِمَارًا تَعِشْ سَعيدًا فالسَّعْدُ في طالِعِ الْبَهائِمْ

(1) كتاب الشعر، في معجم الأدباء: 6/ 2523، وبغية الوعاة: 2/ 180.

(2) النقل من بغية الوعاة: 2/ 94.

(3) البيتان والخبر من بغية الوعاة: 2/ 106.

قُلْتُ: هؤلاءِ الْأَعْلامُ الَّذِينَ ذَكَرْتُهُمْ كُلُّهُمْ من تَلَامِذَةِ سِيبَوَيْهِ، إمامِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ.

وأَمَّا تَلامِذَةُ الْكِسَائِيِّ إِمامِ أَهْلِ الْكوفَةِ فَأَشْهَرُ هؤلاء الْفَرَّاءُ. وبَعْدَهُ أبو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بنُ يَحْيى ثَعْلَبٍ. وبَعْدَهُ الْقاسِمُ بنُ مُحَمَّدٍ الْأَنْبارِيُّ.

أَمَّا الْفَرَّاءُ، فهو يَحْيَى بْنُ زِيَادِ بنِ عبدِ اللهِ بْنِ مَرْوانَ الدَّيْلَمِيُّ، إِمامُ الْعَرَبِيَّةِ، أبو زَكَرِيَّا الْمَعْروفُ بالْفَرَّاءِ. كان أَعْلَمَ الْكوفِيِّينَ بالنَّحْوِ بعد الْكِسائِيِّ. أَخَذَ عنه، وعليه اعْتَمَدَ، وَأَخَذَ عن يونُسَ، وَأَهْلُ الْكوفَةِ يَدَّعونَ أَنَّهُ اسْتَكْثَرَ عنه، وَأَهْلُ الْبَصْرَةِ يَدْفَعونَ ذلك.

وكانَ يُحِبُّ الْكَلامَ، ويَمِيلُ إلى الِاعْتِزالِ. وكان مُتَدَيِّنًا مُتَوَرِّعًا على تِيهٍ وعُجْبٍ وتَعَظُّمٍ. وكانَ زائِدَ الْعَصَبِيَّةِ على سِيبَوَيْهِ، وكِتابُهُ تَحْتَ رَأْسِهِ، وكانَ يَتَفَلْسَفُ في تَصانيفِهِ، ويَسْلُكُ أَلْفاظَ الْفَلاسِفَةِ.

وَكانَ أَكْثَرُ مُقامِهِ بِبَغْدادَ، فإذا كانَ آخِرُ السَّنَةِ أَتَى الْكوفَةَ فَأَقامَ بها أَرْبَعينَ يَوْمًا، يُفَرِّقُ في أَهْلِهِ ما جَمَعَهُ. وَكانَ شَديدَ الْمَعاشِ، لا يَأْكُلُ ما لَمْ[1] يَمَسَّهُ الْجوعُ، وجَمَعَ مالًا خَلَّفَهُ لابْنٍ له شاطِرٍ، صاحِبِ سَكاكينَ. وَأَبوهُ زِيادُ هو الْأَقْطَعُ، قُطِعَتْ يَدُهُ في الْحَرْبِ مع الْحُسَيْنِ بنِ عَلِيٍّ، وكانَ مَوْلًى لأبي ثَرْوانَ، وأبو ثَرْوانَ مَوْلَى بَنِي عَبْسٍ.

---

(1) لا، في رئيس الكتاب وعاطف أفندي، ولا، في أنطاليا. إلَّا أنْ، في قونية وأنطاليا. حتى يمسه، في بغية الوعاة 2/ 233 مصدر النقل.

صَنَّفَ الْفَرَّاءُ: "مَعانِي الْقُرْآنِ"، "الْبَهاءُ فيما تَلْحَنُ فيه الْعامَّةُ"، "اللُّغاتُ"، "الْمَصادِرُ في الْقُرآنِ"، "الْجَمْعُ والتَّثْنِيَةُ في الْقُرْآنِ"، "آلَةُ الْكِتابِ"، "النَّوادِرُ"، "الْمَقْصورُ والْمَمْدودُ"، "فَعَلَ وَأَفْعَلَ"، "الْمُذَكَّرُ والْمُؤَنَّثُ"، "الْحُدودُ"، يَشْتَمِلُ على سِتَّةٍ وَأَرْبَعينَ حَدًّا في الْإِعْرابِ. وله غَيْرُ ذَلِكَ.

ماتَ بطَريقِ مَكَّةَ سَنَةَ سَبْعٍ وَمِئَتَيْنِ، عن سَبْعٍ وسِتِّينَ سَنَةً[1].

وَأَمَّا أبو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبُ، فهو أَحْمَدُ بنُ يَحْيَى بنِ يَزيدَ بنِ سَيَّارٍ الشَّيْبانِيُّ، مَوْلاهُمْ الْبَغْدادِيُّ، الإِمامُ أبو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبُ، إمامُ الْكوفِيِّينَ في النَّحْوِ واللُّغَةِ.

وُلِدَ سنَةَ مِئَتَيْنِ، وَابْتَدَأَ النَّظَرَ في الْعَرَبِيَّةِ والشِّعْرِ واللُّغَةِ سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ، وحَفِظَ كُتُبَ الْفَرَّاءِ، فلم يَشِذَّ منها حَرْفٌ.

وَعُنِيَ بالنَّحْوِ أَكْثَرَ من غَيْرِهِ، فَلَمَّا أَتْقَنَهُ أَكَبَّ على الشِّعْرِ والْمَعانِي وَالْغَريبِ. وَلازَمَ ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ بِضْعَ عَشْرَةَ سَنَةً، وسَمِعَ من مُحَمَّدِ بنِ سَلَّامٍ الْجُمَحِيِّ، وعَلِيِّ بنِ الْمُغيرَةِ الْأَثْرَمِ، وَسَلَمَةَ بنِ عاصِمٍ، وعُبَيْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ الْقَواريرِيِّ الْأَصْغَرِ، ونِفْطَوَيْهِ، وأبي عُمَرَ الزَّاهِدِ، وجَمْعٍ.

قالَ بَعْضُهُمْ: إنَّمَا فَضَلَ أبو الْعَبَّاسِ أَهْلَ عَصْرِهِ بالْحِفْظِ لِلْعُلومِ التي تَضيقُ عنها الصُّدورُ.

قالَ أبو الطَّيِّبِ اللُّغَوِيُّ: كانَ ثَعْلَبُ يَعْتَمِدُ على ابْنِ الْأَعْرابِيِّ في اللُّغَةِ، وعلى سَلَمَةَ بنِ عاصِمٍ في النَّحْوِ، ويَرْوِي عن ابنِ نَجْدَةَ كُتُبَ أبي زَيْدٍ، وعن الْأَثْرَمِ كُتُبَ

---

(1) بغية الوعاة: 2/ 333.

أبي عُبَيْدَةَ، وعن أبي نَصْرٍ[1] كُتُبَ الأصْمَعِيِّ، وعن عَمْرِو بنِ أبي عَمْرٍو كُتُبَ أبيهِ. وكانَ ثِقَةً، مُتَفَنِّنًا، يَسْتَغْنِي بِشُهْرَتِهِ عن نَعْتِهِ. وكان ضَيِّقَ النَّفَقَةِ، مُقَتِّرًا على نَفْسِهِ.

قال أبو بَكْرِ ابْنُ مُجاهِدٍ: قال لي ثَعْلَبُ: يا أبا بَكْرٍ، اشْتَغَلَ أَصْحَابُ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ فَفازُوا، وَأَصْحابُ الْحَديثِ بِالْحَديثِ فَفَازُوا، وَأَصْحابُ الْفِقْهِ بالْفِقْهِ ففازوا، واشْتَغَلْتُ أنا بِزَيْدٍ وَعَمْرو، فليتَ شِعْري ماذا يكونُ حالي؟ فانْصَرَفْتُ من عندِهِ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صلَّى الله عليه وسَلَّمَ تلك اللَّيْلَةِ، فقالَ لي: أَقْرِئْ أبا الْعَبَّاسِ مِنِّي السَّلامَ، وقُلْ له: أَنْتَ صاحِبُ الْعِلْمِ الْمُسْتَطِيلِ.

وقالَ أبو عَمْرٍو الزَّاهِدُ: سُئِلَ ثَعْلَبُ عن شَيْءٍ فقالَ: لا أَدْرِي، فقيلَ له: أَتقولُ لا أَدْرِي، وإليكَ تُضْرَبُ أَكْبادُ الْإِبلِ من كُلِّ بَلَدٍ، فقالَ: لو كانَ لِأُمِّكَ بِعَدَدِ لا أَدْرِي بَعْرٌ لَاسْتَغْنَتْ[2].

صَنَّفَ: **"الْمَصونُ في النَّحو"**، **"اخْتِلافُ النَّحْوِيِّينَ"**، **"مَعانِي الْقُرْآنِ"**، **"مَعانِي الشِّعْرِ"**، **"الْقِراءاتُ"**، **"التَّصْغيرُ"**، **"الْوَقْفُ والابْتِداءُ"**، **"الْهِجاءُ"**، **"الْأَمالِي"**، **"غَريبُ الْقُرآنِ"**، **"الْفَصيحُ"**. وقيلَ: هو لِلْحَسَنِ بْنِ داوُدَ الرَّقِّيِّ، وقيلَ: لِيَعْقوبَ ابنِ السِّكِّيتِ. وله أَشْياءُ أُخَرُ.

وثَقُلَ سَمْعُهُ بِأَخَرَةٍ، ثُمَّ صُمَّ، فانْصَرَفَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنَ الْجامِعِ بعد الْعَصْرِ، وإذا بِدَوَابَّ مِنْ وَرائِهِ، فلم يَسْمَعْ صَوْتَ حافِرِها، فَصَدَمَتْهُ، فَسَقَطَ على رَأْسِهِ

---

(1) قص، في قونية. فص، في رئيس الكتاب. ولعله يقصد أحمد بن حاتم أبا نصر الباهلي ابن أخت الأصمعي (ت. 231هـ).

(2) بغية الوعاة: 1/ 396-397.

في هُوَّةٍ من الطَّريقِ، فلم يَقْدِرْ على الْقِيامِ، فَحُمِلَ إلى مَنْزِلِهِ، وماتَ منه يَوْمَ السَّبْتِ لِعَشْرٍ خَلَوْنَ أو لِثَلاثَ عَشْرَةَ بَقينَ مِنْ جُمَادَى الأولى سَنَةَ إحْدَى وَتِسْعينَ ومِئَتَيْنِ. وخَلَّفَ كُتُبًا تُساوي جُمْلَةً أَلْفَيْ دينارٍ وأَحَدًا وعِشْرينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ؛ ودَكاكينَ تُساوي ثَلاثَةَ آلافِ دينارٍ، فَرُدَّ مالُهُ على ابْنَتِهِ.

وذَكَرَهُ الدَّانِي في "طَبَقاتُ الْقُرَّاءِ"، فقالَ: رَوَى الْقِراءَةَ عن سَلَمَةَ بنِ عاصِمٍ، عن أبي الْحارِثِ، عن الْكِسائِيِّ، وعن الْفَرَّاءِ، وله كتابٌ حَسَنٌ فيها.

رَوَى الْقِراءَةَ عنه ابْنُ مُجاهِدٍ، وَابْنُ الْأَنْبارِيِّ، وَغَيْرُهُما[1].

وَأَمَّا ابْنُ الْأَنْبارِيِّ، فهو قاسِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ بَشَّارٍ، أبو مُحَمَّدٍ الْأَنْبارِيُّ النَّحْوِيُّ. كانَ مُحَدِّثًا أَخْبارِيًّا، عارِفًا بِالْأَدَبِ والْغَريبِ، ثِقَةً، صاحِبَ عَرَبِيَّةٍ. أَخَذَ عن سَلَمَةَ بنِ عاصِمٍ، وأبي عِكْرِمَةَ الضَّبِّيِّ.

وَصَنَّفَ: "خَلْقُ الإنْسانِ"، "خَلْقُ الْفَرَسِ"، "الْأَمْثالُ"، "الْمَقْصورُ والْمَمْدودُ"، "الْمُذَكَّرُ والْمُؤَنَّثُ"، "غَريبُ الْحَديثِ"، "شَرْحُ السَّبْعِ الطِّوالِ".

ماتَ في غُرَّةِ ذي الْقَعْدَةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ، أو صَفَرٍ سَنَةَ خَمْسٍ وثَلاثِمِئَةٍ[2].

قُلْتُ: هذه مَشاهيرُ عُلَماءِ الْأَدَبِ، ولم يُخَلِّفْ من بَعْدَهُمْ مِثْلَهُمْ إلَّا قَليلًا، وسَتَعْرِفُهُمْ إنْ شاءَ الله تعالى.

---

(1) بغية الوعاة: 1/ 397.

(2) المصدر نفسه: 2/ 261.

خاتِمَةٌ في ذِكْرِ الْكُتُبِ الْمَشْهورَةِ الْمُعْتَنَى بِشَأْنِها في عِلْمِ النَّحْوِ وبَيانِ أَحْوالِ مُصَنِّفيها:

ومن الْكُتُبِ الْمُخْتَصَرَةِ فيه:

مُقَدِّمَةُ ابْنِ الْحاجِبِ الْمُسَمَّاةُ بـ "الْكافِيَةُ"، وقد عَرَفْتَ تَرْجَمَةَ ابنِ الْحاجِبِ في عِلْمِ الصَّرْفِ عند ذِكْرِ كِتابِ **"الشَّافِيَةُ"**. والنَّاسُ قد اعْتَنَوْا بِكِتابِ **"الْكافِيَةُ"** أَشَدَّ الاِعْتِناءِ، بحيث لا يُمْكِنُ إحْصاءُ شُروحِها، وهي حَقيقَةٌ بذلك.

وَأَجَلُّ شُروحِها الَّذِي سارَ ذِكْرُهُ في الْأَمْصارِ وَالْأَقْطارِ، مَسِيرَ الصَّبا وَالْأَمْطارِ: **شَرْحُ الْعَلامَةِ نَجْمِ الأَئِمَّةِ رَضِيِّ الدِّينِ الْأَسْتَراباذِيِّ**، وهو شَرْحٌ عَظيمُ الشَّأْنِ، جامِعٌ لكلِّ بَيانٍ وبُرْهانٍ، تَضَمَّنَ من الْمَسائِلِ أفْضَلَها وأعْلاها، ولم يُغادِرْ من الْفَوائِدِ صَغيرَةً ولا كَبيرَةً إلَّا أَحْصاها.

قالَ السُّيوطِيُّ في **"طَبَقاتُ النُّحاةِ"**: الرَّضِيُّ الْإِمامُ الْمَشْهورُ، صاحِبُ **"شَرْحُ الْكافِيَةِ"**، لِابْنِ الْحاجِبِ. الَّذِي لم يُؤَلَّفْ عليها ولا في غالِبِ كُتُبِ النَّحْوِ مِثْلُهُ، جَمْعًا وتَحْقِيقًا، وحُسْنَ تَعْلِيلٍ. وقد أَكَبَّ النَّاسُ عليه وَتَداوَلوهُ، واعْتَمَدَهُ شُيوخُ هذا الْعَصْرِ فمن قَبْلَهُمْ في مُصَنَّفاتِهِمْ ودُروسِهِمْ. وله فيه أَبْحاثٌ كَثيرَةٌ مع النُّحاةِ، وَاخْتِياراتٌ جَمَّةٌ، ومَذاهِبُ يَنْفَرِدُ بها. ولَقَبُهُ نَجْمُ الْأَئِمَّةِ، ولم أَقِفْ على اسْمِهِ، ولا على شَيْءٍ من تَرْجَمَتِهِ، إلَّا أَنَّهُ فَرَغَ من تَأليفِ هذا الشَّرْحِ، سَنَةَ ثَلاثٍ وَثَمانينَ وَسِتِّمِئَةٍ. وَأَخْبَرَني صاحِبُنا الْمُؤَرِّخُ

شَمْسُ الدِّينِ ابْنُ عَزْمٍ بِمَكَّةَ أَنَّ وَفاتَهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمانِينَ أو سِتٍّ -الشَّكُّ مِنِّي - وله: **شَرْحٌ**[1] **على الشَّافِيَةِ**. انْتَهَى ما ذَكَرَهُ السُّيوطِيُّ[2].

قُلْتُ: أَمَّا ما سَمِعْتُهُ من شَأْنِ هذا الْكِتابِ، أَنَّ السَّعْدَ التَّفْتازانِيَّ سَأَلَ بَعْضًا من الطَّلَبَةِ، أَنَّ الشَّريفَ الْجُرْجانِيَّ بأَيِّ شَيْءٍ يَشْتَغِلُ؟ قال: **بِشَرْحِ الْكافِيَةِ**، لِلشَّيْخِ رَضِيِّ الدِّينِ، قالَ: لَعَلَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُصَنِّفَ شَرْحًا **لِلْمِفْتاحِ**. ولِلشَّريفِ الْجُرْجانِيِّ **تَعْليقاتٌ وحَواشٍ على هذا الشَّرْحِ**، رَأَيْناها وَاسْتَفَدْنا منها.

ويُرْوى أَنَّ نَجْمَ الْأَئِمَّةِ رَضِيَّ الدِّينِ، كان على مَذْهَبِ الرَّفْضِ.

ويُحْكَى عنه أَنَّهُ كانَ يَقولُ: الْعَدْلُ في عُمَرَ ليس بِتَحْقيقٍ، مَوْضِعَ قَوْلِهِ: الْعَدْلُ في عُمَرَ تَقْديرِيٌّ. نَعوذُ باللهِ من الْغُلُوِّ في الْبِدْعَةِ، والْعَصَبِيَّةِ في الْباطِلِ.

يُقالُ: إِنَّهُ ليس في الْمُتَأَخِّرينَ من اطَّلَعَ على تَدْقيقاتِ **"كِتابُ سِيبَوَيْهِ"** مِثْلُهُ.

ومِنْ شُروحِ "الْكافِيَةُ": شَرْحُ السَّيِّدِ رُكْنِ الدِّينِ ثَلاثَةَ شُروحٍ: **كَبيرٍ، ومُتَوَسِّطٍ، وصَغيرٍ**.

وهذا **"الْمُتَوَسِّطُ"**، مُتَدَاوَلٌ بينَ النَّاسِ على أيدي الْمُبْتَدِئينَ. وصاحِبُهُ الْحَسَنُ بنُ محمد بْنِ شَرَفْشاه الْعَلَوِيُّ **الْأَسْتَرَاباذِيُّ**، أبو الْفَضائِلِ السَّيِّدُ رُكْنُ الدِّينِ.

قال ابْنُ رَافِعٍ في "ذَيْلُ تاريخِ بَغْدادَ": قَدِمَ مَراغَةَ، واشْتَغَلَ على مَولانا نَصيرِ الدِّينِ، وكانَ يَتَوَقَّدُ ذَكاءً وفِطْنَةً. وكانَ الْمَوْلى قُطْبُ الدِّينِ حِينَئِذٍ في

---

(1) شروح، في مراد ملا.

(2) بغية الوعاة: 1/ 567-568.

مَمالِكِ الرُّومِ، فَقَدَّمَهُ النَّصيرُ، وصارَ رَئيسَ الْأَصْحابِ بمَراغَةَ. وكانَ **يُجيدُ** دَرْسَ الْحِكْمَةِ، وكَتَبَ **الْحَواشي على التَّجْريدِ** وَغَيْرَهُ، وكَتَبَ لِوَلَدِ النَّصيرِ **شَرْحًا على قَواعِدِ الْعَقائِدِ.**

ولَمَّا تَوَجَّهَ النَّصيرُ إلى بَغْدادَ، سنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعينَ وسِتِّمِئَةٍ، لازَمَهُ، فَلَمَّا ماتَ النَّصيرُ في هذه السَّنَةِ، صَعِدَ إلى الْمَوْصِلِ، واسْتَوْطَنَها، ودَرَّسَ بالْمَدْرَسَةِ النُّورِيَّةِ بها، وفُوِّضَ إليه النَّظَرُ في أَوْقافِها. **وشَرَحَ مُقَدِّمَةَ ابْنِ الْحاجِبِ** بِثَلاثَةِ شُروحٍ؛ أَشْهَرُها **"الْمُتَوَسِّطُ"**. وتَكَلَّمَ في أُصولِ الْفِقْهِ، وَأَخَذَ على السَّيْفِ الْآمِدِيِّ، ثُمَّ فُوِّضَ إليه تَدْرِيسُ **"الشَّافِيَةُ"** بِالسُّلْطانِيَّةِ.

وَماتَ في رابِعَ عَشَرَ صَفَرٍ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وسَبْعِمِئَةٍ.

وذَكَرَهُ الْإِسْنَوِيُّ في: **"طَبَقاتُ الشَّافعيَّةِ"**، وقالَ: **شَرَحَ "الْحَاوِي"**[1]، **وَماتَ** سَنَةَ ثَمانِيَ عَشْرَةَ.

وَقالَ الصَّفَدِيُّ: كان شَديدَ التَّواضُعِ، يَقومُ لِكُلِّ أَحَدٍ حَتَّى السَّقَّاءِ، شَديدَ الْحِلْمِ، وافِرَ الْجَلالَةِ عند التَّتارِ. **شَرَحَ مُخْتَصَرَ ابنِ الْحاجِبِ الْأَصْلِيَّ**، وشَرَحَ **الشَّافِيَةَ** في التَّصْريفِ. وعاشَ بِضْعًا وسَبْعينَ سَنَةً[2].

ومِنْ شُروحِ **"الْكافِيَةُ"**: شَرْحُ مولانا الْخَبيصِيّ الْمُسَمَّى بـ **"الْوِشاحُ"**، وهو قد بَلَغَ النِّهايَةَ في حُسْنِ الإيجازِ، مع تَكْثيرِ لِلْفَوائِدِ، والِاسْتِقْصاءِ في الشَّواهِدِ.

---

(1) شرح الحاجبية، في بغية الوعاة: 1/ 522.

(2) المصدر نفسه: 1/ 521-522.

قال السُّيوطِيُّ: أبو بَكْرٍ الْخَبِيصِيُّ صاحِبُ **شَرْحِ الْحاجِبِيَّةِ**، الْمَشْهورِ. وهو مَمْزوجٌ مُخْتَصَرٌ مُتَداوَلٌ بينَ النَّاسِ، سَمَّاهُ "**الْمُوَشَّحُ**"، ولا أعْرِفُ من تَرْجَمَتِهِ زيادَةً على هذا[1].

قُلْتُ: خَبِيصُ، قَرْيَةٌ من قُرَى كَرْمانَ[2]، ونِسْبَتُهُ إليها لا إلى بائِعِ الْخَبيصَةِ كما تَوَهَّمَهُ بعضُ النَّاسِ.

وعلى هذا الشَّرْحِ **تَعْليقاتٌ** و**فَوائِدُ** مُهِمَّةٌ للسَّيِّدِ الشَّريفِ الْجُرْجانِيِّ.

ومِنْ شُروحِ "**الْكافِيَةُ**": "**شَرْحُ الْهِنْدِيِّ لِلْكافِيَةِ**"، ولَعَلَّهُ لِسِراجِ الدِّينِ الْهِنْدِيِّ. وسَتَعْرِفُ تَرْجَمَتَهُ في فَنِّ أُصولِ الْفِقْهِ، لِأَنَّهُ أَشْهَرُ بِذَلِكَ مِنَ النَّحْوِ.

ومِنْ شُروحِها: "**شَرْحُ الْفاضِلِ السَّامي مَوْلانا عَبْدِ الرَّحْمنِ الْجامِي**"، بَلَغَ غايَةً لا يُمْكِنُ الزِّيادَةَ عليها، في لُطْفِ التَّحْريرِ، وحُسْنِ التَّرْتيبِ، وشُهْرَةُ حالِهِ في بِلادِنا أَغْنَتْنا عن التَّعَرُّضِ لِتَرْجَمَتِهِ[3]. قُدِّسَ سِرُّهُ.

ومِنْ شُروحِها: "**شَرْحُ الْكافِيَةِ**"، لِجَلالِ الدِّينِ الْغُجْدُوانِيِّ، وهو أَحْمَدُ ابنُ عَلِيٍّ بنِ مَحْمودٍ، جَلالُ الدِّينِ الْغُجْدُوانِيُّ.

قالَ السُّيوطِيُّ: لم أَقِفْ له على تَرْجَمَةٍ، إلَّا أنَّ هذا الشَّرْحَ مَشْهورٌ بِأَيْدِي النَّاسِ لَطيفٌ، ذَكَرَ فيه أَنَّهُ قَرَأَ على الْحُسامِ السِّغْناقِيِّ[4].

---

(1) بغية الوعاة: 1/ 475.

(2) ينظر معجم البلدان: 2/ 345.

(3) له ترجمة مفصلة في الشقائق النعمانية: 152.

(4) بغية الوعاة: 1/ 347.

وَمِنْ شُروحِ "الْكَافِيَةُ": "شَرْحُ النَّجْمِ السَّعيدِيِّ"، وهو سَعيدٌ الْعَجَمِيُّ الْمَشْهورُ بالنَّجْمِ سَعِيدٍ[1]، شارِحِ الْحاجِبِيَّةِ.

قالَ السُّيوطِيُّ: لم أَقِفْ له على تَرْجَمَةٍ. وشَرْحُهُ هذا كَبيرٌ، جَعَلَهُ شَرْحًا لِلْمَتْنِ، ولِشَرْحِ الْمُصَنِّفِ لِلْمَتْنِ، وفيه أَبْحاثٌ حَسَنَةٌ[2].

وَمِنْ شُروحِ الْكافِيَةِ: "شَرْحُ تَقِيِّ الدِّينِ النِّيلِيِّ"[3]، وهو إبْراهيمُ بنُ الْحُسَيْنِ بنِ عبد الله بنِ إبْراهيمَ بنِ ثابِتٍ الطَّائِيُّ[4].

وَمِنَ الْمُخْتَصَراتِ في عِلْمِ النَّحْوِ:

"لُبُّ الْأَلْبابِ"[5]، وعليه شُروحٌ، أَحْسَنُها وَأَفْضَلُها: شَرْحُ السَّيِّدِ عبدِ الله ابنِ محمَّدٍ الْحُسَيْنِيِّ الْعَجَمِيِّ، السَّيِّدِ جمالِ الدِّينِ النُّقْرَةِ كار، بضَمِّ النُّونِ، وسُكونِ القافِ، وبالرَّاءِ الْمُهْمَلَةِ، مَعْناهُ: صانِعُ الْفِضَّةِ. صاحِبُ "شَرْحُ اللُّبِّ"، و"شَرْحُ اللُّبابِ"[6]، و"شَرْحُ الشَّافِيَةِ"، في التَّصْريفِ، وهي تَصانِيفُ مَشْهورَةٌ مَمْزوجَةٌ مُتَداوَلَةٌ بأَيْدِي النَّاسِ.

(1) السعيد، في أنطاليا

(2) بغية الوعاة: 1/ 591.

(3) سَمَّاهُ: "التحفة الشافية في شرح الكافية"، وهو مطبوع.

(4) بغية الوعاة: 1/ 410.

(5) ويرد في بعض النسخ الخطية من شرح الكتاب: "لب اللباب في علم الإعراب"، لمحمد بن محمد الأسفراييني (ت.684هـ).

(6) "العباب في شرح لباب الإعراب"، وهو مطبوع.

قالَ السُّيوطِيُّ: لَمْ أَقِفْ له على تَرْجَمَةٍ، إلَّا أَنَّهُ ذَكَرَ في **"شَرْحُ الشَّافِيَةِ"**، أَنَّهُ أَلَّفَهُ لِلْأَميرِ الْجَامِي، وهو قَريبٌ من الثَّمانِمِئَةِ. ثم وَقَفْتُ له على **"شَرْحُ التَّلْخيصِ"**، مَمْزوجٍ. ذَكَرَ فيه أَنَّهُ أَلَّفَهُ لِلْأَميرِ مَنْكَلي بُغَاي[1]. وله: **"شَرْحٌ على التَّنْقِيحِ"**، في أُصولِ الْفِقْهِ، لِلفاضِلِ صَدْرِ الشَّريعَةِ. ورَأَيْتُ في بعض نُسَخِ هذا الشَّرْحِ أَنَّهُ أَتَمَّ تَصْنيفَهُ في يَوْمِ الْعيدِ من شَوَّالٍ سَنَةَ إحْدَى وسَبْعينَ وسَبْعِمِئَةٍ.

ومِنَ الْمُخْتَصَراتِ في عِلْمِ النَّحْوِ:

"لُبابُ الإِعْرابِ"، لِلإمامِ الْفاضِلِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بنِ أَحْمَدَ، تاجِ الدِّينِ الْأَسْفَرايِينِيِّ، صاحِبِ **"اللُّبابُ"**[2]، وصاحِبِ **شَرْحِ الْمِصْباحِ** الْمُسَمَّى بـ **"ضَوْءُ الْمِصْباحِ"** في النَّحْوِ.

قال السُّيوطِيُّ: لم أَقِفْ له على تَرْجَمَةٍ[3].

وله شُروحٌ كَثيرَةٌ منها: **"شَرْحُ السَّيِّدِ عبدِ اللهِ"** شارِحِ **اللُّبِّ**. وقد تَقَدَّمَ[4].

و **"شَرْحُ قُطْبِ الدِّينِ الْفَالِيِّ"**، وهو مُحَمَّدُ بنُ سَعيدِ بنِ مَحْمودِ بنِ أبي الْفَتْحِ السِّيرافِيِّ الْمَعْروفِ بالْفالِيِّ - بالْفاءِ - صاحِبُ **"شَرْحُ اللُّبابِ"**.

قالَ السُّيوطِيُّ: لم أَقِفْ له على تَرْجَمَةٍ[5].

---

(1) بغية الوعاة: 2/ 70.

(2) كتاب اللباب في علم الإعراب.

(3) بغية الوعاة: 1/ 219.

(4) يقصد جمال الدين النقرة كار.

(5) بغية الوعاة: 2/ 381، وترجمته في هدية العارفين: 2/ 142.

و"**شَرْحُ الإمامِ الزَّوْزَنِيِّ**"، وهو مُحَمَّدُ بنُ عُثْمَانَ بنِ محمَّدِ بنِ أبي عليٍّ الْعَرَضِ، بفتح الرَّاء، الزَّوْزَنِيُّ. وزَوْزَنُ: بَلَدٌ بين هَرَاةَ ونَيْسابورَ.

وشَرْحٌ آخَرُ مَوْسومٌ بـ "**الْعُبابُ**"، ولم نَتَحَقَّقِ اسْمَ[1] مُؤَلِّفِهِ[2].

و"**شَرْحُ مولانا شَيْخِ عَلِيٍّ الشَّهيرِ بِـ "مُصَنِّفَكَ"**"، كانَ رَحِمَهُ الله مِنْ أَوْلادِ الْإمامِ فَخْرِ الدِّينِ الرَّازِيِّ، وَكانَ لِلإمامِ الرَّازِيِّ وَلَدٌ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ، وكان الإمامُ يُحِبُّهُ كَثيرًا، وَأَكْثَرُ مُصَنَّفاتِهِ صُنِّفَتْ لِأَجْلِهِ، وقد ذَكَرَ اسْمَهُ في بَعْضِها.

وماتَ مُحَمَّدٌ في عُنْفُوانِ شَبابِهِ. وَوُلِدَ له وَلَدٌ بعد وفاتِهِ، وسَمَّوْهُ أيضًا مُحَمَّدًا، وبَلَغَ رُتْبَةَ أَبِيهِ في الْعِلْمِ، ثُمَّ ماتَ، وخَلَّفَ وَلَدًا اسْمُهُ مَحْمودُ، وبَلَغَ هو أيضًا رُتْبَةَ الْكَمالِ. ثُمَّ عَزَمَ على سَفَرِ[3] الْحِجازِ، وخَرَجَ من هَرَاةَ، ولمَّا وَصَلَ بِسْطامَ، أَكْرَمَهُ أَهْلُها، لِمَحَبَّتِهِمْ في الْعُلَماءِ، سِيَّمَا أولادِ فَخْرِ الدِّينِ الرَّازِيِّ، فأقامَ هناك بِحُرْمَةٍ وافِرَةٍ.

وَخَلَّفَ ولدًا اسْمُهُ مَسْعودٌ، وسَعَى في تَحْصيلِ الْعِلْمِ، لكنَّهُ لم يَبْلُغْ رُتْبَةَ آبائِهِ، وَقَنِعَ بِرُتْبَةِ الْوَعْظِ، لأنه لم يُهاجِرْ وَطَنَهُ. وخَلَّفَ وَلَدًا اسْمُهُ مُحَمَّدُ أَيْضًا، وَحَصَّلَ هو من الْعُلومِ ما يَقْتَدي به أَهْلُ تلك الْبَلْدَةِ[4].

---

(1) يَتَحَقَّقْ اسْمُ، في قونية ورئيس الكتاب وأنطاليا.

(2) هو لجمال الدين النقرة كار، وقد فرغ من تأليفه في جمادى الأولى سنة 735هـ.

(3) عزمَ سَفَرَ، في قونية وأنطاليا.

(4) البلاد، في رئيس الكتاب والأزهرية ونور عثمانية.

ثم خَلَّفَ وَلَدًا اسْمُهُ مَجْدُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ، وَصارَ هو أيضًا مُقْتَدى النَّاسِ في الْعِلْمِ. وَوُلِدَ له وَلَدٌ اسْمُهُ "شَيْخُ عَلِيٌّ"، وهو الَّذِي اشْتَهَرَ بمولانا "مُصَنِّفَكَ"، لأَنَّهُ صَنَّفَ كُتُبًا شَريفَةً في حَداثَةِ سِنِّهِ كما سَنَذْكُرُهُ[1].

والْكافُ في لُغَةِ الْعَجَمِ لِلتَّصْغيرِ، فهو شَيْخُ عَلِيٌّ بنُ مَجْدِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بنِ مَسْعودِ بنِ مَحْمودِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عُمَرَ الشَّاهْرودِيُّ الْبِسْطامِيُّ الْهَرَوِيُّ الرَّازِيُّ الْعُمَرِيُّ الْبَكْرِيُّ.

وكان الإمامُ الرَّازِيُّ يُصَرِحُ في مُصَنَّفاتِهِ، بأنه منْ أولادِ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ رضِيَ الله عنه. وَذَكَرَ أَهْلُ التَّاريخِ، أَنَّهُ من أولادِ أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، رضي الله عنه.

وَوُلِدَ الْمَوْلَى مُصَنِّفَك في سَنَةِ ثَلاثٍ وثَمانِمِئَةٍ، وَسافَرَ مع أَخيهِ إلى هَراةَ لِتَحْصيلِ الْعِلْمِ في سنةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَثَمانِمِئَةٍ.

وصَنَّفَ: "شَرْحُ الْإِرْشادِ" في سَنَةِ ثَلاثٍ وعِشْرينَ، و"شَرْحُ الْمِصْباحِ"، في النَّحْوِ، في سنَةِ خَمْسٍ وعِشْرينَ، و"شَرْحُ آدابِ الْبَحْثِ" في سَنَةِ سِتٍّ وعِشْرينَ بإشارَةِ رَسولِ الله صلَّى الله عليه وسَلَّمَ. و"شَرْحُ اللُّبابِ" سَنَةَ ثَمانٍ وعِشْرينَ، و"شَرْحُ الْمُطَوَّلِ"، في سنَةِ اثْنَيْنِ وثَلاثينَ، و"شَرْحُ شَرْحِ الْمِفْتاحِ"، لِلتَّفْتازانِيِّ سَنَةَ أَرْبَعٍ وثَلاثينَ.

وصَنَّفَ: "حاشِيَةُ التَّلْويحِ"، سَنَةَ خَمْسٍ وثَلاثينَ، و"شَرْحُ الْبُرْدَةِ"، في تلك السَّنَةِ أيْضًا، وكذا شَرَحَ فيها الْقَصيدَةَ الرّوحِيَّة، لابْنِ سِينا. ثُمَّ ارْتَحَلَ

(1) الترجمة في الشقائق النعمانية: 100.

في سَنَةَ تِسْعٍ وثَلاثينَ إلى هَراةَ، وشَرَحَ هناك **"الْوِقايَةُ"**، وشَرَحَ **"الْهِدايَةُ"** سَنَةَ تِسْعٍ وثَلاثينَ. وصَنَّفَ في هذه السَّنَةِ أيْضًا: **"حَدائِقُ الإيمانِ لأهْلِ الْعِرْفانِ"**. ثُمَّ ارْتَحَلَ سَنَةَ ثَمانٍ وأَرْبَعينَ إلى مَمالِكِ الرُّومِ. وصَنّفَ هناكَ في سَنَةِ خَمْسينَ وثَمانِمِئَةٍ **"شَرْحُ الْمَصابيحِ" لِلْبَغَوِيِّ**، بإِشارَةِ حَضْرَةِ الرِّسالَةِ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ. **وَشَرَحَ** في تلك السَّنَةِ أيضًا **"شَرْحُ الْمِفْتاحِ الشَّريفِيِّ"**[1]. وصَنَّفَ في هذه السَّنَةِ أيْضًا **"حاشِيَةُ شَرْحِ الْمَطالِعِ"**، وَأَيْضًا شَرَحَ بَعْضًا من **أُصولِ فَخْرِ الإِسْلامِ الْبَزْدَوِيِّ**، وصَنَّفَ في سَنَةِ سِتٍّ وخَمْسينَ **"شَرْحُ الْكَشَّافِ للزَّمَخْشَرِيِّ"**.

وَصَنَّفَ من الْكُتُبِ على اللِّسانِ الْفارِسِيِّ: **"أَنْوارُ الأَحْداقِ"**، و**"حَدائِقُ الإِيمانِ"**، و**"تُحْفَةُ السَّلاطينِ"**.

وصَنَّفَ في تاريخِ إِحْدَى وسِتِّينَ كِتابَ **"التُّحْفَةُ الْمَحْمودِيَّةُ"**، صَنّفَهُ لأَجْلِ الوَزيرِ مَحْمودِ باشا، صَنَّفَهُ على اللِّسانِ الْفارِسِيِّ في نَصيحَةِ الْوُزَراءِ، وذَكَرَ هذه التَّواريخَ في هذا الْكِتابِ. وذَكَرَ فيه أنه عَزَمَ على أن لا يُصَنِّفَ شيئًا بَعْدَهُ، اعْتِذارًا عنه بِكِبَرِ السِّنِّ، سِيَّمَا الْكُتُبُ الْفارِسِيَّةُ، وكان سِنُّهُ إذ ذاك على ما ذَكَرَهُ في ذلك الْكِتابِ ثَمانٍ وخَمْسينَ، إلا أنَّ له تَصانيفَ أُخَرَ غير ما ذَكَرَهُ، ولم نَدْرِ أَنَّهُ نَقَضَ عَزيمَتَهُ وصَنَّفَها بعد ذلك التَّاريخِ، أو صَنَّفَ قَبْلَهُ ولم يُذْكَرْ عند ذِكْرِ مُصَنَّفاتِهِ، وذلك **كالتَّفْسِيرِ الفارِسِيِّ**، رَأَيْنا منه الْمُجَلَّدَةَ الأولى، وهي في تَفْسيرِ الْفاتِحَةِ خاصَّةً، والْمُجَلَّدَةَ الأَخيرَةَ، وهي من سورَةِ

---

(1) يعرف بشرح المصباح.

النَّبَأ إلى آخِرِ الْقُرْآنِ. ولقد أَجادَ في تَرْتِيبِهِ، واعْتَذَرَ هو عن تَأْليفِهِ على ذلك اللِّسانِ، وقالَ: كَتَبْتُهُ بأمْرِ السُّلْطانِ مُحَمَّدِ خان، والْمَأمورُ مَعْذورٌ.

وله أيْضًا: "**شَرْحُ الشَّمْسِيَّةِ**"، على اللِّسانِ الْفارِسِيِّ. وله أيْضًا: "**حاشِيَةٌ على شَرْحِ الْوِقايَةِ**" لِصَدْرِ الشَّرِيعَةِ، وَغَيْرُ ذلِكَ[1].

ثُمَّ قالَ في "**التُّحْفَةُ الْمَحْمودِيَّةُ**" بعد ذِكْرِ نَسَبِهِ: هؤلاء آباءُ الْأَبْدانِ، وأمَّا آباءُ الْأرْواحِ فكَثيرَةٌ، أمَّا في الْعُلومِ الْعَرَبِيَّةِ، فلي أُسْتاذانِ:

ـ **أَوَّلُهما**، مولانا جَلالُ الدِّينِ يوسُفُ الْأَوْبَهِيُّ، رحمه الله. كان مِنْ مُقَدَّمِي عُلَماءِ خُراسانَ والْعِراقِ وما وَراءَ النَّهْرِ، وكان وَحيدَ دَهْرِهِ في عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ، سِيَّما في حَلِّ **الْكَشَّافِ**، و**الْمِفْتاحِ**، وكان يُضْرَبُ به الْمَثَلُ في ذَكاءِ الطَّبيعَةِ، وَقُوَّةِ الْقَريحَةِ. وكانَ من تَلامِذَةِ مولانا سَعْدِ الدِّينِ التَّفْتازانِيِّ، وقد أجازَهُ التَّفْتازانِيُّ من بين تَلامِذَتِهِ بِتَغْيِيرِ مُصَنَّفاتِهِ، وقال:

أمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللهِ، والصَّلاةِ على رَسولِ اللهِ، فقد أَجَزْتُ لِلْمَوْلَى الْعالِمِ الفاضِلِ الْكامِلِ، جلالِ الدِّينِ يوسُفَ ابْنِ الإمامِ الْمَرْحومِ رُكْنِ الدِّينِ مَسيحِ، أن يَرْوِيَ عَنِّي مَقْروءاتِي ومَسْموعاتِي ومُسْتَجازاتِي عُمومًا، ومُصَنَّفاتِي خُصوصًا، فقد قَرَأَ الْكَثيرَ، وَسَمِعَ الْكَثيرَ؛ مثلَ: "**شَرْحُ الْكَشَّافِ**" و"**الْمِفْتاحُ**"، وَغَيْرِهِما، وأنْ يُدَرِّسَهُمَا، ويُصْلِحَ ما تَيَقَّنَ أنه مِنْ سَهْوِ الْبَنانِ، أو الْبَيانِ، بعد التَّأَمُّلِ والِاحْتِياطِ، والْمُراجَعَةِ والْمُطالَعَةِ الْوافِرَةِ.

---

(1) الشقائق النعمانية: 101.

وهذا خَطُّ الْفَقيرِ سَعْدِ التَّفْتازانِيِّ، كَتَبَهُ في آخِرِ سَفَرِ حَياتِهِ، والاتِّصالِ بِوَفاتِهِ، وهو: الْأواخِرُ من مُحَرَّمٍ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وتِسْعينَ وَسَبْعِمِئَةٍ بِسَمَرْقَنْدَ.

ـ والْأُسْتاذُ الثَّاني في هذه الْعُلومِ: الْفاضِلُ الْعَلاَّمَةُ، قُطْبُ الْمِلَّةِ والدِّينِ، أحْمَدُ بنُ محمَّدِ بنِ مَحْمودٍ الْإماميُّ الْهَرَوِيُّ، بَلَّغَهُ الله إلى أقْصى ما يَتَمَنَّاهُ في دينِهِ ودُنْياهُ، وفي آخِرَتِهِ وعُقْباهُ. وهو في هذه الْعُلومِ تِلْميذُ الْإمامِ الْمُحَقِّقِ، الْفاضِلِ الْمُدَقِّقِ، الذي كان مع كِبَرِ سِنِّهِ يُضيءُ بين الْعُلَماءِ كَالْبَدْرِ بين النُّجومِ، مَوْلانا جَلالِ الْمِلَّةِ والدِّينِ يوسُفَ الْأَوْبَهِيِّ الْمَذْكورِ، نَوَّرَ الله رُوحَهُ، وكَثَّرَ في كلِّ لَحْظَةٍ فَتْحَهُ وفُتوحَهِ. وهو تِلْميذُ الإمامِ، إمامِ الدُّنْيا، الذي أشْرَقَتِ الأرْضُ بنورِ عُلومِهِ وتَصْنيفاتِهِ وتَأْليفاتِهِ، سَعْدِ الْحَقِّ والْمِلَّةِ والشَّريعَةِ التَّفْتازانِيِّ، أحَلَّهُ اللهُ دارَ رِضوانِهِ، وألْبَسَهُ لِباسَ عَفْوِهِ وغُفْرانِهِ.

وأمَّا أُسْتاذي في الْفِقْهِ، أمَّا في فِقْهِ الشَّافِعِيِّ، فهو الْفاضِلُ الْكامِلُ، الَّذي كان تَسْتَضيءُ الْآفاقُ في حَياتِهِ بِنورِ تَقْواهُ، ويَسْتَفيدُ الْعالِمونَ بِنورِ فَتْواهُ، الْإمامُ الْهُمامُ عَبْدُ الْعَزيزِ بنُ أحْمَدَ بنِ عَبْدِ الْعَزيزِ الْأَبْهَرِيُّ، فقد قَرَأْتُ كتابَ **الْحاوِي** عِنْدَهُ، وَكَتَبَ لي إجازَتي في الدَّرْسِ والْفَتْوى. وكِتابُ إِجازَتِهِ طَويلٌ، إلا أنَّ من جُمْلَةِ ما كَتَبَ في شَأني، أنَّهُ قالَ:

بَعْدَما سابَقَ أقْرانَ قَرْنِهِ في هذه الْحَلْبَةِ، وفاقَ على أبْناءِ عَصْرِهِ في التَّحَلِّي بهذه الْحِلْيَةِ، وصارَ مِمَّنْ يُعَوَّلُ عليه، وغُصْنُ شَبابِهِ نَضيرٌ، ويُراجَعُ إليه ومَا لَهُ في الْآفاقِ نَظيرٌ، فَأَجَزْتُ له أن يُدَرِّسَ جَميعَ الْكُتُبِ الْمُتَداوَلَةِ من كُتُبِ

الْفُروعِ والأصولِ، ونُسَخِ الْمَعْقولِ والْمَنْقولِ، وأنْ يَرْوِيَ التَّفْسِيرَ والْحَديثَ والْفِقْهَ عَنِّي، وكُلَّ ما وَضَحَ وصَحَّ عِنْدَهُ أنه من مَقْروءاتِي ومَسْموعاتِي ومَجازاتِي بِشَرْطِ الرِّعايَةِ، لِمَا شَرَطَ أهْلُ الصِّناعَةِ في الرِّوايَةِ، وأن يَكْتُبَ في الْحَوادِثِ الدِّينِيَّةِ والْوَقائِعِ الشَّرْعِيَّةِ جوابَ الْفَتْوى بِشَرْطِ الِاحْتِياطِ، والرُّجوعِ إلى الْكُتُبِ مَرَّةً بَعْدَ أخْرى، واخْتِيارِ ما هو الْأَصَحُّ والْأَقْوى. واللهُ يَعْصِمُهُ وإيَّايَ من الْمَيْلِ واتِّباعِ الْهَوَى.

ثُمَّ قالَ: ثُمَّ إنِّي أَخَذْتُ الْفِقْهَ عن شَيْخي وَوَالِدِي قُدْوَةِ الْمُحَقِّقينَ، زُبْدَةِ الْمُدَقِّقينَ، سَيْفِ الْحَقِّ والشَّريعَةِ وَالدِّينِ، أَحْمَدَ بْنِ الْمَوْلَى الْفاضِلِ الْكامِلِ الْعالِمِ الْعامِلِ نِظامِ الدِّينِ عَبْدِ الْعَزيزِ الْأَبْهَرِيِّ؛ وهو عن الشَّيْخِ الْفَقيهِ النَّبيهِ غِياثِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ سِبْطِ صاحِبِ "**الْحَاوِي**"، وهو: عن خالِهِ جَلالِ الْحَقِّ والدِّينِ، عن أبيهِ نَجْمِ الدِّينِ عبدِ الْغَفَّارِ الْقَزْوينِيِّ؛ عن الْإمامِ الْمُحَقِّقِ، والْحَبْرِ الْمُدَقِّقِ، أبي الْقاسِمِ عبدِ الْكَريمِ الرَّافِعِيِّ، عن أبيهِ الإمامِ نورِ الدِّينِ الرَّافِعِيِّ، عن الإمامِ أبي مَنْصورٍ؛ عن الإمامِ الْهُمامِ حُجَّةِ الإسْلامِ أبي حامِدٍ مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدٍ الْغَزالِيِّ؛ عن إمامِ الْحَرَمَيْنِ؛ عن أبيهِ الْإمامِ أبي مُحَمَّدٍ الْجُوَيْنِيِّ؛ عن الإمامِ أبي بَكْرٍ الْقَفَّالِ؛ عن الإمامِ أبي زَيْدٍ الْمَرْوَزِيِّ؛ عن الْإمامِ أبي إسْحاقَ الْأَسْفَرايِينِيِّ؛ عن ابْنِ سُرَيْجٍ؛ عن أبي الْقاسِمِ الْأَنْماطِيِّ؛ عن الْإمامَيْنِ إسْماعيلَ والرَّبيعِ؛ عن الإمامِ الْأعْلَمِ، والْهُمامِ الْمُكَرَّمِ، مُحَمَّدِ ابنِ إدْريسَ الشَّافِعِيِّ، رضِيَ الله عنه وأرْضاهُ؛ عن مُسْلِمٍ؛ عن ابن جُرَيْجٍ؛

عن عَطاءٍ؛ عن ابْنِ عَبَّاسٍ، وبِروايَتِهِ أيضا عن نافِعٍ؛ عن ابْنِ عُمَرَ؛ وهما رَضِيَ الله عنهما عن حَضْرَةِ رسولِ اللهِ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ.

وأمَّا في فِقْهِ أبي حَنيفَةَ رضي الله عنه: فَشَيْخِي وسَنَدِي وَأُسْتاذِي هو الْإمامُ قُدْوَةُ عُلَماءِ الْأنامِ، فَصيحُ الْحَقِّ والْمِلَّةِ والشَّريعَةِ والدِّينِ، مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدٍ عَلَا، أنْزَلَهُ في دارِ إكْرامِهِ مَنازِلَ الْعُلَى، فلقد كانَ آيَةً باهِرَةً في الْفَتْوَى، وحُجَّةً قاهِرَةً في التَّقْوَى. ومن جُمْلَةِ ما قال هذا الفاضِلُ في إجازَتِهِ لي:

وإنَّ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ خصَّ اللهُ شَأْنَهُ بالْعِلْمِ، الذي هو الْفَضْلُ الْعَظيمُ، والطَّوْلُ الْجَسيمُ، الْمَوْلى الْأعْظَمَ، الْمُتَحَلِّي بِأَكارِمِ الْأَخْلاقِ وأَحاسِنِ الشِّيَمِ، مُحَقِّقَ مُعْضِلاتِ الْأصولِ والْفُروعِ، مُوَضِّحَ مُشْكِلاتِ الْمَعْقولِ والْمَسْموعِ، صاحِبَ النِّصابِ الْكامِلِ من الْعُلومِ، الْغالِبَ بِوُفورِ فَضْلِهِ على الْقُرُومِ، الذي مُجْمَلُ الْعلُومِ عِنْدَهُ مُفَصَّلٌ، ولُبابُ الْفُنونِ له مُحَصَّلٌ، ذِهْنُهُ الْفائِقُ الرَّائِقُ كَنْزٌ مَشْحونٌ بِجَواهِرِ الدَّقائِقِ، الْأَخُ في اللهِ، السَّالِكُ في مَحَجَّةِ الِانْتِباهِ، أبو الْمَحامِدِ شَرَفُ الْمِلَّةِ والدِّينِ، شَيْخُ عَلِيُّ بْنُ الْإمامِ الْمَرْحومِ الْمَبْرورِ مولانا مَجْدِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ الشَّاهْرُودِيِّ الْبِسْطَامِيِّ، مَتَّعَ الله الْمُسْتَفيدينَ بأَنْفاسِهِ النَّفيسَةِ مُدَّةً طَويلَةً.

إلى أنْ قالَ: وسَمِعَ مِنِّي، وقَرَأَ عَلَيَّ، وحَقَّقَ لَدَيَّ الدَّفْتَرَ الْأَوَّلَ من "**الْهِدايَةُ**"، لِلشَّيْخِ الرَّبانِيِّ، والْحَبْرِ الْهُمامِ الصَّمَدانِيِّ، شَيْخِ الْإسْلامِ بُرْهانِ الشَّريعَةِ والْمِلَّةِ والدِّينِ الْمَرْغِينانِيِّ، جَعَلَ اللهُ سَعْيَهُ مَشْكورًا، ولَقَّاهُ نَضْرَةً وسُرورًا، وجَرَى بَيْنَنا

مُباحَثاتٌ كَثيرَةٌ بَثِيرَةٌ[1]، ومُناظَراتٌ غَزيرَةٌ، فَوَقَفْتُ بِتَفْتِيشِهِ على دَقائِقَ، كانت مَسْتورَةً في خِيامِ الاِسْتِتَارِ، واطَّلَعْتُ بِتَنْقِيرِهِ على حَدائِقَ ذاتِ بَهْجَةٍ تَروقُ عُيونَ أولي الْأَبْصارِ. ثم قالَ: فَأَجَزْتُ له أنْ يَرْوِيَ عَنِّي التَّفْسيرَ وَالْحَديثَ والْكَلامَ، والْفِقْهَ وَأُصولَهُ، والْأَدَبَ وما يَنْخَرِطُ في ذلك النِّظامِ، وأن يُجيبَ بالْبَنانِ والْبَيانِ في الْحَوادِثِ الْيَوْمِيةِ، والنَّوازِلِ الشَّرْعِيَّةِ، بعد الْإِتْقانِ والإيقانِ، وتَتَبُّعِ مُخْتاراتِ الرِّواياتِ بِقَدْرِ الْوُسْعِ والْإِمْكانِ، على مَذْهَبِ الْإِمامِ الْأَعْظَمِ أبي حَنيفَةَ، عليه شَآبيبُ الرَّحْمَةِ والرِّضْوانِ.

ومن الْمُخْتَصَراتِ في علم النَّحْوِ:

"**الْمِصْباحُ**"، لِلإمامِ الْمُطَرِّزِيِّ، وقد سَبَقَ تَرْجَمَتُهُ في عِلْمِ اللُّغَةِ، عند ذِكْرِ "**الْمُغْرِبُ**"، في لُغَةِ الْفِقْهِياتِ.

وله شُروحٌ منها: شَرْحٌ مُسَمًّى بـ "**ضَوْءُ الْمِصْباحِ**"، لِلْأَسْفَرايِينِيِّ، وقد تَقَدَّمَ هو. وله شَرْحٌ آخَرُ له سَمَّاهُ بـ "**الْمِفْتاحُ**"، واخْتَصَرَ منه "**الضَّوْءُ**". وله شَرْحٌ آخَرُ، لمولانا مُصَنِّفَك، وهو شَرْحٌ لَطيفٌ نافِعٌ في الْغايَةِ.

ومن كُتُبِ النَّحْوِ:

"**الْعُمْدَةُ**"، لابْنِ مالِكٍ، وقد ذَكَرْنا تَرْجَمَتَهُ؛ و"**تَسْهيلُ الْفَوائِدِ**"، له أيضًا، يَكادُ أن لا يُخِلَّ بِمَسْأَلَةٍ من النَّحْوِ، لَكِنْ عِباراتُهُ صَعْبَةٌ، لا يَنْتَفِعُ به الْمُبْتَدِئُ.

---

(1) اَلْبَثْرُ: اَلْكَثِيرُ، يُقَالُ: كَثيرٌ بَثِيرٌ، إتباع لَهُ وَقَدْ يُفْرَدُ. اللسان: بثر.

وله أيضًا: "**أَلْفِيَةٌ**" أَوْرَدَ فيها مُهِمَّاتِ "**التَّسْهيلُ**"، وعليها شُروحٌ مُفيدَةٌ سِيَّمَا "**شَرْحُ ابْنِ أمِّ قاسِمٍ**". وَمِنْ جُمْلَةِ شُروحِها: "**شَرْحُ وَلَدِ الْمُصَنِّفِ**"، وهو: مُحَمَّدُ بْنُ محمَّدِ بْنِ عبدِ اللهِ بنِ مالِكٍ، الْإمامُ بَدْرُ الدِّينِ ابْنُ الإمامِ جَمالِ الدِّينِ، الطَّائِيُّ الدِّمَشْقِيُّ الشَّافِعِيُّ النَّحْوِيُّ ابْنُ النَّحْوِيِّ.

قال الصَّفَدِيُّ: كانَ إمامًا ذَكِيًّا فَهِمًا، حادَّ الْخاطِرِ، إمامًا في النَّحْوِ والْمَعانِي والْبَيانِ والْبَديعِ والْعَروضِ، جَيِّدَ الْمُشارَكَةِ في الْفِقْهِ والْأصولِ. أَخَذَ عن والِدِهِ، وَوَقَعَ بينه وبينَهُ شَيْءٌ، فَسَكَنَ بَعْلَبَكَّ، فَقَرَأَ عليه جَماعَةٌ: منهم بَدْرُ الدِّينِ بنُ زَيْدٍ، فلمَّا ماتَ والِدُهُ طُلِبَ إلى دِمَشْقَ، وَوَلِيَ وَظيفَةَ والِدِهِ، وتَصَدَّى لِلِاشْتِغالِ والتَّصْنيفِ. وكان اللَّعِبُ يَغْلِبُ عليه، وَعِشْرَةُ من لا يَصْلُحُ، وكانَ إمامًا في مَوادِّ النَّظْمِ من النَّحْوِ والْمَعانِي والْبَيانِ والْعَروضِ والْبَديعِ، ولم يَقْدِرْ على نَظْمِ بَيْتٍ واحِدٍ بخِلافِ والِدِهِ.

وله من التَّصانيفِ: "**شَرْحُ أَلْفِيَةِ والِدِهِ**"، "**شَرْحُ كافِيَتِهِ**"، "**شَرْحُ لامِيَّتِهِ**"، "**تَكْمِلَةُ شَرْحِ التَّسْهيلِ**"، لم يُتِمَّهُ، "**الْمِصْباحُ في اخْتِصارِ الْمِفْتاحِ**"، في المعاني، "**رَوْضُ الأَزْهارِ**" فيه، "**شَرْحُ الْمُلْحَةِ**"، "**شَرْحُ الْحاجِبِيَّةِ**"، "**مُقَدِّمَةٌ في الْعَروضِ**"، "**مُقَدِّمَةٌ في الْمَنْطِقِ**"، وَغَيْرُ ذَلِكَ. **ماتَ** بِالْقُولَنْجِ بدِمَشْقَ، يَوْمَ الْأَحَدِ ثامِنِ الْمُحَرَّمِ، سَنَةَ سِتٍّ وثَمانينَ وسِتِّمِئَةٍ، وتَأَسَّفَ النَّاسُ عليه[1].

ومِنْ جُمْلَةِ شُروحِها: "**شَرْحُ ابْنِ جابِرٍ**"، وهو مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بنِ عَلِيٍّ ابنِ جابِرٍ الْأَنْدَلُسِيُّ الْهَوَّارِيُّ الْمالِكِيُّ، أبو عبدِ اللهِ الْأَعْمَى النَّحْوِيُّ.

---

(1) بغية الوعاة: 2/ 225.

وُلِدَ سنَةَ ثَمانٍ وتِسْعينَ وسِتِّمِئَةٍ، وقَرَأَ الْقُرْآنَ والنَّحْوَ على **مُحَمَّدِ ابْنِ يَعِيشَ**[1]، والْفِقْهَ على **مُحَمَّدِ بن سَعيدٍ الرُّنْدِيِّ**، والْحَديثَ على **أبي عَبْدِ اللهِ الزَّواوِيِّ**. ثم رَحَلَ إلى الدِّيارِ الْمِصْرِيَّةِ، صُحْبَةَ **أَحْمَدَ بْنِ يوسُفَ الرُّعَيْنِيِّ**. وهذانِ هما الْمَشْهورانِ بالْأَعْمَى والْبَصيرِ. فكان **ابْنُ جابِرٍ** يُؤَلِّفُ وَيَنْظِمُ و**الرُّعَيْنِيُّ** يَكْتُبُ، ولم يَزالا هكذا على طولِ عُمُرِهِما، وسَمِعا بِمِصْرَ مِنْ **أبي حَيَّانَ**، ودَخَلا الشَّامَ، وسَمِعا الْحَديثَ من **الْمِزِّي**، و**الْجَزَرِيِّ**، و**ابْنِ كامِيارَ**[2]، ثمَّ قَطَنا حَلَبَ، وحَدَّثا بها عن **الْمِزِّيِّ** بـ "**صحيح البخاري**"، وسَمِعَ منهما **الْبُرْهانُ الْحَلَبِيُّ**.

ومن تَصانيفِ ابْنِ جابِرٍ: "**شَرْحُ الْأَلْفِيَّةِ لابْنِ مالِكٍ**"، وهو كِتابٌ مُفيدٌ، يَعْتَنِي بالإعْرابِ للأبياتِ، هو جَليلٌ جِدًّا نافِعٌ لِلْمُبْتَدِئينَ. وله: "**نَظْمُ الْفَصيحِ**"، و"**نَظْمُ كِفايَةِ الْمُتَحَفِّظِ**"، و"**الْحُلَّةُ السِّيَرا في مَدْحِ خَيْرِ الْوَرى**"؛ وهي بَديعِيَّةٌ[3]، ونَظْمُهَا عَالٍ، لكنَّهُ أخَلَّ فيها بِذِكْرِ أنْواعٍ من الْبَديعِ كَثيرَةٍ جِدًّا. وأَخْبَرَني بعض أُدَباءِ صَفَدَ قَدِمَ علينا الْقاهِرَةَ، أنه رأى له **شَرْحًا على ألفيةِ ابن مُعْطٍ**، في ثَمانِ مُجَلَّداتٍ، ولم أَقِفْ عليه. كذا ذَكَرَ **السُّيوطِيُّ**.

---

(1) نقل هنا طاش كبري زاده ما في بغية الوعاة: 1/ 34، وفي الوافي بالوفيات: 2/ 110، ونكت الهميان: 245، والنحو على أبي الحسن علي بن محمد بن أبي العيش.

(2) عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ كَامِيَارَ بْنِ أَبِي نَصْرٍ الْقَزْوِينِيُّ الدِّمَشْقِيُّ الشَّافِعِيُّ (ت.743هـ)، ترجمته في: معجم الشيوخ للسبكي: 230، الوفيات لابن رافع: 1/ 421، الدرر الكامنة: 3/ 145.

(3) بديعة، في مراد ملا.

ماتَ في سَنَةَ ثَمانٍ وسَبْعِمِئَةٍ، وأَجازَ لمَنْ أدْرَكَ حياتَهُ[1].

وَرَفيقُهُ هو: أبو جَعْفَرٍ أحْمَدُ بنُ يوسُفَ بنِ مالِكٍ الرُّعَيْنِيُّ الأنْدَلُسِيُّ، الْغَرْناطِيُّ، أديبٌ ماهِرٌ، وُلِدَ بعد السَّبْعِمِئَةِ. وَكانَ من حالِهِ ما سَبَقَ في تَرْجَمَةِ ابنِ جابِرٍ. وَكانَ مُقْتَدِرًا على النَّظْمِ والنَّثْرِ، عارِفًا بالْبَديعِ وفُنونِهِ، دَيِّنًا، حَسَنَ الْخُلُقِ، حُلْوَ الْمُحاضَرَةِ. شَرَحَ بَديعِيَّةَ رَفِيقِهِ.

وماتَ قَبْلَهُ بسَنَةٍ في رَمَضانَ سَنَةَ تِسْعٍ وَسَبْعينَ. وأجازَ أيضًا لمن أَدْرَكَ حياتَهُ[2].

وَقَبْلَ هذا "الأَلْفِيَةُ[3] لابْنِ الْمُعْطِي"، وهو يَحْيَى بنُ مُعْطٍ بنِ عبد النُّورِ، أبو الْحُسَيْنِ زَيْنُ الدِّينِ الزَّواوِيُّ الْمَغْرِبِيُّ النَّحْوِيُّ الْحَنَفِيُّ. كان إمامًا مُبَرِّزًا في الْعَرَبِيَّةِ، شاعِرًا مُحْسِنًا، قَرَأَ على الْجُزولِيِّ، وسَمِعَ من ابْنِ عَساكِرَ، وأَقْرَأَ النَّحْوَ بدِمَشْقَ مُدَّةً، ثم بِمِصْرَ، وتَصَدَّرَ بالْجامِعِ الْعَتِيقِ، وحَمَلَ النَّاسُ عنه.

وصَنَّفَ: "الأَلْفِيَةُ في النَّحْوِ"، "الْفُصولُ"، له.

وُلِدَ سنَةَ أَرْبَعٍ وسِتِّينَ وخَمْسِمِئَةٍ، وماتَ في سَلْخِ ذي الْقَعْدَةِ سَنَةَ ثَمانٍ وعِشْرينَ وسِتِّمِئَةٍ[4].

و"أَلْفِيَةُ جَلالِ الدِّينِ السُّيوطِيِّ" أتى ما فيهما وزِيادَةً عليهما مِقْدارَ الثُّلُثِ.

---

(1) بغية الوعاة: 1/ 34-35.

(2) المصدرنفسه: 1/ 35.

(3) ألفية، في أنطاليا وعاطف أفندي.

(4) بغية الوعاة: 2/ 344.

ومِنَ الْمَنْظوماتِ:

"مُلْحَةُ الإِعْرابِ"، لِلْحَرِيرِيِّ، وهو الْقاسِمُ بنُ عَلِيٍّ بنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمانَ الْبَصْرِيُّ الْحَرِيرِيُّ. وَسَتَقِفُ على تَرْجَمَتِهِ عند ذِكْرِ **"الْمَقاماتِ"**، لأَنَّهُ بها أَشْهَرُ من غيرِها.

و **"أرْجوزَةُ الشَّيْخِ ابْنِ الْحاجِبِ"**، نَظَمَ **الْكافِيَةَ**[1] على أَحْسَنِ وَجْهٍ، خالِيًا عن تَكَلُّفِ النَّظْمِ.

ومن الْمَبْسوطاتِ في كُتُبِ النَّحْوِ:

"الْمُفَصَّلُ"، لِلزَّمَخْشَرِيِّ، صاحِبِ **"الْكَشَّاف"**. وسَتَقِفُ على تَرْجَمَتِهِ عند ذِكْرِ **"الكَشَّاف"** لأَنَّه أَشْهَرُ مُصَنَّفاتِهِ.

و **"الْمُقَرِّبُ"**، لابْنِ عُصْفورٍ، وهو عَلِيُّ بنُ مُؤْمِنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عليٍّ، أبو الْحَسَنِ ابنُ عُصْفورٍ النَّحْوِيُّ الْحَضْرَمِيُّ الإِشْبِيلِيُّ، حامِلُ لِواءِ الْعَرَبِيَّةِ في زَمانِهِ بِالْأَنْدَلُسِ. وقد عَرَفْتَ تَرْجَمَتَهُ عند ذِكْرِ **"الْمُمْتِع"** في التَّصْريفِ.

ومِنَ الْمَبْسوطاتِ:

شُروحُ الْمُفَصَّلِ؛ منها:

"الإِيضاحُ"، لابْنِ الْحاجِبِ. وقد مَرَّتْ تَرْجَمَتُهُ.

---

(1) سمَّاه: "الوافية في نظم الكافية".

و"**شَرْحُ ابْنِ يَعيشَ**"، وهو يَعيشُ بنُ عَلِيِّ بنِ يَعيشَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ أبي السَّرايا محمدِ بنِ عليِّ بنْ الْمُفَضَّلِ بنِ عبدِ الْكَريمِ بنِ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى النَّحْوِيُّ الْحَلَبِيُّ، مُوَفَّقُ الدِّينِ أبو الْبَقاءِ، الْمَشْهورُ بابْنِ يَعيشَ، وكان يُعْرَفُ بابْنِ الصَّانِعِ أيضًا، بصادٍ مُهْمَلَةٍ ونونٍ.

وُلِدَ في رَمَضانَ سَنَةَ ثَلاثٍ وَخَمْسينَ وخَمْسِمِئَةٍ بِحَلَبَ، وقَرَأَ النَّحْوَ على فِتْيانَ الْحَلَبِيِّ، وأبي الْعَبَّاسِ الْبَيْزورِيِّ[1]، وسَمِعَ الْحَديثَ على الرِّضى التَّكْريتِيِّ، وأبي الْفَضْلِ الطُّوسِيِّ. ورَحَلَ إلى بَغْدادَ لِيُدْرِكَ أبا الْبَرَكاتِ الْأَنْبارِيَّ، فَبَلَغَهُ خَبَرُ وفاتِهِ بالْمَوْصِلِ.

وكانَ من كِبارِ أئِمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، ماهِرًا في النَّحْوِ والتَّصْريفِ، قَدِمَ دِمَشْقَ، وجالَسَ الْكِنْدِيَّ، وتَصَدَّرَ بِحَلَبَ لِلْإِقْراءِ زَمانًا، وطالَ عُمُرُهُ، وشاعَ ذِكْرُهُ، وَغالِبُ فُضَلاءِ حَلَبَ تَلامِذَتُهُ. وكان حَسَنَ الْفَهْمِ، لَطيفَ الْكَلامِ، طَويلَ الرُّوحِ على الْمُبْتَدِئِ والْمُنْتَهِي، ظَريفَ الشَّمائِلِ، كَثيرَ الْمُجونِ مع سَكينَةٍ وَوَقارٍ. حَدَّثَ عنه جَماعَةٌ آخِرُهُمْ أبو بَكْرٍ الدَّشْتِيُّ.

وصَنَّفَ: "**شَرْحُ الْمُفَصَّلِ**"، "**شَرْحُ تَصْريفِ ابْنِ جِنِّي**".

ماتَ في الْخامِسِ والْعِشْرينَ من جُمادى الأولى سَنَةَ ثَلاثٍ وأَرْبَعينَ وسِتِّمِئَةٍ[2].

---

(1) كذا في بغية الوعاة: 2/ 351 مصدر النقل، وفي وفيات الأعيان: النيروزي، وفي مرآة الجنان: 4/ 106، التبريزي.

(2) بغية الوعاة: 2/ 351-352.

وَمِنْ شُروحِ "**الْمُفَصَّلُ**": "**الْإِقْلِيدُ**"، لِلْجَنْدِيِّ[1]؛ وشَرْحٌ آخَرُ مُسَمَّى بـ "**الْمُوَصَّلُ**"[2]، ولم أَقِفْ على تَرْجَمَةِ مُؤَلِّفِهِمَا.

ومن الْكُتُبِ الْمَبْسوطَةِ:

كِتابُ "**مُغْني اللَّبيبِ عن كُتُبِ الْأَعارِيبِ**"، لابْنِ هِشامٍ. وله مُخْتَصَرٌ سَمَّاهُ: "**قَواعِدُ الإِعْرابِ**". وعليهما شُروحٌ نافِعَةٌ. وهو عبدُ اللهِ بنُ يوسُفَ ابنِ أَحْمَدَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ هِشامٍ الْأَنْصارِيُّ، الشَّيْخُ جَمالُ الدِّينِ الْحَنْبَلِيُّ، النَّحْوِيُّ الْفاضِلُ، الْعَلَّامَةُ الْمَشْهورُ، أبو مُحَمَّدٍ.

قال في الدُّرَرِ: **وُلِدَ** في ذي الْقَعْدَةِ سَنَةَ ثَمانٍ وسَبْعِمِئَةٍ، ولَزِمَ الشِّهابَ عبدَ اللَّطيفِ ابْنَ الْمُرَحِّلِ، وتَلَا على ابْنِ السَّرَّاجِ، وسَمِعَ على أبي حَيَّانَ "**ديوانُ زُهَيْرِ بنِ أبي سُلْمَى**"، ولم يُلازِمْهُ ولا قَرَأَ عليه. وَحَضَرَ دُروسَ التَّاجِ التِّبْريزِيِّ، وقَرَأَ على التَّاجِ الْفاكِهانِيِّ "**شَرْحُ الإِشارَةِ**" له، إِلَّا الْوَرَقَةَ الْأَخيرَةَ، وتَفَقَّهَ للشَّافِعِيِّ ثم تَحَنْبَلَ، فَحَفِظَ "**مُخْتَصَر الْخِرَقِيِّ**"، في دون أربعة أشهر، وذلِكَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِخَمْسِ سِنينَ. وَأَتْقَنَ الْعَرَبِيَّةَ، فَفاقَ الْأَقْرانَ بل الشُّيوخَ، وحَدَّثَ عن ابْنِ جَماعَةَ بـ "**الشَّاطِبِيَّةِ**"، وتَخَرَّجَ به جَماعَةٌ من أَهْلِ مِصْرَ، وغيرِهِمْ.

تَصَدَّرَ لِنَفْعِ الطَّالِبينَ، وانْفَرَدَ بالْفَوائِدِ الْغَريبَةِ، والْمَباحِثِ الدَّقيقَةِ، والِاسْتِدْراكاتِ الْعَجيبَةِ، والتَّحْقيقِ الْبالِغِ، والِاطِّلاعِ الْمُفْرِطِ، والِاقْتِدارِ على

(1) الإقليد: المفتاح. اللسان: قلد. وهو لتاج الدين أحمد بن محمود بن عمر الْجَنْدِي (ت.700هـ)، نِسْبَة إِلَى جَند: الْمَدِينَة الْمَشْهُورَة فِي بِلَاد تركستان. يُنظر: توضيح المشتبه: 2/ 473، وتاج التراجم: 125.
(2) الموصَّلُ في شرح المفصَّل، للحسام حسين بن علي بن حجاج السِّغْناقِيِّ الحنفي (ت. 711هـ).

التَّصرُّفِ في الْكَلامِ، والْمَلَكَةِ التي كان يَتَمَكَّنُ من التَّعْبيرِ بها عن مَقْصودِهِ بما يُريدُ، مُسْهِبًا وموجِزًا، مع التَّواضُعِ والْبِرِّ والشَّفَقَةِ، ودَماثَةِ الْخُلُقِ، ورِقَّةِ الْقَلْبِ.

قال ابْنُ خَلْدونَ: ما زِلْنا ونَحْنُ بالْمَغْرِبِ نَسْمَعُ أنه ظَهَرَ بِمِصْرَ عالِمٌ بالْعَرَبِيَّةِ يُقالُ له ابْنُ هِشامٍ أَنْحَى من سِيبَوَيْهِ.

وكان كثيرَ الْمُخالَفَةِ لأبي حَيَّانَ، شَديدَ الِانْحِرافِ عنه. صَنَّفَ: "**مُغْني اللَّبيبِ عن كُتُبِ الْأعاريبِ**"، اشْتَهَرَ في حياتِهِ، وأَقْبَلَ النَّاسُ عليه[1].

قال السُّيوطِيُّ: وقد كَتَبْتُ عليه **حاشِيَةً**[2] و**شَرْحًا لِشَواهِدِهِ**.

وصَنَّفَ: "**التَّوْضيحُ على الْأَلْفِيَّةِ**"، مُجَلَّدٌ. "**رَفْعُ الْخَصاصَةِ عن قُرَّاءِ الْخُلاصَةِ**"، أَرْبَعُ مُجَلَّداتٍ. "**عُمْدَةُ الطَّالِبِ في تَحْقيقِ تَصْريفِ ابْنِ الْحَاجِبِ**"، مجلدان. "**التَّحْصيلُ والتَّفْصيلُ لكتابِ التَّذْييلِ والتَّكْمِيلِ**"، عِدَّةُ مُجَلَّداتٍ. "**شَرْحُ التَّسْهيلِ**"، مُسَوَّدَةٌ. "**شَرْحُ الشَّواهِدِ الْكُبْرى والصُّغْرى**"، "**الْقَواعِدُ الكُبْرى والصُّغْرى**"، "**شُذورُ الذَّهَبِ**"، "**شَرْحُهُ**".

قال السُّيوطِيُّ: وقد كَتَبْتُ عليه **حَاشِيَةً** لَمَّا قُرِئَ عَلَيَّ.

"**قَطْرُ النَّدَى**"، "**شَرْحُهُ**"، "**الْجامِعُ الْكَبيرُ**"، "**الْجامِعُ الصَّغيرُ**"، "**شَرْحُ الْمُلْحَةِ لأبي حَيَّانَ**"[3]، "**شَرْحُ بانَتْ سُعادُ**"، "**شَرْحُ الْبُرْدَةِ**"، "**التَّذْكِرَةُ**"،

---

(1) الدرر الكامنة: 3/ 92-93، والنقل من بغية الوعاة: 2/ 68-69.

(2) سمَّاها: "الفتح القريب على مغني اللبيب".

(3) اللمحة، في الدرر الكامنة: 3/ 93، وبغية الوعاة: 2/ 69، وهو كتاب معروف لأبي حيان الأندلسي.

خَمْسَةَ عَشَرَ مُجَلَّدًا. "الْمَسَائِلُ السَّفَرِيَّةُ في النَّحْوِ". وَغَيْرَ ذَلِكَ. وله عِدَّةُ حَواشٍ على الْأَلْفِيَّةِ والتَّسْهِيلِ.

تُوُفِّيَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ خامِسِ ذي الْقَعْدَةِ سنَةَ إحْدَى وَسِتِّينَ وسَبْعِمِئَةٍ(1).

وَأَصْلُ هذه الْكُتُبِ وَأَجْمَعُها، وَأَحْسَنُها وَأَنْفَعُها، ومَقْبولُ أَفاضِلِ الْآفاقِ، وَمُقْتَدَى الْأُدَباءِ على الْإِطْباقِ، كِتابُ الشَّيْخِ الإمامِ، والْفاضِلِ الْهُمامِ، الشَّيْخِ الْأَكْبَرِ [سِيبَوَيْهِ](2) عَمْرِو بنِ عُثْمانَ بنِ قَنْبَرٍ، رَوَّحَ اللهُ روحَهُ، وجَزاهُ اللهُ عَنَّا وعن كافَّةِ الْمُسْلِمينَ خَيْرَ الْجَزاءِ. وقد عَرَفْتَ تَرْجَمَةَ سِيبَوَيْهِ فلا نُعيدُها.

عِلْمُ الْمَعانِي

وهو تَتَبُّعُ خَواصِّ تَراكيبِ الْكَلامِ، ومَعْرِفَةُ تَفاوُتِ الْمَقاماتِ، حتى يَتَمَكَّنَ من الِاحْتِرازِ عن الْخَطَإِ في تَطْبيقِ الأوَّلِ على الثَّانِي، وذلك لأنَّ لِلتَّراكِيبِ خَواصَّ مُناسِبَةً لها، يَعْرِفُها الْبُلَغاءُ إمَّا بِسَليقَتِهِمْ، أو بِمُمارَسَةِ عِلْمِ الْبَلاغَةِ.

وتلك الْخَواصُّ، بَعْضُها ذَوْقِيَّةٌ، وبَعْضُها اسْتِحْسانِيَّةٌ، وبَعْضُها تَوابِعُ ولَوازِمُ لِلْمَعاني الْأَصْلِيَّةِ، لَكِنْ لُزومًا مُعْتَبَرًا في عُرْفِ الْبُلَغاءِ، وإلَّا لَمَا اخْتَصَّ فَهْمُها بِصاحِبِ الْفِطْرَةِ السَّليمَةِ. وكذا مَقاماتُ الْكَلامِ مُتَفاوِتَةٌ؛ كَمَقامِ الشُّكْرِ والشِّكايَةِ والتَّهْنِئَةِ والتَّعْزِيَةِ والْجِدِّ والْهَزْلِ وغَيْرِ ذلِكَ من الْمَقاماتِ. وكَيْفِيَّةُ تَطْبيقِ الْخَواصِّ على الْمَقاماتِ تُسْتَفادُ من عِلْمِ الْمَعاني، ومَدارُهُ على الإسْتِحْساناتِ الْعُرْفِيَّةِ.

---

(1) بغية الوعاة: 2/ 68-69.

(2) زيادة من أنطاليا.

ومَوْضوعُهُ: التَّراكِيبُ الْخَبَرِيَّةُ والطَّلَبِيَّةُ، من حيث تَطْبِيقُ خَواصِّهَا على مُقْتَضَى الْحَالِ.

ومَسائِلُهُ: الْقَواعِدُ التي يُتَعَرَّفُ منها أنَّ أيَّ مَقَامٍ يَقْتَضِي أيَّ خَواصٍّ من الْخَواصِّ.

وَمَبادِئِهُ: الْمَسائِلُ النَّحْوِيَّةُ واللُّغَوِيَّةُ. **وبِالْجُمْلَةِ** الْمَسائِلُ الْأَدَبِيَّةُ كُلُّهَا.

ودَلائِلُهُ: اسْتِقْراءُ تَراكيبِ الْبُلَغاءِ.

وَالْغَرَضُ منه: تَطْبيقُ الْكَلامِ على مُقْتَضَى الْحالِ.

وغَايَتُهُ: الِاقْتِدارُ على التَّطْبيقِ الْمَذْكورِ. وتَمامُ تَفْصيلِ هذا الْمَقامِ، لا يَسَعُهُ نِطاقُ الْكَلامِ.

وأمَّا الْكُتُبُ الْمُصَنَّفَةُ في عِلْمِ الْمَعانِي، فلمَّا لم يُفْرَزْ عن الْبَيانِ والْبَديعِ، رَأَيْنا أنْ نَذْكُرَها بَعْدَ ذِكْرِ الْجَميعِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى. ولِابْنِ الْهَيْثَمِ الْبَحْرَيْنِيِّ **"كتابٌ في عِلْمِ الْمَعانِي"** فَقَطْ.

عِلْمُ الْبَيانِ

وهو مَعْرِفَةُ إيرادِ الْمَعْنَى الْواحِدِ في طُرُقٍ مُخْتَلِفَةٍ في وُضوحِ الدَّلالَةِ.

ومَوْضوعُهُ: اللَّفْظُ الْعَرَبِيُّ من حيث وُضوحُ الدَّلالَةِ على الْمَعْنى الْمُرادِ.

وغَرَضُهُ: تَحْصيلُ مَلَكَةِ الإفادَةِ بالدَّلالَةِ الْعَقْلِيَّةِ، وفَهْمِ مَدْلولاتِها، لِيُختارَ الْأَوْضَحُ منها مع فَصاحَةِ الْمُفْرَداتِ.

وغايَتُهُ: الِاحْتِرازُ عن الْخَطَإِ في تَعْيينِ الْمَعْنى الْمُرادِ بالدَّلالاتِ الْواضِحَةِ.

ومَبادِئُهُ: بَعْضُها عَقْلِيَّةٌ؛ كأقْسامِ الدَّلالاتِ، والتَّشْبيهاتِ، والْعَلاقاتِ الْمَجازِيَّةِ، ومَراتِبِ الْكِناياتِ، وبَعْضُها وِجْدانِيَّةٌ ذَوْقِيَّةٌ؛ كَوُجوهِ التَّشْبيهاتِ، وأقْسامِ الِاسْتِعاراتِ، وكَيْفِيَّةِ حُسْنِهَا ولُطْفِها. وإنَّما اخْتاروا في عِلْمِ الْبَيانِ وُضوحَ الدَّلالَةِ، لأنَّ بَحْثَهُمْ لمَّا اقْتَصَرَ على الدَّلالَةِ الْعَقْلِيَّةِ أَعْنِي التَّضَمُّنِيَّةَ[1] والِالْتِزامِيَّةَ، وَكانَتْ تِلْكَ الدَّلالاتُ خَفِيَّةً، سِيَّمَا إذا كانَ اللُّزومُ بِحَسَبِ الْعاداتِ والطَّبائِعِ، وبِحَسَبِ الْإِلْفِ، فَوَجَبَ التَّعْبيرُ عنها بِلَفْظٍ أوْضَحَ؛ مثلًا إذا كان الْمَرْئِيُّ دَقيقًا في الْغايَةِ، يَحْتاجُ الْحاسَّةَ في إبْصارِهَا إلى شُعاعٍ قَوِيٍّ، بِخِلافِ الْمَرْئِيِّ الْجَلِيِّ، وكذا الْحالُ في الرُّؤْيَةِ الْقَلْبِيَّةِ، أعْني الْإِدْراكَ.

والْحاصِلُ: أنَّ الْمُعْتَبَرَ في عِلْمِ الْبَيانِ دِقَّةُ الْمَعانِي الْمُعْتَبَرَةِ فيها؛ من الِاسْتِعاراتِ والْكِناياتِ، مع وُضوحِ الْأَلْفاظِ الدَّالَّةِ عليها.

ومن الْكُتُبِ الْمُفْرَدَةِ فيه:

"**الْجامِعُ الْكَبِيرُ**"، لابْنِ الْأثيرِ الْجَزَرِيِّ، وقد عَرَفْتَ تَرْجَمَةَ الْجَزَرِيِّ.

و"**نِهايَةُ الْإِعْجازِ**"، للإمامِ فَخْرِ الدِّينِ الرَّازِيِّ، وسَتَعْرِفُ تَرْجَمَتَهُ في عِلْمِ التَّفْسِيرِ، لأنَّ أَجَلَّ مُصَنَّفاتِهِ "**التَّفْسيرُ الْكَبيرُ**".

---

(1) التَّضْمينيَةَ، في أنطاليا.

عِلْمُ الْبَديعِ

وهو عِلْمٌ باحِثٌ عن التَّراكيبِ الْعَرَبِيَّةِ من حَيْثُ وُجوهُ تَحْسينِ الْكَلامِ بالْحُسْنِ الْعَرَضِيِّ، بعد رِعايَةِ الْمُطابَقَةِ، وَوُضوحِ الدَّلالَةِ.

ومَوْضوعُهُ: اللَّفْظُ الْعَرَبِيُّ من حَيْثُ التَّحْسينُ والتَّزْيينُ الْعَرَضِيَّيْنِ[1]، بعد تَكْميلِهِ دائِرَتَي الْفَصاحَةِ والْبَلاغَةِ.

وَغَرَضُهُ: تَحْصيلُ مَلَكَةِ تَحْلِيَةِ الْكَلامِ بالْمُحَسِّناتِ الْعَرَضِيَّةِ.

وغايَتُهُ: الِاحْتِرازُ عن خُلُوِّ الْكَلامِ عن التَّحْلِيَةِ الْمَذْكورَةِ.

وَمَنْفَعَتُهُ: التَّطْرِيَةُ لِنَشاطِ السَّامِعِ، وزِيادَةُ الْقَبولِ في الْعُقولِ.

وَمبادِئُهُ: تَتَبُّعُ الْخُطَبِ والرَّسائِلِ والْأَشْعارِ الْمُتَحَلِّيَةِ بالصَّنائِعِ الْبَديعِيَّةِ[2].

وإِنَّما دَوَّنوا هذا الْعِلْمَ، واعْتَبَروا هذه الصَّنائِعَ، لأنَّ الْأَصْلَ وإنْ كانَ الْحُسْنَ الذَّاتِيَّ، وكانَ ذلك مما يَكْفِي في تَحْصيلِهِ الْمَعانِي والْبَيانُ، لَكِنَّهُمْ اعْتَنَوْا بِشَأْنِ الْحُسْنِ الْعَرَضِيِّ أيْضًا، لأنَّ الْحَسْناءَ إذا عَرِيَتْ عن الْمُزَيِّناتِ، رُبَّما يَذْهَلُ بعضُ الْقاصِرينَ عن تَتَبُّعِ مَحاسِنِها الشَّريفَةِ، فَيَفوتُهُ التَّمَتُّعُ بها، وأمَّا إذا طابَقَتِ الصُّورَةُ والْمَعْنَى والذاتُ والْأَوْصافُ، يَسْتَوفي منها الْحَظَّ كُلَّ النَّاظِرينَ والْمُطالِعينَ جَمالَها الْحَقيقِيَّ والْمَجازِيَّ. ولهذا اشْتَرَطوا فيها

(1) العرضيين، كذا في النسخ الخطية للكتاب، وحقها الرفع في سياقها.

(2) ينظر رسالة في العلوم الشرعية والعربية: 35.

الْحُسْنَ الذَّاتِيَّ أَوَّلًا وبالذَّاتِ، لِئَلَّا يَكونَ كَالثِّيابِ الْحَسَنَةِ الْمُزَخْرَفَةِ، على الشَّوْهاءِ الْقَبِيحَةِ الْخَرِفَةِ، أو كَغِمْدٍ من ذَهَبٍ، على نَصْلٍ من خَشَبٍ والْحُسْنَ الْعَرَضِيَّ ثانِيًا وبالتَّبَعِ، ليكونَ مَقْبولًا في الْبَدْءِ وَالْمُخْتَتَمِ.

ومن الكتب الْمُخْتَصَّةِ بِعِلْمِ الْبَديعِ:

"**زَهْرُ الرَّبيعِ**"، لِلْمُطَرِّزِيِّ، وقد عَرَفْتَهُ. و"**كتابُ الْبَديعِ**"، لِلتِّيفاشِيِّ، [وشَرْحُ الْقَصائِدِ الْبَديعِيَّةِ لِلْحِلِّي][1]، و"**تَحْريرُ التَّحْبيرِ**"، لِابْنِ أبي الْإِصْبَعِ[2]. و"**شَرْحُ الْبَديعِياتِ**"، لابْنِ حِجَّةَ[3].

ومن الْكُتُبِ الْمُشْتَمِلَةِ على الْفُنونِ الثَّلاثَةِ:

"**رَوْضُ الْأَذْهانِ**"، وكذا "**الْمِصْباحُ**"، لابْنِ مالِكٍ، وقد عَرَفْتَهُ، وكِتابُ "**مِفْتاحُ الْعُلومِ**"، لِلسَّكَّاكِيِّ اشْتَمَلَ هذه الثَّلاثَةَ، وقَدَّمَ عليها الِاشْتِقاقَ والصَّرْفَ والنَّحْوَ، وأوْرَدَ عَقِيبَ الثَّلاثَةِ الْمَذْكورَةِ بِطَريقِ التَّكْمِلَةِ عِلْمَ الِاسْتِدْلالِ، وعِلْمَ الْعَروضِ والْقَوافِي، ودَفْعَ مَطاعِنِ الْقُرْآنِ.

قُلْتُ: السَّكَّاكِيُّ، هو أبو يَعْقوبَ يوسُفُ السَّكَّاكِيُّ الْعَلَّامَةُ، كان عَلَّامَةً بارِعًا في عُلومٍ شَتَّى، خُصوصًا الْمَعانِيَ والْبَيانَ.

---

(1) زيادة من أنطاليا.

(2) عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن أبي الإصبع العدواني البغدادي ثم المصري (ت.654هـ)، ترجمته في: قلائد الجمان: 3/ 159، ذيل مرآة الزمان: 1/ 21، فوات الوفيات: 2/ 363، النجوم الزاهرة: 7/ 37.

(3) أبو بكر علي بن عبد الله ابن حجة الحموي الأزراري (ت.837هـ).

وله كِتابُ "**مِفْتاحُ الْعُلومِ**"، جَمَعَ فيه[1] اثْنَيْ عَشَرَ عِلْمًا من عُلومِ الْعَرَبِيَّةِ.

وَنَقَلَ عنه أبو حَيَّانَ في "**الِارْتِشافُ**" في مَواضِعَ. وقال فيه: ابْنُ السَّكَّاكِيِّ من أَهْلِ خُوارَزْمَ.

وذَكَرَ الشَّيْخُ سِراجُ الدِّينِ الْبُلْقِينِيُّ فقال: يُوسُفُ بنُ أبي بَكْرِ بنِ محمدِ بنِ عليٍّ، أبو يَعْقوبَ السَّكَّاكِيُّ، سِراجُ الدِّينِ الْخُوارَزْمِيُّ، إمامٌ في النَّحْوِ والتَّصْريفِ والْمَعانِي والْبَيانِ والِاسْتِدْلالِ والْعَروضِ والشِّعْرِ، وله النَّصيبُ الْوافِرُ من عِلْمِ الْكَلامِ، وسائِرِ الْعُلومِ، من رأى مُصَنَّفَهُ عَلِمَ تَبَحُّرَهُ ونُبْلَهُ وفَضْلَهُ.

ماتَ بِخُوارَزْمَ في أَوائِلِ شَهْرِ الله الْأَصَمِّ رَجَبٍ، سنَةَ سِتٍّ وعِشْرينَ وسِتِّمِئَةٍ. وكانَتْ وِلادَتُهُ ليلةَ الثلاثاءِ من شَهْرِ جُمادى الأولى، سنَةَ خَمْسٍ وخَمْسينَ وخَمْسِمِئَةٍ.

"**شَرْحُ الْمِفْتاحِ**"، لِلْمَوْلى الْمُؤَذِّنِيِّ[2].

وشَرَحَ الْقِسْمَ الثَّالِثَ من "**المفتاح**" ـ وذَكَرَ فيه الْعُلومَ الثَّلاثَةَ الْمُخْتَصَّةَ بِعِلْمِ الْبَلَاغَةِ ـ جَماعَةٌ كَثيرَةٌ، منهم: ناصِرُ الدِّينِ التِّرْمِذِيُّ، والْخَلْخالِيُّ، وعِمادُ الدِّينِ الْكاشِيُّ[3]، ولم أَقِفْ على تَرْجَمَتِهِمْ، إلَّا أنَّ الْخَلْخالِيَّ هو مُحَمَّدُ بنُ مُظَفَّرٍ الْخَطيبِيُّ الْخَلْخالِيُّ شَمْسُ الدِّينِ. كان إمامًا في الْعُلومِ

(1) ذكر فيه، في مراد ملا.

(2) ذكره صاحب كشف الظنون: 2/ 1762، ضمن شروح المفتاح.

(3) يحيى بن أحمد الكاشي (أو الكاشاني) (ت.بعد 745هـ)

الْعَقْلِيَّةِ والنَّقْلِيَّةِ، وله من التَّصانيفِ الْمَشْهورَةِ: كـ **"شَرْحُ الْمَصابيحِ"**، و**"شَرْحُ الْمُخْتَصَرِ"**، و**"شَرْحُ الْمِفْتاحِ"**، و**"شَرْحُ التَّلْخيصِ"**.

ماتَ سنَةَ خَمْسٍ وأَرْبَعينَ وسَبْعِمِئَةٍ[1].

وأَفْضَلُ الشُّروحِ وأعْلاهَا ثَلاثَةٌ: **شَرْحُ الْعَلَّامَةِ قُطْبِ الدِّينِ الشِّيرازِيِّ، وشَرْحُ سَعْدِ الدّينِ التَّفْتازانِيِّ، وشَرْحُ السَّيِّدِ الشَّريفِ الجُرْجانِيِّ**.

أَمَّا الْعَلَّامَةُ قُطْبُ الدِّينِ الشِّيرازِيُّ، فهو مَحْمُودُ بْنُ مَسْعود بنِ مُصْلِحٍ الْفارِسِيُّ، قُطْبُ الدِّينِ الشِّيرازِيُّ الشَّافِعِيُّ الْعَلَّامَةُ.

وُلِدَ بشِيرازَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلاثينَ وسِتِّمِئَةٍ، وكانَ أبوهُ طَبيبًا، فَقَرَأَ عليه وعلى عَمِّهِ، والزَّكِيِّ الرَّكْشاوِيِّ، والشَّمْسِ الْكُتُبِيِّ[2]، ثم سافَرَ إلى النَّصيرِ الطُّوسِيِّ، فَقَرَأَ عليه وبَرَعَ، ثم دَخَلَ الرُّومَ فَأَكْرَمَهُ صاحِبُها، وَوَلِيَ قَضاءَ سِيواسَ[3] ومَلَطْيةَ[4]، وقَدِمَ الشَّامَ، ثم سَكَنَ تِبْريزَ، وأَقْرَأَ بها الْعُلومَ الْعَقْلِيَّةَ. وحَدَّثَ بـ **"جامِعُ الْأُصولِ"** عن الصَّدْرِ الْقُونَوِيِّ، عن يَعْقوبَ الْهَذَبانِيِّ[5]، عن الْمُصَنِّفِ. وكان يَنْظُرُ في **"شَرْحُ السُّنَّةِ"**، لِلْبَغَوِيِّ.

---

(1) بغية الوعاة: 1/ 247.

(2) إبراهيم بن أبي بكر بن عبد العزيز الجزري، الكتبيّ (ت.700هـ) ترجمته في تاريخ البرزالي: 1/ 187، أعيان العصر: 1/ 66.

(3) مدينة سيواس وبالتركية Sivas : تقع بين العاصمة أنقرة ومنطقة كارس.

(4) مَلَطْيةُ: بفتح أوله وثانيه، وسكون الطاء، وتخفيف الياء، والعامّة تقوله بتشديد الياء وكسر الطاء، هي من بناء الإسكندر، وجامعها من بناء الصحابة، وهي بلدة شرق الأناضول في تركيا. ينظر معجم البلدان: 5/ 192.

(5) الأمير شرف الدّين أبو يوسف يعقوب بن محمد بن الحسن بن عيسى بن درباس الكرديّ الهذباني الأربليّ ثم الموصليّ (ت.645هـ)، ترجمته في: صلة التكملة: 1/ 174، تاريخ الإسلام: 14/ 537.

وَكانَ يُخالِطُ الْمُلوكَ، مُتَحَرِّزًا ظَرِيفًا مَزَّاحًا لا يَحْمِلُ هَمًّا، ولم يُغَيِّرْ زِيَّ الصُّوفِيَّةِ. وكان يُجيدُ لَعِبَ الشَّطْرَنْجِ ويُديمُهُ، ويُتْقِنُ الشَّعْبَذَةَ، ويَضْرِبُ بالرَّبابِ. وكان من بُحورِ الْعِلْمِ، ومن أذْكِياءِ الْعالَمِ، يَخْضَعُ لِلْفُقَهاءِ، ويُلازِمُ الصَّلاةَ في الْجَماعَةِ. وإذا صَنَّفَ كِتابًا صامَ وَلازَمَ السَّهَرَ، وَمُسَوَّدَتُهُ مُبَيَّضَةٌ. وكان يُصاحِبُ الْمُلوكَ، ثم انْقَطَعَ عن أبْوابِ الْأُمَراءِ إلى أن ماتَ.

وله: "**شَرْحُ الْمُخْتَصَرِ**"، لابْنِ الْحاجِبِ. "**شَرْحُ الْمِفْتاحِ**"، "**شَرْحُ كُلِّياتِ القانونِ**"، لابْنِ سِينَا. وله "**شَرْحُ حِكْمَةِ الإِشْراقِ**"، وَصَنَّفَ كِتابَ "**دُرَّةُ التَّاجِ**"، على لِسانِ الْفارِسِيَّةِ، أَدْرَجَ فيه جَميعَ أَقْسامِ الْحِكْمَةِ النَّظَرِيَّةِ والْعَمَلِيَّةِ.

وَصَنَّفَ في الْهَيْئَةِ: "**التُّحْفَةُ**"، و"**نِهايَةُ الإِدْراكِ**". وَغَيْرَ ذَلِكَ. وَمُصَنَّفاتُهُ كَثيرَةٌ، كُلُّهَا في غايَةِ الْحُسْنِ والْإِتْقانِ.

ماتَ في رابِعَ عَشَرَ رَمَضانَ سَنَةَ سِتَّةَ عَشْرَةَ وَسَبْعِمِئَةٍ(1).

وأَمَّا سَعْدُ الدِّينِ التَّفْتَازانِيُّ، فهو مَسْعودُ ابْنُ القاضِي فَخْرِ الدِّينِ عُمَرَ بنِ الْمَوْلى الْأَعْظَمِ بُرْهانِ الدِّينِ عبدِ اللهِ، ابنِ الْإِمامِ الرَّبَّانِيِّ شَمْسِ الْحَقِّ والدِّينِ القارِّي؛ الشَّيْخُ سَعْدُ الدِّينِ التَّفْتَازانِيُّ، الإمامُ الْعَلَّامَةُ، عالِمٌ بالنَّحْوِ والتَّصْريفِ والْمَعاني والْبَيانِ والأَصْلَيْنِ والْمَنْطِقِ وَغَيْرِها، شافِعِيٌّ.

قال ابن حَجَرٍ: **وُلِدَ** سنةَ اثْنَتَيْ عَشَرَةَ وسبعمئةٍ، وأخَذَ عن الْقُطْبِ والْعَضُدِ(2)، وتَقَدَّمَ في الْفُنونِ، واشْتَهَرَ ذِكْرُهُ، وَطارَ صِيتُهُ، وانْتَفَعَ النَّاسُ بِتَصانِيفِهِ.

---

(1) بغية الوعاة: 2/ 282.

(2) يقصد قُطْبَ الدِّينِ محمَّد بن محمَّد الرَّازيّ التَّحتاني (ت.766هـ)، وعضد الدين الإيجي (ت.756هـ).

وله: **"شَرْحُ الْعَضُدِ"**، **"شَرْحُ التَّلْخيصِ" مُطَوَّلٌ**؛ وآخَرُ **مُخْتَصَرٌ**؛ **"شَرْحُ الْقِسْمِ الثَّالِثِ مِنَ الْمِفْتاحِ"**، **"التَّلْويحُ في شَرْحِ التَّوْضيحِ"**، في الْأُصولِ؛ **"شَرْحُ الْعَقائِدِ النَّسَفِيَّةِ"**، **"الْمَقاصِدُ"**[1]، و**"شَرْحُهُ"** في الْكَلامِ، **"شَرْحُ الشَّمْسِيَّةِ"** في الْمَنْطِقِ. **"شَرْحُ تَصْريفِ الزَّنْجانِيِّ"**، **"الْإِرْشادُ في النَّحْوِ"**، و**"تَهْذيبُ الْمَنْطِقِ والْكَلامِ"**، **"حاشِيَةُ الْكَشَّافِ"**، لم تَتِمَّ؛ و**"حاشِيَةُ شَرْحِ الْعَضُدِ لِمُخْتَصَرِ ابْنِ الْحاجِبِ"**. وغَيْرُ ذلِكَ. وتَصانِيفُهُ كَثيرَةٌ.

وكان في لِسانِهِ لُكْنَةٌ، وانْتَهَتْ إليه مَعْرِفَةُ الْعُلومِ بِالْمَشْرِقِ.

ماتَ بِسَمَرْقَنْدَ سنةَ إحْدى وتِسْعينَ وسَبْعِمِئَةٍ[2].

قُلْتُ: ذَكَرَ مَوْلانا فَتْحُ اللهِ الشَّرْوانِيُّ في أَوائِلِ **شَرْحِهِ لِلْإِرْشادِ**، لِلْفاضِلِ سَعْدِ الدِّينِ التَّفْتازانِيِّ - رَوَّحَ اللهُ رُوحَهُ - وقال: لا بَأْسَ بِذِكْرِ تاريخِ تَأْليفِ **الْإِرْشادِ**، بل سائِرِ مُؤَلَّفاتِ الْمُصَنِّفِ، رَحِمَهُ الله. لقد زُرْتُ مَرْقَدَهُ الْمُقَدَّسَ بِسَرَخْسَ[3]، فَوَجَدْتُ مَكْتوبًا على صُنْدوقِ مَرْقَدِهِ من جانِبِ الْقَدَمِ: **وُلِدَ** عليه الرَّحْمَةُ والرِّضْوانُ، في صَفَرٍ سنَةَ اثْنَتَيْنِ وعِشْرينَ وسَبْعِمِئَةٍ. وفَرَغَ من تَأْليفِ: **"شَرْحُ التَّصْريف لِلزَّنْجانِيِّ"**، حين بَلَغَ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً، في اللَّيْلَةِ الْخامِسَةَ عَشْرَةَ من شَعْبانَ سَنَةَ ثَمانٍ وثَلاثينَ وَسَبْعمئَةٍ؛ ومن **"شَرْحُ**

(1) سمَّاها: "مقاصد الطَّالبين في علم أصول الدين".

(2) بغية الوعاة: 2/ 285.

(3) سَرَخْس: مدينة تاريخية تقع في تركمانستان، ولقد بنت إيران مدينة جديدة بالاسم نفسه قبالتها على الحدود.

تَلْخيصِ الْمِفْتاحِ"، في يَوْمِ الْأَرْبِعاءِ الْحادِي عَشَرَ من صَفَرٍ سَنَةَ ثَمانٍ وأَرْبَعينِ وَسَبْعمئةٍ بِهَراةَ ـ قُلْتُ: وكانَ الِافْتِتاحُ في يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ الثَّاني من رَمَضانَ، الْواقِعِ في سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وأَرْبَعينَ وسَبْعِمِئَةٍ بجُرْجانِيَّةِ خُوارَزْمَ ـ ومن اخْتِصارِهِ، في سَنَةِ سِتٍّ وخَمْسينَ وسَبْعِمِئَةٍ بغُجْدُوانَ[1]؛ ومن **"شَرْحُ الرِّسالَةِ الشَّمْسِيَّةِ"**، في جُمادى الآخِرَةِ سنَةَ اثْنَتَيْنِ وخَمْسينَ وسَبْعِمِئَةٍ بِمَزارِ جامَ[2]؛ ومن **"شَرْحُ التَّنْقيحِ"**، في ذي الْقَعْدَةِ سَنَةَ ثَمانٍ وخَمْسينَ وسَبْعِمِئَةٍ، بِكُلُسْتانِ[3] تُرْكِسْتانَ؛ ومِنْ **"شَرْحُ الْعَقائِدِ"**، في شَعْبانَ سَنَةَ ثَمانٍ وسِتِّينَ وسَبْعِمِئَةٍ؛ ومن **"شَرْحُ الْمُخْتَصَرِ"** في الأصولِ، في ذي الْحِجَّةِ حِجَّةِ سَبْعينَ وسَبْعِمِئَةٍ؛ ومن **"الرِّسالَةُ الْكَريمَةُ"** ـ **"الْإِرْشادُ"** ـ سَنَةَ ثَمانٍ وسَبْعينَ وسَبْعِمِئَةٍ، كُلِّهَا بِخُوارَزْمَ. ومن **"مَقاصِدُ الْكَلامِ"** وشَرْحِهِ، في ذي الْقَعْدَةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وثَمانينَ وسَبْعِمِئَةٍ بِسَمَرْقَنْدَ؛ ومن **"تَهْذيبُ الْكَلامِ"**، في رَجَبٍ. ومن **شَرْحِ الْقِسْمِ الثَّالِثِ من مِفْتاحِ الْعُلومِ**، في شَوَّالٍ، كِلَيْهِما في سَنَةَ تِسْعٍ وثَمانينَ وَسَبْعِمِئَةٍ بِظاهِرِ سَمَرْقَنْدَ.

وشَرَعَ في تَأْليفِ **"الْفَتَاوَى الْحَنَفِيَّةِ"**، يَوْمَ الْأَحَدِ التَّاسِعِ مِنْ ذي القَعْدَةِ سَنَةَ تِسْعٍ وخَمْسينَ وسَبْعِمِئَةٍ بِهَراةَ. وفي تَأْليفِ **"مِفْتاحُ الْفِقْهِ"**، سَنَةَ اثْنَتَيْنِ

---

(1) غُجْدُوانَ: Gijduvan بضم أوله، وسكون ثانيه، وضم الدال، وآخره نون: من قرى بخارى، تقع في دولة أوزبكستان حاليا.

(2) قبر الشيخ أحمد جامي أو تربة جام، مدينة في إيران قرب مشهد.

(3) كلستان: قرية تقع في محافظة غورانبوي في غرب جمهورية أذربيجان، بالأذرية Gülüstan، اشتهرت تاريخيا بأنها مكان توقيع معاهدة كلستان والتي خرجت بموجبها معظم مناطق غرب بحر قزوين من سلطة إيران بشكل نهائي.

وثَمانينَ وسَبْعِمِئَةٍ. وفي "**شَرْحُ تَلْخيصِ الْجامِعِ**"، سَنَةَ خَمْسٍ وثَمانينَ وسَبْعِمِئَةٍ، كِلَيْهِما بِسَرَخْسَ؛ وفي "**شَرْحُ الْكَشَّافِ**"، في الثَّامِنَ عَشَرَ من رَبيعِ الْآخِرِ سنةَ تِسْعٍ وثَمانينِ وسَبْعِمِئَةٍ، بِظاهِرِ سَمَرْقَنْدَ.

وتُوُفِّيَ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ الثَّانِي والْعِشْرينَ من الْمُحَرَّمِ سنةَ اثْنَتَيْنِ وتِسْعينَ وسَبْعِمِئَةٍ بِسَمَرْقَنْدَ، ونُقِلَ إلى سَرَخْسَ، ودُفِنَ بها يومَ الْأَرْبِعاءِ التَّاسِعِ من جُمادَى الْأُولَى بهذه السَّنَةِ، رَوَّح اللهُ روحَهُ، وَزادَ في غُرَفِ الْجِنانِ فُتوحَهُ.

وأمَّا السَّيِّدُ الشَّريفُ الْجُرْجانِيُّ، فهو عَلِيُّ بنُ محمدِ بنِ عليٍّ الْحَنَفِيُّ الشَّريفُ الْجُرْجانِيُّ.

قالَ الْعَيْنِيُّ في تارِيخِهِ: عالِمُ بِلادِ الشَّرْقِ، كانَ عَلَّامَةَ دَهْرِهِ، وكانت بَيْنَهُ وبينَ الشَّيْخِ سَعْدِ الدِّينِ مُباحَثاتٌ ومُحاوَراتٌ في مَجْلِسِ تَيْمُورلَنْكَ.

وله تَصانيفُ مُفيدَةٌ منها: "**شَرْحُ الْمَواقِفِ لِلْعَضُدِ**"؛ و"**حَواشِي شَرْحِ الْأَصْفَهانِي لِلتَّجْريدِ لِلنَّصيرِ الطُّوسِيِّ**"؛ ويُقالُ: إنَّ مُصَنَّفاتِهِ زادَتْ على خَمْسينَ مُصَنَّفًا.

ماتَ سَنَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وثَمانمِئَةٍ. هذا ما ذَكَرَهُ الْعَيْنِيُّ.

قال السُّيوطِيُّ: ومِنْ مُصَنَّفاتِهِ: "**شَرْحُ الْقِسْمِ الثَّالِثِ من الْمِفْتاحِ**"، و"**حَاشِيَةُ الْمُطَّوَلِ**"، و"**حاشِيَةُ الْمُخْتَصَرِ**"، و"**حاشِيَةُ الْكَشَّافِ**"، لم تَتِمَّ؛ وله "**رِسالَةٌ في تَحْقيقِ مَعْنى الْحَرْفِ**"[1].

---

(1) بغية الوعاة: 2/ 196-197.

وَأَفادَنِي سَيِّدُنا الْمُؤَرِّخُ شَمْسُ الدِّينِ ابْنُ عَزْمٍ، أنَّ مَوْلِدَ الشَّرِيفِ الْجُرْجانِيِّ بِجُرْجانَ من وِلايَةِ أَسْتَراباذَ، سَنَةَ أَرْبَعِينَ وسَبْعِمِئَةٍ، وأنَّهُ تُوُفِّيَ بِشيرازَ، في سادِسِ رَبيعِ الثَّاني سنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ وثَمانِمِئَةٍ.

قُلْتُ: فَمُدَّةُ عُمُرِهِ ـ تَغَمَّدَهُ اللهُ بِغُفْرانِهِ ـ سِتٌّ وسَبْعونَ سَنَةً.

نَقَلَ السُّيوطِيُّ عن شَيْخِهِ مُحَمَّدٍ الْكَافِيَجِي أَنَّهُ قالَ: السَّيِّدُ الشَّرِيفُ، وقُطْبُ الدِّينِ الرَّازِيُّ التَّحْتانِيُّ لم يَذوقَا عِلْمَ الْعَرَبِيَّةِ، بل كانا حَكِيمَيْنِ[1].

قُلْتُ: هذا الْكَلامُ خُروجٌ عن الْإِنْصافِ، ولا يَلْزَمُ من عَدَمِ انْفِرادِهِما بِعِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ، ومُشارَكَتِهِمَا لِسائِرِ[2] الْعُلومِ عَدَمُ مَعْرِفَتِهِما، فَانْظُرْ بِالْإِنْصافِ تَجِدْ في تَصانيفِهِما مَباحِثَ تَتَعَلَّقُ بالْعَرَبِيَّةِ، قد عَجَزَ عنها الْقُدَماءُ مِنْ أَرْبابِ الْعُلومِ الْعَرَبِيَّةِ: [الوافر]

وَعَيْنُ الْبُغْضِ تُبْرِزُ كُلَّ عَيْبٍ وَعَيْنُ الْحُبِّ لا تَجِدُ الْعُيوبَا[3]

ومن الْكُتُبِ النَّافِعَةِ في الْعُلومِ الْمَذْكورَةِ:

"**تَلْخيصُ الْمِفْتاحِ**"، و"**الإيضاحُ**"، وهو يَجْرِي مَجْرَى **الشَّرْحِ لِلتَّلْخيصِ**. كِلاهما للشَّيخِ مُحَمَّدِ بنِ عبدِ الرَّحْمنِ بنِ عُمَرَ بنِ أَحْمَدَ بنِ

---

(1) بغية الوعاة: 2/ 281

(2) سائر، في رئيس الكتاب.

(3) ورد بدون نسبة في عدة مصادر؛ منها ثمار القلوب للثعالبي: 327، وهو مأخوذ من قول الشافعي، ونُسِبَ لغيره:

وَعَينُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَليلَةٌ ... وَلَكِنَّ عَيْنَ السُّخطِ تُبْدِي الْمَساوِيَا.

محمدِ بنِ عبدِ الْكَريمِ بنِ الْحَسَنِ بنِ عليٍّ بنِ إبْراهيمَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَحْمَدَ بنِ دُلَفَ بنِ أبي دُلَفَ الْعِجْلِيِّ، أبو الْمَعالي قاضِي الْقُضاةِ جَلالِ الدِّينِ الْقَزْوِينِيُّ الشَّافِعِيُّ الْعَلَّامَةُ.

قالَ ابْنُ حَجَرٍ: وُلِدَ سَنَةَ سِتِّينَ وسِتِّمِئَةٍ، واشْتَغَلَ وتَفَقَّهَ، حتَّى وَلِيَ قَضاءَ ناحِيَةٍ بِالرُّومِ، وله دُونَ الْعِشْرينَ، ثُمَّ قَدِمَ دِمَشْقَ، وَاشْتَغَلَ بِالْفُنونِ، وَأَتْقَنَ الْأُصولَ والْعَرَبِيَّةَ، وَالْمَعانِيَ وَالْبَيانَ، وَأَخَذَ عن الْأَيْكِيِّ[1] وغَيْرِهِ، وسَمِعَ الْحَديثَ مِنَ الْعِزِّ الْفارُوقِيِّ وغَيْرِهِ، وخَرَّجَ له الْبِرْزالِيُّ جُزْءًا حَدَّثَ بِهِ.

وَكانَ فَهِمًا ذَكِيًّا فَصِيحًا مُفَوَّهًا، حَسَنَ الْإيرادِ، جَميلَ الذَّاتِ والْهَيْئَةِ والْمَكارِمِ، جَميلَ الْمُحاضَرَةِ، حَسَنَ الْمُلْتَقَى، جَوادًا، حُلْوَ الْعِبارَةِ، حادَّ الذِّهْنِ، مُنْصِفًا في الْبَحْثِ، مع الذَّكاءِ والذَّوْقِ في الْأَدَبِ وحُسْنِ الْخَطِّ.

وَنابَ عن ابْنِ صَصْرَى، ثُمَّ عَزَلَهُ. ثم وَلِيَ خَطابَةَ جامِعِ دِمَشْقَ، ثم طَلَبَهُ النَّاصِرُ، وقَضَى دَيْنًا كان عليه، وَوَلَّاهُ قاضِيًا بالشَّامِ، ثُمَّ طَلَبَهُ إلى مِصْرَ، وَوَلَّاهُ قَضاءَهَا بعد صَرْفِ ابْنِ جَمَاعَةَ، فَصَرَفَ أَمْوالَ الْأَوْقافِ على الْفُقَراءِ والْمُحْتاجِينَ، وَعَظُمَ أَمْرُهُ جِدًّا، وَكانَ لِلْفُقَراءِ ذُخْرًا وَمَلْجَأً. ثُمَّ أُعيدَ إلى قَضاءِ دِمَشْقَ بِسَبَبِ أَوْلادِهِ، وخُصوصًا ابْنَهُ عَبْدَ اللهِ، فإِنَّهُ أَسْرَفَ في اللَّهْوِ والرِّشْوَةِ، فَفَرِحَ به أَهْلُ الشَّامِ، فأقامَ قَليلًا وتَعَلَّلَ وَأَصابَهُ فالِجٌ، فَماتَ منه، وأَسِفُوا عليه كَثيرًا.

---

(1) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الفارسيُّ، الصوفيُّ الأصوليُّ المتكلِّمُ (ت.697هـ)، ترجمته في العِبر في خبر من غبر: 3/ 390، أعيان العصر: 4/ 351، البداية والنهاية: 17/ 706.

وَكانَ مَليحَ الصُّورَةِ، فَصِيحَ الْعِبارَةِ، كَبِيرَ الذَّقْنِ، مُوَطَّأَ الْأَكْنافِ، جَمَّ الْفَضيلَةِ، مُحِبَّ الْأَدَبِ يُحاضِرُ به، ويَسْتَحْضِرُ نُكتَهُ، قَوِيَّ الْخَطِّ. ويُقالُ: إِنَّهُ لم يُوجَدْ لِأَحَدٍ من الْقُضاةِ مَنْزِلَةٌ عند سُلْطانٍ تُرْكِيٍّ نَظيرَ مَنْزِلَتِهِ، وله في ذلك وَقائِعُ.

قُلْتُ: ولا أَعْلَمُهُ نَظَمَ شَيْئًا، مع قُوَّةِ باعِهِ في الْأَدَبِ.

وله مِنَ التَّصانِيفِ: "تَلْخيصُ الْمِفْتاحِ"، في الْمَعانِي وَالْبَيانِ. وهو مِنْ أَجَلِّ الْمُخْتَصَراتِ فيه وَأَنْفَعِها لِلنَّاسِ.

قالَ السُّيوطِيُّ: وقَدْ مَلَكْتُهُ بِخَطِّهِ الْحَسَنِ الْمَليحِ، ونَظَمْتُهُ في أَرْجوزَةٍ.

وله: "إيضاحُ التَّلْخيصِ"، وَذَلِكَ يَجْرِي مَجْرى الشَّرْحِ له. و"السُّورُ الْمَرْجانِيُّ مِنْ شِعْرِ الْأَرْجانِيِّ".

ماتَ في مُنْتَصَفِ جُمادَى الْأُولَى سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلاثينَ وَسَبْعِمِئَةٍ[1].

ثُمَّ إِنَّ التَّلْخيصَ عليه شُروحٌ مُفيدَةٌ، منها: "شَرْحُ الْخَلْخالِيِّ"، وقد عَرَفْتَهُ؛ و"شَرْحُ الزَّوْزَنِيِّ"؛ وشَرْحُ التَّفْتازانِيِّ الْمُطَوَّلُ والْمُخْتَصَرُ. وقد عَرَفْتَ تَرْجَمَتَهُما.

وَأَمَّا "الإيضاحُ"، فلم نَعْرِفْ له شَرْحًا غَيْرَ شَرْحِ مَوْلانا جمالِ الدِّينِ مُحَمَّدِ ابْنِ مُحَمَّدٍ الْأَقْسَرائِيِّ[2]، ولم نَعْرِفْ تَرْجَمَتَهُ. وغَيْرَ شَرْحِ مَوْلانَا حَيْدَرٍ

---

(1) الدرر الكامنة: 5/ 250-251، والنقل من بغية الوعاة: 1/ 156-157.

(2) ترجمته في: الشقائق النعمانية: 14؛ وكشف الظنون: 2/ 1900، سلم الوصول: 3/ 250، هدية العارفين: 2/ 165.

الشِّيرازِيِّ ثُمَّ الرُّومِيِّ برهانِ الدِّينِ[1]. كانَ عَلَّامَةً بِالْمَعانِي وَالْبَيانِ وَالْعَرَبِيَّةِ، أَخَذَ عن التَّفْتازانِيِّ. وشَرَحَ **الإيضاحَ**، لِلْقَزْوينِيِّ شَرْحًا مَمْزوجًا، وقَدِمَ الرُّومَ، وأَقْرَأَ وأَفْتَى على مَذْهَبِ أبي حَنيفَةَ. **وَماتَ** بَعْدَ الْعِشْرينَ وَثَمانِمِئَةٍ[2].

قالَ السُّيوطِيُّ: أَخَذَ عنه شَيْخُنَا مُحْيِي الدِّينِ الْكافِيَجِي، وذَكَرَهُ لنا هو وغَيْرُهُ[3].

وَمِنْ جُمْلَةِ مَنِ اخْتَصَرَ الْمِفْتاحَ: مَوْلانَا عَضُدُ الدِّينِ سَمَّاهُ بـ **"الْفَوائِدُ الْغِياثِيَّةُ"**. وهو عَبْدُ الرَّحْمنِ بنُ أَحْمَدَ بنِ عبدِ الْغَفَّارِ، الْقاضِي عَضُدُ الدِّينِ الْإِيجِيُّ، الْعَلَّامَةُ الشَّافِعِيُّ، الْمَشْهورُ بِالْعَضُدِ.

قالَ في الدُّرَرِ: كانَ إِمامًا في الْمَعْقولِ، قائِمًا بِالْأُصولِ وَالْمَعانِي وَالْعَرَبِيَّةِ، مُشارِكًا في الْفُنونِ، كَرِيمَ النَّفْسِ، كَثيرَ الْمالِ جِدًّا، كَثيرَ الْإِنْعامِ على الطَّلَبَةِ.

وُلِدَ بعد السَّبْعِمِئَةِ، وَأَخَذَ عن مَشايِخِ عَصْرِهِ، ولازَمَ الشَّيْخَ[4] زَيْنَ الدِّينِ الْهَنْكِيَّ[5] تِلْميذَ الْبَيْضاوِيِّ، وَغَيْرَهُ. وَوَلِيَ قَضاءَ الْمَمالِكِ، وأَنْجَبَ تَلامِذَةً عِظامًا اشْتَهَروا في الْآفاقِ؛ منهم: الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ الْكَرْمانِيُّ، وسَيْفُ الدِّينِ الْأَبْهَرِيُّ، والتَّفْتازانِيُّ، وَالضِّياءُ الْقَرْمِيُّ.

---

(1) أبجد العلوم: 598.

(2) حيدر بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن الشِّيرَازِيّ الخوافي برهَان الدين، المعروف بالصدر الهروي، ولد سنة 780 هـ وَتوفي سنة 854 هـ أَرْبَع وَخمسين وَثَمَانمِئَة. كما ذُكِر في: البدور المضية في تراجم الحنفية: 7/ 74.

(3) بغية الوعاة: 1/ 549.

(4) الإمام، في قونية.

(5) كذا ورد في طبقات الشافعية الكبرى: 10/ 46، والدرر الكامنة: 3/ 110، وبغية الوعاة مصدر النقل: 2/ 76، وليس الهيكي ولا الهبكي كما ورد في بعض النسخ الخطية والمطبوع.

وصَنَّفَ: "**شَرْحُ مُخْتَصَرِ ابْنِ الْحاجِبِ**"، و"**الْمَواقِفُ**"، و"**الْفَوائِدُ الْغِياثِيَّةُ**"، في الْمَعانِي والْبَيانِ، و"**رِسالَةٌ في الْوَضْعِ**".

وجَرَتْ له مِحْنَةٌ مع صاحِبِ كَرْمانَ(1)، فَحَبَسَهُ بالْقَلْعَةِ، ومات مَسْجونًا سَنَةَ سِتٍّ وخَمْسين وسَبْعِمِئَةٍ(2).

وَأَوْرَدَ ابْنُ السُّبْكِيِّ في "**طَبَقاتُ الشَّافِعِيَّةِ**"، ما كَتَبَهُ عَضُدُ الدِّينِ، يُسْتَفْتى به أَهْلُ عَصْرِهِ، فيما وَقَعَ في **الْكَشَّافِ** في قَوْلِهِ تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾(3) حيثُ قالَ: ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾، مُتَعَلِّقٌ ﴿بِسُورَةٍ﴾ صِفَةٌ لها، أي بِسورَةٍ كائِنَةٍ من مِثْلِهِ، والضَّميرُ، لِـ (مَا نَزَّلْنَا) أو لِعَبْدِهِ، ويَجوزُ أن يَتَعَلَّقَ بقولِهِ: ﴿فَأْتُوا﴾، والضَّميرُ لِلْعَبْدِ، حيثُ جَوَّزَ في الْوَجْهِ الْأَوَّلِ كَوْنَ الضَّميرِ لِـ (مَا نَزَّلْنَا) تَصْريحًا، وَحَظَرَهُ في الْوَجْهِ الثَّانِي تَلْويحًا. فَلَيْتَ شِعْري ما الْفَرْقُ بين ﴿فَأْتُوا﴾ بِسورَةٍ كائِنَةٍ مِنْ مِثْلِ (ما نَزَّلْنا)، و﴿فَأْتُوا﴾ من مِثْلِ ما نَزَّلْنَا بِسورَةٍ. وكَتَبَ الْجَوابَ كَثيرٌ من الْفُضَلاءِ، سِيَّمَا فَخْرُ الدِّينِ الْجَارَبَرْدِيُّ، إذْ تَعَرَّضَ عَضُدُ الدِّينِ جَوابَ الْجارَبَرْدِيِّ، ثم رَدَّ جَوابَ عَضُدِ الدِّينِ إبْراهِيمُ وَلَدُ فَخْرِ الدِّينِ الْجارَبَرْدِيِّ، وأطالوا الْكَلامَ فيه، تَرَكْنا ذِكْرَها لِطولِها، ولِعَدَمِ تَعَلُّقِ غَرَضِنا بها(4).

---

(1) كرمان: Kerman اسم مدينة ومحافظة في إيران تقع وسط البلاد.

(2) بغية الوعاة: 2/ 76.

(3) سورة البقرة، الآية: 23.

(4) طبقات الشافعية الكبرى: 10/ 47-48.

وعلى **الْفَوائِدِ الْغِياثِيَّةِ** شُروحٌ كَثيرَةٌ، منها: **"شَرْحُ شَمْسِ الدِّينِ الْكَرْمانِيِّ"**. من تَلامِذَتِهِ، وهو مُحَمَّدُ بنُ يوسُفَ بنِ عَلِيٍّ بنِ سَعيدٍ الْكَرْمانِيُّ، ثُمَّ الْبَغْدادِيُّ، شَمْسُ الدِّينِ، صاحِبُ **شَرْحِ الْبُخارِيِّ**، الإمامُ الْعَلَّامَةُ في الْفِقْهِ والْحَديثِ والتَّفْسيرِ والْأَصْلَيْنِ والْمَعانِي والْعَرَبِيَّةِ.

قالَ ابْنُهُ في ذَيْلِ الْمَسالِكِ[1]: **وُلِدَ** يَوْمَ الْخَميسِ سادِسَ عَشَرَ جُمادَى الآخِرَةِ، سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ وَسَبْعِمِئَةٍ. وقَرَأَ على والِدِهِ بهاءِ الدِّينِ، ثم انْتَقَلَ إلى كَرْمانَ، وأَخَذَ عن الْعَضُدِ وغَيْرِهِ، وبَهَرَ وفاقَ أقْرانَهُ، وفَضَلَ غالِبَ أَهْلِ زَمانِهِ. ثم دَخَلَ دِمَشْقَ ومِصْرَ، وَقَرَأَ بهما **الْبُخارِيَّ** على ناصِرِ الدِّينِ الْفارِقِيِّ، وسَمِعَ من جَماعَةٍ، وحَجَّ ورَجَعَ إلى بَغْدادَ واسْتَوْطَنَهَا. وكان تامَّ الْخَلْقِ، فيه بَشاشَةٌ وتَواضُعٌ لِلْفُقَراءِ والْعُلَماءِ، غَيْرَ مُكْتَرِثٍ بِأَهْلِ الدُّنْيا ولا مُلْتَفِتٍ[2] إليهم، يَأْتِي إليه السَّلاطِينُ في بَيْتِهِ، ويَسْأَلونَهُ الدُّعاءَ والنَّصيحَةَ.

وله من التَّصانيفِ: **"شَرْحُ الْبُخارِيِّ"**، أَرْبَعُ مُجَلَّداتٍ؛ **"شَرْحُ الْمَواقِفِ"**، **"شَرْحُ مُخْتَصَرِ ابنِ الْحاجِبِ"**، سَمَّاهُ: **"السَّبْعَةُ السَّيَّارَةُ"**، **"شَرْحُ الْفَوائِدِ الْغِياثِيَّةِ"**، في الْمَعانِي والْبَيانِ. و**"شَرْحُ الْجَواهِرِ"**، **"أُنْموذَجُ الْكَشَّافِ"**، **"حاشِيَةٌ على تَفْسيرِ الْبَيْضاوِيِّ"**، وَصَلَ فيها إلى سُورَةِ يوسُفَ؛ **"رِسالَةٌ في مَسْأَلَةِ الْكُحْلِ في الْكافِيَةِ"**.

---

(1) ذيل مسالك الأبصار، لابن الكرماني يحيى بن محمد تقي الدين (ت.833هـ).

(2) يلتفت، في قونية.

ماتَ بُكْرَةَ يَوْمِ الْخَميسِ، سَادِسَ عَشَرَ الْمُحَرَّمِ، سنةَ سِتٍّ وَثَمانينَ وَسَبْعِمِئَةٍ، بِطَرِيقِ الْحَجِّ، فَنُقِلَ إلى بَغْدادَ، ودُفِنَ بِقَبْرٍ أعَدَّهُ لِنَفْسِهِ، بِقُرْبِ الشَّيْخِ أبي إسْحاقَ الشِّيرازِيِّ[1].

ومن شُروحِ الْفَوائِدِ الْغِياثِيَّةِ:

"**شَرْحُ ابْنِ السَّيِّدِ الشَّريفِ الْجُرْجانِيِّ**"، وهو مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍ الْجُرْجانِيُّ ابنُ السَّيِّدِ الشَّريفِ الْمَشْهورِ صاحِبِ التَّصانِيفِ. قَرَأَ على والِدِهِ وبَرَعَ. وكَمَّلَ **حاشِيَةَ أبيهِ على الْمُتَوَسِّطِ**، وشَرَحَ **الْإرْشادَ**[2] في النَّحْوِ، لِلتَّفْتازانِيِّ[3]؛ و"**شَرْحُ الْفَوائِدِ الْغِياثِيَّةِ**"، وهو شَرْحٌ مَمْزوجٌ لَطيفٌ في الْغايَةِ، رَأَيْناهُ وَاسْتَفَدْنا منه؛ و"**شَرْحُ هِدايَةِ الْحِكْمَةِ**"، وهو مَمْزوجٌ أَيْضًا.

وله: "**رِسالَةٌ مُخْتَصَرَةٌ في الْمَنْطِقِ**"، أَوْرَدَ ما يُحتاجُ إليه، كَتَبَها على أُسْلوبِ رِسالَةِ والِدِهِ في الْمَنْطِقِ، مع زِياداتٍ شَريفَةٍ، لكن كَتَبَها والِدُهُ بِالْفارِسِيَّةِ.

ومن شُروحِ الْفَوائِدِ: "**شَرْحُ سَعْدِ الدِّينِ الْحَلالِ**"[4]، بالْمُهْمَلَةِ، ولم أَقِفْ على تَرْجَمَتِهِ. وشَرْحٌ آخَرُ مَمْزوجٌ لَطيفٌ في الْغايَةِ، لَكِنْ لم أَعْرِفِ اسْمَ مُصَنِّفِهِ.

واللهُ أعْلَمُ.

---

(1) بغية الوعاة: 1/ 279-280.

(2) سماه: الرشاد في شرح الإرشاد، وهو مطبوع.

(3) بغية الوعاة: 1/ 196.

(4) عبد الرَّحْمَنِ بنُ زين الدّين بنِ سعد الدّين الْحَلَالُ. الضوء اللامع: 4/ 162.

ومن الْكُتُبِ الْمُعْتَبَرَةِ في هذه الْفُنونِ:

"**كِتابُ الْوِشاحِ**"[1]، لِلْمَوْلى صَدْرِ الشَّريعَةِ. وسَنَذْكُرُهُ في عِلْمِ الْفِقْهِ أو الْأصولِ لِأَنَّهُ بهما أَشْهَرُ.

ومَنْ أرادَ الْوُقوفَ في عِلْمِ الْبَلاغَةِ على الْعَجَبِ الْعُجابِ، والتَّبَحُّرِ في هذا البابِ، فَعَلَيْهِ بِكِتابَيْ: "**دَلائِلُ الإِعْجازِ**"، و"**أَسْرارُ الْبَلاغَةِ**"، كلاهما من مُؤَلَّفاتِ الشَّيخِ عبدِ القاهِرِ الْجُرْجانِيِّ، لا زالَ من أن يَتَدارَكَهُ اللُّطْفُ السُّبْحانِيُّ.

وقيلَ: إنَّ كِتابَيْهِ في هذه الْفُنونِ، بَحْرانِ تَنْشَعِبُ منهما الْعُيونُ.

واللهُ ولِيُّ التَّوفيقِ.

عِلْمُ الْعَروضِ

وهو عِلْمٌ يُبْحَثُ فيه عن أَحْوالِ الْأَوْزانِ الْمُعْتَبَرَةِ لِلشِّعْرِ، الْعارِضَةِ لِلْأَلْفاظِ والتَّراكيبِ الْعَرَبِيَّةِ.

وَمَوْضوعُهُ: الْأَلْفاظُ الْعَرَبِيَّةُ، من حيثُ إنَّها مَعْروضٌ لِلْإيقاعاتِ الْمُعْتَبَرَةِ في الْبُحورِ السِّتَّةَ عَشَرَ عند الْعَرَبِ، على ما وَضَعَهُ واضِعُ هذا الْفَنِّ الْخَليلُ ابنُ أَحْمَدَ. فَعَلَى الْأَوَّلِ يكونُ علمُ الْعَروضِ من فُروعِ الْموسِيقَى؛ وعلى الثَّانِي من فُروعِ عِلْمِ الشِّعْرِ على مَذْهَبِ الْمُتَأَخِّرينَ؛ وإنِ اعْتُبِرَتْ في الْأَشْعارِ الْعَرَبِيَّةِ يكونُ من فُروعِ الْعُلومِ الْأَدَبِيَّةِ، والْمُخْتارُ عندنا هذا.

---

(1) طبع كتاب الوشاح مع شرح عبد الرحمن بن أبي بكر بن العز الحنفي (ت.893هـ) له.

وَغايَتُهُ: الِاحْتِرازُ عن الْخَطَإِ في إيرادِ الْكَلامِ على الْإيقاعاتِ الْمُعْتَبَرَةِ.

وَمَبادِئُهُ: مُقَدِّماتٌ حاصِلَةٌ من تَتَبُّعِ أَشْعارِ الْعَرَبِ[1].

وإنَّما جَعَلوا هذا الْعِلْمَ جُزْءًا من عِلْمِ الْبَلاغَةِ، لأنَّ الْإيقاعَ بِمَنْزِلَةِ الْحُسْنِ الْعَرَضِيِّ، لِتَنْشيطِ السَّامِعينَ، وتَطْريبِهِمْ زِيادَةَ طَرَبٍ، فَيَتَمَكَّنُ الْكَلامُ الْمُعْتَبَرُ هو فيه في النَّفْسِ أَشَدَّ تَمَكُّنٍ، وَتَتَأَثَّرُ منه النَّفْسُ، فَتَقْبَلُها أشَدَّ قَبولٍ، سِيَّما إذا تَضَمَّنَ تَخْييلًا، سِيَّما إذا كان ذلكَ التَّخْييلُ والْوَزْنُ مُناسِبَيْنِ لِطَبْعِ السَّامِعِ وَحالِهِ، كما يَعْرِفُ تلكَ الْمُناسَبَةَ الْمُتَدَرِّبونَ في ذلكَ الْعِلْمِ.

وقَدْ يُقالُ: لمَّا تَوَقَّفَ عِلْمُ الْمَعانِي على تَتَبُّعِ التَّراكيبِ الْعَرَبِيَّةِ، وكانت التَّراكيبُ قِسْمَيْنِ: مَنْظومٌ وَمَنْثورٌ؛ وَتَوَقَّفَ مَعْرِفَةُ الْمَنْظومِ على عِلْمِ الْعَروضِ، جَعَلوهُ من الْعُلومِ الْعَرَبِيَّةِ، لكن يَكونُ حِينَئِذٍ من مَبادِئِ عِلْمِ الْمَعانِي؛ كَالْمُحاضَراتِ والتَّواريخِ، لا قِسْمًا بِرَأْسِهِ من عِلْمِ الْمَعانِي، كما ذَكَرْناهُ أَوَّلًا، لكنَّ الصَّحيحَ أَنَّهُ قِسْمٌ بِرَأْسِهِ منه؛ لأَنَّهُ من الْمُحَسِّناتِ الْعَرَضِيَّةِ لِلْكَلامِ كما ذَكَرْناهُ.

واعْلَمْ أنَّ الْعَروضَ يَسْتَغْنِي عنه السَّليمُ الطَّبْعِ، الْمُسْتَكْثِرُ لِأَنْواعِ الشِّعْرِ، ولا يَنْتَفِعُ به الْبَليدُ، ويَحْتاجُ إليه مَنْ عَداهُما وهُمُ الْأَكْثَرونَ. وإنِ اجْتَمَعَ الطَّبْعُ والْكَسْبُ، فَذَلِكَ غايَةُ الْحِذْقِ والْمَهارَةِ.

---

(1) ينظر رسالة في العلوم الشرعية والعربية: 36.

وَاعْلَمْ أَنَّ الشِّعْرَ عند الْحُكَماءِ كَلامٌ مُخَيِّلٌ مَوْزونٌ أو غَيْرُ مَوْزونٍ، وَجَعَلوا مَدارَ الشِّعْرِ على الْمُخَيَّلاتِ الَّتِي تَتَأَثَّرُ منها النَّفْسُ قَبْضًا وَبَسْطًا، حتَّى قيلَ: النَّفْسُ في بابِ الْإِقْدامِ والْإِحْجَامِ أَطْوَعُ على التَّخْيِيلِ مِنَ التَّصْديقِ.

وَعِنْدَ الْمُتَأَخِّرينَ: كَلامٌ مَوْزونٌ مُقَفًّى، فَاعْتَبَروا الْقافِيَةَ والْوَزْنَ وَتَرَكوا التَّخْيِيلَ.

وَعِنْدَ بَعْضِهِمْ: كَلامٌ مَوْزونٌ عَمْدًا، فَهُمْ تَرَكوا التَّقْفِيَةَ والتَّخْيِيلَ، إِلَّا أَنَّهُمْ اعْتَبَروا الْعَمْدَ، لِيَخْرُجَ ما وَقَعَ في التَّنْزيلِ من الآياتِ الْمَوْزونَةِ عن حَدِّ الشِّعْرِ، إِذْ لا عَمْدَ فيها، بِدَليلِ قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾[1].

لَكِنَّ الْحَقَّ - وَهُوَ الْمُخْتارُ عِنْدِي - اعْتِبارُ الْقُيودِ الْمَذْكورَةِ جَميعًا من التَّخْيِيلِ، وأَلَّا يَصيرَ الْكَلامُ كَتَزْيِينِ الشَّوْهاءِ وَالْوَزْنِ، وأَلَّا يَنْقُضَ لَذَّةَ الطَّبْعِ والتَّقْفِيَةِ، وألا يَنْقُضَ لَذَّةَ السَّمْعِ والْعَمْدِ، وأَلَّا يَلْزَمَ وُجود الشِّعْرِ في الْقُرْآنِ، ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾[2].

فَالشِّعْرُ: كَلامٌ مُخَيِّلٌ، مَوْزونٌ، مُقَفًّى، بِطَريقِ الْعَمْدِ.

والتَّخْيِيلُ: تَأْثِيرُ الْكَلامِ في النَّفْسِ بِالْقَبْضِ أَوِ الْبَسْطِ، أو غَيْرِهِمَا، بِحَسَبِ الْمَعْنَى الْمُرادِ مِنْهُ.

وَالْوَزْنُ: عِبارَةٌ عن هَيْئَةٍ تَتَبَّع نِظامَ تَرْتِيبِ الْمُتَحَرِّكاتِ والسَّاكِناتِ، وَتَناسُبِهَا في الْعَدَدِ والْمِقْدارِ، بِحَيْثُ تَجِدُ النَّفْسُ عند سَماعِها لَذَّةً مَخْصوصَةً ذَوْقِيَّةً.

---

(1) سورة يس، الآية: 69.

(2) سورة الحاقة، الآية: 41.

وَاعْلَمْ أَنَّ واضِعَ هذا الْفَنِّ الْخَلِيلَ بْنَ أَحْمَدَ تتَبَّعَ أَشْعارَ الْعَرَبِ، وَحَصَرَها في خَمْسَةَ عَشَرَ وَزْنًا، وَسَمَّى كُلًّا منها بَحْرًا، وَاعْتَبَرَ في هذه الْبُحورِ أَرْبَعًا وَثَلاثين عَروضًا، وَثَلاثَةً وَسِتِّينَ ضَرْبًا، وَذَكَرَ مِنْ عِلَلِ الزِّحافِ ثَلاثًا وَعِشْرينَ عِلَّةً.

قِيلَ: إِنَّما وَضَعَهُ الْخَليلُ بنُ أَحْمَدَ، وَهَذَّبَهُ الْجَوْهَرِيُّ، وَزادَ الْأَخْفَشُ بَحْرًا آخَرَ سَمَّاهُ الْمُتَدارَكَ.

قِيلَ: اسْتَمْسَكَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ بِأَسْتارِ الْكَعْبَةِ، وَسَأَلَ اللهَ تَعالى أَنْ يَرْزُقَهُ عِلْمًا لَمْ يَسْبِقْ إليه أَحَدٌ، فَأَجابَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى دَعْوَتَهُ، فَأَعْطاهُ هذا الْعِلْمَ، حَتَّى إِنَّهُ سَمَّاهُ بِاسْمِ الْعَروضِ تَبَرُّكًا وَتَيَمُّنًا، لأنَّ الْعَروضَ من أسْماءِ الْكَعْبَةِ.

رُوِيَ أَنَّ ابْنَ الْمُعْتَزِّ قالَ: كان سَبَبُ اسْتِخْراجِ الْخَلِيلِ هذا الْعِلْمَ، أَنَّهُ مَرَّ بِالْبَصْرَةِ في سِكَّةِ الْقَصَّارِينَ، فَسَمِعَ دَقَّ الكُذِينَقِ بِأَصْواتٍ مُخْتَلِفَةٍ، فَسَمِعَ مِنْ دارٍ دَقْ، ومِنْ أخْرَى دَقْ دَقْ، ومن أُخْرَى دَقَقْ دَقَقْ، فَأَعْجَبَهُ ذلك، وقال: واللهِ لَأَضَعَنَّ على هذا الْمَعْنى عِلْمًا غامِضًا، فَوَضَعَ الْعَروضَ على حُدودِ الشِّعْرِ.

قُلْتُ: الْكُذِينَقُ، بِضَمِّ الْكافِ، وَكَسْرِ الْمُعْجَمَةِ، وسُكونِ الْمُثَنَّاةِ التَّحْتانِيَّةِ، وَفَتْحِ النُّونِ: شَيْءٌ من جُلودٍ يُدَقُّ به كَالْهاوُنِ.

ومِنَ الْكُتُبِ الْمُخْتَصَرَةِ في عِلْمِ الْعَروضِ:

"**كِتابٌ لِابْنِ مالِكٍ**"، وقد عَرَفْتَ تَرْجَمَتَهُ؛ و"**عَروضُ الْوَرَقَةِ**"، لِلْجَوْهَرِيِّ؛ و"**لامِيَّةُ ابْنِ الْحاجِبِ**"، وقد عَرَفْتَهُمَا. **ولِلْأَيْكِي مُخْتَصَرٌ** بَديعٌ؛ و"**عَروضُ ابْنِ الْقَطَّانِ**"، وهو أبو الْقاسِمِ هِبَةُ اللهِ بنُ الْفَضْلِ بْنِ عبدِ الْعَزيزِ،

الْمَعْروفُ بابْنِ الْقَطَّانِ، الشَّاعِرُ الْبَغْدادِيُّ. سَمِعَ الْحَديثَ من جَماعَةٍ، وسُمِعَ عليه، وكانَ غايَةً في الْخَلاعَةِ وَالْمُجونِ، كَثيرَ الْمِزاحِ والْمُداعَبَةِ والْهِجاءِ، ولم يَسْلَمْ منه أَحَدٌ، لا الْخَليفَةُ ولا غَيْرُهُ. وله في ذَلِكَ نَوادِرُ ووَقائِعُ وَحِكاياتٌ ظَريفَةٌ. وله "**دِيوانُ شِعْرٍ**" أَكْثَرُهُ جَيِّدٌ.

وُلِدَ ضاحِيَ نَهارِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، سابِعِ ذي الْحِجَّةِ، سَنَةَ ثَمانٍ أو سَبْعٍ وَسَبْعينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ. **وَتُوُفِّيَ** يَوْمَ السَّبْتِ الثَّامِنِ والْعِشْرينَ من شَهْرِ رَمَضانَ، سَنَةَ ثَمانٍ وَخَمْسينَ وخَمْسِمِئَةٍ بِبَغْدادَ[1].

و"**لامِيَّةُ صَدْرِ الدِّينِ السَّاوِيِّ**"، وَشَرْحُها لِلْإِمامِ الْقَزْوينِيِّ، و"**شَرْحُ لامِيَّةِ ابْنِ الْحاجِبِ**"، لِجَمالِ الدِّينِ ابْنِ واصِلٍ. و"**شِفاءُ الْعَليلِ في عِلْمِ الْخَليلِ**"، لِأَمينِ الدِّينِ الْمَحَلِّيِّ. وقد مَدَحَهُ سِراجُ الدِّينِ الْوَرَّاقُ في قِطْعَةٍ له يَمْدَحُ بها الْمَحَلِّيَّ وهي هَذِهِ: [الوافر]

جَزاكَ اللهُ عن عِلْمِ الْخَليلِ ... مُجازاةَ الْجَليلِ عن الْخَليلِ[2]
وَكُنَّا قد أَيِسْنا منه حَتَّى ... شَفَيْتَ غَليلَنا بِشِفا الْعَليلِ

وَالْمَحَلِّيُّ، هو مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ موسى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمنِ، أبو بَكْرٍ الْأَنْصارِيُّ، الشَّيْخُ أمينُ الدِّينِ الْمَحَلِّيُّ.

قالَ الذَّهَبِيُّ: أَحَدُ أَئِمَّةِ النَّحْوِ بالْقاهِرَةِ، تَصَدَّرَ لِإِقْرائِهِ، وانْتَفَعَ به النَّاسُ، وله شِعْرٌ حَسَنٌ وتَصانيفُ حَسَنَةٌ، منها: "**أُرْجوزَةٌ في الْعَروضِ**".

---

(1) وفيات الأعيان: 6/ 54.

(2) ينظران في شفاء الغليل في علم الخليل: 34.

ماتَ في ذي الْقَعْدَةِ، سَنَةَ ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ وَسِتِّمِئَةٍ، عن ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ[1].

ومِنَ الْكُتُبِ النَّافِعَةِ:

عَروضُ الْخَطيبِ التِّبْريزِيِّ[2]، وهو يَحْيَى بْنُ عِلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ ابنِ مُحَمَّدِ بنِ موسى بنِ بِسْطامٍ الشَّيْبانِيُّ، أبو زَكَرِيَّا ابْنُ الْخَطيبِ التِّبْريزِيُّ.

قال ياقوتٌ: ورُبَّما يُقالُ له الْخَطيبُ، وهو وَهْمٌ.

وَكانَ أَحَدَ الْأَئِمَّةِ في النَّحْوِ واللُّغَةِ والْأَدَبِ، حُجَّةً صَدوقًا ثَبْتًا، هاجَرَ إلى أبي الْعَلاءِ الْمَعَرِّيِّ، وَأَخَذَ عنه، وعن عُبَيْدِ اللهِ الرَّقِّيِّ، والْحَسَنِ بنِ رَجاءِ بنِ الدَّهَّانِ، وابْنِ بُرْهانَ، والْمُفَضَّلِ الْقَصْبانِيِّ، وعَبْدِ الْقاهِرِ الْجُرْجانِيِّ، وغَيْرِهِمْ.

وَسَمِعَ الْحَديثَ، وَكُتُبَ الْأَدَبِ على خَلْقٍ؛ منهم: الْقاضِي أبو الطَّيِّبِ الطَّبَرِيُّ، وأبو الْقاسِمِ التَّنوخِيُّ، والْخَطيبُ الْبَغْدادِيُّ.

وَأَخَذَ عنه الْعِلْمَ مَوْهوبُ الْجَوالِيقِيُّ وغَيْرُهُ، وَرَوَى عنه السِّلَفِيُّ، وأبو الْفَضْلِ ابْن ناصِرٍ. وَوَلِيَ تَدْريسَ الْأَدَبِ بِالنِّظامِيَّةِ، وَخِزانَةَ الْكُتُبِ بها.

وَانْتَهَتْ إليه الرِّئاسَةُ في فَنِّهِ، وَشاعَ ذِكْرُهُ في الْأَقْطارِ، وكانَ يُدْمِنُ شُرْبَ الْخَمْرِ، وَيَلْبَسُ الْحَريرَ وَالْعَمائِمَ الْمُذَهَّبَةَ، وكانَ النَّاسُ يَقْرَأونَ عليه تَصانِيفَهُ وهو سَكْرانُ، وكانَ أَكولًا نَهِمًا.

---

(1) بغية الوعاة: 1/ 192.

(2) هو "الْكافِي في الْعَروض والْقَوافِي"، وهو من أشهر كتبه.

صَنَّفَ: "شَرْحُ الْقَصائِدِ الْعَشْرِ"، "تَفْسيرُ الْقُرْآنِ"، و"الْإِعْرابُ"[1]، و"شَرْحُ اللُّمَعِ"، و"الْكافِي في الْعَروضِ والْقَوافِي"، ثَلاثَةُ شُروحٍ على الْحَماسَةِ، "شَرْحُ شِعْرِ الْمُتَنَبِّي، وشِعْرِ أَبِي تَمَّامٍ"، و"شَرْحُ الدُّرَيْدِيَّةِ"، "شَرْحُ سَقْطِ الزَّنْدِ"، "شَرْحُ الْمُفَضَّلِياتِ"، "تَهْذيبُ الْإِصْلاحِ لابْنِ السِّكِّيتِ". وَغَيْرَ ذَلِكَ.

وُلِدَ سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرينَ وأَرْبَعِمِئَةٍ، ماتَ فُجاءَةً في جُمادَى الْأُولَى سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وخَمْسِمِئَةٍ[2].

وِمنَ الْكُتُبِ النَّافِعَةِ الْمُفيدَةِ:

"عَروضُ أَبِي الْجَيْشِ الْأَنصارِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ"، وهو أبو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدٍ. وشَرَحَهُ داودُ الْقَيْصَرِيُّ، الْمُدَرِّسُ بِمَدْرَسَةِ إِزْنيقَ[3]؛ من بِلادِ الرُّومِ. وشَرَحَهُ أَيْضًا إِلْياسُ بنُ إِبْراهِيمَ الرُّومِيُّ؛ سَمَّاهُ: "فَتْحُ النُّقُوضِ في شَرْحِ الْعَروضِ".

ومن الْكُتُبِ النَّافِعَةِ في الْغايَةِ:

الْقَصيدَةُ الْخَزْرَجِيَّةُ[4]، وشَرَحَها ابْنُ داوُدَ الْمَغْرِبيُّ[5]. وَفِيمَا أَوْرَدَهُ السَّكَّاكِيُّ في "تَكْمِلَةُ مِفْتاحِ الْعُلومِ" كِفايَةٌ في هذا الْعِلْمِ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(1) طبع له "الملخص في إعراب القرآن".

(2) بغية الوعاة: 2/ 338.

(3) إزنيق (İznik) مدينة تركية، تقع بالقرب من مدينة نيقية التاريخية في أقصى شمال غرب الأناضول، وهي تابعة لمحافظة بورصة.

(4) كتب بإزائها في الطرة بنسخة مراد ملا فيها: "صنف المؤلف شرحا لطيفا على المنظومة المذكورة أملاه بعد ابتلائه بالعمى رحمه الله". اللوحة: 72.

(5) لعله أحمد بن علي بن داود البلوي الغرناطي الأندلسي (ت.938هـ)، ينظر: نيل الابتهاج: 138، هدية العارفين: 1/ 140، من هذا الكتاب نسخة خطية محفوظة بالخزانة الملكية بالرباط.

عِلْمُ الْقَوافِي

عِلْمٌ يُبْحَثُ فيه عن تَناسُبِ أَعْجازِ الْبَيْتِ وَعُيوبِها.

وغَرَضُهُ: تَحْصيلُ مَلَكَةِ إيرادِ الْأَبْياتِ، على أعْجازٍ مُتَناسِبَةٍ خالِيَةٍ عن الْعُيوبِ الَّتِي يَنْفِرُ[1] عنها الطَّبْعُ السَّليمُ، على الْوَجْهِ الذي اعْتَبَرَهُ الْعَرَبُ.

وَغايَتُهُ: الِاحْتِرازُ عن الْخَطَإِ فيه.

وَمَبادِئُهُ: مُقَدِّماتٌ حاصِلَةٌ من تَتَبُّعِ أعْجازِ أشْعارِ الْعَرَبِ.

ومِنَ الْكُتُبِ الْمُخْتَصَرَةِ فيه:

"**كِتابُ الْأَيْكِيِّ**"[2].

ومِنَ الْمُتَوَسِّطَةِ:

"**كِتابٌ لِابْنِ الْقَطَّاعِ**"[3]، وهو عَلِيُّ بنُ جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ السَّعْدِيُّ، الْمَعْروفُ بابْنِ الْقَطَّاعِ الصِّقِلِّيِّ.

قالَ ياقوتٌ: كانَ إمامَ وَقْتِهِ بِمِصْرَ في عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ وَفُنونِ الْأَدَبِ. قَرَأَ على أبي بَكْرٍ الصِّقِلِّيِّ، وَرَوَى عنه "**الصَّحاحُ**" لِلْجَوْهَرِيِّ. وكانَ نُقَّادُ الْمِصْرِيِّينَ يَنْسُبونَهُ إلى التَّساهُلِ في الرِّوايَةِ، وذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ مِصْرَ، سَأَلوهُ عن

---

(1) يتنفر، في رئيس الكتاب وأنطاليا وعاطف أفندي.

(2) ينظر صبح الأعشى: 1/ 542.

(3) يسمى: "الشافي في علم القوافي"، وله كتاب: "العروض البارع بالاختصار الجامع"، طبع بعنوان: "البارع في علم العروض". والنقل من إرشاد القاصد: 121.

"الصَّحاحُ"، فَذَكَرَ أَنَّهُ لم يَصِلْ إليهم، ثم لَمَّا رَأى اشْتِغالَهُمْ به، رَكَّبَ لهم إسْنادًا، وَأَخَذَهُ النَّاسُ عنه مُقَلِّدينَ له.

صَنَّفَ: "الْأَفْعالُ"، "أَبْنِيَةُ الْأَسْماءِ"، "حَواشي الصَّحاحِ"، "تاريخُ صِقِلِّيَّةَ"، "الدُّرَّةُ الْخَطيرَةُ في شُعراءِ الْجَزيرَةِ". وَغَيْرَ ذَلِكَ.

وُلِدَ سنَةَ ثَلاثٍ وثَلاثينَ وأَرْبَعِمِئَةٍ. وَماتَ سَنَةَ خَمْسٍ أو أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِئَةٍ، ودُفِنَ بِقُرْبِ ضَريحِ الْإمامِ الشَّافِعِيِّ[1].

ومن الْمَبْسوطَةِ:

كِتابٌ لابْنِ سِيدَه، وكِتابُ "الْكافِي في عِلْمَيِ الْعَروضِ والْقَوافِي في شَرْحِ الْقَصيدَةِ الْغَرَّاءِ والْخَريدَةِ الْحَسْناءِ"، لصَدْرِ الدِّينِ السَّاوِيِّ؛ ولِابْنِ عُصْفورٍ كِتابٌ جَمُّ الْفَوائِدِ[2].

وما أوْرَدَهُ السَّكَّاكِيُّ في كِتابِ الْمِفْتاحِ كافٍ فيه. وأَكْثَرُ كُتُبِ الْعَروضِ مُذَيَّلَةٌ بِعِلْمِ الْقَوافِي.

عِلْمُ قَرْضِ الشِّعْرِ

عِلْمٌ باحِثٌ عن أَحْوالِ الْكَلِماتِ الشِّعْرِيَّةِ، لا مِنْ حيثُ الْوَزْنُ والْقافِيَةُ، بل من حيثُ حُسْنُها وقُبْحُها من حيثُ إنَّها شِعْرٌ.

---

(1) النقل من بغية الوعاة: 2/ 153.

(2) إرشاد القاصد: 121.

وَحاصِلُهُ: تتَبُّعُ أَحْوالِ خاصَّةٍ بالشِّعْرِ، مِنْ حَيْثُ الْحُسْنُ والْقُبْحُ والْجَوازُ والاِمْتِناعُ وَأَمْثالُها.

وَغَرَضُهُ: تَحْصيلُ مَلَكَةِ إيرادِ الشِّعْرِ على تلك الْأَحْوالِ الْخاصَّةِ.

وَغايَتُهُ: الِاحْتِرازُ عن الْخَطَإِ في ذلكَ الْإيرادِ.

وَمَبادِئُهُ: مُقَدِّماتٌ حاصِلَةٌ من تتَبُّعِ أَشْعارِ الْعَرَبِ[1]، وَاسْتِحْسانَاتٌ تَقْبَلُهَا الطِّباعُ السَّليمَةُ.

وَرَأَيْتُ كِتابًا مَنْظومًا في هذا الْعِلْمِ، وأنا في عُنْفُوانِ الشَّبابِ، في زَمَنِ اشْتِغالي بِالْعُلومِ الْأَدَبِيَّةِ، لكن لم أَتَذَكَّرِ اسْمَهُ، وَاسْمَ مُصَنِّفِهِ[2] في هذا الْآنِ. واللهُ الْمُسْتَعانُ.

عِلْمُ مَبادِئِ الشِّعْرِ

عِلْمٌ باحِثٌ عن مُقَدِّماتٍ تَخْييلِيَّةٍ، يَحْصُلُ منها التَّرْغِيبُ أو التَّرْهيبُ، وتَخْتَلِفُ تلك بِحَسَبِ قَوْمٍ قَوْمٍ.

وَمَوْضوعُهُ: الشِّعْرُ من حيثُ مُقَدِّماتُهُ الْمُناسِبَةُ من تَتَبُّعِ الْأُمورِ التَّخْييلِيَّةِ.

وَمَبادِئُهُ: تَحْصُلُ من تَتَبُّعِ أشْعارِ النَّاسِ بِحَسَبِ قَوْمٍ قَوْمٍ.

وَالْغَرَضُ منه: تَحْصيلُ مَلَكَةِ إيرادِ الْكَلامِ الشِّعْرِيِّ على مَوادَّ مُتَناسِبَةٍ.

---

(1) ينظر رسالة في العلوم الشرعية والعربية: 35.

(2) مؤلفه، في رئيس الكتاب.

وَغايَتُهُ: الاِحْتِرازُ عن الْخَطَإِ فيها[1].

وَكِتابُ الشِّعْرِ مِنْ مَوادِّ الْأَقْيِسَةِ الْمَذْكورَةِ في الْكُتُبِ الْحِكْمِيَّةِ نافِعَةٌ في هذا الْبابِ.

عِلْمُ الْإِنْشاءِ

عِلْمٌ يُبْحَثُ فيه عن الْمَنْثورِ، من حيث إِنَّهُ بَليغٌ وَفَصيحٌ، وَمُشْتَمِلٌ على الْآدابِ الْمُعْتَبَرَةِ عندهم في الْعِباراتِ الْمُسْتَحْسَنَةِ واللَّائِقَةِ بالْمَقامِ.

وَمَوْضوعُهُ وَغَرَضُهُ وَغايَتُهُ ظاهِرَةٌ مما ذُكِرَ.

وَمَبادِئُهُ مَأْخوذَةٌ من تَتَبُّعِ الْخُطَبِ والرَّسائِلِ، بل له اسْتِمْدادٌ من جَميعِ الْعُلومِ، سِيَّمَا الْحِكْمِيَّةِ[2] الْعَمَلِيَّةِ، والْعُلومِ الشَّرْعِيَّةِ، وَسِيَرِ الْكُمَّلِ، وحِكاياتِ الْأُمَمِ، وَوَصايا الْعُقَلاءِ[3]. وغيرِ ذلِكَ من أُمورٍ لا تَتَناهَى.

ومن الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَةِ في هذا الْبابِ:

كِتابُ **"الْمَثَلُ السَّائِرُ في أَدَبِ الْكاتِبِ والشَّاعِرِ"**، لأبي الْفَتْحِ ابْنِ الْأَثِيرِ الْجَزَرِيِّ، وهو أبو الْفَتْحِ نَصْرُ الله بْنُ أبي الْكَرَمِ، مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بنِ عبدِ الْكَريمِ بنِ عَبْدِ الْواحِدِ الشَّيْبانِيُّ، الْمَعْروفُ بِابْنِ الْأَثيرِ الْجَزَرِيِّ، الْمُلَقَّبُ ضِياءَ الدِّينِ.

---

(1) ينظر رسالة في العلوم الشرعية والعربية: 37.

(2) الحكمة، في رئيس الكتاب.

(3) ينظر رسالة في العلوم الشرعية والعربية: 37-38.

كانَ مَوْلِدُهُ بِجَزيرَةِ ابْنِ عُمَرَ، وَنَشَأَ بها، وَانْتَقَلَ مع والِدِهِ إلى الْمَوْصِلِ، وبها اشْتَغَلَ وَحَصَّلَ الْعُلومَ، وَحَفِظَ كِتابَ اللهِ الْكَريمَ، وَكَثيرًا من الْأَحادِيثِ النَّبَوِيَّةِ، وَطَرَفًا صالِحًا من النَّحْوِ واللُّغَةِ وعِلْمِ الْبَيانِ، وشَيْئًا كَثيرًا من الْأَشْعارِ. ثُمَّ قَصَدَ الْمَلِكَ النَّاصِرَ صَلاحَ الدِّينِ، وَأَقامَ عندَهُ مُدَّةً، ثُمَّ طَلَبَهُ وَلَدُهُ الْمَلِكُ الْأَفْضَلُ نورُ الدِّينِ من والِدِهِ، فَاسْتَوْزَرَهُ، وَحَسُنَتْ حالُهُ عِنْدَهُ[1]. وله أَحْوالٌ أُخَرُ فيها طولٌ.

وله من التَّصانيفِ:

"الْمَثَلُ السَّائِرُ في أدَبِ الْكاتِبِ والشَّاعِرِ"، وهو في مُجَلَّدَيْنِ. جَمَعَ فيه فَأَوْعَبَ، ولم يَتْرُكْ شَيْئًا يَتَعَلَّقُ بِفَنِّ الْكِتابَةِ إلَّا أَوْرَدَهُ.

وُلِدَ في يَوْمِ الْخَميسِ لعِشْرينَ من شَعْبانَ سَنَةَ ثَمانٍ وَخَمْسينَ وَخَمْسِمِئَةٍ، بِجَزيرَةِ ابْنِ عُمَرَ. **وتُوُفِّيَ** في إِحْدَى الْجُمادَيْنِ أو في التَّاسِعِ والْعِشْرينَ من ربيعِ الآخِرِ - وهو الأَصَحُّ - سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلاثينَ وسِتِّمِئَةٍ بِبَغْدادَ[2].

وَكانَ له أَخَوانِ:

- **أَحَدُهُما مَجْدُ الدِّينِ أبو السَّعاداتِ الْمُبارَكُ**، صاحِبُ كتابِ **"نِهايَةُ الْحَديثِ والْأَثَرِ"**، وقد تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ في عِلْمِ اللُّغَةِ.

(1) وفيات الأعيان: 5/ 389.

(2) المصدر نفسه: 5/ 389.

ـ وَالْآخَرُ أبو الْحَسَنِ عَلِيٌّ الْمُلَقَّبُ عِزَّ الدِّينِ، وَسَنَذْكُرُهُ عند ذِكْرِ التَّوارِيخِ لأَنَّهُ صَنَّفَ كِتابَ "الْكامِلُ"، وَهُوَ أَجَلُّ التَّواريخِ وَأَحْسَنُها، وَأَنْفَعُها.

وَكانَ الْإِخْوَةُ الثَّلاثَةُ كُلُّهُمْ فُضَلاءَ نُجَباءَ رُؤَساءَ، أَرْبَابَ التَّصانيفِ الْمَقْبولَةِ، وَقَلَّما يَتَّفِقُ إِخْوَةٌ مِثْلَ هَؤلاءِ.

وَمِنْ كُتُبِ الْإِنْشاءِ:

"كِتابُ الْمَعانِي الْمُخْتَرَعَةِ في صِناعَةِ الْإِنْشاءِ"، لِمُوَفَّقِ الدِّينِ[1]. **وُلِدَ** هو في آخِرِ الْجُمادَيْنِ، أو أَوَّلِ الرَّبِيعَيْنِ، سَنَةَ تِسْعينَ وخَمْسِمِئَةٍ بِالْمَدائِنِ.

وله: كِتابُ "الْوَشْيُ الْمَرْقومُ في حَلِّ الْمَنْظومِ"؛ ومَجْموعٌ اخْتارَ فيه شِعْرَ أَبِي تَمَّامٍ والْبُحْتُرِيِّ والْمُتَنَبِّي وَدِيكِ الْجِنِّ؛ مُجَلَّدٌ كَبيرٌ. وله **"ديوانُ التَّرَسُّلِ"**، في عِدَّةِ مُجَلَّداتٍ[2].

ومن الْعَجَبِ الْعُجابِ في عِلْمِ الْإِنْشاءِ:

"الْمَقاماتُ"، لِلْحَرِيرِيِّ، وقد عَمِلَ على أُسْلوبِها كَثيرٌ من النَّاسِ رَأَيْتُ منها ثَلاثَةً، و**"تَواريخُ الْعُتْبِيِّ"**، وهَذانِ يُمْكِنُ عَدُّهُما من الْمُحاضَراتِ أَيْضًا. و**"قَهْوَةُ الْإِنْشاءِ"**، لأبي بَكْرِ ابْنِ حِجَّةَ أَيْضًا.

---

(1) الصحيح أنه لضياء الدين أبي الفتح ابن الأثير (ت.637هـ) وليس لموفق الدين أحمد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن حسين ابن أبي الحديد (ت.656هـ)، المولود بالتاريخ المذكور بالمدائن كما ذُكر في مصادر ترجمته؛ كوفيات الأعيان: 5/ 392، والوافي بالوفيات: 8/ 225، وفوات الوفيات: 1/ 154.

(2) وفيات الأعيان: 5/ 392.

واعْلَمْ أنَّ الْحَرِيرِيَّ هو الْقَاسِمُ بنُ عليِّ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عُثْمانَ الْبَصْرِيُّ، الإمامُ أبو محمدٍ الْحَرِيرِيُّ.

وُلِدَ في حُدودِ سَنَةِ سِتٍّ وأَرْبَعينَ وأَرْبَعِمِئَةٍ، وكانَ غايَةً في الذَّكاءِ والْفِطْنَةِ، والْفَصاحَةِ والْبَلاغَةِ.

وتَصانِيفُهُ تَشْهَدُ بِفَضْلِهِ، وتُقِرُّ بِنُبْلِهِ، وكَفى بِفَضْلِهِ شاهِدًا "**الْمَقاماتُ**" الَّتِي فاقَ بها الْأَوائِلَ، وأَعْجَزَ الْأَواخِرَ.

قالَ الْبَنْدَهِيُّ[1]: كان سَبَبُ وَضْعِها أنَّ أبا زَيْدٍ السَّروجِيَّ وَرَدَ الْبَصْرَةَ، وكانَ شَيْخًا شَحَّاذًا بَليغًا فَصيحًا، فَوَقَفَ في مَسْجِدِ بني حَرامٍ[2]، فَسَلَّمَ، ثم سَأَلَ النَّاسَ، والْمَسْجِدُ غاصٌّ بِالْفُضَلاءِ، فَأَعْجَبَهُمْ فَصاحَتُهُ، وَحُسْنُ صِياغَةِ كَلامِهِ، وَذَكَرَ أَسْرَ الرُّومِ وَلَدَهُ، كما ذَكَرَ في الْمَقامَةِ الْحَرامِيَّةِ.

قالَ الْحَرِيرِيُّ: فَاجْتَمَعَ عِنْدِي عَشِيَّةَ ذلِكَ الْيَوْمِ فُضَلاءُ، فَحَكَيْتُ لهم ما شاهَدْتُ من ذلِكَ السَّائِلِ، فَحَكَى كُلُّ واحِدٍ منهم، أَنَّهُ سَمِعَ من هذا السَّائِلِ في مَسْجِدِهِ، في مَعْنًى آخَرَ، فَصْلًا أَحْسَنَ مما سَمِعْتُ، وكان يُغَيِّرُ في كلِّ

(1) أبو سعيد محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مسعود البندهي، الأديب اللغوي، الفقيه الشافعي، (584هـ). ترجمته في: وفيات الأعيان: 4/ 390 وإنباه الرواة 3/ 166، والوافي بالوفيات: 3/ 233، وبغية الوعاة: 1/ 158.

(2) مسجد بني حرام: أحد مساجد المدينة المنورة التاريخية، صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم أثناء حفر الخندق، يقع المسجد غربي جبل سلع، وعلى يمين القادم من شارع السيح والمتجه إلى منطقة المساجد السبعة. ينظر: المعالم الأثيرة في السنة والسيرة: 253.

مَسْجِدِ زِيَّهُ وشَكْلَهُ، ويُظْهِرُ في فُنونِ الْحِيلَةِ فَضْلَهُ، فتَعَجَّبوا منه، فَأَنْشَأْتُ الْمَقامَةَ الْحَرامِيَّةَ، ثم بَنَيْتُ عليها سائِرَ الْمَقاماتِ، وكانَتْ أَوَّلَ شَيْءٍ صَنَعْتُهُ.

وَذَكَرَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ بَعْدَ هذا الْكَلامِ: أَنَّهُ عَرَضَ الْحَرامِيَّةَ على الْوَزيرِ أَنوشِرْوانَ[1] فَاسْتَحْسَنَها، وأَمَرَهُ أَنْ يُضيفَ إليها ما شاكَلَها، فَأَتَمَّها خَمْسينَ.

وقالَ ياقوتٌ: بَلَغَنِي أَنَّهُ لَمَّا صَنَعَ الْحَرامِيَّةَ، أَصْعَدَ إلى بَغْدادَ، فَدَخَلَ إلى السُّلْطانِ، ومَجْلِسُهُ غاصٌّ بِالْفُضَلاءِ، فطَلَبوا منه شَيْئًا يَدُلُّ على فَضْلِهِ في الْكِتابَةِ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ قَلَمًا وقال: سَلُوا كلَّ ما يَتَعَلَّقُ بهذا، وَأَشارَ إلى الْقَلَمِ، فَأجابَ كلَّ من سَأَلَهُ شَيْئًا بما اسْتَحْسَنَهُ، حتى بَهَرَهُمْ. فَبَلَغَ الْخَبَرُ الْوَزيرَ أنوشِرْوانَ، فَطَلَبَهُ، فَانْتَهَى حَديثُهُما إلى الْمَقامَةِ الْحَرامِيَّةِ، فَأَوْرَدَها إيَّاهُ، فَاسْتَحْسَنَها جِدًّا، وقالَ: يَنْبَغي لَكَ أن تَزيدَ على هذه، فقال: أَصْنَعُ بِالْبَصْرَةِ إذ يَجْتَمِعُ خاطِري، فَعَمِلَ أَرْبَعينَ مَقامَةً، فَعَرَضَها على الْوَزيرِ.

وقالَ بَعْضُ حُسَّادِهِ: إنَّها لِرَجُلٍ اسْتَضافَ به، وَماتَ عِنْدَهُ، فَامْتَحَنوهُ بِمَقامَةٍ أُخْرَى يَضَعُها عِنْدَهُمْ، فَجَلَسَ في مَنْزِلِهِ بِبَغْدادَ أَرْبَعينَ لَيْلَةً، فلم يَتَهَيَّأْ له تَرْتيبُ كَلِمَتَيْنِ، مع أَنَّهُ سَوَّدَ كَثيرًا من الْكاغِدِ، فَعادَ إلى الْبَصْرَةِ، وَعَمِلَ عَشْرَ مَقاماتٍ وَأَضافَها إليها، وَأَصْعَدَ إلى بَغْدادَ، فَحينئِذٍ بانَ فَضْلُهُ، وعَلِموا أَنَّهُ من عَمَلِهِ.

---

(1) شَرَفُ الدِّينِ أَنوشِرْوَانَ الْقَاشَانِيُّ، وزير المسترشد بالله أبو منصور الفضل بن المستظهر بالله أحمد بن المقتدي بأمر الله العباسي، ينظر: المنتظم: 10/ 77، والبداية والنهاية: 12/ 191.

وَكانَ مَوْلِدُهُ بِبَلَدٍ قَريبٍ من الْبَصْرَةِ يُقالُ لها الْمَشانُ[1].

وكان الْحَريرِيُّ ذَميمًا، مُبْتَلًى بِنَتْفِ لِحْيَتِهِ، فَقِيلَ فيه: [المنسرح]

شَـيْخٌ لنـا من رَبِيعَـةِ الْفَرَسِ يَـنْتِفُ عُثْنونَـهُ مـن الْـهَـوَسِ[2]
أَنْـطَـقَـهُ اللهُ بِـالْـمَشـانِ وقَـدْ أَلْـجَـمَـهُ في الْـعِـراقِ بِـالْـخَـرَسِ

قيلَ: إنَّهُ كَتَبَ سَبْعَمِئَةِ نُسْخَةٍ من الْمَقاماتِ بِخَطِّهِ، وَقُرِئَتْ عليه.

وله أَيْضًا: "دُرَّةُ الْغَوَّاصِ في أَوْهامِ الْخَواصِّ"، و"الْمُلْحَةُ"، وشَرْحُها، و"رَسائِلُهُ"، و"ديوانُ شِعْرِهِ".

ماتَ بِالْبَصْرَةِ في سادِسِ رَجَبٍ سنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ وخَمْسِمِئَةٍ[3].

وأَمَّا "تَواريخُ الْعُتْبِيِّ"، فَهُوَ لِأَبِي النَّصْرِ مُحَمدِ بنِ عبد الْجَبَّارِ الْعُتْبِيِّ. ذَكَرَ فيه أَحْوالَ السُّلطانِ مَحمودِ بنِ سُبُكْتِكِينَ، وَحُروبَهُ مع الْأَعْداءِ. وهذا الْكِتابُ عَلَمٌ في الْفَصاحَةِ والْبَلاغَةِ واللَّطافَةِ[4].

---

(1) المَشَانُ: بالفتح، وآخره نون: هي بليدة قريبة من البصرة كثيرة التمر والرطب والفواكه. معجم البلدان: 5/ 131.

(2) نسبهما ياقوت في معجم الأدباء: 5/ 2204، وابن خلكان في وفيات الأعيان: 4/ 65، لابن جكينا الحريمي البغدادي. وربيعة الفرس هو ابن نزار بن معد بن عدنان.

(3) بغية الوعاة: 2/ 257-259.

(4) كتب بإزاء هذا الخبر في طرة نسخة أنطاليا: يُقرأ فيه كالمقامات بالعراق.

وأمَّا ابْنُ حِجَّةَ، فهوَ تَقِيُ الدِّينِ أبو بَكْرِ ابْنُ حِجَّةَ، صاحِبُ "شَرْحُ الْبَديعِيَّاتِ"، وغَيْرِ ذَلِكَ من التَّصانِيفِ.

عِلْمُ مَبادِئِ الإِنْشاءِ وأَدَواتِهِ

وهو عِلْمٌ باحِثٌ عمَّا يَحْتاجُ إليه الْمُنْشِئُ من الْخَطِّ والْعَرَبِيَّةِ والْعُلومِ الشَّرْعِيَّةِ والتَّواريخِ، وما يُناسِبُ ذلك.

ومَوْضوعُهُ وغايَتُهُ وغَرَضُهُ ظاهِرٌ لِلْمُتَدَبِّرِ.

ومِنَ الْمُصَنَّفاتِ في هذا الْعِلْمِ، بِحَيْثُ لا يُغادِرُ قَليلًا ولا كَثِيرًا إلَّا أَحْصاهَا[1]، ولا يَدَعُ شَيْئًا من الْمُهِمَّاتِ إلَّا كَشَفَ عنها وَاسْتَقْصاهَا، كِتابُ: "صُبْحُ الأَعْشى في صِناعَةِ الإِنْشا"، لِلشَّيْخِ الإمامِ الْعَلَّامَةِ، جامِعِ أَشْتاتِ الْفُنونِ، أبي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بنِ عَلِيٍّ الْقَلْقَشَنْدِيِّ الشَّافِعِيِّ. وهو كِتَابٌ نافِعٌ في بابِهِ في الْغايَةِ، ولقد طالَعْتُ بَعْضًا منه، وانْتَفَعْتُ به، لكن لم أَقِفْ على تَرْجَمَةِ مُصَنِّفِهِ إلَّا أنَّهُ مِصْرِيُّ الدَّارِ، وَكاتِبُ الإِنْشاءِ بالدِّيارِ الْمِصْرِيَّةِ.

ماتَ في جُمادى الآخِرَةِ سَنَةَ إِحْدَى وعِشْرينَ وثَمانِمِئَةٍ عن خَمْسٍ وسِتِّينَ. كذا في تاريخ السَّخاوِيِّ.

---

(1) فيه اقتباس من قوله تعالى من سورة الكهف الآية: 49: ﴿مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾.

ومن الْكُتُبِ النَّافِعَةِ الْمُخْتَصَرَةِ في صِناعَةِ الإِنْشاءِ:

كتابُ "**مَناظِرُ الإِنْشاءِ**"، لِمَحْمودِ الشَّهيرِ بِخَواجَةَ جِهانَ[1]، إلَّا أنه وَقَعَ باللِّسانِ الْفارِسِيِّ، وصاحِبُهُ من مَشاهِيرِ الدُّنْيا، وكانَ ذا ثَرْوَةٍ ومالٍ عَظيمٍ، وكانَ يَصِلُ إِحْسانُهُ من الْهِنْدِ إلى عُلَماءِ الرُّومِ وفُضَلاءِ الْعَجَمِ.

ويُقالُ: إنَّهُ كانَ وَزيرًا في بِلادِ الْهِنْدِ.

عِلْمُ الْمُحاضَرَةِ

وهو عِلْمٌ يَحْصُلُ منه مَلَكَةُ إيرادِ كَلامٍ لِلْغَيْرِ، مُناسِبٍ لِلْمَقامِ من جِهَةِ مَعانيها الْوَضْعِيَّةِ، أو من جِهَةِ تَرْكِيبِهِ[2] الْخاصِّ.

وَغَرَضُهُ: تَحْصيلُ تلك الْمَلَكَةِ.

وَفائِدَتُهُ: الِاحْتِرازُ عن الْخَطَإِ في تَطْبيقِ كَلامٍ مَنْقولٍ عن الْغَيْرِ، على ما يَقْتَضيهِ مَقامُ التَّخاطُبِ من جِهَةِ مَعانيها الْأَصْلِيَّةِ، ومن جِهَةِ خُصوصِ ذاتِ التَّرْكيبِ نَفْسِهِ[3]. وَالْفَرْقُ بينه وبين عِلْمِ الْمَعاني [أنَّ الْمَعَانِيَ][4] تَطْبيقُ الْمُتَكَلِّمِ كَلامَهُ

(1) كتب بإزائه في طرة بنسخة أنطاليا: محمود بن محمد بن سيح الكيلاني نَوَّرَ اللهُ قَلْبَهُ بِتَجَلِّياتِ الجمال، وجعل صورة مآله مشهودة في البال. (ت.887هـ). من وزراء نظام شاه البهمني. ينظر: الضوء اللامع: 10/ 144، سلم الوصول: 4/ 401، أبجد العلوم: 500.

(2) تركيبها، في رئيس الكتاب.

(3) ومن جهة تركيبه خصوص ذات التركيب نفسه، في عاطف أفندي.

(4) سقطت من قونية.

على مُقْتَضى الْحالِ، وَكلامَ الْغَيْرِ على خَواصِّ لائِقَةٍ بِحالِهِ؛ والْمُحاضَراتُ اسْتِعْمالُ كَلامِ الْبُلَغاءِ أثْناءَ الْكَلامِ في مَحَلٍّ مُناسِبٍ له على طَريقِ الْحِكايَةِ[1].

وَمَوْضوعُهُ وَغايَتُهُ وَغَرَضُهُ وَمبادِئُهُ ظاهِرَةٌ لِلْمُتَدَبِّرِ.

ومن الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَةِ فيه:

"**رَبيعُ الأَبْرارِ**"، لِجارِ اللهِ الْعَلَّامَةِ الزَّمَخْشَرِيِّ، وَسَتَقِفُ على تَرْجَمَتِهِ عند ذِكْرِ "**الْكَشَّافُ**" في التَّفاسيرِ.

و"**فُنونُ الْمُحاضَرَةِ**"، لِلرَّاغِبِ الْأَصْفَهانِيِّ، وهو الْمُفَضَّلُ بنُ مُحَمَّدٍ الْأَصْبَهانِيُّ[2]، أبو القاسِمِ الرَّاغِبُ، صاحِبُ الْمُصَنَّفاتِ. كان في أوائِلِ الْمِئَةِ الْخامِسَةِ.

له: "**مُفْرَداتُ الْقُرْآنِ**"، و"**أفانِينُ الْبَلاغَةِ**"، و"**الْمُحاضَراتُ**"، وله "**تَفْسيرٌ**"، سَمِعْناهُ من بعض الثِّقاتِ، وله: "**تَفْصيلُ النَّشْأَتَيْنِ**". وله: كتاب "**الذَّريعَةُ في أحْكامِ الشَّريعَةِ**".

والنَّاسُ يَظُنُّونَ أنه مُعْتَزِلِيٌّ، لَكِنْ قالَ السُّيوطِيُّ: رَأَيْتُ بِخَطِّ الشَّيْخِ بَدْرِ الدِّينِ الزَّرْكَشِيِّ، على ظَهْرِ نُسْخَةٍ من "**الْقَواعِدُ الصُّغْرى**"، لابْنِ عَبْدِ السَّلامِ، ما نَصُّهُ: ذَكَرَ الْإمامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ في "**تَأْسيسُ التَّقْديسِ**"، في

(1) ينظر رسالة في العلوم الشرعية والعربية: 26.

(2) اختلف في تسميته فقيل: الحسين بن محمد بن المفضل. وقيل غير ذلك.

الْأُصولِ، أَنَّ أبا الْقَاسِمِ الرَّاغِبَ مِنْ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ، وَقَرَنَهُ بِالْغَزالِيِّ. وَهَذِهِ فائِدَةٌ حَسَنَةٌ فلا عِبْرَةَ بِظُنونِ النَّاسِ[1]، و﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[2].

ومن كُتُبِ الْمُحاضَراتِ:

"التَّذْكِرَةُ الْحَمْدونِيَّةُ"، وهي لِأَبِي الْمَعالي مُحَمَّدِ بنِ أبي سَعْدِ بنِ الْحَسَنِ بنِ محمدِ بنِ عَلِيِّ بنِ حَمْدونَ، الكاتِبِ الْمُلَقَّبِ: كافِي الْكُفاةِ، بهاءِ الدِّينِ الْبَغْدادِيِّ.

كانَ فاضِلًا ذا مَعْرِفَةٍ تامَّةٍ بالْأَدَبِ والْكِتابَةِ، من بَيْتٍ مَشْهورٍ بالرِّئاسَةِ والْفَضْلِ، هو وأبوهُ وأخَواهُ أبو نَصْرٍ وأبو الْمُظَفَّرِ.

وَسَمِعَ أبو الْمَعالِي مِنْ أبي الْقَاسِمِ إسْماعِيلَ الْفَضْلِ الْجُرْجانِيِّ وغَيْرِهِ.

وَصَنَّفَ كِتابَ **"التَّذْكِرَةُ"**، وهو من أَحْسَنِ الْمَجاميعِ، يَشْتَمِلُ على التَّاريخِ، والْأَدَبِ، والنَّوادِرِ، والْأَشْعارِ، لم يَجْمَعْ أَحَدٌ من الْمُتَأَخِّرينَ مِثْلَهُ، وهو من الْكُتُبِ الْمُمْتِعَةِ، مَشْهورٌ، كَثيرُ الْوُجودِ بِأَيْدي النَّاسِ.

وُلِدَ في رَجَبٍ سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعينَ وأَرْبَعِمِئَةٍ، **وتُوُفِّيَ** يَوْمَ الثُّلاثاءِ حادي عَشَرَ ذي الْقَعْدَةِ، سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِئَةٍ، ودُفِنَ يَوْمَ الْأَرْبِعاءِ بِمَقابِرِ قُرَيْشٍ بِبَغْدادَ. وكانَ مَوْتُهُ في الْحَبْسِ[3].

---

(1) بغية الوعاة: 2/ 297.

(2) سورة الحجرات، الآية: 12.

(3) وفيات الأعيان: 4/ 380-382.

ومن كُتُبِ الْمُحاضَراتِ:

"**رَيْحَانَةُ الْأَدَبِ**"، لِابْنِ سَعْدٍ[1]، ولم أَقِفْ على تَرْجَمَتِهِ.

و"**الْعِقْدُ**"، لِابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ، وهو أبو عَمْرٍو أَحْمَدُ بنُ محمَّدِ بنِ عَبْدِ رَبِّهِ، مولى هِشامِ بنِ عبدِ الرَّحْمنِ بنِ مُعاوِيةَ بنِ هِشامِ بنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بنِ مروانَ ابنِ الْحَكَمِ الْأُمَوِيِّ. كانَ مِنَ الْعُلَماءِ الْمُكْثِرينَ مِنَ الْمَحْفوظاتِ، والْاطِّلاعِ على أَخْبارِ النَّاسِ، وَصَنَّفَ كِتابَهُ "**الْعِقْدُ**"، وهو مِنَ الْكُتُبِ الْمُمْتِعَةِ، حَوَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. وله "**دِيوانُ شِعْرٍ**" جَيِّدٌ، تَشْتَمِلُ أَشْعارُهُ كُلَّ مَعْنًى مَليحٍ، وَكُلَّ لَفْظٍ فَصيحٍ.

وَكانَتْ **وِلادَتُهُ** في عاشِرِ شَهْرِ رَمَضانَ سَنَةَ سِتٍّ وأَرْبَعينَ ومِئَتَيْنِ. **وتُوُفِّيَ** يَوْمَ الْأَحَدِ ثامِنَ عَشَرَ جُمادى الْأولَى، سَنَةَ ثَمانٍ وعِشْرينَ وثَلاثِمِئَةٍ. وَكانَ قَدْ أَصابَهُ الْفَالِجُ قَبْلَ ذَلِكَ بِأَعْوامٍ[2].

وَمِنْ كُتُبِ الْمُحاضَراتِ:

"**فَصْلُ الْخِطابِ**"[3]، لِلتِّيفاشِيِّ؛ و"**نَثْرُ الدُّرِّ**"، لِلْآبِيِّ[4]؛ و"**الْأَغاني**"، لأبي الْفَرَجِ الْأَصْبَهانِيِّ، وهو عَلِيُّ بنُ الْحُسَيْنِ بنِ محمَّدِ بنِ أَحْمَدَ الْقُرَشِيُّ الْأُمَوِيُّ الْكاتِبُ الْأَصْبَهانِيُّ، صاحِبُ كِتابِ "**الْأَغانِي**".

---

(1) كذا في جميع النسخ، ولعل الصواب ابن سعيد، عَليّ بن مُوسَى بن مُحَمَّد بن عبد الْملك بن سعيد أَبُو الْحسن الأندلسي (ت.610هـ) له كتاب بهذا العنوان ذكره جل من ترجمه كـ: الذيل والتكملة: 3/ 347، الوافي بالوفيات: 22/ 253، فوات الوفيات: 3/ 103، نفح الطيب: 2/ 262.

(2) وفيات الأعيان: 1/ 110.

(3) فصل الخطاب في مدارك الحواس الخمس لأولي الألباب، أحمد بن يوسف بن أحمد شرف الدين القيسي التيفاشي (ت.651هـ)

(4) منصور بن الحسين الآبي، الوزير أبو سعد (ت.421هـ).

وُلِدَ بأصْبَهانَ، وَنَشَأَ بِبَغْدادَ، كان من أعْيانِ أُدَبائِهَا، وعَالِمًا بِأَيام النَّاسِ وَالْأنْسابِ وَالسِّيَرِ، وَكانَ مِنَ الْمُتَشَيِّعينَ، وَكانَ يَحْفَظُ اللُّغَةَ والنَّحْوَ وَالصَّرْفَ والسِّيَرَ والْمَغازِيَ والشِّعْرَ والْأَغانِيَ، وَكانَ يَعْرِفُ مِنْ آلَةِ الْمُنادَمَةِ شَيْئًا كَثيرًا؛ مِثْلَ عِلْمِ الْجَوارِحِ وَالْبَيْطَرَةِ، وَالطِّبِّ وَالنُّجومِ. وَشِعْرُهُ يَجْمَعُ إتْقانَ الْعُلَماءِ، وإِحْسانَ الظُّرَفاءِ.

وله الْمُصَنَّفاتُ الْمُسْتَمْلَحَةُ؛ منها: **كِتابُ "الْأَغانِي"**، الَّذِي وَقَعَ الِاتِّفاقُ على أنَّهُ لم يُعْمَلْ في بابِهِ مِثْلُهُ. يُقالُ: جَمَعَهُ في خَمْسِينَ سَنَةً، وَحَمَلَهُ إلى سَيْفِ الدَّوْلَةِ، فَأَعْطاهُ أَلْفَ دِينارٍ، واعْتَذَرَ إليهِ.

وَحُكِيَ عن الصَّاحِبِ بنِ عَبَّادٍ، أَنَّهُ كان في أَسْفارِهِ وتَنَقُّلاتِهِ، يَسْتَصْحِبُ حِمْلَ ثَلاثينَ جَمَلًا من الْكُتُبِ، فلمَّا وَصَلَ إليه **كِتابُ "الْأَغانِي"** اسْتَغْنى به عنها.

وَمِنْ مُصَنَّفاتِهِ:

كِتابُ **"جَمْهَرَةُ النَّسَبِ"**، وَ**"كِتابُ الْغِلْمانِ الْمُغَنِّينَ"**، وَكِتابُ **"الْإِماءُ الشَّواعِرُ"**. وَغَيْرِ ذلِكَ. وَأَشْعارُهُ كَثيرَةٌ، ومَآثِرُهُ شَهيرَةٌ.

وُلِدَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمانِينَ ومِئَتَيْنِ. وفي هذه السَّنَةِ ماتَ الْبُحْتُرِيُّ الشَّاعِرُ.

وَتُوُفِّيَ في يَوْمِ الْأَرْبَعاءِ رابِعِ عِشَرَ ذي الْحِجَّةِ، سَنَةَ سِتٍّ وخَمْسينَ وثَلاثِمِئَةٍ بِبَغْدادَ، وَقيلَ: سَنَةَ سَبْعٍ وخَمْسينَ، والْأَوَّلُ أَصَحُّ[1].

---

(1) وفيات الأعيان: 3/ 307-309.

ومن كُتُبِ الْمُحاضَراتِ:

"السُّكُرْدَانُ"[1]، لِابْنِ أبي حَجَلَةَ؛ وهو أَحْمَدُ بنُ يَحْيى بنِ أبي بَكْرِ بنِ عبدِ الواحِدِ التِّلِمْسانِيُّ، الْمَعْروفُ بِابْنِ أبي حَجَلَةَ، نَزيلُ دِمَشْقَ، ثُمَّ الْقاهِرَةِ، شِهابُ الدِّينِ أبو الْعَبَّاسِ.

وُلِدَ بِزاوِيَةِ جَدِّهِ بِتِلِمْسانَ سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِمِئَةٍ، وَاشْتَغَلَ، ثُمَّ قَدِمَ إلى الْحَجِّ فلم يَرْجِعْ. وَمَهَرَ في الْأَدَبِ، وَنَظَمَ الْكَثيرَ، وَنَثَرَ فَأجادَ، وتَرَسَّلَ فَفاقَ، وَعَمِلَ الْمَقاماتِ وغيرها. وَكانَ حَنَفِيَّ الْمَذْهَبِ، حَنْبَلِيَّ الْمُعْتَقَدِ. وَكانَ كَثيرَ الْحَطِّ على الِاتِّحادِيَةِ.

وَصَنَّفَ كِتابًا عارَضَ به قَصائِدَ ابْنِ الْفارِضِ، كُلُّها نَبوِيَّةٌ. وَكانَ يَحُطُّ عليه لِكَوْنِهِ لم يَمْدَحِ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ويَحُطُّ على نِحْلَتِهِ ويَرْميهِ وَمَنْ يَقولُ بِمَقالَتِهِ بِالْعَظائِمِ. وقد امْتُحِنَ بِسَبَبِ ذلك على يَدِ السِّراجِ الْهِنْدِيِّ[2].

وَكانَ يَقولُ الشِّعْرَ مع أَنَّهُ لا يُحْسِنُ الْعَروضَ. وَكانَ كَثيرَ الْعِشْرَةِ لِلظَّلَمَةِ ومُدْمِنِي الْخَمْرِ. وكانَ جَدُّهُ من الصَّالِحينَ. وسُمِّيَ بأَبِي حَجَلَةَ، لأنَّ حَجَلَةً أَتَتْ إليه وَباضَتْ على كُمِّهِ. وَكانَ كَثيرَ النَّوادِرِ والنُّكَتِ ومَكارِمِ الْأَخْلاقِ.

وَجَمَعَ مَجامِيعَ حَسَنَةً منها: **"دِيوانُ الصَّبابَةِ"**، و**"مَنْطِقُ الطَّيْرِ"**، و**"السَّجْعُ الْجَليلُ فيما جَرَى من النِّيلِ"**، و**"السُّكُرْدانُ"**، و**"الْأَدَبُ الْغَضُّ"**،

(1) يقصد كتاب سُكُرْدانِ السُّلطان، وهو مطبوع، ضبطناها وفق أصلها الفارسي، وإذا عُرِّبت تضبط: سُكُرُدان.
(2) سراج الدين أبو حفص عمر بن إسحاق بن أحمد الهندي (ت.773هـ).

و"**أَطْيَبُ الطِّيبِ**"، و"**مَواصيلُ الْمَقاطيعِ**"، و"**النِّعْمَةُ الشَّامِلَةُ في الْعِشْرَةِ الْكَامِلَةِ**"، و"**حاطِبُ لَيْلٍ**"، عَمِلَهُ كـ "**التَّذْكِرَة**" في مُجَلَّداتٍ كَثيرَةٍ. و"**نَحْرُ أَعْداءِ الْبَحْرِ**"[1]، و"**عُنْوانُ السَّعادَةِ ودَليلُ الْمَوْتِ على الشَّهادَةِ**"، و"**قَصيراتُ الْحِجالِ**".

ماتَ في مُسْتَهَلِّ ذي الْحِجَّةِ، سنةَ سِتٍّ وسَبْعِينَ وسَبْعِمِئَةٍ، وله إحْدَى وخَمْسونَ سَنَةً[2].

ومن كُتُبِ الْمُحاضَراتِ:

"**حَياةُ الْحَيَوانِ**"، لِكَمالِ الدِّينِ الدَّميرِيِّ، ولها كُبْرَى وصُغْرَى. وهو كَمالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بنُ موسى الدَّميرِيُّ الشَّافِعِيُّ الْمِصْرِيُّ، صاحِبُ التَّصانِيفِ الْمُفيدَةِ في عُلومٍ عَديدَةٍ. كانَ كَثيرَ الْعِبادَةِ، قائِمًا لِلصَّوْمِ، عَديمَ النَّظيرِ في وَقْتِهِ. وكان يَكْتَسِبُ أَوَّلًا بِالْخِياطَةِ ثم تَرَكَهُ. ولم يَتَقَلَّدِ الْقَضاءَ أَصْلًا، ولا لَبِسَ ثِيابًا فاخِرَةً تَواضُعًا، وما رُئِيَ راكِبًا قَطُّ.

أَخَذَ عن الْإِسْنَوِيِّ والْعِراقِيِّ وأَعْيانِ الْعُلَماءِ. ومن تَأَمَّلَ كِتابَهُ الْمَذْكورَ وما أَوْدَعَهُ فيه من الْغَرائِبِ والْفَوائِدِ والْعُلومِ الْمُفيدَةِ عَرَفَ فَضْلَهُ.

وُلِدَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعينَ وسَبْعِمِئَةٍ. **وَتُوُفِّيَ** بِالْقاهِرَةِ سَنَةَ ثَمانٍ وَثَمَانِمِئَةٍ.

---

(1) بحر، في رئيس الكتاب ومراد ملا وعاطف أفندي.

(2) الدرر الكامنة: 1/ 391.

قُلْتُ: الدَّميرِيُّ، منهم من يَقولُ بِكَسْرِ الْمُهْمَلَةِ وكَسْرِ الْميمِ، ومنهم من يَقولُ بِضَمٍّ الْأوَّلِ وفَتْحِ الثَّانِي على زِنَةِ التَّصْغيرِ، ومنهم من يَقولُ بِفَتْحِ الدَّالِ وكَسْرِ الْميمِ. ولَعَلَّ الصَّوابَ هو الْأَخيرُ، لأَنِّي وَجَدْتُهُ مَضْبوطًا كذلك بِخَطٍّ بعضِ الثِّقاتِ.

قُلْتُ: وَبَعْدَ مُدَّةٍ رَأَيْتُ في كِتابِ **"الْجَواهِرُ الْمُضيَّةُ في الطَّبَقاتِ الْحَنَفِيَّةِ"**، في كِتابِ الْأَنْسابِ الذي أَوْرَدَهُ ذَيْلًا لِلْكِتابِ، ما صورَتُهُ الدَّمِيرِيُّ بِفَتْحِ الدَّالِ وكَسْرِ الْمِيمِ وَسُكونِ الْيَاءِ الْمُثَنَّاةِ من تَحْتِها وفي آخِرِها راءٌ، قَرْيَةٌ بِمِصْرَ. هذا ما ذَكَرَهُ، واللهُ أعْلَمُ.

ومن كُتُبِ الْمُحاضَراتِ:

"مُؤْنِسُ الْوَحيدِ"، لِلثَّعالِبِيِّ، صاحِبِ كتابِ **"يَتيمَةُ الدَّهْرِ في مَحاسِنِ أَهْلِ الْعَصْرِ"**، وهو أَكْبَرُ كُتُبِهِ وأَحْسَنُهَا وأَجْمَعُهَا. والثَّعالِبِيُّ، هو أبو مَنْصورٍ عبدُ الْمَلِكِ بنُ محمَّدِ بنِ إسْماعيلَ الثَّعالِبِيُّ النَّيْسابورِيُّ، والثَّعالِبِيُّ نِسْبَةً إلى خِياطَةِ جُلودِ الثَّعالِبِ.

وله: كتابُ "فِقْهُ اللُّغَةِ"، و"سِحْرُ الْبَلاغَةِ ونَشْرُ الْبَراعَةِ"[1]. و"مَنْ غابَ عنه الْمُطْرِبُ".

قال ابنُ بَسَّامٍ صاحِبُ "الذَّخيرَةُ" في حَقِّهِ: كان في وَقْتِهِ رَاعِيَ تَلَعَاتِ الْعِلْمِ، وجامِعَ أشْتاتِ النَّثْرِ والنَّظْمِ، رَأْسَ الْمُؤَلِّفينَ في زَمانِهِ، وإمامَ

---

(1) سحر البلاغة وسر البراعة وهو مطبوع.

الْمُصَنِّفينَ بِحُكْمِ قِرانِهِ، سارَ ذِكْرُهُ مَسيرَ الْمَثَلِ، وضُرِبَتْ إليه آباطُ الْإِبِلِ، وطَلَعَتْ دَواوينُهُ في الْمَشارِقِ والْمَغارِبِ، طُلوعُ النَّجْمِ في الْغَياهِبِ[1].

وُلِدَ سَنَةَ خَمْسِينَ وَثَلاثِمِئَةٍ. وَتُوُفِّيَ سنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ[2].

ومن لَطائِفِ كُتُبِ الْمُحاضَراتِ:

"مُحاضَرَةُ الْأَبْرارِ وَمُسامَرَةُ الْأَخْيارِ"، لِلشَّيْخِ الْإمامِ الْعالِمِ الرَّبَّانِيِّ، والْبَحْرِ الصَّمَدانِيِّ، مُرْشِدِ السَّالِكينَ، ومُنْقِذِ الْهالِكينَ، الشَّيْخِ أبي عَبْدِ اللهِ محيي الدِّينِ مُحَمَّدِ بنِ عليِّ بنِ محمَّدِ بنِ الْعَرَبِيِّ، الْحاتِمِيِّ الطَّائِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ، قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ الْعَزيزَ. كانَ جَليلَ الشَّأْنِ، نَسيجَ وَحْدِهِ في الْعِرْفانِ.

وله الْمُصَنَّفاتُ الْوافِرَةُ، والْمُؤَلَّفاتُ الزَّاخِرَةُ. وتَصانِيفُهُ لا تُحْصَى، ومنها:

"الْفُتوحاتُ الْمَكِّيَّةُ"، التي ضَمَّنَ فيها غَرائِبَ الْمَعارِفِ الْكَشْفِيَّةِ والذَّوْقِيَّةِ.

تُوُفِّيَ سَنَةَ ثَمانٍ وَثلاثِينَ وَسِتِّمِئَةٍ. ومَوْلِدُهُ في رَمَضانَ سَنَةَ سِتِّينَ وخَمْسِمِئَةٍ بِمُرْسِيَةَ.

وعنه أَخَذَ الشَّيْخُ شَرَفُ الدِّينِ ابْنُ الْفَارِضِ، وسَتَعْرِفُهُ، والشَّيْخُ صَدْرُ الدِّينِ الْقُونَوِيُّ، وسَنَذْكُرُهُ إنْ شاءَ الله تعالى.

قال الْجَزَرِيُّ: قَرَأَ الْقِراءاتِ بالْأَنْدَلُسِ، رَوَى عن الْمَشايِخِ، ورَوَى عنه الْمَشايِخُ. تُوُفِّيَ بِدِمَشْقَ، ودُفِنَ بالصَّالِحِيَّةِ بِتُرْبَةِ بني الذَّكِيِّ، وقَبْرُهُ بها ظاهِرٌ يُزارُ.

---

(1) الذخيرة لابن بسام: 8/ 560.

(2) وفيات الأعيان: 3/ 178-180.

ومن كُتُبِ الْمُحاضَراتِ:

"**سُلْوانُ الْمُطاعِ في عُدْوانِ الأَتْباعِ**"، لِابْنِ ظَفَرٍ، وهو أبو عَبْدِ اللهِ محمَّدُ بنُ أبي محمَّدِ بنِ ظَفَرِ الصِّقِلِيُّ، الْمَنْعوتُ بِحُجَّةِ الدِّينِ، أَحَدُ الْأُدَباءِ الْفُضَلاءِ، صاحِبُ التَّصانِيفِ الْمُمْتِعَةِ، منها: "**سُلْوانُ الْمُطاعِ في عُدْوانِ الأَتْباعِ**"، صَنَّفَهُ لبعضِ الْأُمَراءِ بِصِقِلِّيَةَ. "**خَيْرُ الْبِشَرِ بِخَيْرِ الْبَشَرِ**"، وتَفْسيرٌ كَبيرٌ اسْمُهُ: "**الْيَنْبوعُ**"، و"**نُجَباءُ الْأَبْناءِ**"، و"**حاشِيَةُ دُرَّةِ الْغَوَّاصِ لِلْحَريرِيِّ**"، و"**شَرْحُ الْمَقاماتِ لِلْحَريرِيِّ**"، وهو اثْنانِ صَغيرٌ وكَبيرٌ، وَغَيْرُ ذَلِكَ.

وَكانَ قَصيرَ الْقامَةِ، ذَميمَ الْخِلْقَةِ، غيرَ صَبيحِ الْوَجْهِ. وله شِعْرٌ. وكانت نَشْأَتُهُ بِمَكَّةَ. ومَوْلِدُهُ بِصِقِلِّيَةَ، وتَنَقَّلَ في الْبِلادَ، وسَكَنَ آخِرَ الْوَقْتِ بِمَدينَةِ حَماةَ، وتوفي بها سنةَ خَمْسٍ وسِتِّينَ وَخَمْسِمِئَةٍ. ولم يَزَلْ يُكابِدُ الْفَقْرَ إلى أن ماتَ.

قِيلَ: زَوَّجَ ابْنَتَهُ في حَماةَ بِغَيْرِ كُفْءٍ من الْحاجَةِ وَالضَّرورَةِ، وأنَّ الزَّوْجَ رَحَلَ بها من حَماةَ، وباعَها في بعض الْبِلادِ[1].

وَمِنْ كُتُبِ الْمُحاضَراتِ:

كِتابُ "**الْمُحاضَراتُ والْمُناظَراتُ**"، وكتابُ "**الْإِمْتاعُ والْمُؤانَسَةُ**"، كِلاهُما لأبي حَيَّانَ التَّوْحِيدِيِّ، وهو عَلِيُّ بنُ محمَّدِ بنِ الْعَبَّاسِ، أبو حَيَّانَ التَّوْحِيدِيُّ، نِسْبَةً إلى نَوْعٍ من التَّمْرِ يُسَمَّى التَّوْحيدَ.

---

(1) وفيات الأعيان: 4/ 395-396.

قال ابْنُ حَجَرٍ: يُحْتَمَلُ أنْ يُنْسَبَ إلى التَّوْحيدِ الَّذِي هو الدِّينُ، فَإِنَّ الْمُعْتَزِلَةَ يُسَمُّونَ أَنْفُسَهُمْ أَهْلَ الْعَدْلِ والتَّوْحيدِ.

شِيرازِيُّ الْأَصْلِ، وقِيلَ: نَيْسَابورِيٌّ.

كانَ مُتَفَنِّنًا في جَميعِ الْعُلومِ، من النَّحْوِ واللُّغَةِ والشِّعْرِ والْأَدَبِ والْفِقْهِ والْكَلامِ، مُعْتَزِلِيًّا، يَسْلُكُ مَسْلَكَ الْجاحِظِ، شَيْخَ الصُّوفِيَّةِ، فَيْلَسوفَ الْأُدَباءِ، أَديبَ الْفَلاسِفَةِ، إمامَ الْبُلَغاءِ، لكن كان سَخيفَ اللِّسانِ، قَليلَ الرِّضَى عند الْإِساءَةِ إليه والْإِحْسانِ، فَرْدَ الدُّنْيا الَّذِي لا نَظيرَ له ذَكاءً وَفِطْنَةً وفَصاحَةً، واسِعَ الرِّوايَةِ والدِّرايَةِ، يَتَشَكَّى من زَمانِهِ، وَيَبْكِي في تَصانِيفِهِ على حِرْمانِهِ. أَقامَ بِبَغْدادَ مُدَّةً، ومَضَى إلى الرَّيِّ، وصَحِبَ أبا الْفَضْلِ ابنَ الْعَميدِ، والصَّاحِبَ بْنَ عَبَّادٍ، فلم يَحْمَدْهُما، وصَنَّفَ في مَثالِبِهِمَا كِتابًا[1].

وَصَنَّفَ: **"الرَّدُّ على ابْنِ جِنِّي في شِعْرِ الْمُتَنَبِّي"، "الْمُحاضَراتُ والْمُناظَراتُ"، "الْإِمْتاعُ والْمُؤانَسَةُ"، "الْحَنِينُ إلى الْأَوْطانِ"، "تَعْريضُ الْجاحِظِ"، "الْبَصائِرُ"**. وَغَيْرَ ذَلِكَ.

وَأَحْرَقَ كُتُبَهُ في آخِرِ عُمُرِهِ لِقِلَّةِ جَدْواها، وَضَنًّا بها على من لا يَعْرِفُ مِقْدارَها، وما وُجِدَ من تَصانِيفِهِ كُتِبَتْ عنه في حَياتِهِ.

قال ياقوتٌ: وكانَ يَتَأَلَّهُ، والنَّاسُ على ثِقَةٍ من دِينِهِ.

وقالَ ابْنُ النَّجَّارِ: كانَ صَحيحَ الْعَقيدَةِ.

---

(1) بغية الوعاة: 2/ 190.

وقال الذَّهَبِيُّ: كانَ سَيِّءَ الْعَقِيدَةِ، كَذَّابًا، قَلِيلَ الدِّينِ وَالْوَرَعِ عن الْقَذْفِ والْمُجاهَرَةِ بِالْبُهْتانِ، والْقَدْحِ في الشَّريعَةِ.

وقال ابْنُ الْجَوْزِيُّ: زَنادِقَةُ الْإِسْلامِ ثَلاثَةٌ: ابْنُ الرَّاوَنْدِيِّ، والتَّوْحِيدِيُّ، وأبو الْعَلاءِ الْمَعَرِّيُّ، وَشَرُّهُمْ على الْإِسْلامِ التَّوْحِيدِيُّ، لِأَنَّهُما صَرَّحا، وهو مُجَمْجِمٌ[1] ولم يُصَرِّحْ.

ماتَ في حُدودِ الثَّمانينَ والثَّلاثِمِئَةِ[2].

وكُتُبُ الْمُحاضَراتِ كَثيرَةٌ مِثْلَ:

"نُزْهَةُ الْأَصْحابِ في مُعاشَرَةِ الْأَحْبابِ"[3]، و**"رَوْنَقُ الْمَجالِسِ"**[4]، و**"أَنيسُ الْمُحاضَرَةِ"**[5]، و**"الرَّوْضُ الْخَصيبُ ومُؤْنِسُ الْحَبيبِ"**[6]، و**"نَظْمُ**

---

(1) جَمْجَمَ الرَّجُلُ وتَجَمْجَمَ إذا لَمْ يُبَيِّنْ كَلَامَهُ. اللسان: جمم.

(2) بغية الوعاة: 2/ 190-191.

(3) كتاب "نُزْهَةُ الْأَصْحابِ في مُعاشَرَةِ الْأَحْبابِ"، للسموأل بن يحيى بن عباس المغربي (ت.نحو 570هـ).

(4) كتاب "رونق المجالس"، لأبي حفص عمر بن حسن النيسابوري (ت. بعد 840هـ).

(5) كتاب "أنس المحاضرة بما يستحسن في المذاكرة"، لعبد العزيز بن محمد بن إبراهيم ابن جماعة الكناني (ت.764هـ).

(6) نقله منه صاحب كشف الظنون: 1/ 918 ولم يشر هو أيضا إلى مؤلفه.

السُّلوكِ في مُسامَرَةِ الْمُلوكِ"[1]، و"**نَشْوانُ الْمُحاضَراتِ**"[2]، و"**عَجائِبُ الْغَرائِبِ**"[3]، و"**تَرْويحُ الأَرْواحِ**"[4]. وَغَيْرِ ذَلِكَ مما يَطولُ تَعْدادُها.

عِلْمُ الدَّواوينِ

واعْلَمْ أنَّ الْكَلامَ إمَّا مَنْثورٌ، أو مَنْظومٌ. ولمَّا كانتِ الْمُحاضَرَةُ تَقَعُ بالْمَنْظومِ كما تَقَعُ بِالْمَنْثورِ، دَوَّنوا الدَّواوينَ الْمُشْتَمِلَةَ بِالْقَصائِدِ والْمَقاطِيعِ، والْأَراجِيزِ والْمَجامِيعِ.

وَمَوْضوعُهُ وغايَتُهُ وغَرَضُهُ وَمَنْفَعَتُهُ ظاهِرَةٌ مما تَقَدَّمَ.

ولا يَخْفَى أنَّ أفْضَلَ الشُّعَراءِ شَرَفًا وفَضْلًا، وَأَوْلاهُمْ بالتَّقْدِيمِ، هو حَسَّانُ ابنُ ثابِتٍ، لِفَضيلَتِهِ بِشَرَفِ صُحْبَةِ النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ، وَشَرَفِهِ بِمَدِحِهِ صلَّى الله عليه وسَلَّمَ. وهو حَسَّانُ بنُ ثابِتِ بنِ الْمُنْذِرِ بنِ حَرامِ الْخَزْرَجِيُّ، شاعِرُ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسَلَّمَ، الْمُنافِحُ عنه، والْمُناضِلُ الْمُؤَيَّدُ بِروحِ

(1) كتاب "نظم السلوك في مسامرة الملوك"، لإبراهيم بن القاسم الكاتب المشهور بالرقيق القيرواني (ت.383هـ).

(2) كذا ورد في كل النسخ الخطية "نشوان"، ولعله يقصد كتاب "نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة"، للقاضي المحسن بن علي التّنوخي (ت.384هـ). وقد وقف محقق هذا الكتاب على نسخة بعنوان "نشوان المحاضرة"، لسبط ابن الجوزي (ت.654هـ). ولابن النجار كتاب بعنوان: "نشوار المحاضرة"، وهو في حكم المفقود.

(3) لعله يقصد كتاب "عجائب الغرائب وغرائب العجائب"، لحمزة بن عبد الله بن محمد الناشري اليمني (ت.926هـ).

(4) "ترويح الأرواح ومفتاح السرور والأفراح"، لأحمد بن محمد بن علوية السّجْزي المعروف بجراب الدولة (ت. في حدود 300هـ).

الْقُدُسِ، يُكْنَى أبا عَبْدِ الرَّحْمنِ، أو أبا الْوَلِيدِ، وبأبي الْحُسامِ أيضًا، لِمُناضَلَتِهِ عن رَسولِ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّمَ، الْغَازِي به أَعْراضَ الْمُشْرِكينَ.

عاشَ مِئَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً؛ سِتِّينَ في الْجاهِلِيَّةِ، وَسِتِّينَ في الْإِسْلامِ، وكذا أَبُوهُ وَجَدُّهُ وأبو جَدِّهِ، لا يُعْرَفُ في الْعَرَبِ أَرْبَعَةٌ مِنْ صُلْبٍ واحِدٍ اتَّفَقَتْ مُدَّةُ عُمُرِهِمْ غَيْرُهُمْ.

كانَ شُجاعَ اللِّسانِ، جَبانَ الْجَنانِ، لم يَكُنْ مِمَّنْ يَشْهَدُ الْوَغَى، ولا يَهْتَزُّ إلى اللِّقَا، وَكانَ يُرْفَعُ إلى الْآجامِ مع النِّساءِ والصِّبْيانِ[1].

قالَتْ عائِشَةُ رَضِيَ الله عنها: «كانَ رَسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ يَضَعُ لِحَسانَ مِنْبَرًا في الْمَسْجِدِ، يَقومُ عليه قائِمًا، يُفاخِرُ عن رَسولِ الله صلَّى الله عليه وسَلَّمَ، ويَقولُ رَسولُ الله صلَّى الله عليه وسَلَّمَ: إنَّ اللهَ تَعالَى يُؤَيِّدُ حَسَّانَ بِروحِ الْقُدُسِ ما نافَحَ أو فاخَرَعن رَسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ»[2].

ومن دِيوانِ الْعَرَبِ:

"نِهايَةُ الْأَرَبِ في أَشْعارِ الْعَرَبِ"، يَشْتَمِلُ على أَلْفِ قَصيدَةٍ مُخْتارَةٍ.

ومنها: "الْحَماسَةُ"، اخْتِيارُ أبي تَمَّامٍ الطَّائِيِّ، وهو حَبيبُ بنُ أَوْسٍ، الشَّاعِرُ الْمَشْهورُ. كانَ واحِدَ عَصْرِهِ في دِيباجَةِ لَفْظِهِ، وصِناعَةِ[3] شِعْرِهِ، وحُسْنِ أَسْلوبِهِ.

---

(1) معرفة الصحابة لأبي نعيم: 2/ 845.

(2) مسند أحمد: 40/ 495، سنن أبي دواد: 4/ 304، سنن الترمذي: 4/ 528، المستدرك للحاكم: 3/ 554.

(3) ونصاعة، في رئيس الكتاب وعاطف أفندي.

وله: **كِتابُ "الْحَماسَةِ"**، التي دَلَّتْ على غَزارَةِ فَضْلِهِ، وإتْقانِ مَعْرِفَتِهِ. وله مَجْموعٌ آخَرُ سَمَّاهُ: **"فُحولُ الشُّعَراءِ"**، جَمَعَ فيه بين طائِفَةٍ كَثيرَةٍ من شُعَراءِ الْجاهِلِيَّةِ والْمُخَضْرَمينَ والإِسْلامِيِّينَ. و**"كِتابُ الِاخْتِياراتِ من شِعْرِ الشُّعَراءِ"**.

وكانَ له من الْمَحْفوظاتِ ما لا يَلْحَقُهُ فيه غَيْرُهُ. قيل: إنَّهُ كانَ يَحْفَظُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفِ أُرْجوزَةٍ لِلْعَرَبِ، غيرَ الْقَصائِدِ والْمَقاطِيعِ. ومَدَحَ الْخُلَفاءَ، وأخَذَ جَوائِزَهُمْ، وجابَ الْبِلادَ، وقَصَدَ الْبَصْرَةَ.

قالَتِ الْعُلَماءُ: خَرَجَتْ من قَبيلَةِ طَيِّءٍ ثَلاثَةٌ، كُلُّ واحِدٍ مُهِمٌّ مُجِيدٌ في بابِهِ، حاتِمٌ في جُودِهِ، وَداودُ الطَّائِيُّ في زُهْدِهِ، وأبو تَمَّامٍ الطَّائِيُّ في شِعْرِهِ[1].

وُلِدَ سَنَةَ تِسْعينَ، أو اثْنَتَيْنِ وتِسْعِينَ، أو اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ، أو ثَمانٍ وثَمانِينَ وَمِئَةٍ. وتُوُفِّيَ بالْمَوْصِلِ سنَةَ إحْدَى وثَلاثينَ وَمِئَتَيْنَ. وَقيلَ: تُوُفِّيَ في ذي الْقَعْدَةِ، أو جُمادى الأولَى سَنَةَ ثَمانٍ أو تِسْعٍ وعِشْرينَ وَمِئَتَيْنِ. وَقِيلَ: في الْمُحَرَّمِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وثَلاثينَ ومِئَتَيْنِ.

وَوُضِعَ بإِزائِها **"الْحَماسَةُ الْبَصْرِيَّةُ"**.

وَمِنَ الدَّواوينِ:

"الذَّخِيرَةُ"، لابْنِ بَسَّامٍ، وهو أبو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مَنْصورِ بْنِ بَسَّامٍ، الْمَعْروفُ بِالْبَسَّامِيِّ، الشَّاعِرُ الْمَشْهورُ. كانَتْ أُمُّهُ أُمامَةُ ابْنَةَ حَمْدونَ النَّديمِ. كانَ مِنْ أَعْيانِ الشُّعَراءِ، وَمَحاسِنِ الظُّرَفاءِ، لَسِنًا

---

(1) الوافي بالوفيات: 11/ 226.

مَطْبوعًا في الْهِجاءِ، لم يَسْلَمْ منه أمِيرٌ ولا وَزيرٌ، ولا صَغيرٌ ولا كَبيرٌ، وهَجا أباهُ وإخْوَتَهُ وسائِرَ أَهْلِ بَيْتِهِ.

تُوُفِّيَ في صَفَرٍ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ أو ثَلاثٍ وثَلاثِمِئَةٍ، عن نَيِّفٍ وسَبْعِينَ سَنَةً[1].

ومن الدَّواوينِ:

"**ديوانُ أبي الْعَلَاءِ الْمَعَرِّيِّ**"، وهو أَحْمَدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ سُلَيْمانَ بنِ داودَ التَّنوخِيُّ، أبو الْعَلاءِ الْمَعَرِّيُّ، من مَعَرَّةِ النُّعْمانِ من الشَّامِ. كان غَزيرَ الْفَضْلِ، شائِعَ الذِّكْرِ، وافِرَ الْعِلْمِ، غايَةً في الْفَهْمِ، عالِمًا باللُّغَةِ، حاذِقًا بالنَّحْوِ، جَيِّدَ الشِّعْرِ، جَزْلَ الْكَلامِ، شُهْرَتُهُ تُغْنِي عن صِفَتِهِ.

وُلِدَ يَوْمَ الجمعة عند الْغُروبِ، لِثَلاثٍ بَقِينَ مِنْ رَبيعِ الْأَوَّلِ، سَنَةَ ثَلاثٍ وسِتِّينَ وثَلاثِمِئَةٍ، وَجُدِرَ مِنَ السَّنَةِ الثَّالِثَةِ مِنْ عُمُرِهِ فَعَمِيَ منه. وَكانَ يَقولُ: لا أَعْرِفُ مِنَ الْأَلْوانِ إلَّا الْأَحْمَرَ، لِأَنِّي أُلْبِسْتُ في الْجُدَرِيِّ ثَوْبًا مَصْبوغًا بِالْعُصْفُرِ.

وقال الشِّعْرَ وهو ابْنُ إحْدَى أو اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، وَأَخَذَ النَّحْوَ واللُّغَةَ عن أبيهِ، ومُحَمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ سَعْدٍ النَّحْوِيِّ بِحَلَبَ، وحَدَّثَ عن أبيهِ وجَدِّهِ. وهو من بَيْتِ عِلْمٍ ورِئاسَةٍ.

وكان مُتَّهَمًا في دينِهِ، يَرَى رَأْيَ الْبَراهِمَةِ، لا يَرَى أَكْلَ اللَّحْمِ، ولا يُؤْمِنُ بالْبَعْثِ والنُّشورِ وبَعْثِ الرُّسُلِ. وشِعْرُهُ الْمُتَضَمِّنُ لِلْإِلْحادِ كَثيرٌ.

(1) وفيات الأعيان: 3/ 363.

قال ابْنُ الْعَديمِ في كِتابِهِ "دَفْعُ التَّجَرِّي على أبي الْعَلاءِ الْمَعَرِّيِّ": كان يَرْميهِ أهْلُ الْحَسَدِ بالتَّعْطيلِ، ويَعْملونَ على لِسانِهِ الْأَشْعارَ، ويُضَمِّنونَها أَقاويلَ الْمَلاحِدَةِ قَصْدَ الْهلاكَةِ. وقد نَقَلَ عنه أشْعارًا تَتَضَمَّنُ صِحَّةَ عَقيدَتِهِ، وَكَذَّبَ ما يُنْسَبُ إليه.

وقال الذَّهَبِيُّ: إنَّهُ مُلْحِدٌ، وحَكَمَ بِزَنْدَقَتِهِ.

وقال السِّلَفِيُّ: أَظُنُّهُ تابَ وأنابَ.

وله من التَّصانِيفِ: **"شَرْحُ شِعْرِ الْمُتَنَبِّي"**، **"شَرْحُ شِعْرِ الْبُحْتُرِيِّ"**، **"شَرْحُ شِعْرِ أبي تَمَّامٍ"**، **"سَقْطُ الزَّنْدِ"**، من نَظْمِهِ. **"لُزومُ ما لا يَلْزَمُ"**. وَغَيْرُ ذَلِكَ.

ماتَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، ثالِثَ أو ثانِي أو ثالِثَ عَشَرَ رَبيعِ الأوَّلِ، سنَةَ تِسْعٍ وأَرْبَعينَ وأرْبَعِمِئَةٍ[1].

ومن الدَّواوينِ:

"ديوانُ أبي الطَّيِّبِ الْمُتَنبِّي"، وهو أَحْمَدُ بنُ الْحُسَيْنِ بنِ الْحَسَنِ بنِ عبد الصَّمَدِ الْجُعْفِيُّ الْكِنْدِيُّ الْكُوفِيُّ، الْمَعْروفُ بالْمُتَنَبِّي، الشَّاعِرُ الْمَشْهورُ. وقيل: أحْمَدُ بنُ الْحُسَيْنِ بنِ مُرَّةَ بنِ عبدِ الْجَبَّارِ. هو من أهْلِ الْكُوفَةِ، قَدِمَ الشَّامَ في صِباهُ، وجالَ في أقْطارِهِ، واشْتَغَلَ بفُنونِ الْأَدَبِ ومَهَرَ فيها. وكانَ من الْمُكْثِرينَ من نَقْلِ اللُّغَةِ، والْمُطَّلِعينَ على غَريبِهَا وَحُوشِيِّها[2]. وكانَ

(1) بغية الوعاة: 1/ 316-317.

(2) ووحشيها، في قونية.

شِعْرُهُ في الْغايَةِ والنِّهايَةِ من الْفَصاحَةِ والْبَلاغَةِ والْحِكْمَةِ وسائِرِ الْمَحاسِنِ، بحيث لا حاجَةَ إلى مَدْحِهِ.

والنَّاسُ في شِعْرِهِ على اخْتِلافٍ، منهم من يُرَجِّحُهُ على أبي تَمَّامٍ ومن بَعْدَهُ؛ ومنهم من يُرَجِّحُ أبا تَمامٍ عليه.

واعْتَنى الْعُلَماءُ بِشَرْحِ ديوانِهِ، حتى قال بَعْضُهُمْ: وَقَفْتُ له على أكْثَرَ من أرْبَعينَ شَرْحًا ما بين مُطَوَّلٍ ومُخْتَصَرٍ. وكان رَجُلًا مَسْعودًا، وَرُزِقَ السَّعادَةَ في شِعْرِهِ.

وإنَّما قيلَ له الْمُتَنَبِّي، لأنَّهُ ادَّعى النُّبُوَّةَ حتى حُبِسَ، ثم تابَ وأُطْلِقَ. وقيل: لِقَوْلِهِ أنا أوَّلُ من تَنَبَّأَ بالشِّعْرِ. وَقِيلَ: لِقَوْلِهِ: [الخفيف]

أَنـا فِـي أُمَّـةٍ تَـدارَكَـهـا الـلَّـ ـــهُ غَريبٌ كَصـالِحٍ في ثَمودِ[1]

وَلَمَّا رَجَعَ مِنْ بَغدادَ إلى الْكوفَةِ، عَرَضَ له فاتِكُ بْنُ أبي الْجَهْلِ الْأَسَدِيُّ في جَماعَةٍ مِنْ أَصْحابِهِ، وَكانَ مع الْمُتَنَبِّي أَيْضًا جَماعَةٌ مِنْ أَصْحابِهِ، فَقاتَلوهُمْ، فَقُتِلَ الْمُتَنَبِّي وابْنُهُ مُحَسَّدٌ وغُلَامُهُ مُفْلِحٌ، في مَوْضِعٍ يُقالُ له الصَّافِيَةُ[2].

وقيلَ: إنَّهُ لمَّا رَأى الْغَلَبَةَ فَرَّ، قال له غُلامُهُ: لا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ عنك بالْفِرارِ، وأنْتَ الْقائِلُ: [البسيط]

الْخَيْـلُ واللَّيْـلُ والْبَيْـداءُ تَعْرِفُني والْحَرْبُ والضَّرْبُ والْقِرْطاسُ والْقَلَمُ[3]

(1) شرح ديوان المتنبي للعكبري: 1/ 324، وهو في يتيمة الدهر: 1/ 142، ووفيات الأعيان: 1/ 401.

(2) الصَّافية: بليدة كانت قرب دير قنا في أواخر النهروان قرب النُّعمانية، كانت مشرفة على دجلة. معجم البلدان: 3/ 389.

(3) شرح ديوان المتنبي للعكبري: 3/ 369، وفيه: والضرب والطعن.

فَكَرَّ رَاجِعًا حتى قُتِلَ، وَكانَ سَبَبَ قَتْلِهِ هذا الْبَيْتُ، وذلك يَوْمَ الْأَرْبِعاءِ، لِسِتٍّ أو لِثَلاثٍ بَقِينَ، أو لِلَيْلَتَيْنِ بَقِيَتا مِنْ رَمَضانَ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وخَمْسِينَ وثلاثِمِئَةٍ؛ وَقِيلَ: يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ لِثَمانٍ بَقِينَ من رَمضانَ، أو يَوْمَ الإِثْنَيْنِ لِخَمْسٍ بَقِينَ مِنْ رَمَضانَ، أو يَوْمَ الْأَرْبعاءِ، لِلَيْلَتَيْنِ بَقِيَتَا مِنْهُ. ومَوْلِدُهُ في سَنَةِ ثَلاثٍ وَثَلاثِمِئَةٍ بِمَحَلَّةِ كِنْدَةَ في الْكوفَةِ. واللهُ أَعْلَمُ[1].

وَمِنَ الدَّواوِينِ:

"ديوانُ الْبُحْتُرِيِّ"، وهو أبو عُبادَةَ وَلِيدُ بنُ عُبَيْدِ بنِ يَحْيى الطَّائِيُّ الْبُحْتُرِيُّ؛ الشاعِرُ الْمَشْهورُ. مَدَحَ كَثِيرًا من الْخُلَفاءِ، أَوَّلُهُمْ الْمُتَوَكِّلُ على الله، وكَثيرًا من الْأَكابِرِ والرُّؤَساءِ. وَأَقامَ ببغدادَ زَمانًا، ثم عادَ إلى الشَّامِ. وشَبَّبَ في أَشْعارِهِ بِعَلْوَةَ بِنْتِ زُرَيْقَةَ، وَزُرَيْقَةَ أُمِّهَا.

وَكانَ يَقولُ: كانَ الشُّعَراءُ يَعْرِضونَ أَشْعارَهُمْ على أبي تَمَّامٍ، فَلَمَّا عَرَضْتُ عليه شِعْرِي، أَقْبَلَ عَلَيَّ، وتَرَكَ سائِرَ النَّاسِ، فلمَّا تَفَرَّقوا قال لي: أَنْتَ أَشْعَرُ من أَنْشَدَنِي، فكيفَ حالُكَ؟ فَشَكَوْتُ خَلَّةً، فَكَتَبَ إلى أَهْلِ مَعَرَّةِ النُّعْمانِ، وشَهِدَ لي بِالْحِذْقِ، فَأَكْرَموني بِكِتابِهِ، وَوَظَّفوا لي أَرْبَعَةَ آلافِ دِرْهَمٍ، فَكانَتْ أَوَّلَ مالٍ أَصَبْتُهُ.

وَكانَ يُقالُ لِشِعْرِ الْبُحْتُرِيِّ: سَلاسِلُ الذَّهَبِ، وهو في الطَّبَقَةِ الْعُلْيَا.

---

(1) وفيات الأعيان: 1/ 120-125.

وقيلَ له: أنْتَ أشْعَرُ أم أبو تَمَّامٍ؟ قال: جَيِّدُهُ خيرٌ من جَيِّدِي، وَرَدِيئِي خَيْرٌ من رَدِيئِهِ.

وَقِيلَ لِلْمَعَرِّيِّ: أَيُّ الثَّلَاثَةِ أَشْعَرُ أبو تَمَّامٍ أمِ الْبُحْتُرِيُّ أم الْمُتَنَبِّي؟ فقالَ: حَكيمانِ والشَّاعِرُ الْبُحْتُرِيُّ. وشِعْرُ الْبُحْتُرِيِّ سائِرٌ، وَديوانُهُ مَوْجودٌ، فلا حاجَةَ إلى الْإِكْثارِ في مَدْحِ شِعْرِهِ.

وَجَمَعَ شِعْرَهُ على الْحُروفِ أبو بَكْرٍ الصُّولِيُّ، وعلى الْأَنْواعِ عَلِيُّ بنُ حَمْزَةَ.

ولِلْبُحْتُرِيِّ كِتابُ الْحَماسَةِ على مِثالِ حَماسَةِ أَبِي تَمَّامٍ. وله كِتابُ "مَعانِي الشِّعْرِ".

وُلِدَ سَنَةَ سِتٍّ، أو سَبْعٍ، أو خَمْسٍ، أو اثْنَتَيْنِ، أو إحْدَى ومِئَتَيْنِ، أو مِئَتَيْنِ. وَتُوُفِّيَ سَنَةَ أَرْبَعٍ، أو خَمْسٍ، أو ثَلاثٍ وَثَمانِينَ ومئتَيْنِ، والأوَّلُ أصَحُّ. وكان مَوْتُهُ بمَنْبِجَ[1] أو بِحَلَبَ، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ[2].

ومن الدَّواوينِ:

"ديوانُ جَريرٍ"، وهو أبو حَرْزَةَ بالْحاءِ الْمُهْمَلَةِ والرَّاءِ الْمُهْمَلَةِ ثم الْمَنْقوطَةِ، جَريرُ بنُ عَطِيَّةَ الْخَطَفِيُّ، واسْمُهُ حُذَيْفَةُ التَّمِيمِيُّ، الشَّاعِرُ

(1) مَنْبِجُ: بالفتح ثم السكون، وباء موحدة مكسورة، وجيم، مدينة شمال شرق محافظة حلب في شمال سوريا.

(2) وفيات الأعيان: 6/ 21-31.

الْمَشْهورُ. كان من فُحولِ شُعَراءِ الْإِسْلامِ، وكانَتْ بَيْنَهُ وبين الْفَرَزْدَقِ مُهاجَاةٌ ونَقائِضُ، وهو أَشْعَرُ مِنَ الْفَرَزْدَقِ عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ بهذا الشَّأْنِ.

وأَجْمَعَتِ الْعُلَماءُ على أنَّهُ لَيْسَ في شُعَراءِ الْإِسْلامِ مِثْلُ ثَلَاثَةٍ: جَريرٍ والْفَرَزْدَقِ والْأَخْطَلِ.

ويُقالُ: إنَّ بُيوتَ الشِّعْرِ أَرْبَعَةٌ: فَخْرٌ ومَديحٌ ونَسيبٌ وهِجاءٌ، وفي الْأَرْبَعَةِ فاقَ جَريرٌ على غَيْرِهِ.

حَكَى أبو عُبَيْدَةَ أنَّ أمَّ جَريرٍ رَأَتْ في نَوْمِها ـ وهي حامِلٌ به ـ كَأَنَّها وَلَدَتْ حَبْلًا من شَعْرٍ أسْوَد، فَجَعَلَ يَنْزو، فَيَقَعُ في عُنُقِ هذا وهذا، حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ بِرجالٍ كَثيرَةٍ، فَأَوَّلوا الرُّؤْيا بِأَنَّها تَلِدُ غُلامًا شاعِرًا ذا شَرٍّ وشِدَّةِ شَكِيمَةٍ وبَلاءٍ على النَّاسِ. فلما وَلَدَتْهُ سَمَّتْهُ جَريرًا باسْمِ الْحَبْلِ. والْجَريرُ: الْحَبْلُ.

ويُلَقَّبُ جَريرٌ بابْنِ الْمَراغَةِ، وهذا لَقَبٌ لِأُمِّهِ، هَجاهُ به الْأَخْطَلُ، ونَسَبَها إلى أنَّ الرِّجالَ يَتَمَرَّغونَ عليها.

ولمَّا ماتَ الْفَرَزْدَقُ وبَلَغَ خَبَرُهُ جَريرًا بَكى وقالَ: أمَا واللهِ إنِّي لَأَعْلَمُ أنِّي قَليلُ الْبَقاءِ بَعْدَهُ، وَلَقَدْ كانَ نَجْمُنا واحِدًا، وقَلَّمَا ماتَ ضِدٌّ أو صَديقٌ إلَّا تَبِعَهُ صاحِبُهُ. وَكَذَلِكَ كانَ.

تُوُفِّيَ في سَنَةِ عَشْرٍ وَمِئَةٍ، وفيها ماتَ الْفَرَزْدَقُ، وعَمَّرَ نَيِّفًا وثَمانينَ سَنَةً[1].

---

(1) وفيات الأعيان: 1/ 321-326.

ومِنَ الدَّواوينِ:

"دِيوانُ الْفَرَزْدَقِ"، وهو أبو فِراسٍ هَمَّامُ أو هَميمُ بنُ غالِبٍ، وكُنْيَتُهُ أبو الْأَخْطَلِ، التَّميمِيُّ، الشَّاعِرُ الْمَشْهورُ بِالْفَرَزْدَقِ، صاحِبُ جَريرٍ. كان أبوهُ من جِلَّةِ قَوْمِهِ وسَرَواتِهِمْ، وأمُّهُ لَيْلى بِنْتُ حابِسٍ أخْتُ الْأَقْرَعِ بنِ حابِسٍ. ولِلْفَرَزْدَقِ في مَفاخِرِ أبيهِ أشْياءُ كَثيرَةٌ.

وقدِ اخْتَلَفَ الْعُلَماءُ بالشِّعْرِ، في الْمُفاضَلَةِ بين جَريرٍ والْفَرَزْدَقِ. والْأَكْثَرونَ على أنَّ جَريرًا أَشْعَرُ منه. وَكانَ بَيْنَهما من الْمُهاجاةِ والْمُعاداةِ ما هو الْمَشْهورُ، وفي كُتُبِ الْمُحاضَراتِ مَذْكورٌ، فلا نُضيعُ بِذِكْرِها السُّطورَ.

وَشَهِدَ الْفَرَزْدَقُ عند بعض الْقُضاةِ شَهادَةً، فقالَ: قَدْ أَجَزْناكَ، فلمَّا انْفَصَلَ عن الْمَجْلِسِ قالَ الْقاضِي: زِيدونَا في الشُّهودِ، فَأُخْبِرَ الْفَرَزْدَقُ بِذَلِكَ، فَقالَ: وما يَمْنَعُهُ مِنْ ذَلِكَ، وَقَدْ قَذَفْتُ أَلْفَ مُحْصَنَةٍ.

وأَخْبارُ الْفَرَزْدَقِ كَثيرَةٌ مَذْكورَةٌ في كُتُبِ الْمُحاضَراتِ والتَّواريخِ فَالِاخْتِصارُ أَوْلَى.

تُوُفِّيَ بالْبَصْرَةِ، سنةَ عَشْرٍ ومئةٍ، قبل جَريرٍ بِأَرْبَعينَ أو بِثَمانِينَ يَوْمًا. وَقيلَ: إنَّهُما تُوُفِّيا سَنَةَ إحْدَى عَشْرَةَ ومِئَةٍ.

قِيلَ: لَقِيَ الْفَرَزْدَقُ عَلِيَّ بنَ أَبِي طالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، وتُوُفِّيَ سنة اثْنَتَيْ أو أرْبَعَ عَشْرَةَ أو عَشْرٍ ومِئَةٍ، ماتَ وقد قارَبَ الْمِئَةَ.

والْفَرَزْدَقُ: قِطَعُ الْعَجينِ، وإِنَّمَا لُقِّبَ به لِغِلَظِهِ وقِصَرِهِ. وقيل: لُقِّبَ به لأنَّهُ كانَ جَهْمَ الْوَجْهِ، وقد أَصابَهُ جُدَرِيٌّ في وَجْهِهِ، وهذا الْقَوْلُ أَصَحُّ. وخَبَرُهُ مع زَوْجَتِهِ النَّوارُ - وهي ابْنَةُ عَمِّهِ - تَزَوَّجَا وطُلِّقا[1]، ونَدَامَتُهُ على الطَّلاقِ شَهيرَةٌ في كُتُبِ الْمُحاضَراتِ[2].

ومن الدَّواوينِ:

"ديوانُ أبي نُواسٍ"، وهو أبو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بنُ هانِئِ بْنِ عَبْدِ الْأَوَّلِ، الْمَعْروفُ بأبِي نُواسٍ، الشَّاعِرُ الْمَشْهورُ. كانَ جَدُّهُ مَوْلَى الْجَرَّاحِ بنِ عبدِ اللهِ الْحَكَمِيِّ وَالِي خُراسانَ. وَسَأَلَ الْخَصِيبُ - صاحِبُ ديوانِ الْخَراجِ بِمِصْرَ - أبا نُوَاسٍ عن نَسَبِهِ، فَقالَ: أَغْنانِي أَدَبِي عن نَسَبِي، فَأَمْسَكَ عنه.

وُلِدَ بالْبَصْرَةِ، ونَشَأَ بها. وقيل: وُلِدَ بالْأَهْوازِ، ثُمَّ خَرَجَ إلى الْكوفَةِ، ثم صارَ إلى بَغْدادَ، فَأَسْلَمَتْهُ أُمُّهُ وهو طِفْلٌ إلى بَعْضِ الْعَطَّارينَ، فَرَآهُ أبو أُسامَةَ والِبَةُ بنُ الْحُبابِ، فَاسْتَحْلاهُ، فقال له: إنِّي أرَى فيك مَخائِلَ، وسَتَقولُ الشِّعْرَ. فَصارَ معه، وَقَدِمَ به بَغْدادَ حتَّى صارَ من الطَّبَقَةِ الْأولَى من الْمُوَلَّدينَ. وشِعْرُهُ عَشَرَةُ أنْواعٍ، وهو مُجيدٌ في الْعَشَرَةِ.

وَقَدِ اعْتَنَى بِجَمْعِ شِعْرِهِ طائِفَةٌ، ولهذا يوجَدُ دِيوانُهُ مُخْتَلِفًا؛ منهم: أبو بَكْرٍ الصُّولِيُّ، وعَلِيُّ بنُ حَمْزَةَ، وإبْراهِيمُ بنُ أَحْمَدَ بنِ محمَّدٍ الطَّبَرِيُّ الْمَعْروفُ بِتُوزُونَ.

---

(1) تزوجها وطلقها، في مراد ملا.

(2) وفيات الأعيان: 6/ 86-100.

وأَخْبارُهُ كَثيرَةٌ، وأَشْعارُهُ شَهيرَةٌ، وإِصاباتُهُ في الْأمورِ في الْأَلْسِنَةِ مَذْكورَةٌ، ولا حاجَةَ إلى التَّطْويلِ.

وَذَكَرَ الْإمامُ الْيافِعِيُّ في "تاريخه"[1] أُمورًا غَريبَةً، يَكادُ يَسْتَحيلُها الْعَقْلُ، لولا صِحَّةُ النَّقْلِ.

وُلِدَ في سنة خَمْسٍ وأربعينَ، أو سِتَّةٍ وثَلاثينَ ومئةٍ. وتُوُفِّيَ سنة خَمْسٍ أو سِتٍّ أو ثَمانٍ وتِسْعِينَ وَمِئَةٍ بِبَغْدادَ.

وإنَّما قيل له أبو نُواسٍ، لِذُؤابَتَيْنِ كانَتا له تَنوسُ على عاتِقَيْهِ.

قال الْخَلِّكانِيُّ: وما أَحْسَنَ ظَنَّهُ بِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ حيثُ يقولُ: [الوافر]

تَكَثَّرْ ما اسْتَطَعْتَ من الْخَطايَا ... فإنَّكَ بالِغٌ رَبًّا غَفورَا[2]
سَتُبْصِرُ إنْ وَرَدْتَ عليه عَفْوًا ... وَتَلْقَى سَيِّدًا مَلِكًا كَبيرَا
تَعَضُّ نَدامَةً كَفَّيْكَ مِمَّا ... تَرَكْتَ مَخافَةَ النَّارِ السُّرورَا

قيلَ: وَكانَ الْمَأْمونُ يَقولُ: لو وَصَفَتِ الدُّنْيا نَفْسَها، لما وَصَفَتْ بِمِثْلِ قَوْلِ أبي نُواسٍ: [الطويل]

أَلَا كُلُّ حَيٍّ هالِكٌ وابْنُ هالِكٍ ... وذو نَسَبٍ في الْهالِكينَ عَرِيقِ[3]
إذا امْتَحَنَ الدُّنْيا لَبيبٌ تَكَشَّفَتْ ... لَه عَنْ عَدُوٍّ في ثِيابِ صَديق

---

(1) عنوانه الكامل: "مرآةُ الجنان وعبرةُ اليقظَانِ في معرفَةِ ما يُعتبَرُ من حوادِثِ الزَّمانِ وتقلُّبِ أحوالِ الإنسان وتاريخِ موتِ بعضِ المشهورينَ من الأعيانِ".

(2) ديوان شعره: 97.

(3) البيتان في ديوان شعره: 192، وفي رواية الصولي 741: كُلُّ حُرٍّ.

وَمِنَ الدَّواوِينِ:

"**دِيوانُ مُؤَيَّدِ الدِّينِ الطُّغْرائِيِّ**"، وهو عَمِيدُ الْمُلْكِ، فَخْرُ الكُتَّابِ، أبو إسْماعِيلَ الْحُسَيْنُ بنُ عَلِيِّ بنِ محمَّدِ بنِ عبد الصَّمَدِ، الْمُلَقَّبُ مُؤَيَّدَ الدِّينِ، الْأَصْبَهانِيُّ الْمُنْشِئُ، المَعْروفُ بِالطُّغْرائِيِّ. كانَ غَزيرَ الْفَضْلِ، لَطيفَ الطَّبْعِ، فاقَ أَهْلَ عَصْرِهِ بِصَنْعَةِ النَّظْمِ والنَّثْرِ. وله ديوانُ شِعْرٍ جَيِّدٍ. ومن مَحاسِنِ شِعْرِهِ قَصيدَتُهُ الْمَعْروفَةُ **بِلَامِيَّةِ الْعَجَمِ**، وَكانَ عَمِلَها بِبَغْدادَ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِمِئَةٍ، يَصِفُ حالَهُ، ويَشْكو زَمانَهُ.

وَشَرَحَها صَلاحُ الدِّينِ الصَّفَدِيُّ في مُجَلَّدَيْنِ، وسَمَّاهُ: "**الْغَيْثُ الَّذِي انْسَجَمَ فِي شَرْحِ لامِيَّةِ الْعَجَمِ**"، وَقَدْ مَلأَ شَرْحَهُ بِالْفَوائِدِ الْأَدَبِيَّةِ، والْغَرائِبِ الْجِدِّيَّةِ والْهَزْلِيَّةِ. **وبالْجُمْلَةِ**، إنَّهُ مِنْ أَحْسَنِ الْمَجامِيعِ وأَنْفَعِهَا.

وَوَلِيَ الطُّغْرائِيُّ الْوِزارَةَ مُدَّةً بمَدينَةِ إرْبِلَ لِلسُّلْطانِ مَسْعودِ بنِ مُحَمَّدٍ السَّلْجوقِيِّ، وَكانَ يُنْعَتُ بِالْأُسْتاذِ. ولمَّا جَرَى بين السُّلْطانِ مَسْعودٍ وَأَخيهِ مَحْمودٍ الْمَصافُّ[1] بِالْقُرْبِ من هَمَذانَ، وكانَتِ النُّصْرَةُ لِمَحْمودٍ، فَنَسَبوا الْأُسْتاذَ إلى الْإِلْحادِ، وكانوا خافوا منه لِفَضْلِهِ، فَقُتِلَ سَنَةَ ثَلاثٍ، أو أَرْبَعٍ، أو ثَمانِيَ عَشْرَةَ وخَمْسِمِئَةٍ، وقد جاوَزَ سِتِّينَ سنةً. والطُّغْرائِيُّ نِسْبَةٌ إلى مَنْ يَكْتُبُ الطُّغْراءَ، وهي الطُّرَّةُ التي تُكْتَبُ في أَعْلَى الْكُتُبِ فَوْقَ الْبَسْمَلَةِ بِالْقَلَمِ الْغَلِيظِ، وَمَضْمونُهَا نُعوتُ الْمَلِكِ الَّذِي صَدَرَ الْكِتابُ عنه، وهي لَفْظَةٌ أَعْجَمِيَّةٌ[2].

---

(1) المصاف: جمع مَصَفٍّ، وهو الموقف في الحرب. اللسان: صفف.

(2) وفيات الأعيان: 185-190.

قالَ ابْنُ الْأَثيرِ في "الْكامِلُ": كانَ الْأُسْتاذُ يَميلُ إلى صَنْعَةِ الْكِيمِياءِ، وله فيها تَصانيفُ قد ضَيَّعَتْ مِنَ النَّاسِ أَمْوالًا لا تُحْصَى. قِيلَ: وتِلْكَ التَّصانيفُ مُعْتَبَرَةٌ عِنْدَ أَهْلِها. منها: كِتابُ **"مَفاتيحُ الرَّحْمَةِ ومَصابيحُ الْحِكْمَةِ"**. ومنها: **"جامِعُ الْأَسْرارِ"**، وكِتابُ **"تَراكيبُ الْأَنْوارِ"**، و**"رِسالَةُ ذاتِ الْفَوائِدِ"**[1]، وكِتابُ **"حَقائِقُ الِاسْتِشْهاداتِ"**، يُبَيِّنُ فيه إِثْباتَ صِناعَةِ الْكِيمِياءِ، والرَّدَّ على ابْنِ سِينَا في إِبْطالِها بِمُقَدِّماتٍ من كِتابِ **"الشِّفاءُ"**.

ويُقالُ: إنَّ الْأُسْتاذَ أَلْقَى الْمِثْقالَ من الْإِكْسيرِ أَوَّلًا على سِتِّينَ أَلْفًا ذَهَبًا، وآخِرًا على ثَلاثِمِئَةِ أَلْفٍ.

وإِنَّمَا سُمِّيَتْ قَصيدَتُهُ بِلَامِيَّةِ الْعَجَمِ، تَشْبيهًا لها **بِلَامِيَّةِ الْعَرَبِ**، ومَطْلَعُ **لامِيَّةِ الْعَرَبِ** هذه: [الطويل]

أَقيمُوا بَنِي أُمِّي صُـــدورَ مَطِيِّكُمْ   فَإِنِّي إلى قَوْمٍ سِـــواكُمْ لَأَمْيَلُ[2]

ومَطْلَعُ لامِيَّةِ الْعَجَمِ هذه: [البسيط]

أَصالَةُ الرَّأْيِ صانَتْنِي عنِ الْخَطَلِ   وحِلْيَةُ الْفَضْلِ زَانَتْنِي لَدَى الْعَطَلِ[3]

رُوِيَ عن أميرِ الْمُؤْمِنينَ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ، رضِيَ الله عنه، أنَّه قالَ: عَلِّموا أَوْلادَكُمْ **لامِيَّةَ الْعَرَبِ**، فإِنَّها تَرْفَعُ هِمَمَهُمْ، وَتُصْلِحُ كَلِمَهُمْ.

---

(1) ذوات الفوائد، في قونية.

(2) ديوان الشنفرى: 158.

(3) ديوان الطغرائي: 301.

وَرَأَيْتُ لها **شَرْحًا** حَسَنًا تامَّ الْمَقاصِدِ، كَثيرَ الْفَوائِدِ، وهو مُجَلَّدٌ جَيِّدٌ. وحَسْبُكَ تَسْمِيَةُ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ **بِلامِيَّةِ الْعَجَمِ**، وَعَدُّهَا نَظيرَةً **لِلامِيَّةِ الْعَرَبِ**، وَإِضافَةُ الشَّيْءِ إلى شَيْءٍ مَشْهورٍ أو عَظيمٍ يَدُلُّ على شَرَفِ الْمُضافِ.

ومن الدَّواوينِ:

"**دِيوانُ ابْنِ نُبَاتَةَ**" بالضَّمِّ، وهو أبو نَصْرٍ عَبْدُ الْعَزيزِ بْنُ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدِ بنِ أَحْمَدَ بْنِ نُباتَةَ. كانَ شاعِرًا مُجِيدًا، جَمَعَ بَيْنَ حُسْنِ السَّبْكِ، وَجَوْدَةِ الْمَعْنَى.

طافَ الْبِلادَ، ومَدَحَ الْمُلوكَ والْوُزَراءَ والرُّؤَساءَ. وله في سَيْفِ الدَّوْلَةِ بنِ حَمْدانَ غُرُّ الْقَصائِدِ، وَنُخَبُ الْمَدائِحِ. ومُعْظَمُ شِعْرِهِ جَيِّدٌ، وله **ديوانٌ** كَبيرٌ.

وُلِدَ في سَنَةِ سَبْعٍ وعِشْرينَ وَثَلاثِمِئَةٍ.

وتُوُفِّيَ يَوْمَ الْأَحَدِ، ثالِثَ شَوَّالٍ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِمِئَةٍ بِبَغْدادَ.

رُوِيَ عنه أَنَّهُ قالَ: كُنْتُ يَوْمًا قائِمًا في دِهْليزِي، فَدُقَّ عَلَيَّ الْبابُ، فقلتُ: من؟ فقال: رَجُلٌ منَ أَهْلِ الشَّرْقِ، فقلتُ: ما حاجَتُكَ؟ فقال: أَنْتَ القائِلُ:

[الطويل]

وَمَنْ لم يَمُتْ بالسَّيْفِ ماتَ بِعِلَّةٍ تَنَوَّعَتِ الْأَسْبابُ وَالدَّاءُ واحِدُ[1]

---

(1) ديوان ابن نباتة: 235.

فَقُلْتُ: نَعَمْ، فقالَ أرْويهِ عنكَ؟ فقلتُ: نَعَمْ. فَلَمَّا كانَ آخِرَ النَّهارِ دُقَّ عَلَيَّ الْبَابُ، فَقُلْتُ: مَنْ؟ فَقالَ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ تاهَرْتَ[1] مِنَ الْغَرْبِ، فَقُلْتُ: ما حاجَتُكَ؟ فَقالَ: أَنْتَ الْقائِلُ: [الطويل]

وَمَنْ لم يَمُتْ بِالسَّيْفِ ماتَ بِعِلَّةٍ ... تَنَوَّعَتِ الْأَسْبابُ والدَّاءُ واحِدُ

فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقالَ: أَرْوِيهِ عَنْكَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، وَعَجِبْتُ كَيْفَ وَصَلَ إلى الشَّرْقِ والْغَرْبِ[2].

قُلْتُ: وَنَظيرُ هذه الْحِكايَةِ في الِاتِّفاقِ، أنَّ أبا الْفَرَجِ الْمُعَافَى بْنَ زَكَرِيَّا النَّهْرَوانِيَّ، كانَ بِمِنَى أَيَّامَ التَّشْرِيقِ، فَسَمِعَ مُنادِيًا يُنادِي: يا أبا الْفَرَجِ، فقلتُ: لَعَلَّهُ يُنادِي غَيْرِي، فلم أُجِبْهُ، ثم نَادَى: يا أبا الْفَرَجِ الْمُعافَى، فَقُلْتُ: يَجوزُ أن يَتَّفِقَ آخَرُ في الِاسْمِ والْكُنْيَةِ، فلم أُجِبْهُ، فَرَجَعَ فَنادَى: يا أبا الْفَرَجِ الْمُعافَى ابْنَ زَكَرِيَّا النَّهْرَوانِيَّ، فَقُلْتُ: لم يَبْقَ شَكٌّ. فَقُلْتُ ها أنا ذا فما تَريدُ؟ قال: لَعَلَّكَ من نَهْرَوانِ الشَّرْقِ فَقُلْتُ: نعم، فقالَ: نَحْنُ نُريدُ نَهْرَوانَ الْغَرْبِ، فَعَجِبْتُ من اتِّفاقِ الِاسْمِ والْكُنْيَةِ واسْمِ الْأَبِ وما انْتَسَبَ إليه، وَعَلِمْتُ أَنَّ [في الْأَرْضِ][3] نَهْرَوانًا آخَرَ بالْغَرْبِ غيرَ ما بالْعِراقِ[4].

---

(1) تاهرت: مدينة في المغرب الأوسط كانت عاصمة للدولة الرستمية، وتعرف اليوم بتيارت.

(2) وفيات الأعيان: 3/ 190-193.

(3) زيادة من أنطاليا.

(4) وفيات الأعيان: 5/ 223-224.

ومن الدَّواوينِ:

"**دِيوانُ ابنِ الْمُعْتَزِّ**"، وهو أبو الْعَبَّاسِ عبدُ اللهِ بنُ الْمُعْتَزِّ بنِ الْمُتَوَكِّلِ بنِ الْمُعْتَصِمِ بنِ هارونَ الرَّشيدِ. أخَذَ الْأَدَبَ عن الْمُبَرِّدِ وثَعَلَبٍ وغيرِهما. كان أديبًا بَليغًا، شاعِرًا مَطْبوعًا، مُقْتَدِرًا على الشِّعْرِ، قَريبَ الْمَأْخَذِ، سَهْلَ اللَّفْظِ، جَيِّدَ الْقَريحَةِ، حَسَنَ الْإِبْداعِ لِلْمَعانِي، مُخالِطًا لِلْعُلَماءِ والْأُدَباءِ، مَعْدودًا من جُمْلَتِهِمْ. وكان شَديدَ السُّمْرَةِ، مَسْنونَ الْوَجْهِ، يَخْضِبُ بالسَّوادِ. وكانَ رَخِيَّ الْبالِ في عَيْشٍ رَغيدٍ، إلى أنْ خُلِعَ الْمُقْتَدِرُ، وَبُويِعَ عَبْدُ اللهِ بنُ الْمُعْتَزِّ، ولَقَّبوهُ الْمُرْتَضَى باللهِ، أو الْمُنْصِفَ بِاللهِ، أو الْغالِبَ باللهِ، أو الرَّاضِيَ باللهِ. وَأَقامَ يَوْمًا وَلَيْلَةً، ثُمَّ أُعِيدَ الْمُقْتَدِرُ، وَاخْتَفَى ابْنُ الْمُعْتَزِّ، ثُمَّ أَخَذَهُ الْمُقْتَدِرُ وَقَتَلَهُ يَوْمَ الْخَميسِ ثانِيَ شَهْرِ رَبيعِ الْآخِرِ، سَنَةَ سِتٍّ وَتِسْعِينَ وَمِئَتَيْنِ.

وَلِابْنِ الْمُعْتَزِّ مِنَ التَّصانِيفِ: **كِتابُ "الزَّهْرُ والرِّياضُ"، وكِتابُ "الْبَديعُ"**، وكتابُ **"مُكاتَباتُ الْإِخْوانِ بالشِّعْرِ"**، وكتاب **"الْجَوارِحُ والصَّيْدُ"**، وكِتابُ **"السَّرِقاتُ"**، وكتابُ **"أَشْعارُ الْمُلوكِ"**، و**"كتابُ الآدابِ"**، وكتابُ **"طَبَقاتُ الشُّعَراءِ"**. وَغَيْرُ ذَلِكَ. وَلَهُ أَشْعارٌ رائِقَةٌ، وَتَشْبيهاتٌ بَديعَةٌ.

وله الْبَيْتُ الْمَشْهورُ وهو: [البسيط]

وَكانَ ما كان مِمَّا لَسْتُ أَذْكُرُهُ فَظُنَّ خَيْرًا ولا تَسْأَلْ عن الْخَبَرِ

وَقِيلَ: الرِّوايَةُ عنه: "فَظُنَّ شَرًّا"، قالَهُ في مَليحٍ جاءَهُ لَيْلًا، واصْطَبَحَ معه في غُرَّةِ الْفَجْرِ، والْأَبْياتُ طَويلَةٌ، أَوْرَدَها ابْنُ خَلِّكانَ في كِتابِهِ "**وَفَيَاتُ الْأَعْيانِ**"[1].

وَمِنَ الدَّواوينِ:

"**دِيوانُ ابْنِ الْفارِضِ**"، وَهُوَ أَبُو حَفْصٍ وأبو الْقاسِمِ عُمَرُ بْنُ أبي الْحَسَنِ عَلِيِّ بنِ الْمُرْشِدِ بْنِ عَلِيٍّ، الْحَمَوِيُّ الْأَصْلِ، مِصْرِيُّ الْمَوْلِدِ والدَّارِ والْوَفاةِ، الْمَعْروفُ بابْنِ الْفارِضِ، الْمَنْعوتُ بِالشَّرَفِ.

له: **ديوانُ شِعْرٍ** لَطيفٌ، وأُسْلوبُهُ فيه رائِقٌ ظَريفٌ، يَنْحو مَنْحَى طَرِيقَةِ الْفُقَراءِ، وله قَصيدَةٌ مِقْدارَ سِتِّمِئَةِ بَيْتٍ مُشْتَمِلَةٌ على اصْطِلاحِهِمْ وَمَنْهَجِهِمْ[2]، وله دُوبِيتٌ ومَوالِيًا[3] وأَلْغازٌ.

قال الْخَلِّكانِيُّ: سَمِعْتُ أَنَّهُ كانَ رَجُلًا صالِحًا، كَثيرَ الْخَيْرِ على قَدَمِ التَّجَرُّدِ، جاوَرَ بِمَكَّةَ - زادَها اللهُ شَرَفًا - زَمانًا، وكان حَسَنَ الصُّحْبَةِ، مَحْمودَ الْعِشْرَةِ.

أَخْبَرَنِي بعضُ أَصْحابِهِ أنه تَرَنَّمَ يومًا وهو في خَلْوَةٍ، بِبَيْتِ الْحَريرِيِّ صاحِبِ "**الْمَقاماتُ**" وهو: [مجزوء الكامل]

---

(1) وفيات الأعيان: 3/ 76-77.

(2) نهجهم، في رئيس الكتاب.

(3) فن شعري يتحرر فيه الشاعر من القيود النحوية وهو رباعي الأشطر على البحر الوسيط. ينظر المعجم المفصل في الأدب: 2/ 835.

مَنْ ذا الَّذِي ما ساءَ قَطْ ... ومَنْ له الْحُسْنَى فَقَطْ[1]

قال: فَسَمِعَ قائِلًا، ولم يَرَ شَخْصَهُ، وَقَدْ أَنْشَدَ: [مجزوء الكامل]

مُحَمَّدُ الْهادِي الَّذِي ... عَلَيْهِ جِبْرِيلُ هَبَطْ

وُلِدَ في الرَّابِعِ مِنْ ذي الْقَعْدَةِ، سَنَةَ سِتٍّ وَسَبْعينَ وَخَمْسِمِئَةٍ بِالْقاهِرَةِ. **وتُوُفِّيَ** بها يَوْمَ الثُّلاثاءِ، الثَّانِي مِنْ جُمادَى الْأُولَى، سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلاثِينَ وَسِتِّمِئَةٍ.

الْفارِضُ: الَّذي يَكْتُبُ الْفُروضَ لِلنِّساءِ على الرِّجالِ[2].

وَمِنَ الدَّواوينِ:

"**دِيوانُ بهاءِ الدِّينِ زُهَيْرٍ**"، وهو أبو الْفَضْلِ زُهَيْرُ بنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْكَاتِبُ، من فُضلاءِ عَصْرِهِ، وأَحْسَنِهِمْ نَظْمًا ونَثْرًا وخَطًّا، وأَكْبَرِهِمْ مُروءَةً، واتَّصَلَ بِخِدْمَةِ السُّلْطانِ الصَّالِحِ نَجْمِ الدِّينِ أبي الْفَتْحِ أَيُّوبَ، وتَوَجَّهَ في خِدْمَتِهِ إلى الْبِلادِ الشَّرْقِيَّةِ، ثم عادَ معه إلى الْقاهِرَةِ.

قالَ الْخَلِّكانِيُّ: وكنتُ يَوْمَئِذٍ بالْقاهِرَةِ، وَرَأَيْتُهُ فوقَ ما سَمِعْتُ عنه من مَكارِمِ الْأَخْلاقِ، وكَثْرَةِ الرِّياضَةِ، ودَماثَةِ السَّجايا. وكان كَبيرَ الْقَدْرِ عند صاحِبِهِ، ومُطَّلِعًا على سَرائِرِهِ، ونَفَعَ خَلْقًا كَثيرًا بِحُسْنِ وَساطَتِهِ، وَجَميلِ سِفارَتِهِ.

وَكانَ مَوْلِدُهُ في خامِسِ ذي الْحِجَّةِ، سنَةَ إِحْدَى وَثَمانينَ وخَمْسِمِئَةٍ بِمَكَّةَ، حَرَسَها اللهُ تعالى.

---

(1) البيت في مقامات الحريري: 230.

(2) وفيات الأعيان: 3/ 354-356.

وتُوُفِّيَ بِمِصْرَ يَوْمَ الْأَحَدِ، رابع ذي الْقَعْدَةِ، سَنَةَ سِتٍّ وخَمْسين وسِتِّمِئَةٍ[1].

وَمِنَ الدَّواوينِ:

"دِيوانُ أبي عَلِيٍّ"، دِعْبِلُ بنُ عَلِيٍّ الْخُزاعِيُّ الشَّاعِرُ الْمَشهورُ. أَصْلُهُ من الْكوفَةِ، وَأَقامَ بِبَغْدادَ. وَقِيلَ: دِعْبِلٌ لَقَبٌ، وَاسْمُهُ الْحَسَنُ أو عبدُ الرَّحْمنِ أو مُحَمَّدُ، وكُنْيَتُهُ أبو جَعْفَرٍ. وَكانَ أُطْروشًا[2]، وفي قَفاهُ سَلْعَةٌ[3]. كانَ شاعِرًا مَجيدًا، إلَّا أَنَّهُ كانَ بَذِيءَ اللِّسانِ، مُولَعًا بالْهَجْوِ والْحَطِّ من أقْدارِ النَّاسِ. وهَجَا الْخُلَفاءَ - منهم الْمَأْمونُ - ومن دونَهُمْ. وطالَ عُمُرُهُ.

وَكانَ يَقولُ: لي خَمْسونَ سَنَةً، أَحْمِلُ خَشَبَتِي على كَتِفِي، أَدورُ على من يُصَلِّبُني عليها، فما أَجِدُ من يَفْعَلُ ذلك.

وَكانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُسْلِمِ بنِ الْوَليدِ الْأَنْصارِيِّ اتِّحادٌ كثيرٌ، وعليه تَخَرَّجَ دِعْبِلٌ في الشِّعْرِ.

وَكانَ يَقولُ: مِنْ فَضْلِ الشِّعْرِ أَنَّهُ كُلَّمَا زادَ كَذِبُ الشَّاعِرِ زادَ الْمَدْحُ له، ثُمَّ لا يُقْنَعُ له بِذَلِكَ حَتَّى يُقالَ له: أَحْسَنْتَ واللهِ، فلا يُشْهَدُ له شَهادَةُ زُورٍ إلَّا وَمَعَهَا يَمِينٌ باللهِ تعالى.

وُلِدَ دِعْبِلٌ في سَنَةِ ثَمانٍ وَأَرْبَعينَ وَمِئَةٍ. وَتُوُفِّيَ سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعينَ وَمِئَتَيْنِ.

---

(1) وفيات الأعيان: 2/ 332-338.

(2) الأطروش: الأصم.

(3) السَّلعة: الضّواة، وهي زيادة تحدث في الجسد مثل الغدة. اللسان: سلع.

ودِعْبِلٌ، بِكَسْرِ الدَّالِ اسْمُ النَّاقَةِ الشَّارِفِ[1].

وَمَدَحَ دِعْبِلٌ عَلِيَّ بنَ موسى الرِّضَى بقَصيدَةٍ أَوَّلُها: [الطويل]

مَـدارِسُ آيـاتٍ خَلَـتْ عن تِلاوَةٍ ومَهْبِطُ وَحْيٍ مُقْفِرُ الْعَرَصـاتِ[2]

وَأَمَرَ له عَلِيُّ بنُ موسى الرِّضَى بِجائِزَةٍ سَنِيَّةٍ، فقال: ما قُلْتُها إلَّا لِوَجْهِ اللهِ تعالى، وسَأَلَ منه قَميصًا يُباشِرُ جَسَدَهُ، لِيَجْعَلَهُ في كَفَنِهِ، لَعَلَّ اللهَ يُبَرِّدُ به مَضْجَعَهُ، فَأَعْطاهُ ذلك. ولمَّا سَمِعَهُ فَضْلُ بنُ سَهْلٍ، حَمَلَ إلى دِعْبِلٍ ثَلاثينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وحَمَلَ إليه الْمَأمونُ مَالًا جَزيلًا، فانْصَرَفَ بِأَرْبَحِ صَفْقَةٍ، وَأَثْرَى حَالِ لشَّاعِرِ[3]. وَلِهَذا الْبَيْتِ حِكايَةٌ طَويلةٌ تَرَكْناها لِلِاخْتِصارِ.

ومن الدَّواوينِ:

"دِيوانُ الْقاضِي التَّنوخِيّ"، وهو الْقاضِي أبو عَلِيٍّ الْمُحَسِّنُ بنُ أبي الْقاسِمِ عَلِيِّ بنِ مُحَمَّدٍ التَّنوخِيُّ.

وله: **كِتابُ "الْفَرَجُ بَعْدَ الشِّدَّةِ"**، وله **"دِيوانُ شِعْرٍ"** أَكْبَرُ من دِيوانِ أَبِيهِ. **وَكِتابُ "نَشْوانُ الْمُحاضَرَةِ"**. وله: **كِتابُ "الْمُسْتَجادُ من فَعَلاتِ الْأَجْوادِ"**.

ونَزَلَ بَغْدادَ وَأَقامَ بها، وَحَدَّثَ إلى حِينِ وَفاتِهِ. وَكانَ سَماعُهُ صَحيحًا، وَكانَ أَديبًا شاعِرًا أَخْبارِيًا، تَقَلَّدَ الْقَضاءَ والْأَعْمالَ مِنْ قِبَلِ الْإِمامِ الْمُطيعِ للهِ.

---

(1) وفيات الأعيان: 2/ 266-270.

(2) ديوان دعبل بن علي الخزاعي: 89، وفيه: ومَنْزِلُ وَحْيٍ.

(3) حالُ الشاعرِ، في قونية وأنطاليا.

وُلِدَ لَيْلَةَ الْأَحَدِ، لِأَرْبَعٍ بَقِينَ من رَبِيعِ الْأَوَّلِ، سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلاثِمِئَةٍ بِالْبَصْرَةِ. **وَتُوُفِّيَ** لَيْلَةَ الْإِثْنَيْنِ، لِخَمْسٍ بَقِينَ من الْمُحَرَّمِ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وثمانينَ وَثَلاثِمِئَةٍ بِبَغْدادَ.

وأمّا وَلَدُهُ أبو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بنُ الْمُحَسِّنِ، كان أَدِيبًا فاضِلًا، له شِعْرٌ، وكان يَصْحَبُ أبا الْعَلاءِ الْمَعَرِّيَّ، وأَخَذَ عنه، وَهُمْ أَهْلُ بَيْتٍ، كُلُّهُمْ فُضَلاءُ أُدَباءُ ظُرَفاءُ.

وُلِدَ في مُنْتَصَفِ شَعْبانَ، سَنَةَ خَمْسٍ وسِتِّينَ وثَلاثِمِئَةٍ بالْبَصْرَةِ، **وتُوُفِّيَ** يَوْمَ الْأَحَدِ، مُسْتَهَلَّ الْمُحَرَّمِ، سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعينَ وأربَعِمِئَةٍ[1].

وإذا انْتَهَيْتَ إلى هذا الْمَقامِ، فَلَعَلَّكَ تَسْأَمُ من هذا النَّوْعِ من الْكَلامِ، مع أنَّ إِحْصاءَ شُعَراءِ الْإِسْلامِ أَمْرٌ تَنْبو عنه الْأَوْهامُ.

ومِمَّا لم نَتَعَرَّضْ له: "ديوانُ شَمْسِ الدِّينِ ابْنِ عَفِيفٍ التِّلِمْسانِيِّ"، و"دِيوانُ ابْنِ سَناءِ الْمُلْكِ"، و"ديوانُ الْقاضي الْفاضِلِ"، و"ديوانُ ابْنِ الْوَكيلِ"[2]، و"دِيوانُ التِّهامِيِّ"[3]، و"ديوانُ ابْنِ النَّبيهِ المِصْرِيِّ". هذا كُلُّهُمْ شُعَراءُ الْإِسْلامِ.

وأَمَّا الشُّعَراءُ الْقُدَماءُ: فأَشْعَرُهُمْ عَشَرَةٌ، نَذْكُرُ أَسْماءَهُم هاهُنا، **ومنهم**:

---

(1) وفيات الأعيان: 4/ 159-162.

(2) محمد بن عمر بن مكي المعروف بابن الوكيل، وابن المرحل. فقيه شافعي أصولي متكلم، وأديب شاعر، (ت716هـ)، ترجمته في: الدرر الكامنة: 4/ 115، وفوات الوفيات: 4/ 13، البداية والنهاية: 14/ 87.

(3) أبو الحسن علي بن محمد بن فهد التهامي (ت.416هـ)، ترجمته في: دمية القصر 1 / 135، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: القسم الرابع 2 / 537، وفيات الأعيان 3 / 378.

امْرُؤُ الْقَيْسِ بنُ حُجْرٍ الْكِنْدِيُّ، هو الذي فَتَحَ لهم أفانينَ الشِّعْرِ، وبَكَى في الدِّمَنِ فاتَّبَعوهُ، واقْتَدَوْا به في الْجَزالَةِ والْفَصاحَةِ.

ومنهم: **النَّابِغَةُ الذُّبْيانِيُّ**، واسْمُهُ زِيادُ بن عَمْرٍو، وقد قَدَّمَهُ بعض الرُّواةِ على امْرِئِ الْقَيْسِ لِرِقَّةِ شِعْرِهِ.

ومنهم: **زُهَيْرُ بنُ أبي سُلْمَى - بِضَمِّ السِّينِ - الْمُزَنِيُّ**. وهو أَشَدُّهُمْ أمْرًا، وَأَمْدَحُهُمْ، وأَجْرَؤُهُمْ على الْكَلامِ. وابْنُهُ كَعْبٌ بَلَغَ الْإِسلامَ فَأَسْلَمَ، وَمَدَحَ رَسولَ الله صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ بعدما هَجاهُ، وتابَ بعدما عَصاهُ، وأَنْشَدَ عنده قَصيدَتَهُ الْمَشْهورَةَ **"بانَتْ سُعادُ"**، فَعَفاهُ النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ، بعد أنْ أَهْدَرَ دَمَهُ، وَأَجازَهُ بِبُرْدَةٍ له صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ، وَأَسْلَمَ فَحَسُنَ إسْلامُهُ.

ومنهم: **الْأَعْشَى**، واسْمُهُ مَيْمونُ بْنُ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ. كانَ لا يَمْدَحُ أَحَدًا إلَّا رَفَعَ منه، ولا يَهْجو أَحَدًا إلَّا وَضَعَ منه.

ومنهم: **طَرَفَةُ بْنُ الْعَبْدِ بنِ سُفْيانَ**. فَضَّلَهُ بَعْضُ الشُّعَراءِ على غَيْرِهِ. وزَعَمَ لَبيدٌ أَنَّهُ أشْعَرُ النَّاسِ.

ومنهم: **أَوْسُ بنُ حَجَرٍ**، من بني الْأَسَدِ بنِ عَمْرِو بنِ تَميمٍ. كانَ شاعِرَ تَميمٍ، أَدْرَكَ زُهَيْرًا والنَّابِغَةَ.

ومنهم: **لَبِيدُ بنُ رَبيعَةَ**، من بني عامِرِ بنِ صَعْصَعَةَ. لم يُدْرِكْ أَحَدٌ منهم الْإِسْلامَ غَيْرُهُ، لِطولِ عُمُرِهِ. كانَ أَتْقاهُمْ كَلِمًا، وَأَقَلَّهُمْ سَقَطًا.

ومنهم: عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ، من بَنِي امْرِئِ الْقَيْسِ بنِ مَناةَ بنِ زَيْدِ بنِ تَميمٍ. كان الْفَضْلُ بنُ مُحَمَّدٍ يُقَدِّمُهُ عليهم لِحُسْنِ اسْتِعاراتِهِ، وَحَلاوَةِ عِباراتِهِ.

ومنهم: عَبِيدُ بْنُ الأَبْرَصِ، هو أَقْدَمُهُمْ سِنًّا، وَقَدْ جَعَلَهُ الْحُطَيْئَةُ بَعْدَ امْرِئِ الْقَيْسِ.

ومنهم: بِشْرُ الأَسَدِيُّ، وهو عاشِرُهُمْ. وأَهْلُ الْحِجازِ يُقَدِّمونَهُ عليهم، وَيَرَوْنَ أَنَّهُ أَشْعَرُهُمْ، وَأَشَدُّهُمْ سِياقًا لِلْحَديثِ.

عِلْمُ التَّوارِيخِ

وهو مَعْرِفَةُ أحْوالِ الطَّوائِفِ، وبُلْدانِهِمْ، ورُسومِهِمْ، وعاداتِهِمْ، وصَنائِعِ أَشْخَاصِهِمْ وأَنْسابِهِمْ، وَوَفَياتِهِمْ، إلى غيرِ ذلكَ.

ومَوْضوعُهُ: أَحْوالُ الأَشْخاصِ الْماضِيَةِ، من الأَنْبياءِ والأَوْلِياءِ، والْعُلَماءِ والْحُكَماءِ والشُّعَراءِ، والْمُلوكِ والسَّلاطِينِ، وغَيْرِهِمْ.

والْغَرَضُ منه: الْوُقوفُ على الأَحْوالِ الْماضِيةِ.

وَفائِدَتُهُ: الْعِبْرَةُ بتلك الأَحْوالِ والتَّنَصُّحُ بها، وحُصولُ مَلَكَةِ التَّجارِبِ، بِالْوُقوفِ على تَقَلُّباتِ الزَّمَنِ، لِيُحْتَرَزَ عن أَمْثالِ ما نُقِلَ من الْمَضارِّ، وَيُسْتَجْلَبَ نَظائِرُهَا مِنَ الْمَنافِعِ. وهذا الْعِلْمُ كما قِيلَ: عُمُرٌ آخَرُ لِلنَّاظِرِينَ، وَالانْتِفاعُ في مِصْرِهِ بِمَنافِعَ تَحْصُلُ لِلْمُسافِرِينَ.

ومنَ الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَةِ فيه:

"تَارِيخٌ لِابْنِ كَثِيرٍ"، وهو أبو الْفِداءِ إِسْماعيلُ بنُ عُمَرَ بنِ كَثيرٍ، الْقُرَشِيُّ الْبَصْرِيُّ ثم الدِّمَشْقِيُّ، الْفَقيهُ الشَّافِعِيُّ، الْحافِظُ عِمادُ الدِّينُ ابْنُ الْخَطيبِ شهابُ الدِّينِ.

وُلِدَ سَنَةَ سَبْعِمِئَةٍ، وقَدِمَ دِمَشْقَ، وله نَحْوُ سَبْعِ سِنينَ، سنَةَ سِتٍّ وسبعمئةٍ مع أخيهِ بعد مَوْتِ أبيهِ. وحَفِظَ **"التَّنبيه"**، وعَرَضَهُ سنةَ ثمانَ عَشْرَةَ، وحَفِظَ **"مُخْتَصَرُ ابْنِ الْحاجِبِ"**، وَتَفَقَّهَ بِالْبُرْهانِ الْفَزارِيِّ، والْكَمالِ ابْنِ قاضِي شُهْبَةَ. ثم صاهَرَ الْمِزِّيَّ، وَصَحِبَ ابْنَ تَيْمِيَّةَ، وقَرَأَ في الْأُصولِ على الْأَصْبَهانِيِّ، وكانَ كَثيرَ الِاسْتِحْضارِ قَليلَ النِّسيانِ، جَيِّدَ الْفَهْمِ، وكان يُشارِكُ في الْعَرَبِيَّةِ، ويَنْظِمُ نَظْمًا وَسَطًا.

قال ابْنُ حَجِّي: ما اجْتَمَعْتُ به قَطُّ إِلَّا اسْتَفَدْتُ منه، وقد لازَمْتُهُ سِتَّ سِنينَ.

وقد ذَكَرَهُ الذَّهَبِيُّ في **"مُعْجَمِهِ"** الْمُخْتَصِّ فقال: الْإِمامُ الْمُحَدِّثُ الْمُفْتِي الْبارِعُ[1].

وَوَصَفَهُ بِحِفْظِ الْمُتونِ وَكَثْرَةِ الِاسْتِحْضارِ جَماعَةٌ، مِنْهُمْ: الْحُسَيْنُ، وَشَيْخُنا الْعِراقِيُّ وَغَيْرُهُمَا. وَسَمِعَ مِنَ الْحَجَّارِ، والْقَاسِمِ ابْنِ عَساكِرَ وَغَيْرِهِمَا، وَلازَمَ الْحافِظَ الْمِزِّيَّ، وتَزَوَّجَ بابْنَتِهِ، وسَمِعَ عليه أَكْثَرَ تَصانِيفِهَا[2].

(1) إنباء الغمر بأبناء العمر: 1/ 39. والنقل منه.

(2) كذا في جميع النسخ.

وأَخَذَ عن الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ فَأَكْثَرَ عنه. وصَنَّفَ التَّصانِيفَ الْكَثيرَةَ في التَّفْسيرِ والتَّاريخِ والْأَحْكامِ.

وَقالَ ابْنُ حَبيبٍ فيه: إمامُ ذَوي التَّسْبيحِ وَالتَّهْليلِ، وَزَعيمُ أَرْبابِ التَّأْويلِ، سَمِعَ وجَمَعَ وصَنَّفَ، وأَطْرَبَ الْأَسْماعَ بِأَقْوالِهِ، وشَنَّفَ وحَدَّثَ وأَفادَ، وَطارَتْ أَوْراقُ فَتاويهِ إلى الْبِلادِ، واشْتَهَرَ بِالضَّبْطِ والتَّحْريرِ، وانْتَهَتْ إليه رِئاسَةُ الْعِلْمِ في التَّاريخِ والْحَديثِ والتَّفسيرِ.

ماتَ بِدِمَشْقَ في خامِسَ عَشَرَ شَعْبانَ، وقد أجازَ لمن أَدْرَكَ حَياتَهُ. وهو الْقائِلُ: [الطويل]

تَمُرُّ بِنا الْأَيَّامُ تَتْرَى وَإِنَّما تُساقُ إلى الْآجالِ وَالْعَيْنُ تَنْظُرُ[1]
فلا عائِدٌ ذاكَ الشَّبابُ الَّذي مَضَى وَلَا زائِلٌ هذا الْمَشيبُ الْمُكَدَّرُ

قالَ ابْنُ حَجَرٍ: وَلَوْ قالَ: فلا عائِدٌ صَفْوُ الشَّبابِ، إلى آخِرِهِ، لَكانَ أَصْنَعَ[2].

وَمِنَ التَّواريخِ:

"تاريخُ الطَّبَرِيِّ"، وهو أبو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بنُ جَريرِ الطَّبَرِيُّ، وقيل: يَزيدُ ابنُ كَثيرِ بنِ غالِبٍ، صاحِبُ التَّفْسيرِ الْكَبيرِ، والتَّاريخِ الشَّهيرِ. كانَ إمامًا في فنونٍ كَثيرةٍ منها: التَّفْسيرُ، والْحَديثُ، والْفِقْهُ، والتَّاريخُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ. وله مُصَنَّفاتٌ مَليحَةٌ في فُنونٍ عَديدَةٍ، تَدُلُّ على سَعَةِ عِلْمِهِ وغَزارَةِ فَضْلِهِ.

---

(1) البيتان لابن كثير، والنقل من إنباء الغمر بأبناء العمر: 1/ 40.

(2) إنباء الغمر بأبناء العمر: 1/ 40.

وَكانَ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمُجْتَهِدينَ، لم يُقَلِّدْ أَحدًا.

وَكانَ أبو الْفَرَجِ الْمُعافَى بْنُ زَكَرِيَّا النَّهْروانِيُّ على مَذْهَبِهِ. وكان ثِقَةً في نَقْلِهِ، وتاريخُهُ أَصَحُّ التَّواريخِ وأثْبَتُها.

وذَكَرَهُ الشَّيْخُ أبو إِسْحاقَ الشِّيرازِيُّ في "طَبَقاتُ الْفُقَهاءِ" في جُمْلَةِ الْمُجْتَهِدينَ.

وُلِدَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرينَ وَمِئَتَيْنِ بِآمُلِ طَبَرِسْتانَ. وتُوُفِّيَ في السَّادِسِ والْعِشْرينَ من شَوَّالٍ سَنَةَ عَشْرٍ وثَلاثِمِئَةٍ بِبَغْدادَ[1].

وَمِنَ التَّواريخِ:

تاريخُ ابنُ الْأَثيرِ الْجَزَرِي سَمَّاهُ: "الْكامِلُ"، وهو كِتابٌ لَطيفٌ. وصاحِبُهُ عِزُّ الدِّينِ أبو الْحَسَنِ عَلِيُّ بنُ أبي الْكَرَمِ مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عبد الْكَريمِ الْمَعْروفُ بابْنِ الْأَثِيرِ الْجَزَرِيِّ، وهو أَحَدُ الْإِخْوَةِ الثَّلاثَةِ الْمَشْهورينَ بِابْنِ الْأَثِيرِ. وقد تَقَدَّمَ اثْنانِ منهما، وهذا عِزُّ الدِّينِ.

وُلِدَ بِالْجَزيرَةِ الْمَشْهورَةِ بَجَزيرَةِ ابنِ عُمَرَ، وَنَشَأَ بها، ثُمَّ سارَ إلى الْمَوْصِلِ مع أَخَوَيْهِ مَجْدِ الدِّينِ أَبِي السَّعاداتِ الْمُبارَكِ، وَضِياءِ الدِّينِ أَبِي الْفَتْحِ نَصْرِ اللهِ، ووالِدِهِ مُحَمَّدٍ. وسَكَنَ الْمَوْصِلَ، وسَمِعَ بها. وقَدِمَ بَغْدادَ، وسَمِعَ من فُضَلائِها. ثم رَحَلَ إلى الشَّامِ والْقُدْسِ، وسَمِعَ هناكَ من جَماعَةٍ، ثم عادَ إلى الْمَوْصِلِ، ولَزِمَ بَيْتَهُ مُنْقَطِعًا إلى التَّوَفُّرِ على النَّظَرِ في الْعِلْمِ. وكان بَيْتُهُ مَجْمَعَ فُضَلاءِ الْمَوْصِلِ

---

(1) وفيات الأعيان: 4/ 191-192.

وَالْوارِدينَ عليها. وَكانَ إمامًا في حِفْظِ الْحَديثِ ومَعْرِفَتِهِ وما يَتَعَلَّقُ به، وَحافِظًا لِلتَّواريخِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَخَبِيرًا بِأَنْساب الْعَرَبِ وَوَقائِعِهِمْ وأَخْبارِهِمْ وأَيَّامِهِمْ.

صَنَّفَ في التَّاريخِ كِتابًا كَبِيرًا سَمَّاهُ: **"الْكامِلُ"**، ابْتَدَأَ فيه مِنْ أَوَّلِ الزَّمانِ إلى أَواخِرِ سَنَةِ ثَمانٍ وعِشْرينَ وسِتِّمئةٍ، وَهُوَ مِنْ خِيارِ التَّواريخِ؛ واخْتَصَرَ **"كتاب الأنْسابِ"**، لأبي سَعْدٍ عبدِ الْكَريمِ ابْنِ السَّمْعانِيِّ، وَزادَ عليه أَشْياءَ، وَاسْتَدْرَكَ عليه فيه مَواضِعَ؛ وله كِتابُ **"أَخْبارُ الصَّحابَةِ"**، في سِتِّ مُجَلَّداتٍ.

وُلِدَ في رابِعِ جُمادى الْأُولَى سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وخَمْسِمِئةٍ. **وتُوُفِّيَ** في شَعَبانَ سنَةَ ثَلاثينَ وَسِتِّمِئَةٍ.

ومن التَّواريخِ:

"تاريخُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ"، مُجَلَّداتٌ، وهو أبو الْفَرَجِ عَبْدُ الرَّحْمنِ بْنُ أبي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ محمَّدٍ الْقُرَشِيُّ التَّيْمِيُّ الصِّدِّيقِيُّ الْبَغْدادِيُّ، الْفَقيهُ الْحَنْبَلِيُّ الْواعِظُ، الْمُلَقَّبُ جمالَ الدِّينِ، الْحافِظُ، كانَ عَلَّامَةَ عَصْرِهِ، وَإِمامَ وَقْتِهِ في الْحَديثِ وصِناعَةِ الْوَعْظِ. صَنَّفَ فيه فُنونًا عَديدَةً منها:

"زادُ الْمَسيرِ في عِلْمِ التَّفْسيرِ": أَرْبَعَةُ أَجْزاءٍ، أَتَى فِيهَا بِأَشْياءَ غَريبَةٍ. وله في الْحَديثِ تَصانيفُ كَثيرَةٌ.

وله: "الْمُنْتَظَمُ في تَواريخِ الأُمَمِ"، وهو كَبيرٌ. وله: **"الْمَوْضوعاتُ"**، أَوْرَدَ فيها كُلَّ حَديثٍ مَوْضوعٍ. وَكُتُبُهُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُعَدَّ. يُقالُ: إنَّهُ جُمِعَتِ

الْكَراريسُ التي كَتَبَها، وَقُسِمَتِ الْكَراريسُ على مُدَّةِ عُمُرِهِ، فَخُصَّ كُلُّ يَوْمٍ تِسْعَ كَراريسَ، وهذا شَيْءٌ عَظيمٌ لا يَكادُ يَقْبَلُهُ الْعَقْلُ.

ويُقال: إنَّهُ جُمِعَتْ بُرايَةُ أَقْلامِهِ الَّتِي كَتَبَ بها حَديثَ رَسولِ الله صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ، وَأَوْصَى أن يُسَخَّنَ بها الْماءُ الذي يُغَسَّلُ به بعد مَوْتِهِ، فَفُعِلَ، فَكَفَتْ، وَفَضَلَ منها.

وله أَشْعارٌ كَثيرَةٌ، وأَجْوِبَةٌ نادِرَةٌ، منها: أَنَّهُ وَقَعَ النِّزاعُ بِبَغْدادَ بين أَهْلِ السُّنَّةِ والشِّيعَةِ، فَرَضِيَ الْكُلُّ بِجَوابِ الشَّيْخِ، وهو على الْكُرْسِيِّ في مَجْلِسِ وَعْظِهِ، فَسَأَلَهُ أَحَدٌ مَنْ أَفْضَلُ الْبَشَرِ بعد نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّمَ؟ فقال: مَنْ كانتِ ابْنَتُهُ تَحْتَهُ، وَنَزَلَ في الْحالِ حَتَّى لا يُراجَعَ في ذلك، فَرَضِيَ الْكُلُّ، لِأَنَّ ابْنَةَ أبي بَكْرٍ رضِيَ الله تعالى عنه، تَحْتَ رَسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ، وابْنَةَ رَسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ عند عَلِيٍّ رضيَ الله عنه، والْكَلامُ يَحْتَمِلُهُما. وهذا الْجَوابُ لو حَصَلَ بعد الْفِكْرِ التَّامِّ لكانَ في غايَةِ الْحُسْنِ فَضْلًا عن الْبَديهَةِ[1].

ويُحْكَى أَنَّهُ سَأَلَهُ إنْسانٌ، فقال: ما لنا نَرى الْكُوزَ الْجَديدَ إذا صُبَّ فيه الماءُ يَنِشُّ[2] ويَخْرُجُ منه صَوْتٌ؟ فقال: يَشْكو ما لاقاهُ من حَرِّ النَّارِ.

وسُئِلَ أنَّ الْكُوزَ إذا مَلَأْناهُ لا يَبْرُدُ، فإذا نَقَصَ بَرَدَ؟ فقال: حتى تَعْلَموا أَنَّ الْهَوَى لا يَدْخُلُ إلا على ناقِصٍ[3].

---

(1) وفيات الأعيان: 3/ 140-142.

(2) نَشَّ الْماءُ يَنِشُّ نَشًّا ونَشِيشاً ونَشْشَ: صَوَّتَ عِنْدَ الْغَلَيانِ أَو الصَّبِّ. اللسان: نشش.

(3) مطالع البدور ومنازل السرور: 119.

وَسُئِلَ كيفَ نُسِبَ قَتْلُ الْحُسَيْنِ إلى يَزيدَ وهو بدِمَشْقَ، فأنْشَدَ: [البسيط]

سَهْمٌ أصابَ وَرامِيهِ بِذِي سَلَمِ مَنْ بِالْعِراقِ لقد أَبْعَدْتِ مَرْماكِ[1]

وله مِنْ هذا النَّوْعِ أَجْوِبَةٌ لَطيفَةٌ.

وُلِدَ سَنَةَ ثَمانٍ أو عَشْرٍ وَخَمْسِمِئَةٍ. وَتُوُفِّيَ ثانِيَ عَشَرَ رَمَضانَ سَنَةَ سَبْعٍ وتِسْعينَ وخَمْسِمِئَةٍ.

وَمِنَ التَّواريخِ:

"مِرْآةُ الزَّمانِ"، لِسِبْطِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ، وهو شَمْسُ الدِّينِ أبو الْمُظَفَّرِ يوسُفُ بنُ قَز أوغْلِي[2]، الْواعِظُ الْمَشْهورُ. حَنَفِيُّ الْمَذْهَبِ، وله صِيتٌ وسُمْعَةٌ في مَجالِسِ وَعْظِهِ، وَقَبولٌ عند الْمُلوكِ وغَيْرِهِمْ.

رَوَى عن جَدِّهِ بِبَغْدادَ، وَسَمِعَ أبا الْفَرَجِ بْنَ كُلَيْبٍ، وابْنَ طَبَرْزَدٍ[3]، وسَمِعَ بِالْمَوْصِلِ ودِمَشْقَ، وحَدَّثَ بها وبِمِصْرَ.

وله: كِتابُ "إيثارُ الإِنْصافِ"، و"مُنْتَهى السُّولِ في سِيرَةِ الرَّسولِ"، و"اللَّوامِعُ في الأَحاديثِ الْمُخْتَصَرِ والْجامِعِ"، و"تَفْسيرُ الْقُرآنِ الْعَزيزِ". وصَنَّفَ تاريخًا كَبيرًا.

قالَ ابْنُ خَلِّكانَ: رَأَيْتُهُ بِخَطِّهِ في أرْبَعينَ مُجَلَّدًا سَمَّاهُ: "مِرْآةُ الزَّمانِ"[4].

---

(1) البيت للشريف الرضي، وهو في ديوان شعره: 2/ 93.

(2) لفظة تركية معناها: ابن البنت.

(3) الشيخ المسند أبو حفص عمر بن محمد ابن طَبَرْزَد الدَّارَقَزِّي البغدادي المؤدب (ت.607هـ).

(4) وفيات الأعيان: 3/ 142.

قُلْتُ: أنا رَأَيْتُهُ في ثَمانِ مُجَلَّداتٍ، لَكِنْ في مُجَلَّداتٍ ضِخامٍ، وبِخَطٍّ دَقيقٍ.

وَتُوُفِّيَ في الْحادِي وَالْعِشْرينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِئَةٍ بِدِمَشْقَ. **ومَوْلِدُهُ** في سَنَةِ إِحْدَى وَثَمانِينَ وَخَمْسِمِئَةٍ ببغدادَ. وكان يقولُ: أَخْبَرَتْنِي أمِّي أنَّ مَوْلِدي سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمانِينَ. رحمه الله تعالى[1].

وَمِنَ التَّواريخِ:

تاريخُ شَمْسِ الدِّينِ أبي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إبْراهيمَ بنِ أبي بَكْرِ ابْنِ **خَلِّكانَ** الْبَرْمَكِيِّ الشَّافِعِيِّ. كان ذا فَضْلٍ في كُلِّ فَنٍّ، وكان مَوْصوفًا بِكَرَمِ الْأَخْلاقِ والدِّيانَةِ، وكان ثِقَةً في نَقْلِهِ. وصَنَّفَ تاريخًا سَمَّاهُ: **"وَفَياتُ الْأَعْيانِ وأَنْباءُ أَبْناءِ الزَّمانِ مما ثَبَتَ بالنَّقْلِ أو السَّمْعِ أو أَثْبَتَهُ الْعِيانُ"**، ورَأَيْتُهُ في خَمْسِ مُجَلَّداتٍ بِخَطِّهِ.

وكان قاضِيًا بالْقاهِرَةِ مُدَّةً. ذَكَرَهُ في **تاريخِهِ**.

وُلِدَ في يومِ الخميس بعد صَلاةَ الْعَصْرِ حادي عَشَرَ ربيعِ الآخِرِ، سنة ثمانٍ وستمئةٍ، بِمَدينَةِ إِرْبِلَ بالْمَدْرَسَةِ الْمُظَفَّرِيَّةِ، ذَكَرَ تارِيخَ ولادَتِهِ نفسُهُ في تَرْجَمَةِ زَيْنَبَ بِنْتِ الشِّعْرِي، في آخِرِ الْأَسامِي الْمَذْكورَةِ في حَرْفِ الزَّايِ. **وتُوُفِّيَ** في يومِ السَّبْتِ السَّادِسِ والْعِشْرينَ من رَجَبٍ، سَنَةَ إِحْدَى وثَمانينَ وسِتِّمِئَةٍ بدِمَشْقَ الْمَحْروسَةِ.

---

(1) وفيات الأعيان: 3/ 142.

تَفَقَّهَ على أبيهِ بِمَدينَةِ إِرْبِلَ، ثم انْتَقَلَ بعد أبيهِ إلى الْمَوْصِلِ، وحَضَرَ دُروسَ الْإِمامِ كمالِ الدِّينِ ابنِ يونُسَ. ثم انْتَقَلَ إلى حَلَبَ، وقَرَأَ النَّحْوَ على أبي الْبَقاءِ يَعيشَ بنِ عَلِيٍّ النَّحْوِيِّ، والْفِقْهَ على أبي الْمَحاسِنِ الشَّيْخِ بهاءِ الدِّينِ يوسُفَ بنِ شَدَّادٍ. ثم قَدِمَ دِمَشْقَ، واشْتَغَلَ على ابْنِ الصَّلاحِ. ثم انْتَقَلَ إلى الْقاهِرَةِ، وَنابَ في الْحُكْمِ عن قاضي الْقُضاةِ بَدْرِ الدِّينِ السِّنْجارِيِّ. ثُمَّ وَلِيَ قَضاءَ الْمَحَلَّةِ، ثُمَّ وَلِيَ قَضاءَ الْقُضاةِ بِالشَّامِ، ثُمَّ عُزِلَ، ثُمَّ وَلِيَهَا ثانِيًا، ثُمَّ عُزِلَ.

ومِنْ مُصَنَّفاتِهِ: **التَّاريخُ** الْمَشْهورُ. وله في الْأَدَبِ الْيَدُ الطُّولَى، وشِعْرُهُ أَرَقُّ وأَحْسَنُ وأَعْذَبُ[1].

ومن التَّواريخِ:

تاريخُ ابْنِ حَجَرٍ، مُجَلَّدَتانِ. وتارِيخٌ آخَرُ له: **"إِنْباءُ الْغُمْرِ في أَبْناءِ الْعُمْرِ"**، مُجَلَّدَتانِ. وله أَيْضًا: **"الدُّرَرُ الْكامِنَةُ في أَعْيانِ الْمِئَةِ الثَّامِنَةِ"**.

وَهُوَ الْإِمامُ الْعَلَّامَةُ، حافِظُ الْعَصْرِ، قاضِي الْقُضاةِ، شَيْخُ الْإِسْلامِ، أبو الْفَضْلِ أَحْمَدُ بْنُ الشَّيخِ الْإِمامِ عَلاءِ الدِّينِ عَلِيِّ بنِ حَجَرٍ الْعَسْقَلانِيِّ.

تُوُفِّيَ بعد الْعِشاءِ لَيْلَةَ السَّبْتِ، الْمُسْفِرِ صباحُهَا عن ثامِنَ عَشَرَ ذي الْحِجَّةِ، سَنَةَ ثَمانٍ وخَمْسينَ وثَمانِمِئَةٍ[2]. وَكانَ عُمُرُهُ إذْ ذاك تِسْعًا وَسَبْعِينَ سَنَةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وعَشَرَةَ أيامٍ. وصَلَّى عليه خَلْقٌ كَثيرٌ، ومن جُمْلَتِهِمْ: أبو

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى: 8/ 32.

(2) الصحيح أنه توفي سنة 852هـ.

الْعَبَّاسِ الْخَضِرُ عليه السَّلامُ، رَآهُ عِصابَةٌ من الْأَوْلِياءِ. وكان مَوْلِدُهُ سنةَ ثَلاثٍ وسَبْعينَ وسَبْعِمِئَةٍ.

ومن التَّواريخِ:

"تاريخُ صَلاحِ الدِّينِ الصَّفَدِيِّ"، وهو بِخَطِّهِ، أَكْثَرُ مِنْ خَمْسِينَ مُجَلَّدًا. وهو خَليلُ بْنُ أَيْبَكَ الشَّيْخُ صَلاحُ الصَّفَدِيُّ الشَّافِعِيُّ، الْإِمامُ الْأَديبُ، النَّاظِمُ النَّاثِرُ، أَدِيبُ الْعَصْرِ.

وُلِدَ سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِّينَ وَسِتِّمِئَةٍ. وَقَرَأَ يَسِيرًا مِنَ الْفِقْهِ وَالْأَصْلَيْنِ، وبَرَعَ في الْأَدَبِ نَظْمًا ونَثْرًا، وكِتابَةً وجَمْعًا، وعُنِيَ بِالْحَديثِ، وسَمِعَ بِالْآخِرَةِ من جَماعَةٍ. وقَرَأَ على الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ أبي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْكافِي السُّبْكِيِّ، وَلازَمَ الْحافِظَ فَتْحَ الدِّينِ ابْنَ سَيِّدِ النَّاسِ، وَبِهِ تَمَهَّرَ في الْأَدَبِ. وَصَنَّفَ الْكَثيرَ في التَّاريخِ والْأَدَبِ، وَقالَ: كَتَبْتُ [أَزْيَدَ مِنْ][1] سِتِّمِئَةِ مُجَلَّدٍ تَصْنيفًا.

ماتَ بِالطَّاعونِ لَيْلَةَ عاشِرِ شَوَّالٍ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعينَ وسَبْعِمِئَةٍ[2].

وَمِنَ التَّواريخِ:

"تاريخُ جَلالِ الدِّينِ السُّيوطِيِّ"، ثَلاثُ مُجَلَّداتٍ، و**"طَبَقاتُ النُّحاةِ"**، له أَيْضًا. مُجَلَّدانِ. إلى غَيْرِ ذَلِكَ.

---

(1) سقطت من قونية.

(2) الصحيح أنه توفي سنة 764هـ. طبقات الشافعية الكبرى: 10/ 5.

وَمِنْ جُمْلَةِ التَّوارِيخِ:

"تاريخُ الْخَطيبِ الْبَغْدادِيِّ"، عَشْرُ مُجَلَّداتٍ. وَهُوَ الْحافِظُ أبو بَكْرٍ أَحْمَدُ ابْنُ عَلِيِّ بْنِ ثابِتٍ الْبَغْدادِيُّ، الْمَعْروفُ بِالْخَطيبِ، صاحِبُ **"تاريخِ بَغْدادَ"**، وغيرِهِ من الْمُصَنَّفاتِ.

كانَ مِنَ الْحُفَّاظِ الْمُتْقِنِينَ، وَالْعُلَماءِ الْمُتَبَحِّرينَ، ولو لم يَكُنْ له سِوَى التَّاريخِ لَكَفاهُ، فَإِنَّهُ يَدُلُّ على اطِّلاعٍ عَظيمٍ. وَصَنَّفَ قَريبًا مِنْ مِئَةِ مُصَنَّفٍ، وَكانَ فَقيهًا، فَغَلَبَ عليه الْحَدِيثُ وَالتَّاريخُ.

وُلِدَ في جُمادَى الْآخِرَةِ، سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَثَلاثِمِئَةٍ. **وتُوُفِّيَ** يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ سابِعِ ذي الْحِجَّةِ. وَقِيلَ: في شَوَّالٍ سَنَةَ ثَلاثٍ وسِتِّينَ وأَرْبَعِمَئَةٍ. وحَمَلَ نَعْشَهُ أبو إِسْحاقَ الشِّيرازِيُّ، رَحِمَهُما اللهُ تَعالى[1].

وَمِنْ التَّوارِيخِ:

"ذَيْلُ تاريخِ بَغْدادَ"، لِلْحافِظِ مُحِبِّ الدِّينِ ابْنِ النَّجَّارِ، فجاءَ في ثلاثينَ مُجَلَّدًا. وهو مُحَمَّدُ بنُ مَحْمودِ بنِ الْحَسَنِ بنِ هِبَةِ اللهِ، الْحافِظُ الْكَبيرُ، الثِّقَةُ، مُحِبُّ الدِّينِ أبو عبدِ اللهِ ابْنُ النَّجَّارِ الْبَغْدادِيُّ. وتاريخُهُ دالٌّ على سَعَةِ حِفْظِهِ، وعُلُوِّ شَأْنِهِ. وله: مُصَنَّفٌ حافِلٌ في **مَناقِبِ الشَّافِعِيِّ**. وله تَصانيفُ أُخَرُ في السُّنَنِ والْأَحْكامِ.

وُلِدَ في ذي الْقَعْدَةِ سَنَةَ ثَمانٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِئَةٍ.

---

(1) وفيات الأعيان: 1/ 92-93.

وَلَهُ الرِّحْلَةُ الْواسِعَةُ إلى الشَّامِ ومِصْرَ والْحِجازِ ومَرْوَ وَأَصْبَهانَ وهَراةَ، وَنَيْسابورَ.

وَكانَتْ رِحْلَتُهُ سَبْعًا وعِشْرينَ سنَةً. واشْتَمَلَتْ مَشْيَخَتُهُ على ثَلاثَةِ آلافِ شَيْخٍ.

تُوُفِّيَ بِبَغْدادَ خامِسَ شَعْبانَ سَنَةَ ثَلاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّمِئَةٍ.

وَمِنَ التَّواريخِ:

"**تاريخُ أَبِي سَعْدٍ السَّمْعانِيِّ**"، وَهُوَ تَاجُ الْإِسْلامِ أبو سَعْدٍ عَبْدُ الْكَريمُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ أبي الْمُظَفَّرِ الْمَنْصورِ السَّمْعانِيُّ الْمَرْوَزِيُّ، الْفَقيهُ الشَّافِعِيُّ، رَحَلَ في طَلَبِ الْعِلْمِ وَالْحَديثِ إلى أَقْطارِ الْأَرْضِ، وَسافَرَ إلى ما وَراءَ النَّهْرِ وخُراسانَ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْبِلادِ. وَكانَ شُيوخُهُ تَزيدُ على أَرْبَعَةِ آلافِ شَيْخٍ.

وصَنَّفَ التَّصانِيفَ الْحَسَنَةَ، منها: "**ذَيْلُ تارِيخِ بَغْدادَ**"، لِأَبِي بَكْرٍ ابْنِ الْخَطيبِ، نَحْوَ خَمْسَةَ عَشَرَ مُجَلَّدًا. و"**تاريخُ مَرْوَ**"، يَزيدُ على عِشْرينَ مُجَلَّدًا. وَكَذَلِكَ "**الْأَنْسابُ**"، نَحْوَ ثَمانِي مُجَلَّداتٍ، واخْتَصَرَهُ عِزُّ الدِّينِ في ثَلاثِ مُجَلَّداتٍ، واسْتَدْرَكَ عليه.

وُلِدَ أبو سَعْدٍ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ، الْحادِي والْعِشْرينَ من شَعْبَانَ، سَنَةَ سِتٍّ وخَمْسِمِئَةٍ. وَتُوُفِّيَ بِمَرْوَ في لَيْلَةِ غُرَّةِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وخَمْسِمِئَةٍ. وَكانَ أَبوهُ وَجَدُّهُ أَيْضًا مِنَ الْفُضَلاءِ الْعُلَماءِ[1].

---

(1) وفيات الأعيان: 3/ 209-210.

وَمِنَ التَّواريخِ:

"**ذَيْلُ تاريخِ السَّمْعانِيِّ**"، لِلدُّبَيْثِيِّ، بِالدَّالِ الْمُهْمَلَةِ، والْمُوَحَّدَةِ وَالْمُثَنَّاةِ من تَحْتُ، وَالْمُثَلَّثَةِ من فَوْقُ، قَرْيَةٌ بِنَواحِي واسِطٍ. وهو أبو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ ابنُ أبي الْمَعالي، الْفَقيهُ الشَّافِعِيُّ، الْمُؤَرِّخُ الْواسِطِيُّ. سَمِعَ الْحَديثِ كَثيرًا، وَبَرَعَ في أَسْماءِ الرِّجالِ وَتاريخِ الْحُفَّاظِ.

وَصَنَّفَ: ذَيْلَ الذَّيْلِ الْمَذْكورِ، في ثَلاثِ مُجَلَّداتٍ. وصَنَّفَ **تاريخًا لِواسِطٍ**.

وُلِدَ في السَّادِسِ والْعِشْرينَ من رَجَبٍ سَنَةَ ثَمانٍ وَخَمْسينَ وخَمْسِمِئَةٍ بِواسِطٍ. **وتُوُفِّيَ** لِثَمانٍ خَلَوْنَ من رَبيعِ الْآخِرِ، سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلاثينَ وَسِتِّمِئَةٍ بِبَغْدادَ[1].

وَمِنْ أَجَلِّ التَّواريخِ:

"**تاريخُ الذَّهَبِيِّ**"، ثَلاثُ كُتُبٍ، صَنَّفَ: "**التَّاريخُ الْكَبيرُ**". ثُمَّ **الْأَوْسَطَ** الْمُسَمَّى: **بِالْعِبَرِ**. والصَّغيرَ الْمُسَمَّى: "**دُوَلُ الْإِسْلامِ**".

وَالذَّهَبِيُّ، **هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُثْمانَ**، شَمْسُ الدِّينِ أبو عبدِ اللهِ الذَّهَبِيُّ، مُحَدِّثُ الْعَصْرِ، إِمامُ الْوُجودِ حِفْظًا، وَذَهَبِيُّ الْعَصْرِ مَعْنًى ولَفْظًا، وشَيْخُ الْجَرْحِ والتَّعْديلِ، وَرَجُلُ الرِّجالِ في كُلِّ سَبيلٍ.

وُلِدَ سَنَةَ ثَلاثٍ وسَبْعينَ وسِتِّمِئَةٍ، وَطَلَبَ الْحَديثَ وهو ابْنُ ثَمانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً. سَمِعَ بدمشقَ، وبِمِصْرَ، وبِبَعْلَبَكَّ، وبالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ، وسَمِعَ منه الْجَمْعُ الْكَثيرُ. وما زالَ يَخْدُمُ الْحَديثَ حَتَّى رَسَخَتْ فيه قَدَمُهُ، وتَعِبَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ

---

(1) وفيات الأعيان: 4/ 394-395.

وما تَعِبَ لِسانُهُ وقَلَمُهُ، إلّا أنه كانَ شَديدَ الْمَيْلِ إلى آراءِ الْحَنابِلَةِ، كَثيرَ الْإِزْراءِ بِأَهْلِ السُّنَّةِ، فَلِذَلِكَ لا يُنْصِفُهُمْ في التَّراجِمِ. وَكانَ كَثيرَ الْوَقيعَةِ في الصُّوفِيَّةِ.

وله التَّصانِيفُ الْجَزيلَةُ في الْحَديثِ وَأَسْماءِ الرِّجالِ وَالتَّواريخِ. **وقَرَأَ** الْقُرْآنَ وأَقْرَأَهُ بِالرِّواياتِ.

تُوُفِّيَ لَيْلَةَ الْإِثْنَيْنِ، ثالِثِ ذي الْقَعْدَةِ، سَنَةَ ثَمانٍ وَأَرْبَعينَ وَسَبْعِمِئَةٍ[1].

ومن التَّواريخِ:

كِتابُ **"الْبَارِعُ"**، لِأَبِي عَبْدِ اللهِ هارونَ بنِ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى بْنِ أبي مَنْصورٍ الْمُنَجِّمِ الْبَغْدادِيِّ، الْأَدِيبِ الْفاضِلِ. كانَ حافِظًا، راوِيَةً لِلْأَشْعارِ، حَسَنَ الْمُنادَمَةِ، لَطِيفَ الْمُجالَسَةِ.

صَنَّفَ: كِتابَ **"الْبارِعُ في أَخْبارِ الشُّعَراءِ الْمُوَلَّدينَ"**، وجَمَعَ مِئَةً وَأَحَدًا وسِتِّينَ شاعِرًا، وَافْتَتَحَهُ بِذِكْرِ بَشَّارِ بنِ بُرْدٍ، وخَتَمَهُ بمحمَّدِ بن عبدِ الْمَلِكِ ابنِ صالِحٍ. وهو من الْكُتُبِ النَّفيسَةِ، فإِنَّهُ يُغْني عن دَواوينِ الْجَماعَةِ الَّذِينَ مَرَّ ذِكْرُهُمْ، فإِنَّهُ مَحَّضَ أَشْعارَهُمْ، وأَثْبَتَ منها زُبْدَتَها، وتَرَكَ زَبَدَها. وهذا الْكِتابُ أَصْلٌ نَسَجُوا على مِنْوالِهِ. وسَنَذْكُرُ عِدَّةَ ذَيْلٍ له.

وله: كِتابُ **"النِّساءُ وما جاءَ فيهنَّ من الْخَبَرِ وما قيلَ فيهنَّ من الشِّعْرِ"**.

تُوُفِّيَ سنَةَ ثَمانٍ وَثَمانِينَ[2]، وهو حَدَثُ السِّنِّ. واللهُ أَعْلَمُ.

---

(1) طبقات الشافية الكبرى: 9/ 103-105.

(2) يقصد أنه توفي سنة 288هـ.

ومن التَّواريخِ:

"**يَتِيمَةُ الدَّهْرِ**"، لِلثَّعالِبِيِّ، وهو أبو مَنْصورٍ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْماعِيلَ الثَّعالِبِيُّ النَّيْسابورِيُّ.

قالَ ابنُ بسَّامٍ في الذَّخيرَةِ: كانَ رَأْسَ الْمُؤَلِّفينَ في زَمانِهِ، وَإِمامَ الْمُصَنِّفِينَ بِحُكْمِ قِرانِهِ.

وَلَهُ مِنْ التَّآليفِ: "**يَتيمَةُ الدَّهْرِ في مَحاسِنِ أَهْلِ الْعَصْرِ**". وهو أَكْبَرُ كُتُبِهِ وَأَحْسَنُها وأَجْمَعُها، وهذا الْكِتابُ ذَيْلٌ لِكِتابِ **الْبارِعِ** الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهُ.

وله أيضًا: كِتابُ "**فِقْهُ اللُّغَةِ**"، و"**سِحْرُ الْبَلاغَةِ ونَشْرُ الْبَراعَةِ**"، و"**مَنْ غابَ عنه الْمُطْرِبُ**"، و "**مُؤْنِسُ الْوَحِيدِ**". وَشَيْءٌ كَثيرٌ.

جَمَعَ فيها أَشْعارَ النَّاسِ وَرَسائِلَهُمْ، وَأَخْبارَهُمْ وَأَحْوالَهُمْ، وَفِيهَا دَلالَةٌ على اطِّلاعِهِ. وله أَشْعارٌ كَثيرَةٌ.

وُلِدَ سَنَةَ خَمْسِينَ وَثَلاثِمِئَةٍ. **وتُوُفِّيَ** في سَنَةِ تِسْعٍ وعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ[1].

وَمِنَ التَّواريخِ:

دُمْيَةُ الْقَصْرِ، لِلْباخَرْزِيِّ، وهو أبو الْحَسَنِ عَلِيُّ بنُ الْحَسَنِ بنِ عَلِيٍّ بنِ أبي الطَّيِّبِ الْباخَرْزِيُّ، الشاعِرُ الْمَشْهورُ. تَفَقَّهَ أَوَّلًا على والِدِ إمامِ الْحَرَمَيْنِ، الشَّيْخِ أبي مُحَمَّدٍ الْجُوَيْنِيِّ، على مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ. ثُمَّ شَرَعَ في فَنِّ الْكِتابَةِ،

(1) وفيات الأعيان: 3/ 178.

وغَلَبَ أَدَبُهُ على فِقْهِهِ. وَاخْتَلَفَ إلى دِيوانِ الرَّسائِلِ، وَارْتَفَعَتْ به الْأَحْوالُ وَانْخَفَضَتْ، ورَأَى مِنَ الدَّهْرِ الْعَجائِبَ، سَفَرًا وحَضَرًا. وعَمِلَ الشِّعْرَ، وسَمِعَ الْحَديثَ.

وَصَنَّفَ كِتابَ **"دُمْيَةُ الْقَصْرِ وعُصْرَةُ أَهْلِ الْعَصْرِ"**، وهو ذَيْلُ **"يَتيمَةُ الدَّهْرِ"**، لِلثَّعالِبِيِّ؛ وجَمَعَ فيها خَلْقًا كَثيرًا. وَقَدْ وَضَعَ على هذا الْكِتابِ، أبو الْحَسَنِ عَلِيُّ بنُ زَيْدٍ الْبَيْهَقِيُّ كِتابًا سَمَّاهُ: **"وِشاحُ الدُّمْيَةِ"**، وَهُوَ كَالذَّيْلِ له.

قُتِلَ الْبَاخَرْزِيُّ في مَجْلِسِ الْأُنْسِ بِبَاخَرْزَ، وَهِيَ مِنْ نَواحِي نَيْسابورَ، في ذي الْقَعْدَةِ سَنَةَ سَبْعٍ وسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ، وذَهَبَ دَمُهُ هَدَرًا[1].

وَمِنَ التَّواريخِ:

"زِينَةُ الدَّهْرِ"، لِلْحَظيرِيِّ، وهو أبو الْمَعالي سَعْدُ بنُ عَلِيِّ بْنِ الْقاسِمِ الْأَنْصارِيُّ الْخَزْرَجِيُّ، الْوَراقُ الْحَظيرِيُّ، الْمَعْروفُ بدَلَّالِ الْكُتُبِ، كانَتْ لَدَيْهِ مَعارِفُ، وله نَظْمٌ جَيِّدٌ.

وأَلَّفَ مَجاميعَ ما قَصَّرَ فيها. منها: كتاب **"زينَةُ الدَّهْرِ وَعُصْرَةُ أَهْلِ الْعَصْرِ وذِكْرُ أَلْطافِ شُعَراءِ الْعَصْرِ"**، الَّذِي ذَيَّلَهُ على **"دُمْيَةُ الْقَصْرِ"**، لِلباخَرْزِيِّ، جَمَعَ في جَماعَةٍ كَثيرَةٍ من أَهْلِ عَصْرِهِ ومَنْ تَقَدَّمَهُمْ، وَأَوْرَدَ لِكُلِّ واحِدٍ طَرَفًا مِنْ أَحْوالِهِ وَشَيْئًا مِنْ شِعْرِهِ.

---

(1) وفيات الأعيان: 3/ 387-388.

وَقَدْ ذَكَرَهُ الْعِمادُ الْكاتِبُ في **الْخَريدَةِ**، وَكانَ مُطَّلِعًا على أَشْعارِ النَّاسِ وَأَحْوالِهِمْ. وله كِتابُ "**لُمَحُ الْمُلَحِ**"، يَدُلُّ على كَثْرَةِ اطِّلاعِهِ.

تُوُفِّيَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ الْخامِسِ والْعِشْرينَ أو الْخامِسَ عَشَرَ من صَفَرٍ، سَنَةَ ثَمانٍ وسِتِّينَ وخَمْسِمِئَةٍ بِبَغْدادَ[1].

وَمِنَ التَّواريخِ:

[تاريخُ][2] "**خَريدَةُ الْقَصْرِ وجَريدَةُ الْعَصْرِ**"، لِلْعِمادِ الْأَصْبَهانِيِّ، وهو أبو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ صَفِيِّ الدِّينِ أبو[3] الْفَرَجِ مُحَمَّدِ بنِ نفيسِ الدِّينِ أبو[4] الرَّجاءِ حامِدٍ، الْمُلَقَّبُ عِمادَ الدِّينِ[5]، الْكَاتِبُ الْأَصْبَهانِيُّ.

كانَ فَقيهًا شافِعِيَّ الْمَذْهَبِ. تَفَقَّهَ بالْمَدْرَسَةِ النِّظامِيَّةِ، وَأَتْقَنَ الْخِلافَ وَفُنُونَ الْأَدَبِ. وله من الشِّعْرِ والرَّسائِلِ ما يُغْنِي عن الْإِطالَةِ في شَرْحِهِ.

وَكانَ قَدْ نَشَأَ بِأَصْبَهانَ، وقَدِمَ بَغْدادَ في حَداثَتِهِ وتَفَقَّهَ بها، وسَمِعَ الْحَديثَ. وَكانَ سَيِّءَ الْحالِ أَوَّلًا، ثُمَّ بَلَغَ الرِّفْعَةَ عند السُّلْطانِ صلاحِ الدِّينِ وَنُورِ الدِّينِ مَحْمودِ بنِ أَتابِكَ زِنْكِي، وتَقَلَّبَتْ به الْأَحْوالُ، إلى أَنْ عَظُمَ أَمْرُهُ وَصارَ رَخِيَّ الْبالِ.

---

(1) وفيات الأعيان: 2/ 366.

(2) سقطت من قونية.

(3) كذا في النسخ الخطية، والصواب الكسر، كما جاء في وفيات الأعيان: 5/ 147.

(4) كذا في النسخ الخطية، والصواب الكسر، كما جاء في المصدر السابق: 5/ 147.

(5) بعماد الدين، في رئيس الكتاب.

وَصَنَّفَ التَّصانِيفَ النَّافِعَةَ؛ منها: كِتابُ "**خَرِيدَةُ الْقَصْرِ وجَرِيدَةُ الْعَصْرِ**"، جَعَلَهُ ذَيْلًا على "**زِينَةُ الدَّهْرِ**"، لِلْحَظِيرِيِّ، وجَعَلَهُ في عَشْرِ مُجَلَّداتٍ، ولم يَتْرُكْ إلَّا النَّادِرَ الْخامِلَ. وصَنَّفَ كتابَ: "**الْبَرْقُ الشَّامِيُّ**"، في سَبْعِ مُجَلَّداتٍ، وهو تاريخٌ. وله كِتابُ "**الْفَتْحُ الْقُسِّيُّ في الْفَتْحِ الْقُدْسِيِّ**"[1]، في مُجَلَّدَيْنِ. وصَنَّفَ: "**السَّيْلُ على الذَّيْلِ**"، جَعَلَهُ ذَيْلًا على "**خَرِيدَةُ الْقَصْرِ**". وله "**ديوانُ رَسائِلَ**"، و"**دِيوانُ شِعْرٍ**".

وَكانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقاضِي الْفاضِلِ مُكاتَباتٌ، منها ما يُحْكى أَنَّهُ لَقِيَهُ يَوْمًا وهو راكِبٌ على فَرَسٍ، فقالَ له: سِرْ فلا كَبَا بِكَ الْفَرَسُ، فقال له الْفاضِلُ: دامَ عَلاءُ الْعِمادِ، وُكُلٌّ منهما يُقْرَأُ مَقْلوبًا مُسْتَوِيًا. ولم يَزَلِ الْعِمادُ على مَكانَةٍ وَرِفْعَةِ مَنْزِلَةٍ، إلى أَنْ تُوُفِّيَ السُّلْطانُ صلاحُ الدِّينِ، فَاخْتَلَّتْ أَحْوالُهُ، وتَقَطَّعَتْ أَوْصالُهُ. ولم يَجِدْ في وَجْهِهِ بابًا مَفْتوحًا، فَلَزِمَ بَيْتَهُ، وَأَقْبَلَ على الِاشْتِغالِ بِالتَّصانيفِ.

وُلِدَ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ، ثانِي جُمادَى الْآخِرَةِ، أو في شَعْبانَ، سَنَةَ عَشْرٍ وخَمْسِمِئَةٍ بِأَصْبَهانَ. **وتُوُفِّيَ** يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ مُسْتَهَلِّ رَمَضانَ، سَنَةَ سَبْعٍ وَتِسْعينَ وَخَمْسِمِئَةٍ بِدِمَشْقَ[2].

وَمِنَ التَّواريخِ:

"**تاريخُ قاضي الْقُضاةِ الْعَيْنِيِّ**"، وهو على ما حُكِيَ في سِتِّينَ مُجَلَّدَةً.

---

(1) الكتاب مطبوع، قال مؤلفه في مقدمته عن سبب تسميته هكذا: "وعرضته على القاضي... فقال لي سَمِّهِ: "الفتح القُسِّيُّ في الفتح القدسي"، فقد فتح الله عليك فيه بفصاحة قُسٍّ وبلاغته". ص: 41.

(2) وفيات الأعيان: 5/ 148.

وهو مَحْمودُ بنُ أَحْمَدَ بنِ موسى الْعَيْنَتَابِيُّ الْحَنَفِيُّ الْعَلامَةُ، قاضي الْقُضاةِ بَدْرُ الدِّينِ الْعَيْنِيُّ.

وُلِدَ في رَمَضانَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَسَبْعِمِئَةٍ بِعَيْنِ تابَ[1]، وَنَشَأَ بها، وَتَفَقَّهَ واشْتَغَلَ بِالْفُنونِ، وبَرَعَ ومَهَرَ، وَوَلِيَ قَضاءَ الْحَنَفِيَّةِ بِالْقاهِرَةِ. وَكانَ إِمامًا عالِمًا عَلَّامَةً، عارِفًا بِالْعَرَبِيَّةِ وَالتَّصْرِيفِ، وَغَيْرِهِما، حافِظًا لِلُّغَةِ، كَثِيرَ الِاسْتِعْمالِ لِحُوشِيِّهَا، سَرِيعَ الْكِتابَةِ. عَمَرَ مَدْرَسَةً بِقُرْبِ الْجامِعِ الْأَزْهَرِ، وَوَقَفَ كُتُبَهُ بها. وَأَمَّا نَظْمُهُ فَمُنْحَطٌّ إلى الْغايَةِ، وَرُبَّما يَأْتي به بلا وَزْنٍ.

وله: **"شَرْحُ الْبُخارِيِّ"**، **"شَرْحُ الشَّواهِدِ الْكَبِيرُ"**، و**"الصَّغيرُ"**، **"شَرْحُ مَعاني الْآثارِ"**، **"شَرْحُ الْكَنْزِ"**، **"شَرْحُ الْمَجْمَعِ"**، **"شَرْحُ عَروضِ السَّاوِيِّ"**[2]، **"طَبَقاتُ الْحَنَفِيَّةِ"**، **"طَبَقاتُ الشُّعَراءِ"**، **"مُخْتَصَرُ تاريخِ ابْنِ عَساكِرَ"**، **"شَرْحُ الْهِدايَةِ" في الْفِقْهِ**، **"شَرْحُ دُرَرِ الْبِحارِ"**، و**"تاريخُهُ الْكَبيرُ"** الْمَذْكورُ.

وَكانَ بَيْنَهُ وَبَيْنِ شَيْخِ الْإِسْلامِ ابْنِ حَجَرٍ مُنافَسَةٌ[3]، وَلَمَّا وَقَعَتْ مَنارَةُ الْمُؤَيَّدِيَّةِ، وَكانَ الْعَيْنِيُّ شَيْخَ الْحَديثِ بها **قال ابْنُ حَجَرٍ: [الطويل]**

لِجامِعِ مَوْلانا الْمُؤَيَّدِ رَوْنَقٌ مَنارَتُهُ بِالْحُسْنِ تَزْهو وَبِالزَّيْنِ[4]

(1) قلعة حصينة ورستاق بين حلب وأنطاكية وكانت تعرف بدلوك ودلوك رستاقها، وهي الآن من أعمال حلب. معجم البلدان: 4/ 176.

(2) يعرف: بـ: "الحاوي في شرح قصيدة الساوي". كشف الظنون: 2/ 1136.

(3) مناقشة، في رئيس الكتاب.

(4) البيتان والترجمة من بغية والوعاة: 2/ 275-276.

يَقولُ وَقَدْ مالَتْ عَلَيْهِمُ تَمَهَّلُوا   فَلَيْسَ على هَدْمي أَضَرُّ من الْعَيْنِي[1]

مَاتَ في ذي الْحِجَّةِ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَثَمانِمِئَةٍ.

ومن التَّواريخِ:

"تاريخُ الْحافِظِ ابنِ عَساكِرَ"، سَبْعَةٌ وخَمْسونَ مُجَلَّدًا.

وهو الْحافِظُ أبو القاسِمِ عَلِيُّ بنُ أبي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بنِ هِبَةِ اللهِ، الْمَعْروفُ بابْنِ عَساكِرَ الدِّمَشْقِيِّ، الْمُلَقَّبُ ثِقَةَ الدِّينِ.

كانَ مُحَدِّثَ الشَّامِ، وَمِنْ أَعْيانِ الْفُقَهاءِ الشَّافِعِيَّةِ، غَلَبَ عليه الْحَديثُ، فَاشْتَهَرَ به، وبالَغَ في طَلَبِهِ، إلى أَنْ جَمَعَ منه ما لم يَتَّفِقْ لِغَيْرِهِ. وَرَحَلَ وَطَوَّفَ، وَجَابَ الْبِلادَ، ولَقِيَ الْمَشايِخَ.

وَكانَ رَفيقَ الْحافِظِ أبي سَعْدٍ السَّمْعانِيِّ في الرِّحْلَةِ. وَكانَ حافِظًا دَيِّنًا، جَمَعَ بَيْنَ مَعْرِفَةِ الْمُتونِ وَالْأَسانِيدِ. سَمِعَ بِبَغْدادَ، ثُمَّ رَحَلَ إلى دِمَشْقَ، ثُمَّ إلى خُراسانَ وَنَيْسابورَ وَهَراةَ وَأَصْبَهانَ.

وَصَنَّفَ التَّصانِيفَ الْمُفِيدَةَ. صَنَّفَ **"التَّاريخُ الْكَبيرُ لِدِمَشْقَ"**، في ثَمانِينَ مُجَلَّدَةً بِخَطِّهِ، أَتَى فِيهِ بِالْعَجائِبِ، حَتَّى قِيلَ: إِنَّهُ لَعَلَّهُ جَمَعَ هذا مُنْذُ عَقِلَ نَفْسَهُ. وإِلَّا فَالْعُمُرُ لا يَتَّسِعُ لِوَضْعِهِ بعد الِاشْتِغالِ وَالتَّنَبُّهِ. وله تَآليفُ حَسَنَةٌ غَيْرُ هذا. وله شِعْرٌ لا بَأْسَ به.

---

(1) فليس على حسني، في قونية.

وُلِدَ في أوَّلِ الْمُحَرَّمِ، سَنَةَ تِسْعٍ وتِسْعينَ وأَرْبَعِمِئَةٍ. **وتُوُفِّيَ** في الحادي عَشَرَ من رَجَبٍ، سنة إِحْدَى وسَبْعينَ وخَمْسِمِئَةٍ بدِمَشْقَ[1].

ومن التَّواريخِ:

"تاريخُ مِصْرَ"، لِأَبِي سَعيدٍ عَبْدِ الرَّحْمنِ بْنِ أبي الْحَسَنِ أَحْمَدَ، الْمُحَدِّثِ الْمُؤَرِّخِ الْمِصْرِيِّ. كانَ خَبِيرًا بِأَحْوالِ النَّاسِ، ومُطَّلِعًا على تَوارِيخِهِمْ، عارِفًا بما يَقولُهُ. جَمَعَ لِمِصْرَ تارِيخَيْنِ: أَحَدُهُما **كَبيرٌ لِأَهْلِهِ**؛ وَالْآخَرُ **صَغيرٌ لِلْغُرَباءِ**. وقد ذَيَّلَهُما أبو الْقاسِمِ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ الْحَضْرَمِيُّ.

وُلِدَ عَبْدُ الرَّحْمنِ سَنَةَ إِحْدَى وَثَمانِينَ وَمِئَتَيْنِ. **وَتُوُفِّيَ** سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلاثِمِئَةٍ.

وَمِنْ أَصَحِّ التَّوارِيخِ وَأَحْسَنِها وَأَلْطَفِها لِوُرودِهِ بِعِباراتٍ عَذْبَةٍ، وَأَنْفَعِهَا لِلنَّاسِ لِاشْتِمالِهِ على الْمُهِمَّاتِ، **"تاريخُ الْيافِعِيِّ"**، مُجَلَّدَتانِ كَبيرَتانِ. وهو عَبْدُ اللهِ بْنُ أَسْعَدَ بْنِ عَلِيٍّ الْيَمانِيُّ الشَّافِعِيُّ، الرَّجُلُ الصَّالِحُ، ومُحِبُّ الصُّلَحاءِ، وَخادِمُ أَوْلياءِ اللهِ، الْمُناضِلُ عنهم، والْمُنافِحُ عن شَأْنِهِمْ، صاحِبُ الْمُصَنَّفاتِ الْكَثيرَةِ الشَّهيرَةِ. وكُلُّ تَصانيفِهِ نافِعٌ في بابِهِ.

وله: "النَّظْمُ الْكَبيرُ"، سِيَّمَا مَدْحُ سَيِّدِنا ونَبِيِّنا مُحَمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّمَ.

---

(1) وفيات الأعيان: 3/ 109-110.

ومِنْ لَطيفِ[1] مُصَنَّفاتِهِ: "**مِصْباحُ الظَّلامِ في الْمُسْتَغيثينَ بِخَيْرِ الْأنامِ**". وكتابُ "**رَوْضُ الرَّياحينِ في حِكاياتِ الصَّالِحينَ**". وكُلُّ تَصانيفِهِ حَسَنٌ.

وَبِالْجُمْلَةِ، هو رَجُلٌ مُبارَكٌ، عَزيزُ الْوُجودِ، فَرْدُ زَمانِهِ، ونادِرَةُ أوانِهِ، أَشْعَرِيُّ الْعَقيدَةِ، والسَّالِكُ طَريقَةَ الصُّوفِيَّةِ السَّادَةِ، والْمَعاشِرِ مع أَهْلِ الْخَيْرِ والزُّهْدِ والصَّلاحِ.

قال ابْنُ السُّبْكِيِّ في طَبَقاتِهِ الْكُبْرَى: اجْتَمَعْتُ به في مِنى سَنَةَ سَبْعٍ وأربعينَ وَسَبْعِمِئَةٍ. **وتُوُفِّيَ** بمَكَّةَ سَنَةَ سَبْعٍ وسِتِّينَ وسَبْعِمِئَةٍ[2]، في جُمادَى الْأُولَى مِنَ السَّنَةِ، رَوَّحَ اللهُ رُوحَهُ، وَزادَ في أَعْلَى الْجَنَّةِ[3] فُتوحَهُ[4].

وَكُتُبُ التَّواريخِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى، لَكِنْ إِنْ فُزْتَ بما ذُكِرَ فُزْتَ الْمَرامَ، وإِنْ أَرَدْتَ التَّوَغُّلَ فيه فعَلَيْكَ بكِتابِ: "**مُروجُ الذَّهَبِ**"، لِلْمَسْعودِيِّ، و"**أَخْبارُ الزَّمانِ**"، له أَيْضًا، و"**بُسْتانُ التَّواريخِ**"[5]، و"**نَوادِرُ الْأَخْبارِ**"، و"**مَعادِنُ الذَّهَبِ**"، و"**عُيونُ التَّواريخِ**"، سِتُّ مُجَلَّداتٍ. و"**زُبْدَةُ الْفِكْرَةِ**"[6]، وتاريخُ "**الْمَعارِفُ**"، لِابْنِ قُتَيْبَةَ، و"**نِصابُ الْأَعْيانِ**"، و"**الْجَواهِرُ الْمُضيَّةِ في طَبَقاتِ الْحَنَفِيَّةِ**"، و"**الطَّبَقاتُ الْكُبْرَى الشَّافِعِيَّةُ**"،

---

(1) لطائف، في رئيس الكتاب.

(2) المشهور أنه في سنة 768هـ.

(3) الْجِنان، في رئيس الكتاب.

(4) طبقات الشافعية الكبرى: 10/ 33.

(5) البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، للعماد الأصبهاني.

(6) كتاب زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، ينسب لركن الدين بيبرس المنصوري.

لابْنِ السُّبْكِيِّ، و"**تاريخُ النُّحاةِ**"، لِلسُّيوطِيِّ، و"**تارِيخُ الْحُكَماءِ**"[1]، لِصاعِدٍ[2]، و"**تاريخُ صِوانِ الْحِكْمَةِ**"[3]، وغيرِ ذلِكَ.

ومنها: **تاريخُ حَلَبَ**، لِلْكَمالِ ابْنِ الْعَديمِ، عَشْرُ مُجَلَّداتٍ، سَمَّاهُ: "**بُغْيَةُ الطَّلَبِ في تاريخِ حَلَبَ**"، و"**تاريخُ نَيْسابورَ**"، لِلْحافِظِ أبي عبدِ اللهِ الْحاكِمِ، سِتُّ مُجَلَّداتٍ. والذَّيْلُ عليه الْمُسَمَّى: بـ "**السِّياقُ**"، لعبدِ الْغافِرِ الْفارِسِيِّ، مُجَلَّدٌ. و"**تاريخُ أَصْبَهانَ**"، لِلْحافِظِ أبي نُعَيْمٍ، مُجَلَّدٌ. و"**تاريخُ بَلْخَ**"، مُجَلَّدٌ. و"**تاريخُ إِرْبِلَ**"، لأبي الْبَرَكاتِ ابْنِ الْمُسْتَوْفِي، أَرْبَعُ مُجَلَّداتٍ. و"**تاريخُ قَزْوينَ**"، لِلرَّافِعِيِّ. و"**تاريخُ عُلَماءِ الْأَنْدَلُسِ**"، لأبي الْوَليدِ ابنِ الْفَرَضِيِّ، مُجَلَّدٌ. و"**الصِّلَةُ**" عليه، لقاسِمِ ابنِ بَشْكُوالَ، مُجَلَّدٌ. و"**صِلَةُ الصِّلَةِ**"، لأبي جَعْفَرِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، مُجَلَّدانِ. و"**الذَّيْلُ والتَّكْمِلَةُ على الْمَوْصولِ والصِّلَةِ**"، لابن عَبْدِ الْمَلِكِ، تِسْعُ مُجَلَّداتٍ. و"**تاريخُ الْأَنْدَلُسِ**"، لأبي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بنِ نَصْرٍ الْحُمَيْدِيِّ، مُجَلَّدٌ. و"**رَيْحانَةُ الْأَنْفُسِ في عُلَماءِ الْأَنْدَلُسِ**"، لابْنِ عاتٍ[4]، مُجَلَّدٌ. و"**الْمُغْرِبُ في حُلَى الْمَغْرِبِ**"، لِعَلِيِّ بنِ سَعيدٍ الْأَنْدَلُسِيِّ، سِتُّ مُجَلَّداتٍ. و"**الإِحاطَةُ في تارِيخِ غَرْناطَةَ**"، لِلِسانِ

---

(1) نسبه إليه ياقوت الحموي في معجم الأدباء: 4/ 1650.

(2) صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن الجياني القرطبي، (ت.468هـ)، ترجمته في: الصلة لابن بشكوال: 1/ 321، بغية الملتمس: 323، معجم الأدباء: 6/ 2857.

(3) لأبي سليمان السِّجستاني محمد بن طاهر (ت.380هـ)، ترجمته في: إخبار العلماء بأخبار الحكماء: 214، عيون الأنباء: 427، مسالك الأبصار لشهاب الدين العمري: 9/ 59.

(4) ابن عات النفزي أحمد بن هارون بن أحمد الشاطبي (ت.609هـ)، ترجمته في: التكملة لكتاب الصلة: 1/ 90، طبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي: 4/ 168، سير أعلام النبلاء: 22/ 13.

الدِّينِ ابنِ الْخَطيبِ، ثَلاثُ مُجَلَّداتٍ. و"**تاريخُ الْيَمَنِ**"، لِلْجَنَدِيِّ، مُجَلَّدٌ. ولِلْخَزْرَجِيِّ مُجَلَّدانِ. و"**تاريخُ مَكَّةَ**"، للحافِظِ تَقِيِّ الدِّينِ الْفاسِيِّ، ثَلاثُ مُجَلَّداتٍ. و"**الطَّالِعُ السَّعِيدُ في تاريخِ الصَّعيدِ**"، لِلْكَمالِ الْأُدْفُوِيِّ، مُجَلَّدٌ.

وَأَمَّا التَّواريخُ في لِسانِ الْفُرْسِ فَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى، لَكِنَّنا تَرَكْنَا ذِكْرَها لِلِاسْتِغْناءِ بما ذَكَرْناهُ عنها.

الشُّعْبَةُ الثَّالثةُ مِنَ الدَّوحةِ الثَّانِيَةِ: في فُروعِ الْعُلومِ الْعَرَبِيَّةِ

عِلْمُ الأَمْثالِ

وَهَذَا من فُروعِ عِلْمِ اللُّغَةِ، وهو مَعْرِفَةُ الأَلْفاظِ الصَّادِرَةِ عن الْبَليغِ، الْمُشْتَهِرَةِ بَيْنَ الْأَقْوامِ، بِخُصُوصِ أَلْفاظِها، وهَيْئاتِها، وَمُورِدِها، وَسَبَبِ وُرودِها، وقائِلِها، وزَمانِها، ومَكانِها، لِئَلَّا يَقَعَ الْغَلَطُ عند اسْتِعْمالِها في مَضارِبِها، وهي الْمَواضِعُ والْمَقاماتُ الْمُشَبَّهَةُ بِمَوارِدِها. ولا بُدَّ لِمَعانِي تلك الْألْفاظِ من غَرابَةٍ، ولِأَلْفاظِها من فَصاحَةٍ وبَلاغَةٍ.

وَمَوضوعُهُ: الأَلْفاظُ الْمَذْكورَةُ، من حَيْثُ وُرودُهَا في مَوارِدِها، وتَعْيينُ مَضارِبِها بِالنَّوْعِ.

وَمَبادِئُهُ: مُقَدِّماتٌ حاصِلَةٌ بالتَّواتُرِ من أَلْفاظِ الثِّقاتِ.

وأَمَّا غَرَضُهُ ومَنْفَعَتُهُ، فَغَنِيَّانِ عن الْبَيانِ، فإنَّ الْأَمْثالَ أَشَدُّ ما يَحْتاجُ إليه الْمُنْشِئُ والشَّاعِرُ، لأنَّها تَكْسو الْكَلامَ حُلَّةَ التَّزْيينِ، وتُرَقِّيهِ أعْلَى دَرَجاتِ التَّحْسِينِ.

ومن الْكُتُبِ النَّافِعَةِ فيه:

كِتابٌ لِابْنِ الأنبارِيِّ، وَقَدْ عَرَفْتَهُ. ومنها: **"الْمُسْتَقْصَى في الأمْثالِ"**، لِلْعَلَّامَةِ الزَّمَخْشَرِيِّ، وسَتَعْرِفُ تَرْجَمَتَهُ. ومنها: **"مَجْمَعُ الأمْثالِ"**، لِلأَسْفَرايينيِّ، وهو كِتابٌ عَظيمٌ جامِعٌ جِدًّا. وَقَدْ عَرَفْتَ الْأسْفرايِينِيَّ.

عِلْمُ وَقائِعِ الْأُمَمِ وَرُسومِهِمْ

وهذا من فُروعِ الْمُحاضَراتِ وَالتَّواريخِ.

وهو عِلْمٌ يُبْحَثُ فيه عن أَماكِنِ أَقْوامٍ مَخْصوصِينَ، ومَواضِعِ طَوائِفَ مُعَيَّنِينَ، وَرُسومٍ مَأْلوفَةٍ، وعاداتٍ مَعْروفَةٍ، لِكُلِّ قَوْمٍ قَوْمٍ، الْمُورَدَةِ في أَشْعارِهِمْ وخُطَبِهِمْ وَرَسائِلِهِمْ.

وَمَوْضوعُهُ: أَشْعارُ الْعَرَبِ من الْحَيْثِيَةِ الْمَذْكورَةِ.

وَمَبادِئُهُ: مَأْخوذَةٌ من الِاسْتِقْراءِ أو التَّواتُرِ من الثِّقاتِ.

وَغَرَضُهُ: تَحْصيلُ مَلَكَةِ ضَبْطِ تلك الْأُمورِ الْمَذْكورَةِ.

وَغايَتُهُ: الِاحْتِرازُ عن الْخَطَإِ فيها[1].

والْكُتُبُ الْمُؤَلَّفَةُ في هذا الْفَنِّ كَثيرَةٌ. صَنَّفَ فيه أبو عُبَيْدَةَ والْأَصْمَعِيُّ كُتُبًا كَثيرَةً، وَأَكْثَرُ تَقَرُّبِهِمَا عند الْخَليفَةِ هارونَ الرَّشيدِ بِسَبَبِ هذا.

عِلْمُ اسْتِعْمالاتِ الْأَلْفاظِ

وهو من فُروعِ علم الْبَيانِ.

وهو عِلْمٌ يُبْحَثُ فيه اسْتِعْمالاتُ الْأَلْفاظِ في الْمَعانِي التَّشْبيهِيَّةِ والْكِنائِيَّةِ، وَبِطَريقِ الِاسْتِعارَةِ والْمَجازِ. وهذا الْفَنُّ في عِلْمِ الْبَيانِ بِطَريقِ الْكُلِّيَّةِ، وفي هذا الْفَنِّ بِطَريقِ الْجُزْئِيَّةِ.

---

(1) ينظر رسالة في العلوم الشرعية والعربية: 38.

وَمَبادِئُهُ اسْتِقْرائِيَّةٌ.

وَمَوْضوعُهُ وَغَرَضُهُ وَغايَتُهُ لا يَخْفَى على الْفَطِنِ الْمُتَأَمِّلِ[1].

ولِلْأَصْمَعِيِّ وأبي عُبَيْدَةَ في هذا الْفَنِّ أَيْضًا كُتُبٌ كَثيرَةٌ.

عِلْمُ التَّرَسُّلِ

وهو من فُروعِ عِلْمِ الْإِنْشاءِ، لأنَّ هذا بِطَريقٍ جُزْئِيٍّ، وذاكَ بِطَريقٍ كُلِيٍّ.

وهو عِلْمٌ يُذْكَرُ فيه أحْوالُ الْكاتِبِ، والْمَكْتوبِ، والْمَكْتوبِ إِلَيْهِ؛ من حَيْثُ الْآدابُ والْأَحْوالُ والِاصْطِلاحاتُ الخاصَّةُ الْمُلائِمَةُ لِكُلِّ طائِفَةٍ طائِفَةٍ؛ ومن حيثُ الْعِباراتُ التي يَجِبُ الِاحْتِرازُ عَنْهَا؛ مِثْلَ الِاحْتِرازِ عن الدُّعاءِ لِلْمُخَدَّراتِ بِقَوْلِهِمْ: أدامَ الله حِراسَتَها لِمَكانِ لَفْظِ الْحِرِ والِاسْتِ؛ وعن ذِكْرِ لَفْظِ الْقِيامِ كَقَوْلِهِمْ: إلى قِيامِ السَّاعَةِ، وأمْثالِ ذلك.

ومَوْضوعُهُ وغايَتُهُ وغَرَضُهُ ظاهِرَةٌ لِلْمُتَأَمِّلِ.

وَمَبادِئُهُ: أَكْثَرُها بَديهِيَّةٌ، وَبَعْضُها أُمورٌ اسْتِحْسانِيَّةٌ تَأَدُّبِيَّةٌ، وله اسْتِمْدادٌ أَيْضًا من الْحِكْمَةِ الْعَمَلِيَّةِ[2].

ومن الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَةِ فيه: "**مُصْطَلَحُ الْكُتَّابِ وبُلَغاءِ الدَّواوينِ والْحُسَّابِ**". وَالْكُتُبُ الْمُؤَلَّفَةُ فيه أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى، فلا حاجَةَ إلى التَّعَرُّضِ لها.

---

(1) ينظر رسالة في العلوم الشرعية والعربية: 39.

(2) المصدر نفسه: 40.

عِلْمُ الشُّرُوطِ والسِّجِلَّاتِ

وهذا باعْتِبارِ اللَّفْظِ من فُروعِ عِلْمِ الْإِنْشاءِ، وباعْتِبارِ مَدْلولِهِ من فُروعِ عِلْمِ الْفِقْهِ، وهو عِلْمٌ يُبْحَثُ فيه عن إِنْشاءِ الْكَلِماتِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْأَحْكامِ الشَّرْعِيَّةِ.

وَمَوْضوعُهُ، وَمَنْفَعَتُهُ ظاهِرانِ.

وَمَبادِئُهُ: عِلْمُ الْإِنْشاءِ وعِلْمُ الْفِقْهِ، وله اسْتِمْدادٌ من الْعُرْفِ[1].

والْكُتُبُ في هذا الْعِلْمِ كَثيرَةٌ يَجِدُهَا من يَطْلُبُهَا.

عِلْمُ الْأَحاجِي والْأُغْلوطاتِ

وهذا من فُروعِ اللُّغَةِ والصَّرْفِ والنَّحْوِ.

وهو عِلْمٌ يُبْحَثُ فيه عن الْأَلْفاظِ الْمُخالِفَةِ لِقَواعِدِ الْعَرَبِيَّةِ بحَسَبِ الظاهِرِ، وَتَطْبيقِها عليها، إذ لا يَتَيَسَّرُ إدْراجُها فيها بِمُجَرَّدِ الْقَواعِدِ الْمَشْهورَةِ.

ومَوْضوعُهُ: الْأَلْفاظُ الْمَذْكورَةُ من الْحَيْثِيَّةِ الْمَذْكورَةِ.

وَمَبادِئُهُ: مَأْخوذَةٌ من الْعُلومِ السَّابِقَةِ.

وَغَرَضُهُ: تَحْصِيلُ مَلَكَةِ تَطْبيقِ الْأَلْفاظِ، الَّتِي تَتَراءى بِحَسَبِ الظَّاهِرِ مُخالِفَةً لِقَواعِدِ الْعَرَبِ.

(1) ينظر رسالة في العلوم الشرعية والعربية: 55.

وَغايَتُهُ: حِفْظُ الْقَواعِدِ الْعَرَبِيَّةِ عن تَطَرُّقِ الِاخْتِلالِ[1].

ولِصاحِبِ **الْكَشَّافِ** في هذا الْعِلْمِ كِتابٌ سَمَّاهُ: "**الْمُحاجاةُ**"[2]. وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْكُتُبِ.

عِلْمُ الأَلْغازِ

وهذا مِنْ فُروعِ عِلْمِ الْبَيانِ، وَتَفْصيلُهُ يَتَوَقَّفُ على تَقْدِيمِ تَعْرِيفِهِ؛ وذلك أنَّ الْأَلْغازَ دَلالَةُ الْأَلْفاظِ على الْمُرادِ، دَلالَةً خَفِيَّةً في الْغايَةِ، لكن لا بحيث تَنْبو عنها الْأَذْهانُ السَّليمَةُ، بل يكونُ بحيث تَسْتَحْسِنُها، وَتَنْشَرِحُ إليها بِشَرْطِ أنْ يَكونَ الْمُرادُ مِنَ الْأَلْفاظِ الذَّواتَ الْمَوْجودَةَ في الْخارِجِ، وأمَّا إنْ كان الْمُرادُ اسْمَ شَيْءٍ، سواءٌ كانَ مِنَ الْإِنْسانِ أو غَيْرِهِ يُسَمَّى مُعَمًّى. وَسَيَجيءُ هذا بَعْدُ. وكِلاهُما لِكَوْنِهما خِلَافَ الْبَيانِ؛ إذِ الْمُعْتَبَرُ هناكَ وُضوحُ الدَّلالَةِ اعْتِبارًا من فُروعه. وإنَّمَا اعْتُبِرَ في الْبَيانِ وُضوحُ الدَّلالَةِ، كما يُنْبِئُكَ عنه اسْمُ الْبَيانِ، لِكَوْنِ الْغَرَضِ هناكَ التَّفْهِيمَ. وأمَّا الْمُعَمَّى واللُّغْزُ فَالْغَرَضُ فيهما الْإِخْفاءُ فلا يَتَراءى ناراهُما.

واعْلَمْ أنَّ الْمُعْتَبَرَ في عِلْمِ الْبَيانِ هو الدَّلالَةُ الْعَقْلِيَّةُ ـ أَعْنِي التَّضَمُّنِيَّةَ وَالِالْتِزامِيَّةَ ـ وَكانَتْ تِلْكَ الدَّلالَةُ خَفِيَّةً، سِيَّما إذا كانَ اللُّزومُ بِحَسَبِ الْعاداتِ وَالطَّبائِعِ، وبِحَسَبِ الْإِلْفِ الْمُتَخالِفَةِ، بِحَسَبِ قَوْمٍ قَوْمٍ، وطائِفَةٍ طائِفَةٍ،

---

(1) ينظر رسالة في العلوم الشرعية والعربية: 39-40.

(2) المحاجاة بالمسائل النحوية، والكتاب مطبوع.

فَوَجَبَ التَّعْبيرُ عنها بِلَفْظٍ أَوْضَحَ؛ مَثَلًا إذا كان الْمَرْئِيُّ دَقيقًا في الْغايَةِ، تَحْتَاجُ الْحاسَّةُ في إبْصارِهَا إلى شُعاعٍ قَوِيٍّ، بِخِلافِ الْمَرْئِيِّ إذا كان جَلِيًّا، وكذا الْحَالُ في الرُّؤْيَةِ الْقَلْبِيَّةِ - أَعْنِي الْفَهْمَ وَالْإِدْراكَ - فَيَحْتاجُ إلى أَلْفاظٍ واضِحَةِ الدَّلالَةِ، لِيَفْهَمَ تلك اللَّوازِمَ الْخَفِيَّةَ. هذا حالُ عِلْمِ الْبَيانِ الَّذِي اعْتُبِرَ فيه إِظْهارُ الْمُرادِ.

وَأَمَّا إذا اعْتُبِرَ سِتْرُ الْمُرادِ، كما في الْمُعَمَّى واللُّغْزِ، يَكونُ الْأَمْرُ[1] بِالْعَكْسِ. ولَمَّا كانَ إِرادَةُ الْإِخْفاءِ على وَجْهِ النُّدْرَةِ عند امْتِحانِ الْأَذْهانِ، لم يَلْتَفِتْهُما[2] الْبُلَغاءُ، حَتَّى لم يَعُدُّوهُمَا أَيْضًا مِنَ الصَّنائِعِ الْبَديعِيَّةِ، الَّتِي يُبْحَثُ فيها عن الْحُسْنِ الْعَرَضِيِّ، لكن يُشْتَرَطُ كَوْنُهُ على وَجْهٍ لا تَنْبو عنه الْأَذْهانُ الْمُسْتَقِيمَةُ، ولا تَمُجُّهَا الْأَذْواقُ السَّليمَةُ. كما أَشَرْنَا إليه سابِقًا.

ثُمَّ هذا الْمَدْلولُ الْخَفِيُّ، إنْ كانَ أَلْفاظًا وحُروفًا بلا قَصْدِ دَلالَتِها على مَعانٍ أُخَرَ، أو لم يكن أَلْفاظًا أَصْلًا، بل ذَواتٍ مَوْجودَةً، يُسَمَّى اللُّغْزَ، وإنْ كانَ أَلْفاظًا وحُروفًا دَالَّةً على مَعانٍ مَقْصودَةٍ يُسَمَّى مُعَمًّى.

وَبِهَذَا يُعْلَمُ أَنَّ الْكَلامَ الْواحِدَ يُمْكِنُ أن يَكونَ مُعَمًّى وَلُغْزًا باعْتِبارَيْنِ؛ لأَنَّ الْمَدْلولَ إذا كانَ أَلْفاظًا وَحُروفًا، فإنْ قُصِدَ بها مَعانٍ أُخَرُ يَكونُ مُعَمًّى، وإن قُصِدَ ذَواتُ الْحُروفِ على أَنَّها مِنَ الْأَشْياءِ وَالذَّواتِ يَكونُ لُغْزًا.

وَأَكْثَرُ مَبادِئِ هَذَيْنِ الْعِلْمَيْنِ، مَأْخوذٌ مِنْ تَتَبُّعِ كَلَامِ الْمُلْغِزينَ وَأَرْبابِ الْمُعَمَّى، وبَعْضُها أُمورٌ تَخْييلِيَّةٌ تَعْتَبِرُها الْأَذْواقُ وَتَسْتَحْلِيهَا، وَجَميعُ

---

(1) المراد، في قونية.

(2) يلفتهما، في مراد ملا.

مَسائِلِهَا رَاجِعَةٌ إلى الْمُناسَباتِ الذَّوْقِيَّةِ وَالْوِجْدانِيَّةِ، بَيْنَ الدَّوَالِّ ومَدْلولاتِهَا الْخَفِيَّةِ، على وَجْهٍ يَقْبَلُها الذِّهْنُ السَّلِيمُ، والطَّبْعُ الْمُسْتَقِيمُ.

وَأَمَّا مَوْضوعُ هَذَيْنِ الْعِلْمَيْنِ وَتَعْريفُهُمَا وَغَرَضُهُمَا وغايَتُهُما فقد عُلِمَ مِنْ هذا التَّقْريرِ.

وَأَمَّا مَنْفَعَتُهُما فَتَقْويمُ الْأَذْهانِ، وَرِياضَتُها، واعْتِيادُها فَهْمَ الدَّقائِقِ. وَكُنْتُ اشْتَغَلْتُ بِعِلْمِ الْمُعَمَّى في عُنْفُوانِ الشَّبابِ، ونحنُ نَقْرَأُ وَقْتَئِذٍ **"حَواشِي شَرْحِ الْمَطالِعِ"**، لِلشَّريفِ الْجُرْجانِيِّ، فَوَجَدْتُ في ذِهْنِي زِيادَةً فاحِشَةً، وفي مُطالَعَتِي تَفاوُتًا بَيِّنًا، حتى شاهَدَهُ مِنِّي الأَصْحابُ. والله الْمُوَفِّقُ للصَّوابِ.

وأنا أُورِدُ لكَ أَمْثِلَةً من اللُّغْزِ لِتَعْتَبِرَ بها.

اللُّغْزُ في الْقَلَمِ: [السريع]

وما غُلامٌ رَاكِعٌ سَاجِدٌ   أَخُو نُحولٍ دَمْعُهُ جَارِي[1]
مُلازِمٌ لِلْخَمْسِ في وَقْتِهَا   مُعْتَكِفٌ في خِدْمَةِ الْبَارِي

وقال ابْنُ الزّبلاقِ[2] في الْيَراعِ، وضَمَّنَ فيه مِصْراعًا من **"الحماسة"**: [الطويل]

---

(1) وردا بدون نسبة في خزانة الأدب وغاية الأرب، لابن حجة الحموي: 2/ 342، برواية:
وذي خضوع راكع ساجد ••• ودمعه من جفنه جاري
مواظب الخمس لأوقاتها ••• منقطع في خدمة الباري

(2) يوسف بن يوسف محي الدين بن زبلاق الهاشمي الموصلي، كاتب وشاعر معروف، (ت.660هـ)، ترجمته في: ذيل مرآة الزمان: 2/ 181، تاريخ الإسلام: 14/ 945، الوافي بالوفيات: 29/ 168.

وَناطِقَةٍ خَرْسـاءَ بادٍ شُـحوبُها تَكَنَّفَهَـا عَشْـرٌ وَعَنْهُنَّ تُخْبِرُ[1]
يَلَذُّ إلى الْأَسْـماعِ رَجْعُ حَديثِها إذا سُـدَّ منها مَنْخِرٌ جاشَ مَنْخِرُ

فَأَجابَهُ بَعْضُهُمْ، وَضَمَّنَ مِصْراعًا آخَرَ مِنْ تلك الْقَصيدَةِ: [الطويل]

نَهانِي النُّهى والشَّيْبُ عن وَصْلِ مِثْلِهَا وَكَمْ مِثْلِهَا فارَقْتُها وهِيَ تَصْـفِرُ[2]

وَقالَ الْآخَرُ في الْقَلَمِ: [الطويل]

وَبَيْـتٍ بِـعَلْـيـاءِ الْـفِـنـاءِ بَـنَـيْـتُـهُ بِأَسْمَرَ مَشْقُوقِ الْخَياشِمِ يَرْعَفُ[3]

وفي الْمِيزانِ: [الطويل]

وَقاضِي قُضاةٍ يَفْصِلُ الْحُكْمَ سَاكِتًا وَبِالْحَقِّ يَقْضِـي لا يَبُوحُ فَيَنْطِقُ[4]
قَضَـى بِلِسـانٍ لا يَمِيلُ وإن يَمِلْ على أَحَدِ الْخَصْمَيْنِ فَهُوَ مُصَدَّقُ

وآخَرُ في وَصْفِ الْمِيزانِ: [الطويل]

ومَا حاكِمٌ أعْمَى وَفَصْـلُ قَضـاؤُهُ ولو كانَ ذا عَيْنٍ لمَا قامَ بِالْفَصْلِ[5]

وفي وَصْفِ الشَّمْعَةِ لابْنِ الْخَلَّالِ: [الكامل]

---

(1) البيتان في قلائد الجمان: 1/ 319، والوافي بالوفيات: 8/ 68-69 بدون نسبة، ونسبا لابن الحلاوي في: بغية الطلب: 3/ 1070، وذيل مرآة الزمان: 1/ 99.

(2) البيت في المصدرين السابقين.

(3) البيت في كتاب التشبيهات، لابن أبي عون برواية: بعلياء الفلاة، وهو أوفق في المعنى.

(4) البيتان نقلا في المصادر اللاحقة لمفتاح السعادة بدون نسبة ككشف الظنون: 1/ 149.

(5) وفَصْلُ قَضائِهِ، في قونية.

وَصَبيحَةٍ بَيْضاءَ تَطْلُعُ في الدُّجَى ... صُبْحًا وَتَشْفِي النَّاظِرينَ بِدَائِهَا[1]
شَابَتْ ذَوائِبُها أوانَ شَبابِها ... وَاسْوَدَّ مَفرِقُهَا أوانَ فَنائِها[2]
كَالْعَيْنِ في طَبَقاتِهَا وَدُموعِهَا ... وَسَوادِها وَبَياضِها وَضِيائِهَا

وقال ابنُ دُرَيْدٍ في الزَّنْدِ: [الرجز]

وَمُنْبِجٍ أُمٌّ أبِيهِ أُمُّهُ ... لَمْ يَتَخَوَّنْ جِسْمَهُ مَسُّ الضَّوَى[3]
أَفْرَشْتُهُ بِنْتَ أَخِيهِ فَانْثَنَتْ ... عَنْ وَلَدٍ يُورَى بِهِ وَيُشْتَوَى

عِلْمُ الْمُعَمَّى

وقد عَرَفْتَ تَفْصِيلَهُ في عِلْمِ اللُّغْزِ، ولا وَجْهَ لِإعادَتِهِ. لَكِنَّا نَذْكُرُ ها هُنَا بَعْضًا من أَمْثِلَةِ الْمُعَمَّى على اسْمِ مُحَمَّدٍ، يُرْوَى أَنَّهُ لِعَلِيِّ بنِ أَبِي طالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، لكنَّ هذه الرِّوايَةَ غَيْرُ صَحِيحَةٍ، لكنَّ الْغَرَضَ ها هُنَا الْمِثالُ، فلا حاجَةَ إلى صِحَّةِ رِوايَتِهِ. [الوافر]

أَلَا خُذْ وَعْدَ مُوسَى مَرَّتَيْنِ ... وَضَعْ أَصْلَ الطَّبائِعِ تَحْتَ ذَيْنِ[4]
وَسَكِّنْ خَانَ شَطْرَنْجٍ فَخُذْهَا ... وَأَدْرِجْ بَيْنَ ذَيْنِ الْمُدْرَجَيْنِ
فَهَذا اسْمٌ لِمَنْ يَهْواهُ قَلْبِي ... وَقَلْبُ جَمِيعِ مَنْ في الْخَافِقَيْنِ

---

(1) الأبيات في وفيات الأعيان: 7/ 222-223، برواية وصحيحة، ونهاية الأرب في فنون الأدب: 1/ 122 برواية: ورشيقة.
(2) المفرق مفرق الشعر معروف.
(3) ومنيح، في رئيس الكتاب ومراد ملا. وفي ديوان شعره: ومنتج.
(4) نقلت الأبيات في المصادر اللاحقة لمفتاح السعادة بدون نسبة كأبجد العلوم: 520.

وَمِثالٌ آخَرُ في اسْمِ **أَحْمَدَ**: [السريع]

أَوَّلُـهُ ثـالِـثُ تُـفَّـاحَـةٍ وَرَابِـعُ الـتُّـفَّـاحِ ثـانِـيـهِ[1]
وَأَوَّلُ الْـمِسْـكِ لَـهُ ثَـالِـثٌ وَآخِـرُ الْـوَرْدِ لِـبـاقِـيـهِ[2]

وَمِثالٌ آخَرُ في اسْمِ **أَحْمَدَ**: [المتقارب]

أُحاجِيكَ في اسْـمِ الْحَبيبِ الَّذِي هَـوِيـتَ وَأَنْـتَ إِمـامُ الْـبَـلَـدْ[3]
حُـروفُ الْـهِـجـاءِ لَـهُ أَرْبَـعٌ إذا زالَ حَـرْفٌ فَـيَـبْـقَـى أَحَـدْ

وَقالَ زُهَيْرٌ في حَقِّ مَدينَةِ يافا: [الطويل]

وَحَقِّكَ خَبِّرْنِي عَنِ اسْـمِ مَدِينَةٍ يَكونُ رُبـاعِيًّا إذا ما كَتَبْتَـهُ[4]
عَلَى أَنَّـهُ حَرْفـانِ حينَ تَقُولُـهُ وَلَكِنَّـهُ حَرْفٌ إذا مَـا قَلَبْتَـهُ[5]

وَمِثالٌ آخَرُ في اسْمِ **سَعيدٍ**: [الخفيف]

اسْـمُ مَنْ كـانَ أَفْضَـلَ الْقَوْمِ أَوَّلُ السَّـوْمِ آخِـرُ الصَّـوْمِ[6]

وَمِمَّا جاءَ في **الْمَسائِلِ الْفِقْهِيَّةِ**: [المقارب]

وَلِـي خَـالَـةٌ وَأَنَـا خَـالُـهَـا ولِـي عَـمَّـةٌ وأنـا عَـمُّـهَـا[7]

---

(1) البيتان في: التنبيه على حدوث التصحيف: 180، وفيه: وآخر التفاح.

(2) ورابع الخمر له ثالث، في التنبيه على حدوث التصحيف.

(3) لم نقف عليهما.

(4) البيتان في ذيل مرآة الزمان: 1/ 190، وفيه: بعيشك خبرني.

(5) إذا ما عكسته، في ذيل مرآة الزمان.

(6) لم نقف عليها.

(7) الأبيات في المثل السائر: 3/ 89، ونهاية الأرب في فنون الأدب: 3/ 171، والذخيرة للقرافي: 13/ / 74.

فَـأَمَّـا الَّـتِـي أنـا عَـمٌّ لـهـا   فَـإِنَّ أَبِـي أُمُّـهُ أُمُّـهَـا
أَبـوهَـا أَخِـي وَأَخُـوهَـا أَبِـي   وَلِـي خَـالَـةٌ هَـكَـذَا حُـكْـمُـهَـا

صُورَتُهَا: رَجُلٌ له امْرَأَتانِ، أَوْلَدَ واحِدَةً بِنْتًا، وَأُخْرَى ابْنًا، ثُمَّ زَوَّجَ بِنْتَهُ من أبي امْرَأَتِهِ التي وَلَدَتْ بِنْتًا، فَجاءَتْ بِبِنْتٍ، وهي خالَةُ ابْنِهِ وهو خالُهَا. ثمَّ إنَّ صورَةَ الْعَمَّةِ: رَجُلٌ له ابْنٌ ولِابْنِهِ أخٌ من أمِّهِ، فَزَوَّجَ أَخاهُ أمَّ أبيهِ، فَجاءَ بِبِنْتٍ وهي عَمَّتُهُ وهو عَمُّهَا.

واعْلَمْ أنَّ أكْثَرَ من يَعْتَنِي باللُّغْزِ الْعَرَبُ، لَكِنْ لم يُدَوِّنوهُ في الْكُتُبِ؛ وأكْثَرُ من يَعْتَنِي بِالْمُعَمَّى أهْلُ فارِسَ، ولهذا وَقَعَ جُلُّ التَّصانِيفِ في الْمُعَمَّى على لِسانِ الْفُرْسِ. وَقَدْ رَتَّبُوا له قَوَاعِدَ عَجِيبَةً، وَتَقْسيماتٍ غَريبَةً، وتَنْويعاتٍ لَطِيفَةً. وأمَّا ما يوجَدُ في لِسانِ الْعَرَبِ فَشْيءٌ نَزْرٌ جِدًّا.

وَلَقَدْ وَجَدْتُ في لِسانِ الْعَرَبِ خَمْسَةَ مُعَمَّياتٍ فَقَطْ، مع شِدَّةِ تَنْقيرِي وَكَثْرَةِ تَتَبُّعِي عنه، على أنَّهُ لم يَقَعْ في مَرْتَبَةِ لَطافَةِ أهْلِ فارِسَ، الَّذِينَ لو كان الْعِلْمُ عند الثُّرَيَّا لَنالَهُ رِجالٌ مِنْهُمْ. وإنْ أَرَدْتَ صِدْقَ هذا الْمَقالِ، فارْجِعْ إلى كِتابِ مَولانا عَبْدِ الرَّحْمنِ الْجَامِيِّ، قُدِّسَ سِرُّهُ، خُصوصًا **كِتابَ مَوْلانَا حُسَيْنٍ الْمُعَمَّائِي**[1]، فإنَّكَ إنْ طالَعْتَهُ وَجَدْتَهُ السِّحْرَ الْحَلالَ، وتَرَى فيه الْعَجَبَ الْعُجابَ.

---

(1) حسين بن محمد الحسيني النيسابوري، المعروف بالمعمائي، والمتخلص بشفيعي، (ت.904هـ) وقيل (ت.912هـ)، وكانت وفاته بهراة. والمعمائي نسبة إلى المعمى أي اللغز لتعاطيه ذلك في شعره الفارسي. ترجمته في: كشف الظنون: 1/ 892، هدية العارفين: 1/ 316.

عِلْمُ التَّصْحيفِ

وهذا مِنْ أنْواعِ الْبَديعِ حَقِيقَةً، لَكِنَّ بَعْضَ النَّاسِ تَوَغَّلُوا فيه، وَأَفْردوهُ في التَّصْنِيفِ، وَجَعَلوهُ من فُروعِهِ.

وَمَوْضوعُهُ: الْكَلِماتُ الْمُصَحَّفَةُ التي وَرَدَتْ عن الْبُلَغاءِ. وَيُمْكِنُ جَعْلُهُ فَرْعًا لِلْمُحاضَراتِ لِوُرودِهِ عن الْبُلَغاءِ.

وفائِدَتُهُ: **وغَرَضُهُ ومَنْفَعَتُهُ** غَيْرُ خافٍ على أهْلِ الْبَصائِرِ.

وَصَنَّفَ فيه: **أبو أحْمَدَ الْحَسَنُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ سَعيدٍ الْعَسْكَرْيُّ**، أحَدُ الأَئِمَّةِ في الآدابِ، والْحِفْظِ، وهو صاحِبُ نَوادِرَ وأخْبَارٍ، وله رِوايَةٌ مُتَّسِعَةٌ. وله التَّصانِيفُ الْمُفيدَةُ، منها: "**كتابُ التَّصْحِيفِ**"، الَّذي جَمَعَ فيه فَأَوْعَبَ، وَغَيْرُ ذَلِكَ. وَكانَ الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ يَوَدُّ الِاجْتِماعَ به، ولا يَجِدُ إليه سَبيلًا.

وَكانَ **وِلادَةُ** أبي أحْمَدَ يَوْمَ الْخَميسِ، لِسِتَّ عَشْرَةَ ليلةً خَلَتْ من شَوَّالٍ، سَنَةَ ثَلاثٍ وتِسْعينَ ومِئتينِ. **وتُوُفِّيَ** يومَ الْجُمُعَةِ لِسَبْعٍ خَلَوْنَ من ذي الْحِجَّةِ، سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وثَمانينَ وثَلاثِمئةٍ. وأخَذَ عن أبي بَكْرٍ ابْنِ دُرَيْدٍ.

وله من التَّصانِيفِ: كتابُ "**الْمُخْتَلِفُ والْمُؤْتَلِفِ**"، وَكِتابُ "**عِلْمُ الْمَنْطِقِ**"، وكِتابُ "**الْحِكَمُ والأَمْثالُ**". و"**كتابُ الزَّواجِرِ**". وَغَيْرُ ذَلِكَ[1].

---

(1) وفيات الأعيان: 2/ 83.

قالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْبِسطامِيُّ: أَوَّلُ من تكَلَّمَ في التَّصْحِيفِ الْإمامُ عَلِيُّ بْنُ أبي طالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ. وَمِنْ كَلَامِهِ في ذَلِكَ: خَرَابُ الْبَصْرَةِ بالرِّيحِ، بِالرَّاءِ وَالْحاءِ الْمُهْمَلَتَيْنِ، بينهما ياءٌ آخِرُ الْحُروفِ.

قالَ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ: ما عُلِمَ تَصْحيفُ هذه الْكَلِمِ إلا بعْدَ الْمِئَتَيْنِ من الْهِجْرَةِ، يَعْنِي خَرابَ الْبَصْرَةِ بالزِّنْجِ، بالزاءِ الْمُعْجَمَةِ والنُّونِ والْجيمِ.

وَمِنْ بَديعِ التَّصْحيفِ: ما نَقَشَهُ نَجْمٌ السَّائِسُ على خاتَمٍ لِابْنِ أُسْتاذِهِ، واسْمُهُ يَحْيَى، وَكانَ يَهْواهُ، وهو هَذا: نَجْمُ عِسْقٍ[1] بَخْتِي. يُرِيدُ: نَجْمُ عِشْقٍ يُحْيِي[2].

ومِنْ بَديعِ كَلامِ الْإمامِ عَلِيِّ بنِ أبي طالِبٍ كَرَّمَ اللهَ وَجْهَهُ: كُلُّ عِنَبِ الْكَرْمُ يُعْطيهِ؛ يعني: كلُّ عَيْبِ الْكَرَمُ يُغَطِّيهِ. ولِلإمامِ في هذا الْعِلْمِ صَنائِعُ بَديعَةٌ.

وَمِنْ أَمْثِلَةِ التَّصْحيفِ قَوْلُهُمْ في الْمُسْتَنْصِرِيَّةِ جَنَّةٌ؛ والْمُسْتَنْصِرِيَّةِ اسْمُ مَوْضِعٍ، وَأَرَادَ به الْمُسِيءُ تَضُرُّ بِهِ حَيَّةٌ.

وَكَقَوْلِهِمْ: مَتَى يَعودُ إِشارَةً إِلَى رَجُلٍ اسْمُهُ مَسْعودٌ.

وَقِيلَ لِفاضِلٍ: اسْتَنْصَحَ ثِقَةً إِيشْ تَصْحِيفُهُ، فَقالَ: أَتَيْتَ بِتَصْحِيفِهِ[3].

وَيُحْكَى أَنَّ مَلِكًا بَنَى قَصْرًا، وَتَولى عَمَلَهُ بَنَّاءٌ اسْمُهُ الذُّكْرُبَهْ، بِضَمِّ الذَّالِ الْمُعْجَمَةِ، وسُكونِ الْكَافِ، ثم الرَّاءِ الْمُهْمَلَةِ الْمَضْمومَةِ، ثم الْباءِ الْمُوَحَّدَةِ الْمُشَدَّدَةِ الْمَفْتوحَةِ، ثم الهاءِ. وَلَعَلَّ هذا من الْأَسْماءِ الرُّومِيَّةِ. فقالَ الْمَلِكُ

---

(1) عشق، في رئيس الكتاب ومراد ملا. عَسِقَ بِهِ يَعْسَقُ عَسَقاً: لَزِقَ بِهِ وَلَزِمَهُ وأُولِعَ بِهِ. اللسان: عسق.

(2) ينظر ثمرات الأوراق: 2/ 225.

(3) الأطول في شرح تلخيص المفتاح: 2/ 463.

لِبَعْضِ خَواصِّهِ ـ وكانَ منَ الْفُضَلاءِ ـ بَنَيْتُ هذا بِأَلْفِ دينارٍ، فقال ذٰلِكَ الْفاضِلُ: الذِّكْرُ بِهِ شَرَفٌ، فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِحَبْسِ الْبَنَّاءِ في الْحالِ، فَسَأَلوهُ عن سَبَبِهِ، فقال: أمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ هذا، وأرَادَ الْفاضِلَ الْمَذْكورَ، قالوا: ما تَكَلَّمَ هو إلَّا خَيْرًا، قالَ: أَرادَ هو بهذا الْكَلَامَ: الذُّكْرُبَهْ سَرَقَ.

عِلْمُ الْمَقْلوبِ

وَهَذَا أَيْضًا مِنْ فُروعِ عِلْمِ الْبَديعِ أوِ الْمُحاضَراتِ، كما عَرَفْتَ في التَّصْحِيفِ. وهو أنْ يَكونَ الْكَلامُ بِحَيْثُ إذا قَلَبْتَهُ، وابْتَدَأْتَ مِنْ حَرْفِهِ الأَخيرِ إلى الْحَرْفِ الْأَوَّلِ، كانَ الْحاصِلُ بِعَيْنِهِ هو هذا الْكَلامُ. وهذا مُغايِرٌ لِتَجْنيسِ الْقَلْبِ الْمَذْكورِ في عِلْمِ الْبَديعِ، فَإِنَّ الْمَقْلوبَ هاهُنَا، يَجِبُ أَنْ يَكونَ عَيْنَ اللَّفْظِ الَّذي ذُكِرَ بِخِلافِهِ ثَمَّةَ، وَيَجِبُ ثَمَّةَ ذِكْرُ اللَّفْظَيْنِ جَمِيعًا بِخِلافِهِ هاهُنا.

وَالْقَلْبُ قد يَكونُ في النَّظْمِ، وَقَدْ يَكونُ في النَّثْرِ، أمَّا في النَّظْمِ، فَقَدْ يَكونُ بِحَيْثُ يَكونُ كُلٌّ من الْمِصْراعَيْنِ قَلْبًا لِلْآخَرِ، كَقَوْلِهِ: [المتقارب]

أَرَانَـا الْإِلَـهُ هِـلَالًا أَنَـارَا[1]

وَقَدْ لا يَكونُ كَذَلِكَ، بَلْ يَكونُ مَجْموعُ الْبَيْتِ قَلْبًا لِمَجْموعِهِ كَقَوْلِ الْقاضِي الْأَرْجانِيِّ: [الوافر]

مَـوَدَّتُـهُ تَـدُومُ لِـكُـلِّ هَـوْلٍ   وهَـلْ كُـلٌّ مَـوَدَّتُـهِ تَـدومُ[2]

---

(1) صدر البيت: ولما تبدى لنا وجهه. ينظر: معاهد التّنصيص 3/ 297.

(2) وفيات الأعيان: 1/ 154.

وكَقَوْلِ الْحَرِيرِيِّ: [مجزوء الرجز]

أُسْ أَرْمَـــلًا إِذَا عَـــرَا وَارْعَ إِذَا الْـمَـرْءُ أَسَـــا[1]

إِلَّا أنَّ في قَوْلِ الْحَرِيرِيِّ نَوْعَ تَكَلُّفٍ، وهو زِيَادَةُ هَمْزَةِ مَرْءٍ وَحَذْفُهَا في الْقَلْبِ.

وَأَمَّا في النَّثْرِ، فإمَّا في مُفْرَدٍ نَحْوَ: **سَلِسٍ**، أَوْ مُرَكَّبٍ كما في قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾[2]، وَقَوْلِهِ تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾[3]. والْحَرْفُ الْمُشَدَّدُ في هذا الْبَابِ في حُكْمِ الْمُخَفَّفِ، لِأَنَّ الْمُعْتَبَرَ هو الْحُروفُ الْمَكْتوبَةُ. ومنه: **سِرْ فَلا كَبَا بِكَ الْفَرَسُ**، وَهُوَ قَوْلُ عِمادِ الْكاتِبِ؛ وَقَوْلُ الْقاضِي الْفَاضِلِ في جَوابِهِ: **دَامَ عَلاءُ الْعِمادِ**، وقَدْ مَرَّ تَفْصِيلُهُ.

وِمِنْهُ: **كَمَالُكَ تَحْتَ كَلَامِكَ**. ومِنْهُ: **عَقْرَبٌ تَحْتَ بُرْقُعٍ**. وَمِنْهُ: **كَبِّرْ رَجَاءَ أَجْرِ رَبِّكَ**[4]. وَمِنْهُ: **لا بَقاءَ لِلْإِقْبالِ**. وله نَظائِرُ كَثِيرَةٌ، وأَمْثالٌ غَيْرُ قَليلَةٍ.

عِلْمُ الْجِناسِ

وَهُوَ وإنْ كانَ مِنْ أَنْواعِ الْبَديعِ، لكن لَمَّا كانَ الْبَحْثُ هُناكَ على وَجْهٍ كُلِّيٍّ في مُطْلَقِ الْكَلامِ، وهاهُنَا على وَجْهٍ جُزْئِيٍّ في كَلامٍ مَنْقولٍ عن الْفُضَلاءَ والْبُلَغاءِ، أَفْرَدوهُ في التَّدْوينِ، وجَعَلوهُ فَرْعًا على الْبَديعِ، أو على الْمُحاضَراتِ.

---

(1) مقامات الحريري: 157.

(2) سورة المدثر، الآية: 3.

(3) سورة الأنبياء، الآية: 33.

(4) مقامات الحريري: 155.

وهو عِلْمٌ باحِثٌ عن اللَّفْظَيْنِ اللَّذَيْنِ بينهما تَشابُهٌ في اللَّفْظِ فَقَطْ، أو فيه وفي الْخَطِّ، مع تَغايُرِهِمَا في الْمَعْنَى، وإلَّا فلا تَجْنيسَ أصْلًا. وُوُجوهُ التَّشابُهِ وأَقْسامُهُ مَذْكورَةٌ في مَوْضِعِها، وَلَيْسَ هذا الْمَقامُ مَوْضِعَ الِاسْتِقْصاءِ فيه، والْحَرْفُ الْمُشَدَّدُ(1) في هذا الْبابِ في حُكْمِ الْمُخَفَّفِ.

قِيلَ: التَّجْنِيسُ على نَوْعَيْنِ: جِناسٌ شَكْلِيٌّ، وجِناسُ شِكْلِيٌّ.

قالَ أبو الفَتْحِ الْبُسْتِيُّ صاحِبُ "**التَّجْنِيسُ الأَنِيسُ الْبَديعُ التَّأْسيسِ**": مَنْ أَصْلَحَ فاسِدَهُ، أَرْغَمَ حاسِدَهُ، وَمَنْ أَطاعَ غَضَبَهُ أَضاعَ أَدَبَهُ، عاداتُ السَّاداتِ، ساداتُ الْعاداتِ(2).

وهو أبو الْفَتْحِ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الْبُسْتِيُّ الْكَاتِبُ الشَّاعِرُ الْمَشْهورُ، صاحِبُ الطَّريقَةِ الْأَنِيقَةِ في: "**التَّجْنِيسُ الأَنِيسُ الْبَديعُ التَّأْسِيسِ**"؛ فَمِنْ أَلْفاظِهِ الْبَديعَةِ: مِنْ سَعادَةِ جَدِّكَ، وُقوفُكَ عِنْدَ حَدِّكَ، الرِّشْوَةُ رِشاءُ الْحاجاتِ، أَجْهَلُ النَّاسِ مَنْ كانَ لِلْإِخْوانِ مُذِلًّا، وعلى السُّلْطانِ مُدِلًّا، الْفَهْمُ شُعاعُ الْعَقْلِ، الْمَنِيَّةُ تَضْحَكُ من الْأُمْنِيَّةِ، حَدُّ الْعَفافِ الرِّضاءُ بِالْكَفافِ، ما يَخْرِقُ الرَّقيعَ تَرْقيعٌ(3).

وشِعْرُهُ كَثِيرٌ في التَّجْنيسِ وَغَيْرِهِ.

تُوُفِّيَ سَنَةَ أَرْبَعِمِئَةٍ أو إِحْدَى وَأَرْبَعِمِئَةٍ بِبُخارَى.

وَمِنْ بَديعِ ما قيلَ: إِذَا زَلَّ عَالِمٌ زَلَّ عَالَمٌ.

---

(1) والحروف المشددة، في قونية.

(2) وفيات الأعيان: 3/ 376.

(3) وفيات الأعيان: 3/ 376-377.

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ رَشِيدِ الدِّينِ الْوَطْواطِ: رَبِّ رُبَّ غَنِيٍّ غَبيٍّ، سَرَّتْهُ شِرَّتُهُ فَجَاءَهُ فُجَاءَةً بَعْدَ بُعْدِ عِشْرَتِهِ عُسْرَتُهِ[1].

تَفْسِيرُ هذا الْكَلامِ: رَبِّ: نِداءٌ لِلرَّبِّ حُذِفَ حَرْفُ النِّداءِ. ورُبَّ: من حُروفِ الْجَرِّ. والْغَنِيُّ: من الْغِنَى ضِدُ الْفَقْرِ. والْغَبِيُّ: من الْغَباوَةِ ضِدُّ الذَّكاءِ. سَرَّتْهُ: فِعْلُ ماضٍ مِنَ السُّرورِ. وشِرَّتُهُ: مَصْدَرٌ بِمَعْنى الشَّرِّ، ضِدُّ الْخَيْرِ، وهو فاعِلُ سَرَّتْهُ. فجاءَهُ: فِعْلُ ماضٍ من الْمَجيءِ. والْفُجاءَةُ: بِضَمِّ الفاءِ مَصْدَرٌ بمعنى الْبَغْتَةِ. وبَعْدَ: بالْفَتْحِ، ظَرْفٌ ضِدُّ قَبْلَ. وبُعْدِ بالضَّمِ: نَقِيضُ الْقُرْبِ. وعِشْرَتِهِ: مَصْدَرٌ بمعنى الْمُعاشَرَةِ. وعُسْرَتُهِ: مَصْدَرٌ بمعنى الْعُسْرِ ضِدُّ الْيُسْرِ، وهي فاعِلُ جاءَهُ.

والْمَعْنى: يا رَبِّ كَمْ من غَنِيٍّ مُتَّصِفٍ بِالْغَباوَةِ، سَرَّتْهُ إضْرارُهُ بالنَّاسِ، حتَّى جاءَهُ بَغْتَةً بعدَ طولِ مُعاشَرَتِهِ ونِعْمَتِهِ الْعُسْرُ والْفَقْرُ.

ومن الْجِناسِ: **إنْ لم يَكُنْ لنا حَظٌّ في دَرْكِ دَرِّكَ، فَخَلِّصْنا من شَرَكِ شَرِّكَ.**

الدَّرْكُ: بِفَتْحِ الدَّالِ وسُكونِ الرَّاءِ، مَصْدَرٌ بِمَعْنَى الإِدْراكِ. وَدَرِّكَ: بفَتْحِ الدَّالِ وكَسْرِ الرَّاءِ الْمُشَدَّدَةِ بمعنى الْخَيْرِ، كما يَقولونَ: لله دَرُّهُ أي خَيْرُهُ. والشَّرَكُ: بِفَتْحِ الشِّينِ والرَّاءِ حِبالَةُ الصَّائِدِ. وشَرِّكَ: من الشَّرِّ ضِدُ الْخَيْرِ. **والْمَعْنَى**: إنْ لم يَكُنْ لنا نَصيبٌ في الْوُصولِ إلى خَيْرِكَ، فَخَلِّصْنا من حِبالَةِ شَرِّكَ.

ومن الْجِناسِ: **إنْ أَخْلَيْتَنا**[2] **مِنْ مَبارِكِ مَبارِّكَ، فَأَرِحْنا من مَعارِكِ مَعارِّكَ**[3].

(1) تصحيح التصحيف وتحرير التحريف: 21، وتحقيق الفوائد الغياثية: 2/ 813.

(2) خَلَّيْتَنا، في مراد ملا.

(3) نهاية الأرب للنويري: 7/ 93.

وَالْمَبارِكُ: جَمْعُ مَبْرَكِ النَّاقَةِ. والْمَبَارُّ: بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ، جَمْعُ الْبِرِّ. والْمَعَارِكُ: جَمْعُ الْمَعْرَكَةِ. والْمَعَارُّ: بمعنى الْمَعَرَّةِ، وهي الْعَيْبُ. **والْمَعْنَى**: إنْ أَخْلَيْتَنا من مَواضِعِ بِرِّكَ، فَخَلِّصْنا من مَواضِعِ الْعارِ.

ومن غَرائِبِ التَّجْنيسِ: قَوْلُ عَلِيِّ بْنِ أبِي طالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وجَهَهُ، أَرْسَلَهُ إلى مُعاوِيَةَ رَضِيَ الله عنه: **غَرَّكَ عِزُّكَ، فَصارَ قُصارَى ذَلِكِ ذُلَّكَ، فَاخْشَ فاحِشَ فِعْلِكَ، فَعَلَّكَ تُهْدَى بهذا.**

فَأَجابَهُ مُعاوِيَةُ رَضِيَ الله عنه: **عَلَى قَدْرِي غَلَى قِدْرِي**[1].

قالَ الْخَلْكانِيُّ: غَرَّكَ عِزُّكَ... إلى آخِرِهِ، لِأَبِي شُجَاعٍ عَضُدِ الدَّوْلَةِ، كَتَبَهَا جَوابًا لِأَبِي مَنْصورٍ الفتكِينَ[2]. ولَعَلَّهُ لا مُنافاةَ بَيْنَ الرِّوايَتَيْنِ، إذِ مِنَ الْجائِزِ أنْ يَكْتُبَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ كَلامَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنينَ عَلِيٍّ رَضِيَ الله عنه، حينَمَا رَآهُ مُوافِقًا لِحالِهِ. على أَنَّ حُسْنَ الْكَلامِ، شاهِدٌ بأنَّ ذلك لا يَكونُ إلَّا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنينَ، إذْ لا يَتَيَسَّرُ مِثْلُهُ لِأَفاضِلِ الْبُلَغاءِ والْكُتَّابِ قَطْعًا.

والْمَعْنَى: غَرَّكَ: أي جَعَلَكَ مَغْرورًا. عِزُّكَ: أي عِزَّتُكَ وَشَرَفُكَ، فَصارَ قُصارَى ذلك الْعِزِّ والشَّرَفِ وَنِهايَتُهُمَا ذُلَّكَ؛ أَيْ ذِلَّتَكَ وَسُوءَ حالِكَ، فَاخْشَ أَنْتَ أَيُّهَا الْمَغْرورُ فاحِشَ فِعْلِكَ: أي قَبِيحَ أَفْعالِكَ، فَعَلَّكَ: أي لَعَلَّكَ، تُهْدَى: أي تَجِدُ الْهِدايَةَ بهذا النُّصْحِ والتَّنْبيهِ.

---

(1) الأطول شرح تلخيص المفتاح: 2/ 463.

(2) Alptakin، أبو منصور التركي المعزي (ت.368 هـ)، بالتركية، وهو قائد تركي مشهور، وفيات الأعيان: 4/ 53.

واعْلَمْ أنَّ "عَلَّ" لُغَةٌ في لَعَلَّ كما قال الشَّاعِرُ: [المنسرح]

لا تُهِينَنَّ الْفَقِيرَ عَلَّكَ أنْ تَرْكَعَ يَوْمًا والدَّهْرُ قد رَفَعَهْ[1]

أي لَعَلَّكَ تَرْكَعُ، أي تَسْقُطُ يَوْمًا وتَحْتاجُ، والْفَقيرُ قد يَرْفَعُهُ الدَّهْرُ فيكونُ مُحْتاجًا إليه.

عِلْمُ مُسَامَرَةِ الْمُلوكِ

وهذا من فُروعِ الْمُحاضَراتِ، وهو عِلْمٌ باحِثٌ عن أَحْوالٍ يَرْغَبُ فيها الْمُلوكُ من الْقَصَصِ، والْأخْبارِ، والْمَواعِظِ، والْعِبَرِ، والْأَمْثالِ، وغَرائِبِ الْأقالِيمِ، وعَجائِبِ الْبُلْدانِ، وغيرِ ذلك من الْأَحْوالِ التي يَرْغَبُ فيها الْمُلوكُ.

ومِنَ الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَةِ فيه: "**سُلْوانُ الْمُطاعِ في عُدْوانِ الأتْباعِ**"، لابن ظَفَرٍ، وقد عَرَفْتَهُ. وَكِتابُ: "**مُفاكَهَةُ الْخُلَفاءِ**"، وَكِتابُ: "**نَظْمُ السُّلوكِ في مُسامَرَةِ الْمُلوكِ**".

وأكْثَرُ كُتُبِ الْمُحاضَراتِ وافِيَةٌ بهذا الْمَطْلَبِ، سِيَّمَا كِتابُ: "**حَيَاةُ الْحَيَوانِ**"، و"**مُحاضَراتُ الرَّاغِبِ**"، وَقَدْ عَرَفْتَهُمَا في الْمُحاضَراتِ.

ومَوْضُوعُهُ وغايَتُهُ وغَرَضُهُ ومَنْفَعَتُهُ ظاهِرَةٌ لِلْعاقِلِ الذَّكِيِّ.

عِلْمُ حِكاياتِ الصَّالِحينَ

وهو مِنْ فُروعِ عِلْمِ التَّواريخِ والْمُحاضَرَةِ.

---

(1) البيت للأضبع بن قريع، وهو من الشواهد المعروفة ينظر: البيان والتبيين: 3/ 223، والشعر والشعراء: 1/ 371.

وَقَدِ اعْتَنَى بِأَحْوالِ الصُّلَحاءِ والْأَبْرارِ طائِفَةٌ وَأَفْرَدوهَا بِالتَّدْوينِ.

وَمَوْضوعُهُ وغايَتَهُ وغَرَضُهُ ظاهِرَةٌ جِدًّا.

ومَنْفَعَتُهُ أَجَلُّ الْمَنافِعِ وأَعْظَمُهَا كما لا يَخْفَى.

ولَقَدْ صَنَّفَ في ذَلِكَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ كِتابَ: **"صَفْوَةُ الصَّفْوَةِ"**. وَالْيافِعِيُّ كِتابَ: **"رَوْضُ الرَّياحينِ في حِكاياتِ الْأَبْرارِ والصَّالِحينَ"**. وغَيْرَ ذلكَ من الْكُتُبِ.

عِلْمُ أَخْبارِ الْأَنْبِياءِ

وهذا من فُروعِ التَّواريخِ. وقد اعْتَنَى بها الْعُلَماءُ، وهو حَقيقٌ بالِاعْتِناءِ، وَأَفْرَدوهَا بالتَّدْوينِ[1]. منها: **"قَصَصُ الْأَنْبِياءِ"**، لِابْنِ الْجَوْزِيِّ، وغَيْرُهِ.

عِلْمُ الْمَغازِي والسِّيَرِ

وهذا أَيْضًا من فُروعِ عِلْمِ التَّاريخِ. وقد صَنَّفَ فيها الْعُلَماءُ كُتُبًا كَثيرَةً؛ منها: **"سِيرَةُ ابنِ هِشامٍ"**، و**"سِيرَةُ مُحَمَّدِ بنِ إِسْحاقَ"**، و**"سِيرَةُ مُغُلْطايَ"**، وَغَيْرَ ذِلِكَ.

ومَوْضُوعُ هَذَينِ الْعِلْمَيَنِ **ومَنْفَعَتُهُمَا، والْغَايَةُ والْغَرَضُ** مِنْهُمَا، لا يَخْفَى على أَحَدٍ.

عِلْمُ تارِيخِ الْخُلَفاءِ

وهذا أَيْضًا من فُروعِ التَّاريخِ.

---

(1) في التدوين، في أنطاليا ومراد ملا.

وَقَدْ أَفْرَدَ بَعْضُ الْعُلَماءِ من التَّواريخ: تاريخَ الْخُلَفاءِ الأَرْبَعَةِ: أبي بَكْرٍ، وعُمَرَ، وعُثْمَانَ، وعَلِيٍّ، رَضِيَ الله عنهم، وهُمْ أحِقَّاءُ بالاعْتِناءِ. وبَعْضُهُمْ ضَمَّ معهم تاريخَ الْخُلَفاءِ الْأُمَوِيِّينَ والْعَبَّاسِيِّينَ، لاشْتِمالِ أَحْوالِهِمْ على مَزِيدِ الِاعْتِبارِ.

وفي هذا الْفَنِّ تَصانيفُ كِبارٌ لا تَخْفَى على ذَوي الْإِحاطَةِ، منها: "**تُحْفَةُ الظُّرَفاءِ في تَوارِيخِ الْخُلَفاءِ**".

عِلْمُ طَبَقاتِ الْقُرَّاءِ

وَهُوَ عِلْمٌ يُذْكَرُ فيه الْقُراءُ السَّبْعَةُ، بَلِ الْعَشَرَةُ، بل الثَّلاثَةَ عَشَرَ، بلِ الْخَمْسَةَ عَشَرَ، ورُواةُ هَؤُلاءِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الشُّيوخِ والْمُصَنِّفِينَ في هذا الْعِلْمِ، ويُذْكَرُ فيه أيْضًا قُرَّاءُ الصَّحابَةِ، والتَّابِعينَ، وتَبَعِ تابِعِيهِمْ إلى هذا الآنِ.

وَ"**طَبَقاتُ الذَّهَبِيِّ**" تَصْنيفٌ مُفِيدٌ في هذا الْعِلْمِ.

ولا أَجْمَعَ ولا أَنْفَعَ مِنْ "**طَبَقاتُ الشَّيْخِ الْجَزَرِيِّ**".

عِلْمُ طَبَقاتِ الْمُفَسِّرينَ

وَهُوَ مِنْ فُروعِ التَّواريخِ أَيْضًا. وصُنِّفَ فيها الْمُجَلَّداتُ الْكِبارُ.

عِلْمُ طَبَقاتِ الْمُحَدِّثينَ

مِنْ فُروعِ التَّواريخِ، وفيها الْمُصَنَّفاتُ الْعِظامُ.

عِلْمُ سِيَرِ الصَّحابَةِ والتَّابِعينَ

مِنْ فُروعِ الْمُحاضَراتِ.

وفيها: كِتابُ "**سِيَرُ الصَّحابَةِ والتَّابِعينَ**"، وهو كِتابٌ عَظيمٌ لم يُعْهَدْ مِثْلُهُ[1].

عِلْمُ طَبَقاتِ الشَّافِعِيَّةِ

وصَنَّفَ فيها ابْنَ السُّبْكِيِّ **الْكُبْرَى والصُّغْرَى**، وأَطْنَبَ فيها، وجَمَعَ وأَوْعَبَ كُلَّ من انْتَسَبَ إلى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ. وقد اشْتَمَلَ على فَوائِدَ لا تَكادُ توجَدُ في كِتابٍ.

عِلْمُ طَبَقاتِ الْحَنَفِيَّةِ

وصَنَّفَ فيها الْعُلَماءُ مِثْلَ: "**الْجَواهِرُ الْمُضيَّةُ في طَبَقاتِ الْحَنَفِيَّةِ**". ومِثْلُ مُخْتَصَرِ قاسِمِ بنِ قُطْلُوبُغَا سَمَّاهُ: "**تاجُ التَّراجِمِ**".

وهذا كافٍ في البابِ، مع اشْتِمالِهَا على الْمُهِمَّاتِ.

عِلْمُ طَبَقاتِ الْمَالِكِيَّةِ

ومَوْضوعُهُ ورَسْمُهُ مَعْلومٌ من الْعُلومِ السَّابِقَةِ.

---

(1) بمثله، في أنطاليا وعاطف أفندي.

عِلْمُ طَبَقاتِ الْحَنابِلَةِ

وَيُعْرَفُ أَحْوالُهُ أَيْضًا مِمَّا مَرَّ. وَلَكِنْ لَمْ نَعْرِفْ أَنَّهُ صُنِّفَ طَبَقاتُ الْمالِكِيَّةِ والْحَنابِلَةِ، ولعلَّهُ لم يُهْمِلْ ذلك فُضَلاءُ ذلك الْمَذْهَبِ.

عِلْمُ طَبَقاتِ النُّحاةِ

وصَنَّفَ فيها كَثيرونَ، مِثْلَ: ياقوتِ الْحَمَوِيِّ، ومَجْدِ الدِّينِ الشِّيرازِيِّ، وصَلاحِ الدِّينِ الصَّفَدِيِّ، وجَلالِ الدِّينِ السُّيوطِيِّ، وَغَيْرِ ذَلِكَ من الْكُتُبِ.

عِلْمُ طَبَقاتِ الْحُكَماءِ

وَقَدِ اعْتَنى بِذَلِكَ كَثيرونُ، منها: الصَّاعِدُ[1] الَّذِي هو من مَشاهِيرِ الْحُكَماءِ، وصُنِّفَ فيها كِتابُ "**صِوانُ الْحِكْمَةِ**"[2]، وَرَأَيْتُهُ في عُنْفُوانِ الشَّبابِ، وهو كِتابٌ لَطيفٌ، لَكِنِّي نَسيتُ اسْمَ مُصَنِّفِهِ.

عِلْمُ طَبَقاتِ الأَطِبَّاءِ

وقد صَنَّفَ في ذلك الْعُلَماءُ، ورَأَيْتُ في هذا الْعِلْمِ كِتابًا مَوْسومًا بـ "**عُيونُ الأَنْباءِ في طَبَقاتِ الأَطِبَّاءِ**".

اعْلَمْ أنَّ طَبَقاتِ هَؤلاءِ الْمَذْكورينَ من فُروعِ عِلْمِ التَّاريخِ.

---

(1) أبو القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي القرطبي (ت.462هـ) صاحب كتاب "**طبقات الأمم**".

(2) لأبي سليمان محمد بن طاهر السِّجستاني (ت.380هـ)، وهو مطبوع.

وَمَوْضوعُ كُلٍّ منها، وغايَتُها، وغَرَضُها، ومَنافِعُها ظاهِرَةٌ على من تَتَبَّعَ تلك الْعُلومَ. واللهُ الْمُوَفِّقُ.

الدَّوْحَةُ الثَّالثَةُ: في علومٍ باحِثَةٍ عَمَّا في الْأَذْهانِ من الْمَعْقولاتِ الثَّانيةِ

وفيها: مُقَدِّمَةٌ، وشُعْبَتانِ

الْمُقَدِّمَةُ:

اِعْلَمْ أنَّ الْعُلومَ الْباحِثَةَ عن أَحْوالِ الْأذْهانِ، هي الْعُلومُ الْآلِيَّةُ الْمَعْنَوِيَّةُ؛ وَأَجَلُّها عِلْمُ الْمَنْطِقِ، حَتَّى إِنَّ بَعْضًا مِنَ الْحُكَماءِ أَجْراهُ مَجْرى الرَّئيسِ لِلْعُلومِ الْعَقْلِيَّةِ، حَتَّى إنَّ بَعْضًا من الْعُلَماءِ جَعَلوهُ من فُروضِ الْعَيْنِ، لِكَوْنِهِ مَوْقوفًا عليه لِمَعْرِفَةِ الْواجِبِ لله تعالى، وهي واجِبَةٌ. فكذا ما يَتَوَقَّفُ عليه الْواجِبُ الْمُطْلَقُ، وكانَ مَقْدورًا لِلْمُكَلَّفِ، حَتَّى حَكَمَ بَعْضٌ مِنَ الْحُكَماءِ الْإِشْراقِيَةِ، أنَّ رِياضَةَ الْمُتَصَوِّفَةِ وسُلوكَهُمْ تَدورُ أيضًا على قَواعِدِ الْمَنْطِقِ.

وبِالْجُمْلَةِ، الْمَنْطِقُ عِلْمٌ باهِرُ الْبُرْهانِ، وكَالشَّمْسِ لا تَخْفى بكلِّ مَكانٍ. ولا يَجْحَدُ فَضْلَهُ إلا من يَعْشو عن إدْراكِ الْحَقائِقِ، ويَعْمَى عن فَهْمِ الدَّقائِقِ. ولِلّهِ دَرُّ من قال: [البسيط]

عَـابَ الْمَنْطِقَ قَوْمٌ لا عُقولَ لَهُـمْ ... وَلَيْسَ لـه إذا عَـابوهُ مِنْ ضَـرَرِ[1]
مَا ضَرَّ شَمْسَ الضُّحَى والشَّمْسُ طالِعَةٌ ... أنْ لا يَرَى ضَوْءَهَا مَنْ ليْسَ ذا بَصَرِ

---

(1) البيت لمنصور بن إسماعيل التميمي المصري وهو في: طبقات الفقهاء للشيرازي: 108، ونهاية المطلب في دراية المذهب: 3/ 4، ووفيات الأعيان: 5/ 290، وفيهم: عاب التفقه... وماذا عليه إذا.

وَقيلَ في مَدْحِ النَّحْوِ والْمَنْطِقِ: [الكامل]

إنْ رُمْتَ إدْراكَ الْعُلومِ بِسُرْعَةٍ فَعَلَيْكَ بالنَّحْوِ الْقَويمِ وَمَنْطِقِ[1]
هذا لِميزانِ الْعُقولِ مُرَجِّحٌ والنَّحْوُ إصْلاحُ اللِّسانِ بِمَنْطِقِ

ولا عِبْرَةَ بما قِيلَ في ذَمِّ الْمَنْطِقِ: [الكامل]

دَعْ مَنْطِقًا فيه الْفَلاسِفَةُ الْأُلى ضَلَّتْ عُقُولُهُمُ بِبَحْرٍ مُغْرِقِ[2]
وَاجْنَحْ إلى نَحْوِ الْبَلاغَةِ واعْتَبِرْ أَنَّ الْبَلاءَ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ

وقد صَحَّ بِشَهادَةِ أَهْلِ التَّوارِيخِ والْقُدَماءِ، أنَّ أوَّلَ من دَوَّنَ عِلْمَ الْمَنْطِقِ أرِسْطُو، وقد بَذَلَ له مَلِكُ زَمانِهِ في مُقابَلَةِ ذلك خَمْسَمِئَةِ أَلْفِ دينارٍ، وَأَدَرَّ عليه في كُلِّ سَنَةٍ مِئَةً وَعِشْرينَ أَلْفَ دِينارٍ.

قِيلَ: إنَّهُ تَنَبَّهَ لِوَضْعِهِ وَتَرْتِيبِهِ مِنْ نَظْمِ "كتاب أُقْلِيدِسَ" في الْهَنْدَسَةِ.

قالَ يَحْيَى بنُ عَدِيٍّ الْفَيْلَسوفُ: رَأَيْتُ شَرْحَ الْإسْكَنْدَرِ الْحَكيمِ لِلسَّماعِ الطَّبيعِيِّ، ولِكِتابِ الْبُرْهانِ من الْمَنْطِقِ، في تَرِكَةِ واحِدٍ من الْحُكَماءِ، وَأَنَّ الشَّرْحَيْنِ عُرِضَا عَلَيَّ بِمِئَةٍ وَعِشرينَ دِينارًا، فَمَضَيْتُ لِتَحْصيلِ الدَّنانِيرِ، وعُدْتُ فَأَصَبْتُ الْقَوْمَ قد باعوا الشَّرْحَيْنِ في جُمْلَةِ كُتُبٍ أُخَرَ على رَجُلٍ خُرَاسانِيٍّ على ثَلاثَةِ آلافِ دِينارٍ[3].

---

(1) البيتان لعبد اللطيف بن أحمد، سراج الدين المصري الفيومي الشافعي وهما في: الضوء اللامع: 4/ 324.
(2) البيتان للشاعر نفسه وهما في: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي: 7/ 354، والضوء اللامع: 4/ 324.
(3) دنانير، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

وقال غَيْرُ يَحْيى: إنَّ هذه الْكُتُبَ الَّتِي أَشارَ إليها كانَتْ تُحْمَلُ في الْكُمِّ.

قال مُؤَرِّخُ أَخْبارِ الْحُكَماءِ: أُنْظُرْ إلى هِمَّتِهِمْ، والله لو حَضَرَتْ هذه الْكُتُبُ في زَمانِنَا، وعُرِضَتْ على مُدَّعِي عِلْمِها، ما أَدَّوْا فيها عُشُرَ مِعْشارِ ما ذَكَرَهُ[1].

قُلْتُ: وإلى اللهِ الْمُشْتَكَى من زَمانٍ كَسَدَتْ فيه بَضائِعُ الْعُلوم، وَفَسَدَتْ فيه صَنائِعُ الرُّسومِ. وأَقولُ واللهُ الرَّقيبُ: لو عُرِضَتْ تلك الْكُتُبُ على مُحَصِّلِي زَمانِنَا بلا شَيْءٍ، بل بِطَرِيقِ هِبَةٍ، لا امْتِنانَ فيها ولا غَرَض، لَرَغِبُوا عنها، ولم يَلْتَفِتُوا إليها فَضْلًا عن الِابْتِياعِ. نَعَمْ يَرْغَبونَ في كُتُبِ الشِّعْرِ والْهَزْلِ ويُغالونَهَا في الْأَثْمانِ، بل يَكْتُبونَهَا وَيُحَصِّلونَهَا، ولا يُفارِقونَهَا لا في اللَّيْلِ ولا في النَّهارِ[2].

وَاعْلَمْ أنَّ هذا الْكَلامَ مِنْ قَبِيلِ نَفْثَةِ الْمَصْدورِ، فَلْيَعْذِرْنِي مَنْ رَآهُ مِنَ الْأَصْحابِ، ولا يُعَامِلْنِي بِاللَّوْمِ وَالْعِتابِ. وأَسْتَغْفِرُ الله لنا وَلَهُمْ عن الْخَطَإِ والْخَطَلِ، في الْقَوْلِ والْفِعْلِ[3] والْعَمَلِ، إنَّهُ عَفُوٌّ غفورٌ[4].

ثُمَّ اعْلَمْ أنَّ مِنْ أَمْثالِهِمْ: الشَّيْءُ بِالشَّيْءِ يُذْكَرُ[5].

---

(1) ذُكِرَ، في قونية. والخبر في إخبار العلماء بأخبار الحكماء: 48-49.

(2) لا في ليل ولا في نهار، في قونية.

(3) والعقد، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(4) غفور رحيم، في قونية.

(5) من الأقوال التي سرت مسرى المثل، واستعملت في النثر والشعر، منها قول ابن نباتة:

وذكر جبين البابلية إذ بدا ••• هلال الدجى والشيء بالشيء يذكر

ديوان ابن نباتة: 180.

لمَّا وَضعَ بَيْدَبَا الْفَيْلَسوفُ الْهِنْدِيُّ كِتابَ "كَليلَةُ وَدِمْنَةُ"، لِدَبْشَليمَ[1] مَلِكِ الْهِنْدِ؛ وهو الَّذِي مَلَكَ مِئَةً وعشرينَ سَنَةً؛ وَضَعَ التَّاجَ على رَأْسِهِ، وجَعَلَهُ وَزيرَهُ، وجَعَلَ كِتابَهُ على أَلْسِنَةِ الْبَهائِمِ والطُّيورِ، تَنْزِيهًا لِلْحِكْمَةِ وَفُنونِهَا عن الْعَوامِّ، وَضِنَّةً بها على الْجُهَلاءِ شُرَكاءِ الطَّعامِ.

حُكِيَ أَنَّ كِسْرَى أنوشِرْوانَ لَمَّا سَمِعَ بِكِتابِ "كَليلَةُ ودِمْنَةُ"، أَرْسَلَ بَرْزَوَيْهِ الْحَكيمَ إلى بِلادِ الْهِنْدِ لِاسْتِخْراجِ الْكِتابِ، وَأَعْطاهُ خَمْسينَ جِرابًا، في كُلِّ جِرابٍ عَشَرَةُ آلافِ دِينارٍ، فَضْلًا عن أَدَواتِ الْأَسْفارِ. ثُمَّ إنَّ بَرْزَويهِ الْحَكيمَ، اسْتَخْرَجَ من بِلادِ الْهِنْدِ كتاب "كَليلَةُ ودِمْنَةُ"، وَنَقَلَهُ من الْهِنْدِيَّةِ إلى الْفَارِسِيَّةِ، واسْتَخْرَجَ معه الشَّطْرَنْجَ التَّامَّ، الَّذِي هو عَشَرَةٌ في عَشَرَةٍ، وَأَمَّا الشَّطْرَنْجُ الَّذِي هو ثَمانِيَةٌ في ثَمانِيَةٍ، فَقَدْ وَضَعَهُ صِصَّةُ بْنُ داهِر الْهِنْدِيُّ لِلْمَلِكِ شِهْرامَ، وما اشْتَهَرَ بَيْنَ الْعَوامِّ مِنْ أَنَّ واضِعَهُ اللَّجْلاجُ فَلَيْسَ كَذَلِكَ، لِأَنَّهُ كانَ مِمَّنْ يُحْسِنُ اللَّعِبَ به. وَمِمَّنْ يُحْسِنُ اللَّعِبَ به أبو بَكْرٍ الصُّولِيُّ في الْمَشْهورِ عند أَهْلِ التَّاريخِ.

وَوَضَعَ أَرْدَشيرُ بْنُ بَابِكَ الْهِنْدِيُّ الْحَكيمُ ـ أَوَّلُ مُلوكِ الْفُرْسِ الْمُؤَرَّخَةِ به ـ النَّرْدَ في مُقابَلَةِ الشَّطْرَنْجِ، وَلِذَلِكَ قِيلَ له: النَّرْدَشيرُ، نَسبوهُ إلى واضِعِهِ، جَعَلَهُ مِثالًا لِلدُّنْيا وأَهْلِهَا، فَجَعَلَ الرُّقْعَةَ اثْنَيْ عَشَرَ بَيْتًا بِعَدَدِ شُهورِ السَّنَةِ، وجَعَلَ الْقِطَعَ ثَلاثِينَ قِطْعَةً بِعَدَدِ أَيَّامِ الشَّهْرِ، وَجَعَلَ الْفُصوصَ مِثْلَ: الْقَضاءِ والْقَدَرِ وتَقَلُّبِهِ في الدُّنْيَا. فَافْتَخَرَتِ الْفُرْسُ بِوَضْعِ النَّرْدِ.

---

(1) لديلم، في قونية، لدبسلم، في مراد ملا.

وَقِيلَ: إنَّمَا جَعَلُوا نِصْفَ الْقِطَعِ الثَّلاثِينَ سُودًا، ونِصْفَهَا بِيضًا كَالأَيَّامِ واللَّيالِي؛ وَأَيْضًا جَعَلُوا الْفُصوصَ مُسَدَّسَةً، إشارَةً إلى أَنَّ الْجِهاتَ سِتٌّ لا سابِعَ لها؛ وَأَيْضًا أنَّ ما فَوْقَ الْفُصوصِ من الأَعْدادِ، مع ما تَحْتَهَا من الْأَعْدادِ، يَكونُ سَبْعَةً أَبَدًا كيفما وَقَعَتِ الْفُصوصُ، وَهَذَا إشارَةٌ إلى عَدَدِ الْأَفْلاكِ وَالْأَرْضِ وَالْكَوَاكِبِ السَّيارَةِ.

ومِنَ الْعَجائِبِ أنَّ واضِعَ الشَّطْرَنْجِ اقْتَرَحَ مِنَ الْمَلِكِ في أَوَّلِ بَيْتٍ من بُيوتِهِ دِرْهَمًا، ثم يُضَعَّفُ إلى آخِرِ الْبُيوتِ. قال الْمَلِكُ: لقد اعْتَقَدْتُ نُبْلَ رَأْيِكَ عند وَضْعِكَ الشَّطْرَنْجَ، وَالْآنَ لقد سَجَّلْتُ على فَسادِ عَقْلِكَ. قال الْوَزيرُ: مَهْلًا أَيُّهَا الْمَلِكُ، فإنَّ خَزائِنَكَ وَخزائِنَ مُلوكِ الْأَرْضِ تَنْفَدُ عند ذلِكَ، فَأَنْكَرَهُ الْمَلِكُ أَشَدَّ الإِنْكارِ، فَفَهَّمُوهُ طَرِيقَ[1] حِسابِهِ، وقال: هذا أَعْجَبُ من وَضْعِكَ الشَّطْرَنْجَ.

وَقِيلَ: لو وُضِعَ في أَوَّلِ بَيْتِهِ حَبَّةُ حَنْطَةٍ، ثُمَّ ضُوعِفَ على النَّهْجِ الْمَذْكورِ، لا يَفِي بِذَلِكَ مِلْءُ الْمُدُنِ الْمَوْجودَةِ في الأَرْضِ حِنْطَةً. وقد اعْتَنَى بَعْضٌ مِنَ الْحُسَّابِ على ذلك، فَمَنْ تَأَمَّلَ ذَلِكَ يُصَدِّقُهُ. وَهَذَا كَلامٌ وَقَعَ في الْبَيْنِ.

ثمَّ رَجَعْنا إلى الْمَقْصودِ فَنَقولُ:

ثمَّ نَقَلَ عبدُ اللهِ بْنُ هِلالٍ الْأَهْوازِيُّ، كِتابَ **"كَليلَةُ ودِمْنَةُ"** من الْفارِسِيَّةِ إلى الْعَرَبِيَّةِ، لِيَحْيَى بنِ خالِدٍ الْبَرْمَكِيِّ، في خِلافَةِ الْمَهْدِيِّ. وقد نَظَمَ سَهْلُ

(1) بطريق، في رئيس الكتاب.

ابنُ نَوْبَخْتَ الْحَكيمُ كِتابَ **"كَليلَةُ وَدِمْنَةُ"** لِيَحْيَى بنِ خالِدِ الْبَرْمَكِيِّ، وَزيرِ الْمَهْدِيِّ والرَّشيدِ، وأَجازَهُ يَحْيَى على ذَلِكَ أَلْفَ دِينارٍ.

وكانَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ صاحِبُ الأَنْدَلُسِ بالْمَغْرِبِ مُتَطَلِّبًا لِلْعُلومِ الْإِلَهِيَّةِ، والْأَسْرارِ الْحِكْمِيَّةِ، فَسَمِعَ به مَلِكُ الْهِنْدِ مُلْهُو، فَسَيَّرَ له كِتابَ **"كَليلَةُ وَدِمْنَةُ"** مُصَوَّرًا في الْحِكَمِ والْأَمْثالِ، وكِتابَ **"سِفْرُ آدَمَ عليه السَّلامُ"** في عِلْمِ الْحُروفِ، وكتابَ **"الْحُروفُ الْمُنَزَّلَةُ على آدَمَ عليه السَّلامُ"**، في إحْدَى وعِشْرينَ وَرَقَةً من زَيْتونِ الْجَنَّةِ وآسِهَا، بأَسْمائِها وصِفاتِهَا وأَعْدادِها، وما يَتَوَلَّدُ عنها من عِلْمِ الْأَسْماءِ والصِّفاتِ، والْحِكَمِ والآياتِ الْبَيِّناتِ، وسَيَّرَ له مع هذه هَدايَا وتُحَفًا غَريبَةً، من جُمْلَتِها فَرْشٌ من جِلْدِ حَيَّةٍ مُدَنَّرٍ، كأَنَّهُ لَوْنُ رِيشِ الطَّاوُوسِ، وفَرْشٌ آخَرُ من جِلْدِ حَيَوانٍ إذا جَلَسَ عليه من به عِلَّةُ الْبَواسِيرِ أَبْرَأَهُ.

وكان مَلِكُ الْقُسْطَنطينِيَّةِ الْحَكِيمُ أرْمانُوسُ، طالِبًا لِكِتابِ **"عِلْمُ الْحُروفِ"**، فكَاتَبَ الْمَلِكَ النَّاصِرَ في سنةِ سَبْعٍ وثَلاثِينَ وثَلاثِمئةٍ، وهَادَاهُ هَدايَا جَلِيلَةً، وَأَسْرَارًا غَريبَةً، من جُمْلَتِهَا كتابُ **دِيسْقُورِيدُوسَ الْحَكيمِ**، مُصَوَّرَ الْحَشائِشِ بالتَّصْويرِ الرُّومِيِّ الْبَدِيعِ، وكان مَكْتوبًا بِالْقَلَمِ الْإِغْرِيقِيِّ - الذي هو الْيُونانِيُّ الْقَديمُ - وبَعَثَ معه كِتابَ **هِيرُودُوتَ**، صاحِبِ الْقَصَصِ، وهو تاريخُ مُلوكِ الرُّومِ، وقَصَصِ الْمَبْعوثِ إليهم من الْأَنْبياءِ، وكان باللِّسانِ اللَّاتِينِيِّ؛ وهو الْفِرِنْجِيُّ.

وفي سَنَةِ أَرْبَعينَ وثلاثمِئَةٍ، بَعَثَ أَرْمانوسَ إلى الْمَلِكِ النَّاصِرِ، بِراهِبٍ يُسَمَّى نِيقولَا، لِاسْتِخْراجِ ما جُهِلَ من أَسْماءِ عَقاقِيرِ **كتابِ دِيسْقُورِيدُوسَ** إلى اللِّسانِ الْعَرَبِيِّ، وهو أَوَّلُ من عَمِلَ بِقُرْطُبَةَ تَرْياقَ الْفَاروقِ، على التَّجارِبِ التي فيه. وفي أيامِ الْخَليفَةِ جَعْفَرِ الْمُتَوَكِّلِ، تَرْجَمَ اسْتِيفانُ بْنُ بَسِيلَ التَّرْجُمانُ **كِتابَ دِيسْقُورِيدُوسَ** بِدارِ السَّلامِ بَغْدادَ من الْيُونَانِيِّ إلى الْعَرَبِيِّ[1].

وتُوُفِّيَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ لِدينِ اللهِ عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ مُحَمَّدٍ الْأُمَوِيُّ في سنةِ خَمْسينَ وثَلاثِمئةٍ.

وإِنَّمَا خَرَجْنَا عن الْمَقْصودِ لِفائِدَةِ التَّرْغيبِ، لِتَعْلَمَ أَنَّ الْعُلومَ التي سَهَّلَهَا لك الْأَوائِلُ كيفَ تَعاوَنوا في تَحْصِيلِها، وكيفَ جَمَعوهَا بِضُروبٍ من الْحِيَلِ وأَنْواعٍ من الْمَشاقِّ، حتى تَعْرِفَ بذلك قَدْرَ الْعُلومِ والْمَعارِفِ.

ومن جُمْلَةِ اهْتِمامِهِمْ في هذا الْبَابِ، جَمْعُهُم خَزائِنَ الْكُتُبِ، لِيُمْكِنَ النَّيْلُ إليها كُلَّمَا أَرَادوا، وَيَأْمَنوا من ضَياعِها بِالنَّهْبِ والسَّرِقَةِ وأَمْثالِهَا.

قالَ الْقَلْقَشَنْدِيُّ في "صُبْحُ الْأَعْشَى": "قَدْ كانَ لِلْخُلَفاءِ في الْقَديمِ مَزيدُ اهْتِمامٍ بالْكُتُبِ، حتى حَصَلوا منها على الْعَدَدِ الْجَمِّ، وحَصَّلُوا على الْخَزائِنِ الْجَليلَةِ"[2].

والْخَزائِنُ في الإِسْلامِ ثَلاثٌ:

---

(1) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: 493-494.

(2) صبح الأعشى: 1/ 537.

ـ **أحَدُها**: خِزانَةُ الْعَباسِيِّينَ بِبَغْدادَ، وكانَ فيها من الْكُتُبِ ما لا يُحْصَى كَثْرَةً، ولا يُقَوَّمُ عليه نَفَاسَةً، ولم تَزَلْ على ذلك إلى أن دَهَمَتِ التَّتَارُ بَغْدادَ، فَذَهَبَتِ الْكُتُبُ فيما ذَهَبَ، وذَهَبَتْ مَعالِمُهَا، وَجُهِلَ آثارُها.

ـ **والثَّانِيَةُ**: خِزَانَةُ الْفَاطِمِيِّينَ بِمِصْرَ، وكانَتْ من أعْظَمِ الْخَزائِنِ، وأكْثرِهَا جَمْعًا لِلْكُتُبِ النَّفِيسَةِ من جَميعِ الْعُلومِ. ولم تَزَلْ على ذلك، إلى أنِ انْقَرَضَتْ دَوْلَتُهُمْ بِمَوْتِ الْعاضِدِ آخِرِ خُلَفائِهِمْ، واسْتِيلاءِ السُّلْطانِ صَلاحِ الدِّينِ على الْمَمْلَكَةِ بَعْدَهُمْ، فَاشْتَرَى الْقَاضِي الْفاضِلُ أكْثَرَ كُتُبِ هذه الْخِزانَةِ، وَوَقَفَهَا بِمَدْرَسَةِ الْفَاضِلِيَّةِ بِدَرْبِ مُلُوخِيًّا بِالْقاهِرَةِ، فَبَقِيَتْ فيها إلى أنْ اسْتَوْلَتْ عَلَيْها الْأَيْدِي، فلم يَبْقَ منها إلا الْقَليلُ.

ـ **والثَّالِثَةُ**: خِزانَةُ خُلَفاءِ بني أُمَيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ، وكانت من أجَلِّ خَزائِنِ الْكُتُبِ أيضًا، ولم تَزَلْ على ذلِكَ إلى انْقِراضِ دَوْلَتِهِمْ، بِاسْتِيلاءِ مُلوكِ الطَّوائِفِ على الأنْدَلُسِ، فَذَهَبَتْ كُتُبُهَا كُلَّ مَذْهَبٍ[1].

أمَّا الآنَ، فقد قَلَّتْ عِنايَةُ الْمُلوكِ بِخَزائِنِ الْكُتُبِ، اكْتِفَاءً بِخَزائِنِ كُتُبِ الْمَدارِسِ التي ابْتَنَوْهَا من حيث إنَّها بذلك أَمَسُّ. إلَّا أنَّ لِسُلْطانِنا الْأَعْظَمِ ـ الَّذِي تَشَرَّفَ زَمانُنَا هذا بِوُجودِهِ وَظِلِّهِ ـ خِزَانَةَ كُتُبٍ، يُحْكَى أنَّهُ ليس كِتابٌ شَرْعِيٌّ وغَيْرُ شَرْعِيٍّ، وعَرَبِيٌّ وفارِسِيٌّ، إلَّا ويوجَدُ فيها، إلا أنَّها مَصونَةٌ عن أيْدِي الطَّالِبينَ. أدامَ اللهُ دَوْلَةَ هذا السُّلْطانِ، وأَبْقَى عُمُرَهُ إلى آخِرِ الزَّمانِ.

---

(1) المصدر نفسه: 1/ 537.

يُحْكَى أنَّ عَمْرَو بنَ الْعاصِ لمَّا فتَحَ الْإِسْكَنْدَرِيَّةَ، وَجَدَ فيها خِزانَةَ كُتُبٍ، فاسْتَشَارَ فيها عُمَرَ[1] رضيَ الله عَنْهُ، فكَتَبَ إليه عُمَرُ[2]: أمَّا الْكُتُبُ الَّتِي ذَكَرْتَهَا، إنْ كانَ فيها ما يُوافِقُ كِتابَ اللهِ تَعالَى فَفِيهِ غِنًى عنها، وإنْ كان غَيْرَ ذلِكَ فلا حاجَة فيها، فَتَقَدَّمْ بإعْدامِها. فَأَخَذَ عَمْرُو بنُ الْعَاصِ في تَفْرِيقِهَا على حَمَّاماتِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وإحْراقِهَا في مَواقِدِهَا، فَنَفِدَ في مُدَّةِ سِتَّةِ أَشْهُرٍ.

وَذُكِرَ في "**فُتوحاتُ الشَّامِ**": أنَّ الْإِسْكَنْدَرِيَّةَ حينَ فُتِحَتْ، كانَ فيها أَلْفُ حَمَّامٍ، واثْنَا عَشَرَ أَلْفَ بَقَّالٍ يَبِيعونَ الْبَقْلَ الْأَخْضَرَ[3].

فانْظُرْ أَيُّها الطَّالِبُ لِلْعُلومِ والْمَعارِفِ إلى اهْتِمامِ الْأَوائِلِ بالْعُلومِ وكُتُبِهَا حتى تَتَفَطَّنَ منه إلى مَعْنَى ما قِيلَ: [الكامل]

لَوْ كانَتِ الْعُلومُ تَحْصُلُ بالْمُنَى لم يَبْقَ أَصْلًا في الْبَرِيَّةِ جاهِلُ

وبَعْدَ هذا نَرْجِعُ إلى ما كُنَّا فيه، وهو أنَّ أَرِسْطُو بعدما دَوَّنَ الْمَنْطِقَ، صارَتْ كُتُبُهُ مَخْزونَةً في أَثِينَا من وِلايَةِ مورَةَ من بِلادِ الرُّومِ، عند مَلِكٍ من مُلوكِ الْيونَانِ.

ولَمَّا رَغِبَ الْخَليفَةُ الْمَأْمونُ في عُلومِ الْأَوائِلِ، أَرْسَلَ الْمَأْمونُ إلى الْمَلِكِ الْمَذْكورِ، وطَلَبَ الْكُتُبَ، ولم تُرْسَلْ[4]، فَغَضِبَ الْمَأْمونُ، وجَمَعَ الْعَساكِرَ،

---

(1) فيها إلى عمر، في أنطاليا.

(2) فكتب إلى عمرو بن العاص وقال: في أنطاليا.

(3) فتوح مصر والمغرب: 106.

(4) يرسل، في قونيا ورئيس الكتاب وأنطاليا.

وبَلَغَ الْخَبَرُ إلى الْمَلِكِ، فَجَمَعَ الْبَطارِيقَ والرَّهابِينَ وشَاوَرَهُمْ في الْأَمْرِ، فقالوا: إنْ أَرَدْتَ الْكَسْرَ في دِينِ الْمُسْلِمينَ، وتَزَلْزُلَ عَقائِدِهِمْ، فلا تَمْنَعْهُمْ عن الْكُتُبِ، فاسْتَحْسَنَ الْمَلِكُ ذلك، وَأَرْسَلَهَا إلى الْمَأْمونِ، فَجَمَعَ الْمَأْمونُ مُتَرْجِمِي مَمْلَكَتِهِ، كَحُنَيْنِ بنِ إسْحَاقَ، وثَابِتِ بنِ قُرَّةَ، وغيرِهِما، وتَرْجَموهَا بِتَراجِمَ مُتَخالِفَةٍ، لا تُوافِقُ تَرْجَمَةُ أَحَدِهِمْ تَرْجَمَةَ الآخَرِ، فَبَقِيَتِ التَّراجِمُ غيرَ مُحَرَّرَةٍ، إلى أنِ الْتَمَسَ مَنْصورُ بنُ نُوحٍ السَّامانِيُّ، من أبي نَصْرٍ الْفَارَابِيِّ[1]، أنْ يُحَرِّرَهَا ويُلَخِّصَهَا، فَفَعَلَ كما أرادَ، ولهذا لُقِّبَ بالْمُعَلِّمِ الثَّانِي.

وكان كُتُبُهُ في خِزانَةِ الْكُتُبِ الْمَبْنِيَّةِ بِأَصْبَهانَ الْمُسَمَّاةِ **بِصِوانِ الْحِكْمَةِ**، إلى زَمانِ السُّلْطانِ مَسْعودٍ، لكنْ كانَتْ غيرَ مُبَيَّضَةٍ، لأنَّ الْفَارَابِيَّ كان غَيْرَ مُلْتَفِتٍ إلى جَمْعِ التَّصانِيفِ ونَشْرِهَا، بل غَلَبَ عليه السِّياحَةُ، ثمَّ إنَّ الشَّيْخَ أبا عَلِيٍّ تَقَرَّبَ عند السُّلْطانِ مَسْعودٍ بِسَبَبِ الطِّبِّ حتى اسْتَوْزَرَهُ، واسْتَوْلَى على تلك الْخِزانَةِ، وأَخَذَ ما في تلك الْكُتُبِ، ولَخَّصَ منها كِتابَ **"الشِّفاءُ"**، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ تَصانِيفِهِ. وقد اتَّفَقَ أنِ احْتَرَقَ تلك الْكُتُبُ، فَاتَّهَمَ من يَتَعَصَّبُ على أَبِي عَلِيٍّ بأَنَّهُ أَحْرَقَهَا، لِيَنْقَطِعَ انْتِسابُ تلك الْعُلومِ عن أَرْبابِهَا، وتَخْتَصَّ بِنَفْسِهِ، لكن هذا كَلامُ الْحُسَّادِ الذينَ ليس لهم هادٍ.

---

(1) كتب بإزاء هذا نقد الخبر في نسخة أنطاليا ما يأتي: "أقول ما ذكره المصنِّف رحمه الله مخالف لما هو مذكور في كتب التَّاريخ من وجوه شتى، أما أولا فلأن قوله: "إن منصور بن نوح التمس..." فغير ممكن لأن ابتداء سلطنة المنصور كان في رجب سنة 387هـ، وبعد سنة وسبعة أشهر خُلع وسُمل، وولادة الفارابي كانت سنة 260هـ ووفاته بدمشق سنة 339هـ...

ثمَّ اعْلَمْ أنَّ أفْلاطونَ الْحَكِيمَ، كان يُعَلِّمُ بَعْضًا من تَلامِذَتِهِ بِطَرِيقِ التَّصْفِيَةِ، وإعْمالِ الْفِكْرِ الدَّائِمِ في جَنابِ الْقُدُسِ، وسُمُّوا بِالإِشْرَاقِيِّينَ؛ وبَعْضًا منهم بِطَرِيقِ الْبَحْثِ والنَّظَرِ، فَسُمُّوا الْمَشَّائِينَ، لِتَرَدُّدِهِمْ إلى مَجْلِسِهِ، أو لِأَخْذِهِمُ الْحِكْمَةَ وَقْتَ مَشْيِهِ إلى تَعْلِيمِ أوْلادِ السُّلْطانِ، أو لِتَعْلِيمِهِمْ وَقْتَ مَشْيِهِ في بُسْتانٍ كان له، وأمَّا في غيرِ هذا الْوَقْتِ كان مُنْقَطِعًا عن النَّاسِ.

وَرَئِيسُ الطَّائِفَةِ الْمَشَّائِينَ هو أَرِسْطُو، وهو الذي دَوَّنَ الْحِكْمَةَ الْبَحْثِيَّةَ، لأنَّ الْحُكَمَاءَ قَبْلَ هذا كانُوا لا يُدَوِّنونَ الْحِكْمَةَ، صَوْنًا لها عن غَيْرِ أهْلِهَا. والَّذِي وَقَعَ فَإِنَّما وَقَعَ شِبْهَ الْأَلْغازِ والتَّعْمِيَةَ. وكانوا يَكْتُمُونَها كَالْكِيمِياءِ، وغَيْرِها من الْعلومِ الْخَفِيَّةِ، ولا يُعَلِّمونَهَا غيرَ أبْناءِ الْحُكَماءِ والسَّلاطِينِ، ويَتَوارَثونَهَا كابِرًا عن كابِرٍ.

ولمَّا عَرَضَ أرِسْطو تَدْوينَهُ على أفْلاطونَ غَضِبَ عليه وقال: أتُرِيدُ أن تُفْشِيَ سِرَّ الْحِكْمَةِ الذي كَتَمَهُ الْحُكَماءُ. فقال: لَكِنْ أَوْدَعْتُ فيها مَهاوِيَ لا يَطَّلِعُ عليها إلَّا أَهْلُهَا، فَأَجازَهُ على ذلك، فَجَمَعَ جَميعَ أنْواعِ الْحِكْمَةِ، ولهذا لُقِّبَ بالْمُعَلِّمِ الْأَوَّلِ. ثُمَّ اسْتَخْرَجَ الْمَنْطِقَ بِقُوَّةِ قَرِيحَتِهِ، وجَوْدَةِ طَبْعِهِ، لِيَكونَ آلَةً لِتَحْصِيلِ الْعُلومِ الْحِكْمِيَّةِ، وَقَدَّمَهُ على سائِرِ أقْسامِ الْحِكْمَةِ بِكَوْنِهِ آلَةً لها. واللهُ أعْلَمُ بِحَقيقَةِ الْحالِ.

الشُّعْبَةُ الأولى: في عُلومٍ آلِيَّةٍ تَعْصِمُ عن الْخَطَإِ في الْكَسْبِ

عِلْمُ الْمَنْطِقِ

ويُسَمَّى عِلَمَ الْمِيزانِ أيضًا. عِلْمٌ يُتَعَرَّفُ منه كَيْفِيَّةُ اكْتِسابِ الْمَجْهولاتِ التَّصَوُّرِيَّةِ أو التَّصْدِيقِيَّةِ من مَعْلومَاتِهَا.

وَمْوضوعُهُ: الْمَعْقولاتُ الثَّانِيَةُ من حَيْثُ الإِيصَالُ إلى الْمَجْهولِ أو النَّفْعُ فيه.

والْغَرَضُ منه ومَنْفَعَتُهُ ظاهِرَةٌ مما ذَكَرْنَا.

ومن الْكُتُبِ الْمَبْسوطَةِ في الْمَنْطِقِ:

الْبَحْرُ الْخِضَمُّ "مَنْطِقُ الشِّفاءِ"، لأبي عَلِيٍّ ابنِ سِينَا، وهو أبو عَلِيٍّ الْحُسَيْنُ بنُ عبدِ اللهِ ابنِ سِينَا الْحَكيمُ الْمَشْهورُ. كانَ أَبوهُ من بَلْخَ، وانْتَقَلَ منها إلى بُخارَى، وكان من الْعُمَّالِ الْكُفاةِ، وتَوَلَّى الْعَمَلَ بِقَرْيَةٍ من ضِياعِ بُخارَى، يُقالُ لها خَرْمَيْثَنُ[1]، [من أمَّهاتِ قُراهَا، وَوُلِدَ هو وَأَخوهُ بها، واسْمُ أمِّهِ سَتَارَةُ، من قَرْيَةِ أفْشَنَةَ[2]، بالْقُرْبِ من خَرْمَيْثَنَ][3]، ثم انْتَقَلوا إلى بُخارَى، وتَنَقَّلَ الرَّئيسُ بعد ذلك في الْبِلادِ، واشْتَغَلَ بالْعُلومِ، وَحَصَّلَ الْفُنونَ.

---

(1) خَرْمَيْثَنُ: بفتح أوله، وتسكين ثانيه، وفتح ميمه، وتسكين الياء المثناة من تحت، وثاء مثلثة مفتوحة، وآخره نون: من قرى بخارى. معجم البلدان: 2/ 362.

(2) أَفْشَنَةُ: بفتح الهمزة، وسكون الفاء، والشين معجمة مفتوحة، ونون، وهاء: من قرى بخارى. معجم البلدان: 1/ 231.

(3) ما بين معقوفين سقط من قونية.

وَلَمَّا بَلَغَ عَشْرَ سِنينَ من عُمُرِهِ، أَتْقَنَ عِلْمَ الْقُرْآنِ الْعَزيزِ والْأَدَبَ، وحَفِظَ أَشْياءَ من أُصولِ الدِّينِ، وحِسابِ الْهِنْدِ والْجَبْرِ والْمُقابَلَةِ. ثمَّ قَرَأَ كِتابَ "**إيساغُوجِي**"، على أبي عبدِ اللهِ النَّابلِيِّ[1]، وَأَحْكَمَ عليه ظَواهِرَ الْمَنْطِقِ، لأَنَّهُ لم يَكُنْ يَعْرِفُ دَقائِقَها، ثم حَلَّ هو نَفْسُهُ دَقائِقَ غَفَلَ عنها الْأَوائِلُ، وأَحْكَمَ عليه **أُقْلِيدِسَ**[2] و"**الْمَجِسْطِي**"، وَفاقَهُ أَضْعافًا كَثيرَةً. وكان مع ذلك يَخْتَلِفُ في الْفِقْهِ إلى إسْماعيلَ الزاهِدِ، يَقْرَأُ ويَبْحَثُ ويُناظِرُ.

ثُمَّ اشْتَغَلَ بِتَحْصِيلِ الطَّبِيعِيِّ والْإِلَهِيِّ وغَيْرِ ذلك، وفَتَحَ اللهُ عليه أَبْوابَ الْعُلومِ. ثُمَّ فاقَ في عِلْمِ الطِّبِّ الْأَوائِلَ والْأَواخِرَ في أَقَلِّ مُدَّةٍ، وأَصْبَحَ عَديمَ الْقَرينِ، فَقيدَ الْمِثْلِ. وقَرَأَ عليه فُضَلاءُ هذا الْفَنِّ أَنْواعَهُ، والْمُعالَجاتِ الْمُقْتَبَسَةَ من التَّجْرِبَةِ، وَسِنُّهُ إذ ذاك نَحْوُ سِتَّةَ عَشَرَ. وفي مُدَّةِ اشْتِغالِهِ، لم يَنَمْ لَيْلَةً واحِدَةً بِكَمالِها، ولا اشْتَغَلَ في النَّهارِ سِوَى الْمُطالَعَةِ.

وكان إذا أَشْكَلَتْ عليه مَسْأَلَةٌ تَوَضَّأَ وقَصَدَ الْمَسْجِدَ الْجَامِعَ، وصَلَّى وَدَعَا اللهَ عَزَّ وجَلَّ أنْ يُسَهِّلَهَا عليه، ويَفْتَحَ مُغْلَقَهَا له. ثم اتَّصَلَ بِخِدْمَةِ نُوحِ ابْنِ نَصْرٍ السَّامانِيِّ صاحِبِ خُراسانَ بِسَبَبِ الطِّبِّ، وَدَخَلَ إلى خِزانَةِ كُتُبِهِ، واطَّلَعَ على كُتُبٍ لم تُقْرَعْ آذانُ الْأَزْمانِ بِمِثْلِهَا، وَحَصَّلَ نُخَبَ فَوائِدِهَا، ولم يَسْتَكْمِلْ ثمانيةَ عَشَرَ سِنينَ[3].

---

(1) الناتلي، في وفيات الأعيان: 2/ 158، والدر الثمين: 353.

(2) يسمى: الأسطقسات، أو كتاب العناصر في أصول الهندسة لأقليدس.

(3) ثمان عشرة سنةً، في مراد ملا.

ويُحْكَى عنه أَنَّهُ لم يَطَّلِعْ على مَسْأَلَةٍ إلى آخِرِ عُمُرِهِ إلَّا وكان يَعْرِفُهَا في ثَمانِيةَ عَشَرَ سَنَةً[1] من سِنِّهِ، حتى حُكِيَ عنه أَنَّهُ قال: كُلُّ ما عَلِمْتُهُ في ذلك الْوَقْتِ، فهو كما عَلِمْتُهُ الآنَ، لم أَزْدَدْ فيه إلى الْيَوْمِ. وهذا أَمْرٌ عَظِيمٌ لا يَكادُ يَقْبَلُهُ الْعَقْلُ، لولا عُرِفَ حِدَّةُ ذَكائِهِ.

ثم تَنَقَّلَتْ به الْأَحْوالُ، بِأمورٍ يَطولُ شَرْحُها، حتى اسْتُوْزِرَ[2]، ثم عُزِلَ وَحُبِسَ، وبَعْدَ هذه الْأَحْوالِ كلِّهَا مَرِضَ، ثم صَلَحَ، ثم مَرِضَ إلى أن ضَعُفَ جِدًّا، ثم اغْتَسَلَ وتابَ، وتَصَدَّقَ بما معه على الْفُقَراءِ، وَرَدَّ الْمَظالِمَ على من عَرَفَهُ، وأَعْتَقَ مَمالِيكَهُ، وَجَعَلَ يَخْتِمُ في كلِّ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ خَتْمَةً.

ثُمَّ ماتَ يومَ الْجُمُعَةِ من رَمَضانَ، سنة ثَمانٍ وعِشْرينَ وأَرْبَعِمِئَةٍ بِهَمَذانَ، وكانت وِلادَتُهُ سنة سَبْعينَ وثلاثِمِئَةٍ في شَهْرِ صَفَرٍ. وقيل: **تُوُفِّيَ** بأَصْبَهانَ. وفَضائِلُهُ كَثيرَةٌ شَهيرَةٌ.

وكان نادِرَةَ عَصْرِهِ في عِلْمِهِ وذَكائِهِ وتَصانِيفِهِ. وعِدَّةُ تَصانِيفِهِ ثمانيةٌ وستونَ على الْأَشْهَرِ. وقيلَ: تُقارِبُ مِئَةَ مُصَنَّفٍ، ما بين مُطَوَّلٍ ورِسالَةٍ. وله رَسائِلُ بَديعَةٌ منها: **"رِسالَةُ حَيِّ بنِ يَقْظانَ"**، و**"رِسالَةُ سَلامَانَ وأَبْسالَ"**، و**"رِسالَةُ الطَّيْرِ"**، و**"قَصيدَةُ الْوَرْقاءِ"**، يَرْمُزُ بها عن النَّفْسِ النَّاطِقَةِ.

---

(1) سنين، في رئيس الكتاب وأنطاليا وعاطف أفندي.

(2) كتب بإزائها في نسخة أنطاليا: استوزره شمس الدولة بن فجر الدولة. بيان.

ومن **كُتُبِهِ** الْمَبْسوطَةِ: **"الشِّفاءُ"**، كَتَبَهُ بلا مُطالِعَةِ كِتَابٍ، وكان يَكْتُبُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسِينَ وَرَقَةً من حِفْظِهِ، وهذا كما مَرَّ أَمْرٌ يَسْتَحيلُهُ الْعَقْلُ، لكن لو نُسِبَ إلى غَيْرِ أبي عَلِيٍّ. و**"كِتابُ النَّجاةِ"**، و**"الْقانُونُ"**، و**"الْإِشاراتُ"**(1).

وغيرُ ذلكَ. ومَناقِبُه لا تُعَدُّ، وَلْنَكْتَفِ هاهنا بهذا الْحَدِّ.

ومن الْكُتُبِ الْمَبْسوطَةِ في الْمَنْطِقِ والْحِكْمَةِ:

كِتابُ "بَيانُ الْحَقِّ"، و"مَطالِعُ الْأَنْوارِ"، و"الْمَناهِجُ"، كُلُّهَا لِلْأُرْمَوِيِّ.

وهو مَحْمُودُ بنُ أَبي بَكْرِ بنِ أَحْمَدَ الْأُرْمَوِيُّ، الشَّيْخُ سِراجُ الدِّينِ أبو الثَّناءِ، صاحِبُ: **"التَّحْصيلُ"** مُخْتَصَرِ الْمَحْصُولِ، في أُصُولِ الْفِقْهِ، و**"اللُّبابُ"** مُخْتَصَرِ الْأَرْبَعينِ في أُصُولِ الدِّينِ. و**"الْبَيانُ"**، و**"الْمَطالِعُ"**، في الْمَنْطِقِ والْحِكْمَةِ. وَغَيْرِ ذلكَ.

وقيلَ: إنَّه شَرَحَ **"الْوَجيزُ"**، لِلرَّافِعِيِّ(2) في الْفِقْهِ. وكان شافِعِيًّا، قَرَأَ بِالْمَوْصِلِ على كَمالِ الدِّينِ ابنِ يونُسَ.

مَوْلِدُهُ سنةَ أَرْبَعٍ وتِسْعينَ وخَمْسِمِئَةٍ. **وتُوُفِّيَ** سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وثَمانينَ وسِتِّمِئَةٍ بِمَدينَةِ قُونِيَةَ(3).

---

(1) وفيات الأعيان: 2/ 157-161.

(2) كتاب الوجيز، للغزالي وعليه شروح واختصارات كثيرة. أما أبو القاسم عبد الكريم الرافعي القزويني (ت.623هـ) فله الشرح الكبير لوجيز الغزالي، المسمى فتح العزيز على كتاب الوجيز.

(3) طبقات الشافعية الكبرى: 8/ 371.

ومن كُتُبِ الْمَنْطِقِ:

"**كَشْفُ الْأَسْرارِ**"، **لِلْخُونَجِيِّ**، وهو مُحَمَّدُ بنُ نَامَاوَرَ[1] بنِ عَبْدِ الْمَلِكِ القاضِي، أَفْضَلُ الدِّينِ الْخُونَجِيُّ[2]. **وُلِدَ** في جمادى الأولى سَنَةَ تِسْعينَ وَخَمْسِمِئَةٍ. وله الْيَدُ الطُّولَى في الْمَعْقولاتِ. وهو صاحِبُ "**الْمُوجَزُ في الْمَنْطِقِ**"، وغَيْرِهِ.

وَلِيَ قَضاءَ الْقُضاةِ بالْقاهِرَةِ، وكانَ كَثيرَ الْأَفْكارِ، بحيثُ يَسْتَغْرِقُ وَقْتًا صالِحًا في ذلك، ودَرَّسَ بالْمَدْرَسَةِ الصَّالِحِيَّةِ[3] بالْقاهِرَةِ، وغيرِها.

تُوُفِّيَ في الْخامِسِ من شَهْرِ رَمَضانَ، سَنَةَ تسعٍ وأَرْبَعينَ وسِتِّمِئَةٍ، ودُفِنَ بِسَفْحِ الْمُقَطَّمِ[4].

ومن الْكُتُبِ الْمُخْتَصَرَةِ اللَّطِيفَةِ النَّافِعَةِ في هذا الْعِلْمِ:

"**الْمَطالِعُ**"، **لِلْأُرْمَوِيِّ**، وقد عَرَفْتَهُ. وله شُروحٌ منها: **شَرْحُ شَمْسِ الدِّينِ الْأَصْبَهانِيِّ**[5] رحمه الله، وسَتَعْرِفُهُ في عِلْمِ الْكَلامِ.

---

(1) باماور، في رئيس الكتاب.

(2) محمد بن ناماور بن عبد الملك الخونجي، أبو عبد الله، أفضل الدين، عالم بالحكمة والمنطق، فارسي الأصل. انتقل إلى مصر، وولي قضاءها. وتوسع في علوم الأوائل حتى تفرد برياسة ذلك في زمانه، (ت.646هـ). ينظر: ذيل الروضتين: 182، عيون الأنباء في طبقات الأطباء: 586، سير أعلام النبلاء: 23/ 228، تاريخ الإسلام: 14/ 557.

(3) الصلاحية، في رئيس الكتاب أنطاليا.

(4) طبقات الشافعية الكبرى: 8/ 105.

(5) سمَّاه: مطالع الأنظار في شرح طوالع الأنوار.

ومنها: **شَرْحُ قُطْبِ الدِّينِ الرَّازِيِّ التَّحْتَانِيِّ**. وهو مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدٍ الرَّازِيُّ، الشَّيْخُ الْعَلَّامَةُ قُطْبُ الدِّينِ، الْمَعْروفُ بالتَّحْتانِيِّ، وهذه النِّسْبَةُ لِتَمْيِيزِهِ عن قُطْبٍ آخَرَ فَوْقانِيٍّ. وكانا يَسْكُنانِ في مَدْرَسَةٍ واحِدَةٍ، أَحَدُهُما في الطَّبَقَةِ الْفَوْقانِيَّةِ، والْآخَرُ في الطَّبَقَةِ التَّحْتانِيَّةِ. وهو إمامٌ مُبَرِّزٌ في الْمَعْقولاتِ، اشْتَهَرَ اسْمُهُ، وبَعُدَ صِيتُهُ، وَرَدَ إلى[1] دِمَشْقَ في سنة ثَلاثٍ وسِتِّينَ وسبعمئةٍ.

قال ابْنُ السُّبْكِيِّ: بَحَثْنَا معه في دِمَشْقَ، فَوَجَدْناهُ إمامًا في الْمَنْطِقِ والْحِكْمَةِ، عارِفًا بالتَّفْسِيرِ والْمَعانِي والْبَيانِ، مُشارِكًا في النَّحْوِ، يَتَوَقَّدُ ذَكَاءً. وله على "**الْكَشَّافُ**" **حَواشٍ** مَشْهورَةٌ، وله: "**شَرْحٌ على مَطالِعِ الْأُرْمَوِيِّ**"[2]، في الْمَنْطِقِ. وهذا شَرْحٌ عَظِيمُ الشَّأْنِ، وله "**شَرْحٌ على الرِّسالَةِ الشَّمْسِيَّةِ لِلْكاتِبِيِّ**"، في الْمَنْطِقِ.

تُوُفِّيَ في سادِسِ ذي الْقَعْدَةِ، سَنَةَ سِتٍّ وسِتِّينَ وَسَبْعِمِئَةٍ، بظاهِرِ دِمَشْقَ، عن نَحْوِ أَرْبَعٍ وسَبْعينَ سنَةً[3].

يُرْوى أَنَّهُ كان له عَبْدٌ رَبَّاهُ من صِغَرِهِ وعَلَّمَهُ، حتَّى كان مُدَرِّسًا وفاضِلًا في كُلِّ الْعُلومِ، وكان يُدْعَى بِمُبَارَكِ شَاه الْمَنْطِقِيِّ. وهو الذي أَخَذَ عنه الشَّرِيفُ الْجُرْجانِيُّ "**شَرْحُ الْمَطالِعِ**"، لِمَوْلاهُ قُطْبِ الدِّينِ الرَّازِيِّ. وكان طَلَبَ قِراءَتَهُ أَوَّلًا من الشَّارِحِ، ولم يَلْتَزِمْ ذلك، وتَعَلَّلَ بأَنَّنِي شَيْخٌ وأَنْتَ شابٌّ، ثم أَرْسَلَهُ

---

(1) فعل ورد لا يتعدى بحرف الجر.

(2) سمَّاه: لوامع الأسرار في شرح طوالع الأنوار.

(3) طبقات الشافعية الكبرى: 9/ 275.

الشَّارِحُ من شِيرازَ إلى غُلامِهِ مُبَارَك شاه، وهو بِمِصْرَ وَقْتَئِذٍ، فَقَبِلَ الشَّريفُ ذلك، وَسارَ إليه مع كِتابٍ من الشَّارِحِ إليه، وَأَوْصَى في الْكِتابِ أن يُعَلِّمَهُ كما سَمِعَ منه. فلَمَّا أَوْصَلَ الشَّريفُ الْكِتابَ قَبِلَهُ، لكن بِشَرْطِ أن يَسْمَعَ فَقَطْ، ولا يَقْرَأَ ولا يَتَكَلَّمَ أَصْلًا.

ثُمَّ لَيْلَةً من اللَّيالِي كان يَطوفُ الْمُدَرِّسُ في الْمَدْرَسَةِ، إذ سَمِعَ مُباحَثَةً في بعض الْحُجُراتِ، فإذا هو الشَّريفُ الْمَذْكورُ، وسَمِعَ منه تَحْقِيقاتٍ عَجِيبَةً، وتَدْقِيقاتٍ غَرِيبَةً، حتى لَحِقَهُ الْبَهْجَةُ والسُّرورُ، بحيث رَقَصَ في فِناءِ الْمَدْرَسَةِ، على أنَّ مِثْلَ هذا الْفاضِلِ يَقْرَأُ عِنْدَهُ، فلمَّا أَصْبَحَ أذِنَ له في الْقِراءَةِ والتَّكَلُّمِ.

يُرْوَى أنَّ الشَّريفَ كَتَبَ **"حَواشي شَرْحِ الْمَطالِعِ"** عند قِراءَتِهِ عليه.

ومن الْكُتُبِ اللَّطِيفَةِ في الْمَنْطِقِ:

"التَّلْويحاتُ" و**"الْمُطارَحاتُ"**، لِلسُّهْرَوَرْدِيِّ، وهو أبو الْفُتوحِ يَحْيَى بنُ حَبَشِ بْنِ أَمِيرَكَ، الْمُلَقَّبُ شِهابَ الدِّينِ السُّهْرَوَرْدِيَّ، الْحَكيمُ الْمَقْتولُ؛ وقيل: اسْمُهُ عُمَرُ.

كانَ من عُلَماءِ عَصْرِهِ، قَرَأَ الْحِكْمَةَ وأُصولَ الْفِقْهِ على الشَّيْخِ مَجْدِ الدِّينِ الْجِيلِيِّ، أُسْتاذِ فَخْرِ الدِّينِ الرَّازِيِّ، بِمَدينَةِ الْمَراغَةِ، من أعْمَالِ أَذْرَبِيجانَ، إلى أن بَرَعَ فيهما.

وكانَ السُّهْرَوَرْدِيُّ أوْحَدَ أهْلِ زَمانِهِ في الْعُلومِ الْحِكْمِيَّةِ والْفَلْسَفِيَّةِ، بارِعًا في الْأصولِ الْفِقْهِيَّةِ، مُفْرِطَ الذَّكاءِ، فَصيحَ الْعِبارَةِ.

ويُقالُ: إنه كان يَعْرِفُ عِلْمِ السِّيمِيَاءِ، ويُحْكى عنه فيه أشْيَاءُ غَرِيبَةٌ، منها ما حَكَى بعضُ فُقَهاءِ الْعَجَمِ، أنَّهُ كان في صُحْبَتِهِ ـ وقد خَرَجُوا من دِمَشْقَ ـ قال: فلمَّا وَصَلْنَا إلى الْقابُونِ ـ الْقَرْيَةِ التي على بابِ دِمَشْقَ في طَرِيقِ من يَتَوَجَّهُ إلى حَلَبَ ـ لَقِينا قَطِيعَ غَنَمٍ مَعَ تُرْكُمانِيٍّ، فاشْتَهَيْنا غَنَمًا نَأْكُلُهُ، وأَعْطانَا عَشَرَةَ دراهِمَ كانت معه، فَاشْتَرَيْنا بها غَنَمًا من رَجُلٍ تُرْكُمانِيٍّ، فلم نَمْشِ إلا قَليلًا وَلَحِقَنَا رَفِيقٌ له، وقال: رُدُّوا الرَّأْسَ، وخُذُوا أصْغَرَ من هذا الْغَنَمِ، وَرَفِيقِي لم يَعْرِفْ قِيمَتَهُ، وتَقَاوَلْنَا نحن وإيَّاهُ، فَلَمَّا عَرَفَ الشَّيْخُ ذلك، قال: امْشُوا وأنا أُرْضِيهِ، فَتَقَدَّمْنَا نحن، وَبَقِيَ الشَّيْخُ يَتَحَدَّثُ معه، وَيُطَيِّبُ قَلْبَهُ، فَلَمَّا أَبْعَدْنَا قَليلًا، تَبِعَنَا وَتَرَكَهُ، فَغاظَ التُّرْكُمانِيَّ، وجَذَبَ الْيَدَ الْيُسْرَى لِلشَّيْخِ، وإذا بِيَدِ الشَّيْخِ قد انْخَلَعَتْ، وَرَمَى التُّرْكُمانِيُّ يَدَهُ، وَخافَ منه وَفَرَّ، وأخَذَ الشَّيْخُ تلك اليَدَ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ولَحِقَنَا إلى أن غابَ عن التُّرْكُمانِيِّ، فَرَأَيْنا في يَدِ الشَّيْخِ مِنْديلًا له لا غَيْرُ.

ويُحْكَى عنه مِثْلَ هذا أشْيَاءُ كَثيرَةٌ.

وله تَصانِيفُ منها: "**التَّنْقيحَاتُ في أصولِ الْفِقْهِ**"، و"**التَّلْوِيحاتُ**"، و"**الْمُطارَحاتُ**"، في الْمَنْطِقِ والْحِكْمَةِ. و"**الْهَياكِلُ**"[1]، و"**حِكْمَةُ الإِشْراقِ**"، في الْحِكْمَةِ. وله الرِّسالَةُ الْمَعْروفَةُ بـ "**الْغُرْبَةُ الْغَرْبِيَّةُ**"، على مِثالِ "**رِسالَةُ الطَّيْرِ**"، ورِسالَةُ "**حَيُّ بْنُ يَقْظَانَ**"، لِأَبِي عَلِيٍّ ابْنِ سِينَا. وفيها بَلَاغَةٌ

(1) يقصد كتاب هياكل النور، وهو مطبوع.

تامَّةٌ لِلسُّهْرَوَرْدِيِّ، أشارَ فيها إلى حَديثِ النَّفْسِ، وما يَتَعَلَّقُ بها[1]. وله في النَّظْمِ والنَّثْرِ أَشْياءُ لَطِيفَةٌ لا حاجَةَ إلى الإِطالَةِ فيها.

وكان شافِعِيَّ الْمَذْهَبِ، وكان يُلَقَّبُ بالْمُؤَيَّدِ بِالْمَلَكوتِ، وكان يُتَّهَمُ بانْحِلالِ الْعَقيدَةِ والتَّعْطيلِ، وَيَعْتَمِدُ مَذْهَبَ الْحُكَماءِ الْمُتَقَدِّمينَ. وأَفْتى عُلَماءُ حَلَبَ بإباحَةِ دَمِهِ، وكان أَشَدُّهُمْ عليه زَيْنَ الدِّينِ ومَجْدَ الدِّينِ ابْنَيْ جَهْبَلٍ.

وقال الشَّيْخُ سَيْفُ الدِّينِ الْآمِدِيُّ - وَسَيَجِيءُ ذِكْرُهُ - اجْتَمَعْتُ بالسُّهْرَوَرْدِيِّ في حَلَبَ، فقال لي: لا بُدَّ أَنْ أَمْلِكَ الْأَرْضَ، فقلتُ له: من أين لَكَ هذا؟ قال: رَأَيْتُ في الْمَنامِ كأَنِّي شَرِبْتُ ماءَ الْبَحْرِ، فقلتُ: لَعَلَّ هذا يَكونُ اشْتِهارَ الْعِلْمِ وما يُناسِبُ هذا، فَرَأَيْتُهُ لا يَرْجِعُ عَمَّا وَقَعَ في نَفْسِهِ، وَرَأَيْتُهُ كَثيرَ الْعِلْمِ، قَليلَ الْعَقْلِ.

وبِالْجُمْلَةِ، حَبَسَهُ السُّلْطانُ وخَنَقَهُ، في خامِسِ رَجَبٍ سنةَ سَبْعٍ وَثَمانينَ وخَمْسِمِئَةٍ بقَلْعَةِ حَلَبَ، وعُمُرُهُ ثَمانٍ وثَلاثونَ سنةً.

وكان النَّاسُ مُخْتَلِفينَ في حَقِّهِ، منهم من يَنْسُبُهُ إلى الزَّنْدَقَةِ والإِلْحادِ، ومنهم من يَشْهَدُ له بِحُسْنِ الِاعْتِقادِ.

قالَ الْقاضي بَهاءُ الدِّينِ الْمَعْروفُ بابْنِ شَدَّادٍ قاضِي حَلَبَ: إِنَّ السُّهْرَوَرْدِيَّ كانَ كَثيرَ التَّعْظِيمِ لِشَعائِرِ الدِّينِ الْقَويمِ، وأطالَ الْكَلامَ في ذلك.

---

(1) كتب تحتها في نسخة أنطاليا: على اصطلاح الحكماء.

وذَكَرَ نَفْسَهُ في أواخِرِ "التَّلْويحاتُ" في وَصَايَا ذَكَرَهَا هُناكَ: "واتَّقِ شَرَّ من أَحْسَنْتَ إليه[1] من اللِّئامِ، ولقد أصابَنِي منهم شَدائِدُ"[2].

قال شارِحُها: أرادَ به بعضًا من تَلامِذَتِهِ، الَّذينَ يُصاحِبونَهُ في السَّفَرِ والْحَضَرِ، وَيَنْقُلونَ عنه أَشْياءَ مُخالِفَةً لِلشَّرْعِ. ولَعَلَّ قَتْلَهُ كان بِسَبَبِ هؤلاءِ. نَسْأَلُ اللهَ الْعَفْوَ والْعافِيَةَ في الدِّينِ والدُّنيا والْآخِرَةِ، وأن يَجْعَلنا من أهْلِ الْحَقِّ والرَّشادِ، وأن يَعْصِمَنا من شَرِّ أهْلِ الزَّيْغِ والْفَسادِ، إنه وَلِيُّ الْحَقِّ والْإِرْشادِ[3].

ومن لَطائِفِ كُتُبِ الْمَنْطِقِ:

"**الْمُلَخَّصُ**"، و"**شَرْحُ الْإِشاراتِ**"، وَغَيْرُ ذلِكَ لِلإمامِ الرَّازِيِّ. وسَتَعْرِفُ تَرْجَمَتَهُ إنْ شاءَ اللهُ تَعالى.

ومن الْكُتُبِ النَّافِعَةِ في الْمَنْطِقِ:

"**الْمُعْتَبَرُ**"، **لأبِي الْبَرَكاتِ الْبَغْدادِيِّ**، وهو هِبَةُ اللهِ ابنُ مَلْكَا أبو الْبَرَكاتِ الْبَغْدادِيُّ، الْيَهودِيُّ أوَّلًا في أكْثَرِ عُمُرِهِ، والْمُهْتَدِي إلى الْإِسْلامِ في آخِرِ أمْرِهِ، الْمُلَقَّبُ أوْحَدَ الزَّمانِ. طَبيبٌ فاضِلٌ، عالِمٌ بِعُلومِ الْأَوائِلِ. كان حَسَنَ الْعِبارَةِ، لَطيفَ الْإِشارَةِ. صَنَّفَ "**كِتابُ الْمُعْتَبَرِ**"، أتَى فيه بِأَقْسامِ الْحِكْمَةِ

(1) هذه العبارة تحريف لقولهم: أبقِ بِرَّ من أحسنت إليه، وهو التعبير الموافق لمبادئ شريعتنا السمحة.

(2) التلويحات: 126. ضمن موسوعة مصنفات السهروردي.

(3) وفيات الأعيان: 6/ 268-273.

غير الرِّياضِيِّ. وهو أَحْسَنُ كِتابٍ صُنِّفَ في هذا الشَّأْنِ في هذا الزَّمانِ. وَكانَ ذا ثَرْوَةٍ وتَجَمُّلٍ تامٍّ، وهَجاهُ ابْنُ أَفْلَحَ وَقالَ: [البسيط]

لَنَا طَبيبٌ يَهودِيٌّ حَماقَتُهُ ... إذا تَكَلَّمَ تَبْدُو فِيهِ مِنْ فِيهِ[1]
يَتِيهُ وَالْكَلْبُ أَعْلَى مِنْهُ مَنْزِلَةً ... كَأَنَّهُ بَعْدُ لم يَخْرُجْ مِنَ التِّيهِ

وَلَمَّا سَمِعَ ذلك، عَلِمَ أَنَّهُ لا يُبَجَّلُ بِالنِّعْمَةِ بلا إسْلامٍ، فَقَوِيَ عَزْمُهُ على الْإِسْلامِ، فَأَسْلَمَ وجَلَسَ لِلتَّعْلِيمِ والْمُعالَجَةِ، وعاشَ عِيشَةً هَنِيئَةً، إلى أَنْ خانَهُ الدَّهْرُ ـ وهو خَؤونٌ ـ وَعَصاهُ الزَّمانُ وهو ذو فُنونٍ، حتى اسْتَوْلَتْ عليه والْعِياذُ باللهِ آفاتٌ لو وُضِعَ واحِدٌ منها على رَضْوَى لَتَخَلْخَلَ أصولُهُ الرَّواسِخُ، وتَدَكْدَكَ رُؤوسُهُ الشَّوامِخُ، وذلك أَنَّهُ عَمِيَ وطَرِشَ وبَرِصَ وتَجَذَّمَ، فَنَعوذُ بالله من نِقْمَةٍ لا تُطيقُها الْأَبْدانُ، ومن زَوالِ الْعَافِيَةِ وتَقَلُّبِ الإحْسانِ. ولمَّا أَحَسَّ بالْمَوْتِ، أَوْصَى من يَتَوَلَّاهُ أن يَكْتُبَ على قَبْرِهِ ما مِثالُهُ: هذا قَبْرُ أَوْحَدِ الزَّمانِ أبي الْبَرَكاتِ ذي الْعِبَرِ صاحِبِ "**الْمُعْتَبَرِ**". فَسُبْحانَ من لا يَغْلِبُهُ غالِبٌ، ولا يَنْجُو من قَضائِهِ مُتَحَيِّلٌ ولا هَارِبٌ. نَسْأَلُ الله تعالى في حَياتِنَا العافِيَةَ، وفي مَماتِنَا حُسْنَ الْعاقِبَةِ، رَبِّ قد أَحْسَنْتَ فيما مَضَى، فَلَكَ أنْ تُحْسِنَ إلينا فِيمَا بَقِيَ. ولم نَتَحَقَّقْ تاريخَ وَفاتِهِ، إلَّا أَنَّهُ كان في أواسِطِ الْمِئَةِ السَّادِسَةِ، واللهُ أَعْلَمُ.

---

(1) البيتان والخبر في إخبار العلماء بأخبار الحكماء: 256-258، ونسبا لعلي بن أفلح العبسي (ت.535هـ)، ونسبا في وفيات الأعيان: 6/ 76 والوافي بالوفيات: 27/ 166 لابن التلميذ هبة الله بن صاعد (ت.560هـ).

ومن كُتُبِ الْمَنْطِقِ:

"**جامِعُ الدَّقائِقِ**"، لِلْكاتِبِيِّ[1]. و"**شَرْحُ الْكَشْفِ**" له أيْضًا. و"**الْكَشْفُ**"، و"**تَنْزِيلُ الأَفْكارِ**"، و"**حَواشِي مُلَخَّصِ الرَّازِيِّ**[2]"، كُلُّها لِلْكَاتِبِيِّ.

وإِنْ أَرَدْتَ بُلوغَ الْغَايَةِ في الْمَنْطِقِ فَعَلَيْكَ بـ "**تَعْديلُ الْمِيزانِ**"، وهُوَ أَحَدُ أقْسامِ "**تَعْديلُ الْعُلومِ**"، لِلْإمامِ الْهُمامِ، والْحَبْرِ القَمْقامِ، فَخْرِ الْعُلَماءِ الْأَعْلامِ، وَنَتيجَةِ أَسْلافِهِ الْكِرامِ، وسُلالَةِ أَجْدادِهِ الْعِظامِ، الْإمامِ صَدْرِ الشَّريعَةِ، أَكْرَمَهُ اللهُ في الدَّرَجاتِ الرَّفِيعَةِ. وهو رَحِمَهُ اللهُ كَشَفَ في هذا الْكِتابِ عن غَوامِضَ طالَمَا تَحَيَّرَ فيها عُقولُ الْأَقْدَمِينَ، وأبْرَزَ قَواعِدَ لم يَهْتَدِ إليها أَحَدٌ من الْأَوْحَدينَ، ومع هذا فهو لِلْعُلومِ الشَّرْعِيَّةِ أبو عُذْرِهَا، وابْنُ بَجْدَتِها[3]، وَسَتَعْرِفُ تَرْجَمَتَهُ إنْ شاءَ اللهُ تَعالَى الْكَريمُ.

وكُتُبُ الْمَنْطِقِ أَكْثَرُ مِنْ أنْ تُحْصَى، وأَجَلُّ من أنْ تُسْتَقْصَى، لكن من لم يَنْتَفِعْ بما ذُكِرَ لا يَنْتَفِعُ بِخَزائِنَ من الْكُتُبِ. واللهُ الْمُوَفِّقُ لِلرَّشادِ، والْمُعْطِي لِلسَّدادِ.

---

(1) نجم الدّين الكاتبي الْقَزْوِيني علي بن عمر بن علي، الملقب بدَبِيران (ت.675هـ)، ترجمته في الوافي بالوفيات: 21/ 244.

(2) يقصد: "الملخص في الحكمة والمنطق"، للفخر الرازي، وسمَّى الكاتبي حواشيه: "المنصص في شرح المخصص"، وهو مخطوط.

(3) نجدتها، في قونية ورئيس الكتاب. يُقَالُ: هُوَ ابْنُ بَجْدَتها لِلْعَالِمِ بالشَّيءِ الْمُتْقِنِ لَهُ الْمُمَيِّزِ لَهُ، وَكَذَلِكَ يُقَالُ لِلدَّلِيلِ الْهَادِي. اللسان: بجد.

الشُّعْبَةُ الثَّانِيَةُ: في عُلومٍ تَعْصِمُ عن الْخَطَإِ في الْمُناظَرَةِ والدَّرْسِ

علم آدابِ الدَّرْسِ

وهو الْعِلْمُ الْمُتَعَلِّقُ بِآدابٍ تَتَعَلَّقُ بالتِّلْميذِ مع الْأُسْتاذِ وَعَكْسِهِ.

ومَنْفَعَتُهُ، وغَايَتُهُ، وغَرَضُهُ ظاهِرَةٌ جِدًّا.

وقد ذَكَرْنا في مُقَدِّماتِ هذه الرِّسالَةِ ما فيه غُنْيَةٌ عن الْإِكْثارِ فيه. وقد اسْتُوفِيَ هذا الْبابُ في كِتابِ "تَعْليمُ الْمُتَعَلِّمِ"[1].

عِلْمُ النَّظَرِ

وهو عِلْمٌ يُبْحَثُ فيه عن كَيْفِيَّةِ إيرادِ الْكَلامِ بينَ الْمُناظِرِينَ.

وَمَوْضوعُهُ: الْأَدِلَّةُ من حيثُ إنَّها يُثْبِتُ بها الْمُدَّعِي على الْغَيْرِ.

ومَبادِئُهُ: أمُورٌ بَيِّنَةٌ بِنَفْسِهَا.

والْغَرَضُ منه: تَحْصِيلُ مَلَكَةِ طُرُقِ الْمُناظَرَةِ، لئلا يَقَعَ الْخَبْطُ في الْبَحْثِ فَيَتَّضِحَ الصَّوابُ.

ومن الْكُتُبِ الْمُخْتَصَرَةِ فيه غايَةَ الِاخْتِصارِ:

"رِسالَةٌ لمَوْلانا عَضُدِ الدِّينِ" وسَتَعْرِفُهُ. وقد بَيَّنَ قَواعِدَها كُلَّها في مِقْدارِ عَشَرَةِ أَسْطُرٍ.

---

(1) كتاب تعليم المتعلم، لبرهان الدين الزرنوجي.

وشَرَحَها بعضُ الْفُضَلاءِ الْمُعاصِرينَ لنا شَرْحًا حَسَنًا، وهو مَوْلانَا مُحَمَّدُ ابنُ محمَّدٍ الْبَرْدَعِيُّ(1)، وكان ذَكِيًّا في الْغايَةِ.

ماتَ في سَنَةِ سَبْعٍ وعِشْرينَ وتِسعِمئةٍ.

ومن الْكُتُبِ الْمُخْتَصَرَةِ النَّافِعَةِ فيه:

"رِسالَةُ مَوْلانا شَمْسِ الدِّينِ السَّمَرْقَنْدِيِّ"(2)، صاحِبِ "قُسْطاسُ الْمِيزانِ". وهذه الرِّسالَةُ أَشْهَرُ كُتُبِ هذا الْفَنِّ. وعليها شُروحٌ؛ منها: "شَرْحُ عَلاءِ الدِّينِ الْبُهُشْتِيِّ"(3)، و"شَرْحُ قُطْبِ الدِّينِ الْكِيلَانِيِّ"(4)، و"شَرْحُ مَسْعودٍ الرُّومِيِّ"(5). وغيرُ ذلكَ.

ومِنَ الْكُتُبِ الْمُخْتَصَرَةِ فيه:

"كِتابُ مَوْلانا سِنانِ الدِّينِ الْكَنْجِيِّ"(6). وكَنْجَةُ(7): قَرْيَةٌ من قُرَى بَرْذَعَةَ، ولم يَتَّفِقْ له شَرْحٌ إلى الآنَ.

---

(1) مُحَمَّدُ بنُ محمَّدٍ الْبَرْدَعِيُّ (ت.928هـ). ترجمته في الشقائق النعمانية: 240-241، سلم الوصول: 3/ 253، شذرات الذهب: 10/ 215، هدية العارفين: 229.

(2) رسالة في آداب البحث، لشمس الدين محمد بن أشرف السمرقندي (ت.بعد 690هـ)، ترجمته في: سلم الوصول: 3/ 108، هدية العارفين: 2/ 106. والرسالة مطبوعة.

(3) محمد بن أحمد البهشتي، الأسفراييني، أبو العلاء، علاء الدين، المعروف بفخر خراسان، (ت.749هـ)، ترجمته في: كشف الظنون: 1/ 41، سلم الوصول: 4/ 274، هدية العارفين: 2/ 156.

(4) قطب الدين محمد الكيلاني (ت. بعد 891هـ). كشف الظنون: 1/ 40.

(5) مسعود بن حسين الشّرْواني (ت.905هـ) كشف الظنون: 1/ 39، هدية العارفين: 2/ 337.

(6): هو: "آداب سنان الدين الكنجي (ت.922هـ)".

(7) كَنْجَةُ: بالفتح ثم السكون، وجيم: مدينة عظيمة وهي قصبة بلاد أرّان، وأهل الأدب يسمونها جنزة، بالجيم والنون والزاي. معجم البلدان: 4/ 482.

عِلْمُ الْجَدَلِ

وهو عِلْمٌ باحِثٌ عن الطُّرُقِ التي يُقْتَدَرُ بها على إبْرامِ أيِّ وَضْعٍ أُريدَ، وعلى هَدْمِ أي وَضْعٍ كانَ. وهذا من فُروعِ عِلْمِ النَّظَرِ، ومَبْنًى لِعِلْمِ الْخِلافِ. وهذا مَأْخُوذٌ من الْجَدَلِ، الَّذِي هو أَحَدُ أَجْزاءِ مَباحِثِ الْمَنْطِقِ، لَكِنَّهُ خُصَّ بِالْعُلومِ الدِّينِيَّةِ.

وَمَبادِئُهُ: بعضُها مُبَيَّنَةٌ[1] في عِلْمِ النَّظَرِ، وبعضُها خَطابِيَّةٌ، وبعضُها أُمورٌ عادِيَّةٌ، وله اسْتِمْدادٌ من عِلْمِ الْمُناظَرَةِ.

وَمَوْضوعُهُ: تلك الطُّرُقُ.

والْغَرَضُ منه: تَحْصِيلُ مَلَكَةِ الْهَدْمِ والْإِبْرامِ.

وَفائِدَتُهُ: كَثيرَةٌ في الْأَحْكامِ الْعِلْمِيَّةِ والْعَمَلِيَّةِ من جِهَةِ الْإِلْزامِ على الْمُخالِفينَ، وَدَفْعِ شُكوكِهِمْ[2].

وِلِلنَّاسِ فيه طُرُقٌ، أَحْسَنُها طَرِيقُ رُكْنِ الدِّينِ الْعَميدِيِّ[3].

ومن الْكُتُبِ الْمُخْتَصَرَةِ فيه:

"**الْمُغْنِي**"، لِلْأَبْهَرِيِّ، و"**الْفُصولُ**"، لِلنَّسَفِيِّ، و"**الْخُلاصَةُ**"، لِلْمَراغِيِّ، و"**مُقَدِّمَةُ النَّسَفِيِّ**"[4]، وعليها شُروحٌ أَحْسَنُها "**شَرْحُ السَّمَرْقَنْدِيِّ**"[5].

---

(1) مبنية، في رئيس الكتاب وعاطف أفندي.

(2) ينظر رسالة في العلوم الشرعية والعربية: 56.

(3) محمد بن محمد بن محمد أبو حامد ركن الدين العميدي (ت.615هـ)، ترجمته في: وفيات الأعيان: 4/ 257، العبر للذهبي: 5/ 57، الوافي بالوفيات: 1/ 280، تاج التراجم: 58.

(4) "المقدمة البرهانية"، وهي مطبوعة.

(5) "شرح المقدمة البرهانية"، لمحمد بن أشرف الحسيني السمرقندي (ت.705هـ).

ومن الْمُتَوَسِّطَةِ:

"النَّفائِسُ"، لِلعَمِيدِيِّ، و"الرَّسائِلُ"، لِلْأُرْمَوِيِّ، و"تَهْذِيبُ النُّكَتِ"، لِلْأَبْهَرِيِّ. وفي هذا الْعِلْمِ مُصَنَّفاتٌ كَثِيرَةٌ، لَكِنَّهُ لم يَشْتَهِرْ في بِلادِنَا غَيْرُ ما ذَكَرْنا[1].

واعْلَمْ أنَّ أوَّلَ من صَنَّفَ الْجَدَلَ الْحَسَنَ من الْفُقَهاءِ أبو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيِّ بنِ إسْماعِيلَ الْقَفَّالُ الشَّاشِيُّ الشَّافِعِيُّ، إمامُ عَصْرِهِ بلا مُدافَعَةٍ. كان فَقيهًا مُحَدِّثًا، أُصولِيًّا لُغَوِيًّا شاعِرًا، لم يَكُنْ بما وَراءَ النَّهْرِ لِلشَّافِعِيِّينَ مِثْلُهُ في وَقْتِهِ. رَحَلَ إلى خُراسانَ، والْعِراقِ، والْحِجازِ، والشَّامِ، والثُّغورِ، وسارَ ذِكْرُهُ في الْبِلادِ. وَأَخَذَ الْفِقْهَ عن ابْنِ سُرَيْجٍ[2].

وله مُصَنَّفاتٌ كَثيرَةٌ في الْجَدَلِ وَأُصولِ الْفِقْهِ، وعنه انْتَشَرَ مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ في بِلادِهِ. رَوَى عن مُحَمَّدِ بْنِ جَريرِ الطَّبَرِيِّ وَأَقْرانِهِ، وَرَوَى عنه الْحاكِمُ، وأبو عَبْدِ الله ابْنُ مَنْدَهْ، وأبو عَبْدِ الرَّحْمنِ السُّلَمِيُّ، وجَماعَةٌ كَثيرَةٌ.

تُوُفِّيَ سَنَةَ سِتٍّ وثَلاثينَ وثَلاثِمِئَةٍ؛ وقيل: تُوُفِّيَ بالشَّاشِ في ذي الْحِجَّةِ سنةَ خَمْسٍ وسِتِّينَ وَثَلاثِمِئَةٍ. وكانَتْ وِلادَتُهُ سَنَةَ إِحْدَى وَتِسْعينَ ومِئَتَيْنِ. وَقيلَ: سَنَةَ سِتٍّ وسِتِّينَ وَثَلاثِمِئَةٍ. وَشَاشُ مَدينَةٌ وَراءَ نَهرِ سَيْحونَ في أَرْضِ التُّرْكِ[3].

---

(1) ذكرناه، في رئيس الكتاب.

(2) أبو العباس أحمد بن عمر بن سُرَيْج القاضي الفقيه الشافعي، اشتهر بالخلاف والذب عن المذهب الشافعي حتى لقب بالباز الأشهب، (ت.306هـ)، ينظر: طبقات الشافعية الكبرى: 3/ 21، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: 2/ 89.

(3) ينظر وفيات الأعيان: 4/ 200.

قالَ بَعْضُ الْعُلَماءِ: إيَّاكَ أن تَشْتَغِلَ بهذا الْجَدَلِ[1] الَّذِي ظَهَرَ بعد انْقِراضِ الْأَكابِرِ من الْعُلَماءِ، فإنَّهُ يُبْعِدُ عن الْفِقْهِ، ويُضَيِّعُ الْعُمُرَ، ويُورِثُ الْوَحْشَةَ والْعَداوَةَ، وهو من أَشْراطِ السَّاعَةِ، وارْتِفاعِ الْعِلْمِ والْفِقْهِ. كذا وَرَدَ في الْحَديثِ حَسْبَما ذُكِرَ في "تَعْليمُ الْمُتَعَلِّمِ".

وللهِ دَرُّ الْقَائِلِ: [الوافر]

أَرَى فُقَهاءَ هذا الْعَصْرِ طُرًّا ... أضَاعُوا الْعِلْمَ واشْتَغَلُوا بِلِمْ لَمْ[2]
إذا نَاظَرْتَهُمْ لم تَلْقَ مِنْهُمْ ... سِوَى حَرْفَيْنِ لِمْ لَمْ لَا نُسَلِّمْ

قُلْتُ: والْإِنْصافُ أنَّ الْجَدَلَ لِإِظْهارِ الصَّوابِ على مُقْتَضى قَوْلِهِ تَعَالى: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[3]، لا بَأْسَ به، ورُبَّمَا يُنْتَفَعُ به في تَشْحيذِ الْأَذْهانِ، وتَصْقيلِ الْخَواطِرِ. والَّذِي مَنَعَ عنه الْعُلَماءُ هو الْجَدَلُ الذي يُضَيِّعُ الْأَوْقاتَ، ولا يَحْصُلُ منه طائِلٌ، وكَثيرًا ما لا يَخْلو عن التَّحاسُدِ والتَّنافُسِ الْمَذْمومَيْنِ في الشَّرْعِ. فَعَلَيْكَ الِاحْتِياطُ لئلَّا تَقَعَ في الْمَهالِكِ من حَيْثُ لا تَشْعُرُ.

علم الْخِلافِ

وهو عِلْمٌ باحِثٌ عن وُجوهِ الِاسْتِنْباطاتِ الْمُخْتَلِفَةِ، من الْأَدِلَّةِ الْإِجْمالِيَّةِ أو التَّفْصيلِيَّةِ، الذاهِبُ إلى كُلٍّ منها طائِفَةٌ من الْعُلَماءِ، أفْضَلُهُمْ وأَمْثَلُهُمْ: أبو

---

(1) الجدال، في رئيس الكتاب وأنطاليا ومراد ملا.
(2) البيتان والخبر في تنبيه الرجل العاقل على تمويه الجدل الباطل: 43.
(3) سورة النحل، الآية: 125.

حَنيفَةَ النُّعْمانُ بنُ ثابتٍ الْكُوفِيُّ، ومِنْ أَصْحابِهِ: أبو يوسُفَ، ومُحَمَّدٌ، وَزُفَرُ، والْإمامُ الشَّافِعِيُّ، والإمامُ مالِكٌ، والْإمامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، رَضِيَ الله عنهم؛ ثُمَّ الْبَحْثُ عنها بِحَسَبِ الْإبْرامِ والنَّقْضِ لأيِّ وضْعٍ أُريدَ في تلك الْوُجوهِ.

ومَبادِئُهُ: مُسْتَنْبَطَةٌ من عِلْمِ الْجَدَلِ، فَالْجَدَلُ بِمَنْزِلَةِ الْمادَّةِ، والْخِلافُ بِمَنْزِلَةِ الصُّورَةِ، وله اسْتِمْدادٌ من الْعُلومِ الْعَرَبِيَّةِ والشَّرْعِيَّةِ.

وَغَرَضُهُ: تَحْصِيلُ مَلَكَةِ الْإبْرامِ والنَّقْضِ.

وفائِدَتُهُ: دَفْعُ الشُّكوكِ عن الْمَذْهَبِ، وإيقاعُها في الْمَذْهَبِ الْمُخالِفِ.

وقَدْ أَوْرَدَ عِلْمَ الْخِلافِ والْجَدَلِ الْإمامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ في كِتابِ "**الْمَعالِمُ**"[1]، وقد جَمَعَ بعضُ الْعُلَماءِ في عِلْمِ الْخِلافِ **الْمَسائِلَ الْعِشْرينَ**، وبَعْضُها **الْأَرْبَعينَ**، وَغَيْرَ ذلكَ من الرَّسائِلِ والتَّعْليقاتِ، لكنْ قد ضاعَ كُتُبُهُ، وانْطَمَسَتْ[2] آثارُهُ، وَبَطَلَ مَعالِمُهُ في زَمانِنا هذا، حتى إنَّ طَلَبَةَ زَمانِنا، لا يَتَفَطَّنونَ الْفَرْقَ بين الْخِلافِ والْجَدَلِ والْمُناظَرَةِ، فَضْلًا عن مَعْرِفَةِ شيءٍ من كُتُبِهَا، فَضْلًا عن اطِّلاعِ بَعْضِ مَسَائِلِها. وإلى اللهِ الْمُشْتَكَى من زَمانٍ صارَ الْكَلامُ فيه كَلامًا بلا أَثَرٍ، والْخِلافُ خِلافًا بلا ثَمَرٍ، والْأُصولُ فُضولًا، والْمَعْقولُ مَغْفُولًا.

اعْلَمْ أنَّ أَوَّلَ مَنْ أَخْرَجَ عِلْمَ الْخِلافِ في الدُّنْيا أبو زَيْدٍ الدَّبُوسِيُّ، بِتَخْفيفِ الباءِ الْمُوَحَّدَةِ، الْحَنَفِيُّ، وهو عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بن عِيسَى.

---

(1) للفخر الرازي ثلاث كتب بهذا العنوان: "المعالم في أصول الفقه"، و"المعالم في أصول الدين"، و"المعالم في علم الكلام"، وهو يقصد الأول.

(2) وانطمس، في قونية ورئيس الكتاب وأنطاليا.

له: كِتابُ "**الْأَسْرارُ**"، وكِتابُ "**تَقْوِيمُ الْأَدِلَّةِ**"، كِلاهُما من أُصولِ الْفِقْهِ.

قال الذَّهَبِيُّ: كانَ ممن يُضْرَبُ به الْمَثَلُ في النَّظَرِ واسْتِخْراجِ الْحُجَجِ.

وله: **كِتابُ "الْأَمَدُ الْأَقْصَى"**[1] أيضًا.

ودَبُوسَةُ[2]: قَرْيَةٌ بَيْنَ بُخارَى وَسَمَرْقَنْدَ.

تُوُفِّيَ بِبُخَارَى سنةَ ثَلاثينَ وأَرْبَعِمِئَةٍ، وقيل: يومَ الْخَميسِ مُنْتَصَفَ جمادى الآخِرَةِ، سنة اثنتينِ وثلاثينَ، وهو ابْنُ ثَلاثٍ وسِتِّينَ.

ناظَرَ مَرَّةً رَجُلًا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَتَبَسَّمُ وَيَضْحَكُ، فَأَنْشَدَ أبو زَيْدٍ لِنَفْسِهِ: [السريع]

مَا لِي إذا أَلْزَمْتُهُ حُجَّةً قَابَلَنِي بالضَّحْكِ والْقَهْقَهَهْ[3]
إنْ كانَ ضَحْكُ الْمَرْءِ من فِقْهِهِ فَالدُّبُّ في الصَّحْراءِ ما أفْقَهَهْ

قُلْتُ: وَيُرْوَى: بالضَّحْكِ والتَّبَسِمَهْ
فَالدُّبُّ في الصَّحْراءِ ما أَفْهَمَهْ

واعْلَمْ أنَّهُ يُمْكِنُ جَعْلُ عِلْمِ الْجَدَلِ والْخِلافِ من فُروعِ عِلْمِ أُصولِ الْفِقْهِ، وَسَتَعْرِفُهُ إنْ شاءَ اللهَ تعالى الْكَريمُ. وهو حَسْبِي ونِعْمَ الْوَكيلُ، والْهادِي إلى سواءِ السَّبِيلِ.

---

(1) تاريخ الإسلام: 9/ 476.

(2) كذا في وفيات الأعيان: 3/ 48 وفي الأنساب: 2/ 81 ومعجم البلدان: 2/ 438: دَبُوسِيَّةُ: وهي بلد من أعمال الصّغد مما وراء النهر.

(3) نسب له البيتان برواية واحدة في وفيات الأعيان: 3/ 48، وبالروايتين معا في تاج التراجم: 192.

الدَّوْحَةُ الرَّابِعَةُ: في الْعِلْمِ الْمُتَعَلِّقِ بالْأَعْيانِ

وهذا قِسمانِ:

ما يُبْحَثُ فيه بِمُجَرَّدِ الرَّأْيِ ومُقْتَضَى الْعَقْلِ فَقَطْ، وهو الْعُلومُ الْحِكْمِيَّةُ الباحِثَةُ عن أحْوالِ الْمَوْجودَاتِ الْخارِجِيَّةِ، بِحَسَبِ الطَّاقَةِ الْبَشَرِيَّةِ.

وما يُبْحَثُ فيه على[1] قَواعِدِ الشَّرْعِ، وعلى تَسْليمِ الْمُدَّعِي، وأَخْذِهِ من الشَّرْعِ، وهو عِلْمُ أُصولِ الدِّينِ، وعلى هذا التَّقْسيمِ حالُ الْحِكْمَةِ الْعَمَلِيَّةِ.

ولَمَّا تَقَدَّمَ عِلْمُ الْحِكْمَةِ على عِلْمِ الْكَلَامِ بِحَسَبِ التَّدْوِينِ، وكان عِلْمُ الْكَلامِ مُناسِبًا لِلطَّرَفِ الثَّانِي من الرِّسالَةِ، قَدَّمْنَا الْعُلومَ الْحِكْمِيَّةَ على ذلك. فَفِيهَا مُقَدِّمَةٌ، وعِدَّةُ شُعَبٍ.

الْمُقَدِّمَةُ:

اعْلَمْ أنَّ الْعُلومَ الْحِكْمِيَّةَ النَّظَرِيَّةَ، إمَّا أنْ يُبْحَثَ فيه عن مَوْجودٍ مُنَزَّهٍ عن الْمَادَّةِ في الْخارِجِ وعند الْبَحْثِ؛ أو يُبْحَثَ عن مَوْجودٍ مُقارِنٍ لِلْمادَّةِ خارِجًا دون الْبَحْثِ؛ أو يُبْحَثَ عن مَوْجودٍ مُقارِنٍ لها، خارِجًا أيْضًا.

والْقِسْمُ الأوَّلُ: يُسَمَّى **بالْعِلْمِ الإلَهِيِّ**، لِبَحْثِهِ عن الْإِلَهِياتِ، **وبالْعِلْمِ الْأَعْلَى**، لِعُلُوِّ مَوْضوعِهِ بِسَبَبِ تَجَرُّدِهِ عن الْمادَّةِ؛ وَيُسَمَّى: **بِعِلْمِ ما بَعْدَ الطَّبيعَةِ أيْضًا**، لِقِراءَتِهِمْ إيَّاهَا بَعْدَ الْعِلْمِ الطَّبيعِيِّ.

---

(1) عن، في قونية.

والْقِسْمُ الثَّانِي: يُسَمَّى **بِالرِّياضِيِّ**، لِرِياضَةِ النُّفوسِ بها أوَّلًا، إذ الْأَوائِلُ كانوا يَبْتَدِئونَ في التَّعْليمِ بها لِكَوْنِ دَلائِلِهَا يَقِينِيَّةً، ولِتَعْتادَ النُّفوسُ بِالْيَقِينِيَّاتِ بادِئَ بَدْءٍ، حتى كانوا يُقَدِّمونَهَا على الْمَنْطِقِ أيضًا؛ ويُسَمَّى **بِالْعِلْمِ الْأَوْسَطِ** أيضًا، لِعَدَمِ تَجَرُّدِهِ عن الْمادَّةِ بِالْكُلِّيَّةِ، ولِعَدَمِ مُقارَنَتِهِ إيَّاهَا بالْكُلِّيَّةِ.

والْقِسْمُ الثَّالِثُ: يُسَمَّى **بِالْعِلْمِ الطَّبِيعِيِّ**، لِبَحْثِهِ عن طَبائِعِ الْأَجْسامِ[1]، **وبِالْعِلْمِ الْأَدْنَى**، لِمُقارَنَتِهِ بالْمَادَّةِ بِالْكُلِّيَّةِ.

فهذِهِ هي الْأُصولُ الثَّلاثَةُ لِلْعُلومِ الْحِكْمِيَّةِ، وَلْنَذْكُرْ كُلًّا منها في شُعْبَةٍ، ولِكُلٍّ منها فُرُوعٌ لا تُحْصَى، ولْنَذْكُرْ فُروعَ كلٍّ منها عَقِيبَهُ في شُعْبَةٍ أُخْرَى، فَتَصِيرُ الشُّعَبُ سِتًّا، وَلْنُقَدِّمِ الْعِلْمَ الْإِلَهِيَّ على الْباقِيَيْنِ لِشَرَفِهِ. ثُمَّ لِنَذْكُرِ الْأَوْسَطَ ثُمَّ الْأَدْنَى.

(1) هذا التقسيم لابن سينا في رسالته في العلوم العقلية، لكن النقل من رسالة البيضاوي في موضوعات العلوم: 98.

الشُّعْبَةُ الأولَى: في الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ

العِلْمُ الإِلَهِيُّ

عِلْمٌ يُبْحَثُ فيهِ عنِ المَوجُودَاتِ مِن حيثُ هي مَوجُوداتٌ.

وَمَوْضوعُهُ: الْمَوْجودُ من حيثُ هو.

وَغايَتُهُ: تَحْصيلُ الْإعْتِقادَاتِ الْحَقَّةِ، والتَّصَوُّراتِ الْمُطابِقَةِ لِتَحْصيلِ السَّعادَةِ الْأَبَدِيَّةِ، والسِّيادَةِ السَّرْمَدِيَّةِ.

وهذا الْعِلْمُ هو الْمَقْصَدُ الْأَقْصَى، والْمَطْلَبُ الْأَعْلَى، لَكِنْ لِمَنْ وَقَفَ على حَقائِقِهِ، واسْتَقامَ في الاطِّلاعِ على دَقائِقِهِ، لِأَنَّ من حَظِيَ بها فقد فازَ فَوْزًا عَظيمًا، وَنالَ مُلْكًا كَريمًا، ومن زَلَّتْ فيه قَدَمُهُ، أو طَغَى به قَلَمُهُ، فقد ضَلَّ ضَلَالًا بَعيدًا، وَخَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا، إذِ الْباطِلُ يُشاكِلُ الْحَقَّ في مَأْخَذِهِ، والْوَهْمُ يُعارِضُ الْعَقْلَ في دَلائِلِهِ. جَلَّ جَنابُ الْحَقِّ عن أنْ يَكونَ شَريعَةً لِكُلِّ وارِدٍ، أو يَطَّلِعَ على سَرائِرِ قُدْسِهِ إلَّا واحِدٌ بعد واحِدٍ. وقَلَّمَا يُوجَدُ إنْسانٌ يَصْفُو عَقْلُهُ عن كَدَرِ الْأَوْهامِ، وَيَخْلُصُ فَهْمُهُ عن مَهاوِي الْإِبْهامِ.

وقد سَلَفَ في مُقَدِّمَةِ الْكِتابِ ما يَتَعَلَّقُ بهذا الْبابِ.

وقد عَرَفْتَ فيما سَبَقَ من الْمُقَدِّماتِ أنَّ طَريقَ الْكَسْبِ إمَّا طَرِيقُ النَّظَرِ، أو طَرِيقُ التَّصْفِيَةِ، وقد نَبَّهْناكَ على أنَّا نَذْكُرُ **طَريقَ التَّصْفِيَةِ** في الطَّرَفِ الثَّانِي من الرِّسالَةِ. ولْنَذْكُرْ هاهنا طَريقَ النَّظَرِ فَقَطْ، إلَّا أنَّ من النَّظَرِ رُتْبَةً تُتاخِمُ

طَريقَ التَّصْفِيَةِ، ويَقْرُبُ حَدُّهَا من حَدِّهَا، وهو **طَريقُ الذَّوْقِ**، وَيُسَمُّونَهُ[1] **الْحِكْمَةَ الذَّوْقِيَّةَ**.

ومِمَّنْ وَصَلَ إلى هذه الرُّتْبَةِ في السَّلَفِ: السُّهْرَوَرْدِيُّ، وكِتَابُ **"حِكْمَةُ الْإِشْراقِ"** له صادِرٌ عن هذا الْمَقامِ، بِرَمْزٍ أَخْفَى مِنْ سِرِّ صَدْرٍ كَاتِمٍ. وفي الْمُتَأَخِّرينَ الْعَالِمُ الْعَامِلُ، والْفاضِلُ الْكامِلُ، مَوْلانا شَمْسُ الدِّينِ الْفَنَارِيُّ، في بِلادِ الرُّومِ، ومَوْلانا جَلالُ الدِّينِ الدَّوَّانِيُّ[2]، في بِلادِ الْعَجَمِ. وهما فائِزانِ لِكِلْتا الرِّئاسَتَيْنِ، وحائِزانِ لِتِيْنَكِ الدَّوْلَتَيْنِ. وَرَئيسُ هؤلاء الشَّيْخُ صَدْرُ الدِّينِ الْقُونَوِيُّ قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ الْعَزيزَ، والْعَلَّامَةُ قُطْبُ الدِّينِ الشِّيرازِيُّ رَحِمَهُ اللهُ.

واعْلَمْ أَنَّ مَنْبَعَ الْعُلومِ الْحِكْمِيَّةِ[3] النَّظَرِيَّةِ، وأُسْتاذَ الْكُلِّ فيها إِدْرِيسُ النَّبِيُّ، عليه السَّلامُ، آتاهُ اللهُ النُّبُوءَةَ والْحِكْمَةَ، وأَنْزَلَ عليه ثَلاثِينَ صَحِيفَةً، وعِلْمَ النُّجومِ، وأَفْهَمَهُ عَدَدَ السِّنينَ والْحِسابَ، وعَلَّمَهُ اللهُ تَعَالَى الْأَلْسِنَةَ، حتى تَكَلَّمَ النَّاسُ في زَمَنِهِ اثْنَيْنِ وسَبْعِينَ لِسانًا.

وُلِدَ بِمِصْرَ وسَمَّوْهُ بِهِرْمِسِ الْهَرَامِسَةِ، وَبالْيُونَانِيَّةِ أَرْميسَ: يَعْنِي عُطَارِدَ، وعُرِّبَ بِهِرْمِسَ؛ واسْمُهُ الْأَصْلُ: هَنوخُ[4]، وعُرِّبَ أَخْنوخَ. وسَمَّاهُ اللهُ تعالى

---

(1) ويسمونها، في رئيس الكتاب.

(2) محمد بن أسعد جلال الدين الدواني الصديقي، قاض، باحث، يُعد من الفلاسفة. له عدة مصنفات، (ت.918هـ). ترجمته في: شذرات الذهب: 8/ 160، البدر الطالع: 2/ 129، هدية العارفين: 2/ 224.

(3) الحكمة، في رئيس الكتاب.

(4) حنوخ، في مراد ملا.

في كِتابِهِ الْعَرَبِيِّ الْمُبِينِ إدْريسَ لِكَثْرَةِ دِراسَتِهِ كِتابَ اللهِ تَعالَى. وقيلَ: إنَّ مُعَلِّمَهُ غُوثاذِيمُونُ أوْ أَغْثَاذِيمونُ الْمِصْرِيُّ، وَتَفْسِيرُهُ: السَّعِيدُ الْجَدِّ. قيلَ: وهو شِيثُ عليه السَّلامُ.

ثُمَّ إنَّ إدْرِيسَ عليه السَّلامُ عَرَّفَ النَّاسَ صِفَةَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ، بِأَنَّهُ يَكونُ بَريئًا من الْمَذَمَّاتِ والْآفَاتِ كُلِّهَا، كامِلًا في الْفَضائِلِ الْمَمْدوحَاتِ، لا يُقَصِّرُ عمَّا يُسْأَلُ عنه، ممَّا في الْأَرْضِ وَالسَّماءِ، ومِمَّا فيه دَواءٌ وشِفاءٌ، وأَنَّهُ يَكونُ مُسْتَجابَ الدَّعْوَةِ في كلِّ ما يَطْلُبُهُ، وَيَكونُ مَذْهَبُهُ وَدِينُهُ ما يَصْلُحُ به الْعالَمُ. وَكانَتْ قِبْلَةُ إدْريسَ عليه السَّلامُ جِهَةَ الْجَنوبِ على خَطِّ نِصْفِ النَّهارِ.

وكانَ رَجُلًا تامَّ الْخِلْقَةِ، حَسَنَ الْوَجْهِ، أَجْلَحَ[1]، كَثَّ اللِّحْيَةِ، مَليحَ الشَّمائِلِ والتَّخاطِيطِ، تامَّ الْباعِ، عَريضَ الْمَنْكِبَيْنِ، ضَخْمَ الْعِظامِ، قَليلَ اللَّحْمِ، بَرَّاقَ الْعَيْنِ أَكْحَلَهَا، مُتَأَنِّيًا في كَلامِهِ، كَثِيرَ الصَّمْتِ، ساكِنَ الْأَعْضاءِ، كَثيرَ الْفِكْرِ، به عَبْسَةٌ، أَكْثَرُ نَظَرِهِ إلى الْأَرْضِ، وإذا اغْتاظَ احْتَدَّ، يُحَرِّكُ سَبَّابَتَهُ إذا تَكَلَّمَ. وَكانَتْ مُدَّةُ مُقامِهِ في الْأَرْضِ اثْنَيْنِ وثَمانِينَ سَنَةً، ثَم رَفَعَهُ اللهُ مَكانًا عَلِيًّا[2].

وهو أَوَّلُ مَنْ خاطَ الثِّيابَ، وحَكَمَ بِالنُّجومِ، وأَنْذَرَ بِالطُّوفانِ، وَأَوَّلُ من بَنَى الْهَياكِلَ ومَجَّدَ اللهَ فيها، وَأَوَّلُ من نَظَرَ في الطِّبِّ، وَأَوَّلُ من أَلَّفَ الْقَصائِدَ

---

(1) جَلِحَ: الجَلَحُ: ذهابُ الشَّعْرِ مِنْ مُقَدَّم الرأس. اللسان: جلح.

(2) وظف المصنف الآية 57 من سورة مريم في سياق كلامه.

والْأشْعارَ، وهو بَانِي أَهْرامِ مِصْرَ، وصَوَّرَ فيها جَميعَ الْعُلومِ والصِّناعاتِ وآلاتِهَا، خَشْيَةَ أنْ يَذْهَبَ رَسْمُهُا بالطُّوفانِ[1].

وَاعْلَمْ أيْضًا أنَّ مِنْ أسَاتِذَةِ الْحِكْمَةِ أفْلاطونَ؛ أَحَدُ الْأَساطِينِ الْخَمْسَةِ لِلْحِكْمَةِ من يونانَ، كَبيرُ الْقَدْرِ، مَقْبولُ الْقَوْلِ، بَلِيغٌ في مَقاصِدِهِ.

أَخَذَ عن فِيثاغُورْسَ، وَشارَكَ مع سُقْراطَ في الْأَخْذِ عنه. وَكانَ أَفْلاطونُ شَريفَ النَّسَبِ بينهم، كان من بَيْتِ عِلْمٍ. وصَنَّفَ في الْحِكْمَةِ كُتُبًا كَثيرَةً، لكنِ اخْتارَ فيها الرَّمْزَ والْإِغْلاقَ. وكانَ يُعَلِّمُ تَلامِيذَهُ وهو مَاشٍ، ولهذا سُمُّوا الْمَشَّائِينَ، وفَوَّضَ الدَّرْسَ في آخِرِ عُمُرِهِ إلى أَرْشَدِ أَصْحابِهِ، وانْقَطَعَ هو إلى الْعِبادَةِ، وعاشَ ثَمانِينَ سَنَةً.

وَوُلِدَ في مَدِينَةِ أَثِينَا، وَلازَمَ سُقْرَاطَ خَمْسينَ سَنَةً، وكانَ عُمُرُهُ إذْ ذاكَ عِشْرينَ سَنَةً. ثُمَّ عادَ إلى بَلَدِهِ أَثِينَا، وَلازَمَ مَدْرَسَتَهُ، وَارْتَزَقَ من بَقْلِ الْبَساتِينِ، وتَزَوَّجَ امْرَأَتَيْنِ. وكانَتْ نَفْسُهُ في التَّعْليمِ مُبارَكَةً، تَخَرَّجَ به عُلَماءُ اشْتَهَرُوا من بَعْدِهِ. وله تَصانِيفُ كَثيرَةٌ في أَقْسامِ الْحِكْمَةِ[2].

ومن جُمْلَةِ أَساتِذَةِ الْحِكْمَةِ:

أَرِسْطوطَالِيسُ، تِلْميذُ أفْلاطونَ، وَلازَمَ خِدْمَتَهُ مُدَّةَ عِشْرينَ سَنَةً. وكانَ أَفْلاطُونُ يُؤْثِرُهُ على غَيْرِهِ، ويُسَمِّيهِ الْعَقْلَ. وهو خَاتِمَةُ حُكَمائِهِمْ، وَسَيِّدُ

---

(1) إخبار العلماء بأخبار الحكماء: 11-12.

(2) المصدر نفسه: 25.

عُلَمَائِهِمْ، وَأَوَّلُ من اسْتَخْرَجَ الْمَنْطِقَ. وله كُتُبٌ شَرِيفَةٌ في الْفَلْسَفَةِ. وَكانَ مُعَلِّمَ الْإِسْكَنْدَرِ بْنِ فِيلِقْسَ، وَبِآدابِهِ وسِياسَتِهِ عَمِلَ هو، فَظَهَرَ الْخَيْرُ، وَفاضَ الْعَدْلُ، وبه انْقَمَعَ الشِّرْكُ في بلادِ الْيونانِيِّينَ.

وأَرِسْطوطالِيسُ مَعْناهُ: مُحِبُّ الْحِكْمَةِ، أو الْفاضِلُ الْكامِلُ. عاشَ سَبْعًا وسِتِّينَ سَنَةً. ومُصَنَّفاتُهُ تُنَيِّفُ على ثَمانِينَ.

وكانَ أَبْيَضَ، أَجْلَحَ، حَسَنَ الْقامَةِ، عَظيمَ الْعِظامِ، صَغِيرَ الْعَيْنَيْنِ والْفَمِ، عَرِيضَ الصَّدْرِ، كَثَّ اللِّحْيَةِ، أَشْهَلَ الْعَيْنَيْنِ، أَقْنَى الْأَنْفِ، يُسْرِعُ في مَشْيِهِ إذا خَلَا، وَيُبْطِئُ إذا كان مع أَصْحَابِهِ، ناظِرًا في الْكُتُبِ دائِمًا، وَيَقِفُ عند كُلِّ كَلِمَةٍ، ويُطِيلُ الْإِطْراقَ عند السُّؤالِ، قَلِيلَ الْجَوابِ، يَنْتَقِلُ في أَوْقاتِ النَّهارِ في الْفَيافِي ونَحْوَ الْأَنْهارِ، مُحِبًّا لِاسْتِماعِ الْأَلْحانِ، والِاجْتِماعِ بأَهْلِ الرِّياضاتِ وأَصْحابِ الْجَدَلِ، مُنْصِفًا في نَفْسِهِ إذا خُصِمَ[1]، وَيَعْتَرِفُ بِمَوْضِعِ الْإِصابَةِ والْخَطَإِ، مُعْتَدِلًا في الْمَلابِسِ والْمَآكِلِ والْمَشارِبِ والْمَناكِحِ، بِيَدِهِ آلَةُ النُّجومِ والسَّاعاتِ.

وَماتَ وله ثَمانٌ وسِتُّونَ سَنَةً[2].

ثُمَّ إِنَّهُ تَخَلَّى عن خِدْمَةِ الْمُلوكِ، وَبَنَى مَوْضِعَ التَّعْلِيمِ، وَأَقْبَلَ على الْعِنايَةِ بِمَصالِحِ النَّاسِ، وَرَفْدِ الْفُضَلاءِ، وتَزْوِيجِ الْأَيامَى، وإِرْشادِ الْمُلْتَمِسِينَ

(1) خَصَمَهُ يخْصِمُهُ خَصْمًا: غلبه بالحجة. اللسان: خصم.

(2) إخبار العلماء بأخبار الحكماء: 90-91.

لِلْعِلْمِ والْأَدَبِ. وكان جَليلَ الْقَدْرِ في النَّاسِ، وكانت له من الْمُلوكِ كَراماتٌ عَظيمَةٌ، ومَنْزِلَةٌ رَفيعَةٌ. وكان كَثيرَ التَّلاميذِ من الْمُلوكِ وأَبْنائِهِمْ وغَيْرِهِمْ. وكان أَهْلُ مَدينَةِ أَسْطَا إذا أَشْكَلَ عليهم أَمْرٌ يَجْتَمِعونَ إلى قَبْرِهِ حتى يُفْتَحَ لهم، ويَزْعُمونَ أنَّ قَبْرَهُ يُصَحِّحُ فِكْرَهُمْ، وَيُزَكِّي عُقُولَهُمْ. واسْتِيفاءُ أَخْبارِهِ لا يُمْكِنُ إلا في مُجَلَّدٍ.

ومن جُمْلَةِ أساتِذَةِ الْحِكْمَةِ:

الْفارَابِيُّ، وهو أبو نَصْرٍ مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدِ بْنِ طَرْخانَ الْفارَابِيُّ التُّرْكِيُّ الْحَكِيمُ الْمَشْهورُ، صاحِبُ التَّصانِيفِ في الْمَنْطِقِ والْحِكْمَةِ، وغيرِهَا من الْعُلومِ. وهو أَكْبَرُ فَلاسِفَةِ الْإِسْلامِيِّينَ، لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ مَنْ بَلَغَ رُتْبَتَهُ في فُنونِهِ. وتَخَرَّجَ ابْنُ سِينَا بِكُتُبِهِ، وَبِعُلومِهِ انْتَفَعَ في تَصانِيفِهِ.

وكان رَجُلًا تُرْكِيًّا، تَنَقَّلَتْ به الْأَسْفارُ إلى أن وَصَلَ بَغْدادَ. وهو يَعْرِفُ كَثيرًا من اللُّغاتِ غَيْرَ الْعَرَبِيِّ، ثم تَعَلَّمَهُ وأَتْقَنَهُ. ثم اشْتَغَلَ بالْحِكْمَةِ، فَقَرَأَ على أَبِي بِشْرٍ مَتَّى بنِ يُونُسَ الْحَكيمِ، من شَرْحِ كِتابِ أرِسْطُو في الْمَنْطِقِ، سَبْعينَ سِفْرًا.

وكانَ هو شَيْخًا كَبِيرًا، له صِيتٌ عَظيمٌ، يَجْتَمِعونَ في حَلْقَتِهِ كُلَّ يَوْمٍ الْمِئونَ من الْمَنْطِقِيِّينَ. ثم أَخَذَ طَرَفًا من الْمَنْطِقِ من أبي حَنَّا بْنِ خَيْلانَ الْحَكيمِ النَّصْرانِيِّ بِمَدينَةِ حَرَّانَ، ثم قَفَلَ إلى بَغْدادَ، وَقَرَأَ بها عُلومَ الْفَلْسَفَةِ، وَتَمَهَّرَ في كُتِبِ أرِسْطُو جَميعِها.

يُقالُ: وُجِدَ "**كِتابُ النَّفْسِ**"، لِأَرِسْطو وعَلَيْهِ مَكْتُوبٌ بِخَط الفارابِيِّ: إنِّي قَرَأْتُ هذا الْكِتابَ مِئَتَيْ مَرَّةٍ. ويُقالُ: قَرَأَ "**السَّماعُ الطَّبِيعِيُّ**" لِأَرِسْطُو أَرْبَعِينَ مَرَّةً، ومع ذلك يَقولُ: إنِّي مُحْتاجٌ إلى مُعاوَدَتِهِ.

وكانَ يَقولُ: لو أَدْرَكْتُ أَرِسْطو لكنتُ أَكْبَرَ تَلامِذَتِهِ.

ثُمَّ سافَرَ إلى دِمَشْقَ، ثم إلى مِصْرَ، ثم عادَ إلى دِمَشْقَ، فَأَحْسَنَ إليه سُلْطانُها سَيْفُ الدَّوْلَةِ بْنُ حَمْدانَ، وأَجْرى عليه كُلَّ يَوْمٍ أرْبَعَةَ دَراهِمَ، لأَنَّهُ كان أَزْهَدَ النَّاسِ في الدُّنْيا، لا يَحْتَفِلُ بِأَمْرِ مُكْتَسَبٍ ولا مَسْكَنٍ، ولذلك اقْتَصَرَ على أرْبَعَةِ دَراهِمَ. وكانَ مُنْفَرِدًا بِنَفْسِهِ، لا يكونُ إلَّا عند مُجْتَمَعِ[1] مَاءٍ، أو مُشْتَبَكِ رِياضٍ، ويُؤَلِّفُ كُتُبَهُ هناكَ، وكان أَكْثَرُ تَصانِيفِهِ في الرِّقاعِ، ولم يُصَنِّفْ في الْكَرارِيسِ إلا قَليلًا، فَلِذلِكَ كانَتْ أَكْثَرُ تَصانِيفِهِ فُصولًا وَتَعليقاتٍ، وبعضُها مَبْتورًا ناقِصًا.

وَيُحْكَى أَنَّهُ دَخَلَ على مَجْلِسِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ وهو بِزِيِّ الْأَتْراكِ، وكان ذلك زِيَّهُ دائِمًا، فَتَخَطَّى رِقابَ النَّاسِ، وكان الْمَجْلِسُ مُجْتَمَعَ الْفُضَلاءِ، حتى انْتَهَى إلى مِسْنَدِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ وَزاحَمَهُ، حتى أَخْرَجَهُ عنه، فقالَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ لِمَمالِيكِهِ بِلِسانٍ خاصٍّ يُسَارُّ بهم وَهذا الشَّيْخُ قد أساءَ الأدَبَ، وإنِّي مُسائِلُهُ عن أشْياءَ، إن لم يُوَفِّ بها فَاخْرُجوا به، فقال أبو نَصْرٍ بذلك اللِّسانِ: أَيُّها الْأَمِيرُ، اصْبِرْ فإنَّ الأمورَ بِعَواقِبِها، فقال سَيْفُ الدَّوْلَةِ: أَتُحْسِنُ بهذا اللِّسانِ، قال: نعم:

---

(1) مجمع، في قونية.

بل أَكْثَرَ من سَبْعِينَ لِسانًا. فَعَظُمَ عندَهُ، ثم أَخَذَ يَتكَلَّمُ في كُلِّ فَنٍّ حتى بَذَّ[1] جميعَ الْحاضِرينَ، فَخَلَا به سَيْفُ الدَّوْلَةِ، فقال له: هل تَشْرَبُ؟ فقال: لا، فقال: تَسْمَعُ؟ قال: نعم؛ فَأَحْضَرَ الْآلاتِ، فما حَرَّكَ أحَدٌ منها شَيْئًا إلَّا وَعابَهُ أبو نَصْرٍ، ثم أَخْرَجَ من وَسَطِهِ خَريطَةً، وأَخْرَجَ منها عِيدانًا، فَرَكَّبَهَا فَلَعِبَ بها، فَضَحِكَ كلُّ من حَضَرَ؛ ثُمَّ فَكَّهَا وَرَكَّبَهَا تَرْكيبًا آخَرَ، وضَرَبَ بها، فَبَكَى كلُّهُمْ، ثم فَكَّهَا وغَيَّرَ تَرْكيبَهَا، وَحَرَّكَهَا، فَنَامُوا كُلُّهُمْ حتى الْبَوَّابُ، فتَرَكَهُمْ نِيَامًا وَخَرَجَ.

ويُحْكَى أنَّ الْآلَةَ الْمُسَمَّاةَ بِالْقانونِ من تَرْكيبِهِ.

تُوُفِّيَ سنةَ تِسْعٍ وَثَلاثينَ وَثَلاثِمِئَةٍ بِدِمَشْقَ، وقد ناهَزَ ثَمانينَ سَنَةً. وعَدَدُ مُصَنَّفاتِهِ من الْكُتُبِ والرَّسائِلِ سَبْعونَ، كُلُّهَا نافِعَةٌ، سِيَّمَا كِتابانِ في الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ والْمَدَنِيِّ لا نَظيرَ لهما، أَحَدُهُما الْمَعْروفُ: بـ **"السِّياسَةُ الْمَدَنِيَّةُ"**، والآخَرُ بـ **"السِّيرَةُ الْفاضِلَةُ"**.

وصَنَّفَ كِتابًا شَريفًا في **إِحْصاءِ الْعُلومِ والتَّعْريفِ بأَغْراضِهَا**، لم يَسْبِقْ إليه أَحَدٌ، ولا ذَهَبَ أَحَدٌ مَذْهَبَهُ، ولا يَسْتَغْنِي عنه أَحَدٌ من طُلَّابِ الْعِلْمِ. وكذا كِتابُهُ في **أَغْراضِ أَفْلاطونَ وأَرِسْطو**، اطَّلَعَ فيه على أَسْرارِ الْعُلومِ وثِمارِها عِلْمًا عِلْمًا، وَبَيَّنَ كيفَ التَّدَرُّجُ من بَعْضِهَا إلى بعضٍ شيئًا فشيئًا، ثم بَدَأَ بِفَلْسَفَةِ أفْلاطونَ يُعَرِّفُ بِغَرَضِهِ منها، ثم أَتْبَعَ ذلك بِفَلْسَفَةِ أَرِسْطُو، وَوَصَفَ

(1) بذَّ القائلين يبُذُّهم أي سبقهم وغلبهم. اللسان: بذذ.

أَغْراضَهُ في تَآلِيفِهِ الْمَنْطِقِيَّةِ والطَّبِيعِيَّةِ، فلا أعْلَمُ كِتابًا أَجْدَى على طَلَبِ الْفَلْسَفَةِ منه.

وَفارابُ: إحدى مُدُنِ التُّرْكِ فيما وراءَ النَّهْرِ[1].

ومن جُمْلَةِ أَساطِينِ الْحِكْمَةِ:

أبو عَلِيٍّ ابنُ سِينَا، وقد عَرَفْتَهُ.

والْإِمامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ، وسَتَعْرِفُهُ.

ومِمَّنْ نَحَا نَحْوَهُما: **نَصِيرُ الدِّينِ الطُّوسِيُّ**، وهو مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، سُلْطانُ الْحُكَماءِ الْمُدَقِّقِينَ، وقُدْوَتُهُمْ في زَمانِهِ، جامِعُ عُلومِ الْمُتَقَدِّمينَ والْمُتَأَخِّرينَ.

وُلِدَ يَوْمَ السَّبْتِ حادِي عَشَرَ جُمادَى الأولى، سَنَةَ سَبْعٍ وتِسْعينَ وخَمْسِمِئَةٍ. **وتُوُفِّيَ** آخِرَ نَهارِ الإِثْنَيْنِ ثامِنَ عَشَرَ ذي الْحِجَّةِ، وَقْتَ مَغِيبِ الشَّمْسِ سَنَةَ اثْنَيْنِ وَسَبْعينَ وَسِتِّمِئَةٍ. وَدُفِنَ بالْمَشْهَدِ الْكاظِمِيِّ، على ساكِنِها أفْضَلُ السَّلام.

وكانَ آيَةً في التَّدْقِيقِ والتَّحْقِيقِ، وَحَلِّ الْمَواضِعِ الْمُشْكِلَةِ، سِيَّمَا لُطْفُ التَّحْريرِ الَّذِي لم يَلْتَفِتْ إليه الْمُتَقَدِّمونَ، بل الْتَفَتُوا جانِبَ الْمَعْنَى فَقَطْ. وهو اخْتَرَعَ في التَّحْريرِ أُسْلوبًا يَسْهُلُ أخْذُ الْمَعْنَى منه، مع التَّحَرُّزِ عن أَلْفاظِ

---

(1) وفيات الأعيان: 5/ 153-157.

زائِدَةٍ، وكَلِماتٍ مُغْلَقَةٍ، وإن لم تُصَدِّقْنِي في ذلك، فَعَلَيْكَ بِتَتَبُّعِ تَصانِيفِ الْقُدَماءِ إلى زَمانِهِ، بحيث تَجِدُ بينهما فَرْقًا أيَّ فَرْقٍ.

ثمَّ إنَّ الفاضِلَ الشَّريفَ قَلَّدَهُ في أمْرِ التَّحْريرِ والتَّقْريرِ، كما يَظْهَرُ لَكَ بالنَّظَرِ في تَصانِيفِهما، إلَّا أنَّهُ ـ تَجاوَزَ اللهُ عنه ـ كانَ غالِيًا في التَّشَيُّعِ، كما يُفْصِحُ عنه الْمَقْصَدُ السَّادِسُ في "التَّجْريدُ"، وكان يُحْكَى عنه مع ذلكَ أمُورٌ لا تُناسِبُ رُتْبَتَهُ في الْعِلْمِ، حيث كان في مَعْنَى الْوَزيرِ لِلْكافِرِ الْمُسَمَّى بِهولاكُو، مَلِكِ التُّرْكِ الطُّغَاةِ. وهو الَّذِي أغارَ على بِلادِ الْمُسْلِمينَ وَخَرَّبَهَا، وانْقَطَعَتْ بِسَبَبِهِ سِلْسِلَةُ الْخِلافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ في بَغْدادَ، وَجَرَى ما جَرَى مِمَّا اشْتَهَرَ أمْرُهُ، ويَطولُ شَرْحُهُ. [البسيط]

وكانَ ما كانَ مِمَّا لَسْتُ أَذْكُرُهُ فَظُنَّ شَرًّا ولا تَسْأَلْ عن الْخَبَرِ

إلَّا أنَّ الشَّيْخَ أَكْمَلَ الدِّينِ قال في آخِرِ شَرْحِهِ لِلتَّجْريدِ، سَمِعْتُ شَيْخِي الْعَلَّامَةَ، وهو مَوْلانا قُطْبُ الدِّينِ الشِّيرازِيُّ رَحِمَهُ الله، أنَّهُ قالَ: كانَ النَّاسُ مُخْتَلِفينَ في أنَّ هذا الْكِتابَ ـ يَعْنِي "التَّجْريدُ" ـ لِخَواجَةَ نَصِيرِ الدِّينِ أوَّلًا، فَسَأَلْتُ عن ذَلكَ ابْنَهُ خَواجَةَ أَصِيلَ الدِّينِ، فقال: كانَ والِدِي وَضَعَهُ إلى بابِ الْإِمامَةِ، وتُوُفِّيَ، فَكَمَّلَهُ ابْنُ الْمُطَهَّرِ الْحِلِّيُّ، وكانَ من الشِّيعَةِ، وهو زائِغٌ زَيْغًا عَظيمًا. فَعَلَى هذه الرِّوايَةِ يَكونُ هو بَريئًا عن نَقيصَةِ التَّشَيُّعِ، إلَّا أنَّ الْمَشْهورَ عند الْجُمْهورِ خِلَافُهُ. والله حَسِيبُهُ، وهو أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الْحالِ، وَكَيْفِيَّةِ الْمَآلِ.

وَمِمَّنْ يَلِي هؤلاءِ في مَعْرِفَةِ الْحِكْمَةِ: **الشَّيْخُ شِهابُ الدِّينِ السُّهْرَوَرْدِيُّ**، بل فاقَ كَثيرًا منهم في الْحِكْمَةِ الذَّوْقِيَّةِ، وقد عَرَفْتَهُ.

ومِمَّنِ انْخَرَطَ في سِلْكِهِمْ: الْعَلَّامَةُ مَوْلانَا **قُطْبُ الدِّينِ الشِّيرازِيُّ**، والْعَلَّامَةُ مَوْلانَا **قُطْبُ الدِّينِ الرَّازِيُّ** ـ وقد عَرَفْتَهُمَا ـ ومَوْلانَا **سَعْدُ الدِّينِ التَّفْتازانِيُّ**، والسَّيِّدُ **الشَّريفُ الْجُرْجانِيُّ**، ثم مَوْلانَا **جَلالُ الدِّينِ الدَّوَّانِيُّ**، ومن فُضَلاءِ بِلادِنَا: مَوْلانَا **مُصْلِحُ الدِّينِ مُصْطَفَى الشَّهِيرُ بخَواجَةَ زَادَهْ**؛ و**مُصْلِحُ الدِّينِ مُصْطَفَى الشَّهيرُ بالْقَسْطَلَّانِيِّ**؛ لَكِنْ هؤلاءِ السَّبْعَةُ قد فَاقوا[1] على أَكْثَرِ الْمُتَقَدِّمينَ في الْحَديثِ والتَّفْسِيرِ والْأَصْلَيْنِ وَالْفُروعِ، إلَّا الْإِمامَ فَخْرَ الدِّينِ الرَّازِيَّ، فإنَّهُ تَمَهَّرَ فيها، مع مُشَارَكَتِهِ لِهَؤلاءِ [في][2] الْعُلومِ الْحِكْمِيَّةِ بأَقْسامِهَا، إلَّا أنَّ إتْقَانَهُمْ أقْوَى من إتْقانِهِ.

واعْلَمْ أنَّ الْكُتُبَ الْمُصَنَّفَةَ في الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ، لمَّا لم تَخْلُ عن الرِّياضِيِّ والطَّبيعِيِّ أيْضًا، أحْبَبْنا أنْ نَذْكُرَها بعد الْفَراغِ عن الْكُلِّ، اللَّهُمَّ إلَّا نادِرًا، كـ **"الْمَباحِثُ الْمَشْرِقِيَّةُ"**، لِلإمام فَخْرِ الدِّينِ الرَّازِيِّ وأمْثالِهِ.

ولا تَظُنَّنَّ أنَّ الْعُلومَ الْحِكْمِيَّةَ مُخالِفَةٌ لِلْعُلومِ الشَّرْعِيَّةِ الْبَتَّةَ، وليس كذلكَ، بل الْخِلافُ في مَسائِلَ يَسِيرَةٍ، وبَعْضُها مُخالِفٌ ظاهِرًا، لكن إنْ حُقِّقَ، يُصافِحُ أحَدُهُما الْآخَرَ ويُعانِقُهُ.

---

(1) فعل فاق لا يتعدى بعلى.

(2) سقطت من قونية.

الشُّعْبَةُ الثَّانية: في فُروعِ الْعِلْمِ الإِلَهِيِّ

عِلْمُ مَعْرِفَةِ النُّفوسِ الإِنْسانِيَّةِ بَدْءًا وَعَوْدًا، وأَنَّها قَدِيمَةٌ، أو حادِثَةٌ، أو مَحْشورَةٌ، أو غَيْرُ مَحْشورَةٍ.

وَمَوْضوعُهُ وغَرَضُهُ لا يَخْفَى على الْفَطِنِ.

عِلْمُ مَعْرِفَةِ الْمَلائِكَةِ

هو[1] الْعِلْمُ الْباحِثُ عن أَحْوالِ الْمُجَرَّداتِ التي لا تَتَصَرَّفُ في الْبَدَنِ، وأَحْوالِها، وكَيْفِيَّةِ صُدورِهَا عن مَبْدَئِهَا.

ومَوْضوعُهُ وغايَتُهُ وغَرَضُهُ ظاهِرٌ لمن تَمَهَّرَ في الْعِلْمِ الإِلَهِيِّ.

عِلْمُ مَعْرِفَةِ الْمَعادِ

وهو عِلْمٌ باحِثٌ عن أَحْوالِ النَّفْسِ بعد الْمُفارَقَةِ عن الْبَدَنِ، حيث يَتَعَلَّقُ بالْبَدَنِ أخْرَى أم لا؟ أم هَلْ يُمْكِنُ لها السَّعادَةُ أو الشَّقاوَةُ؟ وهل يَتَبَدَّلُ أَحَدُهُمَا[2] بالْأُخْرَى؟ وما سَبَبُ كُلٍّ مِنْهُمَا؟

ومَوْضُوعُهُ وغَرَضُهُ وَنَفْعُهُ لا يَحْتاجُ إلى الْبَيانِ.

---

(1) هي، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(2) أحديهما، في رئيس الكتاب وأنطاليا ومراد ملا.

عِلْمُ أَمارَاتِ النُّبُوَّةِ

من الْإِرْهاصَاتِ، والْمُعْجِزاتِ الْقَوْلِيَّةِ والْفِعْلِيَّةِ، وأمْثالِ ذلك، وكَيْفِيَّةِ دَلالَةِ هذه على النُّبُوَّةِ، والْفَرْقِ بينها وبينَ السِّحْرِ، وتَمْييزِ الصَّادِقِ من الْكاذِبِ.

ومَوْضوعُهُ وغايَتُهُ وغَرَضُهُ ظاهِرَةٌ جِدًّا.

وَمَنْفَعَتُهُ أعْظَمُ الْمَنافِعِ.

وفي هذا الْعِلْمِ مُصَنَّفاتٌ كَثِيرَةٌ، لكنه لا أنْفَعَ ولا أَحْسَنَ من كتابِ **"أَعْلامُ النُّبُوَّةِ"**، لِلشَّيْخِ الإمامِ أبي الْحَسَنِ عَلِيِّ بنِ مُحَمَّدِ بنِ حَبيبٍ الْمَاوَرْدِيِّ. وهو كانَ من كِبارِ الْفُقَهاءِ الشافِعِيَّةِ. أخَذَ الْفِقْهَ عن أبي حامِدٍ الْأَسْفَرايِينِيِّ ببَغْدادَ، وأبي الْقاسِمِ الصَّيْمَرِيِّ. وكان حافِظًا لِلْمَذْهَبِ. **وله فيه**: كِتابُ **"الْحاوِي"**[1]، وله تَفْسيرُ الْقُرْآنِ الْكَريمِ: **"النُّكَتُ والْعُيونُ"**، و**"أَدَبُ الدِّينِ والدُّنْيَا"**، و**"الْأَحْكامُ السُّلْطانِيَّةُ"**، و**"قانونُ الْوِزارَةِ"**، و**"سِياسَةُ الْمُلْكِ"**، و**"الْإِقْناعُ في الْمَذْهَبِ"**. وغيرُ ذلكَ.

وفُوِّضَ إليه الْقَضاءُ ببلدانٍ كَثيرةٍ. واسْتَوْطَنَ بَغْدادَ. **وتُوُفِّيَ** يومَ الثُّلاثاءِ، سَلْخَ رَبيعِ الْأَوَّلِ، سنةَ خَمْسينَ وأربعمئةٍ، وعُمُرُهُ سِتٌّ وثَمانونَ سنةً[2].

---

(1) "الحاوي الكبير في الفروع". وهو مطبوع.

(2) وفيات الأعيان: 3/ 282-284.

عِلْمُ مَقالاتِ الْفِرَقِ[1]

وهو عِلْمٌ باحِثٌ عن ضَبْطِ الْمَذاهِبِ الْباطِلَةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بالِاعْتِقاداتِ الْإِلَهِيَّةِ. وهي على ما أَخْبَرَ به نَبِيُّنا مُحَمَّدٌ، صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ، عن هذهِ الأمَّةِ، اثْنَتانِ وسَبْعونَ فِرْقَةً.

وَمَوْضوعُهُ وغايَتُهُ وغَرَضُهُ ومَنْفَعَتُهُ ظاهِرَةٌ جِدًّا. وقد تَكَفَّلَ بِتَفْصيلِ مُجْمَلاتِهَا الْقاضي مَوْلانا عَضُدُ الدِّينِ، في آخِرِ كِتابِهِ **"الْمَواقِفُ من عِلْمِ الْكَلامِ"**[2].

ومِمَّنْ أَوْرَدَ فِرَقَ الْمَذاهِبِ في الْعالَمِ كُلِّهَا: **مُحَمَّدُ الشَّهْرَسْتانِيُّ** في كِتابِ **"الْمِلَلُ والنِّحَلُ"**. وهو أبو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ بنُ أبي القاسِمِ عبدِ الْكَريمِ بنِ أبي بَكْرٍ أَحْمَدَ الشَّهْرَسْتانِيُّ، الْمُتَكَلِّمُ على مَذْهَبِ الْأَشْعَرِيِّ. كان إمامًا مُبَرِّزًا، فَقيهًا مُتَكَلِّمًا. تَفَقَّهَ على أَحْمَدَ الْخَوافِيِّ[3] الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهُ[4]، وعلى أَبِي نَصْرٍ الْقُشَيْرِيِّ، وغيرِهِمَا. وَبَرَعَ في الْفِقْهِ، وَقَرَأَ الْكَلامَ على أبي الْقاسِمِ الْأَنْصارِيِّ، وَتَفَرَّدَ فيهِ.

---

(1) مقالات علم الفرق، في مراد ملا.

(2) طبع بعنوان: المواقف في علم الكلام.

(3) الحوافي في النسخ الخطية وهو تصحيف والصواب ما أثبتنا من مصدر النقل وهو وفيات الأعيان: 1/ 96، نسبة إلى خواف ناحية من نواحي نيسابور، وأحمد بن محمد بن المظفر الخوافي، فقيه شافعي كان انظر أهل زمانه، تفقه على إمام الحرمين الجويني، (ت.500هـ) ترجمته في: وفيات الأعيان: 1/ 96، والوافي بالوفيات: 8/ 127، وطبقات الشافعية للسبكي: 6/ 63.

(4) لم يتقدَّمْ ذكره هنا، وإنما نقل عبارة ابن خلكان كما وجدها.

وَصَنَّفَ: كتابَ "**نِهايَةُ الإِقْدامِ في عِلْمِ الْكَلامِ**"، وكتابَ "**الْمِلَلُ والنِّحَلُ**"، و"**الْمَناهِجُ**"، و"**الْبَيِّناتُ**"[1]، وكِتابَ "**الْمُصارَعَةُ**"[2]، و"**تَلْخِيصُ الأَقْسامِ لِمَذاهِبِ الأَنامِ**".

وكانَ كَثيرَ الْمَحْفوظِ، حَسَنَ الْمُحاوَرَةِ، يَعِظُ النَّاسَ. ودَخَلَ بَغْدادَ سَنَةَ عَشْرٍ وخَمْسِمِئَةٍ، وأقامَ بها ثَلاثَ سِنينَ، وظَهَرَ له قَبولٌ كَثيرٌ عند الْعَوامِّ. وسَمِعَ الْحَديثَ من عَلِيِّ بْنِ أحْمَدَ الْمَدِينِيِّ بِنَيْسابورَ، ومن غَيْرِهِ. وكَتَبَ عنه الْحافِظُ أبو سَعْدٍ عبدُ الْكَريمِ السَّمْعانِيُّ.

وكانَتْ وِلادَتُهُ سنَةَ سبعٍ وسِتِّينَ، أو تِسْعٍ وسَبْعينَ وأربَعِمِئَةٍ بِشَهْرَسْتانَ. **وَتُوُفِّيَ** بها أيْضًا في أواخِرِ[3] شَعْبانَ، سَنَةَ ثَمانٍ أو تِسْعٍ وأرْبَعينَ وخَمْسِمِئَةٍ[4].

وَشَهْرَسْتانُ: مَدينَةٌ في خُراسانَ.

وَذَكَرَ في أوَّلِ "**نِهايَةُ الإِقْدامِ**" الْمَذْكورِ بَيْتَيْنِ، ولم يَذْكُرْ أنَّ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لِمَنْ: [الطويل]

لَقَدْ طُفْتُ في تِلْكَ الْمَعاهِدِ كُلِّها ... وَسَيَّرْتُ طَرْفِي بين تِلْكَ الْمَعالِمِ[5]
فَلَمْ أرَ إلَّا واضِعًا كَفَّ حائِرٍ ... على ذَقَنٍ أو قارِعًا سِنَّ نادِمِ

---

(1) كتاب الآيات البينات في إثبات الصانع.

(2) مطبوع بعنوان مصارعة الفلاسفة.

(3) آخر، في رئيس الكتاب.

(4) وفيات الأعيان: 4/ 273-275.

(5) البيتان في وفيات الأعيان: 2/ 161، 4/ 274.

قُلْتُ: وَجَدْتُ في بعض الْمَجامِيعِ أنَّ الْبَيْتَيْنِ اللَّذَيْنِ ذَكَرَهُما الشَّهْرَسْتانِيُّ في "**نِهايَةُ الإِقْدامِ**" لأبي عَلِيٍّ ابْنِ سِينَا، والله أعْلَمُ.

وَفَّقَنَا اللهُ تعالى لِلْقَوْلِ الصِّدْقِ، والْمَذْهَبِ الْحَقِّ، وألَّا تَزِلَّ أقْدامُنا عن الصِّراطِ السَّوِيِّ، والْمَنْهَجِ الْواضِحِ الْقَوِيِّ، وَيَسَّرَ لنا الِاهْتِداءَ بِدينِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ، وبِطَرِيقَةِ من اتَّبَعَ سُنَّتَهُ، واخْتَارَ شَرِيعَتَهُ، رَضِيَ الله تَعالَى عنهم أَجْمَعينَ.

عِلْمُ تَقاسِيمِ الْعُلومِ

وهو عِلْمٌ باحِثٌ عن التَّدَرُّجِ من أعَمِّ الْمَوْضوعاتِ إلى أخَصِّها، لِيَحْصُلَ بذلك مَوْضوعُ الْعُلومِ الْمُنْدَرِجَةِ تحت ذلك الْأَعَمِّ. ولمَّا كان أعَمَّ الْعُلومِ مَوْضوعًا الْعِلْمُ الْإِلَهِيُّ، جُعِلَ تَقْسيمُ الْعُلومِ من فُروعِهِ، وَيُمْكِنُ التَّدَرُّجُ فيه من الْأَخَصِّ إلى الْأَعَمِّ، على عَكْسِ ما ذُكِرَ، لَكِنَّ الْأَوَّلَ أسْهَلُ وأَيْسَرُ.

وَمَوْضوعُ هذا الْعِلْمِ، والْغايَةُ والْغَرَضُ منه وَمَنْفَعَتُهُ، كُلُّهَا لا يَخْفَى على أحَدٍ.

وصَنَّفَ ابْنُ سِينَا في هذا الْعِلْمِ **رِسالَةً لَطيفَةً**[1]. وهذه الرِّسالَةُ التي نحن بِصَدَدِ تَنْقِيحِها وتَهْذيبِها عَظِيمَةُ النَّفْعِ في هذا الْبابِ، واللهُ أعْلَمُ بالصَّوابِ.

---

(1) "رسالة في أقسام العلوم العقلية".

الشُّعْبَةُ الثَّالِثَةُ: في الْعِلْمِ الطَّبِيعِيِّ

وهو عِلْمٌ يُبْحَثُ[1] فيه عن أَحْوالِ الْأَجْسامِ الطَّبِيعِيَّةِ بأنْواعِهَا.

وَمَوْضوعُهُ: الْجِسْمُ من حيثُ كَوْنُهُ مُتَغَيِّرًا.

وَمَنْفَعَتُهُ: مَعْرِفَةُ أَحْوالِ الْأَجْسامِ الْبَسِيطَةِ من الْأَفْلاكِ والْعَناصِرِ، والْمُرَكَّبَةِ؛ كَالْمَوالِيدِ الثَّلاثَةِ، وكائِناتِ الْجَوِّ، وَغَيْرِ ذلك من الْحَوادِثِ الْعَجِيبَةِ، وغَرائِبِ الْمِزاجاتِ، من الْأَحْجارِ والنَّباتاتِ والْحَيواناتِ.

ومن الْكُتُبِ النَّافِعَةِ فيه:

"**كِتابُ أَرِسْطو طاليسَ**"[2]، أَوْرَدَ فيه ثَمانيةَ أجْزاءٍ هي الْأصولُ، وَجَرَّدَها الشَّيْخُ أبو عِلِيٍّ ابْنُ سِينَا في مُخْتَصَرٍ تَرْجَمَهُ بـ "**الْمُقْتَضَياتُ**". وَسَنَذْكُرُ كُتُبًا تَشْتَمِلُ على: الْمَنْطِقِ، والطَّبِيعِيِّ، والإِلَهِيِّ.

ولِلْعِلْمِ الطَّبِيعِيِّ سَبْعَةُ فُروعٍ، وعند الْبَعْضِ عَشَرَةٌ، وهي:

عِلْمُ الطِّبِّ، و**عِلْمُ الْبَيْطَرَةِ والْبَيْزَرَةِ**، و**عِلْمُ الْفِراسَةِ**، و**عِلْمُ تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا**، و**عِلْمُ أَحْكامِ النُّجومِ**، و**عِلْمُ السِّحْرِ**، و**عِلْمُ الطِّلَسْمَاتِ**، و**عِلْمُ السِّيمِيَاءِ**، و**عِلْمُ الْكِيمِياءِ**، و**عِلْمُ الْفِلاحَةِ**.

---

(1) باحث، في أنطاليا.

(2) يقصد كتابه "علم الطبيعة".

وذلك لأنَّ نَظَرَهُ إمَّا فيما يَتَفَرَّعُ على الْجِسْمِ الْبَسيطِ، أو الْمُرَكَّبِ، أو ما يَعُمُّهُمَا.

والْأَجْسامُ الْبَسيطَةُ: إمَّا الْفَلَكِيَّةُ، فَأَحْكامُ النُّجومِ، وإمَّا الْعُنْصُرِيَّةُ، فَالطِّلَسْمَاتُ.

والْأَجْسامُ الْمُرَكَّبَةُ: إمَّا ما لا يَلْزَمُهُ مِزاجٌ، وهو عِلْمُ السِّيمِياءِ؛ أو يَلْزَمُهُ مِزاجٌ، فإمَّا بغير ذي نَفْسٍ فَالْكِيمِياءُ، أو بذي نَفْسٍ، فإمَّا غَيْرُ مُدْرِكَةٍ؛ كَالْفِلاحَةِ، أو مُدْرِكَةٍ، فإمَّا مع كَمالِ أن يَعْقِلَ أو لا.

الثاني: **الْبَيْطَرَةُ وَالْبَيْزَرَةُ**، وما يَجْرِي مَجْراهُما، والَّذي لِذِي النَّفْسِ الْعاقِلَةِ هو الْإِنْسانُ، وذلِكَ إمَّا في حِفْظِ صِحَّتِهِ واسْتِرْجاعِهَا وهو الطِّبُّ، أو أَحْوالِهِ الظَّاهِرَةِ الدَّالَّةِ على الْأَحْوالِ الْبَاطِنَةِ فَالْفِراسَةُ، أو أَحْوالِ نَفْسِهِ حَالَ غَيْبَتِهِ عن حِسِّهِ وهو تَعْبِيرُ الرُّؤْيا، وَالْعامُّ لِلْبَسيطِ والْمُرَكَّبِ السِّحْرُ.

فَلْنَذْكُرْ هذه الْعُلومَ على هذا النَّهْجِ في شُعْبَةٍ، ثم لِنَذْكُرْ فُروعَ الْفُروعِ في شُعْبَةٍ أُخْرَى.

الشُّعْبَةُ الرَّابعةُ: في فُروعِ الْعِلْمِ الطَّبيعِيِّ

عِلْمُ الطِّبِ

عِلْم يُبْحَثُ فيه عن بَدَنِ الْإِنْسانِ، من جِهَةِ ما يُصِحُّ وَيُمْرِضُ، لِحِفْظِ الصِّحَةِ، وإِزالَةِ الْمَرَضِ.

قالَ جالِينوسُ: الطِّبُّ حِفْظُ الصِّحَّةِ، وَمَرَمَّةُ الْعِلَّةِ.

ومَوْضوعُهُ: بَدَنُ الْإِنْسانِ من حيث الصِّحَّةُ والْمَرَضُ(1).

وَمَنْفَعَتُهُ: بَيِّنَةٌ لا تَخْفَى.

وَكَفَى بهذا الْعِلْمِ شَرَفًا وَفَخْرًا قَوْلُ الْإمامِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ الله عنه: الْعِلْمُ عِلْمانِ: عِلْمُ الطِّبِّ لِلْأَبْدانِ، وعِلْمُ الْفِقْهِ لِلْأَدْيانِ.

وَيُرْوَى عن الْإِمامِ عَلِيِّ بْنِ أبي طَالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: الْعُلومُ خَمْسَةٌ: الْفِقْهُ لِلْأَدْيانِ، والطِّبُّ لِلْأَبْدانِ، والْهَنْدَسَةُ لِلْبُنْيانِ، والنَّحْوُ لِلِّسانِ، والنُّجومُ لِلزَّمانِ(2).

واعْلَمْ أَنَّ أَوَّلَ من دَوَّنَ عِلْمَ الطِّبِّ بُقْراطُ الْحَكيمُ. وهو حَكِيمٌ مَشْهورٌ، مَعْنِيٌّ ببعض عُلومِ الْفَلْسَفَةِ، سَيِّدُ الطَّبيعِيِّينَ في عَصْرِهِ. كانَ قَبْلَ الْإِسْكَنْدَرِ بِنَحْوِ مِئَةِ سَنَةٍ. وله في الطِّبِّ تَصانيفُ شَريفَةٌ. وكانَ فاضِلًا مُتَأَلِّهًا ناسِكًا، يُعالِجُ الْمَرْضَى احْتِسابًا، طَوَّافًا في الْبِلادِ، جَوَّالًا عليها.

---

(1) رسالة في موضوعات العلوم للبيضاوي: 98.

(2) البصائر والذخائر: 1/ 101.

وكان في زَمَنِ أَرْدَشيرَ من مُلوكِ الْفُرْسِ. وكان يَسْكُنُ حِمْصَ، من مُدُنِ الشَّامِ. وكان يَتَوَجَّهُ إلى دِمَشْقَ، ويُقِيمُ في غِياضِهَا، لِلرِّياضَةِ والتَّعَلُّمِ والتَّعْلِيمِ؛ وفي بَساتِينِهَا مَوْضِعٌ يُعْرَفُ بِصُفَّةِ بُقْراطَ. وكان طَبِيبًا فَيْلَسوفًا، فَاضِلًا كامِلًا، مُعَلِّمًا لِسائِرِ الْأَشْياءِ، قَوِيَّ صِناعَةِ الْقِياسِ والتَّجْرِبَةِ قُوَّةً عَجِيبَةً، لا يَتَهَيَّأُ لِلطَّاعِنِ[1] أنْ يَتَكَلَّمَ فيها. ولَمَّا خافَ أنْ يَفْنَى الطِّبُّ من الْعالَمِ، عَلَّمَ الْغُرَباءَ الطِّبَّ، وجَعَلَهُمْ بِمَنْزِلَةِ أَوْلادِهِ.

وَظَهَرَ بُقْراطُ سنَةَ سِتٍّ وتِسْعِينَ لتاريخِ بُخْتُنَصَّرَ، وهي سَنَةُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لِمُلْكِ بَهْمَنَ. وعاشَ خَمْسًا وتِسْعِينَ سنةً، أو تِسْعينَ سنةً. وله كُتُبٌ نافِعَةٌ مُفَسَّرَةٌ بالْعَرَبِيَّةِ[2].

ثم ظَهَرَ من بَعْدِهِ جالينوسُ الْحَكيمُ، الْفَيْلَسوفُ الطَّبِيعِيُّ الْيُونانِيُّ، من مَدينَةِ فِرْغاموسَ من أرْضِ الْيونانِيِّينَ. إمامُ الْأَطبَّاءِ في عَصْرِهِ، وَرَئِيسُ الطَّبِيعِيِّينَ في وَقْتِهِ، مُؤَلِّفُ الْكُتُبِ الْجَليلَةِ في الطِّبِّ، وغَيرِهَا من عِلْمِ الطَّبِيعَةِ وعِلْمِ الْبُرْهانِ. ومُؤَلَّفاتُهُ تُنَيِّفُ على سِتِّينَ تَأْليفًا، وكان بعد الْمَسيحِ عليه السَّلامُ بِنَحْوِ مِئَتَيْ سَنَةٍ، وَبَعْدَ الْإِسْكَنْدَرِ بِنَحْوِ خَمْسِمِئَةِ سَنَةٍ وَنَيِّفٍ. ولا أَعْلَمُ بعد أَرِسْطوطاليسَ أعْلَمَ بالطَّبِيعِيِّ من هذين: بُقْراطَ وجَالِينوسَ.

قيلَ: هو من بِلادِ إيشْيَا، شَرْقِيَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، في دَوْلَةِ بَتْراءِ قَيْصَرَ، وهو السَّادِسُ من قَيَاصِرَةِ رُومِيَّةَ. وجابَ الْبِلادَ، وبَرَعَ في الطِّبِّ والْفَلْسَفَةِ والرِّياضَةِ، وهو ابْنُ

(1) الطاعن: في رئيس الكاتب وأنطاليا. لطاعن، في مراد ملا.

(2) إخبار العلماء بأخبار الحكماء: 74.

سَبْعَ عَشْرَةَ سنةً. وأوْفَى وهو ابنُ أرْبَعٍ وعِشْرينَ سنةً، وفاقَ أهْلَ زَمانِهِ، وَجَدَّدَ عِلْمَ بُقْراطَ، وفاقَ في عِلْمِ التَّشْريحِ. وكانَ أبوهُ أَعْلَمَ بالْمِساحَةِ في زَمانِهِ، وكانت دِيانَةُ النَّصْرانِيَّةِ قد ظَهَرَتْ في زَمانِهِ، فقيل له: إنَّ رَجُلًا بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ والْأَبْرَصَ، ويُحْيِي الْمَوْتَى، فَقَصَدَهُ لِيَلْقَى من بَقِيَ من أصْحابِهِ، وماتَ في الطَّرِيقِ، في مَدينَةِ سُلْطانِيَةَ، وقَبْرُهُ بها. وعاشَ ثَمانِيَةً وثَمانينَ سنةً.

وكانَ يأْخُذُ نَفْسَهُ في كُلِّ يَوْمٍ بِقِراءَةِ جُزْءٍ من الْحِكْمَةِ. ولم[1] يَأْخُذْ من الْمُلوكِ شَيْئًا، ولا وَاكَلَهُمْ، ولا داخَلَهُمْ، ولولا هو ما بَقِيَ الْعِلْمُ، وَلَدَرَسَ وَدَثَرَ من العالَمِ جُمْلَةً، ولكنَّهُ أقامَ أَوَدَهُ، وشَرَحَ غامِضَهُ، وبَسَطَ مُسْتَصْعَبَهُ. وكان في زَمانِهِ فَلَاسِفَةٌ ماتَ ذِكْرُهُمْ عند ذِكْرِهِ. وظَهَرَ جالينوسُ بعد سِتِّمِئَةٍ وخمسٍ وسِتِّينَ سنةً من وَفاةِ بُقْراطَ، إليه انْتَهَتْ الرِّئاسَةُ في عَصْرِهِ، وَبَيْنَهُ وبينَ الْمَسِيحِ عليه السَّلامُ سَبْعٌ وخَمسونَ سَنَةً؛ الْمَسِيحُ عليه السَّلامُ أَقْدَمُ منه[2].

وَاعْلَمْ أنَّ مُنْذُ وَفاةِ جالينوسَ إلى هذا التَّاريخِ، وهو ثَمانٍ وأَرْبَعونَ وتِسْعُمِئَةِ سَنَةٍ من هِجْرَةِ نَبِيِّنَا محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّمَ، أَلْفٌ وأرْبَعُمِئَةٍ وسِتٌّ وسَبْعونَ تَقْريبًا.

(1) ولا، في قونية.

(2) إخبار العلماء بأخبار الحكماء: 99-101.

ومن مَشاهِيرِ الْعُلَماءِ في الطِّبِّ:

مُحَمَّدُ بنُ زَكَرِيَّا أبو بَكْرٍ الرَّازِيُّ، طَبيبُ الْمُسْلِمينَ غَيْرَ مُدَافَعٍ، وَمَهَرَ في الْمَنْطِقِ والْهَنْدَسَةِ، وغيرِهَا من علومِ الْفَلْسَفَةِ. وكان يَضْرِبُ بالْعودِ أوَّلًا، ثُمَّ أَقْبَلَ على تَعَلُّمِ الْفَلْسَفَةِ فَنالَ منها كَثيرًا. وأَلَّفَ كُتُبًا كَثيرَةً، أَكْثَرُها في الطِّبِّ. وتَوَغَّلَ في الْإِلَهِيِّ، ولم يَفْهَمْ غَرَضَهُ الْأَقْصى، فَتَقَلَّدَ آراءً سَخِيفَةً، وانْتَحَلَ مَذاهِبَ ضَعيفَةً، وَدَبَّرَ مارَسْتانَ الرَّيِّ، ومارَسْتانَ بَغْدادَ. ثُمَّ عَمِيَ في آخِرِ عُمُرِهِ.

وَتُوُفِّيَ قَريبًا من سَنَةِ عِشْرينَ وَثَلاثِمِئَةٍ[1].

قِيلَ له: لو قُدِحَتْ عَيْنُكَ، قال: لا، قد أَبْصَرْتُ من الدُّنْيا حتى مَلِلْتُ.

وأَحْسَنَ صِناعَةَ الْكِيمِياءِ، وَذَكَرَ أنَّهَا أَقْرَبُ إلى الْمُمْكِنِ منها إلى الْمُمْتَنِعِ، وَأَلَّفَ فيها اثْنَيْ عَشَرَ كِتابًا. وكانَ كَريمًا مُتَفَضِّلًا، بَارًّا بالنَّاسِ، حَسَنَ الرَّأْفَةِ بِالْفُقَراءِ. ولم يكن يُفارِقُ النَّسْخَ؛ إمَّا يُسَوِّدُ، أو يُبَيِّضُ. وتَصانِيفُهُ تَبْلُغُ مئةً وسِتَّةَ عَشَرَ من الْكُتُبِ والرَّسائِلِ، في الطِّبِّ والْفَلْسَفَةِ، كُلُّهَا نافِعٌ في بابِهِ. واللهُ أَعْلَمُ.

ومن الْكُتُبِ الْمُخْتَصَرَةِ النَّافِعَةِ غايَةَ النَّفْعِ الْمُبارَكَةِ لِلطُّلَّابِ:

كِتابُ **"الْمُوجَزُ"، لابْنِ النَّفيسِ**، وهو عَلِيُّ بنُ أبي الْحَزْمِ عَلاءُ الدِّينِ ابنُ النَّفيسِ، الطَّبيبُ الْمِصْرِيُّ، صاحِبُ التَّصانِيفِ الْفائِقَةِ في الطِّبِّ، منها: **"الْمُوجَزُ"، و"شَرْحُ كُلِّياتِ الْقَانونِ"**، وغَيْرُهُما.

---

(1) إخبار العلماء بأخبار الحكماء: 206.

وكانَ فَقيهًا على مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ، صَنَّفَ: **شَرْحًا على التَّنْبِيهِ**. وَصَنَّفَ في الطِّبِّ غَيْرَ ما ذَكَرْناهُ كِتابًا سَمَّاهُ: **"الشَّامِلُ"**. قيلَ: لو تَمَّ لكانَ ثَلاثَمِئَةَ مُجَلَّدَةٍ، تَمَّ منه ثَمانونَ مُجَلَّدَةً.

وكانَ فيما يُذْكَرُ يُمْلِي تَصانِيفَهُ من ذِهْنِهِ. وَصَنَّفَ في أُصولِ الْفِقْهِ، والْمَنْطِقِ.

وبِالْجُمْلَةِ، كانَ مُشارِكًا في فُنونٍ. وأَمَّا الطِّبُّ، فلم يَكُنْ على وَجْهِ الْأَرْضِ مِثْلُهُ في زَمانِهِ.

قِيلَ: ولا جاءَ بعد ابْنِ سِينَا مِثْلُهُ.

قالوا: وكان في الْعِلاجِ أَعْظَمَ من ابْنِ سِينَا. وكان شَيْخَهُ في الْطِّبِّ الشَّيْخُ مُهَذَّبُ الدِّينِ الدَّخْوارُ[1].

تُوُفِّيَ في حادي عَشَرَ من ذي الْقَعْدَةِ، سَنَةَ سَبْعٍ وثَمانينَ وَسِتِّمِئَةٍ، عن نَحْوِ ثَمانينَ سَنَةً. وخَلَّفَ مالًا جَزيلًا، وَوَقَفَ كُتُبَهُ وأَمْلَاكَهُ على الْمارَسْتانِ الْمَنْصورِيِّ[2].

ومن الْكُتُبِ النَّافِعَةِ غايَةَ النَّفْعِ:

كِتابُ **"الْقَانونُ"**، لابْنِ سِينَا، وقد عَرَفْتَهُ. وعلى **"الْقانونُ" شَرْحٌ لابْنِ النَّفيسِ** الْمَذْكورِ، ولِلْعَلَّامَةِ الشِّيرَازِيِّ. وقد ذَكَرْتُهُمَا.

---

(1) عبد الرحيم بن علي بن حامد المعروف بالدَّخوار، طبيب انتهت إليه رياسة صنعته في عصره، (ت.628هـ). ترجمته في: طبقات الأطباء: 2/ 239، الدارس في تاريخ المدارس: 2/ 101، النجوم الزاهرة: 6/ 277.

(2) طبقات الشافعية الكبرى: 8/ 305-306.

وأمَّا شُروحُ "الْمُوجَزُ" فكَثيرَةٌ؛ منها: شَرْحُ جَمالِ الدِّينِ الْأَقْسَرَائِيِّ، وشَرْحُ السَّدِيدِيِّ[1]، والنَّفِيسِيِّ.

ومن الْكُتُبِ الْمَبْسوطَةِ:

"الْمُخْتارُ"، لابْنِ هُبَلَ[2]، و"الْمِئَةُ"[3]، لِلْمَسِيحِيِّ. و"كامِلُ الصِّناعَةِ"، الْمَلَكِيُّ[4]، و"التَّذْكِرَةُ السَّعْدِيَّةُ"[5]، و"الشِّفَاءُ"، لِحاجِي بَاشَا[6]. وغيرُ ذَلِكَ.

عِلْمُ الْبَيْطَرَةِ

وهذا عِلْمٌ يَبْحَثُ عن أَحْوالِ الْحَيَوانِ الْمَخْصوصِ، وهو الْخَيْلُ، من جِهَةِ ما يَصِحُّ وَيَمْرَضُ، أو يَحْفَظُ صِحَّتَهُ، ويُزالُ مَرَضُهُ. وهذا في الْخَيْلِ بِمَنْزِلَةِ الطِّبِّ في الْإِنْسانِ.

ومَوْضُوعُهُ وغايَتُهُ وغَرَضُهُ ظاهِرَةٌ لِلْمُتَبَصِّرِ.

---

(1) أي شرح سديد الدين الكازَروني سمَّاه: الشرح المغني. كشف الظنون: 2/ 1900.

(2) كتاب الْمُخْتَار فِي الطِّبّ، لأبي الْحسن عَليّ بن أَحْمد بن عَليّ بن هُبل الْبَغْدَادِيّ (ت.610هـ)، وَهُوَ كتاب جليل يشْتَمل على علم وعمل الطِّبّ الجمالي، كَانَ تصنيفه للمختار سنة سِتِّينَ وَخَمْسمِئة بالموصل. ينظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء: 409.

(3) يعرف أيضا بديوان الطب، لأبي سهل عيسى بن يحيى المسيحي (ت.401هـ)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء: 436.

(4) لعلي بن العباس المجوسي (ت.نحو 400هـ)، ينظر عيون الأنباء: 319، صبح الأعشى: 1/ 554، الوافي بالوفيات: 12/ 124.

(5) كتاب التذكرة، مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدِ بْنِ زَكَرِيَّاءَ أبو بكر ابن مَرْدَنِيش، وتعرف بالسَّعْدِيَّةِ نِسْبَة إِلَيْهِ. التكملة لكتاب الصلة: 1/ 340.

(6) الشقائق النعمانية: 21.

وأمَّا مَنْفَعَتُهُ: فمن أعْظَمِ الْمَنافِعِ جِدًّا، لأنَّهُ عَمودُ الْإِسْلامِ، وبه يَقْوَى أحَدُ مَبانِي الْإِسْلامِ، أعْنِي الْجِهادَ في سَبيلِ اللهِ، بل الْحَجَّ أيْضًا.

وأيْضًا قال النَّبِيُّ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ في حَقِّهِ: «الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(1).

وقال النبي صلَّى الله عليه وسلَّمَ: «مَنْ قَدَرَ على ثَمَنِ دابَّةٍ فَلْيَشْتَرِها، فإنَّها يَأْتيهِ رِزْقُها وَتُعينُهُ على رِزْقِهِ»(2).

وقال صلَّى الله عليه وسلَّمَ: «عَلَيْكُمْ بِإِنَاثِ الْخُيُولِ، فَإِنَّ ظُهُورَهَا حِرْزٌ، وَبُطُونَهَا كَنْزٌ»(3).

إلى غيرِ ذلكَ من أوْصافِ الْخَيْلِ.

وأيْضًا، الْخَيْلُ ما زالَ مَمْدوحًا بكل الْأَلْسِنَةِ في كلِّ زَمانٍ، وكتابُ حُنَيْنِ ابنِ إسْحاقَ(4)، كافٍ في هذا البابِ.

---

(1) الحديث في صحيح البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، 2/ 291، رقم: 2850. وفي باب قول النبي صلى الله عليه وسلم أحلت لكم الغنائم، 2/ 357، رقم: 3119.

(2) أخرجه أبو سعد الآبي في نثر الدر في المحاضرات: 1/ 134 بلفظ: "تأتيه برزقها"، والراغب الأصفهاني في محاضرات الأدباء: 2/ 670 بلفظ: "فإنه تعينه على رزقه، وتأتيه برزقها".

(3) أورده ابن قتيبة في عيون الأخبار: 1/ 153، وابن عبد ربه في العقد: 1/ 152.

(4) نسب إليه صاحب صبح الأعشى: 1/ 544 كتابا في علم البيطرة.

عِلْمُ الْبَيْزَرَةِ

وهو عِلْمٌ يُبْحَثُ فيه عن أَحْوالِ الْجَوارِحِ، من حيث حِفْظُ صِحَّتِهِ، وإزالَةُ مَرَضِهِ، ومَعْرِفَةُ عَلاماتِهِ الدَّالَّةِ على قُوَّتِهِ في الصَّيْدِ، وضُعْفِهُ فيه.

وَمَوْضوعُهُ وغايَتُهُ وغَرَضُهُ ومَنْفَعَتُهُ ظاهِرَةٌ لا تَخْفَى على أحَدٍ.

وكِتابُ "**الْقانونُ الْواضِحُ**"[1] كافٍ في هذا الْعِلْمِ.

عِلْمُ النَّباتِ

عِلْمٌ يُبْحَثُ فيه عن خَواصِّ نَوْعِ النَّباتِ، وعَجائِبِها وأَشْكالِهَا، ومَنافِعِها ومَضارِّها.

ومَوْضوعُهُ: نَوْعُ النَّباتِ.

وفائِدَتُهُ ومَنْفَعَتُهُ: التَّداوِي بها.

ولِابْنِ الْبَيْطارِ فيه تَصْنيفٌ فائِقٌ.

ولا أَجْمَعَ ولا أَنْفَعَ من كتابِ "**ما لا يَسَعُ الطَّبيبَ جَهْلُهُ**"[2]. وَتوجَدُ نُبَذٌ من خَواصِّها في ضِمْنِ الْكُتُبِ الطِّبِّيَّةِ.

---

(1) القانون الواضح في علم البيزرة، لمحمد بن إبراهيم بن يحيى الوطواط (ت.718هـ).

(2) ليوسف بن إسماعيل بن إلياس المعروف بابن الكتبي (ت.754هـ).

عِلْمُ الْحَيَوانِ

عِلْمٌ باحِثٌ عن خَواصِّ أنْواعِ الْحَيواناتِ وعَجائِبِها ومَنافِعِها وَمَضارِّهَا.

وَمَوْضوعُهُ: جِنْسُ الْحَيَوانِ الْبَرِّيِّ والْبَحْرِيِّ والْماشِي والزَّاحِفِ والطائِرِ وغَيْرِ ذلك.

والْغَرَضُ منه: التَّدَاوِي والِانْتِفاعُ بالْحَيَواناتِ، والِاحْتِماءُ عن مَضَارِّها، والْوُقوفُ على عَجائِبِ أحْوالِها، وغَرائِبِ أفْعالِهَا؛ مَثَلًا في غَرْبِ الْأَنْدَلُسِ حَيَوانٌ إذا أَكَلَ الْإِنْسانُ أَعْلاهُ أُعْطِيَ بالْخاصِّيَّةِ عِلْمَ النُّجومِ، وإذا أَكَلَ وَسَطَهُ أُعْطِيَ عِلْمَ النَّباتِ، وإذا أَكَلَ عَجُزَهُ - وهو ما يَلِي ذَنَبَهُ - أُعْطِيَ عِلْمَ الْمِياهِ الْمُغَيَّبَةِ في الأرْضِ، فَيَعْرِفُ إذا أَتَى أرْضًا لا ماءَ فيها، على كَمْ ذِراعٍ يكونُ الماءُ فيها.

وقد صَنَّفَ فيه كَمالُ الدِّينِ الدَّمِيرِيُّ **تَصْنيفًا** حَسَنًا **مُطَوَّلًا وَمُخْتَصَرًا**[1]. وقد عَرَفْتَهُ. وَرَأَيْتُ مُخْتَصَرًا مُسَمًّى بـ **"خَواصُّ الْحَيَوانِ"**[2]، وهو كافٍ في هذا الْبابِ، إلَّا أنِّي لم أَعْرِفْ مُصَنِّفَهُ.

---

(1) حياة الحيوان الكبرى، وحياة الحيوان الصغرى.

(2) من المصنفات التي ألفت في هذا الباب: كتاب "خواص الحيوان"، لأبي الحسن المدائني (ت.225هـ)، و"السر المستبان مما أودعه الله من الخواص في أجزاء الحيوان"، لابن العماد الأقفهسي (ت.808هـ)، ونزهة النفوس والأفكار في خواص الحيوان والنبات والأحجار"، لعبد الرحمن بن أبي بكر الدمشقي الحنبلي (ت.856هـ).

عِلْمُ الْفِلاحَةِ

عِلْمٌ يُتَعَرَّفُ منه كَيْفِيَّةُ تَدْبِيرِ النَّباتِ من أَوَّلِ نَشْوِهِ[1] إلى مُنْتَهَى كَمالِهِ، بِإِصْلاحِ الْأَرْضِ؛ إمَّا بِالْماءِ، أو بما يُخَلْخِلُها وَيَحْميهَا من الْمُعَفِّناتِ، كَالسَّمادِ ونَحْوِهِ، أو يَحْميهَا في أَوْقاتِ الْبَرْدِ مع مُراعاةِ الْأَهْوِيةِ[2]، فَيَخْتَلِفُ باخْتِلافِ الْأَماكِنِ، ولذلك تَخْتَلِفُ قَوانِينُ الْفِلاحَةِ باخْتِلافِ الْأَقالِيمِ.

ومَنْفَعَتُهُ: زَكاةُ الْحُبوبِ والثِّمارِ ونَحْوِهِمَا. وهو ضَرورِيٌّ لِلْإِنْسانِ في مَعاشِهِ. ولذلك اشْتُقَّ اسْمُهُ من الَفلاحِ وهو الْبَقاءُ.

ومن لَطائِفِهِ إيجَادُ بعض نَتائِجِهِ في غير أَوانِهِ، واسْتِخْراجُ بعض مَبادئِهِ من غير أَصْلِهِ، وَتَرْكِيبُ الْأَشْجارِ بعضِها ببعضٍ إلى غيرِ ذلكَ.

ذَكَرَ أبو بَكْرِ ابْنُ وَحْشِيَّةَ[3] في كِتابِهِ الْمُسَمَّى بـ "**الْفِلاحَةُ**" [الَّذِي نَقَلَهُ][4] عن النَّبَطِ أنَّ من دارَ حَوْلَ شَجَرَةِ الْخَطْمِيِّ[5]، وتَطَلَّعَ بالنَّظَرِ إلى وَرْدِهَا، وأَدامَ ذلك، فإنَّهَا تُحْدِثُ فَرَحًا في النَّفْسِ، وتُزِيلُ عنه الْهَمَّ والْحُزْنَ والْغَمَّ[6].

---

(1) نشا ينشو: لغة في نشأ ينشأ، ومنها نشوت في بني فلان: ربيتُ. نادر. اللسان: نشا.

(2) ينظر: رسالة في موضوعات العلوم للبيضاوي: 100-101.

(3) أبو بكر أحمد بن عَليّ بن قيس ابن وحشية النبطي (ت.296هـ).

(4) زيادة من مراد ملا.

(5) الْخَطْمِيُّ: نَباتٌ يُتَّخذُ مِنْهُ غِسْلٌ. تهذيب اللغة: 7/ 116.

(6) ينظر إرشاد القاصد: 187.

عِلْمُ الْمَعادِنِ

وهي[1] سَبْعُمِئَةِ مَعْدِنٍ.

وهو عِلْمٌ يُتَعَرَّفُ منه أَحْوالُ الْفِلِزَّاتِ، من طَبَائِعِهَا، وأَلْوانِهَا، وَكَيْفِيَّةُ تَوَلُّدِها في الْمَعادِنِ، وَكَيْفِيَّةُ اسْتِخْراجِها واسْتِخْلاصِهَا عن الْأَجْزاءِ الْأَرْضِيَّةِ، وتَفاوُتُ طَبائِعِها وَأَوْزانِها.

وغايَتُهُ ومَنْفَعَتُهُ لا تَخْفَى على أَحَدٍ حتَّى الْعَوامِّ.

والتَّصانِيفُ فيه كَثيرَةٌ. ولا أَنْفَعَ وأَجْمَعَ من تَأْلِيفِ الطُّوسِيِّ[2].

عِلْمُ الْجَواهِرِ

وهو عِلْمٌ باحِثٌ عن كَيْفِيَّةِ الْجَواهِرِ الْمَعْدِنِيَّةِ الْبَرِّيَّةِ؛ كَالْأَلْماسِ، واللَّعَلِ[3]، والْياقُوتِ والْفَيْروزَجِ[4]. والْبَحْرِيَّةِ؛ كَالدُّرِّ والْمَرْجانِ، وغير

---

(1) وهو، في قونية.

(2) كتاب في المعادن، للنصير الطوسي (ت.672هـ) ينظر: Persian Literature: A Bio-Bibliographical Survey، ووقفنا على كتاب: "الأسرار الربانية في المعادن والنبات والخواص الحيوانية"، لمحمد بن أحمد أفندي الإسكندراني.

(3) اللّعل: ويعرف بالبلخش، وهو جوهر أحمر شفّاف مسفر صاف يضاهي فائق الياقوت في اللون والرونق، ويتخلّف عنه في الصلابة حتى إنه يحتك بالمصادمات، فيحتاج إلى الجلاء. نخب الذخائر في معرفة الجواهر: 14-15.

(4) الفيروزج: حجر أخضر تشوبه زرقة، يصفو لونه مع صفاء الجو، ويتكدر بكدورته، في جسمه رخاوة، ومعدنه بأرض خراسان، وينفع العيون إذا سحق مع الأكحال. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: 22/ 291.

ذَلِكَ. ومَعْرِفَةِ جَيِّدِهَا من رَدِيئِهَا بِعَلاماتٍ يُخَصُّ بكل نَوْعٍ منها. وَمَعْرِفَةِ خَوَاصِّ كُلٍّ منها.

وَغايَتُهُ، وَغَرَضُهُ لا يَخْفَى على إنْسانٍ.

والتَّصانِيفُ فيها كَثيرَةٌ شَهيرَةٌ.

عِلْمُ الْكَوْنِ والْفَسادِ

وهو عِلْمٌ باحِثٌ عن كَيْفِيَّةِ الْأَمْطارِ والثُّلوجِ والرَّعْدِ والْبَرْقِ وَأَمْثالِها، وَوُجودِهَا في بعضِ الْبِلادِ دونَ بعضٍ، وفي بعضِ الْأَزْمانِ دونَ آخَرَ، وسَبَبِ نَفْعِ بعضِها وَضُرِّ[1] الْآخَرِ، إلى غَيْرِ ذلكَ من الْأَحْوالِ.

عِلْمُ قَوْسِ قُزَحَ

وهو عِلْمٌ باحِثٌ عن كَيْفِيَّةِ حُدوثِهِ، وسَبَبِ حُدوثِهِ، وسَبَبِ اسْتِدارَتِهِ، واخْتِلافِ أَلْوانِهِ، وحُصولِهِ عَقيبَ الْأَمْطارِ، وطَرَفَيِ النَّهارِ، وحُصولِهِ في النَّهارِ كَثيرًا، وفي ضَوْءِ الْقَمَرِ في اللَّيْلِ أَحْيانًا، وأَحْكامِ حُدوثِهِ في عالَمِ الْكَوْنِ والْفَسادِ، إلى غيرِ ذَلِكَ من الْأَحْوالِ.

(1) وضرر، في مراد ملا.

عِلْمُ الْفِراسَةِ

عِلْمٌ يُتَعَرَّفُ فيه أَخْلاقُ الْإِنْسانِ من أَحْوالِهِ الظَّاهِرَةِ من الْأَلْوانِ والْأَشْكالِ والْأَعْضاءِ. **وبِالْجُمْلَةِ**: الِاسْتِدْلالُ بالْخَلْقِ الظَّاهِرِ على الْخُلُقِ الْباطِنِ(1).

وَمَوْضوعُهُ ومَنْفَعَتُهُ ظاهِرانِ.

وكِتابُ **الْإِمامِ الرَّازِيِّ**(2)، في هذا الْعِلْمِ خُلاصَةُ كِتابِ **أَرِسْطوطاليسَ**، مع زِياداتٍ مُهِمَّةٍ. ولِأَفْليمونَ(3) **كِتابٌ في الْفِراسَةِ**، يَخْتَصُّ بالنِّسْوانِ. وكِتابُ **السِّياسَةِ**(4)، لمُحَمَّدٍ الصُّوفِيِّ مُخْتَصَرٌ وَمُفيدٌ في هذا الْعِلْمِ.

وكَفَى بهذا الْعِلْمِ شَرَفًا قَوْلُهُ تَعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾(5). وقال تعالى: ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾(6).

وقَوْلُ النَّبيِّ صَلَّى الله عليه وسلَّمَ: «اتَّقُوا فِراسَةَ الْمُؤْمِنِ فإِنَّهُ يَنْظُرُ بنورِ اللهِ»(7).

---

(1) رسالة في موضوعات العلوم للبيضاوي: 106.

(2) كتاب الفراسة، وهو مطبوع.

(3) Marcus Antonius Polémon، طبع كتابه الفراسة مع ترجمة إلى اللاتينية سنة 1893.

(4) كتاب السياسة في علم الفراسة، لمحمد بن أبي طالب الأنصاري الصوفي، شمس الدين المعروف بشيخ حطين أولاً، ثُمَّ أخيراً بشيخ الربوة (ت.727هـ) قال عنه الصفدي في: أعيان العصر وأعوان النصر4/ 478: "كتبته بخطي من خطه، وتناولته منه بصفد، ولم أر في كتب الفراسة مثله". والكتاب مطبوع.

(5) سورة الحجر، الآية: 75.

(6) سورة البقرة، الآية: 273.

(7) مصنف عبد الرزاق: 10/ 66، رقم: 20732، التاريخ الكبير: 9/ 144، سنن الترمذي: 5/ 149، المعجم الأوسط: 3/ 312.

وقَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «كانَ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ من الْأُمَمِ مُحَدَّثونَ، وإنَّهُ لو كانَ في أمَّتِي لكانَ عُمَرُ»[1].

قُلْتُ: الْمُحَدَّثُ الْمُصيبُ في ظَنِّهِ وفِراسَتِهِ، كأنَّهُ حُدِّثَ الْأَمْرَ.

واعْلَمْ أنَّ عِلْمَ الْفِراسَةِ قِسْمانِ:

ـ **أحَدُهُمَا**: ما يَحْصُلُ بالتَّجْرِبَةِ، إذِ التَّجْرِبَةُ دَلَّتْ على أنَّ بعضًا من الْأمورِ الظَّاهِرَةِ يَدُلُّ على الْأَخْلاقِ الْبَاطِنَةِ. وهذا الَّذِي وَجَدَهُ الْحُكَماءُ، وما يَكونُ من فُروعِ الْحِكْمَةِ الطَّبيعِيَّةِ.

وثانِيهما: الْفِراسَةُ الشَّرْعِيَّةُ، الْحاصِلَةُ بِنورِ الْيَقِينِ، بِواسِطَةِ تَزْكِيَةِ النَّفْسِ عن الْأَخْلاقِ الرَّدِيَّةِ، وَتَصْفِيَةِ الْقَلْبِ عن الصِّفاتِ الذَّميمَةِ، حتى يَنْظُرَ بنورِ اللهِ، حتى يكونَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعَالى بَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ به، وَسَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ به. ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾[2]. وهو الَّذِي قال رَسولُ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ في حَقِّهِ: «اتَّقُوا فِراسَةَ الْمُؤْمِنِ فإنَّهُ يَنْظُرُ بِنورِ اللهِ».

وأمَّا قَوْلُهُ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ: «كانَ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ من الْأُمَمِ مُحَدَّثونَ»، إشارَةٌ إلى الْفِراسَةِ الطَّبيعِيَّةِ، وهي التي خَلَقَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى النُّفوسَ مَفْطورَةً عليها.

---

(1) صحيح البخاري: 5/ 12، رقم: 3689.

(2) سورة آل عمران، الآية: 5.

وَبِالْجُمْلَةِ، الْفِراسَةُ الشَّرْعِيَّةُ مُعَايَنَةُ الْمُغَيَّباتِ بِالْأَنْوارِ الرَّبانِيَّةِ، وذلك نُورُ قَلْبِ الْمُؤْمِنِ الَّذِي قال النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وسَلَّمَ في حَقِّهِ: «الْمُؤْمِنُ يَنْظُرُ بِنورِ اللهِ»(1).

وعَنْ ثَوْبانَ، رَضِيَ الله عنه، عن النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وسَلَّمَ أَنَّهُ قال: «احْذَرُوا دَعْوَةَ الْمُسْلِمِ وفِرَاسَتَهُ، فإنه يَنْظُرُ بِنورِ اللهِ وَتَوْفيقِ اللهِ»(2).

وكَذَلكَ قال صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ، فإِنَّهُ يَنْظُر بنورِ اللهِ». كما ذَكَرْناهُ.

وقيلَ في قولِهِ تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾(3). أي مَيِّتَ الذِّهْنِ، فَأَحْياهُ اللهُ بِنورِ الْفِراسَةِ(4).

إذا عَرَفْتَ هذا، فَاعْلَمْ أنَّ من كان مُرَاقِبًا أَحْوالَهُ وأَنْفاسَهُ، مُجْتَنِبًا عن الْمَعاصِي صَغَائِرِها وكَبائِرِهَا، مُتَخَلِّقًا بالْأَخْلاقِ النَّبوِيَّةِ، مُتَحَلِّيًا بالْآدابِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ، ولا يَرَى الْخَيْرَ والشَّرَّ والنَّفْعَ والضُّرَّ إلا مِنَ اللهِ تعالى، ولا يَلْتَفِتُ إلى مَخْلوقٍ لِعَرْضِ حاجَتِهِ، ولا يَعْتَمِدُ عليه طَرْفَةَ عَيْنٍ، تكونُ فِراسَتُهُ كالشَّمْسِ سَاطِعَةً أَنْوارُها، لامِعَةً أَضْواؤُها، يَنْطِقُ بالصِّدْقِ، ويَقولُ بالْحَقِّ. وعند "جُهَيْنَةَ الْخَبَرُ الْيَقِينُ"(5).

---

(1) حلية الأولياء: 9/ 262، المدخل لابن الحاجّ: 1/ 259، المقاصد الحسنة: 688.

(2) المقاصد الحسنة: 59، كنز العمال: 11/ 97، رقم: 30769، كشف الخفاء: 1/ 50.

(3) سورة الأنعام، الآية: 122.

(4) الرسالة القشيرية: 2/ 395.

(5) ينظر: كتاب الفاخر: 126، مجمع الأمثال: 2/ 3، اللسان: جهن.

قُلْتُ: جُهَيْنَةُ اسْمُ رَجُلٍ، وهذا مَثَلٌ يُضْرَبُ في صِحَّةِ الْخَبَرِ، ومَوْرِدُهُ مَشْهورٌ.

وهذا الْعِلْمُ نافِعٌ لِلْمُلوكِ والصَّعاليكِ، في اخْتِيارِ الزَّوْجَةِ والصَّدِيقِ والْمَماليكِ، إلى غَيْرِ ذلكَ. ولا بُدَّ لِلْإِنْسانِ من ذلك الْعِلْمِ، لأَنَّهُ مَدَنِيٌّ بالطَّبْعِ، مُحْتاجٌ إلى مَعْرِفَةِ النَّافِعِ من الضَّارِّ.

عِلْمُ تَعْبيرِ الرُّؤْيا

وهو **عِلْمٌ يُتَعَرَّفُ** منه الْمُناسَبَةُ بين التَّخَيُّلاتِ النَّفْسانِيَّةِ، والْأمورِ الْغَيْبِيَّةِ، لِيَنْتَقِلَ من الْأُولَى إلى الثَّانيةِ، لِيَسْتَدِلَّ بذلك على الْأَحْوالِ النَّفْسانِيَّةِ في الْخارِجِ، أو على الْأَحْوالِ الْجَارِيَةِ في الْآفاقِ.

وَمَنْفَعَتُهُ: الْبُشْرَى أو الْإِنْذارُ بما يَرِدُ.

واعْلَمْ أَنَّ الرُّؤْيا هي فِعْلٌ لِلنَّفْسِ النَّاطِقَةِ ولو لم تَكُنْ لها حَقِيقَةٌ لم تَكُنْ لِإيجادِ هذه الْقُوَى في الْإِنْسانِ فائِدَةٌ. والْحَكيمُ تَعالى مُنَزَّهٌ عن الْباطِلِ.

وهي ضَرْبانِ:

- ضَرْبٌ **وهو الْأَكْثَرُ**، أَضْغاثُ أَحْلامٍ، وأَحادِيثُ النَّفْسِ من الْخَواطِرِ الرَّدِيَّةِ، لِكَوْنِ النَّفْسِ في تلك الْحالِ كَالْماءِ الْمُتَموِّجِ الذي لا يَقْبَلُ صورَةً.

- وضَرْبٌ **وهو الْأَقَلُّ صَحيحٌ**. وذلك قِسْمانِ: قِسْمٌ لا يَحْتاجُ إلى تَأْويلٍ. وقِسْمٌ يَحْتاجُ إليه.

ولهذا يَحْتاجُ الْمُعَبِّرُ إلى مَهارَةِ الْفَرْقِ بين الْأَضْغاثِ والْأَحْلامِ، وبينَ غَيْرِها، لِيَميزَ بين الْكَلِماتِ الرُّوحانِيَّةِ والْجِسْمانِيَّةِ، وَيُفَرِّقَ بين طَبَقاتِ النَّاسِ، إذْ كانَ فيهم من لا يَصِحُّ له رُؤْيَا، وفيهم من تَصِحُّ رُؤْياهُ، ثُمَّ من صَحَّ له ذلك، منهم من يُرَشَّحُ أن تُلْقَى إليه في الْمَنامِ الْأَشْياءُ الْعَظيمَةُ الْخَطَرِ، ومنهم من لا يُرَشَّحُ لذلكَ.

ولِهَذا قال الْيونانِيُّونَ: يَجِبُ لِلْمُعَبِّرِ أن يَشْتَغِلَ بِعِبارَةِ رُؤْيا الْحُكَماءِ والْمُلوكِ دونَ الطَّغامِ، وذلِكَ لأنَّ رُؤْياهُ جُزْءٌ من النُّبُوَّةِ، كما قال النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وسَلَّمَ: «الرُّؤْيا الصَّادِقَةُ جُزْءٌ من سِتَّةٍ وأرْبَعينَ جُزْءًا من النُّبُوَّةِ»[1].

ومن الْكُتُبِ الْمُخْتَصَرَةِ فيه:

"فَوائِدُ الْفَرائِدِ"، لابْنِ الدَّقَّاقِ[2].

ومن الْمُتَوَسِّطَةِ:

"شَرْحُ الْبَدْرِ الْمُنيرِ"، لِلْحَنْبَلِيِّ[3].

ومن الْمَبْسوطَةِ:

تَأْليفُ أبي سَهْلٍ الْمَسِيحِيِّ[4].

---

(1) أخرجه الرَّاغب الأصفهاني في الذريعة إلى مكارم الشريعة: 146، والغزالي في الإحياء: 1/ 82.

(2) القاضي أبو بكر محمد بن محمد بن جعفر الدقاق الشافعي (ت.392هـ).

(3) أبو العباس شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة بن سلطان بن سرور الحنبلي (ت.697هـ).

(4) كتاب تعبير الرؤيا، ينظر: عيون الأنباء: 437، صبح الأعشى: 1/ 555.

وتَأْليفُ مَوْلانَا مُحَمَّدِ بنِ قُطْبِ الدِّينِ الْإِزْنِيقِيِّ[1]. وهو من مَشاهيرِ بِلادِنَا عِلْمًا وَفَضْلًا وزُهْدًا وَوَرَعًا وَكَشْفًا. **وبِالْجُمْلَةِ**: هو جامِعٌ بين رِئاسَتَي النَّظَرِ والْكَشْفِ.

والَّذِي تَمَهَّرَ[2] في عِلْمِ التَّعْبيرِ من السَّلَفِ هو: مُحَمَّدُ بنُ سِيرينَ. ومن عَجائِبِ تَعْبيراتِهِ أَنَّهُ: رَأَى رَجُلٌ أَنَّهُ يَخْتِمُ على أفْواهِ الرِّجالِ والنِّساءِ وفُروجِ هؤلاءِ. فَعَبَّرَها ابنُ سِيرينَ: بأَنَّكَ مُؤَذِّنٌ أَذَّنْتَ في رَمَضانَ قبل طُلوعِ الْفَجْرِ. وكانَ كذلك.

وَيُحْكَى أَنَّ رَجُلًا سَأَلَهُ، أَنَّهُ رَأَى أنه يُدْخِلُ الزَّيْتَ في الزَّيْتونِ. فقال ابْنُ سِيرينَ إنْ صَدَقْتَ فالَّتِي تَحْتَكَ أُمُّكَ، فَاضْطَرَبَ الرَّجُلُ، وتَفَحَّصَ عنها فكانتْ أمَّهُ، لأنَّها سُبِيَتْ بعد أبيهِ فَاشْتَرَاهَا ابْنُهَا.

وَيُحْكَى أَنَّ أبا حَنِيفَةَ، رضي الله عنه، رَأَى كأَنَّهَ يَنْبِشُ قَبْرَ النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ، ويَجْمَعُ عِظامَهُ إلى صَدْرِهِ، فَهالَتْهُ الرُّؤْيَا، فقال ابْنُ سيرينَ: هذه رُؤْيَا أبي حَنِيفَةَ. فقال: أنا أبو حَنِيفَةَ، فقال ابْنُ سِيرينَ: اكْشِفْ عن ظَهْرِكَ، فَكَشَفَ، فَرَأَى خالًا بين كَتِفَيْهِ، فقال: أنْتَ الَّذِي قال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «يَخْرُجُ في أُمَّتِي رَجُلٌ يُقالُ له أبو حَنِيفَةَ، بين كَتِفَيْهِ خالٌ، يُحْيِي اللهُ تَعالَى دِينِي على يَدَيْهِ»[3].

ثُمَّ قال ابنُ سِيرينَ: لا تَخَفْ إنَّهُ صلَّى الله عليه وسَلَّمَ مَدِينَةُ الْعِلْمِ، وأنْتَ تَصِلُ إليها. فكانَ كما قالَ.

---

(1) (ت.884هـ)، ترجمته في: الشقائق النعمانية: 65، شذرات الذهب: 7/ 343، هدية العارفين: 2/ 211. وعنوان الكتاب: "التَّعبير المنيف والتَّأويل الشَّريف"، وهو مطبوع.

(2) تَمَيَّزَ، في قونية.

(3) مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة: 1/ 16.

ولـه أَمْثالَ هذه حِكاياتٌ كَثِيرَةٌ، مَسْطورَةٌ في كُتُبِ السِّيَرِ والتَّوارِيخِ فَارْجِعْ إليها.

عِلْمُ أَحْكامِ النُّجومِ

الِاسْتِدْلالُ[1] بالتَّشَكُّلاتِ الْفَلَكِيَّةِ من أوْضاعِهَا، وأوْضاعِ الْكَواكِبِ، من الْمُقابَلَةِ والْمُقارَنَةِ والتَّثْليثِ والتَّسْدِيسِ والتَّرْبيعِ على الْحَوادِثِ الْواقِعَةِ في عالَمِ الْكَوْنِ والْفَسادِ من أَحْوالِ الْجَوِّ والْمَعادِنِ والنَّباتِ والْحَيَوانِ.

ومن الْمُخْتَصَراتِ: **"مُجْمَلُ الْأُصولِ"**، لكُوشِيَارَ[2]؛ و**"الْجامِعُ الصَّغيرُ"**، لمحيي الدِّينِ الْمَغْرِبِيِّ[3].

ومن الْمُتَوَسِّطاتِ:

كِتابُ "الْبارِعُ"[4]، و**"الْمُغْني"**[5].

---

(1) كذا في الأصل، والأولى إضافة عبارة: **علم يتعرف منه**، أو ما شاكلها من العبارات التي درج عليها المصنف، ليستقيم بها سياق الكلام.

(2) "مجمل الأصول في أحكام النجوم"، لأبي الحسن كوشيار بن لبان الجيلي، عالم فلكي مشهور، (ت.نحو350هـ)، ينظر: مفتاح دار السعادة: 3/ 1232، إرشاد القاصد: 178، كشف الظنون: 2/ 968، سلم الوصول: 3/ 36.

(3) "الجامع الصغير في أحكام النجوم"، لمحيي الدين يحيى بن محمد بن أبي الشكر المغربي (ت.نحو680 هـ)، ينظر: مجمع الآداب في معجم الألقاب: 5/ 117، إرشاد القاصد: 178، كشف الظنون: 2/ 1574، هدية العارفين: 2/ 516.

(4) "البارع في علم النجوم والطوالع"، لعلي بن أبي الرِّجَال الشيباني القيرواني (ت.بعد432هـ)، كذا ضبط في معجم الأدباء: 6/ 2936، والأعلام للزركلي: 4/ 288، ونسخة خطية من الكتاب محفوظة في مكتبة جامعة الملك سعود تحت رقم: 4799. أما في كشف الظنون: 1/ 217، وهدية العارفين: 1/ 270، فقد ضبط "ابن أبي الرَّحَّال".

(5) "المغني في أحكام النجوم"، لابن هبنتا، ينظر: إرشاد القاصد: 178.

ومن الْمَبْسوطَةِ[1]:

"**مَجْمُوعُ ابْنِ شَرْعٍ**"[2]، و"**الْأَدْوَارُ**"، لأبي مَعْشَرٍ[3]، و"**الْإِرْشادُ**"، لأبي الرَّيْحانِ الْبَيْرونِيِّ[4]. و"**الْمَوالِيدُ**"، لِلْخُصَيْبِيِّ[5]. و"**التَّحاوِيلُ**"، لِلسَّنْجَرِيِّ[6]، و"**الْقِراناتُ**"، لِلْبَازْيَارِ[7]. و"**الْمَسائِلُ**"، لِلْقَصْرَانِيِّ[8]. و"**الِاخْتِيارَاتُ الْعَلائِيَّةُ**"[9]، و"**دَرَجُ الْفَلَكِ**"، لِتِنْكِلُوشَا[10]؛ و"**التَّفْهِيمُ**"، لِلْبَيْرونِيِّ.

واعْلَمْ أَنَّ كَثِيرًا من الْعُلَماءِ على تَحْرِيمِ عِلْمِ النُّجومِ مُطْلَقًا، وبعضهم على تَحْرِيمِ اعْتِقادِ أَنَّ الْكَواكِبَ مُؤَثِّرٌ بالذَّاتِ.

---

(1) ومن المبسوط، في قونية.

(2) إرشاد القاصد: 178.

(3) كتاب "الأدوار والألوف"، لأبي معشر جعفر بن محمد بن عمر البلخي (ت.272هـ)، ينظر: الفهرست: 2/ 243، تاريخ الحكماء: 152، عيون الأنباء في طبقات الأطباء: 473، وفيات الأعيان: 1/ 358، إرشاد القاصد: 178.

(4) كتاب "الإرشاد في أحكام النجوم"، ينظر إرشاد القاصد: 178.

(5) أبو عبد الله الحسين بن حمدان الخُصَيبي (ت.358هـ)، ينظر إرشاد القاصد: 178.

(6) السِّجْزي في إرشاد القاصد: 178، لعله أحمد بن محمد بن عبد الجليل السنجري (ت.477هـ).

(7) محمد بن عبد الله بن عمر البازيار، بفتح الباء الموحدة والزاي الساكنة والياء المفتوحة آخر الحروف بين الألفين وفي آخرها الراء، تطلق هذه اللفظة على من يحفظ الباز، وهو من الجوارح التي يُصطاد بها، ينظر: الأنساب للسمعاني: 2/ 32، إرشاد القاصد: 178.

(8) أبو يوسف يعقوب بن علي الْقَصْرَانِيُّ، وهما قصران كما قال السمعاني: الخارج، والداخل، وهي بنواحي الرَّيِّ، ينظر: الأنساب للسمعاني: 10/ 439، إخبار العلماء بأخبار الحكماء: 200، وفي إرشاد القاصد: 178، القيصراني.

(9) الاختيارات العلائية فِي التأثيرات السماوية، في إخبار العلماء بأخبار الحكماء: 221.

(10) تينكلوش البابلي (Teukros)، وربما قيل: تنكلوشا، والأول أصح، هَذَا أحد السَّبعة العلماء الذين ردَّ إِلَيْهِم الضَّحاك البيوت السَّبعة الَّتِي بنيت عَلَى أسماء الكواكب السَّبعة وَقَدْ كَانَ عالماً فِي علماء بابل. إخبار العلماء بأخبار الحكماء: 85.

وقد ذُكِرَ عن الشَّافِعِيِّ أَنَّهُ قالَ: إنْ كانَ الْمُنَجِّمُ يَعْتَقِدُ أنْ لا مُؤَثِّرَ إلَّا اللهُ، لكن أجْرَى اللهُ تعالى عادَتَهُ بأنه يَقَعُ كذا عند كذا، والْمُؤَثِّرُ هو اللهُ، فهذا عِنْدِي لا بَأْسَ به، وحَيْثُ جاءَ الذَّمُّ، يَنْبَغِي أن يُحْمَلَ على من يَعْتَقِدُ تأْثِيرَ النُّجومِ[1]. ذَكَرَهُ ابْنُ السُّبْكِيِّ في **طَبَقاتِهِ الْكُبْرَى**.

وفي هذا الْبَابِ أَطْنَبَ صاحِبُ **"مِفْتاحُ دارِ السَّعادَةِ"**، إلَّا أنه أَفْرَطَ في الطَّعْنِ[2].

عِلْمُ السِّحْرِ

اِعْلَمْ أنَّ السِّحْرَ ما خَفِيَ على أَكْثَرِ الْعُقولِ سَبَبُهُ، وَصَعُبَ اسْتِنْباطُهُ.

وَحَقِيقَتُهُ: كُلُّ ما سَحَرَ الْعُقولَ، وانْقادَتْ إليه النُّفوسُ، بالتَّعَجُّبِ والِاسْتِحْسانِ وَالإِصْغاءِ من الْأَقْوالِ والْأَفْعالِ. **فهو عِلْمٌ** باحِثٌ عن مَعْرِفَةِ الْأَحْوالِ الْفَلَكِيَّةِ، وأَوْضاعِ الْكَواكِبِ، وارْتِباطِهَا مع الْأُمورِ الْأَرْضِيَّةِ، من الْمَوالِيدِ الثَّلاثَةِ على الْوَجْهِ الْخَاصِّ، لِيَظْهَرَ من هذا الِامْتِزاجِ أَفْعالٌ غَرِيبَةٌ، وأَسْرارٌ عَجِيبَةٌ، خَفِيَّةُ الْأَسْبابِ والْعِلَلِ.

وَمَنْفَعَتُهُ: أنْ يُعْلَمَ، لِيُحْذَرَ منه، لا لِيُعْمَلَ به، لأنَّ عَمَلَهُ مُحَرَّمٌ في الشَّرْعِ، اللَّهُمَّ إلَّا لِدَفْعِ ساحِرٍ يَدَّعِي النُّبُوَّةَ.

وأَمَّا عِلْمُهُ فَأَباحَهُ الْأَكْثَرونَ، وجَعَلَهُ بعضُهُمْ فَرْضَ كِفايَةٍ، لِجَوازِ ظُهورِ ساحِرٍ يَدَّعِي النُّبُوَّةَ، وَيُظْهِرُ الْخَوارِقَ بالسِّحْرِ، فَيُفْتَرَضُ وُجودُ من يَدْفَعُهُ في الأُمَّةِ.

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى: 2/ 102.

(2) مفتاح دار السعادة: 3/ 1232 وما بعدها.

واخْتَلَفَتِ الطُّرُقُ فيه:

فَطَرِيقُ الْهِنْدِ: تَصْفِيَةُ النَّفْسِ، وعليه كِتابُ "**مِرْآةُ الْمَعانِي في إِدراكِ الْعالَمِ الْإِنْسانِيِّ**"(1).

وطَرِيقُ النَّبَطِ: عَمَلُ عَزائِمَ في أَوْقاتٍ مُناسِبَةٍ. وفيه كتابُ "**سِحْرُ النَّبَطِ**"، لابْنِ وَحْشِيَّةَ.

وَطَرِيقُ الْيونَانِ: تَسْخِيرُ روحانِيَّةِ الْأَفْلاكِ وَالْكَواكِبِ، وفيه: "**كِتابُ الْوُقوفاتِ لِلْكَواكِبِ**"(2)، وفيه(3): "**كِتابُ طِيماوُسَ**"(4)، لِأَرِسْطوطاليسَ، و"**رَسائِلُهُ**" إلى الْإِسْكَنْدَرِ، و"**غايَةُ الْحَكيمِ**"، لِلْمَجْرِيطِيِّ(5).

وَطَرِيقُ الْعِبْرانِيِّينَ والْقِبْطِ والْعَرَبِ: ذِكْرُ أَسْماءٍ مَجْهُولَةِ الْمَعانِي، كَأَنَّها أَقْسامٌ وَعَزائِمُ، كأَنَّهُمْ يَزْعُمونَ أَنَّهُمْ يُسَخِّرونَ بها مَلائِكَةً قاهِرَةً لِلْجِنِّ. وفيه: "**كِتابُ الْجَمْهَرَةِ**"، لِلْخُوارَزْمِيِّ. و"**الْإيضاحُ**"، لِلْأَنْدَلُسِيِّ. و"**كِتابُ**

(1) للشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي (638هـ).

(2) أورده صاحب الكشف 2/ 1471 ضمن الكتب التي لا يصح تجريدها من الإضافة.

(3) وفي، في قونية وأنطاليا.

(4) (Τίμαιος / Tímaios) ينسب في المصادر لأفلاطون. ينظر الفهرست: 2/ 156. وجاء في عيون الأنباء في طبقات الأطباء: 85: "كتاب طيماوس الروحاني فِي تَرْتِيب العوالم الثَّلَاثَة الْعَقْلِيَّة الَّتِي هِيَ عَالم الربوبية وعالم الْعقل وعالم النَّفس كتاب طيماوس الطبيعي أربعة مقالات فِي تركيب عَالم الطبيعة. كتب بِهَذَيْنِ الْكِتَابَيْنِ إِلَى تلميذٍ لَهُ يُسمى طيماوس، وغرض فلاطن فِي كِتَابه هَذَا أَن يصف جَمِيع الْعلم الطبيعي".

(5) أبو القاسم مسلمة بن أحمد المجريطي، إمام الرياضيين في عصره بالأندلس، كان فلكيا له عناية برصد الكواكب (ت.399هـ)، ترجمته في: طبقات الأطباء: 2/ 39، إخبار العلماء بأخبار الحكماء: 326.

الْعَمَاءِ"[1]، لِخَلَفِ بْنِ يوسُفَ الدَّسْماسانِيِّ[2]. وكتابُ **"الْبَساتِينُ لِاسْتِخْدامِ الإِنْسِ لِأَرْواحِ الْجِنِّ والشَّياطِينِ"**، و**"بُغْيَةُ النَّاشِدِ ومَطْلَبُ الْقاصِدِ"**[3].

عِلْمُ الطِّلَسْماتِ

ومَعْنَى **الطِّلَسْمِ**: عَقْدٌ لا يَنْحَلُّ. وقيلَ: هو مَقْلوبٌ اسْمُهُ، أعْنِي مُسَلَّطٌ، لأَنَّهُ من جَوْهَرِ الْقَهْرِ والتَّسَلُّطِ.

وهو **عِلْمٌ** باحِثٌ عن كَيْفِيَّةِ تَمْزيجِ الْقُوَى السَّماوِيَّةِ الْفَعَّالَةِ، بِالْقُوَى الْأَرْضِيَّةِ الْمُنْفَعِلَةِ في أَزْمِنَةٍ مُناسِبَةٍ لِمَا أُريدَ منها من الْفِعْلِ والتَّأْثيرِ، مع بُخوراتٍ مُناسِبَةٍ مُقَوِّيَةٍ، جَالِبَةٍ لِروحانِيَّةِ ذلك الطِّلَسْمِ، لِيَحْدُثَ عن هذه الْأُمورِ أفْعالٌ غَريبَةٌ في عالَمِ الْكَوْنِ والْفَسادِ.

وعِلْمُهُ أقْرَبُ مَأْخَذًا من عِلْمِ السِّحْرِ[4]، لأنَّ مَبادِئَهُ وأَسْبابَهُ مَعْلومَةٌ.

و**"كِتابُ طبقانا"** نَقَلَهُ ابْنُ وَحْشِيَّةَ عن النَّبَطِ، وكِتابُ **"غايَةُ الْحَكيمِ"**، لِلْمَجْرِيطِيِّ، أَوْدَعَهُ قَواعِدَ هذا الْعِلْمِ. لكن ضَنَّ بالتَّعْلِيمِ كُلَّ الضَّنِّ. ولِلسَّكَّاكِيِّ **كِتابٌ**[5] جَليلُ الْقَدْرِ.

---

(1) كتاب العمار، في مراد ملا، وكذا أثبتها صاحب إرشاد القاصد: 181.

(2) خلف بن يوسف الدَّسْتُمِيسَانِيُّ، في الفهرست: 368. وهو الصَّواب والله أعلم نسبة إلى دَسْتُمِيسانَ: بفتح الدال، وسين مهملة ساكنة، وتاء مثناة من فوقها، وميم مكسورة، وياء مثناة من تحت، وسين أخرى مهملة، وآخره نون: كورة جليلة بين واسط والبصرة والأهواز. ينظر معجم البلدان: 2/ 455.

(3) ينظر إرشاد القاصد: 181.

(4) ينظر: رسالة في موضوعات العلوم للبيضاوي: 98-99.

(5) كتاب الطلسم، وهو باللغة الفارسية. ينظر إرشاد القاصد: 183.

ومَنْفَعَةُ هذا الْعِلْمِ ظاهِرَةٌ عَظيمَةُ الْغَناءِ، لَكِنْ طُرُقُهُ شَديدَةُ الْعَناءِ[1].

عِلْمُ السِّيمِياءِ

قد يُطْلَقُ على غير الْحَقِيقِيِّ من السِّحْرِ كما هو الْمَشْهورُ.

وَحاصِلُهُ إحْداثُ مِثالاتٍ خَيالِيَةٍ في الْجَوِّ لا وُجودَ لها في الْحِسِّ. وقد يُطْلَقُ على إيجادِ تلك الْمِثالاتِ بِصُوَرِهَا في الْحِسِّ. ويَكونُ صُوَرًا في جَوْهَرِ الْهَواءِ، ولهذا يُسْرِعُ زَوالُها لِسُرْعَةِ تَغَيُّرِ جَوْهَرِ الْهَواءِ، وعَدَمِ حِفْظِهِ ما يَقْبَلُهُ زَمانًا طَويلًا، لكنه سَريعُ الْقَبُولِ لِرُطوبَتِهِ[2].

وأَمَّا كَيْفِيَّةُ إحْداثِ هذه الصُّوَرِ وعِلَلِهَا فَأَمْرٌ خَفِيٌّ لا يَطَّلِعُ عليها إلا أَهْلُهَا. وليس غَرَضُنَا ها هنا كَشْفَ الِالْتِباسِ عن أَمْثالِ هذه.

وَإِجْمالُ الْحَالِ أن يُرَكِّبَ السَّاحِرُ شَيْئًا من خَواصَّ، أو أَدْهَانٍ، أو مائِعاتٍ خاصَّةٍ، أو كَلِماتٍ خاصَّةٍ، تُوجِبُ تَخَيُّلاتٍ خاصَّةً، وإدْراكَ الْحَواسِّ مَأْكولًا، أو مَشْروبًا، أو نَحْوَ ذلك، ولا حَقِيقَةَ له[3]. ومن هذا الْقَبِيلِ ما وَقَعَ لِلشَّيْخِ شِهابِ الدِّينِ السُّهْرَوَرْدِيِّ كما ذَكَرْناهُ فيما سَبَقَ.

---

(1) ينظر إرشاد القاصد: 183.

(2) لكنه سريع القبول، سريع الزوال لرطوبته، في الطبعة الهندية. وهي زيادة لم نقف عليها في النسخ كلها.

(3) معيد النعم ومبيد النقم: 92.

ومِنْ جُمْلَتِهِ ما حَكَى الْأَوْزاعِيُّ، رَحِمَهُ اللهُ، عن يَهودِيٍّ لَحِقَهُ في السَّفَرِ، وأَنَّهُ أَخَذَ ضِفْدَعًا فَسَحَرَهَا بِطَرِيقَةِ عِلْمِ السِّيمِياءِ، حتى صارَتْ خِنْزِيرًا، فَباعَهُ من قَوْمٍ من النَّصارَى، فلما صَارُوا إلى بُيوتِهِمْ عادَ ضِفْدَعًا، فَلَحِقُوا الْيَهودِيَّ وهو مع الْأَوْزاعِيِّ، فلما قَرُبُوا منه، رَأَوْا رَأْسَهُ قد سَقَطَ، فَفَزِعُوا وَوَلَّوْا هارِبِينَ، وبَقِيَ الرَّأْسُ يَقولُ لِلْأَوْزاعِيِّ: يا أَبا عَمْرٍو: هل غابُوا، إلى أن بَعُدُوا عنه، فَصارَ الرَّأْسُ في الْجَسَدِ. هذا ما حَكاهُ ابْنُ السُّبْكِيِّ في رِسالَةِ "مُعِيدُ النِّعَمِ ومُبِيدُ النِّقَمِ"[1].

وَمَنْفَعَةُ هذا الْعِلْمِ وَغَرَضُهُ ظاهِرانِ جِدًّا.

وَلَفْظُ سِيمِياءَ عِبْرانِيٌّ مُعَرَّبٌ، أَصْلُهُ سِيم يَهْ، ومَعْناهُ اسْمُ اللهُ.

وأَمَّا الْمَقالَاتُ السَّبْعَ عَشْرَةَ، لِلحَلَّاجِ، فإِنَّمَا هي على سَبيلِ الرَّمْزِ. ولِلشَّيْخِ أبي عَلِيٍّ ابْنِ سِينَا أمورٌ غَرِيبَةٌ تُنْقَلُ عنه في هذا الْعِلْمِ. وكذا لِلشَّيْخِ شِهابِ الدِّينِ السُّهْرَوَرْدِيِّ الْمَقْتولِ. وقد ذَكَرْنَا نُبَذًا منها فيما سَبَقَ.

عِلْمُ الْكِيمِياءِ

عِلْمٌ يُرادُ به سَلْبُ الْجَواهِرِ الْمَعْدِنِيَّةِ خَواصَّهَا، وإِفادَتُهَا خَواصَّ لم تكنْ لها. وَلَفْظُ الْكِيمِياءِ عِبْرانِيٌّ مُعَرَّبٌ، أَصْلُهُ: كِيمْ يَهْ، ومَعْنَى ذلك: آيَةٌ من اللهِ[2].

---

(1) معيد النعم ومبيد النقم: 92.

(2) ينظر: رسالة في موضوعات العلوم للبيضاوي: 100.

وقد اخْتَلَفَ النَّاسُ فيها اخْتِلافًا شَديدًا، وَكَثِيرٌ منهم قائِلونَ بامْتِناعِهَا، إلا أَنَّهُمْ لم يَأتُوا في إثْباتِ امْتِناعِهَا إلَّا ما يُفيدُ الِاسْتِبْعادَ، والْأَوَّلُ غيرُ الثَّانِي.

وأمَّا الْقائِلونَ بإمْكانِها، فمِنْهُمْ الْإمامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ، اسْتَدَلَّ على إمْكانِهَا في كِتابَيْهِ: "**الْمَباحِثُ الْمَشْرِقِيَّةُ**"، و"**الْمُلَخَّصُ**". وحاصِلُ دَليلِهِ، أنَّ الْفِلِزّاتِ كُلَّها مُشْتَرِكَةٌ في النَّوْعِيَّةِ، والْأَخْلاقَ الظَّاهِرَةَ منها إنَّما هي أمورٌ عَرَضِيَّةٌ يَجوزُ انْتِقالُها، لأنَّ الِاسْتِحالَةَ في الطَّبيعَةِ غيرُ مُنْكَرَةٍ.

وممن ادَّعَى امْتِناعَهَا الشَّيْخُ ابْنُ تَيْمِيَةَ، والْجَوْهَرِيُّ الصائِغُ، إلَّا أنَّهما لم يَأتِيا بشَيْءٍ يُفِيدُ ظَنَّ الِامْتِناعِ فَضْلًا عن الْيَقينِ. وكذلك لِ**يَعْقوبَ الْكِنْدِيِّ** رِسالَةٌ في امْتِناعِهَا، فيا لَيْتَهُ لو أتَى بِشَيْءٍ يُفِيدُ الظَّنَّ.

وَاعْلَمْ أنَّ هذا الْعِلْمَ كانَ مُعْجِزَةً لِموسَى عليه السَّلام، عَلَّمَهَا لِقارونَ فَوَقَعَ منها ما وَقَعَ. ثُمَّ ظَهَرَ في جَبابِرَةِ قَوْمِ هُودٍ، وتَعَاطَوْا ذلك، وبَنَوْا مَدِينَةً من ذَهَبٍ وفِضَّةٍ لم يُخْلَقْ مِثْلُهَا في الْبِلادِ(1)، ومِمَّنْ اشْتَهَرَ بالْوُصولِ إليها مُؤَيِّدُ الدِّينِ الطُّغْرائِيُّ.

يُقالُ: إنَّهُ وَصَلَ إلى الْإكْسيرِ، وهو الدَّواءُ الَّذِي يُدَبِّرُهُ الْحُكَماءُ، ويُلْقونَهُ على الْجَسَدِ حالَ انْفِعالِهِ بالذَّوبانِ، فَيُحيلُهُ كَإحالَةِ السُّمِّ الْجَسَدَ الْوَارِدَ عَلَيْهِ، لكن إلى الصَّلاحِ دونَ الْفَسادِ. وَيُعَبِّرُونَ عن مادَّةِ هذا الدَّواءِ بالْحَجَرِ الْمُكَرَّمِ، ورُبَّمَا يَقولونَ: حَجَرُ موسى، لأنَّه الَّذِي عَلَّمَهُ موسى عليه السَّلامُ

---

(1) وظف المؤلِّف الآية 8 من سورة الفجر في سياق كلامه.

لِقارونَ. وَيَخْتَلِفُ حالُ هذا الدَّواءِ بِقَدْرِ قُوَّةِ التَّدْبِيرِ وَضُعْفِهِ، حتى إنَّ الطُّغْرائِيَّ أَلْقَى الْمِثْقالَ من الإِكْسِيرِ أوَّلًا على سِتِّينَ أَلْفًا ذَهَبًا[1]، ثُمَّ أَلْقَى آخِرًا الْمِثْقالَ على ثَلاثِمِئَةِ أَلْفٍ.

وَحُكِيَ أنَّ مُرْيانُسَ الرَّاهِبَ، مُعَلِّمَ خالِدِ بنِ يَزِيدَ، أَلْقَى الْمِثْقالَ على أَلْفِ أَلْفٍ وَمِئَتَيْ أَلْفِ مِثْقالٍ. وأنَّ مارِيَةَ الْقِبْطِيَّةَ كانت تَقولُ: واللهِ لولا خَشْيَةُ اللهِ، لقلتُ إنَّ الْمِثْقالَ يَمْلأُ ما بين الْخَافِقَيْنِ.

وكانَ الطُّغْرائِيُّ يقولُ[2]: [الطويل]

وَلَوْلا وُلاةُ الْجَوْرِ أَصْبَحْتُ والْحَصَى ... بِكَفِّيَ أَنَّى شِئْتُ دُرٌّ وَيَاقُوتُ[3]

ومِنْ قَوْلِهِ أيْضًا: [الطويل]

فَذانِ هُمَا الْبَدْرانِ فَاعْنَ بِعِلْمِنَا ... تَنَلْ بِهِمَا ما يَصْبُغُ الْأَلْفَ دانِقَهْ[4]

أَقولُ: وَلَقَدْ حَقَّ فيه وفي أَمْثالِهِ قَوْلُ الْقائِلِ: [الطويل]

ويا دارَهَا بِالْخَيْفِ إنَّ مَزارَهَا ... قَريبٌ ولكنْ دونَ ذلِكَ أَهْوالُ[5]

وَقَوْلُ أبي إسْحاقَ الْمَغْرِبِيِّ: [المنسرح]

---

(1) ألقى المثقال من الإكسير أولا على ستين ألفا من معدن آخر فصار ذهبا، في الطبعة الهندية..

(2) وكان يقول الطغرائي، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(3) الغيث المسجم من لامية العجم: 1/ 23، وشرح لامية العجم للدميري: 11.

(4) المصدر نفسه: 1/ 24، المصدر نفسه: 11.

(5) فيا دارها، في مراد ملا، والبيت لأبي العلاء المعري وهو في ثمرات الأوراق: 1/ 40، ونسب في مرآة الزمان: 15/ 263 لأبي نواس.

كَجَوْهَرِ الْكِيمِياءِ لَيْسَ يُرَى مَنْ نالَهُ والأَنامُ في طَلَبِهْ[1]

وقَوْلُ الْقائِلِ: [البسيط]

أَعْيَا الْفَلاسِفَةَ الْماضِينَ في الْحِقَبِ أنْ يَصْنَعُوا ذَهَبًا إلا مِنَ الذَّهَبِ[2]
أوْ يَصْنَعُوا فِضَّةً بَيْضاءَ خالِصَةً إلَّا من الْفِضَّةِ الْمَعْروفَةِ النَّسَبِ

رُوِيَ أنَّ بعضَ من جَرَّبَ وَتَعِبَ، فَأَقْلَقَهُ الْوَجْدُ، وَظَنَّ أنَّ جِدَّهَا لَعِبٌ، كَتَبَ على بَعْضِ مُصَنَّفاتِ جَابِرِ بنِ حَيَّانَ - تِلْمِيذِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ - رَضِيَ اللهُ عنه: [مجزوء الكامل الْمُرَفَّل]

هَذَا الَّذِي بِمَقالِهِ غَرَّ الْأَوائِلَ وَالْأَواخِرْ[3]
ما أَنْتَ إلَّا كاسِرٌ كَذَبَ الَّذِي سَمَّاكَ جابِرْ

وبَعْضُ النَّاسِ يُنْكِرُ وُجودَ جابِرٍ هذا، إلَّا أنَّه بَعيدٌ، لأنَّ له تَصانيفَ كَثيرَةً تَدُلُّ على وُجودِهِ ومَهارَتِهِ في صَنْعَتِهَا.

قال أبو الْفَرَجِ الْأَصْبَهانِيُّ، صاحِبُ "الْأَغانِي"، في تَرْجَمَةِ خالِدِ بنِ يَزيدَ ابْنِ مُعاوِيَةَ: وكانَ من رِجالاتِ قُرَيْشٍ سَخاءً وَعارِضَةً وفَصاحَةً، وكانَ قد شَغَلَ نَفْسَهُ بِطَلَبِ الْكِيمِياءِ، فَأَفْنَى بذلك عُمُرَهُ، وأَسْقَطَ نَفْسَهُ.

---

(1) البيت من مقطعة من خمسة أبيات في مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: 15/ 613.

(2) البيتان بدون نسبة في أعيان العصر وأعوان النصر: 5/ 674.

(3) البيتان بدون نسبة في فوات الوفيات: 1/ 275، والوافي بالوفيات: 11/ 28.

وَحَدَّثَنِي من أَثِقُ به مِمَّنْ كان يَطَّلِعُ على أَحْوالِ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ دَقِيقِ الْعِيدِ، رَحِمَهُ اللهُ، أنه كانَ مُغْرًى بِالْكِيمِياءِ، وأَنْفَقَ فيها مالًا وَعُمُرًا.

وقِيلَ: إنَّ إمامَ الْحَرَمَيْنِ رَحِمَهُ الله، ماتَ وهو يَفُكُّ وَصْلًا من أَوْصالِها، فَخَرَجَ إليه منه لِسانُ نارٍ فقَتَلَهُ[1].

وكانَ شَمْسُ الدِّينِ شَيْخُ الرَّبْوَةِ، الْمَعْروفُ بِابْنِ أَبِي طالِبٍ[2]، يَقولُ: زَعَمَ بَعْضُهُمْ أنَّ "الْمَقامَاتُ"، لِلْحَرِيرِيِّ، وكِتابَ "كَليلَةُ وَدِمْنَةُ"، رُموزٌ في الْكِيمِياءِ، سَمِعْتُهُ يَقولُ ذلِكَ غَيْرَ مَرَّةٍ. وكُلُّ ذلك من شَغَفِهِمْ وكَلَفِهِمْ بِحُبِّهَا. نَسْأَلُ اللهُ الْعَفْوَ والْعافِيَةَ. وَالْعَجَبُ من أحْوالِهِمْ أَنَّهُمْ يَطْلُبونَ الدُّنْيَا بِالْكِيمِياءِ، ولا يَزيدُهُمْ ذلك إلا فَقْرًا ومَتْرَبَةً.

يُحْكَى أنَّ واحِدًا سَأَلَ من مَشايِخِ هذه الصَّنْعَةِ أن يُعَلِّمَهُ هذه، وَخَدَمَهُ على ذلِكَ سِنينَ كَثِيرَةً، فقالَ: إنَّ مِنْ شَرْطِ تَعْلِيمِ هذه الصَّنْعَةِ، تَعْليمَهَا لِأَفْقَرِ من في الْبَلَدِ، فَاطْلُبْ رَجُلًا لا يَكونُ أَفْقَرُ منه في الْبَلَدِ، حتى نُعَلِّمَهُ وأنتَ تُبْصِرُها. فَطَلَبَ مُدَّةً رَجُلًا مِثْلَ ما ذَكَرَهُ، فَوَجَدَ رَجُلًا يَغْسِلُ قَميصًا له في غايَةِ الرَّداءَةِ والدَّرَنِ، وهو يَغْسِلُهُ بالرَّمْلِ، ولم يَقْدِرْ على قِطْعَةِ صابُونٍ، فقال في نَفْسِهِ: لم أرَ فَقِيرًا يَغْسِلُ ثَوْبَهُ إلا وَيَجِدُ صابونًا، فَأَخْبَرَ الرَّجُلَ بأَنِّي

(1) الغيث المسجم من لامية العجم: 1/ 25.

(2) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري الصوفي الدمشقي، شمس الدين المعروف بشيخ حطين أولاً، ثم أخيراً بشيخ الربوة (ت.727هـ). ترجمته في: أعيان العصر: 4/ 475، الوافي بالوفيات: 3/ 136، الدرر الكامنة: 5/ 202.

وَجَدْتُ رَجُلًا وَصْفُهُ كَيْتَ وَكَيْتَ، وحَالُهُ كَذَا وَكَذَا، وَلَمْ أَرَ أَفْقَرَ منه. **فقالَ** ذلِكَ الرَّجُلُ: واللهِ إنَّ الَّذِي وَصَفْتَهُ هو شَيْخُنَا جابِرُ بْنُ حَيَّانَ، الَّذِي تعَلَّمْتُ منه الصَّنْعَةَ، وَبَكَى وَقالَ: إنَّ من خاصِيَّةِ هذهِ الصَّنْعَةِ أنَّ الواصِلينَ إليها يَكونونَ مُفْلِسينَ في غايَةِ الْإِفْلاسِ.

كما نُقِلَ عن الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللهُ أنَّ مَنْ طَلَبَ الْمالَ بِالْإِكْسِيرِ فقد أَفْلَسَ. ولَقَدْ صَدَقَ فيه. إلا أنَّهُمْ يَقولونَ: إنَّ حُبَّ الدُّنْيَا يَرْتَفِعُ عن قَلْبِ من عَرَفَهَا، فلا يُؤْثِرُ التَّعَبَ في تَحْصيلِهَا على الرَّاحَةِ في تَرْكِهَا.

حَتَّى قالوا: إنَّ مَعْرِفَةَ هذه الصَّنْعَةِ نِصْفُ السُّلوكِ، لأنَّ نِصْفَ السُّلوكِ لِرَفْعِ مَحَبَّةِ الدُّنْيَا عن الْقُلوبِ، وذَلِكَ يَحْصُلُ بِمَعْرِفَتِها أيَّ حُصُولٍ.

إذا عَرَفْتَ هذا، فَاعْلَمْ أنَّ [أَصْلَ][1] هذه الصَّنْعَةِ أنَّ الْفِلِزَّاتِ ـ وهي الْجَواهِرُ التي لا تَحْرِقُها النَّارُ بل تُذِيبُهَا ـ فإذا فارَقَها النَّارُ عادَتْ إلى الْحَالَةِ الْأولَى، وهي هَذِهِ الْمُتَطَرِّقاتُ السَّبْعُ، وهي: الذَّهَبُ، والْفِضَّةُ، والنُّحاسُ، والْحَديدُ، والْقَصْديرُ والرَّصاصُ، والْخَارِصِينِي[2]، واحدةٌ في ذَواتِهَا. والِاخْتِلافُ الذي فيها، لَيْسَ في ماهِيَاتِهَا، وإنَّما هو في أعْراضِهَا، وتِلْكَ الْأَعْراضُ إمَّا مُفَارِقٌ سَهْلُ الِانْتِقالِ، وَيُشْبِهُ أن يكونَ حَالُ الذَّهَبِ والْفِضَّةِ وَنِسْبَةُ أَحَدِهِما إلى الْآخَرِ منها[3]، وإمَّا لازِمٌ عَسِرُ الِانْتِقالِ، وعلى كُلِّ تَقْدِيرٍ

---

(1) سقطت من قونية.

(2) الخارصيني: الزنك. المباحث المشرقية: 2/ 211.

(3) فيها، في مراد ملا.

داخِلَةٌ تَحْتَ الإِمْكَانِ، إلَّا أنَّها من الْمُمْكِنِ الَّذِي يَعْسُرُ وُجُودُهُ بِالْفِعْلِ، وكيفَ لا يَعْسُرُ والصَّنْعَةُ لا تَقومُ مَقامَ فِعْلِ الطَّبِيعَةِ، مع أنَّ في الطَّبِيعَةِ أيْضًا شَرائِطَ كَثِيرَةً بحيث يَنْدُرُ اتِّفَاقُهَا.

ولِهَذَا يَنْدُرُ الذَّهَبُ والْفِضَّةُ في الْمَعادِنِ، فَضْلًا عن وُجودِهَا في الصَّنْعَةِ، وذلك أنَّ الزِّئْبَقَ الَّذِي هو أصْلُ الذَّهَبِ والْفِضَّةِ، يَنْبَغِي أن يكونَ في الْمَعْدِنِ صافِيًا غايَةَ الصَّفاءِ، ويَكْمُلَ نُضْجُهُ، ثُمَّ يَخْتَلِطَ[1] به الْكِبْرِيتُ النَّقِيُّ، بأنْ يَكونَ أجْزاؤُهُمَا على النِّسْبَةِ الأَصْلِيَّةِ. ويَنْبَغِي أنْ تكونَ حَرارَةُ الْمَعْدِنِ في غايَةِ الِاعْتِدَالِ، لم يَعْرِضْ لها عارِضٌ من الْبَرْدِ والْيُبْسِ، ولا شَيْءٌ من الْمُلُوحَاتِ والْمُروراتِ[2] والْحُموضاتِ، فَحِينَئِذٍ يَنْعَقِدُ من ذلك على طُولِ الزَّمانِ ـ بِإِذْنِ الْفاطِرِ الْحَكِيمِ والْقادِرِ الْعَلِيمِ ـ الذَّهَبُ الإِبْرِيزُ. وعلى هذا الْقِياسِ سائِرُ الْجَواهِرِ. فَتَبارَكَ اللهُ الْفَعَّالُ لما يُرِيدُ.

فَانْظُرْ أنْتَ وتَأَمَّلْ بِالإِنْصافِ، أنَّ الإِنْسانَ ـ وإنْ بَلَغَ في الْعِلْمِ والْحِكْمَةِ غايَةً لا يُمْكِنُ لِلْبَشَرِ أن يَبْلُغَ فَوْقَهَا ـ هل يَقْدِرُ أنْ يُراعِيَ تلك الشَّرائِطَ، على وَفْقِ ما يوجَدُ في الْمَعْدِنِ، وهل هذا إلَّا ضَرْبٌ في حَديدٍ بارِدٍ، سِيَّمَا مُراعَاةُ النَّارِ على الْقَدْرِ الَّذِي يَنْبَغِي له قَرِيبٌ من دَرَجَةِ الِامْتِناعِ.

---

(1) يُخلط: في قونية.

(2) المرارات، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

قالَ بَعْضُهُمْ: وَعَمَلُ الزُّجاجِ والْفَراريجِ بالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ مما يُطْمِعُ الْعُقولَ في عَمَلِ الذَّهَبِ.

واعْلَمْ أنَّ الْمُعْتَنِينَ بِشَأْنِ هذا الْأَمْرِ طَوائِفُ:

منهُمْ من جَمَعَ بينَ الزِّئْبَقِ والْكِبْرِيتِ الطَّاهِرِ، وَدبَّرَهُ بالنَّارِ أَشَدَّ من حَرارَةِ الْمَعْدِنِ، طَلَبًا لِقُرْبِ الْمُدَّةِ، لِيَحْصُلَ في مُدَّةٍ قَرِيبَةٍ ما لا يَحْصُلُ في الْمَعْدِنِ في أُلوفٍ من السِّنِينَ، وهذا هو الطَّرِيقُ الصَّحيحُ الْعَسِرُ الشَّاقُّ الصَّعْبُ في الْعَمَلِ.

ومنهم من عَرَفَ نِسَبَ الْفِلِزَّاتِ حَجْمًا وَوَزْنًا، وَأَلَّفَ الْمَعادِنَ على هذا النَّسَقِ، وهم يُسَمَّوْنَ الْمَوازِينَ(1).

ومنهم من يَطْلُبُ النَّتِيجَةَ مع جَهْلِهِ بِالْقِياسِ، ويَقْصِدونَ كَشْفَ الْمَرامِ مع تَمادِيهِمْ في الِالْتِباسِ، ويَسْتَعينونَ في هذه الْمَطالِبِ بالتَّصَرُّفِ في الْفِلِزَّاتِ بِالْحَلِّ والْعَقْدِ وَالتَّكْليسِ، وَأَمْثالِها من الْأُمورِ الصِّعابِ. واسْتَعانوا في ذَلِكَ تارَةً بالنَّباتاتِ، وأُخْرَى بالْحَيواناتِ؛ كَالشَّعْرِ، والْبَيْضِ، والْمُرارِ، ونَحْوِهَا. ولم يَثْبُتُوا على طَرِيقَةٍ واحِدَةٍ، حَيْرَةً منهم في تَحْقِيقِ الْحَقِّ، [وَإِيضَاحِ الصِّدْقِ](2).

جَعَلَنَا اللهُ وإِيَّاكُمْ من الْواقِفِينَ على إِكْسِيرِ مَعْرِفَتِهِ، والِاطِّلاعِ على دَقائِقِ تَوْحِيدِهِ، وَيَقْطَعُ عَنَّا حُبَّ الدُّنْيَا، وَالْمَيْلَ إلى حُطامِهِ ومُزَخْرَفاتِهِ، بِحُرْمَةِ حَبِيبِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عليه وسلَّمَ وعلى آلِهِ وأَصْحابِهِ.

(1) الموازيني، في أنطاليا.
(2) سقطت من قونية.

وَاعْلَمْ أنَّ الْحُكَماءَ، وإنْ أَشارُوا إلى كَيْفِيَّةِ صَنْعَةِ الْإِكْسيرِ والْحَجَرِ، لكنَّهُمْ رَمَّزوهَا أبْعَدَ من الْأَحاجِي والْأَلْغازِ، لما في صِيانَةِ ذلك من الْمَصْلَحَةِ الْعامَّةِ. ومن قَصَدَ الْوُصولَ إلى ذلك بِكُتُبِهِمْ وتَعْبيراتِهِمْ وإِشاراتِهِمْ، فقد صارَ مُنْخَرِطًا في الْأَخْسَرينَ أَعْمالًا الذين ضَلَّ سَعْيُهُمْ في الْحَياةِ الدُّنْيا وهم يَحْسِبونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنونَ صُنْعًا[1]. بل الْوُقوفُ على ذلكَ ـ إنْ كانَ ـ فَبِمَوْهِبَةٍ عَظِيمَةٍ من الْمَلِكِ الْمَنَّانِ، أو بِواسِطَةِ الْكَشْفِ أو الْإِلْهامِ، من اللهِ ذِي الْجَلالِ والْإِكْرامِ، أو بِإِنْعامٍ من جَنابِ[2] الْواصِلينَ إلى هذا الْأَمْرِ الْمَكْتومِ، إشْفاقًا وإحْسانًا، ولا تَتَمَنَّى الْوُصولَ إلى ذلك بِالْجِدِّ والِاهْتِمامِ. إلَّا أَنَّا نَذْكُرُ هاهُنا بعضًا من كُتُبِهِ إكْمالًا لِلْمَرامِ، لا إطْماعًا في الْوُصولِ إلى ذَلِكَ السُّؤالِ؛ منها:

كِتابُ جابِرِ بنِ حَيَّانَ[3]، و"**التَّذْكِرَةُ**"، لِابْنِ كَمُّونَةَ[4]. و"**رُتْبَةُ الْحَكِيمِ**"، لِلْحَكيمِ الْمَجْرِيطِيِّ. و"**شَرْحُ الْفُصولِ**"، لِعُيونِ ابْنِ الْمُنْذِرِ[5].

وَتَصانيفُ مُؤَيِّدِ الدِّينِ الطُّغْرائِيِّ كَثيرَةٌ في هذا الْعِلْمِ، ومُعْتَبَرَةٌ عند أَرْبابِهَا؛ منها: كِتابُ "**مَفاتِيحُ الرَّحْمَةِ ومَصابِيحُ الْحِكْمَةِ**"، وكِتابُ "**جامِعُ الْأَسْرارِ**"، وكِتابُ "**تَراكِيبُ الْأَنْوارِ**"، ورِسالَةٌ وَسَمَهَا: بـ "**ذاتُ الْفَوائِدِ**"، وكِتابُ

---

(1) وظف المؤلِّف الآية 104 من سورة الكهف في سياق كلامه.

(2) جانب، في الأزهرية.

(3) يقصد: "كتاب الخواص الكبير".

(4) سعد بن منصور بن سعد بن الحسن بن هبة الله ابن كمُّونة (ت.683هـ).

(5) كذا في النسخ الخطية، وفي إرشاد القاصد: 186، وصبح الأعشى: 1/ 558، وتاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: 1/ 126؛ عون بن المنذر.

"حَقائِقُ الاِسْتِشْهاداتِ"، يُبَيِّنُ فيه إِثْباتَ صِناعَةِ الْكِيمِياءِ، والرَّدَّ على أبي عَلِيِّ ابْنِ سِينَا في إِبْطالِها بِمُقَدِّماتٍ من كِتابِ **"الشِّفاءُ"**.

وَالْكُتُبُ والرَّسائِلُ في هذا الْبابِ كَثيرَةٌ، لكنْ لا خَيْرَ في الاِسْتِقْصاءِ فيها، وإنَّما التَّعَرُّضُ بهذا الْقَدْرِ أنْ لا يَخْلُوَ كِتابُنا عنه بِالْمَرَّةِ. نَسْأَلُ اللهَ تعالى خَيْرَيِ الدُّنْيا والآخِرَةِ.

الشُّعْبَةُ الخامسَةُ: في فُروعِ فُروعِ الْعِلْمِ الطَّبِيعِيِّ

وفيها عِدَّةُ عَناقِيدَ:

[الْأَوَّلُ منها][1] فُروعُ عِلْمِ الطِّبِّ[2]

عِلْمُ التَّشْريحِ

وهو عِلْمٌ باحِثٌ عن كَيْفِيَّةِ أجْزاءِ الْبَدَنِ وَتَرْتِيبِها، من الْعُروقِ والْأَعْصابِ وَالْغَضارِيفِ وَالْعِظامِ وَاللَّحْمِ، وغَيْرِ ذَلِكَ من أَحْوالِ كُلِّ عُضْوٍ عُضْوٍ منه.

وَمَوْضوعُهُ: أَعْضاءُ بَدَنِ الْإِنْسانِ.

وَالْغَرَضُ والْفائِدَةُ والْمَنْفَعَةُ ظاهِرَةٌ.

وكُتُبُ التَّشْريحِ أَكْثَرُ من أنْ تُحْصَى، ولا أَنْفَعَ من تَصْنيفِ ابْنِ سِينَا، والْإِمامِ الرَّازِيِّ[3]، ورِسالَةٌ لابْنِ هَمَّامٍ، مُخْتَصَرٌ نافِعٌ في الْبابِ[4]، واللهُ أَعْلَمُ بالصَّوابِ.

---

(1) سقط من قونية.

(2) كتب بإزائها في نسخة مراد ملا ورقة 110 في نقد قول طاش كبري زاده: "قوله: فروع الطِّبِّ إما أن يريد بالفروع المقاصد للعلم كما فعله في الفراسة والطَّبيعي والتَّعبير، أو يريد ما أفرد بالتدوين، فعلى الأول صناعة الطِّبِّ تصل إلى ألوف من العلوم، وعلى الثاني فلم يستوعب الأقسام، إذ النَّبض والقارورة والحميات والبحران والقولنج والماليخوليا ومنافع الأعضاء وأوزان الأدوية وغير ذلك قد أفردت بالتَّدوين، وقد أخلَّ بذكرها، على أنه قد أدخل في الطِّبِّ ما ليس منه؛ كقلع الآثار وعمل المداد".

(3) يقصد كتاب: "الحاوي في الطب".

(4) كتب بإزائها في نسخة مراد ملا: "قوله: "ورسالة لابن همام"، أقول: لا يخفى ضعف هذا التركيب، على أن الرسالة المختصرة المذكورة ليست لابن همام، وإنما هي لابن جماعة، وقد قرأها ابن همام عليه".

عِلْمُ الْكِحالَةِ

وهو عِلْمٌ باحِثٌ عن كَيْفِيَّةِ حِفْظِ صِحَّةِ الْعَيْنِ، وإزالَةِ أَمْراضِها.

وَمَوْضوعُهُ: عَيْنُ الإِنْسانِ.

وَالْغَرَضُ والنَّفْعُ فيه لا يَخْفَى.

و"كِتابُ التَّذْكِرَةِ"، لِلْمَحَلِّيِّ، أَنْفَعُ كُتُبِ هذا الْفَنِّ، ونافِعٌ في الْغايَةِ.

عِلْمُ الأَطْعِمَةِ وَالْمُزَوَّراتِ[1]

عِلْمٌ باحِثٌ عن كَيْفِيَّةِ تَرْكِيبِ الْأَطِعِمَةِ اللَّذِيذَةِ والنَّافِعَةِ بِحَسَبِ الْأَمْزِجَةِ الْمُخالِفَةِ.

وَمَوْضوعُهُ وَغَرَضُهُ وَفائِدَتُهُ لا تَخْفَى على الْمُتَأَمِّلِ.

وَرَأَيْتُ فيه تَصْنِيفًا حَسَنًا لا يَحْضُرُنِي اسْمُهُ الْآنَ.

عِلْمُ الصَّيْدَلَةِ

وهو عِلْمٌ باحِثٌ عن التَّمْيِيزِ بين النَّباتاتِ الْمُشْتَبِهَةِ في الشَّكْلِ، ومَعْرِفَةِ مَنابِتِها بِأَنَّها صِينِيَّةٌ، أو هِنْدِيَّةٌ، أو رومِيَّةٌ، ومَعْرِفَةِ زَمانِها بأَنَّها صَيْفِيَّةٌ، أو خَرِيفِيَّةٌ[2]، ومَعْرِفَةِ جَيِّدِهَا من رَدِيئِهَا، وَمَعْرِفَةِ خَواصِّها، إلى غيرِ ذلكَ.

وَغَرَضُهُ وَفائِدَتُهُ ظاهِرٌ لمن تَأَمَّلَ.

---

(1) المزوَّرات: طعام لا لحم فيه، يتخذ من البقول فقط. تكملة المعاجم العربية: 5/ 383.

(2) النسب الصحيح إلى الخريف خَرْفِيٌّ وخَرَفِيٌّ كلاهما على غير قياس. اللسان: خرف.

وَالْفَرْقُ بين عِلْمِ الصَّيْدَلَةِ وعِلْمِ النَّباتِ أنَّ:

ـ **الْأَوَّلَ**: باحِثٌ عن تَمْييزِ أَحْوالِها أصالَةً.

ـ **والثَّانِيَ**: باحِثٌ عن خَواصِّها أَصالَةً.

وَالْأَوَّلُ بِالْعَمَلِ أشْبَهُ، والثَّانِي بِالْعِلْمِ أشْبَهُ، وكُلٌّ منهما مُشْتَرِكٌ في الْآخَرِ.

عِلْمُ طَبْخِ الْأَشْرِبَةِ والْمَعاجينِ

وهو عِلْمٌ يُتَعَرَّفُ منه كَيْفِيَّةُ تَرْكيبِ الْمُرَكَّباتِ الدَّوائِيَةِ وَزْنًا وَوَقْتًا، وَمَعْرِفَةُ ما يُسْحَقُ منه، وما يُذابُ، وما يُقَدَّمُ منه في الْمَزْجِ وما يُؤَخَّرُ، وَكَيْفِيَّةُ ضَبْطِهِ في الظُّروفِ، وَمَعْرِفَةُ مِقْدارِ نَفْعِهِ، وَبُطْلانِ فائِدَتِهِ، إلى غير ذَلكِ من الْأَحْوالِ التي يَعْرِفُها من يُزاوِلُها.

عِلْمُ قَلْعِ الْآثارِ من الثِّيابِ

وَتَعْريفُهُ ظاهِرٌ من اسْمِهِ، لكنَّهُ عِلْمٌ شَريفٌ يَقْدِرُ به الْإِنْسانُ على إزالَةِ الْأَدْهانِ وَالصُّموغِ والْأَلْوانِ، التي يَعْسُرُ إزالَتُها عن الثِّيابِ، بِأَدْنى شَيْءٍ، وَأَدْنى حِيلَةٍ، وَيَقْدِرُ على إِزالَةِ الْأَدْهانِ عن أَوْراقِ الْكُتُبِ، بل يَقْدِرُ على إِزالَةِ الْخَطِّ عن الْأَوْراقِ من غير كَشْطٍ، ولا بَقاءِ أَثَرٍ فيها. وهذا من أَعْظَمِ الْحِيَلِ، ولا بُدَّ من كِتْمانِها، إذ يَؤولُ إلى إبْطالِ الصُّكوكِ والسِّجِلَّاتِ وأمْثالِهَا.

فائِدَةٌ

دَبْغُ التُّوتِ الشَّامِيِّ يَزولُ بِوَرَقِها، وكذا دَبْغُ التُّوتِ الْحُلْوِ، يَزولُ بِوَرَقِ التُّوتِ الْحُلْوِ، وَدَبْغُ الْعِنَبِ الْأَبْيَضِ يَزولُ بِالْعِنَبِ الْأَسْوَدِ وَبِالْعَكْسِ. وَالْآثارُ الْمَجْهولَةُ في الثِّيابِ تَزولُ بِالنَّقْعِ في خُرْءِ الْحَمامِ طُولَ اللَّيْلِ، ثُمَّ يُغْسَلُ بُكْرَةً بِالصَّابونِ فإِنَّهُ يَنْقَلِعُ.

عِلْمُ تَرْكِيبِ أَنْواعِ الْمِدادِ

من السَّوادِ والْحُمْرَةِ والصُّفْرَةِ، وأَلْوانٍ مِثْلِ الذَّهَبِ واللَّازَوَرْدِ والْياقوتِ وَالزُّمُرُّدِ والسَّوادِ الْبَرَّاقِ، وَيُسَمُّونَهَا الْمِدادَ الطَّاوُسِيَّ، إلى غيرِ ذلكَ من الْأَلْوانِ الْعَجيبَةِ اللَّطِيفَةِ.

عِلْمُ الْجِراحَةِ

هو عِلْمٌ باحِثٌ عن أَحْوالِ الْجِراحاتِ الْعارِضَةِ لِبَدَنِ الْإِنْسانِ، وَكَيْفِيَّةِ بُرْئِها وَعِلاجِها، وَمَعْرِفَةِ أَنْواعِها، وَكَيْفِيَّةِ الْقَطْعِ إنِ احْتِيجَ إليها، وَمَعْرِفَةِ كَيْفِيَّةِ الْمَراهِمِ والضِّماداتِ وأنْواعِهَا، وَمَعْرِفَةِ أَحْوالِ الْأَدَواتِ اللَّازِمَةِ لها. وهذا الْعِلْمُ جُزْءٌ من عِلْمِ الطِّبِّ، وقد يُفْرَدُ عنها بالتَّدْوِينِ.

وَمَنْفَعَتُهُ عَظيمَةٌ جِدًّا.

وهذا الْعِلْمُ بِالْعَمَلِ أَشْبَهُ منه بِالْعِلْمِ. وفي كِتابِ "**مِنْهاجُ الْبَيانِ**"(1) ما فيه كِفايَةٌ في هذا الْبابِ.

عِلْمُ الْفَصْدِ

وهو عِلْمٌ باحِثٌ عن كَيْفِيَّةِ آلاتِ الْفَصْدِ، وَمَعْرِفَةِ أَنْواعِ الْعُروقِ، وَمَعْرِفَةِ ما يَخُصُّ كُلَّ مَرَضٍ من فَصْدِ عِرْقٍ مَخْصوصٍ، إلى غيرِ ذلكَ من الْأَحْوالِ التي يَعْرِفُها مُزاوِلوهَا(2).

وَغايَتُهُ وَغَرَضُهُ وَمَنْفَعَتُهُ لا تَخْفَى.

عِلْمُ الْحِجامَةِ

عِلْمٌ يُتَعَرَّفُ به أَحْوالُ الْحِجامَةِ، وَكَيْفِيَّةُ شَرْطِهَا، وَمَصِّها بِالْمِحْجَمَةِ، وأَنَّها في أيِّ مَوْضِعٍ من الْبَدَنِ نافِعَةٌ، وفي أيِّ مَوْضِعٍ مُضِرَّةٌ. إلى غيرِ ذلكِ من الْأَحْوالِ.

عِلْمُ الْمَقادِيرِ والْأَوْزانِ الْمُسْتَعْمَلَةِ في عِلْمِ الطِّبِ

مِنَ الدِّرْهَمِ وَالْأُوقِيَّةِ والرَّطْلِ وغيرِ ذلكَ من الْأَوْزانِ.

وَلَقَدْ صُنِّفَ له كُتُبٌ مُطَوَّلَةٌ وَمُخْتَصَرَةٌ يَعْرِفُها مُزاوِلوهَا.

---

(1) ليحيى بن عيسى بن جزلة، أبي علي الطبيب (ت.493هـ)، ترجمته في: إخبار العلماء بأخبار الحكماء: 273، عيون الأنباء: 343، وفيات الأعيان: 6/ 267.

(2) مزاوله، في قونية.

عِلْمُ الْباهِ

وهو عِلْمٌ باحِثٌ عن كَيْفِيَّةِ الْمُعالَجَةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِقُوَّةِ الْمُباشَرَةِ، من الْأَغْذِيَةِ الْمُصْلِحَةِ لتلك الْقُوَّةِ، وَالْأَدْوِيَةِ الْمُقَوِّيَةِ، أو الْمُزِيدَةِ[1] لِلْقُوَّةِ، أو الْمُلَذِّذَةِ لِلْجِماعِ، أو الْمُعَظِّمَةِ لِلذَّكَرِ، أو الْمُضَيِّقَةِ لِلْقُبُلِ، اللَّذَيْنِ لهما مَدْخَلٌ عَظيمٌ في اللَّذَّةِ، وغَيْرِ ذلك من الْأَعْمالِ والْأَفْعالِ الْمُتَعَلِّقَةِ بهما[2].

منها: ذِكْرُ أَشْكالِ الْجِماعِ وَآدابِهِ، اللَّذَيْنِ لهما مَدْخَلٌ في اللَّذَّةِ، وَحُصولِ أَمْرِ الْإِحْبالِ، إِلَّا أَنَّهُمْ يَذْكُرونَ لِأَجْلِ إِكْثارِ الصِّناعَةِ أَشْكالًا يَعْسُرُ فِعْلُهَا بل يَمْتَنِعُ.

ومنها: أَنَّهُمْ يُذَيِّلونَ ذلك الْأَشْكالَ بِحِكاياتٍ مُشَهِّيَةٍ، تَحْصُلُ بِسَماعِهَا الشَّهْوَةُ، وَتَتَحَرَّكُ قُوَّةُ الْمُجامَعَةِ، وإِنَّمَا وَضَعوهَا[3] لِمَنْ ضَعُفَتْ قُوَّةُ مُباشَرَتِها، أو بَطَلَتْ تلك فيها.

رُوِيَ أَنَّ مَلِكًا بَطَلَتْ عنه قُوَّةُ الْمُباشَرَةِ بِالْكُلِّيَةِ، وعَجَزَ الْأَطِباءُ عن مُعالَجَتِها بِالْأَدْوِيَةِ، فَاخْتَرَعُوا حِكاياتٍ عن لِسانِ امْرَأَةٍ مُسَمَّاةٍ بِالْأَلْفِيَّةِ، لِمَا أَنَّهَا جَامَعَهَا أَلْفُ رَجُلٍ، فَحَكَتْ من كُلٍّ منها أَشْكالًا مُخْتَلِفَةً، وَأَوْضاعًا مُشَهِّيَةً، فَعادَتْ بِاسْتِماعِها قُوَّةُ الْمَلِكِ.

---

(1) الْمُزيد: لفظ اخترعه الناس واستعملوه، ولا أصل له في كلام العرب. ينظر: التنبيه على غلط الجاهل والنَّبيه: المورد مجلد 9، العدد الرابع، 581، خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام: 53.

(2) بها، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(3) وصفوها، في الأزهرية.

ويُحْكَى أيْضًا أنَّ مَلِكًا آخَرَ بَطَلَ عنه الْقُوَّةُ، فَزَوَّجَ عَبْدًا من مَمالِيكِهِ جارِيَةً حَسْناءَ، وَهَيَّأَ لهما مَكانًا بحيثُ يَراهُما الْمَلِكُ ولا يَرَيانِهِ، فَعادَتْ قُوَّةُ الْمَلِكِ بِمُشاهَدَةِ أَفْعالِهِما، حتَّى خَرَجَتْ من إِحْلِيلِهِ شِبْهُ الْجُبْنِ الرَّطْبِ، فَقَدَرَ بعد ذلك قُدْرَةً زائِدَةً.

ومن الْكُتُبِ الْجامِعَةِ في هذا البابِ:

كِتابُ **"رُجوعُ الشَّيْخِ إلى صِباهُ في الْقُوَّةِ على الْباهِ"**[1]، وكِتابُ **"رُشْدُ اللَّبِيبِ إلى مُعاشَرَةِ الْحَبيبِ"**[2]، وكِتابُ **"الْفَخُّ الْمَنْصوبُ إلى صَيْدِ الْمَحْبوبِ"**، وكِتابُ **"تُحْفَةُ الْعَروسِ وَجَلاءُ النُّفوسِ"**[3]، وكِتابُ نَصيرِ الدِّينِ الطُّوسِيِّ[4] نافِعٌ في الْبابِ[5].

---

(1) ينسب لأبي العباس أحمد بن يوسف بن أحمد التيفاشي (ت.651هـ). ونسبه صاحب كشف الظنون: 1/ 830، إلى ابن كمال باشا (ت.940هـ).

(2) ينسب لأبي فَلِيتَةَ الحكمي أحمد بن محمد بن علي (ت. 731هـ).

(3) ينسب لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد التجاني (ت.بعد 710هـ)، والكتاب مطبوع بعنوان: "تحفة العروس ومتعة النفوس"، وهو ما ورد في نسخه الخطية. ينظر: هدية العارفين: 2/ 142، معجم سركيس: 650، G.A.L.G.II: 257 ; S.II: 368.

(4) لعله يقصد كتاب الفخ المنصوب السالف ذكره.

(5) كتب بإزائها في مراد ملا وعاطف أفندي: وللمصنف كتاب لطيف سَمَّاهُ: **"منية الشبان في معاشرة النسوان"**.

الْعُنْقودُ الثَّانِي: في فُروعِ عِلْمِ الْفِراسَةِ

عِلْمُ الشَّامَاتِ والْخِيلَانِ

عِلْمٌ باحِثٌ عن أَحْوالِ الْعَلاماتِ الْمَذْكورَةِ، بِحَسَبِ دَلالَتِهَا على الْأَحْوالِ الْباطِنَةِ[1]، والْأَخْلاقِ الْمَوجودَةِ في الْإِنْسانِ بِحَسَبِ الْفِطْرَةِ.

وقد صَنَّفَ فيه بعضُ الْحُكَماءِ رَسائِلَ، لكنَّها قَليلَةُ الْوُجودِ جِدًّا.

عِلْمُ الأَسارِيرِ

عِلْمٌ باحِثٌ عن الِاسْتِدْلالِ بِالْخُطوطِ الْمَوْجودَةِ في الْأَكُفِّ والْأَقْدامِ والْجِباهِ، بِحَسَبِ التَّقاطُعِ والتَّبايُنِ، والطُّولِ والْعَرْضِ والْقِصَرِ، وبِحَسَبِ ما بينهُمَا من الْفُرَجِ الْمُتَّسِعَةِ، أو الْمُتَضايِقَةِ، من حيثُ دَلالَتُها على أَحْوالِ الْإِنْسانِ من طولِ الْأَعْمارِ وَقِصَرِها، والسَّعادَةِ والشَّقاوَةِ، والْغِنَى وَالْفَقْرِ.

وَأَكْثَرُ من تَمَهَّرَ في هذا الْعِلْمِ الْأَعْرابُ والْهُنودُ.

قال الْأَعْشَى: [السريع]

فَانْظُرْ إلى كَفِّي وَأَسْرارِهَا   هَلْ أنْتَ إنْ أَوْعَدْتَنِي ضائِرِي[2]

وَيوجَدُ في هذا الْعِلْمِ مُصَنَّفاتٌ. وَكَثِيرًا ما يوجَدُ ذَيْلًا لِكُتُبِ عِلْمِ[3] الْفِراسَةِ.

---

(1) الباطنية، في رئيس الكتاب.

(2) ينظر ديوان شعره: 145. وفيه: إلى كفٌ.

(3) للكتبِ علم، في مراد ملا.

عِلْمُ الأكْتافِ

عِلْمٌ باحِثٌ عن الْخُطوطِ وَالْأشْكالِ، التي تُرَى في أَكْتافِ الضَّأْنِ والْمَعِزِ، إذا قُوبِلَتْ بِشُعاعِ الشَّمْسِ، من حيث دَلالَتُهَا على أَحْوالِ الْعالَمِ الْأَكْبَرِ، من الْحُروبِ الْواقِعَةِ بين الْمُلوكِ، وَأَحْوالِ الْخِصْبِ والْجَدْبِ.

وَهَؤُلاءِ الَّذِينَ يَعْتَنُونَ بهذا الْعِلمِ، قَلَّمَا يَسْتَدِلُّونَ على الْأَحْوالِ الْجُزْئِيَّةِ لإنْسانٍ مُعَيَّنٍ. وَأَهْلُ هذا الْعِلْمِ يَأْخُذونَ لَوْحَ الْكَتِفِ قبلَ طَبْخِ لَحْمِهِ، وَيُلْقونَهُ على الْأَرْضِ أَوَّلًا، ثُمَّ يَأْخُذونَهُ وَيَنْظُرونَ فيه، وَيَسْتَدِلُّونَ بِأَحْوالِهِ من الصَّفَاءِ والْكَدَرِ، والْحُمْرَةِ والْخُضْرَةِ، إلى الْأَحْوالِ الْجارِيَةِ في الْعالَمِ، من الْغَلاءِ والرَّخاءِ، والْحُروبِ الْواقِعَةِ بين الْأمَراءِ، ولِمَنِ الْغَلَبَةُ فيها، وَيَنْسُبونَ كُلًّا من أَطْرافِهِ الْأَرْبَعَةِ إلى جِهَةٍ من جِهاتِ الْعالَمِ، وَيَحْكمونَ بذلك على كُلِّ صُقْعٍ منها بأحْوالٍ مُتَعَلِّقَةٍ بها على ما يَظْهَرُ في اللَّوْحِ.

ويُنْسَبُ عِلْمُ الْكَتِفِ إلى أمِيرِ الْمُؤْمِنينَ عَلِيِّ بنِ أبي طالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ. وَرَأَيْتُ مَقَالَةً في هذا الْعِلْمِ مُخْتَصَرَةً غايَةَ الِاخْتِصارِ يَجِدُهَا من يَطْلُبُها، لكن بَيَّنَ فيها الْإنِّيَّةَ دونَ اللِّمِّيَّةِ[1].

---

(1) الكمية، في مراد ملا وعاطف أفندي. البرهان الميزانيُّ إما برهان لِمَ، ويُسمّى برهانا لمّيًا، وتعليلا أيضا، أو برهان إنَّ، ويُسمّى برهانا إنّيًا واستدلالا أيضا. كشاف اصطلاحات الفنون: 1/ 324.

عِلْمُ قِيافَةِ الْأَثَرِ، وَيُسَمَّى عِلْمَ الْعِيافَةِ[1]

وهو عِلْمٌ باحِثٌ عن تَتَبُّعِ آثارِ الْأَقْدامِ والْأَخْفافِ والْحَوافِرِ، في الطُّرُقِ الْقابِلَةِ لِلْأَثَرِ، وهي التي تكونُ تُرْبَةً حُرَّةً[2] تَتَشَكَّلُ بِشَكْلِ الْقَدَمِ.

وَنَفْعُ هذا الْعِلْمِ بَيِّنٌ، إذِ الْقائِفُ يَجِدُ بهذا الْعِلْمِ الْهُرَّابَ من النَّاسِ، والضَّوَالَّ من الْحَيَوانِ بِتَتَبُّعِ آثارِها، وَقِوامُها بِقُوَّةِ الْباصِرَةِ، وَقُوَّةِ الْخَيالِ والْحافِظَةِ، حتى سَمِعْتُ بعضَ من اعْتَنَى بهذا الْعِلْمِ أَنَّهُمْ يُفَرِّقُونَ بين أَثَرِ قَدَمِ الرَّجُلِ، وَأَثَرِ قَدَمِ الْمَرْأَةِ، وبين أَثَرِ قَدَمِ الشَّيْخِ، وَأَثَرِ قَدَمِ الشَّابِّ. واللهُ أَعْلَمُ بِالصَّوابِ.

عِلْمُ قِيافَةِ الْبَشَرِ

هو عِلْمٌ باحِثٌ عن كَيْفِيَّةِ الِاسْتِدْلالِ بِهَيْئاتِ الْأَعْضاءِ في الْإِنْسانِ، على الِاشْتِراكِ بينهما في النَّسَبِ والْوَلاءِ، وفي سائِرِ الْأَخْلاقِ والْأَحْوالِ. وَيَخْتَصُّ هذا الِاسْتِدْلالُ بِقَوْمٍ من الْعَرَبِ يُقالُ لهم: بنو مُدْلِجٍ[3]، وآخَرينَ يُقالُ لهم: بنو لِهْبٍ[4]، وذلك بِمُناسَبَةِ طَبِيعَةٍ حاصِلَةٍ فيهم لا يُمْكِنُ تَعَلُّمُهُ.

---

(1) القِيافة، في أنطاليا ومراد ملا.

(2) التربة الحرة التي لا يخالطها رمل أو حجارة.

(3) بَنو مُدْلِج بن مرّة بن تيم بن عبد مَناف، بطن كنَانَة، وهم قافة العرب وأعلمهم بالزجر والقيافة. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب: 416.

(4) بَنُو لِهْبِ بْنِ حُجْرِ بْن كَعْبِ بْن الْحَارِث بْن كَعْبِ بْن عَبْدِ اللهِ بْن مَالِك بْن نصر بْن الأزد، وهم أَعْيَفُ الْعَرَبِ وَأَزْجَرُهُمْ. وفيهم قال الشاعر:

خَبيرٌ بنو لِهْبٍ فلا تك مُلْغيا ... مقالةَ لِهْبِيٍّ إذا الطَّيْرُ مَرَّتِ

ينظر أنساب الأشراف: 10/ 411.

قال بعضُ الْحُكَماءِ: خَصَّ اللهُ تَعَالَى بِذلِكَ الْعَرَبَ، ليكونَ سَبَبًا لِارْتِداعِ نِسائِهِمْ عما يورِثُ شَوْبَ نَسَبِهِمْ، وخُبْثَ حَسَبِهِمْ، وَفَسادَ بُذورِهِمْ وَزَرْعِهِمْ، صِيانَةً لِلنِّسْبَةِ النَّبَوِيَّةِ، وليكونَ ذلك شَرَفًا لِنَبِيِّهِ، صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ.

وهذا الْعِلْمُ والذي قَبْلَهُ حاصِلانِ بالْحَدْسِ والتَّخْمِينِ، لا بالإِسْتِدْلالِ والْيَقينِ.

حُكِيَ أنَّ الإِمامَ مُحَمَّدَ بنَ الْحَسَنِ، والإِمامَ الشَّافِعِيَّ، رَضِيَ اللهُ عنهما، رَأَيا رَجُلًا، فقال مُحَمَّدٌ: إنَّهُ نَجَّارٌ، والشَّافِعِيُّ: إنَّهُ حَدَّادٌ، فَسَأَلَا عن صَنْعَتِهِ، فقالَ: كنتُ حَدَّادًا، والْآنَ نَجَّارٌ[1].

وإِنَّمَا سُمِّيَتْ بِقِيافَةِ الْبَشَرِ، لِكَوْنِ صاحِبِهِ يَتَتَبَّعُ بَشَراتِ الْإِنْسانِ وَجُلودَهُ، وما يَتْبَعُ ذلك من هَيْئاتِ سائِرِ الْأَعْضاءِ، خُصوصًا الْأَقْدامَ.

وَمَبْنَى هذا الْعِلْمِ، ما ثَبَتَ في الْمَباحِثِ الطِّبِّيَّةِ من وُجودِ الْمُناسَبَةِ وَالْمُشابَهَةِ بين الْوَلَدِ وَوالِدَيْهِ. وقد تَكونُ تلك الْمُناسَبَةُ في الْأمورِ الظَّاهِرَةِ بحيثُ يُدْرِكُها كُلُّ أَحَدٍ، وقد تَكونُ في أُمورٍ خَفِيَّةٍ لا يُدْرِكُها إِلَّا أَرْبابُ الْكَمالِ. ولهذا اخْتَلَفَ أَحْوالُ النَّاسِ في هذا الْعِلْمِ كَمالًا وَضُعْفًا، إلى حيثُ لا يَشْتَبِهُ عليه شَيْءٌ أَصْلًا، بِسَبَبِ كَمالِهِ في الْقُوَّتَيْنِ، وتُدْرَكُ هذه الْمُشابَهَةُ بِمَعونَةِ الْقُوَّةِ الْباصِرَةِ، والْقُوَّةِ الْحافِظَةِ.

(1) كتب بإزائها في نسخة أنطاليا: هذه الحكاية مبنية على الفراسة لا على القيافة كما لا يخفى.

وهذا الْعِلْمُ مَوْجودٌ في قَبائِلِ الْعَرَبِ، وَيَنْدُرُ في غَيْرِهِمْ، إذْ لا يُمْكِنُ تَحْصِيلُ هذا الْعِلْمِ وَكَسْبُهُ وَتَعْلِيمُهُ، بل هو مُتَوارَثٌ في أعْراقٍ مَخْصوصَةٍ من الْعَرَبِ، لا يُشارِكُهُمْ فيه غَيْرُهُمْ، ولهذا لم يَقَعْ في هذا الْعِلْمِ تَصْنيفٌ قَلَّ أو جَلَّ.

ويُرْوَى أنَّ بَعْضًا من أكابِرِ الْفُقَهاءِ، رَأَوْا التَّعْويلَ على أَصْحابِ هذا الْعِلْمِ في تَصْحيحِ الْأَنْسابِ، كَالشَّافِعِيِّ رَضِيَ الله عنه، مُسْتَشْهِدًا بما نُقِلَ عن رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، أنَّهُ سُرَّ بِقَوْلِ الْقائِفِ في أُسامَةَ بْنِ زَيْدٍ ـ وَكانا نائِمَيْنِ في قَطيفَةٍ وقد بَدَتْ أَقْدامُهُمَا ـ إنَّ هذه الْأَقْدامَ بَعْضُها من بعضٍ، وإنَّما سُرَّ بذَلِكَ لِمَا أنَّ الْمُشْرِكينَ طَعَنُوا في نَسَبِهِ.

وَقالَ الشَّافِعِيُّ: لو لم يَكُنْ حُجَّةً، لم يُسَرَّ رَسولُ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّمَ بِقَوْلِ الْقائِفِ[1].

وقال أبو حَنيفَةَ: سُرورُهُ لِأَجْلِ إلْزامِ الْمُشْرِكينَ بما هو حُجَّةٌ عِنْدَهُمْ، لا أنَّهُ حُجَّةٌ قَطْعِيَّةٌ في نَفْسِ الْأَمْرِ.

عِلْمُ الِاهْتِداءِ بِالْبَرارِيِّ والْأَقْفارِ

وهو عِلْمٌ يُتَعَرَّفُ به أَحْوالُ الْأَمْكِنَةِ، من غَيْرِ دَلالَةٍ عليه بِالْأَماراتِ الْمَحْسوسَةِ، بل يَسْتَدِلُّ بِالْقُوَّةِ الشَّامَّةِ فقط.

---

(1) ينظر الخبر وحديث عائشة رضي الله عنها في المبسوط للسَّرَخْسِيِّ: 17/ 69، والدراية في تخريج أحاديث الهداية: 2/ 88.

وقِيلَ: قد يَسْتَعِينُ صاحِبُ هذا الْعِلْمِ بِالْأمورِ السَّماوِيَّةِ تارَةً، والْأَرْضِيَّةِ أُخْرَى.

أَمَّا الْأَوَّلُ: فَبِمُسامَتاتِ الْكَواكِبِ الثَّابِتَةِ، وَمَنازِلِ الْقَمَرِ، كما قال تَعالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾[1].

وأَمَّا الثَّانِي: فَبِمَعْرِفَةِ الْخَيالِ، مِثْلَ شَمِّ التُّرابِ، إذْ لِكُلِّ بُقْعَةٍ رائِحَةٌ مَخْصوصَةٌ، فَيَهْتَدونَ بها.

وَنَفْعُ هذا الْعِلْمِ عَظيمٌ، وإلَّا لَهَلَكَ الْقَوافِلُ، وَضَلَّتِ الْجُيوشُ، وضاعَتْ في الْبَرارِي وَالْأَقْفارِ.

وَقيلَ: قد يكونُ بعضٌ ممن هو بَليدٌ في سائِرِ الْعُلومِ، ماهِرًا في هذا الْعِلْمِ، كما يُمْكِنُ عَكْسُهُ. وقد يَحْصُلُ هذا النَّوْعُ من التَّمْييزِ في الْإِبِلِ والْفَرَسِ.

حَكَى بعضٌ من الْمُصَنِّفينَ: إنِّي كُنْتُ في قافِلَةٍ في مَفازَةِ خُوارَزْمَ، وَضَلَلْنا الطَّريقَ، وَعَجَزَ الْكُلُّ عن الِاهْتِداءِ، فَقَدَّمُوا جَمَلًا هَرِمًا، وَأَلْقَوْا حَبْلَهُ على غارِبِهِ، فَأَخَذَ يَنْتَقِلُ من جانِبٍ إلى جانِبٍ، ومن تَلٍّ إلى تَلٍّ، وَتَذَبْذَبَ يَمينًا وَشِمالًا، وَصُعودًا وَنُزولًا، وَاسْتَمَرَّ على هذا الْحالِ مِقْدارَ فَرْسَخَيْنِ، وخِفْنا على أَنْفُسِنا، حتى وَصَلَ إلى الْجادَّةِ الْمُسْتَقيمَةِ، والنَّهْجِ الْقَويمِ، وَتَعَجَّبْنا منه كُلَّ الْعَجَبِ.

---

(1) سورة الأنعام، الآية: 97.

عِلْمُ الرِّيافَةِ أي اسْتِنْباطُ الْمِياهِ

وهو مَعْرِفَةُ الْماءِ في[1] الْأَرْضِ، بِواسِطَةِ الْأَماراتِ الدَّالَّةِ على وُجودِ الْماءِ، وَيُعْرَفُ بها أَنَّهُ قَريبٌ أم بَعيدٌ، إمَّا بِشَمِّ رائِحَةِ تُرابٍ منها، أو رُؤْيَةِ نَباتٍ بها، أو حَيَوانٍ مَخْصُوصٍ بِحَرَكَةٍ مَخْصوصَةٍ، ولا بُدَّ لِصاحِبِهِ من حِسٍّ كامِلٍ، وَتَخَيُّلٍ قَوِيٍّ.

وَنَفْعُ هذا الْعِلْمِ بَيِّنٌ، إذْ قَلَّمَا يوجَدُ في جَميعِ الْأَراضِي الْأَنْهارُ الْجَارِيَةُ الْمُنْصَبَّةُ من شَواهِقِ الْجِبالِ والْأَماكِنِ الْمُرْتَفِعَةِ إلى بُطونِ الْأَوْدِيَةِ. وأَصْلُ هذه الصِّناعَةِ، مَعْرِفَةُ خَواصِّ الْأَرَضِينَ، وأَحْوالِ تُرْبَتِهَا بِأَلْوانِها وَخَواصِّها السَّهْلِيِّ والْجَبَلِيِّ والرَّمْلِيِّ والصَّخْرِيِّ.

وهذا الْعِلْمُ من حيث مَعْرِفَةُ وُجودِ الْماءِ من فُروعِ عِلْمِ الْفِراسَةِ؛ ومن حيثُ حَفْرُها وإِخْراجُها إلى وَجْهِ الْأَرْضِ من فُروعِ الْهَنْدَسَةِ، فلا تَغْفَلْ.

عِلْمُ اسْتِنْباطِ الْمَعادِنِ

إذِ الذَّهَبُ والْفِضَّةُ وغَيْرُهُما لا بُدَّ لها من عَلاماتٍ تُعْرَفُ بها عُروقُها في الْجِبالِ.

وَمَبادِئُهُ وآلاتُهُ قَريبَةٌ من الْعِلْمِ السَّابِقِ.

---

(1) من، في قونية ورئيس الكتاب وأنطاليا.

عِلْمُ نُزولِ الْغَيْثِ

وهو عِلْمٌ يُتَعَرَّفُ به كَيْفِيَّةُ الِاسْتِدْلالِ على الْمَطَرِ بأَحْوالِ الْبُروقِ والسُّحُبِ والرِّياحِ. وأَخَصُّ النَّاسِ بهذا الْعِلْمِ الْعَرَبُ، لِاشْتِدادِ حاجَتِهِمْ إلى الْغيُوثِ، التي بها حُصولُ مَعايِشِهِمْ من السَّقْيِ والرَّعْيِ. وقد حَصَلَ لهم هذا الْعِلْمُ بِكَثْرَةِ التَّجارِبِ.

وَدَليلُهُ: الدَّورانُ بين أَحْوالِ السُّحُبِ والْأَمْطارِ. وأَحْوالُ السُّحُبِ إمَّا بِحَسَبِ مَواضِعِها، أو رِقَّتِهَا وكَثافَتِهَا، أو أَلْوانِها، أو كَيْفِيَّةِ أَحْوالِ الرِّياحِ والْبُروقِ. وَيَعْرِفونَ أَنَّ أَيَّ هذه الْأُمورِ ماطِرٌ لِلْجودِ، وَأَيَّها ماطِرٌ لِلرَّذاذِ، وأَنَّ أيَّ الْبُروقِ خُلَّبٌ[1]، وأَيَّها ذاتُ صَيِّبٍ.

وَجاءَ في غَريبِ أبي عُبَيْدِ اللهِ: «أَنَّ النَّبِيَّ صلَّى الله عليه وسَلَّمَ سَأَلَ عن سَحابَةٍ مَرَّتْ، فقالَ: كَيْفَ تَرَوْنَ قَواعِدَهَا وَبَواسِقَها؟ أَجَوْنٌ أَمْ غَيْرُ ذلِكَ؟ ثُمَّ سَأَلَ عن الْبَرْقِ: أَخَفْوًا أم وَمِيضًا أَمْ يَشُقُّ شَقًّا؟ فَقالوا: بل يَشُقُّ شَقًّا، فَقالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: جاءَكُمُ الْحَيَا»[2].

وَمِنَ الدَّاهِيَةِ الدَّهْياءِ، والْفِتْنَةِ الشَّنْعاءِ أَنَّ بعضَ الْأَتْراكِ، قد يَدَّعونَ وُقوعَ الْأَمْطارِ أو انْدِفاعَها، بِسَبَبِ هذا الْعِلْمِ، عند مَنْ لم يُجَرِّبْ هذا الْعِلْمَ من أَهْلِ الْأَمْصارِ، فَيُريهِمْ أنه يَدْفَعُ الْأَمْطارَ أو يُنْزِلُهَا، إمَّا لِأَجْلِ الرُّقْيَةِ أو لِأَجْلِ

---

(1) سحاب خُلَّبٌ: لا مطر فيه.

(2) غريب الحديث للقاسم بن سلام: 3/ 104، الفائق في غريب الحديث: 3/ 212.

الشَّفاعَةِ عند اللهِ تَعالَى، فَيَصيرُ ذلك خَديعَةً عَظيمَةً، وَمَكيدَةً أَكيدَةً، وَفِتْنَةً قَوِيَّةً عند الْحَشْوِيَّةِ وَالْعَوامِّ، والتَّوْفيقُ من الْمَلِكِ الْعَلَّامِ.

ومِنْ هذا الْقَبيلِ أنَّ عند الْأَتْراكِ في الْجِبالِ حَجَرًا جالِبًا لِلْمَطَرِ، وهم يَعْرِفونَهَا وَيُلْقونَها في الْماءِ، وَيَعْمَلونَ بَعْضًا من الْأَعْمالِ شَبيهَ أعْمالِ السِّحْرِ، وَيَتَكَلَّمونَ بِكَلِماتٍ مُتَضَمِّنَةٍ لِلْكُفْرِ. هكذا سَمِعْتُ ممن رَأَى هذا الْعَمَلَ من الْأَتْراكِ. قال: فَيَنْزِلُ الْمَطَرُ في الْحالِ، حتى إنَّ رَأْسَ الْفَرَسِ تحتَ الثَّلْجِ والْمَطَرِ، وَنِصْفَهُ الْآخَرَ تَحْتَ الشَّمْسِ. قال: وَرَأَيْناهُ مِرارًا وَالْبَهاليلُ غافِلونَ عن حالِها، فَيَتَعَجَّبونَ منها، فربَّما يَحْمِلونَها على وِلايَتِهِمْ أو كَرَامَتِهِمْ، إذا ادَّعَوا من فَعَلوها ذلك، ولا يُمَيِّزونَ بين الْخَواصِّ والْكَرامَةِ. وَتَعْسًا لِقَوْمٍ بَلَغَتْ عُقولُهُمْ هذه الْمَرْتَبَةَ من[1] السَّخافَةِ والْحُمْقِ.

عِلْمُ الْعِرافَةِ

وهو الِاسْتِدْلالُ ببعضِ الْحَوادِثِ الْحالِيَّةِ على الْحَوادِثِ الْآتِيَةِ، بِمُناسَبَةٍ بَيْنَهُما، أو بِمُشابَهَةٍ خَفِيَّةٍ، أو ارْتِباطٍ بَيْنَهُما، إمَّا لِكَوْنِهِما مَعْلولَيْ أَمْرٍ واحِدٍ، أو لِكَوْنِ ما في الْحالِ عِلَّةً لِمَا في الِاسْتِقْبالِ، بِشَرْطِ أن يَكونَ الِارْتِباطُ بَيْنَهُمَا خَفِيًّا لا يَطَّلِعُ عليه إلَّا الْأَفْرادُ، إمَّا بِتَجارِبَ شاهَدوها في أمْثالِها، أو بِحالَةٍ مُودَعَةٍ في نُفوسِهِمْ عند الْفِطْرَةِ، بحيثُ يَغْلُبُ على طالِعِهِمْ سَهْمُ الْغَيْبِ،

---

(1) مع، في قونية.

الَّذِي عَبَّرَ عنه النَّبِيُّ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ بِالْمُحَدَّثِ، وهو الْمُصيبُ في ظَنِّهِ وفِراسَتِهِ، كما ذَكَرْناهُ في عِلْمِ الْفِراسَةِ.

حُكِيَ أنَّ الإِسْكَنْدَرَ لمَّا أَرادَ الْمُحارَبَةَ مع مَلِكِ الْفُرْسِ، قال ذلك الْمَلِكُ: لا حاجَةَ إلى مُقَاتَلَةِ الْعَساكِرِ، هَلُمَّ نَتَقاتَلْ مَعَكَ[1]، فإمَّا أن تَقْتُلَنِي، وإمَّا أنْ أَقْتُلَكَ، فَفَرِحَ الإِسْكَنْدَرُ بهذا الْكَلامِ، حيث قَدَّمَ ذلك الْمَلِكُ نَفْسَهُ في ذِكْرِ الْقَتْلِ، فَكانَ كما قالَ.

ويُحْكَى عنه أيْضًا أَنَّهُ لمَّا دَخَلَ بِلادَ الْغَرْبِ[2]، مَرَّ على امْرَأَةٍ في مَدِينَةٍ وهي تَنْسُجُ ثَوْبًا، فقالتْ له: أيُّها الْمَلِكُ، أُعْطِيتَ مُلْكًا ذا طولٍ وعَرْضٍ. ثُمَّ مَرَّ عليها الْمَلِكُ الأَوَّلُ فقالتْ له: سَيَقْطَعُ الإِسْكَنْدَرُ مُلْكَكَ، فَغَضِبَ الْمَلِكُ، فقالَتْ له[3]: لا تَغْضَبْ، إنَّ النُّفوسَ قد تُشاهِدُ أُمورًا قَبْلَ وُقوعِها بِعَلاماتٍ تَحْكُمُ النَّفْسُ بِصِدْقِها. ولَمَّا مَرَّ عَلَيَّ الإِسْكَنْدَرُ، كُنْتُ أُدَبِّرُ طولَ الثَّوْبِ وَعَرْضَهُ، ولمَّا مَرَرْتَ أنْتَ فَرَغْتُ عنه، وَأَرَدْتُ قَطْعَهُ، وكانَ الأَمْرُ كما قالَتْ.

وَيُحْكى أَنَّهُ بَعَثَ جَماعَةٌ من أَصْحابِ ابْنِ الرُّومِيِّ الشَّاعِرِ إليه في بعض الأَيَّامِ غُلامًا مَليحًا، حَسَنَ الْوَجْهِ، حَسَنَ الاِسْمِ، طَيِّبَ الرَّائِحَةِ، فَلَمَّا طَرَقَ الْبابَ، خَرَجَ إليه ابْنُ الرُّومِيِّ، فَسَأَلَهُ الْحُضورَ إلى عند أَصْحابِهِ، فَسَمِعَ كَلامَهُ، وَشَمَّ طِيبَهُ، وَرَأَى وَجْهَهُ الْمَليحَ، فقالَ: حَسَنٌ في حُسْنٍ مع طِيبٍ،

(1) كذا في مراد ملا، وفي النسخ الأخرى نقاتل.
(2) العرب، في رئيس الكتاب. والمغرب، في أنطاليا وعاطف أفندي.
(3) سقطت من أنطاليا.

وأَجابَهُ إلى سُؤالِهِ. فَلَمَّا خَرَجَ معه رَأَى دُكَّانَ خَيَّاطٍ على رَأْسِ الدَّرْبِ، وهو يُفَصِّلُ ثَوْبًا، فَرَجَعَ بَيْتَهُ، وَأَغْلَقَ الْبابَ.

وَيُحْكَى عنه أيْضًا: أَنَّهُ تَوَجَّهَ يَوْمًا إلى مَقْصَدٍ، فَرَأَى دُكَّانًا وقد صَلَبَ صاحِبُهُ دَرَّابَتَي[1] الْبَابِ وهو يَأْكُلُ تَمْرًا، فقالَ ابْنُ الرُّومِيِّ: إنَّ الدَّرَّابَتَيْنِ شَكْلُ لَا، والتَّمْرُ تَمُرَّ، فَالْفَأْلُ يَقولُ: لا تَمُرَّ، وقالَ: واللهِ لا مَرَرْتُ أَبَدًا[2]. وله في هذا الْبابِ حِكاياتٌ عِجابٌ[3].

وَيُحْكَى أنَّه كانَ في زَمَنِ هارونَ الرَّشِيدِ رَجُلٌ أعْمَى من أهْلِ الْعِرافَةِ، وكانَ يَسْتَدِلُّ على الْمَسْؤولِ عنه بِكَلامٍ صَدَرَ عن الْحاضِرينَ عَقيبَ السُّؤالِ، فَسُرِقَ يَوْمًا من خِزانَةِ هارونَ بعضٌ من الْأَشْياءِ، فَطُلِبَ الرَّجُلُ، وأُمِرَ أن لا يَتَكَلَّمَ أَحَدٌ بعد السُّؤالِ أَصْلًا، فَفَعَلُوا كما أَمَرَ هارونُ، وَالْأَعْمَى أَلْقَى سَمْعَهُ ولم يَسْمَعْ شَيْئًا، فَأَمَرَّ يَدَهُ على الْبِساطِ، فَوَجَدَ فيه نَوَى تَمْرٍ، فقالَ: إنَّ الْمَسْؤولَ عنه دُرٌّ وَياقوتٌ وَزُمُرُّدٌ في سَفَطٍ. فقال الرَّشيدُ: في أين هو؟ قال: في بِئْرٍ، فَوَجَدوهُ كما ذَكَرَ الْأَعْمَى. فَتَحَيَّرَ الرَّشيدُ فيه، فَسَأَلَ عن سَبَبِ مَعْرِفَتِهِ، فقالَ: وَجَدْتُ نَوَى تَمْرٍ، وَطَلْعُ النَّخْلَةِ أَبْيَضُ، وهو كَالدُّرَّةِ، ثُمَّ يكونُ بُسْرًا وهو أَخْضَرُ، وهو لَوْنُ الزُّمُرُّدِ، ثُمَّ يَكونُ رَطْبًا وهو أَحْمَرُ،

---

(1) دَرّابَةُ الدُّكّان: إذا كانت باب الدُّكّان تتألّفُ من مصراعين عرضاً يُسمَّى كل مصراع منهما درَّابة. تكملة المعاجم العربية: 4/ 312.

(2) ينظر الوافي بالوفيات: 21/ 114.

(3) سقطت من أنطاليا.

وهو لَوْنُ الْياقوتِ، ثُمَّ لمَّا سَأَلْتُمْ عن مَكانِ الْمَسْروقِ سَمِعْتُ صَوْتَ دَلْوٍ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ في بِئْرٍ، فَاسْتَحْسَنَ الرَّشيدُ فِراسَتَهُ، فَأَعْطاهُ مالًا جَزيلًا.

ومِنْ هذا الْقَبيلِ، ما حُكِيَ عن أبي مَعْشَرٍ، أَنَّهُ وَقَفَ هو وَصاحِبٌ له على واحِدٍ من هَؤلاءِ، وكانا مارَّيْنِ في خَلَاصِ مَسْجونٍ، فَسَأَلاهُ، فقالَ: أَنْتُما في طَلَبِ خَلاصِ مَسْجونٍ، فَعَجِبَا من ذلك، فقالَ له أبو مَعْشَرٍ: هل يُخَلَّصُ أَمْ لا؟ فقالَ: تَذْهَبانِ تَلْقَيانِهِ قد خُلِّصَ، [فَذَهَبا][1] فَوَجَدَا الْأَمْرَ كما قالَ. فَاسْتَدْعاهُ أبو مَعْشَرٍ وأَكْرَمَهُ، وتَلَطَّفَ له في السُّؤالِ عن كَيْفِيَّةِ عِلْمِ ذلك، فقال: نَحْنُ قَوْمٌ نَأْخُذُ الْفَأْلَ بِالْعَيْنِ والنَّظَرِ، فَيَنْظُرُ وَاحِدُنَا إلى الْأَرْضِ، ثُمَّ يَرْفَعُ رَأْسَهُ، فَأَوَّلُ شَيْءٍ يَقَعُ نَظَرُهُ عليه، يَكونُ الْحُكْمُ به، فلمَّا سَأَلْتُمانِي، كانَ أَوَّلُ ما رَأَيْتُ ماءً في قِرْبَةٍ، فَقُلْتُ: هذا مَحْبوسٌ، ثُمَّ لمَّا سَأَلْتُماني الثَّانيةَ، نَظَرْتُ فإذا هو قد أُفْرِغَ من الْقِرْبَةِ، فَقُلْتُ: يُخَلَّصُ.

وَبَعْضٌ من هذه الطَّائِفَةِ، يَسْتَدِلُّونَ بِالْمَكانِ الَّذِي يَضَعُ السَّائِلُ يَدَهُ عليه من جَسَدِهِ وَقْتَ السُّؤَالُ، فإنْ وَضَعَ يَدَهُ على رَأْسِهِ فهو رَئِيسُهُ وَكَبِيرُهُ، وَالرِّجْلَيْنِ قِوامُهُ، والْأَنْفِ: بِناءٌ مُرْتَفِعٌ، أَوْ تَلٌّ، أو نَحْوُهُ، وَالْفَمِ: بِئْرٌ عَذْبَةٌ، واللِّحْيَةِ: أَشْجارٌ وَزُروعٌ.

حُكِيَ عن الْمَهْدِيِّ أَنَّهُ رَأَى رُؤْيا وأُنْسِيَهَا، فَأَصْبَحَ مُغْتَمًّا بها، فَدُلَّ على رَجُلٍ كان يَعْرِفُ الزَّجْرَ والْفَأْلَ، وكان حاذِقًا به، اسْمُهُ خُوَيْلِدُ، فَلَمَّا دَخَلَ

---

(1) زيادة من قونية.

عليه، أَخْبَرَهُ بالَّذِي أَرادَهُ له، فَقالَ[1]: يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، صاحِبُ الزَّجْرِ والْفَأْلِ يَنْظُرُ إلى الْحَرَكَةِ، وَأَخْطارِ النَّاسِ، فَغَضِبَ الْمَهْدِيُّ وقالَ: سُبْحانَ اللهِ الْعَظِيمِ، أَحَدُكُمْ يُذْكَرُ بِعِلْمٍ ولا يَدْرِي ما هو، وَمَسَحَ بِيَدِهِ على رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَضَرَبَ بها على فَخِذِهِ، فقالَ له: أُخْبِرُكَ بِرُؤْياكَ يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قال: هاتِ، قالَ: رَأَيْتَ كَأَنَّكَ صَعِدْتَ جَبَلًا، فقال الْمَهْدِيُّ: لِلّهِ أبوكَ يا سَحَّارُ، صَدَقْتَ، قال: مَا أنا بِسَحَّارٍ يا أمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، غير أَنَّكَ مَسَحْتَ بِيَدِكَ على رَأْسِكَ، فَزَجَرْتُ لَكَ، وعَلِمْتُ أنَّ الرَّأْسَ ليسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ إلَّا السَّماءُ، فَأَوَّلْتُهُ بِالْجَبَلِ، ثُمَّ نَزَلْتَ بِيَدِكَ إلى جَبْهَتِكَ، فَزَجَرْتُ لك بِنُزولِكَ إلى أَرْضٍ مَلْساءَ فيها عَيْنانِ مالِحَتانِ، ثُمَّ انْحَدَرْتَ إلى سَفْحِ الْجَبَلِ، فَلَقِيتَ رَجُلًا من فَخِذِكَ قُرَيْشٍ، لأنَّ أميرَ الْمُؤْمِنِينَ مَسَحَ بعد ذلك على فَخِذِهِ، فَعَلِمْتُ أنَّ الرَّجُلَ الذي لَقِيتَهُ من قَرابَتِكَ[2]، قال: صَدَقْتَ، وَأَمَرَ له بِمالٍ، وأَمَرَ أن لا يُحْجَبَ عنه[3].

وَأَمثالُ هذه الْحِكاياتِ كَثيرَةٌ تَعْرِفُها من تَتَبُّعِ الْمُحاضَراتِ.

---

(1) قال، في قونية وأنطاليا.

(2) قرابته، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(3) مفتاح دار السعادة: 3/ 1468-1469.

عِلْمُ الِاخْتِلاجِ[1]

عِلْمٌ باحِثٌ عن كَيْفِيَّةِ دَلالَةِ اخْتِلاجِ أَعْضاءِ الْإِنْسانِ، من الرَّأسِ إلى الْقَدَمِ، على الْأَحْوالِ التي سَتَقَعُ عليه.

وَأَحْوالُهُ، وَنَفْعُهُ، وَالْغَرَضُ منه ظاهِرَةٌ. لَكِنَّهُ عِلْمٌ لا يُعْتَمَدُ عليه لِضُعْفِ دَلالَتِهِ، وَغُموضِ اسْتِدْلالِهِ.

وَرَأَيْتُ في هذا الْعِلْمِ رَسائِلَ مُخْتَصَرَةً، لَكِنَّهَا لا تَشْفِي الْعَليلَ، ولا تَسْقِي الْغَلِيلَ.

(1) الخَلَجُ، بِالتَّحْرِيكِ: أَن يَشْتكِيَ الرَّجُلُ لَحْمَهُ وَعِظَامَهُ مِنْ عَمَلٍ يَعْمَلُهُ أَو طُولِ مَشْيٍ وتعبٍ. اللسان: خلج.

الْعُنْقودُ الثَّالِثُ: في فُروعِ أحْكامِ النُّجومِ

واعْلَمْ أنَّ أَحْكامَ النُّجومِ غَيْرُ عِلْمِ النُّجومِ، لأنَّ الثَّانِيَ يُعْرَفُ بالْحِسابِ فيكونُ من فُروعِ الرِّياضِيِّ؛ والْأَوَّلَ يُعْرَفُ بِدَلالَةِ الطَّبيعَةِ على الْآثارِ فيكونُ من فُروعِ الطَّبيعِيِّ.

عِلْمُ الِاخْتِيارَاتِ

وهو عِلْمٌ باحِثٌ عن أَحْكامِ كلِّ وَقْتٍ وزَمانٍ، من الْخَيْرِ والشَّرِّ، وأَوْقاتٍ يَجِبُ الِاحْتِرازُ فيها عن ابْتِداءِ الْأُمورِ، وأَوْقاتٍ يُسْتَحَبُّ فيها مُباشَرَةُ الْأُمورِ، وَأَوْقاتٍ يكونُ مُباشَرَةُ الْأمورِ فيها بَيْنَ بَيْنَ.

ثُمَّ كُلُّ وَقْتٍ له نِسْبَةٌ خاصَّةٌ بِبَعْضِ الْأُمورِ بِالْخَيْرِيَّةِ، وبِبَعْضِها بِالشَّرِّيَّةِ، وذلك بِحَسَبِ كَوْنِ الشَّمْسِ في الْبُروجِ، وَالْقَمَرِ في الْمَنازِلِ، والْأَوْضاعِ الْواقِعَةِ بينهما، من الْمُقابَلَةِ والتَّرْبِيعِ والتَّسْدِيسِ، وغيرِ ذلكَ. حتى يُمْكِنَ - بِسَبَبِ ضَبْطِ هذه الْأَحْوالِ - اخْتِيارُ وَقْتٍ لكُلِّ أمْرٍ من الأُمورِ التي تَقْصِدُها؛ كَالسَّفَرِ، والْبِناءِ، وَقَطْعِ الثَّوْبِ، إلى غيرِ ذلكَ من الْأُمورِ.

وَنَفْعُ هذا الْعِلْمِ بَيِّنٌ لا يَخْفَى على أَحَدٍ.

عِلْمُ الرَّمْلِ

وهو الِاسْتِدْلالُ بِأَشْكالِهِ الِاثْنَتَيْ عَشَرَ على أَحْوالِ الْمَسْأَلَةِ حين السُّؤالِ، وأَكْثَرُ مَسائِلِهِ أُمورٌ تَخْمِينِيَّةٌ مَبْنِيَّةٌ على تَجارِبَ غَيْرِ كافِيَةٍ، وذلك لِأَنَّهُمْ يَقولونَ: إنَّ الْبُروجَ الِاثْنَتَيْ عَشَرَ يَقْتَضِي كلٌّ منها حَرْفًا مُعَيَّنًا، وَشَكْلًا مُعَيَّنًا من الْأَشْكالِ الْمَذْكورَةِ. فَحينَ السُّؤالِ عن الْمَطْلوبِ تَقْتَضِي أَوْضاعُ الْبُروجِ وُقوعَ الشَّكْلِ الْمُعَيَّنِ من الرِّمالِ. فَتِلْكَ الْأَشْكالُ ـ بِسَبَبِ مَدْلولاتِها من الْبُروجِ ـ تَدُلُّ على أَحْكامٍ مَخْصوصَةٍ تُناسِبُ أَوْضاعَ الْبُروجِ، إلَّا أَنَّها أُمورٌ تَقْرِيبِيَّةٌ لا يَقِينِيَّةٌ. وإلى هذا يُشيرُ قَوْلُ نَبِيِّنَا عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «كانَ نَبِيٌّ من الْأَنْبياءِ يَخُطُّ فَمَنْ وافَقَ خَطَّهُ فَذاكَ»[1].

وَالْمُرادُ بِذَلِكَ النَّبِيِّ إدْريسُ عليه السَّلامُ، وهذا الْعِلْمُ كان مُعْجِزَةً له. والْمَفْهومُ من ظاهِرِ الْحَديثِ إمْكانُ الاطِّلاعِ بالرَّمْلِ على بَعْضِ الْأُمورِ، لكنَّهُ ليسَ كذلكَ، إذِ الْمُعْجِزَةُ لو أَمْكَنَتْ لِلْبَشَرِ لم يَبْقَ فَرْقٌ بينَ الْمُعْجِزَةِ والصَّنْعَةِ، ولم يَتَمَيَّزِ النَّبِيُّ عن غَيْرِهِ.

نَعَمْ يُمْكِنُ لِلْوَلِيِّ ظُهورُ خَوارِقِ الْعاداتِ، لكنَّ الْكَلامَ هاهُنا في غَيْرِ الْوَلِيِّ بِطَرِيقِ الصَّنْعَةِ، بل الْمُرادُ في الْحَديثِ بِقَوْلِهِ: «فَمَنْ وافَقَ خَطَّهُ»، هو التَّعْلِيقُ بالْمُحالِ، يَعْني: فَمَنْ وافَقَ خَطَّهُ، فَذاكَ هو خَطُّ ذلك النَّبِيِّ، لكنَّهُ لا يُوافِقُ، لأَنَّهُ مُعْجِزَةٌ لذلكَ النَّبِيِّ عليه السَّلامِ.

---

(1) صحيح مسلم: 1/ 381، 4/ 1749.

ومن التَّصانِيفِ فيه:

كِتابُ "**تَجارِبُ الْعَرَبِ**"[1]، و"**مُثَلَّثاتُ ابْنِ مَحْفوفٍ**"[2]، و"**كِتابُ الزَّناتِيِّ**"[3] أَصَحُّ طُرُقِ هذا الْفَنِّ. وَكُتُبُ هذا الْفَنِّ أَكْثَرُ من أن تُحْصى، يَعْرِفُها أَهْلُها[4].

عِلْمُ الْفَأْلِ

هو عِلْمٌ يُسْتَعْلَمُ[5] بذلكَ ما يَحْدُثُ من الْحَوادِثِ الْآتِيَةِ، بِطَريقِ اتِّفاقِ حُدوثِ أَمْرٍ من جِنْسِ الْكَلامِ، إِمَّا تَسْمَعُهُ من غَيْرِكَ، أو تَفْتَحُ مُصْحَفًا، أو كَلامِ من تَعْتَقِدُ فيه من الْأَنْبياءِ، أو الْأَوْلياءِ[6].

وَمَوْضوعُ هذا الْعِلْمِ ظاهِرٌ من تَعْريفِهِ.

وَمَنْفَعَتُهُ وفائِدَتُهُ كَعِلْمِ الرَّمْلِ، لكنَّ الْأَصَحَّ الَّذِي شَهِدَ الشَّرْعُ بِجَوازِهِ، والتَّجْرِبَةُ بِصِدْقِهِ، التَّفاؤُلُ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ. وَنُقِلَ هذا التَّفاؤُلُ عن الصَّحابَةِ، وعن السَّلَفِ الصَّالِحينَ، رِضْوانُ اللهِ عليهم أجْمَعينَ. وطَريقُ فَتْحِ الْفَأْلِ من

---

(1) ينظر إرشاد القاصد: 188.

(2) عبد الله بن عبد الله بن علي المنجِّم ابن المحفوف الزواوي (ت. 800 هـ)، ينظر إرشاد القاصد: 188، معجم المؤلفين: 6/ 79.

(3) الكتاب مطبوع قديما في مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بعنوان: "الفصل في أصول علم الرمل".

(4) ينظر إرشاد القاصد: 188، وصبح الأعشى: 1/ 558.

(5) ليستعلم، في أنطاليا.

(6) والأولياء، في رئيس الكتاب.

الْمُصْحَفِ كَثِيرٌ مَشْهورٌ عند النَّاسِ، لكنَّ الأحْسَنَ الِاعْتِبارُ بالْمَعانِي دون الْأَلْفاظِ والْحُروفِ.

«كانَ النَّبِيُّ صلَّى عليه وسلَّمَ يَتَفاءَلُ وَيُعْجِبُهُ الْفَأْلُ الْحَسَنُ ولا يَتَطَيَّرُ»[1].

«ولَمَّا هاجَرَ إلى الْمَدينَةِ وقارَبَها، سَمِعَ مُنادِيًا يُنادِي: يا سالِمُ، فقال لأَصْحابِهِ: سَلِمْنَا؛ فلمَّا دَخَلَ الْمَدِينَةَ سَمِعَ آخَرَ يقولُ: يا غانِمُ، فقالَ صلَّى الله عليه وسلَّمَ: غَنِمْنَا؛ فَلَمَّا نَزَلَ أُتِيَ بِرُطَبٍ، فقال: حَلَا لنا الْبَلَدُ»[2].

وَأَمْثالُ ذلك كَثِيرَةٌ.

وأمَّا التَّطَيُّرُ: فقد نَهَى عنه صَلَّى الله عليه وسلَّمَ وقال: «لا طِيَرَةَ ولا هامَةَ ولا صَفَرَ»[3].

واعْلَمْ أنَّ الْإمامَ الْعَلَّامَةَ الْقاضِيَ أبو[4] بَكْرِ ابْنَ الْعَرَبِيِّ، صَرَّحَ في "**الْأَحْكامُ**" في سُورَةِ الْمائِدَةِ بِتَحْرِيمِ أَخْذِ الْفَأْلِ من[5] الْمُصْحَفِ[6].

---

(1) أخرجه الطيالسي في مسنده 4/ 408، رقم: 2813، وأحمد في المسند 4/ 169، رقم: 2328، وابن عبد البرِّ في التمهيد: 3/ 191.

(2) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء: 1/ 183.

(3) صحيح البخاري: 7/ 126، رقم: 5707، صحيح مسلم: 4/ 1742، رقم: 2219. صَفَرُ: دَوَابُّ البَطْن. وَقَالَ أَبو عُبَيْدٍ: سَمِعْتُ يُونُسَ سأَل رُؤْبَةَ عَنِ الصَّفَر، فَقَالَ: هِيَ حَيَّةٌ تَكُونُ فِي الْبَطْنِ تُصِيبُ الْمَاشِيَةَ وَالنَّاسَ. اللسان: صفر.

(4) كذا في جميع النسخ الخطية وحقها النصب.

(5) في، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(6) أحكام القرآن: 2/ 31.

وَنَقلَهُ الْقَرافِيُّ عن الْإِمامِ الطُّرْطُوشِيِّ[1].

وَأَقَرَّهُ وأَباحَهُ ابْنُ بَطَّةَ من الْحَنابِلَةِ.

قالَ الدَّمِيريُّ: وَمُقْتَضى مَذْهَبِنا كَراهَتُهُ.

وَحَكَى الْمَاوَرْدِيُّ في كِتابِ "أَدَبُ الدِّينِ والدُّنْيَا" أنَّ الْوَلِيدَ بنَ يَزيدَ بنِ عبد الْمَلِكِ، تَفاءَلَ يَوْمًا في الْمُصْحَفِ فَخَرَجَ له قوله تعالى: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾[2]، فَمَزَّقَ الْمُصْحَفَ وَأَنْشَأَ يَقولُ: [الوافر]

أَتُوعِدُ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدِ ... فَها أنا ذاكَ جَبَّارٌ عَنِيدُ[3]
إذا ما جِئْتَ رَبَّكَ يَوْمَ حَشْرٍ ... فَقُلْ يا رَبِّ مَزَّقَنِي الْوَلِيدُ

فلم يَلْبَثْ إلَّا أيامًا يَسِيرَةً حتى قُتِلَ شَرَّ قِتْلَةٍ، وصُلِبَ رَأْسُهُ على قَصْرِهِ، ثُمَّ على أَعْلَى سورِ بَلَدِهِ.

عِلْمُ الْقُرْعَةِ

وهو عِلْمٌ يُسْتَعْلَمُ بذلك ما سَيَحْدُثُ في الِاسْتِقْبالِ، بِطَريقِ وُقوعِ شَكْلٍ من الْأَشْكالِ التي يُكْتَبُ عليها حُروفٌ، وَيُسْتَدَلُّ بذلك على الْمَطْلوبِ. وذلِكَ مِثْلَ عِلْمِ الرَّمْلِ بِعَيْنِهِ، فَاعْتُبِرَ أَحْوالُهُ منه، إلَّا أَنَّهُ أَضْعَفُ دَلالَةً من الرَّمْلِ، مع ضُعْفِ دَلالَةِ الرَّمْلِ كما ذَكَرْناهُ.

---

(1) الذخيرة: 13/ 156.

(2) سورة إبراهيم، الآية: 15.

(3) البيتان والخبر في أدب الدنيا والدين: 317.

عِلْمُ الطِّيَرَةِ والزَّجْرِ

وهذا عَكْسُ الْفَأْلِ، إذِ الْمَطْلوبُ في الْفَأْلِ طَلَبُ الْإِقْدامِ على الْأَمْرِ، وفي الزَّجْرِ طَلَبُ الْهَرَبِ عن الْأَمْرِ؛ وهو تَشاؤُمُ الإنْسانِ بِشَيْءٍ يَرِدُ الْمَناظِرَ والْمَسامِعَ، ممَّا تَنْفُرُ عنه[1] النَّفْسُ، مما ليس بِطَبِيعِيٍّ، فأمَّا نِفارُها ممَّا هو طَبِيعِيٌّ في الْإِنْسانِ، كَنِفارِهِ من صَريرِ الْحَدِيدِ، وَصَوْتِ الْحِمارِ، فلا يُعَدُّ مِنْ هذا.

وَاشْتِقاقُ التَّطَيُّرِ من الطَّيْرِ. وَأَصْلُهُ في زَجْرِ الطَّيْرِ، وما سِواهُ مُلْحَقٌ به، ثُمَّ كَثُرَ في غَيْرِهِ. وهذا التَّطَيُّرُ في الْعَرَبِ كَثيرٌ، حتى إنَّ بعضًا من النَّاسِ انْفَتَحَتْ له أبْوابُ الْوَساوِسِ من الْمُناسَباتِ الْبَعِيدَةِ في اللَّفْظِ والْمَعْنَى، حتى يَفْسُدُ دِينُهُ، ويُنَكَّدُ عَيْشُهُ؛ مَثَلًا يَتَشاءَمُ بِالسَّفَرْجَلِ إذا [رَأَى سَفَرْجَلًا أو][2] سَمِعَهُ[3] أوْ أُهْدِيَ إليه، يَقولُ: سَفَرٌ وَجَلَاءٌ. وإذا رَأَى يَاسَمِينًا، أو سَمِعَ اسْمَهُ يَقولُ: يَأْسٌ وَمَيْنٌ[4]، وإذا رَأَى سَوْسَنَةً أو سَمِعَهَا يقولُ: سوءٌ يَبْقَى سَنَةً. وكَذا إذا خَرَجَ من دارِهِ فَاسْتَقْبَلَهُ صاحِبُ آفَةٍ مِنْ أعْوَرَ أو أَشَلَّ أو أعْمَى، تَطَيَّرَ به وَتَشاءَمَ بِيَوْمِهِ.

مَثَلًا إذا أرادَ الْعَرَبُ سَفَرًا يُطَيِّرونَ طَيْرًا، فإذا طارَ عن الْيَمِينِ يَتَوَجَّهونَ إلى الْمَقْصَدِ، وإنْ طارَ عن الْيَسارِ يَرْجِعونَ عن السَّفَرِ. والْأَوَّلُ يُسَمَّى السَّانِحَ، والثَّانِي الْبارِحَ.

---

(1) منه، في مراد ملا وعاطف أفندي.

(2) زيادة من أنطاليا.

(3) أو سمع اسمه يقول، في أنطاليا.

(4) المين: الكذب. اللسان: مين.

وللْعَرَبِ أَمْثالَ هذا كَثِيرَةٌ[1].

لَكنَّ النَّبِيَّ صلَّى الله عليه وَسَلَّمَ نَهَى عن الطِّيَرَةِ، وهي الزَّجْرُ، وَأَمَرَ بِالْفَأْلِ. قال في كِتابِ "مِفْتاحُ دارِ السَّعادَةِ": اِعْلَمْ أنَّ التَّطَيُّرَ إنَّمَا يَضُرُّ من أَشْفَقَ منه وَخافَ، وأمَّا من لم يُبالِ به ولَمْ يُعَايِنْهُ فلا يَضُرُّهُ اَلْبَتَّةَ، لا سِيَّمَا إنْ قال عند رُؤْيَتِهِ ما يُتَطَيَّرُ به أو مَرَّ بِسَماعِهِ: اللَّهُمَّ لا طَيْرَ إلَّا طَيْرُكَ، ولا خَيْرَ إلا خَيْرُكَ، ولا إلَهَ غَيْرُكَ، اللَّهُمَّ لا يَأْتِي بِالْحَسَناتِ إلَّا أنْتَ، ولا يَذْهَبُ بالسَّيِّئاتِ إلَّا أنْتَ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا بِكَ.

وَأمَّا من كانَ مُعْتَنِيًا بها، فهي إليه أَسْرَعُ من السَّيْلِ إلى مُنْحدَرِهِ، وقد فُتِحَتْ له أبْوابُ الْوَساوِسِ فيما يَسْمَعُهُ وَيَرَاهُ، وَيَفْتَحُ له الشَّيْطانُ فيها من الْمُناسَباتِ الْبَعِيدَةِ وَالْقَرِيبَةِ ما يُفْسِدُ عليه دِينَهُ، وَيُنَكِّدُ عليه مَعِيشَتَهُ[2]. انتهى.

قالَ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ: خَرَجَ عُمَرُ بنُ عبدِ الْعَزِيزِ من الْمَدِينَةِ، والْقَمَرُ في الدَّبَرانِ، فَكَرِهْتُ أن أُصَرِّحَ به، فقلتُ: ما أحْسَنَ اسْتِواءَ الْقَمَرِ في هذه اللَّيْلَةِ، فَنَظَرَ فقال: كَأَنَّكَ أَرَدْتَ أن تُخْبِرَنِي أنَّ الْقَمَرَ في الدَّبَرانِ، إنَّا لا نَخْرُجُ بِشَمْسٍ ولا بِقَمَرٍ، ولَكِنَّا نَخْرُجُ باللهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ[3].

---

(1) مفتاح دار السعادة: 3/ 1474.

(2) المصدر نفسه: 3/ 1473-1474.

(3) سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه: 32، والنقل من مفتاح دار السعادة: 3/ 1489-1490.

ومن غَريبِ ما وَقَعَ في هذا الْبابِ، أنَّ جَعْفَرَ الْبَرْمَكِيَّ، اخْتَارَ وَقْتًا لِيَنْتَقِلَ إلى دارِهِ التي بَناهَا، فَاخْتارُوا اللَّيْلَ، فَخَرَجَ في ذلك الْوَقْتِ، والطُّرُقُ خالِيَةٌ، إذ سَمِعَ مُنْشِدًا يقولُ: [الوافر]

يُدَبِّرُ بالنُّجومِ وليسَ يَدْرِي ... وَرَبُّ النَّجْمِ يَفْعَلُ ما يُريدُ[1]

فَتَطَيَّرَ وَدَعا بالرَّجُلِ وقال له: ما أَرَدْتَ بهذا؟ قال: ما أَرَدْتُ به مَعْنًى من الْمَعانِي، لَكِنَّهُ شَيْءٌ عَرَضَ لي وَجاءَ على لِسانِي، فَأَمَرَ له بِدينارٍ، وَمَضَى لِوَجْهِهِ، وقد تَنَغَّصَ سُرورُهُ، وَتَكَدَّرَ عَيْشُهُ، فلم يَمْضِ إلَّا قَليلًا حتى أَوْقَعَ به الرَّشيدُ ما هو الْمَشْهورُ[2].

---

(1) البيت بدون نسبة في التذكرة الحمدونيَّة: 9/ 321، ومرآة الزمان في تواريخ الأعيان: 13/ 90، ووفيات الأعيان: 1/ 344.

(2) وفيات الأعيان: 1/ 344، حياة الحيوان الكبرى: 2/ 135.

الْعُنْقودُ الرَّابِعُ: في فُروعِ السِّحْرِ

اعْلَمْ أنَّ اسْتِحْداثَ الْحَوادِثِ، إنْ كانَ بِمُجَرَّدِ التَّأْثِيرِ النَّفْسانِيِّ، فهو السِّحْرُ؛ وإنْ كان على سَبِيلِ الِاسْتِعانَةِ بِالْفَلَكِيَّاتِ، فهو دَعْوَةُ الْكَواكِبِ؛ وإنْ كان على سَبِيلِ تَمْزِيجِ الْقُوَى السَّماوِيَّةِ بالْأَرْضِيَّةِ، فهو الطِّلَسْماتُ؛ وإنْ كانَ على سَبِيلِ الِاسْتِعانَةِ بالْخَواصِّ الطَّبيعِيَّةِ، فأمَّا الْقِراءَةُ فهو عِلْمُ الْخَواصِّ، أو الْكِتابَةُ فهو [عِلْمُ][1] النِّيرَنْجاتِ[2]، أو الْأَفْعالُ غَيْرُهُما فَهو [عِلْمُ][3] الرُّقَى؛ وإنْ كان على سَبيلِ الِاسْتِعانَةِ بِالْأَرْواحِ السَّاذَجَةِ فهو الْعَزائِمُ؛ وإنْ كان بإحْضارِ تلك الْأَرْواحِ في قَوالِبِ الْأَشْباحِ، فهو عِلْمُ الِاسْتِحْضارِ، وَيُسَمَّى عِلْمَ تَسْخِيرِ الْجِنِّ.

وأمَّا الْإِخْبارُ عن الْحَوادِثِ غير الْحاضِرَةِ، فإمَّا عن الْماضِي، أو الْحالِ، أو الِاسْتِقْبالِ، فهو عِلْمُ الْكِهانَةِ. ثُمَّ إنَّ الْإِنْسانَ كما يَقْدِرُ على اسْتِحْضارِ الْمُجَرَّداتِ، كَذلكَ يَقْدِرُ على تَغْيِيبِ الْحاضِرِ عن الْحِسِّ، وَيُسَمَّى عِلْمَ الْإِخْفاءِ، وكذلكَ على إِخْفاءِ الْأُمورِ الْحاضِرَةِ عن الْحاضِرينَ، وَيُسَمَّى بِالْحِيَلِ.

وَأَمْثالُ ذلك كَثيرَةٌ، فَلْنَذْكُرْ هذه الْعُلومَ على هذا النَّهْجِ.

---

(1) زيادة من قونية.

(2) والنِّيرَجُ: أُخَذٌ تُشْبِه السِّحْرَ، وَلَيْسَتْ بِحَقِيقَتِهِ، وَلَا كالسِّحْر، إنما هُوَ تَشْبِيهٌ وَتَلْبِيسٌ. لسان العرب: نرج. وسيأتي تعريفها.

(3) زيادة من قونية.

عِلْمُ الْكِهانَةِ

وهو مُناسَبَةُ الْأَرْواحِ الْبَشَرِيَّةِ مع الْأَرْواحِ الْمُجَرَّدَةِ، من الْجِنِّ والشَّياطِينِ، واسْتِعْلامُها منها الْأَحْوالَ الْجُزْئِيَّةَ الْجارِيَةَ في عالَمِ الْكَوْنِ والْفَسادِ، لَكِنَّها مَخْصوصَةٌ[1] بِالْأمورِ الْمُسْتَقْبَلَةِ، وكان ذلك في الْعَرَبِ كَثيرًا. وآخِرُ من وُجِدَ وَرُوِيَ عنه الْأَخْبارُ الْعَجِيبَةُ شِقٌّ[2] وسَطِيحٌ[3]، وهما كانا كاهِنَيْنِ مَشْهورَيْنِ في الْعَرَبِ في زَمانِ الْجاهِلِيَّةِ.

وقيلَ: كانَ وُجودُ ذلك في الْعَرَبِ أَحَدَ أَسْبابِ مُعْجِزاتِ النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وسَلَّمَ، لِمَا كان يُخْبِرُ به، ويَحُثُّ على اتِّباعِهِ[4]. كما يُحْكَى عنهم[5] إِخْبارُهُمْ بِمَجِيءِ رَسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّمَ قَبْلَ وِلادَتِهِ، وَكَوْنِهِ نَبِيَّ آخِرِ الزَّمانِ، وخاتِمَ الْأَنْبِياءِ.

وفي هذا الْبابِ حِكاياتٌ غَريبَةٌ عنهم، لا يَلِيقُ إيرادُهَا بهذا الْمُخْتَصَرِ، فمن أرادَ الِاطِّلاعَ عليها، فعليه بِكُتُبِ السِّيَرِ والتَّواريخِ، سِيَّمَا كِتابَ "**أَعْلامُ**

---

(1) خاصة، في قونية.

(2) شق بن صعب بن يشكر بن رهم القسري البجلي الأنماري الأزدي، كاهن جاهلي مشهور، (ت. 55 ق.هـ)، ينظر: البيان والتبيين: 1/ 241، الاشتقاق: 517.

(3) سطيحُ بن ربيع بن مسعود بن عديّ بن الذِّئب بن عمرو بن حارثة بن عديّ بن عمرو بن مازن بن الأزد الكاهن. ينظر البرصان والعرجان: 441، تاريخ الطبري: 2/ 112، الاشتقاق: 487.

(4) أي كان الكُهَّانُ يخبرون ببعثة النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّمَ ويحثون على اتِّباعه.

(5) منهم، في قونية وأنطاليا.

النُّبُوَّةِ" لِلْماوَرْدِيِّ، إلَّا أَنَّهُمْ حُجِبُوا بعد بَعْثِ نَبِيِّنا صلَّى الله عليه وسلَّمَ عن الاطِّلاعِ على الْمُغَيَّباتِ، حتى رُوِيَ: «لا كَهانَةَ بعد النُّبُوَّةِ»(1).

فلا يَجوزُ تَصْديقُهُمْ، بل الْمُصَدِّقُ يَكونُ كافِرًا. كما قالَ النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وسَلَّمَ: «مَنْ أَتَى كاهِنًا فَصَدَّقَهُ بما يَقولُ، فقد كَفَرَ بما أُنْزِلَ على مُحَمَّدٍ عليه السَّلامُ»(2).

إلَّا أنَّ الْمَفْهومَ من كَلامِ الْإمامِ الرَّازِيِّ في كتابِهِ الْمُسَمَّى بـ "السِّرُّ الْمَكْتومُ" أنَّ الْكَهانَةَ على قِسْمَيْنِ:

قِسْمٌ يَكونُ من خَواصِّ بعض النُّفوسِ، وهذا ليس بِمُكْتَسَبٍ.

وَقِسْمٌ يُحَصَّلُ بِالِاشْتِغالِ على الْعَزائِمِ، وَدَعْوَةِ الْكَواكِبِ. وله طُرُقٌ مَذْكورَةٌ في كتابِ "السِّرُّ الْمَكْتومُ".

ثُمَّ إنَّ الْمَفْهومَ من ذلك الْكِتابِ، أنَّ سُلوكَ هذا الطَّريقِ مُحَرَّمٌ في شَرِيعَتِنا هذا، فَيَجِبُ التَّحَرُّزُ عن اكْتِسابِهِ وتَحْصِيلِهِ.

وَاعْلَمْ أنَّ الْقِسْمَ الْأَوَّل الذي ليس بِمُكْتَسَبٍ داخِلٌ في عِلْمِ الْعِرافَةِ، وقد نَبَّهْناكَ عليه هناكَ فلا تَغْفَلْ.

---

(1) أخرجه الراغب الأصفهاني في الذريعة إلى مكارم الشريعة: 148.

(2) أخرجه الطيالسي في مسنده: 1/ 301، رقم: 382، وعبد الرزاق في مصنَّفه: 10/ 255، رقم: 21420، وأحمد في مسنده: 12/ 331، رقم: 9536.

عِلْمُ النِّيرَنْجاتِ

وهو مُعَرَّبُ نِيرَنْك؛ وهو التَّمْويهُ والتَّخْييلُ. وهو إظْهارُ غَرائِبِ الامْتِزاجاتِ بين الْقُوَى الْفاعِلَةِ والْمُنْفَعِلَةِ، وَبِالْجُمْلَةِ[1] مُؤَلَّفَةٌ[2] بين الْعالَمِ الْأَكْبَرِ والْأَصْغَرِ، لِصُدورِ آثارٍ مَطْلوبَةٍ من الْحُبِّ والْبُغْضِ، والْإِقْبالِ والْإِعْراضِ، وَأَمْثالِ ذلك، بِكِتاباتٍ مَخْصوصَةٍ مُؤَلَّفَةٍ من الرُّوحانِيَّاتِ الْمَبْثوثَةِ في الْعالَمِ، وإنْ كانَتْ مَجْهولَةَ الدَّلالاتِ، فَكَأَنَّها أَرْقامٌ وحُروفٌ لِلْأَوائِلِ، وَخَواصُّهَا مَجْهولَةُ اللِّمِّيَّةِ، مَعْروفَةُ الْإِنِّيَّةِ.

وفيه كِتابُ "غايَةُ الْحَكيمِ"، لِلْمَجْريطِيِّ، وكِتابُ "أَسْرارُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ"، لِابْنِ وَحْشِيَّةَ.

عِلْمُ الْخَواصِّ

عِلْمٌ باحِثٌ عن الْخَواصِّ الْمُتَرَتِّبَةِ على قِراءَةِ أَسْماءِ اللهِ تَعالَى، أو كِتابِهِ، من الزَّبورِ، والْإِنْجيلِ، والْقُرآنِ. وَيَتَرَتَّبُ على كُلٍّ من تلك الْأَسْماءِ والدَّعَواتِ خَواصُّ مُناسِبَةٌ لها.

وَاعْلَمْ أنَّ النَّفْسَ ـ بِسَبَبِ اشْتِغالِها بِأَسْماءِ اللهِ تَعالى والدَّعَواتِ الْوارِدَةِ في كُتُبِهِ الْمُنَزَّلَةِ ـ تَتَوَجَّهُ إلى جَنابِ الْقُدُسِ، وَتَتَخَلَّى عن الْأُمورِ الشَّاغِلَةِ لها

(1) قولُهُ: (اعترض عليه بأن قولَهُ: "وبالجملة... إلخ" خبط عشواء، وكلام من لم يعرف النيرنج على اصطلاحه). كذا كتب بطرة نسخة مراد ملا وعاطف أفندي.

(2) مؤلفه، في رئيس الكتاب في مراد ملا.

عنه، فَبِواسِطَةِ ذلك التَّوَجُّهِ والتَّخَلِّي تَفيضُ عليها آثارٌ وأَنْوارٌ تُناسِبُ اسْتِعْدادَها الْحاصِلَ لها، بِسَبَبِ اشْتِغالِ الْأُمورِ الْمَذْكورَةِ. ومن هذا الْقَبِيلِ الِاسْتِعانَةُ بِخَواصِّ الْأَدْوِيَةِ، بحيث يَعْتَقِدُ الرَّائِي أنَّ ذلكَ بِفِعْلِ السِّحْرِ.

كما يُحْكَى أنَّ كَنِيسَةً بِبِلادِ الرُّومِ، عُمِلَ في جُدْرانِهَا الْأَرْبَعَةِ، وَسُقوفِهَا وَأَرْضِها، سِتُّ حِجارَةٍ[1] من الْمَغْناطِيسِ مُتَساوِيَةٍ في الْقَدْرِ، وَجُعِلَ في هَوائِها صَليبٌ من حَديدٍ بِمِقْدارِ ما يَتَساوَى فيه جَذْبُ تلك الْحِجارَةِ السِّتَّةِ، بحيث إِنَّهُ لا يَغْلِبُ حَجَرٌ منها بَقِيَّتَها في الْجَذْبِ، فَلَزِمَ من ذلك وُقوفُ الصَّليبِ في الْهَواءِ دائِمًا من غَيْرِ آلَةٍ تُمْسِكُهُ ظاهِرًا، فَافْتَتَنَ به قَوْمٌ من النَّصارَى[2].

عِلْمُ الرُّقَى

عِلْمٌ باحِثٌ عن مُباشَرَةِ أَفْعالٍ مَخْصوصَةٍ، تَتَرَتَّبُ عليها بِالْخاصِّيَّةِ آثارٌ مَخْصوصَةٌ؛ كَعُقودِ الْخَيْطِ والشَّعْرِ وأَمْثالِهِمَا. والرُّقْيَةُ كَثيرًا ما تَقَعُ في الْأَمْراضِ؛ كَوَجَعِ الْعَيْنِ، وَوَجَعِ السِّنِّ، وكذا في إصابَةِ الْعَيْنِ وأَمْثالِها.

والرُّقْيَةُ بِالْفارِسِيَّةِ: آفْسون، أيْ آبْ سون. لأَنَّهُمْ يَقْرَؤونَهُ في الْأَكْثَرِ على الْماءِ، فَيَشْرَبُهُ الْمُصابُ، أو يُصَبُّ عليه.

---

(1) ستة حجارة، في معيد النعم ومبيد النقم: 91.

(2) المصدر نفسه: 91.

وإنَّمَا سُمِّيَتْ رُقْيَةً لأنَّهَا كَلِماتٌ رُقِيَتْ من صَدْرِ الرَّاقِي، بَعْضُها فَهْلَوِيَّةٌ، وبَعْضُها قِبْطِيَّةٌ، [وبَعْضُها][1] كَالْهَذَياناتِ، زَعَمُوا أنَّها كُشِفَتْ من الْجِنِّ، أو سُمِعَتْ في الْمَنام، وإليه يُشيرُ قَوْلُهُ تَعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾[2].

والشَّرْعُ أذِنَ لِلرُّقْيَةِ، حيثُ قال النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ لَمَّا رَأى ابْنَةً[3] في وَجْهِها صُفْرَةٌ[4]: «اسْتَرْقُوا فإنَّ بها النَّظْرَةَ»[5].

عِلْمُ الْعَزائِمِ

هو عِلْمٌ يُتَعَرَّفُ منه كَيْفِيَّةُ تَسْخِيرِ الْأَرْواحِ، وَاسْتِخْدامِها في مَقاصِدِهِ؛ كَتَسْخيرِ الْمَلَكِ والْجِنِّ. ومن هذا الْقَبيلِ ما يَفْعَلُهُ أَصْحابُ الْهِمَمِ[6] والنُّفوسِ الْقَوِيَّةِ، الَّتِي إذا تَجَرَّدَتْ وَتَوَجَّهَتْ نَحْوَ شَيْءٍ أَثَّرَتْ فيه. وَأَقْرَبُ شاهِدٍ له في الشَّريعَةِ الْإِصابَةُ بِالْعَيْنِ. وقد أَثْبَتَهُ النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ وقال: «إِنَّهُ حَقٌّ»[7].

---

(1) سقط من قونية.

(2) سورة الفلق، الآية: 4.

(3) جارية، في صحيح البخاري.

(4) سَعْفَةٌ، في صحيح البخاري.

(5) صحيح البخاري: 7/ 132، رقم: 5739.

(6) الأوهام، في قونية ورئيس الكتاب وأنطاليا.

(7) «الْعَيْنُ حَقٌّ»، أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه: 5/ 310، رقم: 26395، وأحمد في مسنده في أكثر من موضع؛ أولها: 11/ 641، رقم: 7070، وأبو داود في سننه: 6/ 28، رقم: 3871.

وَثَبَتَ عن جماعَةٍ أَنَّهُمْ يَقْتُلونَ النَّفْسَ بِالْهِمَّةِ[1]. وَمِثْلُ هذا قد يُسَمَّى تَجَرُّدَ النَّفْسِ أيْضًا، [إمَّا لِخَيْرٍ، أو لِشَرٍّ][2].

حُكِيَ أنَّ السُّلْطانَ يَمينَ الدَّوْلَةِ مَحْمُودَ بْنَ سُبُكْتِكينَ، لَمَّا غزَا الْهِنْدَ، انْتَهى إلى قَلْعَةٍ مَنِيعَةٍ عَصَتْ عليه مُدَّةً، فَخَرَجَ إليه بَعْضُ أَهْلِهَا، وَقالَ: إذا كانَ وَقْتُ طُلوعِ الشَّمْسِ، مُرِ الْجَيْشَ بِضَرْبِ الطُّبُولِ، فَفَعَلُوا، فَانْفَتَحَتْ، فَسَألوا عنها، فَقالَ: إنَّ أَهْلَ هذه الْقَلْعَةِ أَصْحابُ هِمَمٍ، وصَرَفُوا هِمَّتَهُمْ إلى دَفْعِكَ عنها، ولا يُشَوِّشُ عليهم شَيْءٌ كَالطُّبولِ الْمُزْعِجَةِ، وَغَلَباتِ الْعَساكِرِ[3] الْمُقْلِقَةِ.

وطُرُقُ هذا التَّسْخيرِ أَمْرٌ صَعْبٌ لم نُباشِرْهُ، لَكِنْ سَمِعْتُ كَثِيرًا مِمَّنْ أَثِقُ به أَنَّهُ باشَرَهَا، وَحَصَّلَ مَرَامَهُ[4]، وأَنْجَحَ مَقاصِدَهُ[5].

عِلْمُ الِاسْتِحْضارِ

وهو اسْتِنْزالُ الْأَرْواحِ في قَوالِبِ الْأَشْباحِ.

وَاعْلَمْ أنَّ تَسْخِيرَ الْجِنِّ أو الْمَلَكِ، من غَيْرِ تَجَسُّدِهَا وَحُضورِها عِنْدَكَ، يُسَمَّى: عِلْمَ الْعَزائِمِ، بِشَرْطِ تَحْصِيلِ مَقاصِدِكَ بِواسِطَتِهِما.

---

(1) والْهَمُّ: مَا هَمَّ بِهِ فِي نَفْسِه، تَقُولُ: أَهَمَّنِي هَذَا الأَمْرُ. والْهَمَّةُ والْهِمَّةُ: مَا هَمَّ بِهِ مِنْ أمر لِيَفْعَلَهُ. اللسان: همم. والنقل هنا باللفظ من معيد النعم ومبيد النقم: 92.

(2) ما بين معقوفين سقط من قونية.

(3) العسكر، في معيد النعم: 93.

(4) حصل له مراعاة، في مراد ملا.

(5) معيد النعم: 93.

وأمَّا حُضورُ الْجِنِّ عِنْدَكَ وَتَجَسُّدُها في حِسِّكَ يُسَمَّى: عِلْمَ الاِسْتِحْضارِ، ولا يُشْتَرَطُ تَحْصِيلُ مَقاصِدِكَ بِها. وأمَّا اسْتِحْضارُ الْمَلَكِ، فإنْ كانَ سَماوِيًّا، فَتَجَسُّدُهُ لا يُمْكِنُ إلَّا في الْأَنْبِياءِ، وإنْ كانَ أرْضِيًّا ففيهِ الْخِلافُ.

عِلْمُ دَعْوَةِ الْكَواكِبِ

وَاعْلَمْ أنَّكَ قد عَرَفْتَ أنَّ اسْتِحْضارَ الْجِنِّ وبَعْضَ الْمَلَكِ مُمْكِنٌ، فَكَذَلِكَ يُمْكِنُ تَسْخِيرُ روحانِيَّةِ الْكَواكِبِ، سِيَّما السَّبْعَةِ السَّيَّارَةِ، فَيُتَوَصَّلُ بِذَلكَ إلى الْمَقاصِدِ الْمُهِمَّةِ، من قَتْلِ الْأَعْداءِ، وإِحْضارِ الْمالِ وَالْغائِبِ وَأَمْثالِ ذَلِكَ من الْأُمورِ، فَيَسْتَحْضِرُها متى شاءَ بلا تَكَلُّفٍ وَمَشَقَّةٍ. وَيُسَمَّى هذا: **دَعْوَةَ الْكَواكِبِ**. وهذا سِحْرُ الصَّابِئَةِ الَّذينَ بَعَثَ اللهُ تَعالى إِلَيْهِمْ إبْراهيمَ عليه السَّلامُ، مُبْطِلًا لِمَقالَتِهِمْ، وَرادًّا عَلَيْهِمْ[1].

كما يُحْكَى أنَّ مَلِكًا اشْتَغَلَ بِدَعْوَةِ زُحَلَ، وَعَرَضَ له عَدُوٌّ من مَلِكٍ عَظيمٍ، لا يَقْدِرُ هو على مُحارَبَتِهِ، وَتَحَيَّرَ خُدَّامُهُ عن أَمْرِهِ، وهو اشْتَغَلَ عن أسْبابِ الْحُروبِ إلى الدَّعْوَةِ، فبينما هو جالِسٌ مع خَواصِّهِ وَنُدَمائِهِ، إذْ نَزَلَ من السَّماءِ شَيْءٌ، فَخافَ أَهْلُ الْمَجْلِسِ منه وَتَفَرَّقُوا، وَالْمَلِكُ ثابِتٌ في مَكانِهِ. فَلَمَّا نَزَلَ واسْتَقَرَّ أَمامَ الْمَلِكِ، دَعا أَصْحابَهُ، فَرَأَوْا ظَرْفًا[2] من نُحاسٍ مُثَلَّثِ الشَّكْلِ، وفيه رَأْسُ الْمَلِكِ الَّذي خاصَمَهُ مَقْطوعًا، فَفَرِحُوا بذلك، وَهَرَبَ الْعَسْكَرُ، ونُصِرَ

---

(1) ينظر: معيد النعم: 92.

(2) الظَّرْفُ الَّذِي يُحْمَلُ فِيهِ الْمَاءُ كَالرَّاوِيَةِ وَالْقِرْبَةِ وَالسَّطِيحَةِ. اللسان: زود.

الْمَلِكُ بِروحانِيَّةِ زُحَلَ، وقالَ: أنتُمْ سَفَّهْتُمُونِي باشْتِغالي بالدَّعْوَةِ، وهذا نَفْعُهُ الْأَدْنَى، فَاعْتَقَدُوا الدَّعْوَةَ كُلُّهُمْ، وَأَمْسَكوا عن طَعْنِ الْمَلِكِ في اشْتِغالِهِ بها.

وأَمَّا كَوْنُ الظَّرْفِ من نُحاسٍ وَكَوْنُهُ مُثَلَّثًا فَلِاقْتِضاءِ طَبيعَةِ زُحَلَ ذلك الْمَعْدِنَ، وذلك الشَّكْلَ. واللهُ أعْلَمُ بِحَقيقَةِ الْحالِ.

عِلْمُ الْفَلَقْطِيراتِ

خُطوطٌ[1] طَويلَةٌ عُقِدَتْ عليها حُروفٌ وأَشْكالٌ ـ أي حِلَقٌ وَدَوائِرُ ـ زَعَمُوا أنَّ لها تَأْثيراتٍ بِالْخاصِيَّةِ، وَبَعْضُها مَقْروءٌ.

وَقَدْ رَأَيْنَا كَثِيرًا منها على الْأَوْراقِ الْمُتَفَرِّقَةِ، لكن لم نَرَ فيها تَصْنيفًا مُفْرَدًا، ولم نَقِفْ أيْضًا على كَيْفِيَّةِ وَضْعِها، وما جَرَّبْنا أنَّ لها تَأْثِيرًا أم لا، فَبَقِيَتْ عِنْدَنا مَجْهولَةَ الْحالِ.

عِلْمُ الْإِخْفاءِ

وهو عِلْمٌ يُتَعَرَّفُ منه كَيْفِيَّةُ إخْفاءِ الشَّخْصِ نَفْسَهُ عن الْحاضِرينَ، بحيث يَراهُمْ، وهم لا يَرَوْنَهُ. ولها دَعَواتٌ وَعَزائِمُ، إلَّا أنَّ الْغالِبَ على ظَنِّي أنَّ ذلك لا يُمْكِنُ إلَّا بِالْوِلايَةِ بِطَريقِ خَرْقِ الْعادَةِ، لا بِمُباشَرَةِ أَسْبابٍ يَتَرَتَّبُ عليها ذلك عادَةً.

وَكَثيرًا ما نَسْمَعُ هذا، لكن لم نَرَ مَنْ فَعَلَهُ أو رَأَى مَنْ فَعَلَهُ، إلَّا أنَّ خَوارِقَ الْعاداتِ لا تُنْكَرُ سِيَّمَا من أَوْلِياءِ هذه الْأُمَّةِ، قَدَّسَ اللهُ تَعالى أَسْرارَهُمْ.

---

(1) خيوط، في أنطاليا.

عِلْمُ الْحِيَلِ السَّاسانِيَّةِ

عِلْمٌ يُعْرَفُ به طَرِيقُ الِاحْتِيالِ في جَلْبِ الْمَنافِعِ، وَتَحْصيلِ الْأَمْوالِ. والَّذِي باشَرَها يَتَزَيَّى في كُلِّ بَلْدَةٍ بِزِيٍّ يُناسِبُ تلكَ الْبَلْدَةَ، بأن يَعْتَقِدَ أَهْلُها في أَصْحابِ ذلك الزِّيِّ، فَتارَةً يَخْتارونَ زِيَّ الْفُقَهاءِ، وَتارَةً يَخْتارُونَ زِيَّ الْوُعَّاظِ، وَتارَةً يَخْتارونَ زِيَّ الصُّوفِيَّةِ، وَتارَةً يَخْتارونَ زِيَّ الْأَشْرافِ، إلى غَيْرِ ذلكَ.

ثُمَّ هُمْ يَحْتالونَ في خِداعِ الْعَوامِّ بِأُمورٍ تَعْجِزُ الْعُقولُ عن ضَبْطِها، منها ما حَكَى واحِدٌ أَنَّهُ رَأَى في جامِعِ الْبَصْرَةِ قِرْدًا على مَرْكَبٍ، مِثْلَ ما يَرْكَبُهُ أَبْناءُ الْمُلوكِ، وعليه أَلْبِسَةٌ نَفِيسَةٌ نَحْوَ مَلْبوساتِهِمْ، وهو يَبْكِي وَيَنوحُ، وحَوْلَهُ خَدَمٌ يَتْبَعونَهُ، ويَبْكونَ ويَقولونَ: يا أَهْلَ الْعافِيَةِ، اعْتَبِروا بِسَيِّدِنا هذا، فإِنَّهُ كانَ من أَبْناءِ الْمُلوكِ عَشِقَ امْرَأَةً ساحِرَةً، وَبَلَغَ حالُهُ بِسِحْرِها إلى أنْ مُسِخَ إلى صورَةِ الْقِرْدِ، وَطَلَبَتْ منه مالًا عَظيمًا لِتَخْليصِهِ من هذه الْحالَةِ، وَالْقِرْدُ في هذا الْحالِ يَبْكِي بِأَنِينٍ وَحَنِينٍ، والْعامَّةُ يَرِقُّونَ عليه وَيَبْكونَ، وَجَمَعُوا لِأَجْلِهِ شَيْئًا كَثيرًا من الْأَمْوالِ، ثُمَّ فَرَشُوا له في الْجامِعِ سَجَّادَةً، فَصَلَّى عليها رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ صَلَّى الْجُمُعَةَ مع النَّاسِ، ثُمَّ ذَهَبُوا بعد الْفَراغِ من الْجُمُعَةِ بِتِلْكَ الْأَمْوالِ الْعَظيمَةِ.

وَأَمْثالُ هذه الْحِيَلِ كَثِيرَةٌ منهم. وكِتابُ **"الْمُخْتارُ في كَشْفِ الْأَسْتارِ"**[1] بالَغَ في كَشْفِ هذه الْأَسْرارِ.

---

(1) كتب بإزائه في نسخة مراد ملا: «هذا اسم كتاب مشهور في علم الحيل والشعبذة، والحاصل أن هذا العلم فيه "المختار" المذكور للجوبري، و"عيون الحقائق"، و"زهر البساتين في المشاتين"،

عِلْمُ كَشْفِ الدَّكِّ[1] وإيضاحُ الشَّكِّ

عِلْمٌ يُتَعَرَّفُ منه الْحِيَلُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِالصَّنائِعِ الْجُزْئِيَّةِ، من التِّجاراتِ، وصَنْعَةِ السَّمْنِ، واللَّازَوَرْدِ، وَاللَّعَلِ، والْياقوتِ، وَتَغْريرِ النَّاسِ في ذلك. ولمَّا كانَ مَبْناهُ مُحَرَّمًا أَضْرَبْنا عن تَفْصيلِهِ. وإنْ أرَدْتَ الْوُقوفَ عليه، فَارْجِعْ إلى كِتابِ "الْمُخْتارُ"[2] الْمَذْكورِ الْآنَ.

عِلْمُ الشَّعْبَذَةِ والتَّخْييلاتِ والْأَخْذِ بِالْعُيونِ الْمُخَيَّلَةِ لِسُرْعَةِ فِعْلِ صانِعِها بِرُؤْيَةِ الشَّيْءِ على خِلافِ ما هو عَلَيْهِ

وَالشَّعْبَذَةُ - وقد يُقالُ: الشَّعْوَذَةُ بالْواوِ مَكانَ الْباءِ - مُعَرَّبُ شَعْباذَةٍ، وهي اسْمُ رَجُلٍ يُنْسَبُ إليه هذا الْعِلْمُ.

وهو عِلْمٌ مَبْنِيٌّ على خِفَّةِ الْيَدِ، بأنْ يَرَى النَّاسُ الْأَمْرَ الْمُكَرَّرَ واحِدًا لِسُرْعَةِ تَحْرِيكِهَا، وَالواحِدَ مُكَرَّرًا، وَيَرَى الْجَمادَ حَيًّا، وَيُخْفِيَ الْمَحْسوسَ عن أَعْيُنِ النَّاسِ بلا أَخْذِ ما[3] عِنْدَهُمْ بِالْيَدِ، إلى غيرِ ذلِكَ من الْأَحْوالِ الَّتِي يَتَعارَفُها النَّاسُ بِالْإِنِيَّةِ دونَ اللِّمِّيَّةِ.

وغير ذلك. ولا بأس أن يُقالَ: عِلْمُ عُيونِ الحقائق وإيضاح الطَّرائِقِ على قاعدته، وكذا في كُتُبِ الصِّناعَةِ». والكتاب مطبوع.

(1) الدرك، في قونية. والدَّكُّ: هو إخفاء شيء في شيء أو دَكُّهُ فيه، ثم إظهاره كعمل خارق. ينظر المختار في كشف الأستار: 22.

(2) يقصد كتاب: "المختار في كشف الأستار".

(3) من، في مراد ملا.

وهذا ليسَ من السِّحْرِ في شَيْءٍ، لكن لِشَبَهِهِ به في رَأْيِ الْعَيْنِ جَعَلْناهُ من فُروعِهِ. وأمَّا الْآلاتُ الْمَوْضوعَةُ على ضَرورَةِ عَدَمِ الْخَلاءِ؛ كَقِدْحَيِ الْعَدْلِ والْجَوْرِ[1]، وَدَوَرانِ السَّاعاتِ، وَجَرِّ الْأَثْقالِ. وله أَسْبابٌ يَقِينِيَّةٌ، من اطَّلَعَ عليها قَدَرَ على مِثْلِهَا.

وهذا الْعِلْمُ من فُروعِ الْهَنْدَسَةِ حَقيقَةً، فَلِذَلِكَ أَخَّرْناهُ إلى هُناكَ، وإن كانَ لِعَدِّهِ من السِّحْرِ نَوْعُ سَبِيلٍ.

عِلْمُ تَعَلُّقِ الْقَلْبِ

وهذا عِلْمٌ رُبَّما يُظْهِرُهُ بعض الْمُتَنَبِّلِينَ لمن في عَقْلِهِ خِفَّةٌ، حتى يَظُنُّونَ أَنَّهُ يَعْرِفُ الِاسْمَ الْأَعْظَمَ، أو أَنَّ الْجِنَّ تُطيعُهُ.

ورُبَّما أَدَّاهُ انْفِعالُهُ إلى مَرَضٍ ونَحْوِهِ، أو مُطاوَعَةِ ذلك الْمُتَنَبِّلِ فيما قَصَدَهُ[2].

عِلْمُ الِاسْتِعانَةِ بِخَواصِّ الْأَدْوِيَةِ والْمُفْرَداتِ

كَاجْتِذابِ الْمَغْناطيسِ لِلْحَديدِ، ونَحْوِ ذلكَ.

وهذا وإنْ كانَ من فُروعِ خَواصِّ الْأَدْوِيَةِ، لَكِنْ لِعَدَمِ مَعْرِفَةِ الْعَوامِّ سَبَبَهُ رُبَّما يُعَدُّ من السِّحْرِ.

(1) ينظر إرشاد القاصد: 201.

(2) معيد النعم: 91.

حُكِيَ أنَّ كَنِيسَةً بِبِلادِ الرُّومِ أو الْهِنْدِ، عُمِلَ في جُدْرانِهَا وَسُقُفِهَا وَأَرْضِها، سِتُّ حِجارَةٍ من الْمَغْناطِيسِ مُتَساوِيَةٍ في الْقَدْرِ، وَجُعِلَ في هَوائِها صَليبٌ من حَديدٍ بِمِقْدارِ ما يَتَساوَى فيه جَذْبُ تلك الْحِجارَةِ السِّتَّةِ، فَلَزِمَ من ذلك وُقوفُ الصَّليبِ في الْهَواءِ دائِمًا من غَيْرِ آلَةٍ تُمْسِكُهُ ظاهِرًا، فَافْتَتَنَ به قَوْمٌ من النَّصارَى[1].

(1) معيد النعم: 91.

الشُّعْبَةُ السَّادِسَةُ[1]: في الْعُلومِ الرِّياضِيَّةِ

وهي الْعُلومُ الْباحِثَةُ عن أُمورٍ يَصِحُّ تَجَرُّدُها عن الْمَادَّةِ في الذِّهْنِ فَقَطْ.

وَتَنْحَصِرُ هذه في أَرْبَعَةِ أَقْسامٍ، لأنَّ نَظَرَها إمَّا عن الْكَمِّ الْمُتَّصِلِ، أو عن الْكَمِّ الْمُنْفَصِلِ، وكلٌّ من منهما إمَّا قارٌّ[2] الذَّاتِ أوْ لا.

فالأَوَّلُ: **الْهَنْدَسَةُ**. **والثَّاني**: **الْهَيْئَةُ**. **والثَّالِثُ**: **الْعَدَدُ**. **والرَّابِعُ**: **الْمُوسِيقَى**.

عِلْمُ الْهَنْدَسَةِ

وهو **عِلْمٌ** يُعْرَفُ منه أَحْوالُ الْمَقادِيرِ وَلَواحِقِها، وَأَوْضاعُ بَعْضِها عند بَعْضٍ، وَنِسْبَتُها، وَخَواصُّ أَشْكالِها.

وَمَوْضوعُهُ: الْمَقادِيرُ الْمُطْلَقَةُ، أَعْني الْخَطَّ والسَّطْحَ والْجِسْمَ التَّعْلِيمِيَّ، ولَواحِقَ هذه من الزَّاوِيَةِ والنُّقْطَةِ والشَّكْلِ[3].

وَمَنْفَعَتُهُ: الاطِّلاعُ على الْأَحْوالِ الْمَذْكورَةِ من الْمَوْجوداتِ، وأن يَكْسِبَ الذِّهْنُ حِدَّةً ونَفاذًا، ويُرَوَّضَ بها الْفِكْرُ رِياضَةً قَوِيَّةً، لِمَا اتَّفَقُوا على أنَّ أَقْوَى الْعُلومِ بُرْهانًا هي الْعُلومُ الْهَنْدَسِيَّةُ.

---

(1) الخامسة في بعض النسخ، وكتب بإزائها في نسختي مراد ملا وعاطف أفندي: الصحيح أنها الشعبة السادسة وليس الخامسة كما ورد في باقي النسخ.

(2) قادر، في مراد ملا.

(3) رسالة في موضوعات العلوم للبيضاوي: 101، وإرشاد القاصد: 189.

ومن جُمْلَةِ مَنافِعِها: الْعِلاجُ بها على الْجَهْلِ الْمُرَكَّبِ، لِمَا أَنَّها عُلومٌ يَقينِيَّةٌ لا مَدْخَلَ فيها لِلْوَهْمِ فَيَعْتاد الذِّهْنُ على تَسْخِيرِ الْوَهْمِ، وَالْجَهْلُ الْمُرَكَّبُ ليس إلَّا من غَلَبَةِ الْوَهْمِ على الْعَقْلِ.

والْمُصَنَّفاتُ في هذا الْعِلْمِ كَثيرَةٌ:

أَشْهَرُها وَأَوْضَحُها: "**تَحْرِيرُ خواجَةَ نَصِيرِ الدِّينِ الطُّوسِيِّ لِكِتابِ أُقْلِيدِسِ**"، وَأَخْصَرُها وَأَحْسَنُهَا: "**أَشْكالُ التَّأْسِيسِ**"، لِلْأَبْهَرِيِّ[1]، وشَرْحُهُ لِقاضِي زادَه الرُّومِيِّ.

وقد ذَكَرَ ابْنُ سِينَا في كِتابِ "**الشِّفاءُ**" جُمْلَةً كافِيَةً منها. وكذا ذَكَرَ الْعَلَّامَةُ في كُتُبِهِ من حَقائِقِ هذا الْفَنِّ ما فيه كِفايَةٌ.

ثُمَّ إنَّ لِلْهَنْدَسَةِ عِدَّةَ فُروعٍ، سَنَقِفُ على تَفاصِيلِها إنْ شاءَ اللهُ تَعالى.

عِلْمُ الْهَيْئَةِ

وهو عِلْمٌ يُعْرَفُ منه أَحْوالُ الْأَجَرامِ الْبَسيطَةِ الْعُلْوِيَّةِ والسُّفْلِيَّةِ، وَأَشْكالُهَا وأَوْضاعُها وَمَقادِيرُهَا وأَبْعادُهَا[2].

وَمَوْضوعُهُ: الْأَجْرامُ الْمَذْكورَةُ من الْحَيْثِيَّةِ الْمَذْكورَةِ.

---

(1) كتاب أشكال التَّأسيس، لشمس الدين محمد بن أشرف الحسيني السَّمرقندي (ت. بعد 690هـ)، لا للأبهري، وشرحه: لموسى بن محمد بن القاضي محمود الرومي، صلاح الدين المعروف بقاضي زاده موسى جلبي (ت.نحو 840هـ).

(2) رسالة في موضوعات العلوم للبيضاوي: 105، وإرشاد القاصد: 202.

وقد يُذْكَرُ هذا الْعِلْمُ تارَةً مع بَراهِينِها الْهَنْدِسِيَّةِ كما هو الْأَصْلُ، وهو الْمَذْكورُ في "الْمَجِسْطِي"، لِبَطْلِيموسَ، وَلَخَّصَهُ الْأَبْهَرِيُّ وَعَرَّبَهُ.

ومن الْكُتُبِ الْمُخْتَصَرَةِ فيه:

"هَيْئَةُ ابْنِ أَفْلَحَ"(1).

ومن الْمَبْسوطَةِ:

"الْقانونُ الْمَسْعودِيُّ"، لأبي الرَّيْحانِ الْبَيْرونِيِّ. و**"شَرْحُ الْمَجِسْطِيِّ"**، للنَّيْريزِيِّ(2).

وقد يُجَرَّدُ عن الْبَراهِينِ، وَيُقْتَصَرُ على التَّصَوُّرِ والتَّخَيُّلِ دونَ الْيَقينِ، وَتُسَمَّى: **هَيْئَةً بَسِيطَةً.**

فَمِنَ الْمُخْتَصَرَةِ(3) فيه:

"التَّذْكِرَةُ"(4)، لِخَواجَةَ نَصِيرِ الدِّينِ الطُّوسِيِّ.

ومن الْمُتَوَسِّطَةِ:

"هَيْئَةُ الْعُرْضِيِّ"(5).

---

(1) ذكر كتاب هيئة جابر ابن أفلح الإشبيلي صاحب إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد: 202.

(2) التبريزي، في إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد: 202 وهو تصحيف، والصحيح أبو العباس الفضل بن حاتم النيريزي (ت.310هـ)، ينظر: الفهرست لابن إسحاق النديم: 2/ 208، الأنساب للسمعاني: 13/ 230. قال ابن ناصر الدين: النَّيْريزي: بنُون مَكْسُورَة، ثمَّ يَاء. قلت: الياء مثناة تحت سَاكِنَة، وَفتَحَ النُّونَ ابْن مَاكُولَا، وَكسرها ابن نقطة والفرضي. توضيح المشتبه: 2/ 24-24.

(3) المختصر، في أنطاليا.

(4) هو كتاب التذكرة النصيرية في الهيئة.

(5) مؤيد الدين العرضي، من أبرز العلماء العرب في علم الفلك والهندسة والهيئة (ت.664هـ)، وهو من شيوخ قطب الدين الشيرازي (ت.710هـ). ينظر: مجمع الآداب في معجم الألقاب لابن الفوطي: 1/ 370، 3/ 440.

ومن الْمَبْسوطَةِ:

"التُّحْفَةُ"[1]، و**"نِهايَةُ الْإِدْراكِ"**[2]، كِلاهُما لِلْعَلَّامَةِ قُطْبِ الدِّينِ الشِّيرازِيِّ.

ومِنَ الْمُخْتَصَرِ الْمَشْهورِ[3]:

"الْمُلَخَّصُ"، لمَحْمودِ الْجِغْمِينِيِّ[4]. وعليه شُروحٌ كَثيرَةٌ؛ كَشَرْحِ مولانا فَضْلِ الله الْعُبَيْدِيِّ[5]، وشَرْحِ كمالِ الدِّينِ التُّرْكْمانِيِّ[6]، وشَرْحِ السَّيِّدِ الشَّريفِ[7]، وشَرْحِ قاضي زَادَه الرُّومِيِّ[8].

ومن الْكُتُبِ الْمُخْتَصَرَةِ النَّافِعَةِ فيه غايَةَ النَّفْعِ:

كتابُ **"الْفَتْحِيَّةُ"**، لمولانا عَلِيِّ بنِ مُحَمَّدٍ الْقَوْشَجِيِّ[9].

---

(1) تعرف بـ"التحفة الشاهية".

(2) كتاب "نهاية الإدراك في دراية الأفلاك"، نسبه إليه جل من ترجمه، وورد منسوبا للخرقي في المختصر في تاريخ البشر: 1/ 104.

(3) المختصرة المشهورة، في رئيس الكتاب.

(4) محمود بن محمد بن عمر، أبو علي شرف الدين الجغميني الخوارزمي: فلكي، من العلماء بالحساب. نسبته إلى جِغْمِينَ، من أعمال خوارزم، (ت.618هـ)، ينظر: كشف الظنون: 2/ 1311، سلم الوصول: 3/ 316، هدية العارفين: 2/ 410.

(5) كذا ورد اسمه في النسخ الخطية للكتاب، ونقل صاحب "كشف الظنون" كلام طاش كبري زاده دون أي يضيف إليه شيئا.

(6) علي بن محمد بن علي بن عرب علاء الدين سبط القاضي كمال الدين التركماني. ينظر: إنباء الغمر بأبناء العمر: 2/ 123.

(7) يقصد شرح السيد الشريف الجرجاني (ت.816هـ) وهو مطبوع.

(8) موسى بن محمود المعروفُ بقاضي زادَه الرُّومي (ت.840هـ)، ينظر: كشف الظنون: 1/ 859، سلم الوصول: 5/ 200.

(9) علاء الدّين عَلي بن محمد القوشجي (ت.879هـ)، ينظر: الشقائق النعمانية: 97، كشف الظنون: 1/ 286، سلم الوصول: 2/ 393.

وعليه: **شَرْحٌ لمولانا سِنانٍ**، لكنَّهُ ما كان ماهِرًا في هذا الْعِلْمِ. وَشَرَحَهُ أُسْتاذِي مولانا **مَحْمودُ الشَّهيرُ بِمِيرَم جَلَبِي**[1] ـ وهو ابْنُ بِنْتِ الْمُصَنِّفِ مولانا عَلِيٍّ ـ وقد كَتَبَهُ عند قِراءَتِي عليه كِتابَ "**الْفَتْحِيَّةُ**".

وكانت الْقُدماءُ قد اقْتَصَروا في هَيْئَةِ الْأَفْلاكِ على الدَّوائِرِ الْمُجَرَّدَةِ، ويُسَمَّى هَيْئَةً مُسَطَّحَةً. وفيه **كِتابٌ لأبي عَلِيٍّ ابْنِ الْهَيْثَمِ**[2].

وَمَنْفَعَةُ هذا الْعِلْمِ ـ أَعْنِي عِلْمَ الْهَيْئَةِ ـ وَشَرَفُ مَوْضوعِهِ، وَوَثاقَةُ أدِلَّتِهِ، وَثَباتُ مَعْلوماتِهِ [غَنِيَّةٌ عن الْبَيانِ، مَعْلومَةٌ عند أرْبابِ هذا الشَّأنِ][3]. وكَفَى بهذا الْعِلْمِ شَرَفًا قَوْلُهُ عَزَّ وعَلَا: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾[4].

وَسَنَذْكُرُ فُروعَ هذا الْعِلْمِ فيما بَعْدُ، إنْ شاءَ اللهُ تعالى.

عِلْمُ الْعَدَدِ

وَيُسَمَّى: الْأَرِثْمَاطِيقِيّ[5].

(1) محمود بن محمد، ابن قاضي زاده ويعرف بميرم جلبي (ت. 931هـ)، ينظر: الشقائق النعمانية: 198، كشف الظنون: 1/ 867، أبجد العلوم: 556.

(2) أبو علي محمد بن الحسن ابن هيثم (ت. نحو430 هـ)، ومصنَّفه: "مقالة في علم الهيئة"، والنقل من إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد: 203.

(3) زيادة من أنطاليا.

(4) سورة آل عمران، الآية: 191.

(5)Arithmétique، وهو فروع علم الرياضيات.

وهو عِلْمٌ يُتَعَرَّفُ[1] منه أَنْواعُ الْعَدَدِ وَأَحْوالُهَا، وَكَيْفِيَّةُ تَوَلُّدِ بَعْضِها من بَعْضٍ[2].

وَمَوْضوعُهُ: الْأَعْدادُ من جِهَةِ خَواصِّها وَلَوازِمِها.

ومن الْكُتُبِ الْمُخْتَصَرَةِ فيه:

كتاب "سَقْطُ الزَّنْدِ[3] في عِلْمِ الْعَدَدِ".

ومن الْمُتَوسطة:

كِتابُ الْأَرِثْماطِيقِيِّ، من أَبْوابِ "الشِّفاءُ".

ومن الْمَبْسوطَةِ:

"كتابُ نِيقوماخُسَ"، والِدِ أرِسْطُو.

وَمَنْفَعَةُ هذا الْعِلْمِ: ارْتِياضُ النَّفْسِ بالنَّظَرِ في الْمُجَرَّداتِ عن الْمادَّةِ ولَواحِقِهَا. ولِذلِكَ كانت الْقُدَماءُ يُقَدِّمونَهُ في التَّعْليمِ على سائِرِ الْعُلومِ حتى الْمَنْطِقِ، ولأَنَّهُ مِثالُ الْعالَمِ في صُدورِهِ عن واجِبٍ مُجَرَّدٍ خارِجٍ عنهُ، كما أَنَّ الْأَعْدادَ تَنْشَأُ عن الْواحِدِ وليس هو بِعَدَدٍ[4].

وَفُروعُ هذا الْفَنِّ كَثيرَةٌ سَنورِدُها إنْ شاءَ اللهُ تَعالى.

---

(1) يُعرف، في قونية.

(2) إرشاد القاصد: 210.

(3) الزبد، في مراد ملا، وكذا ورد في إرشاد القاصد: 210.

(4) المصدر نفسه: 210.

عِلْمُ الْموسِيقَى

وهو عِلْمٌ يُعْرَفُ[1] منه[2] أَحْوالُ النَّغَمِ والإيقاعاتِ، وَكَيْفِيَّةُ تَأْلِيفِ اللُّحونِ، وَإيجادِ الْآلاتِ الْموسيقارِيَّةِ. وإنَّما وَضَعوا هذه الْآلاتِ لِضَرورَةِ تَخَلُّلِ الْفَتَراتِ[3] بالصَّوْتِ الْإنْسانِيِّ فَتُخِلُّ باللَّذَّةِ، ولأَنَّهُ قد يوجَدُ في بعض الْآلاتِ ما ليس في الطَّبيعَةِ، فلم يُرَخِّصُوا الإِخْلالَ به[4].

وَمَوْضوعُهُ: الصَّوْتُ من جِهَةِ تَأْثيرِهِ في النَّفْسِ، بِاعْتِبارِ نِظامِهِ في طَبَقَتِهِ وزَمانِهِ.

وَمَنْفَعَتُهُ: بَسْطُ الْأَرْواحِ وَتَعْدِيلُها وَتَقْوِيَتُها وَقَبْضُها أيْضًا، لأنَّهُ[5] يُحَرِّكُها إمَّا عن مَبْدَئِها، فَيَحْدُثُ السُّرورُ واللَّذَّةُ والْكَرَمُ والشَّجاعَةُ وما يُناسِبُها؛ وإمَّا إلى مَبْدَئِهَا، فَيَحْدُثُ الْفِكْرُ في الْعَواقِبِ وَالِاهْتِمامِ، وَنَحْوِهِما. ولذلك يَسْتَعْمِلونَ النَّغَمَ تارَةً في الْأَفْراحِ والْحُروبِ وعِلاجِ الْمَرْضى، وتارَةً في الْمَآتِمِ وبُيوتِ الْعِباداتِ[6].

وأمَّا ما يُقالُ: سَبَبُ انْفِعالِ النَّفْسِ عن الْأَلْحانِ تَذَكُّرُها عالَمَهَا الْأَوَّلَ لِلْمُناسَباتِ التي بين هذهِ الْأَلْحانِ، وَأَلْحانٍ تُسْمَعُ من حَرَكاتِ الْأَفْلاكِ، فليس

(1) يُتَعرف، في قونية.

(2) به، في رئيس الكتاب.

(3) تحلل النَّقرات، في مراد ملا.

(4) ينظر إرشاد القاصد: 218–219.

(5) لأنها، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(6) رسالة في موضوعات العلوم للبيضاوي: 107، إرشاد القاصد: 220.

على ظاهِرِهِ، إذْ لَيْسَ لِحَرَكاتِ الْأَفْلاكِ قَرْعٌ، ولا هناكَ هَوَاءٌ، حتَّى يَحْدُثَ منهما الصَّوْتُ، لِمَا تَقَرَّرَ في الْحِكْمَةِ، بل مَعْناهُ أنَّ حَرَكاتِ الْأَفْلاكِ حَرَكَةٌ شَوْقِيَّةٌ إلى مُؤَثِّراتِها من الْعُقولِ، وأنَّ حَرَكاتِها لِعِشْقِها على الْأمْرِ اللَّطِيفِ الَّذِي هو الْعَقْلُ الْمُؤَثِّرُ، وكما أنَّ نُفوسَ الْأَفْلاكِ عاشِقَةٌ على الْأَمْرِ اللَّطيفِ، فكذلكَ نُفوسُ الْإِنْسانِ عاشِقَةٌ على الأمورِ اللَّطِيفَةِ الْمَوْزونَةِ، فإذا رأتِ النَّفْسُ صورَةً حَسَنَةً، أو سَمِعَتْ صَوْتًا حَسَنًا تَتَذَكَّرُ عالَمَ الْعُقولِ، فَتَنْبَسِطُ لها، وَتَنْشَرِحُ لِأَجْلِها، وَتَرْتاحُ لِاسْتِماعِها، كَارْتِياحِ الْأَفْلاكِ لِلْأَمْرِ اللَّطيفِ.

وكِتابُ **الْفارابِيِّ**[1]، أشْهَرُ كُتُبِ الْفَنِّ، وكذا كِتابُ الْمُوسِيقَى، من أَبْوابِ **"الشِّفاءُ"**، لابْنِ سِينَا، ولِصَفِيِّ الدِّينِ عبدِ الْمُؤْمِنِ **مُخْتَصَرٌ لَطيفٌ**[2]، ولِثابِتِ ابنِ قُرَّةَ **تَصْنِيفٌ نافِعٌ**، ولأبي الْوَفاءِ الجوزْجانِيِّ[3] **مُخْتَصَرٌ في فَنِّ الْإِيقاعِ**[4]. والْكُتُبُ في هذا الْفَنِّ كَثيرَةٌ إلا أنَّ الْكُلَّ يُفيدُ الْعِلْمَ، والْعَمَلُ مَوْقوفٌ على السَّماعِ من الْأُسْتاذِ الْحاذِقِ، ثُمَّ التَّمَرُّنِ فيما سَمِعَهُ. ولِهَذا الْفَنِّ أَيْضًا فُروعٌ لا تُحْصَى، سَتَسْمَعُها إنْ شاءَ اللهُ تعالى.

---

(1) يقصد كتاب: "الموسيقى الكبير"، وهو مطبوع.

(2) "كتاب الأدوار في الموسيقى"، لصفي الدين عبد المؤمن الأرموي البغدادي (ت.693هـ).

(3) محمد بن محمد بن يحيى بن إسماعيل، أبو الوفاء البوزجاني أو الجوجزاني، مهندس فلكي رياضي كبير، (ت.388هـ)، ولد في بوزجان، بضم الباء الموحدة وسكون الواو والزاي وفتح الجيم وبعد الألف نون، وهي بليدة بخراسان بين هراة ونيسابور. ترجمته في: إخبار العلماء بأخبار الحكماء: 217، وفيات الأعيان: 5/ 167، والوافي بالوفيات: 1/ 209.

(4) قال صاحب وفيات الأعيان: 5/ 167. وله في استخراج الأوتار تصنيف جيد نافع.

الشُّعْبَةُ السَّابِعَةُ: فِي فُروعِ عِلْمِ الْهَنْدَسَةِ

عِلْمُ عُقودِ الْأَبْنِيَةِ

عِلْمٌ يُتَعَرَّفُ منه أَحْوالُ أَوْضاعِ الْأَبْنِيَةِ، وكَيْفِيَّةُ إِحْكامِها، وَطَريقُ حُسْنِهَا؛ كَبناءِ الْحُصونِ الْمُحْكَمَةِ، وَتَنْضيدِ الْمَنازِلِ الْبَهِيَّةِ، وَالْقَناطِرِ الْمُشَيَّدَةِ، وَأَمْثالِها؛ وَأَحْوالُ كَيْفِيَّةِ شَقِّ الْأَنْهارِ، وَتَقْنِيَةِ القُنِيِّ[1]، وإِنْباطِ الْمِياهِ، وَنَقْلِها من الْأَغْوارِ إلى النُّجُودِ، وغيرِ ذلكَ.

وَمَنْفَعَتُهُ عَظيمَةٌ في عِمارَةِ الْمُدُنِ والْمَنازِلِ والْقِلاعِ.

وفيه: كِتابٌ لابْنِ الْهَيْثَمِ[2]، وكتابٌ آخَرُ لِلْكَرَجِيِّ[3].

عِلْمُ الْمَناظِرِ

عِلْمٌ يُتَعَرَّفُ منه أَحْوالُ الْمُبْصَراتِ في كَمِّيَتِها وَكَيْفِيَّتِها، باعْتِبارِ قُرْبِها وبُعْدِها عن النَّاظِرِ، واخْتِلافِ أَشْكالِها وَأَوْضاعِها، وما يَتَوَسَّطُ بين النَّاظِرِ والْمُبْصَراتِ، وَغِلْظَتِهِ وَرِقَّتِهِ، وَعِلَلُ تلك[4] الْأُمورِ.

---

(1) القُنِيُّ: جَمْعُ قَنَاة، وَهِيَ الْآبَارُ الَّتِي تُحْفر فِي الأَرض مُتَتَابِعَةً لِيُسْتَخْرَجَ مَاؤُهَا ويَسيح عَلَى وَجْهِ الأَرض. اللسان: قنا.

(2) يقصد: "كتاب أصول المساحة"، والنقل من إرشاد القاصد: 190.

(3) محمد بن الحسن الكرجي، (وسيذكره لاحقا في علم إنباط المياه بالكرخي) أبو بكر، رياضي مهندس (ت.نحو 410هـ)، ذكره ابن خلكان ضمن ترجمة فخر الملك البويهي: 5/ 125، ولعله يقصد كتابه: "إنباط المياه الخفية"، وهو مطبوع.

(4) ذلك، في رئيس الكتاب ومراد ملا.

وَمَنْفَعَتُهُ: مَعْرِفَةُ أَحْوالِ الْإِبْصارِ، وَتَفاوُتِ الْمُبْصَرَاتِ، وَالْوقوفُ على سَبَبِ الْأَغاليطِ الْحِسِّيَّةِ الْواقِعَةِ فيها. وَيُسْتَعانُ بهذا الْعِلْمِ على مِساحَةِ الْأَجْرامِ الْبَعِيدَةِ[1]، والْمَرايَا الْمُحْرِقَةِ أيضًا.

ومن الْكُتُبِ الْمُخْتَصَرَةِ فيه:

كِتابُ أُقْلِيدِسَ.

ومن الْمُتَوَسِّطَةِ:

كِتابُ عَلِيِّ بنِ عِيسى الْوَزِيرِ.

ومن الْمَبْسوطَةِ:

كتابٌ لابْنِ الْهَيْثَمِ[2].

عِلْمُ الْمَرايا الْمُحْرِقَةِ

عِلْمٌ يُتَعَرَّفُ منه أَحْوالُ الْخُطوطِ الشُّعاعِيَّةِ، الْمُنْعَطِفَةِ والْمُنْعَكِسَةِ والْمُنْكَسِرَةِ[3]، وَمَواقِعُها وَزَواياها وَمَراجِعُها، وَكَيْفِيَّةُ عَمَلِ الْمَرايَا الْمُحْرِقَةِ، بِانْعِكاسِ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ عنها، ونَصْبِها وَمُحاذاتِها.

(1) ينظر: رسالة في موضوعات العلوم للبيضاوي: 103.
(2) كتاب المناظر، النقل من صبح الأعشى: 1/ 559.
(3) ينظر: رسالة في موضوعات العلوم للبيضاوي: 103.

وَمَنْفَعَتُهُ بَليغَةٌ في مُحاصَراتِ الْمُدُنِ والْقِلاعِ، وقد كانَتِ الْقُدَماءُ تَعْمَلُ الْمَرايا مِنْ أَسْطِحَةٍ مُسْتَوِيَةٍ، وبعضُهُمْ من مُقَعَّرٍ كُرَةٍ، إلى أنْ ظَهَرَ دُنوفُلْسُ[1]، وَبَرْهَنَ على أَنَّها إذا كانَتْ أَسْطِحَتُها مُقَعَّرَةً بحَسَبِ الْقَطْعِ الْمُكافِئِ فإنَّها تكونُ في نِهايَةِ الْقُوَّةِ والْإِحْراقِ.

وكِتابُ أبي عَلِيٍّ ابنِ الْهَيْثَمِ في الْمَرايا الْمُحْرِقَةِ على هذا الرَّأْيِ[2].

عِلْمُ مَراكِزِ الْأَثْقالِ

عِلْمٌ يُتَعَرَّفُ منه كَيْفِيَّةُ اسْتِخْراجِ مَرْكَزِ ثِقْلِ الْجِسْمِ الْمَحْمولِ. وَالْمُرادُ بِمَرْكَزِ الثِّقْلِ حَدٌّ في الْجِسْمِ عِنْدَهُ يَتَعادَلُ بِالنِّسْبَةِ إلى الْحامِلِ.

وَمَنْفَعَتُهُ: مَعْرِفَةُ كَيْفِيَّةِ مُعادَلَةِ الْأَجْسامِ الْعَظِيمَةِ بما دونَهَا[3] لِتَوَسُّطِ الْمَسافَةِ، كما في الْقَرَسْطونِ[4].

وفيه: كِتابٌ لأبي سَهْلٍ الْكُوهِيِّ[5] تَساهَلَ في مُقَدِّماتِ بَراهِينِهِ. ولِابْنِ الْهَيْثَمِ فيه كِتابٌ مُفيدٌ[6].

---

(1) ديوفلس، في مراد ملا، ديوقلس، في إرشاد القاصد: 194.

(2) إرشاد القاصد: 194.

(3) ينظر: رسالة في موضوعات العلوم للبيضاوي: 103.

(4) القَرَسْطون، وَقَالُوا: القبّان، وَقَالُوا: الْمِيزَان، روميّ معرَّب. جمهرة اللغة: 2/ 1203.

(5) أبو سهل ويجن بن رستم القوهي، مهندس، عالم بالهيئة وآلات الرصد، (ت.نحو390هـ)، ترجمته في: الفهرست: 2/ 260، إخبار العلماء بأخبار الحكماء: 262.

(6) إرشاد القاصد: 195.

عِلْمُ جَرِّ الْأَثْقالِ

عِلْمٌ تُبَيَّنُ فيه[1] كَيْفِيَّةُ اتِّخاذِ الْآلاتِ الثَّقِيلَةِ بِالْقُوَّةِ الْيَسيرَةِ[2].

وَمَنْفَعَتُهُ ظاهِرَةٌ حتَّى لِلْعَوامِّ.

وقد بَرْهَنَ إِيرُنُ[3] في كِتابِهِ[4] في هذا الْعِلْمِ على نَقْلِ مِئَةِ أَلْفِ رَطْلٍ بِقُوَّةِ خمسمِئَةِ رَطْلٍ، وهذا أَمْرٌ تَسْتَبْعِدُهُ الْعُقولُ الْقاصِرَةُ[5].

عِلْمُ الْمِساحَةِ

عِلْمٌ يُتَعَرَّفُ منه مَقادِيرُ الْخُطوطِ والسُّطوحِ والْأَجْسامِ، بما يُقَدِّرُها من الْخَطِّ والْمُرَبَّعِ والْمُكَعَّبِ.

وَمَنْفَعَتُهُ جَليلَةٌ في أَمْرِ الْخَراجِ، وَقِسْمَةِ الْأَرَضينَ، وَتَقْدِيرِ الْمَساكِنِ، وَغَيْرِها[6].

ومن الْكُتُبِ الْمُخْتَصَرَةِ فيه:

كِتابٌ لِابْنِ مُحَلَّى الْمَوْصِلِيِّ[7].

---

(1) يتبين فيه، في مراد ملا.

(2) ينظر: رسالة في موضوعات العلوم للبيضاوي: 104 وفيه: إيجاد الآلات الثقيلة.

(3) الحكيم إيرن (Heron) الرُّومي الإسكندراني المهندس، (عاش في منتصف القرن الثاني للهجرة). ترجمته في: الفهرست: 2/ 218، كشف الظنون: 1/ 581، سلم الوصول: 1/ 357.

(4) ذكر له صاحب الفهرست: 2/ 218: كتاب شَيْلِ الأثقال.

(5) إرشاد القاصد: 198.

(6) ينظر: رسالة في موضوعات العلوم للبيضاوي: 103-104.

(7) كذا في إرشاد القاصد: 196، وفي صبح الأعشى: 1/ 559 ابن مجلي الموصلي.

ومن الْمَبْسوطَةِ:

كِتابٌ لابْنِ الْمُخْتارِ، وكِتابُ أَرْشِمِيدِسَ[1].

عِلْمُ إنْباطِ الْمِياهِ

عِلْمٌ يُتَعَرَّفُ منه كَيْفِيَّةُ اسْتِخْراجِ الْمِياهِ الْكامِنَةِ في الْأَرْضِ وإظْهارِها.

وَمَنْفَعَتُهُ: إحْياءُ الْأَرَضينَ وإِفْلاحُها[2].

وَنُقِلَ عن بعض الْعُلَماءِ أنه قال: لو عَلِمَ عِبادُ اللهِ تعالى رِضاءَ الله تَعالى في إحْياءِ أرْضِهِ، لم يَبْقَ في وجْهِ الْأرْضِ مَوْضِعُ خَرابٍ.

ولِلْكَرْخِيِّ فيه كِتابٌ مُخْتَصَرٌ. وفي خِلالِ كِتابِ الْفِلاحَةِ النَّبَطِيَّةِ مُهِمَّاتُ هذا الْعِلْمِ[3].

عِلْمُ الْآلاتِ الْحَرْبِيَّةِ

عِلْمٌ يُتَعَرَّفُ منه كَيْفِيَّةُ إِيجادِ الْآلاتِ الْحَرْبِيَّةِ؛ كَالْمَنْجَنِيقِ وغَيْرِها.

وَمَنْفَعَتُهُ ظاهِرَةٌ، لأَنَّها شَديدَةُ الْغَنَاءِ في دَفْعِ الْأَعْداءِ، وَحِمايَةِ الْمُدُنِ[4].

---

(1) إرشاد القاصد: 196، وفي صبح الأعشى: 1/ 560.

(2) رسالة في موضوعات العلوم للبيضاوي: 104.

(3) إرشاد القاصد: 196، وصبح الأعشى: 1/ 560.

(4) رسالة في موضوعات العلوم للبيضاوي: 105.

وهذا الْعِلْمُ أَحَدُ أَرْكانِ الدِّينِ، لِتَوَقُّفِ أَمْرِ الْجِهادِ عليهِ، الذي هو من أرْكانِ الدِّينِ.

ولِبَنِي موسَى بْنِ شاكِرٍ كِتابٌ[1] مُفِيدٌ في هذا الْعِلْمِ.

عِلْمُ الرَّمْيِ[2]

مِثْلَ رَمْيِ الْقَوْسِ والْبَنادِقِ.

عِلْمٌ يُتَعَرَّفُ منه رَمْيُ الْأُمورِ الْمَذْكورَةِ بِالْمُزاوَلَةِ، ليكونَ عَمَلُها على وَجْهِ الْإِصابَةِ.

وَمَنْفَعَتُها عَظِيمَةٌ في كُلِّ الْأُمورِ.

عِلْمُ التَّعْديلِ

عِلْمٌ يُتَعَرَّفُ به كَيْفِيَّةُ تَفاوُتِ اللَّيْلِ والنَّهارِ، وتَداخُلِ السَّاعاتِ في اللَّيْلِ والنَّهارِ عند تَفاوُتِهِما في الصَّيْفِ والشِّتاءِ.

وَنَفْعُ هذا الْعِلْمِ عَظِيمٌ.

---

(1) بنو موسى بن شاكر محمد وأحمد والحسن، ممن طلبوا العلوم القديمة وبذلوا فيها الرغائب لهم عدة مصنفات، ينظر: الفهرست: 2/ 224-226، تاريخ الحكماء: 441، وفيات الأعيان: 5/ 161، إرشاد القاصد: 200.

(2) كتب بإزائها في نسخة أنطاليا: علم الرماية أصح.

عِلْمُ الْبَنْكاماتِ(1)

عِلْمٌ يُتَبَيَّنُ فيه كَيْفِيَّةُ إيجادِ الْآلاتِ الْمُقَدِّرَةِ لِلزَّمانِ.

وَمَنْفَعَتُهُ: مَعْرِفَةُ أَوْقاتِ الْعِباداتِ، وَاسْتِخْراجُ الطَّوالِعِ من الْكَواكِبِ وأَجْزاءِ فَلَكِ الْبُروجِ(2)، فهذا الْعِلْمُ عَظيمُ النَّفْعِ في الدِّينِ.

وكِتابُ أَرْشِمِيدِسَ هو الْعُمْدَةُ في هذا الْفَنِّ، ولِلْمُتَأَخِّرينَ في هذا الْعِلْمِ تَصانِيفُ مُفيدَةٌ حَسَنَةٌ جِدًّا.

عِلْمُ الْمِلاحَةِ

عِلْمٌ يُتَعَرَّفُ به آلاتُ(3) السَّفينَةِ، وكَيْفِيَّةُ إجْرائِها في الْبَحْرِ، وأنَّ مِقْدارَ هذا الثِّقْلِ بهذا الْمِقْدارِ من الرِّيحِ، كَمْ فَرْسَخًا يَتَحَرَّكُ في مِقْدارِ هذه السَّاعاتِ، وَيَتَوَقَّفُ على مَعْرِفَةِ سُموتِ الْبِحارِ والْبُلْدانِ والْأَقاليمِ، ومَعْرِفَةِ ساعاتِ الْأَيَّامِ واللَّيالِي، وَمَعْرِفَةِ مَهابِّ الرِّياحِ وعَواصِفِها، وَرَخائِها ومُمْطِرِها وغَيْرِ مُمْطِرِها.

ومِنْ مَبادِئِهِ: عِلْمُ الْمِيقاتِ، وعِلْمُ الْهَنْدَسَةِ. وَيَتَوَقَّفُ على مَعْرِفَةِ عَجائِبِ الْبَحْرِ وَطَبائِعِها وَخَواصِّها وَصُوَرِ الْأَقاليمِ، وغيرِ ذلكَ مما يَعْرِفُهُ أَهْلُهُ.

وهذا الْعِلْمُ يُعْرَفُ بِالتَّمَرُّنِ عند الْمُتَمَهِّرينَ فيه، ولذلك قَلَّما يُصَنِّفونَ فيه.

---

(1) البنكام: ساعة الرمل.

(2) ينظر: رسالة في موضوعات العلوم للبيضاوي: 104-105.

(3) أحوال، في قونية.

وهذا الْعِلْمُ عَظيمُ النَّفْعِ، لأنَّ اللهَ تعالى امْتَنَّ على عِبادِهِ بالسُّفُنِ. فهذا الْعِلْمُ ممَّا يَتِمُّ به أعْظَمُ مِنَنِ اللهِ تعالى على عِبادِهِ.

وفي هذا الْفَنِّ كُتُبٌ مَوْجودَةٌ عند أَهْلِهِ، وأَكْثَرُ مَبادِئِهِ مُسْتَنِدَةٌ إلى التَّجْرِبَةِ [وَالْمُشاهَدَةِ][1].

عِلْمُ السِّباحَةِ

وهذا أيْضًا من فُروعِ عِلْمِ الْمِلاحَةِ، إذْ لا يَقْدِرُ أحَدٌ على الْمِلاحَةِ، أو لا تَتِمُّ فيه الْمِلاحَةُ إلا بِتَحْسِينِ أَمْرِ السِّباحَةِ، لكنَّها تَحْصُلُ بِالْمُزاوَلَةِ والإِدْمانِ.

عِلْمُ الأَوْزانِ والْمَوازِينِ

وهذا الْعِلْمُ لِضَبْطِ أثْقالِ الأَحْجارِ في الْبِناءِ، وضَبْطِ أَثْقالِ الأَحْمالِ، وَمَعْرِفَةِ مَقادِيرِها، وَمَعْرِفَةِ الْآلاتِ التي توزَنُ بها الْأَشْياءُ، من الْمِيزانِ والْقُسْطاسِ والصَّاعِ والْكَيْلِ، وأَمْثالِ ذلك. وَضَبْطُ هذه الأُمورِ لا يَتيَسَّرُ إلَّا لمن له حَظٌّ في عِلْمِ الْهَنْدَسَةِ كما لا يَخْفَى.

عِلْمُ الْآلاتِ الْمَبْنِيَّةِ على ضَرورَةِ عَدَمِ الْخَلاءِ

كَقَدَحِ الْعَدْلِ، وَقَدَحِ الْجَوْرِ.

(1) زيادة من أنطاليا.

أَمَّا قَدَحُ الْعَدْلِ: فَهُوَ إناءٌ إذا امْتَلأَ منها قَدْرٌ مُعَيَّنٌ يَسْتَقِرُّ فيها الشَّرابُ، وإنْ زِيدَ عليها ـ ولو شَيْءٌ يَسيرٌ ـ يَنْصَبُّ الْماءُ، وَيَتَفَرَّغُ الْإِناءُ عنه بِحَيْثُ لا يَبْقى قَطْرَةٌ، لأَنَّهُ إذا ابْتَدَأَ الْماءُ بالِانْصِبابِ، يَسْتَتْبِعُ الْبَواقِي لِعَدَمِ إِمْكانِ الْخَلاءِ.

وأَمَّا قَدَحُ الْجَوْرِ: فهو قَدَحٌ له مِقْدارٌ مُعَيَّنٌ، إنْ صُبَّ فيه الْماءُ بذلك الْقَدْرِ الْقَليلِ يَثْبُتُ، وإنْ مُلِئَ يَثْبُتُ أيضًا، وإنْ كان بين الْمِقْدارَيْنِ يَتَفَرَّغُ الإِناءُ، كُلُّ ذلك لِعَدَمِ إمْكانِ الْخَلاءِ.

وأَمْثالُ هذه الظُّروفِ من فُروعِ الْهَنْدَسَةِ، من حيث تَعْيِينُ قَدْرِ الإناءِ، وإلَّا فهو بِالْحَقيقَةِ من فُروعِ عِلْمِ الطَّبيعِيِّ. ومن هذا الْقَبِيلِ دَوَرانُ السَّاعاتِ، كما مَرَّ فيما سَبَقَ، وَيُسَمَّى أَيْضًا: **عِلْمَ الْآلاتِ الرُّوحانِيَّةِ**، لِارْتِياحِ النَّفْسِ بِغَرائِبِ هذه الْآلاتِ[1].

وأَشْهَرُ كُتُبِ هذا الْفَنِّ: كِتابُ **حِيَلِ بَنِي موسى بن شاكِرٍ**[2]، وفيه **كِتابٌ مُخْتَصَرٌ** لفيلنَ[3]، و**كِتابٌ مَبْسوطٌ**، **لِلْبَدِيعِ الْجَزَرِيِّ**[4].

---

(1) ينظر: رسالة في موضوعات العلوم للبيضاوي: 105.

(2) "كتاب الحيل"، ذكره صاحب الفهرست: 2/ 225، وهو مطبوع.

(3) ذُكر في إرشاد القاصد: 201 في علم الآلات الروحانية، وفي صبح الأعشى: 1/ 560، في علم جر الأثقال.

(4) الحريري، في قونية. ذكر كذلك في إرشاد القاصد: 201 في علم الآلات الروحانية، وفي صبح الأعشى: 1/ 560، في علم جر الأثقال.

الشُّعْبَةُ الثَّامِنَةُ: في فُروعِ عِلْمِ الْهَيْئَةِ

عِلْمُ الزِّيجَاتِ والتَّقاوِيمِ

عِلْمٌ يُتَعَرَّفُ منه مَقاديرُ حَرَكاتِ الْكَواكِبِ، سِيَّمَا السَّبْعَةُ السَّيَّارَةُ، وَتَقْويمُ حَرَكاتِها[1]، وإِخْراجُ الطَّوالِعِ، وغيرُ ذلكَ، مُنْتَزَعًا من الْأصولِ الْكُلِّيَّةِ.

وَمَنْفَعَتُهُ: مَعْرِفَةُ مَوْضِعِ كلِّ واحِدٍ من الْكَواكِبِ، سِيَّمَا السَّبْعَةُ، بالنِّسْبَةِ إلى فَلَكِها، وإلى فَلَكِ الْبُروجِ وَانْتِقالاتِها، وَرُجوعِها وَاسْتِقامَتِها، وَتَشْرِيقِها وتَغْرِيبِها، وَظُهورِها وَخَفائِها في كُلِّ زَمانٍ وَمَكانٍ، لِيُتَعَرَّفَ بِمَعْرِفَةِ هذه الْأمورِ الِاتِّصالَاتُ بين الْكَواكِبِ، من الْمُقارَنَةِ والْمُقابَلَةِ، والتَّرْبيعِ والتَّثْليثِ والتَّسْديسِ، وَيُعْرَفُ كُسوفُ الشَّمْسِ، وَخُسوفُ الْقَمَرِ، وما يَجْري هذا الْمَجْرى[2].

وَالْغَرَضُ الْأَخيرُ من مَعْرِفَةِ هذه الْأمورِ مَعْرِفَةُ أَمْرَيْنِ:

- إِمَّا مَعْرِفَةُ السَّاعاتِ والْأَوْقاتِ، وفُصولِ السَّنَةِ، وَسَمْتِ الْقِبْلَةِ، وَأَوْقاتِ الصَّلاةِ.

- وإِمَّا مَعْرِفَةُ الْأَحْكامِ الْجارِيَةِ في عالَمِ الْعَناصِرِ بسبب تلك الْأَوْضاعِ.

---

(1) ينظر: رسالة في موضوعات العلوم للبيضاوي: 106.

(2) ينظر: إرشاد القاصد: 205.

إِلَّا أنَّ الْغَرَضَ الْأَصْلِيَّ لا بُدَّ وأنْ يَكونَ الْأَمْرَ الْأَوَّلَ، إذ هو الْمُهِمُّ في الطَّبْعِ والْعادَةِ والشَّرْعِ.

وأمَّا مَعْرِفَةُ الْأَحْكامِ، فمع كَوْنِها مَدْخولَةَ الصِّحَّةِ في الشَّرْعِ، لا يكادُ يَسْتَقِيمُ شَيْءٌ منها، وإنْ وَقَعَ فإنَّمَا يَقَعُ بِطَرِيقِ الِاتِّفاقِ وَعَدَمِ الصِّحَّةِ، إمَّا لِكَوْنِ مَبْنَى عِلْمِ الْأَحْكامِ على الدَّلائِلِ الْوَاهِيَةِ، والْبَراهِينِ الضَّعيفَةِ، التي لا تُفِيدُ شُبْهَةً، فَضْلًا عن ظَنٍّ، فَضْلًا عن يَقينٍ؛ وإمَّا لِعُسْرِ تَعْيِينِ الْأَوْضاعِ الْعارِضَةِ لِلْكَواكِبِ، لِعُسْرِ الطُّرُقِ، وَعَدَمِ الِاطِّلاعِ على الْخَطَإِ، لِبُعْدِ مَقادِيرِ الْحَرَكاتِ عن الْحِسِّ، حتى يُصْلِحَهُ الْمُحاسِبُ بعد ذلكَ.

وأَنْفَعُ الزِّيجَاتِ: **الزِّيجُ الإِيلخانِيُّ**، التي تَوَلَّاها خَواجَةُ نَصِيرُ الدِّينِ الطُّوسِيُّ. والْمَشْهورُ عند أَهْلِ مِصْرَ: **الزِّيجُ الْمُصْطَلَحُ**. وبِدِمَشْقَ: **زِيجُ ابْنِ الشَّاطِرِ**[1]. وفي دِيارِ الْعَجَمِ: **زِيجُ أَلوغَ بِيكْ بنُ شاه رخ بنِ أمير تَيْمورَ**[2]، وهو - والْعِلْمُ عند اللهِ - أَقْرَبُ الزِّيجَاتِ من الصِّحَّةِ، وأَقْصى ما يُمْكِنُ لِلْبَشَرِ مَعْرِفَتُهُ في هذا الشَّأْنِ، وعليه التَّعْوِيلُ في زَمانِنا في مُعْظَمِ الْأَقالِيمِ.

---

(1) علي بن إبراهيم بن محمد الأنصاري الموقت، أبو الحسن علاء الدين، المعروف بابن الشاطر: عالم بالفلك والهندسة والحساب. من أهل دمشق، مولدا ووفاة (ت. 777هـ) ينظر: الدرر الكامنة: 3/ 9، إنباء الغمر: 1/ 116، نيل الأمل في ذيل الدول: 2/ 207.

(2) ألوغ بيك محمد بن شاه رخ بن الأمير تيمور كوركان المعروف بألوغ بيك الفلكي الرياضي (ت. 853هـ). ينظر: المنهل الصافي: 4/ 300، الضوء اللامع: 7/ 265، كشف الظنون: 966 -967، هدية العارفين: 1/ 197.

وَتَوَلَّى هذا الزِّيجَ أوَّلًا غِياثُ الدِّينِ جَمْشِيدُ[1] بِسَمَرْقَنْدَ، وَتَوَفَّاهُ اللهُ تَعالى في مَبادِئِ أَحْوالِهِ، ثُمَّ تَوَلَّاهُ قاضي زادَهْ الرُّومِّيُّ، وَتَوَفَّاهُ الله تَعالى أيْضًا قَبْلَ إتْمامِهِ، وإنَّما أَتَمَّهُ وَأَكْمَلَهُ مولانا عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الْقَوْشَجِيُّ رَحْمَةُ الله عليه.

عِلْمُ كِتابَةِ[2] التَّقاوِيمِ

وهو تَرْتِيبٌ خاصٌّ، يُثْبِتونَ ما خَرَجَ من الزِّيجِ من الْأَعْمالِ، على التَّرْتيبِ الخاصِّ، في أَوْراقٍ اثْنَيْ عَشَرَ، مُجَدْوَلَةٍ بِجَداوِلَ على وَجْهٍ خاصٍّ. وَيَرْقُمونَها بأَرْقامٍ مَخْصوصَةٍ، وَيَكْتُبونَ فيها الشُّهورَ الِاثْنَتَيْ عَشَرَ، وما يوجَدُ فيها من الْمَواسِمِ وَالْاخْتِيارات والْأَحْكامِ، إلى غَيْرِ ذلكَ مما يَعْرِفُهُ أَهْلُهُ.

وَبَيَّنَ نَصِيرُ الدِّينِ الطُّوسِيُّ جَميعَ أَحْوالِ التَّقْويمِ ومُصْطَلَحاتِهِ في رِسالَةٍ له هي ثَلاثونَ بابًا[3].

عِلْمُ حِسابِ النُّجومِ

عِلْمٌ يُبْحَثُ فيه عن كَيْفِيَّةِ حِسابِ الْأَرْقامِ الْواقِعَةِ في الزِّيجاتِ. وهذا وإنْ كانَ من فُروعِ عِلْمِ الْعَدَدِ، إلَّا أَنَّهُ - من جِهَةِ تَوَقُّفِ التَّقْوِيمِ عليه - صارَ من

(1) غياث الدين جمشيد بن مسعود بن محمود الكَاشي ثم السمرقندي، كان عالما رياضيًا فلكيا، (ت.832هـ)، ينظر: الشقائق النعمانية: 14- 98، كشف الظنون: 2/ 967، سلم الوصول: 1/ 417.

(2) كتب، في أنطاليا.

(3) لعله يقصد: كتاب البارع في علوم التقويم.

فُروعِهِ أيْضًا، سِيَّمَا وقد امْتازَ عن سائِرِ أعْمالِ الْحِسابِ بِقَواعِدَ خاصَّةٍ به، يَعْرِفُها من اهْتَمَّ بها.

عِلْمُ كَيْفِيَّةِ الْأَرْصادِ

عِلْمٌ يُتَعَرَّفُ منه كَيْفِيَّةُ تَحْصِيلِ مَقادِيرِ الْحَرَكاتِ الْفَلَكِيَّةِ، وَالْقَوانِينِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِتَحْصِيلِها، وَكَيْفِيَّةِ التَّوَصُّلِ إليها بِالآلاتِ الرَّصْدِيَّةِ.

وَمَنْفَعَتُهُ: تَكْمِيلُ عِلْمِ الْهَيْئَةِ[1]، وَتَحْصِيلُ الزِّيجاتِ، والِاقْتِدارُ على تَدْوِينِهَا.

و"**كِتابُ الْأَرْصادِ**"، لابْنِ الْهَيْثَمِ، يَشْتَمِلُ على نَظَرِيِّ هذا الْفَنِّ.

عِلْمُ الْآلاتِ الرَّصْدِيَّةِ

عِلْمٌ يُتَعَرَّفُ منه [كَيْفِيَّةُ][2] تَحْصِيلِ الْآلاتِ الرَّصْدِيَّةِ قبل الشُّروعِ في الرَّصْدِ، فإنَّ الرَّصْدَ لا يَتِمُّ إلَّا بِآلاتٍ كَثيرَةٍ رَتَّبوها، وَتَحْصيلُ تلك الْآلاتِ يَتَوَقَّفُ على مَعْرِفَةِ أَحْوالِهَا.

و"**كِتابُ الْآلاتِ الْعَجِيبَةِ**"، لِلْخازِنِيِّ[3] يَشْتَمِلُ على ذلِكَ.

---

(1) رسالة في موضوعات العلوم للبيضاوي: 106، إرشاد القاصد: 205.

(2) سقط من قونية.

(3) عبد الرحمن الخازن، أو الخازني، أبو الفتح، حكيم فلكي مهندس (ت.نحو 550هـ)، تاريخ حكماء الإسلام: 161، إرشاد القاصد: 205.

عِلْمُ الْمَواقِيتِ

عِلْمٌ يُتَعَرَّفُ منه أَزْمِنَةُ الأَيّامِ واللَّيالِي وأَحْوالُهَا، وَكَيْفِيَّةُ التَّوَصُّلِ إليها.

ومَنْفَعَتُهُ: مَعْرِفَةُ أَوْقاتِ الْعِباداتِ[1]، ونَواحِي جِهَتِها، وَالطَّوالِعِ والْمَطالِعِ من أَجْزاءِ الْبُروجِ، وَالْكَواكِبِ الثَّابِتَةِ التي منها مَنازِلُ الْقَمَرِ، وَمَقاديرِ الْأَظْلالِ[2] وَالِارْتِفاعاتِ، وانْحِرافِ الْبُلْدانِ وَسُموتِها[3].

ومن الْمُصَنَّفاتِ فيه:

"نَفائِسُ الْيَواقِيتِ في أَحْوالِ الْمَواقِيتِ"، و"جامِعُ الْمَبادِئِ والْغاياتِ"، لأبي عَلِيٍّ الْمُرَّاكُشِيِّ[4].

عِلْمُ الْآلاتِ الظِّلِّيَّةِ

عِلْمٌ يُتَعَرَّفُ منه مَقاديرُ ظِلالِ الْمَقايِيسِ وَأَحْوالُها الْأُخَرُ، وَالْخُطوطُ التي تُرْسَمُ في أَطْرافِها، وَمَعْرِفَةُ أَحْوالِ الظِّلالِ الْمُسْتَوِيَةِ والْمَنْكوسَةِ.

---

(1) رسالة في موضوعات العلوم للبيضاوي: 106.

(2) الظلال، في إرشاد القاصد: 204.

(3) إرشاد القاصد: 204.

(4) أبو علي الحسن بن علي بن عمر المراكشي، العلامة الرياضي المغربي المشهور (ت.نحو660هـ)، ينظر: إرشاد القاصد: 204، صبح الأعشى: 1/ 561.

وَمَنْفَعَتُهُ: مَعْرِفَةُ ساعاتِ النَّهارِ بهذه الْآلاتِ؛ كَالْبَسائِطِ والْقائِماتِ والْمائِلاتِ من الرُّخاماتِ وَنَحْوِها[1]. ولِإِبْراهيمَ بْنِ سِنانٍ الْحَرَّانِيِّ[2] فيه كِتابٌ مُبَرْهَنٌ[3].

علم الْأُكَرِ

عِلْمٌ باحِثٌ عن أَحْوالِ الْمَقادِيرِ الْمُتَعَلِّقَةِ بالْأُكَرِ خاصَّةً، دون الْمُسَطَّحاتِ، وَيَتَوَقَّفُ بَراهينُ عِلْمِ الْهَيْئَةِ على ذلك أَشَدَّ تَوَقُّفٍ.

وَمَنْفَعَتُهُ: بَيِّنَةٌ لا تَخْفَى[4].

عِلْمُ الْأُكَرِ الْمُتَحَرِّكَةِ

عِلْمٌ باحِثٌ عن أَحْوالِ الْمَقادِيرِ الْمُتَعَلِّقَةِ بالْأُكَرِ من حيثُ إِنَّها مُتَحَرِّكَةٌ، وَتَوَقُّفُ عِلْمِ الْهَيْئَةِ عليها أَشَدُّ. ولهذا جَلَّ نَفْعُ هذا الْعِلْمِ.

ومن الْكُتُبِ النَّافِعَةِ فيه:

"أُكَرُ مِنالاوُسَ"[5]، و **"أُكَرُ ثاوْذوسْيوسَ"**[6].

---

(1) رسالة في موضوعات العلوم للبيضاوي: 107، إرشاد القاصد: 209.

(2) إبراهيم بن سنان بن ثابت بن قرة بن مروان، أبو إسحق الحراني، (ت.335هـ)، الفهرست: 2/ 230، إخبار العلماء بتاريخ الحكماء: 50، عيون الأنباء: 307.

(3) سماه: "كتاب آلات الأظلال"، ينظر: إخبار العلماء بتاريخ الحكماء: 51.

(4) ينظر: إخبار العلماء بتاريخ الحكماء: 88، صبح الأعشى: 2/ 164.

(5) **مِنالاوُسَ**: (Menelaos)، ذكر له صاحب الفهرست: كتاب الأشكال الكرية 2/ 214.

(6) ساودوسيوس، في أنطاليا، ولعل كليهما محرف عن الحكيم ثِيودورُس (Theodosios)، ينظر: "كتاب الأكر" في الفهرست: 2/ 218.

عِلْمُ تَسْطِيحِ الْكُرَةِ

عِلْمٌ يُتَعَرَّفُ منه كَيْفِيَّةُ نَقْلِ الْكُرَةِ إلى السَّطْحِ[1]، مع حِفْظِ الْخُطوطِ والدَّوائِرِ الْمَرْسومَةِ على الْكُرَةِ، وَكَيْفِيَّةُ نَقْلِ تلك الدَّوائِرِ عن الدَّائِرَةِ إلى الْخَطِّ، وَتَصَوُّرُ هذا الْعِلْمِ عَسيرٌ جِدًّا، يَكادُ يَقْرُبُ من خَرْقِ الْعادَةِ، لكنَّ عَمَلَهَا بِالْيَدِ كَثيرًا ما يَتَوَلَّاهُ النَّاسُ، ولا عُسْرَ فيه مِثْلَ عُسْرِ التَّصَوُّرِ.

ومن الْكُتُبِ الْقَديمَةِ فيه:

"كِتابُ تَسْطيحِ الْكُرَةِ"، لِبَطْلِيموسَ[2].

وَالْمُحْدَثَةِ:

"الْكامِلُ"، لِلْفَرْغانِيِّ[3]؛ و**"الِاسْتيعابُ"**، لِلْبَيْرونِيِّ؛ و**"آلاتُ التَّقْويمِ"**، لِلْمُرَّاكُشِيِّ[4].

عِلْمُ صُوَرِ الْكَواكِبِ

واعْلَمْ أنَّ الْمُنَجِّمينَ تَصَوَّرُوا في فَلَكِ الثَّوابِتِ ثَمانِيًا وأَرْبَعينَ صورَةً، منها ما على الْمِنْطَقَةِ يُتَوَهَّمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ صورَةً لِتَعْيِينِ الْبُروجِ، وَثَمانِيَةً وعِشْرينَ

---

(1) كتب بإزائها في نسخة أنطاليا لعلها: التَّسطح.

(2) بطليوس، في مراد ملا.

(3) أبو العباس أحمد بن محمد بن كثير الفرغاني (ت.بعد 247هـ)، له كتاب: "الكامل في صنعة الأسطرلاب الشمالي والجنوبي وعللهما بالهندسة والحساب". ينظر: إرشاد القاصد: 208، صبح الأعشى: 1/ 561.

(4) هو أبو علي الحسن بن علي بن عمر المراكشي الرياضي، ذكر صاحب هدية العارفين أنه كان حيا سنة (750هـ)، ينظر: كشف الظنون: 1/ 81، هدية العارفين: 1/ 286.

صورَةً أخرى لِتَعْيينِ مَنازِلِ الْقَمَرِ. وَيَنْدَرِجُ بعض هذه الصُّوَرِ في بعض، وبهذه الصُّوَرِ ضَبَطُوا من الْكَواكِبِ الثَّوابِتِ أَلْفًا وَاثْنَيْنِ وعِشْرينَ كَوْكَبًا، وَعَرَفُوا مَواضِعَها في الطُّولِ والْعَرْضِ، وَجَعَلوا كُلَّ جُمْلَةٍ منها مُتَساوِيَةَ الْمِقْدارِ تَقْريبًا، وَرَتَّبوها في سِتِّ مَراتِبَ أَوَّلُها أَعْظَمُها، وعلى هذا الْقِياسِ.

وَلِعَبْدِ الرَّحْمنِ الصُّوفِيِّ[1] **رِسالَةُ صُوَرِ الْكَواكِبِ**، نافِعَةٌ في هذا الْبابِ.

ولِمُحْيِي الدِّينِ الْمَغْرِبِيِّ[2] أَيْضًا **رِسالَةٌ** في هذا الْبابِ.

عِلْمُ مَقاديرِ الْعُلْوِيَّاتِ

وهو **عِلْمٌ** باحِثٌ عن قَدْرِ الْكَواكِبِ والْأَفْلاكِ بِالْأَمْيالِ وَالْفَراسِخِ، وقَدْرِ الشَّمْسِ والْقَمَرِ والْأَرْضِ، وَبُعْدِ كُلٍّ من هذه الْأَجْرامِ بعضِها عن بعضٍ.

وهذا عِلْمٌ بَعيدُ الْمُتَناوَلِ، إلَّا أَنَّ الْقُدَماءَ اجْتَهَدوا فيه، وَبَيَّنُوا تلك الْمَسائِلَ بِبَراهينَ قَطْعِيَّةٍ، لا يَشُكُّ من يَتَوَلَّاها في صِحَّتِها.

عِلْمُ مَنازِلِ الْقَمَرِ

وهو **عِلْمٌ** يُتَعَرَّفُ منه صُوَرُ الْمَنازِلِ الثَّمانِيَةِ والْعِشْرينَ، وأَسْماؤُها، وَخَواصُّ كُلِّ واحِدٍ منها، وأَحْكامُ نُزولِ الْقَمَرِ في كُلٍّ منها، إلى غَيْرِ ذلكَ.

---

(1) عبد الرحمن بن عمر ابن سهل الصوفي الرازيّ، أبو الحسين: عالم بالفلك، من أهل الريّ، (ت.376هـ)، ينظر: الفهرس: 2/ 262، إخبار العلماء بأخبار الحكماء: 174-175.

(2) يحيى بن محمد بن أبي الشكر، محيي الدين، أبو الفتح، ويعرف بالحكيم المغربي، عالم بالفلك، (ت.نحو680هـ). ينظر تاريخ مختصر الدول: 1/ 280.

عِلْمُ جُغْرافِيا

وَمَعْناهُ: صورَةُ الْأَرْضِ.

وهو عِلْمٌ يُتَعَرَّفُ منه أَحْوالُ الْأَقاليمِ السَّبْعَةِ الْواقِعَةِ في الرُّبُعِ الْمَسْكونِ من كُرَةِ الْأَرْضِ، وعُروضُ الْبُلْدانِ الْواقِعَةِ فيه وَأَطْوالُها. وكذا عَدَدُ مُدُنِها وَجِبالِها، وبَرارِيها وبِحارِها وأَنْهارِها، إلى غَيْرِ ذلك من أَحْوالِ الرُّبُعِ الْمَعْمورِ.

وَلِبَطْلِميوسَ[1] تَأْليفاتٌ كَثيرَةٌ في هذا الْعِلْمِ نافِعَةٌ جِدًّا.

عِلْمُ مَسالِكِ الْبُلْدانِ والْأَمْصارِ

وهو عِلْمٌ باحِثٌ عن أَحْوالِ الطُّرُقِ الْواقِعَةِ بين الْبِلادِ، وأَنَّها بَرِّيَّةٌ أو بَحْرِيَّةٌ، عامِرَةٌ أو غامِرَةٌ، سَهْلِيَّةٌ أو جَبَلِيَّةٌ، مُسْتَقِيمَةٌ أو مُنْحَرِفَةٌ، والْعَلاماتِ الْمَنْصوبَةِ لتلك الطُّرُقِ من الْجِبالِ والتِّلالِ وأَمْثالِها، وَمَعْرِفَةِ ما في تلك الْمَسالِكِ من الْمَخاوِفِ الْحَيَوانِيَّةِ، أو النَّباتِيَّةِ، أو السَّبُعِيَّةِ، وأَمْثالِ ذلِكَ.

وَمَنْفَعَةُ هذا الْعِلْمِ لا تَخْفَى على أَحَدٍ.

عِلْمُ مَعْرِفَةِ الْبُرُدِ[2] وَمَسافاتِها

وهو عِلْمٌ يُتَعَرَّفُ منه كِمِّيَّةُ مَسالِكِ الْأَمْصارِ فَراسِخَ وأَمْيالًا، وأَنَّها مَسافَةٌ شَهْرِيَّةٌ، أو أَقَلُّ، أو أَكْثَرُ. وَنَفْعُ هذا الْعِلْمِ كَالْعِلْمِ الْمُتَقَدِّمِ.

---

(1) بطليوس، في مراد ملا.

(2) كتب بإزائها في نسخة عاطف أفندي: "البُرُدُ بالباء والرَّاء جمع بريد، وكل من البريد أربعة فراسخ، وكل فرسخ ثلاثة أميال".

عِلْمُ خَواصِّ الْأَقالِيمِ

وهو عِلْمٌ يُتَعَرَّفُ منه ما في كُلِّ إِقْليمٍ أو بَلَدٍ من الْمَنافِعِ والْمَضارِّ، والْعَجائِبِ والْغَرائِبِ. وهذا عِلْمٌ جليلٌ، تَرْتاحُ إليه النُّفوسُ؛ مِثْلَ ما رُوِيَ أنَّ بِبِلادِ الْهِنْدِ وَرْدًا مَكْتوبًا في الْوَرَقَةِ منها: مُحَمَّدٌ رَسولُ اللهِ. رَواهُ الذَّهَبِيُّ في **"الميزان"**[1].

وَنَظيرُهُ ما ذَكَرَهُ ابْنُ الْعَديمِ في **تاريخِهِ**، في تَرْجَمَةِ الْحَسَنِ بنِ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ الْوَرَّاقِ الْخَوَّاصِ الْمَصيصِيِّ، أَنَّهُ رَوَى مُسْنَدًا إلى عَلِيِّ بنِ عبدِ اللهِ الْهاشِمِيِّ، أَنَّهُ رَأى في بعض بِلادِ الْهِنْدِ وَرْدَةً كَبيرَةً طَيِّبَةَ الرَّائِحَةِ، سَوْداءَ، عليها مَكْتوبٌ بِخَطٍّ أَبْيَضَ: "لا إلَهَ إلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسولُ اللهِ، أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، عُمَرُ الْفاروقُ". فَظَنَنْتُ أَنَّهُ مَعْمولٌ، فَفَتَحْتُ وَرْدَةً لم تُفَتَّحْ بَعْدُ، فكانَ فيها مِثْلُ ذلكَ، وفي الْبَلَدِ منه شَيْءٌ كَثيرٌ، وأهْلُ تلك الْقَرْيَةِ يَعْبُدونَ الْحِجارَةَ، ولا يَعْرِفونَ اللهَ عزَّ وجَلَّ[2].

وَحَكَى الشَّيْخُ الْيافِعِيُّ في كِتابِهِ الْمُسَمَّى بـ **"رَوْضُ الرَّياحِينِ"**، عن بعض الشُّيوخِ، أَنَّهُ رَأَى بِبِلادِ الْهِنْدِ، شَجَرَةً تَحْمِلُ ثَمَرَةً تُشْبِهُ اللَّوْزَ، لها قِشْرانِ فإذا كُسِرَ، خَرَجَ منه وَرَقَةٌ خَضْراءُ مَطْوِيَّةٌ، مَكْتُوبٌ عليها بِالْحُمْرَةِ: "لا إلَهَ إلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسولُ اللهِ" كِتابَةً جَلِيَّةً، وهم يَتبَرَّكونَ بها، وَيَسْتَسْقونَ بها إذا مُنِعُوا من الْغَيْثِ. فَحَدَّثْتُ بها أبا يَعْقوبَ الصَّيَّادَ، فقالَ لي: ما أَسْتَعْظِمُ هذا. كُنْتُ أَصْطادُ على نَهْرِ الْأُبُلَّةِ، فَاصْطَدْتُ سَمَكَةً، مَكْتوبٌ على جَنْبِها الْأَيْمَنِ، أو

---

(1) ميزان الاعتدال: 3/ 414.

(2) بغية الطلب في تاريخ حلب: 5/ 2255.

أُذُنِها الْيُمْنى: "لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ"، وعلى جَنْبِها الْأَيْسَرِ أو أُذُنِهَا الْيُسْرى: "مُحَمَّدٌ رَسولُ اللهِ"، فَقَذَفْتُها في الْماءِ احْتِرامًا لِمَا عليها[1].

قُلْتُ: سَمِعْتُ مَنْ أَثِقُ به، أَنَّهُ يَرْوِي عمن يَثِقُ به، أَنَّهُ رَأَى جَرَادَةً في إِحْدَى جَناحَيْها "لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ"، وفي الْأُخْرى: "مُحَمَّدٌ رَسولُ اللهِ".

وَأَمْثالُ هذه الْغَرائِبِ والْعَجائِبِ في الْآفاقِ، خارِجٌ عن إحاطَةِ الْأَوْراقِ. سُبْحانَ مُبْدِعِها وَمُخْتَرِعِها، جَلَّ جَلالُهُ، وَعَمَّ نَوَالُهُ.

وكِتابُ **"عَجائِبُ الْمَخْلوقاتِ"**، لِلْقَزْوِينِيِّ أتى بِالْعَجَبِ الْعُجابِ. وكِتابٌ آخَرُ في هذا الْبابِ أَحْسَنُ من كِتابِ الْقَزْوِينِيِّ، لكن لم أَتَذَكَّرِ اسْمَهُ، ثُمَّ سَأَلْتُ عنه واحِدًا من أَصْحابِي، فقال: إِنَّه **"خَرِيدَةُ الْعَجائِبِ"**، لابْنِ الْوَرْدِيِّ[2].

وفيها كِتابٌ آخَرُ وهو: **"نُزْهَةُ الْمُشْتاقِ في اخْتِراقِ الْآفاقِ"**، لِلشَّريفِ الصِّقِلِّيِّ[3]، و**"تَقْويمُ الْبُلْدانِ"**، لِياقوتَ الْحَمَوِيِّ[4]، وغيرُ ذلكَ.

---

(1) روض الرياحين في حكايات الصالحين: 340.

(2) "خريدة العجائب وفريدة الغرائب"، لعمر بن المظفر ابن الوردي (ت.749هـ).

(3) محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الإدْرِيسي الحسني (ت.560هـ).

(4) كتاب تقويم البلدان، للملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي ابن شاهنشاه (ت.732هـ)، وليس لياقوت الحموي صاحب معجم البلدان.

عِلْمُ الْأَدْوارِ والْأَكْوارِ

اعْلَمْ أنَّ الدَّوْرَ يُطْلَقُ في اصْطِلاحِهِمْ على ثَلاثِمِئَةٍ وسِتِّينَ سَنَةً شَمْسِيَّةً؛ والْكَوْرَ على مِئَةٍ وعِشْرينَ سَنَةً قَمَرِيَّةً.

وَيُبْحَثُ في الْعِلْمِ الْمَذْكورِ عن تَبَدُّلِ الْأَحْوالِ الْجارِيَةِ في كُلِّ دَوْرٍ وكَوْرٍ.

وهذا من فُروعِ أحْكامِ النُّجومِ كما هو ظاهِرٌ عند أَهْلِهِ.

عِلْمُ الْقِراناتِ

اعْلَمْ أنَّ الْقِرانَ هو اجْتِماعُ كَوْكَبَيْنِ أو أكْثَرَ من الْكَواكِبِ السَّبْعَةِ السَّيَّارَةِ في دَرَجَةٍ واحِدَةٍ، من بُرْجٍ واحِدٍ.

وَيُبْحَثُ في هذا الْعِلْمِ عن الْأَحْكامِ الْجارِيَةِ في هذا الْعالَمِ، بِسَبَبِ قِرانِ السَّبْعَةِ كُلِّها أو بَعْضِها في دَرَجَةٍ واحِدَةٍ، من بُرْجٍ مُعَيَّنٍ.

وَاعْلَمْ أنَّ أرْبابَ النُّجومِ زَعَموا أنَّ الْكَواكِبَ السَّبْعَةَ كانَتْ مُقْتَرِنَةً في أوَّلِ الْمِيزانِ في مَبْدَإِ الْعالَمِ، ثُمَّ تَفَرَّقَتْ، فمتى اجْتَمَعوا في بُرْجٍ واحِدٍ، يكونُ سَبَبًا لحادِثٍ عَظيمٍ، بإذْنِ الْفاطِرِ الْحَكيمِ، الْقادِرِ الْعَليمِ، في عالَمِ الْكَوْنِ والْفَسادِ؛ كَحُدوثِ طُوفانٍ عَظيمٍ، منها طوفانُ نوحٍ عليه السَّلامُ، أو تَبَدُّلِ مِلَّةٍ؛ كَبِعْثَةِ الْأَنْبِياءِ، أو دَوْلَةٍ؛ كَغَلَبَةِ إِسْكَنْدَرَ وجِنْكِيزْخانَ، وَتَيمورْلَنْكَ، وأَمْثالِهِمْ. حَسَبَ تَفاوُتِ الْقِراناتِ في الْبُروجِ، وفي قِرانِ الْكُلِّ، أو الْبَعْضِ.

ولِنَصيرِ الدِّينِ الطُّوسِيِّ تَأْليفٌ في هذا الْبابِ، وكَذا لِجاماسبَ الْحَكيمِ[1].

واعْلَمْ أنَّ من الْقِراناتِ ما يَكونُ في كُلِّ عِشْرينَ سَنَةً، ومنها ما يَكونُ في كُلِّ مِئَتَيْنِ وأَرْبَعينَ سَنَةً، ومنها ما يَكونُ في كُلِّ تِسْعِمِئَةٍ وَسِتِّينَ سَنَةً، ومنها ما يَكونُ في كُلِّ ثَلاثَةِ آلافِ سَنَةٍ وَثَمانِيَةٍ وأَرْبَعينَ سَنَةً مَرَّةً، ومنها ما يَكونُ في كُلِّ سَبْعَةِ آلافِ سَنَةٍ مَرَّةً. واللهُ أَعْلَمُ بِحَقيقَةِ الْحالِ.

عِلْمُ الْمَلاحِمِ

وهي جَمْعُ مَلْحَمَةٍ، وهي الْوَقْعَةُ[2] الْعَظيمَةُ في الْفِتْنَةِ، ويُعْرَفُ في هذا الْعِلْمِ ـ بِسَبَبِ ضَبْطِ أَحْوالِ أَحْكامِ النُّجومِ ـ كُلُّ وَقْعَةٍ وَفِتْنَةٍ عَظيمَةٍ، مِثْلَ: وَقْعَةِ بُخْتَ نَصَّرَ[3]، وَوَقْعَةُ جِنْكِيزَ، وَهولاكو وَتَيْمورَ، ما وَقَعَ منها، وما سَيَقَعُ، وَتَعيينُ زَمانِ وُقوعِها في الْآتِي.

وهذا عِلْمٌ يَعْتَنِي النَّاسُ به، وَيَسْتَخْرِجونَ أَحْكامَهُ، إلَّا أَنَّكَ قد عَرَفْتَ أنَّ عِلْمَ الْأَحْكامِ لا يَخْلو عن شُبْهَةٍ وتَخْمينٍ. وَيَكْفيكَ في مَعْرِفَةِ الْمَلاحِمِ ما وَقَعَ في الْأحاديثِ النَّبَوِيَّةِ، لأنه صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ لم تَفُتْهُ حادِثَةٌ يُرْجى وُقوعُها، لأنَّ هذا الاطِّلاعَ في مَنْصِبِ النُّبُوَّةِ أَدْنى من نِسْبَةِ الْقَطْرَةِ إلى الْبَحْرِ الْمُحيطِ.

---

(1) جاماسب (Jamasp) الحكيم، عاش في القرن الثالث الميلادي، وقرانات جاماسب، مطبوع. ينظر: تاريخ التراث العربي، السيمياء والكيمياء - النبات والفلاحة حتى نحو ٤٣٠ هـ لفؤاد سزكين: 1/ 83.

(2) الواقعة، في رئيس الكتاب.

(3) بخت نصّر، واسمه بنو خذ نصَّر بن سنحاريب بن كيحسري. من الفرس الأُوَل قبل النبط وقبل بني ساسان. المحبر: 394.

وقد أَشارَ صَلَّى اللهَ عليه وسَلَّمَ إلى مُعْظَمِ ما سَيَقَعُ منها بَلْ إلى كُلِّها. فَعَلَيْكَ بِتَتَبُّعِ الْأَحاديثِ إنْ أَرَدْتَ مَعْرِفَةَ هذا الشَّأنِ، إذ ليسَ قَرْيَةٌ وَراءَ عَبَّادانَ[1]، وقد قال تَعالى: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[2].

عِلْمُ مَواسِمِ السَّنَةِ

واعْلَمْ أنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ من الْأُمَمِ، ولِكُلِّ طائِفَةٍ من الْأَقْوامِ مَواسِمَ وأَعْيادًا، يُراعونَها وَيَحْفَظونَها، وَيَجْعَلونَ لها وَقْتًا مَعْلومًا في كُلِّ سَنَةٍ لا يُخْطِئُ عنها أَصْلًا.

فَالْعِلْمُ الْمَذْكورُ يُعْرَفُ منه أَعْيادُ كُلِّ قَوْمٍ، وأَنَّها من السَّنَةِ في أيِّ يَوْمٍ، وَيُعْرَفُ شُغْلُ أَهْلِها في ذلك الْيَوْمِ؛ مِثْلَ يَوْمِ النَّيْروزِ والْمِهْرَجانِ عند أَهْلِ فارِسَ. وكان أَهْلُ الْقِبْطِ بِمِصْرَ، يَأْتِي مَلِكَهُمْ في يَوْمِ النَّيْروزِ [غلامٌ أَمْرَدُ][3] ويُرْصِدُ من اللَّيْلِ[4]، ويكونُ مَليحَ الْوَجْهِ، حَسَنَ الثِّيابِ، طَيِّبَ الرَّائِحَةِ، فَيَقِفُ على الْبابِ حتى يُصْبِحَ، وإذا أَصْبَحَ دَخَلَ على الْمَلِكِ بغير إِذْنٍ، ويَقِفُ بِحَيْثُ إنَّ الْمَلِكَ يَراهُ، فَيَقولُ له: من أَنْتَ؟ ومن أَيْنَ أَقْبَلْتَ؟ وأَينَ تُريدُ؟ وما اسْمُكَ؟ ولأيِّ شَيْءٍ وَرَدْتَ؟ وما مَعَكَ؟ فيقولُ: أنا الْمَنْصورُ، واسْمِي الْمُبارَكُ، ومن قِبَلِ اللهِ أَقْبَلْتُ، والْمَلِكَ السَّعِيدَ أَرَدْتُ، وبالْهَناءِ

(1) ينظر: مجمع الأمثال: 2/ 257. وعَبَّادَان: بفتح أوّله، وتشديد ثانيه، وبدال مهملة، على وزن فعّالان: بقرب البصرة. معجم ما استعجم: 3/ 916.

(2) سورة فاطر، الآية: 14.

(3) زيادة من أنطاليا.

(4) رجل من الليل قد أرصد، في صبح الأعشى: 2/ 446.

والسَّلامَةِ وَرَدْتُ، ومعي السَّنَةُ الْجَديدَةُ. ثُمَّ يَجْلِسُ، وَيَدْخُلُ بَعْدَهُ رَجُلٌ معه طَبَقٌ من فِضَّةٍ، وفيه حِنْطَةٌ وشَعيرٌ وجُلُبَّانٌ وَذُرَةٌ وحِمِّصٌ وسِمْسِمٌ وأُرْزٌ، من كُلٍّ سَبْعُ سَنابِلَ وسَبْعُ حَبَّاتٍ، وَقِطْعَةُ سُكَّرٍ وَدينارٌ وَحُزُمٌ جُدُدٌ، فَيَضَعُ الطَّبَقَ بين يَدَيِ الْمَلِكِ، ثُمَّ تَدْخُلُ عليه الْهَدايا يَبْتَدِئُ من الْوَزيرِ، ثُمَّ النَّاسِ على قَدْرِ مَراتِبِهِمْ، ثُمَّ يُقَدِّمُ الْمَلِكُ رَغِيفًا كَبيرًا مَصْنوعًا من تلك الْحُبوبِ، فَيأْكُلُ منه، وَيُطْعِمُ من حَضَرَهُ، ثُمَّ يَقولُ: هذا يَوْمٌ جَديدٌ، من شَهْرٍ جَديدٍ، من عامٍ جَديدٍ، من زَمانٍ جَديدٍ، يَحْتاجُ أن يُجَدَّدَ فيه ما أَخْلَقَ الزَّمانُ، وأحَقُّ النَّاسِ بالْفَضْلِ والْإِحْسانِ الرَّأْسُ لِفَضْلِهِ على سائِرِ الْأَعْضاءِ، ثُمَّ يَخْلَعُ على وُجوهِ دَوْلَتِهِ وَيَصِلُهُمْ، وَيُفَرِّقُ عليهم ما حُمِلَ إليه من الْهَدايَا[1].

وَكانَ من عادَةِ الْفُرْسِ في عِيدِهِمْ، أن يَدَّهِنَ الْمَلِكُ بِدُهْنِ الْبانِ تَبَرُّكًا، وَيَلْبَسَ الْقَصَبَ وَالْوَشْيَ، وَيَضَعَ على رَأْسِهِ تاجًا فيه صورَةُ الشَّمْسِ، ويكونَ أوَّلَ من يَدْخُلُ عليه الْمُوبَذانُ[2] بِطَبَقٍ عليه أُتْرُجَّةٌ وَقِطْعَةُ سُكَّرٍ وَنَبْقٌ وَسَفَرْجَلٌ وَتُفَّاحٌ وَعُنَّابٌ وَعُنْقودُ عِنَبٍ أَبْيَضَ، وَسَبْعُ باقاتِ آسٍ. ثُمَّ يَدْخُلُ النَّاسُ مِثْلَ الْأَوَّلِ على طَبَقاتِهِمْ.

ومن عادَتِهِمْ في يَوْمِ النَّيْروزِ، أَنَّهُمْ يَجْمَعونَ بين سَبْعَةِ أشْياءَ، أَوَّلُ أَسْمائِهِمْ سِيناتٌ، يَأْكُلونَها.

---

(1) نهاية الأرب للنويري: 1/ 186، وصبح الأعشى: 2/ 446.

(2) المُوبَذانُ، بضم الميم وفتح الباءِ: فَقيهُ الفُرْسِ، وحاكِمُ الْمَجوسِ. القاموس: 339.

وهي: السُّكَّرُ، والسِّمْسِمُ، والسَّميدُ، والسَّفَرْجَلُ، والسُّمَّاقُ[1]، والسَّذابُ[2]، والسَّقَنْقورُ[3].

وَعاداتُ النَّاسِ في الْأَعْيادِ خارِجٌ عن حَدِّ التَّعْدادِ. ولْنَكْتَفِ بهذا الْقَدْرِ، إذ الْغَرَضُ الْمِثالُ، لا الِاسْتِيفاءُ في الْأَمْثالِ.

عِلْمُ مَواقِيتِ الصَّلاةِ

عِلْمٌ يُتَعَرَّفُ منه أَوْقاتُ الصَّلَواتِ الْخَمْسِ على الْوَجْهِ الْوارِدِ في الشَّرْعِ.

وهذا الْعِلْمُ فُرِضَ عِلْمُهُ تَقْريبًا، لأنَّ ما لا يَتِمُّ الْواجِبُ الْمُطْلَقُ إلَّا به - وهو مَقْدورٌ لِلْمُكَلَّفِ - فهو واجِبٌ.

وأمَّا عِلْمُهُ التَّحْقِيقِيُّ، فَفُرِضَ في الْبَلَدِ من يَعْرِفُهُ، فَيَكونُ من فُروضِ الْكِفاياتِ.

عِلْمُ وَضْعِ الْأُسْطُرْلابِ

هو عِلْمٌ باحِثٌ عن كَيْفِيَّةِ وَضْعِ الْأُسْطُرْلابِ، وَمَعْرِفَةِ صَنْعَةِ خُطوطِهِ على الصَّفائِحِ، وَمَعْرِفَةِ كَيْفِيَّةِ الْوَضْعِ في كُلِّ عَرْضٍ من الْأَقاليمِ.

---

(1) السُّمّاقُ: حبَّة حامِضَةُ الَّتِي يُقَالُ لَهَا العَبْرَبُ، الْوَاحِدَةُ سُمّاقَةٌ. اللسان: سمق.

(2) السَّذابُ: هذا البَقْلُ المعروف فارسيٌّ معرَّبٌ، وعربيُّه الصحيحُ: الفَيْجَلُ والفَيْجَنُ. التكملة والذيل والصلة للصغاني: 1/ 155.

(3) والسقنقور: حيوان بحري ينفع أكله إذا اصطادوه في أيام هياجه وسفاده؛ لأنّ العاجز عن النّساء يتعالج بأكل لحمه، فصار لحم الهائج أهيج له. الحيوان: 7/ 133.

وقد يُعْمَلُ أُسْطُرْلابٌ شامِلٌ لِجَميعِ الْبِلادِ، وهذا عَظيمُ النَّفْعِ جِدًّا.

عِلْمُ عَمَلِ الْأُسْطُرْلابِ

عِلْمٌ يُتَعَرَّفُ منه كَيْفِيَّةُ اسْتِخْراجِ الْأَعْمالِ الْفَلَكِيَّةِ من الْأُسْطُرْلابِ بِطُرُقٍ خاصَّةٍ مُبَيَّنَةٍ في كُتُبِها.

وهذا أيْضًا عِلْمٌ نافِعٌ يُسْتَخْرَجُ منه كَثِيرٌ من الْأعْمالِ، من مَعْرِفَةِ ارْتِفاعِ الشَّمْسِ، وَمَعْرِفَةِ الْمَطالِعِ والطَّوالِعِ، ومَعْرِفَةِ أَوْقاتِ الصَّلَواتِ[1]، وَسَمْتِ الْقِبْلَةِ، ومَعْرِفَةِ طولِ الْأَشْياءِ بِالذِّراعِ وَعَرْضِها، إلى غَيْرِ ذلِكَ.

عِلْمُ وَضْعِ رُبُعِ الدَّائِرَةِ الْمُجَيَّبِ والْمُقَنْطَراتِ

وتَعْرِيفُهُ وَمَوْضوعُهُ: يُعْرَفُ بِالْقِياسِ إلى وَضْعِ الْأُسْطُرْلابِ.

عِلْمُ عَمَلِ رُبُعِ الدَّائِرَةِ

والْكَلامُ فيها كَالْكَلامِ في الْأُسْطُرْلابِ، لكنَّ طُرُقَ صَنْعَتِها وعَمَلِها غَيْرُ طُرُقِ الْأُسْطُرْلابِ، كما لا يَخْفَى على أولِي الْأَلْبابِ. وكَذَا الْحالُ في سائِرِ الْآلاتِ، مِثْلَ الْعَصا، والزُّرْقالَةِ[2]، والشّكازِيَّةِ[3]، وأَمْثالِهَا.

---

(1) الصلاة، في قونية.

(2) آلة منسوبة إلى الفلكي الأندلسي المشهور إبراهيم بن يحيى التجيبي النقاش، أبي إسحاق المعروف بابن الزُّرْقالَةِ (ت.493هـ).

(3) لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف الجادري (ت.818هـ) كتاب في العمل بالأسطرلاب والصفيحة الشكازية والربع بالحساب والجدول.

عِلْمُ آلاتِ السَّاعَةِ

من الصَّنادِيقِ، والضَّوارِبِ، وأَمْثالِ ذلِكَ. وتَفاصِيلُها لا يَحْتَمِلُها هذا الْمُخْتَصَرُ، وَرَأَيْتُ فيها مُجَلَّداتٍ عَظيمَةً. والْغَرَضُ ها هنا التَّنْبيهُ على إجْمالِها.

وَنَفْعُ هذا الْعِلْمِ بَيِّنٌ لِكُلِّ أَحَدٍ حتَّى الْعَوامِّ. واللهُ ولِيُّ التَّوْفيقِ وَالْإِعْلامِ، ومنه الْهِدايَةُ والْإِلْهامُ.

الشُّعْبَةُ التَّاسِعَةُ: في فُروعِ عِلْمِ الْعَدَدِ وقد تُسَمَّى بِعِلْمِ الْحِسابِ

وهو عِلْمٌ يُتَعَرَّفُ منه كَيْفِيَّةُ مُزاوَلَةِ الْأَعْدادِ، لِاسْتِخْراجِ الْمَعْلوماتِ الْحِسابِيَّةِ، من الْجَمْعِ، والتَّفْرِيقِ، والتَّناسُبِ، والضَّرْبِ، والْقِسْمَةِ.

وَمَنْفَعَتُهُ: ضَبْطُ الْمُعامَلاتِ، وَحِفْظُ الْأَمْوالِ، وَقَضاءُ الدُّيونِ، وَقِسْمَةُ التَّرِكاتِ بين الشُّرَكاءِ وَغَيْرُها. ويُحْتاجُ إليه في الْعُلومِ الْفَلَكِيَّةِ وفي الْمِساحَةِ والطِّبِّ. وقيلَ: يُحْتاجُ إليه في جَميعِ الْعُلومِ[1].

وَبِالْجُمْلَةِ، لا يَسْتَغْنِي عنه مَلِكٌ، ولا عالِمٌ، ولا سوقَةٌ، وَزادَ شَرَفًا بِقَوْلِهِ تعالى: ﴿وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾[2]. وقَوْلِهِ تَعالى: ﴿لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾[3]. وَقَوْلِهِ تَعالى: ﴿فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ﴾[4].

وَلِعِلْمِ الْحِسابِ فُروعٌ كَثيرَةٌ نَذْكُرُها هاهُنا.

عِلْمُ حِسابِ التَّخْتِ والْمَيْلِ

عِلْمٌ يُتَعَرَّفُ منه كَيْفِيَّةُ مُزاوَلَةِ الْأَعْمالِ الْحِسابِيَّةِ بِرُقومٍ تَدُلُّ على الْآحادِ، وَتُغْنِي عَمَّا عَداها بِالْمَراتِبِ، وَتُنْسَبُ هذه الْأَرْقامُ إلى الْهِنْدِ.

---

(1) ينظر رسالة في موضوعات العلوم للبيضاوي: 108.

(2) سورة الأنبياء، الآية: 47.

(3) سورة يونس، الآية: 5.

(4) سورة المؤمنون، الآية: 113. ينظر إرشاد القاصد: 212.

وَمَنْفَعَتُهُ: تَسْهيلُ الْأَعْمالِ الْحِسابِيَّةِ وسُرْعَتُها، خُصوصًا الْفَلَكِيَّةَ[1].

وَمِنَ الْكُتُبِ الشَّامِلَةِ فيه:

كِتابُ خَواجَةَ نَصيرِ الدِّينِ الطُّوسِيِّ.

ولِأَهْلِ الْمَغْرِبِ طُرُقٌ يَنْفَرِدونَ بها في الْأَعْمالِ الْجُزْئِيَّةِ، فمنها قَرِيبَةُ الْمَأْخَذِ؛ كَطُرُقِ ابْنِ الْياسَمِينِ[2]، ومِنْها [طُرُقٌ][3] بَعِيدَةٌ؛ كَطُرُقِ الْحَصَّارِ[4].

ولِابْنِ الْهَيْثَمِ كِتابٌ يُبَرْهِنُ فيه على أُصولِ أَعْمالِهِ بِبَراهينَ عَدَدِيَّةٍ[5].

ومن الْكُتُبِ النَّافِعَةِ في هذا الْعِلْمِ:

"كِتابُ الْمُحَمَّدِيَّةِ"[6]، لِمَوْلانا عَلِيِّ بنِ مُحَمَّدٍ الْقَوْشَجِيِّ؛ وكِتابُ الْمُخْتَصَرِ الصَّلاحِيِّ[7]، وَشَرْحُهُ، وغَيرُ ذلِكَ، مِمَّا لا يُعَدُّ ولا يُحْصَى.

---

(1) إرشاد القاصد: 213.

(2) عبد الله بن محمد بن حجاج، أبو محمد المعروف بابن الياسمين، عالم مغربي حيسوبي، (ت.601هـ). ترجمته في: الغصون اليانعة: 42، سلم الوصول: 2/ 207، هدية العارفين: 5/ 408.

(3) زيادة من أنطاليا وعاطف أفندي.

(4) أبو بكر محمد بن عبد الله بن عيَّاش الْحَصَّارُ من أهل القرن السادس، ينظر: إرشاد القاصد: 213، ذكر له صاحب كشف الظنون: 1/ 263 كتاب البيان والتَّذكار في علم مسائل الغبار، أو الكتاب الصغير، من نسخة خطية في خزانة ابن يوسف. وله كتاب الكامل في صناعة العدد أو الكتاب الكبير. ينظر ما كتبه محمد أبلاغ وجبار أحمد في اكتشاف السفر الأول من كتاب الكامل في صناعة العدد.

(5) عديدة، في رئيس الكتاب.

(6) رسالة في علم الحساب أَلَّفها لسلطان الروم محمد خان. ينظر: الشقائق النعمانية: 97.

(7) للصلاحي، في رئيس الكتاب ومراد ملا. ينظر: إرشاد القاصد: 213.

عِلْمُ الْجَبْرِ والْمُقابَلَةِ

عِلْمٌ يُتَعَرَّفُ منه كَيْفِيَّةُ اسْتِخْراجِ الْمَجْهولاتِ الْعَدَدِيَّةِ بِمُعادَلَتِها [لِمَعْلوماتٍ][1] تَخُصُّها.

ومَعْنَى الْجَبْرِ: زِيادَةُ قَدْرِ ما نَقَصَ في الْجُمْلَةِ الْمُعادِلَةِ، بِالِاسْتِثْناءِ في الْجُمْلَةِ الْأُخْرى لِتَتَعادَلا.

وَمَعْنى الْمُقابَلَةِ: إِسْقاطُ الزائِدِ من إِحْدَى الْجُمْلَتَيْنِ لِلتَّعادُلِ.

وَمَنْفَعَتُهُ: اسْتِعْلامُ الْمَجْهولاتِ الْعَدَدِيَّةِ إذا كانَتْ مَعْلومَةَ الْعَوارِضِ، وَرِياضَةُ الذِّهْنِ[2].

ومن الْكُتُبِ الْمُخْتَصَرَةِ فيه:

"**نِصابُ الْجَبْرِ**"، لابْنِ فَلُّوسٍ الْمارِدِينِيِّ[3]، و"**الْمُفيدُ**"[4]، لابْنِ مُحَلَّى الْمَوْصِلِيِّ.

ومن الْمُتَوَسِّطَةِ:

"**كِتابُ الظَّفَرِ**"، لِلطُّوسِيِّ[5].

---

(1) سقطت من أنطاليا.

(2) إرشاد القاصد: 214.

(3) إِسْمَاعِيل بن إِبْرَاهِيم بن غَازِي بن عَليّ بن مُحَمَّد النميري الماردينى الْحَنَفِيّ الْمَعْرُوف بِابْن فلوس هُوَ شمس الدّين فَاضل مبرز فِي فنون الْحِكْمَة وعلوم الْأَوَائِل (ت.637هـ)، ينظر: إرشاد القاصد: 214، الوافي بالوفيات: 9/ 41، صبح الأعشى: 1/ 562.

(4)إرشاد القاصد: 214، صبح الأعشى: 1/ 562.

(5)المصدر نفسه: 214، المصدر نفسه: 1/ 562.

ومن الْمَبْسوطَةِ:

"جامِعُ الأُصولِ"، لابْنِ الْمُحَلَّى؛ والْكامِلُ[1] لأبي شُجاعِ بْنِ أَسْلَمَ. وبَرْهَنَ السَّمَوْأَلُ[2] على مَسائِلِهِ بِالْبَراهينِ الْعَدَدِيَّةِ. وَبَرْهَنَ عليها الخَيَّامُ[3] بِالْبَراهينِ الْهَنْدَسِيَّةِ. و**"أرْجوزَةُ ابْنِ الْياسَمينِ"**، وَشَرْحُهُ مُخْتَصَرٌ نافِعٌ، أَوْرَدَ فيها ما لا بُدَّ منه.

ومن الرَّسائِلِ الْوافِيَةِ بِالْمَقْصودِ: **رِسالَةُ شَرَفِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بنِ مَسْعودِ ابنِ مُحَمَّدٍ الْمَسْعودِيِّ**[4].

عِلْمُ حِسابِ الْخَطَأَيْنِ

عِلْمٌ يُتَعَرَّفُ منه اسْتِخْراجُ الْمَجْهولاتِ الْعَدَدِيَّةِ، إذا أَمْكَنَ صَيْرورَتُها في أَرْبَعَةِ أعْدادٍ مُتَناسِبَةٍ.

---

(1) كذا في النسخ، ولعله وهم ناسخ لا راسخ، وأبو كامل شجاع بن أسلم بن محمد بن شجاع الحاسب من أهل مصر، وكان عالما فاضلا حاسبا، (ت.نحو340هـ). ينظر: الفهرست: 2/ 253، إخبار العلماء بأخبار الحكماء: 180، إرشاد القاصد: 214، وله في هذا **كتاب الجبر والمقابلة**، ذكره صاحب **الفهرست**، وقد طبع بحلب سنة 2003.

(2) السموأل بن يحيى بن عَبَّاس المغربي، كَانَ فَاضلا فِي الْعُلُوم الرياضية عَالما بصناعة الطِّبّ، له رسائل فِي الْجَبْر والمقابلة، (ت.580هـ). ينظر: إخبار العلماء بأخبار الحكماء: 209، عيون الأنباء في طبقات الأطباء: 471، إرشاد القاصد: 214.

(3) عمر بن إبراهيم الخيام النيسابوريّ، أبو الفتح، صاحب الرباعيات، كان حكيما، والغالب عليه علم الهندسة، (ت.515هـ)،. إخبار العلماء بأخبار الحكماء: 186.

(4) أبو المحامد شرف الدين محمد بن مسعود بن محمد المسعودي الغزنوي البخاري الفلكي الحيسوبي، (ت.550هـ). ينظر: كشف الظنون: 1/ 857، الذريعة في تصانيف الشيعة: 18/ 90.

وَمَنْفَعَتُهُ: نَحْوَ مَنْفَعَةِ الْجَبْرِ والْمُقابَلَةِ، إلَّا أنَّهُ أَقَلُّ عُمومًا منه، وَأَسْهَلُ عَمَلًا. وإنَّما سُمِّيَ حِسابَ الْخَطَأَيْنِ، لأنَّهُ يُفْرَضُ الْمَطْلوبُ فيه شَيْئًا ويُخْتَبَرُ، فإنْ وافَقَ فذاكَ، وإلَّا حُفِظَ ذلكَ الْخَطَأُ وَفُرِضَ الْمَطْلوبُ شَيْئًا آخَرَ وَيُخْتَبَرُ، فإنْ وافَقَ، فذاكَ، وإلا حُفِظَ الْخَطَأُ الثَّانِي، وَيُسْتَخْرَجُ الْمَطْلوبُ منهما، ومن الْمِقْدارَيْنِ الْمَفْروضَيْنِ.

وَعَلَى هذا إذا اتَّفَقَ وُقوعُ الْمَسْأَلَةِ أَوَّلًا في أَرْبَعَةِ أعْدادٍ مُتَناسِبَةٍ، أَمْكَنَ اسْتِخْراجُها بِخَطَإٍ واحِدٍ.

ومن الْكُتُبِ الْكافِيَةِ فيه:

كِتابٌ لِزَيْنِ الدِّينِ الْمَغْرِبِيِّ، وبَرْهَنَ ابْنُ الْهَيْثَمِ على طُرُقِهِ[1].

عِلْمُ حِسابِ الدَّوْرِ والْوَصايَا

عِلْمٌ يُتَعَرَّفُ منه مِقْدارُ ما يوصَى به إذا تَعَلَّقَ بِدَوْرٍ في بادِئِ النَّظَرِ.

مِثالُهُ: رَجُلٌ وَهَبَ لِمُعْتَقِهِ في مَرَضِ مَوْتِهِ مِئَةَ دِرْهَمٍ، لا مالَ له غَيْرَها، فَقَبَضَها وماتَ قَبْلَ سَيِّدِهِ، وَخَلَّفَ بِنْتًا والسَّيِّدَ الْمَذْكورَ. ثُمَّ ماتَ السَّيِّدُ، فَظاهِرُ الْمَسْأَلَةِ أنَّ الْهِبَةَ تُمْضَى من الْمِئَةِ في ثُلُثِها، فإذا ماتَ الْمُعْتَقُ، رَجَعَ إلى السَّيِّدِ نِصْفُ الْجائِزِ بِالْهِبَةِ، فَيَزْدادُ مالُهُ، فَيَزْدادُ مالُ الْمُعْتَقِ، فَيَزْدادُ مالُ السَّيِّدِ من إرْثِهِ، وهَلُمَّ جَرًّا.

(1) إرشاد القاصد: 215.

وبِهذا الْعِلْمِ يَتَعَيَّنُ مِقْدارُ الْجائِزِ بِالْهِبَةِ. وظاهِرٌ أنَّ مَنْفَعَةَ هذا الْعِلْمِ جَليلَةٌ، وإنْ كانَتِ الْحاجَةُ إليه قَليلَةً[1].

ومن كُتُبِهِ:

كِتابٌ لِأَفْضَلِ الدِّينِ الْخُونَجِيِّ[2].

عِلْمُ حِسابِ الدِّرْهَمِ والدِّينارِ

عِلْمٌ يُتَعَرَّفُ منه اسْتِخْراجُ الْمَجْهولاتِ الْعَدَدِيَّةِ التي تَزيدُ عِدَّتُها على الْمُعادَلاتِ الْجَبْرِيَّةِ؛ ولهذه الزِّيادَةِ لَقَّبُوا تلك الْمَجْهولاتِ بِالدِّرْهَمِ والدِّينارِ والْفِلْسِ، وغيرِ ذلكَ.

وَمَنْفَعَتُهُ كَمَنْفَعَةِ الْجَبْرِ والْمُقابَلَةِ، فيما يَتَكَثَّرُ[3] فيه أَجْناسُ الْمُعادَلَةِ.

ومن الْكُتُبِ فيه:

كِتابُ لابْنِ فَلُّوسٍ الْمارِدِينِيِّ، والرِّسالَةُ لِلْمَغْرِبِيِّ، و"**الرِّسالَةُ الشَّامِلَةُ**"، لِلْخَرَقِيِّ[4]؛ و"**الْكافِي**" لِلسَّمَوْأَلِ الْمَغْرِبِيِّ.

---

(1) إرشاد القاصد: 216.

(2) المصدر نفسه: 216.

(3) تكثر، في المصدر نفسه: 217.

(4) محمد بن أحمد بن أبي بشر المروزي، الحنفي، المعروف بالْخَرَقِيِّ شمس الدين، أبو بكر، (نسبة إلى خَرَق قرية قرب مرو)، رياضي فلكي، (ت.533هـ). ينظر المصدر نفسه: 217.

عِلْمُ حِسابِ الْفَرائِضِ

عِلْمٌ يُتَعَرَّفُ منه قَوانِينُ تَتَعَلَّقُ بِحِسابِ الْفَرائِضِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِقِسْمَةِ التَّرِكَةِ. وهذا وإنْ كانَ من فُروعِ الْعُلومِ الشَّرْعِيَّةِ لِتَعَلُّقِهِ بِالْفَرائِضِ، لكنَّهُ من حيث كَوْنُهُ قَواعِدَ حِسابِيَّةً يَكونُ من فُروعِ عِلْمِ الْعَدَدِ[1].

وتَفاصيلُ هذا الْعِلْمِ مُسْتَوْفاةٌ في كُتُبِ الْفَرائِضِ. وَسَنَذْكُرُها في عِلْمِ الْفَرائِضِ إن شاءَ اللهُ تعالى.

عِلْمُ حِسابِ الْهَواءِ

وهو عِلْمٌ يُتَعَرَّفُ منه كَيْفِيَّةُ حِسابِ الْأَمْوالِ الْعَظيمَةِ من الْخَيالِ بلا كِتابَةٍ. ولها طُرُقٌ خاصَّةٌ، وَقَوانينُ عَجيبَةٌ. وهذا عَظيمُ النَّفْعِ لِلتُّجّارِ في الْأَسْفارِ، وفي مَواضِعَ لا تَتَيَسَّرُ فيها الْكِتابَةُ.

وَأَعْظَمُ **مَنافِعِها** لِأَهْلِ السُّوقِ من الْعَوامِّ الَّذينَ لا يَعْرِفونَ الْكِتابَةَ أَصْلًا، وَلِلْخَواصِّ إذا عَجَزوا عن إِحْضارِ آلاتِ الْكِتابَةِ.

وفي هذا الْعِلْمِ رَسائِلُ شَريفَةٌ يَعْرِفُها أَهْلُها.

ومن الْكُتُبِ الْمُخْتَصَرَةِ فيه:

كِتابٌ لابْنِ مُحَلَّى الْمَوْصِلِيِّ، ومُخْتَصَرٌ لابْنِ فَلُّوسٍ الْمارِدِينِيِّ، ومُخْتَصَرٌ لِلسَّمَوْأَلِ بن يَحْيى الْمَغْرِبِيِّ.

---

(1) ينظر رسالة في العلوم الشرعية والعربية: 55.

ومن الْمَبْسوطَةِ:

"**الْكافِي**"، و"**الْكامِلُ**"، لأبي القاسم ابن السَّمْحِ[1]؛ و"**شَرْحُ شَمْسِيَةِ الْحِسابِ**"، و"**شَرْحُ مُخْتَصَرِ الصَّلاحِيِّ**"، و"**أَساسُ الْقَواعِدِ في شَرْحِ أُصولِ الْفَوائِدِ الْبَهائِيَّةِ**"، لِكَمالِ الدِّينِ حَسَنٍ الْفَارِسِيِّ[2]؛ وغيرُ ذلكَ مما لا يَدْخُلُ تَحْتَ الضَّبْطِ.

عِلْمُ حِسابِ الْعُقودِ

وَالْمُرادُ بِالْعُقودِ، عُقودُ الْأَصابِعِ. وقد وَضَعُوا كُلًّا منها بِإزاءِ أَعْدادٍ مَخْصوصَةٍ، ثُمَّ رَتَّبوا لِأَوْضاعِ الْأَصابِعِ آحاداً وَعَشَراتٍ وَمِئاتٍ وأُلوفًا، حتى وَضَعوا قَواعِدَ يُتَعَرَّفُ بها حِسابٌ يُمْكِنُ بها مَعْرِفَةُ عَشْرَةِ آلافٍ بيدٍ واحِدَةٍ.

وهذا عَظيمُ النَّفْعِ لِلتُّجَّارِ، سِيَّمَا عند اسْتِعْجامِ كُلٍّ من الْمُتَبايِعَيْنِ لِسانَ الْآخَرِ، وعند عَدَمِ حُضورِ آلاتِ الْكِتابَةِ. والْعِصْمَةُ عن الْخَطَإِ في هذا الْعِلْمِ أَكْثَرُ من حِسابِ الْهَواءِ.

وكانَ هذا الْعِلْمُ يَسْتَعْمِلُهُ الصَّحابَةُ رِضْوانُ الله تَعالى عليهم أَجْمَعينَ. كما وَقَعَ في الْحَديثِ، في كَيْفِيَّةِ وَضْعِ الْيَدِ على الْفَخِذَيْنِ في التَّشَهُّدِ، أَنَّهُ عَقَدَ

---

(1) أصبغ بن محمد بن السمح المهري الغرناطي، أبو القاسم، كَانَ محققا لعلم الْعدد والهندسة مُتَقَدما في علم هَيْئَةِ الأفلاك وحركات النُّجُومِ، وله اهتمام بالطب (ت.426هـ)، ينظر: عيون الأنباء: 2/ 185.

(2) الحسن بن علي بن الحسن الفارسي الشيرازي، أبو محمد، الحكيم المهندس، (ت. 719هـ)، ينظر: مجمع الآداب في معجم الألقاب: 4/ 138-139.

خَمْسًا وَخَمْسينَ[1]، يَعْنِي: أنَّ النَّبِيَّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ، عَقَدَ أَصابِعَ الْيَدِ غيرِ السَّبَّابَةِ والإِبْهامِ، وَحَلَّقَ الإِبْهامَ مَعَهَا[2].

وهذا الشَّكْلُ في عِلْمِ الْعُقودِ دالٌّ على الْعَدَدِ الْمَذْكورِ. فَراوِي الْحَديثِ، ذَكَرَ مَدْلولَ ذلك الْوَضْعِ في الأصابِعِ، وَأرادَ دَالَّهُ؛ أَعْنِي الْهَيْئَةَ الْمَوْضوعَةَ لِلْعَدَدِ الْمَذْكورِ؛ وهذا دَليلٌ على شُيوعِ عِلْمِ الْعُقودِ عِنْدَهُمْ.

وكذا السَّلَفُ، لَمَّا ذَكَروا أَقْسامَ الدَّلالاتِ من أَنَّها طَبيعِيَّةٌ، أو وَضْعِيَّةٌ؛ وكُلٌّ منهما إِمَّا لَفْظِيَّةٌ، أو غَيْرُ لَفْظِيَّةٍ. مَثَّلُوا لِلطَّبيعِيَّةِ اللَّفْظِيَّةِ كَلِمَةَ: (أُحْ)؛ بِضَمِّ الْهَمْزَةِ، وَسُكونِ الْمُهْمَلَةِ، الدَّالَّةِ على السُّعالِ ـ وهو وَجَعُ الصَّدْرِ ـ وَبِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَسُكونِ الْمُعْجَمَةِ، دالَّةٌ على اللَّذَّةِ، وَبِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وسُكونِ الْمُعْجَمَةِ أيْضًا دالَّةٌ على الْوَجَعِ. وَمَثَّلُوا لِلطَّبيعِةِ[3] غَيْرِ اللَّفْظِيَّةِ بِحَرَكَةِ النَّبْضِ.

وَمَثَّلُوا لِلْوَضْعِيَّةِ[4] اللَّفْظِيَّةِ بِالأَلْفاظِ الْمُسْتَعْمَلَةِ. وَمَثَّلُوا لِلْوَضْعِيَّةِ غيرِ اللَّفْظِيَّةِ بِالْخُطوطِ والْعُقودِ والإِشاراتِ والنُّصُبِ.

وَأَرادُوا بِالْخُطوطِ، نُقوشَ الْكِتابَةِ، فإِنَّها لَيْسَتْ بِلَفْظٍ، ومَوْضوعَةٌ بإِزاءِ الأَلْفاظِ.

وَأَرادُوا بِالإِشاراتِ: الإِشارَةَ بِالْيَدِ والشَّفَةِ والْحاجِبَيْنِ وَأَمْثالَها.

---

(1) ثلاثا وخمسين، في أنطاليا.

(2) الحديث في مسند الإمام أحمد: 31/ 168، رقم: 18876، سنن النَّسائي: 3/ 35، رقم: 1265.

(3) بالطبيعية، في قونية وأنطاليا.

(4) بالوضعية، في قونية وأنطاليا.

وَبِالنُّصُبِ: الْأَحْجارَ الْمَنْصوبَةَ لِلدَّلالَةِ على مَوْضِعِ الْعُبورِ في الْأَنْهارِ الْعِظامِ، وعلى مَوْضِعِ تَمْييزِ الْأَراضِي بَعْضِها عن بَعْضٍ. وَأرادُوا بِالْعُقودِ، عُقودَ الْأَصابِعِ الْمَوْضوعِ كُلٌّ منها بِإزاءِ عَدَدٍ مَخْصوصٍ.

وفي هذا الْعِلْمِ **"أُرْجوزَةٌ لابْنِ الْحَرْبِ"**(1)، أَوْرَدَ فيها مِقْدارَ الْحاجَةِ. وفيها **رِسالَةٌ لِشَرَفِ الدِّينِ الْيَزْدِيِّ**(2)، أَوْرَدَ فيها قَدْرَ الْكِفايَةِ. وسَمِعْتُ في هذا الْعِلْمِ كِتابًا مُطَوَّلًا لكن ما رَأَيْتُهُ.

عِلْمُ أَعْدادِ الْوَفْقِ

وَالْوَفْقُ: جَداوِلُ مُرَبَّعَةٌ لها بُيوتٌ مُرَبَّعَةٌ، يوضَعُ في تلك الْبُيوتِ أرْقامٌ عَدَدِيَّةٌ، أو حُروفٌ بَدَلَ الْأَرْقامِ، بِشَرْطِ أنْ تَكونَ أَضْلاعُ تلك الْجَداوِلِ وَأَقْطارُها مُتَساوِيةً في الْعَدَدِ، وأن لا يوجَدَ عَدَدٌ مُكَرَّرٌ في تلك الْبُيوتِ.

وذَكَروا أنَّ لِاعْتِدالِ الْأَعْدادِ خَواصَّ فائِضَةً من روحانِيَّةِ تلك الْأَعْدادِ أو الْحُروفِ، وَيَتَرَتَّبُ عليها آثارٌ عَجيبَةٌ، وتَصَرُّفاتٌ غَريبَةٌ، بِشَرْطِ اخْتِيارِ أَوْقاتٍ مُناسِبَةٍ، وساعاتٍ شَريفَةٍ.

---

(1) محمد بن حرب النحوي الحلبي، أبو المرجى، أحد أعيان حلب والمشهورين منهم بعلم الأدب، (ت.580هـ)، نسبت إليه أرجوزة في مخارج الحروف. ترجمته في: معجم الأدباء: 6/ 2483، الوافي بالوفيات: 2/ 327، بغية الوعاة: 1/ 75.

(2) علي بن أبي بكر بن علي شرف الدين اليزدي، ذكره صاحب سلم الوصول:5/ 59 دون ذكر تاريخ وفاته، ولم ينسب إليه هذا الكتاب.

وفي هذا الْعِلْمِ كُتُبٌ كَثِيرَةٌ نافِعَةٌ في الْغايَةِ، مَعْروفَةٌ عند أَهْلِ هذا الشَّأْنِ، وهذا الْعِلْمُ من فُروعِ عِلْمِ الْعَدَدِ، من حيث حِسابُ الْأَعْدادِ، ومن فُروعِ عِلْمِ الْخَواصِّ من حَيْثُ آثارُهُ ومَنافِعُهُ. وَسَتَسْمَعُ عِلْمَ الْوَفْقِ، وكذا عِلْمَ الْحُروفِ والتَّكْسِيرِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى عند ذِكْرِ عِلْمِ الْخَواصِّ عند ذِكْرِ مُقَطَّعاتِ السُّوَرِ.

وأَحْسَنُ كُتُبِ هذا الْفَنِّ:

كِتابُ "**شَمْسُ الْآفاقِ في عِلْمِ الْحُروفِ والْأَوْفاقِ**"[1]، و"**كَيْفِيَّةُ الِاتِّفاقِ في تَرْكيبِ الْأَوْفاقِ**"[2]، و"**بَحْرُ الْوُقوفِ في عِلْمِ الْأَوْفاقِ والْحُروفِ**"[3].

وَالْكُتُبُ في هذا الْفَنِّ كَثيرَةٌ، تَفوقُ مِئَةَ مُصَنَّفٍ على ما رَأَيْتُهُ وَسَمِعْتُهُ، بل هذا الْعِلْمُ بَحْرٌ لا ساحِلَ له، إذ يَنْتَهِي إلى عِلْمِ الْمُكاشَفَةِ الذي غَرِقَ في بِحارِهِ عُقولُ الْعُلماءِ والْحُكَماءِ.

---

(1) صاحبه هو عبد الرحمن بنُ عَليِّ بنِ أَحْمَدَ الْبِسْطامِيُّ مشربا، والحنفي مذهبا، والأنطاكي مولدا، كان عالما بِالْحَدِيثِ وَالتَّفْسِير وَالْفِقْه، عَارِفًا بخواص الْحُرُوف وَعلم الوفق والتكسير، وَله يَد طولى في معرفة الجفر وَالْوُقُوف على التواريخ، (ت.858هـ). ترجمته في الشقائق النعمانية: 31، كشف الظنون: 2/ 1061، هدية العارفين: 1/ 531، والكتاب مطبوع.

(2) رواها سليمان بن سعيد الكيساني في الموضوعات، كذا ذكر صاحب كشف الظنون: 2/ 1525.

(3) لأحمد بن علي بن يوسف، أبي العباس البوني (ت.622هـ) صاحب المصنفات الكثيرة في علم الأوفاق وأسرار الحروف، ينظر: كشف الظنون: 1/ 227، سلم الوصول: 1/ 184، هدية العارفين: 1/ 90.

عِلْمُ خَواصِّ الْأَعْدادِ الْمُتَحابَّةِ والْمُتَباغِضَةِ

واعْلَمْ أنَّ كَنكَه الْمَلِكَ[1] ـ من حُكَماءِ الْهِنْدِ ـ اسْتَنْبَطَ الْأَعْدادَ الْمُتَحابَّةَ، وذَكَرَ أنَّها إذا وُضِعَتْ في طَعامٍ، أو شَرابٍ، أو غَيْرِ ذَلِكَ مما يَسْتَعْمِلُهُ شَخْصانِ، تَأَلَّفَ بينهما مَحَبَّةٌ عَجيبَةٌ، وإنْ رَسَمْتَها على ثَوْبِكَ لم يُفارِقْكَ. والْعَدَدُ الْأَصْغَرُ منها: (كر)، وَالْعَدَدُ الْأَكْبَرُ منها: (دفر)، وَتَرْسُمُها بِرَسْمِ قَلَمِ الْغُبارِ، وَتُعْطي الْأَصْغَرَ من شِئْتَ، وَتَأْكُلُ أنتَ الْأَكْبَرَ، فإنَّ الْأَصْغَرَ يُطيعُ الْأَكْبَرَ بِخاصِّيَةٍ ظَريفَةٍ. وَيُسْتَعْمَلُ في الزَّبيبِ، وَحَبِّ الرُّمَّانِ وَأَشْباهِهَا من الْفاكِهَةِ عَدَدًا لا رَسْمًا.

ثُمَّ إنَّ أفْلاطونَ الْإِلَهِيَّ، بَيَّن خَواصَّ الْأَعْدادِ الْمُتَحابَّةِ والْمُتَباغِضَةِ، وذَكَرَ أَنَّهُ لو كُتِبَ الْأَعْدادُ الْمُتَحابَّةُ في كُوزٍ لم يَمَسَّهُ الْماءُ، وَشَرِبَ منه شَخْصانِ، فإنَّهُ يَتَوَلَّدُ بينهما مَحَبَّةٌ أَكيدَةٌ لم يُعْهَدْ ذلك قَبْلُ؛ وأَنَّهُ لو رُوعِيَ في الْأَعْدادِ الْمُتَباغِضَةِ مِثْلُ ذلك، فإنَّهُ يَظْهَرُ بينهما عَداوَةٌ راسِخَةٌ بإذْنِ اللهِ تعالى.

وأَمَّا طَريقُ اسْتِخْراجِ الْأَعْدادِ الْمُتَحابَّةِ فقد بُيِّنَ مُسْتَوْفًى بِبَراهينَ عَدَدِيَّةٍ في كِتابِ "**تَذْكِرَةُ الْأَحْبابِ في بَيانِ التَّحابِّ**"[2]؛ وهذا كِتابٌ نَفيسٌ، يَدُلُّ على فَضْلِ مُؤَلِّفِهِ، وَعُلُوِّ كَعْبِهِ في الْعُلومِ الرِّياضِيَّةِ، يَشْهَدُ بذلكَ كِتابُهُ الْمَذْكورُ.

---

(1) كَنكَه (Kanaka)، حكيم بارع من متقدمي حكماء الهند وأكابرهم، وله نظر في صناعة الطب وقوى الأدوية وطبائع المولدات وخواص الموجودات، ذكر له صاحب الفهرست: 2/ 223 بعض المصنفات.

(2) لكمال الدين حسن الفارسي، ينظر: كشف الظنون: 1/ 384.

عِلْمُ التَّعابِي الْعَدَدِيَّةِ في الْحُروبِ

وهو عِلْمٌ يُتَعَرَّفُ منه كَيْفِيَّةُ تَرْتيبِ الْعَساكِرِ في الْحُروبِ، وَكَيْفِيَّةُ تَسْوِيَةِ صُفوفِها أَزْواجًا وَأَفْرادًا، أو تَعْيينِ أَعْدادِ الصُّفوفِ، وَأَعْدادِ الرِّجالِ في كُلِّ صَفٍّ منها، وَهَيْئَةِ الصُّفوفِ، إمَّا على التَّدْويرِ، أو التَّثْليثِ، أو التَّرْبيعِ، إلى غيرِ ذلكَ، حَسَبَ ما تَقْتَضِيهِ الْأَحْوالُ[1]. وبَيَّنوا أنَّ في رِعايَةِ التَّرْتيبِ الْمَذْكورِ، ظَفَرًا بالْمَرامِ، وَنُصْرَةً على الْأَعْداءِ، ولا يَكونُ مَغْلوبًا أبَدًا بإذْنِ اللهِ الْقادِرِ الْعَليمِ. إلَّا أنَّ الْعُلَماءَ أخْفَوْا هذا الْعِلْمِ وَضَنُّوا به عن الْأَغْيارِ.

ولِلشَّيْخِ عَبدِ الرَّحْمنِ[2] ـ من السَّادَةِ الْحَرْفِيَّةِ ـ تَصْنيفٌ مَليحٌ في هذا الْعِلْمِ، لكن ضَنَّ بها بعضَ الضَّنِّ، إلَّا أنَّ من وَقَفَ على أَسْرارِ الْخَواصِّ الْحَرْفِيَّةِ والْعَدَدِيَّةِ، لا تَخْفَى عليه خافِيَةٌ. لكنْ لا بُدَّ من خِدْمَةِ السَّادَةِ الصُّوفِيَّةِ، وأن تَسْتأهِلَ لِلْمُكاشَفاتِ الْقُرْآنِيَّةِ، وَالْأَسْرارِ الْفُرْقانِيَّةِ، وإلَّا فَأَنْتَ عن مِثْلِ هذا الْعِلْمِ بِمَعْزِلٍ، وعن الْوُصولِ إلى الْمَقْصَدِ بألْفِ مَنْزِلٍ. [الطويل]

وَمَنْ يَخْطُبِ الْحَسْناءَ من غَيْرِ أَهْلِها بَعِيدٌ عليه أن يَفوزَ بِوَصْلِهَا[3]

ولِلّه دَرُّ الإمامِ الشَّافِعِيِّ، رَضِيَ اللهُ عنه حيثُ قالَ: [الكامل]

كَيْفَ الْوُصولُ إلى سُعادَ وَدُونَهَا قُلَلُ الْجِبالِ ودُونَهُنَّ حُتوفُ[4]

---

(1) ينظر رسالة في العلوم الشرعية والعربية: 58.

(2) يقصد الشيخَ عبدَ الرحمنِ بنَ عَليِّ بنِ أحْمَدَ الْبِسْطاميَّ المترجم سابقا.

(3) ينسب لعلي بن وفا، وهو في ديوان شعره: 262.

(4) البيتان للشافعي، وهما في ديوان شعره: 95.

وَالْكَفُّ صِفْرٌ والطَّريقُ مَخوفُ[1]   والرِّجْلُ حافِيَةٌ وما لِي مَرْكَبٌ

رَزَقَنا اللهُ وإيَّاكُمْ الْوُصولَ إلى الْمَقْصَدِ، بِحُرْمَةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ، صَلَّى الله عليه وآلِهِ وأَصْحابِهِ وَذُرِّيَّاتِهِ وَأَحْبابِهِ وسَلَّمَ.

(1) ولا لي، في ديوان شعره.

الشُّعْبَةُ الْعاشِرَةُ: في [فُروعِ][1] عِلْمِ الْموسِيقى

عِلْمُ الآلاتِ الْعَجيبَةِ

كَالْعودِ والْمَزاميرِ والْقانونِ، سِيَّمَا الْأُرْغَنونُ.

وَلَقَدْ أبْدَعَ واضِعُها فيها الصَّنائِعَ الْعَجيبَةَ، والْأُمورَ الْغَريبَةَ. ولقد شاهَدْتُ أُرْغَنونَ، وَاسْتَمَعْتُ بها مَرَّاتٍ عَديدَةً، ولم تَزِدِ[2] الْمُشاهَدَةُ والنَّظَرُ إلَّا دَهْشَةً وَحَيْرَةً.

ولا نُطَوِّلُ الْكَلامَ بِذِكْرِ أنْواعِ الْآلاتِ، لأنَّها وإنْ كانَتْ من فُروعِ الْعُلومِ الرِّياضِيَّةِ، لكنَّها مُحَرَّمَةٌ في شَريعَتِنا، فَالاشْتِغالُ بِتَعْدادِها يُضَيِّعُ الْأَوْقاتَ، وعُمُرُ طالِبِ عِلْمِ الْآخِرَةِ أشْرَفُ من أن يُضَيِّعَهُ في أمْثالِ هذه، وإنَّما تَعَرَّضْتُ ما تَعَرَّضْتُ تَتْمِيمًا لِلْكَلامِ، والتَّوفِيقُ من الْمَلِكِ الْعَلَّامِ.

عِلْمُ الرَّقْصِ

عِلْمٌ باحِثٌ عن كَيْفِيَّةِ صُدورِ الْحَرَكاتِ الْمَوْزونَةِ عن الشَّخْصِ، بحيثُ يوجِبُ الطَّرَبَ والسُّرورَ لمن يُشاهِدُها.

وهذا من الْعُلومِ الَّتِي يَرْغَبُ فيها أَصْحابُ التَّرَفُّهِ والْأَغْنِياءُ والْأُمَراءُ، وما يَجْرِي مَجْرَى هَؤُلاء من أَصْحابِ الْمَلاهي، وَيُعَلِّمونَها الْغِلْمانَ الْحِسانَ،

---

(1) سقطت من قونية.

(2) يزد، في قونية ورئيس الكتاب وأنطاليا.

والْجَوارِيَ الْفائِقاتِ، لِيَلْتَذَّ السَّمْعُ والْبَصَرُ معا، بِمُشاهَدَةِ حُسْنِهِمْ وَحُسْنِهِنَّ، واسْتِماعِ نَغَماتِهِنَّ وَغُنْجِهِنَّ، حتى تَكْمُلَ اللَّذَّةُ والْحُبورُ، والْفَرْحَةُ والسُّرورُ.

وَأَهْلُ الْهِنْدِ ماهِرونَ في أَنْواعِ الرَّقْصِ، ولهم فيها يَدٌ طولى، إلَّا أنَّ هذا الْعِلْمَ مُحَرَّمٌ في شَريعَتِنا. وقد قيلَ: التَّلَذُّذُ بِالْغِناءِ وضَرْبِ الْمَلاهِي كُفْرٌ.

عِلْمُ الْغُنْجِ

وهو عِلْمٌ باحِثٌ عن كَيْفِيَّةِ صُدورِ الْأَفْعالِ التي تَصْدُرُ عن الْعَذارَى وَالنِّسْوانِ الْفائِقاتِ الْجَمالِ، والْمُتَّصِفاتِ بالظَّرْفِ والْكَمالِ، وإذا اقْتَرَنَ الْحُسْنُ الذاتِيُّ بالْغُنْجِ الطَّبيعِيِّ، كانَ كامِلًا في الْغايَةِ، وإنْ كان الْغُنْجُ مُتَكَلَّفًا، أو عَرَضِيًّا، يَكونُ دونَ الأوَّلِ، ولكن **كُلُّ شَيْءٍ من الْمَليحِ مَليحٌ**[1].

ولقدْ قالَ الشَّاعِرُ: [البسيط]

ما أَنْتَ مادِحُها يا مَنْ يُشَبِّهُهَا ... بِالشَّمْسِ والْبَدْرِ لا بَلْ أَنْتَ هاجِيهَا[2]
من أَيْنَ لِلشَّمْسِ خالٌ فَوْقَ وَجْنَتِها ... وَمَضْحَكٌ في نِظامِ الدُّرِّ في فِيهَا
مِنْ أَيْنَ لِلْبَدْرِ أَجْفانٌ مُكَحَّلَةٌ ... بِالسِّحْرِ والْغُنْجُ يَجْرِي في حَواشِيهَا

وهذا الْغُنْجُ إنْ وَقَعَ أَثْناءَ الْمُباشَرَةِ والْمُخالَطَةِ والتَّقْبِيلِ وغيرِ ذلِكَ، مما هو من هذا الْقَبيلِ، كان مُحَرِّكًا لِقُوَّةِ الْوِقاعِ، وَيَنْتَفِعُ به الْعاجِزونَ عن الْقُرْبانِ كلَّ الِانْتِفاعِ. وَالْغُنْجُ في هذا الْحالِ مُرَخَّصٌ في الشَّرْعِ، وَيُحْمَدُ هو في النِّساءِ

---

(1) صدر بيت شعري وتمامه: لَكِنِ الصَّبْرُ عَنْهُ غَيْرُ مَلِيحِ. ورد في روح البيان: 4/ 308 غير منسوب.

(2) البيت من شواهد الفراء (371)، وهو في تفسير الطبري: 30/ 241، وتفسير القرطبي 20/ 113.

في تلك الْحالِ، بل قد تُؤْجَرُ هي عليه في الْجِماعِ الْحَلالِ. ونِساءُ الْعَرَبِ مَشْهوراتٌ بينَ الرِّجالِ بِحُسْنِ الْغُنْجِ، ولُطْفِ الدَّلالِ.

عَصَمَنا الله وإِيَّاكُمْ عمَّا لا يَرْضاهُ في الْقَوْلِ والْعَقْدِ والْعَمَلِ. إِنَّهُ كَريمٌ مَنَّانٌ.

الدَّوْحَةُ الخامِسَةُ: في الْحِكْمَةِ الْعَمَلِيَّةِ

واعْلَمْ أنَّ الْإِنْسانَ لمَّا كانَ مَدَنِيًّا بالطَّبْعِ، وكان أشْخاصُهُ ـ إلَّا شِرْذِمَةً مِمَّنْ عَصَمَهُمُ اللهُ وقَليلٌ ما هُمْ ـ مَجْبولِينَ على جَلْبِ الْمَنافِعِ، وَدَفْعِ الْمَضارِّ، بِحَيْثُ يُريدونَ أخْذَ ما في أَيْدِي الْآخَرينَ بِقُوَّةِ الشَّهْوَةِ[1]، وَدَفْعِ ما يُزاحِمُهُ في ذلك بِقُوَّتِهِ الْغَضَبِيَّةِ، وكانَ ذلك مُؤَدِّيًا إلى التَّقاتُلِ والتَّناحُرِ[2]، ولا أَقَلَّ من الْعَداوَةِ والشَّحْناءِ الْمُنافِيَةِ هذه الأمورَ، إلى قَضِيَّةِ التَّمَدُّنِ والِاجْتِماعِ، وعِمارَةِ الْمُدُنِ في الْأَصْقاعِ، اقْتَضَتِ الْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ وَضْعَ قَوانينَ مُتَعَلِّقَةٍ بِجَميعِ الْأَشْخاصِ على الْعُمومِ، بحيثُ لا يَخْتَصُّ بِشَخْصٍ شَخْصٍ، ولا بطائِفَةٍ طائِفَةٍ، بل كُلُّ الطَّوائِفِ والْأُمَمِ سَواسِيَةٌ في هذه السِّياسَةِ والْقانونِ الْجارِي بِطَريقِ التَّعادُلِ.

ثمَّ إنَّ هذه الْقَوانِينَ، لابُدَّ وأنْ تُؤْخَذَ من إنْسانٍ يُعَلِّمُهُ اللهُ تعالى بِواسِطَةِ الْمَلَكِ، وَيُؤَيِّدُهُ من عِنْدِهِ بِالْمُعْجِزاتِ النَّاقِضاتِ لِلْعاداتِ، لِيُصَدِّقَهُ الْكُلُّ، إذ من له قُوَّةٌ قُدُسِيَّةٌ، وحِكْمَةٌ تامَّةٌ، لا يَحْتاجُ إلى الْمُعْجِزاتِ الْحِسِّيَّةِ في تَصْدِيقِهِ، بل يَقولُ: [البسيط]

لَوْ لَمْ تَكُنْ فيهِ آياتٌ مُبَيِّنَةٌ ... كانَتْ بَدِيهَتُهُ تُنْبِيكَ عَنْ خَبَرِ

(1) بِقُوَّتِهِ الشَّهَوِيَّةِ، في قونية ورئيس الكتاب وأنطاليا.

(2) التَّناجز، في أنطاليا. والتَّشاجر، في مراد ملا.

وَبِالْجُمْلَةِ، لا يَحْتاجُ إلى الْمُعْجِزاتِ الْحِسِّيَّةِ، بل يَكْتَفِي بِمُعْجِزاتِهِ الْبَاطِنِيَّةِ. وأمَّا من هو نازِلٌ عن هذه الدَّرَجَةِ بِمَرْتَبَةٍ أو بِمَراتِبَ، يَحْتاجُ إلى مُعْجِزَةٍ حِسِّيَّةٍ، إمَّا مَرَّةً، أو مَرَّاتٍ، بِحَسَبِ قُوَّةِ جَهْلِهِ، أو ضُعْفِهِ.

ومِنْهُمْ من يَلْتَحِقُ بِمَنْزِلَةِ الْحَيَوانِ، بل الْجَمادِ، أو يَغْلِبُ على طَبْعِهِ الْعِنادُ، لا يَنْتَفِعُ بِشَيْءٍ منها، كأَبِي جَهْلٍ وأَحْزابِهِ، عليهم لَعائِنُ الله تَتْرَى، واحِدَةً بعدَ أُخْرَى.

وَبِالْجُمْلَةِ، لا بُدَّ وأن يكونَ لذلك الإنْسانِ الْمُؤَيَّدِ بِالْمُعْجِزاتِ جِهَتانِ، يَسْتَفيضُ بِجِهَةِ قُوَّتِهِ الْقُدُسِيَّةِ ولُحوقِهِ بالْمَلإِ الْأَعْلَى، بل إلى قابِ قَوْسَيْنِ أو أَدْنَى[1]، من جَنابِهِ سُبْحانَهُ وتَعالى؛ وَيَفيضُ بِجِهَةِ بَشَرِيَّتِهِ ومَبْعوثِيَّتِهِ لِتَكْميلِ نَوْعِ الْبَشَرِ على بني نَوْعِهِ من أَفْرادِ الْبَشَرِ. ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾[2]، وذلك الْمُعَلِّمُ في زَمانِنا هذا، ليسَ إلَّا أَفْضَلَ الْمَخْلوقاتِ من لَدُنِ بَدْءِ الْعالَمِ، وَسَيِّدَ ولَدِ آدَمَ، وَمُقَدَّمَ الْجَماعَةِ، وفاتِحَ بابِ الشَّفاعَةِ، وفَصَّ خاتَمِ النَّبيئينَ وخَاتِمَهُمْ، وَأَفْضَلَهُمْ وأَكْمَلَهُمْ، سَيِّدَ الْأَنْبِياءِ، وَسَنَدَ الْأَصْفِياءِ، حَبِيبَ رَبِّ الْعالَمِينَ، أبو الْقاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بنِ هاشِمٍ، صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ، وعلى سائِرِ الْأَنْبياءِ، مع شَرَفِ شَرْعِهِ على سائِرِ الشَّرائِعِ بأمورٍ، أظْهَرُها الْبَراءَةُ عن النَّسْخِ والتَّبْديلِ إلى قِيامِ السَّاعَةِ وساعَةِ الْقِيامِ، وأنْ تكونَ سَمْحَةً سَهْلَةً بَيْضاءَ نَقِيَّةً، مع اشْتِمالِها على

(1) في الكلام اقتباس من الآيتين 7-9 من سورة النجم.

(2) سورة الأعراف، الآية: 43.

مَحاسِنِ سائِرِ الشَّرائِعِ وأَوْساطِها[1]، والِاجْتِنابِ عن طَرَفَيِ الِاقْتِصادِ وتَفْرِيطِها وإفْراطِها.

إذا عَرَفْتَ ذلك فاعْلَمْ أنَّ سُنَّةَ اللهِ تعالى جَرَتْ على أنَّهُ إذا خَلَا الْعالَمُ[2] عن مِثْلِ هذه الْأَنْوارِ، وَمَعادِنِ الْعِلْمِ وَالْأَسْرارِ، لم يَتْرُكِ الْعالَمَ سُدًى، بل جَعَلَ عُقولَ الْبَشَرِ مُهْتَدِيَةً إلى قَدْرِ ما يَبْقَى به النِّظامُ بين النَّوْعِ، وَأَرْشَدَهُمْ إلى ما تَكْمُلُ به مَصالِحُ دُنْياهُمْ أَكْثَرِيًّا، وَبَعْضٌ من مَصالِحِ آخِرَتِهِمْ.

فالَّذِي جاءَتْ به الرُّسُلُ عن الله تَعالى هي الْعَدْلُ حَقيقَةً، وأمَّا الذي اسْتَحْسَنَها عُقولُ الْعُقَلاءِ والْحُكَماءِ فهو ما يُشْبِهُ الْعَدْلَ، وهو السِّياسَةُ الِاصْطِلاحِيَّةُ، التي هَرِمَ عليها الْكَبِيرُ، ونَشَأَ عليها الصَّغيرُ، وَبَعيدٌ أن يَبْقى سُلْطانٌ أو تَسْتَقِيمَ رَعِيَّةٌ في حالِ إيمانٍ أو كُفْرٍ بلا عَدْلٍ قائِمٍ أو ترتيبٍ لِلْأمورِ الذي يُشْبِهُ الْعَدْلَ. فَالسِّياسَةُ مما يَبْقَى به نِظامُ الْعالَمِ، وإنْ لم تَصْلُحْ بها أُمورُ الْآخِرَةِ. لَكِنَّ الْعَمَلَ بها إلى أنْ جاءَ الشَّرْعُ الشَّريفُ، وإذا جاء نَهْرُ اللهِ بَطَلَ نَهْرُ مَعْقِلٍ[3].

وأمَّا الَّذينَ يَقولونَ: لا بُدَّ لِلشَّرْعِ من انْضِمامِ السِّياسَةِ، فهذا من خَطَإِ الْجَهَلَةِ والْعَوامِّ، إذِ الشَّرْعُ لا يَحْتاجُ إلى غَيْرِهِ، وَمَضْمونُ قَوْلِهِمْ هذا: إنَّ

(1) وأواسطها، في رئيس الكتاب. وأوسطها، في قونية.

(2) أخلى العالم، في رئيس الكتاب.

(3) من الأمثال السائرة، ونهر الله هو البحر، ونهر معقل نهر بالبصرة معروف عند فم الإجّانة، منسوب إلى معقل بن يسار المزني. ينظر: مفيد العلوم ومبيد الهموم: 483، مجمع الأمثال: 1/ 87، معجم البلدان: 5/ 222-223.

الشَّرْعَ لم يَرِدْ بما يَكْفِي في السِّياسَةِ، فَاحْتَجْنا إلى تَتِمَّةٍ من آرائِنا؛ فَيَقْتُلونَ من لا يَجوزُ قَتْلُهُ شَرْعًا، وَيَفْعَلونَ ما لا يَحِلُّ فِعْلُهُ، وَيُسَمُّونَ ذلِكَ سِياسَةً، وهذا تَعاطٍ على الشَّريعَةِ بما يُشْبِهُ الْمُراغَمَةَ. أولَئِكَ الَّذينَ يَنْتَصِفُ اللهُ منهم في الدُّنْيا والْآخِرَةِ، قاتَلَهُمْ اللهُ وَخَذَلَهُمْ.

وكَيْفَ يَحْتاجُ الشَّرْعُ إلى السِّياسَةِ، والْأَنْبياءُ يَكْمُلُ بهم أُمورُ الدَّارَيْنِ، وما يَصْلُحُ به الْبَشَرُ كُلِّيًّا، عِلْمِيًّا وعَمَلِيًّا، وَذَوْقِيًّا وَكَشْفِيًّا وَشُهودًا، سِيَّمَا ولا أَكْمَلَ ولا أَفْضَلَ مِمَّا نَطَقَ به خَيْرُ الْبَشَرِ، وأَشارَ إليه سَيِّدُ الْأَنْبياءِ، حتى لو اجْتَمَعَ عُقولُ الْعُقَلاءِ، وفُهومُ الْحُكَماءِ والْأَصْفِياءِ، لم يَقْدِرُوا الْمَزيدَ عليها، ولو بِأَلْفِ أَلْفِ جُزْءٍ من ذَرَّةٍ صَغيرَةٍ.

الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدانا لهذه النِّعْمَةِ الْجَليلَةِ، وَنَسْأَلُهُ أن يَرْزُقَنا الْحُظْوَةَ الْكامِلَةَ الْجَزيلَةَ، من هذا الْمَشْرَعِ الصَّافِي، والْمَنْبَعِ الْوافِي، في الْأَوَّلِ والْآخِرِ، والْباطِنِ والظَّاهِرِ.

ثُمَّ إنَّ الْحُكَماءَ ذَكَروا عُلومَهُمْ الْعَمَلِيَّةَ، وَبَحَثوا فيها عن الْأَعْمالِ الصَّادِرَةِ عن الْبَشَرِ، وتلكَ الْأَعْمالُ إمَّا أن تَتَعَلَّقَ بِالشَّخْصِ وَحْدَهُ، وهي عِلْمُ الْأَخْلاقِ؛ أو تَتَعَلَّقَ بِأَهْلِ الْمَنْزِلِ، لِدَوامِ الْأُنْسِ وَالِائْتِلافِ، وهي عِلْمُ تَدْبيرِ الْمَنْزِلِ، أو تَتَعَلَّقَ بِأَحْوالِ أهْلِ الْبَلَدِ، لِنِظامِ أَحْوالِ الْمُلْكِ والسَّلْطَنَةِ، وهي عِلْمُ السِّياسَةِ، وهذه عُلومٌ ثَلاثَةٌ، وَلْنَذْكُرْ كُلًّا منها في شُعْبَةٍ، ثُمَّ نُرْدِفُها بِشُعْبَةٍ رابِعَةٍ لِبَيانِ فُروعِها.

الشُّعْبَةُ الأولى: في عِلْمِ الْأَخْلاقِ

وهو عِلْمٌ يُتَعَرَّفُ[1] منه أَنْواعُ الْفَضائِلِ[2]، وهي اعْتِدالُ ثَلاثِ قِوًى، هي الْقُوَّةُ النَّظَرِيَّةُ، والْغَضَبِيَّةُ، والشَّهَوِيَّةُ، كلٌّ منها أَوْساطٌ ببين رَذيلَتَيْنِ.

الْحِكْمَةُ، وهي كَمالُ الْقُوَّةِ النَّظَرِيَّةِ، وهي التَّوَسُّطُ بين رَذيلَتَيِ الْبَلادَةِ وَالْجَرْبَزَةِ[3]، الْأَوَّلُ تَفْريطُها، والثَّانِي إفْراطُها.

وَالشَّجاعَةُ، وهي كَمالُ الْقُوَّةِ الْغَضَبِيَّةِ، وهي التَّوَسُّطُ بين رَذِيلَتَيِ الْجُبْنِ والتَّهَوُّرِ، والْأَوَّلُ تَفْريطُها، والثَّانِي إِفْراطُهَا.

وَالْعِفَّةُ: وهي كَمالُ الْقُوَّةِ الشَّهَوِيَّةِ، وهي التَّوَسُّطُ بين رَذِيلَتَيِ الْخُمودِ والْفُجورِ، وَالْأَوَّلُ تَفْريطُها، والثَّانِي إفْراطُها.

وهذه الثَّلاثَةُ - أَعْنِي الْحِكْمَةَ والْعِفَّةَ والشَّجاعَةَ - لِكُلٍّ منها فُروعٌ، كُلٌّ منها تَوَسَّطَ بين رَذيلَتَيْنِ. وَخَيْرُ الْأُمورِ أَوْساطُها. فَيُذْكَرُ في عِلْمِ الْأَخْلاقِ تَعْريفاتُ هذه الْأُمورِ، ثُمَّ طَريقُ الْعِلاجِ، بأنْ يَفِرَّ عن طَرَفَيِ التَّوَسُّطِ، وَيَعْتَدِلَ في الْوَسَطِ.

---

(1) يُعرف، في رئيس الكتاب.

(2) رسالة في موضوعات العلوم للبيضاوي: 108.

(3) الْجَرْبَزَة: الْخِبُّ. والنعت رَجُلٌ خَبٌّ، وَامْرَأَة خَبَّةٌ، وَالْفِعْل خَبَّ يَخَبُّ خِبّاً، والتَّخْبِيبُ إِفْسَاد الرجل عَبْدَ رجلٍ أو أَمَتَه، يُقَال: خَبَّبَهُمَا فَأَفْسَدَهُما. تهذيب اللغة: خب.

فَمَوْضوعُ هذا الْعِلْمِ: الْمَلَكاتُ النَّفْسانِيَّةُ، من حيثُ تَعْديلُها بينَ الْإِفْراطِ والتَّفْريطِ[1].

قالَتِ الْحُكَماءُ لِلْإِسْكَنْدَرِ: أَيُّها الْمَلِكُ، عليكَ بِالِاعْتِدالِ في كلِّ الْأُمورِ، فإنَّ الزِّيادَةَ عَيْبٌ، والنُّقْصانَ عَجْزٌ.

وَمَنْفَعَتُهُ: أنْ يَكونَ الْإِنْسانُ كامِلًا في أَفْعالِهِ بِحَسَبِ الْإِمْكانِ، ليكونَ أُولَاهُ سَعيدًا، وَأُخْراهُ حَميدًا.

ومن الْكُتُبِ الْمُخْتَصَرَةِ فيه:

كِتابُ "**الْبِرُّ والْإِثْمُ**"، لأبي عَلِيٍّ ابْنِ سِينَا، وكِتابُ "**الْفَوْزُ**"[2]، لأبي عَلِيٍّ مِسْكَوَيْهِ[3].

ومن الْمَبْسوطَةِ:

كِتابُ الإمامِ فَخْرِ الدِّينِ ابْنِ الْخَطيبِ الرَّازِيِّ رَحِمَهُ اللهُ[4].

---

(1) إرشاد القاصد: 222.

(2) ومن المتوسطة كتاب الفوز، في المصدر نفسه: 222.

(3) أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، أبو علي (ت. 421هـ)، له ثلاث كتب بالعنوان نفسه: الفوز الأصغر، والفوز الأكبر، وفوز النجاة. ينظر تجارب الأمم وتعاقب الهمم: 20-23.

(4) إرشاد القاصد: 222.

الشُّعْبَةُ الثَّانِيةُ: عِلْمُ تَدْبِيرِ الْمَنْزِلِ

وهو عِلْمٌ يُعْرَفُ[1] منه اعْتِدالُ الْأَحْوالِ الْمُشْتَرَكَةِ بين الْإِنْسانِ وَزَوْجَتِهِ، وَأَوْلادِهِ وَخُدَّامِهِ، وَطَريقُ عِلاجِ الْأُمورِ الْخارِجَةِ عن الِاعْتِدالِ، وَوَجْهُ الصَّوابِ فيها.

وَمَوْضوعُهُ: أَحْوالُ الْأَهْلِ وَالْأَوْلادِ والْقَرائِبِ والْخَدَمِ وأمْثالِها، من حيثُ الِانْتِظامُ.

وَمَنْفَعَةُ هذا الْعِلْمِ عَظيمَةٌ لا تَخْفَى على أَحَدٍ حتى الْعَوامِّ، لأَنَّ حاصِلَهُ انْتِظامُ أَحْوالِ الْإِنْسانِ في مَنْزِلِهِ، لِيَتَمَكَّنَ بذلكَ من رِعايَةِ الْحُقوقِ الْواجِبَةِ بينَهُ وبَيْنَ الْأَشْخاصِ الْمَذْكورَةِ، وَيَتَفَرَّغَ بِاعْتِدالِها وانْتِظامِها على كَسْبِ السَّعادَةِ الْعاجِلَةِ والْآجِلَةِ.

وأَشْهَرُ كُتُبِ هذا الْعِلْمِ: **"كِتابُ بَروشِنَ"**[2]. وفي هذا الْعِلْمِ كُتُبٌ كَثيرَةٌ غير هذا. وسَتَعْرِفُ الْكُتُبَ الْجامِعَةَ لِلثَّلاثَةِ.

---

(1) يتعرف منه، في قونية.

(2) رسالة بروشن (Bryson) في تدبير الرجل لمنزله، ذكره صاحب إرشاد القاصد: 223. وهو مطبوع في ترجمته العربية العبرية واللاتينية، نشره (Martin Plessner)، ينظر: رحلة الكتاب العربي إلى ديار الغرب: 1/ 159.

الشُّعْبَةُ الثَّالِثَةُ: عِلْمُ السِّياسَةِ

وهو عِلْمٌ يُعْرَفُ[1] منه أَنْواعُ الرِّئاساتِ والسِّياساتِ والِاجْتِماعاتِ الْمَدَنِيَّةِ وَأَحْوالُها، من أَحْوالِ السَّلاطِينِ والْمُلوكِ والْأُمَراءِ، وأَهْلِ الِاحْتِسابِ والْقُضاةِ والْعُلَماءِ، وَزُعَماءِ الْأَمْوالِ ووُكَلاءِ بَيْتِ الْمالِ، ومن يَجْري مَجْراهُمْ.

وَمَوْضوعُهُ: الْمَراتِبُ الْمَدَنِيَّةُ وأَحْكامُها.

وَمَنْفَعَتُهُ: مَعْرِفَةُ الِاجْتِماعاتِ الْمَدَنِيَّةِ الْفاضِلَةِ[2].

وَالْمُرادُ به: وَجْهُ اسْتِبْقاءِ[3] كُلِّ واحِدٍ منها، وَدَفْعُ عِلَلِ زَوالِها، وَجِهاتِ انْتِقالِها. ومن أَعْظَمِ أسْبابِ انْتِقالِ الدَّوْلَةِ، الْإِخْلالُ بِرُكْنٍ من أَرْكانِ الشَّريعَةِ.

وقالَ حَكيمٌ: لا يَزالُ السُّلْطانُ مُمْهَلًا، حتى يَتَخَطَّى إلى أَرْكانِ الْعِمارَةِ، وَمَبانِي الشَّريعَةِ، فَحينَئِذٍ يُريحُ اللهُ منه.

ومِنْ جُمْلَةِ مَسائِلِ عِلْمِ السِّياسَةِ: مَعْرِفَةُ ما يَنْبَغِي عليه الْمُلْكُ والسَّلْطَنَةُ في نَفْسِهِ، وَحالِ أَعْوانِهِ، وَأَمْرِ رَعاياهُ، وَعِمارَةِ الْمُدُنِ.

---

(1) يتعرف منه، في قونية والأزهرية.

(2) ينظر: إرشاد القاصد: 221.

(3) استيفاء، في قونية ورئيس الكتاب.

وهذا الْعِلْمُ يَحْتاجُ إليه الْمُلوكُ والسَّلاطِينُ أوَّلًا، ثُمَّ سائِرُ النَّاسِ، لِمَا أنَّ الإنْسانَ مَدَنِيٌّ بالطَّبْعِ، وَيَجِبُ عليه اخْتِيارُ الْمَدينَةِ الْفاضِلَةِ مَسْكَنًا، وَالْهِجْرَةُ عن الْمُرْدِيَةِ[1]، وأنْ يَعْلَمَ كيفَ يَنْفَعُ أَهْلَ مَدينَتِهِ، وَيَنْتَفِعُ بهم.

و"**كِتابُ السِّياسَةِ**"، الَّذِي أَرْسَلَهُ أَرِسْطوطاليسَ إلى الْإِسْكَنْدَرِ، يَشْتَمِلُ على مُهِمَّاتِ هذا الْعِلْمِ. وكِتابُ "**آراءُ الْمَدينَةِ الْفاضِلَةِ**"، **لأبي نَصْرٍ** الْفارابِيِّ، جامِعٌ لِقَوانِينِهِ[2].

ومن الْكُتُبِ الْجامِعَةِ لهذه الْعُلومِ الثَّلاثَةِ:

كِتابُ "**الْأَخْلاقُ النَّاصِرِيَّةُ**"، وهو لِخَواجَةَ نَصيرِ الدِّينِ الطُّوسِيِّ. وهو كِتابٌ لَطيفٌ نافِعٌ في الْغايَةِ، إلَّا أنَّهُ وَقَعَ باللِّسانِ الْفارِسِيِّ.

وكِتابُ "**الْأَخْلاقُ الْجَلالِيَّةُ**"، وهو لِجَلالِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ الدَّوَّانِيِّ. وقد لَخَّصَهُ هذا الْفاضِلُ وأَجادَ فيه، وَأَوْرَدَ فيه غَرائِبَ الْحِكاياتِ، إلَّا أنَّهُ وَقَعَ أيْضًا بِاللِّسانِ الْفَارِسِيِّ.

ومِنَ الْكُتُبِ الْمُخْتَصَرَةِ الْجامِعَةِ لِأُصولِ هذه الْفُنونِ الثَّلاثَةِ:

رِسالَةُ مَوْلانا عَضُدِ الدِّينِ[3]، وعليها **شَرْحٌ** لِتِلْمِيذِهِ **شَمْسِ الدِّينِ الْكَرْمانِيِّ**، **وشَرَحْتُها** شَرْحًا جامِعًا نافِعًا في زَمَنِ الشَّبابِ[4]. واللهُ أَعْلَمُ بالصَّوابِ.

---

(1) المؤذية، في مراد ملا، الرَّدِية: في إرشاد القاصد: 221.

(2) ينظر: إرشاد القاصد: 221.

(3) أخلاق عضد الدين الإيجي. كشف الظنون: 1/ 37.

(4) نسبه إليه حاجي خليفة في كشف الظنون مرة بـ "شرح أخلاق عضد الدين"، ومرة بـ "شرح رسالة الحكمة العملية". كشف الظنون: 1/ 861.

الشُّعْبَةُ الرَّابِعَةُ: في فُروعِ الْحِكْمَةِ الْعَمَلِيَّةِ

عِلْمُ آدابِ الْمُلوكِ

وهي أَحْوالٌ عَرَفَهَا الْأُمَراءُ والْمُلوكُ بالتَّجارِبِ، والْحَدْسِ والرَّأْيِ الصَّائِبِ، ممَّا يَنْبَغِي أن يَفْعَلَهُ، ومِمَّا يَنْبَغي أن يَجْتَنِبَهُ.

قال مُعاوِيَةُ رضيَ الله عنه: لا يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أن يكونَ كَذَّابًا، لأَنَّهُ إنْ وَعَدَ لم يُرْجَ، وإنْ أَوْعَدَ لم يُخَفْ؛ ولا غاشًّا، لأَنَّهُ لا يَنْصَحُ، ولا تَصْلُحُ الْوِلايَةُ إلَّا بالْمُناصَحَةِ؛ ولا حَديدًا، لأَنَّهُ إذا احْتَدَّ هَلَكَتْ رَعِيَّتُهُ؛ ولا حَسودًا، لأَنَّهُ لا يَشْرُفُ أَحَدٌ فيه حَسَدٌ، ولا يَصْلُحُ النَّاسُ إلَّا بِأَشْرافِهِمْ؛ ولا جَبَانًا، لأَنَّهُ يَجْتَرِئُ عليه عَدُوُّهُ، وَتَضيعُ ثُغورُهُ[1].

وقال بَعْضُهُمْ: أَكْرَهُ الْمَكارِهِ في السَّيِّدِ الْغَباوَةُ، وَأُحِبُّ أنْ يَكونَ عاقِلًا مُتَغافِلًا، كما قالَ أبو تَمَّامٍ: [الكامل]

لَيْسَ الْغَبِيُّ بِسَـــيِّدٍ فِي قَوْمِـهِ ... لَكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِهِ الْمُتَغَابِي[2]

وقالَ ذو الْقَرْنَيْنِ لِأَرِسْطوطاليسَ لمَّا أَرادَ الْخُروجَ: عِظْنِي بما أَسْتَعينُ به في سَفَرِي، فقالَ: اجْعَلْ تَأَنِّيَكَ زِمامَ عَجَلَتِكَ، وحِيلَتَكَ رَسولَ شِدَّتِكَ،

(1) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء: 1/ 199.

(2) البيت لأبي تمام من قصيدة طويلة مطلعها:

لَوْ أنَّ دَهْرًا رَدَّ رَجْعَ جَوابِي ... أوْ كَفَّ مِنْ شَأْوَيْهِ طولُ عِتابِ.

ديوان شعره: 87.

وَعَفْوَكَ مِلْكَ قُدْرَتِكَ. فأنا ضامِنٌ لك قُلوبَ الرَّعِيَّةِ، إنْ لم تَجْرَحْهُمْ[1] بالشِّدَّةِ عليهِمْ، أو تُبْطِرْهُمْ بِفَضْلِ الْإِحْسانِ إليهِمْ.

قال قَيْسُ بنُ عاصِمٍ لِبَنِيهِ: إذا مِتُّ، فَسَوِّدوا كِبارَكُمْ، ولا تُسَوِّدوا صِغارَكُمْ، فَيَحْقِرَ النَّاسُ كِبارَكُمْ فَتَهونُوا.

قُلْتُ: تَعْيِينُ الْكِبارِ، إنَّما يُقْبَلُ إذا كانَ مع كِبَرِهِ عاقِلًا، وعالِمًا بالْمَصالِحِ، وَمُجَرِّبًا لِلْأمورِ، وإلَّا فَتَقْديمُ الْكِبارِ لِمُجَرَّدِ كِبَرِهِمْ في السِّنِّ غيرُ مَقْبولٍ.

لَمَّا وَلَّى رَسولُ اللهِ، صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ، عَتَّابَ بْنَ أُسَيْدٍ بِمَكَّةَ، وكانَ سِنُّهُ نَيِّفًا وعِشْرينَ سَنَةً، وَأَمَّرَ سَعْدَ بنَ أبي وَقَّاصٍ وَسِنُّهُ دون الْعِشْرينَ، وَوَلَّى الْمَأْمونُ يَحْيَى بنَ أَكْثَمَ قَضاءَ الْبَصْرَةِ، واسْتَصْغَرَهُ النَّاسُ، فَسَألوهُ تَعْيِيرًا بذلكَ، فقالوا: كَمْ سِنُّ الْقاضِي؟ قال: سِنَّ عَتَّابِ بنِ أُسَيْدٍ حينَ وَلَّاهُ رَسولُ الله صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ مَكَّةَ. فَجَعَلَ جَوابَهُ احْتِجاجَهُ. وَوَلَّى الْحَجَّاجُ مُحَمَّدَ بنَ الْقَاسِمِ، قِتالَ الْأَكْرادِ بِفارِسَ، فَأَبادَهُمْ، ثُمَّ وَلَّاهُ السِّنْدَ والْهِنْدَ وسِنُّهُ سَبْعَةَ عَشَرَ، حتى قال فيه الشَّاعِرُ[2]: [الكامل]

قادَ الْجُيوشَ لِسَبْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً ... وِلِداتُهُ إذْ ذاكَ في أَشْغالِ[3]

قَعَدَتْ بِهِم لَذَّاتُهُمْ وَسَمَتْ به ... هِمَمُ الْمُلوكِ وسَوْرَةُ الْأَبْطالِ

---

(1) تخرجهم، في أنطاليا، ومحاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء: 1/ 199.

(2) الخبر والبيت الأول في المصدر نفسه: 1/ 200.

(3) اختلف في نسبة البيتين، فقد نسبا إلى الكميت في رسائل الجاحظ: 1/ 297، والحماسة البصرية: 1/ 132. ونسبا إلى زياد الأعجم في معجم الشعراء: 412، وربيع الأبرار: 3/ 57-58.

وقال شاعِرٌ آخَرُ[1]: [المنسرح]

لا تَـعْـجَـبـوا مـن عُـلُـوِّ هِـمَّـتِـهِ   وَسِـنُّـهُ في أَوانِ مَـنْـشَـاهَـا
إنَّ الـنُّـجـومَ الـتـي تُـضـيءُ لَـنَـا   أَصْغَرُها في الْعُيونِ أَعْلاهَا

ولهذا قِيلَ: ليسَ من الْمُروءَةِ سُؤالُ الرَّجُلِ عن سِنِّهِ، لأَنَّهُ إنْ كانَ شابًّا اسْتَصْغَروهُ، وإنْ كان كَبيرًا اسْتَهْرَموهُ. وأَظُنُّ أنَّ قائِلَهُ الإمامُ مالِكٌ رَضِيَ الله عنه[2]. والله أَعْلَمُ.

واعْلَمْ أنَّ على السُّلْطانِ وَظائِفَ كَثيرَةً، مُسْتَوْفاةً في كُتُبٍ وُضِعَتْ في هذا الشَّأْنِ، إلَّا أنَّا نَذْكُرُ ها هنا بَعْضًا من الْوَظائِفِ التي لا مَنْدوحَةَ عنها أصْلًا.

منها: تَجْنيدُ الْجُنودِ، وإقامَةُ فَرْضِ الْجِهادِ، لِإِعْلاءِ كَلِمَةِ الله تعالى. فإنَّ اللهَ تعالى لم يُوَلِّهِ على الْمُسْلِمينَ ليكونَ رَئيسًا آكِلًا شارِبًا مُسْتَريحًا، بل لِيَنْصُرَ الدِّينَ، وَيُعْلِيَ الْكَلِمَةَ. فمنْ تَقاعَدَ عن هذا، وَأَخَذَ في أَخْذِ أمْوالِ الْمُسْلِمينَ ظُلْمًا، فقد خانَ اللهَ ورَسولَهُ وَجَماعَةَ الْمُسْلِمينَ، واسْتَحَقَّ الْمَقْتَ والْخِذْلانَ، من اللهِ الْكَريمِ الْمَنَّانِ.

ومنها: أَنْ يَنْظُرَ في الإِقْطاعاتِ، وَيَضَعَهَا مَواضِعَها، وَيَسْتَخْدِمَ من يَنْفَعُ الْمُسْلِمينَ، وَيَحْمِيَ حَوْزَةَ الدِّينِ، وَيَكُفَّ أَيْدِيَ الْمُعْتَدينَ، وإلَّا فإنْ فَرَّقَها

---

(1) البيتان لِلسَّرِيِّ الرَّفاء، وهما مع الخبر في محاضرات الأدباء: 1/ 200.

(2) أورده ابن العربي المعافري في أحكام القرآن: 4/ 449 معزوا إلى الإمام مالك وقال: هذا قول ضعيف.

في مَماليكَ اصْطَفاها، وَزَيَّنَها بِأَنْواعِ الْمَلابِسِ الْمُحَرَّمَةِ، وتَرَكَ الَّذينَ يَنْفَعونَ الْإِسْلامَ جِياعًا في بُيوتِهِمْ، ثُمَّ سَلَبَهُ اللهُ النِّعْمَةَ، فلا يَلومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ[1].

ومنها: الْفِكْرَةُ في الْعُلَماءِ والْفُقَراءِ والْمُسْتَحَقِّينَ، وَيُرَتِّبُ[2] كِفايَتَهُمْ من بَيْتِ الْمالِ الَّذي هو في يَدِهِ أَمانَةٌ ليسَ هو فيه إلَّا كَواحِدٍ منهم، وَدَلْوُهُ نِسْبَةُ دِلاءِ الْمُسْلِمينَ، فإنْ تَرَكَهُمْ فُقَراءَ وَعِيالَهُمْ جِياعًا، منهم من يَطْوِي لَيْلَتَهُ بل أَكْثَرَ، وهو يَمُنُّ بِسِماطِهِ وَزِينَتِهِ، وَلِباسِ حَواشِيهِ، فذلكَ أَحْمَقُ سَيَجِدُ ما عَمِلَهُ مُحْضَرًا.

ومنها: وَظائِفُ بَيْتِ مالِ الْمُسْلِمينَ، وقد قَدَّر الشَّارِعُ الْمَصارِيفَ فيه، وَجَعَلَ لِكُلِّ مالٍ أَقْوامًا، وقد رَأَوْهُمْ يَصْرفونَهُ إلى شَهواتِهِمْ وَلَذَّاتِهِمْ، وَيَهَبونَ الْأُلوفَ لِلشُّعَراءِ وَلِمَماليكِهِمْ، وَلِلْمُغَنِّينَ وَأَرْبابِ الْبِدَعِ بَلِ الْكَفَرَةِ. فاللهُ[3] تَعالى يَنْتَصِفُ منهم يَوْمَ الْجَزاءِ، فلا يَلومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ[4].

ومنها: أنْ يُصْلِحوا أَحْوالَ نُوَّابِهِمْ، مِنْ تَفَقُّدِهِمْ حالَ الرَّعايا، صِغيرِهِمْ وكَبِيرِهِمْ، جَليلِهِمْ وَحَقيرِهِمْ، غَنِيِّهِمْ وَفَقِيرِهِمْ؛ والنَّظَرِ في الْقُرَى والْغَلَّاتِ، وإيصالِ الْحُقوقِ إلى مُسْتَحِقِّيها، ولا يَعْتَذِروا بِعَدَمِ الْإِمْكانِ في هذا الزَّمانِ، لأَنَّهُم مُطالَبونَ بذلِكَ في الْآخِرَةِ. فَعَلَيْكُمُ الْجِدُّ، واللهُ يُعينُ.

---

(1) ينظر معيد النعم ومبيد النقم: 21.

(2) وتُرتب، في رئيس الكتاب ومراد ملا.

(3) فإن الله، في قونية.

(4) ينظر معيد النعم: 21-22.

ومنها: إِقامَةُ فَقيهٍ في كُلِّ قَرْيَةٍ لا فَقيهَ فيها، يُعَلِّمُ أَهْلَها أَمْرَ دينِها، وإِلْقاءُ مَقاليدِ الْأَحْكامِ إِليهِمْ، لأَنَّهُ لا حاكِمَ إِلَّا اللهُ تعالى، ولن تَفْعَلَ الْعُقولُ شَيْئًا، ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1]، الْكافِرونَ الظَّالِمونَ.

ومنها: دَفْعُ الْمُبْتَدِعَةِ والْمَلاحِدَةِ، وتَقْريرُ مَذْهَبِ الْأَشْعَرِيِّ الَّذي اتَّفَقَ على صِحَّتِهِ -وللهِ الْحَمْدُ- الْمَذاهِبُ الْأَرْبَعَةُ الْجارِيَةُ في زَمانِنا هذا[2].

ومنها[3]: اسْتِكْثارُهُمْ أَرْزاقَ الْعُلماءِ وإِنْ قَلَّتْ، وَاسْتِقْلالُهُمْ أَرْزاقَ أَنْفُسِهِمْ وإن كَثُرَتْ. وإِنَّ بعضًا منهم رُبَّما يَعيبُ[4] على بعضِ الْفُقَهاءِ رُكوبَ الْخَيْلِ، وَلُبْسَ الثِّيابِ الْفاخِرَةِ، مع أَنَّ نَفْسَهُ تَتَبَخْتَرُ في أَنْعُمِ اللهِ، مع الْجَهْلِ والْمَعْصِيَةِ. ولو اعْتَبَرَ وَجَدَ رِزْقَ أَكْبَرِ فَقِيهٍ دونَ رِزْقِ أَقَلِّ مَمْلوكٍ عِنْدَهُ. أما يَسْتَحِي هذا الْأَميرُ من اللهِ تعالى، وإذا سَلَبَهُ اللهُ تعالى نِعْمَتَهُ فَلِمَ يَتَعَجَّبُ وَيَبْكِي.

ومنها: لِباسُهُمُ الْأَلْبِسَةَ الْمُحَرَّمَةَ، ومع ذَلِكَ يَطْلبونَ النَّصْرَ من اللهِ تعالى، وَمِنَّا أن نَدْعُوَ لهم، ولو أَنَّهُمْ اتَّقَوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ لما افْتَقَروا إلى دُعائِنا.

والْكَلامُ في هذا الْبابِ، طَويلُ الذُّيولِ والْأَذْنابِ، وَلْنَقْتَصِرْ بهذا الْقَدْرِ [حَذَرًا][5] عن الْإِطْنابِ.

---

(1) سورة المائدة، الآية: 47.

(2) ينظر معيد النعم ومبيد النقم: 24-25.

(3) ومن قبائحهم، في المصدر نفسه: 25. وهي أسلم في المعنى.

(4) يطيب، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(5) سقطت من أنطاليا.

ومن الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَةِ في آدابِ الْمُلوكِ:

"سِراجُ الْمُلوكِ"، للإمامِ الطُّرْطوشِيِّ، وهو أبو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بنُ الْوَليدِ بنِ مُحَمَّدٍ الْقُرَشِيُّ الْفِهْرِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ الطُّرْطوشِيُّ، نِسْبَةً إلى طُرْطوشَةَ، بِضَمِّ الْمُهْمَلَتَيْنِ، مَدينَةٌ بالْأَنْدَلُسِ في آخِرِ بِلادِ الْمُسْلِمينَ. الْفَقيهُ الْمالِكِيُّ، الزَّاهِدُ الْمَعْروفُ بِابْنِ أبي رَنْدَقَةَ. وَرَنْدَقَةُ لَفْظَةٌ فِرِنْجِيَّةٌ مَعْناها: رُدَّ، تَعالَ[1].

صَحِبَ أبا الْوَليدِ الْباجِيَّ بِسَرَقُسْطَةَ، وأَخَذَ عنه الْخِلافَ، وسَمِعَ منه وَأَجازَهُ، وَقَرَأَ الْفَرائِضَ والْحِسابَ بِوَطَنِهِ، وَقَرَأَ الْأَدَبَ على أبي مُحَمَّدٍ ابْنِ حَزْمٍ بإشْبيلِيَّةَ. وَرَحَلَ إلى الشَّرْقِ، وحَجَّ، ودَخَلَ الْبَصْرَةَ وبَغْدادَ، وَتَفَقَّهَ على أبي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بنِ أَحْمَدَ الشَّاشِيِّ الشَّافِعِيِّ، الْمَعْروفِ بِالْمُسْتَظْهِرِيِّ، وعلى أبي أَحْمَدَ الْجُرْجانِيِّ. ودَرَسَ بالشَّامِ مُدَّةً.

وكانَ إمامًا عالِمًا عامِلًا، زاهِدًا وَرِعًا دَيِّنًا، مُتَواضِعًا مُتَقَشِّفًا، مُتَقَلِّلًا من الدُّنْيا، راضِيًا منها بِالْيَسيرِ.

وكان يَقولُ: إذا عَرَضَ لكَ أمْرانِ: أَمْرُ دُنْيا، وأَمْرُ أُخْرى، فَبادِرْ بِأَمْرِ الْأُخْرى يَحْصُلْ لك أَمْرُ الدُّنْيا والْأُخْرى. وكانَ كَثيرًا ما يُنْشِدُ: [الرمل]

إنَّ للهِ عِبادًا فُطَنَا ... طَلَّقوا الدُّنْيا وَخافوا الْفِتَنَا[2]
فَكَّروا فيها فَلَمَّا عَلِمُوا ... أنَّها لَيْسَتْ لِحَيٍّ وَطَنَا
جَعَلوها لُجَّةً واتَّخَذوا ... صالِحَ الْأَعْمالِ فيها سُفُنَا

---

(1) وفيات الأعيان: 4/ 265.

(2) الخبر والأبيات في المصدر نفسه: 4/ 262، والأبيات تنسب إلى الإمام الشافعي.

ولَمَّا دَخَلَ على الْأَفْضَلِ شاهِنْشاه ابْنِ أَميرِ الْجُيوشِ، بَسَطَ مِئْزَرًا كان معه، وَجَلَسَ عليه، وكانَ إلى جانِبِ الْأَفْضَلِ رَجُلٌ نَصْرانِيٌّ، فَوَعَظَ الْأَفْضَلَ حتى بَكَى وَأَنْشَدَهُ: [الكامل]

يا ذا الَّذِي طاعَتُهُ قُرْبَةٌ وَحَقُّهُ مُفْتَرَضٌ واجِبُ[1]
إنَّ الَّذِي شُرِّفْتَ من أَجْلِهِ يَزْعُمُ هذا أَنَّهُ كاذِبُ

وأشارَ إلى النَّصْرانِيِّ، فَأَقامَهُ الْأَفْضَلُ من مَجْلِسِهِ. وكانَ الْأَفْضَلُ قد أَنْزَلَ الشَّيْخَ في مَسْجِدِ شَقيقِ الْمَلِكِ بِالْقُرْبِ من الرَّصْدِ، وكان يَكْرَهُهُ، فلما طالَ مُقامُهُ به ضَجِرَ، وقالَ لِخادِمِهِ: إلى متى نَصْبِرُ، اجْمَعْ لي الْمُباحَ [من الْأَرْضِ][2]، فَجَمَعَ له، فَأَكَلَهُ[3] ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، فلمَّا كان عند صَلاةِ الْمَغْرِبِ، قال لِخادِمِهِ: رَمَيْتُهُ السَّاعَةَ، فَرَكِبَ الْأَفْضَلُ من الْغَدِ فَقُتِلَ. وَوَلِيَ بَعْدَهُ الْمَأْمونُ ابْنُ الْبَطائِحِيِّ، فَأَكْرَمَ الشَّيْخَ إِكْرامًا كَثيرًا، وَصَنَّفَ له كِتَابَ: "**سِراجُ الْمُلوكِ**"، وهو حَسَنٌ نافِعٌ في بابِهِ. وله غَيْرَ ذلِكَ تَصانيفُ كَثيرَةٌ. وله طَريقَةٌ في الْخِلافِ. وله أشْعارٌ كَثيرَةٌ، ومن لَطيفِ شِعْرِهِ: [المتقارب]

إذا كُنْتَ في حاجَةٍ مُرْسِلًا وَأَنْتَ بِإنْجازِها مُغْرَمُ[4]
فَأَرْسِلْ بِأَكْمَهَ خَلَّابَةٍ بِه صَمَمٌ أَغْطَشُ أَبْكَمُ
ودَعْ عَنْكَ كُلَّ رَسولٍ سِوَى رَسولٍ يُقالُ له الدِّرْهَمُ

(1) الخبر والبيتان من وفيات الأعيان: 4/ 262-263.
(2) زيادة من أنطاليا.
(3) فأكل، في قونية.
(4) الخبر والأبيات في وفيات الأعيان: 4/ 263، والأبيات تنسب للإمام الشافعي.

وَنَظِيرُ هذه الْأَبْياتِ ما قِيلَ: [المتقارب]

إذا كُـنْـتَ في حـاجَـةٍ مُـرْسِـلًا وأنْـتَ بهـا كَـلِـفٌ مُـغْـرَمُ[1]
فَـأَرْسِـلْ حَكيمًـا ولا توصِـهِ وذاكَ الْـحَـكـيـمُ هـو الـدِّرْهَـمُ

وكانَتْ وِلادَةُ الطُّرْطوشِيِّ سنةَ إحْدَى وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ تَقْريبًا. وَتُوُفِّيَ في ثُلُثِ اللَّيْلِ الْأَخِيرِ، من لَيْلَةِ السَّبْتِ، لأربعٍ بَقينَ من جُمادى الأولى، سَنَةَ عِشْرينَ وخَمْسِمِئَةٍ بِثَغْرِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ.

ومن الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَةِ في آدابِ الْمُلوكِ:

"سُلْوانُ الْمُطاعِ في عُدْوانِ الْأَتْباعِ"، لِابْنِ ظَفَرٍ. وقد عَرَفْتَهُ في الْمُحاضَراتِ.

عِلْمُ آدابِ الْوِزارَةِ

واعْلَمْ أنَّ الْوِزارَةَ من أَرْكانِ السَّلْطَنَةِ، كَما قالَ الله تعالى في قِصَّةِ موسى عليه السَّلامُ: ﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (29) هَارُونَ أَخِي (30) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (31)﴾[2]، فَلَوْ كانَ السُّلْطانُ يَسْتَغْنِي عن الْوُزراءِ، لَكانَ أَحَقَّ النَّاسِ بذلكَ كَليمُ الله تعالى موسى بْنُ عِمْرانَ عليه السَّلام. ثم ذَكَرَ حِكْمَةَ الْوُزراءِ فقال: ﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (31) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (32)﴾[3]، دَلَّتِ

(1) البيتان لأحمد بن فارس اللغوي وهما في وفيات الأعيان: 4/ 263-264.
(2) سورة طه، الآية: 29-31.
(3) سورة طه، الآية: 31-32.

الْآيَةُ على أنَّ مَوْضِعَ الْوِزارَةِ، أنْ يَشُدَّ قَواعِدَ الْمَمْلَكَةِ، وأنْ يُفْضِيَ إليه السُّلْطانُ لِعَجْزِه وَيَجْري[1] إذا اسْتُكْمِلَتْ فيه الْخِلالُ الْمَحْمودَةُ.

ثم قال تعالى: ﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (33) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا(34) ﴾[2]. دَلَّتْ هذه الْآيَةُ على أنَّ بِصُحْبَةِ الْعُلماءِ والصَّالِحينَ، وأَهْلِ الْخِبْرَةِ والْمَعْرِفَةِ، تَنْتَظِمُ أُمورُ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ. وكما أنَّ أَشْجَعَ النَّاسِ يَحْتاجُ إلى السِّلاحِ، وأنَّ أَفْرَهَ الْخَيْلِ يَحْتاجُ إلى السَّوْطِ، وأنَّ أَحَدَّ الشِّفَارِ يَحْتاجُ إلى الْمِسَنِّ، كَذَلِكَ يَحْتاجُ أَجَلُّ الْمُلوكِ وأَعْظَمُهُمْ وَأَعْلَمُهُمْ إلى الْوَزيرِ[3].

وَكِتابُ "**الْإِشارَةُ في آدابِ الْوِزارَةِ**"[4]، نافِعٌ في هذا الْبَابِ. وَيورِدُ ما يَحْتاجُ إليه الْوِزارَةُ في كِتابِ "**سِراجُ الْمُلوكِ**"، لِلطُّرْطوشِيِّ، و"**نَصيحَةُ الْمُلوكِ**"، لِلْغَزالِيِّ. وأَمْثالُ ذلِكَ يَعْرِفُها من يَطْلُبُها.

عِلْمُ الِاحْتِسابِ

وهو النَّظَرُ في أُمورِ أَهْلِ الْمَدينَةِ، بِإجْراءِ ما رُسِمَ في الرِّئاسَةِ الِاصْطِلاحِيَّةِ ونَهْيِ ما يُخالِفُها، أو بِتَنْفيذِ ما تَقَرَّرَ في الشَّرْعِ، من الْأَمْرِ بالْمَعْروفِ والنَّهْيِ عن الْمُنْكَرِ، وَيُواظِبُ على هذه الْأمورِ لَيْلًا ونَهارًا، سِرًّا وجِهارًا؛ إِذِ السُّلْطانُ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ من الْبَدَنِ، الَّذي هو مَنْبَعُ الرَّأْيِ والتَّدْبيرِ، والْوَزيرُ بِمَنْزِلَةِ اللِّسانِ الَّذي هو

(1) بِعَجْزٍ وَنَحْوِهِ، في سراج الملوك: 69، ولعل كلمة نحوه صحفت إلى كلمة يجري.

(2) سورة طه، الآية: 33-34.

(3) سراج الملوك: 67-68.

(4) للسان الدين ابن الخطيب السَّلماني (ت.776هـ).

الْمُعَبِّرُ والسَّفيرُ، والْمُحْتَسِبُ بِمَنْزِلَةِ الْأَيْدِي والْأَقْدامِ، أو الْمَماليكِ والْخُدَّامِ. وَكُلٌّ مِنْ هَؤُلاءِ في مَصْلَحَةٍ لا يَتِمُّ النِّظامُ بِدونِها[1].

وَعِلْمُ السِّياسَةِ الْمَدَنِيَّةِ مُشْتَمِلٌ على بعض لَوازِمِ هذا الْمَنْصِبِ الْجَليلِ. ولم نَرَ كِتابًا صُنِّفَ في هذا الْعِلْمِ خاصَّةً[2]. وذُكِرَ في **"الْأَحْكامُ السُّلْطانِيَّةُ"**، لِلْماوَرْدِيِّ، ما يَكْفِي في هذا الْبابِ.

عِلْمُ قَوْدِ الْعَساكِرِ والْجُيوشِ

عِلْمٌ باحِثٌ عن تَرْتيبِ الْعَساكِرِ، ونَصْبِ الرُّؤَساءِ، لِضَبْطِ أَحْوالِهِمْ، وَتَهْيِئَةِ أَرْزاقِهِمْ، وَتَمْييزِ الشُّجاعِ عن الْجَبانِ، والْقَوِيِّ عن الضَّعيفِ، ويُحْسِنُ إلى الْأَقْوِياءِ والشُّجْعانِ، فوق إحْسانِ الضُّعَفاءِ من الْأَقْرانِ، ثُمَّ يَسْتَميلُ قُلوبَ الشُّجْعانِ بأَنْواعِ اللُّطْفِ والْإِحْسانِ، وَيُهَيِّئُ لهم أَلْبِسَةَ الْحُروبِ، وما يَليقُ بهم من السِّلاحِ، ثُمَّ يَأْمُرُ كُلًّا منهم بالزُّهْدِ والصَّلاحِ، لِيَفوزُوا بالْخَيْرِ والْفَلاحِ، وَيَأْمُرُهُمْ أن لا يَظْلِموا أَحَدًا، ولا يَنْقُضوا عَهْدًا، ولا يُهْمِلوا رُكْنًا من أَرْكانِ الشَّريعَةِ، فإنَّهُ إلى اسْتِئْصالِ الدَّوْلَةِ ذَريعَةٌ. ولقد سَمِعْتُ من مَشايِخِي الْعِظامِ، وشاهَدْتُ مِرارًا في سَوالِفِ الْأَيَّامِ أَنَّ من تَعَرَّضَ لِحُرَمِ الشَّريعَةِ وأَرْكانِ

---

(1) ينظر رسالة في العلوم الشرعية والعربية: 58.

(2) هناك مصنفات في هذا العلم نحو: "معالم القربة في أحكام الحسبة"، لمحمد بن محمد بن أحمد بن أبي زيد بن الأخوة القرشي (ت.729هـ)، و"نصاب الاحتساب"، لعمر بن مُحَمَّد بن عوض السَّنامي (ت.734هـ)، و"نهاية الرتبة في طلب الحسبة"، لعبد الرحمن بن نصر بن عبد الله العدوي الشيزري (ت.774هـ) وغيرهما.

الْإِسْلامِ، لن يُفْلِحَ أَبَدَ الْآبادِ، ولا يُمْهِلُهُ رَبُّ الْعِبادِ.

يُحْكَى أنَّ الْخُشْوارَ[1] مَلِكَ الْهَياطِلَةِ، لما أُسِرَ عنده فَيْروزُ بنُ يَزْدَجْرَدَ مَلِكُ فارِسَ، أَخَذَ عليه عَهْدًا أن لا يَقْصِدَهُ بِمَكْروهٍ، فَأَطْلَقَهُ، وَوَضَعَ في تُخومِ[2] أَرْضِ الْهَياطِلَةِ صَخْرَةً، وعَهِدَ أَنْ لا يَتَجاوَزَهَا. ولما رَجَعَ فَيْروزُ إلى دارِ مُلْكِهِ، داخَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ والْأَنَفَةُ، فَقَصَدَ الْخُشْوارَ بِسوءٍ، فَحَذَّرَهُ وُزَراؤُهُ، فلم يَسْمَعْ، وقال موبَذُ موبَذانَ ـ يعني حافِظَ حَفَظَةِ الدِّينِ، وهو عِنْدَهُمْ كَالنَّبِيِّ[3] ـ لا تَفْعَلْ أَيُّها الْمَلِكُ، فإنَّ رَبَّ الْعَالَمِ يُمْهِلُ الْمُلوكَ على الْجَوْرِ، ما لم يَأْخُذوا في هَدْمِ أَرْكانِ الشَّريعَةِ، وإِنَّ الْعُهودَ والْمَواثيقَ مِنْ أَرْكانِها، فَقَالَ فَيْروزُ: إنِّي حَلَفْتُ أن لا أَتَجاوَزَ الصَّخْرَةَ، وأنا آمِرٌ بحَمْلِها على فِيلٍ، ولا يَتَجاوَزُهُ أَحَدٌ من جُنودِي. فَغَلَبَ على فَيْروزَ سُلْطانُ الْهَوَى، فآلَ أَمْرُهُ إلى ما آلَ، على ما بُيِّنَ في كُتُبِ التَّواريخِ كَيْفِيَّةُ الْحالِ. اللَّهُمَّ اعْصِمْنا مِمَّا لا تَرْضاهُ من سوءِ الْأَفْعالِ، وَخَطَإِ الْأَقْوالِ، إنَّكَ الْكَريمُ الْمُتَعالِ.

---

(1) أخنشوار ملك الهياطلة، في المعارف: 1/ 661، وعيون الأخبار: 1/ 197، وتاريخ الطبري: 2/ 84. والهياطلة: أولاد هيطل بن عالم بن سام، وهم أتراك، ويقال بل هم قوم من أهل فارس كانوا يلوطون فنفاهم فيروز إلى هراة، ويقال من الهند، ينظر: فتوح البلدان: 390، والأخبار الطوال: 3. وعرفهم صاحب مفاتيح العلوم: 141 بقوله: "جيل من الناس كانت لهم شوكة، وكانت لهم بلاد تخارستان، وأتراك خلج وكنجينة من بقاياهم".

(2) في آخر، في مراد ملا.

(3) قال ابن سعد في الطبقات الكبرى: 9/ 130: هو قاضي القضاة.

الدَّوْحَةُ السَّادِسَةُ: في الْعُلومِ الشَّرْعِيَّةِ

وإنَّما سُمِّيَ عِلْمَ الشَّرائِعِ لِأَخْذِ النَّاسِ منها حُظوظَهُمْ، إذِ الشَّريعَةُ لُغَةً: مَوْرِدُ الشَّارِبَةِ، كما تُسَمَّى الشَّريعَةُ دينًا لِإطاعَةِ النَّاسِ إيَّاها، وَمِلَّةً لِاجْتِماعِهِمْ عليها. وَيُسَمَّى أيْضًا عِلْمَ النَّوامِيسِ أَخْذًا من النَّاموسِ، وهو الْمَلَكُ النَّازِلُ بِالْوَحْيِ.

والنَّاموسُ لُغَةً: الْبَعوضَةُ، وهي تُصَوِّتُ في أُذُنِ الْإِنْسانِ، فَشُبِّهَ بها صَاحِبُ السِرِّ، لِتَكَلُّمِهِ السِّرَّ في أُذُنِ صاحِبِهِ، فَيُسْتَعارُ له لَفْظُ النَّاموسِ. ثُمَّ نُقِلَ إلى الْمَلَكِ النَّازِلِ بِالْوَحْيِ[1].

وفي هذه الدَّوْحَةِ مُقَدِّمَةٌ وَشُعَبٌ.

---

(1) ينظر إرشاد القاصد: 152.

الْمُقَدِّمَةُ

وَاعْلَمْ أنَّ الْعُلومَ الِاعْتِقادِيَّةَ إمَّا مُتَعَلِّقَةٌ بالنَّقْلِ، أو فَهْمِ الْمَنْقولِ، أو تَقْرِيرِهِ وَتَشْيِيدِهِ بِالْأَدِلَّةِ، أو اسْتِخْراجِ الْأَحْكامِ الْمُسْتَنْبَطَةِ.

فَالنَّقْلُ، إنْ كانَ بما أَتَى به الرَّسولُ بِواسِطَةِ الْوَحْيِ فهو عِلْمُ الْقِراءاتِ، أو بما صَدَرَ عن نَفْسِهِ الْمُؤَيَّدَةِ بالْعِصْمَةِ فَعِلْمُ رِوايَةِ الْحَديثِ. **وفَهْمُ الْمَنْقولِ**، إنْ كان مِنْ كَلامِ اللهِ تَعالى فَعِلْمُ[1] تَفْسيرِ الْقُرْآنِ، وإنْ كان من كَلامِ الرَّسولِ فَعِلْمُ دِرايَةِ الْحَديثِ. **وَالتَّقْرِيرُ**، إمَّا الْآراءُ، فَعِلْمُ أُصولِ الدِّينِ، أو الْأَفْعالُ، فَعِلْمُ أُصولِ الْفِقْهِ، أو اسْتِخْراجُ الْأَحْكامِ من أَدِلَّتِها، فَعِلْمُ الْفِقْهِ.

وَمَنافِعُ هذه الْعُلومِ جَمَّةٌ؛ **أَمَّا** في الدُّنْيا فَحِفْظُ الْمُهَجِ وَالْأَمْوالِ، وانْتِظامُ سائِرِ الْأَحْوالِ؛ **وأَمَّا** في الْأُخْرى فَالنَّجاةُ من الْعَذابِ الْأَليمِ، وَالْفَوْزُ بِالنَّعيمِ الْمُقيمِ[2].

فهذِهِ الْعُلومُ هي جُمْلَةُ أصولِ الشَّريعَةِ. ولكُلٍّ منها فُروعٌ كَثيرَةٌ، فَلْنَذْكُرْ كُلًّا من هذه السَّبْعَةِ في شُعْبَةٍ، وفُروعَ هذه في شُعْبَةٍ أُخْرَى، بِقَدْرِ ما يَفِي به قُوَّةُ التَّقْريرِ والتَّصْويرِ، وَيُحيطُ به نِطاقُ التَّحْريرِ والتَّسْطيرِ[3].

---

(1) فهو علم، في رئيس الكتاب.

(2) ينظر إرشاد القاصد: 152-153.

(3) التسطير والتحرير، في قونية.

الشُّعْبَةُ الْأولَى: من الْعُلومِ الْمُتَعَلِّقَةِ بالشَّريعَةِ

عِلْمُ الْقِراءَةِ

وهو عِلْمٌ يُبْحَثُ فيه عن صُوَرِ نَظْمِ كَلامِ الله تعالى، من حيثُ وُجوهُ الِاخْتِلافاتِ الْمُتواتِرَةِ.

وَمَبادِئُهُ: مُقَدِّماتٌ تَواتُرِيَّةٌ، وله أيضًا اسْتِمْدادٌ من الْعُلومِ الْعَرَبِيَّةِ.

والْغَرَضُ منه: تَحْصيلُ مَلَكَةِ ضَبْطِ الِاخْتِلافاتِ الْمُتَواتِرَةِ.

وَفائِدَتُهُ: صَوْنُ كَلامِ اللهِ تَعالى عن طَرِيقِ[1] التَّحْريفِ والتَّغْيِيرِ. وقد يُبْحَثُ فيه أَيْضًا عن صُوَرِ نَظْمِ الْكَلامِ، من حيثُ الِاخْتِلافاتُ غيرُ الْمُتواتِرَةِ، الْواصِلَةُ إلى حَدِّ الشُّهْرَةِ.

وَمَبادِئُهُ: مُقَدِّماتٌ مَشْهورَةٌ، أو مَرْوِيَّةٌ عن الْآحادِ الْمَوْثوقِ بِهِمْ[2].

وَلْنَذْكُرْ هاهنا أَئِمَّةَ الْقُرْآنِ من الصَّحابَةِ، ثُمَّ من التَّابِعينَ، ثُمَّ الْأَئِمَّةَ السَّبْعَةَ الْمَشْهورينَ، ثُمَّ الثَّلاثَةَ الَّذينَ يُكَمِّلونَ الْعَشَرَةَ بهم، ثُمَّ أَرْبابَ التَّصانيفِ الْمَشْهورَةِ.

---

(1) تطريق: قونية ورئيس الكتاب وأنطاليا.

(2) ينظر رسالة في العلوم الشرعية والعربية: 46-47.

أَمَّا الصَّحابَةُ:

فَأَوَّلُهُمْ: عَبْدُ اللهِ بْنُ عُثْمانَ بْنِ عامِرِ بن عَمْرِو بنِ كَعْبِ بنِ سَعْدِ بنِ تَيْمِ ابنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ بنِ غالِبِ بنِ فِهْرٍ، الإمامُ أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ. صاحِبُ رَسولِ اللهِ صلَّى الله عليه وسَلَّمَ، وخَليفَتُهُ، وَخَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَهُ.

ذَكَرَهُ الدَّانِيُّ وقالَ: وَرَدَتِ الرِّوايَةُ عنه في حُروفِ الْقُرْآنِ[1].

قُلْتُ: هو أَوَّلُ من جَمَعَ الْقُرْآنَ في الْمُصْحَفِ، وأشارَ بِجَمْعِهِ، وذلك مَشْهورٌ. ذَكَرَهُ أبو الْفِداءِ إسْماعيلُ ابْنُ كَثيرٍ.

وَنَصَّ الْإمامُ أبو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ على حِفْظِهِ الْقُرْآنَ، وَاسْتَدَلَّ على ذلك بِدَليلٍ لا يُرَدُّ، وهو: أَنَّهُ صَحَّ عنه صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ بلا نَظَرٍ أَنَّهُ قالَ: «يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتابِ اللهِ تَعالى وأَكْثَرُهُمْ قُرْآنًا»[2].

وَتَواتَرَ عنه صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَدَّمَهُ لِلْإمامَةِ، ولم يكنْ صلَّى الله عليه وَسَلَّمَ لِيَأْمُرَ بِأَمْرٍ ثُمَّ يُخالِفَهُ بلا سَبَبٍ. وإذا كان أَقْرَأَهُمْ يَكونُ أَعْلَمَهُمْ، إذْ كان عندهُمُ الْأَقْرَأُ هو الْأَعْلَمُ. كما قالَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللهُ عنه: إنَّ الْأَفْضَلِيَّةَ في الْقِراءَةِ، تَسْتَلْزِمُ الْأَفْضَلِيَّةَ في الْعِلْمِ. وكيفَ يَسُوغُ لِأَحَدٍ نَفْيُ

---

(1) غاية النهاية: 1/ 430.

(2) صحيح مسلم: 1/ 465، رقم: 673، سنن ابن ماجه: 1/ 313، رقم: 980، سنن أبي داود: 1/ 227، رقم: 582.

حِفْظِ الْقُرْآنِ عن أبي بَكْرٍ رضِيَ الله عنه كما زَعَمَهُ بَعْضٌ بِغَيْرِ دَليلٍ ولا حُجَّةٍ، بل بِمُجَرَّدِ الظَّنِّ؟![1].

وما رُوِيَ عن أَنَسٍ رضِيَ الله عنه: «لَمْ يَحْفَظِ الْقُرآنَ إلَّا أَرْبَعَةٌ كُلُّهُمْ مِنَ الْأَنْصارِ»[2].

فَالْمُرادُ حِفْظًا وَكِتابَةً، أو حِفْظًا لا كِتابَةً، أو لم يَحْفَظْهُ من الْأَنْصارِ غيرُ الْأَرْبَعَةِ بِدَليلِ قَوْلِهِ: «كُلُّهُمْ من الْأَنْصارِ»، إذ قد اتَّفَقُوا على أنَّ عَبْدَ اللهِ بنَ عَمْرِو بنِ الْعاصِ، وعَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ، وعُثْمانَ بنَ عَفَّانَ، وعبدَ الله بْنَ مَسْعودٍ، حَفِظُوا الْقُرْآنَ، ولم يُذْكَرْ فيهم، والدَّلائِلُ الْواهِيَةُ، والْأَجْوِبَةُ عنها، مَذْكورَةٌ في كتاب الِانْتِصارِ، لِلقاضي أَبِي بَكْرٍ[3]، وكِتابِ الْمُرْشِدِ، لِلشَّيْخِ أبي شامَةَ[4]، وغيرِهِما.

وَكَيْفَ يَرْضى مُسْلِمٌ أن يَنْفِيَ فَضيلَةَ حِفْظِ الْقُرْآنِ ـ الَّذِي هو أَشْرَفُ الْفَضائِلِ ـ عن[5] رَجُلٍ قال فيه سَيِّدُ الْبَشَرِ: «ما طَلَعَتْ شَمْسٌ ولا غَرَبَتْ على

---

(1) غاية النهاية: 1/ 430-431.

(2) كذا بلفظه في غاية النهاية: 431، وفي صحيح البخاري: 5/ 37، صحيح مسلم: 4/ 1914: «جَمَعَ الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَةٌ كُلُّهُمْ مِنَ الْأَنْصَارِ...».

(3) كتاب الانتصار للقرآن، للقاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني (403هـ)، طبع جزء منه.

(4) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لعبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم ابن شامة المقدسي (665هـ).

(5) من، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

أَحَدٍ بعد النَّبيئينَ والْمُرْسَلينَ أفْضَلَ من أبي بَكْرٍ»[1]. رَواهُ ابنُ جُرَيْجٍ عن عَطاءٍ.

ثُمَّ إنَّ أبا بَكْرٍ: أمُّهُ أمُّ الْخَيْرِ، سَلْمَى بِنْتُ صَخْرٍ، من تَميمٍ، وَسُمِّيَ عَتيقًا، إمَّا لِجَمالِهِ، أو لِقَوْلِهِ صلَّى الله عليه وسَلَّمَ: «أنْتَ عَتيقٌ من النَّارِ»[2].

وسُمِّيَ صِدِّيقًا، لأنَّهُ لمَّا أُسْرِيَ به صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ، كَذَّبَهُ[3] قُرَيْشٌ، وَصَدَّقَهُ أبو بَكْرٍ رضيَ الله عنه.

قيلَ: هو أَوَّلُ من أَسْلَمَ. والاِتِّفاقُ على أنَّهُ أوَّلُ من أَسْلَمَ من الرِّجالِ، وَعَلِيٌّ أَوَّلُ من أَسْلَمَ من الصِّبْيانِ، وفي الْأَوَّلِيَّةِ بينهما خِلافٌ. اسْتَخْلَفَهُ النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وسَلَّمَ أيَّامًا في الصَّلاةِ في مَرَضِ مَوْتِهِ، ثُمَّ بايَعَهُ الصَّحابَةُ بعد مَوْتِهِ صلَّى الله عليه وسَلَّمَ، وهو يَوْمُ الْإِثْنَيْنِ.

وَوُلِدَ رَضِيَ الله عنه بَعْدَ عامِ الْفِيلِ بسَنَتَيْنِ وثَلاثَةِ أشْهُرٍ وأيَّامٍ قَلائِلَ. وتُوُفِّيَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ، أو لَيْلَةَ الثُّلاثاءِ، أو يَوْمَ الْجُمُعَةِ، والْأَوَّلُ أَصَحُّ، لِثمانٍ بَقِينَ من جُمادَى الْآخِرَةِ سنةَ ثلاثَ عَشْرَةَ، وله ثَلاثٌ وسِتُّونَ سنَةً[4].

---

(1) أخرجه أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة: 1/ 152، وابن حبان في الثقات: 7/ 94. قال أبو نعيم: "غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ عَطَاءٍ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، تَفَرَّدَ بِهِ عَنْهُ ابْنُ جُرَيْجٍ، وَرَوَاهُ عَنْهُ بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ وَغَيْرُهُ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ". حلية الأولياء: 3/ 325. قال ابن حجر: عطاء بن أبي رباح، على تقدير مولده، لا يصح سماعه من أبي الدرداء. تهذيب التهذيب: 7/ 199.

(2) أخرجه ابن وهب في جامعه: 144، الطبراني في المعجم الكبير: 1/ 53، رقم: 9.

(3) كذَّبته، في قونية.

(4) غاية النهاية: 1/ 591.

وُمُدَّةُ خِلافَتِهِ سَنَتانِ وأرْبَعَةُ أشْهُرٍ إلا عَشْرَ لَيالٍ. وَدُفِنَ في الْبَيْتِ مع رَسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّمَ، وجُعِلَ رَأْسُهُ بين كَتِفَي النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وسَلَّمَ. وأَوْصَى أن تُغَسِّلَهُ زَوْجَتُهُ أسماءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ. وَمَناقِبُهُ كَثيرَةٌ لا تَفِي بِذِكْرِها الْمُجَلَّداتُ.

ـ **وثانِيهِمْ**: عُمَرُ بنُ الْخَطَّابِ بنِ نُفَيْلِ بن عبدِ الْعُزَّى بنِ رِياحٍ ـ آخر الحروف[1] ـ بنِ قُرْطِ بنِ رَزاحٍ ـ بِتَقْدِيمِ الرَّاءِ على الزَّايِ ـ بنِ عَدِيٍّ بنِ كَعْبِ ابنِ لُؤَيِّ بنِ غالبِ بن فِهْرٍ الْقُرَشِيُّ الْعَدَوِيُّ، أَمِيرُ الْمُؤْمنينَ، أبو حَفْصٍ.

وَرَدَتِ الرِّوايَةُ عنه في حُروفِ الْقُرْآنِ.

وقال أبو الْعالِيَةِ الرِّياحِيُّ بِسَنَدٍ صَحيحٍ: قَرَأْتُ الْقُرْآنَ على عُمَرَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، وَأَكَلْتُ معه اللَّحْمَ[2].

وأمُّهُ حَنْتَمَةُ بنتُ هِشامِ بنِ الْمُغيرَةِ أُخْتُ أبي جَهْلٍ لَعَنَهُ الله تعالى.

وكان يُلَقَّبُ بالْفاروقِ لِفَرْقِهِ بين الْحَقِّ والْباطِلِ. وهو أَوَّلُ من سُمِّيَ أَميرَ الْمُؤْمِنينَ، لأنَّ النَّاسَ قالوا له: خَليفَةُ خَليفَةِ رَسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّمَ، فقالَ: هذا أَمْرٌ يَطولُ سِيَّما بَعْدِي فقال: أنتم الْمُؤْمِنونَ وأنا أَميرُكُمْ[3].

---

(1) يقصد الياء، وهو منقول من غاية النهاية: 1/ 591، وفي عمدة القاري: العبارة أكثر وضوحا: بكسر الراء وفتح الياء آخر الحروف.

(2) غاية النهاية: 1/ 591.

(3) تاريخ الطبري: 4/ 208.

وكان يَدورُ في الْأَسْواقِ والدِّرَّةُ على عاتِقِهِ، ويَأْخُذُ لِلضَّعيفِ من الْقَوِيِّ، ولِلْعَبْدِ من الْحُرِّ، احْتِسابًا وطَلَبًا لِلثَّوابِ، من الله الْوَهَّابِ، لا يَخافُ في الله لَوْمَةَ لائِمٍ. وكان يَسْعَى مع الْيَتيمِ والْأَرْمَلَةِ والْمَساكينِ، وَيَقِفُ على الصِّبْيانِ والْمَشْيَخَةِ، وكان آدَمَ شَديدَ الْأُدْمَةِ، أَصْلَعَ، في عارِضَيْهِ خِفَّةٌ، سَبْلَتُهُ كَثيرَةُ الشَّعْرِ[1]، شَديدَ حُمْرَةِ الْعَيْنَيْنِ، أَعْسَرَ، يَسيرُ مُشْرِفًا على النَّاسِ، كأَنَّهُ على دابَّةٍ والنَّاسُ يَمْشونَ.

بويِعَ بالْخِلافَةِ في الْيَوْمِ الذي ماتَ فيه أبو بَكْرٍ. **واسْتُشْهِدَ** يومَ الْأَرْبعاءِ لأَرْبَعٍ بَقينَ من ذي الْحِجَّةِ، سنة ثلاثٍ وعِشْرينَ. وكانَتْ خِلافَتُهُ عَشْرَ سِنينَ وسِتَّةَ أَشْهُرٍ وعَشَرَةَ أَيَّامٍ[2].

ـ **وثالِثُهُمْ**: عُثْمانُ بنُ عَفَّانَ بنِ أبي الْعاصِ بنِ أُمَيَّةَ بنِ عبدِ شَمْسِ بنِ عبدِ منافِ بنِ قُصَيٍّ، أبو عبدِ اللهِ، وأبو عَمْرٍو، الْقُرَشِيُّ الْأُمَوِيُّ، أَميرُ الْمُؤْمِنينَ، ذو النُّورَيْنِ، أَحَدُ السَّابِقينَ الْأَوَّلينَ، وأَحَدُ من جَمَعَ الْقُرْآنَ على عَهْدِ رَسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّمَ. وَعَرَضَ عليه الْقُرْآنَ الْمُغيرَةُ بنُ أبي شِهابٍ الْمَخْزوميُّ، وأبو عبدِ الرَّحْمنِ السُّلَمِيُّ، وَزِرُّ بْنُ حُبَيْشٍ، وأبو الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ، ويُقالُ: وعَبْدُ الله بْنُ عامِرٍ فيما ذَكَرَهُ الْوَليدُ بْنُ مُسْلِمٍ، عن يَحْيَى بْنِ الْحارِثِ.

---

(1) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: 3/ 1146.

(2) غاية النهاية: 1/ 591.

تَزَوَّجَ بِابْنَةِ رَسولِ الله، صلَّى الله عليه وسَلَّمَ: رُقَيَّةَ، فَوَلَدَتْ له عَبْدَ اللهِ، وبه كانَ يُكْنَى، ثُمَّ كُنِّيَ بابْنِهِ عَمْرٍو. فلمَّا تُوُفِّيَتْ رُقَيَّةُ لَيالِيَ بَدْرٍ، زَوَّجَهُ النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وسَلَّمَ بأُخْتِها أُمِّ كُلْثومٍ. وكانَ مُعْتَدِلَ الطُّولِ، كَثيرَ اللِّحْيَةِ، حَسَنَ الْوَجْهِ، أَسْمَرَ، بَعيدَ ما بينَ الْمَنْكِبَيْنِ، يَخْضِبُ بالصُّفْرَةِ.

قال السَّائِبُ: رَأَيْتُهُ فما رَأَيْتُ شيْئًا أجْمَلَ منه. وكان أصْغَرَ من النَّبِيِّ صلَّى الله عليه سَلَّمَ بِسِتِّ سِنينَ.

قُتِلَ شَهيدًا مَظْلومًا في دارِهِ، يومَ الْأَرْبعاءِ، وقيلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بعد الْعَصْرِ، وكان صائِمًا ثامِنَ عَشَرَ ذي الْحِجَّةِ سنة خمسٍ وثلاثينَ، وله اثنتانِ وثَمانونَ سَنَةً على الصَّحيحِ. ودُفِنَ ليلةَ السَّبْتِ بِالْبَقيعِ، وصلَّى عليه جُبَيْرُ بنُ مُطْعِمٍ[1].

أَسْلَمَ رَضِيَ الله عنه قَديمًا في السَّنَةِ الأولى من النُّبُوَّةِ، وهاجَرَ هِجْرَتَيْنِ. وُلِدَ في السَّنَةِ السَّادِسَةِ من عام الْفِيلِ. وكانَتْ أمُّهُ أَرْوَى بِنْتَ كُرَيْزِ بنِ رَبيعَةَ ابنِ حَبيبِ بنِ عبدِ شَمْسٍ، وأمُّها أمُّ حَكِيمٍ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وهي الْبَيْضاءُ، تَوْأَمَةُ أبي رَسولِ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ[2].

ـ وَرابِعُهُمْ: عَلِيُّ بنُ أبي طالِبِ بنِ عبدِ الْمُطَّلِبِ بنِ هاشِمٍ، الإمامُ أبو الْحَسَنِ[3] الْهاشِمِيُّ، أميرُ الْمُؤْمِنينَ، وأَحَدُ السَّابِقينَ الْأَوَّلينَ، وابْنُ عَمِّ

(1) غاية النهاية: 1/ 507.
(2) ينظر نسب قريش: 101.
(3) الحسنين، في قونية.

رَسولِ الله صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ. كان يُسَمَّى الصِّدِّيقَ الْأَكْبَرَ، وَيَعْسوبَ الْمُوَحِّدينَ، وأبا الرَّيْحانَيْنِ، وأبا التُّرابِ، وَالْكَرَّارَ.

بويِعَ له بالْخِلافَةِ يَوْمَ قَتْلِ عُثْمانَ، رضِيَ الله عنه، وَقِيلَ بَعْدَهُ بِخَمْسَةِ أَيّامٍ. وَمَناقِبُهُ أكْثَرُ من أن تُحْصى، ولا يَخْفَى فَضْلُهُ على أَحَدٍ من الْمُسْلِمينَ.

رُوِّينا عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمنِ السُّلَمِيِّ أَنَّهُ قالَ: ما رَأَيْتُ أَقْرَأَ من عَلِيٍّ، عَرَضَ الْقُرْآنَ على النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ، وهو من الَّذينَ حَفِظوا الْقُرآنَ أَجْمَعَ بلا شَكٍّ عندنا. وقد أَبْعَدَ الشَّعْبِيُّ في قَوْلِهِ: إنَّهُ لم يَحْفَظْهُ.

قال يَحْيَى بْنُ آدَمَ: قُلْتُ لأبي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ: يَقولونَ إنَّ عَلِيًّا رَضِيَ الله عنه لم يَقْرَإِ الْقُرْآنَ، فقالَ: أَبْطَلَ مَنْ قالَ هذا، عَرَضَ عليه أبو عبدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ، وأبو الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ، وعبدُ الرَّحمنِ بنُ أبي لَيْلَى.

وأَجْمَعَ الْمُسْلِمونَ على أنَّهُ قُتِلَ شَهيدًا يَوْمَ قُتِلَ، وما على وَجْهِ الْأَرْضِ أَفْضَلُ منه، ضَرَبَهُ عبد الرَّحمنِ بنُ مُلْجَمٍ، صَبيحَةَ سابِعَ عَشَرَ شَهْرِ رَمَضانَ، سَنَةَ أَرْبَعِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ بِالْكوفَةِ، وهو ابْنُ ثَمانٍ وَخَمْسِينَ سنَةً، فيما قالَهُ ابْنُهُ الْحُسَيْنُ رَضِيَ الله عنه، فَعَلَى هذا يكونُ أَسْلَمَ وهو ابنُ ثَمانِ سِنينَ.

وقال مُحَمَّدُ بنُ الْحَنَفِيَّةِ: قُتِلَ أبي وله ثَلاثٌ وسِتُّونَ سنَةً. وكذا قال الشَّعْبِيُّ وابْنُ عباسٍ وجَماعَةٌ. وقيلَ: ابْنُ سَبْعٍ وخمسينَ سنَةً، رضِيَ الله عنه[1].

---

(1) غاية النهاية: 1/ 546-547.

ـ **وخامِسُهُمْ**: أُبَيُّ بنُ كَعْبِ بنِ قَيْسِ بنِ عُبَيْدِ بنِ زَيْدِ بنِ مُعاوِيَةَ بنِ عَمْرِو ابنِ مالِكِ بنِ النَّجَّارِ، أبو الْمُنْذِرِ الْأَنْصارِيُّ الْمَدَنِيُّ، سَيِّدُ الْقُرَّاءِ بِالِاسْتِحْقاقِ، وأَقْرَأُ هذه الأُمَّةِ على الْإِطْلاقِ. قَرَأَ على النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وسَلَّمَ الْقُرْآنَ الْعَظيمَ، وقَرَأَ عليهِ النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ بعضَ الْقُرْآنِ للإرْشادِ والتَّعْليمِ(1).

رَوَى أبو قِلابَةَ أنَّ رَسولَ الله صلَّى الله عليه وسَلَّمَ قالَ: «أَقْرَؤُهُمْ أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ»(2).

قَرَأَ عليه الْقُرْآنَ من الصَّحابَةِ: ابْنُ عَبَّاسٍ، وأبو هُرَيْرَةَ، وعَبْدُ الله بْنُ السَّائِبِ. ومِنَ التَّابِعينَ: عَبْدُ اللهِ بنُ عَيَّاشِ بْنِ أبي رَبِيعَةَ، وعَبْدُ اللهِ بنُ حَبيبٍ، أبو عَبْدِ الرَّحمنِ السُّلَمِيُّ، وأبو الْعالِيَةِ الرِّياحِيُّ.

اخْتُلِفَ في مَوْتِهِ اخْتِلافًا كَثيرًا، فَقيلَ: سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ، وقيلَ: سنة عِشْرينَ، وقيل: سنة ثلاثٍ وثَلاثينَ، وقيل: قبل مَقْتَلِ عُثْمانَ بِجُمُعَةٍ أو بِشَهْرٍ(3).

ـ **وسادِسُهُمْ**: زَيْدُ بنُ ثابِتِ بنِ الضَّحَّاكِ بنِ زَيْدِ بنِ لَوْذانَ بنِ عَمْرِو بنِ عبدِ عَوْفِ بنِ غَنْمِ بنِ مالِكِ بنِ النَّجَّارِ، أبو خارِجَةَ، وأبو سَعيدٍ الْأَنْصارِيُّ

---

(1) غاية النهاية: 1/ 31.

(2) أخرجه الخطيب البغدادي في الفصل للوصل المدرج في النقل: 2/ 683، والذهبي في معرفة القراء الكبار: 14، والنقل من غاية النهاية: 1/ 31.

(3) غاية النهاية: 1/ 31.

الْخَزْرَجِيُّ الْمُقْرِئُ الْفَرَضِيُّ، كاتِبُ النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ وأَمِينُهُ على الْوَحْيِ، وأَحَدُ الذينَ جَمَعوا الْقُرْآنَ على عَهْدِهِ صلَّى الله عليه وسلَّمَ من الْأَنْصارِ. وهو الَّذِي كَتَبَهُ في الْمُصْحَفِ لأبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، ثُمَّ لِعُثْمانَ حين جَهَّزَها إلى الْأَمْصارِ. وكان أَسَنَّ من أَنَسٍ بِسَنَةٍ. عَرَضَ الْقُرْآنَ على النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ.

وَقَرَأَ عليه من الصَّحابَةِ: أبو هُرَيْرَةَ، وابْنُ عَبَّاسٍ. ومنَ التَّابِعينَ: أبو عبدِ الرَّحْمنِ السُّلَمِيُّ، وأبو الْعالِيَةِ الرِّياحِيُّ، قيل: وأبو جَعْفَرٍ.

تُوُفِّيَ سَنَةَ خَمْسٍ وأَرْبَعينَ، وقيلَ: سنَةَ ثَمانٍ وأَرْبَعينَ، وأَبْعَدَ من قالَ: سَنَةَ خَمْسٍ وخَمْسينَ، أو سَنَةَ سِتٍّ وخَمْسينَ، بل ماتَ عن سِتٍّ وخَمْسينَ سنَةً. واللهُ أَعْلَمُ[1].

- **وسابِعُهُمْ**: عبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعودِ بنِ الْحارِثِ بنِ عاقِلِ بنِ حَبيبِ بنِ شَمْخِ ابنِ فارِ بنِ مَخْزومِ بنِ صاهِلَةَ بنِ كاهِلِ بنِ الْحارِثِ بنِ تَميمِ بنِ سَعْدِ بنِ هُذَيْلِ بنِ مُدْرِكَةَ بنِ إِلْياسَ بْنِ مُضَرَ، أبو عَبْدِ الرَّحْمنِ الْهُذَلِيُّ الْمَكِّيُّ، أَحَدُ السَّابِقينَ والْبَدْرِيِّينَ، وَالْعُلَماءِ الْكِبارِ من الصَّحابَةِ، أَسْلَمَ قَبْلَ عُمَرَ. عَرَضَ الْقُرْآنَ على النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ. عَرَضَ عليه الْأَسْوَدُ، وَتَميمُ بْنُ حَذْلَمٍ[2]، والْحارِثُ بْنُ قَيْسٍ، وزِرُّ بْنُ حُبَيْشٍ، وعُبَيْدُ بنُ قَيْسٍ، وعُبَيْدُ بْنُ

---

(1) غاية النهاية: 1/ 296.

(2) ابن حذم، في النسخ الخطية، ولعل الصواب ما أثبتنا، ينظر: تلخيص المتشابه في الرسم: 2/ 761، تهذيب الكمال: 4/ 328، تاريخ الإسلام: 2/ 622.

نَضْلَةَ، وعَلْقَمَةُ، وعُبَيْدَةُ السَّلْمانِيُّ، وعَمْرُو بْنُ شُرَحْبِيلَ، وأبو عَبْدِ الرَّحْمنِ السُّلَمِيُّ، وأبو عَمْرٍو الشَّيْبانِيُّ، وزَيْدُ بنُ وَهْبٍ، وَمَسْروقٌ.

وهو أَوَّلُ من أَفْشَى الْقُرْآنَ مِنْ فِي رَسولِ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّمَ، وكانَ يَقولُ: «أَحْفَظُ من فِي رَسولِ الله صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ بِضْعًا وسَبْعينَ سُورَةً»[1].

وكانَ آدَمَ خَفيفَ اللَّحْمِ، لَطيفَ الْقَدِّ، أَحْمَشَ السَّاقَيْنِ، حَسَنَ الْبِزَّةِ، طَيِّبَ الرَّائِحَةِ، مَوْصوفًا بِالذَّكاءِ والْفِطْنَةِ. وكان يَخْدُمُ النَّبِيَّ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ، وَيَلْزَمُهُ، وَيَحْمِلُ نَعْلَهُ، ويَتَوَلَّى فِراشَهُ وَوِسادَهُ وَسِواكَهُ وطُهورَهُ. وكانَ صلَّى الله عليه وسَلَّمَ يُطْلِعُهُ على أَسْرارِهِ وَنَجْواهُ، وكانوا لا يُفَضِّلونَ عليه أَحَدًا في الْعِلْمِ. وفَضائِلُهُ أَكْثَرُ من أن تُحْصَى.

وكانَ مع ذَلِكَ هو الْإمامُ في تَجْويدِ الْقُرْآنِ وَتَحْقيقِهِ وَتَرْتيلِهِ، مع حُسْنِ الصَّوْتِ، حتى قالَ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ: «مَنْ أَحَبَّ أنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كما أُنْزِلَ فَلْيَقْرَأْ قِراءَةَ ابْنِ أمِّ عَبْدٍ»[2].

وقالَ: «والَّذي لا إِلَهَ غَيْرُهُ لو أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ بِكِتابِ اللهِ مِنِّي تُبَلِّغُنِيهِ الْإِبِلُ لَرَحَلْتُ إليهِ»[3].

---

(1) صحيح البخاري: 6/ 186 رقم: 500، وصحيح مسلم: 4/ 1912، رقم: 2462.

(2) أخرجه أبو يوسف الأنصاري بلفظه في كتاب الآثار: 43، وأخرجه الطيالسي في مسنده: 1/ 261، رقم: 332، وسعيد بن منصور في سننه: 8/ 489، رقم: 2558 بلفظ من سره.

(3) أخرجه سعد في الطبقات الكبرى: 2/ 195، وابن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف: 71، وابن عساكر في تاريخ دمشق: 33/ 134.

قُلْتُ: وإليه تَنْتَهِي قِراءَةُ عاصِمٍ وَحَمْزَةَ وَالْكِسائِيِّ وخَلَفٍ والْأَعْمَشِ.

وَفَدَ من الْكوفَةِ إلى الْمَدينَةِ فَماتَ بها، آخِرَ سنَةِ اثْنَتَيْنِ وثَلاثين، وَدُفِنَ بالْبَقيعِ، وله بِضْعٌ وسِتُّونَ سَنَةً. ولمَّا جاءَ نَعْيُهُ إلى أبي الدَّرْداءِ قالَ: ما تَرَكَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ(1).

ـ وثامِنُهُمْ: أبو الدَّرْداءِ عُوَيْمِرُ بْنُ زَيْدٍ، ويُقالُ: ابْنُ عَبْدِ اللهِ، ويُقالُ: ابْنُ ثَعْلَبَةَ، ويُقالُ: ابْنُ عامِرِ بْنِ غَنْمٍ الْأَنْصارِيُّ الْخَزْرَجِيُّ. حَكيمُ هذه الْأُمَّةِ، [أَسْلَمَ بعد بَدْرٍ](2)، وأَحَدُ الَّذينَ جَمَعوا الْقُرْآنَ حِفْظًا على عَهْدِ النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ بلا خِلافٍ، وَلِيَ قَضاءَ دِمَشْقَ، وهو أَوَّلُ قاضٍ وَلِيَهَا، وكانَ من الْعُلماءِ الْحُكَماءِ الَّذينَ يَشْفُونَ من الدَّاءِ.

عَرَضَ عليه عبدُ اللهِ بنُ عامِرٍ الْيَحْصُبِيُّ، وَزَوْجُهُ أمُّ الدَّرْداءِ الصُّغْرَى التي عَرَضَ عليها عَطِيَّةُ بنُ قَيْسٍ الْكِلابِيُّ، وعَرَضَ عليهِ أيضًا خُلَيْدُ بْنُ سَعْدٍ، وراشِدُ بنُ سَعْدٍ، وخالِدُ بنُ سَعْدانَ.

قال سُوَيْدُ بنُ عَبْدِ الْعَزيزِ: كانَ أبو الدَّرْداءِ إذا صَلَّى الْغداةَ في جامِعِ دِمَشْقَ، اجْتَمَعَ النَّاسُ لِلْقِراءَةِ عليه، فكانَ يَجْمَعُهُمْ عَشَرَةً عَشَرَةً، وعلى كُلِّ عَشَرَةٍ عَريفًا، وَيَقِفُ هو في الْمِحْرابِ يَرْمُقُهُمْ بِبَصَرِهِ، فإذا غَلِطَ أحَدُهُمْ رَجَعَ إلى عَريفِهِمْ، فإذا غَلِطَ عَريفُهُمْ رَجَعَ إلى أبي الدَّرْداءِ، فَسَأَلَهُ عن ذلك. وكان ابْنُ عامِرٍ عَريفًا على عَشَرَةٍ، فَلَمَّا ماتَ أبو الدَّرْداءِ خَلَفَهُ ابْنُ عامِرٍ.

---

(1) غاية النهاية: 1/ 458-459.

(2) زيادة من أنطاليا.

وعن مُسْلِمِ بنِ مِشْكَمٍ قال: عَدَدْتُ من قَرَأَ على أبي الدَّرْداءِ بِأَمْرِهِ أَلْفًا وَسِتَّمِئَةٍ ونَيِّفًا، وكانَ لكلِّ عَشَرَةٍ منهم مُقْرِئٌ، وكانَ أبو الدَّرْداءِ يَكونُ عليهم قائِمًا، وإذا أَحْكَمَ الرَّجُلُ منهم تَحَوَّلَ إلى أبي الدَّرْداءِ.

تُوُفِّيَ رضِيَ الله عنه سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلاثينَ، ولم يُخْلَفْ بَعْدَهُ بالشَّامِ مِثْلُهُ(1).

ـ وتاسِعُهُمْ: أبو موسى الْأَشْعَرِيُّ، عَبْدُ اللهِ بنُ قَيْسِ بْنِ سُلَيْمِ بنِ حِضارٍ الْأَشْعَرِيُّ الْيَمانِيُّ. هاجَرَ إلى النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وسَلَّمَ، فَقَدِمَ عليه عند فَتْحِ خَيْبَرَ. وَحَفِظَ الْقُرآنَ، وَعَرَضَهُ على النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ.

وَعَرَضَ عليه الْقُرْآنَ: حِطَّانُ بنُ عَبْدِ اللهِ الرَّقَاشِيُّ، وأبو رَجاءٍ الْعُطارِدِيُّ، وأبو شَيْخٍ الْهُنائِيُّ(2).

قال أبو عبدِ اللهِ الْحافِظُ: وإنْ قَصُرَتْ مُدَّةُ صُحْبَتِهِ، فَلَقَدْ كانَ من نُجَباءِ الصَّحابَةِ، وكان من أَطْيَبِ النَّاسِ صَوْتًا بِالْقُرْآنِ.

سَمِعَ النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وَسَلَّمَ قِراءَتَهُ، فقال: «لَقَدْ أوتِيَ هذا مِزْمارًا من مَزاميرِ آلِ داودَ»(3).

---

(1) غاية النهاية: 1/ 609-607.

(2) أبو منيح، في قونية ورئيس الكتاب وأنطاليا. أبو شَيْخٍ الْهُنَائِيُّ، اسْمُهُ خَيْوَانُ بْنُ خَالِدٍ الهنائي البصري، وقيل: اسمه حيوان بالمهملة. مات بعد المئة. ينظر: الطبقات الكبرى: 7/ 155، الطبقات لخليفة ابن خياط: 352، التاريخ الكبير: 3/ 130.

(3) الموطأ رواية يحيى: 6/ 69، مصنف عبد الرزاق: 2/ 85، رقم: 4178، مسند أحمد: 38/ 141، رقم: 23033، مسند الدارمي: 4/ 2193، رقم: 3542.

وقد اسْتَغْفَرَ له النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وسَلَّمَ، واسْتَعْمَلَهُ على زَبِيدَ وعَدَنَ. ثُمَّ وَلِيَ إمْرَةَ الْكوفَةِ والْبَصْرَةِ لِعُمَرَ، وحَكَّمَهُ عَلِيٌّ على نَفْسِهِ في شَأْنِ الْخِلافَةِ، لِجَلالَتِهِ وفَضْلِهِ.

وكانَ قَصيرًا، خَفيفَ الَّلحْمِ، أَثَطَّ.

وكان عُمَرُ إذا رَأى أبا موسى قال: ذَكِّرْنَا رَبَّنا يا أبا موسى، فَيَقْرَأُ عِنْدَهُ.

وافْتَتَحَ أَصْبَهانَ في زَمَنِ[1] عُمَرَ، وفَضائِلُهُ كَثيرَةٌ.

تُوُفِّيَ في ذي الْحِجَّةِ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وأَرْبَعينَ على الصَّحيحِ، وقيلَ: سنةَ ثلاثٍ وَخَمْسينَ[2].

هذا مَنْ أَخَذَ عن النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وَسَلَّمَ من الْأَصْحابِ، وأمَّا الذينَ أَخَذُوا من الصَّحابَةِ مِثْلِهِمْ فَكَثيرٌ:

منهم عَبْدُ اللهِ بنُ عَبَّاسِ بنِ عبدِ الْمُطَّلِبِ بنِ هاشِمٍ، أبو الْعَبَّاسِ الْهاشِمِيُّ. بَحْرُ التَّفْسيرِ، وَحَبْرُ الأُمَّةِ، الَّذي لم يكنْ على وَجْهِ الْأَرْضِ في زَمانِهِ أَعْلَمُ منه، حَفِظَ الْمُحْكَمَ في زَمَنِ النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ، ثُمَّ عَرَضَ الْقُرْآنَ كلَّهُ على أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَزَيْدِ بنِ ثابِتٍ. وقيلَ: على عَلِيِّ بنِ أبي طالِبٍ.

عَرَضَ عليه الْقُرْآنَ مَوْلاهُ دِرْباسُ، وَسَعيدُ بنُ جُبَيْرٍ، وَسُلَيْمانُ بن قَتَّةَ، وَعِكْرِمَةُ بنُ خالِدٍ، وأبو جَعْفَرٍ يَزيدُ بنُ قَعْقاعٍ.

---

(1) زمان، في أنطاليا.

(2) غاية النهاية: 1/ 442-443.

وُلِدَ قبلَ الْهِجْرَةِ بثلاثِ سِنينَ، وناهَزَ الِاحْتِلامَ في حَجَّةِ الْوَداعِ، دَعا له رَسولُ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ التَّأْويلَ، وفَقِّهْهُ في الدِّينِ»[1].

وَمَناقِبُهُ أَكْثَرُ من أن تُحْصَرَ.

وكان طَويلًا، مُشْرَبًا صُفْرَةً، جَسيمًا، وَسِيمًا، مَليحَ الْوَجْهِ، يَخْضِبُ بِالْحِنَّاءِ، مَديدَ الْقامَةِ.

قال عَطاءٌ: ما رَأَيْتُ الْبَدْرَ إلَّا ذَكَرْتُ وَجْهَ ابن عَبَّاسٍ.

وَرَوَى الضَّحَّاكُ بنُ مُزاحِمٍ، عن ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ كانَ يَقْرَأُ الْقُرآنَ[2] على قِراءَةِ زَيْدِ بنِ ثابتٍ، إلَّا ثَمانِيَةَ عَشَرَ حَرْفًا أَخَذَها من قراءَةِ ابنِ مَسْعودٍ.

وقال عَمْرو بنُ دينارٍ: ما رَأَيْتُ مَجْلِسًا قَطُّ، أَجْمَعَ لِكُلِّ خَيْرٍ، من مَجْلِسِ ابْنِ عَبَّاسٍ، الْحَلالُ والْحَرامُ، وتَفْسيرُ الْقُرْآنِ، والْعَرَبِيَّةُ والشِّعْرُ والطَّعامُ.

وقالَ عِكْرِمَةُ، قال ابْنُ عَبَّاسٍ: إذا سَأَلْتموني عن غَريبِ الْقُرْآنِ، فَالْتَمِسوهُ في الشِّعْرِ، فإنَّ الشِّعْرَ ديوانُ الْعَرَبِ.

تُوُفِّيَ بِالطَّائِفِ ـ وقد كُفَّ بَصَرُهُ ـ سَنَةَ ثَمانٍ وسِتِّينَ، وصَلَّى عليه مُحَمَّدُ ابنُ الْحَنَفِيَّةِ، وقال: الْيَوْمَ ماتَ رَبَّانِيُّ الْأُمَّةِ، رَضِيَ الله عنه[3].

(1) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه: 6/ 240، رقم: 31048، وأحمد في مسنده: 4/ 225، رقم: 2397، والحاكم في المستدرك: 3/ 617، رقم: 6287.

(2) القراءات، في قونية.

(3) غاية النهاية: 1/ 425-426.

ومنهم: أبو هُرَيْرَةَ، عَبْدُ الرَّحْمنِ بنُ صَخْرٍ الدَّوْسِيُّ، الصَّحابِيُّ الْكَبيرُ، رَضِيَ الله عنه. اخْتُلِفَ في اسْمِهِ، والْأَقْوَى والْأَشْهَرُ عبدُ الرَّحْمنِ، وكانَ اسْمُهُ في الْجاهِلِيَّةِ عَبْدَ شَمْسٍ. أَسْلَمَ هو وأُمُّهُ سَنَةَ سَبْعٍ، وأَخَذَ الْقُرْآنَ عَرْضًا عن أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ.

قال سِبْطُ الْخَيَّاطِ: حَكَى جَماعَةٌ من شُيوخِنا الْبَغْدادِيِّينَ، أنَّ الْأَعْرَجَ قَرَأَ على أبي هُرَيْرَةَ، وأنَّ أبا هُرَيْرَةَ قَرَأَ على النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ.

قُلْتُ: الْمَشْهورُ أنَّهُ قَرَأَ على أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ.

عَرَضَ عليه عبدُ الرَّحْمنِ بنُ هُرْمُزَ الْأَعْرَجُ، وأبو جَعْفَرٍ، قيل: وَشَيْبَةُ بْنُ نِصاحٍ. قال الذَّهَبِيُّ: إنَّهُ لم يُدْرِكْ أبا هُرَيْرَةَ.

ومَناقِبُهُ وفَضائِلُهُ وتَواضُعُهُ وعِلْمُهُ أَكْثَرُ من أن يُحْصَرَ، وأَشْهَرُ من أن يُذْكَرَ.

كان يُجَزِّئُ اللَّيْلَ ثَلاثَةَ أَجْزاءٍ، جُزْءٍ لِلْقُرْآنِ، وجُزْءٍ لِلنَّوْمِ، وجُزْءٍ يَتَذَكَّرُ فيه حَديثَ رَسولِ الله صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ.

قُلْتُ: تَنْتَهِي إليه قِراءَةُ أبي جَعْفَرٍ ونافِعٍ.

تُوُفِّيَ سنةَ سَبْعٍ، وَقيلَ: سَنَةَ ثَمانٍ وَخَمْسينَ. والْقَوْلانِ مَشْهورانِ. وقيلَ: سَنَةَ تِسْعٍ وَخَمْسينَ، وله ثَمانٍ وسَبْعون سَنَةً[1].

(1) غاية النهاية: 1/ 370.

ومنهم: عَبْدُ الله بْنُ السَّائِبِ بْنِ أبي السَّائِبِ بنِ صَيْفِيٍّ بنِ عائِذِ بنِ عُمَرَ ابْنِ مَخْزومٍ، أبو السَّائِبِ، وقيلَ: أبو عبدِ الرَّحْمنِ الْمَخْزومِيُّ، قارِئُ أهْلِ مَكَّةَ. له صُحْبَةٌ.

رَوَى الْقِراءَةَ عَرْضًا عن أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وعُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ. عَرَضَ عليه الْقُرْآنَ مُجاهِدُ بْنُ جَبْرٍ، وعبدُ اللهِ بنُ كَثِيرٍ، فيما قَطَعَ به الدَّانِيُّ وغَيْرُهُ وَرُوِّينَا من طَرِيقِ الشَّافِعِيِّ.

قالَ مُجاهِدُ: كُنَّا نَفْخَرُ على النَّاسِ بِقارِئِنا عبدِ اللهِ بنِ السَّائِبِ، وَبِفَقيهِنا ابْنِ عَبَّاسٍ، وَبِمُؤَذِّنِنَا أَبِي مَحْذورَةَ، وَبِقاضينا عُبَيْدِ بنِ عُمَيْرٍ(1).

تُوُفِّيَ في حُدودِ سنةِ سبعينَ في أَمْرِ ابْنِ الزُّبَيْرِ.

قالَ ابنُ أبي مُلَيْكَةَ: رَأَيْتُ عبدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ لَمَّا فَرَغَ من دَفْنِ عبدِ اللهِ بنِ السَّائِبِ وَقَفَ على قَبْرِهِ، فَدَعا له، ثُمَّ انْصَرَفَ(2).

هذا مَنِ اشْتَهَرَ بِالْقِراءَةِ والْإِقْراءِ من الصَّحابَةِ، رِضْوانُ الله تَعالَى عليهم أَجْمعينَ، وأمَّا الْمُشْتَهِرونَ بِالْقِراءَةِ والْإِقْراءِ من التَّابِعينَ، رَضِيَ الله عَنْهُمْ، فَخَمْسَةُ فِرَقٍ:

---

(1) الطبقات الكبرى: 5 / 445، سير أعلام النبلاء: 3/ 390، والنقل من غاية النهاية: 1/ 420.
(2) المصدر نفسه: 5 / 445، المصدر نفسه: 3/ 390، المصدر نفسه: 1/ 420.

الْفِرْقَةُ الأولى مَنْ كانوا بالْمَدينَةِ شَرَّفَها الله.

منهم: سَعِيدُ بنُ الْمُسَيَّبِ بْنِ حَزْنِ بنِ أبي وَهْبِ الْمَخْزوميُّ، أبو مُحَمَّدٍ عالِمُ التَّابِعينَ. وَرَدَتِ الرِّوايَةُ عنه في حُروفِ الْقُرْآنِ. قَرَأَ على ابْنِ عَبَّاسٍ وأبي هُرَيْرَةَ، وَرَوَى عنه عُمَرُ وعُثْمانُ وسَعيدُ بنُ زَيْدٍ، قَرَأَ عليه عَرْضًا مُحَمَّدُ ابنُ مُسْلِمِ بنِ شِهابٍ الزُّهْرِيُّ.

تُوُفِّيَ سنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ، عن تِسْعٍ وسَبْعينَ سَنَةً[1].

ومنهم: عُرْوَةُ بنُ الزُّبَيْرِ بنِ الْعَوَّامِ، أبو عبدِ اللهِ الْمَدَنِيُّ. وَرَدَتِ الرِّوايَةُ عنه في حُروفِ الْقُرْآنِ. رَوَى عن أَبَوَيْهِ وعائِشَةَ، وَرَوَى عنه أَوْلادُهُ والزُّهْرِيُّ وجَماعَةٌ.

قالَ ابْنُ شَوْذَبٍ: كانَ يَقْرَأُ كُلَّ يَوْمٍ رُبُعَ الْقُرْآنِ في الْمُصْحَفِ نَظَرًا، وَيَقومُ به بِاللَّيْلِ[2]، فما تَرَكَهُ إلَّا لَيْلَةَ قُطِعَتْ رِجْلُهُ لِلْآكِلَةِ، ثُمَّ عاوَدَ لِحِزْبِهِ في اللَّيْلَةِ الْمُقْبِلَةِ.

ماتَ سَنَةَ ثَلاثٍ أو أَرْبَعٍ أو خَمْسٍ وتِسْعينَ وهو صائِمٌ، فإنَّهُ كان يَصومُ الدَّهْرَ[3].

(1) غاية النهاية: 1/ 308.

(2) الليل، في قونية.

(3) غاية النهاية: 1/ 511.

ومِنْهُمْ: سالِمُ بن عُتْبَةَ بْنِ رَبيعَةَ، مَوْلَى أبي حُذَيْفَةَ، أبو عبدِ اللهِ الصَّحابِيُّ الْكَبيرُ، وَرَدَتْ عنه الرِّوايَةُ[1] في حُروفِ الْقُرْآنِ.

وقالَ النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وسَلَّمَ: «خُذُوا الْقُرْآنَ من أَرْبَعَةٍ: عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعودٍ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، ومُعاذِ بْنِ جَبَلٍ، وسالِمٍ مَوْلى أَبِي حُذَيْفَةَ»[2].

اسْتُشْهِدَ يَوْمَ الْيَمامَةِ في رَبيعِ الأَوَّلِ سنةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنه[3].

وهذا وإنْ لم يَكُنْ من التَّابِعينَ، لكن لِاخْتِصاصِهِ بِالْمَدينَةِ الشَّريفَةِ على ساكِنِها أَفْضَلُ الصَّلاةِ والتَّسْليمِ، ذَكَرْناهُ فيهم.

وَمِنْهُمْ: عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزيزِ بنِ مَرْوانَ بنِ الْحَكَمِ، أبو حَفْصٍ الْأُمَوِيُّ أميرُ الْمُؤْمِنينَ. وَرَدَتِ الرِّوايَةُ عنه في حُروفِ الْقُرْآنِ، وَمَناقِبُهُ كَثيرَةٌ شَهيرَةٌ. كانَ حَسَنَ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ، فَخَرَجَ لَيْلَةً، وَقَرَأَ وجَهَرَ بِصَوْتِهِ، فَاسْتَمَعَ له النَّاسُ، فَقالَ سَعيدُ بنُ الْمُسَيَّبِ: فَتَنْتَ النَّاسَ، فَدَخَلَ.

تُوُفِّيَ بِدَيْرِ سِمْعانَ؛ من أَرْضِ الشَّامِ، في رَجَبٍ سنَةَ إِحْدى ومئةٍ، وهو ابْنُ تِسْعٍ وثَلاثينَ سنَةً وأَشْهُرٍ[4].

---

(1) الرواية عنه، في رئيس الكتاب.

(2) صحيح البخاري: 5/ 36، رقم: 3808 و6/ 186، رقم: 4999، صحيح مسلم: 4/ 1913، رقم: 2464.

(3) غاية النهاية: 1/ 301.

(4) المصدر نفسه: 1/ 593.

ومنهم: سُلَيْمانُ بنُ يَسارٍ، أبو أيُّوبَ الْهِلالِيُّ الْمَدَنِيُّ، مَوْلَى مَيْمونَةَ أمِّ الْمُؤْمِنِينَ. وهو أَخو عَطاءٍ وعَبْدِ الْمَلِكِ وَعَبْدِ اللهِ، تابِعِيٌّ جَليلٌ. وَرَدَتْ عنه الرِّوايَةُ في حُروفِ الْقُرْآنِ.

ماتَ سنةَ سَبْعٍ وَمِئَةٍ، وقيلَ: سَنَةَ سِتٍّ أو أرْبَعٍ أو ثَلاثٍ أو تِسْعٍ(1).

ومنهم: عَطاءُ بْنُ يَسارٍ، أبو مُحَمَّدٍ الْهِلالِيُّ الْمَدَنِيُّ الْقاصُّ، مَوْلى مَيْمونَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ. وَرَدَتْ عنه الرِّوايَةُ في حُروفِ الْقُرْآنِ، أَدْرَكَ زَمَنَ عُثْمانَ وهو صَغيرٌ، وَرَوى عن مَوْلاتِهِ، وأُبَيِّ بنِ كَعْبٍ، وَزَيْدِ بن ثابِتٍ، رَوَى عنه زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، وَشَرِيكٌ.

وَماتَ سَنَةَ ثَلاثٍ أو اثْنَتَيْنِ وَمِئَةٍ(2).

ومنهم: مُعاذُ بْنُ الْحارِثِ أبو الْحارِثِ، ويُقالُ: أبو حَليمَةَ الْأَنْصارِيُّ الْمَدَنِيُّ، الْمَعْروفُ بالْقارِئِ. رَوَى عنه نافِعٌ وابْنُ سِيرينَ، وحَدَّثَ عنه نافِعٌ مَوْلَى ابْنِ عُمَرَ.

تُوُفِّيَ بِالْحَرَّةِ سنَةَ ثَلاثٍ وسِتِّينَ، وهو ابْنُ تِسْعٍ وَسِتِّينَ(3).

ومنهم: عبدُ الرَّحْمنِ بْنُ هُرْمُزَ الْأَعْرَجُ، أبو داودَ الْمَدَنِيُّ، تابِعِيٌّ جَليلٌ. أَخَذَ الْقِراءَةَ عَرْضًا عن أبي هُرَيْرَةَ، وابْنِ عَبَّاسٍ، وعبدِ اللهِ بنِ عَيَّاشِ بْنِ أبي

(1) غاية النهاية: 1/ 318.

(2) المصدر نفسه: 1/ 513.

(3) المصدر نفسه: 1/ 301-302.

رَبيعَةَ، ومُعْظَمُ رِوايَتِهِ عن أبي هُرَيْرَةَ، رَوَى الْقِراءَةَ عنه عَرْضًا نافِعُ بنُ أبي نُعَيْمٍ، وَرَوَى عنه الْحُروفَ أُسَيْدُ بْنُ أُسَيْدٍ.

نَزَلَ إلى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ **فَماتَ** بها سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ ومِئَةٍ، وَقِيلَ: سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ[1].

ومنهم: مُحَمَّدُ بنُ مُسْلِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ شِهابٍ، أبو بَكْرٍ الزُّهْرِيُّ الْمَدَنِيُّ، أَحَدُ الْأَئِمَّةِ الْكِبارِ، وعالِمُ الْحِجازِ والْأَمْصارِ، تابِعِيٌّ. وَرَدَتْ عنه الرِّوايَةُ في حُروفِ الْقُرْآنِ. قَرَأَ على أَنَسِ بنِ مالِكٍ.

وُلِدَ سَنَةَ خَمْسينَ أو إِحْدَى وخَمْسينَ.

رَوَى عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، وأَنَسِ بنِ مالِكٍ، وَسَهْلِ بنِ سَعْدٍ، والسَّائِبِ ابنِ يَزيدَ، وأَبِي الطُّفَيْلِ، ومَحْمودِ بنِ الرَّبيعِ، وَمَحْمودِ بنِ لَبِيدٍ. وَرَوَى عنه الْحُروفَ عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمنِ الْوَقَّاصِيُّ. وَعَرَضَ عليه نافِعُ بنُ أبي نُعَيْمٍ، ورَوَى عنه مالِكُ بنُ أَنَسٍ، وَمَعْمَرٌ، وَالْأَوْزاعِيُّ، وعَقيلُ بْنُ خالِدٍ، وإبْراهِيمُ ابنُ أبي عَبْلَةَ. وَأُمَمٌ.

وكانَ يَكْرَهُ التُّفَّاحَ، وَسُؤْرَ الْفَأْرِ، وَيَقولُ: إِنَّهُ يُنْسِي، وَيَشْرَبُ الْعَسَلَ وَيَقولُ: إنَّهُ يُذَكِّرُ.

---

(1) غاية النهاية: 1/ 381.

ماتَ سَنَةَ أَرْبَعٍ أو ثَلاثٍ أو خَمْسٍ وعِشْرينَ [ومِئَةٍ][1]، وماتَ، بِشِعْبِ آخِرِ حَدِّ الْحِجازِ، وأَوَّلِ حَدِّ فِلِسْطِينَ[2].

ومِنْهُمْ: مُسْلِمُ بْنُ جُنْدُبٍ، أبو عَبْدِ اللهِ الْهُذَلِيُّ، مَوْلاهُم الْمَدَنِيُّ الْقاصُّ، تابِعِيٌّ مَشْهورٌ. عَرَضَ على عَبْدِ اللهِ بنِ عَيَّاشٍ، عَرَضَ عليه نافِعٌ، وَرَوَى عن أبي هُرَيْرَةَ، وَحَكيمِ بنِ حِزامٍ، وابْنِ عُمَرَ، وابْنِ الزُّبَيْرِ، كَما ذَكَرَهُ الدَّانِيُّ.

وقالَ الذَّهَبِيُّ: ولا أَحْسِبُ رِوايَتَهُ عن أبي هُرَيْرَةَ وَحَكيمٍ إلَّا مُنْقَطِعَةً. وهو الَّذِي أَدَّبَ عُمَرَ بْنَ عبدِ الْعَزيزِ. وكانَ من فُصحاءِ أَهْلِ زَمانِهِ، وكان يَقُصُّ بالْمَدينَةِ.

وقال عُمَرُ بْنُ عبدِ الْعَزيزِ: مَنْ سَرَّهُ أنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا فَلْيَقْرَأْهُ على قِراءَةِ مُسْلِمِ بنِ جُنْدُبٍ.

ماتَ بعدَ سنةِ عَشْرٍ ومِئَةٍ تَقْريبًا.

وَقالَ الْأَهْوازِيُّ: وَأَقامَ ابْنُ جُنْدُبٍ بِالْمَدينَةِ، إلى أنْ ماتَ سنةَ ثَلاثينَ ومِئَةٍ في أيامِ مَرْوانَ بنِ مُحَمَّدٍ[3].

ومنهم زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، أبو أُسامَةَ الْمَدَنِيُّ، مَوْلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَرَدَتْ عنه الرِّوايَةُ في حُروفِ الْقُرْآنِ. أَخَذَ عنه الْقِراءَةَ شَيْبَةُ بنُ نِصاحٍ.

ماتَ سنةَ سِتٍّ وثَلاثينَ ومِئَةٍ[4].

---

(1) زيادة من أنطاليا.

(2) غاية النهاية: 2/ 262-263.

(3) المصدر نفسه: 2/ 297.

(4) المصدر نفسه: 1/ 296.

الْفِرْقَةُ الثَّانيةُ من التَّابِعينَ مَنْ كان منهم بِمَكَّةَ شَرَّفَها الله.

منهم: عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرِ بْنِ قَتادَةَ، أبو عاصِمٍ اللَّيْثِيُّ الْمَكِّيُّ الْقَّاصُّ. ذَكَرَ ثابِتٌ الْبُنَانِيُّ أَنَّهُ قاصٌّ على عَهْدِ عُمَرَ رضِيَ اللهُ عنه. وَرُوِيَ عنه الرِّوايَةُ في حُروفِ الْقُرْآنِ. وَرَوَى عن عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ وأُبَيِّ بنِ كَعْبٍ. وَرَوَى عنه مُجاهِدٌ وَعَطاءٌ وعَمْرُو بْنُ دِينارٍ.

قالَ مُسْلِمٌ: وُلِدَ في زَمَنِ النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وسَلَّمَ.

قالَ مُجاهِدٌ: كُنَّا نَفْخَرُ على النَّاسِ بِأَرْبَعَةٍ: بِفَقيهِنا ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقارِئِنا عبدِ اللهِ ابْنِ السَّائِبِ، وقاضينا عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، وَمُؤَذِّنِنا أبي مَحْذورَةَ.

ماتَ سنةَ أَرْبَعٍ وسَبْعينَ[1].

ومنهم: عَطاءُ بْنُ أبي رَباحِ بْنِ أسْلَمَ، أبو مُحَمَّدٍ الْقُرَشِيُّ، مَوْلاهُمُ الْمَكِّيُّ، أَحَدُ الْأَعْلامِ. وَرَدَتْ عنه الرِّوايَةُ في حُروفِ الْقُرْآنِ. رَوَى الْقِراءَةَ عن أبي هُرَيْرَةَ. عَرَضَ عليه أبو عَمْرٍو.

قال ابْن مَعينٍ: حَجَّ سَبْعينَ حَجَّةً، وعاشَ مِئَةَ سَنَةٍ.

وقالَ غَيْرُهُ: **ماتَ** سَنَةَ خَمْسَ أو أَرْبَعَ عَشْرَةَ ومِئَةٍ، وله ثَمانٍ وثمانونَ سَنَةً[2].

---

(1) غاية النهاية: 1/ 496-497.

(2) المصدر نفسه: 1/ 513.

ومنهم: طاوُسُ بنُ كَيْسَانَ، أبو عَبْدِ الرَّحْمنِ الْيَمانِيُّ، التَّابِعِيُّ الْكَبيرُ الْمَشْهورُ. وَرَدَتْ عنه الرِّوايَةُ في حُروفِ الْقُرْآنِ. أَخَذَ الْقُرْآنَ عن ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَظَّمَ رِوايَتَهُ عنه.

ماتَ بِمَكَّةَ قَبْلَ التَّرْوِيَةِ بِيَوْمٍ، سَنَةَ سِتٍّ ومِئَةٍ[1].

ومنهم: مُجاهِدُ بْنُ جَبْرٍ، أبو الْحَجَّاجِ الْمَكِّيُّ، أَحَدُ الْأَعْلامِ من التَّابِعينَ، والْأَئِمَّةِ الْمُفَسِّرينَ. قَرَأَ على عبدِ اللهِ بنِ السَّائِبِ، وعلى عبدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ بِضْعًا وعِشْرينَ خَتْمَةً، ويُقالُ ثَلاثينَ عَرْضَةً، ومِنْ جُمْلَتِها ثَلاثٌ سَأَلَهُ عن كُلِّ آيَةٍ فِيمَ كانَتْ، أَخَذَ عنه الْقِراءَةَ عَرْضًا عَبْدُ الله بْنُ كَثيرٍ، وأبو عَمْرِو بْنُ الْعَلاءِ، وغَيْرُهُما. وَقَرَأَ عليه الْأَعْمَشُ.

ماتَ سنَةَ ثَلاثٍ ومِئَةٍ أو أَرْبَعٍ أو اثْنَتَيْنِ، وقد نَيَّفَ على الثَّمانينَ. يُقالُ: ماتَ وهو ساجِدٌ، رحمه الله تعالى[2].

ومنهم: عِكْرِمَةُ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، أبو عبدِ اللهِ الْمُفَسِّرُ، وَرَدَتِ الرِّوايَةُ عنه في حُروفِ الْقُرْآنِ. رَوَى عن مَوْلاهُ، وأبي هُرَيْرَةَ، وعَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو. وقد تُكُلِّمَ فيه لِرَأْيِهِ لا لِرِوايَتِهِ، فإِنَّهُ اتُّهِمَ بأَنَّهُ كان يَرَى رَأْيَ الْخَوارِجِ. عَرَضَ عليه عَلْياءُ بنُ أَحْمَدَ، وأبو عَمْرِو بْنُ الْعَلاءِ، وَرَوَى عنه أَيُّوبُ، وخالِدٌ الْحَذَّاءُ، وخَلَفٌ. واعْتَمَدَهُ الْبُخارِيُّ، وأَخْرَجَ له مُسْلِمٌ مَقْرونًا، وكَذَّبَهُ مُجاهِدٌ وابْنُ سِيرينَ.

---

(1) غاية النهاية: 1/ 341.

(2) المصدر نفسه: 2/ 41-42.

ماتَ سنةَ خَمْسٍ أو سِتٍّ أو سَبْعٍ ومِئَةٍ[1].

ومنهم: عَبْدُ اللهِ بنُ عُبَيْدِ اللهِ بنِ أبي مُلَيْكَةَ، أبو بَكْرٍ، وأبو مُحَمَّدٍ، التَّميمِيُّ، التَّابِعِيُّ الْمَشْهورُ.

ذَكَرَهُ الدَّانِيُّ وقالَ: وَرَدَتِ الرِّوايَةُ عنه في حُروفِ الْقُرْآنِ.

ورَوَى عن إسْماعيلَ بنِ عبدِ الْمَلِكِ، قالَ: رَأَيْتُ ابْنَ أبي مُلَيْكَةَ يَعُدُّ الْآيَ في الصَّلاةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْتُ له، قال: إنَّهُ أحْفَظُ لي[2].

تُوُفِّيَ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ ومِئَةٍ[3].

الْفِرْقَةُ الثَّالِثَةُ من التَّابِعينَ من كانوا بِالْكوفَةِ.

منهم: عَلْقَمَةُ بْنُ قَيْسِ بْنِ عبدِ اللهِ بنِ مالِكٍ، أبو شِبْلٍ النَّخَعِيُّ، الْفَقيهُ الْكَبيرُ، عَمُّ الْأَسْوَدِ بْنِ يَزيدَ، وخالُ إبْراهِيمَ النَّخَعِيِّ.

وُلِدَ في حَياةِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ، وأَخَذَ الْقُرْآنَ عَرْضًا عن ابْنِ مَسْعودٍ، وَسَمِعَ من عَلِيٍّ وعُمَرَ وأبي الدَّرْداءِ وعائِشَةَ، رضِيَ الله عنهم. عَرَضَ عليه الْقُرْآنَ إبْراهيمُ بنُ يَزيدَ النَّخَعِيُّ، ويُقالُ: إبْراهيمُ بْنُ يَزيدَ التَّيْمِيُّ أيْضًا، وأبو إسْحاقَ السَّبيعِيُّ، وعُبَيْدُ بنُ نَضْلَةَ، ويَحْيَى بنُ وَثَّابٍ.

---

(1) غاية النهاية: 1/ 515.

(2) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنَّفه: 1/ 426 رقم: 4902، وابن الجزري في غاية النهاية: 1/ 430.

(3) غاية النهاية: 1/ 430.

وكانَ أشْبَهَ النَّاسِ بابْنِ مَسْعودٍ سَمْتًا وَهَدْيًا وَعِلْمًا، وكانَ أَعْرَجَ. وَكانَ من أَحْسَنِ النَّاسِ صَوْتًا بِالْقُرْآنِ، وكانَ إذا سَمِعَهُ ابْنُ مَسْعودٍ يَقولُ: لو رَآكَ رَسولُ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ لَسُرَّ بِكَ.

ماتَ سنةَ اثْنَتَيْنِ وسِتِّينَ[1].

ومنهم: الْأَسْوَدُ بنُ يَزيدَ بْنِ قَيْسِ بْنِ يَزِيدَ، أبو عَمْرٍو النَّخَعِيُّ الْكُوفِيُّ، الْإِمامُ الْجَليلُ. قَرَأَ على عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعودٍ، وَرَوَى عن الْخُلَفاءِ الْأَرْبَعَةِ. وكان يَخْتِمُ الْقُرْآنَ كُلَّ سِتِّ لَيالٍ، وفي رَمَضانَ كلَّ لَيْلَتَيْنِ. قَرَأَ عليه إبْراهيمُ النَّخَعِيُّ، وأبو إسْحاقَ السَّبِيعِيُّ، ويَحْيَى بْنُ وَثَّابٍ.

تُوُفِّيَ سنةَ خَمْسٍ وَسَبْعينَ[2].

ومنهم: عَبِيدَةُ بْنُ عَمْرٍو - بِالْفَتْحِ - وَيُقالُ: ابْنُ قَيْسٍ السَّلْمانِيُّ، أبو مُسْلِمٍ، وقيلَ: أبو عَمْرٍو الْكوفِيُّ، التَّابِعِيُّ الْكَبيرُ. أَسْلَمَ في حَياةِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ ولم يَرَهُ، فهو من الْمُخَضْرَمينَ. أَخَذَ الْقِراءَةَ عَرْضًا عن عبدِ اللهِ بنِ مَسْعودٍ، وَرَوَى عنه، وعن عَلِيٍّ. أَخَذَ الْقِراءَةَ عنه عَرْضًا إبْراهيمُ النَّخَعِيُّ، وأبو إسْحاقَ. ورَوَى عنه ابْنُ سِيرينَ، وهُمَا، وَغَيْرُهُمْ.

تُوُفِّيَ سنةَ اثْنَتَيْنِ وسَبْعينَ[3].

---

(1) غاية النهاية: 1/ 516.

(2) المصدر نفسه: 1/ 171.

(3) المصدر نفسه: 1/ 498.

ومنهم: عَمْرُو بْنُ شُرَحْبِيلَ، أبو مَيْسَرَةَ، الْهَمْدَانِيُّ الْكوفِيُّ، تابِعِيٌّ جليلٌ، صالِحٌ عابِدٌ. عَرَضَ على عبدِ اللهِ بنِ مَسْعودٍ، وَرَوَى عن عُمَرَ وَعَلِيٍّ. رَوَى عنه أبو وائِلٍ، وأبو إِسْحاقَ السَّبيعِيُّ.

تُوُفِّيَ في أَيَّامِ عُبَيْدِ اللهِ بنِ زيادٍ، وصَلَّى عليه القاضي شُرَيْحٌ[1].

ومنهم: الْحارِثُ بنُ قَيْسٍ الْجُعْفِيُّ الْكوفِيُّ. رَوَى الْقِراءَةَ عن عبدِ اللهِ بن مَسْعودٍ[2].

ومنهم: رَبيعُ بْنُ خَيْثَمَ، أبو يَزيدِ الْكوفِيُّ الثَّوْرِيُّ، تابِعِيٌّ جَليلٌ، رَاوِي حُروفِ الْقُرآنِ. أَخَذَ الْقِراءَةَ عن عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعودٍ. عَرَضَ عليه أبو زُرْعَةَ ابنُ عَمْرٍو.

قالَ له ابن مَسْعودٍ: لو رَآكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ لَأَحَبَّكَ، وما رَأَيْتُكَ إِلَّا ذَكَرْتُ الْمُخْبِتِينَ[3].

وقال ابْنُ سَعْدٍ: ماتَ في وِلايَةِ عُبَيْدِ اللهِ بنِ زيادٍ، يَعْني قَبْلَ سَنَةِ تِسْعينَ من الْهِجْرَةِ[4].

ومنهم: عَمْرُو بْنُ مَيْمونِ بْنِ حَمَّادِ بنِ طَلْحَةَ، أبو عُثْمانَ، الْكوفِيُّ الْقَنَّادُ السُّكَّرِيُّ، وَوَهِمَ فيه الْأَهْوازِيُّ فَسَمَّاهُ عُمَرَ.

---

(1) غاية النهاية: 1/ 601.

(2) المصدر نفسه: 1/ 201.

(3) طبقات ابن سعد: 6/ 182.

(4) المصدر نفسه: 6/ 193، والنقل من غاية النهاية: 1/ 283.

أَخَذَ الْقِراءَةَ عن حَمْزَةَ. عَرَضَ عليه أَحْمَدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَرُوَيْمُ بْنُ يَزِيدَ. ولم يُعْلَمْ تَارِيخُ وَفاتِهِ[1].

ومنهم: أبو عَبْدِ الرَّحْمنِ السُّلَمِيُّ، عبدُ اللهِ بْنُ حَبِيبِ بْنِ رَبِيعَةَ، أبو عبدِ الرَّحْمنِ السُّلَمِيُّ الضَّريرُ، مُقْرِئُ الْكُوفَةِ.

وُلِدَ في حَياةِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ، وَلِأَبِيهِ صُحْبَةٌ. إليه انْتَهَتِ الْقِراءَةُ تَجْوِيدًا وَضَبْطًا. أَخَذَ الْقِراءَةَ عَرْضًا عن عُثْمانَ بْنِ عَفَّانَ، وَعَلِيِّ بنِ أبي طالِبٍ، وَعَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعودٍ، وَزَيْدِ بنِ ثابِتٍ، وأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ. أَخَذَ الْقِراءَةَ عنه عَرْضًا عاصِمٌ، وعَطاءٌ، والْحَسَنُ، والْحُسَيْنُ رَضِيَ الله عنهما، وغيرُهُمْ.

وكانَ ثِقَةً، كَبيرَ الْقَدْرِ، وَحَديثُهُ مُخَرَّجٌ في الْكُتُبِ السِّتَّةِ.

تُوُفِّيَ سنةَ أَرْبَعٍ أو ثلاثٍ وسَبْعينَ[2].

ومنهم: زِرُّ بْنُ حُبَيْشِ بْنِ حُباشَةَ، أبو مَرْيَمَ، ويُقالُ: أبو مُطَرِّفٍ الْأَسَدِيُّ الْكُوفِيُّ، أَحَدُ الْأَعْلامِ. عَرَضَ على عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعودٍ، وَعُثْمانَ بن عَفَّانَ، وعَلِيِّ بنِ أبي طالِبٍ. وَعَرَضَ عليه عاصِمٌ، وَسُلَيْمانُ الْأَعْمَشُ، وأبو إسْحاقَ السَّبِيعِيُّ، ويَحْيى بْنُ وَثَّابٍ.

---

(1) غاية النهاية: 1/ 603.

(2) المصدر نفسه: 1/ 413-414.

ماتَ في الْجَماجِمِ[1] سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وثَمانينَ[2].

ومنهم: عُبَيْدُ بنُ نَضيلَةَ، أبو مُعاوِيَةَ، الْخُزاعِيُّ الْكوفِيُّ، تابِعِيٌّ ثِقَةٌ. أَخَذَ الْقِراءَةَ عَرْضًا عن ابْنِ مَسْعودٍ وَعَلْقَمَةَ. وَرَوَى عنه الْقِراءَةَ يَحْيَى بْنُ وَثَّابٍ، وَحُمْرانُ بْنُ أَعْيَنَ. وكانَ مُقْرِئَ أَهْلِ الْكُوفَةِ.

تُوُفِّيَ زَمَنَ بِشْرِ بنِ مَرْوانَ[3].

ومنهم: سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ هِشامٍ الْأَسَدِيُّ الْوالِبِيُّ، مَوْلاهُمْ أبو مُحَمَّدٍ، أو أبو عبدِ اللهِ، الْكوفِيُّ، التَّابِعِيُّ الْجَليلُ، والْإمامُ الْكَبيرُ. عَرَضَ على ابْنِ عَبَّاسٍ. وَعَرَضَ عليه أبو عَمْرِو بنُ الْعَلاءِ، والْمِنْهالُ بنُ عَمْرٍو.

قَتَلَهُ الْحَجَّاجُ بِواسِطٍ شَهيدًا، سنَةَ خَمْسٍ، أو أَرْبَعٍ وتِسْعينَ، عن تِسْعٍ وخَمْسينَ سَنَةً[4].

ومنهم: النَّخَعِيُّ، إبْراهيمُ بْنُ يَزيدَ بنِ قَيْسِ بْنِ الْأَسْوَدِ، أبو عِمْرانَ النَّخَعِيُّ، الْكوفِيُّ، الْإمامُ الْمَشْهورُ، الصَّالِحُ الزَّاهِدُ الْعالِمُ. قَرَأَ على الْأَسْوَدِ ابْنِ يَزيدَ وَعَلْقَمَةَ. قَرَأَ عليه الْأَعْمَشُ، وَطَلْحَةُ بْنُ مُصَرِّفٍ.

---

(1) دَيرُ الجماجم: بظاهر الكوفة، والجمجمة: البئر تحفر في سبخة، فيجوز أن يكون الموضع سمي بذلك، وعند هذا الموضع كانت الوقعة بين الحجاج بن يوسف الثقفي وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث التي كسر فيها ابن الأشعث وقتل القرّاء. معجم البلدان: 2/ 503-504.

(2) غاية النهاية: 1/ 294.

(3) المصدر نفسه: 1/ 497-498.

(4) المصدر نفسه: 1/ 305-306.

تُوُفِّيَ سنةَ سِتٍّ أو خَمْسٍ وَتِسْعينَ[1].

ومنهم: الشَّعْبِيُّ، عامِرُ بْنُ شُراحيلَ بنِ عَبْدٍ، أبو عَمْرٍو الشَّعْبِيُّ الْكوفِيُّ، الْإِمامُ الْكَبيرُ الْمَشْهورُ. عَرَضَ على أبي عَبْدِ الرَّحْمنِ السُّلَمِيِّ وعَلْقَمَةَ. رَوَى الْقِراءَةَ عنه عَرْضًا مُحَمَّدُ بْنُ أبي لَيْلَى. وَمَناقِبُهُ وَعِلْمُهُ وحِفْظُهُ أَشْهَرُ من أن يُذْكَرَ.

ماتَ سنةَ خَمْسٍ ومِئَةٍ وله سَبْعٌ وسَبْعونَ سَنَةً[2].

الْفِرْقَةُ الرَّابِعَةُ من التَّابِعينَ مَنْ كانوا بِالْبَصْرَةِ.

منهم: أبو الْعالِيَةَ رُفَيْعُ بْنُ مِهْرانَ الرِّيَّاحِيُّ، من كِبارِ التَّابِعينَ. أَسْلَمَ بعد النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ بِسَنَتَيْنِ، وَدَخَلَ على أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ الله عنه، وصَلَّى خَلْفَ عُمَرَ رَضِيَ الله عنه. أَخَذَ الْقُرْآنَ عَرْضًا على أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَزَيْدِ بنِ ثابِتٍ، وابْنِ عَبَّاسٍ، وصَحَّ أَنَّهُ عَرَضَ على عُمَرَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، وفي رِوايَةٍ: أَرْبَعَ مَرَّاتٍ. قَرَأَ عليه الْأَعْمَشُ، وأبو عَمْرٍو.

ماتَ سنةَ تِسْعينَ أو سِتٍّ وَتِسْعينَ[3].

ومنهم: عِمْرانُ بنُ تَيْمٍ، أو ابْنُ مِلْحانَ، أبو رَجاءٍ الْعُطارِدِيُّ الْبَصْرِيُّ، التَّابِعِيُّ الْكَبيرُ. وُلِدَ قبلَ الْهِجْرَةِ بإحدى عَشْرَةَ سَنَةً، وكانَ مُخَضْرَمِيًّا. أَسْلَمَ

---

(1) غاية النهاية: 1/ 29-30.

(2) المصدر نفسه: 1/ 350.

(3) المصدر نفسه: 1/ 284-285.

في حَياةِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ، وَلَمْ يَرَهُ. وَعَرَضَ الْقُرْآنَ على ابْنِ عَبَّاسٍ، وَتَلَقَّنَهُ من أبي موسى، وَلَقِيَ أبا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ، وحَدَّثَ عن عُمَرَ وغَيْرِهِ من الصَّحابَةِ. رَوى الْقِراءَةَ عنه عَرْضًا أبو شِهابٍ الْعُطارِدِيُّ.

ماتَ سَنَةَ خَمْسٍ وَمِئَةٍ، وله مِئَةٌ وسَبْعٌ وعِشْرونَ سَنَةً، وقيلَ: مِئَةٌ وثَلاثونَ[1].

ومنهم: نَصْرُ بْنُ عاصِمٍ اللَّيْثِيُّ، وَيُقالُ: الدُّؤَلِيُّ الْبَصْرِيُّ النَّحْوِيُّ، تابِعِيٌّ. عَرَضَ الْقُرْآنَ على أبي الْأَسْوَدِ. وَرَوَى عنه الْحُروفَ مالِكُ بْنُ دينارٍ، وَعَوْنٌ الْعُقَيْلِيُّ.

يُقالُ: إنَّهُ أَوَّلُ من نَقَطَ الْمَصاحِفَ وَخَمَّسَهَا وَعَشَّرَهَا.

وقيلَ: هو أَوَّلُ من وَضَعَ الْعَرَبِيَّةَ.

قالَ أبو داودَ: كانَ من الْخَوارِجِ.

وقالَ النَّسائِيُّ وغَيْرُهُ: ثِقَةٌ.

قالَ الذَّهَبِيُّ: تُوُفِّيَ قَديمًا قَبْلَ سَنَةِ مِئَةٍ.

وَمِمَّنْ رَوَى عنه الزُّهْرِيُّ، وَعَمْرُو بْنُ دِينارٍ، وَحُمَيْدُ بنُ هِلالٍ.

وقال خَليفَةُ: ماتَ قَبْلَ سَنَةِ تِسْعِينَ[2].

---

(1) غاية النهاية: 1/ 406.

(2) المصدر نفسه: 2/ 336.

ومنهم: يَحْيَى بْنُ يَعْمَرَ، أبو سُلَيْمانَ الْعَدْوانِيُّ الْبَصْرِيُّ، تابِعِيٌّ جَليلٌ. عَرَضَ على ابْنِ عُمَرَ، وابْنِ عَبَّاسٍ، وأَبِي الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ. عَرَضَ عليه أبو عَمْرِو بْنُ الْعَلاءِ، وعَبْدُ اللهِ بْنُ أبي إِسْحاقَ.

قالَ الْبُخارِيُّ في تَارِيخِهِ: أَوَّلُ من نَقَطَ الْمَصاحِفَ يَحْيى بْنُ يَعْمَرَ.

تُوُفِّيَ قَبْلَ سنَةِ تِسْعينَ[1].

ومنهم: الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، ابْنُ أبي الْحَسَنِ يَسارٍ، السَّيِّدُ الْإِمامُ أبو سَعِيدٍ الْبَصْرِيُّ. إمامُ زَمانِهِ عِلْمًا وَعَمَلًا. قَرَأَ على حِطَّانَ بْنِ عبدِ اللهِ الرَّقاشِيِّ عن أبي موسى الْأَشْعَرِيِّ، وعلى أبي الْعالِيَةِ عن أبي زَيْدٍ وَعُمَرَ. وَرَوَى عنه أبو عَمْرِو بنُ الْعَلاءِ، وَسَلَّامُ بْنُ سُلَيْمانَ الطَّوِيلُ، وغَيْرُهُما.

قالَ الشَّافِعِيُّ: لو أَشاءُ أَقولُ: إنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِلُغَةِ الْحَسَنِ لَقُلْتُ لِفَصاحَتِهِ.

وَمَناقِبُهُ جليلَةٌ، وَأَخْبارُهُ طَويلَةٌ.

وُلِدَ لِسَنَتَيْنِ بَقِيَتا من خِلافَةِ عُمَرَ، وذلك سنة إِحْدَى وعِشْرينَ. **وَتُوُفِّيَ** سنَةَ عَشْرٍ وَمِئَةٍ[2].

ومنهم: ابْنُ سِيرينَ، مُحَمَّدُ بْنُ سِيرينَ أبو بَكْرِ بنِ أبي عَمْرَةَ الْبَصْرِيُّ، مَوْلى أَنَسِ بْنِ مالِكٍ. إمامُ الْبَصْرَةِ مع الْحَسَنِ. وَرَدَتْ عنه الرِّوايَةُ في حُروفِ الْقُرْآنِ.

---

(1) غاية النهاية: 2/ 381.

(2) المصدر نفسه: 1/ 235.

وُلِدَ لِسَنَتَيْنِ بَقِيَتا من خِلافَةِ عُثْمانَ. رَوَى عن مَوْلاهُ، وعن زَيْدِ بنِ ثابِتٍ، وَعِمْرانَ بن حُصَيْنٍ، وعائِشَةَ، وأبي هُرَيْرَةَ، وغَيْرِهِمْ. وَرَوَى عنه الشَّعْبِيُّ؛ مع جَلالَتِهِ وَتَقَدُّمِهِ، وثَابِتٌ، وَقَتادَةُ، وأَيوبُ، وَمالِكُ بنُ دينارٍ، وخَلائِقُ.

ماتَ في تاسِعِ شَوَّالٍ سَنَةَ عَشْرٍ ومِئَةٍ[1].

ومنهم: قَتادَةُ بنُ دِعامَةَ، أبو الْخَطَّابِ السَّدوسِيُّ الْبَصْرِيُّ الْأَعْمَى، رَوَى الْقِراءَةَ عن أبي الْعالِيَةِ، وأَنَسِ بنِ مالِكٍ.

وَسَمِعَ من أَنَسِ بنِ مالِكٍ، وأبي الطُّفَيْلِ، وسَعيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، وغيرِهِمْ.

ورَوَى عنه أبو أَيُّوبَ، وشُعْبَةُ، وأبو عَوانَةَ، وغيْرُهُمْ. ورَوَى عنه الْحُروفَ أَبانُ بْنُ يَزيدَ الْعَطَّارُ. وكانَ يُضْرَبُ بِحِفْظِهِ الْمَثَلُ.

تُوُفِّيَ سنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ ومِئَةٍ[2].

الْفِرْقَةُ الخامِسَةُ من التَّابِعينَ مَنْ كانوا بالشَّامِ.

منهم: الْمُغيرَةُ بْنُ أبي شِهابٍ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بنِ الْمُغيرَةِ بنِ رَبيعَةَ بنِ عَمْرِو بنِ مَخْزومٍ، أبو هاشِمٍ الْمَخْزومِيُّ الشَّامِيُّ. أَخَذَ الْقِراءَةَ عَرْضًا عن عُثْمانَ بْنِ عَفَّانَ. أَخَذَ الْقِراءَةَ عنه عَرْضًا عَبْدُ الله بْنُ عامِرٍ.

(1) غاية النهاية: 2/ 151.

(2) المصدر نفسه: 2/ 25.

قال الذَّهَبِيُّ: وَأَحْسَبُهُ كانَ يَقْرَأُ بِدِمَشْقَ في دَوْلَةِ مُعاوِيَةَ. ولا يَكادُ يُعْرَفُ إلَّا من قِراءَةِ ابْنِ عامِرٍ عليهِ.

ماتَ سنَةَ إحْدَى وتِسْعينَ وله تِسْعونَ سَنَةً(1).

ومنهم: خُلَيْدُ بْنُ سَعْدٍ، صاحِبُ أبي الدَّرْداءِ(2).

إذا عَرَفْتَ هذا فاعْلَمْ أَنَّهُ تَجَرَّدَ قَوْمٌ، واعْتَنَوْا بِضَبْطِ الْقِراءَةِ أَتَمَّ عِنايَةٍ، حتى صاروا أَئِمَّةً يُقْتَدَى بهم، ويُرْحَلُ إليهم.

فكانَ بِالْمَدينَةِ: أبو جَعْفَرٍ يَزيدُ بْنُ الْقَعْقاعِ، ثُمَّ شَيْبَةُ بْنُ نِصاحٍ، ثُمَّ نافِعُ بنُ أبي نُعَيْمٍ.

وبِمَكَّةَ: عَبْدُ اللهِ بنُ كَثِيرٍ، وحُمَيْدُ بنُ قَيْسٍ الْأَعْرَجُ، ومُحَمَّدُ بنُ مُحَيْصِنٍ.

وَبِالْكوفَةِ: يَحْيَى بنُ وَثَّابٍ، وعاصِمُ بن أبي النَّجودِ، وسُلَيْمانُ الْأَعْمَشُ، ثُمَّ حَمْزَةُ، ثُمَّ الْكِسائِيُّ.

وَبِالْبَصْرَةِ: عبدُ اللهِ بنُ إِسْحاقَ، وعيسى بْنُ عُمَرَ، وأبو عَمْرِو بْنُ الْعَلاءِ، وعاصِمٌ الْجَحْدَرِيُّ، ثُمَّ يَعْقوبُ الْحَضْرَمِيُّ.

وَبِالشَّام: عَبْدُ الله بنُ عامِرٍ، وَعَطِيَّةُ بْنُ قَيْسٍ الْكِلابِيُّ، وإسْماعيلُ بنُ عبدِ اللهِ بْنِ الْمُهاجِرِ، ثُمَّ يَحْيَى بْنُ الْحارِثِ الذِّمارِيُّ، ثُمَّ سُرَيْجُ بنُ يَزيدٍ الْحَضْرَمِيُّ.

---

(1) غاية النهاية: 2/ 305.

(2) جمال القراء: 544، غاية النهاية: 1/ 601.

ثم اشْتَهَرَ مِن هؤلاءِ في الْآفاقِ، الْبُدورُ السَّبْعَةُ.

فَلْنَذْكُرْ كُلًّا منهم على التَّرْتيبِ.

فَأَوَّلُهُمْ: **نافِعُ بنُ عبدِ الرَّحْمنِ بْنِ أبي نُعَيْمٍ**، أبو رُوَيْمٍ، أو أبو نُعَيْمٍ، أو أبو الْحَسَنِ، أو عَبْدُ اللهِ، أو أبو عَبْدِ الرَّحْمنِ اللَّيْثِيُّ، مَوْلاهُمْ، وهو مَوْلَى جَعْوَنَةَ ابْنِ شَعوبِ اللَّيْثِيِّ، حَليفِ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْمَدَنِيِّ، أَحَدُ الْقُرَّاءِ السَّبْعَةِ وَالْأَعْلامِ، ثِقَةٌ صالِحٌ. أصْلُهُ من أَصْبَهانَ. كانَ إمامَ أَهْلِ الْمَدينَةِ، وهم صاروا إلى قِراءَتِهِ، وَرَجَعوا إلى اخْتِيارِهِ، وَقَرَأَ عليه مالِكٌ.

وَلَمَّا اخْتارَ أَهْلُ الْمَغْرِبِ مَذْهَبَ مالْكٍ ـ لِأَمْرٍ مَسْطورٍ في التَّواريخِ ـ اخْتارُوا قِراءَةَ نافِعٍ لِاخْتِيارِ مالِكٍ قِراءَتَهُ. وَسَمِعْتُ من بَعْضِ فُضَلاءِ الْمَغارِبَةِ، أَنَّهُمُ اخْتارُوا ذلك، ليكونَ فِقْهُهُمْ فِقْهَ عالِمِ الْمَدينَةِ، وَقِراءَتُهُمْ قِراءَةَ قارِئِ الْمَدينَةِ. وهو من الطَّبَقَةِ الثَّالِثَةِ بَعْدَ الصَّحابَةِ، رِضْوانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أجْمَعينَ.

وكانَ عالِمًا بِوُجوهِ الْقِراءاتِ، مُتَّبِعًا لِآثارِ الْأَئِمَّةِ الْماضِينَ، وقَرَأَ الْقُرْآنَ على سَبْعينَ رَجُلًا من التَّابِعينَ، منهم: أبو جَعْفَرٍ يَزيدُ بْنُ قَعْقاعٍ، والزُّهْرِيُّ، وعَبْدُ الرَّحْمنِ بْنُ هُرْمُزَ الْأَعْرَجُ، وأَمْثالُ هؤلاءِ.

وَرَوَى الْقِراءَةَ عنه ـ عَرْضًا وسَماعًا ـ عِشْرونَ رَجُلًا من أَهْلِ الْمَدينَةِ. منهم: قالونُ، وهو مُخْتارُ هؤلاء. وَخَمْسَةَ عَشْرَ من أَهْل مِصْرَ، ومُخْتارُ هَؤلاءِ وَرْشٌ، وَكَثيرونَ من أَهْلِ دِمَشْقَ.

وكانَ أَسْوَدَ اللَّوْنِ حالِكًا، صَبيحَ الْوَجْهِ، حَسَنَ الْخُلُقِ، فيه دُعابَةٌ، وكانَ إذا تَكَلَّمَ يُشَمُّ مِنْ فيهِ رائِحَةُ الْمِسْكِ.

قالَ رَجُلٌ من أَصْحابِهِ: يا أبا عَبْدِ اللهِ ـ أو يا أبا رُوَيْمٍ ـ تَتَطَيَّبُ كُلَّما قَعَدْتَ تُقْرِئُ النَّاسَ، قالَ: ما أَمَسُّ طِيبًا، ولا أَقْرَبُ طِيبًا، ولَكِنِّي رَأَيْتُ ـ فيما يَرَى النَّائِمُ ـ النَّبِيَّ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ وهو يَقْرَأُ في فِيَّ، فَمِنْ ذلك الْوَقْتِ، يُشَمُّ مِنْ فِيَّ هذه الرَّائِحَةُ(1).

وقال الْمُسَيَّبِيُّ: قيلَ لِنافِعٍ: ما أَصْبَحَ وَجْهَكَ وَأَحْسَنَ خَلْقَكَ! قال: كَيْفَ لا أَكونُ كذلكَ، وقد صافَحَنِي رَسولُ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ، وعليهِ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ يَعْنِي في النَّوْمِ.

قالَ قالونُ: كانَ نافِعٌ من أَطْهَرِ النَّاسِ خُلُقًا، ومن أَحْسَنِ النَّاسِ قِراءَةً. وكانَ زاهِدًا جَوادًا، صَلَّى في مَسْجِدِ رَسولِ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ سَبْعينَ سَنَةً.

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحاقَ: لَمَّا حَضَرَ نافِعًا الْوَفاةُ، قال له أَبْناؤُهُ: أَوْصِنا قالَ: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾(2).

ماتَ سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِّينَ وَمِئَةٍ، أو سَبْعينَ، أو سَبْعٍ وسِتِّينَ، أو خَمْسينَ، أو سَبْعٍ وخَمْسينَ وَمِئَةٍ(3).

---

(1) غاية النهاية: 2/ 332.

(2) سورة الأنفال، الآية: 1.

(3) غاية النهاية: 2/ 333-334.

أَمَّا راوِيهِ وَرْشٌ، فهو: عُثْمانُ بنُ سَعيدٍ، قِيلَ: سَعيدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ سُلَيْمانَ بْنِ إِبْراهيمَ. وقيلَ: سَعيدُ بْنُ عَدِيٍّ بْنِ غَزْوانَ بْنِ داودَ بْنِ سابِقٍ، أبو سَعيدٍ، أو أبو الْقاسِمِ، أو أبو عَمْرٍو الْقُرَشِيُّ، مَوْلاهُمْ الْقِبْطِيُّ الْمِصْرِيُّ، الْمُلَقَّبُ بِوَرْشٍ، شَيْخُ الْقُرَّاءِ الْمُحَقِّقينَ، وإمامُ أَهْلِ الْأَداءِ الْمُرَتِّلينَ، انْتَهَتْ إليه رِئاسَةُ الْإِقْراءِ بِالدِّيارِ الْمِصْرِيَّةِ في زَمانِهِ.

وُلِدَ سنةَ عَشْرٍ ومِئَةٍ بِمِصْرَ، وَرَحَلَ إلى نافِعِ بنِ أبي نُعَيْمٍ، فَعَرَضَ عليه الْقُرْآنَ عِدَّةَ خَتَماتٍ، وكانَ أَشْقَرَ أَزْرَقَ، أَبْيَضَ اللَّوْنِ، قَصيرًا ذا كِدْنَةٍ[1]، هو إلى السِّمَنِ أَقْرَبُ منه إلى النَّحافَةِ، لَقَّبَهُ نافِعٌ بالْوَرَشانِ، لأَنَّهُ كانَ على قِصَرِهِ يَلْبَسُ ثِيابًا قِصارًا، وكانَ إذا مَشَى بَدَتْ رِجْلاهُ مع اخْتِلافِ أَلْوانِهِ، وقيلَ: سُمِّيَ به لِقِلَّةِ أَكْلِهِ، وَخِفَّةِ لَحْمِهِ. وكانَ نافِعٌ يَقولُ: هاتِ يا وَرَشانُ، وَاقْرَأْ يا وَرَشانُ، وأَيْنَ الْوَرَشانُ، ثُمَّ خُفِّفَ وقيلَ: وَرْشٌ. وَالْوَرَشانُ طائِرٌ مَعْروفٌ.

وَقيلَ: إنَّ الْوَرْشَ شَيْءٌ يُصْنَعُ من اللَّبَنِ، قيل: هو الْجُبْنُ، أو كَالْجُبْنِ، لُقِّبَ به لِبَياضِهِ، وَلَزِمَهُ ذلِكَ اللَّقَبُ، حتى صارَ لا يُعْرَفُ إِلَّا به، وكانَ هذا اللَّقَبُ أحَبَّ إليه من اسْمِهِ. وكانَ يَقولُ: أُسْتاذِي سَمَّانِي بِهِ.

وكانَ في أَوَّلِ أَمْرِهِ رَأْسًا، وَلِذَلِكَ يُقالُ له: الرُّوَاسُ. ثُمَّ اشْتَغَلَ بِالْقُرْآنِ [الْعظيمِ][2] وَالْعَرَبِيَّةِ فَمَهَرَ فيهِما.

---

(1) الْكِدْنَةُ والكُدْنَةُ جَمِيعًا كَثْرَةُ الشَّحْمِ وَاللَّحْمِ. اللسان: كدن.

(2) زيادة من رئيس الكتاب.

تُوُفِّيَ بِمِصْرَ سنَةَ سَبْعٍ وتِسْعينَ وَمِئَةٍ، عن سَبْعٍ وثَمانينَ سَنَةً[1].

وأمَّا راوِيهِ[2] قالونُ فهو: أبو موسَى عيسَى بْنُ مِينَا بْنِ وَرْدانَ بْنِ عيسى ابْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عبدِ اللهِ الزُّرْقِيُّ، وَيُقالُ الْمُرِّيُّ، مَوْلَى بني زُهْرَةَ، الْمُلَقَّبُ قالونَ، قارِئُ الْمَدينَةِ وَنَحْوِيُّهَا، يُقالُ: إنَّهُ رَبيبُ نافِعٍ، وقد اخْتَصَّ به كَثيرًا. وهو الَّذِي سَمَّاهُ قالونَ لِجَوْدَةِ قِراءَتِهِ، فإنَّ قالونَ بِلُغَةِ الرُّومِ جَيِّدٌ.

قالَ الْجَزَرِيُّ: سَأَلْتُ الرُّومَ عن ذلِكَ فَقالُوا: نَعَمْ، غَيْرَ أَنَّهُمْ نَطَقُوا لي بِالْقافِ كافًا على عادَتِهِمْ.

وَيُحْكَى عنه أنَّهُ قالَ: كانَ نافِعٌ إذا قَرَأْتُ عليه يَعْقِدُ لي ثَلاثينَ، وَيَقولُ لي: قالونُ قالونُ، يَعْنِي جَيِّدٌ جَيِّدٌ.

قُلْتُ: وَعَقْدُ الثَّلاثينَ هو ضَمُّ الْأَصابِعِ الْأَرْبَعَةِ، وَنَصْبُ الْإِبْهامِ قائِمًا. ومِنْ عادَتِهِمْ أَنَّهُمْ عند اسْتِحْسانِ شَخْصٍ يَعْقِدونَ هكذا، وَيُشيرونَ بِالْإِبْهامِ إلى ذَلِكَ الشَّخْصِ، وهذه عادَتُهُمْ عند غايَةِ الِاسْتِحْسانِ.

قالَ عبدُ اللهِ بْنُ عِلِيٍّ: وإنَّما يُكَلِّمُهُ نافِعٌ بِالرُّومِيَّةِ، لأنَّ قالونَ أصْلُهُ من الرُّومِ، كانَ جَدُّ جَدِّ جدِّهِ عبد اللهِ من سَبْيِ[3] الرُّومِ في أيامِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عنه، فَقَدِمَ به مَنْ أَسَرَهُ إلى عُمَرَ إلى الْمَدينَةِ، وباعَهُ، فَاشْتَراهُ بعض الْأَنْصارِ، فهو مَوْلَى مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ فَيْروزَ.

---

(1) غاية النهاية: 1/ 502-503.

(2) رواية، في قونية وأنطاليا وعاطف أفندي.

(3) كتب إزاءها في نسخة أنطاليا: سبايا أصح.

قال أبو مُحَمَّدٍ الْبَغْدادِيُّ: كانَ قالونُ أَصَمَّ لا يَسْمَعُ الْبوقَ، وكانَ إذا قَرَأَ عليه قارِئٌ فإنَّه يَسْمَعُهُ.

قالَ ابْنُ أبي حاتِمٍ: كانَ يَفْهَمُ خَطَأَهُمْ وَلَحْنَهُمْ بالشَّفَةِ.

قالَ الْأَهْوازِيُّ: وُلِدَ سنَةَ عِشْرينَ، وَقَرَأَ على نافِعٍ سنَةَ خَمْسينَ[1].

قال الدَّانِيُّ: تُوُفِّيَ قَبْلَ سنَةِ عِشْرينَ ومِئَتَيْنِ. وقال الْأَهْوازِيُّ وَغَيْرُهُ: سَنَةَ خَمْسٍ وَمِئَتَيْنِ.

قالَ الذَّهَبِيُّ: هذا غَلَطٌ، وأَثْبَتَ وفاتَهُ سنَةَ عِشْرينَ. قالَ الْجَزَرِيُّ: وهو الْأَصَحُّ[2].

وثانيهِمْ: عبدُ اللهِ بْنُ كَثيرِ بنِ الْمُطَّلِبِ، كذَا رَفَعَ الدَّانِيُّ نَسَبَهُ[3]، لكنَّ الْأَصَحَّ ما ذَكَرَهُ الْأَهْوازِيُّ، وهو عَبْدُ اللهِ بنُ كَثيرِ بْنِ عَمْرِو بنِ عبدِ اللهِ بنِ زاذانَ بنِ فَيْروزانَ بنِ هُرْمُزَ، الإمامُ أبو مَعْبَدٍ الْمالِكِيُّ[4] الدَّارِيُّ، إمامُ أَهْلِ مَكَّةَ في الْقِراءَةِ، اخْتُلِفَ في كُنْيَتِهِ، والصَّحيحُ ما قَدَّمْناهُ.

وَقيلَ له الدَّارِيُّ لأَنَّهُ كانَ عَطَّارًا، والْعَرَبُ تُسَمِّيهِ دارِيًّا، نِسْبَةً إلى دارِينَ، مَوْضِعٍ بِالْبَحْرَيْنِ يُجْلَبُ منه الطِّيبُ.

---

(1) يعني ولد سنة عشرين ومئة، وقرأ على نافع سنة خمسين ومئة.

(2) غاية النهاية: 1/ 615-616.

(3) حسبه، في رئيس الكتاب وعاطف أفندي.

(4) أبو سعيد المكي، في أنطاليا.

وقيلَ: لأنَّهُ كانَ من بَنِي الدَّارِ بْنِ هانِئِ بنِ حَبيبِ بنِ نُمَارَةَ، من لَخْمٍ، رَهْطِ تَميمِ الدَّارِيِّ الذي لا يَبْرَحُ في دارِهِ، ولا يَطْلُبُ مَعاشًا. قالَهُ الْأَصْمَعِيُّ.

قال الْجَزَرِيُّ: وَالصَّحيحُ الْأَوَّلُ، لأنَّهُ كانَ من أَبْناءِ فارِسِ الَّذينَ بَعَثَهُمْ كِسْرى بالسُّفُنِ إلى صَنْعاءَ فَطَرَدُوا الْحَبَشَ[1] عنها.

وُلِدَ بِمَكَّةَ سنةَ خمسٍ وأرْبَعينَ، ولَقِيَ بها عبدَ اللهِ بنَ الزُّبَيْرِ، وأبا أيوبَ الْأَنصارِيَّ، وأَنَسَ بْنَ مالِكٍ، وَمُجاهِدَ بنَ جَبْرٍ، وَدِرْباسَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، وَرَوَى عنهم. وَأَخَذَ الْقِراءَةَ عَرْضًا عن عَبْدِ اللهِ بنِ السَّائِبِ على الْأَكْثَرِ، وإِنْ أَنْكَرَهُ الْبَعْضُ.

ماتَ ابْنُ كَثيرٍ سنَةَ عِشْرينَ وَمِئَةٍ. واخْتُلِفَ فيه بأنَّ ابْنَ إدْريسَ الْأَوْدِيَّ قَرَأَ عليه، وَوُلِدَ هو في خَمْسَ عَشْرَةَ ومئَةٍ، لكنَّ الصَّحيحَ أنَّ ابْنَ إدْريسَ لم يَقْرَأْ عليه، وأنَّ ابْنَ كَثيرٍ ماتَ في عِشْرينَ.

وكانَ ابْنُ كَثيرٍ فَصيحًا بَليغًا، مُفَوَّهًا، أَبْيَضَ اللِّحْيَةِ، طَويلًا جَسيمًا، أَسْمَرَ، أَشْهَلَ الْعَيْنَيْنِ، يَخْضِبُ بِالْحِنَّاءِ، عليه السَّكينَةُ والْوَقارُ.

قال أبو عَمْرٍو: كانَ ابْنُ كَثيرٍ أَعْلَمَ بِالْعَرَبِيَّةِ من مُجاهِدٍ، وأنا قَرَأْتُ عليهِما.

قالَ ابْنُ مُجاهِدٍ: لم يَزَلْ عبدُ اللهِ بنُ كَثيرٍ هو الْإِمامُ الْمُجْتَمَعُ عليه في الْقِراءَةِ بِمَكَّةَ حتى ماتَ سَنَةَ عِشْرينَ ومِئَةٍ[2].

---

(1) الحبشة، في أنطاليا، الجيش، في رئيس الكتاب ومراد ملا وعاطف أفندي.

(2) غاية النهاية: 1/ 443-445.

أَمَّا راوِيهِ[1] **قُنْبُلٌ**، فهو: مُحَمَّدُ بنُ عبدِ الرَّحْمنِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ خالِدِ بنِ سَعيدِ بنِ جَرْجَةَ، أبو عُمَرَ الْمَخْزومِيُّ، مولاهُمْ الْمَكِيُّ، الْمُلَقَّبُ بِقُنْبُلٍ، شَيْخُ الْقُرَّاءِ بِالْحِجازِ.

وُلِدَ سنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعينَ ومِئَةٍ. وأَخَذَ الْقِراءَةَ عَرْضًا عن أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ ابنِ عَوْنٍ النَّبَّالِ، وهو الَّذِي خَلَفَهُ بالْقِيامِ بها بِمَكَّةَ، وقَرَأَ عن كَثيرٍ من الْمَشايِخِ، وقَرَأَ عليه كَثيرونَ. وَرَوَى الْقِراءَةَ على ابْنِ كَثيرٍ بِواسِطَةِ سَنَدٍ، لأَنَّهُ يَرْوِي عن الْقَوَّاسِ، عن الْقُسْطِ[2]، عن ابْنِ كَثيرٍ.

واخْتُلِفَ في سَبَبِ تَلْقِيبِهِ قُنْبُلًا، فقيلَ: اسْمُهُ، وقيلَ: لأَنَّهُ من بَيْتٍ بِمَكَّةَ يُقالُ لِأَهْلِهِ الْقَنابِلَةُ. وقيلَ: لِاسْتِعْمالِهِ دَواءً يُقالُ له: قُنْبِيلٌ، مَعْروفٌ عند الصَّيادِلَةِ، لِداءٍ كان به، فلمَّا أَكْثَرَ منه عُرِفَ به، وُحُذِفَتِ الْياءُ تَخْفيفًا. وقد انْتَهَتْ إليهِ رِئاسَةُ الْإِقْراءِ بِالْحِجازِ، وَرَحَلَ النَّاسُ إليهِ من الْأَقْطارِ.

قالَ أبو عبدِ اللهِ الْقَصَّاعُ[3]: وكانَ على الشُّرْطَةِ بِمَكَّةَ، لأَنَّهُ كانَ لا يَليهَا إلَّا رَجُلٌ من أَهْلِ الْفَضْلِ والْخَيْرِ والصَّلاحِ، ليكونَ ما يَأْتيهِ من الْحُدودِ والْأَحْكامِ على صَوابٍ، فَوَلَّوْها لِقُنْبُلٍ[4] لِعِلْمِهِ وَفَضْلِهِ عِنْدَهُمْ.

---

(1) رواية، في قونية وعاطف أفندي.

(2) إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين المخزومي المعروف بالْقُسْطِ، قارئ مكة، (ت.190هـ). ينظر: معرفة القراء: 1/ 117، وغاية النهاية: 1/ 165، نزهة الألباب في الألقاب: 2/ 91.

(3) محمد بن إسرائيل بن أبي بكر، أبو عبد الله، المعروف بالقصاع، (ت.671هـ). ينظر: غاية النهاية: 2/ 100.

(4) قنبل، في قونية وأنطاليا.

قال الذَّهَبِيُّ: إنَّهُ كانَ في وَسَطِ عُمُرِهِ فَحُمِدَتْ سِيرَتُهُ، ثُمَّ إنه طَعَنَ في السِّنِّ وشاخَ، وَقَطَعَ الْإِقْراءَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِسَبْعِ سِنِينَ، أو بِعَشْرِ سِنِينَ.

ماتَ سنَةَ إحْدى وتِسْعينَ ومِئَتَيْنِ، عن سِتٍّ وتِسْعينَ سَنَةً[1].

وأَمَّا راوِيهِ[2]: الْبَزِّيُّ، فهو: أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ الْقاسِمِ بنِ نافِعِ ابنِ أبي بَزَّةَ، ويُقالُ، إنَّ نافِعًا هو أبو بَزَّةَ، الْإِمامُ أبو الْحَسَنِ الْبَزِّيُّ الْمَكِّيُّ، مُقْرِئُ مَكَّةَ، ومُؤَذِّنُ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ. وُلِدَ سنةَ سَبْعينَ ومِئَةٍ.

أُسْتاذٌ مُحَقِّقٌ، ضابِطٌ مُتْقِنٌ. قَرَأَ على أبيهِ، وعبدِ اللهِ بنِ زِيادٍ، وعِكْرِمَةَ بْنِ سُلَيْمانَ، وَوَهْبِ بْنِ واضِحٍ. وَقَرَأَ عليه كَثيرونَ، وَرَوى الْقِراءَةَ عن ابْنِ كَثيرٍ بِواسِطَةِ سَنَدٍ، لأَنَّهُ يَرْوي عن عِكْرِمَةَ، عن قُسْطٍ، عن ابْنِ كَثيرٍ.

قالَ الْأَهْوازِيُّ: أبو بَزَّةَ ـ الَّذي يُنْسَبُ إليه البَزِّيُّ ـ اسْمُهُ بَشَّارٌ[3]، فارِسِيٌّ من أَهْلِ هَمَذانَ. أَسْلَمَ على يَدِ السَّائِب بنِ أَبِي السَّائِبِ بنِ أَبِي السَّائِبِ الْمَخْزومِيِّ. والْبَزَّةُ: الشِّدَّةُ، ومَعْنَى أبو بَزَّةَ: أبو شِدَّةَ.

قالَ الْجَزَرِيُّ: الْمَعْروفُ لُغَةً أَنَّ الْبَزَّةَ من قَوْلِهِمْ: بَزَّهُ بَزَّةً، إذا سَلَبَهُ مِنْهُ.

تُوُفِّيَ الْبَزِّيُّ سنةَ خَمْسينَ وَمِئَتَيْنِ عن ثَمانينَ سَنَةً.

---

(1) غاية النهاية: 2/ 165-166.

(2) رواية، في قونية وأنطاليا وعاطف أفندي.

(3) كذا في غاية النهاية: 1/ 119، وفي الثقات لابن حبان: 7/ 331، وتاريخ الإسلام: 5/ 1069: يسار.

وقيلَ: الْبَزِّيُّ مَنْسوبٌ إلى بائِعِ الْبَزِّ، لكنَّ الْأَوَّلَ أصَحُّ[1].

وثالِثُهُمْ: **أبو عَمْرِو بنُ الْعَلاءِ**، واسْمُهُ زَبَّانُ بْنُ الْعَلاءِ بنِ عَمَّارِ بنِ الْعُرْيانِ ابنِ عبدِ اللهِ بنِ الْحُصَيْنِ بنِ الْحارِثِ بنِ جَلْهَمَةَ بنِ حُجْرِ بنِ خُزاعِيِّ بنِ مازِنِ ابنِ مالِكِ بنِ عَمْرِو بنِ تَميمِ بنِ مُرِّ بنِ أُدِّ بنِ طابِخَةَ بنِ إلْياسَ بنِ مُضَرَ ابنِ مَعَدِّ بنِ عَدْنانَ، الْإمامُ السَّيِّدُ أبو عَمْرٍو، التَّميمِيُّ الْمازِنِيُّ الْبَصْرِيُّ، وأَحَدُ الْقُرَّاءِ السَّبْعَةِ.

قالَ الْحافِظُ أبو الْعَلاءِ الْهَمَذانِيُّ: هذا هُوَ الصَّحيحُ، الذي عليه الْحُذَّاقُ من النُّسَّابِ. وَالْبُصْرَى[2]: بَلْدَةٌ مَعْروفَةٌ من فارِسَ.

وقد قيلَ: إنَّهُ من بَنِي الْعَنْبَرِ، أو من بني حَنيفَةَ.

وَحَكَى الْقاضِي أَسَدٌ الْيَزْدِيُّ أَنَّهُ قيلَ: إنَّهُ من فارِسَ، من مَوْضِعٍ يُقالُ له كازَرونُ. وقد اخْتُلِفَ في اسْمِهِ على أَكْثَرَ من عِشْرينَ قَوْلًا[3].

قال السُّيوطِيُّ في **"طَبقاتِ النُّحاةِ"**: اخْتُلِفَ في اسْمِهِ على إحْدَى وعِشْرينَ قَوْلًا: 1- اسْمُهُ كُنْيَتُهُ، 2- [وَقيلَ: اسْمُهُ][4] زَبَّانُ، وهو الْأَصَحُّ، 3- جَبْرٌ، 4- جُنَيْدٌ، 5- جَزْءٌ، 6- حَمَّادٌ، 7- حُمَيْدٌ، 8- خَيْرٌ، 9- رَبَّانُ، بِراءَةٍ مُهْمَلَةٍ، 10- عُتَيْبَةُ، 11- عُثْمانُ، 12- عُرْيانُ، 13- عُقْبَةُ، 14- عَمَّارٌ، 15- عَيَّارٌ، 16- عُيَيْنَةُ،

---

(1) غاية النهاية: 1/ 119-120.

(2) بُصْرى بدون تعريف في كتب البلدان، ينظر معجم البلدان: 1/ 141.

(3) غاية النهاية: 1/ 288-289.

(4) زيادة من أنطاليا.

17- فائِدٌ، 18- قُبَيْصَةُ، 19- مَحْبوبٌ، 20- مُحَمَّدٌ، 21- يَحْيى. وَسَبَبُ الِاخْتِلافِ في اسْمِهِ أَنَّهُ كان لِجَلالَتِهِ لا يُسْأَلُ عنه[1].

قالَ الْجَزَرِيُّ في طَبَقاتِ الْقُرَّاءِ: وقَدِ اخْتُلِفَ في اسْمِهِ على أَكْثَرَ من عِشْرينَ قَوْلًا، ولا رَيْبَ أنَّ بَعْضَها تَصْحيفٌ مِنْ بَعْضٍ، وأَكْثَرُ النَّاسِ من الْحُفَّاظِ وغيرِهِمْ على أنَّهُ زَبَّانُ كما ذَكَرْنا.

وقالَ الذَّهَبِيُّ: والَّذي لا أَشُكُّ[2] فيه أنَّ اسْمَهُ زَبَّانُ بالزَّايِ. وقد أَغْرَبَ ابْنُ الْباذِشِ في حِكايَتِهِ رَبَّانُ بالرَّاءِ والْمُوَحَّدَةِ. وَأَغْرَبُ من ذلك ما حَكاهُ أبو الْعَلاءِ عن بَعْضِهِمْ رَيَّانُ بالرَّاءِ وآخِرِ الْحُروفِ، قالَ: وهو تَصْحِيفٌ[3].

وُلِدَ أبو عَمْرٍو سَنَةَ ثَمانٍ، أو خَمْسٍ وَسِتِّينَ. وقيلَ: سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسينَ. وقيلَ: سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ.

قَرَأَ بِمَكَّةَ والْمَدينَةِ والْكوفَةِ والْبَصْرَةِ على شُيوخٍ كَثيرَةٍ، فليسَ في الْقُرَّاءِ السَّبْعَةِ أَكْثَرُ شُيوخًا منه. منهم أَنَسُ بنُ مالِكٍ، والْحَسَنُ بن أبي الْحَسَنِ الْبَصْرِيُّ، وسَعيدُ بنُ جُبَيْرٍ، وعِكْرِمَةُ وَمُجاهِدٌ، وأَمْثالُهُمْ.

وَرَوى عنه الْقِراءَةَ عَرْضًا وَسَماعًا جَماعَةٌ كَثيرونَ، منهم عَبْدُ اللهِ بنُ الْمُبارَكِ، وَالأَصْمَعِيُّ، وَمُعاذُ بْنُ مُسْلِمٍ النَّحْوِيُّ، وأَمْثالُهُمْ. وَرَوى عنه الْحُروفَ سِيبَوَيْهِ.

---

(1) بغية الوعاة: 2/ 231.

(2) لا شك، في أنطاليا.

(3) غاية النهاية: 1/ 289.

وكانَ أعْلَمَ النَّاسِ بِالْقُرْآنِ والْعَرَبِيَّةِ، مع الصِّدْقِ والثِّقَةِ والزُّهْدِ.

قالَ عبدُ الْوارِثِ: حَجَجْتُ مع أبي عَمْرٍو، فَنَزَلْنا في مَنْزِلٍ قَفْرٍ لا ماءَ فيه، فَغابَ عَني وَاحْتبَسَ عَلَيَّ ساعةً، فَقُمْتُ أَقْفِيهِ الْأَثَرَ، فإذا هو عندَ عَيْنٍ يَتَهَيَّأُ لِلصَّلاةِ، والْمَكانُ مَكانٌ لا ماءَ فيه أَصْلًا، فَنَظَرَ إليَّ وقالَ: يا عبدَ الْوارِثِ، أُكْتُمْ عَلَيَّ هذا، فَو اللهِ ما حَدَّثْتُ به أحَدًا حتى ماتَ.

رُوِّينا عن سُفْيانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، قال: رَأَيْتُ رَسولَ الله صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ في الْمَنامِ، فقلتُ: يا رَسولَ الله قدِ اخْتَلَفَتْ عَلَيَّ الْقِراءاتُ، فَبِقِراءَةِ من تَأْمُرُنِي أنْ أَقْرَأَ؟ فقالَ: بِقِراءَةِ أبي عَمْرِو بنِ الْعَلاءِ.

وُلِدَ بِمَكَّةَ سنة ثَمانٍ أو خَمْسٍ وسِتِّينَ، أو سِتٍّ وسَبْعينَ، وَنَشَأَ بِالْبَصْرَةِ، وماتَ بالْكوفَةِ سنةَ أَرْبَعٍ، أو خَمْسٍ، أو سَبْعٍ وخَمْسينَ ومِئَةٍ، وقيلَ: سنة ثَمانٍ وأَرْبَعينَ ومِئَةٍ[1].

وأمَّا راوِيهِ[2] حَفْصٌ، فهو: حَفْصُ بْنُ عُمَرَ بنِ عبدِ الْعَزيزِ بْنِ صهْبانَ بنِ عَدِيِّ بنِ صهْبانَ، ويُقالُ: صُهَيْبٌ، أبو عُمَرَ الدُّورِيُّ الْأَزْدِيُّ الْبَغْدادِيُّ النَّحْوِيُّ الضَّريرُ، نَزيلُ سامُرَّاءَ، إمامُ الْقِراءَةِ، وَشَيْخُ النَّاسِ في زَمانِهِ، ثِقَةٌ، ثَبْتٌ، كَبيرٌ، ضابِطٌ، أَوَّلُ من جَمَعَ الْقِراءاتِ. وَنِسْبَتُهُ إلى الدُّورِ، مَوْضِعٍ بِبَغْدادَ، وَمَحَلُّهُ بِالجانِبِ الشَّرْقِيِّ.

---

(1) غاية النهاية: 1/ 288-292.

(2) رواية، في قونية وعاطف أفندي.

قال الْأَهْوازِيُّ: رَحَلَ الدُّورِيُّ في طَلَبِ الْقِراءاتِ، وَقَرَأَ بِسائِرِ الْحُروفِ السَّبْعَةِ وبِالشَّواذِّ، وَسَمِعَ من ذلك شَيْئًا كَثيرًا. قَرَأَ على جَماعَةٍ كَثيرَةٍ، قَرَأَ على أبي مُحَمَّدٍ يَحْيَى بنِ الْمُبارَكِ الْيَزيدِيِّ، وَقَرَأَ هو على أبي عَمْرٍو.

وقالَ أبو داودَ: رَأَيْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ يَكْتُبُ عن أبي عُمَرَ الدُّورِيِّ.

وقال أَحْمَدُ بنُ فَرَحٍ: سَأَلْتُ الدُّورِيَّ: ما تَقولُ في الْقُرْآنِ؟ قالَ: كَلامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلوقٍ.

تُوُفِّيَ في شَوَّالٍ سَنَةَ سِتٍّ وأَرْبَعينَ ومِئَتَيْنِ. وَغَلِطَ من قالَ سنَةَ ثمانٍ وأَرْبَعينَ[1].

وأَمَّا راوِيهِ السُّوسِيُّ، فهو: صالِحُ بنُ زِيَادِ بنِ عبدِ اللهِ بن إسْماعيلَ بنِ إبْراهيمَ، أبي الْجارودِ ابْنِ مُسَرَّحٍ الرُّسْتُبِيِّ، أبو شُعَيْبٍ السُّوسِيُّ الرَّقِّيُّ، مُقْرِئٌ، ضابِطٌ، مُحَرِّرٌ، ثِقَةٌ.

أَخَذَ الْقِراءَةَ عَرْضًا وَسَماعًا عن أبي مُحَمَّدٍ الْيَزيدِيِّ، وهو من أَجَلِّ أَصْحابِهِ، وَقَرَأَ هو على أبي عَمْرٍو. وَرَوَى الْقِراءَةَ عنه جَماعَةٌ.

ماتَ أَوَّلَ سنةِ إحْدى وسِتِّينَ ومِئَتَيْنِ، وقد قارَبَ السَّبْعينَ[2].

ورابِعُهُمْ: عبدُ اللهِ بنُ عامِرِ بنِ يَزيدَ بنِ تَميمِ بنِ رَبيعَةَ بنِ عامِرِ بنِ عبدِ اللهِ ابنِ عِمْرانَ الْيَحْصُبِيُّ ـ بِضَمِّ الصَّادِ وَكَسْرِها ـ نِسْبَةً إلى يَحْصُبَ بْنِ دَهْمانَ

---

(1) غاية النهاية: 1/ 255-257.

(2) المصدر نفسه: 1/ 332-333.

ابْنِ عامِرِ بْنِ حِمْيَرَ بنِ سَبَإِ بنِ يَشْجُبَ بنِ يَعْرُبَ بنِ قَحْطانَ بنِ عابِرٍ، وهو هودٌ عليه السَّلامُ.

وَقيلَ: يَحْصُبُ بنُ مالِكِ بْنِ أَصْبَحَ بْنِ أَبْرَهَةَ بنِ الصباحِ، وفي يَحْصُبَ الْكَسْرُ والضَّمُّ، فإذا ثَبَتَ الْكَسْرُ فيه جازَ الْفَتْحُ في النِّسْبَةِ، فعلى هذا يَجوزُ في الْيَحْصبِيِّ الْحَرَكاتُ الثَّلاثُ.

وقد اخْتُلِفَ في كُنْيَتِهِ كَثيرًا، والْأَشْهَرُ أنَّها أبو عِمْرانَ. إمامُ أَهْلِ الشَّامِ في الْقِراءَةِ، والَّذِي انْتَهَتْ إليه مَشْيَخَةُ الْإِقْراءِ بها. أَخَذَ الْقِراءَةَ عَرْضًا عن أبي الدَّرْداءِ، وعن الْمُغيرَةِ بنِ أبي شِهابٍ صاحِبِ عُثْمانَ بنِ عَفَّانَ، وقيلَ: عَرَضَ على عُثْمانَ نَفْسِهِ.

قالَ الْجَزَرِيُّ: وَرَدَ في إسْنادِهِ أقْوالٌ أصَحُّها أنَّهُ قَرَأَ على الْمُغيرَةِ.

الثَّاني: أنَّهُ قَرَأَ على أبي الدَّرْداءِ، وهو غَيْرُ بَعيدٍ.

الثَّالِثُ: أنَّهُ قَرَأَ على فَضالَةَ بنِ عُبَيْدٍ، وهو جَيِّدٌ.

الرَّابِعُ: أنَّهُ سَمِعَ قِراءَةَ عُثْمانَ، وهو مُحْتَمَلٌ.

الْخامِسُ: أنَّهُ قَرَأَ عليه بَعْضَ الْقُرْآنِ، وَيُمْكِنُ.

السَّادِسُ: أنَّهُ قَرَأَ على واثِلَةَ بنِ الْأَسْقَعِ، ولا يَمْتَنِعُ.

السَّابِعُ: أنَّهُ قَرَأَ على عُثْمانَ جَميعَ الْقُرْآنِ، وهو بَعيدٌ ولا يَثْبُتُ.

الثَّامِنُ: أنَّهُ قَرَأَ على مُعاوِيَةَ، ولا يَصِحُّ.

التَّاسِعُ: أَنَّهُ قَرَأَ على مُعاذٍ، وهو واهٍ.

وأمَّا قَوْلُ من قالَ: لا يُدْرَى على من قَرَأَ، فَساقِطٌ جِدًّا، وَأَقَلُّ من أنْ يُنْتَدَبَ لِلرَّدِّ عليه.

وأمَّا قِراءَتُهُ على أبي الدَّرْداءِ، فقد أَثْبَتَهُ الْحافِظُ أبو عَمْرٍو الدَّانِيُّ، واسْتَبْعَدَهُ أبو عبدِ اللهِ الْحافِظُ، وناهيكَ بإِثْباتِ الدَّانِيِّ.

وأمَّا طَعْنُ ابْنِ جَريرٍ في ابْنِ عامِرٍ فقد عُدَّ من سَقَطاتِ ابْنِ جَريرٍ، حتى نَقَلَ السَّخاوِيُّ عن الشَّاطِبِيِّ، أنَّهُ قالَ: وإيَّاكَ وطَعْنَ الطَّبَرِيِّ على ابْنِ عامِرٍ.

وأيْضًا لا يُلْتَفَتُ إلى طَعْنِ ابْنِ مُجاهِدٍ، وأبي طاهِرِ ابْنِ أبي هاشِمٍ في ذلِكَ[1]. وكَيْفَ يَسوغُ أن يُجْمِعَ النَّاسُ من الصَّدْرِ الْأَوَّلِ إلى آخِرِ وَقْتِ انْتِشارِ الْعُلماءِ في الْأَقْطارِ -سِيَّما عُلَماءِ الشَّامِ- على قِراءَةٍ لا أَصْلَ لها، مع شِدَّةِ مُؤاخَذَتِهِمْ في الْيَسيرِ، وعلى عَدَمِ تَسامُحِهِمْ في النَّقيرِ والْقِطْميرِ، بحيث يَتَّبِعونَها في صَلاتِهِمْ التي هي أهَمُّ أَرْكانِ الدِّينِ، وغيرِ ذلِكَ من التَّفاسِيرِ، واسْتِخْراجِ الْأَحْكامِ.

قالَ أبو عَلِيٍّ الْأَهْوازِيُّ: كانَ ابْنُ عامِرٍ إمامًا عالِمًا ثِقَةً فيما أَتاهُ، حافِظًا لِمَا رَواهُ، مُتْقِنًا لِمَا وَعاهُ، عارِفًا فَهِمًا في كُلِّ بابِهِ، قَيِّمًا فيما جاءَ به، صادِقًا فيما نَقَلَهُ من أَفاضِلِ الْمُسْلِمينَ، وخِيارِ التَّابِعينَ، وَأَجِلَّةِ الرَّاوينَ، لا يُتَّهَمُ في دِينِهِ، ولا يُشَكُّ في يَقينِهِ، ولا يُرْتابُ في أَمانَتِهِ، ولا يُطْعَنُ عليه في رِوايَتِهِ، صَحيحُ

---

(1) لم يصح طعن ابن مجاهد في سند ابن عامر، قال ابن الجزري في غاية النهاية: 1/ 424: "وما نقل عن ابن مجاهد في ذلك فغير صحيح".

نَقْلُهُ، فَصيحٌ قَوْلُهُ، عالِيًا في قَدْرِهِ، مُصيبًا في أَمْرِهِ، مَشْهورًا في عِلْمِهِ، مَرْجوعًا إلى فَهْمِهِ، لم يَتَعَدَّ فيما ذَهَبَ إليه الْأَثَرَ، ولم يَقُلْ قَوْلًا يُخالِفُ فيه الْخَبَرَ.

وَلِيَ الْقَضاءَ بِدِمَشْقَ بعد بِلالِ بنِ أَبِي الدَّرْداءِ، والْأَصَحُّ أَنَّهُ وُلِّيَ بَعْدَ إِدْريسَ الْخَوْلانِيِّ، وكانَ إمامَ الْجامِعِ بِدِمَشْقَ، وهو الذي كانَ ناظِرًا على عِمارَتِهِ حتى فَرَغَ.

قال يَحْيَى بْنُ الْحارِثِ: وكانَ رَئيسَ الْجامِعِ، لا يَرَى فيه بِدْعَةً إلَّا غَيَّرَهَا.

وُلِدَ سَنَةَ إحْدى وعِشْرينَ. قال خالِدُ بنُ يَزيدَ: سَمِعْتُ ابْنَ عامِرٍ يَقولُ: وُلِدْتُ سنَةَ ثَمانٍ من الْهِجْرَةِ في الْبَلْقاءِ، بِضَيْعَةٍ يُقالُ لها رِحابُ، وَقُبِضَ رَسولُ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ وَلِي سَنَتانِ، وذلك قَبْلَ فَتْحِ دِمَشْقَ، ولما فُتِحَ انْقَطَعَ إليه، وكانَ له حِينَئِذٍ تِسْعُ سِنينَ.

قالَ الْجَزَرِيُّ: وهذا أَصَحُّ لِثُبوتِهِ عن نَفْسِهِ. وقد ثَبَتَ سَماعُهُ من الصَّحابَةِ، منهم: مُعاوِيَةُ بْنُ أبي سُفْيانَ، والنُّعْمانُ بْنُ بَشيرٍ، وَواثِلَةُ بْنُ الْأَسْقَعِ، وفَضالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ.

تُوُفِّيَ بِدِمَشْقَ يَوْمَ عاشوراءَ، سَنَةَ ثَمانَ عَشْرَةَ ومِئَةٍ[1].

أَمَّا راوِيهِ هِشامٌ، فهو: هِشامُ بنُ عَمَّارِ بْنِ نُصَيْرِ بْنِ مَيْسَرَةَ بنِ أبي الْوَليدِ، السُّلَمِيُّ، أو الظَّفَرِيُّ الدِّمَشْقِيُّ، إمامُ أَهْلِ دِمَشْقَ وخَطِيبُهُمْ ومُحَدِّثُهُمْ وَمُقْرِئُهُمْ وَمُفْتِيهِمْ.

---

(1) غاية النهاية: 1/ 423-425.

وُلِدَ سنَةَ ثَلاثٍ وخَمْسينَ وَمِئَةٍ. أَخَذَ الْقِراءَةَ عَرْضًا عن جَماعَةٍ كَثيرَةٍ. وكانَ فَصيحًا عَلَّامَةً، واسِعَ الرِّوايَةِ، أَخَذَ الْقِراءَةَ عن أَيُّوبَ بْنِ تَميمٍ التَّميمِيِّ، وهو عن يَحْيَى بنِ الْحارِثِ الذِّمارِيِّ(1)، [وهو](2) عن ابْنِ عامِرٍ.

قال أبو عَلِيٍّ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ ابنِ الْأَصْبَهانِيِّ الْمُقْرِئُ: لَمَّا تُوُفِّيَ أَيُّوبُ ابنُ تَميمٍ، رَجَعَتِ الْإِمامَةُ في الْقِراءَةِ إلى رَجُلَيْنِ: هِشامٍ، وابْنِ ذَكْوانَ.

قال: وكانَ هِشامٌ مَشْهورًا بِالنَّقْلِ والْفَصاحَةِ، والْعِلْمِ والرِّوايَةِ، والْفَهْمِ والدِّرايَةِ، رُزِقَ كِبَرَ السِنِّ، وَصِحَّةَ الْعَقْلِ والرَّأْيِ، وارْتَحَلَ النَّاسُ إليه في الْقِراءاتِ والْحَديثِ.

ماتَ سنةَ خَمْسٍ أو أَرْبَعٍ وأَرْبَعينَ ومِئَتَيْنِ(3).

وأَمَّا راوِيهِ ابْنُ ذَكْوانَ، فهو: عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بْنِ بِشْرٍ، وَيُقالُ: بَشيرُ بنُ ذَكْوانَ بنِ عَمْرِو بنِ حَسَّانَ بنِ داوُدَ بنِ حَسْنونَ بنِ سَعْدِ بنِ غالِبِ بنِ فِهْرِ بنِ مالِكِ بنِ النَّضْرِ، أبو عَمْرٍو، وأبو مُحَمَّدٍ الْقُرَشِيُّ الْفِهْرِيُّ الدِّمَشْقِيُّ، الْإِمامُ الْأُسْتاذُ الشَّهيرُ، الرَّاوِي الثِّقَةُ، شَيْخُ الْإِقْراءِ بِالشَّامِ، وإمامُ جامِعِ دِمَشْقَ.

أَخَذَ الْقِراءَةَ عَرْضًا عن أَيُّوبَ بْنِ تَميمٍ، وهو الَّذِي خَلَفَهُ في الْقِيامِ بِالْقِراءَةِ في دِمَشْقَ. وَأَخَذَ أَيُّوبُ عن يَحْيَى بنِ الْحارِثِ الذِّمارِيِّ، وهو عن ابْنِ عامِرٍ،

---

(1) الزاهدي، في قونية.

(2) سقطت من قونية.

(3) غاية النهاية: 2/ 354-356.

وَقَرَأَ على الْكِسائِيِّ حين قَدِمَ الشَّامَ[1]، وَرَوَى الْحُروفَ سَماعًا عن إسْحاقَ ابْنِ الْمُسَيَّبِيِّ، عن نافِعٍ، رَوَى الْقِراءَةَ عنه ابْنُهُ أَحْمَدُ وَكَثيرونَ.

قال أبو زُرْعَةَ: لم يَكُنْ بِالْعِراقِ، ولا بِالْحِجازِ، ولا بِالشَّامِ، ولا بِمِصْرَ، ولا بِخُراسانَ، أَقْرَأَ مِن ابْنِ ذَكْوانَ في ذلكَ الزَّمانِ.

وُلِدَ يَوْمَ عاشوراءَ سَنَةَ ثَلاثٍ وَسَبْعينَ وَمِئَةٍ. **وَتُوُفِّيَ** يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ لِلَيْلَتَيْنِ بَقِيَتا من شَوَّالٍ، وَقِيلَ: لِسَبْعٍ خَلَوْنَ منه، سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وأَرْبَعينَ وَمِئَتَيْنِ، وهو الْأَصَحُّ[2].

وخامِسُهُمْ: **عاصِمُ بنُ بَهْدَلَةَ أبي النَّجُودِ**؛ بِفَتْحِ النُّونِ وَضَمِّ الْجِيمِ، وَضَمُّ النُّونِ غَلَطٌ، أبو بَكْرٍ الْأَسَدِيُّ، مَوْلاهُمْ الْكُوفِيُّ الْحَنَّاطُ ـ بِالْمُهْمَلَةِ والنُّونِ ـ شَيْخُ الْإِقْراءِ[3] بِالْكوفَةِ، وَأَحَدُ الْقُرَّاءِ السَّبْعَةِ.

وَيُقالُ: أبو النَّجودِ اسْمُ أَبيهِ، لا يُعْرَفُ له اسْمٌ غَيْرُ ذلك، وَبَهْدَلَةُ اسْمُ أُمِّهِ، وَقيلَ: اسْمُ أَبِي النَّجودِ عبدُ اللهِ. وهو الْإِمامُ الَّذِي انْتَهَتْ إليه رِئاسَةُ الْقِراءَةِ بِالْكوفَةِ، بعد أبي عبد الرَّحْمنِ السُّلَمِيِّ في مَوْضِعِهِ. جَمَعَ بينَ الْفَصاحَةِ والْإِتْقانِ، والتَّحْريرِ والتَّجْويدِ، وكانَ أَحْسَنَ النَّاسِ صَوْتًا بِالْقُرْآنِ.

قالَ أبو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ: لا أُحْصِي ما سَمِعْتُ أبا إسْحاقَ السَّبيعِيَّ يقولُ: ما رَأَيْتُ أَحَدًا قَطُّ كانَ أَفْصَحَ من عاصِمٍ، إذا تَكَلَّمَ كادَ يَدْخُلُهُ خُيَلاءُ، وكان من التَّابِعينَ.

---

(1) على الشام، في قونية ورئيس الكتاب وأنطاليا.

(2) غاية النهاية: 1/ 404-405.

(3) القراء، في الأزهرية.

رَوَى عن أبي رِمْثَةَ رِفَاعَةَ بنِ يَثْرِبِيٍّ التَّميمِيِّ، والْحارِثِ بْنِ حَسَّانَ الْبَكْرِيِّ، وكانَتْ لهما صُحْبَةٌ، أَخَذَ الْقِراءَةَ عَرْضًا عن أبي عَبْدِ الرَّحْمنِ السُّلَمِيِّ، وعن زِرِّ بنِ حُبَيْشٍ.

قال حَفْصٌ: قال لي عاصِمٌ: التي أَقْرَأْتُكَ بها، فَهِيَ التي قَرَأْتُ بها على أبي عَبْدِ الرَّحْمنِ السُّلَمِيِّ، عن عَلِيٍّ، والتي أَقْرَأْتُها على أبي بَكْرِ بنِ عَيَّاشٍ، فهي الَّتِي كُنْتُ أعْرِضُها على زِرِّ بنِ حُبَيْشٍ، عن ابْنِ مَسْعودٍ.

قالَ عبدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: سَأَلْتُ أبي عن عاصِمٍ فقالَ: رَجُلٌ صالِحٌ خَيِّرٌ ثِقَةٌ، فَسَأَلْتُهُ: أيُّ الْقِراءَةِ أَحَبُّ إليكَ؟ قال: قِراءَةُ أَهْلِ الْمَدينَةِ، فإنْ لم يَكُنْ فَقِراءَةُ عاصِمٍ.

قالَ الْجَزَرِيُّ: وَثَّقَهُ أبو زُرْعَةَ وجَماعَةٌ.

وقال أبو حاتِمٍ: مَحَلُّهُ الصِّدْقُ، وَحَديثُهُ مُخَرَّجٌ في الْكُتُبِ السِّتَّةِ.

وقال أبو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ: كانَ الْأَعْمَشُ وعاصِمٌ وأبو حُصَيْنٍ سَواءً كُلُّهُمْ لا يُبْصِرونَ، وجاءَ رَجُلٌ يَقودُ عاصِمًا، فَوَقَعَ وَقْعَةً شَديدَةً، فما كَرِهَهُ ولا قالَ له شَيْئًا.

قالَ الْجَزَرِيُّ: تُوُفِّيَ آخِرَ سنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرينَ ومِئَةٍ، وقيلَ: سنَةَ ثَمانٍ وعِشْرينَ، فَلَعَلَّهُ في أَوَّلِها بالْكوفَةِ.

وَقالَ الْأَهْوازِيُّ: بالسَّماوَةِ - وهو يُريدُ الشَّامَ - وَدُفِنَ بها، واخْتُلِفَ في مَوْتِهِ، قيلَ سنَةَ عِشْرينَ وَمِئَةٍ، وهو قَوْلُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وقيلَ: سَنَةَ تِسْعٍ أو

ثَمانٍ أو سَبْعٍ وعِشْرينَ، أو قَريبًا من ثَلاثينَ، والذي عليه أَكْثَرُ الشُّيوخِ، أنَّهُ تُوُفِّيَ سنَةَ تِسْعٍ وعِشْرينَ.

قالَ الْجَزَرِيُّ، بلِ الصَّحِيحُ ما قَدَّمْتُ، وَلَعَلَّهُ تَصْحيفُ سَبْعٍ بِتِسْعٍ، واللهُ تعالى أَعْلَمُ[1].

أمَّا راوِيهِ حَفْصٌ، فهو: حَفْصُ بْنُ سُلَيْمانَ بنِ الْمُغيرَةِ، أبو عُمَرَ بنِ أبي داوُدَ، الْأَسَدِيُّ الْكُوفِيُّ الْغاضِرِيُّ الْبَزَّازُ. بائِعُ الْبَزِّ، ويُعْرَفُ بِحُفَيْصٍ. أَخَذَ الْقِراءَةَ عَرْضًا وَتَلَقِّيًا عن عاصِمٍ، وكانَ رَبيبَهُ ابْنَ زَوْجَتِهِ. **وُلِدَ** سنَةَ تِسْعينَ.

قال الدَّانِيُّ: وهو الَّذي أَخَذَ قِراءَةَ عاصِمٍ على النَّاسِ تِلاوَةً، ونَزَلَ بَغْدادَ فَأَقْرَأَ بها، وَجاوَرَ بِمَكَّةَ فَأَقْرَأَ بها أَيْضًا.

وقالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ: الرِّوايَةُ الصَّحيحَةُ من قِراءَةِ عاصِمٍ رِوايَةُ حَفْصٍ. وكانَ أَعْلَمَهُمْ بِقِراءَةِ عاصِمٍ، وكان مُرَجَّحًا على شُعْبَةَ بِضَبْطِ الْقِراءَةِ.

قالَ الذَّهَبِيُّ: أمَّا في الْقِراءَةِ فَثِقَةٌ ثَبْتٌ ضابِطٌ لها، بِخِلافِ حالِهِ في الْحَديثِ، وكانَتِ الْقِراءَةُ التي أَخَذَها عن عاصِمٍ تَرْتَفِعُ إلى عَلِيٍّ رضي الله عنه، والتي أَخَذَها أبو بَكْرٍ قِراءَةُ زِرِّ بنِ حُبَيْشٍ عن عبدِ اللهِ بنِ مَسْعودٍ.

تُوُفِّيَ سنَةَ ثَمانينَ ومِئَةٍ على الصَّحيحِ، وقيلَ: بين الثَّمانينَ والتِّسْعينَ[2].

---

(1) غاية النهاية: 1/ 246-249.

(2) المصدر نفسه: 1/ 254-255.

وأمّا راوِيهِ شُعْبَةُ، فهو: شُعْبَةُ بنُ عَيَّاشِ بنِ سالِمٍ، أبو بَكْرٍ الْحَنَّاطُ ـ بِالنُّونِ ـ الْأَسَدِيُّ النَّهْشَلِيُّ الْكُوفِيُّ، الْإِمامُ الْعالِمُ، راوي عاصِمٍ. اخْتُلِفَ في اسْمِهِ على ثَلاثَةَ عَشَرَ قَوْلًا، أَصَحُّها شُعْبَةُ، وقيلَ: أحْمَدُ، وعَبْدُ اللهِ، وَعَنْتَرَةُ، وسالِمٌ، وقاسِمٌ، ومُحَمَّدٌ، وَغَيْرُ ذلِكَ.

وُلِدَ سَنَةَ خَمْسٍ وتِسْعينَ. وَعرَضَ الْقُرْآنَ على عاصِمٍ ثلاثَ مرَّاتٍ، وعلى عَطاءِ بنِ السَّائِبِ، وأَسْلَمَ الْمِنْقَرِيِّ، وغيرِ ذلكَ، وعُمِّرَ دَهْرًا، إلَّا أنَّهُ قَطَعَ الْإِقْراءَ قبلَ مَوْتِهِ بسَبْعِ سِنينَ أو أكْثَرَ. وكانَ إمامًا كَبيرًا، عالِمًا عامِلًا حُجَّةً.

وكانَ يقولُ: أنا نِصْفُ الْإِسْلامِ.

وكانَ من أَئِمَّةِ السُّنَّةِ. ولم يُفْرَشْ له فِراشٌ خَمْسينَ سنَةً.

تُوُفِّيَ في جُمادَى الْأولى سَنَةَ ثَلاثٍ أو أَرْبَعٍ وتِسْعينَ ومِئَةٍ[1].

وَسادِسُهُمْ: حَمْزَةُ بْنُ حَبِيبِ بنِ عُمارَةَ بنِ إسْماعيلَ، أَزْهَدُ الْقُرَّاءِ، الْإِمامُ الْحَبْرُ، أبو عُمارَةَ الْكوفِيُّ التَّيْمِيُّ مَوْلاهُمْ، وقيلَ: من صَميمِهِمْ، الزَّيَّاتُ، أَحَدُ الْقُرَّاءِ السَّبْعَةِ.

وُلِدَ سَنَةَ ثَمانينَ، وَأَدْرَكَ الصَّحابَةَ بالسِّنِّ، فَيُحْتَمَلُ أنْ يَكونَ رَأَى بَعْضَهُمْ. أَخَذَ الْقِراءَةَ عَرْضًا عن الْأَعْمَشِ، وَجَعْفَرِ بنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ، وأبي إسْحاقَ ابْنِ أبي لَيْلَى وغَيْرِهِمْ. رَوَى الْقِراءَةَ عنه إبْراهيمُ بْنُ أَدْهَمَ، وَسُفْيانُ

(1) غاية النهاية: 1/ 325-327.

الثَّوْرِيُّ، وَشَرِيكُ بْنُ عبدِ اللهِ، وعَلِيُّ بْنِ حَمْزَةَ الْكِسائِيُّ، وغَيْرُهُمْ. وإليه صارَتِ الْإِمامَةُ في الْقِراءَةِ بعد عاصِمٍ والْأَعْمَشِ.

وكانَ إمامًا حُجَّةً ثِقَةً، ثَبْتًا رِضًى، قَيِّمًا بِكِتابِ اللهِ، بَصيرًا بِالْفَرائِضِ، عارِفًا بِالْعَرَبِيَّةِ، حافِظًا لِلْحَديثِ، عابِدًا زاهِدًا خاشِعًا، وَرِعًا قانِتًا للهِ، عَديمَ النَّظيرِ، وكانَ يَجْلُبُ الزَّيْتَ من الْعِراقِ إلى حُلْوانَ، وَيَجْلُبُ الْجَوْزَ والْجُبْنَ إلى الْكُوفَةِ.

قالَ له أبو حَنيفَةَ: شَيْئانِ غَلَبْتَنَا عَلَيْهِما، لَسْنا نُنازِعُكَ فيهِما، الْقُرْآنُ والْفَرائِضُ.

وقالَ سُفْيانُ الثَّوْرِيُّ: غَلَبَ حَمْزَةُ النَّاسَ على الْقُرْآنِ والْفَرائِضِ، وكانَ شَيْخُهُ إذا رَآهُ قد أَقْبَلَ يَقولُ: هذا حَبْرُ الْقُرْآنِ.

وأمّا ما ذُكِرَ عن عَبْدِ اللهِ بنِ إِدْريسَ وأَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ من كَراهَةِ قِراءَةِ حَمْزَةَ، مَحْمولٌ على قِراءَةِ من سَمِعَا منه ناقِلًا عن حَمْزَةَ، وما آفَةُ الْأَخْبارِ إلا رُواتُها. وَيَدُلُّ على ذَلِكَ، أنَّ رَجُلًا ممن قَرَأَ على سُلَيْمٍ، حَضَرَ مَجْلِسَ ابْنِ إِدْريسَ فَقَرَأَ فَأَفْرَطَ في الْمَدِّ والْهَمْزَةِ وَأَمْثالِهِما من التَّكَلُّفِ، فَكَرِهَ ذلك ابْنُ إدْريسَ وَطَعَنَ فيهِ، وذلِكَ لأنَّ حَمْزَةَ أيْضًا كانَ يَكْرَهُ ذلِكَ وَيَنْهى عنه.

قالَ الْجَزَرِيُّ: أمَّا كَراهَتُهُ الْإِفْراطَ من ذلك، فقد رُوِّينا عنه من طُرُقٍ أنَّهُ كانَ يقولُ لمن يُفْرِطُ في الْمَدِّ والْهَمْزَةِ: لا تَفْعَلْ، أمَا عَلِمْتَ أنَّ ما فَوْقَ

الْبَياضِ فهو بَرَصٌ، ومَا فَوْقَ الْجُعودَةِ فهو قَطَطٌ، وما فَوْقَ الْقِراءَةِ فهو ليْسَ بِقِراءَةٍ.

تُوُفِّيَ حَمْزَةُ سَنَةَ أَرْبَعٍ أو سِتٍّ أو ثَمانٍ وخَمْسينَ ومِئَةٍ.

قال الذَّهَبِيُّ: الْأَخيرُ وَهْمٌ. وَقَبْرُهُ بحُلْوانَ مَشْهورٌ[1].

أَمَّا راوِيهِ خَلَّادُ، فهو: خَلَّادُ بنُ خالِدٍ، أبو عيسَى، أو أبو عبدِ اللهِ الشَّيْبانِيُّ، مَوْلاهُمْ الصَّيْرَفِيُّ الْكوفِيُّ، إمامٌ في الْقِراءَةِ، ثِقَةٌ عارِفٌ، مُحَقِّقٌ أسْتاذٌ، أخَذَ الْقِراءَةَ عَرْضًا عن سُلَيْمٍ، وهو من أَضْبَطِ أَصْحابِهِ وأَجَلِّهِمْ، وَرَوَى الْقِراءَةَ عن حُسَيْنِ بنِ عَلِيٍّ الْجُعْفِيِّ، عن أبي بَكْرٍ نَفْسِهِ، عن عاصِمٍ. رَوَى الْقِراءَةَ عَرْضًا عنه جَماعَةٌ.

تُوُفِّيَ سَنَةَ عِشْرينَ وَمِئَتَيْنِ[2].

وَأَمَّا راوِيهِ: خَلَفٌ، فهو: خَلَفُ بنُ هِشامِ بْنِ ثَعْلَبِ بنِ خَلَفِ بْنِ ثَعْلَبِ بنِ هَشيمِ بْنِ ثَعْلَبِ بْنِ داودَ بْنِ مِقْسَمِ بنِ غالِبٍ، أبو مُحَمَّدٍ الْأَسَدِيُّ، ويُقالُ: خَلَفُ بنُ هِشامِ بنِ طالِبِ بْنِ غُرابٍ، الْإمامُ الْعالِمُ، أبو مُحَمَّدٍ الْبَزَّارُ - بِالرَّاءِ - الْبَغْدادِيُّ، أَصْلُهُ من فَمِ الصِّلْحِ[3] بِكَسْرِ الصَّادِ، أَحَدُ الْقُرَّاءِ الْعَشَرَةِ، وأَحَدُ الرُّواةِ عن سُلَيْمٍ عن حَمْزَةَ.

---

(1) غاية النهاية: 1/ 261-263.

(2) المصدر نفسه: 1/ 274-275.

(3) فم الصلح: نهر كبير فوق واسط بينها وبين جبل عليه عدة قرى. معجم البلدان: 4/ 276.

وُلِدَ سنَةَ خَمْسينَ ومِئَةٍ، وَحَفِظَ الْقُرْآنَ وهو ابْنُ عَشْرِ سِنينَ، وابْتَدَأَ في الطَّلَبِ وهو ابْنُ ثَلاثَ عَشْرَةَ، وكان ثِقَةً كَبيرًا، زاهِدًا عابِدًا عالِمًا، وكان يَكْرَهُ أنْ يُقالَ له الْبَزَّارُ، ويقولُ: ادْعونِي الْمُقْرِئَ.

أخَذَ الْقُرْآنَ عَرْضًا عن سُلَيْمِ بنِ عيسى، وعَبْدِ الرَّحْمنِ بن أبي حَمَّادٍ، وعن حَمْزَةَ، وغَيْرِهِمْ.

ماتَ في جُمادَى الآخِرَةِ، سنَةَ تِسْعٍ وعِشْرينَ ومِئَتَيْنِ بِبَغْدادَ، وهو مُخْتَفٍ عن الْجَهْمِيَّةِ[1].

وَسابِعُهُمْ: **الْكِسائِيُّ**، عَلِيُّ بنُ حَمْزَةَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ بَهْمَنَ بنِ فَيْروزَ الْأَسَدِيُّ مَوْلاهُمْ، وهو من أَوْلادِ الْفُرْسِ من سَوادِ الْعِراقِ، أبو الْحَسَنِ الْكِسائِيُّ، الْإمامُ الذي انْتَهَتْ إليه رِئاسَةُ الْإِقْراءِ بالْكوفَةِ بعد حَمْزَةَ الزَّياتِ.

أَخَذَ الْقِراءَةَ عن حَمْزَةَ عَرْضًا أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، وعليه اعْتِمادُهُ. رَوَى عنه من الْأَئِمَّةِ كَثيرونَ منهم: الْإمامُ أحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَيَحْيَى بْنُ مَعينٍ، وقالَ: ما رَأَيْتُ بِعَيْنِي هاتَيْنِ أَصْدَقَ لَهْجَةً من الْكِسائِيِّ.

وقالَ الشَّافِعِيُّ: مَنْ أَرادَ أنْ يَتَبَحَّرَ في النَّحْوِ فهو عِيالٌ على الْكِسائِيِّ.

وقالَ ابْنُ مُجاهِدٍ: اخْتارَ الْكِسائِيُّ من قِراءَةِ حَمْزَةَ وَقِراءَةِ غَيْرِهِ قِراءَةً مُتَوَسِّطَةً، غَيْرَ خارِجَةٍ من آثارِ من تَقَدَّمَهُ من الْأَئِمَّةِ، وكانَ إمامَ النَّاسِ في الْقِراءَةِ في عَصْرِهِ.

(1) غاية النهاية: 1/ 272-274.

قالَ أبو بَكْرِ ابْنُ الأَنْبارِيِّ: اجْتَمَعَتْ في الْكِسائِيِّ أمورٌ؛ كانَ أَعْلَمَ النَّاسَ بالنَّحْوِ، وَأَوْحَدَهُمْ في الْغَريبِ، وأَوْحَدَهُمْ في الْقُرْآنِ.

قِيلَ لأَبِي عُمَرَ الدُّورِيِّ: لِمَ صَحِبْتُمُ الْكِسائِيَّ على الدُّعابَةِ التي كانَتْ فيه؟ قالَ: لِصِدْقِ لِسانِهِ.

وَاخْتُلِفَ في تَسْمِيَتِهِ بِالْكِسائِيِّ، فالَّذِي رُوِّيناهُ عنه، أَنَّهُ سُئِلَ عن ذلك، فقال: لأني أَحْرَمْتُ في كِساءٍ. وقيلَ: لأَنَّهُ كان يَتَّشِحُ بِكِساءٍ، وَيَجْلِسُ في حَلْقَةِ حَمْزَةَ، ويقولُ حَمْزَةُ: اعْرِضوا على صاحِبِ الْكِساءِ. وقيلَ: إنَّهُ من قَرْيَةِ بَاكُسَايَا[1]، والأَوَّلُ أَصَحُّها، والْآخِرُ أَضْعَفُها.

وَقَدْ أَلَّفَ كُتُبًا كَثِيرَةً في النَّحْوِ والْقِراءاتِ. واخْتُلِفَ في تاريخِ مَوْتِهِ، والصَّحيحُ الَّذِي أَرَّخَهُ غَيْرُ واحِدٍ من الْعُلَماءِ والْحُفَّاظِ، سَنَةَ تِسْعٍ وثَمانينَ وَمِئَةٍ صُحْبَةَ هارونَ الرَّشيدِ، بِقَرْيَةِ رَنْبُويَه[2] - من عَمَلِ الرَّيِّ - مُتَوَجِّهينَ إلى خُراسانَ. وماتَ معه بِالْمَكانِ الْمَذْكورِ مُحَمَّدُ بنُ الْحَسَنِ الْقاضي، صاحِبُ أَبِي حَنِيفَةَ، فقالَ الرَّشيدُ: دَفَنَّا الْفِقْهَ والنَّحْوَ بِالرَّيِّ. وقيلَ: سَنَةَ إِحْدَى أو اثْنَتَيْنِ أو ثَلاثٍ أو خَمْسٍ وثَمانينَ. وقيل سَنَةَ ثَلاثٍ وتِسْعينَ، وعاشَ الْكِسائِيُّ سَبْعِينَ سنَةً[3].

---

(1) باكُسَايا: بضم الكاف، وبين الألفين ياء: بلدة قرب البندنيجين وبادرايا بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي في أقصى النهروان. معجم البلدان: 1/ 327.

(2) رَنْبُويَه: بفتح أوّله، وسكون ثانيه ثمّ باء موحدة، وبعد الواو ياء مثناة من تحت مفتوحة: وهي قرية قرب الرَّيِّ. معجم البلدان: 3/ 73.

(3) غاية النهاية: 1/ 535-540.

أمَّا راوِيهِ حَفْصٌ، فهو حَفْصُ بْنُ عُمَرَ بنِ عبدِ الْعَزيزِ بْنِ صهْبانَ الدُّورِيُّ، وهو راوِي أبي عَمْرٍو الْمَذْكورِ أيْضًا. وقد تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ هناكَ فلا نُعيدُهُ.

وَأمَّا راوِيهِ اللَّيْثُ، فَهو لَيْثُ بنُ خالِدٍ، أبو الْحارِثِ الْبَغْدادِيُّ، ثِقَةٌ مَعْروفٌ، حاذِقٌ ضابِطٌ. عَرَضَ على الْكِسائِيِّ، وهو من جُمْلَةِ أَصْحابِهِ، وَرَوَى الْحُروفَ عن حَمْزَةَ بْنِ الْقاسِمِ الْأَحْوَلِ، وعَنِ الْيَزيدِيِّ، رَوَى الْقِراءَةَ عنه عَرْضًا وسَماعًا سَلَمَةُ بْنُ عاصِمٍ صاحِبُ الْفَرَّاءِ، ومُحَمَّدُ بنُ يَحْيَى الْكِسائِيُّ الصَّغيرُ، والْفَضْلُ بنُ شاذانَ، وَيَعْقوبُ بْنُ أَحْمَدَ الشَّرْوانِيُّ[1].

مات سنَةَ أَرْبَعينَ وَمِئَتَيْنِ. واللهُ أعْلَمُ[2].

هذه تَرْجَمَةُ الْأُصولِ السَّبْعَةِ مع رُواتِهِمْ.

ثُمَّ إنَّ الْقَوْمَ[3] اخْتاروا بعد هؤلاءِ شُيوخًا ثَلاثَةً، وَجَوَّزُوا الصَّلاةَ مع قِراءَتِهِمْ كَالسَّبْعَةِ، دونَ من عَدَا هذهِ الْعَشَرَةِ من الشَّواذِّ، اللَّهُمَّ إلَّا بِشُروطٍ ثَلاثَةٍ: التَّواتُرِ، وَالثُّبوتِ في الْمُصْحَفِ الْعُثْمانِيِّ، واسْتِقامَةِ وَجْهِها في الْعَرَبِيَّةِ. وإنْ لم يُوجَدْ واحِدٌ من هذه الشُّروطِ، فلا تَجوزُ الصَّلاةُ به، وإنْ كان مَشْهورًا اتِّفاقًا، والْخِلافُ في الْإِفْسادِ، حتى قالَ الأَصْفَهانِيُّ: ما لم يَتَواتَرْ من الشَّواذِّ حُكْمُها حُكْمُ كَلامِ الْبَشَرِ في حَقِّ الصَّلاةِ.

---

(1) غاية النهاية: 2/ 34.

(2) يعقوب بن أحمد التركماني، في غاية النهاية: 2/ 34.

(3) الفحول، في أنطاليا.

قالَ الْإِمامُ قاضي خان: لو قَرَأَ ما ليسَ في الْمُصْحَفِ الإمامِ إن لم يَكُنْ ذِكْرًا ولا تَهْليلًا يُفْسِدُ صلاتَهُ، لأَنَّهُ من كَلامِ النَّاسِ، فإنْ كان مَعْناهُ ما في الْإِمامِ، تَجوزُ صَلاتُهُ في قِياسِ قَوْلِ أبي حَنيفَةَ ومُحَمَّدٍ، لأنَّ الإمامَ يُجَوِّزُ قِراءَةَ الْقُرْآنِ بأيِّ لَفْظٍ كانَ، ومُحَمَّدًا يُجَوِّزُ بالَّلفْظِ الْعَرَبِيِّ فقط، خِلافًا لأبي يوسُفَ.

إذا عَرَفْتَ هذا التَّفْصيلِ، فلا بُدَّ لك من مَعْرِفَةِ هؤلاءِ الثَّلاثَةِ وأَحْوالِهِمْ، سِيَّمَا يَعْقوبَ الْحَضْرَمِيِّ، لأنَّ عامَّةَ الْبَصْرِيِّينَ اخْتَاروا قِراءَتَهُ بعد أبي عَمْرٍو، وكانَ إمامَ الْبَصْرَةِ سِنينَ.

أمَّا أَوَّلُهُمْ وأَوْلاهُمْ: أبو مُحَمَّدٍ يَعْقوبُ بْنُ إِسْحاقَ بْنِ زَيْدِ بْنِ عبدِ اللهِ بْنِ أبي إِسْحاقَ الْحَضْرَمِيُّ مَوْلاهُمْ، الْبَصْرِيُّ، أَحَدُ الْقُرَّاءِ الْعَشَرَةِ، وإمامُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ومُقْرِئُها. أَخَذَ الْقِراءَةَ عَرْضًا عن جَماعَةٍ، وَسَمِعَ الْحُروفَ من الْكِسائِيِّ، وَمُحَمَّدِ بْنِ زُرَيْقٍ الْكوفِيِّ، عن عاصِمٍ، وَسَمِعَ من حَمْزَةَ حُروفًا. وَرَوَى ابْنُ الْمُنادِي[1] أَنَّهُ قَرَأَ على أبي عَمْرٍو.

قالَ الْجَزَرِيُّ: وَقِراءَتُهُ على أبي الْأَشْهَبِ عن أبي رَجاءٍ عن أبي موسى في غايَةِ الْعُلُوِّ. وأَمَّا إِسْنادُهُ في الْقِراءَةِ إلى رَسولِ اللهِ صلَّى اللهِ عليه وسَلَّمَ، فإنَّهُ قَرَأَ على سَلَّامٍ[2] الْمَذْكورِ، وَقَرَأَ هو على عاصِمٍ، وَقَرَأَ هو على أبي عبدِ

(1) الأنباري، في قونية.

(2) سلام بن سليمان الطويل، أبو المنذر المزني مولاهم البصري، ثم الكوفي، ثقة جليل، مقرئ كبير، أخذ القراءة عرضا عن عاصم (ت171هـ). ينظر: غاية النهاية: 1/ 309.

الرَّحْمنِ السُّلَمِيِّ، وَقَرَأَ هو على عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِبٍ، وقَرَأَ عَلِيٌّ على رَسولِ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ. وَرَوَى الْقِراءَةَ عنه عَرْضًا جَماعَةٌ كَثيرَةٌ.

وقالَ أبو حاتِمٍ السِّجِسْتانِيُّ: هو أَعْلَمُ مَنْ رَأَيْتُ بِالْحُروفِ، والِاخْتِلافِ في الْقُرْآنِ وَعِلَلِهِ وَمَذاهِبِهِ، ومَذاهِبِ النَّحْوِ، وأَرْوَى النَّاسِ لِحُروفِ الْقُرْآنِ، ولِحَديثِ الْفُقَهاءِ.

وقالَ الدَّانِيُّ: وَائْتَمَّ بِيَعْقوبَ في اخْتِيارِهِ عامَّةُ الْبَصْرِيِّينَ بعدَ أبي عَمْرٍو، فَهُمْ أو أَكْثَرُهُمْ على مَذْهَبِهِ، قالَ: وقد سَمِعْتُ طاهِرَ بْنَ غَلبونَ يَقولُ: إمامُ الْجامِعِ بِالْبَصْرَةِ لا يَقْرَأُ إلَّا بِقِراءَةِ يَعْقوبَ.

قالَ ابْنُ أبي حاتِمٍ: سُئِلَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ عنه، فقالَ: صَدُوقٌ. وسُئِلَ عنه أبِي فقالَ: صَدوقٌ.

قالَ الْجَزَرِيُّ: وَكانَ يَعْقوبُ من أَعْلَمِ أَهْلِ زَمانِهِ بِالْقُرْآنِ والنَّحْوِ وغَيْرِهِ، وَأبوهُ إسْحاقُ وَجَدُّهُ زَيْدٌ.

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَصْبَهانِيُّ: تَفَرَّقَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ أَيَّامَ الزِّنْجِ، وَأَهْلُ الْمَسْجِدِ يُجَرِّدونَ لِيَعْقوبَ، وَأَهْلُ الْقَبائِلِ لِأَيُّوبَ، وعلى قِراءَةِ يَعْقوبَ إلى هذا الْوَقْتِ أَئِمَّةُ الْمَسْجِدِ الْجامِعِ بها، وكَذَلِكَ أَدْرَكْناهُمْ.

قالَ الْجَزَرِيُّ: ومِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ بل من أَكْبَرِ الْخَطَإِ جَعْلُ قِراءَةِ يَعْقوبَ من الشَّوَاذِّ الَّذِي لا يَجوزُ الْقِراءَةُ به ولا الصَّلاةُ، وهذا شَيْءٌ لا نَعْرِفُهُ

قَبْلُ إلَّا في هذا الزَّمانِ ممَّنْ لا يُعَوَّلُ على قَوْلِهِ، ولا يُلْتَفَتُ إلى اخْتِيارِهِ، ولِلْأئِمَّةِ الْمُتَقَدِّمينَ في ذلك ما يُبَيِّنُ الْحَقَّ، ويَهْدِي السَّبيلَ. كما ذَكَرْتُ ذلك في كِتابِ "**الْمُنْجِدُ**". فَلْيُعْلَمْ أنَّهُ لا فَرْقَ بينَ قِراءَةِ يَعْقوبَ وقِراءَةِ غَيْرِهِ من السَّبْعَةِ عند أَئِمَّةِ الدِّينِ الْمُحَقِّقينَ، وهو الْحَقُّ الذي لا مَحيدَ عنه[1].

قُلْتُ: وإلى هذا يُشيرُ قَوْلُ الْقاضِي الْبَيْضاوِيِّ في أَوَّلِ تَفْسيرِهِ: ويُعْرِبُ عن وُجوهِ الْقِراءاتِ الْمَعْزِيَّةِ[2] إلى الْأَئِمَّةِ الثَّمانِيَةِ الْمَشْهورينَ، والشَّواذِّ الْمَرْوِيَّةِ عن الْقُرَّاءِ الْمُعْتَبَرينَ، حيثُ ذَكَرَ يَعْقوبَ مع السَّبْعَةِ، وأخْرَجَهُ من الشَّواذِّ.

قال أبو الْقاسِمِ الْهُذَلِيُّ: لم يُرَ في زَمَنِ يَعْقوبَ مِثْلُهُ، كانَ عالِمًا بالْعَرَبِيَّةِ وَوُجوهِهَا، والْقُرْآنِ واخْتِلافِهِ، فاضِلًا تَقِيًّا، وَرِعًا زاهِدًا، بَلَغَ من زُهْدِهِ، أنَّهُ سُرِقَ رِداؤُهُ عن كَتِفِهِ وهو في الصَّلاةِ ولم يَشْعُرْ، ورُدَّ إليه ولم يَشْعُرْ، لِشُغْلِهِ بِالصَّلاةِ، وبَلَغَ من جاهِهِ بِالْبَصْرَةِ، أنه كانَ يَحْبِسُ وَيُطْلِقُ.

قال أبو حاتِمٍ: يَعْقوبُ بنُ إِسْحاقَ من أَهْلِ بَيْتِ الْعِلْمِ بِالْقُرْآنِ والْعَرَبِيَّةِ، وكَلامِ الْعَرَبِ والرِّوايَةِ الْكَثيرَةِ والْحُروفِ والْفِقْهِ، وكانَ أقْرَأَ الْقُرَّاءِ، وكانَ أعْلَمَ من أَدْرَكْنا وَرَأَيْنا بِالْحُروفِ والِاخْتِلافِ في الْقُرآنِ وَتَعْليلِهِ وَمَذاهِبِ أَهْلِ النَّحْوِ في الْقُرْآنِ، وأَرْوى النَّاسِ لِحُروفِ الْقُرآنِ وَحَديثِ الْفُقَهاءِ.

---

(1) غاية النهاية: 2/ 386-388.

(2) كذا في الأصول الخطية، ولعل الصواب: المعزوة.

ذَكَرَ ابْنُ خَلِّكانَ أنَّ أوَّلَ من وَضَعَ الْعَرَبِيَّةَ أبو الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ، أَخَذَها عن عَلِيِّ بنِ أبي طالِبٍ رضِيَ الله عنه، وَأَخَذَ عن أبي الْأَسْوَدِ عَنْبَسَةُ الْفِيلُ بنُ مَعْدانَ الْمَهْرِيُّ، وأَخَذَ عنه مَيْمونُ الْأَقْرَنُ، وأَخَذَ عنه عبدُ اللهِ الْحَضْرَمِيُّ جَدُّ يَعْقوبَ الْحَضْرَمِيِّ، وأَخَذَ عنه عيسى بْنُ عُمَرَ الثَّقَفِيُّ، وأَخَذَ عنه الْخَليلُ بْنُ أَحْمَدَ، وَأَخَذَ عنه سِيبَوَيْهِ، وأَخَذَ عنه الْأَخْفَشُ.

قالَ الْبُخارِيُّ وغَيْرُهُ: ماتَ يَعْقوبُ في ذي الْحِجَّةِ سنَةَ خَمْسٍ ومِئَتَيْنِ، وله ثَمانٍ وَثَمانونَ سنَةً، وكذلِكَ أبوهُ وجَدُّهُ وَجَدُّ أَبيهِ كُلُّهُمْ ماتوا عن ثَمانٍ وثَمانينَ سَنَةً.

ولِبَعْضِهِمْ فيه: [الطويل]

أَبـوهُ مـن الْـقُـرَّاءِ كـانَ وَجَـدُّهُ ... وَيْعقوبُ في الْقُرَّاءِ كَالكَوْكَبِ الدُّرِّي[1]

تَفَرُّدُهُ مَحْضُ الصَّـوابِ وَوَجْهُهُ ... فَمَنْ مِثْلُهُ في وَقْتِه وإلى الْحَشْرِ[2]

وثانيهم: أبو جَعْفَرٍ يَزيدُ بْنُ الْقَعْقاعِ، الْإِمامُ أبو جَعْفَرٍ، القارِئُ الْمَخْزومِيُّ وَلاءً، الْمَدَنِيُّ، وهو مَوْلَى عبدِ اللهِ بنِ عَيَّاشٍ الْمَخْزومِيِّ، أَحَدِ الْقُرَّاءِ الْعَشَرَةِ، تابِعِيٌّ مَشْهورٌ، كَبيرُ الْقَدْرِ، ويُقالُ: اسْمُهُ جُنْدُبُ بْنُ فَيْروزَ، وقيلَ: فَيْروزُ.

عَرَضَ الْقُرْآنَ على مَوْلاهُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَيَّاشِ بْنِ أبي رَبيعَةَ، وعَبْدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ، وأبي هُرَيْرَةَ، وَرَوَى عنهم، وَيُقالُ: قَرَأَ على زَيْدِ بْنِ ثابِتٍ.

---

(1) البيتان والترجمة في غاية النهاية: 2/ 386-389.

(2) الوقت، في قونية ورئيس الكتاب وأنطاليا وبها يسقط الوزن.

قال الذَّهَبِيُّ: ولَمْ يَصِحَّ، وسَمِعَ عبدَ اللهِ بنَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَمَرْوانَ ابْنَ الْحَكَمِ رَضِيَ الله عَنْهُمْ.

قالَ الْجَزَرِيُّ: رُوِّينا عنه، أُتِيَ به إلى أمِّ سَلَمَةَ وهو صَغيرٌ، فَمَسَحَتْ على رَأْسِهِ، وَدَعَتْ له بِالْبَرَكَةِ، وَصَلَّى بابْنِ عُمَرَ، وَأَقْرَأَ النَّاسَ بِالْمَدينَةِ قَبْلَ وقْعَةِ الْحَرَّةِ، وهي سَنَةُ ثَلاثٍ وَسِتِّينَ.

قال ابْنُ خَلِّكانَ: قال مُحَمَّدُ بنُ الْقاسِمِ الْمالِكِيُّ: أبو جَعْفَرٍ يَزيدُ بْنُ الْقَعْقاعِ، مَوْلَى أمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ الله عَنْها، زَوْجِ رَسولِ اللهِ صلَّى الله عليه وَسَلَّمَ. رَوَى الْقِراءَةَ عنه نافِعُ بن أبي نُعَيْمٍ، وَسُلَيْمانُ بنُ مُسْلِمٍ، وعيسى بْنُ وَرْدانَ، وأبو عَمْرٍو، وَعَبْدُ الرَّحْمنِ بنُ زَيْدِ بنِ أَسْلَمَ، وإِسْماعيلُ ويَعَقْوبُ ابْناهُ، وَمَيْمونَةُ.

قال مالِكُ بنُ أَنَسٍ: كان أبو جَعْفَرٍ الْقارِئُ رَجُلًا صالِحًا يُقْرِئُ النَّاسَ بالْمَدينَةِ.

قالَ يَعْقوبُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ أبي كَثيرٍ الْأَنْصارِيُّ: كانَ إمامَ النَّاسِ بِالْمَدينَةِ أبو جَعْفَرٍ.

وقالَ ابْنُ مُجاهِدٍ: حَدَّثونِي عن الْأَصْمَعِيِّ، عن أبي الزِّنادِ، قال: لم يَكُنْ أَحَدٌ أَقْرَأَ لِلسُّنَّةِ من أبي جَعْفَرٍ، وكانَ يَقْدَمُ في زَمانِهِ على عَبْدِ الرَّحْمنِ بْنِ هُرْمُزَ الأَعْرَجِ.

قالَ الذَّهَبِيُّ: قَرَأَ أبو جَعْفَرٍ على أَحْمَدَ بْنِ يَزيدَ الْحُلْوانِيِّ، عن قَالونَ، عن عيسى بْنِ وَرْدانَ، عن أبي جَعْفَرٍ، وأَقْرَأَها الزُّبَيْرَ بنَ مُحَمَّدٍ الْعُمَرِيَّ، عن قِراءَتِهِ على قالونَ بِإِسْنادِهِ، وَأَقْرَأها سُلَيْمانَ بْنَ داودَ الْهاشِمِيَّ، عن سُلَيْمانَ ابْنَ مُسْلِمِ بْنِ جَمَّازٍ، عن أبي جَعْفَرٍ، وأَقْرَأَ بها الدُّورِيَّ، عن إِسْماعيلَ بْنِ جَعْفَرٍ، عن أبي جَعْفَرٍ، أو عن رَجُلٍ عن أبي جَعْفَرٍ.

قالَ الْجَزَرِيُّ: وقد أَسْنَدَ الْأُسْتاذُ أبو عبدِ اللهِ الْقَصَّاعُ قِراءَةَ أبي جَعْفَرٍ من رِوايَةِ نافِعٍ عنه، وكَذَلِكَ أَقْرَأَ بها أبو عبدِ الرَّحْمنِ قُتَيْبَةُ بْنُ مِهْرانَ، وَقَرَأَ بها على إِسْماعيلَ بْنِ جَعْفَرٍ، وَصَحَّتْ عِنْدَنا من طَرِيقِهِ.

ثم قالَ الْجَزَرِيُّ: وَالْعَجَبُ ممن يَطْعَنُ في هذه الْقِراءَةِ، أو يَجْعَلُها من الشَّواذِّ، وهي لم يَكُنْ بينها وبين غَيْرِها الْسَّبْعِ فَرْقٌ، كما بَيَّنَّاهُ في كِتابِنا "**الْمُنْجِدُ**".

رُوِيَ أَنَّهُ كانَ يَصومُ صَوْمَ داودَ، وكانَ يَقولُ: أُرَوِّضُ به نَفْسي لِعِبادَةِ اللهِ تَعالى، وأَنَّهُ كانَ يُصَلِّي في جَوْفِ اللَّيْلِ أَرْبَعَ تَسْليماتٍ في كُلِّ رَكْعَةٍ بِالْفاتِحَةِ وسورَةٍ من طِوالِ الْمُفَصَّلِ، ويَدْعو عَقيبَها لِنَفْسِهِ ولِلْمُسْلِمينَ، ولِكُلِّ من قَرَأَ عليه بِقِراءَتِهِ بَعْدَهُ وَقَبْلَهُ.

رُوِيَ عن نافِعٍ أَنَّهُ قالَ: لَمَّا غُسِّلَ أبو جَعْفَرٍ بعد وَفاتِهِ، نَظَرُوا ما بَيْنَ نَحْرِهِ إلى فُؤادِهِ مِثْلَ وَرَقَةِ الْمُصْحَفِ، قال: فما شَكَّ أَحَدٌ ممن حَضَرَ أَنَّهُ نورُ الْقُرْآنِ.

رُوِيَ عن سُلَيْمانَ بْنِ أبي سُلَيْمانَ الْعُمَرِيِّ أَنَّهُ قالَ: رَأَيْتُ أبا جَعْفَرٍ على الْكَعْبَةِ ـ يَعْني في الْمَنامِ ـ فَقُلْتُ: أبا جَعْفَرٍ، فقالَ: نَعَمْ، أَقْرِئْ إِخْوانِي السَّلامَ،

وأَخبِرْهُمْ أنَّ اللهَ تعالى جعَلَنِي من الشُّهَداءِ الْأَحْياءِ الْمَرْزوقينَ، وَأَقْرِئْ أبا حازِمٍ السَّلامَ، وقُلْ له: يَقولُ لك أبو جَعْفَرٍ: الْكَيْسَ الْكَيْسَ فإنَّ اللهَ ومَلائِكتَهُ يَتَراءَوْنَ مَجْلِسَكَ بِالْعَشِيَّاتِ.

وُجِدَ بخَطِّ أبي عبد اللهِ مُحَمَّدِ بنِ إسْرائيلَ الْقَصَّاعِ أنَّهُ - يَعْنِي أبا جَعْفَرٍ - رُؤِيَ في الْمَنامِ بَعْدَ وَفاتِهِ على صورَةٍ حَسَنَةٍ، فقالَ لِلَّذِي رَآهُ: بَشِّرْ أَصْحابِي وكُلَّ مَنْ قَرَأَ قِراءَتِي، أنَّ اللهَ تَعالَى قد غَفَرَ لهم، وَأجابَ فيهم دَعْوَتِي، وَمُرْهُمْ أن يُصَلُّوا هذه الرَّكَعاتِ في جَوْفِ اللَّيْلِ كيفَ اسْتَطاعوا.

ماتَ أبو جَعْفَرٍ بِالْمَدينَةِ، سنَةَ ثَلاثينَ ومِئَةٍ، وقيلَ: سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وثَلاثينَ، وقيلَ سنَةَ تِسْعٍ أو ثَمانٍ أو سَبْعٍ وعِشْرينَ. وأبْعَدَ الْهُذَلِيُّ في "**كامِلِهِ**"(1) حيثُ قالَ: سَنَةَ عَشْرٍ(2).

وثالِثُهُمْ: **أبو مُحَمَّدٍ خَلَفُ بْنُ هِشامِ بنِ ثَعْلَبٍ**، الْإمامُ الْعَلَمُ(3)، أبو مُحَمَّدٍ الْبَزَّارُ الْبَغْدادِيُّ، أَحَدُ الْقُرَّاءِ الْعَشَرَةِ، وأَحَدُ الرُّواةِ عن سُلَيْمٍ، عَنْ حَمْزَةَ. وقد ذَكَرْنا تَفْصيلَهُ هناكَ فلا وَجْهَ لِلْإِعادَةِ.

---

(1) يقصد كتاب: "الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها"، لأبي القاسم يوسف بن علي بن جبارة الهذلي (ت.465هـ)، وهو مطبوع.

(2) وفيات الأعيان: 6/ 274-276، غاية النهاية: 2/ 282-284.

(3) العالم، في رئيس الكتاب ومراد ملا.

وإذا انْتَهَيْتَ إلى هذا الإِمامِ، فَلعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ على مَعْرِفَةِ سائِرِ الشُّيوخِ من أَرْبابِ التَّصانيفِ، وقد عِيلَ صَبْرُكَ عليه، سِيَّمَا صاحِبِ **التَّيْسيرِ**، والشَّاطِبِيِّ، والسَّخاوِيِّ، والإِمامِ الْجُعْبَرِيِّ، والْجَزَرِيِّ **فَنَقولُ**:

أَمَّا صاحِبُ التَّيْسيرِ: فهو عُثْمانُ بْنُ سَعيدِ بْنِ عُثْمانَ بْنِ سَعيدِ بنِ عُمَرَ، أبو عَمْرٍو الدَّانِيُّ الْأُمَوِيُّ، مَوْلاهُمْ، الْقُرْطُبِيُّ، الْمَعْروفُ في زَمانِهِ بابْنِ الصَّيْرَفِيِّ، الإمامُ الْعَلَّامَةُ الْحافِظُ، أسْتاذُ الْأُستاذينَ، وَشَيْخُ مَشايِخِ الْمُقْرِئينَ.

وُلِدَ سنَةَ إِحْدى وسَبْعينَ وثَلاثِمِئَةٍ. قال: وَابْتَدَأْتُ بِطَلَبِ الْعِلْمِ في سَنَةِ سِتٍّ وَثَمانينَ، وَرَحَلْتُ إلى الْمَشْرِقِ سَنَةَ سَبْعٍ وتِسْعينَ، ودَخَلْتُ مِصْرَ في شَوَّالٍ منها، فَمَكَثْتُ بها سَنَةً، وَحَجَجْتُ، ودَخَلْتُ الْأَنْدَلُسَ في ذي الْقَعْدَةِ سَنَةَ تِسْعٍ وتِسْعينَ وثَلاثِمِئَةٍ، وَخَرَجْتُ إلى الثَّغْرِ سنة ثَلاثٍ وأربعِمِئَةٍ، فَسَكَنْتُ سَرَقُسْطَةَ سَبْعَةَ أَعْوامٍ، ثُمَّ رَجَعْتُ إلى قُرْطُبَةَ. قالَ: وَقَدِمْتُ دانِيَةَ سنة سَبْعَ عَشْرَةَ. واسْتَوْطَنْتُها، حتى ماتَ.

أَخَذَ الْقِراءاتِ عَرْضًا عن جَماعَةٍ، وَرَوَى عنه جَماعَةٌ. وكان أَحَدَ الْأَئِمَةِ في عِلْمِ الْقُرْآنِ وَرِواياتِهِ وتَفْسيرِهِ وَمَعانيهِ وطُرُقِهِ وإعْرابِهِ، وله مَعْرِفَةٌ بِالْحَديثِ وطُرُقِهِ، وأَسْماءِ رِجالِهِ ونَقَلَتِهِ.

وكانَ حَسَنَ الْخَطِّ، جَيِّدَ الضَّبْطِ، من أَهْلِ الْحِفْظِ والذَّكاءِ والتَّفَنُّنِ، دَيِّنًا فاضِلًا، وَرِعًا سُنِّيًا، وكان مُجابَ الدَّعْوَةِ، مالِكِيَّ الْمَذْهَبِ، لم يَكُنْ في عَصْرِهِ ولا بَعْدَ عَصْرِهِ بِمُدَدٍ أَحَدٌ يُضاهيهِ في حِفْظِهِ وتَحْقيقِهِ.

كانَ يَقولُ: ما رَأَيْتُ شَيْئًا إلّا كَتَبْتُهُ، وَلَا كَتَبْتُهُ إلّا حَفِظْتُهُ، ولا حَفِظْتُهُ فَنَسِيتُهُ. وكانَ يُسْأَلُ عن الْمَسْأَلَةِ، مما يَتَعَلَّقُ بِالْآثارِ وَكَلامِ السَّلَفِ، فَيورِدُها بِجَميعِ ما فيها، مُسْنَدَةً من شُيوخِهِ إلى قائِلِها.

قالَ الْجَزَرِيُّ: ومَنْ نَظَرَ كُتُبَهُ، عَلِمَ مِقْدارَ الرَّجُلِ، وما وَهَبَهُ الله تَعالى فيه، فَسُبْحانَ الْفَتّاحِ الْعَليمِ. أشْهَرُها: كِتابُ "التَّيْسيرُ"، وأَحْسَنُها: "**جامِعُ الْبَيانِ في الْقِراءاتِ السَّبْعِ**"، وأُرْجوزَتُهُ: "**الِاقْتِصادُ**"، و"**الْمُقْنِعُ في رَسْمِ الْمُصْحَفِ**"، و"**الْمُحْكَمُ في النَّقْطِ**"، و"**الْمُحْتَوى في الْقِراءاتِ الشَّواذِّ**"، و"**طَبَقاتُ الْقُرّاءِ**"، في أَرْبَعَةِ أسْفارٍ، و"**الْفِتَنُ والْمَلاحِمُ**"، و"**شَرْحُ قَصيدَةِ الْخاقانِيِّ في التَّجْويدِ**". وغيرُ ذلِكَ من الْكُتُبِ.

وكانَ بينهُ وبينَ أبي مُحَمَّدِ ابْنِ حَزْمٍ مُنافَرَةٌ عَظيمَةٌ أَفْضَتْ إلى الْمُهاجاةِ بَيْنَهُما، واللهُ تَعالى يَغْفِرُ لهما.

تُوُفِّيَ الْحافِظُ أبو عَمْرٍو بدانِيَةَ، يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ مُنْتَصَفَ شَوّالٍ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وأَرْبَعينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ ومَشَى صاحِبُ دانِيَةَ أمامَ نَعْشِهِ، وَشَيَّعَهُ خَلْقٌ عَظيمٌ. رَحِمَهُ اللهُ تعالى[1].

وأَمّا الشَّيْخُ الإمامُ الشّاطِبِيُّ، فهو الْقاسِمُ بْنُ فِيرُّه ـ بِكَسْرِ الْفاءِ، بعْدَهُ آخِرُ الْحُروفِ ساكِنَةٌ، ثُمَّ راءٌ مُشَدَّدَةٌ مَضْمومَةٌ، بَعْدَها هاءٌ، ومَعْناهُ بِلُغَةِ عَجَمِ الْأَنْدَلُسِ: الْحَديدُ ـ بْنِ خَلَفِ بْنِ أَحْمَدَ، أبو الْقاسِمِ، وأبو مُحَمَّدٍ الشّاطِبِيُّ

(1) غاية النهاية: 1/ 503-505.

الرُّعَيْنِيُّ الضَّريرُ، وَلِيُّ اللهِ، الإمامُ الْعَلَّامَةُ، أَحَدُ الْأَعْلامِ الْكِبارِ، والْمُشْتَهِرينَ في الْأَقْطارِ.

وُلِدَ في آخِرِ سَنَةِ ثَمانٍ وثَلاثين وَخَمْسِمئةٍ بشاطِبَةَ - قَرْيَةٍ بِجَزيرَةِ الْأَنْدَلُسِ - قَرَأَ بِبَلَدِهِ الْقِراءاتِ وَأَتْقَنَها على أبي عبدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ أبي الْعاصِ النَّفْزِيِّ[1] [الْمُقْرِئِ][2]، ثُمَّ رَحَلَ إلى بَلَنْسِيَةَ بِالْقُرْبِ من بَلَدِهِ، فَعَرَضَ بها التَّيْسيرَ مِنْ حِفْظِهِ، وَالْقِراءاتِ على ابْنِ هُذَيْلٍ، وسَمِعَ منه الْحَديثَ، ورَوَى عنه، وعن أبي عبدِ اللهِ مُحَمَّدِ بنِ حُمَيْدٍ، أَخَذَ عنه كتابَ سِيبَوَيْهِ، والْكامِلَ لِلْمُبَرَّدِ، وأَدَبَ الْكاتِبِ، لابْنِ قُتَيْبَةَ، وعن غَيْرِهِمْ من الْفُضَلاءِ.

ثُمَّ رَحَلَ لِلْحَجِّ، فَسَمِعَ من أبي طاهِرٍ السِّلَفِيِّ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِ، ولمَّا دَخَلَ مِصْرَ أَكْرَمَهُ الْقاضِي الْفاضِلُ، وَعَرَفَ مِقْدارَهُ، وَأَنْزَلَهُ بِمَدْرَسَتِهِ بِالْقاهِرَةِ، وَجَعَلَهُ شَيْخَها، وَعَظَّمَهُ تَعْظيمًا كَثيرًا، وَنَظَمَ قَصيدَتَهُ اللَّامِيَّةَ، والرَّائِيَّةَ بها، وَجَلَسَ لِلْإِقْراءِ، فَقَصَدَهُ الْخَلائِقُ من الْأَقْطارِ.

ثُمَّ إِنَّهُ لمَّا فَتَحَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ صَلاحُ الدِّينِ يوسُفُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، تَوَجَّهَ فَزارَهُ سَنَةَ تِسْعٍ وثَمانينَ وَخَمْسِمئةٍ. ثُمَّ رَجَعَ، فَأَقامَ بِالْمَدْرَسَةِ الْفاضِلِيَّةِ يُقْرِئُ حتَّى تُوُفِّيَ.

---

(1) النقري، في قونية ورئيس الكتاب، والمنقري، في مراد ملا. وهو محمدُ بن عليٍّ بن محمد بن أبي العاص النَّفْزِيُّ الشاطِبيُّ المقرئ، كَانَ مُتَقَدما فِي صناعته مَعْرُوفا بالضبط والتجويد، كان حيًّا فِي سنة خمسٍ وخمسين وخمسمائة. ينظر: التكملة لكتاب الصلة: 1/ 68-69.

(2) زيادة من أنطاليا.

كانَ رَحِمَهُ اللهُ إمامًا في عُلومِ الْقُرْآنِ، ناصِحًا لِكِتابِ اللهِ تعالى، مُتْقِنًا لِأصولِ الْعَرَبيَّةِ، إمامًا في اللُّغَةِ، رَأْسًا في الْأَدَبِ، رُحْلَةً في الْحَديثِ وحافِظًا له، يَضْبِطُ نُسَخَ **الصَّحيحَيْنِ** من لَفْظِهِ، أُعْجوبَةً في الذَّكاءِ، حاذِقًا في تَعْبيرِ الرُّؤْيَا، كَثيرَ الْفُنونِ، مُجيدًا في النَّظْمِ، آيَةً من آياتِ الله تَعالَى، غايَةً في الْقِراءاتِ، مَعَ الزُّهْدِ والْوِلايَةِ والْعِبادَةِ والِانْقِطاعِ وَالْكَشْفِ، مُتَواضِعًا للهِ تَعالَى، قُدْوَةً لِلصَّلاحِ، ذا بَصيرَةٍ صافِيَةٍ، تَلوحُ منه الْكَراماتُ، كانَ يَعْذِلُ أَصْحابَهُ على أَشْياءَ ما اطَّلَعَ عليها، وَسَمِعَ الْأَذانَ بِجامِعِ مِصْرَ من غير الْمُؤَذِّنينَ مِرارًا، وكانَ مَحْفوظَ اللِّسانِ، يَمْنَعُ جُلَساءَهُ من فُضولِ الْكَلامِ، لا يَجْلِسُ لِلْإِقْراءِ إلَّا مُتَطَهِّرًا خاشِعًا، مُواظِبًا على السُّنَّةِ. كانَ شافِعِيَّ الْمَذْهَبِ. بَلَغَنا أَنَّهُ وُلِدَ أعْمَى.

ولقد حَكَى عنه أَصْحابُهُ ومن كانَ يَجْتَمِعُ به عَجائِبَ، وَعَظَّموهُ تَعْظيمًا بالِغًا، حتى أنْشَدَ الْحافِظُ الْعَلَّامَةُ أبو شامَةَ الْمَقْدِسِيُّ من نَظْمِهِ في ذلِكَ: [الوافر]

رَأَيْتُ جَماعَةً فُضَلاءَ فازُوا ... بِرُؤْيَةِ شَيْخِ مِصْرَ الشَّاطِبِيِّ
وَكُلُّهُمُ يُعَظِّمُهُ وَيُثْني ... كَتَعْظِيمِ الصَّحابَةِ لِلنَّبِيِّ

قالَ الْجَزَرِيُّ: أَخْبَرَني بعضُ شُيوخِنَا الثِّقاتِ، عن شُيوخِهِمْ، أنَّ الشَّاطِبِيَّ كانَ يُصَلِّي الصُّبْحَ بِالفاضِلِيَّةِ بِغَلَسٍ، ثُمَّ يَجْلِسُ لِلْإِقْراءِ، فكانَ النَّاسُ يَتَسابَقونَ السُّرَى إليه لَيْلًا، وكان إذا قَعَدَ لا يَزيدُ على قَوْلِهِ: من جاءَ أَوَّلًا

فَلْيَقْرَأْ، ثُمَّ يَأْخُذُ على الْأَسْبَقِ فَالْأَسْبَقِ، فاتَّفَقَ أنْ قالَ يَوْمًا: من جاءَ ثانِيًا فَلْيَقْرَأْ، وَبَقِيَ الْأَوَّلُ ـ وكانَ من أصْحابِهِ ـ لا يَدْري ما الذَّنْبُ الَّذِي أَوْجَبَ حِرْمانَهُ، فَفَطِنَ أَنَّهُ أَجْنَبَ تلك اللَّيْلَةَ، وَلِشِدَّةِ حِرْصِهِ على النَّوْبَةِ نَسِيَ ذلكَ، فَبادَرَ إلى حَمَّامِ جِوارَ الْمَدْرَسَةِ، فَاغْتَسَلَ، وَرَجَعَ قَبْلَ فَراغِ الثَّانِي، وَالشَّيْخُ قاعِدٌ أَعْمَى، فلمَّا فَرَغَ الثَّانِي قالَ الشَّيْخُ: من جاءَ أَوَّلًا فَلْيَقْرَأْ. وهذا من أَحْسَنِ ما وَقَعَ لِشُيوخِ هذه الطَّائِفَةِ، بلْ لا أَعْلَمُ مِثْلَهُ وَقَعَ في الدُّنْيا.

ومِنْ تَصانيفِهِ: **رائِيَّةٌ في الرَّسْمِ**، فائِقَةُ نُظَرائِها. وأمَّا **قَصِيدَتُهُ اللَّامِيَّةُ في** الْقِراءاتِ، واسِطَةُ عِقْدِ تَصانِيفِهِ، وغُرَّةُ وَجْهِ تَآليفِهِ، الْقَصيدُ الَّذِي سارَ في الْأَمْصارِ، وطارَ في الْأَقْطارِ، وَصارَ إلى قَبولِهِ عُلَماءُ الْأَعْصارِ.

قالَ الْجَزَرِيُّ: من وَقَفَ على **قَصيدَتِهِ** عَلِمَ مِقْدارَ ما آتاهُ اللهُ تَعالى في ذلِكَ، خُصوصًا **اللَّامِيَّةَ** الَّتِي عَجَزَ الْبُلَغاءُ من بَعْدِهِ عن مُعارَضَتِها، فإِنَّهُ لا يَعْرِفُ مِقْدارَها، إلَّا من نَظَمَ على مِنْوالِها، أو قابَلَ بَيْنَها وبينَ ما نُظِمَ على طَرِيقِها.

ولَقَدْ رُزِقَ هذا الْكِتابُ من الشُّهْرَةِ والْقَبولِ ما لا أَعْلَمُهُ لِكِتابِ غَيْرِهِ في هذا الفن، بل أكادُ أنْ أقولَ: ولا في غَيْرِ هذا الْفَنِّ، فإنَّنِي لا أَحْسَبُ أنَّ بَلَدًا من بلادِ الإسْلامِ يَخْلو منه، بل لا أَظُنُّ أنَّ بَيْتَ طالِبِ عِلْمٍ يَخْلو من نُسْخَةٍ منه. ولقدْ تَنافَسَ النَّاسُ فيها، وَرَغِبوا في اقْتِناءِ النُّسَخِ الصِّحاحِ منها إلى غايَةٍ، حتى إنَّهُ كانت عندي نُسْخَةٌ **باللَّامِيَّةِ والرَّائِيَّةِ** بِخَطِّ الْحُجَيْجِ ـ صاحِبِ السَّخَاوِيِّ ـ مُجَلَّدَةٌ، فَأُعْطِيتُ بِوَزْنِها فِضَّةً فلم أَقْبَلْ، ولقدْ بالَغَ النَّاسُ في

التَّغالِي فيها، وَأَخْذِ أقْوالِهَا مُسَلَّمَةً، واعْتِبارِ أَلْفاظِها مَنْطوقًا وَمَفْهومًا حتى خَرَجوا بذلكَ عن حَدِّ أنْ يكونَ لِغَيْرِ مَعْصومٍ، وتَجاوَزَ بَعْضُ الْحَدَّ فزَعَمَ أنَّ ما فيها هو الْقِراءاتُ السَّبْعُ، وأنَّ ما عَدَا ذلك شاذٌّ لا تَجوزُ الْقِراءَةُ به.

ومِنْ أَعْجَبِ ما اتَّفَقَ لِلشَّاطِبِيَّةِ في عَصْرِنَا هذا، أنَّ بِهِ[1] من بَيْنه وبَيْنَ الشَّاطِبِيِّ باتِّصالِ التِّلاوَةِ والْقِراءَةِ رَجُلَيْنِ مع أنَّ لِلشَّاطِبِيِّ يَوْمَ تَبْييضِ هذه التَّرْجَمَةِ مِئَتَيْ سَنَةٍ. وهذا لا أَعْلَمُ أَنَّهُ اتَّفَقَ في عَصْرٍ من الْأَعْصارِ لِلْقِراءاتِ السَّبْعِ، وإنْ كانَ اتَّفَقَ في بعضِ الْقِراءاتِ وَقْتًا ما، وما ذلِكَ إلَّا لِشِدَّةِ اعْتِناءِ النَّاسِ بها. ومن الْجائِزِ أنْ تَبْقَى الشَّاطِبِيَّةُ باتِّصالِ السَّماعِ بهذا السَّنَدِ إلى رَأْسِ الثَّمانِمِئَةِ. كذا قالَهُ الْجَزَرِيُّ.

عَرَضَ عليه الْقِراءاتِ جَماعَةٌ، وأَجَلُّ أَصْحابِهِ: أبو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ الصَّمَدِ السَّخاوِيُّ وَأَمْثالُهُ. وَسَمِعَ عليه الْقَصيدَ[2] الْإِمامُ أبو عَمْرٍو عُثْمانُ بْنُ عُمَرَ ابْنِ الْحاجِبِ وغَيْرُهُ، وبارَكَ الله له في تَصْنيفِهِ وأَصْحابِهِ، ولا نَعْلَمُ أَحَدًا أَخَذَ عنه إلَّا قد أَنْجَبَ.

تُوُفِّيَ رَحِمَهُ الله في الثَّامِنِ والْعِشْرينَ من جمادى الْآخِرَةِ، سَنَةَ تِسْعينَ وَخَمْسمئةٍ بِالْقاهِرَةِ. وَدُفِنَ بالْقَرافَةِ بين مِصْرَ والْقاهِرَةِ، وَقَبْرُهُ مَشْهورٌ مَعْروفٌ يُزارُ.

(1) يدمن، في أنطاليا في مراد ملا.

(2) القصيدة، في رئيس الكتاب ومراد ملا.

قال الْجَزَرِيُّ: وقد زُرْتُ قَبْرَهُ مَرَّاتٍ، وَعَرَضَ عَلَيَّ بعضُ أصْحابِي الشَّاطِبِيَّةَ عند قَبْرِهِ، وَرَأَيْتُ بَرَكَةَ الدُّعاءِ عند قَبْرِهِ بالْإجابَةِ رَحِمَهُ الله تعالى وَرَضِيَ عنه[1].

وأمّا الشَّيْخُ السَّخَاوِيُّ، فهو عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ الصَّمَدِ بنِ عبدِ الْأَحَدِ بنِ عبدِ الْغالِبِ بنِ عَطاءٍ، ابْنِ الإمامِ الْعَلَّامَةِ عَلَمِ الدِّينِ أبو الْحَسَنِ الْهَمْدانِيُّ السَّخاوِيُّ، الْمُقْرِئُ الْمُفَسِّرُ النَّحْوِيُّ اللُّغَوِيُّ الشَّافِعِيُّ، شَيْخُ مَشايِخِ الْإِقْراءِ بِدِمَشْقَ.

وُلِدَ سنةَ ثَمانٍ أو تِسْعٍ وخَمْسينَ وخَمْسمئَةٍ بِسَخَا، من عَمَلِ مِصْرَ[2].

وَسَمِعَ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ من السِّلَفِي، وأبي الطَّاهِرِ بْنِ عَوْفٍ، وبِمِصْرَ من عَساكِرَ بنِ عَلِيٍّ، والْبُوصِيرِيِّ، وابْنِ ياسينَ، وغَيْرِهِمْ.

قَرَأَ الْقِراءاتِ بِالدِّيارِ الْمِصْرِيَّةِ، على وَلِيِّ الله أبي الْقاسِمِ الشَّاطِبِيِّ، وبه انْتَفَعَ، وعَلَى أبي الْجُودِ، وأبي الْفَضْلِ مُحَمَّدِ بنِ يوسُفَ الْغَزْنَوِيِّ، وعَساكِرَ ابْنِ عَلِيٍّ. ثُمَّ رَحَلَ إلى دِمَشْقَ فَقَرَأَ الْقِراءاتِ الْكَثيرَةَ على أبي الْيُمْنِ الْكِنْدِيِّ، وَأَخَذَ عنه النَّحْوَ واللُّغَةَ وَالْأَدَبَ، وَسَمِعَ من كَثيرٍ من الْعُلَماءِ وَغَيْرِهِمْ.

وكانَ إمامًا عَلَّامَةً مُحَقِّقًا، مُقْرِئًا مُجَوِّدًا بَصيرًا بِالْقِراءاتِ وَعِلَلِها، إمامًا في النَّحْوِ وَاللُّغَةِ والتَّفْسيرِ والْأَدَبِ، أَتْقَنَ هذه الْعُلومَ إتْقانًا بَليغًا، وليس في عَصْرِهِ من يَلْحَقُهُ فيها، وكانَ عالِمًا بِكَثيرٍ من الْعِلْمِ غَيْرِ ذلِكَ، مُفْتِيًا أُصولِيًّا

---

(1) غاية النهاية: 2/ 20-23.

(2) ينظر معجم البلدان: 3/ 196.

مُناظِرًا، وكانَ مع ذَلِكَ دَيِّنًا خَيِّرًا مُتَواضِعًا، مُطْرَحَ التَّكَلُّفِ، حُلْوَ الْمُحاضَرَةِ، حَسَنَ النَّادِرَةِ، حادَّ الْقَريحَةِ، من أَذْكِياءِ بني آدَمَ، وافِرَ الْحُرْمَةِ، كَبيرَ الْقَدْرِ، مُحَبَّبًا إلى النَّاسِ، ليسَ له شُغْلٌ إلَّا الْعِلْمُ والْإِفادَةُ.

أَقْرَأَ النَّاسَ نَيِّفًا وَأَرْبَعينَ سنَةَ بِجامِعِ دِمَشْقَ، عند رَأْسِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا عليهما السَّلامُ، ثُمَّ بِتُرْبَةِ أمِّ الصَّالِحِ، ولِأَجْلِهِ بُنِيَتْ، وَبِسَبَبِهِ جَعَلَ شَرْطَها على الشَّيْخِ أنْ يَكونَ أعْلَمَ أَهْلِ الْبَلَدِ بِالْقِراءاتِ، فَقَصَدَهُ الطَّلَبَةُ من الْآفاقِ، وَازْدَحَموا عليه، وَتَنافَسوا في الْأَخْذِ عنه.

قالَ الْحافِظُ أبو عبدِ اللهِ في "**تاريخُ الإسْلامِ**": قَرَأَ عليهِ خَلْقٌ كَثيرٌ إلى الْغايَةِ، ولا أَعْلَمُ أحَدًا من الْقُرَّاءِ في الدُّنْيا أَكْثَرَ أصْحابًا منه.

وعَدَّ الْجَزَرِيُّ من أَصْحابِهِ ما يُنَيِّفُ على عِشْرينَ(1).

وَأَلَّفَ من الْكُتُبِ: **شَرْحَ الشَّاطِبِيَّةِ** وسَمَّاهُ: "**فَتْحُ الْوَصيدِ**"، وهو أَوَّلُ مَنْ شَرَحَها، بل هو ـ والله أَعْلَمُ ـ سَبَبُ شُهْرَتِها في الْآفاقِ، وإليه أشارَ **الشَّاطِبِيُّ** بِقَوْلِهِ: **يُقَيِّضُ** الله لها فَتًى يَشْرَحُها. وَشَرْحَ **الرَّائِيَّةِ لِلشَّاطِبِيِّ** وسَمَّاهُ: "**الْوَسيلَةُ إلى شَرْحِ الْعَقيلَةِ**".

وله: كِتابُ "**الْمُفَضَّلُ في شَرْحِ الْمُفَصَّلِ**"، في النَّحْوِ، وهو كِتابٌ نَفيسٌ في أَرْبَعَةِ أسْفارٍ. وله شَرْحٌ آخَرُ على **الْمُفَصَّلِ في النَّحْوِ** وسَمَّاهُ: "**سِفْرُ السَّعادَةِ**

---

(1) مئة وعشرين، في أنطاليا.

وسَفيرُ **الْإفادَةِ**". و"**شَرْحُ الْأحاجِي النَّحْوِيَّةِ**"، لِلزَّمَخْشَرِيِّ، وهو من أَجَلِّ الْكُتُبِ في مَوْضوعِهِ، والْتَزَمَ أنْ يُعْقِبَ كلَّ أُحْجِيَتَيْنِ لِلزَّمَخْشَرِيِّ بِلُغْزَيْنِ من نَظْمِهِ. وَ"**كِتابُ التَّفْسِيرِ**"[1]، وَصَلَ فيه إلى الْكَهْفِ في أَرْبَعَةِ أَسْفارٍ. ومن وَقَفَ عليه عَلِمَ مِقْدارَ هذا الرَّجُلِ، فَفيهِ من النُّكَتِ واللَّطائِفِ والدَّقائِقِ ما لم يَكُنْ في غَيْرِهِ. وكِتابُ: "**الْقَصائِدُ السَّبْعَةُ في مَدْحِ سَيِّدِ الْخَلْقِ مُحَمَّدٍ صلَّى الله عليه وسَلَّمَ**"، وشَرَحَهُ **الشَّيْخُ أبو شامَةَ**، وكِتابُ: "**الْمُفاخَرَةُ بينَ دِمَشْقَ والْقاهِرَةِ**". وغيرُ ذلِكَ من الْكُتُبِ.

قالَ ابْنُ خَلِّكانَ: رَأَيْتُهُ راكِبًا إلى الْجَبَلِ، وحَوْلَهُ اثْنانِ أو ثَلاثَةٌ يَقْرَأونَ عليه في أَماكِنَ مُخْتَلِفَةٍ دُفْعَةً واحِدَةً، وهو يَرُدُّ على الْجَميعِ.

قالَ الذَّهَبِيُّ: وفي نَفْسِي شَيْءٌ من صِحَّةِ الرِّوايَةِ على هذا النَّعْتِ، لأَنَّهُ لا يُتَصَوَّرُ أنْ يَسْمَعَ مَجْموعَ الْكَلِماتِ.

قالَ الْجَزَرِيُّ: بل في النَّفْسِ مِمَّا قالَهُ الذَّهَبِيُّ شَيْءٌ، أَلَمْ يَسْمَعْ وهو يَرُدُّ على الْجَميعِ، مع أنَّ السَّخاوِيَّ لا نَشُكُّ في وَلايَتِهِ، وقد أَخْبَرَنِي جَماعَةٌ من الشُّيوخِ الَّذينَ أَدْرَكْتُهُمْ عن شُيوخِهِمْ، أنَّ بَعْضَ الْجِنِّ كانَ يَقْرَأُ عليه. هذا ما ذَكَرَهُ الْجَزَرِيُّ.

---

(1) مطبوع كاملا، بعنوان: تفسير القرآن العظيم.

قالَ أبو شامَةَ: وفي ثانِي عَشَرَ جُمادى الآخِرَةِ سَنَةَ ثَلاثٍ وأرْبَعينَ وسِتِّمِئَةٍ **تُوُفِّيَ** شَيْخُنا عَلَمُ الدِّينِ، عَلَّامَةُ زَمانِهِ، وشَيْخُ أوانِهِ الشَّيْخُ السَّخاوِيُّ. وكانَتْ **وِلادَتُهُ** سَنَةَ ثمانٍ أو تِسْعٍ وخَمْسينَ وخَمْسِمِئَةٍ[1].

وأمَّا الشَّيْخُ الْجَعْبَرِيُّ، فهو أبو إسْحاقَ إبْراهيمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ إبْراهيمَ بنِ خَليلِ بنِ أبي الْعَبَّاسِ، الْعَلَّامَةُ الْأُسْتاذُ أبو مُحَمَّدٍ الرَّبَعِيُّ الْجَعْبَرِيُّ السَّلَفِيُّ ـ بِفَتْحَتَيْنِ نِسْبَةً إلى طَريقَةِ السَّلَفِ ـ مُحَقِّقٌ حاذِقٌ، ثِقَةٌ كَبيرٌ. شَرَحَ **الشَّاطِبِيَّةَ والرَّائِيَّةَ**. وألَّفَ التَّصانيفَ في أنْواعِ الْعُلومِ.

وُلِدَ سنَةَ أَرْبعينَ وسِتِّمِئَةٍ، أو قَبْلَها تَقْريبًا، بِرَبَضِ قَلْعَةِ جَعْبَرَ[2]، وَقَرَأَ السَّبْعَةَ وَالْعَشَرَةَ على مَشايِخَ كَثيرَةٍ، واسْتَوْطَنَ بَلَدَ الْخَليلِ عليه أفْضَلُ السَّلامِ. وكانَ فَقيهًا مُقْرِئًا مُتَفَنِّنًا.

له التَّصانِيفُ الْمُفيدَةُ في الْقِراءَةِ، والْمَعْرِفَةِ بِالْحَديثِ وأَسْماءِ الرِّجالِ، وَشَرْحُ **الشَّاطِبِيَّةِ** وَسَمَّاهُ: كِتابَ **"كَنْزُ الْمَعانِي"**، و**"شَرْحُ الرَّائِيَّةِ"** أيْضًا، وَأَحْسَنَ في هَذَيْنِ الْكِتابَيْنِ، سِيَّما **"شَرْحُ الشَّاطِبِيَّةِ"**، فإنَّهُ أَحْسَنَ فيه كُلَّ الْإِحْسانِ، ولا يَقْدِرُ على حَلِّ رُموزِهِ إلَّا من بَرَعَ في عُلومِ الْقُرْآنِ، بلِ الْعُلومِ الْعَرَبِيَّةِ والشَّرْعِيَّةِ أيْضًا، ولا يَعْرِفُ عُسْرَ ذلِكَ الْكِتابِ وَقَدْرَ إتْقانِهِ إلَّا من خَدَمَهُ حَقَّ الْخِدْمَةِ.

---

(1) غاية النهاية: 1/ 568-571.

(2) قلعة جَعْبَرَ: بالفتح ثم السكون، وباء موحدة مفتوحة، على الفرات بين بالس والرّقّة قرب صفّين. معجم البلدان: 2/ 141-142.

تُوُفِّيَ في ثالِثَ عَشَرَ شَهْرِ رَمَضانَ، سنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلاثِينَ وَسَبْعِمِئَةٍ[1].

وأمَّا الشَّيْخُ مُنتَجَبُ الدِّينِ بنُ أبي الْعِزِّ بنِ رَشيدٍ، أبو يوسُفَ الْهَمَذانِيُّ، إمامٌ كامِلٌ عَلَّامَةٌ، كانَ رَأْسًا في الْقِراءاتِ والْعَرَبِيَّةِ، صالِحًا مُتَواضِعًا صوفِيًّا. قَرَأَ على أبي الْجُودِ بِمِصْرَ وسَمِعَ بِدِمَشْقَ أبا الْيُمْنِ الْكِنْدِيَّ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ، وَشَرَحَ **الشَّاطِبِيَّةَ** شَرْحًا لا بَأْسَ به، وَأَعْرَبَ **الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ** إعْرابًا مُتَوَسِّطًا، وَشَرَحَ **الْمُفَصَّلَ لِلزَّمَخْشَرِيِّ** وأَجادَ.

وذَكَرَهُ الذَّهَبِيُّ في **"تاريخُ الإِسْلامِ"** وقالَ: كانَ سوقُهُ كاسِدًا مع وُجودِ السَّخاوِيِّ.

وَذَكَرَهُ أبو شامَةَ في **الذَّيْلِ** وقالَ: كانَ مُقْرِئًا مُجَوِّدًا، وَانْتَفَعَ بِشَيْخِنا السَّخاوِيِّ في مَعْرِفَةِ **قَصيدِ الشَّاطِبِيِّ**، ثُمَّ تَعاطَى **شَرْحَ الْقَصيدِ** فَخاضَ بَحْرًا عَجَزَ عن سِباحَتِهِ[2]، وَجَحَدَ حَقَّ تَعْليمِ شَيْخِنا له وإفادَتِهِ.

قالَ الْجَزَرِيُّ: وفي **شَرْحِهِ الْقصيدَ** مَواضِعُ بَعيدَةٌ عن التَّحْقيقِ، لأنَّهُ لم يَقْرَأْ بها على الناظِمِ ولا على مَنْ قَرَأَ عليه.

تُوُفِّيَ في شَهْرِ رَبيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ ثَلاثٍ وأَرْبَعينَ وسِتِّمِئَةٍ بِدِمَشْقَ[3].

---

(1) غاية النهاية: 1/ 21.

(2) ساحته، في قونية ورئيس الكتاب.

(3) غاية النهاية: 2/ 310-311.

وأَمَّا الشَّيْخُ الْجَزَرِيُّ، فهو: مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ يوسُفَ بْنِ الْجَزَرِيِّ، يُكْنى أبا الْخَيْرِ. وُلِدَ - فيما حَقَّقَهُ من لَفْظِ والِدِهِ - في لَيْلَةِ السَّبْتِ الْخامِسِ والْعِشْرينَ من شَهْرِ رَمَضانَ سنَةَ إِحْدَى وَخَمْسينَ وَسَبْعِمئَةٍ بِدِمَشْقَ، وحَفِظَ الْقُرْآنَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ، وَصَلَّى به سَنَةَ خَمْسٍ [وَسِتِّينَ][1].

وَسَمِعَ الْحَديثَ من جَماعَةٍ، وَأَفْرَدَ الْقِراءاتِ على بَعْضِ الشُّيوخِ، وجَمَعَ السَّبْعَ في سنَةِ ثَمانٍ وسِتِّينَ، وحَجَّ في هذه السَّنَةِ، ثُمَّ رَحَلَ إلى الدِّيارِ الْمِصْرِيَّةِ في سنَةِ تِسْعٍ، وَجَمَعَ الْقِراءاتِ الْعَشْرَ، والِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ، ثُمَّ الثَّلاثَةَ عَشْرَةَ، ثُمَّ رَحَلَ إلى دِمَشْقَ، وَسَمِعَ الْحَديثَ من أَصْحابِ الدِّمْياطِيِّ والْأَبَرْقوهِيِّ، وأَخَذَ الْفِقْهَ عن الْإِسْنَوِيِّ وغَيْرِهِ، ثُمَّ رَحَلَ إلى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَقَرَأَ بها الْأُصولَ والْمَعانِيَ والْبَيانَ، وَرَحَلَ إلى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ، وَسَمِعَ من أَصْحابِ ابْنِ عَبْدِ السَّلامِ وغَيْرِهِمْ.

وَأَذِنَ له بِالْإِفْتاءِ شَيْخُ الْإِسْلامِ أبو الْفِداءِ إِسْماعيلُ ابْنُ كَثيرٍ، سنَةَ أَرْبَعٍ وسَبْعينَ، وكَذَلِكَ الشَّيْخُ ضِياءُ الدِّينِ سنَةَ ثَمانٍ وسَبْعينَ، وكَذَلِكَ شَيْخُ الْإِسْلامِ الْبُلْقينِيُّ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَمانينَ. ثُمَّ جَلَسَ لِلْإِقْراءِ، وقَرَأَ عليه الْقِراءاتِ جَماعَةٌ كَثيرونَ.

وَوَلِيَ قَضاءَ الشَّامِ سنَةَ ثَلاثٍ وتِسْعينَ وسَبْعَمِئَةٍ. ثُمَّ دَخَلَ الرُّومَ لِمَا نالَهُ من الظُّلْمِ مِنْ أَخْذِ أَمْوالِهِ وَغَيْرِهِ بالدِّيارِ الْمِصْرِيَّةِ في سَنَةِ ثَمانٍ وتِسْعينَ

---

(1) زيادة من أنطاليا.

وَسَبْعِمِئَةٍ، فَنَزَلَ بِمَدينَةِ بورْصَةَ، دارِ الْمَلِكِ الْعادِلِ الْمُجاهِدِ بايَزيدَ بْنِ عُثْمانَ، فَأَكْمَلَ عليه الْقِراءاتِ الْعَشْرَ بها جَماعَةٌ كَثيرونَ من أَهْلِ تلك الدِّيارِ وَغَيْرِهِمْ.

ولمَّا كانَتِ الْفِتْنَةُ الْعَظيمَةُ الْمَشْهورَةُ من قبلِ تَيْمور خان، في أَوَّلِ سَنَةِ خَمْسٍ وثَمانِمِئَةٍ، فَأَخَذَهُ الأَميرُ تَيْمورُ معه إلى ما وَراءَ النَّهْرِ، وَأَنْزَلَهُ بِمَدينَةِ كَشَّ[1]، ثُمَّ إلى سَمَرْقَنْدَ، وَقَرَأَ عليه في كُلٍّ منهما جَماعَةٌ كَثيرونَ.

وَلَمَّا تُوُفِّيَ الْأَميرُ تَيْمورُ في شَعْبانَ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَمانِمِئَةٍ، خَرَجَ من بِلادِ ما وَراءَ النَّهْرِ، فَوَصَلَ إلى خُراسانَ، وَدَخَلَ إلى هَراةَ، ثُمَّ إلى مَدينَةِ يَزْدَ[2]، ثُمَّ إلى أَصْبَهانَ، ثُمَّ إلى شِيرازَ، فَقَرَأَ عليه في كُلٍّ منها جَماعَةٌ، بَعْضُهُمُ السَّبْعَ وَبَعْضُهُمُ الْعَشْرَ، وَأَلْزَمَهُ صاحِبُ شِيرازَ بِيرُ مُحَمَّدٌ قَضاءَ شِيرازَ ونَواحِيها، فَبَقِيَ فيها كَرْهًا، حتى فَتَحَ اللهُ تعالى عليه، فَخَرَجَ منها إلى الْبَصْرَةِ، ثُمَّ فَتَحَ الله تَعالى له الْمُجاوَرَةَ بِمَكَّةَ والْمَدينَةِ سنَةَ ثَلاثٍ وعِشْرينَ. وَحينَ إقامَتِهِ بِالْمَدينَةِ قَرَأَ عليه شَيْخُ الْحَرَمِ.

وأَلَّفَ في الْقِراءاتِ: كتابَ **"نَشْرُ الْقِراءاتِ الْعَشْرِ"**، في مُجَلَّدَيْنِ، ومُخْتَصَرَهُ **"التَّقْريبُ"**. و**"تَحْبيرُ التَّيْسيرِ في الْقِراءاتِ الْعَشْرِ"**، و**"طَبَقاتُ الْقُرَّاءِ وتارِيخُهُمْ"**، كُبْرَى وَصُغْرَى، الَّتِي نَقْلُ هَذهِ التَّرْجَمَةِ من صُغْراهَا. ولَمَّا أَخَذَهُ الْأميرُ تَيْمورُ إلى ما وَراءَ النَّهْرِ أَلَّفَ هناكَ **"شَرْحُ الْمَصابيحِ"**، في ثَلاثَةِ أَسْفارٍ.

---

(1) كَشُّ: بالفتح ثم التشديد: قرية قريبة من جرجان على جبل. ينظر: معجم البلدان: 4/ 462.

(2) يَزْد: بفتح أوله، وسكون ثانيه، ودال مهملة، مدينة متوسطة بين نيسابور وشيراز وأصبهان معدودة في أعمال فارس ثم من كورة إصطخر. معجم البلدان: 5/ 435.

وَأَلَّفَ في التَّفْسِيرِ والْحَدِيثِ والْفِقْهِ. ونَظَمَ قَديمًا: "**غايَةُ الْمَهَرَةِ في الزِّيادَةِ على الْعَشَرَةِ**". ونَظَمَ: "**طَيِّبَةُ النَّشْرِ في الْقِراءاتِ الْعَشْرِ**". و"**الْجَوْهَرَةُ**"، في النَّحْوِ. و"**الْمُقَدِّمَةُ فيما على قارِئِ الْقُرْآنِ أن يَعْلَمَهُ**". وغَيْرَ ذلِكَ في فُنونٍ شَتَّى. هذا ما حَكاهُ الْجَزَرِيُّ عن نَفْسِهِ في **طَبقاتِهِ الصُّغْرَى**، نَقَلْتُهُ عن خَطِّهِ[1].

وَقالَ بَعْضُ تَلامِذَتِهِ بِخَطِّهِ: قالَ الْفَقيرُ الْمُعْتَرِفُ مِنْ بِحارِهِ: **تُوُفِّيَ** شَيْخُنا رَحِمَهُ اللهُ ضَحْوَةَ الْجُمُعَةِ، لِخَمْسٍ خَلَوْنَ من أَوَّلِ الرَّبيعَيْنِ، سَنَةَ ثَلاثٍ وثَلاثينَ وثَمانِمِئَةٍ بمَدينَةِ شِيرازَ، وَدُفِنَ بِدارِ الْقُرآنِ التي أَنْشَأَها، وكانَتْ جَنازَتُهُ مَشْهودَةً، تَبادَرَ الْأَشْرافُ والْخَواصُّ والْعَوامُّ إلى حَمْلِها وَتَقْبيلِها وَمَسِّها تَبَرُّكًا بها، ومَنْ لم يُمْكِنْهُ الْوُصولُ إلى ذلِكَ كان يَتَبَرَّكُ بمن تَبَرَّكَ بها، وقَدِ انْدَرَسَ بِمَوْتِهِ كَثيرٌ من مَهامِّ الْإِسْلامِ[2]، رَضِيَ اللهُ عنه وعن أَسْلافِهِ وأَخْلافِه.

وكانَ لِلشَّيْخِ الْمَذْكورِ ابْنانِ فاضِلانِ:

أَحَدُهُمَا وهو الْأَكْبَرُ: **مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْجَزَرِيُّ**، أبو الفَتْحِ الشَّافِعِيُّ.

قالَ الشَّيْخُ رحِمَهُ اللهُ: **وُلِدَ** هو في يَوْمِ الْأَرْبعاءِ، ثانِي شَهْرِ رَبيعِ الْأَوَّلِ، سَنَةَ سَبْعٍ وسَبْعينَ وسَبْعِمِئَةٍ بِدِمَشْقَ. حَفِظَ الْقُرْآنَ وله ثَمانِ سِنينَ، واسْتَظْهَرَ **الشَّاطِبِيَّةَ** و**الرَّائِيَّةَ** و**مَنْظومَتَيِ الْهِدايَةِ**، وَشَرَعَ في الْجَمْعِ بالْعَشْرِ عَلَيَّ، ثُمَّ

(1) غاية النهاية: 2/ 247-251، الشقائق النعمانية: 26.

(2) غاية النهاية: 2/ 247-251.

رَحَلْتُ به إلى الدِّيارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَقَرَأَ الْقِراءاتِ من شُيوخِها، ثُمَّ اشْتَغَلَ بِالْفِقْهِ وغَيْرِهِ، فَحَفِظَ عِدَّةَ كُتُبٍ في عُلومٍ مُخْتَلِفَةٍ، **كَالتَّنْبِيهِ**، لِلإمامِ أبي إسْحاقَ، **وأَلْفِيَّةِ ابنِ مالِكٍ**، **ومِنْهاجِ الْبَيْضاوِيِّ**، **وتَلْخِيصِ الْمِفْتاحِ**، **والْمَنْهَجِ في أُصولِ الدِّينِ**[1]، لِشَيْخِهِ شَيْخِ الْإِسْلامِ الْبُلْقِينِيِّ، **وَأَلْفِيَّةِ شَيْخِهِ الْعِراقِيِّ في عُلومِ الْحَديثِ**، وغَيْرِ ذلِكَ.

وقَرَأَ مَحْفوظاتِهِ مَرَّاتٍ على شُيوخِ عَصْرِهِ وَأجازوهُ، وأَذِنَ له بالْإِفْتاءِ والتَّدْريسِ شَيْخُهُ الإمامُ بُرْهانُ الدِّينِ الْأَنْباشِيُّ.

قالَ الشَّيْخُ: لَمَّا دَخَلْتُ الرُّومَ، باشَرَ وَظائِفَهُ بِدِمَشْقَ، وَدرَّسَ وَأَقْرَأَ حتى اخْتَرَمَتْهُ يَدُ الْمَنونِ، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجِعونَ. **وماتَ** بِمَرَضِ الطَّاعونِ، سنَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَثَمانِمِئَةٍ، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجِعونَ، وأنا بِشيرازَ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ الَّا باللهِ[2].

وثانيهِما وهو الْأَصْغَرُ: **مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْجَزَرِيُّ**، أبو الْخَيْرِ.

قالَ الشَّيْخُ: وُلِدَ هو في جمادى الأولى سَنَةَ تِسعٍ وَثَمانينَ وَسَبْعِمِئَةٍ، بعد عَوْدِنا من مِصْرَ، وإتْمامِ أخيهِ الْقِراءاتِ. وأجازَهُ مَشايِخُ الْعَصْرِ، وحَضَرَ على أَكْثَرِهِمْ. ثُمَّ رَحَلْتُ به وبِإِخْوَتِهِ إلى مِصْرَ، فَسَمِعَ **الشَّاطِبِيَّةَ** وسائِرَ كُتُبِ

(1) سمَّاه: "منهج الأصلين".

(2) غاية النهاية: 2/ 251-252.

الْقِراءاتِ من مَشايِخِ مِصْرَ، بِقِراءَةِ أَخيهِ أبي بَكْرٍ أَحْمَدَ. ولَمَّا عُدْنَا إلى دِمَشْقَ سَمِعَ الْبُخارِيَّ.

ولمَّا دَخَلْتُ الرُّومَ، حَضَرَ إليَّ في سنَةِ إحْدى وثَمانمِئَةٍ فصَلَّى بِالْقُرْآنِ، وَحَفِظَ **الْمُقَدِّمَةَ والْجَوْهَرَةَ**، وَأَكْمَلَ عَلَيَّ جَمْعَ الْقِراءاتِ الْعَشْرِ في ذي الْقَعْدَةِ سنَةَ ثَلاثٍ، ثُمَّ أعادَها في خَتْمَةٍ أخرى، فَخَتَمَها يَوْمَ الإِثْنَيْنِ ـ وهو يَوْمُ الْوَقْفَةِ ـ تاسِعِ ذي الْحِجَّةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وثَمانِمِئَةٍ، ثُمَّ لَحِقَنِي إلى مَدينَةِ كَشَّ ـ في أيامِ الأميرِ تَيْمورَ ـ في أوائِلِ سَنَةِ سَبْعٍ وثَمانِمِئَةٍ، ثُمَّ كان في صُحْبَتِي إلى شيرازَ، وَأَكْمَلَ بها أيْضًا الْقِراءاتِ الْعَشْرَ من شُهورِ سنَةِ تِسْعٍ وَثَمانِمِئَةٍ[1].

وللشَّيْخِ ولَدٌ آخَرُ اسْمُهُ: أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بن مُحَمَّدٍ الْجَزَرِيُّ، أبو بَكْرٍ.

قالَ الشَّيْخُ: **وُلِدَ** هو لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، سابِعَ عَشَرَ شَهْرِ رَمَضانَ، سَنَةَ ثَمانينَ وسَبعمِئَةٍ بِدِمَشْقَ. أجازَهُ مَشايِخُ عَصْرِهِ بِدِمَشْقَ، خَتَمَ الْقُرْآنَ سَنَةَ تِسْعينَ، وصَلَّى به سَنَةَ إحْدَى، وحَفِظَ **الشَّاطِبِيَّةَ والرَّائِيَّةَ وقَصيدَتَيَّ في الْعَشَرَةِ**، ثُمَّ قَرَأَ بِالْقِراءاتِ الإِثْنَتَيْ عَشْرَةَ بِقِراءَةِ أَخيهِ أبي الْفَتْحِ، ثُمَّ قَرَأَ ثانِيًا الْقِراءاتِ الْعَشْرَ، وأَجازَهُ الْمَشايِخُ، وَقَرَأَ عَلَيَّ كِتابَيَّ: **النَّشْرَ والطَّيِّبَةَ**، وسَمِعَهُما غَيْرَ مَرَّةٍ.

وَحَفِظَ كُتُبًا، وكَتَبَ عنِ الشَّيْخِ الْحافِظِ الْعِراقِيِّ وَغَيْرِهِ، وسَمِعَ **الْبُخارِيَّ**. ولَمَّا دَخَلْتُ الرُّومَ لَحِقَنِي بِكَثيرٍ من كُتُبِي، فَأَقامَ عِنْدِي يُفيدُ وَيَسْتَفيدُ،

(1) غاية النهاية: 2/ 252-253.

وانْتَفَعَ به أوْلادُ الْمَلِكِ الْعادِلِ بايَزِيدَ بْنِ عُثْمانَ؛ الْكامِلُ مُحَمَّدٌ، والسَّعيدُ مُصْطَفَى، والْأَشْرَفُ موسى، وَصارَ مُتَوَلِّيَ الْجامِعِ الْأَكْبَرِ الْبايَزِيدِيِّ بمَدينَةِ بورْصَةَ. وَنَشَأَ مع دِينٍ وعَفافٍ، أَسْعَدَهُ اللهُ تَعالى وَبارَكَ فيه.

ثُمَّ لمَّا وَقَعَتْ الْفِتْنَةُ التَّيْمورِيَّةُ، فَأَرْسَلَهُ تَيْمورُلَنْكُ رَسولًا إلى السُّلْطانِ النَّاصِرِ فَرَجِ بنِ بَرْقوقٍ، فَفارَقَنِي نَحْوَ عِشْرينَ سَنَةً هو بِالرُّومِ، وأنا بِالْعَجَمِ مع أميرِ تَيْمورَ. ولمَّا يَسَّرَ الله تَعالى لي الْحَجَّ في سَنَةِ سَبْعٍ وعِشْرينَ وثَمانِمِئَةٍ، كَتَبْتُ إليه، فَحَضَرَ عِنْدي، واجْتَمَعْنا بِمِصْرَ نَحْوَ سِتَّةَ عَشَرَ أيَّامٍ، وَتَوَجَّهْتُ إلى الْحَجِّ، وَجاوَرْتُ، وَأَقامَ هو بِمِصْرَ من شَوَّالٍ إلى شَوَّالٍ سَنَةً، فَحَجَّ مَعِي سَنَةَ ثَمانٍ، وَرَجَعْنا جَميعا إلى الدِّيارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَتَوَجَّهَ إلى الرُّومِ لِيُحْضِرَ أَهْلَهُ، فَفارَقْتُهُ بِدِمَشْقَ في جمادى الْآخِرَةِ سنَةَ تِسْعٍ، ولمَّا كانَ بِمِصْرَ في غَيْبَتِي وأنا مُجاوِرٌ بِمَكَّةَ، شَرَحَ **طَيِّبَةَ النَّشْرِ**، فَأَحْسَنَ فيهما شاءَ، مع أَنَّهُ لم يَكُنْ عنده نُسْخَةٌ بِالْحَواشِي التي كُنْتُ كَتَبْتُ عليها. ومن قَبْلِ ذلك **شَرَحَ مُقَدِّمَةَ التَّجْويدِ**، و**مُقَدِّمَةَ عِلْمِ الْحَديثِ** من نَظْمِي، في غايَةِ الْحُسْنِ.

وَوَلَّاهُ السُّلْطانُ الْأَشْرَفُ بَرْسَبايُ وَظائِفَ أخيهِ أبي الْفَتْحِ رَحِمَهُ الله تعالى - من الْمَشْيَخَةِ والْإِقْراءِ والتَّدْريسِ، وَتَوَجَّهَ لإحْضارِ أهْلِهِ من الرُّومِ، وَتَوَجَّهْتُ أنا لِذلِكَ إلى الْعَجَمِ، واللهُ تَعالى يَجْمَعُ شَمْلَنا في خَيْرٍ، وذلكَ سنةَ تِسْعٍ وعِشْرينَ وثَمانِمِئَةٍ[1].

(1) غاية النهاية: 1/ 129-130.

ولِلشَّيْخِ غيرَ هؤلاءِ ابْنانِ: أبو الْبَقاءِ إسْماعيلُ، وأبو الْفَضْلِ إسْحاقُ، وَبناتٌ؛ فاطِمَةُ، وعائِشَةُ، وسَلْمَى. جَميعُ هؤلاءِ من الْقُرَّاءِ الْمُجَوِّدينَ والْمُرَتِّلينَ، ومن الْحُفَّاظِ الْمُحَدِّثينَ[1]، طابَ أَصْلُ هؤلاءِ فَرْعُهُ، وَطوبَى لِفُروعٍ هذا أَصْلُهُ، ويا حَبَّذَا لِبَيْتٍ هؤلاء أَهْلُهُ، وفَخْرًا لساكنٍ، مِثْلُ هذا الْبَيْتِ مَحَلُّهُ، رَضِيَ الله عنهم وَأَرْضاهُمْ، وَأَسْكَنَنا في فِرْدَوْسِ الْجِنانِ وإيَّاهُمْ، إنَّه قَريبٌ مُجيبٌ، عليه تَوَكَّلْتُ وإليه أُنيبُ.

(1) النقل أيضا من الشقائق النعمانية: 25-28.

الشُّعْبَةُ الثَّانِيَةِ من الْعُلومِ الشَّرْعِيَّةِ

عِلْمُ رِوايَةِ الْحَديثِ

وهو عِلْمٌ يُبْحَثُ فيه عن كَيْفِيَّةِ اتِّصَالِ الْأَحاديثِ بِالرَّسولِ صلَّى الله عليه وسَلَّمَ، من حيثُ أَحْوالُ رُوَاتِهِ ضَبْطًا وعَدالَةً، ومن حيثُ كَيْفِيَّةُ السَّنَدِ اتِّصَالًا وانْقِطاعًا، وغيرِ ذلِكَ من الْأَحْوالِ التي يَعْرِفُها نُقَّادُ الْأَحاديثِ.

وَمَوْضوعُهُ: أَلْفاظُ الرَّسولِ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ من حَيْثُ صِحَّةُ صُدورِها عنه صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ وَضُعْفُهُ، إلى غَيْرِ ذلِكَ.

وفي هذا الْفَنِّ مَنْفَعَةٌ بَيِّنَةٌ وغايَةٌ عَظيمَةٌ، بل هو أَحَدُ أَرْكانِ الدِّينِ. **وَالْكُتُبُ الْمُصَنَّفَةُ في هذا الْفَنِّ أَكْثَرُ من أنْ تُحْصى؛ منها**:

كِتابُ الشَّيْخِ الْإِمامِ الْحافِظِ الْمُتْقِنِ الْمُحَقِّقِ، أبي عَمْرٍو عُثْمانَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، الْمَعْروفِ **بابْنِ الصَّلاحِ** رَضِيَ اللهُ عنه، الْمُلَقَّبِ تَقِيَّ الدِّينِ، الْفَقيهِ الشَّافِعِيِّ. كانَ أَحَدَ فُضَلاءِ عَصْرِهِ في التَّفْسيرِ والْحَديثِ وأَسْماءِ الرِّجالِ والْفِقْهِ ونَقْلِ اللُّغَةِ، وَكانَتْ له مُشارَكَةٌ في فُنونٍ عَديدَةٍ، وكانَتْ فَتاواهُ مُسَدَّدَةً، قَرَأَ الْفِقْهَ أَوَّلًا على والِدِهِ الصَّلاحِ، ثُمَّ نَقَلَهُ والِدُهُ إلى الْمَوْصِلِ، واشْتَغَلَ بها مُدَّةً، ثُمَّ سافَرَ إلى خُراسانَ، وَحَصَّلَ عِلْمَ الْحَديثِ هناكَ، ثُمَّ رَجَعَ إلى الشَّامِ، وَتَوَلَّى التَّدْريسَ بالْمَدْرَسَةِ النَّاصِرِيَّةِ بِالْقُدْسِ، واشْتَغَلَ النَّاسُ عليه، وَانْتَفَعوا به.

ثُمَّ تَوَلَّى تَدْرِيسَ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ بِدِمَشْقَ، وَتَدْرِيسَ الْمَدْرَسَةِ الرَّواحِيَّةِ[1]، وَتَدْرِيسَ مَدْرَسَةِ سِتِّ الشَّامِ[2]، فكانَ يَقومُ بِوَظائِفِ الْجِهاتِ الثَّلاثِ، من غيرِ إخْلالٍ بِشَيْءٍ منها إلَّا لِعُذْرٍ ضَرورِيٍّ، وكانَ من الْعِلْمِ والدِّينِ على قَدَمٍ حَسَنٍ.

وصَنَّفَ في عُلومِ الْحَديثِ كِتابًا نافِعًا، ولم يَزَلْ أمْرُهُ جارِيًا على صَلاحٍ وسَدادٍ، إلى أنْ تُوُفِّيَ في الْخامِسِ والْعِشْرينَ من شَهْرِ ربيع الآخِرِ، سنَةَ ثَلاثٍ وأرْبَعينَ وسِتِّمِئَةٍ بدِمَشْقَ. وكانَتْ وِلادَتُهُ سنَةَ سَبْعٍ وسَبْعينَ وخَمْسِمِئَةٍ بِشَرْخانَ، وهي قَرْيَةٌ من أَعْمالِ إرْبِلَ، قَريبَةٌ من شَهْرزورَ[3].

وَصَنَّفَ أيْضًا في عُلومِ الْحَديثِ الْإِمامُ النَّوَوِيُّ كتابَ الْإِرْشادِ، ثُمَّ لَخَّصَهُ تَلْخيصًا حَسَنًا. وهو أبو زَكَرِيَّا مُحْيِي الدِّينِ يَحْيَى بنُ شَرَفٍ النَّوَوِيُّ الشَّافِعِيُّ، إمامُ أَهْلِ زَمانِهِ، كانَ عالِمًا فاضِلًا، مُتَوَرِّعًا فَقيهًا مُحَدِّثًا ثَبْتًا حُجَّةً.

---

(1) المدرسة الرواحية: شرقي مسجد ابن عروة بالجامع الأموي ولصيقه شمالي جيرون وغربي الدولعية وقبلي الشريفية الحنبلية قال ابن شداد: بانيها زكي الدين أبو القاسم التاجر المعروف بابن رواحة (ت.622هـ). الدارس في تاريخ المدارس: 1/ 199.

(2) مدرسة ست الشام: المدرسة الشامية البرانية، والمدرسة الشامية الجوانية كلاهما من إنشاء ست الشام بنت نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان أخت الملك الناصر صلاح الدين، (ت.616هـ)، من أكبر المدارس وأعظمها وأكثرها فقهاء وأكثرها أوقافا. الدارس في تاريخ المدارس: 1/ 208-227.

(3) وفيات الأعيان: 3/ 244.

له مُصَنَّفاتٌ كَثيرَةٌ مَشْهورَةٌ، وَتَأْليفاتٌ عَجيبَةٌ مُفيدَةٌ في الْفِقْهِ، مِثْلَ: "**الرَّوْضَةُ**". وفي الْحَديثِ، مِثْلَ: "**الرِّياضُ**"، و"**الْأَذْكارُ**". وفي شَرْحِهِ، مِثْلَ: "**شَرْحُ مُسْلِمٍ**". وَغَيْرُ ذلِكَ من مَعْرِفَةِ الْحَديثِ واللُّغَةِ.

سَمِعَ من الْمَشايِخِ الْكِبارِ، وسَمِعَ منه خَلْقٌ كَثيرٌ، وأَجازَ رِوايَةَ **شَرْحِ مُسْلِمٍ** لِجَميعِ الْمُسْلِمينَ. وكانَ من أَهْلِ نَوَى - قَرْيَةٌ من أَعْمالِ دِمَشْقَ - وَنَشَأَ بها، وَحَفِظَ الْخَتْمَةَ، وَقَدِمَ دِمَشْقَ في خَمْسينَ وسِتمئَةٍ، وله تِسْعَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَتَفَقَّهَ وَبَرَعَ. وكان خَشِنَ الْعَيْشِ، قانِعًا بِالْقوتِ، تارِكًا لِلشَّهَواتِ، صاحِبَ عِبادَةٍ وخَوْفٍ. وكانَ قَوَّالًا بِالْحَقِّ، صَغيرَ الْعِمامَةِ، كَبيرَ الشَّأْنِ. وكانَ كَثيرَ السَّهَرِ، مُكِبًّا على الْعِلْمِ والْعَمَلِ.

ماتَ في رَجَبٍ سنَةَ سِتٍّ وَسَبْعينَ وسِتِّمِئَةٍ، وقَبْرُهُ يُزارُ بِنَوَى. عاشَ خَمْسًا وَأَرْبَعينَ سَنَةً.

وَالتَّصانِيفُ في عِلْمِ الْحَديثِ أَكْثَرُ مِنْ أنْ تُحْصى، لكن فيما ذَكَرْناهُ كِفايَةٌ، واللهُ وَلِيُّ الْهِدايَةِ.

ومِنَ التَّصانيفِ في هذا الْعِلْمِ **كِتابٌ لابْنِ حَجَرٍ** وقد عَرَفْتَهُ فيما سَبَقَ[1].

(1) لم يفصل طاش كبري زاده القول في علم الحديث كما فصل في علوم التفسير وعلوم أخرى أقل شأنا من هذا العلم.

الشُّعْبَةُ الثَّالِثَةُ من الْعُلومِ الشَّرْعِيَّةِ

عِلْمُ تَفْسيرِ الْقُرْآنِ

وهو عِلْمٌ باحِثٌ عن مَعْنَى نَظْمِ الْقُرْآنِ بِحَسَبِ الطَّاقَةِ الْبَشَرِيَّةِ، وَبِحَسَبِ ما تَقْتَضيهِ الْقَواعِدُ الْعَرَبِيَّةُ.

وَمَبادِئُهُ: الْعُلومُ الْعَرَبِيَّةُ، وَأُصولُ الْكَلامِ، وأُصولُ الْفِقْهِ، والْجَدَلُ، وَغَيْرُ ذلِكَ من الْعُلومِ الْجَمَّةِ.

والْغَرَضُ منه: مَعْرِفَةُ مَعانِي النَّظْمِ.

وفائِدَتُهُ: حُصولُ الْقُدْرَةِ على اسْتِنباطِ الْأَحْكامِ الشَّرْعِيَّةِ على وَجْهِ الصِّحَّةِ[1].

وَمَوْضوعُهُ ومَنْفَعَتُهُ: ظاهِرانِ من تَعْريفِهِ.

واعْلَمْ أَنَّكَ قد عَرَفْتَ فيما سَبَقَ طَبَقاتِ الْقُرَّاءِ، فَلَعَلَّكَ تتَرَصَّدُ إيرادَ طَبَقاتِ الْمُفَسِّرينَ في هذا الْمَقامِ، لكنَّ كَثيرًا ممن تَقَدَّمَ في طَبَقاتِ الْقُرَّاءِ، داخِلونَ في طَبَقاتِ الْمُفَسِّرينَ من الصَّحابَةِ والتَّابِعينَ، فلا وَجْهَ لِإِعادَتِهِ ها هنا، وإِنَّما الْمُلائِمُ الْإِشارَةُ الْإِجْمالِيَّةُ إلى ما ذُكِرَ هناكَ، ثُمَّ تَفْصيلُ الْبَواقِي.

---

(1) ينظر رسالة في العلوم الشرعية والعربية: 49.

أَمَّا الصَّحابَةُ:

فَالَّذينَ اشْتَهَروا بِالتَّفْسيرِ منهم: الْخُلَفاءُ الْأَرْبَعَةُ الْمَذْكورونَ سابِقًا، وابْنُ مَسْعودٍ، وابْنُ عَبَّاسٍ، وأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَزَيْدُ بنُ ثابِتٍ، وأبو موسى الْأَشْعَرِيُّ. وهَؤلاءِ مَذْكورونَ فيما تَقَدَّمَ. والذي لم يُذْكَرْ هو: عَبْدُ اللهِ بنُ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ، يُكْنَى أبا بَكْرٍ، الْأَسَدِيُّ الْقُرَشِيُّ، كَنَّاهُ النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وسَلَّمَ، بِكُنْيَةِ جَدِّهِ لِأُمِّهِ أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ الله عنه وَسَمَّاهُ بِاسْمِهِ. وهو أَوَّلُ مَوْلودٍ وُلِدَ في الْإِسْلامِ لِلْمُهاجِرينَ بِالْمَدِينَةِ أوَّلَ سنَةٍ، وأَذَّنَ أبو بَكْرٍ في أُذُنِهِ، وَلَدَتْهُ أمُّهُ أَسْماءُ بِقُباءَ، وَأَتَتْ به إلى النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ، فَوَضَعَتْهُ في حِجْرِهِ، فَدَعَا بِتَمْرَةٍ فَمَضَغَها، ثُمَّ تَفَلَ في فيهِ وَحَنَّكَهُ، وكانَ أوَّلَ شَيْءٍ دَخَلَ في جَوْفِهِ ريقُ رَسولِ الله صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ، دَعَا له وَبرَّكَ عليه. وكانَ أَطْلَسَ، لا شَعْرَ له في وَجْهِهِ ولا لِحْيَتِهِ.

كانَ كَثيرَ الصِّيامِ والصَّلاةِ، شَهْمًا ذا أَنَفَةٍ، شَديدَ الْبَأْسِ، قائِلًا بِالْحَقِّ، وَصُولًا لِلرَّحِمِ، اجْتَمَعَ له ما لم يَجْتَمِعْ لغَيْرِهِ، أبوهُ حَوارِيُّ رَسولِ الله صلَّى الله عليه وسَلَّمَ، وأُمُّهُ أَسْماءُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ، وَجَدُّهُ الصِّدِّيقُ، وجَدَّتُهُ صَفِيَّةُ عَمَّةُ رَسولُ الله صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ، وخالَتُهُ عائِشَةُ زَوْجَةُ رَسولِ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ، وبايَعَ رَسولَ الله صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ وهو ابْنُ ثَمانِ سِنينَ.

قَتَلَهُ الْحَجَّاجُ بنُ يوسُفَ بمَكَّةَ وَصَلَبَهُ يَوْمَ الثُّلاثاءِ لِسَبْعَ عَشْرَةَ خَلَتْ من جُمادَى الْآخِرَةِ، سَنَةَ ثَلاثٍ وَسَبْعينَ. وكانَ بويعَ له بالْخِلافَةِ سنَةَ أَرْبَعِ

وسِتِّينَ، واجْتَمَعَ على طاعَتِهِ أهْلُ الْحِجازِ والْيَمَنِ والْعِراقِ وخُراسانَ وغيرِ ذلِكَ، ما عَدَا الشَّامَ، وحَجَّ بالنَّاسِ ثَمانِيَ حِجَجٍ. رَوَى عنه خَلْقٌ كَثيرٌ(1).

ثم اعْلَمْ أنَّ الْخُلَفاءَ الْأَرْبَعَةَ، أَكْثَرُ من رُوِيَ عنه عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ، والرِّوايَةُ عن الثَّلاثَةِ نَزْرَةٌ جدًّا، وكان السَّبَبُ في ذلك تَقَدُّمَ وَفاتِهِمْ، كما أنَّ ذلك هو السَّبَبُ في قِلَّةِ رِوايَةِ أبِي بَكْرٍ لِلْحَديثِ، مع قِدَمِ صُحْبَتِهِ، وَحِرْصِهِ على تَعَلُّمِ الْعِلْمِ والدِّينِ وأَحْكامِ الْإِسْلامِ، وَقُوَّةِ حِفْظِهِ، وَمُلازَمَتِهِ مَجْلِسَ النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وسَلَّمَ من أوَّلِ الْبَعْثِ إلى زَمانِ وَفاتِهِ صلَّى الله عليه وسَلَّمَ.

وأمَّا عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، فَرُوِيَ عنه الْكَثيرُ. وَرُوِيَ عنه أنَّهُ قالَ وهو يَخْطُبُ: «سَلونِي، فو اللهِ لا تَسْأَلونِي عن شَيْءٍ إلَّا أَخْبَرْتُكُمْ به، وَسَلونِي عن كِتابِ اللهِ، فو اللهِ ما مِنْ آيَةٍ إلَّا وأنا [أَعْلَمُ أَبِلَيْلٍ نَزَلَتْ أو بِنَهارٍ، أم في سَهْلٍ، أم في جَبَلٍ»(2).

وَرُوِيَ عنه أيْضًا أنَّهُ قالَ: «واللهِ ما نَزَلَتْ آيَةٌ، إلَّا](3) وَقَدْ عَلِمْتُ فيمَ أُنْزِلَتْ، وَأَيْنَ أُنْزِلَتْ، إنَّ رَبِّي وَهَبَ لي قَلْبًا عَقولًا ولِسانًا سَؤولًا»(4).

---

(1) جامع الأصول: 12/ 571.

(2) أخرجه ابن سعد في طبقاته: 2/ 292، وابن عبد البر في الاستيعاب: 3/ 1107، والمزي في تهذيب الكمال: 20/ 487.

(3) ما بين معقوفين سقط من أنطاليا.

(4) أخرجه ابن سعد في طبقاته: 2/ 238، وأبو نعيم في الحلية: 1/ 67، وابن عساكر في تاريخ دمشق: 42/ 398.

وَرُوِيَ عن ابْنِ مَسْعودٍ أنَّه قالَ: «إنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ على سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، ما منها حَرْفٌ إلَّا وله ظَهْرٌ وَبَطْنٌ، وإنَّ عَلِيَّ بْنَ أبي طالِبٍ عندَهُ منه الظَّاهِرُ والْباطِنُ»[1].

وأمَّا ابْنُ مَسْعودٍ رضيَ الله عنه، فَرُوِيَ عنه أَكْثَرُ مما رُوِيَ عن عَلِيٍّ رَضِيَ الله عنه.

رُوِيَ عنه أنَّهُ قالَ: «والَّذِي لا إلَهَ غَيْرُهُ، ما نَزَلَتْ آيَةٌ من كِتابِ اللهِ تَعالى، إلَّا وأنَا أَعْلَمُ فيمَنْ نَزَلَتْ، وأيْنَ أُنْزِلَتْ، ولو أَعْلَمُ مَكانَ أَحَدٍ أعْلَمَ بِكِتابِ اللهِ مِنِّي تَنالُهُ الْمَطايَا لَأَتَيْتُهُ»[2].

وأمَّا ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عنهما، فهو تُرْجُمانُ الْقُرْآنِ، وَحَبْرُ الْأُمَّةِ، وَرَئِيسُ الْمُفَسِّرينَ. دَعا له النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ في الدِّينِ، وعَلِّمْهُ التَّأْويلَ».

وقال أيْضًا: «اللَّهُمَّ آتِهِ الْحِكْمَةَ»[3]، أو «عَلِّمْهُ الْحِكْمَةَ»[4].

---

(1) أخرجه ابن مخلوف الثعالبي في تفسيره: 1/ 53، السيوطي في الإتقان: 4/ 233.

(2) أخرجه مقاتل في تفسيره: 5/ 11، والطبري في جامع البيان: 1/ 80، والزركشي في البرهان: 2/ 157، والسيوطي في الإتقان: 4/ 234.

(3) أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني: 1/ 287، والطبراني في المعجم الكبير: 12/ 58، وابن نعيم في الحلية: 1/ 315.

(4) صحيح البخاري: 5/ 27، رقم: 3756، سنن ابن ماجه: 1/ 114، رقم: 166، سنن الترمذي: 6/ 148، رقم: 3824.

وعن ابْنِ عَبَّاسٍ قالَ: «انْتَهَيْتُ[1] إلى النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وسَلَّمَ وعِنْدَهُ جِبْرِيلُ، فقالَ له جِبْرِيلُ: كائِنٌ حَبْرَ هذِهِ الأُمَّةِ واسْتَوْصِ به خَيْرًا»[2].

وعنه أيْضًا قالَ: قال رَسولُ الله صلَّى الله عليه وسَلَّمَ: «نِعْمَ تُرْجمانُ الْقُرْآنِ عبدُ اللهِ بنُ عَبَّاسٍ»[3].

وَالْأَحاديثُ والْآثارُ في حَقِّ ابْنِ عَبَّاسٍ كَثيرَةٌ، خارِجَةٌ من حَدِّ الْإِحْصاءِ.

وقد وَرَدَ عنه في التَّفْسيرِ ما لا يُحْصَى كَثْرَةً، لكن عنه في ذلك رِواياتٌ وطُرُقٌ مُخْتَلِفَةٌ، أَحْسَنُها وَأَوْلاها طَريقَةُ عَلِيِّ بنِ أبي طَلْحَةَ الْهاشِمِيِّ.

قالَ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ: بِمِصْرَ صَحيفَةٌ في التَّفْسيرِ، رَواها عَلِيُّ بنُ أبي طَلْحَةَ، لو رَحَلَ رَجُلٌ فيها إلى مِصْرَ قاصِدًا، ما كانَ كَثيرًا[4].

وَاعْتَمَدَ على هذه النُّسْخَةِ الْبُخارِيُّ في صَحيحِهِ[5]، فيما نَقَلَهُ عن ابْنِ عَبَّاسٍ، وَبَيْنَهُ وبَيْنَ ابْنِ عَبَّاسٍ واسِطَةٌ، وهي مُجاهِدٌ، أو سَعيدُ بْنُ جُبَيْرٍ.

---

(1) كتب بإزائها في نسخة أنطاليا: لعلها أتيت.

(2) أخرجه الآجري في الشريعة: 5/ 2267، وابن نعيم في معرفة الصحابة: 3/ 1701 والحلية: 1/ 316، وابن عساكر في تاريخ دمشق: 73/ 181، بلفظ: إنه كائن... فاستوص، وهو الصحيح.

(3) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى: 2/ 366، وابن أبي شيبة في مصنفه: 6/ 383، رقم: 32220، وابن نعيم في معرفة الصحابة: 3/ 1702 والحلية: 1/ 316.

(4) الإتقان: 4/ 237.

(5) لم يرو البخاري شيئا عن علي ابن أبي طلحة في **صحيحه**. وروى عنه مسلم في باب حكم العزل حديثين رقم: 1438.

قالَ ابْنُ حَجَرٍ: بَعْدَ أن عُرِفَتِ الْواسِطَةُ ـ وهي ثِقَةٌ ـ فلا ضَيْرَ في ذلِكَ[1].

ومِنْ جَيِّدِ الطُّرُقِ عن ابْنِ عَبَّاسٍ: طَرِيقُ قَيْسٍ، عن عَطاءِ بْنِ السَّائِبِ، عن سَعيدِ بنِ جُبَيْرٍ عنه[2].

وَقَيْسٌ، هو قَيْسُ بْنُ مُسْلِمٍ الْجَدَلِيُّ الْكوفِيُّ، رَوَى عن سَعيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وغَيْرِهِ، وعنه الثَّوْرِيُّ وَشُعْبَةُ. **ماتَ** سنةَ عِشْرينَ ومِئَةٍ[3].

ومن جَيِّدِ الطَّريقِ، طَريقُ ابْنِ إسْحاقَ، عن مُحَمَّدِ بن أبي مُحَمَّدٍ مَوْلى آلِ زَيْدِ بنِ ثابِتٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، أو سَعيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عنه هَكَذا بِالتَّرْديدِ، وهي طَريقٌ حَسَنٌ، وإسْنادُهُ جَيِّدٌ.

وابْنُ إسْحاقَ، هو مُحَمَّدُ بنُ إسْحاقَ، مَوْلَى قَيْسِ بْنِ مَخْرَمَةَ، تابِعِيٌّ، رَأى أَنَسَ بنَ مالِكٍ، وسَعيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ، وسَمِعَ جَماعَةً من التَّابِعينَ، وَحَدَّثَ عنه الثَّوْرِيُّ، والنَّخَعِيُّ، وابْنُ عُيَيْنَةَ، ويَحْيى بْنُ سَعيدٍ، وَغَيْرُهُمْ.

كانَ عالِمًا بالسِّيَرِ والْمَغازِي وأيَّامِ النَّاسِ وقَصَصِ الْأَنْبِياءِ والْحَديثِ والْقُرْآنِ والْفِقْهِ.

حَدَّثَ بِبَغْدادَ، **وماتَ** بها سَنَةَ خَمْسينَ ومِئَةٍ.

وَأَوْهى طَرِيقِهِ: طَريقُ الْكَلْبِيِّ عن أبي صالِحٍ عن ابنِ عَبَّاسٍ.

---

(1) الإتقان: 4/ 237.

(2) المصدر نفسه: 4/ 239.

(3) جامع الأصول: 12/ 798.

والْكَلْبِيُّ، هو أبو النَّضْرِ، مُحَمَّدُ بنُ السَّائِبِ بنِ بِشْرٍ الْكَلْبِيُّ ـ نِسْبَةً إلى كَلْبِ بنِ وَبْرَةَ، قَبيلَةٌ من قُضاعَةَ ـ الْكوفِيُّ، صاحِبُ التَّفْسيرِ والْأَنْسابِ، كان إمامًا في هذين الْعِلْمَيْنِ، وكانَ من أَصْحابِ عبد اللهِ بنِ سَبَإٍ، الَّذِي يَقولُ: إنَّ عَلِيَ بنَ أبي طالِبٍ لم يَمُتْ، وأنَّهُ راجِعٌ إلى الدُّنْيا.

رَوَى عنه سُفْيانُ الثَّوْرِيُّ، ومُحَمَّدُ بْنُ إسْحاقَ، وكانا يَقولانِ: حَدَّثَنا أبو النَّضْرِ حتى لا يُعْرَفُ.

وَشَهِدَ الْكَلْبِيُّ دَيْرَ الْجَماجِمِ مع عَبْدِ الرَّحْمنِ بنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ بنِ قَيْسٍ الْكِنْدِيِّ، وَشَهِدَ جَدُّهُ بِشْرٌ، وَبَنوهُ السَّائِبُ، وَعُبَيْدٌ، وعَبْدُ الرَّحْمنِ وَقْعَةَ الْجَمَلِ وَصِفِّينَ مع عَلِيِّ بْنِ أبي طالِبٍ، رَضِيَ الله عَنْهُ.

وكانَ جَميلًا شَريفًا، تُوُفِّيَ سنَةَ سِتٍّ وأَرْبَعينَ ومِئَةٍ بالْكوفَةِ[1].

وقَدْ عَرَفْتَ أنَّ طَريقَ الْكَلْبِيِّ أَوْهَى طُرُقِ ابْنِ عَبَّاسٍ. فإنِ انْضَمَّ إلى ذلكَ رِوايَةُ مُحَمَّدِ بنِ مَرْوانَ السُّدِّيِّ الصَّغيرِ فهي سِلْسِلَةُ الْكَذِبِ. وَكَثيرًا ما يُخَرِّجُ منها الْواحِدِيُّ، والثَّعْلَبِيُّ[2].

وَمُحَمَّدُ بْنُ مَرْوانَ السُّدِّيُّ ـ صاحِبُ التَّفْسيرِ ـ كوفِيٌّ يُكْنَى أبا عبدِ الرَّحْمنِ، وَسَمِعَ التَّفْسيرَ من الْكَلْبِيِّ[3].

---

(1) وفيات الأعيان: 4/ 309-311.

(2) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 239.

(3) غاية النهاية: 2/ 261.

وَالْواحِدِيُّ، عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، الإمامُ أبو الْحَسَنِ الْواحِدِيُّ، إمامٌ مُصَنِّفٌ، مُفَسِّرٌ، نَحْوِيٌّ، أَسْتاذُ عَصْرِهِ، وَواحِدُ دَهْرِهِ. أَنْفَقَ شَبابَهُ في التَّحْصيلِ فَأَتْقَنَ الْأُصولَ على الْأَئِمَّةِ، وطافَ على أعْلامِ الْأُمَّةِ، وَسافَرَ في طَلَبِ الْفَوائِدِ، وَلازَمَ مَجالِسَ الثَّعْلَبِيِّ في تَحْصِيلِ التَّفْسيرِ، وَقَعَدَ لِلتَّدْريسِ والْإِفادَةِ سِنينَ، وَتَخَرَّجَ به طائِفَةٌ من الْأَئِمَّةِ، وكانَ نِظامُ الْمُلْكِ يُكْرِمُهُ ويُعَظِّمُهُ، وكانَ حَقيقًا بِالِاحْتِرامِ والْإِعْظامِ، لولا ما كان فيه من الإِزْراءِ بالْأَئِمَّةِ الْمُتَقَدِّمينَ، وَبَسْطِ اللِّسانِ فيهم بما لا يَليقُ.

صَنَّفَ: "الْبَسيطُ"، وَ"الْوَسيطُ"، و"الْوَجيزُ" في التَّفْسيرِ. وصَنَّفَ: "أَسْبابُ النُّزولِ"، وَ"شَرْحُ ديوانِ الْمُتَنَبِّي"، و"الْإِعْرابُ في عِلْمِ الْإِعْرابِ"، وَغَيْرَ ذلِكَ.

وَقيلَ فيه: [السريع]

قَدْ جُمِعَ الْعالَمُ في واحِدِ عالِمِنا الْمَعْروفِ بالْواحِدِي[1]

ماتَ سَنَةَ ثَمانٍ وسِتِّينَ وأرْبَعمِئَةٍ.

وأمَّا الثَّعْلَبِيُّ، فهو أحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بْنِ إبْراهيمَ النَّيْسابورِيُّ الثَّعْلَبِيُّ، صاحِبُ التَّفْسيرِ، والْعَرائِسِ في قَصَصِ الْأَنْبياءِ، كانَ إمامًا كَبيرًا، حافِظًا لِلُّغَةِ، بارِعًا في الْعَرَبِيَّةِ.

---

(1) البيت والترجمة في معجم الأدباء: 4/ 1660، وبغية الوعاة: 2/ 145، والنقل من هذا الأخير.

رَوَى عن أبي طاهِرِ بْنِ خُزَيْمَةَ وأبي مُحَمَّدٍ الْمَخْلَدِيِّ. أَخَذَ عنه الْواحِدِيُّ. **مات** سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرينَ وأَرْبَعِمِئَةٍ.

وَكَذَلِكَ طَرِيقُ مُقاتِلِ بْنِ سُلَيْمانَ عن ابْنِ عَبَّاسٍ، إلَّا أنَّ الْكَلْبِيَّ **يُفَضَّلُ** عليه، لِمَا في مُقاتِلٍ من الْمَذاهِبِ الرَّديئَةِ[1].

وهو أبو الْحَسَنِ مُقاتِلُ بْنُ سُلَيْمانَ بْنِ بَشيرٍ الْأَزْدِيُّ بِالْوَلاءِ، الْخُراسانِي الْمَرْوَزِيُّ. أَصْلُهُ من بَلْخَ، وانْتَقَلَ إلى الْبَصْرَةِ، ودَخَلَ بَغْدادَ، وحَدَّثَ بها، وكانَ مَشْهورًا بِالتَّفْسيرِ[2]، وله **التَّفْسيرُ** الْمَشْهورُ.

أَخَذَ الْحَديثَ عن مُجاهِدِ بْنِ جَبْرٍ، وَعَطاءِ بْنِ أبي رَباحٍ، وأبِي إسْحاقَ السَّبِيعِيِّ، والضَّحاكِ بْنِ مُزاحِمٍ، ومُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ الزُّهْرِيِّ، وَغَيْرِهِمْ؛ وَرَوَى عنه جَماعَةٌ. وكانَ من الْعُلَماءِ الْأَجِلَّاءِ.

حُكِيَ عن الشَّافِعِيِّ أَنَّهُ قالَ: النَّاسُ كُلُّهُمْ عِيالٌ على ثَلاثَةٍ[3]، على مُقاتِلِ ابْنِ سُلَيْمانَ في التَّفْسيرِ؛ وعلى زُهَيْرِ بنِ أبي سُلْمَى في الشِّعْرِ، وعلى أبي حَنيفَةَ في الْكَلامِ.

واخْتَلَفَ الْعُلَماءُ في أَمْرِهِ، فَمِنْهُمْ من وَثَّقَهُ في الرِّوايَةِ، ومنهم من نَسَبَهُ إلى الْكَذِبِ.

---

(1) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 239.

(2) بالتفاسير، في رئيس الكتاب.

(3) ثلاث، في قونية ورئيس الكتاب، وما أثبتناه هو الصواب.

قالَ أَحْمَدُ بْنُ سَيَّارٍ: مُقاتِلٌ مُتَّهَمٌ مَتْروكُ الْحَديثِ، وكان يَتكَلَّمُ في الصِّفاتِ بما لا تَحِلُّ الرِّوايَةُ عنه.

قالَ إبْراهيمُ بنُ يَعْقوبَ الْجُوزْجانِيُّ: مُقاتِلٌ كانَ دَجَّالًا جَسورًا.

قالَ أبو عَبْدِ الرَّحمنِ النَّسائِيُّ: الْكَذَّابونَ الْمَعْروفونَ بِوَضْعِ الْحَديثِ أَرْبَعَةٌ: ابْنُ أبي يَحْيَى بِالْمَدينَةِ، والْوَاقِدِيُّ بِبَغْدادَ، وَمُقاتِلُ بْنُ سلَيْمانَ بِخُراسانَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ سَعيدٍ الْمَعْروفُ بِالْمَصْلوبِ[1] بِالشَّامِ.

وَذَكَرَهُ وَكيعٌ يَوْمًا وَقالَ: كانَ كذَّابًا.

وَكَذَا قال عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ الْفَلَّاسُ: [مُقاتِلُ بْنُ سُلَيْمانَ كَذَّابٌ مَتْروكُ الْحَديثِ][2].

وقالَ الْبُخارِيُّ: سَكَتُوا عنه. وَقالَ في مَوْضِعٍ آخَرَ: لا شَيْءَ اَلْبَتَّةَ.

قالَ أحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: ما يُعْجِبُنِي أنْ أَرْوي عنه شَيْئًا.

وقالَ أبو حاتِمٍ الْبُسْتِيُّ: مُقاتِلٌ كانَ يَأْخُذُ عن الْيَهودِ والنَّصارَى عِلْمَ الْقُرْآنِ الَّذي يُوافِقُ كُتُبَهُمْ؛ إلَّا أنَّ بَقِيَّةَ بْنَ الْوَليدِ قالَ: كُنْتُ أَسْمَعُ شُعْبَةَ بْنَ الْحَجَّاجِ لا يَذْكُرُ مُقاتِلًا إلَّا بِخَيْرٍ.

وَسُئِلَ عنه عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبارَكِ فَقالَ: لقد ذُكِرَ لنا عنه عِبادَةٌ.

وَرُوِيَ عنه أَيْضًا أنَّهُ تَرَكَ حَدِيثَهُ.

---

(1) بمصلوب، في قونية ورئيس الكتاب.

(2) ما بين معقوفين زيادة من أنطاليا.

وقال إبْراهيمُ الْحَرْبِيُّ: ماتَ مُقاتِلٌ قبلَ الضَّحَّاكِ بْنِ مُزاحِمٍ[1] بِأَرْبَعِ سِنينَ، ولم يَسْمَعْ منه ولم يَلْقَهُ، وكذا لم يَلْقَ مُجاهِدًا ولم يَسْمَعْ منه.

تُوُفِّيَ مُقاتِلٌ سنَةَ خَمْسينَ ومِئَةٍ بِالْبَصْرَةِ[2].

وطَريقُ الضَّحَّاكِ بْنِ مُزاحِمٍ عن ابْنِ عَبَّاسٍ مُنْقَطِعَةٌ، فإنَّ الضَّحاكَ لَمْ يَلْقَهُ، وإنِ انْضَمَّ إلى ذلِكَ رِوايَةُ بِشْرِ بْنِ عُمارَةَ، عن أبي رَوْقٍ[3] عنه، فَضَعيفَةٌ ضُعْفَ بِشْرٍ، وَقَدْ أَخْرج منه ابْنُ جَريرٍ، وابْنُ أبي حاتِمٍ. وإنْ كانَ من رِوايَةِ جُوَيْبِرٍ عن الضَّحَّاكِ فَأَشَدُّ ضُعْفًا، لأنَّ جُوَيْبِرًا شَديدُ الضُّعْفِ مَتْروكٌ، وإنَّما أَخْرَجَ عنه ابْنُ مَرْدَوَيْهِ، وأبو الشَّيْخِ ابْنُ حَيَّانَ دونَ ابْنِ جَريرٍ ولا ابْنِ أبي حاتِمٍ[4].

واعْلَمْ أنَّ الضَّحَّاكَ هو ابْنُ مُزاحِمٍ الْكوفِيُّ صاحِبُ ابن عَبَّاسٍ، كَثيرُ الرِّوايَةِ من الصَّالِحينَ، فلَمَّا أَخَذَ الْحَجَّاجُ الْعُلَماءَ هَرَبَ من الْكُوفَةِ إلى خُراسانَ، وكان يُعَلِّمُ الصِّبْيانَ بلا أَجْرٍ.

قال نَزيعٌ: كنَّا في كُتَّابِ الضَّحَّاكِ ثَلاثَةَ آلافِ غُلامٍ، وَسَبْعَمِئَةِ جارِيَةٍ، وحَمَلَتْهُ أُمُّهُ سَنَتَيْنِ، وَوُلِدَ وله أَسْنانٌ تَضْحَكُ، ولِذلِكَ سُمِّيَ الضَّحَّاكَ.

حُكِيَ أَنَّهُ ماتَ مُقَيَّدًا في السِّجْنِ، سنَةَ اثْنَتَيْنِ، أو خَمْسٍ ومِئَةٍ بِمَرْوَ، أو بِبَلْخَ.

---

(1) أبو القاسم الضحاك بن مزاحم البلخي الخراساني (ت.105هـ).

(2) وفيات الأعيان: 5/ 255-256.

(3) أبو روق عطية بن الحارث الهمداني الكوفي، ينظر: الأسامي والكنى، للحاكم: 3/ 289.

(4) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 239.

وطَريقُ الْعَوفِيِّ عن ابْنِ عَبَّاسٍ، أَخْرَجَ منها ابْنُ جَريرٍ وابْنُ أبي حاتِمٍ كَثيرًا؛ والْعَوفِيُّ ضَعيفٌ ليس بِوَاهٍ، ورُبَّما حَسَّنَ له التِّرْمِذِيُّ.

وأمّا أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ فعنه نُسْخَةٌ كَبيرَةٌ، يَرْويها أبو جَعْفَرٍ الرَّازِيُّ، عن الرَّبيعِ ابن أَنَسٍ، عن أبي الْعالِيَةِ، عنه، وهذا إسْنادٌ صَحيحٌ.

وقد أَخْرَجَ ابْنُ جَريرٍ وابْنُ أبي حاتِمٍ منها كَثيرًا، وكذا الْحاكِمُ في مُسْتَدْرَكِهِ، وأَحْمَدُ في مُسْنَدِهِ[1].

وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ الْأَكْبَرُ أَنْصارِيٌّ خَزْرَجِيٌّ، كانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ الْوَحْيَ. وكانَ رَبْعَةً من الرِّجالِ، أبْيَضَ الرَّأْسِ واللِّحْيَةِ، كَنَّاهُ النَّبِيُّ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ أبا الْمُنْذِرِ، وسَأَلَهُ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ عن أعْظَمِ آيَةٍ في الْقُرْآنِ، فقال: آيَةُ الْكُرْسِيِّ، فقال النَّبِيُّ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ: «لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ يا أبا الْمُنْذِرِ»[2].

وكَنَّاهُ عُمَرُ رَضِيَ الله عنه أبا الطُّفَيْلِ؛ وَسَمَّاهُ النَّبِيُّ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ سَيِّدَ الْأَنْصارِ؛ وسَمَّاهُ عُمَرُ رضيَ الله عنه سَيِّدَ الْمُسْلِمينَ.

وهو أَحَدُ الْأَرْبَعَةِ الَّذينَ جمَعوا الْقُرْآنَ على عَهْدِ رَسولِ الله صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ، وهم: أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ، وَزَيْدُ بنُ ثابِتٍ، ومُعاذُ بْنُ جبَلٍ، وأبو زَيْدٍ الْأَنْصارِيُّ.

---

(1) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 239-240.

(2) صحيح مسلم: 1/ 556، رقم: 810، والجمع بين الصحيحين للحميدي: 1/ 411، رقم: 657.

وهو أَحَدُ الْفُقَهاءِ الذين كانوا يُفْتونَ على عَهْدِ رَسولِ الله صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ، وهم سِتَّةٌ: عُمَرُ، وعَلِيٌّ، وعَبْدُ اللهِ، وأُبَيٌّ، وزَيْدٌ، وأبو موسى. وكانَ أَقْرَأَ الصَّحابَةِ لِكِتابِ الله عَزَّ وجَلَّ.

ماتَ بِالْمَدينَةِ سنة تِسْعَ عَشْرَةَ، وقيلَ: عِشْرينَ أو اثْنَتَيْنِ وعِشْرينَ أو ثَلاثينَ، في عَهْدِ عُثْمانَ رَضِيَ الله عنه. رَوَى عنه خَلْقٌ كَثيرٌ، وشَهِدَ بَدْرًا والْعَقَبَةَ[1].

واعْلَمْ أَنَّ من الصَّحابَةِ من وَرَدَ عنه الْيَسيرُ من التَّفْسيرِ غَيْرَ هَؤُلاءِ الْمَذْكورينَ.

منهم: **أَنَسٌ**، وهو **أَنَسُ بنُ مالِكِ بنِ النَّضْرِ**، كُنْيَتُهُ أبو حَمْزَةَ الْخَزْرَجِيُّ، خادِمُ النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ، أُمُّهُ أُمُّ سُلَيْمٍ بِنْتُ مِلْحانَ، واسْمُها مُلَيْكَةُ، ولَقَبُها الرُّمَيْصاءُ[2].

قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ الْمَدينَةَ وهو ابْنُ عَشْرِ سِنينَ، أو تِسْعٍ، أو ثَمانٍ، فَخَدَمَ رَسولَ الله صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ عَشْرًا، أو ثَمانيًا، أو سَبْعًا.

كانَ يُسَمَّى خادِمَ رَسولِ اللهِ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ، وَيَتَسَمَّى وَيَفْتَخِرُ به.

---

(1) معرفة الصحابة لأبي نعيم: 1/ 131، جامع الأصول: 12/ 137.

(2) الرميضاء، في مراد ملا وهو تصحيف.

وَلَمَّا وَرَدَ رَسولُ اللهِ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ الْمَدينَةَ، أُهْدِيَ إليه هَدايَا، وكانَ أَنَسُ يَتيمًا، فَجاءَتْ به أمُّهُ إلى رَسولِ اللهِ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ وقالَتْ: هذا هَدِيَّتِي لك يا رسولَ اللهِ، فَلْيَخْدُمْكَ، فَقَبِلَهُ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ.

كان يَخْضِبُ بِالْحِنَّاءِ أو بِالْوَرْسِ والصُّفْرَةِ، وكانَ يُخَلِّقُ ذِراعَيْهِ بَخَلوقٍ لِلْمَعَةٍ كانَتْ به. وكانَتْ له ذُؤابَةٌ، وكان يَشُدُّ أَسْنانَهُ بالذَّهَبِ، وكانَ راميًا، وكانَ غَزَا معَ رَسولِ اللهِ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ ثَمانِيَ غَزَواتٍ.

وانْتَقَلَ إلى الْبَصْرَةِ في خِلافَةِ عُمَرَ رضي الله عنه لِيُفَقِّهَ النَّاسَ بها، وهو آخِرُ من ماتَ بِالْبَصْرَةِ من الصَّحابَةِ، سنة إحْدَى وتِسْعينَ، وقيلَ: سَنَةَ تِسْعينَ، أو اثْنَتَيْنِ وتِسْعينَ، وله من الْعُمُرِ مِئَةٌ وثَلاثُ سِنينَ، أو مِئَةٌ وسَنَتانِ، أو تِسْعٌ وتِسْعونَ. قال ابْنُ عبدِ الْبَرِّ: وهو أَصَحُّ.

يُقالُ: إنه وُلِدَ له مِئَةُ وَلَدٍ، وقيلَ: ثَمانونَ، منهم ثَمانِيَةٌ وَسَبْعونَ ذَكَرًا، واثْنَتانِ أنْثَى، إحْداهُما حَفْصَةُ، والأُخْرَى أمُّ عَمْرٍو.

وَقيلَ: وُلِدَ له بِضْعَةٌ وَعِشْرونَ ومِئَةٌ[1].

يُقالُ: رَكبَ في حَياتِهِ من صُلْبِهِ مِئَةُ فارِسٍ.

رَوَى عنه خَلْقٌ كَثيرٌ.

(1) جامع الأصول: 12/ 148.

ومنهم: أبو هُرَيْرَةَ، واخْتُلِفَ في اسْمِهِ، واسْمِ أَبيهِ - في الْجاهِلِيَّةِ والْإِسْلامِ - على تِسْعَ عَشْرَةَ أَقْوالٍ[1]: عَبْدُ اللهِ بْنُ عائِذٍ، أو عَبْدُ اللهِ بْنُ غَنْمٍ، أو عَبْدُ شَمْسٍ، أو عَبْدُ نُهْمٍ، أو عَمْرُو بنُ عَبْدِ غَنْمٍ، أو عامِرُ بْنُ عَبْدِ شَمْسٍ، أو عَبْدُ يالِيلَ، أو عَبْدُ الْعُزَّى، أو عامِرُ بْنُ عُمَيْرٍ، أو عُمَيْرُ بنُ عامِرٍ، أو سَعْدُ[2] بنُ الْحارِثِ، أو سُكَيْنُ بْنُ رُزْنَةَ[3]، أو سُكَيْنُ، بل أو سَكَنُ بن صَخْرٍ، أو سُكَيْنُ ابنُ هانِئٍ، أو عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو، أو عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ صَخْرٍ، أو عَبْدُ الرَّحْمنِ ابنُ غَنْمٍ، أو أبو الْأَسْوَدِ، كُنْيَتُهُ واسْمُه مَعًا في الْجاهِلِيَّةِ.

إِلَّا أنَّ أشْهَرَ ما قيلَ فيه، أَنَّهُ كانَ في الْجاهِلِيَّةِ عَبْدَ شَمْسٍ، أو عَبْدَ عَمْرٍو؛ وفي الْإِسْلامِ عبدَ اللهِ، أو عَبْدَ الرَّحْمنِ، وهو دَوْسِيٌّ.

قالَ الْحاكِمُ أبو أَحْمَدَ: أَصَحُّ شَيْءٍ عندنا في اسْمِ أبي هُرَيْرَةَ: عَبْدُ الرَّحْمنِ ابْنُ صَخْرٍ، وَغَلَبَتْ عليه كُنْيَتُهُ، فهو كَمَنْ لا اسْمَ له. وإِنَّما سُمِّيَ أبا هُرَيْرَةَ، لأَنَّهُ كانَتْ له هِرَّةٌ صَغيرَةٌ يَحْمِلُها معه.

كانَ رَجُلًا أَبْيَضَ لَيِّنًا، كان يَخْضِبُ بِالْحِنَّاءِ، وَيَلْبَسُ الْكَتَّانَ الْمُمَشَّقَ، كانَ من أَهْلِ الصُّفَّةِ[4]. أَسْلَمَ عامَ خَيْبَرَ، وَشَهِدَها مع النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ،

---

(1) كذا في النسخ الخطية.

(2) سعيد، في أنطاليا.

(3) سكين بن دَرْمَةَ، في معرفة الصحابة لأبي نعيم: 4/ 1885.

(4) الصُّفّةُ: واحدة صفف الدّار، قال الدارقطني: هي ظلّة كان المسجد في مؤخرها. موضع مظلل في مسجد المدينة كان يأوي إليه فقراء المهاجرين الذين لم يكن لهم منزل يسكنونه. النهاية في غريب الحديث: صفف، معجم البلدان: 3/ 414.

ثُمَّ لَزِمَهُ ثَلاثَ سِنينَ، وَواظَبَ عليه رَاغبًا في الْعِلْمِ، رَاضيًا بِشِبَعِ بَطْنِهِ. وكانَ يَدورُ معه حَيْثُما دَارَ، وَيَحْضُرُ ما لا يَحْضُرُهُ أَحَدٌ منهم، لِمُلازَمَتِهِ[1] النَّبِيَّ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ.

رَوَى الْبُخارِيُّ عنه أَنَّهُ قالَ: «قُلْتُ: يا رَسولَ اللهِ، أَسْمَعُ منكَ أَشْياءَ فلا أَحْفَظُها، قالَ: ابْسُطْ رِداءَكَ، فَبَسَطْتُهُ، فَبَسَطَ حَديثًا كَثيرًا، فما نَسيتُ شَيْئًا حَدَّثَنِي به»[2].

ذَكَرَ الْإِمامُ أبو بَكْرِ السَّمْعانِيُّ، عن إِسْحاقَ ابْنِ راهَوَيْهِ، قال: الْأَحاديثُ الثَّابِتَةُ عن رَسولِ الله صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ في الْأَحْكامِ ثَلاثَةُ آلافٍ، خَمْسُمِئَةٍ منها مَدارُها على أبي هُرَيْرَةَ.

قال الْبُخارِيُّ: رَوَى عنه أَكْثَرُ من ثَمانمِئَةِ رَجُلٍ من بين صَحابِيٍّ وتابِعِيٍّ؛ فمنهم: ابْنُ عَبَّاسٍ، وابْنُ عُمَرَ، وجابِرٌ، وأَنَسٌ.

تُوُفِّيَ بِالْمَدينَةِ، أو بِالْعَقِيقِ، في أَيَّامِ مُعاوِيَةَ، سنَةَ تِسْعٍ أو ثَمانٍ، أو سَبْعٍ وَخَمْسينَ، وهو ابْنُ ثَمانٍ وَسَبْعينَ سَنَةً. حَدَّثَ بالشَّامِ والْعِراقِ والْبَحْرَيْنِ[3].

ومنهم: ابْنُ عُمَرَ، وهو عبدُ الله بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، الْقُرَشِيُّ الْعَدَوِيُّ، أَسْلَمَ مع أَبيهِ بِمَكَّةَ وهو صَغيرٌ، ولم يَشْهَدْ بَدْرًا، وَاخْتَلَفوا في شُهودِهِ أُحُدًا؛ وَالصَّحيحُ أن أَوَّلَ مَشاهِدِهِ الْخَنْدَقُ، وَشَهِدَ ما بَعْدَهُ من الْمَشاهِدِ. وأُمُّهُ وأُمُّ

(1) بملازمته، في رئيس الكتاب.
(2) صحيح البخاري: 1/ 35، رقم: 119.
(3) معرفة الصحابة لأبي نعيم: 4/ 1885، جامع الأصول: 12/ 591.

أُخْتِهِ حَفْصَةُ زَوْجُ النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ زَيْنَبُ بِنْتُ مَظْعونٍ. هاجَرَ مع أَبيهِ، وكانَ من أهْلِ الصُّفَّةِ.

كانَ آدَمَ، طُوَالًا، له جُمَّةٌ مَفروقَةٌ تَضرِبُ قَريبًا من مَنْكِبَيْهِ، يَقُصُّ شارِبَهُ حتى يُحْفِيَهُ[1]، وَيُشَمِّرُ إزارَهُ حتى يَكونَ من نِصْفِ السَّاقِ، ويُصَفِّرُ لِحْيَتَهُ، وكانَ من أَهْلِ الْوَرَعِ والْعِلْمِ والزُّهْدِ، شَديدَ التَّحَرِّي والِاحْتِياطِ.

وقالَ جابِرُ بنُ عبدِ اللهِ: ما مِنَّا أَحَدٌ إلا مالَتْ به الدُّنْيا ومالَ بها، ما خَلَا عُمَرَ وابْنَهُ عبدَ اللهِ.

وقالَ مَيْمونُ بْنُ مِهْرانَ: ما رَأَيْتُ أوْرَعَ من ابْنِ عُمَرَ، ولا أَعْلَمَ من ابْنِ عَبَّاسٍ، وكانَ أُعْطِيَ الْقُوَّةَ في الْعِبادَةِ وَالْبِضاعِ، حتى رَوَى مُحَمَّدُ بنُ سِيرينَ أنَّ ابْنَ عُمَرَ رُبَّمَا أَفْطَرَ على الْجِماعِ، وكانَ إذا اشْتَدَّ عُجْبُهُ بشَيْءٍ من مالِهِ قَرَّبَهُ لِرَبِّهِ[2].

وقالَ نافِعٌ: ما ماتَ ابْنُ عُمَرَ حتى أَعْتَقَ أَلْفَ إِنْسانٍ، وكانَ يَمْكُثُ الشَّهْرَ لا يَذوقُ فيه مُزْعَةَ لَحْمٍ إلَّا مُسافِرًا، أو رَمَضانَ، وكان نَقْشُ خاتَمِهِ "عَبْدُ اللهِ للهِ".

وُلِدَ قَبْلَ الْوَحْيِ بِسَنَةٍ. وماتَ سَنَةَ ثَلاثٍ وَسْبعينَ بِمَكَّةَ، بعد أنْ قُتِلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ بثَلاثَةِ أَشْهُرٍ، أو سِتَّةِ أَشْهُرٍ، وَسِنُّهُ يَوْمَ تُوُفِّيَ أَرْبَعٌ أو سِتٌّ وَثَمانونَ

---

(1) يخفيه، في قونية ورئيس الكتاب. ولعل الصواب ما أثبتنا يقال: حَفَا شارِبَه حَفْواً وأَحْفَاه: بالَغَ فِي أَخْذِهِ وأَلْزَقَ حَزَّهُ. اللسان: حفا.

(2) الطبقات الكبرى: 4/ 166.

سنَةً، وَرَوى سَبْعَمِئَةِ حَديثٍ، وَغَزا مع النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ تِسْعَ غَزَواتٍ، وبَعْدَهُ أرْبَعًا. وَرَوَى عنه خَلْقٌ كَثيرٌ[1].

ومنهم: **جابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَرامٍ** - من بَنِي سَلَمَةَ - الْأَنْصارِيُّ. من مَشاهِيرِ الصَّحابَةِ والْمُكْثِرينَ من الرِّوايَةِ، شَهِدَ هو وأبوهُ وخالاهُ بَيْعَةَ الْعَقَبَةِ. شَهِدَ بَدْرًا وما بَعْدَها مع النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ ثَمانِيَ عَشْرَةَ غَزْوَةً. وَيُكْنَى أبا عَبْدِ اللهِ، أو أبا عبدِ الرَّحْمنِ.

رَحَلَ إلى مِصْرَ والشَّامِ، وَجاوَرَ بِمَكَّةَ أَشْهُرًا في أَخْوالِهِ بني سَهْمٍ، وَكُفَّ بَصُرُهُ في آخِرِ عُمُرِهِ، واسْتُشْهِدَ أبوه بِأُحُدٍ، وَتَرَكَ عليه دُيونًا وَتِسْعَ بَناتٍ، فكانَ يَعولُهُنَّ. وهو الذي أَضافَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ رَسولَ الله صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ، وَذَبَحَ داجِنَةً[2]. وله مَناقِبُ كَثيرَةٌ شَهيرَةٌ.

تُوُفِّيَ بِالْمَدينَةِ وهو ابْنُ أَرْبَعٍ وَتِسْعينَ سَنَةً، سَنَةَ أَرْبَعٍ، أو سَبْعٍ وسَبْعينَ، أو ثَمانٍ، أو تِسْعٍ وتِسْعينَ، وصَلَّى عليه أَبانُ بْنُ عُثْمانَ وهو والِي الْمَدينَةِ. وجابِرٌ آخِرُ من ماتَ بِالْمَدينَةِ من الصَّحابَةِ من أَهْلِ الْعَقَبَةِ رَضِيَ الله عنهم[3].

ومنهم: **أبو موسى الْأَشْعَرِيُّ**، وقد عَرَفْتَهُ في القُرَّاءِ.

(1) معرفة الصحابة لأبي نعيم: 3/ 1707، وفيات الأعيان: 3/ 29-31.

(2) داجنته، في قونية. والدَّاجنة: جَمْعٌ داجِن وَهِيَ الشَّاةُ الَّتِي تَعلِفها الناسُ فِي مَنَازِلِهِمْ. اللسان: دجن.

(3) معرفة الصحابة لأبي نعيم: 2/ 529.

ومنهم: عبدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بنِ الْعاصِ، وَرَدَ عنه أَشْياءُ تَتَعَلَّقُ بالتَّفْسيرِ، مما يَتَعَلَّقُ بِالْقَصَصِ والْأَخْبارِ. هو عبدُ الله بْنُ عَمْرِو بنِ الْعاصِ السَّهْمِيُّ الْقُرَشِيُّ. أَسْلَمَ قَبْلَ أَبِيهِ، وكانَ أبوهُ أَكْبَرَ منه بِثَلاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، أو اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سنة، أو عِشْرِينَ. وكانَ عابِدًا عالِمًا حافِظًا، قَرَأَ الْكُتُبَ، واسْتَأْذَنَ النَّبِيَ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ في أنْ يَكْتُبَ حَديثَهُ فَأَذِنَ له. يُكْنَى أبا مُحَمَّدٍ، أو أبا بَصيرٍ، أو أبا عَبْدِ الرَّحْمنِ. وأُمُّهُ رَيْطَةُ بِنْتُ مُنَبِّهِ بنِ الْحَجَّاجِ.

تُوُفِّيَ لَيالِيَ الْحَرَّةِ سَنَةَ ثَلاثٍ، أو خَمْسٍ، أو سَبْعٍ، أو ثَمانٍ وسِتِّينَ، أو ثَلاثٍ وسَبْعِينَ، أو خَمْسٍ وخَمْسينَ؛ قيلَ: بِمَكَّةَ؛ وقيل: بِمِصْرَ؛ وقيلَ: بِالطَّائِفِ. وكانَ حَفِظَ عن النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ أَلْفَ مَثَلٍ، وكانَ قَرَأَ الْكُتُبَ، وكان يَصومُ النَّهارَ، ويَقومُ اللَّيْلَ. وكانَ يُطْفِئُ السِّراجَ ثُمَّ يَبْكِي حتى رَسِعَتْ عَيْناهُ(1).

قُلْتُ: الرَّسَعُ: فَسادٌ في الْأَجْفانِ(2).

قالَ يَعْلَى بْنُ عَطاءٍ عن أُمِّهِ: إِنَّها كانَتْ تَصْنَعُ الْكُحْلَ لِعَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو. وهو من الْعَبادِلَةِ الْأَرْبَعَةِ الذين اسْتَقَرَّ عليهم أَمْرُ الْعِلْمِ في آخِرِ عَهْدِ الصَّحابَةِ؛ هم: عَبْدُ الله بْنُ عَبَّاسٍ، وعَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ، وعبدُ الله بْنُ الزُّبَيْرِ.

---

(1) معرفة الصحابة لأبي نعيم: 3/ 1721.

(2) رَسِعَت عَيْنُهُ: فسَدت وَتَغَيَّرَتْ وَالْتَصَقَتْ أَجْفانُها؛ قَالَ ابْنُ الأَثير: وَتُفْتَحُ سِينُهَا وَتُكْسَرُ وَتُشَدَّدُ. اللسان: رسع.

وأمَّا عبدُ الله بْنُ مَسْعودٍ فلم يُعَدَّ منهم لِتَقَدُّمِ مَوْتِهِ، ولِكَوْنِهِ من شُيوخِ الصَّحابَةِ.

وكانَ تَحْتَ عبدِ الله بْنِ عَمْرٍو عَمْرَةُ بِنْتُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، فَوَلَدَتْ له مُحَمَّدًا، فَوَلَدَ مُحَمَّدٌ شُعَيْبًا، فَوَلَدَ شُعَيْبٌ عَمْرًا، وهو الذي عليه مَدارُ صَحيفَةِ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عن أبيهِ أي مُحَمَّدٍ، عن جَدِّهِ أي عبدِ اللهِ.

وَاعْلَمْ أنَّ الْعَبادِلَةَ عند الْمُحَدِّثينَ هم ما ذَكَرْناهُ آنِفًا.

وأمَّا عند الْفُقَهاءِ، هم: عَبْدُ الله بْنُ مَسْعودٍ، وعبدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، [وَعَبْدُ الله ابْنُ عَمْرٍو][1]، وعَبْدُ اللهِ بنُ عَبَّاسٍ، وعبدُ اللهِ بنُ الزُّبَيْرِ ليس منهم عِنْدَهُمْ.

وَالْحاصِلُ أنَّ عبدَ اللهِ بنَ عَبَّاسٍ وعَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ مِنَ الْعَبادِلَةِ اتِّفاقًا بين[2] الْفَريقَيْنِ.

وأمَّا الْمُحَدِّثونَ: فَيَعُدُّونَ عبدَ الله بْنَ الزُّبَيْرِ معهما؛ والْفُقَهاءُ: يَعُدُّونَ معهما عبدَ اللهِ بنَ مَسْعودٍ دونَ عبدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ. فَاحْفَظْ هذه الْفائِدَةَ فإنَّ فيها نَفْعًا بَيِّنًا لك في مَواضِعَ شَتَّى.

إذا عَرَفْتَ طَبَقاتِ الْمُفَسِّرينَ من الصَّحابَةِ فَلْنَذْكُرْ طَبَقاتِ التَّابِعينَ:

منهم أَصْحابُ ابْنِ عَبَّاسٍ، وهم عُلَماءُ مَكَّةَ.

---

(1) زيادة من أنطاليا.

(2) من، في قونية.

فَمِنَ الْمُبَرِّزينَ منهم:

مُجاهِدٌ، وهو الَّذِي قالَ: عَرَضْتُ الْقُرْآنَ على ابْنِ عَبَّاسٍ ثَلاثينَ مَرَّةً.

قالَ الثَّوْرِيُّ: إذا جاءَكَ التَّفْسيرُ عن مُجاهِدٍ فَحَسْبُكَ به.

وَاعْتَمَدَ على تَفْسيرِهِ الشَّافِعِيُّ والْبُخارِيُّ وغَيْرُهُما من أَهْلِ الْعِلْمِ. وقد عَرَفْتَ تَرْجَمَةَ مُجاهِدٍ في الْقُرَّاءِ.

ومنهم: **سَعيدُ بْنُ جُبَيْرٍ**. وقد عَرَفْتَهُ أيْضًا.

قال سُفْيانُ الثَّوْرِيُّ: خُذُوا التَّفْسيرَ عن أَرْبَعَةٍ: عن سَعيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَمُجاهِدٍ، وَعِكْرِمَةَ، والضَّحَّاكِ.

قالَ قَتادَةُ: أَعْلَمُ التَّابِعينَ أَرْبَعَةٌ، أَعْلَمُهُمْ بِالْمَناسِكِ عَطاءُ بْنُ أبي رَباحٍ، وأَعْلَمُهُمْ بِالتَّفْسيرِ سَعيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وأَعْلَمُهُمْ بالسِّيَرِ عِكْرِمَةُ، وَأَعْلَمُهُمْ بالْحَلالِ والْحَرامِ الْحَسَنُ.

ومنهم: **عِكْرِمَةُ**، وقد عَرَفْتَهُ أيْضًا. هو مَوْلى ابْنِ عَبَّاسٍ.

قال الشَّعْبِيُّ: ما بَقِيَ أَحَدٌ أَعْلَمَ بِكِتابِ الله من عِكْرِمَةَ.

وقال عِكْرَمَةُ: كُلُّ شَيْءٍ أُحَدِّثُكُمْ في الْقُرْآنِ فهو عن ابْنِ عَبَّاسٍ.

وقالَ: كانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَجْعَلُ في رِجْلِي الْكَبْلَ، وَيُعَلِّمُنِي الْقُرْآنَ والسُّنَنَ.

ومنهم: **طَاوُسُ بْنُ كَيْسانَ**، **وعَطاءُ بنُ أبي رَباحٍ** من أَصْحابِ ابْنِ عَبَّاسٍ وغَيْرُ هؤلاءِ.

ومن التَّابِعينَ أَصْحابُ ابْنِ مَسْعودٍ، وهم عُلَماءُ الْكوفَةِ. وقد مَرَّ تَفْصيلُهُمْ في الْقُرَّاءِ.

ومن التَّابِعِينَ أصْحابُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ؛ كَعَبْدِ الرَّحْمنِ بنِ زَيْدٍ، ومالِكِ بْنِ أَنسٍ. وقد ذُكِرَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، وسَتَعْرِفُ مالِكَ بْنَ أَنَسٍ في طَبَقاتِ الْفُقَهاءِ.

ومن التَّابِعينَ: الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَعَطاءُ بْنُ أبي رَباحٍ، وعَطاءُ بْنُ مَيْسَرَةَ الْخُراسانِيُّ، ومُحَمَّدُ بنُ كَعْبٍ الْقَرَظِيُّ، وأبو الْعالِيَةِ، والضَّحَّاكُ بنُ مُزاحِمٍ، وَعَطِيَّةُ الْعَوفِيُّ، وَقَتادَةُ، وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، وَمُرَّةُ الْهَمْدَانِيُّ، وأبو مالِكٍ، والرَّبيعُ ابْنُ أَنَسٍ، وعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، والسُّدِّيُّ في آخَرينَ. وقد عَرَفْتَ بعْضًا من هؤلاء الْمَذْكورينَ.

وأمَّا الَّذينَ لم نَذْكُرْهُمْ فهم:

عَطاءُ بْنُ مَيْسَرَةَ الْخُراسانِيُّ، أبو عُثْمانَ، أَصْلُهُ من بَلْخَ. وكان يُحْيِي اللَّيْلَ كُلَّهُ. وكان يَقولُ: أَوْثَقُ عَمَلي في نَفْسي نَشْرِي الْعِلْمَ.

وأمَّا مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقَرَظِيُّ، أبو حَمْزَةَ، أو أبو عبد الله، فهو تابِعِيٌّ. وُلِدَ في حَياةِ النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وسَلَّمَ، وقيلَ: رَآهُ. نَزَلَ سنة أَرْبَعينَ الْكوفَةَ، ثُمَّ رَجَعَ إلى الْمَدينَةِ.

رَوَى عن فَضالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ، وعائِشَةَ، وأبي هُرَيْرَةَ، وغيرِهِمْ. رَوَى عنه ابْنُ الْمُنْكَدِرِ، وَيَزيدُ ابنُ الْهادِ، والْوَليدُ بْنُ كَثيرٍ، وخَلْقٌ.

قال عَوْنُ بنُ عبد اللهِ: ما رَأَيْتُ أَحَدًا أعْلَمَ بِتَأْويلِ الْقُرْآنِ من الْقَرَظِيِّ، كان يَقُصُّ في الْمَسْجِدِ، فَسَقَطَ عليه وعلى أَصْحابِهِ سَقْفٌ، **فماتوا** سنة ثَمانٍ ومِئَةٍ، أو سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ، أو عِشْرينَ ومِئَةٍ(1).

وأما أبو الْعالِيَةِ، فهو رُفَيْعُ بنُ مِهْرانَ، أبو الْعالِيَةِ الرِّياحِيُّ، مولاهم الْبَصْرِيُّ، من كِبارِ التَّابِعينَ. أَسْلَمَ بعد النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ بِسَنَتَيْنِ، ودَخَلَ على أبي بَكْرٍ، وَصَلَّى خَلْفَ عُمَرَ. رَوَى عن عُمَرَ، وأُبَيٍّ، وابْنِ عَبَّاسٍ، وَزَيْدِ بنِ ثابِتٍ، وعنه عاصِمٌ الْأَحْوَلُ وغَيْرُهُ.

قالَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ سِيرينَ: سَمِعْتُهُ يَقولُ: قَرَأْتُ الْقُرْآنَ على عُمَرَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ. أَدْرَكَ زَمَنَ النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ.

تُوُفِّيَ سنة تِسْعينَ.

قالَ أبو بَكْرِ بْنُ أبي داودَ: ليسَ أَحَدٌ بعد الصَّحابَةِ أَعْلَمَ بِالْقُرْآنِ منه، وبَعْدَهُ سَعيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وبَعْدَهُ السُّدِّيُّ، وبَعْدَهُ الثَّوْرِيُّ(2).

وكانَ أبو الْعالِيَةِ مَزَّاحًا، وَسُئِلَ عن قَتْلِ الذَّرِّ(3)، فَجَمَعَ منهن شَيْئًا كَثيرًا، وقالَ: مَساكينُ ما أَكْيَسَهُنَّ، ثُمَّ قَتَلَهُنَّ وضَحِكَ(4).

---

(1) غاية النهاية: 2/ 233.

(2) المصدر نفسه: 1/ 284-285.

(3) الذَّرُّ: النَّمْلُ الأحمر الصَّغيرُ، وَاحِدَتُها ذَرَّةٌ. اللسان: ذرر.

(4) المعارف: 1/ 454.

وَأَمَّا عَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ، فهو عَطِيَّةُ بنُ سَعيدِ بْنِ جَنادَةَ الْعَوْفِيُّ، أبو الْحَسَنِ الْجَدَلِيُّ الْكُوفِيُّ. رَوَى عن أبي هُرَيْرَةَ، وابْنِ عَبَّاسٍ وغَيْرِهِما.

قالَ مُطَيِّنٌ: **تُوُفِّيَ** سَنَةَ إحْدَى عَشْرَةَ وَمِئَةٍ[1].

وأَمَّا قَتادَةُ، فهو ابن دِعامَةَ، يُكْنَى أبَا الْخَطَّابِ السَّدوسِيُّ الْأَعْمى الْحافِظُ.

قالَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْمُزَنِيُّ: من أَرادَ أن يَنْظُرَ إلى أَحْفَظِ أَهْلِ زَمانِهِ، فَلْيَنْظُرْ إلى قَتادَةَ، ما أَدْرَكْنا الذي هو أَحْفَظُ منه.

وقالَ قَتادَةُ: ما سَمِعَتْ أُذُنايَ شَيْئًا قَطُّ إلَّا وَعاهُ قَلْبِي.

وقالَ: لا يُقْبَلُ قَوْلٌ بلا عَمَلٍ، فمن أَحْسَنَ الْعَمَلَ قَبِلَ اللهُ قَوْلَهُ.

رَوَى عن عَبْدِ اللهِ بنِ سَرْجِسَ، وَأَنَسٍ، وَخَلْقٍ سِواهُما، وعنه أَيُّوبُ، وَشُعْبَةُ، وأبو عَوانَةَ وغَيْرُهُمْ.

ماتَ سنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ ومِئَةٍ.

وأَمَّا مُرَّةُ الْهَمْدانِيُّ [...][2].

---

(1) تاريخ الإسلام: 3/ 281.

(2) بياض في الأصل. مُرَّةُ بْنُ شَراحِيلَ، الْهَمْدَانِيُّ، الطَّيِّبُ، وَيُقَالُ: مُرَّةُ الخَيْرِ، أبو إسماعيلَ الكُوفِيُّ، روى عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، رَوَى عَنْهُ عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ، وَأَبُو إِسْحَاق. التاريخ الكبير: 8/ 5.

وأمَّا أبو مالِكٍ [...][1].

وأما الرَّبيعُ بْنُ أَنَسٍ، كانَ من أَهْلِ الْبَصْرَةِ من بني بَكْرِ بنِ وائِلٍ. لَقِيَ ابْنَ عُمَرَ وجابِرًا أو أَنَسَ بْنَ مالِكٍ. وَهَرَبَ من الْحَجَّاجِ، فَأَتى مَرْوَ، فَسَكَنَ قَرْيَةً منها، ثُمَّ طُلِبَ بِخُراسانَ حين ظَهَرَتْ دَوْلَةُ بني الْعَبَّاسِ فَتَغَيَّبَ، فَخَلَصَ إليه عَبْدُ الله بْنُ الْمُبارَكِ ـ وهو مُسْتَخْفٍ فَسَمِعَ منه أَرْبَعينَ حَديثًا.

وكانَ عبدُ الله يَقولُ: ما يَسُرُّنِي بها كَذَا وكَذَا لِشَيْءٍ سَمَّاهُ.

ماتَ في خِلافَةِ أبي جَعْفَرٍ، واسْتُخْلِفَ هو سَنَةَ سِتٍّ وثَلاثين ومِئَةٍ. وَمُدَّةُ خِلافَتِهِ اِثْنانِ[2] وَعِشْرونَ سَنَةً[3].

وأمَّا عَبْدُ الرَّحْمنِ بنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ الْمَدَنِيُّ، فَرَوَى عن أَبيهِ، وابْنِ الْمُنْكَدِرِ، وعنه قُتَيْبَةُ وهِشامٌ وغَيْرُهُما. والنُّقادُ ضَعَّفوهُ.

ماتَ سنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمانينَ ومِئَةٍ[4].

---

(1) بياض في الأصل. لعله سَعْد بْن طارق بْن أشيم أَبُو مالك الأشجعي الكوفِي، سَمِعَ أباه وكثير بْن مدرك، سَمِعَ منه عَبْد الواحد بْن زياد ومروان الفزاري ويزيد بْن هارون وَسُفْيَان وشُعْبَة. التاريخ الكبير: 4/ 58 التاريخ الكبير: 8/ 5.

(2) كذا في النسخ الخطية والصحيح: اثنتان.

(3) المعارف: 1/ 266-267.

(4) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة: 1/ 628.

وأمَّا السُّدِّيُّ [...][1].

ثُمَّ بَعْدَ هذه الطَّبَقَةِ، **أُلِّفَتْ كُتُبُ التَّفاسيرِ** التي تَجْمَعُ أَقْوالَ الصَّحابَةِ والتَّابِعينَ؛ كَتَفْسيرِ **سُفْيانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَوَكِيعِ بْنِ الْجَرَّاحِ، وشُعْبَةَ بْنِ الْحَجَّاجِ، وَيَزيدَ بْنِ هارونَ، وعَبْدِ الرَّزَّاقِ، وَآدَمَ بْنِ أبي إياسٍ، وإِسْحاقَ ابْنِ راهَوَيْهِ، وَرَوْحِ بْنِ عُبادَةَ، وَعَبْدِ بْنِ حُمَيْدٍ، وأبي بَكْرِ بْنِ أبي شَيْبَةَ**، وآخَرينَ.

أَمَّا سُفْيانُ بْنُ عُيَيْنَةَ بْنِ أبي عِمْرانَ مَيْمونٍ الْهِلالِيُّ، مَوْلاهُمْ أبو مُحَمَّدٍ الْكوفِيُّ، ثُمَّ الْمَكِيُّ الْأَعْوَرُ، الْإِمامُ الْمَشْهورُ.

وُلِدَ بِالْكوفَةِ لِلنِّصْفِ من شَعْبانَ سَنَةَ سَبْعٍ وَمِئَةٍ. كانَ إمامًا عالِمًا، ثَبْتًا حُجَّةً، زاهِدًا وَرِعًا، مُجْمِعًا على صِحَّةِ حَديثِهِ وَرِوايَتِهِ.

سَمِعَ الزُّهْرِيَّ وخَلْقًا. **وَرَوَى عنه** الْأَعْمَشُ والثَّوْرِيُّ وَشُعْبَةُ والشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ وَخَلْقٌ كَثيرٌ.

قال الشَّافِعِيُّ: لولا مالِكٌ وسُفْيانُ لَذَهَبَ عِلْمُ الْحِجازِ.

ماتَ بِمَكَّةَ أَوَّلَ يَوْمِ رَجَبٍ سنَةَ ثَمانٍ وَتِسْعينَ ومِئَةٍ، وَدُفِنَ بِالْحَجونِ. وكانَ حَجَّ سَبْعينَ حَجَّةً. وقيل: ثَمانينَ حَجَّةً[2].

---

(1) بياض في الأصل. إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السُّدِّيُّ - بضم السين المهملة وتشديد الدال المهملة - أبو محمد الحجازي الكوفي الأعور. ينظر: تاريخ ابن معين: 3/ 338، تاريخ البخاري: 1/ 373، تاريخ الإسلام: 3/ 371.

(2) جامع الأصول: 12/ 467، وفيات الأعيان: 2/ 391.

وأمَّا وَكيعُ بْنُ الْجَرَّاحِ الْكوفِيُّ، فهو من قَيْسِ عَيْلانَ، وقيلَ: أَصْلُهُ من قَرْيَةٍ من قُرَى نَيْسابورَ.

سَمِعَ هِشامَ بْنَ عُرْوَةَ، والْأَوْزاعِيَّ، والثَّوْرِيَّ، وغَيْرَهُمْ. **وَرَوَى عنه** عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبارَكِ، وأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَيَحْيَى بْنُ مَعينٍ، وعَلِيٌّ ابْنُ الْمَدِينِيِّ، وَخَلْقٌ كَثيرٌ سِواهُمْ.

قَدِمَ بَغْدادَ، وَحَدَّثَ بها، وهو من مَشايِخِ الْحَديثِ الثِّقاتِ، الْمَعْمولِ بِحَديثِهِمْ، الْمَرْجوعِ إلى قَوْلِهِمْ. كان يُفْتِي بِقَوْلِ أبي حَنيفَةَ، وكانَ قد سَمِعَ منه شَيْئًا كَثيرًا.

وُلِدَ سنة تِسْعٍ وعِشْرينَ وَمِئَةٍ وماتَ سنَةَ سَبْعٍ وتِسْعينَ ومِئَةٍ يوْمَ عاشوراءَ[1].

وأمَّا شُعْبَةُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ وَرْدٍ، يُكْنَى أبا بِسْطامٍ، مَوْلى الْأَشاقِرِ[2] عُتَّاقِهِ، وكانَ أَسَنَّ من الثَّوْرِيِّ بِعَشْرِ سِنينَ.

وَتُوُفِّيَ بالْبَصْرَةِ سَنَةَ سِتِّينَ وَمِئَةٍ، وهو ابْنُ خَمْسٍ وَسَبْعينَ سَنَةً.

وكانَ يَقولُ: واللهِ لَأَنَا في الشِّعْرِ أَسْلَمُ مِنِّي في الْحَديثِ، ولو أَرَدْتُ اللهَ ما خَرَجْتُ إِلَيْكُمْ، ولو أَرَدْتُمُ اللهَ ما جِئْتُمونِي، ولكِنَّا نُحِبُّ الْمَدْحَ، وَنكْرَهُ الذَّمَّ[3].

---

(1) جامع الأصول: 12/ 971.

(2) الأشاقِرُ: رهط كَعب الأشقريّ الشاعر. والأشقر: هو أسعد بن مالك ابن عَمرو بن مالك بن فهم، ومن مواليهم: مقاتلٌ صاحبُ التَّفسير، وشُعْبة بن الحجّاج الفقيه. الاشتقاق: 501.

(3) المعارف: 1/ 501، وفيات الأعيان: 2/ 270.

وأمَّا يَزيدُ بْنُ هارونَ السُّلَمِيُّ، مولاهم، الْواسِطِيُّ، رَوَى عن جَماعَةٍ، وعنه أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وعَلِيُّ ابْنُ الْمَدينِيِّ، وغَيْرُهُما.

قَدِمَ بَغْدادَ، وَحَدَّثَ بها، ثُمَّ عادَ إلى واسِطٍ، **وماتَ** بها.

وُلِدَ سَنَةَ ثَمانِيَ عَشْرَةَ ومِئَةٍ.

قال ابْنُ الْمَدينِيِّ: لَمْ أَرَ أَحَدًا أَحْفَظَ من ابْنِ هارونَ، وكانَ عالِمًا بِالْحَديثِ، حافِظًا ثِقَةً، زاهِدًا عابِدًا.

ماتَ سنةَ سَبْعَ عَشْرَةَ ومِئَتَيْنِ[1].

وأمَّا عبدُ الرَّزَّاقِ بْنُ هَمَّامٍ[2]، يُكْنَى أبا بَكْرٍ، أَحَدُ الْأَعْلامِ. رَوَى عنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، ومَعْمَرٍ، وغَيْرِهِما، وعنه أَحْمَدُ وإسْحاقُ والزُّهْرِيُّ. وصَنَّفَ الْكُتُبَ.

ماتَ سَنَةَ إحْدَى عَشْرَةَ ومِئَتَيْنِ، وله خَمْسٌ وَثَمانونَ سَنَةً.

وأمَّا آدَمُ بنُ أبي إياسٍ، فهو آدَمُ الْعَسْقَلانِيُّ، من أَهْلِ مَرْوِ الرُّوذِ[3]، طَلَبَ الْحَديثَ بِبَغْدادَ، وَسَمِعَ شُعْبَةَ سَماعًا كَثيرًا، ثُمَّ انْتَقَلَ فنَزَلَ عَسْقلانَ، **وماتَ** بها سنَةَ عِشْرينَ ومِئَتَيْنِ. وكانَ وَرَّاقًا، وكانَ قَصيرًا[4].

---

(1) جامع الأصول: 12/ 1013.

(2) ستتكرر الترجمة باللفظ نفسه في الصفحة الموالية.

(3) مَرْوُ الرُّوذ: المرو: الحجارة البيض تقتدح بها النار، والروذ، بالذال المعجمة: هو بالفارسية النهر، فكأنه مرو النهر، وهي على نهر عظيم فلهذا سميت بذلك. معجم البلدان: 5/ 112.

(4) المعارف: 1/ 524.

وأمَّا إسْحاقُ ابْنُ راهَوَيْهِ، فهو أبو يَعْقوبَ إسْحاقُ بْنُ إبْراهيمَ النَّخَعِيُّ، الْمَعْروفُ بابْنِ راهَوَيْهِ. أَحَدُ أرْكانِ الْمُسْلِمينَ، وعَلَمٌ من أَعْلامِ الدِّينِ، وممن جَمَعَ بين الْحَديثِ والْفِقْهِ، والإِتْقانِ والْحِفْظِ، والصِّدْقِ والْوَرَعِ.

طافَ خُراسانَ والْعِراقَ والْحِجازَ والْيَمَنَ والشَّامَ في طَلَبِ الْعِلْمِ. ثُمَّ اسْتَوْطَنَ نَيْسابورَ إلى أنْ ماتَ بها في سَنَةِ ثَمانٍ وثَلاثينَ ومِئَتَيْنِ، وهو ابْنُ أَرْبَعٍ وَسَبْعينَ سَنَةً. وفَضائِلُهُ أَكْثَرُ من أن تُحْصَى.

سَمِعَ سُفْيانَ بنَ عُيَيْنَةَ، وَوَكيعًا، وَخَلْقًا كَثيرًا من الْأَئِمَّةِ. رَوَى عنه الْبُخارِيُّ وَمُسْلِمٌ والتِّرْمِذِيُّ وجَماعَةٌ كَثيرَةٌ من الْأَئِمَّةِ الْأَعْلامِ[1].

وأمَّا رَوْحُ بْنُ عُبادَةَ [...][2].

وأما عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ [...][3].

---

(1) جامع الأصول: 12/ 173.

(2) بياض في الأصل. روح بْن عبادة بن العلاء، أَبُو مُحَمَّد القيسي الْبَصْرِيّ، قَالَ ابْن المثنى: مات سنة خمس ومائتين، سَمِعَ شُعْبَة ومالكا وابْن أَبِي عروبة والأوزاعي وابن جريج وغيرهم، سَمِعَ منه أحمد بن حنبل وأبو خيثمة وابن المديني وإسحاق بن راهويه وغيرهم. التاريخ الكبير: 3/ 309، تاريخ بغداد: 9/ 385، الكمال في تهذيب الرجال: 4/ 496.

(3) بياض في الأصل. أبو محمد عبد بن حميد الكشي (ت.249هـ)، روى عن: عبد الرزاق بن همام، وأبي عاصم النبيل، ويزيد بن هارون، ومحمد بن بشر العبدي، وأبي نُعيم، وأبي داود الحَفْري، وغيرهم، روى عنه: مسلم فأكثر- والترمذي، وغيرهما. الكمال في أسماء الرجال: 6/ 376، تهذيب الكمال: 18/ 524.

وأما أبو بَكْرِ بْنُ أبي شَيْبَةَ [...][1].

ثُمَّ بعدَ هؤلاءِ الطَّبَقَةِ طَبَقَةٌ أُخْرَى، منهم: **عَبْدُ الرَّزَّاقِ، والْمُفَضَّلُ، وعَلِيُّ ابنُ أبي طَلْحَةَ** وغَيْرُهُمْ.

ثُمَّ ابْنُ جَريرٍ الطَّبَرِيُّ، وكِتابُهُ أَجَلُّ التَّفاسيرِ وأَعْظَمُهَا.

ثُمَّ ابْنُ أبي حاتِمٍ، وابْنُ ماجَهْ، والْحاكِمُ، وابْنُ مَرْدَوَيْهِ، وأبو الشَّيْخِ بنُ حَيَّانَ، وابْنُ الْمُنْذِرِ في آخَرينَ.

أَمَّا عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ هَمَّامٍ، يُكْنَى أبا بَكْرٍ أَحَدُ الْأَعْلامِ. رَوَى عن ابْنِ جُرَيْجٍ، وَمَعْمَرٍ، وغيرِهِمَا. وعنه أَحْمَدَ وإسْحاقَ والزُّهْرِيِّ. وَصَنَّفَ الْكُتُبَ.

ماتَ سَنَةَ إحْدَى عَشْرَةَ ومِئَتَيْنِ، وله خَمْسٌ وثَمانونَ سَنَةً.

وأَمَّا الْمُفَضَّلُ، فهو الْمُفَضَّلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَصْبَهانِيُّ، أبو الْقاسِمِ الرَّاغِبُ، صاحِبُ الْمُصَنَّفاتِ. كانَ في أَوائِلِ الْمِئَةِ الْخامِسَةِ[2].

له: "مُفْرَداتُ الْقُرْآنِ"، و"أَفانِينُ الْبَلاغَةِ"، و"الْمُحاضَراتُ".

قالَ السُّيوطِيُّ: وَقَفْتُ على هذه الثَّلاثَةِ.

---

(1) بياض في الأصل. أَحْمَدُ بْنُ محمد بْن شبيب بن زياد البغداديّ البزّاز، أبو بَكْر بْن أَبِي شَيْبة (ت.317هـ). سَمِعَ: عَبْد الله بْن هشام الطُّوسيّ، وأبا حفص الفلّاس، ومحمد بن عمرو بن حنان. وَعَنْهُ: أبو عمر بن حيويه، وأبو حفص بْن شاهين، وأبو بَكْر بْن شاذان. ينظر: تاريخ بغداد: 6/ 172، غنية الملتمس ايضاح الملتبس: 458-459، تاريخ الإسلام: 7/ 318.

(2) توفي الراغب سنة 502هـ فيصعب أن يعيش في أوائل المئة الخامسة، إلا إذا كان من المعمرين.

قُلْتُ: وَقَفْتُ له أيْضًا على كِتابِ "**تَفْصيلُ النَّشْأَتَيْنِ**"، وهو كِتابٌ لَطيفٌ لا يُمْكِنُ أحْسَنُ منه في بابِهِ، وجامِعٌ لِلْفَوائِدِ الشَّريفَةِ. وكتابُ "**الذَّريعَةُ في مَحاسِنِ الشَّريعَةِ**"، و"**كِتابُ الأخْلاقِ**". والْكُلُّ بالِغٌ نِهايَةَ الْحُسْنِ، بحيثُ لا يُمْكِنُ لِمادِحِها قَضاءُ حَقِّهَا.

قال السُّيوطِيُّ: وقد كانَ في ظَنِّي أنَّ الرَّاغِبَ مُعْتَزِلِيٌّ، حتى رَأَيْتُ بِخَطِّ الشَّيْخِ بَدْرِ الدِّينِ الزَّرْكَشِيِّ، على ظَهْرِ نُسْخَةٍ من **الْقَواعِدِ الصُّغْرَى** لابْنِ عبدِ السَّلامِ ما نَصُّهُ: ذَكَرَ الْإمامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ في **تَأْسيسِ التَّقْدِيسِ في الْأُصولِ**: أنَّ أبا الْقاسِمِ الرَّاغِبَ من أئِمَّةِ السُّنَّةِ، وَقَرَنَهُ بِالْغَزالِيِّ، قالَ: وهي فائِدَةٌ حَسَنَةٌ، فإنَّ كَثيرًا من النَّاسِ يَظُنُّونَ أنَّهُ مُعْتَزِلِيٌّ[1].

قُلْتُ: سِيَّمَا والْمُزَكِّي الْإمامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ.

وأمَّا عَلِيُّ بْنُ طَلَحَةَ [...][2].

وأمَّا ابْنُ جَريرٍ: فهو مُحَمَّدُ بْنُ جَريرِ بْنِ يَزيدَ، الْإمامُ أبو جَعْفَرٍ الطَّبَرِيُّ الْآمُلِيُّ[3] الْبَغْدادِيُّ، أحَدُ الْأعْلامِ، وصاحِبُ التَّفْسِيرِ والتَّاريخِ والتَّصانِيفِ.

---

(1) بغية الوعاة: 297.

(2) بياض في الأصل. علي بن طلحة بن محمد أبو الحسن البصري ثم البغدادي، مقرئ مشهور، ثقة، قرأ على أبي القاسم عبد الله بن اليسع وعبد العزيز بن عصام ومحمد بن أحمد بن محمد المؤدب، وإبراهيم بن أحمد بن جعفر الخرقي، وغيرهم، روى عنه أبو بكر الخطيب. غاية النهاية: 1/ 546.

(3) نسبة إلى آمل بضم الميم واللام: اسم أكبر مدينة بطبرستان. معجم البلدان: 1/ 57.

وُلِدَ بآمُلِ طَبَرِستانَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرينَ وَمِئَتَيْنِ، وَرَحَلَ لِطَلَبِ الْعِلْمِ وله عِشْرونَ سنَةً. قَرَأَ على كَثيرينَ، وتَفَقَّهَ عليه خَلْقٌ كَثيرٌ.

قالَ الْخَطيبُ: كانَ أَحَدَ أَئِمَّةَ الْعِلْمِ، يُحْكَمُ بِقَوْلِهِ، ويُرْجَعُ إلى رَأْيِهِ، لِمَعْرِفَتِهِ وفَضْلِهِ، وكانَ قد جَمَعَ [من العلوم][1] ما لم يُشارِكْهُ أَحَدٌ من أَهْلِ عَصْرِهِ، وكانَ حافِظًا لِكِتابِ اللهِ، عارِفًا بِالْقِراءاتِ، بَصيرًا بِالْمَعانِي، فَقيهًا في أَحْكامِ الْقُرْآنِ، عالِمًا بِالسُّنَنِ وطُرُقِها، صَحيحِها وَسَقيمِها، ناسِخِها وَمَنْسوخِها، عارِفًا بِأَقْوالِ الصَّحابَةِ والتَّابِعينَ، عارِفًا بأَيَّامِ النَّاسِ وأَخْبارِهِمْ.

وله كِتابُ "تَهْذيبُ الآثارِ"، لَمْ أَرَ مِثْلَهُ في مَعْناهُ، لكن لم يُتِمَّهُ. وله في أُصولِ الْفِقْهِ وَفُروعِهِ كُتُبٌ كَثيرَةٌ، واخْتِيارٌ من أَقاويلِ الْفُقَهاءِ، وَتَفَرَّدَ بِمَسائِلَ حُفِظَتْ عنه.

وقالَ أبو مُحَمَّدٍ عبدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ الْفَرْغانِيُّ صاحِبُ ابْنِ جَريرٍ: إنَّ قَوْمًا من تَلامِذَةِ ابْنِ جَريرٍ، حَسَبُوا له [جَميعَ ما كَتَبَهُ][2] منذُ بَلَغَ الْحُلُمَ إلى أنْ ماتَ، ثُمَّ قَسَّمُوا على تلك الْمُدَّةِ أَوْراقَ مُصَنَّفاتِهِ، فَصارَ لِكُلِّ يَوْمٍ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَرَقَةً.

وقالَ أبو حامِدٍ الْأَسْفَرايينِيُّ إمامُ الشَّافِعِيَّةِ: لو سافَرَ رَجُلٌ إلى الصِّينِ حتى يُحَصِّلَ تَفْسيرَ ابْنِ جَريرٍ لم يَكُنْ كَثيرًا.

تُوُفِّيَ سَنَةَ عَشْرٍ وَثلاثِمِئَةٍ[3].

---

(1) سقط من قونية.

(2) زيادة من أنطاليا.

(3) غاية النهاية: 2/ 107.

وَالْبَواقِي مَعْروفونَ.

ثم انْتَصَبَتْ طَبَقَةٌ بَعْدَهُمْ إلى تَصْنِيفِ تَفاسيرَ مَشْحونَةِ الْفَوائِدِ، مَحْذوفَةِ الْأَسانيدِ، وَبَرَّزوا فيه وَبَرَعوا، مِثْلَ أبي إسْحاقَ الزَّجَّاجِ، وأَبِي عَلِيٍّ الْفارِسِيِّ. وأمَّا أبو بَكْرٍ النَّقَّاشُ، وأبو جَعْفَرٍ النَّحَّاسُ، فَكَثيرًا ما اسْتَدْرَكَ النَّاسُ عليهما، وعلى سَنَنِهِمَا مَكِّيُّ بنُ أبي طالِبٍ، وأبو الْعَبَّاسِ الْمَهْدَوِيُّ، وكُلٌّ مُتْقِنٌ مَأْجورٌ، جَزاهُمُ الله تَعالى عَنَّا خَيْرَ الْجَزاءِ.

أَمَّا إِبراهيمُ بْنُ السَّرِيِّ بْنِ سَهْلٍ: فهو أبو إسْحاقَ الزَّجَّاجُ.

قالَ الْخَطيبُ: كانَ من أَهْلِ الْفَضْلِ والدِّينِ، حَسَنَ الِاعْتِقادِ، جَميلَ الْمَذْهَبِ. كان يَخْرِطُ الزُّجاجَ، ثُمَّ خَدَمَ الْعِلْمَ، وصارَ من الْفُضَلاءِ. وقد مَرَّ تَفْصيلُهُ.

وأَمَّا أبو عَلِيٍّ الْفارِسِيُّ، فَقَدْ عَرَفْتَهُ مُسْتَوْفًى.

وأَمَّا أبو بَكْرٍ النَّقَّاشُ، فهو مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ زِيادِ بْنِ هارونَ، أبو بَكْرٍ الْمَوْصِلِيُّ النَّقَّاشُ، نَزيلُ بَغْدادَ، الْإِمامُ الْمُعَلِّمُ، مُؤَلِّفُ كتابِ "شِفاءُ الصُّدورِ"، في التَّفْسيرِ، مُقْرِئٌ مُفَسِّرٌ.

وُلِدَ سَنَةَ سِتٍّ، أو خَمْسٍ وسِتِّينَ وَمِئَتَيْنِ، طافَ الْأَمْصارَ، وَتَحَوَّلَ في الْبُلْدانِ، وَكَتَبَ الْحَديثَ، وقَيَّدَ السُّنَنَ، وَصَنَّفَ الْمُصَنَّفاتِ في الْقِراءاتِ والتَّفْسيرِ وغَيْرِ ذلك.

من ذلك: "الْإِشارَةُ في غَريبِ الْقُرْآنِ"، و"الْمُوَضِّحُ في الْقُرْآنِ وَمَعانيهِ"، و"دَلائِلُ النُّبُوَّةِ"، والْمُعَجَمُ في أَسْماءِ الْقُرَّاءِ، الْأَكْبَرُ، وَالأَوْسَطُ، والْأَصْغَرُ. وكِتابُ السَّبْعَةِ بِعِلَلِها، الْأَكْبَرُ، وَالأَوْسَطُ، والْأَصْغَرُ.

وَطالَتْ أَيّامُهُ، فَانْفَرَدَ بالْإمامَةِ في صِناعَتِهِ، مع ظُهورِ نُسْكِهِ وَوَرَعِهِ، وَصِدْقِ لَهْجَتِهِ، وَبَراعَةِ فَهْمِهِ، وحُسْنِ اطِّلاعِهِ، واتِّساعِ مَعْرِفَتِهِ.

قالَ الْخَطيبُ: كانَ عالِمًا بِالْحُروفِ، حافِظًا لِلتَّفْسيرِ، سافَرَ الْكَثيرَ شَرْقًا وَغَرْبًا، وَكَتَبَ بِمِصْرَ والشّامِ والْجَزيرَةِ والْجِبالِ وخُراسانَ وما وَراءَ النَّهْرِ. وفي حَديثِهِ مَناكيرُ بِأَسانيدَ مَشْهورَةٍ.

رُوِيَ عمن سَمعَ الشَّيْخَ الْبَرْقانِيَّ؛ ذَكَرَ تَفْسيرَ النَّقّاشِ، فقالَ: لَيْسَ فيه حديثٌ صَحيحٌ، فَسَألوهُ، فقالَ: كلُّ حَديثِهِ مُنْكَرٌ.

وقد ذَكَرَ الدّارَقُطْنِيُّ ما يَقْتَضي تَضْعيفَهُ.

وبالَغَ الذَّهَبِيُّ فقالَ: وهو مع عِلْمِهِ وَجَلالَتِهِ ليس بِثِقَةٍ.

وَخِيارُ من أَثْنى عليه الدّانِيُّ فَقَبِلَهُ وَزَكّاهُ.

قال الْجَزَرِيُّ: وَناهيكَ بِالدّانِيِّ فإنَّهُ قالَ: النَّقّاشُ جائِزُ الْقَوْلِ، مَقْبولُ الشَّهادَةِ.

سَمِعْتُ عَبْدَ الْعَزيزِ بْنَ جَعْفَرٍ يقولُ: كانَ النَّقّاشُ يُقْصَدُ في قِراءَةِ ابْنِ كَثيرٍ وابْنِ عامِرٍ لِعُلُوِّ إسْنادِهِ فيهما. وكانَ له بَيْتٌ مُلِئَ كُتُبا[1].

---

(1) وكان له بيتٌ مِلَاءُ كُتُبٍ، في أنطاليا ورئيس الكتاب.

وكانَ أبو الْحَسَنِ الدَّارَقُطْنِيُّ يَسْتَمْلِي له، وَيَنْتَقي لِلنَّاسِ من حَديثِهِ. وقد حَدَّثَ عنه مُجاهِدٌ في حَياتِهِ.

وأمَّا ما وَقَعَ في **التَّجْريدِ** من أنَّهُ قَرَأَ على الْحَلْوانِيِّ عن الْأَخْفَشِ فَوَهْمٌ.

وأمَّا قَوْلُ أبي أَحْمَدَ السَّامِرِيِّ: سَمِعْتُ ابْنَ شَنَبوذَ يَقولُ: خَرَجْتُ من دِمَشْقَ، وقد فَرَغْتُ من الْأَخْفَشِ، فإذا بِقافِلَةٍ مُقْبِلَةٍ فيها أبو بَكْرٍ النَّقاشُ بِيَدِهِ رَغيفٌ، فقالَ لي: ما فَعَلَ الْأَخْفَشُ؛ قُلْتُ: تُوُفِّيَ، فَانْصَرَفَ النَّقَّاشُ، ثُمَّ قالَ: قَرَأْتُ على الْأَخْفَشِ؛ فإنَّ السَّامِرِيَّ ضَعيفٌ.

وقالَ أبو الْحَسَنِ ابْنُ الْفَضْلِ الْقَطَّانُ: حَضَرْتُ النَّقَّاشَ وهو يَجُودُ بِنَفْسِهِ في ثالِثِ شَوَّالٍ سَنَةَ إحْدى وخَمْسينَ، أو اثْنَتَيْنِ وَخَمْسينَ، أو خَمْسينَ وثَلاثِمِئَةٍ، فَجَعَلَ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ، ثُمَّ نادى بِعُلُوِّ صَوْتِهِ: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾[1]، يُرَدِّدُها ثَلاثًا، ثُمَّ خَرَجَتْ نَفْسُهُ[2].

وأمَّا أبو جَعْفَرٍ النَّحَّاسُ، فهو أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بْنِ إسْماعيلَ بْنِ يونُسَ الْمُرادِيُّ النَّحَّاسُ، النَّحْوِيُّ الْمِصْرِيُّ. كان من الْفُضَلاءِ.

وله تَصانيفُ مُفيدَةٌ، منها: **"تَفْسيرُ الْقُرْآنِ الْكَريم"**، وكِتابُ **"إعْرابُ الْقُرْآنِ"**، وكِتابُ **"النَّاسِخُ والْمَنْسوخُ"**، و**"كِتابُ التُّفاحَةِ"**، و**"الْكافِي"**، كِلاهُما في النَّحْوِ، و**"تفْسيرُ أَبْياتِ سِيبَوَيْهِ"**، ولم يُسْبَقْ إلى مِثْلِهِ. وكِتابُ

---

(1) سورة الصافات، الآية: 61.

(2) غاية النهاية: 2/ 119-120.

"**أَدَبُ الْكُتّابِ**"[1]، و"**كِتابُ الْمَعانِي**"، و"**شَرْحُ الْمُعَلَّقاتِ التِّسْعِ**"؛ بِتَأْخيرِ السِّينِ؛ و"**طَبَقاتُ الشُّعَراءِ**". وَغَيْرُ ذلِكَ.

رَوَى عن أبي عَبْدِ الرَّحمنِ النَّسائِيِّ، وأخَذَ النَّحْوَ عن أبي الْحَسَنِ عَلِيِّ ابْنِ سُلَيْمانَ الْأَخْفَشِ، وأبي إسْحاقَ الزَّجّاجِ، وابْنِ الْأَنْبارِيِّ، وَنِفْطَوَيْهِ، وأَعْيانِ أُدَباءِ الْعِراقِ. وقد كان رَحَلَ إليهم من مِصْرَ.

وكانَتْ فيه خَساسَةٌ، وَيُقَتِّرُ[2] على نَفْسِهِ، وإذا وُهِبَ عِمامَةً قَطَعَها ثَلاثَ عَمائِمَ بُخْلًا وَشُحًّا، وكانَ يَلِي شِراءَ حَوائِجِهِ بِنَفْسِهِ، وَيَتَحامَلُ فيها على أَهْلِ مَعْرِفَتِهِ. ومع هذا فَكانَ لِلنّاسِ رَغْبَةٌ كَثيرَةٌ في الْأَخْذِ عنه، فَنَفَعَ وأَفادَ، وأَخَذَ عنه خَلْقٌ كَثيرٌ.

وَتُوُفِّيَ بِمِصْرَ يَوْمَ السَّبْتِ، لِخَمْسٍ خَلَوْنَ من ذي الْحِجَّةِ، سَنَةَ ثَمانٍ، أو سَبْعٍ وَثَلاثينَ وَثَلاثِمِئَةٍ. وَسَبَبُ وَفاتِهِ أَنَّهُ جَلَسَ على دُرْجِ الْمِقْياسِ على شاطِئِ النِّيلِ ـ وهو في أيامِ زِيادَتِهِ ـ وهو يُقَطِّعُ بالْعَروضِ شَيْئًا من الشِّعْرِ. فقالَ بعضُ الْعَوَامِّ: هذا يَسْحَرُ النِّيلَ حتى لا يَزيدَ فَتَغْلُوَ الْأَسْعارُ، فَدَفَعَهُ بِرِجْلِهِ في النِّيلِ، فلم يُوقَفْ له على خَبَرٍ.

والنَّحّاسُ: نِسْبَةً إلى من يَعْمَلُ الْأَوانِيَ الصُّفْرِيَّةَ[3].

---

(1) طبع بعنوان: عمدة الكتاب.

(2) كتب بإزائها في طرة نسخة أنطاليا: لعلها: تقتيرٌ، وهي كذلك في مصدر الترجمة وفيات الأعيان: 1/ 100.

(3) وفيات الأعيان: 1/ 99-100.

وأمَّا مَكِّيُّ بْنُ أبي طالِبٍ حَمُّوشُ بْنُ مُحَمَّدِ بنِ مُخْتارٍ، أبو مُحَمَّدٍ الْقَيْسِيُّ النَّحْوِيُّ [الْمُقْرِئُ](1)، صاحِبُ الإِعْرابِ.

وُلِدَ في شَعْبانَ سنَةَ خَمْسٍ وخَمْسينَ وثَلاثِمِئَةٍ. وَأَصْلُهُ من الْقَيْرَوانِ، وَسَكَنَ قُرْطُبَةَ. وَسَمِعَ بِمَكَّةَ وَمِصْرَ من أبي الطَّيِّبِ عبدِ الْمُنْعِمِ ابْنِ غَلْبونَ، وَقَرَأَ عليه الْقُرْآنَ.

وَكانَ من أَهْلِ التَّبَحُّرِ في عُلومِ الْقُرْآنِ والْعَرَبِيَّةِ، حَسَنَ الْفَهْمِ والْخُلُقِ، جَيِّدَ الدِّينِ وَالْعَقْلِ، كَثيرَ التَّأْليفِ، مُجَوِّدًا لِلْقُرْآنِ.

أَقْرَأَ بِجامِعِ قُرْطُبَةَ وخَطَبَ به، وانْتَفَعَ به جَمْعٌ، وَعَظُمَ اسْمُهُ، واشْتَهَرَ بالصَّلاحِ وإجابَةِ الدَّعْوَةِ.

وكانَ رَجُلٌ يَتَسَلَّطُ عليه إذا خَطَبَ يُحْصِي سَقَطاتِهِ، وكانَ مَكِّيٌّ يَتَوَقَّفُ كَثيرًا في الْخُطْبَةِ فَقالَ: الَّلهُمَّ اكْفِنيهِ، الَّلهُمَّ اكْفِنيهِ. وَأُقْعِدَ الرَّجُلُ، وما دَخَلَ الْجامِعَ بَعْدُ.

صَنَّفَ: "إِعْرابُ الْقُرْآنِ"، و"الْموجَزُ في الْقِراءاتِ"، و"التَّبْصِرَةُ" فيها، و"الْهِدايَةُ" في مَعانِي الْقُرْآنِ وتَفْسيرِهِ، وكِتابَ "الْوَقْفُ في كَلَّا وَبَلَى في الْقُرْآنِ"(2)، وَأَشْياءَ كَثيرَةً في الْقِراءاتِ.

---

(1) سقط من قونية.

(2) في الوقف والتفسير على كلا، في قونية ورئيس الكتاب والأزهرية.

مات في الْمُحَرَّمِ سنَةَ سَبْعٍ وثَلاثينَ وأَرْبَعِمِئَةٍ[1].

وأَمَّا أبو الْعَبَّاسِ الْمَهْدَوِيُّ، فهو أَحْمَدُ بنُ عَمَّارِ بْنِ أبي الْعَبَّاسِ، الْإِمامُ أبو الْعَبَّاسِ الْمَهْدَوِيُّ، نِسْبَةً إلى الْمَهْدِيَّةِ بالْمَغْرِبِ، أُسْتاذٌ مَشْهورٌ.

رَحَلَ وقَرَأَ على مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمانَ، وعلى جَدِّهِ لِأُمِّهِ مَهْدِيِّ بْنِ إِبْراهيمَ، وأبي الْحَسَنِ أحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْقَنْطَرِيِّ بِمَكَّةَ.

وَذَكَرَ الْحافِظُ أبو عَبْدِ اللهِ الذَّهَبِيُّ، أَنَّهُ قَرَأَ على أبي بَكْرٍ أحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَرَّانِيِّ[2].

وأَلَّفَ التَّآليفَ؛ منها: "**التَّفْسيرُ**" الْمَشهورُ، و"**الْهِدايَةُ في الْقِراءاتِ السَّبْعِ**".

وهو الَّذي ذَكَرَهُ الشَّاطِبِيُّ في بابِ الِاسْتِعاذَةِ، وَقَرَأَ عليه جَماعَةٌ.

قالَ الذَّهَبِيُّ: تُوُفِّيَ بعد الثَّلاثينَ وَأَربَعِمِئَةٍ[3].

هذا الَّذي ذَكَرْتُهُ، طَرِيقَةُ السَّلَفِ في إيرادِ التَّفْسيرِ على النَّقْلِ، كابِرًا عن كابِرٍ، مع الْأَسانِيدِ الصَّحيحَةِ، والطُّرُقِ الْمُتْقَنَةِ.

---

(1) بغية الوعاة: 2/ 298.

(2) نسبة إلى بران: بتشديد الراء، وآخره نون: من قرى بخارى ويقال لها فوران، قرب بخارى. معجم البلدان: 1/ 367.

(3) غاية النهاية: 1/ 92.

ثم أَلَّفَ في التَّفْسِيرِ طائِفَةٌ من الْمُتَأَخِّرينَ، فَاخْتَصَروا الْأَسانيدَ، وَنَقَلُوا الْأَقْوالَ بَتْرَاءَ، فَدَخَلَ من ها هنا الدَّخيلُ، وَالْتَبَسَ الصَّحيحُ بِالْعَليلِ. ثُمَّ صارَ كُلُّ من يَسْنَحُ له قَوْلٌ يورِدُهُ، ومن خَطَرَ ببالِهِ شَيْءٌ يَعْتَمِدُهُ. ثُمَّ يَنْقُلُ ذلك خَلَفٌ عن سَلَفٍ، ظانًّا أن له أَصْلًا، غَيْرَ مُلْتَفِتٍ إلى تَحْريرِ ما وَرَدَ عن السَّلَفِ الصَّالِحِ، ومَنْ هُمُ الْقُدْوَةُ في هذا الْبابِ[1].

قالَ السُّيوطِيُّ: رَأَيْتُ في تَفْسيرِ قَوْلِهِ تَعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[2] نَحْوَ عَشَرَةِ أَقْوالٍ، مع أنَّ الْوارِدَ عن النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ، وَجَميعِ الصَّحابَةِ والتَّابِعينَ وأَتْباعِهِمْ، ليسَ غَيْرَ الْيَهودِ والنَّصارَى، حتى قال ابْنُ أبي حاتِمٍ: لا أَعْلَمُ في ذلك اخْتِلافًا من الْمُفَسِّرينَ.

ثم صَنَّفَ بعد ذلِكَ قَوْمٌ بَرعُوا في شَيْءٍ من الْعُلومِ، وَمَلأَ كِتابَهُ بما غَلَبَ على طَبْعِهِ من الْفَنِّ، وَاقْتَصَرَ فيه على ما تَمَهَّرَ هو فيه، كَأَنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ لِأَجْلِ هذا الْعِلْمِ لا غَيْرُ، مع أنَّ فيه تِبْيانَ كُلِّ شَيْءٍ.

فَالنَّحْوِيُّ، تَراهُ ليس له هَمٌّ إلَّا الْإِعْرابُ، وَتَكْثِيرُ الْأَوْجُهِ الْمُحْتَمَلَةِ فيه وإنْ كانَتْ بَعيدَةً، وَيَنْقُلُ قَواعِدَ النَّحْوِ ومَسائِلَهُ وفُروعَهُ وخِلافِيَّاتِهِ؛ كَالزَّجَّاجِ والْواحِدِيِّ في الْبَسيطِ، وأبو[3] حَيَّانَ في الْبَحْرِ والنَّهْرِ. وقدْ عَرَفْتَ تَرْجَمَةَ هَؤُلاءِ.

---

(1) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 242.

(2) سورة الفاتحة، الآية: 7.

(3) كذا في الأصول الخطية، والصواب: وأبي.

وَالْأَخْبارِيُّ، ليسَ له شُغْلٌ إلَّا الْقَصَصُ واسْتيفاؤُها، والْأَخْبارُ عَمَّنْ سَلَفَ، سواءٌ كانَتْ صَحيحَةً، أو باطِلَةً[1]، ومنهم الثَّعْلَبِيُّ، وقد مَرَّ.

والْفَقيهُ، يَكادُ يَسْرُدُ فيه الْفِقْهَ جَميعًا، وَرُبَّمَا اسْتَطْرَدَ إلى إقامَةِ أدِلَّةِ الْفُروعِ الْفِقْهِيَّةِ الَّتِي لا تَعَلُّقَ لها بِالْآيَةِ أَصْلًا، والْجَوابِ عن أَدِلَّةِ الْمُخالِفينَ[2]؛ كَالْقُرْطُبِيِّ، وهو مُحَمَّدُ بنُ عُمَرَ بْنِ يوسُفَ، أبو عبد اللهِ الْأَنْصارِيُّ الْقُرْطُبِيُّ الْمالِكِيُّ، إمامٌ عالِمٌ فَقيهٌ، مُفَسِّرٌ نَحْوِيٌّ، مُقْرِئٌ زاهِدٌ.

وُلِدَ بعد الْخَمْسينَ وَخَمْسِمِئَةٍ.

قَرَأَ الْقَصيدَتَيْنِ اللَّامِيَّةَ والرَّائِيَّةَ على الْإمامِ الشَّاطِبِيِّ، وَقَرَأَ على جَماعَةٍ من الْفُضَلاءِ، وَجَلَسَ لِلْإِقْراءِ بِالْفاضِلِيَّةِ بعد مَوْتِ الشَّاطِبِيِّ. وَقَرَأَ عليه جَماعَةٌ كَثيرَةٌ، ثُمَّ حَجَّ وَجاوَرَ مَرَّاتٍ بِالْمَدينَةِ، وَتَزَهَّدَ، وكانَ له قَبولٌ تامٌّ بين الْخاصِّ والْعامِّ، وفيه مُروءَةٌ وافِرَةٌ، وقَضاءٌ لِحُقوقِ الْإِخْوانِ.

تُوُفِّيَ بِالْمَدينَةِ في مُسْتَهَلِّ صَفَرٍ سَنَةَ إحْدَى وثَلاثينَ وسِتِّمِئَةٍ[3].

وصاحِبُ الْعُلومِ الْعَقْلِيَّةِ ـ خُصوصًا الْإِمامُ فَخْرُ الدِّينِ ـ قد مَلَأَ تَفْسيرَهُ بأقْوالِ الْحُكَماءِ والْفَلاسِفَةِ وشِبْهِهَا، وَخَرَجَ من شَيْءٍ إلى شَيْءٍ، حتى يَقْضِيَ النَّاظِرُ الْعَجَبَ من عَدَمِ مُطابَقَةِ الْمُورَدِ لِلْآيَةِ.

---

(1) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 243.

(2) المصدر نفسه: 4/ 243.

(3) غاية النهاية: 2/ 219–220.

قال أبو حَيَّانَ في الْبَحْرِ: جَمَعَ الْإِمامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ في تَفْسِيرِهِ أَشْياءَ كَثيرَةً طَويلَةً، لا حاجَةَ بها في عِلْمِ التَّفْسيرِ. ولذلك قالَ بعضُ الْعُلَماءِ: فيه كُلُّ شَيْءٍ إلَّا التَّفْسيرَ.

والْمُبْتَدِعُ، ليس له قَصْدٌ إلَّا تَحْريفُ الْآياتِ، وَتَسْوِيَتُها على مَذْهَبِهِ الْفاسِدِ، بحيث إنَّهُ متى لاحَ له شارِدَةٌ من بَعيدٍ اقْتَنَصَها، أو وَجَدَ مَوْضِعًا له فيه أَدْنى مَجالٍ سارَعَ إليه.

كما نُقِلَ عن الْبُلْقينِيِّ أنَّهُ قالَ: اسْتَخْرَجْتُ من الْكَشَّافِ اعْتِزالًا بِالْمَناقِيشِ، منها: أنه قالَ في قَوْلِهِ تعالى: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[1]، وأيُّ فَوْزٍ أعْظَمُ من دُخولِ الْجَنَّةِ. أشارَ به إلى عَدَمِ الرُّؤْيَةِ[2].

وَالْمُلْحِدُ، فلا تَسْأَلْ عن كُفْرِهِ وإلْحادِهِ في آياتِ الله، وَافْتِرائِهِ على الله تعالى ما لم يَقُلْهُ، كَقَوْلِ بعضِهِمْ في: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾[3]، ما على الْعِبادِ أَضَرُّ من رَبِّهِمْ. وَيُنْسَبُ هذا الْقَوْلُ إلى أبي طالِبٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بنِ عَطِيَّةَ الْحارِثِيِّ الْمَكِّيِّ الْواعِظِ، صاحِبِ كِتابِ **"قوتُ الْقُلوبِ"**. إلَّا أنَّ شَأْنَ هذا الرَّجُلِ أَعْظَمُ من أن يَتَكَلَّمَ بِأَمْثالِ هذا الْكَلامِ، ولعَلَّ في النَّقْلِ خَلَلًا، أو صَدَرَ أثْناءَ غَلَبَةِ السُّكْرِ، وأَمْثالُ هذا عند السُّكْرِ مَعْفُوٌّ عنه.

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 185.

(2) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 243.

(3) سورة الأعراف، الآية: 155.

وَكَقَوْلِ[1] الْغَيْرِ في شَجَرَةِ[2] موسى ما قالَ.

وَقَوْلِ الرَّافِضَةِ في: ﴿يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾[3]، ما قالوا.

وَأَمْثالُ هَؤلاءِ هم الْمُرادُ من قَوْلِهِ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «إِنَّ في أُمَّتِي قَوْمًا يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ يَنْثُرُونَهُ نَثْرَ الدَّقَلِ[4]، يَتَأَوَّلُونَهُ على غَيْرِ تَأْوِيلٍ»[5].

ومِنْ ذلِكَ الْقَبيلِ، الَّذينَ يَتَكَلَّمونَ في الْقُرْآنِ بلا سَنَدٍ يُعْتَمَدُ عليه، ولا نَقْلٍ عن السَّلَفِ، ولا رِعايَةِ الْأُصولِ الشَّرْعِيَّةِ، وَالْقَواعِدِ الدِّينِيَّةِ؛ كَالتَّفْسيرِ الذي أَلَّفَهُ مَحْمودُ بْنُ حَمْزَةَ الْكَرْمَانِيُّ في مُجَلَّدَيْنِ، سَمَّاهُ: "**الْعَجائِبُ والْغَرائِبُ**"، ضَمَّنَهُ أَقْوالًا هي عَجائِبُ عند الْعَوامِّ، وغَرائِبُ عمَّا عُهِدَ عن السَّلَفِ، بل هي أَقْوالٌ مُنْكَرَةٌ لا يَحِلُّ الِاعْتِمادُ عليها، ولا ذِكْرُهَا إلا لِلتَّحْذيرِ منها.

من ذَلِكَ قَوْلُ مَنْ قالَ في ﴿حم عسق﴾[6]، أنَّ الْحاءَ: حَرْبُ عَلِيٍّ ومُعاوِيَةَ، والْمِيمُ: وِلايَةُ الْمَرْوانِيَّةِ، والْعَيْنُ: وِلايَةُ الْعَبَّاسِيَّةِ، والسِّينُ: وِلايَةُ السُّفْيانِيَّةِ، والْقافُ: قُدْرَةُ مَهْدِيٍّ.

---

(1) وقول، في أنطاليا، ويقول، في مراد ملا.

(2) كذا في النسخ الخطية، وفي الإتقان: 2/ 244: سحرة موسى.

(3) سورة البقرة، الآية: 67.

(4) الدَّقَلُ من التمر معروف، وهو أردأ أنواعه، واحدته دَقَلَةٌ. اللسان: دقل.

(5) مسند أبي داود الطيالسي: 1/ 208، رقم: 257، التاريخ الكبير للبخاري: 4/ 301، رقم: 2907، سنن الترمذي: 1/ 593، رقم: 602، جامع الأصول: 5/ 351، والنقل من الإتقان في علوم القرآن: 4/ 243.

(6) سورة الشورى، الآية: 1-2.

حَكاهُ أبو مُسْلِمٍ قالَ: أَرَدْتُ بذلك أن تَعْلَمَ أنَّ فيمن يَدَّعِي الْعِلْمَ حَمْقَى[1].

ومن ذلك قَوْلُ الرَّوافِضِ في تَأْويلِ قَوْلِهِ تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾[2]، أنهما عَلِيٌّ وفاطِمَةُ، ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾[3]، يَعْني الْحَسَنَ والْحُسَيْنَ[4].

ومن ذَلِكَ قَوْلُ من قالَ في (آلم) مَعْنَى أَلِفٍ: أَلِفَ الله مُحَمَّدًا فَبَعَثَهُ نَبِيًّا، وَمَعْنى لامٍ: لامَهُ الْجاحِدونَ وَأَنْكَروهُ، ومَعْنَى مِيمٍ: مِيمَ الْجاحِدون الْمُنْكِرونَ من الْمومِ، وهو الْبِرْسامُ[5].

ومِنْ ذَلكَ قَوْلُ من قالَ في: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾[6]، إنَّهُ قَصَصُ الْقُرْآنِ. وَاسْتَدَلَّ بِقِراءَةِ أبي الْجَوْزاءِ ﴿وَلَكُمْ فِي الْقَصَاصِ﴾، وهو بَعيدٌ مُخالِفٌ لِلْقِراءَةِ الْمَشْهورَةِ.

---

(1) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 231.

(2) سورة الرحمن، الآية: 19.

(3) السورة نفسها، الآية: 22.

(4) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 212.

(5) المصدر نفسه: 4/ 231.

(6) سورة البقرة، الآية: 179.

ومِنْ ذلكَ ما ذَكَرَهُ ابْنُ فُورَكَ في تَفْسيرِهِ في قولِهِ: ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[1]، أنَّ إبْراهيمَ كان له صَديقٌ وصَفَهُ بأنَّهُ "قَلْبُهُ"، أي يَسْكُنَ هذا الصَّديقُ إلى هذه الْمُشاهَدَةِ إذا رَآها عِيانًا.

قالَ الْكَرْمانِيُّ: وهذا بَعيدٌ جِدًّا.

ومِنْ ذلِكَ قَوْلُ مَنْ قالَ في: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾[2]، إنَّهُ الْحُبُّ والْعِشْقُ. وقد حَكَاهُ الْكَوَاشِيُّ في تَفْسيرِهِ[3].

ومِنْ ذلِكَ قَوْلُ من قالَ في: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾[4]، إنَّهُ الذَّكَرُ إذا قامَ.

ومِنْ ذلِكَ قَوْلُ أبي مُعاذٍ النَّحْوِيِّ في قَوْلِهِ: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ﴾[5]، يَعْنِي إِبْراهيمَ، ﴿نارًا﴾ أي: نورًا؛ وهو مُحَمَّدٌ صلَّى الله عليه وسَلَّمَ. ﴿فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾[6]، أي تَقْتَبِسونَ الدِّينَ[7].

---

(1) سورة البقرة، الآية: 260.

(2) سورة البقرة، الآية: 286.

(3) له تفسير مطول: سماه: "تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر"، وله آخر مختصر سماه: "التلخيص في تفسير القرآن العزيز". والكواشي أحمد بن يوسف بن الحسن الموصلي(ت.680هـ)، نسبةً إلى كَوَاشَ بالفتح قلعة حصينة شرقي الموصل وستأتي ترجمته. هدية العارفين: 1/ 98، تاج العروس: 17/ 370.

(4) سورة الفلق، الآية: 3.

(5) سورة يس، الآية: 80.

(6) سورة يس، الآية: 80.

(7) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 231-232.

ومِنْ ذلِكَ قَوْلُ مَنْ قالَ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ﴾[1]، مَعْناهُ: مَنْ ذَلَّ، أي من الذُّلِّ، وذي: إشارَةٌ إلى النَّفْسِ، وَيَشْفَ: من الشِّفاءِ جَوابُ مَنْ، وَعُ: أمْرٌ من الْوَعْيِ.

وَسُئِلَ شَيْخُ الإسْلامِ سِراجُ الدِّينِ الْبُلْقينِيُّ، عن رَجُلٍ فَسَّرَ بهذا قَوْلَهُ تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ﴾، فَأَفْتى بأَنَّهُ مُلْحِدٌ.

وَقَدْ قالَ تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾[2]. قال ابْنُ عَبَّاسٍ: هو أن يوضَعَ الْكَلامُ على غَيْرِ مَوْضِعِهِ[3].

وأمَّا كَلامُ الصُّوفِيَّةِ في الْقُرْآن فليس بِتَفْسيرٍ.

قالَ ابْنُ الصَّلاحِ في فَتاويهِ: وَجَدْتُ عن الإمام أبي الْحَسَنِ الْواحِدِيِّ الْمُفَسِّرِ أَنَّهُ قالَ: صَنَّفَ أبو عبد الرَّحْمنِ السُّلَمِيُّ "حَقائِقُ التَّفْسيرِ"، فإنْ كانَ قد اعْتَقَدَ أنَّ ذلك تَفْسيرٌ فقد كَفَرَ[4].

قالَ ابْنُ الصَّلاحِ: وأنا أَقولُ: الظَّنُّ بمن يوثَقُ به منهم، إذا قالَ شَيْئًا من ذلك، أنَّهُ لم يَذْكُرْهُ تَفسيرًا، ولا ذَهَبَ به مَذْهَبَ الشَّرْحِ لِلْكَلِمَةِ، فإنَّهُ لو كانَ كذلِكَ، كانوا [قد][5] سَلَكوا مَسْلَكَ الْباطِنِيَّةِ، وإنَّما ذلِكَ منهم لِنَظِيرِ ما وَرَدَ

(1) سورة البقرة، الآية: 255.
(2) سورة فصلت، الآية: 40.
(3) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 224.
(4) المصدر نفسه: 4/ 223.
(5) سقط من قونية.

به الْقُرْآنُ، فإِنَّ النَّظيرَ يُدْرَكُ بالنَّظيرِ، ومع ذلك فيا لَيْتَهُمْ لم يَتَساهَلوا بِمِثْلِ ذلك، لما فيه من الْإيهامِ والْإِلْباسِ.

وَقالَ النَّسَفِيُّ في عَقائِدِهِ: النُّصوصُ تُحْمَلُ على ظَواهِرِها، والْعُدولُ عنها إلى مَعانٍ يَدَّعيها أَهْلُ الْباطِنِ إِلْحادٌ.

وَقالَ التَّفْتازانِيُّ في "شَرْحُ الْعَقائِدِ النَّسَفِيَّةِ": سُمِّيَتِ الْمَلاحِدَةُ باطِنِيَّةً، لِادِّعائِهِمْ أَنَّ النُّصوصَ ليسَتْ على ظَواهِرِهَا، بل لها مَعانٍ باطِنَةٌ لا يَعْرِفُها إِلَّا الْمُعَلِّمُ، وَقَصْدُهُمْ بذلك نَفْيُ الشَّريعَةِ بالْكُلِّيَّةِ.

وقالَ: وأمَّا ما يَذْهَبُ إليه بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ، من أنَّ النُّصوصَ على ظَواهِرِها، ومع ذلك فيها إِشاراتٌ خَفِيَّةٌ إلى دَقائِقَ تَنْكَشِفُ على أرْبابِ السُّلوكِ، يُمْكِنُ التَّطْبِيقُ بَيْنَها وبينَ الظَّواهِرِ الْمُرادَةِ، فهو من كَمالِ الْعِرْفانِ، وَمَحْضِ الْإيمانِ[1].

قالَ الْإِمامُ الْغَزالِيُّ في بَعْضِ رَسائِلِهِ: «إِنَّ لِلْقُرْآنِ ظَهْرًا وَبَطْنًا، وَلِكُلِّ حَدٌّ وَمَطْلَعٌ»[2]، فمَنِ اقْتَصَرَ منه على ظَواهِرِهِ فَهَؤُلَاءِ حَشْوِيَّةٌ، وَمَنِ اقْتَصَرَ منه على الْباطِنِ فَهَؤُلاءِ باطِنِيَّةٌ، وكُلٌّ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ نَظَروا الْعالَمَ بِالْعَيْنِ الْعَوْراءِ، ولم يَعْرِفوا أنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ باطِنًا، ولِكِلِّ عالَمٍ جِسْمانِيٍّ عالَمًا مِثالِيًّا،

---

(1) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 224.

(2) المصنف لعبد الرزاق: 3/ 358، فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم: 97، مسند البزار: 5/ 441، مسند أبي يعلى: 7/ 314، والنقل من الإحياء: 1/ 289.

والْإِنْسانُ مُرَكَّبٌ مِنْهُما، فَإِنَّهُ بِبَدَنِهِ الْكَثيفِ مِنَ الْعالَمِ الْجِسْمانِيِّ، وَبِروحِهِ اللَّطِيفِ مِنَ الْعالَمِ الرُّوحانِيِّ.

وَلَمَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ لِتَكْميلِ الْإِنْسانِ في النَّشْأَتَيْنِ، لَمْ يُخْلِ شَيْئًا مِنْهُمَا عَنِ الْبَيانِ، فَالِاقْتِصارُ على أَحَدِهِما نُقْصانٌ، وإِنَّما الْكَمالُ حَمْلُ الْكَلامِ عَلَيْهِما مَعًا مَهْمَا أَمْكَنَ، وإِلَّا فلا يَنْبَغي أَنْ يَخْتَلَّ أَحَدُ الْجانِبَيْنِ لِتَصْحيحِ الطَّرَفِ الْآخَرِ.

هذا حاصِلُ كَلامِ الْغَزالِيِّ مع تَوْضيحٍ له من قِبَلِنَا.

ثُمَّ ضَرَبَ لِذَلكَ مِثالًا، وهو قَوْلُهُ تعالى لِمُوسَى عليه السَّلامُ: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾[1]، فَإِنَّ الْمُرادَ بِالنَّعْلَيْنِ في عالَمِ الْأَجْسامِ ما هو الْمَعْروفُ، وفي عالَمِ الْأَرْواحِ الدُّنْيا وَالْآخِرَةُ، وَبَيْنَ الْعالَمَيْنِ مُوازَنَةٌ وَمُناسَبَةٌ، لا يَطَّلِعُ عليها إِلَّا الْأَنْبِياءُ عليهم السَّلامُ، وَخَواصُّ الْأَوْلِياءِ. فَحينَئِذٍ كما أَرادَ اللهُ تَعالى خَلْعَ النَّعْلَيْنِ مِنْ مُوسَى عليه السَّلامُ بِحَسَبِ الظَّاهِرِ، كَذَلِكَ أَرادَ منه تَرْكَ الدُّنْيا والْآخِرَةِ في الْباطِنِ، مِنْ غَيْرِ إِخْلالِ إِرادَةِ أَحَدِهِما بِالْآخَرِ.

قالَ ابْنُ سَبُعٍ في "شِفاءُ الصُّدورِ": وَرَدَ عن أَبِي الدَّرْداءِ أَنَّهُ قالَ: لا يَفْقَهُ الرَّجُلُ كُلَّ الْفِقْهِ حَتَّى يَجْعَلَ لِلْقُرْآنِ وُجوهًا[2].

وَقالَ ابْنُ مَسْعودٍ: مَنْ أَرادَ عِلْمَ الْأَوَّلينَ والْآخِرينَ فَلْيُثَوِّرِ[3] الْقُرْآنَ.

---

(1) سورة طه، الآية: 12.

(2) النقل من الإتقان في علوم القرآن: 4/ 227.

(3) ثَوَّرَ القرآنَ: بَحَثَ عن معانيه وعن عِلْمِهِ. اللسان: ثور.

قالَ: وَهَذَا الَّذِي قالاهُ لا يَحْصُلُ بِمُجَرَّدِ تَفْسيرِ الظَّاهِرِ.

وَقَدْ قالَ بَعْضُ الْعُلَماءِ: لِكُلِّ آيَةٍ سِتُّونَ أَلْفَ فَهْمٍ.

فَهَذَا يَدُلُّ على أَنَّ في فَهْمِ مَعانِي الْقُرْآنِ مَجالًا رَحْبًا، وَمُتَّسَعًا بالِغًا، لِأَنَّ الْمَنْقولَ مِنَ التَّفْسيرِ الظَّاهِرِ يَنْتَهِي الْإِدْراكُ فيه بِالنَّقْلِ والسَّماعِ، وَلا بُدَّ مِنَ النَّقْلِ والسَّماعِ فيه لِيُتَّقَى به مَواضِعُ الْغَلَطِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَتَّسِعُ الْفَهْمُ وَالِاسْتِنْباطُ. ولا يَجوزُ التَّهاوُنُ في حِفْظِ التَّفْسيرِ الظَّاهِرِ، بل لا بُدَّ منه أَوَّلًا، إذْ لا يُطْمَعُ في الْوُصولِ إلى الْباطِنِ قَبْلَ إِحْكَامِ الظَّاهِرِ، وَمَنِ ادَّعى فَهْمَ أَسْرارِ الْقُرْآنِ، ولم يُحْكِمِ التَّفْسيرَ الظَّاهِرَ، فهو كَمَنِ ادَّعَى الْبُلوغَ إلى صَدْرِ الْبَيْتِ قَبْلَ أن يُجاوِزَ الْبابَ[1].

وَقالَ الشَّيْخُ تاجُ الدِّينِ ابْنُ عَطاءِ اللهِ في كِتابِ **"لَطائِفُ الْمِنَنِ"**: اِعْلَمْ أَنَّ تَفْسيرَ هذه الطَّائِفَةِ لِكَلامِ اللهِ وكَلامِ رَسولِهِ بِالْمَعانِي الْغَريبَةِ، لَيْسَ إحالَةً لِلظَّاهِرِ عن ظاهِرِهِ، وَلَكِنَّ ظاهِرَ الْآيَةِ مَفْهومٌ منه ما جُلِبَتِ الْآيَةُ له، وَدَلَّتْ عليه في عُرْفِ اللِّسانِ، وَثَمَّ أَفْهامٌ باطِنَةٌ تُفْهَمُ عند الْآيَةِ والْحَديثِ مِمَّنْ[2] فَتَحَ اللهُ قَلْبَهُ.

وَقَدْ جاءَ في الْحَديثِ: «لِكُلِّ آيَةٍ ظَهْرٌ وَبَطْنٌ».

فَلا يَصُدَّنَّكَ عن تَلَقِّي هذه الْمَعانِي مِنْهُمْ أَنْ يَقولَ لَكَ ذو جَدَلٍ وَمُعارَضَةٍ: هذا إِحالَةٌ لِكَلامِ اللهِ وَكَلامِ رَسولِهِ، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِإِحالَةٍ، وإِنَّما يَكونُ إحالَةً لو

(1) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 227.

(2) فمن في أنطاليا ورئيس الكتاب.

قالوا: لا مَعْنى لِلْآيَةِ إلَّا هذا، وهُمْ لم يَقُولُوا ذَلِكَ، بل يُقِرُّونَ الظَّواهِرَ على ظَواهِرِها، مُرادًا بها مَوْضُوعاتُها، ويَفْهَمونَ عن اللهِ ما أَفْهَمَهُمْ[1].

قالَ الْقاضِي الْبَيْضاوِيُّ في تَفْسيرِهِ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾[2]، الْآيَة. ولَعَلَّهُ سُبْحانَهُ وتَعالَى أَرادَ مِنَ الْآيَةِ الْأَخيرَةِ - [يَعْني الْآيَةَ الْمَذْكورَةَ][3] مع ما دَلَّ عليه الظَّاهِرُ، وسِيقَ الْكَلامُ لِأَجْلِهِ[4] - الْإِشارَةَ إلى تَفْصيلِ[5] خَلْقِ الْإِنْسانِ، وما أَفاضَ عليه من الْمَعانِي والصِّفاتِ على طَريقَةِ التَّمْثيلِ، فَمَثَّلَ الْبَدَنَ بِالْأَرْضِ، والنَّفْسَ بِالسَّماءِ، [وَالْعَقْلَ بِالْماءِ][6]، وما أَفاضَ عليه مِنَ الْفَضائِلِ الْعِلْمِيَّةِ والنَّظَرِيَّةِ، الْمُحَصَّلَةِ بواسِطَةِ اسْتِعْمالِ الْعَقْلِ الْحَواسَّ، وَازْدِواجِ الْقُوَى النَّفْسانِيَّةِ والْبَدَنِيَّةِ بِالثَّمَراتِ الْمُتَوَلِّدَةِ من ازْدِواجِ الْقُوَى السَّماوِيَّةِ الْفاعِلَةِ، والْأَرْضِيَّةِ الْمُنْفَعِلَةِ بِقُدْرَةِ الْفاعِلِ الْمُخْتارِ، فَإِنَّ لِكُلِّ آيَةٍ ظَهْرًا وبَطْنًا، ولِكُلِّ حَدٍّ مَطْلَعًا. انْتَهى كَلامُهُ[7].

أَقولُ وبالله التَّوْفيقُ: الْإيمانُ بِالْقُرْآنِ، هُوَ التَّصْديقُ بِأَنَّهُ كَلامُ الله تَعالى، قَدْ أَنْزَلَهُ على رَسولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ بِواسِطَةِ جِبْريلَ عليه السَّلامُ، وَأَنَّهُ دالٌّ على صِفَةٍ أَزَلِيَّةٍ له تعالى، وَأَنَّ ما دَلَّ هو عليه بِطَريقِ

(1) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 226.

(2) سورة البقرة، الآية: 22.

(3) سقطت من أنطاليا.

(4) وسيق فيه الكلام، في أنطاليا.

(5) تفضيل، في مراد ملا

(6) زيادة من أنطاليا.

(7) أنوار التنزيل: 1/ 56.

الْقَواعِدِ الْعَرَبِيَّةِ ـ مما هو مُرادُ الله تعالى ـ حَقٌّ لا رَيْبَ فيه، ثُمَّ تِلْكَ الدَّلالَةُ على مُرادِهِ تَعالى، بِواسِطَةِ الْقَوانِينِ الْأَدَبِيَّةِ، الْمُوافِقَةِ لِلْقَواعِدِ الشَّرْعِيَّةِ، والْأَحاديثِ النَّبَوِيَّةِ، مُرادٌ اَلْبَتَّةَ.

وَمِنْ جُمْلَةِ ما عُلِمَ مِنَ الشَّرائِعِ النَّبَوِيَّةِ أَنَّ مُرادَ اللهِ تَعالى مِنَ الْقُرآنِ لا يَنْحَصِرُ في هذا الْقَدْرِ، لِمَا قَدْ ثَبَتَ في الْأَحادِيثِ أَنَّ لِكُلِّ آيَةٍ ظَهْرًا وَبَطْنًا، وذلك الْمُرادُ الْآخَرُ لَمَّا لم يَطَّلِعْ عليه كُلُّ أَحَدٍ، بل مَنْ أُعْطِيَ فَهْمًا وعِلْمًا مِنْ لَدُنْهُ تعالى، يَكونُ الضَّابِطُ في صِحَّتِهِ أَنْ لا يَرْفَعَ ظاهِرَ الْمَعانِي الْمُتَفَهَّمَةِ عَنِ الْأَلْفاظِ بِالْقَوانينِ الْعَرَبِيَّةِ، وَأَنْ لا يُخَالِفَ الْقَواعِدَ الشَّرْعِيَّةَ، ولا يُبَايِنَ إعْجازَ الْقُرْآنِ، ولا يُناقِضَ النُّصُوصَ الْواقِعَةَ فيها، فإِنْ وُجِدَ فيه هَذِهِ الشَّرائِطُ فلا يُطْعَنُ فيه، وإِلَّا فَهُوَ بِمَعْزِلٍ عن الْقَبولِ.

قالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: مِنْ حَقِّ مُفَسِّرِ كِتابِ اللهِ تعالى الْباهِرِ، وَكَلامِهِ الْمُعْجِزِ، أَنْ يَتَعاهَدَ بَقاءَ النَّظْمِ على حُسْنِهِ، وَالْبَلاغَةِ على كَمالِها، وما وَقَعَ به التَّحَدِّي سَليمًا من الْقادِحِ[1].

وَأَمَّا الَّذينَ تَأَيَّدَتْ فِطْرَتُهُمْ النَّقِيَّةُ بِالْمُشاهَداتِ الْكَشْفِيَّةِ، فَهُمُ الْقُدْوَةُ في هذه الْمَسالِكِ، ولا يُمْنَعونَ أَصْلًا عن التَّوَغُّلِ في ذلك. جَعَلَنا الله وإِيَّاكُمْ من أَهْلِ الْمُشاهَدَةِ وَالْعِرْفانِ، وَشَرَّفَنا وإِيَّاكُمْ بِكَرامَةِ الْإِخْلاصِ والْإِيقانِ، إنَّه الْكَريمُ الْمَنَّانُ، وهو الْمُوَفِّقُ والْمُسْتَعانُ.

---

(1) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 215.

قالَ الْعُلَماءُ: يَجِبُ على الْمُفَسِّرِ أنْ يَتَحَرَّى في التَّفْسيرِ مُطابَقَةَ الْمُفَسَّرِ، وأنْ يَتَحَرَّزَ في ذَلِكَ مِنْ نَقْصٍ عَمَّا يُحْتاجُ إليه في إيضاحِ الْمَعْنى، أو زِيادَةٍ لا تَليقُ بِالْغَرَضِ، وَمِنْ كَوْنِ الْمُفَسَّرِ فيه زَيْغٌ عن الْمَعْنَى، وَعُدولٌ عن طَرِيقِهِ. وَعَلَيْهِ بِمُراعاةِ الْمَعْنى الْحَقيقِيِّ وَالْمَجازِيِّ، وَمُراعاةِ التَّأْليفِ، وَالْغَرَضِ الَّذِي سِيقَ له الْكَلامُ، وَأَنْ يُوافِيَ بين الْمُفْرَداتِ.

وَيَجِبُ عليه الْبُداءَةُ بِالْعُلومِ اللَّفْظِيَّةِ، فَيَتَكَلَّمُ عليها أَوَّلًا من جِهَةِ الْمُفْرَداتِ، فَيُحَقِّقُ الُّلغاتِ أَوَّلًا، ثُمَّ التَّصْريفَ، ثُمَّ الِاشْتِقاقَ، ثُمَّ يَتكَلَّمُ عليها بِحَسَبِ التَّرْكيبِ، فَيَبْدَأُ بِالْإعْرابِ، ثُمَّ بما يَتَعَلَّقُ بِالْمَعانِي، ثُمَّ الْبَيانِ، ثُمَّ الْبَديعِ، ثُمَّ تَبْيينِ الْمَعْنى الْمُرادِ، ثُمَّ إيرادِ الْقَصَصِ والْأَخْبارِ، قَدْرَ ما يُعْلَمُ به سَبَبُ النُّزولِ، وَيَعْتَمِدُ في ذلك على الْأَحاديثِ والْآثارِ، دون قَصَصِ الْقُصَّاصِ وَالْأَخْبارِ، ثُمَّ يَتَكَلَّمُ عليها من جهة الْمَعْنَى، فَيَبْدَأُ أَوَّلًا بِاسْتِنْباطِ الْأَحْكامِ الشَّرْعِيَّةِ، ثُمَّ بَيانِ الْحَقائِقِ، ثُمَّ بَيانِ الْإشاراتِ[1].

وَيَنْبَغِي أن يَتَحَرَّزَ الْمُفَسِّرُ عن إِطْلاقِ لَفْظِ الْحِكايَةِ على الله تعالى، بِأَنْ يَقولَ: "حَكَى اللهُ" وَأَمْثالَهُ، لِأَنَّ الْحِكايَةَ الْإِتْيانُ بِمِثْلِ الشَّيْءِ، وَلَيْسَ لِكَلامِهِ تعالى مِثْلٌ، اللَّهُمَّ إلَّا أنْ يُريدَ مَعْنَى الْإِخْبارِ.

وَيَنْبَغِي أَيْضًا أنْ يَتَحَرَّزَ عن إطْلاقِ الزَّائِدِ على بعض الْحُروفِ، بِناءً على أَنَّ الزَّائِدَ على أَنَّهُ لا مَعْنى له، وَكِتابُ الله مُنَزَّهٌ عن ذَلِكَ، ولِذَلِكَ يُبْدِلونَ لَفْظَ

---

(1) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 227-228.

الزَّائِدِ بِالتَّأْكِيدِ وَالصِّلَةِ والْمُقْحَمِ. وَجَوَّزَهُ الْأَكْثَرونَ نَظَرًا إلى أَنَّهُ نَزَلَ بِلِسانِ قَوْمٍ، وَمُتَعَارَفُهُمْ إِطْلاقُ الزَّائِدِ.

قُلْتُ: وَالْحَقُّ أنَّ إِطْلاقَ الزَّائِدِ بِمَعْنَى ما لا مَعْنَى له غَيْرُ جائِزٍ أَصْلًا، وَأَمَّا بِالْمَعْنى الْآخَرِ - وإنْ جازَ - لَكِنْ لِإِيهامِهِ الْمَعْنى الْمَذْكورَ، يَكونُ إِطْلاقُهُ سُوءَ أَدَبٍ يَجِبُ التَّحَرُّزُ عنه في تَفْسيرِ كَلامِهِ تَعالى، فَالْأَحْوَطُ تَرْكُهُ إلى ما يَصِحُّ إطْلاقُهُ.

وَيَنْبَغِي أَنْ يَتَحَرَّزَ أَيْضًا عن إطِلْاقِ لَفْظِ التَّكْرارِ في مِثْلِ قَوْلِهِ تعالى: ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾[1]، وقَوْلِهِ تَعالى: ﴿صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾[2]، وَأَشْباهِ ذَلِكَ. إذِ التَّكْرارُ بِحَسَبِ اللَّفْظِ وإنْ وَقَعَ لكنَّ التَّكْرارَ بِحَسَبِ الْمَعْنى غَيْرُ واقِعٍ؛ لِأَنَّ في مَجْموعِ الْمُتَرادِفَيْنِ مَعْنًى لا يَحْصُلُ عند الِانْفِرادِ، ففي إطْلاقِ التَّكْرارِ إِيهامُ ادِّعاءِ التَّكْرارِ الْمَعْنَوِيِّ، فَالْأَحْوَطُ تَرْكُهُ أَيْضًا.

وَعَلَيْهِ أنْ يَتَتَبَّعَ مَجَارِيَ[3] الِاسْتِعْمالاتِ في الْأَلْفاظِ الَّتِي يُظَنُّ بها التَّرادُفُ ما أَمْكَنَ، لِثُبوتِ الْمَجازِ، وَوُجودِ مَعْنًى لِلتَّرْكيبِ[4] غَيْرِ مَعْنى الْإِفْرادِ[5].

---

(1) سورة المدثر، الآية: 28.

(2) سورة البقرة، الآية: 157.

(3) مجازي، في قونية وأنطاليا.

(4) التركيب، في قونية ورئيس الكتاب.

(5) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 228-229.

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ الْعُلَماءَ كما بَيَّنوا في التَّفْسيرِ شَرائِطَ، بَيَّنوا في الْمُفَسِّرِ أَيضًا شَرائِطَ، لا يَحِلُّ التَّعاطِي لِمَنْ عَرِيَ عنها، أو هُوَ فيها راجِلٌ، وهي أَنْ يَعْرِفَ خَمْسَةَ عَشَرَ عِلْمًا على وَجْهِ الْإِتْقانِ والْكَمالِ:

ـ أَحَدُها: **اللُّغَةُ**؛ إِذْ بها يُعْرَفُ شَرْحُ مُفْرَداتِ الْأَلْفاظِ وَمَدْلولاتُها الْوَضْعِيَّةُ.

قالَ مُجاهِدٌ: لا يَحِلُّ لِأَحَدٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَتَكَلَّمَ في كِتابِ اللهِ تَعالى إذا لم يَكُنْ عالِمًا بِلُغاتِ الْقُرْآنِ. ونُقِلَ أَيْضًا ذَلِكَ عن الْإِمامِ مالِكٍ.

ولا يَكْتَفِي بِمَعْرِفَةِ الْيَسيرِ منها، إِذْ لا يَأْمَنُ أَنْ يَكونَ اللَّفْظُ مُشْتَرَكًا، وهو ذاهِلٌ عن أَحَدِ الْمَعْنَيَيْنِ أو الْمَعانِي، والْمُرادُ الْمَعْنى الْآخَرُ.

ـ **الثَّانِي**: **النَّحْوُ**، إذ تَخْتَلِفُ الْمَعانِي وَتَتَبَدَّلُ بِاخْتِلافِ الْإِعْرابِ، كما رُوِيَ عن الْحَسَنِ أَنَّهُ قالَ: تَعَلَّمِ الْعَرَبِيَّةَ، فإِنَّ الرَّجُلَ يَقْرَأُ الْآيَةَ فَيَعْتَنِي بِوَجْهِها فَيَهْلَكُ فيها.

ـ **الثَّالِثُ**: التَّصْريفُ، إذ به مَعْرِفَةُ الْأَبْنِيَةِ والصِّيَغِ، كما نُقِلَ عن ابْنِ فارِسٍ أَنَّهُ قالَ: كم من كَلِمَةٍ يُجْهَلُ مَعْناها فَتَتَّضِحُ بِمَصادِرِها.

وقالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: من بِدَعِ التَّفاسيرِ قَوْلُ مَنْ قالَ: إِنَّ الْإِمامَ في قَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾[1]، جَمْعُ أُمٍّ، وَإِنَّ النَّاسَ يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيامَةِ

(1) سورة الإسراء، الآية: 71.

بِأُمَّهاتِهِمْ دونَ آبائِهِمْ. قالَ: وهذا غَلَطٌ أَوْجَبَهُ جَهْلُهُ بالتَّصْريفِ، فإنَّ أُمًّا لا تُجْمَعُ على إمامٍ.

- **الرَّابِعُ: الِاشْتِقاقُ،** لأنَّ الْكَلِمَةَ يَخْتَلِفُ مَعْناها باشْتِقاقِها من مادَّتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ؛ كَالْمَسيحِ هل هو من السِّياحَةِ، أو الْمَسْحِ[1].

- **الْخامِسُ والسَّادِسُ والسَّابِعُ: الْمَعانِي والْبَيانُ والْبَديعُ؛** إذْ بِالْأَوَّلِ تُعْرَفُ خواصُّ التَّراكيبِ من جِهَةِ إفادَتِها الْمَعْنى، وبِالثَّانِي خَواصُّها من حَيْثُ اخْتِلافُها بِحَسَبِ الزِّيادَةِ في الْوُضوحِ والنُّقْصانِ فيه، وَبالثَّالِثِ وُجوهُ تَحْسِينِ الْكَلامِ. وهذه الْعُلومُ الثَّلاثَةُ هي عُلومُ الْبَلاغَةِ. الْأَوَّلانِ ذاتِيَّانِ، والثَّالِثُ عَرَضِيٌّ. وهي من أَعْظَمِ أَرْكانِ الْمُفَسِّرِ، لأَنَّهُ لا بُدَّ له من مُراعاةِ ما يَقْتَضيهِ الْإِعْجازُ، وإنَّما يُدْرَكُ بهذه الْعُلومِ؛ إلَّا أنَّ مِلاكَ الْأَمْرِ فيه إمَّا السَّليقَةُ؛ كَالْأَعْرَابِ الْخُلَّصِ، ومن يَحْذو حَذْوَهُمْ، أو الذَّوْقُ الَّذِي هو آلَةٌ في اكْتِسابِ الْبَلاغَةِ، ولا يُمْكِنُ تَحْصيلُها بِدونِهِ.

قالَ السَّكَّاكِيُّ في حَقِّ الْمَعانِي والْبَيانِ: فَالْوَيْلُ كُلُّ الْوَيْلِ لمن تَعاطَى التَّفْسيرَ وهو فيهما راجِلٌ.

- **الثَّامِنُ: عِلْمُ الْقِراءاتِ،** إذْ به يُعْرَفُ كَيْفِيَّةُ النُّطْقِ بِالْقُرْآنِ، وَيُرَجَّحُ بعضُ الْوُجوهِ الْمُحْتَمَلَةِ على بَعْضٍ.

---

(1) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 214-215.

ـ **التَّاسِعُ**: **أُصولُ الدِّينِ**، لأنَّ في الْقُرْآنِ آياتٍ لا يَجوزُ ظاهِرُها في حَقِّ الله تعالى، فَالْأُصوليُّ يُؤَوِّلُ ذلِكَ، ويَحْمِلُهُ على ما يَجوزُ في حَقِّهِ تعالى، فَمَعْرِفَةُ ما يَسْتَحيلُ في حَقِّهِ تَعالى، وما يَجِبُ، وما يَجوزُ، لا يُمْكِنُ إلَّا به.

ـ **الْعاشِرُ**: **أُصولُ الْفِقْهِ**، إذْ به يُعْرَفُ وُجوهُ الِاسْتِدْلالِ على الْأَحْكامِ وَالِاسْتِنْباطِ.

ـ **الْحادِي عَشَرَ**: **أَسْبابُ النُّزولِ والْقَصَصِ**، إذْ بِسَبَبِ[1] النُّزولِ يُعْرَفُ به مَعْنَى الْآيَةِ بِحَسَبِ ما أُنْزِلَتْ فيه.

ـ **الثَّاني عَشَرَ**: **النَّاسِخُ والْمَنْسوخُ**، لِيُعْلَمَ الْمُحْكَمُ من غَيْرِهِ.

ـ **الثَّالِثَ عَشَرَ**: **الْفِقْهُ**.

ـ **الرَّابِعَ عَشَرَ**: **الْأَحاديثُ الْمُبَيِّنَةُ لِتَفْسيرِ الْمُجْمَلِ والْمُبْهَمِ**.

ـ **الخامِسَ عَشَرَ**: **عِلْمُ الْمَوْهِبَةِ**، وهو عِلْمٌ يورِثُهُ الله تَعالى لِمَنْ عَمِلَ بما عَلِمَ[2]، وإليهِ الْإِشارَةُ بِحَديثِ: «مَنْ عَمِلَ بما عَلِمَ، وَرَّثَهُ اللهُ عِلْمَ ما لم يَعْلَمْ»[3].

---

(1) سبب، في أنطاليا ومراد ملا.

(2) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 214-215.

(3) أخرجه ابن نعيم في الحلية: 6/ 163، بلفظ: «فتح الله ما لم يعلم»، والغزالي في الإحياء في عدة مواضع أولها: 1/ 73، وابن عساكر في تاريخ دمشق: 37/ 231.

وَاعْلَمْ أنَّ هذه الْعُلومَ هي الْعُلومُ التي لا مَنْدوحَةَ لِلْمُفَسِّرِ عنها، وإلَّا فَعِلْمُ التَّفْسيرِ لا بُدَّ له من التَّبَحُّرِ في كُلِّ الْعُلومِ.

وأمَّا الْعُلومُ الْمُسْتَنْبَطَةُ من الْقُرْآنِ فَبَحْرٌ لا ساحِلَ له، وَسَتَعْرِفُ نُبَذًا منها إنْ شاءَ الله تَعالى.

وإنْ أُخْطِرْتَ بِالْبالِ أنَّ الْعُلومَ الْوَهْبِيَّةَ لَيْسَتْ في قُدْرَةِ[1] الْبَشَرِ، بل ذلِكَ أَمْرٌ حاصِلٌ بِفَضْلِهِ سُبْحانَهُ مِنْ غَيْرِ كَسْبٍ مِنَ الْعِبادِ.

فَنَقولُ: مَعْنَى الْعُلومِ الْوَهْبِيَّةِ أن يَحْصُلَ في الْإِنْسانِ حالَةٌ كَشْفِيَّةٌ، تَنْكَشِفُ معها الْعُلومُ والْمَعارِفُ بلا تَعَمُّلٍ واكْتِسابٍ، بل بِمَحْضِ لُطْفِ الْمَلِكِ الْوَهَّابِ. لَكِنَّ تَحْصيلَ تلك الْحالَةِ داخِلَةٌ تَحْتَ الْقُدْرَةِ، وحاصِلَةٌ بالْمُباشَرَةِ، وَسَتَعْرِفُ في الطَّرَفِ الثَّانِي من هذه الرِّسالَةِ الْأَسْبابَ الْموصِلَةَ إليها.

وَإِجْمالُها: أنْ لا يَكونَ في الْقَلْبِ بِدْعَةٌ وكِبْرٌ وهَوًى وحُبُّ الدُّنْيا، وَالْإِصْرارُ على الذَّنْبِ، وأن لا يَتَحَقَّقَ بالْإيمانِ، أو يَتَحَقَّقَ به على ضُعْفٍ، وأنْ لا يَعْتَمِدَ في باب التَّفْسيرِ على قَوْلِ مُفَسِّرٍ ليس عنده عِلْمٌ، أو راجِعٍ إلى عَقْلِهِ الْقاصِرِ، وهذه الْأمورُ كُلُّها حُجُبٌ عن حُصولِ[2] الْكَشْفِ، ومَوَانِعُ عنه، بَعْضُها آكَدُ من بَعْضٍ[3].

---

(1) قوة، في الأزهرية

(2) أصول، في الأزهرية.

(3) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 206.

ثُمَّ اعْلَمْ أنَّ التَّفْسيرَ الَّذِي هو عُلومُ الْقُرْآنِ ثَلاثَةُ أَقْسامٍ:

ـ **الْأَوَّلُ**: عِلْمٌ لم يُطْلِعِ اللهُ عليه أَحَدًا من خَلْقِهِ، وهو ما اسْتَأْثَرَ به من عُلومُ أَسْرارِ كِتابِهِ، من مَعْرِفَةِ كُنْهِ ذاتِهِ، ومَعْرِفَةِ حَقائِقِ أَسْمائِهِ وصِفاتِهِ، وتَفاصيلِ عُلومِ غُيوبِهِ، الَّتِي لا يَعْلَمُها إلَّا هو. وهذا لا يَجوزُ لِأَحَدٍ الْكَلامُ فيه بِوَجْهٍ من الْوُجوهِ إجْماعًا.

ـ **والثَّانِي**: ما أَطْلَعَ اللهُ عليه نَبِيَّهُ من أَسْرارِ الْكِتابِ واخْتَصَّهُ به. وهذا لا يَجوزُ الْكَلامُ فيه إلَّا له صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ، أو لمن أُذِنَ له من وارِثِي عِلْمِهِ وحالِهِ. قيلَ: وَأَوائِلُ السُّوَرِ من هذا الْقِسْمِ. وقيلَ: من الْقِسْمِ الأَوَّلِ.

ـ **الثَّالِثُ**: عُلومٌ عَلَّمَها الله نَبِيَّهُ، مما أَوْدَعَ كِتابَهُ من الْمَعانِي الْجَليلَةِ والْخَفِيَّةِ، وَأَمَرَهُ بِتَعْليمِها. وهذا يَنْقَسِمُ إلى قِسْمَيْنِ:

منه ما لا يَجوزُ الْكَلامُ فيه إلَّا بِطَرِيقِ السَّمْعِ؛ كَأَسْبابِ النُّزولِ، والنَّاسِخِ والْمَنْسوخِ، والْقِراءاتِ واللُّغاتِ، وقَصَصِ الْأُمَمِ الْماضِيَةِ، وأَخْبارِ ما هو كائِنٌ من الْحَوادِثِ، وأمورِ الْحَشْرِ والْمَعادِ.

ومنه ما يُؤْخَذُ بِطَريقِ النَّظَرِ والِاسْتِدْلالِ والِاسْتِنْباطِ والِاسْتِخْراجِ من الْأَلْفاظِ، وهو قِسْمانِ:

قِسْمٌ اخْتَلَفوا في جَوازِهِ، وهو تَأْويلُ الْآياتِ الْمُتَشابِهاتِ في الصِّفاتِ.

وَقِسْمٌ اتَّفَقُوا عليه، وهو اسْتِنْباطُ الْأَحْكامِ الْأَصْلِيَّةِ وَالْفَرْعِيَّةِ والْإِعْرابِيَّةِ، لأنَّ مَبْناها على الْأَقْيِسَةِ، وَكَذلكَ فُنونُ الْبَلاغَةِ، وضُروبُ الْمَواعِظِ والْحِكَمِ والْإِشاراتِ لا يَمْتَنِعُ اسْتِنْباطُها منه، واسْتِخْراجُها لمن له أَهْلِيَّةُ ذلك[1].

وإذا عَرَفْتَ هذا، فَاعْلَمْ أنَّ ما عَدَا هذه الْأُمورَ هو التَّفْسيرُ بِالرَّأْيِ، الذي نُهِيَ عنه، وفيه خَمْسَةُ أَنْواعٍ:

ـ **أَحَدُها**: التَّفْسيرُ من غير حُصولِ الْعُلومِ التي يَجوزُ معها التَّفْسيرُ.

ـ **الثَّانِي**: تَفْسيرُ الْمُتَشابِهِ الَّذِي لا يَعْلَمُهُ إلَّا اللهُ.

ـ **الثَّالِثُ**: التَّفْسيرُ الْمُقَرِّرُ لِلْمَذْهَبِ الْفاسِدِ، بأنْ يُجْعَلَ الْمَذْهَبُ أَصْلًا، والتَّفْسيرُ تابِعًا له، فيُرَدَّ إليه بأيِّ طَريقٍ أَمْكَنَ، وإنْ كان ضَعيفًا.

ـ **الرَّابِعُ**: التَّفْسيرُ بأنَّ مُرادَ اللهِ كذا على الْقَطْعِ من غيرِ دَليلٍ.

ـ **الخامِسُ**: التَّفْسيرُ بالِاسْتِحْسانِ والْهَوَى[2].

إذا عَرَفْتَ هذه الْفَوائِدَ التي يَرْتاحُ إليها كُلُّ رائِدٍ، فاعْلَمْ أنَّ الْكُتُبَ الْمُصَنَّفَةَ في التَّفْسيرِ ثَلاثَةُ أنْواعٍ: **وَجيزٌ وَوَسيطٌ وَبَسيطٌ**.

فمن الْكُتُبِ الْوَجيزَةِ فيه:

"**زادُ الْمَسيرِ**"، لابْنِ الْجَوْزِيِّ، وقد عَرَفْتَ تَرْجَمَتَهُ عند ذِكْرِ التَّواريخِ.

و"**الْوَجيزُ**"، لِلْواحِدِيِّ، وقد عَرَفْتَهُ أَيْضًا عن قَريبٍ. و"**تَفْسيرُ الْواضِحِ**"،

(1) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 219-220.

(2) الإتقان: 4/ 219-220.

للإمامِ الرَّازِيِّ، وسَتَعْرِفُهُ عن قَرِيبٍ، و"**تَفْسيرُ الْجَلالَيْنِ**"؛ إذ عَمِلَ نِصْفَهُ الثَّانِي جَلالُ الدِّينِ الْمَحَلِّيُّ، وكَمَّلَهُ جَلالُ الدِّينِ السُّيوطِيُّ. و"**النَّهْرُ**"، لأبِي حَيَّانَ. وقد عَرَفْتَهُ.

ومن الْكُتُبِ الْمُتَوَسِّطَةِ:

"**الْوَسيطُ**"، لِلْواحِدِيِّ، و"**تَفْسيرُ الْماتُرِيدِيِّ**". وهو أبو مَنْصورٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَحْمودٍ الْماتُرِيدِيُّ إمامُ الْهُدَى.

له: "**كِتابُ التَّوْحيدِ**"، و"**كِتابُ الْمَقالاتِ**"، وكِتابُ "**رَدُّ أَوائِلِ الْأَدِلَّةِ لِلْكَعْبِيِّ**". وكتابُ "**بَيانُ وَهْمِ الْمُعْتَزِلَةِ**"، وكتابُ "**تَأْويلاتُ الْقُرْآنِ**".

ماتَ بِسَمَرْقَنْدَ سنةَ ثَلاثٍ وثَلاثينَ وثَلاثِمِئَةٍ، وتَخَرَّجَ بِأَبِي نَصْرٍ الْعِياضِيِّ[1].

وله: كِتابُ "**رَدُّ تَهْذيبِ الْجَدَلِ لِلْكَعْبِيِّ**". و"**رَدُّ كِتابِ وَعيدِ الْعُشَّاقِ**[2] **لِلْكَعْبِيِّ**". و"**رَدُّ الْأُصولِ الْخَمْسَةِ لأبي مُحَمَّدٍ الْباهِلِيِّ**". وكِتابُ "**رَدُّ الْإِمامَةِ لبَعْضِ الرَّوافِضِ**". وَكِتابُ "**الرَّدُّ على الْقَرامِطَةِ**"، وكِتابُ "**الرَّدُّ على فُروعِ الْقَرامِطَةِ**"، و"**كِتابُ مَأْخَذِ الشَّرائِعِ**"، في أُصولِ الْفِقْهِ، و"**كِتابُ الْجَدَلِ**" في أُصولِ الْفِقْهِ. وغيرُ ذلكَ.

---

(1) أحْمد بن الْعَبَّاس بن الْحُسَيْن بن جبلة بن غَالب بن جَابر بن نَوْفَل بن عِيَاض بْن يحيى بن قيس ابن سعد بن عُبادَة الْأَنْصَارِيّ الخزرجي الْفَقِيه السَّمرقَنْدِي أَبُو نصر الْعِياضِي (ت.). ترجمته في الجواهر المضية: 1/ 70، الطبقات السنية: 108، سلم الوصول: 1/ 155.

(2) كذا في النسخ الخطية والصواب: الفُسَّاق.

ومِنَ التَّفاسيرِ الْمُتَوَسِّطَةِ:

تَفْسيرُ "**التَّيْسيرُ**"، لِنَجْمِ الدِّينِ أبي حَفْصٍ عُمَرَ النَّسَفِيِّ. وقد عَرَفْتَهُ في عِلْمِ اللُّغَةِ.

وَتَفْسيرُ "**الْكَشافُ**"، لِلزَّمَخْشَرِيِّ، وهو أبو الْقاسِمِ جارُ اللهِ مَحْمودُ بْنُ عُمَرَ ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الزَّمَخْشَرِيُّ، الْخُوارَزْمِيُّ، الْإِمامُ الْعَلَّامَةُ، الْمَشْهورُ بِفَخْرِ خُوارَزْمَ، إمامُ الدُّنْيا في عِلْمِ الْإِعْرابِ واللُّغَةِ والْمَعانِي والْبَيانِ، والزُّهْدِ وَحُسْنِ السِّيرَةِ في السِّرِّ والْإِعْلانِ، كانَ واسِعَ الْعِلْمِ، كَثيرَ الْفَضْلِ، غايَةً في الذَّكاءِ وَجَوْدَةِ الْقَريحَةِ، مُتَفَنِّنًا في كلِّ عِلْمٍ، مُعْتَزِلِيًّا قَوِيًّا في مَذْهَبِهِ، مُفْتَخِرًا به، وكانَ يَقولُ لِلْخادِمِ إذا أَتَى بابَ أَحَدٍ لِلزِّيارَةِ: قُلْ[1] أبو الْقاسِمِ الْمُعْتَزِلِيُّ بِالْبابِ.

[وقالَ الْعَلَّامَةُ أكْمَلُ الدِّينِ في **شَرْحِ الْكَشَّافِ**: إنَّهُ قد تابَ من مَذْهَبِ الِاعْتِزالِ][2]. وَكانَ حَنَفِيًّا.

وُلِدَ في رَجَبٍ سَنَةَ سَبْعٍ وسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ بِزَمَخْشَرَ، وهي قَرْيَةٌ كَبيرَةٌ من قُرَى خُوارَزْمَ، وَوَرَدَ بَغْدادَ غَيْرَ مَرَّةٍ. وأَخَذَ الْأَدَبَ عن أبي الْحَسَنِ عَلِيِّ بنِ الْمُظَفَّرِ النَّيْسابورِيِّ، وأبي نَصْرٍ الْأَصْبَهانِيِّ. وَسَمِعَ من أبي سَعْدٍ الشَّقَّانِيِّ[3]، وشَيْخِ الْإِسْلامِ أبي مَنْصورٍ الْجَوَالِيقِيِّ الْحارِثِيِّ،

(1) قل بالباب، في مراد ملا.

(2) زيادة من مراد ملا وعاطف أفندي.

(3) تَمِيمُ بْنُ نَصْرٍ التَّمِيمِيُّ الأَدِيبُ أَبُو سَعْدٍ الشَّقَّانِيُّ. ينظر: المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور: 180.

وجَماعَةٍ.وَجاوَرَ بِمَكَّةَ، وَتَلَقَّبَ بِجارِ اللهِ، وَفَخْرِ خُوارَزْمَ أيْضًا. وَكَتَبَ إليه الْحافِظُ السِّلَفِيُّ لِيَسْتَجيزَهُ.

وله من التَّصانيفِ: "**الْكَشَّافُ عن حَقائِقِ التَّنْزيلِ النَّاطِقُ عن دَقائِقِ التَّأْويلِ**"، في التَّفسيرِ، ولم يُصَنَّفْ قَبْلَهُ مِثْلُهُ. و"**الْفائِقُ في غَريبِ الْحَديثِ**"، و"**أَساسُ الْبَلاغَةِ**"، في اللُّغَةِ، و"**رَبيعُ الْأَبْرارِ**"، في الْمُحاضَراتِ، و"**الْمُفَصَّلُ في النَّحْوِ**"، و"**الْمَقاماتُ**"، و"**الْمُسْتَقْصَى في الْأَمْثالِ**"، و"**أطْواقُ الذَّهَبِ**"، و"**صَميمُ الْعَرَبِيَّةِ**"، و"**شَرْحُ أَبْياتِ الْكِتابِ**"، و"**الْأُنْموذَجُ**"، في النَّحْوِ، و"**الرَّائِضُ في الْفَرائِضِ**"، و"**شَرْحُ بعض مُشْكِلاتِ الْمُفَصَّلِ**"، و"**الْكَلِمُ النَّوابِغُ**"، و"**الْقُسْطاسُ في الْعَروضِ**"، و"**الْأَحاجِي النَّحْوِيَّةُ**"، و"**مُقَدِّمَةُ الْأَدَبِ**"، و"**مُتَشابِهُ الْأَسْماءِ**"، في عِلْمِ الْحَديثِ، و"**كِتابُ فُصوصِ الْأَخْبارِ**"، و"**الزِّياداتُ على الْفُصوصِ**"، و"**الْمُخْتَصَرُ من مُوافَقَةِ الصَّحابَةِ**"، وكِتابُ "**أَسْماءُ الْأَوْدِيَةِ والْجِبالِ**"، وكِتابُ "**الْمُفْرَدُ والْمُؤَلَّفُ**"، في النَّحْوِ.

وَرَسائِلُهُ كَثيرَةٌ منها: "**النَّصائِحُ الصِّغارُ**"، و"**النَّصائِحُ الْكِبارُ**"، و"**تَسْلِيَةُ الضَّريرِ**". وغيرُ ذَلِكَ.

وكانَ أعْرَجَ، والتَّحْقيقُ أنَّ إحْدَى رِجْلَيْهِ كانَتْ مَقْطوعَةً، وفي سَبَبِ قَطْعِها اخْتِلافاتٌ، منها أنَّهُ سَقَطَ من السَّطْحِ حينَ كان صَغيرًا، فَانْكَسَرَتْ رِجْلُهُ وَأَنْتَنَتْ فَقَطَعوهَا. ومنها أَنَّهُ سافَرَ بِبِلادِ خُوارَزْمَ، وقد أَصابَهُ ثَلْجٌ كَثيرٌ،

وَبَرْدٌ شَديدٌ، فَسَقَطَتْ منه رِجْلُهُ، وكان يَمْشِي في جَاوِنِ خَشَبٍ[1]. ومنها أَنَّهُ أَصابَهُ خُرَاجٌ في رِجْلِهِ فَقَطَعَهَا، وَصَنَعَ عِوَضَها رِجْلًا من خَشَبٍ. ومنها أَنَّهُ سَقَطَ عن دابَّةٍ فَانْكَسَرَ رِجْلُهُ، وَأَفْضَى إلى أَمْرٍ أَوْجَبَ قَطْعَها.

وَحُكِيَ أَنَّهُ قالَ: أَمْسَكْتُ عُصْفورًا في صِبايَ، وَرَبَطْتُهُ بِخَيْطٍ في رِجْلِهِ، وَأَفْلَتَ من يَدِي فَدَخَلَ في خَرْقِ جِدارٍ، فَجَذَبْتُهُ، فَانْقَطَعَتْ رِجْلُهُ، [فَتَأَلَّمَتْ والِدَتِي لِذَلِكَ][2] وقالَتْ[3]: قَطَعَ اللهُ رِجْلَ الْأَبْعَدِ[4] كما قَطَعْتَ رِجْلَهُ، فَأَدْرَكَنِي دُعاءُ الْوالِدَةِ.

وكانَ إذا مَشَى أَلْقَى عليها ثِيابَهُ الطِّوالَ، فَيَظُنُّ من يَراهُ أَنَّهُ أَعْرَجُ. يُقالُ: إِنَّهُ اتَّخَذَ مَحْضَرًا فيه شَهادَةُ خَلْقٍ كَثيرٍ مِمَّنْ اطَّلَعوا على ذَلِكَ، خَوْفًا من أن يَظُنَّ [مَنْ لَمْ يَعْلَمْ صورَةَ الْحالِ][5] أَنَّها قُطِعَتْ لِريبَةٍ.

قيلَ: كانَ أَبوهُ إِمامًا بِقَرْيَةِ زَمَخْشَرَ، وقالَ: أُعَلِّمُهُ الْخِياطَةَ لأَنَّهُ صارَ زَمِنًا مُبْتَلًى، فقالَ لأبيهِ: احْمِلْنِي إلى الْبَلَدِ واتْرُكْنِي بها، فَحَمَلَهُ إلى الْبَلَدِ، وَرَزَقَهُ اللهُ خطًّا حَسَنًا، فَكَفاهُ اللهُ رِزْقَهُ. وَدَخَلَ على الشَّيْخِ أبي عَلِيٍّ الضَّريرِ الْأَديبِ، فَأَخَذَ منه عِلْمَهُ، ثم جاءَ الشَّيْخُ أبو مُضَرَ الْخُوارَزْمِيُّ النَّحْوِيُّ،

---

(1) أورد صاحب تكملة المعاجم العربية 2/ 353 نص صاحب الوفيات من ترجمة الزمخشري وقال بعقبه: إن استعماله حرف الجر "في" يحملني على الظن أن المقصود (رجل من خشب) وليس (عكازا).

(2) زيادة من أنطاليا.

(3) فقالت والدتي، في قونية ورئيس الكتاب.

(4) رجلك الأبعد، في مراد ملا.

(5) زيادة من أنطاليا.

فَأَخَذَ عنه عِلْمَ الْإِعْرابِ، وهو الَّذِي قالَ له الزَّمَخْشَرِيُّ مَرْثِيَّةً عند وَفاتِهِ منها هذانِ الْبَيْتانِ: [الطويل]

وَقـائِـلَـةٍ مـا هَـذِهِ الـدُّرَرُ الَّـتِـي تُساقِطُها عَيْناكَ سِمْطَيْنِ سِمْطَيْنِ[1]
فَقُلْتُ هو الدُّرُّ الَّذِي قد حَشَـا به أَبُو مُضَرٍ أُذْنِي تَساقَطُ من عَيْنِي[2]

ثُمَّ تَرَقَّتْ به هِمَّتُهُ العالِيَةُ في الْعُلومِ الْعَرَبِيَّةِ، إلى أنْ بَلَغَ دَرَجَةً ما رَأَى مِثْلَ نَفْسِهِ. ثُمَّ وَفَّقَهُ اللهُ تَعالى أَنْ صارَ الْإِمامُ رُكْنُ الدِّينِ مَحْمودٌ الْأُصولِيُّ، والْإِمامُ أبو مَنْصورٍ من تَلامِذَتِهِ في عِلْمِ التَّفْسيرِ، فَكانا يَقْرَآنِ عليه، وهو يَأْخُذُ منهما عِلْمَ الْأُصولِ، وَيَأْخُذُ عِلْمَ الْفِقْهِ من الشَّيْخِ السَّديدِ الْخَيَّاطِيِّ خَتْنِ عَيْنِ الْأَئِمَّةِ، فَجَمَعَ الله له مَناقِبَ الْعُلومِ كُلِّها.

وكانَ في الْحادي والْأَرْبعينَ من عُمُرِهِ يُنادِمُ الْوُزراءَ والْمُلوكَ وَيَمْدَحُهُمْ، وَيَتَنَعَّمُ في الدُّنْيا إلى أنْ أراهُ الله تعالى رُؤْيَا، فَكانَتْ سَبَبَ انْقِطاعِهِ عنهم[3]، وَإِقْبالِهِ على أَمْرِ دينِهِ، وأَوْرَدَ هذه الرُّؤْيا في أوَّلِ كِتابِهِ الْمَوْسومِ بـ "**النَّصائِحُ الْكِبارُ**"، وهي خَمْسونَ مَقامَةً، أنْشَأَها في مُعاتَبَةِ النَّفْسِ لَمَّا رأى تلك الرُّؤْيا في مَرْضَةٍ نَاهِكَةٍ مَرِضَهَا في مُسْتَهَلِّ شَهْرِ الله الأَصَمِّ رَجَبٍ، من سَنَةِ اثْنَتَيْ

(1) البيتان في نزهة الألباء في طبقات الأدباء: 290، ومعجم الأدباء: 6/ 2686.

(2) هي الدرر التي حشا بها، في قونية ورئيس الكتاب والأزهرية ونور عثمانية، هي الدر التي كان قد حشا، في أنطاليا.

(3) منهم، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

عَشْرَةَ وخَمْسِمِئَةٍ، وهي الْحادِيَةُ والْأَرْبعونَ من عُمُرِهِ، وَكانَتْ سَبَبَ إنابَتِهِ وتَوْبَتِهِ، وسَمَّاها عامَ الْمُنْذِرَةِ.

وكانَ من الْوَرَعِ وقِيامِ اللَّيْلِ وتَدْريسِ الْعِلْمِ في الرُّتْبَةِ الْعُلْيا. ووَقَفَ[1] بِعَرَفاتٍ سَبْعَ مَرَّاتٍ، وحَطَّ رَحْلَهُ في الْبَلَدِ الْحَرامِ خَمْسَ سِنينَ. وَتَصانيفُهُ بين زَمْزَمَ والْمَقامِ. وله نَظْمٌ وَنَثْرٌ.

وتُوُفِّيَ بِقَصَبَةِ جُرْجانِيَةِ خُوارَزْمَ، لَيْلَةَ عَرَفَةٍ من سَنَةِ ثَمانٍ وَثَلاثينَ وخَمْسِمِئَةٍ، بعد رُجوعِهِ من مَكَّةَ شَرَّفَها الله تَعالى[2].

وله في مَدْحِ الْكَشَّافِ: [البسيط]

إنَّ التَّفاسيرَ في الدُّنْيا بلا عَدَدِ وَلَيْسَ فيها لَعَمْري مِثْلُ كَشَّافِي[3]
إنْ كُنْتَ تَبْغِي الْهُدَى فَالْزَمْ قِراءَتَهُ فَالْجَهْلُ كَالدَّاءِ والْكَشَّافُ كَالشَّافِي

ومن لَطائِفِ التَّفاسِيرِ:

"تَفْسيرُ الطِّيبِيِّ"، و**"حاشِيَةُ الْكَشَّافِ لِلطِّيبِيِّ"** أَيْضًا؛ وهو الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عبدِ اللهِ، الطِّيبِيُّ الْأَصْلِ، بِكَسْرِ الطَّاءِ، الْإمامُ الْمَشْهورُ، الْعَلَّامَةُ في الْمَعْقولِ، والْعَرَبِيَّةِ والْمَعانِي والْبَيانِ.

---

(1) ووقفته، في قونية ورئيس الكتاب والأزهرية ونور عثمانية.
(2) وفيات الأعيان: 5/ 168-173، بغية الوعاة: 2/ 280.
(3) البيتان في: معجم الأدباء: 6/ 2689، بغية الوعاة: 2/ 280.

قالَ ابْنُ حَجَرٍ: كانَ آيَةً في اسْتِخْراجِ الدَّقائِقِ من الْقُرْآنِ والسُّنَنِ، مُقْبِلًا على نَشْرِ الْعِلْمِ، مُتَواضِعًا، حَسَنَ الْمُعْتَقَدِ، شَديدَ الرَّدِّ على الْفَلاسِفَةِ والْمُبْتَدِعَةِ، مُظْهِرًا فَضائِحَهُمْ، مع اسْتيلائِهِمْ حِينَئِذٍ، شَديدَ الْحُبِّ لله تَعالى وَرَسولِهِ، كَثيرَ الْحَياءِ، مُلازِمًا لِإشْغالِ الطَّلَبَةِ في الْعُلومِ الْإسْلامِيَّةِ بِغَيْرِ طَمَعٍ، بل يَجِدُّ لهم ويُعينُهُمْ، وَيُعيرُ الْكُتُبَ النَّفيسَةَ لِأَهْلِ بَلَدِهِ وغَيْرِهِمْ، من يَعْرِفُ ومَنْ لا يَعْرِفُ، مُحِبًّا لمن عُرِفَ منه تَعْظيمُ الشَّريعَةِ.

وكانَ ذا ثَرْوَةٍ من الْإرْثِ والتِّجارَةِ، فلم يَزَلْ يُنْفِقُهُ في وُجوهِ الْخَيْراتِ حتى صارَ في آخِرِ عُمُرِهِ فَقيرًا.

صَنَّفَ: "**شَرْحُ الْكَشَّافِ**"، و"**التَّفْسيرُ**"، و"**التِّبْيانُ في الْمَعانِي والْبَيانِ**"، وشَرَحَهُ، و"**شَرْحُ الْمِشْكاةِ**".

وَكانَ يَشْتَغِلُ في التَّفْسيرِ من بُكْرَةِ النَّهارِ إلى الظُّهْرِ، ومن ثَمَّةَ[1] إلى الْعَصْرِ في الْحَديثِ، إلى يَوْمِ ماتَ، فإنَّهُ فَرَغَ من وَظيفَةِ التَّفْسيرِ، وتَوَجَّهَ إلى مَجْلِسِ الْحَديثِ، فَصَلَّى النَّافِلَةَ، وَجَلَسَ يَنْتَظِرُ الْإقامَةَ لِلْفَريضَةِ، فَقَضى نَحْبَهُ مُتَوَجِّهًا إلى الْقِبْلَةِ، وذلك يَوْمَ الثُّلاثاءِ ثالِثَ عَشَرَ شَعْبانَ، سنَةَ ثَلاثٍ وأَرْبَعينَ وَسَبْعِمِئَةٍ.

(1) ومن الظهر إلى العصر، في أنطاليا.

قال السُّيوطِيُّ: ذَكَرَ في شَرْحِهِ على الْكَشَّافِ، أنَّهُ أَخَذَ عن أبي حَفْصٍ السُّهْرَوَرْدِيِّ، وَأَنَّهُ قُبَيْلَ الشُّروعِ في هذا الشَّرْحِ، رَأى النَّبِيَّ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ في النَّوْمِ، وقد ناوَلَهُ قِدْحًا من اللَّبَنِ، فَشَرِبَ منه رَضِيَ الله عنه[1].

ومِنَ التَّفاسِيرِ الْمُتَوَسِّطَةِ:

"تَفْسيرُ الْبَغَوِيِّ"، وهو أبو مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنُ بْنُ مَسْعودٍ الْبَغَوِيُّ، الْفَقيهُ الشَّافِعِيُّ، صاحِبُ كِتابِ الْمَصابيحِ[2]، و"شَرْحُ السُّنَّةِ"، و"كِتابُ التَّهْذيبِ"، في الْفِقْهِ. و"مَعالِمُ التَّنْزيلِ في التَّفْسيرِ". وغيرِ ذلك من التَّصانيفِ الْحِسانِ.

كانَ إمامًا في الْفِقْهِ والْحَديثِ، وكانَ مُتَوَرِّعًا ثَبْتًا[3] حُجَّةً، صَحيحَ الْعَقيدَةِ في الدِّينِ.

ماتَ بعد الْمِئَةِ الْخامِسَةِ في سَنَةِ سِتَّ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِئَةٍ.

وَرَأَيْتُ في بعضِ الْمَجاميعِ أَنَّهُ لُقِّبَ بِمُحْيِي السُّنَّةِ. وَسَبَبُ ذلك، أَنَّهُ لما صَنَّفَ "شَرْحُ السُّنَّةِ"، رَأى رَسولَ الله صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ، وقالَ له: أَحْيَيْتَ سُنَّتِي بِشَرْحِ أَحاديثِي، فَلُقِّبَ من ذاكَ الْيَوْمِ بِمُحْيِي السُّنَّةِ.

---

(1) بغية الوعاة: 1/ 522-523.

(2) يقصد كتاب "مصابيح السنة".

(3) ثقة، في مراد ملا.

وَالْبَغَوِيُّ، بِفَتْحِ الْباءِ، وَفَتْحِ الْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ، نِسْبَةً إلى مَدينَةِ بَغْشورَ من مُدُنِ خُراسانَ، نُسِبوا إليها على غَيْرِ قِياسٍ، وفي ذلك تَغْييرٌ وإِبْدالٌ على خِلافِ الْقِياسِ. وَقيلَ: بَغْشورُ اسْمُ الْوِلايَةِ، واسْمُ الْمَدينَةِ بَغَ(1).

ومن التَّفاسيرِ:

تَفْسيرُ الْكَوَاشِيِّ، وهو أَحْمَدُ بْنُ يوسُفَ بْنِ حَسَنِ بْنِ رافِعٍ، الْإمامُ مُوَفَّقُ الدِّينِ الْكَوَاشِيُّ الْمَوْصِلِيُّ، الْمُفَسِّرُ الْفَقيهُ الشَّافِعِيُّ.

قالَ الذَّهَبِيُّ: بَرَعَ في الْعَرَبِيَّةِ والْقِراءاتِ والتَّفْسيرِ، وَقَرَأَ على والِدِهِ والسَّخاوِيِّ، وَكانَ عَديمَ النَّظيرِ زُهْدًا وصَلاحًا وَتَبَتُّلًا وصِدْقًا، يَزورُهُ السُّلْطانُ فَمَنْ دونَهُ فلا يَعْبَأُ بهم، ولا يَقومُ لهم، ولا يَقْبَلُ لهم شَيْئًا، وله كَشْفٌ وكَراماتٌ، وَأَضَرَّ قَبْلَ مَوْتِهِ بِعَشْرِ سِنينَ. وكانَتْ **وِلادَتُهُ** سَنَةَ تِسْعينَ وَخَمْسِمِئَةٍ.

وله: التَّفْسيرُ الْكَبيرُ والصَّغيرُ، جَوَّدَ فيه الْإِعْرابَ، وَحَرَّرَ أَنْواعَ الْوُقوفِ. وَأَرْسَلَ منه نُسْخَةً إلى مَكَّةَ والْمَدينَةِ والْقُدْسِ.

قالَ السُّيوطِيُّ: وعليه اعْتَمَدَ الشَّيْخُ جَلالُ الدِّينِ الْمَحَلِّيُّ في **تَفْسيرِهِ**، واعْتَمَدْتُ عليه أيضًا في تَكْمِلَتِهِ مع **الْوَجيزِ**، **وتَفْسيرِ الْبَيْضاوِيِّ**، **وابْنِ كَثيرٍ**.

ماتَ الكَواشِيُّ بِالْمَوْصِلِ في جُمادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ ثَمانينَ وسِتِّمِئَةٍ(2).

---

(1) وفيات الأعيان: 2/ 136-137، جامع الأصول: 12/ 232.

(2) بغية الوعاة: 1/ 401.

ومن كُتُبِ التَّفاسيرِ:

"**تَفْسيرُ الْقاضِي الْبَيْضاوِيِّ**"، هو الْإِمامُ الْقاضِي ناصِرُ الدِّينِ أبو الْخَيْرِ، عبدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الشِّيرازِيُّ الْبَيْضاوِيُّ. من قَرْيَةٍ يُقالُ لها: الْبَيْضاءُ من عَمَلِ شِيرازَ.

قالَ الْإِسْنَوِيُّ في "طَبَقاتُ الشَّافِعِيَّةِ": كانَ عالِمًا بِعلومٍ كَثيرَةٍ، صالِحًا خَيِّرًا. صَنَّفَ التَّصانيفَ الْمَشْهورَةَ في أَنْواعِ الْعُلومِ؛ منها: "**مُخْتَصَرُ الْكَشَّافِ**"، و**مُخْتَصَرُ الْوَسيطِ في الْفِقْهِ الْمُسَمَّى بِالْغايَةِ**[1]، و**الْمِنْهاجِ**[2]، في أُصولِ الْفِقْهِ، و**الطَّوالِعِ**[3]، في عِلْمِ الْكَلامِ.

وَتَوَلَّى قَضاءَ الْقُضاةِ بإقْليمِهِ.

وَتُوُفِّيَ سنَةَ إحْدى وأَرْبَعينَ وسِتِّمِئَةٍ.

وقالَ الصَّلاحُ الصَّفَدِيُّ: ماتَ بِتِبْريزَ سنَةَ خَمْسٍ وثَمانِينَ.

وقالَ القاضي تاجُ الدِّينِ السُّبْكِيُّ في "**الطَّبَقاتُ الْكُبْرَى**": كانَ إمامًا مُبَرِّزًا، نَظَّارًا صالِحًا مُتَعَبِّدًا زاهِدًا، صَنَّفَ **الطَّوالِعَ**، و**الْمِصْباحَ**[4]، في أُصولِ الدِّينِ، و**شَرْحَ الْمَصابيحِ**[5]، في الْحَديثِ.

---

(1) كتاب الغاية القصوى في دراية الفتوى، وهو مطبوع.

(2) كتاب منهاج الوصول إلى علم الأصول، وهو مطبوع.

(3) كتاب طوالع الأنوار من مطالع الأنظار، وهو مطبوع.

(4) كتاب مصباح الأرواح، وهو مطبوع.

(5) كتاب تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، وهو مطبوع.

وَوَلِيَ قَضاءَ الْقُضاةِ بِشيرازَ، وَدَخَلَ تِبْريزَ، وناظَرَ بها. وصادَفَ دُخولُهُ إليها مَجْلِسَ دَرْسٍ قد عُقِدَ بها لبعض الْفُضَلاءِ، فَجَلَسَ في أُخْرَياتِ الْقَوْمِ، بحيث لم يَعْلَمْ به أَحَدٌ، فَذَكَرَ الْمُدَرِّسُ نُكْتَةً، زَعَمَ أنَّ أحَدًا من الْحاضِرينَ لا يَقْدِرُ على جَوابِها، وَطَلَبَ من الْقَوْمِ حَلَّهَا وَالْجَوابَ عنها، فإنْ لم يَقْدِرُوا فَالْحَلَّ فَقَطْ، فإنْ لم يَقْدِروا فإعَادَتَهَا. فلما انْتَهى من ذِكْرِها، شَرَعَ الْبَيْضاوِيُّ في الْجَوابِ، فقالَ لا أَسْمَعُ حتى أَعْلَمَ أَنَّكَ فَهِمْتَهَا، فَخَيَّرَهُ بين إعادَتِها بِلَفْظِها أو مَعْناها، فَبُهِتَ الْمُدَرِّسُ فقالَ: أعِدْها بِلَفْظِها، فَأعادَها، ثم حَلَّها، وَبَيَّنَ أنَّ في تَرْتِيبِهِ إيَّاها خَلَلًا، ثم أَجابَ عنها، وَقابَلَها في الْحالِ بِمِثْلِها، وَدَعَا الْمُدَرِّسَ إلى حَلِّها، فَتَعَذَّرَ عليه ذَلِكَ، فَأَقامَهُ الْوَزيرُ من مَجْلِسِهِ، وَأَدْناهُ إلى جانِبِهِ، وسَأَلَهُ: من أنْتَ؟ فَأَخبَرَهُ أَنَّهُ الْبَيْضاوِيُّ، وأَنَّهُ جاء في طَلَبِ الْقَضاءِ بِشيرازَ، فَأَكْرَمَهُ، وَخَلَعَ عليه في يَوْمِهِ، وَرَدَّهُ، وَقَضى حاجَتَهُ.

وقال الصَّلاحُ الصَّفَدِيُّ في **تاريخِهِ**: قال لي الْحافِظُ نَجْمُ الدِّينِ سَعيدٌ الدِّهْلِيُّ: **تُوُفِّيَ** الْقاضِي ناصِرُ الدِّينِ الْبَيْضاوِيُّ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَمانينَ وسِتِّمِئَةٍ بِتِبْريزَ، ودُفِنَ بها. وهو صاحِبُ التَّصانِيفِ الْمَشْهورَةِ الْبَديعَةِ، منها: **الْمِنْهاجُ**، في الْأصولِ. وشَرْحُهُ أيْضًا. و"**شَرْحُ مُخْتَصَرِ ابْنِ الْحاجِبِ**"، في الْأُصولِ. وشَرْحُ **الْكافِيَةِ في النَّحْوِ**، لابْنِ الْحاجِبِ. وشَرْحُ **الْمُنْتَخَبِ** في الْأُصولِ، لِلْإمامِ فَخْرِ الدِّينِ. و"**شَرْحُ الْمَطالِعِ**" في الْمَنْطِقِ[1].

(1) نواهد الأبكار وشوارد الأفكار: 1/ 21-22.

ومِنَ التَّفاسيرِ:

"تَفْسيرُ أبي عبدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ بْنِ فَرْحٍ الْأَنْصارِيِّ الْخَزْرَجِيِّ الْقُرْطُبِيِّ"[1].

ومن التَّفاسيرِ:

"تَفْسيرُ سِراجِ الدِّينِ الْهِنْدِيِّ"، وَسَتَعْرِفُهُ في أُصولِ الْفِقْهِ.

ومِنَ التَّفاسيرِ:

تَفْسيرُ **"مَدارِكُ التَّنْزيلِ"**، لِحافِظِ الدِّينِ أبي الْبَرَكاتِ عبدِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مَحْمودٍ النَّسَفِيِّ. صاحِبِ كِتابِ **الْكَنْزِ**[2] في الْفِقْهِ، و**الْمَنارِ**[3] في الْأُصولِ. وَسَتَعْرِفُهُ في عِلْمِ الْأُصولِ.

وَمِنَ التَّفاسيرِ الْمَبْسوطَةِ:

"الْبَسيطُ" لِلْواحِدِيِّ. وقَدْ مَرَّ.

و**"تَفْسيرُ الرَّاغِبِ الْأَصْبَهانِيِّ"**، وقد عَرَفْتَهُ.

وتَفْسيرُ أبي حَيَّانَ الْمُسَمَّى بِالْبَحْرِ. وقد عَرَفْتَهُ.

---

(1) إمام متفنّن متبحِّر فِي العلم، له تصانيف مفيدة تدلّ على كثرة اطِّلاعِهِ، ووُفُورِ فَضْلِهِ، (ت.671هـ) ترجمته في: تاريخ الإسلام: 15/ 229، الوافي بالوفيات: 2/ 122- 123، وغاية النهاية: 2/ 80.

(2) كنز الدَّقائق، وهو مطبوع.

(3) كتاب منار الأنوار في أصول الفقه، وهو مطبوع.

وِمِنَ التَّفاسيرِ:

"**إِعْرابُ الْقُرْآنِ**"[1]، لِلصَّفَاقُسِيِّ. وهو إِبْراهيمُ بنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْراهيمَ بْنِ أبي الْقاسِمِ، الْقَيْسِيُّ، الْمالِكِيُّ، الْعَلَّامَةُ، بُرْهانُ الدِّينِ أبو إِسْحاقَ الصَّفَاقُسِيُّ النَّحْوِيُّ، صاحِبُ "**إِعْرابُ الْقُرْآنِ**".

وُلِدَ في حُدودِ سنَةِ سَبْعٍ وَتِسْعينَ وسِتِّمِئَةٍ. وسَمِعَ بِبِجايَةَ من شَيْخِها ناصِرِ الدِّينِ، ثُمَّ حَجَّ وأَخَذَ عن أبي حَيَّانَ بِالْقاهِرَةِ، وقَدِمَ دِمَشْقَ، فَسَمِعَ من الْمِزِّيِّ، وزَيْنَبَ بِنْتِ الْكَمالِ، وَخَلْقٍ، ومَهَرَ في الْفَضائِلِ.

ماتَ في ثامِنَ عَشَرَ ذِي الْقَعْدَةِ سنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعينَ وسَبْعِمِئَةٍ[2].

و"**تَفْسيرُ ابْنِ عَطِيَّةَ**"، وهو عَبْدُ الله بْنُ عَطِيَّةَ بْنِ عبدِ اللهِ بْنِ حَبيبٍ أبو مُحَمَّدٍ الدِّمَشْقِيُّ، مُقْرِئٌ مُفَسِّرٌ، إمامٌ ثِقَةٌ.

قالَ الدَّانِيُّ: وَكانَ ثِقَةً ضابِطًا خَيِّرًا فاضِلًا.

وقالَ عَبْدُ الْعَزيزِ الْكَتَّانِيُّ: كانَ يَحْفَظُ - فيما يُقالُ[3] - خَمْسينَ أَلْفَ بَيْتٍ لِلِاسْتِشْهادِ على مَعانِي الْقُرْآنِ.

قالَ الذَّهَبِيُّ: كانَ إمامَ مَسْجِدِ بابِ الْجابِيَةِ[4].

---

(1) تفسير إعراب القرآن، في قونية. وهو الْمُجيد في إعراب القرآن الْمَجيد، وهو مطبوع.

(2) بغية الوعاة: 1/ 425.

(3) نُقِلَ، في قونية.

(4) الجابية: بكسر الباء بعدها ياء مخففة، قرية من أعمال دمشق. معجم البلدان: 2/ 91.

قالَ الْجَزَرِيُّ: هو الْمَسْجِدُ الذي داخِلَ الْبابِ، وَيُعْرَفُ الْيَوْمَ بِمَسْجِدِ عَطِيَّةَ.

تُوُفِّيَ في شَوَّالٍ سَنَةَ ثَلاثٍ وثَمانينَ وَثَلاثِمِئَةٍ(1).

ومن التَّفاسيرِ:

"تَفْسيرُ الْخِرَقِيِّ"، وهو أبو الْقاسِمِ عُمَرُ بْنُ أبي عَلِيٍّ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ الْخِرَقِيُّ، الْفَقيهُ الْحَنْبَلِيُّ. كانَ من أَعْيانِ الْفُقَهاءِ الْحَنابِلَةِ، وَصَنَّفَ في مَذْهَبِهِمْ كُتُبًا كَثيرَةً، منها: "الْمُخْتَصَرُ" الْمَشْهورُ في أَيْدِي الْمُبْتَدِئينَ من أَصْحابِهِمْ.

وَتُوُفِّيَ بِدِمَشْقَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وثَلاثينَ وَثَلاثِمِئَةٍ.

وكانَ والِدُهُ أيْضًا من الْأَعْيانِ. رَوَى عن جَماعَةٍ، وَرَوَى عنه جَماعَةٌ.

وَالْخِرَقِيُّ: نِسْبَةً إلى بائِعِ الْخِرَقِ وَالثِّيابِ(2).

قُلْتُ: لم أَرَ تَفْسيرًا لِلْخِرَقِيِّ أصْلًا، ولا سَمِعْتُهُ من أَحَدٍ، ولكنْ وَجَدْتُ في كِتابِ الإتْقانِ، لِلسُّيوطِيِّ: تَفْسيرَ الْخِرَقِيِّ، ولهذا ذَكَرْتُهُ، إلَّا أنَّ الغالِبَ على ظَنِّي أنه تَصْحيفٌ من الْحَوْفِيِّ، ولهذا ذَكَرْتُهُ عَقيبَهُ، وهذا التَّصْحيفُ بَعيدٌ من الْمُصَنِّفِ، والْغالِبُ أنه من النَّاسِخِ(3).

ومِنَ التَّفاسيرِ:

"تَفْسيرُ الْحَوْفِيِّ"، وهو عَلِيُّ بنُ إبْراهيمَ بْنِ سَعيدِ بْنِ يوسُفَ الْحَوْفِيُّ.

---

(1) غاية النهاية: 1/ 433.

(2) وفيات الأعيان: 3/ 441.

(3) لم نقف على تفسير الخرقي في كتاب الإتقان المطبوع، وذُكِرَ في طبقات المفسرين للداوودي: 1/ 284.

كانَ نَحْوِيًّا قارِئًا. صَنَّفَ "**الْبُرْهانُ في تَفْسيرِ الْقُرْآنِ**"، و"**عُلومُ الْقُرْآنِ**"[1]، و"**الْمُوَضِّحُ في النَّحْوِ**".

وَماتَ مُسْتَهَلَّ ذي الْحِجَّةِ سَنَةَ ثَلاثينَ وأَرْبَعِمِئَةٍ[2].

ومِنَ التَّفاسيرِ:

"**تَفْسيرُ الْقُشَيْرِيِّ**"، وهو أبو الْقاسِمِ عبدُ الْكَريمِ بْنُ هَوازِنَ بنِ عبدِ الْمَلِكِ ابْنِ طَلْحَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْقُشَيْرِيُّ، الْفَقيهُ الشَّافِعِيُّ. كانَ عَلَّامَةً في الْفِقْهِ والتَّفْسيرِ والْحَديثِ وَالْأُصولِ والْأَدَبِ والشِّعْرِ والْكِتابَةِ وعِلْمِ التَّصَوُّفِ. جَمَعَ بين الشَّريعَةِ والْحَقيقَةِ.

أَصْلُهُ من ناحيةِ أُسْتُوَا[3] من الْعَرَبِ الَّذينَ قَدِموا خُراسانَ، تُوُفِّيَ أبوهُ وهو صَغيرٌ، وقَرَأَ الْأَدَبَ في صِباهُ، وذَهَبَ إلى نَيْسابورَ لِيَتَعَلَّمَ طَرَفًا من الْحِسابِ، لِيَحْمِيَ قَرْيَةً كانَتْ له من الْخَراجِ، وَحَضَرَ بِنَيْسابورَ مَجْلِسَ الشَّيْخِ أبي عَلِيٍّ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ النَّيْسابورِيِّ، الْمَعْروفِ بالدَّقَّاقِ. كانَ إمامَ وَقْتِهِ، فَلَمَّا سَمِعَ كَلامَهُ أَعْجَبَهُ، وَوَقَعَ في قَلْبِهِ، فَرَجَعَ عن ذَلِكَ الْعَزْمِ، وَسَلَكَ طَريقَ الْإِرادَةِ، [فَقَبِلَهُ الدَّقَّاقُ، وَأَقْبَلَ عليه][4]، وَتَفَرَّسَ فيه النَّجابَةَ، فَجَذَبَهُ بِهِمَّتِهِ، وَأَشارَ إليه بِالِاشْتِغالِ بِالْعِلْمِ، فَخَرَجَ إلى دَرْسِ أبي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ أبي بَكْرٍ الطُّوسِيِّ،

---

(1) إعراب القرآن، في طبقات المفسرين للداودي: 1/ 284.

(2) بغية الوعاة: 2/ 140.

(3) أُسْتُوَا: بالضم ثم السكون، وضم التاء المثنّاة، وواو، وألف، كورة من نواحي نيسابور، معناه بلسانهم المضحاة والمشرقة. معجم البلدان: 1/ 175.

(4) زيادة من أنطاليا.

وَشَرَعَ في الْفِقْهِ حتى فَرَغَ من تَعْلِيقِهِ، ثُمَّ اخْتَلَفَ إلى الْأُسْتاذِ أبي بَكْرِ بنِ مُحَمَّدِ فُورَكَ[1]، فَقَرَأَ عليه حتى أَتْقَنَ عِلْمَ الْأُصولِ، ثُمَّ تَرَدَّدَ إلى الْأُسْتاذِ أبي إسْحاقَ الْأَسْفَرايِينِيِّ، فَقالَ الْأُسْتاذُ: لا بُدَّ في هذا الْعِلْمِ من الْكِتابَةِ، فَأَعادَ عليهِ جَميعَ ما سَمِعَهُ منه في تِلْكَ الْأَيّامِ، فَعَجِبَ منه، وَعَرَفَ مَحَلَّهُ فَأَكْرَمَهُ.

ثُمَّ نَظَرَ في كُتُبِ القاضي أبي بَكْرِ بْنِ الطَّيِّبِ الْباقِلانِيِّ، وهو مع ذَلِكَ يَحْضُرُ مَجْلِسَ أبي عَلِيٍّ الدَّقاقِ، وَزَوَّجَهُ ابْنَتَهُ. وبعدَ وَفاةِ أبي عَلِيٍّ، سَلَكَ مَسْلَكَ الْمُجاهَدَةِ والتَّجْريدِ، وَصَنَّفَ التَّفْسيرَ الْكَبيرَ وسَمَّاهُ: "**التَّيْسيرُ في عِلْمِ التَّفْسيرِ**"، وهو من أَجْوَدِ التَّفاسيرِ. وصَنَّفَ "**الرِّسالَةُ في رِجالِ الطَّريقَةِ**"، وَخَرَجَ إلى الْحَجِّ في رُفْقَةٍ فيها الشَّيْخُ أبو مُحَمَّدٍ الْجُوَيْنِيُّ - والِدُ إمامِ الْحَرَمَيْنِ - وَأَحْمَدُ بنُ الْحُسَيْنِ الْبَيْهَقِيُّ، وَجَماعَةٌ مِنَ الْمَشاهِيرِ، فَسَمِعَ مَعَهُمُ الْحَديثَ بِبَغْدادَ والْحِجازِ.

وَكانَ له في الْفُروسِيَّةِ واسْتِعْمالِ السِّلاحِ يَدٌ بَيْضاءُ.

وَأَمَّا مَجالِسُ الْوَعْظِ فهو كما قيلَ: لو قَرَعَ الصَّخْرَ بِصَوْتِ[2] تَحْذيرِهِ لَذابَ، ولو رُبِطَ إِبْليسُ في مَجْلِسِهِ لَتابَ.

وكانَ حَسَنَ الْمَوْعِظَةِ، مَليحَ الْإِشارَةِ. وكانَ يَعْرِفُ الْأصولَ على مَذْهَبِ الْأَشْعَرِيِّ، وَالْفُروعَ على مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ.

---

(1) كذا في النسخ الخطية. وهو: أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ فُورَكَ. ينظر: تبيين كذب المفتري: 232.

(2) بسوط، في رئيس الكتاب وأنطاليا وعاطف أفندي.

وُلِدَ في شَهْرِ رَبيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ سِتٍّ وَسَبْعِينَ وثَلاثِمِئَةٍ. **وتُوُفِّيَ** سادِسَ عَشَرَ رَبيعِ الْآخِرِ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وأَرْبَعِمِئَةٍ، بِمَدينَةِ نَيْسابورَ. **وَتُوُفِّيَ** شَيْخُهُ أبو عَلِيٍّ الدَّقاقُ سَنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ. والْقُشَيْرِيُّ نِسْبَةً إلى قَبيلَةٍ من قُشَيْرِ ابْنِ كَعْبٍ[1].

ومِنَ التَّفاسيرِ:

"**تَفْسيرُ ابْنِ عَقيلٍ**"، وهو عَبْدُ اللهِ بنُ عبدِ الرَّحْمنِ بْنِ عبدِ اللهِ بنِ أبي الْفَتْحِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَقيلٍ الْعَقيلِيُّ الطَّالِبِيُّ الْهاشِمِيُّ الْأَصْلِ، الْمِصْرِيُّ الْمَوْلِدِ، الشَّافِعِيُّ الْإِمامُ، الْعَلَّامَةُ بهاءُ الدِّينِ، شَيْخُ الشَّافِعِيَّةِ بالدِّيارِ الْمِصْرِيَّةِ. قَرَأَ الْقِراءاتِ السَّبْعَ على الصَّائِغِ[2]، وَأَتْقَنَ الْعُلومَ، وانْفَرَدَ بِالرِّئاسَةِ، وَبَرَعَ في الْعَرَبِيَّةِ والْفِقْهِ والْأُصولَيْنِ[3] والتَّفْسيرِ.

وَلَهُ من الْمُصَنَّفاتِ: كِتابُ "**الْجامِعُ النَّفيسُ على مَذْهَبِ الْإِمامِ مُحَمَّدِ بْنِ إِدْريسَ**"، كَتَبَ منه سِتَّ مُجَلَّداتٍ إلى آخِرِ الِاسْتِطابَةِ، ثُمَّ لَخَّصَهُ في إِمْلاءٍ سَمَّاهُ: "**تَيْسيرُ الِاسْتِعْدادِ إلى رُتْبَةِ الِاجْتِهادِ**"، وكِتابُ "**الذَّخيرَةُ في تَفْسيرِ الْقُرْآنِ**"، كَتَبَ منه مُجَلَّدَيْنِ على نَحْوِ حِزْبٍ ونِصْفٍ، ثُمَّ لَخَّصَهُ وَسَمَّاهُ: "**الْإِمْلاءُ الْوَجيزُ على الْكِتابِ الْعَزيزِ**". وله: **كِتابٌ مُطَوَّلٌ على مَسْأَلَةِ رَفْعِ**

---

(1) وفيات الأعيان: 3/ 205-208.

(2) أحمد بن الحسن بن عبد الله بن أحمد أبو عبد الله المقرئ الهمذاني، المعروف بالصائغ (414هـ)، تاريخ الإسلام: 9/ 230.

(3) الأصول، في رئيس الكتاب.

الْيَدَيْنِ، ثُمَّ لَخَّصَهُ في كُرَّاسٍ واحِدٍ. وله: كِتابُ "**الْمُساعِدُ على تَسْهيلِ الْفَوائِدِ**". وله: "**إمْلاءٌ على شَرْحِ أَلْفِيَّةِ ابْنِ مالِكٍ**". وله: "**رِسالَةٌ على قَوْلِ: أنا مُؤْمِنٌ إنْ شاءَ اللهُ تَعالَى**".

وَوَلِيَ الْقَضاءَ مُدَّةً مَديدَةً.

قالَ الْجَزَرِيُّ: ولَمَّا حَجَجْنا سَنَةَ ثَمانٍ وسِتِّينَ وَسَبْعِمِئَةٍ، اجْتَمَعْنا بِمَكَّةَ، ثُمَّ بِالْمَدينَةِ. **وَتُوُفِّيَ** في مَرْجِعِهِ من الْحَجِّ سنَةَ تِسْعٍ وَسِتِّينَ وسَبْعِمِئَةٍ[1].

ومِنَ التَّفاسيرِ:

"**تَفْسيرُ ابْنُ رَزينٍ**"[2].

ومِنَ التَّفاسِيرِ:

"**تَفْسيرُ الْمَاوَرْدِيِّ**". وَقَدْ عَرَفْتَهُ.

ومِنَ التَّفاسِيرِ:

"**تَفْسيرُ سُلَيْمٍ الرَّازِيِّ**"[3].

---

(1) غاية النهاية: 1/ 428.

(2) تقي الدين ابن رزين، أبو عبد الله محمد بن الحسين الحموي ثم المصري الشافعي (ت.680هـ). ترجمته في: جمال القراء: 1/ 35، تاريخ الإسلام: 15/ 399، الوافي بالوفيات: 3/ 15، طبقات الشافعية الكبرى: 8/ 46.

(3) أبو الفتح سُلَيْمُ بن أيوب بن سليم الرازي الفقيه الشافعي الأديب؛ كان مشاراً إليه في الفضل والعبادة، وصنف الكتب الكثيرة، (ت.447هـ). ترجمته في: إنباه الرواة: 2/ 69، وفيات الأعيان: 2/ 397، طبقات الشافعية الكبرى: 4/ 388.

ومِنَ التَّفاسِيرِ:

"**تَفْسيرُ إمامِ الْحَرَمَيْنِ**"، وهو أبو الْمَعالِي عَبْدُ الْمَلِكِ ابْنُ الشَّيْخِ أبي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ الْجُوَيْنِيُّ، الْفَقيهُ الشَّافِعِيُّ، الْمُلَقَّبُ ضِياءَ الدِّينِ، الْمَعْروفُ بإمامِ الْحَرَمَيْنِ، أَعْلَمُ الْمُتَأَخِّرينَ من أَصْحابِ الشَّافِعِيِّ على الْإِطْلاقِ، الْمُجْمَعُ على إمامَتِهِ وتَفَنُّنِهِ في الْعُلومِ، من الْأُصولِ والْفُروعِ والْأَدَبِ، وَغَيْرِ ذلِكَ.

وَرُزِقَ من التَّوَسُّعِ في الْعِبادَةِ ما لم يُعْهَدْ من غَيْرِهِ. وكان يَذْكُرُ دُروسًا يَقَعُ كلُّ واحِدٍ منها في عِدَّةِ أوْراقٍ، ولا يَتَلَعْثَمُ في كَلِمَةٍ منها. وَتَفَقَّهَ على والِدِهِ، وكان يُعْجَبُ بِطَبْعِهِ وَتَحْصيلِهِ وجَوْدَةِ قَريحَتِهِ، وما يَظْهَرُ عليه من مَخايِلِ الْإِقْبالِ[1]. وزادَ على مُصَنَّفاتِ والِدِهِ في التَّدْقيقِ والتَّحْقيقِ، وَقَعَدَ مَكانَ والِدِهِ لِلتَّدْريسِ، ثُمَّ سافَرَ إلى بَغْدادَ، ولَقِيَ بها جَماعَةً من الْعُلَماءِ، ثُمَّ جاوَرَ بِمَكَّةَ أَرْبَعَ سِنينَ وبِالْمَدِينَةِ يُدَرِّسُ وَيُفْتِي ويَجْمَعُ طُرُقَ الْمَذْهَبِ، ولهذا قيلَ له: إمامُ الْحَرَمَيْنِ.

ثُمَّ بَنَى له الْوَزيرُ نِظامُ الْمُلْكِ الْمَدْرَسَةَ النِّظامِيَّةَ بِنَيْسابورَ، وتَوَلَّى الْخَطابَةَ بها، وَكانَ يَجْلِسُ لِلْوَعْظِ والْمُناظَرَةِ، وَسَلَّمَ له الْمِحْرابَ والْمِنْبَرَ والتَّدْريسَ

---

(1) يظهر في هذا النقل بعض الاضطراب بسبب حذف المصنف لعبارة موضحة لمعنى الكلام حقها الإثبات، وهي قول ابن خلكان: إن الجويني أتى على جميع مصنفات والده، وتصرف فيها، وزاد عليها في التحقيق والتدقيق.

والتَّذْكيرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ. وظَهَرَتْ تَصانيفُهُ، وصارَتْ كُلُّهَا مُفيدَةً وَمَقْبولَةً، وحَضَرَ دُروسَهُ الْأَكابِرُ من الْأَئِمَّةِ، وَبَقِيَ على ذَلِكَ قَريبًا من ثَلاثينَ سَنَةً.

وَكانَ إذا شَرَعَ في عُلومِ الصُّوفِيَّةِ وَشَرْحِ الْأَحْوالِ أَبْكَى الْحاضِرينَ. ولَم يَزَلْ على طَريقَةٍ حَميدَةٍ، وَسيرَةٍ مَرْضِيَّةٍ من أَوَّلِ عُمُرِهِ إلى آخِرِهِ.

حُكِيَ أنَّ والِدَهُ رَبَّاهُ وَأُمَّهُ بِكَسْبِ يَدِهِ، ولم يَزَلْ يوصي أُمَّهُ أَنْ لا تُرْضِعَ وَلَدَهُ غَيْرُها، فاتَّفَقَ أنْ أَرْضَعَتْهُ امْرَأَةٌ من جيرانِهِمْ، وأُمُّهُ غيرُ واقِفَةٍ، فلمَّا رَآهُ أبوهُ، مَسَحَ بَطْنَهُ، وَأَدْخَلَ أُصْبُعَهُ في فيهِ، حتى قَاءَ جَميعَ ما شَرِبَهُ، وهو يَقولُ: يَسْهُلَ عَلَيَّ أن يَموتَ ولا يَفْسُدَ طَبْعُهُ.

ويُحْكَى أَنَّهُ إذا لَحِقَتْهُ[1] فَتْرَةٌ عن الْمُناظَرَةِ كانَ يقولُ: هذا من بَقايا تِلك الرَّضْعَةِ.

وُلِدَ في ثامِنَ عَشَرَ الْمُحَرَّمِ سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ وأَرْبَعِمِئَةٍ. وتُوُفِّيَ لَيْلَةَ الْأرْبعاءِ وَقْتَ الْعِشاءِ الْآخِرَةِ، الْخامِسِ والْعِشْرينَ من رَبيعِ الْآخِرِ، سَنَةَ ثَمانٍ وَسَبْعينَ وأرْبَعِمِئَةٍ. وكانَتْ تَلامِذَتُهُ يَوْمَئِذٍ قَريبًا من أَرْبَعِمِئَةٍ، فَكَسَروا مَحابِرَهُمْ وأَقْلامَهُمْ، وأَقامُوا على ذلك عامًا كامِلًا. قيل: أُغْلِقَتِ الْأَسْواقُ يَوْمَ مَوْتِهِ، وكُسِرَ مِنْبَرُهُ في الْجامِعِ، وقَعَدَ النَّاسُ لِعَزائِهِ[2].

---

(1) لحقه، في رئيس الكتاب وأنطاليا وعاطف أفندي.

(2) وفيات الأعيان: 3/ 167-169.

ومِنَ التَّفاسيرِ:

"**تَفْسيرُ ابْنِ بَرَّجَانَ**"، وهو عبدُ السَّلامِ بنُ عبدِ الرَّحِمنِ بْنِ عبدِ السَّلامِ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أبي الرِّجالِ مُحَمَّدِ بْنِ عبدِ الرَّحْمنِ، اللَّخْمِيُّ الْإِشْبيلِيُّ(1)، الْمَعْروفُ بِابْنِ بَرَّجانَ، وهو مُخَفَّفٌ من ابْنِ أبي الرِّجالِ.

ذَكَرَهُ في الْبُلْغَةِ فقالَ: إمامٌ في اللُّغَةِ والنَّحْوِ(2).

وقالَ غَيْرُهُ: أَخَذَ اللُّغَةَ والْعَرَبِيَّةَ عن ابْنِ مُلْكونَ، ولازَمَهُ كَثِيرًا. وكانَ من أَحْفَظِ أهْلِ زَمانِهِ لِلُّغَةِ، مُسَلَّمًا له ذلك، صَدوقًا ثِقَةً.

وله رَدٌّ **على ابْنِ سِيدَه**(3).

ماتَ سنة سَبْعٍ وعِشْرينَ وسَبْعِمِئَةٍ(4).

قالَ الْخَلَّكانِيُّ في تَرْجَمَةِ أبي الْمَعالِي مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ الْقُرَشِيِّ، الْمُلَقَّبِ مُحْيِي الدِّينِ، الْمَعْروفِ بابْنِ زَكِيِّ الدِّينِ الدِّمَشْقِيِّ، الْفَقيهِ الشَّافِعِيِّ: إنَّ أبا الْمَعالِي الْمَذْكورَ أَنْشَدَ **قَصيدَةً بائِيَّةً** عند فَتْحِ السُّلْطانِ صَلاحِ الدِّينِ مَدينَةَ حَلَبَ سَنَةَ تِسْعٍ وَسَبْعينَ وخَمْسِمِئَةٍ، من جُمْلَتِها هذا الْبَيْتُ: [البسيط]

---

(1) ذكر طاش كبري زاده هنا ابن برجان الحفيد المتوفى سنة: 627هـ وصاحب التفسير هو عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبي الرِّجال (ت.536هـ). ينظر: الوافي بالوفيات: 18/ 259-260.

(2) البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: 185.

(3) المستملح من كتاب التكملة: 276.

(4) كذا في جميع النسخ، والصحيح أن وفاة ابن برجان: 536هـ.

وَفَتْحُكَ الْقَلْعَةَ الشَّـهْباءَ في صَـفَرٍ مُبَشِّـرٌ بِفُتوحِ الْقُدْسِ في رَجَبِ[1]

فَكانَ كما قالَ، فإنَّ الْقُدْسَ فُتِحَتْ لِثَلاثٍ بَقينَ من رَجَبٍ، سَنَةَ ثَلاثٍ وَثَمانينَ وَخَمْسِمِئَةٍ.

قيلَ له: من أَيْنَ لك هذا؟ قالَ: أَخَذْتُهُ من تَفْسيرِ ابْنِ بَرَّجانَ في قَوْلِهِ تعالى: ﴿الم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾[2]، وله حِسابٌ طَوِيلٌ.

قالَ الْخَلْكانِيُّ: ولم أَزَلْ أَتَطَلَّبُ **تَفْسيرَ ابْنِ بَرَّجانَ** حتى وَجَدْتُهُ، فَرَأَيْتُ في هامِشِ الْكِتابِ حِسابًا طَويلًا[3].

وله ولِأَمْثالِهِ طَريقٌ مَخْصوصٌ لِاسْتِخْراجِ الْأَحْكامِ ليس هذا مَوْضِعَ ذِكْرِهِ.

ومن التَّفاسيرِ:

"تَفْسيرُ ابْنِ بَرِيزَةَ"[4].

---

(1) البيت والخبر في وفيات الأعيان: 2/ 331.

(2) سورة الروم، الآية: 1-3.

(3) وفيات الأعيان: 2/ 331.

(4) أبو محمد عبد العزيز بن إبراهيم بن أحمد القرشي، التميمي، التونسي، المعروف بابن بَزيزة - وأهل تونس يضبطونها بالضم - الصُّوفي، المفسر، الفقيه المالكي، (ت. 662هـ). ترجمته في: نيل الابتهاج بتطرز الديباج: 268، وسمى تفسيره: البيان والتحصيل المطلع على علوم التنزيل، الجامع بين مقاصد الزمخشري وابن عطية في تفسيرهما، المكمل بزيادات عن غيرهما، ويظهر أن المصنف لم يقف على هذا التفسير.

ومن التفاسير:

"تَفْسيرُ ابْنِ الْمُنَيِّرِ"، هو أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَنْصورِ بْنِ أبي الْقاسِمِ بنِ مُخْتارِ بْنِ أبي بَكْرِ الْجُذامِيِّ الإِسْكَنْدَرِيِّ الْمالِكِيِّ، الْقاضِي ناصِرُ الدِّينِ أبو الْعَبَّاسِ ابْنُ الْمُنَيِّرِ.

كانَ إمامًا في النَّحْوِ والْأَدَبِ والْأُصولِ والتَّفْسيرِ، وله يَدٌ طولَى في عِلْمِ الْبَيانِ والإِنْشاءِ. سَمِعَ من أَبيهِ وابْنِ رَوَاجٍ[1]، ومنه أبو حَيَّانَ وَغَيْرُهُ. وَخَطَبَ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ، ودَرَّسَ بِالْجامِعِ الْجُيوشِيِّ[2] وغَيْرِهِ، ونابَ في الْحُكْمِ بها. ثُمَّ اشْتَغَلَ بِالْقَضاءِ، ثُمَّ صُرِفَ وصُودِرَ، ثُمَّ أُعيدَ إليه. وَسُئِلَ عنه ابْنُ دَقيقِ الْعِيدِ فقالَ: ما يَقِفُ في البحث على حَدٍّ.

وفيه يَقولُ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْحاجِبِ من أَبْياتٍ: [الوافر]

لَقَدْ سَئِمَتْ حَياتِي الْبَحْثَ لَوْلَا مَباحِثُ ساكِنِ الإِسْكَنْدَرِيَّه[3]

صَنَّفَ التَّفْسيرَ، و**"الِانْتِصافُ من صاحِبِ الْكَشَّافِ"**، و**"مُناسَباتُ تَراجِمِ الْبُخارِيِّ"**. وغيرَ ذلِكَ.

(1) هو عبد الوهاب بن ظافر بن علي بن فتوح الإسكندراني المالكي (ت. 648هـ).

(2) مسجد الجيوشى على قمة جبل المقطم، بناه أمير الجيوش بدر الجمالى سنة 478 هـ ويسمى «مسجد أمير الأمراء». مرشد الزوار إلى قبور الأبرار: 2/ 155.

(3) البيت والترجمة في بغية الوعاة: 1/ 384.

وأَرادَ أنْ يُصَنِّفَ في الرَّدِّ على الإِحْياءِ، فَخاصَمَتْهُ أُمُّهُ، وقالَتْ له: فَرَغْتَ من مُضارَبَةِ الْأَحْياءِ، وَشَرَعْتَ في مُضارَبَةِ الْأَمْواتِ، فتَرَكَهُ.

مَوْلِدُهُ ثالِثَ ذي الْقَعْدَةِ سنَةَ عِشْرينَ وسِتِّمِئَةٍ. **وماتَ** - قيلَ مَسْمومًا - يَوْمَ الخميس، مُسْتَهَلَّ ربيع الأَوَّلِ، سنَةَ ثَلاثٍ وثَمانينَ وسِتِّمِئَةٍ.

ومن التَّفاسِيرِ:

"مُقَدِّمَةُ التَّفْسيرِ"، لابْنِ النَّقيبِ، وهو مُحَمَّدُ بْنُ أبي بَكْرِ بْنِ إبْراهيمَ بنِ عبدِ الرَّحْمنِ بنِ مُحَمَّدِ بْنِ نَجْدَةِ بنِ حَمْدانَ، قاضي الْقُضاةِ، شَمْسُ الدِّينِ ابْنُ النَّقيبِ، الْحاكِمُ بِحِمْصَ، ثُمَّ طَرابُلُسَ، ثُمَّ حَلَبَ، ثُمَّ مُدَرِّسُ الشَّامِيَّةِ الْبَرَّانِيَّةِ، وصاحِبُ النَّوَوِيِّ، وأَعْظِمْ بتلْكَ الصُّحْبَةِ رُتْبَةً عَلِيَّةً.

وله الدِّيانَةُ والْعِفَّةُ والْوَرَعُ الذي طَرَدَ به الشَّيْطانَ، وَأَرْغَمَ أَنْفَهُ، وكانَ من أَساطينِ الْمَذْهَبِ، وَجَمْرَةَ نارِ ذَكاءٍ إلا أَنَّها لا تَتَلَهَّبُ.

قالَ ابْنُ السُّبْكِيِّ: سَمِعْتُهُ يَقولُ: قال لي النَّوَوِيُّ: يا قاضِي شَمْسُ الدِّينِ، لا بُدَّ أنْ تَلِيَ تَدْريسَ الشَّامِيَّةِ.

تَوَلَّى الْقَضاءَ، ثُمَّ الشَّامِيَّةَ، سَمِعَ من أَحْمَدَ بنِ أبي بَكْرٍ ابْنِ الْحَمَوِيِّ، وأبي الْحَسَنِ ابْنِ الْبُخارِيِّ، وأبي حامِدٍ ابْنِ الصَّابونِيِّ، وأَحْمَدَ بنِ شَيْبانَ، وزَيْنَبَ بِنْتِ مَكِّي، وغَيْرِهِمْ.

مَوْلِدُهُ تَقْرِيبًا في سنَةِ اثْنَتَيْنِ وسِتِّينَ وسِتِّمِئَةٍ. وكانَ يقولُ: إنَّهُ ما يَموتُ إلَّا لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، فَتُوُفِّيَ ليلةَ الْجُمُعَةِ، ووافَقَ ثاني عَشَرَ ذي الْقَعْدَةِ سنَةَ خَمْسٍ وأَرْبَعينَ وسَبْعِمِئَةٍ بالْمَدْرَسَةِ الشَّامِيَّةِ[1].

ومِنَ التَّفاسيرِ:

"**أَمالِي الرَّافِعِيِّ على الْفاتِحَةِ**"، وهو عَبْدُ الْكَريمِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْكَريمِ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ الْحَسَنِ الْقَزْوِينِيُّ، الإمامُ الْجَليلُ، أبو الْقاسِمِ الرَّافِعِيُّ. صاحِبُ: الشَّرْحِ الْكَبيرِ الْمُسَمَّى بـ "**الْعَزيزُ**". وله: "**الْفَتْحُ الْعَزيزُ في شَرْحِ الْوَجيزِ**"[2]، و"**الشَّرْحُ الصَّغيرُ**"، و"**الْمُحَرَّرُ**"، و"**شَرْحُ مُسْنَدِ الشَّافِعِيِّ**"، و"**الأَمالِي الشَّارِحَةُ على مُفْرَداتِ الْفاتِحَةِ**". وهو ثَلاثونَ مَجْلِسًا، أَمْلاها أَحاديثَ بِأَسانيدِهِ عن أَشْياخِهِ على سورَةِ الْفاتِحَةِ، وتَكَلَّمَ عليها. وله كتابُ "**الإيجازُ في أَخْطارِ الْحِجازِ**"، ذَكَرَ فيه مَباحِثَ وفَوائِدَ خَطَرَتْ له في سَفَرِهِ إلى الْحَجِّ. والصَّوابُ: **خَطَراتُ أو خَواطِرُ الْحِجازِ**، ولَعَلَّ الْخَطَأَ من النَّاقِلِ. وغيرُ ذلِكَ.

وَكَفاهُ بـ **الْفَتْحِ الْعَزيزِ** شَرَفًا، فَلَقَدْ عَلا به عَنانَ السَّماءِ مِقْدارًا وما اكْتَفى.

كانَ مُتَضَلِّعًا من عُلومِ الشَّريعَةِ تَفْسيرًا وَحديثًا وَأُصولًا، مُتَرَفِّعًا على أَبْناءِ جِنْسِهِ في زَمانِهِ نَقْلًا وَبَحْثًا وَإِرْشادًا وتَحْصيلًا. وأَمَّا الْفِقْهُ فهو فيه عُمْدَةُ

(1) طبقات الشافعية الكبرى: 9/ 308-309.

(2) حذف طاش كبري زاده من ترجمة الرافعي في طبقات الشافعية الكبرى: 8/ 281 فوقع فيما وقع فيه من خطإ وأصل الكلام في المصدر المذكور: "وَقد توَرَّعَ بعضهم عَن إِطْلَاقِ لفظ الْعَزِيز مُجَرَّدًا على غير كتاب الله فَقَالَ" الفتح الْعَزِيز فِي شرح الْوَجِيز".

الْمُحَقِّقِينَ، وأُسْتاذُ الْمُصَنِّفِينَ. وكانَ وَرِعًا زاهِدًا، تَقِيًّا نَقِيًّا، طاهِرَ الذَّيْلِ، مُراقِبًا للهِ، له السِّيرَةُ الْمَرْضِيَّةُ، والطَّرِيقَةُ الزَّكِيَّةُ، والْكَراماتُ الْباهِرَةُ.

وَسَمِعَ الْحَدِيثَ من جَماعَةٍ؛ منهم أَبوهُ. وَرَوى عنه الْحافِظُ عبد الْعَظِيمِ الْمُنْذِرِيُّ وغَيْرُهُ.

قال ابْنُ الصَّلاحِ: أَظُنُّ أَنِّي لم أرَ في بِلادِ الْعَجَمِ مِثْلَهُ.

قال النَّوَوِيُّ: الرَّافِعِيُّ من الصَّالِحينَ الْمُتَمَكِّنينَ، كانَتْ له كَراماتٌ كَثيرَةٌ.

قالَ أبو عبدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَسْفَرايينِيُّ: هو شَيْخُنا إمامُ الدِّينِ، وناصِرُ السُّنَّةِ، كانَ أَوْحَدَ عَصْرِهِ في الْعُلومِ الدِّينِيَّةِ أُصولًا وفُروعًا، مُجْتَهِدَ زَمانِهِ في الْمَذْهَبِ، فَريدَ وَقْتِهِ في التَّفْسيرِ، كان له مَجْلِسٌ بِقَزْوينَ لِلتَّفْسيرِ، وَلِتَسْميعِ الْحَديثِ.

تُوُفِّيَ في ذي الْقَعْدَةِ سنَةَ ثَلاثٍ وعِشْرينَ وسِتِّمِئَةٍ.

يُرْوَى أنَّ جَلالَ الدِّينِ خُوارَزْمَ شاه غَزَا في هذه السَّنَةِ، حَتَّى جَمَدَ الدَّمُ على يَدِهِ، فَلَمَّا مَرَّ بِقَزْوينَ، خَرَجَ إليه الرَّافِعِيُّ، فَأَحَبَّ الرَّافِعِيُّ أنْ يُقَبِّلَ يَدَ السُّلْطانِ لِمَا ذُكِرَ من صَنيعِهِ، فَقَبَّلَ السُّلْطانُ يَدَهُ، ثُمَّ سارَ الرَّافِعِيُّ قَليلًا، فَعَثَرَتْ به الدَّابَّةُ فَوَقَعَ، فَتَأَذَّتْ يَدُهُ التي قَبَّلَهَا السُّلْطانُ، فقال الشَّيْخُ: سُبْحانَ اللهِ، حَصَلَ في نَفْسِي شَيْءٌ من الْعَظَمَةِ بما فَعَلَ السُّلْطانُ، فَعوقِبْتُ بهذه الْعُقوبَةِ.

يُرْوَى أَنَّهُ طالَعَ في بعض اللَّيالِي فَأَضاءَتْ له شَجَرَةٌ في بَيْتِهِ[1].

ومن التَّفاسِيرِ:

"الْغَرائِبُ والْعَجائِبُ"، لِلْكَرْمانِيِّ. وسَتَعْرِفُهُ في عِلْمِ الْحَديثِ.

ومن التَّفاسيرِ:

قَواعِدُ لابْنِ تَيْمِيَّةَ[2]، وهو أبو عبدِ الله مُحَمَّدُ بْنُ أبي الْقاسِمِ الْخَضِرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْخَضِرِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ، الْمَعْروفُ بِابْنِ تَيْمِيَّةَ، الْحَرَّانِيُّ، الْمُلَقَّبُ فَخْر الدِّينِ، الْخَطيبُ الْواعِظُ الْفَقيهُ الْحَنْبَلِيُّ، كانَ فاضِلًا، تَفَقَّهَ بِبَلَدِهِ على جَماعَةٍ، وسَمِعَ الْحَديثَ، وَصَنَّفَ في مَذْهَبِهِ **مُخْتَصَرًا**[3].

وله **خُطَبٌ** مَشْهورَةٌ في غايَةِ الْجَوْدَةِ، وله نَظْمٌ حَسَنٌ. وله **تَفْسيرُ الْقُرْآنِ الْكَريمِ**. ولم يَزَلْ أَمْرُهُ جارِيًا على صَلاحٍ وسَدادٍ.

مَوْلِدُهُ في حَرَّانَ سنَةَ اثْنَتَيْنِ وأَرْبَعينَ وخَمْسِمِئَةٍ. **وتُوُفِّيَ** بها سَنَةَ إحْدَى وعِشْرينَ وسِتِّمِئَةٍ[4].

ومن التَّفاسيرِ:

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى: 8/ 281-284.

(2) لم نقف عليها ضمن مؤلفاته.

(3) يقصد كتابه: "تَخْلِيص الْمطلب فِي تَلْخِيص الْمَذْهَب"، هدية العارفين: 2/ 111.

(4) وفيات الأعيان: 4/ 386-387.

"**التَّفْسيرُ الْكَبيرُ**"، للإمامِ فَخْرِ الدِّينِ الرَّازِيِّ، وهو مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحُسَيْنِ التَّيْمِيُّ الْبَكْرِيُّ، الْإِمامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ ابْنُ خَطيبِ الرَّيِّ. إمامُ الْمُتَكَلِّمينَ، ذو الْباعِ الواسِعِ في تَعْليقِ الْعُلومِ، والِاجْتِماعِ بالشَّاسِعِ من حَقائِقِ الْمَنْطوقِ والْمَفْهومِ، بَحْرٌ ليسَ لِلْبَحْرِ ما عنده من الْجَواهِرِ، وَحَبْرٌ سَمَا على السَّماءِ وأيْنَ لِلسَّماءِ مِثْلَ مَا لَهُ من الزَّواهِرِ؟! وَرَوْضَةُ عِلْمٍ تَسْتَقِلُّ الرِّياضُ نَفْسُها أنْ تُحاكِيَ ما لَدَيْهِ من الْأَزاهِرِ.

انْتَظَمَتْ بِقَدْرِهِ الْعَظيمِ عُقودُ الْمِلَّةِ الإسْلامِيَّةِ، وابْتَسَمَتْ بِدُرِّهِ النَّظيمِ ثُغورُ الثُّغورِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، وخاضَ من الْعُلومِ في بِحارٍ عَميقَةٍ، وراضَ النَّفْسَ في دَفْعِ أَهْلِ الْبِدَعِ وسُلوكِ الطَّريقَةِ. وله شِعارٌ آوَى الْأَشْعَرِيُّ من سُنَّتِهِ[1] إلى رُكْنٍ شَديدٍ، وَاعْتَزَلَ الْمُعْتَزِلِيُّ عِلْمًا أنَّه ما يَلْفِظُ من قَوْلٍ إلَّا لَدَيْهِ رَقيبٌ عَتِيدٌ.

وأمَّا الشَّرْعِياتُ ـ تَفْسيرًا وَفِقْهًا وأُصولًا وغيرَها ـ فكانَ بَحْرًا لا يُجارَى، وبَدْرًا إلَّا أنَّ هُداهُ يُشْرِقُ نَهارًا.

وُلِدَ الإمامُ سَنَةَ ثَلاثٍ، أو أَرْبَعٍ وأَرْبَعينَ وخَمْسِمِئَةٍ، واشْتَغَلَ على والِدِهِ الشَّيْخِ ضياءِ الدِّينِ عُمَرَ، وكانَ من تَلامِذَةِ مُحِيي السُّنَّةِ أبي مُحَمَّدٍ الْبَغَوِيِّ، وَقَرَأَ الْحِكْمَةَ على الْمَجْدِ الْجِيلِيِّ بِمَراغَةَ، وَتَفَقَّهَ على الْكَمالِ السِّمْنانِيِّ.

وَيُقالُ: إنَّهُ حَفِظَ "**الشَّامِلُ**" في عِلْمِ الْكَلامِ لإمامِ الْحَرَمَيْنِ، وذَكَرَ الإمامُ في رِسالَةِ "**تَحْصيلُ الْحَقِّ في تَفْصيلِ الْفرقِ**"، أنَّ أَسْتاذَهُ في أُصولِ الدِّينِ،

(1) من سَنَنِهِ، في طبقات الشافعية الكبرى: 8/ 82.

والِدُهُ الإمامُ السَّعيدُ ضِياءُ الدِّينِ عُمَرُ بْنُ الْحُسَيْنِ الرَّازِيُّ، وهو تِلْميذُ إمامِ الْأَئِمَّةِ أبي القاسِمِ سُلَيْمانَ بْنِ ناصِرِ الْأَنْصارِيِّ، وهو تِلْمِيذُ صَدْرِ الْأَئِمَّةِ إمامِ الْحَرَمَيْنِ أبي الْمَعالِي عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، وهو تِلْميذُ الْإِمامِ أبِي إسْحاقَ إبْراهيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَسْفَرايِينِيِّ، وهو تِلْميذُ أبي الْحَسَنِ الْباهِلِيِّ، وهو تِلْميذُ شَيْخِ السُّنَّةِ أبي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ إسْحاقَ بْنِ سالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ بِلالِ بْنِ أبي بُرْدَةَ بْنِ أبي موسى الْأَشْعَرِيِّ، وهو كان[1] أوَّلًا تِلْميذَ أبي عَلِيٍّ الْجُبَّائِيِّ الْمُعْتَزِلِيِّ، ثُمَّ هَداهُ اللهُ تَعالى، فَرَجَعَ عن مَذْهَبِهِ إلى مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ من الصَّحابَةِ والتَّابِعينَ، رِضوانُ اللهِ تَعالى عَلَيْهِمْ أَجْمَعينَ.

وكانَ أوَّلَ أَمْرِهِ فَقيرًا، ثُمَّ فُتِحَتْ عليه الْأَرْزاقُ، وَانْتَشَرَ اسْمُهُ وَبَعُدَ صِيتُهُ فِي الآفاقِ، وَقُصِدَ من أَقْطارِ الأرْضِ. وكانت له يَدٌ طُولَى في الْوَعْظِ باللِّسانِ الْعَرَبِيِّ وَالْفارِسِيِّ، ويَلْحَقُهُ فيه حالٌ[2]، وكانَ من أَهْلِ الدِّينِ والتَّصَوُّفِ، وله يَدٌ فيه، وَتَفْسيرُهُ يُنْبِئُ عن ذلِكَ.

وَعَبَرَ إلى خُوارَزْمَ فَجَرَى بينَهُ وَبَيْنَ الْمُعْتَزِلَةِ مُناظَراتٌ أَدَّتْ إلى خُروجِهِ منها.

ثم جَرَى بما وَراءَ النَّهْرِ نَحْوُ ما جَرَى بِخُوارَزْمَ، فَعادَ إلى الرَّيِّ، واتَّصَلَ بالسُّلْطانِ شِهابِ الدِّينِ الْغُورِيِّ، وَحَظِيَ عندَهُ، ثُمَّ بالسُّلْطانِ الْكَبيرِ علاءِ الدِّينِ

(1) وهو أولا، في أنطاليا وعاطف أفندي.

(2) كتب بإزائها في الطرة في نسخة أنطاليا: ويلحقه فيه الوجد حال الوعظ.

خُوارَزْمَ شاه مُحَمَّدِ بْنِ تكشَ[1]، وَنالَ عِنْدَهُ أَسْنَى الْمَراتِبِ، وكان السُّلْطانُ يأتي إليه. وكانَ إذا رَكِبَ يَمْشي حَوْلَهُ نَحْوُ ثَلاثِمِئَةِ نَفْسٍ من الْفُقَهاءِ وَغَيْرِهِمْ.

وكانَ شَديدَ الْحِرْصِ في الْعُلومِ، وأَصْحابُهُ أَكْثَرُ الْخَلْقِ تَعْظيمًا له، وَتَأَدُّبًا معه، له عِنْدَهُمْ الْمَهابَةُ الْوافِرَةُ، واشْتَهَرَتْ تَصانيفُهُ في الْآفاقِ، وَأَقْبَلَ النَّاسُ على الِاشْتِغالِ بها، وَرَفَضُوا كُتُبَ الْمُتَقَدِّمينَ.

وكانَ يُلَقَّبُ بِهَراةَ بِشَيْخِ الْإِسْلامِ. وكان كَثيرَ الْإِزْراءِ بِالْكَرَّامِيَّةِ، فَوَضَعوا عليه من سَقاهُ سُمًّا فَماتَ منه.

ومن تَصانِيفِهِ:

"**التَّفْسيرُ الْكَبيرُ**"، في اثْنَيْ عَشَرَ مُجَلَّدًا، وجَعَلَ تَفْسيرَ سورَةِ الْفاتِحَةِ في مُجَلَّدٍ. و"**الْمَطالِبُ الْعالِيَةُ**"، و"**نِهايَةُ الْعُقولِ**"، و"**الْأَرْبَعينَ**"، و"**الْمُحَصَّلُ**"[2]، و"**التِّبْيانُ في الْمَعانِي**"، و"**الْبُرْهانُ في الرَّدِّ على أَهْلِ الزَّيْغِ والطُّغْيانِ**"، و"**الْمَباحِثُ الْعِمادِيَّةُ**"[3]، و"**الْمَحْصولُ**"، و"**عُيونُ الْمَسائِلِ**"، و"**إِرْشادُ النُّظَّارِ**"[4]، و"**أَجْوِبَةُ الْمَسائِلِ الْبُخارِيَّةِ**"، و"**الْمَعالِمُ**"، و"**تَحْصيلُ الْحَقِّ**"، و"**الزُّبْدَةُ**"، و"**شَرْحُ الْإِشاراتِ**"، و"**شَرْحُ عُيونِ الْحِكْمَةِ**"، و"**شَرْحُ الْأَسْماءِ الْحُسْنَى**"، و"**شَرْحُ مُفَصَّلِ الزَّمَخْشَرِيِّ**"، في النَّحْوِ، ولم يُتِمَّهُ، و"**شَرْحُ وَجيزِ**

---

(1) محمد تكش، في قونية ومراد ملا.

(2) كتاب محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين. وهو مطبوع.

(3) المباحث العمادية في المطالب المعادية، في معجم الأدباء: 6/ 2589.

(4) إرشاد النظار إلى لطائف الأسرار. معجم الأدباء: 6/ 2589

الْغَزالِيِّ"، في الْفِقْهِ، و"**شَرْحُ سِقْطِ الزَّنْدِ**"، لِلْمَعَرِّيِّ. وله طَرِيقَةٌ في الْخِلافِ، ومُصَنَّفٌ في مَناقِبِ الشَّافِعِيِّ، وغَيْرُ ذَلِكَ[1].

وأَمَّا كِتابُ "**السِّرُّ الْمَكْتومُ في مُخاطَبَةِ النُّجومِ**"، فَلَمْ يَصِحَّ أَنَّهُ له. وقيلَ: إنَّهُ مُخْتَلَقٌ عَلَيْهِ.

وَكَتَبَ رَحِمَهُ اللهُ على الْقِسْمِ الْأَوَّلِ من كِتابِ "**الْمَطالِبُ الْعالِيَةُ**": وتَمَّ ذلك في يَوْمِ الْجُمُعَةِ من ذي الْقَعْدَةِ سنَةَ ثَلاثٍ وسِتِّمِئَةٍ.

وَكَتَبَ على آخِرِ الْكِتابِ الثَّانِي منها: وَقَدْ تَمَّ هذا الْكِتابُ بِجُرْجانِيَّةِ خُوارَزْمَ، في النِّصْفِ الْأَخيرِ من شَهْرِ رَبيعِ الْأَوَّلِ، سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّمِئَةٍ هِجْرِيَّةً.

وَكَتَبَ على آخِرِ الثَّالِثِ منها: وَقَدْ تَمَّ هذا الْبابُ من هذا الْكِتابِ، لَيْلَةَ الإِثْنَيْنِ السَّادِسِ من رَبيعِ الْآخِرِ[2]، سَنَةَ خَمْسٍ وسِتِّمِئَةٍ، في جُرْجانِيَّةِ خُوارَزْمَ، في الدَّارِ الْمَمْلوكَةِ في سِكَّةِ ماخويانَ[3]. وأَسْأَلُ اللهَ الْكَريمَ الرَّحيمَ أنْ يَخْتِمَ عاقِبَتِي بالرَّحْمَةِ والرَّاحَةِ والرَّيْحانِ، إنَّهُ الْمَلِكُ الْمَنَّانُ، الرَّحيمُ الدَّيَّانُ.

وكَتَبَ على آخِرِ الْكِتابِ الرَّابِعِ: وقد تَمَّ لَيْلَةَ الْأَرْبِعاءِ من جُمادَى الْأولَى، سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّمِئَةٍ.

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى: 8/ 81-87.

(2) الأول، في مراد ملا.

(3) ماخوبان، في مراد ملا.

وَكَتَبَ على آخِرِ الْخامِسِ منها: تَمَّ هذا الْكِتابُ لَيْلَةَ السَّبْتِ، السَّابِعَ عَشَرَ من جُمادَى الأُولَى، سنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّمِئَةٍ.

وَكَتَبَ على آخِرِ السَّادِسِ منها: تَمَّ هذا الْكِتابُ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ، الثَّانِي عَشَرَ من جمادى الأُخْرَى، سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّمِئَةٍ. وَالْحَمْدُ لله كما هو له أَهْلٌ وَمُسْتَحَقٌّ، والصَّلاةُ على خَيْرِ خَلْقِهِ من الْأَنْبِياءِ والْمُرْسَلينَ، خُصوصًا على مُحَمَّدٍ وآلِهِ أَجْمَعينَ.

حَكَى الْأَديبُ شَرَفُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عُنَيْنٍ[1]، أَنَّهُ حَضَرَ دَرْسَهُ مَرَّةً وهو شابٌّ، وقد وَقَعَ ثَلْجٌ كَثيرٌ، فَسَقَطَتْ بِالْقُرْبِ منه حَمامَةٌ، وقد طَرَدَها بعضُ الْجَوارِحِ، فَلَمَّا وَقَعَتْ رَجَعَ عنها الْجارِحُ، فلم تَقْدِرِ الْحَمامَةُ على الطَّيَرانِ من الْخَوْفِ وَالْبَرْدِ، فَلَمَّا قامَ الإمامُ من الدَّرْسِ، وَقَفَ عليها، وَرَقَّ لها، وَأَخَذَها.

قُلْتُ: وَجَدْتُ في بعضِ الرَّسائِلِ تَصْنيفِ بَعْضٍ من الْمَشايِخِ الثِّقاتِ، والرِّسالَةُ بِخَطِّهِ أيْضًا، أَنَّ الْحَمامَةَ هَرَبَتْ، وَرَمَتْ بِنَفْسِها إلى مَجْلِسِ الإِمامِ، وَدَخَلَتْ في كُمِّهِ.

قالَ ابْنُ عُنَيْنٍ: فَقُلْتُ في الْحالِ: [الكامل]

---

(1) أبو المحاسن شرف الدين محمد بن نصر الله بن مكارم الأنصاري الشاعر المشهور، (ت.630هـ). ينظر: معجم الأدباء: 6/ 2661، وفيات الأعيان: 5/ 14، الوافي بالوفيات: 5/ 122، سير أعلام النبلاء: 22/ 363.

[يا ابْنَ الكِرَام المُطْعِمِينَ إذَا شَتَوْا ... في كُلِّ مَسْغَبَةٍ وَثَلْجٍ خَاشِفِ[1]
الْعَاصِمِينَ إذَا النُّفُوسُ تَطَايَرَتْ ... بَيْنَ الصَّوَارِمِ وَالْوَشِيجِ الرَّاعِفِ
وَافَتْ إِلَيْكَ وَقَدْ تَدانَى حَتْفُهَا ... فَحَبَوْتَهَا بِبَقَائِهَا الْمُسْتَأْنَفِ
وَلَوَ انَّهَا تُحْبَى بِمَالٍ لَانْثَنَتْ ... مِنْ رَاحَتَيْكَ بِنائِلٍ مُتَضاعِفِ][2]
جاءَتْ سُلَيْمانَ الزَّمانِ بِشَكْوِهَا ... وَالْمَوْتُ يَلْمَعُ من جَناحَيْ خَاطِفِ
مَنْ نَبَّأَ الْوَرْقَاءَ أنَّ مَحَلَّكُمْ ... حَرَمٌ وأنَّكَ مَلْجَأٌ لِلْخائِفِ

فَطَرِبَ لها الشَّيْخُ فَخْرُ الدِّينِ، وَأَمَرَ له بِالْجُلوسِ قَرِيبًا منه، وَأَمَرَ له بِجائِزَةٍ سَنِيَّةٍ، وَبَقِيَ مُحْسِنًا إليه.

قيلَ: إنَّ ابْنَ عُنَيْنٍ قالَ: وَصَلَ إليَّ من جِهَةِ الْإمامِ فَخْرِ الدِّينِ نَحْوُ عَشَرَةِ آلافِ دِينارٍ[3].

قالَ ابْنُ السُّبْكِيِّ في طَبقاتِهِ الْكُبْرى: اعْلَمْ أنَّ شَيْخَنا الذَّهَبِيَّ ذَكَرَ الْإمامَ في **كِتابِ الْميزانِ في الضُّعَفاءِ**، وهذا أَمْرٌ لا مَعْنى له من وُجوهٍ، أَعْلاها أَنَّهُ ثِقَةٌ حَبْرٌ من أَحْبارِ الْأُمَّةِ، وأَدْناها أنه لا رِوايَةَ له. وذِكْرُهُ في الرُّواةِ مُجَرَّدُ فُضُولٍ وَتَعَصُّبٍ، وَتَحامُلٍ تَقْشَعِرُّ منه الْجُلودِ.

وقالَ الذَّهَبِيُّ في الْميزانِ: له "**كِتابُ أَسْرارِ النُّجومِ**"، سِحْرٌ صَرِيحٌ.

---

(1) حمامة، في قونية. والقصة والأبيات في: وفيات الأعيان: 4/ 251، وتاريخ الإسلام: 13/ 137، وطبقات الشافعية: 8/ 87.

(2) زيادة من مراد ملا.

(3) دنانير، في قونية ورئيس الكتاب وأنطاليا.

قالَ ابْنُ السُّبْكِيِّ: وقد عَرَّفْناكَ أنَّ هذا الكِتابَ مُخْتَلَقٌ عليه، وعلى تَقْدِيرِ صِحَّةِ نِسْبَتِهِ إليه، ليس هو بِسِحْرٍ، فَلْيَتَأَمَّلْ من يُحْسِنُ السِّحْرَ. وَيَكْفيكَ شاهِدًا على تَعَصُّبِ شَيْخِنا عليه، ذِكْرُهُ إِيَّاهُ بِالْفَخْرِ الرَّازِيِّ في حَرْفِ الْفاءِ، ولا يَخْفَى أنَّ شُهْرَتَهُ بابْنِ الْخَطيبِ والإمامِ، وَاسْمُهُ مُحَمَّدٌ، فإذا نَظَرْتَ[1] أَيُّها الطَّارِحُ رِداءَ الْعَصَبِيَّةِ عن كَتِفَيْهِ، الْجانِحُ إلى جَعْلِ الْحَقِّ بِمَرْأى عَيْنَيْهِ، إلى رَجُلٍ عَمَدَ إلى إمامٍ من أَئِمَّةِ الْمُسْلمينَ، وأَدْخَلَهُ في جَماعَةٍ ليسَ هو منهم - أَعْنِي رُواةَ الْحَديثِ - فإنَّ الإمامَ لا رِوايَةَ له، وَدَعاهُ باسْمٍ لا يُعْرَفُ به، ولو تَأَمَّلَها الْمِسْكينُ حَقَّ التَّأَمُّلِ، وَأوتِيَ رُشْدَهُ، لَأَوْجَبَتْ له حُبًّا عَظيمًا في هذا الْإِمامِ، ولكِنَّها الْحامِلُ له على هذه الْعَظيمَةِ، والْمُرْدِيَةِ له في هذه الْمُصيبَةِ الْعَميمَةِ. نَسْأَلُ الله السِّتْرَ والسَّلامَةَ.

ذُكِرَ أنَّ الْإِمامَ وَعَظَ يَوْمًا بِحَضْرَةِ السُّلْطانِ شِهابِ الدِّينِ الْغورِيِّ، وَحَصَلَتْ له حالٌ، فاسْتَغاثَ: يا سُلْطانَ الْعالَمِ، لا سُلْطانُكَ يَبْقَى، ولا تَلْبيسُ الرَّازِيِّ يَبْقَى، وَأَنَّ مَرَدَّنا إلى اللهِ[2].

قالَ الْمَوْلى الشَّهيرُ بِمُصَنِّفَك في كِتابِهِ "التُّحْفَةُ الْمَحْمودِيَّةُ": إنَّ الْمَوْلى فَخْرَ الدِّينِ الرَّازِيَّ أَرْسَلَ رُقْعَةً إلى السُّلْطانِ مُحَمَّدٍ خُوارَزَمَ شاه في حاجَةٍ عَرَضَها عليه في شَأْنِ بعضِ الصُّلَحاءِ، وَكَتَبَ فيها: رَفَعْتُ قِصَّتِي إلى الله

(1) تأملت، في قونية.

(2) طبقات الشافعية الكبرى: 8/ 88-89.

[قَبْلَ أن أَرْفَعَ إلَيْكَ، وطَلَبْتُ منه حاجَتِي على يَدَيْكَ][1]، فإنْ أَعْطَيْتَها فاللهُ هو الْمُعْطي، وَأَنْتَ الْمَشْكورُ، وإنْ مَنَعْتَها، فاللهُ هو[2] الْمَانِعُ، وَأَنْتَ الْمَعْذورُ، والسَّلامُ.

قالَ أبو عبد اللهِ الْحَسَنُ الْواسِطِيُّ: سَمِعْتُ الْإمامَ بِهَراةَ يُنْشِدُ على الْمِنْبَرِ عَقيبَ عِتابِهِ أَهْلَ الْبَلْدَةِ: [البسيط]

الْمَرْءُ ما دامَ حَيًّا يُسْتَهانُ به ... وَيَعْظُمُ الرُّزْءُ فيه حِينَ يُفْتَقَدُ[3]

قالَ ابْنُ السُّبْكِيِّ: قالَ الْإمامُ في تَفْسيرِهِ ـ وأَظُنُّهُ في سورَةِ يوسُفَ عليه السَّلامُ ـ والَّذِي جَرَّبْتُهُ من طولِ عُمْرِي أنَّ الإنْسانَ كُلَّمَا عَوَّلَ في أَمْرٍ من الْأُمورِ على غَيْرِ اللهِ، صارَ ذلِكَ سَبَبًا لِلْبَلاءِ والْمِحْنَةِ، والشِّدَّةِ والرَّزِيَّةِ، وإذا عَوَّلَ على الله ولم يَرْجِعْ إلى أَحَدٍ من الْخَلْقِ حَصَلَ ذلك الْمَطْلوبُ على أَحْسَنِ الْوُجوهِ. فهذِهِ التَّجْرِبَةُ قَدِ اسْتَمَرَّتْ لي من أَوَّلِ عُمْرِي إلى هذا الْوَقْتِ التي بَلَغْتُ فيه إلى السَّابِعِ والْخَمْسينَ، فَعِنْدَ هذا اسْتَقَرَّ قَلْبِي على أَنَّهُ لا مَصْلَحَةَ لِلْإنْسانِ في التَّعْويلِ على شَيْءٍ سِوَى فَضْلِ اللهِ وإِحْسانِهِ. انْتَهى[4].

قالَ ابْنُ السُّبْكِيِّ: وما ذَكَرَهُ الْإمامُ حَقٌّ، وَمَنْ حاسَبَ نَفْسَهُ وجَدَ الْأَمْرَ كَذلكَ. وإنْ فُرِضَ أَحَدٌ عَوَّلَ في أَمْرِهِ على غَيْرِ اللهِ، وَحَصَلَ له ذَلِكَ، فاعْلَمْ أَنَّهُ لا يَخْلُو

(1) زيادة من أنطاليا.

(2) فهو، في أنطاليا.

(3) البيت في معجم الأدباء: 6/ 2590، وطبقات الشافعية الكبرى: 8/ 90.

(4) طبقات الشافعية الكبرى: 8/ 89-92.

عن أَحَدِ رَجُلَيْنِ، إمَّا رَجُلٍ مَمْكورٍ به - وَالْعِياذُ بالله - وَإمَّا رَجُلٍ يَطْلُبُ شَرًّا، وهو يَحْسِبُ أَنَّهُ خيرٌ لِنَفْسِهِ، وَيَظْهَرُ له ذلك بِعاقِبَةِ ذلك الْأَمْرِ، فما أَسْرَعَ انْقِلابَهُ في الدُّنْيا قَبْلَ الْآخِرَةِ إلى أَسْوَإِ الْأَحْوالِ، وَمَنْ شَاءَ اعْتِبارَ ذلك فَلْيُحاسِبْ نَفْسَهُ.

وَاعْلَمْ أنَّ هذه الْجُمْلَةَ من كَلامِ الْإِمامِ دالَّةٌ على مُراقَبَتِهِ طول وَقْتِهِ، وَمُحاسَبَتِهِ لنَفْسِهِ، فَرَضِيَ الله عنه، وَقَبَّحَ من يَسُبُّهُ، أو يَذْكُرُهُ بسوءٍ حَسَدًا وَبَغْيًا من عند نَفْسِهِ.

إلى هُنا كَلامُ ابْنِ السُّبْكِيِّ[1].

واعْلَمْ أنَّ الْإمامَ كانَ من زُمْرَةِ الْفُقَهاءِ، ثُمَّ الْتَحَقَ بالصُّوفِيَّةِ، فَصارَ مِنْ أَهْلِ الْمُشاهَدَةِ، وصَنَّفَ التَّفْسيرَ بعد ذَلِكَ، ومَنْ تَأَمَّلَ في مَباحِثِهِ، وَتَصَفَّحَ لَطائِفَهُ، يَجِدُ في أَثْنائِهِ كَلِماتِ أَهْلِ التَّصَوُّفِ من الْأُمورِ الذَّوْقِيَّةِ.

قُلْتُ: وسَمِعْتُ رجُلًا ثِقَةً صالِحًا عالِمًا، وَعابِدًا زاهِدًا، وَعارِفًا صادِقًا، أَنَّهُ حَكَى أنَّ الْإِمامَ لَمَّا دَخَلَ هَراةَ، أَتاهُ مَنْ بِهَا مِنَ الْعُلماءِ والصُّلَحاءِ، والسَّلاطينِ وَالْأُمَراءِ، وَسَأَلَ يَوْمًا: هَلْ بَقِيَ أَحَدٌ تَخَلَّفَ عن زِيارَتِنا؟ قالَ أَصْحابُهُ: نَعَمْ، بَقِيَ رَجُلٌ صالِحٌ مُنْقَطِعٌ في زاوِيَةٍ، قالَ الْإمامُ: أنا رَجُلٌ واجِبُ التَّعْظيمِ، وأنا إمامُ الْمُسْلِمينَ، فَلِمَ لَمْ يَزُرْنِي؟ فَقالوا لِذَلِكَ الرَّجُلِ كَلامَ الإمامِ، فما تكَلَّمَ بِشَيْءٍ أَصْلًا، وَوَقَعَ بينهما الْخِلافُ. فَصَنَعَ أَهْلُ الْبَلْدَةِ طَعامًا فَدَعَوْهُما، فَأَجابَا الدَّعْوَةَ، واجْتَمَعا في حَديقَةٍ، فَسَأَلَ الْإمامُ عن

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى: 8/ 81-96، والنقل أيضا في مواضع من وفيات الأعيان: 4/ 248-252.

سَبَبِ تَخَلُّفِهِ عن إِتْيانِهِ إليه، فقالَ: أنا رَجُلٌ فَقيرٌ لا شَرَفَ في زِيارَتِي، ولا نَقْصَ في تَخَلُّفِي عنها. قالَ الإمامُ: هذا جَوابُ أَهْلِ الْأَدَبِ - يَعْنِي الصُّوفِيَّةَ - فَقُلْ لي حَقيقَةَ الْحالِ، فقالَ ذلِكَ الرَّجُلُ: لأيِّ شَيْءٍ وَجَبَتْ زِيارَتُكَ؟ قال: أنا إِمامُ الْمُسْلِمينَ، وَواجِبُ التَّعْظيمِ، قالَ: إنَّ افْتِخارَكَ بالْعِلْمِ، وَرَأْسُ الْعُلومِ مَعْرِفَةُ الله تَعالَى، فَكَيْفَ عَرَفْتَهُ تعالى؟ قال: بِمِئَةِ بُرْهانٍ[1]. قالَ الرَّجُلُ: الْبُرْهانُ لِإزالَةِ الشَّكِّ، واللهُ تَعالى جَعَلَ في قَلْبِي نُورًا لا يَدْخُلُ معه الشَّكُّ، فَضْلًا عن الْحاجَةِ إلى الْبُرْهانِ. فَأَثَّرَ هذا الْكَلامُ في قَلْبِ الْإِمامِ، فَتابَ في ذلك الْمَجْلِسِ على يَدِهِ، ودَخَلَ الْخَلْوَةَ، وَفُتِحَ له ما فُتِحَ، وبَعْدَما خَرَجَ منها[2]، صَنَّفَ "التَّفْسيرُ الْكَبيرُ".

وَقالَ النَّاقِلُ لهذه الْحِكايَةِ: وكانَ ذلِكَ الشَّيْخَ أبو الْجَنَّابِ الشَّيْخُ نَجْمُ الدِّينِ الْكُبْري - قَدَّسَ الله سِرَّهُ - تُوُفِّيَ الإمامُ - رَحِمَهُ الله وَرَضِيَ عنه - بِهَراةَ في يَوْمِ الإِثْنَيْنِ يَوْمَ عيدِ الْفِطْرِ سنَةَ سِتٍّ وسِتِّمِئَةٍ.

ومِنَ التَّفاسيرِ الْواقِعَةِ على لِسانِ أَهْلِ الذَّوْقِ من الصُّوفِيَّةِ:

"تَفْسيرُ الشَّيْخِ نَجْمِ[3] داية"[4].

---

(1) براهين، في قونية رئيس الكتاب وأنطاليا.

(2) عنها، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(3) تفسير بشير لنجم داية، في قونية ورئيس الكتاب ومراد ملا. يعرف هذا التفسير **بالتأويلات النجمية**. التفسير والمفسرون: 2/ 290.

(4) نجم الدين، أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن شاهادر الأسدي الرازي المعروف بدايه، (ت.654هـ)، المصدر نفسه: 2/ 290.

و"**الْحَقائِقُ**"، لأبِي عَبْدِ الرَّحْمنِ السُّلَمِيِّ - هو بِضَمِّ السِّينِ وفَتْحِ اللَّامِ - واسْمُهُ: مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ موسى، أبو عَبْدِ الرَّحْمنِ السُّلَمِيُّ النَّيْسابورِيُّ، شَيْخُ الصُّوفِيَّةِ، وصاحِبُ تارِيخِهِمْ وطَبَقاتِهِمْ وَتَفْسيرِهِمْ.

مَوْلِدُهُ سَنَةَ ثَلاثينَ وثَلاثِمِئَةٍ. **تُوُفِّيَ** في شَعْبانَ سَنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ.

له تَرْجَمَةٌ في الْمِيزانِ، قال الذَّهَبِيُّ فيها: قال الْخَطيبُ: قال لي مُحَمَّدُ بنُ يوسُفَ القَطَّانُ: كان يَضَعُ الْأَحاديثَ لِلصُّوفِيَّةِ[1]. انْتَهَى. كذا في **شَرْحِ شِفاءِ القاضي عِيَاضٍ،** لِلشَّيْخِ بُرْهانِ الدِّينِ الْحَلَبِيِّ الْمُسَمَّى: بـ "**الْمُعْتَفَى في ضَبْطِ أَلْفاظِ الشِّفَا**".

وَمِنَ التَّفاسِيرِ على لِسانِ أَهْلِ الْعِرْفانِ:

"**تَفْسيرُ الْفاتِحَةِ**"، لِصَدْرِ الدِّينِ الْقُونَوِيِّ، وهو مُحَمَّدُ بنُ إسْحاقَ، الشَّيْخُ الزَّاهِدُ، صَدْرُ الدِّينِ الْقُونَوِيُّ، صاحِبُ التَّصانِيفِ في التَّصَوُّفِ، وتَزَوَّجَ أُمَّهُ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ ابْنُ الْعَرَبِيِّ، وَرَبَّاهُ، واهْتَمَّ به، وَجَمَعَ بين الْعُلومِ الشَّرْعِيَّةِ وَعُلومِ التَّصَوُّفِ، فَصارَ مَجْمَعًا لِلْبَحْرَيْنِ، وَمُلْتَقَى لِلْبَدْرَيْنِ، وَقَصَدَهُ الْأَفاضِلُ من الْآفاقِ، حتَّى إنَّ الْعَلَّامَةَ قُطْبَ الدِّينِ الشِّيرازِيَّ أَتاهُ وهو بِقُونِيَةَ، وَقَرَأَ عندَهُ، وصاحَبَهُ في الْعُلومِ الظَّاهِرَةِ والْباطِنَةِ. ذَكَرَهُ الْعَلَّامَةُ في كِتابِهِ "**دُرَّةُ التَّاجِ**"، في الْقِسْمِ الْعَمَلِيِّ منه.

---

(1) ميزان الاعتدال: 3/ 523.

ولِصَدْرِ الدِّينِ الْقُونَوِيِّ مُكاتَباتٌ ومُراسَلاتٌ مع خَواجَةَ نَصيرِ الدِّينِ الطُّوسِيِّ في بَعْضِ الْمَسائِلِ الْحِكْمِيَّةِ، ودارَ الْكَلامُ بَيْنَهُما مِرارًا، حتى اعْتَرَفَ النَّصيرُ الطُّوسِيُّ بِالْعَجْزِ والْقُصورِ.

ولِصَدْرِ الدِّينِ الْمَذْكورِ ـ قُدِّسَ سِرُّهُ ـ مُصَنَّفاتٌ كَثيرَةٌ في عِلْمِ التَّصَوُّفِ، وله: **"تَفْسيرُ الْفاتِحَةِ"**، و**"شَرْحُ الْأَحاديثِ الْأَرْبَعينِيَّةِ"**، لَكِنْ لم يُتِمَّهُ، وغيرُ ذلِكَ.

تُوُفِّيَ سنَةَ ثَلاثٍ وسَبْعينَ وسِتِّمِئَةٍ.

ومن التَّفاسيرِ:

"تَفْسيرُ سورَةِ الْفاتِحَةِ"، لِمَوْلانَا شَمْسِ الدِّينِ الْفَنارِيِّ. مَزَجَ فيه بين الْعُلومِ الشَّرْعِيَّةِ وعُلومِ التَّصَوُّفِ، وهو من أَحْسَنِ الْمُصَنَّفاتِ، وأَوْلاها بِالِاهْتِمامِ والِاعْتِناءِ بِشَأْنِهِ.

وَالْفَنارِيُّ هو مُحَمَّدُ بْنُ حَمْزَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ الرُّومِيُّ، الْعَلَّامَةُ شَمْسُ الدِّينِ الْفَنارِيُّ[1]، بِفَتْحِ الْفاءِ والنُّونِ وبالرَّاءِ الْمُهْمَلَةِ.

قال السُّيوطِيُّ: نِسْبَةً إلى صَنْعَةِ الْفَنارِ. قال: سَمِعْتُهُ من شَيْخِنا الْعَلَّامَةِ مُحْيِي الدِّينِ الْكافِيَجِي، لكنه غَيْرُ صَحيحٍ، بل هو نِسْبَةٌ إلى قَرْيَةٍ تُسَمَّى فَنارَ.

قال ابْنُ حَجَرٍ: كانَ عارِفًا بالْعَرَبِيَّةِ والْمَعانِي والْقِراءاتِ، كَثيرَ الْمُشارَكَةِ في الْفُنونِ. **وُلِدَ** في صَفَرٍ سَنَةَ إحْدى وخَمْسينَ وسَبْعِمِئَةٍ.

---

(1) ابن الفناري، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

وَأَخَذَ عن الْعَلَّامَةِ علاء الدِّينِ الأَسْوَدِ، **شارِحِ الْمُغْنِي** في الْأصولِ، **وشارِحِ الْوِقايَةِ** في الْفِقْهِ، وَأَخَذَ بِبِلادِهِ عن الْجَمالِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَقْسَرائِيِّ، ولازَمَ الِاشْتِغالَ، وَرَحَلَ إلى مِصْرَ، وأَخَذَ عن الشَّيْخِ أَكْمَلِ الدِّينِ وَغَيْرِهِ.

ثم رَجَعَ إلى الرُّومِ فَوَلِيَ قَضاءَ بُورْصَةَ، وارْتَفَعَ قَدْرُهُ عند ابْنِ عُثْمانَ جِدًّا، وَحَلَّ عندَهُ الْمَحَلَّ الْأَعْلَى، وصارَ في مَعْنَى الْوَزِيرِ، واشْتَهَرَ ذِكْرُهُ، وشاعَ فَضْلُهُ. وكانَ حَسَنَ السَّمْتِ، كَثيرَ الْفَضْلِ والْأَفْضالِ، غير أَنَّهُ يُعابُ بِنِحْلَةِ ابْنِ الْعَرَبِيِّ، وبِإِقْراءِ **الْفُصوصِ**.

ولَمَّا دَخَلَ الْقاهِرَةَ، لم يَتَظاهَرْ بِشَيْءٍ من ذلك، وَكانَ بَعْضُ من اعْتَنَى به أَوْصاهُ أَنْ لا يَتَكَلَّمَ في شَيْءٍ من ذلك، واجْتَمَعَ به فُضَلاءُ الْعَصْرِ، وَذاكَروهُ وَباحَثوهُ، وَشَهِدوا له بِالْفَضيلَةِ، ثُمَّ رَجَعَ.

وكانَ قد أَثْرَى إلى الْغايَةِ، حتَّى يُقالُ: إنَّ عِنْدَهُ من النَّقْدِ خاصَّةً مِئَةً وَخَمْسينَ أَلْفَ دينارٍ. وَحَجَّ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وعِشْرينَ.

فَلَمَّا رَجَعَ طَلَبَهُ الْمُؤَيَّدُ، فَدَخَلَ الْقاهِرَةَ، واجْتَمَعَ بِفُضَلائِها، ثُمَّ رَجَعَ إلى الْقُدْسِ فَزارَهُ. ثُمَّ رَجَعَ إلى بِلادِهِ، ثُمَّ حَجَّ سَنَةَ ثَلاثٍ وثَلاثينَ على طَريقِ أَنْطاكِيَةَ، وَرَجَعَ، فَماتَ بِبِلادِهِ في شَهْرِ رَجَبٍ، وكان قد أَصابَهُ رَمَدٌ، وَأَشْرَفَ على الْعَمَى، بل يُقالُ: إنَّهُ عَمِيَ، ثُمَّ رَدَّ اللهُ عليه بَصَرَهُ، فَحَجَّ في هذه الْحَجَّةِ الْأَخيرَةِ شُكْرًا للهِ على ذلكَ.

وله مُصَنَّفٌ في أصولِ الْفِقْهِ سَمَّاهُ: "**فُصولُ الْبَدائِعِ في أُصولِ الشَّرائِعِ**"، وَجَمَعَ فيه **الْمَنارَ**[1] **والْبَزْدوِيَّ**[2] و**مَحْصولَ** الإمامِ الرَّازِيِّ، و**مُخْتَصَرَ ابْنِ الْحاجِبِ**. وغيرَ ذلكَ، وأَقامَ في عَمَلِهِ ثَلاثينَ سَنَةً.

وله: "**تَفْسيرُ الْفاتِحَةِ**"، وَرِسالَةٌ أَتَى فيها مَسائِلَ من مِئَةِ فُنونٍ، وَسَمَّاها: "**أُنْموذَجُ الْعُلومِ**". قِيلَ: إنَّ هذه الرَّسالَةَ لابْنِهِ مُحَمَّدِ شاه، والله أَعْلَمُ. ورِسالَةٌ أُخْرى مَنْظومَةٌ، أَتَى فيها عِشْرينَ قِطْعَةً، كُلٌّ منها في عِلْمٍ واحِدٍ، وَبَدَّلَ أَسْماءَ الْعُلومِ، وامْتَحَنَ بها عُلَماءَ عَصْرِهِ، فَعَجَزوا عن حَلِّها، فَضْلًا عن الْجَوابِ عنها، وَأَجابَ عنها ابْنُهُ مُحَمَّدُ شاه. و"**شَرْحُ الرِّسالَةِ**" أَيْضًا. وَصَنَّفَ "**شَرْحُ الرِّسالَةِ الأَثيرِيَّةِ**" في الْمِيزانِ. وَصَنَّفَها في يَوْمٍ واحِدٍ من أَقْصَرِ الْأَيَّامِ، افْتَتَحَها بعد صَلاةِ الْفَجْرِ، وَخَتَمَها مع أَذانِ مَغْرِبِهِ.

وله الرَّسائِلُ والْحَواشِي كَثيرَةٌ لكن بَقِيَتْ في الْمُسَوَّدَةِ، ومَنَعَ الدَّرْسُ والْفَتْوَى وَالْقَضاءُ عن تَدْوينِها. يُقالُ: إنَّهُ أَقْرَأَ "**شَرْحُ الْعَضُدِ**" نَحْوَ عِشْرينَ مَرَّةً.

قالَ ابْنُ حَجَرٍ: كَتَبَ لي بِخَطِّهِ بالإِجازَةِ لَمَّا قَدِمَ الْقاهِرَةَ.

ماتَ في رَجَبٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ وثَلاثينَ وَثَمانِمِئَةٍ[3].

---

(1) منار الأنوار في أصول الفقه، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت.710هـ).

(2) أُصولُ فَخْرِ الإِسْلامِ الْبَزْدَوِيِّ، (ت.482 هـ).

(3) الشقائق النعمانية: 17-19.

قالَ السُّيوطِيُّ: لازَمَهُ شَيْخُنا الْعَلامَةُ مُحْيِي الدِّينِ الْكَافِيَجِي، وَكانَ يُبالِغُ في الثَّناءِ عليه جِدًّا.

وَكانَ لِلْفَنَارِيِّ وَلَدانِ: أَحَدُهُما اسْمُهُ يوسُفُ بالِي، وَيُحْكَى: أَنَّهُ كانَ من الْفُضَلاءِ، لكنْ لم نَرَ تَصْنيفَهُ. والآخَرُ: مُحَمَّدٌ شاه.

قالَ ابْنُ حَجَرٍ: مُحَمَّدُ شاه بْنُ الشَّيْخِ شَمْسِ الدِّينِ الْفَنارِيُّ الْحَنَفِيُّ الرُّومِيُّ، كان ذَكِيًّا، وَحَجَّ في بِضْعٍ وَثَلاثينَ وثَمانِمِئَةٍ، ودَخَلَ الْقاهِرَةَ، ثُمَّ رَجَعَ إلى بِلادِ ابْنِ قَرْمانَ، فَماتَ بها.

أَمَّا مُحْيِي الدِّينِ الْكافِيَجِي، فَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمانَ بْنِ سَعْدِ بْنِ مَسْعودٍ الرُّومِيُّ الْبَرْغَمِيُّ.

قالَ السُّيوطِيُّ: شَيْخُنا الْعَلَّامَةُ، أُسْتاذُ الْأُسْتاذينَ، مُحْيِي الدِّينِ أبو عَبْدِ اللهِ الْكَافِيَجِي الْحَنَفِيُّ.

وُلِدَ سنَةَ ثَمانٍ وثَمانينَ وَسَبْعِمِئَةٍ، واشْتَغَلَ بالْعِلْمِ أَوَّلَ ما بَلَغَ، وَرَحَلَ إلى بِلادِ الْعَجَمِ والتَّتَرِ، وَلَقِيَ الْعُلَماءَ الْأَجِلَّاءَ، فأَخَذَ عن الشَّمْسِ الْفَنارِيِّ، والْبُرْهانِ حَيْدَرَ، والشَّيْخِ واجِدٍ، وابْنِ فَرْشَتَه[1] **شارِحِ الْمَجْمَعِ**، وحافِظِ الدِّينِ الْبَزَّازِيِّ، وَغَيْرِهِمْ.

(1) عبد اللطيف بن عبد العزيز ابن الملك الحنفي (ت. 801هـ)، الضوء اللامع: 4/ 329.

وَدَخَلَ الْقاهِرَةَ، وأَخَذَ عنه الْفُضَلاءُ والْأَعْيانُ، وَوَلِيَ مَشْيَخَةَ الشَّيْخونِيَّةِ لَمَّا رَغِبَ عَنْها ابْنُ الْهُمَامِ[1].

وكانَ إمامًا كَبِيرًا في الْمَعْقولاتِ كُلِّها؛ الْكَلامِ وأُصولِ الْفِقْهِ والنَّحْوِ والتَّصْريفِ والإعْرابِ والْمَعانِي والْبَيانِ والْجَدَلِ والْمَنْطِقِ والْفَلْسَفَةِ والْهَيْئَةِ، بحيثُ لا يَشُقُّ أَحَدٌ غُبارَهُ في شَيْءٍ من هذه الْعُلومِ، وله الْيَدُ الْحَسَنَةُ في الْفِقْهِ والتَّفْسيرِ والنَّظَرِ في عُلومِ الْحَديثِ، وَأَلَّفَ فيه. وَأَمَّا تَصانيفُهُ في الْعُلومِ الْعَقْلِيَّةِ فلا تُحْصَى، بِحَيْثُ إنِّي سَأَلْتُهُ أنْ يُسَمِّيَ لي جَمِيعَهَا لِأَكْتُبَهَا في تَرْجَمَتِهِ فقالَ: لا أَقْدِرُ على ذلِكَ.

قالَ: وَلِي مُؤَلَّفاتٌ كَثيرَةٌ أُنْسِيتُها، فلا أَعْرِفُ الْآنَ أَسْماءَها، وَأَكْثَرُها مُخْتَصَراتٌ، وَأَجَلُّها وَأَنْفَعُها على الْإِطْلاقِ: **"شَرْحُ قَواعِدِ الْإِعْرابِ"**، و**"شَرْحُ كَلِمَتَيِ الشَّهادَةِ"**، وله **"مُخْتَصَرٌ في عُلومِ الْحَديثِ"**، و**مُخْتَصَرٌ في عُلومِ التَّفْسيرِ** مُسَمًّى: بـ **"التَّيْسيرُ"**، قَدْرُ ثَلاثِ كَراريسَ، وَكانَ يَقولُ: إنَّهُ اخْتَرَعَ هذا الْعِلْمَ ولم يُسْبَقْ إليه. وذلِكَ لِأَنَّ الشَّيْخَ لم يَقِفْ على **الْبُرْهانِ**، لِلزَّرْكَشِيِّ، ولا على **مَواقِعِ الْعلومِ**، لِلْجَلالِ الْبُلْقِينِيِّ.

وكانَ صَحِيحَ الْعَقيدَةِ في الدِّياناتِ، حَسَنَ الِاعْتِقادِ في الصُّوفِيَّةِ، مُحِبًّا لِأَهْلِ الْحَديثِ، كارِهًا لِأَهْلِ الْبِدَعِ، كَثيرَ التَّعَبُّدِ على كِبَرِ سِنِّهِ، كَثيرَ الصَّدَقَةِ والْبَذْلِ، لا يُبْقِي على شَيْءٍ، سَليمَ الْفِطْرَةِ، صافِيَ الْقَلْبِ، كَثيرَ الِاحْتِمالِ لِأَعْدائِهِ، صَبورًا

---

(1) محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد ابن مسعود، السيواسي ثم الإسكندري (ت. 861هـ).

على الْأَذَى، واسِعَ الْعِلْمِ جِدًّا. لازَمْتُهُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً، فما جِئْتُهُ من مِرَّةٍ إلَّا وَسَمِعْتُ منه من التَّحْقيقاتِ والْعَجائِبِ ما لم أَسْمَعْهُ قَبْلَ ذلِكَ.

قالَ لي يَوْمًا: ما إعْرابُ "زَيْدٌ قائِمٌ"؟ فَقُلْتُ: قد صِرْنا في مَقامِ الصِّغارِ نُسْأَلُ عن هذا، فقالَ لي: في "زَيْدٌ قائِمٌ" مِئَةٌ وثَلاثَةَ عَشَرَ بَحْثًا، فَقُلْتُ: لا أَقومُ من هذا الْمَجْلِسِ حتى أَسْتَفيدَها، فَأَخْرَجَ لي تَذْكِرَتَها[1]، فكَتَبْتُها منه.

تُوُفِّيَ الشَّيْخُ شَهيدًا بِالْإِسْهالِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ رابِعِ جُمادَى الْأُولَى، سَنَةَ تِسْعٍ وَسَبْعينَ وَثَمَنِمِئَةٍ[2].

(1) تذكرته، في بغية الوعاة: 1/ 118.

(2) المصدر نفسه: 1/ 117-118.

الشُّعْبَةُ الرَّابِعَةُ مِنَ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ

عِلمُ دِرَايَةِ الْحَدِيثِ

وَهُوَ عِلْمٌ يُبْحَثُ فِيهِ عَنِ الْمَعْنَى الْمَفْهُومِ مِنْ أَلْفَاظِ الْحَدِيثِ، وَعَنِ الْمَعْنَى الْمُرَادِ مِنْهَا، مُبْتَنِيًا عَلَى قَوَاعِدِ الْعَرَبِيَّةِ، وضَوَابِطِ الشَّرِيعَةِ، ومُطَابِقًا لأَحْوَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَمَوْضُوعُهُ: أَحَادِيثُ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حَيْثُ دَلالَتُهَا عَلَى الْمَعْنَى الْمَفْهُومِ أَوِ الْمُرَادِ.

وَغَايَتُهُ: التَّحَلِّي بالْآدَابِ النَّبَوِيَّةِ، والتَّخَلِّي عَمَّا يَكْرَهُهُ وَيَنْهَاهُ.

وَمَنْفَعَتُهُ: أَعْظَمُ الْمَنَافِعِ، كَمَا لَا يَخْفَى عَلَى الْمُتَأَمِّلِ.

وَمَبَادِئُهُ: الْعُلُومُ الْعَرَبِيَّةُ كُلُّهَا، ومَعْرِفَةُ الْقَصَصِ وَالْأَخْبَارِ الْمُتَعَلِّقَةِ بالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومَعْرِفَةُ الأَصْلَيْنِ والْفِقْهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَاعْلَمْ أنَّ قُصَارَى نَظَرِ أَبْنَاءِ هَذَا الزَّمانِ في عِلْمِ الْحَدِيثِ، النَّظَرُ فِي: "مَشَارِقُ الْأَنْوَارِ" لِلصَّاغَانِيِّ، فَإِنْ تَرَفَّعَتْ إِلَى "مَصَابِيحُ" الْبَغَوِيِّ وظَنَّتْ[1] أَنَّهَا تَصِلُ إلى دَرَجَةِ الْمُحَدِّثِينَ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِجَهْلِهِمْ بِالْحَدِيثِ، بَلْ لَوْ

(1) ظننت، في قونية ورئيس الكتاب.

حَفِظَهُمَا عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ، وَضَمَّ إِلَيْهِمَا مِنَ الْمُتُونِ مِثْلَيْهِمَا، لَمْ يَكُنْ مُحَدِّثًا حتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ.

وَإِنَّمَا الَّذي يَعُدُّهُ أَهْلُ هَذَا الزَّمَانِ بَالِغًا إِلَى النِّهَايَةِ، وَيُنَادُونَهُ مُحَدِّثَ الْمُحَدِّثِينَ، وَبُخَارِيَّ الْعَصْرِ، مَنِ اشْتَغَلَ بِـ "**جَامِعُ الأُصُولِ**" لِابْنِ الْأَثِيرِ، مَعَ حِفْظِ عُلُومِ الْحَدِيثِ، كَـ "**مُخْتَصَرُ ابْنِ الصَّلاحِ**"، أَوِ "**التَّقْرِيبُ وَالتَّيْسِيرُ**" لِلنَّوَوِيِّ، وَنَحْوِ ذَلِكَ. إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْ رُتْبَةِ الْمُحَدِّثِينَ، وإِنَّمَا الْمُحَدِّثُ مَنْ عَرَفَ الْأَسَانِيدَ والْعِلَلَ، وَأَسْمَاءَ الرِّجَالِ، وَالْعَالِيَ وَالنَّازِلَ، وحَفِظَ مَعَ ذلِكَ جُمْلَةً مُسْتَكْثَرَةً مِنَ الْمُتُونِ، وسَمِعَ الْكُتُبَ السِّتَّةَ، وَ"**مُسْنَدُ**" أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَ"**سُنَنُ الْبَيْهَقِيِّ**"، وَ"**مُعْجَمُ الطَّبَرَانِيِّ**"، وَضَمَّ إِلَى هَذَا الْقَدْرِ أَلْفَ جُزْءٍ مِنَ الْأَجْزَاءِ الْحَدِيثِيَّةِ. هَذَا أَقَلُّ دَرَجَاتِهِ.

فَإِذَا سَمِعَ مَا ذَكَرْنَاهُ، وَكَتَبَ الطِّبَاقَ[1]، وَدَارَ على الشُّيُوخِ، وتَكَلَّمَ فِي الْعِلَلِ وَالْوَفَيَاتِ وَالْأَسَانِيدِ، كانَ فِي أَوَّلِ دَرَجَاتِ الْمُحَدِّثِينَ. ثُمَّ يَزِيدُ اللهُ مَنْ يَشَاءُ مَا يَشَاءُ. هَذَا مَا ذَكَرَهُ تَاجُ الدِّينِ السُّبْكِيُّ رَحِمَهُ اللهُ[2].

وَالْكُتُبُ الْمُصَنَّفَةُ فِي عِلْمِ الْحديثِ، أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى، وَأَوْفَرُ مِنْ أَنْ

---

(1) كِتَابَةُ الطِّبَاق: الطِّباق جمع طبقة، وهي وثيقة إثبات السماع لكل من سمع وحضر، ومقدار ما سمع كل واحد، أو مقدار ما فاته، ويعهد الشيخ المُسْمِعُ بكتابة الطبقة إلى من يثق بهم من المتقدمين من الطلبة، لأن كتابة الطباق تحتاج إلى نباهة وتقدُّم. وكانوا يثنون على طالب الحديث إذا نبغ بقولهم: "وكتب الطباق". المدخل إلى صحيح البخاري: 245.

(2) معيد النعم ومبيد النقم: 66 ـ 67.

تُسْتَقْصَى، إِلَّا أَنَّ السَّلَفَ وَالْخَلَفَ، قَدْ أَطْبَقُوا قَاطِبَةً على أَنَّ أَصَحَّ الْكُتُبِ بَعْدَ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى: **"صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ"**، ثُمَّ **"صَحِيحُ مُسْلِمٍ"**، ثُمَّ **"الْمُوَطَّأُ"**.

ثُمَّ بَقِيَّةُ الْكُتُبِ السِّتَّةِ؛ وَهِيَ: **"سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ"**، وَ**"سُنَنُ التِّرمِذِيِّ"**، و**"سُنَنُ النَّسَائِيِّ"**، وَ**"سُنَنُ ابْنِ مَاجَه"**، وَ**"سُنَنُ الدَّارَقُطْنِيِّ"**.

وَالْمُسْنَدَاتُ الْمَشْهُورَةُ، **كَمُسْنَدِ أَحْمَدَ، وَابْنِ أَبِي شَيْبَةَ، وَالْبَزَّارِ**، وَنَحْوِهَا.

وَلْنَذْكُرْ هَاهُنَا أَصْحَابَ الْكُتُبِ السِّتَّةِ، وَمَنْ يَحْذُو حَذْوَهُمْ، عَلَى وَجْهِ الِاخْتِصَارِ، لِنَتَشَرَّفَ بِذِكْرِهِمْ، وَيَفِيضَ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِهِمْ، لِأَنَّهُمْ قُدْوَةُ الدِّينِ، وَشُيُوخُ الْإِسْلَامِ، وَحُفَّاظُ السُّنَّةِ، وخَزَنَةُ الْأَحَادِيثِ، يُتَبَرَّكُ بِأَسْمَائِهِمْ، ويُظَنُّ اسْتِجَابَةُ الدُّعَاءِ عِنْدَ ذِكْرِ أَوْصَافِهِمْ، إِذْ عِنْدَ ذِكْرِ الصَّالِحِينَ تَنْزِلُ الرَّحْمَةُ.

ذَكَرَ الْإِمَامُ [الْفَاضِلُ][1] الْعَالِمُ صَدْرُ الشَّرِيعَةِ فِي كِتَابِهِ **"تَعْدِيلُ الْعُلُومِ"**، فِي قِسْمِ تَعْدِيلِ الْكَلَامِ: أَنَّ الْمَشَايِخَ أَئِمَّةَ الْحَدِيثِ مَشْهُورُونَ بِطُولِ الْأَعْمَارِ، وَأَنَّ الْفَلَاسِفَةَ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِالشَّرِيعَةِ، مَشْهُورُونَ بِقِصَرِ الْأَعْمَارِ. وَلَا شَكَّ أَنَّ طُولَ الْعُمُرِ فِي الْإِسْلَامِ، وَالْعِلْمَ وَالْعَمَلَ، مَظِنَّةُ الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ، وَأَنَّ الشَّيْبَةَ فِي الْإِسْلَامِ، مَئِنَّةُ[2] السَّعَادَاتِ.

---

(1) زيادة من قونية.

(2) الْمَئِنَّةُ: العلامة، وكل شيء دل على شيء فهو مئنةٌ له. اللسان: مأن.

ذَكَرَ ابْنُ السُّبْكِيِّ فِي طَبَقَاتِهِ الْكُبْرَى: «أَنَّ أَبَا سَهْلٍ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ الصَّلَاحِ يَقُولُ: سَمِعْتُ شُيُوخَنَا رَحِمَهُمُ اللهُ يَقُولُونَ: دَلِيلُ طُولِ عُمُرِ الرَّجُلِ اشْتِغَالُهُ بِأَحَادِيثِ الرَّسُولِ صلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[1]. وَتُصَدِّقُهُ التَّجْرِبَةُ، فَإِنَّ أَهْلَ الْحَدِيثِ، إِذَا تَتَبَّعْتَ أَعْمَارَهُمْ تَجِدُهَا فِي غَايَةِ الطُّولِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ رَئِيسَ هَؤُلَاءِ الطَّائِفَةِ وَقُدْوَتَهُمْ، بَعْدَ الْإِمَامِ **مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**، **الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْجُعْفِيُّ الْبُخَارِيُّ**. وإِنَّمَا قِيلَ لَهُ الْجُعْفِيُّ، لِأَنَّ الْمُغِيرَةَ أَبَا جَدِّهِ، كانَ مَجُوسِيًّا، فَأَسْلَمَ على يَدِ يَمَانٍ الْبُخَارِيِّ، وَهُوَ الْجُعْفِيُّ وَالِي بُخَارَى، فَنُسِبَ إِلَيْهِ، حَيْثُ أَسْلَمَ عَلَى يَدِهِ.

وَجُعْفِيٌّ: أَبُو قَبِيلَةٍ مِنَ الْيَمَنِ، هُوَ جُعْفِيُّ بْنُ سَعْدٍ، وَالنِّسْبَةُ إِلَيْهِ كَذَلِكَ.

وُلِدَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةٍ خَلَتْ مِنْ شَوَّالٍ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وتِسْعِينَ وَمِئَةٍ، **وتُوُفِّيَ** لَيْلَةَ الْفِطْرِ، سَنَةَ سِتٍّ وخَمْسِينَ ومِئَتَيْنِ، ودُفِنَ بِخَرْتَنْكَ[2] عَلَى فَرْسَخَيْنِ مِنْ سَمَرْقَنْدَ، وعُمُرُهُ اثْنَتَانِ وسِتُّونَ سَنَةً إِلَّا ثَلَاثَةَ عَشَرَ يَوْمًا، وَلَمْ يُعْقِبْ وَلَدًا ذَكَرًا[3].

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى: 4/ 44.

(2) خَرْتَنْكُ: قرية بينها وبين سمرقند ثلاثة فراسخ، بها قبر الإمام البخاري، ينسب إليها أبو منصور غالب بن جبرائيل الخَرْتَنْكِي. معجم البلدان: 2/ 356.

(3) جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير: 1/ 185.

وَكانَ شَيْخًا نَحِيفَ الْجِسْمِ، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلَا بِالْقَصِيرِ. والْبُخَارِيُّ الْإِمَامُ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ، رَحَلَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ إِلَى جَمِيعِ مُحَدِّثِي الْأَمْصَارِ. وكَتَبَ بِخُرَاسَانَ، وَالْجِبَالِ، وَالْعِرَاقِ، وَالْحِجَازِ، وَالشَّامِ، وَمِصْرَ.

وَأَخَذَ الْحَدِيثَ عَنِ الْمَشَايِخِ الْحُفَّاظِ؛ مِنْهُمْ: مَكِّيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْبَلْخِيُّ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ مُوسَى الْعَبْسِيُّ، وَأَبُو عَاصِمٍ الشَّيْبَانِيُّ، وعَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ، وأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَيَحْيَى بْنُ مَعِينٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ الْحُمَيْدِيُّ، وَغَيْرُ هَؤُلَاءِ مِنَ الْأَئِمَّةِ.

وأَخَذَ عَنْهُ الْحَدِيثَ خَلْقٌ كَثِيرٌ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ حَدَّثَ بِهَا.

قَالَ الْفِرَبْرِيُّ[1]: ـ قُلْتُ: هُوَ بِفَتْحِ الْفَاءِ وكَسْرِهَا وفَتْحِ الرَّاءِ الْأُولَى، وَإِسْكَانِ الْمُوَحَّدَةِ بَيْنَ الرَّائَيْنِ، مَنْسُوبَةٌ إِلَى قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى بُخَارَى ـ سَمِعَ كِتَابَ الْبُخَارِيِّ عَلَيْهِ تِسْعُونَ أَلْفَ رَجُلٍ، فَمَا بَقِيَ أَحَدٌ يَرْوِي عَنْهُ غَيْرِي. قَالَ: وَسَمِعْتُهُ مِنْهُ بِفِرَبْرَ[2].

وَرَدَ الْبُخَارِيُّ على الْمَشَايِخِ وَلَهُ أَحَدَ عَشَرَ سَنَةً، وَطَلَبَ الْعِلْمَ وَلَهُ عَشْرُ سِنِينَ.

---

(1) أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر بن بشر الفربري، رواية صحيح البخاري عنه، (ت. 320 هـ). وفيات الأعيان: 4/ 290.

(2) فِرَبْرُ: بليدة بين جيحون و بخارى، وكان يعرف برباط طاهر بن علي. معجم البلدان: 4/ 245.

قَالَ الْبُخَارِيُّ: «خَرَّجْتُ كِتَابَ "**الصَّحِيحُ**" مِنْ زُهَاءِ سِتِّمِئَةِ أَلْفِ حَدِيثٍ، وَمَا وَضَعْتُ فِيهِ حَدِيثًا إِلَّا بَعْدَمَا اسْتَخَرْتُ اللهَ تَعَالَى، وَاغْتَسَلْتُ، وَصَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ»[1].

وَقَالَ: «أَحْفَظُ مِئَةَ أَلْفِ حَدِيثٍ صَحِيحٍ، وَمِئَتَيْ أَلْفِ حَدِيثٍ غَيْرِ صَحِيحٍ»[2]، وصَنَّفْتُهُ في سِتَّةَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَمَا أَدْخَلْتُ فِيهِ حَدِيثًا إِلَّا بَعْدَمَا تَيَقَّنْتُ بِصِحَّتِهِ، وَجَعَلْتُهُ حُجَّةً فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ اللهِ تَعَالَى.

وَجُمْلَةُ مَا فِي كِتَابِهِ "**الصَّحِيحُ**" سَبْعَةُ آلَافٍ وَمِئَتَانِ وَخَمْسَةٌ وسَبْعُونَ حَدِيثًا، بِالْأَحَادِيثِ الْمُكَرَّرَةِ، وَقِيلَ: إِنَّهَا بِإِسْقَاطِ الْمُكَرَّرَةِ، أَرْبَعَةُ آلَافِ حَدِيثٍ.

وصَحِيحُ مُسْلِمٍ أيضًا أَرْبَعَةُ آلَافِ حَدِيثٍ بَعْدَ حَذْفِ الْمُكَرَّرَةِ.

قَالَ الْبُخَارِيُّ: «أَصَحُّ الْأَسَانِيدِ على الْإِطْلَاقِ، مَالِكٌ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، وَأَصَحُّ أَسَانِيدِ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَبُو الزِّنَادِ عَنِ الأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ»[3].

وَكَانَ الْبُخَارِيُّ مِنْ عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، لازِمًا لِلْوَرَعِ والزَّهَادَةِ. رَأَى أَبُوهُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ، وعَبْدَ اللهِ بْنَ الْمُبَارَكِ، وَحَمَّادَ بْنَ زَيْدٍ.

---

(1) جامع الأصول: 1/ 186، والخلاصة في معرفة الحديث: 36.

(2) التاريخ الكبير للبخاري: 1/ 69.

(3) معرفة علوم الحديث للحاكم: 53.

وَقَدِمَ الْبُخَارِيُّ بَغْدَادَ، فَسَمِعَ بِهِ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ، وَاجْتَمَعُوا، وعَمَدُوا إِلى مِئَةِ حَدِيثٍ، فَقَلَبُوا مُتُونَهَا وأَسَانِيدَهَا، وَجَعَلُوا مَتْنَ هذا الْإِسْنَادِ لِإِسْنَادِ آخَرَ، وَإِسْنَادَ هذا الْمَتْنِ لِمَتْنٍ آخَرَ، ودَفَعُوهَا إِلى عَشَرَةِ أَنْفُسٍ، لِكُلِّ رَجُلٍ عَشَرَةُ أَحَادِيثَ، وأَمَرُوهُمْ إِذا حَضَرُوا الْمَجْلِسَ أَنْ يُلْقُوهَا عَلَى الْبُخَارِيِّ، فَحَضَرَ الْمَجْلِسَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ، فَلَمَّا اطْمَأَنَّ الْمَجْلِسُ بِأَهْلِهِ، انْتُدِبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْعَشَرَةِ، فَسَأَلَهُ عَنْ حَدِيثٍ مِنْ تِلْكَ الْأَحَادِيثِ، فقالَ: لَا أَعْرِفُهُ، فَسَأَلَهُ عَنْ آخَرَ، فَقَالَ: لَا أَعْرِفُهُ، ثُمَّ وثُمَّ، إِلَى أَنْ فَرَغَ مِنَ الْعَشَرَةِ، ثمَّ انْتُدِبَ رَجُلٌ آخَرُ، فَجَرَى مَعَهُ مِثْلُ مَا جَرَى مَعَ الْأَوَّلِ، إِلَى أَنْ تَمَّتِ الْعَشَرَةُ الرِّجَالُ، كُلُّ ذلِكَ يَقُولُ: لا أَعْرِفُهُ. فَأَمَّا الْعُلَمَاءُ فَعَرَفُوا بِإِنْكَارِهِ أَنَّهُ عارِفٌ، وأَمَّا غَيْرُهُمْ فَلَمْ يُدْرِكُوا ذلكَ مِنْهُ. ثُمَّ الْتَفَتَ الْبُخَارِيُّ إِلَى الْأَوَّلِ مِنْهُمْ، فقالَ: أَمَّا حَدِيثُكَ الْأَوَّلُ فَهُوَ كَذَا، وَالثَّانِي كَذَا، عَلَى النَّسَقِ، إِلَى آخِرِ الْعَشَرَةِ، فَرَدَّ كُلَّ مَتْنٍ إِلى إِسْنَادِهِ، وكُلَّ إِسْنَادٍ إِلى مَتْنِهِ، ثُمَّ فَعَلَ بِالْبَاقِي مِثْلَ ذلِكَ. فَأَقَرَّ لَهُ النَّاسُ بِالْحِفْظِ، وأَذْعَنُوا لَهُ بِالْفَضْلِ[1].

قالَ أَبُو مُصْعَبٍ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمَدِينِيُّ: مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ أَفْقَهُ عِنْدَنَا وَأَبْصَرُ مِنِ ابْنِ حَنْبَلٍ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: جَاوَزْتَ الْحَدَّ، فَقَالَ

---

(1) جامع الأصول في أحاديث الرسول: 1/ 186.

مُصْعَبٌ: لَوْ أَدْرَكْتَ مَالِكًا، وَنَظَرْتَ إلى وَجْهِهِ وَوَجْهِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، لَقُلْتَ: كِلَاهُمَا وَاحِدٌ فِي الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ[1].

وَقالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: مَا أَخْرَجَتْ بُخَارَى مِثْلَ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيِّ.

وَقالَ: انْتَهَى الْحِفْظُ إلى أَرْبَعَةٍ مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ، وَذَكَرَ مِنْهُمُ الْبُخَارِيَّ[2].

وَقالَ رَجَاءُ بْنُ مُرَجَّى[3]: فَضْلُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيِّ عَلَى الْعُلَمَاءِ كَفَضْلِ الرِّجَالِ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، كُلُّ ذَلِكَ! قالَ: هُوَ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ تَمْشِي عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ[4].

وَقالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: مَا رَأَيْتُ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ أَعْلَمَ بِالْحَدِيثِ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ البُخَارِيِّ[5].

وَسَبَبُ مُفَارَقَتِهِ بُخَارَى، علَى مَا رَوَاهُ أَبُو سَعِيدِ بْنُ مُنِيرٍ، قال: بَعَثَ الْأَمِيرُ خَالِدُ بْنُ أَحْمَدَ الذُّهْلِيُّ وَالِي بُخَارَى إلى الْبُخَارِيِّ، أَنِ احْمِلْ إِلَيَّ كِتَابَ "**الْجَامِعُ**" وَ"**التَّارِيخُ**"، لِأَسْمَعَ مِنْكَ، فَقَالَ لِرَسُولِهِ: أَنَا لا أُذِلُّ الْعِلْمَ، ولا أَحْمِلُهُ إِلى أَبْوَابِ النَّاسِ، فَإِنْ كانَتْ لَكَ إِلَى شَيْءٍ مِنْهُ حَاجَةٌ، فَاحْضُرْنِي في

---

(1) تاريخ بغداد: 2/ 322.

(2) التاريخ الكبير: 1/ 69.

(3) رجاء بن مرجى بن رافع أبو محمد المروزي السمرقندي، الحافظ الثقة الثبت الإمام في علم الحديث، (ت. 249هـ). تاريخ الإسلام: 5/ 1141، والوافي بالوفيات: 14/ 70.

(4) فتح الباري: 1/ 484.

(5) التذكرة الحمدونية: 9/ 314، وسير أعلام النبلاء: 12/ 431.

مَسْجِدِي، أَوْ في دَارِي، وإِنْ لَمْ يُعْجِبْكَ هَذا مِنِّي، فَأَنْتَ سُلْطَانٌ، فَامْنَعْنِي مِنَ الْمَجْلِسِ، لِيَكُونَ لِي عُذْرٌ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فإِنِّي لا أَكْتُمُ الْعِلْمَ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أُلْجِمَ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ»(1).

وَقَالَ غَيْرُهُ: إِنَّ خَالِدًا سَأَلَهُ أَنْ يَحْضُرَ مَنْزِلَهُ، فَيَقْرَأَ "**الْجَامِعُ**" وَ"**التَّارِيخُ**" على أَوْلَادِهِ، فَامْتَنَعَ عَنْ ذلك، فَرَاسَلَهُ أَنْ يَعْقِدَ مَجْلِسًا يَخُصُّ أَوْلَادَهُ، فَامْتَنَعَ عَنْ ذلِكَ أَيْضًا، وَقالَ: لا يَسَعُنِي أَنْ أَخُصَّ بِالسَّمَاعِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ، فَاسْتَعَانَ خَالِدُ بِعُلَمَاءِ بُخَارَى عَلَيْهِ حَتَّى تَكَلَّمُوا في مَذْهَبِهِ، وَنَفَاهُ عَنِ الْبَلَدِ، فَدَعَا عَلَيْهِمُ الْبُخَارِيُّ، فَاسْتُجِيبَ، وَوَقَعُوا بَعْدَ زَمَانٍ يَسِيرٍ فِي الْبَلَايَا.

قالَ عَبْدُ الْقُدُّوسِ السَّمَرْقَنْدِيُّ: جَاءَ الْبُخَارِيُّ إِلَى أَقْرِبَائِهِ بِخَرْتَنْكَ، فَسَمِعْتُهُ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي، وَقَدْ فَرَغَ مِنْ صَلَاةِ اللَّيْلِ، يَدْعُو وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ، فَمَا تَمَّ الشَّهْرُ حتَّى قَبَضَهُ اللهُ. وَقَبْرُهُ بِخَرْتَنْكَ ظَاهِرٌ يُزَارُ، رَحِمَهُ اللهُ(2).

وكانَ اسْمُ تِلْكَ الْقَرْيَةِ غَيْرَ هَذَا الِاسْمِ، وسُمِّيَتْ خَرْتَنْكَ يَوْمَ مَاتَ الْبُخَارِيُّ، فَإِنَّ أَهْلَ سَمَرْقَنْدَ أَطْبَقُوا عَلَى أَنْ يَشْهَدُوا الصَّلَاةَ عَلَيْهِ، وَعَزَّتِ

(1) سنن ابن ماجه: 1/ 97، رقم: 264، وسنن أبي داود: 5/ 500، رقم: 3659، والخبر في تاريخ بغداد: 2/ 340، وفي مسالك الأبصار في ممالك الأنصار: 5/ 421.

(2) تاريخ بغداد: 2/ 340.

الْحُمُرُ فِي الْكِرَاءِ، فَلِهَذَا سُمِّيَتْ بِهِ، لِأَنَّ خَرْ: هُوَ الْحِمَارُ بِلُغَةِ الْفُرْسِ، وَتَنْك: مَعْنَاهُ الْغَالِي.

رُوِيَ أَنَّ الْإِمَامَ أَبَا مُحَمَّدٍ الْمُزَنِيَّ أَمَرَ بِكِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، **وَبِصَحِيحِ الْبُخَارِيِّ**، فَكَتَبُوا لَهُ بِمَاءِ الذَّهَبِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ.

قِيلَ: إِنَّ الْأَصْلَ الَّذِي سَمِعَهُ[1] بِهَمَذَانَ كَانَ فِي تِسْعِ مُجَلَّدَاتٍ؛ فَلَقَدْ عَظَّمَ كِتَابَ اللهِ تَعَالَى وَسُنَّةَ رَسُولِهِ صلَّى الله عليْهِ وسَلَّمَ.

قالَ أَبُو حَفْصٍ النَّسَفِيُّ: فَلَمَّا قَضَى الْبُخَارِيُّ نَحْبَهُ، سَالَ مِنْهُ مِنَ الْعَرَقِ شَيْءٌ لَا يُوصَفُ، إِلَى أَنْ أَدْرَجْنَاهُ فِي ثِيَابِهِ، وَقَدْ سَطَعَ مِنْ قَبْرِهِ رِيحٌ طَيِّبَةٌ، تَعَجَّبَ أَهْلُ الْبَلَدِ مِنْ ذَلِكَ، وَظَهَرَتْ عَلَيْهِ الْأَنْوَارُ، وَكَانُوا يَأْخُذُونَ التُّرَابَ، حَتَّى خِفْنَا عَلَى الْقَبْرِ، فَنَصَبْنَا عَلَى الْقَبْرِ خَشَبًا مُسْنَدًا[2].

وقالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْمَرْوَزِيُّ: كُنْتُ نَائِمًا بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلَّمَ فِي الْمَنَامِ، فَقَالَ لِي: يَا أَبَا زَيْدٍ، إِلَى مَتَى تَدْرُسُ **كِتَابَ الشَّافِعِيِّ**، وَلَا تَدْرُسُ كِتَابِي؟ فَقُلْتُ: وَمَا كِتَابُكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قالَ: **جَامِعُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيِّ**[3].

---

(1) سَمِعْتُهُ، في قونية ومراد ملا.

(2) تاريخ الإسلام: 6/ 140.

(3) المختصر النصيح في تهذيب الكتاب الجامع الصحيح: 1/ 32.

وَقالَ النَّجْمُ بْنُ فُضَيْلٍ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الْمَنَامِ، وَمُحَمَّدَ ابْنَ إِسْمَاعِيلَ خَلْفَهُ، فَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَطَا خُطْوَةً يَخْطُو مُحَمَّدٌ، وَيَضَعُ قَدَمَهُ عَلَى خُطْوَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، وَيَتْبَعُ أَثَرَهُ[1].

وَقالَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ آدَمَ الطَّوَاوِيسِيُّ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ فِي النَّوْمِ، وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَهُوَ وَاقِفٌ فِي مَوْضِعٍ ذَكَرَهُ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلَامَ، فَقُلْتُ: مَا وُقُوفُكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: أَنْتَظِرُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيَّ، فَلَمَّا كانَ بَعْدَ أَيَّامٍ، بَلَغَنَا مَوْتُهُ، فَنَظَرْنَا فَإِذَا هُوَ مَاتَ في تِلْكَ السَّاعَةِ الَّتِي رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ فِيهَا[2].

وَمَنَاقِبُ الْبُخَارِيِّ لَا تُحْصَى.

وَأَمَّا مَنَاقِبُ كِتَابِهِ، فَهُوَ أَصَحُّ الْكُتُبِ بَعْدَ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى، وَهَذِهِ مَنْقَبَةٌ عَظِيمَةٌ لِهَذَا الْكِتَابِ، وَأَنَّ مَنْ خَتَمَهُ عَلَى أَيِّ نِيَّةٍ كَانَتْ، حَصَلَ مَا نَوَاهُ عَلَى أَحْسَنِ وَجْهٍ، وَأَنَّهُ إِذَا قُرِئَ فِي بَيْتٍ فِي أَيَّامِ الطَّاعُونِ، حَفِظَ اللهُ أَهَالِيَهُ مِنَ الطَّاعُونِ.

وَأَيْضًا سَمِعْتُ مِنْ مَشَايِخِ الْحَدِيثِ، أَنَّ الدُّعَاءَ يُسْتَجَابُ عِنْدَ ذِكْرِ أَسَامِي أَصْحَابِ بَدْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

---

(1) الكامل في ضعفاء الرجال: 1/ 226.

(2) تاريخ بغداد: 2/ 340.

وَيَلِيهِ فِي الرُّتْبَةِ: "**كِتَابُ مُسْلِمٍ**"، وَهُوَ **أَبُو الْحُسَيْنِ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسْلِمِ بْنِ وَرْدِ بْنِ كُوشَاذَ الْقُشَيْرِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ**، أَحَدُ الْأَئِمَّةِ الْحُفَّاظِ، وَأَعْلَامِ الْمُحَدِّثِينَ، صَاحِبُ **الصَّحِيحِ**، إِمَامُ خُرَاسَانَ فِي الْحَدِيثِ بَعْدَ الْبُخَارِيِّ.

وإِذَا ذُكِرَ الصَّحِيحَانِ مُطْلَقًا، فَهُوَ: "**صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ**" وَ"**صَحِيحُ مُسْلِمٍ**".

كانَ تَامَّ الْقَامَةِ، أَبْيَضَ الرَّأْسِ وَاللِّحْيَةِ، **وُلِدَ** سَنَةَ أَرْبَعٍ وَمِئَتَيْنِ، وَقِيلَ: سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَمِئَتَيْنِ. [وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ **وُلِدَ** فِي سِتٍّ وَمِئَتَيْنِ][1]، **وَتُوُفِّيَ** عَشِيَّةَ يَوْمِ الْأَحَدِ لِسِتٍّ، أَوْ لِخَمْسٍ بَقِينَ مِنْ رَجَبٍ، سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَمِئَتَيْنِ بِنَيْسَابُورَ.

رَحَلَ إِلَى الْعِرَاقِ والْحِجَازِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ، **وَأَخَذَ** الْحَدِيثَ عَنْ يَحْيَى بْنِ يَحْيَى النَّيْسَابُورِيِّ، وَقُتَيْبَةَ بْنِ سَعِيدٍ، وَإِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوَيْهِ، وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْلَمَةَ الْقَعْنَبِيِّ، وَغَيْرِ هَؤُلَاءِ مِنْ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ وَعُلَمَائِهِ، وَقَدِمَ بَغْدَادَ غَيْرَ مَرَّةٍ وَحَدَّثَ بِهَا.

رَوَى عَنْهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ، مِنْهُمْ: إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سُفْيَانَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ خُزَيْمَةَ. وكانَ آخِرُ قُدُومِهِ بَغْدَادَ سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَمِئَتَيْنِ[2].

وَقالَ مُسْلِمٌ: صَنَّفْتُ **الْمُسْنَدَ الصَّحِيحَ**، مِنْ ثَلَاثِمِئَةِ أَلْفِ حَدِيثٍ مَسْمُوعَةٍ[3].

وَقِيلَ: مِنْ مِئَةِ أَلْفِ حَدِيثٍ مَسْمُوعَةٍ.

---

(1) ما بين معقوفين سقط من أنطاليا.

(2) جامع الأصول في أحاديث الرسول: 1/ 187.

(3) الأنساب:10/ 427.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ابْنِ مَنْدَهْ: سَمِعْتُ أَبَا عَلِيٍّ النَّيْسَابُورِيَّ يَقُولُ: مَا تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ أَصَحُّ مِنْ كِتَابِ مُسْلِمٍ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ[1].

وَقَالَ الْخَطِيبُ أَبُو بَكْرٍ الْبَغْدَادِيُّ: «إِنَّمَا قَفَا مُسْلِمٌ طَرِيقَ الْبُخَارِيِّ، وَنَظَرَ فِي عِلْمِهِ، وَحَذَا حَذْوَهُ، وَلَمَّا وَرَدَ الْبُخَارِيُّ نَيْسَابُورَ فِي آخِرِ مَرَّةٍ، لَازَمَهُ مُسْلِمٌ، وَأَدَامَ الِاخْتِلَافَ إِلَيْهِ»[2].

وَكانَ مُسْلِمٌ يَخْتَلِفُ أَيْضًا إِلى مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى أَحَدِ الْحُفَّاظِ الْمَشْهُورِينَ، وَلَمَّا وَقَعَتْ وَحْشَةٌ بَيْنَ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى وَبَيْنَ الْبُخَارِيِّ فِي مَسْأَلَةِ خَلْقِ اللَّفْظِ، تَغَيَّرَ مُحَمَّدٌ عَلَى الْبُخَارِيِّ وَعَلَى مَنْ صَاحَبَهُ، فَتَرَكَ مُسْلِمٌ صُحْبَةَ مُحَمَّدٍ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْ زِيَارَةِ الْبُخَارِيِّ.

وَيَلِيهِمَا أَبُو دَاوُدَ، سُلَيْمَانُ بْنُ الْأَشْعَثِ بْنِ إِسْحَاقَ الْأَزْدِيُّ السِّجِسْتَانِيُّ، [أَحَدُ مَنْ][3] رَحَلَ وَطَوَّفَ وَجَمَعَ، وَسَمِعَ الْخَلْقَ بِخُرَاسَانَ وَالْعِرَاقِ والشَّامِ وَغَيْرِهَا. سَكَنَ الْبَصْرَةَ، وَقَدِمَ بَغْدَادَ غَيْرَ مَرَّةٍ. وَصَنَّفَ وَكَتَبَ عَنِ الْعِرَاقِيِّينَ وَالْخُرَاسَانِيِّينَ وَالشَّامِيِّينَ وَالْمِصْرِيِّينَ وَالْجَزِيرِيِّينَ.

---

(1) جامع الأصول في أحاديث الرسول: 1/ 188.

(2) تاريخ بغداد: 15/ 121.

(3) زيادة من أنطاليا.

وُلِدَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَمِئَتَيْنِ، وَتُوُفِّيَ بِالْبَصْرَةِ لِأَرْبَعَ عَشْرَةَ بَقِيَتْ مِنْ شَوَّالٍ، سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَمِئَتَيْنِ. وَقَدِمَ بَغْدَادَ مِرَارًا، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا آخِرَ مَرَّاتِهِ[1] سَنَةَ إِحْدَى وَسَبْعِينَ.

وَأَخَذَ الْحَدِيثَ عَنْ مُسْلِمِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، وَسُلَيْمَانَ بْنِ حَرْبٍ، وعَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْلَمَةَ الْقَعْنَبِيِّ، وَيَحْيَى بْنِ مَعِينٍ، وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وغيرِ هؤُلاءِ مِنْ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ مِمَّنْ لَا يُحْصَى كَثْرَةً.

وأَخَذَ الْحَدِيثَ عَنْهُ ابْنُهُ عَبْدُ اللهِ، وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّسَائِيُّ، وأَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَلَّالُ، وَغَيْرُهُمْ.

وَسَكَنَ الْبَصْرَةَ، وَقَدِمَ بَغْدَادَ، وَرَوَى كِتَابَهُ الْمُصَنَّفَ في السُّنَنِ بِهَا، وَنَقَلَهُ أَهْلُهَا عَنْهُ، وَعَرَضَهُ على أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، فَاسْتَجَادَهُ واسْتَحْسَنَهُ.

قالَ أَبُو دَاوُدَ: كَتَبْتُ عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْسَمِئَةِ أَلْفِ حَدِيثٍ، انْتَخَبْتُ مِنْهَا مَا ضَمَّنْتُهُ هَذَا الْكِتَابَ، جَمَعْتُ فِيهِ أَرْبَعَةَ آلَافِ حَدِيثٍ وَثَمَانَمِئَةِ حَدِيثٍ، ذَكَرْتُ الصَّحِيحَ وَمَا يُشْبِهُهُ وَيُقَارِبُهُ، وَيَكْفِي الْإِنْسَانَ لِدِينِهِ مِنْهُ أَرْبَعَةُ أَحَادِيثَ:

- أَحَدُهَا قَوْلُهُ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَاتِ».

- وَالثَّانِي قَوْلُهُ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»[2].

---

(1) مرار، في قونية والأزهرية ونور عثمانية 1.

(2) الموطأ: 2 / 903، رقم: 3، ومسند أحمد: 3/ 259 رقم: 1737.

ـ وَالثَّالِثُ قَوْلُهُ: «لا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ مُؤْمِنًا حَتَّى يَرْضَى لِأَخِيهِ مَا يَرْضَاهُ[1] لِنَفْسِهِ»[2].

ـ وَالرَّابِعُ قَوْلُهُ: «الْحَلَالُ بَيِّنٌ، وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ»[3].

قالَ أَبُو بَكْرٍ الْخَلَّالُ: أَبُو دَاوُدَ الْإِمَامُ الْمُقَدَّمُ في زَمَانِهِ، رَجُلٌ لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ بِتَخْرِيجِ الْعُلُومِ وَبَصَرِهِ بِمَوَاضِعِهِ أَحَدٌ في زَمَانِهِ، رَجُلٌ وَرِعٌ مُقَدَّمٌ[4].

وَقالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْهَرَوِيُّ: كانَ أَبُو دَاوُدَ أَحَدَ حُفَّاظِ الْإِسْلَامِ لِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عِلْمِهِ وعِلَلِهِ وَسَنَدِهِ، في أَعْلَى دَرَجَةٍ مِنَ النُّسُكِ وَالْعَفَافِ وَالصَّلَاحِ وَالْوَرَعِ، مِنْ فُرْسَانِ الْحَدِيثِ[5].

وكانَ لِأَبِي دَاوُدَ كُمٌّ وَاسِعٌ، وَكُمٌّ ضَيِّقٌ، فَقِيلَ لَهُ: مَا هَذَا يَرْحَمُكَ اللهُ، قَالَ: الْوَاسِعُ لِلْكُتُبِ، وَالْآخَرُ لَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ[6].

وقَالَ الْخَطَّابِيُّ: "كِتَابُ السُّنَنِ" لِأَبِي دَاوُدَ، كِتَابٌ شَرِيفٌ، لَمْ يُصَنَّفْ في عِلْمِ الدِّينِ كِتَابٌ مِثْلُهُ[7].

---

(1) يرضى، في قونية.

(2) جامع الأصول في أحاديث الرسول: 1/ 189 ـ 190، وتهذيب الكمال: 6/ 328، ومعالم السنن: 4/ 366.

(3) صحيح مسلم: 3/ 1219 رقم: 1599، وسنن أبي داود:3/ 243، رقم: 3329.

(4) تهذيب الكمال في أسماء الرجال: 11/ 364، وتاريخ الإسلام: 6/ 550.

(5) تهذيب الأسماء واللُّغات: 2/ 225، وسير أعلام النبلاء: 13/ 211.

(6) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: 16/ 124.

(7) معالم السنن: 1/ 66.

وقَالَ أَبُو دَاوُدَ: مَا ذَكَرْتُ فِي كِتَابِي حَدِيثًا اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى تَرْكِهِ(1).

وقالَ إِبْرَاهِيمُ الْحَرْبِيُّ: لَمَّا صَنَّفَ أَبُو دَاوُدَ هَذَا الْكِتَابَ، أُلِينَ لِأَبِي دَاوُدَ الْحدِيثُ، كَمَا أُلِينَ لِدَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلامُ الْحَدِيدُ(2).

وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: كِتَابُ أَبِي دَاوُدَ، لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مِنَ الْعِلْمِ، إِلَّا الْمُصْحَفُ الَّذِي فِيهِ كِتَابُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ هذا الْكِتَابُ، لَمْ يَحْتَجْ مَعَهُمَا إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْعِلْمِ بَتَّةً(3).

وَكَانَ وَلَدُهُ أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللهِ، مِنْ أَكَابِرِ الْحُفَّاظِ بِبَغْدَادَ، عَالِمًا مُتَّفَقًا عَلَيْهِ، إِمَامٌ ابْنُ إِمَامٍ. وَشَارَكَ أَبَاهُ في شُيُوخِهِ بِمِصْرَ وَالشَّامِ، وَسَمِعَ بِبَغْدَادَ وَخُرَاسَانَ وَأَصْبَهَانَ وَشِيرَازَ وَسِجِسْتَانَ. وَتُوُفِّيَ سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ وثَلَاثِمِئَةٍ(4)، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

وَيَلِيهِمْ أَبُو عِيسَى، مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى التِّرْمِذِيُّ، تُوُفِّيَ بِهَا لَيْلَةَ الْإِثْنَيْنِ الثَّالِثَ عَشَرَ مِنْ رَجَبٍ، سَنَةَ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَمِئَتَيْنِ. وَهُوَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ الْحُفَّاظِ الْأَعْلَامِ، ولَهُ في الْفِقْهِ يَدٌ صَالِحَةٌ.

أَخَذَ الْحَدِيثَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ، وَلَقِيَ الصَّدْرَ الْأَوَّلَ مِنَ الْمَشَايِخِ، مِثْلَ: قُتَيْبَةَ بْنِ سَعِيدٍ، ومَحْمُودِ بْنِ غَيْلَانَ، ومُحَمَّدِ بْنِ بَشَّارٍ، وأَحْمَدَ

---

(1) معالم السنن: 1/ 6.

(2) سنن أبي داود: المقدمة 18، ومعالم السنن: 1/ 7.

(3) المصدر نفسه: مقدمة 52، والمصدر نفسه: 1/ 8.

(4) وفيات الأعيان: 2/ 405.

ابْنِ مَنِيعٍ، ومُحَمَّدِ بْنِ الْمُثَنَّى، وسُفْيَانَ بْنِ وَكِيعٍ، وَمُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيِّ، وغَيْرِ هَؤُلاءِ. وأَخَذَ الْحَدِيثَ عَنْ خَلْقٍ كَثِيرٍ لَا يُحْصَوْنَ كَثْرَةً.

وَأَخَذَ عَنْهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ، مِنْهُمْ: مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْمَحْبُوبِيُّ الْمَرْوَزِيُّ.

لَهُ تَصَانِيفُ كَثِيرَةٌ في عِلْمِ الْحَدِيثِ، وَهَذا كِتَابُهُ "**الصَّحِيحُ**" أَحْسَنُ الْكُتُبِ وأَكْثَرُهَا فَائِدَةً، وأَحْسَنُهَا تَرْتِيبًا، وَأَقَلُّهَا تَكْرَارًا، وَفِيهِ مَا لَيْسَ في غَيْرِهِ مِنْ ذِكْرِ الْمَذَاهِبِ، وَوُجُوهِ الِاسْتِدْلَالِ، وَتَبْيِينِ أَنْوَاعِ الْحَدِيثِ، مِنَ الصَّحِيحِ والْحَسَنِ وَالْغَرِيبِ، وفِيهِ جَرْحٌ وَتَعْدِيلٌ. وَفِي آخِرِهِ كِتَابُ الْعِلَلِ، وقَدْ جَمَعَ فِيهِ فَوَائِدَ حَسَنَةً، لا يَخْفَى قَدْرُهَا على مَنْ وَقَفَ عَلَيْهَا[1].

قَالَ التِّرْمِذِيُّ: صَنَّفْتُ هَذَا الْكِتَابَ، فَعَرَضْتُهُ عَلَى عُلَمَاءِ الْحِجَازِ فَرَضُوا بِهِ، وَعَرَضْتُهُ على عُلَمَاءِ الْعِرَاقِ فَرَضُوا بِهِ، وعَرَضْتُهُ على عُلَمَاءِ خُرَاسَانَ فَرَضُوا بِهِ. وَمَنْ كَانَ في بَيْتِهِ هَذَا الْكِتَابُ، فَكَأَنَّمَا فِي بَيْتِهِ نَبِيٌّ يَتَكَلَّمُ[2].

وَالتِّرْمِذِيُّ نِسْبَةً إِلَى تِرْمِذَ بكَسْرِ التَّاءِ، [فَوْقَهَا نُقْطَتَانِ][3] وَبِالذَّالِ الْمُعْجَمَةِ، وَهِيَ مَدِينَةٌ مَشْهُورَةٌ مِنْ قُرَى جَيْحُونَ[4]، على شَاطِئِهِ الشَّرْقِيِّ.

---

(1) جامع الأصول في أحاديث الرسول: 1/ 193.

(2) المصدر نفسه: 1/ 194.

(3) ما بين معقوفين سقط من الأزهرية ونور عثمانية1.

(4) جيحون: اسم وادي خراسان على وسط مدينة يقال لها جيهان، فنسبه الناس إليها وقالوا جيحون على عادتهم في قلب الألفاظ. معجم البلدان: 2/ 196.

وَيَلِيهِمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَحْمَدُ بْنُ شُعَيْبِ النَّسَائِيُّ، مَاتَ بمكَّةَ سنَةَ ثَلاثٍ وثَلَاثِمِئَةٍ، وَدُفِنَ بِهَا. وَهُوَ أَحَدُ الْأَئِمَّةِ الْحُفَّاظِ الْعُلَمَاءِ الْفُقهَاءِ. لَقِيَ الْمَشايِخَ الْكِبَارَ، وَأَخَذَ الْحَدِيثَ عَنْ قُتَيْبَةَ بْنِ سَعِيدٍ، ومُحمَّدِ بْنِ بَشَّارٍ، وَمَحْمُودِ بْنِ غَيْلَانَ، وأَبِي دَاوُدَ سُلَيْمَانَ بْنِ الْأَشْعَثِ، وغَيْرِ هَؤُلاءِ مِنَ الْمَشَايِخِ الْحُفَّاظِ.

وَأَخَذَ عَنْهُ الْحَدِيثَ خَلْقٌ كَثِيرٌ؛ مِنْهُمْ: أَبُو الْقَاسِمِ الطَّبَرانِيُّ، وأبُو جَعْفَرٍ الطَّحَاوِيُّ، وأَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ السُّنِّيُّ الْحَافِظُ.

ولَهُ كُتُبٌ كَثِيرَةٌ فِي الْحَدِيثِ وَالْعِلَلِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

قالَ مَأْمُونٌ الْمِصْرِيُّ الْحَافِظُ[1]: «خَرَجْنَا مَعَ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِلَى طَرَسُوسَ[2]، فَاجْتَمَعَ جَماعَةٌ مِنْ مَشَايِخِ الْإِسْلَامِ، وَاجْتَمَعَ مِنَ الْحُفَّاظِ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، ومُحمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَغَيْرُهُمَا، فَتَشاوَرُوا مَنْ يَنْتَقِي لَهُمْ على الشُّيوخِ، فَأَجْمَعُوا على أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّسَائِيِّ، وَكَتَبُوا كُلُّهُمْ بِانْتِخَابِهِ.

وقالَ الْحَاكِمُ النَّيْسَابُورِيُّ: أَمَّا كَلامُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَلَى فِقْهِ الْحَدِيثِ، فَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُذْكَرَ، وَمَنْ نَظَرَ إِلَى كِتَابِ "السُّنَنِ" لَهُ، تَحَيَّرَ في حُسْنِ كَلَامِهِ»[3].

---

(1) الحسين بن محمد بن داود، الحافظ مأمون المصري أبو القاسم القيسي، حدث عن المزي، تُوفِّي سنة: 323 هـ. المختصر من علم الشافعي ومن معنى قوله: 118.

(2) طَرَسُوس: كلمة أعجمية رومية، وهي مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم. معجم البلدان: 4/ 28.

(3) معرفة علوم الحديث لابن البيع: 82.

وقالَ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ عُمَرَ الْحَافِظَ غَيْرَ مَرَّةٍ، يَقُولُ: **أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ** مُقَدَّمٌ عَلَى كُلِّ مَنْ يُذْكَرُ بِهَذا الْعِلْمِ في زَمَانِهِ، كَانَ شَافِعِيَّ الْمَذْهَبِ، وكانَ وَرِعًا مُتَحَرِّيًا[1].

النَّسَائِيُّ بِفَتْحِ النُّونِ، وتَخْفِيفِ السِّينِ الْمُهْمَلَةِ، وَبِالْمَدِّ وَالْهَمْزِ، مَنْسُوبٌ إلى مَدِينَةِ نَسَا[2] مِنْ خُرَاسَانَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْإِمَامَ النَّوَوِيَّ، رَحِمَهُ اللهُ، عَدَّ الْكُتُبَ الأُصُولَ خَمْسَةً، وهِيَ هذه الْخَمْسَةُ الَّتي ذَكَرْتُهَا، إلَّا أَنَّ الْجُمْهُورَ جعَلَهَا سِتًّا، وَقَدْ عَدَّ مِنْهَا **مُوطَّأَ الْإِمَامِ مَالِكٍ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَجَعَلُوهُ بَعْدَ التِّرْمِذِيِّ، وَقَبْلَ النَّسَائِيِّ، وَالْحَقُّ أَنَّهُ بَعْدَ مُسْلِمٍ في الرُّتْبَةِ. وسَنَذْكُرُ الْإِمَامَ مَالِكًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي الْمُجْتَهِدِينَ، لِأَنَّهُ بِذَلِكَ أَشْهَرُ[3].

وَعَدَّ بَعْضُهُمْ بَدَلَ **الْمُوطَّإِ، كِتَابَ ابْنِ مَاجَهْ، وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مَاجَهْ، أَبُو عَبْدِ اللهِ الْقَزْوِينِيُّ** الْحَافِظُ، صَاحِبُ **السُّنَنِ**. سَمِعَ أَصْحَابَ مَالِكٍ وَاللَّيْثَ، وَعَنْهُ أَبُو الْحَسَنِ الْقَطَّانُ، وَخَلْقٌ سِوَاهُ.

وُلِدَ سَنَةَ تِسْعٍ وَمِئَتَيْنِ، **وَماتَ** سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَمِئَتَيْنِ، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ أَرْبَعٌ وَسِتُّونَ سَنَةً.

---

(1) جامع الأصول في أحاديث الرسول: 1/ 196.

(2) نسا: مدينة بخراسان، وقيل أيضا: نسا مدينة بفارس، ونسا مدينة بكرمان، ونسا مدينة بهمذان. معجم البلدان: 5/ 281ـ282.

(3) اشتهر، في قونية.

وَاعْلَمْ أنَّه قَدْ يَقَعُ في أَلْسِنَةِ أَهْلِ الْحَدِيثِ: **الأَئِمَّةُ السَّبْعَةُ، فَيُزَادُ** على هَؤُلاءِ: **رَزِينٌ**، وهو **أَبُو الْحَسَنِ رَزِينُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْعَبْدَرِيُّ** الْحَافِظُ صَاحِبُ كِتَابِ **"التَّجْرِيدُ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ الصِّحَاحِ"**. **مَاتَ** بَعْدَ الْعِشْرِينَ وَخَمْسِمِئَةٍ، وإِنَّمَا أَلْحَقُوا جَامِعَهُ بِالْكُتُبِ السِّتَّةِ، لِأَنَّ جَامِعَهُ جَامِعٌ لِلسِّتَّةِ.

وَقَدْ يَقَعُ فِي أَلْسِنَتِهِمْ: **الْأَئِمَّةُ الثَّمَانِيَةُ، فَيُزَادُ** عَلَيْهِمْ **الْحُمَيْدِيُّ**، وهو **أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي نَصْرٍ فَتُّوحِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَنْدَلُسِيُّ الْحُمَيْدِيُّ**، صَاحِبُ كِتَابِ **"الْجَمْعُ بَيْنَ صَحِيحَي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ"**. وَهُوَ إِمَامٌ كَبِيرٌ عَالِمٌ مَشْهُورٌ، سَمِعَ بِبَلَدِهِ، وَسَمِعَ بِمِصْرَ أَصْحَابَ ابْنِ الْمُهَنْدِسِ[1]، وسمِعَ بمكَّةَ أَصْحَابَ ابْنِ خَوَّاصٍ وغَيْرَهُمْ، وَسَمِعَ بالشَّامِ أَصْحَابَ ابْنِ جُمَيْعٍ، وَغَيْرَهُمْ، وَرَدَ بَغْدَادَ فَسَمِعَ أَصْحَابَ الدَّارَقُطْنِيِّ وَغَيْرَهُمْ. وَصَنَّفَ **تَارِيخًا**[2] **لِأَهْلِ الْأَنْدَلُسِ**.

قَالَ الْأَمِيرُ ابْنُ مَاكُولَا: لَمْ أَرَ مِثْلَهُ فِي نَزَاهَتِهِ وَعِفَّتِهِ وَوَرَعِهِ.

ماتَ بِبَغْدَادَ في ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ، وكان **مَوْلِدُهُ** قَبْلَ الْعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ[3].

وَرُبَّمَا يُقَالُ: **الْأَئِمَّةُ التِّسْعَةُ، فَيُزَادُ** عليهِمْ أَحَدُ هَذَيْنِ الْإِمَامَيْنِ: أَحَدُهُمَا الْإِمَامُ **أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَرْقَانِيُّ**، وَالْآخَرُ الْإِمَامُ **أَبُو مَسْعُودٍ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ**

---

(1) أحمد بن محمد بن إسماعيل أبو بكر ابن المهندس، محدث مصر في وقته، كان ثقةً تَقِيًّا (ت385هـ). تاريخ الإسلام: 8/ 568.

(2) هو كتاب: **" جذْوَةُ الْمُقْتَبِس في تَارِيخِ عُلَمَاءِ الْأَنْدَلُسِ"**.

(3) جامع الأصول في أحاديث الرسول: 12/ 893.

ابْنِ عُبَيْدٍ الدِّمَشْقِيُّ، فَإِنَّ كُلًّا مِنْ هَذَيْنِ الإِمَامَيْنِ قَدْ جَمَعَ بَيْنَ صَحِيحَي الْبُخَارِي وَمُسْلِمٍ، فَيُقَالُ لِأَحَدِهِمَا "جَامِعُ الْبَرْقَانِيُّ"، ولِلْآخَرِ "جَامِعُ الدِّمَشْقِيُّ".

وَرُبَّمَا يُقَالُ: الْأَئِمَّةُ الْعَشَرَةُ، فَيُزَادُ عَلَيْهِمْ كِلَاهُمَا. وَتِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْبَرْقَانِيَّ، هو أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخُوارِزْمِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالْبَرْقَانِيِّ. سَمِعَ بِبَلَدِهِ مِنْ أَبِي الْعَبَّاسِ ابْنِ حَمْدَانَ النَّيْسَابُورِيِّ وغَيْرِهِ، ثُمَّ خَرَجَ إلى جُرْجَانَ فَسَمِعَ أَبَا بَكْرٍ الْإِسْمَاعِيلِيَّ، ثُمَّ إلى بَغْدَادَ، فَاسْتَوْطَنَهَا، وَحَدَّثَ بِهَا. وكانَ ثِقَةً وَرِعًا، مُتْقِنًا فَهِمًا مُتَثَبِّتًا.

قَالَ الْخَطِيبُ أَبُو بَكْرٍ الْبَغْدَادِيُّ: لَمْ أَرَ فِي شُيُوخِنَا أَثْبَتَ مِنْهُ. كانَ حَافِظًا لِلْقُرْآنِ عَارِفًا بِالْفِقْهِ، لَهُ حِفْظٌ مِنْ عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ، وَلَهُ تَصَانِيفُ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ.

وُلِدَ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِئَةٍ، ومَاتَ في رَجَبٍ سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وأَرْبَعِمِئَةٍ، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ تِسْعٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً. وَدُفِنَ في مَقْبَرَةِ جَامِعِ الْمَنْصُورِ.

الْبَرْقَانِيُّ بِكَسْرِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَفَتْحِهَا وَبِالْقَافِ وَالنُّونِ[1].

وَأَمَّا الدِّمَشْقِيُّ[2]، فَهُوَ [الإِمَامُ أَبُو مَسْعُودٍ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ][3].

إِذَا عَرَفْتَ هذا، فَاعْلَمْ أَنَّ أَصْحَابَ الْحَدِيثِ اخْتَارُوا سَبْعَةً أُخْرَى مِنَ

---

(1) جامع الأصول في أحاديث الرسول: 12/ 166.

(2) أبو مسعود إبراهيم بن محمد بن عبيد الدمشقي الحافظ، المجود، البارع (ت. 401هـ). تاريخ بغداد: 6/ 172 ـ 173، وسير أعلام النبلاء: 17/ 70.

(3) زيادة من أنطاليا.

الْحُفَّاظِ، وَجَعَلُوهُمْ فِي سَاقَةِ[1] السِّتَّةِ الْمَشْهُورَةِ، وَأَطْبَقُوا عَلَى أَنَّهُمْ أَحْسَنُوا التَّصْنِيفَ، وَأَنَّ مُصَنَّفَاتِهِمْ وَقَعَتْ عَظِيمَةَ النَّفْعِ؛ مِنْهُمْ:

أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عُمَرَ الدَّارَقُطْنِيُّ الْحَافِظُ، الإِمَامُ الْعَلَّامَةُ الْمَشْهُورُ. كانَ فَرِيدَ عَصْرِهِ، وَقَرِيعَ دَهْرِهِ، وَإِمَامَ وَقْتِهِ. انْتَهَى إِلَيْهِ عِلْمُ الْحَدِيثِ، وَالْمَعْرِفَةُ بِعِلَلِهِ وَأَسْمَاءِ الرِّجَالِ، وَمَعْرِفَةُ الرُّوَاةِ، مَعَ الصِّدْقِ والْأَمَانَةِ، وَالثِّقَةِ وَالْعَدَالَةِ، وَصِحَّةِ الِاعْتِقَادِ، وَسَلَامَةِ الْمَذْهَبِ، وَالْقِيَامِ بِعُلُومٍ أُخَرَ سِوَى الْحَدِيثِ؛ مِنْهَا عِلْمُ الْقُرْآنِ، وَمَعْرِفَةُ مَذَاهِبِ الْفُقَهَاءِ. دَرَسَ فِقْهَ الشَّافِعِيِّ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْإِصْطَخْرِيِّ[2]، وَكَتَبَ عَنْهُ الْحَدِيثَ أَيْضًا، وَمِنْهَا مَعْرِفَةُ الْأَدَبِ وَالشِّعْرِ.

قالَ أَبُو الطَّيِّبِ: كَانَ الدَّارَقُطْنِيُّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْحَدِيثِ، سَمِعَ خَلْقًا كَثِيرًا، وَرَوَى عَنْهُ الْحَافِظُ أَبُو نُعَيْمٍ، وَأَبُو بَكْرٍ الْبَرْقَانِيُّ، وَالْجَوْهَرِيُّ، وَالْقَاضِي أَبُو الطَّيِّبِ الطَّبَرِيُّ، وَغَيْرُهُمْ.

وُلِدَ سَنَةَ خَمْسٍ، أَوْ سِتٍّ وَثَلَاثِمِئَةٍ، **وَمَاتَ** بِبَغْدَادَ يَوْمَ الأربعَاءِ لِثَمَانٍ خَلَوْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِئَةٍ[3].

وَدَارُ قُطْنٍ: مَحَلَّةٌ كانَتْ بِبَغْدَادَ قَدِيمًا.

---

(1) ساقة الجيش: مؤخره، ومنه ساقة الحاج. اللسان/ سوق.

(2) الحسن بن أحمد بن يزيد بن عيسى أبو سعيد الإصطخري، توفي سنة: 328هـ. تاريخ بغداد: 8/ 206.

(3) جامع الأصول في أحاديث الرسول: 12/ 714.

وَمِنْهُمْ: **الْحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللهِ [مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَمْدُويَه بْنِ نُعَيْمِ بْنِ الْحَكَمِ الْمَعْرُوفُ بِالْحَاكِمِ][1]، النَّيْسَابُورِيُّ. مَاتَ** بِهَا **فِي** صَفَرٍ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِمِئَةٍ، **وَوُلِدَ** بِهَا فِي شَهْرِ رَبِيعِ الأَوَّلِ سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِئَةٍ.

وَمِنْهُمْ: **أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْغَنِيِّ بْنُ سَعِيدٍ الأَزْدِيُّ**، حَافِظُ مِصْرَ. **وُلِدَ فِي** ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِئَةٍ، **وَمَاتَ** بِمِصْرَ فِي صَفَرٍ سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِمِئَةٍ.

وَمِنْهُمْ: **أَبُو نُعَيْمٍ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الأَصْبَهَانِيُّ**، صَاحِبُ **"الْحِلْيَةُ"**. **هُوَ** مِنْ مَشَايِخِ الْحَدِيثِ الثِّقَاتِ الْمَعْمُولِ بِحَدِيثِهِمْ، الْمَرْجُوعِ إِلَى قَوْلِهِمْ، كَبِيرُ الْقَدْرِ.

وُلِدَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِئَةٍ، **وَمَاتَ** فِي صَفَرٍ سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ بِأَصْبَهَانَ، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ سِتٌّ وَتِسْعُونَ سَنَةً.

وَمِنْهُمْ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ النَّحْوِيُّ النَّمَرِيُّ، حَافِظُ الْمَغْرِبِ، كانَ ثِقَةً فِي الْحَدِيثِ، مَرْجُوعًا إِلَى رِوَايَتِهِ، كَثِيرَ الْحِفْظِ وَالضَّبْطِ.

وُلِدَ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِئَةٍ، **وَتُوُفِّيَ** بِشَاطِبَةَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ.

وَمِنْهُمْ: **أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْبَيْهَقِيُّ**، كانَ أَوْحَدَ دَهْرِهِ فِي الْحَدِيثِ وَالتَّصَانِيفِ وَمَعْرِفَةِ الْفِقْهِ، وَهُوَ مِنْ كِبَارِ أَصْحَابِ الْحَاكِمِ أَبِي عَبْدِ اللهِ.

وُلِدَ الْبَيْهَقِيُّ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِئَةٍ، **وَمَاتَ** بِنَيْسَابُورَ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ أَرْبَعٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً.

---

(1) ما بين معقوفين سقط من الأزهرية ونور عثمانية 1.

وَمِنْهُمْ: **أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ**. **وُلِدَ** فِي جُمَادَى الْآخِرَةَ سنَةَ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِئَةٍ، **وَمَاتَ** بِبَغْدَادَ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ.

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ الصَّحِيحَ إِذَا أُطْلِقَ يُرَادُ بِهِ "**الْجَامِعُ الصَّحِيحُ**" لِلْبُخَارِيِّ، وإِذَا أُطْلِقَ الصَّحِيحَانِ، يُرَادُ بِهِمَا صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ، وَإِذَا أُطْلِقَ الصِّحَاحُ، يُرَادُ الصِّحَاحُ السِّتَّةُ، وَيُقَيَّدُ مَا دُونَ هَذِهِ، كَـ"**صَحِيحُ ابْنِ خُزَيْمَةَ**"، وَ"**صَحِيحُ ابْنِ حِبَّانَ**"، وَ"**صَحِيحُ أَبِي عَوَانَةَ**"، وَ"**صَحِيحُ مُسْتَدْرَكِ الْحَاكِمِ**".

أَمَّا ابْنُ خُزَيْمَةَ، فَهُوَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ النَّيْسَابُورِيُّ الْفَقِيهُ الْحَافِظُ، شَيْخُ خُرَاسَانَ، إِمَامُ الْأَئِمَّةِ.

تُوُفِّيَ فِي سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِئَةٍ عَنْ نَحْوٍ مِنْ تِسْعِينَ سَنَةً.

وأَمَّا ابْنُ حِبَّانَ، فَهُوَ أَبُو حَاتِمٍ مُحَمَّدُ بْنُ حِبَّانَ التَّمِيمِيُّ الْبُسْتِيُّ الْحَافِظُ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ. **تُوُفِّيَ** سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِئَةٍ.

وأَمَّا أَبُو عَوَانَةَ[1]، فَهُوَ الْحَافِظُ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ الْعَبْسِيُّ، وَكَانَ أَكْبَرَ مِنْ أَخِيهِ. صَنَّفَ: "**الْمُسْنَدُ**"، وَ"**التَّفْسِيرُ**". **مَاتَ** سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَمِئَتَيْنِ.

وَأَمَّا الْحَاكِمُ فَقَدْ مَرَّ آنِفًا.

وَإِذَا أُطْلِقَ السُّنَنُ، يُرَادُ بِهِ **سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ، والتِّرْمِذِيِّ، وَالنَّسَائِيِّ، وابْنِ مَاجَه الْقَزْوِينِيِّ**، وَقَدْ عَرَفْتَ هَؤُلَاءِ.

---

(1) كذا في النسخ الخطية، والصواب أن أبا عوانة هو يعقوب بن إسحاق المهرجاني (ت. 316هـ).

وأَمَّا السُّنَنُ غيرُ هَؤُلَاءِ يُذْكَرُ مُقَيَّدًا، كَـ "السُّنَنُ" لِلدَّارَقُطْنِيِّ، وَ" السُّنَنُ الْكَبِيرُ" لِلْبَيْهَقِيِّ، وَقَدْ عَرَفْتَهُمَا.

وَإِذَا أُطْلِقَ الْمَسَانِيدُ، يُرَادُ بِهَا: "مُسْنَدُ" الإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وسَتَعْرِفُهُ في الْفُقَهَاءِ، وَ"مُسندُ أَبِي يَعْلَى الْمَوْصِلِيِّ"، وَ"مُسْنَدُ الدَّارِمِيِّ"، وَ"مُسْنَدُ الْبَزَّارِ".

وَإِذَا أُطْلِقَ الْمَعَاجِمُ، يُرَادُ بِهَا "الْمُعْجَمُ الْكَبِيرُ" لِلطَّبَرَانِيِّ، وَ" الْمُعْجَمُ الأَوْسَطُ" لَهُ، وَ"الْمُعْجَمُ الصَّغِيرُ" لَهُ أَيْضًا.

أَمَّا أَبُو يَعْلَى، فَهُوَ مُحَدِّثُ الْمَوْصِلِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْمُثَنَّى الْمَوْصِلِيُّ الْحَافِظُ، صَاحِبُ السُّنَنِ.

تُوُفِّيَ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِمِئَةٍ، وَلَهُ سَبْعٌ وَتِسْعُونَ سَنَةً.

وأَمَّا الدَّارِمِيُّ، فَهُوَ الإِمَامُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ الْحَافِظُ، عَالِمُ سَمَرْقَنْدَ، صَاحِبُ الْمُسْنَدِ.

تُوُفِّيَ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَمِئَتَيْنِ.

وَأَمَّا الْبَزَّارُ، فَهُوَ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو الْبَصْرِيُّ الْبَزَّارُ، حَافِظُ الْوَقْتِ، صَاحِبُ "الْمُسْنَدُ الْكَبِيرُ".

مَاتَ بِالرَّمْلَةِ[1] سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَمِئَتَيْنِ.

(1) الرملة: مدينة عظيمة بفلسطين، والرملة: محلة خربت نحو شاطئ دجلة مقابل الكرخ ببغداد، والرملة أيضا: قرية لبني عامر من بني عبد القيس بالبحرين، والرملة: محلة بسرخس. معجم البلدان: 3/ 69.

وَأَمَّا الطَّبَرَانِيُّ، فَهُوَ **أَبُو الْقَاسِمِ سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ الطَّبَرَانِيُّ** الْحَافِظُ، مُسْنِدُ الدُّنْيَا، [مَوْلِدُهُ سَنَةَ سِتِّينَ وَمِئَتَيْنِ بِطَبَرِيَّةِ الشَّامِ، وَسَكَنَ][1] بِأَصْفَهَانَ.

[إِلَى أَنْ][2] **تُوُفِّيَ** سَنَةَ سِتِّينَ وَثَلَاثِمِئَةٍ، وَلَهُ مِئَةُ سَنَةٍ وَشَهْرَانِ.

إِذَا عَرَفْتَ هَؤُلَاءِ الشُّيُوخَ الْمُحَدِّثِينَ الْمُتَقَدِّمِينَ، **فَلْنَرْجِعْ إِلَى** الْمُحَدِّثِينَ مِنْهُمْ، وَ«**لَيْسَ الرَّيُّ عَنِ التَّشَافِّ**»[3]. مِنْهُمْ:

أَبُو سُلَيْمَانَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَطَّابِيُّ الْبُسْتِيُّ، الْإِمَامُ الْمُشَارُ إِلَيْهِ فِي عَصْرِهِ، وَالْعَلَّامَةُ فَرِيدُ دَهْرِهِ، فِي الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ وَالْأَدَبِ وَمَعْرِفَةِ الْعَرَبِ.

لَهُ التَّصَانِيفُ الْمَشْهُورَةُ، والتَّأْلِيفَاتُ الْعَجِيبَةُ مِثْلَ: "**مَعَالِمُ السُّنَنِ**"، وَ"**أَعْلَامُ السُّنَنِ**"، وَ"**غَرِيبُ الْحَدِيثِ**"، وَغَيْرِ ذَلِكَ[4].

وَمِنْهُمْ: **أَبُو الْفَرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ ابْنِ الْجَوْزِيِّ الْحَنْبَلِيُّ**، الْوَاعِظُ بِبَغْدَادَ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ الْمَشْهُورَةِ.

وُلِدَ سَنَةَ عَشْرٍ وَخَمْسِمِئَةٍ، **وَمَاتَ** سَنَةَ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِئَةٍ. وَقَدْ مَرَّ نُبَذٌ مِنْ مَنَاقِبِهِ فِي ذِكْرِ التَّوَارِيخِ.

وَمِنْهُمْ: **أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنُ شَرَفٍ النَّوَوِيُّ**، إِمَامُ أَهْلِ زَمَانِهِ. كَانَ عَالِمًا فَاضِلًا مُتَوَرِّعًا فَقِيهًا مُحَدِّثًا ثَبْتًا حُجَّةً.

---

(1) ما بين معقوفين سقط من الأزهرية ونور عثمانية 1.

(2) ما بين معقوفين سقط من الأزهرية ونور عثمانية 1.

(3) يضرب مثلا للقناعة ببعض الحاجة. جمهرة الأمثال: 2/ 158، وفي مجمع الأمثال: 2/ 226.

(4) جامع الأصول في أحاديث الرسول: 12/ 319.

لَهُ مُصَنَّفَاتٌ كَثِيرَةٌ مَشْهُورَةٌ، وَتَأْلِيفَاتٌ عَجِيبَةٌ مُفِيدَةٌ فِي الْفِقْهِ، مِثْلَ: **"الرَّوْضَةُ"**، وَفِي الْحَدِيثِ، مِثْلَ: **"رِيَاضُ الصَّالِحِينَ"**، وَ**"الْأَذْكَارُ فِي دَعَوَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ"**، وَفِي شَرْحِهِ، مِثْلَ: **"شَرْحُ مُسْلِمٍ"**، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعْرِفَةِ الْحَدِيثِ وَاللُّغَةِ.

سَمِعَ مِنَ الْمَشَايِخِ الْكِبَارِ، وَمِنْهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ. وَأَجَازَ رِوَايَةَ **شَرْحِ مُسْلِمٍ وَالْأَذْكَارِ** لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ.

وَكَانَ مِنْ أَهْلِ نَوَى - قَرْيَةٍ مِنْ أَعْمَالِ دِمَشْقَ - وَنَشَأَ بِهَا، وَحَفِظَ الْخَتْمَةَ[1]، وَقَدِمَ دِمَشْقَ فِي خَمْسِينَ وَسِتِّمِئَةٍ، وَلَهُ تِسْعَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَتَفَقَّهَ وَبَرَعَ. وكان خَشِنَ الْعَيْشِ، قَانِعًا بِالْقُوتِ، تَارِكًا لِلشَّهَوَاتِ، صَاحِبَ عِبَادَةٍ وَخَوْفٍ. وكانَ قَوَّالًا بِالْحَقِّ، صَغِيرَ الْعِمَامَةِ، كَبِيرَ الشَّأْنِ. وَكَانَ كَثِيرَ السَّهَرِ، مُكِبًّا عَلَى الْعِلْمِ والْعَمَلِ.

مَاتَ فِي رَجَبٍ سَنَةَ سِتٍّ وَسَبْعِينَ وَسِتِّمِئَةٍ، وَقَبْرُهُ يُزَارُ بِنَوَى. عَاشَ خَمْسًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً.

وَمِنْهُمْ: **أَبُو السَّعَادَاتِ الْمُبَارَكُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجَزَرِيُّ، الْمَشْهُورُ بِابْنِ الْأَثِيرِ**، صَاحِبُ كِتَابِ: **"جَامِعُ الْأُصُولِ"**، وَ**"مَنَاقِبُ الْأَخْيَارِ"**، وَ**"النِّهَايَةُ"**.

كَانَ عَالِمًا مُحَدِّثًا لُغَوِيًّا، رَوَى عَنْ خَلْقٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْكِبَارِ. كَانَ بِالْجَزِيرَةِ، وَانْتَقَلَ إِلَى الْمَوْصِلِ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِئَةٍ، وَلَمْ يَزَلْ بِهَا إِلَى أَنْ

---

(1) يعني ختم القرآن الكريم حفظا.

قَدِمَ بَغْدَادَ حَاجًّا. وَعَادَ إِلَى الْمَوْصِلِ، وَمَاتَ بِهَا يَوْمَ الْخَمِيسِ سَلْخَ ذِي الْحِجَّةِ، سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِّمِئَةٍ. وَقَدْ مَرَّ نُبَذٌ مِنْ مَنَاقِبِهِ وَمَنَاقِبِ أَخَوَيْهِ.

وَمِنْهُمْ: **أَبُو مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنُ بْنُ مَسْعُودٍ الْبَغَوِيُّ**، الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ، صَاحِبُ كِتَابِ "**الْمَصَابِيحُ**"، وَ" **شَرْحُ السُّنَّةِ**"، وَ" **كِتَابُ التَّهْذِيبِ**" فِي الْفِقْهِ، وَ" **مَعَالِمُ التَّنْزِيلِ**" فِي التَّفْسِيرِ. **لَهُ** مِنَ التَّصَانِيفِ الْحِسَانِ. كانَ إِمَامًا فِي الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ، وَكَانَ مُتَوَرِّعًا، ثَبْتًا حُجَّةً، صَحِيحَ الْعَقِيدَةِ فِي الدِّينِ.

مَاتَ بَعْدَ الْمِئَةِ الْخَامِسَةِ فِي سَنَةِ سِتَّ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِئَةٍ. وَقَدْ مَرَّ نُبَذٌ مِنْ مَنَاقِبِهِ.

وَمِنْهُمْ: **تَقِيُّ الدِّينِ عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُوسَى بْنِ أَبِي نَصْرٍ الْكُرْدِيُّ الشَّهْرُزُورِيُّ، الشَّيْخُ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الصَّلَاحِ. وُلِدَ** سَنَةَ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِئَةٍ. وَهُوَ أَحَدُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ عِلْمًا وَدِينًا.

سَمِعَ الْحَدِيثَ بِبِلَادٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْمُحَدِّثِينِ، وَتَفَقَّهَ عَلَيْهِ خَلَائِقُ. وَكَانَ إِمَامًا كَبِيرًا، فَقِيهًا مُحَدِّثًا زَاهِدًا وَرِعًا مُفِيدًا مُعَلِّمًا. اسْتَوْطَنَ دِمَشْقَ، وَتَوَلَّى عِدَّةَ مَدَارِسَ بِهَا. كانَ مَاهِرًا فِي الْحَدِيثِ وَالتَّفْسِيرِ وَالْفِقْهِ، وَمُشَارِكًا فِي فُنُونٍ عَدِيدَةٍ.

وذُكِرَ أَنَّ ابْنَ الصَّلَاحِ قَالَ: مَا فَعَلْتُ صَغِيرَةً فِي عُمُرِي قَطُّ. وَهَذا فَضْلٌ مِنَ اللهِ عَلَيْهِ عَظِيمٌ.

تُوُفِّيَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّمِئَةٍ، وَازْدَحَمَ الْخَلْقُ عَلَى صَلَاتِهِ، فَصُلِّيَ أَوَّلًا بِالْجَامِعِ، وَصُلِّيَ أَيْضًا ثَانِيًا، فَدَفَنُوهُ بِقُرْبِ مَقَابِرِ الصُّوفِيَّةِ. وَقَبْرُهُ عَلَى الطَّرِيقِ فِي

طَرَفِهَا الْغَرْبِيِّ ظَاهِرٌ يُزَارُ، وَيُتبَرَّكُ بِهِ. قِيلَ: وَالدُّعَاءُ عِنْدَهُ مُسْتَجَابٌ[1].

وِمِنْهُمْ: **الصَّاغَانِيُّ**، صَاحِبُ "**الْمَشَارِقُ**"[2]، وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ فِي عِلْمِ اللُّغَةِ.

وَمِنْهُمْ: **شَمْسُ الدِّينِ الْكَرْمَانِيُّ**، شَارِحُ الْبُخَارِيِّ، وكَذَا **الْعَيْنِيُّ** شَارِحُهُ، وَكَذَا ابْنُ حَجَرٍ شَارِحُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ. وَقَدْ مَرَّ هَؤُلَاءِ.

أَمَّا الْكَرْمَانِيُّ، فَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ سَعِيدٍ الْكَرْمَانِيُّ، ثُمَّ الْبَغْدَادِيُّ، شَمْسُ الدِّينِ، صَاحِبُ "**شَرْحُ الْبُخَارِيِّ**"، الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ فِي الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ وَالتَّفْسِيرِ وَالْأَصْلَيْنِ وَالْمَعَانِي وَالْعَرَبِيَّةِ.

وُلِدَ يَوْمَ الْخَمِيسِ سَادِسَ عَشَرَ جُمَادَى الْآخِرَةِ، سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ وَسَبْعِمِئَةٍ، **وَتُوُفِّيَ** بُكْرَةَ يَوْمِ الْخَمِيسِ سَادِسَ عَشَرَ الْمُحَرَّمِ، سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَسَبْعِمِئَةٍ[3].

وَقَدْ مَرَّ نُبَذٌ مِنْ مَنَاقِبِهِ فِي عِلْمِ الْمَعَانِي.

وَمِنْهُمْ: **الشَّيْخُ أَكْمَلُ الدِّينِ**، شَارِحُ "**الْمَشَارِقُ**"[4] وسَتَعْرِفُهُ، والشَّيْخُ ابْنُ الْمَلَكِ، شَارِحُ "**الْمَشَارِقُ**"[5]، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى: 8/ 327.

(2) "مَشارِقُ الْأنْوارِ النَّبوِيَّةِ في صِحَاحِ الأَخْبارِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ".

(3) بغية الوعاة: 1/ 279، وطبقات المفسرين للداودي: 2/ 286.

(4) عنوان الشرح هو: "**تحفة الأبرار في شرح مشارق الأنوار**" لأكمل الدين محمد بن محمود البابرتي الحنفي (ت. 786هـ). كشف الظنون: 2/ 1688.

(5) سَمَّى شَرْحَهُ: "**مَبَارِقُ الأَزْهَارِ في شَرْحِ مَشَارِقِ الأَنْوَارِ**" لعبد اللطيف بن عبد العزيز بن أمين الدين بن فرشتا الكرماني المعروف بِابْنِ الْمَلَكِ(ت. 801هـ). الكتاب مطبوع.

وَمِنْهُمْ: **التُّورِبِشْتِيُّ**[1]، شَارِحُ "**الْمَصَابِيحُ**". هُوَ رَجُلٌ مُحَدِّثٌ فَقِيهٌ مِنْ أَهْلِ شِيرَازَ، شَرَحَ "**مَصَابِيحُ الْبَغَوِيِّ**" شَرْحًا حَسَنًا. وَرَوَى **صَحِيحَ الْبُخَارِيِّ** عَنْ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ صَالِحِ بْنِ مُحَمَّدٍ ابْنِ الْمُعَزِّمِ إِمَامِ الْجَامِعِ الْعَتِيقِ، عَنِ الْحَافِظِ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْخَيْرِ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الصَّفَّارُ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْهَيْثَمِ الْكُشْمِيهَنِيُّ، أَخْبَرَنَا الْفِرَبْرِيُّ.

قَالَ ابْنُ السُّبْكِيِّ: وَأَظُنُّ هَذَا الشَّيْخَ مَاتَ فِي حُدُودِ السِّتِّينَ وَسِتِّمِئَةٍ، وَوَاقِعَةُ التَّتَارِ أَوْجَبَتْ عَدَمَ الْمَعْرِفَةِ بِحَالِهِ[2].

وَمِنْهُمْ الْقَاضِي عِيَاضٌ، صَنَّفَ "**كِتَابُ الشِّفَا بِتَعْرِيفِ حُقُوقِ الْمُصْطَفَى**" صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ كِتَابٌ نَفِيسٌ، لَمْ يُؤَلَّفْ مِثْلُهُ فِي بَابِهِ. بَلْ هُوَ أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ. وَهُوَ عَالِمُ الْمَغْرِبِ، الْقَاضِي **أَبُو الْفَضْلِ عِيَاضُ بْنُ مُوسَى بْنِ عِيَاضٍ السِّبْتِيُّ الْيَحْصُبِيُّ**. كانَ ثِقَةً وَرِعًا، زَاهِدًا عَابِدًا، مُتَصَلِّبًا فِي الدِّينِ، قَوِيَّ الْعَقِيدَةِ، بَعِيدًا عَنِ الْبِدَعِ.

مَاتَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِئَةٍ، وَلَهُ ثَمَانٍ وَسِتُّونَ سَنَةً.

وَسَمِعْتُ مِنَ الْمَشَايِخِ أَنَّ الِاشْتِغَالَ بِكِتَابِهِ "**الشِّفَاءُ**" فِي أَيَّامِ الْوَبَاءِ نَافِعٌ مُفِيدٌ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

---

(1) فضل الله بن حسن بن حسين بن يوسف شهاب الدين التُّورِبِشْتِيُّ (ت. 661هـ)، نسبة إلى توربشت: بِضَم التَّاء الْمُثَنَّاة من فَوق بعْدهَا وَاو سَاكِنة ثمَّ رَاء مَكْسُورَة ثمَّ بَاء مُوَحدَة مَكْسُورَة ثمَّ شين مُعْجَمَة سَاكِنة ثمَّ تَاء مثناة من فَوق. ترجمته في: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: 8/ 349.

(2) المصدر نفسه: 8/ 349.

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ، تَبْصِرَةٌ لَكَ، لِتَعْرِفَ ـ لَا أَقَلَّ ـ مِنْ هَذَا العِلْمِ أَسَامِيَ الأَئِمَّةِ والْكُتُبِ، فَإِنَّ عُلَمَاءَ عَصْرِنَا، ومُحَدِّثِي زَمَانِنَا، لا يَعْرِفُونَ مِنْ هَذَا الْعِلْمِ إِلَّا الِاسْمَ، وَلَا يَعْرِفُونَ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَّا الرَّسْمَ، وكانَ عَصْرُ مَشَايِخِ الْحَدِيثِ خُلاصَةَ الْأَعْصَارِ، وَدَهْرُهُمْ سُلَالَةَ الدُّهُورِ، وَزِينَةَ الْأَزْمَانِ وَالْأَدْوَارِ، ثُمَّ انْتَقَصَ هَذا الْعِلْمُ قَلِيلًا قَلِيلًا، وَصَارَ رِجَالُهُ فِي الْمَعْرِفَةِ عَلِيلًا. ولا تَزَالُ الْعُلُومُ تَنْمُو وَتَزِيدُ إِلى أَنْ تَصِلَ إِلى مُنْتَهَاهَا، وَتَبْلُغَ إِلى مَرَاتِبَ هِيَ أَقْصَاهَا، ثُمَّ تَعُودَ كَمَا بَدَأَ. وسَتُبْصِرُ صِدْقَ هَذَا الْمَقَالِ غَدًا. وإِلَيْهِ أَشَارَ الْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ، على قَائِلِهِ أَفْضَلُ الصَّلاةِ والسَّلَامِ: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبـًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ »[1].

أَلَا تَرَى أَنَّ غَايَةَ عِلْمِ الْحَدِيثِ، انْتَهَتْ إِلى الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ ومَنْ كانَ تِلْوَهُمَا، ثُمَّ تَنَزَّلَ وتَقَاصَرَ إِلى زَمَانِنَا هَذَا، وَسَيَزْدَادُ تَقَاصُرًا، وَالْهِمَمُ فُتُورًا، إِنْ دَامَ اشْتِغَالُ النَّاسِ قُصُورًا. وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ مَا يَشَاءُ، وَيَفْعَلُ مَا قَضَاهُ، وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ، وَهُوَ الْحَمِيدُ الْمَجِيدُ.

(1) صحيح مسلم: 1/ 130 رقم: 145، بزيادة: فطوبى للغرباء.

الشُّعْبَةُ الْخَامِسَةُ مِنَ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ

عِلْمُ أُصُولِ الدِّينِ الْمُسَمَّى بِعِلْمِ الْكَلَامِ

وَهُوَ عِلْمٌ يُقْتَدَرُ مَعَهُ عَلَى إِثْبَاتِ الْعَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ، بِإِيرَادِ الْحُجَجِ عَلَيْهَا، وَدَفْعِ الشُّبَهِ عَنْهَا.

وَمَوْضُوعُهُ: ذَاتُ اللهِ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى، وَصِفَاتُهُ عِنْدَ الْمُتَقَدِّمِينَ.

وَقِيلَ: **مَوْضُوعُهُ**: الْمَوْجُودُ مِنْ حَيْثُ هُوَ مَوْجُودٌ. وإِنَّمَا يَمْتَازُ عَنِ الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ الْبَاحِثِ عَنْ أَحْوَالِ الْمَوْجُودِ الْمُطْلَقِ، بِاعْتِبَارِ الْغَايَةِ، لِأَنَّ الْبَحْثَ فِي الْكَلَامِ عَلَى قَوَاعِدِ الشَّرْعِ، وَفِي الْإِلَهِيِّ عَلَى مُقْتَضَى الْعُقُولِ.

وَعِنْدَ الْمُتَأَخِّرِينَ، مَوْضُوعُ الْكَلَامِ: الْمَعْلُومُ مِنْ حَيْثُ يَتَعَلَّقُ بِهِ إِثْبَاتُ الْعَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ تَعَلُّقًا قَرِيبًا أَوْ بَعِيدًا. وَأَرَادُوا بِالدِّينِيَّةِ: الْمَنْسُوبَةَ إِلَى دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ، وَذَلِكَ بِأَنْ يُسَلَّمَ الْمُدَّعَى مِنْهُ ثُمَّ يُقَامَ عَلَيْهِ الْبُرْهَانُ الْعَقْلِيُّ، وهذا التَّسْلِيمُ هُوَ مَعْنَى التَّدَيُّنِ اللَّائِقِ بِحَالِ الْمُكَلَّفِينَ، حتَّى لَوْ لَمْ يُؤْخَذْ مِنْهُ، لا يُعَدُّ كَلامًا ولا عِلْمًا دِينِيًّا وإِنْ وَافَقَهُ فِي الْحَقِيقَةِ، لِفَوَاتِ أَمْرِ التَّدَيُّنِ، بَلْ يُعَدُّ مِنَ الْعُلُومِ الْحِكْمِيَّةِ.

وَبِالْجُمْلَةِ يُشْتَرَطُ فِي الْكَلَامِ، أَنْ يَكُونَ الْقَصْدُ فِيهِ تَأْيِيدَ الشَّرْعِ بِالْعَقْلِ، وأَنْ تَكُونَ الْعَقِيدَةُ مِمَّا وَرَدَتْ فِي الْكِتَابِ والسُّنَّةِ، وَلَوْ فَاتَ أَحَدُ هَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ لَا يُسَمَّى كَلَامًا أَصْلًا.

وَلَمَّا لَمْ يَلْزَمْ مِنْ قَصْدِ مُوَافَقَةِ الشَّرْعِ، الْمُوَافَقَةُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، عَدَّ بَعْضُهُمْ كَلَامَ أَهْلِ الِاعْتِزَالِ مِنَ الْكَلَامِ، وَإِنْ لَمْ يُوَافِقِ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ.

فَظَهَرَ مِنْ هَذَا التَّفْصِيلِ، أَنَّ الْكَلَامَ مِنَ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ، لَكِنْ إِذَا كَانَ على طَرِيقَةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَأَنَّ هُنَاكَ كَلَامًا مُمَوَّهًا يُشْبِهُ الْكَلَامَ وَلَيْسَ بِذَاكَ، كَكَلَامِ أَهْلِ الِاعْتِزَالِ وَأَمْثَالِهِ، فَذَلِكَ عِلْمٌ شَرْعِيٌّ بِاعْتِبَارِ مَسَائِلِهِ، وَغَيْرُ شَرْعِيٍّ بِاعْتِبَارِ دَلَائِلِهِ.

وَمَنْفَعَةُ عِلْمِ الْكَلَامِ: الْفَوْزُ بِالسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ، وَالسِّيَادَةِ السَّرْمَدِيَّةِ.

وَمَبَادِئُهُ، الْعُلُومُ الشَّرْعِيَّةُ بِأَسْرِهَا، وَكَذَا الصِّنَاعَاتُ الْمَنْطِقِيَّةُ. وَجَعَلَ بَعْضُهُمُ الْمَنْطِقَ دَاخِلًا فِيهِ، لِئَلَّا يَحْتَاجَ[1] أَعْلَى الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ إلى عِلْمٍ غَيْرِ شَرْعِيٍّ، وَلَا حَجْرَ فِيهِ، لِأَنَّ أَمْرَ التَّدْوِينِ اسْتِحْسَانِيٌّ، وَلِكُلِّ أَحَدٍ أَنْ يَعْمَلَ بِمَا اسْتَحْسَنَهُ طَبْعُهُ.

وَمَنْ قَالَ: الْمَنْطِقُ عِلْمٌ غَيْرُ شَرْعِيٍّ، إِنْ أَرَادَ بِذَلِكَ ما يُخَالِفُ الشَّرْعَ، فهذا مِنْ عَدَمِ الْوُقُوفِ على الْمَسَائِلِ الْمَنْطِقِيَّةِ، وَإِنْ أَرَادَ أَنَّهُ غيرُ مَأْخُوذٍ مِنَ الشَّرْعِ صُورَةً، فَلَيْسَ كَذَلِكَ، إِذْ كَمْ مِنْ أَقْيِسَةٍ بُرْهَانِيَّةٍ وَارِدَةٍ فِي الشَّرْعِ. وَإِنْ أَرَادَ أَنَّهُ مِمَّا وَضَعَتْهُ الْفَلَاسِفَةُ مَادَّةً، فَلَيْسَ فِي ذَلِكَ نَقْصٌ بَعْدُ، إِنْ لَمْ يُخَالِفِ الشَّرْعَ، مَثَلًا عِلْمُ الْحِسَابِ الَّذِي وَضَعَتْهُ الْفَلَاسِفَةُ، لَهُ مَدْخَلٌ عَظِيمٌ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ الشَّرْعِيَّةِ، وَلَمْ يَقْدَحْ فِيهِ أَحَدٌ مِنْ عُلَمَاءِ الشَّرِيعَةِ.

---

(1) يخرج، في أنطاليا.

ثُمَّ إِنَّ الْمُعْتَبَرَ في عِلْمِ الْكَلَامِ إِثْبَاتُ مَا وَرَدَ فِي الشَّرْعِ بِالْعَقْلِ فَقَطْ، إِذَا تَوَقَّفَ الشَّرْعُ عَلَى تِلْكَ الْمَسْأَلَةِ، أَوْ بِالْعَقْلِ وَالشَّرْعِ مَعًا، إِذَا لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ. وأَمَّا إِثْبَاتُ مَا لَمْ يَرِدْ فِي الشَّرْعِ أَصْلًا، فَإِمَّا أَنْ يُخَالِفَ الشَّرْعَ، فَإِيرَادُهُ فِي كُتُبِ الْكَلَامِ لَيْسَ إِلَّا لِرَدِّهِ، وَإِمَّا أَنْ لَا يُخَالِفَهُ، فَإِيرَادُهُ فِي كُتُبِ الْكَلَامِ إِنْ وَقَعَ فَاسْتِطْرَادِيٌّ، أُورِدَ لِتَتْمِيمِ الصِّنَاعَةِ إِنْ وَقَعَ مِنْ مَبَادِئِهِ، وَإِلَّا فَلَا يُورَدُ فِيهِ أَصْلًا.

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ رَئِيسَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ في عِلْمِ الْكَلَامِ رَجُلَانِ، أَحَدُهُمَا حَنَفِيٌّ، وَالْآخَرُ شَافِعِيٌّ.

أَمَّا الْحَنَفِيُّ، فَهُوَ أَبُو مَنْصُورٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَحْمُودٍ الْمَاتُرِيدِيُّ، إِمَامُ الْهُدَى، لَهُ "**كِتَابُ التَّوْحِيدِ**"، وَ"**كِتَابُ الْمَقَالَاتِ**"، وَ"**كِتَابُ تَأْوِيلَاتِ الْقُرْآنِ**". وَلَهُ كُتُبٌ فِي الرَّدِّ على الْمُعْتَزِلَةِ وَالْقَرَامِطَةِ وَالرَّوَافِضِ، ولَهُ: كِتَابُ "**مَآخِذُ الشَّرَائِعِ**"، في أُصُولِ الْفِقْهِ. وَ"**كِتَابُ الْجَدَلِ**"، في أُصُولِ الْفِقْهِ.

مَاتَ بِسَمَرْقَنْدَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِئَةٍ، وَتَخَرَّجَ بِأَبِي نَصْرٍ الْعِيَاضِيِّ[1].

وَأَمَّا الْآخَرُ الشَّافِعِيُّ، فَهُوَ شَيْخُ السُّنَّةِ، وَرَئِيسُ الْجَمَاعَةِ، إِمَامُ الْمُتَكَلِّمِينَ، وَنَاصِرُ سُنَّةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَالذَّابُّ عَنِ الدِّينِ، وَالسَّاعِي في حِفْظِ عَقَائِدِ الْمُسْلِمِينَ، **أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ الْبَصْرِيُّ**، إِمَامٌ حَبْرٌ، وَتَقِيٌّ بَرٌّ، يُنَقِّي الصُّدُورَ مِنَ الشُّبَهِ، كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، وَالْمُرْتَقِي

---

(1) تاج التراجم لابن قُطْلُوبُغا: 250.

بِأَنْوَارِ الْيَقِينِ مِنَ الْوُقُوعِ فِي وَرْطَاتِ مَا الْتَبَسَ. حَمَى جَنَابَ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ مِنَ الْحَدِيثِ الْمُفْتَرَى، الَّذِي قَامَ فِي نُصْرَةِ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ فَنَصَرَهَا نَصْرًا مُؤَزَّرًا.

وُلِدَ سَنَةَ سِتِّينَ وَمِئَتَيْنِ، وَتَبِعَ أَوَّلًا مَذْهَبَ الْجُبَّائِيِّ، وَاسْتَمَرَّ عَلَى الِاعْتِزَالِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، حتَّى صَارَ لِلْمُعْتَزِلَةِ إِمَامًا. فَلَمَّا أَرَادَهُ اللهُ لِنَصْرِ دِينِهِ، رَأَى النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَامِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَكُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: انْصُرِ الْمَذَاهِبَ الْمَرْوِيَّةَ عَنِّي فَإِنَّهَا الْحَقُّ، وَاعْتَذَرَ فِي الثَّالِثَةِ بِأَنِّي كَيْفَ أَدَعُ مَذْهَبًا تَصَوَّرْتُ مَسَائِلَهُ، وعَرَفْتُ دَلَائِلَهُ مُنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْلَا أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ يَمُدُّكَ بِمَدَدٍ مِنْ عِنْدِهِ لَمَا أَمَرْتُكَ بِهِ. ثُمَّ اسْتَيْقَظَ، وَقَالَ: فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ[1].

وَأَخَذَ فِي نُصْرَةِ الْأَحَادِيثِ فِي الرُّؤْيَةِ وَالشَّفَاعَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَأَمَدَّهُ اللهُ تَعَالَى بِمَدَدٍ مِنْ عِنْدِهِ، وكانَ يَفْتَحُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَبَاحِثِ وَالْبَرَاهِينِ، مَا لَمْ يَسْمَعْهُ مِنْ شَيْخٍ قَطُّ، وَلَا اعْتَرَفَ بِهِ خَصْمٌ، وَلَا رَآهُ فِي كِتَابٍ. فَغَابَ عَنِ النَّاسِ فِي بَيْتِهِ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْجَامِعِ، وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، وَقَالَ: مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنَّمَا تَغَيَّبْتُ عَنْكُمْ هذه الْمُدَّةَ، لِأَنِّي نَظَرْتُ، فَتَكَافَأَتْ عِنْدِي الْأَدِلَّةُ، وَلَمْ يَتَرَجَّحْ عِنْدِي شَيْءٌ عَلَى شَيْءٍ، فَاسْتَهْدَيْتُ اللهَ تَعَالَى، فَهَدَانِي إِلَى اعْتِقَادِ مَا أَوْدَعْتُهُ فِي كُتُبِي هَذِهِ، وَانْخَلَعْتُ مِنْ جَمِيعِ مَا كُنْتُ أَعْتَقِدُهُ

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى: 3/ 347 ـ 348.

كَمَا انْخَلَعْتُ مِنْ ثَوْبِي هَذَا، وَانْخَلَعَ مِنْ ثَوْبٍ كَانَ عَلَيْهِ وَرَمَى بِهِ. وَدَفَعَ الْكُتُبَ الَّتِي أَلَّفَهَا عَلَى مَذَاهِبِ أَهْلِ السُّنَّةِ إِلَى النَّاسِ[1].

وَكَانَتِ الْمُعْتَزِلَةُ قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ رَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ، فَحَجَرَهُمُ الْأَشْعَرِيُّ، حَتَّى دَخَلُوا فِي أَقْمَاعِ السِّمْسِمِ[2].

وَالصَّحِيحُ أَنَّ وَفَاةَ الشَّيْخِ الْأَشْعَرِيِّ، بَيْنَ الْعِشْرِينَ وَالثَّلَاثِينَ، وَالْأَقْرَبُ أَنَّهَا سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ، وَيُقَالُ سَنَةَ نَيِّفٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِئَةٍ.

وَاعْلَمْ أَنَّ السَّلَفَ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْمُجْتَهِدِينَ، قَدْ يُنْقَلُ عَنْهُمُ النَّكِيرُ فِي حَقِّ عِلْمِ الْكَلَامِ، حتَّى إِنَّ كَثِيرًا مِنْ فُقَهَاءِ عَصْرِنَا، أَنْكَرُوا عَلَى الْمُشْتَغِلِينَ بِعِلْمِ الْكَلَامِ أَشَدَّ الْإِنْكَارِ، مُتَمَسِّكًا بِمَا وَرَدَ في ذلك عَنِ الْعُلَمَاءِ الْأَخْيَارِ، حتَّى انْزَعَجَ مِنْهُ[3] الْمُحَصِّلُونَ، وَشَوَّشُوا اعْتِقَادَهُمْ في حَقِّ عِلْمِ الْكَلَامِ، فَوَجَبَ عَلَيْنَا الْكَلَامُ في الْكَلامِ، لِيَتَمَيَّزَ كَلَامُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَنْ كَلَامِ الْعَوَامِّ، وَبَيَانِ مَا وَقَعَ فِي الْفَتَاوَى مِنَ الْأَحْكَامِ، وَدَفْعِ مَا سَبَقَتْ إِلَيْهِ الْأَفْهَامُ مِنَ الْأَوْهَامِ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ وَالْإِعْلَامُ.

فَلْنَنْقُلْ أَوَّلاً مَا وَرَدَ عَنِ الْمُجْتَهِدِينَ مِنَ النُّقُولِ، ثُمَّ نُورِدْ مَا قِيلَ أَوْ نَقُولُ.

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى: 3/ 348.

(2) تاريخ بغداد: 13/ 260.

(3) عنه، في قونية.

قال قَاضِي خَانْ[1] في **"فَتَاوَاهُ"**[2]، في كِتَابِ **الْحَظْرِ والإِبَاحَةِ**: « تَعَلُّمُ الْكَلامِ وَالنَّظَرُ فِيهِ، وَالْمُنَاظَرَةُ بِهِ وَرَاءَ قَدْرِ الْحَاجَةِ مَنْهِيٌّ عَنْهُ، لِمَا رُوِيَ عَنْ حَمَّادِ بْنِ أَبِي حَنِيفَةَ، أَنَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ فِي الْكَلَامِ، فَنَهَاهُ أَبُوهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ حَمَّادٌ: رَأَيْتُكَ وَأَنْتَ تَتَكَلَّمُ، فَمَا بَالُكَ تَنْهَانِي، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ كُنَّا نَتَكَلَّمُ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا كَأَنَّ الطَّيْرَ عَلَى رَأْسِهِ مَخَافَةَ أَنْ يَزِلَّ صَاحِبُهُ، وَأَنْتُمُ الْيَوْمَ تَتَكَلَّمُونَ وَكُلُّ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَزِلَّ صَاحِبُهُ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَزِلَّ صَاحِبُهُ، فَكَأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَكْفُرَ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكْفُرَ صَاحِبُهُ، فَقَدْ كَفَرَ قَبْلَ أَنْ يَكْفُرَ صَاحِبُهُ»[3].

رَوَى يَحْيَى بْنُ شَيْبَانَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ رَجُلًا أُعْطِيتُ جَدَلًا فِي الْكَلَامِ، فَمَضَى دَهْرٌ فِيهِ أَتَرَدَّدُ، وَبِهِ أُخَاصِمُ، وَعَنْهُ أُنَاضِلُ، وَكَانَ أَكْثَرُ أَصْحَابِ الْخُصُومَاتِ بِالْبَصْرَةِ، فَدَخَلْتُهَا نَيِّفًا وَعِشْرِينَ مَرَّةً، أُقِيمُ سَنَةً وَأَقَلَّ وَأَكْثَرَ، وَكُنْتُ قَدْ نَازَعْتُ طَبَقَاتِ الْخَوَارِجِ مِنَ الإِبَاضِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ، وَطَبَقَاتِ الْمُعْتَزِلَةِ، وَسَائِرَ طَبَقَاتِ أَهْلِ الأَهْوَاءِ، وَكُنْتُ بِحَمْدِ اللهِ أَغْلِبُهُمْ وَأَقْهَرُهُمْ. وَلَمْ يَكُنْ فِي طَبَقَاتِ أَهْلِ الأَهْوَاءِ أَحَدٌ جَدَلًا مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ، لِأَنَّ ظَاهِرَ كَلَامِهِمْ مُمَوَّهٌ تَقْبَلُهُ الْقُلُوبُ، وَكُنْتُ أُزِيلُ تَمْوِيهَهُمْ بِمَبْدَإِ الْكَلَامِ. وَأَمَّا الرَّوَافِضُ وَأَهْلُ الإِرْجَاءِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ الْحَقَّ، فَكَانُوا بِالْكُوفَةِ أَكْثَرَ، وَكُنْتُ

---

(1) الحسن بن منصور بن محمود، البخاريُّ، الحنفيُّ قاضي خان الأُوزْجَنْدِيُّ، صاحب التصانيف (ت. 592هـ). سير أعلام النبلاء: 21/ 231.

(2) **" فتاوى قاضي خان"** للحسن بن منصور بن محمود قاضي خان، طبعة كلكتا سنة: 1835م.

(3) فتاوى قاضي خان: 4/ 409.

قَهَرْتُهُمْ بِحَمْدِ اللهِ أَيْضًا. وَكُنْتُ أَعُدُّ الْكَلَامَ أَفْضَلَ الْعُلُومِ وَأَرْفَعَهَا، فَرَاجَعْتُ نَفْسِي بَعْدَمَا مَضَى فِيهِ عُمُرٌ، وَتَدَبَّرْتُ، فَقُلْتُ: إِنَّ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالتَّابِعِينَ وَأَتْبَاعِهِمْ، لَمْ يَكُنْ يَفُوتُهُمْ شَيْءٌ مِمَّا نُدْرِكُهُ[1] نَحْنُ، وَكَانُوا عَلَيْهِ أَقْدَرَ، وَبِهِ أَعْرَفَ، وَأَعْلَمَ بِحَقَائِقِ الْأُمُورِ، ثُمَّ لَمْ يَتَهَايَئُوا[2] فِيهِ مُتَنَازِعِينَ وَلَا مُجَادِلِينَ، وَلَمْ يَخُوضُوا فِيهِ، بَلْ أَمْسَكُوا عَنْ ذَلِكَ، وَنُهُوا أَشَدَّ النَّهْيِ، وَرَأَيْتُ خَوْضَهُمْ فِي الشَّرَائِعِ وَأَبْوَابِ الْفِقْهِ وَكَلَامَهُمْ فِيهَا، وَعَلَيْهَا تَجَالَسُوا، وَإِلَيْهَا دَعَوْا، وَكَانُوا يَطْلُبُونَ الْكَلَامَ وَالْمُنَازَعَةَ فِيهَا، وَيَتَنَاظَرُونَ عَلَيْهَا، وَعَلَى ذلكَ مَضَى الصَّدْرُ الْأَوَّلُ مِنَ التَّابِعِينَ وَتَبَعِهِمْ، فَلَمَّا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أُمُورِهِمْ ذلِكَ، تَرَكْنَا الْمُنَازَعَةَ وَالْخَوْضَ فِي الْكَلَامِ، وَرَجَعْنَا إِلَى مَا كانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ، وَشَرَعْنَا فِيمَا شَرَعُوا، وَجَالَسْنَا أَهْلَ الْمَعْرِفَةِ بِذَلِكَ. مَعَ أَنِّـي رَأَيْتُ مَنْ يَنْتَحِلُ الْكَلَامَ وَيُجَادِلُ فِيهِ قَوْمًا لَيْسَ سِيمَاهُمْ سِيمَاءَ الْمُتَقَدِّمِينِ، وَلَا مِنْهَاجُهُمْ مِنْهَاجَ الصَّالِحِينَ، رَأَيْتُهُمْ قَاسِيَةً قُلُوبُهُمْ، غَلِيظَةً أَفْئِدَتُهُمْ، لَا يُبَالُونَ مُخَالَفَةَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالسَّلَفِ الصَّالِحِ، فَهَجَرْتُهُمْ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ[3].

كَذَا ذَكَرَ الْإِمَامُ ظَهِيرُ الدِّينِ الْمَرْغِينَانِـيُّ في مَنَاقِبِ الْإِمَامِ الْأَعْظَمِ، ذَكَرَهُ فِي "كَشْفُ" الْبَزْدَوِيِّ.

---

(1) نذكره، في قونية.

(2) يتهأيوا، في مراد ملا وأنطاليا.

(3) كشف الأسرار شرح أصول البزدوي: 1/ 9-10.

وَأَمَّا إِنْكَارُ الْإِمَامِ أَبِي يُوسُفَ، فَقَدْ ذُكِرَ فِي **"فَتَاوَى قَاضِي خَان"**، فِي فَصْلِ الِاقْتِدَاءِ. وَعَنْ أَبِي يُوسُفَ: لَا يَنْبَغِي لِلْقَوْمِ أَنْ يَؤُمَّهُمْ صَاحِبُ خُصُومَةٍ فِي الدِّينِ، وَإِنْ صَلَّى خَلْفَهُ رَجُلٌ[1] جَازَ[2].

قَالَ الْفَقِيهُ أَبُو جَعْفَرٍ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُرَادُ أَبِي يُوسُفَ، الَّذِينَ يُنَاظِرُونَ فِي دَقَائِقِ عِلْمِ الْكَلَامِ.

وَعَنْ أَبِي يُوسُفَ رَحِمَهُ اللهُ: مَنْ طَلَبَ الدِّينَ بِالْخُصُومَاتِ فَقَدْ تَزَنْدَقَ، وَمَنْ طَلَبَ الْمَالَ بِالْكِيمِيَاءِ فَقَدْ أَفْلَسَ، وَمَنْ طَلَبَ غَرِيبَ الْحَدِيثِ فَقَدْ كُذِّبَ[3].

ذُكِرَ فِي **"الْخُلَاصَةُ"** وَ**"مَجْمَعُ الْفَتَاوَى"**، أَنَّهُ أَرَادَ بِهِ كَلَامَ الْفَلَاسِفَةِ، وَكَلَامَ الْخُصُومَةِ.

فَأَمَّا الْمُنَاظَرَةُ على وَجْهِ الْإِظْهَارِ لِلْحَقِّ، على مَا قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[4] فَلَا كَرَاهَةَ فِيهَا، بَلْ هِيَ الْمَأْمُورُ بِهَا. وَيُؤَيِّدُهُ مَا وَرَدَ فِي **"التَّاتَارْخَانِيَّةُ"**[5] في كَرَاهِيَةِ جَمَاعَةٍ الِاشْتِغَالَ بِعِلْمِ الْكَلَامِ. قالَ: وَتَأْوِيلهُ عندنا أَنَّهُ كَرِهَ الْمُنَاظَرَةَ والْمُجَادَلَةَ، لِأَنَّهَا تُؤَدِّي إلى

---

(1) رجل خلفه، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(2) فتاوى قاضي خان: 4/ 112.

(3) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة: 113.

(4) سورة النحل الآية: 125.

(5) وهو كتاب الفتاوى التَّاتَارْخَانِيَّة وعنوانه **"زاد المسافر في الفروع"** لعالم بن علاء الحنفي (ت. 286هـ). وهو من كتب الفتاوى المعتمدة عند الحنفية. كشف الظنون: 1/ 268 ـ 2/ 947.

إِثَارَةِ الْفِتَنِ والْبِدَعِ وتَشْوِيشِ الْعَقَائِدِ، أَوْ يَكُونُ الْمُنَاظِرُ فيه قَلِيلَ الْفَهْمِ، أَوْ طَلَبًا[1] لِلْغَلَبَةِ لَا لِلْحَقِّ. وأَمَّا مَعْرِفَةُ اللهِ تَعَالَى، وتَوْحِيدُهُ، وَمَعْرِفَةُ النُّبُوَّةِ، وَالَّذِي يُنْظَرُ فِيهِ مِنَ الْعَقَائِدِ، فَلَا يُمْنَعُ عَنْهَا، وَكَانَ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَةِ[2].

وَقَالَ فِي قَاضِي خَانْ عَنْ أَبِي يُوسُفَ رَحِمَهُ اللهُ أَيْضًا، أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى هَارُونَ وَعِنْدَهُ اثْنَانِ يَتَنَاظَرَانِ فِي الْكَلَامِ، فَقَالَ هَارُونُ لِأَبِي يُوسُفَ: احْكُمْ بَيْنَهُمَا، فَقَالَ أَبُو يُوسُفَ: إِنِّي لَا أَخُوضُ فِيمَا لَا يَعْنِي، فَقَالَ الْخَلِيفَةُ: أَحْسَنْتَ، وَأَمَرَ لَهُ بِمِئَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَأَمَرَ أَنْ يُكْتَبَ فِي الدِّيوَانِ اسْمُهُ، أَنَّ أَبَا يُوسُفَ أَخَذَ مِئَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ بِتَرْكِ مَا لَا يَعْنِي. ذَكَرَهُ فِي "**خُلَاصَةُ النَّوَازِلِ**".

وَقَالَ فِي "**غِيَاثُ الْمُفْتِي**"[3]: رَأَيْتُ بِخَطِّ شَمْسِ الْأَئِمَّةِ الْحَلْوَانِيِّ[4]، عَنْ أَبِي يُوسُفَ، أَنَّهُ لا تَجُوزُ الصَّلاةُ خَلْفَ الْمُتَكَلِّمِ، وَإِنْ تَكَلَّمَ بِحَقٍّ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ، وَلَا تَجُوزُ الصَّلَاةُ خَلْفَ الْمُبْتَدِعِ. فَعَرَضْتُ هَذِهِ الرِّوَايَةَ على أُسْتَاذِي، قَالَ: تَأْوِيلُهُ أَنْ لا يَكُونَ غَرَضُهُ إِظْهَارَ الْحَقِّ. قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: مَا قَالَهُ أُسْتَاذُنَا، مَا رَأَيْتُ فِي تَلْخِيصِ[5] الْإِمَامِ الزَّاهِدِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الصَّفَّارِ،

---

(1) طالبا، في أنطاليا.

(2) نصاب الاحتساب للسنامي: 257.

(3) "**غياث المفتي وملاذ المستفتي**" لافتخار الدين طاهر بن أحمد بن عبد الرشيد بن الحسين البخاري الحنفي صاحب الخلاصة توفي بسرخس سنة: 542هـ. ترجمته في: كتائب أعلام الأخيار من فقهاء مذهب النعمان المختار: 2/ 272. والفوائد البهية في تراجم الحنفية: 84.

(4) عبد العزيز بن أحمد بن نصر البخاري الحَلْوَانِي، أو الحلوائي؛ نسبة لبيع الحلواء، فقيه حنفي، توفي سنة: 448هـ. الأنساب للسمعاني: 2/ 248، والجواهر المضية: 1/ 318.

(5) "**تَلْخِيصُ الْأَدِلَّةِ لِقَوَاعِدِ التَّوْحِيدِ**"، لأبي أسحاق إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الصَّفَّارِ (ت. 534هـ)

كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ يَكْرَهُ الْجِدَالَ عَلَى سَبِيلِ الْبَحْثِ، لَا عَلَى سَبِيلِ الْحَقِّ، حَتَّى رُوِيَ عَنْ أَبِي يُوسُفَ أَنَّهُ قالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ، إِذْ دَخَلَ جَمَاعَةٌ فِي أَيْدِيهِمْ رَجُلَانِ، فَقَالُوا: إِنَّ أَحَدَ هَذَيْنِ يَقُولُ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ، وَهَذَا يُنَازِعُهُ وَيَقُولُ: إِنَّهُ غَيرُ مَخْلُوقٍ، فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: لَا تُصَلُّوا خَلفَهُمَا، فَقُلْتُ: أَمَّا الأَوَّلُ فَنعَمْ، فإِنَّهُ لا يَقُولُ بِقِدَمِ الْقُرْآنِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَمَا بَالُهُ لَا يُصَلَّى[1] خَلْفَهُ؟ قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: إِنَّهُمَا تَنَازَعَا فِي الدِّينِ، وَالْمُنَازَعَةُ في الدِّينِ بِدْعَةٌ.

وَأَمَّا الْإِمَامُ مَالِكٌ، فَقَدْ قَالَ: «لَا تَجُوزُ شَهَادَةُ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالْأَهْوَاءِ. قالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: أَرَادَ بِأَهْلِ الْأَهْوَاءِ أَهْلَ الْكَلَامِ، عَلَى أَيِّ مَذْهَبٍ كَانُوا»[2].

وَأَمَّا الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ، فَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قالَ: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ ما في عِلْمِ الكَلَامِ مِنَ الْأَهْوَاءِ، لَفَرُّوا مِنْهُ فِرَارَهُمْ مِنَ الْأَسَدِ»[3].

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى: «سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَوْمَ نَاظَرَ حَفْصًا الْقِرْدَ[4] ـ وكانَ مِنْ مُتَكَلِّمِي الْمُعْتَزِلَةِ ـ يَقُولُ: لَأَنْ يَلْقَى اللهَ تَعَالَى عَبْدٌ بِكُلِّ ذَنْبٍ، مَا خَلَا الشِّرْكَ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَلْقَاهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْكَلَامِ»[5].

---

(1) نصلي، في أنطاليا.

(2) إحياء علوم الدين: 1/ 95.

(3) قواعد العقائد للغزالي: 85.

(4) كذا في النسخ الخطية، والمشهور: حفص الفرد، كما في حلية الأولياء: 9/ 112، والفهرست: 1/ 644، وتاريخ بغداد: 15/ 612، وغيرها من المصادر. وهو أبو عمرو حفص الفرد كان من أهل مصر، لم تذكر المصادر تاريخ وفاته. وقد كان الإمام الشافعي يسميه: "المنفرد".

(5) قواعد العقائد للغزالي: 83.

وَقَالَ أَيْضًا مُغْضَبًا لمَّا سُئِلَ عن شَيْءٍ مِنَ الْكَلَامِ: سَلْ عَنْ هذا حَفْصًا الْقِرْدَ وَأَصْحَابَهُ أَخْزَاهُمُ اللهُ.

قِيلَ: لَمَّا مَرِضَ الشَّافِعِيُّ رِحِمَهُ الله، دَخَلَ عَلَيْهِ حَفْصٌ الْقِرْدُ، فقالَ لَهُ: مَنْ أَنَا، قالَ: أَنْتَ حَفْصٌ الْقِرْدُ، لَا حَفِظَكَ اللهُ وَلَا رَعَاكَ، حَتَّى تَتُوبَ مِمَّا أَنْتَ فِيهِ.

وَقَالَ أَيْضًا: حُكْمِي فِي أَهْلِ الْكَلَامِ، أَنْ يُضْرَبُوا بِالْجَرِيدِ، وَيُطَافَ بِهِمْ فِي الْعَشَائِرِ وَالْقَبَائِلِ، ويُقَالَ: هَذا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ السُّنَّةَ، وَأَخَذَ فِي الْكَلَامِ.

وَقَالَ أيضًا: إِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: الِاسْمُ هُوَ الْمُسَمَّى أَوْ غَيْرُهُ، فَاشْهَدْ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ، وَلَا دِينَ لَهُ.

وَقَالَ أيضًا: قَدِ اطَّلَعْتُ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ عَلَى شَيْءٍ مَا ظَنَنْتُهُ قَطُّ، ولَأَنْ يُبْتَلَى الْعَبْدُ بِكُلِّ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ مَا عَدَا الشِّرْكَ، خيرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ في الْكَلَامِ[1].

وَأَمَّا الْإِمَامُ أَحْمَدُ فَقَدْ قَالَ: «لا يُفْلِحُ صَاحِبُ الْكَلَامِ أَبَدًا، وَلَا تَرَى أَحَدًا يَنْظُرُ في الْكَلَامِ إِلَّا وَفِي قَلْبِهِ مَرَضٌ. وَبَالَغَ فِي ذَمِّهِ، حَتَّى هَجَرَ الْحَارِثَ الْمُحَاسِبِيَّ، مَعَ زُهْدِهِ وَوَرَعِهِ، لِتَصْنِيفِهِ كِتَابًا في الرَّدِّ عَلَى الْمُبْتَدِعَةِ، وقالَ لَهُ: وَيْحَكَ، أَلَسْتَ تَحْكِي بِدْعَتَهُمْ أَوَّلًا وَتَرُدُّ عَلَيْهِمْ، أَلَسْتَ تَحْمِلُ النَّاسَ بِتَصْنِيفِكَ على مَطَالِبِ كَلَامِ أَهْلِ الْبِدْعَةِ وَالتَّفَكُّرِ فِيهِ، فَيَدْعُوهُمْ ذَلِكَ إِلَى الرَّأْيِ وَالْبَحْثِ. وَقَالَ أَحْمَدُ أَيْضًا: عُلَمَاءُ الْكَلَامِ زَنَادِقَةٌ»[2].

(1) إحياء علوم الدين: 1/ 95.

(2) المصدر نفسه: 1/ 95، وقواعد العقائد: 86 ـ 87.

إِذَا عَرَفْتَ هذه النُّقُولَ الْمَرْوِيَّةَ عَنِ الْعُلَمَاءِ الْمُجْتَهِدِينَ، رِضْوَانُ اللهِ تَعالَى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، فَاعْلَمْ أَنَّ الْحَقَّ فِي هَذَا الْمَقَامِ يَتَوَقَّفُ عَلَى تَعْيِينِ مَبَاحِثِ عِلْمِ الْكَلَامِ، وَمَعْرِفَةِ مَا يَدُورُ عليْهَا مِنَ الْأَحْكَامِ. وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّ عِلْمَ الْكَلَامِ بَاحِثٌ عَنْ ذَاتِ اللهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ، وَالنُّبُوَّةِ وَالْمَعَادِ على قَانُونِ الْإِسْلَامِ، وَلَا يَخْفَى أَنَّ هَذِهِ الْمَسَائِلَ أَصْلُ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَرَأْسُهَا، وَمَبْنَى الْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ وَأَسَاسُهَا، بَلْ هيَ تَفْصِيلُ الْإِيمَانِ بِاللهِ تَعَالَى وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ عَلَى وَجْهِ الْإِيقَانِ وَالْإِتْقَانِ، بَلْ هَذِهِ هِيَ الْمُرَادَةُ بِالْإِيمَانِ فِي حَدِيثِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حِينَ سَأَلَ نَبِيَّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِحْسَانِ، عَلَى مَا بَيَّنَّاهُ فِي صَدْرِ الرِّسَالَةِ، وَرَوَيْنَاهُ عَنْ صَدْرِ الرِّسَالَةِ.

وَلَا يَخْفَى أَنَّ مَعْرِفَةَ[1] هذه الْمَبَاحِثِ عَلَى وَجْهِ الْإِجْمَالِ، فَرْضُ عَيْنٍ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، وعَلَى وَجْهِ التَّفْصِيلِ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَاتِ، أَوْ فَرْضُ عَيْنٍ عَلَى الِاخْتِلَافِ فِي ذلِكَ بَيْنَ الْحَنَفِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ، فإِنَّهُ فَرْضُ كِفَايَةٍ عِنْدَ الْحَنَفِيَّةِ، وَفَرْضُ عَيْنٍ عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ، فَلَا يَجْتَرِئُ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى مَنْعِهِ وَتَحْرِيمِهِ فَضْلًا عَنِ الْعُلَمَاءِ الْمُجْتَهِدِينَ وَالْفُضَلَاءِ الْمُتَوَرِّعِينَ، وَإِنَّمَا تَـتَدَاخَلُهُ الْحُرْمَةُ أَوِ الْكَرَاهَةُ لِأَحَدِ أُمُورٍ ثَلَاثَةٍ:

- إِمَّا مِنْ جِهَةِ إِدْخَالِ مَسَائِلَ لَا تُوَافِقُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، كَخَلْطِ مَبَاحِثِ الْفَلْسَفَةِ الْمُخَالِفَةِ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

---

(1) معرفة ما يتوقف على، في أنطاليا.

- **وَإِمَّا** مِنْ جِهَةِ إِثْبَاتِ مَسَائِلِهِ، لَا على وَجْهٍ يُوَافِقُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، بَلْ يَجْرِي عَلَى وَفْقِ الْعَصَبِيَّةِ وَالْهَوَى، كَكَلَامِ الْمُعْتَزِلَةِ وَالْمُرْجِئَةِ وَالرَّوَافِضِ وَأَمْثَالِهِمْ.

- **وَإِمَّا** مِنْ جِهَةِ أَنَّ عِلْمَ الْكَلَامِ لَهُ قُوَّةٌ قَاهِرَةٌ، وَقُدْرَةٌ بَاهِرَةٌ، فِي دَفْعِ الْخُصُومِ، وَقَمْعِ الْأَعْدَاءِ، فَلَعَلَّهُ يُدَاخِلُ صَاحِبَهُ الْعُجْبُ وَالْهَوَى مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ، وَلِهَذَا يُشْتَرَطُ أَنْ لَا يُعَلِّمَ الْعَالِمُ عِلْمَ الْكَلَامِ إِلَّا بَعْدَ تَزْكِيَةِ أَخْلَاقِ الْمُتَعَلِّمِ، وإِخْلائِهِ عَنِ الْهَوَى وَالْبِدْعَةِ، وَإِشْرَابِ قَلْبِهِ عَقَائِدَ وَارِدَةً فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ تَقْلِيدًا، ثُمَّ يُثْبِتُهَا بِبَرَاهِينَ وَارِدَةٍ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ.

فَهَذِهِ آفَاتٌ ثَلَاثٌ، الْأُولَيَانِ مِنْهَا خَاصٌّ بِعِلْمِ الْكَلَامِ، وَالثَّالِثُ عَامٌّ لَهُ وَلِغَيْرِهِ. نَجَّانَا اللهُ تَعَالَى وَإِيَّاكُمْ عَنِ الْآفَاتِ الْقَادِحَةِ فِي الْعَقْلِ وَالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَتَجَاوَزَ عَنَّا وَعَنْكُمُ الْخَطَأَ وَالْخَطَلَ، إِنَّهُ الْكَرِيمُ الْمَنَّانُ، وَالرَّحِيمُ الْمُسْتَعَانُ.

وَلَا يَخْفَى أَنَّ الْكَلَامَ الْمَؤُوفَ[1] بِالْآفَةِ الْأُولَى لَا يَكُونُ كَلَامًا أَصْلًا، لِمَا عَرَفْتَ فِي تَعْرِيفِ عِلْمِ الْكَلَامِ أَنَّ الْعَقَائِدَ لا بُدَّ وَأَنْ تُؤْخَذَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَتَسْمِيَتُهُ كَلامًا نِزَاعٌ لَفْظِيٌّ، فَلَا مَغْمَزَ فِي كَلَامِنَا بِتَحْرِيمِهِ، وَالْمَنْعِ عَنْهُ.

وَأَمَّا الْكَلامُ الْمَؤُوفُ بِالْآفَةِ الثَّانِيَةِ، وَإِنْ كانَ داخِلًا فِي الْكَلامِ، لَكِنَّهُ كَلامٌ مُمَوَّهٌ مَذْمُومٌ كَمَا عَرَفْتَ فِيمَا سَبَقَ، فَالطَّعْنُ فِيهِ وَالْإِنْكَارُ عَلَيْهِ لا يَضُرُّ كَلَامَنَا قَطْعًا.

---

(1) شيء مَؤُوف: أصابته آفة. اللسان: أوف.

وَأَمَّا الْكَلَامُ الْمَؤُوفُ بِالْآفَةِ الثَّالِثَةِ، وَإِنْ كانَ مَذْمُومًا، لَكِنْ لا يَخْتَصُّ بِالْكَلَامِ، فَذَمُّهُ بِهَا مِنْ بَيْنِ غَيْرِهِ مِنَ الْعُلُومِ لا يَعْرَى عَنِ الْعُدُولِ عَنِ الْإِنْصَافِ. وَأَيْضًا هَذَا الذَّمُّ إِنْ كانَ فَإِنَّمَا يَكُونُ في الْبَاحِثِ عَنْهُ لا في الْعِلْمِ نَفْسِهِ، إِذْ كَمْ مِنْ عَالِمٍ بِالْكَلَامِ عَارٍ عَنِ الْهَوَى وَالْعَصَبِيَّةِ، وَكَمْ مِنْ عَالِمٍ بِغَيْرِهِ مِنَ الْعُلُومِ مُتَّصِفٌ بِهِمَا؛ فَأَخْذُ الْكَلَامِ بِذَلِكَ أَخْذُ الْجَارِ بِذَنْبِ الْجَارِ، وكَأَنَّ لِسَانَ حَالِ الْكَلَامِ يَقُولُ فِي مُقَابَلَةِ هَذَا الْمَلَامِ: [الكامل]

غَيْرِي جَنَى وَأَنَا الْمُعَاقَبُ فِيكُمُ فَكَأَنَّنِي سَبَّابَةُ الْمُتَنَدِّمِ[1]

هَذَا وَلَعَلَّ مَا وَقَعَ مِنَ الْإِنْكَارِ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْأَبْرَارِ، كانَ عَلَى الْآفَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ لَا عَلَى عِلْمِ الْكَلَامِ نَفْسِهِ، وكَيْفَ لا وَعُلَمَاءُ الْكَلَامِ قَدْ شَرَطُوا فِي الْكَلَامِ الْخُلُوَّ عَنْهُمَا.

وَأَمَّا الْآفَةُ الثَّالِثَةُ، فَلَا اخْتِصَاصَ لَهَا بِالْكَلَامِ أَصْلًا، فَقَدِ اتَّضَحَ لَدَيْكَ أَنَّ نَهْيَ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللهُ ابْنَهُ عَنِ الكَلَامِ، كانَ لِأَجْلِ الْآفَةِ الثَّانِيَةِ، لِأَنَّهُ جَعَلَ سَبَبَ الْحُرْمَةِ الْجِدَالَ وَاتِّبَاعَ الْهَوَى، وَكَذَا مَا حَكَاهُ عَنْ نَفْسِهِ مِنَ الْمُنَازَعَةِ، فإِنَّمَا وَقَعَتْ لَهُ مَعَ أَهْلِ الِاعْتِزَالِ وَالْإِرْجَاءِ وَأَمْثَالِهِمَا، فَالْمَذْمُومُ كَلَامُ أَهْلِ الْعَصَبِيَّةِ وَالْهَوَى.

وَأَمَّا كَفُّهُ نَفْسَهُ زَجْرًا عَنِ الْجِدَالِ مَعَهُمْ، مَعَ أَنَّ الْجِدَالَ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ مَأْمُورٌ بِهِ فِي الشَّرْعِ فَلِإِفْضَائِهِ إِلَى الِاشْتِغَالِ بِهِ وَرَاءَ قَدْرِ الْحَاجَةِ، وذلِكَ

(1) البيت لمحمد بن سعيد ابن شرف القيرواني (ت. 460هـ) في خريدة القصر وجريدة العصر: 165.

مَنْهِيٌّ عَنْهُ، لِأَنَّ قَدْرَ الْحَاجَةِ مِنْهُ تَأْيِيدُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِالْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ، وَلَيْسَ وَرَاءَهُ إِلَّا الْمَبَاحِثُ الْفَلْسَفِيَّةُ، لِأَنَّ عِلْمَ الْكَلَامِ يُتَاخِمُ عِلْمَ الْحِكْمَةِ وَيُجَاوِرُهُ، فَرُبَّمَا يَتَجَاوَزُ الطَّالِبُ بِالْإِفْرَاطِ فِيهِ إِلَى الْمَبَاحِثِ الْحِكْمِيَّةِ، وَهَذِهِ مَنْهِيٌّ عَنْهَا، لَكِنْ إِنْ بُحِثَ عَنْهَا عَلَى وَجْهِ التَّسْلِيمِ وَالْقَبُولِ.

وَأَمَّا الْبَحْثُ عَنْهَا لِكَوْنِهَا مَبَادِئَ عِلْمِ الْكَلَامِ، أَوْ لِأَجْلِ رَدِّهَا، فَذَلِكَ غَيْرُ مَنْهِيٍّ عَنْهُ، كَمَا عَرَفْتَ فِيمَا سَبَقَ.

وَأَيْضًا قَوْلُ أَبِي حَنِيفَةَ: مَعَ أَنِّي رَأَيْتُ مَنْ تَنَحَّلَ بِالْكَلَامِ، وَتَجَادَلَ فِيهِ [قَوْمًا][1] لَيْسَ سِيمَاؤُهُمْ سِيمَاءَ الْمُتَقَدِّمِينَ، وَلَا مِنْهَاجُهُمْ مِنْهَاجَ الصَّالِحِينَ، رَأَيْتُهُمْ قَاسِيَةً قُلُوبُهُمْ، غَلِيظَةً أَفْئِدَتُهُمْ، لا يُبَالُونَ مُخَالَفَةَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، يَدُلُّ دَلَالَةً صَرِيحَةً على أَنَّهُ أَرَادَ بِالْكَلَامِ كَلَامَ أَهْلِ الِاعْتِزَالِ الشَّائِعِ فِي زَمَانِهِ، وَأَمَّا الْكَلَامُ الَّذِي ظَهَرَ فِي الْعَصْرِ الْأَخِيرِ[2] بِالْمَسَاعِي الْجَمِيلَةِ مِنْ جِهَةِ أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ فَكُلُّ الْغَرَضِ فِيهِ مُوَافَقَةُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَاقْتِدَاءُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَكَيْفَ يَسُوغُ الْقَوْلُ بِحُرْمَتِهِ أَوْ كَرَاهَتِهِ وَالْحَالَةُ هَذِهِ. عَلَى أَنَّ أَبَا حَنِيفَةَ نَفْسَهُ تَكَلَّمَ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ، [وَأَلَّفَ فِيهِ][3] مِثْلَ كِتَابِ "**الْفِقْهُ الْأَكْبَرُ**"[4]، وَكِتَابِ "**الْعَالِمُ وَالْمُتَعَلِّمُ**"، إِذْ صَرَّحَ فِيهِمَا بِأَكْثَرِ مَبَاحِثِ عِلْمِ

(1) ما بين معقوفين زيادة من أنطاليا.

(2) الثاني، في أنطاليا.

(3) ما بين معقوفين زيادة من أنطاليا.

(4) "**الفقه الأكبر**" في الكلام، لأبي حنيفة نعمان بن ثابت (ت. 150هـ) الكتاب مطبوع الطبعة الأولى سنة: 1419هـ-1999م.

الْكَلَامِ، ومَا قِيلَ: إِنَّهُمَا لَيْسَا لَهُ بَلْ لِأَبِي حَنِيفَةَ الْبُخَارِيِّ؛ فَمِنِ اخْتِرَاعَاتِ الْمُعْتَزِلَةِ، زَعْمًا مِنْهُمْ أَنَّ أَبَا حَنِيفَةَ عَلَى مَذْهَبِهِمْ.

وَقَدْ ذَكَرَ الْعَلَّامَةُ حَافِظُ الدِّينِ الْبَزَّازِيُّ[1] في كِتَابِهِ فِي: "**مَنَاقِبِ أَبِي حَنِيفَةَ**": أَنِّي رَأَيْتُ بِخَطِّ العَلَّامَةِ مَوْلانَا شَمْسِ الدِّينِ الْكَرْدَرِيِّ[2] الْبَرَاتِقِينِيِّ الْعِمَادِيِّ هَذَيْنِ الْكِتَابَيْنِ، وَكَتَبَ فِيهِمَا أَنَّهُمَا لِأَبِي حَنِيفَةَ. وَقَدْ تَوَاطَأَ أَيْضًا عَلَى ذلِكَ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْمَشَايِخِ، مِثْلَ: فَخْرِ الْإِسْلَامِ الْبَزْدَوِيِّ، ذَكَرَهُمَا في: "**أُصُولِهِ**"، وَمِثْلَ الشَّيخِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْبُخَارِيِّ ذَكَرَهُمَا في: "**شَرْحُ أُصُولِ فَخْرِ الْإِسْلَامِ**".

ثُمَّ قَالَ حَافِظُ الدِّينِ الْبَزَّازِيُّ: وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْإِمَامَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ كَإِبْرَاهِيمَ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، لِأَنَّ كُلَّ مِلَّةٍ تَدَّعِي أَنَّ الْخَلِيلَ كَانَ عَلَى ذَلِكَ الدِّينِ. قالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾[3]، كَذَلِكَ مَا كَانَ الْإِمَامُ مُعْتَزِلِيًّا، وَلَا قَدَرِيًّا، وإِنَّمَا كانَ سُنِّيًّا حَنِيفِيًّا، وَمُتَّبِعُوهُ كَانُوا حُنَفَاءَ[4]. هَذَا كَلَامُهُ.

---

(1) محمد بن محمد حافظ الدين البزازي، توفي في أواسط شهر رمضان سنة: 827 هـ. تاج التراجم لابن قطلوبغا: 354.

(2) محمد بن عبد الستار بن محمد شمس الدين الكردري البراتقيني، أحد علماء زمانه وفقهاء عصره، (ت. 642هـ). تاريخ الإسلام: 14/ 424. والجواهر المضية في طبقات الحنفية: 1/ 236.

(3) سورة آل عمران الآية: 67.

(4) حَنَفِيًّا وحَنِيفِيًّا، في أنطاليا.

وأَمَّا مَا رُوِيَ عَنْ أَبِي يُوسُفَ: مَنْ طَلَبَ الدِّينَ بِالْخُصُومَاتِ فَقَدْ تَزَنْدَقَ، فَقَدْ أَرَادَ بِهِ الْآفَةَ الأُولَى، كَمَا صَرَّحَ[1] بِذَلِكَ فِي "**الْخُلَاصَةُ**" وَ"**مَجْمَعُ الْفَتَاوَى**"، حَيْثُ قَالَ: أَرَادَ بِهِ كَلَامَ الْفَلَاسِفَةِ، وأَيْضًا مَا صَدَرَ عَنْهُ فِي مَجْلِسِ هَارُونَ، إِمَّا كَلامَ الْفَلَاسِفَةِ، أَوْ كَلَامَ أَهْلِ الِاعْتِزَالِ، لا كَلَامَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، لِمَا سَتَعْرِفُهُ مِنْ أَنَّ أَهْلَ عَصْرِهِ كَانُوا عَلَى مَذْهَبِ الِاعْتِزَالِ.

وَأَمَّا مَا ذُكِرَ فِي "**غِيَاثُ الْمُفْتِي**"، مِنْ أَنَّ الْمُتَكَلِّمَ بِحَقٍّ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ، فَقَدْ أَوَّلُوهُ بِأَنْ لا يَكُونَ غَرَضُهُ إِظْهَارَ الْحَقِّ.

وَحَاصِلُهُ أَنَّ الْكَلَامَ وَإِنْ سَلِمَ عَنِ الْآفَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ، لَكِنَّهُ إِذَا لَمْ يَسْلَمْ عَنِ الْآفَةِ الثَّالِثَةِ، يَكُونُ مُبْتَدِعًا أَيْضًا.

وَكَذَا مَا رَوَى أَبُو يُوسُفَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ أَنَّ الْمُنَازَعَةَ فِي الدِّينِ بِدْعَةٌ وَإِنْ تَكَلَّمَ بِحَقٍّ، فَقَدْ أَرَادَ الحُكْمَ بِالْبِدْعَةِ لِمَنْ لَهُ الْآفَةُ الثَّالِثَةُ. وكذا حَالُ مَا رُوِيَ عَنِ الْإِمَامِ مَالِكٍ.

وأَمَّا الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ، فَقَدْ أَرَادَ أَيْضًا كَلَامَ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ، كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ فِي ضِمْنِ كَلَامِهِ، وَيُؤَيِّدُهُ ذِكْرُ إِنْكَارِهِ حَفْصًا الْقَرْدَ وَهُوَ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُعْتَزِلَةِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: لَأَنْ يَلْقَى اللهَ عَبْدٌ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَلْقَاهُ بِعِلْمِ الْكَلَامِ، فَالظَّاهِرُ أَنَّهُ أَرَادَ الْآفَةَ الْأُولَى، لأَنَّ أَكْبَرَ الْكَبَائِرِ إِذَا كانَ خَيْرًا مِنْهُ يَكُونُ الْكَلامُ شِرْكًا، وكَلَامُ أَهْلِ السُّنَّةِ لَيْسَ فيه شِرْكٌ، بَلْ هُوَ لِدَفْعِ الشِّرْكِ

---

(1) فسره، في الأزهرية ونور عثمانية.

وقَمْعِهِ، فلا يكونُ مُرَادُهُ إِلَّا كَلَامًا لا يُوَافِقُ الْكِتَابَ والسُّنَّةَ، لا كَلَامَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَكَذَا الْحَالُ فِيمَا رُوِيَ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ.

وبِالْجُمْلَةِ، فَالْكَلَامُ مَوْضُوعٌ لِإِثْبَاتِ الْوَاجِبِ لِلَّهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ وَالنُّبُوَّةِ وَالْمَعَادِ عَلَى قَانُونِ الْإِسْلَامِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَبَاحِثِ الْعَقْلِيَّةِ، وَالْقَوَانِينِ الْمَنْطِقِيَّةِ، الَّتي هِيَ مَبَادِئُ لِذَلِكَ.

وَلا يَخْفَى أَنَّ الْمَبَاحِثَ الْمَذْكُورَةَ لِتَقْوِيَةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَا لِمُخَالَفَتِهِمَا، فَلَا حُرْمَةَ أَوْ كَرَاهَةَ فِيهِمَا، بَلْ هِيَ فَرْضٌ، لِأَنَّ بَعْضَ الْمَبَاحِثِ الْمَذْكورَةِ فَرْضُ عَيْنٍ، كَالْإِيمَانِ بِاللهِ تَعَالَى وَمَلائِكَتِهِ وكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ. وَبَعْضٌ آخَرُ مِنْهَا فَرْضٌ عَلَى الْكِفَايَةِ؛ كَالْمَبَاحِثِ الْأُخَرِ. وَأَيْضًا فِيهِ حِرَاسَةُ الْعَقِيدَةِ عَلَى الْعَوَامِّ، وَحِفْظُهَا عَنْ تَشْوِيشَاتِ الْمُبْتَدِعَةِ، وَهَذِهِ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَاتِ؛ كَالْقِيَامِ بِحِرَاسَةِ الْأَمْوَالِ وَسَائِرِ الْحُقُوقِ؛ كَالْقَضَاءِ وَالْوِلَايَةِ وَغَيْرِهِمَا. وَلَيْسَ في مُجَرَّدِ الطِّبَاعِ كِفَايَةٌ تَحُلُّ شُبَهَ الْبِدْعَةِ، مَا لَمْ تَتَعَلَّمْ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ التَّدْرِيسُ فِيهِ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَاتِ، لَكِنْ لَيْسَ مِنَ الصَّوَابِ تَدْرِيسُهُ على الْعَوَامِّ كَتَدْرِيسِ الْفِقْهِ وَالتَّفْسِيرِ، فَإِنَّ الْكَلَامَ مِثْلُ الدَّوَاءِ، وَالْفِقْهَ والتَّفْسِيرَ مِثْلُ الْغِذَاءِ، وَضَرَرَ الْغِذَاءِ لا يُحْذَرُ، وضَرَرَ الدَّوَاءِ مَحْذُورٌ.

وَإِذَا عَرَفْتَ حَالَ عِلْمِ الْكَلَامِ، فَلا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْمَذْمُومُ عِنْدَ الْأَئِمَّةِ غَيْرَهُ، وَذَلِكَ إِمَّا الْفَلْسَفَةُ الَّتِي اشْتَبَهَتْ بِالْكَلَامِ، أَوْ كَلامُ أَهْلِ الِاعْتِزَالِ، أَوْ كَلَامُ مَنْ يُدَاخِلُ صَاحِبَهُ الْعُجْبُ وَالْهَوَى.

وَالْأَوَّلُ: **حَرَامٌ** إِنْ خَالَفَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَبِدْعَةٌ إِنْ لَمْ يُخَالِفْهُمَا وَلَمْ يُوَافِقْهُمَا أَيْضًا، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُجْعَلَ مَبَادِئَ لِعِلْمِ الْكَلَامِ.

وَالثَّانِي: **بِدْعَةٌ وَحَرَامٌ** لِمُخَالَفَةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَالثَّالِثُ: - أَعْنِي الْكَلَامَ الْمُقَارَنَ بِالْجِدَالِ، الْبَاعِثَ عَنِ الْعَصَبِيَّةِ وَالْهَوَى- حَرَامٌ أَيْضًا، إِلَّا الْجِدَالَ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، كَمَا عَرَفْتَ.

وَلَا يَخْفَى أَنَّ إِنْكَارَ السَّلَفِ لا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ على كَلَامِ الْأَشَاعِرَةِ، وَالْمَاتُرِيدِيَّةِ، بَلْ عَلَى كَلَامِ الْفَلَاسِفَةِ وَأَهْلِ الِاعْتِزَالِ، وَعَلَى كَلَامِ أَهْلِ الْجِدَالِ بِالْبَاطِلِ، إِذِ الْكَلَامُ الشَّائِعُ في زَمَانِ الْأَئِمَّةِ الْمُجْتَهِدِينَ هُوَ كَلَامُ أَهْلِ الِاعْتِزَالِ وَالْإِرْجَاءِ وَأَمْثَالِهِمَا.

وَأَمَّا كَلامُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَقَدْ حَدَثَ بَعْدَ انْقِرَاضِهِمْ بِزَمَانٍ كَثِيرٍ. وَتَفْصِيلُ ذلكَ أَنَّ الصَّحَابَةَ رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، كَانُوا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ على عَقِيدَةٍ وَاحِدَةٍ، لِأَنَّهُمْ أَدْرَكُوا زَمَانَ الْوَحْيِ، وَشَرَفَ صُحْبَةِ صَاحِبِهِ، وَأَزَالَ نُورُ الصُّحْبَةِ عَنْهُمْ ظُلَمَ الشُّكُوكِ وَالْأَوْهَامِ، وَهَكَذَا إِلَى زَمَنِ انْقِرَاضِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

وَلَمَّا مَضَى الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِمْ فِي الْمَضَايِقِ، تَرَأَّسَ النَّاسُ كُلُّهُمْ ـ لَائِقًا وَغَيْرَ لَائِقٍ ـ وَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا.

وَلَمَّا صَارَ حُدُودُ الْمِئَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَانْقَضَى الصَّدْرُ الْأَوَّلُ مِنَ الصَّحَابَةِ، ظَهَرَ بَيْنَ النَّاسِ الْجِدَالُ وَالْمِرَاءُ وَالْعَصَبِيَّةُ وَالْهَوَى، وَظَهَرَ تَشْوِيشُ عَقَائِدِ الْمُسْلِمِينَ،

وَخُرِمَ نِظَامُ الدِّينِ، وَتَشَعَّبَتْ مَسَالِكُ الإِسْلَامِ، وَاشْتَبَهَ الصِّحَّةُ بِالسَّقَامِ، حتَّى إِنَّ رَجُلًا قالَ لِابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: "ظَهَرَ فِي زَمَانِنَا رِجَالٌ يَزْنُونَ وَيَسْرِقُونَ وَيَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ، ثُمَّ يَحْتَجُّونَ عَلَيْنَا، وَيَقُولُونَ: كَانَ ذَلِكَ فِي عِلْمِ اللهِ، فَغَضِبَ ابْنُ عُمَرَ، وقالَ: سُبْحَانَ اللهِ كانَ ذَلِكَ في عِلْمِ اللهِ، وَلَمْ يَكُنْ عِلْمُهُ يَحْمِلُهُمْ إِلَى الْمَعَاصِي"[1]. وأَيْضًا، أَتَى عَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ وَمَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ، وَقَالَا لَهُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، هَؤُلَاءِ الْمُلُوكُ يَسْفِكُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ، وَيَأْخُذُونَ أَمْوَالَهُمْ، وَيَقُولُونَ: إِنَّمَا تَجْرِي أَعْمَالُنَا عَلَى قَدَرِ اللهِ تَعَالَى[2].

وَقالَتْ جَمَاعَةٌ أُخْرَى: ظَهَرَتْ[3] أَيْضًا [في زَمَانِنَا][4] طَائِفَةٌ يُكَفِّرُونَ مُرْتَكِبَ الْكَبِيرَةِ، وَطَائِفَةٌ أُخْرَى يَقُولُونَ: لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ كَبِيرَةٌ.

وسَأَلَ رَجُلٌ مِنْهُمُ الْحَسَنَ عَنْ حَالِ هَاتَيْنِ الطَّائِفَتَيْنِ، فَقَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ الْحَسَنُ، قَالَ وَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ: إِنَّ مُرْتَكِبَ الْكَبِيرَةِ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ وَلَا كَافِرٍ، وأَثْبَتَ مَنْزِلَةً بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ، وَأَصَرَّ عَلَى ذلِكَ، حتَّى طَرَدَهُ الْحَسَنُ عَنْ مَجْلِسِهِ، فَاعْتَزَلَ عَنْهُ، وجَلَسَ إِلَيْهِ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ، فَسُمُّوا الْمُعْتَزِلَةَ.

يُقَالُ إِنَّ الَّذِي سَمَّاهُمْ بِهَذَا قَتَادَةُ بْنُ دِعَامَةَ السَّدُوسِيُّ، وَهُوَ أَبُو الْخَطَّابِ قَتَادَةُ بْنُ دِعَامَةَ السَّدُوسِيُّ الْبَصْرِيُّ الْأَكْمَهُ، كَانَ تَابِعِيًّا وَعَالِمًا كَبِيرًا. وكانَ يَدُورُ

(1) مفاتيح الغيب: 2/ 290.

(2) المعارف لابن قتيبة: 1/ 441، والضعفاء الكبير للعقيلي: 3/ 403.

(3) ظهر، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(4) ما بين معقوفين زيادة من أنطاليا.

الْبَصْرَةَ أَعْلَاهَا وَأَسْفَلَهَا بِغَيْرِ قَائِدٍ، فَدَخَلَ مَسْجِدَ الْبَصْرَةِ، فَإِذَا بِعَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ وَنَفَرٍ مَعَهُ، فَأَمَّهُمْ وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهَا حَلْقَةُ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، فَلَمَّا عَرَفَ أَنَّهَا لَيْسَتْ هِيَ، فَقَالَ: إِنَّمَا هَؤُلَاءِ الْمُعْتَزِلَةُ، ثُمَّ قَامَ عَنْهُمْ. فَمُذْ يَوْمَئِذٍ سُمُّوا الْمُعْتَزِلَةَ.

وُلِدَ سَنَةَ سِتِّينَ، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ وَمِئَةٍ، وَقِيلَ سَنَةَ ثَمَانَ عَشْرَةَ وَمِئَةٍ[1].

وَهَكَذَا كانَ الْخِلَافُ يَتَدَرَّجُ وَيَقْوَى شَيْئًا فَشَيْئًا، إلى آخِرِ أَيَّامِ الصَّحَابَةِ، حتَّى ظَهَرَ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ، وَغَيْلَانُ الدِّمَشْقِيُّ، وَوَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ، وَعَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ، وَيُونُسُ الْأَسْوَارِيُّ، وَخَالَفُوا فِي الْقَدَرِ، وَإِسْنَادِ جَمِيعِ الْأُمُورِ إلى تَقْدِيرِ اللهِ تَعَالَى، وَهَلُمَّ جَرًّا. إِلَى أَنْ ظَهَرَتْ قَوَاعِدُ الِاعْتِزَالِ، وَنَشَأَتْ مَذَاهِبُ الضَّلَالِ، حتَّى تَفَرَّقَ أَهْلُ الْإِسْلَامِ إلى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً.

وَهَكَذَا تَشَعَّبَتِ الْمَذَاهِبُ، وَظَهَرَتِ الْأَهْوَاءُ، سِيَّمَا مَذْهَبُ الِاعْتِزَالِ، لِأَنَّهُ مَذْهَبٌ مَبْنِيٌّ على الظَّوَاهِرِ وَالْأَوْهَامِ، فَتَمِيلُ إِلَيْهِ طِبَاعُ الْعَوَامِّ، وَمَا بَقِيَ مَنْ سَلِمَ مِنْ هَذِهِ الْمَذَاهِبِ الْبَاطِلَةِ إِلَّا شِرْذِمَةٌ قَلِيلَةٌ مِنْ خَوَاصِّ الْعُلَمَاءِ، وَالسَّلَفِ الصَّالِحِينَ، مِمَّنْ عَصَمَهُمُ اللهُ عَنِ الزَّيْغِ وَالطُّغْيانِ، وَأُولَئِكَ مِنْ حِزْبِ طَائِفَةٍ لَا يَزَالُونَ ظَاهِرِينَ على الْحَقِّ إِلَى يَوْمِ الْقِيامَةِ.

وَأَوَّلُ مَا ظَهَرَ مَذْهَبُ الِاعْتِزَالِ وَشَاعَ، إِنَّمَا ظَهَرَ مِنْ وَاصِلِ بْنِ عَطَاءٍ، أَخَذَ الِاعْتِزَالَ عَنِ الْإِمَامِ. قِيلَ: كانَ أَوَّلَ مَنْ أَحْدَثَ مَذْهَبَ أَبِي هَاشِمٍ عَبْدِ اللهِ ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الِاعْتِزَالِ وَاخْتَرَعَهُ كانَ الْإِمَامُ

(1) وفيات الأعيان: 4/ 85.

أَبُو هَاشِمٍ الْمَذْكُورُ، وَأَخُوهُ الْإِمَامُ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ[1].

قالَ بُرْهَانُ الدِّينِ الْحَلَبِيُّ[2]: في "**شَرْحُ شِفَاءِ الْقَاضِي عِيَاض**"[3]: إِنَّ هذا الرَّجُلَ، وهو الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ، كَانَ أَوَّلَ الْمُرْجِئَةِ، وَلَهُ فِيهِ تَصْنِيفٌ. لَكِنْ ظَهَرَ وَاشْتَهَرَ مِنْ وَاصِلِ بْنِ عَطَاءٍ أَبِي حُذَيْفَةَ الْمُعْتَزِلِيِّ الْمَعْرُوفِ بِالْغَزَّالِ، مَوْلَى بَنِي ضَبَّةَ، أَوْ بَنِي مَخْزُوم.

وَلَمْ يَكُنْ غَزَّالاً، بَلْ كَانَ [يُلَقَّبُ بذلِكَ لِأَنَّهُ كانَ][4] يَلْزَمُ الْغَزَّالِينَ، لِيَعْرِفَ الْمُتَعَفِّفَاتِ مِنَ النِّسَاءِ، فَيَجْعَلَ صَدَقَتَهُ لَهُنَّ. وكانَ أَلْثَغَ بِالرَّاءِ، قَبِيحَ اللَّثْغَةِ، وكانَ يَجْعَلُهَا غَيْنًا. إِلَّا أَنَّهُ كانَ يُسْقِطُ الرَّاءَ عَنْ كَلَامِهِ مَعَ طُولِ خُطَبِهِ وَكَثْرَتِهَا، حتَّى لَمْ يَشْعُرْ بِهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، وَذَلِكَ مِنْ غَايَةِ فَصَاحَتِهِ وَقُدْرَتِهِ علَى الْكَلَامِ[5]، حَتَّى قِيلَ فِيهِ: [البسيط]

نَعَمْ تَجَنَّبَ لَا يَوْمَ الْعَطَاءِ كَمَا ... تَجَنَّبَ ابْنُ عَطَاءٍ لَفْظَةَ الرَّاءِ[6]

(1) تأويلات أهل السنة: 1/ 130.

(2) إبراهيم بن محمد بن خليل برهان الدين الحلبي، الطرابلسي، المعروف بِسِبْطِ ابْنِ العَجَمِي (ت. 841هـ). البدر الطالع: 1/ 28، وفهرس الفهارس: 1/ 158.

(3) عنوان الكتاب هو: "**المقتفى في ضبط ألفاظ الشفا**"، فرغ من تعليقه في شوال سنة: 797هـ بحلب وهو في مجلد. كشف الظنون: 2/ 1054.

(4) ما بين معقوفين زيادة من أنطاليا.

(5) الكامل في اللغة والأدب للمبرد: 3/ 143.

(6) البيت في وفيات الأعيان:6/ 9، نسب لأبي محمد الخازن من قصيدة طويلة مدح بها الصاحب أبا القاسم إسماعيل ابن عباد.

وَأَكْثَرَ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى الشُّعَرَاءُ فِي أَشْعَارِهِمْ[1].

ثُمَّ إِنَّ وَاصِلًا جَالَسَ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ، بَعْدَ الْإِمَامِ أَبِي هَاشِمٍ الْمَذْكُورِ، يَأْخُذُ مِنْهُ الْفِقْهَ.

ثُمَّ تَرَكَ مَجْلِسَ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، وَجَلَسَ إِلَيْهِ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ، وَانْتَحَلُوا بِنِحْلَةٍ أُخْرَى، فَسُمُّوا الْمُعْتَزِلَةَ كَمَا مَرَّ.

وُلِدَ وَاصِلٌ سَنَةَ ثَمَانِينَ [بِالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ][2]. **وَتُوُفِّيَ** سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَمِئَةٍ. وَهُوَ وَمَعْبَدُ الْجُهَنِيُّ كَانَا مَبْدَأَ مَذْهَبِ الِاعْتِزَالِ.

وَأَمَّا الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، فَهُوَ مِنْ سَادَاتِ التَّابِعِينَ وَكُبَرَائِهِمْ. وَهُوَ الْحَسَنُ ابْنُ أَبِي الْحَسَنِ يَسَارٍ، وَأَبُوهُ يَسَارٌ كَانَ مَوْلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ. وَاسْمُ أُمِّهِ خَيْرَةُ، وَهِيَ مَوْلَاةٌ لِأُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قِيلَ: وُلِدَ الْحَسَنُ عَلَى الرِّقِّ[3]، وَكَانَتْ أُمُّهُ خَيْرَةُ رُبَّمَا غَابَتْ فَيَبْكِي الْحَسَنُ، فَتُعْطِيهِ أُمُّ سَلَمَةَ ثَدْيَهَا تُعَلِّلُهُ بِهِ إِلَى أَنْ تَجِيءَ أُمُّهُ، فَدَرَّ عَلَيْهِ ثَدْيُهَا، فَشَرِبَهُ، فَيَرَوْنَ أَنَّ تِلْكَ الْحِكْمَةَ وَالْفَصَاحَةَ مِنْ بَرَكَةِ ذَلِكَ اللَّبَنِ، وَمِنْ دُخُولِ ثَدْيٍ مُبَارَكٍ مَسَّ بَشَرَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَهُ، وَكَانَ يُشَبَّهُ بِرُؤْبَةَ ابْنِ الْعَجَّاجِ فِي عَرَبِيَّتِهِ، وَفَصَاحَةِ لَهْجَتِهِ.

---

(1) وفيات الأعيان: 6/ 7.

(2) ما بين معقوفين زيادة من أنطاليا.

(3) على الرِّقِّ يعني على الاسترقاق والعبودية.

قِيلَ: وكانَ تَكَلَّمَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقَدَرِ فَرَجعَ عَنْهُ، ثُمَّ أَنْكَرَ عليه أَشَدَّ الْإِنْكَارِ.

جَمَعَ الْعِلْمَ إلى الزُّهْدِ والْوَرَعِ والْعِبَادَةِ.

وكان من أَجْمَلِ أهْلِ الْبَصْرَةِ حتَّى سَقَطَ عَنْ دَابَّتِهِ، فَحَدَثَ بِأَنْفِهِ مَا حَدَثَ[1].

وقيلَ: مَا رَأَيْتُ أَعْرَضَ زَنْدًا[2] مِنَ الْحَسَنِ، كان عَرْضُهُ شِبْرًا.

وُلِدَ لِسَنَتَيْنِ بَقِيَتَا مِنْ خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَتُوُفِّيَ بِالْبَصْرَةِ مُسْتَهَلَّ رَجَبٍ سَنَةَ عَشْرٍ وَمِئَةٍ، ومَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ بَعْدَهُ بِمِئَةِ يَوْمٍ، وَلَمْ يَشْهَدِ ابْنُ سِيرِينَ جَنَازَتَهُ لِشَيْءٍ كَانَ بَيْنَهُمَا[3].

وكانَ وَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ مِنْ تَلَامِذَتِهِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ سَبَبُ اعْتِزَالِهِ عَنْ مَجْلِسِهِ. وَمِنْ جُمْلَةِ تَلَامِذَتِهِ مَعْبَدُ الْجُهَنِيُّ، وصَارَ هُوَ رَئِيسَ أَهْلِ الِاعْتِزَالِ بَعْدَ الْحَسَنِ، وَصَارَ إِمَامَ الْمُعْتَزِلَةِ بَعْدَ وَاصِلٍ.

وِمنْهُمْ أَبُو عُثْمَانَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ الْمُتَكَلِّمُ الْمُعْتَزِلِيُّ الزَّاهِدُ الْمَشْهُورُ، وَكَانَ آدَمَ مَرْبُوعًا، بَيْنَ عَيْنَيْهِ أَثَرُ السُّجُودِ. أَخَذَ عِلْمَ الْأُصُولِ أَوَّلًا عَنْ أَبِي هَاشِمِ ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ، ثُمَّ آخِرًا عَنْ وَاصِلٍ. وَأَخَذَ الْفِقْهَ وَالْحَدِيثَ عَنِ الْحَسَنِ.

كانَ عَمْرٌو مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِأَمْرِ الدِّينِ، إِلَّا أَنَّ النَّاسَ لا يَرْضَوْنَ بِاجْتِهَادِهِ لِاعْتِزَالِهِ. وَكَانَ إِمَامًا مُجْتَهِدًا، صَلَّى الْفَجْرَ بِوُضُوءِ الْعِشَاءِ أَرْبَعِينَ عَامًا، وَحَجَّ أَرْبَعِينَ سَنَةً مَاشِيًا، وكانَ يُحْيِي لَيْلَهُ فِي رَكْعَةٍ وَاحِدَةٍ.

---

(1) وفيات الأعيان: 2/ 70.

(2) الزند: موصل طرف الذراع في الكف وهما زندان: الكوع والكرسوغ. اللسان/ زند.

(3) المعارف: 1/ 441، ووفيات الأعيان: 2/ 70.

وُلِدَ سَنَةَ ثَمَانِينَ، **وَتُوُفِّيَ** سَنَةَ اثْنَتَيْنِ أَوْ ثَلاثٍ أَوْ أَرْبَعٍ أَوْ ثَمَانٍ وأَرْبَعِينَ وَمِئَةٍ.

ولَهُ: **"كِتَابُ التَّفْسِيرِ"** عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، وَكِتَابُ **"الرَّدُّ عَلَى الْقَدَرِيَّةِ"**، وَكَلَامٌ كَثِيرٌ في الْعَدْلِ وَالتَّوْحِيدِ[1].

وَمِنْ أَئِمَّةِ الْمُعْتَزِلَةِ، **أَبُو مَرْوَانَ غَيْلَانُ بْنُ مُسْلِمٍ الدِّمَشْقِيُّ**، مِنَ أَصْحابِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ فِي الْفِقْهِ، وَلَهُ أَتْبَاعٌ يُقَالُ لَهُمْ: الْغَيْلَانِيَّةُ. كانَ قِبْطِيًّا قَدَرِيًّا، لَمْ يَتَكَلَّمْ أَحَدٌ فِي الْقَدَرِ قَبْلَهُ وَدَعَا إِلَيْهِ إِلَّا مَعْبَدُ الْجُهَنِيُّ.

قالَ الْأَوْزَاعِيُّ: أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ فِي الْقَدَرِ مَعْبَدُ الْجُهَنِيُّ ثُمَّ غَيْلَانُ بَعْدَهُ. وَأَخَذَ غَيْلَانَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فَصَلَبَهُ بِبَابِ دِمَشْقَ. يُقَالُ: إِنَّ ذَلِكَ بِدَعْوَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَهَؤُلاءِ مِنْ مَشَاهِيرِ أَئِمَّةِ الْمُعْتَزِلَةِ[2].

وَهَكَذَا أَخَذَ مَذْهَبَ الِاعْتِزَالِ خَلَفٌ عَنْ سَلَفٍ، إِلَى أَنْ حدث **أَبُو عَلِيٍّ الْجُبَّائِيُّ**، وَهُوَ **مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ سَلَّامِ بْنِ خَالِدِ بْنِ جمْرَانَ بْنِ أَبَانَ**. وَجَمْرَانُ مَوْلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ.

وأَبُو عَلِيٍّ الْجُبَّائِيُّ أَحَدُ أَئِمَّةِ الْمُعْتَزِلَةِ، أَخَذَ عِلْمَ الْكَلَامِ عَنْ أَبِي يُوسُفَ يَعْقُوبَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الشَّحَّامِ الْبَصْرِيِّ، رَئِيسِ الْمُعْتَزِلَةِ في عَصْرِهِ بِالْبَصْرَةِ.

وُلِدَ الْجُبَّائِيُّ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَمِئَتَيْنِ. **وَتُوُفِّيَ** سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِمِئَةٍ[3].

---

(1) وفيات الأعيان: 3/ 460.

(2) المعارف لابن قتيبة: 1/ 484.

(3) وفيات الأعيان: 2/ 267.

وَأَخَذَ عِلْمَ الْكَلَامِ عَنِ الْجُبَّائِيِّ، شَيْخُ السُّنَّةِ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ الْبَصْرِيُّ مُقْتَدِي طَرِيقَةِ[1] أَهْلِ السُّنَّةِ والْجَمَاعَةِ، إِمَامُ الْمُتَكَلِّمِينَ، وَنَاصِرُ سُنَّةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَالذَّابُّ عَنِ الدِّين الْمَتِينِ، وَالسَّاعِي في حِفْظِ عَقَائِدِ الْمُسْلِمِينَ. وقد مَرَّ نُبَذٌ مِنْ مَنَاقِبِهِ فِيمَا سَبَقَ.

وَدَامَ هذا الْإِمَامُ على مَذْهَبِ الِاعْتِزَالِ مُدَّةَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَمَّا أَرَادَ اللهُ تَعَالَى نَصْرَ دِينِهِ، أَلْهَمَهُ طَرِيقَ الْحَقِّ في رُؤْيَاهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، كَمَا عَرَفْتَ تَفْصِيلَهُ، فَقَامَ بِنُصْرَةِ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ في حُدُودِ الثَّلَاثِمِئَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، حَتَّى إِنَّهُ تَنَاظَرَ[2] مَعَ الْجُبَّائِيِّ يَوْمًا، وسَأَلَهُ عَنْ ثَلَاثَةِ إِخْوَةٍ مَاتُوا، الْأَكْبَرُ مِنْهُمْ مُؤْمِنٌ بَرٌّ تَقِيٌّ، وَالْأَوْسَطُ كَافِرٌ فَاسِقٌ شَقِيٌّ، وَالْأَصْغَرُ مَاتَ عَلَى الصِّغَرِ، وَلَمْ يَبْلُغِ الْحُلُمَ.

فَقَالَ الْجُبَّائِيُّ: أمَّا الزَّاهِدُ فَفِي الدَّرَجَاتِ، وأمَّا الْكَافِرُ فَفِي الدَّرَكَاتِ، بِنَاءً على أَنَّ ثَوَابَ الْمُطِيعِ وَعِقَابَ الْعَاصِي وَاجِبَانِ على اللهِ تعالَى عِنْدَهُمْ، وأَمَّا الصَّغيرُ فَمِنْ أَهْلِ السَّلَامَةِ، لَا يُثَابُ، وَلَا يُعَاقَبُ.

فَقَالَ الْأَشْعَرِيُّ: إِنْ طَلَبَ الصَّغِيرُ دَرَجَاتِ أَخِيهِ الْأَكْبَرِ في الْجَنَّةِ [هَلْ يُؤْذَنُ لَهُ؟][3].

قَالَ الْجُبَّائِيُّ: لا، لِأَنَّهُ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: الدَّرَجَاتُ ثَمَرَةُ الطَّاعَاتِ.

---

(1) طريق، في قونية.

(2) ناظر، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(3) ما بين معقوفين زيادة من أنطاليا.

قالَ الْأَشْعَرِيُّ: فإِنْ قالَ الصَّغِيرُ: لَيْسَ مِنِّي النَّقْصُ وَالتَّقْصِيرُ، فَإِنَّكَ إِنْ أَبْقَيْتَنِي إِلَى أَنْ أَكْبَرَ لَأَطَعْتُكَ وَدَخَلْتُ الْجَنَّةَ.

قالَ الْجُبَّائِيُّ: يَقُولُ الْبَارِي تَعَالَى: قَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ مِنْكَ أَنَّكَ لَوْ بَقِيتَ لَعَصَيْتَ، وَدَخَلْتَ الْعَذابَ الْأَلِيمَ، فِي دَرَكَاتِ الْجَحِيمِ، فكانَ الْأَصْلَحُ لَكَ أَنْ تَمُوتَ صَغِيرًا.

فَقَالَ الْأَشْعَرِيُّ: إِنْ قَالَ الْعَاصِي الْمُقِيمُ فِي الْعَذَابِ الْأَلِيمِ، مُنَادِيًا مِنْ بَيْنِ دَرَكَاتِ النَّارِ وَأَطْبَاقِ الْجَحِيمِ: يَا إِلَهَ الْعَالَمِينَ، وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، لِمَ رَاعَيْتَ مَصْلَحَةَ أَخِي دُونِي، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْأَصْلَحَ لِي أَنْ أَمُوتَ صَغِيرًا، وَلَا أَصِيرَ فِي السَّعِيرِ أَسِيرًا، فَمَاذَا يَقُولُ الرَّبُّ؟ فَبُهِتَ الْجُبَّائِي فِي الْحَالِ، وَانْقَطَعَ عَنِ الْجِدَالِ[1].

إِذَا عَرَفْتَ هذا التَّفْصِيلَ، فَاعْلَمْ أَنَّ مَبْدَأَ شُيُوعِ الْكَلَامِ، كانَ بِأَيْدِي الْمُعْتَزِلَةِ وَالْقَدَرِيَّةِ، فِي حُدُودِ الْمِئَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ. وَقَدْ ثَبَتَ فِي التَّوَارِيخِ الصِّحَاحِ، أَنَّ إِحْيَاءَ طَرِيقَةِ السُّنَّةِ والْجَمَاعَةِ، كانَ فِي حُدُودِ الثَّلَاثِمِئَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، لِأَنَّ ظُهُورَ الِاعْتِزَالِ، كانَ مِنْ جِهَةِ وَاصِلِ بْنِ عَطَاءٍ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَمِئَةٍ، وَوِلَادَتُهُ فِي سَنَةِ ثَمَانِينَ، فَيَصِيرُ زَمَانُ طَلَبِهِ الْعِلْمَ، وَقُدْرَتُهُ على الِاجْتِهَادِ، فِي حُدُودِ الْمِئَةِ تَقْرِيبًا.

---

(1) الخبر في وفيات الأعيان: 4/ 267.

وَظَهَرَ أَيْضًا مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، بِالسَّعْيِ الْجَمِيلِ، وَالْإِقْدَامِ الْمَشْكُورِ، مِنْ جِهَةِ أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ، فِي حُدُودِ الثَّلَاثِمِئَةِ، إذ كانتْ وِلَادَتُهُ سَنَةَ سِتِّينَ وَمِئَتَيْنِ، وَدَامَ على الِاعْتِزَالِ أَرْبَعِينَ سَنَةً. فَيَكُونُ عِلْمُ الْكَلَامِ بِأَيْدِي الْمُعْتَزِلَةِ مِئَتَيْ سَنَةٍ، مَا بَيْنَ الْمِئَةِ وَالثَّلَاثِمِئَةِ.

وَقَدْ صَحَّ فِي كُتُبِ التَّوَارِيخِ الْمُعْتَمَدِ عَلَيْهَا، أَنَّ وِلَادَةَ أَبِي حَنِيفَةَ سَنَةَ ثَمَانِينَ، وَوَفَاتَهُ سَنَةَ خَمْسِينَ وَمِئَةٍ، فَتَكُونُ مُدَّةُ عُمُرِهِ فِي زَمَنِ شُيُوعِ الاعْتِزَالِ. وَكَذَا مُدَّةُ عُمُرِ أَبِي يُوسُفَ، وَمُحَمَّدٍ، لِأَنَّ أَبَا يُوسُفَ، وُلِدَ سنةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَمِئَةٍ، وتُوُفِّيَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَمِئَةٍ. وَمُحَمَّدًا وُلِدَ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَمِئَةٍ، ومَاتَ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَمِئَةٍ، وَهُوَ ابْنُ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً.

وكَذَا مَوْلِدُ الْإِمَامِ مَالِكٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ، أَوْ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ، أَوْ سَنَةَ تِسْعِينَ، وَتُوُفِّيَ سَنةَ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَمِئَةٍ، وَلَهُ أَرْبَعٌ وَثَمَانُونَ، أَوْ تِسْعُونَ سَنَةً.

وَكَذَا مَوْلِدُ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ سَنةَ خَمْسِينَ وَمِئَةٍ، وقِيلَ: وُلِدَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ الْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ، وَتُوُفِّيَ آخِرَ يَوْمٍ مِنْ رَجَبٍ سنَةَ أَرْبَعٍ وَمِئَتَيْنِ.

وكذا الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وُلِدَ سنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَمِئَةٍ، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَمِئَتَيْنِ.

فَظَهَرَ مِنْ هَذَا التَّفْصِيلِ، أَنَّ وَاحِدًا مِنْهُمْ لَمْ يَبْلُغْ زَمَنَ ظُهُورِ الْكَلَامِ بِأَيْدِي أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، بَلْ مَضَتْ مُدَّتُهُمْ زَمَنَ ظُهُورِ الِاعْتِزَالِ. وَلَعَلَّ اللهَ

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدَّرَ وُجُودَهُمْ فِي زَمَنِ أَرْبَابِ الْأَهْوَاءِ، لِيَنْدَفِعَ[1] بِنُورِهِمْ ظُلَمُ الْبِدَعِ عَنِ الدِّينِ، وَيَمْتَازَ بِحُسْنِ شَعَائِرِهِمْ أَرْكَانُ الشَّرْعِ وَأَسَاسُ الْيَقِينِ، سِيَّمَا وَقَدْ وَقَعَ بِشْرُ بْنُ غِيَاثٍ الْمَرِيسِيُّ[2]، وَهُوَ الَّذِي جَدَّدَ الْقَوْلَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وكانَ يَقُولُ بِالْإِرْجَاءِ مِنْ تَلَامِذَةِ أَبِي يُوسُفَ.

وكَانَ مُسْلِمُ بْنُ خَالِدٍ[3]، الَّذِي هُوَ مِنْ مَشَايِخِ الشَّافِعِيِّ بِمَكَّةَ، كانَ مِنْ تَلَامِذَةِ غَيْلَانَ بْنِ مُسْلِمٍ الَّذِي هُوَ رَئِيسُ أَهْلِ الِاعْتِزَالِ كَمَا مَرَّ.

وَأَيْضًا كانَ حَفْصٌ الْفَرْدُ، الَّذِي هُوَ مِنْ ضُلَّالِ أَهْلِ الِاعْتِزَالِ، مُنَاظِرًا لَهُ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ، وَلَا سِيَّمَا قَدْ جَرَى عَلَى أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَاقِعَةٌ عَظِيمَةٌ، فِي سَنَةِ الدَّاهِيَةِ الدَّهْيَاءِ، وَالْمُصِيبَةِ الْعَمْيَاءِ، مِنْ جِهَةِ الْأُمَّةِ النَّكْرَاءِ.

وكانَ ذلِكَ بِسَبَبِ إِلْقَاءِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دُؤَادٍ[4] لِلْمَأْمُونِ الْقَوْلَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَحَسَّنَهُ عِنْدَهُ، وَأَرَاهُ إِيَّاهُ حَقًّا، حتَّى تَبِعَهُ الْمَأْمُونُ، وَأَقَامُوا فِتْنَةً عَظِيمَةً سَنَةَ ثَمَانَ عَشْرَةَ وَمِئَتَيْنِ، فَأَجَابَهُ طَائِفَةٌ خَوْفًا مِنَ السَّيْفِ؛ مِنْهُمْ يَحْيَى

---

(1) يدفع في قونية وأنطاليا ورئيس الكتاب.

(2) بشر بن غياث بن أبي كريمة المريسي العدوي، الفقيه، المتكلم، المعتزلي كان أبوه يهوديا. (ت.218هـ). سير أعلام النبلاء: 10/ 199.

(3) مسلم بن خالد أبو خالد الزِّنْجِيُّ المكِّيُّ، الفقيه، مولى بني مخزوم (ت. 180هـ). تاريخ الإسلام: 4/ 742.

(4) أحمد بن أبي دؤاد بن حريز أبو عبد الله الإيادي قاضي القضاة (ت. 240هـ). المصدر نفسه: 5/ 233.

ابْنُ مَعِينٍ[1]، وَامْتَنَعَ آخَرُونَ؛ مِنْهُمْ: أَحْمَدُ بْنُ نَصْرٍ الْخُزَاعِيُّ[2] حَتَّى قَتَلُوهُ، وَالْإِمامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ حَتَّى ضَرَبُوهُ بِالسِّيَاطِ.

وَسَتَعْرِفُ تَفْصِيلَ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

وَلَوْ رَأَتْ هَذِهِ الْأَئِمَّةُ أَبَا الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيَّ، أَوْ سَمِعُوا مَقَالَتَهُ، لَأَنْزَلُوهُ مَنْزِلَةَ أَحَبِّ أَبْنَائِهِمْ، وَجَعَلُوا اتِّبَاعَ طَرِيقَتِهِ أَسَاسَ إِيمَانِهِمْ، فَضْلًا عَنِ الْإِنْكَارِ، وَالْعُدُولِ عَنْ فَضِيلَةِ الْإِقْرَارِ.

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى حَقِّيَّةِ[3] مَذْهَبِهِ ارْتِضَاءُ مَنْ يَخْلُفُ بَعْدَهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْفُضَلَاءِ. أَسَاطِينُ الْحِكْمَةِ وَرُؤَسَاءُ الْكَلَامِ، بَلِ الْمَشَايِخُ الْعَارِفُونَ مِنْ أَهْلِ التَّصْفِيَةِ والذَّوْقِ. وَلَمْ يُنْقَلْ عَنْ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلاءِ مِنْ مَبْدَإِ ظُهُورِ الْأَشْعَرِيِّ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا، وَهُوَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعُونَ وَتِسْعُمِئَةٍ مِنَ الْهِجْرَةِ، إِنْكَارُ شَيْءٍ مِنْ مَذْهَبِهِ وَلَوْ فِي شَيْءٍ قَلِيلٍ. ولا شَكَّ أَنَّ اتِّفَاقَ الْأُمَّةِ ـ وَالْمُدَّةُ هَذِهِ ـ عَلَى الضَّلَالِ، مِنْ قَبِيلِ الْمُمْتَنِعِ وَالْمُحَالِ.

وَإِنَّمَا الْعَجَبُ مِنْ بَعْضِ الْفُقَهَاءِ، حَيْثُ رَأَى الْإِنْكَارَ عَنِ السَّلَفِ الْأَبْرَارِ، وَجَعَلَ الْإِنْكَارَ لَازِمًا لِعِلْمِ الْكَلَامِ، وَلَمْ يَعْرِفْ تَفَاوُتَ الْأَحْكَامِ بِتَفَاوُتِ

(1) يحيى بن معين بن عون بن زياد المري، الإمام الحافظ المتقن، (ت.233هـ)، روى عنه أحمد ابن حنبل. تاريخ الإسلام:16/ 263.

(2) أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي، قتل في خلافة الواثق سنة: 231هـ. المصدر نفسه:6/ 397.

(3) حقيقة، في الأزهرية.

الْأَحْوَالِ وَالْأَعْوَامِ، حَتَّى إِنَّ بَعْضًا مِنْهُمْ حَكَمُوا بِأَنَّ الْعُلَمَاءَ إِذَا أُطْلِقُوا لَمْ يَدْخُلْ فِيهِمْ عُلَمَاءُ الْكَلامِ. وَهَذَا الْقَائِلُ إِنْ أَرَادَ أَنَّ الْمُتَبَادِرَ مِنَ الْإِطْلَاقِ فِي الْعُرْفِ هُوَ الْفُقَهَاءُ لا غَيْرُ فَذَاكَ، وإِلَّا فَإِنْ أَرَادَ بِأَنَّهُمْ لَيْسُوا بِعُلَمَاءَ على التَّحْقِيقِ، فَقَدْ عَدَلَ عَنْ سَوَاءِ الطَّرِيقِ.

وَكَيْفَ لا يُعَدُّ الْبَاحِثُ عَنِ اللهِ وَصِفَاتِهِ، وَأَحْوَالِ النُّبُوَّةِ وَالْمَعَادِ، عَلَى قَانُونِ الْإِسْلَامِ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَهُمْ يَعُدُّونَ الْبَاحِثَ عَنْ أَحْوَالِ الْمُكَلَّفِينَ مِنْهُمْ، مَعَ أَنَّ التَّفَاوُتَ بَيْنَهُمَا مِنْ أَيْنَ إِلَى أَيْنَ، سِيَّمَا وَقَدْ نَقَلَ ابْنُ السُّبْكِيِّ عَنْ وَالِدِهِ: «مِنْ أَنَّ الصَّوابَ دُخُولُ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي الْعُلَمَاءِ، إِذا كَانُوا مُتكَلِّمِينَ على قَوَانِينِ الشَّرْعِ، وأَيْضًا حَكَمَ بِدُخُولِ الصُّوفِيِّ فِي الْعُلَمَاءِ، إِذَا كانَ كَذَلِكَ، وَقَالَ: وَهَذَا هُوَ الرَّأْيُ السَّدِيدُ عِنْدَنا»[1].

فَإِنْ قُلْتَ: السُّبْكِيُّ شَافِعِيٌّ، **قُلْتُ**: هذه الْمَسْأَلَةُ لَيْسَتْ مِمَّا يَتعَلَّقُ بِالْخِلَافِيَّاتِ.

وَإِذَا انْتَهَى الْكَلَامُ إِلَى هَذَا الْمَقَامِ، فَلَا عَلَيْنَا أَنْ نَذْكُرَ مِمَّا جَرَى مِنَ الْمِحْنَةِ بِسَبَبِ مَسْأَلَةِ خَلْقِ الْقُرْآنِ، لِأَنَّ ذلِكَ مُصِيبَةٌ عَظِيمَةٌ في الدِّينِ، يَكُونُ ذِكْرُهَا عِظَةً عَظِيمَةً لِلْمُعْتَبِرِينَ، وَمُوجِبًا لِازْدِيَادِ صَبْرِ الْمِحَنِ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَبَاعِثًا لِشُكْرِهِمْ على مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الِابْتِلَاءِ.

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: 1/ 117.

كَانَ الْقَاضِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُؤَادٍ، مِمَّنْ نَشَأَ فِي الْعِلْمِ، وَتَضَلَّعَ بِعِلْمِ الْكَلَامِ، وَصَحِبَ فِيهِ هَيَّاجَ بْنَ الْعَلَاءِ السُّلَمِيَّ، صَاحِبَ وَاصِلِ بْنِ عَطَاءٍ، أَحَدَ رُؤَسَاءِ الْمُعْتَزِلَةِ. وكانَ ابْنُ أَبِي دُؤَادٍ رَجُلًا فَصِيحًا.

قالَ أَبُو الْعَيْنَاءِ: مَا رَأَيْتُ رَئِيسًا قَطُّ أَفْصَحَ وَلَا أَنْطَقَ مِنْهُ. كانَ كَرِيمًا مَمْدُوحًا، وكانَ مُعَظَّمًا عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَأْمُونِ، يَقْبَلُ شَفَاعَاتِهِ، وَيُصْغِي إِلَى كَلَامِهِ وَأَخْبَارِهِ، فَدَسَّ ابْنُ أَبِي دُؤَادٍ لِلْمَأْمُونِ الْقَوْلَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَحَسَّنَهُ عِنْدَهُ، وَصَيَّرَهُ يَعْتَقِدُهُ حَقًّا مُبِينًا، إِلى أَنْ أَجْمَعَ رَأْيَهُ فِي سَنَةِ ثَمَانَ عَشْرَةَ وَمِئَتَيْنِ على الدُّعَاءِ إِلَيْهِ، وَقَدْ كانَ ابْتَدَأَ بِالْكَلَامِ فِيهَا فِي سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ، وَلَكِنْ لَمْ يُصَمِّمْ. فَكَتَبَ إِلَى نَائِبِهِ عَلَى بَغْدَادَ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخُزَاعِيِّ، ابْنِ عَمِّ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ فِي امْتِحَانِ الْعُلَمَاءِ، كِتَابًا يَقُولُ فِيهِ: وقَدْ عَرَفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَّ الْجُمْهُورَ الأَعْظَمَ، وَالسَّوَادَ الْأَكْبَرَ، مِنْ حَشْوِ الرَّعِيَّةِ، وَسَفِلَةِ الْعَامَّةِ، مِمَّنْ لَا نَظَرَ لَهُ وَلَا رُؤْيَةَ، وَلَا اسْتِضَاءَةَ بِنُورِ الْعِلْمِ وَبُرْهَانِهِ، أَهْلُ جَهَالَةٍ بِاللهِ وَعَمًى عَنْهُ، وَضَلَالَةٍ عَنْ حَقِيقَةِ دِينِهِ، وَقَصَّرُوا[1] أَنْ يَقْدُرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ، وَيَعْرِفُوهُ كُنْهَ مَعْرِفَتِهِ، وَيُفَرِّقُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ سَاوَوْا بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، وَبَيْنَ مَا أَنْزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ، فَأَطْبَقُوا على أَنَّهُ قَدِيمٌ لَمْ يَخْلُقْهُ اللهُ وَلَمْ يَخْتَرِعْهُ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنـًا عَرَبِيًّا﴾[2]، فَكُلُّ مَا جَعَلَهُ اللهُ فَقَدْ خَلَقَهُ، كَمَا قَالَ: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ

(1) وقصدوا، في رئيس الكتاب ومراد ملا.

(2) سورة الزخرف الآية: 3.

وَالنُّورَ﴾[1] وَقَالَ: ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾[2]. فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَصَصٌ لِأُمُورٍ أَحْدَثَهَا بَعْدَهَا. وَقالَ: ﴿أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾[3]، واللهُ مُحْكِمُ كِتَابِهِ ومُفَصِّلُهُ، فَهُوَ خَالِقُهُ وَمُبْتَدِعُهُ.

ثُمَّ انْتَسَبُوا إِلى السُّنَّةِ، وَأَنَّهُم أَهْلُ الْحَقِّ وَالْجَمَاعَةِ، وَأَنَّ مَنْ سِوَاهُمْ أَهْلُ الْبَاطِلِ وَالْكُفْرِ، فَاسْتَطَالُوا بِذَلِكَ، وَأَغْرَوْا بِهِ الْجُهَّالَ، حَتَّى مَالَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ السَّمْتِ الْكَاذِبِ، وَالتَّخَشُّعِ لِغَيْرِ اللهِ إِلَى مُوَافَقَتِهِمْ، فَنَزَعُوا الْحَقَّ إِلَى بَاطِلِهِمْ، وَاتَّخَذُوا دُونَ اللهِ وَلِيجَةً إِلَى ضَلَالِهِمْ.

إِلَى أَنْ قالَ: فَرَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ أُولَئِكَ شَرُّ الْأُمَّةِ، الْمَنْقُوصُونَ حَظًّا[4]، أَوْعِيَةُ الْجَهَالَةِ، وأَعْلَامُ الْكَذِبِ، وَلِسَانُ إِبْلِيسَ النَّاطِقِ في أَوْلِيَائِهِ، الصَّائِلِ عَلَى أَعْدَائِهِ مِنْ أَهْلِ دِينِ اللهِ. وأَحَقُّ أنْ يُتَّهَمَ في صِدْقِهِ، وتُطْرَحَ شَهَادَتُهُ، ولا يُوثَقَ بِهِ، مَنْ عَمِيَ عَنْ رُشْدِهِ وَحَظِّهِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ، وكانَ عَمَّا سِوَى ذَلِكَ أَعْمَى وَأَضَلَّ سَبِيلًا.

وَلَعَمْرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ: إِنَّ أَكْذَبَ النَّاسِ مَنْ كَذَبَ عَلَى اللهِ وَوَحْيِهِ، وَتَخَرَّصَ الْبَاطِلَ وَلَمْ يَعْرِفِ اللهَ حَقِيقَةَ مَعْرِفَتِهِ. فَاجْمَعْ مَنْ بِحَضْرَتِكَ مِنَ الْقُضَاةِ، فَاقْرَأْ عَلَيْهِمْ كِتَابَنَا، وَامْتَحِنْهُمْ فِيمَا يَقُولُونَ، [وَاكْشِفْهُمْ عَمَّا

(1) سورة الأنعام الآية: 1.

(2) سورة طه الآية: 99.

(3) سورة هود الآية: 1.

(4) المبغوضون حظا، في رئس الكتاب وأنطاليا. المبغوضون ضنكا، في عاطف أفندي.

يَعْتَقِدُونَ فِي خَلْقِ اللهِ وَإِحْدَاثِهِ، وَأَعْلِمْهُمْ أَنِّي غَيْرُ مُسْتَعِينٍ فِي عَمَلٍ وَلَا وَاثِقٍ][1] بِمَنْ لَا يُوثَقُ بِدِينِهِ. فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ وَوَافَقُوا، فَاكْتُبْ إِلَيْنَا ذَلِكَ.

وَكَتَبَ الْمَأْمُونُ إِلَيْهِ أَيْضًا فِي إِشْخَاصِ سَبْعَةِ أَنْفُسٍ؛ وَهُمْ: مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ كَاتِبُ الْوَاقِدِيِّ، وَيَحْيَى بْنُ مَعِينٍ، وَأَبُو خَيْثَمَةَ، وَأَبُو مُسْلِمٍ مُسْتَمْلِي يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ دَاوُدَ، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي مَسْعُودٍ، وَأَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّوْرَقِيُّ. فَأُشْخِصُوا إِلَيْهِ، وَامْتَحَنَهُمْ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، فَأَجَابُوهُ، فَرَدَّهُمْ مِنَ الرَّقَّةِ[2] إِلَى بَغْدَادَ.

وَسَبَبُ طَلَبِهِمْ أَنَّهُمْ تَوَقَّفُوا أَوَّلًا، ثُمَّ أَجَابُوهُ تَقِيَّةً، وَكَتَبَ إِلَى إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ أَنْ يُحْضِرَ الْفُقَهَاءَ وَمَشَايِخَ الْحَدِيثِ، وَيُخْبِرَهُمْ بِمَا أَجَابَ هَؤُلَاءِ السَّبْعَةُ، فَفَعَلَ ذَلِكَ، فَأَجَابَهُ طَائِفَةٌ، وَامْتَنَعَ آخَرُونَ، فَكَانَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ وَغَيْرُهُ يَقُولُونَ: أَجَبْنَا خَوْفًا مِنَ السَّيْفِ.

ثُمَّ كَتَبَ الْمَأْمُونُ أُخْرَى، وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ مَنِ امْتَنَعَ، فَأُحْضِرَ جَمَاعَةٌ؛ مِنْهُمْ: أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَبِشْرُ بْنُ الْوَلِيدِ الْكِنْدِيُّ، وَأَبُو حَسَّانَ الزِّيَادِيُّ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي مُقَاتِلٍ، وَالْفَضْلُ بْنُ غَانِمٍ، وَعُبَيْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ، وَعَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ، وَسَجَادَةُ، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ نُوحٍ الْعِجْلِيُّ، وَيَحْيَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعُمَرِيُّ، وَأَبُو نَصْرٍ التَّمَّارُ، وَمُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمِ بْنِ مَيْمُونٍ وَغَيْرُهُمْ، فَعُرِضَ عَلَيْهِمْ

---

(1) ما بين معقوفين سقط من أنطانيا.

(2) الرَّقَّةُ: مدينة مشهورة على الفرات. معجم البلدان: 3/ 59.

كِتَابُ الْمَأْمُونِ، وَلَمْ يُجِيبُوا وَلَمْ يُنْكِرُوا، وَلَمَّا أَلَحُّوا عَلَيْهِمْ قَالُوا: كَلَامُ اللهِ، وَلَا نَزِيدُ عَلَى هَذَا، وقالَ بَعْضُهُمْ: الْقُرْآنُ مَجْعُولٌ وَمُحْدَثٌ. وَقالَ إِسْحَاقُ: وَالْمَجْعُولُ مَخْلُوقٌ، قال: نَعَمْ، قالَ: فَالْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ، قالَ: لَا أَقُولُ مَخْلُوقٌ.

ثُمَّ وَجَّهَ بِجَوَابَاتِهِمْ إِلَى الْمَأْمُونِ، فَوَرَدَ عَلَيْهِ كِتَابُ الْمَأْمُونِ: بَلَغَنَا مَا أَجَابَ بِهِ مُتَصَنِّعَةُ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وَمُلْتَمِسُوا الرِّئَاسَةِ، فِيمَا لَيْسُوا لَهُ بِأَهْلٍ، فَمَنْ لَمْ يُجِبْ أَنَّهُ مَخْلُوقٌ، فَامْنَعْهُ مِنَ الْفَتْوَى وَالرِّوَايَةِ، وَيَقُولُ فِي الْكِتَابِ: وَأَمَّا بِشْرٌ وَابْنُ الْمَهْدِيِّ إِنْ أَجَابَا وَتَابَا، فَأَشْهَرَا أَمْرَهُمَا، وَإِلَّا فَاضْرِبْ عُنُقَهُمَا، وَمَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ شِرْكِهِ مِمَّنْ عَدَاهُمَا، فَاحْمِلْهُمْ مُوثَقِينَ إِلَى عَسْكَرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَسْأَلَهُمْ، فَإِنْ لَمْ يَرْجِعُوا، احْمِلْهُمْ عَلَى السَّيْفِ.

قالَ: فَأَجَابُوا كُلُّهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ، إِلَّا أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، وَسَجَادَةَ، وَمُحَمَّدَ بْنَ نُوحٍ، وَالْقَوَارِيرِيَّ، فَقَيَّدُوا، ثُمَّ سَأَلَهُمْ إِسْحَاقُ مِنَ الْغَدِ، فَأَجَابَ سَجَادَةُ، ثُمَّ عَاوَدَهُمْ ثَالِثًا، فَأَجَابَ الْقَوَارِيرِيُّ، وَوَجَّهَ بِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَمُحَمَّدِ بْنِ نُوحٍ إِلَى طَرَسُوسَ، فَبَلَغَهُمْ وَفَاةُ الْمَأْمُونِ.

وَمَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ نُوحٍ فِي الطَّرِيقِ، وَسَلِمَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، إِلَّا أَنَّ الْمَأْمُونَ قَدْ كَتَبَ وَصِيَّةً ضَمَّنَهَا تَحْرِيضَ الْخَلِيفَةِ بَعْدَهُ عَلَى حَمْلِ الْخَلْقِ عَلَى الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ. ثُمَّ تُوُفِّيَ فِي رَجَبٍ، وَدُفِنَ بِطَرَسُوسَ، وَاسْتَقَلَّ الْمُعْتَصِمُ بِالْخِلَافَةِ، فكانَ مِنْ سَعَادَةِ الْمَأْمُونِ مَوْتُهُ قَبْلَ أَنْ يَحْضُرَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ إِلَى بَيْنَ يَدَيْهِ، فَلَمْ يَكُنْ ضَرْبُهُ عَلَى يَدَيْهِ.

قالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: تبَيَّنْتُ الْإِجَابَةَ فِي دَعْوَتَيْنِ، دَعْوَتِي أَنْ لَا يَجْمَعَ اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْمَأْمُونِ، وَكَانَ كَذَلِكَ، وَدَعْوَتِي أَنْ لا أَرَى الْمُتَوَكِّلَ فَكَانَ كَذَلِكَ.

وَلَمَّا أُحْضِرَ أَحْمَدُ دَارَ الْخِلَافَةِ لِيُحَدِّثَ وَلَدَ الْمُتَوَكِّلِ، قَعَدَ الْمُتَوَكِّلُ فِي خَوْخَةٍ[1] حَتَّى نَظَرَ إِلَى أَحْمَدَ، وَلَمْ يَرَهُ أَحْمَدُ[2].

قيلَ: أَوَّلُ مَنِ امْتُحِنَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ عُثْمَانُ بْنُ مُسْلِمٍ الْحَافِظُ، وَلَمَّا امْتَنَعَ قِيلَ لَهُ: قَدْ قَطَعْنَا عَطَاءَكَ، وَكَانَ أَلْفَ دِرْهَمٍ في كُلِّ شَهْرٍ، فَقَالَ: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[3]. وَكَانَتْ عِنْدَهُ عَائِلَةٌ كَبِيرَةٌ، فَدَقَّ عَلَيْهِ الْبَابَ دَاقٌّ في ذلِكَ الْيَوْمِ لَا يُعْرَفُ، وقالَ: خُذْ هَذِهِ الْأَلْفَ، وَلَكَ عِنْدِي أَلْفٌ كُلَّ شَهْرٍ يَا أَبَا عُثْمَانَ، ثَبَّتَكَ اللهُ كَمَا ثَبَّتَ الدِّينَ.

قالَ أَحْمَدُ: فَلَمَّا كانَ رَمَضَانُ سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ، حَبَسَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ فِي دَارِهِ، ثُمَّ نَقَلَنِي بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى حَبْسِ الْعَامَّةِ، فَمَكَثْتُ فِيهِ نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِينَ شَهْرًا، ثُمَّ حُمِلْتُ إِلَى دَارِ إِسْحَاقَ، فَقَالَ: يَا أَحْمَدُ، وَاللهِ لَا يَقْتُلُكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِالسَّيْفِ، وَلَكِنْ آلَى إِنْ لَمْ تُجِبْهُ، أَنْ يَضْرِبَكَ ضَرْبًا بَعْدَ ضَرْبٍ، وَأَنْ يَقْتُلَكَ في مَوْضِعٍ لَا تُرَى فِيهِ شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ.

قال: فَسَكَتُّ، ثُمَّ صِرْنَا إِلَى الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِبَابِ الْبُسْتَانِ، وَحُمِلْتُ عَلَى دَابَّةٍ، فَكِدْتُ أَخِرُّ على وَجْهِي غَيْرَ مَرَّةٍ، لِثِقْلِ الْقُيُودِ عَلَيَّ، فَأُدْخِلْتُ

---

(1) الخوخة: كوة في البيت تؤدي إليه الضوء. اللسان/ خوخ.

(2) الخبر في طبقات الشافعية الكبرى: 2/ 37 - 44.

(3) سورة الذاريات الآية: 22.

حُجْرَةً، وَأُدْخِلْتُ إِلَى بَيْتٍ، وأُقْفِلَ الْبَابُ عَلَيَّ، وذلكَ في جَوْفِ اللَّيْلِ، ولَيْسَ في الْبَيْتِ سِرَاجٌ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَمَسَّحَ لِلصَّلَاةِ، فَمَدَدْتُ يَدِيَ، فَإِذَا بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ وَطَسْتٌ مَوْضُوعٌ، فتَوَضَّأْتُ وَصَلَّيْتُ. فَلَمَّا كانَ مِنَ الْغَدِ أَخْرَجْتُ تِكَّتِي[1] مِنْ سَرَاوِيلِي، وَشَدَدْتُ بِهَا الْأَقْيَادَ أَحْمِلُهَا وَعَطَفْتُ سَرَاوِيلِي، فَجَاءَ رَسُولُ الْمُعْتَصِمِ فَأَخَذَ بِيَدِي، وَأَدْخَلَنِي عَلَيْهِ وَالتِّكَّةُ فِي يَدِي، فَإِذا هُوَ جَالِسٌ، وَابْنُ أَبِي دُؤَادٍ حَاضِرٌ مَعَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ.

قالَ لِي ـ يَعْنِي الْمُعْتَصِمَ ـ: أُدْنُه أُدْنُه، فَلَمْ يَزَلْ يُدْنِينِي حَتَّى قَرُبْتُ مِنْهُ، ثُمَّ قالَ لِي: اجْلِسْ، فَجَلَسْتُ، ثُمَّ دَعَانِي إِلَى الْبِدْعَةِ، وَطَالَ الْكَلَامُ بَيْنَنَا.

وَبِالْجُمْلَةِ دَعَا الْمُعْتَصِمُ أَحْمَدَ مَرَّتَيْنِ فِي مَجْلِسَيْنِ، وَهُوَ يَدْعُوهُ إِلَى الْبِدْعَةِ، وَأَحْمَدُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَأْبَى عَلَيْهِ أَشَدَّ الْإِبَاءِ، وَالْكَلَامُ فِيهِ يَطُولُ.

قالَ أَحْمَدُ: وَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الثَّالِثَةُ، طَلَبْتُ مِنْ بَعْضِ الْمُوَكَّلِينَ بِي خَيْطًا، فَشَدَدْتُ بِهِ الْأَقْيَادَ، وَرَدَدْتُ التِّكَّةَ إِلَى سَرَاوِيلِي، فَقُلْتُ: خَلِيقٌ أَنْ يَحْدُثَ غَدًا مِنْ أَمْرِي شَيْءٌ، فَأَتَوْا، فَأُدْخِلْتُ فِي الْغَدِ دَارًا غَاصَّةً بِالنَّاسِ، ثُمَّ إِلَى أُخْرَى، ثُمَّ إِلَى أُخْرَى، فَإِذَا هُنَاكَ قَوْمٌ مَعَهُمُ السُّيُوفُ، وَقَوْمٌ مَعَهُمُ السِّيَاطُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ، فَجَعَلُوا يُنَاظِرُونِي، وَجَعَلَ يَتَكَلَّمُ هَذَا، وَأَرُدُّ عَلَيْهِ، ثُمَّ، وَثُمَّ، وَجَعَلَ صَوْتِي يَعْلُو أَصْوَاتَهُمْ. ثُمَّ أَمَرَ الْمُعْتَصِمُ فَسُحِبْتُ، ثُمَّ خَلَعْتُ، فَوَجَدُوا في كُمِّي شَيْئًا فِيهِ شَعْرُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرْتُهُمْ

(1) التِّكَّةُ والجمع تِكَكٌ: وهي رباط السراويل.

بِهِ، فَأَرَادَ الْقَوْمُ خَرْقَ قَمِيصِي، فَمَنَعَ الْمُعْتَصِمُ، فَنَزَعُوهُ لِذَلِكَ الشَّعْرِ، ثُمَّ جِيءَ بِالْعُقَابَيْنِ[1] وَالسِّيَاطِ.

قيلَ: فَلَمَّا رَأَى الْمُعْتَصِمُ ثُبُوتَهُ وَصَلَابَتَهُ فِي أَمْرِهِ، لَانَ في أَمْرِهِ، حتَّى أَغْرَاهُ ابْنُ أَبِي دُؤَادٍ، وقالَ: إِنْ تَرَكْتَهُ قِيلَ: إِنَّكَ تَرَكْتَ مَذْهَبَ الْمَأْمُونِ، وَسَخِطْتَ قَوْلَهُ، فَهَاجَهُ ذَلِكَ عَلَى ضَرْبِهِ، فَضَرَبَهُ بِالسِّيَاطِ سَوْطَيْنِ، ثُمَّ يَتَنَحَّى، وَيَتَقَدَّمُ الْآخَرُ، وَيَضْرِبُهُ سَوْطَيْنِ، كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ أَحْمَدُ: شُدَّ قَطَعَ اللهُ يَدَكَ وَهَكَذَا، حَتَّى ضَرَبُوا تِسْعَةَ عَشَرَ سَوْطًا، فقامَ الْمُعْتَصِمُ، فَقَالَ: يَا أَحْمَدُ، عَلَامَ تَقْتُلُ نَفْسَكَ؟ إِنِّي واللهِ عَلَيْكَ لَشَفِيقٌ، وَجَعَلَ بَعْضُ النَّاسِ يَقُولُ: أَتُرِيدُ أَنْ تَغْلِبَ هَؤُلَاءِ كُلَّهُمْ؟ وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ: مَنْ صَنَعَ مِنْ أَصْحَابِكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ مَا تَصْنَعُ؟!

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: اقْتُلْهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، دَمُهُ فِي عُنُقِي، كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ أَحْمَدُ: أَعْطُونِي شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَجَعَ الْمُعْتَصِمُ وَجَلَسَ، وَقَالَ لِلْجَلَّادِ: تَقَدَّمْ وَأَوْجِعْ، قَطَعَ اللهُ يَدَكَ، ثُمَّ قَامَ الثَّانِيَةَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: وَيْحَكَ يَا أَحْمَدُ أَجِبْنِي، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَعْطُونِي شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللهِ، فَرَجَعَ، وَقَالَ لِلْجَلَّادِينَ: تَقَدَّمُوا، فَجَعَلَ الْجَلَّادُ يَتَقَدَّمُ وَيَضْرِبُهُ سَوْطَيْنِ وَيَتَنَحَّى، وَفِي خِلَالِ ذَلِكَ يَقُولُ الْمُعْتَصِمُ: شُدَّ قَطَعَ اللهُ يَدَكَ.

قَالَ ابْنُهُ صَالِحٌ: قَالَ أَبِي: فَذَهَبَ عَقْلِي فَأَفَقْتُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَإِذَا الْأَقْيَادُ قَدْ أُطْلِقَتْ عَنِّي، وَأَتَوْنِي بِسَوِيقٍ، فَقِيلَ لِي: اِشْرَبْ وَتَقَيَّأْ، فَقُلْتُ: لَا أُفْطِرُ، ثُمَّ

---

(1) العقابان: خشبتان يشد الرجل بينهما أثناء ضربه. اللسان/ عقب.

جِيءَ بِي إِلَى دَارِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، فَحَضَرَتْ صَلَاةُ الظُّهْرِ، فَتَقَدَّمَ ابْنُ سَمَاعَةَ وَصَلَّى، فَلَمَّا انْفَتَلَ[1] مِنَ الصَّلَاةِ، قالَ: صَلَّيْتَ وَالدَّمُ يَسِيلُ فِي ثَوْبِكَ؟! فَقُلْتُ: قَدْ صَلَّى عُمَرُ وَجُرْحُهُ يَثْعَبُ[2] دَمًا.

قالَ ابْنُهُ صَالِحٌ: ثُمَّ خُلِّيَ عَنْ أَبِي، فَصَارَ إِلَى مَنْزِلِهِ، وَكَانَ مُكْثُهُ فِي السِّجْنِ وَضَرْبُهُ إِلَى أَنْ خُلِّيَ عَنْهُ ثَمَانِيَةً وَعِشْرِينَ شَهْرًا.

رُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا ضُرِبَ سَوْطًا قَالَ: بِسْمِ اللهِ، فَلَمَّا ضُرِبَ الثَّانِيَ قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَلَمَّا ضُرِبَ الثَّالِثَ قالَ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، فَلَمَّا ضُرِبَ الرَّابِعَ قَالَ: قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا، فَضَرَبَهُ تِسْعَةً وَعِشْرِينَ سَوْطًا، وَكَانَتْ تِكَّةُ أَحْمَدَ حَاشِيَةَ ثَوْبٍ فَانْقَطَعَتْ، فَرَمَى بِطَرْفِهِ إِلى السَّمَاءِ، وَحَرَّكَ شَفَتَيْهِ، فَمَا كَانَ بِأَسْرَعَ مِنْ ثُبُوتِ السَّرَاوِيلِ عَلَى حَالَتِهِ لَمْ يَتَزَحْزَحْ.

قَالَ الرَّاوِي: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، فَسَأَلْتُهُ: مَا الَّذِي قُلْتَ حِينَ حَرَّكْتَ شَفَتَيْكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي مَلَأْتَ بِهِ الْعَرْشَ، إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي عَلَى الصَّوَابِ فَلَا تَهْتِكْ لِي سِتْرًا. وَفِي رِوَايَةٍ قالَ: قُلْتُ: إِلَهِي وَسَيِّدِي، وَقَفْتَنِي هَذَا الْمَوْقِفَ فَلَا تَهْتِكْنِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ.

وَرُوِيَ أَنَّهُ كَانَ كُلَّمَا ضُرِبَ سَوْطًا أَبْرَأَ ذِمَّةَ الْمُعْتَصِمِ، فَسُئِلَ فقالَ: كَرِهْتُ أَنْ آتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالَ: هَذَا غَرِيمُ ابْنِ عَمِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ

---

(1) انفتل عن حاجته: انصرف عنها. اللسان/ فتل.

(2) ثعب الماءَ والدَّمَ ونحوهما يَثْعَبُهُ ثَعْبًا: فجره. اللسان/ ثعب.

رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَهَذَا مُخْتَصَرٌ مِنْ حَالِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي الْمِحْنَةِ[1].

وَأَمَّا الْأُسْتَاذُ أَحْمَدُ بْنُ نَصْرٍ الْخُزَاعِيُّ، ذُو الْجَنَانِ وَاللِّسَانِ وَالثَّبَاتِ عِنْدَ اضْطِرَابِ الْمُهَنَّدِ وَالسِّنَانِ، كَانَ شَيْخًا جَلِيلًا قَوَّالًا بِالْحَقِّ، أَمَّارًا بِالْمَعْرُوفِ، نَهَّاءً عَنِ الْمُنْكَرِ، وَكَانَ مِنْ أَوْلَادِ الْأُمَرَاءِ، وَكَانَتْ مِحْنَتُهُ عَلَى يَدِ الْوَاثِقِ.

قَالَ لَهُ: مَا تَقُولُ فِي الْقُرْآنِ؟ قَالَ: كَلَامُ اللهِ، وَأَصَرَّ عَلَى ذَلِكَ غَيْرَ مُتَلَعْثِمٍ، فَقَالَ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ: هُوَ حَلَالُ الدَّمِ، فَقَالَ ابْنُ أَبِي دُؤَادٍ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، شَيْخٌ مُخْتَلٌّ، لَعَلَّ بِهِ عَاهَةً وَتَغَيُّرَ عَقْلٍ، يُؤَخَّرُ أَمْرُهُ، وَيُسْتَتَابُ، فَقَالَ الْوَاثِقُ: مَا أَرَاهُ إِلَّا مُؤْذِنًا لِكُفْرِهِ، قَائِمًا بِمَا يَعْتَقِدُهُ مِنْهُ، ثُمَّ دَعَا بِالصَّمْصَامَةِ[2]، وَقَالَ: إِذَا قُمْتُ إِلَيْهِ فَلَا يَقُومَنَّ أَحَدٌ مَعِي، فَإِنِّي أَحْتَسِبُ خُطَايَ إِلَى هَذَا الْكَافِرِ الَّذِي يَعْبُدُ رَبًّا لَا نَعْبُدُهُ، وَلَا نَعْرِفُهُ بِالصِّفَةِ الَّتِي وَصَفَهُ بِهَا. ثُمَّ أَمَرَ بِالنِّطْعِ[3]، وَأُجْلِسَ عَلَيْهِ وَهُوَ مُقَيَّدٌ، وَأَمَرَ بِشَدِّ رَأْسِهِ بِحَبْلٍ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَمُدُّوهُ، وَمَشَى إِلَيْهِ فَضَرَبَ عُنُقَهُ، وَأَمَرَ بِحَمْلِ رَأْسِهِ إِلَى بَغْدَادَ، فَنُصِبَ بِالْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ أَيَّامًا، وَفِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ أَيَّامًا، وَتَتَبَّعَ رُؤُوسَ أَصْحَابِهِ فَسُجِنُوا.

قَالَ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَرْبِيُّ: سَمِعْتُ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ الصَّائِغَ يَقُولُ: رَأَيْتُ رَأْسَ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرٍ بَعْدَ ضَرْبِ عُنُقِهِ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

---

(1) نقل قصة محنة ابن حنبل كاملة مع تصرف في سردها من طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: 2/ 37-57.

(2) الصمصامة: سيف صارم لا ينثني، وقيل: اسم للسيف القاطع. اللسان/ صمم.

(3) النِّطْعُ: من الأدم معروف، وهو جلد يبسط عند قطع الرأس.

رُوِيَ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ سَعِيدٍ يَقُولُ: لَمْ يَصْبِرْ فِي الْمِحْنَةِ إِلَّا أَرْبَعَةٌ كُلُّهُمْ مِنْ أَهْلِ مَرْوَ: أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَأَحْمَدُ بْنُ نَصْرٍ الْخُزَاعِيُّ الْمَضْرُوبُ عُنُقُهُ، وَمُحَمَّدُ بْنُ نُوحِ بْنِ مَيْمُونٍ الْمَضْرُوبُ، وَنُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ، قَدْ مَاتَ فِي السِّجْنِ مُقَيَّدًا.

وَهَذِهِ نُسْخَةُ الرُّقْعَةِ الْمُعَلَّقَةِ فِي أُذُنِ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَالِكٍ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. هَذَا رَأْسُ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَالِكٍ، دَعَاهُ عَبْدُ اللهِ الْإِمَامُ هَارُونُ، وَهُوَ الْوَاثِقُ بِاللهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، إِلَى الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَنَفْيِ التَّشْبِيهِ، فَأَبَى إِلَّا الْمُعَانَدَةَ، فَعَجَّلَهُ اللهُ إِلَى نَارِهِ. وَكَتَبَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ.

وَمَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ نُوحٍ فِي فِتْنَةِ الْمَأْمُونِ، وَالْمُعْتَصِمُ ضَرَبَ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، وَالْوَاثِقُ قَتَلَ أَحْمَدَ بْنَ نَصْرِ بْنِ مَالِكٍ، وَكَذَلِكَ نُعَيْمَ بْنَ حَمَّادٍ.

وَلَمَّا جلسَ الْمُتَوَكِّلُ، دَخَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ يَحْيَى الْمَكِّيُّ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا رُئِيَ أَعْجَبَ مِنْ أَمْرِ الْوَاثِقِ، قَتَلَ أَحْمَدَ بْنَ نَصْرٍ، وكانَ لِسَانُهُ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ إلى أَنْ دُفِنَ. قال: فَوَجَدَ الْمُتَوَكِّلُ مِنْ ذَلِكَ، وَسَاءَهُ مَا سَمِعَهُ فِي أَخِيهِ، إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الزَّيَّاتُ، فقالَ لَهُ: يَا ابْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ، فِي قَلْبِي مِنْ قَتْلِ أَحْمَدَ بْنَ نَصْرٍ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَحْرَقَنِي اللهُ بِالنَّارِ إِنْ قَتَلَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْوَاثِقُ إِلَّا كَافِرًا. وَقَالَ هَرْثَمَةُ[1]:

(1) هرثمة بن نصر الجيلي أو الجبلي، كان واليا أميرا جليلا، ولي إمرة مصر، توفي سنة: 234هـ. النجوم الزاهرة: 2/ 265.

قَطَّعَنِي اللهُ إِرْبًا إِرْبًا إِنْ قَتَلَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْوَاثِقُ إِلَّا كَافِرًا. وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُؤَادٍ: ضَرَبَنِي اللهُ بِالْفَالِجِ إِنْ قَتَلَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْوَاثِقُ إِلَّا كَافِرًا.

قالَ الْمُتَوَكِّلُ: أَمَّا ابْنُ الزَّيَّاتِ فَأَنَا أَحْرَقْتُهُ بِالنَّارِ، وَأَمَّا هَرْثَمَةُ فَاجْتَازَ بِقَبِيلَةِ خُزَاعَةَ، فعَرَفَهُ رَجُلٌ فقَالَ: يَا مَعْشَرَ خُزَاعَةَ، هذا الَّذِي قتَلَ أَحْمَدَ بْنَ نَصْرٍ، فَقَطَّعُوهُ إِرْبًا إِرْبًا، وَأَمَّا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُؤَادٍ فَقَدْ سَجَنَهُ اللهُ فِي جِلْدِهِ.

وَقَدْ طَالَ أَمْرُ هَذِهِ الْفِتْنَةِ، وَطَارَ شَرَرُهَا، وَاسْتَمَرَّ مِنْ سَنَةِ ثَمَانَ عَشْرَةَ وَمِئَتَيْنِ إِلَى سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَمِئَتَيْنِ، فَرَفَعَهَا الْمُتَوَكِّلُ، وَنَهَى عَنِ الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى الْآفَاقِ، وَتَوَفَّرَ دُعَاءُ الْخَلْقِ لَهُ، وَبَالَغُوا فِي الثَّنَاءِ عَلَيْهِ، وَالتَّعْظِيمِ لَهُ، حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ: الْخُلَفَاءُ ثَلَاثَةٌ: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ يَوْمَ الرِّدَّةِ، وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي رَدِّ الْمَظَالِمِ، وَالْمُتَوَكِّلُ فِي إِحْيَاءِ السُّنَّةِ.

وَمِنْ جُمْلَةِ أَسْبَابِ رَفْعِ الْفِتْنَةِ، أَنَّ الْوَاثِقَ أُتِيَ بِشَيْخٍ مُقَيَّدٍ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي دُؤَادٍ: يَا شَيْخُ، مَا تَقُولُ فِي خَلْقِ الْقُرْآنِ؟ قالَ: هَذَا الَّذِي تَقُولُ، شَيْءٌ عَلِمَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَوْ جَهِلُوهُ؟ فَقَالَ: بَلْ عَلِمُوهُ، فقالَ: فَهَلْ دَعَوْا إِلَيْهِ النَّاسَ كَمَا دَعَوْتَهُمْ أَنْتَ أَوْ سَكَتُوا؟ قال: بَلْ سَكَتُوا، قال: فَهَلْ وَسِعَكَ مَا وَسِعَهُمْ مِنَ السُّكُوتِ؟ فَسَكَتَ ابْنُ أَبِي دُؤَادٍ، وَأَعْجَبَ الْوَاثِقَ كَلَامُهُ، وَأَمَرَ بِإِطْلَاقِ سَبِيلِهِ. وَقَامَ الْوَاثِقُ مِنْ مَجْلِسِهِ وَهُوَ يَقُولُ: فَهَلْ وَسِعَكَ مَا وَسِعَهُمْ، يُكَرِّرُ هَذِهِ الْكَلِمَةَ.

وَلَكِنْ كَانَ رَفْعُ الْفِتْنَةِ بِالْكُلِّيَةِ في يَدِ الْمُتَوَكِّلِ كَمَا أَنَّ ابْتِدَاءَهَا فِي يَدِ الْمَأْمُونِ[1].

يُقالُ: إِنَّ الْمَأْمُونَ، وَهُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ هَارُونَ الرَّشِيدِ، كانَ مُعْتَنِيًا بِالْفَلْسَفَةِ وَعُلُومِ الْأَوَائِلِ، وَمَهَرَ فِيهَا، فَجَرَّهُ ذَلِكَ إِلى الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَإِلَّا فَهُوَ بَارِعٌ فِي الْفِقْهِ وَالْعَرَبِيَّةِ وَأَيَّامِ النَّاسِ، وَكَانَ ذَا حَزْمٍ وَعَزْمٍ وَعِلْمٍ وَحِلْمٍ، وَدَهَاءٍ وَذَكَاءٍ، وَهَيْبَةٍ وَفِطْنَةٍ، وَسَمَاحَةٍ وَفَصَاحَةٍ، وَدِينٍ وَشَرْعٍ مَتِينٍ.

قِيلَ: خَتَمَ في رَمَضَانَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ خَتْمَةً، وَحَدَّثَ يَوْمًا فِي الْمنْبَرِ نَحْوَ ثَلَاثِينَ حَدِيثًا بِسَنَدِهِ، ثُمَّ قالَ لِيَحْيَى بْنِ أَكْثَمَ: يَا يَحْيَى، إِنَّمَا الْمَجَالِسُ لِأَصْحَابِ الْخُلْقَانِ[2] وَالْمَحَابِرِ.

وَكَانَ كَثِيرَ الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ. وكانَ يَقُولُ: لَوْ عَرَفَ النَّاسُ حُبِّي لِلْعَفْوِ، لَتقَرَّبُوا إِلَيَّ بِالْجَرَائِمِ، وَأَخَافُ أَنْ لَا أُوْجَرَ فِيهِ، يَعْنِي أَنَّ الْعَفْوَ كَانَ طَبْعًا لَهُ.

وَلَسْنَا نَسْتَوْعِبُ تَرْجَمَةَ الْمَأْمُونِ في هَذِهِ الْأَوْرَاقِ، مَعَ أَنَّ كِتَابَنَا غَيْرُ مَوْضُوعٍ لَهُ، إِلَّا أَنَّهُ كانَ دَخِيلًا في عِلْمِ الْأَوَائِلِ، فَجَرَّهُ نَقْصُهُ فِيهِ إِلى الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَجَرَّهُ قِلَّةُ مَعْرِفَتِهِ بِالْفِقْهِ إِلَى إِبَاحَةِ مُتْعَةِ النِّسَاءِ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَرْجِعْ عَنِ الْأَوَّلِ، وَرَجَعَ عَنِ الثَّانِي، بِإِرْشَادِ يَحْيَى بْنِ أَكْثَمَ رَحِمَهُ اللهُ إِلَى حَدِيثٍ يَرْوِيهِ عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنِ ابْنَي ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ عَنْ أَبِيهِمَا مُحَمَّدٍ، عَنْ

(1) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: 2/ 51-55.

(2) الْخُلْقَانُ جَمْعُ خَلَقٍ، يقال: ثوب خَلَقٌ ومِلْحَفَةٌ خلقةٌ. يعني الطلبة الغرباء المحتاجون.

عَلِيٍّ، «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ مُتْعَةِ النِّسَاءِ يَوْمَ خَيْبَرَ»[1]. فَلَمَّا صَحَّحَ لَهُ الْحَدِيثَ رَجَعَ إِلَى الْحَقِّ.

وَمَاتَ الْمَأْمُونُ غَازِيًا إِلى أَرْضِ الرُّومِ فِي سَنَةِ ثَمَانَ عَشْرَةَ وَمِئَتَيْنِ.

وَاسْتَقَلَّ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَهُ أَخُوهُ الْمُعْتَصِمُ بِاللهِ مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ الرَّشِيدِ، وَكَانَ مَلِكًا شُجَاعًا بَطَلًا مَهِيبًا، وَهُوَ الَّذِي فَتَحَ عَمُّورِيَّةَ، وَقَدْ كانَ الْمُنَجِّمُونَ قَضَوْا بِأَنَّهُ لَا يَفْتَحُ، وَانْتَصَرَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، وَأَنْشَدَ فِيهِ أَبُو تَمَّامٍ قَصِيدَةً أَوَّلُهَا:

[البسيط]

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الْكُتُبِ ... فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ[2]
بِيضُ الصَّفَائِحِ لَاسُودُ الصَّحَائِفِ فِي ... مُتُونِهِنَّ جَلَاءُ الشَّكِّ وَالرِّيَبِ
وَالْعِلْمُ فِي شُهُبِ الْأَرْمَاحِ لَامِعَةً ... بَيْنَ الْخَمِيسَيْنِ لَا فِي السَّبْعَةِ الشُّهُبِ
أَيْنَ الرِّوَايَةُ أَمْ أَيْنَ النُّجُومُ وَمَا ... صَاغُوهُ مِنْ زُخْرُفٍ فِيهَا وَمِنْ كَذِبِ
تِسْعُونَ أَلْفًا كَآسَادِ الشَّرَى نَضِجَتْ ... جُلُودُهَا قَبْلَ نُضْجِ التِّينِ وَالْعِنَبِ

وَكَانَ الْمُعْتَصِمُ شُجَاعًا مَهِيبًا، ذَا أَمْوَالٍ وَخُيُولٍ وَكَثْرَةِ الْعَسَاكِرِ، حتَّى ضَاقَتْ عَنْهَا بَغْدَادُ، فَبَنَى سُرَّ مَنْ رَأَى، وَانْتَقَلَ إِلَيْهَا بِالْعَسَاكِرِ، وَكَانَ عَدَدُ غِلْمَانِهِ الْأَتْرَاكِ فَقَطْ يَبْلُغُ سَبْعَةَ عَشَرَ أَلْفًا. مَاتَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَمِئَتَيْنِ.

---

(1) صحيح البخاري: 5/ 135 رقم: 4216، وصحيح مسلم: 2/ 1027 رقم: 1407.
(2) الأبيات في الديوان بشرح الخطيب التبريزي: 1/ 40 و69.

وَوَلِيَ بَعْدُ ابْنُهُ الْوَاثِقُ بِاللهِ أَبُو جَعْفَرٍ هَارُونُ بْنُ الْمُعْتَصِمِ بْنِ الرَّشِيدِ، وَكَانَ مَلِيحَ الشِّعْرِ، وَشَدَّدَ فِي الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَكَيْفَ لَا يُشَدِّدُ الْمِسْكِينُ إِذْ رَأَى قَاضِيًا كَأَحْمَدَ بْنِ أَبِي دُؤَادٍ يُصِرُّ على ذَلِكَ، حَتَّى بَذَلَ فِيهِ دِينَهُ وَإِسْلَامَهُ.

فَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عُلَمَاءِ السُّوءِ، وَإِنَّمَا يُتْلِفُ السَّلَاطِينَ فَسَقَةُ الْفُقَهَاءِ، فَإِنَّ الْفُقَهَاءَ مَا بَيْنَ صَالِحٍ وَطَالِحٍ، فَالصَّالِحُ غَالِبًا لَا يَتَرَدَّدُ إِلَى أَبْوَابِ الْمُلُوكِ، وَالطَّالِحُ يَتَرَدَّدُ إِلَيْهِمْ، وَيَجْرِي مَعَهُمْ عَلَى أَهْوَائِهِمْ، وَيُهَوِّنُ عَلَيْهِمْ الْعَظَائِمَ، وَهُوَ عَلى النَّاسِ شَرٌّ مِنْ أَلْفِ شَيْطَانٍ. كَمَا أَنَّ صَالِحَ الْفُقَهَاءِ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ. وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ الْمَسَاكِينَ بَاعُوا الدِّينَ بِالدُّنْيَا، وَبَدَّلُوا الْإِسْلَامَ بِالْهَوَى، وَمِثْلُ هَؤُلَاءِ كَثِيرٌ فِي كُلِّ زَمَانٍ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ. فَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ أَمْثَالِهِمْ، وَإِلَى اللهِ تَعَالَى أَتَبَرَّأُ مِنْ أَحْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ.

وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ تَعْرِيفَ عِلْمِ الْكَلَامِ، وَالْفَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِلْمِ الْحِكْمَةِ، وَأَنَّهُ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَاتِ، وَالْقَائِلُونَ بِحُرْمَتِهِ أَوْ كَرَاهَتِهِ أَرَادُوا غَيْرَ هَذَا الْفَنِّ الَّذِي قَدِ اشْتَهَرَ بِالْكَلَامِ فِي زَمَانِهِمْ، وَعَرَفْتَ مَا وَقَعَ فِي خَلْقِ الْقُرْآنِ وَقِدَمِهِ مِنَ الْفِتَنِ وَالْمِحَنِ، فَلَا عَلَيْنَا أَنْ نَذْكُرَ هَا هُنَا نُبَذًا مِنَ الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَةِ فِي هَذَا الْفَنِّ.

مِنْهَا: **"قَوَاعِدُ الْعَقَائِدِ"**، وَ**"التَّجْرِيدُ"**، كِلَاهُمَا لِخَوَاجَةَ نَصِيرِ الدِّينِ الطُّوسِيِّ[1]، وَقَدْ عَرَفْتَهُ.

---

(1) محمد بن محمد بن حسن الشيخ نصير الدين، أبو عبد الله الطوسي الفيلسوف (ت.672هـ). تاريخ الإسلام: 15/ 252، سمى كتابه **"تجريد العقائد"** وفي كشف الظنون: 1/ 346 سماه: **"تجريد الكلام"**. والكتاب مطبوع.

وَعَلَى التَّجْرِيدِ شُرُوحٌ مِنْهَا: "شَرْحُ شَمْسِ الدِّينِ الْأَصْفَهَانِيِّ"[1]، وسَتَعْرِفُ تَرْجَمَتَهُ، وَعَلَيْهِ حَوَاشٍ لِابْنِ الْمُطَهَّرِ الْحِلِيِّ[2]، ثُمَّ لِلْفَاضِلِ الشَّرِيفِ الْجُرْجَانِيِّ[3]. وَمِنْ شُرُوحِهِ: "شَرْحُ أَكْمَلِ الدِّينِ"، وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُمْ. وَمِنْ شُرُوحِهِ: "شَرْحُ مَوْلَانَا عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْقَوْشَجِيِّ السَّمَرْقَنْدِيِّ[4]". وَعَلَيْهِ حَوَاشٍ لِمَوْلَانَا جَلالِ الدِّينِ الدَّوَّانِيِّ[5]، وَلِلسَّيِّدِ صَدْرِ الدِّينِ الشِّيرَازِيِّ، ثُمَّ دَارَ الْكَلَامُ بَيْنَهُمَا مِرَارًا، وَرَتَّبُوا حَوَاشِيَ [أَطْوَارًا][6] يَعْرِفُهَا أَهْلُهَا.

وَمِنْهَا: "الطَّوَالِعُ"[7] لِلْبَيْضَاوِيِّ، وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ.

---

(1) سماه في كشف الظنون: 1/ 346 : "**تشييد القواعد في شرح تجريد العقائد**" وطبع بعنوان: "**تسديد القواعد في شرح تجريد العقائد**".

(2) الحسن أو (الحسين) بن يوسف بن المطهر الحلي المعتزلي جمال الدين الشيعي، صاحب المؤلفات الغزيرة، (ت.726هـ). الدرر الكامنة: 2/ 188، لعله يقصد شرحه المسمى: "**كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد**"، وهو مطبوع.

(3) علي بن محمد بن علي الحنفي الشريف الجرجاني، تصانيفه مفيدة، توفي بشيراز سنة: 816هـ. بغية الوعاة:2/ 196. طبعت حاشيته مع الشرح المذكور.

(4) علي بن محمد القَوْشَجِي علاء الدين السمرقندي، الحنفي (ت879هـ). البدر الطالع: 1/ 495. طبع شرحه بعنوان: "**شرح تجريد العقائد**" واشتهر بالشرح الجديد.

(5) محمد بن أسعد الملقب بجلال الدين الدواني عالم العجم بأرض فارس، صاحب المصنفات (ت.918هـ). الضوء اللامع: 10/ 104. ورد في كشف الظنون: 1/ 349، أنها اشتهرت بـ "**الحاشية القديمة الجلالية**"، وله حاشية أخرى رَدَّ فيها على اعتراضات صدر الدين الشيرازي تعرف بـ "**الحاشية الجديدة الجلالية**".

(6) سقطت من مراد ملا.

(7) "**طوالع الأنوار من مطالع الأنظار**" لعبد الله بن عمر البيضاوي (ت. 685هـ). الكتاب مطبوع.

وَعَلَيْهِ شُرُوحٌ أَفْضَلُهَا وَأَحْسَنُهَا: **"شَرْحُ شَمْسِ الدِّينِ الأَصْبَهَانِيِّ"**[1] وَهُوَ مَحْمُودُ بْنُ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَصْبَهَانِيُّ، الشَّيْخُ شِهَابُ الدِّينِ أَبُو الثَّنَاءِ، وُلِدَ بِأَصْبَهَانَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَسِتِّمِئَةٍ، وَبَرَعَ فِي فُنُونِ الْعَقْلِيَّاتِ، وَقَدِمَ دِمَشْقَ، وَدَرَّسَ بِالرَّوَاحِيَّةِ[2]، ثُمَّ قَدِمَ مِصْرَ، وَدَرَّسَ بِالْمُعِزِّيَّةِ[3]، وَأَقَامَ بِهَا إِلَى حِينِ وَفَاتِهِ.

وَلَهُ التَّصَانِيفُ الْكَثِيرَةُ؛ مِنْهَا: **"شَرْحُ مُخْتَصَرِ ابْنِ الْحَاجِبِ"**، وَ**"شَرْحُ الطَّوَالِعِ"**، و**" شَرْحُ الْمَطَالِعِ"**، وَ**" نَاظِرَةُ الْعَيْنِ"**، وَغَيْرُهَا، وَشَرَعَ فِي تَفْسِيرٍ كَبِيرٍ لَمْ يُتِمَّهُ.

قَالَ ابْنُ السُّبْكِيِّ فِي طَبَقَاتِهِ الْكُبْرَى: أَوْقَفَنِي عَلَى بَعْضِهِ[4].

وَلَهُ: **"شَرْحُ الْبَدِيعِ"**[5] لِلسَّاعَاتِيِّ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ.

تُوُفِّيَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِئَةٍ بِطَاعُونِ مِصْرَ[6].

---

(1) عنوان شرحه: **"مطالع الأنظار على متن طوالع الأنوار"** لشمس الدين الأصبهاني (ت.749هـ). وهو مطبوع.

(2) المدرسة الرواحية شرقي مسجد ابن عروة بالجامع الأموي، بانيها زكي الدين أبو القاسم التاجر المعروف بابن رواحة. الدارس في تاريخ المدارس: 1/ 199.

(3) المدرسة المعزية: بناها الملك المعز أيبك التركماني، برحبة الخروب بالفسطاط في القاهرة. صبح الأعشى: 3/ 498.

(4) طبقات الشافعية الكبرى: 10/ 384.

(5) لم يذكر له هذا المؤلَّف ابن السبكي في طبقاته الكبرى، وذكره له الصفدي في أعيان العصر وأعوان النصر: 5/ 403. والكتاب المشروح هو: **"بَدِيعُ النِّظَامِ الجامعِ بينَ كِتَابَي البَزْدَوِيِّ والأحكَامِ" في أصول الفقه**، لمظفر الدين ابن الساعاتي.

(6) طبقات الشافعية الكبرى: 10/ 383 ـ 384.

وَمِنْهَا: "**الْمُحَصَّلُ**" و "**الأَرْبَعِين**"، كِلاهُمَا لِلْإِمَامِ الرَّازِي، وقد مَرَّ ذِكْرُهُ.

وَمِنْهَا: "**لُبَابُ الْأَرْبَعِين**": لِلْأُرْمَوِيِّ، وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ.

وَمِنْهَا: "**نِهَايَةُ الْعُقُولِ**" لِلْإِمَامِ الرَّازِيِّ أَيْضًا.

وَمِنْهَا: "**الصَّحَائِفُ**"[1] لِلسَّمَرْقَنْدِيِّ، وَلَمْ أَقِفْ عَلَى تَرْجَمَتِهِ.

وَمِنْهَا: "**أَبْكَارُ الْأَفْكَارِ**" لِلْآمِدِيِّ، وَهُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَالِمٍ التَّغْلَبِيُّ، الْإِمَامُ أَبُو الْحَسَنِ السَّيْفُ الْآمِدِيُّ الْمَشْهُورُ، صَاحِبُ "**أَبْكَارُ الْأَفْكَارِ**" فِي عِلْمِ الْكَلَامِ، وَصَاحِبُ "**إِحْكَامُ الْأَحْكَامِ**" في أُصُولِ الْفِقْهِ.

وُلِدَ بِآمِدَ[2] بَعْدَ سَنَةِ خَمْسِينَ وَخَمْسِمِئَةٍ، قَرَأَ عَلَى مَشَايِخِ بَلَدِهِ الْفِقْهَ عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ، وَقَرَأَ بِهَا الْقِرَاءَاتِ، وَحَفِظَ كِتَابًا فِي مَذْهَبِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَرَحَلَ إِلَى الْعِرَاقِ، وَأَقَامَ فِي الطَّلَبِ بِبَغْدَادَ مُدَّةً، وَصَحِبَ أَبَا الْفَتْحِ ابْنَ الْمَنِّي الْحَنْبَلِيَّ[3]، وأخَذَ عَنْهُ عِلْمَ الْجَدَلِ وَالْمُنَاظَرَةِ، وَأَخَذَ عِلْمَ الْأَوَائِلِ مِنْ جَمَاعَةٍ مِنْ نَصَارَى الْكَرْخِ وَيَهُودِهَا وَتَظَاهَرَ بِذلِكَ، فَجَفَاهُ الْفُقَهَاءُ، وَتَحَامَوْهُ، وَوَقَعُوا فِي عَقِيدَتِهِ، وَفَرَّ مِنَ الْعِرَاقِ.

---

(1) يقصد: "**الصَّحَائِفُ الإلهيةُ**" لشمس الدين السمرقندي الماتريدي (ت. بعد 690هـ)، وهو كتاب في أصول الدين وعلم الكلام، وهو مطبوع.

(2) آمِد: بكسر الميم وهي من أعظم مدن ديار بكر وأجلها قدرا وأشهرها ذكرا، فتحت في سنة عشرين من الهجرة. معجم البلدان: 1/ 56.

(3) سيف الدين أبو المظفر محمد بن مقبل بن فتيان النهرواني ابن المني الحنبلي المفتي المسند (ت. 649). سير أعلام النبلاء: 23/ 235، والوافي بالوفيات: 6/ 142.

وَدَخَلَ مِصْرَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِئَةٍ، وَنَاظَرَ بِمِصْرَ وَحَاضَرَ، وَأَظْهَرَ بِهَا تَصَانِيفَهُ فِي عُلُومِ الْأَوَائِلِ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ تِلْكَ التَّصَانِيفَ وَتَصْنِيفَهُ فِي أُصُولِ الدِّينِ وَأُصُولِ الْفِقْهِ. ثُمَّ وَقَعَ التَّعَصُّبُ عَلَيْهِ، فَخَرَجَ مِنَ الْقَاهِرَةِ مُسْتَخْفِيًا، وَقَدِمَ إِلَى حَمَاة، ثُمَّ اسْتَوْطَنَ دِمَشْقَ، وَتَوَلَّى بِهَا التَّدْرِيسَ. ثُمَّ اتُّهِمَ بِأَنْ رَاسَلَ صَاحِبَ آمِدَ على أَنْ يَتَوَلَّى قَضَاءَ آمِدَ، فَرُفِعَتْ يَدُهُ عَنِ الْمَدْرَسَةِ وَتَعَطَّلَ، وَأَقَامَ بِمَنْزِلِهِ شُهُورًا قَلِيلَةً. وَمَاتَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَسِتِّمِئَةٍ، يُقَالُ إِنَّهُ حَفِظَ **الْوَسِيطَ**[1]، وَحَمَلَ عَنْهُ الْأَذْكِيَاءُ الْعِلْمَ، أُصُولًا وَكَلَامًا وَخِلَافًا، وَتَصَانِيفُهُ مَرْغُوبٌ فِيهَا، فَمِنْ ذَلِكَ، كِتَابُ "**الْبَاهِرُ فِي عِلْمِ الْأَوَائِلِ وَالْأَوَاخِرِ**"، خَمْسُ مُجَلَّدَاتٍ كِبَارٍ، وكِتَابُ "**أَبْكَارُ الْأَفْكَارِ**" فِي أُصُولِ الدِّينِ، أَرْبَعُ مُجَلَّدَاتٍ، وكِتَابُ "**الْحَقَائِقُ فِي عُلُومِ الْأَوَائِلِ**"، ثَلَاثُ مُجَلَّدَاتٍ، وَ"**كِتَابُ الْمَآخِذِ عَلَى الْإِمَامِ الرَّازِيِّ**" فِي شَرْحِ الْإِشَارَاتِ، مُجَلَّدٌ[2]. وَلَهُ "**الْمُنْتَهَى**"[3]، وَ"**مَنَائِحُ الْقَرَائِحِ**"، وَ"**شَرْحُ جَدَلِ الشَّرِيفِ**". وَلَهُ طَرِيقَةٌ فِي الْخِلَافِ، وَتَعْلِيقَةٌ حَسَنَةٌ. وَكَانَ يَعْرِفُ فِي الْخِلَافِ طَرِيقَةَ الشَّرِيفِ وَطَرِيقَةَ أَسْعَدَ الْمَيْهَنِيِّ[4]. وَكَانَ تَفَنَّنَ فِي عِلْمِ النَّظَرِ، وَتَصَانِيفُهُ فَوْقَ الْعِشْرِينَ، كُلُّهَا حَسَنَةٌ مُنَقَّحَةٌ.

---

(1) يقصد كتاب "**الْوَسِيطُ فِي الْفُرُوعِ**"، لأبي حامد الغزالي

(2) تاريخ بغداد: 14/ 50، وإخبار العلماء بأخبار الحكماء: 184.

(3) عنوان الكتاب هو: "**منتهى السول في علم الأصول**".

(4) أبو الفتح أسعد بن أبي نصر الْمَيْهَنِي الشافعي الإمام العلامة، صاحب التعليق توفي سنة: 527هـ. المنتظم: 10/ 13، ووفيات الأعيان: 1/ 207، وسير أعلام النبلاء: 19/ 633.

وَالْمَيْهَنِي نسبة إلى مَيْهَنَة من قرى خابران وهي ناحية بين أبيورد وسرخس. الأنساب: 12/ 537، ومعجم البلدان: 5/ 247.

وَيُحْكَى أَنَّ شَيْخَ الْإِسْلَامِ عِزَّ الدِّينِ بْنَ عَبْدِ السَّلَامِ قالَ: «مَا سَمِعْتُ أَحَدًا يُلْقِي الدَّرْسَ أَحْسَنَ مِنَ الْآمِدِيِّ، كَأَنَّهُ يَخْطُبُ.

وَقالَ: مَا عَلِمْنَا قَوَاعِدَ الْبَحْثِ إِلَّا مِنْ سَيْفِ الدِّينِ الْآمِدِيِّ.

وَقالَ: لَوْ وَرَدَ عَلَى الْإِسْلَامِ مُتَزَنْدِقٌ يُشَكِّكُ، مَا تَعَيَّنَ لِمُنَاظَرَتِهِ غَيْرُ الْآمِدِيِّ لِاجْتِمَاعِ أَهْلِيَّةِ ذَلِكَ فِيهِ»(1).

وَيُحْكَى أَنَّ الْآمِدِيَّ رَأَى فِي مَنَامِهِ حُجَّةَ الْإِسْلَامِ الْغَزَالِيَّ فِي تَابُوتٍ، وَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ وَقَبَّلَهُ، فَلَمَّا انْتَبَهَ، أَرَادَ أَنْ يَحْفَظَ شَيْئًا مِنْ كَلَامِهِ، فَحَفِظَ "**الْمُسْتَصْفَى**" فِي أَيَّامٍ يَسِيرَةٍ(2).

وَمِنْهَا: "**الْمَوَاقِفُ**"، وَ"**جَوَاهِرُ الْكَلَامِ**"، وَ"**الْعَقَائِدُ الْعَضُدِيَّةُ**"، جَمِيعُهَا لِمَوْلَانَا عَضُدِ الْمِلَّةِ وَالدِّينِ. وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ.

وَلِلْمَوَاقِفِ شُرُوحٌ مِنْهَا: "**شَرْحُ الْأَبْهَرِيِّ**"، وَ"**شَرْحُ الْكَرْمَانِيِّ**"، وَأَحْسَنُ شُرُوحِهِ وَأَنْفَعُهَا: "**شَرْحُ الشَّرِيفِ الْجُرْجَانِيِّ**" قُدِّسَ سِرُّهُ. وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُمْ.

وَلِلْجَوَاهِرِ أَيْضًا شُرُوحٌ لَكِنْ لَمْ أَدْرِ مَنْ صَنَّفَهَا. وَكَذَا عَلَى **الْعَقَائِدِ الْعَضُدِيَّةِ**، **شَرْحٌ لِمَوْلَانَا جَلَالِ الدِّينِ الدَّوَّانِيِّ**(3)، قُدِّسَ سِرُّهُ.

---

(1) الغاية في اختصار النهاية: 1/ 15.

(2) طبقات الشافعية الكبرى: 8/ 307.

(3) ملا محمد جلال الدين الدَّوَّاني، قاضي شيراز ومفتيها، كان حيا سنة: 894هـ. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: 10/ 104.

وَمِنْهَا: "**الْمَقَاصِدُ**" وَ" **شَرْحُهُ**" كِلَاهُمَا لِمَوْلَانَا سَعْدِ الدِّينِ التَّفْتَازَانِيِّ رَحِمَهُ اللهُ. وَلَهُ كِتَابُ "**تَهْذِيبُ الْمَنْطِقِ وَالْكَلَامِ**"، وَهُوَ مَعَ وَجَازَتِهِ مُشْتَمِلٌ عَلَى مُهِمَّاتِ هَذَا الْفَنِّ.

وَمِنْهَا: كِتَابُ "**تَهَافُتُ الْفَلَاسِفَةِ**"، لِلْإِمَامِ الْهُمَامِ، وَقُدْوَةِ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ، النُّورِ اللَّامِعِ بَيْنَ الْأَنَامِ، حُجَّةِ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْغَزَالِيِّ الطُّوسِيِّ. وَسَتَعْرِفُ مَنَاقِبَهُ الشَّرِيفَةَ فِي الْمَحَلِّ اللَّائِقِ بِهِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ.

رَدَّ الْإِمَامُ الْمَذْكُورُ فِي كِتَابِ **التَّهَافُتِ** مَطَالِبَ الْحُكَمَاءِ وَجَهْلَهُمْ وَبِدَعَهُمْ فِي سَبْعَ عَشْرَةَ مَسْأَلَةً، وَأَكْفَرَهُمْ فِي ثَلَاثِ مَسَائِلَ:

إِحْدَاهَا [قَوْلُهُمْ][1]: إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يَعْلَمُ الْجُزْئِيَاتِ. وَثَانِيَتُهَا: إِنْكَارُ حَشْرِ الْأَجْسَادِ. وَثَالِثَتُهَا: قِدَمُ الْعَالَمِ.

ثُمَّ إِنَّ السُّلْطَانَ الْأَعْظَمَ، وَالْخَاقَانَ الْأَكْرَمَ، شَرَفَ آلِ عُثْمَانَ مِنْ سَلَاطِينِ الرُّومِ، السُّلْطَانَ مُحَمَّدَ بْنَ مُرَادِ خَانَ، رَوَّحَ اللهُ رُوحَهُ وَرُوحَ أَسْلَافِهِ، وَأَدَامَ عُمُرَ أَعْقَابِهِ وَأَخْلَافِهِ، وَلَا زَالَ كَافَّةُ الْأَنَامِ تَأْوِي إِلَى ظِلَالِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامِ، أَمَرَ الْمَوْلَى عَلِيَّ الطُّوسِيَّ وَمَوْلَانَا مُصْلِحَ الدِّينِ مُصْطَفَى، الشَّهِيرَ بِخَوَاجِه زَادَه، أَنْ يَكْتُبَا مُحَاكَمَةً بَيْنَ الْإِمَامِ الْغَزَالِيِّ وَالْحُكَمَاءِ، فَكَتَبَا كِتَابَيْنِ، وَكَتَبَ مَوْلَانَا مُصْلِحُ الدِّينِ فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، وَالطُّوسِيُّ فِي سِتَّةِ أَشْهُرٍ، وَمَعَ ذلكَ رَجَّحَ عُلَمَاءُ ذَاكَ الزَّمَانِ كِتَابَ مَوْلَانَا مُصْلِح الدِّينِ عَلَى الْآخَرِ، فَأَعْطَى

---

(1) زيادة من أنطاليا.

السُّلْطَانُ الْمَذْكُورُ لِكُلٍّ مِنْهُمَا عَشَرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ، وَخَصَّ مَوْلَانَا مُصْلِحَ الدِّينِ بِبَغْلَةٍ نَفِيسَةٍ عَالِيَةٍ [غَالِيَةٍ][1]، يُقَالُ إِنَّ هَذِهِ الْبَغْلَةَ كَانَتْ مِنْ جُمْلَةِ أَسْبَابِ تَرْكِ عَلِيٍّ الطُّوسِيِّ بِلَادَ الرُّومِ.

يُحْكَى أَنَّ مَوْلَانَا جَلَالَ الدِّينِ الدَّوَّانِيَّ عِنْدَمَا رَأَى كِتَابَ مَوْلَانَا مُصْلِحِ الدِّينِ، دَعَا لَهُ بِالْخَيْرِ، وَكانَ فِي خَاطِرِهِ أَنْ يَكْتُبَ فِي هَذَا الْبَابِ كِتَابًا، قالَ: وَلَوْ كَتَبْتُهُ قَبْلَهُ لَكُنْتُ ضُحْكَةً لِلنَّاظِرِينَ.

وَمِنْهَا: **"تَعْدِيلُ الْكَلَامِ"**، لِلْمَوْلَى الْعَالِمِ الرَّبَّانِيِّ، وَالْحَبْرِ الصَّمَدَانِيِّ، الْمَوْلَى صَدْرِ الشَّرِيعَةِ، أَكْرَمَهُ اللهُ فِي الدَّرَجَاتِ الرَّفِيعَةِ. وَهُوَ رَحِمَهُ اللهُ كَتَبَ كِتَابًا سَمَّاهُ: **"تَعْدِيلُ الْعُلُومِ"**، بَدَأَ فِيهِ بِالْمَنْطِقِ، ثُمَّ بِالْكَلَامِ، ثُمَّ أَقْسَامِ الْحِكْمَةِ عَلَى التَّمَامِ. وَلَعَمْرِي لَقَدْ أَتَى فِيهِ بِمَبَاحِثَ عَجَزَ عَنْ حَلِّهَا الْأَوَائِلُ وَالْأَوَاخِرُ، تَحْقِيقًا لِمَا قِيلَ:

كَمْ تَرَكَ الْأَوَّلُ لِلْآخِرِ[2].

وَقَدْ كانَ رَحِمَهُ اللهُ بَحْرًا زَاخِرًا لَا يُدْرَكُ لَهُ قَرَارٌ، وَطَوْدًا شَامِخًا لَا يُرْتَقَي إِلَى قُنَّتِهِ وَلَا يُصَارُ، وَلَقَدْ كانَ آيَةً كُبْرَى فِي الْفَضْلِ وَالتَّدْقِيقِ، وَعُرْوَةً وُثْقَى فِي الْإِتْقَانِ وَالتَّحْقِيقِ.

---

(1) سقطت من أنطاليا.

(2) أقول: هذا عجز بيت لأبي تمام وصدره: **"يَقُولُ مَنْ تَقْرَعُ أَسْمَاعَهُ"**، وهو مثل مشهور. زهر الأكم في الأمثال الحكم: 3/ 77.

رَوَّحَ اللهُ رُوحَهُ، وَزَادَ فِي غُرَفِ الْجِنَانِ فُتُوحَهُ. وَسَتَعْرِفُ تَرْجَمَتَهُ فِي عِلْمِ الْفِقْهِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

وَأَمَّا الشُّرُوحُ وَالْحَوَاشِي فِي هَذَا الْعِلْمِ سِوَى مَا ذُكِرَ، فَخَارِجَةٌ عَنِ الْعَدِّ وَالْإِحْصَاءِ، لَكِنْ فِيمَا ذُكِرَ كِفَايَةٌ لِذِي لُبٍّ، وَبَلَاغٌ لِكُلِّ طَالِبٍ، وَاللهُ الْمُوَفِّقُ وَالْمُرْشِدُ.

الشُّعْبَةُ السَّادِسَةُ مِنَ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ

عِلْمُ أُصُولِ الْفِقْهِ

وَهُوَ عِلْمٌ يُتَعَرَّفُ مِنْهُ اسْتِنْبَاطُ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الْفَرْعِيَّةِ عَنْ أَدِلَّتِهَا الْإِجْمَالِيَّةِ الْيَقِينِيَّةِ.

وَمَوْضُوعُهُ: الْأَدِلَّةُ الشَّرْعِيَّةُ الْكُلِّيَّةُ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا كَيْفَ تُسْتَنْبَطُ عَنْهَا الْأَحْكَامُ الشَّرْعِيَّةُ.

وَمَبَادِئُهُ: مَأْخُوذَةٌ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ وَبَعْضٍ مِنَ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ.

وَالْغَرَضُ مِنْهُ: تَحْصِيلُ مَلَكَةِ اسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الْفَرْعِيَّةِ مِنْ أَدِلَّتِهَا الْأَرْبَعَةِ التَّفْصِيلِيَّةِ، أَعْنِي الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَالْإِجْمَاعَ وَالْقِيَاسَ.

وَفَائِدَتُهُ: اسْتِنْبَاطُ تِلْكَ الْأَحْكَامِ عَلَى وَجْهِ الصِّحَّةِ.

وَمِنَ الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ الْمُصَنَّفَةِ فِي هَذَا الْعِلْمِ:

كِتَابٌ لِلْإِمَامِ[1] الْجَصَّاصِ، وَهُوَ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ أَبُو بَكْرٍ الرَّازِيُّ، الْمَعْرُوفُ بِالْجَصَّاصِ.

وُلِدَ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِمِئَةٍ، وَسَكَنَ بَغْدَادَ، وَانْتَهَتْ إِلَيْهِ رِئَاسَةُ الْحَنَفِيَّةِ، وَسُئِلَ بِالْقَضَاءِ فَامْتَنَعَ. وَتَفَقَّهَ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ الْكَرْخِيِّ، وَتَخَرَّجَ بِهِ، وَكَانَ

(1) الإمام، في رئيس الكتاب.

عَلَى طَرِيقِهِ مِنَ الزُّهْدِ وَالْوَرَعِ. وَخَرَجَ إِلَى نَيْسَابُورَ، ثُمَّ عَادَ، وَتَفَقَّهَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ، وَرَوَى عَنْ عَبْدِ الْبَاقِي بْنِ قَانِعٍ.

وَلَهُ: كِتَابُ **"أَحْكَامُ الْقُرْآنِ"**، وَ**"شَرْحُ مُخْتَصَرِ الْكَرْخِيِّ"**، وَ**"شَرْحُ مُخْتَصَرِ الطَّحَاوِيِّ"**، وَ**"شَرْحُ الْجَامِعِ الْكَبِيرِ"** لِمُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ، و**"شَرْحُ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى"**. وَصَنَّفَ **كِتَابًا فِي أُصُولِ الْفِقْهِ**[1]، وَكِتَابَ **"جَوَابَاتُ الْمَسَائِلِ"**.

تُوُفِّيَ يَوْمَ الْأَحَدِ سَابِعِ ذِي الْحِجَّةِ، سَنَةَ سَبْعِينَ وَثَلَاثِمِئَةٍ بِبَغْدَادَ[2].

وَقَدْ وَهِمَ مَنْ جَعَلَ الْجَصَّاصَ غَيْرَ أَبِي بَكْرٍ الرَّازِيِّ بَلْ هُمَا وَاحِدٌ.

وَمِنْهَا: كِتَابُ **"الْأَسْرَارُ"**[3]، وَكِتَابُ **"تَقْوِيمُ الْأَدِلَّةِ"**، وَكِتَابُ **"الْأَمَدُ الْأَقْصَى"**، **كُلُّهَا لِأَبِي زَيْدٍ الدَّبُوسِيِّ**، وَهُوَ **عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ عِيسَى أَبُو زَيْدٍ الدَّبُوسِيُّ**.

وَدَبُوسَةُ بِفَتْحِ الْمُهْمَلَةِ: وَضَمِّ الْمُوَحَّدَةِ: قَرْيَةٌ بَيْنَ بُخَارَى وَسَمَرْقَنْدَ.

وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ وَضَعَ عِلْمَ الْخِلَافِ، وَصَنَّفَ الْكُتُبَ الْمَذْكُورَةَ، وَكَانَ مِمَّنْ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي النَّظَرِ وَاسْتِخْرَاجِ الْحُجَجِ. وَهُوَ مِنْ كِبَارِ الْفُقَهَاءِ الْحَنَفِيَّةِ، وَنَاظَرَ مَرَّةً رَجُلًا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَضْحَكُ وَيَبْتَسِمُ، فَأَنْشَدَ أَبُو زَيْدٍ لِنَفْسِهِ: [السريع]

---

(1) عنوان الكتاب: **"الفصولُ في الأُصولِ"**، وهو مطبوع.

(2) تاج التراجم: 96.

(3) عنوانه كاملا هو: **"الأسرار في الأصول والفروع"**. كشف الظنون: 1/ 84. والكتاب مطبوع.

مَـا لِـي إذا أَلْـزَمْـتُـهُ حُـجَّـةً قَـابَلَنِي بـالضَّـحْـكِ والْقَهْقَهَـهْ[1]
إنْ كـانَ ضَـحْكُ الْمَرْءِ من فِقْهِهِ فَـالـدُّبُّ في الصَّـحْراءِ مـا أفْقَهَـهْ

وَيُرْوَى: بِالضَّحِكِ وَالتَّبْسِمَه

فَالدُّبُّ فِي الصَّحْرَاءِ مَا أَفْهَمَهْ

تُوُفِّيَ بِبُخَارَى سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ[2].

وَمِنْهَا: "**أُصُولُ فَخْرِ الْإِسْلَامِ**": لِلْبَزْدَوِيِّ وَهُوَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ ابْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ مُوسَى بْنِ عِيسَى بْنِ مُجَاهِدٍ أَبُو الْحَسَنِ، فَخْرُ الْإِسْلَامِ الْبَزْدَوِيُّ[3]، الْفَقِيهُ بِمَا وَرَاءَ النَّهْرِ، صَاحِبُ الطَّرِيقَةِ عَلَى مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ.

وَتُوُفِّيَ يَوْمَ الْخَمِيسِ خَامِسِ رَجَبٍ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ، وَدُفِنَ بِسَمَرْقَنْدَ.

لَهُ: كِتَابُ "**الْمَبْسُوطُ**"، أَحَدَ عَشَرَ مُجَلَّدًا. وَ"**شَرْحُ الْجَامِعِ الْكَبِيرِ**"، وَ"**شَرْحُ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ**". وَكِتَابُهُ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ مَشْهُورٌ.

---

(1) نسب له البيتان برواية واحدة في وفيات الأعيان: 3/ 48، وبالروايتين معا في تاج التراجم: 192.

(2) ترجمته في وفيات الأعيان: 3/ 48.

(3) الْبَزْدَوِي أو الْبَزْدِي: نسبة إلى بزدة ويقال: بزدوه، قلعة حصينة قرب نسف على طريق بخارى. الأنساب: 2/ 201، ومعجم البلدان: 1/ 409.

قَالَ قَاسِمُ بْنُ قُطْلُوبُغَا فِي "**طَبَقَاتُ الْحَنَفِيَّةِ**": قَدْ خَرَّجْتُ أَحَادِيثَهُ، وَلَمْ أُسْبَقْ إِلَيْهِ[1].

قَالَ الذَّهَبِيُّ: وَكانَ **مَوْلِدُهُ** فِي حُدُودِ الْأَرْبَعِمِئَةِ. رَوَى عَنْهُ أَبُو الْمَعَالِي مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ الْخَطِيبُ[2].

وَعَلَى **أُصُولِ فَخْرِ الْإِسْلَامِ** شُرُوحٌ كَثِيرَةٌ، أَحْسَنُهَا وَأَشْهَرُهَا شَرْحُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْبُخَارِيِّ الْمُسَمَّى: بِـ "**الْكَشْفُ**"[3]، وَهُوَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبُخَارِيُّ[4]، لَهُ: "**شَرْحُ الْبَزْدَوِيِّ**"، وَشَرْحُ **الْأَخْسِيكَثِي**[5] الْمُسَمَّى: "**بِالتَّحْقِيقِ**"، وَ" **شَرْحُ الْهِدَايَةِ**" إلى النِّكَاحِ.

وَعَلَى **أُصُولِ فَخْرِ الْإِسْلَامِ** شَرْحٌ آخَرُ، الْمُسَمَّى بـ "**التَّقْرِيرُ**" لِلشَّيْخِ أَكْمَل الدِّينِ وَسَتَعْرِفُهُ.

وَلِلْإِمَامِ فَخْرِ الْإِسْلَامِ الْبَزْدَوِيِّ أَخٌ مَشْهُورٌ بِأَبِي الْيُسْرِ، لِيُسْرِ تَصَانِيفِهِ، كمَا أَنَّ فَخْرَ الْإِسْلَامِ مَشْهُورٌ بِأَبِي الْعُسْرِ، لِعُسْرِ تَصَانِيفِهِ، وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ، أَبُو الْيُسْرِ الْبَزْدَوِيُّ.

---

(1) تاج التراجم لابن قطلوبغا: 205ـ206.

(2) تاريخ الإسلام: 10/ 512.

(3) عنوان الكتاب هو: "**كشف الأسرار شرح أصول البزدوي**". الكتاب مطبوع.

(4) عبد العزيز بن أحمد بن محمد البخاري الحنفي علاء الدين، فقيه أصولي (ت. 730هـ). الجواهر المضيئة: 1/ 317، وتاج التراجم: 188.

(5) ستأتي أخباره قريبا.

قَالَ عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّسَفِيُّ فِي كِتَابِ "**الْقَنْدُ**"[1]: كانَ أَبُو الْيُسْرِ شَيْخَ أَصْحَابِنَا بِمَا وَرَاءَ النَّهْرِ، وَكَانَ إِمَامَ الْأَئِمَّةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَالْمَوْفُودَ إِلَيْهِ مِنَ الْآفَاقِ. مَلَأَ الشَّرْقَ وَالْغَرْبَ بِتَصَانِيفِهِ فِي الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ. تُوُفِّيَ بِبُخَارَى فِي رَجَبٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ.

قَالَ السَّمْعَانِيُّ: **وُلِدَ** سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ[2].

وَمِنْهَا: "أُصُولُ شَمْسِ الْأَئِمَّةِ السَّرَخْسِيِّ"[3] وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي سَهْلٍ أَبُو بَكْرٍ السَّرَخْسِيُّ، شَمْسُ الْأَئِمَّةِ، صَاحِبُ "**الْمَبْسُوطُ**". تَخَرَّجَ بِعَبْدِ الْعَزِيزِ الْحَلْوَانِيِّ[4] وَالْحَصِيرِيِّ[5] وَغَيْرِهِ.

مَاتَ فِي حُدُودِ الْخَمْسِمِئَةِ.

كانَ عَالِمًا أُصُولِيًّا مُنَاظِرًا، وَقَدْ شَاعَ أَنَّهُ أَمْلَى "**الْمَبْسُوطُ**" مِنْ غَيْرِ مُرَاجَعَةٍ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْكُتُبِ، يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا ذَكَرَهُ فِيهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: "انْتَهَى رُبُعُ الْبُيُوعِ، مِنَ الْمُبْتَهِلِ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِالْخُضُوعِ، وَإِسْبَالِ الدُّمُوعِ، الْمُنْقَطِعِ عَنِ

---

(1) عنوان الكتاب: "**الْقَنْدُ في ذكر علماء سمرقند**" والكتاب مطبوع. والقند: عصارة قصب السكر إذا جمد. اللسان/ قند.

(2) تاريخ الإسلام: 10/ 746.

(3) يُسَمَّى: "**تَمْهِيدُ الْفُصُولِ فِي الْأُصُولِ**".

(4) عبد العزيز بن أحمد بن نصر بن صالح الْحَلْوَانِي أو الحَلْوَائِي البخاري شمس الأئمة (ت. 456هـ).

(5) محمد بن إبراهيم بن أنوش أبو بكر الحَصِيرِي البخاري، فقيه حنفي (ت. 500هـ).

الْأَهْلِ وَالْكِتَابِ الْمَجْمُوعِ". إلى غَيْرِ ذلِكَ مِنْ أَمَاكِنَ يَتَرَجَّعُ بِنَحْوِ هَذَا مِنَ السَّجْعِ، وَعِدَّتُهُ عَشَرَةُ أَجْزَاءٍ ضَخْمَةٍ.

وَلَهُ كتابٌ في **أُصُولِ الْفِقْهِ** جُزْءًا ضَخْمًا، وَ" **شَرْحُ السِّيَرِ الْكَبِيرِ**" في جُزْءَيْنِ ضَخْمَيْنِ، أَمْلَاهُمَا وَهُوَ في الْجُبِّ مَحْبُوسٌ بِسَبَبِ كَلِمَةٍ نَصَحَ بِهَا الْأُمَرَاءَ. وكانَ تَلَامِذَتُهُ عَلَى أَعْلَى الْجُبِّ يَكْتُبُونَ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى بَابِ الشُّرُوطِ، حَصَلَ الْفَرَجُ، فَأُطْلِقَ، فَخَرَجَ إِلَى فَرْغَانَةَ[1]، فَأَكْرَمَهُ الْأَمِيرُ حَسَنٌ، فَوَصَلَ إِلَيْهِ الطَّلَبَةُ، فَأَكْمَلَهُ. وشَرَحَ "**مُخْتَصَرُ الطَّحَاوِيِّ**"، وَكُتُبَ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ.

وَقِيلَ لَهُ يَوْمًا: حَفِظَ الشَّافِعِيُّ ثَلَاثَمِئَةِ كُرَّاسٍ، فَقَالَ: حَفِظَ زَكَاةَ مَا أَحْفَظُ، فَحَسَبَ مَا حَفِظَهُ، فَكَانَ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ كُرَّاسٍ[2].

وَمِنْهَا: "**إِحْكَامُ الْأَحْكَامِ**" لِلْآمِدِيِّ، وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ. وَهَذَا مُجَلَّدٌ ضَخْمٌ أَكْثَرَ فِيهِ مِنَ الْقَوَاعِدِ الْأُصُولِيَّةِ، وَمَا يُبْتَنَى هِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْمَبَاحِثِ الْعَقْلِيَّةِ.

وَمِنْهَا: "**مُنْتَهَى السُّؤْلِ وَالْأَمَلِ فِي عِلْمَيِ الْأُصُولِ وَالْجَدَلِ**"، و"**مُخْتَصَرٌ**"[3]، هَذَا كِلَاهُمَا لِابْنِ الْحَاجِبِ، وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ.

---

(1) فرغانة: مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان وهي اليوم في أزبكستان. معجم البلدان: 4/ 253.

(2) تاج التراجم: 234 ـ 235.

(3) يُعرف أيضا: بـ"**مختصر المنتهى**"، و"**مختصر ابن الحاجب**".

وَعَلَى هَذَا الْمُخْتَصَرِ شُرُوحٌ فَوْقَ عَشَرَةٍ، مثلَ: **شَرْحِ الْعَلَّامَةِ الشِّيرَازِيِّ**[1]، **وَشَرْحِ السَّيِّدِ رُكْنِ الدِّينِ الْمَوْصِلِيِّ**[2]، **وَشَرْحِ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ الْحِلِّيِّ**[3]، **وَشَرْحِ الْمَوْلَى زَيْنِ الدِّينِ الْخَنْجِيِّ**[4]، **وَشَرْحِ الْمَوْلَى الْعَلَّامَةِ شَمْسِ الدِّينِ الْأَصْبَهَانِيِّ**[5]، **وَشَرْحِ الْفَاضِلِ بَدْرِ الدِّينِ التُّسْتَرِيِّ، وَشَرْحِ الْمَوْلَى شَمْسِ الدِّينِ الْخَطِيبِيِّ**[6]، **وَشَرْحِ مَوْلَانَا عَضُدِ الْمِلَّةِ وَالدِّينِ**[7]. وَقَدْ ذَكَرْنَا أَسْمَاءَ هَؤُلَاءِ عَلَى تَرْتِيبِ وُجُودِ شُرُوحِهِمْ.

وَقَدِ اعْتَنَى الْعُلَمَاءُ مِنْ بَيْنِهَا **بِشَرْحِ مَوْلَانَا عَضُدِ الْمِلَّةِ وَالدِّينِ**، لِحُسْنِ اخْتِصَارِهِ، مَعَ اشْتِمَالِهِ عَلَى تَدْقِيقَاتٍ وَتَحْقِيقَاتٍ لَا تُوجَدُ فِي غَيْرِهَا، وَلِهَذَا كَتَبُوا عَلَى ذَلِكَ حَوَاشِيَ شَرِيفَةً، مِثْلَ: **"حَاشِيَةُ سَيْفِ الدِّينِ الْأَبْهَرِيِّ"**، وَ**"حَاشِيَةُ شَمْسِ الدِّينِ الْكَرْمَانِيِّ"**، وهُمَا مِنْ تَلَامِذَةِ هذا الشَّارِحِ، كَتَبَا على مُصَنَّفَاتِهِ الشُّرُوحَ والْحَوَاشِيَ. وَمِثْلَ: **"حَاشِيَةُ الْمَوْلَى سَعْدِ الدِّينِ التَّفْتَازَانِيِّ"**، وَ**"حَاشِيَةُ الْفَاضِلِ مَوْلَانَا السَّيِّدِ الشَّرِيفِ الْجُرْجَانِيِّ"**، وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُ هَؤُلَاءِ.

---

(1) محمود بن مسعود قطب الدين الشيرازي (ت. 710هـ).

(2) ركن الدين أبو محمد الحسن بن محمد بن شرف شاه الحسيني الأستراباذي، توفي سنة 715هـ

(3) المسمى: **"غاية الوصول وإيضاح السُّبل في شرح مختصر منتهى السول والأمل"** لجمال الدين أبي منصور الحسن بن سديد الدين بن يوسف بن المطهر الحلِّي (ت. 726 هـ).

(4) سماه بعنوان: **"الأسرار"**، وأهداه لشمس الدين الوزير.

(5) المسمى: **"بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب"** طبع محققا في ثلاثة أجزاء كبار.

(6) محمد بن مظفر الخطيبي الخلخالي شمس الدين، مات في حدود سنة 745 هـ. بغية الوعاة 1/ 246.

(7) عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي (ت. 756هـ). فرغ من تأليف شرحه في 26 شعبان سنة: 734هـ.

وَمِنْهَا: "**الْقَوَاعِدُ**"[1]، وَ"**الْبَدَائِعُ**"، كِلاهُمَا **لِابْنِ السَّاعَاتِي**.

وَهُوَ **أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ تَغْلِبَ**[2] **بْنِ أَبِي الضِّيَاءِ مُظَفَّرِ الدِّينِ؛ ابْنُ السَّاعَاتِيِّ**، الْبَغْدَادِيُّ الْأَصْلِ، الْبَعْلَبَكِّيُّ، سَكَنَ بِبَغْدَادَ وَنَشَأَ بِهَا. وَأَبُوهُ هُوَ الَّذِي عَمِلَ السَّاعَاتِ الْمَشْهُورَةَ عَلَى بَابِ الْمُسْتَنْصِرِيَّةِ بِبَغْدَادَ. وَكَانَ مُظَفَّرُ الدِّينِ أَحْمَدُ إِمَامًا فَاضِلًا، صَاحِبَ تَصَانِيفَ مُفِيدَةٍ، وَبَرَعَ فِي الْفِقْهِ، وَكَتَبَ الْخَطَّ الْمَنْسُوبَ.

وَصَنَّفَ كِتَابَ "**مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ**" فِي الْفِقْهِ، جَمَعَ فِيهِ بَيْنَ **مُخْتَصَرِ الْقُدُورِيِّ**، وَ**مَنْظُومَةِ النَّسَفِيِّ**، مَعَ زَوَائِدَ لَطِيفَةٍ، وَأَحْسَنَ وَأَبْدَعَ فِي تَرْتِيبِهِ وَاخْتِصَارِهِ، ثُمَّ شَرَحَهُ فِي مُجَلَّدَيْنِ. وَلَهُ كِتَابُ "**الْبَدِيعُ**" فِي أُصُولِ الْفِقْهِ، جَمَعَ فِيهِ بَيْنَ أُصُولِ فَخْرِ الْإِسْلَامِ عَلِيٍّ الْبَزْدَوِيِّ، وَ**إِحْكَامِ الْأَحْكَامِ** لِلْآمِدِيِّ[3]، أَخَذَ مِنَ الْأَوَّلِ الشَّوَاهِدَ الْجُزْئِيَّةَ، وَمِنَ الثَّانِي الْقَوَاعِدَ الْكُلِّيَّةَ.

وَذُكِرَ فِي "**تَارِيخُ الْبدرِي**"[4] أَنَّهُ **تُوُفِّيَ** سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَسِتِّمِئَةٍ فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ، وَقِيلَ: **تُوُفِّيَ** بَعْدَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَسِتِّمِئَةٍ.

---

(1) ذُكِرَ في كتاب صبح الأعشى: 1/ 548 بهذا العنوان، والراجح عندنا أنه هو كتاب "**البدائع**" أو "**بَدِيعُ النِّظَامِ الْجَامِعِ بَيْنَ أُصُولِ الْبَزْدَوِي وَالْإِحْكَام**".

(2) (ابن ثعلب بن الساعاتي) في أعيان العصر وأعوان النصر: 3/ 382.

(3) تنظر أخباره في: الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 1/ 80 - 81، وتاج التراجم: 95.

(4) يقصد كتاب" **تَارِيخُ الْبَدْرِ فِي أَوْصَافِ أَهْلِ الْعَصْرِ**"، لبدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العيني (ت. 855هـ).

وَمِنْهَا: "**الْمَنَارُ**" **لِحَافِظِ الدِّينِ النَّسَفِيِّ، وَهُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ [مُحَمَّدٍ]**[1]**، أَبُو الْبَرَكَاتِ** حَافِظُ الدِّينِ النَّسَفِيُّ. لَهُ: كِتَابُ "**الْمُسْتَصْفَى**" **فِي** شَرْحِ الْمَنْظُومَةِ، وكِتَابُ "**الْمَنَافِعُ فِي شَرْحِ النَّافِعِ**"، وَكِتَابُ "**الْكَافِي فِي شَرْحِ الْوَافِي**" كِلَاهُمَا لَهُ، وَكِتَابُ "**كَنْزُ الدَّقَائِقِ**"، وَهَذِهِ كُلُّهَا في الْفِقْهِ، وكِتابُ "**الْمَنَارُ في أُصُولِ الْفِقْهِ**"، وَكِتَابُ "**الْعُمْدَةُ في أُصُولِ الدِّينِ**"، وَكِتَابُ "**شَرْحُ الْهِدَايَةِ**".

كَانَ بِبَغْدَادَ سَنَةَ عَشْرٍ وَسَبْعِمِئَةٍ، تَفَقَّهَ عَلَى شَمْسِ الْأَئِمَّةِ الْكُرْدِيِّ، وَرَوَى الزِّيَادَاتِ عَنِ الْعَتَّابِيِّ، وَسَمِعَ مِنْهُ السِّغْنَاقِيُّ[2]. وَشَرَحَ "**الْمَنَارُ**"، وَسَمَّاهُ "**الْكَشْفُ**"، وَشَرَحَ "**الْعُمْدَةُ**"، وَسَمَّاهُ "**الِاعْتِمَادُ**"، قَالَ بَعْضُهُمْ: وَلَا يُعْرَفُ لَهُ شَرْحٌ عَلَى "**الْهِدَايَةُ**"[3].

وَمِنْ شُرُوحِ "**الْمَنَارُ**": "**جَامِعُ الْأَسْرَارِ**"[4]. وَهُوَ شَرْحٌ نَفِيسٌ في الْغَايَةِ، إِلَّا أَنَّا لَمْ نَعْرِفْ مُصَنِّفَهُ، غَيْرَ أَنِّي رَأَيْتُ فِي ذَيْلِ بَعْضِ نُسَخِ هَذَا الشَّرْحِ: أَنَّ اسْمَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجِيلِيُّ، وَأَنَّهُ مِنْ تَلَامِذَةِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْبُخَارِيِّ صَاحِبِ "**الْكَشْفُ في شَرْحِ أُصُولِ فَخْرِ الْإِسْلَامِ**"، وَمِنْ تَلَامِذَةِ حَافِظِ الدِّينِ

---

(1) [محمود] في الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 2/ 294.

(2) انفرد الزبيدي في تاج العروس بضم السين (السُّغْنَاقِي)، والصواب ما أثبتناه.

(3) تاج التراجم: 175.

(4) "**جَامِعُ الأَسْرَارِ في شَرْحِ الْمَنَارِ لِلإمام النَّسَفِي**"، لمحمَّدِ بنِ محمَّد قوامِ الدِّين الْكَاكِي (ت. 749)، وهو مطبوع.

النَّسَفِيِّ، وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُمَا.

وَمِنْ شُرُوحِ "**الْمَنَارُ**": "**إِفَاضَةُ الْأَنْوَارِ فِي إِضَاءَةِ أُصُولِ الْمَنَارِ**" لِسَعْدِ الدِّينِ مَحْمُودِ الدِّهْلَوِيِّ[1].

وَمِنْ شُرُوحِهِ: "**شَرْحُ أَكْمَلِ الدِّينِ**"[2]، و"**شَرْحُ ابْنِ الْمَلَكِ**"[3]، وَغَيْرُ ذلكَ.

وَمِنْهَا: "الْمُغْنِي"، لِلْخَبَّازِيِّ، وَهُوَ عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ، الشَّيْخُ جَلَالُ الدِّينِ الْخَبَّازِيُّ. لَهُ حَوَاشٍ عَلَى "**الْهِدَايَةُ**"، وَكِتَابُ "**الْمُغْنِي**" في أُصُولِ الْفِقْهِ.

كَانَ فَقِيهًا عَالِمًا. مَاتَ لِخَمْسٍ بَقِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَسِتِّمِئَةٍ في عُشْرِ السَّبْعِينَ[4].

وَمِنْ شُرُوحِ "**الْمُغْنِي**"، "**شَرْحُ مَنْصُورٍ الْقَاآنِيِّ**"، وَهُوَ **أَبُو مُحَمَّدٍ مَنْصُورُ ابْنُ أَحْمَدَ بْنِ يَزِيدَ الْخُوَارَزْمِيُّ الْقَاآنِيُّ**، شَرَحَ "**الْمُغْنِي**" لِلْخَبَّازِيِّ شَرْحًا مُفِيدًا فِي الْغَايَةِ فِي بَابِهِ. قِيلَ: إِنَّهُ نَظَمَ **أُرْجُوزَةً فِي مَنَاسِكِ الْحَجِّ**.

قَالَ الذَّهَبِيُّ: هُوَ مِنَ الْأَعْلَامِ. **تُوُفِّيَ** يَوْمَ السَّبْتِ سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ[5].

---

(1) سعد الدين محمود أبو الفضائل الدهلوي توفي سنة: 891هـ.

(2) عنوانه: "**النُّقُودُ وَالرُّدُودُ**" لأكمل الدين محمد بن محمود البابرتى الحنفى، المتوفى سنة 786 هـ.

(3) ذكر في كشف الظنون، هو: المولى عبد اللطيف بن عبد العزيز ابنُ الْمَلَكِ توفي تقريبا سنة: 885هـ.

(4) تاج التراجم لابن قُطْلُوبُغَا: 220.

(5) المصدر نفسه: 306 وسماه: (الأَقَانِي)، والجواهر المضية في طبقات الحنفية: 3/ 506. وذكر صاحب الفوائد البهية: 215-216، أن وفاته عام: 775هـ.

قُلْتُ: هَكَذَا وَقَعَ فِي النُّسْخَةِ الَّتِي عِنْدِي، لَكِنَّهُ غَلَطٌ ظَاهِرٌ[1]، لِأَنَّ تَارِيخَ وَفَاةِ الْخَبَّازِيِّ قَبْلَ تَمَامِ السِّتِّمِئَةِ، فَكَيْفَ يَتَقَدَّمُ عَلَيْهِ شَارِحُ كِتَابِهِ.

وَمِنْ شُرُوحِهِ: **"شَرْحُ سِرَاجِ الْهِنْدِيِّ"** وَهُوَ **أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ إِسْحَاقَ ابْنِ أَحْمَدَ الْغَزْنَوِيُّ**، سِرَاجُ الدِّينِ الْهِنْدِيُّ، قَاضِي الْحَنَفِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ.

يُقَالُ: اسْمُ أَبِيهِ إِسْمَاعِيلُ، وَالصَّحِيحُ إِسْحَاقُ.

تَفَقَّهَ بِبِلَادِهِ عَلَى الْوَجِيهِ الرَّازِيِّ، وَالسِّرَاجِ الثَّقَفِيِّ، وَالزَّيْنِ الْبَدَوَانِيِّ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ عُلَمَاءِ الْهِنْدِ.

وَحَجَّ فَسَمِعَ مِنَ الشَّيْخِ خَضِرٍ، شَيْخِ رِبَاطِ السِّدْرَةِ[2] **"عَوَارِفُ الْمَعَارِفِ"**، وَحَدَّثَ بِهِ عَنْهُ عَنِ الْقُطْبِ الْقَسْطَلَّانِيِّ عَنْ مُؤَلِّفِهِ.

وَقَدِمَ الْقَاهِرَةَ قَدِيمًا سَنَةَ أَرْبَعِينَ، وَسَمِعَ مِنْ أَحْمَدَ بْنِ مَنْصُورٍ الْجَوْهَرِيِّ وَغَيْرِهِ. وَظَهَرَتْ فَضَائِلُهُ، ثُمَّ وَلِيَ قَضَاءَ الْعَسْكَرِ، بَعْدَ أَنْ نَابَ عَنِ الْجَمَالِ لِلتُّرْكُمَانِيِّ، ثُمَّ عُزِلَ. كَانَ عَالِمًا فَاضِلًا، لَهُ وَجَاهَةٌ فِي كُلِّ دَوْلَةٍ.

وَلَهُ: **"شَرْحُ الْمُغْنِي"**، وَ**"شَرْحُ الْهِدَايَةِ"**، عَلَى طَرِيقَةِ الْجَدَلِ، وَسَمَّاهُ **"بِالتَّوْشِيحِ"**، و**"شَرْحُ بَدِيعِ ابْنِ السَّاعَاتِيِّ"**، وَ**"شَرْحُ تَائِيَّةِ ابْنِ الْفَارِضِ"**.

---

(1) إن تغليطَ طاشكبري زاده لابن قُطْلُوبُغَا لا محل له، وذلك أن ابن قُطْلُوبُغَا إنما ذكر وفاة منصور بن أحمد البلخي (ت. 485هـ) من المتقدمين وليس شارح المغني للخبازي. تاريخ الإسلام: 33/ 164، وتاج التراجم: 306.

(2) رباط السِّدرة: يوجد بمكة المكرمة بالقرب من رباط المراغي كانا متصلين.

وَصَنَّفَ: "**الشَّامِلُ**" فِي الْفِقْهِ، و"**شَرْحُ الْمُغْنِي لِلْخَبَّازِيِّ**"، وَلَهُ كِتَابُ: "**الْعِزَّةُ الْمُنِيفَةُ فِي شَرْحِ مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ**"، وَكِتَابُ: "**فِقْهُ الْخِلَافِ**"، و"**شَرْحُ الزِّيَادَاتِ**"، وَ**الْجَامِعَيْنِ**[1]، وَلَمْ يُكْمِلْهُمَا، وَلَهُ "**كِتَابٌ فِي التَّصَوُّفِ**" وَغَيْرُ ذَلِكَ.

وكَانَ وَاسِعَ الْعِلْمِ، كَثِيرَ الْإِقْدَامِ وَالْمَهَابَةِ. وَكَانَ يَتَعَصَّبُ لِلصُّوفِيَةِ الْمُوَحِّدَةِ، وَعَزَّرَ ابْنَ أَبِي حَجَلَةَ لِكَلَامِهِ فِي ابْنِ الْفَارِضِ.

مَاتَ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا الْبَهَاءُ السُّبْكِيُّ، وَهِيَ لَيْلَةُ السَّابِعِ مِنْ شَهْرِ رَجَبٍ، مِنْ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِئَةٍ.

وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ نَحْوَ أَرْبَعِ سِنِينَ، وكانَ يَكْتُبُ بِخَطِّهِ: مَوْلِدِي سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَبْعِمِئَةٍ[2].

وَمِنْهَا: كِتَابُ "**الْمُنْتَخَبُ**" **لِلْأَخْسِيكَثِيِّ**، وَهُو **أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ حُسَامُ الدِّينِ الْأَخْسِيكَثِيُّ**. وأَخْسِيكَثُ، صَحَّ بِالسِّينِ الْمُهْمَلَةِ بَعْدَ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ، وَآخِرُهَا الثَّاءُ الْمُثَلَّثَةُ، قَرْيَةٌ فِيمَا وَرَاءَ النَّهْرِ[3].

صَاحِبُ الْمُخْتَصَرِ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ.

مَاتَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّمِئَةٍ[4].

---

(1) يعني: شرح الجامعين.

(2) تاج التراجم: 223-224، وإنباء الغمر بأبناء العمر: 1/ 27-28-29.

(3) الأنساب: 1/ 132، ومعجم البلدان: 1/ 121. وهي توجد حاليا في أوزبكستان.

(4) تاج التراجم لابن قطلوبغا: 245.

وَعَلَيْهِ شُرُوحٌ؛ مِنْهَا: شَرْحُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْبُخَارِيِّ الْمُسَمَّى: "**بِالتَّحْقِيقِ**"، وَهُوَ صَاحِبُ "**الْكَشْفُ**" فِي شَرْحِ أُصُولِ فَخْرِ الْإِسْلَامِ، وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ.

وَلِلْمُنْتَخَبِ شَرْحٌ آخَرُ لِلْأَتْقَانِيِّ[1]، الْمُسَمَّى: "**بِالتَّبْيِينِ**"، وَسَتَعْرِفُهُ عِنْدَ ذِكْرِ "**شَرْحِ الْهِدَايَةِ**".

وَمِنْهَا: "**التَّحْصِيلُ**" لِلْأُرْمَوِيِّ، وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ.

وَمِنْهَا: "**الْمَحْصُولُ**" لِلْإِمَامِ فَخْرِ الدِّينِ الرَّازِيِّ. وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ فِي الْمُفَسِّرِينَ.

وَمِنْهَا: "**التَّنْقِيحُ**" وَشَرْحُهُ "**التَّوْضِيحُ**"[2] لِلْمَوْلَى الْفَاضِلِ صَدْرِ الشَّرِيعَةِ، وَهُوَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودِ بْنِ مَحْمُودِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مَحْمُودٍ، صَدْرُ الدِّينِ الْمَحْبُوبِيُّ، عَالِمٌ مُحَقِّقٌ، وَحَبْرٌ مُدَقِّقٌ.

لَهُ تَصَانِيفُ مُفِيدَةٌ مِنْهَا: "**التَّنْقِيحُ**"، وَشَرْحُهُ "**التَّوْضِيحُ**" فِي أُصُولِ الْفِقْهِ، وَ"**شَرْحُ الْوِقَايَةِ**"، وَ"**مُخْتَصَرُ الْوِقَايَةِ**" فِي الْفِقْهِ[3]، وَ"**الْوِشَاحُ**" فِي الْمَعَانِي، وَ"**تَعْدِيلُ الْعُلُومِ**" فِي أَقْسَامِ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ كُلِّهَا. ثُمَّ شَرَحَ هَذَا الْكِتَابَ بِجَمِيعِ أَقْسَامِهِ، وَلَقَدْ أَبْدَعَ فِيهَا، بِحَيْثُ أَوْرَدَ تَحْقِيقَاتٍ عَجَزَ عَنْهَا الْأَوَائِلُ، سِيَّمَا الْمَنْطِقُ وَالْكَلَامُ، وَيَشْهَدُ بِمَا ذَكَرْنَاهُ مَنْ طَالَعَ ذَلِكَ الْكِتَابَ.

---

(1) أمير كاتب بن أمير عمر ابن العميد أمير غازي أبو حنيفة، قوام الدين الفارابي الْأَتْقَانِي نسبة لأَتْقَان وهي قصبة من قصبات فاراب توجد حاليا في كزاخستان توفي سنة: 758هـ. المصدر نفسه: 138.

(2) عنوانه: "**التَّوْضِيحُ في حَلِّ غَوَامِضِ التَّنْقِيحِ**".

(3) تاج التراجم لابن قطلوبغا: 203.

يُحْكَى أَنَّ الْعَلَّامَةَ قُطْبَ الدِّينِ الرَّازِيَّ، أَرَادَ أَنْ يَجْتَمِعَ مَعَ صَدْرِ الشَّرِيعَةِ وَيَتَبَاحَثَ مَعَهُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَوَّلًا مِنْ تَلَامِذَتِهِ مَوْلَانَا مُبَارَكَ شَاه؛ وَكانَ مُبَارَكُ شَاه مِنْ غِلْمَانِ الرَّازِيِّ، وَرَبَّاهُ صَغِيرًا، وَعَلَّمَهُ كَبِيرًا، وَتَبَنَّاهُ، فَصَارَ مَشْهُورًا فِي الْآفَاقِ؛ لِيَتَعَرَّفَ كَيْفِيَّةَ الْحَالِ، فَحَضَرَ مُبَارَكُ شَاه دَرْسَ صَدْرِ الشَّرِيعَةِ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ بِهَرَاةَ[1]، وَالْعَلَّامَةُ بِالرَّيِّ[2]، فَوَجَدَهُ يُدَرِّسُ **كِتَابَ الْإِشَارَاتِ** لِابْنِ سِينَا، وَلَا يُتَابِعُ فِيهِ الْمُصَنِّفَ وَلَا وَاحِدًا مِنْ شَارِحَيْهِ الْإِمَامِ وَالطُّوسِيِّ، فَكَتَبَ مُبَارَكُ شَاه إِلَى مَوْلَاهُ الْعَلَّامَةِ، أَنَّ الرَّجُلَ نَارٌ وَقَّادَةٌ، وَالْإِقْدَامَ رُبَّمَا يُورِثُ الْمَلامَ، فَعَمِلَ الْعَلَّامَةُ بِرَأْيِهِ، وَقَبِلَ نُصْحَهُ، وَلَمْ يَتَجَاسَرْ عَلَى مَا قَصَدَهُ.

وَمِنْهَا: **"التَّلْوِيحُ فِي شَرْحِ التَّنْقِيحِ"** لِمَوْلَانَا سَعْدِ الدِّينِ التَّفْتَازَانِيِّ، وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ.

وَمِنْهَا: **"فُصُولُ الْبَدَائِعِ فِي أُصُولِ الشَّرَائِعِ"** لِلْمَوْلَى الْعَالِمِ الْعَامِلِ، وَالْفَاضِلِ الْكَامِلِ، مَوْلَانَا شَمْسِ الدِّينِ الْفَنَارِيِّ، قُدِّسَ سِرُّهُ، وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ.

وَمِنْهَا: **"مِنْهَاجُ الْوُصُولِ إِلَى عِلْمِ الْأُصُولِ"**، لِلْقَاضِي الْبَيْضَاوِيِّ، وَهُوَ كِتَابٌ نَفِيسٌ عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ، لَكِنْ يَنْتَفِعُ بِهِ الْحَنَفِيَّةُ أَيْضًا، وَعَلَيْهِ شُرُوحٌ أَحْسَنُهَا **"شَرْحُ السَّيِّدِ الْعِبْرِيِّ"**[3].

---

(1) هَرَاة: مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان، وموطن العلماء، دخلها التتر وخربوها سنة: 618هـ وهي حاليا في أفغانستان. معجم البلدان: 5/ 396.

(2) الري: مدينة مشهورة من أمهات البلاد . وهي حاليا في إيران. معجم البلدان: 3/ 116.

(3) برهان الدين عبيد الله بن محمد الفرغاني العبري (ت. 743هـ)، أهدى شرحه إلى الوزير شمس الدين صاحب الديوان والقاضي زكريًا بن محمد الأنصاري. كشف الظنون:2/ 1879.

وَمِنْهَا: "**مَرْقَاةُ الْوُصُولِ إِلَى عِلْمِ الْأُصُولِ**"، وَشَرْحُهُ الْمُسَمَّى بِـ "**الْمِرْآةُ**"، كِلَاهُمَا لِمَوْلَانَا مُحَمَّدِ بْنِ فَرَامُرْزَ بْنِ خَوَاجَةَ عَلِيٍّ الشَّهِيرِ بِمَوْلَانَا خُسْرُو، وَقَدْ كانَ قَاضِيًا لِعَسْكَرِ السُّلْطَانِ مُحَمَّدِ بْنِ مُرَادِ خَانَ، ثُمَّ تَقَلَّدَ مَنْصِبَ الْفَتْوَى سِنِينَ كَثِيرَةً، وَدَامَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ مَاتَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَثَمَانِمِئَةٍ، قُبَيْلَ وَفَاةِ السُّلْطَانِ مُحَمَّدِ خَانَ بِسَنَةٍ.

وفي تِلْكَ السَّنَةِ تُوُفِّيَ الشَّيْخُ قُطْبُ الدِّينِ الْأَزْنِيقِيُّ، وَمَوْلَانَا مَسْعُودُ خَلِيفَةُ الْمُتَوَفَّى بِأَدَرْنَةَ[1]، وَكَانَ كِلاهُمَا مِنَ الْعُلَمَاءِ السَّادَاتِ، وَمَشَايِخِ الصُّوفِيَّةِ أَرْبَابِ السَّعَادَاتِ، أُولِي الْخَوَارِقِ وَالْكَرَامَاتِ.

وَكانَ مَوْلَانَا خُسْرُو رَحِمَهُ الله عَالِمًا عَامِلًا، مُحِقًّا مُحَقِّقًا، وَكَانَ لَهُ ثَرْوَةٌ وَمَمَالِيكُ كَثِيرَةٌ، وَمَعَ ذَلِكَ كانَ لَا يَخْدُمُ في بَيْتِ مُطَالَعَتِهِ إِلَّا نَفْسُهُ الشَّرِيفَةُ، وَقَدْ كَانَ عَهِدَ كَذَلِكَ مَعَ اللهِ تَعَالَى. وكانَ لَهُ خَطٌّ مَلِيحٌ فِي الْغَايَةِ، وَقَدِ الْتَزَمَ أَنْ يَكْتُبَ كُلَّ يَوْمٍ وَرَقَتَيْنِ مِنْ تَصَانِيفِهِ وَغَيْرِهَا. وَرَأَيْتُ بِخَطِّهِ الشَّرِيفِ كُتُبًا كَثِيرَةً.

وَلَهُ: "**الْمَرْقَاةُ**"، وَشَرْحُهُ "**الْمِرْآةُ**" فِي الْأُصُولِ، وَ"**الدُّرَرُ**"[2]، وَشَرْحُهُ "**الْغُرَرُ**"[3] في الْفِقْهِ، وَ"**حَوَاشِي تَفْسِيرِ الْبَيْضَاوِيِّ**"، وَ"**حَوَاشِي التَّلْوِيحِ**" شَرْحُ التَّنْقِيحِ، وَ"**حَوَاشِي شَرْحِ مَوْلَانَا عَضُدِ الدِّينِ لِمُخْتَصَرِ ابْنِ**

---

(1) أدرنة أو أدنة: مدينة في الجنوب الشرقي للأناضول على الجهة اليمنى من شاطئ نهر سيحان. هامش نيل الأمل في ذيل الدول: 8/ 18.

(2) يقصد: "**دُرَرُ الْحُكَّام**".

(3) يقصد: "**غُرَرُ الْأَحْكَام**" في فروع الحنفية.

الْحَاجِبِ"، وَ"**حَوَاشِي الشَّرْحِ الْمُطَوَّلِ لِتَلْخِيصِ الْمَعَانِي**"، لِمَوْلَانَا سَعْدِ الْمِلَّةِ وَالدِّينِ التَّفْتَازَانِيِّ، وَغَيْرُ ذلكَ مِنَ الْحَوَاشِي وَالرَّسَائِلِ. وَمِنْ رَسَائِلِهِ: "**رِسَالَةُ الْوَلَاءِ**".

وَوَقَعَ لَهُ مَعَ بَعْضٍ مِنْ مُعَاصِرِيهِ الْمُنَاظَرَاتُ الْكَثِيرَةُ فِي مَسْأَلَةِ الْوَلَاءِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْكُتُبَ فِي عِلْمِ الْأُصُولِ كَثِيرَةٌ، لَكِنْ مَنْ ظَفِرَ بِمَا ذَكَرْنَاهُ، فَازَ بِالْمَرَامِ، وَلَا نُطَوِّلُ بِذِكْرِهَا الْكَلَامَ، وَاللهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ وَالْإِعْلَامِ.

الشُّعْبَةُ السَّابِعَةُ مِنَ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ

عِلْمُ الْفِقْهِ

وَهُوَ عِلْمٌ باحِثٌ عَنِ الْأَحْكامِ الشَّرْعِيَّةِ الْفَرْعِيَّةِ الْعَمَلِيَّةِ، مِنْ حَيْثُ اسْتِنْبَاطُهَا مِنَ الْأَدِلَّةِ التَّفْصِيلِيَّةِ.

وَمبَادِئُهُ: مَسَائِلُ أُصُولِ الْفِقْهِ، وَلَهُ اسْتِمْدَادٌ مِنْ سَائِرِ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ.

وَفَائِدَتُهُ: حُصُولُ الْعَمَلِ بِهِ عَلَى الْوَجْهِ الْمَشْرُوعِ.

وَالْغَرَضُ مِنْهُ: تَحْصِيلُ مَلَكَةِ الِاقْتِدَارِ عَلَى الْأَعْمَالِ الشَّرْعِيَّةِ.

وَلَمَّا كَانَتِ الْغَايَةُ وَالْغَرَضُ في الْعُلُومِ الْعَمَلِيَّةِ تَحْصِيلَ الظَّنِّ دُونَ الْيَقِينِ، بِنَاءً عَلَى أَنَّ أَقْوَى الْأَدِلَّةِ أَوَّلًا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ[1]، وأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ قَطْعِيَّ الثُّبُوتِ، لَكِنَّ أَكْثَرَهُ ظَنِّيُّ الدَّلَالَةِ، فَصَارَ مَحَلًّا لِلِاجْتِهَادِ، جَازَ الْأَخْذُ فِيهَا بِمَذْهَبِ[2] أَيِّ مُجْتَهِدٍ أَرَادَ.

وَالْمَذَاهِبُ الْمَشْهُورَةُ الَّتِي تَلَقَّتْهَا الْعُقُولُ بِالصِّحَّةِ هِيَ الْمَذَاهِبُ الْأَرْبَعَةُ لِلْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ، أَبِي حَنِيفَةَ، وَمَالِكٍ، وَالشَّافِعِيِّ، وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، ثُمَّ الْأَحَقُّ وَالْأَوْلَى مِنْ بَيْنِهَا مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ نُعْمَانَ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، لِأَنَّهُ الْمُتَمَيِّزُ مِنْ بَيْنِهِمْ بِالْإِتْقَانِ وَالْإِحْكَامِ، وَجَوْدَةِ الْقَرِيحَةِ، وَقُوَّةِ الرَّأْيِ فِي عِلْمِ

(1) أقوى الأدلة الكتاب والسنة، في رئيس الكتاب وأنطاليا وعاطف أفندي.

(2) فيها أولا بمذهب، في رئيس الكتاب وأنطاليا وعاطف أفندي.

الْأَحْكَامِ، وَكَثْرَةِ الْمَعْرِفَةِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَصِحَّةِ الرَّأْيِ وَالرَّوِيَّةِ، وَزِيَادَةِ الْمِنَّةِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

لَكِنْ يَنْبَغِي لِمَنْ يُقَلِّدُ مَذْهَبًا مُعَيَّنًا فِي الْفُرُوعِ، أَنْ يَحْكُمَ بِأَنَّ مَذْهَبَهُ صَوَابٌ يَحْتَمِلُ الْخَطَأَ، وَمَذْهَبَ الْمُخَالِفِ خَطَأٌ يَحْتَمِلُ الصَّوابَ، وَذَاكَ مِنْ لَوَازِمِ الظَّنِّيَّةِ بِخِلَافِ الِاعْتِقَادِيَّاتِ الَّتِي يُطْلَبُ فِيهَا الْيَقِينُ، لِكَوْنِ دَلَائِلِهَا عَقْلِيَّةً يَقِينِيَّةً، حَيْثُ يُحْكَمُ فِيهَا بِأَنَّ مَذْهَبَهُ حَقٌّ جَزْمًا، وَمَذْهَبَ الْمُخَالِفِ خَطَأٌ قَطْعًا، لِأَنَّهُ مِنْ لَوَازِمِ الْقَطْعِيَّةِ.

وَاعْلَمْ أَنَّا نَذْكُرُ هَاهُنَا أَحْوَالَ أَصْحَابِ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ، والْأَئِمَّةِ الْمَشْهُورِينَ فِي كُلٍّ مِنَ الْمَذَاهِبِ، ثُمَّ نُشِيرُ إِلَى جِهَةِ رُجْحَانِ مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ عَلَى الْمَذَاهِبِ الْأُخْرَى.

وَاعْلَمْ أَنَّ أَوَّلَ الْأَئِمَّةِ وَأَوْلَاهُمْ وَأَفْضَلَهُمْ وَأَعْلَاهُمْ، إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ وَسَيِّدُ التَّابِعِينَ، وَسِرَاجُ الْأُمَّةِ، وَفَخْرُ الْأَئِمَّةِ، **أَبُو حَنِيفَةَ نُعْمَانُ بْنُ ثَابِتٍ**، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَالْكَلَامُ فِي مَنَاقِبِهِ مِمَّا لَا يُمْكِنُ الِاسْتِقْصَاءُ فِيهَا، سِيَّمَا فِي هَذِهِ الْوُرَيْقَاتِ إِذْ قَدْ كَسَرَ عَلَيْهَا الْأَئِمَّةُ عِدَّةَ مُجَلَّدَاتٍ، وَمَعَ ذلكَ لَمْ يُؤَدُّوا عُشْرَ أَعْشَارِ مَنَاقِبِهِ وَإِنْ أَطْنَبُوا فِي فُصُولِهِ وَأَبْوَابِهِ، وَهَا نَحْنُ نَذْكُرُ هَاهُنَا عَشَرَةَ مَطَالِبَ مُتَضَمِّنَةً لِمُهِمَّاتِ تِلْكَ الْمَطَالِبِ.

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ: فِي تَقَدُّمِهِ عَلَى غَيْرِهِ

قَالَ بَعْضُ الْمُصَنِّفِينَ: «وَإِنَّمَا قَدَّمْنَا ذِكْرَ الْإِمَامِ مَالِكٍ، لِأَنَّهُ الْمُقَدَّمُ زَمَانًا وَقَدْرًا، وَمَعْرِفَةً وَعِلْمًا»[1]. وَنَحْنُ نَقُولُ: إِنَّ الْمُقَدَّمَ زَمَانًا، هُوَ الْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ عَلَى التَّحْقِيقِ، وَيُؤَيِّدُهُ مَا رُوِيَ أَنَّ الْإِمَامَ سُئِلَ عَنْ عُلَمَاءِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: «إِنْ أَفْلَحَ مِنْهُمْ وَاحِدٌ، فَالْأَزْرَقُ الْأَشْقَرُ»[2]، عَنَى بِهِ الْإِمَامَ مَالِكًا رَضِيَ الله عَنْهُ.

وَأَمَّا فِي الْمَعْرِفَةِ، فَهُوَ ذُو الْإِتْقَانِ وَالتَّدْقِيقِ، كَمَا سَتَقِفُ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، وَلِهَذَا قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ.

أَمَّا تَقَدُّمُهُ سِنًّا فَلِأَنَّ الْإِمَامَ أَبَا حَنِيفَةَ وُلِدَ سَنَةَ ثَمَانِينَ، كَذَا ذَكَرَهُ الْوَاقِدِيُّ وَالسَّمْعَانِيُّ عَنْ أَبِي يُوسُفَ.

وَذَكَرَ السَّمْعَانِيُّ أَيْضًا، عَنْ مُزَاحِمِ بْنِ زِيَادٍ. أَنَّهُ وُلِدَ عَامَ إِحْدَى وَسِتِّينَ، وَالْأَوَّلُ أَكْثَرُ وَأَثْبَتُ، وَأَنَّ الْإِمَامَ مَالِكًا وُلِدَ سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ، وَمَاتَ سَنَةَ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَمِئَةٍ.

وَأَمَّا الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ، فَالْمَشْهُورُ أَنَّهُ وُلِدَ يَوْمَ مَاتَ أَبُو حَنِيفَةَ.

وَأَمَّا تَقَدُّمُهُ فِي الشَّرَفِ، فَلِمَا رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو حَنِيفَةَ، هُوَ سِرَاجُ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[3]. وَزِيدَ فِي رِوَايَةٍ أَنَّ اسْمَهُ النُّعْمَانُ.

---

(1) جامع الأصول في أحاديث الرسول: 1/ 179.

(2) الموطأ: 1/ 272 برواية: «إن ينجب منهم فالغلام الأشقر الأزرق».

(3) أورده الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: 3/ 244، وابن الجوزي في الموضوعات: 2/ 49.

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: «يَكُونُ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ النُّعْمَانُ بْنُ ثَابِتٍ، وَيُكْنَى بِأَبِي حَنِيفَةَ، يُحْيِي دِينَ اللهِ وَسُنَّتِي»[1].

وَرُوِيَ عَنْ أَبِي لَهِيعَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فِي كُلِّ قَرْنٍ مِنْ أُمَّتِي سَابِقُونَ وَأَبُو حَنِيفَةَ سَابِقُ زَمَانِهِ»[2].

وَفِي الرِّوَايَاتِ اخْتِلَافَاتٌ، إِلَّا أَنَّهُ اتَّفَقَتِ الرِّوَايَاتُ عَلَى أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَصَفَ الْإِمَامَ قَبْلَ وُجُودِهِ بِثَلَاثَةِ أَوْصَافٍ: بِسِرَاجِ الْأُمَّةِ، وَمُحْيِي الشَّرْعِ، وَالسَّابِقِ، وَكُلٌّ مِنْ هَذِهِ كَافٍ فِي تَرْجِيحِهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَئِمَّةِ.

وَمِنْ جِهَاتِ شَرَفِهِ، أَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْأَئِمَّةِ تَابِعِيٌّ غَيْرُهُ.

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ الصَّلَاحِ أَنَّ الْإِمَامَ مَالِكًا مِنْ تَابِعِ التَّابِعِينَ، وَأَمَّا أَبُو حَنِيفَةَ فَقَدِ اتَّفَقَ الْمُحَدِّثُونَ عَلَى أَنَّ أَرْبَعَةً مِنَ الصَّحَابَةِ كَانُوا عَلَى عَهْدِ الْإِمَامِ فِي الْحَيَاةِ، وَإِنْ تَنَازَعُوا فِي الرِّوَايَةِ عَنْهُمْ.

مِنْهُمْ: **أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ**، وَهُوَ آخِرُ كُلِّ مَنْ مَاتَ مِنَ الصَّحَابَةِ بِالْبَصْرَةِ، تُوُفِّيَ سَنَةَ إِحْدَى أَوْ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ[3]، وَلَهُ ثَلَاثٌ أَوْ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ، فَيَكُونُ الْإِمَامُ يَوْمَ وَفَاتِهِ ابْنَ ثَلَاثٍ أَوْ إِحْدَى عَشْرَةَ، وَقَدْ دَخَلَ الْبَصْرَةَ أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ مَرَّةً، وَمَكَثَ فِي كُلِّ دَخْلَةٍ سَنَةً، أَوْ سَنَتَيْنِ، لِمُنَاظَرَةِ الْمُعْتَزِلَةِ وَأَهْلِ الْأَهْوَاءِ.

---

(1) الموضوعات لابن الجوزي: 2/ 49.

(2) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: 1/ 8 من طريق عبد الله بن عمرو.

(3) المعارف لابن قتيبة: 1/ 341.

وَذَكَرَ الْإِمَامُ شَهْرَدَارُ بْنُ شِيرُوَيْهِ[1]، وَبُرْهَانُ الْإِسْلَامِ الْغَزْنَوِيُّ بِأَسَانِيدِهِمْ الصَّحِيحَةِ، أَنَّ الْإِمَامَ رَوَى عَنْ أَنَسٍ.

وَمِنْهُمْ: **أَبُو إِبْرَاهِيمَ أَوْ أَبُو مُحَمَّدٍ أَوْ أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى بْنِ عَلْقَمَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ**، وَهُوَ آخِرُ مَنْ مَاتَ بِالْكُوفَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ، **مَاتَ بِهَا** سَنَةَ سِتٍّ، أَوْ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ[2]، فَيَكُونُ سِنُّ الْإِمَامِ عَلَى الْأَكْثَرِ يَوْمَ مَاتَ هَذَا سَبْعًا أَوْ سِتًّا، وَعَلَى قَوْلِ الْأَقَلِّ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ أَوْ خَمْسًا وَعِشْرِينَ، فَعَلَى كِلَا الْقَوْلَيْنِ يَتَحَقَّقُ سِنُّ السَّمَاعِ.

أَمَّا عَلَى قَوْلِ الْأَقَلِّ فَظَاهِرٌ، وَأَمَّا عَلَى قَوْلِ الْأَكْثَرِ، فَلِأَنَّ سِنَّ السَّمَاعِ إِذَا فَرَّقَ الصَّبِيُّ بَيْنَ الْبَغْلِ وَالْحِمَارِ، وَعِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ: سِنُّ مَحْمُودِ بْنِ الرَّبِيعِ، قَالَ: «عَقَلْتُ مِنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجَّةً مَجَّهَا فِي وَجْهِي وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ مِنْ دَلْوٍ»[3].

فَإِذَنْ لَا يُنْكَرُ سَمَاعُ الْإِمَامِ مِنِ ابْنِ أَبِي أَوْفَى، سِيَّمَا وَقَدْ ذَكَرَ شَهْرَدَارُ الدَّيْلَمِيُّ أَنَّهُ رَوَى عَنْهُ.

وَمِنْ غَرَائِبِ هَذَا الْبَابِ مَا رُوِيَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعِيدٍ الْجَوْهَرِيِّ، قَالَ:

---

(1) شَهْرَدَارُ بْنُ شِيرُوَيْه بنِ شَهْرَدَارَ بْنِ شِيرُوَيْه أبو منصور بن أبي شجاع الديلمي الهمذاني الحافظ (ت. 558هـ). التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد: 297، وتاريخ الإسلام: 12/ 37، وطبقات الشافعية الكبرى: 7/ 110.

(2) المعارف لابن قتيبة: 1/ 341.

(3) صحيح البخاري: 1/ 26 رقم: 77.

رَأَيْتُ صَبِيًّا ابْنَ أَرْبَعِ سِنِينَ، حُمِلَ إِلَى الْمَأْمُونِ، وَقَدْ قَرَأَ الْقُرْآنَ، وَنَظَرَ فِي الرَّأْيِ، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا جَاعَ بَكَى.

وَعَنِ الْقَاضِي أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَصْبَهَانِيِّ، قَالَ: «حَفِظْتُ الْقُرْآنَ وَلِي خَمْسُ سِنِينَ، وَحُمِلْتُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ابْنِ الْمُقْرِئِ لِأَسْمَعَ مِنْهُ وَلِي أَرْبَعُ سِنِينَ. فَقَالَ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ: لَا تَسْمَعُوا لَهُ فِيمَا قَرَأَ فَإِنَّهُ صَغِيرٌ، فَقَالَ لِي ابْنُ الْمُقْرِئِ: اقْرَأْ سُورَةَ الْكَافِرُونَ، فَقَرَأْتُهَا، فَقَالَ: اقْرَأْ سُورَةَ التَّكْوِيرِ فَقَرَأْتُهَا، فَقَالَ لِي غَيْرُهُ: اقْرَأْ الْمُرْسَلَاتِ، فَقَرَأْتُهَا، فَقَالَ ابْنُ الْمُقْرِئِ: اسْمَعُوا لَهُ وَالْعُهْدَةُ عَلَيَّ»(1).

قَالَ مَوْلَانَا أَحْمَدُ الْكَوْرَانِيُّ(2) فِي شَرْحِهِ الْمَوْسُومِ بِكِتَابِ **"الْكَوْثَرُ الْجَارِي إِلَى رِيَاضِ الْبُخَارِيِّ"**، بَعْدَ مَا نَقَلَ حَدِيثَ مَحْمُودِ بْنِ الرَّبِيعِ: «قَالَ ابْنُ الصَّلَاحِ: اسْتَدَلَّ الْجُمْهُورُ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَلَى أَنَّ أَقَلَّ زَمَانٍ يَجُوزُ فِيهِ تَحَمُّلُ الْحَدِيثِ خَمْسٌ. **ثُمَّ قَالَ**: وَالْحَقُّ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْحَدِيثِ مَا يَنْفِي الْأَقَلَّ مِنْهُ، وَالْمَنَاطُ قُدْرَةُ الصَّغِيرِ عَلَى الضَّبْطِ، وَهِيَ تَتَفَاوَتُ بِحَسَبِ الْفِطْرَةِ، ثُمَّ حَكَى الصَّبِيَّ الَّذِي قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي مَجْلِسِ الْمَأْمُونِ»(3).

وَنَظِيرُ هَذِهِ الْحِكَايَةِ، مَا رَوَى مَوْلَانَا حُسَيْنُ الْيَزْدِيُّ فِي كِتَابِ **"الْفَوَاتِحُ فِي شَرْحِ أَبْيَاتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ"**، عَنْ جَمْعٍ

---

(1) مقدمة معرفة أنواع علوم الحديث لابن الصلاح: 250

(2) أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني، شهاب الدين، كردي الأصل، المفسر (ت. 893هـ). الضوء اللامع: 1/ 241.

(3) الكوثر الجاري إلى رياض البخاري: 1/ 177.

كَثِيرِ مَقْبُولِي الرِّوَايَةِ، أَنَّهُمْ رَأَوْا بِمَدِينَةِ يَزْدَ[1] - مِنْ بِلَادِ الْعَجَمِ - طِفْلًا وَهُوَ فِي الْمَهْدِ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَالْأَشْعَارَ وَأَنْوَاعَ الْكَلِمَاتِ، وَيُخْبِرُ عَنِ الْأُمُورِ الْخَفِيَّةِ، وَكَانَ رَأْسُهُ أَكْبَرَ مِثْلَ رُؤُوسِ الْكِبَارِ، وَمَاتَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ وِلَادَتِهِ.

قَالَ مَوْلَانَا حُسَيْنٌ: وَمِنْ جُمْلَةِ مَنْ رَأَوْهُ وَالِدِي رَحِمَهُ اللهُ.

وَمِنْ غَرَائِبِ الِاتِّفَاقِيَّاتِ، أَنِّي عَقِيبَ مَا طَالَعْتُ فِي **"شَرْحُ الْبُخَارِيِّ"**[2] لِمَوْلَانَا الْكَوْرَانِيِّ، نَظَرْتُ فِي كِتَابِ **"الْفَوَاتِحُ"** الْمَذْكُورِ، وَصَادَفْتُ مَا فِيهِ مِنَ الْحِكَايَةِ الْمَذْكُورَةِ، وَتَعَجَّبْتُ مِنِ اتِّفَاقِ وُقُوفِي عَلَى هَاتَيْنِ الْحِكَايَتَيْنِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ.

رَجَعْنَا إِلَى الْمَقْصُودِ، وَهُوَ ذِكْرُ مَنْ رَآهُ أَبُو حَنِيفَةَ مِنَ الصَّحَابَةِ، أَوْ رَوَى عَنْهُ.

وَمِنْهُمْ: سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ السَّاعِدِيُّ، كَانَ اسْمُهُ حَزَنًا، فَسَمَّاهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَهْلًا، مَاتَ بِالْمَدِينَةِ، وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ وَهُوَ ابْنُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَمَاتَ بِهَا سَنَةَ إِحْدَى وَتِسْعِينَ أَوْ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ، وَهُوَ آخِرُ مَنْ مَاتَ مِنَ الصَّحَابَةِ بِهَا. وَالْإِمَامُ أَدْرَكَ زَمَانَهُ وَإِنْ لَمْ يَرَهُ.

---

(1) يَزْدُ: مدينة متوسطة بين نيسابور وشيراز وأصبهان معدودة في أعمال فارس ثم من كورة إصطخر. معجم البلدان: 5/ 435.

(2) يسمى الشرح: **"الْكَوْثَرُ الْجَارِي إِلى رِيَاضِ أَحَادِيثِ الْبُخَارِيِّ"**، لأحمدَ بنِ إسماعيلَ الْكُورَانِيِّ

وَمِنْهُمْ: **أَبُو الطُّفَيْلِ عَامِرُ بْنُ وَاثِلَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**. مَاتَ بِمَكَّةَ سَنَةَ اثْنَيْنِ وَمِئَةٍ[1]، وَهُوَ آخِرُ مَنْ مَاتَ مِنَ الصَّحَابَةِ فِي جَمِيعِ الْأَرْضِ، وَالْإِمَامُ أَدْرَكَ زَمَانَهُ لَا مَحَالَةَ.

وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ: إِنَّهُ لَمْ يَرَهُ. وَأَصْحَابُ الْمَنَاقِبِ ذَكَرُوا بِأَسَانِيدِهِمْ أَنَّهُ رَآهُ. وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ الْإِمْكَانَ ثَابِتٌ، وَالنَّاقِلَ عَدْلٌ، والْمُثْبِتَ أَوْلَى مِنَ النَّافِي. هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ مَنْ غَلَبَ عَلَى الظَّنِّ أَنَّ الْإِمَامَ لَقِيَهُ، وَتَحَقَّقَ أَنَّهُ أَدْرَكَ زَمَانَهُ.

وَهاهُنَا رِجَالٌ أُخَرُ شَكَّ الْقَوْمُ فِي أَنَّ الْإِمَامَ أَدْرَكَ زَمَانَهُمْ.

وَمِنْهُمْ: **مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ**، لِأَنَّ مَعْقِلًا مَاتَ بِالْبَصْرَةِ سَنَةَ سَبْعٍ وَسِتِّينَ، أَوْ سَبْعِينَ، وَوِلَادَةُ الْإِمَامِ سَنَةَ ثَمَانِينَ، اللَّهُمَّ إِلَّا عَلَى قَوْلِ مَنْ قَالَ: وُلِدَ الْإِمَامُ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ، وَمَعْقِلًا مَاتَ سَنَةَ سَبْعٍ وَسِتِّينَ.

وَمِنْهُمْ: **جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**، فَإِنَّهُ مَاتَ بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ سَبْعٍ أَوْ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ، وَوُلِدَ الْإِمَامُ سَنَةَ ثَمَانِينَ، اللَّهُمَّ إِلَّا عَلَى قَوْلِ مَنْ قَالَ: وُلِدَ الْإِمَامُ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ، وَالْأَكْثَرُ عَلَى خِلَافِهِ.

وَمِنْهُمْ: **عَبْدُ اللهِ بْنُ أُنَيْسٍ**. قِيلَ: لَقِيَهُ وَرَوَى عَنْهُ، إِلَّا أَنَّ فِيهِ إِشْكَالًا، إِذْ قَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ التَّارِيخِ على أَنَّهُ مَاتَ بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ قَبْلَ وِلَادَةِ الْإِمَامِ بِسَبْعِ سِنِينَ.

وَمِنْهُمْ: **عَائِشَةُ بِنْتُ عَجْرَدٍ**، لَقِيَهَا، وَرَوَى عَنْهَا.

---

(1) المعارف لابن قتيبة: 1/ 341.

وَالْحَاصِلُ، أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْمُحَدِّثِينَ أَنْكَرُوا مُلَاقَاتَهُ مَعَ الصَّحَابَةِ، وَجَمَاعَةً مِنَ أَصْحَابِهِ أَثْبَتُوا بِالْأَسَانِيدِ الْحِسَانِ، وَهُمْ بِأَحْوَالِهِ أَعْرَفُ مِنْهُمْ، وَالْمُثْبِتُ الْعَدْلُ الْعَالِمُ أَوْلَى مِنَ النَّافِي، حَتَّى جَمَعَ أَصْحَابُهُ مُسْنَدَاتِهِ فَبَلَغَتْ خَمْسِينَ، وَهَذَا سَبَبٌ صَالِحٌ لِتَقْدِيمِ مَذْهَبِهِ عَلَى سَائِرِ الْمَذَاهِبِ.

وَقَدْ ثَبَتَ بِمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ التَّفْصِيلِ أَنَّ الْإِمَامَ مِنَ التَّابِعِينَ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي الْأَحَادِيثِ السَّالِفَةِ أَنَّهُ سَيِّدُ زَمَانِهِ، فَيَنْتُجُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ سَيِّدُ التَّابِعِينَ، وَإِلَى ذلِكَ أَشَارَ الْإِمَامُ بِقَوْلِهِ: «مَا جَاءَنَا عَنِ الصَّحَابَةِ، فَعَلَى الرَّأْسِ وَالْعَيْنِ، وَمَا جَاءَنَا عَنِ التَّابِعِينَ، فَهُمْ رِجَالٌ وَنَحْنُ رِجَالٌ»[1].

وَمِنْ جِهَاتِ شَرَفِهِ ثَنَاءُ الْأَئِمَّةِ عَلَيْهِ، وَسَتَعْرِفُ تَفْصِيلَهُ.

وَمِنْ فَضَائِلِهِ، مَا رَوَى الْإِمَامُ أَبُو حَفْصٍ الْكَبِيرُ، أَنَّهُ عَدَّ مَشَايِخَ الشَّافِعِيِّ فَبَلَغَ ثَمَانِينَ، وَعَدَّ مَشَايِخَ الْإِمَامِ فَبَلَغَ أَرْبَعَةَ آلَافِ شَيْخٍ.

قَالَ فِي "الِانْتِصَارُ"[2]: هَذَا مِنْ أَدْنَى فَضَائِلِهِ، وَلَا يَخْتَلِجُ فِي صَدْرِكَ[3] أَنَّ مَشَايِخَ الْبُخَارِيِّ رُبَّمَا تَبْلُغُ عَشَرَةَ آلَافٍ، فَيَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ أَفْضَلَ مِنْهُ، لِأَنَّ مَشَايِخَ الْحَدِيثِ لَيْسَ كَمَشَايِخِ الْفِقْهِ، فَإِنَّ الْأَوَّلِينَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونُوا عَالِمِينَ دُونَ الْآخَرِينِ، وَلِهَذَا قَلَّ الْفُقَهَاءُ، وَكَثُرَ رُوَاةُ الْحَدِيثِ.

---

(1) إحياء علوم الدين: 1/ 79، وتاريخ الإسلام: 3/ 990.

(2) يقصد كتاب: **"الِانْتِصَارُ وَالتَّرْجِيحُ لِلْمَذْهَبِ الصَّحِيحِ"**، لجمال الدين يوسف بن فرغل سبط ابن الجوزي (ت. 654هـ).

(3) خاطرك، في قونية.

وَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ مَذْهَبَهُ أَشْرَفُ الْمَذَاهِبِ، فَاعْلَمْ أَنَّ مَا ذَكَرَهُ الشَّافِعِيَّةُ مِنْ أَنَّ قَوْلَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ»[1]. وَقَوْلَهُ: «قَدِّمُوا قُرَيْشًا، وَلَا تَتَقَدَّمُوا عَلَيْهَا»[2]، دَلِيلٌ عَلَى تَقَدُّمِ مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ عَلَى غَيْرِهِ، لِأَنَّا لَمْ نَجِدْ مِنْ قُرَيْشٍ إِمَامًا سِوَاهُ، وَلِأَنَّهُ ابْنُ عَمِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلِأَنَّهُ كَانَ أَعْلَمَ بِلُغَةِ الْعَرَبِ، لِأَنَّهُ نَشَأَ بِمَكَّةَ، وَتَخَرَّجَ بِالْمَدِينَةِ عَلَى إِمَامِ دَارِ الْهِجْرَةِ مَالِكٍ، فَمَدْفُوعٌ.

أَمَّا أَوَّلًا، فَلِأَنَّهُ إِنْ أَرَادَ بِالْإِمَامَةِ إِمَامَةَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكَ لَا يَخْتَصُّ بِقُرَيْشٍ، لِأَنَّ غَيْرَ قُرَيْشٍ تَقَدَّمَ فِي الصَّلَاةِ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفِي عَهْدِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ أَيْضًا، مَعَ وُجُودِ عُلَمَاءِ قُرَيْشٍ، وَكَذَلِكَ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الْأَعْلَمَ مُقَدَّمٌ فِي الصَّلَاةِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ قُرَشِيًّا.

وَإِمَّا أَنْ يُرَادَ إِمَامَةُ الْعِلْمِ، فَلَا يُشْتَرَطُ فِيهِ النَّسَبُ، لِمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ مُعَلِّمًا، وَقَدْ كَانَ أَكْثَرَ مَنْ يُؤْخَذُ عَنْهُ الْعِلَمُ فِي الْأَمْصَارِ مِنَ الْمَوَالِي، كَأَبِي مُوسَى وَحُذَيْفَةَ بِالْعِرَاقِ، وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ وَالزُّهْرِيِّ بِالْحِجَازِ، وَمُعَاذٍ وَأَبِي أُمَامَةَ بِالشَّامِ. وَلَا يَخْفَى حَالُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ وَقُرْبُهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَحَالُ صُهَيْبٍ وَسَلْمَانَ. وَكَذَلِكَ مَنْ بَعْدَ الصَّحَابَةِ، كَشُرَيْحٍ كَيْفَ اسْتَقْضَاهُ الْخُلَفَاءُ الثَّلَاثَةُ، وَلَمْ يَنْعَقِدِ الْإِجْمَاعُ

---

(1) السنن الكبرى: 5/ 405 رقم: 5909، ومصنف ابن أبي شيبة: 6/ 402 رقم: 32388.
(2) الأم للشافعي: 1/ 188، ومسند البزار: 2/ 112. برواية (وَلَا تَقَدَّمُوهَا).

بِدُونِ رَأْيِهِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ. وَلَوْ أَرَدْتُ ذِكْرَ الْمَوَالِي مِنَ الْفُقَهَاءِ فِي كُلِّ عَصْرٍ - مَعَ وُجُودِ عُلَمَاءِ قُرَيْشٍ - لَمَا حُصِرَ.

رُوِيَ عَنْ عَطَاءٍ أَنَّهُ قَالَ: «سَأَلَنِي هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَنْ عُلَمَاءِ الْأَمْصَارِ، قُلْتُ: لِلْمَدِينَةِ نَافِعٌ مَوْلَى ابْنِ عُمَرَ، وَلِمَكَّةَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ الْمَوْلَى، وَلِلْيَمَنِ طَاوُسُ بْنُ كَيْسَانَ الْمَوْلَى، وَلِلشَّامِ مَكْحُولُ الْمَوْلَى، وَلِلْجَزِيرَةِ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ الْمَوْلَى، وَلِلْبَصْرَةِ الْحَسَنُ وَابْنُ سِيرِينَ الْمَوْلَى، وَلِلْكُوفَةِ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ الْعَرَبِيُّ. قَالَ هِشَامُ: لَوْلَا قَوْلُكَ: عَرَبِيٌّ، لَكَادَتْ نَفْسِي تَخْرُجُ»(1). وَلِأَجْلِ هَذَا يُقَالُ لِلْعُلَمَاءِ: الْمَوَالِي، وَمَوْلَانَا.

وَأَيْضًا لَمَّا احْتَجَّ الصِّدِّيقُ فِي أَمْرِ الْخِلَافَةِ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ»، تَعَيَّنَ أَنَّ الْمُرَادَ الْخِلَافَةُ الْكُبْرَى، لَا إِمَامَةُ الْعِلْمِ وَالصَّلَاةِ.

وَقَوْلُهُمْ: ابْنُ عَمِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَلِكَ شَرَفُ النَّسَبِ، وَذَا لَا يَسْتَلْزِمُ شَرَفَ الْمَذْهَبِ.

وَقَوْلُهُمْ: كَانَ عَالِمًا بِاللِّسَانِ، مُسَلَّمٌ، لَكِنَّ الِاخْتِصَاصَ بِهِ مَمْنُوعٌ، فَإِنَّ مَالِكًا نَشَأَ بِالْمَدِينَةِ. وَالْإِمَامُ جَاوَرَ بِالْحَرَمَيْنِ مُدَّةً كَثِيرَةً حِينَ فَرَّ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ.

وَقَدْ ذَكَرَ الرَّازِيُّ أَنَّ شِعْرَ الْإِمَامِ كَانَ أَلْطَفَ وَأَفْصَحَ مِنْ شِعْرِ الشَّافِعِيِّ، وَجَوْدَةَ الشِّعْرِ لَا تَكُونُ إِلَّا بِكَمَالِ الْبَلَاغَةِ. ثُمَّ إِنَّ الِاعْتِبَارَ لِلتَّقْوَى لَا لِلنَّسَبِ،

---

(1) مناقب الإمام الأعظم لابن البزَّازِ: 1/ 57.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1]. فَانْظُرْ إِلَى لُقْمَانَ الْحَكِيمِ، كَانَ عَبْدًا غَلِيظَ الْمَشَافِرِ، وَآتَاهُ اللهُ الْحِكْمَةَ، أَيِ الْفِقْهَ، أَوْ جِنْسَ الْحِكْمَةِ؛ وَفُقَرَاءُ الصَّحَابَةِ وَزُهَّادُهُمْ كَانُوا مُقَدَّمِينَ عَلَى أَكْثَرِ الْأَشْرَافِ.

وَقَوْلُهُمْ: الْبَاهِلِيُّ لَيْسَ بِكُفْءٍ لِغَيْرِهِ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ لَيْسَ بِكُفْءٍ لِقُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ بَعْضُهُمْ أَكْفَاءُ بَعْضٍ، فَلَا يَضُرُّنَا، لِأَنَّ الْكَفَاءَةَ مُعْتَبَرَةٌ لِتَرْتِيبِ الْمَقَاصِدِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالنِّكَاحِ، وَلَا مَدْخَلَ لَهَا فِي شَرَفِ الْمَذْهَبِ؛ وَإِنَّمَا الْكَلَامُ فِي رَدِّ اسْتِلْزَامِ شَرَفِ النَّسَبِ شَرَفَ الْمَذْهَبِ، وَأَيْضًا مَا اخْتَرْنَاهُ لَيْسَ مَذْهَبَ الشُّعُوبِيَّةِ؛ لِأَنَّهُمْ قَوْمٌ يُعَادُونَ الْعَرَبَ، وَيُصَغِّرُونَ شَأْنَهُمْ، وَلَا يَرَوْنَ لَهُمْ فَضْلًا عَلَى غَيْرِهِمْ، وَأَمَّا نَحْنُ فَلَا نُبْغِضُهُمْ، وَلَا نُنْكِرُ فَضْلَهُمْ عَلَى سَائِرِ الطَّوَائِفِ، بَلْ نَقُولُ: إِنَّ شَرَفَ النَّسَبِ لَا يَفْضُلُ شَرَفَ التَّقْوَى وَالْمَذْهَبِ كَمَا عَرَفْتَ.

الْمَطْلَبُ الثَّانِي: فِي نَسَبِهِ وَحِرْفَتِهِ

قَالَ الْجَزَرِيُّ فِي "جَامِعُ الْأُصُولِ": «إِنَّهُ نُعْمَانُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ زُوطَا بْنِ مَاه مِنْ أَهْلِ كَابُلَ أَوْ أَهْلِ بَابِلَ»[2].

وَذَكَرَ صَاحِبُ "الْكَافِي": أَنَّهُ نُعْمَانُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ طَاوُسَ بْنِ هُرْمُزَ مَلِكِ بَنِي شَيْبَانَ. وَعَلى هذا يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ عَرَبِيًّا، فَإِنَّ بَغْدَادَ تُسَمَّى بِبَابِلَ فِي الْقَدِيمِ، وَإِلَيْهِ أَشَارَ فِي: **عِرَاقِيَّاتِ الْأَبِيوَرْدِيِّ**.

---

(1) سورة الحجرات الآية: 13.

(2) جامع الأصول: 12/ 952.

وَذَكَرَ أَبُو مُطِيعٍ الْبَلْخِيُّ أَنَّهُ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَهُوَ نُعْمَانُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ زُوطَا ابْنِ يَحْيَى بْنِ رَاشِدٍ الْأَنْصَارِيُّ.

وَقِيلَ: مِنْ أَبْنَاءِ أَفرِيدُون مِنْ نَسْلِ مُلُوكِ الْعَجَمِ.

وَذَكَرَ الْغَزْنَوِيُّ عَنْ صَالِحِ بْنِ أَحْمَدَ الْعِجْلِيِّ بِإِسْنَادِهِ، أَنَّهُ كُوفِيٌّ تَيْمِيٌّ، مِنْ رَهْطِ حَمْزَةَ بْنِ الزَّيَّاتِ الْمُقْرِئِ، وَكانَ بَزَّازًا يَبِيعُ الْخَزَّ.

قِيلَ: كَانَ ثَابِتُ مِنْ قَرْيَةِ نَسَا مِنْ خُرَاسَانَ. وَقِيلَ مِنْ مَدِينَةِ الرِّجَالِ تِرْمِذَ. وَقِيلَ مِنْ أَنْبَارَ[1]. وَقِيلَ مِنْ كَابُلَ[2].

وُلِدَ ثَابِتُ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَكَانَ زُوطَا مَمْلُوكًا، بَاعَهُ مَوْلَاهُ مِنْ تَيْمِ اللهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ.

وَعَنِ ابْنِهِ حَمَّادٍ، أَنَّ جَدَّهُ ثَابِتَ بْنَ النُّعْمَانِ بْنِ الْمَرْزُبَانِ، مِنْ أَبْنَاءِ فَارِسَ مِنَ الْأَحْرَارِ، مَا وَقَعَ عَلَيْنَا رِقٌّ قَطُّ.

ذَهَبَ ثَابِتٌ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَهُوَ صَغِيرٌ، فَدَعَا بِالْبَرَكَةِ لَهُ وَلِذُرِّيَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ. قَالَ حَمَّادٌ: فَنَحْنُ نَرْجُو مِنْ تِلْكَ الْبَرَكَةِ.

---

(1) الأنبار: مدينة قرب بلخ وهي قصبة ناحية جوزجان، وقيل: مدينة على الفرات في غربي بغداد. معجم البلدان: 1/ 257.

(2) هذه الأخبار في الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 2/ 451.

وَالنُّعْمَانُ بْنُ الْمَرْزُبَانِ أَبُو ثَابِتٍ، هُوَ الَّذِي أَهْدَى إِلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الْفَالُوذَجَ[1] يَوْمَ النَّيْرُوزِ. [وَقِيلَ: كانَ يَوْمَ][2] الْمِهْرَجَانِ، فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: نَوْرِزُونَا أَوْ مَهْرِجُونَا كُلَّ يَوْمٍ[3].

قِيلَ: وَالتَّوْفِيقُ بَيْنَ نِسْبَةِ الْإِمَامِ إِلَى بِلادٍ مُتَعَدِّدَةٍ، يُمْكِنُ أَنْ يُولَدَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهَا، وَيَتَوَطَّنَ بِأُخْرَى، وَتكُونَ نَشْأَتُهُ وَتَأَهُّلُهُ بِأُخْرَى، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ يَصْدُقُ عَلَيْهِ أَنَّهُ وَطَنٌ.

قِيلَ: مَنْ أَقَامَ بِبَلْدَةٍ أَرْبَعَ سِنِينَ يُنْسَبُ إِلَيْهَا.

وَقِيلَ: «مَنْ تَأَهَّلَ بِبَلْدَةٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»[4].

وَسَمِعْتُ مَنْ أَثِقُ بِهِ يَرْوِي عَنْ بَعْضِ الْكُتُبِ، أَنَّ ثَابِتًا تُوُفِّيَ، وَتَزَوَّجَ أُمَّ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ الْإِمَامُ جَعْفَرٌ الصَّادِقُ، وَكانَ أَبُو حَنِيفَةَ صَغِيرًا، وَتَرَبَّى فِي حِجْرِ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ، وَأَخَذَ عُلُومَهُ مِنْهُ، وَهَذِهِ الرِّوَايَةُ إِنْ ثَبَتَتْ فَمَنْقَبَةٌ عَظِيمَةٌ لِأَبِي حَنِيفَةَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا.

---

(1) الفالوذج: لباب القمح بلعاب النحل. اللسان/ لبب.

(2) زيادة من أنطاليا. والمهرجان لفظ فارسي وهو عندهم عيد الاعتدال الخريفي، والنيروز عندهم أول يوم من أيام السنة الشمسية 21 مارس. معجم المصطلحات والألقاب التاريخية: 412، والمعجم الوسيط: 2/ 890.

(3) تاريخ بغداد: 15/ 444.

(4) نصب الراية لأحاديث الهداية للزَّيْلَعِي: 3/ 271.

الْمَطْلَبُ الثَّالِثُ: فِي ثَنَاءِ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ عَلَيْهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ

رَوَى هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ عَنِ الشَّافِعِيِّ أَنَّهُ قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَفْقَهَ مِنْهُ، مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَفَقَّهَ فَعَلَيْهِ بِهِ وَبِأَصْحَابِهِ، وَأَنَّ النَّاسَ عِيَالٌ عَلَى أَبِي حَنِيفَةَ فِي الْفِقْهِ[1].

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: مَا رَأَيْتُ، مَا عَلِمْتُ؛ لِأَنَّهُ وُلِدَ فِي السَّنَةِ بَلْ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ الْإِمَامُ.

وَفِي رِوَايَةِ الصَّيْمَرِيِّ: عِيَالٌ عَلَى أَبِي حَنِيفَةَ فِي الْقِيَاسِ وَالِاسْتِحْسَانِ[2].

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: كَانَ مَالِكٌ كَثِيرًا مَا يَقُولُ قَوْلَهُ وَإِنْ كَانَ لَا يُظْهِرُهُ[3].

وَعَنْ إِسْحَاقَ بْنِ مُحَمَّدٍ: كَانَ مَالِكٌ رُبَّمَا اعْتَبَرَ بِقَوْلِهِ فِي الْمَسَائِلِ.

وَعَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي فُدَيْكٍ قالَ: رَأَيْتُ مَالِكًا قَابِضًا عَلَى يَدِ الْإِمَامِ وَهُمَا يَمْشِيَانِ، فَلَمَّا بَلَغَا الْمَسْجِدَ قَدَّمَ الْإِمَامَ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ لَمَّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ: بِسْمِ اللهِ هَذَا مَوْضِعُ الْأَمَانِ، فَأَمِّنِّي مِنْ عَذَابِكَ، وَنَجِّنِي مِنَ النَّارِ[4].

وَعَنِ الشَّافِعِيِّ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَبَحَّرَ فِي الْمَغَازِي، فَهُوَ عِيَالٌ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، وَفِي الْفِقْهِ عِيَالٌ عَلَى أَبِي حَنِيفَةَ، وَفِي النَّحْوِ عِيَالٌ عَلَى الْكِسَائِيِّ، وَفِي التَّفْسِيرِ عِيَالٌ على مُحَمَّدِ بْنِ مُقَاتِلٍ، وَفِي الشِّعْرِ عِيَالٌ عَلَى زُهَيْرٍ[5].

---

(1) تاريخ بغداد: 15/ 73.

(2) أخبار أبي حنيفة وأصحابه للصَّيْمَرِي: 26.

(3) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 1/ 458.

(4) المصدر نفسه.

(5) مناقب الشافعي للبيهقي: 1/ 522.

وَعَنْهُ: مَنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي كُتُبِهِ لَمْ يَتَبَحَّرْ فِي الْفِقْهِ.

وَعَنْهُ: قَوْلُهُ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُدْفَعَ بِالْهُوَيْنَى.

وَعَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ: وَضَعَ أَبُو حَنِيفَةَ سِتِّينَ أَلْفَ مَسْأَلَةٍ فِي الْإِسْلَامِ.

وَعَنِ الْإِمَامِ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَتِيقٍ، أَنَّهُ وَضَعَ خَمْسَمِئَةِ أَلْفِ مَسْأَلَةٍ.

وَذَكَرَ الْخَطِيبُ الْخُوَارَزْمِيُّ: أَنَّهُ وَضَعَ ثَلَاثَمِئَةِ أَلْفِ مَسْأَلَةٍ، ثَمَانِيَةَ وَثَلَاثِينَ أَلْفًا فِي الْعِبَادَةِ، وَالْبَاقِي فِي الْمُعَامَلَةِ، لَوْلَا هَذَا لَبَقِيَ النَّاسُ فِي الضَّلَالَةِ[1].

(1) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 1/ 472.

الْمَطْلَبُ الرَّابِعُ: فِي مَذْهَبِهِ فِي أُصُولِ الدِّينِ

قَالَ عَمْرُو بْنُ حَمَّادِ بْنِ أَبِي حَنِيفَةَ: أَقَمْتُ عِنْدَ مَالِكٍ مُدَّةً، فَلَمَّا أَرَدْتُ الرُّجُوعَ، قُلْتُ: لَعَلَّ بَعْضَ الْحُسَّادِ ذَكَرُوا جَدِّي عِنْدَكَ عَلَى خِلافِ مَا كَانَ عَلَيْهِ، فَأَذْكُرُ لَكَ مَذْهَبَهُ، فَإِنْ رَضِيتَ فَذَاكَ، وَإِلَّا فَعِظْنِي.

قُلْتُ: كَانَ لَا يُخْرِجُ أَحَدًا مِنَ الْإِيمَانِ بِذَنْبٍ، قَالَ: أَصَابَ. قُلْتُ: وَإِنْ أَصَابَ الْفَوَاحِشَ، قَالَ: أَصَابَ. قُلْتُ: وَكَانَ لَا يُكَفِّرُ قَاتِلَ النَّفْسِ، قالَ: أَصَابَ. فَمَنْ قَالَ غَيْرَ هَذَا فَقَدْ أَخْطَأَ.

قالَ: بَلَغَنِي أَنَّهُ كانَ يَقُولُ: إِيمَانِي مِثْلُ إِيمَانِ جِبْرِيلَ. قُلْتُ: بَلَغَكَ الْبَاطِلُ، كَانَ يَقُولُ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى بَعَثَ جِبْرِيلَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَمَا بَعَثَهُ إِلَى مَنْ قَبْلَهُ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ النَّاسَ إِلَى الْإِيمَانِ، إِيمَانٌ وَاحِدٌ لَا إِيمَانَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ، وَلَا إِيمَانُ هَذَا وَإِقْرَارُ هَذَا، غَيْرَ إِيمَانِ هَذَا وَإِقْرَارِ ذَا، فَتَبَسَّمَ كَالرَّاضِي بِهِ، وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا.

قُلْتُ: وَكَانَ يُنْكِرُ الشَّكَّ فِي الْإِيمَانِ، قَالَ: وَمَا الشَّكُّ فِيهِ، قُلْتُ: عِنْدَنَا أَقْوَامٌ لا يَقُولُونَ أَنَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَسْتَثْنُونَ إِيمَانَهُ[1]، أَوْ يَقُولُ أَحَدُهُمْ: لَا أَدْرِي أَنَا مُؤْمِنٌ أَمْ لَا، فَأَنْكَرَهُ، وَقالَ: مَنْ يَقُولُ هَذَا[2].

(1) أنا مؤمن إن شاء الله يستثني إيمانه، في أنطاليا.

(2) فأنكر من يقول هذا، في أنطاليا.

وَرُوِيَ عَنِ الْإِمَامِ أَبِي مُقَاتِلٍ أَنَّ "كِتَابُ الْعَالِمِ وَالْمُتَعَلِّمِ" كَانَ لِأَبِي حَنِيفَةَ، وَأَنَّهُ كَانَ عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، إِذْ قَدْ صَرَّحَ الْإِمَامُ فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ بِأَكْثَرِ قَوَاعِدِ أَهْلِ السُّنَّةِ. وَيَلْزَمُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ بَرِيئًا عَنْ مَذْهَبِ الِاعْتِزَالِ[1].

وَصَرَّحَ صَدْرُ الْأَئِمَّةِ أَخْطَبُ الْخُطَبَاءِ الْخُوَارَزْمِيُّ الْمُعْتَزِلِيُّ فِي مَنَاقِبِهِ، أَنَّ ذَلِكَ الْكِتَابَ لَهُ.

وَزَعَمَ الْمُعْتَزِلَةُ أَنَّهُ كَانَ عَلَى رَأْيِهِمْ، وَلَيْسَ هَذَا بِأَوَّلِ مُكَابَرَتِهِمْ.

وَلَمَّا سُئِلَ الْإِمَامُ عَنِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ[2]، قَالَ: «أَنْ تُفَضِّلَ الشَّيْخَيْنِ، وَتُحِبَّ الْخَتَنَيْنِ[3]، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ مِنَ اللهِ تَعَالَى، وَتَمْسَحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ، وَتُحَلِّلَ نَبِيذَ التَّمْرِ لِلتَّقَوِّي عَلَى الطَّاعَةِ لَا لِلسُّكْرِ، وَأَلَّا تُكَفِّرَ أَحَدًا بِذَنْبٍ، وَأَنْ لَا تَتَكَلَّمَ فِي اللهِ - يَعْنِي فِي صِفَاتِهِ - بِشَيْءٍ»[4]. وَهَذَا أَيْضًا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ، فَإِنَّ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى عِنْدَهُمْ تَوْقِيفِيَّةٌ.

وَكَانَ لَا يَقُولُ فِي الصَّحَابَةِ إِلَّا خَيْرًا، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ أَمْسَكُوا عَنْ تَفْضِيلِ بَعْضِهِمْ عَلَى الْبَعْضِ، إِلَّا أَنَّ الْجُمْهُورَ عَلَى خِلَافِهِ؛ فَمَذْهَبُ **الْأَكْثَرِ**:

---

(1) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 1/ 472.

(2) جزء من هذا الخبر في بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: 1/ 7.

(3) أي الصهرين، وهما: سيدنا عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، والمراد بالشيخين، أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب، رضي الله عنهم أجمعين.

(4) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث للبيهقي: 162.

الصِّدِّيقُ أَفْضَلُ، وَ**الْخَطَّابِيَّةِ**: الْفَارُوقُ أَفْضَلُ، وَ**الرَّاوَنْدِيَّةِ**[1]: الْعَبَّاسُ أَفْضَلُ، وَ**الرَّافِضَةِ**: عَلِيٌّ أَفْضَلُ. وَ**أَهْلُ السُّنَّةِ** اتَّفَقُوا عَلَى تَقَدُّمِ الشَّيْخَيْنِ، ثُمَّ عُثْمَانَ، ثُمَّ عَلِيٍّ عِنْدَ الْأَكْثَرِ، وَهُوَ الْأَصَحُّ مِنْ مَذْهَبِ الْإِمَامِ، وَعِنْدَ الْأَقَلِّ: عَلِيٌّ ثُمَّ عُثْمَانُ، وَهُوَ رِوَايَةٌ عَنِ الْإِمَامِ.

وَاتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّةِ على أَنَّ بَعْدَ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ تَمَامَ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرَةِ بِالْجَنَّةِ، ثُمَّ أَهْلَ بَدْرٍ، ثُمَّ أَهْلَ أُحُدٍ، ثُمَّ أَهْلَ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ، وَمِمَّنْ لَهُ مَزِيَّةٌ أَهْلِ الْعَقَبَتَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَكَذَا السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ، وَهُمُ الَّذِينَ صَلَّوْا إِلَى الْقِبْلَتَيْنِ، ثُمَّ اخْتَلَفُوا أَنَّ هَذَا التَّفْضِيلَ ظَنِّيٌّ أَوْ قَطْعِيٌّ، قالَ الْأَشْعَرِيُّ بِالْأَوَّلِ، وَالْبَاقِلَّانِيُّ بِالثَّانِي، وَفِي أَنَّهُ بِحَسَبِ الظَّاهِرِ فَقَطْ، أَوْ بِحَسَبِ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ مَعًا.

رُوِيَ أَنَّ الْإِمَامَ جَالَسَ عَطَاءَ بْنَ أَبِي رَبَاحٍ إِمَامَ أَهْلِ مَكَّةَ، فَقَالَ: مِمَّنْ؟ قَالَ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ، مِنَ الَّذِينَ لا يُكَذِّبُونَ الْقَدَرَ، وَلَا يُكَفِّرُونَ بِالذَّنْبِ، وَلَا يَتَنَاوَلُونَ السَّلَفَ، فَعَقَدَ عَطَاءُ بِيَدِهِ ثَلَاثِينَ، وَقَالَ: هَكَذَا أَدْرَكْنَا السَّلَفَ.

وَقَدْ مَرَّتْ مُنَاظَرَةُ الْإِمَامِ مَعَ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ بِالْبَصْرَةِ، وَوَصِيَّتُهُ لِابْنِهِ حَمَّادٍ فِي ذَلِكَ.

(1) الراوندية: نسب هذه الفرقة النوبختي إلى أبي هريرة الراوندي من الشيعة، ذهبت إلى أن الإمامة للعباس بن عبد المطلب. فرق الشيعة: 47.

الْمَطْلَبُ الْخَامِسُ: فِي أَجْوِبَتِهِ اللَّطِيفَةِ

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُقَاتِلٍ، قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ لِلْإِمَامِ: مَا تَقُولُ فِيمَنْ لَا يَرْجُو الْجَنَّةَ وَلَا يَخَافُ النَّارَ وَلَا يَخَافُ اللهَ تَعَالَى، وَيَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَيُصَلِّي بِلَا رُكُوعٍ وَلَا سُجُودٍ، وَيَشْهَدُ بِمَا لَمْ يَرَهُ، وَيُبْغِضُ الْحَقَّ، وَيُحِبُّ الْفِتْنَةَ؟ قَالَ أَصْحَابُهُ: أَمْرُ هَذَا الرَّجُلِ مُشْكِلٌ، قَالَ الْإِمَامُ: هَذَا رَجُلٌ يَرْجُو اللهَ تَعَالَى لَا الْجَنَّةَ، وَيَخَافُ اللهَ تَعَالَى لَا النَّارَ، وَلَا يَخَافُ الظُّلْمَ مِنَ اللهِ تَعَالَى فِي عَدْلِهِ، وَيَأْكُلُ السَّمَكَ وَالْجَرَادَ، وَيُصَلِّي الْجَنَازَةَ، وَيَشْهَدُ بِالتَّوْحِيدِ، وَيُبْغِضُ الْمَوْتَ وَهُوَ حَقٌّ، وَيُحِبُّ الْمَالَ وَالْوَلَدَ وَهُمَا فِتْنَةٌ، فَقَامَ السَّائِلُ، وَقَبَّلَ رَأْسَهُ، وَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ لِلْعِلْمِ وِعَاءٌ»[1].

وَقَالَ الْعَلَّامَةُ حُسَامُ الدِّينِ السِّغْنَاقِيُّ: «إِنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَيْهِ وَقَالَ: بِوَاوٍ أَمْ بِوَاوَيْنِ، قَالَ الْإِمَامُ: بِوَاوَيْنِ، قَالَ الرَّجُلُ: بَارَكَ اللهُ تَعَالَى فِيكَ كَمَا بُورِكَ فِي لَا وَلَا، فَلَمْ يَعْلَمِ الْحَاضِرُونَ مَا قَالَا، قَالَ الْإِمَامُ: سَأَلَنِي عَنِ التَّشَهُّدِ بِوَاوَيْنِ أَمْ بِوَاوٍ، فَقُلْتُ: بِهِمَا، فَقَالَ: بَارَكَ اللهُ فِيكَ كَمَا بُورِكَ فِي لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ»[2].

قُلْتُ: وَرَأَيْتُ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ أَنَّ السَّائِلَ هُوَ الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ذَكَرَ الْمَرْغِينَانِيُّ: أَنَّ الْإِمَامَ اجْتَمَعَ مَعَ شَيْطَانِ الطَّاقِ[3] فِي الْحَمَّامِ، فَقَالَ لِلْإِمَامِ: أُسْتَاذُكُمْ مَاتَ فَاسْتَرَحْنَا مِنْهُ، وَكَانَ قَرِيبَ الْعَهْدِ بِمَوْتِهِ، قَالَ الْإِمَامُ:

---

(1) الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان لابن نجيم: 366.

(2) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 2/ 475.

(3) محمد بن علي بن النعمان بن أبي طريفة البجلي، الملقب بشيطان الطاق، توفي حدود سنة: 180هـ. أول من لقبه بذلك أبو حنيفة، وله مناظرات معه. تاريخ الإسلام: 4/ 652.

أُسْتَاذُنَا يَمُوتُ، وَأُسْتَاذُكُمْ مِنَ الْمُنْظَرِينِ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ، فَتَحَيَّرَ الرَّافِضِيُّ، وَكَشَفَ عَوْرَتَهُ، فَأَغْمَضَ الْإِمَامُ بَصَرَهُ، فَقَالَ الشَّيْطَانُ: مُنْذُ كَمْ أَعْمَى اللهُ بَصَرَكَ يَا نُعْمَانُ؟ قَالَ: مُنْذُ هَتَكَ اللهُ سِتْرَكَ، فَبَادَرَ الْإِمَامُ إِلَى الْخُرُوجِ مِنَ الْحَمَّامِ، وَأَنْشَأَ الْإِمَامُ: [الطويل]

أَقُولُ وَفِي قَوْلِي بَلَاغٌ وَحِكْمَـةٌ وَمَا قُلْتُ قَوْلًا جِئْتُ فِيهِ بِمُنْكَرِ
أَلَا يَـا عِبَـادَ اللهِ خَـافُوا إِلَهَكُمْ وَلَا تَـدْخُلُوا الْحَمَّـامَ إِلَّا بِمِئْزَرِ

عَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْخَطِيبِ صَدْرِ الْأَئِمَّةِ الْخُوَارَزْمِيِّ الْعَسْكَرِيِّ، قَالَ الْإِمَامُ: كُنَّا لَا نَنْصَرِفُ مِنْ عِنْدِ حَمَّادٍ إِلَّا بِفَائِدَةٍ، فَقَالَ لَنَا يَوْمًا: إِذَا وَرَدَتْ عَلَيْكُمْ مَسْأَلَةٌ مُعْضِلَةٌ، فَاجْعَلْهَا سُؤَالًا عَلَى صَاحِبِهَا، فَوَعَيْتُهُ، فَقَالَ لِي يَوْمًا رَبِيعٌ الْحَاجِبُ فِي دَارِ الْمَنْصُورِ وَكَانَ يُعَادِينِي: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَأْمُرُنَا بِقَتْلِ الرَّجُلِ، فَهَلْ يَحِلُّ لَنَا ذَلِكَ وَلَا نَدْرِي مَا سَبَبُهُ؟ قُلْتُ: يَا أَبَا الْعَبَّاسِ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَأْمُرُ بِالْحَقِّ أَوْ بِالْبَاطِلِ؟ قَالَ: بِالْحَقِّ، قُلْتُ: أَنْفِذِ الْحَقَّ[1] حَيْثُ كَانَ، وَكَانَ أَرَادَ الرَّبِيعُ أَنْ يُوثِقَنِي[2] فَرَبَطْتُهُ[3].

عَنْ أَبِي يُوسُفَ بْنِ خَالِدٍ: أَنَّ الْإِمَامَ كَانَ مَعَ ابْنِ أَبِي لَيْلَى [فِي الطَّرِيقِ، فَمَرَّا عَلَى نِسْوَانٍ يُغَنِّينَ، فَلَمَّا سَكَتْنَ قَالَ الْإِمَامُ: أَحْسَنْتُنَّ، قَالَ ابْنُ أَبِي

(1) انْفَذْ للحق، في أنطاليا.

(2) يوبقني، في أنطاليا.

(3) الخبر مع البيتين في الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 2/ 477.

لَيْلَى:][1] أَسْقَطْتُكَ مِنْ بَعْدُ عَنِ الشَّهَادَةِ، قالَ الْإِمَامُ: لِمَ؟ قالَ: قُلْتَ لِمَنْ يُغَنِّي: أَحْسَنْتَ، قالَ: مَتَى قُلْتُ؟ قالَ: حِينَ سَكَتْنَ، قالَ: أَرَدْتُ بِذَلِكَ أَحْسَنْتُنَّ بِالسُّكُوتِ[2].

وكانَ ابْنُ أَبِي لَيْلَى إِذا وَقَعَتْ عَوِيصَةٌ دَسَّ إِلى الْإِمَامِ مَنْ يَسْأَلُهُ، وَكانَ الْإِمَامُ يَعْلَمُ بِهِ وَيُنْشِدُ: [الكامل]

وَإِذَا تَكُونُ كَرِيهَةٌ أُدْعَى لَهَا ... وَإِذَا يُحَاسُ الْحَيْسُ يُدْعَى جُنْدُبُ[3]

حُكِيَ: أَنَّ وَاحِدًا مِنْ أَشْرَافِ الْبَصْرَةِ، خَطَبَ ابْنَتَيْ صَدِيقِهِ لِابْنَيْهِ، الْكُبْرَى لِلْأَكْبَرِ، وَالصُّغْرَى لِلْأَصْغَرِ، وَوَقَعَ الْغَلَطُ لَيْلَةَ الزِّفَافِ، فَزُفَّتْ إِلَى كُلٍّ مِنْهُمَا مَنْكُوحَةُ الْآخَرِ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ الْأَمْرُ بَعْدَ خَرَابِ الْبَصْرَةِ، تَحَيَّرَ أَبُوهُمَا، وَاتَّخَذَ ضِيَافَةً، فَجَمَعَ الْعُلَمَاءَ، وَفِيهِمُ الْإِمَامُ وَالْكِسَائِيُّ، فَلَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ، عَرَضَ الِابْنَانُ الْقِصَّةَ، فَاجْتَرَأَ الْكِسَائِيُّ، وَفِي رِوَايَةِ سُفْيَانُ، وَقَالَ: حَكَمَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ فِي مِثْلِهِ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الرَّجُلَيْنِ الْعَقْرَ والصَّبْرَ، إِلى أَنْ تَظْهَرَ بَرَاءَةُ رَحِمِ مَوْطُوءَتِهِ، فَاشْمَأَزَّا مِنْ هَذَا الْجَوَابِ، لِمَا فِيهِ مِنَ الِانْتِظَارِ، وَأَنْ يَطَأَ كُلٌّ مِنْهُمَا مَوْطُوءَةَ أَخِيهِ، فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: غَيْرُ هَذَا أَرْفَقُ بِالْفَرِيقَيْنِ، وَهُوَ أَنْ يُطَلِّقَ كُلٌّ مِنْهُمَا مَنْكُوحَتَهُ، وَيَتَزَوَّجَ بِمَوْطُوءَتِهِ، فَرَضِيَا بِهِ، وَفَرِحَا عَلَيْهِ،

(1) ما بين معقوفين سقط من أنطاليا.

(2) الخبر باختصار في الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 1/ 478.

(3) البيت من شواهد سيبويه: 1/ 161، وفي مجمع الأمثال:2/ 413، وَاخْتُلِفَ في قائله والأشهر أنه لضمرة بن جابر الدارمي.

وَدَعَا الْحَاضِرُونَ لِأَبِي حَنِيفَةَ بِالْبَرَكَةِ فِي عِلْمِهِ، ثُمَّ اشْتَغَلُوا بِالطَّعَامِ. قَالَ الْإِمَامُ: هَذِهِ أَطْعِمَةُ الْوَلِيمَةِ الْأُولَى، فَأَيْنَ أَطْعِمَةُ الْوَلِيمَةِ الثَّانِيَةِ، فَضَحِكَ الْحَاضِرُونَ، وَاسْتَحْسَنُوا كَلَامَهُ وَعِلْمَهُ.

رُوِيَ أَنَّ الْأَعْمَشَ وَامْرَأَتَهُ تَخَاصَمَا لَيْلَةً، فَحَلَفَ الْأَعْمَشُ بِالطَّلَاقِ إِنْ لَمْ تُكَلِّمِينِي اللَّيْلَةَ، وَالْمَرْأَةُ سَكَتَتْ وَرَضِيَتْ بِالطَّلَاقِ، وَنَدِمَ الْأَعْمَشُ، فَذَهَبَ لَيْلًا إِلَى الْإِمَامِ، وَكَلَّمَهُ بِالْحَاجَةِ، فَقَالَ الْإِمَامُ: الْفَرَجُ قَرِيبٌ، فَأَمَرَ مُؤَذِّنَ الْأَعْمَشِ أَنْ يُؤَذِّنَ قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ، فَلَمَّا سَمِعَتِ الْمَرْأَةُ الْأَذَانَ، قَالَتِ: الْحَمْدُ لله الَّذِي أَرَاحَنِي مِنْكَ، فَقَالَ الْأَعْمَشُ: رَحِمَ اللهُ أَبَا حَنِيفَةَ حَيْثُ وَقَانَا مِنَ الْحِيفَةِ[1].

قِيلَ: كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ صَاحِبُ الْمَغَازِي يُعَادِي الْإِمَامَ، فَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ الْمَنْصُورِ: إِنَّ هَذَا يُخَالِفُ جَدَّكَ ابْنَ عَبَّاسٍ، وَلَا يُجَوِّزُ الِاسْتِثْنَاءَ الْمُنْفَصِلَ، قالَ الْخَلِيفَةُ: أَهَكَذَا، قَالَ الْإِمَامُ: نَعَمْ، لَكِنْ هَؤُلَاءِ بَايَعُوكَ تَقِيَّةً، وَيُرِيدُونَ لِأَنْفُسِهِمْ الِاسْتِثْنَاءَ مَتَى شَاؤُوا، فَغَضِبَ الْخَلِيفَةُ، وَأَمَرَ بِحَبْسِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ.

رُوِيَ أَنَّ دَهْرِيًّا مِنَ الرُّومِ، نَاظَرَ مَعَ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ، فَأَفْحَمَهُمْ إِلَّا حَمَّادًا، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِمَا فِيهِ مَقْنَعٌ، وَالْإِمَامُ إِذْ ذَاكَ كَانَ صَبِيًّا، فَخَافَ حَمَّادٌ لِأَجْلِ أَنَّهُ لَوْ أَلْزَمَهُ أَيْضًا يَهُونُ أَمْرُ الْإِسْلَامِ، فَرَأَى تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي الْمَنَامِ، أَنَّ خِنْزِيرًا أَكَلَ عُشْبَ شَجَرَةٍ

---

(1) أورد القصة بتصرف من الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 1/ 480.

وَفُرُوعَهَا، وَمَا بَقِيَ إِلَّا أَصْلُهَا، فَخَرَجَ مِنَ الشَّجَرَةِ شِبْلُ أَسَدٍ فَقَتَلَ الْخِنْزِيرَ. **وَلَمَّا** ذَهَبَ الْإِمَامُ إِلَى حَمَّادٍ وَقْتَ الصُّبْحِ، وَجَدَهُ مُغْتَمًّا فِي الْغَايَةِ لِأَجْلِ الدَّهْرِيِّ اللَّعِينِ، وَلِأَمْرِ هَذِهِ الرُّؤْيَا، فَسَأَلَهُ الْإِمَامُ عَنْ سَبَبِ هذا الِاغْتِمَامِ، فَبَيَّنَهُ لَهُ، وَقَالَ: الْحَمْدُ للهِ، الْخِنْزِيرُ هُوَ الدَّهْرِيُّ الْخَبِيثُ، وَالشَّجَرَةُ الْعِلْمُ، وَفُرُوعُهَا غَيْرُكَ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَأَصْلُهَا أَنْتَ، وَالْأَسَدُ أَنَا، وَأَنَا أَقْهَرُهُ بِعَوْنِ اللهِ تَعَالَى.

فَذَهَبَ الْإِمَامُ مَعَ أُسْتَاذِهِ إِلى الْجَامِعِ، وَصَعِدَ الدَّهْرِيُّ الْمِنْبَرَ، وَطَلَبَ الْخَصْمَ، فَحَضَرَ الْإِمَامُ وَهُوَ صَبِيٌّ، فَاسْتَحْقَرَهُ الدَّهْرِيُّ، قَالَ الْإِمَامُ: دَعْ هَذَا، وَهَاتِ كَلَامَكَ، فَتَعَجَّبَ الدَّهْرِيُّ مِنْ جُرْأَتِهِ، ثُمَّ قالَ: كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يُوجَدَ شَيْءٌ لَا أَوَّلَ لَهُ وَلَا آخِرَ لَهُ؟ قَالَ الْإِمَامُ: هَلْ تَعْرِفُ الْعَدَدَ؟ قالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَا قَبْلَ الْوَاحِدِ؟ قالَ: هُوَ الْأَوَّلُ لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ، فَقَالَ: إِذَا لَمْ يَكُنْ قَبْلَ الْوَاحِدِ الْمَجَازِيِّ اللَّفْظِيِّ شَيْءٌ، فَكَيْفَ يَكُونُ قَبْلَ الْوَاحِدِ الْحَقِيقِيِّ؟ قالَ الدَّهْرِيُّ: فِي أَيِّ جِهَةٍ وَجْهُهُ وَكُلُّ شَيْءٍ لا يَخْلُو عَنِ الْجِهَاتِ؟ قَالَ الْإِمَامُ: إِذَا أَوْقَدْتَ السِّرَاجَ فَإِلَى أَيِّ وَجْهٍ نُورُهُ؟ قالَ: يَسْتَوِي لِنُورِهِ الْجِهَاتُ، قالَ: إِذَا كانَ حَالُ النُّورِ الْمَجَازِيِّ الْمُسْتَعَارِ هَذَا، فَكَيْفَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْبَاقِي الدَّائِمُ؟! قَالَ الدَّهْرِيُّ: فِي أَيِّ مَكَانٍ هُوَ وَكُلُّ مَوْجُودٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مَكَانٍ؟ فَأَتَى الْإِمَامُ بِاللَّبَنِ، وَقَالَ: هَلْ فِيهِ سَمْنٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فِي أَيِّ مَكَانٍ مِنْهُ؟ قَالَ: لَا يَخْتَصُّ بِمَكَانٍ مِنْهُ، قَالَ: إِذَا كَانَ حَالُ الْمَوْجُودِ الزَّائِلِ كَذَا، فَكَيْفَ حَالُ الْبَاقِي الدَّائِمِ خَالِقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ؟! قَالَ الدَّهْرِيُّ: بِمَاذَا يَشْتَغِلُ هُوَ؟ قالَ: سَأَلْتَ هَذِهِ

الْأَسْوِلَةَ وَأَنْتَ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَأَنَا أَجَبْتُ عَنْهَا، وَالْآنَ انْزِلْ عَلَى الْأَرْضِ، فَأَنَا أَصْعَدُ الْمِنْبَرَ، فَنَزَلَ وَصَعِدَ الْإِمَامُ، وَقَالَ: إِذَا كَانَ عَلَى الْمِنْبَرِ مُشَبِّهٌ مِثْلُكَ أَنْزَلَهُ، وَإِذَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ مُوَحِّدٌ مِثْلِي رَفَعَهُ، ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[1]، فَبُهِتَ الدَّهْرِيُّ وَقَتَلُوهُ[2]. هَذَا حَالُ الْإِمَامِ فِي صِغَرِهِ، فَكَيْفَ فِي كِبَرِهِ.

وَعَنِ الْحَسَنِ بْنِ زِيَادٍ: نَسِيَ رَجُلٌ مَكَانَ مَالِهِ الَّذِي دَفَنَهُ، وَجَاءَ إِلَى الْإِمَامِ، فَقَالَ: صَلِّ طُولَ اللَّيْلِ تَتَذَكَّرُ، فَمَا صَلَّى رُبُعَ اللَّيْلِ حَتَّى تَذَكَّرَ.

وَقِيلَ لَهُ: مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا؟ قَالَ: لِأَنَّ الشَّيْطَانَ لَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يُصَلِّيَ طُولَ اللَّيْلِ، فَيُلْقِيهِ فِي خَاطِرِهِ. وَقَالَ: لَكِنْ لِمَ لَمْ تُصَلِّ بَقِيَّةَ اللَّيْلِ شُكْرًا لَهُ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ[3].

وَعَنْهُ: دَفَنَ رَجُلٌ مَالَهُ فِي الْمَفَازَةِ وَقَدْ سُرِقَ، وَكَانَ الرَّجُلُ بَخِيلًا، وَكَادَ يَمُوتُ غَمًّا، فَأَتَى الْإِمَامُ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ، فَوَجَدَ فِيهِ قَوْمًا يَسْتَخْرِجُونَ الْكَمْأَةَ، فَقَالَ: هَلْ تَخَلَّفَ مِنْكُمْ أَحَدٌ؟ فَقَالُوا: فَتَى يُسَمَّى زُرْزُرٌ، فَجَاءَ إِلَيْهِ وَقَالَ: الَّذِي رَآكَ حِينَ أَخَذْتَ الْمَالَ يَشْهَدُ عَلَيْكَ، فَهَلُمَّ بِالْبَقِيَّةِ، وَمَا أَنْفَقْتَهُ يَهَبُكَ صَاحِبُ الْمَالِ، فَأَعْطَاهُ، وَعَنَى بِقَوْلِهِ: الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيْكَ، اللهَ تَعَالَى، فَإِنَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ.

---

(1) سورة الرحمن الآية: 29.

(2) ورد الخبر برواية أخرى عند ابن نجيم في الأشباه والنظائر: 367.

(3) أخبار أبي حنيفة وأصحابه: 39.

وكانَ الْإِمَامُ جَالِسًا، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ، فَقَالَ: هَذَا الرَّجُلُ غَرِيبٌ وَمُعَلِّمٌ، وَفِي كُمِّهِ حَلَاوَةٌ، فَسُئِلَ الرَّجُلُ، فَكَانَ كَمَا قَالَ، فَقِيلَ لَهُ: مِنْ أَيْنَ عَلِمْتَ؟ قَالَ: رَأَيْتُهُ يَلْتَفِتُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ غَرِيبٌ، وَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَى الصِّبْيَانِ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ مُعَلِّمٌ، وَرَأَيْتُ الذُّبَابَ يَدْخُلُ فِي كُمِّهِ، فَعَلِمْتُ أَنَّ فِيهِ حَلَاوَةً.

مَرِضَ أَبُو يُوسُفَ، وَقِيلَ: إِنَّهُ قَضَى نَحْبَهُ. قَالَ الْإِمَامُ: لَا، قِيلَ: مِنْ أَيْنَ تَقُولُ؟ قَالَ: إِنَّهُ خَدَمَ الْعِلْمَ، فَمَا لَمْ يَجْنِ ثِمَارَهُ لَا يَمُوتُ، وَكانَ كَمَا قَالَ. حَتَّى رُوِيَ أَنَّهُ كَانَ لَهُ يَوْمَ مَاتَ سَبْعُمِئَةِ رِكَابٍ ذَهَبِيَّةٍ[1].

الْمَطْلَبُ السَّادِسُ: فِي كَرَمِ أَخْلَاقِهِ وَشَمَائِلِهِ وَوَرَعِهِ

سُئِلَ يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ: مَتَى يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يُفْتِيَ؟ قَالَ: إِذَا كَانَ مِثْلَ الْإِمَامِ. قِيلَ لَهُ: أَوَ تَقُولُ هَذَا؟ قالَ: مَا رَأَيْتُ أَفْقَهَ مِنْهُ وَلَا أَوْرَعَ، رَأَيْتُهُ يَوْمًا بِفِنَاءِ دَارِ غَرِيمٍ لَهُ، قَائِمًا فِي الشَّمْسِ، فَأَنْكَرْتُ، فَقَالَ: لِي عَلَى مَالِكِهِ مَالٌ، أَخَافُ إِنْ جَلَسْتُ فِي ظِلِّهِ أَنْ يَكُونَ قَرْضًا جَرَّ نَفْعًا[2].

رُوِيَ أَنَّ الْإِمَامَ إِذَا أَشْكَلَ عَلَيْهِ الْمَسْأَلَةُ، كانَ يَسْتَغْفِرُ وَيَقُولُ: مَا هَذَا إِلَّا لِذَنْبٍ أَحْدَثْتُهُ، وَرُبَّمَا قَامَ وَصَلَّى، فَتَنْكَشِفُ الْمَسْأَلَةُ، وَيَقُولُ: رَجَوْتُ أَنَّهُ تِيبَ عَلَيَّ، فَبَلَغَ ذَلِكَ فُضَيْلَ بْنَ عِيَاضٍ الزَّاهِدَ، فَبَكَى بُكَاءً شَدِيدًا، ثُمَّ قَالَ: ذَلِكَ لِقِلَّةِ ذَنْبِهِ، وَأَمَّا غَيْرُهُ فَلَا يَتَنَبَّهُ لِهَذَا.

---

(1) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 2/ 487.

(2) المصدر نفسه: 1/ 488.

وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَمَّادِ بْنِ الْإِمَامِ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ الْإِمَامُ حَسَنَ الْفِرَاسَةِ، وقالَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ تَلَامِذَتِهِ كَلَامًا، وَكَانَ كَمَا قَالَ لَهُمْ. قَالَ لِدَاوُدَ الطَّائِيِّ: إِنَّكَ تَتَخَلَّى لِلْعِبَادَةِ، وَكَانَ كَمَا قالَ. وَقالَ لِأَبِي يُوسُفَ: إِنَّكَ تَمِيلُ إِلَى الدُّنْيَا، وَكَانَ كَذَلِكَ.

رُوِيَ أَنَّهُ قالَ: لا يَكْتَنِي أَحَدٌ بَعْدِي بِكُنْيَتِي إِلَّا وَفِيهِ جُنُونٌ، قَالُوا: فَرَأَيْنَا عِدَّةً اكْتَنَوْا بِهَا وَفِي قُلُوبِهِمْ ضُعْفٌ.

عَنِ النَّضْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَنَّ الْإِمَامَ نُهِيَ عَنِ الْإِفْتَاءِ، وَكَانَ ابْنُهُ يَسْأَلُ فَلَا يُجِيبُهُ، فَقَالَ حَمَّادٌ: أَنْتَ بِمَكَانٍ لَا يَرَاكَ أَحَدٌ، قَالَ: أَخَافُ أَنْ يَسْأَلَنِي السُّلْطَانُ هَلْ أَفْتَيْتَ؟ وَأَقُولَ لَهُ: لَا[1].

رُوِيَ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ لَا يَعْلَمُهُ، فَلَمْ يُفْتِ عَشْرَ سِنِينَ حَتَّى ظَنَّ أَنَّهُ احْتِيجَ إِلَيْهِ، وَعَلِمَ مَا جَهِلَهُ غَيْرُهُ.

قِيلَ: أَنْكَرَ مِنْ بَعْضِ شُرَكَائِهِ شَيْئًا مِنْ وُجُوهِ التِّجَارَةِ، فَتَصَدَّقَ مِنْ رِبْحِهَا ثَلَاثِينَ أَلْفًا، وَقِيلَ تِسْعِينَ أَلْفًا.

وَقَعَتْ فِي الْكُوفَةِ غَارَةٌ، فَسَأَلَ عَنْ عُمُرِ الْغَنَمِ، فَقِيلَ: سَبْعُ سِنِينَ، فَلَمْ يَأْكُلِ اللَّحْمَ هَذِهِ الْمُدَّةَ[2].

(1) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 1/ 489.

(2) المصدر نفسه.

رَوَى يُوسُفُ بْنُ خَالِدٍ، كانَ لَهُ جَارٌ يُغَنِّي إِذَا جَنَّ اللَّيْلُ وَهُوَ سَكْرَانُ: [الوافر]

أَضَـــاعُونِي وَأَيَّ فَتًى أَضَـــاعُوا لِيَوْمِ كَرِيهَـةٍ وَسِـــدَادِ ثَغْرِ[1]

فَأَخَذَهُ الْحَرَسُ يَوْمًا وَحَبَسَهُ، فَقَالَ الْإِمَامُ: فَقَدْنَا صَوْتَ جَارِنَا. وَقِيلَ: حُبِسَ. فَذَهَبَ إِلَى أَمِيرِ الْبَلْدَةِ، فَلَمَّا رَآهُ وَثَبَ مِنْ مَكَانِهِ، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ؟ فَقَصَّ عَلَيْهِ الْأَمْرَ، فقالَ: هَلَّا أَرْسَلْتَ لِي رَسُولًا فَأُطْلِقَ كُلُّ مَنْ فِي الْحَبْسِ. وَقالَ: أَطْلَقْتُكُمْ لِحُرْمَةِ شَيْخِي، فَاشْكُرُوا لَهُ، فَأَخَذَ الْإِمَامُ بِيَدِ الْفَتَى، وَقَالَ: هَلْ ضَيَّعْنَاكَ؟ قَالَ: لَا يَا سَيِّدِي، فَأَعْطَاهُ كِيسًا، وَقَالَ: اسْتَعِنْ بِهَا عَلَى نُقْصَانِ أَيَّامِ الْحَبْسِ، فَتَابَ الْفَتَى مِنْ عَمَلِهِ، وَلازَمَ مَجْلِسَهُ، وَصَارَ مِنَ الْفُقَهَاءِ[2]، [وَكانَ لا يَنَامُ اللَّيْلَ، وَسَمَّوْهُ الْوَتِدَ لِكَثْرَةِ صَلَاتِهِ][3].

رُوِيَ أَنَّهُ صَلَّى الصُّبْحَ بِوُضُوءِ الْعِشَاءِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَلَمَّا تُوُفِّيَ، قَالَتْ بِنْتُ جَارِهِ أَوِ ابْنُ جَارِهِ: أَيْنَ الدِّعَامَةُ؟، قَالَ أَبُوهُ أَوْ أُبُوهَا: كانَ ذَلِكَ دِعَامَةُ الشَّرْعِ، أَبُو حَنِيفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

كَانَ لَهُ فِي كُلِّ شَهْرٍ سِتُّونَ خَتْمَةً، خَتْمَةٌ بِاللَّيْلِ، وَخَتْمَةٌ بِالنَّهَارِ، وَكَانَ يَخْتِمُ فِي رَمَضَانَ، مَعَ يَوْمِ الْفِطْرِ، اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ خَتْمَةً، وَخَتَمَ فِي الْمَوْضِعِ

---

(1) البيت للعرجي الأموي في ديوان شعره: 34.

(2) الخبر بتصرف في تاريخ بغداد: 15/ 487.

(3) زيادة من أنطاليا.

الَّذِي فَارَقَ فِيهِ الدُّنْيَا سَبْعَةَ آلَافِ خَتْمَةٍ. وَكانَ يُسْمَعُ بُكَاؤُهُ بِاللَّيْلِ حَتَّى يَرْحَمَهُ جِيرَانُهُ[1].

وَكانَ مِسْعَرٌ[2] مُعَادِيًا لَهُ، وَلَمَّا رَأَى عِبَادَتَهُ، وَإِحْيَاءَهُ اللَّيَالِيَ تَابَ، وَقالَ: اجْعَلْنِي فِي حِلٍّ، فَقَالَ لَهُ: أَمَّا الْمُغْتَابُ مِنْ أُولِي الْجَهْلِ فَهُوَ فِي حِلٍّ، وَأَمَّا وَقِيعَةُ الْعُلَمَاءِ فَشَيْنُ الْأَبَدِ إِلَّا أَنْ يَتُوبَ. فَكَانَا مُتَآخِيَيْنِ بَعْدَ ذَلِكَ[3].

وَلَمَّا هَرَبَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ، أَقَامَ بِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ إِلَى ظُهُورِ الْهَاشِمِيَّةِ، فَحَجَّ خَمْسًا وَخَمْسِينَ حَجَّةً، وَاللهُ أَعْلَمُ بِكَمِّيَّةِ عُمْرَتِهِ. وَكانَ يُبَضِّعُ الْأَمْتِعَةَ، وَيَشْتَرِي بِأَرْبَاحِهَا حَوَائِجَ الْمُحَدِّثِينَ، ثُمَّ يَدْفَعُ الْبَاقِي إِلَيْهِمْ وَيَقُولُ لَهُمْ: احْمَدُوا اللهَ تَعَالَى، فَإِنَّهُ أَرْبَاحُ بَضَائِعِكُمْ، يُجْرِيهِ اللهُ تَعَالَى لَكَمْ عَلَى يَدَيَّ[4].

وَكَانَ إِذَا أَنْفَقَ عَلَى عِيَالِهِ تَصَدَّقَ بِمِثْلِهَا، وَكَذَلِكَ إِذَا اكْتَسَى ثَوْبًا، أَوْ أَكَلَ طَعَامًا.

وَقالَ: مَا مَلَكْتُ مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ سَنَةً، إِلَّا أَرْبَعَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ، وَإِذَا زَادَ عَلَيْهَا أَخْرَجْتُهَا، وَإِنَّمَا أَبْقَيْتُهَا، لِقَوْلِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَرْبَعَةُ آلَافٍ وَمَا دُونَهَا نَفَقَةٌ»[5]، وَلَوْلَا أَنِّي أَخَافُ أَنْ أَلْتَجِئَ إِلَى هَؤُلَاءِ، مَا تَرَكْتُ مِنْهَا دِرْهَمًا وَاحِدًا.

---

(1) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 2/ 493.

(2) مسعر بن كدام من بني عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة أبو سلمة الهلالي العامري الكوفي (ت. 155هـ). الثقات لابن حبان: 7/ 507. والجامع في الجرح والتعديل: 1/ 120.

(3) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 2/ 495.

(4) أخبار أبي حنيفة وأصحابه: 59.

(5) الخبر في أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 3/ 80.

وَكَانَ يَتَصَدَّقُ عَنْ وَالِدَيْهِ كُلَّ جُمُعَةٍ عِشْرِينَ دِينَارًا، سِوَى مَا يَتَصَدَّقُ بِهِ فِي عَامَّةِ السَّنَةِ. وَكَانَ يَذْهَبُ بِأُمِّهِ إِلَى مَجْلِسِ عَمْرِو بْنِ ذَرٍّ لِتُصَلِّيَ التَّرَاوِيحَ، وَكَانَ بَيْنَهُمَا ثَلَاثَةُ أَمْيَالٍ.

وَقالَ: «مَا صَلَّيْتُ صَلَاةً مُنْذُ مَاتَ حَمَّادٌ، إِلَّا اسْتَغْفَرْتُ لَهُ وَلِوَالِدَيَّ، وَلِمَنْ تَعَلَّمَ مِنِّي، أَوْ تَعَلَّمْتُ مِنْهُ»[1].

وَقالَ: «مَا مَدَدْتُ رِجْلِي نَحْوَ دَارِ حَمَّادٍ، تَعْظِيمًا لَهُ. وَكَانَ بَيْنَهُمَا سَبْعُ سِكَكٍ»[2].

رُوِيَ أَنَّ عَبْدَ اللهِ الدباخيَّ[3]، كانَ يَقَعُ فِي الْإِمَامِ، فَاحْتَرَقَتْ دَارُهُ، وَلَمْ يَجِدِ الْبَابَ، وَاحْتَرَقَ مَعَهُ.

قَالَ حَافِظُ الدِّينِ الْبَزَّازِيُّ: سَمِعْتُ مِنْ ثِقَةٍ عَالِمٍ، أَنَّ عَلَاءَ الدِّينِ التَّنُوخِيَّ[4] بِمَدِينَةِ قيريمَ، مُصَنِّفُ **"شَرْحُ الْمَصَابِيحِ"**، وَ**"التَّفْسِيرُ اللَّطِيفُ"**،كانَ يُدَرِّسُ مسألةَ ابْتِلَاعِ الصَّائِمِ مَا فِي أَسْنَانِهِ مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمَّا قَرَّرَ أَنَّ الْفَاصِلَ مِقْدَارُ الْحِمِّصَةِ عِنْدَ الْإِمَامِ مِنَ الطَّعَامِ، قَالَ: كَانَتْ أَسْنَانُ

(1) تاريخ بغداد: 15/ 444.

(2) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 2/ 497.

(3) الدباحي، في مراد ملا. ولم نقف على ترجمته.

(4) علي بن المُنَجَّى (أو منجا) بن عثمان بن أسعد التَّنُوخي أبو الحسن قاضي القضاة (ت. 750هـ). تاريخ بغداد: 15/ 356، البداية والنهاية: 14/ 200، أعيان العصر وأعوان النصر: 3/ 567، وشذرات الذهب: 8/ 285 .

الْإِمَامِ كَذَا، كَلَامًا لَا يُرْضَى، فَلَمْ تَمُرَّ إِلَّا أَيَّامٌ قَلَائِلُ حَتَّى سَقَطَتْ أَسْنَانُهُ الْمُحْكَمَةُ.

الْمَطْلَبُ السَّابِعُ: فِي هَرَبِهِ مِنَ الْقَضَاءِ

وَذَكَرَ الْمَرْغِينَانِيُّ أَنَّ الْمَنْصُورَ الْعَبَّاسِيَّ دَعَا الْإِمَامَ وَالثَّوْرِيَّ وَشَرِيكًا وَمِسْعَرًا إِلَى الْقَضَاءِ، فَقَالَ الْإِمَامُ: أَمَّا أَنَا فَأَحْتَالُ، وَالثَّوْرِيُّ يَهْرُبُ، وَمِسْعَرٌ يَتَجَنَّنُ، وَأَمَّا شَرِيكٌ فَلَا آمَنُ عَلَيْهِ أَنْ يَقَعَ فِيهِ[1].

وَكَانَ الْجُنْدِيُّ يَذْهَبُ بِهِمْ، قَالَ لَهُ سُفْيَانُ: أُرِيدُ [الْبَرَازَ، فَتَوَارَى بِالْحَائِطِ، فَإِذَا سَفِينَةٌ مَمْلُوءَةٌ بِالشَّوْكِ، قَالَ لِلْمَلَّاحِ: خَلْفَ هذا الْحَائِطِ رَجُلٌ يُرِيدُ][2] أَنْ يَذْبَحَنِي - أَرَادَ الْقَضَاءَ - فَسَتَرُوهُ تَحْتَ الشَّوْكِ، وَأَمَّا مِسْعَرٌ فَقَالَ لِلْخَلِيفَةِ: كَيْفَ دَوَابُّكَ وَغِلْمَانُكَ؟ فَتَرَكُوهُ وَقَالُوا: إِنَّهُ مَجْنُونٌ.

وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ: مُسَنَّاةُ[3] الْكُوفَةِ خَرِبَتْ، قَالَ: يَا شَيْخُ، مَا أَنْتَ وَذِكْرُ الْمُسَنَّاةِ؟ قَالَ: بَنُو أُمَيَّةَ خَرَّبُوا السُّورَ، قَالَ: أَخْرِجُوهُ فَإِنَّهُ مُخْتَلُّ الْعَقْلِ.

وَأَمَّا الْإِمَامُ فَقَالَ: إِنِّي رَجُلٌ بَزَّازٌ، وَأَهْلُ الْكُوفَةِ لَا يَرْضَوْنَ بِي. وَفِي رِوَايَةٍ: أَهْلُ الْكُوفَةِ قُرَيْشٌ وَالْأَنْصَارُ وَالْعَرَبُ، وَأَنَا مِنَ الْمَوَالِي، وَأَنْتَ إِنْ

---

(1) ذم القضاء وتقلد الأحكام: 89.

(2) ما بين معقوفين سقط من أنطاليا.

(3) المُسَنَّاةُ: ضفيرة تُبنى للسيل لترد الماءَ.

وَلَّيْتَنِي يَرْمُونَنِي بِالْآجُرِّ، فَتَرَكَهُ الْخَلِيفَةُ.

وَأَمَّا شَرِيكٌ فَقَالَ: غَالِبُ حَالِي النِّسْيَانُ، قالَ: نُطْعِمُكَ اللِّبَانَ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْكَ النِّسْيَانُ. قَالَ: بِي خِفَّةٌ، قَالَ: أُطْعِمُكَ كُلَّ يَوْمٍ فَالُوذَجَ السُّكَّرِ بِدُهْنِ اللَّوْزِ. قالَ: لَا أُبَالِي فِي الْحُكْمِ عَلَى قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ. قَالَ: احْكُمْ عَلَيَّ وَعَلَى وَلَدِي. فَتَقَلَّدَ، وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ يَوْمًا مَوْلَى الْخَلِيفَةِ مَعَ خَصْمٍ لَهُ، فَأَرَادَ التَّقَدُّمَ عَلَى خَصْمِهِ، فَزَبَرَهُ الْقَاضِي، فَقَالَ لَهُ الْمَوْلَى: إِنَّكَ شَيْخٌ أَحْمَقُ، قَالَ شَرِيكٌ: قُلْتُ ذَلِكَ لِمَوْلَاكَ فَلَمْ يَقْبَلْ، فَعَزَلُوهُ.

رُوِيَ أَنَّهُ قَالَ شَرِيكٌ: إِنِّي لَا أُبْصِرُ نَقْشَ خَاتَمِي، قالَ: يُعِينُكَ على النَّظَرِ إِنْسَانٌ، قالَ: تَغَيَّرَ دِمَاغِي، قَالَ: كُلِ الْعَسَلَ بِدُهْنِ اللَّوْزِ، قَالَ: أَمِيلُ إِلَى النِّسَاءِ، قَالَ: نَبْسُطُ الْجَوَائِزَ تَشْتَرِي بِهَا الْإِمَاءَ.

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَالِكِ بْنِ مِغْوَلٍ، قالَ: أَحْضَرَ الْمَنْصُورُ الْإِمَامَ إِلَى بَغْدَادَ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَتَوَلَّى الْقَضَاءَ، وَيُخْرِجَ الْقُضَاةَ إِلَى الْكَوْنِ مِنْ تَحْتِ يَدِهِ، فَأَبَى، فَحَلَفَ الْمَنْصُورُ بِحَبْسِهِ، وَضُرِبَ كُلَّ يَوْمٍ عَشَرَةَ أَسْوَاطٍ، حتَّى ضُرِبَ مِئَةً وَعَشَرَةَ أَسْوَاطٍ، فَلَمَّا تَتَابَعَ عَلَيْهِ الضَّرْبُ، بَكَى وَأَكْثَرَ الْبُكَاءَ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى انْتَقَلَ إِلَى جِوَارِ اللهِ تَعَالَى، مَحْبُوسًا مَبْطُونًا، مَجْهُودًا، فَأُخْرِجَتْ جَنَازَتُهُ، وَكَثُرَ الْبُكَاءُ عَلَيْهِ، وَدُفِنَ بِمَقَابِرِ الْخَيْزُرَانِ.

قِيلَ: فَلَمَّا أَبَى دَسُّوا إِلَيْهِ السُّمَّ فَقَتَلُوهُ.

مَاتَ سَنَةَ خَمْسِينَ وَمِئَةٍ، وَكانَ ابْنَ سَبْعِينَ سَنَةً، وَقِيلَ: سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَمِئَةٍ، فِي رَجَبٍ، أَوْ شَعْبَانَ، أَوْ نِصْفِ شَوَّالٍ، وَلَمْ يُعْقِبْ إِلَّا حَمَّادًا، وَصَلَّى عَلَيْهِ الْحَسَنُ بْنُ عُمَارَةَ[1]، وَأُخْرِجَ مِنْ بَابِ خُرَاسَانَ، وَنُودِيَ فِي النَّاسِ، فَلَمْ يُقْدَرْ عَلَى دَفْنِهِ إِلَّا بَعْدَ الْعَصْرِ مِنَ الزِّحَامِ. وَحُرِزَ مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ [فَكَانَ][2] مِقْدَارَ خَمْسِينَ أَلْفًا، وَجاءَ الْمَنْصُورُ فَصَلَّى عَلَى قَبْرِهِ، وَمَكُثَ النَّاسُ يُصَلُّونَ عَلَى قَبْرِهِ إِلَى عِشْرِينَ يَوْمًا[3].

وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْإِمَامَ تُوُفِّيَ في السِّجْنِ، وَإِنَّمَا الْخِلَافُ فِي أَنَّهُ مَاتَ بِالضَّرْبِ، أَوْ بِالسُّمِّ. وَالتَّوْفِيقُ بَيْنَهُمَا، أَنَّهُ سُقِيَ السُّمَ، ثُمَّ ضُرِبَ مَصْلُوبًا حَتَّى يَتَفَرَّقَ السُّمُّ. وَاخْتُلِفَ فِي كَيْفِيَّةِ السُّمِّ، قَالَ بَعْضُهُمْ: دَسُّوا إِلَيْهِ السُّمَّ وَلَمْ يَعْرِفْهُ. وَقِيلَ: أُكْرِهَ عَلَى شُرْبِهِ، فَامْتَنَعَ، وَقالَ: أَعْلَمُ مَا فِيهِ، وَلَا أُعِينُ عَلَى نَفْسِي، فَطُرِحَ، وَصُبَّ فِي فَمِهِ.

رُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا أَحَسَّ بِالْمَوْتِ، سَجَدَ، فَمَاتَ وَهُوَ سَاجِدٌ[4].

قِيلَ: لَمَّا أَحَسَّ الْإِمَامُ بِالسُّمِّ قَامَ، قَالَ الْمَنْصُورُ: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى حَيْثُ وَجَّهْتَنِي، فَمَضَى بِهِ إِلَى السِّجْنِ، فَمَاتَ فِيهِ.

---

(1) الحسن بن عُمَارَةَ بن مضرب البجلي أبو محمد الفقيه، مولاهم الكوفي، أحد الأعلام، قاضي بغداد (ت. 153هـ). تاريخ بغداد: 8/ 322، وتاريخ الإسلام: 4/ 36.

(2) زيادة من أنطاليا.

(3) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 1/ 502-504.

(4) المصدر نفسه: 2/ 503.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ جَرَى لِلْإِمَامِ، مِثْلُ مَا جَرَى لَهُ مَعَ الْمَنْصُورِ، مَعَ ابْنِ هُبَيْرَةَ، مَرَّةً أُخْرَى فِي أَيَّامِ الْمَرْوَانِيَّةِ، وَأَرَادَ أَنْ يُوَلِّيَهُ قَضَاءَ الْكُوفَةِ، فَأَبَى، وَحَبَسَهُ، وَضُرِبَ سِيَاطًا عَلَى رَأْسِهِ، حَتَّى انْتَفَخَ[1] رَأْسُهُ وَوَجْهُهُ، فَلَمْ يَقْبَلْ، فَقَالَ: ضَرْبُهُ فِي الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ مَقَامِعِ الْحَدِيدِ فِي الْآخِرَةِ[2]. ثُمَّ قَالَ: أُشَاوِرُ أَصْحَابِي، فَأَخْرَجَهُ مِنَ السِّجْنِ، فَهَرَبَ إِلَى مَكَّةَ، وَأَقَامَ هُنَاكَ إِلَى الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ، فَجَاءَ زَمَنَ الْخَلِيفَةِ الْمَنْصُورِ، فَأَكْرَمَهُ وَأَعْطَاهُ جَائِزَةً فَلَمْ يَقْبَلْ.

قِيلَ: رَأَى ابْنُ هُبَيْرَةَ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَامِ وَهُوَ يَقُولُ: أَمَا تَخَافُ اللهَ تَعَالَى، تَضْرِبُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي بِلَا جُرْمٍ وَتُهَدِّدُهُ.

يُقَالُ: قَالَ الْإِمَامُ لِابْنِ هُبَيْرَةَ حِينَ أَمْرِهِ بِالضَّرْبِ: اذْكُرْ مَقَامَكَ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ تَعَالَى، فَإِنَّهُ أَذَلُّ مِنْ مَقَامِي هَذَا بَيْنَ يَدَيْكَ، وَلَا تُهَدِّدْنِي، فَإِنِّي أَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ تَعَالَى يَسْأَلُكَ عَنِّي، حَيْثُ لَا يَقْبَلُ مِنْكَ الْجَوَابَ إِلَّا بِالْحَقِّ[3].

الْمَطْلَبُ الثَّامِنُ: فِي اتِّصَافِهِ بِعِلْمِ الْبَاطِنِ

عَنْ شَقِيقِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: قَالَ الْإِمَامُ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ: يَا إِبْرَاهِيمُ إِنَّكَ رُزِقْتَ مِنَ الْعِبَادَةِ شَيْئًا صَالِحًا، فَلْيَكُنِ الْعِلْمُ مِنْ بَابِكَ، فَإِنَّهُ رَأْسُ الْعِبَادَةِ، وَقِوَامُ الْأَمْرِ[4].

---

(1) انفتح؛ في الأزهرية.

(2) آثار البلاد وأخبار العباد: 252.

(3) أخبار أبي حنيفة وأصحابه: 67.

(4) الخبر في البداية والنهاية: 10/ 137.

عَنْ حَازِمٍ قَالَ: كَلَّمْتُ الْإِمَامَ فِي الزُّهْدِ وَالْعِبَادَةِ وَالْيَقِينِ وَالتَّوَكُّلِ، فَفَسَّرَ لِي كُلَّ بَابٍ عَلَى حِدَةٍ، وَمَيَّزَ لِي كُلَّ فَنٍّ مِنْهَا[1].

قَالَ شَرِيكٌ النَّخَعِيُّ: كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ طَوِيلَ الصَّمْتِ، دَائِمَ الْفِكْرِ، قَلِيلَ الْمُحَادَثَةِ لِلنَّاسِ. وَهَذَا مِنْ أَوْضَحِ الْأَمَارَاتِ عَلَى الْعِلْمِ الْبَاطِنِ، وَالِاشْتِغَالِ بِمُهِمَّاتِ الدِّينِ، فَمَنْ أُوتِيَ الصَّمْتَ وَالزُّهْدَ، فَقَدْ أُوتِيَ الْعِلْمَ كُلَّهُ[2].

ذَكَرَ الْإِمَامُ أَبُو الْحُسَيْنِ الْهَمَذَانِيُّ فِي آخِرِ "**خِزَانَةُ الْمُفْتِينَ**"، أَنَّ الْإِمَامَ لَمَّا حَجَّ حَجَّةَ الْوَدَاعِ، أَعْطَى لِسَدَنَةِ الْكَعْبَةِ مَالًا عَظِيمًا حَتَّى أَخْلَوْا لَهُ الْبَيْتَ، فَدَخَلَ وَشَرَعَ لِلصَّلَاةِ، وَافْتَتَحَ الْقِرَاءَةَ - كَمَا هُوَ دَأْبُهُ - عَلَى رِجْلِهِ الْيُمْنَى، حَتَّى قَرَأَ نِصْفَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ رَكَعَ، وَقَامَ فِي الثَّانِيَةِ عَلَى رِجْلِهِ الْيُسْرَى، حَتَّى خَتَمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ قَالَ: إِلَهِي عَرَفْتُكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ، لَكِنْ مَا قُمْتُ بِكَمَالِ الطَّاعَةِ، فَهَبْ نُقْصَانَ الْخِدْمَةِ بِكَمَالِ الْمَعْرِفَةِ، فَنُودِيَ مِنْ زَوَايَا الْبَيْتِ: عَرَفْتَ فَأَحْسَنْتَ الْمَعْرِفَةَ، وَخَدَمْتَ فَأَخْلَصْتَ الْخِدْمَةَ، غَفَرْنَا لَكَ، وَلِمَنِ اتَّبَعَكَ، وَلِمَنْ كَانَ عَلَى مَذْهَبِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ.

رُوِيَ أَنَّ مِسْعَرًا كَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِدُعَائِي لِأَبِي حَنِيفَةَ.

---

(1) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 2/ 519.

(2) إحياء علوم الدين: 1/ 28.

الْمَطْلَبُ التَّاسِعُ: فِي الْمَنَامَاتِ فِي حَقِّهِ

عَنِ الشَّافِعِيِّ أَنَّهُ كَانَ يَتَبَرَّكُ بِقَبْرِ الْإِمَامِ، وَيَجِيءُ إِلَى قَبْرِهِ زَائِرًا كُلَّ يَوْمٍ، فَإِذَا عَرَضَتْ لَهُ حَاجَةٌ، صَلَّى رَكْعَتَيْنِ عِنْدَ قَبْرِهِ، وَسَأَلَ اللهَ حَاجَتَهُ، فَتُقْضَى.

رُوِيَ أَنَّ الْإِمَامَ رَأَى فِي الْمَنَامِ، كَأَنَّهُ يَنْبُشُ قَبْرَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، يَجْمَعُ عِظَامَهُ إِلَى صَدْرِهِ، فَهَالَهُ ذَلِكَ، وَارْتَحَلَ إِلَى ابْنِ سِيرِينَ، فَقَصَّ الرُّؤْيَا، فَقَالَ: لَسْتَ صَاحِبَ هَذِهِ الرُّؤْيَا، وَإِنَّمَا صَاحِبُهَا أَبُو حَنِيفَةَ، فَقَالَ: أَنَا هُوَ، قَالَ: اكْشِفْ عَنْ ظَهْرِكَ، فَإِذَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَالٌ، فَقَالَ: أَنْتَ الَّذِي قَالَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَقِّهِ: «يَخْرُجُ فِي أُمَّتِي رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو حَنِيفَةَ، بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَالٌ، يُحْيِي اللهُ تَعَالَى دِينَهُ عَلَى يَدَيْهِ»[1].

رَوَى مَحْمَوَيْهِ - وَكانَ يُعَدُّ مِنَ الْأَبْدَالِ - قَالَ: رَأَيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ فِي الْمَنَامِ، فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ اللهُ بِكَ؟ قَالَ: إِنِّي لَمْ أَجْعَلْ جَوْفَكَ وِعَاءً لِلْعِلْمِ، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُعَذِّبَكَ. قُلْتُ: فَمَا فَعَلَ بِأَبِي يُوسُفَ؟ قَالَ: فَوْقِي. قُلْتُ: فَمَا فَعَلَ بِأَبِي حَنِيفَةَ؟ قَالَ: أَعْلَى عِلِّيِّينَ، وَفِي رِوَايَةٍ: فَوْقَ أَبِي يُوسُفَ[2].

ذَكَرَ أَبُو النَّجِيبِ الْهَمذَانِيُّ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ، كَأَنَّ ثَلَاثَةَ نُجُومٍ سَقَطَتْ عَلَى الْأَرْضِ، فَمَاتَ الْإِمَامُ، ثُمَّ مِسْعَرٌ، ثُمَّ سُفْيَانُ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِمُحَمَّدِ بْنِ مُقَاتِلٍ، فَقَالَ: مَا نُنْكِرُ أَنْ يَكُونَ الْعُلَمَاءُ نُجُومَ الْأَرْضِ.

---

(1) مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه: 36، ولسان الميزان: 1/ 193. عن أنس مرفوعا.

(2) تاريخ بغداد: 2/ 561، والأنساب للسمعاني: 8/ 203.

الْمَطْلَبُ الْعَاشِرُ: فِي تَلَامِذَتِهِ الْأَعْلَامِ

جَمَعَ اللهُ تَعَالَى لِأَبِي حَنِيفَةَ مَا لَمْ يُجْمَعْ لِإِمَامٍ مِنَ الْأَصْحَابِ، الَّذِينَ هُمْ لُبُّ الْأَلْبَابِ.

مِنْهُمْ: أَبُو يُوسُفَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، وَزُفَرُ، وَحَسَنُ بْنُ زِيَادٍ، وَوَكِيعٌ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، وَبِشْرُ بْنُ غِيَاثٍ الْمَرِيسِيُّ، وَعَافِيَةُ بْنُ يَزِيدَ، وَدَاوُدُ الطَّائِيُّ، وَيُوسُفُ بْنُ خَالِدٍ السَّمْتِيُّ، وَمَالِكُ بْنُ مِغْوَلٍ الْبَجَلِيُّ، وَنُوحُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ.

وَفِي مِثْلِهِ قَالَ الْفَرَزْدَقُ: [الطويل]

أُولَئِكَ آبَائِي فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ ... إِذَا جَمَعَتْنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعُ[1]

وَحُقَّ لِلْإِمَامِ أَنْ يَقُولَ: [الطويل]

[أُولَئِكَ أَبْنَائِي فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ][2] ... إِذَا جَمَعَتْنَا يَا عَنِيدُ الْمَنَاقِبُ

ذَكَرَ الْإِمَامُ أَبُو الْمَعَالِي الْأَسْفَرَايِينِيُّ، عَنْ نَجِيحِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ ابْنِ كَرَامَةَ قَالَ، قَالَ رَجُلٌ: أَخْطَأَ أَبُو حَنِيفَةَ. قَالَ ابْنُ كَرَامَةَ: كَيْفَ تَقُولُ هَذَا وَعِنْدَهُ مِثْلُ أَبِي يُوسُفَ وَزُفَرَ فِي قِيَاسِهِمَا، وَمِثْلُ يَحْيَى بْنِ أَبِي زَائِدَةَ، وَحَفْصِ بْنِ غَيَّاثٍ، وَحِبَّانَ وَمِنْدِيلٍ فِي حِفْظِهِمُ الْحَدِيثَ، وَالْقَاسِمِ بْنِ مَعْنٍ فِي مَعْرِفَتِهِ بِالْفِقْهِ والْعَرَبِيَّةِ، وَدَاوُدَ الطَّائِيِّ وَفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ فِي زُهْدِهِمْ؟!

(1) البيت في الديوان: 360

(2) ما بين معقوفين سقط من قونية ورئيس الكتاب والأزهرية.

لَمْ يَكُنْ يُخْطِئُ، وَإِنْ أَخْطَأَ رَدُّوهُ إِلَى الْحَقِّ[1].

قِيلَ: اخْتَلَفَ إِلَيْهِ الطَّبَقَةُ الْعُلْيَا، ثُمَّ أَبُو يُوسُفَ، وَأَسَدُ بْنُ عَمْرٍو، وَالْقَاسِمُ ابْنُ مَعْنٍ، وَزُفَرُ بْنُ الْهُذَيْلِ، وَأَبُو بَكْرٍ الْهُذَلِيُّ، وَالْوَلِيدُ بْنُ أَبَانَ، وَالْحَسَنُ بْنُ زِيَادٍ اللُّؤْلُؤِيُّ، وَيُوسُفُ بْنُ خَالِدٍ، وَدَاوُدُ الطَّائِيُّ الزَّاهِدُ، وَنُوحُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ الْجَامِعُ، وَيَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا، وَابْنُ الْمُبَارَكِ، وَالْمُغِيرَةُ بْنُ حَمْزَةَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، وَغَيْرُهُمْ.

قِيلَ: اخْتَلَفَ إِلَى الْإِمَامِ كَثِيرٌ مِنَ الْحُكَّامِ، وَهُمْ: أَبُو بَكْرٍ، وَأَبُو بَرْزَةَ، وَأَبُو جَابِرٍ، وَأَبُو حُصَيْنٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ.

وَتَكَلَّمَ فِيهِ ابْنُ أَبِي لَيْلَى، وَابْنُ شُبْرُمَةَ، وَالثَّوْرِيُّ، وَشَرِيكٌ، وَلَمْ يَضُرَّ الْإِمَامَ مُخَالَفَتُهُمْ، وَلَا لَحِقَ مِنْهُمُ الشَّيْنُ، وَجَعَلَ أَمْرُهُ وَشَأْنُهُ يَزْدَادُ قُوَّةً، وَيَكْثُرُ أَصْحَابُهُ وَيَزِيدُونَ شَوْكَةً، فَمَالَ إِلَيْهِمْ وُجُوهُ النَّاسِ، وَوَضَحَ الْحَقُّ بِلَا الْتِبَاسٍ.

وَمِنَ الْأَئِمَّةِ الْمُجْتَهِدِينَ:

الْإِمَامُ مَالِكٌ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ؛ هُوَ الْإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسِ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَامِرٍ الْأَصْبَحِيُّ، يُكْنَى أَبَا عَبْدِ اللهِ.

وُلِدَ سَنَةَ خَمْسٍ أَوْ أَرْبَعٍ أَوْ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ، أَوْ تِسْعِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ. **وَمَاتَ** بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ تِسْعٍ، أَوْ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَمِئَةٍ، وَلَهُ أَرْبَعٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً.

(1) أخبار أبي حنيفة وأصحابه: 158 ـ 159.

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: مَاتَ وَلَهُ تِسْعُونَ سَنَةً. وَهُوَ إِمَامُ دَارِ الْهِجْرَةِ، وَعَالِمُ الْمَدِينَةِ.

رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَضْرِبُونَ فِيهِ أَكْبَادَ الْإِبِلِ، لَا يَجِدُونَ عَالِمًا أَعْلَمَ مِنْ عَالِمِ الْمَدِينَةِ»[1].

قَالَ سُفْيَانُ وَالزُّهْرِيُّ: الْمُرَادُ بِعَالِمِ الْمَدِينَةِ هُوَ الْإِمَامُ مَالِكٌ.

قِيلَ: هُوَ مِنْ بَنِي أَصْبَحَ - قَبِيلَةٌ بِالْيَمَنِ - حُمِلَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ثَلَاثَ سِنِينَ، وَهَرِمُ ابْنُ حَيَّانَ سَنَتَيْنِ، وَالضَّحَّاكُ أَرْبَعَ سِنِينَ، حَتَّى إِنَّهُ وُلِدَ وَأَسْنَانُهُ نَابِتَةٌ، فَسُمِّيَ الضَّحَّاكَ.

وَمَاتَ مَالِكٌ بِالْمَدِينَةِ فِي أَيَّامِ الرَّشِيدِ، وَقَبْرُهُ بِالْمَدِينَةِ عَلَى شَطِّ بَقِيعِ الْغَرْقَدِ.

وَكَانَ شَدِيدَ الْبَيَاضِ إِلَى الشُّقْرَةِ، طَوِيلًا، عَظِيمَ الْهَامَةِ، أَصْلَعَ، يَلْبَسُ الثِّيَابَ الْعَدَنِيَّةَ الْجِيَادَ، وَيَكْرَهُ حَلْقَ الشَّارِبِ، وَيَعُدُّهُ مِنَ الْمُثْلَةِ[2].

قِيلَ: وَكَانَ قَبِيحًا، قَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: لَا تَقْبَلُكَ حِرْفَةٌ إِلَّا الْعِلْمُ، فَاشْتَغَلَ بِهِ فَبَلَغَ مَا بَلَغَ.

قِيلَ: كَفَاهُ فَخْرًا أَنَّ الشَّافِعِيَّ مِنْ أَصْحَابِهِ.

أَخَذَ الْعِلْمَ عَنِ الزُّهْرِيِّ، وَيَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، وَنَافِعٍ، وَمُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، وَهِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، وَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، وَرَبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَخَلْقٍ كَثِيرٍ.

---

(1) سنن الترمذي: 4/ 344 رقم: 2680، وقال عنه: هذا حديث حسن. والسنن الكبرى: 4/ 263 رقم: 4277.

(2) وفيات الأعيان: 4/ 138.

وَأَخَذَ عَنْهُ الْعِلَمَ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ، هُمْ أَئِمَّةُ الْبِلَادِ؛ مِنْهُمْ: الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ دِينَارٍ، وَأَبُو هَاشِمٍ، وَعَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي حَازِمٍ - وَهَؤُلَاءِ نُظَرَاؤُهُ مِنْ أَصْحَابِهِ - وَمَعْنُ بْنُ عِيسَى، وَيَحْيَى بْنُ يَحْيَى، وَعَبْدُ اللهِ ابْنُ مَسْلَمَةَ الْقَعْنَبِيُّ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ، وَغَيْرُ هَؤُلَاءِ مِمَّنْ لَا يُحْصَى عَدَدُهُ؛ وَهَؤُلَاءِ مَشَايِخُ الْبُخَارِيِّ، وَمُسْلِمٍ، وَأَبِي دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيِّ، وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَيَحْيَى بْنِ مَعِينٍ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ.

قَالَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الصَّنْعَانِيُّ، أَتَيْنَا مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ، فَجَعَلَ يُحَدِّثُنَا عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَكُنَّا نَسْتَزِيدُهُ مِنْ حَدِيثِهِ، فَقَالَ لَنَا ذَاتَ يَوْمٍ: مَا تَصْنَعُونَ بِرَبِيعَةَ وَهُوَ نَائِمٌ فِي ذَلِكَ الطَّاقِ[1]؟ فَأَتَيْنَا رَبِيعَةَ، فَنَبَّهْنَاهُ: وَقُلْنَا لَهُ: أَنْتَ رَبِيعَةُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْنَا: الَّذِي يُحَدِّثُ عَنْكَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْنَا: كَيْفَ حَظِيَ بِكَ مَالِكٌ وَلَمْ تَحْظَ أَنْتَ بِنَفْسِكَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّ مِثْقَالًا مِنْ دَوْلَةٍ[2] خَيْرٌ مِنْ حِمْلِ عِلْمٍ[3].

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ: سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ إِمَامٌ فِي الْحَدِيثِ، وَلَيْسَ بِإِمَامٍ فِي السُّنَّةِ، وَالْأَوْزَاعِيُّ إِمَامٌ فِي السُّنَّةِ، وَلَيْسَ بِإِمَامٍ فِي الْحَدِيثِ، وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ إِمَامٌ فِيهِمَا جَمِيعًا[4].

---

(1) الطاق: ما عُطِفَ من الأبنية، والجمع الطاقات. اللسان/ طوق.

(2) الدَّوْلَةُ: الفعل والانتقال من حال إلى حال، والدُّولَةُ اسم الشيء الذي يُتَدَاوَلُ. اللسان/ دول.

(3) جامع الأصول في أحاديث الرسول: 1/ 181.

(4) تاريخ دمشق: 35/ 183.

وَكانَ مَالِكٌ مُبَالِغًا فِي تَعْظِيمِ الْعِلْمِ وَالدِّينِ، حَتَّى كانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُحَدِّث، يَتَوَضَّأُ، وَيَلْبَسُ ثِيَابَهُ وَعِمَامَتَهُ، وَيُسَرِّحُ لِحْيَتَهُ، وَيَسْتَعْمِلُ الطِّيبَ، وَيَجْلِسُ عَلَى صَدْرِ مَجْلِسِهِ، وَيَتَمَكَّنُ فِي جُلُوسِهِ بِوَقَارٍ وَهَيْبَةٍ، وَكَانَ يُطْرِقُ، وَلَا يَعْبَثُ بِشَيْءٍ مِنْ لِحْيَتِهِ وَثَوْبِهِ، وَلَا يَتَنَخَّمُ. فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، قَالَ: تَعْظِيمًا لِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَفِي رِوَايَةِ مَعْنِ بْنِ عِيسَى: اغْتَسَلَ وَتَبَخَّرَ وَتَطَيَّبَ، فَإِنْ رَفَعَ أَحَدٌ صَوْتَهُ فِي مَجْلِسِهِ، زَبَرَهُ وَقَالَ: قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾[1]، فَمَنْ رَفَعَ صَوْتَهُ عِنْدَ حَدِيثِهِ، فَكَأَنَّمَا رَفَعَ صَوْتَهُ عِنْدَهُ[2].

وَمَرَّ يَوْمًا عَلَى أَبِي حَازِمٍ وَهُوَ جَالِسٌ، فَجَازَهُ، وَقَالَ: «لَمْ أَجِدْ مَوْضِعًا أَجْلِسُ فِيهِ، فَكَرِهْتُ أَنْ آخُذَ الْحَدِيثَ وَأَنَا قَائِمٌ»[3].

وَكانَ نَقْشُ خَاتَمِهِ: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾[4]. الآية.

قَالَ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ: مَا فِي الْقَوْمِ أَصَحُّ حَدِيثًا مِنْ مَالِكٍ[5].

---

(1) سورة الحجرات الآية: 2.

(2) أدب الإملاء والاستملاء: 27.

(3) جامع الأصول في أحاديث الرسول: 1/ 182.

(4) سورة آل عمران الآية: 174.

(5) سنن الترمذي: 6/ 246.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: إِذَا ذُكِرَ الْعُلَمَاءُ، فَمَالِكٌ النَّجْمُ، وَمَا أَحَدٌ أَمَنُّ عَلَيَّ مِنْ مَالِكٍ.

وَقَالَ: إِذَا جَاءَ الْحَدِيثُ عَنْ مَالِكٍ، فَشُدَّ بِيَدَيْكَ[1] بِهِ[2].

وَقَالَ: كَانَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ إِذَا جَاءَ بَعْضُ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ قَالَ: أَرَانِي عَلَى ثِقَةٍ مِنْ دِينِي، أَمَّا أَنْتَ فَشَاكٌّ، اذْهَبْ إِلَى شَاكٍّ مِثْلِكَ فَخَاصِمْهُ[3].

وَقَالَ مَالِكٌ: إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْإِنْسَانِ خَيْرٌ فِي نَفْسِهِ، لَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ فِيهِ خَيْرٌ[4].

وَقَالَ: لَيْسَ الْعِلْمُ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ، وَإِنَّمَا هُوَ نُورٌ يَضَعُهُ اللهُ فِي الْقَلْبِ[5].

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: رَأَيْتُ كَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ قَاعِدٌ، وَالنَّاسُ حَوْلَهُ، وَمَالِكٌ قَائِمٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَبَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِسْكٌ، فَهُوَ يَأْخُذُ مِنْهُ قَبْضَةً قَبْضَةً، وَيَدْفَعُهَا إِلَى مَالِكٍ، وَمَالِكٌ يَذُرُّهَا عَلَى النَّاسِ، قَالَ مُطَرِّفٌ: فَأَوَّلْتُ ذَلِكَ الْعِلْمَ، وَاتِّبَاعَ السُّنَّةِ[6].

قَالَ الشَّافِعِيُّ: قَالَتْ لِي عَمَّتِي وَنَحْنُ بِمَكَّةَ: رَأَيْتُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ عَجِيبًا، فَقُلْتُ لَهَا: وَمَا هُوَ؟ قَالَتْ: رَأَيْتُ كَأَنَّ قَائِلًا يَقُولُ: مَاتَ اللَّيْلَةَ أَعْلَمُ أَهْلِ الْأَرْضِ. قَالَ الشَّافِعِيُّ: فَحَسِبْنَا ذَلِكَ، فَإِذَا هُوَ يَوْمَ مَاتَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ.

---

(1) يديك، في قونية.

(2) آداب الشافعي ومناقبه: 150. وفيه: فشد به يديك.

(3) سير أعلام النبلاء: 8/ 99.

(4) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: 6/ 321.

(5) الكامل في ضعفاء الرجال: 1/ 100.

(6) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: 6/ 317.

قِيلَ: بَعَثَ هَارُونُ إِلَى مَالِكٍ يَسْتَحْضِرُهُ مَجْلِسَهُ، لِيَسْمَعَ مِنْهُ ابْنَاهُ الْأَمِينُ وَالْمَأْمُونُ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، يَنْبَغِي أَنْ تَخْتَلِفَ إِلَيْنَا حَتَّى يَسْمَعَ صِبْيَانُنَا مِنْكَ **الْمُوَطَّأَ**، قَالَ: قُلْتُ: أَعَزَّ اللهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ مِنْكُمْ خَرَجَ، فَإِنْ أَنْتُمْ أَعْزَزْتُمُوهُ يُعَزُّ، وَإِنْ أَنْتُمْ أَذْلَلْتُمُوهُ ذُلَّ، وَالْعِلْمُ يُؤْتَى وَلَا يَأْتِي، فَقَالَ: صَدَقْتَ. اخْرُجَا إِلَى الْمَسْجِدِ حَتَّى تَسْمَعَا مَعَ النَّاسِ، قَالَ مَالِكٌ: بِشَرِيطَةِ أَلَّا يَتَخَطَّيَا رِقَابَ النَّاسِ، وَيَجْلِسَا حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِمُ الْمَجْلِسُ، فَحَضَرَاهُ بِهَذَا الشَّرْطِ[1].

قِيلَ: لَمَّا حَجَّ هَارُونُ الرَّشِيدُ، وَصَارَ إِلَى الْمَدِينَةِ، أَرْسَلَ إِلَى مَالِكٍ أَنِ احْمِلْ إِلَيْنَا كِتَابَكَ، فَقَالَ: الْعِلْمُ يُؤْتَى وَلَا يَأْتِي، فَقَالَ الرَّشِيدُ: وَاللهِ لَا نَسْمَعُ إِلَّا فِي بَيْتِكَ. فَقَالَ مَالِكٌ: حَدَّثَنِي نَافِعٌ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ الْعَالِمَ إِذَا خَصَّ الْعِلْمَ دُونَ الْعَامَّةِ لَا يَنْتَفِعُ بِهِ الْخَاصُّ وَلَا الْعَامُّ»[2]. فَنَادَى فِي النَّاسِ، وَأَقْبَلَ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ، ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنِي نَافِعٌ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ تَوَاضَعَ لِلْعِلْمِ يَرْفَعُهُ اللهُ»[3]. فَنَزَلَ وَجَلَسَ مَعَ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ، ثُمَّ قَرَأَ الْكِتَابَ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ الْكِتَابُ **الْمُوَطَّأَ**، فَإِنَّ هَارُونَ قَدْ تَوَاطَأَ لَهُ، فَحَمَلَ إِلَيْهِ هَارُونُ بَغْلًا وَدَابَّةً

---

(1) تاريخ دمشق لابن عساكر: 74/ 219.

(2) أورده علاء الدين الهندي في كنز العمال: 10/ 242 وعزاه إلى الديلمي عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(3) لم نقف على من أخرجه بهذا اللفظ في كتب السنة، وورد في منازل الأئمة الأربعة: أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد: 190.

وَحِمَارًا وَخَمْسَمِئَةَ دِينَارٍ، فَقَبِلَ الْمَالَ، وَرَدَّ الْبَهَائِمَ، ثُمَّ قَالَ: مَا كُنْتُ لِأَرْكَبَ فِي مَدِينَةٍ نَبِيُّ اللهِ مَلْحُودٌ فِي تُرَابِهَا، وَلَمْ يُرَ مَالِكٌ رَاكِبًا بِالْمَدِينَةِ قَطُّ.

رُوِيَ عَنِ الشَّافِعِيِّ، أَنَّهُ رَأَى عَلَى بَابِ مَالِكٍ كُرَاعًا[1] مِنْ أَفْرَاسِ خُرَاسَانَ وَبِغَالِ مِصْرَ مَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ مِنْهُ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَحْسَنَهُ، فَقَالَ: هُوَ هَدِيَّةٌ مِنِّي إِلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، قُلْتُ: دَعْ لِنَفْسِكَ مِنْهَا دَابَّةً تَرْكَبُهَا، فَقَالَ: أَنَا أَسْتَحِي مِنَ اللهِ تَعَالَى، أَنْ أَطَأَ تُرْبَةً فِيهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَافِرِ دَابَّةٍ[2].

رُوِيَ أَنَّ الرَّشِيدَ سَأَلَ مَالِكًا هَلْ لَكَ دَارٌ؟ فَقَالَ: لَا، فَأَعْطَاهُ ثَلَاثَةَ آلَافِ دِينَارٍ، وَقَالَ: اشْتَرِ بِهَا دَارًا، فَأَخَذَهَا وَلَمْ يُنْفِقْهَا، فَلَمَّا أَرَادَ الرَّشِيدُ الشُّخُوصَ إِلَى الْعِرَاقِ، قَالَ لِمَالِكٍ: يَنْبَغِي أَنْ تَخْرُجَ مَعِي، فَإِنِّي عَزَمْتُ أَنْ أَحْمِلَ النَّاسَ عَلَى الْمُوَطَّإِ، كَمَا حَمَلَ عُثْمَانُ النَّاسَ عَلَى الْقُرْآنِ، فَقَالَ: أَمَّا حَمْلُ النَّاسِ عَلَى الْمُوَطَّإِ، فَلَيْسَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ، لِأَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، افْتَرَقُوا بَعْدَهُ فِي الْأَمْصَارِ فَحَدَّثُوا، فَعِنْدَ كُلِّ أَهْلِ مِصْرٍ عِلْمٌ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اخْتِلَافُ أُمَّتِي رَحْمَةٌ»[3]. وَأَمَّا الْخُرُوجُ مَعَكَ، فَلَا سَبِيلَ إِلَيْهِ، قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَيَخْرُجُونَ بَعْدِي مِنَ الْمَدِينَةِ لِأَجْلِ الدُّنْيَا، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ»[4].

---

(1) الكراع: اسم يجمع الخيل، وقيل: هو اسم يجمع الخيل والسلاح. اللسان/ كرع. والمعنى المراد هنا، كثرة دواب العلماء التي تقف بباب الإمام مالك.

(2) إحياء علوم الدين: 1/ 27.

(3) كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس: 1/ 64.

(4) أخرجه أبي داود الطيالسي في مسنده: 4/ 222 رقم: 2599.

وَقَالَ: «الْمَدِينَةُ تَنْفِي خَبَثَهَا»[1]. وَهَذِهِ دَنَانِيرُكُمْ كَمَا هِيَ، إِنْ شِئْتُمْ فَخُذُوهَا، وَإِنْ شِئْتُمْ فَدَعُوهَا؛ يَعْنِي أَنَّكَ إِنَّمَا تُكَلِّفُنِي مُفَارَقَةَ الْمَدِينَةِ، لِمَا اصْطَنَعْتَهُ إِلَيَّ، فَلَا أُوثِرُ الدُّنْيَا عَلَى مَدِينَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَرَحَلَ الرَّشِيدُ إِلَى مَكَّةَ[2].

فَأَرْسَلَ إِلَى سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ [أَنِ][3] احْمِلْ إِلَيَّ عِلْمَكَ، فَحَمَلَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا قَدِمَ الْعِرَاقَ، كَانَ الرَّشِيدُ يَقُولُ: رَحِمَ اللهُ مَالِكًا، تَوَاطَأْنَا لَهُ فَانْتَفَعْنَا بِعِلْمِهِ، وَرَحِمَ اللهُ سُفْيَانَ، تَوَاطَأَ لَنَا فَلَمْ نَنْتَفِعْ بِعِلْمِهِ.

قِيلَ: كَانَ مَالِكٌ كُلَّمَا جَلَسَ مَجْلِسًا، لَا يَنْطِقُ بِشَيْءٍ حَتَّى يَقُولَ: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[4].

وَيُرْوَى أَنَّ سُفْيَانَ[5] كُلَّمَا نَسِيَ شَيْئًا يَقُولُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ فَيَذْكُرُهُ.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَفِي بِتَعْدَادِ فَضَائِلِ هَذَا الطَّوْدِ الْأَشَمِّ، وَالْبَحْرِ الزَّخَّارِ، بُطُونُ الْكُتُبِ وَمَضَامِينُ الْأَسْفَارِ، فَضْلًا عَنْ هَذِهِ الْأَوْرَاقِ وَالسُّطُورِ، فَاكْتَفَيْنَا بِهَذَا الْقَدْرِ الْمَسْطُورِ.

---

(1) صحيح البخاري: 9/ 79 رقم: 7209.

(2) إحياء علوم الدين: 1/ 27.

(3) زيادة من قونية.

(4) سورة البقرة الآية: 32.

(5) سنيد، في قونية وأنطاليا.

وَمِنَ الْأَئِمَّةِ الْمُجْتَهِدِينَ:

الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ، مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ شَافِعِ بْنِ السَّائِبِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عَبْدِ يَزِيدَ بْنِ هَاشِمِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ الْقُرَشِيُّ الْمُطَّلِبِيُّ.

لَقِيَ شَافِعٌ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ مُتَرَعْرِعٌ، [وَأَسْلَمَ أَبُوهُ السَّائِبُ يَوْمَ بَدْرٍ][1]، كَانَ السَّائِبُ صَاحِبَ رَايَةِ بَنِي هَاشِمٍ يَوْمَ بَدْرٍ فَأُسِرَ، وَفَدَى نَفْسَهُ، ثُمَّ أَسْلَمَ.

وُلِدَ الشَّافِعِيُّ بِغَزَّةَ، أَوْ بِعَسْقَلَانَ، أَوْ بِالْيَمَنِ، سَنَةَ خَمْسِينَ وَمِئَةٍ، وَهِيَ السَّنَةُ الَّتِي تُوُفِّيَ فِيهَا أَبُو حَنِيفَةَ. وَقِيلَ: بَلْ وُلِدَ يَوْمَ وَفَاتِهِ، وَحُمِلَ إِلَى مَكَّةَ وَهُوَ ابْنُ سَنَتَيْنِ[2].

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَكَمِ: «إِنَّ أُمَّ الشَّافِعِي لَمَّا حَمَلَتْ بِهِ، رَأَتْ كَأَنَّ الْمُشْتَرِيَ خَرَجَ مِنْ بَطْنِهَا وَانْقَضَّ، ثُمَّ وَقَعَ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ مِنْهُ شَظِيَّةٌ[3]. فَقَالَ الْمُعَبِّرُ: إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ بَطْنِكِ عَالِمٌ عَظِيمٌ»[4].

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي النَّوْمِ، فَقَالَ لِي: يَا غُلَامُ، مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ: مِنْ رَهْطِكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: ادْنُ مِنِّي، فَدَنَوْتُ

---

(1) ما بين معقوفين سقط من أنطاليا.

(2) جامع الأصول في أحاديث الرسول: 12/ 868.

(3) ترتيب المدارك وتقريب المسالك: 3/ 190.

(4) ورد الخبر بتصرف في تاريخ بغداد: 2/ 392.

مِنْهُ، فَأَخَذَ مِنْ رِيقِهِ، فَفَتَحْتُ فَمِي، فَأَمَرَّ مِنْ رِيقِهِ عَلَى لِسَانِي وَفَمِي وَشَفَتَيَّ، وَقَالَ: امْشِ بَارَكَ اللهُ فِيكَ. [قَالَ الشَّافِعِيُّ: فَمَا أَذْكُرُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنِّي عَيِيتُ عَنْ جَوَابٍ، أَوْ لَحَنْتُ فِي خِطَابٍ][1].

وَقَالَ أَيْضًا: رَأَيْتُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِمَكَّةَ فِي زَمَانِ الصِّبَا فِي الْمَنَامِ، ذَا هَيْبَةٍ يَؤُمُّ النَّاسَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ صَلَاتِهِ، أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ يُعَلِّمُهُمْ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَقُلْتُ: عَلِّمْنِي، فَأَخْرَجَ مِيزَانًا مِنْ كُمِّهِ، فَأَعْطَانِي، وَقَالَ: هَذَا لَكَ. قَالَ الشَّافِعِيُّ: فَعَرَضْتُ الرُّؤْيَا عَلَى الْمُعَبِّرِ، فَقَالَ: إِنَّكَ تَصِيرُ إِمَامًا فِي الْعِلْمِ، وَتَكُونُ عَلَى السُّنَّةِ، لِأَنَّ إِمَامَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ الْأَئِمَّةِ كُلِّهِمْ، وَأَمَّا الْمِيزَانُ، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ حَقِيقَةَ الشَّيْءِ فِي نَفْسِهِ[2].

وَذَكَرُوا أَنَّ الشَّافِعِيَّ كَانَ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ فَقِيرًا، وَلَمَّا سَلَّمُوهُ إِلَى الْمُعَلِّمِ، مَا كَانُوا يَجِدُونَ أُجْرَةَ الْمُعَلِّمِ، فَكانَ الْمُعَلِّمُ يُقَصِّرُ فِي التَّعْلِيمِ، إِلَّا أَنَّ الْمُعَلِّمَ كُلَّمَا عَلَّمَ صَبِيًّا شَيْئًا، كَانَ الشَّافِعِيُّ يَتَلَقَّفُ ذَلِكَ الْكَلَامَ، ثُمَّ إِذَا قَامَ الْمُعَلِّمُ مِنْ مَكَانِهِ، أَخَذَ الشَّافِعِيُّ يُعَلِّمُ الصِّبْيَانَ تِلْكَ الْأَشْيَاءَ، فَنَظَرَ الْمُعَلِّمُ، فَرَأَى الشَّافِعِيَّ يَكْفِيهِ أَمْرَ الصِّبْيَانِ أَكْثَرَ مِنَ الْأُجْرَةِ الَّتِي كَانَ يَطْمَعُ بِهَا مِنْهُ، فَتَرَكَ طَلَبَ الْأُجْرَةِ، وَاسْتَمَرَّتْ هَذِهِ الْأَحْوَالُ، حَتَّى تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ لِتِسْعِ سِنِينَ.

قَالَ الشَّافِعِيُّ: وَلَمَّا خَتَمْتُ الْقُرْآنَ، دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَكُنْتُ أُجَالِسُ الْعُلَمَاءَ، وَأَحْفَظُ الْحَدِيثَ أَوِ الْمَسْأَلَةَ، وَكانَ مَنْزِلُنَا بِمَكَّةَ فِي شِعْبِ الْخَيْفِ،

---

(1) ما بين معقوفين زيادة من أنطاليا. مناقب الشافعي للبيهقي: 1/ 98.

(2) مناقب الشافعي للبيهقي: 1/ 99.

وَكُنْتُ فَقِيرًا بِحَيْثُ مَا كُنْتُ أَمْلِكُ مَا أَشْتَرِي بِهِ الْقَرَاطِيسَ، فَكُنْتُ آخُذُ الْعَظْمَ وَأَكْتُبُ فِيهِ[1].

وَكَانَ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ تَفَقَّهَ عَلَى مُسْلِمِ بْنِ خَالِدٍ، وَفِي أَثْنَاءِ الْأَمْرِ، وَصَلَ إِلَيْهِ الْخَبَرُ بِأَنَّ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ وَسَيِّدُهُمْ.

قالَ الشَّافِعِيُّ: فَوَقَعَ فِي قَلْبِي أَنْ أَذْهَبَ إِلَيْهِ. فَاسْتَعَرْتُ الْمُوَطَّأَ مِنْ رَجُلٍ بِمَكَّةَ، وَحَفِظْتُهُ، ثُمَّ دَخَلْتُ إِلَى وَالِي مَكَّةَ، فَأَخَذْتُ كِتَابَهُ إِلَى وَالِي الْمَدِينَةِ، وَإِلَى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، وَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ وَبَلَّغْتُ الْكِتَابَ. فَقَالَ وَالِي الْمَدِينَةِ: يَا فَتَى، إِنْ كَلَّفْتَنِي الْمَشْيَ مِنْ جَوْفِ الْمَدِينَةِ إِلَى جَوْفِ مَكَّةَ رَاجِلًا حَافِيًا كانَ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنَ الْمَشْيِ إِلَى بَابِ مَالِكٍ، فَقُلْتُ: إِنْ رَأَى الْأَمِيرُ أَنْ يَحْضُرَهُ، فقالَ: هَيْهَاتَ، وَلَيْتَنَا إِذَا رَكِبْنَا إِلَيْهِ، وَوَقَفْنَا عَلَى بَابِهِ كَثِيرًا، فَتَحَ لَنَا الْبَابَ، قَالَ: ثُمَّ رَكِبَ[2]، وَذَهَبْنَا مَعَهُ إِلَى دَارِ مَالِكٍ، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ، وَقَرَعَ الْبَابَ، فَخَرَجَتْ إِلَيْنَا جَارِيَةٌ سَوْدَاءُ، فَقَالَ لَهَا الْأَمِيرُ: قُولِي لِمَوْلَاكِ إِنِّي بِالْبَابِ، فَدَخَلَتِ الْجَارِيَةُ وَأَبْطَأَتْ، ثُمَّ خَرَجَتْ فَقَالَتْ: إِنَّ مَوْلَايَ يَقُولُ: إِنْ كَانَ لَكَ مَسْأَلَةٌ، فَادْفَعْهَا فِي رُقْعَةٍ، حَتَّى يَخْرُجَ إِلَيْكَ الْجَوَابُ، وَإِنْ كَانَ الْمَجِيءُ لِمُهِمٍّ آخَرَ، فَقَدْ عَرَفْتَ يَوْمَ الْخَمِيسِ، فَانْصَرِفْ، فَقَالَ: إِنَّ مَعِي كِتَابَ وَالِي مَكَّةَ فِي مُهِمٍّ فَدَخَلَتْ، ثُمَّ خَرَجَتْ وَفِي يَدِهَا كُرْسِيٌّ، فَوَضَعَتْهُ، فَإِذا مَالِكٌ شَيْخٌ طُوَالٌ، وقد خَرَجَ وَعَلَيْهِ الْمَهَابَةُ، وَهُوَ

---

(1) مناقب الشافعي للبيهقي: 19 ـ 20.

(2) ركبنا، في قونية.

مُتَطَلِّسٌ[1]، فَدَفَعَ الْوَالِي الْكِتَابَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ: إِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ إِدْرِيسَ رَجُلٌ شَرِيفٌ مِنْ أَمْرِهِ، وَحَالَهُ كَذَا وَكَذَا، فَرَمَى الْكِتَابَ مِنْ يَدِهِ، وَقَالَ: سُبْحَانَ اللهِ، صَارَ عِلْمُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِحَيْثُ يُطْلَبُ بِالرَّسَائِلِ، قَالَ الشَّافِعِيُّ: فَقُلْتُ: أَصْلَحَكَ اللهُ، إِنِّي رَجُلٌ مُطَّلِبِيٌّ، مِنْ حَالَتِي وَقِصَّتِي كَذَا وَكَذَا، فَلَمَّا سَمِعَ كَلَامِي، نَظَرَ إِلَيَّ سَاعَةً ـ وَكَانَ لِمَالِكٍ فِرَاسَةٌ ـ فَقَالَ لِي: مَا اسْمُكَ؟ قُلْتُ: مُحَمَّدٌ، فَقَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ، اتَّقِ اللهَ، وَاجْتَنِبِ الْمَعَاصِي، فَإِنَّهُ سَيَكُونُ لَكَ شَأْنٌ مِنَ الشَّأْنِ، فَقُلْتُ: نَعَمْ، وَكَرَامَةً. فَقَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ أَلْقَى عَلَى قَلْبِكَ نُورًا، فَلَا تُطْفِئْهُ بِالْمَعْصِيَةِ. ثُمَّ قَالَ: إِذَا كَانَ غَدًا تَجِيءُ بِمَنْ يَقْرَأُ لَكَ الْمُوَطَّأَ، فَقُلْتُ: إِنِّي أَقْرَأُهُ مِنَ الْحِفْظِ. وَرَجَعْتُ إِلَيْهِ مِنَ الْغَدِ، وَابْتَدَأْتُ بِالْقِرَاءَةِ، فَكُلَّمَا أَرَدْتُ قَطْعَ الْقِرَاءَةِ خَوْفًا مِنْ مَلَالِهِ، أَعْجَبَهُ حُسْنُ قِرَاءَتِي، فَيَقُولُ: يَا فَتَى زِدْ، حَتَّى قَرَأْتُهُ فِي أَيَّامٍ يَسِيرَةٍ، ثُمَّ أَقَمْتُ بِالْمَدِينَةِ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ مَالِكٌ[2].

وَكَانَ الشَّافِعِيُّ إِذَا حَكَى قَوْلًا لِمَالِكٍ قَالَ: هَذَا قَوْلُ أُسْتَاذِنَا مَالِكٍ.

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: قُلْتُ لِأَبِي: أَيَّ رَجُلٍ كَانَ الشَّافِعِيُّ، فَإِنِّي سَمِعْتُكَ تُكْثِرُ الدُّعَاءَ لَهُ، فَقَالَ لِي: يَا بُنَيَّ، كَانَ الشَّافِعِيُّ كَالشَّمْسِ لِلنَّهَارِ، وَكَالْعَافِيَةِ لِلنَّاسِ، فَانْظُرْ، هَلْ لِهَذَيْنِ مِنْ خَلَفٍ، أَوْ عَنْهُمَا مِنْ عِوَضٍ[3].

---

(1) رجل أطلس الثياب: وَسِخُهَا، والأطلس من الرجال: الدنس الثياب. اللسان/ طلس.

(2) مناقب الشافعي للبيهقي: 1/ 102 ـ 103.

(3) تاريخ بغداد: 2/ 404.

وَقالَ أَخُوهُ صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: جَاءَ الشَّافِعِيُّ يَوْمًا إِلَى أَبِي يَعُودُهُ، وَكَانَ عَلِيلًا، قَالَ: فَوَثَبَ أَبِي إِلَيْهِ، وَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، ثُمَّ أَجْلَسَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ أَخَذَ يَسْأَلُهُ سَاعَةً، فَلَمَّا قَامَ الشَّافِعِيُّ وَرَكِبَ، أَخَذَ أَبِي بِرِكَابِهِ، وَمَشَى مَعَهُ، فَبَلَغَ يَحْيَى بْنَ مَعِينٍ ذَلِكَ، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللهِ، لِمَ فَعَلْتَ ذَلِكَ؟ قَالَ أَبِي: وَأَنْتَ يَا أَبَا زَكَرِيَّا، لَوْ مَشَيْتَ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ، لَانْتَفَعْتَ بِهِ، وَمَنْ أَرَادَ الْفِقْهَ، فَلْيَشُمَّ ذَنَبَ هَذِهِ الْبَغْلَةِ[1].

وقالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: «مَا أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْظَمَ مِنَّةً عَلَى الْإِسْلَامِ فِي زَمَنِ الشَّافِعِيِّ مِنَ الشَّافِعِيِّ»[2]، وَإِنِّي لَأَدْعُو لَهُ فِي أَدْبَارِ[3] صَلَوَاتِي: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمُحَمَّدِ بْنِ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيِّ.

وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الزَّعْفَرَانِيُّ: مَا قَرَأْتُ عَلَى الشَّافِعِيِّ مِنَ الْكُتُبِ شَيْئًا، إِلَّا وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ شَاهِدٌ.

قَالَ الشَّافِعِيُّ: «مَا طَلَبَ أَحَدٌ الْعِلْمَ بِالتَّعَمُّقِ وَعِزِّ النَّفْسِ فَأَفْلَحَ، وَلَكِنْ مَنْ طَلَبَهُ بِضِيقِ الْيَدِ وَذِلَّةِ النَّفْسِ وَخِدْمَةِ الْعَالِمِ أَفْلَحَ»[4].

(1) مناقب الشافعي للبيهقي: 2/ 253.

(2) المصدر نفسه: المقدمة 25.

(3) آثار، في قونية ورئيس الكتاب والأزهرية.

(4) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: 9/ 119.

وَقَالَ: «مَا نَاظَرْتُ أَحَدًا قَطُّ، إِلَّا أَحْبَبْتُ أَنْ يُوَفَّقَ وَيُسَدَّدَ وَيُعَانَ، وَيَكُونَ عَلَيْهِ رِعَايَةٌ مِنَ اللهِ وَحِفْظٌ، وَمَا نَاظَرْتُ أَحَدًا، إِلَّا وَلَمْ أُبَالِ، بَيَّنَ اللهُ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِي أَوْ لِسَانِهِ»[1].

وَقَالَ يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: لَأَنْ يُبْتَلَى الْمَرْءُ بِكُلِّ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ ـ مَا عَدَا الشِّرْكَ ـ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ فِي الْكَلَامِ، فَإِنِّي وَاللهِ اطَّلَعْتُ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ عَلَى شَيْءٍ مَا ظَنَنْتُهُ قَطُّ.

وَقَالَ: مَا ارْتَدَى أَحَدٌ بِالْكَلَامِ فَأَفْلَحَ[2].

وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ ابْنُ أُخْتِ الشَّافِعِيِّ، عَنْ أُمِّهِ، قَالَتْ: «رُبَّمَا قَدَّمْنَا في لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، ثَلَاثِينَ مَرَّةً أَوْ أَقَلَّ أَوْ أَكْثَرَ الْمِصْبَاحَ إِلَى بَيْنَ يَدَيِ الشَّافِعِيِّ. وَكَانَ يَسْتَلْقِي وَيَتَذَكَّرُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا جَارِيَةُ، هَلُمِّي الْمِصْبَاحَ، فَتُقَدِّمُهُ، وَيَكْتُبُ مَا يَكْتُبُ، ثُمَّ يَقُولُ: ارْفَعِيهِ. فَقِيلَ لِأَبِي مُحَمَّدٍ: مَا أَرَادَ بِرَدِّ الْمِصْبَاحِ؟ قَالَ: الظُّلْمَةُ أَجْلَى لِلْقَلْبِ»[3].

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: «اسْتَعِينُوا عَلَى الْكَلَامِ بِالصَّمْتِ، وَعَلَى الِاسْتِنْبَاطِ بِالْفِكْرِ»[4].

---

(1) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: 9/ 118.

(2) المصدر نفسه: 9/ 111.

(3) المصدر نفسه: 9/ 104.

(4) إحياء علوم الدين: 4/ 425.

وَقالَ: «مَنْ وَعَظَ أَخَاهُ سِرًّا فَقَدْ نَصَحَهُ وَزَانَهُ، وَمَنْ وَعَظَهُ عَلَانِيَةً فَقَدْ فَضَحَهُ وَخَانَهُ»[1].

وَقالَ الْحُمَيْدِيُّ: «قَدِمَ الشَّافِعِيُّ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى مَكَّةَ، بِعَشَرَةِ آلَافِ دِينَارٍ فِي مِنْدِيلٍ، فَضَرَبَ خِبَاءَهُ خَارِجًا مِنْ مَكَّةَ، وَكَانَ النَّاسُ يَأْتُونَهُ، فَمَا بَرِحَتْ حَتَّى ذَهَبَتْ كُلُّهَا، ثُمَّ دَخَلَ مَكَّةَ»[2].

وَقالَ الْمُزَنِيُّ: «مَا رَأَيْتُ أَكْرَمَ مِنَ الشَّافِعِيِّ، خَرَجْتُ مَعَهُ لَيْلَةَ عِيدٍ مِنَ الْمَسْجِدِ وَأَنَا أُذَاكِرُهُ فِي مَسْأَلَةٍ، حَتَّى أَتَيْتُ بَابَ دَارِهِ، فَأَتَاهُ غُلَامٌ بِكِيسٍ، فَقَالَ لَهُ: مَوْلَايَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ لَكَ: خُذْ هَذَا الْكِيسَ، فَأَخَذَهُ مِنْهُ، وَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ: وَلَدَتِ امْرَأَتِي السَّاعَةَ، وَلَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ الْكِيسَ، وَصَعِدَ وَلَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ»[3].

وَفَضَائِلُهُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى.

وَبِالْجُمْلَةِ، هُوَ إِمَامُ الدُّنْيَا، وَعَالِمُ الْأَرْضِ شَرْقًا وَغَرْبًا، جَمَعَ اللهُ لَهُ مِنَ الْعُلُومِ وَالْمَفَاخِرِ مَا لَمْ يُجْمَعْ لِإِمَامٍ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ، وَانْتَشَرَ لَهُ مِنَ الذِّكْرِ مَا لَمْ يَنْتَشِرْ لِأَحَدٍ سِوَاهُ.

سَمِعَ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ، وَسُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ، وَمُسْلِمَ بْنَ خَالِدٍ، وَخَلْقًا كَثِيرًا.

---

(1) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: 9/ 140.

(2) المصدر نفسه: 9/ 130.

(3) المصدر نفسه: 9/ 132.

حَدَّثَ عَنْهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَأَبُو ثَوْرٍ إِبْرَاهِيمُ بْنُ خَالِدٍ، وَأَبُو إِبْرَاهِيمَ الْمُزَنِيُّ، وَالرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْمُرَادِيُّ. وَخَلْقٌ كَثِيرٌ غَيْرُهُمْ.

قَدِمَ بَغْدَادَ سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَمِئَةٍ، وَأَقَامَ بِهَا سَنَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ، ثُمَّ قَدِمَهَا سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَمِئَةٍ، فَأَقَامَ بِهَا أَشْهُرًا، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى مِصْرَ، وَمَاتَ بِهَا عِنْدَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، وَدُفِنَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ بَعْدَ الْعَصْرِ، وَكَانَ آخِرَ يَوْمٍ مِنْ رَجَبٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَمِئَتَيْنِ، وَلَهُ أَرْبَعٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً[1].

قَالَ الرَّبِيعُ: «رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ قَبْلَ مَوْتِ الشَّافِعِيِّ بِأَيَّامٍ، أَنَّ آدَمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ مَاتَ، وَيُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا بِجَنَازَتِهِ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ، سَأَلْتُ بَعْضَ أَهْلِ الْعِلْمِ عَنْهُ، فَقَالَ: هَذَا مَوْتُ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا، فَمَا كَانَ يَسِيرًا حَتَّى مَاتَ الشَّافِعِيُّ»[2].

وَقَالَ الْمُزَنِيُّ: دَخَلْتُ عَلَى الشَّافِعِيِّ فِي عِلَّتِهِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا، فَقُلْتُ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ قَالَ: أَصْبَحْتُ مِنَ الدُّنْيَا رَاحِلًا، وَلِلْإِخْوَانِ مُفَارِقًا، وَلِكَأْسِ الْمَنِيَّةِ شَارِبًا، وَلِسُوءِ أَعْمَالِي مُلَاقِيًا، وَعَلَى اللهِ وَارِدًا، فَلَا أَدْرِي رُوحِي تَصِيرُ إِلَى الْجَنَّةِ فَأُهَنِّئُهَا، أَوْ إِلَى النَّارِ فَأُعَزِّيهَا، ثُمَّ بَكَى وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

[الطويل]

(1) جامع الأصول في أحاديث الرسول: 12/ 868.

(2) المجموع شرح المهذب (مع تكملة السبكي والمطيعي) للنووي: 1/ 8.

وَلَمَّا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي جَعَلْتُ الرَّجَا مِنِّي لِعَفْوِكَ سُلَّمَا[1]
تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتُهُ بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمَا
فَمَا زِلْتَ ذَا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ تَجُودُ وَتَعْفُو مِنَّةً وَتَكَرُّمَا
فَلَوْلَاكَ لَمْ يَصْمُدْ لِإِبْلِيسَ عَابِدٌ وَكَيْفَ وَقَدْ أَغْوَى صَفِيَّكَ آدَمَا

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: رَأَيْتُ الشَّافِعِيَّ فِي الْمَنَامِ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَخِي، مَا فَعَلَ اللهُ بِكَ؟ قَالَ: غَفَرَ لِي وَتَوَّجَنِي وَزَوَّجَنِي، وَقَالَ لِي: هَذَا بِمَا لَمْ تُزْهَ بِمَا أَرْضَيْتُكَ، وَلَمْ تَتَكَبَّرْ فِيمَا أَعْطَيْتُكَ[2].

اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ قَاطِبَةً، مِنْ أَهْلِ الْفِقْهِ وَالْأُصُولِ وَالْحَدِيثِ وَاللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، عَلَى أَمَانَتِهِ وَعَدَالَتِهِ، وَزُهْدِهِ وَوَرَعِهِ، وَتَقْوَاهُ وَجُودِهِ، وَحُسْنِ سِيرَتِهِ، وَعُلُوِّ دَرَجَتِهِ وَقَدْرِهِ، فَالْمُطْنِبُ فِي وَصْفِهِ مُقَصِّرٌ، وَالْمُسْهِبُ فِي مَدْحِهِ مُقْتَصِرٌ، سِيَّمَا وَقَدْ كُسِرَ عَلَيْهَا الْمُجَلَّدَاتُ الْكِبَارُ، وَلَمْ يَبْلُغُوا سَاحِلَ هَذَا الْبَحْرِ الزَّخَّارِ، فَكَيْفَ يُسْتَقْصَى فِي هَذِهِ الْوُرَيْقَاتِ الصِّغَارِ[3].

وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَئِمَّةَ الشَّافِعِيَّةَ، اسْتَدَلُّوا عَلَى رُجْحَانِ مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ عَلَى سَائِرِ الْمَذَاهِبِ، بِأَحَادِيثَ مُطْلَقَةٍ وَمُقَيَّدَةٍ.

أَمَّا الْأَحَادِيثُ الْمُطْلَقَةُ، فَهِيَ الْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ فِي فَضْلِ قُرَيْشٍ، مِنْهَا حَدِيثُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِلْقُرَشِيِّ

---

(1) الأبيات مع الخبر في الديوان: 135.
(2) تاريخ دمشق: 51/ 435.
(3) جامع الأصول في أحاديث الرسول: 12/ 868.

قُوَّةَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ غَيْرِ قُرَيْشٍ»[1].

قِيلَ لِلزُّهْرِيِّ: مَا عَنَى بِذَلِكَ؟ قَالَ: نُبْلَ الرَّأْيِ.

وَمِنْهَا: «هَذَا الْأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ لَا يُعَادِيهِمْ أَحَدٌ إِلَّا أَكَبَّهُ اللهُ عَلَى وَجْهِهِ مَا أَقَامُوا الدِّينَ»[2].

وَمِنْهَا: «إِذَا اجْتَمَعَتْ جَمَاعَاتٌ فِي بَعْضِهَا قُرَيْشٌ، فَالْحَقُّ مَعَ قُرَيْشٍ، وَهِيَ مَعَ الْحَقِّ»[3].

وَمِنْهَا: «أَمَانُ أَهْلِ الْأَرْضِ مِنَ الْخِلَافِ الْمُوَالَاةُ لِقُرَيْشٍ»[4].

وَمِنْهَا قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ»[5].

وَمِنْهَا مَا فِي الصَّحِيحَيْنِ: «لَا يَزَالُ هَذَا الْأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ مَا بَقِيَ فِي النَّاسِ اثْنَانِ»[6].

وَقَدْ أَوْرَدُوا - غَيْرَ ذَلِكَ - أَحَادِيثَ تَدُلُّ عَلَى فَضِيلَةِ قُرَيْشٍ مُطْلَقًا، لَا فِي حَقِّ الْعِلْمِ، بَلْ أَعَمَّ مِنْ ذلِكَ، وَلِذَلِكَ لَمْ أَذْكُرْهَا، وَالَّذِي يُمْكِنُ حَمْلُهُ عَلَى فَضِيلَةِ الْعِلْمِ فِي الْجُمْلَةِ فِي حَقِّ قُرَيْشٍ مُطْلَقًا هُوَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ.

---

(1) مصنف ابن أبي شيبة: 6/ 402 رقم: 32385.

(2) صحيح البخاري: 4/ 179 رقم: 3500.

(3) أورده السبكي في طبقات الشافعية الكبرى: 1/ 192.

(4) المعجم الأوسط: 1/ 225 رقم: 743، والمستدرك على الصحيحين: 4/ 85 رقم: 6959.

(5) مسند أبي داود الطيالسي: 2/ 240 رقم: 968، ومصنف ابن أبي شيبة: 6/ 402 رقم: 32388.

(6) صحيح البخاري: 4/ 179 رقم: 3501. وصحيح مسلم: 3/ 1452 رقم: 1820.

وَأَمَّا الْأَحَادِيثُ الدَّالَّةُ عَلَى فَضِيلَةِ الشَّافِعِيِّ بِخُصُوصِهِ، فَهِيَ مَا رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ، صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا تَسُبُّوا قُرَيْشًا فَإِنَّ عَالِمَهَا يَمْلَأُ الْأَرْضَ عِلْمًا»[1].

وَعَنْ رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَؤُمُّوا قُرَيْشًا وَائْتَمُّوا بِهَا، وَلَا تَقَدَّمُوا عَلَى قُرَيْشٍ وَقَدِّمُوهَا، وَلَا تُعَلِّمُوا قُرَيْشًا وَتَعَلَّمُوا مِنْهَا، فَإِنَّ أَمَانَةَ الْأَمِينِ مِنْ قُرَيْشٍ تَعْدِلُ أَمَانَةَ الْأَمِينَيْنِ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَإِنَّ عِلْمَ عَالِمِ قُرَيْشٍ لَيَسَعُ طِبَاقَ الْأَرْضِ»[2].

وَهَذَا الْحَدِيثُ قَالَهُ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، يَوْمَ حَرُورَاءَ[3]، لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، لَمَّا أَرْسَلَهُ إِلَى الْخَوَارِجِ، وَقَالَ: قُلْ لَهُمْ: عَلَى مَا تَتَّهِمُونَنِي؟ وَأَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ ذَلِكَ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: «يَبْعَثُ اللهُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِئَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»[4].

وَفِي لَفْظٍ آخَرَ: «فِي رَأْسِ كُلِّ مِئَةِ سَنَةٍ رَجُلًا مِنْ أَهْلِي يُبَيِّنُ لَهُمْ أَمْرَ دِينِهِمْ»[5]. ذَكَرَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ.

---

(1) مسند أبي داود الطيالسي: 1/ 244 رقم: 307.

(2) كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس: 2/ 54.

(3) حروراء: هي قرية بظاهر الكوفة، وقيل: الحرورية من الخوارج منسوبة إليها، وبها كان أول تحكيمهم واجتماعهم حين خالفوا عليه. معجم البلدان: 2/ 245.

(4) سنن أبي داود: 4/ 109 رقم: 4291. والمعجم الأوسط: 6/ 323 رقم: 6527.

(5) حلية الأولياء: 9/ 97، ومناقب الشافعي للبيهقي: 1/ 55.

وَقَالَ عَقِبَهُ: نَظَرْتُ فِي سَنَةِ مِئَةٍ، فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ مِنْ آلِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَنَظَرْتُ فِي رَأْسِ الْمِئَةِ الثَّانِيَةِ، فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ مِنْ آلِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ، وَهَذَا ثَابِتٌ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ سَقَى اللهُ عَهْدَهُ[1].

قَالَ الْعُلَمَاءُ: فَعَلَى هَذَا عَالِمُ الْمِئَةِ الثَّالِثَةِ ابْنُ سُرَيْجٍ، وَقِيلَ: الْأَشْعَرِيُّ، لَكِنْ رَجَّحُوا كَوْنَ عَالِمِ الْمِئَةِ الثَّالِثَةِ ابْنَ سُرَيْجٍ لِوَجْهَيْنِ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ أَبَا الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيَّ، كَانَ قِيَامُهُ لِلذَّبِّ عَنْ أُصُولِ الْعَقَائِدِ دُونَ فُرُوعِهَا، وَابْنُ سُرَيْجٍ كَانَ قِيَامُهُ لِلذَّبِّ عَنْ فُرُوعِ الْمَذْهَبِ الْوَاقِعِ عَنْ عَالِمِ الْمِئَةِ الثَّانِيَةِ، فَالْمُنَاسَبَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَالِمِ الْمِئَةِ الثَّانِيَةِ، اقْتَضَتْ تَعْيِينَ[2] ابْنِ سُرَيْجٍ.

الثَّانِي: أَنَّ الْأَشْعَرِيَّ تَأَخَّرَتْ وَفَاتُهُ عَنْ رَأْسِ الْقَرْنِ إِلَى بَعْدِ[3] الْعِشْرِينَ، وَوَفَاةُ ابْنِ سُرَيْجٍ فِي رَأْسِ الْقَرْنِ.

وَقَدْ صَحَّ أَنَّ الْحَدِيثَ ذُكِرَ فِي مَجْلِسِ أَبِي الْعَبَّاسِ ابْنِ سُرَيْجٍ، فَقَامَ شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، فَقَالَ: أَبْشِرْ أَيُّهَا الْقَاضِي، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى بَعَثَ عَلَى رَأْسِ الْمِئَةِ الْأُولَى عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَعَلَى الثَّانِيَةِ الشَّافِعِيَّ، وَبَعَثَكَ عَلَى رَأْسِ الثَّالِثَةِ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ: [الكامل]

(1) كلام الإمام أحمد عن الحديث في حلية الأولياء: 9/ 97.

(2) تَعَيُّنَ، في أنطاليا.

(3) رأس، في قونية.

اثْنَانِ قَدْ مَضَيَا فَبُورِكَ فِيهِمَا عُمَرُ الْخَلِيفَةُ ثُمَّ حِلْفُ السُّؤْدَدِ[1]
الشَّافِعِيُّ الْأَلْمَعِيُّ مُحَمَّدٌ إِرْثُ النُّبُوَّةِ وَابْنُ عَمِّ مُحَمَّدِ
أَرْجُو أَبَا الْعَبَّاسِ أَنَّكَ ثَالِثٌ مِنْ بَعْدِهِمْ سُقْيًا لِتُرْبَةِ أَحْمَدِ

قَالَ: فَصَاحَ ابْنُ سُرَيْجٍ، وَبَكَى وَقَالَ: لَقَدْ نَعَى إِلَيَّ نَفْسِي. **وَرُوِيَ أَنَّهُ مَاتَ** فِي تِلْكَ السَّنَةِ.

وَأَمَّا الْمِئَةُ الرَّابِعَةُ، فَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ الشَّيْخُ أَبُو[2] حَامِدٍ الْأَسْفَرَايِينِيُّ[3].

وَقِيلَ: بَلِ الْأُسْتَاذُ سَهْلُ بْنُ أَبِي سَهْلٍ الصُّعْلُوكِيُّ[4].

قَالَ ابْنُ السُّبْكِيِّ: وَالْخَامِسُ الْغَزَالِيُّ، وَالسَّادِسُ الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْإِمَامَ الرَّافِعِيَّ[5]، إِلَّا أَنَّ وَفَاتَهُ تَأَخَّرَتْ إِلَى بعد الْعِشْرِينَ وَالسِّتِّمِئَةِ، كَمَا تَأَخَّرَتْ وَفَاةُ الْأَشْعَرِيِّ. وَمِنَ الْعَجِيبِ وُقُوعُ الِاخْتِلَافِ فِي الْمِئَةِ الثَّالِثَةِ بَيْنَ الْأَشْعَرِيِّ وَابْنِ سُرَيْجٍ، وَفِي الْمِئَةِ السَّادِسَةِ بَيْنَ الْإِمَامِ الرَّازِيِّ وَالرَّافِعِيِّ، مَعَ وُقُوعِ وَفَاةِ ابْنِ سُرَيْجٍ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِمِئَةٍ، وَتَأَخُّرِ وَفَاةِ الْأَشْعَرِيِّ إِلَى بعد الْعِشْرِينَ، وَوُقُوعِ وَفَاةِ الْإِمَامِ الرَّازِيِّ سَنَةَ

---

(1) الأبيات مع الخبر في معرفة السنن والآثار: 1/ 209، وتاريخ بغداد: 5/ 471.

(2) (أبا حامد) في كل النسخ الخطية.

(3) أحمد بن محمد بن أحمد أبو حامد الأسفراييني الفقيه الشافعي (ت. 406هـ). تاريخ بغداد: 6/ 20.

(4) أبو الطيب سهل بن أبي سهل محمد بن سليمان بن محمد الْعِجْلِيُّ الصُّعْلُوكِيُّ الفقيه الشافعي (ت.404هـ). سير أعلام النبلاء: 17/ 207. وطبقات الشافعية الكبرى: 10/ 191.

(5) عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن الفضل، العلامة الإمام أبو القاسم الرافعي القزويني (ت. 623هـ). تاريخ الإسلام: 13/ 742، وفوات الوفيات: 2/ 377.

سِتٍّ وَسِتِّمِئَةٍ، وَتَأَخُّرِ وَفَاةِ الرَّافِعِيِّ إِلَى بَعْدَ الْعِشْرِينَ. وَفِي الْمِئَةِ السَّابِعَةِ الشَّيْخُ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ، بِلَا مُدَافَعَةٍ فِيهِ أَصْلًا[1].

ثُمَّ قَالُوا: إِنَّ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءَ الْمَذْكُورِينَ كُلَّهُمْ شَافِعِيَّةٌ، وَمِنْ هَا هُنَا تَبَيَّنَ أَنَّهُ الْإِمَامُ الْمَبْعُوثُ، الَّذِي اسْتَقَرَّ أَمْرُ النَّاسِ عَلَى قَوْلِهِ، وَبُعِثَ بَعْدَهُ فِي رَأْسِ كُلِّ مِئَةٍ مَنْ يُقَرِّرُ مَذْهَبَهُ[2].

فَإِذَا ثَبَتَ هَذَا ثَبَتَ أَنَّهُ مُصِيبٌ فِي اجْتِهَادِهِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَأْبَى أَنْ يَبْعَثَ لِتَجْدِيدِ دِينِهِ نَاقِصًا فِي عِلْمِهِ، وَمُخْطِئًا فِي اجْتِهَادِهِ، وَالْمَذْهَبُ أَنَّ الْمُصِيبَ بَيْنَ الْمُجْتَهِدِينَ وَاحِدٌ فَقَطْ. هَذَا مَا ذَكَرُوهُ.

وَلَكِنْ لَا يَخْفَى عَلَيْكَ أَنَّ أَمْرَ التَّفْضِيلِ يَدُورُ عَلَى أَنْوَاعٍ ثَلَاثَةٍ:

أَحَدُهَا: فَضِيلَةُ الْأَفْرَادِ، كَقَوْلِكَ: زُهَّادُ الْعُلَمَاءِ أَفْضَلُ مِنْ عَوَامِّ الْمُسْلِمِينَ.

وَثَانِيهَا: كَثْرَةُ الْأَفْرَادِ الْفَاضِلَةِ، فَيُرَادُ فَضِيلَةُ الْجِنْسِ، كَقَوْلِكَ: الرَّجُلُ خَيْرٌ مِنَ الْمَرْأَةِ، إِذْ لَيْسَ كُلُّ رَجُلٍ، حَتَّى الْفُسَّاقِ، خَيْرًا مِنْ كُلِّ امْرَأَةٍ، حَتَّى رَابِعَةَ الْعَدَوِيَّةِ، قُدِّسَ سِرُّهَا.

وَثَالِثُهَا: قُوَّةُ جِهَةِ الْفَضِيلَةِ، كَقَوْلِكَ: عَوَامُّ الْبَشَرِ أَفْضَلُ مِنْ عَوَامِّ الْمَلَائِكَةِ، فَإِنَّ الْأَفْرَادَ الْفَاضِلَةَ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ أَكْثَرَ فِي الْبَشَرِ، لَكِنْ جِهَةُ الْفَضِيلَةِ أَقْوَى فِيهِمْ كَمَا حُقِّقَ فِي مَوْضِعِهِ، فَيُرَادُ فَضِيلَةُ الْجِنْسِ أَيْضًا.

---

(1) الخبر بتصرف في طبقات الشافعية الكبرى: 1/ 202.

(2) المصدر نفسه: 1/ 200.

إِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ، فَاعْلَمْ أَنَّ فَضِيلَةَ الْقُرَشِيِّ عَلَى غَيْرِهِ، لَيْسَ مِنْ قَبِيلِ النَّوْعِ الْأَوَّلِ، وَذَلِكَ ظَاهِرٌ، إِذْ لَيْسَ كُلُّ قُرَشِيٍّ أَفْضَلَ مِمَّنْ عَدَاهُ، بَلْ إِمَّا مِنْ قَبِيلِ النَّوْعِ الثَّانِي أَوِ الثَّالِثِ، وَعَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ لا يَدُلُّ عَلَى فَضِيلَةِالشَّافِعِيِّ بِخُصُوصِهِ، وَلَوْ سُلِّمَ بِدَلَالَةِ بَعْضِ الْأَحَادِيثِ السَّالِفَةِ عَلَى فَضِيلَتِهِ بِخُصُوصِهِ عَلَى غَيْرِهِ، وَهُوَ أَحَقُّ بِذَلِكَ، لَكِنْ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ قُرَشِيٌّ لَا مُطْلَقًا، وَلَوْ سُلِّمَ أَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى فَضِيلَتِهِ فِي الْعِلْمِ وَهُوَ كَذَلِكَ، كَمَا يُفْهَمُ مِنْ بَعْضِ الْأَحَادِيثِ السَّالِفَةِ، لَكِنْ يَدُلُّ عَلَى فَضِيلَتِهِ عَلَى مُعَاصِرِيهِ وَعَلَى مَنْ بَعْدَهُ، لَا عَلَى السَّلَفِ وَلَا عَلَى مَنْ عَدَاهُ مُطْلَقًا، بِحَيْثُ يَدْخُلُ السَّلَفُ فِيهِمْ، لِأَنَّ الْعُرْفَ شَاهِدٌ عَلَى أَنَّ الْفَضِيلَةَ فِي أَمْثَالِ هَذَا الْكَلَامِ لَا يُتَنَاوَلُ عَلَى مَنْ تَقَدَّمَهُ، عَلَى أَنَّهُ يَلْزَمُ حِينَئِذٍ فَضِيلَتُهُ عَلَى الصَّحَابَةِ أَيْضًا، وَأَنَّهُ بَاطِلٌ جَزْمًا.

وَأَمَّا حَدِيثُ: «الْأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ»، فَقَدْ يُرَادُ بِهِ ـ وَاللهُ أَعْلَمُ ـ الْإِمَامَةُ الْكُبْرَى دُونَ إِمَامَةِ الْعِلْمِ، أَوْ مَا هُوَ أَعَمُّ مِنْهُمَا، وَإِلَّا لَنَازَعَتِ الْأَنْصَارُ الصِّدِّيقَ وَقْتَ احْتِجَاجِهِ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَلَيْهِمْ، وَأَيْضًا لَوْ كَانَ الْمُرَادُ إِمَامَةَ الْعِلْمِ، لَاخْتَصَّ الْفَتْوَى بِقُرَيْشٍ فِي زَمَنِ الْأَصْحَابِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، فَحَاشَاهُمْ عَنِ الْمُسَاهَلَةِ فِي أَمْرِ الدِّينِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ تَدَبَّرَ قَوْلَهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اخْتِلَافُ أُمَّتِي رَحْمَةٌ». وَعَرَفَ أَنَّ مَبْنَى مَسَائِلِ الْفُرُوعِ عَلَى الظَّنِّ، لا يَسُوغُ لَهُ التَّحْكِيمُ بَيْنَ الْمَذَاهِبِ، وَلَا الْعَصَبِيَّةُ لِوَاحِدٍ مِنَ الْمُجْتَهِدِينَ عَلَى الْآخَرِ مِنْهُمْ، وَإِنَّمَا

قُصَارَى أَمْرِ الْمُقَلِّدِ أَنْ يَعْتَقِدَ صِحَّةَ مَذْهَبِهِ، وَإِلَّا لَمَا صَحَّ تَقْلِيدُهُ، وَأَنْ يَعْتَقِدَ خَطَأَ مُخَالِفِهِ فِي مَوْضِعِ خِلَافِهِ، وَإِلَّا لَمْ يَصِحَّ مَذْهَبُهُ، لَا أَنَّهُ يَعْتَقِدُ خطأَ مَنْ يُخَالِفُهُ مُطْلَقًا، إِذْ كَمْ مِنْ مَسَائِلَ اتِّفَاقِيَّةٍ بَيْنَ الْأَئِمَّةِ، وَإِذَا كَانَتْ مَسَائِلُ الْفُرُوعِ ظَنِّيَاتٍ، يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ صِحَّةُ مَذْهَبِهِ مُحْتَمِلَ الْخَطَإِ، وَخَطَأُ مُخَالِفِهِ مُحْتَمِلَ الصِّحَّةِ، فَلَا تَكُونُ الصِّحَّةُ وَالْخَطَأُ هُنَاكَ أَمْرًا يَقِينِيًّا، بَلْ رَاجِعًا إِلَى ظَنِّ الْمُجْتَهِدِ وَالْمُقَلِّدِ، فَحِينَئِذٍ لَا يَبْقَى مَزِيدُ مَجَالٍ لِلْعَصَبِيَّةِ وَالْجِدَالِ.

إِلَّا أَنَّ بَعْضًا مِنْ فُقَهَاءِ زَمَانِنَا، أَخَذَتْهُمُ الْحَمِيَّةُ لِبَعْضِ الْمَذَاهِبِ، وَيَرْكَبُ الصَّعْبَ وَالذَّلُولَ فِي الْعَصَبِيَّةِ، وَهَذَا مِنْ سُوءِ أَخْلَاقِهِمْ، وَلَقَدْ يُوجَدُ فِيهِمْ مَنْ يُبَالِغُ فِي الْعَصَبِيَّةِ، حَتَّى يَمْتَنِعَ مِنَ الصَّلَاةِ خَلْفَ بَعْضٍ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُسْتَقْبَحُ ذِكْرُهُ. وَيَا وَيْحَ هَؤُلَاءِ أَيْنَ هُمْ مِنَ اللهِ؟ وَلَوْ كَانَ الشَّافِعِيُّ وَأَبُو حَنِيفَةَ حَيَّيْنِ، لَشَدَّدَا النَّكِيرَ عَلَى هَذِهِ الطَّائِفَةِ وَتَبَرَّآ مِنْهُمْ فِيمَا يَفْعَلُونَ، فَلَعَمْرُ اللهِ لَا أُحْصِي عَدَدَ مَنْ رَأَيْتُهُ يُشَمِّرُ عَنْ سَاعِدِ الِاجْتِهَادِ فِي الْإِنْكَارِ عَلَى شَافِعِيٍّ يَذْبَحُ وَلَا يُسَمِّي، أَوْ حَنَفِيٍّ يَلْمَسُ ذَكَرَهُ وَلَا يَتَوَضَّأُ، أَوْ مَالِكِيٍّ يُصَلِّي وَلَا يُبَسْمِلُ، أَوْ حَنْبَلِيٍّ يُقَدِّمُ الْجُمُعَةَ عَلَى الزَّوَالِ وَهُوَ يَرَى مِنَ الْعَوَامِّ مَا لَا يُحْصِي عَدَدَهُ إِلَّا اللهُ تَعَالَى يَتْرُكُونَ الصَّلَاةَ، بَلْ يَرَى كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ يَتْرُكُونَهَا وَهُوَ سَاكِتٌ عَنْهُمْ، مَعَ أَنَّ جَزَاءَ مَنْ تَرَكَهَا عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ وَمَالِكٍ وَأَحْمَدَ ضَرْبُ الْعُنُقِ، فَيَا للهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ، أَهَذَا فَقِيهٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ؟! قَبَّحَ اللهُ مِثْلَ هَذَا الْفَقِيهِ. ثُمَّ وَمَا بَالُكُمْ تُنْكِرُونَ مِثْلَ هَذِهِ الْفُرُوعِ، وَلَا تُنْكِرُونَ الْمُكُوسَ وَالْمُحَرَّمَاتِ الْمُجْمَعَ عَلَيْهَا،

وَلَا تَأْخُذُكُمُ الْغَيْرَةُ للهِ تَعَالَى فِيهَا، وَإِنَّمَا تَأْخُذُكُمُ الْغَيْرَةُ لِلشَّافِعِيِّ وَأَبِي حَنِيفَةَ، حَتَّى يُؤَدِّيَ ذَلِكَ إِلَى افْتِرَاقِ كَلِمَتِكُمْ، وَتَسَلُّطِ الْجُهَّالِ عَلَيْكُمْ، وَسُقُوطِ هَيْبَتِكُمْ عِنْدَ الْعَامَّةِ، وَقَوْلِ السُّفَهَاءِ فِي أَعْرَاضِكُمْ مَا لَا يَنْبَغِي، فَيَهْلِكُونَ لِكَلَامِهِمْ فِيكُمْ، لِأَنَّ لُحُومَكُمْ مَسْمُومَةٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ لِأَنَّكُمْ عُلَمَاءُ، وَإِنَّمَا تُهْلِكُونَ أَنْفُسَكُمْ بِمَا تَرْكَبُونَهُ مِنَ الْعَظَائِمِ[1].

تَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ، وَأَرْشَدَكُمْ طَرِيقَ الصَّلَاحِ وَالْفَلَاحِ، بِحُرْمَةِ الْعِلْمِ الَّذِي مَنَحَهُ اللهُ إِيَّاكُمْ، وَبِحُرْمَةِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ أَخَذْتُمُوهُ مِنْهُمْ.

عَصَمَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ عَنِ التَّعَصُّبِ فِي الدِّينِ، وَثَبَّتَنَا وَإِيَّاكُمْ عَلَى التَّقْوَى وَالْيَقِينِ، بِحُرْمَةِ نَبِيِّهِ الْأَمِينِ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الْأَكْرَمِينَ.

وَمِنَ الْأَئِمَّةِ الْمُجْتَهِدِينَ:

الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ الشَّيْبَانِيُّ الْمَرْوَزِيُّ

وُلِدَ بِبَغْدَادَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَمِئَةٍ، **وَمَاتَ** بِهَا سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَمِئَتَيْنِ وَلَهُ سَبْعٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً. **كَانَ** إِمَامًا فِي الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ، وَالزُّهْدِ وَالْوَرَعِ وَالْعِبَادَةِ، وَبِهِ عُرِفَ الصَّحِيحُ مِنَ السَّقِيمِ، وَالْمَجْرُوحُ مِنَ الْمُعَدَّلِ.

نَشَأَ بِبَغْدَادَ، وَطَلَبَ الْعِلْمَ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْ شُيُوخِهَا، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى الْكُوفَةِ، وَالْبَصْرَةِ، وَمَكَّةَ، وَالْمَدِينَةِ، وَالْيَمَنِ، وَالشَّامِ، وَالْجَزِيرَةِ. وَكَتَبَ عَنْ عُلَمَاءِ ذَلِكَ

---

(1) معيد النعم ومبيد النقم: 63ـ64.

الْعَصْرِ، فَسَمِعَ مِنْ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ، وَيَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْقَطَّانِ، وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَمُحَمَّدِ بْنِ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيِّ، وَعَبْدِ الرَّزَّاقِ بْنِ هَمَّامٍ، وَخَلْقٍ كَثِيرٍ سِوَاهُمْ.

رَوَى عَنْهُ ابْنَاهُ صَالِحٌ وَعَبْدُ اللهِ، وَابْنُ عَمِّهِ حَنْبَلُ بْنُ إِسْحَاقَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ النَّيْسَابُورِيُّ، وَأَبُو زُرْعَةَ، وَأَبُو دَاوُدَ السِّجِسْتَانِيُّ، وَخَلْقٌ كَثِيرٌ سِوَاهُمْ، إِلَّا أَنَّ الْبُخَارِيَّ لَمْ يَذْكُرْ فِي **صَحِيحِهِ** عَنْهُ إِلَّا حَدِيثًا وَاحِدًا فِي آخِرِ كِتَابِ الصَّدَقَاتِ تَعْلِيقًا، وَرَوَى عنْ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ التِّرْمِذِيِّ عَنْهُ حَدِيثًا آخَرَ[1].

وَفَضَائِلُهُ كَثِيرَةٌ، وَمَنَاقِبُهُ جَمَّةٌ، وَآثَارُهُ فِي الْإِسْلَامِ مَشْهُورَةٌ، وَمَقَامَاتُهُ فِي الدِّينِ مَذْكُورَةٌ، انْتَشَرَ ذِكْرُهُ فِي الْآفَاقِ، وَسَرَى حَمْدُهُ فِي الْبِلَادِ، وَهُوَ أَحَدُ الْمُجْتَهِدِينَ الْمَعْمُولِ بِقَوْلِهِ وَرَأْيِهِ، وَمَذْهَبِهِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْبِلَادِ.

قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ: أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ حُجَّةٌ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ عَبْدِهِ فِي أَرْضِهِ.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: «خَرَجْتُ مِنْ بَغْدَادَ، وَمَا خَلَّفْتُ بِهَا أَحَدًا أَتْقَى، وَأَوْرَعَ وَلَا أَفْقَهَ وَلَا أَعْلَمَ مِنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ»[2].

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ: مَا رَأَيْتُ أَسْوَدَ الرَّأْسِ، أَحْفَظَ لِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا أَعْلَمَ بِفِقْهِهِ وَمَعَانِيهِ مِنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ[3].

---

(1) جامع الأصول في أحاديث الرسول: 12/ 167.

(2) مناقب الشافعي للبيهقي: 1/ 529.

(3) المصدر نفسه.

وَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ: «كَانَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ يَحْفَظُ أَلْفَ أَلْفِ حَدِيثٍ، فَقِيلَ لَهُ: مَا يُدْرِيكَ؟ قَالَ: ذَاكَرْتُهُ فَأَخَذْتُ عَلَيْهِ الْأَبْوَابَ»[1].

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ الْحَرْبِيُّ: رَأَيْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ كَأَنَّ اللهَ جَمَعَ لَهُ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ، يَقُولُ مَا يَشَاءُ، وَيُمْسِكُ مَا يَشَاءُ.

وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ السِّجِسْتَانِيُّ: كَانَتْ مُجَالَسَةُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ مُجَالَسَةَ الْآخِرَةِ، لَا يُذْكَرُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا، وَمَا رَأَيْتُهُ ذَكَرَ الدُّنْيَا قَطُّ[2].

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى: «حُمِلَ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ مِيرَاثُهُ مِنْ مِصْرَ، مِئَةُ أَلْفِ دِينَارٍ، فَحَمَلَ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ثَلَاثَةَ أَكْيَاسٍ، فِي كُلِّ كِيسٍ أَلْفُ دِينَارٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، هَذِهِ مِنْ مِيرَاثٍ حَلَالٍ، فَخُذْهَا وَاسْتَعِنْ بِهَا عَلَى عَائِلَتِكَ، قَالَ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا، أَنَا فِي كِفَايَةٍ، فَرَدَّهَا، وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهَا شَيْئًا»[3].

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ: «كُنْتُ أَسْمَعُ أَبِي كَثِيرًا يَقُولُ فِي دُبُرِ صَلَاتِهِ: اللَّهُمَّ كَمَا صُنْتَ وَجْهِي عَنِ السُّجُودِ لِغَيْرِكَ، فَصُنْ وَجْهِي عَنِ الْمَسْأَلَةِ لِغَيْرِكَ»[4].

وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ الْأَصْبَغِ: «كُنْتُ بِبَغْدَادَ، فَسَمِعْتُ ضَجَّةً، فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ فَقَالُوا: أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ يُمْتَحَنُ، فَدَخَلْتُ، فَلَمَّا ضُرِبَ سَوْطًا، قَالَ: بِسْمِ اللهِ، فَلَمَّا ضُرِبَ الثَّانِيَ قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَلَمَّا ضُرِبَ الثَّالِثَ، قَالَ:

---

(1) تاريخ بغداد: 6/ 90.

(2) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: 11/ 287.

(3) سير السلف الصالحين: 3/ 1060.

(4) حلية الأولياء: 9/ 233.

الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، فَلَمَّا ضُرِبَ الرَّابِعَ، قَالَ: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا﴾[1] ، فَضُرِبَ تِسْعَةً وَعِشْرِينَ سَوْطًا، وَكَانَتْ تِكَّةُ أَحْمَدَ حَاشِيَةَ ثَوْبٍ، فَانْقَطَعَتْ، فَنَزَلَ السَّرَاوِيلُ إِلَى عَانَتِهِ، فَرَمَى أَحْمَدُ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَحَرَّكَ شَفَتَيْهِ، فَمَا كَانَ بِأَسْرَعَ مِنْ أَنِ ارْتَقَى السَّرَاوِيلُ وَلَمْ تَنْزِلْ، فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ: رَأَيْتُكَ تُحَرِّكُ شَفَتَيْكَ، فَأَيَّ شَيْءٍ قُلْتَ؟ قَالَ: قُلْتُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي مَلَأْتَ بِهِ الْعَرْشَ، إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي عَلَى الصَّوَابِ، فَلَا تَهْتِكْ لِي سِتْرًا»[2].

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكِنْدِيُّ: «رَأَيْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ فِي الْمَنَامِ، فَقُلْتُ: مَا صَنَعَ اللهُ بِكَ؟ قَالَ: غَفَرَ لِي، ثُمَّ قَالَ: يَا أَحْمَدُ، ضُرِبْتَ فِيَّ، قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَبِّ، فَقَالَ: يَا أَحْمَدُ هَذَا وَجْهِي فَانْظُرْ إِلَيْهِ، فَقَدْ أَبَحْتُكَ النَّظَرَ إِلَيْهِ»[3].

وَقَدْ تَقَدَّمَتْ قِصَّةُ مِحْنَةِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ عَلَى وَجْهٍ لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ.

رُوِيَ أَنَّهُ: لَمَّا مَاتَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، صَلَّى عَلَيْهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَا لَا يُحْصَى، فَأَمَرَ الْمُتَوَكِّلُ أَنْ يُمْسَحَ مَوْضِعُ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ مِنَ الْأَرْضِ، فَوَجَدُوا مَوْقِفَ أَلْفَيْ أَلْفٍ وَثَلَاثِمِئَةِ أَلْفٍ وَنَحْوِهَا.

وَلَمَّا انْتَشَرَ خَبَرُ مَوْتِهِ، أَقْبَلَ النَّاسُ مِنَ الْبِلَادِ يُصَلُّونَ عَلَى قَبْرِهِ، فَصَلَّى عَلَيْهِ مَا لَا يُحْصَى.

(1) سورة التوبة الآية: 51.
(2) صفة الصفوة: 1/ 485.
(3) تاريخ بغداد: 6/ 90.

رُوِيَ أَنَّهُ أَسْلَمَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْيَهُودِ وَالْمَجُوسِ وَالنَّصَارَى نَحْوٌ مِنْ ثَلَاثِينَ أَلْفًا، لِمَا رَأَوْا مِنْ كَثْرَةِ الْخَلْقِ عَلَى جَنَازَتِهِ، وَلِمَا رَأَوْا مِنَ الْعَجَبِ ذَلِكَ الْيَوْمِ[1].

وَمِنَ الْأَئِمَّةِ الْمُجْتَهِدِينَ:

الْإِمَامُ أَبُو يُوسُفَ يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَبِيبِ بْنِ سَعْدٍ ابْنِ حَبْتَةَ[2] الْأَنْصَارِيُّ الْبَجَلِيُّ، وَجَدُّهُ سَعْدٌ أَوَّلُ أَبٍ لِأَبِي يُوسُفَ فِي الْإِسْلَامِ، وَلَهُ نُصْرَةٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعُرِضَ عَلَيْهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَرَدَّهُ لِصِغَرِهِ، وَكَانَ لَا يَأْذَنُ لِلْخُرُوجِ إِلَى الْغَزَاةِ إِلَّا لِلْبَالِغِ.

نَزَلَ الْكُوفَةَ فَمَاتَ بِهَا، وَصَلَّى عَلَيْهِ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ، وَكَبَّرَ عَلَيْهِ خَمْسًا، وَقَدْ أَصَابَ لِسَعْدٍ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعْوَةٌ.

ذَكَرَ الْإِمَامُ الصَّيْمَرِيُّ: أَنَّ سَعْدَ بْنَ حَبْتَةَ الْبَجَلِيَّ مِنَ الْأَوْسِ، جَاءَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ، فَاسْتَصْغَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَسَحَ رَأْسَهُ، فَتِلْكَ الْمَسْحَةُ فِيهِمْ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، وَكَانَ الْإِمَامُ أَبُو يُوسُفَ إِذَا نُظِرَ إِلَيْهِ كَأَنَّ رَأْسَهُ أَدْهَنُ مِنْ تِلْكَ الْمَسْحَةِ.

وُلِدَ أَبُو يُوسُفَ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَمِئَةٍ بِالْكُوفَةِ، ثُمَّ سَكَنَ بَغْدَادَ، وَسَمِعَ مِنَ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ، وَأَبِي إِسْحَاقَ الشَّيْبَانِيِّ، وَسُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ، وَيَحْيَى بْنِ

---

(1) العاقبة في ذكر الموت لابن الخراط: 158.

(2) ختمة، في قونية ورئيس الكتاب وعاطف أفندي.

سَعْدٍ الْأَنْصَارِيِّ، وَسُلَيْمَانَ الْأَعْمَشِ، وَهِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو الْعُمَرِيِّ، وَحَنْظَلَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، وَعَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، وَمُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ابْنِ يَسَارٍ، وَحَجَّاجِ بْنِ أَرْطَاةَ، وَالْحَسَنِ بْنِ دِينَارٍ، وَلَيْثِ بْنِ سَعْدٍ، وَأَيُّوبَ ابْنِ عُتْبَةَ، وَجَمَاعَةٍ.

وَرَوَى عَنْهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، وَبِشْرُ بْنُ الْوَلِيدِ الْكِنْدِيُّ، وَعَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَيَحْيَى بْنُ مَعِينٍ، وَعَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ النَّاقِدُ، وَأَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ، وَعَلِيُّ بْنُ مُوسَى الطُّوسِيُّ، وَعَبْدُوسُ بْنُ بِشْرٍ، وَالْحَسَنُ ابْنُ شَبِيبٍ فِي آخَرِينَ.

وَلَّاهُ مُوسَى الْهَادِي أَخُو هَارُونَ الرَّشِيدِ قَضَاءَ بَغْدَادَ، ثُمَّ الرَّشِيدُ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ لُقِّبَ بِقَاضِي الْقُضَاةِ فِي الْإِسْلَامِ[1].

لَمْ يَخْتَلِفْ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَعَلِيُّ ابْنُ الْمَدِينِيِّ فِي أَنَّهُ ثِقَةٌ. وَكَانَ اسْتَخْلَفَ ابْنَهُ يُوسُفَ عَلَى الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ، وَأَقَرَّهُ الرَّشِيدُ عَلَى عَمَلِهِ، وَوَلَّاهُ قَضَاءَ الرُّصَافَةِ[2] بَعْدَ أَبِيهِ.

قَالَ بِشْرُ بْنُ غَيَّاثٍ: صَحِبْتُ أَبَا يُوسُفَ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً، ثُمَّ انْصَبَّتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً. قَالَ أَبُو يُوسُفَ: مَا أَظُنُّ أَجَلِي إِلَّا قَدِ اقْتَرَبَ، فَمَا لَبِثَ شَهْرًا حَتَّى مَاتَ.

---

(1) مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه: 58 ـ 61.

(2) المقصود رصافة بغداد بالجانب الشرقي بناها المهدي وعسكر فيها. معجم البلدان: 3/ 46.

قِيلَ: إِنَّهُ مَاتَ لِخَمْسٍ خَلَوْنَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَمِئَةٍ.

رُوِيَ أَنَّ الشَّيْخَ مَعْرُوفَ الْكَرْخِيَّ تَأَسَّفَ حَيْثُ فَاتَتْهُ صَلَاتُهُ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ: إِنَّهُ وَلِيَ الْقَضَاءَ، وَكَانَ مِنْ عُمَّالِ السَّلَاطِينِ، قَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ كَأَنِّي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَرَأَيْتُ قَصْرًا فُرِشَتْ مَجَالِسُهُ، وَأُرْخِيَتْ سُتُورُهُ، وَقَامَ وِلْدَانُهُ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ قَالُوا: لِأَبِي يُوسُفَ، قُلْتُ: سُبْحَانَ اللهِ، وَبِمَا اسْتَحَقَّ هَذَا؟ قَالُوا: بِتَعْلِيمِ الْعِلْمِ، وَصَبْرِهِ عَلَى أَذَاهُمْ[1].

ذَكَرَ الْإِمَامُ عَبْدُ الْحَمِيدِ الْخُوَارَزْمِيُّ، وَالْإِمَامُ الصَّيْمَرِيُّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ حَرْمَلَةَ، عَنْ أَبِي يُوسُفَ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ أَطْلُبُ الْحَدِيثَ وَالْفِقْهَ وَأَنَا مُقِلُّ الْحَالِ، فَجَاءَ إِلَيَّ أَبِي يَوْمًا وَأَنَا عِنْدَ الْإِمَامِ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، لَا تَمُدَّ رِجْلَكَ[2] مَعَهُ، فَإِنَّ خُبْزَهُ مَشْوِيٌّ[3]، وَأَنْتَ مُحْتَاجٌ إِلَى الْمَعَاشِ، فَاخْتَرْتُ طَاعَةَ وَالِدِي، وَقَعَدْتُ عَنِ الطَّلَبِ، فَسَأَلَنِي الْإِمَامُ وَتَفَقَّدَنِي وَقَالَ: مَا خَلَّفَكَ عَنَّا؟ قُلْتُ: طَلَبُ الْمَعَاشِ، فَلَمَّا رَجَعَ النَّاسُ، دَفَعَ إِلَيَّ صُرَّةً فِيهَا مِئَةُ دِرْهَمٍ، فَقَالَ: أَنْفِقْ هَذَا، فَإِذَا نَفِدَ فَأَعْلِمْنِي، والْزَمِ الْحَلْقَةَ، وَجَعَلَ كُلَّمَا نَفِدَ يُعْطِينِي مِئَةً أُخْرَى بِلَا إِعْلَامِي، كَأَنَّهُ يُخْبَرُ بِنَفَادِهَا، حَتَّى بَلَغْتُ حَاجَتِي مِنَ الْعِلْمِ، أَحْسَنَ اللهُ تَعَالَى مُكَافَأَتَهُ، وَغَفَرَ لَهُ[4].

(1) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 1/ 308 - 309.

(2) لا تَمُدَّنَّ رِجْلَكَ، في أنطاليا.

(3) مستوي، في قونية.

(4) مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه: 61 - 62.

وَذَكَرَ الْإِمَامُ الْحَلَبِيُّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْجَعْدِ، عَنْ أَبِي يُوسُفَ، قَالَ: مَاتَ أَبِي وَأَنَا صَغِيرٌ، وَأَسْلَمَتْنِي أُمِّي إِلَى الْقَصَّارِ، فَكُنْتُ أَدَعُ الْقَصَّارَ وَأَلْزَمُ حَلْقَةَ الْإِمَامِ، وَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ، جَاءَتْ أُمِّي إِلَى الْإِمَامِ وَقَالَتْ: مَا لِلصَّبِيِّ أُسْتَاذٌ غَيْرُكَ، أُطْعِمُهُ غَزْلِي وَهُوَ يَتِيمٌ، قَالَ الْإِمَامُ: دَعِيهِ فَإِنَّهُ يَتَعَلَّمُ أَكْلَ الْفَالُوذَجِ بِدُهْنِ الْفُسْتُقِ، فَوَلَّتْ قَائِلَةً: هَذَا شَيْخٌ ذَهَبَ عَقْلُهُ، فَلَزِمْتُهُ حَتَّى نَفَعَنِي اللهُ بِالْعِلْمِ، وَتَقَلَّدْتُ الْقَضَاءَ، وَكُنْتُ أُجَالِسُ الرَّشِيدَ، وَآكُلُ مَعَهُ عَلَى مَائِدَتِهِ، فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ، قُدِّمَ إِلى الرَّشِيدِ فَالُوذَجَةٌ بِدُهْنِ الْفُسْتُقِ، فَقَالَ: كُلْ مِنْهَا فَلَيْسَ فِي كُلِّ يَوْمٍ يُعْمَلُ لَنَا مِثْلُهَا، فَضَحِكْتُ، فَسَأَلَنِي عَنِ الضَّحِكِ، فَأَخْبَرْتُهُ، وَقَالَ: لَعَمْرِي إِنَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُ وَيَرْفَعُ دِينًا وَدُنْيَا، وَتَرَحَّمَ عَلَى الْإِمَامِ وَقَالَ: كَانَ يَنْظُرُ بِعَيْنِ قَلْبِهِ، وَيَرَى مَا لَا يَرَاهُ غَيْرُهُ بِعَيْنِ رَأْسِهِ[1].

وَعَنْ شُجَاعِ بْنِ مَخْلَدٍ، عَنْ أَبِي يُوسُفَ، قَالَ: مَاتَ أَبِي فَلَمْ أَحْضُرْ جَنَازَتَهُ، وَتَرَكْتُهُ عَلَى الْجِيرَانِ وَالْأَقَارِبِ، خَشْيَةَ أَنْ يَفُوتَنِي مَجْلِسُ الْإِمَامِ مَا لَا تَذْهَبُ حَسْرَتُهُ عَنِّي.

وَعَنْ بِشْرِ بْنِ الْوَلِيدِ، قَالَ: كانَ عِيَالِي تَدْخُلُ عَلَى عِيَالِ أَبِي يُوسُفَ، فَحَكَتِ امْرَأَتُهُ الْقَدِيمَةُ، أَنَّ أَبَا يُوسُفَ كانَ لَا يَغِيبُ عَنْ مَجْلِسِ الْإِمَامِ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا إِلَّا فِي بَعْضِ اللَّيَالِي، فَذَهَبْتُ إِلى الْإِمَامِ، وَشَكَيْتُ مِنَ الْإِقْلَالِ، قَالَتْ: فَوَعَظَنِي وَقَالَ: إِنَّمَا هِيَ أَيَّامٌ قَلَائِلُ وسَتُفْتَحُ الدُّنْيَا لَكُمْ أَضْعَافَ مَا تَرْجُونَهُ، فَلَمْ تَمُرَّ

---

(1) وفيات الأعيان: 6/ 380 ـ 381.

الْأَيَّامُ حَتَّى فُتِحَ، فَسَأَلْتُ أَبَا يُوسُفَ عَنْ مِقْدَارِ مَا يَمْلِكُ، قَالَ: لَا أَعْرِفُ الْجَمِيعَ، إِنَّمَا أَعْرِفُ أَنَّ لِي سَبْعَمِئَةِ بَغْلٍ، رِكَابُهُنَّ مِنْ ذَهَبٍ، وَثَلَاثَمِئَةِ فَرَسٍ.

عَنْ طَلْحَةَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ أَنَّهُ قَالَ: «كَانَ أَبُو يُوسُفَ مَشْهُورًا بِالْعِلْمِ، ظَاهِرَ الْفَضْلِ، مِنْ أَصْحَابِ الْإِمَامِ، أَفْقَهَ أَهْلِ عَصْرِهِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ وَضَعَ الْكُتُبَ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ، وَأَمْلَى الْمَسَائِلَ، وَبَثَّ عِلْمَ الْإِمَامِ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ»(1).

عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ رُزَيْقٍ قَالَ: كانَ أَبُو يُوسُفَ صَغِيرَ الْجُثَّةِ، يَكَادُ يَغْرَقُ فِي فِرَاشِهِ، فَأَخَذَ فِي الْكَلَامِ، فَتَحَيَّرْتُ وَقُلْتُ: لَوْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَجْعَلَ الْعِلْمَ فِي جَوْفِ طَيْرٍ لَفَعَلَ.

عَنْ بِشْرِ بْنِ الْوَلِيدِ قَالَ: أَوَى أَبُو يُوسُفَ لَيْلَةً إِلَى فِرَاشِهِ، فَإِذَا رَجُلٌ يَقْرَعُ الْبَابَ، فَإِذَا هُوَ هَرْثَمَةُ بْنُ أَعْيَنَ، فَقَالَ: أَجِبِ الْخَلِيفَةَ، قال: مَا السَّبَبُ؟ قالَ: لَا أَدْرِي، خَرَجَ مَسْرُورُ الْخَادِمُ، فَأَمَرَنِي أَنْ أَجِيءَ بِكَ، فَاغْتَسَلَ أَبُو يُوسُفَ وَتَحَنَّطَ وَرَاحَ، قالَ: فَدَخَلْتُ، فَإِذَا عِيسَى بْنُ جَعْفَرٍ عِنْدَهُ، فَسَلَّمْتُ، فَرَدَّ السَّلَامَ وَقَالَ: رَوَّعْنَاكَ، ثُمَّ قَالَ: عِنْدَ هَذَا جَارِيَةٌ لَا يَبِيعُنِي، قُلْتُ: وَمَا قَدْرُهَا حَتَّى تَمْنَعَهَا مِنَ الْخَلِيفَةِ؟ قَالَ: «لَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ [سُرْعَةُ الْعَذْلِ]»(2)، لِي حَلِفٌ عَلَى أَنْ لَا أَبِيعَهَا، وَلَا أَهَبَهَا. قَالَ الرَّشِيدُ: هَلْ مِنْ مَخْرَجٍ؟ قُلْتُ: نَعَمْ،

---

(1) تاريخ بغداد: 16/ 359.

(2) ما بين معقوفين سقط من أنطاليا. والكلام في الأصل مثل لأكثم بن صيفي، يقول: لا ينبغي لمن يبلغه عن أخيه شيءٌ أن يسرع إليه باللائمة فلعل له عذرا وحجَّة. جمهرة الأمثال: 2/ 192.

يَبِيعُ النِّصْفَ، وَيَهَبُ النِّصْفَ، فَيَكُونُ لَمْ يَبِعْ، وَلَمْ يَهَبْ، فَأَتَى بِالْجَارِيَةِ، وَفَعَلَ كَذَلِكَ. ثُمَّ قالَ الرَّشِيدُ: يَا يَعْقُوبُ، إِنْ لَمْ أَبِتْ مَعَهَا اللَّيْلَةَ كَأَنَّ[1] نَفْسِي تَخْرُجُ، وَلَا بُدَّ مِنَ الِاسْتِبْرَاءِ، قُلْتُ: اعْتِقْهَا وَتَزَوَّجْهَا، فَإِنَّ الْحُرَّةَ لا تُسْتَبْرَأُ، فَأَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا عَلَى عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ. ثُمَّ أَمَرَ لِأَبِي يُوسُفَ عِشْرِينَ تَخْتًا[2] مِنْ ثِيَابٍ وَمِئَتَيْ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَوَهَبَتْ لَهُ الْجَارِيَةُ نِصْفَ مَهْرِهَا، وَاعْتَذَرَتْ بِأَنَّ نِصْفَهُ جَعَلْتُهُ لِاحْتِيَاجِي.

قَالَ بِشْرٌ: فَأَخَذَ الْمَالَ وَأَعْطَانِي أَلْفَ دِينَارٍ، وَقَالَ: هَلْ رَأَيْتَ بَأْسًا فِيمَا فَعَلْتُ؟ قَالَ بِشْرٌ: قُلْتُ: لَا[3].

وَيُرْوَى أَنَّ الرَّشِيدَ، حَلَفَ بِالطَّلَاقِ ثَلَاثًا إِنْ بَاتَتْ زَوْجَتُهُ زُبَيْدَةُ فِي مُلْكِهِ، وَنَدِمَ وَتَحَيَّرَ، فَقَالَ: إِنَّ هَاهُنَا فَتًى مِنْ أَصْحَابِ الْإِمَامِ، مِنْهُ يُرْجَى الْمَخْرَجُ، فَدَعَاهُ وَعَرَضَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: اسْتَعْمِلْ حَقَّ الْعِلْمِ، قالَ: كَيْفَ؟! أَنْتَ عَلَى السَّرِيرِ، وَأَنَا قَائِمٌ، فَوُضِعَ لَهُ كُرْسِيٌّ، وَجَلَسَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: تَبِيتُ اللَّيْلَةَ فِي الْمَسْجِدِ، وَلَا يَدَ لِأَحَدٍ عَلَيْهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾[4]، فَوَلَّاهُ الرَّشِيدُ قَضَاءَ الْقُضَاةِ[5].

---

(1) كانت، في أنطاليا.

(2) التخت: وعاء تصان فيه الثياب، فارسي وقد تكلمت به العرب. اللسان/ تخت.

(3) تاريخ بغداد: 16/ 359.

(4) سورة الجن الآية: 18.

(5) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 2/ 521.

وَقالَ لَهُ: حَاجَتَكَ، قَالَ: أَنْ تُخْرِجَنِي مِنَ الْيَمِينِ كَمَا أَخْرَجْتُكَ، فَإِنَّ أُمِّي كَانَتْ تَنْهَانِي عَنِ التَّعَلُّمِ، فَحَلَفْتُ أَنْ أُطْعِمَهَا خَبِيصَ سُكَّرٍ يُتَّخَذُ لِلْخَلِيفَةِ فِي طَبَقِ الْخَلِيفَةِ، وَكانَ فِي جِوَارِي يَهُودِيٌّ، فَبَنَى كَنِيفًا، وَضَيَّقَ الطَّرِيقَ، فَمَنَعْتُهُ، وَقَالَ: إِذَا جِئْتَ بِعِمَارَةِ[1] الْخَلِيفَةِ وَضَاقَ الطَّرِيقُ لَهَا يَهْدِمُهُ، فَحَلَفْتُ أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ، فَأَمَرَ بِعِمَارَتِهِ، وَرَكِبَ عَلَيْهَا، وَجَعَلَ فِي طَبَقٍ خَبِيصَةً فَبَعَثَ إِلَى أُمِّهِ، فَلَمَّا رَكِبَ الْعِمَارَةَ ضَاقَتِ الْمَحَلَّةُ بِسَبَبِ الْكَنِيفِ فَهُدِمَ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: كُنْتُ عَلِمْتُ بِالْهَدْمِ حِينَ قُلْتُ: إِذَا ضَاقَتْ بِالْعِمَارَةِ فَاهْدِمْهُ، وَخَرَجَ أَبُو يُوسُفَ عَنِ الْحَلِفَيْنِ.

يُرْوَى أَنَّهُ حَجَّ مَعَ الرَّشِيدِ وَكانَ زَمِيلَهُ، وَكانَ إِذَا بَزَقَ رَفَعَ ذَيْلَ الْعِمَارَةِ فَبَصَقَ، فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ: أَتَدْرِي مَعَ مَنْ أَنْتَ؟ فَبَاهَى أَنَّهُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ، فَقَالَ أَبُو يُوسُفَ: فَخْرُكَ بِنَسَبِكَ، وَفِي الْعَالَمِ أُلُوفٌ مِثْلُكَ، وَأَنَا أَوْحَدُ الْعَصْرِ فِي الْعِلْمِ، فَانْقَطَعَ الْخَلِيفَةُ وَقَالَ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ حَمَّالًا وَتَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ.

وَقالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ الْفَقِيهُ: حَجَّ أَبُو يُوسُفَ مَعَ الرَّشِيدِ، وَتَقَدَّمَ يَعْقُوبُ لِلْإِمَامَةِ فِي عَرَفَاتٍ، فَلَمَّا صَلَّى رَكْعَتَيْنِ سَلَّمَ وَقَالَ: يَا أَهْلَ مَكَّةَ، أَتِمُّوا صَلَاتَكُمْ، فَإِنَّا قَوْمٌ سَفْرٌ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ: نَحْنُ أَعْلَمُ بِهِ مِنْكَ وَمِمَّنْ عَلَّمَكَ، فَقَالَ: لَوْ كُنْتَ كَذَلِكَ لَمَا تَكَلَّمْتَ فِي صَلَاتِكَ، فَسُرَّ هَارُونُ، وَقَالَ: وَدِدْتُ أَنَّ هَذَا الْجَوَابَ لِي بِشَطْرِ مَمْلَكَتِي.

(1) العِمَارَةُ والعَمَارَةُ: أصغر من القبيلة، وقيل: هو الحي العظيم يقوم بنفسه. اللسان/ عمر.

وَقِيلَ: قَالَ ذَلِكَ الرَّجُلُ: جَبَلُنَا جَبَلُ الرَّحْمِةِ، وَمَنْزِلُ الْحُكْمِ وَالْعِلْمِ وَالْبَرَكَاتِ مِنَ السَّمَاءِ، وَنَحْنُ مَهْبِطُ الْوَحْيِ، فَقَالَ: نَعَمْ، وَلَكِنْ مَا اسْتَقَرَّتِ الرَّحْمَةُ بِجَبَلِكُمْ، بَلْ سَالَتْ إِلَيْنَا فِي الْأَوْدِيَةِ وَالشِّعَابِ، فَاسْتَقَرَّتْ عِنْدَنَا.

ذَكَرَ الْإِمَامُ الْغَزْنَوِيُّ عَنْ هِلَالٍ: «أَنَّ أَبَا يُوسُفَ كَانَ يَحْفَظُ التَّفْسِيرَ وَالْحَدِيثَ وَأَيَّامَ الْعَرَبِ، وَكَانَ أَقَلَّ عُلُومِهِ الْفِقْهُ»(1).

وَعَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ أَنَّهُ قَالَ: «صُحْبَةُ(2) مَنْ لَا يَخْشَى الْعَارَ، عَارٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَعَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: رُؤُوسُ النِّعَمِ ثَلَاثَةٌ: الْإِسْلَامُ، وَالْعَافِيَةُ، وَالْغِنَى، وَلَا يَتِمُّ الْعَيْشُ إِلَّا بِهَا»(3).

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ الْجَعْدِ قَالَ: «الْعِلْمُ شَيْءٌ لَا يُعْطِيكَ بَعْضَهُ حَتَّى تُعْطِيَ أَنْتَ لَهُ كُلَّكَ، فَإِذَا أَعْطَيْتَ كُلَّكَ، كُنْتَ فِي إِعْطَائِهِ الْبَعْضَ لَكَ عَلَى غَرَرٍ»(4).

وَعَنِ الْفَضْلِ قَالَ: «لَا يَبْلُغُ فِي الْفِقْهِ، إِلَّا مَنْ لَيْسَ لَهُ هَمُّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَمَاعَةَ قَالَ: «كَانَ أَبُو يُوسُفَ يُصَلِّي بَعْدَمَا وَلِيَ الْقَضَاءَ كُلَّ يَوْمٍ مِئَةَ رَكْعَةٍ»(5).

---

(1) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 2/ 523.

(2) صحبت، في بعض النسخ.

(3) تاريخ بغداد: 16/ 359.

(4) المصدر نفسه: 16/ 359.

(5) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 2/ 523.

وَعَنْ بِشْرِ بْنِ الْقَاسِمِ قَالَ: قَالَ أَبُو يُوسُفَ: أَخَذْتُ الْفَرَائِضَ وَمَسَائِلَ الْحَيْضِ عَنِ الْإِمَامِ فِي مَجْلِسٍ، وَالنَّحْوَ عَنْ رَجُلٍ حَاذِقٍ فِي مَجْلِسٍ.

وَذَكَرَ عَيَّاشٌ الدُّورِيُّ، أَنَّهُ كَلَّمَ الْخَلِيفَةَ فِي أَرْزَاقِ الْأَنْصَارِ، فَأَجْرَى عَلَيْهِمْ، وَكَانَ هُوَ مِنْهُمْ. وَكَانَ مُعَظِّمًا لِأُمُورِ الدِّينِ، لَمْ يَكُنْ يَرْفَعُ يَدَيْهِ تَحْتَ الثِّيَابِ إِذَا دَعَا رَبَّهُ، بَلْ كَانَ يَبْرُزُ، وَكَانَ يَصُومُ رَجَبَ وَشَعْبَانَ.

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ فَضْلِ بْنِ عَطِيَّةَ: رَأَيْتُ رَجُلَيْنِ يَتَسَاوَمَانِ جَارِيَةً، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: مِثْلِي وَمِثْلُكَ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾[1]، فَسَمِعَ أَبُو يُوسُفَ كَلَامَهُمَا، فَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَكَادَ يُغْشَى عَلَيْهِ، فَأَقْبَلَ يُعَاتِبُ الْقَائِلَ وَقَالَ: أَمَا يَخْشَى أَحَدُكُمْ مِنَ اللهِ تَعَالَى، يَجْعَلُ كَلَامَهُ نَزْلَةً لِكَلَامِهِ، أَمَا يَنْبَغِي لِقَارِئِ الْقُرْآنِ أَنْ يَقْرَأَهُ بِخُشُوعٍ وَوَرَعٍ وَهَيْبَةٍ، مَا أَرَاكَ إِلَّا وَقَدْ زَالَ عَقْلُكَ.

وَفِي رِوَايَةٍ: سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ لِآخَرَ: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾[2]، فَعَاتَبَهُ بِهَذَا الْعِتَابِ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ: كُنْتُ لا أُحِبُّ أَبَا يُوسُفَ لِمُخَالَطَتِهِ الْوُلَاةَ، فَلَمَّا سَمِعْتُ هَذَا الْكَلَامَ أَحْبَبْتُهُ.

---

(1) سورة ص الآية: 23.

(2) سورة طه الآية: 40.

وَذَكَرَ أَبُو إِسْحَاقَ الرَّازِيُّ، أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ رِكَابِهِ، حَيْثُ كَانَ مِنَ الذَّهَبِ، وَقَدْ نُهِيَ عَنْهُ، فَقَالَ: أُرِيدُ أَنْ أُرِيَ النَّاسَ عِزَّ الْعِلْمِ؛ أَنَّ ابْنَ الْخَيَّاطِ بَلَغَ بِهِ جَلَالَةُ الْعِلْمِ إِلى هَذَا الْقَدْرِ حَتَّى يَزْدَادَ النَّاسُ حِرْصًا[1].

قِيلَ: وَكَانَ هُوَ أَوَّلَ مَنْ خُوطِبَ بِقَاضِي الْقُضَاةِ، وَأَوَّلَ مَنْ غَيَّرَ لِبَاسَ الْعُلَمَاءِ بِهَذَا الزِّيِّ، وَأَوَّلَ مَنْ وَضَعَ الْكُتُبَ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ عَلَى مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ، وَأَمْلَى الْمَسَائِلَ، وَنَشَرَهَا فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ، حَتَّى قِيلَ: لَوْلَا أَبُو يُوسُفَ لَمَا ذُكِرَ أَبُو حَنِيفَةَ.

وَكَانَ يَقُولُ: مَا قُلْتُ قَوْلًا خَالَفْتُ فِيهِ أَبَا حَنِيفَةَ، وَإِنَّمَا هُوَ قَوْلٌ قَالَهُ ثُمَّ رَغِبَ عَنْهُ[2].

وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَسْلَمَةَ الطَّيَالِسِيِّ، أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو لِلْإِمَامِ قَبْلَ أَبَوَيْهِ.

وَقَالَ أَبُو يُوسُفَ: كَانَ الْإِمَامُ يَدْعُو لِحَمَّادٍ قَبْلَ أَبَوَيْهِ.

وَكَانَتْ لَهُ عِنْدَ الرَّشِيدِ مَنْزِلَةٌ رَفِيعَةٌ، بِحَيْثُ يَبْلُغُ دَارَ الْخِلَافَةِ رَاكِبًا بَغْلَتَهُ، فَيُرْفَعُ لَهُ السِّتْرُ، فَيَدْخُلُ كَمَا هُوَ رَاكِبًا، وَالرَّشِيدُ يَبْدَؤُهُ بِالسَّلَامِ، حَتَّى رَدَّ شَهَادَةَ بَعْضِ قُوَّادِهِ، فَشَكَاهُ، فَسَأَلَهُ الرَّشِيدُ، فَقَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: أَنَا عَبْدُ الْخَلِيفَةِ، فَإِنْ كَانَ صَادِقًا فَلَا شَهَادَةَ لَهُ، وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَشَهَادَتُهُ مَرْدُودَةٌ.

---

(1) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 2/ 525.

(2) تاج التراجم لابن قطلوبغا: 316-317.

قِيلَ: قَالَ الْخَلِيفَةُ لَهُ: إِنْ أَنَا شَهِدْتُ أَمْرًا، هَلْ تَقْبَلُهَا مِنِّي، قَالَ: لَا، فَسَأَلَهُ[1] عَنْ ذَلِكَ، قَالَ: لِأَنَّكَ تتكَبَّرُ عَلَى الْحَقِّ، وَلَا تَحْضُرُ الْجَمَاعَةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَبَنَى الرَّشِيدُ مَسْجِدًا فِي دَارِهِ، وَأَذِنَ لِلْعَامَّةِ فِي الصَّلَاةِ فِي مَسْجِدِهِ، فَحَضَرَ بَعْدَ ذَلِكَ الصَّلَاةَ مَعَهُمْ.

رُوِيَ[2] أَنَّ الرَّشِيدَ قَالَ لَهُ يَوْمًا: إِنَّكَ تُبْطِئُ فِي زِيَارَتِي، وَأَنَا رَاغِبٌ مُشْتَاقٌ إِلَى صُحْبَتِكَ، قَالَ: إِنَّمَا يَحْصُلُ لَكَ الشَّرَفُ بِزِيَارَتِي إِذَا زُرْتُكَ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ، وَأَمَّا إِذَا أَكْثَرْتُ مِنْهَا، فَلَا يَحْصُلُ لَكَ الشَّرَفُ أَصْلًا، قَالَ: فَقَبَّلَهُ الرَّشِيدُ، وَاسْتَحْسَنَ جَوَابَهُ.

رُوِيَ أَنَّ الرَّشِيدَ لَمَّا جَعَلَ الْأَمِينَ وَلِيَّ عَهْدِهِ فِي صِبَاهُ، قَالَ أَبُو يُوسُفَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ وَلِيَّ عَهْدِ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ لَمْ يُسَوِّدْ صَحِيفَتَهُ بِالْأَوْزَارِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أُمَّهُ زُبَيْدَةَ، فَأَنْفَذَتْ إِلَيْهِ مِئَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ»[3].

عَنْ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى الْقُمِّيِّ قالَ: جِئْتُ إِلَى أَبِي يُوسُفَ فِي وَقْتٍ ظَنَنْتُ أَنَّهُ مُشْتَغِلٌ بِجَوَارِيهِ، فَإِذَا عَلَى الطَّاقَاتِ قَمَاطِرُ[4] حَوْلَ الْبَيْتِ، قَالَ: هَذِهِ قَضَايَا قَضَيْتُ بِهَا عَلَى عِبَادِ اللهِ تَعَالَى، وَأَنَا مُحْتَاجٌ[5] إِلَى أَنْ أُعِدَّ لَهَا جَوَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

---

(1) فسأل، في رئيس الكتاب وعاطف أفندي وأنطاليا.

(2) يُروى، في قونية.

(3) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 1/ 525 ـ 526.

(4) قَمَاطِرُ جمع قِمَطْر، والقِمَطْرَةُ: ما تصان فيه الكتب، ولا يقال بالتشديد. اللسان/ قمطر.

(5) أحتاج، في قونية.

وَعَنِ الْقَاسِمِ بْنِ حَكِيمٍ قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مِتُّ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْفَقْرِ وَلَمْ أَدْخُلْ فِي الْقَضَاءِ، عَلَى أَنِّي بِحَمْدِ اللهِ تَعَالَى مَا تَعَمَّدْتُ جَوْرًا، ولا حَابَيْتُ خَصْمًا مِنْ سُلْطَانٍ ولَا سُوقَةٍ[1].

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَمَاعَةَ[2]: سَمِعْتُهُ يَقُولُ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَظْلِمْ فِي حُكْمٍ حَكَمْتُ بِهِ بَيْنَ عِبَادِكَ مُتَعَمِّدًا، وَاجْتَهَدْتُ عَلَى أَنْ يُوَافِقَ كِتَابَكَ وَسُنَّةَ نَبِيِّكَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَمَا لَمْ أَجِدْهُ جَعَلْتُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ الْإِمَامَ أَبَا حَنِيفَةَ، لِعِلْمِي أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَعْلَمَ بِهِ مِنْهُ.

وَعَنْ بِشْرِ بْنِ الْوَلِيدِ قَالَ: قَالَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَطَأْ فَرْجًا حَرَامًا قَطُّ، وَأَنَا أَعْلَمُ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ آكُلْ دِرْهَمًا حَرَامًا[3].

وَذَكَرَ الْإِمَامُ أَبُو الْفَرَجِ سَعِيدُ بْنُ رَجَاءٍ الْأَصْفَهَانِيُّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ السَّيِّدِ مَوْلَى، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ عِنْدَ مَوْتِهِ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ مَا تَقَدَّمَ إِلَيَّ خَصْمَانِ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ يَكُونَ الْقَضَاءُ لِأَحَدِهِمَا فَاغْفِرْ لِي.

قَالَ أَبُو حَفْصٍ: وَلَا يُتَّهَمُ عَلَى مِثْلِهِ أَنْ يَقُولَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَةِ قَوْلًا بِخِلَافِ مَا كَانَ هُوَ فِيهِ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(1) تاريخ بغداد: 16/ 359.

(2) جماعة، في قونية.

(3) تاريخ بغداد: 16/ 372.

وَمِنَ الْأَئِمَّةِ الْمُجْتَهِدِينَ:

الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ فَرْقَدَ الشَّيْبَانِيُّ [بِالْوَلَاءِ، الْفَقِيهُ الْحَنَفِيُّ، أَصْلُهُ مِنْ قَرْيَةٍ عَلَى بَابِ دِمَشْقَ فِي وَسَطِ الْغُوطَةِ][1] تُسَمَّى: حَرَسْتَا، مِنْ أَعْمَالِ دِمَشْقَ، قَدِمَ أَبُوهُ الْعِرَاقَ، فَوُلِدَ مُحَمَّدٌ بِوَاسِطٍ، وَنَشَأَ بِالْكُوفَةِ.

وَقِيلَ: إِنَّهُ مَوْلًى لِبَنِي شَيْبَانَ، مِنْ قَرْيَةِ فِلَسْطِينَ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الْكُوفَةِ[2].

وَذَكَرَ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ النَّسَفِيُّ، صَاحِبُ "**الْمُصَفَّى**" وَ"**الْكَافِي**"، أَنَّهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاوُسَ بْنِ هُرْمُزَ مَلِكِ بَنِي شَيْبَانَ، وَأَبُو حَنِيفَةَ نُعْمَانُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ طَاوُسَ بْنِ هُرْمُزَ، أَسْلَمَ عَلَى يَدِ عُمَرَ[3]، وَقَدْ نُقِلَ عَنْ بَعْضِ الْكُتُبِ أَنَّ هَذِهِ النِّسْبَةَ تَبْلُغُ إِلَى أَفْرِيدُونَ.

وَذَكَرَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ: أَنَّهُ مِنَ الْجَزِيرَةِ، كَانَ أَبُوهُ فِي جُنْدِ الشَّامِ. وُلِدَ بِوَاسِطٍ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَمِئَةٍ، وَنَشَأَ بِالْكُوفَةِ، وَغَلَبَ عَلَيْهِ الرَّأْيُ - أَيِ الِاجْتِهَادُ - قَدِمَ بَغْدَادَ، وَسَمِعَ مِنْهُ النَّاسُ الْحَدِيثَ وَالرَّأْيَ. سَمِعَ الْعِلْمَ مِنَ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ، وَمِسْعَرِ بْنِ كِدَامٍ، وَالثَّوْرِيِّ، وَعَمْرِو بْنِ ذَرٍّ، وَمَالِكِ بْنِ مِغْوَلٍ، وَمَالِكٍ، وَأَبِي عَمْرٍو، وَالْأَوْزَاعِيِّ، وَزَمْعَةَ بْنِ صَالِحٍ، وَبُكَيْرِ بْنِ عَامِرٍ، وَأَبِي يُوسُفَ.

وَسَكَنَ بَغْدَادَ، وَحَدَّثَ بِهَا.

---

(1) ما بين معقوفين سقط من الأزهرية ونور عثمانية1.

(2) تاريخ بغداد: 2/ 561

(3) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 1/ 526.

رَوَى عَنْهُ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ، وَأَبُو سُلَيْمَانَ الْجُوزْجَانِيُّ، وَهِشَامُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الرَّازِيُّ، وَأَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَّامٍ، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ تَوْبَةَ، وَعَلِيُّ بْنُ مُسْلِمٍ الطُّوسِيُّ، وَغَيْرُهُمْ. وَكَانَ الرَّشِيدُ وَلَّاهُ الْقَضَاءَ، فَخَرَجَ مَعَهُ إِلَى خُرَاسَانَ، وَمَاتَ بِالرَّيِّ، وَدُفِنَ بِهِ[1].

وَكَانَ الْإِمَامُ مُحَمَّدٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا وَلِبَاسًا، قَدِمَ بِهِ أَبُوهُ إِلَى الْإِمَامِ، فَقَالَ لِوَالِدِهِ: اِحْلِقْ رَأْسَهُ، وَأَلْبِسْهُ الْخُلْقَانَ، فَفَعَلَ، فَزَادَ جَمَالًا، وَفِيهِ يَقُولُ أَبُو نُوَاسٍ: [الخفيف]

حَلَقُوا رَأْسَــهُ لِيَكْسُــوهُ قُبْحَـا غَيرَةً مِنْهُـمْ عَلَيْـهِ وَشُــحَّا[2]
كَـانَ فَي وَجْهِـهِ صَـبَاحٌ وَلَيْـلٌ نَزَعُـوا لَيْلَـهُ وَأَبْقَـوْهُ صُـبْحَـا

وَعَنْ وَكِيعٍ: كُنَّا نَتَجَانَبُ أَنْ نَمْشِيَ مَعَهُ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ، لِأَنَّهُ كَانَ غُلَامًا جَمِيلًا.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَّامٍ، أَنَّهُ رَأَى فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ قَمَرَيْنِ وَقَعَا مِنَ السَّمَاءِ إلى الْأَرْضِ، فَمَا مَضَى شَهْرَانِ حَتَّى مَاتَ مُحَمَّدٌ وَالْكِسَائِيُّ بَعْدَهُ بِيَوْمَيْنِ.

ذُكِرَ أَنَّهُ مَاتَ بِالرَّيِّ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَمِئَةٍ، وَهُوَ ابْنُ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً.

---

(1) تاريخ بغداد: 2/ 561.

(2) البيتان في الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 1/ 526، نسبا لأبي نواس ولم يردا في ديوانه، وفي العمدة لابن رشيق: 2/ 242 نسبا للزيادي، وفي الروض النضر في ترجمة أدباء العصر: 2/ 274 نسبا للوزير المغربي.

وَقِيلَ: إِنَّ الْإِمَامَ مُحَمَّدًا وَالْكِسَائِيَّ مَاتَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، فَقَالَ الرَّشِيدُ: دَفَنْتُ بِالرَّيِّ الْفِقْهَ وَاللُّغَةَ.

رُوِيَ أَنَّ الرَّشِيدَ قَالَ: إِنَّهَا بَلْدَةٌ مَشْؤُومَةٌ، دَخَلْتُهَا وَمَعِي الْفِقْهُ وَالْأَدَبُ، وَخَرَجْتُ وَلَيْسَ مَعِي شَيْءٌ مِنْهُمَا.

دُفِنَ الْإِمَامُ مُحَمَّدٌ بِجَبَلِ طَبَرَك[1]، بِقُرْبِ دَارِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الرَّازِيِّ، وَالْكِسَائِيُّ بِقَرْيَةِ رَنْبُويَه[2]، وَبَيْنَهُمَا أَرْبَعَةُ فَرَاسِخَ، وَكَانَ مُعَسْكَرُهُ أَرْبَعَةَ فَرَاسِخَ، نَزَلَ الْإِمَامُ مُحَمَّدٌ فِي جَانِبٍ، وَالْكِسَائِيُّ فِي جَانِبٍ.

عَنْ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ اللهِ؛ الَّذِي تُوُفِّيَ الْإِمَامُ فِي بَيْتِهِ؛ أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، بَكَى وَقَالَ: لَوْ أَوْقَفَنِي اللهُ تَعَالَى، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَا أَقْدَمَكَ عَلَى الرَّيِّ؟ أَمُجَاهِدًا فِي سَبِيلِي أَمِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي؟ مَا أَقُولُ[3]؟

عَنِ الرَّبِيعِ، عَنِ الشَّافِعِيِّ أَنَّهُ قَالَ: «مَا رَأَتْ عَيْنَايَ مِثْلَ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ، وَلَمْ تَلِدِ النِّسَاءُ فِي زَمَانِهِ مِثْلَهُ»[4].

حُكِيَ أَنَّهُ قِيلَ لِمُحَمَّدٍ: أَلَا تُصَنِّفُ فِي الزُّهْدِ كِتَابًا، قَالَ: نَعَمْ، وَقَدْ كَانَ فَرَغَ مِنْ تَصْنِيفِ **الْأَحْكَامِ**، وَخَفَّ دِمَاغُهُ، وَأَرَادَ أَنْ يُصَنِّفَ فِي الزُّهْدِ مِئَةَ تَصْنِيفٍ، فَلَمْ يَتَفَرَّغْ إِلَّا لِهَذَا الْكِتَابِ، وَأَنَّهُ كَانَ فِي الزُّهْدِ وَالْوَرَعِ.

---

(1) طبرك: قلعة على رأس جبيل بقرب مدينة الري على يمين القاصد إلى خراسان وعن يساره جبل الري الأعظم. معجم البلدان: 4/ 16.

(2) ما بين معقوفين سقط من الأزهرية ونور عثمانية1. رنبويه: وهي قرية قرب الري. معجم البلدان: 3/ 73.

(3) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 2/ 527.

(4) مناقب الشافعي للبيهقي: 1/ 161.

وَقِيلَ: إِنَّهُ طُلِبَ مِنْ مُحَمَّدٍ أَنْ يُفَهْرِسَ تَصَانِيفَهُ، فَبَلَغَ أَلْفَ تَصْنِيفٍ، لَوْ عَاشَ لَأَتَمَّهَا، وَأَتْعَبَ الْمُقْتَبِسِينَ.

وَقِيلَ: مَوْتُهُ رَحْمَةٌ، وَحَيَاتُهُ رَحْمَةٌ.

وَعَنْهُ عَنِ الشَّافِعِيِّ: لَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَيَّ مِنَ الْمِنَّةِ فِي الْعِلْمِ وَأَسْبَابِ الدُّنْيَا مَا لِمُحَمَّدٍ عَلَيَّ، وَكَانَ يَتَرَحَّمُ عَلَيْهِ فِي عَامَّةِ الْأَوْقَاتِ.

وَقَالَ: حُبِسْتُ بِالْعِرَاقِ لِدَيْنٍ، فَسَعَى مُحَمَّدٌ حَتَّى خَلَّصَنِي، فَأَنَا لَهُ شَاكِرٌ مِنْ بَيْنِ الْجَمِيعِ.

قِيلَ: أَفْلَسَ الشَّافِعِيُّ، فَأَمَرَ مُحَمَّدٌ أَصْحَابَهُ فَجَمَعُوا لَهُ مِئَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ، ثُمَّ أَفْلَسَ الثَّانِيَةَ، فَأَمَرَ لَهُ بِسَبْعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، ثُمَّ أَفْلَسَ فِي الثَّالِثَةِ وَقَالَ: لَوْ كَانَ فِيكَ خَيْرٌ لَكَفَاكَ مَا جَمَعْتُ لَكَ وَلِعَقِبِكَ.

وَقِيلَ: كانَ الشَّافِعِيُّ مُشْتَغِلًا بِكُتُبِ مُحَمَّدٍ، فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ أَظْهَرَ الْخِلَافَ.

وَعَنِ الْجَارُودِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، قَالَ: كَانَ الشَّافِعِيُّ بِالْعِرَاقِ يُصَنِّفُ الْكُتُبَ، وَأَصْحَابُ مُحَمَّدٍ يَكْسِرُونَ عَلَيْهِ أَقَاوِيلَهُ بِالْحُجَجِ، وَأَصْحَابُ الْحَدِيثِ أَيْضًا لَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى أَقْوَالِهِ، وَيَرْمُونَهُ بِالِاعْتِزَالِ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ لَهُ بِالْعِرَاقِ سُوقٌ، خَرَجَ إِلَى مِصْرَ، وَلَمْ يَكُنْ بِهَا فَقِيهٌ مَعْلُومٌ، فَقَامَ بِهَا سُوقُهُ.

عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ قَالَ: قَدِمْتُ عَلَى مُحَمَّدٍ، فَرَأَيْتُ الشَّافِعِيَّ عِنْدَهُ، فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَأَجَابَ، فَرَضِيَ بِالْجَوَابِ فَكَتَبَهُ، فَرَآهُ مُحَمَّدٌ فَوَهَبَ لَهُ مِئَةَ دِرْهَمٍ، وَقَالَ:

إِنْ كُنْتَ تَشْتَهِي الْعِلْمَ فَالْزَمْ. فَسَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: لَقَدْ كَتَبْتُ عَنْهُ حِمْلَ[1] بَعِيرٍ، وَلَوْلَاهُ مَا لَصِقَ بِي مِنَ الْعِلْمِ شَيْءٌ. وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ عِيَالٌ عَلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ، وَهُمْ عِيَالٌ عَلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ[2].

وَقَالَ: لَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ يُكَلِّمُنَا عَلَى قَدْرِ عَقْلِهِ مَا فَهِمْنَا كَلَامَهُ، لَكِنْ كَانَ يُكَلِّمُنَا عَلَى قَدْرِ عُقُولِنَا.

وَقَالَ: مَا رَأَيْتُ سَمِينًا عَاقِلًا قَطُّ غَيْرَهُ، وَمَا رَأَيْتُ سَمِينًا قَطُّ أَخَفَّ رُوحًا مِنْهُ. وَأَنْشَدُوا لِلشَّيْخِ سَيْفِ الدِّينِ الْبَاخَرْزِيِّ الْبُخَارِيِّ: [الطويل]

يَقُولُونَ أَجْسَامُ الْمُحِبِّينَ نِضْوَةٌ ... وَأَنْتَ سَمِينٌ لَسْتَ غَيْرَ مُرَائِي[3]
فَقُلْتُ لِأَنَّ الْحُبَّ خَالَفَ طَبْعَهُمْ ... فَوَافَقَ لِي طَبْعِي فَصَارَ غِذَائِي

وَعَنِ ابْنِ سَمَاعَةَ أَنَّهُ قَالَ لِأَهْلِهِ: لَا تَسْأَلُونِي حَاجَةً، فَإِنَّ فِيهَا شُغْلَ قَلْبِي، وَخُذُوا مَا بَدَا لَكُمْ مِنْ وَكِيلِي، فَإِنَّهُ أَفْرَغُ لِقَلْبِي[4].

وَحُبِسَ مُحَمَّدٌ فِي السِّجْنِ وَضُيِّقَ عَلَيْهِ، لِامْتِنَاعِهِ عَنِ الْقَضَاءِ.

وَكَانَ مِنْ أَوْرَعِ النَّاسِ، وَكَانَ أَهْلُ بَغْدَادَ أَمْيَلَ إِلَيْهِ، وَآخَذَ بِقَوْلِهِ مِنْ قَوْلِ أَبِي يُوسُفَ.

(1) حملي، في أنطاليا.
(2) الخبر بتصرف في أخبار أبي حنيفة وأصحابه: 128.
(3) البيتان لم يردا في الديوان وهما في كشف الخفاء: 2/ 179.
(4) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 1/ 528.

وَعَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: مَذْهَبِي وَمَذْهَبُ الْإِمَامِ فِي تَفْضِيلِ الصَّحَابَةِ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عَلِيٌّ، ثُمَّ عُثْمَانُ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَمَةَ أَنَّهُ: كَانَ جُزْءًا مِنَ اللَّيْلِ[1] يَنَامُ، وَجُزْءًا يُصَلِّي، وَجُزْءًا يَدْرُسُ، وَكَانَ يَتَوَسَّخُ لِبَاسُهُ، وَلَا يَتَفَرَّغُ لِنَزْعِهِ، وَكَانَ فِي دَارِهِ دِيكٌ يُصَوِّتُ، فَقَالَ: اذْبَحُوهُ فَإِنَّهُ يَشْغَلُنِي.

وَكَانَ لَا يَنَامُ بِاللَّيْلِ، وَيَضَعُ حَوْلَهُ كَرَارِيسَ رُبَّمَا يَرْفَعُ مِنْهَا وَاحِدًا، ثُمَّ يَضَعُهُ، وَيَرْفَعُ آخَرَ، وَكَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ طَشْتٌ، وَرُبَّمَا يَنْزِعُ قَمِيصَهُ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ عَشْرُ جَوَارٍ رُومِيَاتٍ عَالِمَاتٍ بِالْكِتَابَةِ وَالْعَرَبِيَّةِ، يَقْرَأْنَ عَلَيْهِ الْعِلْمَ، فَقِيلَ لَهُ: لِمَ لَا تَنَامُ؟ قَالَ: كَيْفَ أَنَامُ وَقَدْ نَامَتْ عُيُونُ الْمُسْلِمِينَ ثِقَةً بِي، وَيَقُولُونَ: إِذَا وَقَعَ بِنَا أَمْرٌ رَفَعْنَاهُ إِلَيْهِ، فَإِذَا نِمْتُ فَفِيهِ تَخْرِيبُ الدِّينِ.

وَكَانَ يَقُولُ: النَّوْمُ مِنَ الْحَرَارَةِ، فَأَدْفَعُهَا بِنَزْعِ الثَّوْبِ، وَبِصَبِّ الْمَاءِ مِنَ الطَّشْتِ عَلَى جَسَدِي، وَأَمَّا أَنَّ الْكَرَارِيسَ فَلِأَنَّ الْعِلْمَ ثَقِيلٌ، فَإِذَا ثَقُلَ هَذَا أَخَذْتُ هَذَا.

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَماعَةَ: أَنَّ الرَّشِيدَ كَانَ أَعْطَى لِيَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَسَنِ الْمُثَنَّى بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كِتَابَ الْأَمَانِ، ثُمَّ أَرَادَ إِبْطَالَهُ، فَسَأَلَ مُحَمَّدًا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: هَذَا أَمَانٌ صَحِيحٌ، وَدَمُهُ حَرَامٌ، فَدَفَعَ الْكِتَابَ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ زِيَادٍ، فَقَالَ بِصَوْتٍ ضَعِيفٍ، هَذَا أَمَانٌ، فَغَضِبَ

---

(1) الليلة، في رئيس الكتاب وعاطف أفندي وأنطاليا.

الرَّشِيدُ، فَدَخَلَ الْبَخْتَرِيُّ وَهْبُ بْنُ وَهْبٍ الْقَاضِي[1]، وَأَخْرَجَ مِنْ خُفِّهِ سِكِّينًا، فَقَطَّعَ الْكِتَابَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْأَلَ عَنْهُ، وَقالَ: هَذَا كِتَابٌ مَفْسُوخٌ وَلَيْسَ بِأَمَانٍ، بَلْ هُوَ أَمَانٌ فَاسِدٌ، اقْتُلْهُ وَدَمُهُ فِي عُنُقِي، فَضَرَبَ الرَّشِيدُ بِالدَّوَاةِ وَجْهَ مُحَمَّدٍ فَشَجَّهُ، وَخَرَجَ وَهُوَ يَبْكِي. قَالَ ابْنُ سَماعَةَ: قُلْتُ لَهُ: أَتَبْكِي مِنْ شَجَّةٍ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى، قَالَ: إِنَّمَا أَبْكِي لِتَقْصِيرِي، حَيْثُ لَمْ أَقُلْ لِلْبَخْتَرِيِّ: بِأَيِّ حُجَّةٍ قُلْتَ ذَلِكَ؟ [2].

قَالَ الرَّشِيدُ لَمَّا غَضِبَ عَلَى مُحَمَّدٍ: إِنَّ الَّذِي يُقَوِّي عَزْمَ هَؤُلَاءِ عَلَى الْخُرُوجِ عَلَيْنَا أَنْتَ وَأَمْثَالُكَ، وَمَنَعَ مُحَمَّدًا عَنِ الْفُتْيَا، ثُمَّ بَعْدَ مُدَّةٍ قَرَّبَهُ الرَّشِيدُ، وَوَلَّاهُ قَضَاءَ الْقُضَاةِ، وَحُمِلَ مَعَهُ إِلَى الرَّيِّ، حِينَ خَرَجَ إِلَى مُقَاتَلَةِ رَافِعِ بْنِ لَيْثِ بْنِ نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ بِسَمَرْقَنْدَ، وَتُوُفِّيَ هُوَ بِهَا كَمَا ذَكَرْنَاهُ.

وَعَنْ أَبِي نَصْرِ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَّامٍ: وُصِفَ عِنْدَ هَارُونَ فَصَاحَتُهُ وَعِلْمُهُ وَفَهْمُهُ، فَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِ، فَعَلِمَ أَبُو يُوسُفَ أَنَّهُ لَوْ أُحْضِرَ، رُبَّمَا يَمِيلُ إِلَيْهِ قَلْبُ الْخَلِيفَةِ وَيَهْجُرُهُ، فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّهُ لَا يَصْلُحُ لِمَجْلِسِ الْخَلِيفَةِ، لِمَا بِهِ مِنْ سَلَسِ الْبَوْلِ ـ وَلَيْسَ فِيهِ ذَلِكَ ـ فَقَالَ الْخَلِيفَةُ: إِذَا أَرَادَ الْقِيَامَ فَلْيَقُمْ، فَجَاءَ إِلَى مُحَمَّدٍ وَقَالَ أَبُو يُوسُفَ: إِنَّ الْخَلِيفَةَ يُحِبُّ أَنْ يَرَاكَ، وَيَسْمَعَ كَلَامَكَ، وَلَكِنَّكَ لَا تَعْرِفُ آدَابَ الْخُلَفَاءِ، فَإِذَا أَشَرْتُ إِلَيْكَ الْقِيَامَ فَقُمْ، فَحَضَرَ مَجْلِسَ

---

(1) أبو الْبَخْتَرِي وهب بن وهب بن وهب بن كثير، القاضي بعسكر المهدي، كان متروك الحديث، (ت.200هـ). معجم الأدباء: 6/ 2802، ووفيات الأعيان: 6/ 37، والبداية والنهاية: 9/ 267.

(2) أخبار أبي حنيفة وأصحابه: 126ـ 127.

الْخَلِيفَةِ، فَلَمَّا مَالَ قَلْبُ الْخَلِيفَةِ إِلَيْهِ بِالْكُلِّيَّةِ لِفَصَاحَتِهِ وَحُلْوِ مَنْطِقِهِ ـ وَكَانَ فِي أَطْيَبِ الْكَلَامِ ـ أَشَارَ إِلَيْهِ أَنْ يَقُومَ فَقَامَ، فَقَالَ الرَّشِيدُ: لَوْلَا بِهِ مَا قَالَ، مَا قَامَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ مُحَمَّدًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تُخْرِجْهُ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يُبْتَلَى بِمَا نَسَبَنِي إِلَيْهِ، فَحَجَّ أَبُو يُوسُفَ مَعَ الرَّشِيدِ فِي عِمَارَةٍ وَاحِدَةٍ، فَأَخَذَهُ الْبَوْلُ، فَاسْتَحْيَى مِنَ الرَّشِيدِ أَنْ يَبُولَ فَصَبَرَ، فَانْشَقَّتْ مَثَانَتُهُ، وَمَاتَ مِنْ ذَلِكَ، فَحُكِيَ ذَلِكَ لِلرَّشِيدِ، فَقَالَ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّهُ كَذَلِكَ، لَأَذِنْتُ لَهُ أَنْ يَبُولَ فِي ذَيْلِي.

وَلَمَّا مَاتَ رَحِمَهُ اللهُ، لَمْ يَخْرُجْ مُحَمَّدٌ لِجَنَازَتِهِ، قِيلَ: إِنَّ جَوَارِيَ أَبِي يُوسُفَ كُنَّ يَبْكِينَهُ وَيَقُلْنَ: [البسيط]

الْيَوْمَ يَرْحَمُنَا مَنْ كَانَ يَحْسُدُنَا الْيَوْمَ نَتْبَعُ مَنْ كَانُوا لَنَا تَبَعًا[1]

قِيلَ: وَعَيَّرَهُ مُحَمَّدٌ بِمُخَالَطَةِ السُّلْطَانِ، فَدَعَا عَلَيْهِ أَبُو يُوسُفَ، فَاسْتُجِيبَ لَهُ فِيهِ، فَلَمْ يَخْرُجْ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى ابْتُلِيَ بِالْقَضَاءِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ.

قِيلَ: كَانَ الْإِمَامُ مُحَمَّدٌ يَكْتُبُ فِي تَصَانِيفِهِ: رَوَى مُحَمَّدٌ عَنْ يَعْقُوبَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ، وَبَعْدَمَا وَقَعَ مَا وَقَعَ كَتَبَ رَوَى مُحَمَّدٌ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ، وَهَجَرَ اسْمَ أَبِي يُوسُفَ، كَمَا يُشَاهَدُ فِي آخِرِ تَصَانِيفِهِ. وَبَيَّنَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ لِفِعْلِ كُلٍّ مِنْهُمَا مَحَامِلَ بَعِيدَةً، لَكِنَّ الْأَمْرَ ظَاهِرٌ لِلْمُتَأَمِّلِ.

---

(1) شرح السير الكبير: 2 ـ 3.

وَمِنَ الْأَئِمَّةِ الْحَنَفِيَّةِ:

عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ الْمَرْوَزِيُّ، مَوْلَى رَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنْظَلَةَ، أَوْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، أَوْ بَنِي سَعْدِ تَمِيمٍ. وُلِدَ سَنَةَ ثَمَانَ عَشْرَةَ وَمِئَةٍ، أَوْ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَمِئَةٍ، وَكَانَتْ أُمُّهُ خُوارَزْمِيَّةً، وَأَبُوهُ تُرْكِيًّا(1).

وَسُئِلَ عَنْ بَدْءِ أَمْرِهِ قَالَ: «كُنْتُ يَوْمًا مَعَ إِخْوَانِي فِي بُسْتَانٍ لَنَا، حِينَ حُمِلَتِ الثِّمَارُ مِنْ أَلْوَانِ الْفَوَاكِهِ، فَأَكَلْتُ وَشَرِبْتُ إِلَى اللَّيْلِ، وَكُنْتُ مُولَعًا بِضَرْبِ الْعُودِ وَالطُّنْبُورِ، فَقُمْتُ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ فَضَرَبْتُ، وَطَائِرٌ عَلَى شَجَرَةٍ فَوْقَ رَأْسِي يَصِيحُ، وَالْعُودُ بِيَدِي لَا يُجِيبُنِي إِلَى مَا أُرِيدُ، وَإِذَا الْعُودُ الَّذِي بِيَدِي يَنْطِقُ كَمَا يَنْطِقُ الْإِنْسَانُ، وَيَقُولُ: ﴿أَلَمْ يَانِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾(2)، قُلْتُ: بَلَى وَاللهِ، فَتَرَكْتُ الْعُودَ وَكَسَرْتُهُ، وَصَرَفْتُ مَنْ كَانَ عِنْدِي، قَالَ: فَكَانَ هَذَا أَوَّلَ زُهْدِي»(3).

وَكَذَلِكَ كَانَتْ هَذِهِ الْآيَةُ سَبَبَ التَّوْبَةِ لِفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ كَمَا ذُكِرَ فِي مَوْضِعِهِ.

وَذَكَرَ السَّمْعَانِيُّ وَالصَّيْمَرِيُّ: أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ الْمُبَارَكِ مَاتَ بِهِيتٍ(4) سَنَةَ ثَمَانِينَ وَمِئَةٍ.

---

(1) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: 9/ 58.

(2) سورة الحديد الآية: 16.

(3) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: 17/ 251.

(4) هيت: بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار ذات نخل كثير وخيرات واسعة. معجم البلدان: 5/ 420.

ذَكَرَ صَاحِبُ "حِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ" أَنَّهُ وَرَدَ عَلَى الرَّشِيدِ مِنْ عَامِلِ هِيتٍ أَنَّهُ مَاتَ هُنَا غَرِيبٌ يُدْعَى بِعَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُبَارَكِ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى جَنَازَتِهِ، قَالَ الرَّشِيدُ لِوَزِيرِهِ يَا فَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ: اِئْذَنْ لِلنَّاسِ يُعَزُّونَنَا فِيهِ[1]، فَتَعَجَّبَ الْفَضْلُ، فَقَالَ الرَّشِيدُ: كَانَ يُنْشِدُ: [البسيط]

اللهُ يَدْفَعُ بِالسُّلْطَانِ مُعْضِلَةً   عَنْ دِينِنَا رَحْمَةً مِنْهُ وَرِضْوَانَا

لَوْلَا الْأَئِمَّةُ لَمْ تَأْمَنْ لَنَا سُبُلٌ   وَكَانَ أَضْعَفُنَا نَهْبًا لِأَقْوَانَا[2]

عَنْ أَشْعَثَ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا بِالرَّقَّةِ ابْنُ الْمُبَارَكِ، فَانْحَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، حَتَّى تَقَطَّعَتِ النِّعَالُ، وَارْتَفَعَتِ الْغَبَرَةُ، وكانَ الرَّشِيدُ فِيهَا، فَأَشْرَفَتْ أُمُّ وَلَدٍ لِلرَّشِيدِ مِنْ بُرْجٍ، وَقالَتْ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: قَدِمَ مِنْ خُرَاسَانَ عَالِمٌ، قَالَتْ: هَذَا هُوَ الْمُلْكُ، وَلَا يَجْتَمِعُ النَّاسُ عَلَى هَارُونَ إِلَّا بِشُرَطٍ وَأَعْوَانٍ[3].

عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ: «نَظَرْتُ فِي أَمْرِ الصَّحَابَةِ وَأَمْرِ ابْنِ الْمُبَارَكِ، فَمَا رَأَيْتُ لَهُمْ فَضْلًا عَلَيْهِ، إِلَّا بِصُحْبَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَكَانَتْ كُتُبُهُ الَّتِي حَدَّثَ بِهَا مِنْ أَحَادِيثِ النَّبِيِّ، صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عِشْرِينَ أَلْفًا، أَوْ أَحَدًا وَعِشْرِينَ أَلْفًا»[4].

---

(1) يعرفوننا فيه، في أنطاليا.

(2) الخبر مع البيتين في حلية الأولياء: 8/ 164.

(3) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 1/ 530 ـ 531.

(4) تاريخ بغداد: 11/ 400.

وَمِنْ لَطِيفَ مَا يُحْكَى عَنْهُ، أَنَّهُ عَطَسَ رَجُلٌ فَلَمْ يَحْمَدِ اللهَ تَعَالَى، فَقَالَ لَهُ: مَا يَقُولُ الْعَاطِسُ؟ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، قالَ: يَرْحَمُكَ اللهُ، قَالَ الرَّاوِي: ـ وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ جَمِيلٍ ـ فَتَعَجَّبْنَا مِنْ حُسْنِ أَدَبِهِ.

عَنْ أَبِي وَهْبٍ، قَالَ لَهُ رَجُلٌ أَعْمَى: «ادْعُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَرُدَّ عَلَيَّ بَصَرِي، فَدَعَا، فَرَدَّ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ بَصَرَهُ وَأَنَا أَنْظُرُ»(1).

وَعَنِ الْمُسَيَّبِ بْنِ وَاضِحٍ: كَلَّمَهُ طَائِفَةٌ أَنْ يَقْضِيَ عَنْ رَجُلٍ سَبْعَمِئَةِ دِرْهَمٍ، فَكَتَبَ إِلَى وَكِيلِهِ، فَأَمَرَ لَهُ بِسَبْعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ، وَأَعَادَ الْوَكِيلُ إِلَيْهِ الْكِتَابَ بِأَنَّ الْقَلَمَ قَدْ غَلِطَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: أَعْطِهِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْوَكِيلُ: إِنَّ الْعَمَلَ إِذَا كَانَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ، فَإِنَّ الضَّيْعَةَ تُبَاعُ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: إِنْ كُنْتَ وَكِيلِي فَأَنْفِذْ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ، وَإِلَّا فَاقْعُدْ وَأَنَا أَكُونُ وَكِيلًا لَكَ أُنَفِّذُ أَمْرَكَ، فَإِنِّي سَمِعْتُ سُفْيَانَ قَالَ: سَمِعْتُ لَيْثًا قَالَ: سَمِعْتُ مُجَاهِدًا قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ فَاجَأَهُ مِنْ أَخِيهِ فَرْحَةٌ غَفَرَ اللهُ لَهُ»(2). فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُدْخِلَهُ فَرْحَةً بَعْدَ فَرْحَةٍ(3).

قَالَ صَاحِبُ "حِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ": أَدْرَكَ ابْنُ الْمُبَارَكِ مِنَ التَّابِعِينَ يَحْيَى بْنَ سَعْدٍ الْأَنْصَارِيَّ، وَسُلَيْمَانَ التَّيْمِيَّ، وَحُمَيْدَ الطَّوِيلَ، وَأَمْثَالَهُمْ، وَكَثِيرًا مِنَ الْأَئِمَّةِ، مِثْلَ سُفْيَانَ، وَابْنِ جُرَيْجٍ، وَشُعْبَةَ.

---

(1) تاريخ دمشق: 32/ 435.

(2) الحديث أورده أبو نعيم في تاريخ أصبهان: 1/ 429، وفي صفة الصفوة: 2/ 329.

(3) الخبر في صفة الصفوة: 2/ 329.

حَدَّثَ عَنْهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ مِثْلُ: مُعْتَمِرِ بْنِ سُلَيْمَانَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ. وَأَمْثَالِهِمَا.

وَعَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ: إِنَّ أَوَّلَ الْعِلْمِ النِّيَّةُ، ثُمَّ الْفَهْمُ، ثُمَّ الْعَمَلُ، ثُمَّ الْحِفْظُ، ثُمَّ النَّشْرُ[1].

وَكَانَ أَكْثَرُ أَوْقَاتِهِ فِي الْجِهَادِ، وَكَانَ يُقَاتِلُ وَيُبْلِي بَلَاءً حَسَنًا، فَإِذَا كَانَ وَقْتُ الْقِسْمَةِ غَابَ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، قَالَ: يَعْرِفُنِي الَّذِي أُقَاتِلُ لَهُ. وَفَضَائِلُهُ كَثِيرَةٌ، وَفِيمَا ذَكَرْنَاهُ مَقْنَعٌ[2].

وَمِنَ الْأَئِمَّةِ الْحَنَفِيَّةِ:

أَبُو الْهُذَيْلِ أَوْ أَبُو خَالِدٍ زُفَرُ بْنُ هُذَيْلِ بْنِ صَبَاحٍ الْكُوفِيُّ، وَكَانَ مِنْ أَصْبَهَانَ، وَكَانَ أَحَدَ الْعَشَرَةِ الَّذِينَ دَوَّنُوا الْكُتُبَ.

قَالَ أَصْحَابُهُ: مَا كُنَّا نَقْدِرُ أَنْ نَذْكُرَ الدُّنْيَا بَيْنَ يَدَيْهِ، إِذَا ذَكَرَهَا وَاحِدٌ مِنَّا قَامَ عَنِ الْمَجْلِسِ وَتَرَكَهُ، وَكُنَّا نَتَحَدَّثُ فِيمَا بَيْنَنَا أَنَّ الْخَوْفَ قَتَلَهُ.

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: أُكْرِهَ زُفَرُ عَلَى أَنْ يَلِيَ الْقَضَاءَ، فَأَبَى وَهَدَمَ مَنْزِلَهُ، وَاخْتَفَى مُدَّةً، ثُمَّ خَرَجَ، وَأَصْلَحَ مَنْزِلَهُ، وَلَمَّا أُكْرِهَ ثَانِيًا اخْتَفَى كَذَلِكَ حَتَّى عُفِيَ عَنْهُ.

وَعَنْ يَحْيَى بْنِ مَعِينٍ: زُفَرُ زَاهِدٌ ثِقَةٌ مَأْمُونٌ.

---

(1) أخبار أبي حنيفة وأصحابه: 141.

(2) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 1/ 534.

عَنْ بِشْرِ بْنِ الْقَاسِمِ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: لَا أُخَلِّفُ بَعْدَ مَوْتِي شَيْئًا أَخَافُ عَلَيْهِ الْحِسَابَ، فَلَمَّا مَاتَ، قُوِّمَ مَا فِي بَيْتِهِ فَلَمْ يَبْلُغْ ثَلَاثَةَ دَرَاهِمَ[1].

وَلَمَّا احْتُضِرَ، قالَ أَبُو يُوسُفَ وَغَيْرُهُ: أَوْصِ، فَقَالَ: هَذَا الْمَتَاعُ لِزَوْجَتِي، وَهَذِهِ ثَلَاثَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ لِوَلَدِ أَخِي - وَكَانَ تَزَوَّجَ امْرَأَةَ أَخِيهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ - وَأَمَّا أَنَا فَلَيْسَ لِي عَلَى أَحَدٍ، وَلَا لِأَحَدٍ عَلَيَّ شَيْءٌ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رِزْمَةَ: كُنَّا نَخْتَلِفُ إِلَيْهِ وَإِلَى أَبِي يُوسُفَ، وَكَانَ أَبُو يُوسُفَ يُطَوِّلُ وَيَبْسُطُ، فَتَلْتَبِسُ عَلَيْنَا الْمَسْأَلَةُ، وَكُنَّا إِذَا جَالَسْنَا زُفَرَ، يَخْتَصِرُ الْمَسْأَلَةَ، وَيَجِيءُ بِالدَّلِيلِ الْقَاطِعِ مِنْ غَيْرِ حَشْوٍ.

وَعَنْ يَحْيَى بْنِ أَكْثَمَ، قَالَ: قَالَ زُفَرُ: لَمْ أَجْتَرِئْ أَنْ أُخَالِفَ الْإِمَامَ بَعْدَ وَفَاتِهِ، لِأَنَّهُ أَلْزَمَنِي وَرَدَّنِي إِلَى قَوْلِهِ فِي حَيَاتِهِ، وَأَمَّا بَعْدَ وَفَاتِهِ فَكَيْفَ أُخَالِفُهُ، وَهُوَ لَوْ كَانَ حَيًّا وَحَاجَّ رَدَّنِي إِلَى قَوْلِهِ.

عَنِ الْحَسَنِ بْنِ زِيَادٍ: «كَانَ زُفَرُ وَدَاوُدُ الطَّائِيُّ مُتَوَاخِيَيْنِ، فَتَرَكَ دَاوُدُ الْفِقْهَ، وَأَقْبَلَ على الْعِبَادَةِ، وَأَمَّا زُفَرُ فَجَمَعَ بَيْنَهُمَا»[2].

مَاتَ زُفَرُ بِالْبَصْرَةِ فِي أَوَّلِ خِلَافَةِ الْمَهْدِيِّ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَمِئَةٍ.

وَكَانَ أَبُوهُ هُذَيْلٌ وَالِيًا عَلَى الْبَصْرَةِ، وَمَاتَ وَهُوَ وَالٍ عَلَيْهَا، وَكَانَ أَخُوهُ صَباحُ ابْنُ الْهُذَيْلِ وَالِيًا عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي تَمِيمٍ، وَكانَتْ أُمُّهُ أَمَةً، وَكَانَ وَجْهُهُ يُشْبِهُ وُجُوهَ الْعَجَمِ، وَلِسَانُهُ لِسَانَ الْعَرَبِ.

---

(1) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 2/ 535.

(2) أخبار أبي حنيفة وأصحابه: 109 ـ 110.

عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ حَمَّادٍ، وَهُوَ ابْنُ أَخِي حَسَنِ بْنِ زِيَادٍ: قُلْتُ لِعَمِّي حَسَنٍ: كَيْفَ كَانَ هُوَ وَأَبُو يُوسُفَ عِنْدَ الْإِمَامِ؟ قَالَ: كَأَنَّهُمَا عُصْفُورَانِ انْقَضَّ عَلَيْهِمَا الْبَازِيُّ [1].

وَمِنَ الْأَئِمَّةِ الْحَنَفِيَّةِ:

الْإِمَامُ دَاوُدُ بْنُ نُصَيْرٍ الطَّائِيُّ الْكُوفِيُّ، أَصْلُهُ مِنْ خُرَاسَانَ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دَاوُدَ، سَأَلَهُ إِسْحَاقُ عَنْ أَصْحَابِ الْإِمَامِ، فَقَالَ: أَبُو يُوسُفَ، وَزُفَرُ، وَدَاوُدُ، وَعَافِيَةُ الْأَوْدِيُّ، وَأَسَدُ بْنُ عَمْرٍو، وَعَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، وَيَحْيَى بْنُ أَبِي زَائِدَةَ، وَالْقَاسِمُ بْنُ مَعْنٍ، ثُمَّ قَالَ: لَوْ أَنَّ دَاوُدَ وُزِنَ بِأَهْلِ الْأَرْضِ لَوَزَنَهُمْ فَضْلًا وَصَلَاحًا [2].

وَكَانَ مِنْ أَجِلَّةِ أَصْحَابِ الْإِمَامِ فَآثَرَ آثِرَ كُلَّ أَثِيرِ الزُّهْدَ وَالْوَرَعَ.

قِيلَ: قَالَ لِنَفْسِهِ: إِنْ طَلَبْتَ الدُّنْيَا بِالْحَدِيثِ أَوْ بِالْقُرْآنِ فَأَنْتَ عَاصٍ، أَوْ بِالشِّعْرِ وَأَيَّامِ النَّاسِ فَأَنْتَ غَافِلٌ، أَوَ لَيْسَ بَعْدَهُ الْمَوْتُ.

وَكَانَ لَهُ خِطَّةٌ خَطَّهَا الْفَارُوقُ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، لِأَجْدَادِهِ حِينَ هَزَمَ هُرْمُزَ، فَبَاعَ ثُلُثَيْهَا بِأَرْبَعِمِئَةِ دِرْهَمٍ، فَعَبَدَ اللهَ تَعَالَى عِشْرِينَ سَنَةً يَأْكُلُ مِنْهَا، وَلَمَّا مَاتَ كَانَ كَفَنُهُ مِنْهَا [3].

---

(1) أخبار أبي حنيفة وأصحابه: 112.

(2) المصدر نفسه: 112.

(3) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 1/ 536.

عَنْ أَبِي نُعَيْمٍ قَالَ: جَلَسَ دَاوُدُ مَعَ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ، ثُمَّ مَعَ عُلَمَاءِ الْقُرْآنِ، ثُمَّ مَعَ الْمُحَدِّثِينَ، حَتَّى صَارَ رَأْسًا فِي كُلٍّ مِنْهُمْ، ثُمَّ جَالَسَ الْإِمَامَ وَتَفَقَّهَ حَتَّى لَمْ يَتَقَدَّمْ عَلَيْهِ أَحَدٌ، ثُمَّ تَرَكَ وَتَخَلَّى لِلْعِبَادَةِ حَتَّى صَارَ جَبَلًا. وَكانَ لَا يَأْكُلُ الْخُبْزَ، بَلْ يَشْرَبُ السَّوِيقَ، وَيَقُولُ: مَا بَيْنَ مَضْغِ الْخُبْزِ وَشُرْبِ السَّوِيقِ قِرَاءَةُ خَمْسِينَ آيَةً[1].

عَنْ اِبْنِ السِّمَاكِ قَالَ: أَوْصَانِي، قَالَ: انْظُرْ أَلَّا يَرَاكَ اللهُ تَعَالَى حَيْثُ نَهَاكَ، وَلَا يَفْقِدَكَ حَيْثُ أَمَرَكَ، وَاسْتَحْيِ مِنَ اللهِ تَعَالَى فِي قُرْبِهِ مِنْكَ، وَقُدْرَتِهِ عَلَيْكَ.

وَقَالَ: صُمِ الدَّهْرَ، وَلْيَكُنْ إِفْطَارُكَ الْمَوْتَ، وَفِرَّ مِنَ النَّاسِ فِرَارَكَ مِنَ السَّبُعِ[2]، غَيْرَ تَارِكٍ لِجَمَاعَتِهِمْ، وَلَا مُفَارِقٍ لِسُنَّتِهِمْ[3].

يُرْوَى[4] أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُجَرِّبَ نَفْسَهُ أَنَّهُ هَلْ يَقْدِرُ عَلَى الْعُزْلَةِ، فَجَلَسَ فِي مَجْلِسِ الْإِمَامِ سَنَةً لَا يَتَكَلَّمُ، ثُمَّ تَخَلَّى. وَسَبَبُهُ أَنَّ الْإِمَامَ قَالَ يَوْمًا: أَمَّا الْأَدَاةُ فَقَدْ أَحْكَمْنَاهَا، فَقَالَ: وَهَلْ بَقِيَ شَيْءٌ؟ قَالَ الْإِمَامُ: الْعَمَلُ[5].

وَقِيلَ: قَالَ لَهُ الْإِمَامُ: لَقَدْ طَالَ يَدُكَ وَلِسَانُكَ، وَيْلَكَ، ثُمَّ كَانَ يَخْتَلِفُ وَلَا يَتَكَلَّمُ، فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ تَصَبَّرَ، قَصَدَ إِلَى كُتُبِهِ فَغَرَّقَهَا فِي الْفُرَاتِ، وَتَعَبَّدَ وَتَخَلَّى[6].

---

(1) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 2/ 537.

(2) الأسد، في قونية.

(3) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 1/ 538.

(4) رُوي، في قونية.

(5) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: 7/ 341.

(6) تاريخ بغداد: 9/ 311.

وَأَتَاهُ فُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ يَوْمًا يَعُودُهُ، فَقَالَ لَهُ: أَقْلِلْ مِنْ زِيَارَتِنَا، فَإِنِّي أُبْغِضُ غَلَبَةَ النَّاسِ، فَجَاءَهُ يَوْمًا فَلَمْ يَفْتَحْ لَهُ الْبَابَ، فَقَعَدَ يَبْكِي فِي الْخَارِجِ وَدَاوُدُ فِي الدَّاخِلِ، وَقَالَ لَهُ: دُلَّنِي عَلَى رَجُلٍ أَجْلِسُ إِلَيْهِ، قَالَ: تِلْكَ ضَالَّةٌ لَا تُوجَدُ.

وَقَالَ لَهُ الْحَارِثُ بْنُ إِدْرِيسَ: عِظْنِي، قَالَ: عَسْكَرُ الْمَوْتَى يَنْتَظِرُونَكَ[1].

وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِهِ: عَرَفْتَ الرَّحِمَ بَيْنَنَا فَأَوْصِ، فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ مَرَاحِلُ يَنْزِلُهَا النَّاسُ حَتَّى يَبْلُغُوا إِلَى آخِرِ أَسْفَارِهِمْ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُقَدِّمَ فِي كُلِّ مَرْحَلَةٍ زَادًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْكَ فَافْعَلْ، فَإِنَّ انْقِطَاعَ السَّفَرِ عَنْ قَرِيبٍ، وَالْأَمْرَ أَعْجَلُ مِنْ ذَلِكَ، وَإِنِّي أَقُولُ لَكَ هَذَا[2]، وَلَا أَعْلَمُ أَحَدًا أَشَدَّ تَضْيِيعًا مِنِّي لِذَلِكَ، ثُمَّ قَامَ[3].

وَعَنْ عُمَيْرِ بْنِ صَدَقَةَ قَالَ: كَانَ دَاوُدُ صَدِيقًا لِي، وَكُنَّا نَجْلِسُ مَعَهُ فِي مَجْلِسِ حَلْقَةِ الْإِمَامِ، فَلَمَّا اعْتَزَلَ زُرْتُهُ وَقُلْتُ لَهُ: جَفَوْتَنَا، فَقَالَ: مَجْلِسُكُمْ لَيْسَ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ، ثُمَّ قَالَ مُكَرِّرًا: أَسْتَغْفِرُ اللهَ، وَقَامَ وَتَرَكَنِي. وَقَالَ: لَا تَجْلِسْ إِلَى أَحَدٍ يَحْفَظُ سَقْطَكَ[4].

وَذَكَرَ الْإِمَامُ الْحَلَبِيُّ، أَنَّ دَاوُدَ سَمِعَ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ عُمَيْرٍ، وَحَبِيبَ بْنَ أَبِي عَمْرٍو، وَالْأَعْمَشَ، وَمُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى.

---

(1) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 1/ 538.

(2) هذا، في قونية.

(3) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: 7/ 345.

(4) المصدر نفسه: 7/ 344.

وَرَوَى عَنْهُ إِسْمَاعِيلُ ابْنُ عُلَيَّةَ، وَالْمُصْعَبُ بْنُ مِقْدَامٍ، وَأَبُو نُعَيْمٍ الْفَضْلُ ابْنُ دُكَيْنٍ. وَغَيْرُهُمْ.

وَقِيلَ لَهُ: لَوْ طَبَخْنَا لَكَ دَسَمًا، قالَ: وَدِدْتُ، فَطَبَخُوهُ، وَوَضَعُوهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فقالَ: مَا فَعَلَ أَيْتَامُ بَنِي فُلَانٍ، قَالُوا: عَلَى حَالِهِمْ، قالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَيْهِمْ، فَإِنَّهُمْ إِذَا أَكَلُوا كَانَ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى مُدَّخَرًا، وَلَوْ أَكَلْتُ يَكُونُ فِي الْكَنِيفِ[1].

قَالَ الْحَسَنُ بْنُ الرَّبِيعِ لِابْنِ الْمُبَارَكِ: مَا بَالُ دَاوُدَ ارْتَفَعَ ذِكْرُهُ وَفِي الْبَلَدِ رِجَالٌ كَسُفْيَانَ وَأَصْحَابِهِ؟ قالَ: إِنَّمَا عَظُمَ أَمْرُهُ عِنْدَهُمْ لِعِظَمِ أَمْرِ اللهِ تَعَالَى فِي قَلْبِهِ، وَمَا تَرَكَ دَاوُدُ النَّاسَ إِلَّا بِمَعْرِفَتِهِ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سُوَيْدٍ الطَّائِيُّ: رَأَيْتُهُ يَغْدُو وَيَرُوحُ إِلَى الإِمَامِ، فَلَمَّا تَخَلَّى لِلْعِبَادَةِ، رَأَيْتُ الْإِمَامَ جَاءَهُ زَائِرًا غَيْرَ مَرَّةٍ[2].

وَدَخَلَ حَمَّادُ ابْنُ الْإِمَامِ عَلَيْهِ وَقَدِ اتَّصَلَتْ بِهِ شِدَّةٌ، فَأَعْطَاهُ أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ، وَقَالَ: هَذَا مِيرَاثُ الْإِمَامِ، فَأَخَذَهَا، ثُمَّ رَدَّهَا وَقالَ: أُرِيدُ أَنْ أَعِيشَ فِي عِزِّ الْقَنَاعَةِ، وَلَوْ كُنْتُ قَابِلًا مِنْ أَحَدٍ لَقَبِلْتُهَا مِنْكَ. وَفِي رِوَايَةٍ: كَانَتْ أَرْبَعَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ، وَ[كَانَ][3] مَعَهُ أَبُو يُوسُفَ، فَقَالَ لَهُ سِرًّا: انْثُرْهَا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَنَثَرَهَا، فَقَالَ: لَوْ نَثَرْتَ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا ذَهَبًا وَفِضَّةً كَانَ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنَ التُّرَابِ، فَبَكَى حَمَّادٌ وَخَرَجَ[4].

---

(1) أخبار أبي حنيفة وأصحابه: 120.

(2) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 2/ 539.

(3) زيادة من قونية.

(4) أخبار أبي حنيفة وأصحابه: 117.

وَكَانَ وَرِثَ مِنْ أَخِيهِ أَرْبَعَمِئَةِ دِرْهَمٍ، فَجَعَلَ يُنْفِقُ مِنْهَا فِي ثَلَاثِينَ عَامًا حَتَّى نَفِدَتْ، فَلَمَّا تَمَّ، جَعَلَ يَنْقُضُ سُقُوفَ الدَّارِ وَيَبِيعُ، حَتَّى بَلَغَ الْخَشَبَ وَالْبَوَارِيَّ[1]، وَكَانَ حَائِطُ دَارِهِ قَصِيرًا، لَوْ أَنَّ غُلَامًا وَثَبَ مِنْهُ لَسَقَطَ عَلَى الدَّارِ، فَقَالَ رَجُلٌ: لَوْ سُوِّيَتْ لَكَانَ يَكُنُّكَ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَالْمَطَرِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ عَفْوًا، كَانُوا يَكْرَهُونَ فُضُولَ الْكَلَامِ، يَا عَبْدَ اللهِ: اخْرُجْ مِنْ عِنْدِي، شَغَلْتَ قَلْبِي، إِنِّي أُبَادِرُ طَيَّ الصَّحِيفَةِ[2].

وَكَانَ سَبَبَ عِلَّتِهِ، أَنَّهُ قَرَأَ آيَةً فِيهَا ذِكْرُ النَّارِ، فَكَرَّرَهَا، فَلَمَّا أَصْبَحُوا وَجَدُوهُ قَدْ مَاتَ وَرَأْسُهُ عَلَى لَبِنَةٍ. فَدَخَلَ عَلَيْهِ النَّاسُ وَمَعَهُمُ ابْنُ السَّمَّاكِ، فَقَالَ: يَا دَاوُدُ، فَضَحْتَ الْقُرَّاءَ. فَلَمَّا أَخْرَجُوا جِنَازَتَهُ، خَرَجَ خَلْقٌ كَثِيرٌ حَتَّى ذَوَاتُ الْخُدُورِ. فَقَالَ: سَجَنْتَ نَفْسَكَ قَبْلَ أَنْ تُسْجَنَ، وَحَاسَبْتَ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبَ، الْيَوْمَ تَرَى مَا كُنْتَ تَرْجُو[3].

عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: كَمْ مِنْ مَسْرُورٍ بِأَمْرٍ فِيهِ هَلَاكُهُ، وَكَمْ مِنْ كَارِهٍ أَمْرًا فِيهِ صَلَاحُهُ دُنْيَا وَدِينًا، وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا الرِّضَاءُ وَالتَّسْلِيمُ، وَالِاسْتِكَانَةُ وَالْخُشُوعُ[4].

عَنْ مُحَارِبِ بْنِ دِثَارٍ، عَنْ أَبِيهِ: لَوْ كَانَ فِي الْأُمَمِ الْمَاضِينَ، لَقَصَّ اللهُ تَعَالَى عَلَيْنَا أَمْرَهُ.

---

(1) البواري: جمع بَارِيَّةٌ وهي الحصير المعمول من القصب. مختار الصحاح / بور.

(2) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: 7/ 351.

(3) تاريخ الإسلام: 4/ 357.

(4) أخبار أبي حنيفة وأصحابه: 122.

وَقَالَ الصَّلْتُ بْنُ حَكِيمٍ: رَأَيْتُ لَيْلَةَ مَاتَ دَاوُدُ مَلَائِكَةً وَنُورًا، قَالُوا: زُخْرِفَتِ الْجَنَّةُ لِقُدُومِ دَاوُدَ.

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ بَحِيرٍ، أَنَّهُ مَاتَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَمِئَةٍ، فِي خِلَافَةِ الْمَهْدِيِّ، قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ الْعَزِيزَ[1].

وَمِنَ الْأَئِمَّةِ الْحَنَفِيَّةِ:

وَكِيعُ بْنُ الْجَرَّاحِ بْنِ مَلِيحِ بْنِ عَدِيٍّ، أَبُو سُفْيَانَ الرُّؤَاسِيُّ الْكُوفِيُّ، مِنْ قَيْسِ عَيْلَانَ، أَصْلُهُ مِنْ قَرْيَةٍ مِنَ قُرَى نَيْسَابُورَ، أَوْ مِنَ السُّغْدِ[2].

سَمِعَ هِشَامَ بْنَ عُرْوَةَ، وَسُلَيْمَانَ، وَالْأَعْمَشَ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ عَوْنٍ، وَابْنَ جُرَيْجٍ، وَالْأَوْزَاعِيَّ، وَالثَّوْرِيَّ، وَإِسْرَائِيلَ، وَشُعْبَةَ بْنَ خَالِدٍ، وَسَمِعَ الرَّأْيَ قِيَاسًا مِنَ الْإِمَامِ، وَأَبِي يُوسُفَ، وَزُفَرَ.

وَرَوَى عَنْهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ، وَيَحْيَى بْنُ آدَمَ، وَابْنُ سَعِيدٍ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَيَحْيَى بْنُ مَعِينٍ، وَعَلِيُّ ابْنُ الْمَدِينِيِّ، وَأَبُو خَيْثَمَةَ، وَغَيْرُهُمْ مِنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ[3].

وُلِدَ سَنَةَ تِسْعٍ أَوْ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَمِئَةٍ.

---

(1) الطبقات الكبرى: 6/ 367.

(2) السُّغْدُ: ناحية كثيرة المياه، فيها قرى كثيرة بين بخارى وسمرقند وهي حاليا في أزبكستان. معجم البلدان: 3/ 222.

(3) تاريخ بغداد: 15/ 647.

أَرَادَ الرَّشِيدُ أَنْ يُوَلِّيَهُ وَعَبْدَ اللهِ بْنَ إِدْرِيسَ وَحَفْصًا الْقَضَاءَ، فَامْتَنَعَ وَكِيعٌ وَابْنُ إِدْرِيسَ، وَأَجَابَهُ حَفْصٌ.

عَنْ يَحْيَى بْنِ أَكْثَمَ: صَحِبْتُهُ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، وَكَانَ يَصُومُ الدَّهْرَ، وَيَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ[1].

وَقِيلَ: كَانَ لَا يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ كُلَّ لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ يَقُومُ فِي آخِرِ اللَّيْلِ فَيَقْرَأُ الْمُفَصَّلَ، ثُمَّ يَجْلِسُ فَيَأْخُذُ فِي الِاسْتِغْفَارِ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ.

عَنِ الْجَاحِظِ قَالَ: قَالَ كُنَّا نَسْتَعِينُ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ بِالصَّوْمِ، وَعَلَى حِفْظِهِ بِالْعَمَلِ.

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرٍ قَالَ: مَكَثَ وَكِيعُ بِعَبَّادَانَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، وَخَتَمَ الْقُرْآنَ بِهَا أَرْبَعِينَ مَرَّةً، وَتَصَدَّقَ بِأَرْبَعِينَ[2] أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَرَوَى أَرْبَعَةَ آلَافِ حَدِيثٍ[3].

عَنْ أَبِي السَّائِبِ، قَالَ: جَالَسْتُ وَكِيعًا سِنِينَ، فَمَا رَأَيْتُهُ يَحْلِفُ بِاللهِ تَعَالَى.

وَشَكَا إِلَيْهِ صَاحِبُهُ سُوءَ الْحِفْظِ، فَقَالَ اسْتَعِينُوا عَلَى الْحِفْظِ بِتَرْكِ الْمَعَاصِي، فَأَنْشَأَ صَاحِبُهُ يَقُولُ: [الوافر]

شَكَوْتُ إِلَى وَكِيعٍ سُوءَ حِفْظِي ... [فَأَوْصَانِي] إِلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي[4]

---

(1) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 1/ 540.

(2) أربعين، في قونية وأنطاليا.

(3) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار: 2/ 167.

(4) البيتان في ديوان الشافعي: 87. برواية: [فأرشدني] في الديوان.

وَحِفْظُ الْعِلْمِ فَضْــلٌ مِنْ إِلَـهٍ وَفَضْـلُ اللهِ لَا يُعْطَى لِعَاصِـي[1]

وَكَانَ يَقُولُ: مَا خَطَوْتُ لِلدُّنْيَا مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَا سَمِعْتُ حَدِيثًا فَنَسِيتُهُ. قِيلَ: كَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: لِأَنِّي لَمْ أَسْمَعْ إِلَّا وَقَدْ عَمِلْتُ بِهِ مَرَّةً.

عَنِ ابْنِ مَعِينٍ: مَا رَأَيْتُ حَيًّا قَطُّ أَحْفَظَ مِنْهُ، إِنَّهُ فِي زَمَانِهِ فِي الْحِفْظِ كَالْأَوْزَاعِي فِي زَمَانِهِ.

وَعَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: مَا رَأَيْتُ قَطُّ مِثْلَهُ فِي الْعِلْمِ وَالْحِفْظِ وَالْإِسْنَادِ وَالْأَبْوَابِ، مَعَ خُشُوعٍ وَوَرَعٍ[2].

وَذَكَرَ الْإِمَامُ الدَّيْلَمِيُّ، عَنْ مَلِيحِ بْنِ وَكِيعٍ: أَنَّ أَبَاهُ لَمَّا نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ، أَخْرَجَ إِلَيَّ يَدَيْهِ، وَقَالَ: يَا بُنَيَّ، تَرَى يَدَيَّ، مَا ضَرَبْتُ بِهِمَا شَيْئًا قَطُّ.

وَعَنْ دَاوُدَ بْنِ يَحْيَى بْنِ يَمَانٍ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَامِ، فَقُلْتُ: مَنِ الْأَبْدَالُ؟ فَقَالَ: الَّذِينَ لَا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْئًا، وَإِنَّ وَكِيعًا مِنْهُمْ[3].

وَذَكَرَ الْإِمَامُ الْحَلَبِيُّ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْجَوْنِيِّ، قَالَ: حَجَّ وَكِيعٌ فَأَخَذَهُ الْبَطْنُ، وَكَانَ يَنْزِلُ فِي كُلِّ مِيلٍ مِرَارًا، فَمَا زَالَ بِهِ الْبَطْنُ حَتَّى مَاتَ، وَدُفِنَ فِي الْجَبَلِ آخِرَ الْقُبُورِ، سَنَةَ ثَمَانٍ أَوْ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِئَةٍ[4].

---

(1) في الديوان برواية: [وَأَخْبَرَنِي بِأَنَّ الْعِلْمَ نُورٌ وَنُورُ اللهِ لَا يُهْدَى لِعَاصِي]. ربيع الأبرار: 4/ 86.

(2) تاريخ بغداد: 15/ 647.

(3) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: 8/ 371.

(4) تاريخ بغداد: 15/ 647.

وَمِنَ الْأَئِمَّةِ الْحَنَفِيَّةِ:

أَبُو عُمَرَ حَفْصُ بْنُ غِيَاثِ بْنِ طَلْقِ النَّخَعِيُّ الْكُوفِيُّ، سَمِعَ الْإِمَامَ، وَأَبَا يُوسُفَ، وَالثَّوْرِيَّ.

رَوَى عَنْهُ ابْنُ حَنْبَلٍ، وَابْنُ مَعِينٍ، وَعَلِيُّ ابْنُ الْمَدِينِيُّ، وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ، وَعَامَّةُ الْكُوفِيِّينَ. وَأَخَذَ الْفِقْهَ عَنِ الْإِمَامِ.

وَلَّاهُ الرَّشِيدُ قَضَاءَ بَغْدَادَ فَعَدَلَ فِي حُكْمِهِ، وَحَبَسَ الْمَرْزُبَانَ وَكِيلَ زُبَيْدَةَ لِدَيْنٍ عَلَيْهِ، وَأَلَحَّتْ زُبَيْدَةُ عَلَى الرَّشِيدِ حَتَّى عَزَلَهُ، وَوَلَّى أَبَا يُوسُفَ مَكَانَهُ، ثُمَّ وَلَّاهُ الْكُوفَةَ فَمَكَثَ بِهَا ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً.

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حُمَيْدٍ قَالَ: لَمَّا أُتِيَ بِعَبْدِ اللهِ بْنِ إِدْرِيسَ وَوَكِيعٍ وَحَفْصٍ إِلَى الرَّشِيدِ لِيُوَلِّيَهُمُ الْقَضَاءَ، فَلَمَّا دَخَلَ ابْنُ إِدْرِيسَ قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ، وَطَرَحَ نَفْسَهُ كَأَنَّهُ مَفْلُوجٌ، قَالَ الرَّشِيدُ: لَا فَضْلَ فِي هَذَا. وَقَالَ وَكِيعٌ وَرَفَعَ أُصْبُعَهُ وَوَضَعَهُ عَلَى عَيْنَيْهِ وَقَالَ: مَا أَبْصَرْتُ بِهَذِهِ مُنْذُ سَنَةٍ، وَأَرَادَ أُصْبُعَهُ، فَأَعْفَاهُ. وَأَمَّا حَفْصٌ فَقَالَ لَهُ: لَوْلَا دَيْنٌ وَعِيَالٌ مَا وَلِيتُ.

قِيلَ: مَرِضَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا، وَأَعْطَى لِعَامِلِ بَيْتِ الْمَالِ الْمِئَةَ وَالْخَمْسِينَ دِرْهَمًا، وَقَالَ: هَذَا رِزْقُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا، وَهَذَا حَقُّ الْمُسْلِمِينَ، لِقُعُودِي عَنِ الْحُكْمِ بِمَرَضِي.

وَقَالَ: مَا وَلِيتُ الْقَضَاءَ حَتَّى حَلَّتْ لِيَ الْمَيْتَةُ.

تُوُفِّيَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَمِئَةٍ، وَجَعَلَ مَكَانَهُ الْحَسَنَ بْنَ زِيَادٍ اللُّؤْلُؤِيَّ[1].

وَمِنَ الْأَئِمَّةِ الْحَنَفِيَّةِ:

يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَا بْنِ أَبِي زَائِدَةَ بْنِ مَيْمُونِ بْنِ فَيْرُوزَ، وَمَيْمُونٌ إِسْلَامِيٌّ، وَفَيْرُوزٌ جَاهِلِيٌّ، مَوْلَى عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللهِ الْوَادِعِيِّ الْكُوفِيِّ.

سَمِعَ أَبَاهُ، وَهِشَامًا، وَالْأَعْمَشَ، وَإِسْمَاعِيلَ بْنَ أَبِي خَالِدٍ، وَعُبَيْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ الْعُمَرِيَّ، وَالْحَجَّاجَ بْنَ أَرْطَاةَ. وَسَمِعَ الْفِقْهَ مِنَ الْإِمَامِ.

وَرَوَى عَنْهُ يَحْيَى بْنُ آدَمَ، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَابْنُ حَنْبَلٍ، وَابْنُ مَعِينٍ، وَأَبُو بَكْرٍ وَعُثْمَانُ ابْنَا أَبِي شَيْبَةَ، وَسُرَيْجُ بْنُ يُونُسَ، وَمُحَمَّدُ ابْنُ الْعَلَاءِ، وَزِيَادُ بْنُ أَيُّوبَ، وَهَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ، وَأَبُو دَاوُدَ الْخُولِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى بْنِ الطَّبَّاعِ.

وَلَّاهُ الرَّشِيدُ قَضَاءَ الْمَدِينَةِ، وَقَدِمَ بَغْدَادَ وَحَدَّثَ بِهَا.

عَنْ عَلِيِّ ابْنِ الْمَدِينِيِّ: انْتَهَى الْعِلْمُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فِي زَمَانِهِ، ثُمَّ إِلَى الثَّوْرِيِّ فِي زَمَانِهِ، ثُمَّ إِلَى يَحْيَى بْنِ أَبِي زَائِدَةَ فِي زَمَانِهِ. كَانَ يَحْيَى أَحْفَظَ أَهْلِ زَمَانِهِ لِلْحَدِيثِ وَأَفْقَهَهُمْ، مَعَ دِينٍ وَوَرَعٍ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ صَنَّفَ الْكُتُبَ بِالْكُوفَةِ.

وَكَانَ عَلَى قَضَاءِ الْمَدَائِنِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، **وَمَاتَ** بِهَا سَنَةَ ثَلَاثٍ أَوْ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَمِئَةٍ، وَهُوَ قَاضٍ لِلرَّشِيدِ بِهَا، وَعُمُرُهُ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً[2].

---

(1) تاريخ بغداد: 9/ 68، والجواهر المضية في طبقات الحنفية: 2/ 541.

(2) لخص هذه الترجمة من تاريخ بغداد: 16/ 172.

وَمِنَ الْأَئِمَّةِ الْحَنَفِيَّةِ:

الْحَسَنُ بْنُ زِيَادٍ اللُّؤْلُؤِيُّ الْكُوفِيُّ، مِنَ الْأَنْصَارِ. رَوَى عَنِ الْإِمَامِ. وَرَوَى عَنْهُ مُحَمَّدُ بْنُ سَمَاعَةَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ شُجَاعٍ الْبَلْخِيُّ، وَشُعْبَةُ بْنُ أَيُّوبَ.

قَالَ الْحَسَنُ: سَمِعْتُ مِنِ ابْنِ جُرَيْجٍ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ حَدِيثٍ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا الْفُقَهَاءُ[1].

عَنْ نُصَيْرِ بْنِ يَحْيَى قَالَ: كَانَ قَسَّمَ النَّهَارَ؛ كَانَ يُدَرِّسُ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ مَسَائِلَ الْفُرُوعِ إِلَى الزَّوَالِ، ثُمَّ يَدْخُلُ مَنْزِلَهُ فَيَقْضِي حَوَائِجَهُ إِلَى وَقْتِ الظَّهِيرَةِ، ثُمَّ يَخْرُجُ لِلظُّهْرِ، يَجْلِسُ لِلْوَاقِعَاتِ إِلَى الْعَصْرِ، ثُمَّ يُصَلِّي الْعَصْرَ فَيُنَاظِرُونَ فِي الْأُصُولِ إِلَى الْغُرُوبِ، ثُمَّ يُصَلِّي الْمَغْرِبَ، وَيَدْخُلُ الْمَنْزِلَ، ثُمَّ يَخْرُجُ، فَيَذْكُرُونَ الْمَسَائِلَ الْمُعَلَّقَةَ إِلَى الْعِشَاءِ، فَإِذَا صَلَّى الْعِشَاءَ جَلَسَ لِمَسَائِلِ الدَّوْرِ وَالْوَصَايَا إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ. وَكَانَ لَا يَفْتُرُ عَنِ النَّظَرِ فِي الْعِلْمِ، وَكَانَتْ لَهُ جَارِيَةٌ، إِذَا اشْتَغَلَ بِالطَّعَامِ، أَوْ بِالْوُضُوءِ، أَوْ بِغَيْرِ ذَلِكَ، تَقْرَأُ عَلَيْهِ الْمَسَائِلَ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ حَاجَتِهِ[2].

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ جَدَّهُ الْحَسَنَ أَخْطَأَ [فِي مَسْأَلَةٍ، فَأَرْسَلَ مُنَادِيًا أَلَا إِنَّ الْحَسَنَ][3] أَخْطَأَ فِي يَوْمِ كَذَا فِي مَسْأَلَةٍ،

---

(1) تاريخ الإسلام: 5/ 48.

(2) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 2/ 543.

(3) ما بين معقوفين سقط من أنطاليا.

فَمَنْ كَانَ أَفْتَاهُ الْحَسَنُ فَلْيَرْجِعْ إِلَيْهِ، فَمَكَثَ أَيَّامًا لَا يُفْتِي، حَتَّى عَادَ إِلَيْهِ السَّائِلُ، فَأَعْلَمَهُ بِخَطَئِهِ، وَرَدَّهُ إِلَى الْحَقِّ[1].

قِيلَ: كَانَ الْحَسَنُ أَحْسَنَ النَّاسِ سُؤَالًا، وَلَمْ يَكُنْ جَوَابُهُ عَلَى قَدْرِ سُؤَالِهِ، وَكانَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ أَحْسَنَ النَّاسِ جَوَابًا، وَلَمْ يَكُنْ سُؤَالُهُ عَلَى قَدْرِ جَوَابِهِ، وَكَانَ أَبُو يُوسُفَ أَحْسَنَ النَّاسِ سُؤَالًا وَجَوَابًا.

قَالَ الْحَسَنُ: وَكُنْتُ لَا أَبِيتُ أَرْبَعِينَ سَنَةً إِلَّا وَالسِّرَاجُ بَيْنَ يَدَيَّ.

وَذَكَرَ الطَّحَاوِيُّ أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ مَالِكٍ وَالْحَسَنَ بْنَ زِيَادٍ مَاتَا سَنَةَ أَرْبَعٍ وَمِئَتَيْنِ، وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ بِمِصْرَ[2].

وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَئِمَّةَ الَّذِينَ أَخَذُوا الْعِلْمَ عَنِ الْإِمَامِ لَا يُحْصَوْنَ عَدَدًا، وَقَدْ عَرَفُوا مِنْهُمْ سَبْعَمِئَةٍ وَثَلَاثِينَ رَجُلًا، مِنْ مَشَايِخِ الْبُلْدَانِ، وَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، الَّذِينَ وَصَلَ إِلَيْنَا الْعِلْمُ بِسَعْيِهِمْ وَاجْتِهَادِهِمْ، جَزَاهُمُ اللهُ عَنَّا وَعَنِ الْإِسْلَامِ وَعَنْ كَافَّةِ الْمُسْلِمِينَ خَيْرَ الْجَزَاءِ، وَحَشَرَنَا مَعَهُمْ، وَحَشَرَهُمْ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ.

وَلْنَذْكُرْ هَاهُنَا عُلَمَاءَ مَشْهُورِينَ بَيْنَهُمْ.

مِنْهُمْ حَمَّادُ ابْنُ الْإِمَامِ، وَهُوَ أَبُو إِسْمَاعِيلَ، وَكَانَ الْغَالِبَ عَلَى حَمَّادٍ الدِّينُ وَالْوَرَعُ وَالْفِقْهُ وَكِتَابَةُ الْحَدِيثِ، وَكانَ شَدِيدًا عَلَى أَهْلِ الْأَهْوَاءِ،

---

(1) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 1/ 542.

(2) أخبار أبي حنيفة وأصحابه: 135 ـ 136، والجواهر المضية في طبقات الحنفية: 2/ 543.

يَكْسِرُ عَلَيْهِمْ أَقَاوِيلَهُمْ، وَيَحْتَجُّ عَلَيْهِمْ بِحُجَجٍ، لَا يَتَيَسَّرُ ذَلِكَ لِحُذَّاقِ الْمُتَكَلِّمِينَ.

وَمِنْهُمْ إِسْمَاعِيلُ بْنُ حَمَّادٍ الْمَذْكُورِ، **تَفَقَّهَ عَلَى** أَبِيهِ وَالْحَسَنِ بْنِ زِيَادٍ، وَسَمِعَ أَبَاهُ، وَمَالِكَ بْنَ مِغْوَلٍ، وَعَمْرَو بْنَ ذَرٍّ، وَالْقَاسِمَ بْنَ مَعْنٍ. **وَحَدَّثَ [عَنْهُ]**[1] عُمَرُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ النَّسَفِيُّ، وَسَهْلُ بْنُ عُثْمَانَ الْعَسْكَرِيُّ، وَآخَرُونَ.

تَوَلَّى قَضَاءَ الْبَصْرَةِ، وَكَانَ إِمَامًا عَالِمًا، عَارِفًا بَصِيرًا بِالْقَضَاءِ، مَحْمُودَ السِّيرَةِ فِيهِ، عَارِفًا بِالْأَحْكَامِ وَالْوَقَائِعِ، دَيِّنًا صَالِحًا عَابِدًا.

صَنَّفَ: "**الْجَامِعُ**" فِي الْفِقْهِ، عَنْ جَدِّهِ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ. وَكِتَابَ "**الرَّدُّ عَلَى الْقَدَرِيَّةِ**"، وَ"**كِتَابُ الْإِرْجَاءِ**".

وَتَفَقَّهَ عَلَيْهِ أَبُو سَعِيدٍ الْبَرْدَعِيُّ. **تُوُفِّيَ** سَنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَمِئَتَيْنِ[2].

وَمِنْهُمْ: يُوسُفُ بْنُ خَالِدٍ، كَانَ قَدِيمَ الصُّحْبَةِ مَعَ الْإِمَامِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْبَصْرَةِ، فَلَمْ يُحْسِنْ سِيَاسَةَ النَّاسِ، فَأُقِيمَ وَهُجِرَ، وَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ، حَتَّى قَدِمَ الْإِمَامُ أَبُو يُوسُفَ الْبَصْرَةَ مَعَ هَارُونَ قَاضِيًا وَزِيرًا، فَرَكِبَ إِلَيْهِ[3]، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ النَّاسُ، وَعَادَ ذِكْرُهُ، ثُمَّ تَرَكَ الدُّنْيَا، وَتَخَلَّى لِلْعِبَادَةِ حَتَّى مَاتَ[4].

---

(1) زيادة من أنطاليا.

(2) تاج التراجم: 134.

(3) فركب إلى زيارته، في أنطاليا.

(4) أخبار أبي حنيفة وأصحابه: 157.

وَمِنْهُمْ: **عَافِيَةُ بْنُ يَزِيدَ الْأَوْدِيُّ الْكُوفِيُّ**، وَكَانَ الْإِمَامُ يُجِلُّهُ إِجْلَالًا شَدِيدًا، وَكَانَ عَافِيَةُ رَجُلًا فَقِيهًا فَطِنًا، وَكَانَ مُعْجَبًا بِهِ، فَإِذَا تَكَلَّمَ فِي مَسْأَلَةٍ وَعَافِيَةُ حَاضِرٌ، حَكَمَ وَأُلْحِقَ بِالْكِتَابِ. وَإِنْ كَانَ غَائِبًا قَالَ: لَا تَعْجَلُوا حَتَّى يَحْضُرَ عَافِيَةُ، فَإِنْ وَافَقَ رَأْيَهُ كُتِبَ، وَإِلَّا تُرِكَ[1].

وَمِنْهُمْ: **حِبَّانُ وَمَنْدَلُ ابْنَا عَلِيٍّ الْغَزِّيِّ الْكُوفِيِّ**، قِيلَ: اسْمُ مَنْدَلٍ عَمْرٌو، وَمَنْدَلٌ لَقَبُهُ غَلَبَ عَلَى اِسْمِهِ. وَكَانَ الْإِمَامُ يُقَرِّبُهُمَا وَيَتَلَطَّفُ بِهِمَا، وَكَانَا مِنْ أَلْزَمِ النَّاسِ لِمَجْلِسِ الْإِمَامِ، وَكَانَ مَنْدَلٌ أَشْهَرَ مِنْ حِبَّانَ.

تُوُفِّيَ بِالْكُوفَةِ سَنَةَ سَبْعٍ، أَوْ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَمِئَةٍ فِي خِلَافَةِ الْمَهْدِيِّ، وَكَانَ الْمَهْدِيُّ أُشْخِصَهُمَا مِنَ الْكُوفَةِ، فَلَمَّا دَخَلَا عَلَيْهِ، قالَ: أَيُّكُمَا مَنْدَلٌ؟ وَكَانَ أَصْغَرَهُمَا وَأَشْهَرَهُمَا، قَالَ: هَذَا حِبَّانُ.

وَلَمَّا حَضَرَتْ مَنْدَلًا الْوَفَاةُ، قَالَ لِأَخِيهِ حِبَّانَ: يَا أَخِي تَتَحَمَّلُ عَنِّي دَيْنًا، فَقَالَ أَخُوهُ: وَذُنُوبُكَ أَتَحَمَّلُهَا[2].

وَمِنْهُمْ: **عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ الْكُوفِيُّ**، لَزِمَ الْإِمَامَ، وَتَفَقَّهَ عَلَيْهِ، وَسَمِعَ مِنْهُ الْكَثِيرَ[3].

قَالَ الْحَسَنُ بْنُ حَمَّادٍ: كَانَ الْحُفَّاظُ لِلْفِقْهِ كَحُفَّاظِ الْقُرْآنِ أَرْبَعَةً: زُفَرُ، وَيَعْقُوبُ، وَأَسَدُ بْنُ عَمْرٍو، وَعَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ. [وَيَزْعُمُونَ أَنَّ سُفْيَانَ اسْتَعَارَ مِنْهُ كِتَابَهُ الَّذِي يُسَمَّى **الْجَامِعَ**.

---

(1) أخبار أبي حنيفة وأصحابه: 156.

(2) الخبر في تاريخ بغداد: 15/ 331.

(3) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 1/ 544.

وَمِنْهُمْ: الْقَاسِمُ بْنُ مَعْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ][1] **الْكُوفِيُّ الْفَقِيهُ**، صَحِبَ الْإِمَامَ، وَتَفَقَّهَ عَلَيْهِ، وَرَوَى عَنْهُ. وَلِيَ قَضَاءَ الْكُوفَةِ بَعْدَ شَرِيكٍ. كَانَ إِمَامًا فِي الْفِقْهِ، بَحْرًا فِي الْعَرَبِيَّةِ، مُقَدَّمًا فِيهِ.

قِيلَ لَهُ: أَنْتَ مِنْ أَوْلَادِ ابْنِ مَسْعُودٍ، أَفَتَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنْ غِلْمَانِ أَبِي حَنِيفَةَ، قَالَ: كُلُّ مَنْ جَلَسَ مَعَهُ انْتَفَعَ بِمُجَالَسَتِهِ[2].

وَمِنْهُمْ: أَسَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَامِرِ بْنِ أَسْلَمَ بْنِ مُغِيثِ بْنِ يَشْكُرَ بْنِ رَهْمٍ، أَبُو الْمُنْذِرِ الْبَجَلِيُّ الْكُوفِيُّ، صَاحِبُ الْإِمَامِ.

سَمِعَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، وَالْإِمَامَ، وَمُطَرِّفَ بْنَ طَرِيفٍ، وَيَزِيدَ ابْنَ أَبِي زِيَادٍ، وَحَجَّاجَ بْنَ أَرْطَاةَ.

رَوَى عَنْهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَكَّارٍ، وَأَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ، وَالْحَسَنُ ابْنُ مُحَمَّدٍ الزَّعْفَرَانِيُّ.

وَلِيَ الْقَضَاءَ بِبَغْدَادَ وَوَاسِطٍ مِنَ الرَّشِيدِ، وَحَجَّ مَعَ الرَّشِيدِ مُعَادِلًا لَهُ، وَلَمَّا أَنْكَرَ مِنْ بَصَرِهِ شَيْئًا اعْتَزَلَ عَنِ الْقَضَاءِ.

قَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ: إِنَّهُ صَدُوقٌ ثِقَةٌ. وَلَمَّا مَرِضَ اخْتَلَفَ إِلَيْهِ الْإِمَامُ غَدَاةً وَعَشِيًّا.

---

(1) ما بين معقوفين سقط من أنطاليا.

(2) أخبار أبي حنيفة وأصحابه: 83، وتاريخ بغداد: 15/ 459.

وَأَلْقَى الْإِمَامُ عَلَى أَصْحَابِهِ مَسْأَلَةً، فَلَمْ يُخَرِّجْهَا إِلَّا هُوَ، فَقَالَ: أَحْسَنْتَ يَا فَتَى بَجِيلَةَ. تُوُفِّيَ سَنَةَ ثَمَانٍ، أَوْ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَمِئَةٍ[1].

وَمِنْهُمْ: **أَحْمَدُ بْنُ حَفْصٍ، أَبُو حَفْصٍ الْكَبِيرُ**. أَخَذَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ، وَلَهُ أَصْحَابٌ كَثِيرٌ بِبُخَارَى، كَانَ فِي زَمَنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيِّ صَاحِبِ "**الصَّحِيحُ**"[2].

وَمِنْهُمْ: **أَبُو عِصْمَةَ نُوحُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ يَزِيدَ بْنِ جَعْوَنَةَ الْمَرْوَزِيُّ**، لُقِّبَ بِالْجَامِعِ، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ فِقْهَ أَبِي حَنِيفَةَ. وَقِيلَ: لِأَنَّهُ كَانَ جَامِعًا نَفَائِسَ الْعُلُومِ.

كَانَ لَهُ أَرْبَعَةُ مَجَالِسَ: مَجْلِسٌ لِلْأَثَرِ، وَمَجْلِسٌ لِأَقَاوِيلِ أَبِي حَنِيفَةَ، وَمَجْلِسٌ لِلنَّحْوِ، وَمَجْلِسٌ لِلشِّعْرِ.

رَوَى عَنِ الزُّهْرِيِّ، وَمُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ.

مَاتَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَمِئَةٍ. وَكَانَ عَلَى قَضَاءِ مَرْوَ لِأَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ[3].

وَمِنْهُمْ: **خَلَفُ بْنُ أَيُّوبَ**، مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ وَزُفَرَ، وَخَرَّجَ لَهُ التِّرْمِذِيُّ.

وَمِنْ مَسَائِلِهِ: لَا أَقْبَلُ شَهَادَةَ مَنْ تَصَدَّقَ عَلَى السَّائِلِ فِي الْمَسْجِدِ.

---

(1) أخباره في تاريخ بغداد: 7/ 470.

(2) تاج التراجم: 94.

(3) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 1/ 176.

مَاتَ سَنَةَ خَمْسٍ، أَوْ خَمْسَ عَشْرَةَ، أَوْ عِشْرِينَ وَمِئَتَيْنِ[1].

وَمِنْهُمْ: **شَدَّادُ بْنُ حَكَمٍ**، مِنْ أَصْحَابِ زُفَرَ، وَكَانَ يَسْتَفِيدُ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الْمَسَائِلَ. وَكَانَ إِذَا اشْتَرَى أَمَةً تَزَوَّجَهَا وَيَقُولُ: لَعَلَّهَا حُرَّةٌ.

مَاتَ فِي آخِرِ سَنَةِ عَشْرٍ وَمِئَتَيْنِ[2].

وَمِنْهُمْ: **مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ أَبُو سَهْلٍ الرَّازِيُّ**، رَوَى عَنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ. تَفَقَّهَ عَلَى أَبِي عَلِيٍّ الدَّقَّاقِ، وَأَبِي سَعِيدٍ الْبَرْدَعِيِّ، وَرَوَى الْحَدِيثَ.

وَلَهُ: **"كِتَابُ الْمَخَارِجِ"**، وَهُوَ بَدِيعٌ فِي بَابِهِ[3].

وَمِنْهُمْ: **أَبُو سُلَيْمَانَ مُوسَى بْنُ سُلَيْمَانَ الْجُوزْجَانِيُّ**، صَاحِبُ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ. أَخَذَ الْفِقْهَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ، وَرَوَى كُتُبَهُ.

عَرَضَ عَلَيْهِ الْمَأْمُونُ الْقَضَاءَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، احْفَظْ حُقُوقَ اللهِ فِي الْقَضَاءِ، وَلَا تُوَلِّ عَلَى زَمَانِكَ مِثْلِي، فَإِنِّي وَاللهِ غَيْرُ مَأْمُونِ الْغَضَبِ، وَلَا أَرْضَى لِنَفْسِي أَنْ أَحْكُمَ فِي عِبَادِهِ، قَالَ: صَدَقْتَ، وَقَدْ أَعْفَيْنَاكَ، فَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ[4].

وَلَهُ: كِتَابُ **"السِّيَرُ الصَّغِيرُ"**، وَ**"كِتَابُ الصَّلَاةِ"**، وَكِتَابٌ آخَرُ أَطْوَلُ مِنَ هَذَا، يَرْوِيهَا عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ يَعْقُوبَ، عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ، وَأَصْلُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الْمَوْجُودُ بِأَيْدِينَا رِوَايَةٌ عَنْهُ.

---

(1) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 1/ 231.

(2) المصدر نفسه: 1/ 256.

(3) تاج التراجم: 297.

(4) أخبار أبي حنيفة وأصحابه: 161.

وَمِنْهُمْ: هِلَالُ بْنُ يَحْيَى بْنِ مُسْلِمِ الرَّأْيِ النَّصْرِيُّ، قِيلَ لَهُ: **هِلَالُ الرَّأْيِ** لِسَعَةِ عِلْمِهِ، كَمَا قِيلَ: رَبِيعَةُ الرَّأْيِ.

أَخَذَ عَنْ أَبِي يُوسُفَ، وَزُفَرَ، وَرَوَى عَنْ أَبِي عَوَانَةَ وَابْنِ مَهْدِيٍّ.

وَعَنْهُ أَخَذَ بَكَّارُ بْنُ قُتَيْبَةَ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ قَحْطَبَةَ، وَالْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ بَسْطَامٍ.

وَلَهُ: **مُصَنَّفٌ فِي الشُّرُوطِ**[1]، وَلَهُ **"أَحْكَامُ الْوَقْفِ"**.

مَاتَ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِئَتَيْنِ[2].

وَمِنْهُمْ: أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ سَمَاعَةَ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ هِلَالِ بْنِ وَكِيعٍ، حَدَّثَ عَنِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ، وَأَبِي يُوسُفَ، وَمُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ، وَكَتَبَ **النَّوَادِرَ**[3] عَنْ أَبِي يُوسُفَ وَمُحَمَّدٍ، وَرَوَى الْكُتُبَ وَالْأَمَالِيَ.

قَالَ الصَّيْمَرِيُّ: هُوَ مِنَ الْحُفَّاظِ الثِّقَاتِ. **تُوُفِّيَ** سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَمِئَتَيْنِ، وَلَهُ مِئَةٌ وَثَلَاثُ سِنِينَ[4]. وَكَانَ **مَوْلِدُهُ** سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَمِئَةٍ. وَرَوَى أَنَّهُ بَلَغَ ذَلِكَ السِّنَّ وَهُوَ يَرْكَبُ الْخَيْلَ، وَيَفْتَضُّ الْأَبْكَارَ. وَكَانَ يُصَلِّي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِئَتَيْ رَكْعَةٍ.

وَلِيَ الْقَضَاءَ لِلْمَأْمُونِ بِبَغْدَادَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَمِئَةٍ بَعْدَ مَوْتِ يُوسُفَ ابْنِ أَبِي يُوسُفَ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَى الْقَضَاءِ إِلَى أَنْ ضَعُفَ بَصَرُهُ، فَعُزِلَ، وَضُمَّ عَمَلُهُ إِلَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ حَمَّادِ بْنِ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ.

---

(1) يقصد كتاب: **"الشُّرُوطُ وَالسِّجِلَّات"**. وهو مطبوع

(2) اللباب في تهذيب الأنساب: 2/ 13، والجواهر المضية في طبقات الحنفية: 2/ 207.

(3) يقصد كتاب: **"النوادر في الفروع"**.

(4) مئة وثلاثون سنة، في قونية ورئيس الكتاب.

لَهُ: كِتَابُ "**أَدَبُ الْقَاضِي**"، وَكِتَابُ "**الْمَحَاضِرُ وَالسِّجِلَّاتُ**".

وَقَالَ الصَّيْمَرِيُّ: سَبَبُ كِتَابَةِ مُحَمَّدِ بْنِ سَمَاعَةَ **لِلنَّوَادِرِ** عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ، أَنَّهُ رَآهُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّهُ يَثْقُبُ الإِبَرَ، فَعَبَّرَهُ الْمُعَبِّرُ فَقالَ: هَذَا رَجُلٌ يَنْطِقُ بِالْحِكْمَةِ، فَاجْتَهِدْ أَلَّا يَفُوتَكَ مِنْ لَفْظِهِ شَيْءٌ، فَكَتَبَ عَنْهُ **النَّوَادِرَ**.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ: سَمِعْتُ ابْنَ سَمَاعَةَ يَقُولُ: مَكَثْتُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، لَمْ تَفُتْنِي التَّكْبِيرَةُ الْأُولَى مَعَ الْإِمَامِ، إِلَّا يَوْمَ مَاتَتْ فِيهِ أُمِّي، فَفَاتَتْنِي صَلَاةٌ وَاحِدَةٌ فِي الْجَمَاعَةِ، فَقُمْتُ صَلَّيْتُ خَمْسًا وَعِشْرِينَ صَلَاةً، أُرِيدُ بِذَلِكَ التَّضْعِيفَ، فَغَلَبَتْنِي عَيْنِي، فَأَتَانِي آتٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، صَلَّيْتَ خَمْسًا وَعِشْرِينَ صَلَاةً، وَلَكِنْ كَيْفَ بِتَأْمِينِ الْمَلَائِكَةِ؟[1].

وَمِنْهُمْ: **أَبُو مُطِيعٍ الْحَكَمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ**، الْقَاضِي الْفَقِيهُ، رَاوِي كِتَابِ "**الْفِقْهُ الْأَكْبَرُ**" عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ.

رَوَى عَنِ ابْنِ عَوْنٍ، وَهِشَامِ بْنِ حَسَّانٍ، وَمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، وَإِبْرَاهِيمَ بْنِ طَهْمَانَ، **وَعَنْهُ** أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ، وَغَيْرُهُ. تَفَقَّهَ عَلَيْهِ أَهْلُ بِلَادِهِ، وَكَانَ ابْنُ الْمُبَارَكِ يُجِلُّهُ لِدِينِهِ وَعِلْمِهِ. مَاتَ سَنَةَ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَمِئَةٍ، عَنْ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً، بَعْدَمَا وَلِيَ قَضَاءَ بَلْخٍ[2].

---

(1) تاج التراجم: 240.

(2) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 2/ 265. وبلخ: مدينة مشهورة بخراسان، ويقال لجيحون: نهر بلخ. مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع: 1/ 217.

إِذَا عَرَفْتَ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْحَنَفِيَّةِ مَا سَمَحَ بِهِ الْوَقْتُ، وَالْآنَ فَلْنَذْكُرْ مِنَ الْكُتُبِ الْمُعْتَبَرَةِ مَا هُوَ الْمَشْهُورُ فِي الزَّمَانِ، وَإِلَّا فَتَوَخِّي اسْتِقْصَاءِ كُتُبِ الْفُرُوعِ مِنْ قَبِيلِ الْمُحَالِ، وَلَا يَدْخُلُ مَعْرِفَةُ مُصَنِّفِيهَا تَحْتَ الْوُسْعِ وَالْمَجَالِ.

فَمِنَ الْكُتُبِ الْمُعْتَبَرَةِ فِيهِ:

"الْجَامِعُ الْكَبِيرُ" وَ**"الْجَامِعُ الصَّغِيرُ"** وَ**"الْمَبْسُوطُ"** وَ**"الزِّيَادَاتُ"** وَ**"السِّيَرُ الْكَبِيرُ"** وَ**"النَّوَادِرُ"** وَ**"الْأَمَالِي"** وَ**"الرَّقِّيَّاتُ"** وَ**"الْكَيْسَانِيَّاتُ"** وَ**"الْهَارُونِيَّاتُ"** وَ**"الْجُرْجَانِيَّاتُ"**، وَهَؤُلَاءِ كُلُّهَا لِمُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ، وَقَدْ عَرَفْتَ مَنَاقِبَهُ الشَّرِيفَةَ عِنْدَ ذِكْرِ الْمُجْتَهِدِينَ.

وَمِمَّا تَطَابَقَتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْفُقَهَاءِ: التَّعْبِيرُ عَنِ[1] **الْمَبْسُوطِ**: بِالْأَصْلِ. وَعَنِ **الْمَبْسُوطِ وَالزِّيَادَاتِ وَالْجَامِعَيْنِ**: بِرِوَايَةِ الْأُصُولِ. وَعَنِ **الْمَبْسُوطِ**: الْجَامِعِ الصَّغِيرِ. **وَالسِّيَرِ الْكَبِيرِ**: بِظَاهِرِ الرِّوَايَةِ، وَمَشْهُورِ الرِّوَايَةِ. وَعَنِ **النَّوَادِرِ، وَالْجُرْجَانِيَّاتِ، وَالكيَانيَّاتِ، وَالْهَارُونِيَّاتِ، وَالرَّقِّيَّاتِ**: بِغَيْرِ ظَاهِرِ الرِّوَايَةِ؛ وَبِبَعْضِ الرِّوَايَةِ.

وَالْجُرْجَانِيَّاتُ: مَسَائِلُ جَمَعَهَا الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بِجُرْجَانَ.

وَالكيَانيَّاتُ: جَمَعَهَا لِرَجُلٍ يُسَمَّى كيَانَ، وَقَدْ يُوجَدُ فِي بَعْضِ الْهَوَامِشِ **الْكَيْسَانِيَّاتُ**، وَقَالُوا جَمَعَهَا بِكَيْسَانَ، وَهِيَ بَلْدَةٌ، لَكِنْ هَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ، وَالصَّحِيحُ مَا ذَكَرْنَاهُ أَوَّلًا.

---

(1) من، في أنطاليا وعاطف أفندي.

وَالْهَارُونِيَّاتُ: مَسَائِلُ جَمعَهَا لِرَجُلٍ مُسَمًّى بِهَارُونَ.

وَالرَّقِّيَّاتُ: مَسَائِلُ جمعَهَا [لِرَجُلٍ][1] حِينَ كانَ قَاضِيًا بِالرَّقَّةِ، وَهِيَ وَاسِطَةُ دِيَارِ رَبِيعَةَ.

وَمِنَ الْكُتُبِ الْمُعْتَبَرَةِ:

"**الْإِمْلَاءُ**" لِأَبِي يُوسُفَ، وَ"**النَّوَادِرُ**" لَهُ أَيْضًا. وَقَدْ ذَكَرْنَا مَنَاقِبَ أَبِي يُوسُفَ فِي الْأَئِمَّةِ الْمُجْتَهِدِينَ.

وَمِنْهَا: "**الْمَبْسُوطُ**"، لِلْإِمَامِ شَمْسِ الْأَئِمَّةِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي سَهْلٍ السَّرَخْسِيِّ، وَقَدْ مَرَّتْ مَنَاقِبُهُ.

وَمِنْهَا: "**الْهِدَايَةُ**" وَ"**التَّجْنِيسُ وَالْمَزِيدُ**"[2]، وَ"**مَنَاسِكُ الْحَجِّ**"، جَمِيعُهَا لِلْإِمَامِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الْجَلِيلِ بُرْهَانِ الدِّينِ الْمَرْغِينَانِيِّ الرِّشْدَانِيِّ.

وَصَنَّفَ: كِتَابَ "**الْبِدَايَةُ**"[3] فِي الْفِقْهِ، جَمَعَ فِيهِ بَيْنَ **مَسَائِلِ الْقُدُورِيِّ، وَالْجَامِعِ الصَّغِيرِ**، لِمُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ، ثُمَّ شَرَحَهَا شَرْحًا فِي نَحْوِ ثَمَانِينَ مُجَلَّدَةً، وَسَمَّاهُ: "**كِفَايَةُ الْمُنْتَهِي**". وَلَمَّا تَبَيَّنَ فِيهِ الْإِطْنَابَ، وَخَشِيَ أَنْ يُهْجَرَ لِأَجْلِهِ الْكِتَابُ، شَرَحَهُ شَرْحًا مُخْتَصَرًا لَطِيفًا نَافِعًا وَافِيًا بَالِغًا فِي الْحُسْنِ وَالتَّقْرِيرِ وَالتَّحْرِيرِ وَالضَّبْطِ وَالْإِتْقَانِ [فِي][4] النِّهَايَةِ.

---

(1) سقط من قونية ورئيس الكتاب.

(2) عنوان الكتاب: "**التَّجْنِيسُ وَالْمَزِيدُ وَهُوَ لِأَهْلِ الْفَتْوَى غَيْرُ عَتِيدٍ**"، وهو مطبوع.

(3) عنوان الكتاب: "**بِدَايَةُ الْمُبْتَدِي**"، وهو مطبوع.

(4) سقط من قونية ورئيس الكتاب.

وَبِالْجُمْلَةِ، هُوَ كَمَا قَالَهُ صَاحِبُ **الْوِقَايَةِ**: كِتَابٌ فَاخِرٌ، لَمْ تَكْتَحِلْ عَيْنُ الزَّمَانِ بِثَانِيهِ.

وَمِنْ لَطَائِفِ أَحْوَالِهِ، أَنَّهُ مَعَ اشْتِمَالِهِ الدَّقَائِقَ، وَحُسْنِ الْإِيجَازِ فِي التَّحْرِيرِ، وَقَعَ سَهْلًا بِظَاهِرِهِ عَلَى كُلِّ طَالِبٍ، فَهُوَ بِالْحَقِيقَةِ سَهْلٌ مُمْتَنِعٌ، وَالْأَوْلَى أَلَّا يُبَالِغَ أَحَدٌ فِي وَصْفِهِ، فَإِنَّ السُّكُوتَ عَنْ مَدْحِهِ مَدْحُهُ.

وَلِصَاحِبِ **الْهِدَايَةِ**، كِتَابُ **"مُخْتَارُ مَجْمُوعِ النَّوَازِلِ"**، وَ**"كِتَابٌ فِي الْفَرَائِضِ"**.

وَكَانَ مُتَعَبِّدًا نَاسِكًا، لَقِيَ الْمَشَايِخَ، وَتَبَرَّكَ بِأَنْفَاسِهِمْ.

مَاتَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِئَةٍ[1].

حُكِيَ أَنَّهُ بَقِيَ فِي تَصْنِيفِ كِتَابِ **الْهِدَايَةِ** ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَكَانَ صَائِمًا فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ لَا يُفْطِرُ أَصْلًا، وَكَانَ يَجْتَهِدُ أَلَّا يَطَّلِعَ عَلَى صَوْمِهِ أَحَدٌ، فَإِذَا أَتَى خَادِمٌ بِطَعَامٍ كَانَ يَقُولُ: خَلِّهِ وَرُحْ، فَإِذَا رَاحَ، كَانَ يُطْعِمُهُ أَحَدَ الطَّلَبَةِ، أَوْ غَيْرَهُمْ، فَإِذَا أَتَى الْخَادِمُ وَوَجَدَ الْإِنَاءَ فَارِغًا، يَظُنُّ أَنَّهُ أَكَلَهُ نَفْسُهُ، فَكَانَ - بِبَرَكَةِ زُهْدِهِ وَوَرَعِهِ - كِتَابُهُ مَقْبُولًا بَيْنَ الْعُلَمَاءِ أَيَّ قَبُولٍ[2].

وَمِنْ إِنْشَاءِ الْإِمَامِ عِمَادِ الدِّينِ، ابْنِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ صَاحِبِ **الْهِدَايَةِ** رَحِمَهُمَا اللهُ فِي حَقِّ **الْهِدَايَةِ**: **[المتقارب]**

---

(1) تاج التراجم: 207.

(2) العناية شرح الهداية: 1/ 11.

كِتَابُ **الْهِدَايَةِ** يَهْدِي الْهُدَى   إِلَى حَافِظِيهِ وَيَجْلُو الْعَمَى[1]
فَلَازِمْهُ وَاحْفَظْهُ يَا ذَا الْحِجَى   فَمَنْ نَالَهُ نَالَ أَقْصَى الْمُنَى

وَلِغَيْرِهِ: [البسيط]

إِنَّ **الْهِدَايَةَ** كَالْقُرْآنِ قَدْ نَسَخَتْ   مَا صَنَّفُوا قَبْلَهَا فِي الشَّرْعِ مِنْ كُتُبِ[2]
فَاحْفَظْ قِرَاءَتَهَا وَالْزَمْ تِلَاوَتَهَا   يَسْلَمْ مَقَالُكَ مِنْ زَيْغٍ وَمِنْ كَذِبِ

ثُمَّ إِنَّهُ اصْطَلَحَ فِي كِتَابِهِ عَلَى أُمُورٍ، لا يَخْلُو التَّنْبِيهُ عَلَيْهَا مِنَ النَّفْعِ لِلْمُبْتَدِئِ:

مِنْهَا: أَنَّهُ يَذْكُرُ لَفْظَ "قَالَ" فِي أَوَّلِ كُلِّ مَسْأَلَةٍ، إِذَا كَانَتْ مَسْأَلَةَ **الْقُدُورِيِّ**، أَوِ **الْجَامِعِ الصَّغِيرِ**، أَوْ كَانَتْ مَذْكُورَةً في الْبِدَايَةِ، وَإِنْ كَانَتْ مَذْكُورَةً فِي غَيْرِهَا لَمْ يَذْكُرْ "**قَالَ**".

وَمِنْهَا: أَنَّهُ يَذْكُرُ مَسَائِلَ **الْقُدُورِيِّ** أَوَّلًا، وَمَسَائِلَ **الْجَامِعِ الصَّغِيرِ** في آخِرِ الْأَبْوَابِ، وَإِذَا كَانَ نَوْعُ مُخَالَفَةٍ بَيْنَهُمَا، يُصَرِّحُ بِلَفْظِ **الْجَامِعِ الصَّغِيرِ**.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ إِذَا قَالَ: "الْحَدِيثُ مَحْمُولٌ عَلَى الْمَعْنَى الْفُلَانِيِّ"، يُرِيدُ بِهِ حَمْلَ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ. وَإِذَا قَالَ: "**نَحْمِلُهُ**"، يُرِيدُ حَمْلَ نَفْسِهِ عَلَيْهِ دُونَ الْأَئِمَّةِ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ يَقُولُ فِي الدَّلِيلِ الْعَقْلِيِّ: "**لِمَا بَيَّنَّا**". وَفِي الثَّابِتِ بِالْكِتَابِ: "**لِمَا تَلَوْنَا**"، وَفِي الثَّابِتِ بِالسُّنَّةِ: "**لِمَا رَوَيْنَا**"، وَفِي الثَّابِتِ بِقَوْلِ الصَّحَابَةِ:

---

(1) البيتان بالرواية نفسها في الهداية شرح بداية المبتدي: 5.

(2) ورد البيت الأول دون الثاني في المصدر نفسه.

"**لِلْأَثَرِ**"، وَقَدْ لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ الْأَثَرِ وَالْخَبَرِ وَيَقُولُ: "**لِمَا رَوَيْنَا**"، وَيَقُولُ: "**لِمَا ذُكِرَ**"، فِيمَا هُوَ أَعَمُّ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ لَا يَذْكُرُ الْفَاءَ فِي جَوَابِ أَمَّا، اعْتِمَادًا عَلَى ظُهُورِ الْمَعْنَى.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ يُشِيرُ إِلَى الْمَسْأَلَةِ الَّتِي أَوْرَدَ لَهَا النَّظِيرَ بِأَسْمَاءِ الْإِشَارَةِ الَّتِي لِلْقُرْبِ، وَإِلَى نَظِيرِهَا بِأَسْمَاءِ الْإِشَارَةِ الَّتِي لِلْبُعْدِ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ يُعَبِّرُ عَنِ الدَّلِيلِ الْعَقْلِيِّ بِالْفِقْهِ، حَيْثُ يَقُولُ: "**وَالْفِقْهُ فِيهِ كَذَا**".

وَمِنْهَا: أَنَّهُ إِذَا قَالَ: "**عَنْ فُلَانٍ**"، يُرِيدُ بِهِ الرِّوَايَةَ عَنْهُ، وَإِذَا قَالَ: "**عِنْدَ فُلَانٍ**"، يُرِيدُ بِهِ أَنَّهُ مَذْهَبُهُ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ يَرْضَى الْجَوَابَ الْأَخِيرَ كَائِنًا لِمَنْ كَانَ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ إِذَا ذَكَرَ خَاصَّتَهُ وَتَصَرُّفَهُ، لَا يَقُولُ: "**قُلْتُ**"، احْتِرَازًا عَمَّا فِيهِ مِنَ الِافْتِيَاتِ[1] وَالْأَنَانِيَّةِ، بَلْ يَقُولُ: "**قَالَ الْعَبْدُ الضَّعِيفُ عُفِيَ عَنْهُ**"، وَمَا وَقَعَ فِي بَعْضِ النُّسَخِ مِنْ: "**قَالَ رَحِمَهُ اللهُ**" فَمِنْ تَصَرُّفِ تَلَامِذَتِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ يُجِيبُ عَنِ السُّؤَالِ الْمُقَدَّرِ، وَلَا يُصَرِّحُ بِالسُّؤَالِ، وَذَكَرَ: "**فَإِنْ قِيلَ قُلْنَا**" صَرِيحًا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ فِي الْمُجَلَّدِ الْأَخِيرِ[2].

وَلِصَاحِبِ **الْهِدَايَةِ** خَصَائِصُ وَأُسْلُوبٌ اخْتَصَّ هُوَ بِذَلِكَ، يَعْرِفُهَا مَنْ مَارَسَ كِتَابَهُ، وَخَدَمَ بِهِ حَقَّ الْخِدْمَةِ.

---

(1) الافتيات: افتعال من الفوت، وهو السبق إلى الشيء دون ائْتِمَارِ مَنْ يُؤْتَمَر. اللسان/ فوت.

(2) الهداية شرح بداية المبتدي، المقدمة: 6 ـ 8.

ثُمَّ إِنَّ الْعُلَمَاءَ اعْتَنَوْا بِشَرْحِهِ كَثِيرَ اعْتِنَاءٍ، إِلَّا أَنَّ مَنِ اجْتَرَأَ عَلَى شَرْحِهِ إِنَّمَا هُوَ وَاحِدٌ مِنَ الْأَفْرَادِ. وَلْنَذْكُرْ هَا هُنَا شُرُوحَهُ الْمَشْهُورَةَ فِي بِلَادِنَا، لِيَتَنَبَّهَ عَلَيْهَا الطَّالِبُ، وَيَجْتَهِدَ فِي تَحْصِيلِهَا، وَيَنْتَفِعَ بِمُطَالَعَتِهَا:

مِنْهَا: كِتَابُ "النِّهَايَةُ"، وَهُوَ لِمَوْلَانَا حُسَامِ الدِّينِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحَجَّاجِ بْنِ عَلِيٍّ **شَارِحِ الْهِدَايَةِ**.

قَدِمَ حَلَبَ، وَصَنَّفَ: **"الْكَافِي فِي شَرْحِ الْبَزْدَوِيِّ"**. قَدِمَ دِمَشْقَ سَنَةَ عَشْرٍ وَسَبْعِمِئَةٍ، وَ**شَرَحَ الْمُنْتَخَبَ** لِلْأَخْسِيكَثِيِّ، وَ**شَرَحَ التَّمْهِيدَ فِي أُصُولِ الدِّينِ**، تَصْنِيفَ أَبِي الْمُعِينِ النَّسَفِيِّ.

تَفَقَّهَ عَلَى الْإِمَامِ حَافِظِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ نَصْرٍ، وَالْإِمَامِ فَخْرِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَايَمَرْغِيِّ.

مَاتَ فِي رَجَبٍ سَنَةَ إِحْدَى أَوْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَسَبْعِمِئَةٍ بِحَلَبَ[1].

وَلَهُ تَصْنِيفٌ فِي الصَّرْفِ اسْمُهُ: "النَّجَاحُ".

وَانْتَخَبَ كِتَابَ النِّهَايَةِ لِلسِّغْنَاقِيِّ فِي شَرْحِ الْهِدَايَةِ، الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ شِهَابُ الدِّينِ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الزَّرْكَشِيِّ، دَرَّسَ بِالْحُسَامِيَّةِ[2]، وَكَانَتْ لَهُ مُشَارَكَةٌ فِي عُلُومٍ شَتَّى. مَاتَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِئَةٍ. وَقِيلَ سَنَةَ سَبْعٍ.

---

(1) تاج التراجم لابن قطلوبغا: 161.

(2) المدرسة الحسامية: بخط المسطاح من القاهرة قريبا من حارة الوزيرية، بناها الأمير حسام الدين طرنطاي المنصوريّ نائب السلطنة بديار مصر، إلى جانب داره، وجعلها برسم الفقهاء الشافعية. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: 4/ 236.

وَمِنْهَا: كِتَابُ "**الْكِفَايَةُ**"(1)، لِلسَّيِّدِ جَلَالِ الدِّينِ الْكَرْلَانِيِّ، وَلَمْ أَقِفْ لَهُ عَلَى تَرْجَمَةٍ.

وَمِنْهَا: "**نِهَايَةُ الْكِفَايَةِ**"(2)، لِتَاجِ الشَّرِيعَةِ، وَهُوَ مَحْمُودُ [بْنُ عُبَيْدِ بْنِ مَحْمُودٍ](3) الْمَحْبُوبِيُّ، عَالِمٌ فَاضِلٌ، حَبْرٌ كَامِلٌ، لَهُ شَرْحُ **الْهِدَايَةِ** الْمُسَمَّى: بِـ "**نِهَايَةُ الْكِفَايَةِ**"، وَمُخْتَصَرُ **الْهِدَايَةِ** الْمُسَمَّى بِـ "**الْوِقَايَةُ**"(4).

وَمِنْهَا: كِتَابُ "**الْغَايَةُ**"، لِلشَّيْخِ قَاضِي الْقُضَاةِ شَمْسِ الدِّينِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الْغَنِيِّ السَّرُوجِيِّ، تَفَقَّهَ عَلَى الصَّدْرِ سُلَيْمَانَ ابْنِ أَبِي الْغُرَرِ نَجْمِ الدِّينِ أَبِي طَاهِرٍ إِسْحَاقَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى.

وَلِيَ الْقَضَاءَ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَصَنَّفَ وَأَفْتَى، وَوَضَعَ شَرْحًا عَلَى **كِتَابِ الْهِدَايَةِ** وَسَمَّاهُ: "**الْغَايَةُ**"، انْتَهَى فِيهِ إِلَى كِتَابِ الْإِيمَانِ، فِي عِدَّةِ مُجَلَّدَاتٍ ضَخْمَةٍ.

تُوُفِّيَ بِالْمَدْرَسَةِ السُّيُوفِيَّةِ(5) بِالْقَاهِرَةِ، فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ ثَانِي عَشَرَ رَجَبِ

---

(1) "**الكفاية شرح الهداية**"، لجلال الدين بن شمس الدين الكرلاني الخوارزمي الحنفي (ت. 767هـ). الفوائد البهية: 58. وكشف الظنون: 2/ 2034.

(2) "**نهاية الكفاية لدراية الهداية**" أو "**في دراية الهداية**" لتاج الشريعة عمر ابن صدر الشريعة الأول عبيد الله المحبوبي الحنفي(ت. 672هـ).

(3) زيادة من قونية ورئيس الكتاب.

(4) عنوان الكتاب: "**وِقَايَةُ الرِّوَايَةِ فِي مَسَائِلِ الْهِدَايَةِ**"، **وهو مطبوع**. تاج التراجم: 291.

(5) المدرسة السيوفية: بالقاهرة، وهي من جملة دار الوزير المأمون البطائحيّ، وقفها السلطان السيد الأجل الملك الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب على الحنفية. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: 4/ 204.

سَنَةَ عَشْرٍ وَسَبْعِمِئَةٍ، وَدُفِنَ بِتُرْبَةٍ بِجِوَارِ قُبَّةِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّمِئَةٍ[1].

وَمِنْهَا: "**غَايَةُ الْبَيَانِ**"[2]، لِلْأَتْقَانِيِّ، وَهُوَ أَمِيرُ كَاتِبُ ابْنُ أَمِيرِ عُمَرَ، الْعَمِيدِ ابْنِ الْعَمِيدِ أَمِيرِ غَازِي، أَبُو حَنِيفَةَ الْفَارَابِيُّ الْأَتْقَانِيُّ. وَقِيلَ: اسْمُهُ لُطْفُ اللهِ.

وَأَتْقَانُ: قَصَبَةٌ مِنْ قَصَبَاتِ فَارَابَ. وَلِيَ تَدْرِيسَ مَشْهَدِ الْإِمَامِ الْأَعْظَمِ بِظَاهِرِ بَغْدَادَ.

وُلِدَ بِأَتْقَانَ لَيْلَةَ السَّبْتِ تَاسِعَ عَشَرَ شَوَّالٍ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَسِتِّمِئَةٍ، اشْتَغَلَ بِبِلَادِهِ، وَمَهَرَ وَتَقَدَّمَ إِلَى أَنْ **شَرَحَ الْأَخْسِيكَثِيَّ**[3]، وَقَدِمَ دِمَشْقَ مَرَّتَيْنِ:

اجْتَمَعَ فِي الْأُولَى بِالْأَمِيرِ يَلْبَغَا[4] نَائِبِ السَّلْطَنَةِ، وَاخْتَصَّ بِهِ، وَتَكَلَّمَ عِنْدَهُ فِي مَسْأَلَةِ رَفْعِ الْيَدَيْنِ، وَأَرَادَ إِبْطَالَهُ، فَدَفَعَهُ[5] الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ السُّبْكِيُّ.

ثُمَّ قَدِمَ ثَانِيًا فِي رَجَبٍ سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِئَةٍ، وَوَلِيَ بِهَا تَدْرِيسَ دَارِ الْحَدِيثِ الظَّاهِرِيَّةِ بَعْدَ وَفَاةِ الذَّهَبِيِّ.

---

(1) تنظر أخباره في تاج التراجم: 107 ـ 108.

(2) عنوان الشرح هو: "**غاية البيان ونادرة الأقران**" ألفه في ثلاث مجلدات، ختم تأليفه في دمشق في ذي القعدة سنة: 747هـ.

(3) يقصد: "**الْمُنْتَخَبُ**" في أصول الفقه، لِحسامِ الدِّين الأَخْسِيكَثِيِّ.

(4) يلبغا أبو المعالي السالمي الظاهري الحنفي، (ت. 811هـ). الضوء اللامع: 10/ 289، الأعلام: 8/ 208.

(5) فمنعه، في قونية.

ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى مِصْرَ فِي صَفَرٍ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ، فَعَظَّمَهُ الْأَمِيرُ صَرْغَتْمُشُ[1] النَّاصِرِيُّ، وَدَرَّسَ بِالْجَامِعِ الْمَارِدَانِيِّ، فَلَمَّا عَمَرَ الْأَمِيرُ صَرْغَتْمُشُ الْمَدْرَسَةَ الْمُجَاوِرَةَ لِجَامِعِ ابْنِ طُولُونَ، أَجْلَسَهُ بِهَا مُدَرِّسًا، وَذَلِكَ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ، فَاخْتَارَ لِحُضُورِ الدَّرْسِ طَالِعًا، فَحَضَرَ وَالْقَمَرُ فِي السُّنْبُلَةِ، وَالزُّهْرَةُ فِي الْأَوْجِ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ صَرْغَتْمُشُ إِقْبَالًا عَظِيمًا، وَقُدِّرَ أَنَّهُ لَمْ يَعِشْ بَعْدَ ذَلِكَ سِوَى[2] سَنَةٍ وَشَيْءٍ، وَصَارَ مُعَادِيًا لِلشَّافِعِيَّةِ يَتَمَنَّى تَلَافَهُمْ[3]، وَاجْتَهَدَ فِي ذَلِكَ بِالشَّامِ [زَمَانًا][4]، فَمَا أَفَادَ. وَأَمَرَ صَرْغَتْمُشُ أَنْ يَقْصِرَ مَدْرَسَتَهُ عَلَى الْحَنَفِيَّةِ، وَحَدَّثَ بِالْمُوَطَّإِ رِوَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بِإِسْنَادٍ نَازِلٍ جِدًّا، وَذَاكَرَهُ الْقَاضِي عِزُّ الدِّينِ ابْنُ جَمَاعَةَ أَنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الزَّمَخْشَرِيِّ اثْنَيْنِ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ وَقَالَ: أَنَا أَسَنُّ مِنْكَ، وَبَيْنِي وَبَيْنَهُ أَرْبَعَةٌ أَوْ خَمْسَةٌ.

وَكَانَ أَحَدَ الدُّهَاةِ. أَخَذَ عَنْهُ الشَّيْخُ مُحِبُّ الدِّينِ ابْنُ جَمَاعَةَ.

قَالَ ابْنُ حَبِيبٍ: كَانَ رَأْسًا فِي مَذْهَبِ الْحَنَفِيَّةِ، بَارِعًا فِي الْفِقْهِ وَاللُّغَةِ وَالْعَرَبِيَّةِ، كَثِيرَ الْإِعْجَابِ بِنَفْسِهِ، شَدِيدَ التَّعَصُّبِ عَلَى الْمُخَالِفِ.

---

(1) الأمير سيف الدين صرغتمش الناصري أمير رأس نوبة، المتوفى سجينا في الإسكندرية سنة 759. خطط المقريزي: 4/ 256 ـ 258.

(2) إلا، في قونية.

(3) ينمِّق خلافهم، في أنطاليا.

(4) زيادة من أنطاليا.

صَنَّفَ: شَرْحَ **الْهِدَايَةِ** وَسَمَّاهُ: **"غَايَةُ الْبَيَانِ وَنَادِرَةُ الأَقْرَانِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ"**، وَشَرْحَهُ الأَخْسِيكَثِيَّ وَسَمَّاهُ: **"التَّبْيِينُ"**. وَلَهُ **رِسَالَةٌ فِي مَسْأَلَةِ رَفْعِ الْيَدَيْنِ**، وَأُخْرَى **فِي عَدَمِ صِحَّةِ الْجُمُعَةِ فِي مَوْضِعَيْنِ مِنَ الْبَلَدِ**.

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: وَدَخَلَ مِصْرَ، ثُمَّ رَجَعَ فَدَخَلَ بَغْدَادَ، وَوَلِيَ قَضَاءَهَا.

وُلِدَ بِأَتْقَانَ لَيْلَةَ السَّبْتِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَوَّالٍ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَسِتِّمِئَةٍ، كَمَا وُجِدَ فِي خَطِّهِ، **وَتُوُفِّيَ** يَوْمَ السَّبْتِ حَادِي عَشَرَ شَهْرِ شَوَّالٍ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَسَبْعِمِئَةٍ[1].

وَفَرَغَ عَنْ تَحْصِيلِ الْعُلُومِ وَسِنُّهُ مَا بَيْنَ الْعِشْرِينَ وَالثَّلَاثِينَ، كَمَا صَرَّحَ بِهِ فِي خُطْبَةِ **التَّبْيِينِ**، وَصَنَّفَ **التَّبْيِينَ** فِي سَنَةِ سِتَّ عَشْرَةَ وَسَبْعِمِئَةٍ، فَيَكُونُ عُمْرُهُ وَقْتَئِذٍ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ. وَلَعَلَّهُ فَرَغَ مِنْ تَصْنِيفِ **شَرْحِ الْهِدَايَةِ**، وَسِنُّهُ سِتٌّ وَثَلَاثُونَ وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَمِنْ **شُرُوحِ الْهِدَايَةِ**: **"مِعْرَاجُ الدِّرَايَةِ"**[2]، لِلشَّيْخِ الإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ ابْنِ مُحَمَّدٍ السِّنْجَارِيِّ، الْمَدْعُوِّ بِقِوَامِ الدِّينِ الْكَاكِيِّ.

قِيلَ: إِنَّهُ ـ رَوَّحَ اللهُ رُوحَهُ ـ بَعْدَ مَا أَخَذَ الْفِقْهَ بِتِرْمِذَ مِنَ الشَّيْخِ الإِمَامِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْبُخَارِيِّ، صَاحِبِ **كَشْفِ أُصُولِ الإِمَامِ فَخْرِ الإِسْلَامِ الْبَزْدَوِيِّ**،

---

(1) الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة: 1/ 493 ـ 495، وتاج التراجم: 138 ـ 139.

(2) عنوان الشرح هو: **"معراج الدراية إلى شرح الهداية"** فرغ من تأليفه في إحدى وعشرين محرم سنة: 745هـ.

وَصَاحِبِ **التَّحْقِيقِ فِي شَرْحِ أُصُولِ الْإِمَامِ حُسَامِ الدِّينِ الْأَخْسِيكَثِيِّ**، قَدِمَ إِلى الْقَاهِرَةِ، فَأَقَامَ بِالْجَامِعِ الْمَارِدَانِيِّ، فَأَمَّ فِيهِ وَدَرَّسَ، إِلَى أَنْ مَاتَ سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِئَةٍ.

وَكَّاكُ: قِيلَ: إِنَّهُ بِلُغَتِهِمْ بَائِعُ الْكَعْكِ. وَنُقِلَ عَنِ السَّمْعَانِيِّ أَنَّهُ قَالَ: أَظُنُّ أَنَّهَا قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى بُخَارَى.

وَمِنْ شُرُوحِ **الْهِدَايَةِ**: "**حَوَاشِي الْخَبَّازِيِّ**"[1]، وَهُوَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ، الشَّيْخُ جَلَالُ الدِّينِ الْخَبَّازِيُّ. وَلَهُ كِتَابُ "**الْمُغْنِي فِي أُصُولِ الْفِقْهِ**". وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ.

وَمِنْ شُرُوحِ **الْهِدَايَةِ**: شَرْحُ الشَّيْخِ أَكْمَلِ الدِّينِ الْمُسَمَّى بِـ "**الْعِنَايَةُ**" وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَحْمُودِ بْنِ أَحْمَدَ الرُّومِيُّ الْبَابَرْتِيُّ، أَكْمَلُ الدِّينِ ابْنُ شَمْسِ الدِّينِ ابْنِ جَمَالِ الدِّينِ.

وُلِدَ سَنَةَ بِضْعَ عَشَرَةَ وَسَبْعِمِئَةٍ، وَاشْتَغَلَ بِالْعِلْمِ، وَرَحَلَ إِلَى حَلَبَ، فَأَنْزَلَهُ الْقَاضِي نَاصِرُ الدِّينِ ابْنُ الْعَدِيمِ بِالْمَدْرَسَةِ السَّاوَجِيَّةِ[2]، فَأَقَامَ بِهَا مُدَّةً.

ثُمَّ قَدِمَ الْقَاهِرَةَ بَعْدَ سَنَةِ أَرْبَعِينَ، فَأَخَذَ هُوَ وَمَوْلَانَا قُطْبُ الدِّينِ الرَّازِيُّ التَّحْتَانِيُّ عَنِ الشَّيْخِ شَمْسِ الدِّينِ الْأَصْبَهَانِي، وَأَخَذَ أَيْضًا عَنْ أَبِي حَيَّانَ، وَسَمِعَ

---

(1) لعل عنوانها هو: "**الفوائد**" أخذها محمد بن أحمد القونوي وأكملها إلى آخر الهداية وسماها: "**تكملة الفوائد**". كشف الظنون: 2/ 2022.

(2) المدرسة السَّاوَجِيَّةُ: أنشأها جمال الدين السَّاوَجِيُّ، كان تاجرا، وقفها على الشريف كمال الدين حمزة الطوسي. الدارس في تاريخ المدارس: 1/ 208.

مِنِ ابْنِ عَبْدِ الْهَادِي، وَالدِّلَاصِيِّ وَغَيْرِهِمَا، وَصَحِبَ شَيْخُونَ، وَاخْتَصَّ بِهِ، وَقَرَّرَهُ شَيْخًا بِالْخَانِقَاهِ الَّتِي أَنْشَأَهَا، وَفَوَّضَ أَمْرَهَا إِلَيْهِ فَبَاشَرَهَا أَحْسَنَ مُبَاشَرَةً، وَكانَ قَوِيَّ النَّفْسِ، عَظِيمَ الْهِمَّةِ، مُهَابًا عَفِيفًا في الْمُبَاشَرَةِ، عَمَرَ أَوْقَافَهَا، وَزَادَ مَعَالِيمَهَا. وَعُرِضَ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ مِرَارًا فَامْتَنَعَ، وَكَانَ حَسَنَ الْمَعْرِفَةِ بِالْفِقْهِ وَالْعَرَبِيَّةِ وَالْأُصُولِ، وَبَرَعَ وَسَادَ، وَأَفْتَى وَدَرَّسَ وَأَفَادَ، وَصَنَّفَ فَأَجَادَ.

وَصَنَّفَ: "**شَرْحُ مَشَارِقِ الْأَنْوَارِ**"[1]، وَشَرَحَ **الْبَزْدَوِيَّ**[2] **وَالْهِدَايَةَ**[3]، وَعَمِلَ **تَفْسِيرًا** حَسَنًا، وَشَرَحَ **مُخْتَصَرَ ابْنِ الْحَاجِبِ**[4]، وَشَرَحَ **الْمَنَارَ**[5] **وَالتَّلْخِيصَ**[6]، وَشَرَحَ **التَّجْرِيدَ** لِلنَّصِيرِ الطُّوسِيِّ فِي الْكَلَامِ، وَشَرَحَ **أَلْفِيَّةَ ابْنِ مُعْطِي**، وَشَرَحَ **الْمُقَدِّمَةَ السَّرَّاجِيَّةَ** فِي الْفَرَائِضِ، وَشَرَحَ **تَلْخِيصَ الْخَلَّاطِيِّ لِلْجَامِعِ الْكَبِيرِ**، قِطْعَتَيْنِ وَلَمْ يَكْمُلْ.

وَصَنَّفَ: "**حَاشِيَةٌ عَلَى الْكَشَّافِ**" إِلَى تَمَامِ الزَّهْرَاوَيْنِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ.

وَمَا عَلِمْتُهُ حَدَّثَ بِشَيْءٍ مِنْ مَسْمُوعَاتِهِ، وَكَانَتْ رَسَائِلُهُ لَا تُرَدُّ مَعَ حُسْنِ الْبِشْرِ[7] وَالْقِيَامِ مَعَ مَنْ يَقْصِدُهُ، وَالْإِنْصَافِ وَالتَّوَاضُعِ وَالتَّلَطُّفِ فِي

---

(1) عنوان الكتاب: "**تُحْفَةُ الأَبْرَارِ في شَرْحِ مَشَارِقِ الأَنْوَارِ**". طبع جزء منه.

(2) عنوانه: "**التَّقْرِيرُ لِأُصُولِ فَخْرِ الإِسْلَامِ الْبَزْدَوِي**"، وهو مطبوع

(3) عنوانه: "**الْعِنَايَةُ في شَرْحِ الْهِدايَةِ**". وهو مطبوع

(4) عنوانه: "**النُّقُودُ وَالرُّدُودُ**"، وهو مطبوع.

(5) عنوانه: "**الأنوارُ في شَرْحِ الْمَنَارِ لِلنَّسَفِيِّ**". مخطوط.

(6) "**شرح التَّلخيصِ للتَّفتَازَاني**"، وهو مطبوع.

(7) البِشْرُ: الطلاقة. اللسان/ بشر.

الْمُعَاشَرَةِ، وَالتَّنَزُّهِ عَنِ الدُّخُولِ فِي الْمَنَاصِبِ الْكِبَارِ، بَلْ كَانَ أَصْحَابُ الْمَنَاصِبِ عَلَى بَابِهِ قَائِمِينَ بِأَوَامِرِهِ، مُسْرِعِينَ إِلَى قَضَاءِ مَآرِبِهِ، وَكَانَ الظَّاهِرُ بَرْقُوق بَالَغَ مِنْ تَعْظِيمِهِ حَتَّى إِنَّهُ إِذَا اجْتَازَ بِهِ لَا يَزَالُ رَاكِبًا وَاقِفًا عَلَى بَابِ الْخَانِقَاهِ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ، فَيَرْكَبَ مَعَهُ، وَيَتَحَدَّثَ مَعَهُ فِي الطَّرِيقِ، وَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ مَاتَ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ تَاسِعَ عَشَرَ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَسَبْعِمِئَةٍ. وَحَضَرَ السُّلْطَانُ فَمَنْ دُونَهُ جَنَازَتَهُ، وَأَرَادَ السُّلْطَانُ حَمْلَ نَعْشِهِ فَمَنَعَهُ الْأُمَرَاءُ، وَحَمَلَهُ أَيْتَمَشُ[1]، وَأَحْمَدُ بْنُ يَلْبَغَا[2]، وَسُودُونُ النَّائِبُ[3]، وَنَحْوُهُمْ. وَتَقَدَّمَ فِي الصَّلاةِ عَلَيْهِ عِزُّ الدِّينِ الرَّازِيُّ[4]، وَدُفِنَ بِالْخَانِقَاهِ الْمَذْكُورَةِ[5].

وَمِنْ شُرُوحِ الْهِدَايَةِ: **"فَتْحُ الْقَدِيرِ لِلْعَاجِزِ الْفَقِيرِ"**، لِلشَّيْخِ الْإِمَامِ ابْنِ الْهُمَامِ، وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ مَسْعُودٍ السِّيوَاسِيُّ، ثُمَّ السَّكَنْدَرِيُّ، الْعَلَّامَةُ كَمَالُ الدِّينِ ابْنُ الْهُمَامِ الْحَنَفِيُّ.

---

(1) الأمير أيتمش سيف الدين أحد أمراء المماليك، كان نائب طرابلس، توفي سنة 755. السلوك لمعرفة دول الملوك: 4/ 215.

(2) أحمد بن يلبغا شهَاب الدّين الْعمريّ الخاصكي الحسني صَاحب الْكيس، وأستاذ الظَّاهِر برقوق.

(3) الأمير سودون النائب، اشتهر ذكره في أيام الظاهر برقوق، تنظر أخباره متفرقة في كتاب إنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر العسقلاني (ت. 852هـ).

(4) عز الدين يوسف بن محمود بن محمد الرازي، العجمي، الحنفي، ولي تدريس الحديث بالمدرسة المنصورية (ت.794هـ).السلوك لمعرفة دول الملوك:5/ 169.

(5) إنباء الغمر بأبناء العمر: 1/ 298.

وُلِدَ سَنَةَ تِسْعِينَ وَسَبْعِمِئَةٍ تَقْرِيبًا، وَتَفَقَّهَ بِالسَّرَّاجِ قَارِئِ **الْهِدَايَةِ**، وَلَازَمَهُ فِي الْأُصُولِ وَغَيْرِهَا، وَلَازَمَ الْقَاضِيَ مُحِبَّ الدِّينِ ابْنَ الشِّحْنَةِ[1] لَمَّا قَدِمَ الْقَاهِرَةَ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ، وَرَجَعَ مَعَهُ إِلَى حَلَبَ، وَأَقَامَ عِنْدَهُ إِلَى أَنْ مَاتَ.

وَأَخَذَ الْعَرَبِيَّةَ عَنِ الْجَمَالِ الْحُمَيْدِيِّ، وَالْأُصُولَ وَغَيْرَهُ عَنِ الْبِسَاطِيِّ[2]، وَالْحَدِيثَ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ ابْنِ الْعِرَاقِيِّ، وَالتَّصَوُّفَ عَنِ الْخَوَافِيِّ[3]، وَالْقُرْآنَ عَنِ الزَّرَاتِيتِيِّ[4]، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ عَنِ الْجَمَالِ الْحَنْبَلِيِّ، وَالشَّمْسِ الشَّامِيِّ، وَأَجَازَ لَهُ الْمَرَاغِيُّ، وَابْنُ ظَهِيرَةَ وَرُقَيَّةُ الْمَدَنِيَّةُ، وَتَقَدَّمَ عَلَى أَقْرَانِهِ، وَبَرَعَ فِي الْعُلُومِ، وَتَصَدَّى لِنَشْرِ الْعِلْمِ، وَانْتَفَعَ بِهِ خَلْقٌ.

وَكَانَ عَلَّامَةً فِي الْفِقْهِ وَالْأُصُولِ وَالنَّحْوِ وَالتَّصْرِيفِ وَالْمَعَانِي وَالْبَيَانِ وَالتَّصَوُّفِ، وَالْمُوسِيقَى، وَغَيْرِهَا، مُحَقِّقًا جَدَلِيًّا نَظَّارًا.

وَكَانَ يَقُولُ: أَنَا لَا أُقَلِّدُ فِي الْمَعْقُولَاتِ أَحَدًا.

وَقَالَ الْبُرْهَانُ الْأَنْبَاسِيُّ ـ مِنْ أَقْرَانِهِ ـ لَوْ طُلِبَتْ حُجَجُ الدِّينِ مَا كَانَ فِي بَلَدِنَا مَنْ يَقُومُ بِهَا غَيْرُهُ.

---

(1) محب الدين ابن الشّحنة قاضى قضاة الحنفية بالديار المصرية (ت. 872هـ). نظم العقيان في أعيان الأعيان: 109.

(2) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الطائي البساطي (ت.842هـ): الضوء اللامع: 7/ 5، شذرات الذهب: 7/ 245.

(3) محمد بن محمد بن محمد بن علي أبو بكر الزين الخوافي الهروي الحنفي (ت. 838هـ). ترجمته في: الضوء اللامع: 9/ 260.

(4) محمد بن علي بن محمد الغزولي شمس الدين الزراتيتي (ت.825هـ). ترجمته في إنباء الغمر بأبناء العمر: 3/ 293، وحسن المحاضرة: 1/ 510.

وَكَانَ لِلشَّيْخِ نَصِيبٌ وَافِرٌ مِمَّا لِأَرْبَابِ الْأَحْوَالِ مِنَ الْكَشْفِ وَالْكَرَامَاتِ. وَكَانَ تَجَرَّدَ أَوَّلًا بِالْكُلِّيَّةِ، فَقَالَ لَهُ أَهْلُ الطَّرِيقِ: ارْجِعْ فَإِنَّ لِلنَّاسِ حَاجَةً بِعِلْمِكَ. وَكانَ يَأْتِيهِ الْوَارِدُ كَمَا يَأْتِي الصُّوفِيَّةَ، لَكِنَّهُ يُقْلِعُ عَنْهُ بِسُرْعَةٍ لِأَجْلِ مُخَالَطَتِهِ لِلنَّاسِ. **قَالَ** بَعْضُهُمْ: أَتَاهُ الْوَارِدُ يَوْمًا فَأَخَذَ بِيَدِي يَجُرُّنِي، وَهُوَ يَعْدُو فِي مِشْيَتِهِ، وَأَنَا أَجْرِي مَعَهُ إِلَى أَنْ وَقَفَ عَلَى الْمَرَاكِبِ، فَقَالَ: مَا لَكُمْ وَاقِفِينَ هَا هُنَا؟ قَالُوا: أَوْقَفَنَا الرِّيحُ، وَمَا هُوَ بِاخْتِيَارِنَا، فَقَالَ: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾[1]، وَهُوَ الَّذِي يُوقِفُكُمْ، قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ الْحَاكِي: ثُمَّ أَقْلَعَ عَنْهُ الْوَارِدُ فَقَالَ لِي: لَعَلِّي شَقَقْتُ عَلَيْكَ، قُلْتُ: إِي وَاللهِ، وَانْقَطَعَ قَلْبِي مِنَ الْجَرْيِ، فَقَالَ: لَا تَأْخُذْ عَلَيَّ، فَإِنِّي لَمْ أَشْعُرْ بِشَيْءٍ مِمَّا فَعَلْتُهُ.

وَكَانَ الشَّيْخُ يُلَازِمُ لُبْسَ الطَّيْلَسَانِ كَمَا هُوَ السُّنَّةُ، وَيُرْخِيهِ كَثِيرًا عَلَى وَجْهِهِ وَقْتَ حُضُورِ الشَّيْخُونِيَّةِ[2]، وَكانَ يُخَفِّفُ الْحُضُورَ جِدًّا، وَيُخَفِّفُ الصَّلَاةَ كَمَا هُوَ شَأْنُ الْأَبْدَالِ، فَقَدْ نَقَلُوا أَنَّ صَلَاةَ الْأَبْدَالِ خَفِيفَةٌ، وَكانَ الشَّيْخُ أَفْتَى بُرْهَةً مِنْ عُمُرِهِ، ثُمَّ تَرَكَ الْإِفْتَاءَ جُمْلَةً، وَدَرَّسَ بِالْمَنْصُورِيَّةِ[3] وَبِالْأَشْرَفِيَّةِ[4]، ثُمَّ رَغِبَ عَنْهُمَا، وَاسْتَقَرَّ بَعْدَ ذَلِكَ فِي مَشْيَخَةِ الشَّيْخُونِيَّةِ، فَبَاشَرَهَا مُدَّةً أَحْسَنَ

---

(1) سورة يونس الآية: 22.

(2) **المدرسة الشيخونية**: نسبة إلى الأمير شَيخون (ت. 756 هـ) ولفخامتها لم تَقْتصر على مذهبٍ بعينِه، بل جُمعت فيها المذاهبُ الأَربعة، وأُنشئت بها دارٌ للحديث. البداية والنِّهاية: 14/ 258.

(3) **المدرسة المنصورية**: نسبة إلى مؤسّسها المنصور قلاوون، وَرَسَمَ بعمارتها مارستانًا وقبّةً ومدرسةً. وتَمَّ بناؤها جميعًا في أحد عشر شهرًا وبضعة أيام. السّلوك لمعرفة دول الملوك: 3/ 389

(4) **المدرسة الأشرفية**: أنشأها السلطان الأشرف أحد أولاد الناصر محمد بالقاهرة.

مُبَاشَرَةٍ، غَيْرَ مُلْتَفِتٍ إِلَى أَحَدٍ مِنَ الْأَكَابِرِ وَأَرْبَابِ الدَّوْلَةِ، ثُمَّ رَغِبَ عَنْهَا لَمَّا جَاوَرَ بِالْحَرَمَيْنِ، وَاسْتَقَرَّ بَعْدَهُ شَيْخُنَا الْعَلَّامَةُ مُحْيِي الدِّينِ الْكَافِيَجِي[1].

وَكَانَ حَسَنَ اللِّقَاءِ وَالسَّمْتِ وَالْبِشْرِ وَالْبِزَّةِ[2]، طَيِّبَ النَّغْمَةِ، مَعَ الْوَقَارِ وَالْهَيْبَةِ، وَالتَّوَاضُعِ الْمُفْرِطِ وَالْإِنْصَافِ وَالْمَحَاسِنِ الْجَمَّةِ، وَكَانَ أَحَدَ الْأَوْصِيَاءِ عَلَيَّ. كَذَا قَالَ السُّيُوطِيُّ.

وَلَهُ تَصَانِيفُ مِنْهَا:

شَرْحُ الْهِدَايَةِ، سَمَّاهُ: "**فَتْحُ الْقَدِيرِ لِلْعَاجِزِ الْفَقِيرِ**"، وَصَلَ فِيهِ إِلَى أَثْنَاءِ الْوَكَالَةِ، وَ"**التَّحْرِيرُ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ**"، وَ"**الْمُسَامَرَةُ فِي أُصُولِ الدِّينِ**"، وَ"**كُرَّاسَةٌ فِي إِعْرَابِ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ**"، وَلَهُ مُخْتَصَرٌ فِي الْفِقْهِ سَمَّاهُ: "**زَادُ الْفَقِيرِ**"، وَلَهُ نَظْمٌ نَازِلٌ. مَاتَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَابِعِ رَمَضَانَ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَثَمَانِمِئَةٍ»[3].

وَشُرُوحُ الْهِدَايَةِ لَا تَنْحَصِرُ فِيمَا ذُكِرَ، لَكِنَّ الْأَشْهَرَ مَا ذَكَرْنَاهُ، وَمَعَ جِدِّ الْفُضَلَاءِ وَسَعْيِهِمْ عَلَى شَرْحِهَا لَمْ تَبْرُزْ لَطَائِفُهُ مِنْ جِلْبَابِ التَّمَنُّعِ وَالِاحْتِجَابِ، وَلَمْ تُذَلَّلْ صِعَابُ دَلَائِلِهِ لِلطُّلَّابِ، بَلْ بَقِيَ بَعْدَهَا[4] خَبَايَا فِي

---

(1) محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرومي محيي الدين الكافيجي الحنفي (ت. 879هـ). بغية الوعاة: 1/ 117.

(2) البِزَّةُ، بالكسر: الهيئة والشارة واللبسة. اللسان/ بزز.

(3) بغية الوعاة: 1/ 166ـ168.

(4) بعض، في قونية.

الزَّوَايَا، وَلِلَّهِ دَرُّ مُصَنَّفٍ لَا تَنْتَهِي لَطَائِفُهُ وَدَقَائِقُهُ، وَلَا تَنْكَشِفُ مَعَانِيهِ وَحَقَائِقُهُ، فَسُبْحَانَ مَنْ بِيَدِهِ الْفَضْلُ وَالْبَهَاءُ، وَيُؤْتِيهِمَا بِلُطْفِهِ مَنْ يَشَاءُ، وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ، وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ.

وَمِنَ الْكُتُبِ الْمُعْتَبَرَةِ:

"**الْمُحِيطُ**"، لِلشَّيْخِ رَضِيِّ الدِّينِ بُرْهَانِ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ السَّرَخْسِيِّ، وَصَنَّفَ "**الْمُحِيطُ**" أَرْبَعَ مُصَنَّفَاتٍ، كَبِيرٌ فِي أَرْبَعِينَ مُجَلَّدًا، وَمُتَوَسِّطٌ فِي اثْنَيْ عَشَرَ مُجَلَّدًا، وَصَغِيرٌ فِي مُجَلَّدَاتٍ أَرْبَعَةٍ، وَمُخْتَصَرٌ فِي مُجَلَّدَيْنِ، وَقَدِمَ حَلَبَ، وَدَرَّسَ بَعْدَ مَحْمُودٍ الْغَزْنَوِيِّ.

قِيلَ: إِنَّ **الْمُحِيطَ** لَيْسَ مِنْ مُصَنَّفَاتِهِ، بَلْ كَانَ مِنْ مُصَنَّفَاتِ شَيْخِهِ، فَادَّعَاهُ لِنَفْسِهِ، وَلِهَذَا عَزَلَهُ نُورُ الدِّينِ الشَّهِيدُ عَنِ التَّدْرِيسِ، فَقَدِمَ دِمَشْقَ، وَدَرَّسَ بِالْخَاتُونِيَّةِ[1].

وَاعْلَمْ أَنَّ كِتَابَ **الْمُحِيطِ** اثْنَانِ، أَحَدُهُمَا مَا تَقَدَّمَ، وَيُعْرَفُ هُوَ بِـ "**الْمُحِيطُ السَّرَخْسِيُّ**"، وَالْآخَرُ[2] "**مُحِيطُ بُرْهَانِ الدِّينِ مَحْمُودٍ**"، وَهُوَ مِنْ بَنِي مَازَه، وَأَبُوهُ تَاجُ الدِّينِ أَخُو الصَّدْرِ الشَّهِيدِ، وَ"**الذَّخِيرَةُ**"[3]، [مِنْ مُصَنَّفَاتِهِ أَيْضًا.

---

(1) الخبر في تاج التراجم: 249، والمدرسة الخاتونية: بنتها الفاضلة زمرد خاتون ظاهر دمشق، بمكان يقال له: تل الثعالب. البداية والنهاية: 16/ 404.

(2) والثاني، في أنطاليا.

(3) عنوانها: "**ذخيرة الفتاوى**" المشهورة بالذخيرة البرهانية، لبرهان الدين محمود بن أحمد بن مازه البخاري (ت. 616هـ) اختصرها من كتابه المشهور بالمحيط البرهاني. كشف الظنون: 1/ 823.

وَصَاحِبُ "**الْجَوَاهِرُ الْمُضِيَّةُ فِي طَبَقَاتِ الْحَنَفِيَّةِ**"، لَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمَا.

وَقالَ: صَاحِبُ **الْمُحِيطِ**][1] لَقَبُهُ رَضِيُّ الدِّينِ.

وَقالَ: وَرَأَيْتُ عَلَى بَعْضِ نُسَخِ **الْمُحِيطِ** بُرْهَانَ الدِّينِ بِخَطِّ بَعْضِ الْفُضَلَاءِ.

وَمِنْهَا: كِتَابُ "**الْمَبْسُوطُ**"، وَهُوَ اثْنَانِ، أَحَدُهُمَا لِشَمْسِ الْأَئِمَّةِ السَّرَخْسِيِّ، وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ فِي عِلْمِ الْأُصُولِ. وَالْآخَرُ لِشَمْسِ الْأَئِمَّةِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ صَالِحٍ الْحَلْوَائِيِّ نِسْبَةً لِبَيْعِ الْحَلْوَى، إِمَامِ الْحَنَفِيَّةِ فِي وَقْتِهِ بِبُخَارَى.

تُوُفِّيَ سَنَةَ ثَمَانٍ، أَوْ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ بِكَشَّ[2]، وَدُفِنَ بِبُخَارَى.

تَفَقَّهَ عَلَى الْقَاضِي أَبِي الْحَسَنِ النَّسَفِيِّ، وَأَبِي الْفَضْلِ الزَّرَنْجَرِيِّ[3]، وَتَفَقَّهَ عَلَيْهِ الْأَزْرَقِيُّ، وَسَمِعَ مِنْهُ شَمْسُ الْأَئِمَّةِ السَّرَخْسِيُّ.

وَقِيلَ: تُوُفِّيَ سَنَةَ سِتٍّ، وَقِيلَ: اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ، وَالْأَصَحُّ سَنَةَ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ. نَقَلَهُ الذَّهَبِيُّ عَنْ خَطِّ شَيْخِهِ.

وَمِنْهَا: كِتَابُ "**الْبَدَائِعُ**"، [لِلْكَاشَانِيِّ][4]، وَهُوَ عَلَاءُ الدِّينِ مَلِكُ الْعُلَمَاءِ أَبُو بَكْرِ ابْنُ مَسْعُودِ بْنِ أَحْمَدَ الْكَاشَانِيُّ، صَاحِبُ كِتَابِ "**الْبَدَائِعُ**".

---

(1) ما بين معقوفين سقط من أنطاليا.

(2) كَشُّ: بالفتح ثم التشديد قرية من قرى أصبهان، ينسب إليها زمرة من العلماء الأعلام. معجم البلدان: 4/ 462.

(3) بكر بن محمد بن علي أبو الفضل الزَّرَنْجَري (ت. 512هـ)، نسبة إلى زَرَنْجَرى قرية من قرى بخارى ويقال لها أيضا: زرنكرى. الأنساب: 6/ 288، ومعجم البلدان: 3/ 138، والبداية والنهاية: 12/ 183.

(4) يكنى [الكاساني] في بعض المصادر كالجواهر المضية في طبقات الحنفية، وتاج التراجم.

تَفَقَّهَ عَلَى عَلَاءِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي أَحْمَدَ السَّمَرْقَنْدِيِّ، وَتَزَوَّجَ ابْنَتَهُ فَاطِمَةَ الْفَقِيهَةَ؛ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ شَرَحَ كِتَابَ "**التُّحْفَةُ**"[1] لِلسَّمَرْقَنْدِيِّ هَذَا، وَسَمَّاهُ "**الْبَدَائِعُ**"، وَجَعَلَهُ مَهْرَ ابْنَتِهِ، فَقَالَ فُقَهَاءُ الْعَصْرِ: شَرَحَ تُحْفَتَهُ، وَزَوَّجَهُ ابْنَتَهُ.

[يُحْكَى أَنَّ زَوْجَتَهُ وَوَالِدَهَا وَالْكَاشَانِيَّ كُلَّهُمْ يُفْتُونَ فِي عَصْرِهِ، وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ يُفْتِي فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ][2].

وَقَدْ جَاءَ رَسُولًا مِنْ صَاحِبِ الرُّومِ إِلَى نُورِ الدِّينِ الشَّهِيدِ، فَوَلَّاهُ تَدْرِيسَ الْحَلَاوِيَّةِ[3] عِوَضًا عَنِ الرَّضِيِّ السَّرَخْسِيِّ بَعْدَ وَفَاتِهِ، وَكَانَ لَهُ وَجَاهَةٌ، وَخِدْمَةٌ وَشَجَاعَةٌ.

حُكِيَ أَنَّهُ قَدِمَ دِمَشْقَ، فَحَضَرَ إِلَيْهِ الْفُقَهَاءُ، وَطَلَبُوا مِنْهُ الْكَلَامَ فِي مَسْأَلَةٍ خِلَافِيَّةٍ بَيْنَ الشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَفِيَّةِ، فَعَيَّنُوا مَسَائِلَ كَثِيرَةً، فَجَعَلَ يَقُولُ: ذَهَبَ إِلَيْهَا مِنْ أَصْحَابِنَا فُلَانٌ وَفُلَانٌ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى إِنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا مَسْأَلَةً إِلَّا وَقَدْ ذَهَبَ إِلَيْهَا وَاحِدٌ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَانْقَضَى الْمَجْلِسُ وَلَمْ يَتَكَلَّمُوا مَعَهُ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ خَمِيسٍ الْحَنفِيُّ: حَضَرْتُ الْكَاشَانِيَّ عِنْدَ مَوْتِهِ، فَشَرَعَ فِي قِرَاءَةِ سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ

---

(1) عنوان الكتاب: "تُحْفَةُ الْفُقَهَاءِ". وهو مطبوع.

(2) ما بين معقوفين سقط من قونية.

(3) المدرسة الحلاويَّة: من أجلِّ مدارس حلب ما زالت قائمة حتى وقت ابن العديم في القرن السابع من الهجرة، تعلو واحدا من جدرانها لوحة حجرية كتبها ابن العديم بخطه. بغية الطلب في تاريخ حلب: 3/ 1268.

الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾[1]، فَخَرَجَتْ رُوحُهُ عِنْدَ فَرَاغِهِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾، وَدُفِنَ دَاخِلَ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ بِظَاهِرِ حَلَبَ[2].

وَأَمَّا الْإِمَامُ عَلَاءُ الدِّينِ السَّمَرْقَنْدِيُّ، الَّذِي تَفَقَّهَ عَلَيْهِ الْكَاشَانِيُّ، وَتَزَوَّجَ ابْنَتَهُ، فَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي أَحْمَدَ الْإِمَامُ عَلَاءُ الدِّينِ أَبُو مَنْصُورٍ السَّمَرْقَنْدِيُّ، وَلَهُ كِتَابُ **"تُحْفَةُ الْفُقَهَاءِ"**، وَ**"الْأُصُولُ"**، وَغَيْرُهُ.

وَمِنَ الْفُقَهَاءِ فِي عَصْرِ الْكَاشَانِيِّ زَوْجَتُهُ **فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي أَحْمَدَ السَّمَرْقَنْدِيِّ مُؤَلِّفِ التُّحْفَةِ**، تَفَقَّهَتْ عَلَى أَبِيهَا، وَحَفِظَتِ **التُّحْفَةَ**، وَكَانَتْ تَنْقُلُ الْمَذْهَبَ نَقْلًا جَيِّدًا، وَكَانَتْ رُبَّمَا تَرُدُّ فَتْوَى زَوْجِهَا الْكَاشَانِيِّ، وَتُعَرِّفُهُ وَجْهَ الْخَطَإِ فَيَرْجِعُ إِلَى قَوْلِهَا، وَكانَ زَوْجُهَا يَحْتَرِمُهَا وَيُكْرِمُهَا، وَكانَتِ الْفَتْوَى أَوَّلًا يَخْرُجُ عَلَيْهَا خَطُّهَا وَخَطُّ أَبِيهَا السَّمَرْقَنْدِيِّ، ثُمَّ كَانَتْ تَخْرُجُ بِخَطِّهِمَا وَخَطِّ زَوْجِهَا الْكَاشَانِيِّ.

قَالَ دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ أَحَدُ فُقَهَاءِ الْحَلَاوِيَّةِ بِحَلَبَ: هِيَ الَّتِي سَنَّتِ الْفِطْرَ[3] فِي رَمَضَانَ لِلْفُقَهَاءِ بِالْحَلَاوِيَّةِ، كَانَ فِي يَدَيْهَا سِوَارَانِ، فَأَخْرَجَتْهُمَا وَبَاعَتْهُمَا، وَعَمِلَتْ بِالثَّمَنِ الْفَطُورَ كُلَّ لَيْلَةٍ، وَاسْتَمَرَّ عَلَى ذَلِكَ إِلَى الْيَوْمِ.

---

(1) سورة إبراهيم الآية: 27.

(2) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 2/ 244 ـ 245 ـ 246، وتاج التراجم: 328 ـ 329.

(3) سنة الفطر في رمضان ... لفاطمة الفقيهة فإنها، في أنطاليا سنت الفطر.

قَالَ ابْنُ الْعَدِيمِ: أَخْبَرَنِي الْفَقِيهُ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيُّ الْحَنَفِيُّ قالَ: كَانَ الْكَاشَانِيُّ عَزَمَ الْعَوْدَ[1] مِنْ حَلَبَ إلى بِلَادِهِ، فَإِنَّ زَوْجَتَهُ حَثَّتْهُ عَلَى ذَلِكَ، فَاسْتَدْعَى الْمَلِكُ الْعَادِلُ نُورُ الدِّينِ مَحْمُودُ الْكَاشَانِيَّ، وَسَأَلَهُ أَنْ يُقِيمَ بِحَلَبَ، فعَرَّفَهُ سَبَبَ السَّفَرِ، وَأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ أَنْ يُخَالِفَ زَوْجَتَهُ ابْنَةَ شَيْخِهِ، فَأَرْسَلَ الْمَلِكُ إِلَى زَوْجَتِهِ خَادِمًا، بِحَيْثُ لَا تَحْتَجِبُ مِنْهُ، وَيُخَاطِبُهَا عَنِ الْمَلِكِ فِي ذَلِكَ، فَلَمْ تَأْذَنْ لِلْخَادِمِ، وَأَرْسَلَتْ إِلَى زَوْجِهَا تَقُولُ لَهُ: بَعُدَ عَهْدُكَ بِالْفِقْهِ إِلَى هَذَا الْحَدِّ! أَمَا تَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَحِلُّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيَّ هَذَا الْخَادِمُ، وَأَيُّ فَرْقٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرِّجَالِ فِي جَوَازِ النَّظَرِ؟ فَعَادَ الْخَادِمُ، وَذَكَرَ ذَلِكَ لِزَوْجِهَا بِحَضْرَةِ الْمَلِكِ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهَا امْرَأَةً بِرِسَالَةِ الْمَلِكِ فَخَاطَبَتْهَا، وَأَجَابَتْهُ إِلَى ذَلِكَ، وَأَقَامَتْ بِحَلَبَ إِلَى أَنْ مَاتَتْ، ثُمَّ مَاتَ زَوْجُهَا الْكَاشَانِيُّ بَعْدَهَا، وَدُفِنَ عِنْدَهَا. كَذَا فِي **الْجَوَاهِرِ الْمُضِيَّةِ**[2].

وَمِنْهَا: **"الْأَحْكَامُ"**[3]، لِلْإِمَامِ الْعَلَّامَةِ أَبِي بَكْرٍ الرَّازِيِّ، الْمَشْهُورِ بَيْنَ الْأُصُولِيِّينَ بِالْجَصَّاصِ، وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ.

وَمِنْهَا: **"مُخْتَصَرُ الْإِمَامِ الطَّحَاوِيِّ"**، وَهُوَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامَةَ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ سَلِيمِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ حُبَابٍ الْأَزْدِيُّ الْحَجْرِيُّ الْمِصْرِيُّ الطَّحَاوِيُّ، أَبُو جَعْفَرٍ.

---

(1) على العود، في قونية.

(2) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 2/ 278 ـ 279.

(3) هو كتاب: " **أَحْكَامُ الْقُرْآنِ**"، للجصاص، وهو مطبوع.

وُلِدَ سَنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ، أَوْ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ[1] ومِئَتَيْنِ، وَمَاتَ سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِئَةٍ، صَحِبَ الْمُزَنِيَّ وَتَفَقَّهَ بِهِ، ثُمَّ تَرَكَ مَذْهَبَهُ، وَصَارَ حَنَفِيَّ الْمَذْهَبِ. تَفَقَّهَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي عِمْرَانَ مُوسَى بْنِ عِيسَى، وَخَرَجَ إِلَى الشَّامِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَمِئَتَيْنِ، فَلَقِيَ بِهَا أَبَا حَازِمٍ عَبْدَ الْحَمِيدِ ابْنَ جَعْفَرٍ فَتَفَقَّهَ عَلَيْهِ، وَسَمِعَ مِنْهُ.

قَالَ ابْنُ يُونُسَ: كَانَ فَقِيهًا عَارِفًا، لَمْ يُخْلَقْ[2] مِثْلُهُ.

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: كَانَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِسِيَرِ الْكُوفِيِّينَ وَأَخْبَارِهِمْ، مَعَ مُشَارَكَتِهِ فِي جَمِيعِ مَذَاهِبِ الْفُقَهَاءِ[3].

وَلَهُ: كِتَابُ "**أَحْكَامُ الْقُرْآنِ**"، يَزِيدُ عَلَى عِشْرِينَ جُزْءًا، وَكِتَابُ "**مَعَانِي الْآثَارِ**"، وَ"**بَيَانُ مُشْكِلِ الْآثَارِ**"، وَ"**الْمُخْتَصَرُ**" فِي الْفِقْهِ، وَ"**شَرْحُ الْجَامِعِ الْكَبِيرِ**"، وَ"**شَرْحُ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ**"، وَلَهُ "**كِتَابُ الشُّرُوطِ**"، صَغِيرٌ، وَكَبِيرٌ، وَأَوْسَطُ، وَلَهُ "**الْمَحَاضِرُ وَالسِّجِلَّاتُ**"، وَ"**الْوَصَايَا**"، وَ"**الْفَرَائِضُ**"، وَلَهُ: "**التَّارِيخُ الْكَبِيرُ**"، وَ"**مَنَاقِبُ أَبِي حَنِيفَةَ**"، وَلَهُ فِي **تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ**، أَلْفُ وَرَقَةٍ، وَلَهُ: "**النَّوَادِرُ الْفِقْهِيَّةُ**"، عَشَرَةُ أَجْزَاءٍ، وَ"**النَّوَادِرُ وَالْحِكَايَاتُ**" تُنَيِّفُ عَلَى

---

(1) أو تسع وعشرين، في الأزهرية.

(2) كتب بإزائها في نسخة أنطاليا: لعلها: لم يُخْلَفْ.

(3) تاج التراجم: 102.

عِشْرِينَ جُزْءًا، وَلَهُ "**كِتَابُ الْفُقَهَاءِ**"، وَ"**الْعَقِيدَةُ**"[1] الْمَشْهُورَةُ، وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْكُتُبِ وَالرَّسَائِلِ[2].

وَمِنْهَا: "**شَرْحُ مُخْتَصَرِ الطَّحَاوِيِّ**"، لِلْجَصَّاصِ، وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ.

وَشَرَحَ **هَذَا الْمُخْتَصَرَ** الْإِسْبِيجَابِيُّ، وَهُوَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ ابْنِ إِسْحَاقَ الْإِسْبِيجَابِيُّ شَيْخُ الْإِسْلَامِ السَّمَرْقَنْدِيُّ.

وُلِدَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ، تَفَقَّهَ عَلَيْهِ صَاحِبُ **الْهِدَايَةِ**، وَلَمْ يَكُنْ بِمَا وَرَاءَ النَّهْرِ فِي زَمَانِهِ مَنْ يَحْفَظُ الْمَذْهَبَ مِثْلُهُ، وَظَهَرَ لَهُ الْأَصْحَابُ. **تُوُفِّيَ** بِسَمَرْقَنْدَ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِئَةٍ[3].

وَمِنْهَا: "**الذَّخِيرَةُ**"، لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْبُخَارِيِّ الْمَعْرُوفِ بِأَبِي بَكْرٍ خُوَاهَرْ زَادَه[4].

وَقَالَ السَّمْعَانِيُّ: كَانَ إِمَامًا فَاضِلًا حَنَفِيًّا، وَلَهُ طَرِيقَةٌ حَسَنَةٌ مُفِيدَةٌ جَمَعَ فِيهَا مِنْ كُلِّ فَنٍّ، وَلَهُ كِتَابُ: "**الذَّخِيرَةُ**"، وَ"**الْمَبْسُوطُ**"، وَ"**الْإِيضَاحُ**".

تُوُفِّيَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ[5].

---

(1) تُسمى: "**العقيدة الطَّحاويَّة**"، وتعرف أيضا: بـ"**بيان اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة**"، وهي مطبوعة.

(2) تاج التراجم لابن قطلوبغا: 100 ـ 102.

(3) تاريخ الإسلام: 11/ 636.

(4) الأعلام: 6/ 100.

(5) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 2/ 49، وتاج التراجم: 259.

وَمِنْهَا: "أَدَبُ الْقَاضِي"، وَكِتَابُ "أَحْكَامُ الْوَقْفِ"، وَ"شَرْحُ الْوَاقِعَاتِ"، كُلُّهَا لِلْخَصَّافِ، وَهُوَ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو أَوْ عُمَرَ أَبُو بَكْرٍ الْخَصَّافُ الشَّيْبَانِيُّ.

حَدَّثَ عَنْ أَبِي عَاصِمٍ النَّبِيلِ، وَأَبِي دَاوُدَ الطَّيَالِسِيِّ، وَجَمَاعَةٍ.

وَكَانَ فَاضِلًا، فَارِضًا حَاسِبًا، عَارِفًا بِالْفِقْهِ، مُقَدَّمًا عِنْدَ الْخَلِيفَةِ الْمُهْتَدِي بِاللهِ، فَلَمَّا قُتِلَ الْمُهْتَدِي، نُهِبَتْ دَارُهُ، فَذَهَبَتْ كُتُبُهُ.

صَنَّفَ: كِتَابَ "الْحِيَلُ"، وَ"كِتَابُ الْوَصَايَا"، وَ"كِتَابُ الشُّرُوطِ"، كَبِيرٌ، وَصَغِيرٌ، وَ"كِتَابُ الرَّضَاعِ"، وَكِتَابَ "الْمَحَاضِرُ وَالسِّجِلَّاتُ"، وَكِتَابَ "النَّفَقَاتُ عَلَى الْأَقَارِبِ"، وَكِتَابَ "أَدَبُ الْقَاضِي"، وَكِتَابَ "إِقْرَارُ الْوَرَثَةِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ"، وَكِتَابَ "أَحْكَامُ الْوَقْفِ"، وَ"كِتَابُ الْخَرَاجِ". وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْكُتُبِ النَّافِعَةِ الْمُفِيدَةِ.

وَذُكِرَ أَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ كَسْبِ يَدِهِ. مَاتَ بِبَغْدَادَ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَمِئَتَيْنِ[1].

وَمِنْهَا: "شَرْحُ أَدَبِ الْقَاضِي لِلْخَصَّافِ"، تَصْنِيفُ بُرْهَانِ الْأَئِمَّةِ، الْمَشْهُورِ بِالْحُسَامِ الشَّهِيدِ، وَهُوَ [عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمَعْرُوفُ بِالْحُسَامِ][2] الشَّهِيدِ، تَفَقَّهَ عَلَى أَبِيهِ، وَصَنَّفَ "الْفَتَاوَى الصُّغْرَى"، وَ"الْفَتَاوَى الْكُبْرَى"، وَ"الْجَامِعُ الصَّغِيرُ"، وَهُوَ أُسْتَاذُ صَاحِبِ الْمُحِيطِ.

وُلِدَ فِي صَفَرٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ.

(1) نقل من تاج التراجم: 98.

(2) ما بين معقوفين سقط من أنطاليا.

وَمِنْ مُصَنَّفَاتِهِ: "**الْمَبْسُوطُ**" فِي الْخِلَافِيَّاتِ[1].

وَمِنْهَا: "**عُيُونُ الْمَسَائِلِ**"، وَ"**الْوَاقِعَاتُ وَالنَّوَازِلُ**"، وَ"**خِزَانَةُ الْأَكْمَلِ**"، كُلُّهَا لِلْفَقِيهِ أَبِي اللَّيْثِ، وَهُوَ نَصْرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ السَّمَرْقَنْدِيُّ، إِمَامُ الْهُدَى.

لَهُ: "**تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ**"[2]، وَ"**كِتَابُ النَّوَازِلِ**" فِي الْفِقْهِ، وَ"**خِزَانَةُ الْأَكْمَلِ**"، وَ"**تَنْبِيهُ الْغَافِلِينَ وَبُسْتَانُ الْعَارِفِينَ**"، وَ"**تَأْسِيسُ النَّظَائِرِ**"، وَ"**مُقَدِّمَةُ الصَّلَاةِ الْمَشْهُورَةِ**".

تُوُفِّيَ لَيْلَةَ الثُّلَاثَاءِ لِإِحْدَى عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِئَةٍ، وَتَفَقَّهَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ الْهِنْدُوَانِيِّ[3].

وَمِنْهَا: كِتَابُ "**خُلَاصَةُ الْفَتَاوَى**"، لِلشَّيْخِ الْإِمَامِ طَاهِرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الرَّشِيدِ الْبُخَارِيِّ، وَلَهُ كِتَابُ "**الْوَاقِعَاتُ**" أَيْضًا.

وَمِنْهَا: كِتَابُ "**تَتِمَّةُ الْفَتَاوَى**"، لِأَبِي الْمَعَالِي، وَهُوَ مَحْمُودُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، أَبُو الْمَعَالِي، لَهُ كِتَابُ "**تَتِمَّةُ الْفَتَاوَى**".

قَالَ قَاسِمُ بْنُ قُطْلُوبُغَا: هَكَذَا فِي النُّسَخِ الَّتِي بِأَيْدِينَا. وَذَكَرَهُ عَبْدُ الْقَادِرِ[4]

---

(1) تاج التراجم: 217.

(2) يُسمى: "**بَحْرُ الْعُلُومِ**" أو "**تَفْسِيرُ السَّمَرْقَنْدِي**"، وهو مطبوع.

(3) أبو جعفر محمد بن عبد الله بن محمد بن عمر البلخي الهِنْدُوَانِيُّ (ت.362هـ)، يُنسب لمحلة ببلخ يقال لها: باب هِنْدُوَان، ينزل فيها الغلمان والجواري التي تجلب من الهند. الأنساب للسمعاني: 13/ 432.

(4) محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله ابن سالم بن أبى الوفاء القرشي الحنفي (ت. 775هـ)، صاحب: "**الجواهر المضية فى طبقات الحنفية**"، ويقصد بالمحمدين أنه ذكره فيمن اسمه محمد.

فِي الْمُحَمَّدِينَ. وَلَهُ كِتَابُ "**نِصَابُ الْفُقَهَاءِ**"، فِي الْفَتَاوَى[1].

وَمِنْهَا: "**فَتَاوَى قَاضِي خَانَ**"، وَهُوَ فَخْرُ الدِّينِ أَبُو الْمَفَاخِرِ، أَوْ أَبُو الْمَحَاسِنِ، الْحَسَنُ بْنُ مَنْصُورِ بْنِ مَحْمُودِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْأُوزْجَنْدِيُّ الْفَرْغَانِيُّ الْمَشْهُورُ بِقَاضِي خَانَ. **وأُوزْجَنْدُ**[2]: مَدِينَةٌ بِنَوَاحِي أَصْبَهَانَ بِقُرْبِ فَرْغَانَةَ.

تَفَقَّهَ عَلَى أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي نَصْرٍ الصَّفَّارِيِّ، وَظَهِيرِ الدِّينِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمَرْغِينَانِيِّ، وَغَيْرِهِمَا.

وَلَهُ: "**الْفَتَاوَى**"، فِي أَرْبَعَةِ أَسْفَارٍ، وَ"**شَرْحُ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ**"، وَ"**شَرْحُ الزِّيَادَاتِ**" وَسَمَّاهُ: "**الْمُلْتَقَطُ**"، وَ"**شَرْحُ أَدَبِ الْقَاضِي لِلْخَصَّافِ**".

تُوُفِّيَ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِئَةٍ[3].

وَمِنْهَا: "**الْفَتَاوَى الْكُبْرَى**"، لِلْخَاصِّيِّ، وَهُوَ يُوسُفُ بْنُ أَحْمَدَ أَبِي بَكْرٍ الْخُوَارَزْمِيُّ، نَجْمُ الدِّينِ جَمَالُ الْأَئِمَّةِ الْخَاصِّيُّ. تَفَقَّهَ عَلَى أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، وَجَمَعَ **الْفَتَاوَى الْكُبْرَى**[4].

وَمِنْهَا: "**فَتَاوَى الْإِمَامِ ظَهِيرِ الدِّينِ**"، وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ ظَهِيرُ الدِّينِ الْبُخَارِيُّ.

مَاتَ سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ وَسِتِّمِئَةٍ.

---

(1) تاج التراجم: 288.

(2) أوزجند: ويقال أوزكند، بلد بما وراء النهر من نواحي فرغانة. معجم البلدان: 1/ 280.

(3) تاج التراجم: 151.

(4) المصدر نفسه: 319 ـ 320، لم يذكر تاريخ وفاته.

وَلَهُ: "**فَوَائِدُ عَلَى الْجَامِعِ الصَّغِيرِ لِلْحُسَامِ**"(1). وَقِيلَ: **هُوَ الْإِمَامُ ظَهِيرُ** الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمَرْغِينَانِيُّ، وَهُوَ أُسْتَاذُ الْإِمَامِ قَاضِي خَانَ.

تُوُفِّيَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ تَاسِعِ رَجَبٍ سَنَةَ سِتٍّ وَخَمْسِمِئَةٍ.

وَمِنْهَا: "**الْقُنْيَةُ**"(2)، لِنَجْمِ الدِّينِ مُخْتَارِ بْنِ مَحْمُودٍ الزَّاهِدِيِّ، أَبِي الرَّجَاءِ الْغَزْمِينِيِّ. **وَغَزْمِينُ**: بِمُعْجَمَتَيْنِ قَصَبَةٌ مِنْ قَصَبَاتِ خُوَارَزْمَ.

لَهُ: كِتَابُ "**الْقُنْيَةُ**"، وَ"**شَرْحُ الْقُدُورِيِّ**"(3)، وَ"**الرِّسَالَةُ النَّاصِرِيَّةُ**"، صَنَّفَهَا لِبَرَكَتِ خَانَ.

تُوُفِّيَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِئَةٍ.

تَفَقَّهَ عَلَى سَدِيدِ الْخَيَّاطِيِّ، وَبُرْهَانِ الْأَئِمَّةِ، وَغَيْرِهِمَا، وَقَرَأَ الْكَلَامَ عَلَى يُوسُفَ السَّكَّاكِيِّ، وَقَرَأَ الْحُرُوفَ وَالرِّوَايَاتِ عَلَى الشَّيْخِ رَشِيدِ الدِّينِ الْفِنْدِيِّ، وَأَخَذَ الْأَدَبَ عَنْ شَرَفِ الْأَفَاضِلِ.

وَلَهُ مِنَ الْمُصَنَّفَاتِ غَيْرَ مَا ذُكِرَ: كِتَابُ "**زَادُ الْأَئِمَّةِ**"، وَكِتَابُ "**الْمُجْتَبَى فِي الْأُصُولِ**"، وَ"**الْفَرَائِضُ**"، وَغَيْرُ ذَلِكَ(4).

وَلَكِنْ كَانَ عَلَى مَذْهَبِ الِاعْتِزَالِ، وَلِهَذَا لَا يُعْتَمَدُ عَلَى فَتْوَاهُ.

وَمِنْهَا: "**خِزَانَةُ الْأَكْمَلِ**"، لِأَبِي اللَّيْثِ السَّمَرْقَنْدِيِّ. وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ.

---

(1) تاج التراجم: 232-233.

(2) يسمى: "**قنية الفتاوى**".

(3) عنوانه: "**المجتبى شرح مختصر القدوري**"، وهو مطبوع.

(4) تاريخ الإسلام: 14/ 901، وتاج التراجم: 296.

وَمِنْهَا: "**مُنْيَةُ الْمُفْتِي**"، لِلسِّجِسْتَانِيِّ، وَهُوَ يُوسُفُ بْنُ أَبِي سَعْدِ بْنِ أَحْمَدَ السِّجِسْتَانِيُّ، لَهُ تَلْخِيصُ الْوَاقِعَاتِ الْمُسَمَّى **بِمُنْيَةِ الْمُفْتِي**(1).

وَمِنْهَا: "**الرَّوْضَةُ**"، لِلنَّاطِفِيِّ، وَهُوَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ النَّاطِفِيُّ، وَهُوَ نِسْبَةٌ إِلَى عَمَلِ النَّاطِفِ(2) وَبَيْعِهِ، كَانَ أَحَدَ الْفُقَهَاءِ الْكِبَارِ.

لَهُ: كِتَابُ "**الأَجْنَاسُ وَالْفُرُوقُ**"، وَ"**الرَّوْضَةُ**"، وَ"**الْوَاقِعَاتُ**"، فِي مُجَلَّدَاتٍ.

تُوُفِّيَ بِالرَّيِّ سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ(3).

وَمِنْهَا: "**مُخْتَصَرُ الْقُدُورِيِّ**"، وَهُوَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ حَمْدَانَ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْقُدُورِيُّ الْبَغْدَادِيُّ، **صَاحِبُ الْمُخْتَصَرِ**.

وُلِدَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِئَةٍ، وَتَفَقَّهَ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الْجُرْجَانِيِّ، وَرَوَى الْحَدِيثَ، وَكَانَ صَدُوقًا، وَانْتَهَتْ إِلَيْهِ رِئَاسَةُ الْحَنَفِيَّةِ بِالْعِرَاقِ، وَعَظُمَ عِنْدَهُمْ قَدْرُهُ، وَارْتَفَعَ جَاهُهُ، وَكَانَ حَسَنَ الْعِبَارَةِ فِي النَّظَرِ، جَرِيءَ اللِّسَانِ، مُدِيمًا لِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ.

صَنَّفَ: "**الْمُخْتَصَرُ**"، وَ"**شَرْحُ مُخْتَصَرِ الْكَرْخِيِّ**"، وَصَنَّفَ "**التَّجْرِيدُ**"، فِي سَبْعَةِ أَسْفَارٍ، يَشْتَمِلُ عَلَى الْخِلَافِ بَيْنَ الشَّافِعِيِّ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ، شَرَعَ فِي إِمْلَائِهِ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِمِئَةٍ، وَكِتَابَ "**التَّقْرِيبُ فِي مَسَائِلِ الْخِلَافِ**

---

(1) تاج التراجم: 319، لم يذكر تاريخ وفاته.

(2) الناطف: القُبَّيطُ لأنه يتنطف قبل استضرابه أي يقطر قبل خثوره، وقيل الناطف: الخمر. اللسان/ نطف.

(3) تاج التراجم: 102.

بَيْنَ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ"، مُجَرَّدًا عَنِ الدَّلَائِلِ، ثُمَّ صَنَّفَ "**التَّقْرِيبُ الثَّانِي**"، فَذَكَرَ الْمَسَائِلَ بِأَدِلَّتِهَا.

مَاتَ بِبَغْدَادَ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ مُنْتَصَفَ رَجَبٍ أَوْ خَامِسَ رَجَبٍ سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ.

رَوَى عَنْهُ الْخَطِيبُ وَقَالَ: كَانَ صَدُوقًا. وَكَانَ يُنَاظِرُ الشَّيْخَ أَبَا حَامِدٍ الْأَسْفَرَايِينِيَّ، وَلَمْ يُعْرَفْ سَبَبُ نِسْبَتِهِ إِلَى الْقُدُورِ[1]. **وَقِيلَ**: الْقُدُورِيُّ نِسْبَةً إِلَى بَيْعِ الْقُدُورِ، الَّتِي هِيَ جَمْعُ قِدْرٍ، أَوْ إِلَى عَمَلِهَا. **وَقِيلَ**: الْقُدُورُ اسْمُ قَرْيَةٍ، وَفِيهِ نَظَرٌ. كَذَا فِي "**شَرْحِ دُرَرِ الْبِحَارِ لِلرُّهَاوِيِّ**"[2].

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا **الْمُخْتَصَرَ** مِمَّا تَبَرَّكَ بِهِ الْعُلَمَاءُ، حَتَّى جَرَّبُوا قِرَاءَتَهُ أَوْقَاتَ الشَّدَائِدِ، وَأَيَّامَ الطَّاعُونِ.

وَاعْتَنَى الْفُقَهَاءُ بِشَرْحِهِ، مِثْلَ: **شَرْحِ الزَّاهِدِي**، صَاحِبِ **الْقُنْيَةِ**. وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ.

وَمِثْلَ: **شَرْحِ الْأَقْطَعِ**، وَهُوَ أَبُو نَصْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ.

دَرَسَ الْفِقْهَ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ الْقُدُورِيِّ حَتَّى بَرَعَ فِيهِ، وَقَرَأَ الْحِسَابَ حَتَّى أَتْقَنَهُ، وَشَرَحَ **مُخْتَصَرَ الْقُدُورِيِّ**، وَمَالَ إِلَى حَدَثٍ، فَظَهَرَ عَلَى الْحَدَثِ سَرِقَةٌ، فَاتُّهِمَ بِأَنَّهُ شَارَكَهُ فِيهَا، فَقُطِعَتْ يَدُهُ الْيُسْرَى. وَحَكَى الصَّفَدِيُّ فِي **الْوَفَيَاتِ**: أَنَّ

---

(1) تاريخ بغداد: 6/ 31، وتاريخ الإسلام: 9/ 434.

(2) "**شَرْحُ دُرَرِ الْبِحَارِ لِلرُّهَاوِيِّ**" لبدر الدين العيني، وأما "**دُرَرُ الْبِحَارِ**" للحسام الرُّهاوي، فيسمى: "**الْبِحَارُ الزَّاخِرَةُ فِي الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ**"، وهو نظم لمجمع البحرين.

يَدَهُ قُطِعَتْ فِي حَرْبٍ كَانَتْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالتَّتَارِ. وَهَذَا الِاحْتِمَالُ أَقْرَبُ وَأَبْعَدُ مِنَ التُّهْمَةِ لِلْمُسْلِمِ بِمُجَرَّدِ خَبَرٍ لَا يُفِيدُ الظَّنَّ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

مَاتَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ[1].

وَمِنْهَا: **"الْمُخْتَارُ"**، وَهُوَ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ مَحْمُودِ بْنِ مَوْدُودِ بْنِ مَحْمُودٍ، حُجَّةِ الدِّينِ، أَبِي الْفَضْلِ الْمَوْصِلِيِّ.

وُلِدَ بِالْمَوْصِلِ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِئَةٍ، وَحَدَّثَ عَنِ ابْنِ طَبَرْزَدَ[2]، وَكَانَ فَقِيهًا عَارِفًا بِالْمَذْهَبِ، وَلِيَ الْقَضَاءَ بِالْكُوفَةِ، ثُمَّ عُزِلَ وَرَجَعَ إِلَى بَغْدَادَ، وَدَرَّسَ فِي مَشْهَدِ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ، وَأَفْتَى حَتَّى **مَاتَ** سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَسِتِّمِئَةٍ.

وَلَهُ: كِتَابُ **"الْمُخْتَارُ لِلْفَتْوَى"**، وَكِتَابُ **"الِاخْتِيَارُ لِتَعْلِيلِ الْمُخْتَارِ"**، وَغَيْرُ ذَلِكَ[3].

وَمِنْهَا: كِتَابُ **"كَنْزُ الدَّقَائِقِ"**، لِصَاحِبِ الْمَنَارِ، وَكِتَابُ **"الْوَافِي"**، مَعَ شَرْحِهِ **"الْكَافِي"**، وَهُمَا أَيْضًا لَهُ، وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ.

وَلَهُ: **شَرْحٌ لِلْإِمَامِ فَخْرِ الدِّينِ الزَّيْلَعِيِّ**، وَهُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مِحْجَنِ بْنِ مُوسِرٍ، فَخْرُ الدِّينِ أَبُو عُمَرَ الزَّيْلَعِيُّ الصُّوفِيُّ الْبَارِعِيُّ.

---

(1) تاج التراجم: 104.

(2) أبو حفص عمر بن محمد بن الْمُعَمَّرِ يعرف بابن طَبَرْزَد البغداديُّ، الدَّارَقَزِيُّ، المسند الكبير، (ت. 607 هـ). تاريخ إربل لابن المستوفي (ت. 637هـ): 1/ 159.

(3) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 1/ 291، وتاج التراجم: 176.

قَدِمَ الْقَاهِرَةَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِمِئَةٍ، فَدَرَّس وَأَفْتَى، وَكانَ مَشْهُورًا بِمَعْرِفَةِ الْفِقْهِ وَالنَّحْوِ وَالْفَرَائِضِ.

شَرَحَ كِتَابَ **"كَنْزُ الدَّقَائِقِ"**[1]، فِي عِدَّةِ مُجَلَّدَاتٍ، فَأَجَادَ وَأَفَادَ، وَحَرَّرَ وَانْتَقَدَ، وَصَحَّحَ مَا اعْتُمِدَ.

وَتُوُفِّيَ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ ثَلاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِئَةٍ[2].

وَمِنْهَا: كِتَابُ **"مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ"**، لِابْنِ السَّاعَاتِيِّ. وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ.

وَعَلَيْهِ شُرُوحٌ مُفِيدَةٌ، وَمِنْهَا:

"دُرَرُ الْبِحَارِ"، نَظْمُ **"مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ"**، وَزَادَ عَلَيْهِ زِيَادَاتٍ كَثِيرَةً فِي الْمَسَائِلِ وَالرُّمُوزِ الدَّالَّةِ عَلَى الْخِلَافِيَّاتِ، نَظَمَهُ عَلَى بَحْرِ **الشَّاطِبِيَّةِ** فِي الْقِرَاءَاتِ، وَعَلَى رَوِيِّهَا وَقَافِيَتِهَا، وَذَلِكَ لِلشَّيْخِ الْعَالِمِ الْعَلَّامَةِ أَبِي الْمَحَاسِنِ حُسَامِ الدِّينِ الشَّهِيرِ بِالرُّهَاوِيِّ.

وَ**شَرَحَ** هَذَا الْكِتَابَ مِنْ تَلَامِذَةِ مُصَنِّفِهِ **مُحَمَّدُ بْنُ مَحْمُودِ بْنِ أَحْمَدَ الْعَنْتَبِيُّ**، وَلَمْ أَقِفْ مِنْ أَحْوَالِ الْمُصَنِّفِ وَالشَّارِحِ غَيْرَ اسْمِهِمَا رَحِمَهُمَا اللهُ تَعَالَى.

وَمِنْهَا: **"الْوِقَايَةُ"**، لِتَاجِ الشَّرِيعَةِ، **وَشَرْحُهُ**[3] لِسِبْطِهِ صَدْرِ الشَّرِيعَةِ، وَ**"مُخْتَصَرُ الْوِقَايَةِ"**، لِصَدْرِ الشَّرِيعَةِ، وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُمَا.

---

(1) عنوان الشرح هو: **"تبيين الحقائق في شرح كنز الدقائق"** يتألف من ست مجلدات، وهو مطبوع.

(2) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 1/ 345، وتاج التراجم: 204.

(3) يُعْرَفُ بـ **"شرح الوقاية"**، وسماه بعض المعاصرين: **"حلُّ المواضع المغلقة من الوقاية"**، صدر الشريعة، عُبيد الله بن مسعود المحبوبي الحنفي (ت. 747 هـ).

وَمِنَ الْكُتُبِ الْمُعْتَبَرَةِ:

الشُّرُوحُ السَّبْعَةُ لِلْجَامِعِ الصَّغِيرِ، لِأَبِي اللَّيْثِ السَّمَرْقَنْدِيِّ، وَلِقَاضِي خَان، وَلِلْحُسَامِيِّ[1]، وَلِلْبُرْهَانِيِّ، وَلِلصَّدْرِ الشَّهِيدِ، وَلِلْعَتَّابِيِّ، وَلِلتُّمُرْتَاشِيِّ، وَقَدْ ذُكِرَ أَكْثَرُ هَؤُلَاءِ.

وَمِنْهَا: "الْمُنْتَقَى"، لِلْحَاكِمِ الشَّهِيدِ[2]، **وَ"الْمُنْتَقَى"** لِلْحَاكِمِ الْجَلِيلِ[3].

وَمِنْهَا: "فَتَاوَى الرُّسْتُفَغْنِيِّ"، وَهُوَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ سَعِيدٍ، مِنْ رُسْتُفَغْنَ، إِحْدَى قُرَى سَمَرْقَنْدَ، مِنْ أَصْحَابِ أَبِي مَنْصُورٍ الْمَاتُرِيدِيِّ[4].

لَهُ: كِتَابُ **"إِرْشَادُ الْمُبْتَدِئِ"**، وَكِتَابُ **"الزَّوَائِدُ وَالْفَرَائِدُ فِي أَنْوَاعِ الْعُلُومِ"**.

وَمِنْهَا: "فَتَاوَى أَبِي جَعْفَرٍ الْبَلْخِيِّ"[5].

وَمِنْهَا: "فَتَاوَى بَهَاءِ الدِّينِ الْإِسْبِيجَابِيِّ"، وَهُوَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْإِسْبِيجَابِيُّ شَيْخُ الْإِسْلَامِ السَّمَرْقَنْدِيُّ.

---

(1) حسامُ الدِّين عليُّ بْنُ أحمدَ الرَّازِيُّ ابْنُ مَكِّي (ت.598هـ)، له: **"شرح الجامع الصغير"**.

(2) الحاكم الشهيد محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن عبد المجيد بن إسماعيل المعروف بالوزير عالم مرو (ت.334هـ). الأنساب: 8/ 187، والجواهر المضية في طبقات الحنفية: 2/ 367، وتاج التراجم: 272 ـ 273.

(3) لعله وقع للمؤلف هنا خلط أو سهو فالحاكم الشهيد الأول هو نفسه الحاكم الجليل الثاني، ويسمى في المصادر: الحاكم الجليل الشهيد.

(4) وردت بعض أخبار الرُّسْتُفَغْنِي في الأنساب: 6/ 117.

(5) محمد بن عبد الله بن محمد أبو جعفر البلخي الحنفي الهِنْدُوَانِي أبو حنيفة الصغير (ت.362هـ). تاريخ الإسلام: 8/ 207.

وُلِدَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ السَّابِعِ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ، تَفَقَّهَ عَلَيْهِ صَاحِبُ "**الْهِدَايَة**"، وَلَمْ يَكُنْ بِمَا وَرَاءَ النَّهْرِ فِي زَمَانِهِ مَنْ يَحْفَظُ الْمَذْهَبَ مِثْلُهُ، فَظَهَرَ لَهُ الْأَصْحَابُ، وَعُمِّرَ فِي نَشْرِ الْعِلْمِ، وَسَمَاعِ الْحَدِيثِ.

تُوُفِّيَ بِسَمَرْقَنْدَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِئَةٍ، وَلَهُ "**شَرْحُ مُخْتَصَرِ الطَّحَاوِيِّ**"[1].

وَمِنْهَا: "**فَتَاوَى حُسَامِ الدِّينِ الرَّازِيِّ**"، وَهُوَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ بَكْرٍ، قَدِمَ دِمَشْقَ وَسَكَنَهَا، وَكَانَ يُفْتِي عَلَى مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ، وَيُنَاظِرُ فِي مَسَائِلِ الْخِلَافِ، وَمَا أَظُنُّهُ حَدَّثَ.

وَكَانَ فَقِيهًا فَاضِلًا. لَهُ تَصَانِيفُ مِنْهَا: "**خُلَاصَةُ الدَّلَائِلِ**"[2] فِي شَرْحِ الْقُدُورِيِّ، وَ"**سَلْوَةُ الْهُمُومِ**".

وَتُوُفِّيَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِئَةٍ بِدِمَشْقَ[3].

وَمِنْهَا: "**فَتَاوَى شَمْسِ الْأَئِمَّةِ الْحَلْوَائِيِّ**"، نِسْبَةً إِلَى بَيْعِ الْحَلْوَاءِ. وَهُوَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ صَالِحٍ، إِمَامُ الْحَنَفِيَّةِ فِي وَقْتِهِ بِبُخَارَى. وَقَدْ مَرَّتْ بَقِيَّةُ أَوْصَافِهِ.

وَمِنْهَا: "**فَتَاوَى أَبِي الْفَضْلِ الْكَرْمَانِيِّ**"، وَهُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَمِيرَوَيْه بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، أَبُو الْفَضْلِ رُكْنُ الدِّينِ الْكَرْمَانِيُّ.

---

(1) تاج التراجم: 213.

(2) سماه حاجي خليفة في كشف الظنون: 2/ 1631 : "**خلاصة الدلائل في تنقيح المسائل**".

(3) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 1/ 353، وتاج التراجم: 207ـ 208 ، وفيهما (بن مكي).

وُلِدَ بِكَرْمَانَ[1] فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ، وَقَدِمَ مَرْوَ، فَتَفَقَّهَ وَبَرَعَ حَتَّى صَارَ إِمَامَ الْحَنَفِيَّةِ بِخُرَاسَانَ.

وَلَهُ: **كِتَابُ "شَرْحُ الْجَامِعِ الْكَبِيرِ"**، وَكِتَابُ **"التَّجْرِيدِ"**[2] وَشَرَحَهُ بِكِتَابٍ سَمَّاهُ **"الْإِيضَاحُ"**.

وَمَاتَ بِمَرْوَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِئَةٍ[3].

وَمِنْهَا: **"النَّافِعُ"**، لقَاسِمِ بْنِ يُوسُفَ الْمَدَنِيِّ[4].

لَهُ: كِتَابُ **"النَّافِعُ"** فِي الْفِقْهِ، قَرَأَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَشَرَحُوهُ. وَكِتَابُ **"مَصَابِيحُ السُّبُلِ"** فِي الْفِقْهِ، وَ**"كِتَابٌ فِي الْوَعْظِ"**، **وَكِتَابٌ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ**.

وَمِنْ شُرُوحِهِ: **"الْمُسْتَصْفَى"**[5]، وَ**"الْمنافِعُ"**[6].

وَمِنْهَا: كِتَابُ **"الْمَنْظُومَةُ فِي الْخِلَافِيَّاتِ"**، لِلشَّيْخِ الْإِمَامِ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ النَّسَفِيِّ، وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ فِي عِلْمِ اللُّغَةِ.

---

(1) كرمان: بالفتح ثم السكون، وربما كسرت الكاف والفتح أشهر بالصحة، وهي ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة. الأنساب: 11/ 85، ومعجم البلدان: 4/ 454.

(2) عنوانه هو: **"التجريد الركني في الفروع"** كشف الظنون: 1/ 345.

(3) تاج التراجم: 184.

(4) كذا في النسخ الخطية، والصواب: أبو القاسم محمد بن يوسف. كشف الظنون: 2/ 1961.

(5) عنوانه: **"الْمُسْتَصْفَى شَرْحِ النَّافِعِ الْمُسْتَوْفَى"**، لأبي الْبَرَكَاتِ عبدِ الله بْنِ أحمدَ النَّسَفِيِّ (ت. 710هـ).

(6) تاج التراجم: 229-230. -عنوانه: " **"الْمَنَافِعُ فِي شَرْحِ النَّافِعِ"**، لأبي الْبَرَكَاتِ عبدِ الله بْنِ أحمدَ النَّسَفِيِّ (ت. 710هـ).

وَمِنْ شُرُوحِ الْمَنْظُومَةِ: "**الْمُصَفَّى**"، وَقَدْ صَنَّفَهُ مُصَنِّفُ "**الْمُسْتَصْفَى فِي شَرْحِ النَّافِعِ**"، وَهُوَ أَبُو الْبَرَكَاتِ حَافِظُ الدِّينِ النَّسَفِيُّ، صَاحِبُ "**الْوَافِي**"، وَشَرْحُهُ "**الْكَافِي**" في الْفِقْهِ. وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ فِي عِلْمِ الْأُصُولِ.

وَمِنْ شُرُوحِهِ النَّافِعَةِ: "**الْحَقَائِقُ**"[1]، وَلَهُ **شَرْحٌ لِخَطَّابِ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ الْقره حصَارِي**[2]، جَعَلَهُ فِي مُجَلَّدَيْنِ، فَرَغَ مِنْهُ فِي صَفَرٍ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ وَسَبْعِمِئَةٍ، وَكَانَ وَرَدَ دِمَشْقَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بِلَادِهِ[3].

وَمِنْهَا: كِتَابُ "**الْمُقَدِّمَةُ الْغَزْنَوِيَّةُ**"، لِلشَّيْخِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَحْمُودِ بْنِ سَعِيدٍ الْغَزْنَوِيِّ الْحَنَفِيِّ، تَفَقَّهَ عَلَى أَحْمَدَ بْنِ يُوسُفَ الْحُسَيْنِيِّ، وَتَفَقَّهَ بِهِ جَمَاعَةٌ.

وَصَنَّفَ: كِتَابَ "**رَوْضَةُ اخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ**"، وَ"**مُقَدِّمَةٌ فِي الْفِقْهِ**"، عُرِفَتْ بِالْغَزْنَوِيَّةِ، **وَكِتَابًا فِي أُصُولِ الْفِقْهِ**[4]، وَكِتَابَ "**رَوْضَةُ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي أُصُولِ الدِّينِ**"، وَكِتَابَ "**الْمُنْتَقَى مِنْ رَوْضَةِ الْمُتَكَلِّمِينَ**".

مَاتَ بِحَلَبَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِئَةٍ، وَكَانَ الْغَزْنَوِيُّ مُعِيدَ دَرْسِ الْكَاشَانِيِّ صَاحِبِ "**الْبَدَائِعُ**"[5].

---

(1) عنوانه: "**حقائق المنظومة في شرح المنظومة**"، لمحمود بن محمد بن داود الإفسنجي اللؤلؤي البخاري.

(2) خطاب بن أبي القاسم القره حصاري الرومي العثماني الفقيه الحنفي الأصولي (ت. في حدود 730هـ). ترجمته في الشقائق النعمانية: 7، والجواهر المضية: 1/ 230، والفوائد البهية: 70.

(3) الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية: 7.

(4) يسمى: "**كتاب أصول الدين**" لأَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَحْمُودِ بْنِ سَعِيدٍ الْغَزْنَوِيِّ (ت. 593هـ). والكتاب مطبوع.

(5) تاج التراجم: 104.

وَمِنَ الْمَشَايِخِ الَّذِينَ تَشَرَّفَ الْمَذْهَبُ بِهِ:

جَلَالُ الدِّينِ الْقُونَوِيُّ، وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ قَاسِمِ بْنِ مُسَيَّبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ بْنِ أَبِي قُحافَةَ التَّيْمِيِّ، رِضْوَانُ اللهِ تَعَالى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ الْمَعْرُوفُ بِمَوْلَانَا جَلَالِ الدِّينِ الْقُونَوِيِّ.

كَانَ عَالِمًا بِالْمَذاهِبِ، وَاسِعَ الْفِقْهِ، عَالِمًا بِالْخِلَافِ وَأَنْوَاعِ الْعُلُومِ، قَصَدَهُ الشَّيْخُ قُطْبُ الدِّينِ الشِّيرَازِيُّ، الْإِمَامُ الْمَشْهُورُ، صَاحِبُ **"شَرْحُ مُقَدِّمَةِ ابْنِ الْحَاجِبِ"**، وَ**"الْمِفْتَاحُ"**؛ لِلسَّكَّاكِيِّ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ، وَجَلَسَ عِنْدَهُ، سَكتَ زَمَانًا وَالشَّيْخُ لَا يُكَلِّمُهُ.

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ ذَكَرَ لَهُ حِكَايَةً: قالَ مَوْلَانَا جَلَالُ الدِّينِ: كَانَ الصَّدْرُ جِهَانُ - عَالِمُ بُخَارَى - يَخْرُجُ مِنْ مَدْرَسَتِهِ وَيَتَوَجَّهُ إِلَى بُسْتَانٍ، فَيَمُرُّ بِفَقِيرٍ عَلَى الطَّرِيقِ فِي مَسْجِدٍ، فَيَسْأَلُهُ، فَلَمْ يَتَّفِقْ أَنَّهُ يُعْطِيهِ شَيْئًا، ثُمَّ بَعْدَ مُدَّةٍ احْتَالَ الْفَقِيرُ، وَأَلْقَى أَصْحَابُهُ عَلَيْهِ ثَوْبًا، وَأَظْهَرُوا أَنَّهُ مَيِّتٌ، فَدَفَعَ لَهُ شَيْئًا مِنَ الدَّرَاهِمِ، ثُمَّ نَهَضَ الْفَقِيرُ، وَأَلْقَى الثَّوْبَ عَنْهُ، فَقالَ لَهُ الصَّدْرُ جِهَانُ: لَوْ لَمْ تَمُتْ مَا أَعْطَيْتُكَ شَيْئًا، فَلَمَّا فَرَغَ مَوْلَانَا جَلَالُ الدِّينِ مِنَ الْحِكَايَةِ، خَرَّ الشَّيْخُ قُطْبُ الدِّينِ عَلَى وَجْهِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ الشَّيْخَ جَلَالَ الدِّينِ فَهِمَ عَنِ الشَّيْخِ قُطْبِ الدِّينِ أَنَّهُ جَاءَ مُمْتَحِنًا لَهُ.

مَاتَ فِي خَامِسِ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَسِتِّمِئَةٍ.

ثُمَّ إِنَّ الشَّيْخَ جَلَالَ الدِّينِ انْقَطَعَ وَتَجَرَّدَ، وَهَامَ وَتَرَكَ التَّصْنِيفَ وَالِاشْتِغَالَ، وَسَبَبُ ذلكَ أَنَّهُ كانَ يَوْمًا جَالِسًا فِي بَيْتِهِ، وَحَوْلَهُ الْكُتُبُ وَالطَّلَبَةُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ التِّبْرِيزِيُّ، الْإِمَامُ الصَّالِحُ الْمَشْهُورُ، فَسَلَّمَ وَجلَسَ، وَقَالَ لِلشَّيْخِ: مَا هَذَا؟ وَأَشَارَ إِلَى الْكُتُبِ وَالْحَالَةِ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا، فَقالَ لَهُ مَوْلَانَا جَلَالُ الدِّينِ: هَذا لَا تَعْرِفُهُ، فَمَا فَرَغَ الشَّيْخُ جَلَالُ الدِّينِ مِنْ هَذَا اللَّفْظِ إِلَّا وَالنَّارُ عَمَّالَةٌ فِي الْبَيْتِ وَالْكُتُبِ، فَقالَ مَوْلانَا جَلَالُ الدِّينِ لِلتِّبْرِيزِيِّ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ لَهُ التِّبْرِيزِيُّ: هَذَا لَا تَعْرِفُهُ، ثُمَّ قَامَ، وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ.

فَخَرَجَ الشَّيْخُ جَلالُ الدِّينِ عَلَى قَدَمِ التَّجْرِيدِ، وَتَرَكَ أَوْلَادَهُ وَحَشَمَهُ وَمَدْرَسَتَهُ، وَسَاحَ فِي الْبِلَادِ، وَذَكَرَ أَشْعَارًا كَثِيرَةً، وَلَمْ يَتَّفِقْ لَهُ اجْتِمَاعٌ بِالتِّبْرِيزِيِّ، وَعُدِمَ التِّبْرِيزِيُّ، وَلَمْ يُعْرَفْ لَهُ مَوْضِعٌ، فَيُقَالُ: إِنَّ حَاشِيَةَ مَوْلَانَا جَلَالِ الدِّينِ قَصَدُوهُ وَاغْتَالُوهُ، وَاللهُ أَعْلَمُ. كَذَا فِي **الْجَوَاهِرِ الْمُضِيَّةِ فِي الطَّبَقَاتِ الْحَنَفِيَّةِ**[1].

وَقالَ غَيْرُهُ فِي نَسَبِهِ هُوَ: جَلالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ بَهَاءِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مَحْمُودِ بْنِ مَوْدُودِ بْنِ ثَابِتِ بْنِ مُسَيَّبِ بْنِ مُطَهَّرِ بْنِ حَمَّادِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

يُقالُ: كانَ لَقَبُهُ جَلَالَ الدِّينِ، وَكَانَ يَقُولُ لَهُ أَبُوهُ: خُدَاوَنْدِكَارُ، وَلُقِّبَ بِهِ أَيْضًا، وَخُدَاوَنْدِكَارُ فِي لُغَةِ الْعَجَمِ بِمَعْنَى: «السُّلْطَانُ» فِي لُغَةِ الْعَرَبِ، وَلِهَذَا اشْتَهَرَ بِمَوْلَانَا خُدَاوَنْدِكَارَ، وَاسْمُ أَبِيهِ مُحَمَّدٌ، وَلَقَبُهُ بَهَاءُ الدِّينِ، وَيُلَقَّبُ

(1) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 2/ 124 ـ 125.

أَيْضًا بِسُلْطَانِ الْعُلَمَاءِ، وَلَقَّبَهُ بِهَذَا اللَّقَبِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هَكَذَا سَمِعَهُ كَثِيرٌ مِنَ الصُّلَحَاءِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَامِ. وَاسْمُ جَدِّهِ الْحُسَيْنُ، وَاسْمُ أَبِيهِ أَحْمَدُ، وَتَمَكَّنَ أَبُوهُ سُلْطَانُ الْعُلَمَاءِ فِي مَدِينَةِ بَلْخٍ أَوَّلًا، وَوَلَدَ مَوْلانَا جَلَالَ الدِّينِ هُنَاكَ، ثُمَّ تَوَطَّنَ أَبُوهُ بِقُونِيَةَ وَهُوَ طِفْلٌ صَغِيرٌ، وَلِهَذَا لُقِّبَ بِجَلَالِ الدِّينِ الرُّومِيِّ.

وَكَانَتْ **وِلَادَتُهُ** فِي سَادِسِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّمِئَةٍ، **وَتُوُفِّيَ** فِي خَامِسِ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَسِتِّمِئَةٍ. وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ نَصِيرُ الدِّينِ الطُّوسِيُّ الْحَكِيمُ، صَاحِبُ: "**التَّجْرِيدُ**" فِي الْكَلَامِ، وَكَانَتْ مُدَّةُ عُمُرِهِ ثَمَانِيًا وَسِتِّينَ سَنَةً.

رُوِيَ أَنَّ سُلْطَانَ بَلْخٍ، مُحَمَّدَ خُوَارِزْمَ شَاه، أَعْطَى أُخْتَهُ لِمَوْلَانَا حُسَيْنٍ جَدِّ مَوْلَانَا جَلَالِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ، وَوَلَدَتْ هِيَ سُلْطَانَ الْعُلَمَاءِ مُحَمَّدًا. وَكَانَتْ جَدَّةُ بَهَاءِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ، أُمُّ أَحْمَدَ الْخَطِيبِيِّ، أُخْتَ السُّلْطَانِ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ أَدْهَمَ، رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَى.

وَمِنْ وَصَايَا جَلَالِ الدِّينِ لِأَصْحَابِهِ:

أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَبِقِلَّةِ الطَّعَامِ، وَقِلَّةِ الْكَلَامِ، وَهِجْرَانِ الْمَعَاصِي وَالْآثَامِ، وَمُوَاظَبَةِ الصِّيَامِ، وَدَوَامِ الْقِيَامِ، وَتَرْكِ الشَّهَوَاتِ عَلَى الدَّوَامِ، وَاحْتِمَالِ الْجَفَاءِ مِنْ جَمِيعِ الْأَنَامِ، وَتَرْكِ مُجَالَسَةِ السُّفَهَاءِ

وَالْعَوَامِّ، وَمُلَازَمَةِ مُصَاحَبَةِ الصَّالِحِينَ وَالْكِرَامِ، وَإِنَّ خَيْرَ النَّاسِ مَنْ يَنْفَعُ النَّاسَ، وَخَيْرَ الْكَلَامِ مَا قَلَّ وَدَلَّ.

وَأَمَّا وَلَدُهُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ قَاسِمِ بْنِ مُسَيَّبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، فَهُوَ مَوْلَانَا بَهَاءُ الدِّينِ بْنُ مَوْلَانَا جَلَالِ الدِّينِ، وَيُلَقَّبُ بَهَاءُ الدِّينِ هَذَا بِسُلْطَانِ وَلَد.

كَانَ إِمَامًا فَقِيهًا، دَرَّسَ بَعْدَ أَبِيهِ بِمَدْرَسَةِ قُونِيَةَ، وَتَبِعَ وَالِدَهُ فِي التَّجَرُّدِ وعُمِّرَ وَتُوُفِّيَ سَنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَسَبْعِمِئَةٍ، وَهُوَ ابْنُ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ سَنَةً، وَدُفِنَ بِقُونِيَةَ بِتُرْبَةِ وَالِدِهِ، وَصَلَّى عَلَيْهِ الشَّيْخُ مَجْدُ الدِّينِ الْأَقْصَرَائِيُّ بِوَصِيَّةٍ مِنْهُ.

حَكَى لِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْهُ، قَالَ: كَانَتْ لَهُ سَرِيَّةٌ فَقَالَ لَهَا: اخْتَارِي وَاحِدًا مِنْ أَصْحَابِي أُزَوِّجْكِ بِهِ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَرْزُقَكِ وَلَدًا يَعْبُدُ اللهَ، فَامْتَنَعَتْ مِنْ ذَلِكَ. قالَ صَاحِبُنَا: فَقَالَ لِي الشَّيْخُ: اكْشِفْ لِي عَنْ سَبَبِ الْمَنْعِ، فَقُلْتُ لَهَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَتْ: الْكِبَارُ يَزُورُونَنِي وَيُعَظِّمُونَنِي، وَيُكْرِمُونَنِي لِنِسْبَتِي إِلَى الشَّيْخِ، وَإِذَا تَزَوَّجْتُ بِغَيْرِهِ يَزُولُ عَنِّي هَذَا، قَالَ: فَأَخْبَرْتُ الشَّيْخَ بِمَا قَالَتْ فَتَبَسَّمَ، وَقالَ: آثَرَتِ اللَّذَّةَ الْوَهْمِيَّةَ عَلَى اللَّذَّةِ الْحِسِّيَّةِ.

وَحُكِيَ لِي عَنْهُ كَرَامَاتٌ. كَذَا فِي **الْجَوَاهِرِ الْمُضِيَّةِ فِي الطَّبَقَاتِ الْحَنَفِيَّةِ**[1].

---

(1) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 1/ 120.

[وَمِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ مَنْ لَهُ يَدٌ طُولَى فِي الْفِقْهِ وَهُوَ: الشَّيْخُ بَدْرُ الدِّينِ مَحْمُودُ بْنُ إِسْرَائِيلَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الشَّهِيرُ بِابْنِ قَاضِي سِمَاوْنَةَ.

وُلِدَ فِي قَلْعَةِ سِمَاوْنَةَ[1] مِنْ بِلَادِ الرُّومِ حِينَ كَانَ أَبُوهُ قَاضِيًا بِهَا، وَكَانَ أَيْضًا أَمِيرًا عَلَى عَسْكَرِ الْمُسْلِمِينَ بِهَا، وَكَانَ فَتْحُ تِلْكَ الْقَلْعَةِ عَلَى يَدِهِ أَيْضًا.

يُقَالُ: إِنَّ أَحَدَ أَجْدَادِهِ كانَ وَزِيرًا لِآلِ سَلْجُوقَ، وَكانَ هُوَ ابْنَ أَخِي السُّلْطَانِ عَلَاءِ الدِّينِ السَّلْجُوقِيِّ، وكانَ فَتْحُ الْقَلْعَةِ الْمَذْكُورَةِ، وَوِلَادَةُ الشَّيْخِ بَدْرِ الدِّينِ في زَمَنِ السُّلْطَانِ غَازِي خُدَاوَنْدِكَارَ، مِنْ سَلَاطِينِ آلِ عُثْمَانَ.

ثُمَّ إِنَّ الشَّيْخَ أَخَذَ الْعِلْمَ فِي صِباهُ عَنْ وَالِدِهِ الْمَذْكُورِ، وَحَفِظَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ، وَقَرَأَهُ عَلَى الْمَوْلَى الْمُشْتَهِرِ بِالشَّاهِدِيِّ، وَتَعَلَّمَ الصَّرْفَ وَالنَّحْوَ مِنْ مَوْلَانَا يُوسُفَ، ثُمَّ ارْتَحَلَ إِلى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ مَعَ ابْنِ عَمِّ أَبِيهِ، وَهُوَ مُؤَيَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ، وَقَرَأَ بِقُونِيَةَ - مِنْ بِلادِ الرُّومِ - بَعْضًا مِنَ الْعُلُومِ وَعِلْمِ النَّحْوِ عَلَى مَوْلَانَا فَيْضِ اللهِ، مِنْ تَلَامِذَةِ فَضْلِ اللهِ، وَمَكَثَ عِنْدَهُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ.

وَلَمَّا تُوُفِّيَ [مَوْلانَا][2] فَيْضُ اللهِ، ارْتَحَلَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَقَرَأَ هُنَاكَ مَعَ الشَّرِيفِ الْجُرْجَانِيِّ عَلَى مَوْلَانَا مُبَارَكِ شَاه الْمَنْطِقِيِّ، الْمُدَرِّسِ بِالْقَاهِرَةِ، ثُمَّ حَجَّ مَعَ مُبَارَكِ شَاه، وَقَرَأَ بِمَكَّةَ عَلَى الشَّيْخِ الزَّيْلَعِيِّ، ثُمَّ قَدِمَ الْقَاهِرَةَ، وَقَرَأَ مَعَ الشَّرِيفِ الْجُرْجَانِيِّ عَلَى الشَّيْخِ أَكْمَلِ الدِّينِ، وَحَصَّلَ عِنْدَهُ جَمِيعَ

---

(1) قلعة سيماونة: في سنجق كوتاهية بتركيا. الأعلام: 7/ 165.

(2) زيادة من رئيس الكتاب.

الْعُلُومِ، ثُمَّ قَرَأَ عَلَى الشَّيْخِ بَدْرِ الدِّينِ الْمَذْكُورِ السُّلْطَانُ فَرَجُ ابْنُ السُّلْطَانِ بَرْقُوقٍ مَلِكِ مِصْرَ، ثُمَّ أَدْرَكَتْهُ الْجَذْبَةُ الْإِلَهِيَّةُ، وَالْتَجَأَ إِلَى كَنَفِ الشَّيْخِ سَيِّدِ حُسَيْنٍ الْأَخْلَاطِيِّ، السَّاكِنِ بِمِصْرَ وَقْتَئِذٍ، وَحَصَّلَ عِنْدَهُ مَا حَصَّلَ، وَأَرْسَلَهُ الشَّيْخُ الْأَخْلَاطِيُّ إِلَى بَلْدَةِ تِبْرِيزَ[1] لِلْإِرْشَادِ. وَلَمَّا جَاءَ الْأَمِيرُ تَيْمُورُ إِلَى تِبْرِيزَ، وَقَعَ عِنْدَهُ مُنَازَعَةٌ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ، وَلَمْ يَنْفَصِلِ الْبَحْثُ عِنْدَهُ، فَذَكَرَ الشَّيْخُ الْجَزَرِيُّ الشَّيْخَ بَدْرَ الدِّينِ الْمَذْكُورَ لِلْمُحَاكَمَةِ بَيْنَ الْمُتَخَاصِمَيْنِ، فَدَعَاهُ الْأَمِيرُ تَيْمُورُ، فَحَكَمَ الشَّيْخُ بَيْنَهُمَا، وَرَضِيَ الْكُلُّ بِحُكْمِهِ، وَاعْتَرَفَ الْعُلَمَاءُ بِفَضْلِهِ، وَنَالَ مِنَ الْأَمِيرِ الْمَذْكُورِ مَالًا جَزِيلًا، وَإِكْرَامًا بَالِغًا لَا إِلَى نِهَايَتِهِ.

ثُمَّ تَرَكَ الشَّيْخُ الْكُلَّ، وَلَحِقَ بِبَدْلِيسَ[2]، ثُمَّ سَافَرَ إِلَى مِصْرَ، وَوَصَلَ إِلَى الشَّيْخِ الْأَخْلَاطِيِّ الْمَذْكُورِ، ثُمَّ مَاتَ الشَّيْخُ الْأَخْلَاطِيُّ، وَأُجْلِسَ الشَّيْخُ مَكَانَهُ، فَجَلَسَ فِيهِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى حَلَبَ، ثُمَّ إِلَى قُونْيَةَ، ثُمَّ إِلَى ثَبْرَةَ[3]، مِنْ بِلَادِ الرُّومِ، ثُمَّ دَعَاهُ رَئِيسُ جَزِيرَةِ سَاقِز[4]، فَأَسْلَمَ عَلَى يَدَيِ الشَّيْخِ، ثُمَّ جَاءَ الشَّيْخُ إِلَى أَدْرَنَةَ، وَصَارَ الرَّئِيسُ مِنْ جُمْلَةِ

---

(1) تبريز: أشهر مدن أذربيجان، وهي مدينة عامرة حسناء ذات أسوار، في وسطها أنهار جارية. معجم البلدان: 2/ 13.

(2) بَدْلِيسُ: بلدة من نواحي أرمينية قرب خلاط ذات بساتين كثيرة. معجم البلدان: 1/ 358.

(3) نيره: في الشقائق النعمانية، وفي تاج العروس:36/ 534؛ نيره: نيروه من قلاع ناحية الزوزان لصاحب الموصل.

(4) جزيرة ساقز: من جزر الأرخبيل اليوناني وكانت من بلاد الدولة العثمانية. الأعلام: 3/ 186.

مُرِيدِيهِ، وَوَجَدَ الشَّيْخُ وَالِدَيْهِ هُنَاكَ حَيَّيْنِ، ثُمَّ لَمَّا تَسَلْطَنَ مُوسَى جَلَبِي[1] مِنْ أَوْلَادِ عُثْمَانَ، نَصَّبَ الشَّيْخَ قَاضِيًا بِعَسْكَرِهِ.

ثُمَّ إِنَّ أَخَا مُوسَى جَلَبِي قَتَلَ مُوسَى جَلَبِي، وَحَبَسَ الشَّيْخَ فِي أَزْنِيقَ[2]، ثُمَّ هَرَبَ مِنَ الْحَبْسِ إِلَى الْأَمِيرِ إسفنديار[3]، وَكانَ قَصْدُهُ الْوُصُولَ إِلَى بِلَادِ تَاتَار[4]، ولَمْ يَأْذَنْ لَهُ إسفنديار خَوْفًا مِنِ ابْنِ عُثْمَانَ، ثُمَّ أَرْسَلَهُ إِلَى زَغْرَةَ؛ مِنْ وِلَايَةِ رُوم إِيلِي، وَاجْتَمَعَ عِنْدَهُ أَحِبَّاؤُهُ، وَأَضَافُوهُ مِرَارًا مُتَعَدِّدَةً، وَوَشَى بِهِ بَعْضُ الْمُفْسِدِينَ إِلى السُّلْطَانِ أَنَّهُ يُرِيدُ السَّلْطَنَةَ، فَأُخِذَ وَقُتِلَ مَظْلُومًا رَحِمَهُ اللهُ.

وَلَهُ تَصَانِيفُ كَثِيرَةٌ مِنْهَا: **"لَطَائِفُ الإِشَارَاتِ في الْفِقْهِ"**، وَ**شَرْحُهُ التَّسْهِيلُ**، صَنَّفَهُمَا مَحْبُوسًا فِي أَزْنِيقَ، وَمِنْهَا: **"جَامِعُ الْفُصُولَيْنِ"**، وَمِنْهَا: **"عُنْقُودُ الْجَوَاهِرِ؛ شَرْحُ الْمَقْصُودِ"**، فِي الصَّرْفِ، وَمِنْهَا: **"مَسَرَّةُ الْقُلُوبِ"** في التَّصَوُّفِ، وَ**"الْوَارِدَاتُ"** في التَّصَوُّفِ أَيْضًا.

وَكَانَتْ **وَفَاتُهُ** فِي سَنَةِ ثَمَانَ عَشْرَةَ وَثَمَانِمِئَةٍ تَقْرِيبًا.

---

(1) الأمير موسى جلبي بن أبي يزيد خوندكار بن مُرَاد خَان بن أرخان بن عُثْمَان جق. السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي: 6/ 314.

(2) أزنيق: مدينة قديمة رومية بأسيا الصغرى، أسست في القرن الرابع قبل الميلاد. وصفها في المطالع البدرية في المنازل الرومية: 111.

(3) الأمير إسفنديار بن بايزيد الحنفي، أحد ملوك الروم، طعن في السن توفي سنة: 843هـ. أخباره في: عجائب المقدور في أخبار تيمور: 281.

(4) بلاد تاتار: هم جيل عظيم من الترك سكان شرقي الإقليم السادس. آثار البلاد وأخبار العباد: 581.

وَرُوِيَ أَنَّ السَّيِّدَ الشَّرِيفَ الْجُرْجَانِيَّ كَانَ يَمْدَحُهُ بِالْفَضْلِ رَحِمَهُمَا اللهُ تَعَالَى]»[1].

وَاعْلَمْ أَنَّ اسْتِقْصَاءَ أَئِمَّةِ الشَّرْعِ خَيَالٌ مُحَالٌ، لِأَنَّ مِنْ جُمْلَةِ إِكْرَامِ اللهِ تَعَالَى هَذَا الشَّرْعَ، أَنَّهُ تَعَالَى مَلأَ أَقْطَارَ الْأَرْضِ شَرْقًا وَغَرْبًا، بِأَنْوَارِ اجْتِهَادِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ هُمْ كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، كُلَّمَا أَرَدْتَ تَعْدَادَ طَائِفَةٍ مِنْهَا، انْفَتَحَ لَكَ طَوَائِفُ يَكِلُّ الذِّهْنُ عَنْ تَذْكَارِ أَسَامِيهِمْ، فَضْلًا عَنِ اسْتِيفَاءِ مَنَاقِبِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ، فَالْأَوْلَى بِنَا أَلَّا نَطْمَعَ فِي غَيْرِ مَطْمَعٍ، فَإِنَّهُ بَحْرٌ لَا سَاحِلَ لَهُ، لَكِنْ لَا عَلَيْنَا أَنْ نَذْكُرَ هَاهُنَا نُبَذًا مِنْ مَشَاهِيرِ أَئِمَّةِ الشَّافِعِيَّةِ تَبَرُّكًا بِهِمْ أَيْضًا، فَلْنَذْكُرْ أَوَّلًا مَنْ تَشَرَّفَ بِصُحْبَتِهِ وَالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ.

مِنْهُمْ: أَحْمَدُ بْنُ خَالِدٍ الْخَلَّالُ، أَبُو جَعْفَرٍ الْبَغْدَادِيُّ، رَوَى عَنِ الشَّافِعِيِّ، وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ وَغَيْرِهِمَا، حَدَّثَ عَنْهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُمَا، وَقَالَا: لَا بَأْسَ بِهِ.

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ: كَانَ خَيِّرًا فَاضِلًا عَدْلًا ثِقَةً، صَدُوقًا رِضًى[2].

وَقَالَ الْحَاكِمُ: كَانَ مِنْ أَجِلَّةِ الْفُقَهَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ[3].

مَاتَ سَنَةَ سِتٍّ، أَوْ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِئَتَيْنِ.

---

(1) ما بين معقوفين سقط من قونية. والخبر كاملا في الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية: 33 ـ 34.

(2) الجرح والتعديل: 1/ 49، وتاريخ بغداد: 5/ 206.

(3) إكمال تهذيب الكمال: 1/ 120.

وَمِنْهُمْ: أَحْمَدُ بْنُ سِنَانِ بْنِ أَسَدِ بْنِ حِبَّانَ الْقَطَّانُ أَبُو جَعْفَرٍ الْوَاسِطِيُّ الْحَافِظُ، لَهُ "**مُسْنَدٌ**" مُخَرَّجٌ عَلَى الرِّجَالِ.

رَوَى عَنِ الشَّافِعِيِّ وَأَبِي مُعَاوِيَةَ وَوَكِيعٍ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ وَخَلْقٍ، وَرَوَى عَنْهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ وَيَحْيَى بْنُ صَاعِدٍ وَابْنُ خُزَيْمَةَ وَابْنُهُ جَعْفَرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سِنَانٍ، وَغَيْرُهُمْ.

تُوُفِّيَ سَنَةَ سِتٍّ، أَوْ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَمِئَتَيْنِ[1].

وَمِنْهُمْ: أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ الْمِصْرِيُّ، أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبَرِيُّ، أَحَدُ أَرْكَانِ الْعِلْمِ وَجَهَابِذَةِ الْحُفَّاظِ، كانَ أَبُوهُ جُنْدِيًّا مِنْ أَجْنَادِ طَبَرِسْتَانَ، فَوُلِدَ لَهُ أَحْمَدُ بِمِصْرَ سَنَةَ سَبْعِينَ وَمِئَةٍ، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِئَتَيْنِ.

سَمِعَ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ وَهْبٍ، وَعَنْبَسَةَ بْنَ سَعِيدٍ، وَعَبْدَ اللهِ ابْنَ نَافِعٍ، وَالشَّافِعِيَّ.

رَوَى عَنْهُ الْبُخَارِيُّ، وَرُبَّمَا رَوَى عَنْ رَجُلٍ عَنْهُ. وَرَوَى عَنْهُ أَيْضًا أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَجَمَاعَةٌ. وَدَخَلَ بَغْدَادَ وَنَاظَرَ بِهَا أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ. قَالَ الْبُخَارِيُّ: هُوَ ثِقَةٌ.

وَقَالَ يَعْقُوبُ الْفَسَوِيُّ: كَتَبْتُ عَنْ أَلْفِ شَيْخٍ، وَكَسَرَ حُجَّتِي فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ اللهِ رَجُلَانِ: أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَأَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ.

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى: 2/ 5-6.

وَقالَ النَّسَائِيُّ: أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ لَيْسَ بِثِقَةٍ وَلَا مَأْمُونٍ.

قَالَ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْخَطِيبُ: كَانَ آفَةُ أَحْمَدَ بْنِ صَالِحٍ الْكِبْرَ وَشَرَاسَةَ الْخُلُقِ، وَنَالَ النَّسَائِيُّ مِنْهُ جفَاءً فِي مَجْلِسِهِ، فَذَلِكَ الَّذِي أَفْسَدَ بَيْنَهُمَا. قِيلَ: إِنَّهُ طَرَدَ النَّسَائِيَّ عَنْ مَجْلِسِهِ، فَحَمَلَهُ عَلَى أَنْ تَكَلَّمَ فِيهِ، وَإِلَّا فَقَدْ قَالَ أَبُو يَعْلَى الْحَافِظُ: ابْنُ صَالِحٍ ثِقَةٌ [حَافِظٌ](1).

فَائِدَةٌ دِينِيَّةٌ:

وَهِيَ أَنَّكَ رُبَّمَا تَرَى فِي كُتُبِ الْأُصُولِ أَنَّ الْجَرْحَ مُقَدَّمٌ عَلَى التَّعْدِيلِ، ثُمَّ تَرَى جَرْحًا فِي حَقِّ الْأَئِمَّةِ، فَلَعَلَّكَ تَمِيلُ إِلَى جَرْحِهِ، فَإِيَّاكَ وَإِيَّاكَ، وَالْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ هَذا الْحِسَابِ، إِذْ لَوْ فُتِحَ هذا الْبَابُ لَمَا سَلِمَ لَنَا أَحَدٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ، إِذْ مَا مِنْ إِمَامٍ إِلَّا وَقَدْ طَعَنَ فِيهِ طَاعِنُونَ، وَهَلَكَ فِيهِ هَالِكُونَ، إِمَّا لِأَمْرٍ دُنْيَوِيٍّ، أَوْ تَعَصُّبٍ مَذْهَبِيٍّ. بَلِ الصَّوَابُ أَنَّ مَنْ ثَبَتَتْ إِمَامَتُهُ وَعَدَالَتُهُ، وَكَثُرَ مَادِحُوهُ وَمُزَكُّوهُ، وَنَدَرَ جَارِحُهُ، وَكَانَتْ هُنَاكَ قَرِينَةٌ دَالَّةٌ عَلَى سَبَبِ جَرْحِهِ، مِنْ أَمْرٍ دُنْيَوِيٍّ أَوْ غَيْرِهِ، فَلَا عِبْرَةَ بِهِ، وَإِنَّمَا يُقَدَّمُ الْجَرْحُ فِيمَنْ تَسَاوَى عِنْدَهُ سَبَبُ الْجَرْحِ عَلَى سَبَبِ التَّعْدِيلِ، سِيَّمَا وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: «اسْتَمِعُوا عِلْمَ الْعُلَمَاءِ، وَلَا تُصَدِّقُوا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهُمْ أَشَدُّ تَغَايُرًا مِنَ التُّيُوسِ فِي زُرُوبِهَا»(2).

(1) ما بين معقوفين سقط من أنطاليا. وأخباره في طبقات الشافعية الكبرى: 2/ 6-8.

(2) أورده ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله: 2/ 1090 رقم: 2123.

وَعَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ: يُؤْخَذُ بِقَوْلِ الْعُلَمَاءِ وَالْقُرَّاءِ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا قَوْلَ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ وَهْبٍ: أَنَّهُ لَا تَجُوزُ شَهَادَةُ الْقَارِئِ عَلَى الْقَارِئِ، يَعْنِي الْعُلَمَاءَ، لِأَنَّهُمْ أَشَدُّ النَّاسِ تَحَاسُدًا وَتَبَاغِيًا. وَقَالَهُ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وَمَالِكُ بْنُ دِينَارٍ.

أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ ابْنِ مَعِينٍ فِي الشَّافِعِيِّ، وَقَوْلِ بَعْضِ الْفُقَهَاءِ الشَّافِعِيَّةِ فِي أَبِي حَنِيفَةَ، وَكَلَامِ ابْنِ أَبِي ذئبٍ، وَإِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ فِي مَالِكٍ، وَهُمْ هُمْ، لَا يَحُومُ الْعِلْمُ وَالدِّينُ إِلَّا حَوْلَ حِمَاهِمْ[1].

فَيَنْبَغِي لَكَ أَيُّهَا الْمُسْتَرْشِدُ أَنْ تَسْلُكَ سَبِيلَ الْأَدَبِ مَعَ الْأَئِمَّةِ الْمَاضِينَ، وَأَلَّا تَنْظُرَ فِي كَلَامِ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضِهِمْ، إِلَّا إِذَا أَتَى بِبُرْهَانٍ وَاضِحٍ. ثُمَّ إِنْ قَدَرْتَ عَلَى التَّأْوِيلِ، وَتَحْسِينِ الظَّنِّ فَدُونَكَ، وَإِلَّا فَاضْرِبْ صَفْحًا عَمَّا جَرَى بَيْنَهُمْ، فَإِنَّكَ لَمْ تُخْلَقْ لِهَذَا، وَاشْتَغِلْ بِمَا يَعْنِيكَ، وَدَعْ مَا لَا يَعْنِيكَ.

قِيلَ: لَا يَزَالُ طَالِبُ الْعِلْمِ عِنْدِي نَبِيلًا حَتَّى يَخُوضَ فِيمَا جَرَى بَيْنَ السَّلَفِ الْمَاضِينَ، وَيَقْضِيَ لِبَعْضٍ عَلَى بَعْضٍ، فَإِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تُصْغِيَ إِلَى مَا اتَّفَقَ بَيْنَ أَبِي حَنِيفَةَ وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، أَوْ بَيْنَ مَالِكٍ وَابْنِ أَبِي ذِئْبٍ، أَوْ بَيْنَ أَحْمَدَ بْنِ صَالِحٍ وَالنَّسَائِيِّ، أَوْ بَيْنَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَالْحَارِثِ الْمُحَاسِبِيِّ، وَهَلُمَّ جَرًّا، إِلَى زَمَانِ الشَّيْخِ عِزِّ الدِّينِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ، وَالشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ بْنِ الصَّلَاحِ، وَهَكَذَا فِي كُلِّ

(1) الخبر مقتطف من طبقات الشافعية الكبرى: 2/ 9 ـ 10.

عَصْرٍ وَزَمَانٍ. فَإِنَّكَ إِذَا اشْتَغَلْتَ بِذَلِكَ، خَشِيتُ عَلَيْكَ الْهَلَاكَ، فَالْقَوْمُ أَئِمَّةٌ أَعْلَامٌ، وَلِأَقْوَالِهِمْ مَحَامِلُ، وَرُبَّمَا لَمْ تَفْهَمْ بَعْضَهَا، فَلَيْسَ لَنَا إِلَّا التَّرَضِّي عَنْهُمْ، وَالسُّكُوتُ عَمَّا جَرَى بَيْنَهُمْ، كَمَا يُفْعَلُ فِيمَا جَرَى بَيْنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَمَا مِثْلُ مَنْ تَكَلَّمَ فِيهِمْ إِلَّا كَمَا قَالَ الْأَعْشَى: [البسيط]

كَنَاطِحٍ صَخْرَةً يَوْمًا لِيَقْلِعَهَا ... فَلَمْ يَضِرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعِلُ[1]

أَوْ كَمَا قَالَ الْحَسَنُ بْنُ حُمَيْدٍ: [البسيط]

يَا نَاطِحَ الْجَبَلِ الْعَالِي لِيُكْلِمَهُ ... أَشْفِقْ عَلَى الرَّأْسِ لَا تُشْفِقْ عَلَى الْجَبَلِ[2]

وَلَقَدْ أَحْسَنَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ حَيْثُ يَقُولُ: [الطويل]

وَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْجُو مِنَ النَّاسِ سَالِمًا ... وَلِلنَّاسِ قَالٌ بِالظُّنُونِ وَقِيلُ[3]

وَقِيلَ فِي هَذَا الْبَابِ: [البسيط]

إِنْ يَحْسُدُونِي فَإِنِّي غَيْرُ لَائِمِهِمْ ... قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلَ الْفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا[4]
فَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِي وَمَا بِهِمُ ... وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غَيْظًا لِمَا يَجِدُ

أَنْشَدَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ فِي حَقِّ حُسَّادِهِ: [البسيط]

(إِنْ تَحْسُدُونِي) فَشَرُّ النَّاسِ مَنْزِلَةً ... مَنْ عَاشَ فِي النَّاسِ يَوْمًا غَيْرَ مَحْسُودِ[5]

---

(1) البيت في ديوان شعره: 310. برواية: ليفلقها.

(2) البيت في طبقات الشافعية الكبرى: 2/ 11.

(3) البيت في الديوان: 356.

(4) البيتان لبشار بن برد وهما في الديوان: 3/ 97.

(5) البيت في مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه: 82، برواية: مُحَسَّدُونَ.

وَقَدْ قِيلَ: [البسيط]

إِنَّ الْعَرَانِينَ تَلْقَاهَا مُحَسَّدَةً وَلَا تَرَى لِلِئَامِ النَّاسِ حُسَّادَا[1]

وَكانَ إِذَا ذُكِرَ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ أَحَدٌ بِسُوءٍ أَنْشَدَ: [الكامل]

حَسَدُوا الْفَتَى إِذْ لَمْ يَنَالُوا سَعْيَهُ [وَالنَّاسُ] أَعْدَاءٌ لَهُ وَخُصُومُ[2]
كَضَرَائِرِ الْحَسْنَاءِ قُلْنَ لِوَجْهِهَا حَسَدًا وَبُغْضًا إِنَّهُ لَذَمِيمُ

قِيلَ: لِعَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرٍ إِنَّ النَّاسَ يَقْدَحُونَ فِي أَبِي حَنِيفَةَ فَقَالَ: [الرمل]

مَا يَضُرُّ الْبَحْرَ أَمْسَى زَاخِرًا أَنْ رَمَى فِيهِ غُلَامٌ بِحَجَرْ[3]

وَفِيهِ قَالَ قَائِلٌ: [البسيط]

إِنْ يَحْسُدُونِي فَزَادَ اللهُ فِي حَسَدِي لَا عَاشَ مَنْ عَاشَ يَوْمًا غَيْرَ مَحْسُودِ[4]
مَا يُحْسَدُ الْمَرْءُ إِلَّا مِنْ فَضَائِلِهِ بِالْعِلْمِ وَالْبَأْسِ أَوْ بِالْمَجْدِ وَالْجُودِ

وَلِبَعْضِهِمْ فِي الْمَعْنَى: [البسيط]

فَازْدَادَ لِي حَسَدًا مَنْ لَسْتُ أَحْسُدُهُ إِنَّ الْفَضِيلَةَ لَا تَخْلُو عَنِ الْحَسَدِ[5]

وَلِعُمَارَةَ بْنِ عَقِيلٍ: [الكامل]

---

(1) البيت لعمر بن لجأ وهو في الديوان: 138.

(2) البيتان من الشعر الذي نسب لأبي الأسود الدؤلي وهما في الديوان: 129، برواية: فَالْقَوْمُ.

(3) البيت بلا نسبة في البيان والتبيين: 3/ 248، وأخبار أبي تمام: 46.

(4) البيتان لمعن بن زائدة في زهر الآداب وثمر الألباب: 1/ 247.

(5) البيت غير منسوب في الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر: 3/ 989.

مَا ضَـرَّنِي حَسَـدُ اللِّئَامِ وَلَمْ يَزَلْ ذُو الْفَضْلِ يَحْسُدُهُ ذَوُو النُّقْصَانِ[1]
يَـا بُؤْسَ قَوْمٍ لَيْسَ خِزْيِي بَيْنَهُمْ إِلَّا تَـظَـاهُـرَ نِـعْـمَـةِ الـرَّحْـمَـنِ

وَلِحَاتِمِ الطَّائِيِّ: [البسيط]

يَا كَعْبُ مَا إِنْ تَرَى مِنْ بَيْتِ مَكْرُمَةٍ إِلَّا لَهُ مِنْ بُيُوتِ [النَّاسِ] حُسَّادَا[2]

وَقَالَ الرِّضَى الْمُوسَوِيُّ: [الكامل]

نَـظَـرُوا بِـعَـيْـنِ عَـدَاوَةٍ لَـوْ أَنَّـهَـا عَيْنُ الْهَوَى لَاسْتَحْسَنُوا مَا اسْتَقْبَحُوا[3]
تُـولُـونَنِي شَـــزْرَ الْعُيُونِ لِأَنَّنِي أَمْسَيْتُ فِي طَلَبِ الْعُلُومِ وَتُصْبِحُوا

وَالْإِكْثَارُ مِنْ هَذَا الْبَابِ، وَإِيثَارُ الْإِطْنَابِ فِي الْكِتَابِ، لَيْسَ إِلَّا مِنْ قَبِيلِ نَفْثَةِ الْمَصْدُورِ، وَالْعُذْرُ عِنْدَ كِرَامِ النَّاسِ مَعْذُورٌ.

وَمِنْهُمْ: **أَحْمَدُ بْنُ أَبِي سُرَيْجِ بْنِ الصَّبَّاحِ النَّهْشَلِيُّ، أَوْ أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ الصَّبَّاحِ، أَبُو جَعْفَرٍ الرَّازِيُّ الْبَغْدَادِيُّ.**

سَمِعَ شُعَيْبَ بْنَ حَرْبٍ، وَأَبَا مُعَاوِيَةَ الضَّرِيرَ، وَابْنَ عُلَيَّةَ، وَوَكِيعًا، وَالشَّافِعِيَّ، وَجَمَاعَةً.

رَوَى عَنْهُ الْبُخَارِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَأَبُو حَاتِمٍ، وَغَيْرُهُمْ.

---

(1) البيتان في ديوان شعره: 110، في قسم ما ينسب لعمارة (ت.239هـ) ولغيره من الشعراء. جرم عدوهم، في الديوان. وذنبي بينهم، في الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، 3/ 990.
(2) البيت لم يرد في ديوان شعره ونسب له في الموشى: 5. [الشر] في الموشى.
(3) البيتان لم يردا في ديوانه، ونسبا له في المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: 15/ 117.

قَالَ النَّسَائِيُّ: ثِقَةٌ.

وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: صَدُوقٌ[1].

وَمِنْهُمْ: **أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ وَهْبِ بْنِ مُسْلِمٍ الْقُرَشِيُّ، أَبُو عَبْدِ اللهِ الْمِصْرِيُّ**، رَوَى عَنْ عَمِّهِ عَبْدِ اللهِ بْنِ وَهْبٍ وَالشَّافِعِيِّ، وَجَمَاعَةٍ.

وَحَدَّثَ عَنْهُ مُسْلِمٌ فِي **الصَّحِيحِ** وَأَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ وَابْنُ خُزَيْمَةَ وَابْنُ جَرِيرٍ.

تُوُفِّيَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَمِئَتَيْنِ[2].

وَمِنْهُمْ: **أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ السَّرْحِ الْقُرَشِيُّ الْأُمَوِيُّ** مَوْلَاهُمْ أَبُو الطَّاهِرِ الْمِصْرِيُّ الْفَقِيهُ. **رَوَى عَنْ** سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ وَالشَّافِعِيِّ وَابْنِ وَهْبٍ وَغَيْرِهِمْ. **وَرَوَى عَنْهُ** مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ وَغَيْرُهُمْ. وَكَانَ مِنْ جِلَّةِ الْعُلَمَاءِ، **شَرَحَ مُوَطَّأَ مَالِكٍ**.

تُوُفِّيَ لِأَرْبَعَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَمِئَتَيْنِ[3].

وَمِنْهُمْ: **أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ** الْإِمَامُ الْمَشْهُورُ فِي الْآفَاقِ. وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ فِيمَا مَرَّ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمُجْتَهِدِينَ.

وَمِنْهُمْ: **أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْوَلِيدِ**، وَيُقَالُ: عَوْنُ بْنُ عُقْبَةَ بْنِ الْأَزْرَقِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شَمِرٍ الْأَزْرَقِيُّ الْقَوَّاسُ الْمَكِّيُّ، أَبُو الْوَلِيدِ، أَوْ أَبُو مُحَمَّدٍ، أَوْ أَبُو الْحَسَنِ، وَهُوَ جَدُّ صَاحِبِ **"تَارِيخِ مَكَّةَ"**.

---

(1) تاريخ الإسلام: 5/ 1075.

(2) المصدر نفسه: 6/ 273.

(3) المصدر نفسه: 5/ 1009.

رَوَى عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْأُمَوِيِّ، وَمَالِكٍ، وَعَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ الْوَرْدِ، وَإِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، وَفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ، وَمُسْلِمِ بْنِ خَالِدٍ الزَّنْجِيِّ، وَجَمَاعَةٍ.

رَوَى عَنْهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ كَاتِبُ الْوَاقِدِيِّ، وَأَبُو حَاتِمٍ، وَحَنْبَلُ بْنُ إِسْحَاقَ، وَأَبُو جَعْفَرٍ التِّرْمِذِيُّ. تُوُفِّيَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَمِئَتَيْنِ عَلَى مَا حَرَّرَهُ شَيْخُنَا الذَّهَبِيُّ[1].

وَمِنْهُمْ: أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى[2] بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْبَغْدَادِيُّ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الشَّافِعِيُّ الْمُتَكَلِّمُ. حَدَّثَ عَنِ الشَّافِعِيِّ، وَالْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ الثَّقَفِيِّ. وَرَوَى عَنْهُ أَبُو جَعْفَرٍ الْحَضْرَمِيُّ.

كَانَ مِنْ كِبَارِ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ الْمُلَازِمِينَ لَهُ، ثُمَّ صَارَ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ أَبِي دُؤَادٍ، وَاتَّبَعَهُ عَلَى رَأْيِهِ، حَتَّى إِنَّ الشَّافِعِيَّ مَنَعَهُ مِنْ قِرَاءَةِ كُتُبِهِ[3].

وَمِنْهُمْ: أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ الْوَزِيرِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ الْمُهَاجِرِ التُّجِيبِيُّ، أَبُو عَبْدِ اللهِ الْمِصْرِيُّ الْحَافِظُ النَّحْوِيُّ، مَوْلَاهُمْ، أَحَدُ الْأَئِمَّةِ.

رَوَى عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ وَهْبٍ، وَشُعَيْبِ بْنِ اللَّيْثِ، وَأَصْبَغَ بْنِ الْفَرَجِ، وَجَمَاعَةٍ.

رَوَى عَنْهُ النَّسَائِيُّ، وَقَالَ: ثِقَةٌ، وَالْحُسَيْنُ بْنُ يَعْقُوبَ الْمِصْرِيُّ، وَأَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي دَاوُدَ، وَآخَرُونَ.

---

(1) تاريخ الإسلام: 5/ 261.

(2) محمد، في مراد ملا.

(3) طبقات الشافعية الكبرى: 2/ 64-65.

وُلِدَ سَنَةَ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَمِئَةٍ، وَكَانَ مِنْ أَعْلَمِ أَهْلِ زَمَانِهِ بِالْأَدَبِ وَالشِّعْرِ وَالْغَرِيبِ وَأَيَّامِ النَّاسِ، وَصَحِبَ الشَّافِعِيَّ، وَتَفَقَّهَ بِهِ[1]، وَكَانَ يَعْمَلُ الْفِلَاحَةَ، فَانْكَسَرَ عَلَيْهِ بَعْضُ الْخَرَاجِ، **فَمَاتَ** فِي السِّجْنِ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ، أَوْ خَمْسِينَ وَمِئَتَيْنِ[2].

وَمِنْهُمْ: **أَحْمَدُ بْنُ أَبِي شُرَيْحٍ الرَّازِيُّ**. تَفَقَّهَ عَلَى الشَّافِعِيِّ[3].

وَمِنْهُمْ: **مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ بْنِ أَعْيَنَ بْنِ لَيْثٍ، الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْمِصْرِيُّ**، أَخُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَسَعْدٍ.

وُلِدَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَمِئَةٍ.

رَوَى عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ وَهْبٍ، وَابْنِ أَبِي فُدَيْكٍ، وَأَبِي ضَمْرَةَ أَنَسِ بْنِ عِيَاضٍ، وَأَشْهَبَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَالشَّافِعِيِّ، وَبِهِ تَفَقَّهَ.

وَرَوَى عَنْهُ النَّسَائِيُّ، وَأَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَابْنُ خُزَيْمَةَ، وَأَبُو الْعَبَّاسِ الْأَصَمُّ، وَابْنُ صَاعِدٍ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ زِيَادٍ النَّيْسَابُورِيُّ، وَجَمَاعَةٌ. وَلَازَمَ الشَّافِعِيَّ مُدَّةً.

قِيلَ: إِنَّ الشَّافِعِيَّ كَانَ مُعْجَبًا بِهِ لِفَرْطِ ذَكَائِهِ وَحِرْصِهِ عَلَى الْفِقْهِ، إِلَّا أَنَّهُ رَجَعَ عَنْ مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ إِلَى مَذْهَبِ مَالِكٍ، ثُمَّ انْتَهَتْ حَالُهُ إِلَى أَنْ صَنَّفَ

---

(1) وتفقه له، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(2) طبقات الشافعية الكبرى: 2/ 66 ـ 67.

(3) المصدر نفسه: 2/ 67 ولم يرد فيه تاريخ وفاته.

كِتَابًا سَمَّاهُ: "**الرَّدُ عَلَى الشَّافِعِيِّ فِيمَا خَالَفَ فِيهِ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ**"، وَهُوَ اسْمٌ قَبِيحٌ. **قِيلَ**: وَلَقَدْ نَالَتْهُ بَعْدَ هَذَا التَّصْنِيفِ مِحْنَةٌ عَظِيمَةٌ يَطُولُ شَرْحُهَا.

تُوُفِّيَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَمِئَتَيْنِ.

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ لَيْسَ لِطَبِيبٍ فِيهَا حِيلَةٌ: الْحَمَاقَةُ، وَالطَّاعُونُ، وَالْهَرَمُ.

وَرُوِيَ عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى قَالَ: قَالَ لِي الشَّافِعِيُّ: لَمْ أَرَ شَيْئًا أَنْفَعَ لِلْوَبَاءِ مِنْ دُهْنِ الْبَنَفْسَجِ، يُدَّهَنُ بِهِ وَيُشْرَبُ.

قَالَ ابْنُ السُّبْكِيِّ: وَالْوَبَاءُ غَيْرُ الطَّاعُونِ، فَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ[1].

وَمِنْهُمْ: **مُحَمَّدُ بْنُ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ، الشَّيْخُ أَبُو عُثْمَانَ الْقَاضِي**، وَهُوَ أَكْبَرُ أَوْلَادِهِ. وَلَمَّا تُوُفِّيَ وَالِدُهُ كَانَ بَالِغًا مُقِيمًا بِمَكَّةَ.

سَمِعَ أَبَاهُ، وَسُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ، وَعَبْدَ الرَّزَّاقِ، وَأَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ.

وَلِيَ الْقَضَاءَ بِالْجَزِيرَةِ وَأَعْمَالِهَا وَبِمَدِينَةِ حَلَبَ، وَبَقِيَ بِهَا سِنِينَ كَثِيرَةً.

تُوُفِّيَ بِالْجَزِيرَةِ بَعْدَ سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَمِئَتَيْنِ.

وَقِيلَ: كَانَ لِلشَّافِعِيِّ وَلَدٌ آخَرُ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ أَيْضًا، وَكُنْيَتُهُ أَبُو الْحَسَنِ، وَهُوَ مِنْ جَارِيَةٍ اسْمُهَا دَنَانِيرُ. قَدِمَ مِصْرَ مَعَ أَبِيهِ، ثُمَّ تُوُفِّيَ بِهَا سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَمِئَتَيْنِ[2].

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى: 2/ 67 ـ 71.

(2) المصدر نفسه: 2/ 73.

وَمِنْهُمْ: **إِبْرَاهِيمُ بْنُ خَالِدِ بْنِ أَبِي الْيَمَانِ، أَبُو ثَوْرٍ الْحَلَبِيُّ الْبَغْدَادِيُّ**، الْإِمَامُ الْجَلِيلُ، أَحَدُ أَصْحَابِنَا الْبَغْدَادِيِّينَ. قِيلَ كُنْيَتُهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ، وَأَبُو ثَوْرٍ لَقَبُهُ.

رَوَى عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَابْنِ عُلَيَّةَ، وَعُبَيْدَةَ بْنِ حُمَيْدٍ، وَأَبِي مُعَاوِيَةَ، وَوَكِيعٍ، وَمُعَاذِ بْنِ مُعَاذٍ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ، وَالشَّافِعِيِّ، وَيَزِيدَ بْنِ هَارُونَ، وَجَمَاعَةٍ.

رَوَى عَنْهُ مُسْلِمٌ خَارِجَ **الصَّحِيحِ**، وَأَبُو دَاوُدَ، وَابْنُ مَاجَهْ، وَأَبُو الْقَاسِمِ الْبَغَوِيُّ، وَالْقَاسِمُ بْنُ زَكَرِيَّا الْمُطَرِّزُ، وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ السَّرَّاجُ، وَجَمَاعَةٌ.

كَانَ أَحَدَ أَئِمَّةِ الدُّنْيَا فِقْهًا وَعِلْمًا وَوَرَعًا وَفَضْلًا وَخَيْرًا.

وَهُوَ مِمَّنْ صَنَّفَ الْكُتُبَ، وَفَرَّعَ عَلَى السُّنَنِ، وَذَبَّ عَنْهَا، وَقَمَعَ مُخَالِفِيهَا.

قِيلَ: كَانَ أَوَّلًا عَلَى مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ، حَتَّى قَدِمَ الشَّافِعِيُّ بَغْدَادَ، فَاخْتَلَفَ إِلَيْهِ، وَرَجَعَ إِلَى مَذْهَبِهِ[1].

وَمِنْهُمْ: **إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عُثْمَانَ الشَّافِعِيُّ**، ابْنُ عَمِّ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ.

رَوَى عَنْ عَمِّهِ، وَالْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ، وَجَدِّهِ لِأُمِّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ شَافِعٍ، وَالْمُنْكَدِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَحَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ، وَابْنِ عُيَيْنَةَ، وَطَائِفَةٍ.

وَرَوَى عَنْهُ ابْنُ مَاجَهْ، وَأَحْمَدُ بْنُ سَيَّارٍ الْمَرْوَزِيُّ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي عَاصِمٍ، وَغَيْرُهُمْ.

---

(1) تاريخ بغداد: 6/ 772، وطبقات الشافعية الكبرى: 2/ 74، توفي أبو ثور سنة: 240هـ.

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: صَدُوقٌ. وَقَالَ النَّسَائِيُّ وَالدَّارَقُطِنِيُّ: ثِقَةٌ. مَاتَ سَنَةَ سَبْعٍ، أَوْ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَمِئَتَيْنِ[1].

وَمِنْهُمْ: إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ هَرِمٍ. رَوَى عَنِ الشَّافِعِيِّ، وَكَانَ يَلْزَمُهُ[2].

وَمِنْهُمْ: إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُنْذِرِ الْحِزَامِيُّ الْمَدَنِيُّ، إِمَامٌ ثِقَةٌ جَلِيلٌ.

حَدَّثَ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَابْنِ وَهْبٍ، وَمَعْنِ بْنِ عِيسَى، وَابْنِ أَبِي فُدَيْكٍ، وَأَبِي ضَمْرَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ، وَجَمَاعَةٍ.

رَوَى عَنْهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، وَابْنُ مَاجَه وَبَقِيُّ بْنُ مَخْلَدٍ، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا، وَمُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْبُوشَنْجِيُّ وَمُطَيِّنٌ، وَخَلْقٌ.

قَالَ الْخَطِيبُ: إِبْرَاهِيمُ ثِقَةٌ[3]. وَقَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْأَزْدِيُّ: هُوَ فِي عِدَادِ أَهْلِ الصِّدْقِ. وَعَنِ الدَّارَقُطْنِيُّ أَنَّهُ قَالَ: هُوَ ثِقَةٌ.

مَاتَ سَنَةَ سِتٍّ أَوْ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَمِئَتَيْنِ[4].

وَمِنْهُمْ: إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَخْلَدٍ، أَبُو يَعْقُوبَ، الْمَرْوَزِيُّ، ابْنُ رَاهَوَيْهِ، أَحَدُ أَئِمَّةِ الدِّينِ، وَأَعْلَامِ الْمُسْلِمِينَ، وَهُدَاةِ الْمُؤْمِنِينَ، الْجَامِعُ بَيْنَ الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ، وَالْوَرَعِ وَالتَّقْوَى، نَزِيلُ نَيْسَابُورَ وَعَالِمُهَا.

---

(1) تاريخ الإسلام: 5/ 774، وطبقات الشافعية الكبرى: 2/ 80.

(2) أخباره في طبقات الشافعية الكبرى: 2/ 81.

(3) تاريخ بغداد: 12/ 123.

(4) تاريخ الإسلام: 5/ 776، وطبقات الشافعية الكبرى: 2/ 82.

وُلِدَ سَنَةَ إِحْدَى أَوْ سِتٍّ وَسِتِّينَ وَمِئَةٍ.

سَمِعَ قَبْلَ الرِّحْلَةِ مِنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ، ثُمَّ رَوَى عَنْ فُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ، وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَحَفْصِ بْنِ غَيَّاثٍ، وَخَلْقٍ سِوَاهُمْ.

رَوَى عَنْهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ ،وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَابْنُهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوَيْهِ، وَخَلْقٌ.

وَقَالَ ابْنُهُ عَلِيُّ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوَيْهِ: وُلِدَ أَبِي مَثْقُوبَ الْأُذُنَيْنِ. قَالَ فَضْلُ ابْنُ مُوسَى لِجَدِّي: يَكُونُ ابْنُكَ رَأْسًا إِمَّا فِي الْخَيْرِ، وَإِمَّا فِي الشَّرِّ.

فَسُئِلَ إِسْحَاقُ: لِمَ قِيلَ لِأَبِيكَ رَاهَوَيْهِ؟ قالَ: وُلِدَ أَبِي فِي طَرِيقِ مَكَّةَ، فَقَالَتْ الْمَرَاوِزَةُ رَاهَوَيْهِ. وَقَالَ إِسْحَاقُ: كَانَ أَبِي يَكْرَهُ هَذَا، وَأَمَّا أَنَا فَلَسْتُ أَكْرَهُهُ.

وَكانَ إِسْحَاقُ فَرْدًا، وَفِي أَمْرِ الدُّنْيَا لَا رَأْيَ لَهُ.

تُوُفِّيَ إِسْحَاقُ لَيْلَةَ نِصْفِ شَعْبَانَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَمِئَتَيْنِ.

قَالَ الْبُخَارِيُّ: وَلَهُ سَبْعٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً. فَعَلَى هَذَا تَكُونُ وِلَادَتُهُ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ[1].

وَمِنْهُمْ: إِسْمَاعِيلُ بْنُ يَحْيَى بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَمْرِو بْنِ إِسْحَاقَ، الْإِمَامُ الْجَلِيلُ، أَبُو إِبْرَاهِيمَ الْمُزَنِيُّ، نَاصِرُ الْمَذْهَبِ، وَبَدْرُ سَمَائِهِ.

وُلِدَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَمِئَةٍ.

---

(1) تاريخ بغداد: 7/ 362 ـ 363، وطبقات الشافعية الكبرى: 2/ 83 ـ 88.

وَحَدَّثَ عَنِ الشَّافِعِيِّ، وَنُعَيْمِ بْنِ حَمَّادٍ، وَغَيْرِهِمَا.

رَوَى عَنْهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ، وَالطَّحَاوِيُّ، وَغَيْرُهُمَا.

وَكَانَ جَبَلَ عِلْمٍ، مُنَاظِرًا مِحْجَاجًا.

قَالَ الشَّافِعِيُّ فِي وَصْفِهِ: لَوْ نَاظَرَهُ الشَّيْطَانُ لَغَلَبَهُ.

وَكَانَ زَاهِدًا وَرِعًا، مُتَقَلِّلًا مِنَ الدُّنْيَا، مُجَابَ الدَّعْوَةِ. وَكَانَ إِذَا فَاتَتْهُ صَلَاةٌ فِي جَمَاعَةٍ صَلَّاهَا خَمْسًا وَعِشْرِينَ مَرَّةً. وَكَانَ يَغْسِلُ الْمَوْتَى تَعَبُّدًا وَاحْتِسَابًا. وَكَانَ يَقُولُ: أَفْعَلُهُ لِيَرِقَّ قَلْبِي.

وَصَنَّفَ كُتُبًا كَثِيرَةً؛ مِنْهَا: "**الْمُخْتَصَرُ**" الْمَشْهُورُ فِي الْآفَاقِ، وَ"**الْجَامِعُ الْكَبِيرُ**"، وَ"**الْجَامِعُ الصَّغِيرُ**"، وَ"**الْمَنْثُورُ**"، وَ"**الْمَسَائِلُ الْمُعْتَبَرَةُ**"، وَ"**التَّرْغِيبُ فِي الْعِلْمِ**"، وَكِتَابُ "**الْوَثَائِقُ**"، وَ"**كِتَابُ الْعَقَارِبِ**"، وَكِتَابُ "**نِهَايَةُ الِاخْتِصَارِ**".

وَأَخَذَ مِنْهُ خَلَائِقُ مِنْ عُلَمَاءِ خُرَاسَانَ وَالْعِرَاقِ وَالشَّامِ.

تُوُفِّيَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَمِئَتَيْنِ.

ذَكَرُوا أَنَّهُ كَانَ إِذَا فَرَغَ مِنْ مَسْأَلَةٍ فِي **الْمُخْتَصَرِ** صَلَّى رَكْعَتَيْنِ.

قَالَ الْمُزَنِيُّ: سَأَلْتُ يَوْمًا الشَّافِعِيَّ عَنْ مَسَائِلَ بِلِسَانِ أَهْلِ الْكَلَامِ، فَجَعَلَ يَسْمَعُ مِنِّي وَيَنْظُرُ إِلَيَّ، ثُمَّ يُجِيبُنِي عَنْهَا بِأَحْضَرِ جَوَابٍ.

وَأَحْضَرُ: أَفْعَلُ تَفْضِيلٍ مِنْ حَضَرَ يَحْضُرُ حُضُورًا، بِالضَّادِ الْمُعْجَمَةِ. كَذَا نَقَلَهُ ابْنُ السُّبْكِيِّ عَنْ وَالِدِهِ.

قَالَ الْمُزَنِيُّ: فَلَمَّا اكْتَفَيْتُ، قَالَ لِي: يَا بُنَيَّ، أَدُلُّكَ عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ هَذَا؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، هَذَا عِلْمٌ إِنْ أَنْتَ أَصَبْتَ فِيهِ لَمْ تُؤْجَرْ، وَإِنْ أَخْطَأْتَ فِيهِ كَفَرْتَ، فَهَلْ لَكَ فِي عِلْمٍ إِنْ أَصَبْتَ فِيهِ أُجِرْتَ، وَإِنْ أَخْطَأْتَ لَمْ تَأْثَمْ. قُلْتُ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: الْفِقْهُ. فَلَزِمْتُهُ، فَتَعَلَّمْتُهُ مِنْهُ، وَدَرَسْتُ عَلَيْهِ.

قَالَ: وَسَأَلَهُ يَوْمًا حَفْصُ الْفَرْدُ عَنْ سُؤَالَاتٍ كَثِيرَةٍ فِي الْكَلَامِ، فَجَرَى بَيْنَهُمَا كَلَامٌ كَثِيرٌ حَتَّى دَقَّ وَلَمْ أَفْهَمْهُ، إِذِ الْتَفَتَ إِلَيَّ الشَّافِعِيُّ مُسْرِعًا فَقَالَ: يَا مُزَنِيُّ، تَدْرِي مَا قَالَ حَفْصُ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: خَيْرٌ لَكَ أَلَّا تَدْرِيَ.

قَالَ الْمُزَنِيُّ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: مَا رَفَعْتُ أَحَدًا فَوْقَ مَنْزِلَتِهِ إِلَّا حَطَّ مِنِّي بِمِقْدَارِ مَا رَفَعْتُ مِنْهُ.

وَقَالَ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ عَظُمَتْ قِيمَتُهُ، وَمَنْ نَظَرَ فِي الْفِقْهِ نَبُلَ قَدْرُهُ، وَمَنْ كَتَبَ الْحَدِيثَ قَوِيَتْ حُجَّتُهُ، وَمَنْ نَظَرَ فِي اللُّغَةِ رَقَّ طَبْعُهُ، وَمَنْ نَظَرَ فِي الْحِسَابِ جَزُلَ رَأْيُهُ، وَمَنْ لَمْ يَصُنْ نَفْسَهُ، لَمْ يَنْفَعْهُ عِلْمُهُ.

وَقَالَ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: رَأَيْتُ بِالْمَدِينَةِ أَرْبَعَ عَجَائِبَ، رَأَيْتُ جَدَّةً بِنْتَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَرَأَيْتُ رَجُلًا فَلَّسَهُ الْقَاضِي فِي مُدَّيْنِ نَوًى، وَرَأَيْتُ شَيْخًا قَدْ أَتَى عَلَيْهِ تِسْعُونَ سَنَةً يَدُورُ نَهَارَهُ أَجْمَعَ حَافِيًا رَاجِلًا عَلَى الْقَيْنَاتِ يُعَلِّمُهُنَّ الْغِنَاءَ، فَإِذَا أَتَى الصَّلَاةَ صَلَّى قَاعِدًا. قَالَ الْمُزَنِيُّ، وَنَسِيتُ الرَّابِعَةَ.

قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: أَظْلَمُ الظَّالِمِينَ لِنَفْسِهِ مَنْ تَوَاضَعَ لِمَنْ لَا يُكْرِمُهُ، وَرَغِبَ فِي مَوَدَّةِ مَنْ لَا يَنْفَعُهُ.

وَرَوَى الْمُزَنِيُّ عَنِ الشَّافِعِيِّ أَنَّهُ نَظَرَ فِي النُّجُومِ وَهُوَ حَدَثٌ. وَقَدِ اسْتَشْكَلَ هَذَا كَثِيرُونَ، وَقَدْ مَرَّ الْحَقُّ فِيهِ عِنْدَ ذِكْرِ عِلْمِ النُّجُومِ[1].

وَمِنْهُمْ: **بَحْرُ بْنُ نَصْرِ بْنِ سَابِقٍ الْخَوْلَانِيُّ، أَبُو عَبْدِ اللهِ الْمِصْرِيُّ**، مَوْلَى بَنِي سَعْدِ بْنِ خَوْلَانَ.

مَوْلِدُهُ سَنَةَ ثَمَانِينَ أَوْ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَمِئَةٍ.

قَالَ الطَّحَاوِيُّ: وُلِدَ بَحْرُ بْنُ نَصْرٍ وَالرَّبِيعُ الْمُرَادِيُّ وَالْمُزَنِيُّ ثَلَاثَتُهُمْ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَمِئَةٍ.

رَوَى عَنِ ابْنِ وَهْبٍ، وَأَيُّوبَ بْنِ سُوَيْدٍ الرَّمْلِيِّ، وَالشَّافِعِيِّ، وَبِهِ تَفَقَّهَ، وَضَمْرَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَأَشْهَبَ، وَبِشْرِ بْنِ بَكْرٍ، وَطَائِفَةٍ.

رَوَى عَنْهُ ابْنُ جَوْصَا[2]، وَأَبُو جَعْفَرٍ الطَّحَاوِيُّ، وَجَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ.

تُوُفِّيَ بِمِصْرَ سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِّينَ وَمِئَتَيْنِ[3].

وَمِنْهُمْ: **الْحَارِثُ بْنُ سُرَيْجٍ النَّقَّالُ** ـ بِالنُّونِ ـ **أَبُو عَمْرٍو الْخُوَارَزْمِيُّ**، ثُمَّ الْبَغْدَادِيُّ، وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ النَّقَّالُ، لِأَنَّهُ نَقَلَ رِسَالَةَ الشَّافِعِيِّ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ مَهْدِي.

رَوَى عَنِ الشَّافِعِيِّ، وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَحَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، وَغَيْرِهِمْ.

---

(1) تاريخ الإسلام: 6/ 299 ـ 300، وطبقات الشافعية الكبرى: 2/ 93 ـ 101.

(2) أَحْمدُ بنُ عُمَيْر بْنِ يُوسُف بن مُوسَى بْنِ جَوْصَا، حافظ الشام (ت. 320هـ). تاريخ الإسلام: 7/ 363، والوافي بالوفيات: 7/ 177.

(3) طبقات الشافعية الكبرى: 2/ 110 ـ 111.

رَوَى عَنْهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ هَاشِمٍ الْبَغَوِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ الصُّوفِيُّ، وَغَيْرُهُمْ.

مَاتَ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَمِئَتَيْنِ[1].

وَمِنْهُمْ: **الْحَارِثُ بْنُ مِسْكِينِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ الْأُمَوِيُّ، أَبُو عُمَرَ الْمِصْرِيُّ**، فَقِيهٌ مُحَدِّثٌ، صَالِحٌ إِمَامٌ. أَخَذَ عَنِ الشَّافِعِيِّ، وَغَيْرِهِ. وَرَوَى عَنْهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ، وَأَبُو يَعْلَى الْمَوْصِلِيُّ، وَغَيْرُهُمْ.

تُوُفِّيَ سَنَةَ خَمْسِينَ وَمِئَتَيْنِ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَمِئَةٍ[2].

وَمِنْهُمْ: **الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الصَّبَّاحِ الْبَغْدَادِيُّ، الْإِمَامُ أَبُو عَلِيٍّ الزَّعْفَرَانِيُّ**، كَانَ إِمَامًا جَلِيلًا، فَقِيهًا مُحَدِّثًا، فَصِيحًا بَلِيغًا، ثِقَةً ثَبْتًا. مَنْسُوبٌ إِلَى قَرْيَةٍ بِالسَّوَادِ يُقَالُ لَهَا: الزَّعْفَرَانِيَّةُ[3]، وَنُسِبَ إِلَيْهِ دَرْبُ الزَّعْفَرَانِيِّ بِبَغْدَادَ، لِأَنَّهُ سَكَنَ فِيهِ.

سَمِعَ مِنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَالشَّافِعِيِّ، وَعُبَيْدَةَ بْنِ حُمَيْدٍ، وَغَيْرِهِمْ.

رَوَى عَنْهُ الْبُخَارِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ، فَلَيْسَ فِي السِّتَّةِ مَنْ لَمْ يَرْوِ لَهُ إِلَّا مُسْلِمٌ، وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْأَئِمَّةِ.

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى: 2/ 112.

(2) المصدر نفسه: 2/ 112.

(3) الزَّعْفَرَانِيَّةُ: قرية قرب بغداد تحت كلواذى، منها الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني. الأنساب: 6/ 298، ومعجم البلدان: 3/ 141.

قِيلَ: وَلَمْ يَكُنْ فِي عَصْرِ الزَّعْفَرَانِيِّ أَحْسَنُ مِنْهُ صُورَةً، وَلَا أَفْصَحُ مِنْهُ لِسَانًا، وَلَمْ يَتَكَلَّمْ أَحَدٌ فِيهِ بِسُوءٍ. قَرَأَ عَلَى الشَّافِعِيِّ كِتَابَ **"الرِّسَالَةُ"**.

تُوُفِّيَ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ سِتِّينَ وَمِئَتَيْنِ[1].

وَمِنْهُمْ: **الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ يَزِيدَ، أَبُو عَلِيٍّ الْكَرَابِيسِيُّ**. كَانَ إِمَامًا جَلِيلًا، جَامِعًا بَيْنَ الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ.

تَفَقَّهَ أَوَّلًا عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الرَّأْيِ، ثُمَّ تَفَقَّهَ لِلشَّافِعِيِّ، وَسَمِعَ مِنْهُ الْحَدِيثَ، وَعَنْ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ، وَإِسْحَاقَ بْنِ يُوسُفَ الْأَزْرَقِ، وَيَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، وَغَيْرِهِمْ. وَرَوَى عَنْهُ جَمَاعَةٌ.

وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ كَثِيرَةٌ. وَقَدْ أَجَازَهُ الشَّافِعِيُّ **كُتُبَ** الزَّعْفَرَانِيِّ[2].

وَكَانَ الْكَرَابِيسِيُّ مِنْ مُتَكَلِّمِي أَهْلِ السُّنَّةِ، أُسْتَاذًا فِي عِلْمِ الْكَلَامِ كَمَا هُوَ أُسْتَاذٌ فِي الْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ. وَلَهُ كِتَابٌ فِي **عِلْمِ الْمَقَالَاتِ**.

مَاتَ سَنَةَ خَمْسٍ أَوْ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِئَتَيْنِ[3].

وَمِنْهُمْ: **الْحُسَيْنُ الْقَلَّاسُ**، بِالسِّينِ الْمُهْمَلَةِ، الْفَقِيهُ الْبَغْدَادِيُّ، كَانَ مِنْ جُمْلَةِ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ، وَحُفَّاظِ مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ[4].

---

(1) اختصر الترجمة من طبقات الشافعية الكبرى: 2/ 114 ـ 116.

(2) طبقات الشافعية الكبرى: 2/ 117.

(3) تاريخ بغداد: 8/ 611، وطبقات الشافعية الكبرى: 2/ 117.

(4) المصدر نفسه: 8/ 647، والمصدر نفسه: 2/ 127.

وَمِنْهُمْ: حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللهِ التُّجِيبِيُّ، وَتُجِيبُ قَبِيلَةٌ، كانَ إِمَامًا جَلِيلًا، رَفِيعَ الشَّأْنِ.

وُلِدَ سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِّينَ وَمِئَةٍ.

رَوَى عَنِ الشَّافِعِيِّ، وَابْنِ وَهْبٍ، وَأَيُّوبَ ابْنِ سُوَيْدٍ، وَغَيْرِهِمْ.

رَوَى عَنْهُ مُسْلِمٌ وَابْنُ مَاجَهْ وَغَيْرُهُمَا. وَهُوَ ثِقَةٌ ثَبْتٌ إِنْ شَاءَ اللهُ.

صَنَّفَ: "**الْمَبْسُوطُ**"، وَ"**الْمُخْتَصَرُ**".

وَمَاتَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِئَتَيْنِ.

قَالَ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: إِذَا رَأَيْتَ كَوْسَجًا[1] فَاحْذَرْهُ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ أَزْرَقَ خَيْرًا.

وَقَالَ: مَا تُقُرِّبَ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بَعْدَ أَدَاءِ الْفَرَائِضِ بِأَفْضَلَ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ.

قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فِي حَدِيثِ: «اشْتَرِطِي لَهُمُ الْوَلَاءَ»[2]، [أَيْ عَلَيْهِمْ، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾[3]][4]، أَيْ عَلَيْهِمْ.

وَفِي قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْدَ أَنَّهُمْ»، أَيْ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ.

---

(1) الكوسج: الأَثَطُّ، الذي لا شعر على عارضيه، وقيل: الناقص الأسنان، معرب أصله بالفارسية: كوسه. اللسان/ كسج.

(2) صحيح ابن حبان: 10/ 168. السنن الكبرى للبيهقي: 10/ 569.

(3) سورة الرعد الآية: 25 .

(4) ما بين معقوفين سقط من أنطاليا.

وَقَالَ: كَانَ الشَّافِعِيُّ وَهُوَ حَدَثٌ يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ، وَكانَ لَهُ صَدِيقٌ وَعِنْدَهُ جَارِيَةٌ قَدْ حَبلَتْ، قالَ: إِنَّهَا تَلِدُ وَلَدًا فِي فَخِذِهِ الْأَيْسَرِ خَالٌ أَسْوَدُ إِلَى سَبْعَةٍ وَعِشْرِينَ يَوْمًا، وَيَعِيشُ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَمُوتُ، فَجَاءَ الْأَمْرُ كَمَا وَصَفَ. فَحَرَقَ تِلْكَ الْكُتُبَ، وَمَا عَادَ إِلَى النَّظَرِ فِي شَيْءٍ مِنْهَا أَصْلًا.

وَقالَ: كَانَ الشَّافِعِيُّ يُخْرِجُ لِسَانَهُ فَيَبْلُغُ أَنْفَهُ[1].

وَمْنِهُمْ: **الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ الْجِيزِيُّ، أَبُو مُحَمَّدٍ الْأَزْدِيُّ**، مَوْلَاهُمْ الْمِصْرِيُّ الْأَعْرَجُ. كَانَ رَجُلًا صَالِحًا فَقِيهًا.

رَوَى عَنِ الشَّافِعِيِّ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ وَهْبٍ وَإِسْحَاقَ بْنِ وَهْبٍ، وَغَيْرِهِمْ.

وَرَوَى عَنْهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَالطَّحَاوِيُّ، وَغَيْرُهُمْ.

تُوُفِّيَ سَنَةَ سِتٍّ أَوْ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَمِئَتَيْنِ[2].

وَمِنْهُمْ: **الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ كَامِلٍ الْمُرَادِيُّ**، مَوْلَاهُمْ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُؤَذِّنُ. صَاحِبُ الشَّافِعِيِّ، وَرَاوِيَةُ كُتُبِهِ، وَالثِّقَةُ الثَّبْتُ فِيمَا يَرْوِيهِ، حَتَّى رَجَّحُوا رِوَايَتَهُ عِنْدَ تَعَارُضِ الْمُزَنِيِّ، مَعَ عُلُوِّ قَدْرِ الْمُزَنِيِّ عِلْمًا وَدِينًا وَجَلَالَةً وَمُوَافَقَةَ مَا رَوَاهُ لِلْقَوَاعِدِ. **وُلِدَ** سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَمِئَةٍ.

وَحَدَّثَ عَنِ الشَّافِعِيِّ، وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ وَهْبٍ، وَأَيُّوبَ بْنِ سُوَيْدٍ، وَيَحْيَى بْنِ حَسَّانٍ، وَجَمَاعَةٍ.

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى: 2/ 127 ـ 129. وفيها: توفي سنة: 243 هـ.

(2) تاريخ الإسلام: 6/ 332، وطبقات الشافعية الكبرى: 2/ 131.

رَوَى عَنْهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَهْ، وَأَبُو زُرْعَةَ الرَّازِيُّ، وَالطَّحَاوِيُّ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَجَمَاعَةٌ غَيْرُهُمْ.

وَكَانَ الشَّافِعِيُّ يُحِبُّهُ، وَقَالَ لَهُ يَوْمًا: لَوْ أَمْكَنَنِي أَنْ أُطْعِمَكَ الْعِلْمَ لَأَطْعَمْتُكَ. وَكَانَ بَطِيءَ الْفَهْمِ، كَرَّرَ عَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ مَسْأَلَةً وَاحِدَةً أَرْبَعِينَ مَرَّةً فَلَمْ يَفْهَمْ، وَقَامَ مِنَ الْمَجْلِسِ حَيَاءً، فَدَعَاهُ الشَّافِعِيُّ فِي خَلْوَةٍ، فَكَرَّرَهَا حَتَّى فَهِمَهَا.

وَقِيلَ: كَانَتْ فِيهِ سَلَامَةُ صَدْرٍ وَغَفْلَةٌ، إِلَّا أَنَّهُ بِاتِّفَاقِهِمْ لَمْ يُنْتَهَ بِهِ إِلَى التَّوَقُّفِ فِي قَبُولِ رِوَايَتِهِ، بَلْ هُوَ ثِقَةٌ ثَبْتٌ.

مَاتَ سَنَةَ سَبْعِينَ وَمِئَتَيْنِ.

قَالَ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: مَنِ اسْتُغْضِبَ فَلَمْ يَغْضَبْ فَهُوَ حِمَارٌ، وَمَنِ اسْتُرْضِيَ فَلَمْ يَرْضَ فَهُوَ لَئِيمٌ، وَفِي لَفْظٍ فَهُوَ شَيْطَانٌ، وَمَنْ ذُكِّرَ فَلَمْ يُزْجَرْ فَهُوَ مَحْرُومٌ. وَمَنْ تَعَرَّضَ بِمَا لَا يَعْنِيهِ فَهُوَ الْمَلُومُ.

وَقَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَا حَلَفْتُ بِاللهِ صَادِقًا وَلَا كَاذِبًا، جَادًّا وَلَا هَازِلًا.

قُلْتُ: وَإِنِّي مَا سَمِعْتُ مِنَ الْمَوْلَى الْوَالِدِ يَمِينًا قَطُّ، كَمَا قَالَهُ الشَّافِعِيُّ مَعَ كَثْرَةِ صُحْبَتِي مَعَهُ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ. رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، وَحَشَرَهُ مَعَ الْأَبْرَارِ.

وَقَالَ الرَّبِيعُ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: إِذَا ضَاقَتِ الْأَشْيَاءُ اتَّسَعَتْ، وَإِذَا اتَّسَعَتْ ضَاقَتْ.

قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَنْ صَدَقَ فِي أُخُوَّةِ أَخِيهِ، قَبِلَ عِلَلَهُ، وَسَدَّ خَلَلَهُ، وَعَفَا عَنْ زَلَلِهِ.

قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: الْكَيِّسُ الْعَاقِلُ هُوَ الْفَطِنُ الْمُتَغَافِلُ(1).

وَمِنْهُمْ: **سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ الْقُرَشِيُّ الْهَاشِمِيُّ، أَبُو أَيُّوبَ الْبَغْدَادِيُّ**، رَوَى عَنِ الشَّافِعِيِّ وَغَيْرِهِ. وَرَوَى عَنْهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَغَيْرُهُ.

تُوُفِّيَ سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ أَوْ عِشْرِينَ وَمِئَتَيْنِ(2).

وَمِنْهُمْ: **عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ بْنِ عِيسَى الْقُرَشِيُّ الْأَسَدِيُّ الْمَكِّيُّ**، مُحَدِّثُ مَكَّةَ وَفَقِيهُهَا، أَبُو بَكْرٍ الْحُمَيْدِيُّ، نِسْبَةً إِلى حُمَيْدِ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَسَدٍ.

رَوَى عَنِ الشَّافِعِيِّ وَتَفَقَّهَ بِهِ، وَذَهَبَ مَعَهُ إِلَى مِصْرَ، وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ - **قَالَ** الذَّهَبِيُّ: وَهُوَ أَجَلُّ أَصْحَابِهِ-، وَالدَّرَاوَرْدِيِّ، وَوَكِيعٍ، وَفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ، وَغَيْرِهِمْ.

رَوَى عَنْهُ الْبُخَارِيُّ، وَيَعْقُوبُ بْنُ سُفْيَانَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الذُّهْلِيُّ، وَأَبُو زُرْعَةَ، وَأَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيَّانُ، وَخَلْقٌ.

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: الْحُمَيْدِيُّ عِنْدَنَا إِمَامٌ.

تُوُفِّيَ بِمَكَّةَ سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ وَمِئَتَيْنِ(3).

وَمِنْهُمْ: **عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عِمْرَانَ بْنِ أَيُّوبَ بْنِ مِقْلَاصٍ، الْإِمَامُ أَبُو عَلِيٍّ الْخُزَاعِيُّ**، مَوْلَاهُمُ الْمِصْرِيُّ الْفَقِيهُ.

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى: 2/ 131 ـ 137.

(2) المصدر نفسه: 2/ 139.

(3) المصدر نفسه: 2/ 140.

أَخَذَ عَنِ الشَّافِعِيِّ، وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ وَهْبٍ.

وَرَوَى عَنْهُ أَبُو زُرْعَةَ وَأَبُو حَاتِمٍ وَغَيْرُهُمَا.

وَهُوَ ابْنُ بِنْتِ سَعِيدِ بْنِ أَبِي أَيُّوبَ. كانَ فَقِيهًا زَاهِدًا.

تُوُفِّيَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَمِئَتَيْنِ[1].

وَمِنْهُمْ: عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُسْلِمِ بْنِ مَيْمُونٍ الْكِنَانِيُّ الْمَكِّيُّ.

رَوَى عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَمَرْوَانَ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْفَزَارِيِّ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ مُعَاذٍ الصَّنْعَانِيِّ، وَمُحَمَّدِ بْنِ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيِّ، وَبِهِ تَخَرَّجَ.

رَوَى عَنْهُ أَبُو الْعَيْنَاءِ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ خَلَّادٍ، وَالْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ الْبَجَلِيُّ، وَأَبُو بَكْرٍ يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيُّ، وَغَيْرُهُمْ. وَهُوَ قَلِيلُ الْحَدِيثِ.

وَكانَ يُلَقَّبُ بِالْغُولِ لِذَمَامَةِ مَنْظَرِهِ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ. وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ عِدَّةٌ.

وَكانَ مِمَّنْ تَفَقَّهَ بِالشَّافِعِيِّ وَاشْتَهَرَ بِصُحْبَتِهِ، وَكانَ أَحَدَ أَتْبَاعِ الشَّافِعِيِّ وَالْمُقْتَبِسِينَ عَنْهُ، وَقَدْ طَالَتْ صُحْبَتُهُ لَهُ، وَخَرَجَ مَعَهُ إِلَى الْيَمَنِ[2].

وَمِنْهُمْ: عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ نَجِيحٍ السَّعْدِيُّ، أَبُو الْحَسَنِ ابْنُ الْمَدِينِيِّ، الْحَافِظُ، أَحَدُ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ، وَمَنِ انْعَقَدَ الْإِجْمَاعُ عَلَى جَلَالَتِهِ وَإِمَامَتِهِ. وَلَهُ التَّصَانِيفُ الْحِسَانُ.

---

(1) تاريخ الإسلام: 5/ 872، وطبقات الشافعية الكبرى: 2/ 143.

(2) طبقات الشافعية الكبرى: 2/ 144، اختلف في سنة وفاته.

مَوْلِدُهُ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَمِئَةٍ.

سَمِعَ أَبَاهُ، وَحَمَّادَ بْنَ زَيْدٍ، وَهُشَيْمًا، وَابْنَ عُيَيْنَةَ، وَالدَّرَاوَرْدِيَّ، وَغَيْرَهُمْ.

رَوَى عَنْهُ الْبُخَارِيُّ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَغَيْرُهُمْ.

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ عَنْ رَجُلٍ عَنْهُ أَنَّهُ مَاتَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَمِئَتَيْنِ[1].

وَمِنْهُمْ: **الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ بْنِ يُونُسَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي فَرْوَةَ**، وَاسْمُ أَبِي فَرْوَةَ كَيْسَانُ، مَوْلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَكُنْيَةُ الْفَضْلِ أَبُو الْعَبَّاسِ، حَاجِبُ الرَّشِيدِ، ثُمَّ وَزِيرُهُ. «كَانَ مِنْ رِجَالِ الدَّهْرِ رَأْيًا وَحَزْمًا وَدَهَاءً وَرِئَاسَةً وَمَكَارِمَ وَعَظَمَةً فِي الدُّنْيَا. وَلِوَالِدِهِ الرَّبِيعِ الْجَاهُ عِنْدَ مَخْدُومِهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ. وَلَمَّا آلَ الْأَمْرُ إِلَى هَارُونَ الرَّشِيدِ، وَاسْتَوْزَرَ الْبَرَامِكَةَ، جَعَلَ الْفَضْلَ حَاجِبَهُ.

وَكَانَ الْفَضْلُ يَرُومُ التَّشَبُّهَ بِالْبَرَامِكَةِ وَمُعَارَضَتَهُمْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ إِذْ ذَاكَ مِنَ الْمَقْدُرَةِ مَا يُدْرِكُ اللَّحَاقَ بِهِمْ، فَمِنْ ثَمَّ كَانَتْ بَيْنَهُمْ إِحَنٌ وَشَحْنَاءُ، إِلَى أَنْ قَدَّرَ اللهُ تَعَالَى زَوَالَ نِعْمَةِ الْبَرَامِكَةِ عَلَى يَدِ الْفَضْلِ، فَإِنَّهُ تَمَكَّنَ بِمُجَالَسَةِ الرَّشِيدِ، وَأَوْغَرَ قَلْبَهُ فِيمَا يُذْكَرُ عَلَيْهِمْ، حَتَّى اتَّفَقَ لَهُمْ مَا تَنَاقَلَتْهُ الرُّوَاةُ، وَاسْتَمَرَّ الْفَضْلُ مُتَمَكِّنًا عِنْدَ هَارُونَ إِلَى أَنْ قَضَى هَارُونُ نَحْبَهُ، فَقَامَ بِالْخِلَافَةِ وَلَدُهُ مُحَمَّدُ الْأَمِينُ، وَسَاقَ إِلَيْهِ الْخَزَائِنَ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ، وَسَلَّمَ إِلَيْهِ

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى: 2/ 145.

الْقَضِيبَ وَالْخَاتَمَ، وَأَتَاهُ بِذَلِكَ مِنْ طُوسٍ، وَكانَ الْفَضْلُ هُوَ صَاحِبَ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ لِاشْتِغَالِ الْأَمِينِ بِاللَّهْوِ.

وَلَمَّا تَدَاعَتْ دَوْلَةُ الْأَمِينِ، وَلَاحَ عَلَيْهَا الْإِدْبَارُ، اخْتَفَى الْفَضْلُ مُدَّةً طَوِيلَةً. فَلَمَّا بُويِعَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ ظَهَرَ الْفَضْلُ، وَسَاسَ نَفْسَهُ، وَلَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمْ فِي شَيْءٍ، فَلِذَلِكَ عَفَا عَنْهُ الْمَأْمُونُ بِشَفَاعَةِ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ، وَاسْتَمَرَّ بَطَّالًا فِي دَوْلَةِ الْمَأْمُونِ، لَا حَظَّ لَهُ إِلَّا السَّلَامُ، إِلَى أَنْ مَاتَ.

وَفِي اسْتِقْصَاءِ أَخْبَارِهِ طُولٌ، وَأَبْوَابٌ وَفُصُولٌ، وَلَكِنَّا نَذْكُرُ مِنْ عَجَائِبِهَا أَمْرًا فِيهِ عِظَةٌ عَظِيمَةٌ لِمَنِ اعْتَبَرَ، وَهُوَ أَنَّ الْفَضْلَ دَخَلَ يَوْمًا عَلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ الْبَرْمَكِيِّ، وَقَدْ جَلَسَ يَحْيَى لِقَضَاءِ الْحَوَائِجِ، وَوَلَدُهُ جَعْفَرٌ بَيْنَ يَدَيْهِ يُوَقِّعُ فِي الْقَصَصِ، فَعَرَضَ الْفَضْلُ عَلَيْهِ عَشْرَ رِقَاعٍ لِلنَّاسِ، فَتَعَلَّلَ يَحْيَى فِي كُلٍّ مِنْهَا [بِعِلَّةٍ][1]، وَلَمْ يُوَقِّعْ فِي شَيْءٍ مِنْهَا الْبَتَّةَ، فَجَمَعَ الْفَضْلُ الرِّقَاعَ، وَقَالَ: ارْجِعْنَ خَائِبَاتٍ خَاسِئَاتٍ، فَخَرَجَ وَهُوَ يُنْشِدُ: [الطويل]

عَسَى وَعَسَى يَثْنِي الزَّمَانُ عِنَانَهُ ... بِتَصْرِيفِ حَالٍ وَالزَّمَانُ عَثُورُ[2]
فَتُقْضَى لُبَانَاتٌ وَتُشْفَى حَسَائِفٌ ... وَتَحْدُثُ مِنْ بَعْدِ الْأُمُورِ أُمُورُ

(1) ما بين معقوفين سقط من قونية.

(2) يُنسب البيتان للفضل بن الربيع في المصادر كوفيات الأعيان: 4/ 38، وطبقات الشافعية الكبرى: 2/ 151 وغيرهما.

فَسَمِعَهُ يَحْيَى فَقالَ: عَزَمْتُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْعَبَّاسِ إِلَّا رَجَعْتَ، فَرَجَعَ، فَوَقَّعَ لَهُ فِي الْجَمِيعِ. ثُمَّ لَمْ يَمْضِ إِلَّا الْقَلِيلُ، وَنُكِبَتِ الْبَرَامِكَةُ عَلَى يَدَيْهِ، وَتَوَلَّى هُوَ الْوِزَارَةَ بَعْدَ أَنْ كَانَ حَاجِبًا.

وَالْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ هُوَ الَّذِي قَالَ فِيهِ أَبُو نُوَاسٍ: [السريع]

وَلَيْسَ مِنَ اللهِ بِمُسْتَنْكَرٍ   أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدِ[1]

مِنْ أَبْيَاتٍ.

مَاتَ الْفَضْلُ سَنَةَ ثَمَانٍ وَمِئَتَيْنِ، وَهُوَ فِي عَشْرِ السَّبْعِينَ.

حَدَّثَ عَنِ الْفَضْلِ أَبُو نَصْرٍ الْمَخْزُومِيُّ الْكُوفِيُّ أَنَّهُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى هَارُونَ فَإِذَا بَيْنَ يَدَيْهِ أَنْوَاعٌ مِنْ آلَاتِ الْعَذَابِ وَالْقَتْلِ، فَقَالَ لِي: يَا فَضْلُ، عَلَيَّ بِهَذَا الْحِجَازِيِّ، يَعْنِي الشَّافِعِيَّ، فَقُلْتُ: إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، ذَهَبَ هَذَا الرَّجُلُ. فَأَتَيْتُهُ وَقُلْتُ لَهُ: أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: أُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، فَقُلْتُ: صَلِّ، فَصَلَّى، ثُمَّ رَكِبَ بَغْلَتَهُ فَصِرْنَا مَعًا إِلَى دَارِ الرَّشِيدِ، فَلَمَّا دَخَلْنَا الدِّهْلِيزَ الْأَوَّلَ حَرَّكَ الشَّافِعِيُّ شَفَتَيْهِ، وَكَذَا فِي الثَّانِي، فَلَمَّا دَخَلْنَا بِحَضْرَةِ الرَّشِيدِ، قَامَ إِلَيْهِ فَأَجْلَسَهُ مَوْضِعَهُ، وَقَعَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ، وَخَاصَّةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ الْحَالَ، فَتَحَدَّثُوا طَوِيلًا، ثُمَّ أَذِنَ لَهُ بِالِانْصِرَافِ، فَقَالَ لِي: احْمِلْ يَا فَضْلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بَدْرَةً[2] فَحَمَلْتُ، وَقُلْتُ لَهُ: سَأَلْتُكَ بِالَّذِي صَيَّرَ غَضَبَهُ عَلَيْكَ

---

(1) البيت في الديوان: 179 برواية: (وَلَيْسَ لله بِمُسْتَنْكَرٍ).

(2) البدرة: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف. اللسان/ بدر.

رِضًى إِلَّا مَا عَرَّفْتَنِي مَا قُلْتَ حَتَّى رَضِيَ، فقالَ: يَا فَضْلُ، فَقُلْتُ: لَبَّيْكَ أَيُّهَا السَّيِّدُ الْفَقِيهُ، قَالَ: خُذْ مِنِّي، وَاحْفَظْ عَنِّي، قُلْتُ: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾[1]، الآيَةُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِنُورِ قُدُسِكَ، وَبِبَرَكَةِ طَهَارَتِكَ، وَبِعَظَمَةِ جَلَالِكَ، مِنْ كُلِّ عَاهَةٍ وَآفَةٍ، وَطَارِقِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ، يَا رَحْمَنُ. اللَّهُمَّ بِكَ مَلَاذِي قَبْلَ أَنْ أَلُوذَ، وَبِكَ غِيَاثِي قَبْلَ أَنْ أُغَوِّثَ، يَا مَنْ ذَلَّتْ لَهُ رِقَابُ الْفَرَاعِنَةِ، وَخَضَعَتْ لَهُ مَقَالِيدُ الْجَبَابِرَةِ. اللَّهُمَّ ذِكْرُكَ شِعَارِي وَدِثَارِي وَنَوْمِي وَقَرَارِي. أَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، اضْرِبْ عَلَيَّ سُرَادِقَاتِ حِفْظِكَ، وَقِنِي رُعْبِي بِخَيْرٍ مِنْكَ، يَا رَحْمَنُ.

قَالَ الْفَضْلُ: فَكَتَبْتُهَا، وَجَعَلْتُهَا فِي بركَةِ قَبَائِي[2].

وَكانَ الرَّشِيدُ كَثِيرَ الْغَضَبِ عَلَيَّ، وَكانَ كُلَّمَا هَمَّ أَنْ يَغْضَبَ أُحَرِّكُهَا فِي وَجْهِهِ فَيَرْضَى، فَهَذَا مِمَّا[3] أَدْرَكْتُ مِنْ بَرَكَةِ الشَّافِعِيِّ[4].

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْوَاقِعَةَ، وَهَذَا الدُّعَاءَ، رُوِيَ عَلَى وَجْهٍ آخَرَ، رَوَاهُ الْمُزَنِيُّ عَنِ الشَّافِعِيِّ، فَلَا عَلَيْنَا أَنْ نَذْكُرَهَا هَاهُنَا إِتْمَامًا لِلْمَرَامِ، وَإِنْ أَدَّى إِلَى الْإِطْنَابِ فِي الْكَلَامِ.

---

(1) سورة آل عمران الآية: 18.

(2) قبابي، في رئيس الكتاب. والقَبَاءُ: كلمة فارسية معربة تعني ثوبا مفتوح من الأمام. المعجم العربي لأسماء الملابس: 378.

(3) ما، في قونية.

(4) طبقات الشافعية الكبرى: 2/ 150 - 153.

قَالَ الْمُزَنِيُّ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: بَعَثَ إِلَيَّ هَارُونُ الرَّشِيدُ لَيْلَةً الرَّبِيعَ، فَهَجَمَ عَلَيَّ مِنْ غَيْرِ إِذْنٍ، فَقَالَ لِي: أَجِبْ، فَقُلْتُ لَهُ: فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ، وَبِغَيْرِ إِذْنٍ، قَالَ: بِذَلِكَ أُمِرْتُ، فَخَرَجْتُ مَعَهُ، فَلَمَّا صِرْتُ إِلَى بَابِ دَارِ الرَّشِيدِ قَالَ لِي: اجْلِسْ، فَلَعَلَّهُ قَدْ نَامَ، أَوْ سَكَنَ غَضَبُهُ، فَدَخَلَ فَوَجَدَهُ مُنْتَصِبًا. فَقَالَ: مَا فَعَلَ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ؟ قَالَ الرَّبِيعُ: قَدْ أَحْضَرْتُهُ، قَالَ الشَّافِعِيُّ: فَلَمَّا دَخَلْتُ، تَأَمَّلَنِي، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ، أَرْعَبْنَاكَ، فَانْصَرِفْ رَاشِدًا. يَا رَبِيعُ، احْمِلْ مَعَهُ بَدْرَةً. قَالَ: فَقُلْتُ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا، قَالَ: أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ إِلَّا أَخَذْتَهَا، فَحُمِلَتْ بَيْنَ يَدَيَّ، فَلَمَّا خَرَجْتُ، قَالَ لِي الرَّبِيعُ: بِالَّذِي سَخَّرَ لَكَ هَذَا الرَّجُلَ، مَا الَّذِي قُلْتَ؟ فَقُلْتُ: سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ نَافِعًا يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ: دَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْأَحْزَابِ بِهَذَا الدُّعَاءِ فَكُفِيَ. وَهُوَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِنُورِ قُدُسِكَ، وَبَرَكَةِ طَهَارَتِكَ، وَعِظَمِ جَلَالِكَ، مِنْ كُلِّ طَارِقٍ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ. اللَّهُمَّ أَنْتَ غِيَاثِي فَبِكَ أُغَوِّثُ، وَأَنْتَ عِيَاذِي فَبِكَ أَعُوذُ، وَأَنْتَ مَلَاذِي فَبِكَ أَلُوذُ، يَا مَنْ ذَلَّتْ لَهُ رِقَابُ الْجَبَابِرَةِ، وَخَضَعَتْ لَهُ مَقَالِيدُ الْفَرَاعِنَةِ، أَجِرْنِي مِنْ خِزْيِكَ وَعُقُوبَتِكَ، فَإِنَّنِي فِي [كَنَفِكَ][1] لَيْلِي وَنَهَارِي، وَنَوْمِي وَقَرَارِي. لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ تَعْظِيمًا لِوَجْهِكَ، وَتَكْرِيمًا لِسُبُحَاتِكَ، فَاصْرِفْ عَنِّي شَرَّ عِبَادِكَ، وَاجْعَلْنِي فِي حِفْظِ عِنَايَتِكَ، وَسُرَادِقَاتِ حِفْظِكَ، وَعُدْ عَلَيَّ بِخَيْرٍ مِنْكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ[2].

---

(1) زيادة من أنطاليا.

(2) الخبر في طبقات الشافعية الكبرى: 2/ 100 ـ 101.

وَمِنْهُمْ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَّامٍ، بِتَشْدِيدِ اللَّامِ، الْإِمَامُ الْجَلِيلُ، أَبُو عُبَيْدٍ الْأَدِيبُ، الْفَقِيهُ الْمُحَدِّثُ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ الْكَثِيرَةِ فِي الْقِرَاءَاتِ وَالْفِقْهِ وَاللُّغَةِ وَالشِّعْرِ.

قَرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى الْكِسَائِيِّ، وَإِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ، وَشُجَاعِ بْنِ أَبِي نَصْرٍ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَيَّاشٍ، وَإِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ، وَهُشَيْمِ بْنِ بَشِيرٍ، وَشَرِيكِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، وَهُوَ أَكْبَرُ شُيُوخِهِ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُبَارَكِ، وَخَلَائِقَ آخَرِينَ.

رَوَى عَنْهُ وَكِيعٌ، وَالدَّارِمِيُّ، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا، وَآخَرُونَ. وَتَفَقَّهَ عَلَى الشَّافِعِيِّ.

وُلِدَ بِهَرَاةَ، وَكَانَ أَبُوهُ ـ فِيمَا يُذْكَرُ ـ عَبْدًا لِبَعْضِ أَهْلِهَا، وَتَنَقَّلَتْ بِهِ الْبِلَادُ، وَوَلِيَ قَضَاءَ طَرَسُوسَ [ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً][1] ، ثُمَّ حَجَّ بِالْآخِرَةِ، فَتُوُفِّيَ بِمَكَّةَ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَمِئَتَيْنِ.

وَكَانَ يَنَامُ ثُلُثَ اللَّيْلِ، وَيُصَلِّي ثُلُثَهُ، وَيُطَالِعُ ثُلُثَهُ.

قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ: الْحَقُّ يَجِبُ للهِ؛ أَبُو عُبَيْدٍ أَفْقَهُ مِنِّي، وَأَعْلَمُ مِنِّي، وَهُوَ أَوْسَعُنَا عِلْمًا، وَأَكْثَرُنَا أَدَبًا، إِنَّا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ، وَهُوَ لَا يَحْتَاجُ إِلَيْنَا.

قَالَ الْحَاكِمُ: هُوَ الْإِمَامُ الْمَقْبُولُ عِنْدَ الْكُلِّ[2].

---

(1) زيادة من أنطاليا.

(2) تاريخ الإسلام: 5/ 654.

وَمِنْهُمْ: **قَحْزَمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ قَحْزَمٍ، أَبُو حَنِيفَةَ الْأُسْوَانِيُّ**، بِفَتْحِ الْقَافِ وَسُكُونِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ، ثُمَّ الزَّايِ الْمُعْجَمَةِ الْمَفْتُوحَةِ، هُوَ آخِرُ مَنْ صَحِبَ الشَّافِعِيَّ [مَوْتًا][1].

رَوَى عَنْهُ كَثِيرًا مِنْ كُتُبِهِ، وَكانَ مُفْتِيًا، وَأَصْلُهُ مِنَ الْقِبْطِ.

تُوُفِّيَ سَنَةَ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَمِئَتَيْنِ[2].

وَمِنْهُمْ: **مُوسَى بْنُ أَبِي الْجَارُودِ، أَبُو الْوَلِيدِ الْمَكِّيُّ**، رَاوِي كِتَابِ "**الْأَمَالِي**" عَنِ الشَّافِعِيِّ، وَأَحَدُ الثِّقَاتِ مِنْ أَصْحَابِهِ.

كَانَ فَقِيهًا جَلِيلًا، أَفْتَى بِمَكَّةَ عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ. يُرْجَعُ إِلَيْهِ عِنْدَ اخْتِلَافِ الرِّوَايَةِ.

رَوَى عَنْ يَحْيَى بْنِ مَعِينٍ وَالْبُوَيْطِيِّ.

وَرَوَى عَنْهُ الزَّعْفَرَانِيُّ، وَالرَّبِيعُ، وَأَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ[3].

وَمِنْهُمْ: **يُوسُفُ بْنُ يَحْيَى، الْإِمَامُ الْجَلِيلُ أَبُو يَعْقُوبَ الْبُوَيْطِيُّ الْمِصْرِيُّ**، وَبُوَيْطُ مِنْ صَعِيدِ مِصْرَ. هُوَ أَكْبَرُ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ الْمِصْرِيِّينَ.

كانَ إِمَامًا جَلِيلًا، عَابِدًا زَاهِدًا، فَقِيهًا عَظِيمًا مُنَاظِرًا، جَبَلًا مِنْ جِبَالِ الْعِلْمِ وَالدِّينِ، غَالِبُ أَوْقَاتِهِ الذِّكْرَ وَالتَّشَاغُلَ بِالْعِلْمِ، غَالِبُ لَيْلِهِ التَّهَجُّدَ وَالتِّلَاوَةَ، سَرِيعَ الدَّمْعَةِ.

---

(1) ما بين معقوفين سقط من قونية.

(2) تاريخ الإسلام: 6/ 591، وطبقات الشافعية الكبرى:2/ 160.

(3) طبقات الشافعية الكبرى: 2/ 161.

تَفَقَّهَ عَلَى الشَّافِعِيِّ، وَاخْتَصَّ بِصُحْبَتِهِ، وَحَدَّثَ عَنْهُ، وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ وَهْبٍ وَغَيْرِهِمَا.

رَوَى عَنْهُ الرَّبِيعُ الْمُرَادِيُّ، وَهُوَ رَفِيقُهُ، وَإِبْرَاهِيمُ الْحَرْبِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ التِّرْمِذِيُّ، وَأَبُو حَاتِمٍ، وَآخَرُونَ.

وَلَهُ: "**الْمُخْتَصَرُ**" الْمَشْهُورُ عَلَى نَظْمِ أَبْوَابِ الْمَبْسُوطِ، وَاخْتَصَرَهُ مِنْ كَلَامِ الشَّافِعِيِّ. وَهُوَ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ.

وَكانَ الشَّافِعِيُّ يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ فِي الْفُتْيَا، وَاسْتَخْلَفَهُ عَلَى أَصْحَابِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَتخَرَّجَتْ عَلَى يَدَيْهِ أَئِمَّةٌ، فَتفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ، وَنَشَرُوا عِلْمَ الشَّافِعِيِّ فِي الْآفَاقِ، وَكَانَ يَخْتِمُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ. فَسَعَى بِهِ مَنْ يَحْسُدُهُ إِلَى ابْنِ أَبِي دُؤَادٍ بِالْعِرَاقِ، فَكَتَبَ إِلَى وَالِي مِصْرَ أَنْ يَمْتَحِنَهُ، فَامْتَحَنَهُ فَلَمْ يُجِبْ، وَكَانَ الْوَالِي حَسَنَ الرَّأْيِ فِيهِ، فَقَالَ لَهُ: قُلْ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ قَالَ: إِنَّهُ يَقْتَدِي بِي مِئَةُ أَلْفٍ وَلَا يَدْرُونَ الْمَعْنَى. وَكانَ أُمِرَ أَنْ يُحْمَلَ إِلَى بَغْدَادَ فِي أَرْبَعِينَ رِطْلَ حَدِيدٍ(1).

قِيلَ: إِنَّ مَنْ سَعَى بِهِ ثَلَاثَةٌ: الْمُزَنِيُّ وَحَرْمَلَةُ وَابْنُ الشَّافِعِيِّ.

قالَ الْبُوَيْطِيُّ: بَرِئَ النَّاسُ مِنْ دَمِي إِلَّا ثَلَاثَةً: الْمُزَنِيُّ وَحَرْمَلَةُ وَآخَرُ.

قِيلَ: وَإِنَّمَا أَبْهَمَ الثَّالِثَ رِعَايَةً لِحَقِّ وَالِدِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ. ثُمَّ حَبَسُوهُ، وَكَانَ يَغْتَسِلُ كُلَّ جُمُعَةٍ، وَيَتَطَيَّبُ، وَيَغْسِلُ ثِيَابَهُ، ثُمَّ إِذَا سَمِعَ النِّدَاءَ، كَانَ

---

(1) رطل من حديد، في مراد ملا.

يَخْرُجُ إِلى بَابِ السِّجْنِ، فَيَرُدُّهُ السَّجَّانُ وَيَقُولُ: ارْجِعْ رَحِمَكَ اللهُ، فَيَقُولُ الْبُوَيْطِيُّ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَجَبْتُ دَاعِيكَ فَمَنَعُونِي.

قَالَ أَبُو عَمْرٍو الْمُسْتَمْلِي: حَضَرْنَا مَجْلِسَ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الذُّهلِيِّ، فَقَرَأَ عَلَيْنَا كِتَابَ الْبُوَيْطِيِّ إِلَيْهِ، وَإِذَا فِيهِ: وَالَّذِي أَسْأَلُكَ أَنْ تَعْرِضَ حَالِي عَلَى إِخْوَانِنَا أَهْلِ الْحَدِيثِ لَعَلَّ اللهَ يُخَلِّصُنِي بِدُعَائِهِمْ، فَإِنِّي فِي الْحَدِيدِ، وَقَدْ عَجَزْتُ عَنْ أَدَاءِ الْفَرَائِضِ مِنَ الطَّهَارَةِ وَالصَّلَاةِ، فَضَجَّ النَّاسُ بِالْبُكَاءِ وَالدُّعَاءِ لَهُ.

قَالَ ابْنُ السُّبْكِيِّ: انْظُرْ إِلَى هَذَا الْحَبْرِ، لَمْ يَكُنْ أَسَفُهُ إِلَّا عَلَى أَدَاءِ الْفَرَائِضِ، وَلَمْ يُبَالِ بِالْقَيْدِ وَلَا بِالسِّجْنِ، فَرَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَجَزَاهُ عَنْ صَبْرِهِ خَيْرًا، لَقَدْ قَامَ مَقَامَ الصِّدِّيقِينَ.

مَاتَ الْبُوَيْطِيُّ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَمِئَتَيْنِ فِي سِجْنِ بَغْدَادَ فِي الْقَيْدِ وَالْغُلِّ[1].

وَمِنْهُمْ: يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى بْنِ مُوسَى بْنِ مَيْسَرَةَ بْنِ حَفْصِ بْنِ حِبَّانَ، الْإِمَامُ الْكَبِيرُ أَبُو مُوسَى الصَّدَفِيُّ الْمِصْرِيُّ، الْفَقِيهُ الْمُقْرِئُ الشَّافِعِيُّ.

وُلِدَ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ سَبْعِينَ وَمِئَةٍ.

وَقَرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى وَرْشٍ وَغَيْرِهِ، وَأَقْرَأَ النَّاسَ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْ سُفْيَانَ ابْنِ عُيَيْنَةَ، وَابْنِ وَهْبٍ، وَالْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ، وَمَعْنِ بْنِ عِيسَى، وَأَبِي ضَمْرَةَ أَنَسِ بْنِ عِيَاضٍ، وَالشَّافِعِيِّ، وَأَخَذَ عَنْهُ الْفِقْهَ، وَطَائِفَةٍ أُخْرَى.

---

(1) تاريخ الإسلام: 5/ 977، وطبقات الشافعية الكبرى: 2/ 162 ـ 165.

رَوَى عَنْهُ مُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ، وَأَبُو عَوَانَةَ، وَأَبُو بَكْرِ بْنِ زِيَادٍ النَّيْسَابُورِيُّ، وَأَبُو الطَّاهِرِ الْمَدِينِيُّ، وَخَلْقٌ. وَانْتَهَتْ إِلَيْهِ رِئَاسَةُ الْعِلْمِ بِدِيَارِ مِصْرَ.

قَالَ الشَّافِعِيُّ: مَا رَأَيْتُ بِمِصْرَ أَحَدًا أَعْقَلَ مِنْ يُونُسَ.

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ حَسَّانٍ: يُونُسُكُمْ هَذَا مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ.

مَاتَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَمِئَتَيْنِ.

وَاعْلَمْ أَنَّا نَخْتِمُ بِذِكْرِهِ رُوَاةَ الشَّافِعِيِّ الَّذِينَ تَفَقَّهُوا عَلَيْهِ، ثُمَّ نَذْكُرُ بَعْدَ هَذَا مَشَاهِيرَ الْأَئِمَّةِ مِنَ الْمُتَمَذْهِبِينَ بِمَذْهَبِهِ، إِذْ إِحَاطَةُ الْكُلِّ مُمْتَنِعٌ فِي هَذَا الْكِتَابِ، إِذْ قَدْ كُسِرَ عَلَيْهَا الْمُجَلَّدَاتُ الْكِبَارُ.

مِنْهُمْ: **مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ، أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ**، أَحَدُ الْأَئِمَّةِ الْأَعْلَامِ.

وُلِدَ سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَمِئَةٍ.

خَرَجَ مِنَ الْبَحْرَيْنِ إِلَى مِصْرَ مَاشِيًا، ثُمَّ إِلَى الرَّمْلَةِ مَاشِيًا، ثُمَّ إِلَى دِمَشْقَ، ثُمَّ إِلَى أَنْطَاكِيَةَ، ثُمَّ إِلَى طَرَسُوسَ.

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى حِمْصَ، ثُمَّ إِلَى الرَّقَّةِ، ثُمَّ رَكِبْتُ إِلَى الْعِرَاقِ، كُلُّ هَذَا وَأَنَا ابْنُ عِشْرِينَ سَنَةً.

رَوَى عَنْهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ، وَلَمْ تَثْبُتْ رِوَايَةُ الْبُخَارِيِّ[1] وَابْنِ مَاجَهْ عَنْهُ.

---

(1) الطحاوي، في أنطاليا وعاطف أفندي.

وَلَهُ حِكَايَةٌ طَوِيلَةٌ حَاصِلُهَا: أَنَّهُ رَكِبَ الْبَحْرَ، وَنَفِدَ الزَّادُ وَالرَّاحِلَةُ، وَخَرَجَ ثَلَاثَةٌ إِلَى الْبَرِّ، فَمَشَوْا حَتَّى سَقَطَ وَاحِدٌ، ثُمَّ مَشَيَا، حَتَّى سَقَطَ أَبُو حَاتِمٍ، وَمَشَى الْآخَرُ، حَتَّى رَأَى سَفِينَةً، فَأَخْبَرَهُمُ الْحَالَ، فَجَاءُوا فَسُقُوا وَأُطْعِمُوا، فَحَيُوا بَعْدَمَا مَاتُوا(1).

وَمِنْهُمْ: **مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيُّ**، صَاحِبُ "**الْجَامِعُ الصَّحِيحُ**"، وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُ مَنَاقِبِهِ بِمَا فِيهِ كِفَايَةٌ لِلطَّالِبِ.

وَمِنْهُمْ: **مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ بِشْرٍ، الْمُحَدِّثُ الزَّاهِدُ، أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحَكِيمُ التِّرْمِذِيُّ الصُّوفِيُّ**، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ. سَمِعَ الْكَثِيرَ مِنَ الْحَدِيثِ بِخُرَاسَانَ وَالْعِرَاقِ. وَحَدَّثَ عَنْ أَبِيهِ، وَعَنْ قُتَيْبَةَ بْنِ سَعِيدٍ وَآخَرِينَ.

رَوَى عَنْهُ يَحْيَى بْنُ مَنْصُورٍ الْقَاضِي وَغَيْرُهُ. لَقِيَ الْحَكِيمُ التِّرْمِذِيُّ أَبَا تُرَابٍ النَّخْشَبِيَّ، وَصَحِبَ يَحْيَى بْنَ الْجَلَّاءِ.

قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ: نَفَوْهُ مِنْ تِرْمِذَ، وَشَهِدُوا عَلَيْهِ بِالْكُفْرِ، بِسَبَبِ تَصْنِيفِ كِتَابِ "**خَتْمُ الْأَوْلِيَاءِ**"، وَ"**كِتَابُ عِلَلِ الشَّرِيعَةِ**".

وَقَالُوا: إِنَّهُ يَقُولُ: [إِنَّ](2) لِلْأَوْلِيَاءِ خَاتِمًا، كَمَا أَنَّ لِلْأَنْبِيَاءِ خَاتِمًا، وَإِنَّهُ يُفَضِّلُ الْوِلَايَةَ عَلَى النُّبُوَّةِ، وَاحْتَجَّ بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ»(3).

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى: 2/ 207 ـ 208ـ 209. وتوفي أبو حاتم الرازي سنة: 277هـ.

(2) زيادة من رئيس الكتاب.

(3) سنن الترمذي: 4/ 196 رقم: 2390.

وَقالَ: لَوْ لَمْ يَكُونُوا أَفْضَلَ مِنْهُمْ لَمْ يَغْبِطُوهُمْ، فَجَاءَ إِلَى بَلْخٍ، فَقَبِلُوهُ بِسَبَبِ مُوَافَقَتِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى الْمَذْهَبِ. ثُمَّ اعْتَذَرَ السُّلَمِيُّ عَنْهُ [بِمَا][1] يَبْعُدُ عَنْهُ فَهْمُ الْفَاهِمِينَ.

قالَ ابْنُ السُّبْكِيِّ: وَلَعَلَّ الْأَمْرَ كَمَا زَعَمَ السُّلَمِي، وَإِلَّا فَمَا نَظُنُّ بِمُسْلِمٍ أَنْ يُفَضِّلَ بَشَرًا غَيْرَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وَمِنْ تَصَانِيفِ التِّرْمِذِيِّ: كِتَابُ "**الْفُرُوقُ**"، وَلَيْسَ فِي بَابِهِ مِثْلُهُ، يُفَرِّقُ فِيهِ بَيْنَ الْمُدَارَاةِ وَالْمُدَاهَنَةِ، وَالْمُحَاجَّةِ وَالْمُجَادَلَةِ، وَالْمُنَاظَرَةِ وَالْمُغَالَبَةِ، وَالِانْتِصَارِ وَالِانْتِقَامِ، وَهَلُمَّ جَرًّا مِنْ أُمُورٍ مُتَقَارِبَةِ الْمَعْنَى. وَلَهُ أَيْضًا كِتَابُ "**غَرْسُ الْمُوَحِّدِينَ**"، وَكِتَابُ "**غَوْرُ الْأُمُورِ**"، وَ"**كِتَابُ الْمَنَاهِي**"، وَكِتَابُ "**شَرْحُ الصَّلَاةِ**"[2].

وَمِنْهُمْ: **مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ الْمَرْوَزِيُّ**، الْإِمَامُ الْجَلِيلُ، أَبُو عَبْدِ اللهِ، أَحَدُ أَعْلَامِ الْأُمَّةِ وَعُقَلَائِهَا وَعُبَّادِهَا.

وُلِدَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَمِئَتَيْنِ بِبَغْدَادَ، وَنَشَأَ بِنَيْسَابُورَ، وَسَكَنَ سَمَرْقَنْدَ، وَكَانَ أَبُوهُ مَرْوَزِيًّا.

تَفَقَّهَ عَلَى أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ، وَسَمِعَ جَمَاعَةً، وَسَمِعَ عَنْهُ طَائِفَةٌ.

---

(1) زيادة من قونية.

(2) تاريخ الإسلام: 6/ 814، وطبقات الشافعية الكبرى: 2/ 245 ـ 246.

قَالَ الْحَاكِمُ: هُوَ الْفَقِيهُ الْعَابِدُ الْعَالِمُ، إِمَامُ أَهْلِ الْحَدِيثِ فِي عَصْرِهِ بِلَا مُدَافَعَةٍ. اسْتَوْطَنَ نَيْسَابُورَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى سَمَرْقَنْدَ، فَأَقَامَ بِهَا، وَأَفْتَى بِهَا.

قَالَ ابْنُ الْأَخْرَمِ: مَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ صَلَاةً مِنْهُ، وَكانَ الذُّبَابُ يَقَعُ عَلَى أُذْنِهِ، فَيَسِيلُ الدَّمُ، وَلَا يَذُبُّهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَلَقَدْ كُنَّا نَتَعَجَّبُ مِنْ خُشُوعِهِ فِي الصَّلَاةِ، كَانَ يَضَعُ ذَقْنَهُ عَلَى صَدْرِهِ، فَيَنْتَصِبُ كَأَنَّهُ خَشَبَةٌ مَنْصُوبَةٌ.

وَكانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا، كَأَنَّمَا فُقِئَ فِي وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ، وَعَلَى خَدَّيْهِ كَالْوَرْدِ، وَلِحْيَتُهُ بَيْضَاءُ.

تُوُفِّيَ بِسَمَرْقَنْدَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَمِئَتَيْنِ(1).

وَمِنْهُمْ: **الْجُنَيْدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْجُنَيْدِ، أَبُو الْقَاسِمِ النَّهَاوَنْدِيُّ** الْأَصْلِ، الْبَغْدَادِيُّ الْقَوَارِيرِيُّ الْخَزَّازُ، سَيِّدُ الطَّائِفَةِ، وَمُقَدَّمُ الْجَمَاعَةِ، وَإِمَامُ أَهْلِ الْخِرْقَةِ، وَشَيْخُ طَرِيقَةِ التَّصَوُّفِ، وعَلَمُ الْأَوْلِيَاءِ فِي زَمَانِهِ، وَبَهْلَوَانُ الْعَارِفِينَ.

تَفَقَّهَ عَلَى أَبِي ثَوْرٍ، وَكانَ يُفْتِي بِحَلْقَتِهِ وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ عِشْرُونَ سَنَةً.

وَاخْتَصَّ بِصُحْبَةِ السَّرِيِّ السَّقَطِيِّ، وَالْحَارِثِ بْنِ أَسَدٍ الْمُحَاسِبِيِّ، وَأَبِي حَمْزَةَ الْبَغْدَادِيِّ.

قَالَ جَعْفَرٌ الْخُلْدِيُّ: لَمْ نَرَ فِي شُيُوخِنَا مَنِ اجْتَمَعَ لَهُ عِلْمٌ وَحَالٌ غَيْرَ الْجُنَيْدِ، إِذَا رَأَيْتَ عِلْمَهُ، رَجَّحْتَهُ عَلَى حَالِهِ، وَإِذَا رَأَيْتَ حَالَهُ، رَجَّحْتَهُ عَلَى عِلْمِهِ.

---

(1) تاريخ الإسلام: 6/ 1045، وطبقات الشافعية الكبرى: 2/ 246.

قَالَ الْجُنَيْدُ ذَاتَ يَوْمٍ: مَا أَخْرَجَ اللهُ إِلَى الْأَرْضِ عِلْمًا وَجعَلَ لِلْخَلْقِ إِلَيْهِ سَبِيلًا، إِلَّا وَقَدْ جَعَلَ لِي فِيهِ حَظًّا.

وَكانَ وِرْدُهُ كُلَّ يَوْمٍ ثَلَاثَمِئَةِ رَكْعَةٍ، وَثَلَاثِينَ أَلْفَ تَسْبِيحَةٍ.

وَكانَ عِشْرِينَ سَنَةً لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنَ الْأُسْبُوعِ إِلَى الْأُسْبُوعِ، وَيُصَلِّي كُلَّ لَيْلَةٍ أَرْبَعَمِئَةِ رَكْعَةٍ.

وَقَالَ: مَا نَزَعْتُ ثَوْبِي لِلْفِرَاشِ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً.

وَكانَ يَقُولُ: الطَّرِيقُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَسْدُودَةٌ عَلى خَلْقِهِ، إِلَّا عَلَى الْمُقْتَفِينَ آثَارَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَكانَ يَقُولُ: مَا أَخَذْنَا التَّصَوُّفَ عَنِ الْقِيلِ وَالْقَالِ، وَلَكِنْ عَنِ الْجُوعِ، وَتَرْكِ الدُّنْيَا، وَقَطْعِ الْمَأْلُوفَاتِ.

وَمَنَاقِبُ الْجُنَيْدِ وَأَحْوَالُهُ بَحْرٌ لَا سَاحِلَ لَهُ، فَلْنَقْبِضْ عِنَانَ الْقَلَمِ عَنْ ذَلِكَ. كَمَا قِيلَ: [الوافر]

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَمْرًا فَدَعْهُ ... وَجَاوِزْهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ[1]

تُوُفِّيَ الْجُنَيْدُ قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ الْعَزِيزَ يَوْمَ السَّبْتِ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ ثَمَانٍ أَوْ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِئَتَيْنِ.

---

(1) البيت لعمرو بن معدي كرب في ديوان شعره: 145.

قَالَ الْخُلْدِيُّ: رَأَيْتُهُ فِي النَّوْمِ فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ اللهُ بِكَ؟ فَقَالَ: طَلَعَتْ[1] تِلْكَ الْإِشَارَاتُ، وَغَابَتْ تِلْكَ الْعِبَارَاتُ، وَفَنِيَتْ تِلْكَ الْعُلُومُ، وَنَفِدَتْ تِلْكَ الرُّسُومُ، وَمَا نَفَعَنَا إِلَّا رُكَيْعَاتٌ كُنَّا نَرْكَعُهَا فِي السَّحَرِ، وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَةِ: فِي جَوْفِ اللَّيْلِ[2].

وَمِنْهُمْ الْحَارِثُ بْنُ أَسَدٍ الْمُحَاسِبِيُّ، أَبُو عَبْدِ اللهِ الْبَغْدَادِيُّ الزَّاهِدُ، عَلَمُ الْعَارِفِينَ فِي زَمَانِهِ، وَأُسْتَاذُ السَّائِرِينَ، الْجَامِعُ بَيْنَ عِلْمَيِ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، شَيْخُ الْجُنَيْدِ.

وَسُمِّيَ الْمُحَاسِبِيَّ لِكَثْرَةِ مُحَاسَبَتِهِ لِنَفْسِهِ.

وَهُوَ إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ وَالْكَلَامِ وَالتَّصَوُّفِ. وَشُهْرَةُ أَمْرِهِ بَيْنَ الْفُقَهَاءِ الْمُتَصَوِّفَةِ أَغْنَتْنَا عَنِ الْإِطْنَابِ فِي ذِكْرِهِ. قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ الْعَزِيزَ.

تُوُفِّيَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِئَتَيْنِ.

قِيلَ: إِنَّ الْحَارِثَ كَانَ يَتَكَلَّمُ فِي شَيْءٍ مِنْ مَسَائِلِ الْكَلَامِ، فَهَجَرَهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ لِهَذَا السَّبَبِ. وَلَا يَخْفَى أَنَّ تَكَلُّمَ الْحَارِثِ كَانَ عِنْدَمَا دَعَتِ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ، فَحِينَئِذٍ يَجُوزُ التَّكَلُّمُ فِي الْكَلَامِ، وَأَمَّا النَّكِيرُ مِنْ قِبَلِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ لِئَلَّا يَجُرَّ ذَلِكَ إِلَى مَا لَا يَنْبَغِي، وَلِكُلٍّ مَقْصِدٌ وَنِيَّةٌ، وَاللهُ يَرْحَمُهُمَا[3].

---

(1) كذا في النسخ الخطية، وفي المصادر كالحلية وغيرها: طاحت.

(2) طبقات الشافعية الكبرى: 2/ 260.

(3) المصدر نفسه: 2/ 275.

وَمِنْهُمْ: **دَاوُدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ خَلَفٍ، أَبُو سُلَيْمَانَ الْبَغْدَادِيُّ الْأَصْبَهَانِيُّ**، إِمَامُ أَهْلِ الظَّاهِرِ.

وُلِدَ سَنَةَ مِئَتَيْنِ أَوْ اثْنَتَيْنِ وَمِئَتَيْنِ.

وَكانَ أَحَدَ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَهُدَاتِهِمْ، وَكَانَ مِنَ الْمُتَعَصِّبِينَ لِلشَّافِعِيِّ. كَانَ إِمَامًا وَرِعًا، زَاهِدًا نَاسِكًا، وَكَانَ فِي مَجْلِسِهِ أَرْبَعُمِئَةِ صَاحِبِ طَيْلَسَانٍ أَخْضَرَ. انْتَهَتْ إِلَيْهِ رِئَاسَةُ الْعِلْمِ بِبَغْدَادَ. أَصْلُهُ مِنْ أَصْبَهَانَ، وَمَوْلِدُهُ بِالْكُوفَةِ، وَمَنْشَؤُهُ بِبَغْدَادَ، وَقَبْرُهُ بِهَا.

تُوُفِّيَ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ سَبْعِينَ وَمِئَتَيْنِ(1).

وَمِنْهُمْ: **سُلَيْمَانُ بْنُ الْأَشْعَثِ السِّجِسْتَانِيُّ**، صَاحِبُ السُّنَنِ، وَقَدْ سَلَفَ ذِكْرُهُ.

وَمِنْهُمْ: **عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ السِّجِسْتَانِيُّ، الْحَافِظُ أَبُو سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ**، مُحَدِّثُ هَرَاةَ، وَأَحَدُ الْأَعْلَامِ الثِّقَاتِ. وَهُوَ الَّذِي قَامَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ كَرَّامٍ - رَئِيسِ الْكَرَّامِيَّةِ - وَطَرَدَهُ عَنْ هَرَاةَ.

نَشَأَ بِسِجِسْتَانَ، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى خُرَاسَانَ، ثُمَّ جَاوَرَ بِمَكَّةَ خَمْسَ سِنِينَ، ثُمَّ وَرَدَ نَيْسَابُورَ، وَبَاحَ بِالتَّجْسِيمِ. وَكَانَ مِنْ إِظْهَارِ النُّسُكِ وَالتَّأَلُّهِ وَالتَّعَبُّدِ وَالتَّقَشُّفِ عَلَى جَانِبٍ عَظِيمٍ. فَالنَّاسُ فِيهِ مَا بَيْنَ مُعْتَقِدٍ وَمُنْتَقِدٍ.

---

(1) تاريخ بغداد: 9/ 342، وتاريخ الإسلام: 6/ 327، وطبقات الشافعية الكبرى: 2/ 284.

ثُمَّ حَبَسَهُ الْأَمِيرُ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ[1]، حَبَسَهُ بِنَيْسَابُورَ ثَمَانَ سِنِينَ، وَلَمْ يَكُنْ قَصْدُ السَّاعِينَ عَلَيْهِ إِلَّا إِرَاقَةَ دَمِهِ، وَإِنَّمَا هَابَ الْأَمِيرُ قَتْلَهُ لِمَا رَأَى عَلَيْهِ مِنْ مَخَايِلِ الْعِبَادَةِ وَالتَّقَشُّفِ، ثُمَّ أُخْرِجَ مِنَ السِّجْنِ.

وَتُوُفِّيَ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَمِئَتَيْنِ.

قِيلَ: كَانَ يَغْتَسِلُ فِي السِّجْنِ كُلَّ جُمُعَةٍ، وَيَتَأَهَّبُ لِلْخُرُوجِ إِلَى الْجَامِعِ، ثُمَّ يَقُولُ لِلسَّجَّانِ: تَأْذَنُ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي بَذَلْتُ مَجْهُودِي وَالْمَنْعُ مِنْ غَيْرِي[2].

وَمِنْهُمْ: **عَسْكَرُ بْنُ الْحُصَيْنِ**، وَقِيلَ: عَسْكَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، الشَّيْخُ أَبُو تُرَابٍ النَّخْشَبِيُّ.

وَنَخْشَبُ: بَلْدَةٌ مِنْ بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ، عُرِّبَتْ فَقِيلَ لَهَا: نَسَفُ.

كَانَ شَيْخَ عَصْرِهِ بِلَا مُدَافَعَةٍ جَمْعًا بَيْنَ الْعِلْمِ وَالدِّينِ، زَاهِدًا وَرِعًا، مُتَقَشِّفًا مُتَقَلِّلًا، مُتَوَكِّلًا مُتَبَتِّلًا، صَحِبَ حَاتِمًا الْأَصَمَّ إِلَى أَنْ مَاتَ. وَخَرَجَ إِلَى الشَّامِ، وَكَتَبَ الْكَثِيرَ مِنَ الْحَدِيثِ، وَنَظَرَ فِي كُتُبِ الشَّافِعِيِّ، وَتَفَقَّهَ عَلَى مَذْهَبِهِ.

وَتُوُفِّيَ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِئَتَيْنِ بِالْبَادِيَةِ: وَقِيلَ: نَهَشَتْهُ السِّبَاعُ.

---

(1) محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر أبو العباس النيسابوري الأمير، مات سنة: 298 هـ ودفن إلى جنب عمه محمد بن عبد الله بن طاهر بمقابر قريش. تاريخ بغداد: 3/ 361.

(2) طبقات الشافعية الكبرى: 2/ 302 ـ 303 ـ 304.

وَمَنَاقِبُهُ وَمَحَاسِنُهُ خَارِجَةٌ عَنِ التَّعْدَادِ، وَلَهُ كَرَامَاتٌ مَعْرُوفَةٌ عِنْدَ أَهْلِهِ، وَمَذْكُورَةٌ فِي كُتُبِ التَّوَارِيخِ وَالتَّصَوُّفِ(1).

وَمِنْهُمْ: **أَحْمَدُ بْنُ شُعَيْبٍ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّسَائِيُّ**، وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُ مَنَاقِبِهِ.

وَمِنْهُمْ: **أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ سُرَيْجٍ الْقَاضِي، أَبُو الْعَبَّاسِ الْبَغْدَادِيُّ**، الْبَازُ الْأَشْهَبُ، وَالْأَسَدُ الضَّارِي عَلَى خُصُومِ الْمَذْهَبِ، شَيْخُ الْمَذْهَبِ، وَحَامِلُ لِوَائِهِ، وَالْبَدْرُ الْمُشْرِقُ فِي سَمَائِهِ، وَالْغَيْثُ الْمُغْدِقُ بِرَوَائِهِ.

انْتَهَتْ إِلَيْهِ الرِّحْلَةُ، فَضَرَبَتِ الْإِبِلُ نَحْوَهُ آبَاطَهَا، وَعَلَّقَتْ بِهِ الْعَزَائِمُ بِسَاطَهَا، وَأَتَتْهُ أَفْوَاجُ الطَّلَبَةِ لَا تَعْرِفُ إِلَّا نَمَارِقَ الْبِيدِ بِسَاطَهَا.

وَلِيَ الْقَضَاءَ بِشِيرَازَ، وكَانَ أَبْرَعَ فِي الْكَلَامِ، كَمَا أَنَّهُ أَبْرَعُ فِي الْفِقْهِ.

قِيلَ: هُوَ الصَّدْرُ الْكَبِيرُ، وَالشَّافِعِيُّ الصَّغِيرُ. وكانَ لَهُ أَرْبَعُمِئَةِ مُصَنَّفٍ.

[**وُلِدَ** سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِئَتَيْنِ](2)، **وَتُوُفِّيَ** سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِمِئَةٍ، وَهُوَ عَالِمُ ذَلِكَ الْقَرْنِ، وَلَهُ سَبْعٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً وَسِتَّةُ أَشْهُرٍ، وَمَنَاقِبُهُ لَا تُحْصَى(3).

وَمِنْهُمْ: **أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ مَنْصُورِ بْنِ شَهْرَيَارَ، الشَّيْخُ أَبُو عَلِيٍّ الرُّوذْبَارِيُّ(4) الْبَغْدَادِيُّ**، وَالْأَصَحُّ فِي اسْمِهِ مَا ذَكَرْنَاهُ. وَكانَ أَحَدَ أَئِمَّةِ

---

(1) تاريخ بغداد: 14/ 266، وتاريخ الإسلام: 5/ 1181، وطبقات الشافعية الكبرى: 2/ 306-307.

(2) زيادة من أنطاليا.

(3) طبقات الشافعية الكبرى: 3/ 21.

(4) الرُّوذْبَارِي نسبة لرُوذْبَار؛ قرية من قرى بغداد. معجم البلدان: 3/ 77.

الصُّوفِيَّةِ. كانَ بَغْدَادِيَّ الأَصْلِ، مِنْ أَبْنَاءِ[1] الْوُزَرَاءِ وَالرُّؤَسَاءِ، يَتَّصِلُ نَسَبُهُ بِكِسْرَى أَنُو شَرْوَانَ.

صَحِبَ فِي التَّصَوُّفِ الشَّيْخَ الْجُنَيْدَ، وَفِي الْفِقْهِ ابْنَ سُرَيْجٍ، وَفِي النَّحْوِ ثَعْلَبًا، وَفِي الْحَدِيثِ إِبْرَاهِيمَ الْحَرْبِيَّ. وَكانَ فَقِيهًا مُحَدِّثًا.

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْكَاتِبُ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَجْمَعَ لِعِلْمِ الشَّرِيعَةِ وَالْحَقِيقَةِ مِنَ الرُّوذْبَارِيِّ.

تُوُفِّيَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِئَةٍ[2].

وَمِنْهُمْ: مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الأَزْهَرِ بْنِ طَلْحَةَ الْهَرَوِيُّ، أَبُو مَنْصُورٍ الأَزْهَرِيُّ اللُّغَوِيُّ، صَاحِبُ "**تَهْذِيبُ اللُّغَةِ**"، عَشَرَةُ مُجَلَّدَاتٍ، وَكِتَابِ "**التَّقْرِيبُ**"، فِي التَّفْسِيرِ، وَكِتَابِ "**عِلَلُ الْقِرَاءَاتِ**"، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وُلِدَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَمِئَتَيْنِ.

كانَ إِمَامًا فِي اللُّغَةِ، بَصِيرًا بِالْفِقْهِ[3]، عَارِفًا بِالْمَذْهَبِ، عَالِيَ الإِسْنَادِ، كَثِيرَ الْعِبَادَةِ وَالْمُرَاقَبَةِ، وَأَسَرَتْهُ الْقَرَامِطَةُ، فَبَقِيَ فِي الْبَادِيَةِ دَهْرًا طَوِيلًا، وَاسْتَفَادَ مِنْهُمْ أَلْفَاظًا جَمَّةً.

تُوُفِّيَ سَنَةَ سَبْعِينَ وَثَلَاثِمِئَةٍ[4].

---

(1) أولاد، في قونية.

(2) طبقات الشافعية الكبرى: 3/ 48.

(3) في الفقه، في قونية.

(4) طبقات الشافعية الكبرى: 3/ 63 ـ 65.

وَمِنْهُمْ: مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْفَاشَانِيُّ[1] - بِالْفَاءِ[2] وَالشِّينِ - أَبُو زَيْدٍ الْمَرْوَزِيُّ. أَحَدُ الْأَفْرَادِ عِلْمًا وَوَرَعًا، وَوَاحِدُ الْآحَادِ إِفْرَادًا وَجَمْعًا.

وُلِدَ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِمِئَةٍ. وَلَهُ فَضَائِلُ كَثِيرَةٌ، وَعِنْدَ الْعُلَمَاءِ شَهِيرَةٌ.

تُوُفِّيَ [بِمَرْوَ][3] سَنَةَ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِئَةٍ[4].

وَمِنْهُمْ: مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ، أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْحَدَّادِ الْمِصْرِيُّ، صَاحِبُ الْفُرُوعِ، وَسَاحِبُ ذَيْلِ الْفَضْلِ، الَّذِي هُوَ عَلَى الرُّؤُوسِ مَحْمُولٌ، وَعَلَى الْعُيُونِ مَوْضُوعٌ، ذُو الْفِكْرَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ، وَالْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ، فِكَرُهُ فِي مُحْتَجِبَاتِ الْمَعَانِي سَارِيَةٌ، وَفِي سَمَاءِ الْمَعَانِي سَامِيَةٌ، وَقَرِيحَتُهُ عَجِيبَةُ الْحَالِ، مَا أَدْرَاكَ مَاهِيَة، نَارٌ حَامِيَةٌ، إِمَامٌ لَا يُدْرَكُ مَحَلُّهُ، وَجَوَادٌ لَا يُجَارِيهِ إِلَّا ظِلُّهُ.

سَارَتْ مُوَلَّدَاتُهُ فِي الْمَغَارِبِ وَالْمَشَارِقِ، وَطَرَقَ فِكْرُهُ الْأَسْمَاعَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ، وَنَاطِقٌ قَالَ فَكَانَ لَهُ مِنَ الْقَوْلِ بَسِيطُهُ وَوَجِيزُهُ، وَمِصْرِيٌّ صَحَّ عَلَى نَقْدِ[5] الْأَذْهَانِ إِبْرِيزُهُ، وَوَضَحَ حِلْيَتُهُ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ، وَاصْطَفَّتِ الْأَئِمَّةُ مَعَهُ فَقَالَ لِسَانُ الْحَقِّ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ»[6].

---

(1) القاشاني، في أنطاليا، ومراد ملا. الفاشاني نسبة إلى فَاشَان: قرية من نواحي مرو. معجم البلدان: 4/ 231.

(2) بالقاف، في أنطاليا، ومراد ملا

(3) سقطت من قونية.

(4) طبقات الشافعية الكبرى: 3/ 71.

(5) بعد، في قونية.

(6) صحيح مسلم: 1/ 313، رقم: 418. وسنن ابن ماجه: 1/ 389، رقم: 1232.

وُلِدَ يَوْمَ مَوْتِ الْمُزَنِيِّ. وَكانَ كَثِيرَ التَّعَبُّدِ، يَخْتِمُ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وَيَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا، وَيَخْتِمُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ خَتْمَةً أُخْرَى فِي رَكْعَتَيْنِ فِي الْجَامِعِ قَبْلَ الصَّلَاةِ سِوَى الَّتِي يَخْتِمُهَا كُلَّ يَوْمٍ.

وَكَانَ عَارِفًا بِالْحَدِيثِ وَالْأَسْمَاءِ وَالْكُنَى، وَالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ وَاخْتِلَافِ الْفُقَهَاءِ، وَأَيَّامِ النَّاسِ وَسِيَرِ الْجَاهِلِيَّةِ، حَافِظًا لِشَيْءٍ كَثِيرٍ مِنَ الشِّعْرِ، وَكَانَ نَسِيجَ وَحْدِهِ فِي حِفْظِ الْقُرْآنِ، إِمَامَ عَصْرِهِ فِي الْفِقْهِ، بَحْرًا وَاسِعًا فِي اللُّغَةِ، وَلَهُ كَلِمَةٌ نَافِذَةٌ عِنْدَ الْمُلُوكِ وَجَاهٌ رَفِيعٌ.

وَلَهُ: كِتَابُ **"الْبَاهِرُ فِي الْفِقْهِ"**، فِي مِئَةِ جُزْءٍ، وَ**"أَدَبُ الْقَضَاءِ"** فِي أَرْبَعِينَ جُزْءًا، وَ**"الْمُخْتَصَرُ"**[1] الْمَشْهُورُ الَّذِي شَرَحَهُ عُظَمَاءُ الْأَصْحَابِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ.

وَلِيَ قَضَاءَ مِصْرَ نِيَابَةً ثُمَّ أَصَالَةً.

وَتُوُفِّيَ فِي طَرِيقِ الْحَجِّ سَنَةَ خَمْسٍ، أَوْ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِئَةٍ. وَعَاشَ ثَمَانِينَ إِلَّا أَشْهُرًا[2].

وَمِنْهُمْ: **مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ، أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبَرِيُّ**، أَحَدُ أَئِمَّةِ الدُّنْيَا عِلْمًا وَدِينًا.

مَوْلِدُهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ أَوْ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَمِئَتَيْنِ. طَوَّفَ الْأَقَالِيمَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ.

وَتَصَانِيفُهُ كَثِيرَةٌ؛ مِنْهَا: **تَفْسِيرُهُ** الْمَشْهُورُ، وَ**"التَّارِيخُ"**، وَكِتَابُ **"أَحْكَامُ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ"**، وَغَيْرُ ذَلِكَ.

---

(1) يسمى: **"الفروع في مذهب الشافعي"**، وهو مطبوع.

(2) شهرا، في عاطف أفندي. طبقات الشافعية الكبرى: 3/ 79.

كانَ حَافِظًا لِكِتَابِ اللهِ، بَصِيرًا بِالْمَعَانِي، فَقِيهًا فِي أَحْكَامِ الْقُرْآنِ.

قِيلَ: إِنَّ مُصَنَّفَاتِهِ قُسِّمَتْ عَلَى مُدَّةِ عُمُرِهِ بَعْدَ سِنِّ الْبُلُوغِ فَصَارَ لِكُلِّ يَوْمٍ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَرَقَةً.

وَحُكِيَ أَنَّهُ مَكَثَ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَكْتُبُ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَرْبَعِينَ وَرَقَةً. وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَ الرِّوَايَتَيْنِ كَمَا لَا يَخْفَى عَلَى الْمُتَأَمِّلِ.

وَكانَ يَقُولُ: اضْطُرِرْتُ لِنَفَقَةِ وَالِدَيَّ، فَفَتَقْتُ[1] كُمَّيْ قَمِيصِي فَبِعْتُهُمَا.

تُوُفِّيَ سَنَةَ عَشْرٍ وَثَلَاثِمِئَةٍ وَلَمْ يُغَيِّرْ شَيْبَهُ.

وَكانَ أَسْمَرَ إِلَى الْأُدْمَةِ، أَعْيَنَ، نَحِيفَ الْجِسْمِ، مَدِيدَ الْقَامَةِ، فَصِيحًا، رَحِمَهُ اللهُ[2].

وَمِنْهُمْ: مُحَمَّدُ بْنُ خَفِيفٍ الشِّيرَازِيُّ، الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللهِ ابْنُ الْخَفِيفِ، شَيْخُ الْمَشَايِخِ، وَذُو الْقَدَمِ الرَّاسِخِ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ.

كانَ سَيِّدًا جَلِيلًا، وَإِمَامًا حَفِيلًا، يُسْتَمْطَرُ الْغَيْثُ بِدُعَائِهِ، وَيُؤَدَّبُ الْمِصْرُ بِكَلَامِهِ، مِنْ أَعْلَمِ الْمَشَايِخِ بِعُلُومِ الظَّاهِرِ، وَمِمَّنِ اتَّفَقُوا عَلَى عَظِيمِ تَمَسُّكِهِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَكانَتْ لَهُ أَسْفَارٌ وَبِدَايَاتٌ، وَأَحْوَالٌ عَالِيَاتٌ وَرِيَاضَاتٌ. لَقِيَ مِنَ النُّسَّاكِ شُيُوخًا، وَمِنَ السُّلَّاكِ طَوَائِفَ رَسَخَ قَدَمُهُمْ فِي الطَّرِيقِ رُسُوخًا. وَصَحِبَ

---

(1) وأخذت، في أنطاليا.

(2) طبقات الشافعية الكبرى: 3/ 120.

مِنْ أَرْبَابِ الْأَحْوَالِ أَخْبَارًا، وَشَرِبَ مِنْ مَنْهَلِ الطَّرِيقِ كَاسَاتٍ كِبَارًا، وَسَافَرَ مَشْرِقًا وَمَغْرِبًا، وَصَابَرَ النَّفْسَ حَتَّى انْقَادَتْ لَهُ فَأَصْبَحَ مَبْنَى الثَّنَاءِ عَلَيْهَا مُعْرِبًا، صَبَرَ عَلَى الطَّاعَةِ، وَلَهُ جَنْبٌ لَا يَدْرِي الْقَرَارَ، وَنَفْسٌ لَا تَعْرِفُ الْمَأْوَى إِلَّا الْبَيْدَاءَ، وَلَا الْمَسْكَنَ إِلَّا الْقِفَارَ.

وَكَانَ مِنْ أَوْلَادِ الْأُمَرَاءِ فَتَزَهَّدَ حَتَّى قَالَ: كُنْتُ أَذْهَبُ وَأَجْمَعُ الْخِرَقَ مِنَ الْمَزَابِلِ، وَأَغْسِلُهَا، وَأُصْلِحُ مِنْهَا مَا أَلْبَسُهُ، بَلَغَ مَا لَمْ يَبْلُغْهُ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ فِي الْعِلْمِ وَالْجَاهِ عِنْدَ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ، وَصَارَ أَوْحَدَ زَمَانِهِ، مَقْصُودًا مِنَ الْآفَاقِ، مُبَارَكًا عَلَى مَنْ يَقْصِدُهُ، رَفِيقًا بِمُرِيدِيهِ، يَبْلُغُ كَلَامُهُ مُرَادَهُ.

وَصَنَّفَ مِنَ الْكُتُبِ مَا لَمْ يُصَنِّفْهُ أَحَدٌ، وَعُمِّرَ حَتَّى عَمَّ نَفْعُهُ.

بَقِيَ أَرْبَعِينَ شَهْرًا يُفْطِرُ كُلَّ لَيْلَةٍ بِكَفٍّ بَاقِلَّاءَ، وَرُبَّمَا كَانَ يُصَلِّي مِنَ الْغَدَاةِ إِلَى الْعَصْرِ أَلْفَ رَكْعَةٍ، وَكَانَ رُبَّمَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كُلَّهُ فِي رَكْعَةٍ وَاحِدَةٍ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى صَلَاةِ الْجُمُعَةِ يُفَرِّقُ كُلَّ مَا عِنْدَهُ مِنَ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، وَيُخْرِجُ فِي كُلِّ سَنَةٍ جَمِيعَ مَا عِنْدَهُ.

وَكَانَ يُفْطِرُ عَلَى عَشْرِ حَبَّاتِ زَبِيبٍ، فَأَشْفَقَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ، وَجَعَلَهَا خَمْسَ عَشْرَةَ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ وَقَالَ: مَنْ أَمَرَكَ بِهَذَا، وَأَكَلَ مِنْهَا عَشْرًا وَتَرَكَ الْبَاقِيَ.

قَالَ: افْتَصَدْتُ، فَخَرَجَ مِنْ عِرْقِي شَبِيهُ مَاءِ اللَّحْمِ، وَغُشِيَ عَلَيَّ، فَتَحَيَّرَ الْفَصَّادُ وَقَالَ: مَا رَأَيْتُ جَسَدًا بِلَا دَمٍ إِلَّا هَذَا.

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَقَدَّسَ سِرَّهُ. وَلا نِهَايَةَ لِمَنَاقِبِهِ.

تُوُفِّيَ لَيْلَةَ ثَالِثِ رَمَضَانَ سَنَةَ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِئَةٍ[1].

وَمِنْهُمْ: مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ هَارُونَ، أَبُو سَهْلٍ الصُّعْلُوكِيُّ. إِمَامُ وَقْتِهِ فِي الْفِقْهِ وَالتَّفْسِيرِ وَاللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَالشِّعْرِ وَالْعَرُوضِ وَالْكَلَامِ وَالتَّصَوُّفِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَصْنَافِ الْعُلُومِ.

وُلِدَ سَنَةَ سِتٍّ وَتِسْعِينَ وَمِئَتَيْنِ، وَلَقِيَ الْأَئِمَّةَ وَالْمَشَايِخَ. دَرَسَ بِالْبَصْرَةِ سِنِينَ، وَبِنَيْسَابُورَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً. صَحِبَ مِنْ أَئِمَّةِ التَّصَوُّفِ الْمُرْتَعِشَ[2]، وَالشِّبْلِيَّ، وَأَبَا عَلِيٍّ الثَّقَفِيِّ، وَغَيْرَهُمْ. تُوُفِّيَ سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِئَةٍ. وَمَنَاقِبُهُ لَا تَنْتَهِي[3].

وَمِنْهُمْ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، أَبُو بَكْرٍ الصَّيْرَفِيُّ، يُقَالُ: إِنَّهُ أَعْلَمُ خَلْقِ اللهِ تَعَالَى بِالْأُصُولِ بَعْدَ الشَّافِعِيِّ.

وَلَهُ تَصَانِيفُ مِنْهَا: "شَرْحُ الرِّسَالَةِ"، وَكِتَابٌ فِي الْإِجْمَاعِ.

تُوُفِّيَ سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِئَةٍ[4].

---

(1) نقل ترجمته من طبقات الشافعية الكبرى: 3/ 150.

(2) المرتعش أَبُو مُحَمَّد عبد الله بن مُحَمَّد المرتعش النَّيْسَابُورِي المتصوف (ت. 328هـ). ترجمته في: طبقات الصوفية: 265-266.

(3) تاريخ الإسلام: 8/ 309، وطبقات الشافعية الكبرى: 3/ 167-170.

(4) طبقات الشافعية الكبرى: 3/ 186.

وَمِنْهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْقَفَّالُ الْكَبِيرُ الشَّاشِيُّ، كَانَ إِمَامًا فِي التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَالْكَلَامِ وَالْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ وَاللُّغَةِ وَالشِّعْرِ. كَانَ إِمَامًا فِي الْوَرَعِ وَالزُّهْدِ.

أَخَذَ الْكَلَامَ عَنِ الْأَشْعَرِيِّ، وَإِنَّ الْأَشْعَرِيَّ كَانَ يَقْرَأُ عَلَيْهِ اللُّغَةَ.

مَاتَ سَنَةَ سِتٍّ أَوْ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِئَةٍ. **وَوُلِدَ** سَنَةَ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَمِئَتَيْنِ[1].

وَمِنْهُمْ: **عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ الْبَصْرِيُّ**، شَيْخُ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، إِمَامُ الْمُتَكَلِّمِينَ، وَنَاصِرُ سُنَّةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ. وَقَدْ مَرَّ نُبَذٌ مِنْ مَنَاقِبِهِ فِي تَرْجَمَتِهِ فِيمَا سَبَقَ. وَلَا تَنْتَهِي مَنَاقِبُهُ الشَّرِيفَةُ، وَإِنْ أَعَدْنَاهَا أَلْفَ مَرَّةٍ، وَأَطَلْنَا فِيهَا مِقْدَارَ أَلْفِ وَرَقَةٍ. جَزَاهُ اللهُ تَعَالَى عَنَّا وَعَنْ نُصْرَةِ الشَّرْعِ الْمُبِينِ.

وَمِنْهُمْ: **أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْأَسْفَرَايِينِيُّ، الشَّيْخُ أَبُو حَامِدٍ**، حَافِظُ الْمَذْهَبِ وَإِمَامُهُ.

وُلِدَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِئَةٍ. انْتَهَتْ إِلَيْهِ رِئَاسَةُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا بِبَغْدَادَ، وَطَبَّقَ الْأَرْضَ بِالْأَصْحَابِ، وَجَمَعَ مَجْلِسُهُ ثَلَاثَمِئَةِ مُتَفَقِّهٍ. وَقِيلَ: سَبْعَمِئَةِ فَقِيهٍ.

وَكَانَ النَّاسُ يَقُولُونَ: لَوْ رَآهُ الشَّافِعِيُّ لَفَرِحَ بِهِ.

(1) الأنساب: 10/ 470، وفيها القفال: نسبة إلى عمل الأقفال، والشاشي: من أهل شاش

كَانَ عَظِيمَ الْجَاهِ عِنْدَ الْمُلُوكِ، مَعَ الدِّينِ الْوَافِرِ، وَالْوَرَعِ وَالزُّهْدِ، وَاسْتِيعَابِ الْأَوْقَاتِ بِالتَّدْرِيسِ وَالْمُنَاظَرَةِ، وَمُؤَاخَذَةِ النَّفْسِ عَلَى دَقِيقِ الْكَلَامِ، وَمُحَاسَبَتِهَا عَلَى هَفَوَاتِ اللِّسَانِ.

وَكَانَ أَبُو الْحُسَيْنِ الْقُدُورِيُّ - مِنَ الْحَنَفِيَّةِ - يُعَظِّمُهُ وَيُفَضِّلُهُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ.

تُوُفِّيَ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعِمِئَةٍ، وَمَنَاقِبُهُ لَا تُحْصَى فَلَا فَائِدَةَ فِي الْإِطْنَابِ فِيهَا[1].

وَمِنْهُمْ: **إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ يُوسُفَ الْفِيرُوزَابَاذِيُّ، أَبُو إِسْحَاقَ الشِّيرَازِيُّ** صَاحِبُ: "**التَّنْبِيهُ**"، وَ"**التَّهْذِيبُ**" فِي الْفِقْهِ، وَ"**النُّكَتُ**" فِي الْخِلَافِ، وَ"**اللُّمَعُ**"، وَشَرْحُهُ[2]، وَ"**التَّبْصِرَةُ**" فِي أُصُولِ الْفِقْهِ، وَ"**الْمُلَخَّصُ**"، وَ"**الْمَعُونَةُ**" فِي الْجَدَلِ، وَ"**طَبَقَاتُ الْفُقَهَاءِ**"، وَ"**نُصْحُ أَهْلِ الْعِلْمِ**"، وَغَيْرُ ذَلِكَ.

هُوَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ، شَيْخُ الْإِسْلَامِ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ الَّتِي سَارَتْ كَمَسِيرِ الشَّمْسِ، وَدَارَتِ الدُّنْيَا فَمَا جَحَدَ فَضْلَهَا إِلَّا الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ. وَكَانَتِ الطَّلَبَةُ تَرْحَلُ مِنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِلَيْهِ، وَالْفَتَاوَى تُحْمَلُ مِنَ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ إِلَى بَيْنِ يَدَيْهِ، وَالْفِقْهُ تَتَلَاطَمُ أَمْوَاجُهُ وَلَا تَسْتَقِرُّ إِلَّا لَدَيْهِ، وَيَتَعَاظَمُ لَابِسُ شِعَارِهِ إِلَّا عَلَيْهِ، حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ كَانَ يَجْرِي مَجْرَى ابْنِ سُرَيْجٍ فِي تَأْصِيلِ الْفِقْهِ وَتَفْرِيعِهِ، وَيُحَاكِيهِ فِي انْتِشَارِ الطَّلَبَةِ فِي الرَّبْعِ الْعَامِرِ جَمِيعِهِ.

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى: 4/ 61.

(2) "**شَرْحُ اللُّمَعِ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ**" لأبي إسحاق الشِّيرازيِّ الْفِيرُوزآباذِيِّ. وهو مطبوع.

وَأَمَّا وَرَعُهُ فَذَلِكَ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يَذْكُرَهُ[1] الذَّاكِرُ، وَلَا يُحَاطُ لَهُ بِأَوَّلٍ وَآخِرٍ، لَنْ يُنْكَرَ تَقَلُّبُ وَجْهِهِ فِي السَّاجِدِينَ، وَلَا قِيَامُهُ فِي جَوْفِ الدُّجَى، وَكَيْفَ وَالنُّجُومُ مِنْ جُمْلَةِ الشَّاهِدِينَ.

وَكانَ يُقَالُ: إِنَّهُ مُسْتَجَابُ الدَّعْوَةِ.

وَيُقَالُ: كانَ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ عِنْدَ فَرَاغِ كُلِّ فَصْلٍ مِنَ "**الْمُهَذَّبُ**".

يُقَالُ: نَسِيَ فِي الْمَسْجِدِ دِينَارًا[2]، ثُمَّ ذَكَرَ فَرَجَعَ، وَوَجَدَهُ فَفَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: لَعَلَّهُ وَقَعَ مِنْ غَيْرِهِ فَتَرَكَهُ. هَذَا هُوَ الزُّهْدُ هَكَذَا هَكَذَا، وَإِلَّا فَلَا لَا.

وُلِدَ بِفَيْرُوزَ آبَاذَ[3]، ثُمَّ دَخَلَ بَغْدَادَ، وَقَرَأَ عَلَى شُيُوخٍ كَثِيرَةٍ.

وَكانَ اشْتِغَالُهُ أَوَّلَ طَلَبِهِ أَمْرًا عُجَابًا[4]. وَكانَ يُعِيدُ كُلَّ دَرْسٍ[5] أَلْفَ مَرَّةٍ.

قَالَ: وَكُنْتُ أُعِيدُ كُلَّ قِيَاسٍ أَلْفَ مَرَّةٍ، فَإِذَا فَرَغْتُ مِنْهُ أَخَذْتُ قِيَاسًا آخَرَ، وَعَلَى هَذَا.

وَاشْتَهَى ثَرِيدًا بِمَاءِ الْبَاقِلَّاءِ، قالَ: فَمَا صَحَّ لِي أَكْلُهُ لِاشْتِغَالِي بِالدَّرْسِ.

وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ دَرَّسَ بِمَدْرَسَةِ نِظَامِ الْمُلْكِ بِبَغْدَادَ، فَقَبِلَهَا بَعْدَ تَمَنُّعٍ شَدِيدٍ، وَإِنَّمَا بَنَاهَا لِأَجْلِهِ.

---

(1) يذكر، في قونية.

(2) دثارا، في أنطاليا وعاطف أفندي.

(3) سنة ثلاث وتسعين وثلاثمئة، زادها في أنطاليا دون ذكر ما يفيد أنها من الأصل.

(4) عجبا، في الأزهرية.

(5) الدرس، في قونية.

وَلَهُ حِكَايَةٌ عَجِيبَةٌ، هِيَ أَنَّ نِظَامَ الْمُلْكِ ذَكَرَ خَيْرَاتِهِ الْوَاصِلَةَ إِلَى الْخَلَائِقِ، وَاجْتِنَابَهِ عَنِ الْمَعَاصِي، وَاسْتَفْتَى مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ، فَكَتَبُوا فِي الْجَوَابِ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. فَلَمَّا طَالَعَ ذَلِكَ قالَ: لَا يَطْمَئِنُّ قَلْبِي بِهَذَا إِلَّا أَنْ يَكْتُبَ عَلَيْهِ الشَّيْخُ الْإِمَامُ أَبُو إِسْحَاقَ، فَكَتَبَ عَلَيْهِ: الْحَسَنُ خَيْرُ الظَّلَمَةِ، وَكانَ اسْمُ نِظَامِ الْمُلْكِ الْحَسَنَ. فَلَمَّا طَالَعَهُ قالَ: صَدَقَ الشَّيْخُ هَذَا هُوَ الْجَوَابُ الصَّوَابُ. فَلَمَّا قَتَلَ السُّلْطَانُ نِظَامَ الْمُلْكِ رَبَطُوا صُورَةَ فَتْوَى الشَّيْخِ عَلَى حَوَاشِي كَفَنِهِ بِوَصِيَّةٍ مِنْهُ، فَرَآهُ بَعْضُ الصَّالِحِينَ فِي الْمَنَامِ، فَسَأَلَ عَنْ حَالِهِ فَقَالَ: قَدْ وَهَبَنِي اللهُ تَعَالَى مَا فَعَلْتُهُ مِنَ الْمَعَاصِي، وَقَالَ تَعَالَى: قَدْ وَهَبْنَاكَ لِأَجْلِ سَبْقِ قَلَمِ الشَّيْخِ لَكَ بِالْخَيْرِ.

وَهَذِهِ مَنْقَبَةٌ عَظِيمَةٌ لِلشَّيْخِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَمِنْ مَنَاقِبِهِ: أَنَّهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَانَ عِنْدَ خُرُوجِهِ إِلَى بِلَادِ الْعَجَمِ يَخْرُجُ أَهْلُهَا بِنِسَائِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ، فَيَمْسَحُونَ أَرْكَانَهُ، وَيَأْخُذُونَ تُرَابَ نَعْلَيْهِ[1] يَسْتَشْفُونَ بِهِ، وَكَانَ أَصْحَابُ الصَّنَائِعِ يَنْثُرُونَ صَنَائِعَهُمْ مَا بَيْنَ حَلْوَى وَفَاكِهَةٍ وَثِيَابٍ وَفِرَاءٍ وَهُوَ يَنْهَاهُمْ، حَتَّى الْأَسَاكِفَةُ نَثَرُوا الْمَتَاعَاتِ، وَهِيَ تَقَعُ عَلَى رُؤُوسِ النَّاسِ، وَالشَّيْخُ يَتَعَجَّبُ. وَلَمَّا انْتَهَوْا جَعَلَ الشَّيْخُ يُدَاعِبُ أَصْحَابَهُ، وَيَقُولُ: رَأَيْتُمُ النِّثَارَ مَا أَحْسَنَهُ، وَإِيش وَصَلَ إِلَيْكُمْ يَا أَوْلَادِي مِنْهُ؟!

(1) بغلته، في أنطاليا.

وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى بِسْطَامَ[1]، قِيلَ لِلشَّيْخِ: قَدْ أَتَى فُلَانٌ الصُّوفِيُّ، قِيلَ: يُعْرَفُ هُوَ بِالسَّهْلَكِيِّ[2]، فَنَهَضَ الشَّيْخُ مِنْ مَكَانِهِ، وَعَدَا إِلَيْهِ، وَإِذَا هُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ، رَاكِبٌ بَهِيمَةً، وَخَلْفَهُ الصُّوفِيَّةُ بِمُرَقَّعَاتٍ جَمِيلَةٍ، فَقِيلَ لَهُ: قَدْ أَتَاكَ الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ، فَرَمَى نَفْسَهُ عَنِ الْبَهِيمَةِ، وَقَبَّلَ الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ رِجْلَهُ. وَقَالَ لَهُ الصُّوفِيُّ: قَتَلْتَنِي يَا سَيِّدِي، فَمَا يُمْكِنُنِي أَنْ أَمْشِيَ مَعَكَ، وَلَكِنْ تَقَدَّمْ إِلَى مَجْلِسِكَ. وَلَمَّا وَصَلَ، جَلَسَ الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَظْهَرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِنْ تَعْظِيمِ صَاحِبِهِ مَا جَاوَزَ الْحَدَّ، ثُمَّ أَخْرَجَ الصُّوفِيُّ خِرْقَتَيْنِ فِي إِحْدَاهُمَا حِنْطَةٌ، وَقَالَ: هَذِهِ نَتَوَارَثُهَا عَنْ أَبِي يَزِيدِ الْبِسْطَامِيِّ، وَفِي الْأُخْرَى مِلْحٌ، فَأُعْجِبَ الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ بِذَلِكَ، وَوَدَّعَهُ وَانْصَرَفَ.

قُلْتُ: وَإِلَى اللهِ الْمُشْتَكَى مِنْ زَمَانٍ صَارَ عُلَمَاؤُهُ أَعْدَاءً لِلصُّوفِيَّةِ، وَمَنْ تَزَيَّى بِزِيِّ الصُّوفِيَّةِ مُهِينًا لِعُلَمَائِهِمْ، وَلَعَلَّ هَذَا مِنْ غَلَبَةِ الْهَوَى فِي الْعُلَمَاءِ، وَعَدَمِ الْإِخْلَاصِ فِي الْمُتَصَوِّفَةِ، تَجَاوَزَ اللهُ عَنَّا وَعَنْهُمْ.

تُوُفِّيَ سَنَةَ سِتٍّ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ. وَمَنَاقِبُهُ خَارِجَةٌ عَنْ حَدِّ الْإِحْصَاءِ، وَلَهُ مُنَاظَرَاتٌ مَعَ إِمَامِ الْحَرَمَيْنِ، مَذْكُورَةٌ فِي **طَبَقَاتِ الشَّافِعِيَّةِ**[3].

---

(1) بِسْطَامُ: بالكسر ثمَّ السكون: بلدة كبيرة بقومس على جادّة الطريق إلى نيسابور بعد دَامَغَان. معجم البلدان: 1/ 421.

(2) محمد بن علي بن أحمد بن الحسين أبو الفضل السَّهْلَكِيُّ البِسْطَامِيُّ الفقيه، شيخ الصوفية (ت. 477هـ). تاريخ الإسلام: 10/ 400.

(3) طبقات الشافعية الكبرى: 4/ 215 ـ 224.

وَمِنْهُمْ: **إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، الْأَسْتَاذُ أَبُو إِسْحَاقَ الْأَسْفَرَايِينِيُّ**، أَحَدُ أَئِمَّةِ الدِّينِ كَلَامًا وَأُصُولًا وَفُرُوعًا، جَمَعَ أَشْتَاتَ الْعُلُومِ، اتَّفَقَتِ الْأَئِمَّةُ عَلَى تَبْجِيلِهِ وَتَعْظِيمِهِ، وَاسْتِجْمَاعِ شَرَائِطِ الْإِمَامَةِ فِيهِ، وَبَنَى لَهُ مَدْرَسَةَ نَيْسَابُورَ الَّتِي لَمْ يُبْنَ قَبْلَهَا بِنَيْسَابُورَ مِثْلُهَا، وَدَرَّسَ فِيهَا وَحَدَّثَ، وَأَخَذَ شُيُوخُ نَيْسَابُورَ الْكَلَامَ وَالْأُصُولَ عَنْهُ.

وَكانَ يَقُولُ بَعْدَمَا رَجَعَ مِنْ أَسْفَرَايِينَ[1]: أَشْتَهِي أَنْ يَكُونَ مَوْتِي بِنَيْسَابُورَ، حَتَّى يُصَلِّيَ عَلَيَّ جَمِيعُ أَهْلِ نَيْسَابُورَ، فَتُوُفِّيَ بَعْدَ هَذَا الْكَلَامِ بِنَحْوٍ مِنْ خَمْسَةِ أَشْهُرٍ، يَوْمَ عَاشُورَاءَ، سَنَةَ ثَمَانَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ. وَمَنَاقِبُهُ مِمَّا عَجَزَتْ عَنْهُ الْأَقْلَامُ[2].

وَمِنْهُمْ: **إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الصَّابُونِيُّ**، الْفَقِيهُ الْمُحَدِّثُ الْمُفَسِّرُ الْخَطِيبُ الْوَاعِظُ، الْمَشْهُورُ الاسْمِ، الْمُلَقَّبُ بِشَيْخِ الْإِسْلَامِ، فَلَا يُرَادُ بِهَذَا اللَّقَبِ غَيْرُهُ فِي بِلَادِ خُرَاسَانَ، وَرُزِقَ الْعِزَّ وَالْجَاهَ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا.

وَكانَ جَمَالًا لِلْبَلَدِ، زَيْنًا لِلْمَحَافِلِ وَالْمَجَالِسِ، مَقْبُولًا عِنْدَ الْمُوَافِقِ وَالْمُخَالِفِ، مُجْمَعًا عَلَى أَنَّهُ عَدِيمُ النَّظِيرِ، وَسَيْفُ السُّنَّةِ، وَرَافِعُ الْبِدْعَةِ.

وَكانَ مُشْتَغِلًا فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ، بِكَثْرَةِ الْعِبَادَاتِ، وَوَظَائِفِ الطَّاعَاتِ، بَالَغَ فِي الْعَفَافِ وَالسَّدَادِ، وَكانَ لَا يَدْخُلُ بَيْتَ كُتُبِهِ إِلَّا بِالطَّهَارَةِ فَضْلًا عَنْ رِوَايَةِ الْحَدِيثِ وَالتَّدْرِيسِ.

---

(1) أَسْفَرَايِينُ: بُليدة حصينة من نواحي نيسابور على منتصف الطريق من جرجان، واسمها القديم مهرجان. معجم البلدان: 1/ 177.

(2) تاريخ الإسلام: 9/ 291، طبقات الشافعية الكبرى: 4/ 256 ـ 258.

تُوُفِّيَ سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ.

وَمَنَاقِبُهُ لَا تَفِي بِهَا الدَّفَاتِرُ، وَإِنَّمَا الْغَرَضُ ذِكْرُ اسْمِهِ، لَا اسْتِيفَاءُ فَضَائِلِهِ[1].

وَمِنْهُمْ: **الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ، الْأُسْتَاذُ أَبُو عَلِيٍّ الدَّقَّاقُ**، شَيْخُ الْأُسْتَاذِ أَبِي الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيِّ. صَحِبَ فِي التَّصَوُّفِ أَبَا الْقَاسِمِ النَّصْرابَاذِيَّ[2]، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ، وَهُوَ لِسَانُ وَقْتِهِ، وَإِمَامُ عَصْرِهِ، تَفَقَّهَ عَلَى الْخُضْرِيِّ، وَبَرَعَ فِي الْفِقْهِ.

تُوُفِّيَ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِمِئَةٍ[3].

وَمِنْهُمْ: **سَهْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ، أَبُو الطَّيِّبِ الصُّعْلُوكِيُّ**، وَلَدُ الْأُسْتَاذِ أَبِي سَهْلٍ، هُوَ الْفَقِيهُ الْأَدِيبُ، مُفْتِي نَيْسَابُورَ، وَابْنُ مُفْتِيهَا، جَمَعَ بَيْنَ رِئَاسَتَي الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَاتَّفَقَ عُلَمَاءُ عَصْرِهِ عَلَى سِيَادَتِهِ وَإِمَامَتِهِ، جَمَعَ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَتَفَقَّهَ عَلَى أَبِيهِ، وَكانَ يُلَقَّبُ شَمْسَ الْإِسْلَامِ.

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْلَمَ النَّجِيبَ ابْنَ النَّجِيبِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى سَهْلِ بْنِ أَبِي سَهْلٍ.

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى: 4/ 273 ـ 274.

(2) إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمويه، أبو القاسم النصرا باذي، الواعظ الصوفي الزاهد (ت 367.هـ). تاريخ الإسلام: 8/ 263 ، والوافي بالوفيات: 6/ 78.

(3) تاريخ الإسلام: 9/ 104.

وَتَخَرَّجَ بِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ فُقَهَاءِ نَيْسَابُورَ، وَسَائِرِ مُدُنِ خُرَاسَانَ، وَتَصَدَّرَ لِلْفَتْوَى وَالْقَضَاءِ وَالتَّدْرِيسِ.

يُقَالُ: إِنَّهُ وُضِعَ فِي مَجْلِسِهِ أَكْثَرُ مِنْ خَمْسِمِئَةِ مِحْبَرَةٍ.

وَكَانَ أَبُوهُ يَقُولُ: سَهْلٌ وَالِدٌ، وَفَضَائِلُهُ لَا تَنْتَهِي.

مَاتَ بِنَيْسَابُورَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِمِئَةٍ[1].

وَمِنْهُمْ: **طَاهِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْقَاضِي، أَبُو الطَّيِّبِ الطَّبَرِيُّ**. كَانَ إِمَامًا جَلِيلًا، بَحْرًا غَوَّاصًا، مُتَّسِعَ الدَّائِرَةِ، عَظِيمَ الْعِلْمِ، جَلِيلَ الْقَدْرِ، كَبِيرَ الْمَحَلِّ. تَفَرَّدَ فِي زَمَانِهِ وَتَوَحَّدَ، وَالزَّمَانُ مَشْحُونٌ بِأَخْدَانِهِ، وَاشْتَهَرَ اسْمُهُ فِي الْأَقْطَارِ، وَشَاعَ ذِكْرُهُ فَكَانَ أَكْثَرَ حَدِيثِ السُّمَّارِ، وَطَابَ ثَنَاؤُهُ فَكَانَ أَحْسَنَ مِنْ مِسْكِ اللَّيْلِ وَكَافُورِ النَّهَارِ، وَهُوَ فَوْقَ وَصْفِ الْوَاصِفِ وَمَدْحِهِ، وَقَدْرُهُ رَبَا عَنْ بَسْطِ الْقَائِلِ وَشَرْحِهِ، وَعَنْهُ أَخَذَ الْعِرَاقِيُّونَ.

وُلِدَ بِآمُلِ طَبَرِسْتَانَ[2] سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِئَةٍ.

وَلِيَ قَضَاءَ رَبْعِ[3] الْكَرْخِ. وَالْعِرَاقِيُّونَ إِذَا أَطْلَقُوا لَفْظَ الْقَاضِي يَعْنُونَ إِيَّاهُ، وَالْخُرَاسَانِيُّونَ يَعْنُونَ الْقَاضِيَ حُسَيْنًا، وَالْأَشْعَرِيَّةُ فِي الْأُصُولِ يَعْنُونَ الْقَاضِيَ أَبَا بَكْرٍ الْبَاقِلَّانِيَّ، وَالْمُعْتَزِلَةُ يَعْنُونَ عَبْدَ الْجَبَّارِ الْأَسْتَرَابَاذِيَّ.

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى: 4/ 393، تاريخ الإسلام: 9/ 75.

(2) آمُلُ: اسم أكبر مدينة بطبرستان في السهل، لأن طبرستان سهل وجبل. معجم البلدان: 1/ 58.

(3) ربع القوم: محلتهم، والرِّبَاعُ: المنازل. اللسان/ ربع.

تُوُفِّيَ الْقَاضِي سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعمِئَةٍ.

وَلَهُ مُنَاظَرَاتٌ مَعَ أَبِي الْحَسَنِ الْقُدُورِيِّ مِنَ الْحَنَفِيَّةِ مَذْكُورَةٌ فِي كُتُبِ الطَّبَقَاتِ[1].

وَمِنْهُمْ: عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ، الْإِمَامُ الزَّاهِدُ الْجَلِيلُ الْبَحْرُ[2]، أَحَدُ أَئِمَّةِ الدُّنْيَا، الْقَفَّالُ الصَّغِيرُ الْمَرْوَزِيُّ. وَهَذَا أَكْثَرُ ذِكْرًا فِي كُتُبِ الْفِقْهِ، وَالْقَفَّالُ الْكَبِيرُ فِي كُتُبِ الْأُصُولِ وَالتَّفْسِيرِ وَغَيْرِهِمَا. وَإِذَا أُطْلِقَ الْقَفَّالُ يُرَادُ الصَّغِيرُ. وَالْأَكْبَرُ يُقَيَّدُ بِالشَّاشِي شَيْخِ الْخُرَاسَانِيِّينَ.

كَانَ إِمَامًا كَبِيرًا، وَبَحْرًا عَمِيقًا، غَوَّاصًا عَلَى الْمَعَانِي الدَّقِيقَةِ، نَقِيَّ الْقَرِيحَةِ، ثَاقِبَ الْفَهْمِ، عَظِيمَ الْمَحَلِّ، كَبِيرَ الشَّأْنِ، دَقِيقَ النَّظَرِ، عَدِيمَ النَّظِيرِ، فَارِسًا لَا يُشَقُّ غُبَارُهُ، وَلَا تُلْحَقُ آثَارُهُ، بَطَلًا لَا يُصْطَلَى لَهُ بِنَارٍ، أَسَدًا مَا بَيْنَ يَدَيْهِ لِوَاقِفٍ إِلَّا الْفِرَارُ.

تَفَقَّهَ عَلَى أَبِي زَيْدٍ الْمَرْوَزِيِّ. كانَ وَحِيدَ زَمَانِهِ فِقْهًا وَحِفْظًا وَوَرَعًا وَزُهْدًا. رُحِلَ إِلَيْهِ مِنَ الْآفَاقِ، فَظَهَرَتْ بَرَكَتُهُ عَلَى مُخْتَلِفِيهِ.

قِيلَ: إِنَّهُ كَانَ قَفَّالًا، وَابْتَدَأَ التَّعَلُّمَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِينَ سَنَةً.

يُقَالُ: إِنَّهُ صَنَعَ قُفْلًا وَزْنُهُ أَرْبَعُ حَبَّاتٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَكَانَ مُصَابًا بِإِحْدَى عَيْنَيْهِ، وَكانَ يَغْلِبُ عَلَيْهِ الْبُكَاءُ فِي أَثْنَاءِ الدَّرْسِ لِغَلَبَةِ الْحَالِ.

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى: 5/ 12 ـ 13.

(2) النحرير، في أنطاليا.

مَاتَ فِي سَنَةِ سَبْعَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ، وَهُوَ ابْنُ تِسْعِينَ سَنَةً[1].

وَمِنْهُمْ: **عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ هَوَازِنَ، أَبُو سَعْدٍ الْقُشَيْرِيُّ**، أَكْبَرُ أَوْلَادِ الْأُسْتَاذِ أَبِي الْقَاسِمِ. كانَ إِمَامًا كَبِيرًا، جَيِّدَ الْقَرِيحَةِ، لَهُ النَّصِيبُ الْوَافِرُ وَالْحَظُّ الْجَلِيلُ الْجَزِيلُ مِنَ التَّصَوُّفِ. كَانَ أُصُولِيًّا نَحْوِيًّا.

مَوْلِدُهُ سَنَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ، وَكانَ وَالِدُهُ يُعَامِلُهُ مُعَامَلَةَ الْأَقْرَانِ، وَيَحْتَرِمُهُ لِمَا يَرَى عَلَيْهِ مِنَ الطَّرِيقَةِ الصَّالِحَةِ. كَانَ ذَا حَظٍّ وَافِرٍ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ.

كَانَ يَذْكُرُ دُرُوسًا مِنَ الْأُصُولِ وَالتَّفْسِيرِ بِعِبَارَةٍ مُهَذَّبَةٍ، وَكَانَتِ الْمَسَائِلُ عَلَى حِفْظِهِ بِأُصُولِهَا وَنُكَتِهَا، وَبَرَعَ فِي عِلْمِ الْأُصُولِ بِطَبْعٍ سَيَّالٍ، وَخَاطِرٍ إِلَى مَوَاقِعِ الْإِشْكَالِ مَيَّالٍ، سَبَّاقٍ إِلَى دَرَكِ الْمَعَانِي، وَقَّافٍ عَلَى الْمَدَارِكِ وَالْمَبَانِي. وَأَمَّا عُلُومُ الْحَقَائِقِ فَهُوَ فِيهَا يَشُقُّ الشَّعْرَ. وَصَارَ مَجْلِسُ وَعْظِهِ رَوْضَةَ الْحَقَائِقِ وَالدَّقَائِقِ، وَكَلِمَاتُهُ مُحْرِقَةَ الْأَكْبَادِ وَالْقُلُوبِ، وَمَوَاجِيدُهُ مُقَطِّرَةَ الدِّمَاءِ مِنَ الْجُفُونِ مَكَانَ الدُّمُوعِ.

وَكَانَتْ أَوْقَاتُهُ ظَاهِرًا مُسْتَغْرِقَةً فِي الطَّهَارَةِ وَالصَّلَاةِ، وَبَاطِنًا فِي مُرَاقَبَةِ الْحَقِّ وَمُشَاهَدَةِ أَحْكَامِ الْغَيْبِ، لَا يَخْلُو وَقْتُهُ عَنْ تَنَفُّسِ الصُّعَدَاءِ، وَتَذَكُّرِ الْبُرَحَاءِ[2]، وَالتَّرَنُّمِ بِكَلَامٍ مَنْظُومٍ أَوْ مَنْثُورٍ.

تُوُفِّيَ سَنَةَ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ[3].

---

(1) تاريخ الإسلام: 9/ 282، طبقات الشافعية الكبرى: 5/ 53 ـ 55.

(2) البرحاء: منها برحاء الحمى وغيرها: شدة الأذى. اللسان/ برح.

(3) تاريخ الإسلام: 10/ 408، وطبقات الشافعية الكبرى: 5/ 68 ـ 69.

وَمِنْهُمْ: **عَبْدُ اللهِ بْنُ يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ يُوسُفَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَيُّويَه، الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْجُوَيْنِيُّ**، وَالِدُ إِمَامِ الْحَرَمَيْنِ، أَوْحَدُ زَمَانِهِ عِلْمًا وَزُهْدًا وَتَقَشُّفًا زَائِدًا، وَتَحَرِّيًا فِي الْعِبَادَاتِ.

كَانَ يُلَقَّبُ بِرُكْنِ الْإِسْلَامِ، لَهُ الْمَعْرِفَةُ التَّامَّةُ بِالْفِقْهِ وَالْأُصُولِ وَالتَّفْسِيرِ وَالنَّحْوِ وَالْأَدَبِ. وَكانَ مَهِيبًا لَا يَجْرِي بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَّا الْجِدُّ وَالْكَلَامُ إِمَّا فِي عِلْمٍ أَوْ زُهْدٍ أَوْ تَحْرِيضٍ عَلَى التَّحْصِيلِ.

سَمِعَ الْحَدِيثَ مِنَ الْقَفَّالِ، وَكانَ مَاهِرًا فِي إِلْقَاءِ الدُّرُوسِ. دَرَّسَ وَأَفْتَى وَنَاظَرَ بِنَيْسَابُورَ.

وَأَمَّا زُهْدُهُ وَوَرَعُهُ فَإِلَيْهِ الْمُنْتَهَى.

رُوِيَ أَنَّهُ رَأَى إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ فِي الْمَنَامِ، فَأَوْمَأَ لِتَقْبِيلِ رِجْلَيْهِ، فَمَنَعَهُ ذَلِكَ تَكْرِيمًا لَهُ. قَالَ: فَقَبَّلْتُ عَقِبَيْهِ، وَأَوَّلْتُ ذَلِكَ الْبَرَكَةَ وَالرِّفْعَةَ تَكُونُ فِي عَقِبِي.

قَالَ ابْنُ السُّبْكِيِّ: وَأَيُّ بَرَكَةٍ وَرِفْعَةٍ مِثْلَ إِمَامِ الْحَرَمَيْنِ وَلَدِهِ.

تُوُفِّيَ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ بِنَيْسَابُورَ، وَلَمَّا لُفَّ فِي الْأَكْفَانِ، رَأَوْا أَنَّ يَدَهُ الْيُمْنَى إِلَى الْإِبْطِ مُنِيرَةٌ كَلَوْنِ الْقَمَرِ، وَقَالُوا هَذِهِ مِنْ بَرَكَاتِ فَتَاوِيهِ.

وَمِنْ تَصَانِيفِهِ: "الْفُرُوقُ"، وَ"السِّلْسِلَةُ"[1]، وَ"التَّبْصِرَةُ"[2]، وَ"التَّذْكِرَةُ"، وَ"مُخْتَصَرُ الْمُخْتَصَرِ"، وَ"شَرْحُ الرِّسَالَةِ"، وَغَيْرُ ذَلِكَ. وَلَهُ تَفْسِيرٌ كَبِيرٌ يَشْتَمِلُ عَلَى عَشَرَةِ أَنْوَاعٍ فِي كُلِّ آيَةٍ[3].

وَمِنْهُمْ: عَبْدُ السَّيِّدِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ جَعْفَرٍ، أَبُو نَصْرٍ ابْنُ الصَّبَّاغِ، صَاحِبُ "الشَّامِلُ"[4]، وَ"الْكَامِلُ"[5].

كَانَ إِمَامًا مُقَدَّمًا، وَفَارِسًا لَا يُدْرِكُ الْبَرْقُ وَرَاءَهُ قَدَمًا، وَحَبْرًا يَتَعَالَى قَدْرُهُ عَلَى السَّمَاءِ، وَبَحْرًا لَا يُنْزَفُ بِكَثْرَةِ الدِّلَاءِ. تَصَبَّبَ فِقْهًا فَكَأَنَّهُ لَمْ يُطْعَمْ سِوَاهُ، وَلَمْ يَكُنْ غَيْرُهُ بَلَغَهُ، وَتَشَخَّصَ فِقْهًا فَإِذَا رَآهُ الْمُحَقِّقُ قَالَ: ابْنُ الصَّبَّاغِ صُبِغَ مِنَ الصِّغَرِ. كَذَا ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً﴾[6].

وَكَانَ وَرِعًا نَزِهًا تَقِيًّا نَقِيًّا صَالِحًا زَاهِدًا فَقِيهًا أُصُولِيًّا مُحَقِّقًا، عَارِفًا بِالْمُتَّفِقِ وَالْمُخْتَلِفِ، أَيِ الْمَسَائِلِ الاتِّفَاقِيَّةِ وَالِاخْتِلَافِيَّةِ.

وَكَانَ يُحَاسِبُ نَفْسَهُ. قَالَ: اعْتَبَرْتُ نَفْسِي أَنَّهَا لَا تَجِدُ مَشَقَّةً فِي مَجِيئِهَا مِنْ بَابِ الْمَرَاتِبِ - وَهِيَ مَكَانٌ بِبَغْدَادَ - إِلَى الْمَدْرَسَةِ النِّظَامِيَّةِ، وَتَجِدُ كُلْفَةً

---

(1) عنوان الكتاب: "السِّلْسِلَةُ فِي مَعْرِفَةِ الْقَوْلَيْنِ وَالْوَجْهَيْنِ"، وهو مطبوع.

(2) عنوان الكتاب: "التَّبْصِرَةُ في تَرْتِيبِ أَبْوَابِ لِلتَّمْيِيزِ بَيْنَ الِاحْتِيَاطِ وَالْوَسْوَسَةِ"، وهو مطبوع.

(3) طبقات الشافعية الكبرى: 5/ 73 - 75.

(4) "الشامل في فروع الشافعية" وهو من أجود كتب الشافعية وأصحها نقلا، وله شروح وتعليقات. كشف الظنون: 2/ 1025.

(5) عنوان الكتاب هو: "الكامل في الخلاف بين الشافعية والحنفية". كشف الظنون: 2/ 1381.

(6) سورة البقرة الآية: 138.

فِي طَوَافِ الْكَعْبَةِ سَبْعًا، وَذَلِكَ لِأَنَّ فِي الْأَوَّلِ حَظَّ نَفْسِي، وَالثَّانِي حَقٌّ لِسَيِّدِي عَلَى نَفْسِي.

وَالْمَدْرَسَةُ النِّظَامِيَّةُ بَنَاهَا نِظَامُ الْمُلْكِ بِبَغْدَادَ لِأَجْلِ الشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَلْتَزِمِ التَّدْرِيسَ، وَامْتَنَعَ عَنْهُ، فَأَذِنَ لِلشَّيْخِ ابْنِ الصَّبَّاغِ، فَدَرَّسَ يُوَيْمَاتٍ يَسِيرَةً، ثُمَّ رَضِيَ الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ، وَدَرَّسَ بِهَا بَقِيَّةَ حَيَاتِهِ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ وَلِيَهَا صَاحِبُ **التَّتِمَّةِ** أَبُو سَعْدٍ الْمُتَوَلِّي(1)، ثُمَّ عُزِلَ، وَأُعِيدَ ابْنُ الصَّبَّاغِ.

تُوُفِّيَ سَنَةَ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ. وَقَدْ كُفَّ بَصَرُهُ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِسِنِينَ(2).

وَمِنْهُمْ عَبْدُ الْقَاهِرِ بْنُ طَاهِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ التَّمِيمِيُّ، الْإِمَامُ الْكَبِيرُ، **الْأُسْتَاذُ أَبُو مَنْصُورٍ الْبَغْدَادِيُّ**. إِمَامٌ عَظِيمُ الْقَدْرِ، جَلِيلُ الْمَحَلِّ، كَثِيرُ الْعِلْمِ، حَبْرٌ لَا يُسَاجَلُ فِي الْفِقْهِ وَأُصُولِهِ وَالْفَرَائِضِ وَالْحِسَابِ وَعِلْمِ الْكَلَامِ.

اشْتَهَرَ اسْمُهُ، وَبَعُدَ صِيتُهُ، وَحَمَلَ عَنْهُ الْعِلْمَ أَكْثَرُ أَهْلِ خُرَاسَانَ، وَكَانَ يُدَرِّسُ فِي سَبْعَةَ عَشَرَ فَنًّا، وَلَهُ حُشْمَةٌ(3) وَافِرَةٌ، وَمَالٌ جَزِيلٌ أَنْفَقَهُ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْحَدِيثِ حَتَّى افْتَقَرَ. فَارَقَ نَيْسَابُورَ بِسَبَبِ فِتْنَةٍ وَقَعَتْ بِهَا مِنَ التُّرْكُمَانِ، وَصَارَ إِلَى أَسْفَرَايِينَ، وَمَاتَ بِهَا.

---

(1) عبد الرحمن بن مأمون بن علي، الإمام أبو سعد المُتَوَلِّي النَّيسابوري، الفقيه الشافعي، أحد الكبار (ت. 478 هـ)، صاحب كتاب "التَّتِمَّةُ" تَمَّمَ به كتاب "الإبانة" لشيخه القاضي حسين الفوراني، لكنه لم يكمله، وعاجلته المنية. وفيات الأعيان: 3/ 133، وتاريخ الإسلام: 10/ 423.

(2) تاريخ الإسلام: 10/ 409، وطبقات الشافعية الكبرى: 5/ 122 ـ 124.

(3) حُشْمَةُ الرجل وحَشَمُهُ وأحشامه: خاصته الذين يغضبون له. اللسان/ حشم.

صَنَّفَ فِي الْعُلُومِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَّا كِتَابُ **"التَّكْمِلَةُ فِي الْحِسَابِ"** لَكَفَاهُ.

مَاتَ سَنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ، **وَقِيلَ** سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ.

وَمِنْ شِعْرِهِ:[الرجز]

يَا مَنْ عَدَا ثُمَّ اعْتَدَى ثُمَّ اقْتَرَفْ ثُمَّ انْتَهَى ثُمَّ ارْعَوَى ثُمَّ اعْتَرَفْ[1]
أَبْشِــرْ بِقَوْلِ اللهِ فِي تَنْزِيلِهِ إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفْ

قَالَ ابْنُ السُّبْكِيِّ: فِي اسْتِعْمَالِ أَبِي مَنْصُورٍ مِثْلَ هَذَا الِاقْتِبَاسِ فِي شِعْرِهِ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ الِاقْتِبَاسِ. وَرَدَّ مَنْ شَدَّدَ فِيهِ، وَجَنَحَ إِلَى تَحْرِيمِهِ. فَالصَّوَابُ الْجَوَازُ، سِيَّمَا وَقَدْ فَعَلَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ.

وَمَا نُقِلَ مِنَ التَّشْدِيدِ عَنِ الْمَالِكِيَّةِ يُنَاقِضُهُ مَا نَقَلَهُ الْقَاضِي عِيَاضُ عَنِ ابْنِ الْعَطَّارِ: أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ سُجُودِ السَّهْوِ فَأَفْتَى بِالسُّجُودِ، قَالَ السَّائِلُ: إِنَّ أَصْبَغَ لَمْ يَرَ عَلَيَّ سُجُودًا فَقَالَ: ﴿لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾[2]. حَتَّى عَدَّ الْقَاضِي عِيَاضٌ هَذَا مِنْ مُلَحِهِ وَنَوَادِرِهِ. إِلَّا أَنَّ الْأَحْسَنَ تَرْكُهُ تَأَدُّبًا مَعَ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ، فَهُوَ اللَّائِقُ بِالْوَرَعِ وَالتَّقْوَى[3].

وَمِنْهُمْ: **عَبْدُ الْقَاهِرِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجُرْجَانِيُّ**، وَقَدْ مَرَّتْ مَنَاقِبُهُ.

---

(1) البيتان في الغنية في شيوخ القاضي عياض: 157، وطبقات الشافعية الكبرى: 5/ 139.

(2) سورة العلق الآية: 19.

(3) طبقات الشافعية الكبرى: 5/ 136 - 139.

وَمِنْهُمْ: عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ هَوَازِنَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ النَّيْسَابُورِيُّ، الْأَسْتَاذُ أَبُو الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ، الْمُلَقَّبُ زَيْنَ الْإِسْلَامِ. وَهُوَ صَاحِبُ "**الرِّسَالَةُ**" الَّتِي سَارَتْ مَغْرِبًا وَمَشْرِقًا، وَالْبَسَالَةِ الَّتِي أَصْبَحَ بِهَا نَجْمُ سَعَادَتِهِ مُشْرِقًا، وَالْأَصَالَةِ الَّتِي تَجَاوَزَ بِهَا فَوْقَ الْفَرْقَدَيْنِ وَرَقِيَ.

أَحَدُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ عِلْمًا وَعَمَلًا، وَأَرْكَانِ الْمِلَّةِ فِعْلًا وَقَوْلًا، إِمَامُ الْأَئِمَّةِ، وَمُجْلِي ظُلُمَاتِ الضَّلَالَةِ الْمُدْلَهِمَّةِ، شَيْخُ الْمَشَايِخِ، وَأُسْتَاذُ الْجَمَاعَةِ، وَمُقَدَّمُ الطَّائِفَةِ، الْجَامِعُ بَيْنَ أَشْتَاتِ الْعُلُومِ.

وُلِدَ سَنَةَ سِتٍّ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِئَةٍ.

كَانَ فَقِيهًا بَارِعًا أُصُولِيًّا، مُحَقِّقًا مُتَكَلِّمًا، سُنِّيًّا مُحَدِّثًا، حَافِظًا مُفَسِّرًا مُتْقِنًا، نَحْوِيًّا لُغَوِيًّا أَدِيبًا كَاتِبًا شَاعِرًا، مَلِيحَ الْخَطِّ جِدًّا، شُجَاعًا بَطَلًا. لَهُ فِي الْفُرُوسِيَّةِ وَاسْتِعْمَالِ السِّلَاحِ [يَدٌ طُولَى][1]، وَلَهُ الْآثَارُ الْجَمِيلَةُ.

أَجْمَعَ أَهْلُ عَصْرِهِ عَلَى أَنَّهُ سَيِّدُ زَمَانِهِ، وَقُدْوَةُ وَقْتِهِ، وَبَرَكَةُ الْمُسْلِمِينَ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ. وَكَانَ حَسَنَ الْمَوْعِظَةِ، مَلِيحَ الْإِشَارَةِ، جَمَعَ بَيْنَ عِلْمِ الشَّرِيعَةِ وَالْحَقِيقَةِ، وَشَرَحَ أَحْسَنَ الشَّرْحِ أُصُولَ الطَّرِيقَةِ.

أَصْلُهُ مِنْ نَاحِيَةِ أُسْتُوَا[2]، مِنَ الْعَرَبِ الَّذِينَ وَرَدُوا خُرَاسَانَ، وَسَكَنُوا النَّوَاحِيَ، فَهُوَ قُشَيْرِيُّ الْأَبِ، سُلَمِيُّ الْأُمِّ.

---

(1) زيادة من أنطاليا وعاطف أفندي.

(2) أُسْتُوَا: كورة من نواحي نيسابور، معناه بلسانهم المضحاة والمشرقة، تشتمل على ثلاث وتسعين قرية وقصبتها خبوشان. معجم البلدان: 1/ 175.

تُوُفِّيَ أَبُوهُ وَهُوَ طِفْلٌ، فَوَقَعَ إِلَى أَبِي الْقَاسِمِ الْأَلِيمَانِيِّ، فَقَرَأَ الْأَدَبَ وَالْعَرَبِيَّةَ بِسَبَبِ اتِّصَالِهِ بِهِمْ، وَقَرَأَ عَلَى غَيْرِهِ، وَحَضَرَ الْبَلَدَ، وَاتَّفَقَ حُضُورُهُ مَجْلِسَ الْأُسْتَاذِ الشَّهِيدِ أَبِي عَلِيٍّ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الدَّقَّاقِ، وَكَانَ لِسَانَ وَقْتِهِ، وَاسْتَحْسَنَ كَلَامَهُ، وَسَلَكَ طَرِيقَ الْإِرَادَةِ، فَقَبِلَهُ الْأُسْتَاذُ، وَأَشَارَ عَلَيْهِ بِتَعَلُّمِ الْعِلْمِ. فَخَرَجَ إِلَى دَرْسِ الشَّيْخِ الْإِمَامِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ بَكْرٍ الطُّوسِيِّ، وَشَرَعَ فِي الْفِقْهِ حَتَّى فَرَغَ مِنَ التَّعْلِيقِ، ثُمَّ اخْتَلَفَ بِإِشَارَتِهِ إِلَى الْأُسْتَاذِ الْإِمَامِ أَبِي بَكْرٍ ابْنِ فُورَكَ، وَكَانَ الْمُقَدَّمَ فِي الْأُصُولِ حَتَّى حَصَّلَهَا وَبَرَعَ فِيهَا، وَقَرَأَ عَلَيْهِ أُصُولَ الْفِقْهِ وَفَرَغَ مِنْهُ.

ثُمَّ بَعْدَ وَفَاةِ الْأُسْتَاذِ أَبِي بَكْرٍ اخْتَلَفَ إِلَى الْأُسْتَاذِ أَبِي إِسْحَاقَ الْأَسْفَرَايِينِيِّ، وَقَعَدَ يَسْمَعُ جَمِيعَ دُرُوسِهِ. ثُمَّ نَظَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي كُتُبِ الْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ ابْنِ الطَّيِّبِ. ثُمَّ زَوَّجَهُ الْأُسْتَاذُ أَبُو عَلِيٍّ ابْنَتَهُ. وَبَعْدَ وَفَاةِ الْأُسْتَاذِ عَاشَرَ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيَّ إِلَى أَنْ صَارَ أُسْتَاذَ خُرَاسَانَ، وَأَخَذَ فِي التَّصْنِيفِ، فَصَنَّفَ **"التَّفْسِيرُ الْكَبِيرُ"**. وَكَانَ فِي الْفُرُوسِيَّةِ وَالْوَعْظِ فِي أَعْلَى مَرْتَبَةٍ.

قَالَ ابْنُ السُّبْكِيِّ: بَلَغَنَا أَنَّهُ مَرِضَ لِلْأُسْتَاذِ أَبِي الْقَاسِمِ وَلَدٌ مَرَضًا شَدِيدًا بِحَيْثُ أَيِسَ مِنْهُ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْأُسْتَاذِ، فَرَأَى الْحَقَّ سُبْحَانَهُ [فِي الْمَنَامِ][1]، فَشَكَا إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ الْحَقُّ تَعَالَى: اجْمَعْ آيَاتِ الشِّفَاءِ، وَاقْرَأْ عَلَيْهِ، أَوِ اكْتُبْهَا فِي إِنَاءٍ، وَاجْعَلْ فِيهِ مَشْرُوبًا، وَاسْقِهِ إِيَّاهُ، فَفَعَلَ ذَلِكَ، فَعُوفِيَ الْوَلَدُ.

---

(1) سقط من قونية.

وَآيَاتُ الشِّفَاءِ فِي الْقُرْآنِ سِتٌّ:

﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾[1].

﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾[2].

﴿شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾[3].

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[4].

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[5].

﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾[6].

وَرَأَيْتُ كَثِيرًا مِنَ الْمَشَايِخِ يَكْتُبُونَ هَذِهِ الْآيَاتِ لِلْمَرِيضِ، وَيُسْقَاهَا فِي الْإِنَاءِ طَلَبًا لِلْعَافِيَةِ. **قُلْتُ**: وَأَنَا جَرَّبْتُ ذَلِكَ مِرَارًا كَثِيرَةً فَعُوفِيَ الْمَرِيضُ.

وَمِنْ تَصَانِيفِهِ:

"**التَّفْسِيرُ الْكَبِيرُ**"، وَهُوَ مِنْ أَجْوَدِ التَّفَاسِيرِ وَأَوْضَحِهَا، وَ"**الرِّسَالَةُ**" الْمَشْهُورَةُ الْمُبَارَكَةُ الَّتِي قِيلَ: مَا تَكُونُ فِي بَيْتٍ وَيُنْكَبُ، وَ"**التَّحْبِيرُ فِي التَّذْكِيرِ**"، وَ"**آدَابُ الصُّوفِيَّةِ**"، وَ"**لَطَائِفُ الْإِشَارَاتِ**"، وَ"**كِتَابُ الْجَوَاهِرِ**"،

---

(1) سورة التوبة الآية: 14.

(2) سورة يونس الآية: 57.

(3) سورة النحل الآية: 69.

(4) سورة الإسراء الآية: 82.

(5) سورة الشعراء الآية: 80.

(6) سورة فصلت الآية: 44.

وَ"عُيُونُ الْأَجْوِبَةِ فِي فُنُونِ الْأَسْئِلَةِ"، وَ"كِتَابُ الْمُنَاجَاةِ"، وَكِتَابُ **"نُكَتُ أُولِي النُّهَى"**، وَكِتَابُ **"نَحْوُ الْقُلُوبِ الْكَبِيرُ"**، وَكِتَابُ **"نَحْوُ الْقُلُوبِ الصَّغِيرُ"**، وَكِتَابُ **"أَحْكَامُ السَّمَاعِ"، وَ"كِتَابُ الْأَرْبَعِينَ"**.

وَخَلَّفَ سِتَّةَ أَبْنَاءٍ، كُلُّهُمْ عَبَادِلَةٌ مِنَ السَّيِّدَةِ الْجَلِيلَةِ بِنْتِ الْأُسْتَاذِ أَبِي عَلِيٍّ الدَّقَّاقِ.

قِيلَ: وَلَمَّا مَرِضَ لَمْ تَفُتْهُ وَلَا رَكْعَةٌ[1] قَائِمًا إِلَى أَنْ **تُوُفِّيَ** سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ.

قِيلَ: امْتَنَعَ فَرَسُهُ مِنَ الْعَلَفِ، وَلَمْ تُمَكِّنْ أَحَدًا مِنْ رُكُوبِهَا إِلَى أَنْ مَاتَتْ بَعْدَهُ بِأَيَّامٍ قَلَائِلَ[2].

وَمِنْهُمْ: عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ [الشَّيخ أَبِي مُحَمَّدٍ][3] **عَبْدِ اللهِ بْنِ يُوسُفَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ أَبُو الْمَعَالِي**، وَلَدُ الشَّيْخِ أَبِي مُحَمَّدٍ، **هُوَ** الْإِمَامُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ، الْبَحْرُ الْحَبْرُ الْمُدَقِّقُ الْمُحَقِّقُ النَّظَّارُ، الْأُصُولِيُّ الْمُتَكَلِّمُ الْبَلِيغُ الْفَصِيحُ الْأَدِيبُ الْعَلَمُ الْفَرْدُ، زِينَةُ الْمُحَقِّقِينَ، إِمَامُ الْأَئِمَّةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ عَجَمًا وَعَرَبًا، وَصَاحِبُ الشُّهْرَةِ الَّتِي سَارَتِ السَّرَاةُ وَالْحُدَاةُ بِهَا شَرْقًا وَغَرْبًا. **هُوَ** الْبَحْرُ وَعُلُومُهُ دُرَرُهُ الْفَاخِرَةُ، **هُوَ** السَّمَاءُ وَفَوَائِدُهُ الَّتِي أَنَارَتِ الْوُجُودَ نُجُومُهَا الزَّاهِرَةُ.

---

(1) صلاة، في أنطاليا.

(2) طبقات الشافعية الكبرى: 5/ 153-160.

(3) زيادة من أنطاليا.

وَجِمَاعُ الْقَوْلِ فِيهِ:[البسيط]

وَمَا أَرَى أَحَدًا فِي النَّاسِ يُشْبِهُهُ وَمَا أُحَاشِي مِنَ الْأَقْوَامِ مِنْ أَحَدِ[1]

وُلِدَ سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ، وَاعْتَنَى بِهِ وَالِدُهُ مِنْ صِغَرِهِ، لَا بَلْ مِنْ قَبْلِ مَوْلِدِهِ، حَيْثُ أَطْعَمَ وَالِدَتَهُ مِنْ مَالِ اكْتَسَبَهُ وَلَا شُبْهَةَ فِيهِ، وَكَذَا أَطْعَمَهُ مِنْهُ، فَلَمْ يُمَازِجْ بَاطِنَهُ إِلَّا الْحَلَالَ الْخَالِصَ، وَاشْتَغَلَتْ وَالِدَتُهُ يَوْمًا فِي طَعَامٍ تَطْبُخُهُ لِأَبِيهِ، فَبَكَى الْإِمَامُ وَأَرْضَعَتْهُ[2] جَارِيَةٌ لِجِيرَانِهِمْ مَصَّةً أَوْ مَصَّتَيْنِ، فَدَخَلَ وَالِدُهُ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ، وَقَالَ: هَذِهِ الْجَارِيَةُ لَيْسَتْ مِلْكًا لَنَا، وَلَيْسَ لَهَا أَنْ تَتَصَرَّفَ فِي لَبَنِهَا، وَأَصْحَابُهَا لَمْ يَأْذَنُوا فِي ذَلِكَ.

قَالَ الْإِمَامُ: فَقَلَبَنِي وَفَوَّعَنِي[3] حَتَّى لَمْ يَدَعْ فِي بَاطِنِي شَيْئًا.

يُحْكَى أَنَّهُ تَلَجْلَجَ مَرَّةً فِي مَجْلِسِ مُنَاظَرَةٍ، وَلَمْ يُعْهَدْ ذَلِكَ مِنْهُ، فَسَأَلُوا عَنْهُ، فَقَالَ: هَذِهِ مِنْ بَقَايَا تِلْكَ الرَّضْعَةِ، فَحَكَى مَا ذَكَرْنَاهُ.

فَانْظُرْ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ الْعَجِيبِ، وَإِلَى هَذَا الرَّجُلِ الْغَرِيبِ، كَيْفَ يُحَاسِبُ نَفْسَهُ عَلَى يَسِيرٍ جِدًّا فِي زَمَنِ الصِّبَا الَّذِي لَا يُكَلَّفُ فِيهِ.

ثُمَّ تَفَقَّهَ الْإِمَامُ عَلَى وَالِدِهِ، ثُمَّ قَرَأَ الْخِلَافَ وَالْأُصُولَيْنِ وَغَيْرَهُمَا حَتَّى صَارَ أَعْلَمَ أَهْلِ الْأَرْضِ بِالْعُلُومِ الْمَذْكُورَةِ، وَأَكْثَرَهُمْ تَحْقِيقًا، وَسَلَكَ طَرِيقَ

---

(1) من شبه، في أنطاليا. وهذه رواية طبقات الشافعية الكبرى.

(2) وأخذته جارية لجيرانهم، وشاغلته بثديها فرضع منه، في أنطاليا.

(3) كتب بإزائها في نسخة أنطاليا: لعلها وقيّأني. (وفوعني) في طبقات الشافعية الكبرى: 5/ 169.

الْبَحْثِ وَالنَّظَرِ، وَسَعَى فِي دِينِ اللهِ سَعْيًا يَبْقَى أَثَرُهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَإِنَّ الْوُجُودَ مَا أَخْرَجَ بَعْدَهُ لَهُ نَظِيرًا.

ثُمَّ تُوُفِّيَ وَالِدُهُ، وَسِنُّ الْإِمَامِ نَحْوَ الْعِشْرِينَ، فَأُقْعِدَ مَكَانَهُ فِي التَّدْرِيسِ، حَتَّى طَارَ ذِكْرُهُ فِي الْأَقْطَارِ، وَشَاعَ اسْمُهُ فَمَلَأَ الدِّيَارَ، إِلَى أَنْ ظَهَرَ التَّعَصُّبُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ، وَاضْطَرَبَتِ الْأَحْوَالُ، فَخَرَجَ مَعَ الْمَشَايِخِ إِلَى الْمُعَسْكَرِ، وَخَرَجَ إِلَى بَغْدَادَ، وَوَجَدَ فِيهِ الْقَبُولَ الْعَظِيمَ، ثُمَّ زَمْزَمَ لَهُ الْحَادِي بِذِكْرِ زَمْزَمَ، وَنَادَاهُ عَلَى بُعْدِ الدِّيَارِ الْبَيْتُ الْحَرَامُ فَلَبَّى وَأَحْرَمَ، فَتَوَجَّهَ حَاجًّا، فَجَاوَرَ بِمَكَّةَ أَرْبَعَ سِنِينَ، فَدَرَّسَ بِهَا وَأَفْتَى، وَنَشَرَ الْعِلْمَ وَاجْتَهَدَ فِي الْعِبَادَةِ، ثُمَّ عَادَ[1] إِلَى نَيْسَابُورَ بَعْدَ وِلَايَةِ السُّلْطَانِ أَلْب أَرْسَلَانَ[2]، وَتَزَيَّنَ وَجْهُ الْمُلْكِ بِطَلْعَةِ نِظَامِ الْمُلْكِ، فَاسْتَقَرَّتْ أُمُورُ الْفَرِيقَيْنِ، وَانْقَطَعَ التَّعَصُّبُ، فَبُنِيَتْ لَهُ الْمَدْرَسَةُ النِّظَامِيَّةُ بِنَيْسَابُورَ، فَأُقْعِدَ لِلتَّدْرِيسِ بِهَا، فَدَرَّسَ قَرِيبًا مِنْ ثَلَاثِينَ سَنَةً غَيْرَ مُزَاحِمٍ، وَلَا مُدَافِعٍ، فَسُلِّمَ لَهُ الْمِحْرَابُ وَالْمِنْبَرُ، وَالْخَطَابَةُ وَالتَّدْرِيسُ، وَمَجْلِسُ التَّذْكِيرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَالْمُنَاظَرَةُ، فَظَهَرَتْ تَصَانِيفُهُ، وَحَضَرَ دَرْسَهُ الْأَكَابِرُ وَالْجَمْعُ الْعَظِيمُ، وَكَانَ يَقْعُدُ بَيْنَ يَدَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ نَحْوٌ مِنْ ثَلَاثِمِئَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ وَالطَّلَبَةِ، وَكَانَ يَسْتَفِيدُ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ، وَيُنْكِرُ الْبَاطِلَ، وَلَا يُحَابِي فِيهِ أَحَدًا.

---

(1) رجع، في قونية.

(2) ألب أرسلان أبو شجاع محمد بن جعفري بك داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق، الملقب عضد الدولة، وهو ابن أخي السلطان طغرلبك، توفي سنة: 452هـ. وألب أرسلان اسم تركي معناه، شجاع أسد. وفيات الأعيان: 5/ 69.

وَكانَتْ رِقَّةُ قَلْبِهِ بِحَيْثُ يَبْكِي إِذَا سَمِعَ بَيْتًا، أَوْ تَفَكَّرَ فِي نَفْسِهِ سَاعَةً، وَإِذَا شَرَعَ فِي حِكَايَةِ الْأَحْوَالِ، وَخَاضَ فِي عُلُومِ الصُّوفِيَّةِ أَبْكَى الْحَاضِرِينَ بِبُكَائِهِ وَزَعَقَاتِهِ ونَعَرَاتِهِ[1] وَإِشَارَاتِهِ، لِاحْتِرَاقِهِ فِي نَفْسِهِ، وَتَحَقُّقِهِ بِمَا يَجْرِي مِنْ دَقَائِقِ الْأَسْرَارِ.

ثُمَّ أَدْرَكَهُ قَضَاءُ اللهِ، فَمَرِضَ وَمَاتَ فِي لَيْلَةِ الْأَرْبِعَاءِ الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ مِنْ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ، فَقَامَ الصِّيَاحُ فِي الْبَلَدِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَلَمْ تُفْتَحِ الْأَبْوَابُ فِي الْبَلَدِ، وَوُضِعَتِ الْمَنَادِيلُ عَنِ الرُّؤُوسِ عَامًا بِحَيْثُ مَا اجْتَرَأَ أَحَدٌ عَلَى سَتْرِ رَأْسِهِ مِنَ الرُّؤُوسِ الْكِبَارِ، وَكُسِرَ مِنْبَرُهُ، وَقَعَدَ النَّاسُ لِلْعَزَاءِ عَامًا، وَأَكْثَرَ الشُّعَرَاءُ الْمَرَاثِيَ فِيهِ. وَكَانَتِ الطَّلَبَةُ قَرِيبًا مِنْ أَرْبَعِمِئَةِ نَفَرٍ[2] يَطُوفُونَ فِي الْبَلَدِ نَائِحِينَ مُكَسِّرِينَ الْمَحَابِرَ وَالْأَقْلَامَ، مُبَالِغِينَ فِي الصِّيَاحِ وَالْجَزَعِ.

وَكانَ مَوْلِدُهُ ثَامِنَ عَشَرَ الْمُحَرَّمِ سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ، وَتُوُفِّيَ وَهُوَ ابْنُ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً.

سَقَى اللهُ رَوْضَتَهُ بِوَابِلِ رَحْمَتِهِ، وَيَزِيدُ فِي أَلْطَافِهِ وَكَرَامَتِهِ، بِفَضْلِهِ وَمِنَّتِهِ، إِنَّهُ وَلِيُّ كُلِّ خَيْرٍ[3].

---

(1) زيادة من مراد ملا.

(2) كذا ورد في نسخة مراد ملا، وفي الطبقات الكبرى: 5/ 181، والنفر في المعاجم: من ثلاثة إلى عشرة من الرجال. وسيتكرر عنده هذا أكثر من مرة في الكتاب.

(3) لخص الترجمة من طبقات الشافعية الكبرى: 5/ 165- 181.

وَمِنْهُمْ: **عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ، الْإِمَامُ أَبُو الْحَسَنِ الْمَاوَرْدِيُّ**، صَاحِبُ: **"الْحَاوِي"**، وَ**"الْإِقْنَاعُ"** فِي الْفِقْهِ، وَ**"التَّفْسِيرُ"**[1]، وَ**"أَدَبُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ"**، وَ**"دَلَائِلُ النُّبُوَّةِ"**، وَ**"الْأَحْكَامُ السُّلْطَانِيَّةُ"**، وَ**"قَانُونُ الْوِزَارَةِ"**، وَ**"سِيَاسَةُ الْمُلْكِ"**، وَغَيْرِ ذَلِكَ. دَرَّسَ بِالْبَصْرَةِ وَبِبَغْدَادَ سِنِينَ كَثِيرَةً، وَاسْتُقْضِيَ بِبُلْدَانٍ كَثِيرَةٍ.

قِيلَ: إِنَّهُ لَمْ يُظْهِرْ[2] تَصَانِيفَهُ فِي حَيَاتِهِ، فَلَمَّا دَنَتْ وَفَاتُهُ، قَالَ لِمَنْ يَثِقُ بِهِ: إِذَا عَايَنْتُ الْمَوْتَ اجْعَلْ يَدَكَ فِي يَدِي، فَإِنْ قَبَضْتُ يَدَكَ وَعَصَرْتُهَا، فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَمْ يُقْبَلْ مِنِّي شَيْءٌ مِنْهَا، فَأَلْقِ الْكُتُبَ فِي دِجْلَةَ، وَإِنْ بَسَطْتُ يَدِي وَلَمْ أَقْبِضْ عَلَى يَدِكَ، فَاعْلَمْ أَنَّهَا قَدْ قُبِلَتْ، وَإِنِّي قَدْ ظَفِرْتُ بِمَا كُنْتُ أَرْجُوهُ مِنَ النِّيَّةِ. قَالَ ذَلِكَ الرَّجُلُ: فَفَعَلْتُ كَمَا أَمَرَنِي فَلَمْ يَقْبِضْ يَدِي فَعَلِمْتُ أَنَّهَا عَلَامَةُ الْقَبُولِ فَأَظْهَرْتُ كُتُبَهُ بَعْدَهُ.

قَالَ ابْنُ السُّبْكِيِّ: وَلَعَلَّ هَذَا غَيْرَ **الْحَاوِي**، فَإِنَّهُ قَدْ قُرِئَ عَلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ. وَرَأَيْتُ بَعْضًا مِنْ نُسَخِ **الْحَاوِي** عَلَيْهِ خَطُّهُ.

قَالَ ابْنُ الصَّلَاحِ: هَذَا الْمَاوَرْدِيُّ - عَفَا اللهُ عَنْهُ - يُتَّهَمُ بِالِاعْتِزَالِ.

مَاتَ سَنَةَ خَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ[3].

---

(1) عنوانه: **"النكت والعيون" تفسير الماوردي**، وهو مطبوع.

(2) تَظْهَر، في قونية وعاطف أفندي.

(3) تاريخ الإسلام: 9/ 751، وطبقات الشافعية الكبرى: 5/ 267 - 269.

وَمِنْهُمْ: **عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، أَبُو حَيَّانَ التَّوْحِيدِيُّ**، وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ فِي النُّحَاةِ.

وَمِنْهُمْ: **مَنْصُورُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ، أَبُو الْمُظَفَّرِ، ابْنُ الْإِمَامِ أَبِي مَنْصُورٍ، السَّمْعَانِيُّ**، الرَّفِيعُ الْقَدْرِ، الشَّهِيرُ الذِّكْرِ، طَبَّقَ الْأَرْضَ ذِكْرُهُ، وَعَبَّقَ الْكَوْنَ نَشْرُهُ. **وُلِدَ** فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ سِتٍّ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ.

كَانَ حَنَفِيًّا، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ لِأُمُورٍ يَطُولُ ذِكْرُهَا. وَجَمِيعُ تَصَانِيفِهِ عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ.

تُوُفِّيَ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ بِمَرْوَ(1).

وَمِنْهُمْ: **مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الطُّوسِيُّ، الْإِمَامُ الْجَلِيلُ، حُجَّةُ الْإِسْلَامِ، أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ**، جَامِعُ أَشْتَاتِ الْعُلُومِ، وَالْمُبَرِّزُ فِي الْمَنْقُولِ مِنْهَا وَالْمَفْهُومِ. كَانَ ضِرْغَامًا إِلَّا أَنَّ الْأُسُودَ تَتَضَاءَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَتَوَارَى، وَبَدْرًا تَامًّا إِلَّا أَنَّ هُدَاهُ يُشْرِقُ نَهَارًا، وَبَشَرًا مِنَ الْخَلْقِ وَلَكِنَّهُ الطَّوْدُ الْعَظِيمُ، وَبَعْضَ الْخَلْقِ وَلَكِنْ مِثْلَ مَا بَعْضُ الْحَجَرِ الدُّرُّ النَّظِيمُ، يُنَاضِلُ عَنِ الدِّينِ الْحَنِيفِيِّ بِجِلَادِ مَقَالِهِ، وَيَحْمِي حَوْزَةَ الدِّينِ لَا يُلَطِّخُ بِدَمِ الْمُعْتَدِينَ حَدَّ نِصَالِهِ، حَتَّى أَصْبَحَ الدِّينُ وَثِيقَ الْعُرَى، وَانْكَشَفَتْ غَيَاهِبُ الشُّبُهَاتِ، وَمَا كَانَتْ إِلَّا حَدِيثًا يُفْتَرَى، هَذَا مَعَ وَرَعٍ طَوَى عَلَيْهِ ضَمِيرَهُ، وَخَلْوَةٍ لَمْ يَتَّخِذْ فِيهَا غَيْرَ الطَّاعَةِ سَمِيرَهُ، تَرَكَ الدُّنْيَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وَأَقْبَلَ عَلَى اللهِ يُعَامِلُهُ فِي سِرِّهِ وَجَهْرِهِ.

---

(1) تاريخ الإسلام: 10/ 640، وطبقات الشافعية الكبرى: 5/ 335.

وُلِدَ بِطُوسَ سَنَةَ خَمْسِينَ وَأَرْبَعمِئَةٍ[1].

وَكانَ وَالِدُهُ يَغْزِلُ الصُّوفَ وَيَبِيعُهُ فِي دُكَّانٍ بِطُوسَ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، وَصَّى بِهِ وَبِأَخِيهِ أَحْمَدَ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ مُتَصَوِّفٍ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ، وَقَالَ لَهُ: إِنَّ لِي لَتَأَسُّفًا عَظِيمًا عَلَى تَعَلُّمِ الْخَطِّ، وَأَشْتَهِي اسْتِدْرَاكَ مَا فَاتَنِي فِي وَلَدَيَّ هَذَيْنِ، فَعَلِّمْهُمَا، وَلَا عَلَيْكَ أَنْ يَنْفَدَ فِي ذَلِكَ جَمِيعُ مَا أُخَلِّفُهُ لَهُمَا.

فَلَمَّا مَاتَ أَقْبَلَ الصُّوفِيُّ عَلَى تَعْلِيمِهِمَا، إِلَى أَنْ فَنِيَ ذَلِكَ النَّزْرُ الْيَسِيرُ، فَقَالَ لَهُمَا: اعْلَمَا أَنِّي قَدْ أَنْفَقْتُ عَلَيْكُمَا مَا كَانَ لَكُمَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنَ الْفَقْرِ وَالتَّجْرِيدِ بِحَيْثُ لَا مَالَ لِي فَأُوَاسِيكُمَا، وَأَصْلَحُ مَا أَرَى لَكُمَا أَنْ تَلْجَآ إِلَى مَدْرَسَةٍ كَأَنَّكُمَا مِنْ طَلَبَةِ الْعِلْمِ، فَيَحْصُلَ لَكُمَا قُوتٌ يُعِينُكُمَا عَلَى وَقْتِكُمَا. فَفَعَلَا ذَلِكَ، وَكانَ هُوَ السَّبَبَ فِي سَعَادَتِهِمَا، وَكَانَ الْغَزَالِيُّ يَحْكِي هَذَا وَيَقُولُ: طَلَبْنَا الْعِلْمَ لِغَيْرِ اللهِ، فَأَبَى أَنْ يَكُونَ إِلَّا للهِ.

يُحْكَى أَنَّ أَبَاهُ كَانَ فَقِيرًا صَالِحًا، لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ كَسْبِ يَدِهِ فِي عَمَلِ غَزْلِ الصُّوفِ، وَيَطُوفُ عَلَى الْمُتَفَقِّهَةِ، وَيُجَالِسُهُمْ وَيَخْدُمُهُمْ، وَيُحْسِنُ إِلَيْهِمْ فِي النَّفَقَةِ عَلَيْهِمْ مَا أَمْكَنَ، وَإِذَا سَمِعَ كَلَامَهُمْ بَكَى وَتَضَرَّعَ، وَسَأَلَ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَرْزُقَهُ ابْنًا فَقِيهًا، وَيَحْضُرُ مَجَالِسَ الْوَعْظِ، فَإِذَا طَابَ وَقْتُهُ بَكَى، وَسَأَلَ اللهَ أَنْ يَرْزُقَهُ ابْنًا وَاعِظًا. فَاسْتَجَابَ اللهُ دَعْوَتَهُ[2].

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى: 6/ 191 ـ 192.

(2) المصدر نفسه: 6/ 194.

أَمَّا أَبُو حَامِدٍ، فَكَانَ أَفْقَهَ أَقْرَانِهِ، وَإِمَامَ أَهْلِ زَمَانِهِ، وَفَارِسَ مَيْدَانِهِ، كَلِمَتُهُ شَهِدَ بِهَا الْمُوَافِقُ وَالْمُخَالِفُ، وَأَقَرَّ بِحَقِيقَتِهِ الْمُعَادِي وَالْمُخَالِفُ.

وَأَمَّا أَحْمَدُ، فَكَانَ وَاعِظًا تَنْفَلِقُ الصُّمُّ الصُّخُورُ عِنْدَ اسْتِمَاعِ تَحْذِيرِهِ، وَتَرْعَدُ فَرَائِصُ الْحَاضِرِينَ فِي مَجَالِسِ تَذْكِيرِهِ. فَلَوْ قُرِعَ الصَّخْرُ بِسَوْطِ تَحْذِيرِهِ لَذَابَ، وَلَوْ رُبِطَ إِبْلِيسُ فِي مَجْلِسِ تَذْكِيرِهِ لَتَابَ.

مَبْدَأُ طَلَبِ حُجَّةِ الْإِسْلَامِ الْعِلْمَ:

قَرَأَ فِي صِبَاهُ طَرَفًا مِنَ الْفِقْهِ بِبَلَدِهِ عَلَى أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الزَّادكَانِيِّ، ثُمَّ سَافَرَ إِلَى جُرْجَانَ إِلَى الْإِمَامِ أَبِي نَصْرٍ الْإِسْمَاعِيلِيِّ، وَعَلَّقَ عَنْهُ **التَّعْلِيقَةَ**، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى طُوسَ.

قَالَ: قُطِعَتْ عَلَيْنَا الطَّرِيقُ، فَأَخَذَ الْعَيَّارُونَ جَمِيعَ مَا مَعِي وَمَضَوْا، فَتَبِعْتُهُمْ، وَقُلْتُ لِمُقَدَّمِهِمْ: أَسْأَلُكَ بِالَّذِي تَرْجُو السَّلَامَةَ مِنْهُ أَنْ تَرُدَّ عَلَيَّ تَعْلِيقَتِي فَقَطْ فَمَا هِيَ بِشَيْءٍ تَنْتَفِعُونَ بِهِ، قَالَ فَمَا هِيَ؟ قُلْتُ: كُتُبًا فِي تِلْكَ الْمِخْلَاةِ[1]، هَاجَرْتُ لِسَمَاعِهَا وَكِتَابَتِهَا وَمَعْرِفَتِهَا، فَضَحِكَ وَقَالَ: كَيْفَ تَدَّعِي مَعْرِفَتَهَا وَقَدْ أَخَذْنَاهَا، فَتَجَرَّدْتَ عَنْهَا، وَبَقِيتَ بِلَا عِلْمٍ. ثُمَّ أَمَرَ بَعْضَ أَصْحَابِهِ فَسَلَّمَ إِلَيَّ الْمِخْلَاةَ. فَقُلْتُ: قَدْ أَنْطَقَهُ اللهُ لِيُرْشِدَنِي في أَمْرِي، فَلَمَّا وَافَيْتُ طُوسَ، أَقْبَلْتُ عَلَى الِاشْتِغَالِ ثَلَاثَ سِنِينَ حَتَّى حَفِظْتُ جَمِيعَ مَا عَلَّقْتُهُ، وَصِرْتُ بِحَيْثُ لَوْ قُطِعَ عَلَيَّ الطَّرِيقُ مَا تَجَرَّدْتُ مِنْ عِلْمِي.

---

(1) المخلاة: جمعها مَخَالٍ، كيس يعلق على رقبة الدابة يوضع فيه علفها. اللسان/ خلي.

ثُمَّ قَدِمَ نَيْسَابُورَ، وَلازَمَ إِمَامَ الْحَرَمَيْنِ، وَجَدَّ وَاجْتَهَدَ حَتَّى بَرَعَ فِي الْمَذْهَبِ وَالْخِلَافِ، وَالْجَدَلِ وَالْأَصْلَيْنِ وَالْمَنْطِقِ، وَقَرَأَ الْحِكْمَةَ وَالْفَلْسَفَةَ وَأَحْكَمَ كُلَّ ذَلِكَ، وَفَهِمَ كَلَامَ أَرْبَابِ هَذِهِ الْعُلُومِ، وَتَصَدَّى لِلرَّدِّ عَلَى مُبْطِلِيهِمْ، وَإِبْطَالِ دَعَاوِيهِمْ، وَصَنَّفَ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنْ هَذِهِ الْعُلُومِ كُتُبًا، أَحْسَنَ تَأْلِيفَهَا، وَأَجَادَ وَصْفَهَا وَتَرْصِيفَهَا. وَكَانَ شَدِيدَ الذَّكَاءِ، شَدِيدَ النَّظَرِ، عَجِيبَ الْفِطْرَةِ، مُفْرِطَ الْإِدْرَاكِ، قَوِيَّ الْحَافِظَةِ، بَعِيدَ الْغَوْرِ، غَوَّاصًا عَلَى الْمَعَانِي الدَّقِيقَةِ، جَبَلَ عِلْمٍ، مُنَاظِرًا مِحْجَاجًا[1].

وَكَانَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ يَقُولُ: الْغَزَالِيُّ بَحْرٌ مُغْرِقٌ، وإِلْكِيَا[2] أَسَدٌ مُخْرِقٌ، وَالْخَوَافِي نَارٌ تُحْرِقُ.

قِيلَ: لَمْ يَكُنْ قَلْبُ إِمَامِ الْحَرَمَيْنِ مِثْلَ ظَاهِرِهِ فِي حَقِّ الْغَزَالِيِّ، بَلْ يُظْهِرُ التَّبَجُّحَ بِهِ، وَالِاعْتِدَادَ بِمَكَانِهِ ظَاهِرًا، خِلَافَ مَا يُضْمِرُهُ، وَذَلِكَ لِتَصَدِّي الْغَزَالِي عَلَى التَّصْنِيفِ مَعَ سُرْعَةِ جَوَابِهِ، وَقُوَّةِ طَبْعِهِ، وَإِنْ كَانَ مُتَخَرِّجًا بِهِ، مُنْتَسِبًا إِلَيْهِ، كَمَا لَا يَخْفَى مِنْ طَبْعِ الْبَشَرِ أَمْثَالُ هَذَا.

ثُمَّ نَاظَرَ الْإِمَامُ الْعُلَمَاءَ فِي مَجْلِسِ نِظَامِ الْمُلْكِ، وَقَهَرَ الْخُصُومَ، فَاعْتَرَفُوا بِفَضْلِهِ، فَوَلَّاهُ النِّظَامُ تَدْرِيسَ مَدْرَسَتِهِ بِبَغْدَادَ، فَدَرَّسَ، وَنَشَرَ الْعِلْمَ.

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى: 6/ 195 - 196.

(2) علي بن محمد بن علي عماد الدين المعروف بإِلْكِيَا الْهَرَّاسِي الطَّبَرِي، فقيه شافعي مفسر (ت. 504هـ) له "**أحكام القرآن**" مطبوع. وفيات الأعيان: 3/ 286. طبقات الشافعية الكبرى: 7/ 231.

وَكانَ يُرْضِي الطَّلَبَةَ، وَيُلْقِي الدَّرْسَ عَلَى نَحْوِ ثَلاثِمِئَةِ نَفَرٍ مِنْ أَكَابِرِهِمْ، أَوْ يَزِيدُونَ، فَأُعْجِبَ بِهِ أَهْلُ الْعِرَاقِ أَجْمَعُونَ. وَأَفْتَى، وَصَنَّفَ، وَصَارَ عَظِيمَ الْجَاهِ، عَالِيَ الرُّتْبَةِ، مَسْمُوعَ الْكَلِمِ، مَشْهُورَ الاسْمِ، يُضْرَبُ بِهِ الْأَمْثَالُ، وَتُشَدُّ إِلَيْهِ الرِّحَالُ.

ثُمَّ تَرَكَ الدُّنْيَا، وَرَفَضَ الْجَاهَ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وَقَصَدَ بَيْتَ اللهِ الْحَرَامِ، فَخَرَجَ إِلَى الْحَجِّ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ، وَاسْتَنَابَ أَخَاهُ فِي التَّدْرِيسِ، فَدَخَلَ دِمَشْقَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ، ثُمَّ جَاوَرَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ مُدَّةً، ثُمَّ عَادَ إِلى دِمَشْقَ، وَاعْتَكَفَ بِالْمَنَارَةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنَ الْجَامِعِ عَشْرَ سِنِينَ، ثُمَّ جَالَ فِي الْبِلَادِ يَزُورُ الْمَشَاهِدَ، وَيَطُوفُ عَلَى التُّرَبِ وَالْمَسَاجِدِ، وَيَأْوِي الْقِفَارَ، وَيُجَاهِدُ نَفْسَهُ جِهَادَ الْأَبْرَارِ، وَيُكَلِّفُهَا مَشَاقَّ الْعِبَادَاتِ، وَيَبْلُوهَا بِأَنْوَاعِ الْقُرَبِ وَالطَّاعَاتِ، إِلَى أَنْ صَارَ قُطْبَ الْوُجُودِ، وَالْبَرَكَةَ الْعَامَّةَ بِكُلِّ مَوْجُودٍ، وَالطَّرِيقَ الْمُوصِلَةَ إِلَى رِضَى الرَّحْمَنِ، وَالسَّبِيلَ الْمَنْصُوبَ إِلَى مَرْكَزِ الْإِيمَانِ. ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَغْدَادَ، وَعَقَدَ بِهَا مَجْلِسَ الْوَعْظِ، وَتَكَلَّمَ عَلَى لِسَانِ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ، وَحَدَّثَ بِكِتَابِ الْإِحْيَاءِ.

ثُمَّ عَادَ إِلَى خُرَاسَانَ، وَدَرَّسَ بِالنِّظَامِيَّةِ بِنَيْسَابُورَ مُدَّةً يَسِيرَةً، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى طُوسَ، وَاتَّخَذَ مَدْرَسَةً لِلْفُقَهَاءِ، وَخَانِقَاهَ لِلصُّوفِيَّةِ، وَوَزَّعَ أَوْقَاتَهُ عَلَى وَظَائِفَ، مِنْ خَتْمِ الْقُرْآنِ، وَمُجَالَسَةِ أَرْبَابِ الْقُلُوبِ، وَالتَّدْرِيسِ لِطَلَبَةِ الْعِلْمِ، وَإِدَامَةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَسَائِرِ الْعِبَادَاتِ، إِلَى أَنِ انْتَقَلَ إِلَى رَحْمَةِ اللهِ وَرِضْوَانِهِ طَيِّبَ الثَّنَاءِ، أَعْلَى مَنْزِلَةً مِنْ نَجْمِ السَّمَاءِ، لَا يَكْرَهُهُ إِلَّا حَاسِدٌ أَوْ زِنْدِيقٌ، وَلَا يَسُومُهُ بِسُوءٍ إِلَّا حَائِدٌ عَنْ سَوَاءِ الطَّرِيقِ.

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِطُوس فِي[1] يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ رَابِعَ عَشَرَ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِمِئَةٍ[2].

قَالَ هُوَ قُدِّسَ سِرُّهُ فِي بَعْضِ مُؤَلَّفَاتِهِ: كُنْتُ فِي بِدَايَتِي مُنْكِرًا لِأَحْوَالِ الصَّالِحِينَ، وَمَقَامَاتِ الْعَارِفِينَ، حَتَّى حَظِيتُ بِالْوَارِدَاتِ، فَرَأَيْتُ اللهَ تَعَالَى فِي الْمَنَامِ، فَقَالَ لِي: يَا أَبَا حَامِدٍ، قُلْتُ: أَوَ الشَّيْطَانُ يُكَلِّمُنِي، قَالَ: لَا، بَلْ أَنَا اللهُ الْمُحِيطُ بِجِهَاتِكَ السِّتِّ. ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا حَامِدٍ، ذَرْ أَسَاطِيرَكَ، وَعَلَيْكَ بِصُحْبَةِ أَقْوَامٍ جَعَلْتُهُمْ فِي أَرْضِي مَحَلَّ نَظَرِي، وَهُمْ أَقْوَامٌ بَاعُوا الدَّارَيْنِ بِحُبِّي، فَقُلْتُ: بِعِزَّتِكَ إِلَّا أَذَقْتَنِي بَرْدَ حُسْنِ الظَّنِّ بِهِمْ، فَقَالَ: قَدْ فَعَلْتُ ذَلِكَ، وَالْقَاطِعُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ تَشَاغُلُكَ بِحُبِّ الدُّنْيَا، فَاخْرُجْ مِنْهَا مُخْتَارًا قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا صَاغِرًا، فَقَدْ أَمْضَيْتُ عَلَيْكَ نُورًا مِنْ أَنْوَارِ قُدُسِي، فَقُمْ وَقُلْ.

قَالَ: فَاسْتَيْقَظْتُ فَرِحًا مَسْرُورًا، وَجِئْتُ إِلَى شَيْخِي يُوسُفَ النَّسَّاجِ، فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ الْمَنَامَ، فَتَبَسَّمَ وَقَالَ: يَا أَبَا حَامِدٍ، هَذِهِ أَلْوَاحُنَا فِي الْبِدَايَةِ فَمَحَوْنَاهَا. بَلَى[3] إِنْ صَحِبْتَنِي سَأُكَحِّلُ بَصَرَ بَصِيرَتِكَ بِإِثْمِدِ التَّأْيِيدِ حَتَّى تَرَى الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ، ثُمَّ لَا تَرْضَى بِذَلِكَ حَتَّى تُشَاهِدَ مَا لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ، فَتَصْفُوَ مِنْ كَدَرِ طَبِيعَتِكَ، وَتَرْتَقِيَ عَلَى طَوْرِ عَقْلِكَ، وَتَسْمَعَ الْخِطَابَ مِنَ اللهِ تَعَالَى كَمَا كَانَ لِمُوسَى: ﴿أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[4]. انْتَهَى.

---

(1) من، في الأزهرية.

(2) طبقات الشافعية الكبرى: 6/ 191 - 201.

(3) بل، في عاطف أفندي، ومراد ملا.

(4) سورة القصص الآية: 30.

ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى الْقُدْسِ الشَّرِيفِ، فَاجْتَهَدَ فِي الْعِبَادَةِ، وَزِيَارَةِ الْمَشَاهِدِ وَالْمَوَاضِعِ الْمُعَظَّمَةِ بِتِلْكَ الْأَرَاضِي الْمُقَدَّسَةِ، مُنْفَرِدًا عَنِ النَّاسِ، مُخْفِيًا نَفْسَهُ عَنْهُمْ، مَا كَانَ يَعْرِفُهُ إِلَّا خَادِمٌ كَانَ مَعَهُ، وَكانَ عَلَى ذَلِكَ مُدَّةً، ثُمَّ اشْتَهَرَ أَمْرُهُ فَعَرَفُوهُ وَاعْتَقَدُوهُ.

ثُمَّ إِنَّهُ قَصَدَ مِصْرَ، وَأَقَامَ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ مُدَّةً، ثُمَّ عَادَ إِلَى الشَّامِ، وَأَخَذَ فِي تَصْنِيفِ "إِحْيَاءُ عُلُومِ الدِّينِ"، وَالْكُتُبِ الْمُخْتَصَرَةِ، مِثْلَ الْأُصُولِ الْأَرْبَعِينَ[1]، وَ"جَوَاهِرُ الْقُرْآنِ"، وَغَيْرِ ذلكَ مِنَ الرَّسَائِلِ، وَهُوَ مُكِبٌّ عَلَى مُجَاهَدَةِ النَّفْسِ، وَالْعُزْلَةِ عَنِ الْخَلْقِ، وَالتَّبَتُّلِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَتَرْكِ الِاجْتِمَاعِ بِالنَّاسِ إِلَّا فِي الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ.

ثُمَّ عَادَ إِلى وَطَنِهِ لَازِمًا بَيْتَهُ، مُشْتَغِلًا بِالتَّفَكُّرِ وَالتَّأْلِيفِ، مُلَازِمًا لِلْوَقْتِ، مُثَابِرًا عَلَى الذِّكْرِ وَالْأَوْرَادِ، إِلَى أَنْ مَضَى عَلَى ذَلِكَ زَمَانٌ ظَهَرَتْ فِيهِ تَصَانِيفُهُ، وَفَشَتْ كُتُبُهُ، حَتَّى انْتَهَتْ الْمَمْلَكَةُ وَالْوِزَارَةُ إِلَى فَخْرِ الْمُلْكِ، جَمَالِ الشُّهَدَاءِ، فَزُيِّنَتْ خُرَاسَانُ بِحُشْمَتِهِ وَدَوْلَتِهِ، وَنَفَقَ سُوقُ الْفَضْلِ أَيَّامَ وِلَايَتِهِ.

وَقَدْ كَانَ سَمِعَ بِفَضْلِ الْإِمَامِ الْغَزَالِيِّ وَنَقَاءِ سِيرَتِهِ، فَاسْتَدْعَاهُ، وَجَاءَ بِهِ إِلَى نَيْسَابُورَ، وَوَلَّاهُ تَدْرِيسَ الْمَدْرَسَةِ النِّظَامِيَّةِ بِهَا، فَانْتُفِعَ بِهِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى بَغْدَادَ، ثُمَّ إِلَى نَيْسَابُورَ، وَأُلْزِمَ بِتَدْرِيسِ النِّظَامِيَّةِ بَعْدَ مُعَاوَدَاتٍ بِأَسْبَابٍ يَأْتِي ذِكْرُهَا فِي كَلَامِهِ.

---

(1) يقصد: "كتابُ الأربعِينَ في أُصُولِ الدِّينِ"، لأبي حامد الغزالي، وهو مطبوع.

ثُمَّ تَرَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَأَقَامَ بِوَطَنِهِ، وَاتَّخَذَ خَانِقَاهَ لِلصُّوفِيَّةِ، وَمَدْرَسَةً لِلْمُشْتَغِلِينَ بِالْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ فِي جِوَارِهِ. وَوَزَّعَ أَوْقَاتَهُ عَلَى وَظَائِفِ الْخَيْرِ، مِنْ خَتْمِ الْقُرْآنِ، وَمُجَالَسَةِ أَهْلِ الْقُلُوبِ.

هَذَا وَقَدْ سُئِلَ هُوَ ـ قُدِّسَ سِرُّهُ ـ عَنِ السَّبَبِ الَّذِي صَرَفَهُ عَنْ نَشْرِ الْعِلْمِ بِبَغْدَادَ، مَعَ كَثْرَةِ الطَّلَبَةِ، وَمَا الَّذِي دَعَاهُ إِلَى مُعَاوَدَتِهِ بِنَيْسَابُورَ بَعْدَ طُولِ الْمُدَّةِ؟

فَقَالَ مُجِيبًا عَنْ ذَلِكَ: بَعْدَ تَمْهِيدِ مُقَدِّمَاتٍ تَقَدَّمَتْ لَهُ هُنَاكَ، إِنَّهُ:

«قَدْ حَصَلَ مَعِي مِنَ الْعُلُومِ الَّتِي مَارَسْتُهَا، وَالْمَسَالِكِ الَّتِي سَلَكْتُهَا فِي التَّفْتِيشِ عَنْ صِنْفَيِ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ إِيمَانٌ يَقِينِيٌّ بِاللهِ تَعَالَى، وَبِالنُّبُوَّةِ، وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ، فَهَذِهِ الأُصُولُ الثَّلَاثَةُ مِنَ الْإِيمَانِ كَانَتْ قَدْ رَسَخَتْ فِي نَفْسِي، وَكَانَ قَدْ ظَهَرَ عِنْدِي أَنَّهُ لَا مَطْمَعَ فِي سَعَادَةِ الْآخِرَةِ إِلَّا بِالتَّقْوَى، وَكَفِّ النَّفْسِ عَنِ الْهَوَى، وَأَنَّ رَأْسَ ذَلِكَ كُلِّهُ قَطْعُ عَلَاقَةِ الْقَلْبِ عَنِ الدُّنْيَا، وَالتَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ، وَالْإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ، وَالْإِقْبَالُ بِكُنْهِ الْهِمَّةِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِالْإِعْرَاضِ عَنِ الْجَاهِ وَالْمَالِ، وَقَطْعِ الْآمَالِ، وَالْهَرَبِ مِنَ الشَّوَاغِلِ وَالْعَلَائِقِ، وَمِنْ مُخَالَطَةِ الْخَلَائِقِ.

قَالَ: ثُمَّ لَاحَظْتُ أَحْوَالِي، فَإِذَا أَنَا مُنْغَمِسٌ فِي الْعَلَائِقِ، وَقَدْ أَحْدَقَتْ بِي مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَلَاحَظْتُ أَعْمَالِي ـ وَأَحْسَنُهَا التَّدْرِيسُ وَالتَّعْلِيمُ ـ فَإِذَا أَنَا مُقْبِلٌ فِيهَا عَلَى عُلُومٍ غَيْرِ مُهِمَّةٍ وَلَا نَافِعَةٍ فِي طَرِيقِ الْآخِرَةِ.

ثُمَّ تَفَكَّرْتُ فِي نِيَّتِي فِي التَّدْرِيسِ، فَإِذَا هِيَ غَيْرُ خَالِصَةٍ لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَى، بَلْ مَشُوبَةٌ بِطَلَبِ الْجَاهِ، وَانْتِشَارِ الصِّيتِ، فَتيَقَّنْتُ أَنِّي عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ، وَأَنِّي قَدْ أَشْفَيْتُ عَلَى النَّارِ، إِنْ لَمْ أَشْتَغِلْ بِتَلَافِي الْأَحْوَالِ، فَلَمْ أَزَلْ أَتفَكَّرُ فِيهِ مُدَّةً، وَأَنَا بَعْدُ عَلَى مَقَامِ الِاخْتِيَارِ أُصَمِّمُ عَزْمِي عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ بَغْدَادَ، وَمُفَارَقَةِ تِلْكَ الْأَحْوَالِ يَوْمًا، وَأَحُلُّ الْعَزْمَ يَوْمًا، وَأُقَدِّمُ فِيهِ رِجْلًا وَأُؤَخِّرُ عَنْهُ أُخْرَى، وَلَا تَصْدُقُ لِي رَغْبَةٌ فِي طَلَبِ الْآخِرَةِ بُكْرَةً، إِلَّا وَتَحْمِلُ عَلَيْهَا جُنْدُ الشَّهْوَةِ حَمْلَةً فَتُنَفِّرُهَا عَشِيَّةً، فَصَارَتْ شَهَوَاتُ الدُّنْيَا تُجَاذِبُنِي بِسَلَاسِلِهَا إِلَى الْمُقَامِ، وَمُنَادِي الْإِيمَانِ يُنَادِي: الرَّحِيلَ الرَّحِيلَ. فَلَمْ يَبْقَ مِنَ الْعُمُرِ إِلَّا الْقَلِيلُ، وَبَيْنَ يَدَيْكَ السَّفَرُ الطَّوِيلُ، وَجَمِيعُ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنَ الْعِلْمِ رِيَاءٌ وَتَخْيِيلٌ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَعِدَّ الْآنَ إِلَى الْآخِرَةِ فَمَتَى تَسْتعِدُّ؟! وَإِنْ لَمْ تَقْطَعِ الْآنَ هَذِهِ الْعَلَائِقَ فَمَتَى تَقْطَعُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَنْبَعِثُ الرَّغْبَةُ وَيَنْجَزِمُ الْعَزْمُ عَلَى الْهَرَبِ وَالْفِرَارِ، ثُمَّ يَعُودُ الشَّيْطَانُ الْغَرُورُ الْغَدَّارُ، وَيَقُولُ: هَذِهِ حَالَةٌ عَارِضَةٌ إِيَّاكَ أَنْ تُطَاوِعَهَا، فَإِنَّهَا سَرِيعَةُ الزَّوَالِ، فَإِذَا أَذْعَنْتَ لَهَا، وَتَرَكْتَ هَذَا الْجَاهَ الطَّوِيلَ الْعَرِيضَ وَالشَّأْنَ الْمَنْظُومَ، الْخَالِيَ عَنِ التَّكْدِيرِ وَالتَّنْغِيصِ، وَالْأَمْرَ الْمُسَلَّمَ الصَّافِيَ عَنْ مُنَازَعَةِ الْخُصُومِ، رُبَّمَا الْتَفَتَتْ إِلَيْكَ نَفْسُكَ فَلَا تَتَيَسَّرُ لَكَ الْمُعَاوَدَةُ.

فَلَمْ أَزَلْ أَتَرَدَّدُ بَيْنَ تَجَاذُبِ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا وَدَوَاعِي الْآخِرَةِ قَرِيبًا مِنْ سِتَّةِ أَشْهُرٍ، آخِرُهَا رَجَبُ سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ، وَفِي هَذَا الشَّهْرِ تَجَاوَزَ الْأَمْرُ حَدَّ الِاخْتِيَارِ، إِلَى الِاضْطِرَارِ، إِذْ قَفَلَ اللهُ تَعَالَى عَلَى لِسَانِي حَتَّى

اعْتَقَلَ عَنِ التَّدْرِيسِ، فَكُنْتُ أُجَاهِدُ نَفْسِي أَنْ أُدَرِّسَ يَوْمًا وَاحِدًا تَطْيِيبًا لِلْقُلُوبِ الْمُخْتَلِفَةِ إِلَيَّ، وَكَانُوا نَحْوَ ثَلَاثِمِئَةِ نَفَرٍ، فكانَ لَا يَنْطِقُ لِسَانِي بِكَلِمَةٍ، وَلَا يَسْتَطِيعُهَا الْبَتَّةَ، حَتَّى أَوْرَثَتْ هَذِهِ الْعُقْلَةُ فِي اللِّسَانِ حُزْنًا فِي الْقَلْبِ، بَطَلَتْ مَعَهُ قُوَّةُ الْهَضْمِ، وَمَرْيُ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَكانَ لَا تَنْسَاغُ لِي شَرْبَةٌ، وَلَا تَنْهَضِمُ لِي لَقْمَةٌ، وَتَعَدَّى إِلَيَّ ضَعْفُ الْقُوَى، حَتَّى قَطَعَ الْأَطِبَّاءُ طَمَعَهُمْ في الْعِلَاجِ، وَقَالُوا: هَذَا أَمْرٌ نَزَلَ بِالْقَلْبِ، وَمِنْهُ سَرَى إِلَى الْمِزَاجِ، فَلَا سَبِيلَ إِلَيْهِ بِالْعِلَاجِ، إِلَّا بِأَنْ يَتَرَوَّحَ السِّرُّ عَنِ الْهَمِّ الْمُهِمِّ[1].

ثُمَّ إِنِّي لَمَّا أَحْسَسْتُ بِعَجْزِي، وَسَقَطَ بِالْكُلِّيَةِ اخْتِيَارِي، الْتَجَأْتُ إِلَى اللهِ تَعَالَى الْتِجَاءَ الْمُضْطَرِّ الَّذِي لَا حِيلَةَ لَهُ، فَأَجَابَنِي الَّذِي يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ، وَسَهَّلَ إِلَى قَلْبِي الْإِعْرَاضَ عَنِ الْمَالِ وَالْجَاهِ، وَمُفَارَقَةَ الْأَوْلَادِ وَالْأَحِبَّاءِ وَالْأَوْطَانِ وَالْأَصْحَابِ، فَأَظْهَرْتُ عَزْمَ الْخُرُوجِ إِلَى مَكَّةَ، وَأَنَا أُدَبِّرُ فِي نَفْسِي سَفَرَ الشَّامِ، حِذَارًا مِنْ أَنْ يَطَّلِعَ الْخَلِيفَةُ وَجُمْلَةُ الْأَصْحَابِ عَلَى غَرَضِي فِي الْمُقَامِ بِالشَّامِ، فَتَلَطَّفْتُ بِلَطَائِفِ الْحِيَلِ فِي الْخُرُوجِ مِنْ بَغْدَادَ، عَلَى عَزْمِ أَنِّي لَا أُعَاوِدُهَا أَبَدًا، فَاسْتَهْدَفَتْنِي[2] وَاسْتَهْزَأُوا بِي، كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ مَنْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْإِعْرَاضُ عَمَّا كُنْتُ فِيهِ بِسَبَبٍ دِينِيٍّ، إِذْ ظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْمَنْصِبُ الْأَعْلَى فِي الدِّينِ، وَكانَ ذَلِكَ مَبْلَغَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ.

---

(1) عن المبهم، في أنطاليا وعاطف أفندي.

(2) (واستهدفت لأئمة أهل العراق كافة). المنقذ من الضلال: 175.

ثُمَّ ارْتَبَكَ النَّاسُ فِي الاسْتِنْبَاطَاتِ، فَظَنَّ مَنْ بَعُدَ عَنِ الْعِرَاقِ أَنَّ ذَلِكَ لِاسْتِشْعَارٍ مِنْ جِهَةِ الْوُلَاةِ، وَأَمَّا مَنْ قَرُبَ مِنْهُمْ مِنَ الْوُلَاةِ بِمَكَانٍ، فَكَانَ يُشَاهِدُ إِلْحَاحَهُمْ فِي التَّعَلُّقِ بِي، وَالْإِنْكَارِ عَلَيَّ، وَإِعْرَاضِي عَنْهُمْ، وَعَنِ الِالْتِفَاتِ إِلَى قَوْلِهِمْ، فَيَقُولُونَ: هَذَا أَمْرٌ سَمَاوِيٌّ لَيْسَ لَهُ سَبَبٌ إِلَّا عَيْنٌ أَصَابَتْ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَزُمْرَةَ أَهْلِ الْعِلْمِ.

فَفَارَقْتُ بَغْدَادَ، وَفَرَّقْتُ مَا كَانَ مَعِي مِنْ مَالٍ، وَلَمْ أَدَّخِرْ إِلَّا قَدْرَ الْكَفَافِ، وَقُوتَ الْأَطْفَالِ، وَتَرَخُّصًا بِأَنَّ مَالَ الْعِرَاقِ لِلْمَصَالِحِ، لِكَوْنِهِ وَقْفًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَلَمْ أَرَ فِي الْعَالَمِ مَا يَأْخُذُ الْعَالِمُ لِعِيَالِهِ أَصْلَحَ مِنْهُ.

ثُمَّ دَخَلْتُ الشَّامَ، وَأَقَمْتُ فِيهِ بِمَدِينَةِ دِمَشْقَ قَرِيبًا مِنْ سَنَتَيْنِ، لَا شُغْلَ لِي إِلَّا الْعُزْلَةُ وَالْخَلْوَةُ وَالرِّيَاضَةُ وَالْمُجَاهَدَةُ، اشْتِغَالًا بِتَزْكِيَةِ النَّفْسِ، وَتَهْذِيبِ الْأَخْلَاقِ، وَتَصْفِيَةِ الْقَلْبِ لِذِكْرِ اللهِ، كَمَا كُنْتُ حَصَّلْتُهُ مِنْ عُلُومِ الصُّوفِيَّةِ»[1]. «فَعَلِمْتُ أَنَّ طَرِيقَهُمْ إِنَّمَا تَتِمُّ بِعِلْمٍ وَعَمَلٍ، وَكَانَ حَاصِلُ عِلْمِهِمْ قَطْعَ عَقَبَاتِ النَّفْسِ، وَالتَّنَزُّهَ عَنْ أَخْلَاقِهَا الْمَذْمُومَةِ، وَصِفَاتِهَا الْخَبِيثَةِ، حَتَّى يُتَوَصَّلَ بِهَا إِلَى تَخْلِيَةِ الْقَلْبِ عَنْ غَيْرِ اللهِ، وَتَحْلِيَتِهِ بِذِكْرِ اللهِ، وَكَانَ الْعِلْمُ أَيْسَرَ عَلَيَّ مِنَ الْعَمَلِ إِذْ ذَاكَ، فَابْتَدَأْتُ بِتَحْصِيلِ عِلْمِهِمْ مِنْ مُطَالَعَةِ كُتُبِهِمْ، مِثْلَ: "**قُوتُ الْقُلُوبِ**"، لِأَبِي طَالِبٍ الْمَكِّيِّ، وَكُتُبِ الْحَارِثِ الْمُحَاسِبِيِّ، وَالْمُتَفَرِّقَاتِ الْمَأْثُورَةِ عَنِ الْجُنَيْدِ وَالشِّبْلِيِّ، وَأَبِي يَزِيدَ

---

(1) النص مع بعض الاختلاف في المنقذ من الضلال: 172 ـ 176.

الْبِسْطَامِيِّ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَشَايِخِ، قُدِّسَ سِرُّهُمْ، حَتَّى اطَّلَعْتُ عَلَى كُنْهِ مَقَاصِدِهِمُ الْعِلْمِيَّةِ، وَحَصَّلْتُ مَا يُمْكِنُ أَنْ يُحَصَّلَ مِنْ طَرِيقِهِمْ[1] بِالتَّعَلُّمِ وَالسَّمَاعِ، فَظَهَرَ لِي أَنَّ أَخَصَّ خَوَاصِّهِمْ مَا لَا يُمْكِنُ الْوُصُولُ إِلَيْهِ بِالتَّعَلُّمِ، بَلْ بِالذَّوْقِ وَالْحَالِ، وَتَبْدِيلِ الصِّفَاتِ»[2]. انْتَهَى.

قَالَ: «فَكُنْتُ أَعْتَكِفُ مُدَّةً فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ، أَصْعَدُ مَنَارَةَ الْمَسْجِدِ طُولَ النَّهَارِ، وَأُغْلِقُ بَابَهَا عَلَى نَفْسِي، ثُمَّ تَحَرَّكَتْ فِيَّ دَاعِيَةُ فَرِيضَةِ الْحَجِّ إِلَى بَيْتِ اللهِ تَعَالَى، وَالِاسْتِمْدَادِ مِنْ بَرَكَةِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، وَزِيَارَةِ الرَّسُولِ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْ زِيَارَةِ الْخَلِيلِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمَا وَعَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ، فَسِرْتُ إِلَى الْحِجَازِ»[3].

قُلْتُ: وَلَعَلَّ حَجَّهُ قَدْ تَكَرَّرَ، لِأَنَّهُ ذَكَرَ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ أَنَّهُ حَجَّ مِنَ الْعِرَاقِ قَبْلَ إِقَامَتِهِ بِالشَّامِ.

قَالَ: «ثُمَّ جَذَبَتْنِي الْهِمَمُ وَدَعَوَاتُ الْأَطْفَالِ إِلَى الْوَطَنِ، فَعَاوَدْتُهُ بَعْدَ أَنْ كُنْتُ أَبْعَدَ الْخَلْقِ عَنِ الرُّجُوعِ إِلَيْهِ، وَآثَرْتُ الْعُزْلَةَ بِهِ أَيْضًا حِرْصًا عَلَى الْخَلْوَةِ وَتَصْفِيَةِ الْقَلْبِ لِلذِّكْرِ.

وَكَانَتْ حَوَادِثُ الزَّمَانِ، وَمُهِمَّاتُ الْعِيَالِ، وَضَرُورَاتُ الْمَعِيشَةِ، تُغَيِّرُ فِي وَجْهِي الْمُرَادَ، وَتُشَوِّشُ صَفْوَةَ الْخَلْوَةِ، وَكَانَ لَا يَصْفُو لِيَ الْحَالُ إِلَّا فِي

---

(1) طريقتهم، في قونية.

(2) المنقذ من الضلال: 170 ـ 172. ويلاحظ القارئ أن النص ليس في مكانه من الكتاب المطبوع ولعله قصد بإدراجه هنا مزيد بيان لعلوم الصوفية التي حصلها الغزالي.

(3) المصدر نفسه: 176ـ 177.

أَوْقَاتٍ مُتَفَرِّقَةٍ، وَلَكِنِّي مَعَ ذَلِكَ لَا أَقْطَعُ طَمَعِي مِنْهَا، فَتَدْفَعُنِي عَنْهَا الْعَوَائِقُ، وَأَعُودُ إِلَيْهَا. وَدُمْتُ عَلَى ذَلِكَ مِقْدَارَ عَشْرِ سِنِينَ، وَانْكَشَفَتْ لِي فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ الْخَلَوَاتِ أُمُورٌ لا يُمْكِنُ إِحْصَاؤُهَا وَاسْتِقْصَاؤُهَا، وَالْقَدْرُ الَّذِي أَذْكُرُهُ لِيُنْتَفَعَ بِهِ، أَنِّي عَلِمْتُ يَقِينًا أَنَّ الصُّوفِيَّةَ هُمُ السَّالِكُونَ لِطَرِيقِ اللهِ تَعَالَى خَاصَّةً، وَأَنَّ سِيرَتَهُمْ أَحْسَنُ السِّيَرِ، وَطَرِيقَتَهُمْ أَصْوَبُ الطُّرُقِ، وَأَخْلَاقَهُمْ أَزْكَى الْأَخْلَاقِ، بَلْ لَوْ جُمِعَ عَقْلُ الْعُقَلَاءِ، وَحِكْمَةُ الْحُكَمَاءِ وَعِلْمُ الْوَاقِفِينَ عَلَى أَسْرَارِ الشَّرْعِ مِنَ الْعُلَمَاءِ، لِيُغَيِّرُوا شَيْئًا مِنْ سِيرَتِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ، وَيُبَدِّلُوهُ بِمَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ، لَمْ يَجِدُوا إِلَيْهِ سَبِيلًا، فَإِنَّ جَمِيعَ حَرَكَاتِهِمْ وَسَكَنَاتِهِمْ فِي ظَاهِرِهِمْ وَبَاطِنِهِمْ مُقْتَبَسَةٌ مِنْ مِشْكَاةِ النُّبُوَّةِ، وَلَيْسَ وَرَاءَ نُورِ النُّبُوَّةِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ نُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ.

وَبِالْجُمْلَةِ، فَمَاذَا يَقُولُ الْقَائِلُونَ في طَرِيقَةٍ "طَهَارَتُهَا - وَهِيَ أَوَّلُ شُرُوطِهَا - تَطْهِيرُ الْقَلْبِ بِالْكُلِّيَةِ عَمَّا سِوَى اللهِ تَعَالَى، وَتَحْرِيمَتُهَا اسْتِغْرَاقُ الْقَلْبِ بِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى، وَآخِرُهَا الْفَنَاءُ بِالْكُلِّيَةِ فِي اللهِ تَعَالَى، وَهَذَا آخِرُهَا. بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَا يَكَادُ يَدْخُلُ تَحْتَ الِاخْتِيَارِ وَالْكَشْفِ مِنْ أَوَائِلِهَا، وَهِيَ عَلَى التَّحْقِيقِ أَوَّلُ الطَّرِيقَةِ، وَمَا قَبْلَ ذَلِكَ كَالدِّهْلِيزِ لِلسَّالِكِ إِلَيْهِ، وَمِنْ أَوَّلِ الطَّرِيقَةِ تَبْتَدِئُ الْمُكَاشَفَاتُ وَالْمُشَاهَدَاتُ، حَتَّى إِنَّهُمْ وَهُمْ فِي يَقَظَتِهِمْ يُشَاهِدُونَ الْمَلَائِكَةَ وَأَرْوَاحَ الْأَنْبِيَاءِ، وَيَسْمَعُونَ مِنْهُمْ أَصْوَاتًا، وَيَقْتَبِسُونَ مِنْهُمْ فَوَائِدَ. ثُمَّ يَتَرَقَّى الْحَالُ مِنْ مُشَاهَدَةِ الصُّوَرِ وَالْأَمْثَالِ إِلَى دَرَجَاتٍ يَضِيقُ عَنْهَا نِطَاقُ الْعِبَارَةِ، فَلَا يُحَاوِلُ مُعَبِّرٌ أَنْ يُعَبِّرَ عَنْهَا إِلَّا اشْتَمَلَ لَفْظُهُ عَلَى خَطَإٍ صَرِيحٍ لَا يُمْكِنُهُ الِاحْتِرَازُ مِنْهُ.

وَعَلَى الْجُمْلَةِ، يَنْتَهِي الْأَمْرُ إِلَى قُرْبٍ يَكَادُ يَتَخَيَّلُ مِنْهُ طَائِفَةٌ الْحُلُولَ، وَطَائِفَةٌ الِاتِّحَادَ، وَطَائِفَةٌ الْوُصُولَ، وَكُلُّ ذَلِكَ خَطَأٌ، وَقَدْ بَيَّنَّا وَجْهَ الْخَطَإِ فِيهِ فِي كِتَابِ "**الْمَقْصِدُ الْأَقْصَى**"، بَلِ الَّذِي لَابَسَتْهُ تِلْكَ الْحَالَةُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَزِيدَ عَلَى أَنْ يَقُولَ: [البسيط]

فَكَانَ مَا كَانَ مِمَّا لَسْتُ أَذْكُرُهُ ... فَظُنَّ خَيْرًا وَلَا تَسْأَلْ عَنِ الْخَبَرِ[1]

وَبِالْجُمْلَةِ، فَمَنْ لَمْ يُرْزَقْ مِنْهُ شَيْئًا بِالذَّوْقِ، فَلَيْسَ يُدْرِكُ مِنْ حَقِيقَةِ النُّبُوَّةِ إِلَّا الِاسْمَ. وَكَرَامَاتُ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى التَّحْقِيقِ، هِيَ بِدَايَاتُ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ»[2].

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّهُ ـ قُدِّسَ سِرُّهُ ـ بَعْدَمَا حَصَّلَ مَا حَصَّلَ، أَشَارَ إِلَيْهِ أَرْبَابُ الْقُلُوبِ وَالْمُشَاهَدَاتِ بِتَرْكِ الْعُزْلَةِ وَالْخَلْوَةِ وَالْخُرُوجِ مِنَ الزَّاوِيَةِ، وَانْضَافَ إِلَى أَنَّ ذَلِكَ نَفْعٌ خَاصٌّ بِالشَّيْخِ، وَالْعَوْدُ إِلَى نَشْرِ الْعِلْمِ نَفْعُهُ أَعَمُّ، وَأَجْرُهُ أَتَمُّ، وَتَوَاطَأَتْ عَلَى ذَلِكَ مَنَامَاتٌ مِنَ الصَّالِحِينَ، تَشْهَدُ كُلُّهَا بِأَنَّ هَذِهِ الْحَرَكَةَ مَبْدَأُ خَيْرٍ وَرُشْدٍ قَدَّرَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رَأْسِ هَذِهِ الْمِئَةِ الْخَامِسَةِ، وَقَدْ وَعَدَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِإِحْيَاءِ دِينِهِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِئَةِ سَنَةٍ، فَغَلَبَ حُسْنُ ظَنِّهِ بِسَبَبِ هَذِهِ الشَّهَادَاتِ[3].

قَالَ قُدِّسَ سِرُّهُ: «وَيَسَّرَ اللهُ لِي الْحَرَكَةَ إِلَى نَيْسَابُورَ لِلْقِيَامِ بِهَذَا الْمُهِمِّ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ، وَكَانَ الْخُرُوجُ مِنْ بَغْدَادَ سَنَةَ ثَمَانٍ

(1) البيت لابن المعتز في ديوان شعره: 247.
(2) المنقذ من الضلال: 177 ـ 179.
(3) المصدر نفسه: 196 ـ 197.

وَثَمَانِينَ. وَبَلَغَتْ مُدَّةُ الْعُزْلَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً. وَهَذِهِ حَرَكَةٌ قَدَّرَهَا اللهُ تَعَالَى، وَهِيَ مِنْ عَجَائِبِ تَقْدِيرَاتِهِ الَّتِي لَمْ يَكُنْ لَهَا انْقِدَاحٌ فِي الْقَلْبِ مُدَّةَ الْعُزْلَةِ، كَمَا لَمْ يَكُنِ الْخُرُوجُ مِنْ بَغْدَادَ وَالنُّزُوعُ عَنْ تِلْكَ الْأَحْوَالِ، مِمَّا خَطَرَ إِمْكَانُهُ أَصْلًا بِالْبَالِ، وَاللهُ تَعَالَى مُقَلِّبُ الْقُلُوبِ وَالْأَحْوَالِ، وَ«قَلْبُ الْمُؤْمِنِ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ»[1]، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنِّي، وَإِنْ رَجَعْتُ إِلَى نَشْرِ الْعِلْمِ الَّذِي يُكْشَفُ بِهِ الْجَاهُ فَمَا رَجَعْتُ، فَإِنَّ الرُّجُوعَ عَوْدٌ إِلَى مَا كَانَ. وَكُنْتُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ أَنْشُرُ الْعِلْمَ الَّذِي يُكْتَسَبُ بِهِ الْجَاهُ، وَأَدْعُو إِلَيْهِ بِقَوْلِي وَعَمَلِي، وَأَنَا الْآنَ أَدْعُو إِلَى الْعِلْمِ الَّذِي بِهِ يُتْرَكُ الْجَاهُ، وَيُعْرَفُ بِهِ سُقُوطُ رُتْبَةِ الْجَاهِ. هَذَا هُوَ الْآنَ نِيَّتِي وَقَصْدِي وَأُمْنِيَّتِي، يَعْلَمُ اللهُ تَعَالَى ذَلِكَ مِنِّي، وَأَنَا أَبْغِي أَنْ أُصْلِحَ نَفْسِي وَغَيْرِي، وَلَسْتُ أَدْرِي أَأَصِلُ إِلَى مُرَادِي أَمْ أُخْتَرَمُ دُونَ غَرَضِي؟ وَلَكِنِّي أُؤْمِنُ إِيمَانَ يَقِينٍ وَمُشَاهَدَةٍ أَنَّهُ لَا حَوْلَ لِي وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، وَأَنِّي لَمْ أَتَحَرَّكْ، وَلَكِنَّهُ حَرَّكَنِي، وَأَنِّي لَمْ أَعْمَلْ، وَلَكِنَّهُ اسْتَعْمَلَنِي، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُصْلِحَنِي أَوَّلًا، ثُمَّ يُصْلِحَ بِي، وَأَنْ يَهْدِيَنِي، ثُمَّ يَهْدِيَ بِي، وَأَنْ يُرِيَنِي الْحَقَّ حَقًّا، وَيَرْزُقَنِي اتِّبَاعَهُ، وَيُرِيَنِي الْبَاطِلَ بَاطِلًا، وَيَرْزُقَنِي اجْتِنَابَهُ، آمِينَ»[2]. انْتَهَى.

وَأَمَّا مُصَنَّفَاتُهُ فَمِنْهَا:

كِتَابُ "الإِحْيَاءُ"، هُوَ مِنْ أَجَلِّ الْكُتُبِ وَأَحْسَنِهَا وَضْعًا، وَأَتَمِّهَا إِفَادَةً، وَأَعَمِّهَا نَفْعًا. وَأَوَّلَ مَا دَخَلَ إِلَى الْغَرْبِ أَنْكَرَ فِيهِ بَعْضُ الْمَغَارِبَةِ أَشْيَاءَ، وَصَنَّفَ

(1) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة: 129، وإحياء علوم الدين: 1/ 102.

(2) المنقذ من الضلال: 197 ـ 198.

عَلَيْهِ "**الْإِمْلَاءُ فِي الرَّدِّ عَلَى الْإِحْيَاءِ**"[1]، ثُمَّ رَأَى رُؤْيَا ظَهَرَتْ فِيهَا كَرَامَةُ الشَّيْخِ وَصِدْقُ نِيَّتِهِ، فَتَابَ عَنْ ذَلِكَ، وَرَجَعَ إِلَى الِاعْتِقَادِ فِي حَقِّهِ. وَأَمَّا الْأَحَادِيثُ الَّتِي لَمْ تَصِحَّ، لا يُنْكَرُ عَلَى إِيرَادِهَا، لِجَوَازِهِ فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ.

وَكانَ الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ يَقُولُ: «كَأَنَّ اللهَ تَعَالَى جَمَعَ الْعُلُومَ فِي قُبَّةٍ، وَأَطْلَعَ الْغَزَالِيَّ عَلَيْهَا»[2]، أَوْ كَمَا قَالَ.

وَقَالَ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ النَّوَوِيُّ: لَوْ عُدِمَتْ كُتُبُ الْإِسْلَامِ وَالْعِيَاذُ بِاللهِ تَعَالَى، وَبَقِيَ **الْإِحْيَاءُ**، لَأَغْنَى عَمَّا ذَهَبَ، أَوْ كَمَا قَالَ.

وَمِنْ مُصَنَّفَاتِهِ: "**الْبَسِيطُ**"، وَ"**الْوَسِيطُ**"، وَ"**الْوَجِيزُ**"[3]، وَ"**الْخُلَاصَةُ**"[4]، وَهَذِهِ الْأَرْبَعَةُ فِي الْفِقْهِ.

قِيلَ: [مجزوء الرمل]

هَذَّبَ الْمَذْهَبَ حَبْرٌ أَحْسَنَ اللهُ خَلَاصَهْ[5]
بِبَسِيطٍ وَوَسِيطٍ وَوَجِيزٍ وَخُلَاصَهْ

---

(1) طبع هذا الكتاب بعنوان: "**الإِمْلاءُ على مُشْكِلِ الإِحْيَاءِ**" أو "**الإِمْلاءُ في إِشْكَالاتِ الإِحْيَاءِ**".

(2) الوافي بالوفيات: 1/ 212.

(3) اختصر الغزالي كتاب "**نهاية المطلب في دراية المذهب**" للجويني في المذهب الشافعي، بسيط ووسيط ووجيز، وَشُرِحَ الوجيزُ سبعين شرحا، منها: "**الشرح الكبير لوجيز الغزالي**" لأبي القاسم الرافعي القزويني (ت. 623هـ)، وعلى هذا الشرح وضع أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت.770هـ): "**المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرفاعي**".

(4) تسمى أيضا: "**خُلَاصَةُ الْمُخْتَصَرِ وَنَقَاوَةُ الْمُعْتَصَرِ**"، وهو مطبوع.

(5) نسب البيتان لأَبِي حَفْص عَمْرو بن عبد الْعَزِيز بن عبيد بن يُوسُف الطرابلسي في طبقات الشافعية الكبرى: 6/ 191.

وَمَعَ هَذَا الْفَضْلِ الْغَزِيرِ[1]، لَمْ يَسْلَمْ مِنْ قَالَ وَقِيلَ، حَتَّى خُوطِبَ بِأَنَّكَ مَا عَمِلْتَ شَيْئًا، أَخَذْتَ الْفِقْهَ مِنْ كَلَامِ شَيْخِكَ، يَعْنِي إِمَامَ الْحَرَمَيْنِ، فِي "**نِهَايَةُ الْمَطْلَبِ**"، وَالتَّسْمِيَةَ لِكُتُبِكَ مِنَ الْوَاحِدِيِّ[2].

وَمِنْهَا: "**الْمُسْتَصْفَى**" في أُصُولِ الْفِقْهِ، وَ"**الْمَنْخُولُ**"[3] [في أُصُولِ الْفِقْهِ][4]، وَ"**اللُّبَابُ**"، وَ"**بِدَايَةُ الْهِدَايَةِ**"، وَ"**كِيمِيَاءُ السَّعَادَةِ**"[5]، وَ"**كِتَابُ الْفَتَاوَى**" لَهُ مُشْتَمِلٌ عَلَى مِئَةٍ وَتِسْعِينَ مَسْأَلَةً، وَهِيَ غَيْرُ مُرَتَّبَةٍ. وَلَهُ "**فَتَاوَى**" أُخْرَى غَيْرُ مَشْهُورَةٍ أَقَلُّ مِنْ تِلْكَ.

وَصَنَّفَ فِي الْخِلَافِ: "**الْمَآخِذُ**"[6]، ثُمَّ "**تَحْصِينُ الْمَآخِذِ**"، وَ"**إِلْجَامُ الْعَوَامِّ عَنْ عِلْمِ الْكَلَامِ**"، [وَ"**الْمُسْتَظْهِرِيُّ**"][7] فِي الرَّدِّ عَلَى الْبَاطِنِيَّةِ، وَ"**مَقَاصِدُ الْفَلَاسِفَةِ**"، وَ"**تَهَافُتُ الْفَلَاسِفَةِ**"، وَ**الْأُصُولَ الْأَرْبَعِينَ**، وَ"**جَوَاهِرُ الْقُرْآنِ**"، وَهُمَا فِي الْحَقِيقَةِ كِتَابٌ وَاحِدٌ، وَلَكِنَّهُ أَذِنَ فِي إِفْرَادِهِمَا.

وَمِنْهَا: "**الْغَايَةُ الْقُصْوَى**"، وَ"**الْمَقْصَدُ الْأَسْنَى فِي شَرْحِ أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَى**".

---

(1) العزيز، في رئيس الكتاب.

(2) الوافي بالوفيات: 1/ 211 ـ 212. وطبقات الشافعية الكبرى: 6/ 224 ـ 226.

(3) طبع بعنوان: "**الْمَنْخُولُ مِنْ تَعْلِيقَاتِ الْأُصُولِ**".

(4) ما بين معقوفين سقط من أنطاليا.

(5) "**كيمياء السعادة**" من الكتب التي كتبها الإمام الغزالي بالفارسية قبل أن ينقل إلى العربية.

(6) "**تَحْصِيلُ الْمَآخِذِ**"، طبع حديثا في الكويت في أربعة أجزاء.

(7) ما بين معقوفين زيادة من أنطاليا.

وَمِنْهَا: **"مِشْكَاةُ الْأَنْوَارِ"، وَ"الْمُنْقِذُ مِنَ الضَّلَالِ"، وَ"الْمُنْتَخَلُ فِي عِلْمِ الْجَدَلِ"**[1]، وَ**"مِعْيَارُ الْعِلْمِ"، وَ"الْقُسْطَاسُ الْمُسْتَقِيمُ"، وَ"غُرَرُ الدُّرَرِ"، وَ"حَقِيقَةُ الْقَوْلَيْنِ"، وَ"الْمَعَارِفُ الْعَقْلِيَّةُ"، وَ"الْحِكَمُ الْإِلَهِيَّةُ"، وَ"الْمَضْنُونُ بِهِ عَلَى غَيْرِ أَهْلِهِ"، وَ"مِعْرَاجُ السَّالِكِينَ"، وَ"مِنْهَاجُ الْعَارِفِينَ"**. فَعَلَيْكَ بِهَذَيْنِ الْكِتَابَيْنِ، فَإِنَّهُمَا يُعْجِزَانِ الْوَاصِفَ.

يُقَالُ: إِنَّ كِتَابَ **"الْمِنْهَاجُ"** لُبُّ **كِتَابِ الْإِحْيَاءِ**، وَآخِرُ مُصَنَّفَاتِهِ. وَهِيَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى.

وَيُنْسَبُ إِلَيْهِ تَصْنِيفَانِ لَيْسَا لَهُ بَلْ وُضِعَا عَلَيْهِ، وَهُمَا: **"السِّرُّ الْمَكْتُومُ"، وَ"الْمَضْنُونُ بِهِ عَلَى غَيْرِ أَهْلِهِ"**.

قِيلَ: إِنَّ الْإِمَامَ الْغَزَالِيَّ لَهُ نَحْوُ خَمْسِمِئَةِ مُصَنَّفٍ[2].

يُرْوَى أَنَّهُ اجْتَمَعَ فِي خَزَائِنِ كُتُبِ الشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ الشِّيرَازِيِّ نَحْوُ أَرْبَعِمِئَةِ مُؤَلَّفٍ مِنْ مُؤَلَّفَاتِ الْغَزَالِيِّ، وَيُنْسَبُ إِلَيْهِ أَيْضًا شِعْرٌ، مِنْ ذَلِكَ مَا نَسَبَهُ إِلَيْهِ ابْنُ السَّمْعَانِي فِي **الذَّيْلِ**، وَالْعِمَادُ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي **الْخَرِيدَةِ**: **[الكامل]**

حَلَّتْ عَقَارِبُ صُدْغِهِ فِي خَدِّهِ ... قَمَرًا يَجِلُّ بِهِ عَنِ التَّشْبِيهِ[3]

وَلَقَدْ عَهِدْنَاهُ يَحُلُّ بِبُرْجِهَا ... فَمِنَ الْعَجَائِبِ كَيْفَ حَلَّتْ فِيهِ

---

(1) طبع بعنوان المنتخل في علم الجدل.

(2) وقال الزركلي في الأعلام: 7/ 22: "له نحو مئتي مصنّف".

(3) خريدة القصر وجريدة العصر: 2/ 207.

وَأَنْشَدَ الْعِمَادُ لَهُ أَيْضًا: [الكامل]

هَبْنِي صَبَوْتُ فَمَا تَرَوْنَ بِزَعْمِكُمْ   وَحَظِيتُ مِنْهُ بِلَثْمِ خَدٍّ أَزْهَرِ[1]
إِنِّي اعْتَزَلْتُ فَلَا تَلُومُوا أَنَّهُ   أَضْحَى يُقَابِلُنِي بِوَجْهٍ أَشْعَرِ

وَهَذَا الشِّعْرُ كَمَا تَرَى، مِنْ مِثْلِ هَذَا الْإِمَامِ، فِي غَايَةِ اللُّطْفِ وَالِانْسِجَامِ، وَمَا أَحْسَنَ مَا أَوْرَدَ لَهُ ابْنُ النَّجَّارِ: [الكامل]

فُقَهَاؤُنَا كَذُبَالَةِ النِّبْرَاسِ   هِيَ فِي الْحَرِيقِ وَضَوْؤُهَا لِلنَّاسِ[2]
خَبَرٌ ذَمِيمٌ تَحْتَ رَائِقِ مَنْظَرٍ   كَالْفِضَّةِ الْبَيْضَاءِ فَوْقَ نُحَاسِ

وَمِمَّا أَوْرَدَهُ هُوَ مِنْ نَظْمِهِ: [الطويل]

فَإِنْ كُنْتَ فِي هَدْيِ الْأَئِمَّةِ رَاغِبًا   فَوَطِّنْ عَلَى أَنْ تَرْتَكِبْكَ الْوَقَائِعُ
بِنَفْسٍ وَقُورٍ عِنْدَ كُلِّ كَرِيهَةٍ   وَقَلْبٍ صَبُورٍ وَهْوَ فِي الصَّدْرِ قَانِعُ
لِسَانُكَ مَخْزُونٌ وَرَأْسُكَ مُلْجَمٌ   وَسِرُّكَ مَكْتُومٌ لَدَى الرَّبِّ ذَائِعُ
وَذِكْرُكَ مَغْمُورٌ وَبَابُكَ مُغْلَقٌ   وَثَغْرُكَ بَسَّامٌ وَبَطْنُكَ جَائِعُ
وَقَلْبُكَ مَجْرُوحٌ وَسُوقُكَ كَاسِدٌ   وَفَضْلُكَ مَدْفُونٌ وَطَعْنُكَ شَائِعُ
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ أَنْتَ جَارِعُ غُصَّةٍ   مِنَ الدَّهْرِ وَالْإِخْوَانِ وَالْقَلْبُ طَائِعُ
نَهَارُكَ شُغْلُ النَّاسِ مِنْ غَيْرِ مِنَّةٍ   وَلَيْلُكَ شَوْقٌ غَابَ عَنْهُ الطَّلَائِعُ
فَدُونَكَ هَذَا اللَّيْلُ خُذْهُ ذَرِيعَةً   لِيَوْمٍ عَبُوسٍ عَزَّ فِيهِ الذَّرَائِعُ

(1) البيتان في وفيات الأعيان: 4/ 218، وفي الوافي بالوفيات: 1/ 212.
(2) البيتان نسبا لابن النجار في الوافي بالوفيات: 1/ 213، وفي طبقات الشافعية الكبرى: 6/ 222.

قَالَ الشَّيْخُ صَلَاحُ الدِّينِ الصَّفَدِيُّ: قَالَ الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ فِي بَعْضِ مُصَنَّفَاتِهِ: "وَقَدْ نَسَبَنِي قَوْمٌ إِلَى الْغَزَّالِ، وَإِنَّمَا أَنَا الْغَزَالِيُّ بِتَخْفِيفِ الزَّايِ نِسْبَةً إِلَى قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى طُوسٍ يُقَالُ لَهَا غَزَالَةُ"(1).

قَالَ الْإِسْنَوِيُّ فِي **طَبَقَاتِهِ**: «كَانَ وَالِدُهُ يَغْزِلُ الصُّوفَ وَيَبِيعُهُ فِي حَانُوتِهِ، فَلَمَّا احْتُضِرَ أَوْصَى بِوَلَدَيْهِ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ صُوفِيٍّ فَعَلَّمَهُمَا الْخَطَّ وَأَدَّبَهُمَا، ثُمَّ نَفِدَ مِنْهُ مَا خَلَّفَهُ أَبُوهُمَا، وَتَعَذَّرَ عَلَيْهِمَا الْقُوتُ، فَقَالَ لَهُمَا: أَرَى لَكُمَا أَنْ تَلْجَآ إِلَى الْمَدْرَسَةِ. **قَالَ** الْغَزَالِيُّ: فَصِرْنَا إِلَى الْمَدْرَسَةِ نَطْلُبُ الْفِقْهَ لِتَحْصِيلِ الْقُوتِ. هَذَا حَاصِلُ كَلَامِهِ.

وَعَادَةُ أَهْلِ خُوَارَزْمَ وَجُرْجَانَ كَمَا قَالَهُ الذَّهَبِيُّ وَابْنُ خَلِّكَانَ: الْقَصَّارِيُّ وَالْخَبَّازِيُّ، وَنَحْوُهُمَا؛ أَيْ بِالْيَاءِ بِمَعْنَى الْقَصَّارِ وَنَحْوِهِ، فَنَسَبُوا إِلَى الْغَزْلِ فَقَالُوا الْغَزَّالِي؛ أَيْ الْغَزَّالُ»(2).

وَذَكَرَ النَّوَوِيُّ فِي **"دَقَائِقُ الرَّوْضَةِ"** الْمُسَمَّى **بِالْإِشَارَاتِ** أَنَّ التَّشْدِيدَ هُوَ الْمَعْرُوفُ الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ(3).

رُوِيَ أَنَّ بَعْضَ الصَّالِحِينَ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَامِ وَهُوَ وَاضِعٌ يَدَهُ عَلَى كَتِفِ الْإِمَامِ أَبِي حَامِدٍ الْغَزَالِيِّ، وَهُوَ يَقُولُ لِمُوسَى وَعِيسَى صَلَوَاتُ اللهِ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِمَا: هَلْ تَرَوْنَ فِي أُمَّتِكُمْ(4) حَبْرًا مِثْلَ هَذَا؟!

---

(1) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي: 215.

(2) المهمات في شرح الروضة والرافعي للإسنوي: 1/ 276 ـ 278.

(3) طبقات الشافعية: 1/ 206.

(4) أمتكما، في قونية.

وَقَدْ ضَمَّنَ هَذَا الْمَنَامَ[1] الْإِمَامُ الْيَافِعِيُّ فِي أَبْيَاتٍ، وَقَالَ: [الطويل]

أَبُو حَامِدٍ غَزَّالُ غَزْلٍ مُدَقَّقٍ ... مِنَ الْعِلْمِ لَمْ يُغْزَلْ كَذَاكَ بِمِغْزَلِ[2]
بِهِ الْمُصْطَفَى بَاهَى لِعِيسَى بْنِ مَرْيَمٍ ... لَهُ قَالَ صِدْقًا خَالِيًا عَنْ تَقَوُّلِ
أَحَبْرٌ كَهَذَا فِي حَوَارِيكَ؟ قَالَ: لَا ... وَنَاهِيكَ مِنْ هَذَا الْفَخَارِ الْمُؤَثَّلِ
لَهُ فِي مَنَامِي قُلْتُ: آَأَنْتَ حُجَّةٌ ... لِإِسْلَامِنَا؟ لِي قَالَ: مَا شِئْتَ لِي قُلِ
غَزَلْتُ لَهُمْ غَزْلًا دَقِيقًا فَلَمْ أَجِدْ ... لِغَزْلِيَ نَسَّاجًا فَكَسَّرْتُ مِغْزَلِي

وَقَدْ ذَكَرَ لَهُ السُّبْكِيُّ فِي **"الطَّبَقَاتُ الْكُبْرَى"** تَرْجَمَةً طَوِيلَةً فِي أَرْبَعِ كَرَارِيسَ، وَأَنْشَدَ قَوْلَ الْقَائِلِ:[الكامل]

مَاذَا يَقُولُ الْقَائِلُونَ بِوَصْفِهِ ... وَصِفَاتُهُ جَلَّتْ عَنِ الْحَصْرِ[3]

قَالَ الْإِسْنَوِيُّ فِي طَبَقَاتِهِ: ثُمَّ إِنَّهُ لَزِمَ الِانْقِطَاعَ، وَوَظَّفَ أَوْقَاتَهُ عَلَى وَظَائِفِ الْخَيْرِ، بِحَيْثُ لَا تَمْضِي لَحْظَةٌ مِنْهَا إِلَّا فِي طَاعَةٍ مِنَ التِّلَاوَةِ وَالتَّدْرِيسِ وَالنَّظَرِ فِي الْأَحَادِيثِ، خُصُوصًا الْبُخَارِيَّ، وَإِدَامَةِ الصِّيَامِ وَالتَّهَجُّدِ، وَمُجَالَسَةِ أَهْلِ الْقُلُوبِ، إِلَى أَنِ انْتَقَلَ إِلَى رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى، وَهُوَ قُطْبُ الْوُجُودِ، وَالْبَرَكَةُ الشَّامِلَةُ لِكُلِّ مَوْجُودٍ.

---

(1) هذه المنامات، في قونية.

(2) الأبيات في مرهم العلل المعضلة في الرد على أئمة المعتزلة: 34، وهي مقتطفة من قصيدة طويلة لليافعي تغزل فيها بالإمام الغزالي وباقي أئمة أهل السنة.

(3) الخبر مع البيت ليس في طبقات ابن السبكي وإنما في طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: 1/ 293، برواية: (الواصفون).

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِطُوسَ صَبِيحَةَ يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ رَابِعَ عَشَرَ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِمِئَةٍ، وَعُمُرُهُ خَمْسٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً. وَدُفِنَ بِالطَّابَـرَانِ[1]، مَدِينَتِهِ الَّتِي وُلِدَ بِهَا بِطُوسَ[2].

وَذَكَرَ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَيْرِ الصَّيَّادُ الْيَمَنِيُّ كَلَامًا كَثِيرًا فِي تَرْجَمَتِهِ، وَذَكَرَ أَنَّهُ رَأَى ـ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ وَهُوَ قَاعِدٌ بِالْيَمَنِ ـ أَبْوَابَ السَّمَاءِ مُفَتَّحَةً، وَإِذَا بِعُصْبَةٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ قَدْ نَزَلُوا إِلَى الْأَرْضِ، وَمَعَهُمْ خِلَعٌ[3] خُضْرٌ، وَدَابَّةٌ مِنَ الدَّوَابِّ، فَوَقَفُوا عَلَى رَأْسِ قَبْرٍ مِنَ الْقُبُورِ، فَأَخْرَجُوا شَخْصًا مِنْ قَبْرِهِ، وَأَلْبَسُوهُ الْخِلَعَ، وَأَرْكَبُوهُ عَلَى الدَّابَّةِ، وَصَعِدُوا بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ لَمْ يَزَالُوا يَصْعَدُونَ بِهِ مِنْ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ حَتَّى جَاوَزُوا السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ كُلَّهَا، وَخَرَقُوا بَعْدَهَا سَبْعِينَ حِجَابًا.

قَالَ: فَتَعَجَّبْتُ مِنْ ذَلِكَ، وَأَرَدْتُ مَعْرِفَةَ ذَلِكَ الرَّاكِبِ، فَقِيلَ لِي: هُوَ الْغَزَالِيُّ، وَلَا عِلْمَ لِي أَيْنَ بَلَغَ. وَكَأَنَّهُ كَانَ ذَلِكَ يَوْمَ تُوُفِّيَ إِلَى رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى[4].

نُقِلَ عَنِ الْإِمَامِ حُجَّةِ الْإِسْلَامِ الْغَزَالِيِّ أَنَّهُ قَالَ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ: ائْتِنِي بِثَوْبٍ جَدِيدٍ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَدْخُلَ عَلَى الْمَلِكِ، فَأَتَى بِثَوْبٍ، وَطَلَعَ إِلَى بَيْتِهِ،

---

(1) طَابَرَانُ: إحدى مدينتي طوس لأن طوس عبارة عن مدينتين أكبرهما طابران والأخرى نوقان. معجم البلدان: 4/ 3.

(2) المهمات في شرح الروضة والرافعي: 1/ 277 ـ 278.

(3) خِلَعٌ، جمع خِلْعة مِنَ الثِّيَابِ: مَا خَلَعْتَه فطَرَحْتَه عَلَى آخَرَ أَو لَمْ تَطْرَحْه. وكلُّ ثَوْبٍ تَخْلَعُه عَنْكَ خِلْعةٌ. اللسان/ خلع.

(4) طبقات الشافعية الكبرى: 6/ 258.

فَأَبْطَأَ، وَلَمْ يَنْزِلْ إِلَيْهِ، فَدَخَلَ هُوَ وَثَلَاثَةٌ إِلَيْهِ، فَوَجَدُوهُ قَدْ قُبِضَ، وَعِنْدَ رَأْسِهِ كِتَابٌ فِيهِ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ.

قالَ رَحِمَهُ اللهُ: [الرمل]

قُلْ لِإِخْوَانٍ رَأَوْنِي مَيِّتًا ... فَبَكَوْنِي وَرَثَوْا لِي حَزَنَا[1]
لَا تَظُنُّونِي بِأَنِّي مَيِّتٌ ... لَيْسَ ذَاكَ الْمَيْتُ وَاللهِ أَنَا
أَنَا فِي الصُّورِ وَهَذَا جَسَدِي ... كَانَ بَيْتِي وَقَمِيصِي هَهُنَا[2]
أَنَا كَنْزٌ وَحِجَابِي طَلْسَمٌ ... مَنْ يَرَانِي قَدْ تَجَلَّى لِلْفَنَا[3]
أَنَا دُرٌّ وَحِجَابِي صَدَفٌ ... كَانَ سِجْنِي فَأَلِفْتُ السَّجَنَا
أَنَا عُصْفُورٌ وَهَذَا قَفَصِي ... طِرْتُ عَنْهُ وَهْوَ يَبْقَى رَهَنَا
أَحْمَدُ اللهَ الَّذِي خَلَّصَنِي ... وَبَنَى لِي فِي الْمَعَالِي وَطَنَا
كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ مَيْتًا بَيْنَكُمْ ... فَحَيِيتُ وَخَلَعْتُ الْكَفَنَا
وَأَنَا الْيَوْمَ أُنَاجِي مَلَأً ... وَأَرَى اللهَ جِهَارًا عَلَنَا
عَاكِفٌ فِي اللَّوْحِ أَقْرَى وَأَرَى ... كُلَّ مَا كَانَ تَنَاءَى أَوْ دَنَا
وَطَعَامِي وَشَرَابِي وَاحِدٌ ... وَهْوَ رَمْزٌ فَافْهَمُوا ذَا الْحَسَنَا
لَيْسَ خَمْرًا سَائِغًا أَوْ عَسَلًا ... لَا وَلَا مَاءً وَلَكِنْ لَبَنَا
فَافْهَمُوا سِرِّي فَفِيهِ نَبَأٌ ... أَيُّ مَعْنًى تَحْتَ لَفْظِي كَمُنَا

---

(1) القصيدة في عيون الأنباء في طبقات الأطباء: 645 ـ 646 منسوبة لشهاب الدين عمرَ السُّهْرَوَرْدِي.
(2) كان سجني وقميصي زمنا، في أنطاليا.
(3) من تراب قد تجلى، في أنطاليا.

هَـدِّمُوا بَيْتِي وَرُضُّــوا قَفَصِــي وَذَرُوا الطِّلْسَــمَ يَـأْبَى وَثَنَـا[1]
قَـدْ تَـرَحَّـلْـتُ وَخَـلَّـفْـتُـكُـمُ لَسْــتُ أَرْضَــى دَارَكُمْ لِي وَطَنَا
لَا تَـظُـنُّـوا الْـمَـوْتَ مَـوْتًـا إِنَّـهُ لَـحَـيَـاةٌ هِـيَ غَـايَـاتُ الْـمُـنَـى
لَا تَرُعْكُمْ هَجْمَـةُ الْمَوْتِ فَمَـا هُـوَ إِلَّا نَـقْـلَـةٌ مِـنْ هَـاهُـنَـا[2]
وَخُـذُوا فِي الزَّادِ جُهْـدًا لَا تَنُوا لَـيْسَ بِـالْـعَـاقِـلِ مِنَّـا مَنْ وَنَى
مَـا أَرَى نَـفْسِــيَ إِلَّا أَنْــــتُـمُ وَاعْـتِـقَـادِي أَنَّـكُـمْ أَنْـتُـمْ أَنَـا
عُـنْـصُـــرُ الْأَنْـفُـسِ مِنَّـا وَاحِـدٌ وَكَـذَا الْجِسْــمُ جَـمِيعًـا عَـمَّـنَـا
فَـارْحَـمُونِي تَرْحَمُوا أَنْفُسَــكُمْ وَاعْـلَـمُـوا أَنَّـكُـمُ فِـي إِثْـرِنَـا
أَسْــأَلُ اللهَ لِـنَـفْسِــي رَحْـمَـةً رَحِـمَ اللهُ صَــدِيـقًـا أَمَّـنَـا
وَعَـلَيْـكُمْ مِنْ سَــلَامِي طَيِّـبٌ سَــلَّـمَ اللهُ عَـلَـيْـكُـمْ وَثَـنَـى

انْتَهَتِ الْأَبْيَاتُ.

وَرَثَاهُ الْأَدِيبُ أَبُو الْمُظَفَّرِ مُحَمَّدُ الْأَبِيوَرْدِيُّ بِأَبْيَاتٍ فَائِيَّةٍ مِنْهَا: [البسيط]

مَضَــى وَأَعْظَمُ مَفْقُودٍ فُجِعْتُ بِهِ مَنْ لَا نَظِيرَ لَهُ فِي النَّاسِ يَخْلُفُهُ[3]

قِيلَ: وَتَمَثَّلَ الْإِمَامُ إِسْمَاعِيلُ الْحَاكِمِيُّ بَعْدَ وَفَاتِهِ بِقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ: [الطويل]

(1) يأنى، في عاطف أفندي.

(2) من الدنا، في أنطاليا.

(3) البيت لم يرد في الديوان، ونسب له في وفيات الأعيان: 4/ 219، والوافي بالوفيات: 1/ 213.

عَجِبْتُ لِصَبْرِي بَعْدَهُ وَهْوَ مَيِّتٌ وَكُنْتُ امْرَءًا أَبْكِي دَمًا وَهْوَ غَائِبُ[1]
عَلَى أَنَّهَا الْأَيَّامُ قَدْ صِرْنَ كُلُّهَا عَجَائِبَ حَتَّى لَيْسَ فِيهَا عَجَائِبُ

قَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ ابْنُ الْعَرَبِي الْفَقِيهُ الْمَالِكِيُّ، تِلْمِيذُ أَبِي حَامِدٍ الْغَزَالِيِّ: لَقِيتُ الْغَزَالِيَّ فِي الْبَرِّيَّةِ، وَعَلَيْهِ مُرَقَّعَةٌ، وَبِيَدِهِ رَكْوَةٌ[2] وَعُكَّازٌ، فَقُلْتُ لَهُ: أَلَيْسَ تَدْرِيسُ الْعِلْمِ بِبَغْدَادَ خَيْرًا مِنْ ذَا؟ فَنَظَرَ إِلَيَّ شَزْرًا وَقَالَ: لَمَّا بَزَغَ بَدْرُ السَّعَادَةِ فِي سَمَاءِ الْإِرَادَةِ، وَجَنَحَتْ شَمْسُ الْأُصُولِ، إِلَى مَعارِفِ الْوُصُولِ: [الطويل]

تَرَكْتُ هَوَى لَيْلَى وَسُعْدَى بِمَعْزِلٍ وَعُدْتُ إِلَى تَصْحِيحِ أَوَّلِ مَنْزِلِ[3]
وَنَادَتْ بِيَ الْأَشْوَاقُ مَهْلًا فَهَذِهِ مَنَازِلُ مَنْ تَهْوَى رُوَيْدَكَ فَانْزِلِ

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الزَّاهِدُ شَمْسُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللهِ، مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْجَلَالِيُّ النَّسَائِيُّ الشَّافِعِيُّ: رَأَيْتُ فِي بَعْضِ تَصَانِيفِ الشَّيْخِ الْإِمَامِ مَسْعُودٍ الطِّرَازِيِّ أَنَّ الْإِمَامَ أَبَا حَامِدٍ الْغَزَالِيَّ رَحِمَهُ اللهُ كَانَ قَدْ أَوْصَى أَنْ يُلْحِدَهُ الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ النَّسَّاجُ الطُّوسِيُّ، تِلْمِيذُ الشَّيْخِ الْإِمَامِ أَبِي الْقَاسِمِ الْكَرْسَانِيِّ.

قَالَ: فَلَمَّا أَلْحَدَهُ وَخَرَجَ مِنَ اللَّحْدِ خَرَجَ مُتَغَيِّرًا، مُنْتَقِعَ اللَّوْنِ، فَقِيلَ فِي ذَلِكَ، فَلَمْ يُخْبِرْ بِشَيْءٍ، فَأَقْسَمُوا عَلَيْهِ بِاللهِ إِلَّا مَا أَخْبَرَتَهُمْ، فَقَالَ: إِنِّي لَمَّا وَضَعْتُهُ فِي

(1) البيتان في الديوان: 4/ 43.
(2) الرَّكْوَةُ: إناءٌ صغيرٌ من جلدٍ يُشربُ فيه الماءُ.
(3) العواصم من القواصم: 21.

اللَّحْدِ، شَاهَدْتُ يَدًا يُمْنَى قَدْ خَرَجَتْ مِنْ تُجَاهِ الْقِبْلَةِ، وَسَمِعْتُ هَاتِفًا يَقُولُ: ضَعْ يَدَ مُحَمَّدٍ الْغَزَالِيِّ فِي يَدِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى الْعَرَبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَضَعْتُهَا، ثُمَّ خَرَجْتُ كَمَا تَرَوْنَ، أَوْ كَمَا قَالَ، قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ.

وَمِنْ كَلَامِ حُسَّادِهِ فِي حَقِّهِ مَا يُشَاهِدُونَ فِي كَلَامِهِ مِنَ «الْخَلَلِ مِنْ جِهَةِ النَّحْوِ، لَكِنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ أَنَّهُ لَا يُعَيَّرُ بِهِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ قَصْدُهُ إِلَّا الْمَعَانِيَ وَتَحْقِيقَهَا، دُونَ الْأَلْفَاظِ وَتَلْفِيقِهَا. عَلَى أَنَّهُ أَنْصَفَ فِي[1] نَفْسِهِ، وَاعْتَرَفَ بِأَنَّهُ لَمْ يُمَارِسْ ذَلِكَ الْفَنَّ، وَاكْتَفَى بِمَا كَانَ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي كَلَامِهِ. عَلَى أَنَّهُ كَانَ يُؤَلِّفُ الْخُطَبَ بِالْعِبَارَاتِ الَّتِي يَعْجِزُ الْأُدَبَاءُ وَالْفُصَحَاءُ عَنْ أَمْثَالِهَا»[2].

وَفِي كَلَامِ الْمُتَرْجِمِينَ فِي شَأْنِهِ كَثْرَةٌ، فَلَا نُطِيلُ بِهِ الْكَلَامَ، فَفِيمَا ذَكَرْنَاهُ مَقْنَعٌ وَبَلَاغٌ.

ذِكْرُ مُصَنَّفَاتِهِ:

لَهُ فِي الْمَذْهَبِ: "**الْوَسِيطُ**"، وَ"**الْبَسِيطُ**"، وَ"**الْوَجِيزُ**"، وَ"**الْخُلَاصَةُ**".

وَفِي سَائِرِ الْعُلُومِ: كتابُ "**إِحْيَاءُ عُلُومِ الدِّينِ**"، "**كِتَابُ الْأَرْبَعِينَ**"، كِتَابُ "**شَرْحُ الأَسْمَاءِ الْحُسْنَى**"، "**الْمُسْتَصْفَى**" فِي أُصُولِ الْفِقْهِ، "**الْمَنْخُولُ**" فِيهِ أَيْضًا، أَلَّفَهُ فِي حَيَاةِ أُسْتَاذِهِ إِمَامِ الْحَرَمَيْنِ، "**بِدَايَةُ الْهِدَايَةِ**"، "**الْمَآخِذُ**" فِي الْخِلَافِيَاتِ، "**تَحْصِينُ الْمَآخِذِ**"، "**كِيمِيَاءُ السَّعَادَةِ**" بِالْفَارِسِيَّةِ، "**الْمُنْقِذُ مِنَ**

---

(1) من، في قونية.

(2) طبقات الشافعية الكبرى: 6/ 211.

الضَّلَالِ"، "اللُّبَابُ"، "الْمُنْتَخَلُ في الْجَدَلِ"، "شِفَاءُ الْعَلِيلِ فِي مَسَالِكِ التَّعْلِيلِ"، "الِاقْتِصَادُ فِي الِاعْتِقَادِ"، "مِعْيَارُ النَّظَرِ"، "مِحَكُّ النَّظَرِ"، "تَهَافُتُ الْفَلَاسِفَةِ"، "الْمَقَاصِدُ فِي اعْتِقَادِ الْأَوَائِلِ"، وَهُوَ "مَقَاصِدُ الْفَلَاسِفَةِ"، "إِلْجَامُ الْعَوَامِّ" فِي عِلْمِ الْكَلَامِ، "الْغَايَةُ الْقُصْوَى"، "جَوَاهِرُ الْقُرْآنِ"، "كَشْفُ عُلُومِ الْآخِرَةِ"، "الرِّسَالَةُ الْقُدْسِيَّةُ"، "الْفَتَاوَى"، "مِيزَانُ الْعَمَلِ"، "حَقِيقَةُ الرُّوحِ"، "أَسْرَارُ مُعَامَلَاتِ الدِّينِ"، "عَقِيدَةُ الْمِصْبَاحِ"، "النَّهْجُ الْأَعْلَى"، "أَخْلَاقُ الْأَبْرَارِ"، "الْمِعْرَاجُ"، "حُجَّةُ الْحَقِّ"، "تَنْبِيهُ الْغَافِلِينَ"، "الْمَكْنُونُ فِي الْأُصُولِ"، "رِسَالَةُ الْأَقْطَابِ"، "سُلَّمُ الشَّيَاطِينِ"[1]، "الْقَانُونُ الْكُلِّيُّ"، "الْقُرْبَةُ إِلَى اللهِ"، "مِعْيَارُ الْعِلْمِ"، "مَفصلُ الْخِلَافِ في أُصُولِ الْقِيَاسِ"، "أَسْرَارُ اتِّبَاعِ السُّنَّةِ"، "تَلْبِيسُ إِبْلِيسَ"، "الْمَبَادِئُ وَالْغَايَاتُ"، "الْأَجْوِبَةُ"، "كِتَابُ عَجَائِبِ صُنْعِ اللهِ"[2].

وَكُتُبُهُ وَرَسَائِلُهُ خَارِجَةٌ عَنْ حَدِّ الْعَدِّ[3] وَالْإِحْصَاءِ، وَلَمْ يَتَيَسَّرْ لِأَحَدٍ مَعْرِفَةُ أَسْمَاءِ مُصَنَّفَاتِهِ كُلِّهَا، حَتَّى يُقَالُ: إِنَّهُ لَهُ أَلْفُ مُصَنَّفٍ إِلَّا وَاحِدًا. وَهَذَا وَإِنْ كانَ بَعِيدًا عَادَةً، لَكِنْ مَنْ عَرَفَ شَأْنَهُ رُبَّمَا يُصَدِّقُهُ[4].

وَمِمَّا حُكِيَ وَاشْتُهِرَ عَنِ الشَّيْخِ الْعَارِفِ أَبِي الْحَسَنِ الشَّاذِلِيِّ ـ قُدِّسَ سِرُّهُ ـ وَكانَ سَيِّدَ عَصْرِهِ، وَبَرَكَةَ زَمَانِهِ، أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي

(1) "مسلم السلاطين" في طبقات الشافعية الكبرى:6/ 227.

(2) ذكرت هذه المؤلفات في طبقات الشافعية الكبرى: 6/ 224.

(3) العدة، في قونية.

(4) يصدق، في قونية.

النَّوْمِ وَقَدْ بَاهَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُوسَى وَعِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِالْإِمَامِ الْغَزَالِيِّ، وَقَالَ: أَفِي أُمَّتَيْكُمَا حَبْرٌ كَهَذَا، قَالَا: لَا.

وَسُئِلَ السَّيِّدُ الْكَبِيرُ الْجَلِيلُ الْعَارِفُ بِاللهِ أَوْحَدُ الْأَوْلِيَاءِ، أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُرْسِيُّ - تِلْمِيذُ الشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ - عَنِ الْإِمَامِ الْغَزَالِيِّ، فَقَالَ: أَنَا أَشْهَدُ لَهُ بِالصِّدِّيقِيَّةِ الْعُظْمَى[1].

حِكَايَةٌ:

عَنِ الْإِمَامِ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ حِرَازِهِمْ أَوْ حِرْزِهِمْ[2]، وَكَانَ مُطَاعًا فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ أَنَّهُ لَمَّا وَقَفَ عَلَى "الْإِحْيَاءُ" أَمَرَ بِإِحْرَاقِهِ، وَقَالَ: هَذَا بِدْعَةٌ مُخَالِفٌ لِلسُّنَّةِ، فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ مَا فِي تِلْكَ الْبِلَادِ مِنْ نُسَخِ الْإِحْيَاءِ، فَجَمَعُوا، [وَأَجْمَعُوا][3] بِإِحْرَاقِهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَكَانَ إِجْمَاعُهُمْ يَوْمَ الْخَمِيسِ، فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ، رَأَى أَبُو الْحَسَنِ الْمَذْكُورُ[4] فِي الْمَنَامِ كَأَنَّهُ دَخَلَ مِنْ بَابِ الْجَامِعِ، وَرَأَى فِي رُكْنِ الْمَسْجِدِ نُورًا، وَإِذَا بِالنَّبِيِّ صَلَّى الله عليْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ جُلُوسٌ وَالْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ قَائِمٌ وَبِيَدِهِ "الْإِحْيَاءُ"، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا خَصْمِي، ثُمَّ جَثَا عَلَى

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى: 6/ 257.

(2) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن حرزهم أو ابن حرازم، ولد ونشأ في فاس فقيه مدرس (ت.559هـ) دفن في باب الفتوح. ترجمته في: التشوف إلى رجال التصوف: 147، والنبوغ المغربي: 1/ 91.

(3) سقطت من أنطاليا.

(4) أبو الحسن علي بن حرزهم الفقيه الصالح، توفي بمدينة فاس سنة: 559 هـ. الوفيات لابن قنفذ: 283، وبعض أخباره في الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: 2/ 77.

رُكْبَتَيْهِ، وزَحَفَ عَلَيْهِمَا، إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليْهِ وَسَلَّمَ، فَنَاوَلَهُ **كِتَابَ الْإِحْيَاءِ**، وَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، انْظُرْ فِيهِ، فَإِنْ كانَ فِيهِ بِدْعَةٌ مُخَالِفًا لِسُنَّتِكَ ـ كَمَا زَعَمَ ـ تُبْتُ إِلَى اللهِ تَعَالَى؛ وَإِنْ كَانَ شَيْئًا تَسْتَحْسِنُهُ حَصَلَ لِي مِنْ بَرَكَتِكَ، فَأَنْصِفْنِي مِنْ خَصْمِي. فَنظَرَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَقَةً وَرَقَةً إِلَى آخِرِهِ، ثُمَّ قالَ: وَاللهِ إِنَّ هَذَا شَيْءٌ حَسَنٌ، ثُمَّ نَاوَلَهُ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَنظَرَ فِيهِ كَذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّهُ لَحَسَنٌ. ثُمَّ نَاوَلَهُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَنَظَرَ فِيهِ كَذَلِكَ، ثُمَّ قالَ كَمَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَجْرِيدِ أَبِي الْحَسَنِ مِنْ ثِيَابِهِ، وَضَرَبَهُ حَدَّ الْمُفْتَرِي، فَجُرِّدَ وَضُرِبَ، ثُمَّ شَفَعَ فِيهِ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ خَمْسَةِ أَسْوَاطٍ، وَقالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ اجْتِهَادًا فِي سُنَّتِكَ وَتَعْظِيمًا. فَعَفَا عَنْهُ أَبُو حَامِدٍ عِنْدَ ذَلِكَ. فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ مِنْ مَنَامِهِ وَأَصْبَحَ، أَعْلَمَ أَصْحَابَهُ بِمَا جَرَى، وَمَكَثَ قَرِيبًا مِنَ الشَّهْرِ مُتَأَلِّمًا مِنَ الضَّرْبِ، ثُمَّ سَكَنَ عَنْهُ الْأَلَمُ، وَمَكَثَ إِلَى أَنْ مَاتَ؛ وَأَثَرُ السِّيَاطِ عَلَى ظَهْرِهِ، وَصَارَ يَنْظُرُ **كِتَابَ الْإِحْيَاءِ** وَيُعَظِّمُهُ، وَيَنْتَحِلُهُ أَصْلًا أَصِيلًا.

قَالَ ابْنُ السُّبْكِيِّ فِي طَبَقَاتِهِ: وَهَذِهِ حِكَايَةٌ صَحِيحَةٌ، حَكَاهَا لَنَا جَمَاعَةٌ مِنْ ثِقَاتِ مَشْيَخَتِنَا عَنِ الشَّيْخِ الْعَارِفِ وَلِيِّ اللهِ يَاقُوتِ الشَّاذِلِيِّ، عَنْ شَيْخِنَا السَّيِّدِ الْكَبِيرِ وَلِيِّ اللهِ أَبِي الْعَبَّاسِ الْمُرْسِيِّ، عَنْ شَيْخِهِ الشَّيْخِ الْكَبِيرِ وَلِيِّ اللهِ أَبِي الْحَسَنِ الشَّاذِلِيِّ، قَدَّسَ اللهُ تَعَالَى أَسْرَارَهُمْ. وَالْمَنَامَاتُ فِي حَقِّ **الْإِحْيَاءِ**، وَفِي حَقِّ الْغَزَالِيِّ كَثِيرَةٌ شَهِيرَةٌ جِدًّا.

وَمِنْهُمْ: **مُحَمَّدُ بْنُ الْمُوَفَّقِ الْخَبُوشَانِيُّ**[1]، الْفَقِيهُ الصُّوفِيُّ، أَحَدُ الْأَئِمَّةِ عِلْمًا وَدِينًا وَوَرَعًا وَزُهْدًا.

وُلِدَ بِخَبُوشَانَ، بَلْدَةٍ بِنَاحِيَةِ نَيْسَابُورَ، سَنَةَ عَشْرٍ وَخَمْسِمِئَةٍ، وَتَفَقَّهَ بِهَا، وَقَدِمَ مِصْرَ، وَدَرَّسَ بِتُرْبَةِ الشَّافِعِيِّ مُدَّةً.

وَكَانَ إِمَامًا جَلِيلًا، كَبِيرَ الْمَحَلِّ فِي الْوَرَعِ، قَلَّ أَنْ تَرَى الْعُيُونُ مِثْلَهُ زُهْدًا وَعِلْمًا وَأَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ، وَتَصْمِيمًا عَلَى الْحَقِّ.

وَمِنْ تَصَانِيفِهِ: كِتَابُ "**تَحْقِيقُ الْمُحِيطِ**"، فِي سِتَّةَ عَشَرَ مُجَلَّدًا[2].

وَمِنْهُمْ: **الْحُسَيْنُ بْنُ مَسْعُودٍ الْفَرَّاءُ الْبَغَوِيُّ**، مُحْيِي السُّنَّةِ. وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ.

وَمِنْهُمْ: **عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، أَبُو الْمَحَاسِنِ الرُّويَانِيُّ**[3]، صَاحِبُ "**الْبَحْرُ**"[4] أَحَدُ أَئِمَّةِ الْمَذْهَبِ.

وُلِدَ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ. وَتَفَقَّهَ بِبَلَدِهِ عَلَى أَبِيهِ وَجَدِّهِ، وَكَانَ يُلَقَّبُ فَخْرَ الْإِسْلَامِ. وَلَهُ الْجَاهُ الْعَرِيضُ، وَالْعِلْمُ الْغَزِيرُ، وَالدِّينُ الْمَتِينُ، وَالْمُصَنَّفَاتُ السَّائِرَةُ فِي الْآفَاقِ. وَكَانَ يُضْرَبُ الْمَثَلُ بِحِفْظِهِ حَتَّى يُحْكَى أَنَّهُ قَالَ: لَوِ احْتَرَقَتْ كُتُبُ الشَّافِعِيِّ لَأَمْلَيْتُهَا مِنْ حِفْظِي.

---

(1) نسبة إلى خَبوشان، بفتح الخاء، كما في معجم البلدان: 2/ 344. وفي الأنساب: 5/ 43 الخُبوشاني، بضم الخاء.

(2) طبقات الشافعية الكبرى: 7/ 14.

(3) الرُّويَانِيُّ: نسبة إلى رُويَانَ وهي بلدة بنواحي طبرستان. الأنساب: 6/ 198.

(4) سماه الإمام الذهبي في تاريخ الإسلام: 11/ 35: كتاب "**بَحْرُ الْمَذْهَبِ**"، وقال: وهو من أطول كُتُب الشّافعيّة.

قَالَ ابْنُ السُّبْكِيِّ: وَلَا يَعْنِي بِكُتُبِهِ مَنْصُوصَاتِهِ فَقَطْ، بَلْ يُرَادُ عِنْدَ إِطْلَاقِ كُتُبِ الشَّافِعِيِّ مَنْصُوصَاتُهُ وَمَنْصُوصَاتُ أَصْحَابِهِ. وَكَانَ نِظَامُ الْمُلْكِ كَثِيرَ التَّعْظِيمِ لَهُ.

وَلِيَ قَضَاءَ طَبَرِسْتَانَ ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى آمُلَ فَقَتَلَهُ الْمَلَاحِدَةُ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِمِئَةٍ بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنَ الْإِمْلَاءِ.

قِيلَ: وَكِتَابُهُ "الْبَحْرُ" أَكْثَرُ مِنَ "الْحَاوِي"[1] فُرُوعًا، وَإِنْ كَانَ هُوَ أَحْسَنَ تَرْتِيبًا، وَأَوْضَحَ تَهْذِيبًا.

وَمِنْ تَصَانِيفِهِ: "الْفُرُوقُ"، وَ"الْحِلْيَةُ"[2]، وَ"التَّجْرِبَةُ"، وَ"مَنَاصِيصُ الشَّافِعِيِّ"، وَ"الْكَافِي". وَغَيْرُ ذَلِكَ[3].

وَمِنْهُمْ: عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ هِبَةِ اللهِ، أَبُو الْقَاسِمِ ابْنُ عَسَاكِرَ، وَلَيْسَ فِي أَجْدَادِهِ مَنْ يُسَمَّى عَسَاكِرَ، وَإِنَّمَا لُقِّبَ هُوَ بِهِ.

هُوَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ نَاصِرُ السُّنَّةِ وَخَادِمُهَا، وَهَازِمُ جُنْدِ الشَّيْطَانِ بِعَسَاكِرِ اجْتِهَادِهِ وَهَادِمُهَا، إِمَامُ أَهْلِ الْحَدِيثِ فِي زَمَانِهِ، وَخِتَامُ الْجَهَابِذَةِ الْحُفَّاظِ، وَلَا يُنْكِرُ أَحَدٌ مِنْهُمْ مَكِينَ مَكَانِهِ.

لَهُ: "تَارِيخُ الشَّامِ"[4]، فِي ثَمَانِينَ مُجَلَّدَةً.

---

(1) يقصد كتاب: **"الحاوي الكبير في الفروع"** لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي البصري الشافعي (ت. 450هـ) يضم عشر مجلدات وقيل: ثلاثون مجلدا. كشف الظنون: 1/ 628.

(2) عنوان الكتاب كاملا هو: **"حلية المؤمن واختيار الموقن"** وهو كتاب في الفروع.

(3) تاريخ الإسلام: 11/ 35، وطبقات الشافعية الكبرى: 7/ 193 ـ 195.

(4) المقصود كتابه المشهور: **"تاريخ دمشق"**.

وُلِدَ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ.

تَفقَّهَ فِي حَدَاثَتِهِ بِدِمَشْقَ، ثُمَّ دَخَلَ بَغْدَادَ، لَزِمَ بِهَا التَّفَقُّهَ وَسَمَاعَ الدَّرْسِ بِالنِّظَامِيَّةِ، وَقَرَأَ الْخِلَافَ وَالنَّحْوَ، وَلَازَمَ طُولَ عُمُرِهِ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ وَصَلَاةَ الْجَمَاعَةِ، مُكْثِرًا مِنَ النَّوَافِلِ وَالْأَذْكَارِ وَالتَّسْبِيحِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ.

وَكانَ يُحَاسِبُ نَفْسَهُ عَلَى سَاعَةٍ تَذْهَبُ فِي غَيْرِ طَاعَةٍ، يَصْدَعُ بِالْحَقِّ، وَلَا يَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَيَسْطُو عَلَى أَعْدَاءِ اللهِ الْمُبْتَدِعَةِ، وَلَا يُبَالِي وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ الرَّاغِمِ لَا تَأْخُذُهُ رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ، وَلَا يَقُومُ لِغَضَبِهِ أَحَدٌ إِذَا خَاضَ الْبَاغِي فِي صِفَاتِ اللهِ.

رَأَى وَالِدُهُ فِي الْمَنَامِ -وَقَدْ حَمَلَتْ بِهِ أُمُّهُ- أَنَّهُ يُولَدُ لَكَ وَلَدٌ يُحْيِي اللهُ بِهِ السُّنَّةَ، وَلَعَمْرُ اللهِ كانَ كَذَلِكَ. وَكَانَ يُسَمَّى شُعْلَةَ نَارٍ، مِنْ تَوَقُّدِهِ وَذَكَائِهِ. أَعْرَضَ عَنِ الْمَنَاصِبِ الدِّينِيَّةِ كَالْخَطَابَةِ وَالْإِمَامَةِ بَعْدَ أَنْ عُرِضَتَا عَلَيْهِ.

تُوُفِّيَ الْحَافِظُ سَنَةَ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِئَةٍ بِدِمَشْقَ[1].

وَمِنْهُمْ: **مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، الشَّيْخُ الزَّاهِدُ، صَدْرُ الدِّينِ الْقُونَوِيُّ**، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ فِي التَّصَوُّفِ.

وَلَهُ: "**شَرْحُ الْحَدِيثِ الْأَرْبَعِينَ**"، وَكِتَابُ "**مِفْتَاحُ الْغَيْبِ**"، وَ"**تَفْسِيرُ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ**". وَلَهُ "**الْمُرَاسَلَاتُ فِي الْمَسَائِلِ الْغَوَامِضِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْإِلَهِيَاتِ مَعَ خَوَاجَه نَصِيرِ الدِّينِ الطُّوسِيِّ الْحَكِيمِ**". وَغَيْرُ ذَلِكَ.

---

(1) تاريخ الإسلام: 12/ 493، طبقات الشافعية الكبرى: 7/ 215-217.

تُوُفِّيَ: سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَسِتِّمِئَةٍ[1].

وَمِنْهُمْ: **مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحُسَيْنِ التَّيْمِيُّ الْبَكْرِيُّ، الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ**، ابْنُ خَطِيبِ الرَّيِّ، وَقَدْ سَبَقَ شَرَائِفُ مَنَاقِبِهِ.

وَمِنْهُمْ: **عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ، سُلْطَانُ الْعُلَمَاءِ، الشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ**، وَشُهْرَتُهُ تُغْنِي عَنِ الْإِطْنَابِ فِي مَدْحِهِ.

وَبِالْجُمْلَةِ، هُوَ إِمَامُ عَصْرِهِ بِلَا مُدَافَعَةٍ، الْقَائِمُ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ فِي زَمَانِهِ، الْمُطَّلِعُ عَلَى حَقَائِقِ الشَّرِيعَةِ وَغَوَامِضِهَا، الْعَارِفُ بِمَقَاصِدِهَا، لَمْ يَرَ مِثْلَ نَفْسِهِ، وَلَا رَأَى مَنْ رَآهُ مِثْلَهُ عِلْمًا وَوَرَعًا وَقِيَامًا فِي الْحَقِّ، وَشَجَاعَةً وَقُوَّةَ جَنَانٍ، وَسَلَاطَةَ لِسَانٍ.

وُلِدَ سَنَةَ سَبْعٍ أَوْ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِئَةٍ.

تَفَقَّهَ عَلَى الشَّيْخِ فَخْرِ الدِّينِ ابْنِ عَسَاكِرَ، وَقَرَأَ الْأُصُولَ عَلَى سَيْفِ الدِّينِ الْآمِدِيِّ، وَغَيْرِهِمَا.

وَمِنْ تَلَامِذَتِهِ: شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ، وَهُوَ الَّذِي لَقَّبَ الشَّيْخَ عِزَّ الدِّينِ بِسُلْطَانِ الْعُلَمَاءِ. أَزَالَ رَحِمَهُ اللهُ كَثِيرًا مِنَ الْبِدَعِ مِنْ دَقِّ الْخُطَبَاءِ السَّيْفَ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَأَبْطَلَ صَلَاتَي الرَّغَائِبِ[2] وَنِصْفِ شَعْبَانَ وَمنعَ مِنْهُمَا.

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى: 8/ 45.

(2) صلاة الرغائب: صلاة تؤدى في أول ليلة الجمعة من شهر رجب ما بين المغرب إلى العشاء يصلي اثْنَتَيْ عَشْرَةَ ركعة بِستِّ تسليمات.

قِيلَ: إِنَّهُ أَفْقَهُ مِنَ الْغَزَالِيِّ.

قِيلَ: إِنَّهُ لَبِسَ خِرْقَةَ التَّصَوُّفِ مِنَ الشَّيْخِ شِهَابِ الدِّينِ السُّهْرَوَرْدِيِّ، وَأَخَذَ عَنْهُ.

وَذُكِرَ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ بَيْنَ يَدَيْهِ رِسَالَةَ الْقُشَيْرِيِّ، فَحَضَرَهُ مَرَّةً الشَّيْخُ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُرْسِيُّ، لَمَّا قَدِمَ مِنَ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ إِلى الْقَاهِرَةِ. فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ: تَكَلَّمْ عَلَى هَذَا الْفَصْلِ، فَأَخَذَ الشَّيْخُ يَتَكَلَّمُ، وَالشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ يَزْحَفُ فِي الْحَلْقَةِ وَيَقُولُ: اسْمَعُوا هَذا الْكَلَامَ الَّذِي هُوَ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ.

وَكانَ لِلشَّيْخِ عِزِّ الدِّينِ الْيَدُ الطُّولَى في التَّصَوُّفِ، وَتَصَانِيفُهُ قَاضِيَةٌ بِذَلِكَ. وكانَ رَحِمَهُ اللهُ يَتَكَلَّمُ الْحَقَّ وَيَصْدَعُ بِهِ، وَلَا يَأْخُذُهُ فِي الْحَقِّ لَوْمَةُ لائِمٍ. وَكانَ يُنَادِي سَلَاطِينَ مِصْرَ بِاسْمِهِ فِي مَجَالِسِهِمِ الْعِظَامِ عِنْدَ تَقْبِيلِ الْعُلَمَاءِ أَيْدِيَهُمْ، بَلِ الْأَرْضَ[1] بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، جَزَاهُ اللهُ تَعَالَى عَنِ الْعِلْمِ وَالْإِسْلَامِ خَيْرًا. وَلَهُ وَاقِعَةٌ مَشْهُورَةٌ عِنْدَ خُرُوجِ التَّتَارِ.

تُوُفِّيَ الشَّيْخُ سَنَةَ سِتِّينَ وَسِتِّمِئَةٍ، أَفْتَى سُلْطَانُ الْعُلَمَاءِ بِالْمَنْعِ عَنْ صَلَاةِ الرَّغَائِبِ، وَالشَّيْخُ ابْنُ الصَّلَاحِ كَانَ أَفْتَى بِالْمَنْعِ، ثُمَّ صَمَّمَ عَلَى خِلَافِهِ، وَدَارَ الْكَلَامُ بَيْنَهُمَا، وَلَهُمَا فِي هَذَا الْبَابِ رَسَائِلُ مَشْهُورَةٌ عِنْدَ الْفُقَهَاءِ الشَّافِعِيَّةِ[2].

---

(1) الأراضي، في قونية ورئيس الكتاب والأزهرية ونور عثمانية 1.

(2) طبقات الشافعية الكبرى: 8/ 209 ـ 210.

وَمِنْهُمْ: **عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ الْحَسَنِ الْقَزْوِينِيُّ**، الْإِمَامُ الْجَلِيلُ **أَبُو الْقَاسِمِ الرَّافِعِيُّ**، صَاحِبُ: "**الشَّرْحُ الْكَبِيرُ**" الْمُسَمَّى: بِـ"**الْعَزِيزُ فِي شَرْحِ الْوَجِيزِ**"(1). وَ"**الشَّرْحُ الصَّغِيرُ**". وَ"**الْمُحَرَّرُ**"(2). وَ"**شَرْحُ مُسْنَدِ الشَّافِعِيِّ**". وَ"**التَّذْنِيبُ**"(3). وَ"**الْأَمَالِي الشَّارِحَةُ عَلَى مُفْرَدَاتِ الْفَاتِحَةِ**"، وَهُوَ ثَلَاثُونَ مَجْلِسًا، أَمْلَاهَا أَحَادِيثَ بِأَسَانِيدِهِ عَنْ أَشْيَاخِهِ عَلَى سُورَةِ الْفَاتِحَةِ، وَتَكَلَّمَ عَلَيْهَا. وَكِتَابُ "**الْإِيجَازُ فِي أَخْطَارِ الْحِجَازِ**"، ذَكَرَ فيهِ فَوَائِدَ خَطَرَتْ لَهُ فِي سَفَرِهِ إِلَى الْحَجِّ، وَهُوَ أَوْرَاقٌ يَسِيرَةٌ. وَكِتَابُ "**الْمَحْمُودُ فِي الْفِقْهِ**"، وَصَلَ فِيهِ إِلَى أَثْنَاءِ الصَّلَاةِ فِي ثَمَانِ مُجَلَّدَاتٍ.

كَانَ مُتَضَلِّعًا مِنَ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ تَفْسِيرًا وَحَدِيثًا وَأُصُولًا، مُتَرَفِّعًا عَلَى أَبْنَاءِ جِنْسِهِ فِي زَمَانِهِ نَقْلًا وَبَحْثًا وَإِرْشَادًا وَتَحْصِيلًا.

وَأَمَّا الْفِقْهُ فَهُوَ فيهِ عُمْدَةُ الْمُحَقِّقِينَ، وَأَسْتَاذُ الْمُصَنِّفِينَ، كَأَنَّمَا كانَ الْفِقْهُ مَيِّتًا فَأَحْيَاهُ وَأَنْشَرَهُ، وَأَقَامَ عِمَادَهُ بَعْدَمَا أَمَاتَهُ الْجَهْلُ فَأَقْبَرَهُ. وَكانَ وَرِعًا زَاهِدًا تَقِيًّا نَقِيًّا، طَاهِرَ الذَّيْلِ، مُرَاقِبًا للهِ.

قَال ابْنُ الصَّلَاحِ: أَظُنُّ أَنِّي لَمْ أَرَ فِي بِلَادِ الْعَجَمِ مِثْلَهُ.

قَالَ ابْنُ السُّبْكِيِّ: لَا شَكَّ فِي ذَلِكَ.

وَقالَ النَّوَوِيُّ: الرَّافِعِيُّ مِنَ الصَّالِحِينَ الْمُتَمَكِّنِينَ.

---

(1) سماه حاجي خليفة: "**فتح العزيز على كتاب الوجيز**" كشف الظنون: 2/ 2003.

(2) سمي: "**المحرر في فروع الشافعية**"، في المصدر نفسه: 2/ 1612.

(3) سمي: "**التذنيب في الفروع**"، في المصدر نفسه: 1/ 294.

كَانَتْ لَهُ كَرَامَاتٌ كَثِيرَةٌ، وَكَانَ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي قَاعِدًا، فَانْطَفَأَ سِرَاجُهُ وَقْتَ التَّصْنِيفِ، فَأَضَاءَتْ لَهُ شَجَرَةٌ فِي بَيْتِهِ.

تُوُفِّيَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِئَةٍ[1].

وَمِنْهُمْ: **عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُوسَى بْنِ أَبِي نَصْرٍ الْكُرْدِيُّ الشَّهْرَزُورِيُّ**، الشَّيْخُ الْعَلَّامَةُ تَقِيُّ الدِّينِ، أَحَدُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ عِلْمًا وَدِينًا، أَبُو عَمْرٍو ابْنُ الصَّلَاحِ.

وُلِدَ سَنَةَ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِئَةٍ.

كَانَ إِمَامًا كَبِيرًا، فَقِيهًا مُحَدِّثًا، زَاهِدًا وَرِعًا، مُفِيدًا مُعَلِّمًا.

وَتُوُفِّيَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّمِئَةٍ[2]. وَقَدْ مَرَّ نُبَذٌ مِنْ مَنَاقِبِهِ.

وَمِنْهُمْ: **عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ**، مِنْ أَوْلَادِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَهُوَ **أَبُو عَبْدِ اللهِ، أَوْ أَبُو نَصْرٍ، أَوْ أَبُو الْقَاسِمِ الصُّوفِيُّ**، ابْنُ أَخِي الشَّيْخِ أَبِي النَّجِيبِ، **هُوَ الشَّيْخُ شِهَابُ الدِّينِ السُّهْرَوَرْدِيُّ**، صَاحِبُ **"عَوَارِفُ الْمَعَارِفِ"**.

وُلِدَ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِئَةٍ بِسُهْرَوَرْدَ[3]، وَقَدِمَ بَغْدَادَ، فَصَحِبَ عَمَّهُ أَبَا النَّجِيبِ عَبْدَ الْقَاهِرِ، وَأَخَذَ عَنْهُ التَّصَوُّفَ وَالْوَعْظَ، وَصَحِبَ غَيْرَهُ.

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى: 8/ 281 ـ 284.

(2) المصدر نفسه: 8/ 326.

(3) سُهْرَوَرْدُ: بلدة قريبة من زنجان بالجبال، خرج منها جماعة من الصالحين والعلماء. معجم البلدان: 3/ 289.

كَانَ فَقِيهًا فَاضِلًا، صُوفِيًّا إِمَامًا وَرِعًا، زَاهِدًا عَارِفًا، شَيْخَ وَقْتِهِ فِي عِلْمِ الْحَقِيقَةِ، وَإِلَيْهِ الْمُنْتَهَى فِي تَرْبِيَةِ الْمُرِيدِينَ، وَدُعَاءِ الْخَلْقِ إِلَى الْخَالِقِ، وَتَسْلِيكِ طَرِيقِ الْعِبَادَةِ وَالزُّهْدِ. وَقُصِدَ مِنَ الْأَقْطَارِ، وَظَهَرَتْ بَرَكَاتُ أَنْفَاسِهِ عَلَى خَلْقٍ مِنَ الْعُصَاةِ، فَتَابُوا، وَوَصَلَ بِهِ خَلْقٌ إِلَى اللهِ، وَصَارَ لَهُ أَصْحَابٌ كَالنُّجُومِ، وَرَأَى مِنَ الْجَاهِ وَالْحُرْمَةِ عِنْدَ الْمُلُوكِ مَا لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ. ثُمَّ أَضَرَّ فِي آخِرِ عُمُرِهِ وَأُقْعِدَ، وَمَعَ هَذَا فَمَا أَخَلَّ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَوْرَادِ وَالْأَذْكَارِ وَحُضُورِ الْجَمْعِ فِي مِحَفَّتِهِ[1]، وَالْمُضِيِّ إِلَى الْحَجِّ، إِلَى أَنْ دَخَلَ فِي عَشْرِ الْمِئَةِ.

تُوُفِّيَ فِي مُسْتَهَلِّ الْمُحَرَّمِ، يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّمِئَةٍ[2].

وَمِنْهُمْ: مُوسَى بْنُ أَبِي الْفَضْلِ يُونُسَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَنْعَةَ، الشَّيْخُ الْعَلَّامَةُ كَمَالُ الدِّينِ بْنُ يُونُسَ أَبُو الْفَتْحِ الْمَوْصِلِيُّ، وَالِدُ شَارِحِ **"التَّنْبِيهِ"**[3]، الشَّيْخِ شَرَفِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ مُوسَى.

وُلِدَ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِئَةٍ بِالْمَوْصِلِ.

تَفَقَّهَ عَلَى وَالِدِهِ الشَّيْخِ رَضِيِّ الدِّينِ يُونُسَ، ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى بَغْدَادَ، وَتَفَقَّهَ بِالْمَدْرَسَةِ النِّظَامِيَّةِ عَلَى مُعِيدِهَا السَّدِيدِ السَّلَمَاسِيِّ[4]، ثُمَّ أَقَامَ بِالْمَوْصِلِ.

---

(1) المِحَفَّةُ: سرير له ذراعان من كلِّ ناحية، ليسهل حمله، يستلقي فوقه المريض العاجز عن المشي.

(2) طبقات الشافعية الكبرى: 8/ 338 - 340.

(3) هو كتاب: **"شرح التنبيه في الفقه"**، ويسمى: **"غنية الفقيه"**، لشرف الدين أحمد بن موسى (ت. 622هـ).

(4) السديد محمد بن هبة الله بن عبد الله السَّلَمَاسِيُّ الفقيه الشافعي، توفي سنة: 574هـ، ينسب إلى سَلَمَاس وهي مدينة من بلاد أذربيجان. وفيات الأعيان: 4/ 237.

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ مِمَّا أَطْنَبَ الْمُؤَرِّخُونَ فِي تَرْجَمَتِهِ، وَأَطْرَى الْمَادِحُونَ فِي فَضْلِهِ. وَلْنَقْتَصِرْ عَلَى مَا يَقْبَلُهُ الْعَقْلُ مِنْهَا.

قَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ: كَانَ هُوَ بَحْرًا فِي كُلِّ الْعُلُومِ، وَتَفَرَّدَ بِالرِّيَاضِيَاتِ، وَكَانَ الْفُقَهَاءُ يَقُولُونَ إِنَّهُ يَدْرِي أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ فَنًّا دِرَايَةً مُتْقَنَةً؛ فَمِنْ ذَلِكَ الْمَذْهَبُ، حَتَّى إِنَّ الْحَنَفِيَّةَ يَقْرَأُونَ عَلَيْهِ مَذْهَبَهُمْ، وَيَحُلُّ عَلَيْهِمْ مَسَائِلَ الْجَامِعِ الْكَبِيرِ أَحْسَنَ حَلٍّ، وَكانَ يُتْقِنُ الْأُصُولَيْنِ وَالْجَدَلَ وَالْخِلَافَ. وَلَمَّا وَصَلَتْ كُتُبُ فَخْرِ الدِّينِ الرَّازِيِّ إِلَى الْمَوْصِلِ، لَمْ يَفْهَمْ أَحَدٌ مِنَ الْفُضَلَاءِ اصْطِلَاحَهُ سِوَاهُ، وَكانَ بِهَا إِذْ ذَاكَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفُضَلَاءِ، وَكَذَلِكَ "**الْإِرْشَادُ**"[1] لِلْعَمِيدِيِّ، وَلَقَدْ حَلَّهُ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَكانَ يَدْرِي فَنَّ الْمَنْطِقِ وَالْحِكْمَةِ، مِنَ الطَّبِيعِيِّ وَالرِّيَاضِيِّ وَالْإِلَهِيِّ وَالطِّبِّ. وَكَانَ يَعْرِفُ الرِّيَاضِيَّ مِنْ أُقْلِيدِسَ، وَالْهَيْئَةَ وَالْمَخْرُوطَاتِ وَالْمُتَوَسِّطَاتِ، وَالْمَجِسْطِيَّ، وَأَنْوَاعَ الْحِسَابِ الْمَفْتُوحِ مِنْهُ، وَالْجَبْرَ، وَالْمُقَابَلَةَ، وَالْأَرْثِمَاطِيقِيَّ، وَطَرِيقَ الْخَطَأَيْنِ، وَالْمِسَاحَةَ، وَالْمُوسِيقَى، مَعْرِفَةً لَا يُشَارِكُهُ فِيهَا غَيْرُهُ، إِلَّا فِي ظَوَاهِرِهَا دُونَ دَقَائِقِهَا، وَكَانَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ: **[الوافر]**

وَكانَ مِنَ الْعُلُومِ بِحَيْثُ يُقْضَى ... لَهُ فِي كُلِّ عِلْمٍ بِالْجَمِيعِ[2]

---

(1) "**الْإِرْشَادُ فِي عِلْمِ الْخِلَافِ وَالْجَدَلِ**"، لِرُكْنِ الدِّينِ محمد بن محمد الْعَمِيدِيِّ السَّمَرْقَنْدِيِّ الحنفي (ت.512هـ). لعله مازال مخطوطا.

(2) نسب البيت للشيخ أبي محمد الريولي في تاريخ الإسلام: 10/ 644، وفي الوافي بالوفيات: 26/ 62.

وَاسْتَخْرَجَ فِي عِلْمِ الْأَوْفَاقِ طُرُقًا لَمْ يَهْتَدِ إِلَيْهَا أَحَدٌ، وَكانَ فِي الْعَرَبِيَّةِ بَحْرًا حَتَّى إِنَّهُ كَانَ يُقْرِئُ **"كِتَابُ سِيبَوَيْهِ"**، وَ" **الْإِيضَاحُ**"، وَ" **التَّكْمِلَةُ**"، لِأَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ، وَ" **الْمُفَصَّلُ**" لِلزَّمَخْشَرِيِّ. وَكانَ لَهُ فِي التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَأَسْمَاءِ الرِّجَالِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ يَدٌ جَيِّدَةٌ. وَكانَ يَحْفَظُ مِنَ التَّوَارِيخِ وَأَيَّامِ الْعَرَبِ وَوَقَائِعِهِمْ وَالْأَشْعَارِ وَالْمُحَاضَرَاتِ شَيْئًا كَثِيرًا. وَكَانَ أَهْلُ الذِّمَّةِ يَقْرَأُونَ عَلَيْهِ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ، وَيَشْرَحُ لَهُمَا هَذَيْنِ الْكِتَابَيْنِ شَرْحًا يَعْتَرِفُونَ أَنَّهُمْ لَا يَجِدُونَ مَنْ يُوَضِّحُهُمَا لَهُمْ غَيْرَهُ. وَكانَ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنْ هَذِهِ الْفُنُونِ كَأَنَّهُ لَا يَعْرِفُ سِوَاهُ لِقُوَّةِ مَعْرِفَتِهِ.

قالَ الْأَثِيرُ[1]: مَا دَخَلَ بَغْدَادَ مِثْلُهُ. وَقَالُوا: كَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: مَا دَخَلَ بَغْدَادَ مِثْلُ الْغَزَالِيِّ، وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّيْخِ نِسْبَةٌ.

وَكانَ الْأَثِيرُ عَلَى جَلالَةِ قَدْرِهِ فِي الْعُلُومِ يَأْخُذُ الْكِتَابَ، يَجْلِسُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَيَقْرَأُ عَلَيْهِ، وَالنَّاسُ يَوْمَ ذَلِكَ يَشْتَغِلُونَ فِي تَصَانِيفِ الْأَثِيرِ.

وَكانَ الشَّيْخُ سَامَحَهُ اللهُ يُتَّهَمُ فِي اعْتِقَادِهِ، لِغَلَبَةِ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ عَلَيْهِ، وَكانَتْ تَعْتَرِيهِ غَفْلَةٌ لِاسْتِيلَاءِ الْفِكْرَةِ عَلَيْهِ بِسَبَبِ هَذِهِ الْعُلُومِ[2].

وَمِنْهُمْ: يَحْيَى بْنُ شَرَفِ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ، وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ فِي الْمُحَدِّثِينَ.

---

(1) أثير الدين المفضل بن عمر بن المفضل الأبهري، السمرقندي الحكيم المنطقي الفلكي الرياضي الفيلسوف (ت. 663هـ). كشف الظنون: 1/ 97. ومعجم المؤلفين: 12/ 315.

(2) وفيات الأعيان: 5/ 311 - 313، وطبقات الشافعية الكبرى: 8/ 378-380.

وَمِنْهُمْ: أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُرْتَفِعِ بْنِ حَازِمِ بْنِ الرِّفْعَةِ الشَّيْخُ الْإِمَامُ، شَيْخُ الْإِسْلَامِ، نَجْمُ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ، شَافِعِيُّ الزَّمَانِ، وَمَنْ أَلْقَتْ إِلَيْهِ الْأَئِمَّةُ مَقَالِيدَ السِّلْمِ وَالْأَمَانِ، قَدْ بَاشَرَ حِسْبَةَ مِصْرَ، وَدَرَّسَ بِالْمَدْرَسَةِ الْمُعِزِّيَّةِ، وَلَمْ يَلِ شَيْئًا مِنْ مَنَاصِبِ الْقَاهِرَةِ.

وَمِنْ تَصَانِيفِهِ: **"الْمَطْلَبُ فِي شَرْحِ الْوَسِيطِ"**. وَ**"الْكِفَايَةُ فِي شَرْحِ التَّنْبِيهِ"**[1]. وَ**"كِتَابٌ مُخْتَصَرٌ فِي هَدْمِ الْكَنَائِسِ"**[2].

تُوُفِّيَ بِمِصْرَ سَنَةَ عَشْرٍ وَسَبْعِمِئَةٍ. وَلَا مَطْمَعَ فِي اسْتِيعَابِ مَنَاقِبِهِ وَغَرَائِبِهِ، لِأَنَّ ذَلِكَ بَحْرٌ زَاخِرٌ، وَمَهْيَعٌ لَا يُعْرَفُ لَهُ أَوَّلٌ مِنْ آخِرٍ[3].

وَمِنْهُمْ: مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُثْمَانَ، الْحَافِظُ شَمْسُ الدِّينِ، أَبُو عَبْدِ اللهِ التُّرْكُمَانِيُّ الذَّهَبِيُّ، كَانَ إِمَامَ الْوُجُودِ حِفْظًا، وَذَهَبَ الْعَصْرِ مَعْنًى وَلَفْظًا، شَيْخَ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ، وَرَجُلَ الرِّجَالِ فِي كُلِّ سَبِيلٍ، كَأَنَّما جُمِعَتِ الْأُمَّةُ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَنَظَرَهَا، ثُمَّ أَخَذَ يُخْبِرُ عَنْهَا إِخْبَارَ مَنْ حَضَرَهَا، مُنْتَهى رَغَبَاتِ مَنْ تُرْكَبُ[4] الْمَطِيُّ إِلَى جِوَارِهِ، وتَضْرِبُ الْبُزْلُ الْمَهَارَى أَكْبَادَهَا لِيَصِلَ سَاحَةَ دَارِهِ.

---

(1) عنوانه: **"كِفَايَةُ النَّبِيهِ فِي شَرْحِ التَّنْبِيهِ"**. قال عنه: «لم يعلق على التنبيه مثله، مشتمل على غرائب وفوائد كثيرة». كشف الظنون: 1/ 491.

(2) عنوان الكتاب: **"النَّفَائِسُ فِي هَدْمِ الْكَنَائِسِ"**. وهو مختصر علقه في رمضان سنة: 707هـ. المصدر نفسه: 2/ 1966.

(3) طبقات الشافعية الكبرى: 9/ 24 ـ 26.

(4) تركت، في قونية.

وُلِدَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَسِتِّمِئَةٍ، وَفِي شُيُوخِهِ كَثْرَةٌ لَا تَقْبَلُ التَّعْدَادَ، وَسَمِعَ مِنْهُ الْجَمْعُ الْكَثِيرُ، مَا زَالَ يَخْدُمُ هَذَا الْفَنَّ إِلَى أَنْ رَسَخَتْ فِيهِ قَدَمُهُ، وتَعِبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا تَعِبَ لِسَانُهُ وَقَلَمُهُ، وَضُرِبَتْ بِاسْمِهِ الْأَمْثَالُ، وَسَارَ اسْمُهُ مَسِيرَ قُبَّةِ الشَّمْسِ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَتَقَلَّصُ إِذَا نَزَلَ الْمَطَرُ وَلَا يُدْبِرُ إِذَا أَقْبَلَتِ اللَّيَالِ.

أَقَامَ بِدِمَشْقَ يُرْحَلُ إِلَيْهِ مِنْ سَائِرِ الْبِلَادِ، وَتُنَادِيهِ السُّؤَالَاتُ مِنْ كُلِّ نَادٍ، وَهُوَ بَيْنَ أَكْنَافِهَا كَنَفٌ لِأَهْلِهَا، وَشَرَفٌ تَفْتَخِرُ وَتُزْهَى بِهِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، طَوْرًا تَرَاهَا ضَاحِكَةً عَنْ تَبَسُّمِ أَزْهَارِهَا، وَقَهْقَهَةِ غُدْرَانِهَا، وَتَارَةً تَلْبِسُ ثَوْبَ الْوَقَارِ وَالْفَخَارِ بِمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ إِمَامِهَا الْمَعْدُودِ فِي سُكَّانِهَا، إِلَّا أَنَّهُ كانَ شَافِعِيَّ الْمَذْهَبِ، حَنْبَلِيَّ الْمُعْتَقَدِ، وَلِهَذَا كانَ كَثِيرَ الْإِزْرَاءِ لِلْأَشَاعِرَةِ فِي تَصَانِيفِهِ، سِيَّمَا فِي تَارِيخِهِ الْكَبِيرِ.

وَلَهُ: "**تَارِيخٌ أَوْسَطُ**" مُسَمًّى بِـ"**الْعِبَرُ**". وَصَغِيرٌ مُسَمًّى: بِـ"**دُوَلُ الْإِسْلَامِ**". وَ"**كِتَابُ النُّبَلَاءِ**". وَ"**مُخْتَصَرُ تَهْذِيبِ الْكَمَالِ لِلْمِزِّيِّ**". وَ"**الْكَاشِفُ**" مُخْتَصَرُ ذَلِكَ. وَ"**الْمِيزَانُ فِي الضُّعَفَاءِ**"، وَهُوَ مِنْ أَجَلِّ الْكُتُبِ. وَ"**الْمُغْنِي**"، فِي ذَلِكَ. وَكِتَابٌ ثَالِثٌ. وَ"**مُخْتَصَرُ سُنَنِ الْبَيْهَقِيِّ**"، وَهُوَ حَسَنٌ. وَ"**مُخْتَصَرُ الْأَطْرَافِ لِلْمِزِّيِّ**"، وَ"**طَبَقَاتُ الْحُفَّاظِ**"، وَ"**طَبَقَاتُ الْقُرَّاءِ**"، وَ"**كِتَابٌ فِي الْوَفَيَاتِ**"، وَمُخْتَصَرٌ آخَرُ فِيهَا يُسَمَّى بِـ"**الْإِعْلَامُ**". وَ"**التَّجْرِيدُ فِي أَسْمَاءِ الصَّحَابَةِ**". وَ"**الْمُجَرَّدُ فِي أَسْمَاءِ رِجَالِ الْكُتُبِ السِّتَّةِ**". وَ"**مُخْتَصَرُ الْمُسْتَدْرَكِ لِلْحَاكِمِ**". وَ"**مُخْتَصَرُ تَارِيخِ نَيْسَابُورَ لِلْحَاكِمِ**". وَ"**مُخْتَصَرُ ذَيْلِ ابْنِ الدُّبَيْثِيِّ**". وَ"**الْمُعْجَمُ**

الْكَبِيرُ". وَ"**الصَّغِيرُ"**. وَ"**الْمُخْتَصَرُ لِمُحَدِّثِي الْعَصْرِ"**. وَ"**مُخْتَصَرُ الْمُحَلَّى لِابْنِ حَزْمٍ"**، وَمُخْتَصَرَاتٌ كَثِيرَةٌ. وَقَرَأَ الْقُرْآنَ بِالرِّوَايَاتِ وَأَقْرَأَهُ.

تُوُفِّيَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِئَةٍ(1).

وَمِنْهُمْ: **مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُمَرَ قَاضِي الْقُضَاةِ، جَلَالُ الدِّينِ الْقَزْوِينِيُّ**، قَدِمَ دِمَشْقَ مِنْ بِلَادِهِ هُوَ وَأَخُوهُ قَاضِي الْقُضَاةِ إِمَامُ الدِّينِ، وَنَابَ فِي الْقَضَاءِ بِدِمَشْقَ عَنْ أَخِيهِ، وَأَعَادَ بِالْمَدْرَسَةِ الْبَادِرَائِيَّةِ(2)، ثُمَّ وَلِيَ خَطَابَةَ دِمَشْقَ، ثُمَّ قَضَاءَ الْقُضَاةِ بِهَا، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى قَضَاءِ الْقُضَاةِ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، ثُمَّ صُرِفَ عَنْهَا، وَأُعِيدَ إِلَى قَضَاءِ الشَّامِ. كَانَ رَجُلًا فَاضِلًا مُتَفَنِّنًا، لَهُ مَكَارِمُ وَسُؤْدَدٌ.

صَنَّفَ: كِتَابَ "**التَّلْخِيصُ**" فِي الْمَعَانِي وَالْبَيَانِ. وَكِتَابَ "**الْإِيضَاحُ**" فِيهِ.

تُوُفِّيَ بِدِمَشْقَ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِئَةٍ(3).

وَمِنْهُمْ: **مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، الشَّيْخُ صَفِيُّ الدِّينِ الْهِنْدِيُّ الْأُرْمَوِيُّ** الْمُتَكَلِّمُ عَلَى مَذْهَبِ الْأَشْعَرِيِّ. كَانَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِمَذْهَبِ الْأَشْعَرِيِّ، وَأَدْرَاهُمْ بِأَسْرَارِهِ، مُتَضَلِّعًا بِالْأَصْلَيْنِ. اشْتَغَلَ عَلَى سِرَاجِ الدِّينِ صَاحِبِ: "**التَّحْصِيلُ**"(4).

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى: 9/ 100 ـ 105.

(2) المدرسة البادرائية: أنشأها نجم الدين أبو محمد عبد الله بن أبي الوفاء محمد بن الحسن البادرائي داخل باب الفراديس والسلامة شمالي جيرون وشرقي الناصرية الجوانية. الدارس في تاريخ المدارس: 1/ 154.

(3) طبقات الشافعية الكبرى: 9/ 158.

(4) "**التَّحْصِيلُ مِنَ الْمَحْصُولِ**" لسراج الدين محمود بن أبي بكر الأُرْمَوِيِّ توفي سنة: 682 هـ.

صَنَّفَ: "**الزُّبْدَةُ**"[1] فِي عِلْمِ الْكَلَامِ، وَ"**النِّهَايَةُ**"[2] في أُصُولِ الْفِقْهِ. وَ"**الْفَائِقُ**" فِيهِ أَيْضًا. وَكُلُّ مُصَنَّفَاتِهِ حَسَنَةٌ جَامِعَةٌ لَا سِيَّمَا: "**النِّهَايَةُ**".

وُلِدَ بِبِلَادِ الْهِنْدِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّمِئَةٍ، وَرَحَلَ إِلَى الْيَمَنِ، ثُمَّ حَجَّ، وَقَدِمَ إِلَى مِصْرَ، ثُمَّ سَارَ إِلَى الرُّومِ، وَاجْتَمَعَ بِسِرَاجِ الدِّينِ، ثُمَّ قَدِمَ دِمَشْقَ، وَشَغَلَ النَّاسَ بِالْعِلْمِ.

تُوُفِّيَ بِدِمَشْقَ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وَسَبْعِمِئَةٍ.

وَكَانَ خَطُّهُ فِي غَايَةِ الرَّدَاءَةِ. وَكانَ رَجُلًا ظَرِيفًا سَاذَجًا.

يُحْكَى أَنَّهُ قَالَ: وَجَدْتُ كِتَابًا بِخَطٍّ ظَنَنْتُهُ أَقْبَحَ مِنْ خَطِّي فَغَالَيْتُ فِي ثَمَنِهِ وَاشْتَرَيْتُهُ لِأَحْتَجَّ بِهِ عَلَى مَنْ يَدَّعِي أَنَّ خَطِّي أَقْبَحُ الْخُطُوطِ، فَلَمَّا عُدْتُ إِلَى الْبَيْتِ، وَجَدْتُهُ بِخَطِّي الْقَدِيمِ.

وحَبَسَ ابْنَ تَيْمِيَّةَ لِقَوْلِهِ بِالْجِهَةِ، وَنُودِيَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ فِي الْبَلَدِ، وَعُزِلُوا مِنْ وَظَائِفِهِمْ[3].

وَمِنْهُمْ: **مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ، قَاضِي الْقُضَاةِ، كَمَالُ الدِّينِ ابْنُ الزَّمْلَكَانِيِّ**[4]، الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ الْمُنَاظِرُ، قَرَأَ الْأُصُولَ عَلَى الشَّيْخِ صَفِيِّ الدِّينِ الْهِنْدِيِّ، وَقَرَأَ النَّحْوَ عَلَى الشَّيْخِ بَدْرِ الدِّينِ ابْنِ مَالِكٍ.

---

(1) عنوان الكتاب: "**زبدة الكلام في علم الكلام**". كشف الظنون: 2/ 903.

(2) عنوان الكتاب: "**نهاية الوصول إلى علم الأصول**". المصدر نفسه: 2/ 1991.

(3) طبقات الشافعية الكبرى: 9/ 162 ـ 164.

(4) الزملكاني: نسبة إلى زملكان: وهما قريتان إحداهما ببلخ والأخرى بدمشق، ونسب إليهما. معجم البلدان: 3/ 150.

وُلِدَ سَنَةَ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَسِتِّمِئَةٍ. دَرس بِدِمَشْق، ثُمَّ وَلِيَ قَضَاءَ حَلَب.

وَصَنَّفَ: "الرَّدُّ عَلَى ابْنِ تَيْمِيَّةَ" فِي عِدَّةِ مَسَائِل. شَرَحَ مِنْ "مِنْهَاجُ النَّوَوِيِّ"[1] قِطَعًا مُتَفَرِّقَةً.

ذَكَرَهُ الذَّهَبِيُّ، فَقَالَ: عَالِمُ الْعَصْرِ، مِنْ بَقَايَا الْمُجْتَهِدِينَ، وَمِنْ أَذْكِيَاءِ أَهْلِ زَمَانِهِ. دَرَّسَ وَصَنَّفَ، وَتَخَرَّجَ بِهِ الْأَصْحَابُ.

وَتُوُفِّيَ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِمِئَةٍ[2].

وَمِنْهُمْ: مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ وَهْبِ بْنِ مُطِيعٍ الْقُشَيْرِيُّ، أَبُو الْفَتْحِ تَقِيُّ الدِّينِ، وَلَدُ الشَّيْخِ الْإِمَامِ الْقُدْوَةِ مَجْدِ الدِّينِ ابْنِ دَقِيقِ الْعِيدِ، شَيْخُ الْإِسْلَامِ الْحَافِظُ الزَّاهِدُ الْوَرِعُ النَّاسِكُ الْمُجْتَهِدُ الْمُطْلَقُ، الْجَامِعُ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالدِّينِ، وَالسَّالِكُ سَبِيلَ السَّادَةِ الْأَقْدَمِينِ، بَحْرُ الْعِلْمِ الَّذِي لَا تُكَدِّرُهُ الدِّلَاءُ، وَمَعْدِنُ الْفَضْلِ الَّذِي لِقَاصِدِهِ مِنْهُ مَا يَشَاءُ، إِمَامُ كَلِمَةٍ لَا يَجْحَدُونَهَا، وَشَهَادَةٍ عَلَى أَنْفُسِهِمْ يُؤَدُّونَهَا، مَعَ وَقَارٍ، عَلَيْهِ سِيمَاءُ الْجَلَالِ، وَهَيْبَةٌ لَا يَقُومُ الضِّرْغَامُ عِنْدَهَا لِنِزَالِ.

هَذَا مَعَ مَا أُضِيفَ إِلَيْهِ مِنْ أَدَبٍ أَزْهَى مِنَ الْأَزْهَارِ، وَأَلْعَبَ بِالْعُقُولِ. لَا أَدْرِي بَيْنَ يَدَيْ هَذَا الشَّيْخِ مَا أَقُولُ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنَ الْعِثَارِ. وَمَعَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْعُلُومِ بِحَيْثُ يُقْضَى لَهُ بِالْجَمِيعِ، فَلَهُ بِالتَّجْرِيدِ تَخَلُّقٌ، وَبِكَرَامَاتِ الصَّالِحِينَ تَحَقُّقٌ.

---

(1) عنوان الكتاب: "**تَعْلِيقَاتٌ عَلَى الْمِنْهَاجِ**"، لِكَمَال الدِّينِ ابْن الزَّمَلْكَانِيِّ.

(2) طبقات الشافعية الكبرى: 9/ 190 ـ 192.

قَالَ ابْنُ السُّبْكِيِّ: وَلَمْ نُدْرِكْ أَحَدًا مِنْ مَشَايِخِنَا يَخْتَلِفُ فِي أَنَّ ابْنَ دِقِيقِ الْعِيدِ هُوَ الْعَالِمُ الْمَبْعُوثُ عَلَى رَأْسِ الْمِئَةِ السَّابِعَةِ الْمُشَارِ إِلَيْهِ فِي الْحَدِيثِ الْمُصْطَفَوِيِّ النَّبَوِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وُلِدَ فِي الْبَحْرِ الْمَالِحِ، وَكانَ وَالِدُهُ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْحَجِّ فِي شَعْبَانَ سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِئَةٍ، ثُمَّ أَخَذَهُ وَالِدُهُ عَلَى يَدِهِ وَطَافَ بِهِ بِالْكَعْبَةِ، وَجَعَلَ يَدْعُو اللهَ أَنْ يَجْعَلَهُ عَالِمًا عَامِلًا.

وَنُقِلَ لَهُ كَرَامَاتٌ كَثِيرَةٌ؛ مِنْهَا: أَخْبَرَ عِنْدَ دُخُولِ التَّتَّارِ الْبِلَادَ، أَنَّهُمْ هَلَكُوا أَمْسِ وَقْتَ الْعَصْرِ، فَكانَ كَمَا قالَ. وَقَالَ عَنْ بَعْضِ الْأُمَرَاءِ وَقَدْ خَرَجَ مِنَ الْقَاهِرَةِ إِنَّهُ لَا يَرْجِعُ، فَلَمْ يَرْجِعْ. وَقَالَ لِشَخْصٍ آذَى أَخَاهُ أَنَّهُ يَهْلِكُ، فَكانَ كَذَلِكَ. وَكَرَامَاتُهُ كَثِيرَةٌ.

وَأَمَّا دَأْبُهُ فِي اللَّيْلِ عِلْمًا وَعِبَادَةً فَأَمْرٌ عُجَابٌ، رُبَّمَا اسْتَوْعَبَ اللَّيْلَةَ فَطَالَعَ فِيهَا الْمُجَلَّدَ أَوْ الْمُجَلَّدَيْنِ، وَرُبَّمَا تَلَا آيَةً وَاحِدَةً فَكَرَّرَهَا إِلَى مَطْلَعِ الْفَجْرِ.

وَكانَ يَقُولُ: مَا تَكَلَّمْتُ كَلِمَةً وَلَا فَعَلْتُ فِعْلًا إِلَّا وَأَعْدَدْتُ لَهُ جَوَابًا بَيْنَ يَدَي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَكانَ يُخَاطِبُ عَامَّةَ النَّاسِ، السُّلْطَانَ فَمَنْ دُونَهُ، بِقَوْلِهِ: يَا إِنْسَانُ، وَإِنْ كَانَ فَقِيهًا كَبِيرًا قَالَ: يَا فَقِيهُ. وَتِلْكَ كَلِمَةٌ لَا يَسْمَحُ بِهَا إِلَّا لِابْنِ الرِّفْعَةِ وَنَحْوِهِ.

وَكانَ يَقُولُ لِلشَّيْخِ عَلَاءِ الدِّينِ الْبَاجِيِّ: يَا إِمَامُ، وَيَخُصُّهُ بِهَا.

تُوُفِّيَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِمِئَةٍ.

صَنَّفَ: كِتَابَ "**الإِمَامُ**"[1]، وَهُوَ جَلِيلٌ حَافِلٌ. وَكِتَابَ "**الإِلْمَامُ**"، وَشَرَحَهُ وَلَمْ يُكْمِلْ شَرْحَهُ. وَأَمْلَى شَرْحًا عَلَى **عُمْدَةِ**[2] عَبْدِ الْغَنِيِّ الْمَقْدِسِيِّ فِي الْحَدِيثِ، وَعَلَى "**الْعُنْوَانُ**" فِي أُصُولِ الْفِقْهِ. وَلَهُ تَصْنِيفٌ[3] فِي أُصُولِ الدِّينِ. وَشَرَحَ مُخْتَصَرَ ابْنِ الْحَاجِبِ، وَلَمْ يُكْمِلْهُ. وَعَلَّقَ شَرْحًا عَلَى **مُخْتَصَرِ التِّبْرِيزِيِّ**[4] فِي فِقْهِ الشَّافِعِيَّةِ.

وَلِيَ قَضَاءَ الْقُضَاةِ بَعْدَ إِبَاءٍ شَدِيدٍ، وَعَزَلَ نَفْسَهُ غَيْرَ مَرَّةٍ، ثُمَّ يُعَادُ[5].

وَمِنْهُمْ: مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْبَارَنْبَارِيُّ[6]، **الْمُلَقَّبُ طُوَيْرَ اللَّيْلِ، تَاجُ الدِّينِ**، أَحَدُ أَذْكِيَاءِ الزَّمَانِ، بَرَعَ فِقْهًا وَعِلْمًا وَمَنْطِقًا وَأُصُولًا. قَرَأَ الْمَعْقُولَاتِ عَلَى الشَّيْخِ شَمْسِ الدِّينِ الْأَصْفَهَانِيِّ.

وُلِدَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِئَةٍ، **وَتُوُفِّيَ** سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ وَسَبْعِمِئَةٍ[7].

وَمِنْهُمْ: مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَيِّدِ النَّاسِ، الْحَافِظُ الْأَدِيبُ، فَتْحُ الدِّينِ أَبُو الْفَتْحِ. كَانَ أَحَدَ الْأَعْيَانِ مَعْرِفَةً وَإِتْقَانًا وَحِفْظًا وَضَبْطًا لِلْحَدِيثِ،

---

(1) عنوان الكتاب: "**الإِمَامُ فِي مَعْرِفَةِ أَحَادِيثِ الْأَحْكَامِ**"، وهو مطبوع.

(2) عنوان الكتاب: "**عُمْدَةُ الأحكام عَنْ سَيِّدِ الْأَنَامِ**"، لعبد الغني بن عبد الواحد المقدسي، وهو مطبوع.

(3) عنوان الكتاب: "**عُنْوَانُ الْأُصُولِ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ**"، وهو مطبوع.

(4) عنوان الكتاب هو: "**مُخْتَصَرُ الْوَجِيزِ فِي الْفِقْهِ عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِي**"="**مُخْتَصَرُ التَّبْرِيزِي**"، وهو مطبوع.

(5) طبقات الشافعية الكبرى: 9/ 207 - 209.

(6) الْبَارَنْبَارِي: نسبة إلى بَارَنْبَار، وهي بُلَيْدَةٌ قرب دمياط على خليج أشموم والبسراط. معجم البلدان: 1/ 320.

(7) طبقات الشافعية الكبرى: 9/ 249 - 250.

وَتَفَهُّمًا فِي عِلَلِهِ وَأَسَانِيدِهِ، عَالِمًا بِصَحِيحِهِ وَسَقِيمِهِ، مُسْتَحْضِرًا لِلسِّيرَةِ، لَهُ حَظٌّ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ، لَهُ الشِّعْرُ الرَّائِقُ، وَالنَّثْرُ الْفَائِقُ.

وُلِدَ سَنَةَ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَسِتِّمِئَةٍ، وَكانَ مِنْ بَيْتِ رِئَاسَةٍ وَعِلْمٍ، **وَتُوُفِّيَ** سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِئَةٍ[1].

وَمِنْهُمْ: عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عُمَرَ الْأَنْصَارِيُّ، الشَّيْخُ عَلَمُ الدِّينِ الْعِرَاقِيُّ الضَّرِيرُ.

لَهُ فِي التَّفْسِيرِ الْيَدُ الْبَاسِطَةُ. صَنَّفَ: "**الْإِنْصَافُ فِي مَسَائِلِ الْخِلَافِ بَيْنَ الزَّمَخْشَرِيِّ وَابْنِ الْمُنَيِّرِ**". وَهُوَ مِصْرِيٌّ، وَقِيلَ لَهُ: الْعِرَاقِيُّ، لِأَنَّ أَبَا إِسْحَاقَ الْعِرَاقِيَّ شَارِحَ "**الْمُهَذَّبِ**"[2] كانَ جَدَّهُ لِأُمِّهِ.

وُلِدَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِئَةٍ، **وَتُوُفِّيَ** سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَبْعِمِئَةٍ بِالْقَاهِرَةِ[3].

وَمِنْهُمْ: عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْكَافِي بْنِ عَلِيِّ بْنِ تَمَّامٍ السُّبْكِيُّ، الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْفَقِيهُ الْمُحَدِّثُ الْحَافِظُ الْمُفَسِّرُ الْمُقْرِئُ الْأُصُولِيُّ الْمُتَكَلِّمُ النَّحْوِيُّ اللُّغَوِيُّ الْأَدِيبُ الْحَكِيمُ الْمَنْطِقِيُّ الْجَدَلِيُّ الْخِلَافِيُّ النَّظَّارُ، شَيْخُ الْإِسْلَامِ، قَاضِي الْقُضَاةِ، تَقِيُّ الدِّينِ أَبُو الْحَسَنِ، شَيْخُ الْمُسْلِمِينَ فِي زَمَانِهِ، وَالدَّاعِي إِلَى اللهِ فِي سِرِّهِ وَإِعْلَانِهِ، وَالْمُنَاضِلُ عَنِ الدِّينِ الْحَنِيفِيِّ بِقَلَمِهِ وَلِسَانِهِ،

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى: 9/ 268.

(2) عنوان الشرح هو: "**التَّعْلِيقَةُ فِي شَرْحِ الْمُهَذَّبِ**" لأبي إسحاق إبراهيم بن منصور بن المسلم المصري، الفقيه الشافعي العراقي (ت. 596هـ).

(3) طبقات الشافعية الكبرى: 10/ 95.

عُبَابٌ لَا تُكَدِّرُهُ الدِّلَاءُ، وَسَحَابٌ تَتَقَاصَرُ عَنْهُ الْأَنْوَاءُ، وَكانَ مِنَ الْعِلْمِ بِحَيْثُ يُقْضَى لَهُ فِي كُلِّ عِلْمٍ بِالْجَمِيعِ. وَكانَ مِنَ الْوَرَعِ وَالدِّينِ، وَسُلُوكِ سَبِيلِ الْأَقْدَمِينَ عَلَى سَنَنٍ وَيَقِينٍ، إِنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ.

صَادِعٌ بِالْحَقِّ لَا يَخَافُ لَوْمَةَ لَائِمٍ، صَادِقٌ فِي النِّيَّةِ لَا يَخْشَى بَطْشَةَ ظَالِمٍ، صَابِرٌ وَإِنِ ازْدَحَمَتِ الضَّرَاغِمُ، شَيْخُ الْوَقْتِ حَالًا وَعِلْمًا، وَإِمَامُ التَّحْقِيقِ حَقِيقَةً وَرَسْمًا، وَعَلَمُ الْأَعْلَامِ فِعْلًا وَاسْمًا: [البسيط]

إِذَا تَغَلْغَلَ فِكْرُ الْمَرْءِ فِي طَرَفٍ مِنْ مَجْدِهِ غَرِقَتْ فِيهِ خَوَاطِرُهُ[1]

لَا يَرَى الدُّنْيَا إِلَّا هَبَاءً مَنْثُورًا، وَلَا يَدْرِي كَيْفَ يَجْلِبُ الدِّرْهَمُ فَرَحًا، وَالدِّينَارُ سُرُورًا، وَلَا يَنْفَكُّ يَتْلُو الْقُرْآنَ قَائِمًا وَقَاعِدًا، رَاكِبًا وَمَاشِيًا، وَإِنْ كَانَ مَرِيضًا مَعْذُورًا. وَكَانَتْ دَعَوَاتُهُ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطِّبَاقَ، وَتَفْتَرِقُ بَرَكَاتُهَا فَتَمْلَأُ الْآفَاقَ، وَتَسْتَرِقُ خَبَرَ السَّمَاءِ، وَكَيْفَ لَا وَقَدْ رُفِعَتْ عَلَى يَدِ وَلِيِّ اللهِ تُفْتَحُ لَهُ أَبْوَابُهَا ذَوَاتُ[2] الْإِغْلَاقِ. وَكَانَتْ يَدَاهُ بِالْكَرَمِ مَبْسُوطَتَيْنِ لَا يُقَاسُ إِلَّا بِحَاتِمٍ، وَلَا يُنْشِدُ إِلَّا: [الطويل]

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ[3].

(1) البيت لأبي الطيب المتنبي في ديوان شعره شرح العكبري: 2/ 120.

(2) ذات، في قونية.

(3) وتمامه: "**وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ**" ديوان المتنبي بشرح العكبري: 3/ 378.

وَأَمَّا الْأَخْلَاقُ فَقَلَّ أَنْ رَأَيْتُهَا فِي غَيْرِهِ مَجْمُوعَةً، أَوْ وُجِدَ فِي أَكْيَاسِ النَّاسِ دِينَارٌ عَلَى سِكَّتِهَا الْمَطْبُوعَةِ، فَمٌ بَسَّامٌ، وَوَجْهٌ بَيْنَ الْجَمَالِ وَالْجَلَالِ قَسَّامٌ، وَخُلُقٌ كَأَنَّهُ نَقْشُ السَّحَرِ عَلَى الزَّهْرِ بَسَّامٌ، وَكَفٌّ تَخْجَلُ الْغُيُوثُ مِنْ سَاجِمِهَا، وَتَشْهَدُ الْبَرَامِكَةُ أَنَّ نَفَسَ حَاتِمٍ فِي نَقْشِ خَاتَمِهَا[1].

قَالَ ابْنُ السُّبْكِيِّ بَعْدَ وَصْفِ وَالِدِهِ بِالْأَوْصَافِ الْمَذْكُورَةِ وَزِيَادَةٍ عَلَيْهَا: أُقْسِمُ بِالله إِنَّهُ لَفَوْقَ مَا وصَفْتُهُ، وَإِنِّي لَنَاطِقٌ بِهَذَا وَغَالِبُ ظَنِّي أَنِّي مَا أَنْصَفْتُهُ.

ثُمَّ قَالَ: [البسيط]

وَمَا عَلَيَّ إِذَا مَا قُلْتُ مُعْتَقَدِي ... دَعِ الْحَسُودَ يَظُنُّ السُّوءَ عُدْوَانَا[2]
هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْأَمْلَاكُ سِيرَتَهُ ... إِذَا ادْلَهَمَّ دُجًى لَمْ يُبْقِ سَهْرَانَا
هَذَا الَّذِي يَسْمَعُ الرَّحْمَنُ صَالِحَهُ ... إِذَا بَكَى وَأَفَاضَ الدَّمْعَ أَلْوَانَا
هَذَا الَّذِي يَسْمَعُ الرَّحْمَنُ دَعْوَتَهُ ... إِذَا تَقَارَبَ وَقْتُ الْفَجْرِ أَوْ حَانَا
هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْغَبْرَاءُ جَبْهَتَهُ ... مِنَ السُّجُودِ طَوَالَ اللَّيْلِ عِرْفَانَا
هَذَا الَّذِي لَمْ يُغَادِرْ سَيْلُ مَدْمَعِهِ ... أَرْكَانَ شَيْبَتِهِ الْبَيْضَاءِ أَحْيَانَا
وَاللهِ وَاللهِ وَاللهِ الْعَظِيمِ وَمَنْ ... أَقَامَهُ حُجَّةً فِي الْعَصْرِ بُرْهَانَا
وَحَافِظًا لِنِظَامِ الشَّرْعِ تَبْصِرَةً ... نَصْرًا يُلَقِّيهِ مِنْ ذِي الْعَرْشِ غُفْرَانَا
كُلُّ الَّذِي قُلْتُ بَعْضٌ مِنْ مَنَاقِبِهِ ... مَا زِدْتُ إِلَّا لَعَلِّي زِدْتُ نُقْصَانَا

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى: 10/ 159.

(2) معتقدا، في قونية. الأبيات في المصدر نفسه: 10/ 143. وفيها الشيء الكثير من نفس قصيدة الفرزدق في مدح زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

وُلِدَ فِي صَفَرٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَسِتِّمِئَةٍ.

تَفَقَّهَ فِي صِغَرِهِ عَلَى وَالِدِهِ، وَكانَ مِنَ الِاشْتِغَالِ بِحَيْثُ يَسْتَغْرِقُ غَالِبَ لَيْلِهِ وَجَمِيعَ نَهَارِهِ.

وَحُكِيَ لِي أَنَّهُ لَمْ يَأْكُلْ لَحْمَ الْغَنَمِ إِلَّا بَعْدَ الْعِشْرِينَ مِنْ عُمُرِهِ لِحِدَّةِ ذِهْنِهِ، وَأَنَّهُ كَانَ إِذَا شَمَّ رَائِحَتَهُ حَصَلَ لَهُ شَرٌّ. وَإِنَّمَا كَانَ يَخْرُجُ مِنَ الْبَيْتِ عِنْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ، فَيَشْتَغِلُ عَلَى الْمَشَايِخِ إِلَى أَنْ يَعُودَ قُرْبَ الظُّهْرِ، فَيَجِدُ أَهْلَ الْبَيْتِ قَدْ عَمِلُوا لَهُ فَرُّوجًا فَيَأْكُلُهُ، وَيَعُودُ إِلَى الِاشْتِغَالِ إِلَى الْمَغْرِبِ، فَيَأْكُلُ شَيْئًا حُلْوًا لَطِيفًا، ثُمَّ يَشْتَغِلُ بِاللَّيْلِ، وَهَكَذَا إِلَى أَنْ قَدِمَ الْقَاهِرَةَ، وَسَمِعَ عَنْ عُلَمَائِهَا حَتَّى اسْتَقَرَّ أَمْرُهُ، وَوَرَدَ عَلَيْهِ الْفَتَاوَى مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ، وَانْتَهَتْ إِلَيْهِ رِئَاسَةُ الْمَذْهَبِ بِمِصْرَ، وَأَلَّفَ غَالِبَ مُؤَلَّفَاتِهِ، ثُمَّ أَلْزَمَهُ السُّلْطَانُ قَضَاءَ الشَّامِ بَعْدَ وَفَاةِ جَلَالِ الدِّينِ الْقَزْوِينِيِّ، فَقَبِلَهَا بَعْدَ مُمَانَعَاتٍ يَطُولُ شَرْحُهَا.

وَتَوَلَّى مَعَ الْقَضَاءِ خَطَابَةَ الْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ، ثُمَّ تَوَلَّى تَدْرِيسَ الْمَدَارِسِ مَعَ مَا ذُكِرَ مِنَ الْمَنَاصِبِ. وَالْعَجَبُ أَنَّهُ كَانَ مَعَ صِحَّةِ ذِهْنِهِ وَاتِّقَادِهِ عَظِيمَ الْحَافِظَةِ، لَا يَكَادُ يَسْمَعُ شَيْئًا إِلَّا حَفِظَهُ، وَلَا يَحْفَظُ شَيْئًا فَيَنْسَاهُ، وَإِنْ طَالَ بُعْدُهُ عَنْ تَذَكُّرِهِ؛ جُمِعَتْ لَهُ الْحَافِظَةُ الْبَالِغَةُ، وَالْفَهْمُ الْغَرِيبُ: [السريع]

وَلَيْسَ مِنَ اللهِ بِمُسْتَنْكَرٍ　　أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدِ

كَانَ مُشْتَغِلًا بِالْآخِرَةِ قَدْ أَعْرَضَ عَنْ كَثْرَةِ الْبَحْثِ وَالْمُنَاظَرَةِ، وَأَقْبَلَ عَلَى التِّلَاوَةِ وَالتَّأَلُّهِ وَالْمُرَاقَبَةِ.

قَالَ وَلَدُهُ تَاجُ الدِّينِ السُّبْكِيُّ **فِي طَبَقَاتِهِ**: وَكَانَ يَنْهَانَا عَنْ نَوْمِ النِّصْفِ الثَّانِي مِنَ اللَّيْلِ، وَقَالَ: يَا بُنَيَّ تَعَوَّدِ[1] السَّهَرَ وَلَوْ أَنَّكَ تَلْعَبُ، وَالْوَيْلُ كُلُّ الْوَيْلِ لِمَنْ تَرَاهُ نَائِمًا وَقَدِ انْتَصَفَ اللَّيْلُ. كَانَ دَائِمَ التِّلَاوَةِ وَالذِّكْرِ وَقِيَامِ اللَّيْلِ، جَمِيعُ نَوْمِهِ بِالنَّهَارِ، وَأَكْثَرُ لَيْلِهِ التِّلَاوَةُ، وَكَانَتْ تِلَاوَتُهُ أَكْثَرَ مِنْ صَلَاتِهِ، وَيَتَهَجَّدُ بِاللَّيْلِ، وَيَقْرَأُ جَهْرًا فِي النَّوَافِلِ، وَلَا تَرَاهُ فِي النَّهَارِ جَالِسًا إِلَّا وَهُوَ يَتْلُو وَلَوْ كانَ رَاكِبًا، وَلَا يَتْلُو إِلَّا جَهْرًا، وَلَوْ كانَ فِي الْحَمَّامِ وَفِي الْمَسْلَخِ.

وَأَمَّا الصَّوْمُ فكانَ يَعْسُرُ عَلَيْهِ، وَكانَ لَا يَصُومُ إِلَّا رَمَضَانَ وَسِتًّا مِنْ شَوَّالٍ. وَأَمَّا إِذَا أَرَادَ دَفْعَ نَائِبَةٍ عَنْ نَفْسِهِ، كانَ يَكْشِفُ رَأْسَهُ، وَرُبَّمَا يَصْعَدُ السَّطْحَ، وَيَجْعَلُ الْمِنْدِيلَ فِي رَقَبَتِهِ، وَيَقُومُ عَلَى رِجْلَيْهِ مُطْرِقًا سَاكِتًا، وَيَصِيرُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَهَابَةِ مَا يَعْجِزُ الْوَاصِفُ عَنْ وَصْفِهِ، وَرُبَّمَا يَظُنُّ مَنْ رَآهُ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ أَنَّهُ لَوْ لَسَعَهُ زُنْبُورٌ لَمَا أَحَسَّ بِهِ. وَأَيْضًا إِذَا كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ يَكْتُبُ قِصَّتَهُ بِخَطِّهِ إِلَى اللهِ، وَيُعَلِّقُهَا عَلَى خَشَبَةٍ فِي السَّطْحِ، وَرُبَّمَا أَنْزَلَهَا بَعْدَ أَيَّامٍ، وَكانَ ذَلِكَ عَلَامَةَ قَضَاءِ الشُّغْلِ.

وَأَمَّا مُصَنَّفَاتُهُ: فَالْبِحَارُ الزَّوَاخِرُ، وَجُمْلَتُهَا مِنَ الْكُتُبِ وَالرَّسَائِلِ مِئَةٌ وَنَيِّفٌ وَعِشْرُونَ.

تُوُفِّيَ رَحِمَهُ اللهُ بِالْقَاهِرَةِ سَنَةَ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَسَبْعِمِئَةٍ[2].

---

(1) تعودوا، في قونية وأنطاليا.

(2) طبقات الشافعية الكبرى: 10/ 140، وقد أطال الكلام في أخباره.

وَمِنْهُمْ: **عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَطَّابٍ، الشَّيْخُ الْإِمَامُ عَلَاءُ الدِّينِ الْبَاجِيُّ**، إِمَامُ الْأُصُولِيِّينَ، وَسَيْفُ الْمُنَاظِرِينَ، وَكانَ مِنَ الْأَوَّابِينَ الْمُتَّقِينَ، ذَوِي التَّقْوَى وَالْوَرَعِ وَالدِّينِ الْمَتِينِ. وَكَانَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ، وَالشَّيْخُ الْإِمَامُ تَقِيُّ الدِّينِ السُّبْكِيُّ كَثِيرَيِ التَّعْظِيمِ لِلْبَاجِيِّ. وَقَدْ مَرَّ أَنَّ ابْنَ دَقِيقِ الْعِيدِ يُخَاطِبُ كُلَّ أَحَدٍ يَا إِنْسَانُ، وَلَوْ كَانَ هُوَ السُّلْطَانَ إِلَّا اثْنَيْنِ: الْبَاجِيَّ، وَابْنَ الرِّفْعَةِ، فَيَقُولُ لِلْبَاجِيِّ: يَا إِمَامُ، وَلِابْنِ الرِّفْعَةِ: يَا فَقِيهُ.

وَكانَ الْبَاجِيُّ أَعْلَمَ أَهْلِ الْأَرْضِ بِمَذْهَبِ الْأَشْعَرِيِّ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ، وَكانَ هُوَ بِالْقَاهِرَةِ، وَالْهِنْدِيُّ[1] بِالشَّامِ، قَائِمَيْنِ بِنُصْرَةِ مَذْهَبِ الْأَشْعَرِيِّ.

قِيلَ: مَا مِنْ عِلْمٍ إِلَّا وَلِلْبَاجِيِّ فِيهِ مُخْتَصَرٌ.

مَوْلِدُهُ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَسِتِّمِئَةٍ. وَلَمْ يُجِرْ ابْنُ تَيْمِيَّةَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِلَفْظَةٍ. وَكانَ يَقُولُ: وَظِيفَةُ مِثْلِي الِاسْتِفَادَةُ مِنْكَ.

تُوُفِّيَ سَنَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَسَبْعِمِئَةٍ[2].

وَمِنْهُمْ: **هِبَةُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْجُهَنِيُّ**، قَاضِي الْقُضَاةِ، **شَرَفُ الدِّينِ الْبَارِزِيُّ**، قَاضِي حَمَاةَ.

وُلِدَ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّمِئَةٍ بِحَمَاةَ، وَسَمِعَ مِنْ أَبِيهِ وَجَدِّهِ. كَانَ إِمَامًا عَارِفًا بِالْمَذْهَبِ وَفُنُونٍ كَثِيرَةٍ.

---

(1) أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم، توفي سنة 715هـ. شذرات الذهب 6: 37

(2) طبقات الشافعية الكبرى: 10/ 339 ـ 341.

لَهُ التَّصَانِيفُ الْكَبِيرَةُ؛ مِنْهَا: **"شَرْحُ الْحَاوِي"**[1]. وَ**"التَّمْيِيزُ"**. وَ**"تَرْتِيبُ جَامِعِ الْأُصُولِ"**. وَ**"الْمُغْنِي"**، وَ**"مُخْتَصَرُ التَّنْبِيهِ"**، وَ**"الْوَفَا فِي سَرَائِرِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"**.

تُوُفِّيَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِئَةٍ[2].

وَمِنْهُمْ: **يُوسُفُ بْنُ الزَّكِيِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يُوسُفَ الْكَلْبِيُّ الْقُضَاعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ، الشَّيْخُ جَمَالُ الدِّينِ أَبُو الْحَجَّاجِ الْمِزِّيُّ**، حَافِظُ زَمَانِهِ، حَامِلُ رَايَةِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، الْقَائِمُ بِأَعْبَاءِ هَذِهِ الصِّنَاعَةِ، وَالْمُتَدَرِّعُ جِلْبَابَ الطَّاعَةِ، إِمَامُ الْحُفَّاظِ، كَلِمَةٌ لَا يَجْحَدُونَهَا، وَشَهَادَةٌ عَلَى أَنْفُسِهِمْ يُؤَدُّونَهَا.

قَالَ ابْنُ السُّبْكِيِّ: بَلَغَنِي عَنِ الذَّهَبِيِّ أَنَّهُ قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحْفَظَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: ابْنِ دَقِيقِ الْعِيدِ، وَالدِّمْيَاطِيِّ، وَابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَالْمِزِّيِّ، وَتَرْتِيبهُمْ حَسَبَ مَا قَدَّمْنَاهُ، يَعْنِي أَنَّ الْأَوَّلَ أَعَرَفُهُمْ بِالْعِلَلِ وَفِقْهِ الْحَدِيثِ، وَالثَّانِي بِالْأَنْسَابِ، وَالثَّالِثَ بِالْمُتُونِ، وَالرَّابِعَ بِأَسْمَاءِ الرِّجَالِ.

وَقَالَ: وَأَنَا لَمْ أَرَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةِ غَيْرَ الْمِزِّيِّ. وَلَكِنِّي أَقُولُ: مَا رَأَيْتُ أَحْفَظَ مِنْ ثَلَاثَةٍ: الْمِزِّيِّ وَالذَّهَبِيِّ وَالْوَالِدِ. وَغَالِبُ ظَنِّي أَنَّ الْمِزِّيَّ يَفُوقُهُمَا فِي أَسْمَاءِ رِجَالِ الْكُتُبِ السِّتَّةِ، وَالذَّهَبِيَّ يَفُوقُهُمَا فِي أَسْمَاءِ رِجَالِ مَنْ بَعْدَ

---

(1) عنوان شرحه هو: **"مفتاح الحاوي"**، وله: **"توضيح الحاوي"**، وله أيضا: **"تيسير الفتاوي في تحرير الحاوي"**. كشف الظنون: 1/ 626.

(2) طبقات الشافعية الكبرى: 10/ 387 ـ 388.

السِّتَّةِ وَالتَّوَارِيخِ وَالْوَفَيَاتِ، وَالْوَالِدَ يَفُوقُهُمَا فِي الْعِلَلِ وَالْمُتُونِ وَالْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ؛ مَعَ مُشَارَكَةِ كُلٍّ مِنْهُمْ لِصَاحِبِهِ فِيمَا يَتَمَيَّزُ بِهِ الْمُشَارَكَةَ الْبَالِغَةَ.

وَقَالَ أَيْضًا: وَعَاصَرْتُ أَرْبَعَةً لَا خَامِسَ لَهُمْ: هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ وَالْبِرْزَالِيَّ، وَكَانَ الْبِرْزَالِيُّ[1] يَفُوقُهُمْ فِي مَعْرِفَةِ الْأَجْزَاءِ، وَرُوَاتِهَا الْأَحْيَاءِ، وَكَانَ الثَّلَاثَةُ تُعَظِّمُ الْمِزِّيَّ، وَتُذْعِنُ لَهُ، وَيَقْرَأُونَ عَلَيْهِ، وَيَعْتَرِفُونَ بِتَقَدُّمِهِ.

وَبِالْجُمْلَةِ، فَإِنَّ شَيْخَنَا الْمِزِّيَّ أُعْجُوبَةُ زَمَانِهِ، يَقْرَأُ عَلَيْهِ الْقَارِئُ نَهَارًا كَامِلًا، وَالطُّرُقُ تَضْطَرِبُ، وَالْأَسَانِيدُ تَخْتَلِفُ، وَضَبْطُ الْأَسْمَاءِ يُشْكِلُ، وَهُوَ لَا يَسْهُو وَلَا يَغْفُلُ، يُبَيِّنُ وَجْهَ الِاخْتِلَافِ، وَيُوَضِّحُ ضَبْطَ الْمُشْكِلِ، وَيُعَيِّنُ[2] الْمُبْهَمَ بِنَقْطٍ لَا يَغْفُلُ عَنْهُ عِنْدَ الِاحْتِيَاجِ إِلَيْهِ. وَلَقَدْ شَاهَدَتْهُ الطَّلَبَةُ يَنْعَسُ، فَإِذَا أَخْطَأَ الْقَارِئُ، رَدَّ عَلَيْهِ كَأَنَّ شَخْصًا أَيْقَظَهُ، وَقَالَ لَهُ: قَالَ هَذَا الْقَارِئُ: كَيْتَ وَكَيْتَ هَلْ هُوَ صَحِيحٌ؟ وَهَذَا مِنْ عَجَائِبِ الْأُمُورِ. وَكَانَ قَدِ انْتَهَتْ إِلَيْهِ رِئَاسَةُ الْمُحَدِّثِينَ فِي الدُّنْيَا، وَمَنْ ذَكَرْنَاهُ مِنَ الثَّلَاثَةِ قَدْ عَرَّفْنَاكَ أَنَّهُمْ مَعَ عُلُوِّ رُتْبَتِهِمْ يَعْتَرِفُونَ لَهُ.

وَحَدَّثَ نَحْوَ خَمْسِينَ سَنَةً. سَمِعَ مِنْهُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ، وَالْبِرْزَالِيُّ، وَالذَّهَبِيُّ، وَابْنُ سَيِّدِ النَّاسِ، وَالشَّيْخُ الْإِمَامُ السُّبْكِيُّ، وَخَلْقٌ لَا يُحْصَوْنَ.

---

(1) القاسم بن محمد بن يوسف الْبِرْزَالِي الشافعي، الحافظ، علم الدين، (ت. 739هـ). معجم الشيوخ: 2/ 115، وفوات الوفيات: 2/ 130، والدرر الكامنة: 3/ 273، والنجوم الزاهرة: 9/ 319.

(2) وتعيين، في رئيس الكتاب وأنطاليا وعاطف أفندي.

وَصَنَّفَ: **"تَهْذِيبُ الْكَمَالِ"** الْمُجْمَعَ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يُصَنَّفْ مِثْلُهُ، وَكِتَابُ **"الأَطْرَافُ"**[1].

وُلِدَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِئَةٍ، **وَتُوُفِّيَ** سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِئَةٍ رَحِمَهُ اللهُ[2].

وَلَعَمْرِي، لَقَدْ طالَ هذا الْبَابُ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ، فَخَرَجْنَا مِنْ بَابٍ وَوَلَجْنَا فِي أَبْوَابٍ، وَلَقَدْ جَرَّنَا إِلَيْهِ شَغَفِي بِتَتَبُّعِ أَحْوَالِ الْعُلَمَاءِ، مِنْ نَاصِرِي الْمِلَّةِ الْحَنِيفِيَّةِ الْبَيْضَاءِ، وَمَعَ هَذَا فَقَدْ فَاتَنِي ذِكْرُ كَثِيرٍ مِنَ الْأَسْلَافِ، وَ«لَيْسَ الرِّيُّ عَنِ التَّشَافِّ»[3]، إِلَّا أَنَّ الْقَلَمَ لَمَّا هَابَ الإِسْهَابَ، لِأُولِي الْأَلْبَابِ مِنَ الْأَصْحَابِ، قَبَضَ عِنَانَهُ، وَكَفَّ لِسَانَهُ، وَدَخَلَ فِيمَا خَرَجَ عَنْهُ مِنْ ذِكْرِ الْعُلُومِ مُتَوَكِّلًا عَلَى اللهِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ. وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ.

(1) **"الأَطْرَافُ"** ويسمى: **"أَطْرَافُ الْكُتُبِ السِّتَّةِ"** ويعرف أيضا بـ: **"تُحْفَةُ الأَشْرَافِ بِمَعْرِفَةِ الأَطْرَافِ"، وهو مطبوع.**

(2) طبقات الشافعية الكبرى: 10/ 395-401.

(3) يُضرَبُ مثلا لِلْقَنَاعَةِ بِبَعْضِ الْحَاجَةِ، أي ليس قضاء الحاجة أن تُدْرِكَهَا إلى أقصاها، بل في مُعْظَمِهَا مَقْنَعٌ. جمهرة الأمثال: 2/ 190.

مفتاح السَعادة ومصباح السِيادة
في موضوعات العلوم

لأحمد بن مصطفى بن خليل، الشَّهير بطاش كبري زاده (968هـ/ 1561م)

(المجلّد 3)

حقّقه وعلّق عليه:
أحمد شوقي بنبين، ومحمّد سعيد حنشي، وعبد العالي لمدبّر

مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي
ESTABLISHED 1988
AL-FURQĀN
ISLAMIC HERITAGE FOUNDATION
مركز دراسات المخطوطات الإسلامية
سلسلة النصوص المحقّقة

الشُّعْبَةُ الثَّامِنَةُ فِي فُرُوعِ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَفِيهَا مَطَالِبُ سَبْعَةٌ:

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ فِي فُرُوعِ عِلْمِ الْقِرَاءَةِ:

عِلْمُ مَعْرِفَةِ الشَّوَاذِّ، وتَفْرِقَتِهَا مِنَ الْمُتَوَاتِرِ

وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُتَوَاتِرَ عِنْدَ الْأَكْثَرِينَ سَبْعَةٌ: نَافِعٌ، وَابْنُ كَثِيرٍ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَابْنُ عَامِرٍ، وَعَاصِمٌ، وَحَمْزَةُ، وَالْكِسَائِيُّ. وَلِكُلٍّ مِنْهُمْ رَاوِيَانِ: قَالُونُ وَوَرْشٌ لِنَافِعٍ، وَالْبَزِّيُّ وَقُنْبُلٌ لِابْنِ كَثِيرٍ، وَالدُّورِيُّ وَالسُّوسِيُّ لِأَبِي عَمْرٍو، وَهِشَامٌ وَابْنُ ذَكْوَانَ لِابْنِ عَامِرٍ، وَشُعْبَةُ وَحَفْصٌ لِعَاصِمٍ، وَخَلَفٌ وَخَلَّادٌ لِحَمْزَةَ، وَأَبُو الْحَارِثِ وَالدُّورِيُّ لِلْكِسَائِيِّ.

وَإِيَّاكَ أَنْ تَظُنَّ حَصْرَ رُوَاتِهِمْ فِي الِاثْنَيْنِ، وَإِذَا وَجَدْتَ خَارِجًا عَنْ ذَلِكَ تَحْكُمَ بِشُذُوذِهِ وَهَذَا خَبْطٌ؛ إِذْ لِكُلِّ شَيْخٍ رُوَاةٌ كَثِيرَةٌ، إِلَّا أَنَّ الْمُتَأَخِّرِينَ اخْتَارُوا الِاثْنَيْنِ مِنْ رُوَاتِهِمْ، وَلَا يُعْرَفُ تَفْصِيلُهُ إِلَّا مِنْ جَهَابِذَةِ النَّقْلِ، وَكُتُبِ الثِّقَاتِ.

ثُمَّ إِنَّ فِي انْحِصَارِ الْمُتَوَاتِرِ فِي السَّبْعَةِ أَيْضًا خِلَافًا، لِمَا قَدْ سَمِعْتَ فِيمَا سَبَقَ أَنَّ بَعْضًا مِنَ الْعُلَمَاءِ أَلْحَقَ بِهِمْ يَعْقُوبَ الْحَضْرَمِيَّ. ثُمَّ فِيمَا وَرَاءَ الثَّمَانِيَةِ الْأَكْثَرُونَ عَلَى الشُّذُوذِ، وَتَفْصِيلُ هَذَا فِي كُتُبِ الْقِرَاءَاتِ، فَارْجِعْ إِلَيْهَا.

عِلْمُ مَخَارِجِ الْحُرُوفِ

وَهَذَا عِلْمٌ يُبْحَثُ فِيهِ عَنْ أَحْوَالِ الْأَلْفَاظِ الْعَرَبِيَّةِ خَارِجَةً، وَأَنَّهَا مِنْ أَيِّ مَوْضِعٍ تَخْرُجُ، وَيُبْحَثُ عَنْ صِفَاتِهَا مِنَ الْجَهْرِ وَالْهَمْسِ وَالشِّدَّةِ وَأَمْثَالِهَا.

وَقَدْ مَرَّ هَذَا الْعِلْمُ عَلَى وَجْهِ التَّفْصِيلِ فِي فُرُوعِ عِلْمِ الْأَلْفَاظِ، لِأَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يُجْعَلَ فَرْعًا لِهَذَيْنِ الْعِلْمَيْنِ لَكِنْ مِنْ جِهَتَيْنِ.

عِلْمُ مَخَارِجِ الْأَلْفَاظِ

وَلَا يَخْفَى أَنَّ لِلْأَلْفَاظِ مَخَارِجَ تَخُصُّهَا مُغَايِرَةً لِمَخَارِجِ الْحُرُوفِ يَعْرِفُهَا أَهْلُهَا، وَلَا يَعْرِفُ هَذَيْنِ الْعِلْمَيْنِ إِلَّا مَنْ أَخَذَهُمَا مِنْ أَفْوَاهِ الْمَشَايِخِ.

وَهَذَا الْعِلْمُ أَيْضًا رُبَّمَا يُجْعَلُ مِنْ فُرُوعِ عِلْمِ الْأَلْفَاظِ.

عِلْمُ الْوُقُوفِ

وَالْوَقْفُ عِبَارَةٌ عَنْ قَطْعِ الصَّوْتِ عَنِ الْكَلِمَةِ زَمَنًا يُتَنَفَّسُ فِيهِ عَادَةً بِنِيَّةِ اسْتِئْنَافِ الْقِرَاءَةِ لَا بِنِيَّةِ الْإِعْرَاضِ، وَيَكُونُ فِي رُؤُوسِ الْآيِ وَأَوْسَاطِهَا، وَلَا يَأْتِي فِي وَسَطِ الْكَلِمَةِ، وَلَا فِيمَا اتَّصَلَ رَسْمًا.

قِيلَ: مَعْرِفَةُ وُقُوفِ الْقُرْآنِ وَاجِبٌ، حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾[1]. قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «التَّرْتِيلُ تَجْوِيدُ الْحُرُوفِ، وَمَعْرِفَةُ

---

(1) سورة المزمل، الآية: 4.

الْوُقُوفِ»[1].

قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: مِنْ تَمَامِ مَعْرِفَةِ الْقُرْآنِ، مَعْرِفَةُ الْوَقْفِ وَالِابْتِدَاءِ فِيهِ.

قَالَ النِّكْزَاوِيُّ[2]: لَا يَتَأَتَّى لِأَحَدٍ مَعْرِفَةُ مَعَانِي الْقُرْآنِ، وَلَا اسْتِنْبَاطُ الْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ مِنْهُ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ[3] الْفَوَاصِلِ[4].

وَفِي الْوَقْفِ أَقْسَامٌ، لَكِنِ اخْتَلَفُوا فِيهَا، فَقَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ إِنَّهَا ثَلَاثَةٌ: تَامٌّ، وَحَسَنٌ، وَقَبِيحٌ.

فَالتَّامُّ: مَا يَحْسُنُ الْوَقْفُ عَلَيْهِ وَالِابْتِدَاءُ بِمَا بَعْدَهُ، وَلَا يَكُونُ بَعْدَهُ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[5].

وَالْحَسَنُ: هُوَ الَّذِي يَحْسُنُ الْوَقْفُ عَلَيْهِ دُونَ الِابْتِدَاءِ بِمَا بَعْدَهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ للهِ﴾، لِأَنَّ الِابْتِدَاءَ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ لَا يَحْسُنُ.

وَالْقَبِيحُ: مَا لَيْسَ بِتَامٍّ وَلَا حَسَنٍ، كَالْوَقْفِ عَلَى (بِسْمِ) مِنْ (بِسْمِ اللهِ).

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْوَقْفُ أَرْبَعَةُ أَقْسَامٍ: تَامٌّ مُخْتَارٌ، وَكَافٍ جَائِزٌ، وَحَسَنٌ مَفْهُومٌ، وَقَبِيحٌ مَتْرُوكٌ.

---

(1) التمهيد في علم التجويد لابن الجزري: 40.

(2) عبد الله بن محمد بن عبد الله القاضي، الإمام، معين الدين أبو محمد النِّكْزَاوِيُّ المقرئ، النحوي(ت. 683 هـ). تاريخ الإسلام: 15/ 496.

(3) بعد، في قونية.

(4) الإتقان في علوم القرآن: 1/ 283.

(5) سورة البقرة، الآية: 5.

فَالتَّامُّ الْمُخْتَارُ: مَا لَا يَتَعَلَّقُ بِمَا بَعْدَهُ، فَيَحْسُنُ الْوَقْفُ عَلَيْهِ، وَالِابْتِدَاءُ بِمَا بَعْدَهُ.

وَالْكَافِي الْجَائِزُ: مُنْقَطِعٌ فِي اللَّفْظِ، مُتَعَلِّقٌ فِي الْمَعْنَى، فَيَحْسُنُ الْوَقْفُ عَلَيْهِ، وَالِابْتِدَاءُ بِمَا بَعْدَهُ أَيْضًا، نَحْوَ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾[1].

وَالْحَسَنُ: هُوَ الَّذِي يَحْسُنُ الْوَقْفُ عَلَيْهِ، دُونَ الِابْتِدَاءِ بِمَا بَعْدَهُ كَـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

وَالْقَبِيحُ: هُوَ الَّذِي لَا يُفْهَمُ مِنْهُ الْمُرَادُ كَـ ﴿الْحَمْدُ﴾[2]، وَأَقْبَحُ مِنْهُ الْوَقْفُ عَلَى ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا﴾، وَيَبْتَدِئُ بِمَا بَعْدَهُ[3].

وَقَالَ السَّجَاوَنْدِيُّ[4]: الْوَقْفُ عَلَى خَمْسِ مَرَاتِبَ: لَازِمٌ، وَمُطْلَقٌ، وَجَائِزٌ، وَمُجَوَّزٌ لِوَجْهٍ، وَمُرَخَّصٌ ضَرُورَةً.

فَاللَّازِمُ: مَا لَوْ وُصِلَ طَرَفَاهُ غُيِّرَ الْمُرَادُ، نَحْوَ: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾، وَلَا يُوصَلُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾.

وَالْمُطْلَقُ: مَا يَحْسُنُ الِابْتِدَاءُ بِمَا بَعْدَهُ، وَقَدْ مَرَّ مِثَالُهُ.

---

(1) سورة النساء، الآية: 23.

(2) كذا في مراد ملا، وقونية، وبياض في أنطاليا، والصواب من الإتقان كما أثبتناه: 1/ 286.

(3) الإتقان في علوم القرآن: 1/ 285-286.

(4) محمد بن طيفور السجاوندي الغزنوي المقرئ المفسر النحوي (ت.560هـ). ترجمته في: إنباه الرواة على أنباه النحاة: 3/ 153، وتاريخ الإسلام: 12/ 206.

وَالْجَائِزُ: مَا يَجُوزُ فِيهِ الْفَصْلُ وَالْوَصْلُ، لِتَجَاذُبِ الْمُوجِبَيْنِ مِنَ الطَّرَفَيْنِ، نَحْوَ: ﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾، فَإِنَّ وَاوَ الْعَطْفِ تَقْتَضِي[1] الْوَصْلَ، وَتَقْدِيمَ الْمَفْعُولِ فِيمَا بَعْدَهُ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[2]، يَقْطَعُ النَّظْمَ.

وَالْمُجَوَّزُ لِوَجْهٍ: نَحْوَ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾[3]، لِأَنَّ الْفَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى، ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾ لِلسَّبَبِيَّةِ وَالْجَزَاءِ، وَذَلِكَ يُوجِبُ الْوَصْلَ. وَكَوْنُ نَظْمِ الْفِعْلِ عَلَى الِاسْتِئْنَافِ يَجْعَلُ لِلْفَصْلِ وَجْهًا.

وَالْمُرَخَّصُ ضَرُورَةً: مَا لَا يَسْتَغْنِي مَا بَعْدَهُ عَمَّا قَبْلَهُ لَكِنَّهُ يُرَخَّصُ لِانْقِطَاعِ النَّفَسِ وَطُولِ الْكَلَامِ وَلَا يَلْزَمُهُ الْوَصْلُ بِالْعَوْدِ لِأَنَّ مَا بَعْدَهُ جُمْلَةٌ مَفْهُومَةٌ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾، لِأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلَ﴾ لَا يَسْتَغْنِي عَنْ سِيَاقِ الْكَلَامِ، فَإِنَّ فَاعِلَهُ ضَمِيرٌ يَعُودُ إِلَى مَا قَبْلَهُ، غَيْرَ أَنَّ الْجُمْلَةَ مَفْهُومَةٌ لَنَا. وَأَمَّا مَا لَا يَجُوزُ الْوَقْفُ عَلَيْهِ، كَالشَّرْطِ دُونَ جَزَائِهِ، وَالْمُبْتَدَإِ دُونَ خَبَرِهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ[4].

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ، مُقَدِّمَةٌ لِهَذَا الْفَنِّ، وَتَمَامُ التَّفْصِيلِ فِيهِ إِلَى كُتُبِ الْوَقْفِ، وَشُهْرَتُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا أَغْنَتْنَا عَنْ ذِكْرِ أَسَامِيهَا.

---

(1) مقتضي، في قونية.

(2) سورة البقرة، الآية: 4.

(3) سورة البقرة، الآية: 86.

(4) الإتقان في علوم القرآن: 1/ 287ـ 289.

عِلْمُ عِلَلِ الْقِرَاءَاتِ

عِلْمٌ بَاحِثٌ عَنْ كَمِّيَّةِ الْقِرَاءَاتِ، كَمَا أَنَّ عِلْمَ الْقِرَاءَةِ بَاحِثٌ عَنْ إِنِّيَّتِهَا. فَالْأَوَّلُ دِرَايَةٌ، وَالثَّانِي رِوَايَةٌ. وَلَمَّا كَانَتِ الرِّوَايَةُ أَصْلًا فِي الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ، جُعِلَ الْأَوَّلُ فَرْعًا وَالثَّانِي أَصْلًا، وَلَمْ يُعْكَسِ الْأَمْرُ، وَإِنْ أَمْكَنَ ذَلِكَ بِاعْتِبَارٍ آخَرَ. وَمَوْضُوعُ هَذَا الْعِلْمِ وَغَايَتُهُ ظَاهِرَةٌ لِلْمُتَأَمِّلِ الْمُتَيَقِّظِ.

عِلْمُ رَسْمِ كِتَابَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي الْمَصَاحِفِ

وَهَذَا وَإِنْ كانَ مِنْ فُرُوعِ عِلْمِ الْخَطِّ، لَكِنَّ الْبَحْثَ هُنَاكَ لَا بِخُصُوصِيَّةِ الْقُرْآنِ، وَهَاهُنَا يَخْتَصُّ الْبَحْثُ بِالْقُرْآنِ، فَلِذَلِكَ جَعَلْنَاهُ مِنْ فُرُوعِهِ.

وَمَوْضُوعُهُ: رَسْمُ خَطِّ الْمُصْحَفِ، مِنَ الْحَذْفِ وَالزِّيَادَةِ وَالْهَمْزِ وَالْبَدَلِ وَالْفَصْلِ وَالْوَصْلِ، وَمَا فِيهِ قِرَاءَتَانِ فَكُتِبَ عَلَى أَحَدَيْهِمَا.

وَغَايَتُهُ: حِفْظُ الْمَصَاحِفِ الْكَرِيمَةِ عَنْ مُخَالَفَةِ الْمُصْحَفِ الْإِمَامِ.

قَالَ أَشْهَبُ: «سُئِلَ مَالِكٌ هَلْ يُكْتَبُ الْمُصْحَفُ عَلَى مَا أَحْدَثَهُ النَّاسُ مِنَ الْهِجَاءِ، فَقَالَ: لَا، إِلَّا عَلَى الْكَتْبَةِ الْأُولَى»[1].

قالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: يَحْرُمُ مُخَالَفَةُ خَطِّ مُصْحَفِ عُثْمَانَ فِي وَاوٍ، أَوْ يَاءٍ، أَوْ أَلِفٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ.

---

(1) المقنع في رسم مصاحف الأمصار للداني: 19.

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ فِي "شُعَبُ الإِيمَانِ": «مَنْ كَتَبَ مُصْحَفًا فَيَنْبَغِي أَنْ يُحَافِظَ عَلَى الْهِجَاءِ الَّذِي كَتَبُوا بِهِ تِلْكَ الْمَصَاحِفَ، وَلَا يُخَالِفَهُمْ فِيهِ، وَلَا يُغَيِّرَ مِمَّا كَتَبُوهُ شَيْئًا، فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَكْثَرَ النَّاسِ عِلْمًا، وَأَصْدَقَ قَلْبًا وَلِسَانًا، وَأَعْظَمَ أَمَانَةً مِنَّا، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ نَظُنَّ بِأَنْفُسِنَا اسْتِدْرَاكًا عَلَيْهِمْ»[1].

وَصَنَّفَ فِي هَذَا الْفَنِّ أَبُو عَمْرٍو الدَّانِيُّ **"الْمُقْنِعُ"**، وَأَبُو الْعَبَّاسِ الْمُرَّاكُشِيُّ[2] **"عُنْوَانُ الدَّلِيلِ فِي مَرْسُومِ خَطِّ التَّنْزِيلِ"**، وَالْقَصِيدَةَ الرَّائِيَّةَ الْمَوْسُومَةَ بِـ **"الْعَقِيلَةُ"**[3] لِلشَّيْخِ الشَّاطِبِيِّ.

فَائِدَةٌ:

رُوِيَ عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ أَنَّهُ قَالَ: «أَوَّلُ مَنْ وَضَعَ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ وَالسُّرْيَانِيَّ وَالْكُتُبَ كُلَّهَا آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثِمِئَةِ سَنَةٍ، كَتَبَهَا فِي الطِّينِ ثُمَّ طَبَخَهُ. فَلَمَّا أَصَابَ الْأَرْضَ الْغَرَقُ، أَصَابَ كُلُّ قَوْمٍ كِتَابَهُمْ فَكَتَبُوهُ، فَكَانَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَصَابَ كِتَابَ الْعَرَبِ»[4].

---

(1) شعب الإيمان للبيهقي: 4/ 219، والإتقان في علوم القرآن: 4/ 168 ـ 169.

(2) أحمد بن محمد بن عثمان ابن البناء الأزدي العددي أبو العباس المراكشي، رياضي باحث، (ت. 721هـ). الدرر الكامنة: 1/ 278، وجذوة الاقتباس: 73، ونيل لابتهاج: 41.

(3) عنوانها: **"عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد"**، وهي نظم المقنع للداني، منظومة رائية في رسم المصحف لأبي محمد قاسم بن فيره الشاطبي (ت.590هـ). كشف الظنون: 2/ 1159.

(4) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان: 1/ 428.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «أَوَّلُ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ اللهُ تَعَالَى مِنَ السَّمَاءِ أَبُو جَادٍ»(1).

وَقِيلَ: إِنَّ هَذِهِ الْحُرُوفَ دَاخِلَةٌ تَحْتَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ﴾(2).

قَالَ ابْنُ فَارِسٍ: وَلِذَلِكَ نَقُولُ إِنَّهُ تَوْقِيفِيٌّ(3).

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَعَلَّمُوا أَبَا جَادٍ، فَقِيلَ: مَا أَبَا جَادٍ؟ قَالَ: الْأَلِفُ: آلَاءُ اللهِ، وَالْبَاءُ: بَهَاءُ اللهِ، وَالْجِيمُ: جَلَالُ اللهِ، وَالدَّالُ: دِينُهُ، وَالْهَاءُ: الْهَاوِيَةُ، وَالْوَاوُ: الْوَيْلُ لِمَنْ هَوَى، وَالزَّايُ: زَاوِيَةٌ فِيهَا، وَالْحَاءُ: حَطُّ الْخَطَايَا عَنِ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ، وَالطَّاءُ: طُوبَى لَهُمْ، وَالْيَاءُ: يَدُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَالْكَافُ: كَلَامُ اللهِ لَا تَبْدِيلَ لَهُ، وَاللَّامُ: تَلَازُمُ أَهْلِ الجَنَّةِ بِالتَّحِيَّةِ، وَالْمِيمُ: مُلْكُ اللهِ، وَالنُّونُ وَالْقَلَمُ: لَوْحٌ مِنْ نُورٍ يَكْتُبُ مَا هُوَ كَائِنٌ»(4).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قالَ: «حُرُوفُ أَبَجَدَ مَا مِنْهَا حَرْفٌ إِلَّا وَهُوَ مَكْتُوبٌ في صَفَحَاتِ الْعَرْشِ بِالنُّورِ، وَمَا مِنْهَا كَلِمَةٌ إِلَّا في آجَالِ قَوْمٍ، وَأَعْمَالِ قَوْمٍ، وَمُدَّةِ قَوْمٍ»(5).

(1) المزهر في علوم اللغة وأنواعها: 2/ 294.
(2) سورة البقرة، الآية: 31.
(3) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 167 ـ 168.
(4) شرح طيبة النشر للنويري: 1/ 210، الدر المنثور: 2/ 46 ـ 47.
(5) شرح طيبة النشر: 1/ 210.

وَعَنْهُ: «أَبُو جَادٍ: أَبَى آدَمُ الطَّاعَةَ، وَجَدَّ فِي أَكْلِ الشَّجَرَةِ، هَوَّزٌ[1]: زَلَّ فَهَوَى مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، حُطِّيٌّ: حُطَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ، كَلَمُنُ: أَكَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ وَمُنَّ عَلَيْهِ بِالتَّوْبَةِ، سَعَفَصْ: عَصَى فَأُخْرِجَ مِنَ النَّعِيمِ إِلَى النَّكَدِ، قَرَشَتْ: أَقَرَّ بِالذَّنْبِ، فَأَمِنَ الْعُقُوبَةَ، وَهَذَا مِنْ عِلْمِ الْحُرُوفِ»[2].

قُلْتُ: لَا يَخْفَى عَلَيْكَ أَنَّ هذهِ الْكَلِمَاتِ مِنْ قَبِيلِ الْإِشَارَاتِ دُونَ الدَّلَالَاتِ، فَلَا يُنَافِيهِ مَا قِيلَ: إِنَّ أَوَّلَ مَنْ وَضَعَ الْكِتَابَةَ الْعَرَبِيَّةَ قَوْمٌ مِنَ الْأَوَائِلِ نَزَلُوا فِي عَدْنَانَ بْنِ أُدَدَ وَاسْتَعْرَبُوا، وَوَضَعُوا هَذِهِ الْكَلِمَاتِ عَلَى عَدَدِهِمْ، وَهُمْ مُلُوكُ مَدْيَنَ، وَكَلَمُنُ رَئِيسُهُمْ، هَلَكَ يَوْمَ الظُّلَّةِ، فَرَثَتْهُ أُخْتُهُ بِقَوْلِهَا: [مجزوء الرمل]

كَلَمُنْ تَيَّمَ قَلْبِي ... هَلْكُهُ وَسْطَ الْمَحَلَّهْ[3]
سَيِّدُ الْقَوْمِ أَتَاهُ الْـ ... ـحَتْفُ نَارٌ وَسْطَ ظُلَّهْ
جُعِلَتْ نَارٌ عَلَيْهِمْ ... دَارُهُمْ كَالْمُضْمَحِلَّهْ[4]

وَأَنْشَدَ: [الطويل]

أَلَا يَا شُعَيْبٌ قَدْ نَطَقْتَ مَقَالَةً ... سَبَقْتَ بِهَا عَمْرًا وَحَيَّ بَنِي عَمْرِو[5]

---

(1) هواز، في رئيس الكتاب.

(2) الموضوعات لابن الجوزي: 3/ 279.

(3) الأبيات في التبصرة لابن الجوزي: 1/ 210. وفيها: (كَلَمُونُ هَدَّ رُكْنِي).

(4) في التبصرة: (كُوِّنَتْ نَارًا فَأَضْحَتْ).

(5) البيتان نسبا للمنتصر بن المنذر المديني في المزهر في علوم اللغة وأنواعها: 2/ 298.

مُلُوكُ بَنِي حُطَيْ وَهَوَّازُ مِنْهُمُ وَسَعْفَصُ أَهْلٌ لِلْمَكَارِمِ وَالْفَخْرِ

وَقالَ حَفْصُ بْنُ غَيَّاثٍ: «أَسْمَاءُ مُلُوكِ الْجِنِّ الَّذِينَ سَكَنُوا الْأَرْضَ قَبْلَ آدَمَ، فَأُلْقِيَتْ إِلَى الْعَرَبِ»[1].

وَقالَ الشَّعْبِيُّ: أَسْمَاءُ مُلُوكِ الْجَبَابِرَةِ، فَقَالَ: قَرَشَتْ مَلَكٌ، فَمَسَخَهُ اللهُ ازدهَاقًا دَابَّةً لَهَا سَبْعَةُ رُؤُوسٍ.

قالَ قُطْرُبٌ: الْأَصْلُ أَبُو جَادٍ، هَوَّازٌ، حُطَيٌّ، كَلَمُنُ، سَعفَصُ، قُرِشَاتُ. قِيلَ: الثَّلَاثَةُ الْأُوَّلُ عَرَبِيَّةٌ، وَالْأُخَرُ أَعْجَمِيَّةٌ لَا تَنْصَرِفُ[2].

عِلْمُ آدَابِ كِتَابَةِ الْمُصْحَفِ

وَهُوَ عِلْمٌ يُعْرَفُ فِيهِ كَيْفِيَّةُ كِتَابَةِ الْمُصْحَفِ لِيَكُونَ مُوَافِقًا لِلْآدَابِ الْمُعْتَبَرَةِ فِي الشَّرْعِ، وَالْمُسْتَحْسَنَةِ عِنْدَ السَّلَفِ.

وَفَائِدَتُهُ: غَيْرُ خَافِيَةٍ عَلَى أَرْبَابِ الْبَصَائِرِ.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ كِتَابَةُ الْمُصْحَفِ، وَتَحْسِينُ كِتَابَتِهِ، وَتَبْيِينُهَا وَإِيضَاحُهَا، وَتَحْقِيقُ الْخَطِّ دُونَ مَشْقِهِ وَتَعْلِيقِهِ فَيُكْرَهُ، وَكَذَا كِتَابَتُهُ فِي الشَّيْءِ الصَّغِيرِ.

---

(1) شرح طيبة النشر في القراءات العشر: 1/ 210.

(2) المصدر نفسه: 1/ 211.

وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَنَّهُ رَأَى مُصْحَفًا قَدْ كُتِبَ بِقَلَمٍ دَقِيقٍ، فَضَرَبَ كَاتِبَهُ، وَقَالَ: عَظِّمُوا كِتَابَ اللهِ. وَكَانَ عُمَرُ إِذَا رَأَى مُصْحَفًا عَظِيمًا سُرَّ بِهِ»(1).

وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ: «كَانَ يَكْرَهُ أَنْ تُتَّخَذَ الْمَصَاحِفُ صِغَارًا»(2).

وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، مَوْقُوفًا، قَالَ: «تَنَوَّقَ رَجُلٌ فِي بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَغُفِرَ لَهُ»(3).

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «مَنْ كَتَبَ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَجَوَّدَهُ، غَفَرَ اللهُ لَهُ»(4).

قَالَ الْغَزَالِيُّ: «يَحْسُنُ كِتَابَةُ الْمُصْحَفِ بِالذَّهَبِ»(5).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبِي ذَرٍّ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّهُمْ كَرِهُوا ذَلِكَ. وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ مَرَّ عَلَيْهِ مُصْحَفٌ زُيِّنَ بِالذَّهَبِ فَقَالَ: «إِنَّ أَحْسَنَ مَا زُيِّنَ بِهِ الْمُصْحَفُ تِلَاوَتُهُ بِالْحَقِّ»(6).

قَالَتِ الشَّافِعِيَّةُ: وَتُكْرَهُ كِتَابَتُهُ عَلَى الْحِيطَانِ وَالْجُدْرَانِ وَعَلَى السُّقُوفِ أَشَدَّ كَرَاهَةٍ لِأَنَّهُ يُوطَأُ.

---

(1) فضائل القرآن للقاسم ابن سلام: 398.

(2) المصنف لعبد الرزاق: 5/ 60، رقم: 8192.

(3) شعب الإيمان للبيهقي: 4/ 216، رقم: 2419.

(4) تاريخ أصبهان: 2/ 285، الموضوعات لابن الجوزي: 1/ 227.

(5) كفاية النبيه في شرح التنبيه لابن الرفعة: 5/ 435.

(6) المصنف لابن أبي شيبة: 6/ 149، رقم: 30235، وشعب الإيمان للبيهقي: 2/ 409، رقم: 2223.

وَهَلْ تَجُوزُ كِتَابَتُهُ بِقَلَمٍ غَيْرِ الْعَرَبِيِّ؟

قَالَ الزَّرْكَشِيُّ: «لَمْ أَرَ فِيهِ كَلَامًا لِأَحَدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ. قَالَ: وَيُحْتَمَلُ الْجَوَازُ، لِأَنَّهُ قَدْ يُحْسِنُهُ مَنْ يَقْرَأُهُ بِالْعَرَبِيَّةِ، وَالْأَقْرَبُ الْمَنْعُ. كَمَا تَحْرُمُ قِرَاءَتُهُ بِغَيْرِ لِسَانِ الْعَرَبِ»[1].

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: «مِنْ آدَابِ الْقُرْآنِ أَنْ يُفَخَّمَ، فَيُكْتَبَ مُفَرَّجًا بِأَحْسَنِ خَطٍّ، وَلَا يُصَغَّرَ، وَلَا تُقَرْمَطَ حُرُوفُهُ، وَلَا يُخْلَطَ بِهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ، كَعَدَدِ الْآيَاتِ، وَالسَّجْدَاتِ، وَالْعَشَرَاتِ، وَالْوُقُوفِ، وَاخْتِلَافِ الْقِرَاءَاتِ، وَمَعَانِي الْآيَاتِ»[2].

وَعَنِ الْحَسَنِ وَابْنِ سِيرِينَ أَنَّهُمَا قَالَا: «لَا بَأْسَ بِنَقْطِ الْمَصَاحِفِ»[3].

وَعَنْ رَبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّهُ قَالَ: «لَا بَأْسَ بِشَكْلِهَا».

وَقَالَ النَّوَوِيُّ: «نَقْطُ الْمُصْحَفِ وَشَكْلُهُ مُسْتَحَبٌّ، لِأَنَّهُ صِيَانَةٌ لَهُ مِنَ اللَّحْنِ وَالتَّحْرِيفِ»[4].

وَقَالَ ابْنُ مُجَاهِدٍ: يَنْبَغِي أَنْ لَا يُشْكَلَ إِلَّا مَا يُشْكِلُ.

---

(1) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 183.

(2) شعب الإيمان: 2/ 323.

(3) فضائل القرآن للقاسم بن سلام: 392.

(4) نهج الرشاد في نظم الاعتقاد للسرمري: 37.

وَأَمَّا مَا نُقِلَ عَنِ النَّخَعِيِّ أَنَّهُ كَرِهَ النَّقْطَ. وَعَنِ ابْنِ سِيرِينَ أَنَّهُ كَرِهَ النَّقْطَ الْفَوَاتِحَ وَالْخَوَاتِمَ[1]. وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُمَا كَرِهَا التَّعْشِيرَ، فَلَعَلَّهُمْ قَالُوا ذَلِكَ عِنْدَ عَدَمِ الِاحْتِيَاجِ إِلَى النَّقْطِ، وَعِنْدَ تَوَهُّمِ الِاشْتِبَاهِ بِالْمُصْحَفِ فِي الْبَوَاقِي، لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «جَرِّدُوا الْقُرْآنَ»[2]. لَا أَنَّهُمْ قَالُوا بِكَرَاهَةِ ذَلِكَ مُطْلَقًا. وَإِلَّا فَكَيْفَ يُمْنَعُ عِنْدَ الْحَاجَةِ، إِذِ الْغَرَضُ إِزَالَةُ الِالْتِبَاسِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، فَالِالْتِبَاسُ تَارَةً يَكُونُ فِي إِثْبَاتِ مَا ذَكَرُوهُ، وَتَارَةً فِي عَدَمِ إِثْبَاتِهِ، وَلِهَذَا قَالَ مَالِكٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لَا بَأْسَ بِالنَّقْطِ فِي الْمَصَاحِفِ الَّتِي يَتَعَلَّمُ فِيهَا الْغِلْمَانُ، أَمَّا الْأُمَّهَاتُ فَلَا»[3]. لِأَنَّ الْإِمَامَ مَالِكًا رَأَى الْحَاجَةَ فِيمَا يَتَعَلَّمُ مِنْهُ الصِّبْيَانُ دُونَ الْكُلِّ. وَأَمَّا الْيَوْمَ فَالْحَاجَةُ فِي الْكُلِّ مُتَحَقِّقٌ، فَيَجُوزُ فِي الْكُلِّ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْأُمُورِ عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ، سِوَى كِتَابَةِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ بَيْنَ أَسْطُرِهِ، إِذْ لَا عُذْرَ فِيهَا بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ، لِأَنَّ فِي كُتُبِ التَّفَاسِيرِ غِنًى عَنْ ذَلِكَ.

وَقَوْلُ ابْنِ مَسْعُودٍ: جَرِّدُوا الْقُرْآنَ، قِيلَ: جَرِّدُوهُ فِي التِّلَاوَةِ، وَقِيلَ: فِي الْخَطِّ، وَقِيلَ: عَنْ سَائِرِ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ، لِتَحْرِيفِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى إِيَّاهَا[4].

---

(1) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 184 - 185.

(2) السنن الكبرى: 9/ 359 رقم: 10734، والمعجم الكبير للطبراني: 9/ 353 رقم: 9753.

(3) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 185.

(4) اختصر النص من نصب الراية للزَّيلعي: 4/ 269.

وَاعْلَمْ: «أَنَّ الشَّكْلَ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ لِلْفَتْحَةِ نُقْطَةٌ عَلَى أَوَّلِ الْحَرْفِ، وَلِلضَّمَّةِ نُقْطَةٌ عَلَى آخِرِهِ، وَلِلْكَسْرَةِ تَحْتَ أَوَّلِهِ، وَعَلَيْهِ مَشَى الدَّانِيُّ. وَالْمَشْهُورُ الْآنَ الضَّبْطُ بِالْحَرَكَاتِ الْمَأْخُوذَةِ مِنَ الْحُرُوفِ، وَهُوَ الَّذِي أَخْرَجَهُ الْخَلِيلُ، وَهُوَ أَكْثَرُ وَأَوْضَحُ، وَعَلَيْهِ الْعَمَلُ. فَالْفَتْحُ بِشَكْلَةٍ مُسْتَطِيلَةٍ فَوْقَ الْحَرْفِ، وَالْكَسْرُ كَذَلِكَ تَحْتَهُ، وَالضَّمُّ وَاوٌ صُغْرَى، وَالتَّنْوِينُ زِيَادَةُ مِثْلِهَا، وَالسُّكُونُ دَائِرَةٌ صَغِيرَةٌ جِدًّا»[1].

فَائِدَةٌ:

اخْتَلَفَ السَّلَفُ[2] في بَيْعِ الْمُصْحَفِ وَشِرَائِهِ، مِنْهُمْ مَنْ كَرِهَهُمَا. نُقِلَ ذَلِكَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عُمَرَ وَابْنِ سِيرِينَ. وَمِنْهُمْ مَنْ جَوَّزَهُمَا، وَقَالُوا: إِنَّمَا يَأْخُذُونَ أُجُورَ أَيْدِيهِمْ، وَقَالُوا: إِنَّمَا يَبِيعُونَ الْوَرَقَ، وَقَالُوا: إِنَّهُ بَدَلٌ مِنْ أُجْرَةِ النَّسْخِ. نُقِلَ ذلِكَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَابْنِ الْمُسَيَّبِ وَالْحَسَنِ وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَابْنِ الْحَنَفِيَّةِ وَالشَّعْبِيِّ. وَمِنْهُمْ مَنْ جَوَّزَ الشِّرَاءَ دُونَ الْبَيْعِ، نُقِلَ ذَلِكَ عَنْ عَطَاءٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَنْ مُجَاهِدٍ.

فَرْعٌ: قالَ عِزُّ الدِّينِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ: الْقِيَامُ لِلْمُصْحَفِ بِدْعَةٌ لَمْ تُعْهَدْ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ.

---

(1) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 186.

(2) الناس، في قونية.

وَقالَ النَّوَوِيُّ: يُسْتَحَبُّ الْقِيَامُ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّعْظِيمِ وَعَدَمِ التَّهَاوُنِ بِهِ[1].

فَرْعٌ آخَرُ: يُسْتَحَبُّ تَقْبِيلُ الْمُصْحَفِ مِثْلَ تَقْبِيلِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ قِيَاسًا. وَكانَ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ يَفْعَلُهُ، وَقَاسَهُ بَعْضُهُمْ عَلَى تَقْبِيلِ الْوَلَدِ الصَّغِيرِ، لِأَنَّهُ هَدِيَّةٌ مِنَ اللهِ.

وَعَنْ أَحْمَدَ ثَلَاثُ رِوَايَاتٍ: الْجَوَازُ، وَالِاسْتِحْبَابُ، وَالتَّوَقُّفُ. أَمَّا الأَوَّلَانِ فَظَاهِرٌ مِمَّا تَقَدَّمَ، وَأَمَّا التَّوَقُّفُ، فَلِأَنَّهُ لَا مَدْخَلَ فِي أَمْثَالِهِ لِلْقِيَاسِ، كَمَا قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي الْحَجَرِ: «لَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ»[2].

فَرْعٌ آخَرُ: يُسْتَحَبُّ تَطْيِيبُ الْمُصْحَفِ، وَجَعْلُهُ عَلَى كُرْسِيٍّ، وَيَحْرُمُ تَوَسُّدُهُ، لِأَنَّ فِيهِ إِذْلَالًا وَامْتِهَانًا.

قَالَ الزَّرْكَشِيُّ: وَكذَا مَدُّ الرِّجْلَيْنِ إِلَيْهِ.

وَعَنْ سُفْيَانَ أَنَّهُ كَرِهَ أَنْ تُعَلَّقَ الْمَصَاحِفُ.

وَعَنِ الضَّحَّاكِ قَالَ: لَا تَتَّخِذُوا لِلْحَدِيثِ كَرَاسِيَّ كَكَرَاسِيِّ الْمُصْحَفِ.

فَرْعٌ آخَرُ: يَجُوزُ تَحْلِيَتُهُ بِالْفِضَّةِ إِكْرَامًا لَهُ عَلَى الصَّحِيحِ.

---

(1) لخص الكلام من الإتقان في علوم القرآن: 4/ 186 ـ 187.

(2) صحيح البخاري: 2/ 149، رقم: 1597، وصحيح مسلم: 2/ 925، رقم: 1270.

عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: قَالَ مَالِكٌ: «حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي أَنَّهُمْ جَمَعُوا الْقُرْآنَ فِي عَهْدِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَأَنَّهُمْ فَضَّضُوا الْمَصَاحِفَ عَلَى هَذَا أَوْ نَحْوِهِ»[1]، فَأَخْرَجَ إِلَيْنَا مُصْحَفًا فَأَرَاهُ لَنَا.

وَأَمَّا بِالذَّهَبِ فَالْأَصَحُّ جَوَازُهُ لِلْمَرْأَةِ دُونَ الرَّجُلِ، وَخَصَّ بَعْضُهُمُ الْجَوَازَ بِنَفْسِ الْمُصْحَفِ دُونَ غِلَافِهِ الْمُنْفَصِلِ عَنْهُ، وَالْأَظْهَرُ فِيهِ التَّسْوِيَةُ[2].

فَرْعٌ آخَرُ: الْمُصْحَفُ إِذَا بَلِيَ لا يُوضَعُ في شَقٍّ، لِأَنَّهُ قَدْ يَسْقُطُ وَيُوطَأُ، وَلَا يَجُوزُ تَمْزِيقُهُ، لِمَا فِيهِ مِنْ تَقْطِيعِ الْحُرُوفِ، وَأَيْضًا فِيهِ إِزْرَاءٌ بِهِ.

قَالَ الْحليمِيُّ: يُغْسَلُ الْمُصْحَفُ الْبَالِي بِالْمَاءِ. وَقِيلَ: الْإِحْرَاقُ أَوْلَى، لِأَنَّ الْغُسَالَةَ[3] قَدْ تَقَعُ عَلَى الْأَرْضِ. وَأَحْرَقَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الْمَصَاحِفَ. وَقِيلَ: الْإِحْرَاقُ حَرَامٌ لِمُنَافَاتِهِ الِاحْتِرَامَ. قَالَ النَّوَوِيُّ: يُكْرَهُ. وَعَنِ الْحَنَفِيَّةِ: لَا يُحْرَقُ بَلْ يُدْفَنُ فِي الْأَرْضِ. وَقِيلَ: لَا يُؤْمَنُ مِنَ الْوَطْءِ بِالْأَقْدَامِ.

فَرْعٌ آخَرُ: عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ قالَ: لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ مُصَيْحِفٌ ولا مُسَيْجِدٌ، مَا كانَ للهِ فَهُوَ عَظِيمٌ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُقْصَدَ بِهِ التَّعْظِيمُ، لَكِنَّهُ يُكْرَهُ لِإِيهَامِهِ التَّحْقِيرَ.

(1) الآداب للبيهقي: 221.

(2) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 189.

(3) الغُسَالَةُ: ما يخرج من الشيء بالغسل.

فَرْعٌ آخَرُ: يَحْرُمُ مَسُّ الْمُصْحَفِ لِلْمُحْدِثِ سَوَاءٌ كانَ حَدَثًا أَصْغَرَ أَمْ أَكْبَرَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾[1]، وَحَدِيثُ التِّرْمِذِيِّ وَغَيْرِهِ: «لَا يَمَسُّ الْقُرْآنَ إِلَّا طَاهِرٌ»[2].

خَاتِمَةٌ: عَنْ أَنَسٍ مَرْفُوعًا: «سَبْعٌ يَجْرِي لِلْعَبْدِ أَجْرُهُنَّ بَعْدَ مَوْتِهِ وَهُوَ فِي قَبْرِهِ، مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا، أَوْ أَجْرَى نَهْرًا، أَوْ حفَرَ بِئْرًا، أَوْ غَرَسَ نَخْلًا، أَوْ بَنَى مَسْجِدًا، أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ، أَوْ وَرَّثَ مُصْحَفًا»[3]. وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ بِشَارَةٌ عَظِيمَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ[4].

---

(1) سورة الواقعة، الآية: 79.

(2) المعجم الكبير للطبراني: 12/ 313 رقم: 13217، سنن الدارقطني: 1/ 219 رقم: 439، السنن الكبرى: 1/ 264 رقم: 414.

(3) المجروحين لابن حبان: 2/ 247، الجامع الكبير: 5/ 238.

(4) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 188 ـ 190.

الْمَطْلَبُ الثَّانِي فِي فُرُوعِ عِلْمِ الْحَدِيثِ

عِلْمُ شَرْحِ الْحَدِيثِ

وَهُوَ عِلْمٌ بَاحِثٌ عَنْ مُرَادِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَحَادِيثِهِ الشَّرِيفَةِ بِحَسَبِ الْقَوَاعِدِ الْعَرَبِيَّةِ، وَالْأُصُولِ الشَّرْعِيَّةِ بِقَدْرِ الطَّاقَةِ.

وَنَفْعُهُ وَغَايَتُهُ بِمَكَانٍ لَا يَخْفَى عَلَى إِنْسَانٍ.

وَالْكُتُبُ الْمُصَنَّفَةُ في هَذَا الْفَنِّ لَا تُحِيطُ بِهِ الدَّفَاتِرُ، إِلَّا أَنَّ الْأَشْهَرَ شُرُوحُ الْبُخَارِيِّ. مِنْهَا: "**شَرْحُ الْكَرْمَانِيِّ**"[1]، و"**شَرْحُ الْبِرْمَاوِيِّ**"[2]، و"**شَرْحُ ابْنِ الْمُلَقِّنِ**"[3]، و"**شَرْحُ الْعَيْنِيِّ**"[4]، وَ"**شَرْحُ ابْنِ حَجَرٍ**"، وَ"**شَرْحُ السُّيُوطِيِّ**"، وَ"**شَرْحُ الْكُورَانِيِّ**"[5]، وَغَيْرُ ذلِكَ. وَ"**شَرْحُ مُسْلِمٍ**"، لِلنَّوَوِيِّ وَالسُّيُوطِيِّ.

---

(1) "**الْكَوَاكِبُ الدَّرَارِي فِي شَرْحِ صَحِيحِ الْبُخَارِي**"، لمحمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكَرْمَانِيّ (ت. 786هـ).

(2) "**اللَّامِعُ الصَّبِيحُ بِشَرْحِ الْجَامِعِ الصَّحِيحِ**"، لشمس الدين البِرْمَاوِيِّ، أبو عبد الله محمد بن عبد الدائم بن موسى النعيمي العسقلاني المصري الشافعي (ت. 831 هـ).

(3) "**شَوَاهِدُ التَّوْضِيحِ**"، لسراج الدين عمر بن علي ابن الملقن الشافعي (ت. 804هـ).

(4) "**عُمْدَةُ القَارِي شَرْحِ صَحِيحِ الْبُخَارِي**"، لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الحنفى بدر الدين العَيْنِيّ (ت. 855هـ).

(5) "**الْكَوْثَرُ الْجَارِي إِلَى رِيَاضِ أَحَادِيثِ الْبُخَارِي**"، لأحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمد الكوراني الشافعي ثم الحنفي (ت. 893هـ).

وَمِنْ شُرُوحِ "**الْمَصَابِيحُ**"[1]: "**الْمَفَاتِيحُ**" لِلْمُظَهِّرِيِّ[2]، و"**شَرْحُ التُّورِبِشْتِيِّ**"[3]، وَ"**شَرْحُ زَيْنِ الْعَرَبِ**"[4]، وَغَيْرُ ذَلِكَ.

وَمِنْ شُرُوحِ "**الْمَشَارِقُ**"[5]: "**الْمَبَارِقُ**"[6]، وَ"**شَرْحُ مَجْدِ الدِّينِ الشِّيرَازِيِّ**"[7] صَاحِبِ الْقَامُوسِ، وَ"**شَرْحُ الشَّيْخِ أَكْمَلِ الدِّينِ**"[8]، وَ"**شَرْحُ الْفَاضِلِ ابْنِ الْمَلَكِ**"[9]، وَغَيْرُ ذَلِكَ.

وَمُصَنِّفُو هَذِهِ الْكُتُبِ قَدْ سَبَقُوا كُلُّهُمْ أَوْ جُلُّهُمْ.

---

(1) هو كتاب "**مَصَابِيحُ السُّنَّةِ**"، لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت 516 هـ). الكتاب مطبوع.

(2) يسمى "**الْمَفَاتِيحُ فِي شَرْحِ «في حَلِّ» الْمَصَابِيحِ**"، لمظهر الدين الحسين بن محمود بن الحسن الزيداني المُظَهِّري (ت. 727هـ). كشف الظنون: 2/ 1699. والمُظَهِّرِيُّ بضم الميم وفتح الظاء المعجمة والهاء المفتوحة المشددة، هذه النسبة إلى مظهر وهو جد معقل بن سنان. الأنساب:12/ 324.

(3) يسمى: "**الْمُيَسَّرُ**"، لشهاب الدين فضل الله بن حسين التوربشتي الحنفي (ت. 600هـ). الشرح مطبوع.

(4) زين العرب علي بن عبد الله بن أحمد، قال حاجي خليفة: «والمفهوم من أول شرحه أنه شرحه ثلاث مرات والمتداول أبسط من الأول». كشف الظنون: 2/ 1699.

(5) عنوان شرحه: "**مَشَارِقُ الأَنْوَارِ النَّبَوِيَّةِ مِنْ صِحَاحِ الأَخْبَارِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ**"، للإمام رضي الدين حسن بن محمد الصاغاني (ت. 650هـ).

(6) قال حاجي خليفة: «ورتب علي بن الحسن كتاب المشارق على الأبواب والفصول وسماه: "**مَبَارِقُ الأَزْهَارِ**"». كشف الظنون: 2/ 1690.

(7) عنوان شرحه: "**شَوَارِقُ الأَسْرَارِ الْعَلِيَّةِ فِي شَرْحِ مَشَارِقِ الأَنْوَارِ النَّبَوِيَّةِ**"، لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآباذي الشيرازي (ت. 817هـ). المصدر نفسه: 2/ 1689.

(8) عنوان شرحه: "**تُحْفَةُ الأَبْرَارِ فِي شَرْحِ مَشَارِقِ الأَنْوَارِ**".

(9) عنوان شرحه: "**مَبَارِقُ الأَزْهَارِ فِي شَرْحِ مَشَارِقِ الأَنْوَارِ**"، لعبد اللطيف بن عبد العزيز المعروف بِابْنِ الْمَلَكِ (ت. حوالى سنة: 885هـ). شذرات الذهب: 9/ 512، وكشف الظنون: 2/ 1689.

عِلْمُ أَسْبَابِ وُرُودِ الْأَحَادِيثِ وَأَزْمِنَتِهِ وَأَمْكِنَتِهِ:

وَمَوْضُوعُهُ: ظَاهِرٌ مِنِ اسْمِهِ.

وَمَنْفَعَتُهُ: عَظِيمَةٌ لَا تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ.

وَسَمِعْتُ كُتُبًا مُصَنَّفَةً فِي هَذَا الْفَنِّ، لَكِنْ مَا رَأَيْتُهَا.

عِلْمُ نَاسِخِ الْحَدِيثِ وَمَنْسُوخِهِ

وَمَوْضُوعُهُ: ظَاهِرٌ جِدًّا.

وَفَائِدَتُهُ وَغَرَضُهُ: لَا تَخْفَى، بَلْ [هُوَ][1] أَصْلٌ مِنْ أُصُولِ الشَّرِيعَةِ، وَعَلَيْهِ تَدُورُ أَكْثَرُ الْأَحْكَامِ. وَقَدِ اعْتَنَى بَعْضُ الْعُلَمَاءِ بِتَدْوِينِهِ. وَسَمِعْتُ مِنَ الثِّقَاتِ كِتَابًا مُدَوَّنًا فِي هَذا الْعِلْمِ، لَكِنْ لَمْ يَشْتَهِرْ فِي بِلَادِنَا.

عِلْمُ تَأْوِيلِ أَقْوَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَهَذَا عِلْمٌ مَعْلُومٌ مَوْضُوعُهُ، وَبَيِّنٌ نَفْعُهُ، وَظَاهِرٌ غَايَتُهُ وَغَرَضُهُ.

وَرَأَيْتُ رِسَالَةً فِي هَذَا الْعِلْمِ لِمَوْلَانَا شَمْسِ الدِّينِ الْفَنَارِيِّ، وَهُوَ مِنْ عُلَمَاءِ بِلَادِنَا، رَوَّحَ اللهُ رُوحَهُ، وَقَدْ اسْتَخْرَجَ لِلْأَحَادِيثِ تَأْوِيلَاتٍ مُوَافِقَةً

---

(1) زيادة من رئيس الكتاب.

لِلشَّرْعِ، بِحَيْثُ يَقُولُ مَنْ رَآهَا: للهِ دَرُّهُ، وَعَلَى اللهِ أَجْرُهُ. وَكَانَتِ الرِّسَالَةُ عِنْدِي ثُمَّ ضَاعَتْ عَنِّي.

وَأَيْضًا الشَّيْخُ صَدْرُ الدِّينِ شَرَحَ بَعْضَ الْأَحَادِيثِ عَلَى التَّأْوِيلَاتِ، لَكِنْ بَعْضُهَا مُخَالِفٌ لِمَا عُرِفَ مِنْ ظَاهِرِ الشَّرْعِ، مِثْلَ قَوْلِهِ: إِنَّ الْفَلَكَ الْأَطْلَسَ، الْمُسَمَّى بِلِسَانِ الشَّرْعِ: الْعَرْشَ، وَفَلَكَ الثَّوَابِتِ الْمُسَمَّى عِنْدَ أهلِ الشَّرْعِ الْكُرْسِيَّ، قَدِيمَانِ. وَأَحالَ ذَلِكَ إِلَى الْكَشْفِ الصَّحِيحِ، وَالْعِيَانِ الصَّرِيحِ، وَادَّعَى أَنَّ هذا غَيْرُ مُخالِفٍ لِلشَّرْعِ، لِأَنَّ الْوَارِدَ فيهِ حُدُوثُ السَّماواتِ السَّبْعِ والْأَرَضِينَ ومَا عَلَيْهِنَّ، إِلَّا أَنَّ هذا الشَّيْخَ ـ قُدِّسَ سِرُّهُ ـ قَدْ أَبْدَعَ في سَائِرِ التَّأْوِيلَاتِ، بِحَيْثُ يَنْشَرِحُ لَهُ الصَّدْرُ وَالْبَالُ، واللهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الْحَالِ.

عِلْمُ رُمُوزِ أَقْوَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِشَارَتِهِ

وَهَذَا عِلْمٌ ظَاهِرُ الْمَوْضُوعِ، وَبَاهِرُ النَّفْعِ، وَلَا تَخْفَى غَايَتُهُ وَغَرَضُهُ. وَفِي هَذَا الْعِلْمِ تَصْنِيفٌ لَطِيفٌ لَكِنْ لَمْ أَتَذَكَّرِ اسْمَهُ الْآنَ.

عِلْمُ غَرَائِبِ لُغَاتِ الْحَدِيثِ

وَهَذَا [عِلْمٌ][1] شَرِيفٌ مَوْضُوعُهُ، وَلَطِيفٌ نَفْعُهُ وَغَايَتُهُ.

---

(1) زيادة من عاطف أفندي.

وَلَقَدْ صَنَّفَ فِيهِ الْعَلَّامَةُ الزَّمَخْشَرِيُّ كِتَابَ "**الْفَائِقُ**"(1)، وَالْإِمَامُ ابْنُ الْأَثِيرِ الْجَزَرِيُّ كِتَابَ "**النِّهَايَةُ**"(2). وَقَدْ ذَكَرْنَا هَذَيْنِ الْكِتَابَيْنِ فِي عِلْمِ اللُّغَةِ، لِأَنَّ هَذَا الْعِلْمَ قَدْ يُعَدُّ مِنْ فُرُوعِ عِلْمِ اللُّغَةِ أَيْضًا.

عِلْمُ دَفْعِ مَطَاعِنِ الْحَدِيثِ

وَمَوْضُوعُهُ وَنَفْعُهُ ظَاهِرٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْمُوَحِّدِينَ. وَقَدْ طَعَنَ طَائِفَةٌ مِنَ الْمَلَاحِدَةِ الْمُلَقَّبِينَ بِالْقَرَامِطَةِ فِي أَحَادِيثِ حَضْرَةِ الرِّسَالَةِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَوْهَامٍ وَاهِيَةٍ، وَأَكَاذِيبَ سَاهِيَةٍ، يَدُلُّ سِيَاقُهَا عَلَى كَذِبِهَا، وَتُخْبِرُ صُورَتُهَا عَنِ الْفِرْيَةِ(3) فِي بَاطِنِهَا، إِلَّا أَنَّ الْعُلَمَاءَ جَزَاهُمُ اللهُ عَنَّا وَعَنِ الْإِسْلامِ وَالْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، قَدِ انْتَصَبُوا لِدَفْعِ هَذِهِ الْخُرَافَاتِ، صَوْنًا لِعَقَائِدِ عَوَامِّ الْمُسْلِمِينَ عَنِ التَّوَرُّطِ فِي أَوْهَامِهِمُ الْفَاضِحَةِ، بِتَقْرِيرَاتٍ كَامِلَةٍ، وَتَحْرِيرَاتٍ وَاضِحَةٍ.

اللَّهُمَّ انْصُرِ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَاخْذُلِ الْكَفَرَةَ وَالْمُلْحِدِينَ أَعْدَاءَ الدِّينِ، بِحُرْمَةِ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الْأَكْرَمِينَ.

---

(1) عنوانه: "**الْفَائِقُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ**" لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت. 538هـ).

(2) "**النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ**" لأبي السعادات مبارك بن أبي الكرم محمد ابن الأثير الجزري (ت. 606هـ).

(3) الْفِرْيَةُ: الكذب، فَرَى كذبًا فَرْيًا وافتراهُ: اختَلَقَهُ.

عِلْمُ تَلْفِيقِ الْأَحَادِيثِ

وَهُوَ عِلْمٌ يُبْحَثُ فِيهِ عَنِ التَّوْفِيقِ بَيْنَ الْأَحَادِيثِ الْمُتَنَافِيَةِ ظَاهِرًا، إِمَّا بِتَخْصِيصِ الْعَامِّ تَارَةً، أَوْ بِتَقْيِيدِ الْمُطْلَقِ أُخْرَى، أَوْ بِالْحَمْلِ عَلَى تَعَدُّدِ الْحَادِثَةِ أُخْرَى، إِلى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ وُجُوهِ التَّأْوِيلِ.

وَكَثِيرًا مَا يُورِدُهُ شُرَّاحُ الْحَدِيثِ أَثْنَاءَ شُرُوحِهِمْ، إِلَّا أَنَّ بَعْضًا مِنَ الْعُلَمَاءِ قَدِ اعْتَنَى بِذَلِكَ، فَدَوَّنُوهُ عَلَى حِدَةٍ.

وَالتَّصَانِيفُ الْوَاقِعَةُ فِيهِ قَلَّمَا تُوجَدُ عِنْدَ الطُّلَّابِ، يَجِدُهَا مَنْ يَطْلُبُهَا.

عِلْمُ أَحْوَالِ رُوَاةِ الْأَحَادِيثِ مِنْ وَفَيَاتِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ وَأَوْطَانِهِمْ وَجَرْحِهِمْ وَتَعْدِيلِهِمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْوَالِ

وَهَذَا الْعِلْمُ مِنْ فُرُوعِ التَّوَارِيخِ مِنْ وَجْهٍ، وَمِنْ فُرُوعِ الْأَحَادِيثِ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ.

وَقَدْ صَنَّفَ الْعُلَمَاءُ فِيهَا تَصَانِيفَ كَثِيرَةً، وَقَدْ ذَكَرْنَا نُبَذًا مِنْهَا فِيمَا سَبَقَ، فَتَذَكَّرْ تَفْقَهْ.

عِلْمُ طِبِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَهُوَ عِلْمٌ بَاحِثٌ عَنِ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ الْوَارِدَةِ فِي طِبِّ الْمَرْضَى. وَقَدِ اعْتَنَى جَمَاعَةٌ، أَشْهَرُهَا مَا جَمَعَهُ ابْنُ طَرْخَانَ[1]، وَأَفْضَلُهَا مَا جَمَعَهُ الْإِمَامُ الْمُسْتَغْفِرِيُّ[2]، وَهُمَا ظَاهِرَانِ عِنْدَ الطُّلَّابِ.

وَلَا يَخْفَى نَفْعُ هَذَا الْعِلْمِ وَغَايَتُهُ وَغَرَضُهُ عَلَى أُولِي الْأَلْبَابِ.

(1) معتمر بن سليمان بن طرخان (من موالي بني مرة) التيمي الدار، أبو محمد: محدث البصرة في عصره (ت. 187 هـ). الأنساب للسمعاني: 3/ 124، وتاريخ الإسلام: 4/ 979.

(2) جعفر بن محمد بن المعتز بن محمد بن المستغفر بن الفتح بن إدريس، الحافظ أبو العباس المُسْتَغْفِرِيُّ النَّسَفِيُّ (ت. 432 هـ). تاريخ الإسلام: 9/ 516.

الْمَطْلَبُ الثَّالِثُ فِي فُرُوعِ عِلْمِ التَّفْسِيرِ

وَاعْلَمْ أَنَّ عِلْمَ الْقُرْآنِ بَحْرٌ لَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَطَوْدٌ شَامِخٌ لَا تُتَنَاوَلُ غَرَائِبُهُ، وَلَهُ فُرُوعٌ لَا تُحْصَى، وَفُنُونٌ لَا تُسْتَقْصَى. وَلْنَذْكُرْ مِنْهَا مَا يَفِي بِهِ قُوَّةُ التَّحْرِيرِ، وَيُحِيطُ بِهِ نِطَاقُ التَّقْرِيرِ.

عِلْمُ مَعْرِفَةِ الْمَكِّيِّ وَالْمَدَنِيِّ

صَنَّفَ فِيهِ جَمَاعَةٌ؛ مِنْهُمْ مَكِّيٌّ، وَالْعِزُّ الدِّيرِينِيُّ[1].

وَفَائِدَتُهُ: مَعْرِفَةُ الْمُؤَخَّرِ لِيَكُونَ نَاسِخًا، أَوْ مُخَصِّصًا، وَهَا هُنَا أَقْسَامٌ ذَكَرَهَا أَبُو الْقَاسِمِ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ النَّيْسَابُورِيُّ، فِي كِتَابِ "**التَّنْبِيهُ**"[2]: «مَا نَزَلَ بِمَكَّةَ، وَمَا نَزَلَ بِالْمَدِينَةِ، وَمَا نَزَلَ بِمَكَّةَ وَحُكْمُهُ مَدَنِيٌّ، وَمَا نَزَلَ بِالْمَدِينَةِ وَحُكْمُهُ مَكِّيٌّ، وَمَا نَزَلَ بِمَكَّةَ فِي أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَمَا نَزَلَ بِالْمَدِينَةِ فِي أَهْلِ مَكَّةَ. وَمَا يُشْبِهُ نُزُولَ الْمَكِّيِّ فِي الْمَدَنِيِّ، وَمَا يُشْبِهُ نُزُولَ الْمَدَنِيِّ فِي الْمَكِّيِّ، وَمَا نَزَلَ بِالْجُحْفَةِ، وَمَا نَزَلَ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَمَا نَزَلَ بِالطَّائِفِ، وَمَا نَزَلَ بِالْحُدَيْبِيَةِ، وَمَا نَزَلَ لَيْلًا، وَمَا نَزَلَ نَهَارًا، وَمَا نَزَلَ مُشَيَّعًا، وَمَا نَزَلَ مُفْرَدًا، وَالْآيَاتُ الْمَدَنِيَّاتُ فِي السُّوَرِ الْمَكِّيَّةِ، وَالْآيَاتُ الْمَكِّيَّاتُ فِي السُّوَرِ الْمَدَنِيَّةِ، وَمَا حُمِلَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَمَا حُمِلَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى

---

(1) عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَحْمدَ بْنِ سعيد الدَّمِيرِيّ الدِّيرِينِيُّ، صاحب غريب القرآن (ت.694 هـ). طبقات الشافعية الكبرى: 8/ 199.

(2) عنوان الكتاب: "**التَّنبيهُ على فضل علوم القرآن**".

مَكَّةَ، وَمَا حُمِلَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ مَدَنِيٌّ، وَبَعْضُهُمْ مَكِّيٌّ، فَهَذِهِ ثَلَاثَةٌ وَعِشْرُونَ وَجْهًا، مَنْ لَمْ يَعْرِفْهَا، وَلَمْ يُمَيِّزْ بَيْنَهَا، لَمْ يَحِلَّ لَهُ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى»(1).

ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِي الْمَكِّيِّ وَالْمَدَنِيِّ عَلَى ثَلَاثَةِ اصْطِلَاحَاتٍ:

أَشْهَرُهَا: أَنَّ الْمَكِّيَّ مَا نَزَلَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ، وَالْمَدَنِيَّ مَا نَزَلَ بَعْدَهَا سَوَاءٌ نَزَلَ بِالْمَدِينَةِ أَمْ بِمَكَّةَ عَامَ الْفَتْحِ، أَوْ عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ، أَمْ بِسَفَرٍ مِنَ الْأَسْفَارِ. وَقَدْ رَوَوْا عَلَى ذَلِكَ أَثَرًا.

الثَّانِي: أَنَّ الْمَكِّيَّ مَا نَزَلَ بِمَكَّةَ وَلَوْ بَعْدَ الْهِجْرَةِ، وَالْمَدَنِيَّ مَا نَزَلَ بِالْمَدِينَةِ. وَعَلَى هَذَا يَكُونُ مَا نَزَلَ بِالْأَسْفَارِ وَاسِطَةً بَيْنَهُمَا، إِلَّا أَنَّهُ يَدْخُلُ فِي مَكَّةَ ضَوَاحِيهَا كَمِنًى وَعَرَفَاتٍ وَالْحُدَيْبِيَةِ، وَفِي الْمَدِينَةِ ضَوَاحِيهَا كَبَدْرٍ وَأُحُدٍ وَسَلْعٍ.

الثَّالِثُ: أَنَّ الْمَكِّيَّ مَا وَقَعَ خِطَابًا لِأَهْلِ مَكَّةَ، وَالْمَدَنِيَّ مَا وَقَعَ خِطَابًا لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ(2).

---

(1) البرهان في علوم القرآن: 1/ 192.

(2) الإتقان في علوم القرآن: 1/ 36-37-38.

عِلْمُ مَعْرِفَةِ الْحَضَرِيِّ وَالسَّفَرِيِّ

وَمَوْضُوعُهُ وَنَفْعُهُ وَغَايَتُهُ فِي غَايَةِ الظُّهُورِ. وَأَمْثِلَةُ الْحَضَرِيِّ كَثِيرَةٌ، وَأَمَّا أَمْثِلَةُ السَّفَرِيِّ فَقَدْ ضَبَطُوهَا، وَارْتَقَتْ إِلَى نَيِّفٍ وَأَرْبَعِينَ، اسْتَقْصَاهَا السُّيُوطِيُّ فِي **الْإِتْقَانِ**[1].

عِلْمُ مَعْرِفَةِ النَّهَارِيِّ وَاللَّيْلِيِّ

وَمَوْضُوعُهُ وَغَايَتُهُ وَمَنْفَعَتُهُ ظَاهِرَةٌ عَلَى النَّاظِرِينَ. قَالُوا: نَزَلَ أَكْثَرُ الْقُرْآنِ نَهَارًا، وَأَمَّا اللَّيْلِيُّ فَقَدْ تَتَبَّعُوهُ فَبَلَغَ إِلَى خَمْسَ عَشْرَةَ آيَةً. ذُكِرَ فِي **الْإِتْقَانِ**[2].

عِلْمُ مَعْرِفَةِ الصَّيْفِيِّ وَالشِّتَائِيِّ

وَأَمْرُ مَوْضُوعِهِ وَغَايَتِهِ وَمَنْفَعَتِهِ لَا يَخْفَى.

قَالَ الْوَاحِدِيُّ: أَنْزَلَ اللهُ فِي الْكَلَالَةِ آيَتَيْنِ؛ إِحْدَاهُمَا وَهِيَ الَّتِي فِي أَوَّلِ النِّسَاءِ فِي الشِّتَاءِ، وَالْأُخْرَى وَهِيَ الَّتِي فِي آخِرِهَا فِي الصَّيْفِ. وَمِنَ الصَّيْفِيِّ مَا نَزَلَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ كَأَوَّلِ الْمَائِدَةِ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[3]، ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ﴾[4]، وَآيَةِ الدَّيْنِ، وَسُورَةِ النَّصْرِ،

---

(1) الإتقان في علوم القرآن: 1/ 20.

(2) المصدر نفسه: 1/ 81.

(3) سورة المائدة، الآية: 3.

(4) سورة البقرة، الآية: 281.

وَالْآيَاتِ الَّتِي نَزَلَتْ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَمِنَ الشِّتَائِيِّ: آيَةُ الْإِفْكِ، وَالْآيَاتُ الَّتِي فِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ[1].

عِلْمُ مَعْرِفَةِ الْفِرَاشِيِّ وَالنَّوْمِيِّ

وَأَمْرُ الْمَوْضُوعِ وَالنَّفْعِ كَمَّا مَرَّ.

مِنْ أَمْثِلَةِ الْفِرَاشِيِّ: ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[2]، وَآيَةُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا. وَأَمَّا النَّوْمِيُّ، فَسُورَةُ الْكَوْثَرِ، لِمَا رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «بَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُبْتَسِمًا، فَقُلْتُ: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ، فَقَرَأَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (1) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (2) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (3)﴾»[3].

قَالَ الْإِمَامُ الرَّافِعِيُّ فِي أَمَالِيهِ[4]: فَهِمَ فَاهِمُونَ مِنَ الْحَدِيثِ أَنَّ السُّورَةَ نَزَلَتْ فِي تِلْكَ الْإِغْفَاءَةِ، وَقَالُوا: مِنَ الْوَحْيِ مَا كَانَ يَأْتِيهِ فِي النَّوْمِ، لِأَنَّ رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ، قَالَ: وَهَذَا صَحِيحٌ، لَكِنَّ الْأَشْبَهَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الْقُرْآنَ كُلَّهُ نَزَلَ فِي الْيَقَظَةِ، وَكَأَنَّهُ خَطَرَ لَهُ فِي النَّوْمِ سُورَةُ الْكَوْثَرِ الْمُنَزَّلَةِ فِي الْيَقَظَةِ، أَوْ

---

(1) الإتقان في علوم القرآن: 1/ 86.

(2) سورة المائدة، الآية: 67.

(3) صحيح مسلم: 1/ 300 رقم: 400، السنن الكبرى: 1/ 469 رقم: 979.

(4) عنوانه هو: "**الْأَمَالِي الشَّارِحَةُ عَلَى مُفْرَدَاتِ الْفَاتِحَةِ**" لأبي القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعي الشافعي (ت. 623هـ).

عُرِضَ عَلَيْهِ الْكَوْثَرُ الَّذِي وَرَدَتْ فِيهِ السُّورَةُ، فَقَرَأَهَا عَلَيْهِمْ وَفَسَّرَهَا لَهُمْ. قَالَ: وَوَرَدَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ أَنَّهُ أُغْمِيَ عَلَيْهِ، وَقَدْ يُحْمَلُ ذَلِكَ عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي تَعْتَرِيهِ عِنْدَ نُزُولِ الْوَحْيِ، وَيُقَالُ لَهَا بُرَحَاءُ[1] الْوَحْيِ، انْتَهَى.

قَالَ السُّيُوطِيُّ: الَّذِي قَالَهُ الرَّافِعِيُّ فِي غَايَةِ الِاتِّجَاهِ، وَهُوَ الَّذِي كُنْتُ أَمِيلُ إِلَيْهِ قَبْلَ الْوُقُوفِ عَلَيْهِ، وَالتَّأْوِيلُ الْأَخِيرُ أَصَحُّ مِنَ الْأَوَّلِ، لِأَنَّ قَوْلَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُنْزِلَ عَلَيَّ آنِفًا»، يَدْفَعُ نُزُولَهَا قَبْلَ ذَلِكَ[2].

قُلْتُ: وَكَذَا يُؤَيِّدُهُ قَوْلُ أَنَسٍ: «بَيْنَ أَظْهُرِنَا». إِذِ النَّوْمُ لَا يَكُونُ بَيْنَ جَمْعٍ كَثِيرٍ عَادَةً، سِيَّمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَأَيْضًا قَالَ: «ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ»، وَلَمْ يَقُلْ: ثُمَّ اسْتَيْقَظَ، أَوْ ثُمَّ قَامَ مِنْ مَضْجَعِهِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ. وَقَوْلُهُ: «أُنْزِلَتْ عَلَيَّ سُورَةٌ فَقَرَأَ إِلَى آخِرِهَا»، يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا لَمْ تَنْزِلْ قَبْلَ ذَلِكَ، وَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَقَالَ: "سُورَةُ الْكَوْثَرِ"، وَلَمْ يَحْتَجْ إِلَى قِرَاءَةِ السُّورَةِ بِتَمَامِهَا، فَانْدَفَعَ التَّوْجِيهُ الْأَوَّلُ.

---

(1) الْبُرَحَاءُ: الشدة والمشقة، وخص بعضهم به شدة الحمى.

(2) الإتقان في علوم القرآن: 1/ 88-89.

عِلْمُ مَعْرِفَةِ الْأَرْضِيِّ وَالسَّمَاوِيِّ

أَمَّا الْأَرْضِيُّ فَظَاهِرٌ، وَأَمَّا السَّمَاوِيُّ فَمَا نَزَلَ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ كَالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ.

وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: «لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، انْتَهَى إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى». الْحَدِيثُ.

وَفِيهِ: «فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهَا ثَلَاثًا، أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَا يُشْرِكُ مِنْ أُمَّتِهِ بِاللهِ شَيْئًا الْمُقْحِمَاتُ»[1].

وَفِي "**الْكَامِلُ**"[2] لِلْهُذَلِيِّ: نَزَلَتْ ﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾[3] إِلَى آخِرِهَا بِقَابَ قَوْسَيْنِ.

قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: إِنَّ مِنَ الْقُرْآنِ سَمَائِيًّا وَأَرْضِيًّا، وَمَا نَزَلَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَمَا نَزَلَ تَحْتَ الْأَرْضِ فِي الْغَارِ. أَمَّا الْأَرْضِيُّ وَالسَّمَائِيُّ فَظَاهِرَانِ، وَأَمَّا مَا نَزَلَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَلَعَلَّهُ أَرَادَ فِي الْفَضَاءِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، كَالَّتِي نَزَلَتْ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ.

---

(1) صحيح مسلم: 1/ 157 رقم: 279.

(2) عنوانه: "**الْكَامِلُ فِي الْقِرَاءَاتِ وَالْأَرْبَعِينَ الزَّائِدَةِ عَلَيْهَا**" لأبي القاسم يوسف بن علي بن جبارة ابن محمد الهُذَلِي اليشكري المغربي (ت.465هـ). الكتاب مطبوع.

(3) سورة البقرة، الآية: 286.

قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: وَأَمَّا مَا نَـزَلَ تَحْتَ الْأَرْضِ فِي الْغَارِ فَسُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ كَمَا فِي الصَّحِيحِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[1].

عِلْمُ مَعْرِفَةِ أَوَّلِ مَا نَزَلَ

وَالْأَمْرُ فِي أَحْوَالِهِ ظَاهِرٌ. وَفِي أَوَّلِ مَا نَزَلَ أَقْوَالٌ:

أَحَدُهَا، وَهُوَ الصَّحِيحُ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾[2]. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحِهِمَا، وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ.

وَثَانِيهَا: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾[3] رَوَاهُ الشَّيْخَانِ. وَالتَّوْفِيقُ أَنَّ أَوَّلَ سُورَةٍ نَزَلَتْ الْمُدَّثِّرُ، فَلَا يُنَافِي أَنْ يَكُونَ صَدْرُ سُورَةِ الْقَلَمِ أَوَّلَ مَا نَزَلَ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَالْمُدَّثِّرُ أَوَّلَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا بَعْدَ فَتْرَةِ الْوَحْيِ لَا مُطْلَقًا. أَوْ يُقَالُ: أَوَّلِيَةُ الْمُدَّثِّرِ اجْتِهَادُ جَابِرٍ لَا رِوَايَتُهُ، وَأَوَّلِيَّةُ اقْرَأْ رِوَايَةُ عَائِشَةَ، فَتُقَدَّمُ عَلَيْهِ.

وَثَالِثُهَا: سُورَةُ الْفَاتِحَةِ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ، وَقَدْ رَوَاهُ عَمْرُو بْنُ شُرَحْبِيلَ مُرْسَلًا. وَأُجِيبَ بِأَنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ خَبَرًا عَنْ نُزُولِهَا، بَعْدَمَا نَـزَلَتْ عَلَيْهِ اقْرَأْ وَالْمُدَّثِّرُ، إِذْ حَاصِلُهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَادَاهُ

(1) الإتقان في علوم القرآن: 1/ 90.
(2) سورة العلق، الآية: 1.
(3) سورة المدثر، الآية: 1.

جِبْرِيلُ، فَقَالَ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1]، حَتَّى بَلَغَ: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾، إِذْ يَحْتَمِلُ أَنْ لَا يَكُونَ هَذَا النِّدَاءُ أَوَّلَ نِدَاءٍ لَهُ، وَأَوَّلَ قِرَاءَةٍ عَلَيْهِ.

وَرَابِعُهَا: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ عِكْرِمَةَ، وَالْحَسَنِ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَأُجِيبَ بِأَنَّ هَذَا لَا يُعَدُّ قَوْلًا بِرَأْسِهِ، فَإِنَّهُ مِنْ ضَرُورَةِ نُزُولِ السُّورَةِ نُزُولُ الْبَسْمَلَةِ مَعَهَا فَهِيَ أَوَّلُ آيَةٍ نَزَلَتْ عَلَى الْإِطْلَاقِ.

وَأَمَّا آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ ﴿بَرَاءَةٌ﴾، وَآخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾. وَقِيلَ: آيَةُ الرِّبَا، وَقِيلَ: آيَةُ الدَّيْنِ. وَالتَّوْفِيقُ بَيْنَ الْأَخِيرَيْنِ أَنَّهُمَا نَزَلَتَا دُفْعَةً وَاحِدَةً كَتَرْتِيبِهَا فِي الْمُصْحَفِ، وَلِأَنَّهُمَا فِي قِصَّةٍ وَاحِدَةٍ، فَأَخْبَرَ كُلٌّ عَنْ بَعْضِ مَا نَزَلَ بِأَنَّهُ آخِرٌ، وَذَلِكَ صَحِيحٌ. وَالْمَآلُ إِلَى تَلْقِيبِ الْآيَةِ بِآيَةِ الرِّبَا تَارَةً، وَآيَةِ الدَّيْنِ أُخْرَى، لِاشْتِمَالِهَا عَلَى كُلٍّ مِنْهُمَا. وَمَا ذُكِرَ مِنْ أَنَّ آخِرَ مَا نَزَلَتْ ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ مُقَيَّدٌ؛ أَيْ آخِرُ مَا نَزَلَتْ فِي شَأْنِ الْفَرَائِضِ هَذِهِ.

وَقِيلَ: آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾[2] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ. رَوَاهُ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ.

---

(1) سورة الفاتحة، الآية: 1

(2) سورة التوبة، الآية: 128.

وَقِيلَ: آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾[1] الْآيَةُ. وَأَوَّلَ هَذِهِ بِأَنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ بَعْدَهَا آيَةٌ تَنْسَخُهَا بَلْ هِيَ مُحْكَمَةٌ. وَأَوَّلَ الْبَيْهَقِيُّ هَذِهِ الْأَقْوَالَ بِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ أَجَابَ بِمَا عِنْدَهُ.

قُلْتُ: وَلَا يَنْفَعُ هَذَا التَّأْوِيلُ أَصْلًا.

وَقَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ فِي الِانْتِصَارِ: «هَذِهِ الْأَقْوَالُ لَيْسَ فِيهَا حَدِيثٌ مَرْفُوعٌ، وَكُلٌّ قَالَهُ بِضَرْبٍ مِنَ اجْتِهَادِهِ، وَغَلَبَةِ ظَنِّهِ. وَيَحْتَمِلُ أَنَّ كُلًّا مِنْهُمْ أَخْبَرَ عَنْ آخِرِ مَا سَمِعَهُ، أَوْ تَنْزِلُ آيَاتٌ فَيُؤْمَرُ بِرَسْمِ آخِرِ مَا نَزَلَ أَوَّلًا، وَأَوَّلِهِ آخِرًا، فَيُظَنُّ الْآخِرُ فِي التَّرْتِيبِ آخِرَ مَا نَزَلَ، وَفِي الْأَقْوَالِ كَثْرَةٌ»[2].

عِلْمُ مَعْرِفَةِ سَبَبِ النُّزُولِ

وَالنُّزُولُ قِسْمَانِ: ابْتِدَائِي، أَوْ عَقِيبَ سُؤَالٍ، أَوْ حَادِثَةٍ. صَنَّفَ فِيهِ عَلِيُّ ابْنُ الْمَدِينِيِّ شَيْخُ الْبُخَارِيِّ، وَصَنَّفَ فِيهِ الْوَاحِدِيُّ، وَاخْتَصَرَهُ الْجَعْبَرِيُّ، فَحَذَفَ أَسَانِيدَهُ، وَلَمْ يَزِدْ فِيهِ شَيْئًا. وَأَلَّفَ فِيهِ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ حَجَرٍ، إِلَّا أَنَّهُ مَاتَ، فَبَقِيَ فِي الْمُسَوَّدَةِ، وَأَلَّفَ فِيهِ السُّيُوطِيُّ كِتَابًا حَافِلًا سَمَّاهُ: "**لُبَابُ النُّقُولِ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ**".

وَفِي هَذَا الْعِلْمِ فَوَائِدُ:

(1) سورة الكهف، الآية: 110.

(2) اختصر النص من الانتصار للقرآن للباقلاني: 1/ 246.

مِنْهَا: مَعْرِفَةُ وَجْهِ الْحِكْمَةِ الْبَاعِثَةِ عَلَى تَشْرِيعِ الْحُكْمِ.

وَمِنْهَا: تَخْصِيصُ الْحُكْمِ بِهِ عِنْدَ مَنْ يَرَى أَنَّ الْعِبْرَةَ بِخُصُوصِ السَّبَبِ.

وَمِنْهَا: أَنَّ اللَّفْظَ قَدْ يَكُونُ عَامًّا، وَيَقُومُ الدَّلِيلُ عَلَى تَخْصِيصِهِ، فَإِذَا عُرِفَ السَّبَبُ قُصِرَ التَّخْصِيصُ عَلَى مَا عَدَا صُورَتَهُ.

وَالْوُقُوفُ عَلَى الْمَعْنَى، إِذْ رُبَّمَا لَا يُمْكِنُ مَعْرِفَةُ تَفْسِيرِ الْآيَةِ بِدُونِ الْوُقُوفِ عَلَى قِصَّتِهَا، وَبَيَانِ سَبَبِ نُزُولِهَا.

مَثَلًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾[1]، يَقْتَضِي عَدَمَ وُجُوبِ اسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ، وَهُوَ خِلَافُ الْإِجْمَاعِ، وَلَا يُعْلَمُ ذَلِكَ إِلَّا بِأَنَّ نُزُولَهَا فِي نَافِلَةِ السَّفَرِ، وَفِيمَنْ صَلَّى بِالتَّحَرِّي. وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ﴾[2]، الْآيَةُ. يَقْتَضِي عَدَمَ وُجُوبِ السَّعْيِ بَيْنَهُمَا، وَلَا يُعْلَمُ ذَلِكَ إِلَّا بِمَا بَيَّنَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بِأَنَّ نُزُولَهَا فِي أَنَّ الصَّحَابَةَ تَأَثَّمُوا مِنَ السَّعْيِ بَيْنَهُمَا لِأَنَّهُ مِنْ عَمَلِ الْجَاهِلِيَّةِ.

وَمِنْ فَوَائِدِ مَعْرِفَةِ سَبَبِ النُّزُولِ دَفْعُ تَوَهُّمِ الْحَصْرِ، وَمَعْرِفَةُ اسْمِ النَّازِلِ فِيهِ الْآيَةُ، وَتَعَيُّنُ الْمُبْهَمِ فِيهَا.

---

(1) سورة البقرة، الآية: 115.

(2) سورة البقرة، الآية: 158.

وَإِذَا عَرَفْتَ هَذِهِ الْفَوَائِدَ تَعْرِفُ بُطْلَانَ زَعْمِ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ لَا طَائِلَ تَحْتَ هَذَا الْفَنِّ، لِجَرَيَانِهِ مَجْرَى التَّارِيخِ.

اعْلَمْ أَنَّ الْمُحَقِّقِينَ مِنْ أَهْلِ الْأُصُولِ عَلَى أَنَّ الْعِبْرَةَ بِعُمُومِ اللَّفْظِ لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ، حَتَّى إِنَّهُ كَمْ مِنْ آيَةٍ نَزَلَتْ فِي أَسْبَابٍ، وَهُمْ عَدُّوهَا إِلَى غَيْرِ أَسْبَابِهَا، كَنُزُولِ آيَةِ الظِّهَارِ فِي مَسْلَمَةَ بْنِ صَخْرٍ، وَآيَةِ اللِّعَانِ فِي هِلَالِ ابْنِ أُمَيَّةَ، وَحَدِّ الْقَذْفِ فِي رُمَاةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا. وَلَا عِبْرَةَ بِمَنْ لَا يَعْتَبِرُ عُمُومَ اللَّفْظِ. وَالتَّفْصِيلُ فِيهِ فِي عِلْمِ الْأُصُولِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ صُورَةَ السَّبَبِ لِلنُّزُولِ قَطْعِيَّةُ الدُّخُولِ في العَامِّ، ثُمَّ إِذَا نَزَلَتْ آيَاتٌ عَلَى أَسْبَابٍ خَاصَّةٍ، تُوضَعُ مَعَ مَا يُنَاسِبُهَا مِنَ الْآيِ الْعَامَّةِ، رِعَايَةً لِنَظْمِ الْقُرْآنِ، وَحُسْنِ السِّيَاقِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ الْخَاصُّ قَرِيبًا مِنْ صُورَةِ السَّبَبِ فِي كَوْنِهِ قَطْعِيَّ الدُّخُولِ فِي الْعَامِّ، كَمَا اخْتَارَ السُّبْكِيُّ أَنَّهُ رُتْبَةٌ مُتَوَسِّطَةٌ دُونَ السَّبَبِ وَفَوْقَ التَّجَرُّدِ.

فَائِدَةٌ:

قَالَ الْوَاحِدِيُّ: «لَا يَحِلُّ الْقَوْلُ في أَسْبَابِ نُزُولِ الْكِتَابِ إِلَّا بِالرِّوَايَةِ وَالسَّمَاعِ مِمَّنْ شَاهَدُوا التَّنْزِيلَ، وَوَقَفُوا عَلَى الْأَسْبَابِ، وَبَحَثُوا عَنْ عِلْمِهَا»[1].

---

(1) العجاب في بيان الأسباب لابن حجر العسقلاني: 1/ 100.

وَقِيلَ: «قَوْلُ الصَّحَابِيِّ، نَزَلَتِ الْآيَةُ فِي كَذَا، يُرَادُ بِهِ تَارَةً سَبَبُ النُّزُولِ، وَيُرَادُ بِهِ تَارَةً أَنَّ ذَلِكَ دَاخِلٌ فِي الْآيَةِ. وَيُشْتَرَطُ فِي سَبَبِ النُّزُولِ، أَنْ يَكُونَ نُزُولُهَا أَيَّامَ وُقُوعِ الْحَادِثَةِ، وَإِلَّا كَانَ ذَلِكَ مِنْ بَابِ الْإِخْبَارِ عَنِ الْوَقَائِعِ الْمَاضِيَةِ كَقِصَّةِ الْفِيلِ، وَقِصَّةِ قَوْمِ نُوحٍ وَأَمْثَالِهِمَا.

ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِي قَوْلِ الصَّحَابِيِّ: نَزَلَتِ الْآيَةُ فِي كَذَا، هَلْ هُوَ فِي حُكْمِ الْمُسْنَدِ بِنَاءً عَلَى أَنَّهُ لَا طَرِيقَ لِمَعْرِفَتِهِ غَيْرُ السَّمَاعِ، أَمْ يَكُونُ مِنْ بَابِ التَّفْسِيرِ مِنَ الصَّحَابِيِّ.

وَأَيْضًا إِذَا وَقَعَ مِنَ التَّابِعِيِّ فَهُوَ مَرْفُوعٌ أَيْضًا، لَكِنَّهُ مُرْسَلٌ، وَيُقْبَلُ إِذَا صَحَّ السَّنَدُ إِلَيْهِ، وَكَانَ مِنْ أَئِمَّةِ التَّفْسِيرِ الْآخِذِينَ عَنِ الصَّحَابَةِ كَمُجَاهِدٍ وَعِكْرِمَةَ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، أَوِ اعْتَضَدَ بِمُرْسَلٍ آخَرَ، وَنَحْوَ ذَلِكَ»[1].

فَائِدَةٌ:

كَثِيرًا مَا يَذْكُرُ الْمُفَسِّرُونَ لِنُزُولِ الْآيَةِ أَسْبَابًا مُتَعَدِّدَةً، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ قَوْلَهُمْ: نَزَلَتْ فِي كَذَا يُرَادُ بِهِ التَّفْسِيرُ، فَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَ التَّفْسِيرَيْنِ إِذَا كَانَ اللَّفْظُ يَتَنَاوَلُهُمَا، وَإِلَّا فَإِنْ كَانَ إِسْنَادُ أَحَدِهِمَا صَحِيحًا، فَهُوَ الْمُعْتَمَدُ، وَإِنْ قَالَ

(1) الإتقان في علوم القرآن: 1/ 115-116.

وَاحِدٌ: نَزَلَتْ فِي كَذَا، وَصَرَّحَ الْآخَرُ بِأَنَّ سَبَبَهُ كَذَا، وَهُمَا مُتَخَالِفَانِ. فَالْمُصَرِّحُ بِالسَّبَبِيَّةِ هُوَ الْمُعْتَمَدُ عَلَيْهِ، وَمَا قِيلَ: "نَزَلَتْ"؛ فَهُوَ الِاسْتِنْبَاطُ[1].

عِلْمُ مَعْرِفَةِ مَا نَزَلَ عَلَى لِسَانِ بَعْضِ الصَّحَابَةِ

هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ نَوْعٌ مِنْ أَسْبَابِ النُّزُولِ. والأَصْلُ فِيهِ مُوَافَقَاتُ عُمَرَ، وَقَدْ أَفْرَدَهَا بِالتَّصْنِيفِ جَمَاعَةٌ.

قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوِ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى، فَنَزَلَتْ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾[2]. وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ نِسَاءَكَ يَدْخُلُ عَلَيْهِنَّ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، فَلَوْ أَمَرْتَهُنَّ أَنْ يَحْتَجِبْنَ، فَنَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ. وَاجْتَمَعَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسَاؤُهُ فِي الْغَيْرَةِ، فَقُلْتُ لَهُنَّ: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾[3]، فَنَزَلَتْ كَذَلِكَ»[4].

وَأَمْثَالُ هَذِهِ كَثِيرَةٌ، يَعْرِفُهَا مَنْ تَتَبَّعَ كُتُبَ الْأَحَادِيثِ.

(1) الإتقان في علوم القرآن: 1/ 107ـ 117.

(2) سورة البقرة، الآية: 125.

(3) سورة التحريم، الآية: 5.

(4) صحيح البخاري: 1/ 89 رقم: 402، وصحيح مسلم: 4/ 1865 رقم: 2399.

عِلْمُ مَعْرِفَةِ مَا تَكَرَّرَ نُزُولُهُ

قَالَ الزَّرْكَشِيُّ فِي "الْبُرْهَانُ":

قَدْ يُنَزَّلُ الشَّيْءُ مَرَّتَيْنِ تَعْظِيمًا لِشَأْنِهِ، وَتَذْكِيرًا عِنْدَ حُدُوثِ سَبَبِهِ خَوفَ نِسْيَانِهِ. وَالْحِكْمَةُ فِي هَذَا أَنَّهُ قَدْ يَحْدُثُ سَبَبٌ مِنْ سُؤَالٍ، أَوْ حَادِثَةٍ تَقْتَضِي نُزُولَ آيَةٍ، وَقَدْ نَزَلَ قَبْلَ ذَلِكَ مَا يَتَضَمَّنُهَا، فَتُوحَى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ الْآيَةُ بِعَيْنِهَا تَذْكِيرًا لَهُمْ بِهَا، وَبِأَنَّهَا تَتَضَمَّنُ هَذِهِ، وَالْأَحْرُفُ السَّبْعَةُ لِلْقُرْآنِ مِنْ قَبِيلِ تَكْرَارِ النُّزُولِ. وَبِهَذَا عَرَفْتَ بُطْلَانَ مَا قِيلَ: لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ مَا هُوَ مُكَرَّرُ النُّزُولِ، إِذْ لَا فَائِدَةَ فِيهِ لِأَنَّهُ تَحْصِيلُ الْحَاصِلِ[1].

عِلْمُ مَعْرِفَةِ مَا تَأَخَّرَ حُكْمُهُ عَنْ نُزُولِهِ وَمَا تَأَخَّرَ نُزُولُهُ عَنْ حُكْمِهِ

مِثَالُ الْأَوَّلِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾[2] فَالسُّورَةُ مَكِّيَّةٌ. وَقَدْ ظَهَرَ أَثَرُ الْحِلِّ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، حَتَّى قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ»[3].

وَكَذَلِكَ نَزَلَ بِمَكَّةَ: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾[4]. قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فَأَيُّ جَمْعٍ؟ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ، وَانْهَزَمَتْ قُرَيْشُ، نَظَرْتُ إِلَى رَسُولِ

---

(1) البرهان في علوم القرآن: 1/ 29 ـ 31، والإتقان في علوم القرآن: 1/ 130.

(2) سورة البلد، الآية: 1 ـ 2.

(3) صحيح مسلم: 2/ 987، رقم: 446.

(4) سورة القمر، الآية: 45.

اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي آثَارِهِمْ مُصْلِتًا بِالسَّيْفِ يَقُولُ: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾، فَكَانَتْ لِيَوْمِ بَدْرٍ.

وَمِثَالُ الثَّانِي، آيَةُ الْوُضُوءِ، فَالْآيَةُ مَدَنِيَّةٌ إِجْمَاعًا، وَفَرْضُ الْوُضُوءِ كَانَ بِمَكَّةَ مَعَ فَرْضِ الصَّلَاةِ. قِيلَ: وَالْحِكْمَةُ فِيهِ أَنْ فُرِضَ أَوَّلًا، ثُمَّ نَزَلَتِ الْآيَةُ، لِيَكُونَ فَرْضُهُ مَتْلُوًّا، أَوْ كَآيَةِ الْجُمُعَةِ، فَإِنَّهَا مَدَنِيَّةٌ، وَالْجُمُعَةُ فُرِضَتْ بِمَكَّةَ[1].

عِلْمُ مَعْرِفَةِ مَا نَزَلَ مُفَرَّقًا وَمَا نَزَلَ جَمْعًا

مِثَالُ الْأَوَّلِ فِي: ﴿اقْرَأْ﴾، أَوَّلُ مَا نَزَلَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، ﴿والضُّحَى﴾ أَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنْهَا إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فتَرْضَى﴾.

مِثَالُ الثَّانِي سُورَةُ الْفَاتِحَةِ وَالْإِخْلَاصِ وَالْكَوْثَرِ وَتَبَّتْ وَالْمُعَوِّذَتَانِ نَزَلَتَا مَعًا وَالنَّصْرِ، وَلَمْ يَكُنْ هَذَا كُلُّهُ فِي السُّوَرِ الْقِصَارِ، وَمِنْهُ فِي السُّوَرِ الطِّوَالِ: الْمُرْسَلَاتُ وَسُورَةُ الصَّفِّ وَسُورَةُ الْأَنْعَامِ[2].

عِلْمُ مَعْرِفَةِ مَا نَزَلَ مُشَيَّعًا وَمَا نَزَلَ مُفْرَدًا

وَغَالِبُ الْقُرْآنِ نَزَلَ بِهِ جِبْرِيلُ مُفْرَدًا بِلَا تَشْيِيعٍ. وَأَمَّا الْمُشَيَّعُ فَسُورَةُ الْأَنْعَامِ، شَيَّعَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ. وَفَاتِحَةُ الْكِتَابِ نَزَلَتْ وَمَعَهَا ثَمَانُونَ

---

(1) الإتقان في علوم القرآن: 1/ 130 ـ 131.

(2) الإتقان في علوم القرآن: 1/ 136.

أَلْفَ مَلَكٍ. وَآيَةُ الْكُرْسِيِّ نَزَلَتْ وَمَعَهَا ثَلَاثُونَ أَلْفَ مَلَكٍ. وَسُورَةُ يُونُسَ نَزَلَتْ وَمَعَهَا ثَلَاثُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، وَآيَةُ ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾(1) نَزَلَتْ وَمَعَهَا عِشْرُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، قِيلَ: وَسُورَةُ الْكَهْفِ أَيْضًا شَيَّعَهَا سَبْعونَ أَلْفَ مَلَكٍ(2).

عِلْمُ مَعْرِفَةِ مَا نَزَلَ(3) مِنْهُ عَلَى بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ وَمَا لَمْ يَنْزِلْ مِنْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

مِنَ الثَّانِي: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ وَآيَةُ الْكُرْسِيِّ وَخَاتِمَةُ الْبَقَرَةِ.

رَوَى مُسْلِمٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَلَكٌ، فَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ قَدْ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ، فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ»(4).

وَفِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ ذَكَرَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، وَخَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ.

وَمِنَ الْأَوَّلِ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾(5).

وَعَنْ أَبِي مَيْسَرَةَ: «أَنَّ أَوَّلَ سُورَةِ الْجُمُعَةِ مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَاةِ»(6).

---

(1) سورة الزخرف، الآية: 45.

(2) الإتقان في علوم القرآن: 1/ 138.

(3) أنزل، قونية.

(4) صحيح مسلم: 1/ 554، رقم: 806، والسنن الكبرى: 1/ 472، رقم: 986.

(5) سورة الأعلى، الآية: 1.

(6) إتحاف المهرة لابن حجر: 19/ 570، رقم: 25373.

وَعَنْ زَيْدٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ؛ لَمْ تَنْزِلْ عَلَى نَبِيٍّ بَعْدَ سُلَيْمَانَ غَيْرِي»[1].

وَعَنْ كَعْبٍ: أَوَّلُ مَا أُنْزِلَ فِي التَّوْرَاةِ عَشْرُ آيَاتٍ مِنْ سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾[2]. إِلَى آخِرِهَا.

وَعَنْهُ أَيْضًا: فَاتِحَةُ التَّوْرَاةِ فَاتِحَةُ الْأَنْعَامِ، وَخَاتِمَتُهَا خَاتِمَةُ هُودٍ: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾[3]. إِلَى آخِرِهَا[4].

وَعَنْهُ: فُتِحَتِ التَّوْرَاةُ بِأَوَّلِ الْأَنْعَامِ، إِلَى قَوْلِهِ ﴿يَعْدِلُونَ﴾، وَخُتِمَتْ بِـ ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾[5].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: «إِنَّهُ - يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ»[6]. الْحَدِيثُ.

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: «أَنْزَلَ اللهُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ كَمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[7]. وَ﴿قَدْ أَفْلَحَ

---

(1) سنن الدارقطني: 2/ 80 رقم: 1183، السنن الكبرى: 10/ 106 رقم: 20023
(2) سورة الأنعام، الآية: 151.
(3) سورة هود، الآية: 123.
(4) حلية الأولياء لأبي نعيم: 5/ 378.
(5) سورة الإسراء، الآية: 111.
(6) صحيح البخاري: 3/ 66، رقم: 2125. والسنن الكبرى: 7/ 72، رقم: 13300.
(7) سورة التوبة، الآية: 112.

الْمُؤْمِنُونَ﴾، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1]. وَ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾[2]، الْآيَةُ. وَالَّتِي فِي﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾[3]. و﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾. إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿قَائِمُونَ﴾[4]، فَلَمْ يَفِ بِهَذِهِ السِّهَام إِلَّا إِبْرَاهِيمُ وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ[5]»[6].

عِلْمُ مَعْرِفَةِ كَيْفِيَّةِ إِنْزَالِ الْقُرْآنِ

وَفِيهَا ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

الْأَوَّلُ: وَهُوَ الْأَصَحُّ الْأَشْهَرُ: نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ جُمْلَةً وَاحِدَةً، ثُمَّ نَزَلَ بَعْدَ ذَلِكَ مُنَجَّمًا فِي ثَلَاثٍ، أَوْ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ، أَوْ عِشْرِينَ عَلَى حَسَبِ الِاخْتِلَافِ فِي مُدَّةِ إِقَامَتِهِ بِمَكَّةَ بَعْدَ الْبِعْثَةِ.

الثَّانِي: أَنَّهُ نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فِي عِشْرِينَ لَيْلَةَ قَدْرٍ، أَوْ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ، أَوْ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ، فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مَا يُقَدِّرُ اللهُ إِنْزَالَهُ فِي كُلِّ السَّنَةِ، ثُمَّ نَزَلَ بَعْدَ ذَلِكَ مُنَجَّمًا فِي جَمِيعِ السَّنَةِ. وَهَذَا الْقَوْلُ نَقَلَهُ مُقَاتِلٌ، وَقَالَ بِهِ

---

(1) سورة المؤمنون، الآية: 1 إلى الآية: 11.

(2) سورة الأحزاب، الآية: 35.

(3) سورة المعارج، الآية: 1

(4) سورة المعارج، الآية: 23 ـ 33.

(5) المستدرك على الصحيحين للحاكم: 2/ 600، رقم: 4021.

(6) الإتقان في علوم القرآن: 1/ 142 ـ 144.

الْحَلِيمِيُّ وَالْمَاوَرْدِيُّ. وَذَكَرَهُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ بِقَوْلِهِ: وَيَحْتَمِلُ، ثُمَّ تَوَقَّفَ هَلْ هَذَا أَوْلَى أَوِ الْأَوَّلِ.

الثَّالِثُ: أَنَّهُ ابْتُدِئَ إِنْزَالُهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، ثُمَّ نَزَلَ بَعْدَ ذَلِكَ مُنَجَّمًا فِي أَوْقَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ سَائِرِ الْأَوْقَاتِ.

وَهَاهُنَا قَوْلٌ **رَابِعٌ** غَيْرُ مَشْهُورٍ، وَهُوَ أَنَّهُ نَزَلَ الْقُرْآنُ جُمْلَةً مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، إِلَى السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَنَجَّمَتْهُ السَّفَرَةُ عَلَى جِبْرِيلَ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وَنَجَّمَهُ جِبْرِيلُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِشْرِينَ سَنَةً[1].

وَاعْلَمْ أَنَّ الْعُلَمَاءَ اخْتَلَفُوا فِي مَعْنَى الْإِنْزَالِ:

مِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِظْهَارُ الْقِرَاءَةِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ قالَ: أَلْهَمَ كَلَامَهُ جِبْرِيلَ، وَعَلَّمَهُ قِرَاءَتَهُ، ثُمَّ جِبْرِيلُ أَدَّاهُ فِي الْأَرْضِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: يَتَلَقَّفُهُ الْمَلَكُ مِنَ اللهِ تَلَقُّفًا رُوحَانِيًّا، أَوْ يَحْفَظُهُ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، فَيَنْزِلُ بِهِ إِلَى الرَّسُولِ، وَيُلْقِيهِ عَلَيْهِ.

(1) الإتقان في علوم القرآن: 1/ 146- 149.

وَمِنْهُمْ مَنْ قالَ: الَّذِينَ يَقُولُونَ؛ الْقُرْآنُ مَعْنًى قَائِمٌ بِذَاتِهِ تَعَالَى، يَقُولُونَ إِنْزَالُهُ إِيجَادُ الْكَلِمَاتِ وَالْحُرُوفِ الدَّالَّةِ عَلَى ذَلِكَ الْمَعْنَى، وَإِثْبَاتُهُ فِي اللَّوْحِ، وَالَّذِينَ يَقُولُونَ إِنَّهُ اللَّفْظُ، فَإِنْزَالُهُ مُجَرَّدُ إِثْبَاتِهِ فِي اللَّوْحِ.

ثُمَّ فِي الْمُنَزَّلِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلاثَةُ أَقْوالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ اللَّفْظُ وَالْمَعْنَى.

ثَانِيهَا: أَنَّ جِبْرِيلَ نَزَلَ بِالْمَعَانِي خَاصَّةً، وَأَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِمَهَا وَعَبَّرَ عَنْهَا بِلُغَةِ الْعَرَبِ، وَتَمَسَّكَ بِظَاهِرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ﴾[1].

وَثَالِثُهَا: أَنَّ جِبْرِيلَ أَلْقَى إِلَيْهِ الْمَعْنَى، وَأَنَّهُ عَبَّرَ بِهَذِهِ الْأَلْفَاظِ بِلُغَةِ الْعَرَبِ، وَأَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ يَقْرَؤُونَهُ بِالْعَرَبِيَّةِ، ثُمَّ نَزَلَ بِهِ كَذَلِكَ بَعْدَ ذَلِكَ.

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: كَلَامُ اللهِ الْمُنَزَّلُ قِسْمَانِ: قِسْمٌ قَالَ اللهُ تَعَالَى لِجِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قُلْ لَهُ كَذَا وَكَذَا، فَيَجُوزُ تَعْبِيرُهُ بِعِبَارَةِ نَفْسِهِ، وَقِسْمٌ قَالَ لَهُ: اقْرَأْ عَلَيْهِ كَذَا وَكَذَا، فَهُوَ لَا يُغَيِّرُ مِنْهُ كَلِمَةً وَلَا حَرْفًا، فَالْقُرْآنُ هُوَ الْقِسْمُ الثَّانِي، وَالْقِسْمُ الْأَوَّلُ هُوَ السُّنَّةُ، كَمَا وَرَدَ أَنَّ جِبْرِيلَ نَزَلَ بِالسُّنَّةِ كَمَا يَنْزِلُ بِالْقُرْآنِ، وَلِهَذَا لَمْ يَجُزْ تَغْيِيرُ نَظْمِ الْقُرْآنِ، وَجَازَ تَغْيِيرُ لَفْظِ السُّنَّةِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ فِي التَّنْزِيلِ طَرِيقَيْنِ:

---

(1) سورة الشعراء، الآية: 193 ـ 194.

أَحَدُهُمَا: انْخِلَاعُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ صُورَةِ الْبَشَرِيَّةِ إِلَى صُورَةِ الْمَلَكِيَّةِ، ثُمَّ أَخْذُهُ مِنَ الْمَلَكِ.

وَثَانِيهِمَا: تَمَثُّلُ الْمَلَكِ بِصُورَةِ الْبَشَرِيَّةِ حَتَّى يَأْخُذَهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ. وَالْأَوَّلُ أَصْعَبُ الْحَالَيْنِ.

ثُمَّ كَيْفِيَّةُ سَمَاعِهِ عَلَى وُجُوهٍ، تَارَةً يَسْمَعُهُ كَصَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، وَهَذِهِ الْحَالَةُ أَشَدُّ الْحَالَاتِ عَلَيْهِ. وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ مَرَّةٍ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا ظَنَنْتُ أَنَّ نَفْسِي تُقْبَضُ»[1].

قِيلَ: إِنَّمَا يَنْزِلُ كَذَا إِذَا أُنْزِلَتْ آيَةُ وَعِيدٍ، أَوْ تَهْدِيدٍ، وَتَارَةً يَنْفُثُ فِي رَوْعِهِ الْكَلَامَ نَفْثًا، كَمَا قَالَ: إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رَوْعِي، وَتَارَةً يَأْتِيهِ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ فَيُكَلِّمُهُ، كَمَا قَالَ: «وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا، فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ»[2].

وَفِي رِوَايَةٍ: «وَهُوَ أَهْوَنُهُ عَلَيَّ».

وَتَارَةً يَأْتِيهِ الْمَلَكُ فِي النَّوْمِ، وَتَارَةً يُكَلِّمُهُ اللهُ، إِمَّا فِي الْيَقَظَةِ، كَمَا فِي لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ، أَوْ فِي النَّوْمِ، كَمَا فِي حَدِيثِ مُعَاذٍ: «أَتَانِي رَبِّي فَقَالَ فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى...»[3] الحديث.

---

(1) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: 8/ 256، رقم: 13934.

(2) صحيح البخاري: 1/ 6 رقم: 2، وسنن الترمذي: 5/ 597 رقم: 3634.

(3) سنن الترمذي: 5/ 343 رقم: 3235، وقال: حديث حسن صحيح.

وَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ مِنْ هَذَا النَّوْعِ شَيْءٌ فِيمَا أَعْلَمُ.

فَائِدَةٌ:

عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ قَالَ: «لَمْ يَنْزِلْ وَحْيٌ إِلَّا بِالْعَرَبِيَّةِ، ثُمَّ تَرْجَمَ كُلُّ نَبِيٍّ لِقَوْمِهِ»[1].

عِلْمُ مَعْرِفَةِ أَسْمَائِهِ وَأَسْمَاءِ سُوَرِهِ

قَالَ الْجَاحِظُ: سَمَّى اللهُ كَلَامَهُ اسْمًا مُخَالِفًا لِمَا سَمَّى الْعَرَبُ كَلَامَهُمْ عَلَى الْجُمْلَةِ وَالتَّفْصِيلِ، سَمَّى جُمْلَتَهُ قُرْآنًا، كَمَا سَمَّوْا[2] دِيوَانًا، وَبَعْضَهُ سُورَةً كَقَصِيدَةٍ، وَبَعْضَهَا آيَةً كَالْبَيْتِ، وَآخِرَهَا فَاصِلَةً كَقَافِيَةٍ.

اعْلَمْ أَنَّ اللهَ سَمَّى الْقُرْآنَ بِخَمْسَةٍ وَخَمْسِينَ اسْمًا[3]:

كِتَابًا مُبِينًا، وَقُرْآنًا، وَكَرِيمًا، وَكَلَامًا، وَنُورًا، وَهُدًى، وَرَحْمَةً، وَفُرْقَانًا، وَشِفَاءً، وَمَوْعِظَةً، وَذِكْرًا، وَمُبَارَكًا، وَعَلِيًّا، وَحِكْمَةً، وَحَكِيمًا، وَمُهَيْمِنًا، وَحَبْلًا، وَصِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَقَيِّمًا، وَقَوْلًا، وَفَصْلًا، وَنَبَأً عَظِيمًا، وَأَحْسَنَ

---

(1) الإتقان في علوم القرآن: 1/ 146ـ 163. والحديث في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة: 1/ 18.

(2) يُسمى، في قونية.

(3) ذكر الزركشي في البرهان نقلا عن الحَرَالِّي: أن أسماء القرآن تسعون وَنَيِّف، وأَوْصَلَهَا الفيروزآباذي إلى مئة، فقال: «ذكر الله تعالى للقرآن مئة اسم نسوقها على نسق واحد». بصائر ذوي التمييز: 1/ 88.

الْحَدِيثِ، وَمَثَانِيَ، وَمُتَشَابِهًا، وَتَنْزِيلًا، وَرُوحًا، وَوَحْيًا، وَعَرَبِيًّا، وَبَصَائِرَ، وَبَيَانًا، وَعِلْمًا، وَحَقًّا، وَهَادِيًا، وَعَجَبًا، وَتَذْكِرَةً، وَالْعُرْوَةَ الْوُثْقَى، وَصِدْقًا وَعَدْلًا، وَأَمْرًا، وَمُنَادِيًا، وَبُشْرَى، وَمَجِيدًا، وَزَبُورًا، وَبَشِيرًا، وَنَذِيرًا، وَعَزِيزًا، وَبَلَاغًا، وَقَصَصًا، وَسَمَّاهُ أَرْبَعَةَ أَسْمَاءٍ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ: صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ، مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ. انْتَهَى.

ثُمَّ إِنَّ السُّورَةَ قَدْ يَكُونُ لَهَا اسْمٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ كَثِيرٌ، وَقَدْ يَكُونُ لَهَا اسْمَانِ فَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، لِأَنَّ كَثْرَةَ الْأَسْمَاءِ تَدُلُّ عَلَى شَرَفِ الْمُسَمَّى. مِنْ ذَلِكَ الْفَاتِحَةُ، وَلَهَا نَيِّفٌ وَعِشْرُونَ اسْمًا: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، فَاتِحَةُ الْقُرْآنِ، أُمُّ الْكِتَابِ، أُمُّ الْقُرْآنِ، الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، السَّبْعُ الْمَثَانِي، الْوَافِيَةُ، الْكَنْزُ، الْكَافِيَةُ، الْأَسَاسُ، النُّورُ، سُورَةُ الْحَمْدِ، وَسُورَةُ الشُّكْرِ، سُورَةُ الْحَمْدِ الْأُولَى، وَسُورَةُ الْحَمْدِ الْقُصْرَى، الرُّقْيَةُ، وَالشِّفَاءُ، وَالشَّافِيَةُ، سُورَةُ الصَّلَاةِ، وَالصَّلَاةُ، وَسُورَةُ الدُّعَاءِ، وَسُورَةُ السُّؤَالِ، وَسُورَةُ تَعْلِيمِ الْمَسْأَلَةِ، وَسُورَةُ الْمُنَاجَاةِ، وَسُورَةُ التَّفْوِيضِ»[1].

(1) الإتقان في علوم القرآن: 1/ 178 ـ 193.

عِلْمُ مَعْرِفَةِ جَمْعِهِ وَتَرْتِيبِهِ

قَالَ الْحَاكِمُ فِي "الْمُسْتَدْرَكُ": جُمِعَ الْقُرْآنُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

الْأَوَّلُ: بِحَضْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قِيلَ: «وَكَانُوا يَكْتُبُونَ فِي الْعُسُبِ وَاللِّخَافِ، وَالرِّقَاعِ، وَقِطَعِ الْأَدِيمِ، وَالْأَكْتَافِ، وَالْأَضْلَاعِ، وَالْأَقْتَابِ». وَكَانَ ذَلِكَ جَمْعَ الْآيَاتِ الْمُفَرَّقَةِ فِي سُوَرِهَا بِإِشَارَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: «إِنَّمَا لَمْ يَجْمَعْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ فِي الْمُصْحَفِ، لِمَا كَانَ يَتَرَقَّبُهُ مِنْ وُرُودِ نَاسِخٍ لِبَعْضِ أَحْكَامِهِ، أَوْ تِلَاوَتِهِ، فَلَمَّا انْقَضَى نُزُولُهُ بِوَفَاتِهِ، أُلْهِمَ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ ذَلِكَ، وَفَاءً بِوَعْدِهِ الصَّادِقِ بِضَمَانِ حِفْظِهِ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ»[1].

وَالثَّانِي: بِحَضْرَةِ أَبِي بَكْرٍ. رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي **صَحِيحِهِ** عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: «أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ غَدَاةَ مَقْتَلِ أَهْلِ الْيَمَامَةِ، فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عِنْدَهُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ: إِنَّ الْقَتْلَ قَدِ اسْتَحَرَّ بِقُرَّاءِ الْقُرْآنِ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرَّاءِ فِي الْمَوَاطِنِ، فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرْآنِ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ الْقُرْآنِ، فَقُلْتُ لِعُمَرَ: كَيْفَ أَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ عُمَرُ: هَذَا وَاللهِ خَيْرٌ. فَلَمْ يَزَلْ يُرَاجِعُنِي

---

(1) فتح الباري: 9/ 12.

حَتَّى شَرَحَ اللهُ صَدْرِي لِذَلِكَ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَى عُمَرُ. قَالَ زَيْدٌ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ شَابٌّ عَاقِلٌ، ولَا نَتَّهِمُكَ، وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَتَبَّعِ الْقُرْآنَ، فَاجْمَعْهُ. فَوَ اللهِ لَوْ كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ. قُلْتُ: كَيْفَ تَفْعَلَانِ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: هُوَ وَاللهِ خَيْرٌ. فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فَتَتَبَّعْتُ الْقُرْآنَ، أَجْمَعُهُ مِنَ الْعُسُبِ وَاللِّخَافِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ، وَوَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الْأَنْصَارِيِّ لَمْ أَجِدْهَا مَعَ غَيْرِهِ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾[1] حَتَّى خَاتِمَةِ ﴿بَرَاءَةٌ﴾، وَكَانَتِ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ»[2].

وَالثَّالِثُ: هُوَ تَرْتِيبُ السُّوَرِ فِي زَمَنِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ: «قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ، وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّامِ فِي فَتْحِ أَرْمِينِيَةَ وأَذْرَبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلَافُهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ: أَدْرِكْ هَذِهِ الْأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكِتَابِ اخْتِلَافَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ، أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا

---

(1) سورة التوبة، الآية: 128.

(2) صحيح البخاري: 6/ 71، رقم: 4679.

بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ، ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، فَنَسَخُوهَا فِي الْمَصَاحِفِ. قِيلَ: وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ الْقِرَاءَاتِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ»[1].

قَالَ: «فَقَدْتُ آيَةً مِنَ الْأَحْزَابِ حِينَ نَسَخْنَا الْمُصْحَفَ، قَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ بِهَا، فَالْتَمَسْنَاهَا، فَوَجَدْنَاهَا مَعَ خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾[2]، فَأَلْحَقْنَاهَا فِي سُورَتِهَا فِي الْمُصْحَفِ»[3].

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: «وَكَانَ ذَلِكَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ»[4].

فَإِنْ قُلْتَ: الْآيَةُ إِذَا كَانَتْ مَعَ وَاحِدٍ، فَكَيْفَ تَكُونُ مُتَوَاتِرَةً؟

[**قُلْتُ**: الْآيَةُ مُتَوَاتِرَةٌ][5] وَتَفْصِيلُهَا [وَقَعَ عَنْ][6] وَاحِدٍ، وَعِنْدَ ذِكْرِ ذَلِكَ الْوَاحِدِ تَذَكَّرَ الْكُلُّ فَتَوَاتَرَتْ.

---

(1) صحيح البخاري: 6/ 183 رقم: 4987.

(2) سورة الأحزاب، الآية: 23.

(3) صحيح البخاري: 6/ 183 رقم: 4988.

(4) فتح الباري لابن حجر: 9/ 17.

(5) ما بين معقوفين سقط من أنطاليا.

(6) ما بين معقوفين سقط من قونية.

ثُمَّ إِنَّ الْمَصَاحِفَ الَّتِي أَرْسَلَهَا عُثْمَانُ إِلَى الْآفَاقِ خَمْسَةٌ عَلَى الْمَشْهُورِ.

وَرُوِيَ عَنْ أَبِي حَاتِمٍ السِّجِسْتَانِيِّ: «أَنَّهَا سَبْعَةٌ؛ أَرْسَلَ إِلَى مَكَّةَ وَالشَّامِ وَالْيَمَنِ وَالْبَحْرَيْنِ وَالْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ، وَحَبَّسَ بِالْمَدِينَةِ وَاحِدًا»(1).

وَاعْلَمْ أَنَّ الْإِجْمَاعَ وَالنُّصُوصَ الْمُتَرَادِفَةَ عَلَى أَنَّ تَرْتِيبَ الْآيَاتِ تَوْقِيفِيٌّ لَا شُبْهَةَ فِي ذَلِكَ. وَقَدْ نَقَلَ الْإِجْمَاعَ الزَّرْكَشِيُّ فِي **الْبُرْهَانِ**، وَأَبُو جَعْفَرِ بْنُ الزُّبَيْرِ فِي **مُنَاسَبَاتِهِ**(2). وَأَمَّا النُّصُوصُ فَكَثِيرَةٌ يَعْرِفُهَا مَنْ تَتَبَّعَ كُتُبَ الْأَحَادِيثِ.

وَأَيْضًا تَرْتِيبُ السُّوَرِ أَيْضًا تَوْقِيفِيٌّ، وَتَرْتِيبُهَا عَلَى مَا هُوَ فِي الْمُصْحَفِ الْآنَ، كَانَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ذَكَرَهُ السُّيُوطِيُّ فِي "**الْإِتْقَانُ**"(3).

عِلْمُ مَعْرِفَةِ عَدَدِ سُوَرِهِ وَآيَاتِهِ وَكَلِمَاتِهِ وَحُرُوفِهِ

أَمَّا سُوَرُهُ فَمِئَةٌ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ سُورَةً بِإِجْمَاعِ مَنْ يُعْتَدُّ بِهِ. وَقِيلَ: مِئَةٌ وَثَلَاثَ عَشْرَةَ بِجَعْلِ "**الْأَنْفَالُ**" وَ"**بَرَاءَةُ**" سُورَةً وَاحِدَةً. وَفِي مُصْحَفِ ابْنِ مَسْعُودٍ مِئَةٌ وَاثْنَتَا عَشْرَةَ سُورَةً، لِأَنَّهُ لَمْ يَكْتُبِ الْمُعَوِّذَتَيْنِ، وَفِي مُصْحَفِ أُبَيٍّ سِتَّ عَشْرَةَ

(1) كتاب المصاحف للسجستاني: 133.

(2) عنوان الكتاب هو: "**الْبُرْهانُ فِي تَنَاسُبِ سُوَرِ الْقُرْآنِ**"، لأبي جعفر بن الزبير الغرناطي (ت. 708هـ)، وهو مطبوع.

(3) الإتقان في علوم القرآن: 1/ 202-212.

لِأَنَّهُ كَتَبَ فِي آخِرِهِ سُورَتَيْ "**الْحَفْدُ**" وَ"**الْخُلْعُ**" وَهُمَا هَذِهِ:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِينُكَ وَنَسْتَغْفِرُكَ، وَنُثْنِي عَلَيْكَ وَلَا نَكْفُرُكَ، وَنَخْلَعُ وَنَتْرُكُ مَنْ يَفْجُرُكَ.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اللَّهُمَّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ، وَلَكَ نُصَلِّي وَنَسْجُدُ، وَإِلَيْكَ نَسْعَى وَنَحْفِدُ، نَرْجُو رَحْمَتَكَ، وَنَخْشَى عَذَابَكَ، إِنَّ عَذَابَكَ بِالْكَافِرِينَ مُلْحِقٌ.

وَرُوِيَ أَنَّ فِي مُصْحَفِ أُبَيٍّ مِئَةً وَسِتَّ عَشْرَةَ سُورَةً، وَالصَّوَابُ أَنَّهُ خَمْسَ عَشْرَةَ، فَإِنَّ سُورَةَ "الْفِيلُ" وَسُورَةَ "لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ"[1] فِيهِ سُورَةٌ وَاحِدَةٌ.

قِيلَ: «الْحِكْمَةُ فِي تَسْوِيرِ الْقُرْآنِ سُوَرًا تَحْقِيقُ كَوْنِ السُّورَةِ بِمُجَرَّدِهَا مُعْجِزَةً، وَآيَةً مِنْ آيَاتِ اللهِ، وَالْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ كُلًّا مِنْهَا نَمَطٌ مُسْتَقِلٌّ، وَإِنَّمَا اخْتَلَفَتْ بِالطِّوَالِ وَالْقِصَارِ تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ الطُّولَ لَيْسَ مِنْ شَرْطِ الْإِعْجَازِ، فَهَذِهِ سُورَةُ الْكَوْثَرِ ثَلَاثُ آيَاتٍ، وَأَنَّهَا مُعْجِزَةٌ إِعْجَازَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ.

وَأَيْضًا فِيهِ سُهُولَةُ التَّعْلِيمِ، وَتَدْرِيجُ الْأَطْفَالِ مِنَ الْقِصَارِ إِلَى الطِّوَالِ، تَيْسِيرًا مِنَ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ لِحِفْظِ كِتَابِهِ»[2].

وَأَيْضًا مَا لَهُ أَجْنَاسٌ وَأَصْنَافٌ كانَ أَحْسَنَ وَأَفْخَمَ مِنْ أَنْ يَكُونَ بَابًا وَاحِدًا.

وَأَيْضًا حِفْظُهُ شَيْئًا فَشَيْئًا أَنْشَطُ لِلْقَارِئِ، وَأَبْعَثُ عَلَى التَّحْصِيلِ.

---

(1) سورة قريش، الآية: 1.

(2) الإتقان في علوم القرآن: 1/ 228.

وَأَيْضًا الْحَافِظُ إِذَا حَدقَ السُّورَةَ يَعْظُمُ عِنْدَهُ مَا حَفِظَهُ.

قِيلَ: وَلَمْ تَكُنِ الْكُتُبُ السَّالِفَةُ كَذَلِكَ، لِأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ مُعْجِزَاتٍ مِنْ جِهَةِ النَّظْمِ وَالتَّرْتِيبِ، وَأَنَّهَا لَمْ تُيَسَّرْ لِلْحِفْظِ، إِلَّا أَنَّ الْمَرْوِيَّ عَنْ قَتَادَةَ أَنَّ الزَّبُورَ مِئَةٌ وَخَمْسُونَ سُورَةً كُلُّهَا مَوَاعِظُ، وَذَكَرُوا أَنَّ فِي الْإِنْجِيلِ سُورَةً تُسَمَّى سُورَةَ الْأَمْثَالِ(1).

وَأَمَّا عَدُّ الْآيِ، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهَا سِتَّةُ آلَافِ آيَةٍ وَسِتُّمِئَةِ آيَةٍ وَسِتَّ عَشْرَةَ آيَةً. وَجَمِيعُ حُرُوفِهِ ثَلَاثُمِئَةِ أَلْفِ حَرْفٍ وَثَلَاثَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ حَرْفٍ وَسِتُّمِئَةِ حَرْفٍ وَأَحَدٌ وَسَبْعُونَ حَرْفًا.

قَالَ الدَّانِيُّ: أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ عَدَدَ آيَاتِ الْقُرْآنِ سِتَّةُ آلَافِ آيَةٍ، وَاخْتَلَفُوا فِيمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ، فَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَزِدْ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: وَمِئَتَا آيَةٍ وَأَرْبَعُ آيَاتٍ. وَقِيلَ: وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ، وَقِيلَ: وَتِسْعَ عَشْرَةَ، وَقِيلَ: وَخَمْسٌ وَعِشْرُونَ، وَقِيلَ: وَسِتٌّ وَثَلَاثُونَ.

فَائِدَةٌ:

الْآيَةُ: قُرْآنٌ مُرَكَّبٌ مِنْ جُمَلٍ وَلَوْ تَقْدِيرًا، ذُو مَبْدَإٍ وَمَقْطَعٍ مُنْدَرِجٍ فِي سُورَةٍ. **وَقِيلَ**: طَائِفَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ مُنْقَطِعَةٌ عَمَّا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا.

---

(1) الأشبال، في مراد ملا وأنطاليا وقونية وعاطف أفندي، والصواب ما أثبتناه أي "الأمثال". والنقل من الإتقان في علوم القرآن: 1/ 229.

وَالِاتِّفَاقُ عَلَى أَنَّهَا تَوْقِيفِيَّةٌ، لَا مَجَالَ لِلْقِيَاسِ فِيهِ، وَلِهَذَا عُدَّ ﴿الم﴾ وَ﴿المص﴾ آيَةً، وَلَمْ يَعُدُّوا ﴿المر﴾ وَ﴿الر﴾ آيَةً. ثُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ ذَكَرُوا عَدَدَ آيَاتِ كُلِّ سُورَةٍ عَلَى حِدَةٍ، وَذَلِكَ خَارِجٌ عَنْ طَوْقِنَا.

قَالَ الْهُذَلِيُّ فِي كَامِلِهِ[1]: اعْلَمْ أَنَّ قَوْمًا جَهِلُوا الْعَدَدَ، وَمَا فِيهِ مِنَ الْفَوَائِدِ، حَتَّى قَالَ الزَّعْفَرَانِيُّ: الْعَدَدُ لَيْسَ بِعِلْمٍ، وَإِنَّمَا اشْتَغَلَ بِهِ بَعْضُهُمْ لِيُرَوِّجَ بِهِ سُوقَهُ. قَالَ: وَلَيْسَ كَذَلِكَ، فَفِيهِ مِنَ الْفَوَائِدِ: مَعْرِفَةُ الْوَقْفِ، وَلِأَنَّ الْإِجْمَاعَ انْعَقَدَ عَلَى أَنَّ الصَّلَاةَ لَا تَصِحُّ بِنِصْفِ آيَةٍ.

وَقَالَ جَمْعٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ: تُجْزِئُ بِآيَةٍ، وَآخَرُونَ بِثَلَاثِ آيَاتٍ، وَالْآخَرُونَ: لَا بُدَّ مِنْ سَبْعٍ، وَالْإِعْجَازُ لَا يَقَعُ بِدُونِ آيَةٍ، فَلِلْعَدَدِ فَائِدَةٌ عَظِيمَةٌ فِي ذَلِكَ. انْتَهَى[2].

وَأَمَّا كَلِمَاتُ الْقُرْآنِ سَبْعَةٌ وَسَبْعُونَ أَلْفَ كَلِمَةٍ وَتِسْعُمِئَةٍ وَأَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ كَلِمَةً. وَقِيلَ: وَأَرْبَعُمِئَةٍ وَسَبْعٌ وَثَلَاثُونَ، وَقِيلَ: وَمِئَتَانِ وَسَبْعٌ وَسَبْعُونَ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ. وَسَبَبُ الِاخْتِلَافِ أَنَّ الْكَلِمَةَ لَهَا حَقِيقَةٌ وَمَجَازٌ، وَلَفْظٌ وَرَسْمٌ، وَاعْتِبَارُ كُلٍّ مِنْهَا جَائِزٌ، وَكُلٌّ مِنَ الْعُلَمَاءِ اعْتَبَرَ أَحَدَ الْجَوَائِزِ.

---

(1) يقصد كتاب: "**الْكَامِلُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ وَالْأَرْبَعِينَ الزَّائِدَةِ عَلَيْهَا**"، لأبي القاسم يوسف بن علي بن جبارة الهذلي المغربي. الكتاب مطبوع.

(2) الإتقان في علوم القرآن: 1/ 225 ـ 241.

قَالَ السَّخَاوِيُّ: لَا أَعْلَمُ لِعَدَدِ الْكَلِمَاتِ وَالْحُرُوفِ مِنْ فَائِدَةٍ، لِأَنَّ ذلِكَ إِنْ أَفَادَ، فَإِنَّمَا يُفِيدُ فِي كِتَابٍ يُمْكِنُ فِيهِ الزِّيَادَةُ وَالنُّقْصَانُ، وَالْقُرْآنُ لَا يُمْكِنُ فِيهِ ذَلِكَ. ثُمَّ إِنَّ بَعْضًا مِنَ الْقُرَّاءِ جَعَلَ لِلْقُرْآنِ الْعَظِيمِ أَنْصَافًا بِاعْتِبَارَاتٍ، فَنِصْفُهُ بِالْحُرُوفِ النُّونُ مِنْ ﴿نُكْرًا﴾ فِي الْكَهْفِ، وَالْكَاف مِنَ النِّصْفِ الثَّانِي، وَنِصْفُهُ بِالْكَلِمَاتِ الدَّالُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالْجُلُودُ﴾، فِي الْحَجِّ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَهُمْ مَقَامِعُ﴾ مِنَ النِّصْفِ الثَّانِي، وَنِصْفُهُ بِالْآيَاتِ ﴿يَأْفِكُونَ﴾ مِنْ سُورَةِ الشُّعَرَاءِ، وَقَوْلُهُ: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ﴾ مِنَ النِّصْفِ الثَّانِي، وَنِصْفُهُ عَلَى عَدَدِ السُّوَرِ آخِرُ الْحَدِيدِ، وَالْمُجَادَلَةُ مِنَ النِّصْفِ الثَّانِي، وَهُوَ عَشْرَةٌ بِالْأَحْزَابِ، وَقِيلَ: إِنَّ النِّصْفَ بِالْحُرُوفِ الْكَافُ مِنْ ﴿نُكْرًا﴾، وَقِيلَ: الْفَاءُ، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾[1].

عِلْمُ مَعْرِفَةِ حُفَّاظِهِ وَرُوَاتِهِ

وَاعْلَمْ أَنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ أَئِمَّةَ الْقُرَّاءِ فِيمَا سَبَقَ بِحَيْثُ لَا تَحْتَاجُ إِلَى الْمَزِيدِ عَلَيْهِ فَارْجِعْ إِلَيْهِ.

(1) الإتقان في علوم القرآن: 1/ 242 ـ 243.

عِلْمُ مَعْرِفَةِ الْعَالِي وَالنَّازِلِ مِنْ أَسَانِيدِهِ

اعْلَمْ أَنَّ طَلَبَ عُلُوِّ الْإِسْنَادِ سُنَّةٌ، فَإِنَّهُ قُرْبٌ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَهَذَا[1] خَمْسَةُ أَقْسَامٍ. أَفْضَلُهَا وَأَعْلَاهَا الْقُرْبُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَعْلَاهُ فِي هَذَا الزَّمَانِ سِتَّةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ قِرَاءَةِ ابْنِ عَامِرٍ مِنْ رِوَايَةِ ذَكْوَانَ، ثُمَّ سَبْعَةَ عَشَرَ مِنْ قِرَاءَةِ عَاصِمٍ مِنْ رِوَايَةِ حَفْصٍ، وَقِرَاءَةِ يَعْقُوبَ مِنْ رِوَايَةِ وَرْشٍ.

ثُمَّ الْقُرْبُ إِلَى إِمَامٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْقِرَاءَةِ، وَأَعْلَاهُ فِي هَذَا الزَّمَانِ إِلَى نَافِعٍ أَرْبَعَةَ عَشَرَ، وَإِلَى ابْنِ عَامِرٍ أَرْبَعَةَ عَشَرَ.

ثُمَّ الْعُلُوُّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْكُتُبِ الْمَشْهُورَةِ **كَالتَّيْسِيرِ وَالشَّاطِبِيَّةِ**، وَهَذَا بِمَنْزِلَةِ عُلُوِّ الْمُحَدِّثِينَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى رِوَايَةِ الْكُتُبِ السِّتَّةِ. وَيَقَعُ فِي هَذَا النَّوْعِ **الْمُوَافَقَاتُ وَالْأَبْدَالُ وَالْمُسَاوَاةُ وَالْمُصَافَحَاتُ**.

وَهَذِهِ الْأَقْسَامُ كَمَا تُعْتَبَرُ فِي الْقِرَاءَةِ تُعْتَبَرُ فِي الْحَدِيثِ أَيْضًا مِنْ غَيْرِ فَرْقٍ.

فَالْمُوَافَقَةُ: أَنْ تَجْتَمِعَ طَرِيقُهُ مَعَ أَحَدِ أَصْحَابِ الْكُتُبِ فِي شَيْخِهِ، وَقَدْ يَكُونُ مَعَ عُلُوٍّ عَلَى مَا رَوَاهُ مِنْ طَرِيقِهِ، وَقَدْ لَا يَكُونُ.

وَالْبَدَلُ: أَنْ يَجْتَمِعَ مَعَهُ فِي شَيْخِ شَيْخِهِ فَصَاعِدًا، وَقَدْ يَكُونُ أَيْضًا بِعُلُوٍّ وَقَدْ لَا يَكُونُ.

---

(1) وهذه، في قونية.

وَالْمُسَاوَاةُ: أَنْ يَكُونَ بَيْنَ الرَّاوِيِّ وَالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوِ الصَّحَابِيِّ أَوْ مَنْ دُونَهُ، إِلَى شَيْخِ أَحَدِ أَصْحَابِ الْكُتُبِ، كَمَا بَيْنَ أَصْحَابِ الْكُتُبِ وَالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوِ الصَّحَابِيِّ، أَوْ مَنْ دُونَهُ، عَلَى مَا ذُكِرَ مِنَ الْعَدَدِ.

وَالْمُصَافَحَةُ: أَنْ يَكُونَ أَكْثَرَ عَدَدًا مِنْهُ بِوَاحِدٍ، فَكَأَنَّهُ لَقِيَ صَاحِبَ ذَلِكَ الْكِتَابِ وَصَافَحَهُ.

وَمِنْ أَقْسَامِ الْعُلُوِّ تَقَدُّمُ وَفَاةِ الشَّيْخِ عَنْ قَرِينِهِ الَّذِي أَخَذَ عَنِ شَيْخِ ذَلِكَ الشَّيْخِ.

وَمِنْ أَقْسَامِهِ أَيْضًا، الْعُلُوُّ بِمَوْتِ الشَّيْخِ، لَا مَعَ الْتِفَاتٍ[1] إِلَى أَمْرٍ آخَرَ، أَوْ شَيْخٍ آخَرَ، مَتَى يَكُونُ.

قَالَ بَعْضُهُمْ: يُوصَفُ الْإِسْنَادُ بِالْعُلُوِّ، إِذَا مَضَى عَلَيْهِ مِنْ مَوْتِ الشَّيْخِ خَمْسُونَ سَنَةً. وَقَالَ ابْنُ مَنْدَهْ: ثَلَاثُونَ سَنَةً.

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْأَقْسَامَ الْخَمْسَةَ لِلْعُلُوِّ مِمَّا اعْتَبَرَهُ الْمُحَدِّثُونَ فِي السَّنَدِ أَوَّلًا، لَكِنْ يُمْكِنُ اعْتِبَارُهُ فِي سَنَدِ الْقُرَّاءِ أَيْضًا مِنْ غَيْرِ فَرْقٍ. وَإِذَا عَرَفْتَ الْعُلُوَّ بِأَقْسَامِهِ عَرَفْتَ النُّزُولَ، فَإِنَّهُ ضِدُّهُ، وَحَيْثُ ذُمَّ النُّزُولُ، فَهُوَ مَا لَمْ

(1) التفاوت، في قونية.

يَنْجَبِرْ بِكَوْنِ رِجَالِهِ أَعْلَمَ، أَوْ أَحْفَظُ، أَوْ أَتْقَنُ، أَوْ أَجَلَّ، أَوْ أَشْهَرُ، أَوْ أَوْرَعُ، أَمَّا إِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَلَيْسَ بِمَذْمُومٍ، وَلَا مَفْضُولٍ[1].

عِلْمُ مَعْرِفَةِ الْمُتَوَاتِرِ وَالْمَشْهُورِ وَالْآحَادِ وَالشَّاذِّ وَالْمَوْضُوعِ وَالْمُدْرَجِ

قَالَ الْقَاضِي جَلَالُ الدِّينِ الْبُلْقِينِيُّ: الْقِرَاءَةُ تَنْقَسِمُ إِلَى مُتَوَاتِرٍ وَآحَادٍ وَشَاذٍّ.

فَالْمُتَوَاتِرُ: السَّبْعَةُ الْمَشْهُورَةُ.

وَالْآحَادُ: الثَّلَاثَةُ الَّتِي هِيَ تَمَامُ الْعَشَرَةِ، وَتُلْحَقُ بِهَا قِرَاءَةُ الصَّحَابَةِ.

وَالشَّاذُّ: قِرَاءَاتُ التَّابِعِينَ، كَالْأَعْمَشِ، وَيَحْيَى بْنِ وَثَّابٍ، وَابْنِ جُبَيْرٍ، وَنَحْوِهِمْ.

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا كَلَامٌ ظَاهِرٌ، وَالتَّحْقِيقُ فِيهِ مَا ذَكَرَهُ أَبُو الْخَيْرِ ابْنُ الْجَزَرِيِّ فِي كِتَابِ "**النَّشْرُ**"[2]: كُلُّ قِرَاءَةٍ وَافَقَتِ الْعَرَبِيَّةَ وَلَوْ بِوَجْهٍ، وَوَافَقَتْ إِحْدَى الْمَصَاحِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ وَلَوِ احْتِمَالًا، وَصَحَّ سَنَدُهَا، فَهِيَ الْقِرَاءَةُ الصَّحِيحَةُ الَّتِي لَا يَجُوزُ رَدُّهَا، وَلَا يَحِلُّ إِنْكَارُهَا، بَلْ هِيَ مِنَ الْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ، وَوَجَبَ عَلَى النَّاسِ قَبُولُهَا، سَوَاءٌ كَانَتْ عَنِ الْأَئِمَّةِ السَّبْعَةِ، أَمْ عَنِ الْعَشَرَةِ، أَمْ عَنْ غَيْرِهِمْ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمَقْبُولِينَ، وَمَتَى اخْتَلَّ رُكْنٌ مِنْ هَذِهِ الْأَرْكَانِ الثَّلَاثَةِ، أُطْلِقَ عَلَيْهَا ضَعِيفَةٌ، أَوْ شَاذَّةٌ، أَوْ بَاطِلَةٌ، سَوَاءٌ كَانَتْ عَنِ

---

(1) الإتقان في علوم القرآن: 1/ 254 - 257.

(2) يعني كتاب: " "النَّشْرُ فِي الْقِراءاتِ الْعَشْرِ"، لأبي الخير ابن الجزري، وهو مطبوع.

السَّبْعَةِ، أَمْ عَمَّنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُمْ. هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ عِنْدَ أَئِمَّةِ التَّحْقِيقِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ. صَرَّحَ بِذَلِكَ الدَّانِيُّ وَمَكِّيٌّ وَالْمَهْدَوِيُّ وَأَبُو شَامَةَ.

قَالَ أَبُو شَامَةَ فِي "الْمُرْشِدُ الْوَجِيزُ"[1]: لَا يَنْبَغِي أَنْ يُغْتَرَّ بِكُلِّ قِرَاءَةٍ تُعْزَى إِلَى أَحَدِ السَّبْعَةِ، وَيُطْلَقَ عَلَيْهَا لَفْظُ الصِّحَّةِ، وَأَنَّهَا أُنْزِلَتْ هَكَذَا إِلَّا إِذَا دَخَلَتْ فِي ذَلِكَ الضَّابِطِ. بَلْ إِنْ نُقِلَ عَنْ غَيْرِهِمْ، فَذَلِكَ لَا يُخْرِجُهَا عَنِ الصِّحَّةِ، فَإِنَّ الِاعْتِمَادَ عَلَى اسْتِجْمَاعِ تِلْكَ الْأَوْصَافِ، لَا عَلَى مَنْ تُنْسَبُ إِلَيْهِ، غَيْرَ أَنَّ هَؤُلَاءِ السَّبْعَةَ لِشُهْرَتِهِمْ، وَكَثْرَةِ الصَّحِيحِ الْمُجْمَعِ عَلَيْهِ فِي قِرَاءَتِهِمْ، تَرْكَنُ النَّفْسُ إِلَى مَا نُقِلَ عَنْهُمْ فَوْقَ مَا يُنْقَلُ عَنْ غَيْرِهِمْ.

ثُمَّ قَالَ ابْنُ الْجَزَرِيِّ: فَقَوْلُنَا فِي الضَّابِطِ وَلَوْ بِوَجْهٍ نُرِيدُ بِهِ وَجْهًا مِنْ وُجُوهِ النَّحْوِ، سَوَاءٌ كَانَ أَفْصَحَ، أَمْ فَصِيحًا مُجْمَعًا عَلَيْهِ، أَمْ مُخْتَلَفًا فِيهِ اخْتِلَافًا لَا يَضُرُّ مِثْلُهُ، إِذَا كَانَتِ الْقِرَاءَةُ مِمَّا شَاعَ وَذَاعَ، وَتَلَقَّاهُ الْأَئِمَّةُ بِالْإِسْنَادِ الصَّحِيحِ، إِذْ هُوَ الْأَصْلُ الْأَعْظَمُ، وَالرُّكْنُ الْأَقْوَمُ. وَكَمْ مِنْ قِرَاءَةٍ أَنْكَرَهَا بَعْضُ أَهْلِ النَّحْوِ، أَوْ كَثِيرٌ مِنْهُمْ، وَلَمْ يُعْتَبَرْ إِنْكَارُهُمْ كَإِسْكَانِ: ﴿بَارِئْكُمْ﴾ وَ﴿يَأْمُرْكُمْ﴾، وَخَفْضِ: ﴿وَالْأَرْحَامِ﴾، وَنَصْبِ: ﴿لِيُجْزَى قَوْمًا﴾، وَالْفَصْلُ بَيْنَ الْمُضَافَيْنِ فِي: ﴿قَتْل أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ﴾، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

---

(1) يعني كتاب: " الْمُرْشِدُ الوَجِيزُ إلى عُلُومٍ تَتَعَلَّقُ بِالْكِتَابِ الْعَزِيزِ"، لأبي شامَةَ عبد الرحمن بن إسماعيل. وهو مطبوع.

قَالَ الدَّانِيُّ: وَأَئِمَّةُ الْقِرَاءَةِ لَا تَعْمَلُ فِي شَيْءٍ مِنْ حُرُوفِ الْقُرْآنِ عَلَى الْأَفْشَى فِي اللُّغَةِ، وَالْأقْيَسِ فِي الْعَرَبِيَّةِ، بَلْ عَلَى الْأَثْبَتِ فِي الْأَثَرِ، وَالْأَصَحِّ فِي النَّقْلِ، وَإِذَا ثَبَتَتِ الرِّوَايَةُ، لَمْ يَرُدَّهَا قِيَاسُ عَرَبِيَّةٍ، وَلَا فُشُوُّ لُغَةٍ، لِأَنَّ الْقِرَاءَةَ سُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ، يَلْزَمُ قَبُولُهَا، وَالْمَصِيرُ إِلَيْهَا[1].

ثُمَّ قَالَ ابْنُ الْجَزَرِيِّ: (وَنَعْنِي بِمُوَافَقَةِ أَحَدِ الْمَصَاحِفِ)، مَا كَانَ ثَابِتًا فِي بَعْضِهَا دُونَ بَعْضٍ، كَقِرَاءَةِ ابْنِ عَامِرٍ: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا﴾ فِي الْبَقَرَةِ بِغَيْرِ وَاوٍ، وَ(بِالزُّبُرِ) وَ(بِالْكِتَابِ) بِإِثْبَاتِ الْبَاءِ فِيهِمَا، فَإِنَّ ذَلِكَ ثَابِتٌ فِي الْمُصْحَفِ الشَّامِيِّ. وَكَقِرَاءَةِ ابْنِ كَثِيرٍ: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، فِي آخِرِ بَرَاءَةٍ بِزِيَادَةِ (مِنْ)، فَإِنَّهُ ثَابِتٌ فِي الْمُصْحَفِ الْمَكِّيِّ، وَنَحْوِ ذَلِكَ. فَإِنْ لَمْ تَكُنْ فِي شَيْءٍ مِنَ الْمَصَاحِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ فَشَاذَّةٌ، لِمُخَالَفَتِهَا الرَّسْمَ الْمُجْمَعَ عَلَيْهِ.

وَقَوْلُنَا: (وَلَوِ احْتِمَالًا)؛ نَعْنِي بِهِ مَا وَافَقَهُ وَلَوْ تَقْدِيرًا، كَـ ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[2]، فَإِنَّهُ كُتِبَ فِي الْجَمِيعِ بِلَا أَلِفٍ، فَقِرَاءَةُ الْحَذْفِ تُوَافِقُهُ تَحْقِيقًا، وَقِرَاءَةُ الْأَلِفِ تُوَافِقُهُ تَقْدِيرًا، لِحَذْفِهَا فِي الْخَطِّ اخْتِصَارًا. وَمِنَ هَذَا الْقَبِيلِ: ﴿الصِّرَاطُ﴾، أَصْلُهُ بِالسِّينِ فَالصَّادُ تُوَافِقُهُ تَحْقِيقًا، وَالسِّينُ تَقْدِيرًا. حَتَّى لَوْ كُتِبَ بِالسِّينِ، لَمْ تَجُزْ قِرَاءَةُ الصَّادِ لِعَدَمِ تَوَافُقِهِ حِينَئِذٍ أَصْلًا.

---

(1) النشر في القراءات العشر: 1/ 9-11.

(2) سورة الفاتحة، الآية: 4.

ثُمَّ قَالَ: وَقَوْلُنَا: (وَصَحَّ سَنَدُهَا)؛ نَعْنِي بِهِ أَنْ يَرْوِيَ تِلْكَ الْقِرَاءَةَ الْعَدْلُ الضَّابِطُ عَنْ مِثْلِهِ، وَهَكَذَا حَتَّى تَنْتَهِيَ، وَتَكُونَ مَعَ ذَلِكَ مَشْهُورَةً عِنْدَ أَئِمَّةِ هَذَا الشَّأْنِ، غَيْرَ مَعْدُودَةٍ عِنْدَهُمْ مِنَ الْغَلَطِ، أَوْ مِمَّا شَذَّ بِهَا بَعْضُهُمْ.

قَالَ: وَقَدْ شَرَطَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ التَّوَاتُرَ فِي هَذَا الرُّكْنِ، وَلَمْ يَكْتَفِ بِصِحَّةِ السَّنَدِ، وَزَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ لَا يَثْبُتُ إِلَّا بِالتَّوَاتُرِ.

قَالَ: وَهَذَا مِمَّا لَا يَخْفَى مَا فِيهِ، فَإِنَّ التَّوَاتُرَ إِذَا ثَبَتَ لَا يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى الرُّكْنَيْنِ الْأَخِيرَيْنِ مِنَ الرَّسْمِ وَغَيْرِهِ، إِذَا مَا ثَبَتَ مِنْ أَحْرُفِ الْخِلَافِ مُتَوَاتِرًا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجَبَ قَبُولُهُ، وَقُطِعَ بِكَوْنِهِ قُرْآنًا سَوَاءٌ وَافَقَ الرَّسْمَ أَمْ لَا»[1].

إِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَقَدْ تَحَرَّرَ لَكَ مِنْهُ أَنْوَاعُ الْقِرَاءَاتِ:

الْأَوَّلُ الْمُتَوَاتِرُ: وَهُوَ مَا نَقَلَهُ جَمْعٌ لَا يُمْكِنُ تَوَاطُؤُهُمْ عَلَى الْكَذِبِ عَنْ مِثْلِهِمْ إِلَى مُنْتَهَاهُ، وَغَالِبُ الْقِرَاءَاتِ كَذَلِكَ.

الثَّانِي الْمَشْهُورُ: وَهُوَ مَا صَحَّ سَنَدُهُ، وَلَمْ يَبْلُغْ دَرَجَةَ التَّوَاتُرِ، وَوَافَقَ الْعَرَبِيَّةَ وَالرَّسْمَ، وَاشْتَهَرَ عِنْدَ الْقُرَّاءِ.

الثَّالِثُ الْآحَادُ: وَهُوَ مَا صَحَّ سَنَدُهُ، وَخَالَفَ الرَّسْمَ، أَوِ الْعَرَبِيَّةَ، أَوْ لَمْ يَشْتَهِرْ الِاشْتِهَارَ الْمَذْكُورَ، وَلَا يُقْرَأُ بِهِ.

---

(1) النشر في القراءات العشر: 1/ 11 ـ 13.

الرَّابِعُ الشَّاذُّ: وَهُوَ مَا لَمْ يَصِحَّ سَنَدُهُ، مِنْ ذَلِكَ قِرَاءَةُ ﴿مَلَكَ يَوْمَ الدِّينِ﴾ بِصِيغَةِ الْمَاضِي، وَنَصْبِ يَوْمَ.

الْخَامِسُ الْمَوْضُوعُ: كَقِرَاءَاتِ[1] الْخُزَاعِيِّ.

السَّادِسُ الْمُدْرَجُ: وَهُوَ مَا زِيدَ فِي الْقِرَاءَاتِ عَلَى وَجْهِ التَّفْسِيرِ، كَقِرَاءَةِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ: وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ مِنْ أُمٍّ. وَقِرَاءَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ. وَقِرَاءَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ: وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَسْتَعِينُونَ بِاللهِ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ. وَجَزَمَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ بِأَنَّهُ تَفْسِيرٌ.

قَالَ ابْنُ الْجَزَرِيِّ فِي آخِرِ كَلَامِهِ: «وَرُبَّمَا كَانُوا يُدْخِلُونَ التَّفْسِيرَ فِي الْقِرَاءَةِ إِيضَاحًا وَبَيَانًا، لِأَنَّهُمْ مُحَقِّقُونَ لِمَا تَلَقَّوْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُرْآنًا، فَهُمْ آمِنُونَ مِنَ الِالْتِبَاسِ، وَرُبَّمَا كَانَ بَعْضُهُمْ يَكْتُبُهُ مَعَهُ، وَأَمَّا مَنْ يَقُولُ: إِنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ كَانَ يُجِيزُ الْقِرَاءَةَ بِالْمَعْنَى فَقَدْ كَذَبَ. انْتَهَى»[2].

عِلْمُ مَعْرِفَةِ بَيَانِ الْمَوْصُولِ لَفْظًا الْمَفْصُولِ مَعْنًى

وَهَذَا الْعِلْمُ أَصْلٌ كَبِيرٌ، عَظِيمُ النَّفْعِ جِدًّا، وَبِهِ يَحْصُلُ حَلُّ كَثِيرٍ مِنَ الْإِشْكَالَاتِ. مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ

---

(1) كقراءة، في قونية.

(2) النشر في القراءات العشر: 1/ 32، والإتقان في علوم القرآن: 1/ 258 ـ 266.

وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾[1]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[2]، فَإِنَّ الْآيَةَ فِي قِصَّةِ آدَمَ وَحَوَّاءَ كَمَا يُفْهَمُ مِنَ السِّيَاقِ، لَكِنَّ آخِرَ الْآيَةِ مُشْكِلٌ حَيْثُ نُسِبَ الْإِشْرَاكُ إِلَيْهِمَا، مَعَ أَنَّ الْإِجْمَاعَ مُنْعَقِدٌ عَلَى أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ مَعْصُومُونَ مِنَ الشِّرْكِ قَبْلَ النُّبُوَّةِ وَبَعْدَهَا، فَظَهَرَ مِنْهُ أَنَّ آخِرَ الْآيَةِ مَفْصُولٌ عَنْ قِصَّةِ آدَمَ وَحَوَّاءَ.

وَعَنِ السُّدِّيِّ: هَذِهِ مَفْصُولَةٌ مِنْ آيَةِ آدَمَ؛ خَاصَّةٌ فِي آلِهَةِ الْعَرَبِ.

وَعَنِ السُّدِّيِّ عَنْ أَبِي مَالِكٍ، قَالَ: هَذِهِ مَفْصُولَةٌ، أَطَاعَاهُ فِي الْوَلَدِ، ﴿فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ هَذِهِ لِقَوْمِ مُحَمَّدٍ، فَظَهَرَ مِنْهُ أَنَّ الْآيَةَ مِنَ الْمَوْصُولِ الْمَفْصُولِ، وَيُوَضِّحُ ذَلِكَ تَغْيِيرُ الضَّمِيرِ إِلَى الْجَمْعِ بَعْدَ التَّثْنِيَةِ، وَلَوْ كَانَتِ الْقِصَّةُ وَاحِدَةً لَقَالَ: (عَمَّا يُشْرِكَانِ)، وَحُسْنُ التَّخَلُّصِ وَالْاسْتِطْرَادُ مِنْ أَسَالِيبِ الْقُرْآنِ.

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ﴾[3] الْآيَةُ، فَإِنَّهُ عَلَى تَقْدِيرِ الْوَصْلِ يَكُونُ الرَّاسِخُونَ يَعْلَمُونَ[4] تَأْوِيلَهُ، مَعَ أَنَّ الْآيَةَ دَلَّتْ عَلَى ذَمِّ مُتَّبِعِي الْمُتَشَابِهِ، وَوَصْفِهِمْ بِالزَّيْغِ، فَظَهَرَ أَنَّ ذَلِكَ مَفْصُولٌ[5].

---

(1) سورة الأعراف، الآية: 189.

(2) نفسها، الآية: 190.

(3) سورة آل عمران، الآية: 7.

(4) يعلم تأويله، في الأزهرية.

(5) الإتقان في علوم القرآن: 1/ 309 ـ 310.

عِلْمُ مَعْرِفَةِ الْإِمَالَةِ وَالْفَتْحِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَكَذَا عِلْمُ مَعْرِفَةِ الْإِدْغَامِ وَالْإِظْهَارِ وَالْإِخْفَاءِ وَالْإِقْلَابِ

كُلُ هَذِهِ مُفَصَّلَةٌ فِي عِلْمِ الْقِرَاءَةِ فَلْتُعْلَمْ مِنْ كُتُبِهَا.

وَكَذَا عِلْمُ مَعْرِفَةِ الْمَدِّ وَالْقَصْرِ.

وَكَذَا عِلْمُ مَعْرِفَةِ تَخْفِيفِ الْهَمْزِ[1].

وَقَدْ أَفْرَدَ جَمَاعَةٌ بِالتَّصْنِيفِ فِي هَذِهِ الْعُلُومِ الثَّلَاثَةِ.

عِلْمُ مَعْرِفَةِ كَيْفِيَّةِ تَحَمُّلِ الْقُرْآنِ

اعْلَمْ أَنَّ حِفْظَ الْقُرْآنِ فَرْضُ كِفَايَةٍ عَلَى الْأُمَّةِ لِئَلَّا يَنْقَطِعَ عَدَدُ التَّوَاتُرِ فِيهِ، فَلَا يَتَطَرَّقَ إِلَيْهِ التَّبْدِيلُ وَالتَّحْرِيفُ.

وَتَعْلِيمُهُ أَيْضًا فَرْضُ كِفَايَةٍ، وَهُوَ مِنْ أَفْضَلِ الْقُرَبِ، فَفِي الصَّحِيحِ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»[2].

وَأَوْجُهُ التَّحَمُّلِ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ: السَّمَاعُ مِنْ لَفْظِ الشَّيْخِ، وَالْقِرَاءَةُ عَلَيْهِ، وَالسَّمَاعُ عَلَيْهِ بِقِرَاءَةِ غَيْرِهِ، وَالْمُنَاوَلَةُ، وَالْإِجَازَةُ، وَالْمُكَاتَبَةُ، وَالْوَصِيَّةُ، وَالْإِعْلَامُ، وَالْوِجَادَةُ. وَأَمَّا عِنْدَ الْقُرَّاءِ فَلَا يَتَأَتَّى غَيْرُ الْأَوَّلَيْنِ.

---

(1) الهمزة، في أنطاليا وعاطف أفندي.

(2) صحيح البخاري: 6/ 192 رقم: 5027، مسند أحمد: 1/ 530 رقم: 500.

وَأَمَّا الْقِرَاءَةُ عَلَى الشَّيْخِ: فَهِيَ الْمُسْتَعْمَلَةُ سَلَفًا وَخَلَفًا.

وَأَمَّا السَّمَاعُ مِنْ لَفْظِ الشَّيْخِ: فَيُحْتَمَلُ أَنْ يُقَالَ بِهِ هَاهُنَا، لِأَنَّ الصَّحَابَةَ إِنَّمَا أَخَذُوا الْقُرْآنَ مِنْ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَكِنْ لَمْ يَأْخُذْ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْقُرَّاءِ، لِاحْتِيَاجِهِمْ عَلَى التَّمَرُّنِ فِي الْأَدَاءِ، وَعَدَمِ احْتِيَاجِ الصَّحَابَةِ إِلَى ذَلِكَ لِنُزُولِ الْقُرْآنِ بِلُغَتِهِمْ وَقُدْرَتِهِمْ عَلَى الْأَدَاءِ لِفَصَاحَتِهِمْ.

وَأَمَّا الْحَدِيثُ، فَلَمَّا كَانَ الْمَقْصُودُ مِنْهُ الْمَعْنَى أَوِ اللَّفْظُ لَا بِالْهَيْئَاتِ اكْتَفَوْا فِيهَا بِالسَّمَاعِ سَلَفًا وَخَلَفًا، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى فَضِيلَةِ الْقِرَاءَةِ عَلَى الشَّيْخِ عَرْضُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ عَلَى جِبْرِيلَ فِي رَمَضَانَ كُلَّ عَامٍ، وَيُحْكَى أَنَّ الشَّيْخَ شَمْسَ الدِّينِ الْجَزَرِيَّ لَمَّا قَدِمَ الْقَاهِرَةَ، وَازْدَحَمَتْ عَلَيْهِ الْخَلْقُ، لَمْ يَتَّسِعْ وَقْتُهُ لِقِرَاءَةِ الْجَمِيعِ، فَكَانَ يَقْرَأُ عَلَيْهِمُ الْآيَةَ، ثُمَّ يُعِيدُونَهَا عَلَيْهِ دُفْعَةً وَاحِدَةً، فَلَمْ يَكْتَفِ بِقِرَاءَتِهِ.

وَتَجُوزُ الْقِرَاءَةُ عَلَى الشَّيْخِ عِنْدَ قِرَاءَةِ غَيْرِهِ عَلَيْهِ إِذَا كَانَ بِحَيْثُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ حَالُهُمْ، كَمَا كَانَ الشَّيْخُ عَلَمُ الدِّينِ السَّخَاوِيُّ يَقْرَأُ عَلَيْهِ اثْنَانِ وَثَلَاثَةٌ فِي أَمَاكِنَ مُخْتَلِفَةٍ، وَهُوَ يَرُدُّ عَلَى كُلٍّ مِنْهُمْ. وَكَذَا لَوْ كَانَ الشَّيْخُ مُشْتَغِلًا بِشُغْلٍ آخَرَ كَنَسْخٍ وَمُطَالَعَةٍ.

وَأَمَّا الْقِرَاءَةُ مِنَ الْحِفْظِ، فَالظَّاهِرُ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِشَرْطٍ، بَلْ يَكْفِي وَلَوْ مِنَ الْمُصْحَفِ. ثُمَّ إِنَّ قَدْرَ مَا يُقْرَأُ حَالَ الْأَخْذِ عَشْرُ آيَاتٍ لِكَائِنٍ مَنْ كَانَ، وَعَلَيْهِ الصَّدْرُ الْأَوَّلُ، وَأَمَّا مَنْ بَعْدَهُمْ فَبِقَدْرِ قُوَّةِ الْآخِذِ[1].

وَعِنْدَ ابْنِ الْجَزَرِيِّ الْأَخْذُ فِي الْإِفْرَادِ بِجُزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ مِئَةٍ وَعِشْرِينَ، وَفِي الْجَمْعِ بِجُزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ مِئَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ، وَلَمْ يَحُدَّ لَهُ آخَرُونَ حَدًّا، وَهُوَ اخْتِيَارُ السَّخَاوِيِّ.

قِيلَ: لَا تَجُوزُ رِوَايَةُ الْحَدِيثِ بِدُونِ الْإِجَازَةِ. وَأَمَّا الْقُرْآنُ، فَفِيهِ وَجْهَانِ: فِي وَجْهٍ لَا يَجُوزُ، لِأَنَّ الِاحْتِيَاطَ فِيهِ أَكْثَرُ، وَفِي وَجْهٍ يَجُوزُ، وَهُوَ الظَّاهِرُ، إِذِ الْقُرْآنُ مَحْفُوظٌ مُتَلَقًّى، مُتَدَاوَلٌ مُيَسَّرٌ، وَلَا كَذَلِكَ الْحَدِيثُ.

وَأَمَّا إِقْرَاءُ الْعُلُومِ وَإِفَادَتُهَا، وَكَذَا الْإِفْتَاءُ، فَلَا يَشْتَرِطُ الْإِجَازَةَ، بَلِ الْأَهْلِيَّةَ لَهَا فَقَطْ، وَعَلَى ذَلِكَ السَّلَفُ الصَّالِحُ وَالصَّدْرُ الْأَوَّلُ، وَإِنَّمَا اصْطَلَحَ النَّاسُ عَلَى الْإِجَازَةِ لِيَعْرِفَ الْمُبْتَدِئُ أَهْلِيَّةَ الشَّيْخِ، فَجُعِلَتِ الْإِجَازَةُ كَالشَّهَادَةِ مِنَ الشَّيْخِ الْمُجَازِ بِالْأَهْلِيَّةِ.

وَمِمَّا وَجَبَ مَعْرِفَتُهُ هَاهُنَا، أَنَّ أَخْذَ الْمَالِ فِي مُقَابَلَةِ الْإِجَازَةِ لَا يَجُوزُ، وَأَمَّا أَخْذُهُ مِنَ الْمَالِ حَرَامٌ، بَلْ إِنْ عَلِمَ أَهْلِيَّتَهُ تَجِبُ الْإِجَازَةُ، وَإِنْ عَلِمَ خِلَافَهَا تَحْرُمُ، وَأَمَّا أَخْذُ الْأُجْرَةِ عَلَى التَّعْلِيمِ فَجَائِزٌ، وَفِي الْبُخَارِيِّ: «إِنَّ

---

(1) الإتقان في علوم القرآن: 1/ 343 ـ 344.

أَحَقَّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللهِ»[1]. وَقِيلَ: إِنْ تَعَيَّنَ عَلَيْهِ لَمْ يَجُزْ، وَقِيلَ لَا يَجُوزُ مُطْلَقًا، وَهُوَ مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ، إِلَّا أَنَّ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ أَصْحَابِهِ قَالُوا: لَا بَأْسَ فِي أَخْذِ الْأُجْرَةِ عَلَى تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ وَلِلتَّدْرِيسِ، لِظُهُورِ التَّوَانِي وَالتَّكَاسُلِ فِي هَذَا الزَّمَانِ، وَلَوْ مُنِعَ ذَلِكَ لَانْسَدَّ هَذا الْبَابُ[2].

عِلْمُ مَعْرِفَةِ آدَابِ تِلَاوَتِهِ وَتَالِيهِ

أَفْرَدَهُ بِالتَّصْنِيفِ جَمَاعَةٌ، مِنْهُمُ النَّوَوِيُّ فِي "التِّبْيَانُ"[3]، وَتِلْكَ نَيِّفٌ وَثَلَاثُونَ أَدَبًا.

مِنْهَا: أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ الْإِكْثَارُ مِنَ الْقِرَاءَةِ وَالتِّلَاوَةِ، وَالْأَحَادِيثُ فِي ذَلِكَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى.

وَمِنْهَا: أَنَّ نِسْيَانَ الْقُرْآنِ بَعْدَ حِفْظِهِ كَبِيرَةٌ، وَقَدْ وَرَدَ فِي ذَلِكَ حَدِيثٌ، وَهُوَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ ذُنُوبُ أُمَّتِي فَلَمْ أَرَ ذَنْبًا أَعْظَمَ مِنْ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ آيَةٍ أُوتِيَهَا رَجُلٌ ثُمَّ نَسِيَهَا»[4].

---

(1) صحيح البخاري: 7/ 131 رقم: 5737.

(2) الإتقان في علوم القرآن: 1/ 343-356.

(3) عنوان الكتاب: "التِّبْيَانُ فِي آدَابِ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ"، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت. 676هـ). الكتاب مطبوع.

(4) إحياء علوم الدين: 4/ 18.

وَمِنْهَا: يُسْتَحَبُّ الْوُضُوءُ لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، لِأَنَّهُ أَفْضَلُ الْأَذْكَارِ، فَيَحْرُمُ عَلَى الْجُنُبِ وَالْحَائِضِ، وَيُكْرَهُ عَلَى مُتَنَجِّسِ الْفَمِ. وَقِيلَ يَحْرُمُ. نَعَمْ يَجُوزُ لِلْجُنُبِ وَالْحَائِضِ النَّظَرُ فِي الْمُصْحَفِ وَإِمْرَارِهِ عَلَى الْقَلْبِ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ تُسَنُّ الْقِرَاءَةُ فِي مَكَانٍ نَظِيفٍ، وَأَفْضَلُهُ الْمَسْجِدُ، وَكَرِهَهُ قَوْمٌ فِي الْحَمَّامِ وَالطَّرِيقِ، وَقَالَ النَّوَوِيُّ لَا يُكْرَهُ فِيهِمَا.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ [أَنْ يَجْلِسَ][1] مُسْتَقْبِلًا الْقِبْلَةَ، مُتَخَشِّعًا بِسَكِينَةٍ وَوَقَارٍ، مُطْرِقًا رَأْسَهُ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ يُسَنُّ أَنْ يَسْتَاكَ تَعْظِيمًا وَتَطْهِيرًا.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ يُسَنُّ التَّعَوُّذُ قَبْلَ الْقِرَاءَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[2]، أَيْ إِذَا أَرَدْتَ قِرَاءَتَهُ. وَصِفَتُهَا الْمُخْتَارَةُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ.

وَمِنْهَا: أَنْ لَا يَتْرُكَ الْبَسْمَلَةَ فِي أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ سِوَى "بَرَاءَةٌ"، لِأَنَّ الْأَكْثَرَ عَلَى أَنَّهَا آيَةٌ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى النِّيَّةِ كَسَائِرِ الْأَذْكَارِ، إِلَّا إِذَا نَذَرَهَا خَارِجَ الصَّلَاةِ فَلَا بُدَّ مِنْ نِيَّةِ النَّذْرِ أَوْ الْفَرْضِ.

---

(1) ما بين معقوفين سقط من أنطاليا.

(2) سورة النحل، الآية: 98.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ يُسَنُّ التَّرْتِيلُ فِي قِرَاءَتِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾[1]، وَفَرْقٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّحْقِيقِ، وَهُوَ أَنَّ التَّحْقِيقَ يَكُونُ لِلرِّيَاضَةِ وَالتَّعْلِيمِ وَالتَّمْرِينِ، وَهُوَ إِعْطَاءُ كُلِّ حَرْفٍ حَقَّهُ مِنْ إِشْبَاعِ الْمَدِّ وَإِتْمَامِ الْحَرَكَاتِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَالتَّرْتِيلُ يَكُونُ لِلتَّدَبُّرِ وَالتَّفَكُّرِ وَالِاسْتِنْبَاطِ، وَكُلُّ تَحْقِيقٍ تَرْتِيلٌ مِنْ غَيْرِ عَكْسٍ كُلِّيٍّ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ تُسَنُّ الْقِرَاءَةُ بِالتَّدَبُّرِ وَالتَّفَهُّمِ، فَهُوَ الْمَقْصُودُ الْأَعْظَمُ، وَالْمَطْلُوبُ الْأَهَمُّ، وَبِهِ تَنْشَرِحُ الصُّدُورُ وَتَسْتَنِيرُ الْقُلُوبُ.

وَمِنْهَا: لَا بَأْسَ بِتَكْرِيرِ الْآيَةِ وَتَرْدِيدِهَا.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ الْبُكَاءُ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَالتَّبَاكِي لِمَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ وَالْحُزْنُ وَالْخُشُوعُ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ يُسَنُّ تَحْسِينُ الصَّوْتِ بِالْقِرَاءَةِ وَتَزْيِينِهَا.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ قِرَاءَتُهُ بِالتَّفْخِيمِ، أَيْ يَقْرَأُهُ عَلَى قِرَاءَةِ الرِّجَالِ، وَلَا يُخْضِعُ الصَّوْتَ فِيهِ كَكَلَامِ النِّسَاءِ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ قَدْ يَجْهَرُ، وَقَدْ يُسِرُّ، لِأَنَّ الْمُسِرَّ قَدْ يَمَلُّ فَيَأْنَسُ بِالْجَهْرِ، وَالْجَاهِرُ قَدْ يَكَلُّ فَيَسْتَرِيحُ بِالْإِسْرَارِ، إِذْ قَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثُ تَقْتَضِي اسْتِحْبَابَ رَفْعِ الصَّوْتِ، وَأَحَادِيثُ تَقْتَضِي الْإِسْرَارَ وَخَفْضَ الصَّوْتِ.

---

(1) سورة المزمل، الآية: 4.

قُلْتُ: وَلَعَلَّ التَّوْفِيقَ بَيْنَهُمَا أَنَّ نَهْيَ الْجَهْرِ لِمَنْ أَفْرَطَ حَتَّى كَادَ يَكَلُّ مِنْهُ، وَنَهْيَ الْإِسْرَارِ لِمَنْ أَفْرَطَ حَتَّى لَمْ يَنْشَطْ لِلْقِرَاءَةِ، فَالْمَسْنُونُ حِينَئِذٍ، رِعَايَةُ النَّشَاطِ، وَدَفْعُ الْكَلَالِ. وَيَخْتَلِفُ قَدْرُهُ بِاخْتِلَافِ الطَّبَائِعِ، وَلِهَذَا لَمْ يُنْهَ عَنِ الْجَهْرِ أَوِ الْإِسْرَارِ عَلَى الْإِطْلَاقِ. وَهَذَا التَّوْفِيقُ لَمْ أُسْبَقْ إِلَيْهِ وَللهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

وَمِنْهَا: أَنَّ الْقِرَاءَةَ فِي الْمُصْحَفِ أَفْضَلُ مِنَ الْقِرَاءَةِ مِنْ حِفْظِهِ، لِأَنَّ النَّظَرَ فِيهِ عِبَادَةٌ مَطْلُوبَةٌ.

قِيلَ: لَوْ رُوعِيَ حَالُ الْخُشُوعِ سَوَاءٌ كانَ فِي الْقِرَاءَةِ مِنَ الْحِفْظِ أَوْ مِنَ الْمُصْحَفِ لَكَانَ قَوْلًا حَسَنًا لِاخْتِلَافِ الْحَالِ هُنَاكَ، وَهَذَا مُخْتَارُ النَّوَوِيِّ. وَحَكَى النَّوَوِيُّ قَوْلًا آخرَ، وَهُوَ تَرْجِيحُ الْقِرَاءَةِ مِنَ الْحِفْظِ مُطْلَقًا، وَنَسَبَهُ إِلَى ابْنِ عَبْدِ السَّلَامِ، وَعَلَّلَهُ بِأَنَّ فِيهِ مِنَ التَّدَبُّرِ مَا لَا يَحْصُلُ فِي الْمُصْحَفِ. **قُلْتُ**: وَهَذَا يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الطَّبَائِعِ، وَبِاخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ لَا مُطْلَقًا.

وَمِنْهَا: إِذَا أُرْتِجَ[1] عَلى الْقَارِئِ، وَأَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ غَيْرَهُ، يَنْبَغِي أَنْ يَقْرَأَ مَا قَبْلَ الْآيَةِ وَيَسْكُتَ، وَلَا يَقُولُ كَيْفَ كَذَا وَكَذَا، إِذْ رُبَّمَا يُلَبِّسُ عَلَيْهِ وَهَكَذَا.

وَرَدَ الْأَثَرُ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَالنَّخَعِيِّ وَبَشِيرِ بْنِ أَبِي مَسْعُودٍ، قالَ ابْنُ مُجَاهِدٍ: «إِذَا شَكَّ فِي التَّذْكِيرِ وَالتَّأْنِيثِ، كَمَا فِي الْيَاءِ وَالتَّاءِ فَلْيَقْرَأْ عَلَى التَّذْكِيرِ، وَإِذَا شَكَّ أَنَّ الْكَلِمَةَ مَهْمُوزَةٌ أَمْ لَا فَلْيَتْرُكِ الْهَمْزَةَ، وَإِنْ شَكَّ أَنَّ

(1) أُرْتِجَ على القارئ: استغلقت عليه القراءة ولم يقدر عليها. اللسان/ رتج.

الْحَرْفَ مَوْصُولٌ، أَوْ مَفْصُولٌ فَلْيَقْرَأْ بِالْوَصْلِ، وَإِنْ شَكَّ فِي الْمَدِّ وَالْقَصْرِ فَلْيَقْرَأْ بِالْقَصْرِ، وَإِنْ شَكَّ فِي فَتْحِ حَرْفٍ وَكَسْرِهِ فَلْيَقْرَأْ بِالْفَتْحِ، لِأَنَّ الْأَوَّلَ غَيْرُ لَحْنٍ فِي مَوْضِعٍ، وَالثَّانِي لَحْنٌ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ»[1].

وَمِنْهَا: أَنَّهُ يُكْرَهُ قَطْعُ الْقِرَاءَةِ لِمُكَالَمَةِ أَحَدٍ، لِأَنَّ كَلَامَ اللهِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُؤْثَرَ عَلَيْهِ كَلَامُ غَيْرِهِ، وَيُكْرَهُ أَيْضًا الضَّحِكُ وَالْعَبَثُ وَالنَّظَرُ إِلَى مَا يُلْهِي.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ لَا يَجُوزُ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ بِالْعَجَمِيَّةِ مُطْلَقًا، سَوَاءٌ أَحْسَنَ الْعَرَبِيَّةَ أَمْ لَا، فِي الصَّلَاةِ أَمْ خَارِجَهَا، لِأَنَّ ذَلِكَ يُذْهِبُ إِعْجَازَهُ. وَمَا رُوِيَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ تَجْوِيزُهُ فَقَدْ حُكِيَ عَنْهُ الرُّجُوعُ عَنْ ذَلِكَ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ لا تَجُوزُ الْقِرَاءَةُ بِالشَّاذِّ، وَقَدْ جُوِّزَ فِي غَيْرِ الصَّلَاةِ، وَقَدْ نُقِلَ الْإِجْمَاعُ عَلَى عَدَمِ الْجَوَازِ.

وَمِنْهَا: أَنَّ الْأَوْلَى الْقِرَاءَةُ عَلَى تَرْتِيبِ الْمُصْحَفِ، لِأَنَّهُ يُفَوِّتُ مَا فِي تَرْتِيبِهِ مِنَ الْحِكْمَةِ الْمَرْعِيَّةِ. قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «فِيمَنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَنْكُوسًا أَنَّهُ مَنْكُوسُ الْقَلْبِ»[2]. وَأَمَّا قِرَاءَةُ السُّورَةِ مِنْ آخِرِهَا إِلَى أَوَّلِهَا فَمُتَّفَقٌ عَلَى مَنْعِهِ. وَأَمَّا مَنْ يَنْتَقِلُ مِنْ آيَةٍ إِلَى آيَةٍ وَتَرَكَ التَّأْلِيفَ لِآيِ الْقُرْآنِ قالَ أَبُو عُبَيْدٍ: فَإِنَّمَا يَفْعَلُهُ مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ، لِأَنَّ اللهَ لَوْ شَاءَ لَأَنْزَلَهُ عَلَى ذَلِكَ.

(1) الإتقان في علوم القرآن: 1/ 375-376.

(2) المصنف لعبد الرزاق: 4/ 323.

وَقَدْ نَقَلَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ الْإِجْمَاعَ عَلَى عَدَمِ جَوَازِ قِرَاءَةِ آيَةٍ آيَةٍ مِنْ كُلِّ سُورَةٍ، لِأَنَّ هَذَا التَّأْلِيفَ مَأْخُوذٌ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَخَذَهُ عَنِ جِبْرِيلَ، فَالْأَوْلَى بِالْقَارِئِ أَنْ يَقْرَأَ عَلَى التَّأْلِيفِ الْمَنْقُولِ. وَقَدْ قَالَ ابْنُ سِيرِينَ: «تَأْلِيفُ اللهِ خَيْرٌ مِنْ تَأْلِيفِكُمْ»[1].

قُلْتُ: وَقَدْ ظَهَرَ لَكَ بِهَذَا كَرَاهَةُ مَا شَاعَ بَيْنَ طَلَبَةِ زَمَانِنَا، مِنْ أَخْذِ بَعْضِ آيَاتٍ مِنْ سُورَةِ الْأَنْعَامِ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ الْخَوَاصَّ الْمَوْجُودَةَ فِي السُّورَةِ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ بِخُصُوصِهَا، وَأَنْتَ تَعْرِفُ أَنَّ هَذَا الْمِسْكِينَ كَيْفَ اجْتَرَأَ عَلَى هَذَا الِافْتِئَاتِ، وَخَصَّ الْخَوَاصَّ بِبَعْضِ الْآيَاتِ، وَأَخْلَى بَعْضَهَا عَنْهَا. نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ تَرْكِ الْأَدَبِ سِيَّمَا مَعَ الرَّبِّ تَعَالَى.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ تُسَنُّ الْقِرَاءَةُ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ، وَلَا يَخْلِطُ حَرْفًا آخَرَ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ. وَقِيلَ: مَا دَامَ الْكَلَامُ مُرْتَبِطًا. وَقَدْ يُمْنَعُ مُطْلَقًا. وَالصَّوَابُ: أَنَّ الْجَمْعَ إِنْ لَمْ يَجُزْ فِي الْعَرَبِيَّةِ حُرِّمَ، كَمَنْ يَقْرَأُ: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾[2] بِرَفْعِ (آدَمُ) عَلَى قِرَاءَةِ غَيْرِ ابْنِ كَثِيرٍ، وَرَفْعِ (كَلِمَاتٌ) عَلَى رِوَايَتِهِ. وَمَا لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ، فَإِنْ كَانَ رِوَايَةً حَرُمَ أَيْضًا لِأَنَّهُ خَلْطٌ فِي الرِّوَايَةِ، وَأَنَّهُ كَذِبٌ، وَإِنْ كَانَ عَلَى سَبِيلِ التِّلَاوَةِ جَازَ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ يُسَنُّ الِاسْتِمَاعُ، وَتَرْكُ اللَّغَطِ وَالْحَدِيثِ بِحُضُورِ الْقِرَاءَةِ.

---

(1) غريب الحديث لأبي عبيد: 4/ 104.

(2) سورة البقرة، الآية: 37.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ يُسَنُّ السُّجُودُ عِنْدَ قِرَاءَةِ آيَةِ السَّجْدَةِ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ يُخْتَارُ الْأَوْقَاتُ الْمَحْمُودَةُ وَالْأَيَّامُ الشَّرِيفَةُ، وَأَفْضَلُ الْأَوْقَاتِ مَا كَانَ فِي الصَّلَاةِ، ثُمَّ اللَّيْلُ، ثُمَّ نِصْفُهُ الْأَخِيرُ، وَمَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ مَحْبُوبَةٌ. وَأَفْضَلُ أَوْقَاتِ النَّهَارِ بَعْدَ الصُّبْحِ. وَلَا تُكْرَهُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ لِمَعْنى فِيهِ، وَمَا يُقَالُ مِنْ كَرَاهَةِ الْقِرَاءَةِ بَعْدَ الْعَصْرِ لِأَنَّهَا دِرَاسَةُ الْيَهُودِ فَلَا أَصْلَ لَهُ. وَيُخْتَارُ مِنَ الْأَيَّامِ يَوْمُ عَرَفَةَ، ثُمَّ الْجُمُعَةِ، ثُمَّ الْإِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ. وَمِنَ الْأَعْشَارِ: الْعَشْرُ الْأَخِيرُ مِنْ رَمَضَانَ، وَالْأَوَّلُ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ. وَمِنَ الشُّهُورِ: شَهْرُ رَمَضَانَ، وَيَخْتَارُ لابْتِدَائِهِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، وَيَخْتِمُهُ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ. وَالْأَفْضَلُ الْخَتْمُ أَوَّلَ النَّهَارِ، أَوْ أَوَّلَ اللَّيْلِ. وَعَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ: «يُسْتَحَبُّ الْخَتْمُ فِي الشِّتَاءِ أَوَّلَ اللَّيْلِ، وَفِي الصَّيْفِ أَوَّلَ النَّهَارِ»(1).

وَمِنْهَا: أَنَّهُ يُسَنُّ صَوْمُ يَوْمِ الْخَتْمِ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ التَّكْبِيرُ مِنَ الضُّحَى إِلَى آخِرِ الْقُرْآنِ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ يُسَنُّ الدُّعَاءُ عَقِبَ الْخَتْمِ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ يُسَنُّ إِذَا فَرَغَ مِنَ الْخَتْمَةِ أَنْ يَشْرَعَ فِي أُخْرَى عَقِيبَ الْخَتْمِ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ رُوِيَ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ الْمَنْعُ مِنْ تَكْرِيرِ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ عِنْدَ الْخَتْمِ، لَكِنَّ عَمَلَ النَّاسِ عَلَى خِلَافِهِ. وَالْحِكْمَةُ فِيهِ مَا وَرَدَ أَنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ

---

(1) المغني لابن قدامة: 2/ 126.

الْقُرْآنِ، فَيَحْصُلُ بِذَلِكَ خَتْمَةٌ. فَإِنْ قِيلَ: فَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ تُقْرَأَ أَرْبَعًا لِيَحْصُلَ لَهُ خَتْمَتَانِ.

قُلْتُ: الْمَقْصُودُ الْيَقِينُ بِوُقُوعِ خَتْمَةٍ وَاحِدَةٍ، وَحَاصِلُهُ جَبْرُ مَا وَقَعَ مِنَ الْخَلَلِ فِي الْقِرَاءَةِ، أَوْ لِيَحْصُلَ ثَوَابٌ مُضَاعَفٌ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ يُكْرَهُ اتِّخَاذُ الْقُرْآنِ مَعِيشَةً يُتَكَسَّبُ بِهَا.

وَمِنْهَا: يُكْرَهُ أَنْ يَقُولَ: نَسِيتُ آيَةَ كَذَا، بَلْ يَقُولُ: أُنْسِيتُهَا.

وَمِنْهَا: الْأَئِمَّةُ الثَّلَاثَةُ عَلَى وُصُولِ ثَوَابِ الْقِرَاءَةِ لِلْمَيِّتِ، وَالشَّافِعِيُّ يُخَالِفُهُمْ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾[1].

عِلْمُ مَعْرِفَةِ جَوَازِ الِاقْتِبَاسِ وَمَا جَرَى مَجْرَاهُ

اعْلَمْ أَنَّ الِاقْتِبَاسَ: تَضْمِينُ الشِّعْرِ أَوِ النَّثْرِ بَعْضَ الْقُرْآنِ لَا عَلَى أَنَّهُ مِنْهُ، وَالْقَيْدُ الْأَخِيرُ [لِإِخْرَاجِ][2] أَنْ يُقَالَ فِيهِ: قَالَ اللهُ تَعَالَى أَوْ نَحْوُهُ، لِأَنَّهُ لَيْسَ بِاقْتِبَاسٍ. وَقَدِ اشْتُهِرَ عَنِ الْمَالِكِيَّةِ تَحْرِيمُهُ، وَتَشْدِيدُ النَّكِيرِ عَلَى فَاعِلِهِ. إِلَّا أَنَّ اسْتِعْمَالَ الْقَاضِي عِيَاضٍ الِاقْتِبَاسَ فِي مَوَاضِعَ مِنْ خُطْبَةِ **الشِّفَا** يَدُلُّ عَلَى جَوَازِهِ، وَقَدْ يُخَصُّ إِنْكَارُهُمْ بِالنَّظْمِ دُونَ النَّثْرِ، صَرَّحَ بِذَلِكَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ.

---

(1) سورة النجم، الآية: 39.

(2) زيادة من قونية ورئيس الكتاب.

وَأَمَّا قُدَمَاءُ الشَّافِعِيَّةِ فَلَمْ يَتَعَرَّضُوا لَهُ، وَكَذَا أَكْثَرُ مُتَأَخِّرِيهِمْ، مَعَ شُيُوعِ الِاقْتِبَاسِ فِي أَعْصَارِهِمْ، وَاسْتِعْمَالِ الشُّعَرَاءِ لَهُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، إِلَّا أَنَّ جَمَاعَةً مِنْ مُتَأَخِّرِيهِمْ تَعَرَّضُوا لَهُ، فَسُئِلَ عَنْهُ الشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ فَأَجَازَهُ، وَاسْتَدَلَّ بِمَا وَرَدَ عَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ قَوْلِهِ فِي الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا: «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ...» إِلَى آخِرِهِ. وَقَوْلُهُ: «اللَّهُمَّ فَالِقَ الْإِصْبَاحِ، وَجَاعِلَ اللَّيْلِ سَكَنًا، وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ حُسْبَانًا، اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ، وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ»[1].

وَفِي سِيَاقِ كَلَامٍ لِأَبِي بَكْرٍ: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾[2].

وَفِي آخِرِ الْحَدِيثِ لِابْنِ عُمَرَ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[3] انْتَهَى.

إِلَّا أَنَّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى جَوَازِهِ فِي النَّثْرِ دُونَ الشِّعْرِ، وَفِي مَقَامِ الْمَوَاعِظِ وَالثَّنَاءِ وَالدُّعَاءِ دُونَ غَيْرِهَا.

---

(1) الموطأ: 1/ 212، رقم: 27.

(2) سورة الشعراء، الآية: 227.

(3) سورة الأحزاب، الآية: 21.

قالَ شَرَفُ الدِّينِ ابْنُ الْمُقْرِي في: "**شَرْحُ الْبَدِيعِيَّةِ**"[1]: فَمَا كَانَ فِي الْخُطَبِ وَالْمَوَاعِظِ، وَمَدْحِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِالْجُمْلَةِ كَلَامٌ يُرْجَى لَهُ الْمَثُوبَةُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى فَمَقْبُولٌ وَلَوْ فِي النَّظْمِ، وَغَيْرُهُ مَرْدُودٌ.

وَفِي: "**شَرْحُ الْبَدِيعِيَّةِ**"[2] لِابْنِ حِجَّةَ: الِاقْتِبَاسُ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ: مَقْبُولٌ، وَمُبَاحٌ، وَمَرْدُودٌ:

فَالْأَوَّلُ: مَا كَانَ فِي الْخُطَبِ وَالْمَوَاعِظِ وَالْعُهُودِ.

وَالثَّانِي: مَا كانَ فِي الْغَزَلِ وَالرَّسَائِلِ وَالْقِصَصِ.

وَالثَّالِثُ: عَلَى ضَرْبَيْنِ، أَحَدُهُمَا: مَا نَسَبَهُ اللهُ إِلَى نَفْسِهِ، وَيَنْقُلُهُ الْقَائِلُ إِلَى نَفْسِهِ، فَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْهُ، كَمَا قِيلَ عَنْ أَحَدِ بَنِي مَرْوَانَ أَنَّهُ وَقَّعَ عَلَى مُطَالَعَةٍ فِيهَا شِكَايَةُ عُمَّالِهِ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَّابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾[3].

وَالْآخَرُ: تَضْمِينُ آيَةٍ كَلَامًا فِيهِ مَعْنَى هَزْلٍ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ ذَلِكَ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:[السريع]

أَوْحَى إِلَى عُشَّاقِهِ طَرْفُهُ ... هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ[4]

---

(1) "**مُخْتَصَرُ الرَّوْضَةِ**" أو "**الفَرِيدَةُ الْجَامِعَةُ لِلْمَعَانِي الرَّائِعَةِ**"، لإسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله بن إبراهيم الزبيدي شرف الدين المقري (ت. 837 هـ) شرح فيها بديعيته. كشف الظنون: 1/ 234.

(2) "**الْبَدِيعِيَّةُ**"، لأبي بكر علي المعروف بابن حجة الحموي (ت. 837 هـ) سمّاها: "**تَقْدِيمُ أَبِي بَكْرٍ**"، تتألف من 143 بيتا. المصدر نفسه: 1/ 233.

(3) سورة الغاشية الآية: 25 ـ 26.

(4) البيتان بدون نسبة في خزانة الأدب وغاية الأرب: 2/ 455. سورة المؤمنون، الآية: 36.

وَرِدْفُـهُ يَـنْـطِـقُ مِـنْ خَـلْـفِـهِ   لِمِثْـلِ ذَا فَلْيَعْمَـلِ الْعَـامِلُونَ[1]

قَالَ جَلَالُ الدِّينِ السُّيُوطِيُّ: وَهَذَا التَّقْسِيمُ حَسَنٌ جِدًّا، وَبِهِ أَقُولُ[2].

وَذَكَرَ الشَّيْخُ تَاجُ الدِّينِ السُّبْكِيُّ فِي **طَبَقَاتِهِ**، فِي تَرْجَمَةِ الْإِمَامِ أَبِي مَنْصُورِ عَبْدِ الْقَاهِرِ بْنِ طَاهِرٍ التَّمِيمِيِّ الْبَغْدَادِيِّ، مِنْ كِبَارِ الشَّافِعِيَّةِ وَأَجِلَّائِهِمْ، أَنَّ مِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ:[الرجز]

يَا مَنْ عَدَا ثُمَّ اعْتَدَى ثُمَّ اقْتَرَفْ   ثُمَّ انْتَهَى ثُمَّ ارْعَوَى ثُمَّ اعْتَرَفْ

أَبْشِرْ بِقَوْلِ اللهِ فِي آيَاتِهِ   إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفْ

وَقَالَ: هَذَا الْأُسْتَاذُ مِنْ أَئِمَّةِ الدِّينِ، وَاسْتِعْمَالُهُ مِثْلَ هَذَا الِاقْتِبَاسِ فِي شِعْرِهِ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِهِ، وَلَا عِبْرَةَ بِنَهْيِ النَّاسِ عَنْهُ[3].

قَالَ السُّيُوطِيُّ: مَا ذَكَرَهُ الْأُسْتَاذُ تَضْمِينٌ لَا اقْتِبَاسٌ لِتَصْرِيحِهِ بِقَوْلِ اللهِ، وَأَمَّا أَخُوهُ الشَّيْخُ بَهَاءُ الدِّينِ السُّبْكِيُّ، فَقَدْ قَالَ فِي: **"عَرُوسُ الْأَفْرَاحِ"**: الْوَرَعُ اجْتِنَابُ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَأَنْ يُنَزَّهَ عَنْ مِثْلِهِ كَلَامُ اللهِ وَرَسُولِهِ.

---

(1) من خلقه، في أنطاليا. سورة الصافات، الآية: 61.

(2) الإتقان في علوم القرآن: 1/ 386 ـ 387.

(3) طبقات الشافعية الكبرى: 5/ 139.

قَالَ السُّيُوطِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: رَأَيْتُ اسْتِعْمَالَ الِاقْتِبَاسِ لِأَئِمَّةٍ أَجِلَّاءَ مِنْهُمْ الْإِمَامُ أَبُو الْقَاسِمِ الرَّافِعِيُّ، فَقَالَ، وَأَنْشَدَهُ فِي "أَمَالِيهِ"[1]، وَرَوَاهُ عَنْهُ أَئِمَّةٌ كِبَارٌ: [الكامل]

الْمُلْكُ للهِ الَّذِي عَنَتِ الْوُجُو ... هُ لَهُ وَذَلَّتْ عِنْدَهُ الْأَرْبَابُ[2]
مُتَفَرِّدٌ بِالْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ قَدْ ... خَسِرَ الَّذِينَ تَجَاذَبُوهُ وَخَابُوا
دَعْهُمْ وَزَعْمَ الْمُلْكِ يَوْمَ غُرُورِهِمْ ... فَسَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي: "شُعَبُ الْإِيمَانِ"، عَنْ شَيْخِهِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، قَالَ: أَنْشَدَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدَ لِنَفْسِهِ: [المتقارب]

سَلِ اللهَ مِنْ فَضْلِهِ وَاتَّقِهْ ... فَإِنَّ التُّقَى خَيْرُ مَا يُكْتَسَبْ[3]
وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ ... وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبْ[4]

وَيَقْرُبُ مِنَ الِاقْتِبَاسِ شَيْئَانِ، أَحَدُهُمَا: أَنْ يُقْرَأَ الْقُرْآن وَيُرَادُ بِهِ الْكَلَامُ.

قَالَ النَّوَوِيُّ: فِيهِ خِلَافٌ.

رُوِيَ عَنِ النَّخَعِيِّ الْكَرَاهَةُ.

---

(1) هو كتاب: "الْأَمَالِي الشَّارِحَةُ على مُفْرَدَاتِ الْفاتِحَةِ"،
(2) وردت الأبيات له في: "التَّلْخِيصُ الْحَبِيرُ فِي تَخْرِيجِ أَحَادِيثِ الرَّافِعِي الْكَبِيرِ": 1/ 70.
(3) شعب الإيمان: 2/ 475.
(4) [يصنع له] في شعب الإيمان.

وَيُفْهَمُ الْجَوَازُ؛ عَمَّا رُوِيَ عَنْ حَكِيمِ بْنِ سَعْدٍ: «أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُحَكِّمَةِ، أَتَى عَلِيًّا وَهُوَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ، فَقَالَ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[1]، فَأَجَابَهُ فِي الصَّلَاةِ: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾[2]»[3]. انتهى.

وَقالَ غَيْرُهُ: يُكْرَهُ ضَرْبُ الْأَمْثَالِ مِنَ الْقُرْآنِ، صَرَّحَ بِهِ مِنْ أَصْحَابِنَا الْعِمَادُ التَّيْمِيُّ، تِلْمِيذُ الْبَغَوِيِّ، كَمَا نَقَلَهُ ابْنُ الصَّلَاحِ فِي فَوَائِدِ رِحْلَتِهِ[4].

وَثَانِيهِمَا: التَّوْجِيهُ بِالْأَلْفَاظِ الْقُرْآنِيَّةِ فِي الشِّعْرِ وَغَيْرِهِ، وَهُوَ جَائِزٌ بِلَا شَكٍّ. وَرُوِّينَا عَنِ الشَّرِيفِ تَقِيِّ الدِّينِ الْحُسَيْنِيِّ أَنَّهُ لَمَّا نَظَمَ: [المتقارب]

مَجَازٌ حَقِيقَتُهَا فَاعْبُرُوا ... وَلَا تَعْمُرُوا هَوِّنُوهَا تَهُنْ[5]
وَمَا حُسْنُ بَيْتٍ لَهُ زُخْرُفٌ ... تَرَاهُ إِذَا زُلْزِلَتْ لَمْ يَكُنْ

خَشِيَ أَنْ يَكُونَ ارْتَكَبَ حَرَامًا لِاسْتِعْمَالِهِ هَذِهِ الْأَلْفَاظَ الْقُرْآنِيَّةَ فِي الشِّعْرِ، فَجَاءَ إِلَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ دَقِيقِ الْعِيدِ يَسْأَلُهُ عَنْ ذَلِكَ،

---

(1) سورة الزمر، الآية: 65.

(2) سورة الروم، الآية: 60.

(3) الأم للشافعي: 7/ 174.

(4) عنوانه: "**فَوَائِدُ الرِّحْلَةِ**" مشتملة على قواعد غريبة من أنواع العلوم نقلها في رحلته إلى خراسان. كشف الظنون: 2/ 1297.

(5) البيتان لمحمد بن جعفر بن محمد تقي الدين القنائي (ت. 728هـ) في أعيان العصر وأعوان النصر: 4/ 376.

فَأَنْشَدَهُ إِيَّاهُمَا، فَقَالَ لَهُ، قُلْ: **"وَمَا حُسْنُ كَهْفٍ"**، فَقَالَ: يَا سَيِّدِي أَفَدْتَنِي وَأَفْتَيْتَنِي[1].

عِلْمُ مَعْرِفَةِ غَرِيبِ الْقُرْآنِ

اعْلَمْ أَنَّ مَعْرِفَةَ هَذَا الْفَنِّ لِلْمُفَسِّرِ ضَرُورِيٌّ، وَيَحْتَاجُ الْكَاشِفُ عَنْ ذَلِكَ إِلَى مَعْرِفَةِ عِلْمِ اللُّغَةِ: أَسْمَاءً وَأَفْعَالًا وَحُرُوفًا. فَالْحُرُوفُ لِقِلَّتِهَا تَكَلَّمَ النُّحَاةُ فِي مَعَانِيهَا، فَيُؤْخَذُ ذَلِكَ مِنْ كُتُبِهِمْ. وَأَمَّا الْأَسْمَاءُ وَالْأَفْعَالُ فَتُؤْخَذُ مِنْ كُتُبِ اللُّغَةِ، وَأَكْبَرُهَا: **"كِتَابُ ابْنِ سِيدَهْ"**[2]، وَمِنْهَا: **"التَّهْذِيبُ"** لِلْأَزْهَرِيِّ. وَ**"الْمُحْكَمُ"** لِابْنِ سِيدَهْ، وَ**"الْجَامِعُ"**[3] لِلْقَزَّازِ، وَ**"الصَّحَاحُ"** لِلْجَوْهَرِيِّ، وَ**"الْبَارِعُ"** لِلْفَارَابِيِّ[4]، وَ**"مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ"** لِلصَّغَانِيِّ.

وَمِنَ الْمَوْضُوعَاتِ فِي الْأَفْعَالِ: **كِتَابُ ابْنِ الْقُوطِيَّةِ**[5]، **وَكِتَابُ ابْنِ طَرِيفٍ، وَلِلسَّرَقُسْطِيِّ**[6].

---

(1) الإتقان في علوم القرآن: 1/ 386-390.

(2) يقصد كتابه: **"الْمُخَصَّصُ"**، لِابْنِ سِيدَه عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ الْأَنْدَلُسِيِّ. وهو مطبوع.

(3) هو كتاب: **"الْجَامِعُ فِي اللُّغَةِ"** لأبي عبد الله محمد بن جعفر التَّمِيمِي الْقَزَّاز القيرواني (ت. 412هـ)، كان في حكم المفقود، ثمَّ وُجِدَتْ منه قطعة فحققت وطبعت. ترجمته في: وفيات الأعيان: 4/ 374، وبغية الوعاة: 1/ 71.

(4) وقع هنا تحريف اسم "القالي" إلى "الفارابي"، وهو يقصد كتاب: **"الْبَارِعُ فِي اللُّغَةِ"**، لأبي علي القالي، وهو مطبوع.

(5) **"تَصَارِيفُ الْأَفْعَالِ"**، لأبي بكر محمد بن عمر المعروف بابن القوطية (ت. 367هـ).

(6) **"كتابُ الْأَفْعَالِ"**، لأبي عثمان سعيد بن محمد المعافري السَّرَقُسْطِي (ت.400هـ). وهو مطبوع.

وَمِنْ أَجْمَعِهَا كِتَابُ ابْنِ الْقَطَّاعِ[1].

قَالَ السُّيُوطِيُّ: وَأَوْلَى مَا يُرْجَعُ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ، مَا ثَبَتَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَصْحَابِهِ فِي تَفْسِيرِ غَرِيبِ الْقُرْآنِ بِالْأَسَانِيدِ الثَّابِتَةِ الصَّحِيحَةِ. وَقَدْ ذَكَرَ مَا نَقَلَ عَنْهُ جَلَالُ الدِّينِ السُّيُوطِيُّ فِي كِتَابِ "الْإِتْقَانُ".

وَمِمَّنْ أَفْرَدَ هَذَا الْعِلْمَ بِالتَّصْنِيفِ: أَبُو عُبَيْدَةَ، وَأَبُو عُمَرَ الزَّاهِدُ، وَابْنُ دُرَيْدٍ، وَالْعُزَيْزِيُّ[2]، وَهَذَا أَشْهَرُهَا. قِيلَ: قَدْ أَقَامَ الْعُزَيْزِيُّ فِي تَأْلِيفِ: "غَرِيبُ الْقُرْآنِ" خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً يُحَرِّرُهُ هُوَ وَشَيْخُهُ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ. وَمِنْ أَحْسَنِهَا: "مُفْرَدَاتُ الرَّاغِبِ". وَلِأَبِي حَيَّانَ فِي ذَلِكَ "مُخْتَصَرٌ"[3] مِقْدَارُ كُرَّاسَتَيْنِ.

قَالَ ابْنُ الصَّلَاحِ: وَحَيْثُ رَأَيْتَ فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ: قَالَ أَهْلُ الْمَعَانِي، فَالْمُرَادُ بِهِ مُصَنِّفُو الْكُتُبِ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ: كَالزَّجَّاجِ، وَالْفَرَّاءِ، وَالْأَخْفَشِ، وَابْنِ الْأَنْبَارِيِّ. وَكِتَابُ "بَصَائِرُ النَّظَائِرِ"[4] وَافٍ فِي هَذَا الْعِلْمِ[5].

---

(1) "كتابُ الأفعَالِ" لعلي بن جعفر المعروف بابن القطّاع (ت. 515 هـ). وهو مطبوع.

(2) محمد بن عُزَيز السجستاني أبو بكر الْعُزَيْزِي، مفسر(ت. 330هـ) اشتهر بكتابه: "غريب القرآن"، وهو مطبوع. نزهة الألباء: 386، وبغية الوعاة: 1/ 72.

(3) عنوان هذا المختصر هو: "تُحفَةُ الأَرِيبِ بِمَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْغَرِيبِ"، لأبي حيَّان الأندلسي. وهو مطبوع.

(4) ورد في كشف الظنون: 1/ 246، "بَصَائِرُ النَّظَائِرِ" في اللغة، ولم يذكر مؤلفه.

(5) الإتقان في علوم القرآن: 2/ 3-4.

عِلْمُ مَعْرِفَةِ مَا وَقَعَ فِيهِ بِغَيْرِ لُغَةِ الْحِجَازِ

وَقَدْ أَفْرَدُوهُ بِالتَّصْنِيفِ. ذَكَرَهُ السُّيُوطِيُّ فِي "**الْإِتْقَانُ**".

قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْوَاسِطِيُّ[1] فِي كِتَابِهِ: "**الْإِرْشَادُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ**": فِي الْقُرْآنِ مِنَ اللُّغَاتِ خَمْسُونَ لُغَةً: لُغَةُ قُرَيْشٍ، وَهُذَيْلٍ، وَكِنَانَةَ، وَخَثْعَمٍ، وَالْخَزْرَجِ، وَأَشْعَرَ، وَنُمَيْرٍ، وَقَيْسِ عَيْلَانَ، وَجُرْهُمٍ، وَالْيَمَنِ، وَأَزْدِ شَنُوءَةَ، وَكِنْدَةَ، وَتَمِيمٍ، وَحِمْيَرٍ، وَمَدْيَنَ، وَلَخْمٍ، وَسَعْدِ الْعَشِيرَةِ، وَحَضْرَمَوْتَ، وَسَدُوسٍ، وَالْعَمَالِقَةِ، وَأَنْمَارٍ، وَغَسَّانٍ، وَمَذْحِجٍ، وَخُزَاعَةَ، وَغَطَفَانَ، وَسَبَإٍ، وَعُمَانَ، وَبَنِى حَنِيفَةَ، وَثَعْلَبَةَ، وَطَيِّءٍ، وَعَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ، وَأَوْسٍ، وَمُزَيْنَةَ، وَثَقِيفٍ، وَجُذَامٍ، وَبَلِيٍّ، وَعُذْرَةَ، وَهَوَازِنَ، وَالنَّمِرِ، وَالْيَمَامَةِ.

وَمِنْ غَيْرِ الْعَرَبِيَّةِ: الْفُرْسُ، وَالرُّومُ، وَالْقِبْطُ، وَالْحَبَشَةُ، وَالْبَرْبَرُ، وَالسُّرْيَانِيَّةُ، وَالْعِبْرَانِيَّةُ.

قِيلَ: لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ حَرْفٌ غَرِيبٌ مِنْ لُغَةِ قُرَيْشٍ إِلَّا ثَلَاثَةٌ، لأَنَّ كَلَامَ قُرَيْشٍ سَهْلٌ لَيِّنٌ وَاضِحٌ، وَالْغَرِيبُ خِلَافُهُ، وَهِيَ: ﴿فَسَيُنْغِضُونَ﴾: وَهُوَ تَحْرِيكُ الرَّأْسِ، ﴿مُقِيتًا﴾: مُقْتَدِرًا، ﴿فَشَرِّدْ بِهِمْ﴾: سَمِّعْ[2].

---

(1) محمد بن الحسين بن علي بن بندار القلانسي أبو العز الواسطي، الشافعي، مقرئ العراق (ت. 521هـ). ترجمته في تاريخ الإسلام: 11/ 373، والوافي بالوفيات: 3/ 6، وغاية النهاية في طبقات القراء: 2/ 128.

(2) لخصه من كتاب الإتقان في علوم القرآن: 2/ 106 - 124.

عِلْمُ مَعْرِفَةِ مَا وَقَعَ فِيهِ مِنْ غَيْرِ لُغَةِ الْعَرَبِ

أَفْرَدَهُ بِالتَّصْنِيفِ[1] السُّيُوطِيُّ، وَسَمَّاهُ: "**الْمُهَذَّبُ فِيمَا وَقَعَ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْمُعَرَّبِ**".

وَاعْلَمْ أَنَّ الشَّافِعِيَّ وَابْنَ جَرِيرٍ وَأَبَا عُبَيْدَةَ وَالْقَاضِيَ أَبَا بَكْرٍ وَابْنَ فَارِسٍ قَالُوا بِعَدَمِ وُقُوعِهِ فِي الْقُرْآنِ، مُسْتَدِلِّينَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾[2]، وَنَظَائِرِهِ.

وَشَدَّدَ الشَّافِعِيُّ النَّكِيرَ عَلَى الْقَائِلِ بِذَلِكَ.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ فِيهِ غَيْرَ الْعَرَبِيَّةِ فَقَدْ أَعْظَمَ الْقَوْلَ.

وَقَالَ ابْنُ فَارِسَ: لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَرُبَّمَا تَوَهَّمَ مُتَوَهِّمٌ أَنَّ الْعَرَبَ إِنَّمَا عَجَزَتْ عَنْهُ لِمَكَانِ لُغَاتٍ لَا يَعْرِفُونَهَا.

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: مَا وَقَعَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ تَفْسِيرِ أَلْفَاظٍ غَيْرِ عَرَبِيَّةٍ إِنَّمَا هُوَ مِنْ تَوَافُقِ اللُّغَاتِ، بَلِ الْعَرَبُ الْعَارِبَةُ قَدِ اخْتَلَطَتْ بِسَائِرِ الْأَلْسِنَةِ فِي أَسْفَارِهِمْ، فَعُلِّقَتْ مِنْ لُغَاتِهِمْ أَلْفَاظًا حَتَّى جَرَتْ مَجْرَى الْفَصِيحِ، وَاسْتَعْمَلُوهَا فِي أَشْعَارِهِمْ وَمُحَاوَرَاتِهِمْ، وَلِهَذَا نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ.

---

(1) بالتأليف، في قونية.

(2) سورة يوسف، الآية: 2.

وَقالَ آخَرُونَ: كُلُّ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ عَرَبِيَّةٌ صِرْفٌ، وَلُغَةُ الْعَرَبِ مُتَّسِعَةٌ جِدًّا وَلَا يَبْعُدُ أَنْ لَا تَخْفَى عَلَى الْأَكَابِرِ الْجِلَّةِ، حَتَّى نُقِلَ عَنِ الشَّافِعِيِّ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يُحِيطُ بِاللُّغَةِ إِلَّا نَبِيٌّ»[1].

وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى وُقُوعِهِ فِيهِ، وَقَالُوا: الْكَلِمَاتُ الْيَسِيرَةُ بِغَيْرِ الْعَرَبِيَّةِ لَا تُنَافِي كَوْنَهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا، وَاسْتَدَلَّ بِمَنْعِ صَرْفِ إِبْرَاهِيمَ لِلْعُجْمَةِ وَالْعَلَمِيَّةِ، وَرُدَّ بِأَنَّ الْكَلَامَ فِي غَيْرِ الْأَعْلَامِ، وَالْحِكْمَةَ فِي وُقُوعِهِ، أَنَّ الْقُرْآنَ حَوَى عُلُومَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَنَبَأَ كُلِّ شَيْءٍ، فَلَا بُدَّ أَنْ تَقَعَ فِيهِ الْإِشَارَةُ إِلَى أَنْوَاعِ اللُّغَاتِ وَالْأَلْسُنِ، إِلَّا أَنَّهُ اخْتِيرَ لَهُ مِنْ كُلِّ لُغَةٍ أَعْذَبُهَا وَأَخَفُّهَا وَأَكْثَرُهَا اسْتِعْمَالًا لِلْعَرَبِ.

قِيلَ: لَمَّا وَجَبَ ذِكْرُ ثِيَابِ الْجَنَّةِ مَثَلًا، وَكَانَ ذِكْرُ الْمُفْرَدِ أَحْسَنَ، ذَكَرَ الْإِسْتَبْرَقَ، إِذْ ثِيَابُ الْحَرِيرِ لَيْسَ فِي الْعَرَبِ، فَلَيْسَ لَهُ اسْمٌ مُفْرَدٌ فِي الْعَرَبِ، وَعَلَى هَذَا الْقِيَاسِ غَيْرُهُ.

وَقَدْ نَظَمَ الْقَاضِي تَاجُ الدِّينِ السُّبْكِيُّ مِنْهَا سَبْعَةً وَعِشْرِينَ لَفْظًا فِي أَبْيَاتٍ، وَذَيَّلَ عَلَيْهِ الْحَافِظُ أَبُو الْفَضْلِ ابْنُ حَجَرٍ بِأَبْيَاتٍ فِيهَا أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ لَفْظًا، وَذَيَّلَ الْحَافِظُ جَلَالُ الدِّينِ السُّيُوطِيُّ عَلَيْهِمَا بِالْبَاقِي، وَهُوَ بِضْعٌ وَسِتُّونَ، فَتَمَّتْ أَكْثَرَ مِنْ مِئَةِ لَفْظَةٍ، فَقَالَ ابْنُ السُّبْكِيِّ: [البسيط]

---

(1) قال الشافعي رحمه الله: «ولسان العرب أوسع الألسنة مذهباً وأكثرها ألفاظاً ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غيرُ نبي». الرسالة: 42.

السَّــلْسَــبِيـلُ وَطَـهَ كُوِّرَتْ بِيَعٌ رُومٌ وَطُوبَى وَسِـجِّيلٌ وَكَافُورُ[1]
وَالزَّنْجَبِيلُ وَمِشْكَاةٌ سُرَادِقُ مَعْ إِسْتَبْرَقٍ صَلَوَاتٌ سُنْدُسٌ طُورُ
كَذَا قَرَاطِيسُ رَبَّانِيُّهُمْ وَغَسَـا قٌ ثُمَّ دِينَارُ وَالْقِسْطَاسُ مَشْهُورُ
كَذَاكَ قَسْــوَرَةٌ وَالْيَمُّ نَاشِـئَـةٌ وَيُؤْتَ كِفْلَيْنِ مَذْكُورٌ وَمَسْطُورُ
لَـهُ مَقَـالِيدُ فِرْدَوْسٍ يُعَدُّ كَذَا فِيمَا حَكَى ابْنُ دُرَيْدٍ مِنْهُ تَنُّورُ

وَقالَ ابْنُ حَجَرٍ: [البسيط]

وَزِدْتُ حرْمٌ وَمُهْلٌ وَالسِّجِلُّ كَذَا السَّـ ـسَـرِيُّ وَالْأَبُّ ثُمَّ الْجِبْتُ مَذْكُورُ[2]
وَقِطَّنَا وَإِنَاهُ ثُمَّ مُتَّكَئَا دَارَسْتُ يُصْهَرُ مِنْهُ فَهُوَ مَصْهُورُ
وَهَيْتَ وَالسَّكَرُ الْأَوَّاهُ مَعْ حَصَبٍ وَأَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّاغُوتُ مَسْطُورُ
صُرْهُنَّ إِصْرِي وَغِيضَ الْمَاءُ مَعْ وَزَرٍ ثُمَّ الرَّقِيمُ مَنَاصٌ وَالسَّنَا النُّورُ

وَقالَ السُّيُوطِيُّ: [البسيط]

وَزِدْتُ: يَاسِينُ وَالرَّحْمَنُ مَعْ مَلَكُو تِ ثُمَّ سِينِينَ شَطْرَ الْبَيْتِ مَشْهُورُ
ثُمَّ الصِّرَاطُ وَدُرِّيٌّ يَحُورُ وَمَرْ جَانٌ وَيَمٌّ مَعَ الْقِنْطَارِ مَذْكُورُ
وَرَاعِنَا طَفِقًا هُدْنَا ابْلَعِي وَوَرَا ءَ وَالْأَرَائِكُ وَالْأَكْوَابُ مَأْثُورُ
هُودٌ وَقِسْطٌ وَكُفْرٌ رَمْزُهُ سَقَرٌ هَوْنٌ يَصِدُّونَ وَالْمِنْسَاةُ مَسْطُورُ
شَهْرٌ مَجُوسٌ وَأَقْفَالٌ يَهُودُ حَوَا رِيُّونَ كَنْزٌ وَسِجِّينٌ وَتَتْبِيرُ
بَعِيرٌ آزَرُ حُوبٌ وَرْدَةٌ عَرِمٌ إِلٌّ وَمِنْ تَحْتِهَا عَبَّدْتَ وَالصُّورُ

(1) الأبيات في المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب: 170، وما بعدها.
(2) الأبيات في فتح الباري: 8/ 253.

وَلِينَـةٌ فُومُهَـا رَهْوٌ وَأَخْلَـدَ مُزْ جَـاةٌ وَسَـيِّـدُهَـا الْقَيُّومُ مَوْفُورُ
وَقُمَّـلٌ ثُـمَّ أَسْـفَـارٌ عَنَى كُتُبًـا وَسُـجَّـدًا ثُـمَّ رِبِّـيُّـونَ تَـكْـثِـيرُ
وَحِطَّـةٌ وَطُوًى وَالرَّسُّ نُونُ كَـذَا عَدْنٌ وَمُنْفَطِرُ الْأَسْـبَـاطُ مَذْكُورُ
مِسْـكٌ أَبَارِيقُ يَاقُوتٌ رَوَوْا فَهُنَا مَا فَاتَ مِنْ عَدَدِ الْأَلْفَاظِ مَحْصُـورُ
وَبَعْضُـهُـمْ عَدَّ الْاولَى مَعْ بَطَائِنُهَا وَالْآخِرَةَ لِمَعْنَى الضِّدِّ مَقْصُورُ[1]

عِلْمُ مَعْرِفَةِ الْوُجُوهِ وَالنَّظَائِرِ

صَنَّفَ فِيهِ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ، وَمِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ، وَابْنُ الدَّامَغَانِيِّ[2]، وَأَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ الْمِصْرِيُّ، وَابْنُ فَارِسٍ، وَآخَرُونَ.

فَالْوُجُوهُ: اللَّفْظُ الْمُشْتَرَكُ الَّذِي يُسْتَعْمَلُ فِي عِدَّةِ مَعَانٍ؛ كَلَفْظِ الْأَمْرِ. وَكِتَابُ **"مُعْتَرَكُ الْأَقْرَانِ فِي مُشْتَرَكِ الْقُرْآنِ"**، لِلسُّيُوطِيِّ، كَافٍ فِي هَذَا الْفَنِّ.

وَالنَّظَائِرُ: كَالْأَلْفَاظِ الْمُتَوَاطِئَةِ، وَقِيلَ: النَّظَائِرُ فِي اللَّفْظِ، وَالْوُجُوهُ فِي الْمَعَانِي، وَضُعِّفَ لِأَنَّهُ لَوْ أُرِيدَ هَذَا لَكَانَ الْجَمْعُ فِي الْكُتُبِ فِي الْأَلْفَاظِ

---

(1) الإتقان في علوم القرآن: 2/ 125 ـ 243.

(2) محمد بن علي بن محمد الدَّامَغَانِيُّ الحنفي، قاضي القضاة (ت. 478 هـ). له: **"الزوائد والنظائر"** في غريب القرآن. الأنساب للسمعاني: 5/ 290، واللباب في تهذيب الأنساب: 1/ 486، والبداية والنهاية: 12/ 116.

الْمُشْتَرَكَةِ، وَهُمْ يَذْكُرُونَ فِي تِلْكَ الْكُتُبِ اللَّفْظَ الَّذِي مَعْنَاهُ وَاحِدٌ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ، فَيَجْعَلُونَ الْوُجُوهَ نَوْعًا لِلْأَقْسَامِ، وَالنَّظَائِرَ نَوْعًا آخَرَ.

وَقَدْ جَعَلَ بَعْضُهُمْ ذَلِكَ مِنْ دَلَائِلِ الْإِعْجَازِ، حَيْثُ تَرْتَقِي كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ إِلَى عِشْرِينَ وَجْهًا، أَوْ أَقَلَّ، أَوْ أَكْثَرَ، وَلَا يُوجَدُ مِثْلُ ذَلِكَ فِي كَلَامِ الْبَشَرِ. وَقَدْ فُسِّرَ بِأَنْ يُحْمَلَ اللَّفْظُ الْوَاحِدُ عَلَى مَعَانِيَ مُتَعَدِّدَةٍ غَيْرِ مُتَضَادَّةٍ، وَلَا يَقْتَصِرُ بِهِ عَلَى مَعْنًى وَاحِدٍ، وَقَدْ يُفَسَّرُ بِاسْتِعْمَالِ(1) الْإِشَارَاتِ الْبَاطِنَةِ وَعَدَمِ الْقَصْرِ عَلَى التَّفْسِيرِ الظَّاهِرِ(2).

وَأَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: «إِنَّكَ لَنْ تَفْقَهَ كُلَّ الْفِقْهِ حَتَّى تَرَى لِلْقُرْآنِ وُجُوهًا»(3).

قَالَ حَمَّادٌ، فَقُلْتُ لِأَيُّوبَ: أَهُوَ أَنْ يَرَى لَهُ وُجُوهًا فَيَهَابَ الْإِقْدَامَ عَلَيْهِ، قَالَ: نَعَمْ، هُوَ هَذَا.

مِثَالُ الْوُجُوهِ: (الْهُدَى)، يَأْتِي عَلَى سَبْعَةَ عَشَرَ وَجْهًا:

بِمَعْنَى الثَّبَاتِ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾(4). وَالْبَيَانِ: ﴿أُولَئِكَ عَلَى

---

(1) باستعمالات، في الأزهرية.

(2) الإتقان في علوم القرآن: 2/ 144 ـ 145.

(3) أخرجه أبو نعيم في الطبقات الكبرى: 2/ 357.

(4) سورة الفاتحة، الآية: 6.

هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾[1]، وَالدِّينِ: ﴿إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللهِ﴾[2]. وَالإِيمَانِ: ﴿وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾[3]. وَالدُّعَاءِ: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[4]. وَبِمَعْنَى الرُّسُلِ وَالْكُتُبِ: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾[5]. وَالْمَعْرِفَةِ: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[6]، وَبِمَعْنَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾[7]. وَبِمَعْنَى الْقُرْآنِ: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾[8]. وَالتَّوْرَاةِ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾[9]. وَالِاسْتِرْجَاعِ: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾. وَالْحُجَّةِ: ﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ﴾[10]، أَيْ لَا يَهْدِيهِمْ حُجَّةً. وَالتَّوْحِيدِ: ﴿إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ﴾[11]، وَالسُّنَّةِ: ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[12]، ﴿وَإِنَّا عَلَى

---

(1) سورة البقرة، الآية: 5.

(2) سورة آل عمران، الآية: 73.

(3) سورة مريم، الآية: 76.

(4) سورة الرعد، الآية: 7.

(5) سورة طه، الآية: 123.

(6) سورة النحل، الآية: 16.

(7) سورة البقرة، الآية: 159.

(8) سورة النجم، الآية: 23.

(9) سورة غافر، الآية: 53.

(10) سورة البقرة، الآية: 258

(11) سورة القصص، الآية: 57.

(12) سورة الأنعام، الآية: 90.

آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾[1]. **وَالإِصْلَاحِ**: ﴿وَأَنَّ اللهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾[2]. **وَالإِلْهَامِ**: ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[3]، أَيْ أَلْهَمَ الْمَعَاشَ. **وَالتَّوْبَةِ**: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾[4]. **وَالإِرْشَادِ**: ﴿أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[5].

وَمِثَالُ النَّظَائِرِ:

كُلُّ مَا فِيهِ مِنَ الْبُرُوجِ فَهِيَ الْكَوَاكِبُ، إِلَّا ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾[6]، فَهِيَ الْقُصُورُ الطِّوَالُ الْحَصِينَةُ.

وَكُلُّ "صَلَاةٍ" فِيهِ عِبَادَةٌ وَرَحْمَةٌ، إِلَّا ﴿وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ﴾[7]، فَهِيَ الْأَمَاكِنُ. وَكُلُّ "قُنُوتٍ" فِيهِ طَاعَةٌ، إِلَّا ﴿كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾[8]، فَمَعْنَاهُ مُقِرُّونَ.

وَكُلُّ "كَنْزٍ" فِيهِ مَالٌ، إِلَّا فِي الْكَهْفِ، فَهُوَ[9] صَحِيفَةُ عِلْمٍ.

وَكُلُّ "مِصْبَاحٍ" فِيهِ كَوْكَبٌ، إِلَّا الَّذِي فِي النُّورِ فَالسِّرَاجُ.

---

(1) سورة الزخرف، الآية: 22.

(2) سورة يوسف، الآية: 52.

(3) سورة طه، الآية: 50.

(4) سورة الأعراف، الآية: 156.

(5) سورة القصص، الآية: 22.

(6) سورة النساء، الآية: 78.

(7) سورة الحج، الآية: 40.

(8) سورة البقرة، الآية: 116.

(9) فهي، في قونية.

وَكُلُّ نِكَاحٍ فِيهِ تَزَوُّجٌ، إِلَّا ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾[1]، فَهُوَ الْحُلُمُ[2].

وَلْيَكُنْ هَذَا الْأُنْمُوذَجُ عِنْدَكَ. وَالِاسْتِقْصَاءُ فِيهِ خَارِجٌ عَنْ طَوْقِنَا.

عِلْمُ مَعْرِفَةِ مَعَانِي الْأَدَوَاتِ الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا الْمُفَسِّرُ

وَالْمُرَادُ بِالْأَدَوَاتِ الْحُرُوفُ وَمَا شَاكَلَهَا مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالْأَفْعَالِ وَالظُّرُوفِ.

اعْلَمْ أَنَّ مَعْرِفَةَ ذَلِكَ مِنَ الْمُهِمَّاتِ الْمَطْلُوبَةِ لِاخْتِلَافِ مَوَاقِعِهَا، وَلِهَذَا يَخْتَلِفُ الْكَلَامُ وَالِاسْتِنْبَاطُ[3] بِحَسَبِهَا، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[4]، فَاسْتُعْمِلَتْ "عَلَى" فِي جَانِبِ الْحَقِّ، لِأَنَّ صَاحِبَ الْحَقِّ كَأَنَّهُ مُسْتَعْلٍ يُصَرِّفُ نَظَرَهُ كَيْفَ يَشَاءُ، وَ"فِي" فِي جَانِبِ الضَّلَالِ لِأَنَّ صَاحِبَ الْبَاطِلِ كَأَنَّهُ مُنْغَمِسٌ فِي ظَلَامٍ مُنْخَفِضٍ لَا يَدْرِي أَيْنَ يَتَوَجَّهُ.

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾[5] الْآيَة، عَدَلَ فِي الْأَرْبَعَةِ الْأَخِيرَةِ عَنِ اللَّامِ إِلَى "فِي" إِيذَانًا إِلَى أَنَّهُمْ أَكْثَرُ اسْتِحْقَاقًا لِلْمُتَصَدِّقِ عَلَيْهِمْ بِمَنْ سَبَقَ ذِكْرُهُ بِاللَّامِ، لِأَنَّ "فِي" لِلْوِعَاءِ، فَنَبَّهَ بِهَا عَلَى أَنَّهُمْ أَحِقَّاءُ بِأَنْ

---

(1) سورة النساء، الآية: 6.

(2) الإتقان في علوم القرآن: 2/ 144 ـ 160.

(3) في الاستنباط، في قونية.

(4) سورة سبأ، الآية: 24.

(5) سورة التوبة، الآية: 60.

يُجْعَلُوا مَظِنَّةً لِوَضْعِ الصَّدَقَاتِ فِيهِمْ، كَمَا يُوضَعُ الشَّيْءُ فِي وِعَائِهِ مُسْتَقِرًّا فِيهِ.

وَقالَ الْفَارِسِيُّ: وَإِنَّمَا لَمْ يَقُلْ: "وَلِلرِّقَابِ"، لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ الْعَبْدَ لَا يَمْلِكُ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي قَالَ: ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[1]، وَلَمْ يَقُلْ فِي صَلَاتِهِمْ، إِذْ كَمْ مِنْ أَحَدٍ لَا يَسْهُو فِي صَلَاتِهِ؟ وَالْوَعِيدُ لِمَنْ يَسْهُو عَنْ صَلَاتِهِ، وَهُوَ إِمَّا بِتَرْكِهِ وَهُوَ كَبِيرَةٌ، أَوْ بِعَدَمِ قَصْدِ الْعِبَادَةِ فَهُوَ كُفْرٌ.

وَتَفْصِيلُ هَذَا الْفَنِّ خَارِجٌ عَنْ طَوْقِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ، وَقَدْ صَنَّفَ فِيهَا جَمَاعَةٌ بِالْأَصَالَةِ، كَالْهَرَوِيِّ فِي: "الْأُزْهِيَّةُ"[2]، وَابْنِ أُمِّ قَاسِمٍ فِي: "الْجَنَى الدَّانِي"[3]، وَأَدْرَجَهُ السُّيُوطِيُّ فِي "الْإِتْقَانُ"[4].

---

(1) سورة الماعون، الآية: 5.

(2) "الْأُزْهِيَّةُ في النَّحْوِ"، لأبي الحسن علي بن محمد الهروي (ت. حوالى سنة: 415هـ). كشف الظنون: 1/ 73. مطبوع بعنوان: "كتاب الأزهية في علم الحروف".

(3) "الْجَنَى الدَّانِي في حُرُوفِ الْمَعَانِي"، لبدر الدين حسن بن قاسم المرادي المعروف بابن أم قاسم (ت. 749هـ). كشف الظنون: 1/ 607.

(4) الإتقان في علوم القرآن: 2/ 166 ـ 167.

عِلْمُ مَعْرِفَةِ إِعْرَابِهِ

أَفْرَدَهُ بِالتَّصْنِيفِ خَلَائِقُ؛ مِنْهُمْ: مَكِّيٌّ، وَكِتَابُهُ فِي الْمُشْكِلِ[1] خَاصَّةً، وَالْحَوْفِيُّ[2]، وَهُوَ أَوْضَحُهَا، وَأَبُو الْبَقَاءِ الْعُكْبَرِيُّ[3]، وَهُوَ أَشْهَرُهَا، وَالسَّمِينُ[4] وَهُوَ أَجَلُّهَا[5]، عَلَى مَا فِيهِ مِنْ حَشْوٍ وَتَطْوِيلٍ، وَلَخَّصَهُ الصَّفَاقِسِيُّ فَجَوَّدَهُ، وَتَفْسِيرُ أَبِي حَيَّانٍ[6] مَشْحُونٌ بِذَلِكَ.

قُلْتُ: وَكَذَا تَفْسِيرُ ابْنِ عَادِلٍ[7] يَشْتَمِلُ عَلَى الْمُهِمَّاتِ.

وَمِنْ فَوَائِدِ هَذَا الْفَنِّ مَعْرِفَةُ الْمَعْنَى، لِأَنَّ الْإِعْرَابَ يُمَيِّزُ الْمَعَانِيَ، وَيُوقِفُ عَلَى أَغْرَاضِ الْمُتَكَلِّمِينَ.

---

(1) عنوانه: "**مُشْكِلَاتُ الْقُرْآنِ**"، لأبي محمد مَكِّيُّ بن أبي طالب القيسي (ت. 437هـ).

(2) علي بن إبراهيم بن سعيد الْحَوْفِيُّ (ت. 430هـ) له كتاب: "**الْبُرْهَانُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ**"، في عشر مجلدات ذكر فيه الإعراب والغريب والتفسير. كشف الظنون: 1/ 241.

(3) عنوان كتابه: "**التِّبْيَانُ فِي إِعْرَابِ الْقُرْآنِ**"، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت. 616هـ). مطبوع.

(4) محمد بن حاتم بن ميمون المروزي البغدادي أبو عبد الله يعرف بالسمين الحافظ (ت. 235هـ) له: "**تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ**" ويسمى: "**الدُّرُّ الْمَصُونُ فِي عِلْمِ الْكِتَابِ الْمَكْنُونِ**". تذكرة الحفاظ: 2/ 38.

(5) أصلها، في أنطاليا.

(6) عنوان تفسيره: "**الْبَحْرُ الْمُحِيطُ فِي التَّفْسِيرِ**"، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان أثير الدين الأندلسي (ت.745هـ). مطبوع.

(7) "**اللُّبَابُ فِي عُلُومِ الْكِتَابِ**"، لابن عادل أبي حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي توفي بعد سنة: 880هـ. وهو تفسير مشهور يتألف من ست مجلدات. كشف الظنون: 2/ 1543.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى النَّاظِرِ فِي كِتَابِ اللهِ، الْكَاشِفِ عَنْ أَسْرَارِهِ، النَّظَرُ فِي الْكَلِمَةِ وَصِيغَتِهَا وَمَحَلِّهَا، كَكَوْنِهَا مُبْتَدَأً أَوْ خَبَرًا، أَوْ فَاعِلًا أَوْ مَفْعُولًا، أَوْ فِي مَبَادِئِ الْكَلَامِ، أَوْ فِي جَوَابٍ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

وَيَجِبُ عَلَى الْمُعْرِبِ مُرَاعَاةُ أُمُورٍ:

أَحَدُهَا: وَهُوَ أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَيْهِ: أَنْ يَفْهَمَ مَعْنَى مَا يُرِيدُ أَنْ يُعْرِبَهُ مُفْرَدًا أَوْ مُرَكَّبًا قَبْلَ الْإِعْرَابِ، فَإِنَّهُ فَرْعُ الْمَعْنَى، وَلِهَذَا لَا يَجُوزُ إِعْرَابُ فَوَاتِحِ السُّوَرِ، إِذَا قُلْنَا بِأَنَّهَا مِنَ الْمُتَشَابِهِ الَّذِي اسْتَأْثَرَ اللهُ بِعِلْمِهِ.

وَالثَّانِي: أَنْ يُرَاعِيَ مَا تَقْتَضِيهِ الصِّنَاعَةُ فَيُخْطِئَ[1]، مِثْلَ: أَنْ يَجْعَلَ الْبَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾[2] مُتَعَلِّقَةً بِـ "نَاظِرَةٌ"، وَهُوَ بَاطِلٌ، لِأَنَّ الِاسْتِفْهَامَ لَهُ الصَّدْرُ، بَلْ هُوَ يَتَعَلَّقُ بِمَا بَعْدَهُ.

الثَّالِثُ: أَنْ يَكُونَ مُلِمًّا بِالْعَرَبِيَّةِ، لِئَلَّا يَخْرُجَ عَلَى مَا لَمْ يَثْبُتْ، كَقَوْلِ أَبِي عُبَيْدَةَ: الْكَافُ فِي ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾[3] قَسَمٌ، وَهَذَا بَاطِلٌ، لِأَنَّ الْكَافَ بِمَعْنَى وَاوِ الْقَسَمِ لَمْ يَثْبُتْ فِي الْعَرَبِيَّةِ.

---

(1) عبارة الإتقان أسلم من الاضطراب، وفيها: "الثاني: أن يراعي ما تقتضيه الصناعة فربما راعى المعرب وجها صحيحا ولا ينظر في صحته في الصناعة فيخطئ". الإتقان: 2/ 311.

(2) سورة النمل، الآية: 35.

(3) سورة الأنفال، الآية: 5.

الرَّابِعُ: أَنْ يَتَجَنَّبَ الْأُمُورَ الْبَعِيدَةَ، وَالْأَوْجُهَ الضَّعِيفَةَ، وَاللُّغَاتِ الشَّاذَّةَ، وَيُخَرِّجَ عَلَى الْقَرِيبِ وَالْقَوِيِّ وَالْفَصِيحِ، فَإِنْ لَمْ يَظْهَرْ فِيهِ إِلَّا الْوَجْهُ الْبَعِيدُ فَلَهُ عُذْرٌ، وَإِنْ ذَكَرَ الْجَمِيعَ لِقَصْدِ الْإِغْرَابِ وَالتَّكْثِيرِ فَصَعْبٌ شَدِيدٌ، أَوْ لِبَيَانِ الْمُحْتَمَلِ، وَتَدْرِيبِ الطَّالِبِ فَحَسَنٌ فِي غَيْرِ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ. أَمَّا التَّنْزِيلُ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُخَرَّجَ إِلَّا عَلَى مَا يَغْلِبُ عَلَى الظَّنِّ إِرَادَتُهُ، فَإِنْ لَمْ يَغْلِبْ شَيْءٌ، فَلْيَذْكُرِ الْأَوْجُهَ الْمُحْتَمَلَةَ مِنْ غَيْرِ تَعَسُّفٍ، وَمِنْ ثَمَّ خُطِّئَ مَنْ قَالَ فِي: ﴿وَقِيلِهِ﴾ بِالْجَرِّ أَوِ النَّصْبِ أَنَّهُ عُطِفَ عَلَى لَفْظِ (السَّاعَةِ) وَمَحَلِّهَا لِمَا بَيْنَهُمَا مِنَ التَّبَاعُدِ. وَالصَّوَابُ: أَنَّهُ قَسَمٌ أَوْ مَصْدَرُ (قَالَ) مُقَدَّرًا، وَمَنْ قَالَ فِي: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ إِنَّهُ مَجْرُورٌ عَلَى الْجِوَارِ، لِأَنَّ الْجَرَّ عَلَى الْجِوَارِ فِي نَفْسِهِ ضَعِيفٌ شَاذٌّ لَمْ يَرِدْ فِيهِ إِلَّا أَحْرُفٌ يَسِيرَةٌ، وَالصَّوَابُ أَنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿بِرُؤُوسِكُمْ﴾، عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ مَسْحُ الْخُفِّ، وَنَظَائِرُ هَذا كَثِيرَةٌ.

الْخَامِسُ: أَنْ يَسْتَوْفِيَ جَمِيعَ مَا يَحْتَمِلُهُ اللَّفْظُ مِنَ الْأَوْجُهِ الظَّاهِرَةِ، فَنَقُولُ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾[1]، يَجُوزُ كَوْنُ الْأَعْلَى صِفَةً لِلرَّبِّ، وَصِفَةً لِلِاسْمِ فِي نَحْوِ: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ﴾[2]، يَجُوزُ كَوْنُ (الَّذِينَ) تَابِعًا وَمَقْطُوعًا إِلَى النَّصْبِ بِإِضْمَارِ أَعْنِي أَوْ أَمْدَحُ، وَإِلَى الرَّفْعِ بِإِضْمَارِ هُوَ.

---

(1) سورة الأعلى، الآية: 1.

(2) سورة البقرة، الآية: 2 ـ 3.

السَّادِسُ: أَنْ يُرَاعِيَ الشُّرُوطَ الْمُخْتَلِفَةَ بِحَسَبِ الْأَبْوَابِ، وَمَتَى لَمْ يَتَأَمَّلْهَا اخْتَلَطَتْ عَلَيْهِ الْأَبْوَابُ وَالشَّرَائِطُ، وَمِنْ ثَمَّ خُطِّئَ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ﴾[1]، أَنَّهُمَا عَطْفَا بَيَانٍ، وَالصَّوَابُ أَنَّهُمَا نَعْتَانِ، لِاشْتِرَاطِ الِاشْتِقَاقِ فِي النَّعْتِ وَالْجُمُودِ فِي عَطْفِ الْبَيَانِ، وَلَهُ نَظَائِرُ. وَهَذَا الْأَمْرُ السَّادِسُ عَدَّهُ ابْنُ هِشَامٍ فِي "**الْمُغْنِي**"، وَيُحْتَمَلُ دُخُولُهُ فِي الْأَمْرِ الثَّانِي.

السَّابِعُ: أَنْ يُرَاعِيَ فِي كُلِّ تَرْكِيبٍ مَا يُشَاكِلُهُ، فَرُبَّمَا خَرَّجَ كَلَامًا عَلَى شَيْءٍ، وَيَشْهَدُ اسْتِعْمَالٌ آخَرُ فِي نَظِيرِ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ بِخِلَافِهِ، وَمِنْ ثَمَّ خُطِّئَ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْوَقْفَ عَلَى: ﴿لَا رَيْبَ﴾، وَ﴿فِيهِ﴾[2] خَبَرُ ﴿هُدًى﴾، وَيَدُلُّ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ السَّجْدَةِ: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[3]، وَاعْتَبِرْ نَظَائِرَهُ.

الثَّامِنُ: أَنْ يُرَاعِيَ الرَّسْمَ، وَمِنْ ثَمَّ خُطِّئَ مَنْ قَالَ فِي ذَلِكَ ﴿سَلْسَبِيلًا﴾ أَنَّهَا[4] جُمْلَةٌ أَمْرِيَةٌ، أَيْ سَلْ طَرِيقًا مُوصِلَةً إِلَيْهَا، لِأَنَّهَا لَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ لَكُتِبَتْ مَفْصُولَةً. وَمَنْ قَالَ فِي ﴿إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾[5] مَعْنَاهُ: إِنَّهَا (ذَانِ) وَهَا ضَمِيرُ

(1) سورة الناس، الآية: 2 ـ 3.

(2) فيه، في قونية وأنطاليا.

(3) سورة السجدة، الآية: 2.

(4) أنه، في قونية.

(5) سورة طه، الآية: 63.

الْقِصَّةِ، وَ(ذَانِ) مُبْتَدَأٌ خَبَرُهُ لَسَاحِرَانِ، أَيْ إِنَّ الْقِصَّةَ ذَانِ لَسَاحِرَانِ، وَالْجُمْلَةُ خَبَرُ إِنَّ، وَهُوَ بَاطِلٌ بِرَسْمِ "إِنَّ" مُنْفَصِلَةً، وَ"هَذَانِ" مُتَّصِلَةً. وَمَنْ قَالَ: ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ﴾[1] اللَّامُ لِلِابْتِدَاءِ، وَمَا بَعْدَهُ مُبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ، وَهُوَ بَاطِلٌ، إِذِ الرَّسْمُ (وَلَا). وَمَنْ قَالَ فِي: ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾، أَيْ مَقْطُوعَةٌ عَنِ الْإِضَافَةِ، وَ(هُمْ أَشَدُّ) مُبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ، وَهُوَ بَاطِلٌ، إِذِ الرَّسْمُ (أَيُّهُمْ) مُتَّصِلَةً.

التَّاسِعُ: أَنْ يَتَأَمَّلَ عِنْدَ وُرُودِ الْمُشْتَبِهَاتِ، وَمِنْ ثَمَّ خُطِّئَ مَنْ قَالَ، ﴿أَحْصَى﴾ إِنَّهُ فِعْلُ تَفْضِيلٍ، وَ﴿أَمَدًا﴾ تَمْيِيزٌ، وَهُوَ بَاطِلٌ، لِأَنَّ الْأَمَدَ لَيْسَ مُحْصِيًا بَلْ يُحْصَى، وَشَرْطُ التَّمْيِيزِ بَعْدَ أَفْعَلَ كَوْنُهُ فَاعِلًا فِي الْمَعْنَى، فَالصَّوَابُ أَنَّهُ فِعْلٌ، وَأَمَدًا مَفْعُولٌ، مِثْلَ: ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً﴾[2].

الْعَاشِرُ: أَنْ لَا يُخَرِّجَ عَلَى خِلَافِ الْأَصْلِ، أَوْ خِلَافِ الظَّاهِرِ لِغَيْرِ مُقْتَضٍ.

الْحَادِي عَشَرَ: أَنْ يَبْحَثَ عَنِ الْأَصْلِيِّ وَالزَّائِدِ، نَحْوَ: ﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾[3]، إِذِ الظَّاهِرُ أَنْ تَكُونَ الْوَاوُ فِي يَعْفُونَ ضَمِيرَ الْجَمْعِ، فَيُشْكِلُ إِثْبَاتُ النُّونِ، بَلْ هِيَ لَامُ الْكَلِمَةِ، وَالنُّونُ ضَمِيرُ النِّسْوَةِ، وَالْفِعْلُ مَعَهَا مَبْنِيٌّ وَوَزْنُهُ يَفْعُلْنَ، بِخِلَافِ: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ﴾، فَإِنَّ الْوَاوَ فِيهِ ضَمِيرُ الْجَمْعِ.

---

(1) سورة النساء، الآية: 18.

(2) سورة الجن، الآية: 28.

(3) سورة البقرة، الآية: 237.

الثَّانِي عَشَرَ: أَنْ يَجْتَنِبَ إِطْلَاقَ لَفْظِ الزَّائِدِ فِي كِتَابِ اللهِ، فَإِنَّ مَعْنَى الزَّائِدِ مَا لَا مَعْنَى لَهُ، وَكِتَابُ اللهِ مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ، وَلِهَذَا فَرَّ بَعْضُهُمْ إِلَى التَّعْبِيرِ عَنْهُ بِالتَّأْكِيدِ وَالصِّلَةِ وَالْمُقْحَمِ. ثُمَّ اخْتُلِفَ فِي جَوَازِ إِطْلَاقِهِ فِي الْقُرْآنِ، فَالْأَكْثَرُونَ عَلَى جَوَازِهِ، نَظَرًا إِلَى أَنَّهُ نَزَلَ بِلِسَانِ الْقَوْمِ وَمُتَعَارَفِهِمْ، وَلِأَنَّهَا بِإِزَاءِ الْحَذْفِ، لِأَنَّ الْحَذْفَ لِلِاخْتِصَارِ وَالتَّخْفِيفِ، وَالزِّيَادَةَ لِلتَّوْكِيدِ وَالتَّوْطِئَةِ. وَمِنْهُمْ مَنْ أَبَى إِطْلَاقَهُ، لِأَنَّ تِلْكَ الْأَلْفَاظَ لَهَا فَوَائِدُ وَمَعَانٍ تَخُصُّهَا، فَلَا يُقْضَى[1] عَلَيْهَا بِالزِّيَادَةِ.

قَالَ ابْنُ الْخَشَّابِ: وَالتَّحْقِيقُ أَنَّهُ إِنْ أُرِيدَ بِالزِّيَادَةِ إِثْبَاتُ مَعْنًى لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ فَبَاطِلٌ، لِأَنَّهُ عَبَثٌ، فَتَعَيَّنَ أَنَّ إِلَيْنَا بِهِ حَاجَةً، لَكِنَّ الْحَاجَةَ إِلَى الْأَشْيَاءِ قَدْ تَخْتَلِفُ بِحَسَبِ الْمَقَاصِدِ، فَلَيْسَتِ الْحَاجَةُ إِلَى[2] اللَّفْظِ الَّذِي عَدَّهُ هَؤُلَاءِ زِيَادَةً كَالْحَاجَةِ إِلَى اللَّفْظِ الْمَزِيدِ عَلَيْهِ. انْتَهَى.

وَقَالَ جَلَالُ الدِّينِ السُّيُوطِيُّ: بَلِ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ كَالْحَاجَةِ إِلَيْهِ سَوَاءٌ، بِالنَّظَرِ إِلَى مُقْتَضَى الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ، وَأَنَّهُ لَوْ تُرِكَ كَانَ الْكَلَامُ دُونَهُ مَعَ إِفَادَتِهِ أَصْلَ الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ أَبْتَرَ، خَالِيًا عَنِ الرَّوْنَقِ الْبَلِيغِيِّ، لَا شُبْهَةَ فِي ذَلِكَ، وَمِثْلُ هَذَا يُسْتَشْهَدُ عَلَيْهِ بِالْإِسْنَادِ الْبَيَانِيِّ الَّذِي خَالَطَ كَلَامَ الْفُصَحَاءِ، وَعَرَفَ

---

(1) نقض، في قونية.

(2) التي، في قونية.

مَوَاقِعَ اسْتِعْمَالِهِمْ، وَذَاقَ حَلَاوَةَ أَلْفَاظِهِمْ. وَأَمَّا النَّحْوِيُّ الْجَافِي فَعَنْ ذَلِكَ بِمُنْقَطَعِ الثَّرَى[1]. انْتَهَى.

وَمِمَّا يُنَبَّهُ عَلَيْهِ؛ أَنَّهُ قَدْ يَتَجَاذَبُ الْمَعْنَى وَالْإِعْرَابُ، وَالْمُتَمَسَّكُ بِهِ صِحَّةُ الْمَعْنَى، وَيُؤَوَّلُ لِصِحَّةِ الْإِعْرَابِ، مَثَلًا يَقْتَضِي الْمَعْنَى تَعَلُّقَ: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾[2] بِالْمَصْدَرِ، وَهُوَ "رَجْعٌ"، وَالْإِعْرَابُ يَمْنَعُ عَنْهُ لِعَدَمِ جَوَازِ الْفَصْلِ بَيْنَ الْمَصْدَرِ وَمَعْمُولِهِ، فَيُجْعَلُ الْعَامِلُ فِي "يَوْمَ" فِعْلًا مُقَدَّرًا دَلَّ عَلَيْهِ الْمَصْدَرُ.

وَأَيْضًا يَقَعُ فِي كَلَامِهِمْ الْفَرْقُ بَيْنَ تَفْسِيرِ الْمَعْنَى وَتَفْسِيرِ الْإِعْرَابِ بِأَنَّ الثَّانِيَ بِمُلَاحَظَةِ الصِّنَاعَةِ النَّحْوِيَّةِ، وَلَا يَضُرُّ فِي الْأَوَّلِ مُخَالَفَةُ ذَلِكَ[3].

فَائِدَةٌ مُهِمَّةٌ

حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: «سَأَلْتُ عَائِشَةَ عَنْ لَحْنِ الْقُرْآنِ، عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾[4] وَعَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾[5]، وَعَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿إِنَّ الَّذِينَ

---

(1) الإتقان في علوم القرآن: 2/ 309-319.

(2) سورة الطارق، الآية: 9.

(3) الإتقان في علوم القرآن: 2/ 320.

(4) سورة طه، الآية: 63.

(5) سورة النساء، الآية: 162.

آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ﴾[1]، فَقَالَتْ: يَا ابْنَ أَخِي، هَذَا عَمَلُ الْكُتَّابِ أَخْطَأُوا فِي الْكِتَابِ»[2]. هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ.

وَقَالَ: حَدَّثَنَا حَجَّاجُ عَنْ هَارُونَ بْنِ مُوسَى، أَخْبَرَنِي زُبَيْرُ بْنُ الْخِرِّيتِ عَنْ عِكْرِمَةَ، قَالَ: «لَمَّا كُتِبَتِ الْمَصَاحِفُ، عُرِضَتْ عَلَى عُثْمَانَ فَوَجَدَ فِيهَا حُرُوفًا مِنَ اللَّحْنِ، فَقَالَ: لَا تُغَيِّرُوهَا، فَإِنَّ الْعَرَبَ سَتُغَيِّرُهَا، أَوْ قَالَ سَتُعْرِبُهَا بِأَلْسِنَتِهَا، لَوْ كَانَ الْكَاتِبُ مِنْ ثَقِيفٍ، وَالْمُمْلِي مِنْ هُذَيْلٍ، لَمْ تُوجَدْ فِيهِ هَذِهِ الْحُرُوفُ»[3].

ثُمَّ أَخْرَجَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ نَحْوَهُ مِنْ طَرِيقِ أَبِي بِشْرٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾، وَيَقُولُ: هُوَ لَحْنٌ مِنَ الْكَاتِبِ.

قَالَ السُّيُوطِيُّ: وَهَذِهِ الْآثَارُ مُشْكِلَةٌ جِدًّا. وَكَيْفَ يُظَنُّ بِالصَّحَابَةِ أَوَّلًا أَنَّهُمْ يَلْحَنُونَ فِي الْكَلَامِ فَضْلًا عَنِ الْقُرْآنِ، وَهُمُ الْفُصَحَاءُ اللُّدُّ، وَكَيْفَ يُظَنُّ بِهِمْ ذَلِكَ ثَانِيًا فِي الْقُرْآنِ الَّذِي تَلَقَّوْهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا أُنْزِلَ، وَحَفِظُوهُ وَضَبَطُوهُ وَأَتْقَنُوهُ، ثُمَّ كَيْفَ يُظَنُّ بِهِمْ ثَالِثًا اجْتِمَاعُهُمْ كُلِّهُمْ عَلَى الْخَطَإِ وَكِتَابَتِهِ، ثُمَّ كَيْفَ يُظَنُّ بِهِمْ رَابِعًا عَدَمُ تَنَبُّهِهِمْ وَرُجُوعِهِمْ عَنْهُ، ثُمَّ كَيْفَ يُظَنُّ بِعُثْمَانَ أَنْ يَنْهَى عَنْ تَغْيِيرِهِ، ثُمَّ كَيْفَ يُظَنُّ أَنَّ الْقِرَاءَةَ اسْتَمَرَّتْ عَلَى

---

(1) سورة المائدة، الآية: 69.

(2) أخرجه القاسم بن سلام في فضائل القرآن: 287.

(3) المصدر نفسه: 341.

مُقْتَضَى ذَلِكَ الْخَطَإِ وَهُوَ مَرْوِيٌّ بِالتَّوَاتُرِ خَلَفًا عَنْ سَلَفٍ. وَهَذِهِ الْأُمُورُ مُسْتَحِيلَةٌ عَقْلًا وَشَرْعًا وَعَادَةً، وَقَدْ أَجَابُوا عَنْهُ بِوُجُوهٍ ثَلَاثَةٍ:

أَحَدُهَا: ادِّعَاءُ ضُعْفِ إِسْنَادِهِ عَنْ عُثْمَانَ، وَلِأَنَّ عُثْمَانَ جَعَلَ لِلنَّاسِ إِمَامًا يَقْتَدُونَ بِهِ، فَكَيْفَ يَتْرُكُ فِيهِ لَحْنًا لِتُقِيمَهُ الْعَرَبُ بِأَلْسِنَتِهَا، فَإِذَا لَمْ يُقِيمُوا ذَلِكَ، وَهُمْ تَوَلَّوْا جَمْعَهُ وَكِتَابَتَهُ فَكَيْفَ يُقِيمُهُ غَيْرُهُمْ. وَأَيْضًا هُوَ كَتَبَ مَصَاحِفَ مُتَعَدِّدَةً، فَلِمَ لَمْ يُقِمْ فِي بَعْضٍ مِنْهَا، فَإِنِ ادَّعَى وُقُوعَ اللَّحْنِ فِي الْكُلِّ فَذَلِكَ بَعِيدٌ، وَإِنِ ادَّعَى أَنَّهُ أَقَامَ الْبَعْضَ فَلِمَ لَمْ يُنْقَلْ ذَلِكَ إِلَيْنَا؟

وَثَانِيهَا: أَنَّ مَا ذَكَرَهُ عُثْمَانُ مَحْمُولٌ عَلَى الرَّمْزِ وَالْإِشَارَةِ وَمَوَاضِعِ الْحَذْفِ، نَحْوَ "الكتب" بِلَا أَلِفٍ، وَ"الصَّبِرِينَ" فِي الصَّابِرِينَ بِلَا أَلِفٍ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

وَثَالِثُهَا: أَنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى مُخَالَفَةِ رَسْمِ الْخَطِّ، لِأَنَّ خَطَّ الْمُصْحَفِ خَالَفَ رَسْمَ الْخَطِّ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ. وَأُجِيبَ عَنْهُ بِوَجْهٍ أَقْوَى، وَهُوَ الْأَثَرُ الْمَرْوِيُّ عَنْ عُثْمَانَ بِأَنَّهُ: لَمَّا عُرِضَ الْمُصْحَفُ عَلَيْهِ نَظَرَ فِيهِ، فَقَالَ: أَحْسَنْتُمْ وَأَجْمَلْتُمْ، أَرَى فِيهِ شَيْئًا سَنُقِيمُهُ بِأَلْسِنَتِنَا، إِذْ يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّهُ رَأَى فِيهِ شَيْئًا كُتِبَ عَلَى غَيْرِ لِسَانِ قُرَيْشٍ، "كَالتَّابُوهِ" وَ"التَّابُوتِ" فَوَعَدَ أَنَّهُ سَيُقِيمُهُ عَلَى لِسَانِ قُرَيْشٍ، ثُمَّ وَفَى بِذَلِكَ عِنْدَ الْعَرْضِ وَالتَّقْوِيمِ، وَلَمْ يَتْرُكْ فِيهِ شَيْئًا، وَلَعَلَّ مَنْ رَوَى الْآثَارَ الْمُتَقَدِّمَةَ حَرَّفَهَا، وَلَمْ يُتْقِنِ الَّذِي صَدَرَ مِنْهُ، فَلَزِمَ مَا لَزِمَ مِنَ الْإِشْكَالِ.

وَأَمَّا حَدِيثُ عَائِشَةَ، فَلَا يَصِحُّ عَنْهُ هَذِهِ الْأَجْوِبَةُ، إِذْ لَيْسَ فِي إِسْنَادِهِ ضُعْفٌ، لِأَنَّ إِسْنَادَهُ صَحِيحٌ، وَأَيْضًا سَأَلَهَا عُرْوَةُ عَنِ الْأَحْرُفِ، فَلَا يَحْتَمِلُ الْحَمْلُ عَلَى الرَّمْزِ وَالْإِشَارَةِ، بَلِ الْجَوَابُ: أَخْطَأُوا فِي اخْتِيَارِ الْأَوْلَى مِنَ الْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ لِجَمْعِ النَّاسِ عَلَيْهِ.

وَأَمَّا قَوْلُ سَعِيد بْنِ جُبَيْرٍ: لَحْنٌ مِنَ الْكَاتِبِ، أَرَادَ بِاللَّحْنِ الْقِرَاءَةَ وَاللُّغَةَ، أَيْ أَنَّهَا لُغَةُ الَّذِي كَتَبَهَا وَقِرَاءَتُهُ، وَفِيهَا[1] قِرَاءَةٌ أُخْرَى[2].

فَائِدَةٌ أُخْرَى

أَلَّفَ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ مَالِكٍ الرُّعَيْنِيُّ كِتَابًا سَمَّاهُ: **"تُحْفَةُ الْأَقْرَانِ فِيمَا قُرِئَ بِالتَّثْلِيثِ مِنْ حُرُوفِ الْقُرْآنِ"**: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ قُرِئَ بِالرَّفْعِ عَلَى الِابْتِدَاءِ، وَبِالنَّصْبِ عَلَى الْمَصْدَرِ، وَبِالْكَسْرِ عَلَى إِتْبَاعِ الدَّالِ اللَّامَ فِي حَرَكَتِهَا، ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ بِالْجَرِّ عَلَى أَنَّهُ نَعْتٌ، وَبِالرَّفْعِ عَلَى الْقَطْعِ بِإِضْمَارِ مُبْتَدَإٍ، وَبِالنَّصْبِ عَلَيْهِ بِإِضْمَارِ فِعْلٍ أَوْ عَلَى النِّدَاءِ[3].

وَنَظَائِرُ هَذَا كَثِيرَةٌ شَائِعَةٌ فِي الْقُرْآنِ. وَالْغَرَضُ التَّنْبِيهُ عَلَى هَذَا الْبَابِ لَا اسْتِقْصَاءُ الْأَمْثِلَةِ، إِذْ لَا يَفِي الْمَقَامُ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا.

---

(1) فيه، في قونية.

(2) الإتقان في علوم القرآن: 2/ 321 ـ 324.

(3) المصدر نفسه: 2/ 330

عِلْمُ مَعْرِفَةِ قَوَاعِدَ مُهِمَّةٍ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا الْمُفَسِّرُ

مِنْهَا الضَّمَائِرُ: أَلَّفَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ فِي الضَّمَائِرِ[1] الْوَاقِعَةِ فِي الْقُرْآنِ مُجَلَّدَيْنِ. وَأَصْلُ وَضْعِهَا لِلِاخْتِصَارِ، وَلِهَذَا قَامَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيماً﴾[2] مَقَامَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ كَلِمَةً لَوْ أَظْهَرَهَا. وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾[3]. **قَالَ مَكِّيٌّ**: لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ آيَةٌ اشْتَمَلَتْ عَلَى ضَمَائِرَ أَكْثَرَ مِنْهَا، فَإِنَّ فِيهَا خَمْسَةً وَعِشْرِينَ ضَمِيرًا، وَمِنْ ثَمَّ لَا يُعْدَلُ إِلَى الْمُنْفَصِلِ إِلَّا بَعْدَ تَعَذُّرِ الْمُتَّصِلِ، نَحْوَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، أَوْ بَعْدَ إِلَّا، نَحْوَ: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾[4].

وَمِنْهَا: مَرْجِعُ الضَّمِيرِ: لَا بُدَّ لِلضَّمِيرِ مِنْ مَرْجِعٍ يَعُودُ إِلَيْهِ، وَيَكُونُ مَلْفُوظًا سَابِقًا مُطَابِقًا، نَحْوَ: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾[5]، ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ﴾[6]. أَوْ مُتَضَمِّنًا لَهُ، نَحْوَ: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[7]، فَإِنَّهُ رَاجِعٌ إِلَى مَا تَضَمَّنَهُ: اعْدِلُوا مِنَ الْعَدْلِ. أَوْ دَالًّا عَلَيْهِ بِالِالْتِزَامِ، نَحْوَ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾، أَيِ الْقُرْآنَ اللَّازِمَ لِلْإِنْزَالِ.

---

(1) عنوان الكتاب: "ضَمَائِرُ الْقُرْآنِ"، كشف الظنون:2/ 1087..

(2) سورة الأحزاب، الآية: 35.

(3) سورة النور، الآية: 31.

(4) سورة يوسف، الآية: 40.

(5) سورة هود، الآية: 42.

(6) سورة طه، الآية: 121.

(7) سورة المائدة، الآية: 8.

أَوْ مُتَأَخِّرًا لَفْظًا لَا رُتْبَةً مُطَابِقًا، نَحْوَ: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾[1]. أَوْ رُتْبَةً أَيْضًا، كَبَابِ نِعْمَ وَبِئْسَ وَضَمِيرِ الشَّأْنِ وَالْقِصَّةِ. أَوْ مُتَأَخِّرًا دَالًّا بِالِالْتِزَامِ، نَحْوَ: ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾[2]، أَيِ الشَّمْسُ لِدَلَالَةِ الْحِجَابِ عَلَيْهَا. وَقَدْ يَدُلُّ عَلَيْهِ السِّيَاقُ فَيُضْمَرُ ثِقَةً بِفَهْمِ السَّامِعِ، نَحْوَ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[3]، أَيِ الْأَرْضُ أَوِ الدُّنْيَا، وَلِأَبَوَيْهِ أَيِ الْمَيِّتُ، وَلَمْ يَتَقَدَّمْ لَهُ ذِكْرٌ. وَقَدْ يَعُودُ عَلَى لَفْظِ[4] الْمَذْكُورِ دُونَ مَعْنَاهُ، ومثلُهُ شَائِعٌ.

وَقَدْ يَعُودُ عَلَى الْمَعْنَى كَمَا يَعُودُ الضَّمِيرُ جَمْعًا عَلَى (مَنْ) حَمْلًا عَلَى الْمَعْنَى.

وَقَدْ يُذْكَرُ شَيْئَانِ، وَيُعَادُ الضَّمِيرُ إِلَى أَحَدِهِمَا، وَالْغَالِبُ كَوْنُ الْمُرْجَعِ إِلَيْهِ ثَانِيَهُمَا، نَحْوَ: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾[5]، أَيِ الصَّلَاةُ.

وَقَدْ يُثَنَّى الضَّمِيرُ وَيَعُودُ عَلَى أَحَدِ الْمَذْكُورَيْنِ، نَحْوَ: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾[6]، وَإِنَّمَا يَخْرُجُ مِنْ أَحَدِهِمَا.

(1) سورة طه، الآية: 67.

(2) سورة ص، الآية: 32.

(3) سورة الرحمن، الآية: 26.

(4) لفظه، في أنطاليا.

(5) سورة البقرة، الآية: 45.

(6) سورة الرحمن، الآية: 22.

وَقَدْ يَجِيءُ الضَّمِيرُ مُتَّصِلًا بِشَيْءٍ، وَهُوَ لِغَيْرِهِ، نَحْوَ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾[1] يَعْنِي آدَمَ، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً﴾، فَهَذَا لِوَلَدِهِ، لِأَنَّ آدَمَ لَمْ يُخْلَقْ مِنْ نُطْفَةٍ. قِيلَ: هَذَا هُوَ بَابُ الِاسْتِخْدَامِ.

وَقَدْ يَعُودُ الضَّمِيرُ عَلَى مُلَابِسِ مَا هُوَ لَهُ، نَحْوَ: ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾[2]، أَيْ ضُحَى يَوْمِهَا.

وَقَدْ يَعُودُ عَلَى غَيْرِ مُشَاهَدٍ مَحْسُوسٍ، وَالْأَصْلُ خِلَافُهُ، نَحْوَ: ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[3]، فَضَمِيرُ (لَهُ) عَائِدٌ عَلَى الْأَمْرِ، وَهُوَ إِذْ ذَاكَ غَيْرُ مَوْجُودٍ، لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ سَابِقًا فِي عِلْمِ اللهِ كَوْنُهُ، كَانَ بِمَنْزِلَةِ الْمُشَاهَدِ[4] الْمَوْجُودِ[5].

وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَصْلَ عَوْدُ الضَّمِيرِ عَلَى أَقْرَبِ مَذْكُورٍ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُضَافًا، أَوْ مُضَافًا إِلَيْهِ، فَالْأَصْلُ عَوْدُهُ إِلَى الْمُضَافِ، لِأَنَّهُ الْمُحَدَّثُ عَنْهُ، نَحْوَ: ﴿إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا﴾[6].

---

(1) سورة المؤمنون، الآية: 12 والآية: 13.

(2) سورة النازعات، الآية: 46.

(3) سورة البقرة، الآية: 117.

(4) المشاهدة، في أنطاليا وعاطف أفندي.

(5) الإتقان في علوم القرآن: 2/ 334 - 337.

(6) سورة النحل، الآية: 18.

وَقَدْ يَعُودُ عَلَى الْمُضَافِ إِلَيْهِ، نَحْوَ: ﴿إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾[1].

وَقَدْ يُمْكِنُ[2] إِرْجَاعُهُ إِلَى كُلٍّ مِنْهُمَا، نَحْوَ: ﴿أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾[3].

ثُمَّ الْأَصْلُ تَوَافُقُ الضَّمَائِرِ فِي الْمَرْجِعِ حَذَرًا مِنَ التَّشْتِيتِ؛ وَلِهَذَا قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: «إِرْجَاعُ ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ﴾ إِلَى مُوسَى، وَ﴿فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾[4] إِلَى التَّابُوتِ، فِيهِ هُجْنَةٌ»[5].

وَاعْلَمْ أَنَّ ضَمِيرَ الْفَصْلِ ضَمِيرٌ بِصِيغَةِ الْمَرْفُوعِ، مُطَابِقٌ لِمَا قَبْلَهُ تَكَلُّمًا وَخِطَابًا وَغَيْبَةً وَإِفْرَادًا، وَإِنَّمَا يَقَعُ بَعْدَ مُبْتَدَإٍ، أَوْ مَا أَصْلُهُ الْمُبْتَدَأُ وَقَبْلَ خَبَرٍ كَذَلِكَ اسْمًا، نَحْوَ: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[6]، ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾[7]، ﴿كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾[8]، ﴿تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ

---

(1) سورة غافر، الآية: 37.

(2) يكون، في قونية.

(3) سورة الأنعام، الآية: 145.

(4) سورة طه، الآية: 39.

(5) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 3/ 63.

(6) سورة البقرة، الآية: 5.

(7) سورة الصافات، الآية: 165.

(8) سورة المائدة، الآية: 117.

خَيْرًا﴾[1]، ﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا﴾[2]، ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾[3].

وَجوزَّ الْأَخْفَشُ وُقُوعَهُ بَيْنَ الْحَالِ وَصَاحِبِهَا، وَخَرَّجَ عَلَيْهِ قِرَاءَةَ: هُنَّ أَطْهَرَ لَكُمْ، بِالنَّصْبِ. وَجوَّزَ الْجُرْجَانِيُّ وُقُوعَهُ قَبْلَ مُضَارِعٍ، وَجعَلَ مِنْهُ ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾[4]. وَلَا مَحَلَّ لِضَمِيرِ الْفَصْلِ مِنَ الْإِعْرَابِ.

وَلَهُ ثَلَاثَةُ فَوَائِدَ:

الْإِعْلَامُ بِأَنَّ مَا بَعْدَهُ خَبَرٌ لَا تَابِعٌ.

وَالتَّأْكِيدُ، وَلِهَذَا سَمَّاهُ الْكُوفِيُّونَ دِعَامَةً، لِأَنَّهُ يُدْعَمُ بِهِ الْكَلَامُ، أَيْ يُقَوَّى وَيُؤَكَّدُ، وَلِهَذَا لَا يُجْمَعُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّأْكِيدِ، فَلَا يُقَالُ: زَيْدٌ نَفْسُهُ هُوَ الْفَاضِلُ.

وَالِاخْتِصَاصُ، وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، فَائِدَتُهُ الدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّ مَا بَعْدَهُ خَبَرٌ لَا صِفَةٌ، وَالتَّوْكِيدُ وَإِيجَابُ أَنَّ فَائِدَةَ الْمُسْنَدِ ثَابِتَةٌ لِلْمُسْنَدِ إِلَيْهِ دُونَ غَيْرِهِ[5].

وَاعْلَمْ أَنَّ ضَمِيرَ الشَّأْنِ وَالْقِصَّةِ، وَيُسَمَّى ضَمِيرَ الْمَجْهُولِ.

---

(1) سورة المزمل، الآية: 20.

(2) سورة الكهف، الآية: 39.

(3) سورة هود، الآية: 78. النص في الإتقان في علوم القرآن: 2/ 338-339.

(4) سورة البروج، الآية: 13.

(5) الإتقان في علوم القرآن: 2/ 340.

قَالَ فِي **الْمُغْنِي**: «خَالَفَ الْقِيَاسَ مِنْ خَمْسَةِ أَوْجُهٍ:

أَحَدُهَا: عَوْدُهُ عَلَى مَا بَعْدَهُ لُزُومًا، إِذْ لَا يَجُوزُ لِلْجُمْلَةِ الْمُفَسِّرَةِ لَهُ أَنْ تَتَقَدَّمَ عَلَيْهِ وَلَا شَيْءَ مِنْهَا.

[**وَالثَّانِي**: أَنَّ مُفَسِّرَهُ لَا يَكُونُ إِلَّا جُمْلَةً.

وَالثَّالِثُ: أَنْ لَا يُتْبَعَ بِتَابِعٍ، فَلَا يُؤَكَّدَ، وَلَا يُعْطَفَ عَلَيْهِ، وَلَا يُبْدَلَ مِنْهُ][1].

وَالرَّابِعُ: أَنَّهُ لَا يَعْمَلُ فِيهِ إِلَّا الِابْتِدَاءُ أَوْ نَاسِخُهُ.

وَالْخَامِسُ: أَنَّهُ مُلَازِمٌ لِلْإِفْرَادِ، وَمِنْ أَمْثِلَتِهِ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾[2]، ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ﴾[3]، ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾[4].

وَفَائِدَتُهُ: الدَّلَالَةُ عَلَى تَعْظِيمِ الْمُخْبَرِ عَنْهُ، وَتَفْخِيمِهِ بِأَنْ يُذْكَرَ أَوَّلًا مُبْهَمًا ثُمَّ يُفَسَّرَ»[5].

فَائِدَةٌ:

مَتَى أَمْكَنَ الْحَمْلُ عَلَى غَيْرِ ضَمِيرِ الشَّأْنِ، لَا يَنْبَغِي أَنْ يُحْمَلَ عَلَيْهِ، وَخَطَّأَ ابْنُ هِشَامٍ الزَّمَخْشَرِيَّ فِي جَعْلِ اسْمِ إِنَّ ضَمِيرَ الشَّأْنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

---

(1) ما بين معقوفين سقط من قونية.

(2) سورة الإخلاص، الآية: 1.

(3) سورة الأنبياء، الآية: 97.

(4) سورة الحج، الآية: 46.

(5) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: 336 - 337.

﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ﴾، بَلْ هُوَ ضَمِيرُ الشَّيْطَانِ، يُؤَيِّدُهُ قِرَاءَةُ؛ وَقَبِيلَهُ بِالنَّصْبِ، وَضَمِيرُ الشَّأْنِ لَا يُعْطَفُ عَلَيْهِ[1].

[وَمِنَ الْقَوَاعِدِ: إِذَا اجْتَمَعَ فِي الضَّمِيرِ مُرَاعَاةُ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى، بُدِئَ بِاللَّفْظِ، ثُمَّ الْمَعْنَى، لِيَكُونَ الرُّجُوعُ مِنَ الْأَضْعَفِ إِلَى الْأَقْوَى. وَلَا يُعْكَسُ؛ لِئَلَّا يَرْجِعَ مِنَ الْأَقْوَى إِلَى الْأَضْعَفِ، لِأَنَّ الْحَمْلَ عَلَى الْمَعْنَى أَقْوَى، وَعَلَى اللَّفْظِ أَضْعَفُ.

وَمِنَ الْقَوَاعِدِ: لَا بُدَّ لِلْمُفَسِّرِ مِنْ مَعْرِفَةِ مَقَامِ التَّعْرِيفِ وَالتَّنْكِيرِ. وَقَدْ فُصِّلَ فِي عِلْمِ الْمَعَانِي][2].

وَمِنَ الْقَوَاعِدِ: إِذَا ذُكِرَ الِاسْمُ مَرَّتَيْنِ، فَلَهُ أَرْبَعَةُ أَحْوَالٍ، لِأَنَّهُ: إِمَّا أَنْ يَكُونَا مَعْرِفَتَيْنِ، أَوْ نَكِرَتَيْنِ، أَوِ الْأَوَّلُ مَعْرِفَةً، وَالثَّانِي نَكِرَةً، أَوْ بِالْعَكْسِ.

فَإِنْ كَانَا مَعْرِفَتَيْنِ فَالثَّانِي هُوَ الْأَوَّلُ غَالِبًا، لِدَلَالَتِهِ عَلَى الْمَعْهُودِ الَّذِي هُوَ فِي الْأَصْلِ فِي اللَّامِ أَوِ الْإِضَافَةِ، نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[3]، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُرَادَ الْجِنْسُ وَهُوَ قَلِيلٌ.

---

(1) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: 338.

(2) ما بين معقوفين سقط من قونية.

(3) سورة الشرح، الآية: 5-6.

وَإِنْ كَانَا نَكِرَتَيْنِ، فَالثَّانِي غَيْرُ الْأَوَّلِ غَالِبًا، وَإِلَّا لَكَانَ الْمُنَاسِبُ هُوَ التَّعْرِيفُ. وَإِنْ كَانَ الْأَوَّلُ نَكِرَةً، وَالثَّانِي مَعْرِفَةً، فَالثَّانِي هُوَ الْأَوَّلُ، حَمْلًا عَلَى الْعَهْدِ، نَحْوَ: ﴿أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾(1).

وَإِنْ كَانَ الْأَوَّلُ مَعْرِفَةً، وَالثَّانِي نَكِرَةً، فَالْأَمْرُ عَلَى الْقَرَائِنِ، فَتَارَةً تَقُومُ قَرِينَةُ التَّغَايُرِ، وَتَارَةً تَقُومُ قَرِينَةُ الِاتِّحَادِ. وَنَقْضُ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ بِآيَاتٍ كَثِيرَةٍ:

أَمَّا الْأَوَّلُ: فَبِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾(2)، وَالثَّانِي غَيْرُ الْأَوَّلِ، إِذِ الْأَوَّلُ الْعَمَلُ، وَالثَّانِي الثَّوَابُ. وَبِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾(3) أَيِ الْقَاتِلَةَ بِالْمَقْتُولَةِ.

وَأَمَّا الثَّانِي: فَبِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾(4)، وَكِلَاهُمَا وَاحِدٌ، وَنَحْوَ ذَلِكَ.

وَأَمَّا الثَّالِثُ: فَبِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾(5)، فَإِنَّ الثَّانِيَ فِيهِمَا غَيْرُ الْأَوَّلِ.

قَالَ السُّيُوطِيُّ: لَا انْتِقَاضَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، فَإِنَّ اللَّامَ فِي الْإِحْسَانِ لِلْجِنْسِ، فَيَكُونُ فِي الْمَعْنَى كَالنَّكِرَةِ، وَكَذَا آيَةُ النَّفْسِ، كَاللَّامِ فِي آيَةِ الْعُسْرِ،

(1) سورة المزمل، الآية: 15 ـ 16.
(2) سورة الرحمن، الآية: 60
(3) سورة المائدة، الآية: 45.
(4) سورة الزخرف، الآية: 84.
(5) سورة هود، الآية: 3.

فَإِنَّ اللّامَ فِيهَا لِلْعَهْدِ أَوْ لِلِاسْتِغْرَاقِ. وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ مِنْ بَابِ التَّكْرِيرِ وَالإِطْنَابِ[1]. وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَمِنَ الْقَوَاعِدِ: **الْإِفْرَادُ وَالْجَمْعُ**، مِنْهَا: (السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ)، وَلَمْ يُذْكَرْ فِي الْقُرْآنِ الْأَرَضُونَ لِثِقْلِهَا، بَلْ إِنِ احْتِيجَ إِلَيْهَا، يُقَالُ: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾[2]، وَأَمَّا السَّمَاءُ فَتُجْمَعُ عِنْدَ إِرَادَةِ الْعَدَدِ، وَإِلَّا فَتُفْرَدُ، نَحْوَ: ﴿سَبَّحَ لِلهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾[3]، أَيْ سُكَّانُهَا جَمِيعًا، وَنَحْوَ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ﴾[4]، أَيْ كُلُّ وَاحِدَةٍ عَلَى اخْتِلَافِ عَدَدِهَا. وَعِنْدَ إِرَادَةِ الْجِهَةِ يُؤْتَى مُفْرَدًا، نَحْوَ: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾[5].

وَمِنْهَا: **الرِّيحُ**، يُجْمَعُ فِي سِيَاقِ الرَّحْمَةِ، وَيُفْرَدُ فِي ضِدِّهِ. وَعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: كُلُّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الرِّيَاحِ فَهُوَ[6] رَحْمَةٌ، وَكُلُّ شَيْءٍ فِيهِ مِنَ الرِّيحِ فَهُوَ عَذَابٌ.

وَفِي الْحَدِيثِ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا رِيَاحًا وَلَا تَجْعَلْهَا رِيحًا»[7].

وَحِكْمَةُ ذَلِكَ أَنَّ رِيَاحَ الرَّحْمَةِ مُخْتَلِفَةُ الصِّفَاتِ، وَالْهَيْئَاتِ، وَالْمَنَافِعِ،

(1) الإتقان في علوم القرآن: 2/ 351-355.

(2) سورة الطلاق، الآية: 12.

(3) سورة الحديد، الآية:1

(4) سورة الإسراء، الآية: 44.

(5) سورة الذاريات، الآية: 22.

(6) فهي، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(7) مسند أبي يعلى: 4/ 167 رقم: 2456، والمعجم الكبير: 11/ 213 رقم: 11533.

وَإِذَا هَاجَتْ رِيحٌ نَشَرَ لَهَا مِنْ مُقَابِلِهَا مَا يَكْسِرُ سَوْرَتَهَا، فَيَنْشَأُ مِنْ بَيْنِهِمَا رِيحٌ لَطِيفَةٌ، وَأَمَّا فِي الْعَذَابِ فَتَأْتِي مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ بِلَا مُعَارِضٍ وَلَا دَافِعٍ. وَقَدْ خَرَجَ عَنْ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾[1]، وَتَوْجِيهُهُ أَنَّهُ وَرَدَ فِي مُقَابَلَةِ رِيحٍ عَاصِفٍ، وَرُبَّ شَيْءٍ يَجُوزُ فِي الْمُقَابَلَةِ دُونَ الِاسْتِقْبَالِ[2]، وَأَيْضًا الرَّحْمَةُ فِي السَّفِينَةِ بِوَحْدَةِ الرِّيحِ مِنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ، إِذْ الِاخْتِلَافُ يُهْلِكُهَا، وَلِهَذَا أَكَّدَهَا بِقَوْلِهِ: طَيِّبَةٍ.

وَمِنْهَا: **إِفْرَادُ النُّورِ وَجَمْعُ الظُّلُمَاتِ**، وَإِفْرَادُ سَبِيلِ الْحَقِّ، وَجَمْعُ سُبُلِ الْبَاطِلِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[3]، لِأَنَّ طَرِيقَ الْحَقِّ وَاحِدٌ، وَطُرُقَ الْبَاطِلِ مُتَشَعِّبَةٌ مُتَعَدِّدَةٌ. وَالظُّلُمَاتُ بِمَنْزِلَةِ طُرُقِ الْبَاطِلِ، وَالنُّورُ بِمَنْزِلَةِ طَرِيقِ الْحَقِّ، بَلْ هُمَا هُمَا. وَلِهَذَا وَحَّدَ "وَلِيَّ الْمُؤْمِنِينَ"، وَجَمَعَ "أَوْلِيَاءَ الْكُفَّارِ" لِتَعَدُّدِهِمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾[4].

(1) سورة يونس، الآية: 22.

(2) الاستقلال، في أنطاليا وعاطف أفندي.

(3) سورة الأنعام، الآية: 153.

(4) سورة البقرة، الآية: 257.

وَمِنْ ذَلِكَ: **إِفْرَادُ النَّارِ وَجَمْعُ الْجَنَّةِ** وَإِفْرَادُهَا لِأَنَّ النَّارَ مَادَّةٌ وَاحِدَةٌ، وَالْجِنَانَ مُخْتَلِفَةُ الْأَنْوَاعِ، فَحَسُنَ جَمْعُهَا، وَلِأَنَّ الْجَنَّةَ رَحْمَةٌ، وَالنَّارَ عَذَابٌ، عَلَى حَدِّ الرِّيَاحِ وَالرِّيحِ.

وَمِنْ ذَلِكَ: **إِفْرَادُ السَّمْعِ وَجَمْعُ الْبَصَرِ**، لِأَنَّ السَّمْعَ غَلَبَ عَلَيْهِ الْمَصْدَرِيَّةُ فَأُفْرِدَ، وَالْبَصَرَ اشْتُهِرَ فِي الْجَارِحَةِ، وَلِأَنَّ مُتَعَلِّقَ السَّمْعِ الْأَصْوَاتُ، وَهِيَ حَقِيقَةٌ وَاحِدَةٌ، وَمُتَعَلِّقَ الْبَصَرِ الْأَلْوَانُ وَالْأَكْوَانُ، وَهِيَ حَقَائِقُ مُتَخَالِفَةٌ.

وَمِنْ ذَلِكَ: **إِفْرَادُ الصَّدِيقِ لِقِلَّتِهِ، وَجَمْعُ الشَّافِعِينَ لِكَثْرَتِهِ**، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾[1].

وَمِنْ ذَلِكَ: **الْأَلْبَابُ**، لَمْ يَقَعْ إِلَّا مَجْمُوعًا لِثِقَلِ مُفْرَدِهِ لَفْظًا.

وَمِنْ ذَلِكَ: **مَجِيءُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ** بِالْإِفْرَادِ وَالتَّثْنِيَةِ وَالْجَمْعِ، لِأَنَّهُمَا قَدْ أُفْرِدَا بِاعْتِبَارِ الْجِهَةِ، وَثُنِّيَا اعْتِبَارًا بِمَشْرِقِ الصَّيْفِ وَالشِّتَاءِ، وَجُمِعَا اعْتِبَارًا بِتَعَدُّدِ الْمَطَالِعِ، ثُمَّ إِنَّهُمَا ثُنِّيَا فِي سُورَةِ الرَّحْمَنِ، لِكَوْنِ سِيَاقِهَا عَلَى الْمُزْدَوِجَيْنِ مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَالنَّجْمِ وَالشَّجَرِ، وَأَمْثَالِ ذَلِكَ، وَجُمِعَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾[2]، لِلدَّلَالَةِ عَلَى سَعَةِ الْقُدْرَةِ وَالْعَظَمَةِ.

---

(1) سورة الشعراء، الآية: 101.

(2) سورة المعارج، الآية: 40.

وَمِنْ ذَلِكَ: [**الْبَارُّ فِي صِفَةِ الْآدَمِيِّينَ يُجْمَعُ عَلَى أَبْرَارٍ، وَفِي صِفَةِ الْمَلَائِكَةِ، قِيلَ بَرَرَةٌ**. ذَكَرَهُ الرَّاغِبُ، وَوَجَّهَهُ بِأَنَّ الثَّانِيَ أَبْلَغُ][1].

وَالْأَخُ مَجْمُوعًا يَرِدُ فِي النَّسَبِ إِخْوَةٌ، وَفِي الصَّدَاقَةِ إِخْوَانٌ، قَالَهُ[2] ابْنُ فَارِسٍ.

أُورِدَ عَلَيْهِ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[3] فِي الصَّدَاقَةِ، ﴿أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ﴾[4]، ﴿أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ﴾[5] فِي النَّسَبِ.

وَمِنَ الْقَوَاعِدِ: **مُقَابَلَةُ الْجَمْعِ بِالْجَمْعِ، يَقْتَضِي مُقَابَلَةَ الْإِفْرَادِ تَارَةً، وَيَقْتَضِي ثُبُوتَ الْجَمْعِ لِكُلِّ فَرْدٍ تَارَةً**. مِثَالُ الْأَوَّلِ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾[6]، ﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾[7]، ﴿وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾[8]، وَمِثَالُ الثَّانِي: ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾[9]. وَجَعَلَ مِنْهُ الشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ:

---

(1) ما بين معقوفين سقط من أنطاليا.

(2) قال، في أنطاليا.

(3) سورة الحجرات، الآية: 10.

(4) سورة النور، الآية: 31.

(5) نفسها، الآية: 61.

(6) سورة النساء، الآية: 23.

(7) نفسها، الآية: 11.

(8) سورة نوح، الآية: 7.

(9) سورة النور، الآية: 4.

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾[1]. وَيَحْتَمِلُ الْأَمْرَيْنِ تَارَةً، فَيُحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ يُعَيِّنُ أَحَدَهُمَا.

وَمِنَ الْقَوَاعِدِ: فِي أَلْفَاظٍ يُظَنُّ بِهَا التَّرَادُفُ وَلَيْسَتْ مِنْهُ؛ وَمِنْ ذَلِكَ: **الْخَوْفُ وَالْخَشْيَةُ**، وَلَا يَكَادُ اللُّغَوِيُّ يُفَرِّقُ بَيْنَهُمَا، إِلَّا أَنَّ الْخَشْيَةَ أَعْلَى مِنَ الْخَوْفِ، وَلِذَلِكَ خُصَّتِ الْخَشْيَةُ بِاللهِ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾[2]، وَقَدْ يُفَرَّقُ بَيْنَهُمَا بِأَنَّ الْخَشْيَةَ مِنْ عِظَمِ الْمُخْتَشَى، وَإِنْ كَانَ الْخَاشِي قَوِيًّا، وَالْخَوْفَ يَكُونُ مِنْ ضُعْفِ الْخَائِفِ، وَإِنْ كَانَ الْمَخُوفُ أَمْرًا يَسِيرًا.

وَمِنْ ذَلِكَ: الشُّحُّ وَالْبُخْلُ، وَالشُّحُّ هُوَ أَشَدُّ الْبُخْلِ. قَالَ الرَّاغِبُ: الشُّحُّ: «بُخْلٌ مَعَ حِرْصٍ»[3]، وَيُفَرَّقُ بَيْنَ الْبُخْلِ وَالضِّنِّ بِأَنَّ الْبُخْلَ فِي الْهِبَاتِ، وَالضِّنَّ بِالْعَوَارِي، يُقَالُ: ضَنِينٌ بِعِلْمِهِ، وَلَا يُقَالُ بَخِيلٌ بِعِلْمِهِ، لِأَنَّ الْعِلْمَ لَا يُوهَبُ، وَإِنَّمَا يُشَبَّهُ بِالْإِعَارَةِ.

وَمِنْ ذَلِكَ: السَّبِيلُ وَالطَّرِيقُ. وَالْأَوَّلُ فِي الْخَيْرِ غَالِبًا، وَالثَّانِي إِنِ اسْتُعْمِلَ فِي الْخَيْرِ، يُوصَفُ بِمَا يَخُصُّهُ بِهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[4]. وَقَدْ شَرَطَ الرَّاغِبُ فِي الثَّانِي السُّهُولَةَ، فَهُوَ أَخَصُّ.

---

(1) سورة البقرة، الآية: 25.

(2) سورة الرعد، الآية: 21.

(3) المفردات في غريب القرآن: 446.

(4) سورة الأحقاف، الآية: 30.

وَمِنْ ذَلِكَ: جَاءَ وَأَتَى، وَالْأَوَّلُ فِي الْجَوَاهِرِ وَالْأَعْيَانِ، وَالثَّانِي فِي الْمَعَانِي وَالْأَزْمَانِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾[1]، ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾[2]، ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾[3]، ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ﴾[4]، ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا﴾[5]. وَأَمَّا: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾[6]، أَيْ أَمْرُهُ، أَرَادَ بِهِ أَهْوَالَ الْقِيَامَةِ الْمُشَاهَدَةِ، وَكَذَا: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾[7]، لِأَنَّهُ كَالْمُشَاهَدِ. قَالَ الرَّاغِبُ: «الْإِتْيَانُ: مَجِيءٌ بِسُهُولَةٍ»[8]، فَهُوَ أَخَصُّ.

وَمِنْ ذَلِكَ: مَدَّ وَأَمَدَّ. وَالْإِمْدَادُ فِي الْمَحْبُوبِ غَالِبًا، نَحْوَ: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ﴾[9]، وَالْمَدُّ فِي الْمَكْرُوهِ، نَحْوَ: ﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾[10].

وَمِنْ ذَلِكَ: سَقَى وَأَسْقَى. فَالْأَوَّلُ: لِمَا لَا كُلْفَةَ فِيهِ، وَلِهَذَا ذُكِرَ فِي شَرَابِ الْجَنَّةِ، نَحْوَ: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا﴾[11]، وَالثَّانِي: لِمَا فِيهِ كُلْفَةٌ، وَلِهَذَا ذُكِرَ

---

(1) سورة يوسف، الآية: 72.

(2) نفسها، الآية: 18.

(3) سورة الفجر، الآية: 23.

(4) سورة النحل، الآية: 1.

(5) سورة يونس، الآية: 24.

(6) سورة الفجر، الآية: 22.

(7) سورة الأعراف، الآية: 34.

(8) المفردات في غريب القرآن: 60.

(9) سورة الطور، الآية: 22.

(10) سورة مريم، الآية: 79.

(11) سورة الإنسان، الآية: 21.

فِي مَاءِ الدُّنْيَا، نَحْوَ: ﴿لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾[1]. قَالَ الرَّاغِبُ: «الْإِسْقَاءُ أَبْلَغُ، لِأَنَّهُ مَاءٌ يُسْتَقَى مِنْهُ، وَالسَّقْيُ أَنْ يُعْطِيَهُ مَاءً[2] يَشْرَبُ»[3].

وَمِنْ ذَلِكَ: **عَمِلَ وَفَعَلَ**. فَالْأَوَّلُ: مَا كَانَ مَعَ امْتِدَادِ زَمَانٍ، نَحْوَ: ﴿عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ إِشَارَةً إِلى مُثَابَرَتِهِمْ عَلَى الصَّالِحَاتِ. وَالثَّانِي: مَا يَكُونُ في طَرْفَةِ عَيْنٍ، نَحْوَ: ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾[4]، أَيْ أَهْلَكَهُمْ فِي سَاعَةٍ.

وَمِنْ ذَلِكَ: **الْقُعُودُ وَالْجُلُوسُ**. فَالْأَوَّلُ لِمَا فِيهِ لَبْثٌ. وَالثَّانِي بِخِلَافِهِ. يُقَالُ: قَوَاعِدُ الْبَيْتِ، لِمَنْ يَلْزَمُهَا، وَلَا يُقَالُ: جَوَالِسُ الْبَيْتِ، وَيُقَالُ: جَلِيسُ الْمَلِكِ لَا قَعِيدُهُ، إِذْ يُطْلَبُ فِي جُلُوسِهِ التَّخْفِيفُ.

وَمِنْ ذَلِكَ: **الْإِتْمَامُ وَالْإِكْمَالُ**، فَإِنَّ الْأَوَّلَ في الْأَجْزَاءِ، وَالثَّانِيَ فِي الْأَوْصَافِ وَالْهَيْئَاتِ. مَثَلًا: إِتْمَامُ الصَّلَاةِ، إِتْيَانُ أَرْكَانِهَا. وَالْإِكْمَالُ: تَعْدِيلُ أَرْكَانِهَا، وَالْقَافِيَةُ: تَمَامُ الْبَيْتِ وَكَمَالُهُ بِصَنَائِعِهِ.

وَمِنْ ذَلِكَ: **الْإِعْطَاءُ وَالْإِيتَاءُ**، فَإِنَّ الْإِعْطَاءَ يُسْتَعْمَلُ فِيمَا يُنْتَقَلُ مِنْهُ، نَحْوَ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾[5]، لِأَنَّهُ مَوْرُودٌ يُنْتَقَلُ مِنْهُ إِلَى مَنَازِلِ الْعِزِّ فِي الْجَنَّةِ،

---

(1) سورة الجن، الآية: 16.

(2) ما، في قونية.

(3) المفردات في غريب القرآن: 415.

(4) سورة الفيل، الآية: 1.

(5) سورة الكوثر، الآية: 1.

وَالْإِيتَاءُ يُسْتَعْمَلُ فِيمَا لَهُ ثَبَاتٌ، نَحْوَ: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾[1]، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾[2]. وَيُقَالُ: الْإِيتَاءُ فِيمَا يَحْتَاجُ إِلَى الْقَبُولِ، وَلِهَذَا يُسْتَعْمَلُ فِي الزَّكَاةِ وَالصَّدَقَاتِ.

وَمِنْ ذَلِكَ: السَّنَةُ وَالْعَامُ، فَإِنَّ السَّنَةَ فِيمَا فِيهِ شِدَّةٌ وَجَدْبٌ، وَالْعَامَ فِيمَا فِيهِ رَخَاءٌ وَخِصْبٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾[3]، حَيْثُ عَبَّرَ عَنِ الْمُسْتَثْنَى بِالْعَامِ وَالْمُسْتَثْنَى مِنْهُ بِالسَّنَةِ.

وَمِنَ الْقَوَاعِدِ: أَمْرُ السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ؛ الْأَصْلُ التَّطَابُقُ بَيْنَهُمَا، وَقَدْ يُعْدَلُ عَنْهُ، تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّهُ أَلْيَقُ بِحَالِ السَّائِلِ. وَسَمَّاهُ السَّكَّاكِيُّ: الْأُسْلُوبَ الْحَكِيمَ، وَذَلِكَ يَكُونُ تَارَةً بِالزِّيَادَةِ فِي الْجَوَابِ، وَتَارَةً بِالنُّقْصَانِ فِيهِ. وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾[4]، تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ الْأَلْيَقَ بِحَالِهِمُ السُّؤَالُ عَنْ حُكْمِهِ لَا عَنْ سَبَبِهِ. كَذَا قَالَ السَّكَّاكِيُّ وَمُتَابِعُوهُ. وَاسْتَرْسَلَ التَّفْتَازَانِيُّ فِي الْكَلَامِ، حَتَّى قَالَ: لِأَنَّهُمْ[5] لَيْسُوا مِمَّنْ يَطَّلِعُ عَلَى دَقَائِقِ الْهَيْئَةِ بِسُهُولَةٍ.

---

(1) سورة البقرة، الآية: 269.

(2) سورة الحجر، الآية: 87.

(3) سورة العنكبوت، الآية: 14

(4) سورة البقرة، الآية: 189.

(5) إنهم، فن الأزهرية.

قَالَ السُّيُوطِيُّ: «وَمَا ذَكَرُوهُ وَإِنْ كَانَ مُحْتَمَلًا، إِلَّا أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْجَوَابِ الْمُطَابَقَةُ، فيَتَعَيَّنُ سُؤَالُهُمْ عَنِ الْحِكْمَةِ، لِأَنَّ السُّؤَالَ مُحْتَمِلٌ لَهُ أَيْضًا، فَلَا يَتَعَيَّنُ مَا ذَكَرُوهُ. وَيُؤَيِّدُ مَا قُلْنَاهُ مَا أَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، قَالَ: «بَلَغَنَا أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ خُلِقَتِ الْأَهِلَّةُ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾»(1). فَهَذَا صَرِيحٌ فِي أَنَّ سُؤَالَهُمْ عَنْ حِكْمَةِ ذَلِكَ، لَا عَنْ كَيْفِيَّتِهِ مِنْ جِهَةِ الْهَيْئَةِ، وَلَا يَظُنَّ ذُو دِينٍ بِالصَّحَابَةِ الَّذِينَ هُمْ أَدَقُّ فَهْمًا، وَأَغْزَرُ عِلْمًا، أَنَّهُمْ لَيْسُوا مِمَّنْ يَطَّلِعُ عَلَى دَقَائِقِ الْهَيْئَةِ بِسُهُولَةٍ، وَإِنَّمَا اطَّلَعَ عَلَيْهَا آحَادُ الْعَجَمِ، الَّذِينَ أَطْبَقَ النَّاسُ عَلَى أَنَّهُمْ أَقَلُّ أَذْهَانًا مِنَ الْعَرَبِ بِكَثِيرٍ.

وَقالَ السُّيُوطِيُّ: وَقَدْ صَنَّفْتُ كِتَابًا فِي نَقْضِ أَكْثَرِ مَسَائِلِهَا بِالْأَدِلَّةِ الثَّابِتَةِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الَّذِي صَعِدَ إِلى السَّمَاءِ، وَرَآهَا عِيَانًا، وعَلِمَ مَا حَوَتْهُ مِنْ عَجَائِبِ الْمَلَكُوتِ بِالْمُشَاهَدَةِ، وَأَتَاهُ الْوَحْيُ مِنْ خَالِقِهَا، وَعَلِمَ جَمِيعَ الْمَلَكُوتِيَّاتِ. نِعْمَ الْمِثَالُ الصَّحِيحُ لِهَذَا الْقِسْمِ جَوَابُ مُوسَى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، عَنْ سُؤَالِ فِرْعَوْنَ: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾(2)، لِأَنَّ "مَا" سُؤَالٌ عَنِ الْجِنْسِ، وَحَيْثُ لَا جِنْسَ لِلْبَارِئِ تَعَالَى، أَجَابَ بِالْوَصْفِ، تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ اللَّائِقَ السُّؤَالُ عَنِ الْوَصْفِ»(3).

---

(1) تفسير ابن كثير: 1/ 522، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن: 3/ 490.

(2) سورة الشعراء، الآية: 23.

(3) الإتقان في علوم القرآن:2/ 369ـ370.

وَمِثَالُ الزِّيَادَةِ فِي الْجَوَابِ قَوْلُ مُوسَى: ﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا﴾[1]، فِي جَوَابِ: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ﴾[2]، زَادَ فِي الْجَوَابِ اسْتِلْذَاذًا بِخِطَابِ اللهِ تَعَالَى.

وَمِثَالُ النَّقْصِ مِنْهُ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ﴾[3]، فِي جَوَابِ: ﴿ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾. حَيْثُ أَجَابَ عَنِ التَّبْدِيلِ دُونَ الِاخْتِرَاعِ، لِأَنَّ التَّبْدِيلَ فِي إِمْكَانِ الْبَشَرِ دُونَ الِاخْتِرَاعِ، فَطَوَى ذِكْرَهُ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّهُ سُؤَالٌ مُحَالٌ. وَقَالَ غَيْرُهُ: التَّبْدِيلُ أَسْهَلُ، وَقَدْ نُفِيَ إِمْكَانُهُ، فَالِاخْتِرَاعُ أَوْلَى.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ يُعْدَلُ عَنِ الْجَوَابِ أَصْلًا، إِذَا كَانَ قَصْدُ السَّائِلِ التَّعَنُّتَ، نَحْوَ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[4].

قَالَ صَاحِبُ "الْإِفْصَاحُ": «الرُّوحُ تُقَالُ بِالِاشْتِرَاكِ عَلَى رُوحِ الْإِنْسَانِ وَالْقُرْآنِ وَعِيسَى وَجِبْرِيلَ وَمَلَكٍ آخَرَ وَصِنْفٍ [مِنَ الْمَلَائِكَةِ»[5]. فَقَصَدَ][6]

(1) سورة طه، الآية: 18.

(2) سورة طه، الآية: 17.

(3) سورة يونس، الآية: 15.

(4) سورة الإسراء، الآية: 85.

(5) اختصر النص من: "**الإِفْصَاحُ عَنْ شَرْحِ مَعَانِي الصِّحَاحِ**"، لأبي المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة الوزير (ت. 560هـ): 2/ 11.

(6) ما بين معقوفين سقط من قونية.

الْيَهُودُ التَّعْجِيزَ، فَبِأَيِّ شَيْءٍ أَجَابَهُمْ أَرَادُوا أَنْ يَقُولُوا لَيْسَ هُوَ، فَجَاءَهُمُ الْجَوَابُ مُجْمَلًا كَيْدًا لِيَرُدَّ بِهِ كَيْدَهُمْ.

وَمِنَ الْقَوَاعِدِ: أَصْلُ الْجَوَابِ أَنْ يُعَادَ فِيهِ نَفْسُ السُّؤَالِ لِيَكُونَ وَفْقَهُ، نَحْوَ: ﴿أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ﴾[1]، فَأَنَا فِي جَوَابِهِ هُوَ أَنْتَ فِي سُؤَالِهِمْ، ثُمَّ إِنَّهُمْ أَتَوْا عِوَضَ ذَلِكَ بِحُرُوفِ الْجَوَابِ اخْتِصَارًا وَتَرْكًا لِلتَّكْرَارِ.

وَقَدْ يُحْذَفُ السُّؤَالُ ثِقَةً بِفَهْمِ السَّامِعِ بِتَقْدِيرِهِ، نَحْوَ: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾[2]، وَلَمَّا لَمْ يَسْتَقِمْ كَوْنُ السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ مِنْ وَاحِدٍ، تَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ: ﴿قُلِ اللهُ﴾، جَوَابَ سُؤَالٍ، كَأَنَّهُمْ سَأَلُوا لَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ: فَمَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ.

وَمِنَ الْقَوَاعِدِ: الْأَصْلُ فِي الْجَوَابِ أَنْ يَكُونَ مُشَاكِلًا لِلسُّؤَالِ فِي الِاسْمِيَّةِ وَالْفِعْلِيَّةِ، وَكَذَا فِي السُّؤَالِ الْمُقَدَّرِ؛ إِلَّا أَنَّ ابْنَ مَالِكٍ قَدَّرَ الْجَوَابَ فِعْلًا، فِي جَوَابِ مَنْ قَالَ: مَنْ قَرَأَ آيَةً، ثُمَّ قَالَ: وَإِنَّمَا لَمْ نُقَدِّرْهُ اسْمًا مَعَ احْتِمَالِهِ، جَرْيًا عَلَى عَادَتِهِمْ فِي الْأَجْوِبَةِ إِذَا قَصَدُوا تَمَامَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى [حِكَايَةً][3]: ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[4]، ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ

---

(1) سورة يوسف، الآية: 90.

(2) سورة يونس، الآية: 34.

(3) زيادة من قونية.

(4) سورة يس، الآية: 78.

الْعَلِيمُ﴾[1]، فَلَمَّا أَتَى بِالْفِعْلِيَّةِ مَعَ فَوَاتِ مُشَاكَلَةِ السُّؤَالِ، عُلِمَ أَنَّ تَقْدِيرَ الْفِعْلِ أَوَّلًا أَوْلَى.

وَقَالَ ابْنُ الزَّمَلْكَانِيِّ فِي "الْبُرْهَانُ"[2]: «أَطْلَقَ النَّحْوِيُّونَ الْقَوْلَ بِأَنَّ زَيْدًا فِي جَوَابِ: "مَنْ قَامَ؟" فَاعِلٌ عَلَى تَقْدِيرِ قَامَ زَيْدٌ، وَالَّذِي تُوجِبُهُ صِنَاعَةُ عِلْمِ الْبَيَانِ أَنَّهُ مُبْتَدَأٌ، لِوَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ يُطَابِقُ الْجُمْلَةَ الْمَسْؤُولَ بِهَا فِي الِاسْمِيَّةِ، كَمَا وَقَعَ التَّطَابُقُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾[3] فِي الْفِعْلِيَّةِ، وَإِنَّمَا لَمْ يَقَعِ التَّطَابُقُ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[4]، لِأَنَّهُمْ لَوْ طَابَقُوا، لَكَانُوا مُقِرِّينَ بِالْإِنْزَالِ، وَهُمْ مِنَ الْإِذْعَانِ بِهِ عَلَى تَفَاوُتٍ.

الثَّانِي: أَنَّ اللَّبْسَ عِنْدَ السَّائِلِ مِنْ فِعْلِ الْفَاعِلِ، فَوَجَبَ أَنْ يُقَدَّمَ الْفَاعِلُ فِي الْمَعْنَى، لِأَنَّهُ مُتَعَلِّقٌ بِغَرَضِ السَّائِلِ، وَأَمَّا الْفِعْلُ فَمَعْلُومٌ عِنْدَهُ، وَلَا حَاجَةَ بِهِ إِلَى السُّؤَالِ عَنْهُ، فَحَرِيٌّ أَنْ يَقَعَ فِي الْأَوَاخِرِ الَّتِي هِيَ مَحَلُّ

---

(1) سورة الزخرف، الآية: 9.

(2) "**الْبُرْهَانُ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآن**"، لكمال الدين محمد بن علي ابن الزملكاني الشافعي (ت. 727هـ)، ثم اختصره بنفسه، وهو مطبوع. كشف الظنون: 1/ 241.

(3) سورة النحل، الآية: 30.

(4) سورة النحل، الآية: 24.

التَّكْمِلَاتِ وَالْفَضَلَاتِ، وَأُشْكِلَ[1] عَلَى هَذَا: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾[2]، في جَوَابِ: ﴿أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا﴾، فَإِنَّ السُّؤَالَ وَقَعَ عَنِ الْفَاعِلِ، وَصَدَرَ الْجَوَابُ بِالْفِعْلِ. وَأُجِيبَ: بِأَنَّ الْجَوَابَ مُقَدَّرٌ دَلَّ عَلَيْهِ السِّيَاقُ، إِذْ كَلِمَةُ "بَلْ" لَا تَصْلُحُ أَنْ يُصَدَّرَ بِهَا الْكَلَامُ، وَالتَّقْدِيرُ مَا فَعَلْتُهُ بَلْ فَعَلَهُ»[3].

قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَاهِرِ: وحَيْثُ كانَ مُضْمَرًا فَالْأَكْثَرُ التَّصْرِيحُ بِهِ، لِضُعْفِهِ عَنِ الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ. وَمِنْ غَيْرِ الْأَكْثَرِ: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ﴾[4]، في قِرَاءَةِ الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ[5].

وَمِنَ الْقَوَاعِدِ: **الْخِطَابُ بِالِاسْمِ وَالْخِطَابُ بِالْفِعْلِ مُخْتَلِفَانِ**، إِذِ الِاسْمُ يَدُلُّ عَلَى الثُّبُوتِ وَالِاسْتِمْرَارِ، وَالْفِعْلُ يَدُلُّ عَلَى التَّجَدُّدِ وَالْحُدُوثِ، وَلَا يَحْسُنُ وَضْعُ أَحَدِهِمَا مَوْضِعَ الْآخَرِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾[6]، إِذِ الْمَقَامُ لِبَيَانِ ثُبُوتِ هَذِهِ الصِّفَةِ لِلْكَلْبِ، لَا مُزَاوَلَتِهِ لَهَا شَيْئًا فَشَيْئًا. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ﴾[7]، إِذِ الْمَقَامُ بَيَانُ أَنَّ الرِّزْقَ يَتَجَدَّدُ شَيْئًا فَشَيْئًا.

---

(1) والشكل، في قونية والأزهر.

(2) سورة الأنبياء، الآية: 63.

(3) البرهان في علوم القرآن: 4/ 49.

(4) سورة النور، الآية: 36 - 37.

(5) البرهان في علوم القرآن: 4/ 51.

(6) سورة الكهف، الآية: 18.

(7) سورة فاطر، الآية: 3.

وَقَدْ يُورَدُ الْحَالُ في صُورَةِ الْمُضَارِعِ، مَعَ أَنَّ الْعَامِلَ الَّذِي يُفِيدُهُ مَاضٍ، نَحْوَ: ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾[1]، إِذِ الْمُرَادُ أَنْ يُفِيدَ صُورَةَ مَا هُمْ عَلَيْهِ وَقْتَ الْمَجِيءِ، وَأَنَّهُمْ آخِذُونَ فِي الْبُكَاءِ يُجَدِّدُونَهُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ، وَهُوَ الْمُسَمَّى حِكَايَةَ الْحَالِ الْمَاضِيَةِ.

وَلَمَّا كَانَ لِلْإِيمَانِ حَقِيقَةٌ تَقُومُ بِالْقَلْبِ، يَدُومُ مُقْتَضَاهَا، عَبَّرَ عَنْهُ: بِـ "الْمُؤْمِنُونَ"، وَكَذَا الْحَالُ فِي: "الْمُتَّقُونَ"، بِخِلَافِ النَّفَقَةِ، فَإِنَّهَا لِتَجَدُّدِهَا، وَكَوْنِهَا أَمْرًا فِعْلِيًّا شَأْنُهُ الِانْقِطَاعُ، عَبَّرَ بِـ: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ﴾، وَكَذَا الْحَالُ فِي نَظَائِرِهَا. وَبِهَذَا يُشْكِلُ نَحْوَ عِلْمِ اللهِ وَسَائِرِ صِفَاتِهِ الْقَدِيمَةِ، فَإِنَّهَا لَا تَتَجَدَّدُ، مَعَ أَنَّهُ يُسْتَعْمَلُ فِعْلًا. وَيُدْفَعُ هَذَا بِأَنَّ مَعْنَى عِلْمِ وُقُوعِ عِلْمِهِ فِي الْمَاضِي أَعَمُّ مِنْ أَنْ يَسْتَمِرَّ[2] قَبْلَ ذَلِكَ أَوْ بَعْدَهُ أَمْ لَا.

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ إِبْرَاهِيمَ: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي﴾ بِالْمَاضِي، لِأَنَّهُ أَمْرٌ مَفْرُوغٌ مِنْهُ، ثُمَّ ذَكَرَ: ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾[3]، ﴿وَيَسْقِينِ﴾، ﴿وَيَشْفِينِ﴾ بِالْمُضَارِعِ لِأَنَّهَا مُتَكَرِّرَةٌ مُتَجَدِّدَةٌ تَقَعُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى. وَأَيْضًا مُضْمَرُ الْفِعْلِ فِيمَا ذُكِرَ كَمُظْهَرِهِ.

---

(1) سورة يوسف، الآية: 16.

(2) يتم، في الأزهرية.

(3) سورة الشعراء، الآية: 78.

قَالَ أَبُو الْمُطَرِّفِ ابْنُ عَمِيرَةَ: دَلَالَةُ الاسْمِ عَلَى الثُّبُوتِ، وَالْفِعْلِ عَلَى التَّجَدُّدِ وَالْحُدُوثِ، أَمْرٌ مَشْهُورٌ لَا مُسْتَنَدَ لَهُ، فَإِنَّ الِاسْمَ إِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى مَعْنَاهُ فَقَطْ، وَأَمَّا أَنَّهُ يُثْبِتُ الْمَعْنَى لِلشَّيْءِ فَلَا.

قَالَ ابْنُ الْمُنَيِّرِ: طَرِيقَةُ الْعَرَبِ تَلْوِينُ الْكَلَامِ، وَمَجِيءُ الْفِعْلِيَّةِ تَارَةً، وَالِاسْمِيَّةِ أُخْرَى، مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ لِمَا ذَكَرُوهُ.

وَمِنَ الْقَوَاعِدِ: الْمَصْدَرُ الْمَرْفُوعُ يُفِيدُ الْوُجُوبَ، وَالْمَنْصُوبُ النَّدْبَ، لِأَنَّ الْجُمْلَةَ الِاسْمِيَّةَ أَثْبَتُ وَآكَدُ. فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾، يَدُلُّ عَلَى الْوُجُوبِ، ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾[1] يَدُلُّ عَلَى النَّدْبِ. وَنَظَائِرُ هَذَا كَثِيرَةٌ فِي الْقُرْآنِ.

وَمِنَ الْقَوَاعِدِ: الْعَطْفُ، إِمَّا عَلَى اللَّفْظِ وَهُوَ الْأَصْلُ، وَشَرْطُهُ إِمْكَانُ تَوَجُّهِ الْعَامِلِ إِلَى الْمَعْطُوفِ، وَإِمَّا عَلَى الْمَحَلِّ، وَلَهُ شُرُوطٌ:

أَحَدُهَا: إِمْكَانُ ظُهُورِ ذَلِكَ الْمَحَلِّ فِي الْفَصِيحِ، فَلَا يَجُوزُ: مَرَرْتُ بِزَيْدٍ وَعَمْرٍو، لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ: مَرَرْتُ زَيْدًا.

وَثَانِيهَا: أَنْ يَكُونَ الْوَضْعُ بِحَقِّ الْأَصَالَةِ، فَلَا يَجُوزُ هَذَا الضَّارِبُ زَيْدًا وَأَخِيهِ، لِأَنَّ الْوَصْفَ الْمُسْتَوْفِيَ لِشُرُوطِ الْعَمَلِ الْأَصْلُ إِعْمَالُهُ لَا إِضَافَتُهُ.

وَثَالِثُهَا: وُجُودُ الْمُحْرِزِ، أَيِ الطَّالِبِ لِذَلِكَ الْمَحَلِّ، فَلَا يَجُوزُ: "إِنَّ زَيْدًا وَعَمْرًا قَاعِدَانِ" لِأَنَّ الطَّالِبَ لِرَفْعِ عَمْرٍو هُوَ الِابْتِدَاءُ، وَقَدْ زَالَ بِدُخُولِ

---

(1) سورة هود، الآية: 69.

"إِنَّ". وَعَطْفُ التَّوَهُّمِ نَحْوَ: "لَيْسَ زَيْدٌ قَائِمًا وَلَا قَاعِدٍ" بِالْخَفْضِ، عَلَى تَوَهُّمِ دُخُولِ الْبَاءِ فِي الْخَبَرِ. وَشَرْطُ جَوَازِهِ صِحَّةُ دُخُولِ ذَلِكَ الْعَامِلِ الْمُتَوَهَّمِ، وَشَرْطُ حُسْنِهِ كَثْرَةُ دُخُولِهِ هُنَاكَ. وَقَدْ وَقَعَ هَذَا الْعَطْفُ فِي الْمَجْرُورِ فِي قَوْلِ زُهَيْرٍ: [الطويل]

بَدَا لِيَ أَنِّي لَسْتُ مُدْرِكَ مَا مَضَى وَلَا سَابِقًا شَيْئًا إِذَا كَانَ جَائِيَا[1]

وَاعْلَمْ أَنَّ ابْنَ مَالِكٍ ظَنَّ أَنَّ الْمُرَادَ بِالتَّوَهُّمِ الْغَلَطُ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، كَمَا نَبَّهَ عَلَيْهِ أَبُو حَيَّانَ وَابْنُ هِشَامٍ، بَلْ هُوَ مَقْصِدٌ صَوَابٌ.

وَالْمُرَادُ أَنَّهُ عَطْفٌ عَلَى الْمَعْنَى، أَيْ جَوَّزَ الْعَرَبِيُّ فِي ذِهْنِهِ مُلَاحَظَةَ ذَلِكَ الْمَعْنَى فِي الْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ، فَعَطَفَ مُلَاحِظًا لَهُ، لا أَنَّهُ غَلِطَ في ذلكَ. ولِهَذَا كانَ الْأَدَبُ أَنْ يُقَالَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ إِنَّهُ عَطْفٌ عَلَى الْمَعْنَى.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْقَوْمَ اخْتَلَفُوا في جَوَازِ عَطْفِ الْخَبَرِ عَلَى الْإِنْشَاءِ وَعَكْسِهِ، فَمَنَعَهُ الْبَيَانِيُّونَ وَابْنُ مَالِكٍ وَابْنُ عُصْفُورٍ وَنَقَلَهُ عَنِ الْأَكْثَرِينَ، وَأَجَازَهُ الصَّفَّارُ وَجَمَاعَةٌ مُسْتَدِلِّينَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[2] في سُورَةِ الْبَقَرَةِ، ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[3] في سُورَةِ الصَّفِّ.

---

(1) ديوان شعر زهير صنعة الأعلم الشنتمري: 169.

(2) سورة البقرة، الآية: 25.

(3) سورة الصف، الآية: 13.

قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْأُولَى: «إِنَّهُ عَطَفَ جُمْلَةَ ثَوَابِ الْمُؤْمِنِينَ، عَلَى جُمْلَةِ: عِقَابِ الْكَافِرِينَ»[1].

وَفِي الثَّانِيَةِ: أَنَّ الْعَطْفَ عَلَى "يُؤْمِنُونَ"، لِأَنَّهُ بِمَعْنَى "آمَنُوا"، وَرُدَّ بِأَنَّ الْخِطَابَ بِهِ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَبِـ "بَشِّرْ" لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِأَنَّ الظَّاهِرَ فِي: "تُؤْمِنُونَ"، أَنَّهُ تَفْسِيرٌ لِلتِّجَارَةِ لَا طَلَبٌ.

وَقَالَ السَّكَّاكِيُّ: «الْأَمْرَانِ مَعْطُوفَانِ عَلَى "قُلْ" مُقَدَّرَةً قَبْلَ "يَا أَيُّهَا". وَحَذْفُ الْقَوْلِ كَثِيرٌ»[2].

وَأَيْضًا اخْتَلَفُوا في عَطْفِ الِاسْمِيَّةِ عَلَى الْفِعْلِيَّةِ وَعَكْسِهِ، فَالْجُمْهُورُ عَلَى الْجَوَازِ، وَبَعْضُهُمْ عَلَى الْمَنْعِ.

وَقَدْ لَهِجَ به الرَّازِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ كَثِيرًا، وَرَدَّ بِهِ عَلَى الْحَنَفِيَّةِ الْقَائِلِينَ بِتَحْرِيمِ أَكْلِ مَتْرُوكِ التَّسْمِيَةِ، أَخْذًا مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا﴾ الآية، وقالَ: هِيَ حُجَّةٌ لِلْجَوَازِ لا لِلتَّحْرِيمِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْوَاوَ الْوَاقِعَةَ في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾، لَيْسَتْ لِلْعَطْفِ لِتَخَالُفِ الْجُمْلَتَيْنِ فِي الِاسْمِيَّةِ وَالْفِعْلِيَّةِ، وَلَا لِلِاسْتِئْنَافِ، لِأَنَّ الْوَاوَ تَقْتَضِي الرَّبْطَ، فَهِيَ لِلْحَالِ، فَتَكُونُ مُقَيِّدَةً لِلنَّهْيِ، وَالْمَعْنَى؛ أَيْ: لَا تَأْكُلُوا مِنْهُ فِي حَالِ كَوْنِهِ فِسْقًا، وَالْفِسْقُ قَدْ فَسَّرَهُ اللهُ تَعَالَى

---

(1) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 1/ 104.

(2) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: 269.

بِقَوْلِهِ: ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ﴾[1]، فَالْمَعْنَى: لَا تَأْكُلُوا مِنْهُ إِذَا سُمِّيَ عَلَيْهِ غَيْرُ اللهِ، وَمَفْهُومُهُ: كُلُوا مِنْهُ إِذَا لَمْ يُسَمَّ عَلَيْهِ غَيْرُ اللهِ تَعَالَى. انْتَهَى.

واخْتُلِفَ فِي جَوَازِ الْعَطْفِ عَلَى مَعْمُولَيْ عَامِلَيْنِ.

واخْتُلِفَ أَيْضًا فِي جَوَازِ الْعَطْفِ عَلَى الضَّمِيرِ الْمَجْرُورِ مِنْ غَيْرِ إِعَادَةِ الْجَارِّ[2].

وَتَفْصِيلُ هَاتَيْنِ الْمَسْأَلَتَيْنِ مُفَصَّلٌ فِي عِلْمِ النَّحْوِ، فَارْجِعْ إِلَيْهِ.

وَاعْلَمْ أَنَّنَا قَدْ أَطْنَبْنَا فِي هَذَا الْبَابِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ، لِاشْتِمَالِهِ عَلَى لَطَائِفَ قَلَّمَا تُوجَدُ فِي كِتَابٍ، فَلْيَعْذِرْنِي مَنْ رَآهُ مِنَ الطُّلَّابِ. وَاللهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ، وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَالْمَآبُ.

عِلْمُ مَعْرِفَةِ الْمُحْكَمِ وَالْمُتَشَابِهِ

قِيلَ: [الْمُحْكَمُ مَا لَا يَتَوَقَّفُ عَلَى الْبَيَانِ][3]، وَالْمُتَشَابِهُ مَا لَا يُرْجَى بَيَانُهُ، كَقِيَامِ السَّاعَةِ، وَخُرُوجِ الدَّجَّالِ، وَالْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ مِنْ أَوَائِلِ السُّوَرِ.

وَقِيلَ: الْمُحْكَمُ مَا وَضَحَ مَعْنَاهُ، وَالْمُتَشَابِهُ [نَقِيضُهُ.

---

(1) سورة الأنعام، الآية: 145.

(2) نقل هذه القواعد واختصرها من الإتقان في علوم القرآن: 2/ 334-384.

(3) ما بين معقوفين سقط من أنطاليا.

وَقِيلَ: الْمُحْكَمُ مَا لَا يَحْتَمِلُ مِنَ التَّأْوِيلِ إِلَّا وَجْهًا وَاحِدًا، وَالْمُتَشَابِهُ مَا احْتَمَلَ أَوْجُهًا.

وَقِيلَ: الْمُحْكَمُ مَا كَانَ مَعْقُولَ الْمَعْنَى، وَالْمُتَشَابِهُ][1] بِخِلَافِهِ، كَأَعْدَادِ الصَّلَوَاتِ، وَاخْتِصَاصِ الْقِيَامِ بِرَمَضَانَ دُونَ شَعْبَانَ.

وَقِيلَ: الْمُحْكَمُ مَا اسْتَقَلَّ بِنَفْسِهِ، وَالْمُتَشَابِهُ مَا لا يَسْتَقِلُّ بِنَفْسِهِ إِلَّا بِرَدِّهِ إِلَى غَيْرِهِ.

وَقِيلَ: الْمُحْكَمُ مَا تَأْوِيلُهُ تَنْزِيلُهُ، وَالْمُتَشَابِهُ مَا لَا يُدْرَكُ إِلَّا بِالتَّأْوِيلِ.

وَقِيلَ: الْمُحْكَمُ مَا لَمْ تَتَكَرَّرْ أَلْفَاظُهُ، وَمُقَابِلُهُ الْمُتَشَابِهُ.

وَقِيلَ: الْمُحْكَمُ الْفَرَائِضُ وَالْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ، وَالْمُتَشَابِهُ الْقِصَصُ وَالْأَمْثَالُ.

اخْتُلِفَ هَلِ الْمُتَشَابِهُ مِمَّا يُمْكِنُ الِاطِّلَاعُ عَلَى عِلْمِهِ، أَوْ [مِمَّا][2] لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ. وَعَلَى الْأَوَّلِ طَائِفَةٌ يَسِيرَةٌ، مِنْهُمْ مُجَاهِدٌ، وَهُوَ رِوَايَةٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَرُوِيَ أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[3]: أَنَا مِمَّنْ يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ[4].

قَالَ النَّوَوِيُّ فِي "شَرْحُ مُسْلِمٍ": إِنَّهُ الْأَصَحُّ، لِأَنَّهُ يَبْعُدُ أَنْ يُخَاطِبَ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِمَا لَا سَبِيلَ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ إِلَى مَعْرِفَتِهِ.

---

(1) ما بين معقوفين سقط من أنطاليا.

(2) زيادة من قونية.

(3) سورة آل عمران، الآية: 7.

(4) تفسير الطبري: 5/ 220.

وَقَالَ ابْنُ الْحَاجِبِ: إِنَّهُ الظَّاهِرُ، وَأَمَّا الْأَكْثَرُونَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَأَتْبَاعِهِمْ وَمَنْ بَعْدَهُمْ، خُصُوصًا أَهْلَ السُّنَّةِ، فَذَهَبُوا إِلَى الثَّانِي، وَهُوَ أَصَحُّ الرِّوَايَاتِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

قَالَ ابْنُ السَّمْعَانِيِّ: لَمْ يَذْهَبْ إِلَى الْأَوَّلِ إِلَّا شِرْذِمَةٌ، وَاخْتَارَهُ الْعُتْبِيُّ، قالَ: وَكَانَ يَعْتَقِدُ مَذْهَبَ [أَهْلِ][1] السُّنَّةِ، لَكِنَّهُ[2] سَهَا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ. قَالَ: وَلَا غَرْوَ، فَإِنَّ «لِكُلِّ جَوَادٍ كَبْوَةٌ، وَلِكُلِّ عَالِمٍ هَفْوَةٌ»[3].

وَقَدْ وَرَدَ عَلَى الْقَوْلِ الثَّانِي آثَارٌ وَأَحَادِيثُ.

قَالَ بَعْضُهُمْ: الْعَقْلُ مُبْتَلًى بِاعْتِقَادِ حَقِيقَةِ الْمُتَشَابِهِ، كَابْتِلَاءِ الْبَدَنِ بِأَدَاءِ الْعِبَادَةِ، كَالْحَكِيمِ إِذَا صَنَّفَ كِتَابًا أَجْمَلَ فِيهِ أَحْيَانًا، لِيَكُونَ مَوْضِعَ خُضُوعِ الْمُتَعَلِّمِ لِأُسْتَاذِهِ، وَكَالْمَلِكِ يَتَّخِذُ عَلَامَةً يَمْتَازُ بِهَا مَنْ يُطْلِعُهُ عَلَى سِرِّهِ.

وَقِيلَ: لَوْ لَمْ يُبْتَلَ الْعَقْلُ، الَّذِي هُوَ أَشْرَفُ الْبَدَنِ، لَاسْتَمَرَّ الْعَالِمُ فِي أُبَّهَةِ الْعِلْمِ عَلَى التَّمَرُّدِ، فَبِذَلِكَ يَسْتَأْنِسُ إِلَى التَّذَلُّلِ بِعِزِّ الْعُبُودِيَّةِ.

وَالْمُتَشَابِهُ: هُوَ مَوْضِعُ خُضُوعِ الْعُقُولِ لِبَارِئِهَا اسْتِسْلَامًا وَاعْتِرَافًا بِقُصُورِهَا. وَفِي خَتْمِ آيَاتِهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[4] تَعْرِيضٌ بِالزَّائِغِينَ، وَمَدْحٌ لِلرَّاسِخِينَ، يَعْنِي مَنْ لَمْ يَتَذَكَّرْ وَيَتَّعِظْ وَيُخَالِفْ

---

(1) ما بين معقوفين سقط من أنطاليا.

(2) إلا، في قونية.

(3) يُضرب مُثلا للرَّجل الصَّالح يسْقط السَّقْطَةَ. جمهرة الأمثال: 1/ 308، ومجمع الأمثال: 2/ 187.

(4) سورة البقرة، الآية: 269.

هَوَاهُ، فَلَيْسَ مِنْ أُولِي الْعُقُولِ. وَمِنْ ثَمَّةَ قَالَ الرَّاسِخُونَ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾[1]، إِلَى آخِرِ[2] الْآيَةِ، فَخَضَعُوا لِبَارِئِهِمْ، لِاسْتِنْزَالِ الْعِلْمِ اللَّدُنِيِّ، بَعْدَ أَنِ اسْتَعَاذُوا[3] بِهِ مِنَ الزَّيْغِ النَّفْسَانِيِّ.

قَالَ الرَّاغِبُ فِي "مُفْرَدَاتُ الْقُرْآنِ": «الْآيَاتُ عِنْدَ اعْتِبَارِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ ثَلَاثَةُ أَضْرُبٍ: مُحْكَمٌ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَمُتَشَابِهٌ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَمُحْكَمٌ مِنْ وَجْهٍ، وَمُتَشَابِهٌ مِنْ وَجْهٍ.

فَالْمُتَشَابِهُ بِالْجُمْلَةِ ثَلَاثَةُ أَضْرُبٍ: مُتَشَابِهٌ مِنْ جِهَةِ اللَّفْظِ فَقَطْ، وَمِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى فَقَطْ، وَمِنْ جِهَتِهِمَا. فَالْأَوَّلُ ضَرْبَانِ: يَرْجِعُ إِلَى الْأَلْفَاظِ الْمُفْرَدَةِ، أَوْ إِلَى الْكَلَامِ الْمُرَكَّبِ، وَذَلِكَ ثَلَاثَةُ أَضْرُبٍ: ضَرْبٌ لِاخْتِصَارِ الْكَلَامِ، نَحْوَ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ﴾[4]، وَضَرْبٌ لِبَسْطِهِ، نَحْوَ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[5]، لِأَنَّهُ لَوْ قِيلَ: لَيْسَ مِثْلَهُ، لَكَانَ أَظْهَرَ لِلسَّامِعِ، وَضَرْبٌ لِنَظْمِ الْكَلَامِ، نَحْوَ: ﴿أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا﴾[6]، تَقْدِيرُهُ أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ قَيِّمًا وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا.

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 8.

(2) إلى آخره، في الأزهرية.

(3) استغاثوا، في قونية.

(4) سورة النساء، الآية: 3.

(5) سورة الشورى، الآية: 11.

(6) سورة الكهف، الآية: 1.

وَالْمُتَشَابِهُ مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى: أَوْصَافُ اللهِ تَعَالَى، وَأَوْصَافُ الْقِيَامَةِ.

وَالْمُتَشَابِهُ مِنْ جِهَتِهِمَا خَمْسَةُ أَضْرُبٍ:

الْأَوَّلُ مِنْ جِهَةِ الْكَمِّيَّةِ: كَالْعُمُومِ وَالْخُصُوصِ، نَحْوَ: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾[1].

وَالثَّانِي: مِنْ جِهَةِ الْكَيْفِيَّةِ، كَالْوُجُوبِ وَالنَّدْبِ، نَحْوَ: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ﴾[2].

وَالثَّالِثُ: مِنْ جِهَةِ الزَّمَانِ: كَالنَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ، نَحْوَ: ﴿اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾[3].

وَالرَّابِعُ: مِنْ جِهَةِ الْمَكَانِ، وَالْأُمُورِ الَّتِي نَزَلَتْ فِيهَا، نَحْوَ: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾[4]، وَ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾[5]، فَإِنَّ مَنْ لَا يَعْرِفُ عَادَتَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ تَفْسِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ.

وَالْخَامِسُ: مِنْ جِهَةِ الشُّرُوطِ الَّتِي يَصِحُّ بِهَا الْفِعْلُ أَوْ يَفْسُدُ، كَشَرْطِ الصَّلَاةِ وَالنِّكَاحِ.

---

(1) سورة التوبة، الآية: 5.

(2) سورة النساء، الآية: 3.

(3) سورة آل عمران، الآية: 102.

(4) سورة البقرة، الآية: 189.

(5) سورة التوبة، الآية: 37.

قَالَ: وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ إِذَا تُصُوِّرَتْ عُلِمَ أَنَّ مَا ذَكَرَهُ الْمُفَسِّرُونَ فِي تَفْسِيرِ الْمُتَشَابِهِ لَا يَخْرُجُ مِنْ هَذِهِ التَّقَاسِيمِ.

ثُمَّ جَمِيعُ الْمُتَشَابِهِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَضْرُبٍ:

ضَرْبٌ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوُقُوفِ عَلَيْهِ، كَوَقْتِ السَّاعَةِ، وَخُرُوجِ الدَّابَّةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَضَرْبٌ لِلْإِنْسَانِ سَبِيلٌ إِلَى مَعْرِفَتِهِ، كَالْأَلْفَاظِ الْغَرِيبَةِ، وَالْأَحْكَامِ الْمُغْلَقَةِ.

وَضَرْبٌ مُتَرَدِّدٌ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ، يَخْتَصُّ بِمَعْرِفَتِهِ بَعْضُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ، وَيَخْفَى عَلَى مَنْ دُونَهُمْ، وَهُوَ الْمُشَارُ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِابْنِ عَبَّاسٍ: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ».

وَبَقِيَّةُ مَبَاحِثِ الْمُتَشَابِهِ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ»[1].

عِلْمُ مَعْرِفَةِ مُقَدَّمِ الْقُرْآنِ وَمُؤَخَّرِهِ

وَهُوَ قِسْمَانِ:

الْأَوَّلُ: مَا أَشْكَلَ مَعْنَاهُ ظَاهِرًا، وَاتَّضَحَ بِالتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ، نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾[2]، وَالْأَصْلُ: "هَوَاهُ إِلَهَهُ"، لأَنَّ مَنِ

(1) مفردات غريب القرآن: 443 ـ 445.
(2) سورة الجاثية، الآية: 23.

اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ غَيْرُ مَذْمُومٍ، فَقَدَّمَ الْمَفْعُولَ الثَّانِي لِلْعِنَايَةِ بِهِ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾[1]، وَالْأَصْلُ: سُودٌ غَرَابِيبُ، لِأَنَّ الْغِرْبِيبَ الشَّدِيدُ السَّوَادِ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾[2]، وَالْأَصْلُ: لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ لَهَمَّ بِهَا.

وَالثَّانِي: مَا لَيْسَ كَذَلِكَ. وَقَدْ أَلَّفَ فِيهِ الْعَلَّامَةُ شَمْسُ الدِّينِ ابْنُ الصَّائِغِ: كِتَابَ "**مُقَدِّمَةٌ فِي سِرِّ الْأَلْفَاظِ الْمُقَدَّمَةِ**"[3]، وَالْحِكْمَةُ فِيهِ الِاهْتِمَامُ، كَمَا قَالَ سِيبَوَيْهِ فِي كِتَابِهِ: كَأَنَّهُمْ يُقَدِّمُونَ الَّذِي بَيَانُهُ أَهَمُّ وَهُمْ بِبَيَانِهِ أَعْنَى. وَهَذِهِ الْحِكْمَةُ إِجْمَالِيَّةٌ.

وَأَمَّا تَفَاصِيلُ أَسْبَابِ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ، وَأَسْرَارِهِ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ عَشَرَةُ أَنْوَاعٍ:

الْأَوَّلُ: **التَّبَرُّكُ**، كَتَقْدِيمِ اسْمِ اللهِ فِي الْأُمُورِ ذَوَاتِ النُّسُكِ.

الثَّانِي: **التَّعْظِيمُ**، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ﴾[4].

---

(1) سورة فاطر، الآية: 27.

(2) سورة يوسف، الآية: 24.

(3) "**مُقَدِّمَةٌ فِي سِرِّ الْأَلْفَاظِ الْمُقَدَّمَةِ**" وفي كشف الظنون: "**مُقَدِّمَةٌ فِي سِرِّ الْأَلْفَاظِ الْمُتَقَدِّمَةِ**" لابن الصَّائِغِ محمد بن عبد الرحمن شمس الدين الحنفي الزمردي (ت. 776هـ). ترجمته في الدرر الكامنة: 3/ 499.

(4) سورة النساء، الآية: 69.

الثَّالِثُ: **التَّشْرِيفُ**، نَحْوَ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾[1]، وَ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾[2]، وَ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾، الآية. ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾[3]، ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ﴾[4]. وَأَمْثَالُ ذَلِكَ.

الرَّابِعُ: **الْمُنَاسَبَةُ**، إِمَّا لِسِيَاقِ الْكَلَامِ، نَحْوَ: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾[5]، فَإِنَّ الْجَمَالَ عِنْدَ الرَّوَاحِ أَكْثَرُ لِأَنَّهَا فِيهِ بِطَانٌ، وَفِي السَّرَاحِ خِمَاصٌ، وَأَمَّا اللَّفْظُ كَقَوْلِهِ: ﴿الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾[6].

الْخَامِسُ: **الْحَثُّ عَلَيْهِ**، كَتَقْدِيمِ الْوَصِيَّةِ عَلَى الدَّيْنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾[7]، مَعَ أَنَّ الدَّيْنَ مُقَدَّمٌ عَلَيْهَا شَرْعًا.

السَّادِسُ: **السَّبْقُ**، إِمَّا زَمَانًا؛ كَتَقْدِيمِ اللَّيْلِ عَلَى النَّهَارِ، وَالظُّلُمَاتِ عَلَى النُّورِ، أَوْ إِنْزَالًا؛ كَتَقْدِيمِ التَّوْرَاةِ عَلَى الْإِنْجِيلِ، أَوْ تَكْلِيفًا، نَحْوَ: ﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾[8].

---

(1) سورة الأحزاب، الآية: 35.

(2) سورة البقرة، الآية: 178.

(3) سورة النحل، الآية: 8.

(4) سورة البقرة، الآية: 7.

(5) سورة النحل، الآية: 6.

(6) سورة الحديد، الآية: 3.

(7) سورة النساء، الآية: 11.

(8) سورة الحج، الآية: 77.

السَّابِعُ: **السَّبَبِيَّةُ**؛ كـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1]، لِأَنَّ الْعِبَادَةَ سَبَبُ حُصُولِ الْإِعَانَةِ.

الثَّامِنُ: الْكَثْرَةُ، ﴿فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُم مُّؤْمِنٌ﴾[2]، وَالْكَافِرُ أَكْثَرُ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾[3]، وَ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾[4]، لِأَنَّ السَّرِقَةَ فِي الذُّكُورِ أَكْثَرُ، وَالزِّنَا فِي النِّسَاءِ أَكْثَرُ.

وَمِنْهُ: تَقْدِيمُ الرَّحْمَةِ عَلَى الْعَذَابِ أَيْنَمَا وَقَعَ فِي الْقُرْآنِ غَالِبًا، لِمَا وَرَدَ: «إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي»[5].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ﴾[6]، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْعَدَاوَةَ فِيهِنَّ أَكْثَرُ مِنْهُمْ.

التَّاسِعُ: التَّرَقِّي مِنَ الْأَدْنَى إِلَى الْأَعْلَى؛ كَقَوْلِهِ: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا﴾[7]، الآية. بَدَأَ بِالْأَدْنَى لِلتَّرَقِّي مِنَ الْأَدْنَى وَهُوَ الرِّجْلُ، إِلَى الْأَشْرَفِ وَهُوَ الْيَدُ، ثُمَّ الْعَيْنُ، ثُمَّ السَّمْعُ.

---

(1) سورة الفاتحة، الآية: 5.

(2) سورة التغابن، الآية: 2.

(3) سورة المائدة، الآية: 38.

(4) سورة النور، الآية: 2.

(5) صحيح البخاري: 4/ 106، رقم: 3194.

(6) سورة التغابن، الآية: 14.

(7) سورة الأعراف، الآية: 195.

الْعَاشِرُ: التَّدَلِّي مِنَ الْأَعْلَى إِلَى الْأَدْنَى، وَعَلَيْهِ: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[1]. وَ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾[2]. هَذِهِ الْوُجُوهُ مَا ذَكَرَ ابْنُ الصَّائِغِ. وَزِيدَ عَلَيْهَا أَسْبَابٌ أُخَرُ، مِنْهَا:

كَوْنُهَا أَدَلَّ عَلَى الْقُدْرَةِ وَأَعجَبَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمِنْهُم مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾[3]، الآية. لِأَنَّ الْمَشْيَ عَلَى الْبَطْنِ أَدَلُّ عَلَى الْقُدْرَةِ وَأَعْجَبُ. وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾[4]، وَلَا يَخْفَى أَنَّ تَسْخِيرَ الْجِبَالِ لَهُ وَتَسْبِيحَهَا أَعْجَبُ، وَأَدَلُّ عَلَى الْقُدْرَةِ، وَأَدْخَلُ فِي الْإِعْجَازِ.

وَمِنْهَا: رِعَايَةُ الْفَوَاصِلِ. وَمِثَالُهَا كَثِيرٌ.

وَمِنْهَا: إِفَادَةُ الْحَصْرِ لِلِاخْتِصَاصِ. وَسَيَأْتِي تَفْصِيلُهَا[5].

عِلْمُ مَعْرِفَةِ عَامِّ الْقُرْآنِ وَخَاصِّهِ وَمُجْمَلِهِ وَمُبَيَّنِهِ

وَمَبَاحِثُ هَذَا الْعِلْمِ فِي عِلْمِ الْأُصُولِ، وَمَنْ أَتْقَنَهَا سَهُلَ عَلَيْهِ مَعْرِفَتُهَا فِي الْآيَاتِ الْفُرْقَانِيَّةِ.

---

(1) سورة البقرة، الآية: 255.

(2) سورة الكهف، الآية: 49.

(3) سورة النور، الآية: 45.

(4) سورة الأنبياء، الآية: 79.

(5) الإتقان في علوم القرآن: 3/ 38 ـ 47.

عِلْمُ مَعْرِفَةِ نَاسِخِ الْقُرْآنِ وَمَنْسُوخِهِ.

أَفْرَدَهُ بِالتَّصْنِيفِ خَلَائِقُ، مِنْهُمْ أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَّامٍ، وَأَبُو دَاوُدَ السِّجِسْتَانِيُّ، وَأَبُو جَعْفَرٍ النَّحَّاسُ، وَابْنُ الْأَنْبَارِيِّ، وَمَكِّيٌّ، وَابْنُ الْعَرَبِيِّ، وَآخَرُونَ.

قَالَتِ الْأَئِمَّةُ: لا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يُفَسِّرَ كِتَابَ اللهِ تَعَالَى إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَعْرِفَ مِنْهُ النَّاسِخَ وَالْمَنْسُوخَ. وَقَدْ قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِقَاضٍ أَتَعْرِفُ النَّاسِخَ مِنَ الْمَنْسُوخِ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: هَلَكْتَ وَأَهْلَكْتَ.

وَفِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: يَرِدُ النَّسْخُ بِمَعْنَى الْإِزَالَةِ، وَمِنْهُ: ﴿فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ﴾(1).

وَبِمَعْنَى التَّبْدِيلِ، وَمِنْهُ: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾(2).

وَبِمَعْنَى التَّحْوِيلِ، كَتَنَاسُخِ الْمَوَارِيثِ.

وَبِمَعْنَى تَحْوِيلِ الْمِيرَاثِ مِنْ وَاحِدٍ إِلَى وَاحِدٍ.

وَبِمَعْنَى النَّقْلِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ، وَمِنْهُ: نَسَخْتُ الْكِتَابَ، إِذَا نَقَلْتُ مَا فِيهِ حَاكِيًا لِلَفْظِهِ وَخَطِّهِ.

---

(1) سورة الحج، الآية: 52.

(2) سورة النحل، الآية: 101.

وَقِيلَ: وَمِنْهُ نَسْخُ الْكِتَابِ مِنْ أُمِّ الْكِتَابِ إِلَى الْمَصَاحِفِ، وَأَنْكَرَ بَعْضُهُمْ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ بِنَاءً عَلَى أَنَّ الْمَنْسُوخَ يَأْتِي بِلَفْظٍ آخَرَ.

الثَّانِيَةُ: النَّسْخُ مِمَّا خَصَّ اللهُ بِهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ لِحِكَمٍ[1]، وَأَجَازَهُ الْمُسْلِمُونَ، وَأَنْكَرَهُ الْيَهُودُ ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّهُ بَدَاءٌ[2]، وَهُوَ بَاطِلٌ، لِأَنَّهُ بَيَانُ مُدَّةِ الْحُكْمِ، كَالطَّبِيبِ يَأْمُرُ الْمَرِيضَ بِمُعَالَجَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ بِحَسَبِ أَوْقَاتِ مِزَاجِهِ، وَذَلِكَ لَا يَكُونُ بَدَاءً.

ثُمَّ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي وُقُوعِهِ فِي الْقُرْآنِ، فَقِيلَ: لَا يُنْسَخُ إِلَّا بِقُرْآنٍ، كَقَوْلِهِ. تَعَالَى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾[3]. قَالُوا: وَلَا يَكُونُ مِثْلَ الْقُرْآنِ أَوْ خَيْرًا مِنْهُ إِلَّا قُرْآنٌ. وَقِيلَ: بَلْ يُنْسَخُ بِالسُّنَّةِ، لِأَنَّهَا أَيْضًا مِنْ عِنْدِ اللهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾[4].

وَقِيلَ: يُنْسَخُ إِذَا كَانَتِ السُّنَّةُ مِنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ، وَأَمَّا عَنِ اجْتِهَادٍ فَلَا. حَكَاهُ ابْنُ حَبِيبٍ النَّيْسَابُورِيُّ.

---

(1) بحكم، في رئيس الكتاب.

(2) البداء: مصدر بدا، وهو ظهور الرأي بعد أن لم يكن، أو استصواب شيء عُلِمَ بعد أن لم يُعْلَمْ. اللسان/ بدا.

(3) سورة البقرة، الآية: 106.

(4) سورة النجم، الآية: 3.

الثَّالِثَةُ: لَا يَقَعُ النَّسْخُ إِلَّا فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَلَوْ بِلَفْظِ الْخَبَرِ، أَمَّا الْخَبَرُ الَّذِي لَيْسَ بِمَعْنَى الطَّلَبِ، فَلَا يَدْخُلُهُ النَّسْخُ. وَكَذَا الْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ. فَمَنْ أَدْخَلَ فِي كُتُبِ النَّسْخِ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ فَقَدْ خَبَطَ[1].

الرَّابِعَةُ: النَّسْخُ أَقْسَامٌ:

أَحَدُهَا: نَسْخُ الْمَأْمُورِ بِهِ قَبْلَ امْتِثَالِهِ، وَهُوَ النَّسْخُ عَلَى الْحَقِيقَةِ، كَآيَةِ النَّجْوَى.

الثَّانِي: مَا نُسِخَ مِمَّا كَانَ شَرْعًا لِمَنْ قَبْلَنَا، كَآيَةِ شَرْعِ الْقِصَاصِ وَالدِّيَةِ، أَوْ كَانَ أُمِرَ بِهِ أَمْرًا إِجْمَالِيًّا، كَنَسْخِ التَّوَجُّهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ بِالْكَعْبَةِ، وَصَوْمِ عَاشُورَاءَ بِرَمَضَانَ، وَإِنَّمَا يُسَمَّى هَذَا نَسْخًا تَجَوُّزًا.

الثَّالِثُ: مَا أُمِرَ بِهِ لِسَبَبٍ، ثُمَّ يَزُولُ السَّبَبُ، كَالصَّبْرِ عَلَى الْقِتَالِ، وَالصَّفْحِ إِلَى أَنْ يَقْوَى الْمُسْلِمُونَ. وَهَذَا فِي الْحَقِيقَةِ لَيْسَ نَسْخًا، بَلْ هُوَ مِنْ قِسْمِ الْمنْسَإِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوْ نُنْسِهَا﴾. وَبِهَذَا يَضْعُفُ مَا لَهِجَ بِهِ كَثِيرُونَ مِنْ أَنَّ آيَاتِ تَرْكِ الْقِتَالِ مَنْسُوخَةٌ بِآيَةِ السَّيْفِ[2].

وَقَالَ مَكِّيٌّ: الْمُؤَجَّلُ بِأَجَلٍ لَيْسَ بِمَنْسُوخٍ.

---

(1) الإتقان في علوم القرآن: 3/ 66 ـ 68.

(2) لم يذكر المؤلف هنا النوع الرابع من الناسخ والمنسوخ، كما لم يذكر أيضا في الإتقان في علوم القرآن: 3/ 69.

الْخَامِسَةُ: قَالَ بَعْضُهُمْ: سُورُ الْقُرْآنِ بِاعْتِبَارِ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ أَقْسَامٌ: قِسْمٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْهُمَا، وَهُوَ ثَلَاثٌ وَأَرْبَعُونَ سُورَةً، وَقِسْمٌ فِيهِ كِلَاهُمَا، وَهُوَ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ، وَقِسْمٌ فِيهِ النَّاسِخُ فَقَطْ، وَهُوَ سِتٌّ، وَقِسْمٌ فِيهِ الْمَنْسُوخُ فَقَطْ، وَهُوَ الْأَرْبَعُونَ. وَتَفَاصِيلُ هَذِهِ السُّوَرِ فِي الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَةِ فِي هَذَا الْعِلْمِ.

السَّادِسَةُ: النَّسْخُ أَقْسَامٌ:

فَرْضٌ نَسَخَ فَرْضًا، وَلَا يَجُوزُ الْعَمَلُ بِالْأَوَّلِ، كَنَسْخِ الْحَبْسِ لِلزَّوَانِي بِالْحَدِّ.

وَفَرْضٌ نَسَخَ فَرْضًا، وَيَجُوزُ الْعَمَلُ بِالْأَوَّلِ، كَآيَةِ الْمُصَابَرَةِ.

وَفَرْضٌ نَسَخَ نَدْبًا، كَالْقِتَالِ كَانَ نَدْبًا، ثُمَّ صَارَ فَرْضًا. وَنَدْبٌ نَسَخَ فَرْضًا، كَقِيَامِ اللَّيْلِ، نُسِخَ بِالْقِرَاءَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾[1].

السَّابِعَةُ: النَّسْخُ فِي الْقُرْآنِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَضْرُبٍ، مَا نُسِخَ تِلَاوَتُهُ وَحُكْمُهُ مَعًا، وَمَا نُسِخَ حُكْمُهُ دُونَ تِلَاوَتِهِ، وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ، وَمَا نُسِخَ تِلَاوَتُهُ دُونَ حُكْمِهِ، وَأَمْثِلَتُهُ كَثِيرَةٌ[2].

وَأَمْثِلَةُ هَذِهِ الْأَقْسَامِ، وَتَفَاصِيلُ الْآيَاتِ فِي كُتُبِ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ، وَإِنَّمَا غَرَضُنَا الْإِشَارَةُ الْإِجْمَالِيَّةُ إِلَى مَبَاحِثِهِ لِيَكُونَ بَاعِثًا عَلَى الرَّغْبَةِ فِي طَلَبِهِ.

---

(1) سورة المزمل، الآية: 20.

(2) الإتقان في علوم القرآن: 3/ 66 ـ 71.

عِلْمُ مَعْرِفَةِ مُشْكِلِ الْقُرْآنِ وَمُوهِمِ الِاخْتِلَافِ وَالتَّنَاقُضِ

وَصَنَّفَ فِي هَذَا الْعِلْمِ قُطْرُبٌ.

وَاعْلَمْ أَنَّ كَلَامَ اللهِ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنِ الِاخْتِلَافِ وَالتَّنَاقُضِ، لَكِنْ رُبَّمَا يُمْكِنُ لِبَعْضِ الْأَذْهَانِ الْقَاصِرَةِ تَوَهُّمُ ذَلِكَ، وَلِذَا أَشَارَ الْعُلَمَاءُ إِلَى دَفْعِهِ، وَلِهَذَا قُلْنَا: وَمُوهِمُ الِاخْتِلَافِ مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾[1]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿طَائِعِينَ﴾. وَقَالَ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾[2]، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾[3].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ، فَإِنَّ الْأَرْضَ خُلِقَتْ قَبْلَ السَّمَاءِ، وَكَانَتِ السَّمَاءُ دُخَانًا، فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ بَعْدَ خَلْقِ الْأَرْضِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾. يَقُولُ: جَعَلَ فِيهَا جَبَلًا، وَجَعَلَ فِيهَا نَهْرًا، وَجَعَلَ فِيهَا شَجَرًا، وَجَعَلَ فِيهَا بُحُورًا[4].

وَأَمْثَالُ هَذَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ، يَعْرِفُهَا مَنْ تَتَبَّعَهَا.

---

(1) سورة فصلت، الآية: 9.

(2) سورة النازعات، الآية: 27.

(3) نفسها، الآية: 30.

(4) تفسير عبد الرازق: 1/ 457، والإتقان في علوم القرآن: 3/ 88 ـ 89.

عِلْمُ مَعْرِفَةِ مُطْلَقِ الْقُرْآنِ وَمُقَيَّدِهِ

الْمُطْلَقُ: مَا دَلَّ عَلَى الْمَاهِيَّةِ بِلَا قَيْدٍ.

وَالْمُقَيَّدُ: بِخِلَافِهِ، وَنِسْبَتُهُ إِلَى الْمُقَيَّدِ نِسْبَةُ الْعَامِّ إِلَى الْخَاصِّ.

قَالُوا: مَتَى وُجِدَ دَلِيلٌ عَلَى تَقْيِيدِ الْمُطْلَقِ صُيِّرَ إِلَيْهِ، وَإِلَّا فَلَا، بَلْ يَبْقَى كُلٌّ مِنْهُمَا عَلَى حَالِهِ، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى خَاطَبَنَا بِلُغَةِ الْعَرَبِ، وَضَابِطُهُمْ[1] عَلَى ذَلِكَ. وَالتَّفْصِيلُ فِيهِ مَوْكُولٌ إِلَى عِلْمِ الْأُصُولِ.

عِلْمُ مَعْرِفَةِ مَنْطُوقِ الْقُرْآنِ وَمَفْهُومِهِ

الْمَنْطُوقُ: مَا دَلَّ عَلَيْهِ اللَّفْظُ فِي مَحَلِّ النُّطْقِ، فَإِنْ أَفَادَ مَعْنًى لَا يَحْتَمِلُ غَيْرَهُ فَالنَّصُّ، أَوْ مَعَ احْتِمَالِ غَيْرِهِ احْتِمَالًا مَرْجُوحًا فَالظَّاهِرُ، فَإِنْ حُمِلَ عَلَى الْمَرْجُوحِ لِدَلِيلٍ، فَهُوَ تَأْوِيلٌ، وَيُسَمَّى الْمَرْجُوحُ الْمَحْمُولُ عَلَيْهِ مُؤَوَّلًا، ثُمَّ إِنْ تَوَقَّفَتْ صِحَّةُ دَلَالَةِ اللَّفْظِ عَلَى إِضْمَارٍ، سُمِّيَتْ دَلَالَةَ اقْتِضَاءٍ، نَحْوَ: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾[2]، أَيْ أَهْلَهَا. وَإِنْ لَمْ يَتَوَقَّفْ، وَدَلَّ اللَّفْظُ عَلَى مَا لَمْ يُقْصَدْ بِهِ، سُمِّيَتْ دَلَالَةَ إِشَارَةٍ، كَدَلَالَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾[3]، عَلَى صِحَّةِ صَوْمِ مَنْ أَصْبَحَ جُنُبًا، لِأَنَّ إِبَاحَةَ الْجِمَاعِ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ، يَسْتَلْزِمُ كَوْنَهُ جُنُبًا فِي جُزْءٍ مِنَ النَّهَارِ.

---

(1) (وضابطتهم) في قونية وأنطاليا ورئيس الكتاب. والنقل من: الإتقان في علوم القرآن: 3/ 101.

(2) سورة يوسف، الآية: 82.

(3) سورة البقرة، الآية: 187.

وَقَدْ حُكِيَ هَذَا الِاسْتِنْبَاطُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ[1].

ثُمَّ الْمَفْهُومُ: مَا دَلَّ عَلَيْهِ اللَّفْظُ لَا فِي مَحَلِّ النُّطْقِ، وَهُوَ قِسْمَانِ: مَفْهُومُ مُوَافَقَةٍ، وَمَفْهُومُ مُخَالَفَةٍ.

فَالْأَوَّلُ: مَا يُوَافِقُ حُكْمُهُ الْمَنْطُوقَ، فَإِنْ كَانَ أَوْلَى، سُمِّيَ فَحْوَى الْخِطَابِ، [كَدَلَالَةِ ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾[2]، عَلَى تَحْرِيمِ الضَّرْبِ لِأَنَّهُ أَشَدُّ، وَإِنْ كَانَ مُسَاوِيًا [سُمِّيَ][3] لَحْنَ][4] الْخِطَابِ أَيْ مَعْنَاهُ؛ كَدَلَالَةِ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾[5]، عَلَى تَحْرِيمِ الْإِحْرَاقِ، لِأَنَّهُ مُسَاوٍ لِلْأَكْلِ.

وَالثَّانِي: مِمَّا يُخَالِفُ حُكْمُهُ الْمَنْطُوقَ، وَهُوَ أَنْوَاعٌ: مَفْهُومُ صِفَةٍ نَعْتًا كَانَ أَوْ حَالًا، أَوْ ظَرْفًا، أَوْ عَدَدًا، وَمَفْهُومُ شَرْطٍ، وَمَفْهُومُ حَصْرٍ. وَالِاخْتِلَافُ فِي حُجِّيَّةِ هَذِهِ الْمَفَاهِيمِ فِي عِلْمِ الْأُصُولِ.

قَالَ بَعْضُهُمْ: اللَّفْظُ[6] إِمَّا أَنْ يَدُلَّ بِمَنْطُوقِهِ، وَيُسَمَّى دَلَالَةَ الْمَنْطُوقِ، أَوْ بِفَحْوَاهُ وَمَفْهُومِهِ، وَيُسَمَّى دَلَالَةَ الْمَفْهُومِ، أَوْ بِاقْتِضَائِهِ وَضَرُورَتِهِ، وَيُسَمَّى

---

(1) محمد بن كعب القرظي، أبو حمزة، قيل ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، واختلف في تاريخ وفاته. تاريخ الإسلام: 3/ 160.

(2) سورة الإسراء، الآية: 23.

(3) ما بين معقوفين سقط من أنطاليا.

(4) ما بين معقوفين سقط من قونية ورئيس الكتاب.

(5) سورة النساء، الآية: 10.

(6) اللَّفظة، في قونية. وما بعدها إلى نهاية الفقرة بصيغة التأنيث.

دَلَالَةَ الِاقْتِضَاءِ، أَوْ بِمَعْقُولِهِ الْمُسْتَنْبَطِ مِنْهُ، وَيُسَمَّى دَلَالَةَ الْإِشَارَةِ[1].

عِلْمُ مَعْرِفَةِ وُجُوهِ مُخَاطَبَاتِهِ

وَاعْلَمْ أَنَّ الْخِطَابَ فِي الْقُرْآنِ عَلَى خَمْسَةَ عَشَرَ وَجْهًا، وَقِيلَ: عَلَى أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ. وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ لِابْنِ الْجَوْزِيِّ.

الْأَوَّلُ: خِطَابُ الْعَامِّ، أَيْ الْعُمُومُ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾[2].

الثَّانِي: خِطَابُ الْخَاصِّ، أَيِ الْخُصُوصُ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا﴾[3].

الثَّالِثُ: خِطَابُ الْعَامِّ، وَالْمُرَادُ بِهِ الْخُصُوصُ، نَحْوَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾[4]، لَمْ يَدْخُلْ فِيهِ الْأَطْفَالُ وَالْمَجَانِينُ.

الرَّابِعُ: عَكْسُ الثَّالِثِ، نَحْوَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾[5] الآية.

الْخَامِسُ: خِطَابُ الْجِنْسِ، نَحْوَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾.

السَّادِسُ: خِطَابُ النَّوْعِ، نَحْوَ: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

---

(1) الإتقان في علوم القرآن: 3/ 104 ـ 108.

(2) سورة الروم، الآية: 40.

(3) سورة المائدة، الآية: 67.

(4) سورة النساء، الآية: 1.

(5) سورة الطلاق، الآية: 1.

السَّابِعُ: خِطَابُ الْعَيْنِ[1]، نَحْوَ: ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ﴾[2].

قِيلَ: وَلَمْ يَقَعْ فِي الْقُرْآنِ الْخِطَابُ بِـ "يَا مُحَمَّدُ"، بَلْ "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ"، "وَيَا أَيُّهَا الرَّسُولُ"، تَعْظِيمًا لَهُ وَتَشْرِيفًا وَتَخْصِيصًا بِذَلِكَ عَمَّنْ سِوَاهُ، وَتَعْلِيمًا لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ لَا يُنَادُوهُ بِاسْمِهِ.

الثَّامِنُ: خِطَابُ الْمَدْحِ، نَحْوَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾. وَلِهَذَا وَقَعَ خِطَابًا لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا.

التَّاسِعُ: خِطَابُ الذَّمِّ، نَحْوَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[3].

العَاشِرُ: خِطَابُ الْكَرَامَةِ، نَحْوَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾[4].

الْحَادِي عَشَرَ: خِطَابُ الْإِهَانَةِ، نَحْوَ: ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾، وَنَحْوَ: ﴿اخْسَؤُوا فِيهَا﴾[5].

الثَّانِي عَشَرَ: خِطَابُ التَّهَكُّمِ، نَحْوَ: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾[6].

---

(1) المعيَّن، في الأزهرية.

(2) سورة البقرة، الآية: 35.

(3) سورة التحريم، الآية: 7.

(4) سورة المائدة، الآية: 41.

(5) سورة المؤمنون، الآية: 108.

(6) سورة الدخان، الآية: 49.

الثَّالِثَ عَشَرَ: خِطَابُ الْجَمْعِ [بِلَفْظِ الْجَمْعِ][1]، نَحْوَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ﴾[2].

الرَّابِعَ عَشَرَ: خِطَابُ الْوَاحِدِ بِلَفْظِ الْجَمْعِ، نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا﴾[3]، الآية. خِطَابٌ لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحْدَهُ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ﴾[4]، الآية.

الْخَامِسَ عَشَرَ: خِطَابُ الْوَاحِدِ بِلَفْظِ الِاثْنَيْنِ، نَحْوَ: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾[5]، وَالْخِطَابُ لِمَالِكٍ خَازِنِ النَّارِ.

السَّادِسَ عَشَرَ: خِطَابُ الِاثْنَيْنِ بِلَفْظِ الْوَاحِدِ، نَحْوَ: ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾[6]، أَيْ وَيَا هَارُونُ.

السَّابِعَ عَشَرَ: خِطَابُ الِاثْنَيْنِ بِلَفْظِ الْجَمْعِ، نَحْوَ: ﴿أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾[7].

الثَّامِنَ عَشَرَ: خِطَابُ الْجَمْعِ بِلَفْظِ الِاثْنَيْنِ، نَحْوَ: ﴿أَلْقِيَا﴾، كَمَا تَقَدَّمَ.

---

(1) ما بين معقوفين سقط من قونية.

(2) سورة المؤمنون، الآية: 51.

(3) سورة النحل، الآية: 126.

(4) نفسها، الآية: 127.

(5) سورة ق، الآية: 24.

(6) سورة طه، الآية: 49.

(7) سورة يونس، الآية: 87.

التَّاسِعَ عَشَرَ: خِطَابُ الْجَمْعِ بَعْدَ الْوَاحِدِ، نَحْوَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾[1].

الْعِشْرُونَ: عَكْسُهُ، نَحْوَ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

الْحَادِي وَالْعِشْرُونَ: خِطَابُ الِاثْنَيْنِ بَعْدَ الْوَاحِدِ، نَحْوَ: ﴿أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ﴾[3]، الآية.

الثَّانِي وَالْعِشْرُونَ: عَكْسُهُ، نَحْوَ: ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾[4].

الثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ: خِطَابُ الْعَيْنِ[5]، وَالْمُرَادُ بِهِ الْغَيْرُ، نَحْوَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾[6]، خَاطَبَ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْمُرَادُ بِهِ أُمَّتُهُ، لِأَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ تَقِيًّا، وَلَا يُمْكِنُ زَوَالُهُ عَنْهُ، وَحَاشَاهُ مِنْ طَاعَةِ الْكُفَّارِ.

الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ: خِطَابُ الْغَيْرِ، وَالْمُرَادُ [بِهِ][7] الْعَيْنُ، نَحْوَ: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾[8].

---

(1) سورة الطلاق، الآية: 1.

(2) سورة يونس، الآية: 87.

(3) نفسها، الآية: 78.

(4) سورة طه، الآية: 49.

(5) المعيَّن، في الأزهرية.

(6) سورة الأحزاب، الآية: 1.

(7) زيادة من قونية.

(8) سورة الأنبياء، الآية: 10.

الْخَامِسُ وَالْعِشْرُونَ: الْخِطَابُ الْعَامُّ، الَّذِي لَمْ يُقْصَدْ بِهِ مُخَاطَبٌ مُعَيَّنٌ، نَحْوَ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾(1).

السَّادِسُ وَالْعِشْرُونَ: خِطَابُ الشَّخْصِ، ثُمَّ الْعُدُولُ إِلَى غَيْرِهِ، نَحْوَ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لِتُؤْمِنُوا﴾(2).

السَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ: خِطَابُ التَّلْوِينِ؛ وَهُوَ الِالْتِفَاتُ.

الثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ: خِطَابُ الْجَمَادَاتِ خِطَابَ مَنْ يَعْقِلُ، نَحْوَ: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾(3).

التَّاسِعُ وَالْعِشْرُونَ: خِطَابُ التَّهْيِيجِ، نَحْوَ: ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾(4).

الثَّلَاثُونَ: خِطَابُ التَّحَنُّنِ وَالِاسْتِعْطَافِ، نَحْوَ: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا﴾(5)، الآية.

الْحَادِي وَالثَّلَاثُونَ: خِطَابُ التَّحَبُّبِ، نَحْوَ: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ﴾(6)، ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ﴾(7)، ﴿يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي﴾(8).

---

(1) سورة الأنعام، الآية: 27.

(2) سورة الفتح، الآية: 8-9.

(3) سورة فصلت، الآية: 11.

(4) سورة المائدة، الآية: 23.

(5) سورة الزمر، الآية: 53.

(6) سورة مريم، الآية: 42.

(7) سورة لقمان، الآية: 16.

(8) سورة طه، الآية: 94.

الثَّانِي وَالثَّلَاثُونَ: خِطَابُ التَّعْجِيزِ، نَحْوَ: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾[1].

الثَّالِثُ وَالثَّلَاثُونَ: خِطَابُ التَّشْرِيفِ؛ وَهُوَ خِطَابُ الْعِبَادِ بِلَا وَاسِطَةٍ.

الرَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ: خِطَابُ الْمَعْدُومِ، وَيَصِحُّ ذَلِكَ تَبَعًا لِمَوْجُودٍ، نَحْوَ: ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾، خِطَابٌ لِأَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَلِكُلِّ مَنْ بَعْدَهُمْ[2].

عِلْمُ مَعْرِفَةِ حَقِيقَةِ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ وَمَجَازِهَا

لَا خِلَافَ فِي وُقُوعِ الْحَقَائِقِ فِي الْقُرْآنِ، وَكَذَا الْمَجَازِ عِنْدَ الْجُمْهُورِ. وَأَنْكَرَ وُقُوعَ الْمَجَازِ جَمَاعَةٌ، مِنْهُمْ الظَّاهِرِيَّةُ، وَابْنُ الْقَاصِّ[3] مِنَ الشَّافِعِيَّةِ، وَبَعْضٌ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ، وشُبْهَتُهُمْ أَنَّ الْمَجَازَ أَخُو الْكَذِبِ، وَأَنَّ الْعُدُولَ إِلَيْهِ مِنْ ضِيقِ الْحَقِيقَةِ.

وَالْأَوَّلُ: الْقُرْآنُ مُنَزَّهٌ عَنْهُ.

وَالثَّانِي: مُحَالٌ عَلَى اللهِ تَعَالَى. وَهَذِهِ شُبْهَةٌ بَاطِلَةٌ نَشَأَتْ مِنْ عَدَمِ التَّفْرِقَةِ بَيْنَ الْمَجَازِ وَالْكَذِبِ، وَمِنْ عَدَمِ الْوُقُوفِ عَلَى أَنَّ الْمَجَازَ أَبْلَغُ مِنَ الْحَقِيقَةِ، وَمِنْ كَوْنِ إِيرَادِ الْمَجَازِ مَعَ تَيَسُّرِ الْحَقِيقَةِ.

---

(1) سورة البقرة، الآية: 23.

(2) الإتقان في علوم القرآن: 3/ 109 ـ 115.

(3) أحمد بن أحمد ابن القاصِّ أبو العباس الطَّبَري البغدادي الشافعي (ت.335هـ). طبقات الشافعية الكبرى: 2/ 103.

وَصَنَّفَ[1] فِيهِ عِزُّ الدِّينِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ، وَلَخَّصَهُ جَلَالُ الدِّينِ السُّيُوطِيُّ فِي: كِتَابِ **"مَجَازُ الْفُرْسَانِ إِلَى مَجَازِ الْقُرْآنِ"**، مَعَ زِيَادَاتٍ كَثِيرَةٍ[2].

وَأَنْوَاعُ الْمَجَازِ وَتَفْصِيلُ عَلَاقَاتِهَا فِي عِلْمِ الْبَيَانِ.

عِلْمُ مَعْرِفَةِ تَشْبِيهِ الْقُرْآنِ وَاسْتِعَارَاتِهِ

وَالتَّشْبِيهُ نَوْعٌ مِنْ أَشْرَفِ أَنْوَاعِ الْبَلَاغَةِ وَأَعْلَاهَا.

قَالَ الْمُبَرِّدُ فِي **"الْكَامِلِ"**: «لَوْ قَالَ قَائِلٌ هُوَ أَكْثَرُ كَلَامِ الْعَرَبِ، لَمْ يُبْعِدْ»[3].

وَهُوَ الدَّلَالَةُ عَلَى مُشَارَكَةِ أَمْرٍ لِأَمْرٍ فِي مَعْنًى.

وَقِيلَ: هُوَ إِلْحَاقُ شَيْءٍ بِذِي وَصْفٍ فِي وَصْفِهِ.

وَقِيلَ: هُوَ أَنْ يُثْبِتَ لِلْمُشَبَّهِ حُكْمًا مِنْ أَحْكَامِ الْمُشَبَّهِ بِهِ.

وَالْغَرَضُ مِنْهُ: تَأْنِيسُ النَّفْسِ بِإِخْرَاجِهَا مِنْ خَفِيٍّ إِلَى جَلِيٍّ، وَإِدْنَاءُ الْبَعِيدِ مِنَ الْقَرِيبِ بَيَانًا.

---

(1) **"مَجَازُ الْقُرْآنِ"**، لسلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام (ت. 660هـ). وهو مطبوع.

(2) الإتقان في علوم القرآن: 3/ 120 - 121.

(3) الكامل في اللُّغة والأدب: 3/ 70.

وَأَدَاتُهُ: حُرُوفٌ، نَحْوَ: الْكَافِ وَكَأَنَّ، وَأَسْمَاءٍ نَحْوَ: مِثْلِ وَشِبْهِ وَنَحْوِهِمَا، وَأَفْعَالٌ نَحْوَ: حَسِبَ وَخُيِّلَ، نَحْوَ: ﴿ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً ﴾[1]، وَنَحْوَ: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾[2]. إِلَّا أَنَّ الْأَصَحَّ أَنَّ الْأَفْعَالَ لَيْسَ مِنْ أَدَوَاتِهِ، بَلْ مِنْ أَمَارَاتِهِ، فَتُقَدَّرُ الْأَدَاةُ.

ثُمَّ إِنَّ لَفْظَ "مَثَلُ" لَا تُسْتَعْمَلُ إِلَّا فِي حَالٍ، أَوْ صِفَةٍ لَهَا شَأْنٌ، وَفِيهَا غَرَابَةٌ، نَحْوَ: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾[3]، الآية.

ثُمَّ إِنَّ الِاسْتِعَارَةَ مَجَازٌ عَلَاقَتُهُ الْمُشَابَهَةُ، وَيُعْرَفُ بِلَفْظٍ مُسْتَعْمَلٍ فِيمَا شُبِّهَ بِمَعْنَاهُ الْأَصْلِي، وَالْأَصَحُّ أَنَّهَا مَجَازٌ لُغَوِيٌّ لَا عَقْلِيٌّ.

وَأَقْسَامُ التَّشْبِيهَاتِ وَالِاسْتِعَارَاتِ مَذْكُورَةٌ فِي عِلْمِ الْبَيَانِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ التَّشْبِيهَ مِنْ أَعْلَى أَنْوَاعِ الْبَلَاغَةِ كَمَا تَقَدَّمَ.

وَأَيْضًا الِاسْتِعَارَةُ أَبْلَغُ مِنْهُ، لِأَنَّهَا مَجَازٌ وَهُوَ حَقِيقَةٌ، وَالْمَجَازُ أَبْلَغُ، فَالِاسْتِعَارَةُ أَبْلَغُ مَرَاتِبِ الْفَصَاحَةِ. وَكَذَا الْكِنَايَةُ أَبْلَغُ مِنَ التَّصْرِيحِ، وَالِاسْتِعَارَةُ أَبْلَغُ مِنَ الْكِنَايَةِ، لِأَنَّ الِاسْتِعَارَةَ مَجَازٌ، وَفِي الْكِنَايَةِ خِلَافٌ.

وَأَبْلَغُ أَنْوَاعِ الِاسْتِعَارَةِ التَّمْثِيلِيَّةُ، وَيَلِيهَا الْمَكْنِيَّةُ، وَالتَّرْشِيحِيَّةُ أَبْلَغُ مِنَ الْمُجَرَّدَةِ، وَالْمُطْلَقَةُ وَالتَّخْيِيلِيَّةُ أَبْلَغُ مِنَ التَّحْقِيقِيَّةِ. وَالْمُرَادُ بِالْأَبْلَغِيَّةِ إِفَادَةُ

---

(1) سورة النور، الآية: 39.

(2) سورة طه، الآية: 66.

(3) سورة آل عمران، الآية: 117.

زِيَادَةِ التَّأْكِيدِ، وَالْمُبَالَغَةِ فِي كَمَالِ التَّشْبِيهِ، لَا زِيَادَةٍ فِي الْمَعْنَى لَا تُوجَدُ فِي غَيْرِ ذَلِكَ.

وَقَدْ صَنَّفَ أَبُو الْقَاسِمِ ابْنُ الْبُنْدَارِ الْبَغْدَادِيُّ(1) في تَشْبِيهَاتِ الْقُرْآنِ كِتَابًا سَمَّاهُ: "**الْجُمَانُ**"(2).

وَلَمَّا كانَ أَكْثَرُ قَوَاعِدِ هَذَا الْفَنِّ مُبَيَّنًا فِي عِلْمِ الْبَيَانِ، آثَرْنَا الِاخْتِصَارَ(3).

عِلْمُ مَعْرِفَةِ كِنَايَاتِ الْقُرْآنِ وَتَعْرِيضَاتِهِ

وَهُمَا عِنْدَ [أَهْلِ الْبَيَانِ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلَاغَةِ، وَأَسَالِيبِ الْفَصَاحَةِ.

وَقَدْ تَقَرَّرَ أَنَّ الْكِنَايَةَ أَبْلَغُ مِنَ التَّصْرِيحِ، وَعَرَّفَهَا](4) أَهْلُ الْبَيَانِ بِأَنَّهَا لَفْظٌ أُرِيدَ بِهِ لَازِمُ مَعْنَاهُ.

قَالَ الطِّيبِيُّ: تَرْكُ التَّصْرِيحِ بِالشَّيْءِ إِلَى مَا يُسَاوِيهِ فِي اللُّزُومِ، فَيَنْتَقِلُ مِنْهُ إِلَى الْمَلْزُومِ. وَأَنْكَرَ وُقُوعَهَا فِي الْقُرْآنِ مَنْ أَنْكَرَ الْمَجَازَ فِيهِ، بِنَاءً عَلَى أَنَّهَا مَجَازٌ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْخِلَافُ فِي ذَلِكَ. وَلِلْكِنَايَةِ أَسْبَابٌ:

---

(1) عبد الله (أو عبد الباقي) بن محمد بن الحسين بن نَاقِيَا، أبو القاسم ويعرف بالبُنْدَارِ (ت. 485 هـ). ترجمته في: إنباه الرواة: 2/ 133، ووفيات الأعيان: 3/ 98، وتاج التراجم: 180.

(2) عنوان الكتاب: "**الْجُمَانُ في تَشْبِيهَاتِ الْقُرْآنِ**"، وهو مطبوع.

(3) نقل باختصار من الإتقان في علوم القرآن: 3/ 120 - 157.

(4) ما بين معقوفين سقط من قونية.

أَحَدُهَا: عِظَمُ الْقُدْرَةِ، نَحْوَ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[1]، كَنَّى بِهَا عَنْ آدَمَ.

وَثَانِيهَا: تَرْكُ اللَّفْظِ إِلَى مَا هُوَ أَجْمَلُ، نَحْوَ: ﴿لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾[2]، كَنَّى بِهَا عَنِ الْمَرْأَةِ، وَتَرْكُ التَّصْرِيحِ بِذِكْرِ النِّسَاءِ أَجْمَلُ مِنْهُ.

وَثَالِثُهَا: لِقُبْحِ ذِكْرِ الصَّرِيحِ، نَحو الْمُلَامَسَةِ، الَّتِي هِيَ كِنَايَةٌ عَنِ الْجِمَاعِ.

وَرَابِعُهَا: قَصْدُ الْبَلَاغَةِ وَالْمُبَالَغَةِ، نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[3]، كِنَايَةً عَنْ سَعَةِ جُودِهِ وَكَرَمِهِ جِدًّا.

وَخَامِسُهَا: قَصْدُ الِاخْتِصَارِ كَالْكِنَايَةِ عَنْ أَلْفَاظٍ مُتَعَدِّدَةٍ بِلَفْظِ "فَعَلَ"، نَحْوَ: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾[4]، أَيْ: فَإِنْ لَمْ تَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ.

وَسَادِسُهَا: التَّنْبِيهُ عَلَى مَصِيرِهِ، نَحْوَ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾[5]، أَيْ جَهَنَّمِيٌّ مَصِيرُهُ إِلَى اللَّهَبِ[6].

(1) سورة الأعراف، الآية: 189.

(2) سورة ص، الآية: 23.

(3) سورة المائدة، الآية: 64.

(4) سورة البقرة، الآية: 24.

(5) سورة المسد، الآية: 1.

(6) الإتقان في علوم القرآن: 3/ 159 ـ 161.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْإِرْدَافَ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ، وَهُوَ أَنْ يَتْرُكَ لَفْظَ الْمَعْنَى الْمَوْضُوعِ هُوَ لَهُ إِلَى مَا يُرَادِفُهُ، يُشْبِهُ الْكِنَايَةَ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ الْكِنَايَةَ انْتِقَالٌ مِنْ لَازِمٍ إِلَى مَلْزُومٍ، وَالْإِرْدَافَ مِنْ مَذْكُورٍ إِلَى مَتْرُوكٍ؛ مِثَالُ الْإِرْدَافِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾[1]، وَالْأَصْلُ جَلَسَتْ، وَعَدَلَ إِلَى اسْتَوَتْ، لِأَنَّهُ جُلُوسٌ مُتَمَكِّنٌ، لَا زَيْغَ فِيهِ، وَلَا مَيْلَ. وَهَذَا لَا يَحْصُلُ مِنْ لَفْظِ الْجُلُوسِ، وَلَهُ نَظَائِرُ كَثِيرَةٌ جِدًّا.

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ التَّعْرِيضَ أَنْ تَذْكُرَ شَيْئًا تَدُلُّ بِهِ عَلَى شَيْءٍ لَمْ تَذْكُرْهُ.

وَقِيلَ: الْكِنَايَةُ؛ اللَّفْظُ الدَّالُّ عَلَى مَعْنًى يَجُوزُ حَمْلُهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَالْمَجَازِ بِوَصْفٍ جَامِعٍ بَيْنَهُمَا. وَالتَّعْرِيضُ: اللَّفْظُ الدَّالُّ عَلَى مَعْنًى، لَا مِنْ جِهَةِ الْوَضْعِ الْحَقِيقِيِّ أَوِ الْمَجَازِيِّ، كَقَوْلِ مَنْ يَتَوَقَّعُ صِلَةً: وَاللهِ إِنِّي مُحْتَاجٌ، فَإِنَّهُ تَعْرِيضٌ بِالطَّلَبِ، مَعَ أَنَّهُ لَمْ يُوضَعْ لَهُ حَقِيقَةً وَلَا مَجَازًا، وَإِنَّمَا فُهِمَ مِنْ عَرْضِ اللَّفْظِ، أَيْ جَانِبِهِ. هَكَذَا ذَكَرَ ابْنُ الْأَثِيرِ.

وَمِثَالُ التَّعْرِيضِ: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾[2]، نَسَبَ الْفِعْلَ إِلَى كَبِيرِهِمْ، كَأَنَّهُ غَضِبَ أَنْ تُعْبَدَ الصِّغَارُ مَعَهُ، تَلْوِيحًا لِعَابِدِيهَا بِأَنَّهَا لَا تَصْلُحُ أَنْ تَكُونَ آلِهَةً، لِمَا يَعْلَمُونَ إِذَا نَظَرُوا بِعُقُولِهِمْ مِنْ عَجْزِ كَبِيرِهَا عَنْ ذَلِكَ الْفِعْلِ، وَالْإِلَهُ لَا يَكُونُ عَاجِزًا، فَهُوَ حَقِيقَةٌ أَبَدًا.

---

(1) سورة هود، الآية: 44.

(2) سورة الأنبياء، الآية: 63.

قَالَ السُّبْكِيُّ: «التَّعْرِيضُ قِسْمَانِ: قِسْمٌ يُرَادُ بِهِ مَعْنَاهُ الْحَقِيقِيُّ، وَيُشَارُ بِهِ إِلَى الْمَعْنَى الْآخَرِ الْمَقْصُودِ، وَقِسْمٌ لَا يُرَادُ بِهِ، بَلْ يُضْرَبُ مَثَلًا لِلْمَعْنَى الَّذِي هُوَ مَقْصُودُ التَّعْرِيضِ؛ كَقَوْلِ إِبْرَاهِيمَ: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾[1]»[2].

عِلْمُ مَعْرِفَةِ الْحَصْرِ وَالِاخْتِصَاصِ

أَمَّا الْحَصْرُ، وَيُقَالُ لَهُ الْقَصْرُ أَيْضًا، فَهُوَ تَخْصِيصُ أَمْرٍ بِآخَرَ بِطَرِيقٍ مَخْصُوصٍ. وَيُقَالُ أَيْضًا: إِثْبَاتُ الْحُكْمِ لِلْمَذْكُورِ، وَنَفْيُهُ عَمَّا عَدَاهُ.

وَيَنْقَسِمُ إِلَى قَصْرِ الْمَوْصُوفِ عَلَى الصِّفَةِ، وَقَصْرِ الصِّفَةِ عَلَى الْمَوْصُوفِ. وَكُلٌّ مِنْهُمَا إِمَّا حَقِيقِيٌّ أَوْ مَجَازِيٌّ.

وَقَصْرُ الْمَوْصُوفِ عَلَى الصِّفَةِ حَقِيقِيًّا لَا يَكَادُ يُوجَدُ لِتَعَذُّرِ الْإِحَاطَةِ بِجَمِيعِ الْأَوْصَافِ وَإِثْبَاتِ بَعْضٍ مِنْهَا، وَنَفْيِ مَا عَدَاهُ بِالْكُلِّيَّةِ.

وَيَنْقَسِمُ الْحَصْرُ أَيْضًا إِلَى أَقْسَامٍ أُخَرَ بِاعْتِبَارٍ آخَرَ، وَهُوَ: قَصْرُ الْإِفْرَادِ، وَقَصْرُ التَّعْيِينِ، وَقَصْرُ الْقَلْبِ. وَتَفْصِيلُ هَذِهِ الْقَوَاعِدِ فِي عِلْمِ الْبَيَانِ.

ثُمَّ مَنْ أَتْقَنَهَا يَسْهُلُ عَلَيْهِ مَعْرِفَتُهَا مِنَ الْقُرْآنِ.

ثُمَّ إِنَّ طُرُقَ الْحَصْرِ كَثِيرَةٌ:

---

(1) الإتقان في علوم القرآن: 3/ 159 ـ 164.

(2) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: 2/ 217.

أَحَدُهَا: النَّفْيُ وَالِاسْتِثْنَاءُ، سَوَاءٌ كَانَ النَّفْيُ بِلَا أَوْ مَا أَوْ غَيْرِهِمَا، وَسَوَاءٌ كَانَ الِاسْتِثْنَاءُ بِإِلَّا أَوْ غَيْرِ.

وَثَانِيهَا: إِنَّمَا الْمَكْسُورَةُ، قِيلَ بِالْمَنْطُوقِ، وَقِيلَ بِالْمَفْهُومِ.

وَثَالِثُهَا: أَنَّمَا بِالْفَتْحِ، عِنْدَ الزَّمَخْشَرِيِّ وَالْبَيْضَاوِيِّ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾[1].

وَصَرَّحَ التَّنُوخِيُّ فِي "**الْأَقْصَى الْقَرِيبُ**"[2] بِأَنَّهُ فَرْعٌ عَنْ إِنَّمَا الْمَكْسُورَةِ، وَمَا ثَبَتَ لِلْأَصْلِ يَثْبُتُ لِلْفَرْعِ، مَا لَمْ يَثْبُتْ مَانِعٌ مِنْهُ، وَالْأَصْلُ عَدَمُهُ. وَرَدَّ أَبُو حَيَّانَ عَلَى الزَّمَخْشَرِيِّ بِأَنَّهُ يَلْزَمُهُ انْحِصَارُ الْوَحْيِ فِي الْوَحْدَانِيَّةِ. وَأُجِيبَ بِأَنَّهُ حَصْرٌ مَجَازِيٌّ بِاعْتِبَارِ الْمَقَامِ.

الرَّابِعُ: الْعَطْفُ بِـ "لَا" وَ"بَلْ"، اتَّفَقَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْبَيَانِ، إِلَّا أَنَّهُ نَازَعَ فِيهِ الشَّيْخُ بَهَاءُ الدِّينِ السُّبْكِيُّ فِي "**عَرُوسُ الْأَفْرَاحِ**"، فَقَالَ: «أَيُّ قَصْرٍ فِي الْعَطْفِ بِلَا؟ إِنَّمَا فِيهِ نَفْيٌ وَإِثْبَاتٌ، فَقَوْلُكَ: زَيْدٌ شَاعِرٌ لَا كَاتِبٌ، لَا تَعَرُّضَ فِيهِ لِنَفْيِ صِفَةٍ ثَالِثَةٍ، وَالْقَصْرُ إِنَّمَا يَكُونُ بِنَفْيِ جَمِيعِ الصِّفَاتِ غَيْرِ الْمُثْبَتَةِ

---

(1) سورة الأنبياء، الآية: 108.

(2) "**الأقصى القريب في علم البيان**"، لمحمد بن محمد بن عمرو التنوخي توفي سنة: 692هـ. الأعلام: 7/ 35. وهدية العارفين: 2/ 154، وفيها سُمِّيَ الكتاب: "**أَقْصَى الْقُرْبِ فِي صِنَاعَةِ الْأَدَبِ**".

حَقِيقَةً أَوْ مَجَازًا، وَلَيْسَ هُوَ خَاصًّا بِنَفْيِ الصِّفَةِ الَّتِي يَعْتَقِدُهَا الْمُخَاطَبُ. وَأَمَّا الْعَطْفُ بِـ "بَلْ" فَأَبْعَدُ مِنْهُ، لِأَنَّهُ لَا يَسْتَمِرُّ فِيهَا النَّفْيُ وَالْإِثْبَاتُ»[1].

الْخَامِسُ: تَقْدِيمُ الْمَعْمُولِ، نَحْوَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، وَخَالَفَ فِيهِ قَوْمٌ، وَسَنَذْكُرُهُ.

السَّادِسُ: ضَمِيرُ الْفَصْلِ، نَحْوَ: ﴿فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾[2].

السَّابِعُ: تَقْدِيمُ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ، عَلَى مَا قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَاهِرِ: قَدْ يُقَدَّمُ الْمُسْنَدُ إِلَيْهِ لِيُفِيدَ تَخْصِيصَهُ بِالْخَبَرِ الْفِعْلِيِّ. وَالْحَاصِلُ عَلَى رَأْيِهِ أَنَّ لَهُ أَحْوَالًا:

أَحَدُهَا: أَنْ يَكُونَ الْمُسْنَدُ إِلَيْهِ مَعْرِفَةً، وَالْمُسْنَدُ مُثْبَتًا، فَيَأْتِي لِلتَّخْصِيصِ نَحْوَ: أَنَا قُمْتُ، وَأَنَا سَعَيْتُ فِي حَاجَتِكَ.

وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ الْمُسْنَدُ مَنْفِيًّا، نَحْوَ: أَنْتَ لَا تَكْذِبُ.

وَثَالِثُهَا: أَنْ يَكُونَ الْمُسْنَدُ إِلَيْهِ [نكِرَةً مُثْبَتًا][3]، نَحْوَ: رَجُلٌ جَاءَنِي، أَيْ لَا امْرَأَةٌ أَوْ رَجُلَانِ.

وَرَابِعُهَا: أَنْ يَلِيَ الْمُسْنَدُ إِلَيْهِ حَرْفَ النَّفْيِ، وَيُفِيدُهُ، نَحْوَ: مَا أَنَا قُلْتُ هَذَا، أَيْ لَمْ أَقُلْهُ، مَعَ أَنَّ غَيْرِي قَالَهُ.

---

(1) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: 1/ 397.

(2) سورة الشورى، الآية: 9.

(3) ما بين معقوفين، سقط من أنطاليا.

هَذَا حَاصِلُ رَأْيِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْقَاهِرِ، وَوَافَقَهُ السَّكَّاكِيُّ، وَزَادَ شُرُوطًا وَتَفَاصِيلَ بَسَطُوا فِيهَا الْقَوْلَ فِي مَوْضِعِهِ.

الثَّامِنُ: تَقْدِيمُ الْمُسْنَدِ، ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ وَابْنُ النَّفِيسِ وَغَيْرُهُمَا. وَرَدَّهُ صَاحِبُ[1] "**الْفَلَكُ الدَّائِرُ**"[2] بِأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ بِهِ أَحَدٌ، وَهُوَ مَمْنُوعٌ، إِذْ قَدْ صَرَّحَ بِهِ السَّكَّاكِيُّ وَغَيْرُهُ بِأَنَّ تَقْدِيمَ مَا حَقُّهُ التَّأْخِيرُ، يُفِيدُ التَّخْصِيصَ، وَمَثَّلُوهُ بِنَحْوِ: "تَمِيمِيٌّ أَنَا".

التَّاسِعُ: ذِكْرُ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ. ذَكَرَهُ السَّكَّاكِيُّ وَالزَّمَخْشَرِيُّ فِي: ﴿اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[3]، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾[4].

الْعَاشِرُ: تَعْرِيفُ الْخَبَرِ. ذَكَرَ الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ فِي "**نِهَايَةُ الْإِيجَازِ**"[5]: أَنَّهُ يُفِيدُ الْحَصْرَ حَقِيقَةً أَوْ مُبَالَغَةً، نَحْوَ: "الْمُنْطَلِقُ زَيْدٌ". وَمَثَّلَهُ الزَّمَلْكَانِيُّ بِـ (الْحَمْدُ للهِ)، قَالَ: إِنَّهُ يُفِيدُ الْحَصْرَ، أَيْ الْحَمْدُ للهِ لَا لِغَيْرِهِ.

---

(1) عليه، في مراد ملا.

(2) "**الْفَلَكُ الدَّائِرُ عَلَى الْمَثَلِ السَّائِرِ**"، لعبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد عز الدين (ت 656.هـ).

(3) سورة الرعد، الآية: 26.

(4) سورة الأحزاب، الآية: 4.

(5) "**نِهَايَةُ الْإِيجَازِ فِي دِرَايَةِ الْإِعْجَازِ**"، لأبي عبد الله، محمّد بن عمر بن الحسن التّيميّ البكريّ فخر الدّين الرّازيّ (ت. 606هـ). الكتاب مطبوع.

الْحَادِي عَشَرَ: نَحْوَ: "جَاءَ زَيْدٌ نَفْسُهُ"، نَقَلَ بَعْضُ شُرَّاحِ **التَّلْخِيصِ** عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ يُفِيدُ الْحَصْرَ.

الثَّانِي عَشَرَ: نَحْوَ: "إِنَّ زَيْدًا لَقَائِمٌ" نَقَلَهُ الْمَذْكُورُ آنِفًا.

الثَّالِثَ عَشَرَ: نَحْوَ: "قَائِمٌ" فِي جَوَابِ: "زَيْدٌ إِمَّا قَائِمٌ أَوْ قَاعِدٌ". ذَكَرَهُ الطِّيبِيُّ فِي "**شَرْحُ التِّبْيَانِ**"[1].

الرَّابِعَ عَشَرَ: قَلْبُ بَعْضِ حُرُوفِ الْكَلِمَةِ، فَإِنَّهُ يُفِيدُ الْحَصْرَ عَلَى مَا نُقِلَ فِي **الْكَشَّافِ**، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾[2].

وَاعْلَمْ أَنَّ أَهْلَ الْبَيَانِ أَطْبَقُوا عَلَى أَنَّ تَقْدِيمَ الْمَعْمُولِ يُفِيدُ الْحَصْرَ، سَوَاءٌ كَانَ مَفْعُولًا، أَوْ ظَرْفًا، أَوْ مَجْرُورًا، وَمَثَّلُوا بِـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[3]، وَخَالَفَهُمُ ابْنُ الْحَاجِبِ فِي خُطْبَةِ **الْمُفَصَّلِ**[4] فِي قَوْلِهِ: اللهَ أَحْمَدُ، وَقَالَ: التَّقْدِيمُ لِلِاهْتِمَامِ وَالِاخْتِصَاصُ الَّذِي يَتَوَهَّمُهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَهْمٌ.

وَاعْتَرَضَ أَيْضًا أَبُو حَيَّانَ بِنَحْوِ ﴿أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِّي﴾[5].

---

(1) يسمى: "**التِّبْيَانُ فِي الْمَعَانِي وَالْبَيَانِ**"، لشرف الدين الحسن بن محمد الطيبي (ت. 743هـ). وشرحه تلميذه علي بن عيسى وسماه "**حدائق البيان في شرح التبيان**". كشف الظنون: 1/ 341-633.

(2) سورة الزمر، الآية: 17.

(3) سورة الفاتحة، الآية: 5.

(4) يعني كتاب: "**الإِيضَاحُ فِي شَرْحِ الْمُفَصَّلِ**"، لابن الحاجب، وهو مطبوع.

(5) سورة الزمر، الآية: 64.

وَأُجِيبَ: بِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ غَيْرَهُ، كَأَنَّهُ لَمْ يَعْبُدِ اللهَ، وَكَأَنَّ أَمْرَهُمْ بِالشِّرْكِ، كَأَنَّهُ أَمْرٌ بِتَخْصِيصِ غَيْرِ اللهِ بِالْعِبَادَةِ.

وَرَدَّ أَيْضًا صَاحِبُ **"الْفَلَكُ الدَّائِرُ"** بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ﴾[1]، وَهُوَ مِنْ أَقْوَى مَا رُدَّ بِهِ.

وَأُجِيبَ: بِأَنَّهُ لَا يُدَّعَى فِيهِ اللُّزُومُ بَلِ الْغَلَبَةُ، وَقَدْ يَخْرُجُ الشَّيْءُ عَنِ الْغَالِبِ.

قَالَ الشَّيْخُ بَهَاءُ الدِّينِ: «وَقَدِ اجْتَمَعَ الِاخْتِصَاصُ وَعَدَمُهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾[2]، فَإِنَّ التَّقْدِيمَ الْأَوَّل لَيْسَ لِلِاخْتِصَاصِ، وَالثَّانِيَ لِلِاخْتِصَاصِ»[3].

هَذَا وَقَالَ وَالِدُهُ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ السُّبْكِيُّ فِي كِتَابِ **"الِاقْتِنَاصُ"**[4] مَا حَاصِلُهُ وَتَلْخِيصُهُ: إِنَّ الْبَيَانِيِّينَ عَلَى إِفَادَةِ تَقْدِيمِ الْمَعْمُولِ لِلِاخْتِصَاصِ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُنْكِرُ ذَلِكَ، وَيَقُولُ: إِنَّمَا يُفِيدُ الِاهْتِمَامَ فَقَطْ. إِلَّا أَنَّ الْحَقَّ: الِاخْتِصَاصُ غَيْرُ الْحَصْرِ، وَالْفُضَلَاءُ لَمْ يَقُولُوا إِنَّهُ يُفِيدُ الْحَصْرَ، بَلْ قَالُوا يُفِيدُ الِاخْتِصَاصَ.

---

(1) سورة الأنعام، الآية: 84.

(2) سورة الأنعام، الآية: 40 ـ 41.

(3) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: 1/ 383.

(4) **"الِاقْتِنَاصُ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الْحَصْرِ وَالاخْتِصَاصِ"**، لتقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (ت.756هـ).

وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ الْحَصْرَ إِثْبَاتُ الْمَذْكُورِ، وَنَفْيُ غَيْرِ الْمَذْكُورِ، وَالِاخْتِصَاصَ فَصْلُ الْخَاصِّ مِنْ جِهَةِ خُصُوصِهِ، إِذِ الْخُصُوصُ مُرَكَّبٌ مِنْ مَعْنَى عَامٍّ مُشْتَرَكٍ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ أَوْ أَشْيَاءَ، وَمِنْ مَعْنًى مُنْضَمٍّ إِلَيْهِ يَفْصِلُهُ[1] عَنْ غَيْرِهِ، فَقَدْ يُقْصَدُ مِنْ جِهَةِ عُمُومِهِ، كَقَوْلِكَ: ضَرَبْتُ زَيْدًا، وَقَدْ يُقْصَدُ إِفَادَةُ جِهَةِ خُصُوصِهِ، كَقَوْلِكَ: زَيْدًا ضَرَبْتُ. وَهَذَا هُوَ الِاخْتِصَاصُ، وَإِنَّهُ هُوَ الْأَهَمُّ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِ، وَهُوَ الَّذِي قُصِدَ إِفَادَتُهُ لِلسَّامِعِ مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ وَلَا قَصْدٍ لِغَيْرِهِ بِإِثْبَاتٍ وَلَا نَفْيٍ، وَفِي الْحَصْرِ مَعْنًى زَائِدٌ عَلَيْهِ، وَهُوَ نَفْيُ مَا عَدَا الْمَذْكُورَ، وَإِنَّمَا جَاءَ هَذَا فِي: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لِلْعِلْمِ بِأَنَّ قَائِلِيهِ لَا يَعْبُدُونَ غَيْرَ اللهِ، وَكَذَا لَمْ يَطَّرِدْ فِي بَقِيَّةِ الْآيَاتِ.

فَالْحَصْرُ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاتِبَ:

أَحَدُهَا: بِمَا وَإِلَّا، وَهُوَ أَقْوَى طُرُقِهِ لِأَنَّهُ بِالْمَنْطُوقِ.

الثَّانِي: الْحَصْرُ بِـ "إِنَّمَا"، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ الْأَوَّلِ وَدُونَهُ، لِعَدَمِ ذِكْرِ النَّفْيِ مَنْطُوقًا.

الثَّالِثُ: الْحَصْرُ الَّذِي قَدْ يُفِيدُهُ التَّقْدِيمُ، وَلَيْسَ هُوَ عَلَى تَقْدِيرِ تَسْلِيمِهِ مِثْلَ الْحَصْرَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ، بَلْ هُوَ فِي قُوَّةِ جُمْلَتَيْنِ:

إِحْدَاهُمَا: مَا صَدَرَ بِهِ الْحُكْمُ نَفْيًا كَانَ أَوْ إِثْبَاتًا وَهُوَ الْمَنْطُوقُ.

(1) فصله، في أنطاليا.

وَالْأُخْرَى: مَا فُهِمَ مِنَ التَّقْدِيمِ، وَالْحَصْرُ يَقْتَضِي نَفْيَ الْمَنْطُوقِ فَقَطْ دُونَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَفْهُومِ، لِأَنَّ الْمَفْهُومَ لَا مَفْهُومَ لَهُ. فَإِذَا قُلْتَ: أَنَا لَا أُكْرِمُ إِلَّا إِيَّاكَ، أَفَادَ التَّعْرِيضَ بِأَنَّ غَيْرَكَ يُكْرِمُ غَيْرَهُ، وَلَا يَلْزَمُ أَنَّكَ لَا تُكْرِمُهُ. ثُمَّ طَوَّلَ السُّبْكِيُّ فِي الْكَلَامِ.

وَقَالَ آخَرُ: وَهَذَا كُلُّهُ عَلَى تَقْدِيرِ تَسْلِيمِ الْحَصْرِ، وَنَحْنُ نَمْنَعُ ذَلِكَ، وَنَقُولُ: إِنَّهُ اخْتِصَاصٌ، وَأَنَّ بَيْنَهُمَا فَرْقًا[1].

قُلْتُ: مَا ذَكَرَهُ مِنَ الْفَرْقِ بَيْنَ الْحَصْرِ وَالِاخْتِصَاصِ، مِمَّا اسْتَخْرَجَهُ فِكْرِي أَيْضًا، لَكِنْ إِفَادَةُ التَّقْدِيمِ الْمَذْكُورِ لِلْحَصْرِ قَدْ شُيِّدَ أَرْكَانُهُ فِي بَعْضِ تَعْلِيقَاتِنَا فِي عِلْمِ الْمَعَانِي.

عِلْمُ مَعْرِفَةِ الْإِيجَازِ وَالْإِطْنَابِ

اعْلَمْ أَنَّهُمَا مِنْ أَعْظَمِ أَنْوَاعِ الْبَلَاغَةِ، حَتَّى نَقَلَ صَاحِبُ **"سِرُّ الْفَصَاحَةِ"** عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ قَالَ: الْبَلَاغَةُ هِيَ الْإِيجَازُ وَالْإِطْنَابُ.

قَالَ صَاحِبُ **"الْكَشَّافُ"**: كَمَا يَجِبُ عَلَى الْبَلِيغِ فِي مَظَانِّ الْإِجْمَالِ أَنْ يُجْمِلَ وَيُوجِزَ، فَكَذَلِكَ الْوَاجِبُ فِي مَوَارِدِ التَّفْصِيلِ، أَنْ يُفَصِّلَ وَيُشْبِعَ.

أَنْشَدَ الْجَاحِظُ: [الكامل]

---

(1) الإتقان في علوم القرآن: 3/ 166 ـ 178.

يَرْمُونَ بِالْخُطَبِ الطِّوَالِ وَتَارَةً وَحْيَ الْمَلَاحِظِ خِيفَةَ الرُّقَبَاءِ[1]

وَاخْتُلِفَ هَلْ بَيْنَ الْإِيجَازِ وَالْإِطْنَابِ مُسَاوَاةٌ أَمْ لَا؟

فَالسَّكَّاكِيُّ وَمُتَابِعُوهُ أَثْبَتُوهَا، لَكِنَّهُمْ جعلُوهَا غَيْرَ مَحْمُودَةٍ وَلَا مَذْمُومَةٍ. وَتَفْصِيلُ هَذَا الْمَقَامِ فِي شُرُوحِ **الْمِفْتَاحِ**.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْإِيجَازَ وَالِاخْتِصَارَ وَاحِدٌ، وَمَا قِيلَ إِنَّ الِاخْتِصَارَ خَاصٌّ بِحَذْفِ الْجُمَلِ فقَطْ، فَقَدْ رَدَّهُ الْفُضَلَاءُ.

وَأَمَّا الْإِسْهَابُ وَالْحَشْوُ وَالتَّطْوِيلُ غَيْرُ الْإِطْنَابِ. وَلِهَذَا قَالُوا: الْإِطْنَابُ زِيَادَةٌ لِفَائِدَةٍ دُونَ غَيْرِهِ.

ثُمَّ الْإِيجَازُ إِمَّا إِيجَازُ قَصْرٍ، أَوْ إِيجَازُ حَذْفٍ:

فَالْأَوَّلُ: هُوَ الْوَجِيزُ بِلَفْظِهِ. قَالَ الشَّيْخُ بَهَاءُ الدِّينِ: الْكَلَامُ الْقَلِيلُ إِنْ كَانَ بَعْضًا مِنْ كَلَامٍ أَطْوَلَ مِنْهُ فَهُوَ إِيجَازُ حَذْفٍ، وَإِنْ كَانَ كَلَامًا يُعْطِي مَعْنًى أَطْوَلَ مِنْهُ فَهُوَ إِيجَازُ قَصْرٍ. وَقِيلَ: إِيجَازُ الْقَصْرِ، هُوَ تَكْثِيرُ الْمَعْنَى بِتَقْلِيلِ اللَّفْظِ.

وَقَالَ آخَرُ: هُوَ أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَعْنَى أَقَلَّ مِنَ الْقَدْرِ الْمَعْهُودِ عَادَةً.

---

(1) البيت لبعض خطباء إياد في العقد الفريد: 2/ 134. وفي زهر الآداب وثمر الألباب: 1/ 146 ينسب لأبي داود ابن جرير قاله في خطباء إياد. والمراد من وَحْيِ المَلَاحِظِ، إشارة العيون.

الثَّانِي: إِيجَازُ التَّقْدِيرِ، وَهُوَ أَنْ يُقَدَّرَ مَعْنَى زَائِدٌ عَلَى الْمَنْطُوقِ. وَيُسَمَّى بِالتَّضْيِيقِ أَيْضًا، وَبِهِ سَمَّاهُ بَدْرُ الدِّينِ ابْنُ مَالِكٍ فِي "**الْمِصْبَاحُ**".

الثَّالِثُ: الْإِيجَازُ الْجَامِعُ، وَهُوَ أَنْ يَحْتَوِيَ عَلَى مَعَانٍ مُتَعَدِّدَةٍ، نَحْوَ: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرَ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾[1] الآيَة. فَإِنَّ الْعَدْلَ: هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الْمُتَوَسِّطُ بَيْنَ طَرَفَي الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ، إِمَّا فِي الِاعْتِقَادِ أَوِ الْأَخْلَاقِ أَوِ الْأَعْمَالِ، وَالْإِحْسَانَ: هُوَ الْإِخْلَاصُ فِي وَاجِبَاتِ الْعُبُودِيَّةِ، كَمَا فَسَّرَهُ فِي الْحَدِيثِ بِقَوْلِهِ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ»[2]، أَيْ تَعْبُدَهُ مُخْلِصًا في نِيَّتِكَ، وَوَاقِفًا فِي الْخُضُوعِ، آخِذًا أُهْبَةَ الْحَذَرِ إِلَى مَا لَا يُحْصَى. ﴿وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾[3] هُوَ زِيَادَةٌ عَلَى الْوَاجِبِ؛ هَذَا في الْأَوَامِرِ[4]، وَأَمَّا فِي النَّوَاهِي فَبِالْفَحْشَاءِ: إِشَارَةٌ إِلَى الْقُوَّةِ الشَّهْوَانِيَّةِ، وَبِالْمُنْكَرِ: إِشَارَةٌ إِلَى إِفْرَاطِ الْقُوَّةِ الْغَضَبِيَّةِ. وَبِالْبَغْيِ: إِلَى الِاسْتِعْلَاءِ الْفَائِضِ عَنِ الْقُوَّةِ الْوَهْمِيَّةِ.

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «مَا فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ أَجْمَعَ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ».

---

(1) سورة النحل، الآية: 90.

(2) صحيح البخاري: 6/ 115 رقم: 4777، وصحيح مسلم: 1/ 36 رقم: 8-9.

(3) سورة النحل، الآية: 90.

(4) هذا في الأمر، في الأزهرية.

وَمِنْ بَدِيعِ الْإِيجَازِ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾[1]، إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، فَإِنَّهَا نِهَايَةُ التَّنْزِيهِ، وَقَدْ تَضَمَّنَتِ الرَّدَّ عَلَى نَحْوِ أَرْبَعِينَ فِرْقَةً. وَقَدْ أَفْرَدَ ذَلِكَ بِالتَّصْنِيفِ بَهَاءُ الدِّينِ بْنُ شَدَّادٍ[2].

وَمِنْ أَنْوَاعِ الْإِيجَازِ نَوْعٌ مُسَمًّى بِالتَّضْمِينِ، وَهُوَ حُصُولُ مَعْنًى فِي لَفْظٍ مِنْ غَيْرِ ذِكْرٍ لَهُ بِاسْمٍ هِيَ عِبَارَةٌ عَنْهُ.

قَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ: وَهُوَ نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا: مَا يُفْهَمُ مِنَ الْبِنْيَةِ، بِنَحْوِ مَعْلُومٍ، فَإِنَّهُ يُوجِبُ أَنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ عَالِمٍ.

وَالثَّانِي: مِنْ مَعْنَى الْعِبَارَةِ نَحْوَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَإِنَّهُ تَضَمَّنَ تَعْلِيمَ الِاسْتِفْتَاحِ [إِلَى الْأُمُورِ][3] بِاسْمِهِ تَعَالَى عَلَى جِهَةِ التَّعْظِيمِ للهِ وَالتَّبَرُّكِ بِاسْمِهِ.

وَمِنْ إِيجَازِ الْقَصْرِ: بَابُ الْحَصْرِ، سَوَاءٌ كَانَ بِـ "إِلَّا" أَوْ بِـ "إِنَّمَا" أَوْ بِغَيْرِهِمَا مِنْ أَدَوَاتِهِ، لِأَنَّ الْجُمْلَةَ فِيهَا نَابَتْ مَنَابَ جُمْلَتَيْنِ. وَبَابُ الْعَطْفِ، لِأَنَّ حُرُوفَهُ وُضِعَتْ لِلْإِغْنَاءِ عَنِ الْعَامِلِ. وَبَابُ النَّائِبِ عَنِ الْفَاعِلِ، لِأَنَّهُ دَلَّ عَلَى الْفَاعِلِ بِإِعْطَائِهِ حُكْمَهُ، وَعَلَى الْمَفْعُولِ بِوَضْعِهِ. وَبَابُ الضَّمِيرِ، لِأَنَّهُ

---

(1) سورة الإخلاص، الآية: 1.

(2) يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة أبو المحاسن بهاء الدين بن شدَّاد الأسدي الموصلي، مؤرخ، من كبار القضاة (ت. 632هـ). ترجمته في وفيات الأعيان: 2/ 354. وطبقات الشافعية الكبرى: 5/ 115.

(3) سقط من قونية.

وُضِعَ لِلِاسْتِغْنَاءِ بِهِ عَنِ الظَّاهِرِ اخْتِصَارًا، وَكَذَا[1] لَا يُعْدَلُ إِلَى الْمُنْفَصِلِ مَعَ إِمْكَانِ الْمُتَّصِلِ. وَبَابُ عَلِمْتُ أَنَّكَ قَائِمٌ، أَنَّهُ مُحْتَمِلٌ لِاسْمٍ وَاحِدٍ سَدَّ مَسَدَّ الْمَفْعُولَيْنِ مِنْ غَيْرِ حَذْفٍ. وَبَابُ التَّنَازُعِ إِذَا لَمْ يُقَدَّرْ عَلَى رَأْيِ الْفَرَّاءِ. وَطَرْحُ الْمَفْعُولِ اقْتِصَارًا عَلَى جَعْلِ الْمُتَعَدِّي كَاللَّازِمِ.

وَمِنْهَا: جَمِيعُ أَدَوَاتِ الِاسْتِفْهَامِ وَالشَّرْطِ، فَإِنَّ "كَمْ مَالُكَ؟" يُغْنِي عَنْ قَوْلِكَ: أَهُوَ عِشْرُونَ أَمْ ثَلَاثُونَ وَهَكَذَا.

وَمِنْهَا: الْأَلْفَاظُ الْمُلَازِمَةُ لِلْعُمُومِ كَأَحَدٍ.

وَمِنْهَا: لَفْظُ التَّثْنِيَةِ وَالْجَمْعِ، فَإِنَّهُ يُغْنِي عَنْ تَكْرِيرِ الْمُفْرَدِ، وَأُقِيمَ الْحَرْفُ فِيهِمَا مَقَامَهُ اخْتِصَارًا.

وَمِمَّا يَصْلُحُ أَنْ يُعَدَّ مِنْ أَنْوَاعِهِ: الِاتِّسَاعُ، مِنْ أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ، وَهُوَ أَنْ يُؤْتَى بِكَلَامٍ يَتَّسِعُ فِيهِ التَّأْوِيلُ بِحَسَبِ مَا تَحْتَمِلُهُ أَلْفَاظُهُ مِنَ الْمَعَانِي، كَفَوَاتِحِ السُّوَرِ. ذَكَرَهُ ابْنُ أَبِي الْإِصْبَعِ.

الْقِسْمُ الثَّانِي مِنْ قِسْمَيِ الْإِيجَازِ: إِيجَازُ الْحَذْفِ، وَفِيهِ فَوَائِدُ؛

ذِكْرُ أَسْبَابِهِ:

مِنْهَا: مُجَرَّدُ الِاخْتِصَارِ وَالِاحْتِرَازِ عَنِ الْعَبَثِ لِظُهُورِهِ.

---

(1) ولذا، في أنطاليا ومراد ملا.

وَمِنْهَا: التَّنْبِيهُ عَلَى أَنَّ الزَّمَانَ يَتَقَاصَرُ عَنِ الْإِتْيَانِ بِالْمَحْذُوفِ، وَأَنَّ الِاشْتِغَالَ بِذِكْرِهِ يُفْضِي إِلَى تَفْوِيتِ الْمُهِمِّ. وَهَذِهِ هِيَ فَائِدَةُ بَابِ التَّحْذِيرِ وَالْإِغْرَاءِ.

وَمِنْهَا: التَّفْخِيمُ وَالْإِعْظَامُ لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِبْهَامِ.

قَالَ حَازِمٌ فِي "مِنْهَاجُ الْبُلَغَاءِ": «إِنَّمَا يَحْسُنُ الْحَذْفُ لِقُوَّةِ الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ، أَوْ يُقْصَدُ بِهِ تَعْدِيدُ أَشْيَاءَ، فَيَكُونُ فِي تَعْدَادِهَا طُولٌ وَسَآمَةٌ، فَيُحْذَفُ، وَيُكْتَفَى بِدَلَالَةِ الْحَالِ، وَتُتْرَكُ النَّفْسُ تَجُولُ فِي الْأَشْيَاءِ الْمُكْتَفَى بِالْحَالِ عَنْ ذِكْرِهَا. قَالَ: وَبِهَذَا الْقَصْدِ يُؤْثَرُ فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي يُرَادُ بِهَا التَّعَجُّبُ وَالتَّهْوِيلُ عَلَى النُّفُوسِ»(1).

وَمِنْهَا: التَّخْفِيفُ، لِكَثْرَةِ دَوَرَانِهِ فِي الْكَلَامِ، كَمَا فِي حَذْفِ حَرْفِ النِّدَاءِ، نَحْوَ: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ﴾(2)، وَنُونِ ﴿لَمْ يَكُ﴾، وَيَاءِ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾(3).

وَسَأَلَ الْمُؤَرِّجُ السَّدُوسِيُّ(4) الْأَخْفَشَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ، فَقَالَ: عَادَةُ الْعَرَبِ أَنَّهَا إِذَا عَدَلَتْ بِالشَّيْءِ عَنْ مَعْنَاهُ نَقَصَتْ حُرُوفَهُ، وَاللَّيْلُ لَمَّا كَانَ لَا يَسْرِي،

---

(1) النص مع اختلاف يسير في منهاج البلغاء وسراج الأدباء: 391.

(2) سورة يوسف، الآية: 29.

(3) سورة الفجر، الآية: 4.

(4) مؤرج بن عمرو بن الحارث أبو فيد السَّدُوسِي، كان عالما بالعربية إماما في النحو(ت. 195هـ). طبقات النحويين واللغويين: 75، ومعجم الأدباء: 3/ 1262، ووفيات الأعيان: 5/ 307.

وَإِنَّمَا يُسْرَى فِيهِ، نُقِصَ مِنْهُ حَرْفٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾[1]، الْأَصْلُ "بَغِيَّةً"، فَلَمَّا حُوِّلَ عَنْ فَاعِلٍ، نُقِصَ مِنْهُ حَرْفٌ.

وَمِنْهَا: كَوْنُهُ لَا يَصْلُحُ إِلَّا لَهُ: نَحْوَ: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾[2].

وَمِنْهَا: شُهْرَتُهُ حَتَّى يَسْتَوِيَ ذِكْرُهُ وَتَرْكُهُ. قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: وَهُوَ نَوْعٌ مِنْ دَلَالَةِ الْحَالِ الَّتِي لِسَانُهَا أَنْطَقُ مِنْ لِسَانِ الْمَقَالِ.

وَمِنْهَا: صِيَانَتُهُ عَنْ ذِكْرِهِ تَشْرِيفًا.

وَمِنْهَا: صِيَانَةُ اللِّسَانِ عَنْهُ تَحْقِيرًا لَهُ.

وَمِنْهَا: قَصْدُ الْعُمُومِ، نَحْوَ: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، أَيْ عَلَى الْعِبَادَةِ، وَعَلَى كُلِّ أُمُورِنَا.

وَمِنْهَا: رِعَايَةُ الْفَاصِلَةِ، نَحْوَ: ﴿وَمَا قَلَى﴾[3]، أَيْ [مَا][4] قَلَاكَ.

وَمِنْهَا: قَصْدُ الْبَيَانِ بَعْدَ الْإِبْهَامِ، نَحْوَ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾[5]، وَقَدْ ذَكَرَ أَهْلُ الْبَيَانِ أَنَّ مَفْعُولَ الْمَشِيئَةِ وَالْإِرَادَةِ لَا يُذْكَرُ إِلَّا إِذَا كَانَ غَرِيبًا.

---

(1) سورة مريم، الآية: 28.

(2) سورة الأنعام: 73.

(3) سورة الضحى، الآية: 3.

(4) زيادة من قونية.

(5) سورة البقرة، الآية: 255.

وَاعْلَمْ أَنَّهُمْ فَرَّقُوا بَيْنَ الْحَذْفِ اقْتِصَارًا وَاخْتِصَارًا. وَالْأَوَّلُ: حَذْفٌ بِغَيْرِ دَلِيلٍ، وَالثَّانِي: الْحَذْفُ بِدَلِيلٍ. ثُمَّ الدَّلِيلُ إِمَّا حَالِيٌّ، نَحْوَ: ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾، أَيْ سَلَّمْنَا سَلَامًا. أَوْ مَقَالِيٌّ، نَحْوَ: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾[1]، أَيْ أَنْزَلَ خَيْرًا. أَوْ دَلِيلٌ عَقْلِيٌّ حَيْثُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْكَلَامَ لَا يَصِحُّ إِلَّا بِتَقْدِيرِ مَحْذُوفٍ، فَتَارَةً يَدُلُّ عَلَى أَصْلِ الْحَذْفِ وَالتَّعْيِينِ مِنْ دَلِيلٍ آخَرَ، نَحْوَ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾[2]، وَالْعَقْلُ يَعْلَمُ أَنَّ الْحِرْمَةَ مِنْ صِفَاتِ الْأَفْعَالِ، وَالْمَيْتَةَ مِنَ الْأَعْيَانِ، فَيَعْرِفُ أَنَّ هُنَاكَ حَذْفًا، وَكَوْنُ الْمَحْذُوفِ "تَنَاوُلَهَا" مُسْتَفَادٌ مِنَ الْحَدِيثِ، وَهُوَ قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا حَرُمَ أَكْلُهَا»[3].

وَتَارَةً يَدُلُّ عَلَى تَعْيِينِ الْمَحْذُوفِ، نَحْوَ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾[4]، أَيْ أَمْرُهُ، لِأَنَّ الْعَقْلَ دَلَّ عَلَى اسْتِحَالَةِ مَجِيءِ الْبَارِئِ.

وَقَدْ تَدُلُّ عَلَيْهِ الْعَادَةُ تَارَةً، نَحْوَ: ﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾[5]، وَلَا يَكُونُ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ظَرْفًا لِلَّوْمِ عَقْلًا، فَالْعَادَةُ تُعَيِّنُهُ، وَهُوَ الْمُرَاوَدَةُ، إِذِ الْحُبُّ الْمُفْرِطُ لَا يُلَامُ صَاحِبُهُ عَلَيْهِ عَادَةً، وَالْمُحْتَمَلُ هُمَا لَا غَيْرُ، بِدَلِيلِ السِّيَاقِ.

---

(1) سورة النحل، الآية: 30.

(2) سورة المائدة، الآية: 3.

(3) صحيح البخاري: 3/ 81 رقم: 2221. صحيح مسلم: 1/ 276 رقم: 363.

(4) سورة الفجر، الآية: 22.

(5) سورة يوسف، الآية: 32.

وَتَارَةً يَدُلُّ عَلَيْهِ التَّصْرِيحُ بِهِ في مَوْضِعٍ آخَرَ، وَهُوَ أَقْوَى الدَّلَائِلِ، نَحْوَ: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللهِ﴾[1]، أَيْ مِنْ عِنْدِ اللهِ، بِدَلِيلِ: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾[2].

وَمِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَى أَصْلِ الْفِعْلِ الْعَادَةُ، بِأَنْ يَكُونَ الْعَقْلُ غَيْرَ مَانِعٍ عَنْ إِجْرَائِهِ عَلَى ظَاهِرِهِ مِنْ غَيْرِ حَذْفٍ، نَحْوَ: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ﴾[3]، وَالْعَقْلُ وَإِنْ جَوَّزَ عَدَمَ عِلْمِهِمْ بِالْقِتَالِ لَكِنَّ الْعَادَةَ تَمْنَعُهُ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَخْبَرَ النَّاسِ بِهِ، حَتَّى كَانُوا يُعَيَّرُونَ بِعَدَمِ عِلْمِهِمْ بِهِ، فَلِهَذَا قَدَّرَهُ مُجَاهِدٌ: لَوْ نَعْلَمُ «مَكَانَ قِتَالٍ»، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ أَنَّهُمْ أَشَارُوا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا يَخْرُجَ مِنَ الْمَدِينَةِ.

فَائِدَةٌ

اعْتَبَرَ الْأَخْفَشُ، فِي الْحَذْفِ التَّدْرِيجَ حَيْثُ أَمْكَنَ. وَلِهَذَا قَالَ فِي: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾[4]، أَنَّ الْأَصْلَ "لَا تَجْزِي فِيهِ"، فَحُذِفَ حَرْفُ الْجَرِّ، فَصَارَ "تَجْزِيهِ"، ثُمَّ حُذِفَ الضَّمِيرُ فَصَارَ "تَجْزِي". وَهَذِهِ مُلَاطَفَةٌ في الصِّنَاعَةِ. وَمَذْهَبُ سِيبَوَيْهِ أَنَّهُمَا حُذِفَا مَعًا.

---

(1) سورة البينة، الآية: 2.

(2) سورة البقرة، الآية: 101.

(3) سورة آل عمران، الآية: 167.

(4) سورة البقرة، الآية: 48.

قَالَ ابْنُ جِنِّي: وَقَوْلُ الْأَخْفَشِ أَوْفَقُ فِي النَّفْسِ، وَآنَسُ مِنْ أَنْ يُحْذَفَ الْحَرْفَانِ مَعًا فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ.

قَاعِدَةٌ

يَنْبَغِي تَقْلِيلُ الْمُقَدَّرِ مَهْمَا أَمْكَنَ، لِتَقِلَّ مُخَالَفَةُ الْأَصْلِ، نَحْوَ: ﴿جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾[1]، قَدَّرَ أَبُو عَلِيٍّ "نُصُبَ الْكَعْبَةِ"، وَقَدَّرَ غَيْرُهُ "حُرْمَةَ الْكَعْبَةِ"، وَالثَّانِي أَفْصَحُ. وَمَهْمَا تَرَدَّدَ الْمَحْذُوفُ بَيْنَ الْأَحْسَنِ وَالْحَسَنِ، وَجَبَ تَقْدِيرُ الْأَحْسَنِ، لِأَنَّهُ تَعَالَى وَصَفَ كِتَابَهُ بِأَنَّهُ: أَحْسَنُ الْحَدِيثِ، فَلْتَكُنْ مَحْذُوفَاتُهُ أَحْسَنَ الْمَحْذُوفَاتِ، كَمَا أَنَّ مَلْفُوظَهُ أَحْسَنُ الْمَلْفُوظِ. وَمَتَى تَرَدَّدَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ مُجْمِلًا أَوْ مُبَيِّنًا، فَتَقْدِيرُ الْمُبَيِّنِ أَحْسَنُ.

قَاعِدَةٌ

إِذَا دَارَ الْأَمْرُ بَيْنَ كَوْنِ الْمَحْذُوفِ فِعْلًا، وَالْبَاقِي فَاعِلًا، وَبَيْنَ كَوْنِهِ مُبْتَدَأً، وَالْبَاقِي خَبَرًا، فَالثَّانِي أَوْلَى، لِأَنَّ الْمُبْتَدَأَ عَيْنُ الْخَبَرِ، فَالْمَحْذُوفُ عَيْنُ الثَّابِتِ، فَيَكُونُ حَذْفًا كَلَا حَذْفٍ. فَأَمَّا الْفِعْلُ فَإِنَّهُ غَيْرُ الْفَاعِلِ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَعْتَضِدَ الْأَوَّلُ بِرِوَايَةٍ أُخْرَى فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ، أَوْ بِمَوْضِعٍ آخَرَ يُشْبِهُهُ.

---

(1) سورة المائدة، الآية: 97.

وَأَيْضًا إِذَا دَارَ الْأَمْرُ بَيْنَ كَوْنِ الْمَحْذُوفِ أَوَّلًا أَوْ ثَانِيًا، فَكَوْنُهُ ثَانِيًا أَوْلَى. وَمِنْ ثَمَّ رُجِّحَ أَنَّ الْمَحْذُوفَ فِي نَحْوِ: ﴿أَتُحَاجُّونِي﴾[1] نُونُ الْوِقَايَةِ، لَا نُونُ الرَّفْعِ، وَفِي ﴿نَارًا تَلَظَّى﴾[2]، التَّاءُ الثَّانِيَةُ لَا تَاءُ الْمُضَارَعَةِ. وَقَدْ يَجِبُ كَوْنُهُ مِنَ الْأَوَّلِ، نَحْوَ: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾[3]، فِي قِرَاءَةِ "وَمَلَائِكَتُهُ" بِالرَّفْعِ، لِاخْتِصَاصِ الْخَبَرِ بِالثَّانِي، لِوُرُودِهِ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ.

وَقَدْ يَجِبُ كَوْنُهُ مِنَ الثَّانِي، نَحْوَ: ﴿أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾[4]، أَيْ بَرِيءٌ أَيْضًا لِتَقَدُّمِ الْخَبَرِ عَلَى الثَّانِي[5].

وَاعْلَمْ أَنَّ الْحَذْفَ عَلَى أَنْوَاعٍ:

أَحَدُهَا: مَا يُسَمَّى بِالِاقْتِطَاعِ، وَهُوَ حَذْفُ بَعْضِ حُرُوفِ الْكَلِمَةِ، وَأَنْكَرَ ابْنُ الْأَثِيرِ وُرُودَهُ فِي الْقُرْآنِ، وَرُدَّ بِأَنَّ بَعْضَهُمْ جَعَلَ كُلَّ حَرْفٍ مِنْ فَوَاتِحِ السُّوَرِ اِسْمًا مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى كَمَا تَقَدَّمَ. وَادَّعَى بَعْضُهُمْ أَنَّ الْبَاءَ فِي: ﴿وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ﴾[6]، أَوَّلُ كَلِمَةِ بَعْضٍ، ثُمَّ حُذِفَ الْبَاقِي.

(1) سورة الأنعام: 80.

(2) سورة الليل، الآية: 14.

(3) سورة الأحزاب، الآية: 56.

(4) سورة التوبة، الآية: 3.

(5) الإتقان في علوم القرآن: 3/ 200 ـ 202.

(6) سورة المائدة، الآية: 6.

وَمِنْهُ قِرَاءَةُ بَعْضِهِمْ: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِ﴾ بِالتَّرْخِيمِ، وَلَمَّا سَمِعَهَا بَعْضُ السَّلَفِ، قالَ: مَا أَغْنَى أَهْلَ النَّارِ عَنِ التَّرْخِيمِ؟ وَأَجَابَ بَعْضُهُمْ: بِأَنَّهُمْ لِشِدَّةِ مَا بِهِمْ فِيهِ عَجَزُوا عَنْ إِتْمَامِ الْكَلِمَةِ، وَيَدْخُلُ فِي هَذَا النَّوْعِ حَذْفُ هَمْزَةِ "أَنَا" مِنْ[1] قَوْلِهِ: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّي﴾[2]، إِذِ الْأَصْلُ "لَكِنْ أَنَا"، حُذِفَتْ هَمْزَةُ "أَنَا" تَخْفِيفًا، ثُمَّ أُدْغِمَتِ النُّونُ فِي النُّونِ.

وَثَانِيهَا: مَا يُسَمَّى بِالِاكْتِفَاءِ، وَهُوَ أَنْ يَقْتَضِيَ الْمَقَامُ ذِكْرَ شَيْئَيْنِ بَيْنَهُمَا تَلَازُمٌ وَارْتِبَاطٌ، فَيُكْتَفَى بِأَحَدِهِمَا عَنِ الْآخَرِ لِنُكْتَةٍ، وَيَخْتَصُّ غَالِبًا بِالِارْتِبَاطِ الْعَطْفِيِّ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾[3] أَيْ وَالْبَرْدَ، وَخُصِّصَ الْحَرُّ بِالذِّكْرِ، لِأَنَّ الْخِطَابَ لِلْعَرَبِ، وَالْوِقَايَةُ مِنَ الْحَرِّ أَهَمُّ فِي بِلَادِهِمْ لِشِدَّةِ الْحَرِّ مِنَ الْبَرْدِ عِنْدَهُمْ. وَقِيلَ: لِأَنَّ الْبَرْدَ تَقَدَّمَ ذِكْرُ الِامْتِنَانِ بِوِقَايَتِهِ صَرِيحًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا﴾[4]، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾[5]، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾[6].

---

(1) في، في قونية.

(2) سورة الكهف، الآية: 38.

(3) سورة النحل، الآية: 81.

(4) نفسها، الآية: 80.

(5) نفسها، الآية: 81.

(6) نفسها، الآية: 5.

وَمِنْ أَمْثِلَةِ هَذَا النَّوْعِ: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾[1] أَيْ وَالشَّرُّ، وَإِنَّمَا خَصَّ الْخَيْرَ بِالذِّكْرِ، لِأَنَّهُ مَطْلُوبُ الْعِبَادِ وَمَرْغُوبُهُمْ، أَوْ لِأَنَّهُ أَكْثَرُ وُجُودًا فِي الْعَالَمِ، أَوْ لِأَنَّ إِضَافَةَ الشَّرِّ إِلَى اللهِ تَعَالَى، لَيْسَ مِنْ بَابِ الْآدَابِ، كَمَا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»[2].

وَمِنْهَا: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾[3] أَيْ وَمَا تَحَرَّكَ، وَخَصَّ السُّكُونَ بِالذِّكْرِ، لِأَنَّهُ أَغْلَبُ الْحَالَيْنِ عَلَى الْمَخْلُوقِ مِنَ الْحَيَوَانِ وَالْجَمَادِ، وَلِأَنَّ كُلَّ مُتَحَرِّكٍ يَصِيرُ إِلَى السُّكُونِ.

وَمِنْهَا: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾[4] أَيْ وَالشَّهَادَةِ، لِأَنَّ الْإِيمَانَ بِكُلٍّ مِنْهُمَا وَاجِبٌ، وَآثَرَ الْغَيْبَ، لِأَنَّهُ أَمْدَحُ، وَلِأَنَّهُ يَسْتَلْزِمُ الْإِيمَانَ بِالشَّهَادَةِ مِنْ غَيْرِ عَكْسٍ.

وَمِنْهَا: ﴿وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾[5] أَيْ وَالْمَغَارِبِ.

وَمِنْهَا: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[6] أَيْ وَلِلْكَافِرِينَ. قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: وَيُؤَيِّدُهُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾.

(1) سورة آل عمران، الآية: 26.

(2) صحيح ابن خزيمة: 1/ 235 ـ 236 رقم: 462.

(3) سورة الأنعام، الآية: 13.

(4) سورة البقرة، الآية: 3.

(5) سورة الصافات، الآية: 5.

(6) سورة البقرة، الآية: 2.

وَمِنْهَا: ﴿إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾[1] أَيْ وَلَا وَالِدٌ، بِدَلِيلِ أَنَّهُ أَوْجَبَ لِلْأُخْتِ النِّصْفَ، وَإِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ مَعَ فَقْدِ الْأَبِ لِأَنَّهُ يُسْقِطُهَا.

وَثَالِثُهَا: مَا يُسَمَّى بِالِاحْتِبَاكِ. وَهُوَ مِنْ أَلْطَفِ الْأَنْوَاعِ وَأَبْدَعِهَا، وَقَلَّ مَنْ تَنَبَّهَ لَهُ أَوْ نَبَّهَ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ فَنِّ الْبَلَاغَةِ، وَلَمْ أَرَهُ إِلَّا فِي **شَرْحِ بَدِيعِيَّةِ الْأَعْمَى لِرَفِيقِهِ الْأَنْدَلُسِيِّ**.

وَذَكَرَهُ الزَّرْكَشِيُّ فِي "الْبُرْهَانُ"، وَلَمْ يُسَمِّهِ هَذَا الِاسْمَ، بَلْ سَمَّاهُ: «الْحَذْفُ الْمُقَابِلِيُّ»[2]. وَأَفْرَدَهُ بِالتَّصْنِيفِ الْعَلَّامَةُ بُرْهَانُ الدِّينِ الْبِقَاعِيُّ.

قَالَ الْأَنْدَلُسِيُّ فِي "شَرْحُ الْبَدِيعِيَّةِ"[3]: مِنْ أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ: **الِاحْتِبَاكُ**، وَهُوَ نَوْعٌ عَزِيزٌ، وَهُوَ أَنْ يُحْذَفَ مِنَ الْأَوَّلِ مَا أُثْبِتَ نَظِيرُهُ فِي الثَّانِي، وَمِنَ الثَّانِي مَا أُثْبِتَ نَظِيرُهُ فِي الْأَوَّلِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ﴾[4] الآية. التَّقْدِيرُ: وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْكُفَّارِ، كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ وَالَّذِي يَنْعِقُ بِهِ، فَحَذَفَ مِنَ الْأَوَّلِ: الْأَنْبِيَاءَ، لِدَلَالَةِ "الَّذِي يَنْعِقُ" عَلَيْهِ، وَمِنَ الثَّانِي: الَّذِي يُنْعَقُ بِهِ، لِدَلَالَةِ "الَّذِينَ كَفَرُوا" عَلَيْهِ.

---

(1) سورة النساء، الآية: 176.

(2) البرهان في علوم القرآن: 3/ 129.

(3) **"شرح البديعية"**، لشهاب الدين أبي جعفر أحمد بن يوسف بن مالك الرُّعَيْنِيِّ الأندلسيّ (ت. 779هـ)، وهو شرح على القصيدة البديعية المسماة: **"الحُلَّةُ السّيرى في مدح خير الورى"**، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن جابر الأندلسي (ت. 780هـ). كشف الظنون: 1/ 234-235.

(4) سورة البقرة، الآية: 171.

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ﴾[1] فَحَذَفَ مِنَ الْأَوَّلِ تَدْخُلُ غَيْرَ بَيْضَاءَ، وَمِنَ الثَّانِي وَأَخْرِجْهَا.

قَالَ الزَّرْكَشِيُّ: «هُوَ أَنْ يَجْتَمِعَ فِي الْكَلَامِ مُتَقَابِلَانِ، فَيُحْذَفَ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُقَابِلُهُ، لِدَلَالَةِ الْآخَرِ عَلَيْهِ»[2]. وَمِنْ أَمْثِلَتِهِ: ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾[3] أَيْ عَمَلًا صَالِحًا بِسَيِّئٍ، وَآخَرَ سَيِّئًا بِصَالِحٍ. وَمِنْ لَطِيفِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾[4] أَيْ فِئَةٌ مُؤْمِنَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَأُخْرَى كَافِرَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ. وَلَهُ فِي الْقُرْآنِ نَظَائِرُ. وَهُوَ أَبْلَغُ مَا يَكُونُ مِنَ الْكَلَامِ. وَيَأْخُذُ هَذِهِ التَّسْمِيَةَ مِنَ الْحَبْكِ، الَّذِي مَعْنَاهُ الشَّدُّ وَالْإِحْكَامُ، وَتَحْسِينُ أَثَرِ الصَّنْعَةِ فِي الثَّوْبِ، فَحَبْكُ الثَّوْبِ شَدُّ مَا بَيْنَ خُيُوطِهِ مِنَ الْفُرَجِ وَشَدُّهُ وَإِحْكَامُهُ، بِحَيْثُ يَمْنَعُ عَنْهُ الْخَلَلَ مَعَ الْحُسْنِ وَالرَّوْنَقِ.

وَبَيَانُ الْحَذْفِ مِنْهُ أَنَّ مَوَاضِعَ الْحَذْفِ مِنَ الْكَلَامِ، شُبِّهَتْ بِالْفُرَجِ بَيْنَ الْخُيُوطِ، فَلَمَّا أَدْرَكَهَا النَّاقِدُ الْبَصِيرُ بِصَوْغِهِ الْمَاهِرِ فِي نَظْمِهِ وَحَوْكِهِ[5]،

---

(1) سورة النمل، الآية: 12.

(2) البرهان في علوم القرآن: 3/ 129.

(3) سورة التوبة، الآية: 102.

(4) سورة آل عمران، الآية: 13.

(5) الْحَوْكُ: من حاك الثوبَ يَحُوكُهُ حَوْكًا وَحِيَاكًا وَحِيَاكَةً: نسجه. اللسان/ حوك.

فَوَضَعَ الْمَحْذُوفَ مَوَاضِعَهُ، كَانَ حَائِكًا لَهُ، مَانِعًا مِنْ خَلَلٍ يَطْرُقُهُ، فَسَدَّ بِتَقْدِيرِهِ مَا يَحْصُلُ بِهِ الْخَلَلُ، مَعَ مَا أَكْسَبَهُ مِنَ الْحُسْنِ وَالرَّوْنَقِ.

النَّوْعُ الرَّابِعُ: مَا يُسَمَّى بِالِاخْتِزَالِ، وَهُوَ مَا لَيْسَ وَاحِدًا مِمَّا سَبَقَ. وَهُوَ أَقْسَامٌ، لِأَنَّ الْمَحْذُوفَ إِمَّا كَلِمَةٌ؛ اسْمٌ أَوْ فِعْلٌ، أَوْ حَرْفٌ، أَوْ أَكْثَرُ.

أَمْثِلَةُ حَذْفِ الِاسْمِ:

حَذْفُ الْمُضَافِ، وَهُوَ كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ جِدًّا، حَتَّى قَالَ ابْنُ جِنِّي: فِي الْقُرْآنِ مِنْهُ زُهَاءُ أَلْفِ مَوْضِعٍ.

حَذْفُ الْمُبْتَدَإِ: يَكْثُرُ فِي جَوَابِ الِاسْتِفْهَامِ، نَحْوَ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ نَارٌ﴾[1]، أَيْ هِيَ نَارٌ، وَبَعْدَ فَاءِ الْجَوَابِ، نَحْوَ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾[2] أَيْ فَعَمَلُهُ لِنَفْسِهِ، ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾[3] أَيْ إِسَاءَتُهُ عَلَيْهَا، وَبَعْدَ الْقَوْلِ نَحْوَ: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[4]، وَبَعْدَ مَا الْخَبَرُ صِفَةٌ لَهُ فِي الْمَعْنَى نَحْوَ: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾[5].

---

(1) سورة القارعة، الآية: 10ـ 11.

(2) سورة فصلت، الآية: 46.

(3) نفسها، الآية: 46.

(4) سورة الفرقان، الآية: 5.

(5) سورة البقرة، الآية: 18.

حَذْفُ الْخَبَرِ: نَحْوَ: ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾[1] أَيْ دَائِمٌ، وَيَحْتَمِلُ الْأَمْرَيْنِ، نَحْوَ ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾[2] أَيْ أَجْمَلُ، أَوْ فَأَمْرِي صَبْرٌ جَمِيلٌ.

حَذْفُ الصِّفَةِ: نَحْوَ: ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾[3] أَيْ صَالِحَةٍ، بِدَلِيلِ أَنَّهُ قُرِئَ كَذَلِكَ.

حَذْفُ الْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ: نَحْوَ: ﴿أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ﴾[4] أَيْ فَضُرِبَ فَانْفَلَقَ.

وَحَذْفُ الْمَعْطُوفِ مَعَ الْعَاطِفِ: نَحْوَ: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾[5] أَيْ وَالشَّرُّ.

حَذْفُ الْمُبْدَلِ مِنْهُ: نَحْوَ: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ﴾[6] أَيْ لِمَا تَصِفُهُ، وَالْكَذِبُ بَدَلٌ مِنَ الْهَاءِ.

حَذْفُ الْفَاعِلِ: لَا يَجُوزُ إِلَّا فِي فَاعِلِ الْمَصْدَرِ، نَحْوَ: ﴿لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾[7] أَيْ مِنْ دُعَائِهِ. وَجَوَّزَهُ الْكِسَائِيُّ مُطْلَقًا لِدَلِيلٍ، وَخَرَّجَ

---

(1) سورة الرعد، الآية: 35.

(2) سورة يوسف، الآية: 18.

(3) سورة الكهف، الآية: 79.

(4) سورة الشعراء، الآية: 63.

(5) سورة آل عمران، الآية: 26.

(6) سورة النحل، الآية: 116.

(7) سورة فصلت، الآية: 49.

عَلَيْهِ: ﴿إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾[1] أَيِ الرُّوحُ، ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾[2] أَيِ الشَّمْسُ.

حَذْفُ الْمَفْعُولِ: تَقَدَّمَ أَنَّهُ كَثِيرٌ فِي مَفْعُولِ الْمَشِيئَةِ وَالْإِرَادَةِ، وَيَرِدُ فِي غَيْرِهِمَا، نَحْوَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾[3] [أَيْ][4] إِلَهًا، ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[5] أَيْ عَاقِبَةَ أَمْرِكُمْ.

حَذْفُ الْحَالِ: يَكْثُرُ إِذَا كَانَ قَوْلًا، نَحْوَ: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ﴾[6] أَيْ قَائِلِينَ.

حَذْفُ الْمُنَادَى: "أَلَا يَا اسْجُدُوا" أَيْ يَا هَؤُلَاءِ، "يَا لَيْتَ" أَيْ يَا قَوْمِ.

حَذْفُ الْعَائِدِ: يَقَعُ فِي أَرْبَعَةِ أَبْوَابٍ:

الصِّلَةِ: نَحْوَ: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللهُ رَسُولًا﴾[7] أَيْ بَعَثَهُ اللهُ.

وَالصِّفَةِ، نَحْوَ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ﴾[8] أَيْ فِيهِ.

(1) سورة القيامة، الآية: 26.
(2) سورة ص، الآية: 32.
(3) سورة الأعراف، الآية: 152.
(4) ما بين معقوفين سقط من قونية ومن الأزهرية.
(5) سورة التكاثر، الآية: 3.
(6) سورة الرعد، الآية: 23ـ24.
(7) سورة الفرقان، الآية: 41.
(8) سورة البقرة، الآية: 48.

وَالْخَبَرِ نَحْوَ: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى﴾[1] أَيْ وَعَدَهُ.

وَالْحَالِ، حَذْفُ مَخْصُوصِ نِعْمَ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ﴾[2] أَيْ أَيُّوبُ.

حَذْفُ الْمَوْصُولِ: ﴿آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾[3] أَيْ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ، لِأَنَّ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا غَيْرُ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ، فَيُقَدَّرُ.

حَذْفُ الْفِعْلِ: يَطَّرِدُ إِذَا كَانَ مُفَسَّرًا، نَحْوَ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾[4].

حَذْفُ الْحَرْفِ، قِيلَ: حَذْفُ الْحَرْفِ لَيْسَ بِقِيَاسٍ، لِأَنَّ الْحُرُوفَ لِلِاخْتِصَارِ، فَلَوْ كُنْتَ تَحْذِفُهَا، لَكُنْتَ تَخْتَصِرُهَا، وَاخْتِصَارُ الْمُخْتَصَرِ إِجْحَافٌ بِهِ.

حَذْفُ هَمْزَةِ الِاسْتِفْهَامِ، نَحْوَ: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾[5] أَيْ أَوَ تِلْكَ.

حَذْفُ الْمَوْصُولِ الْحَرْفِيِّ، قَالَ ابْنُ مَالِكٍ: لَا يَجُوزُ إِلَّا فِي "أَنْ"، نَحْوَ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا﴾[6].

---

(1) سورة النساء، الآية: 95.

(2) سورة ص، الآية: 44.

(3) سورة العنكبوت، الآية: 46.

(4) سورة التوبة، الآية: 6.

(5) سورة الشعراء، الآية: 22.

(6) سورة الروم، الآية: 24.

حَذْفُ الْجَارِّ: يَطَّرِدُ مَعَ "أَنْ" وَ"إِنْ"، نَحْوَ: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾[1] أَيْ بِأَنْ، وَنَحْوَ: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ﴾[2] أَيْ بِأَنَّكُمْ، وَجَاءَ مَعَ غَيْرِهِمَا، نَحْوَ: ﴿ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾[3] أَيْ قَدَّرْنَا لَهُ: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾[4] أَيْ مِنْ قَوْمِهِ.

حَذْفُ الْعَاطِفِ: نَحْوَ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾[5] أَيْ وَوُجُوهٌ، عَطْفًا عَلَى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾[6].

حَذْفُ فَاءِ الْجَوَابِ: نَحْوَ: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ﴾[7].

حَذْفُ حَرْفِ النِّدَاءِ: كَثِيرٌ، نَحْوَ: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ﴾[8].

وَفِي الْعَجَائِبِ[9] لِلْكَرْمَانِيِّ: كَثُرَ حَذْفُ "يَا" فِي الْقُرْآنِ مِنَ الرَّبِّ تَنْزِيهًا وَتَعْظِيمًا، لِأَنَّ فِي النِّدَاءِ طَرَفًا مِنَ الْأَمْرِ، نَحْوَ: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ﴾[10].

---

(1) سورة الحجرات، الآية: 17.

(2) سورة المؤمنون، الآية: 35.

(3) سورة يس، الآية: 39.

(4) سورة الأعراف، الآية: 155.

(5) سورة الغاشية، الآية: 8.

(6) نفسها، الآية: 2.

(7) سورة البقرة، الآية: 180.

(8) سورة يوسف، الآية: 29.

(9) عنوانه: "الغرائب والعجائب في تفسير القرآن الكريم"، لأبي القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكَرْمَانِي توفي في حدود سنة: 500هـ.

(10) سورة مريم، الآية: 4.

حَذْفُ "قَدْ" فِي الْمَاضِي إِذَا وَقَعَ حَالًا: نَحْوَ: ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾[1] أَيْ قَدْ حَصِرَتْ.

حَذْفُ "لَا" النَّافِيَةِ: يَطَّرِدُ في جَوَابِ الْقَسَمِ، إِذَا كَانَ الْمَنْفِيُّ مُضَارِعًا، نَحْوَ ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾[2] أَيْ لَا يُطِيقُونَهُ[3].

حَذْفُ لَامِ التَّوْطِئَةِ: نَحْوَ: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾[4].

حَذْفُ لَامِ الْأَمْرِ: نَحْوَ: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا﴾[5].

حَذْفُ لَامِ لَقَدْ: يَحْسُنُ مَعَ طُولِ الْكَلَامِ، نَحْوَ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾[6].

حَذْفُ نُونِ التَّوْكِيدِ: نَحْوَ قِرَاءَةِ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحَ﴾[7] بِالنَّصْبِ.

حَذْفُ نُونِ الْجَمْعِ: عَلَيْهِ قِرَاءَةُ: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ﴾[8].

حَذْفُ التَّنْوِينِ: عَلَيْهِ قِرَاءَةُ: ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾[9] بِالنَّصْبِ.

---

(1) سورة النساء، الآية: 90.

(2) سورة البقرة، الآية: 184.

(3) المثال ليس في محله، وفي الإتقان: 3/ 212: "حذف "لا" النافية يطرد في جواب القسم إذا كان المنفي مضارعا نحو: ﴿تالله تفتأ﴾، وورد في غيره نحو: ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية﴾".

(4) سورة الأنعام، الآية: 121.

(5) سورة إبراهيم، الآية: 31.

(6) سورة الشمس، الآية: 9.

(7) سورة الشرح، الآية: 1

(8) سورة البقرة، الآية: 102.

(9) سورة يس، الآية: 40.

حَذْفُ حَرَكَةِ الْإِعْرَابِ وَالْبِنَاءِ: وَعَلَيْهِ قِرَاءَةُ ﴿بَارِئْكُمْ﴾، وَ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾، بِسُكُونِهِمَا.

أَمْثِلَةُ حَذْفِ أَكْثَرِ مِنْ كَلِمَةٍ:

حَذْفُ مُضَافَيْنِ: نَحْوَ: ﴿مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾(1) أَيْ مِنْ أَثَرِ حَافِرِ فَرَسِ الرَّسُولِ.

حَذْفُ ثَلَاثَةِ مُضافَاتٍ: نَحْوَ: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾(2) أَيْ كَانَ مِقْدَارُ مَسَافَةِ قُرْبِهِ مِثْلَ قَابِ قَوْسَيْنِ، فَحُذِفَ ثَلَاثَةٌ مِنِ اسْمِ كَانَ، وَوَاحِدٌ مِنْ خَبَرِهَا.

حَذْفُ مَفْعُولَيْ بَابِ ظَنَّ: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾(3) أَيْ تَزْعُمُونَهُمْ شُرَكَائِي.

حَذْفُ الْجَارِّ مَعَ الْمَجْرُورِ: ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا﴾(4) أَيْ بِسَيِّءٍ ﴿وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ أَيْ بِصَالِحٍ.

حَذْفُ الْعَاطِفِ مَعَ الْمَعْطُوفِ: تَقَدَّمَ.

حَذْفُ الشَّرْطِ وَفِعْلِهِ، يَطَّرِدُ بَعْدَ الطَّلَبِ، نَحْوَ: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾(5) أَيْ إِنِ اتَّبَعْتُمُونِي.

---

(1) سورة طه، الآية: 96.

(2) سورة النجم، الآية: 9.

(3) سورة القصص، الآية: 62.

(4) سورة التوبة، الآية: 102.

(5) سورة آل عمران، الآية: 31.

حَذْفُ جَوَابِ الشَّرْطِ: نَحْوَ: ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾[1] أَيْ لَنَفِدَ الْبَحْرُ.

حَذْفُ جُمْلَةِ الْقَسَمِ: نَحْوَ: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا﴾[2] أَيْ وَاللهِ.

حَذْفُ جَوَابِهِ: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾[3] الآيات، أَيْ لَتُبْعَثُنَّ. ﴿صَ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾[4] أَيْ لَمُعْجِزٌ.

حَذْفُ جُمْلَةٍ مُسَبَّبَةٍ عَنِ الْمَذْكُورِ: نَحْوَ: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾[5] أَيْ فَعَلَ مَا فَعَلَ.

حَذْفُ جُمَلٍ كَثِيرَةٍ: نَحْوَ: ﴿فَأَرْسِلُونِ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾[6] أَيْ فَأَرْسِلُونِي إِلَى يُوسُفَ، لِأَسْتَعْبِرَهُ الرُّؤْيَا، فَفَعَلُوا، فَأَتَاهُ، فَقَالَ لَهُ: يَا يُوسُفُ.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ تَارَةً لا يُقَامُ شَيْءٌ مَقَامَ الْمَحْذُوفِ كَمَا تَقَدَّمَ، وَتَارَةً يُقَامُ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ، نَحْوَ: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾[7] فَلَيْسَ الْإِبْلَاغُ هُوَ الْجَوَابَ لِتَقَدُّمِهِ عَلَى تَوَلِّيهِمْ، وَإِنَّمَا التَّقْدِيرُ: "فَإِنْ تَوَلَّوْا فَلَا لَوْمَ عَلَيَّ"، أَوْ فَلَا عُذْرَ لَكُمْ، لِأَنِّي أَبْلَغْتُكُمْ.

---

(1) سورة الكهف، الآية: 109.

(2) سورة النمل، الآية: 21.

(3) سورة النازعات، الآية: 1.

(4) سورة ص، الآية: 1.

(5) سورة الأنفال، الآية: 8.

(6) سورة يوسف، الآية: 46.

(7) سورة هود، الآية: 57.

إِذَا عَرَفْتَ حَالَ الْإِيجَازِ، فَاعْلَمْ أَنَّ الْإِطْنَابَ أَنْوَاعٌ:

الْأَوَّلُ: يَكُونُ بِتَكْثِيرِ الْجُمَلِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[1] الآية في سُورةِ الْبَقَرَةِ، أَطْنَبَ فِيهَا أَبْلَغَ إِطْنَابٍ، لِكَوْنِ الْخِطَابِ مَعَ الثَّقَلَيْنِ، وَفِي كُلِّ عَصْرٍ وَحِينٍ، لِلْعَالِمِ مِنْهُمْ وَالْجَاهِلِ، وَالْمُوَافِقِ وَالْمُنَافِقِ.

الثَّانِي: يَكُونُ بِالْمُفْرَدَاتِ، وَذَلِكَ أَنْوَاعٌ:

- **أَحَدُهَا**: دُخُولُ حَرْفٍ فَأَكْثَرَ مِنْ حُرُوفِ التَّأْكِيدِ السَّابِقَةِ فِي نَوْعِ الْأَدَوَاتِ وَهِيَ: إِنَّ، وَأَنَّ، وَلَامُ الِابْتِدَاءِ وَالْقَسَمِ، وَأَلَا الِاسْتِفْتَاحِيَّةُ، وَأَمَّا، وَهَا لِلتَّنْبِيهِ، وَكَأَنَّ فِي تَأْكِيدِ التَّشْبِيهِ، وَلَكِنَّ فِي تَأْكِيدِ الِاسْتِدْرَاكِ، وَلَيْتَ فِي تَأْكِيدِ التَّمَنِّي، وَلَعَلَّ فِي تَأْكِيدِ التَّرَجِّي، وَضَمِيرُ الشَّأْنِ، وَضَمِيرُ الْفَصْلِ، وَأَمَّا في تَأْكِيدِ الشَّرْطِ، وَقَدْ، وَالسِّينُ، وَسَوْفَ، وَالنُّونَانِ في تَأْكِيدِ الْفِعْلِيَّةِ، وَلَا التَّبْرِئَةِ، وَلَنْ وَلَمَّا في تَأْكِيدِ النَّفْيِ. وَإِنَّمَا يَحْسُنُ تَأْكِيدُ الْكَلَامِ بِهَا إِذَا كَانَ الْمُخَاطَبُ بِهِ مُنْكِرًا أَوْ مُتَرَدِّدًا، وَيَتَفَاوَتُ التَّأْكِيدُ بِحَسَبِ قُوَّةِ الْإِنْكَارِ وَضُعْفِهِ. وَقَدْ تَقَرَّرَ تَفْصِيلُهُ في عِلْمِ الْمَعَانِي.

- [**الثَّانِي**: دُخُولُ الْأَحْرُفِ الزَّائِدَةِ. قَالَ ابْنُ جِنِّي: كُلُّ حَرْفٍ زِيدَ في كَلَامِ الْعَرَبِ فَهُوَ قَائِمٌ مَقَامَ إِعَادَةِ الْجُمْلَةِ مَرَّةً أُخْرَى. وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي

---

(1) سورة البقرة، الآية: 164.

كَشَّافِهِ: تَقْدِيمُ الْبَاءِ فِي خَبَرِ مَا وَلَيْسَ لِتَأْكِيدِ النَّفْيِ، كَمَا أَنَّ اللَّامَ لِتَأْكِيدِ الْإِيجَابِ][1].

ـ **الثَّالِثُ**: التَّأْكِيدُ الصِّنَاعِيُّ، وَهُوَ أَرْبَعَةُ أَقْسَامٍ:

ـ **أَحَدُهَا**: التَّوْكِيدُ الْمَعْنَوِيُّ بِكُلٍّ وَأَجْمَعَ وَكِلَا وَكِلْتَا، وَفَائِدَتُهُ رَفْعُ تَوَهُّمِ الْمَجَازِ، وَعَدَمِ الشُّمُولِ.

ـ **وَثَانِيهَا**: التَّأْكِيدُ اللَّفْظِي، وَهُوَ تَكْرَارُ اللَّفْظِ، إِمَّا بِمُرَادِفِهِ، نَحْوَ: ﴿ضَيِّقًا حَرَجًا﴾[2]، وَإِمَّا بِلَفْظِهِ، فَفِي الِاسْمِ، نَحْوَ: ﴿دَكًّا دَكًّا﴾[3]، وَفِي الْفِعْلِ، نَحْوَ: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ﴾[4]، وَاسْمِ الْفِعْلِ، نَحْوَ: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾[5]، وَالْحَرْفِ، نَحْوَ: ﴿فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾[6]، وَالْجُمْلَةِ، نَحْوَ: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[7]. وَالْأَحْسَنُ اقْتِرَانُ الثَّانِيَةِ بِـ "ثُمَّ"، نَحْوَ: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[8].

---

(1) ما بين معقوفين سقط من قونية.

(2) سورة الأنعام، الآية: 125.

(3) سورة الفجر، الآية: 21.

(4) سورة الطارق، الآية: 17.

(5) سورة المؤمنون، الآية: 36.

(6) سورة هود، الآية: 108.

(7) سورة الشرح، الآية: 5ـ6.

(8) سورة التكاثر، الآية: 3ـ4.

وَمِنْ هَذَا النَّوْعِ: تَأْكِيدُ الضَّمِيرِ الْمُتَّصِلِ بِالْمُنْفَصِلِ، نَحْوَ: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ﴾[1]، ﴿وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾[2]، وَمِنْ تَأْكِيدِ الْمُنْفَصِلِ بِمِثْلِهِ، نَحْوَ: ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾[3].

وَثَالِثُهَا: تَأْكِيدُ الْفِعْلِ بِمَصْدَرِهِ، وَهُوَ عِوَضٌ مِنْ تَكْرَارِ الْفِعْلِ مَرَّتَيْنِ، وَفَائِدَتُهُ رَفْعُ تَوَهُّمِ الْمَجَازِ فِي الْفِعْلِ بِخِلَافِ التَّوْكِيدِ السَّابِقِ، فَإِنَّهُ لِرَفْعِ تَوَهُّمِ الْمَجَازِ فِي الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ، مِثَالُهُ: ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[4].

وَالْأَصْلُ فِي هَذَا النَّوْعِ أَنْ يُنْعَتَ بِالْوَصْفِ الْمُرَادِ، نَحْوَ: ﴿اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾[5]، ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾[6]. وَقَدْ يُضَافُ وَصْفُهُ إِلَيْهِ، نَحْوَ: ﴿اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾[7]. وَقَدْ يُؤَكَّدُ بِمَصْدَرِ فِعْلٍ آخَرَ، أَوْ اِسْمِ عَيْنٍ نِيَابَةً عَنِ الْمَصْدَرِ، نَحْوَ: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾[8]، وَالْمَصْدَرُ تَبَتُّلًا، ﴿وَاللهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾[9] أَيْ إِنْبَاتًا، وَالنَّبَاتُ اسْمُ عَيْنٍ.

---

(1) سورة البقرة، الآية: 35.

(2) سورة الأعراف، الآية: 115.

(3) سورة هود، الآية: 19.

(4) سورة الأحزاب، الآية: 56.

(5) نفسها، الآية: 41.

(6) نفسها، الآية: 49.

(7) سورة آل عمران، الآية: 102.

(8) سورة المزمل، الآية: 8.

(9) سورة نوح، الآية: 17.

وَرَابِعُهَا: الْحَالُ الْمُؤَكِّدَةُ نَحْوَ: ﴿وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾[1]، ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾[2].

الرَّابِعُ: التَّكْرِيرُ، وَهُوَ أَبْلَغُ مِنَ التَّأْكِيدِ، وَهُوَ مِنْ مَحَاسِنِ الْفَصَاحَةِ، خِلَافًا لِبَعْضِ مَنْ غَلِطَ، وَلَهُ فَوَائِدُ، **مِنْهَا**:

التَّقْرِيرُ، وَقَدْ قِيلَ: الْكَلَامُ إِذَا تكَرَّرَ تَقَرَّرَ. قَالَ تَعَالَى ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾[3]. وَهَذَا هُوَ السَّبَبُ فِي تكْرِيرِ الْأَقَاصِيصِ وَالْإِنْذَارِ فِي الْقُرْآنِ.

وَمِنْهَا: **التَّأْكِيدُ**.

وَمِنْهَا: **زِيَادَةُ التَّنْبِيهِ** عَلَى مَا يَنْفِي التُّهْمَةَ، لِيَكْمُلَ تَلَقِّي الْكَلَامِ بِالْقَبُولِ. وَمِنْهُ: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ﴾[4]، فَإِنَّهُ كَرَّرَ فِيهِ النِّدَاءَ لِذَلِكَ.

وَمِنْهَا: إِذَا طَالَ الْكَلَامُ وَخُشِيَ تَنَاسِي الْأَوَّلِ أُعِيدَ ثَانِيًا، تَطْرِيَةً لَهُ وَتَجْدِيدًا لِعَهْدِهِ، نَحْوَ: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ﴾[5].

---

(1) سورة مريم، الآية: 33.
(2) سورة النساء، الآية: 79.
(3) سورة طه، الآية: 113.
(4) سورة غافر، الآية: 38 ـ 39.
(5) سورة يوسف، الآية: 4.

وَمِنْهَا: التَّعْظِيمُ وَالتَّهْوِيلُ، نَحْوَ: ﴿الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ﴾[1]، وَ﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ﴾[2]، ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾[3].

وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ يُورَدُ فِي صُورَةِ التَّكْرَارِ وَلَيْسَ مِنْهُ، كَالْقِصَصِ الْمُتَكَرِّرَةِ مَثَلًا: ذَكَرَ اللهُ مُوسَى فِي كِتَابِهِ فِي مِئَةٍ وَعِشْرِينَ مَوْضِعًا، وَقِصَّةَ نُوحٍ فِي خَمْسٍ وَعِشْرِينَ آيَةً، وَذَكَرَ قِصَّةَ مُوسَى فِي سَبْعِينَ آيَةً.

وَأَلَّفَ الْبَدْرُ ابْنُ جَمَاعَةَ[4] كِتَابًا سَمَّاهُ: **"الْمُقْتَنَصُ فِي فَوَائِدِ تَكْرَارِ الْقَصَصِ"**. وَذَكَرَ فَوَائِدَ **مِنْهَا**:

أَنَّ فِي كُلٍّ مِنْهَا زِيَادَةً لَيْسَتْ فِي الْأُخْرَى، أَوْ إِبْدَالَ كَلِمَةٍ بِأُخْرَى لِنُكْتَةٍ، وَهَذِهِ عَادَةُ الْبُلَغَاءِ.

وَمِنْهَا: أَنَّ الرِّجَالَ مِنَ الطَّوَائِفِ يَتَرَدَّدُونَ، فَكَرَّرَ لِئَلَّا يَفُوتَ عَنْ كُلِّ طَائِفَةٍ كُلُّ هَذِهِ الْقَصَصِ.

وَمِنْهَا: أَنَّ فِي إِبْرَازِ الْكَلَامِ فِي فُنُونٍ كَثِيرَةٍ، وَأَسَالِيبَ مُخْتَلِفَةٍ، مَا لَا يَخْفَى مِنَ الْفَصَاحَةِ.

---

(1) سورة الحاقة، الآية: 1ـ2.

(2) سورة القارعة، الآية: 1ـ2.

(3) سورة الواقعة، الآية: 27.

(4) محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بدر الدين أبو عبد الله، الحموي الشافعي (ت. 733هـ). ترجمته في: نكت الهميان: 235، وفوات الوفيات: 2/ 174.

وَمِنْهَا: أَنَّ الدَّوَاعِيَ تَتَوَفَّرُ عَلَى نَقْلِ الْأَحْكَامِ دُونَ الْقَصَصِ، فَلِهَذَا كُرِّرَتِ الْقَصَصُ دُونَ الْأَحْكَامِ.

وَمِنْهَا: أَنَّ فِيهِ إِظْهَارَ عَجْزِ الْقَوْمِ، لِأَنَّهُمْ عَجَزُوا عَنْهُ بِأَيِّ نَظْمٍ جَاءُوا، وَبِأَيِّ عِبَارَةٍ عَبَّرُوا.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ لَمَّا تَحَدَّاهُمْ، وَقَالَ: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾[1]، لَرُبَّمَا تَوَهَّمَ أَنَّكُمْ تَعْجِزُونَ كَعَجْزِنَا، فَكَرَّرَ دَفْعًا لِهَذَا الْوَهْمِ.

وَمِنْهَا: أَنَّ النُّفُوسَ مَجْبُولَةٌ عَلَى حُبِّ التَّنَقُّلِ فِي الْأَشْيَاءِ الْمُتَجَدِّدَةِ وَاسْتِلْذَاذِهَا.

وَأَيْضًا مَعَ هَذَا التَّكْرِيرِ، لَمْ يَحْصُلْ فِيهِ هُجْنَةٌ، وَلَا مَلَلٌ لِسَامِعِهِ، فَبَايَنَ ذَلِكَ كَلَامَ الْمَخْلُوقِينَ. وَأَمَّا الْحِكْمَةُ فِي عَدَمِ تَكْرِيرِ قِصَّةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِوُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: الْإِغْضَاءُ عَنْ عِشْقِ النِّسْوَةِ، [وَسَتْرُهَا][2] أَوْلَى.

وَثَانِيهَا: أَنَّهَا اخْتَصَّتْ بِحُصُولِ الْفَرَجِ بَعْدَ الشِّدَّةِ، فَتَتَوَفَّرُ الدَّوَاعِي عَلَى نَقْلِهَا مِنْ غَيْرِ تَكْرِيرٍ.

---

(1) سورة البقرة، الآية: 23.

(2) وَسِرُّهَا، في مواد ملا.

وَثَالِثُهَا: كَرَّرَهَا إِشَارَةً إِلَى عَجْزِ الْعَرَبِ، كَأَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُمْ: إِنْ كَانَ الْقُرْآنُ مِنَ الْبَشَرِ، فَافْعَلُوا فِي قِصَّةِ يُوسُفَ مَا فَعَلْتُ فِي سَائِرِ الْقَصَصِ. وَهَذَا مَا ذَكَرَهُ الْأُسْتَاذُ أَبُو إِسْحَاقَ الْأَسْفَرَايِينِيُّ.

وَرَابِعُهَا: أَنَّهَا نَزَلَتْ بِسَبَبِ طَلَبِ الصَّحَابَةِ، فَنَزَلَتْ مَبْسُوطَةً تَامَّةً.

قُلْتُ: وَهَذَا الْوَجْهُ جَوَابٌ لِبَسْطِهَا، لَا لِعَدَمِ تَكْرِيرِهَا، وَالْكَلَامُ فِي التَّكْرِيرِ.

وَخَامِسُهَا: وَهُوَ أَقْوَى الْوُجُوهِ، أَنَّ سَائِرَ الْقَصَصِ أُنْزِلَتْ لِإِفَادَةِ إِهْلَاكِ مَنْ كَذَّبُوا الرُّسُلَ، وَالتَّنْبِيهِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ بِذَلِكَ، وَالْحَاجَةُ إِلَى هَذَا مُتَكَرِّرَةٌ بِخِلَافِ قِصَّةِ يُوسُفَ. وَبِهَذَا يُعْلَمُ وَجْهُ عَدَمِ تَكْرِيرِ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، وَقِصَّةِ ذِي الْقَرْنَيْنِ، وَقِصَّةِ مُوسَى مَعَ الْخَضِرِ، وَقِصَّةِ الذَّبِيحِ.

فَإِنْ قُلْتَ: قَدْ تَكَرَّرَتْ قِصَّةُ وِلَادَةِ يَحْيَى، وَوِلَادَةِ عِيسَى مَرَّتَيْنِ، وَلَيْسَتْ مِنْ قَبِيلِ مَا ذَكَرْتَ.

قُلْتُ: **الْأُولَى**: فِي سُورَةِ ﴿كهيعص﴾[1] وَهِيَ مَكِّيَّةٌ، أُنْزِلَتْ خِطَابًا لِأَهْلِ مَكَّةَ.

وَالثَّانِيَةُ: فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ، أُنْزِلَتْ خِطَابًا لِيَهُودَ وَلِنَصَارَى نَجْرَانَ حِينَ قَدِمُوا، وَلِهَذَا اتَّصَلَ بِهَا ذِكْرُ الْمُحَاجَّةِ وَالْمُبَاهَلَةِ.

النَّوْعُ الْخَامِسُ: **الصِّفَةُ**، وَتَرِدُ لِأَسْبَابٍ:

---

(1) سورة مريم، الآية: 1.

أَحَدُهَا: التَّخْصِيصُ فِي النَّكِرَةِ، نَحْوَ: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾[1].

الثَّانِي: التَّوْضِيحُ فِي الْمَعْرِفَةِ، أَيْ لِزِيَادَةِ الْبَيَانِ، نَحْوَ﴿ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ﴾[2].

الثَّالِثُ: الْمَدْحُ وَالثَّنَاءُ، وَمِنْهُ صِفَاتُ اللهِ تَعَالَى.

الرَّابِعُ: الذَّمُّ، نَحْوَ: ﴿الرَّجِيمِ﴾.

الْخَامِسُ: التَّأْكِيدُ لِرَفْعِ الْإِبْهَامِ، نَحْوَ: ﴿لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾[3]، فَنَهْيُ الِاتِّخَاذِ لِكَوْنِهِمَا اثْنَيْنِ، لَا لِمَعْنَى آخَرَ، مِنْ كَوْنِهِمَا عَاجِزَيْنِ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ. فَكَمَا أَنَّ الْوَحْدَةَ لِلنَّوْعِيَّةِ، وَلِنَفْيِ الْعَدَدِ، كَذَلِكَ نَفْيُ التَّثْنِيَةِ قَدْ يَكُونُ لِنَفْيِ الْوَحْدَةِ النَّوْعِيَّةِ، وَقَدْ يَكُونُ لِنَفْيِ الِاثْنَيْنِيَّةِ.

فَائِدَةٌ

الصِّفَةُ الْعَامَّةُ لَا تَأْتِي بَعْدَ الصِّفَاتِ الْخَاصَّةِ، فَلَا يُقَالُ: فَصِيحٌ مُتَكَلِّمٌ، بَلْ يُعْكَسُ. وَيُشْكِلُ فِي إِسْمَاعِيلَ: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾[4]. وَيُجَابُ: بِأَنَّهُ حَالٌ، أَيْ مُرْسَلًا، لَا صِفَةٌ.

---

(1) سورة النساء، الآية: 92.

(2) سورة الأعراف، الآية: 158.

(3) سورة النحل، الآية: 51.

(4) سورة مريم، الآية: 51.

وَإِذَا وَقَعَتِ الصِّفَةُ بَيْنَ مُتَضَايِفَيْنِ أَوَّلُهُمَا عَدَدٌ، جَازَ إِجْرَاؤُهَا عَلَى الْمُضَافِ، نَحْوَ: ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾[1]، وَعَلَى الْمُضَافِ إِلَيْهِ، نَحْوَ: ﴿سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾[2]. وَإِذَا تَكَرَّرَتِ النُّعُوتُ لِوَاحِدٍ، فَإِنْ تَبَاعَدَ مَعَانِيهَا، فَالْأَحْسَنُ الْعَطْفُ، نَحْوَ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾[3]، وَإِلَّا تَرَكَهُ، نَحْوَ: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾[4]. الآية.

فَائِدَةٌ

قَطْعُ النُّعُوتِ فِي مَقَامِ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ أَبْلَغُ مِنْ إِجْرَائِهَا، لِأَنَّ الْمَقَامَ يَقْتَضِي الْإِطْنَابَ، وَالْمَعَانِي عِنْدَ الِاخْتِلَافِ تَتَنَوَّعُ وَتَتَفَنَّنُ، وَعِنْدَ الِاتِّحَادِ تَكُونُ نَوْعًا وَاحِدًا. مِثَالُهُ فِي الْمَدْحِ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾[5]، إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ﴾[6]، وَمِثَالُهُ فِي الذَّمِّ: ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾[7].

---

(1) سورة الملك، الآية: 3.

(2) سورة يوسف، الآية: 43.

(3) سورة الحديد، الآية: 3.

(4) سورة القلم، الآية: 10 ـ 11.

(5) سورة النساء، الآية: 162.

(6) سورة البقرة، الآية: 177.

(7) سورة المسد، الآية: 4.

النَّوْعُ السَّادِسُ: **الْبَدَلُ**، وَالْقَصْدُ بِهِ الْإِيضَاحُ بَعْدَ الْإِبْهَامِ، وَفَائِدَتُهُ الْبَيَانُ وَالتَّأْكِيدُ. أَمَّا الْبَيَانُ فَوَاضِحٌ، وَأَمَّا التَّأْكِيدُ، فَلِأَنَّهُ عَلَى نِيَّةِ تَكْرِيرِ الْعَامِلِ، فَكَأَنَّهُ مِنْ جُمْلَتَيْنِ، وَلِأَنَّهُ دَلَّ عَلَى مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْأَوَّلُ، إِمَّا بِالْمُطَابَقَةِ فِي بَدَلِ الْكُلِّ، وَإِمَّا بِالتَّضَمُّنِ فِي بَدَلِ الْبَعْضِ، أَوْ بِالِالْتِزَامِ فِي بَدَلِ الِاشْتِمَالِ.

النَّوْعُ السَّابِعُ: **عَطْفُ الْبَيَانِ**، وَهُوَ فِي الْإِيضَاحِ كَالصِّفَةِ، لَكِنْ يُفَارِقُهَا فِي أَنَّهُ وُضِعَ لِيَدُلَّ عَلَى الْإِيضَاحِ بِاسْمٍ مُخْتَصٍّ بِهِ، بِخِلَافِ الصِّفَةِ، فَإِنَّهَا وُضِعَتْ لِتَدُلَّ عَلَى مَعْنًى حَاصِلٍ فِي مَتْبُوعِهَا، وَيُفَارِقُ الْبَدَلَ بِأَنَّ الْبَدَلَ هُوَ الْمَقْصُودُ، كَأَنَّكَ قَرَّرْتَهُ فِي مَوْضِعِ الْمُبْدَلِ مِنْهُ، وَعَطْفُ الْبَيَانِ، وَمَا عُطِفَ عَلَيْهِ، كُلٌّ مِنْهُمَا مَقْصُودٌ.

النَّوْعُ الثَّامِنُ: **عَطْفُ أَحَدِ الْمُتَرَادِفَيْنِ عَلَى الْآخَرِ**، وَالْقَصْدُ مِنْهُ التَّأْكِيدُ أَيْضًا، نَحْوَ: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ﴾[1]. وَأَنْكَرَ الْمُبَرِّدُ وُجُودَ هَذَا فِي الْقُرْآنِ، وَأَوَّلُ مَا وُجِدَ مِنْهُ بِاخْتِلَافِ الْمَعْنَيَيْنِ. وَقَالَ مَنْ جَوَّزَ وُجُودَهُ، إِنَّ فِي مَجْمُوعِ الْمُتَرَادِفَيْنِ مَعْنًى لَا يُوجَدُ عِنْدَ انْفِرَادِهِمَا، فَإِنَّ التَّرْكِيبَ يُحْدِثُ مَعْنًى زَائِدًا، وَإِذَا كَانَتْ كَثْرَةُ الْحُرُوفِ تُفِيدُ مَعْنًى زَائِدًا، فَفِي كَثْرَةِ الْأَنْوَاعِ أَوْلَى.

---

(1) سورة يوسف، الآية: 86.

النَّوْعُ التَّاسِعُ: عَطْفُ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى فَضْلِهِ، حَتَّى كَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ جِنْسِ الْعَامِّ تَنْزِيلًا لِلتَّغَايُرِ فِي الْوَصْفِ مَنْزِلَةَ التَّغَايُرِ فِي الذَّاتِ.

وَحَكَى أَبُو حَيَّانَ عَنْ شَيْخِهِ، أَنَّهُ سَمَّاهُ بِالتَّجْرِيدِ، كَأَنَّهُ جُرِّدَ مِنَ الْجُمْلَةِ، وَأُفْرِدَ بِالذِّكْرِ تَفْضِيلًا، نَحْوَ: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾[1]، وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُنَبَّهَ عَلَيْهِ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْعَامِّ مَا كَانَ شَامِلًا، وَبِالْخَاصِّ مَا كَانَ مَشْمُولًا، لَا مُصْطَلَحُ الْأُصُولِيِّينَ.

النَّوْعُ الْعَاشِرُ: عَطْفُ الْعَامِّ عَلَى الْخَاصِّ، وَأَنْكَرَ بَعْضُهُمْ وُجُودَهُ فَأَخْطَأَ، لِوُضُوحِ فَائِدَتِهِ، وَهِيَ التَّعْمِيمُ. وَالِاهْتِمَامُ بِالْأَوَّلِ لِإِفْرَادِهِ بِالذِّكْرِ، نَحْوَ: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾[2]، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾[3]. وَنَظَائِرُهُ كَثِيرَةٌ فِي الْقُرْآنِ.

النَّوْعُ الْحَادِي عَشَرَ: الْإِيضَاحُ بَعْدَ الْإِبْهَامِ، وَفَائِدَتُهُ: رُؤْيَةُ الْمَعْنَى فِي صُورَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ مِنَ الْإِبْهَامِ وَالْإِيضَاحِ، أَوْ لِتَمَكُّنِ الْمَعْنَى تَمَكُّنًا قَوِيًّا، إِذِ الْمَحْصُولُ بَعْدَ الطَّلَبِ أَعَزُّ مِنَ الْمُنْسَاقِ بِلَا تَعَبٍ، أَوْ لِتَكْمُلَ لَذَّةُ الْعِلْمِ بِهِ، فَإِنَّ الشَّيْءَ إِذَا عُلِمَ مِنْ وَجْهٍ مَا، تَشَوَّقَتِ النَّفْسُ لِلْعِلْمِ بِبَاقِي وُجُوهِهِ

---

(1) سورة البقرة، الآية: 238.

(2) سورة الأنعام، الآية: 162.

(3) سورة الحجر، الآية: 87.

وَتَأَمَّلَتْ، فَإِذَا عَرَفَتْهَا، كَانَتْ لَذَّتُهُ أَشَدَّ مِنْ لَذَّةِ مَا عُرِفَ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ دُفْعَةً وَاحِدَةً. وَمِنْهُ: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾(1).

النَّوْعُ الثَّانِي عَشَرَ: التَّفْسِيرُ، قالَ أَهْلُ الْبَيَانِ: وَهُوَ أَنْ يَكُونَ فِي الْكَلَامِ لَبْسٌ وَخَفَاءٌ، فَيُؤْتَى بِمَا يُزِيلُهُ وَيُفَسِّرُهُ، نَحْوَ: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾(2).

النَّوْعُ الثَّالِثَ عَشَرَ: وَضْعُ الظَّاهِرِ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ، وَأَلَّفَ فِيهِ ابْنُ الصَّائِغِ تَأْلِيفًا مُفْرَدًا. وَلَهُ فَوَائِدُ، **مِنْهَا**:

زِيَادَةُ التَّقْرِيرِ وَالتَّمْكِينِ، نَحْوَ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ﴾(3)، مَكَانَ هُوَ الصَّمَدُ، وَنَحْوَ: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾(4)، مَكَانَ وَبِهِ نَزَلَ. وَلَهُ نَظَائِرُ كَثِيرَةٌ فِي الْقُرْآنِ.

وَمِنْهَا: قَصْدُ التَّعْظِيمِ نَحْوَ: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(5).

---

(1) سورة طه، الآية: 25 ـ 26.

(2) سورة المعارج، الآية: 19 ـ 20 ـ 21.

(3) سورة الإخلاص، الآية: 1 ـ 2.

(4) سورة الإسراء، الآية: 105.

(5) سورة البقرة، الآية: 282.

وَمِنْهَا: قَصْدُ الإِهَانَةِ وَالتَّحْقِيرِ نَحْوَ: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ﴾[1] مَكَانَ أَلَا إِنَّ حِزْبَهُ.

وَمِنْهَا: إِزَالَةُ اللَّبْسِ، حَيْثُ يُوهِمُ الضَّمِيرُ أَنَّهُ عَيْنُ الأَوَّلِ، نَحْوَ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ﴾ [2]، إِذْ لَوْ قَالَ: تُؤْتِيهِ، لَأَوْهَمَ أَنَّهُ الأَوَّلُ، وَنَحْوَ: ﴿الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾[3]، وَلَوْ قَالَ: دَائِرَتُهُ، لَأَوْهَمَ أَنَّ الضَّمِيرَ عَائِدٌ إِلَى اللهِ.

وَمِنْهَا: قَصْدُ تَرْبِيَةِ الْمَهَابَةِ، وَإِدْخَالُ الرَّوْعِ عَلَى ضَمِيرِ السَّامِعِ، بِذِكْرِ الاِسْمِ الْمُقْتَضِي لِذَلِكَ، كَمَا يَقُولُ الْخَلِيفَةُ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَأْمُرُكَ بِكَذَا.

وَمِنْهَا: قَصْدُ تَقْوِيَةِ دَاعِي الْمَأْمُورِ، نَحْوَ: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [4].

وَمِنْهَا: تَعْظِيمُ الأَمْرِ، نَحْوَ: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللهُ الْخَلْقَ﴾[5].

وَمِنْهَا: الاِسْتِلْذَاذُ بِذِكْرِهِ، نَحْوَ: ﴿وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾[6]، وَلَمْ يَقُلْ مِنْهَا.

---

(1) سورة المجادلة، الآية: 19.

(2) سورة آل عمران، الآية: 26.

(3) سورة الفتح، الآية: 6.

(4) سورة آل عمران، الآية: 159.

(5) سورة العنكبوت، الآية: 19.

(6) سورة الزمر، الآية: 74.

وَمِنْهَا: التَّوَصُّلُ بِالظَّاهِرِ إِلَى الْوَصْفِ، نَحْوَ: ﴿فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ﴾[1].

وَمِنْهَا: التَّنْبِيهُ عَلَى عِلَّةِ الْحُكْمِ، نَحْوَ: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾[2]، إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾[3]، حَيْثُ لَمْ يَقُلْ: عَدُوٌّ لَهُمْ، إِعْلَامًا بِأَنَّ مَنْ عَادَى لَهُمْ فَهُوَ كَافِرٌ.

وَمِنْهَا: قَصْدُ الْعُمُومِ، نَحْوَ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ ﴾[4]، لَمْ يَقُلْ: إِنَّهَا، لِئَلَّا يُفْهَمَ تَخْصِيصُ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ.

وَمِنْهَا: قَصْدُ الْخُصُوصِ، نَحْوَ: ﴿إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾[5] لَمْ يَقُلْ لَكَ تَصْرِيحًا بِأَنَّهُ خَاصٌّ بِهِ.

وَمِنْهَا: الْإِشَارَةُ إِلَى عَدَمِ دُخُولِ الْجُمْلَةِ الثَّانِيَةِ فِي حُكْمِ الْأُولَى، نَحْوَ: ﴿فَإِنْ يَشَإِ اللهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللهُ الْبَاطِلَ﴾[6]، فَإِنَّ "وَيَمْحُ اللهُ" اسْتِئْنَافٌ لَا دَاخِلٌ فِي حُكْمِ الشَّرْطِ.

---

(1) سورة الأعراف، الآية: 158.

(2) سورة البقرة، الآية: 59.

(3) نفسها، الآية: 98.

(4) سورة يوسف، الآية: 53.

(5) سورة الأحزاب، الآية: 50.

(6) سورة الشورى، الآية: 24.

وَمِنْهَا: مُرَاعَاةُ الْجِنَاسِ، نَحْوَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾[1] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ.

وَمِنْهَا: مُرَاعَاةُ التَّرْصِيعِ، وَتَوَازُنُ الْأَلْفَاظِ فِي التَّرْكِيبِ، نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾[2].

النَّوْعُ الرَّابِعَ عَشَرَ: **الْإِيغَالُ**، وَهُوَ الْإِمْعَانُ، وَهُوَ خَتْمُ[3] الْكَلَامِ بِمَا يُفِيدُ نُكْتَةً يَتِمُّ الْمَعْنَى بِدُونِهَا. وَتُوُهِّمَ أَنَّهُ خَاصٌّ بِالشِّعْرِ، وَرُدَّ بِأَنَّهُ وَقَعَ فِي الْقُرْآنِ، نَحْوَ: ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[4]، فَقَوْلُهُ: "وَهُمْ مُهْتَدُونَ" إِيغَالٌ لِأَنَّهُ يَتِمُّ الْمَعْنَى بِدُونِهِ، إِذِ الرَّسُولُ مُهْتَدٍ لا مَحَالَةَ، لَكِنَّ فِيهِ زِيَادَةَ مُبَالَغَةٍ فِي الْحَثِّ عَلَى اتِّبَاعِ الرَّسُولِ، وَالتَّرْغِيبِ فِيهِ، وَلَهُ غَيْرُ نَظِيرٍ فِي الْقُرْآنِ.

النَّوْعُ الْخَامِسَ عَشَرَ: **التَّذْيِيلُ**، وَهُوَ أَنْ يُؤْتَى بِجُمْلَةٍ عَقِبَ جُمْلَةٍ، وَالثَّانِيَةُ تَشْتَمِلُ عَلَى مَعْنَى الْأُولَى، لِتَأْكِيدِ مَنْطُوقِهِ أَوْ مَفْهُومِهِ، لِيَظْهَرَ الْمَعْنَى لِمَنْ لَمْ يَفْهَمْهُ، وَيَتَقَرَّرَ عِنْدَ مَنْ فَهِمَهُ نَحْوَ: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[5].

---

(1) سورة الناس، الآية: 1.

(2) سورة البقرة، الآية: 282.

(3) ضم، في قونية.

(4) سورة يس، الآية: 20.

(5) سورة الإسراء، الآية: 81.

النَّوْعُ السَّادِسَ عَشَرَ: **الطَّرْدُ وَالْعَكْسُ**، هُوَ أَنْ يُؤْتَى بِكَلَامَيْنِ يُقَرِّرُ الْأَوَّلُ بِمَنْطُوقِهِ مَفْهُومَ الثَّانِي وَبِالْعَكْسِ، نَحْوَ: ﴿لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1]. وَهَذَا نَظِيرُ الِاحْتِبَاكِ فِي الْإِيجَازِ.

النَّوْعُ السَّابِعَ عَشَرَ: **التَّكْمِيلُ**، وَيُسَمَّى بِالِاحْتِرَاسِ، وَهُوَ أَنْ يُؤْتَى فِي كَلَامٍ يُوهِمُ خِلَافَ الْمَقْصُودِ بِمَا يَدْفَعُ ذَلِكَ الْوَهْمَ، نَحْوَ: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[2]، فَإِنَّهُ لَوِ اقْتَصَرَ عَلَى "أَذِلَّةٍ"، لَتُوُهِّمَ أَنَّهُ أَضْعَفُهُمْ، وَمِثْلُهُ: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[3]، وَلَوِ اقْتَصَرَ عَلَى أَشِدَّاءَ، لَتُوُهِّمَ أَنَّهُ لِغِلَظِهِمْ.

النَّوْعُ الثَّامِنَ عَشَرَ: **التَّتْمِيمُ**، وَهُوَ أَنْ يُؤْتَى فِي كَلَامٍ، لا يُوهِمُ غَيْرَ الْمُرَادِ، بِفَضْلَةٍ تُفِيدُ نُكْتَةً، كَالْمُبَالَغَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾[4]، أَيْ مَعَ حُبِّ الطَّعَامِ، أَيِ اشْتِهَائِهِ، فَإِنَّ الْإِطْعَامَ حِينَئِذٍ أَبْلَغُ وَأَكْثَرُ أَجْرًا، وَمِثْلُهُ: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾[5].

النَّوْعُ التَّاسِعَ عَشَرَ: **الِاسْتِقْصَاءُ**، وَهُوَ أَنْ يَتَنَاوَلَ الْمُتَكَلِّمُ مَعْنًى، فَيَسْتَقْصِيهِ، فَيَأْتِي بِجَمِيعِ عَوَارِضِهِ وَلَوَازِمِهِ، بَعْدَ أَنْ يَسْتَقْصِيَ جَمِيعَ أَوْصَافِهِ الذَّاتِيَّةِ، بِحَيْثُ لَا يَتْرُكُ لِمَنْ يَتَنَاوَلُهُ بَعْدَهُ فِيهِ مَقَالًا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَيَوَدُّ

---

(1) سورة التحريم، الآية: 6.

(2) سورة المائدة، الآية: 54.

(3) سورة الفتح، الآية: 29.

(4) سورة الإنسان، الآية: 8.

(5) سورة البقرة، الآية: 177.

أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾[1] الآية. إِذْ لَوِ اقْتَصَرَ عَلَى قَوْلِهِ: "جَنَّةٌ" لَكَانَ كَافِيًا، إِلَّا أَنَّهُ وَصَفَهَا بِالنَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ، فَإِنَّ مُصَابَ صَاحِبِهَا بِهَا أَعْظَمُ، ثُمَّ تَمَّمَ هَذَا الْوَصْفَ بِقَوْلِهِ: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، ثُمَّ كَمَّلَ وَصْفَهَا بَعْدَ التَّتْمِيمَيْنِ، فَقَالَ: ﴿لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ فَأَتَى بِكُلِّ مَا يَكُونُ، لِيَكُونَ أَسَفُ مَنْ أَفْسَدَهَا أَشَدَّ، ثُمَّ وَصَفَ صَاحِبَهَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾، ثُمَّ اسْتَقْصَى الْمَعْنَى بِمَا يُوجِبُ تَعْظِيمَ الْمُصَابِ، بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ﴾، ثُمَّ وَصَفَهَا بِالضُّعَفَاءِ، ثُمَّ ذَكَرَ اسْتِئْصَالَ الْجَنَّةِ بِالْهَلَاكِ فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ، فَقَالَ: ﴿فَأَصَابَهَا﴾، ثُمَّ زَادَ قَوْلَهُ: ﴿فِيهِ نَارٌ﴾، ثُمَّ رَدَّ احْتِمَالَ ضُعْفِ النَّارِ، فَأَخْبَرَ بِاحْتِرَاقِهَا دَفْعًا لِمَا يُتَوَهَّمُ مِنِ احْتِمَالِ ضُعْفِ النَّارِ، لِمَا فِيهَا مِنَ الْأَنْهَارِ، وَرُطُوبَةِ الْأَشْجَارِ، فَاحْتَرَسَ عَنْ هَذَا الِاحْتِمَالِ بِقَوْلِهِ: ﴿فَاحْتَرَقَتْ﴾. فَهَذَا أَحْسَنُ اسْتِقْصَاءٍ وَقَعَ فِي كَلَامٍ وَأَتَمُّهُ وَأَكْمَلُهُ.

قَالَ ابْنُ أَبِي الْإِصْبَعِ: وَالْفَرْقُ بَيْنَ الِاسْتِقْصَاءِ وَالتَّتْمِيمِ وَالتَّكْمِيلِ، أَنَّ التَّتْمِيمَ يَرِدُ عَلَى الْمَعْنَى النَّاقِصِ، وَالتَّكْمِيلَ عَلَى التَّامِّ، وَالِاسْتِقْصَاءَ عَلَى التَّامِّ الْكَامِلِ.

النَّوْعُ الْعِشْرُونَ: الِاعْتِرَاضُ، وَيُسَمَّى الْتِفَاتًا. وَهُوَ الْإِتْيَانُ بِجُمْلَةٍ أَوْ أَكْثَرَ لَا مَحَلَّ لَهَا مِنَ الْإِعْرَابِ فِي أَثْنَاءِ كَلَامٍ أَوْ كَلَامَيْنِ، اتَّصَلَا مَعْنًى، لِنُكْتَةٍ غَيْرِ

---

(1) سورة البقرة، الآية: 266.

دَفْعِ الْإِيهَامِ، نَحْوَ: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ﴾[1]، فَجُمْلَةُ الِاسْتِثْنَاءِ اعْتِرَاضٌ لِلتَّبَرُّكِ. وَقَدْ يَكُونُ الِاعْتِرَاضُ بِجُمْلَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ حَتَّى إِنَّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[2]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ﴾[3]، اعْتِرَاضًا بِسَبْعِ جُمَلٍ.

وَمِنْ وُقُوعِ اعْتِرَاضٍ فِي اعْتِرَاضٍ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾[4]، فَإِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ اعْتِرَاضٌ، وَقَوْلَهُ: ﴿ لَوْ تَعْلَمُونَ ﴾اعْتِرَاضٌ فِي ذَلِكَ الِاعْتِرَاضِ.

قَالَ الطِّيبِيُّ فِي التِّبْيَانِ: وَوَجْهُ حُسْنِ الِاعْتِرَاضِ حُسْنُ الْإِفَادَةِ، مَعَ أَنَّ مَجِيئَهُ مَجِيءُ مَا لَا يُتَرَقَّبُ[5]، فَيَكُونُ كَالْحَسَنَةِ تَأْتِيكَ مِنْ حَيْثُ لَا تَحْتَسِبُ.

النَّوْعُ الْحَادِي وَالْعِشْرُونَ: التَّعْلِيلُ، وَفَائِدَتُهُ: تَقْرِيرُ جَوَابٍ اقْتَضَتْهُ الْجُمْلَةُ الْأُولَى وَالْأَبْلَغِيَّةُ، فَإِنَّ النُّفُوسَ أَبْعَثُ عَلَى قَبُولِ الْأَحْكَامِ الْمُعَلَّلَةِ مِنْ غَيْرِهَا. وَحُرُوفُ التَّعْلِيلِ: اللَّامُ وَإِنِ وَأَنِ وَإِذْ وَالْبَاءُ وَكَيْ وَمِنْ وَلَعَلَّ[6].

---

(1) سورة الفتح، الآية: 27.

(2) سورة الرحمن، الآية: 46.

(3) نفسها، الآية: 54.

(4) سورة الواقعة، الآية: 75 ـ 76.

(5) يرقب، في رئيس الكتاب وأنطاليا وعاطف أفندي.

(6) الإتقان في علوم القرآن: 3/ 179 ـ 255.

وَلَعَمْرِي لَقَدْ آثَرْنَا الْإِطْنَابَ فِي مَبَاحِثِ الْإِيجَازِ وَالْإِطْنَابِ، لِأَنَّهَا مِمَّا تَمَسُّ إِلَيْهِ حَاجَةُ الطُّلَّابِ، وَمِنَ اللهِ التَّوْفِيقُ لِلصَّوَابِ.

عِلْمُ مَعْرِفَةِ الْخَبَرِ وَالْإِنْشَاءِ

وَاعْلَمْ أَنَّ أَهْلَ الْبَيَانِ قَاطِبَةً، وَالْحُذَّاقَ مِنَ النُّحَاةِ عَلَى انْحِصَارِ الْكَلَامِ فِيهِمَا، وَلَا عِبْرَةَ بِمَنْ قَالَ: إِنَّهُ عَشَرَةُ أَقْسَامٍ: نِدَاءٌ، وَمَسْأَلَةٌ، وَأَمْرٌ، وَتَشَفُّعٌ، وَتَعَجُّبٌ، وَقَسَمٌ، وَشَرْطٌ، وَوَضْعٌ، وَشَكٌّ، وَاسْتِفْهَامٌ. وَقِيلَ: تِسْعَةٌ بِإِدْخَالِ الِاسْتِفْهَامِ فِي الْمَسْأَلَةِ، وَقِيلَ: ثَمَانِيَةٌ بِإِدْخَالِ التَّشَفُّعِ فِيهَا أَيْضًا، وَقِيلَ: سَبْعَةٌ بِإِدْخَالِ الشَّكِّ فِي الْخَبَرِ.

وَقَالَ الْأَخْفَشُ: سِتَّةٌ، خَبَرٌ، وَاسْتِخْبَارٌ، وَأَمْرٌ، وَنَهْيٌ، وَنِدَاءٌ، وتَمَنٍّ.

وَقِيلَ: خَمْسَةٌ: خَبَرٌ، وَأَمْرٌ، وَتَصْرِيحٌ، وَطَلَبٌ، وَنِدَاءٌ.

وَقِيلَ: أَرْبَعَةٌ: خَبَرٌ، وَاسْتِخْبَارٌ، وَطَلَبٌ، وَنِدَاءٌ.

وَقَالَ كَثِيرُونَ: ثَلَاثَةٌ: خَبَرٌ، وَطَلَبٌ، وَإِنْشَاءٌ. **قَالُوا**: لِأَنَّ الْكَلَامَ إِمَّا أَنْ يَحْتَمِلَ التَّصْدِيقَ وَالتَّكْذِيبَ أَوْ لَا، الْأَوَّلُ الْخَبَرُ، وَالثَّانِي إِنِ اقْتَرَنَ مَعْنَاهُ بِلَفْظِهِ فَهُوَ الْإِنْشَاءُ، وَإِنْ تَأَخَّرَ عَنْهُ فَهُوَ الطَّلَبُ.

وَالْمُحَقِّقُونَ قَالُوا: طَلَبُ الضَّرْبِ مُقْتَرِنٌ بِلَفْظِ اضْرِبْ، وَأَمَّا الضَّرْبُ يُوجَدُ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ مُتَعَلِّقُ الطَّلَبِ لَا نَفْسُهُ.

وَاخْتَلَفُوا فِي حَدِّ الْخَبَرِ، فَقِيلَ: لَا يُحَدُّ لِعُسْرِهِ، وَقِيلَ: لِأَنَّهُ ضَرُورِيٌّ، إِذْ كُلُّ أَحَدٍ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْخَبَرِ وَالْإِنْشَاءِ ضَرُورَةً. وَرَجَّحَهُ الْإِمَامُ فِي **الْمَحْصُولِ**، وَالْأَكْثَرُ عَلَى حَدِّهِ.

فَقَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ وَالْمُعْتَزِلَةُ: «الْخَبَرُ الْكَلَامُ الَّذِي يَدْخُلُهُ الصِّدْقُ وَالْكَذِبُ»[1]. وَقَدْ عَرَّفُوهُ بِحُدُودٍ مُزَيَّفَةٍ. ذَكَرَهُ السَّكَّاكِيُّ فِي **الْمِفْتَاحِ**، ثُمَّ يَظْهَرُ مِنْهُ حَدُّ الْإِنْشَاءِ لِأَنَّهُ يُقَابِلُهُ.

وَالتَّعَجُّبُ، قِيلَ: تَعْظِيمُ الْأَمْرِ فِي قُلُوبِ السَّامِعِينَ، لِأَنَّ التَّعَجُّبَ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ شَيْءٍ خَارِجٍ عَنْ نَظَائِرِهِ وَأَشْكَالِهِ.

وَقَالَ الرُّمَّانِيُّ: «التَّعَجُّبُ إِنَّمَا هُوَ لِلْمَعْنَى الْخَفِيِّ سَبَبُهُ، وَالصِّيغَةُ الدَّالَّةُ عَلَيْهِ تُسَمَّى تَعَجُّبًا مَجَازًا، فَكُلَّمَا اسْتَبْهَمَ السَّبَبُ كَانَ التَّعَجُّبُ أَحْسَنَ، وَلِهَذَا لَا يُوصَفُ تَعَالَى بِالتَّعَجُّبِ، لِأَنَّهُ اسْتِعْظَامٌ يَصْحَبُهُ جَهْلٌ، وَهُوَ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ»[2]. وَلِهَذَا يَقُولُونَ إِذَا صَدَرَ صِيغَتُهُ عَنْهُ إِنَّهُ لَعَجِيبٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى، لِأَنَّهُ يُصْرَفُ إِلَى الْمُخَاطَبِينَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ مِنْ أَقْسَامِ الْخَبَرِ، النَّفْيَ، بَلْ هُوَ شَطْرُ الْكَلَامِ كُلِّهِ، وَالنَّفْيُ أَعَمُّ مِنَ الْجَحْدِ إِذِ الْجَحْدُ يَخْتَصُّ بِالْكَاذِبِ، وَأَدَوَاتُ النَّفْيِ: "لَا"، وَ"لَاتَ"، وَ"لَيْسَ"، وَ"مَا"، وَ"إِنْ"، وَ"لَمْ"، وَ"لَمَّا".

---

(1) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: 1/ 105.

(2) البرهان في علوم القرآن: 2/ 317-318.

وَاعْلَمْ أَنَّ انْتِفَاءَ الشَّيْءِ عَنِ الشَّيْءِ قَدْ يَكُونُ لِكَوْنِهِ لَا يُمْكِنُ مِنْهُ عَقْلًا، وَقَدْ يَكُونُ لِكَوْنِهِ لَا يَقَعُ مِنْهُ مَعَ إِمْكَانِهِ، وَإِنَّ نَفْيَ الذَّاتِ الْمَوْصُوفَةِ قَدْ يَكُونُ نَفْيًا لِلصِّفَةِ دُونَ الذَّاتِ، وَقَدْ يَكُونُ نَفْيًا لِلذَّاتِ وَالصِّفَةِ مَعًا، وَقَدْ يُنْفَى الشَّيْءُ رَأْسًا لِعَدَمِ كَمَالِ وَصْفِهِ، أَوِ انْتِفَاءِ ثَمَرَتِهِ، لَا لِنَفْيِهِ فِي نَفْسِهِ حَقِيقَةً، نَحْوَ: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾[1]، لِأَنَّهُ لَيْسَ بِمَوْتٍ صَرِيحٍ، وَلَا حَيَاةٍ طَيِّبَةٍ.

وَنَفْيُ الِاسْتِطَاعَةِ قَدْ يُرَادُ بِهِ نَفْيُ الْقُدْرَةِ وَالْإِمْكَانِ. وَقَدْ يُرَادُ بِهِ نَفْيُ الِامْتِنَاعِ، وَقَدْ يُرَادُ بِهِ الْوُقُوعُ بِمَشَقَّةٍ وَكُلْفَةٍ.

وَنَفْيُ الْعَامِّ يَدُلُّ عَلَى نَفْيِ الْخَاصِّ، وَثُبُوتُهُ لَا يَدُلُّ عَلَى ثُبُوتِهِ، وَثُبُوتُ الْخَاصِّ يَدُلُّ عَلَى ثُبُوتِ الْعَامِّ، وَنَفْيُهُ لَا يَدُلُّ عَلَى نَفْيِهِ.

وَلَا شَكَّ أَنَّ زِيَادَةَ الْمَفْهُومِ مِنَ اللَّفْظِ تُوجِبُ الِالْتِذَاذَ بِهِ، فَلِذَلِكَ كَانَ نَفْيُ الْعَامِّ أَحْسَنَ مِنْ نَفْيِ الْخَاصِّ، وَإِثْبَاتُ الْخَاصِّ أَحْسَنَ مِنْ إِثْبَاتِ الْعَامِّ، وَنَفْيُ الْمُبَالَغَةِ فِي الْفِعْلِ لَا يَسْتَلْزِمُ نَفْيَ أَصْلِ الْفِعْلِ، وَقَدْ أُشْكِلَ عَلَى هَذَا آيَتَانِ وَهُمَا: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[2]، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[3].

وَأُجِيبَ عَنِ الْأُولَى بِأَجْوِبَةٍ:

---

(1) سورة طه، الآية: 74.

(2) سورة فصلت، الآية: 46.

(3) سورة مريم، الآية: 64.

أَحدُهَا: أَنَّ صِيغَةَ "ظَلَّامٍ" في مُقَابَلَةِ "الْعَبِيدِ"، الَّذِي هُوَ الْجَمْعُ، فَكَثْرَةُ الظُّلْمِ الْمَنْفِيِّ لِكَثْرَةِ الْعَبِيدِ لَا لِكَثْرَتِهِ فِي نَفْسِهِ.

وَثَانِيهَا: أَنَّ مَنْ تَرَكَ النَّفْعَ الْكَثِيرَ بِالظُّلْمِ الْكَثِيرِ فَلَأَنْ يَتْرُكَ الْقَلِيلَ أَوْلَى.

وَثَالِثُهَا: أَنَّ مَعْنَاهُ النِّسْبَةَ أَيْ ذُو ظُلْمٍ.

وَرَابِعُهَا: أَنَّهُ مُجَرَّدٌ عَنْ مَعْنَى الْكَثْرَةِ بَلْ بِمَعْنَى فَاعِلٍ.

وَخَامِسُهَا: أَنَّ الْقَلِيلَ مِنْهُ تَعَالَى كَثِيرٌ، كَمَا يُقَالُ: «زَلَّةُ الْعَالِمِ كَبِيرَةٌ».

وَسَادِسُهَا: أَنَّهُ أَرَادَ لَيْسَ بِظَالِمٍ تَأْكِيدًا لِلنَّفْيِ، فَعَبَّرَ عَنْ ذَلِكَ بِـ "لَيْسَ بِظَلَّامٍ".

وَسَابِعُهَا: أَنَّهُ وَرَدَ جَوَابًا لِمَنْ قَالَ: "ظَلَّامٌ"، وَالتَّكْرَارُ إِذَا وَرَدَ جَوَابًا لِكَلَامٍ خَاصٍّ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَفْهُومٌ.

وَثَامِنُهَا: أَنَّ صِيغَةَ الْمُبَالَغَةِ وَغَيْرَهَا فِي صِفَاتِ اللهِ سَوَاءٌ فِي الْإِثْبَاتِ، فَجَرَى النَّفْيُ عَلَى ذَلِكَ.

وَتَاسِعُهَا: أَنَّهُ قَصَدَ التَّعْرِيضَ بِأَنَّ ثَمَّةَ ظَلَّامًا لِلْعَبِيدِ مِنْ وُلَاةِ الْجَوْرِ، وَيُجَابُ عَنِ الثَّانِيَةِ بِهَذِهِ الْأَجْوِبَةِ.

وَبِعَاشِرٍ: وَهُوَ مُنَاسَبَةُ رُؤُوسِ الْآيِ.

وَمِنْ **أَقْسَامِ الْإِنْشَاءِ**: **الِاسْتِفْهَامُ**، وَهُوَ طَلَبُ الْفَهْمِ بِمَعْنَى الِاسْتِخْبَارِ، وَقِيلَ: الِاسْتِخْبَارُ مَا وَقَعَ أَوَّلًا، وَالِاسْتِفْهَامُ مَا وَقَعَ ثَانِيًا، وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِهِ مَجَازًا.

مِنْهَا: **الْإِنْكَارُ**، وَمَعْنَاهُ النَّفْيُ، وَمَا بَعْدَهُ مَنْفِيٌّ، وَلِذَلِكَ تَصْحَبُهُ إِلَّا.

وَمِنْهَا: **التَّوْبِيخُ**، وَمَا تَقَدَّمَ إِنْكَارُ نَفْيٍ، وَهَذَا إِنْكَارُ تَوْبِيخٍ.

وَمِنْهَا: **التَّقْرِيرُ**، وَهُوَ حَمْلُ الْمُخَاطَبِ عَلَى الْإِقْرَارِ وَالِاعْتِرَافِ بِأَمْرٍ قَدِ اسْتَقَرَّ عِنْدَهُ.

وَمِنْهَا: **التَّعَجُّبُ أَوِ التَّعْجِيبُ**، نَحْوَ: ﴿مَا لِيَ لَا أَرى الْهُدْهُدَ﴾[1].

وَمِنْهَا الْعِتَابُ، نَحْوَ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ﴾[2].

وَمِنْهَا: **التَّذْكِيرُ**، وَفِيهِ نَوْعُ اخْتِصَارٍ، نَحْوَ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾[3].

وَمِنْهَا: **الِافْتِخَارُ**، نَحْوَ: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾[4].

---

(1) سورة النمل، الآية: 20.

(2) سورة الحديد، الآية: 16.

(3) سورة يس، الآية: 60.

(4) سورة الزخرف، الآية: 51.

وَمِنْهَا: **التَّفَجُّعُ**، نَحْوَ: ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾[1].

وَمِنْهَا: **التَّهْوِيلُ وَالتَّخْوِيفُ**، نَحْوَ: ﴿الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ﴾[2].

وَمِنْهَا: **عَكْسُهُ، وَهُوَ التَّسْهِيلُ وَالتَّخْفِيفُ**، نَحْوَ: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَو آمَنُوا﴾[3].

وَمِنْهَا: **التَّهْدِيدُ وَالْوَعِيدُ**، نَحْوَ: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾[4].

وَمِنْهَا: **التَّكْثِيرُ**، نَحْوَ: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾[5].

وَمِنْهَا: **التَّسْوِيَةُ**، نَحْوَ: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ﴾[6].

وَمِنْهَا: **الْأَمْرُ**، نَحْوَ: ﴿أَأَسْلَمْتُمْ﴾، أَيْ أَسْلِمُوا.

وَمِنْهَا: **التَّنْبِيهُ**، نَحْوَ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾[7].

وَمِنْهَا: **التَّرْغِيبُ**، نَحْوَ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[8].

---

(1) سورة الكهف، الآية: 49.

(2) سورة الحاقة، الآية: 1ـ2.

(3) سورة النساء، الآية: 39.

(4) سورة المرسلات، الآية: 16.

(5) سورة الأعراف، الآية: 4.

(6) سورة البقرة، الآية: 6.

(7) سورة الفرقان، الآية: 45.

(8) سورة البقرة، الآية: 245.

وَمِنْهَا: النَّهْيُ، نَحْوَ ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾(1).

وَمِنْهَا: الدُّعَاءُ، وَهُوَ كَالنَّهْيِ إِلَّا أَنَّهُ مِنَ الْأَدْنَى إِلَى الْأَعْلَى، نَحْوَ: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ﴾(2)، أَيْ لَا تُهْلِكْنَا.

وَمِنْهَا: الِاسْتِرْشَادُ، نَحْوَ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾(3).

وَمِنْهَا: التَّمَنِّي، نَحْوَ: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ﴾(4).

وَمِنْهَا: الِاسْتِبْطَاءُ، نَحْوَ: ﴿مَتَى نَصْرُ اللهِ﴾(5).

وَمِنْهَا: الْعَرْضُ، نَحْوَ: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ﴾(6).

وَمِنْهَا: التَّخْصِيصُ، نَحْوَ: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا﴾(7).

وَمِنْهَا: التَّجَاهُلُ، نَحْوَ: ﴿أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾(8).

وَمِنْهَا: التَّعْظِيمُ، نَحْوَ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾(9).

---

(1) سورة التوبة، الآية: 13.

(2) سورة الأعراف، الآية: 155.

(3) سورة البقرة، الآية: 30.

(4) سورة الأعراف، الآية: 53.

(5) سورة البقرة، الآية: 214.

(6) سورة النور، الآية: 22.

(7) سورة التوبة، الآية: 13.

(8) سورة ص، الآية: 8.

(9) سورة البقرة، الآية: 255.

وَمِنْهَا: **التَّحْقِيرُ**، نَحْوَ: ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾[1].

وَمِنْهَا: **الِاكْتِفَاءُ**، نَحْوَ: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[2].

وَمِنْهَا: **الِاسْتِبْعَادُ**، نَحْوَ: ﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى﴾[3].

وَمِنْهَا: **الْإِينَاسُ**، نَحْوَ: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾[4].

وَمِنْهَا: **التَّهَكُّمُ وَالِاسْتِهْزَاءُ**، نَحْوَ: ﴿أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ﴾[5].

وَمِنْهَا: **التَّأْكِيدُ لِمَا سَبَقَ مِنْ مَعْنَى أَدَاةِ الِاسْتِفْهَامِ قَبْلَهُ**، نَحْوَ: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾[6].

وَمِنْهَا: **الْإِخْبَارُ**، نَحْوَ: ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾[7].

هَذِهِ اثْنَانِ وَثَلَاثُونَ مَعْنًى لِلِاسْتِفْهَامِ، يَعْنِي يُوجَدُ فِيهَا مَعْنَى الِاسْتِفْهَامِ مَعَ انْضِمَامِ مَعَانٍ أُخَرَ، وَهُوَ الْأَصَحُّ، لَا مَا يُقَالُ إِنَّهَا تَجَرَّدَتْ عَنْ مَعْنَى الِاسْتِفْهَامِ كَمَا تُوُهِّمَ.

وَمِنْ أَقْسَامِ الْإِنْشَاءِ:

---

(1) سورة الأنبياء، الآية: 36.

(2) سورة الزمر، الآية: 60.

(3) سورة الدخان، الآية: 13.

(4) سورة طه، الآية: 17.

(5) سورة هود، الآية: 87.

(6) سورة الزمر، الآية: 19.

(7) سورة النور، الآية: 50.

الْأَمْرُ، وَهُوَ طَلَبُ فِعْلٍ غَيْرِ كَفٍّ، وَصِيغَتُهُ "افْعَلْ" وَ"لْتَفْعَلْ"، وَهِيَ[1] حَقِيقَةٌ فِي الْإِيجَابِ، نَحْوَ: ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، ﴿فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ﴾[2]، وَيَرِدُ مَجَازًا لِمَعَانٍ أُخَرَ:

النَّدْبُ، نَحْوَ: ﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾[3].

وَالْإِبَاحَةُ، نَحْوَ: ﴿وَكَاتِبُوهُمْ﴾.

وَالدُّعَاءُ، نَحْوَ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾[4].

وَالتَّهْدِيدُ، نَحْوَ: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾[5].

وَالْإِهَانَةُ، نَحْوَ: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾[6].

وَالتَّسْخِيرُ، نَحْوَ: ﴿كُونُوا قِرَدَةً﴾[7]، فَهُوَ أَخَصُّ مِنَ الْإِهَانَةِ.

وَالتَّعْجِيزُ، نَحْوَ: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾[8].

وَالِامْتِنَانُ، نَحْوَ: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾[9].

---

(1) وهو، في قونية.

(2) سورة النساء، الآية: 102.

(3) سورة الأعراف، الآية: 204.

(4) نفسها، الآية: 151.

(5) سورة فصلت، الآية: 40.

(6) سورة الدخان، الآية: 49.

(7) سورة البقرة، الآية: 65.

(8) سورة البقرة، الآية: 23.

(9) سورة الأنعام، الآية: 141.

وَالْعُجْبُ، نَحْوَ: ﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾[1].

وَالتَّسْوِيَةُ، نَحْوَ: ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾[2].

وَالْإِرْشَادُ، نَحْوَ: ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾[3].

وَالِاحْتِقَارُ، نَحْوَ: ﴿أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾[4].

وَالْإِنْذَارُ، نَحْوَ: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا﴾[5].

وَالْإِكْرَامُ، نَحْوَ: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾[6].

وَالتَّكْوِينُ، وَهُوَ أَعَمُّ مِنَ التَّسْخِيرِ، نَحْوَ: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾[7]، إِذِ التَّسْخِيرُ النَّقْلُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ.

وَالْإِنْعَامُ، أَيْ تَذَكُّرُ النِّعْمَةِ نَحْوَ: ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ﴾[8].

وَالتَّكْذِيبُ، نَحْوَ: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا﴾[9].

---

(1) سورة الإسراء، الآية: 48.

(2) سورة الطور، الآية: 16.

(3) سورة البقرة، الآية: 282.

(4) سورة يونس، الآية: 80.

(5) سورة إبراهيم، الآية: 30.

(6) سورة الحجر، الآية: 46.

(7) سورة البقرة، الآية: 117.

(8) سورة الأنعام، الآية: 142.

(9) سورة آل عمران، الآية: 93.

وَالْمَشُورَةُ، نَحْوَ: ﴿فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾[1].

وَالِاعْتِبَارُ، نَحْوَ: ﴿انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾[2].

وَالتَّعَجُّبُ، نَحْوَ: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾[3].

وَهَذِهِ خَمْسَةَ عَشَرَ مَعْنًى لِلْأَمْرِ.

وَمِنْ أَقْسَامِهِ:

النَّهْيُ: وَهُوَ طَلَبُ الْكَفِّ عَنْ فِعْلٍ، وَصِيغَتُهُ، "لَا تَفْعَلْ"، وَهِيَ حَقِيقَةٌ فِي التَّحْرِيمِ، وَتَرِدُ مَجَازًا، لِمَعَانٍ. مِنْهَا:

الْكَرَاهَةُ، نَحْوَ: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾[4].

وَالدُّعَاءُ، نَحْوَ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾[5].

وَالْإِرْشَادُ، نَحْوَ: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾[6].

وَالتَّسْوِيَةُ، نَحْوَ: ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾[7].

وَالِاحْتِقَارُ وَالتَّقْلِيلُ، نَحْوَ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾[8]، الآية، أَيْ فَهُوَ حَقِيرٌ قَلِيلٌ.

---

(1) سورة الصافات، الآية: 102.

(2) سورة الأنعام، الآية: 99.

(3) سورة مريم، الآية: 38.

(4) سورة الإسراء، الآية: 37.

(5) سورة آل عمران، الآية: 8.

(6) سورة المائدة، الآية: 101.

(7) سورة الطور، الآية: 16.

(8) سورة طه، الآية: 131.

وَبيَانُ الْعَاقِبَةِ، نَحْوَ: ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ﴾[1].

وَالْيَأْسُ، نَحْوَ: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا﴾.

وَالْإِهَانَةُ، نَحْوَ: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ﴾[2].

وَمِنْ أَقْسَامِهِ:

التَّمَنِّي، وَهُوَ طَلَبُ حُصُولِ شَيْءٍ عَلَى سَبِيلِ الْمَحَبَّةِ، وَلَا يُشْتَرَطُ إِمْكَانُ الْمُتَمَنِّي بِخِلَافِ الْمُتَرَجِّي.

وَمِنْ أَقْسَامِهِ:

التَّرَجِّي، وَفُرِّقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّمَنِّي، بِأَنَّهُ فِي الْمُمْكِنْ، وَالتَّمَنِّي فِيهِ وَفِي الْمُسْتَحِيلِ، وَبِأَنَّ التَّرَجِّي فِي الْقَرِيبِ، وَالتَّمَنِّيَ في الْبَعِيدِ، وَبِأَنَّ التَّرَجِّيَ فِي الْمُتَوَقَّعِ، وَالتَّمَنِّيَ فِي غَيْرِهِ، وَبِأَنَّ التَّمَنِّيَ فِي الْمَعْشُوقِ لِلنَّفْسِ، وَالتَّرَجِّيَ فِي غَيْرِهِ، وَحُرُوفُ التَّرَجِّي، لَعَلَّ، وَعَسَى، وَقَدْ تَرِدُ مَجَازًا لِتَوَقُّعِ مَحْذُورٍ، وَيُسَمَّى الْإِشْفَاقَ، نَحْوَ: ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾[3].

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 169.

(2) سورة المؤمنون، الآية: 108.

(3) سورة الشورى، الآية: 17.

وَمِنْ أَقْسَامِهِ:

النِّدَاءُ، وَهُوَ طَلَبُ إِقْبَالِ الْمَدْعُوِّ عَلَى الدَّاعِي بِحَرْفٍ نَائِبٍ مَنَابَ "أَدْعُو"، وَيَصْحَبُ فِي الْأَكْثَرِ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ، وَالْغَالِبُ تَقَدُّمُهُ، نَحْوَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا﴾(1)، وَقَدْ يَتَأَخَّرُ، نَحْوَ: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾(2)، وَقَدْ يَصْحَبُ الْجُمْلَةَ الْخَبَرِيَّةَ فَتَعْقُبُهَا جُمْلَةُ الْأَمْرِ، نَحْوَ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾(3)، وَقَدْ لَا تَعْقُبُهَا، نَحْوَ: ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ﴾(4)، وَقَدْ يَصْحَبُ الِاسْتِفْهَامِيَّةَ، نَحْوَ: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ﴾(5).

وَقَدْ تَرِدُ صُورَةُ النِّدَاءِ لِغَيْرِهِ مَجَازًا، **كَالْإِغْرَاءِ وَالتَّحْذِيرِ**، وَقَدِ اجْتَمَعَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿نَاقَةَ اللهِ وَسُقْيَاهَا﴾(6). **وَالِاخْتِصَاصِ**، كَقَوْلِهِ: ﴿رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾(7). **وَالتَّنْبِيهِ**، كَقَوْلِهِ ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا﴾(8). **وَالتَّعَجُّبِ**، نَحْوَ ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾(9). **وَالتَّحَسُّرِ**، نَحْوَ: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾(10).

---

(1) سورة البقرة، الآية: 21.

(2) سورة النور، الآية: 31.

(3) سورة الحج، الآية: 73.

(4) سورة الزخرف، الآية: 68.

(5) سورة مريم، الآية: 42.

(6) سورة الشمس، الآية: 13.

(7) سورة هود، الآية: 73.

(8) سورة النمل، الآية: 25.

(9) سورة يس، الآية: 30.

(10) سورة النبأ، الآية: 40.

وَمِنْ أَقْسَامِهِ:

الْقَسَمُ، أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُ إِنْشَاءٌ، نَقَلَهُ الْقَرَافِيُّ. وَفَائِدَتُهُ تَأْكِيدُ الْجُمْلَةِ الْخَبَرِيَّةِ وَتَحْقِيقُهَا عِنْدَ السَّامِعِ[1].

عِلْمُ مَعْرِفَةِ بَدَائِعِ الْقُرْآنِ

أَوْرَدَ فِيهَا ابْنُ أَبِي الْإِصْبَعِ نَحْوَ مِئَةِ نَوْعٍ، وَصَنَّفَ فِيهِ مُسْتَقِلًّا، فَارْجِعْ إِلَيْهِ، وَذَكَرَهُ أَهْلُ الْبَيَانِ فِي أَوَاخِرِ عِلْمِ الْبَيَانِ، إِلَّا أَنَّ الْمُتَأَخِّرِينَ زَادُوا عَلَيْهَا شَيْئًا كَثِيرًا، سِيَّمَا **الْقَصَائِدُ الْبَدِيعِيَّةُ**، لِلْحِلِّي، وَلِابْنِ حِجَّةَ، **وَشَرْحُ الْبَدِيعِيَّاتِ**، لِابْنِ حِجَّةَ، وَمَنْ أَرَادَ الِاسْتِقْصَاءَ فِي أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ فَلْيَرْجِعْ إِلَيْهِ، إِلَّا أَنَّ ابْنَ الْإِصْبَعِ أَجْرَى تِلْكَ الْأَنْوَاعَ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ.

مِنْهَا أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ نَوْعًا تَقَدَّمَ فِيمَا سَبَقَ، وَهِيَ: الْمَجَازُ، وَالِاسْتِعَارَةُ، وَالْكِنَايَةُ، وَالْإِرْدَافُ، وَالتَّمْثِيلُ، وَالتَّشْبِيهُ، وَالْإِيجَازُ، وَالِاتِّسَاعُ، وَالْإِشَارَةُ، وَالْمُسَاوَاةُ، وَالْبَسْطُ، وَالْإِيغَالُ، وَالتَّشْجِيعُ، وَالتَّشْرِيعُ، وَالتَّتْمِيمُ، وَالتَّكْمِيلُ، وَالِاحْتِرَاسُ، وَالِاسْتِقْصَاءُ، وَالتَّذْلِيلُ، وَالتَّرْدِيدُ، وَالتَّكْرَارُ، وَالتَّفْسِيرُ، وَالْإِيضَاحُ، وَنَفْيُ الشَّيْءِ بِإِيجَابِهِ. وَأَمَّا الْمَذْهَبُ الْكَلَامِيُّ، وَالْقَوْلُ بِالْمُوجِبِ، وَالْمُنَاقَضَةُ، وَالِانْتِقَالُ، وَالْإِسْجَالُ، وَالتَّسْلِيمُ، فَسَيَأْتِي فِي **عِلْمِ الْجَدَلِ**.

---

(1) النقل من الإتقان في علوم القرآن: 3/ 256 ـ 283.

وَأَمَّا التَّمْكِينُ، وَالتَّوْشِيحُ، وَالتَّسْهِيمُ، وَرَدُّ الْعَجُزِ عَلَى الصَّدْرِ، وَتَشَابُهُ الْأَطْرَافِ، وَلُزُومُ مَا لَا يَلْزَمُ، وَالتَّخْيِيرُ، وَالْإِيهَامُ - وَهُوَ التَّوْرِيَةُ - وَالِاسْتِخْدَامُ، فَسَيَأْتِي فِي نَوْعِ الْفَوَاصِلِ.

وَأَمَّا حُسْنُ التَّخَلُّصِ وَالِاسْتِطْرَادُ، فَسَيَأْتِي فِي نَوْعِ الْمُنَاسَبَاتِ، وَأَمَّا حُسْنُ الِابْتِدَاءِ، وَحُسْنُ الْخِتَامِ، فَسَيَأْتِيَانِ فِي نَوْعِ الْفَوَاتِحِ وَالْخَوَاتِمِ.

وَهَا أَنَا أَذْكُرُ الْبَاقِيَ مَعَ مِثَالٍ وَاحِدٍ مِنَ الْقُرْآنِ لِكُلٍّ مِنْهَا، إِذِ الْمُرَادُ يَتِمُّ بِمِثَالٍ وَاحِدٍ، وَلَا حَاجَةَ إِلَى تَكْثِيرِ الْأَمْثِلَةِ، فَالْمَذْكُورَاتُ ثَلَاثَةٌ وَأَرْبَعُونَ.

فَالْبَاقِي مِنَ الْمِئَةِ، سَبْعَةٌ وَخَمْسُونَ:

الْإِيهَامُ، وَيُسَمَّى، التَّوْرِيَةَ، أَنْ يُذْكَرَ لَفْظٌ لَهُ مَعْنَيَانِ، إِمَّا بِالِاشْتِرَاكِ، أَوِ التَّوَاطُؤِ، أَوِ الْحَقِيقَةِ، أَوِ الْمَجَازِ، أَحَدُهُمَا قَرِيبٌ، وَالْآخَرُ بَعِيدٌ، وَيُقْصَدُ الْبَعِيدُ، وَيُوَرَّى عَنْهُ بِالْقَرِيبِ، فَيَتَوَهَّمُهُ السَّامِعُ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ.

قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: «وَلَا تَرَى بَابًا فِي الْبَيَانِ أَدَقَّ وَلَا أَلْطَفَ مِنَ التَّوْرِيَةِ، وَلَا أَنْفَعَ وَلَا أَعْوَنَ عَلَى تَعَاطِي تَأْوِيلِ الْمُتَشَابِهَاتِ فِي كَلَامِ اللهِ وَكَلَامِ رَسُولِهِ»[1]. وَمِنْ أَمْثِلَتِهِ ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[2]، فَإِنَّ لِلِاسْتِوَاءِ مَعْنَيَيْنِ: **الِاسْتِقْرَارُ فِي الْمَكَانِ**، وَهُوَ الْمَعْنَى الْقَرِيبُ الْمُوَرَّى بِهِ الَّذِي هُوَ

---

(1) اختصر النص من الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 4/ 143.

(2) سورة طه، الآية: 5.

غَيْرُ مَقْصُودٍ، لِتَنَزُّهِهِ تَعَالَى عَنْهُ. وَالْآخَرُ: **الِاسْتِيلَاءُ وَالْمُلْكُ**، وَهُوَ الْمَعْنَى الْبَعِيدُ الْمَقْصُودُ الَّذِي وَرَّى عَنْهُ بِالْقَرِيبِ الْمَذْكُورِ، انْتَهَى.

وَهَذِهِ **التَّوْرِيَةُ** تُسَمَّى مُجَرَّدَةً، إِذْ لَمْ يُذْكَرْ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ لَوَازِمِ الْمُوَرَّى بِهِ، وَلَا الْمُوَرَّى عَنْهُ، وَمِنْهَا مَا تُسَمَّى مُرَشَّحَةً، وَهِيَ الَّتِي فِيهَا مِنْ لَوَازِمِ هَذَا، أَوْ هَذَا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾[1]، فَإِنَّهُ يَحْتَمِلُ الْجَارِحَةَ، وَهُوَ الْمُوَرَّى بِهِ، وَرُشِّحَ هُوَ بِالْبُنْيَانِ، وَيَحْتَمِلُ الْقُوَّةَ وَالْقُدْرَةَ، وَهُوَ الْبَعِيدُ الْمَقْصُودُ، وَلَهُ نَظَائِرُ فِي الْقُرْآنِ.

وَالِاسْتِخْدَامُ: **هُوَ وَالتَّوْرِيَةُ**، أَشْرَفُ أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ، وَهُمَا سِيَّانِ، وَفَضَّلَهُ بَعْضُهُمْ عَلَيْهَا، وَلَهُمْ فِي تَفْسِيرِهِ عِبَارَتَانِ:

أَحَدُهُمَا: **مُخْتَارُ السَّكَّاكِيِّ** وَأَتْبَاعِهِ، أَنْ يُؤْتَى بِلَفْظٍ لَهُ مَعْنيَانِ فَأَكْثَرُ، مُرَادًا بِهِ أَحَدُ مَعَانِيهِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِضَمِيرِهِ مُرَادًا بِهِ الْمَعْنَى الْآخَرُ.

وَالْأُخْرَى: أَنْ يُؤْتَى بِلَفْظٍ مُشْتَرَكٍ، ثُمَّ بِلَفْظَيْنِ يُفْهَمُ مِنْ أَحَدِهِمَا أَحَدُ الْمَعْنَيَيْنِ، وَمِنَ الْآخَرِ الْآخَرُ، وَهَذِهِ طَرِيقَةُ بَدْرِ الدِّينِ ابْنِ مَالِكٍ فِي **الْمِصْبَاحِ**[2]، وَمَشَى عَلَيْهَا ابْنُ أَبِي الْأَصْبَعِ، وَمَثَّلَ لَهُ بِقَوْلِهِ ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ

---

(1) سورة الذاريات، الآية: 47.

(2) "**الْمِصْبَاحُ فِي اخْتِصَارِ الْمِفْتَاحِ**"، لبدر الدين محمد بن محمد بن عبد الله ابن مالك (ت. 686هـ). وهو في المعاني والبيان.

كِتَابٌ﴾[1]، وَالْكِتَابُ يَحْتَمِلُ الْأَمَدَ الْمَحْتُومَ، وَالْكِتَابَ الْمَكْتُوبَ، "وَأَجَلٌ" يَخْدُمُ الْأَوَّلَ، "وَيَمْحُو" يَخْدُمُ الثَّانِيَ.

وَالِالْتِفَاتُ: أَنْ يَنْتَقِلَ فِي الْكَلَامِ، مِنْ كُلٍّ مِنَ التَّكَلُّمِ وَالْخِطَابِ وَالْغَيْبَةِ إِلَى الْآخَرِ، لِنُكْتَةٍ يَقْتَضِيهَا مَقَامُهَا، وَأَمْثِلَتُهُ مَشْهُورَةٌ.

وَمِنَ الِالْتِفَاتِ نَوْعٌ غَرِيبٌ فِي الْقُرْآنِ لَمْ يُوجَدْ فِي الْأَشْعَارِ، وَهُوَ أَنْ يُؤْتَى بِكَلَامَيْنِ مُرَتَّبَيْنِ، ثُمَّ يُخْبَرَ عَنِ الْأَوَّلِ مِنْهُمَا، ثُمَّ يَنْصَرِفَ إِلَى الْإِخْبَارِ عَنِ الثَّانِي، ثُمَّ إِلَى الْإِخْبَارِ عَنِ الْأَوَّلِ، مِثَالُهُ ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾[2]، ذَكَرَ الْإِنْسَانَ وَرَبَّهُ، فَأَخْبَرَ عَنِ الْإِنْسَانِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْإِخْبَارِ عَنِ الرَّبِّ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ﴾، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ إِلَى الْإِخْبَارِ عَنِ الْإِنْسَانِ بِقَوْلِهِ ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾.

قِيلَ: وَهَذَا يَحْسُنُ أَنْ يُسَمَّى **الْتِفَاتَ الضَّمَائِرِ**، وَيَقْرُبُ مِنَ الِالْتِفَاتِ نَقْلُ الْكَلَامِ مِنْ خِطَابِ الْوَاحِدِ إِلَى الِاثْنَيْنِ، وَبِالْعَكْسِ، وَمِنْهَا إِلَى الْجَمْعِ وَبِالْعَكْسِ.

وَيَقْرُبُ مِنْهُ أَيْضًا: **الِانْتِقَالُ** مِنْ خِطَابِ الْمَاضِي، أَوِ الْمُضَارِعِ، أَوِ الْأَمْرِ إِلَى آخِرِهِ.

---

(1) سورة الرعد، الآية: 38.

(2) سورة العاديات، الآية: 6ـ7ـ8.

الِاطِّرَادُ، أَنْ يَذْكُرَ الْمُتَكَلِّمُ أَسْمَاءَ آبَاءِ الْمَمْدُوحِ مُرَتَّبَةً عَلَى تَرْتِيبِهَا فِي الْوِلَادَةِ، وَمِنْهُ ﴿نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾[1].

الِانْسِجَامُ، أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ لِخُلُوِّهِ مِنَ الْعَقَادَةِ، مُتَحَدِّرًا كَتَحَدُّرِ الْمَاءِ الْمُنْسَجِمِ، وَيَكَادُ لِسُهُولَةِ تَرْكِيبِهِ، وَعُذُوبَةِ أَلْفَاظِهِ، أَنْ يَسِيلَ رِقَّةً، وَالْقُرْآنُ كُلُّهُ كَذَلِكَ.

قَالَ أَهْلُ الْبَدِيعِ: وَإِذَا قَوِيَ الِانْسِجَامُ فِي النَّثْرِ، جَاءَتْ فِقْرَاتُهُ مَوْزُونَةً بِلَا قَصْدٍ، لِقُوَّةِ انْسِجَامِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَقَعَ فِي الْقُرْآنِ مَوْزُونًا:

فَمِنْ بَحْرِ الطَّوِيلِ: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[2].

وَمِنَ الْمَدِيدِ: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[3].

وَمِنَ الْبَسِيطِ: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾[4].

وَمِنَ الْوَافِرِ: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾[5].

وَمِنَ الْكَامِلِ: ﴿وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[6].

---

(1) سورة البقرة، الآية: 133.

(2) سورة الكهف، الآية: 29.

(3) سورة هود، الآية: 37.

(4) سورة الأحقاف، الآية: 25.

(5) سورة التوبة، الآية: 14.

(6) سورة البقرة، الآية: 213.

وَمِنَ الْهَزَجِ: ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾[1].

وَمِنَ الرَّجَزِ: ﴿دَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾[2].

وَمِنَ الرَّمَلِ: ﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾[3].

وَمِنَ السَّرِيعِ: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾[4].

وَمِنَ الْمُنْسَرِحِ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾[5].

وَمِنَ الْخَفِيفِ: ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾[6].

وَمِنَ الْمُضَارِعِ: ﴿يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾[7].

وَمِنَ الْمُقْتَضَبِ: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾[8].

وَمِنَ الْمُجْتَثِّ: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[9].

وَمِنَ الْمُتَقَارِبِ: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾[10].

---

(1) سورة يوسف، الآية: 93.

(2) سورة الإنسان، الآية: 14.

(3) سورة سبأ، الآية: 13.

(4) سورة البقرة، الآية: 259.

(5) سورة الإنسان، الآية: 2.

(6) سورة النساء، الآية: 78.

(7) سورة غافر، الآية:32 - 33.

(8) سورة البقرة، الآية: 10.

(9) سورة الحجر، الآية: 49.

(10) سورة الأعراف، الآية: 183. والإتقان في علوم القرآن: 3/ 296 - 297.

الْإِدْمَاجُ: أَنْ يُدْمِجَ الْمُتَكَلِّمُ غَرَضًا فِي غَرَضٍ، أَوْ بَدِيعًا فِي بَدِيعٍ، بِحَيْثُ لَا يَظْهَرُ فِي الْكَلَامِ إِلَّا أَحَدُ الْغَرَضَيْنِ، أَوْ أَحَدُ الْبَدِيعَيْنِ، نَحْوَ: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾[1]، حَيْثُ أَدْمَجَ الْبَعْثَ وَالْجَزَاءَ فِي وَصْفِهِ تَعَالَى بِالْحَمْدِ.

الِافْتِنَانُ: الْإِتْيَانُ فِي كَلَامٍ بِفَنَّيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ، كَالْجَمْعِ بَيْنَ الْفَخْرِ وَالتَّعْزِيَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[2].

الِاقْتِدَارُ: أَنْ يُبْرِزَ الْمُتَكَلِّمُ الْمَعْنَى الْوَاحِدَ فِي عِدَّةِ صُوَرٍ، اقْتِدَارًا عَلَى نَظْمِ الْكَلَامِ وَتَرْكِيبِهِ، وَعَلَى صِيَاغَةِ قَوَالِبِ الْمَعَانِي وَالْأَغْرَاضِ، فَتَارَةً يَأْتِي بِهِ فِي صُورَةِ الِاسْتِعَارَةِ، وَتَارَةً فِي صُورَةِ الْإِرْدَافِ، وَحِينًا فِي مَخْرَجِ الْإِيجَازِ، وَمَرَّةً فِي قَالَبِ الْحَقِيقَةِ.

ائْتِلَافُ اللَّفْظِ مَعَ اللَّفْظِ وَائْتِلَافُهُ مَعَ الْمَعْنَى: **الْأَوَّلُ**: أَنْ تَكُونَ الْأَلْفَاظُ تُلَائِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، بِأَنْ يُقْرَنَ الْغَرِيبُ بِمِثْلِهِ، وَالْمُتَدَاوَلُ بِمِثْلِهِ، رِعَايَةً لِحُسْنِ الْجَوْدَةِ وَالْمُنَاسَبَةِ. **وَالثَّانِي**: أَنْ تَكُونَ أَلْفَاظُ الْكَلَامِ مُلَائِمَةً لِلْمَعْنَى الْمُرَادِ، فَإِنْ كَانَ فَخْمًا، كَانَتْ أَلْفَاظُهُ مُفَخَّمَةً، أَوْ جَزْلًا فَجَزْلَةً، أَوْ غَرِيبًا فَغَرِيبَةً، أَوْ مُتَدَاوَلًا فَمُتَدَاوَلَةً، أَوْ مُتَوَسِّطًا بَيْنَ الْغَرَابَةِ وَالِاسْتِعْمَالِ فَكَذَلِكَ.

---

(1) سورة القصص، الآية: 70.

(2) سورة الرحمن، الآية: 26 ـ 27.

مِثَالُ الْأَوَّلِ: ﴿تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾(1)، اخْتَارَ مِنَ الْأَلْفَاظِ أَغْرَبَهَا، فَإِنَّ التَّاءَ أَغْرَبُ حُرُوفِ الْقَسَمِ لِقِلَّةِ اسْتِعْمَالِهَا، وَأَتَى بِأَغْرَبِ صِيَغِ الْأَفْعَالِ الَّتِي تَرْفَعُ الْأَسْمَاءَ، وَتَنْصِبُ الْأَخْبَارَ، وَهُوَ تَفْتَأُ، فَإِنَّ "تَزَالُ"، أَقْرَبُ إِلَى الْأَفْهَامِ، وَأَكْثَرُ اسْتِعْمَالًا مِنْهُ، وَبِأَغْرَبِ(2) أَلْفَاظِ الْهَلَاكِ، وَهُوَ "الْحَرَضُ"، فَاقْتَضَى حُسْنُ الِائْتِلَافِ فِي اللَّفْظِ جَمْعَ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ.

وَمِثَالُ الثَّانِي: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾(3)، لَمَّا كَانَ الرُّكُونُ أَيِ الْمَيْلُ إِلَى الظَّالِمِ، دُونَ مُشَارَكَتِهِ فِي الظُّلْمِ، أَتَى بِالْمَسِّ الَّذِي هُوَ دُونَ الْإِحْرَاقِ وَالِاصْطِلَاءِ(4).

وَالِاسْتِدْرَاكُ وَالِاسْتِثْنَاءُ، شَرْطُ كَوْنِهِمَا مِنَ الْبَدِيعِ أَنْ يَتَضَمَّنَا ضَرْبًا مِنَ الْمَحَاسِنِ زَائِدًا عَلَى مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ الْمَعْنَى اللُّغَوِيُّ. مِثَالُ الِاسْتِدْرَاكِ ﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾(5)، إِذْ لَوِ اقْتَصَرَ عَلَى ﴿لَمْ تُؤْمِنُوا﴾، لَكَانَ مُنَفِّرًا لَهُمْ، فَذَكَرَ الِاسْتِدْرَاكَ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ الْإِيمَانَ مُوَافَقَةُ اللِّسَانِ وَالْقَلْبِ، وَاللِّسَانُ الْمُجَرَّدُ يُسَمَّى إِسْلَامًا.

---

(1) سورة يوسف، الآية: 85.

(2) وبأكثر، في قونية.

(3) سورة هود، الآية: 113.

(4) الإتقان في علوم القرآن: 3/ 299-300.

(5) سورة الحجرات، الآية: 14.

وَمِثَالُ الِاسْتِثْنَاءِ: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾[1]، فِيهِ تَمْهِيدُ عُذْرِ نُوحٍ فِي دُعَائِهِ بِهَلَاكِ قَوْمِهِ، حَيْثُ دَعَاهُمْ مُدَّةً طَوِيلَةً، وَلَمْ يُجِيبُوهُ، وَقَالَ: ﴿أَلْفَ﴾، تَهْوِيلًا لِأَسْمَاعِهِمْ، بِحَيْثُ لَا يُلْتَفَتُ[2] بَعْدَهُ إِلَى الِاسْتِثْنَاءِ، وَلَوْ قَالَ تِسْعَمِئَةٍ وَخَمْسِينَ، لَمْ تَحْصُلْ هَذِهِ الْفَائِدَةُ.

الِاقْتِصَاصُ: أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ فِي سُورَةٍ مُقْتَصًّا مِنْ كَلَامٍ فِي سُورَةٍ أُخْرَى، أَوْ فِي تِلْكَ السُّورَةِ، نَحْوَ ﴿لَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾[3]، مُقْتَصٌّ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾[4].

الْإِبْدَالُ: إِقَامَةُ بَعْضِ الْحُرُوفِ مَقَامَ بَعْضٍ، نَحْوَ: "فَانْفَلَقَ"، أَيِ انْفَرَقَ، بِدَلِيلِ ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ﴾[5]. وَمِنْهُ: ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ﴾[6]، أَيِ الْخَيْلَ.

تَأْكِيدُ الْمَدْحِ بِمَا يُشْبِهُ الذَّمَّ: قَالَ ابْنُ أَبِي الْإِصْبَعِ: وَلَمْ أَدْرِ مِنْهُ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا وَاحِدَةً، نَحْوَ ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ﴾[7].

---

(1) سورة العنكبوت، الآية: 14.

(2) لم يلتفت، في قونية.

(3) سورة الصافات، الآية: 57.

(4) سورة الروم، الآية: 16.

(5) سورة الشعراء، الآية: 63.

(6) سورة ص، الآية: 32.

(7) سورة الحج، الآية: 40.

التَّفْوِيتُ: هُوَ إِتْيَانُ الْمُتَكَلِّمِ بِمَعَانٍ شَتَّى مِنَ الْمَدْحِ وَالْوَصْفِ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْفُنُونِ، كُلُّ فَنٍّ فِي جُمْلَةٍ مُنْفَصِلَةٍ عَنْ أُخْتِهَا، مَعَ تَسَاوِي الْجُمَلِ فِي الرِّقَّةِ.

وَيَكُونُ فِي الْجُمَلِ الطَّوِيلَةِ، وَالْقَصِيرَةِ، وَالْمُتَوَسِّطَةِ:

فَمِنَ الطَّوِيلَةِ: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾[1].

وَمِنَ الْمُتَوَسِّطَةِ: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾[2] وَ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾[3].

قِيلَ: وَلَمْ يَأْتِ الْمُرَكَّبُ مِنَ الْقَصِيرَةِ فِي الْقُرْآنِ. قَالَهُ ابْنُ أَبِي الْإِصْبَعِ[4].

التَّقْسِيمُ: هُوَ اسْتِيفَاءُ أَقْسَامِ الشَّيْءِ الْمَوْجُودَةِ، لَا الْمُمْكِنَةِ عَقْلًا، نَحْوَ: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[5]، إِذْ لَا ثَالِثَ لَهُمَا فِي رُؤْيَةِ الْبَرْقِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾[6]، اسْتَوْفَى جَمِيعَ هَيْئَاتِ الذَّاكِرِ. وَلَهُ نَظَائِرُ فِي الْقُرْآنِ.

---

(1) سورة الشعراء الآيات: 78 ـ 81.

(2) سورة الحج، الآية: 61.

(3) سورة يونس، الآية: 31.

(4) الإتقان في علوم القرآن: 3/ 304.

(5) سورة الرعد، الآية: 12.

(6) سورة آل عمران، الآية: 191.

التَّدْبِيجُ: [هُوَ][1] أَنْ يَذْكُرَ الْمُتَكَلِّمُ أَلْوَانًا يَقْصِدُ التَّوْرِيَةَ بِهَا وَالْكِنَايَةَ، نَحْوَ: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾[2]، لَمَّا كَانَ الطَّرَفُ الْأَعْلَى فِي الظُّهُورِ هُوَ الْبَيَاضَ، وَيُقَابِلُهُ السَّوَادُ فِي الْخَفَاءِ، وَبَيْنَهُمَا الْأَحْمَرُ، وَكَذَلِكَ أَلْوَانُ الْجِبَالِ، إِمَّا جَادَّةٌ بَيْضَاءُ، وَإِمَّا خَفِيَّةٌ سَوْدَاءُ، أَوْ حَمْرَاءُ بَيْنَهُمَا، لَا جَرَمَ قَسَّمَ كُلَّ عَلَمٍ نُصِبَ لِلْهِدَايَةِ إِلَيْهَا.

التَّنْكِيتُ: أَنْ يَقْصِدَ الْمُتَكَلِّمُ إِلَى ذِكْرِ شَيْءٍ دُونَ غَيْرِهِ مِمَّا يَسُدُّ مَسَدَّهُ، لِأَجْلِ نُكْتَةٍ فِي الْمَذْكُورِ تُرَجِّحُ مَجِيئَهُ عَلَى سِوَاهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾[3]، مَعَ أَنَّهُ رَبُّ كُلِّ نَجْمٍ وَرَبُّ كُلِّ شَيْءٍ، لِأَنَّهُ ظَهَرَ فِي الْعَرَبِ رَجُلٌ يُعْرَفُ بِابْنِ أَبِي كَبْشَةَ عَبَدَ الشِّعْرَى، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَتِهَا[4].

التَّجْرِيدُ: أَنْ يُنْزَعَ مِنْ شَيْءٍ ذِي صِفَةٍ آخَرُ مِثْلُهُ، مُبَالَغَةً فِي كَمَالِهَا فِيهِ، نَحْوَ: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾[5]، جَرَّدَ مِنَ الْجَنَّةِ دَارَ الْخُلْدِ، وَإِلَّا فَالْجَنَّةُ نَفْسُهَا دَارُ الْخُلْدِ، لَا أَنَّ دَارَ الْخُلْدِ فِيهَا، بِأَنْ يَكُونَ فِيهَا غَيْرُ دَارِ الْخُلْدِ.

---

(1) زيادة من قونية.

(2) سورة فاطر، الآية: 27.

(3) سورة النجم، الآية: 49.

(4) الإتقان في علوم القرآن: 3/ 306 ـ 307.

(5) سورة فصلت، الآية: 28.

التَّعْدِيدُ: هُوَ إِيقَاعُ الْأَلْفَاظِ الْمُفْرَدَةِ عَلَى سِيَاقٍ وَاحِدٍ، وَأَكْثَرُ مَا يُوجَدُ فِي الصِّفَاتِ، نَحْوَ: ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾[1]، إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾.

التَّرْتِيبُ: هُوَ أَنْ يُورِدَ أَوْصَافَ الْمَوْصُوفِ عَلَى تَرْتِيبِهَا فِي الْخِلْقَةِ الطَّبِيعِيَّةِ، وَلَا يُدْخِلَ فِيهَا وَصْفًا زَائِدًا، نَحْوَ: ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾[2]، الْآيَة.

التَّضْمِينُ: يَقَعُ عَلَى أَشْيَاءَ:

أَحَدُهَا: إِيقَاعُ لَفْظٍ مَوْقِعَ غَيْرِهِ لِتَضَمُّنِهِ مَعْنَاهُ، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الْمَجَازِ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِيهِ.

الثَّانِي: حُصُولُ مَعْنًى فِيهِ مِنْ غَيْرِ ذِكْرٍ لَهُ بِاسْمٍ هُوَ عِبَارَةٌ عَنْهُ. وَهَذَا نَوْعٌ مِنَ الْإِيجَازِ.

الثَّالِثُ: تَعَلُّقُ مَا بَعْدَ الْفَاصِلَةِ بِهَا. وَهَذَا مَذْكُورٌ فِي نَوْعِ الْفَوَاصِلِ.

الرَّابِعُ: إِدْرَاجُ كَلَامِ الْغَيْرِ فِي أَثْنَاءِ الْكَلَامِ، لِقَصْدِ تَأْكِيدِ الْمَعْنَى، أَوْ تَرْتِيبِ النَّظْمِ. وَهَذَا هُوَ النَّوْعُ الْبَدِيعِيُّ، نَحْوَ: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾[3]، الآية، وَتَضَمَّنَ شَيْئًا مِنَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ؛ وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ

---

(1) سورة الحشر، الآية: 23.

(2) سورة فاطر، الآية: 11.

(3) سورة المائدة، الآية: 45.

إِيدَاعُ حِكَايَاتِ الْمَخْلُوقِينَ فِي الْقُرْآنِ، كَقَوْلِ الْمَلَائِكَةِ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾[1]، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ.

الْجِنَاسُ: هُوَ تَشَابُهُ اللَّفْظَيْنِ فِي اللَّفْظِ. وَفَائِدَتُهُ أَنَّ مُنَاسَبَةَ الْأَلْفَاظِ تُحْدِثُ، مَيْلًا وَإِصْغَاءً إِلَيْهَا، وَهُوَ أَنْوَاعٌ:

مِنْهَا التَّامُّ، بِأَنْ يَتَّفِقَا فِي أَنْوَاعِ الْحُرُوفِ وَأَعْدَادِهَا وَهَيْئَاتِهَا، نَحْوَ: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾[2].

وَمِنْهَا: **الْمُصَحَّفُ**، وَيُسَمَّى جِنَاسَ الْخَطِّ، بِأَنْ تَخْتَلِفَ الْحُرُوفُ فِي النَّقْطِ، نَحْوَ: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[3].

وَمِنْهَا: **الْمُحَرَّفُ**، بِأَنْ يَقَعَ الِاخْتِلَافُ فِي الْحَرَكَاتِ، نَحْوَ: ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[4]، وَفِيهِ التَّحْرِيفُ أَيْضًا.

وَمِنْهَا: **النَّاقِصُ**، بِأَنْ يَخْتَلِفَا فِي عَدَدِ الْحُرُوفِ وَالزَّائِدِ، إِمَّا فِي الْأَوَّلِ أَوْ فِي الْوَسَطِ أَوْ فِي الْآخِرِ، نَحْوَ: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾[5].

---

(1) سورة البقرة، الآية: 30.

(2) سورة النور، الآية: 43 ـ 44.

(3) سورة الشعراء، الآية: 79 ـ 80.

(4) سورة الكهف، الآية: 104.

(5) سورة القيامة، الآية: 29 ـ 30.

وَمِنْهَا: **الْمُذَيَّلُ**، بِأَنْ يَزِيدَ أَحَدُهُمَا أَكْثَرَ مِنْ حَرْفٍ فِي الْآخِرِ أَوِ الْأَوَّلِ، وَيُسَمَّى الثَّانِي بِالْمُتَوَّجِ، نَحْوَ: ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ﴾، وَ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾[1].

وَمِنْهَا: **الْمُضَارِعُ**، وَهُوَ أَنْ يَخْتَلِفَ الْحَرْفُ مَعَ مُقَارِبٍ فِي الْمَخْرَجِ، سَوَاءٌ كَانَ فِي الْأَوَّلِ أَوِ الْوَسَطِ أَوِ الْآخِرِ، نَحْوَ: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾[2].

وَمِنْهَا: **اللَّاحِقُ**، وَهُوَ أَنْ يَخْتَلِفَا بِحَرْفٍ غَيْرِ مُقَارِبٍ فِيهِ كَذَلِكَ، نَحْوَ: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾[3]، ﴿ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ﴾[4]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَشَدِيدٌ﴾، وَنَحْوَ: ﴿أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ﴾[5].

وَمِنْهَا: **الْمَرْفُوعُ**[6]، وَهُوَ مَا تَرَكَّبَ مِنْ كَلِمَةٍ وَبَعْضِ أُخْرَى، نَحْوَ: ﴿جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ﴾[7].

وَمِنْهَا: **اللَّفْظِيُّ**، بِأَنْ يَخْتَلِفَا بِحَرْفٍ مُنَاسِبٍ لِلْآخَرِ مُنَاسَبَةً لَفْظِيَّةً، نَحْوَ: ﴿نَاضِرَةٌ﴾ وَ﴿ (نَاظِرَةٌ﴾.

---

(1) سورة النساء، الآية: 143.

(2) سورة الأنعام، الآية: 26.

(3) سورة الهمزة، الآية: 1.

(4) سورة العاديات، الآية: 7 ـ 8.

(5) سورة النساء، الآية: 83.

(6) (منها المرفوّ) في الإتقان في علوم القرآن.

(7) سورة التوبة، الآية: 109.

وَمِنْهَا: **تَجْنِيسُ الْقَلْبِ**، بِأَنْ يَخْتَلِفَا فِي تَرْتِيبِ الْحُرُوفِ، نَحْوَ: ﴿فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[1].

وَمِنْهَا: **تَجْنِيسُ الِاشْتِقَاقِ**، بِأَنْ يَجْتَمِعَا فِي أَصْلِ الِاشْتِقَاقِ، وَيُسَمَّى الْمُقْتَضَبَ، نَحْوَ: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾[2]، ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾[3].

وَمِنْهَا: **تَجْنِيسُ الْإِطْلَاقِ**، بِأَنْ يَجْتَمِعَا فِي الْمُشَابَهَةِ فَقَطْ، نَحْوَ: ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾[4]. وَلِكَوْنِ الْجِنَاسِ مِنَ الْمَحَاسِنِ اللَّفْظِيَّةِ لَا الْمَعْنَوِيَّةِ تُرِكَ عِنْدَ قُوَّةِ الْمَعْنَى، نَحْوَ: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾[5]، حَيْثُ لَمْ يَقُلْ: "وَمَا أَنْتَ بِمُصَدِّقٍ"، لِيَكُونَ مِنَ الْجِنَاسِ، إِذْ فِي مُؤْمِنٍ وَرَاءَ التَّصْدِيقِ إِعْطَاءُ الْأَمْنِ. وَقَدْ زَلَّ بَعْضُ الْأُدَبَاءِ، بَلْ ضَلَّ، وَقَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾[6]، لَوْ قَالَ: "وَتَدَعُونَ"، لَكَانَ فِيهِ مُرَاعَاةُ الْجِنَاسِ، كَأَنَّهُ غَفَلَ عَمَّا ذَكَرَهُ الْإِمَامُ الرَّازِيُّ بِأَنَّ فَصَاحَةَ الْقُرْآنِ لَيْسَتْ لِأَجْلِ هَذِهِ التَّكَلُّفَاتِ[7]، بَلْ لِأَجْلِ قُوَّةِ الْمَعَانِي، وَجَزَالَةِ الْأَلْفَاظِ.

---

(1) سورة طه، الآية: 94.

(2) سورة الواقعة، الآية: 89.

(3) سورة الروم، الآية: 43.

(4) سورة الرحمن، الآية: 54.

(5) سورة يوسف، الآية: 17.

(6) سورة الصافات، الآية: 125.

(7) التكليفات، في الأزهرية.

الْجَمْعُ: هُوَ أَنْ يُجْمَعَ بَيْنَ شَيْئَيْنِ أَوْ أَشْيَاءَ مُتَعَدِّدَةٍ فِي حُكْمٍ، نَحْوَ: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[1].

الْجَمْعُ وَالتَّفْرِيقُ: هُوَ أَنْ تُدْخِلَ شَيْئَيْنِ فِي مَعْنًى، وَتُفَرِّقَ بَيْنَ جِهَتَيِ الْإِدْخَالِ، نَحْوَ: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[2]، الآية.

الْجَمْعُ وَالتَّقْسِيمُ: وَهُوَ جَمْعُ مُتَعَدِّدٍ تَحْتَ حُكْمٍ، ثُمَّ تَقْسِيمُهُ، نَحْوَ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾[3]، الآية.

الْجَمْعُ مَعَ التَّفْرِيقِ وَالتَّقْسِيمِ: نَحْوَ: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾[4] الآية.

جَمْعُ الْمُؤْتَلِفِ وَالْمُخْتَلِفِ: هُوَ أَنْ يُرِيدَ التَّسْوِيَةَ بَيْنَ مَمْدُوحَيْنِ، فَيَأْتِيَ بِمَعَانٍ مُؤْتَلِفَةٍ فِي مَدْحِهِمَا، وَيَرُومَ بِغَيْرِ ذَلِكَ تَرْجِيحَ أَحَدِهِمَا عَلَى الْآخَرِ، بِزِيَادَةِ فَضْلٍ لَا يَنْقُصُ الْآخَرَ، فَيَأْتِيَ لِأَجْلِ ذَلِكَ بِمَعَانٍ تُخَالِفُ مَعْنَى التَّسْوِيَةِ، نَحْوَ: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ﴾[5] الآية، سَوَّى فِي الْحُكْمِ وَالْعِلْمِ، وَزَادَ [فَضْلُ][6] سُلَيْمَانَ بِالْفَهْمِ.

---

(1) سورة الكهف، الآية: 46.

(2) سورة الزمر، الآية: 42.

(3) سورة فاطر، الآية: 32.

(4) سورة هود، الآية: 105.

(5) سورة الأنبياء، الآية: 78.

(6) زيادة من قونية وعاطف أفندي.

جَمْعُ الْمُخْتَلِفِ وَالْمُؤْتَلِفِ[1]: أَنْ يَأْتِيَ الْمُتَكَلِّمُ بِكَلِمَاتٍ مُتَتَالِيَاتٍ مَعْطُوفَاتٍ مُتَلَاحِمَاتٍ تَلَاحُمًا سَلِيمًا مُسْتَحْسَنًا، بِحَيْثُ إِذَا أُفْرِدَتْ كُلُّ جُمْلَةٍ مِنْهَا قَامَتْ بِنَفْسِهَا، وَاسْتَقَلَّ مَعْنَاهَا بِلَفْظِهَا، نَحْوَ: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾[2]، الآية.

عِتَابُ الْمَرْءِ نَفْسَهُ: نَحْوَ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ﴾[3]، الآيات.

الْعَكْسُ: هُوَ أَنْ يُؤْتَى بِكَلَامٍ يُقَدَّمُ فِيهِ جُزْءٌ، وَيُؤَخَّرُ آخَرُ، ثُمَّ يُقَدَّمُ الْمُؤَخَّرُ، وَيُؤَخَّرُ الْمُقَدَّمُ، نَحْوَ: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾[4]، وَ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾[5].

وَمِنَ الْعَكْسِ: **الْقَلْبُ الْمُسْتَوِي**، نَحْوَ: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾[6]، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾[7]، وَلَا ثَالِثَ لَهُمَا فِي الْقُرْآنِ.

الْعُنْوَانُ: هُوَ أَنْ يَأْخُذَ الْمُتَكَلِّمُ في غَرَضٍ، فَيَأْتِي لِقَصْدِ تَكْمِيلِهِ وَتَأْكِيدِهِ بِأَمْثِلَةٍ فِي أَلْفَاظٍ تَكُونُ عُنْوَانًا لِأَخْبَارٍ مُتَقَدِّمَةٍ، وَقِصَصٍ سَابِقَةٍ. وَمِنْهُ نَوْعٌ

---

(1) سماه السيوطي: (حُسْنَ النَّسَقِ) في الإتقان في علوم القرآن: 3/ 316.

(2) سورة هود، الآية: 44.

(3) سورة الفرقان، الآية: 27.

(4) سورة الحج، الآية: 61.

(5) سورة يونس، الآية: 31.

(6) سورة الأنبياء، الآية:33.

(7) سورة المدثر، الآية: 3.

عَظِيمٌ جِدًّا، وَهُوَ عُنْوَانُ الْعُلُومِ، بِأَنْ يَذْكُرَ فِي الْكَلَامِ أَلْفَاظًا تَكُونُ مَفَاتِيحَ لِعُلُومٍ وَمَدَاخِلَ لَهَا.

ـ فَمِنَ الْأَوَّلِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾[1]، الآية، فَإِنَّهُ عُنْوَانُ قِصَّةِ بَلْعَامَ[2].

ـ وَمِنَ الثَّانِي: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾[3]، الآية، فِيهَا عُنْوَانُ عِلْمِ الْهَنْدَسَةِ، فَإِنَّ الشَّكْلَ الْمُثَلَّثَ أَوَّلُ الْأَشْكَالِ، وَإِذَا نُصِبَ فِي الشَّمْسِ عَلَى أَيِّ ضِلْعٍ مِنْ أَضْلَاعِهِ، لَا يَكُونُ لَهُ ظِلٌّ لِتَحْدِيدِ رُؤُوسِ زَوَايَاهُ، فَأَمَرَ اللهُ تَعَالَى أَهْلَ جَهَنَّمَ بِالِانْطِلَاقِ إِلَى ظِلِّ هَذَا الشَّكْلِ تَهَكُّمًا بِهِمْ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[4]، فِيهَا عُنْوَانُ عِلْمِ الْكَلَامِ، وَعِلْمِ الْجَدَلِ، وَعِلْمِ الْهَيْئَةِ.

الْفَرَائِدُ: مُخْتَصٌّ بِالْفَصَاحَةِ دُونَ الْبَلَاغَةِ، وَهِيَ الْإِتْيَانُ بِلَفْظَةٍ تَتَنَزَّلُ مَنْزِلَةَ الْفَرِيدَةِ مِنَ الْعِقْدِ، وَهِيَ الْجَوْهَرَةُ الَّتِي لَا نَظِيرَ لَهَا، تَدُلُّ عَلَى عِظَمِ فَصَاحَةِ الْكَلَامِ، وَقُوَّةِ عَارِضَتِهِ، وَجَزَالَةِ مَنْطِقِهِ، وَأَصَالَةِ عَرَبِيَّتِهِ، بِحَيْثُ لَوْ

---

(1) سورة الأعراف، الآية: 175.

(2) هو بلعام بن باعوراء بن مأب بن لوط، من مدينة بلقاء، وقصته ـ مع موسى عليه السلام وقومه عندما قصد حرب الجبارين، في أرض بني كنعان ـ مشهورة ذُكِرَتْ كاملة ومفصلة في كتب التفسير، مثل: "الكشف والبيان عن تفسير القرآن" لأحمد بن إبراهيم الثعلبي (ت. 427هـ): 12/ 589 ـ 592، والبداية والنهاية: 1/ 322.

(3) سورة المرسلات، الآية: 30.

(4) سورة الأنعام، الآية: 75.

أُسْقِطَتْ مِنَ الْكَلَامِ عَزَّتْ عَلَى الْفُصَحَاءِ. وَمِنْهُ لَفْظُ: "حَصْحَصَ" في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾[1]، وَ"خَائِنَةَ" في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾[2].

الْقَسَمُ: أَنْ يُرِيدَ الْمُتَكَلِّمُ الْحَلِفَ عَلَى شَيْءٍ، فَيَحْلِفَ بِمَا يَكُونُ فِيهِ فَخْرٌ لَهُ، أَوْ تَعْظِيمٌ لِشَأْنِهِ، أَوْ تَنْوِيهٌ بِقَدْرِهِ، أَوْ ذَمٌّ لِغَيْرِهِ، أَوْ جَارِيًا مَجْرَى الْغَزَلِ وَالتَّزَلُّفِ، أَوْ خَارِجًا مَخْرَجَ الْوَعْظِ وَالزُّهْدِ، نَحْوَ: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾[3]، أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِقَسَمٍ يُوجِبُ الْفَخْرَ، لِتَضَمُّنِهِ التَّمَدُّحَ بِأَعْظَمِ قُدْرَةٍ، وَأَجَلِّ عَظَمَةٍ، وَنَحْوَ: "لَعَمْرُكَ"، أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِحَيَاةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعْظِيمًا لِشَأْنِهِ، وَتَنْوِيهًا بِقَدْرِهِ.

اللَّفُّ وَالنَّشْرُ: أَنْ يُذْكَرَ شَيْئَانِ أَوْ أَشْيَاءُ، إِمَّا تَفْصِيلًا بِالنَّصِّ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ، أَوْ إِجْمَالًا، بِأَنْ يُؤْتَى بِلَفْظٍ يَشْتَمِلُ عَلَى مُتَعَدِّدٍ، ثُمَّ يَذْكُرَ أَشْيَاءَ عَلَى عَدَدِ ذَلِكَ، كُلُّ وَاحِدٍ يَرْجِعُ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُتَقَدِّمِ، ويُفَوِّضَ إِلَى عَقْلِ السَّامِعِ رَدَّ كُلِّ وَاحِدٍ إِلَى مَا يَلِيقُ بِهِ. **فَالْإِجْمَالِيُّ** نَحْوَ: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾[4]، فَقَوْلُهُ "وَقَالُوا" إِجْمَالٌ، وَالْيَهُودُ وَالنَّصَارَى يُفَصِّلُهُ.

---

(1) سورة يوسف، الآية: 51.

(2) سورة غافر، الآية: 19.

(3) سورة الذاريات، الآية: 23.

(4) سورة البقرة، الآية: 111.

ثُمَّ **التَّفْصِيلُ**؛ إِمَّا عَلَى تَرْتِيبِ اللَّفِّ، نَحْوَ: ﴿جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾[1]، فَالسُّكُونُ لِلَّيْلِ، وَالِابْتِغَاءُ لِلنَّهَارِ.

وَإِمَّا عَلَى عَكْسِ تَرْتِيبِهِ، نَحْوَ ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ، فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾[2]، الآية، بَدَأَ فِي النَّشْرِ بِالسَّوَادِ، وَهُوَ الثَّانِي فِي اللَّفِّ[3].

الْمُشَاكَلَةُ: ذِكْرُ الشَّيْءِ بِلَفْظِ غَيْرِهِ، لِوُقُوعِهِ فِي صُحْبَتِهِ تَحْقِيقًا أَوْ تَقْدِيرًا.

فَالْأَوَّلُ: نَحْوَ: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ﴾[4]، فَإِنَّ إِطْلَاقَ الْمَكْرِ فِي جَانِبِ الْبَارِئِ لِمُشَاكَلَةِ مَا مَعَهُ.

وَالثَّانِي: نَحْوَ: ﴿صِبْغَةَ اللهِ﴾[5]، عَبَّرَ بِهَا عَنِ الْإِيمَانِ لِتَطْهِيرِهِ النُّفُوسَ، كَمَا أَنَّ النَّصَارَى يَغْمِسُونَ أَوْلَادَهُمْ فِي مَاءٍ أَصْفَرَ يُسَمُّونَهُ الْمَعْمُودِيَّةَ[6]، وَيَقُولُونَ إِنَّهُ تَطْهِيرٌ لَهُمْ، فَعَبَّرَ لِهَذَا عَنِ الْإِيمَانِ بِالصِّبْغَةِ.

الْمُزَاوَجَةُ: أَنْ يُزَاوِجَ بَيْنَ مَعْنَيَيْنِ فِي الشَّرْطِ وَالْجَزَاءِ، أَوْ مَا جَرَى مَجْرَاهُمَا، نَحْوَ: ﴿آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾[7]، الآية.

---

(1) سورة القصص، الآية: 73.

(2) سورة آل عمران، الآية: 106.

(3) الإتقان في علوم القرآن: 3/ 320 ـ 322.

(4) سورة آل عمران، الآية: 54.

(5) سورة البقرة، الآية: 138.

(6) المعمودية عند النصارى أن يغمس القس الطِّفْلَ فِي مَاء يَتْلُو عَلَيْهِ بعض فقر من الْإِنْجِيل وَهُوَ آيَة التنصير عِنْدهم. المعجم الوسيط: 2/ 626.

(7) سورة الأعراف، الآية: 75.

الْمُبَالَغَةُ: أَنْ يَذْكُرَ الْمُتَكَلِّمُ وَصْفًا فَيَزِيدَ فِيهِ حَتَّى يَكُونَ أَبْلَغَ فِي الْمَعْنَى الَّذِي قَصَدَهُ. وَهِيَ إِمَّا مُبَالَغَةٌ فِي الْوَصْفِ، بِأَنْ يَخْرُجَ إِلَى حَدِّ الِاسْتِحَالَةِ عَادَةً. وَمِنْهُ: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾(1)، ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾(2). وَإِمَّا مُبَالَغَةٌ بِالصِّيغَةِ، وَصِيَغُ الْمُبَالَغَةِ مَعْرُوفَةٌ.

الْمُطَابَقَةُ وَتُسَمَّى الطِّبَاقَ: الْجَمْعُ بَيْنَ مُتَضَادَّيْنِ فِي الْجُمْلَةِ. وَهُوَ إِمَّا حَقِيقِيٌّ، نَحْوَ: ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾(3)، وَإِمَّا مَجَازِيٌّ، نَحْوَ: ﴿أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾(4)، أَيْ ضَالًّا فَهَدَيْنَاهُ، وَإِمَّا إِيجَابٌ، نَحْوَ: مَا مَرَّ، وَإِمَّا سَلْبٌ، نَحْوَ: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾(5)، وَإِمَّا لَفْظِيٌّ مِنْهُمَا نَحْوَ مَا مَرَّ، وَإِمَّا مَعْنَوِيٌّ كَذَلِكَ، نَحْوَ: ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾(6).

وَمِنْهُ: نَوْعٌ يُسَمَّى الطِّبَاقَ الْخَفِيَّ، نَحْوَ: ﴿أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا ﴾(7)، وَذَكَرَ الْغَرَقَ وَذَكَرَ الْمَاءَ مَعْنًى.

---

(1) سورة النور، الآية: 35.

(2) سورة الأعراف، الآية: 40.

(3) سورة النجم، الآية: 43.

(4) سورة الأنعام، الآية: 122.

(5) سورة المائدة، الآية: 44.

(6) سورة البقرة، الآية: 22.

(7) سورة نوح، الآية: 25.

وَمِنْهُ: نَوْعٌ يُسَمَّى تَرْصِيعَ الْكَلَامِ، وَهُوَ اقْتِرَانُ الشَّيْءِ بِمَا يَجْتَمِعُ مَعَهُ فِي قَدْرٍ مُشْتَرَكٍ، نَحْوَ: ﴿لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾[1]، وَهُمَا اجْتَمَعَا فِي الِاحْتِرَاقِ، لِأَنَّ الظَّمَأَ احْتِرَاقُ الْبَاطِنِ مِنَ الْعَطَشِ، وَالضُّحِيُّ احْتِرَاقُ الظَّاهِرِ مِنَ الشَّمْسِ.

وَمِنْهُ: نَوْعٌ يُسَمَّى **الْمُقَابَلَةَ**، وَهِيَ أَنْ يُذْكَرَ لَفْظَانِ فَأَكْثَرُ، ثُمَّ أَضْدَادُهَا عَلَى التَّرْتِيبِ. وَالْفَرْقُ بَيْنَ الطِّبَاقِ وَالْمُقَابَلَةِ، أَنَّ الْأَوَّلَ بَيْنَ الضِّدَّيْنِ فَقَطْ، وَالثَّانِيَ بِمَا زَادَ مِنَ الْأَرْبَعَةِ إِلَى الْعَشَرَةِ. وَأَيْضًا الْأَوَّلُ فِي الْأَضْدَادِ خَاصَّةً، وَالثَّانِي فِيهَا وَفِي غَيْرِهَا.

الْمُوَارَبَةُ: بِالرَّاءِ الْمُهْمَلَةِ، وَبَاءٍ مُوَحَّدَةٍ، أَنْ يَقُولَ قَوْلًا يَتَضَمَّنُ مَا يُنْكَرُ عَلَيْهِ، فَإِذَا حَصَلَ الْإِنْكَارُ، اسْتَحْضَرَ بِحِذْقِهِ وَجْهًا مِنَ الْوُجُوهِ يَتَخَلَّصُ بِهِ، إِمَّا بِتَحْرِيفِ كَلِمَةٍ أَوْ تَصْحِيفِهَا، أَوْ زِيَادَةٍ، أَوْ نَقْصٍ، نَحْوَ: ﴿ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾[2]، فَإِنَّهُ قُرِئَ: (إِنَّ ابْنَكَ سُرِّقَ وَلَمْ يَسْرِقْ)، فَأَتَى بِالْكَلَامِ عَلَى الصِّحَّةِ بِإِبْدَالِ ضَمَّةٍ مِنْ فَتْحَةٍ، وَتَشْدِيدٍ فِي الرَّاءِ وَكَسْرَتِهَا.

الْمُرَاجَعَةُ: أَنْ يَحْكِيَ الْمُتَكَلِّمُ مُرَاجَعَةً فِي الْقَوْلِ جَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُحَاوِرٍ لَهُ، بِأَوْجَزِ عِبَارَةٍ، وَأَعْدَلِ سَبْكٍ، وَأَعْذَبِ لَفْظٍ، نَحْوَ: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ

---

(1) سورة طه، الآية: 119.

(2) سورة يوسف، الآية: 81.

لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[1]، إِلَى قَوْلِهِ ﴿الظَّالِمِينَ﴾، جَمَعَ فِيهِ ثَلَاثُ مُرَاجَعَاتٍ فِيهَا مَعَانِي الْكَلَامِ: مِنَ الْخَبَرِ، وَالِاسْتِخْبَارِ، وَالْأَمْرِ، وَالنَّهْيِ، وَالْوَعْدِ، وَالْوَعِيدِ بِالْمَنْطُوقِ وَالْمَفْهُومِ.

قَالَ السُّيُوطِيُّ: «أَحْسَنُ مِنْ هَذَا، أَنْ يُقَالَ: جَمَعَتِ الْخَبَرَ وَالطَّلَبَ، وَالْإِثْبَاتَ، وَالنَّفْيَ، وَالتَّأْكِيدَ، وَالْحَذْفَ، وَالْبِشَارَةَ، وَالنِّذَارَةَ[2]، وَالْوَعْدَ وَالْوَعِيدَ»[3].

النَّزَاهَةُ: هِيَ خُلُوصُ أَلْفَاظِ الْهِجَاءِ مِنَ الْفُحْشِ، حَتَّى يَكُونَ كَمَا قَالَ أَبُو عَمْرِو بْنُ الْعَلَاءِ، وَقَدْ سُئِلَ عَنْ أَحْسَنِ الْهِجَاءِ: هُوَ الَّذِي إِذَا أَنْشَدَتْهُ الْعَذْرَاءُ فِي خِدْرِهَا لَا يَقْبُحُ عَلَيْهَا[4]. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾[5]، الآية. وَأَلْفَاظُ هَذَا الْهِجَاء أَتَتْ مُنَزَّهَةً عَمَّا يَقَعُ فِي الْهِجَاءِ مِنَ الْفُحْشِ، وَسَائِرُ هِجَاءِ الْقُرْآنِ كَذَلِكَ.

الْإِبْدَاعُ: بِالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ، أَنْ يَشْتَمِلَ الْكَلَامُ عَلَى عِدَّةِ ضُرُوبٍ مِنَ الْبَدِيعِ.

قَالَ ابْنُ أَبِي الْإِصْبَعِ: وَلَمْ أَرَ فِي الْكَلَامِ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾[6] الآية. فَإِنَّ فِيهَا عِشْرِينَ ضَرْبًا مِنَ الْبَدِيعِ، وَهِيَ سَبْعَ عَشْرَةَ

---

(1) سورة البقرة، الآية: 124.

(2) النِّذَارَةُ: الإِنْذَارُ.

(3) الإتقان في علوم القرآن: 3/ 329.

(4) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: 584.

(5) سورة النور، الآية: 48.

(6) سورة هود، الآية: 44.

لَفْظَةً، وَذَلِكَ **الْمُنَاسَبَةُ التَّامَّةُ** فِي: ﴿ابْلَعِي﴾ وَ﴿أَقْلِعِي﴾، **وَالِاسْتِعَارَةُ** فِيهِمَا. **وَالطِّبَاقُ** بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ. **وَالْمَجَازُ** فِي قَوْلِهِ ﴿يَا سَمَاءُ﴾، إِذِ الْحَقِيقَةُ: يَا مَطَرَ السَّمَاءِ. **وَالْإِشَارَةُ** فِي: ﴿وَغِيضَ الْمَاءُ﴾، فَإِنَّهُ عَبَّرَ بِهِ عَنْ مَعَانٍ كَثِيرَةٍ لِأَنَّ الْمَاءَ لا يَغِيضُ حَتَّى يُقْلِعَ مَطَرُ السَّمَاءِ، وَتَبْلَعَ الْأَرْضُ الْعُيُونَ، فَيَنْقُصَ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْمَاءِ. **وَالْإِرْدَافُ** فِي: ﴿اسْتَوَتْ﴾، **وَالتَّمْثِيلُ** فِي ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾، **وَالتَّعْلِيلُ**، فَإِنَّ "غِيضَ الْمَاءُ" عِلَّةُ الِاسْتِوَاءِ. **وَصِحَّةُ التَّقْسِيمِ**، حَيْثُ اسْتَوْعَبَ فِيهِ أَقْسَامَ نَقْصِ الْمَاءِ، مِنِ احْتِبَاسِ مَاءِ السَّمَاءِ، وَالنَّابِعِ مِنَ الْأَرْضِ، وَغِيضَ مَا عَلَى ظَهْرِهَا. **وَالِاحْتِرَاسُ فِي الدُّعَاءِ**، لِئَلَّا يُتَوَهَّمَ أَنَّ عُمُومَ الْمَاءِ شَمِلَ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ الْهَلَاكَ، فَإِنَّ عَدْلَهُ تَعَالَى يَمْنَعُ أَنْ يَدْعُوَ عَلَى غَيْرِ مُسْتَحِقٍّ. **وَحُسْنُ النَّسَقِ، وَائْتِلَافُ اللَّفْظِ مَعَ الْمَعْنَى، وَالْإِيجَازُ**، لِأَنَّهُ تَعَالَى قَصَّ الْقِصَّةَ مُسْتَوْعَبَةً بِأَخْصَرِ عِبَارَةٍ. **وَالتَّسْهِيمُ**، لِأَنَّ أَوَّلَ الْآيَةِ يَدُلُّ عَلَى آخِرِهَا. **وَالتَّهْذِيبُ**، لِأَنَّ مُفْرَدَاتِهَا مَوْصُوفَةٌ بِصِفَاتِ الْحُسْنِ، كُلُّ لَفْظَةٍ سَهْلَةُ مَخَارِجِ الْحُرُوفِ، عَلَيْهَا رَوْنَقُ الْفَصَاحَةِ، مَعَ الْخُلُوِّ مِنَ الْبَشَاعَةِ وَعَقَادَةِ التَّرْكِيبِ. **وَحُسْنُ الْبَيَانِ**؛ مِنْ جِهَةِ أَنَّ السَّامِعَ لَا يَتَوَقَّفُ فِي فَهْمِ مَعْنَى الْكَلَامِ، وَلَا يُشْكِلُ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ. **وَالتَّمْكِينُ**، لِأَنَّ الْفَاصِلَةَ مُسْتَقِرَّةٌ فِي مَحَلِّهَا، مُطْمَئِنَّةٌ فِي مَكَانِهَا، غَيْرُ قَلِقَةٍ، وَلَا مُسْتَدْعَاةٍ. **وَالِانْسِجَامُ**.

قَالَ السُّيُوطِيُّ: وَفِيهَا أَيْضًا **الِاعْتِرَاضُ**[1].

---

(1) الإتقان في علوم القرآن: 3/ 284 ـ 331.

عِلْمُ مَعْرِفَةِ فَوَاصِلِ الْآيِ

الْفَاصِلَةُ كَلِمَةُ آخِرِ الْآيَةِ، كَقَافِيَةِ الشِّعْرِ، وَقَرِينَةُ السَّجْعِ، وَفَرْقٌ بَيْنَ الْفَوَاصِلِ وَرُؤُوسِ الْآيِ، إِذِ الْفَاصِلَةُ هِيَ الْكَلَامُ الْمُنْفَصِلُ عَمَّا بَعْدَهُ، وَالْكَلَامُ الْمُنْفَصِلُ قَدْ يَكُونُ رَأْسَ آيَةٍ، وَقَدْ يَكُونُ غَيْرَهُ، وَرُؤُوسُ الْآيِ قَدْ يَكُونُ مُنْفَصِلًا، وَقَدْ لَا يَكُونُ.

قَالَ الرُّمَّانِيُّ فِي "إِعْجَازُ الْقُرْآنِ"[1]: ذَهَبَتِ الْأَشْعَرِيَّةُ إِلَى امْتِنَاعِ أَنْ يُقَالَ: فِي الْقُرْآنِ سَجْعٌ، وَفَرَّقُوا بِأَنَّ السَّجْعَ هُوَ مَا يُقْصَدُ فِي نَفْسِهِ، ثُمَّ يُحَالُ الْمَعْنَى عَلَيْهِ، وَالْفَوَاصِلَ الَّتِي تَتَّبِعُ الْمَعَانِي، وَلَا تَكُونُ مَقْصُودَةً فِي نَفْسِهَا، وَلِذَلِكَ كَانَتِ الْفَوَاصِلُ بَلَاغَةً، وَالسَّجْعُ عَيْبًا.

وَتَبِعَهُ عَلَى ذَلِكَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ الْبَاقِلَّانِيُّ، وَنَقَلَهُ عَنْ نَصِّ أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ.

وَذَهَبَ بَعْضٌ مِنْ غَيْرِ الْأَشَاعِرَةِ إِلَى إِثْبَاتِ السَّجْعِ فِي الْقُرْآنِ، وَزَعَمُوا أَنَّهُ مِمَّا يَبِينُ بِهِ فَضْلُ الْقُرْآنِ، وَيَقَعُ بِهِ التَّفَاضُلُ فِي الْبَيَانِ، وَاسْتَدَلُّوا بِأَنَّ

(1) "**النُّكَتُ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ**"، لعلي بن عيسى بن علي بن عبد الله أبو الحسن الرماني المعتزلي (ت 384هـ). ص 97 وما بعدها، ويتضح للقارئ أن النقل عنه ليس بلفظه، وإنما بواسطة السيوطي في الإتقان 3/ 334، ونص الزركشي في البرهان أدقّ 1/ 54، وفيه: "قال الرماني في كتاب إعجاز القرآن وبنى عليه أن الفواصل بلاغة والسجع عيب. وتبعه القاضي أبو بكر الباقلاني في كتاب إعجاز القرآن، ونقل عن الأشعرية امتناع كون في القرآن سجعا، قال: ونص عليه الشيخ أبو الحسن الأشعري في غير موضع من كتبه".

مُوسَى مَعَ فَضْلِهِ عَلَى هَارُونَ، وَلِمَكَانِ السَّجْعِ، قُدِّمَ عَلَيْهِ هَارُونُ. وَرَدَّهُ الْقَاضِي بِأَنَّهُ غَيْرُ صَحِيحٍ، لِوُرُودِ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَسَجْعٌ كَسَجْعِ الْكُهَّانِ»[1]، فَجَعَلَهُ مَذْمُومًا، وَمَا تَوَهَّمُوا أَنَّهُ سَجْعٌ مِنْ عَدَمِ التَّفْرِقَةِ بَيْنَ السَّجْعِ وَالْفَاصِلَةِ، وَقَدْ عَرَفْتَ الْفَرْقَ بَيْنَهُمَا. وَأَمَّا مَا ذَكَرُوهُ مِنْ تَقْدِيمِ هَارُونَ، فَلَيْسَ لِلسَّجْعِ، بَلْ لِإِعَادَةِ الْقِصَّةِ الْوَاحِدَةِ بِأَلْفَاظٍ مُخْتَلِفَةٍ تُؤَدِّي مَعْنًى وَاحِدًا، وَذَلِكَ مِنَ الْأَمْرِ الصَّعْبِ الَّذِي تَبَيَّنَ فِيهِ الْإِعْجَازُ، [فَيَكُونُ تَقْدِيمُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ عَلَى بَعْضٍ وَتَأْخِيرُهَا[2] عَنْهُ لِإِظْهَارِ الْإِعْجَازِ][3] دُونَ السَّجْعِ، وَكَيْفَ لَا، وَلَوْ كَانَ سَجْعًا لَكَانَ الْمُشْرِكُونَ ذَمُّوا الْقُرْآنَ مِنْ جِهَةِ أَنَّ السَّجْعَ عِنْدَ الْبُلَغَاءِ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُعْتَدِلَ الْأَجْزَاءِ، وَالْقُرْآنُ لَيْسَ كَذَلِكَ. هَذَا كَلَامُ الْقَاضِي وَتَلْخِيصُهُ[4].

وَقَالَ الْقَاضِي فِي الِانْتِصَارِ[5]: إِلَى جَوَازِ تَسْمِيَةِ الْفَوَاصِلِ سَجْعًا.

وَقَالَ الْخَفَاجِيُّ فِي "سِرُّ الْفَصَاحَةِ": «قَوْلُ الرُّمَّانِيِّ إِنَّ السَّجْعَ عَيْبٌ، وَالْفَوَاصِلَ بَلَاغَةٌ غَلَطٌ، لِأَنَّهُ إِنْ أَرَادَ أَنَّ السَّجْعَ مَا يَتْبَعُ اللَّفْظُ الْمَعْنَى، فَذَلِكَ حُسْنٌ فِي السَّجْعِ أَيْضًا. وَإِنْ أَرَادَ مَا يَتْبَعُ الْمَعْنَى اللَّفْظَ، فَذَلِكَ عَيْبٌ فِي

---

(1) أورده ابن قتيبة في غريب الحديث: 1/ 331.

(2) وتأخرها، في أنطاليا.

(3) ما بين معقوفين سقط من قونية.

(4) الإتقان في علوم القرآن: 3/ 334-337.

(5) "الِانْتِصَارُ لِلْقُرْآنِ"، لمحمد بن الطيب بن محمد بن جعفر القاضي أبو بكر الباقلاني (ت. 403هـ).

الْفَاصِلَةِ أَيْضًا. وَإِنَّمَا لَمْ يُسَمُّوا الْقُرْآنَ سَجْعًا تَنْزِيهًا عَنِ الْوَصْفِ اللَّاحِقِ بِكَلَامِ الْكَهَنَةِ. فَإِنْ قِيلَ: إِذَا كَانَ السَّجْعُ مَحْمُودًا، فَلِمَ لَمْ يَرِدِ الْقُرْآنُ كُلُّهُ مَسْجُوعًا؟ قُلْنَا: الْمَحْمُودُ عِنْدَ الْفُصَحَاءِ أَنْ لَا يَكُونَ الْكَلَامُ - سِيَّمَا إِذَا كَانَ مَعَ الطُّولِ - مَسْجُوعًا كُلُّهُ لِمَا يَكُونُ حِينَئِذٍ مُتَكَلَّفًا مُسْتكْرَهًا، بَلِ الْفَصِيحُ عِنْدَهُمْ الْكَلَامُ غَيْرُ الْمَسْجُوعِ غَالِبًا، وَلَمْ يَخْلُ عَنِ السَّجْعِ أَيْضًا فِي مَوَاضِعَ يَحْسُنُ هُوَ فِيهَا، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ حُسْنِ شَيْءٍ إِذَا قَلَّ، حُسْنُهُ مَعَ الْكَثْرَةِ؛ كَالْخَالِ فِي الْوَجْهِ الصَّبِيحِ، فَيُقْبَلُ[1] مِنْهُ مَا اجْتَلَبَهُ الْخَاطِرُ عَفْوًا بِلَا تَكَلُّفٍ، وَيُتَنَفَّرُ مِنْهُ مَا يَكُونُ مُسْتَمِرًّا عَلَى نَمَطٍ وَاحِدٍ، وَيَمَلُّ مِنْهُ الطَّبْعُ، وَلِأَنَّ الِافْتِنَانَ مِنْ ضُرُوبِ الْفَصَاحَةِ»[2].

وَاعْلَمْ أَنَّ الشَّيْخَ شَمْسَ الدِّينِ ابْنَ الصَّائِغِ الْحَنَفِيَّ أَلَّف كِتَابًا سَمَّاهُ: "**إِحْكَامُ الرَّأْيِ فِي أَحْكَامِ الآيِ**"[3]، وَقَالَ فِيهِ: وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُنَاسَبَةَ أَمْرٌ مَطْلُوبٌ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، يُرْتَكَبُ لَهَا أُمُورٌ مِنْ مُخَالَفَةِ الْأُصُولِ.

قَالَ: وَتَتَبَّعْتُ الْأَحْكَامَ الَّتِي وَقَعَتْ فِي آخِرِ الْآيِ مُرَاعَاةً لِلْمُنَاسَبَةِ، فَعَثَرْتُ مِنْهَا عَلَى نَيِّفٍ وَأَرْبَعِينَ حُكْمًا:

---

(1) فيجوز، في قونية.

(2) النص في سر الفصاحة: 173 - 174 مع اختلاف في الرواية.

(3) "**إِحْكَامُ الرَّأْيِ فِي أَحْكَامِ الآيِ**"، لمحمد بن عبد الرحمن ابن الصائغ الحنبلي المعروف بابن أبي الفرس (ت. 776). الدرر الكامنة: 3/ 499.

أَحَدُهَا: تَقْدِيمُ الْمَعْمُولِ، إِمَّا عَلَى الْعَامِلِ، نَحْوَ: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1]، أَوْ عَلَى الْفَاعِلِ، نَحْوَ: ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾[2]، أَوْ تَقْدِيمُ خَبَرِ كانَ عَلَى اسْمِهَا، نَحْوَ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[3].

وَالثَّانِي: تَقْدِيمُ مَا هُوَ مُؤَخَّرٌ فِي الزَّمَانِ، نَحْوَ: ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾[4].

وَالثَّالِثُ: تَقْدِيمُ الْفَاضِلِ عَلَى الْأَفْضَلِ، نَحْوَ: ﴿بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾[5].

وَالرَّابِعُ: تَقْدِيمُ الضَّمِيرِ عَلَى مَا يُفَسِّرُهُ، نَحْوَ: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾[6].

وَالْخَامِسُ: تَقْدِيمُ الصِّفَةِ الْجُمْلَةِ عَلَى الصِّفَةِ الْمُفْرَدِ، نَحْوَ: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾[7].

وَالسَّادِسُ: حَذْفُ يَاءِ الْمَنْقُوصِ الْمُعَرَّفِ، نَحْوَ: ﴿الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾[8].

وَالسَّابِعُ: حَذْفُ يَاءِ الْفِعْلِ غَيْرِ الْمَجْزُومِ، نَحْوَ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾[9]

---

(1) سورة الفاتحة، الآية: 5.

(2) سورة القمر، الآية: 41.

(3) سورة الإخلاص، الآية: 4.

(4) سورة النجم، الآية: 25.

(5) سورة طه، الآية: 70.

(6) نفسها، الآية: 67.

(7) سورة الإسراء، الآية: 13.

(8) سورة الرعد، الآية: 9.

(9) سورة الفجر، الآية: 4.

الثَّامِنُ: حَذْفُ يَاءِ الْإِضَافَةِ، نَحْوَ: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾[1]

التَّاسِعُ: زِيَادَةُ حَرْفِ الْمَدِّ، نَحْوَ: ﴿الظُّنُونَا﴾[2]، وَ﴿الرَّسُولَا﴾[3].

الْعَاشِرُ: صَرْفُ مَا لَا يَنْصَرِفُ، نَحْوَ: ﴿قَوَارِيرَا﴾[4].

الْحَادِي عَشَرَ: إِيثَارُ تَذْكِيرِ اسْمِ الْجِنْسِ، نَحْوَ: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾[5].

الثَّانِي عَشَرَ: إِيثَارُ تَأْنِيثِهِ، نَحْوَ: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[6].

الثَّالِثَ عَشَرَ: الِاقْتِصَارُ عَلَى أَحَدِ الْوَجْهَيْنِ الْجَائِزَيْنِ اللَّذَيْنِ[7] قُرِئَ بِهِمَا فِي السَّبْعِ فِي غَيْرِ ذَلِكَ، نَحْوَ: ﴿فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾[8]، وَلَمْ يَجِئْ "رشد" في السَّبْعِ.

الرَّابِعَ عَشَرَ: إِيرَادُ الْجُمْلَةِ الَّتِي رَدَّ بِهَا مَا قَبْلَهَا عَلَى غَيْرِ وَجْهِ الْمُطَابَقَةِ فِي الِاسْمِيَّةِ وَالْفِعْلِيَّةِ، نَحْوَ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ﴾[9] الآية. وَقَوْلُهُمْ جُمْلَةٌ فِعْلِيَّةٌ، وَرَدَّهَا بِجُمْلَةٍ اسْمِيَّةٍ، أَيْ ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

---

(1) سورة القمر، الآية: 16.

(2) سورة الأحزاب، الآية: 10.

(3) نفسها، الآية: 66.

(4) سورة الإنسان، الآية: 15.

(5) سورة القمر، الآية: 20.

(6) سورة الحاقة، الآية: 7.

(7) الذي، في الأزهرية.

(8) سورة الجن، الآية: 14.

(9) سورة البقرة، الآية: 8.

الْخَامِسَ عَشَرَ: إِيرَادُ أَحَدِ الْقِسْمَيْنِ غَيْرَ مُطَابِقٍ لِلْآخَرِ كَذَلِكَ، نَحْوَ: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[1]، لَمْ يَقُلِ الَّذِينَ كَذَبُوا.

السَّادِسَ عَشَرَ: إِيرَادُ أَحَدِ جُزْئَيِ الْجُمْلَتَيْنِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي أُورِدَ نَظِيرُهَا مِنَ الْجُمْلَةِ الْأُخْرَى، نَحْوَ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[2].

السَّابِعَ عَشَرَ: إِيثَارُ[3] أَغْرَبِ اللَّفْظَيْنِ، نَحْوَ: ﴿قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾[4] وَلَمْ يَقُلْ "جَائِرَةٌ".

الثَّامِنَ عَشَرَ: اخْتِصَاصُ كُلٍّ مِنَ الْمُشْتَرَكَيْنِ بِمَوْضِعٍ، نَحْوَ: ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[5]. وَفِي سُورَةِ طَهَ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾[6].

التَّاسِعَ عَشَرَ: حَذْفُ الْمَفْعُولِ، نَحْوَ: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾[7].

الْعِشْرُونَ: الِاسْتِغْنَاءُ بِالْإِفْرَادِ عَنِ التَّثْنِيَةِ، نَحْوَ: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾[8].

---

(1) سورة العنكبوت، الآية: 3.

(2) سورة البقرة، الآية: 177.

(3) إيراد، في قونية.

(4) سورة النجم، الآية: 22.

(5) سورة إبراهيم، الآية: 52.

(6) سورة طه، الآية: 54 .

(7) سورة الضحى، الآية: 3.

(8) سورة طه، الآية: 117.

الْحَادِي وَالْعِشْرُونَ: الِاسْتِغْنَاءُ بِهِ عَنِ الْجَمْعِ، نَحْوَ: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[1]، وَلَمْ يَقُلْ أَئِمَّةً.

الثَّانِي وَالْعِشْرُونَ: الِاسْتِغْنَاءُ بِالتَّثْنِيَةِ عَنِ الْإِفْرَادِ، نَحْوَ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[2].

قَالَ الْفَرَّاءُ: «أَرَادَ جَنَّةً. وَأَنْكَرَهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ، وَأَغْلَظَ فِيهِ، وَقَالَ: مَعَاذَ اللهِ أَنْ يَعِدَ اللهُ جَنَّتَيْنِ، فَيَجْعَلَهُمَا جَنَّةً وَاحِدَةً لِرُؤُوسِ الْآيِ، وَكَيْفَ هَذَا وَهُوَ يَصِفُهُمَا بِصِفَاتِ الِاثْنَيْنِ، قَالَ: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾[3]»[4].

وَنَقَلَ ابْنُ الصَّائِغِ عَنِ الْفَرَّاءِ أَنَّهُ أَرَادَ "جَنَّاتٍ" فَأَطْلَقَ الِاثْنَيْنِ فِي الْجَمْعِ لِأَصْلِ الْفَاصِلَةِ. وَهَذَا هُوَ **الثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ**.

الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ: الِاسْتِغْنَاءُ بِالْجَمْعِ عَنِ الْإِفْرَادِ، نَحْوَ: ﴿لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾[5]، أَيْ وَلَا خُلَّةٌ، كَمَا فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى.

الْخَامِسُ وَالْعِشْرُونَ: إِجْرَاءُ غَيْرِ الْعَاقِلِ مَجْرَى الْعَاقِلِ، نَحْوَ: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾[6].

---

(1) سورة الفرقان، الآية: 74.

(2) سورة الرحمن، الآية: 46.

(3) نفسها، الآية: 48.

(4) غريب القرآن لابن قتيبة: 381.

(5) سورة إبراهيم، الآية: 31.

(6) سورة يوسف، الآية: 4.

السَّادِسُ وَالْعِشْرُونَ: إِمَالَةُ مَا لَا يُمَالُ، كَمَا فِي ﴿طَهَ﴾[1]، ﴿وَالنَّجْمِ﴾[2].

السَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ: الْإِتْيَانُ بِصِيغَةِ الْمُبَالَغَةِ، نَحْوَ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[3].

الثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ: إِيثَارُ بَعْضِ أَوْصَافِ الْمُبَالَغَةِ عَلَى بَعْضٍ، نَحْوَ: ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[4]، أُوثِرَ عَلَى "عَجِيبٍ".

التَّاسِعُ وَالْعِشْرُونَ: الْفَصْلُ بَيْنَ الْمَعْطُوفَيْنِ، نَحْوَ: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾[5].

الثَّلَاثُونَ: إِيقَاعُ[6] الظَّاهِرِ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ، [نَحْوَ:﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾[7]، وَلَمْ يَقُلْ أَجْرَهُمْ.

الْحَادِي وَالثَّلَاثُونَ: وَقُوعُ "مَفْعُولٍ" مَوْقِعَ "فَاعِلٍ"، نَحْوَ: ﴿حِجَابًا مَسْتُورًا﴾[8]][9]، أَيْ سَاتِرًا.

---

(1) سورة طه، الآية: 1.

(2) سورة النجم، الآية: 1.

(3) سورة مريم، الآية: 64.

(4) سورة ص، الآية: 5.

(5) سورة طه، الآية: 129.

(6) إتباع، في أنطاليا.

(7) سورة الأعراف، الآية: 170.

(8) سورة الإسراء، الآية: 45.

(9) ما بين معقوفين سقط من أنطاليا.

الثَّانِي وَالثَّلَاثُونَ: وُقُوعُ "فَاعِلٍ" مَوْقِعَ "مَفْعُولٍ"، نَحْوَ: ﴿عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾[1]، أَيْ مَرْضِيَّةٍ.

الثَّالِثُ وَالثَّلَاثُونَ: الْفَصْلُ بَيْنَ الْمَوْصُوفِ وَالصِّفَةِ، نَحْوَ: ﴿أَخْرَجَ الْمَرْعَى فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾[2]، إِنْ أَعْرَبَ "أَحْوَى" صِفَةَ "الْمَرْعَى" أَيْ حَالًا.

الرَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ: إِيقَاعُ حَرْفٍ مَكَانَ غَيْرِهِ، نَحْوَ: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾[3] مَكَانَ "إِلَيْهَا".

الْخَامِسُ وَالثَّلَاثُونَ: تَأْخِيرُ الْوَصْفِ غَيْرِ الْأَبْلَغِ عَنِ الْأَبْلَغِ، وَمِنْ ذَلِكَ: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمِ﴾، ﴿رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾[4]، لِأَنَّ الرَّأْفَةَ أَبْلَغُ مِنَ الرَّحْمَةِ.

السَّادِسُ وَالثَّلَاثُونَ: حَذْفُ الْفَاعِلِ وَنِيَابَةُ الْمَفْعُولِ، نَحْوَ: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾[5].

السَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ: إِثْبَاتُ هَاءِ السَّكْتِ، نَحْوَ: ﴿مَالِيَهْ﴾، ﴿سُلْطَانِيَهْ﴾، ﴿مَاهِيَهْ﴾.

---

(1) سورة الحاقة، الآية: 21.

(2) سورة الأعلى، الآية: 5.

(3) سورة الزلزلة، الآية: 5.

(4) سورة التوبة، الآية: 117.

(5) سورة الليل، الآية: 19.

الثَّامِنُ وَالثَّلَاثُونَ: الْجَمْعُ بَيْنَ الْمَجْرُورَاتِ، نَحْوَ: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾[1]، فَإِنَّ الْأَحْسَنَ الْفَصْلُ بَيْنَهَا، إِلَّا أَنَّ مُرَاعَاةَ الْفَاصِلَةِ اقْتَضَتْ عَدَمَهُ وَتَأْخِيرَ "تَبِيعًا".

التَّاسِعُ وَالثَّلَاثُونَ: الْعُدُولُ عَنْ صِيغَةِ الْمَاضِي إِلَى صِيغَةِ الِاسْتِقْبَالِ، نَحْوَ ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[2]، وَالْأَصْلُ "قَتَلْتُمْ".

الْأَرْبَعُونَ: تَغْيِيرُ بِنْيَةِ الْكَلِمَةِ، نَحْوَ: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾[3]، وَالْأَصْلُ "سِينَاءَ".

قَالَ ابْنُ أَبِي الصَّائِغِ: لا يَمْتَنِعُ فِي تَوْجِيهِ الْخُرُوجِ عَنِ الْأَصْلِ فِي الْآيَاتِ الْمَذْكُورَةِ أُمُورٌ أُخْرَى مَعَ وَجْهِ الْمُنَاسَبَةِ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ: «لَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ»[4].

قَالَ ابْنُ أَبِي الْإِصْبَعِ: لَا تَخْرُجُ فَوَاصِلُ الْقُرْآنِ عَنْ أَحَدِ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ:

أَحَدُهَا: **التَّمْكِينُ**، وَيُسَمَّى ائْتِلَافَ الْقَافِيَةِ، أَنْ يُمَهِّدَ النَّاثِرُ لِلْقَرِينَةِ أَوِ الشَّاعِرُ لِلْقَافِيَةِ تَمْهِيدًا تَأْتِي بِهِ الْقَافِيَةُ أَوِ الْقَرِينَةُ مُتَمَكِّنَةً فِي مَكَانِهَا، مُسْتَقِرَّةً فِي قَرَارِهَا، مُطْمَئِنَّةً فِي مَوْضِعِهَا، غَيْرَ نَافِرَةٍ وَلَا قَلِقَةٍ، مُتَعَلِّقًا مَعْنَاهَا بِمَعْنَى

---

(1) سورة الإسراء، الآية: 69.

(2) سورة البقرة، الآية: 87.

(3) سورة التين، الآية: 2.

(4) تفسير الماتريدي: 1/ 281 والأثر كاملا هو: «إن القرآن ذو شجون وفنون، وظهور وبطون، لاتنقضي عجائبه، ولاتبلغ غايته، فمن أوغل فيه برفق نجا، ومن أوغل فيه بعنف هوى».

الْكَلَامِ تَعَلُّقًا تَامًّا، بِحَيْثُ لَوْ طُرِحَتْ، لَاخْتَلَّ الْمَعْنَى، وَاضْطَرَبَ الْفَهْمُ، وَبِحَيْثُ لَوْ سُكِتَ عَنْهَا كَمَّلَهُ السَّامِعُ بِطَبْعِهِ.

وَأَكْثَرُ فَوَاصِلِ الْقُرْآنِ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ، نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[1]، فَإِنَّ اللَّطِيفَ يُنَاسِبُ مَا لَا يُدْرَكُ بِالْبَصَرِ، وَالْخَبِيرَ يُنَاسِبُ مَا يُدْرَكُ.

وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ فِي الْقُرْآنِ.

حُكِيَ: «أَنَّ أَعْرَابِيًّا لَمْ يَكُنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ سَمِعَ قَارِئًا يَقْرَأُ ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾[2]؛ ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[3]. فَقَالَ: إِنْ كَانَ هَذَا كَلَامَ اللهِ، فَلَا يَقُولُ كَذَا لِأَنَّ الْحَكِيمَ لا يَذْكُرُ الْغُفْرَانَ عِنْدَ الزَّلَلِ لِأَنَّهُ إِغْرَاءٌ عَلَيْهِ»[4].

وَثَانِيهَا: **التَّصْدِيرُ**، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ لَفْظُ الْفَاصِلَةِ بِعَيْنِهَا، تَقَدَّمَتْ فِي أَوَّلِ الْآيَةِ، وَيُسَمَّى أَيْضًا رَدَّ الْعَجُزِ عَلَى الصَّدْرِ. فَهَذَا إِمَّا أَنْ يُوَافِقَ آخِرَ كَلِمَةٍ فِي الصَّدْرِ، نَحْوَ ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا﴾[5]. أَوْ أَنْ يُوَافِقَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ مِنْهُ، نَحْوَ ﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ

---

(1) سورة الأنعام، الآية: 103.

(2) سورة البقرة، الآية: 209.

(3) سورة المائدة، الآية: 34.

(4) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 1/ 253.

(5) سورة النساء، الآية: 166.

الْوَهَّابُ﴾[1]. أَوْ أَنْ يُوَافِقَ بَعْضَ كَلِمَاتِهِ، نَحْوَ: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[2].

وَثَالِثُهَا: **التَّوْشِيحُ**، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ فِي أَوَّلِ الْكَلَامِ مَا يَسْتَلْزِمُ الْقَافِيَةَ. وَالْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّصْدِيرِ، أَنَّ هَذَا دَلَالَتُهُ مَعْنَوِيَّةٌ، وَذَاكَ لَفْظِيَّةٌ، نَحْوَ: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾[3]، الآية. فَإِنَّ مَنْ نَظَرَ إِلَى سَلْخِ النَّهَارِ مِنَ اللَّيْلِ، يَجْزِمُ بِأَنَّ الْآيَةَ "مُظْلِمُونَ"[4].

وَرَابِعُهَا: **الْإِيغَالُ**، وَقَدْ تَقَدَّمَ تَفْسِيرُهُ وَتَمْثِيلُهُ فِي الْإِطْنَابِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ أَرْبَابَ الْبَدِيعِ قَسَّمُوا السَّجْعَ وَنَظِيرَهُ الْفَوَاصِلَ إِلَى أَقْسَامٍ:

أَحَدُهَا: **الْمَعْطُوفُ**[5]، وَهُوَ أَنْ تَخْتَلِفَ الْفَاصِلَتَانِ فِي الْوَزْنِ، وَتَتَّفِقَا فِي حُرُوفِ السَّجْعِ، نَحْوَ: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ للهِ وَقَاراً وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾[6].

وَثَانِيهَا: **الْمُتَوَازِي**، وَهُوَ أَنْ يَتَّفِقَا وَزْنًا وَتَقْفِيَةً، نَحْوَ ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾[7].

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 8.

(2) سورة الأنعام، الآية: 10.

(3) سورة يس، الآية: 37.

(4) في الإتقان: الآية الفاصلة مظلمون، وهو أسلم، والله أعلم.

(5) الْمُطَرَّفُ، في الإتقان في علوم القرآن: 3/ 356.

(6) سورة نوح، الآية: 13.

(7) سورة الغاشية، الآية: 13-14.

وَثَالِثُهَا: **الْمُتَوَازِنُ**، وَهُوَ أَنْ يَتَّفِقَا فِي الْوَزْنِ دُونَ التَّقْفِيَةِ، نَحْوَ ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾[1].

وَرَابِعُهَا: **الْمُرَصَّعُ**، وَهُوَ أَنْ يَتَّفِقَا وَزْنًا وَتَقْفِيَةً، وَيَكُونَ مَا فِي الْأُولَى مُقَابِلًا لِمَا فِي الثَّانِيَةِ كَذَلِكَ، نَحْوَ ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾[2]، وَنَحْوَ ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾[3].

وَخَامِسُهَا: **الْمُتَمَاثِلُ**، وَهُوَ أَنْ يَتَسَاوَيَا فِي الْوَزْنِ دُونَ التَّقْفِيَةِ، وَيَكُونَ إِفْرَادُ الْأُولَى مُقَابِلَةً لِمَا فِي الثَّانِيَةِ، فَهُوَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمُرَصَّعِ كَالْمُتَوَازِنِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمُتَوَازِي، نَحْوَ ﴿وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[4]. فَالْكِتَابُ وَالصِّرَاطُ مُتَوَازِنَانِ، وَكَذَا الْمُسْتَبِينُ وَالْمُسْتَقِيمُ، وَاخْتَلَفَا فِي الْحَرْفِ الْأَخِيرِ.

وَسَادِسُهَا: **التَّشْرِيعُ**[5]، وَيُقَالُ التَّوْأَمُ. وَأَصْلُهُ أَنْ يَبْنِيَ الشَّاعِرُ بَيْتَهُ عَلَى وَزْنَيْنِ مِنْ أَوْزَانِ الْعَرُوضِ، فَإِذَا سَقَطَ مِنْهَا جُزْءٌ أَوْ جُزْءَانِ، صَارَ الْبَاقِي بَيْتًا مِنْ وَزْنٍ آخَرَ. وَزَعَمَ قَوْمٌ اخْتِصَاصَهُ بِالشِّعْرِ، وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ يَكُونُ فِي النَّثْرِ بِأَنْ يُبْنَى عَلَى سَجْعَتَيْنِ، لَوِ اقْتَصَرَ عَلَى الْأُولَى مِنْهُمَا كَانَ الْكَلَامُ تَامًّا مُفِيدًا، وَإِنْ

(1) سورة الغاشية، الآية: 15 ـ 16.

(2) نفسها، الآية: 25 ـ 26.

(3) سورة الانفطار، الآية: 13 ـ 14.

(4) سورة الصافات، الآية: 117 ـ 118.

(5) التسريع، في مراد ملا.

أُلْحِقَتْ بِهِ السَّجْعَةُ الثَّانِيَةُ كانَ فِيهِ التَّمَامُ وَالْإِفَادَةُ عَلَى حَالِهِ، مَعَ زِيَادَةِ مَعْنَى مَا زَادَ مِنَ اللَّفْظِ. وَمَثَّلُوهُ مِنَ الْقُرْآنِ بِمَا فِي سُورَةِ الرَّحْمَنِ، مِنْ قَوْلِهِ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[1]. لَكِنْ قِيلَ: إِنَّهُ غَيْرُ مُطَابِقٍ. وَالْمِثَالُ الْمُطَابِقُ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[2]، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي فِي أَثْنَائِهَا مَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ فَاصِلَةً.

وَسَابِعُهَا لُزُومُ مَا لَا يَلْزَمُ، وَيُسَمَّى الِالْتِزَامَ. وَهُوَ أَنْ يُلْتَزَمَ فِي الشِّعْرِ أَوِ النَّثْرِ حَرْفٌ أَوْ حَرْفَانِ فَصَاعِدًا قَبْلَ الرَّوِيِّ، بِشَرْطِ عَدَمِ الْكُلْفَةِ. مِثَالُ الْتِزَامِ حَرْفَيْنِ: ﴿وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾[3]، ﴿إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾[4]. وَمِثَالُ الْتِزَامِ ثَلَاثَةِ أَحْرُفٍ: ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾[5].

تَنْبِيهَاتٌ:

الْأَوَّلُ: أَحْسَنُ السَّجْعِ وَنَحْوِهِ، مَا تَسَاوَتْ قَرَائِنُهُ، نَحْوَ: ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾[6]. وَيَلِيهِ مَا طَالَتْ قَرِينَتُهُ الثَّانِيَةُ،

---

(1) سورة الرحمن، الآية: 13.

(2) سورة الطلاق، الآية: 12.

(3) سورة الطور، الآية: 2.

(4) سورة القيامة، الآية: 26 ـ 27 ـ 28.

(5) سورة الأعراف، الآية: 201.

(6) سورة الواقعة، الآية: 28.

نَحْوَ: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾[1]، أَوِ الثَّالِثَةُ، نَحْوَ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾[2]، الآية.

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: الْأَحْسَنُ فِي الثَّانِيَةِ الْمُسَاوَاةُ، وَإِلَّا فَأَطْوَلُ قَلِيلًا، وفي الثَّالِثَةِ أَنْ يَكُونَ أَطْوَلَ.

وَقالَ الْخفَاجِيُّ: «لا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الثَّانِيَةُ أَقْصَرَ مِنَ الْأَوْلَى»[3].

الثَّانِي: أَحْسَنُ السَّجْعِ مَا كَانَ قَصِيرَ الدَّلَالَةِ عَلَى قُوَّةِ الْمُنْشِئِ، وَأَقَلُّهُ كَلِمَتَانِ، نَحْوَ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾[4] الآيات. وَالطَّوِيلُ مَا زَادَ عَلَى الْعَشْرِ، كَغَالِبِ الْآيَاتِ. وَالْمُتَوَسِّطُ مَا بَيْنَهُمَا، كَآيَاتِ سُورَةِ الْقَمَرِ.

الثَّالِثُ: مَبْنَى الْفَوَاصِلِ عَلَى الْوَقْفِ. وَلِهَذَا سَاغَ مُقَابَلَةُ الْمَرْفُوعِ بِالْمَجْرُورِ وَبِالْعَكْسِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾[5]، مَعَ قَوْلِهِ: ﴿عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾[6]، وَ﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾[7].

---

(1) سورة النجم، الآية: 1 ـ 2.

(2) سورة الحاقة، الآية: 30.

(3) سر الفصاحة: 193.

(4) سورة المدثر، الآية: 1 ـ 2.

(5) سورة الصافات، الآية: 11.

(6) نفسها، الآية: 9.

(7) نفسها، الآية: 10.

الرَّابِعُ: كَثُرَ فِي الْقُرْآنِ خَتْمُ الْفَوَاصِلِ بِحُرُوفِ الْمَدِّ وَاللِّينِ، وَإِلْحَاقِ النُّونِ. وَحِكْمَتُهُ وُجُودُ التَّمَكُّنِ مِنَ التَّطْرِيبِ، لِيَسْهُلَ مَدُّ الصَّوْتِ. وَجاءَ الْقُرْآنُ عَلَى أَسْهَلِ مَوْقِفٍ وَأَعْذَبِ مَقْطَعٍ.

الْخَامِسُ: حُرُوفُ الْفَوَاصِلِ إِمَّا مُتَمَاثِلَةٌ، نَحْوَ: ﴿وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾[1]، الْآيَات، أَوْ مُتَقَارِبَةٌ، نَحْوَ: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[2].

السَّادِسُ: كَثُرَ في الْفَوَاصِلِ التَّضْمِينُ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ مَا بَعْدَ الْفَاصِلَةِ مُتَعَلِّقًا بِهَا، نَحْوَ: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ﴾[3]، وَالْإِيطَاءُ، وَهُوَ تَكَرُّرُ الْفَاصِلَةِ بِلَفْظِهَا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ: ﴿هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾[4].

وَاعْلَمْ أَنَّ التَّضْمِينَ وَالْإِيطَاءَ وَإِنْ كَانَا عَيْبَيْنِ فِي النَّظْمِ، لَكِنَّهُمَا لَيْسَا بِعَيْبَيْنِ في النَّثْرِ، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ وُرُودُهُ فِي الْقُرْآنِ[5].

---

(1) سورة الطور، الآية: 1ـ2.

(2) سورة الفاتحة، الآية: 3ـ4.

(3) سورة الصافات، الآية: 137ـ138.

(4) سورة الإسراء، الآية: 93.

(5) لخص هذا الباب كاملا من الإتقان في علوم القرآن: 3/ 332ـ359.

عِلْمُ مَعْرِفَةِ فَوَاتِحِ السُّوَرِ

صَنَّفَ فِيهِ ابْنُ أَبِي الْإِصْبَعِ كِتَابًا سَمَّاهُ: "**الْخَوَاطِرُ السَّوَانِحُ فِي أَسْرَارِ الْفَوَاتِحِ**"[1].

وَاعْلَمْ أَنَّ فَوَاتِحَ السُّوَرِ لَا تَخْرُجُ عَنْ عَشَرَةِ أَنْوَاعٍ:

أَحَدُهَا: الثَّنَاءُ عَلَيْهِ تَعَالَى، وَهُوَ إِمَّا إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ الْكَمَالِيَّةِ؛ كَالتَّحْمِيدِ فِي خَمْسِ سُوَرٍ، وَتَبَارَكَ فِي سُورَتَيْنِ، أَوِ التَّنْزِيهِ مِنْ صِفَاتِ النَّقْصِ، وَهُوَ التَّسْبِيحُ فِي سَبْعِ سُوَرٍ.

وَثَانِيهَا: حُرُوفُ التَّهَجِّي فِي سَبْعٍ وَعِشْرِينَ سُورَةً، وَقَدْ تَقَرَّرَ أَنَّهَا مِنَ الْمُتَشَابِهَاتِ.

الثَّالِثُ: النِّدَاءُ فِي عَشْرِ سُوَرٍ: خَمْسٌ بِنِدَاءِ الرَّسُولِ، وَخَمْسٌ بِنِدَاءِ الْأُمَّةِ.

الرَّابِعُ: الْجُمَلُ الْخَبَرِيَّةُ فِي ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سُورَةً.

الْخَامِسُ: الْقَسَمُ فِي خَمْسَ عَشْرَةَ سُورَةً.

السَّادِسُ: الشَّرْطُ فِي سَبْعِ سُوَرٍ.

السَّابِعُ: الْأَمْرُ فِي سِتِّ سُوَرٍ.

---

(1) "**الْخَوَاطِرُ السَّوَانِحُ فِي أَسْرَارِ الْفَوَاتِحِ**"، لابن أبي الإصبع العدواني المصري (ت. 654هـ)، وهو مطبوع.

الثَّامِنُ: الِاسْتِفْهَامُ فِي سِتٍّ.

التَّاسِعُ: الدُّعَاءُ فِي ثَلَاثٍ.

الْعَاشِرُ: التَّعْلِيلُ فِي: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾[1].

وَقَالَ أَهْلُ الْبَيَانِ: مِنَ الْبَلَاغَةِ حُسْنُ الِابْتِدَاءِ، وَهُوَ أَنْ يَتَأَنَّقَ في أَوَّلِ الْكَلَامِ، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَا يَقْرَعُ السَّمْعَ، فَإِنْ كانَ مُحَرَّرًا أَقْبَلَ السَّامِعُ عَلَى الْكَلَامِ، وَإِلَّا أَعْرَضَ عَنْهُ، وَلَوْ كَانَ الْبَاقِي فِي نِهَايَةِ الْحُسْنِ. فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ أَعْذَبَ وَأَجْزَلَ وَأَرَقَّ وَأَسْلَسَ [نَظْمًا][2]، وَأَحْسَنَ نَظْمًا وَسَبْكًا، [وَأَصَحَّ][3] وَأَوْضَحَ مَعْنًى، وَأَخْلَى مِنَ التَّعْقِيدِ وَالتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ الْمُلْبِسِ، وَمَا لَا يُنَاسِبُ الْبَلَاغَةَ.

قَالُوا: وَقَدْ أَتَتْ جَمِيعُ فَوَاتِحِ السُّوَرِ كُلُّهَا عَلَى أَحْسَنِ الْوُجُوهِ وَأَبْلَغِهَا وَأَكْمَلِهَا؛ كَالتَّحْمِيدَاتِ، وَحُرُوفِ الْهِجَاءِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، سِيَّمَا بَرَاعَةُ الِاسْتِهْلَالِ، وَهُوَ أَنْ يَشْتَمِلَ أَوَّلُ الْكَلَامِ عَلَى مَا يُنَاسِبُ الْحَالَ الْمُتَكَلَّمَ فِيهِ، وَيُشِيرَ إِلَى مَا سِيقَ[4] الْكَلَامُ لِأَجْلِهِ.

---

(1) سورة قريش، الآية: 1.

(2) سقط من قونية.

(3) ما بين معقوفين سقط من أنطاليا.

(4) سبق، في أنطاليا.

وَالْعِلْمُ الْأَسْنَى فِي ذَلِكَ سُورَةُ الْفَاتِحَةِ، الَّتِي هِيَ مَطْلَعُ الْقُرْآنِ، فَإِنَّهَا مُشْتَمِلَةٌ عَلَى جَمِيعِ مَقَاصِدِهِ.

قِيلَ: الْعُلُومُ الَّتِي احْتَوَى عَلَيْهَا الْقُرْآنُ، وَقَامَتْ بِهَا الْأَدْيَانُ أَرْبَعَةٌ:

الْأُصُولُ: وَمَدَارُهُ عَلَى مَعْرِفَةِ اللهِ وَصِفَاتِهِ، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[1].

وَمَعْرِفَةُ النُّبُوَّاتِ: وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِـ ﴿ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[2].

وَمَعْرِفَةُ الْمَعَادِ: وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِـ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[3].

وَعِلْمُ الْعِبَادَاتِ، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[4].

وَعِلْمُ السُّلُوكِ، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[5].

وَعِلْمُ الْقَصَصِ، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِـ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[6]. فَنَبَّهَ فِي الْفَاتِحَةِ عَلَى جَمِيعِ مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ، مَعَ حُسْنِ الْأَلْفَاظِ وَالْمَقَاطِعِ الْمُسْتَحْسَنَةِ وَأَنْوَاعِ الْبَلَاغَةِ. وَللهِ دَرُّ

---

(1) سورة الفاتحة، الآية: 2ـ3.

(2) نفسها، الآية: 7.

(3) نفسها، الآية:4.

(4) نفسها، الآية: 5.

(5) نفسها، الآية: 5ـ6.

(6) نفسها، الآية: 7.

الْفَاتِحَةِ، مَا أَعْجَبَ أُسْلُوبَهَا، وَمَا أَغْزَرَ[1] عُلُومَهَا، بِحَيْثُ لَوْ جُمِعَ كَمَا قَالَ[2] عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، لَكَانَ أَوْقَارًا مِنَ الْكُتُبِ. هَذَا قَدْرُ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ فَهْمُ الْبَشَرِ، وَإِلَّا فَحَقِيقَةُ لَطَائِفِهَا لَا تَفِي بِهَا قُوَّةُ الْبَشَرِ، وَلَا يَطَّلِعُ عَلَيْهَا إِلَّا عَلَّامُ الْغُيُوبِ[3].

عِلْمُ مَعْرِفَةِ خَوَاتِمِ السُّوَرِ

هِيَ أَيْضًا مِثْلُ الْفَوَاتِحِ فِي الْحُسْنِ، لِأَنَّهَا آخِرُ مَا يَقْرَعُ الْأَسْمَاعَ، فَلِهَذَا جَاءَتْ مُتَضَمِّنَةً لِلْمَعَانِي الْبَدِيعَةِ، مَعَ إِيذَانِ السَّامِعِ بِانْتِهَاءِ الْكَلَامِ، حَتَّى لا يَبْقَى مَعَهُ لِلنُّفُوسِ تَشَوُّقٌ إِلَى مَا يُذْكَرُ بَعْدَهَا؛ لِأَنَّهَا بَيْنَ أَدْعِيَةٍ وَوَصَايَا وَفَرَائِضَ، وَتَحْمِيدٍ وَتَهْلِيلٍ وَمَوَاعِظَ، وَوَعْدٍ وَوَعِيدٍ. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ. يَظْهَرُ ذَلِكَ لِمَنْ تَأَمَّلَ بِبَصِيرَةٍ تَامَّةٍ نَافِذَةٍ نَاقِدَةٍ[4].

عِلْمُ مَعْرِفَةِ مُنَاسَبَةِ الْآيَاتِ وَالسُّوَرِ

صَنَّفَ فِيهِ أَبُو جَعْفَرِ ابْنِ الزُّبَيْرِ[5]، شَيْخُ أَبِي حَيَّانَ كِتَابًا سَمَّاهُ: "**الْبُرْهَانُ فِي مُنَاسَبَةِ تَرْتِيبِ سُوَرِ الْقُرْآنِ**". وَصَنَّفَ فِيهِ أَيْضًا الشَّيْخُ بُرْهَانُ الدِّينِ

(1) وأغزر، في قونية.

(2) قاله، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(3) الإتقان في علوم القرآن: 3/ 361 - 365.

(4) المصدر نفسه: 3/ 366.

(5) أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي أبو جعفر، محدث مؤرخ، توفي سنة: 708هـ له: "البرهان في تناسب سور القرآن"، ويسمى أيضا: "البرهان في ترتيب سور القرآن". الدرر الكامنة: 1/ 84.

الْبِقَاعِيُّ كِتَابًا سَمَّاهُ: "**نَظْمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الْآيِ وَالسُّوَرِ**". وَصَنَّفَ فِيهِ أَيْضًا الشَّيْخُ جَلَالُ الدِّينِ السُّيُوطِيُّ كِتَابًا سَمَّاهُ: "**تَنَاسُقُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ السُّوَرِ**". وَذَكَرَ مُنَاسَبَاتِ السُّوَرِ وَالْآيَاتِ، مَعَ مَا تَضَمَّنَهُ مِنْ وُجُوهِ الْإِعْجَازِ، وَأَسَالِيبِ الْبَلَاغَةِ، فِي كِتَابِ "**أَسْرَارُ التَّنْزِيلِ**"[1].

وَاعْلَمْ أَنَّ عِلْمَ الْمُنَاسَبَةِ عِلْمٌ شَرِيفٌ، قَلَّ اعْتِنَاءُ الْمُفَسِّرِينَ بِهِ لِدِقَّتِهِ.

قَالَ الْإِمَامُ الرَّازِيُّ: «أَكْثَرُ لَطَائِفِ الْقُرْآنِ مُودَعَةٌ فِي التَّرْتِيبَاتِ وَالرَّوَابِطِ»[2].

قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ فِي "**سِرَاجُ الْمُرِيدِينَ**": «ارْتِبَاطُ آيِ الْقُرْآنِ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، حَتَّى تَكُونَ كَالْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ، مُتَّسِعَةَ الْمَعَانِي، مُنْتَظِمَةَ الْمَبَانِي، عِلْمٌ عَظِيمٌ، لَمْ يَتَعَرَّضْ لَهُ إِلَّا عَالِمٌ وَاحِدٌ، عَمِلَ فِيهِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، ثُمَّ فَتَحَ اللهُ لَنَا فِيهِ، فَلَمَّا لَمْ نَجِدْ لَهُ حَمَلَةً، وَرَأَيْنَا الْخَلْقَ بِأَوْصَافِ الْبَطَلَةِ، خَتَمْنَا عَلَيْهِ، وَجَعَلْنَاهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللهِ، وَرَدَدْنَاهُ إِلَيْهِ»[3].

وَقَالَ غَيْرُهُ: «أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ عِلْمَ الْمُنَاسَبَةِ، الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ النَّيْسَابُورِيُّ، وَكَانَ غَزِيرَ الْعِلْمِ فِي الشَّرِيعَةِ وَالْأَدَبِ، وَكَانَ يَقُولُ عَلَى الْكُرْسِيِّ إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِ: لِمَ جُعِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ إِلَى جَنْبِ هَذِهِ؟ وَمَا الْحِكْمَةُ فِي جَعْلِ هَذِهِ

---

(1) يقصد كتاب: "**قَطْفُ الأَزْهَارِ فِي كَشْفِ الأَسْرَارِ**"، لجلال الدين السُّيوطي (ت. 911هـ)، وهو مطبوع.
(2) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: 10/ 110.
(3) سراج المريدين: 4/ 144.

السُّورَةِ إِلَى جَنْبِ هَذِهِ السُّورَةِ؟ وَكَانَ يُزْرِي عَلَى عُلَمَاءِ بَغْدَادَ لِعَدَمِ عِلْمِهِمْ بِالْمُنَاسَبَةِ»[1].

وَقَالَ الشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ: عِلْمُ الْمَنَاسَبَةِ عِلْمٌ حَسَنٌ، لَكِنْ يُشْتَرَطُ فِي حُسْنِ الِارْتِبَاطِ أَنْ يَقَعَ فِي أَمْرٍ مُتَّحِدٍ مُرْتَبِطٍ أَوَّلُهُ بِآخِرِهِ، فَإِنْ وَقَعَ عَلَى أَسْبَابٍ مُخْتَلِفَةٍ لَمْ يَقَعْ فِيهِ ارْتِبَاطٌ، وَمَنْ رَبَطَ ذَلِكَ فَهُوَ مُتَكَلِّفٌ بِمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا بِرَبْطٍ رَكِيكٍ، يُصَانُ عَنْ مِثْلِهِ حَسَنُ الْحَدِيثِ فَضْلًا عَنْ أَحْسَنِهِ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ فِي نَيِّفٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً، فِي أَحْكَامٍ مُخْتَلِفَةٍ، شُرِّعَتْ لِأَسْبَابٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَمَا كَانَ كَذَلِكَ، لَا يَتَأَتَّى رَبْطُ بَعْضِهِ بِبَعْضٍ.

وَقَالَ الشَّيْخُ وَلِيُّ الدِّينِ الْمَلَوِيُّ[2]: قَدْ وَهِمَ مَنْ قَالَ: لَا يُطْلَبُ لِلْآيِ الْكَرِيمَةِ مُنَاسَبَةٌ، لِأَنَّهَا عَلَى حَسَبِ الْوَقَائِعِ الْمُفَرَّقَةِ، وَفَصْلُ الْخِطَابِ أَنَّهَا عَلَى حَسَبِ الْوَقَائِعِ تَنْزِيلًا، وَعَلَى حَسَبِ الْحِكْمَةِ تَرْتِيبًا وَتَأْصِيلًا. فَالْمُصْحَفُ عَلَى وَفْقِ مَا فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، مُرَتَّبَةٌ سُوَرُهُ كُلُّهَا وَآيَاتُهُ بِالتَّوْقِيفِ، كَمَا أُنْزِلَ جُمْلَةً إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ، وَمِنَ الْمُعْجِزِ الْبَيِّنِ أُسْلُوبُهُ وَنَظْمُهُ الْبَاهِرُ، وَالَّذِي يَنْبَغِي فِي كُلِّ آيَةٍ أَنْ يُبْحَثَ أَوَّلُ كُلِّ شَيْءٍ عَنْ كَوْنِهَا مُكَمِّلَةً لِمَا قَبْلَهَا، أَوْ مُسْتَقِلَّةً، ثُمَّ الْمُسْتَقِلَّةُ مَا وَجْهُ مُنَاسَبَتِهَا لِمَا قَبْلَهَا. فَفِي ذَلِكَ عِلْمٌ

---

(1) الإتقان في علوم القرآن: 3/ 369 ـ 370.

(2) محمد بن أحمد بن إبراهيم الديباجي المنفلوطي، الشيخ ولي الدين الملوي الشافعي توفي سنة: 774هـ. إنباء الغمر بأبناء العمر: 1/ 46.

جَمٌّ. وَهَكَذَا فِي السُّوَرِ، يُطْلَبُ وَجْهُ اتِّصَالِهَا بِمَا قَبْلَهَا، وَمَا سِيقَتْ لَهُ[1]. انْتَهَى.

وَقالَ الْإِمَامُ الرَّازِيُّ في سُورَةِ الْبَقَرَةِ: «إِنَّ الْقُرْآنَ كَمَا أَنَّهُ مُعْجِزٌ بِحَسَبِ فَصَاحَةِ أَلْفَاظِهِ، وَشَرَفِ مَعَانِيهِ، فَهُوَ أَيْضًا مُعْجِزٌ بِحَسَبِ تَرْتِيبِهِ وَنَظْمِ آيَاتِهِ. وَلَعَلَّ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّهُ مُعْجِزٌ بِسَبَبِ أُسْلُوبِهِ أَرَادُوا ذَلِكَ، إِلَّا أَنِّي رَأَيْتُ جُمْهُورَ الْمُفَسِّرِينَ مُعْرِضِينَ عَنْ هَذِهِ اللَّطَائِفِ، غَيْرَ مُنْتَبِهِينَ لِهَذِهِ الْأَسْرَارِ. وَلَيْسَ الْأَمْرُ فِي هَذَا الْبَابِ إِلَّا كَمَا قِيلَ: [البسيط]

وَالنَّجْمُ تَسْتَصْغِرُ الْأَبْصَارُ صُورَتَهُ ... وَالذَّنْبُ لِلطَّرْفِ لَا لِلنَّجْمِ فِي الصِّغَرِ[2]

انْتَهَى»[3].

قُلْتُ: وَمِنْ هَذَا النَّوْعِ مُنَاسَبَةُ فَوَاتِحِ السُّوَرِ وَخَوَاتِمِهَا. وَقَدْ صَنَّفَ فِيهِ السُّيُوطِيُّ جُزْءًا لَطِيفًا سَمَّاهُ: "**مَرَاصِدُ الْمَطَالِعِ فِي تَنَاسُبِ الْمَقَاطِعِ وَالْمَطَالِعِ**".

(1) البرهان في علوم القرآن: 1/ 37.

(2) البيت لأبي العلاء المعري في سقط الزند: 61

(3) مفاتيح الغيب: 7/ 106 ـ 107، والإتقان في علوم القرآن: 3/ 369 ـ 370.

عِلْمُ مَعْرِفَةِ الْآيَاتِ الْمُشْتَبِهَاتِ

صَنَّفَ فِيهِ جَمَاعَةٌ أَوَّلُهُمْ الْكِسَائِيُّ، وَنَظَمَهُ السَّخَاوِيُّ، وَأَلَّف فِي تَوْجِيهِهِ الْكَرْمَانِيُّ كِتَابَ: "**الْبُرْهَانُ فِي مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ**". وَأَحْسَنُ مِنْهُ "**دُرَّةُ التَّنْزِيلِ وَغُرَّةُ التَّأْوِيلِ**"، لِأَبِي عَبْدِ اللهِ الرَّازِيِّ[1]. وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا "**مِلَاكُ التَّأْوِيلِ**"[2] لِأَبِي جَعْفَر ابْنِ الزُّبَيْرِ. وَلِلْقَاضِي بَدْرِ الدِّينِ ابْنِ جَمَاعَةَ كِتَابٌ لَطِيفٌ سَمَّاهُ: "**كَشْفُ الْمَعَانِي عَنْ مُتَشَابِهِ الْمَثَانِي**". وَفِي كِتَابِ أَسْرَارِ التَّنْزِيلِ؛ الْمُسَمَّى: "**قَطْفُ الْأَزْهَارِ فِي كَشْفِ الْأَسْرَارِ**"، مِنْ ذَلِكَ الْجَمُّ الْغَفِيرُ.

وَالْقَصْدُ بِهِ إِمْرَارُ الْقِصَّةِ الْوَاحِدَةِ فِي صُوَرٍ شَتَّى، وَفَوَاصِلَ مُخْتَلِفَةٍ، بِأَنْ تَأْتِيَ فِي مَوْضِعٍ مُقَدَّمًا، وَفِي آخَرَ مُؤَخَّرًا، أَوْ فِي مَوْضِعٍ بِزِيَادَةٍ، وَفِي مَوْضِعٍ بِدُونِهَا، أَوْ فِي مَوْضِعٍ مُعَرَّفًا، وَفِي آخَرَ مُنَكَّرًا، أَوْ فِي مَوْضِعٍ مُفْرَدًا، وَفِي آخَرَ جَمْعًا، أَوْ فِي مَوْضِعٍ بِحَرْفٍ، وَفِي آخَرَ بِحَرْفٍ آخَرَ، أَوْ فِي مَوْضِعٍ مُدْغَمًا، وَفِي آخَرَ مَفْكُوكًا. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الِاخْتِلَافَاتِ[3].

(1) وقع له هنا خلط في نسبة الكتاب، والصواب هو: "**دُرَّةُ التَّنْزِيلِ وَغُرَّةُ التَّأْوِيلِ**"، لأبي عبد الله محمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الأصبهاني المعروف بالْخَطِيبِ الْإِسْكَافِي (ت. 420هـ). والكتاب مطبوع.

(2) "**مَلَاكُ التَّأْوِيلِ الْقَاطِعِ بِذَوِي الْإِلْحَادِ وَالتَّعْطِيلِ**"، لأحمد بن إبراهيم بن الزُّبير الثَّقفي الغرناطي أبو جعفر (ت. 708هـ). وهو مطبوع.

(3) الإتقان في علوم القرآن: 3/ 390 ـ 391.

عِلْمُ مَعْرِفَةِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ

صَنَّفَ فِيهِ خَلَائِقُ، مِنْهُمْ: الْخَطَّابِيُّ، وَالرُّمَّانِيُّ، وَالزَّمَلْكَانِيُّ، وَالْإِمَامُ الرَّازِيُّ، وَابْنُ سُرَاقَةَ[1]، وَالْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ الْبَاقِلَّانِيُّ، قالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: «وَلَمْ يُصَنَّفْ مِثْلُ كِتَابِهِ».

اعْلَمْ أَنَّ الْمُعْجِزَةَ أَمْرٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ مَقْرُونٌ بِالتَّحَدِّي، سَالِمٌ عَنِ الْمُعَارَضَةِ، وَهِيَ إِمَّا حِسِّيَّةٌ؛ كَأَكْثَرِ مُعْجِزَاتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَذَلِكَ لِبَلَادَتِهِمْ، وَقِلَّةِ بَصِيرَتِهِمْ، أَوْ عَقْلِيَّةٌ؛ كَأَكْثَرِ مُعْجِزَاتِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَذَلِكَ لِفَرْطِ ذَكَائِهِمْ، وَكَمَالِ أَفْهَامِهِمْ، وَلِأَنَّ هَذِهِ الشَّرِيعَةَ لَمَّا كَانَتْ بَاقِيَةً عَلَى صَفَحَاتِ الدَّهْرِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، خُصَّتْ بِالْمُعْجِزَةِ الْعَقْلِيَّةِ الْبَاقِيَةِ، لِيَرَاهَا ذَوُو الْبَصَائِرِ[2].

ثُمَّ اعْلَمْ «أَنَّ اللهَ تَعَالَى بَعَثَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرَ مَا كَانَتِ الْعَرَبُ شَاعِرًا وَخَطِيبًا، وَأَحْكَمَ مَا كَانَتْ لُغَةً، وَأَشَدَّ مَا كَانَتْ عُدَّةً. فَدَعَا أَقْصَاهَا وَأَدْنَاهَا إِلَى تَوْحِيدِ اللهِ تَعَالَى، وَتَصْدِيقِ رِسَالَتِهِ. فَدَعَاهُمْ بِالْحُجَّةِ، فَلَمَّا قَطَعَ الْعُذْرَ، وَأَزَالَ الشُّبْهَةَ، جَنَحُوا إِلَى الْحَمِيَّةِ وَالْجَهْلِ، حَتَّى خَاطَرُوا مُهَجَهُمْ بِالسُّيُوفِ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَحْتَجُّ عَلَيْهِمْ بِالْقُرْآنِ، وَيَدْعُوهُمْ صَبَاحًا وَمَسَاءً إِلَى أَنْ يُعَارِضُوهُ، فَتَحَدَّاهُمْ أَوَّلًا عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ،

---

(1) محمد بن محمد بن محمد ابن سراقة أبو الحسين الشاطبي المالكي (ت. بعد 662 هـ). ترجمته في: المقفى الكبير للمقريزي: 7/ 85، وتاريخ الإسلام: 12/ 993، ونفح الطيب: 2/ 63، وهدية العارفين:2/ 127.

(2) الأبصار، في قونية.

وَأَمْهَلَهُمْ طُولَ السِّنِينِ. ثُمَّ تَحَدَّاهُمْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِنْهُ، فَلَمَّا عَجَزُوا عَنْهُ، تَحَدَّاهُمْ بِسُورَةٍ، فَلَمَّا عَجَزُوا عَنْ ذَلِكَ أَيْضًا، نَادَى عَلَيْهِمْ بِإِظْهَارِ الْعَجْزِ وَإِعْجَازِ الْقُرْآنِ، فَتَكَشَّفَ مِنْ نَقْصِهِمْ مَا كَانَ مَسْتُورًا، وَظَهَرَ مِنْهُ مَا كَانَ خَفِيًّا، فَحِينَ لَمْ يَجِدُوا حِيلَةً وَلا حُجَّةً، قَالُوا لَهُ: أَنْتَ تَعْرِفُ مِنْ أَخْبَارِ الْأُمَمِ مَا لَا نَعْرِفُ، قالَ: فَهَاتُوهَا مُفْتَرَيَاتٍ، فَلَمْ يَرُمْ ذَلِكَ خَطِيبٌ، وَلَا طَمَعَ فِيهِ شَاعِرٌ، فَدَلَّ ذَلِكَ الْعَاقِلَ عَلَى عَجْزِ الْقَوْمِ، مَعَ كَثْرَةِ كَلَامِهِمْ، وَاسْتِحَالَةِ لُغَتِهِمْ، وَسُهُولَةِ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَكَثْرَةِ شُعَرَائِهِمْ، وَكَثْرَةِ مَنْ هَجَاهُ مِنْهُمْ، مَعَ أَنَّ الْعَرَبَ فِي الرَّأْيِ وَالْعَقْلِ بِطَبَقَاتٍ، وَلَهُمُ الْقَصِيدُ الْعَجِيبُ، وَالرَّجَزُ الْفَاخِرُ، وَالْخُطَبُ الطِّوَالُ الْبَلِيغَةُ، وَالْقِصَارُ الْمُوجَزَةُ، وَلَهُمُ الْأَسْجَاعُ وَالْمُزْدَوَجُ، وَاللَّفْظُ الْمَنْثُورُ. ثُمَّ تَحَدَّى بِهِ أَقْصَاهُمْ بَعْدَ أَنْ أَظْهَرَ عَجْزَ أَدْنَاهُمْ. فَمُحَالٌ ـ أَكْرَمَكَ اللهُ ـ أَنْ يَجْتَمِعَ هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ عَلَى الْغَلَطِ فِي الْأَمْرِ الظَّاهِرِ، وَالْخَطَإِ الْمَكْشُوفِ الْبَيِّنِ، مَعَ التَّقْرِيعِ بِالنَّقْصِ، وَالتَّوْقِيفِ عَلَى الْعَجْزِ، وَهُمْ أَشَدُّ الْخَلْقِ أَنَفَةً، وَأَكْثَرُهُمْ مُفَاخَرَةً، وَالْكَلَامُ سَيِّدُ عَمَلِهِمْ، وَقَدِ احْتَاجُوا إِلَيْهِ، وَالْحَاجَةُ تَبْعَثُ عَلَى الْحِيلَةِ فِي الْأَمْرِ الْغَامِضِ، فَكَيْفَ بِالظَّاهِرِ»[1].

(1) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 1/ 173 ـ 176، والإتقان في علوم القرآن: 4/ 3 ـ 4.

وَلَمَّا ثَبَتَ كَوْنُ الْقُرْآنِ مُعْجِزَةً، وَجَبَ الِاهْتِمَامُ بِمَعْرِفَةِ وَجْهِ الْإِعْجَازِ. فَزَعَمَ قَوْمٌ أَنَّ التَّحَدِّيَ وَقَعَ بِالْكَلامِ الْقَدِيمِ، وَهُوَ مَرْدُودٌ، لِأَنَّ مَنْ لَا يُوقَفُ عَلَيْهِ، لَا يُتَصَوَّرُ التَّحَدِّي بِهِ.

وَزَعَمَ النَّظَّامُ بِالصَّرْفَةِ، أَيْ صَرَفَ اللهُ الْعَرَبَ عَنْ مُعَارَضَتِهِ، وَسَلَبَ عُقُولَهُمْ، مَعَ قُدْرَتِهِمْ عَلَيْهِ فِي نَفْسِهِ، لَكِنْ عَاقَهُمْ عَنْهُ أَمْرٌ خَارِجِيٌّ كَسَائِرِ الْمُعْجِزَاتِ. وَهَذَا فَاسِدٌ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ﴾[1] الآية، فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ قُدْرَةٌ[2]، لَمْ يَبْقَ لِاجْتِمَاعِهِمْ فَائِدَةٌ. مَعَ أَنَّ الْإِجْمَاعَ أَنَّ الْقُرْآنَ مُعْجِزٌ، وَلَوْ كانَ كَمَا ذَكَرُوهُ، لَكَانَ الْمُعْجِزُ هُوَ اللهَ تَعَالَى، دُونَ الْقُرْآنِ، وَلَمْ يَكُنْ لِلْكَلَامِ فَضِيلَةٌ عَلَى غَيْرِهِ.

وَزَعَمَ آخَرُونَ أَنَّ وَجْهَ إِعْجَازِهِ مَا فِيهِ مِنَ الْإِخْبَارِ عَنِ الْغُيُوبِ الْمُسْتَقْبَلَةِ، وَقِيلَ الْإِخْبَارُ عَنْ قَصَصِ الْأَوَّلِينَ، أَوِ الْإِخْبَارُ عَنِ الضَّمَائِرِ.

وَقالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ: «مَا فِيهِ مِنَ النَّظْمِ وَالتَّأْلِيفِ وَالتَّرْتِيبِ وَالتَّرْصِيفِ»[3].

وَقالَ الْإِمَامُ الرَّازِيُّ: «الْفَصَاحَةُ وَغَرَابَةُ الْأُسْلُوبِ، وَالسَّلَامَةُ مِنْ جَمِيعِ الْعُيُوبِ».

---

(1) سورة الإسراء، الآية: 88.

(2) مقدرة، في قونية.

(3) البرهان في علوم القرآن: 2/ 98.

وَقالَ الزَّمَلْكَانِيُّ: وَجْهُ الْإِعْجَازِ رَاجِعٌ إِلَى التَّأْلِيفِ الْخَاصِّ بِهِ، لَا مُطْلَقَ التَّأْلِيفِ، بِأَنْ وَقَعَ كُلُّ فَنٍّ فِي الْمَرْتَبَةِ الْعُلْيَا فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى.

وَقالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: «الصَّحِيحُ والَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ وَالْحُذَّاقُ، أَنَّهُ بِنَظْمِهِ، وَصِحَّةِ مَعَانِيهِ، وَتَوَالِي فَصَاحَةِ أَلْفَاظِهِ، ثُمَّ كَذَلِكَ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ. فَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فِي قُدْرَةِ الْبَشَرِ، وَلَوْ نُزِعَتْ مِنْهُ لَفْظَةٌ، لَمْ تَقْدِرْ طَائِفَةُ الْبَشَرِ أَنْ يَأْتُوا بِلَفْظٍ أَحْسَنَ مِنْهَا، بَلْ مِثْلِهَا»[1].

وَقالَ حَازِمٌ فِي "مِنْهَاجُ الْبُلَغَاءِ": «وَجْهُ الْإِعْجَازِ، اسْتِمْرَارُ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ فِي الْقُرْآنِ مِنْ جَمِيعِ أَنْحَائِهَا فِي جَمِيعِهِ، اسْتِمْرَارًا لَا تُوجَدُ لَهُ فَتْرَةٌ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِ»[2].

وَقَالَ الْمُرَّاكُشِيُّ فِي "شَرْحُ الْمِصْبَاحِ"[3] وَجْهُ إِعْجَازِهِ لَيْسَ مُفْرَدَاتِهُ، وَلَا إِعْرَابَهُ، وَلَا مُجَرَّدَ أُسْلُوبِهِ، بَلْ جَمِيعُ هَذِهِ الْأُمُورِ كُلِّهَا.

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: وَجْهُ الْإِعْجَازِ الْبَلَاغَةُ، لَكِنْ صَعُبَ عَلَيْهِمْ تَفْصِيلُهَا. وَالْأَمْرُ فِيهِ إِلَى الذَّوْقِ[4].

(1) لخص النص من المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 1/ 52، والإتقان في علوم القرآن: 4/ 8ـ9.

(2) النص في ملحق منهاج البلغاء وسراج الأدباء: 389.

(3) محمد بن عبد الرحمن المراكشي الضرير النحوي (ت. 807هـ)، نَظَمَ "المصباح" وسمَّاه: "**تَرْجِيزُ الْمِصْبَاحِ**"، ثم شرحه إملاءً وسماه: "**ضَوْءُ الْمِصْبَاحِ عَلَى تَرْجِيزِ الْمِصْبَاحِ**". كشف الظنون: 2/ 1707.

(4) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 10 ـ 14.

وَقالَ[1]: وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ أَجْنَاسَ الْكَلَامِ فِي دَرَجَاتِ الْبَيَانِ مُتَفَاوِتَةٌ، الْبَلِيغُ الرَّصِينُ الْجَزْلُ، وَالْفَصِيحُ الْقَرِيبُ السَّهْلُ، وَالْجَائِزُ الطَّلْقُ الرَّسْلُ[2]. فَالْأَوَّلُ: أَعْلَاهَا، وَالثَّانِي: أَوْسَطُهَا، وَالثَّالِثُ: أَدْنَاهَا. فَحَازَتْ بَلَاغَاتُ الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ قِسْمٍ مِنْ هَذِهِ الْأَقْسَامِ حِصَّةً، وَأَخَذَتْ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ شُعْبَةً، فَانْتَظَمَ لَهَا بِانْتِظَامِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ نَمَطٌ مِنَ الْكَلَامِ يَجْمَعُ صِفَتَيِ الْفَخَامَةِ وَالْعُذُوبَةِ، وَهُمَا عَلَى الِانْفِرَادِ فِي نُعُوتِهِمَا كَالْمُتَضَادَّيْنِ؛ لِأَنَّ الْعُذُوبَةَ نِتَاجُ السُّهُولَةِ، وَالْجَزَالَةَ وَالْمَتَانَةَ يُعَالِجَانِ نَوْعًا مِنَ الزُّعُورَةِ. فَكَانَ اجْتِمَاعُ كُلٍّ مِنَ الْأَمْرَيْنِ فِي نَظْمِهِ، مَعَ نُبُوِّ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَنِ الْآخَرِ، فَضِيلَةً خُصَّ بِهَا الْقُرْآنُ، لِيَكُونَ آيَةً بَيِّنَةً لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَإِنَّمَا تَعَذَّرَ عَلَى الْبَشَرِ الْإِتْيَانُ بِمِثْلِهِ، لِأَنَّ عِلْمَهُمْ لَا يُحِيطُ بِجَمِيعِ أَسْمَاءِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَجَمِيعِ مَعَانِي الْأَشْيَاءِ الْمَحْمُولَةِ عَلَى تِلْكَ الْأَلْفَاظِ، وَلَا جَمِيعِ وُجُوهِ النُّظُومِ، الَّتِي بِهَا يَكُونُ ائْتِلَافُهَا. وَالْقُرْآنُ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ فِي غَايَةِ الشَّرَفِ وَالْفَضِيلَةِ، وَكَذَا مَعَانِيهِ، مُتَقَدِّمٌ فِي أَبْوَابِهِ، وَمُتَرَقٍّ إِلَى أَعْلَى دَرَجَاتِهِ.

وَقَدْ تُوجَدُ هَذِهِ الْفَضَائِلُ الثَّلَاثُ عَلَى التَّفَرُّقِ[3]، لَكِنْ مَجْمُوعَةً فِي نَوْعٍ وَاحِدٍ فَلَمْ تُوجَدْ إِلَّا فِي كَلَامِ الْعَلِيمِ الْقَدِيرِ. فَخَرَجَ مِنْ هَذَا أَنَّ الْقُرْآنَ صارَ

(1) بيان إعجاز القرآن للخطابي، 26 وما بعدها.

(2) الرَّسْلُ: الذي فيه لين واسترخاء. اللسان/ رسل.

(3) في أنواع الكلام، في بيان إعجاز القرآن للخطابي: 27.

مُعْجِزًا، لِأَنَّهُ جَاءَ بِأَفْصَحِ الْأَلْفَاظِ فِي أَحْسَنِ نُظُومِ التَّأْلِيفِ، مُتَضَمِّنًا أَصَحَّ الْمَعَانِي، مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ وَتَنْزِيهِهِ فِي صِفَاتِهِ، وَدُعَاءٍ إِلَى طَاعَتِهِ، وَبَيَانٍ لِطَرِيقِ عِبَادَتِهِ؛ مِنْ تَحْلِيلٍ وَتَحْرِيمٍ، وَحَظْرٍ وَإِبَاحَةٍ، وَمِنْ وَعْظٍ وَتَقْوِيمٍ، وَأَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ وَنَهْيٍ عَنْ مُنْكَرٍ، وَإِرْشَادٍ إِلَى مَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ وَزَجْرٍ عَنْ مَسَاوِئِهَا، وَاضِعًا كُلَّ شَيْءٍ مِنْهَا مَوْضِعَهُ، مُودِعًا أَخْبَارَ الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ، وَمَا نَزَلَ مِنْ مَثُلَاتِ اللهِ بِمَنْ مَضَى وَعَانَدَ مِنْهُمْ، مُنْبِئًا عَنِ الْكَوَائِنِ الْمُسْتَقْبَلَةِ فِي الْأَعْصَارِ الْآتِيَةِ، جَامِعًا فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْحُجَّةِ وَالْمُحْتَجِّ لَهُ، وَالدَّلِيلِ وَالْمَدْلُولِ لَهُ، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَوْكَدَ لِلُزُومِ مَا دَعَا إِلَيْهِ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْإِتْيَانَ بِمِثْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ، وَالْجَمْعَ بَيْنَ أَشْتَاتِهَا، أَمْرٌ تَعْجِزُ عَنْهُ قُوَى الْبَشَرِ، وَلَا تَبْلُغُهُ قُدْرَتُهُمْ، فَانْقَطَعَ الْخَلْقُ دُونَهُ، وَعَجَزُوا عَنْ مُعَارَضَتِهِ بِمِثْلِهِ، أَوْ مُنَاقَضَتِهِ فِي مُشْكِلِهِ.

ثُمَّ صَارَ الْمُعَانِدُونَ لَهُ يَقُولُونَ مَرَّةً إِنَّهُ شِعْرٌ لَمَّا رَأَوْهُ كَلَامًا مَنْظُومًا، وَمَرَّةً إِنَّهُ سِحْرٌ لَمَّا رَأَوْهُ مَعْجُوزًا[1] عَنْهُ، غَيْرَ مَقْدُورٍ عَلَيْهِ، وَقَدْ كَانُوا يَجِدُونَ لَهُ وَقْعًا فِي الْقُلُوبِ، وَقَرْعًا فِي النُّفُوسِ يُرْهِبُهُمْ وَيُحَيِّرُهُمْ، فَلَمْ يَتَمَالَكُوا أَنْ يَعْتَرِفُوا بِهِ نَوْعًا مِنَ الِاعْتِرَافِ، وَلِذَلِكَ قَالَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ لَمَّا سَمِعَ الْقُرْآنَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَاللهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ[2] حَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ

---

(1) معجزا، في الأزهرية.

(2) يقوله، في قونية.

لَطَلَاوَةً، وَإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَعْلَاهُ، مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَى، وَإِنَّهُ لَيَحْطِمُ مَا تَحْتَهُ.

وَكَانُوا مَرَّةً بِجَهْلِهِمْ يَقُولُونَ: ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[1]، مَعَ عِلْمِهِمْ أَنَّ صَاحِبَهُمْ أُمِّيٌّ، وَلَيْسَ بِحَضْرَتِهِ مَنْ يُمْلِي أَوْ يَكْتُبُ، فِي نَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي أَوْجَبَهَا الْعِنَادُ وَالْجَهْلُ وَالْعَجْزُ[2].

ثُمَّ قَالَ: وَقَدْ قُلْتُ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ وَجْهًا ذَهَبَ عَنْهُ النَّاسُ، وَهُوَ صَنِيعُهُ فِي الْقُلُوبِ، وَتَأْثِيرُهُ فِي النُّفُوسِ، فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ غَيْرَهُ، وَقَدْ خَلَصَ لَهُ إِلَى الْقَلْبِ مِنَ اللَّذَّةِ وَالْحَلَاوَةِ فِي حَالٍ، وَمِنَ الْمَهَابَةِ وَالرَّوْعَةِ فِي حَالٍ آخَرَ، مَا يَخْلُصُ مِنْهُ إِلَيْهِ[3].

وَتَلْخِيصُ الْكَلَامِ أَنَّ وَجْهَ الْإِعْجَازِ: إِمَّا الْإِيجَازُ مَعَ الْبَلَاغَةِ، أَوِ الْبَيَانُ وَالْفَصَاحَةُ، أَوِ الرَّصْفُ وَالنَّظْمُ، أَوْ كَوْنُهُ خَارِجًا عَنْ جِنْسِ كَلَامِهِمْ، مَعَ كَوْنِ مُفْرَدَاتِهِ مِنْهُ، أَوْ كَوْنُ قَارِئِهِ لَا يَكَلُّ، وَسَامِعِهِ لَا يَمَلُّ، وَإِنْ تَكَرَّرَتْ عَلَيْهِ تِلَاوَتُهُ، أَوْ مَا فِيهِ مِنَ الْإِخْبَارِ عَنِ الْأُمُورِ الْمَاضِيَةِ أَوِ الْمُسْتَقْبَلَةِ، أَوْ جَامِعًا لِعُلُومٍ يَطُولُ شَرْحُهَا وَيَشُقُّ حَصْرُهَا، أَوْ بِجَمِيعِ مَا سَبَقَ مِنَ الْأَقْوَالِ، أَوْ كَوْنُهُ غَضًّا طَرِيًّا فِي الْأَسْمَاعِ وَالْأَلْسِنَةِ، أَوْ جَمْعُهُ بَيْنَ صِفَتَي الْجَزَالَةِ وَالْعُذُوبَةِ

(1) سورة الفرقان، الآية: 5.
(2) بيان إعجاز القرآن للخطابي: 28.
(3) بيان إعجاز القرآن: 70.

مَعَ تَضَادِّهِمَا، وَعَدَمِ جَمْعِهِمَا فِي كَلَامِ الْبَشَرِ، أَوْ جَعْلُهُ آخِرَ الْكُتُبِ، غَنِيًّا عَنْ غَيْرِهِ، وَاحْتِيَاجُ مَا تَقَدَّمَ إِلَيْهِ، أَوْ تَرْكُ الْمُعَارَضَةِ مَعَ تَوَفُّرِ الدَّوَاعِي، وَشِدَّةِ الْحَاجَةِ وَالتَّحَدِّي[1].

ثُمَّ إِنَّهُمُ اخْتَلَفُوا فِي الْقَدْرِ الْمُعْجِزِ مِنْهُ. ذَهَبَ بَعْضُ الْمُعْتَزِلَةِ إِلَى أَنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِجَمِيعِهِ، وَهَذَا مَرْدُودٌ بِنَظْمِ الْقُرْآنِ، وَهُوَ التَّحَدِّي بِأَقْصَرِ سُورَةٍ مِنْهُ.

وَقَالَ الْقَاضِي: بِسُورَةٍ طَوِيلَةً كَانَتْ أَوْ قَصِيرَةً.

وَقَالَ: يَتَعَلَّقُ بِسُورَةٍ، أَوْ قَدْرِهَا مِنَ الْكَلَامِ.

وَقَالَ قَوْمٌ: لَا يَكُونُ الْإِعْجَازُ إِلَّا بِآيَاتٍ كَثِيرَةٍ.

وَقَالَ آخَرُونَ: يَتَعَلَّقُ بِقَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ. وَهُوَ الْأَصَحُّ.

ثُمَّ اخْتَلَفُوا، قَالَ الْقَاضِي: كُلُّ كَلِمَةٍ فِيهِ[2] فِي الذِّرْوَةِ الْعُلْيَا مِنَ الْبَلَاغَةِ.

وَاخْتَارَ أَبُو نَصْرٍ الْقُشَيْرِيُّ وَعِزُّ الدِّينِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ التَّفَاوُتَ، بَلْ فِيهِ الْفَصِيحُ وَالْأَفْصَحُ. ثُمَّ الْحِكْمَةُ فِي تَنْزِيهِهِ[3] عَنِ الشِّعْرِ، أَنَّ الْقُرْآنَ مَنْبَعُ الْحَقِّ، وَمَجْمَعُ الصِّدْقِ، وَالشِّعْرَ مَبْنَاهُ عَلَى تَخْيِيلِ الْبَاطِلِ فِي صُورَةِ الْحَقِّ، حَتَّى قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: لَمْ يُرَ مُتَدَيِّنٌ صَادِقُ اللَّهْجَةِ، مُفْلِقٌ فِي شِعْرِهِ.

وَمَا وَقَعَ فِيهِ مَنْظُومًا فَلَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْقَصْدِ. وَشَرْطُ الشِّعْرِ أَنْ يَقَعَ قَصْدًا.

---

(1) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 16 ـ 20.

(2) منه، في قونية.

(3) تنزهه، في قونية.

وَقِيلَ: الْبَيْتُ الْوَاحِدُ لَيْسَ بِشِعْرٍ، وَأَقَلُّهُ بَيْتَانِ. وَأَمَّا الرَّجَزُ، فَلَيْسَ بِشِعْرٍ أَصْلًا.

وَقِيلَ: أَقَلُّهُ أَرْبَعَةُ أَبْيَاتٍ، وَلَيْسَ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ بِحَالٍ[1].

وَقِيلَ: التَّحَدِّي بِالْإِنْسِ دُونَ الْجِنِّ، لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُل لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ﴾[2]، لِتَهْوِيلِ أَمْرِ الْإِعْجَازِ، إِذْ فِي اجْتِمَاعِهِمْ قُوَّةٌ لَا تَخْفَى.

قَالَ الْكَرْمَانِيُّ: لَمْ يَذْكُرِ الْمَلَائِكَةَ مَعَهُمْ، لِأَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُبْعَثْ إِلَى الْمَلَائِكَةِ[3].

عِلْمُ مَعْرِفَةِ الْعُلُومِ الْمُسْتَنْبَطَةِ مِنَ الْقُرْآنِ

قَالَ تَعَالَى ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[4]، وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[5].

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَتَكُونُ فِتَنٌ، قِيلَ: وَمَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا؟ قَالَ: كِتَابُ اللهِ، فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ»[6].

---

(1) محال، في رئيس الكتاب.

(2) سورة الإسراء، الآية: 88.

(3) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 21 ـ 23.

(4) سورة الأنعام، الآية: 38.

(5) سورة النحل، الآية: 89.

(6) سنن الترمذي: 5/ 2، رقم: 2906.

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «مَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَعَلَيْهِ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّ فِيهِ خَبَرَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ»[1].

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: يَعْنِي أُصُولَ الْعِلْمِ.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: «مَا بَلَغَنِي حَدِيثٌ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى وَجْهِهِ[2]، إِلَّا وَجَدْتُ مِصْدَاقَهُ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى»[3].

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «إِذَا حَدَّثْتُكُمْ بِحَدِيثٍ أَنْبَأْتُكُمْ بِتَصْدِيقِهِ مِنْ كِتَابِ اللهِ»[4].

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ مَرَّةً بِمَكَّةَ: سَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ، أُخْبِرْكُمْ عَنْهُ مِنْ كِتَابِ اللهِ، فَقِيلَ لَهُ: مَا تَقُولُ فِي الْمُحْرِمِ يَقْتُلُ الزُّنْبُورَ؟ فَقَالَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[5].

وَحَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قالَ: «اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنَ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ»[6].

---

(1) شعب الإيمان للبيهقي: 2/ 332، رقم: 1960.

(2) وجهِ، في قونية.

(3) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 15/ 279.

(4) الإكليل في استنباط التنزيل: 12.

(5) سورة الحشر، الآية: 7. والخبر في تفسير الإمام الشافعي: 3/ 1332.

(6) معالم السنن وهو شرح سنن أبي داود: 3/ 18.

وَحدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ مِسْعَرِ بْنِ كِدَامٍ عَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: «أَنَّهُ أَمَرَ بِقَتْلِ الْمُحْرِمِ الزُّنْبُورَ».

وَحَكَى ابْنُ سُرَاقَةَ فِي كِتَابِ "الْإِعْجَازِ"[1] عَنْ أَبِي بَكْرِ ابْنِ مُجَاهِدٍ أَنَّهُ قَالَ يَوْمًا: مَا شَيْءٌ فِي الْعَالَمِ إِلَّا فِي كِتَابِ اللهِ، فَقِيلَ لَهُ: فَأَيْنَ ذِكْرُ الْخَانَاتِ فِيهِ، فَقَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ﴾[2]، فَهِيَ الْخَانَاتُ[3].

وَأَنَّ بَعْضًا قَدِ اسْتَنْبَطَ عُمُرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ "الْمُنَافِقُونَ" ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾[4]، فَإِنَّهَا رَأْسُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سُورَةً، وَعَقَّبَهَا بِالتَّغَابُنِ، لِيَظْهَرَ التَّغَابُنُ بِفَقْدِهِ.

قَالَ ابْنُ بَرَّجَانَ: «مَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ شَيْءٍ، فَهُوَ فِي الْقُرْآنِ، أَوْ فِيهِ أَصْلُهُ، قَرُبَ أَوْ بَعُدَ، فَهِمَهُ مَنْ فَهِمَهُ، وَعَمِهَ عَنْهُ مَنْ عَمِهَ، وَكَذَا كُلُّ مَا حَكَمَ أَوْ قَضَى بِهِ. وَإِنَّمَا يُدْرِكُ الطَّالِبُ مِنْ ذَلِكَ بِقَدْرِ اجْتِهَادِهِ، وَبَذْلِ وُسْعِهِ، وَمِقْدَارِ فَهْمِهِ»[5].

---

(1) عنوان الكتاب: "إِعْجَازُ الْقُرْآنِ"، لابن سُرَاقَةَ الشَّاطِبِي، لعله في عداد الكتب المفقودة، وقد نقل منه كثيرا الإمام السيوطي في الإتقان.

(2) سورة النور، الآية: 29.

(3) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 28-30.

(4) سورة المنافقون، الآية: 11.

(5) البرهان في علوم القرآن: 2/ 129.

وَقالَ ابْنُ أَبِي الْفَضْلِ الْمُرْسِيُّ[1]: جَمَعَ الْقُرْآنُ عُلُومَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، بِحَيْثُ لَمْ يُحِطْ بِهَا عِلْمًا حَقِيقَةً إِلَّا الْمُتَكَلِّمُ بِهَا، ثُمَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خَلَا مَا اسْتَأْثَرَ بِهِ سُبْحَانَهُ.

ثُمَّ وَرِثَ عَنْهُ مُعْظَمَ ذَلِكَ سَادَاتُ الصَّحَابَةِ وَأَعْلَامُهُمْ، مِثْلَ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ، حَتَّى قالَ: لَوْ ضَاعَ لِي عِقَالُ بَعِيرٍ، لَوَجَدْتُهُ فِي كِتَابِ اللهِ. ثُمَّ وَرِثَ عَنْهُمُ التَّابِعُونَ بِإِحْسَانٍ.

ثُمَّ تَقَاصَرَتِ الْهِمَمُ، وَفَتَرَتِ الْعَزَائِمُ، وَتَضَاءَلَ أَهْلُ الْعِلْمِ، وَضَعُفُوا عَنْ حَمْلِ مَا حَمَلَهُ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ مِنْ عُلُومِهِ، وَسَائِرِ فُنُونِهِ[2]، حَتَّى قِيلَ: [الوافر]

جَمِيعُ الْعِلْمِ فِي الْقُرْآنِ لَكِنْ ... تَقَاصَرَ عَنْهُ أَفْهَامُ الرِّجَالِ[3]

ثُمَّ إِنَّ بَعْضَهُمْ نَوَّعُوا عُلُومَهُ، وَقَامَتْ كُلُّ طَائِفَةٍ لِفَنٍّ مِنْ فُنُونِهِ.

مِنْهُمْ مَنِ اعْتَنَى بِضَبْطِ لُغَاتِهِ، وَتَحْرِيرِ كَلِمَاتِهِ، وَمَعْرِفَةِ مَخَارِجِ حُرُوفِهِ وَعَدَدِهَا، وَعَدَدِ كَلِمَاتِهِ وَآيَاتِهِ وَسُوَرِهِ وَأَحْزَابِهِ وَأَنْصَافِهِ وَأَرْبَاعِهِ، وَعَدَدِ سَجَدَاتِهِ، وَالتَّعْلِيمِ عِنْدَ كُلِّ عَشْرِ آيَاتٍ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ حَصْرِ الْكَلِمَاتِ

(1) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل السلمي المرسي شرف الدين الضرير، الأديب المفسر (ت. 655 هـ). معجم الأدباء: 7/ 16. طبقات الشافعية الكبرى: 8/ 69.

(2) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 30 ـ 31.

(3) نسب البيت لابن عباس، ونسب أيضا لعلي بن أبي طالب لكن لم يرد في ديوان شعره.

الْمُتَشَابِهَةِ، وَالْآيَاتِ الْمُقَابَلَةِ[1]، مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِمَعَانِيهِ، وَلَا تَدَبُّرٍ لِمَا أُودِعَ فِيهِ، فَسُمُّوا الْقُرَّاءَ.

وَمِنْهُمْ مَنِ اعْتَنَى بِالْمُعْرَبِ مِنْهُ وَالْمَبْنِيِّ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالْأَفْعَالِ وَالْحُرُوفِ الْعَامِلَةِ، وَغَيْرِهَا، وَأَوْسَعُوا الْكَلَامَ فِي الْأَسْمَاءِ وَتَوَابِعِهَا، وَضُرُوبِ الْأَفْعَالِ، وَاللَّازِمِ وَالْمُتَعَدِّي، وَرُسُومِ خَطِّ الْكَلِمَاتِ، وَجَمِيعِ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ أَعْرَبَ مُشْكِلَهُ، وَبَعْضَهُمْ أَعْرَبَهُ كَلِمَةً كَلِمَةً، وَهُمُ النُّحَاةُ.

وَمِنْهُمْ مَنِ اعْتَنَى بِأَلْفَاظِهِ، فَوَجَدُوا مِنْهُ لَفْظًا يَدُلُّ على مَعْنًى وَاحِدٍ، وَلَفْظًا يَدُلُّ عَلَى مَعْنَيَيْنِ، وَلَفْظًا يَدُلُّ عَلَى أَكْثَرَ، فَأَجْرَوْا الْأَوَّلَ عَلَى حُكْمِهِ، وَأَوْضَحُوا مَعْنَى الْخَفِيِّ مِنْهُ، وَخَاضُوا فِي تَرْجِيحِ أَحَدِ مُحْتَمَلَاتِ ذِي الْمَعْنَيَيْنِ وَالْمَعَانِي، وَأَعْمَلَ كُلٌّ مِنْهُمْ فِكْرَهُ، وَقَالَ بِمَا اقْتَضَاهُ نَظَرُهُ، وَهُمُ الْمُفَسِّرُونَ.

وَمِنْهُمْ مَنِ اعْتَنَى بِمَا فِيهِ مِنَ الْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ، وَالشَّوَاهِدِ الْأَصْلِيَّةِ وَالنَّظَرِيَّةِ، مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا﴾[2]، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الْكَثِيرَةِ، فَاسْتَنْبَطُوا مِنْهُ أَدِلَّةً عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللهِ وَوُجُودِهِ، وَبَقَائِهِ وَقِدَمِهِ، وَقُدْرَتِهِ وَعِلْمِهِ، وَتَنْزِيهِهِ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ، وَهُمُ الْأُصُولِيُّونَ الْعَالِمُونَ بِعِلْمِ أُصُولِ الدِّينِ.

---

(1) المتماثلة، في الإتقان في علوم القرآن.

(2) سورة الأنبياء، الآية: 22.

وَمِنْهُمْ مَنْ تَأَمَّلَ فِي مَعَانِي خِطَابِهِ، فَرَأَى مِنْهَا مَا يَقْتَضِي الْعُمُومَ، وَمِنْهَا مَا يَقْتَضِي الْخُصُوصَ، إِلى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَحْكَامِ اللُّغَاتِ مِنَ الْحَقِيقَةِ وَالْمَجَازِ، وَالصَّرِيحِ وَالْكِنَايَةِ، وَتَكَلَّمَ فِي التَّخْصِيصِ وَالإِخْبَارِ، وَالنَّصِّ وَالظَّاهِرِ، وَالْمُجْمَلِ وَالْمُحْكَمِ، وَالْمُتَشَابِهِ وَالأَمْرِ، وَالنَّهْيِ وَالنَّسْخِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ أَنْوَاعِ الأَقْيِسَةِ، وَاسْتِصْحَابِ الْحَالِ وَالاِسْتِقْرَاءِ، وَهُمْ عُلَمَاءُ أُصُولِ الْفِقْهِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ أَحْكَمَ صَحِيحَ النَّظَرِ، وَصَادِقَ الْفِكْرِ فِيمَا فِيهِ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَسَائِرِ الأَحْكَامِ، فَأَسَّسُوا أُصُولَهُ، وَفَرَّعُوا فُرُوعَهُ، وَبَسَطُوا الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ بَسْطًا حَسَنًا، وَسَمَّوْا ذَلِكَ بِعِلْمِ الْفُرُوعِ، وَبِعِلْمِ الْفِقْهِ أَيْضًا.

وَمِنْهُمْ طَائِفَةٌ تَلَمَّحَتْ مَا فِيهِ مِنْ قَصَصِ الْقُرُونِ السَّالِفَةِ، وَالأُمَمِ الْخَالِيَةِ، وَنَقَلُوا أَخْبَارَهُمْ، وَدَوَّنُوا آثَارَهُمْ وَوَقَائِعَهُمْ، حَتَّى ذَكَرُوا بَدْءَ الدُّنْيَا، وَأَوَّلَ الأَشْيَاءِ، وَسَمَّوْا ذَلِكَ بِالتَّارِيخِ وَالْقَصَصِ.

وَمِنْهُمْ آخَرُونَ تَنَبَّهُوا لِمَا فِيهِ مِنَ الْحِكَمِ وَالأَمْثَالِ، وَالْمَوَاعِظِ الَّتِي تُقَلْقِلُ قُلُوبَ الرِّجَالِ، وَتَكَادُ تُدَكْدِكُ[1] الْجِبَالَ، فَاسْتَنْبَطُوا مِمَّا فِيهِ مِنَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، وَالتَّحْذِيرِ وَالتَّبْشِيرِ، وَذِكْرِ الْمَوْتِ وَالْمَعَادِ وَالنَّشْرِ وَالْحَشْرِ، وَالْحِسَابِ وَالْعِقَابِ، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فُصُولًا مِنَ الْمَوَاعِظِ، وَأُصُولًا مِنَ الزَّوَاجِرِ، فَسُمُّوا بِذَلِكَ الْخُطَبَاءَ وَالْوُعَّاظَ.

---

(1) تدكك، في قونية.

وَمِنْهُمْ قَوْمٌ اسْتَنْبَطُوا مِمَّا فِيهِ مِنْ أُصُولِ التَّعْبِيرِ، مِثْلَ مَا وَرَدَ فِي قِصَّةِ يُوسُفَ فِي الْبَقَرَاتِ السِّمَانِ، وَفِي مَنَامَيْ صَاحِبَيِ السِّجْنِ، وَفِي رُؤْيَاهُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ سَاجِدَةً، وَسَمَّوْهُ تَعْبِيرَ الرُّؤْيَا، وَاسْتَنْبَطُوا تَفْسِيرَ كُلِّ رُؤْيَا مِنَ الْكِتَابِ، فَإِنْ عَسُرَ عَلَيْهِمْ إِخْرَاجُهَا مِنْهُ، فَمِنَ السُّنَّةِ الَّتِي هِيَ شَارِحَةٌ لِلْكِتَابِ، فَإِنْ عَسُرَ فَمِنَ الْحِكَمِ وَالْأَمْثَالِ. ثُمَّ نَظَرُوا إِلَى اصْطِلَاحِ الْعَوَامِّ فِي مُخَاطَبَاتِهِمْ، وَعُرْفِ عَادَاتِهِمْ، الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ الْقُرْآنُ بِقَوْلِهِ ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾[1].

وَمِنْهُمْ قَوْمٌ أَخَذُوا مِمَّا فِي آيَةِ الْمَوَارِيثِ، مِنْ ذِكْرِ السِّهَامِ وَأَرْبَابِهَا، وَغَيْرِ ذَلِكَ، عِلْمَ الْفَرَائِضِ، وَاسْتَنْبَطُوا مِنْهَا مِنْ ذِكْرِ النِّصْفِ وَالثُّلُثِ وَالرُّبُعِ وَالسُّدُسِ وَالثُّمُنِ حِسَابَ الْفَرَائِضِ، وَمَسَائِلَ الْعدلِ، وَاسْتَخْرَجُوا مِنْهُ أَحْكَامَ الْوَصَايَا.

وَمِنْهُمْ قَوْمٌ نَظَرُوا إِلَى مَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّاتِ عَلَى الْحِكَمِ الْبَاهِرَةِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَمَنَازِلِهِ، وَالنُّجُومِ وَالْبُرُوجِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَاسْتَخْرَجُوا مِنْهُ عِلْمَ الْمَوَاقِيتِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ نَظَرَ مِنَ الْكُتَّابِ وَالشُّعَرَاءِ، إِلَى مَا فِيهِ مِنْ جَزَالَةِ اللَّفْظِ وَبَدِيعِ النَّظْمِ، وَحُسْنِ السِّيَاقِ وَالْمَبَادِئِ وَالْمَقَاطِعِ وَالْمَخَالِصِ وَالتَّلْوِينِ فِي الْخِطَابِ، وَالْإِيجَازِ وَالْإِطْنَابِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ هَذَا الْبَابِ، فَاسْتَنْبَطُوا مِنْهُ الْمَعَانِي وَالْبَيَانَ وَالْبَدِيعَ.

---

(1) سورة الأعراف، الآية: 199.

وَمِنْهُمْ مَنْ نَظَرَ فِيهِ مِنْ أَرْبَابِ الْإِشَارَاتِ وَأَصْحَابِ الْحَقِيقَةِ، فَلَاحَ لَهُمْ مِنْ أَلْفَاظِهِ مَعَانٍ وَدَقَائِقُ، جَعَلُوا لَهَا أَعْلَامًا، اصْطَلَحُوا عَلَيْهَا، مِثْلَ الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ وَالْحُضُورِ وَالْخَوْفِ وَالْهَيْبَةِ وَالْأُنْسِ وَالْوَحْشَةِ وَالْقَبْضِ وَالْبَسْطِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ. هَذِهِ هِيَ الْفُنُونُ الَّتِي أَخَذَتْهَا الْمِلَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ مِنْهُ[1]. أَبَّدَ اللهُ ذِكْرَهُمْ، وَأَيَّدَ فِكْرَهُمْ.

وَقَدِ احْتَوَى الْقُرْآنُ أَيْضًا عَلَى **عُلُومِ الْأَوَائِلِ**، مِنَ الطِّبِّ وَالْجَدَلِ وَالْهَيْئَةِ وَالْهَنْدَسَةِ وَالْجَبْرِ وَالْمُقَابَلَةِ وَالنِّجَامَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

أَمَّا الطِّبُّ، فَمَدَارُهُ عَلَى حِفْظِ الصِّحَّةِ، وَاسْتِحْكَامِ الْقُوَّةِ وَاعْتِدَالِهَا، أَوْ رَدِّ الصِّحَّةِ بَعْدَ اخْتِلَالِهَا، وَحُدُوثِ الشِّفَاءِ بَعْدَ اعْتِلَالِهَا. وَأَشَارَ إِلَى الْأَوَّلِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوامًا﴾[2]، وَبِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾[3]، وَإِلَى الثَّانِي بِقَوْلِهِ: ﴿شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾[4].

وَأَمَّا الْهَيْئَةُ، فَفِي آيَاتٍ ذُكِرَ فِيهَا مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَا بُثَّ فِي الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَأَحْوَالِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، مِثْلَ

---

(1) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 32-33.

(2) سورة الفرقان، الآية: 67.

(3) سورة الأعراف، الآية: 31.

(4) سورة النحل، الآية: 69.

قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾[1]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾[2]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾[3]، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، بِحَيْثُ لَوْ أُحْصِيَ لَوُجِدَ جَمِيعُ أُصُولِ الْهَيْئَةِ وَزِيَادَةٌ عَلَيْهَا.

وَأَمَّا الْهَنْدَسَةُ، فَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾[4]، الآية.

وَأَمَّا الْجَدَلُ، فَقَدْ حَوَتْ آيَاتُهُ مِنَ الْبَرَاهِينِ وَالْمُقَدِّمَاتِ وَالنَّتَائِجِ وَالْقَوْلِ بِالْمُوجَبِ[5] وَالْمُعَارَضَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، شَيْئًا كَثِيرًا. وَمُنَاظَرَةُ إِبْرَاهِيمَ نَمْرُودَ، وَمُحَاجَّتُهُ قَوْمَهُ أَصْلٌ فِي ذَلِكَ.

وَأَمَّا الْجَبْرُ وَالْمُقَابَلَةُ، فَقَدْ قِيلَ: إِنَّ أَوَائِلَ السُّوَرِ فِيهَا ذِكْرُ مُدَدٍ وَأَعْوَامٍ وَأَيَّامٍ لِتَوَارِيخِ أُمَمٍ سَالِفَةٍ، وَإِنَّ فِيهَا تَارِيخَ بَقَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَتَارِيخَ مُدَّةِ الدُّنْيَا، وَمَا مَضَى، وَمَا بَقِيَ مَضْرُوبٌ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ.

(1) سورة الإسراء، الآية: 12.

(2) سورة يس، الآية: 40.

(3) سورة المعارج، الآية: 40.

(4) سورة المرسلات، الآية: 30.

(5) المُوجَبُ: وهو بفتح الجيم، أي بما أوجبه دليل المستدل وَاقْتَضَاهُ، وأما الموجِب بكسر الجيم، فهو الدليل. التحبير شرح التحرير: 7/ 3675.

وَأَمَّا النِّجَامَةُ، فَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾[1]، فَقَدْ فَسَّرَهُ بِذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ[2].

وَفِيهِ أَيْضًا أُصُولُ الصَّنَائِعِ، وَأَسْمَاءُ الْآلَاتِ الَّتِي تَدْعُو الضَّرُورَةُ إِلَيْهَا:

كَالْخِيَاطَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾[3].

وَالْحِدَادَةِ: ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾[4]، ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾[5] الآية.

وَالْبِنَاءِ: فِي عِدَّةِ آيَاتٍ.

وَالنِّجَارَةِ: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[6].

وَالْغَزْلِ: ﴿نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾[7].

وَالنَّسْجِ: ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾[8].

وَالْفِلَاحَةِ: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾[9]، الآية.

---

(1) سورة الأحقاف، الآية: 4.
(2) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 34.
(3) سورة الأعراف، الآية: 22.
(4) سورة الكهف، الآية: 96.
(5) سورة سبأ، الآية: 10.
(6) سورة هود، الآية: 37.
(7) سورة النحل، الآية: 92.
(8) سورة العنكبوت، الآية: 41.
(9) سورة الواقعة، الآية: 63.

وَالصَّيْدِ: فِي عِدَّةِ آيَاتٍ.

وَالْغَوْصِ: ﴿كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾[1]. ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً﴾[2].

وَالصِّيَاغَةِ: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا﴾[3].

وَالزِّجَاجَةِ: ﴿صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ﴾[4]، ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾[5].

وَالْفِخَارَةِ: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ﴾[6].

وَالْمِلَاحَةِ: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ﴾[7]، الآية.

وَالْكِتَابَةِ: ﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾[8].

وَالْخَبْزِ: ﴿أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا﴾[9].

وَالطَّبْخِ: ﴿بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾[10].

---

(1) سورة ص، الآية: 37.

(2) سورة النحل، الآية: 14.

(3) سورة الأعراف، الآية: 148.

(4) سورة النمل، الآية: 44.

(5) سورة النور، الآية: 35.

(6) سورة القصص، الآية: 38.

(7) سورة الكهف، الآية: 79.

(8) سورة العلق، الآية: 4.

(9) سورة يوسف، الآية: 36.

(10) سورة هود، الآية: 69.

وَالْغَسْلِ وَالْقِصَارَةِ[1]: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[2]. ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾[3]: وَهُمُ الْقَصَّارُونَ.

وَالْجِزَارَةِ: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾[4].

وَالْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ: فِي آيَاتٍ.

وَالصَّبْغِ: ﴿صِبْغَةَ اللهِ﴾[5]، ﴿جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ﴾[6].

وَالْحِجَارَةِ: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾[7].

وَالْكِيَالَةِ وَالْوَزْنِ: فِي آيَاتٍ.

وَالرَّمْيِ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾[8]، ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾[9].

وَفِيهِ مِنْ أَسْمَاءِ الْآلَاتِ وَضُرُوبِ الْمَأْكُولَاتِ وَالْمَشْرُوبَاتِ وَالْمَنْكُوحَاتِ وَجَمِيعِ مَا وَقَعَ، أَوْ يَقَعُ فِي الْكَائِنَاتِ، مَا يُحَقِّقُ مَعْنَى قَوْلِهِ:

---

(1) القِصَارَةُ: حرفة القَصَّار، والقَصَّارُ هو المبيض للثياب.

(2) سورة المدثر، الآية: 4.

(3) سورة آل عمران، الآية: 52

(4) سورة المائدة، الآية: 3.

(5) سورة البقرة، الآية: 138.

(6) سورة فاطر، الآية: 27.

(7) سورة الشعراء، الآية: 149.

(8) سورة الأنفال، الآية: 17.

(9) نفسها، الآية: 60.

﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[1].

قالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ ابْنُ الْعَرَبِيِّ فِي **"قَانُونُ التَّأْوِيلِ"**: «إِنَّ عُلُومَ الْقُرْآنِ خَمْسُونَ عِلْمًا وَأَرْبَعُمِئَةِ عِلْمٍ وَسَبْعَةُ آلَافِ عِلْمٍ وَسَبْعُونَ أَلْفَ عِلْمٍ، عَلَى عَدَدِ كَلِمِ الْقُرْآنِ مَضْرُوبَةٌ فِي أَرْبَعَةٍ، إِذْ لِكُلِّ كَلِمَةٍ ظَهْرٌ وَبَطْنٌ، وَحَدٌّ وَمَطْلَعٌ. وَهَذَا مُطْلَقٌ دُونَ اعْتِبَارِ تَرْكِيبِهِ، وَمَا بَيْنَهَا مِنَ الرَّوَابِطِ. وَهَذَا مَا لَا يُحْصَى، وَلَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ»[2].

قالَ: «وَأُمُّ عُلُومِ الْقُرْآنِ ثَلَاثَةٌ: **تَوْحِيدٌ، وَتَذْكِيرٌ، وَأَحْكَامٌ.**

فَالتَّوْحِيدُ، يَدْخُلُ فِيهِ مَعْرِفَةُ الْمَخْلُوقَاتِ، وَمَعْرِفَةُ الْخَالِقِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ. **وَالتَّذْكِيرُ**، مِنْهُ الْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ، وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ، وَتَصْفِيَةُ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ. **وَالْأَحْكَامُ**، مِنْهَا التَّكَالِيفُ كُلُّهَا، وَتَبْيِينُ الْمَنَافِعِ وَالْمَضَارِّ، وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ وَالنَّدْبُ. وَلِذَلِكَ كَانَتِ الْفَاتِحَةُ أُمَّ الْقُرْآنِ، لِاشْتِمَالِهَا عَلَى هَذِهِ الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ، وَسُورَةُ الْإِخْلَاصِ ثُلُثَهُ، لِاشْتِمَالِهَا عَلَى أَحَدِ الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ، وَهُوَ التَّوْحِيدُ»[3].

وَقالَ ابْنُ جَرِيرٍ: الْقُرْآنُ يَشْتَمِلُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: **التَّوْحِيدُ وَالْأَخْبَارُ وَالدِّيَانَاتُ**، وَلِهَذَا كَانَتْ سُورَةُ الْإِخْلَاصِ ثُلُثَهُ، لِأَنَّهَا تَشْتَمِلُ التَّوْحِيدَ كُلَّهُ.

---

(1) سورة الأنعام، الآية: 38. والنقل من الإتقان في علوم القرآن: 4/ 33-36.

(2) قانون التأويل: 540.

(3) المصدر نفسه: 541-542.

وَقالَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى: الْقُرْآنُ يَشْتَمِلُ عَلَى ثَلاثِينَ شَيْئًا، وَعَدَّهَا[1]. إِلَّا أَنَّ الْأَشْيَاءَ الثَّلاثَةَ الَّتِي قَالَهَا ابْنُ جَرِيرٍ تَشْمَلُ هَذِهِ كُلَّهَا، بَلْ أَضْعَافَهَا، فَلِذَلِكَ اكْتَفَيْنَا بِمَا ذَكَرَهُ ابْنُ جَرِيرٍ، وَلَمْ نَذْكُرْ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ عِيسَى.

وَالْقُرْآنُ لَا يُسْتَدْرَكُ وَلَا تُحْصَى عَجَائِبُهُ[2].

وَقَدْ أَفْرَدَ النَّاسُ كُتُبًا فِيمَا تَضَمَّنَهُ الْقُرْآنُ مِنَ الْأَحْكَامِ، كَالْقَاضِي إِسْمَاعِيلَ[3]، وَبَكْرِ ابْنِ الْعَلَاءِ[4]، وَأَبِي بَكْرٍ الرَّازِيِّ، وَإِلْكِيَا الْهَرَّاسِيِّ، وَأَبِي بَكْرِ ابْنِ الْعَرَبِي، وَعَبْدِ الْمُنْعِمِ ابْنِ الْفَرَسِ[5]، وَابْنِ خُوَيْزِ مَنْدَاد[6].

وَأَفْرَدَ آخَرُونَ كُتُبًا فِيمَا فِيهِ مِنْ عُلُومِ الْبَاطِنِ. وَأَفْرَدَ ابْنُ بَرَّجَانَ كِتَابًا فِيمَا تَضَمَّنَّهُ مِنْ مُعَاضَدَةِ الْأَحَادِيثِ. وَأَلَّفَ جَلَالُ الدِّينِ السُّيُوطِيُّ كِتَابًا سَمَّاهُ: **"الإِكْلِيلُ فِي اسْتِنْبَاطِ التَّنْزِيلِ"**، ذَكَرَ فِيهِ كُلَّ مَا اسْتَنْبَطَهُ مِنْهُ مِنْ مَسْأَلَةٍ فِقْهِيَّةٍ،

---

(1) وعددها، في الأزهرية. انظر البرهان في علوم القرآن: 1/ 18.

(2) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 37-38.

(3) إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل القاضي الأزدي الجهضمي (ت. 282هـ) له: **"أحكام القرآن"** وغيره. تاريخ بغداد: 6/ 284. الديباج المذهب: 92.

(4) بكر بن محمد بن العلاء أبو الفضل القُشَيْرِي ويقال: بكر بن العلاء، قاض من علماء المالكية (ت. 344 هـ)، له: **"أحكام القرآن"**. سير أعلام النبلاء: 15/ 537، الديباج المذهب: 1/ 100. الوافي بالوفيات: 10/ 136.

(5) عبد المنعم بن محمد بن عبد المنعم الخزرجي المعروف بابن الفرس، قاض أندلسي (ت. 599هـ)، له كتاب **"أحكام القرآن"**. بغية الوعاة: 2/ 315، الديباج المذهب: 1/ 218.

(6) أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن خويز منداد (أو خواز منداد) الفقيه المالكي (ت. نحو: 390هـ). ترتيب المدارك وتقريب المسالك: 7/ 77. لسان الميزان: 5/ 291.

أَوْ أَصْلِيَّةٍ أَوِ اعْتِقَادِيَّةٍ، وَبَعْضًا مِمَّا سِوَى ذَلِكَ. كَثِيرُ الْفَائِدَةِ، جَمُّ الْعَائِدَةِ، يَجْرِي مَجْرَى الشَّرْحِ لِمَا أُجْمِلَ مِنَ الْأَنْوَاعِ الْمَذْكُورَةِ. فَلْيُرَاجِعْهُ مَنْ أَرَادَ الْوُقُوفَ عَلَيْهِ.

عِلْمُ مَعْرِفَةِ أَمْثَالِ الْقُرْآنِ

صَنَّفَ فِيهِ الْإِمَامُ أَبُو الْحَسَنِ الْمَاوَرْدِيُّ مِنْ كِبَارِ أَصْحَابِ الشَّافِعِيَّةِ.

قَالَ تَعَالَى ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[1]. وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[2].

قَالَ الْمَاوَرْدِيُّ: مِنْ أَعْظَمِ عِلْمِ الْقُرْآنِ، عِلْمُ أَمْثَالِهِ، وَالنَّاسُ فِي غَفْلَةٍ عَنْهُ، لِاشْتِغَالِهِمْ بِالْأَمْثَالِ، وَإِغْفَالِهِمُ الْمُمَثَّلَاتِ، وَالْمَثَلُ بِلَا مُمَثَّلٍ كَالْفَرَسِ بِلَا لِجَامٍ، وَالنَّاقَةِ بِلَا زِمَامٍ.

وَقِيلَ: «ضَرْبُ الْأَمْثَالِ فِي الْقُرْآنِ يُسْتَفَادُ مِنْهُ أُمُورٌ كَثِيرَةٌ: التَّذْكِيرُ، وَالْوَعْظُ، وَالْحَثُّ، وَالزَّجْرُ، وَالِاعْتِبَارُ، وَالتَّقْرِيرُ، وَتَقْرِيبُ الْمُرَادِ لِلْعَقْلِ، وَتَصْوِيرُهُ بِصُورَةِ الْمَحْسُوسِ. فَإِنَّ الْأَمْثَالَ تُصَوِّرُ الْمَعَانِيَ بِصُورَةِ

---

(1) سورة الزمر، الآية: 27.

(2) سورة العنكبوت، الآية: 43.

الْأَشْخَاصِ، لِأَنَّهَا أَثْبَتُ فِي الْأَذْهَانِ لِاسْتِعَانَةِ الذِّهْنِ فِيهَا بِالْحَوَاسِّ، وَمِنْ ثَمَّةَ كانَ الْغَرَضُ مِنَ الْمَثَلِ تَشْبِيهُ الْخَفِيِّ بِالْجَلِيِّ، وَالْغَائِبِ بِالشَّاهِدِ.

وَتَأْتِي أَمْثَالُ الْقُرْآنِ مُشْتَمِلَةً عَلَى بَيَانِ تَفَاوُتِ الْأَجْرِ، وَعَلَى الْمَدْحِ وَالذَّمِّ، وَعَلَى الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَعَلَى تَفْخِيمِ الْأَمْرِ أَوْ تَحْقِيرِهِ، وَعَلَى تَحْقِيقِ أَمْرٍ أَوْ إِبْطَالِهِ»[1].

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾[2]، فَامْتَنَّ عَلَيْنَا بِذَلِكَ، لِمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الْفَوَائِد[3].

قَالَ الزَّرْكَشِيُّ: فِي الْبُرْهَانِ: «وَمِنْ حِكْمَتِهِ تَعْلِيمُ الْبَيَانِ، وَهُوَ مِنْ خَصَائِصِ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ»[4].

وقَالَ الْأَصْبَهَانِيُّ: «لِضَرْبِ الْعَرَبِ الْأَمْثَالَ، وَاسْتِحْضَارِ الْعُلَمَاءِ الْمِثَالَ وَالنَّظَائِرَ، شَأْنٌ لَيْسَ بِالْخَفِيِّ فِي إِبْرَازِ خَفِيَّاتِ الدَّقَائِقِ، وَرَفْعِ الْأَسْتَارِ عَنِ الْحَقَائِقِ، حَتَّى تُرِيكَ الْمُتَخَيَّلَ في صُورَةِ الْمُتَحَقِّقِ، وَالْمُتَوَهَّمَ فِي مَعْرِضِ الْمُتَيَقَّنِ، وَالْغَائِبَ كَأَنَّهُ مُشَاهَدٌ. وفي ضَرْبِ الْأَمْثَالِ تَبْكِيتٌ لِلْخَصْمِ الشَّدِيدِ الْخُصُومَةِ، وَقَمْعٌ لِصَوْلَةِ الْجَامِحِ الْأَبِيِّ، فَإِنَّهُ يُؤَثِّرُ في الْقُلُوبِ مَا لَا يُؤَثِّرُ وَصْفُ الشَّيْءِ فِي نَفْسِهِ. وَلِذَلِكَ أَكْثَرَ اللهُ تَعَالَى في كِتَابِهِ وَفِي سَائِرِ كُتُبِهِ

---

(1) بدائع الفوائد: 4/ 1314.

(2) سورة إبراهيم، الآية: 45.

(3) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 44 ـ 45.

(4) البرهان في علوم القرآن: 1/ 487.

الْأَمْثَالَ، وَمِنْ سُوَرِ الْإِنْجِيلِ سُورَةٌ تُسَمَّى سُورَةَ الْأَمْثَالِ. وَفَشَتْ فِي كَلَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَلَامِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْحُكَمَاءِ»[1].

وَاعْلَمْ أَنَّ جَعْفَرَ بْنَ شَمْسِ الْخِلَافَةِ[2] عَقَدَ فِي "كِتَابُ الْآدَابِ"[3]، بَابًا فِي أَلْفَاظٍ مِنَ الْقُرْآنِ جَارِيَةٍ مَجْرَى الْمَثَلِ، وَيُسَمِّيهِ أَرْبَابُ الْبَدِيعِ بِإِرْسَالِ الْمَثَلِ. وَأَوْرَدَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ كَاشِفَةٌ﴾[4]، ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[5]، ﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾[6]، ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾[7]، ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾[8]، ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾[9]، ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾[10]، ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾[11]، ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ﴾[12]، ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا

---

(1) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 1/ 72، والإتقان في علوم القرآن: 4/ 45.

(2) أبو الفضل جعفر بن شمس الخلافة أبي عبد الله محمد بن شمس الخلافة الشاعر المشهور (ت.622هـ). معجم الأدباء: 6/ 2743. وفيات الأعيان: 1/ 362. تاريخ الإسلام: 13/ 701.

(3) "كتابُ الآدابِ" جمع فيه أشياء لطيفة دلت على جودة اختياراته، طبع الكتاب سنة: 1930م.

(4) سورة النجم، الآية: 58.

(5) سورة آل عمران، الآية: 92.

(6) سورة يوسف، الآية: 51.

(7) سورة يس، الآية: 78.

(8) سورة الحج، الآية: 10.

(9) سورة يوسف، الآية: 41.

(10) سورة هود، الآية: 81.

(11) سورة سبأ، الآية: 54.

(12) سورة الأنعام، الآية: 67.

بِأَهْلِهِ﴾[1]، ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾[2]، ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾[3]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[4]، ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾[5]، ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾[6]، ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾[7]، ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً﴾[8]، ﴿الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾[9]. ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾[10]، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[11]، ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[12]، ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾[13]. ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[14]، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[15]، ﴿لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾[16]، ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ

---

(1) سورة فاطر، الآية: 43.

(2) سورة الإسراء، الآية: 84.

(3) سورة البقرة، الآية: 216.

(4) سورة المدثر، الآية: 38.

(5) سورة النور، الآية: 54.

(6) سورة التوبة، الآية: 91.

(7) سورة الرحمن، الآية: 60.

(8) سورة البقرة، الآية: 249.

(9) سورة يونس، الآية: 91.

(10) سورة الحشر، الآية: 14.

(11) سورة فاطر، الآية: 14.

(12) سورة المؤمنون، الآية: 53.

(13) سورة الأنفال، الآية: 23.

(14) سورة سبأ، الآية: 13.

(15) سورة البقرة، الآية: 286.

(16) سورة المائدة، الآية: 100.

وَالْبَحْرِ﴾[1]. ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾[2]، ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾[3]، ﴿وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾[4]، ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾[5]. فِي أَلْفَاظٍ أُخَرَ[6].

وَاعْلَمْ أَنَّ أَمْثَالَ الْقُرْآنِ قِسْمَانِ:

ظَاهِرٌ مُصَرَّحٌ بِهِ، نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾[7] الآية، وَنَظَائِرِ ذَلِكَ.

وَكَامِنٌ لَا ذِكْرَ لِلْمَثَلِ فِيهِ، وَهَذَا كَمَا سُئِلَ الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ: إِنَّكَ تُخْرِجُ أَمْثَالَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى، فَهَلْ تَجِدُ فِيهِ "خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا"[8]؟ قَالَ: نَعَمْ، فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾[9]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾[10] الآية، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى

---

(1) سورة الروم، الآية: 41.

(2) سورة الحج، الآية: 73.

(3) سورة الصافات، الآية: 61.

(4) سورة ص، الآية: 24.

(5) سورة الحشر، الآية: 2.

(6) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 50 ـ 52.

(7) سورة البقرة، الآية: 17.

(8) يضرب في التمسك بالاقتصاد. ورد في: جمهرة الأمثال: 1/ 419.

(9) نفسها، الآية: 68.

(10) سورة الفرقان، الآية: 67.

عُنُقِكَ﴾[1] الآية، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾[2] الآية.

وَقِيلَ: فَهَلْ تَجِدُ في كِتَابِ اللهِ: "لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْعِيَانِ"؟[3] قال: في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[4]

قِيلَ: فَهَلْ تَجِدُ "كَمَا تَدِينُ تُدَانُ"[5]؟ قال: في قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾[6].

قِيلَ: فَهَلْ تَجِدُ "لَا تَلِدُ الْحَيَّةُ إِلَّا الْحَيَّةَ"[7]؟ قالَ: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً﴾[8]. وَأَمْثَالُ هَذَا كَثِيرَةٌ، وَيَكْفِيكَ هَذَا الْقَدْرُ فِي الِاعْتِبَارِ[9].

عِلْمُ مَعْرِفَةِ أَقْسَامِ الْقُرْآنِ

صَنَّفَ فِيهِ ابْنُ الْقَيِّمِ مُجَلَّدًا سَمَّاهُ: "التِّبْيَانُ"[10].

---

(1) سورة الإسراء، الآية: 29.

(2) نفسها، الآية: 110.

(3) المستقصى في الأمثال: 2/ 303. مجمع الأمثال: 2/ 182.

(4) سورة البقرة، الآية: 260.

(5) يضرب مثلا في الحثّ على فعل الخير. جمهرة الأمثال: 2/ 168.

(6) سورة النساء، الآية: 123.

(7) معناه: الحية لا يأتي ولدها أو ابنتها إلا مثلها حية، ولا تتوقع أن يأتيك شيء لطيف من حية.

(8) سورة نوح، الآية: 27.

(9) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 46 ـ 49.

(10) "التِّبْيَانُ في أقسام القرآنِ" لشمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي (ت. 751هـ). الكتاب مطبوع.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْقَصْدَ بِالْقَسَمِ تَحْقِيقُ الْخَبَرِ وَتَوْكِيدُهُ، حَتَّى جَعَلُوا مِثْلَ: ﴿وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[1] قَسَمًا.

وَقِيلَ: الْقَسَمُ مِنْهُ تَعَالَى إِنْ كَانَ لِتَصْدِيقِ الْمُؤْمِنِ، فَهُوَ يُصَدِّقُهُ بِمُجَرَّدِ الْإِخْبَارِ، وَإِنْ كَانَ لِأَجْلِ الْكَافِرِ فَلَا يُفِيدُ. وَأُجِيبَ بِأَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِلُغَةِ الْعَرَبِ، وَمِنْ عَادَتِهَا الْقَسَمُ إِذَا أَرَادُوا تَأْكِيدَ أَمْرٍ.

وَأَجَابَ أَبُو الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيُّ: أَنَّ اللهَ تعالَى ذَكَرَ الْقَسَمَ لِكَمَالِ الْحُجَّةِ وَتَأْكِيدِهَا، وَذَلِكَ أَنَّ الْحُكْمَ يُفْصَلُ بِاثْنَيْنِ، إِمَّا بِالشَّهَادَةِ، وَإِمَّا بِالْقَسَمِ، فَذَكَرَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ النَّوْعَيْنِ، حَتَّى لَا يَبْقَى لَهُمْ حُجَّةٌ، فَقَالَ: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾[2]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾[3].

وَعَنْ بَعْضِ الْأَعْرَابِ أَنَّهُ: «لَمَّا سَمِعَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾[4]، صَاحَ، وَقَالَ: مَنَ ذَا الَّذِي أَغْضَبَ الْجَلِيلَ حَتَّى أَلْجَأَهُ إِلَى الْيَمِينِ»[5].

وَاعْلَمْ أَنَّ الْقَسَمَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِاسْمٍ مُعَظَّمٍ، وَقَدْ أَقْسَمَ اللهُ تَعَالَى بِنَفْسِهِ فِي الْقُرْآنِ فِي سَبْعَةِ مَوَاضِعَ، وَالْبَاقِي كُلُّهُ قَسَمٌ بِمَخْلُوقَاتِهِ.

---

(1) سورة المنافقون، الآية: 1.

(2) سورة آل عمران، الآية: 18.

(3) سورة يونس، الآية: 53.

(4) سورة الذاريات، الآية: 23.

(5) شعب الإيمان: 2/ 116، رقم: 1338.

فَإِنْ قِيلَ: وَرَدَ النَّهْيُ عَنِ الْقَسَمِ بِغَيْرِ اللهِ تَعَالَى. أُجِيبَ عَنْهُ بِوُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ، أَيْ وَرَبِّ التِّينِ، وَرَبِّ الشَّمْسِ وَأَمْثَالِهِمَا.

وَثَانِيهَا: نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى مَا يَعْرِفُهُ الْعَرَبُ مِنَ الْقَسَمِ مِمَّا يُعَظِّمُونَهُ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ.

وَثَالِثُهَا: أَنَّ الْقَسَمَ يَكُونُ عَلَى مَا فَوْقَ شَخْصٍ، وَاللهُ تَعَالَى لَيْسَ فَوْقَهُ أَحَدٌ، فَتَارَةً يُقْسِمُ بِنَفْسِهِ، وَتَارَةً بِمَصْنُوعَاتِهِ، لِأَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى بَارِئٍ وَصَانِعٍ[1].

عِلْمُ مَعْرِفَةِ جَدَلِ الْقُرْآنِ

صَنَّفَ فِيهِ نَجْمُ الدِّينِ الطُّوفِيُّ[2].

قَالَ الْعُلَمَاءُ: «اشْتَمَلَ الْقُرْآنُ عَلَى جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْبَرَاهِينِ وَالْأَدِلَّةِ، وَمَا مِنْ بُرْهَانٍ وَدَلَالَةٍ وَتَقْسِيمٍ وَتَحْدِيدٍ [يُبْنَى مِنْ][3] كُلِّيَاتِ الْمَعْلُومَاتِ الْعَقْلِيَّةِ وَالسَّمْعِيَّةِ، إِلَّا وَكِتَابُ اللهِ قَدْ نَطَقَ بِهِ، لَكِنْ أَوْرَدَهُ عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ دُونَ دَقَائِقِ طُرُقِ الْمُتَكَلِّمِينَ لِأَمْرَيْنِ:

---

(1) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 53 ـ 55.

(2) سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطُّوفِي الصَّرْصَرِي نجم الدين، فقيه حنبلي (ت. 716هـ). له كتاب: "عَلَمُ الْجَذِلِ فِي عِلْمِ الْجَدَلِ" طبع عام: 1987 بتحقيق المستشرق فولنهارت هاينريشس. الدرر الكامنة: 2/ 154. شذرات الذهب: 6/ 39.

(3) يُنْبِئُ عَنْ، في قونية.

أَحَدُهُمَا: بِسَبَبِ مَا قَالَهُ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[1].

وَالثَّانِي: أَنَّ الْمَائِلَ إِلَى دَقِيقِ الْمُحَاجَّةِ، هُوَ الْعَاجِزُ عَنْ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ بِالْجَلِيلِ مِنَ الْكَلَامِ، فَإِنَّ مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يُفْهِمَ بِالْأَوْضَحِ الَّذِي يَفْهَمُهُ الْأَكْثَرُونَ، لَمْ يَتَخَطَّ إِلَى الْأَغْمَضِ الَّذِي لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا الْأَقَلُّونَ، وَلَمْ يَكُنْ مُلْغِزًا. فَأَخْرَجَ تَعَالَى مُخَاطَبَاتِهِ فِي مُحَاجَّةِ خَلْقِهِ فِي أَجْلَى صُورَةٍ، لِتَفْهَمَ الْعَامَّةُ مِنْ جَلِيلِهَا مَا يُقْنِعُهُمْ، وَيُلْزِمُهُمُ الْحُجَّةَ، وَتَفْهَمُ الْخَوَاصُّ مِنْ إِثْبَاتِهَا مَا يُرْبِي عَلَى مَا أَدْرَكَهُ فَهْمُ الْخُطَبَاءِ»[2].

قَالَ ابْنُ أَبِي الْإِصْبَعِ: «زَعَمَ الْجَاحِظُ أَنَّ الْمَذْهَبَ الْكَلَامِيَّ لا يُوجَدُ مِنْهُ شَيْءٌ فِي الْقُرْآنِ، وَهُوَ مَشْحُونٌ بِهِ. وَتَعْرِيفُهُ أَنَّهُ احْتِجَاجُ الْمُتَكَلِّمِ عَلَى مَا يُرِيدُ إِثْبَاتَهُ بِحُجَّةٍ يَقْطَعُ الْمُعَانِدَ لَهُ فِيهِ، عَلَى طَرِيقَةِ أَرْبَابِ الْكَلَامِ. وَمِنْهُ نَوْعٌ مَنْطِقِيٌّ تُسْتَنْتَجُ مِنْهُ النَّتَائِجُ الصَّحِيحَةُ مِنَ الْمُقَدِّمَاتِ الصَّادِقَةِ، فَإِنَّ الْإِسْلَامِيِّينَ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْعِلْمِ، ذَكَرُوا أَنَّ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْحَجِّ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾[3] خَمْسَ نَتَائِجَ تُسْتَنْتَجُ مِنْ عَشْرِ مُقَدِّمَاتٍ:

---

(1) سورة إبراهيم، الآية: 4.

(2) البرهان في علوم القرآن: 2/ 24.

(3) سورة الحج، الآية: 7.

مِنْهَا: قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ﴾[1]، وَبُرْهَانُهُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَخْبَرَ بِزَلْزَلَةِ السَّاعَةِ، مُعَظِّمًا لَهَا، وَذَلِكَ مَقْطُوعٌ بِصِحَّتِهِ، لِأَنَّهُ خَبَرٌ أَخْبَرَ بِهِ مَنْ ثَبَتَ صِدْقُهُ عَمَّنْ ثَبَتَتْ قُدْرَتُهُ تَوَاتُرًا، فَهُوَ حَقٌّ، وَلَا يُخْبِرُ بِالْحَقِّ عَمَّا سَيَكُونُ إِلَّا الْحَقُّ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى، لِأَنَّهُ أَخْبَرَ عَنْ أَهْوَالِ السَّاعَةِ بِمَا أَخْبَرَ. وَفَائِدَتُهُ مَوْقُوفَةٌ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى، وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَمِنَ الْأَشْيَاءِ إِحْيَاءُ الْمَوْتَى، فَهُوَ مُحْيِي الْمَوْتَى.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، بُرْهَانُهُ أَنَّ مَنْ يَتَّبِعِ الشَّيَاطِينَ، وَمَنْ يُجَادِلُ فِيهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، نُذِقْهُ عَذَابَ السَّعِيرِ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا مَنْ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وَمِنْهَا: قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾، بُرْهَانُهُ أَنَّهُ أَخْبَرَ أَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، بِالْخَبَرِ الصِّدْقِ، وَلَا يَأْتِي بِالسَّاعَةِ إِلَّا مَنْ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ، لأَنَّهَا عِبَارَةٌ عَنْ مُدَّةٍ تَقُومُ فِيهَا الْأَمْوَاتُ لِلْمُجَازَاةِ، فَهِيَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّهُ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ»[2].

وَقِيلَ: اسْتَدَلَّ سُبْحَانَهُ عَلَى الْمَعَادِ الْجِسْمَانِيِّ بِضُرُوبٍ:

---

(1) سورة الحج، الآية: 6.

(2) الخبر في، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: 119 ـ 120.

أَحَدُهَا: قِيَاسُ الْإِعَادَةِ عَلَى الِابْتِدَاءِ. قَالَ تَعَالَى ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[1]، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾[2]، ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾[3].

وَثَانِيهَا: قِيَاسُ الْإِعَادَةِ عَلَى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى، قَالَ: ﴿أَوَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ﴾[4]، الآية.

وَثَالِثُهَا: قِيَاسُ الْإِعَادَةِ عَلَى إِحْيَاءِ الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا بِالْمَطَرِ وَالنَّبَاتِ.

وَرَابِعُهَا: قِيَاسُ الْإِعَادَةِ عَلَى إِخْرَاجِ النَّارِ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ.

وَخَامِسُهَا: فِي: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى﴾[5]، الْآيَتَيْنِ. وَتَقْرِيرُهَا أَنَّ الْحَقَّ فِي نَفْسِهِ وَاحِدٌ، وَالِاخْتِلَافَ لَا يُفِيدُ إِلَّا تَعَدُّدَ الطُّرُقِ.

وَلَمَّا كانَ هَاهُنَا حَقِيقَةٌ مَوْجُودَةٌ، وَلَمْ يُمْكِنْ لَنَا الْوُقُوفُ عَلَيْهَا فِي هذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، لِارْتِكَازِ الِاخْتِلَافِ فِي نَظَرِنَا فِي هَذِهِ الْجِبِلَّةِ، وَكانَ لَا يُمْكِنُ ارْتِفَاعُهُ وَزَوَالُهُ إِلَّا بِارْتِفَاعِ هذِهِ الْجِبِلَّةِ وَنَقْلِهَا إِلَى صُورَةٍ غَيْرِهَا، صَحَّ ضَرُورَةً أَنَّ لَنَا حَيَاةً أُخْرَى غَيْرَ هَذِهِ، يَرْتَفِعُ فِيهَا الْخِلَافُ وَالْعِنَادُ. وَهَذِهِ هِيَ

(1) سورة الأعراف، الآية: 29.

(2) سورة الأنبياء، الآية: 104.

(3) سورة ق، الآية: 15.

(4) سورة يس، الآية: 81.

(5) سورة النحل، الآية: 38.

الَّتِي وَعَدَ اللهُ بِالْمَصِيرِ إِلَيْهَا، فَقَدْ صَارَ الْخِلَافُ الْمَوْجُودُ أَوْضَحَ دَلِيلٍ عَلَى تَحَقُّقِ الْبَعْثِ الَّذِي يُنْكِرُهُ الْمُنْكِرُونَ. كَذَا قَرَّرَهُ ابْنُ السِّيدِ[1].

وَمِنْ ذَلِكَ الِاسْتِدْلَالُ عَلَى وَحْدَةِ الصَّانِعِ بِدَلَالَةِ التَّمَانُعِ. وَهَذِهِ مَشْهُورَةٌ فِي الْكُتُبِ الْكَلَامِيَّةِ.

وَمِنْ أَنْوَاعِ الْجَدَلِ؛ **السَّبْرُ**[2] **وَالتَّقْسِيمُ**: وَمِنْ أَمْثِلَتِهِ فِي الْقُرْآنِ، قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ﴾[3]، الْآيَتَيْنِ. فَإِنَّ الْكُفَّارَ لَمَّا حَرَّمُوا ذُكُورَ الْأَنْعَامِ تَارَةً وَإِنَاثَهَا أُخْرَى. رَدَّ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ بِطَرِيقِ السَّبْرِ وَالتَّقْسِيمِ. وَطَرِيقُهُ أَنَّ عِلَّةَ الْحُرْمَةِ إِمَّا الذُّكُورَةُ أَوِ الْأُنُوثَةُ، أَوِ اشْتِمَالُ الرَّحِمِ عَلَيْهِمَا، أو التَّعَبُّدُ عَنِ اللهِ، وذلِكَ إِمَّا بِوَحْيٍ وَإِرْسَالِ رَسُولٍ، أَوْ سَمَاعِ كَلَامِهِ بِلَا وَاسِطَةٍ. فَهَذِهِ وُجُوهُ التَّحْرِيمِ لَا غَيْرُ.

فَالْأَوَّلُ يَسْتَلْزِمُ حُرْمَةَ جَمِيعِ الذُّكُورِ.

وَالثَّانِي حُرْمَةَ جَمِيعِ الْإِنَاثِ.

وَالثَّالِثُ تَحْرِيمَ الصِّنْفَيْنِ مَعًا، وَالْأَخْذُ عَنِ اللهِ بِلَا وَاسِطَةٍ بَاطِلٌ، وَلَمْ يَدَّعُوهُ. وَكَذَلِكَ بِوَاسِطَةِ رَسُولٍ، لِأَنَّهُ لَمْ يَأْتِ إِلَيْهِمْ رَسُولٌ قَبْلَ النَّبِيِّ صَلَّى

---

(1) النص لأبي محمد عبد الله بن محمد بن السِّيد البَطَلْيَوْسِيُّ (ت. 521هـ) في: "الإنصاف في التنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف": 27.

(2) السبر: التجربة، واستخراج كنه الأمر، وسَبَر الشيءَ سَبْرًا: حَزَره وخَبَرهُ. اللسان/ سبر.

(3) سورة الأنعام، الآية: 143.

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَإِذَا بَطَلَ الْجَمِيعُ ثَبَتَ الْمُدَّعَى، وَهُوَ أَنَّ مَا قَالُوهُ افْتِرَاءٌ عَلَى اللهِ وَضَلَالٌ.

وَمِنْهَا: **الْقَوْلُ بِالْمُوجَبِ**. قَالَ ابْنَ أَبِي الْإِصْبَعِ: «وَحَقِيقَتُهُ رَدُّ الْخَصْمِ كَلَامَ الْخَصْمِ مِنْ فَحْوَى كَلَامِهِ»[1].

وَقَالَ غَيْرُهُ هُوَ قِسْمَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَقَعَ صِفَةً فِي كَلَامِ الْغَيْرِ، كِنَايَةً عَنْ شَيْءٍ أُثْبِتَ لَهُ حُكْمٌ، فَيُثْبِتَهَا لِغَيْرِ ذَلِكَ الشَّيْءِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾[2] الآية. أَرَادُوا بِالْأَعَزِّ أَنْفُسَهُمْ، وَبِالْأَذَلِّ الْمُؤْمِنِينَ، فَرَدَّ اللهُ تَعَالَى كَلَامَهُمْ بِأَنَّهُ نَعَمْ، إِنَّ الْأَعَزَّ يُخْرِجُ الْأَذَلَّ، لَكِنِ الْأَعَزُّ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ، وَهُمُ الْمُخْرِجُونَ، وَالْأَذَلُّ: الْمُنَافِقُونَ، وَهُمُ الْمُخْرَجُونَ.

وَالثَّانِي: حَمْلُ لَفْظٍ وَقَعَ فِي كَلَامِ الْغَيْرِ عَلَى خِلَافِ مُرَادِهِ، مِمَّا يَحْتَمِلُهُ بِذِكْرِ مُتَعَلَّقِهِ. مِثَالُهُ: قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ﴾[3].

وَمِنْهَا: **التَّسْلِيمُ**، وَهُوَ أَنْ يُفْرَضَ الْمُحَالُ مَنْفِيًّا أَوْ مَشْرُوطًا بِحَرْفِ الِامْتِنَاعِ، لِكَوْنِ الْمَذْكُورِ مُمْتَنِعَ الْوُقُوعِ، لِامْتِنَاعِ وُقُوعِ شَرْطِهِ، [ثُمَّ يُسَلَّمَ

(1) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: 599.

(2) سورة المنافقون، الآية: 8.

(3) سورة التوبة، الآية: 61.

وُقُوعُ][1] ذَلِكَ تَسْلِيمًا جَدَلِيًّا، وَيَدُلَّ عَلَى عَدَمِ فَائِدَةِ ذَلِكَ عَلَى تَقْدِيرِ[2] وُقُوعِهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾[3]. الْمَعْنَى: لَيْسَ مَعَ اللهِ مِنْ إِلَهٍ، وَلَوْ سُلِّمَ أَنَّ مَعَهُ سُبْحَانَهُ إِلَهًا، لَزِمَ مِنْ ذَلِكَ التَّسْلِيمِ ذَهَابُ كُلِّ إِلَهٍ مِنَ الِاثْنَيْنِ بِمَا خَلَقَ، وَعُلُوُّ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، فَلَا يَتِمُّ فِي الْعَالَمِ أَمْرٌ، وَلَا يَنْفُذُ حُكْمٌ، وَلَا تَنْتَظِمُ أَحْوَالُهُ. وَالْوَاقِعُ خِلَافُ ذَلِكَ، فَفَرْضُ إِلَهَيْنِ فَصَاعِدًا مُحَالٌ، لِمَا يَلْزَمُ مِنْهُ الْمُحَالُ.

وَمِنْهَا: **الْإِسْجَالُ**، وَهُوَ الْإِتْيَانُ بِأَلْفَاظٍ[4] تُسَجِّلُ عَلَى الْمُخَاطَبِ وُقُوعَ مَا خُوطِبَ بِهِ، نَحْوَ: ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾[5]، ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾[6] فَإِنَّ فِي ذَلِكَ إِسْجَالًا بِالْإِيتَاءِ وَالْإِدْخَالِ، حَيْثُ وُصِفَا بِالْوَعْدِ مِنَ اللهِ الَّذِي لَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ.

وَمِنْهَا: **الِانْتِقَالُ**، وَهُوَ أَنْ يَنْتَقِلَ الْمُسْتَدِلُّ إِلَى اسْتِدْلَالٍ غَيْرِ الَّذِي كَانَ آخِذًا فِيهِ، لِكَوْنِ الْخَصْمِ لَمْ يَفْهَمْ وَجْهَ الدَّلَالَةِ مِنَ الْأَوَّلِ، كَمَا جَاءَ فِي مُنَاظَرَةِ الْخَلِيلِ نُمْرُودَ، لَمَّا قَالَ لَهُ: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾، فَقَالَ اللَّعِينُ: ﴿أَنَا أُحْيِي

---

(1) ما بين معقوفين سقط من أنطاليا.

(2) تقرير، في قونية.

(3) سورة المؤمنون، الآية: 91.

(4) بلفظ، في قونية.

(5) سورة آل عمران، الآية: 194.

(6) سورة غافر، الآية: 8.

وَأُمِيتُ﴾، ثُمَّ دَعَا بِمَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْقَتْلُ فَأَعْتَقَهُ، وَمَنْ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ، فَعَلِمَ الْخَلِيلُ أَنَّهُ لَمْ يَفْهَمْ مَعْنَى الْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ، أَوْ عَلِمَ ذٰلِكَ وَغَالَطَ بِهٰذَا الْفِعْلِ. فَانْتَقَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى اسْتِدْلَالٍ لَا يَجِدُ اللَّعِينُ إِلَيْهِ سَبِيلًا يَتَخَلَّصُ بِهِ مِنْهُ، فَقَالَ: ﴿فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾(1)، فَانْقَطَعَ الظَّالِمُ وَبُهِتَ، ولَمْ يُمْكِنْهُ ادِّعَاؤُهُ، لِأَنَّ مَنْ هُوَ أَسَنُّ مِنْهُ يُكَذِّبُهُ.

وَمِنْهَا: **الْمُنَاقَضَةُ**، وَهُوَ تَعْلِيلُ(2) أَمْرٍ عَلَى مُسْتَحِيلٍ، إِشَارَةً إِلَى اسْتِحَالَةِ وُقُوعِهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾(3).

وَمِنْهَا: **مُجَارَاةُ الْخَصْمِ لِيَعْثُرَ**، بِأَنْ يُسَلِّمَ بَعْضَ مُقَدِّمَاتِهِ، حَيْثُ يُرَادُ تَبْكِيتُهُ وَإِلْزَامُهُ ﴿قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾(4) الآية. فَقَوْلُهُمْ: ﴿إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾(5)، فِيهِ اعْتِرَافُ الرُّسُلِ بِكَوْنِهِمْ مَقْصُورِينَ عَلَى الْبَشَرِيَّةِ، فَكَأَنَّهُمْ سَلَّمُوا انْتِفَاءَ الرِّسَالَةِ عَنْهُمْ، وَلَيْسَ مُرَادًا، بَلْ هُوَ مِنْ مُجَارَاةِ الْخَصْمِ لِيَعْثُرَ، فَكَأَنَّهُمْ قَالُوا: مَا ادَّعَيْتُمْ مِنْ كَوْنِنَا بَشَرًا حَقٌّ لَا نُنْكِرُهُ، وَلَكِنَّ هٰذَا لَا يُنَافِي أَنْ يَمُنَّ اللهُ تَعَالَى عَلَيْنَا بِالرِّسَالَةِ(6).

---

(1) سورة البقرة، الآية: 258.

(2) تعليق، في الإتقان في علوم القرآن: 4/ 66.

(3) سورة الأعراف، الآية: 40.

(4) سورة إبراهيم، الآية: 10.

(5) نفسها، الآية: 11.

(6) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 60ـ 66.

عِلْمُ مَعْرِفَةِ مَا وَقَعَ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالْكُنَى وَالْأَلْقَابِ

اِعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ خَمْسَةً وَعِشْرِينَ، وَهُمْ مَشَاهِيرُهُمْ، فَلْنَذْكُرْ أَسْمَاءَهُمْ تَبَرُّكًا بِذِكْرِهِمْ، وَرَجَاءَ بَرَكَتِهِمْ.

أَوَّلُهُمْ آدَمُ أَبُو الْبَشَرِ، سُمِّيَ آدَمَ لِأَنَّهُ خُلِقَ مِنْ أَدِيمِ الْأَرْضِ. وَقِيلَ: اسْمٌ سُرْيَانِيٌّ، أَصْلُهُ آدَامُ بِوَزْنِ خَاتَامٍ، ثُمَّ عُرِّبَ بِحَذْفِ الْأَلِفِ الثَّانِيَةِ.

وَقَالَ الثَّعْلَبِيُّ: التُّرَابُ بِالْعِبْرَانِيَّةِ "آدَامُ"، فَسُمِّيَ بِهِ. عَاشَ تِسْعَمِئَةِ سَنَةٍ وَسِتِّينَ سَنَةً، وَقِيلَ: أَلْفَ سَنَةٍ.

وَمِنْهُمْ نُوحٌ، قَالَ الْجَوَالِيقِيُّ: أَعْجَمِيٌّ مُعَرَّبٌ. زَادَ الْكَرْمَانِيُّ: وَمَعْنَاهُ بِالسُّرْيَانِيَّةِ: السَّاكِنُ.

قَالَ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ: «سُمِّيَ نُوحًا لِكَثْرَةِ بُكَائِهِ عَلَى نَفْسِهِ، وَاسْمُهُ عَبْدُ الْغَفَّارِ»، قَالَ: «وَأَكْثَرُ الصَّحَابَةِ عَلَى أَنَّهُ قَبْلَ إِدْرِيسَ»[1].

وَهُوَ نُوحُ بْنُ لَمْك، بِفَتْحِ اللَّامِ وَسُكُونِ الْمِيمِ وَالْكَافُ بَعْدَهَا، ابْنِ مَتُّوشَلخَ، بِفَتْحِ الْمِيمِ، وَتَشْدِيدِ الْمُثَنَّاةِ الْمَضْمُومَةِ، بَعْدَهَا وَاوٌ، وَفَتْحِ الشِّينِ الْمُعْجَمَةِ، وَاللَّامِ بَعْدَهَا مُعْجَمَةٌ، ابن أَخنُوخَ، بِفَتْحِ الْمُعْجَمَةِ، وَضَمِّ النُّونِ الْخَفِيفَةِ، بَعْدَهَا وَاوٌ سَاكِنَةٌ، ثُمَّ مُعْجَمَةٌ، وَهُوَ إِدْرِيسُ فِيمَا يُقَالُ. وَقِيلَ: «بَيْنَ

(1) المستدرك على الصحيحين: 2/ 595.

آدَمَ وَنُوحٍ عَشَرَةُ قُرُونٍ»[1]. بَعَثَهُ اللهُ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَلَبِثَ فِي قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا يَدْعُوهُمْ. وَعَاشَ بَعْدَ الطُّوفَانِ سِتِّينَ سَنَةً، حَتَّى كَثُرَ النَّاسُ وَفَشَوْا. وَكانَ مَوْلِدُهُ بَعْدَ وَفَاةِ آدَمَ بِمِئَةٍ وَسِتَّةٍ وَعِشْرِينَ عَامًا. وَفِي **التَّهْذِيبِ** لِلنَّوَوِيِّ أَنَّهُ أَطْوَلُ الْأَنْبِيَاءِ عُمُرًا[2].

وَمِنْهُمْ إِدْرِيسُ، قِيلَ إِنَّهُ قَبْلَ نُوحٍ. وَقِيلَ: كَانَ أَوَّلَ نَبِيٍّ أُعْطِيَ النُّبُوَّةَ. وَهُوَ أَخنُوخُ بْنُ يَرْدِ بْنِ مَهْلَائِيلَ بْنِ أَنْوَشَ بْنِ قينَانَ بْنِ شِيث بْنِ آدَمَ.

قَالَ وَهْبُ: «إِدْرِيسُ جَدُّ نُوحٍ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: خَنُوخُ»[3]، وَهُوَ اسْمٌ سُرْيَانِيٌّ، وَقِيلَ عَرَبِيٌّ، مُشْتَقٌّ مِنَ الدِّرَاسَةِ، لِكَثْرَةِ دِرَاسَتِهِ الصُّحُفَ.

وَمِنْهُمْ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، أُلْقِيَ يُوسُفُ فِي الْجُبِّ، وَهُوَ ابْنُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، وَلَقِيَ أَبَاهُ بَعْدَ الثَّمَانِينَ، وَتُوُفِّيَ وَلَهُ مِئَةٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً. وَفِي الصَّحِيحِ: «أَنَّهُ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ»[4]. وَالصَّوَابُ أَنَّهُ أَعْجَمِيٌّ لَا اشْتِقَاقَ لَهُ. وَفِي يُوسُفَ سِتُّ لُغَاتٍ، تَثْلِيثُ السِّينِ مَعَ الْيَاءِ.

وَمِنْهُمْ لُوطٌ، قالَ ابْنُ اسْحَاقَ: هُوَ لُوطُ بْنُ هَارَانَ بْنِ آزَرَ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: لُوطُ ابْنُ أَخِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

---

(1) المستدرك على الصحيحين: 2/ 480 رقم: 3654.

(2) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 68.

(3) المستدرك على الصحيحين: 2/ 598، رقم: 4014.

(4) صحيح مسلم: 1/ 145، رقم: 162.

وَمِنْهُمْ هُودٌ، اسْمُهُ عَامِرُ بْنُ أَرْفَخْشَدَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ. وَقِيلَ: هُودُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ابْنِ رَبَاحِ بْنِ حَاوِذَ بْنِ عَادِ بْنِ عَوْصِ بْنِ آزَرَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قَالَ كَعْبٌ: كَانَ أَشْبَهَ النَّاسِ بِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «كَانَ رَجُلًا جَلْدًا».

وَمِنْهُمْ صَالِحٌ، وَهُوَ ابْنُ عُبَيْدِ بْنِ رَبَاحِ بْنِ ثَمُودَ بْنِ حَايِرَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ. بُعِثَ إِلَى قَوْمِهِ حِينَ رَاهَقَ الْحُلُمَ. وَكانَ رَجُلًا أَحْمَرَ إِلَى الْبَيَاضِ، سَبْطَ الشَّعْرِ، فَلَبِثَ فِيهِمْ أَرْبَعِينَ عَامًا. وَكَانَ مِنَ الْعَرَبِ، بُعِثَ إِلَى ثَمُودَ بَعْدَ هَلَاكِ عَادٍ، كانَ غُلَامًا شَابًّا، دَعَاهُمْ إِلَى اللهِ حَتَّى شَمِطَ[1] وكبرَ، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ نَبِيٌّ إِلَّا هُودٌ وَصَالِحٌ، فَأَقَامَ فِيهِمْ عِشْرِينَ سَنَةً. وَمَاتَ بِمَكَّةَ، وَهُوَ ابْنُ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً.

وَمِنْهُمْ شُعَيْبٌ، وَهُوَ ابْنُ مِيكَائِيلَ، وَقِيلَ ابْنُ مَلْكَايِنَ، وَقِيلَ ابْنُ مِيكِيل، وَقِيلَ: ابْنُ يَشْجُنَ بْنِ لَاوِي بْنِ يَعْقُوبَ. وَقِيلَ: مِيكِيلُ بْنُ يَشْجُنَ بْنِ مَدْيَنَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. كانَ يُقَالُ لَهُ خَطِيبُ الْأَنْبِيَاءِ، وَبُعِثَ رَسُولًا إِلَى أُمَّتَيْنِ: مَدْيَنَ، وَأَصْحَابِ الْأَيْكَةِ. وَكانَ كَثِيرَ الصَّلَاةِ، وَعَمِيَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ.

(1) الشَّمَطُ: بياضُ شعرِ الرَّأسِ يخالِطُهُ سوادٌ، والشَّمَطُ في الرَّجلِ: شَيْبُ اللحيةِ. اللسان/ سمط.

وَاخْتُلِفَ فِي أَنَّ مَدْيَنَ وَأَصْحَابَ الْأَيْكَةِ وَاحِدٌ، وَقِيلَ اثْنَانِ. وَاحْتَجَّ الْأَوَّلُ بِأَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا وُعِظَ بِوَفَاءِ الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ. وَالثَّانِي بِمَا رُوِيَ عَنِ السُّدِّيِّ وَعِكْرِمَةَ أَنَّهُمَا قَالَا: «مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا مَرَّتَيْنِ إِلَّا شُعَيْبًا، مَرَّةً إِلَى مَدْيَنَ، فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِالصَّيْحَةِ، وَمَرَّةً إِلَى أَصْحَابِ الْأَيْكَةِ، فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِعَذَابِ يَوْمِ الظُّلَّةِ»(1). وَقِيلَ: بُعِثَ إِلَى ثَلَاثِ أُمَمٍ، الثَّالِثَةُ أَصْحَابُ الرَّسِّ.

وَمِنْهُمْ مُوسَى، هُوَ ابْنُ عِمْرَانَ بْنِ يَصْهَرَ بْنِ فَاهِثَ بْنِ لَاوِي بْنِ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَا خِلَافَ فِي نَسَبِهِ، وَهُوَ اسْمٌ سُرْيَانِيٌّ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «الْمَاءُ بِالْقِبْطِيَّةِ: مُو، وَالشَّجَرُ: سَا، وَإِنَّمَا سُمِّيَ مُوسَى لِأَنَّهُ أُلْقِيَ بَيْنَ شَجَرٍ وَمَاءٍ»(2).

وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ: «آدَمُ طُوَالٌ جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ»(3).

قَالَ الثَّعْلَبِيُّ: عَاشَ مِئَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً.

وَمِنْهُمْ هَارُونُ، أَخُوهُ شَقِيقُهُ، وَقِيلَ لِأُمِّهِ فَقَطْ، وَقِيلَ لِأَبِيهِ فَقَطْ.

كَانَ أَطْوَلَ مِنْهُ فَصِيحًا جِدًّا. مَاتَ قَبْلَ مُوسَى، وَكَانَ وُلِدَ قَبْلَهُ بِسَنَةٍ. وَفِي وَصْفِهِ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ: «نِصْفُ لِحْيَتِهِ بَيْضَاءُ،

---

(1) التيسير في التفسير للنسفي: 6/ 428.

(2) معترك الأقران في إعجاز القرآن: 2/ 301.

(3) صحيح مسلم: 1/ 151 رقم: 165.

وَنِصْفُهَا أَسْوَدُ، تَكَادُ لِحْيَتُهُ تَضْرِبُ سُرَّتَهُ مِنْ طُولِهَا، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَنْ هَذَا، قالَ: الْمُحَبَّبُ فِي قَوْمِهِ هَارُونُ بْنُ عِمْرَانَ»[1].

ذَكَرَ مِسْكَوَيْهِ أَنَّ مَعْنَى هَارُونَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ: "الْمُحَبَّبُ".

وَمِنْهُمْ دَاوُدُ، وَهُوَ ابْنُ إِيشَى، بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ وَسُكُونِ التَّحْتِيَّةِ وَبِالشِّينِ الْمُعْجَمَةِ، بْنِ عَوْبَدَ بِوَزْنِ جَعْفَر بِمُهْمَلَةٍ وَمُوَحَّدَةٍ، بْنِ بَاعَرَ بِمُوَحَّدَةٍ وَمُهْمَلَةٍ مَفْتُوحَةٍ، بْنِ سَلْمُونَ بْنِ يَحْشَوْنَ بْنِ عَمى بْنِ يَارِب، بِتَحْتِيَّةٍ وَآخِرُهُ مُوَحَّدَةٌ، بْنِ رَامِ بْنِ حَضْرُونَ، بِمُهْمَلَةٍ ثُمَّ مُعْجَمَةٍ، بْنِ فَارِصَ، بِفَاءٍ وَاحِدَةٍ وَصَادٍ مُهْمَلَةٍ، بْنِ يَهُودَا بْنِ يَعْقُوبَ[2].

فِي التِّرْمِذِيِّ: «أَنَّهُ كَانَ أَعْبَدَ الْبَشَرِ»[3].

قِيلَ: وَكَانَ أَحْمَرَ الْوَجْهِ، سَبْطَ الرَّأْسِ، أَبْيَضَ الْجِسْمِ، طَوِيلَ اللِّحْيَةِ، فِيهَا جُعُودَةٌ، حَسَنَ الصَّوْتِ وَالْخَلْقِ، وَجُمِعَ لَهُ النُّبُوَّةُ وَالْمُلْكُ. عَاشَ مِئَةَ سَنَةٍ، مُدَّةُ مُلْكِهِ مِنْهَا أَرْبَعُونَ سَنَةً. وَكَانَ لَهُ اثْنَا عَشَرَ ابْنًا.

وَمِنْهُمْ سُلَيْمَانُ وَلَدُهُ، قالَ كَعْبُ: كَانَ أَبْيَضَ جَسِيمًا وَسِيمًا وَضِيئًا جَمِيلًا خَاشِعًا مُتَوَاضِعًا. وَكَانَ أَبُوهُ يُشَاوِرُهُ فِي كَثِيرٍ مِنْ أُمُورِهِ، مَعَ صِغَرِ سِنِّهِ، لِوُفُورِ عَقْلِهِ وَعِلْمِهِ.

---

(1) سيرة ابن هشام: 1/ 407. والروض الأنف: 3/ 276.

(2) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 73.

(3) سنن الترمذي: 3/ 472، رقم: 3490.

وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «مَلَكَ الْأَرْضَ مُؤْمِنَانِ: سُلَيْمَانُ وَذُو الْقَرْنَيْنِ، وَكَافِرَانِ: نُمْرُودُ وَبُخْتُ نَصَّرَ»[1]. مَلَكَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَابْتَدَأَ بِبِنَاءِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ بَعْدَ مُلْكِهِ بِأَرْبَعِ سِنِينَ. وَمَاتَ وَلَهُ ثَلَاثٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً.

وَمِنْهُمْ أَيُّوبُ، الصَّحِيحُ أَنَّهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَمْ يَصِحَّ فِي نَسَبِهِ شَيْءٌ، إِلَّا أَنَّ اسْمَ أَبِيهِ أَبْيَضُ. قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: «هُوَ أَيُّوبُ بْنُ مُوصِ بْنِ رَوْحِ بْنِ عِيصِ بْنِ إِسْحَاقَ»[2].

«وَحَكَى ابْنُ عَسَاكِرَ أَنَّ أُمَّهُ بِنْتُ لُوطٍ، وَأَنَّ أَبَاهُ مِمَّنْ آمَنَ بِإِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى هَذَا كَانَ[3] قَبْلَ مُوسَى»[4].

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: كَانَ بَعْدَ شُعَيْبٍ.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ: كَانَ بَعْدَ سُلَيْمَانَ. ابْتُلِيَ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِينَ، وَكَانَتْ مُدَّةُ بَلَائِهِ سَبْعَ سِنِينَ، وَقِيلَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ، وَقِيلَ ثَلَاثَ سِنِينَ.

رَوَى الطَّبَرَانِيُّ أَنَّ عُمُرَهُ كَانَ ثَلَاثًا وَتِسْعِينَ سَنَةً[5].

---

(1) المعارف: 1/ 32.

(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 9/ 382.

(3) فكان، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(4) البداية والنهاية: 1/ 506.

(5) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 74.

وَمِنْهُمْ ذُو الْكِفْلِ، قِيلَ: هُوَ ابْنُ أَيُّوبَ. قِيلَ: إِنَّ اللهَ بَعَثَ بَعْدَ أَيُّوبَ ابْنَهُ بِشْرَ نَبِيًّا، وَسَمَّاهُ اللهُ ذَا الْكِفْلِ، وَأَمَرَهُ بِالدُّعَاءِ إِلَى تَوْحِيدِهِ. وَأَقَامَ بِالشَّامِ عُمُرَهُ، حَتَّى مَاتَ وَعُمُرُهُ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً.

قِيلَ: «هُوَ إِلْيَاسُ. وَقِيلَ: يُوشَعُ بْنُ نُونٍ. وَقِيلَ: نَبِيٌّ اسْمُهُ ذُو الْكِفْلِ. وَقِيلَ: كانَ رَجُلًا صَالِحًا، تكَفَّلَ بِأُمُورٍ فَوَفَّى بِهَا. وَقِيلَ: هُوَ زَكَرِيَّا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾[1]»[2].

وَقالَ ابْنُ عَسَاكِرَ: «نَبِيٌّ تَكَفَّلَ اللهُ لَهُ فِي عَمَلِهِ بِضِعْفِ عَمَلِ غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ»[3].

وَقِيلَ: لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا، وَأَنَّ الْيَسَعَ اسْتَخْلَفَهُ، فَتَكَفَّلَ لَهُ أَنْ يَصُومَ النَّهَارَ، وَيَقُومَ اللَّيْلَ. **وَقِيلَ**: أَنْ يُصَلِّيَ كُلَّ يَوْمٍ مِئَةَ رَكْعَةٍ. وَقِيلَ: هُوَ الْيَسَعُ، وَأَنَّ لَهُ اسْمَيْنِ.

وَمِنْهُمْ يُونُسُ: «هُوَ يُونُسُ بْنُ مَتَّى، بِفَتْحِ الْمِيمِ وَتَشْدِيدِ التَّاءِ الْفَوْقِيَّةِ مَقْصُورٌ. وَفِي **تَفْسِيرِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ** أَنَّهُ اسْمُ أُمِّهِ، **قَالَ** ابْنُ حَجَرٍ: وَهُوَ مَرْدُودٌ»[4].

وَفِي الصَّحِيحِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ نِسْبَتَهُ إِلَى أَبِيهِ، كَانَتْ فِي زَمَنِ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ مِنَ الْفُرْسِ، وَلَبِثَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا»[5].

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 37.

(2) غرائب التفسير وعجائب التأويل: 2/ 745.

(3) الجامع لأحكام القرآن: 11/ 328.

(4) فتح الباري شرح صحيح البخاري: 6/ 451.

(5) صحيح البخاري: 4/ 159، رقم: 3413.

وَعَنْ جَعْفَرِ الصَّادِقِ: سَبْعَةَ أَيَّامٍ.

وَعَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: الْتَقَمَهُ ضُحًى وَلَفَظَهُ عَشِيَّةً.

وَفِي يُونُسَ سِتُّ لُغَاتٍ: تَثْلِيثُ النُّونِ مَعَ الْيَاءِ وَالْهَمْزَةِ، وَالْقِرَاءَةُ الْمَشْهُورَةُ بِضَمِّ النُّونِ مَعَ الْيَاءِ.

قَالَ أَبُو حَيَّانَ: «قَرَأَ طَلْحَةُ بْنُ مُصَرِّفٍ[1] بِكَسْرِ يُونِسَ وَيُوسِفَ، مُشْتَقَّيْنِ مِنْ أَنِسَ وَأَسِفَ عَلَى جَعْلِهِمَا عَرَبِيَّيْنِ وَهُوَ شَاذٌّ»[2].

وَمِنْهُمْ إِلْيَاسُ، هُوَ ابْنُ يَاسِينَ بْنِ فَنْحَاصَ بْنِ الْعَيْزَارِ بْنِ هَارُونَ أَخِي مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ.

حَكَى الْقُتَبِيُّ أَنَّهُ مِنْ سِبْطِ يُوشَعَ.

قَالَ وَهْبٌ: إِنَّهُ عُمِّرَ كَمَا عُمِّرَ الْخَضِرُ، وَأَنَّهُ يَبْقَى إِلَى آخِرِ الدُّنْيَا.

وَقِيلَ: رُوِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ هُوَ إِدْرِيسُ، وَهُوَ بِهَمْزَةِ قَطْعٍ اسْمٌ عِبْرَانِيٌّ، وَزِيدَ فِي آخِرِهِ يَاءٌ وَنُونٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾[3]، كَمَا قَالُوا فِي إِدْرِيسَ "إِدْرِيسِين"، وَمَنْ قَرَأَ آل يَاسِين فَقِيلَ: الْمُرَادُ آلُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(1) طلحة بن مُصَرِّفِ بن عمرو بن كعب أبو محمد اليامي الْهَمْدَانِي الكوفي، مقرئ الكوفة في زمانه (ت. 167هـ). تاريخ الإسلام: 3/ 251. تهذيب الأسماء واللغات: 1/ 253.

(2) النص مقتطف من البحر المحيط في التفسير: 4/ 575.

(3) سورة الصافات، الآية: 130.

وَمِنْهُمْ الْيَسَعُ، هُوَ ابْنُ أَخْطُوبِ بْنِ الْعَجُوزِ. قالَ: وَالْعَامَّةُ تَقْرَؤُهُ بِلَامٍ وَاحِدَةٍ مُخَفَّفَةٍ، وَقُرِئَ: "وَاللَّيْسَعُ" بِلَامَيْنِ، وَبِالتَّشْدِيدِ، فَعَلَى هَذَا فَهُوَ أَعْجَمِيٌّ، وَكَذَا عَلَى الْأَوَّلِ. وَقِيلَ: عَرَبِيٌّ مَنْقُولٌ مِنَ الْفِعْلِ مِنْ وَسِعَ يَسَعُ.

وَمِنْهُمْ زَكَرِيَّا، مِنْ ذُرِّيَّةِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ، وَقُتِلَ بَعْدَ قَتْلِ وَلَدِهِ، وَكانَ لَهُ يَوْمَ[1] بُشِّرَ بِوَلَدِهِ اثْنَتَانِ وَتِسْعُونَ سَنَةً، أَوْ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ، أَوْ مِئَةٌ وَعِشْرُونَ. وَهُوَ اسْمٌ أَعْجَمِيٌّ، وَفِيهِ خَمْسُ لُغَاتٍ: أَشْهَرُهَا الْمَدُّ، وَالثَّانِيَةُ الْقَصْرُ، وَقُرِئَ بِهِمَا فِي السَّبْعِ وَزَكَرِيًّا بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ وَتَخْفِيفِهَا، وَزَكَرَ كَقَلَمٍ[2].

وَمِنْهُمْ يَحْيَى وَلَدُهُ، أَوَّلُ مَنْ سُمِّيَ بِيَحْيَى بِنَصِّ الْقُرْآنِ. وُلِدَ قَبْلَ عِيسَى بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ، وَنُبِّئَ صَغِيرًا، وَقُتِلَ ظُلْمًا، وَسَلَّطَ اللهُ عَلَى قَاتِلِيهِ بُخْتَ نَصَّرَ وَجُيُوشَهُ. وَهُوَ اسْمٌ أَعْجَمِيٌّ، وَقِيلَ: عَرَبِيٌّ، وَعَلَى الْقَوْلَيْنِ لَا يَنْصَرِفُ. وَعَلَى كَوْنِهِ عَرَبِيًّا أَنَّهُ سُمِّيَ بِهِ لِأَنَّهُ أَحْيَاهُ اللهُ بِالْإِيمَانِ، أَوْ لِأَنَّهُ حَيِيَ بِهِ رَحِمُ أُمِّهِ، أَوْ لِأَنَّهُ اسْتُشْهِدَ، وَالشُّهَدَاءُ أَحْيَاءٌ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ يَمُوتُ، كَالْمَفَازَةِ لِلْمُهْلِكَةِ، وَالسَّلِيمِ لِلَّدِيغِ.

وَمِنْهُمْ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ. خَلَقَهُ اللهُ بِلَا أَبٍ، وَكَانَتْ مُدَّةُ حَمْلِهِ سَاعَةً أَوْ ثَلَاثَ سَاعَاتٍ، أَوْ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ، وَلَهَا عَشْرُ سِنِينَ أَوْ خَمْسَ عَشْرَةَ. وَرُفِعَ وَلَهُ ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً.

---

(1) حين يوم، في قونية.

(2) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 75-76.

وَفِي الْأَحَادِيثِ: أَنَّهُ يَنْزِلُ، وَيَقْتُلُ الدَّجَّالَ، وَيَتَزَوَّجُ، وَيُولَدُ لَهُ، وَيَحُجُّ، وَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ سَبْعَ سِنِينَ، وَيُدْفَنُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَفِي الصَّحِيحِ: «أَنَّهُ رَبْعَةٌ أَحْمَرُ، كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ، يَعْنِي حَمَّامًا»(1). وَعِيسَى اسْمٌ عِبْرَانِيٌّ أَوْ سُرْيَانِيٌّ لَا عَرَبِيٌّ. قِيلَ: لَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْبِيَاءِ مَنْ لَهُ اسْمَانِ إِلَّا عِيسَى وَمُحَمَّدٌ.

وَمِنْهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سُمِّيَ فِي الْقُرْآنِ بِأَسْمَاءٍ كَثِيرَةٍ، مِنْهَا: مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ. قِيلَ: خَمْسَةٌ سُمُّوا قَبْلَ أَنْ يَكُونُوا، مُحَمَّدٌ: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾(2)، وَيَحْيَى، ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى﴾(3)، وَعِيسَى ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ﴾(4)، وَإِسْحَاقُ وَيَعْقُوبُ ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾(5).

وَفِيهِ مِنْ أَسْمَاءِ الْمَلَائِكَةِ: جَبْرَائِيلُ وَمِيكَائِيلُ، وَفِيهِمَا لُغَاتٌ: جَبْرِيلُ بِفَتْحِ الْجِيمِ أَوْ كَسْرِهَا بِلَا هَمْزٍ، وَجَبْرَائِيلُ بِالْهَمْزَةِ بَعْدَ الْأَلِفِ، وَجَبْرَايِيلُ بِيَاءَيْنِ بِلَا هَمْزٍ، وَجَبْرَئِيلُ بِهَمْزَةٍ وَيَاءٍ بِلَا أَلِفٍ، وَجِبْرَئِيلُّ مُشَدَّدَةُ اللَّامِ، وَقُرِئَ بِهَا.

(1) صحيح البخاري: 4/ 152، رقم: 3394. وصحيح مسلم: 1/ 154، رقم: 168.
(2) سورة الصف، الآية: 6.
(3) سورة مريم، الآية: 7.
(4) سورة آل عمران، الآية: 39.
(5) سورة هود، الآية: 71. الإتقان في علوم القرآن: 4/ 77-78.

قَالَ ابْنُ جِنِّي: أَصْلُهُ "كُورِيَالُ"، فَغُيِّرَ بِالتَّعْرِيبِ وَطُولِ الِاسْتِعْمَالِ إِلَى مَا تَرَى. وَقُرِئَ "مِيكَايِيل" بِلَا هَمْزٍ، وَمِيكَئِلَ وَمِيكَال. وَقِيلَ: إِيلُ بِالْعِبْـرَانِيَّةِ اللهُ، وَجِبْرَئِيلُ عَبْدُ اللهِ، وَكَذَا مِيكَائِيلُ. وَكُلُّ اسْمٍ فِيهِ "إِيلُ" فَهُوَ مُعَبَّدٌ لِلَّهِ. وَقِيلَ: جِبْرَئِيلُ خَادِمُ اللهِ. وَقِيلَ: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾[1] بِتَشْدِيدِ النُّونِ. قَالَ ابْنُ مِهْرَانَ إِنَّهُ اسْمٌ لِجِبْرَئِيلَ. حَكَاهُ الْكَرْمَانِيُّ فِي **عَجَائِبِهِ**[2].

وَمِنْهُمْ هَارُوتُ وَمَارُوتُ، عَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: «هُمَا مَلَكَانِ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ».

وَقَدْ أَفْرَدَ السُّيُوطِيُّ فِي قِصَّتِهِمَا جُزْءًا.

وَمِنْهُمُ الرَّعْدُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا: «أَنَّهُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ»[3].

وَعَنْ عِكْرِمَةَ: «الرَّعْدُ مَلَكٌ يُسَبِّحُ»[4].

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، قَالَ: «بَلَغَنَا أَنَّ الْبَرْقَ مَلَكٌ لَهُ أَرْبَعَةُ وُجُوهٍ: وَجْهُ إِنْسَانٍ، وَوَجْهُ ثَوْرٍ، وَوَجْهُ نَسْرٍ، وَوَجْهُ أَسَدٍ، فَإِذَا مَصَعَ[5] بِذَنْبِهِ فَذَلِكَ الْبَرْقُ»[6].

---

(1) سورة مريم، الآية: 17.

(2) ـ"**عَجَائِبُ الْقُرْآنِ**" أو "**الْغَرَائِبُ وَالْعَجَائِبُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ**"، لأبي القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكَرْمَانِيِّ (ت. نحو 505 هـ). الكتاب مطبوع.

(3) سنن الترمذي: 5/ 193، رقم: 3117. السنن الكبرى: 8/ 218، رقم: 9024.

(4) معاني القرآن لأبي جعفر النحاس: 3/ 482.

(5) مصع: مَصَعَتِ الدابة بِذَنَبِهَا مصعا، حركته من غير عدو. والمَصْعُ: التحريك. اللسان/ مصع.

(6) البداية والنهاية: 1/ 87.

وَمِنْهُمْ مَالِكٌ، خَازِنُ النَّارِ.

وَمِنْهُمْ السِّجِلُّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْبَاقِرِ، قَالَ: «السِّجِلُّ مَلَكٌ، وَكَانَ هَارُوتُ وَمَارُوتُ مِنْ أَعْوَانِهِ»(1).

وَعَنِ السُّدِّيِّ: «أَنَّهُ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ بِالصُّحُفِ»(2).

وَمِنْهُمْ قَعِيدُ، عَنْ مُجَاهِدٍ: «أَنَّهُ اسْمُ كَاتِبِ السَّيِّئَاتِ»(3).

قِيلَ: فَهَؤُلَاءِ تِسْعَةٌ.

قِيلَ: عَاشِرُهُمْ **ذُو الْقَرْنَيْنِ**.

قِيلَ: الْحَادِي عَشَرَ **الرُّوحُ**، وَهُوَ مَلَكٌ مِنْ أَعْظَمِ الْمَلَائِكَةِ خَلْقًا.

وَمِنْهُمُ السَّكِينَةُ، قالَ تَعالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾(4). قِيلَ: إِنَّهُ مَلَكٌ يَسْكُنُ قَلْبَ الْمُؤْمِنِ وَيُؤَمِّنُهُ. كَمَا رُوِيَ: «أَنَّ السَّكِينَةَ تَنْطِقُ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ»(5).

وَفِيهِ مِنْ أَسْمَاءِ الصَّحَابَةِ: زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، وَالسِّجِلُّ فِي قَوْلِ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ كَاتِبُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(1) تفسير القرآن العظيم لا بن كثير: 1/ 219.

(2) المصدر نفسه: 5/ 382.

(3) أخرجه أبو نعيم في الحلية: 3/ 287.

(4) سورة الفتح، الآية: 4.

(5) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: 1/ 529، رقم: 834. النص في الإتقان في علوم القرآن:78-80.

وَفِيهِ مِنْ أَسْمَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ[1] مِنْ غَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ: عِمْرَانُ أَبُو مَرْيَمَ، وَقِيلَ فِيهِ: أَبُو مُوسَى أَيْضًا، وَأَخُوهَا هَارُونُ، وَلَيْسَ بِأَخِي مُوسَى، وَعُزَيْرٌ، وَتُبَّعٌ، وكانَ رَجُلًا صَالِحًا، كَمَا أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ. وَقِيلَ: نَبِيٌّ، كَمَا حَكَاهُ الْكَرْمَانِيُّ فِي الْعَجَائِبِ، وَلُقْمَانُ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ نَبِيٌّ، وَالْأَكْثَرُ عَلَى خِلَافِهِ. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «كَانَ لُقْمَانُ عَبْدًا حَبَشِيًّا نَجَّارًا»[2].

وَيُوسُفُ بْنُ أَفْرَايِيمَ[3] بْنِ يُوسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ، ذُكِرَ فِي سُورَةِ غَافِرٍ.

وَيَعْقُوبُ فِي سُورَةِ مَرْيَمَ، يَعْقُوبُ بْنُ مَاثَانَ.

وَتَقِيٌّ فِي سُورَةِ مَرْيَمَ ﴿إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾[4] أَيْ إِنْ كُنْتَ مِثْلَهُ فِي الصَّلَاحِ.

وَفِيهِ مِنْ أَسْمَاءِ النِّسَاءِ. مَرْيَمُ لَا غَيْرُ. وَمَرْيَمُ بِالْعِبْرِيَّةِ الْخَادِمُ. وَقِيلَ: إِنَّ بَعْلًا فِي قَوْلِهِ: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾[5] اسْمُ امْرَأَةٍ كَانُوا يَعْبُدُونَهَا.

وَفِيهِ مِنْ أَسْمَاءِ الْكُفَّارِ، قَارُونُ وَجَالُوتُ وَهَامَانُ وَبُشْرَى، فِي قَوْلِهِ ﴿يَا بُشْرَى﴾[6]، فِي سُورَةِ يُوسُفَ، فِي قَوْلِ السُّدِّيِّ. وَآزَرُ أَبُو إِبْرَاهِيمَ، وَقِيلَ:

---

(1) المتقدمة، في الأزهرية.

(2) الزهد لأحمد ابن حنبل: 44.

(3) أفرائيم، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(4) سورة مريم، الآية: 18.

(5) سورة الصافات، الآية: 125.

(6) سورة يوسف، الآية: 19.

اسْمُهُ تَارَحُ، وَآزَرُ لَقَبٌ، وَقِيلَ: آزَرُ اسْمُ الصَّنَمِ. وَمِنْهُ النَّسِيءُ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ، كَانَ يَجْعَلُ الْمُحَرَّمَ صَفَرًا يَسْتَحِلُّ بِهِ الْغَنَائِمَ.

وَفِيهِ مِنْ أَسْمَاءِ الْجِنِّ، أَبُوهُمْ إِبْلِيسُ، وَكانَ اسْمُهُ أَوَّلًا عَزَازِيلُ، وَهُوَ الْمَرْوِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَعَنِ السُّدِّيِّ قالَ: «كَانَ اسْمُ إِبْلِيسَ الْحَارِثَ»[1].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «إِنَّمَا سُمِّيَ إِبْلِيسَ لِأَنَّ اللهَ أَبْلَسَهُ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ: آيَسَهُ مِنْهُ»[2].

وَقِيلَ: اسْمُهُ قِتْرَةُ، حَكَاهُ الْخَطَّابِيُّ[3].

وَكُنْيَتُهُ أَبُو كُرْدُوسٍ. وَقِيلَ: أَبُو قِتْرَةَ. وَقِيلَ: أَبُو مُرَّةَ، وَقِيلَ: أَبُو لُبَيْنَى. حَكَاهُ السُّهَيْلِيُّ فِي **الرَّوْضِ الْأُنُفِ**.

وَفِيهِ مِنْ أَسْمَاءِ الْقَبَائِلِ، يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَعَادٌ وَثَمُودُ وَمَدْيَنُ وَقُرَيْشٌ وَالرُّومُ.

وَفِيهِ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَصْنَامِ الَّتِي كَانَتْ أَسْمَاءً لِأُنَاسٍ: "**وَدٌّ**" وَ"**سُوَاعٌ**" وَ"**يَغُوثُ**" وَ"**يَعُوقُ**" وَ"**نَسْرٌ**"، وَهِيَ أَصْنَامُ قَوْمِ نُوحٍ، وَ"**اللَّاتُ**" وَ"**الْعُزَّى**"

---

(1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 1/ 509.

(2) المصدر نفسه.

(3) غريب الحديث للخطابي: 1/ 469.

وَ"مَنَاةُ"، وَهِيَ أَصْنَامُ قُرَيْشٍ، وَكَذَا "الرُّجْزُ" فِيمَنْ قَرَأَهُ بِضَمِّ الرَّاءِ أَنَّهُ اسْمُ صَنَمٍ، وَ"الْجِبْتُ" وَ"الطَّاغُوتُ"، أَنَّهُمَا صَنَمَانِ، وَ"الرَّشَادُ" فِي سُورَةِ غَافِرٍ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾[1]، اسْمُ صَنَمٍ مِنْ أَصْنَامِ فِرْعَوْنَ، وَ"بَعْلٌ": هُوَ صَنَمُ قَوْمِ إِلْيَاسَ، وَ"آزَرُ": اسْمُ صَنَمٍ كَمَا تَقَدَّمَ[2].

عِلْمُ مَعْرِفَةِ مُبْهَمَاتِ الْقُرْآنِ

صَنَّفَ فِيهِ السُّهَيْلِيُّ[3]، ثُمَّ ابْنُ عَسَاكِرَ[4]، ثُمَّ الْقَاضِي بَدْرُ الدِّينِ ابْنُ جَمَاعَةَ[5]، وَلِلسُّيُوطِيِّ فِيهِ تَأْلِيفٌ[6] لَطِيفٌ، جَمَعَ فِيهِ فَوَائِدَ الْكُتُبِ، مَعَ زَوَائِدَ أُخْرَى عَلَى صِغَرِ حَجْمِهِ جِدًّا. وَكانَ مِنَ السَّلَفِ مَنْ يَعْتَنِي بِهَذَا الْعِلْمِ كَثِيرًا.

قالَ عِكْرِمَةُ: طَلَبْتُ الَّذِي خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، ثُمَّ أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً.

وَلِلْإِبْهَامِ فِي الْقُرْآنِ أَسْبَابٌ:

---

(1) سورة غافر، الآية: 29.

(2) الإتقان في علوم القرآن:4/ 81-84.

(3) عنوانه " **التَّعريفُ والإعلامُ فيما أُبْهِمَ من القرآن من الأسماءِ والأعلامِ**"، لعبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي (ت. 581هـ)، طبع عدة مرات.

(4) عنوان كتابه: "**التَّكْمِيلُ وَالإِتْمَامُ**" في مُبْهَمَاتُ الْقُرْآنِ، لأَبِي الْقَاسِمِ ابن عَسَاكِرَ. ذكره السيوطي ونقل منه. لعله لم يصل إلينا.

(5) "**غُرَرُ التِّبْيَانِ لِمُبْهَمَاتِ الْقُرْآنِ**"، وهو مطبوع بعنوان: "**غُرَرُ التِّبْيَانِ في مَنْ لَمْ يُسَمَّ في الْقُرْآنِ**"، لمحمد بن إبراهيم بدر الدين ابن جماعة الكناني (ت. 733هـ).

(6) عنوانه: "**مُفْحِمَاتُ الأَقْرَانِ فِي مُبْهَمَاتِ الْقُرْآنِ**"، لجلال الدين السيوطي. وهو مطبوع.

أَحَدُهَا: الِاسْتِغْنَاءُ بِبَيَانِهِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، كَقَوْلِهِ: ﴿صِرَاطَ الَّذِين أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[1]، فَإِنَّهُ مُبَيَّنٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾[2].

وَثَانِيهَا: أَنْ يَتَعَيَّنَ لِاشْتِهَارِهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾[3] وَلَمْ يَقُلْ: "حَوَّاءُ"، لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ غَيْرُهَا.

الثَّالِثُ: قَصْدُ السَّتْرِ عَلَيْهِ، لِيَكُونَ أَبْلَغَ فِي اسْتِعْطَافِهِ، نَحْوَ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[4] الآية، هُوَ الْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيقٍ[5]، وَقَدْ أَسْلَمَ بَعْدُ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ.

الرَّابِعُ: أَنْ لَا يَكُونَ فِي تَعْيِينِهِ كَثِيرُ فَائِدَةٍ، نَحْوَ: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾[6]، ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾[7].

الْخَامِسُ: التَّنْبِيهُ عَلَى الْعُمُومِ، وَأَنَّهُ غَيْرُ خَاصٍّ، بِخِلَافِ مَا لَوْ عُيِّنَ، نَحْوَ: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا﴾[8].

---

(1) سورة الفاتحة، الآية: 7.

(2) سورة النساء، الآية: 69.

(3) سورة البقرة، الآية: 35.

(4) سورة البقرة، الآية: 204.

(5) الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب بم أبي سلمة الثقفي حليف بني زهرة، أسلم يوم فتح مكة، وتوفي في أول خلافة عمر بن الخطاب. الطبقات الكبرى: 6/ 77. والمعارف: 1/ 153.

(6) سورة البقرة، الآية: 259.

(7) سورة الأعراف، الآية: 163.

(8) سورة النساء، الآية: 100.

السَّادِسُ: تَعْظِيمُهُ بِالْوَصْفِ الْكَامِلِ دُونَ الِاسْمِ، نَحْوَ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ﴾[1]، ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾[2]، ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾[3]، وَالْمُرَادُ الصِّدِّيقُ فِي الْكُلِّ.

السَّابِعُ: تَحْقِيرُهُ بِالْوَصْفِ النَّاقِصِ، نَحْوَ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[4].

وَاعْلَمْ أَنَّ عِلْمَ الْمُبْهَمَاتِ مَرْجِعُهُ النَّقْلُ الْمَحْضُ، لَا مَجَالَ لِلرَّأْيِ فِيهِ. وَلَمَّا كَانَتِ الْكُتُبُ الْمُؤَلَّفَةُ فِيهِ وَسَائِرُ التَّفَاسِيرِ يُذْكَرُ فِيهَا أَسْمَاءُ الْمُبْهَمَاتِ وَالْخِلَافُ فِيهَا، أَحَلْتُ ذَلِكَ إِلَى كُتُبِهَا، إِذْ لَا يُحِيطُ كِتَابُنَا هَذَا بِالِاسْتِقْصَاءِ فِيهَا، وَلَمَّا كَانَ التَّعَرُّضُ لِبَعْضِهَا غَيْرَ مُفِيدٍ، أَضْرَبْنَا عَنِ التَّعَرُّضِ لَهَا كُلًّا وَبَعْضًا. وَاللهُ الْمُوَفِّقُ لِلصَّوَابِ[5].

عِلْمُ مَعْرِفَةِ أَسْمَاءِ مَنْ نَزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ

وَأَفْرَدَهُ بِالتَّأْلِيفِ بَعْضُ الْقُدَمَاءِ، لَكِنَّهُ وَقَعَ غَيْرَ مُحَرَّرٍ، وَكِتَابُ **"أَسْبَابُ النُّزُولِ"**[6] وَ**"الْمُبْهَمَاتُ"** يُغْنِيَانِ عَنْ ذَلِكَ.

---

(1) سورة النور، الآية: 22.

(2) سورة الزمر، الآية: 33.

(3) سورة التوبة، الآية: 40.

(4) سورة الكوثر، الآية: 3.

(5) البرهان في علوم القرآن: 1/ 155ـ160، والإتقان في علوم القرآن: 4/ 93ـ95.

(6) يقصد كتاب: "أَسْبَابُ النُّزُولِ"، لِأبي الحسن الْواحِدِيِّ، وهو مطبوع.

وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «مَا فِي قُرَيْشٍ أَحَدٌ، إِلَّا وَقَدْ نَزَلَتْ فِيهِ آيَةٌ، قِيلَ لَهُ: فَمَا نَزَلَ فِيكَ؟ قالَ: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾»[1].

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، قالَ: «نَزَلَتْ فِيَّ أَرْبَعُ آيَاتٍ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾[2]، ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾[3] وَآيَةُ تَحْرِيمِ الْخَمْرِ، وَآيَةُ الْمِيرَاثِ»[4].

عَنْ رِفَاعَةَ الْقُرَظِيِّ، قَالَ: «نَزَلَتْ ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾[5]، فِي عَشَرَةٍ أَنَا أَحَدُهُمْ»[6].

عَنْ أَبِي جُمُعَةَ جُنَيْدِ بْنِ سَبُعٍ، وَقِيلَ حَبِيبُ بْنُ سِبَاعٍ، قالَ: فِينَا نَزَلَتْ ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ﴾[7]، وَكُنَّا تِسْعَةَ نَفَرٍ سَبْعَةَ رِجَالٍ وَامْرَأَتَيْنِ[8].

(1) سورة هود، الآية: 17. البحر المحيط في التفسير: 6/ 135.

(2) سورة الأنفال، الآية: 1.

(3) سورة العنكبوت، الآية: 8.

(4) صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري: 40، وصحيح مسلم: 4/ 1877.

(5) سورة القصص، الآية: 51.

(6) تفسير ابن كثير: 6/ 243.

(7) سورة الفتح، الآية: 25.

(8) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 119.

عِلْمُ مَعْرِفَةِ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ

صَنَّفَ فِيهِ؛ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ[1]، وَالنَّسَائِيُّ، وَأَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَّامٍ[2]، وَابْنُ الضُّرَيْسِ[3]، وَآخَرُونَ. وَقَدْ صَحَّ فِيهِ أَحَادِيثُ بِاعْتِبَارِ الْجُمْلَةِ، وَفِي بَعْضِ السُّوَرِ عَلَى التَّعْيِينِ. وَوُضِعَ فِي فَضَائِلِ السُّوَرِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ.

وَصَنَّفَ فِيهِ جَلَالُ الدِّينِ السُّيُوطِيُّ كِتَابًا سَمَّاهُ: **"خَمَائِلُ الزَّهَرِ فِي فَضَائِلِ السُّوَرِ"**، حَرَّرَ فِيهِ مَا لَيْسَ بِمَوْضُوعٍ.

وَالْحَدِيثُ الْجَامِعُ فِي فَضْلِ الْقُرْآنِ مَا أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَالدَّارِمِيُّ وَغَيْرُهُمَا مِنْ طَرِيقِ الْحَارِثِ الْأَعْوَرِ[4]، عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: «سَتَكُونُ فِتَنٌ، قُلْتُ: فَمَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قالَ: كِتَابُ اللهِ، فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللهُ، وَمَنِ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ، وَهُوَ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَهُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ، وَلَا تَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلَقُ عَلَى

---

(1) كتاب: **"فَضَائِلُ القرآنِ"**، لأبي بكر ابن أبي شيبة (ت. 235هـ).

(2) كتاب: **"فَضَائِلُ الْقُرْآنِ"**، لأبي عُبَيْدٍ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَّامٍ، وهو مطبوع.

(3) محمد بن أيوب بن يحيى بن الضُّرَيْسِ البجلي الرازي له كتاب **"فضائل القرآن"** (ت. 294هـ). الجرح والتعديل: 7/ 198. تذكرة الحفاظ: 2/ 160. سير أعلام النبلاء: 13/ 449.

(4) الحارث بن عبد الله الأعور الهَمْداني الخارفي أبو زهير الكوفي. طبقات ابن سعد: 6/ 168. تهذيب الكمال في أسماء الرجال: 5/ 244. تهذيب التهذيب: 2/ 145.

كَثْرَةِ التَّرْدَادِ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، مَنْ قالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»(1).

ثُمَّ فَضَائِلُ كُلِّ سُورَةٍ سُورَةٍ، مَذْكُورَةٌ في كُتُبِ التَّفَاسِيرِ، وَكُتُبِ الْأَحَادِيثِ، فَلْيُرْجَعْ إِلَيْهَا، فَإِنَّ هَذَا الْكِتَابَ لَا يَحْتَمِلُ بَيَانَهُ.

عِلْمُ مَعْرِفَةِ أَفْضَلِ الْقُرْآنِ وَفَاضِلِهِ

ذَهَبَ الْإِمَامُ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ، وَالْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ الْبَاقِلَّانِيُّ، وَابْنُ حِبَّانَ، إِلَى الْمَنْعِ بِأَنَّ في الْقُرْآنِ شَيْئًا أَفْضَلَ مِنْ شَيْءٍ، لِأَنَّ الْجَمِيعَ كَلَامُ اللهِ، وَلِئَلَّا يُوهِمَ التَّفْضِيلُ نَقْصَ الْمُفَضَّلِ عَلَيْهِ. وَرُوِيَ هَذَا عَنْ مَالِكٍ.

وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى التَّفْضِيلِ لِظَوَاهِرِ الْأَحَادِيثِ، مِنْهُمْ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ، وَأَبُو بَكْرٍ ابْنُ الْعَرَبِيِّ، وَالْغَزَالِيُّ.

وَقالَ الْقُرْطُبِيُّ: إِنَّهُ الْحَقُّ، وَنَقَلَهُ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ وَالْعُلَمَاءِ.

وَقالَ الْغَزَالِيُّ فِي "جَوَاهِرُ الْقُرْآنِ": «فَاعْلَمْ أَنَّ نُورَ الْبَصِيرَةِ إِنْ كَانَ لَا يُرْشِدُكَ إِلَى الْفَرْقِ بَيْنَ آيَةِ الْكُرْسِيِّ وَآيَةِ الْمُدَايَنَاتِ، وَبَيْنَ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ وَسُورَةِ تَبَّتْ، وَتَرْتَاعُ عَلَى اعْتِقَادِ الْفَرْقِ نَفْسُكَ الْخَوَّارَةُ الْمُسْتَغْرِقَةُ بِالتَّقْلِيدِ، فَقَلِّدْ صَاحِبَ الرِّسَالَةِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهُوَ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ.

---

(1) سنن الترمذي: 5/ 29 رقم: 2906. وسنن الدارمي: 1/ 4. لخص كلامه من الإتقان في علوم القرآن: 4/ 120.

وَقَالَ: "يَس" قَلْبُ الْقُرْآنِ، وَفَاتِحَةُ الْكِتَابِ أَفْضَلُ سُوَرِ الْقُرْآنِ، وَآيَةُ الْكُرْسِيِّ سَيِّدَةُ آيِ الْقُرْآنِ، وَ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾[1]، تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، وَالْآيَاتُ وَالْأَخْبَارُ الْوَارِدَةُ فِي فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، وَتَخْصِيصُ بَعْضِ السُّوَرِ وَالْآيَاتِ بِالْفَضْلِ، وَكَثْرَةُ الثَّوَابِ فِي تِلَاوَتِهَا لَا تُحْصَى»[2]. انْتَهَى.

وَقَالَ ابْنُ الْحَصَّارِ[3]: «الْعَجَبُ مِمَّنْ يَذْكُرُ الِاخْتِلَافَ فِي ذَلِكَ، مَعَ النُّصُوصِ الْوَارِدَةِ بِالتَّفْضِيلِ».

وَقَالَ الشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ: «كَلَامُ اللهِ فِي اللهِ أَفْضَلُ مِنْ كَلَامِهِ فِي غَيْرِهِ، فَـ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾، أَفْضَلُ مِنْ ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾[4]»[5].

وقَالَ الْخُوَيِّيُّ[6]: «كَلَامُ اللهِ كُلُّهُ أَبْلَغُ مِنْ كَلَامِ الْمَخْلُوقِينَ، وَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: بَعْضُ كَلَامِهِ أَبْلَغُ مِنْ بَعْضٍ، جَوَّزَهُ قَوْمٌ لِقُصُورِ نَظَرِهِمْ. وَيَنْبَغِي أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ مَعْنَى قَوْلِ الْقَائِلِ: هَذَا الْكَلَامُ أَبْلَغُ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ، أَنَّ هَذَا فِي مَوْضِعِهِ لَهُ حُسْنٌ وَلُطْفٌ، وَذَاكَ فِي مَوْضِعِهِ لَهُ حُسْنٌ وَلُطْفٌ، وَهَذَا الْحُسْنُ فِي مَوْضِعِهِ أَكْمَلُ مِنْ ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ. فَلَئِنْ قَالَ: إِنَّ ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾،

---

(1) سورة الإخلاص، الآية: 1.

(2) جواهر القرآن: 62.

(3) أحمد بن سعيد بن بشر أبو العباس ابن الحصار القرطبي، المحدث المفتي توفي في شعبان سنة: 392. ترجمته في: تاريخ علماء الأندلس: 1/ 73، وتاريخ الإسلام: 8/ 710.

(4) سورة المسد، الآية: 1.

(5) البرهان في علوم القرآن: 1/ 439.

(6) الْخُوَيِّيُّ: نسبة إلى خُوَيّ وهي إحدى بلاد آذربيجان. وهو أبو يعقوب يوسف بن طاهر بن يوسف ابن الحسن الخُوَيِّيُّ (ت. 594هـ). الأنساب: 5/ 236. والتحبير في المعجم الكبير: 2/ 389.

أَبْلَغُ مِنْ ﴿تبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾، يَجْعَلُ الْمُقَابَلَةَ بَيْنَ ذِكْرِ اللهِ وَذِكْرِ أَبِي لَهَبٍ، وَبَيْنَ التَّوْحِيدِ وَالدُّعَاءِ عَلَى الْكَافِرِ، وَذَلِكَ غَيْرُ صَحِيحٍ. بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ ﴿تبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ دُعَاءٌ عَلَيْهِ بِالْخُسْرَانِ، فَهَلْ تُوجَدُ عِبَارَةٌ لِلدُّعَاءِ بِالْخُسْرَانِ أَحْسَنَ مِنْ هَذِهِ، وَكَذَلِكَ فِي: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ لا تُوجَدُ عِبَارَةٌ تَدُلُّ عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ أَبْلَغَ مِنْهَا. فَالْعَالِمُ إِذَا نَظَرَ إِلَى ﴿تبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ فِي بَابِ الدُّعَاءِ بِالْخُسْرَانِ، وَنَظَرَ إِلَى ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ في بَابِ التَّوْحِيدِ، لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمَا أَبْلَغُ مِنَ الْآخَرِ»[1]. انْتَهَى.

قُلْتُ: كَلامُ الْخُوَيِّيِّ لا يَدُلُّ إِلَّا عَلَى نَفْيِ التَّفَاوُتِ فِي الْبَلَاغَةِ، وَجِهَةِ الْمُطَابَقَةِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْهُ نَفْيُ الْفَضِيلَةِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، مِنْ حَيْثُ شَرَفُ الْمَدْلُولِ وَشَرَفُ الثَّوَابِ. وَغَيْرُ ذَلِكَ.

وَقَالَ الْحَلِيمِيُّ، وَنَقَلَهُ عَنِ الْبَيْهَقِيِّ: «مَعْنَى التَّفْضِيلِ يَرْجِعُ إِلَى أَشْيَاءَ:

أَحَدُهَا: أَنْ يَكُونَ الْعَمَلُ بِآيَةٍ أَوْلَى مِنَ الْعَمَلِ بِأُخْرَى، وَأَعْوَدَ عَلَى النَّاسِ، وَعَلَى هَذَا يُقَالُ: آيَاتُ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، خَيْرٌ مِنْ آيَاتِ الْقَصَصِ، لِأَنَّهَا إِنَّمَا أُرِيدَ بِهَا تَأْكِيدُ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْإِنْذَارِ وَالتَّبْشِيرِ، وَلَا غِنَى بِالنَّاسِ عَنْ هَذِهِ الْأُمُورِ، وَقَدْ يَسْتَغْنُونَ عَنِ الْقَصَصِ، فَكَانَ مَا هُوَ أَعْوَدُ عَلَيْهِمْ، وَأَنْفَعُ لَهُمْ مِمَّا يَجْرِي مَجْرَى الْأُصُولِ خَيْرًا لَهُمْ مِمَّا يُجْعَلُ تَبَعًا لِمَا لَا بُدَّ مِنْهُ.

(1) البرهان في علوم القرآن: 1/ 439 ـ 440، والإتقان في علوم القرآن: 4/ 136 ـ 137.

الثَّانِي: أَنْ يُقَالَ: الْآيَاتُ الَّتِي تَشْتَمِلُ عَلَى تَعْدِيدِ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى، وَبَيَانِ صِفَاتِهِ، وَالدَّلَالَةِ عَلَى عَظَمَتِهِ أَفْضَلُ، بِمَعْنَى أَنَّ مُخْبَرَاتِهَا أَسْنَى وَأَجَلُّ قَدْرًا.

الثَّالِثُ: أَنْ يُقَالَ: سُورَةٌ خَيْرٌ مِنْ سُورَةٍ، أَوْ آيَةٌ خَيْرٌ مِنْ آيَةٍ، بِمَعْنَى أَنَّ الْقَارِئَ [يَتَعَجَّلُ فِيهِ][1] بِقِرَاءَتِهَا فَائِدَةً سِوَى الثَّوَابِ الْآجِلِ، وَيَتَأَدَّى مِنْهُ بِتِلَاوَتِهَا عِبَادَةٌ، كَقِرَاءَةِ آيَةِ الْكُرْسِيِّ وَالْإِخْلَاصِ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ، فَإِنَّ قَارِئَهَا يَتَعَجَّلُ بِقِرَاءَتِهَا الِاحْتِرَازَ مِمَّا يَخْشَى، وَالِاعْتِصَامَ بِاللهِ، وَيَتَأَدَّى بِتِلَاوَتِهَا عِبَادَةُ اللهِ، لِمَا فِيهَا مِنْ ذِكْرِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالصِّفَاتِ الْعُلَى عَلَى سَبِيلِ الِاعْتِقَادِ لَهَا وَسُكُونِ النَّفْسِ إِلَى فَضْلِ ذَلِكَ بِالذِّكْرِ وَبَرَكَتِهِ، فَأَمَّا آيَاتُ الْحُكْمِ فَلَا يَقَعُ بِنَفْسِ تِلَاوَتِهَا إِقَامَةُ حُكْمٍ، وَإِنَّمَا يَقَعُ بِهَا عِلْمٌ.

ثُمَّ لَوْ قِيلَ فِي الْجُمْلَةِ إِنَّ الْقُرْآنَ خَيْرٌ مِنَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ، بِمَعْنَى أَنَّ التَّعَبُّدَ بِالتِّلَاوَةِ وَالْعَمَلِ وَاقِعٌ بِهِ دُونَهَا، وَالثَّوَابَ بِحَسَبِ قِرَاءَتِهِ لَا بِقِرَاءَتِهَا، أَوْ أَنَّهُ مِنْ حَيْثُ الْإِعْجَازُ حُجَّةُ النَّبِيِّ الْمَبْعُوثِ، وَتِلْكَ الْكُتُبُ لَمْ تَكُنْ مُعْجِزَةً، وَلَا كَانَتْ حُجَجَ أُولَئِكَ الْأَنْبِيَاءِ، بَلْ كَانَتْ دَعْوَتَهُمْ، وَالْحُجَجُ غَيْرُهَا، لَكَانَ ذَلِكَ أَيْضًا نَظِيرَ مَا مَضَى.

[وَقَدْ][2] يُقَالُ: إِنَّ سُورَةً أَفْضَلُ مِنْ سُورَةٍ، لِأَنَّ اللهَ جَعَلَ قِرَاءَتَهَا كَقِرَاءَةِ أَضْعَافِهَا مِمَّا سِوَاهَا، وَأَوْجَبَ لَهَا مِنَ الثَّوَابِ مَا لَمْ يُوجِبْ لِغَيْرِهَا، وَإِنْ كَانَ

---

(1) سقطت من أنطاليا.

(2) سقطت من الأزهرية.

الْمَعْنَى الَّذِي لِأَجْلِهِ بَلَغَ شَأْنُهَا هَذَا الْمِقْدَارَ لا يَظْهَرُ لَنَا، كَمَا يُقَالُ: إِنَّ يَوْمًا أَفْضَلُ مِنْ يَوْمٍ، أَوْ شَهْرًا أَفْضَلُ مِنْ شَهْرٍ، بِمَعْنَى أَنَّ الْعِبَادَةَ فِيهِ تَفْضُلُ عَلَى الْعِبَادَةِ فِي غَيْرِهِ، وَالذَّنْبَ فِيهِ أَعْظَمُ مِنْهُ فِي غَيْرِهِ. وَكَمَا يُقالُ: إِنَّ الْحَرَمَ أَفْضَلُ مِنَ الْحِلِّ، لِأَنَّهُ يَتَأَدَّى فِيهِ مِنَ الْمَنَاسِكِ مَا لَا يَتَأَدَّى فِي غَيْرِهِ، وَالصَّلَاةَ فِيهِ تَكُونُ كَصَلَاةٍ مُضَاعَفَةٍ مِمَّا تُقَامُ فِي غَيْرِهِ»[1]. انْتَهَى كَلَامُ الْحَلِيمِيِّ.

قالَ ابْنُ الْمُنَيِّرِ فِي حَدِيثِ الْبُخَارِيِّ: «لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ»[2]؛ مَعْنَاهُ أَنَّ ثَوَابَهَا أَعْظَمُ مِنْ غَيْرِهَا.

وَقالَ غَيْرُهُ: إِنَّمَا كَانَتْ أَعْظَمَ السُّوَرِ، لِأَنَّهَا جَمَعَتْ جَمِيعَ مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ أُمَّ الْقُرْآنِ.

قالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: «إِنَّ اللهَ أَوْدَعَ عُلُومَ الْكُتُبِ السَّالِفَةِ فِي الْقُرْآنِ، ثُمَّ أَوْدَعَ عُلُومَ الْقُرْآنِ فِي الْفَاتِحَةِ، فَمَنْ عَلِمَ تَفْسِيرَهَا كَانَ كَمَنْ عَلِمَ تَفْسِيرَ جَمِيعَ الْكُتُبِ الْمُنْزَلَةِ»[3]. أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ.

وَبَيَانُ اشْتِمَالِهَا عَلَى عُلُومِ الْقُرْآنِ عَلَى وُجُوهٍ:

(1) شعب الإيمان: 2/ 516.

(2) صحيح البخاري: 6/ 17 رقم: 4474.

(3) شعب الإيمان: 4/ 44، رقم: 2155.

أَحَدُهَا: مَا قَرَّرَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ: «بِاشْتِمَالِهَا عَلَى الثَّنَاءِ عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَعَلَى التَّعَبُّدِ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَعَلَى الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ»[1]. وَآيَاتُ الْقُرْآنِ لَا تَخْلُو عَنْ أَحَدِ هَذِهِ الْأُمُورِ.

وَثَانِيهَا: مَا قَالَ الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ: «الْمَقْصُودُ مِنَ الْقُرْآنِ كُلِّهِ تَقْرِيرُ أُمُورٍ أَرْبَعَةٍ: الْإِلَهِيَّاتِ، وَالْمَعَادِ، وَالنُّبُوَّاتِ، وَإِثْبَاتِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ للهِ تَعَالَى.

فَقَوْلُهُ: ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يَدُلُّ عَلَى الْإِلَهِيَّاتِ. وَقَوْلُهُ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ يَدُلُّ عَلَى الْمَعَادِ. وَقَوْلُهُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يَدُلُّ عَلَى نَفْيِ الْجَبْرِ، وَعَلَى إِثْبَاتِ أَنَّ الْكُلَّ بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ. وَقَوْلُهُ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، إِلَى آخِرِ السُّورَةِ يَدُلُّ عَلَى إِثْبَاتِ قَضَاءِ اللهِ وَعَلَى النُّبُوَّاتِ. فَلَمَّا كانَ الْمَقْصِدُ الْأَعْظَمُ مِنَ الْقُرْآنِ هَذِهِ الْمَطَالِبَ الْأَرْبَعَةَ، وَكَانَتْ هَذِهِ السُّورَةُ مُشْتَمِلَةً عَلَيْهَا، سُمِّيَتْ أُمَّ الْقُرْآنِ»[2].

وَقَالَ الْبَيْضَاوِيُّ: «هِيَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى الْحِكَمِ النَّظَرِيَّةِ، وَالْأَحْكَامِ الْعَمَلِيَّةِ، الَّتِي هِيَ سُلُوكُ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، وَالِاطِّلَاعُ عَلَى مَرَاتِبِ السُّعَدَاءِ، وَمَنَازِلِ الْأَشْقِيَاءِ»[3].

وَقَالَ الطِّيبِيُّ: «هِيَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْوَاعٍ مِنَ الْعُلُومِ الَّتِي هِيَ مَنَاطُ الدِّينِ:

---

(1) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 1/ 1.

(2) مفاتيح الغيب: 1/ 156.

(3) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 1/ 25، الإتقان في علوم القرآن: 4/ 139 ـ 140.

أَحَدُهَا؛ عِلْمُ الْأُصُولِ: وَمَعَاقِدُهُ مَعْرِفَةُ اللهِ وَصِفَاتِهِ، وَإِلَيْهَا الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، وَمَعْرِفَةُ النُّبُوَّاتِ، وَهِيَ الْمُرَادَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، وَمَعْرِفَةُ الْمَعَادِ، وَهِيَ الْمُومَى إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

وَثَانِيهَا عِلْمُ الْفُرُوعِ، وَأُسُّهُ الْعِبَادَاتُ، وَهُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

وَثَالِثُهَا: عِلْمُ مَا يَحْصُلُ بِهِ الْكَمَالُ، وَهُوَ عِلْمُ الْأَخْلَاقِ. وَأَصْلُهُ الْوُصُولُ إِلَى الْحَضْرَةِ الصَّمَدَانِيَّةِ، وَالِالْتِجَاءُ إِلَى جَنَابِ الْفَرْدَانِيَّةِ، وَالسُّلُوكُ لِطَرِيقِهِ، وَالِاسْتِقَامَةُ فِيهَا، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

وَرَابِعُهَا: عِلْمُ الْقَصَصِ وَالْإِخْبَارِ عَنِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ، وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ؛ السُّعَدَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَشْقِيَاءِ، وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا مِنْ وَعْدِ مُحْسِنِهِمِ، وَوَعِيدِ مُسِيئِهِمْ، وَهُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾»[1].

قَالَ الْغَزَالِيُّ: «مَقَاصِدُ الْقُرْآنِ سِتَّةٌ: ثَلَاثَةٌ مُهِمَّةٌ، وَثَلَاثَةٌ مُتِمَّةٌ.

الْأُولَى: تَعْرِيفُ الْمَدْعُوِّ إِلَيْهِ، كَمَا أُشِيرَ إِلَيْهِ بِصَدْرِهَا.

(1) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف): 1/ 678.

وَتَعْرِيفُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَقَدْ صَرَّحَ بِهِ فِيهَا.

وَتَعْرِيفُ الْحَالِ عِنْدَ الرُّجُوعِ إِلَيْهِ تَعَالَى، وَهُوَ الْآخِرَةُ، كَمَا أُشِيرَ إِلَيْهِ بِـ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

وَالْأُخْرَى: تَعْرِيفُ أَحْوَالِ الْمُطِيعِينَ، كَمَا أُشِيرَ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

وَحِكَايَةُ أَقْوَالِ الْجَاحِدِينَ، وَقَدْ أُشِيرَ إِلَيْهَا بِـ ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

وَتَعْرِيفُ عِمَارَةِ مَنَازِلِ الطَّرِيقِ، كَمَا أُشِيرَ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ انْتَهَى»[1].

قَالَ ابْنُ الْعَرَبِي: «وَإِنَّمَا صَارَتْ آيَةُ الْكُرْسِيِّ أَعْظَمَ الْآيَاتِ لِعِظَمِ مُقْتَضَاهَا، فَإِنَّ الشَّيْءَ إِنَّمَا يَشْرُفُ بِشَرَفِ ذَاتِهِ وَمُقْتَضَاهُ وَتَعَلُّقَاتِهِ، وَهِيَ فِي آيِ الْقُرْآنِ كَسُورَةِ الْإِخْلَاصِ فِي سُوَرِهِ، إِلَّا أَنَّ سُورَةَ الْإِخْلَاصِ تَفْضُلُهَا بِوَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا سُورَةٌ، وَهَذِهِ آيَةٌ، وَالسُّورَةُ أَعْظَمُ، لِأَنَّهُ وَقَعَ بِهَا التَّحَدِّي، فَهِيَ أَفْضَلُ مِنَ الْآيَةِ الَّتِي لَمْ يُتَحَدَّ بِهَا.

---

(1) جواهر القرآن: 23 ـ 24، ومَصَاعِدُ النَّظَرِ للإشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السّوَرِ: 1/ 473

وَثَانِيهِمَا: أَنَّ سُورَةَ الْإِخْلَاصِ اقْتَضَتِ التَّوْحِيدَ فِي خَمْسَةَ عَشَرَ حَرْفًا، وَآيَةُ الْكُرْسِي اقْتَضَتِ التَّوْحِيدَ فِي خَمْسِينَ حَرْفًا، فَظَهَرَتِ الْقُدْرَةُ فِي الْإِعْجَازِ، بِوَضْعِ مَعْنًى مُعَبَّرٍ عَنْهُ بِخَمْسِينَ حَرْفًا، ثُمَّ يُعَبَّرُ عَنْهُ بِخَمْسَةَ عَشَرَ، وَذَلِكَ بَيَانٌ لِعِظَمِ الْقُدْرَةِ وَالِانْفِرَادِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ»[1]. انْتَهَى.

وَقَالَ الْغَزَالِيُّ: «إِنَّمَا كَانَتْ آيَةُ الْكُرْسِيِّ سَيِّدَةَ الْآيَاتِ، لِأَنَّهَا اشْتَمَلَتْ عَلَى ذَاتِ اللهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ فَقَطْ، لَيْسَ فِيهَا غَيْرُ ذَلِكَ، وَمَعْرِفَةُ ذَلِكَ هِيَ الْمَقْصِدُ الْأَقْصَى[2] فِي الْعُلُومِ، وَمَا عَدَاهُ تَابِعٌ لَهُ، وَالسَّيِّدُ اسْمٌ لِلْمَتْبُوعِ الْمُقَدَّمِ، فَقَوْلُهُ: ﴿اللهُ﴾: إِشَارَةٌ إِلَى الذَّاتِ.

وَ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: إِشَارَةٌ إِلَى تَوْحِيدِ الذَّاتِ.

﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾: إِشَارَةٌ إِلَى صِفَةِ الذَّاتِ وَجَلَالِهِ، فَإِنَّ مَعْنَى الْقَيُّومِ: الَّذِي يَقُومُ بِنَفْسِهِ، وَيَقُومُ بِهِ غَيْرُهُ، وَذَلِكَ غَايَةُ الْجَلَالِ وَالْعَظَمَةِ.

﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾: تَنْزِيهٌ وَتَقْدِيسٌ لَهُ عَمَّا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ مِنْ أَوْصَافِ الْحَوَادِثِ، وَالتَّقْدِيسُ عَمَّا يَسْتَحِيلُ أَحَدُ أَقْسَامِ الْمَعْرِفَةِ.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: إِشَارَةٌ إِلَى الْأَفْعَالِ كُلِّهَا، وَأَنَّ جَمِيعَهَا مِنْهُ وَإِلَيْهِ.

---

(1) قانون التأويل: 545-546.

(2) الأعلى، في قونية.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾: إِشَارَةٌ إِلَى انْفِرَادِهِ بِالْمُلْكِ وَالْحُكْمِ وَالْأَمْرِ، وَأَنَّ مَنْ يَمْلِكُ الشَّفَاعَةَ، إِنَّمَا يَمْلِكُهَا بِتَشْرِيفِهِ إِيَّاهُ، وَالْإِذْنِ فِيهَا، وَهَذَا نَفْيُ الشَّرِكَةِ عَنْهُ فِي الْمُلْكِ وَالْأَمْرِ.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾، إِلَى قَوْلِهِ ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾: إِشَارَةٌ إِلَى صِفَةِ الْعِلْمِ، وَتَفْضِيلِ[1] بَعْضِ الْمَعْلُومَاتِ، وَالِانْفِرَادِ بِالْعِلْمِ، حَتَّى لَا عِلْمَ لِغَيْرِهِ إِلَّا مَا أَعْطَاهُ وَوَهَبَهُ عَلَى قَدْرِ مَشِيئَتِهِ وَإِرَادَتِهِ.

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾: إِشَارَةٌ إِلَى عَظَمَةِ مُلْكِهِ، وَكَمَالِ قُدْرَتِهِ.

﴿وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾: إِشَارَةٌ إِلَى صِفَةِ الْقُدْرَةِ وَكَمَالِهَا، وَتَنْزِيهِهَا عَنِ الضُّعْفِ وَالنُّقْصَانِ.

﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[2]: إِشَارَةٌ إِلَى أَصْلَيْنِ عَظِيمَيْنِ فِي الصِّفَاتِ.

فَإِذَا تَأَمَّلْتَ هَذِهِ الْمَعَانِيَ، ثُمَّ تَلَوْتَ جَمِيعَ آيِ الْقُرْآنِ، لَمْ تَجِدْ جُمْلَتَهَا مَجْمُوعَةً فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ، فَإِنَّ ﴿شَهِدَ اللهُ﴾، لَيْسَ فِيهَا إِلَّا التَّوْحِيدُ، وَسُورَةَ الْإِخْلَاصِ لَيْسَ فِيهَا إِلَّا التَّوْحِيدُ وَالتَّقْدِيسُ، وَ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾[3]، لَيْسَ فِيهَا إِلَّا الْأَفْعَالُ، وَالْفَاتِحَةُ فِيهَا الثَّلَاثَةُ لَكِنْ غَيْرُ مَشْرُوحَةٍ بَلْ مَرْمُوزَةٌ، وَالثَّلَاثَةُ مَجْمُوعَةٌ مَشْرُوحَةٌ فِي آيَةِ الْكُرْسِيِّ، وَالَّذِي يَقْرُبُ مِنْهَا

(1) وتفصيل، في قونية.

(2) سورة البقرة، الآية: 255.

(3) سورة آل عمران، الآية: 26.

فِي جَمْعِهَا آخِرُ الْحَشْرِ، وَأَوَّلُ الْحَدِيدِ، لَكِنَّهَا آيَاتٌ لَا آيَةٌ وَاحِدَةٌ. فَإِذَا قَابَلْتَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ بِإِحْدَى تِلْكَ الْآيَاتِ، وَجَدْتَهَا أَجْمَعَ لِلْمَقَاصِدِ، فَلِذَلِكَ اسْتَحَقَّتِ السِّيَادَةَ عَلَى الْآيِ، كَيْفَ لَا، وَفِيهَا: الْحَيُّ الْقَيُّومُ، وَهُوَ الِاسْمُ الْأَعْظَمُ، كَمَا وَرَدَ بِهِ الْخَبَرُ»[1]. انْتَهَى كَلَامُ الْغَزَالِيِّ.

ثُمَّ قَالَ: « إِنَّمَا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْفَاتِحَةِ أَفْضَلُ، وَفِي آيَةِ الْكُرْسِيِّ سَيِّدَةٌ[2] لِسِرٍّ، وَهُوَ أَنَّ الْجَامِعَ بَيْنَ فُنُونِ الْفَضْلِ وَأَنْوَاعِهَا الْكَثِيرَةِ يُسَمَّى أَفْضَلَ، فَإِنَّ الْفَضْلَ هُوَ الزِّيَادَةُ، وَالْأَفْضَلَ هُوَ الْأَزْيَدُ. وَأَمَّا السُّؤْدَدُ، فَهُوَ رُسُوخُ مَعْنَى الشَّرَفِ الَّذِي يَقْتَضِي الِاسْتِتْبَاعَ، وَيَأْبَى التَّبَعِيَّةَ. وَالْفَاتِحَةُ تَتَضَمَّنُ التَّنْبِيهَ على مَعَانٍ كَثِيرَةٍ، وَمَعَارِفَ مُخْتَلِفَةٍ، فَكَانَتْ أَفْضَلَ. وَآيَةُ الْكُرْسِيِّ تَشْتَمِلُ عَلَى الْمَعْرِفَةِ الْعُظْمَى، الَّتِي هِيَ الْمَقْصُودَةُ الْمَتْبُوعَةُ الَّتِي تَتْبَعُهَا سَائِرُ الْمَعَارِفِ، فَكَانَ اسْمُ السَّيِّدِ بِهَا أَلْيَقَ»[3]. انْتَهَى.

ثُمَّ قَالَ فِي حَدِيثِ: «قَلْبُ الْقُرْآنِ يَس»[4]: إِنَّ ذَلِكَ لِأَنَّ الْإِيمَانَ صِحَّتُهُ بِالِاعْتِرَافِ بِالْحَشْرِ وَالنَّشْرِ، وَهُوَ مُقَرَّرٌ فِي هَذِهِ السُّورَةِ بِأَبْلَغِ وَجْهٍ، فَجُعِلَتْ قَلْبَ الْقُرْآنِ لِذَلِكَ[5]. وَاسْتَحْسَنَهُ الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ.

---

(1) النص مع بعض الاختلاف في جواهر القرآن: 73 ـ 76.

(2) لسيدة، في قونية.

(3) جواهر القرآن: 80 ـ 81.

(4) مسند الدارمي: 2/ 1083 رقم: 3619.

(5) البرهان في علوم القرآن: 1/ 444.

وَقالَ النَّسَفِيُّ: «يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ هَذِهِ السُّورَةَ لَيْسَ فِيهَا إِلَّا تَقْرِيرُ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ: الْوَحْدَانِيَّةِ، وَالرِّسَالَةِ، وَالْحَشْرِ، وَهُوَ الْقَدْرُ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِالْقَلْبِ وَالْجَنَانِ، وَأَمَّا الَّذِي بِاللِّسَانِ وَبِالْأَرْكَانِ فَفِي غَيْرِ هَذِهِ السُّورَةِ. فَلَمَّا كانَ فِيهَا إِعْمَالُ الْقَلْبِ لَا غَيْرُ، سَمَّاهَا قَلْبًا. وَلِهَذَا أَمَرَ بِقِرَاءَتِهَا عِنْدَ الْمُحْتَضَرِ، لِأَنَّهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَكُونُ اللِّسَانُ ضَعِيفَ الْقُوَّةِ وَالْأَعْضَاءُ سَاقِطَةً، لَكِنَّ الْقَلْبَ قَدْ أَقْبَلَ على اللهِ، وَرَجَعَ عَمَّا سِوَاهُ، فَيُقْرَأُ عِنْدَهُ مَا يَزْدَادُ بِهِ قُوَّةً فِي قَلْبِهِ، وَيَشْتَدُّ تَصْدِيقُهُ بِالْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ»(1). انْتَهَى.

وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي مَعْنَى كَوْنِ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ. فَقِيلَ: لِأَنَّ الْقُرْآنَ مُشْتَمِلٌ عَلَى قَصَصٍ وَشَرَائِعَ وَصِفَاتٍ، وَسُورَةُ الْإِخْلَاصِ كُلُّهَا صِفَاتٌ، فَكَانَتْ ثُلُثًا.

وَقالَ الْغَزَالِيُّ فِي الْجَوَاهِرِ: «مَعَارِفُ الْقُرْآنِ الْمُهِمَّةِ ثَلَاثٌ: مَعْرِفَةُ التَّوْحِيدِ، وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَالْآخِرَةِ. وَهِيَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى الْأَوَّلِ فَكَانَتْ ثُلُثًا»(2).

وَقالَ أَيْضًا: الْقُرْآنُ مُشْتَمِلٌ عَلَى الْبَرَاهِينِ الْقَاطِعَةِ عَلَى وُجُودِ اللهِ تَعَالَى وَوَحْدَانِيَّتِهِ وَصِفَاتِهِ، وَهِيَ إِمَّا صِفَاتُ الْحَقِيقَةِ، وَإِمَّا صِفَاتُ الْفِعْلِ، وَإِمَّا صِفَاتُ الْحُكْمِ، وَهَذِهِ السُّورَةُ تَشْتَمِلُ عَلَى صِفَاتِ الْحَقِيقَةِ، فَهِيَ ثُلُثٌ.

---

(1) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: 2/ 393. أو: **"المقصد الأسمى في مطابقة اسم كل سورة للمسمى"**.

(2) النص بتصرف في جواهر القرآن: 78.

وَقالَ الْخُولِيُّ: مَطَالِبُ الْقُرْآنِ أُصُولٌ ثَلَاثَةٌ لِلْإِيمَانِ، مَنْ أَنْكَرَ شَيْئًا مِنْهَا كَفَرَ، وَهيَ: مَعْرِفَةُ اللهِ، وَالِاعْتِرَافُ بِصِدْقِ رَسُولِهِ، وَاعْتِقَادُ الْقِيَامِ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ تَعَالَى، وَهَذِهِ السُّورَةُ تُفِيدُ الْأَصْلَ الْأَوَّلَ، فَهِيَ ثُلُثٌ.

وَقِيلَ: الْقُرْآنُ خَبَرٌ وَإِنْشَاءٌ. وَالْخَبَرُ قِسْمَانِ: خَبَرٌ عَنِ الْخَالِقِ، وَخَبَرٌ عَنِ الْمَخْلُوقِ، فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أَثْلَاثٍ. وَسُورَةُ الْإِخْلَاصِ أَخْلَصَتِ الْخَبَرَ عَنِ الْخَالِقِ، فَهِيَ ثُلُثٌ. وَقيلَ: تَعْدِلُ فِي الثَّوابِ، وَيَشْهَدُ لَهُ ظَاهِرُ الْحَدِيثِ[1].

لَكِنْ قالَ ابْنُ عَقِيلٍ: لا يَجُوزُ ذلِكَ، لِقَوْلِهِ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ»[2].

وَقالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: السُّكُوتُ في هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ أَفْضَلُ مِنَ الْكَلَامِ فِيهَا، وَاللهُ أَعْلَمُ[3].

عِلْمُ مَعْرِفَةِ مُفْرَدَاتِ الْقُرْآنِ

وَهُوَ عِلْمٌ يُبْحَثُ فيهِ عَنْ أَحْوَالِ آيَةٍ آيَةٍ مِنْ جِهَةِ أَحْكَامِهَا وَمَعَانِيهَا.

مِثَالُ ذَلِكَ: أَخْرَجَ السِّلَفِيُّ فِي "الْمُخْتَارُ مِنَ الطُّيُورِيَّاتِ"، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قالَ: «لَقِيَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَكْبًا فِي سَفَرٍ، فِيهِمُ ابْنُ مَسْعُودٍ، فَأَمَرَ رَجُلًا

(1) النقل بتصرف من الإتقان في علوم القرآن: 4/ 145.

(2) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: 2/ 428، رقم: 2494.

(3) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 141 ـ 146.

يُنَادِيهِمْ: مِنْ أَيْنَ الْقَوْمُ؟ قَالُوا: أَقْبَلْنَا مِنَ الْفَجِّ الْعَمِيقِ، نُرِيدُ الْبَيْتَ الْعَتِيقَ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إِنَّ فِيهِمْ لَعَالِمًا، فَأَمَرَ رَجُلًا يُنَادِيهِمْ: أَيُّ الْقُرْآنِ أَعْظَمُ، فَأَجَابَهُ عَبْدُ اللهِ: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، قالَ: نَادِهِمْ؛ أَيُّ الْقُرْآنِ أَحْكَمُ، فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾[1]، قالَ: نَادِهِمْ: أَيُّ الْقُرْآنِ أَجْمَعُ، فَقَالَ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[2] فَقَالَ: نَادِهِمْ؛ أَيُّ الْقُرْآنِ أَحْزَنُ، فَقَالَ: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾[3]، فَقَالَ: نَادِهِمْ؛ أَيُّ الْقُرْآنِ أَرْجَى، فَقَالَ: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ﴾[4]. الآيَة، فَقَالَ: أَفِيكُمُ ابْنُ مَسْعُودٍ، قَالُوا: نَعَمْ»[5].

وَاخْتُلِفَ فِي أَرْجَى آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ عَلَى أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: آيَةُ الزُّمَرِ.

وَالثَّانِي: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى﴾[6]. وَاخْتَارَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ.

---

(1) سورة النحل، الآية: 90

(2) سورة الزلزلة، الآية: 7ـ8.

(3) سورة النساء، الآية: 123

(4) سورة الزمر، الآية: 53.

(5) أخرجه السِّلَفِي في الطيوريات: 1/ 247.

(6) سورة البقرة، الآية: 260.

الثَّالِثُ: مَا رُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّكُمْ يَا مَعْشَرَ أَهْلِ الْعِرَاقِ تَقُولُونَ: أَرْجَى آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا﴾[1]، الآية. لَكِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ نَقُولُ إِنَّ أَرْجَى آيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[2]، وَهِيَ الشَّفَاعَةُ»[3].

الرَّابِعُ: مَا رُوِيَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَشَدُّ آيَةٍ عَلَى أَهْلِ النَّارِ: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾[4]، وَأَرْجَى آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾[5]، الآية.

الْخَامِسُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾، إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ﴾[6]، وَاخْتَارَهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ.

السَّادِسُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾[7]، وَاخْتَارَهُ أَبُو عُثْمَانَ النَّهْدِيُّ[8].

---

(1) سورة الزمر، الآية: 53.

(2) سورة الضحى، الآية: 5.

(3) إحياء علوم الدين: 4/ 147.

(4) سورة النبأ، الآية: 30.

(5) سورة النساء، الآية: 48.

(6) سورة النور، الآية: 22.

(7) سورة التوبة، الآية: 102.

(8) عبد الرحمن بن مل بن عمرو بن عدي بن وهب أبو عثمان النهدي (ت. 100هـ). تاريخ بغداد: 11/ 459، وتاريخ الإسلام:2/ 1206. والطبقات الكبرى: 7/ 68.

السَّابِعُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1]، وَهَذَا عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ النَّحَّاسِ.

الثَّامِنُ: مَا رَوَاهُ أَبُو جَعْفَرٍ وَكَذَا مَكِّيٌّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾[2]، وَلَمْ يَقُلْ عَلَى إِحْسَانِهِمْ.

التَّاسِعُ: مَا رُوِيَ عَنِ الشَّافِعِيِّ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾[3]. وَعَنْهُ أَيْضًا: أَرْجَى حَدِيثٍ لِلْمُؤْمِنِ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يُدْفَعُ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ رَجُلٌ مِنَ الْكُفَّارِ فِدَاؤُهُ»[4].

الْعَاشِرُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾[5].

الْحَادِي عَشَرَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾[6].

الثَّانِي عَشَرَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾[7]. حَكَاهُ الْكَرْمَانِيُّ فِي كِتَابِ **الْعَجَائِبِ**.

---

(1) سورة الأحقاف، الآية: 35.

(2) سورة الرعد، الآية: 6.

(3) سورة البلد، الآية: 15 ـ 16.

(4) أورده السيوطي في معترك الأقران في إعجاز القرآن: 1/ 360.

(5) سورة الإسراء، الآية: 84.

(6) سورة سبأ، الآية: 17.

(7) سورة طه، الآية: 48.

الثَّالِثَ عَشَرَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾[1]. حَكَى هَذِهِ الْأَرْبَعَةَ النَّوَوِيُّ فِي **"رُؤُس الْمَسَائِلِ"**، وَالْأَخِيرُ ثَابِتٌ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الرَّابِعَ عَشَرَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾[2]. قَالَ الشِّبْلِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: إِذَا كانَ اللهُ أَذِنَ لِلْكَافِرِ بِدُخُولِ الْبَابِ إِذَا أَتَى بِالتَّوْحِيدِ وَالشَّهَادَةِ، أَفَتَرَاهُ يُخْرِجُ الدَّاخِلَ فِيهَا وَالْمُقِيمَ عَلَيْهَا.

الْخَامِسَ عَشَرَ: آيَةُ الدَّيْنِ[3]، وَوَجْهُهُ أَنَّ عِنَايَةَ اللهِ بِعِبَادِهِ إِذَا انْتَهَى إِلَى حَدِّ الْإِرْشَادِ إِلَى الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَمِنْهَا إِلَى كِتَابَةِ دُيُونِهِمْ، فَمَا ظَنُّكَ بِمُهِمَّاتِهِمُ الْأُخْرَوِيَّةِ، سِيَّمَا حِفْظُ التَّوْحِيدِ، وَغُفْرَانُ الْكَبَائِرِ وَالصَّغَائِرِ[4].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: ثَمَانِي آيَاتٍ نَزَلَتْ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ هِيَ خَيْرٌ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ أَوْ غَرَبَتْ:

أَوَّلُهُنَّ: ﴿يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ﴾[5]، الآية.

---

(1) سورة الشورى، الآية: 30.

(2) سورة الأنفال، الآية: 38.

(3) آية الدين هي: ﴿إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ﴾ سورة البقرة، الآية: 282.

(4) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 148 ـ 152.

(5) سورة النساء الآيات: 26.

وَالثَّانِيَةُ[1]: ﴿وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ﴾[2]، الآية.

وَالثَّالِثَةُ: ﴿يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾[3] الآية.

وَالرَّابِعَةُ: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾[4] الآية.

وَالْخَامِسَةُ: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾[5] الآية.

وَالسَّادِسَةُ: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾[6]، الآية.

وَالسَّابِعَةُ: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾[7]، الآية.

وَالثَّامِنَةُ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا﴾[8]، الآية.

وَاخْتُلِفَ فِي أَشَدِّ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى قِيلَ ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾[9] الآيَة، وَقِيلَ: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾[10].

---

(1) ابتداء من قوله: (والثالثة...) سقط من نسخة مراد ملا، إلى قوله: (ومن الله الوهاب التوفيق للحق والصواب)، وقد استغرق هذا السقط عدة صفحات.

(2) سورة النساء، الآية: 27.

(3) نفسها، الآية: 28.

(4) نفسها، الآية: 31.

(5) نفسها، الآية: 40.

(6) نفسها، الآية: 110.

(7) نفسها، الآية: 48.

(8) نفسها، الآية: 152. النقل من تفسير ابن كثير: 2/ 204. والإتقان في علوم القرآن: 4/ 148 ـ 153.

(9) سورة فصلت، الآية: 30.

(10) سورة النساء، الآية: 123.

وَعَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ: هُوَ ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾[1].

وَعَنْ سُفْيَانَ، هُوَ: ﴿لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[2].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ﴾[3]، الآية.

وَعَنِ الْحَسَنِ: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ﴾[4]، الآية.

وَعَنِ ابْنِ سِيرِينَ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾[5].

وَعَنْ أَبِي حَنِيفَةَ: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[6].

وَقِيلَ: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾[7].

وَعَنْ مَالِكٍ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[8]، وَتَأَوَّلَهَا بِأَهْلِ الْأَهْوَاءِ.

---

(1) سورة النبأ، الآية: 30.

(2) سورة المائدة، الآية: 68.

(3) نفسها، الآية: 63.

(4) سورة الأحزاب، الآية: 37.

(5) سورة البقرة، الآية: 8.

(6) سورة آل عمران، الآية: 131.

(7) سورة الرحمن، الآية: 31.

(8) سورة آل عمران، الآية: 106.

وَعَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[1]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾[2].

قالَ السَّعِيدِيُّ: سُورَةُ الْحَجِّ مِنْ أَعَاجِيبِ الْقُرْآنِ؛ فِيهَا الْمَكِّيُّ: وَهُوَ مِنْ رَأْسِ الثَّلَاثِينَ إِلَى آخِرِهَا، وَالْمَدَنِيُّ: وَهُوَ مِنْ رَأْسِ خَمْسَ عَشْرَةَ إِلَى رَأْسِ الثَّلَاثِينَ، وَاللَّيْلِيُّ: وَهَوَ خَمْسُ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِهَا، وَالنَّهَارِيُّ: وَهُوَ مِنْ رَأْسِ تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى رَأْسِ اثْنَتَيْ عَشَرَةَ، وَالْحَضَرِيُّ: وَهُوَ إِلَى رَأْسِ الْعِشْرِينَ، وَالسَّفَرِيُّ: وَهُوَ أَوَّلُهَا، وَالنَّاسِخُ، وَهُوَ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ﴾[3]، الآية، وَالْمَنْسُوخُ، وَهُوَ: ﴿اللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾[4]، الآية، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾[5]، الآية، نَسَخَتْهَا: ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾، الآية.

قالَ الْكَرْمَانِيُّ: ذَكَرَ الْمُفَسِّرُونَ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ﴾[6]، الآية، مِنْ أَشْكَلِ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ حُكْمًا وَمَعْنًى وَإِعْرَابًا. وَقِيلَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾[7]، الآية، جَمَعَتْ أُصُولَ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ كُلِّهَا: الْأَمْرِ، وَالنَّهْيِ، وَالْإِبَاحَةِ، وَالْخَبَرِ[8].

---

(1) سورة غافر، الآية: 4.

(2) سورة البقرة، الآية: 176.

(3) سورة الحج، الآية: 39.

(4) نفسها، الآية: 69.

(5) سورة يوسف، الآية: 109.

(6) سورة المائدة، الآية: 106.

(7) سورة الأعراف، الآية: 31.

(8) غرائب التفسير وعجائب التأويل: 1/ 339.

قَالَ الْكَرْمَانِيُّ فِي الْعَجَائِبِ: «سَمَّى اللهُ قِصَّةَ يُوسُفَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ، لِاشْتِمَالِهَا عَلَى ذِكْرِ: حَاسِدٍ وَمَحْسُودٍ، وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ، وَمَالِكٍ وَمَمْلُوكٍ، وَعَاشِقٍ وَمَعْشُوقٍ، وَحَبْسٍ وَإِطْلَاقٍ، وَسِجْنٍ وَخَلَاصٍ، وَخِصْبٍ وَجَدْبٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، مِمَّا يَعْجِزُ عَنْ بَيَانِهَا طَوْقُ الْخَلْقِ»[1].

وَعَنْ رُؤْبَةَ: مَا فِي الْقُرْآنِ أَعْرَبُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾[2].

قَالَ بَعْضُهُمْ: أَطْوَلُ السُّوَرِ الْبَقَرَةُ، وَأَقْصَرُهَا الْكَوْثَرُ، وَأَطْوَلُ الْآيِ آيَةُ الدَّيْنِ، وَأَقْصَرُهَا ﴿وَالضُّحَى﴾، ﴿وَالْفَجْرِ﴾.

وَأَطْوَلُ الْكَلِمَاتِ فِيهِ رَسْمًا ﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾[3].

وَفِي الْقُرْآنِ آيَتَانِ جَمَعَتْ كُلٌّ مِنْهُمَا حُرُوفَ الْمُعْجَمِ: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ﴾[4] الآية، ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ﴾[5]، الآية.

وَلَيْسَ فِيهِ حَاءٌ بَعْدَ حَاءٍ بِلَا حَاجِزٍ إِلَّا فِي مَوْضِعَيْنِ: ﴿عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى﴾[6]، ﴿لَا أَبْرَحُ حَتَّى﴾[7].

---

(1) غرائب التفسير وعجائب التأويل: 1/ 526.

(2) سورة الحجر، الآية: 94. والخبر ورد في تاريخ الإسلام: 3/ 861.

(3) سورة الحجر، الآية: 22.

(4) سورة آل عمران، الآية: 154.

(5) سورة الفتح، الآية: 29.

(6) سورة البقرة، الآية: 135

(7) سورة الكهف، الآية: 60.

وَلَا كَافَانِ كَذَلِكَ إِلَّا: ﴿مَنَاسِكَكُمْ﴾[1]، ﴿وَمَا سَلَكَكُمْ﴾[2].

وَلَا غَيْنَانِ كَذَلِكَ إِلَّا: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ﴾[3].

وَلَا آيَةٌ فِيهَا ثَلَاثَةٌ وَعِشْرُونَ كَافًا إِلَّا آيَةُ الدَّيْنِ.

وَلَا آيَتَانِ فِيهِمَا ثَلَاثَةَ عَشَرَ وَقْفًا إِلَّا آيَتَا الْمَوَارِيثِ.

وَلَا ثَلَاثُ آيَاتٍ فِيهَا عَشْرُ وَاوَاتٍ إِلَّا ﴿وَالْعَصْرِ﴾[4] إِلَى آخِرِهَا.

وَلَا سُورَةٌ إِحْدَى وَخَمْسُونَ آيَةً، فِيهَا اثْنَانِ وَخَمْسُونَ وَقْفًا إِلَّا سُورَةُ الرَّحْمَنِ. ذَكَرَ أَكْثَرَهَا ابْنُ خَالَوَيْهِ[5].

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْخَبَّازِيُّ[6] الْمُقْرِئُ: أَوَّلُ مَا وَرَدْتُ عَلَى السُّلْطَانِ مَحْمُودِ بْنِ مَلِكْشَاهْ، سَأَلَنِي عَنْ آيَةٍ أَوَّلُهَا غَيْنٌ، فَقُلْتُ ثَلَاثَةٌ: غَافِرُ، وَآيَتَانِ بِخُلْفٍ: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾[7]، وَ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾[8].

(1) سورة البقرة، الآية: 200.

(2) سورة المدثر، الآية: 42.

(3) سورة آل عمران، الآية: 85.

(4) سورة العصر، الآية: 1.

(5) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 156 ـ 157.

(6) محمد بن علي بن محمد بن الحسن أبو عبد الله الْخَبَّازِيُّ المُقْرِئُ، صنف في القراءات (ت. 449هـ). تاريخ الإسلام: 9/ 741. غاية النهاية في طبقات القراء: 2/ 207.

(7) سورة الروم، الآية: 2.

(8) سورة الفاتحة، الآية: 7.

قَالَ جَلَالُ الدِّينِ السُّيُوطِيُّ: نَقَلْتُ مِنْ خَطِّ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ حَجَرٍ؛ فِي الْقُرْآنِ أَرْبَعُ شَدَّاتٍ مُتَوَالِيَةٍ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿نَسِيًّا﴾، ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ﴾، ﴿فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ﴾[1]، ﴿قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾[2]، ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ﴾[3].

عِلْمُ مَعْرِفَةِ خَوَاصِّ الْقُرْآنِ

صَنَّفَ فِيهِ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ: التَّمِيمِيُّ[4]، وَحُجَّةُ الْإِسْلَامِ الْغَزَالِيُّ[5]، وَمِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ: الْيَافِعِيُّ، سَمَّاهُ: "**الدُّرُّ النَّظِيمُ فِي خَوَاصِّ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ**". وَغَايَةُ مَا يُذْكَرُ فِي ذَلِكَ كَانَ مُسْتَنَدُهُ تَجَارِبَ الصَّالِحِينَ. وَوَرَدَ فِي ذَلِكَ بَعْضٌ مِنَ الْأَحَادِيثِ أَوْرَدَهَا السُّيُوطِيُّ فِي "**الْإِتْقَانُ**"، فَارْجِعْ إِلَيْهِ.

وَهَا أَنَا أَذْكُرُ بَعْضًا مِنْهَا، وَإِنْ أَدَّى إِلَى التَّطْوِيلِ، لِيَعُمَّ النَّفْعُ عَلَى أَرْبَابِ التَّحْصِيلِ.

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: «كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ إِنَّ لِي أَخًا وَبِهِ وَجَعٌ، قَالَ: وَمَا وَجَعُهُ؟ قَالَ: بِهِ لَمَمٌ، قَالَ: فَأْتِنِي بِهِ، فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَعَوَّذَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِفَاتِحَةِ

---

(1) سورة النور، الآية: 40.

(2) سورة يس، الآية: 58.

(3) سورة الملك، الآية: 5. الإتقان في علوم القرآن: 4/ 157.

(4) عنوان الكتاب: "خَوَاصُّ الْقُرْآنِ"، للحكيم أبي عبد الله التميمي، وهو مطبوع.

(5) عنوان الكتاب: "خَوَاصُّ الْقُرْآنِ"، لأبي حامد الغزالي، وهو مطبوع.

الْكِتَابِ، وَأَرْبَعِ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَهَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾[1]، وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ وَثَلَاثِ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَآيَةٍ مِنْ آلِ عِمْرَانَ: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾[2]، وَآيَةٍ مِنَ الْأَعْرَافِ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ﴾[3]، وَآخِرِ سُورَةِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾[4]، وَآيَةٍ مِنْ سُورَةِ الْجِنِّ: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾[5]، وَعَشْرِ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ الصَّافَّاتِ، وَثَلَاثِ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْحَشْرِ، وَ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ﴾، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ، فَقَامَ الرَّجُلُ فَكَأَنَّهُ[6] لَمْ يَشْتَكِ قَطُّ»[7].

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مَوْقُوفًا: «مَنْ قَرَأَ أَرْبَعَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ، وَآيَتَيْنِ بَعْدَ آيَةِ الْكُرْسِيِّ، وَثَلَاثًا مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَمْ يَقْرَبْهُ وَلَا أَهْلَهُ يَوْمَئِذٍ شَيْطَانٌ، وَلَا شَيْءٌ يَكْرَهُهُ، وَلَا يُقْرَأْنَ عَلَى مَجْنُونٍ إِلَّا أَفَاقَ»[8].

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلِّمْنِي شَيْئًا يَنْفَعُنِي اللهُ بِهِ، قَالَ: اقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، فَإِنَّهُ يَحْفَظُكَ وَذُرِّيَّتَكَ، وَيَحْفَظُ دَارَكَ حَتَّى

(1) سورة البقرة، الآية: 163.

(2) سورة آل عمران، الآية: 18.

(3) سورة الأعراف، الآية: 54.

(4) سورة المؤمنون، الآية: 116.

(5) سورة الجن، الآية: 3.

(6) كأنه في قونية.

(7) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: 35/ 106 ـ 107، رقم:21174، والحاكم في المستدرك على الصحيحين: 4/ 458، رقم: 8269.

(8) أخرجه الدارمي في مسنده: 2/ 1074، رقم: 3586.

الدُّوَيْرَاتِ حَوْلَ دَارِكَ»[1].

وَعَنِ الْحَسَنِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي فَقَالَ: إِنَّ عِفْرِيتًا مِنَ الْجِنِّ يَكِيدُكَ، فَإِذَا آوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ»[2].

وَعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ سُبَيْعٍ ـ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ عَبْدِ اللهِ ـ قَالَ: «مَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنَ الْبَقَرَةِ عِنْدَ مَنَامِهِ، لَمْ يَنْسَ الْقُرْآنَ: أَرْبَعٌ مِنْ أَوَّلِهَا، وَآيَةُ الْكُرْسِيِّ، وَآيَتَانِ بَعْدَهَا، وَثَلَاثٌ مِنْ آخِرِهَا»[3].

وَعَنْ مُعَاذٍ أَنَّ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لَهُ: «أَلَا أُعَلِّمُكَ دُعَاءً تَدْعُو بِهِ، لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِنَ الدَّيْنِ مِثْلَ صَبِيرٍ[4] أَدَّاهُ اللهُ عَنْكَ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾، إِلَى قَوْلِهِ ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[5]، رَحْمَانَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَرَحِيمَهُمَا، تُعْطِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمَا، وَتَمْنَعُ مَنْ تَشَاءُ، ارْحَمْنِي رَحْمَةً تُغْنِينِي بِهَا عَنْ رَحْمَةِ مَنْ سِوَاكَ»[6].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «إِذَا اسْتَصْعَبَتْ دَابَّةُ أَحَدِكُمْ، أَوْ كَانَتْ شَمُوسًا[7]، فَلْيَقْرَأْ هَذِهِ الْآيَةَ فِي أُذُنِهَا: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ

---

(1) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: 2/ 44.

(2) إحياء علوم الدين: 3/ 37.

(3) أخرجه الدارمي في مسنده: 2/ 1075، رقم: 3588.

(4) صَبِيرٌ وصَبِرٌ: هو جبل باليمن، وقيل: هو جبل لطيء. لسان العرب/ صبر.

(5) سورة آل عمران، الآية: 26 ـ 27.

(6) المعجم الكبير للطبراني: 20/ 154 رقم: 323.

(7) شَمَسَ الفرس: أي منع ظهره. الصحاح: 3/ 940.

فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعـًا وَكَرْهـًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[1]»[2].

عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «سُورَةُ الْأَنْعَامِ، مَا قُرِئَتْ عَلَى عَلِيلٍ إِلَّا شَفَاهُ اللهُ».

عَنْ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالَتْ: « إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ، لَمَّا دَنَا وِلَادُهَا، أَمَرَ أُمَّ سَلَمَةَ وَزَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ أَنْ تَأْتِيَاهَا فَتَقْرَآ عِنْدَهَا آيَةَ الْكُرْسِيِّ، وَ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ﴾[3]، الآية، وَتُعَوِّذَاهَا بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ»[4].

عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: « أَمَانٌ لِأُمَّتِي مِنَ الْغَرَقِ إِذَا رَكِبُوا الْبَحْرَ أَنْ يَقُولُوا: ﴿بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[5]، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾[6] الآية»[7].

عَنْ لَيْثٍ قَالَ: «بَلَغَنِي أَنَّ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ شِفَاءٌ مِنَ السِّحْرِ، تُقْرَأُ فِي إِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ تُصَبُّ عَلَى رَأْسِ الْمَسْحُورِ: الآيَةُ الَّتِي في سُورَةِ يُونُسَ ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ﴾[8]، إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾،

(1) سورة آل عمران، الآية: 83.
(2) أخرجه البيهقي في الدعوات الكبير: 2/ 264، رقم: 615.
(3) سورة الأعراف، الآية: 54.
(4) أخرجه ابن السُّنِّي في عمل اليوم والليلة: 577، رقم: 620.
(5) سورة هود، الآية: 41.
(6) سورة الأنعام، الآية: 91.
(7) أخرجه ابن السُّنِّي في عمل اليوم والليلة: 449، رقم: 500.
(8) سورة يونس، الآية: 81.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]، إِلَى آخِرِ أَرْبَعِ آيَاتٍ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ﴾[2]، الآية»[3].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وَسَلَّمَ: «مَا كَرَبَنِي أَمْرٌ إِلَّا تَمَثَّلَ لِي جِبْرِيلُ، فَقَالَ يا مُحَمَّدُ قُلْ: ﴿وَتَوَكَّلْتُ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾[4]، وَ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾[5]، إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾»[6].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا قالَ: «هَذِهِ الْآيَةُ أَمَانٌ مِنَ السَّرَقِ: (﴿قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾»[7]. إِلَى آخِرِ السُّورَةِ.

عَنْ أَنَسٍ قالَ: «مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فِي أَهْلٍ وَلَا مَالٍ أَوْ وَلَدٍ، فَيَقُولُ: مَا شَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَيَرَى فِيهِ آفَةً دُونَ الْمَوْتِ»[8].

عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ: «مَنْ قَرَأَ آخِرَ سُورَةِ الْكَهْفِ لِسَاعَةٍ يُرِيدُ أَنْ يَقُومَهَا

---

(1) سورة الأعراف، الآية: 118.

(2) سورة طه، الآية: 69.

(3) تفسير ابن كثير: 4/ 249.

(4) سورة الفرقان، الآية: 58.

(5) سورة الإسراء، الآية: 111.

(6) المستدرك على الصحيحين للحاكم: 1/ 689 رقم: 1876. والدعوات الكبير للبيهقي: 1/ 270، رقم: 185.

(7) سورة الإسراء، الآية: 110. والحديث أخرجه البيهقي في دلائل النبوة: 7/ 121.

(8) المعجم الأوسط للطبراني: 4/ 301 رقم: 4261، والدعوات الكبير للبيهقي: 2/ 199، رقم: 566.

مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَامَهَا»(1). قَالَ عَبْدَةُ، وَهُوَ رَاوِي الْحَدِيثِ عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ: فَجَرَّبْنَاهُ فَوَجَدْنَاهُ كَذَلِكَ.

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا رَبَّهُ وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾(2)، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللهُ لَهُ»(3).

وَفِي رِوَايَةٍ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا مَكْرُوبٌ إِلَّا فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ، كَلِمَةُ أَخِي يُونُسَ: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾»(4).

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَرَأَ فِي أُذُنِ مُبْتَلًى فَأَفَاقَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا قَرَأْتَ فِي أُذُنِهِ؟ قَالَ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾(5)، إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، فَقَالَ: لَوْ أَنَّ رَجُلًا مُوقِنًا قَرَأَ بِهَا عَلَى جَبَلٍ لَزَالَ»(6).

عَنْ أَبِي ذَرٍّ: «مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ فَيُقْرَأُ عِنْدَهُ ﴿يس﴾ إِلَّا هَوَّنَ اللهُ عَلَيْهِ»(7).

---

(1) مسند الدارمي: 2/ 1080 رقم: 3609.

(2) سورة الأنبياء، الآية: 87.

(3) سنن الترمذي: 5/ 484 رقم: 3505. والمستدرك على الصحيحين: 2/ 414 رقم: 3444.

(4) معجم أبي يعلى الموصلي: 217، رقم: 263. وعمل اليوم والليلة لابن السني: 304، رقم: 343.

(5) سورة المؤمنون، الآية: 115.

(6) عمل اليوم والليلة لابن السني: 585، رقم: 631.

(7) أخرجه أبو نعيم في تاريخ أصبهان: 1/ 229.

أَخْرَجَ ابْنُ الضَّرِيسِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: «أَنَّهُ قَرَأَ عَلَى رَجُلٍ مَجْنُونٍ سُورَةَ ﴿يس﴾ فَبَرَئَ».

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ: «مَنْ وَجَدَ فِي قَلْبِهِ قَسْوَةً فَلْيَكْتُبْ ﴿يس﴾ فِي جَامٍ بِزَعْفَرَانٍ ثُمَّ يَشْرَبُهُ»[1].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ: «مَنْ جَعَلَ يَس أَمَامَ حَاجَةٍ قُضِيَتْ لَهُ»[2].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «مَنْ قَرَأَ الدُّخَانَ كُلَّهَا وَأَوَّلَ غَافِرٍ إِلَى: ﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾، وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ حِينَ يُمْسِي حُفِظَ بِهَا حَتَّى يُصْبِحَ، وَمَنْ قَرَأَهَا حِينَ يُصْبِحُ حُفِظَ بِهَا حَتَّى يُمْسِيَ»[3].

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا: «مَنْ قَرَأَ كُلَّ لَيْلَةٍ سُورَةَ الْوَاقِعَةِ لَمْ تُصِبْهُ فَاقَةٌ أَبَدًا»[4].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَوْقُوفًا، «فِي الْمَرْأَةِ يَعْسُرُ عَلَيْهَا وِلَادُهَا، قَالَ: تُكْتَبُ فِي قِرْطَاسٍ، ثُمَّ تُسْقَى: بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَلِيمُ[5] الْكَرِيمُ، سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَى رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾[6]، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ

---

(1) المستدرك على الصحيحين للحاكم: 2/ 465، رقم: 3603. وشعب الإيمان: 2/ 482، رقم: 2468.

(2) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور للبقاعي: 2/ 401.

(3) سنن الترمذي: 5/ 8، رقم: 2879.

(4) جامع الأصول في أحاديث الرسول: 8/ 481، رقم: 6257. والترغيب والترهيب: 2/ 294.

(5) الحكيم، في قونية ورئيس الكتاب.

(6) سورة النازعات، الآية: 46.

مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1]»[2].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «إِذَا وَجَدْتَ فِي نَفْسِكَ شَيْئًا ـ يَعْنِي الْوَسْوَسَةَ ـ فَقُلْ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[3]»[4].

عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «لَدَغَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَقْرَبٌ، فَدَعَا بِمَاءٍ وَمِلْحٍ، وَجَعَلَ يَمْسَحُ عَلَيْهَا وَيَقْرَأُ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾[5]، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾[6]، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾»[7].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ مِنَ الْجَانِّ وَعَيْنِ الْإِنْسَانِ، حَتَّى نَزَلَتْ الْمُعَوِّذَاتُ، فَأَخَذَ بِهَا[8] وَتَرَكَ مَا سِوَاهَا»[9].

قَالَ السُّيُوطِيُّ: هَذِهِ الْأَحَادِيثُ فِي بَابِ الْخَوَاصِّ مِمَّا وَقَفْتُ عَلَيْهِ، وَلَمْ تَصِلْ إِلَى حَدِّ الْوَضْعِ، وَبَعْضُهَا مَوْقُوفَاتٌ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ. وَأَمَّا مَا

---

(1) سورة الأحقاف، الآية: 35.

(2) أخرجه البيهقي في الدعوات الكبير: 2/ 198، رقم: 565. واليافعي في مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: 3/ 155.

(3) سورة الحديد، الآية: 3.

(4) سنن أبي داود: 4/ 439، رقم: 5110.

(5) سورة الكافرون، الآية: 1.

(6) سورة الفلق، الآية: 1.

(7) المعجم الأوسط: 6/ 90، رقم: 5890.

(8) فأخذها، في قونية.

(9) سنن الترمذي: 3/ 576، رقم: 2058.

لَمْ يَرِدْ بِهِ أَثَرٌ، فَقَدْ ذَكَرَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ كَثِيرًا جِدًّا، وَاللهُ أَعْلَمُ بِصِحَّتِهِ.

وَمِنْ لَطِيفِهِ مَا حَكَاهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ، عَنِ ابْنِ نَاصِرٍ، عَنْ أَشْيَاخِهِ، عَنْ مَيْمُونَةَ بِنْتِ شَاقُولَ الْبَغْدَادِيَّةِ، قَالَتْ: «آذَانَا جَارٌ لَنَا، فَصَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ، وَقَرَأْتُ آيَةً مِنْ فَاتِحَةِ كُلِّ سُورَةٍ، حَتَّى خَتَمْتُ الْقُرْآنَ، وَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اكْفِنَا أَمْرَهُ، ثُمَّ نِمْتُ، وَفَتَحْتُ عَيْنِي، وَإِذَا بِهِ وَقْتَ السَّحَرِ قَدْ نَزَلَ فَزَلَّتْ قَدَمُهُ، فَسَقَطَ فَمَاتَ»[1].

فَائِدَةٌ

قَالَ ابْنُ التِّينِ[2]: الرُّقَى بِالْمُعَوِّذَاتِ وَغَيْرِهَا مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ هُوَ الطِّبُّ الرُّوحَانِيُّ، إِذَا كَانَ عَلَى لِسَانِ الْأَبْرَارِ مِنَ الْخَلْقِ حَصَلَ الشِّفَاءُ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى، فَلَمَّا عَزَّ هَذَا النَّوْعُ فَزِعَ النَّاسُ إِلَى الطِّبِّ الْجِسْمَانِيِّ[3]. وَيُشِيرُ إِلَى هَذَا قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ أَنَّ رَجُلًا مُوقِنًا قَرَأَ بِهَا عَلَى جَبَلٍ لَزَالَ»[4].

أَجَازَ الْقُرْطُبِيُّ الرُّقْيَةَ بِكَلَامِ اللهِ وَأَسْمَائِهِ، قَالَ: فَإِنْ كَانَ مَأْثُورًا اسْتُحِبَّ.

---

(1) البرهان في علوم القرآن: 1/ 436.

(2) ابن التين عبد الواحد بن عمر الصَّفاقسي، أبو محمد، التونسي المحدث الراوية المفسر (ت. 611هـ). شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: 528.

(3) الجثماني، في قونية وأنطاليا.

(4) أخرجه ابن أبي يعلى في مسنده: 7/ 223، والسيوطي في الجامع الكبير: 7/ 51. وابن قاضي خان في كنز العمال: 1/ 589.

قالَ الرَّبِيعُ: «سَأَلْتُ الشَّافِعِيَّ عَنِ الرُّقْيَةِ، فَقَالَ: لَا بَأْسَ أَنْ يُرْقَى بِكِتَابِ اللهِ، وَبِمَا يُعْرَفُ مِنْ ذِكْرِ اللهِ»[1].

قالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَمُجَاهِدٌ وَأَبُو قِلَابَةَ وَالْأَوْزَاعِيُّ: لَا بَأْسَ بِكَتْبِ الْقُرْآنِ فِي إِنَاءٍ، ثُمَّ غَسْلِهِ وَسَقْيِهِ الْمَرِيضَ. وَكَرِهَهُ النَّخَعِيُّ.

قالَ الْقَاضِي حُسَيْنٌ وَالْبَغَوِيُّ وَغَيْرُهُمَا: «لَوْ كُتِبَ قُرْآنٌ عَلَى حَلْوَى وَطَعَامٍ، فَلَا بَأْسَ بِأَكْلِهِ»[2]. انْتَهَى.

وَنَقَلَ الزَّرْكَشِيُّ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ ابْتِلَاعُ وَرَقَةٍ فِيهَا آيَةٌ، لَكِنْ أَفْتَى ابْنُ عَبْدِ السَّلَامِ بِالْمَنْعِ مِنَ الشُّرْبِ أَيْضًا، لِأَنَّهُ تُلَاقِيهِ نَجَاسَةُ الْبَاطِنِ.

قالَ السُّيُوطِيُّ: وَفِيهِ نَظَرٌ[3].

عِلْمُ مَعْرِفَةِ مَرْسُومِ الْخَطِّ وَآدَابِ كِتَابَتِهِ

وَهَذَا الْعِلْمُ قَدْ يَقَعُ مِنْ فُرُوعِ عِلْمِ الْقِرَاءَةِ أَيْضًا، وَقَدْ فَصَّلْنَاهُ هُنَاكَ، فَلَا نُعِيدُهُ، إِذِ التَّكْرَارُ مِمَّا يُعَابُ عِنْدَ أُولِي الْأَلْبَابِ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ.

---

(1) كتابُ الْأُمِّ للشافعي: 7/ 241. السنن الكبرى: 9/ 587.

(2) المجموع شرح المهذب للنووي: 2/ 70.

(3) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 158 ـ 166.

عِلْمُ مَعْرِفَةِ تَفْسِيرِهِ وَتَأْوِيلِهِ وَبَيَانِ شَرَفِهِ وَالْحَاجَةِ إِلَيْهِ

وَفِيهِ مَطَالِبُ:

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ: فِي التَّفْسِيرِ وَالتَّأْوِيلِ

وَاعْلَمْ أَنَّ التَّفْسِيرَ "تَفْعِيلٌ" مِنَ الْفَسْرِ؛ وَهُوَ الْبَيَانُ وَالْكَشْفُ. وَيُقَالُ: هُوَ مَقْلُوبٌ مِنَ السَّفَرِ، تَقُولُ: أَسْفَرَ الصُّبْحُ إِذَا أَضَاءَ. وَقِيلَ مَأْخُوذٌ مِنَ التَّفْسِرَةِ، وَهِيَ اسْمٌ لِمَا يَعْرِفُ بِهِ الطَّبِيبُ الْمَرَضَ.

وَالتَّأْوِيلُ أَصْلُهُ مِنَ الْأَوْلِ وَهُوَ الرُّجُوعُ، فَكَأَنَّهُ صَرَفَ الْآيَةَ إِلَى مَا تَحْتَمِلُهُ مِنَ الْمَعَانِي. وَقِيلَ: مِنَ الْإِيَالَةِ؛ وَهِيَ السِّيَاسَةُ، كَأَنَّ الْمُؤَوِّلَ لِلْكَلَامِ سَاسَ الْكَلَامَ، وَوَضَعَ الْمَعْنَى فِيهِ مَوْضِعَهُ.

وَاخْتُلِفَ فِي التَّفْسِيرِ وَالتَّأْوِيلِ. فَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ وَطَائِفَةٌ: «هُمَا بِمَعْنًى. وَقَدْ أَنْكَرَ ذَلِكَ قَوْمٌ، حَتَّى بَالَغَ ابْنُ حَبِيبٍ النَّيْسَابُورِيُّ، فَقَالَ: قَدْ نَبَغَ فِي زَمَانِنَا مُفَسِّرُونَ، لَوْ سُئِلُوا عَنِ الْفَرْقِ بَيْنَ التَّفْسِيرِ وَالتَّأْوِيلِ مَا اهْتَدَوْا إِلَيْهِ»[1].

وَقَالَ الرَّاغِبُ: التَّفْسِيرُ أَعَمُّ مِنَ التَّأْوِيلِ، وَأَكْثَرُ اسْتِعْمَالِهِ فِي الْأَلْفَاظِ وَمُفْرَدَاتِهَا وَأَكْثَرُ اسْتِعْمَالِ التَّأْوِيلِ فِي الْمَعَانِي وَالْجُمَلِ، وَأَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ فِي الْكُتُبِ الْإِلَهِيَّةِ. وَالتَّفْسِيرُ يُسْتَعْمَلُ فِيهَا وَفِي غَيْرِهَا.

---

(1) البرهان في علوم القرآن: 2/ 152.

وَقالَ غَيْرُهُ: التَّفْسِيرُ بَيَانُ لَفْظٍ لَا يَحْتَمِلُ إِلَّا وَجْهًا وَاحِدًا، وَالتَّأْوِيلُ تَوْجِيهُ لَفْظٍ مُتَوَجِّهٍ إِلَى مَعَانٍ مُخْتَلِفَةٍ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهَا بِمَا ظَهَرَ مِنَ الْأَدِلَّةِ[1].

وَقَالَ الْمَاتُرِيدِيُّ: «التَّفْسِيرُ الْقَطْعُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ اللَّفْظِ هَذَا، وَالشَّهَادَةُ عَلَى اللهِ أَنَّهُ عَنَى بِاللَّفْظِ هَذَا، فَإِنْ قَامَ دَلِيلٌ مَقْطُوعٌ بِهِ فَصَحِيحٌ، وَإِلَّا فَتَفْسِيرٌ بِالرَّأْيِ، وَهُوَ الْمَنْهِيُّ عَنْهُ، وَالتَّأْوِيلُ تَرْجِيحُ أَحَدِ الْمُحْتَمَلَاتِ بِدُونِ الْقَطْعِ وَالشَّهَادَةِ عَلَى اللهِ»[2].

وَقالَ أَبُو طَالِبٍ الثَّعْلَبِيُّ: «التَّفْسِيرُ بَيَانُ وَضْعِ اللَّفْظِ، إِمَّا حَقِيقَةً أَوْ مَجَازًا، كَتَفْسِيرِ الصِّرَاطِ بِالطَّرِيقِ، وَالْغَيْثِ بِالْمَطَرِ، وَالتَّأْوِيلُ تَفْسِيرُ بَاطِنِ اللَّفْظِ مَأْخُوذٌ مِنَ الْأَوْلِ، وَهُوَ الرُّجُوعُ لِعَاقِبَةِ الْأَمْرِ. فَالتَّأْوِيلُ إِخْبَارٌ عَنْ حَقِيقَةِ الْمُرَادِ، وَالتَّفْسِيرُ إِخْبَارٌ عَنْ دَلِيلِ الْمُرَادِ، لِأَنَّ اللَّفْظَ يَكْشِفُ عَنِ الْمُرَادِ، وَالْكَاشِفُ دَلِيلٌ، مِثَالُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾[3]، تَفْسِيرُهُ: أَنَّهُ مِنَ الرَّصْدِ، يُقَالُ: رَصَدْتُهُ رَقَبْتُهُ، وَالْمِرْصَادُ مِفْعَالٌ مِنْهُ، وَتَأْوِيلُهُ: التَّحْذِيرُ مِنَ التَّهَاوُنِ بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى، وَالْغَفْلَةِ عَنِ الْأُهْبَةِ وَالِاسْتِعْدَادِ لِلْعَرْضِ عَلَيْهِ، وَقَوَاطِعُ الْأَدِلَّةِ تَقْتَضِي بَيَانَ الْمُرَادِ مِنْهُ، عَلَى خِلَافِ وَضْعِ اللَّفْظِ فِي اللُّغَةِ»[4].

---

(1) معجم الفروق اللغوية: 130.

(2) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): 1/ 185.

(3) سورة الفجر، الآية: 14.

(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن: 1/ 45.

قالَ الْأَصْبَهَانِيُّ في تَفْسِيرِهِ: «اعْلَمْ أَنَّ التَّفْسِيرَ فِي عُرْفِ الْعُلَمَاءِ كَشْفُ مَعَانِي الْقُرْآنِ، وَبَيَانُ الْمُرَادِ أَعَمُّ مِنْ أَنْ يَكُونَ بِحَسَبِ اللَّفْظِ الْمُشْكِلِ وَغَيْرِهِ، وَبِحَسَبِ الْمَعْنَى الظَّاهِرِ وَغَيْرِهِ، وَالتَّأْوِيلُ أَكْثَرُ[1] فِي الْجُمَلِ. وَالتَّفْسِيرُ إِمَّا أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِي غَرِيبِ الْأَلْفَاظِ، نَحْوَ: الْبَحِيرَةِ، وَالسَّائِبَةِ، وَالْوَصِيلَةِ، أَوْ فِي وَجِيزٍ يَتَبَيَّنُ بِشَرْحٍ، نَحْوَ ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾، وَإِمَّا فِي كَلَامٍ مُتَضَمِّنٍ لِقِصَّةٍ لَا يُمْكِنُ تَصْوِيرُهُ إِلَّا بِمَعْرِفَتِهَا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾[2]، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾[3].

وَأَمَّا التَّأْوِيلُ، فَإِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ مَرَّةً عَامًّا وَمَرَّةً خَاصًّا، نَحْوَ: الْكُفْرِ الْمُسْتَعْمَلِ تَارَةً فِي الْجُحُودِ الْمُطْلَقِ، وَتَارَةً فِي جُحُودِ الْبَارِئِ خَاصَّةً، وَالْإِيمَانِ الْمُسْتَعْمَلِ فِي التَّصْدِيقِ الْمُطْلَقِ تَارَةً، وفي تَصْدِيقِ الْحَقِّ أُخْرَى. وَإِمَّا في لَفْظٍ مُشْتَرَكٍ بَيْنَ مَعَانٍ مُخْتَلِفَةٍ، نَحْوَ: لَفْظِ "وَجَدَ" الْمُسْتَعْمَلِ في الْجِدَّةِ، وَالْوَجْدِ، وَالْوُجُودِ»[4].

وقالَ غَيْرُهُ: يَتَعَلَّقُ التَّفْسِيرُ بِالرِّوَايَةِ، وَالتَّأْوِيلُ بِالدِّرَايَةِ.

وَقالَ أَبُو نَصْرٍ الْقُشَيْرِيُّ: وَالتَّفْسِيرُ مَقْصُورٌ عَلَى الاتِّبَاعِ وَالسَّمَاعِ وَالِاسْتِنْبَاطِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالتَّأْوِيلِ.

---

(1) أكثره، في أنطاليا.

(2) سورة التوبة، الآية: 37.

(3) سورة البقرة، الآية: 189.

(4) تفسير الراغب الأصبهاني: 1/ 11.

وقالَ قَوْمٌ: «مَا وَقعَ مُبَيَّنًا فِي كِتَابِ اللهِ، وَمُعَيَّنًا في صَحِيحِ السُّنَّةِ، سُمِّيَ تَفْسِيرًا، لِأَنَّ مَعْنَاهُ قَدْ ظَهَرَ وَوَضَحَ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَعَرَّضَ إِلَيْهِ بِاجْتِهَادٍ وَلَا غَيْرِهِ، بَلْ يَحْمِلُهُ عَلَى الْمَعْنَى الَّذِي وَرَدَ لَا يَتَعَدَّاهُ. وَالتَّأْوِيلُ مَا اسْتَنْبَطَهُ الْعُلَمَاءُ الْعَالِمُونَ بِمَعْنَى الْخِطَابِ، الْمَاهِرُونَ فِي آلَاتِ الْعُلُومِ»[1].

وقالَ قَوْمٌ مِنْهُمْ الْبَغَوِيُّ وَالْكَوَاشِيُّ: «التَّأْوِيلُ صَرْفُ الْآيَةِ إِلَى مَعْنَى مُوَافِقٍ لِمَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا، تَحْتَمِلُهُ الْآيَةُ، غَيْرِ مُخَالِفٍ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ طَرِيقِ الِاسْتِنْبَاطِ»[2].

وقالَ بَعْضُهُمْ: التَّفْسِيرُ فِي الِاصْطِلَاحِ، عِلْمُ نُزُولِ الْآيَاتِ وَشُؤُونِهَا وَأَقَاصِيصِهَا وَالْأَسْبَابِ النَّازِلَةِ فِيهَا، ثُمَّ تَرْتِيبِ مَكِّيِّهَا وَمَدَنِيِّهَا وَمُحْكَمِهَا وَنَاسِخِهَا وَخَاصِّهَا وَمُطْلَقِهَا وَمُجْمَلِهَا وَحَلَالِهَا وَوَعْدِهَا وَوَعِيدِهَا، وَأَمْرِهَا وَنَهْيِهَا، وَمُقَابلَاتِ هَذِهِ وَغَيْرِهَا وَأَمْثَالِهَا.

قالَ أَبُو حَيَّانَ: «عِلْمُ التَّفْسِيرِ عِلْمٌ يُبْحَثُ فِيهِ عَنْ كَيْفِيَّةِ النُّطْقِ بِأَلْفَاظِ الْقُرْآنِ وَمَدْلُولَاتِهَا، وَأَحْكَامِهَا الْإِفْرَادِيَّةِ وَالتَّرْكِيبِيَّةِ، وَمَعَانِيهَا الَّتِي تُحْمَلُ عَلَيْهَا حَالَةُ التَّرْكِيبِ، وَتِتِمَّاتٍ لِذَلِكَ. قَالَ: فَقَوْلُنَا: "عِلْمٌ" هُوَ جِنْسٌ، وَقَوْلُنَا: "يُبْحَثُ فِيهِ عَنْ كَيْفِيَّةِ النُّطْقِ بِأَلْفَاظِ الْقُرْآنِ": هُوَ عِلْمُ الْقِرَاءَةِ. وَقَوْلُنَا: "وَمَدْلُولَاتِهَا"، أَيْ مَدْلُولَاتِ تِلْكَ الْأَلْفَاظِ، وَهَذَا مَتْنُ عِلْمِ اللُّغَةِ

(1) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 194.

(2) البرهان في علوم القرآن: 2/ 150.

الَّذِي يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي هَذا الْعِلْمِ. وَقَوْلُنَا: "وَأَحْكَامِهَا الإِفْرَادِيَّةِ وَالتَّرْكِيبِيَّةِ"، هذَا يَشْتَمِلُ عِلْمَ التَّصْرِيفِ وَالْبَيَانِ وَالْبَدِيعِ، وَقَوْلُنَا: "وَمَعَانِيهَا، الَّتِي تُحْمَلُ عَلَيْهَا حَالَةُ التَّرْكِيبِ"، يَشْتَمِلُ مَا دَلَالَتُهُ بِالْحَقِيقَةِ، وَمَا دَلَالَتُهُ بِالْمَجَازِ، فَإِنَّ التَّرْكِيبَ قَدْ يَقْتَضِي بِظَاهِرِهِ شَيْئًا، وَيَصُدُّ عَنِ الْحَمْلِ عَلَيْهِ صَادٌّ، فَيُحْمَلُ عَلَى غَيْرِهِ وَهُوَ الْمَجَازُ، وَقَوْلُنَا: "وَتَتِمَّاتٍ لِذَلِكَ" هُوَ مِثْلَ مَعْرِفَةِ النَّسْخِ، وَسَبَبِ النُّزُولِ، وَقِصَّةٍ تُوَضِّحُ بَعْضَ مَا أُبْهِمَ فِي الْقُرْآنِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ»(1).

وَقالَ الزَّرْكَشِيُّ: «التَّفْسِيرُ عِلْمٌ يُفْهَمُ بِهِ كِتَابُ اللهِ الْمُنَزَّلُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبَيَانُ مَعَانِيهِ، وَاسْتِخْرَاجُ أَحْكَامِهِ وَحِكَمِهِ، وَاسْتِمْدَادُ ذَلِكَ مِنْ عِلْمِ اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَالتَّصْرِيفِ وَعِلْمِ الْبَيَانِ وَأُصُولِ الْفِقْهِ وَالْقِرَاءَاتِ، وَيَحْتَاجُ لِمَعْرِفَةِ أَسْبَابِ النُّزُولِ وَالنَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ»(2).

الْمَطْلَبُ الثَّانِي: فِي وَجْهِ الْحَاجَةِ إِلَى عِلْمِ التَّفْسِيرِ

اِعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مَنْ وَضَعَ مِنَ الْبَشَرِ كِتَابًا، وَضَعَهُ لِيُفْهَمَ بِذَاتِهِ مِنْ غَيْرِ شَرْحٍ، وَإِنَّمَا احْتِيجَ إِلَى الشَّرْحِ لِأَحَدِ أُمُورٍ ثَلَاثَةٍ:

أَحَدُهَا: كَمَالُ فَضِيلَةِ الْمُصَنِّفِ، فَإِنَّهُ لِقُوَّةِ عِلْمِهِ رُبَّمَا يَجْمَعُ الْمَعَانِيَ الدَّقِيقَةَ فِي اللَّفْظِ الْوَجِيزِ، فَرُبَّمَا عَسُرَ فَهْمُ مُرَادِهِ، فَيُشْرَحُ بِعِبَارَاتٍ وَاضِحَةٍ،

(1) البحر المحيط في التفسير: 1/ 26.

(2) البرهان في علوم القرآن: 1/ 13. والإتقان في علوم القرآن: 195.

وَمِنْ هَاهُنَا كانَ شَرْحُ الْمُصَنِّفِينَ كَلَامَهُمْ، لِأَنَّ شَرْحَهُمْ أَدَلُّ عَلَى مُرَادِهِمْ مِنْ غَيْرِهِمْ.

وَثَانِيهَا: إِغْفَالُهُ بَعْضَ تَتِمَّاتِ الْمَسْأَلَةِ، أَوْ شُرُوطٍ لَهَا اعْتِمَادًا عَلَى وُضُوحِهَا، أَوْ لِأَنَّهَا مِنْ عِلْمٍ آخَرَ، فَيَحْتَاجُ الشَّارِحُ إِلَى بَيَانِهِ.

وَثَالِثُهَا: احْتِمَالُ اللَّفْظِ لِمَعَانٍ؛ كَالْمَجَازِ، وَالِاشْتِرَاكِ، وَدَلَالَةِ الِالْتِزَامِ، فَيَحْتَاجُ الشَّارِحُ إِلَى بَيَانِ غَرَضِ الْمُصَنِّفِ وَتَرْجِيحِهِ، وَقَدْ يَقَعُ فِي التَّصَانِيفِ مَا لَا يَخْلُو عَنْهُ بَشَرٌ مِنَ السَّهْوِ وَالْغَلَطِ، أَوْ تَكْرَارِ الشَّيْءِ، أَوْ حَذْفِهِ، فَيَحْتَاجُ الشَّارِحُ إِلَى التَّنْبِيهِ عَلَى ذَلِكَ.

إِذَا تَقَرَّرَ هَذَا، فَنَقُولُ: إِنَّ الْقُرْآنَ إِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ فِي زَمَنِ أَفْصَحِ الْعَرَبِ، وَكَانُوا يَعْلَمُونَ ظَوَاهِرَهُ وَأَحْكَامَهُ دُونَ بَوَاطِنِهِ، لِأَنَّهَا تَظْهَرُ لَهُمْ أَيْضًا بَعْدَ الْبَحْثِ وَالنَّظَرِ، مَعَ سُؤَالِهِمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْأَكْثَرِ، كَسُؤَالِهِمْ لَمَّا نَزَلَ ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾[1]، أَيْ أَنَّهُ لَمْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، فَفَسَّرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالشِّرْكِ، وَاسْتَدَلَّ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[2]. وَكَسُؤَالِ عَائِشَةَ عَنِ الْحِسَابِ الْيَسِيرِ، فقَالَ: "ذَلِكَ الْعَرْضُ". وَكَقِصَّةِ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ فِي الْخَيْطِ الْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، مِمَّا سَأَلُوا عَنْ

(1) سورة الأنعام، الآية: 82.

(2) سورة لقمان، الآية: 13.

آحَادٍ مِنْهُ. وَنَحْنُ مُحْتَاجُونَ إِلَى مَا كَانُوا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ[1] مِنْ أَحْكَامِ الظَّوَاهِرِ، لِقُصُورِنَا عَنْ مَدَارِكِ أَحْكَامِ اللُّغَةِ بِغَيْرِ تَعَلُّمٍ، فَنَحْنُ أَشَدُّ النَّاسِ احْتِيَاجًا إِلَى التَّفْسِيرِ. وَمَعْلُومٌ أَنَّ بَعْضَهُ مِنْ قَبِيلِ بَسْطِ الْأَلْفَاظِ الْوَجِيزَةِ، وَكَشْفِ مَعَانِيهَا، وَبَعْضَهُ مِنْ قَبِيلِ تَرْجِيحِ بَعْضِ الِاحْتِمَالَاتِ عَلَى بَعْضٍ.

قَالَ الْخُوَيِّيُّ: عِلْمُ التَّفْسِيرِ عَسِيرٌ يَسِيرٌ، أَمَّا عُسْرُهُ فَظَاهِرٌ مِنْ وُجُوهٍ، أَظْهَرُهَا أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ سَمَاعُ الْمُرَادِ مِنْ مُتَكَلِّمِهِ، أَوْ مِمَّنْ سَمِعَ مِنْهُ، فَتَعَيَّنَ طَرِيق الْعِلْمِ فِي السَّمَاعِ مِنَ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذَلِكَ فِي آيَاتٍ قَلَائِلَ، فطرِيقُ الْعِلْمِ بِالْمُرَادِ يُسْتَنْبَطُ بِأَمَارَاتٍ وَدَلَائِلَ، وَإِنَّمَا لَمْ يَأْمُرِ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ بِالتَّنْصِيصِ عَلَى الْمُرَادِ فِي الْكُلِّ، لِيَتَفَكَّرَ عِبَادُهُ فِي كِتَابِهِ»[2].

الْمَطْلَبُ الثَّالِثُ: فِي شَرَفِ عِلْمِ التَّفْسِيرِ

وَلَا يَخْفَى شَرَفُهُ عَلَى مَنْ نَظَرَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[3].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ﴾، قَالَ: «الْمَعْرِفَة بِالْقُرْآنِ».

---

(1) في الإتقان: 4/ 196: (وزيادة على ذلك مما لم يحتاجوا إليه).

(2) البرهان في علوم القرآن: 1/ 15. الإتقان في علوم القرآن: 4/ 195-196

(3) سورة البقرة، الآية: 269.

وَعَنْهُ أَيْضًا مَوْقُوفًا: يَعْنِي تَفْسِيرَهُ، فَإِنَّهُ قَدْ قَرَأَهُ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ.

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قالَ: قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ وَالْفِكْرَةُ فيهِ. وَكَذَا عَنْ مُجَاهِدٍ وَأَبِي الْعَالِيَةِ وَقَتَادَةَ[1].

وَقالَ تَعَالَى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[2].

عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، قَالَ: «مَا مَرَرْتُ بِآيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ لَا أَعْرِفُهَا إِلَّا أَحْزَنَتْنِي، لِأَنِّي سَمِعْتُ اللهَ يَقُولُ: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾»[3].

وَلَا حَاجَةَ إِلَى التَّطْوِيلِ وَالْإِكْثَارِ فِيمَا وَرَدَ فِيهِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْآثَارِ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يَخْفَى عَلَى أُولِي الْأَبْصَارِ.

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ الْعُلَمَاءَ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ التَّفْسِيرَ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَاتِ، وَأَجَلِّ الْعُلُومِ الثَّلَاثَةِ الشَّرْعِيَّةِ.

قالَ بَعْضُهُمْ: أَشْرَفُ صِنَاعَةٍ يَتَعَاطَاهَا الْإِنْسَانُ مَعْرِفَةُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، لِأَنَّ شَرَفَ الصِّنَاعَةِ إِمَّا بِشَرَفِ مَوْضُوعِهَا؛ كَالصِّيَاغَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الدِّبَاغَةِ، إِذِ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ أَشْرَفُ مِنَ جِلْدِ الْمَيْتَةِ، وَإِمَّا بِشَرَفِ غَرَضِهَا؛ كَالطِّبِّ

---

(1) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي: 2/ 533.

(2) سورة العنكبوت، الآية: 43.

(3) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي: 9/ 3064. والإتقان في علوم القرآن: 4/ 192 ـ 198.

بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْكُنَاسَةِ، لِأَنَّ غَرَضَ الطِّبِّ إِفَادَةُ صِحَّةِ الْأَبْدَانِ لِلْإِنْسَانِ، وَغَرَضَ الثَّانِي تَنْظِيفُ الْمُسْتَرَاحِ، وَإِمَّا لِشِدَّةِ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا؛ كَالْفِقْهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الطِّبِّ، فَإِنَّ الْفِقْهَ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الدِّينِ وَفِي الدُّنْيَا، فِي كُلِّ النَّاسِ وَفِي كُلِّ الْأَوْقَاتِ، وَالطِّبَّ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الدُّنْيَا، وَفِي بَعْضِ النَّاسِ، وَفِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ.

إِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ، فَصِنَاعَةُ التَّفْسِيرِ قَدْ حَازَتِ الشَّرَفَ مِنَ الْجِهَاتِ الثَّلَاثِ، لِأَنَّ مَوْضُوعَهُ كَلَامُ اللهِ، الَّذِي هُوَ يَنْبُوعُ كُلِّ حِكْمَةٍ، وَمَعْدِنُ كُلِّ فَضِيلَةٍ[1].

فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، لَا يَخْلَقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَأَيْضًا الْغَرَضُ مِنْهُ الِاعْتِصَامُ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى، وَالْوُصُولُ إِلَى السَّعَادَةِ الْحَقِيقِيَّةِ الَّتِي لَا تَفْنَى، وَأَيْضًا كُلُّ كَمَالٍ دِينِيٍّ أَوْ دُنْيَوِيٍّ، عَاجِلِيٍّ أَوْ آجِلِيٍّ مُفْتَقِرٌ إِلَى الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ، وَالْمَعَارِفِ الدِّينِيَّةِ، وَهِيَ مُتَوَقِّفَةٌ عَلَى الْعِلْمِ بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى[2].

---

(1) تفسير الراغب الأصبهاني: 1/ 36.

(2) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 197 - 199.

عِلْمُ مَعْرِفَةِ شُرُوطِ الْمُفَسِّرِ وَآدَابِهِ

وَمِمَّا يَجِبُ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ مَا أُجْمِلَ فِي مَوْضِعٍ مِنَ الْقُرْآنِ، يَطْلُبُهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، إِذْ رُبَّمَا يُفَسِّرُهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، وَكَذَا مَا اخْتُصِرَ في مَكَانٍ، رُبَّمَا يَبْسُطُهُ فِي مَكَانٍ آخَرَ.

وَأَلَّفَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ كِتَابًا[1] ذَكَرَ فِيهِ مَا أُجْمِلَ فِي الْقُرْآنِ فِي مَوْضِعٍ، وَفُسِّرَ في مَوْضِعٍ آخَرَ، فَإِنْ أَعْيَاهُ ذَلِكَ، طَلَبَهُ مِنَ السُّنَّةِ، فَإِنَّهَا شَارِحَةٌ لِلْقُرْآنِ وَمُوَضِّحَةٌ لَهُ.

قالَ الشَّافِعِيُّ: «كُلُّ مَا حَكَمَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ مِمَّا فَهِمَهُ مِنَ الْقُرْآنِ»[2].

وَقالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»[3]. يَعْنِي السُّنَّةَ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْهُ فِي السُّنَّةِ، رَجَعَ إِلَى أَقْوَالِ الصَّحَابَةِ، فَإِنَّهُمْ أَدْرَى بِذَلِكَ، لِمَا شَاهَدُوهُ مِنَ الْقَرَائِنِ وَالْأَحْوَالِ عِنْدَ نُزُولِهِ، وَلِمَا اخْتَصُّوا بِهِ مِنَ الْفَهْمِ التَّامِّ، وَالْعِلْمِ الصَّحِيحِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

---

(1) يقصد كتاب: **"نَوَاسِخُ الْقُرْآنِ"**، لأبي الفرج ابن الجوزي. وهو مطبوع.

(2) الكشف والبيان عن تفسير القرآن: 1/ 162، ومقدمة في أصول التفسير: 39.

(3) مسند أحمد: 28/ 410، رقم: 17173. سنن أبي داود: 4/ 200 رقم: 4604.

وَقَدْ قَالَ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ: إِنَّ تَفْسِيرَ الصَّحَابِيِّ الَّذِي شَهِدَ الْوَحْيَ وَالتَّنْزِيلَ[1] لَهُ حُكْمُ الْمَرْفُوعِ[2].

وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو طَالِبٍ الطَّبَرِيُّ فِي أَوَائِلِ تَفْسِيرِهِ: «الْقَوْلُ فِي أَدَوَاتِ الْمُفَسِّرِ؛ اعْلَمْ أَنَّ مِنْ شَرْطِهِ صِحَّةَ الِاعْتِقَادِ أَوَّلًا، وَلُزُومَ سُنَّةِ الدِّينِ، فَإِنْ كَانَ مَغْمُوصًا[3] عَلَيْهِ فِي دِينِهِ لَا يُؤْتَمَنُ عَلَى الدُّنْيَا، فَكَيْفَ عَلَى الدِّينِ، ثُمَّ لَا يُؤْتَمَنُ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى الْإِخْبَارِ عَنْ عَالِمٍ، فَكَيْفَ يُؤْتَمَنُ فِي الْإِخْبَارِ عَنْ أَسْرَارِ اللهِ، وَلِأَنَّهُ لَا يُؤْمَنُ إِنْ كَانَ مُتَّهَمًا بِالْإِلْحَادِ أَنْ يَبْغِيَ الْفِتْنَةَ، وَيَغُرَّ النَّاسَ بِلَيِّهِ[4] وَخِدَاعِهِ؛ كَدَأْبِ الْبَاطِنِيَّةِ وَغُلَاةِ الرَّافِضَةِ، وَإِنْ كَانَ مُتَّهَمًا بِهَوًى لَمْ يُؤْمَنْ أَنْ يَحْمِلَهُ هَوَاهُ عَلَى مَا يُوَافِقُ بِدْعَتَهُ، كَدَأْبِ الْقَدَرِيَّةِ، فَإِنَّ أَحَدَهُمْ يُصَنِّفُ الْكِتَابَ فِي التَّفْسِيرِ، وَمَقْصُودُهُ مِنْهُ الْإِيضَاعُ خِلَالَ الْمَسَاكِينِ، لِيَصُدَّهُمْ عَنِ اتِّبَاعِ السَّلَفِ وَلُزُومِ طَرِيقِ الْهُدَى، وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ اعْتِمَادُهُ عَلَى النَّقْلِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَنْ أَصْحَابِهِ، وَمَنْ عَاصَرَهُمْ، وَيَتَجَنَّبَ الْمُحْدَثَاتِ، وَإِذَا تَعَارَضَتْ أَقْوَالُهُمْ، وَأَمْكَنَ الْجَمْعُ بَيْنَهَا فَعَلَ، فَيَأْخُذُ مِنْهَا مَا يَدْخُلُ فِيهِ الْجَمِيعُ[5]، فَلَا تَنَافِيَ بَيْنَ الْقُرْآنِ وَطَرِيقِ الْأَنْبِيَاءِ، فَطَرِيقُ السُّنَّةِ، وَطَرِيقُ النَّبِيِّ

---

(1) المستدرك على الصحيحين: 2/ 283، رقم: 3021. وفيه: (تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل حديث مسند).

(2) الفروعُ؛ في النسخ الخطية، والصواب (المرفوع) أثبتناه من الإتقان في علوم القرآن: 4/ 200.

(3) مغموصا: من غَمَصَهُ يَغْمِصُهُ، حَقَّرَهُ واستصغره ولم يره. اللسان/ غمص.

(4) فيه، في قونية.

(5) الجمع، في قونية.

[مُحَمَّدٍ][1] صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَطَرِيقُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فَأَيُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ إِنْ أَفْرَدَهُ كَانَ مُحْسِنًا، وَإِنْ تَعَارَضَتْ رَدَّ الْأَمْرَ إِلَى مَا ثَبَتَ فِيهِ السَّمْعُ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ سَمْعًا، وَكَانَ لِلِاسْتِدْلَالِ طَرِيقٌ إِلَى تَقْوِيَةِ أَحَدِهَا، رَجَّحَ بِأَقْوَى الِاسْتِدْلَالِ فِيهِ، كَاخْتِلَافِهِمْ فِي مَعْنَى حُرُوفِ الْهِجَاءِ، يُرَجِّحُ قَوْلَ مَنْ قَالَ: إِنَّهَا قَسَمٌ، وَإِنْ تَعَارَضَتِ الْأَدِلَّةُ فِي الْمُرَادِ، عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ اشْتَبَهَ عَلَيْهِ، فَيُؤْمِنُ بِمُرَادِ اللهِ مِنْهَا، وَلَا يَتَهَجَّمُ عَلَى تَعْيِينِهِ، وَيُنْزِلُهُ مَنْزِلَةَ الْمُجْمَلِ قَبْلَ تَفْصِيلِهِ، وَالْمُتَشَابِهِ قَبْلَ تَبْيِينِهِ. وَمِنْ شَرْطِهِ صِحَّةُ الْمَقْصِدِ فِيمَا يَقُولُ، لِيَلْقَى التَّسْدِيدَ، فَقَدْ قَالَ تَعَالَى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[2]، وَإِنَّمَا يَخْلُصُ لَهُ الْقَصْدُ إِذَا زَهِدَ فِي الدُّنْيَا، لِأَنَّهُ إِذَا رَغِبَ فِيهَا لَمْ يُؤْمَنْ أَنْ يَتَوَسَّلَ بِهِ إِلَى غَرَضٍ يَصُدُّهُ عَنْ صَوَابِ قَصْدِهِ، وَيُفْسِدُ عَلَيْهِ صِحَّةَ عَمَلِهِ. وَتَمَامُ هَذِهِ الشَّرَائِطِ أَنْ يَكُونَ مُمْتَلِئًا مِنْ عُدَّةِ الْإِعْرَابِ، لا يَلْتَبِسُ عَلَيْهِ اخْتِلَافُ وُجُوهِ الْكَلَامِ، فَإِنَّهُ إِذَا خَرَجَ بِالْبَيَانِ عَنْ وَضْعِ اللِّسَانِ إِمَّا حَقِيقَةً أَوْ مَجَازًا، فَتَأْوِيلُهُ تَعْطِيلُهُ، وَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَهُمْ يُفَسِّرُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾[3]، فِي أَنَّهُ مُلَازَمَةُ قَوْلِ "اللهُ"، وَلَمْ يَدْرِ الْغَبِيُّ أَنَّ هَذِهِ جُمْلَةٌ حُذِفَ مِنْهَا الْخَبَرُ، وَالتَّقْدِيرُ: "اللهُ أَنْزَلَهُ"»[4]. انْتَهَى كَلَامُ أَبِي طَالِبٍ.

---

(1) زيادة من الأزهرية.

(2) سورة العنكبوت، الآية: 69.

(3) سورة الأنعام، الآية: 91.

(4) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 200ـ202.

وَاعْلَمْ أَنَّ الِاخْتِلَافَ فِي التَّفْسِيرِ عَلَى نَوْعَيْنِ: مِنْهُ مَا مُسْتَنَدُهُ النَّقْلُ فَقَطْ، وَمِنْهُ مَا يُعْلَمُ بِغَيْرِ ذَلِكَ، وَالْمَنْقُولُ إِمَّا عَنِ الْمَعْصُومِ أَوْ غَيْرِهِ، وَمِنْهُ مَا يُمْكِنُ مَعْرِفَةُ الصَّحِيحِ مِنْهُ مِنْ غَيْرِهِ، وَمِنْهُ مَا لَا يُمْكِنُ ذَلِكَ. وَهَذَا الْقِسْمُ الَّذِي لَا يُمْكِنُ مَعْرِفَةُ صَحِيحِهِ مِنْ ضَعِيفِهِ عَامَّتُهُ فِيمَا لَا فَائِدَةَ [فِيهِ][1]، وَلَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى مَعْرِفَتِهِ، كَاخْتِلَافِهِمْ فِي لَوْنِ كَلْبِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ وَاسْمِهِ، وَفِي قَدْرِ سَفِينَةِ نُوحٍ وَخَشَبِهَا، وَفِي اسْمِ الْغُلَامِ الَّذِي قَتَلَهُ الْخَضِرُ، وَنَحْوِ ذَلِكَ. فَهَذِهِ الْأُمُورُ طَرِيقُ الْعِلْمِ بِهَا النَّقْلُ، فَمَا كَانَ مِنْهُ مَنْقُولًا نَقْلًا صَحِيحًا عَنِ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُبِلَ، وَمَا لَا، بِأَنْ نُقِلَ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ كَكَعْبٍ وَوَهْبٍ، وَقَفَ عَنْ تَصْدِيقِهِ وَتَكْذِيبِهِ، وَكَذَا مَا نُقِلَ عَنْ بَعْضِ التَّابِعِينَ، وَإِنْ لَمْ يَذْكُرْ أَنَّهُ أَخَذَهُ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَمَتَى اخْتَلَفَ التَّابِعُونَ، لَمْ يَكُنْ بَعْضُ أَقْوَالِهِمْ حُجَّةً عَلَى بَعْضٍ، وَمَا نُقِلَ فِي ذَلِكَ عَنِ الصَّحَابَةِ نَقْلًا صَحِيحًا، فَالنَّفْسُ إِلَيْهِ أَسْكَنُ مِمَّا يُنْقَلُ عَنِ التَّابِعِينَ، وَلِأَنَّ احْتِمَالَ أَنْ يَكُونَ سَمِعَهُ مِنَ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ مِنْهُ أَقْوَى، وَلِأَنَّ نَقْلَ الصَّحَابَةِ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَقَلُّ مِنْ نَقْلِ التَّابِعِينَ، وَمَعَ جَزْمِ الصَّحَابِيِّ بِمَا يَقُولُهُ، كَيْفَ يُقَالُ إِنَّهُ أَخَذَهُ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَدْ نُهُوا عَنْ تَصْدِيقِهِمْ.

وَأَمَّا الْقِسْمُ الَّذِي يُمْكِنُ مَعْرِفَةُ الصَّحِيحِ مِنْهُ، فَهَذَا مَوْجُودٌ كَثِيرًا وَللهِ الْحَمْدُ. وَأَمَّا مَا يُعْلَمُ بِالِاسْتِدْلَالِ لَا بِالنَّقْلِ، فَهَذَا أَكْثَرُ مَا فِيهِ الْخَطَأُ مِنْ جِهَتَيْنِ، حَدَثَتَا

---

(1) سقطت من أنطاليا.

بَعْدَ تَفْسِيرِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ بِإِحْسَانٍ. فَإِنَّ التَّفَاسِيرَ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَلَامُ هَؤُلَاءِ صِرْفًا لَا يَكَادُ يُوجَدُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ هَاتَيْنِ الْجِهَتَيْنِ، مِثْلَ تَفْسِيرِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، وَالْفِرْيَابِيِّ[1] وَوَكِيعٍ، وَحُمَيْدٍ، وَإِسْحَاقَ، وَأَمْثَالِهِمْ.

أَحَدُهَا: قَوْمٌ اعْتَقَدُوا مَعَانِيَ، ثُمَّ أَرَادُوا حَمْلَ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ عَلَيْهَا.

وَالثَّانِي: قَوْمٌ فَسَّرُوا الْقُرْآنَ بِمُجَرَّدِ مَا يَسُوغُ أَنْ يُرِيدَهُ مَنْ كَانَ مِنَ النَّاطِقِينَ بِلُغَةِ الْعَرَبِ، مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ إِلَى الْمُتَكَلِّمِ بِالْقُرْآنِ، وَالْمُنَزَّلِ عَلَيْهِ، وَالْمُخَاطَبِ بِهِ، فَالْأَوَّلُونَ رَاعَوُا الْمَعْنَى الَّذِي رَأَوْهُ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ إِلَى مَا تَسْتَحِقُّهُ أَلْفَاظُ الْقُرْآنِ مِنَ الدَّلَالَةِ وَالْبَيَانِ، وَالْآخَرُونَ رَاعَوْا مُجَرَّدَ اللَّفْظِ، وَمَا يَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِهِ الْعَرَبِيِّ، مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ إِلَى مَا يَصْلُحُ لِلْمُتَكَلِّمِ وَسِيَاقِ الْكَلَامِ، ثُمَّ هَؤُلَاءِ كَثِيرًا مَا يَغْلَطُونَ فِي احْتِمَالِ اللَّفْظِ لِذَلِكَ الْمَعْنَى فِي اللُّغَةِ، كَمَا يَغْلَطُ فِي ذَلِكَ الَّذِينَ قَبْلَهُمْ. كَمَا أَنَّ الْأَوَّلِينَ كَثِيرًا مَا يَغْلَطُونَ فِي صِحَّةِ الْمَعْنَى الَّذِي فَسَّرُوا بِهِ الْقُرْآنَ، كَمَا يَغْلَطُ فِي ذَلِكَ الْآخَرُونَ، وَإِنْ كَانَ نَظَرُ الْأَوَّلِينَ إِلَى الْمَعْنَى أَسْبَقَ، وَنَظَرُ الْآخَرِينَ إِلَى اللَّفْظِ أَسْبَقَ، وَالْأَوَّلُونَ صِنْفَانِ، تَارَةً يَسْلُبُونَ لَفْظَ الْقُرْآنِ عَلَى مَا دَلَّ عَلَيْهِ، وَأُرِيدَ بِهِ، وَتَارَةً يَحْمِلُونَهُ عَلَى مَا لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهِ، وَلَمْ يُرَدْ بِهِ. وَفِي كِلَا الْأَمْرَيْنِ قَدْ يَكُونُ مَا قَصَدُوا نَفْيَهُ وَإِثْبَاتَهُ مِنَ الْمَعْنَى بَاطِلًا، فَيَكُونُ خَطَأُهُمْ فِي الدَّلِيلِ وَالْمَدْلُولِ، وَقَدْ يَكُونُ حَقًّا، فَيَكُونُ

---

(1) أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المُسْتَفَاضِ الفِرْيَابِي الواعظ المصنف (ت. 301 هـ) حرفت نسبته إلى "الغرياني"، له كتاب: **"فضائل القرآن"** الكتاب مطبوع. الأنساب: 9/ 291، وتاريخ الإسلام: 23/ 60.

خَطَأُهُمْ فِيهِ فِي الدَّلِيلِ لَا فِي الْمَدْلُولِ. فَالَّذِينَ أَخْطَأُوا فِيهِمَا مِثْلَ طَوَائِفَ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ، اعْتَقَدُوا مَذَاهِبَ بَاطِلَةً، وَعَمَدُوا إِلَى الْقُرْآنِ فَتَأَوَّلُوهُ عَلَى رَأْيِهِمْ، وَلَيْسَ لَهُمْ سَلَفٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَا فِي رَأْيِهِمْ وَلَا فِي تَفْسِيرِهِمْ. وَقَدْ صَنَّفُوا تَفَاسِيرَ عَلَى أُصُولِ مَذْهَبِهِمْ، مِثْلَ تَفْسِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَيْسَانَ الْأَصَمِّ[1]، وَالْجُبَّائِيِّ[2]، وَعَبْدِ الْجَبَّارِ[3]، وَالرُّمَّانِيِّ، وَالزَّمَخْشَرِيِّ وَأَمْثَالِهِمْ[4].

وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يَكُونُ حَسَنَ الْعِبَارَةِ يَدُسُّ الْبِدَعَ فِي كَلَامِهِ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ؛ كَصَاحِبِ **الْكَشَّافِ** وَنَحْوِهِ، حَتَّى إِنَّهُ يَرُوجُ عَلَى خَلْقٍ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ كَثِيرٌ مِنْ تَفَاسِيرِهِمُ الْبَاطِلَةِ، حَتَّى قَالَ تَاجُ الدِّينِ السُّبْكِيُّ: «وَاعْلَمْ أَنَّ **الْكَشَّافَ** كِتَابٌ عَظِيمٌ فِي بَابِهِ، وَمُصَنِّفَهُ إِمَامٌ فِي فَنِّهِ، إِلَّا أَنَّهُ رَجُلٌ مُبْتَدِعٌ، مُتَجَاهِرٌ بِبِدْعَتِهِ، يَضَعُ مِنْ قَدْرِ النُّبُوَّةِ كَثِيرًا، وَيُسِيءُ أَدَبَهُ عَلَى أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ. وَالْوَاجِبُ كَشْطُ مَا فِي كِتَابِهِ **الكَشَّاف** مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، إِلَّا أَنَّ الْأَعَاجِمَ يَدْرُسُونَهَا فِي هَذَا الزَّمَانِ، فَيَجِبُ مَنْعُ مَنْ لا يَرْسَخُ فِي الشَّرِيعَةِ وَالسُّنَّةِ قَدَمُهُ عَنْهَا»[5]. واللهُ أعلمُ.

---

(1) "**تَفْسِيرُ أَبِي بَكْرٍ الْأَصَمِّ**"، لأبي بكر عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَيْسَانَ الْأَصَمِّ (ت. نحو 255هـ). وهو مطبوع.

(2) "**تَفْسِيرُ أَبِي عَلِيٍّ الْجُبَّائِي**"، لأبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي (ت. 303 هـ). وهو مطبوع.

(3) "**تَفْسِيرُ الْقَاضِي عَبْدِ الْجَبَّارِ**"، للقاضي أبي الحسن عبد الجبار المعتزلي.

(4) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: 20 ـ 23.

(5) معيد النعم ومبيد النقم: 66.

وَأَمَّا **تَفْسِيرُ ابْنِ عَطِيَّةَ** وَأَمْثَالِهِ، أَتْبَعُ لِلسُّنَّةِ، وَأَسْلَمُ مِنَ الْبِدْعَةِ، وَلَوْ ذَكَرَ كَلَامَ السَّلَفِ الْمَأْثُورَ عَنْهُمْ عَلَى وَجْهِهِ، لَكانَ أَحْسَنَ، فَإِنَّهُ كَثِيرًا مَا يَنْقُلُ مِنْ **تَفْسِيرِ ابْنِ جَرِيرٍ الطَّبَرِيِّ** - وَهُوَ مِنْ أَجَلِّ التَّفَاسِيرِ وَأَعْظَمِهَا قَدْرًا - ثُمَّ إِنَّهُ يَدَعُ مَا يَنْقُلُهُ ابْنُ جَرِيرٍ عَنِ السَّلَفِ، وَيَذْكُرُ مَا يَزْعُمُ أَنَّهُ قَوْلُ الْمُحَقِّقِينَ، وَإِنَّمَا يَعْنِي بِهِمْ طَائِفَةً مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ، الَّذِينَ قَرَّرُوا أُصُولَهُمْ بِطُرُقٍ مِنْ جِنْسِ مَا قَرَّرَتْ بِهِ الْمُعْتَزِلَةُ أُصُولَهُمْ، وَإِنْ كَانُوا أَقْرَبَ إِلَى السُّنَّةِ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ، لَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يُعْطَى كُلُّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَإِنَّ الصَّحَابَةَ وَالتَّابِعِينَ وَالْأَئِمَّةَ، إِذَا كَانَ لَهُمْ فِي الْآيَةِ تَفْسِيرٌ، وَجَاءَ قَوْمٌ فَسَّرُوا الْآيَةَ بِقَوْلٍ آخَرَ، لِأَجْلِ مَذْهَبٍ اعْتَقَدُوهُ، وَذَلِكَ الْمَذْهَبُ لَيْسَ مِنْ مَذَاهِبِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، صَارَ مُشَارِكًا لِلْمُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ فِي مِثْلِ هَذَا.

وَفِي الْجُمْلَةِ، مَنْ عَدَلَ عَنْ مَذْهَبِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَفْسِيرِهِمْ إِلَى مَا يُخَالِفُ ذَلِكَ، كانَ مُخْطِئًا فِي ذَلِكَ، بَلْ مُبْتَدِعًا؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَعْلَمَ بِتَفْسِيرِهِ وَمَعَانِيهِ، كَمَا أَنَّهُمْ أَعْلَمُ بِالْحَقِّ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ رَسُولَهُ.

وَأَمَّا الَّذِينَ أَخْطَأُوا فِي الدَّلِيلِ لا الْمَدْلُولِ، فَمِثْلُ كَثِيرٍ مِنَ الصُّوفِيَّةِ وَالْوُعَّاظِ وَالْفُقَهَاءِ، يُفَسِّرُونَ الْقُرْآنَ بِمَعَانٍ صَحِيحَةٍ فِي نَفْسِهَا، لَكِنَّ الْقُرْآنَ

لَا يَدُلُّ عَلَيْهَا، مِثْلَ كَثِيرٍ مِمَّا ذَكَرَهُ السُّلَمِيُّ فِي **الْحَقَائِقِ**[1]. فَإِنْ كانَ فِيمَا ذَكَرُوهُ مَعَانٍ بَاطِلَةٌ دَخَلَ فِي الْقِسْمِ الْأَوَّلِ[2]. انْتَهَى كَلَامُ ابْنِ تَيْمِيَّةَ مُلَخَّصًا.

قَالَ السُّيُوطِيُّ بَعْدَ نَقْلِ كَلَامِهِ عَلَى النَّمَطِ الْمَذْكُورِ: «وَهُوَ نَفِيسٌ جِدًّا»[3].

قُلْتُ: لَقَدْ حَجَّرَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ الْوَاسِعَ، حَيْثُ قَصَرَ التَّفْسِيرَ فِي النَّقْلِ، وَبَدَّعَ مَا سِوَى ذَلِكَ، مِثْلَ **تَفْسِيرِ الْإِمَامِ فَخْرِ الدِّينِ الرَّازِيِّ**، حَيْثُ فَسَّرَ عَلَى قَوَاعِدِ الْمَعْقُولِ، وَمِثْلَ **تَفْسِيرِ السُّلَمِيِّ**، حَيْثُ فَسَّرَ عَلَى قَوَاعِدِ أَرْبَابِ الْقُلُوبِ. وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّ الْقُرْآنَ لَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَإِنَّ لَهُ ظَهْرًا وَبَطْنًا وَمَطْلَعًا.

قَالَ الزَّرْكَشِيُّ فِي **الْبُرْهَانِ**: «لِلنَّاظِرِ فِي الْقُرْآنِ لِلتَّفْسِيرِ مَآخِذُ كَثِيرَةٌ، أُمَّهَاتُهَا أَرْبَعَةٌ:

الْأَوَّلُ: النَّقْلُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهَذَا هُوَ الطِّرَازُ الْأَوَّلُ. لَكِنْ يَجِبُ الْحَذَرُ مِنَ الضَّعِيفِ مِنْهُ وَالْمَوْضُوعِ فَإِنَّهُ كَثِيرٌ. وَلِهَذَا قَالَ أَحْمَدُ: ثَلَاثَةُ كُتُبٍ لَا أَصْلَ لَهَا: الْمَغَازِي وَالْمَلَاحِمُ وَالتَّفْسِيرُ.

قَالَ الْمُحَقِّقُونَ مِنْ أَصْحَابِهِ: مُرَادُهُ أَنَّ الْغَالِبَ أَنَّهُ لَيْسَ لَهَا أَسَانِيدُ صِحَاحٌ مُتَّصِلَةٌ، وَإِلَّا فَقَدْ صَحَّ مِنْ ذَلِكَ كَثِيرٌ، كَتَفْسِيرِ الظُّلْمِ بِالشِّرْكِ فِي آيَةِ الْأَنْعَامِ،

---

(1) **"الحقائق في التفسير"**، لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي النيسابوري (ت. 412هـ). الكتاب مطبوع.

(2) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: 37-39.

(3) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 207.

وَالْحِسَابِ الْيَسِيرِ بِالْعَرْضِ، وَالْقُوَّةِ بِالرَّمْيِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾[1].

الثَّانِي: الْأَخْذُ بِقَوْلِ الصَّحَابِيِّ، فَإِنَّ تَفْسِيرَهُ عِنْدَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْمَرْفُوعِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليْهِ وَسَلَّمَ. وَأَمَّا فِي قَوْلِ التَّابِعِيِّ قَوْلَانِ: الْأَصَحُّ قَبُولُهُ؛ لِأَنَّ غَالِبَهُ تَلَقَّوْهُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَمَا يُنْقَلُ عَنْهُمْ، فَإِمَّا اخْتِلَافُ عِبَارَةٍ، إِذْ يُخْبِرُ بَعْضُهُمْ عَنِ الشَّيْءِ بِلَازِمِهِ وَنَظِيرِهِ، وَالْآخَرُ بِمَقْصُودِهِ وَثَمَرَتِهِ، وَإِنْ لَمْ يُمْكِنِ الْجَمْعُ، فَإِنْ كَانَا عَنْ شَخْصٍ وَاحِدٍ فَالْمُتَأَخِّرُ مِنْهُمَا مُقَدَّمٌ، إِنِ اسْتَوَيَا فِي الصِّحَّةِ، وَإِلَّا فَالصَّحِيحُ هُوَ الْمُقَدَّمُ.

الثَّالِثُ: الْأَخْذُ بِمُطْلَقِ اللُّغَةِ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ، إِلَّا أَنْ يُخَالِفَ الظَّاهِرَ، بِأَنْ يَدُلَّ عَلَيْهَا الْقَلِيلُ مِنْ لُغَةِ الْعَرَبِ، وَيَكُونُ الْمُتَبَادِرُ خِلَافَهَا.

الرَّابِعُ: التَّفْسِيرُ بِالْمُقْتَضَى مِنْ مَعْنَى الْكَلَامِ، وَالْمُقْتَضَبِ مِنْ قُوَّةِ الشَّرْعِ؛ وَهَذَا هُوَ الَّذِي دَعَا بِهِ النَّبِيُّ صلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِابْنِ عَبَّاسٍ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ»، وَالَّذِي عَنَاهُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: «إِلَّا فَهْمًا يُؤْتَاهُ الرَّجُلُ فِي الْقُرْآنِ». وَمِنْ هَاهُنَا اخْتَلَفَ الصَّحَابَةُ فِي مَعْنَى الْآيَةِ، فَأَخَذَ كُلٌّ بِرَأْيِهِ عَلَى مُنْتَهَى نَظَرِهِ.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ بِالرَّأْيِ وَالِاجْتِهَادِ مِنْ غَيْرِ أَصْلٍ، قَالَ

---

(1) سورة الأنفال، الآية: 60.

تَعَالَى ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[1]، وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[2].

وقالَ النَّبِيُّ صلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ فَسَّرَ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ، فَقَدْ أَخْطَأَ»[3].

وَقالَ: «مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[4].

ثُمَّ قالُوا: الَّذِي مَنَعَ مِنْهُ الرَّأْيَ، الَّذِي يَغْلِبُ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ قَامَ عَلَيْهِ، وَأَمَّا الَّذِي يَشُدُّهُ بُرْهَانٌ فَالْقَوْلُ بِهِ جَائِزٌ. وَأَيْضًا الْمَعْنَى؛ فَقَدْ أَخْطَأَ حَيْثُ لَمْ يُرَاجِعْ أَخْبَارَ الصَّحَابَةِ فِي مَعْرِفَةِ سَبَبِ نُزُولِهِ، وَنَاسِخِهِ وَمَنْسُوخِهِ، وَلَمْ يُرَاجِعْ نَقْلَ اللُّغَةِ فِي تَفْسِيرِ أَلْفَاظِهِ.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ مَنْ قَالَ فِيهِ بِرَأْيِهِ، مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ مِنْهُ بِأُصُولِ الْعِلْمِ وَفُرُوعِهِ، فَتَكُونُ مُوَافَقَتُهُ لِلصَّوَابِ - إِنْ وَافَقَهُ - مِنْ حَيْثُ لَا يَعْرِفُهُ غَيْرَ مَحْمُودَةٍ[5].

قَالَ الْمَاوَرْدِيُّ: «قَدْ حَمَلَ بَعْضُ الْمُتَوَرِّعَةِ هذا الْحَدِيثَ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَامْتَنَعَ مِنْ أَنْ يَسْتَنْبِطَ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ بِاجْتِهَادِهِ، وَلَوْ صَحِبَهَا الشَّوَاهِدُ، وَلَمْ

---

(1) سورة الإسراء، الآية: 36.

(2) سورة البقرة، الآية: 169.

(3) سنن أبي داود: 3/ 320 رقم: 3652، وسنن الترمذي: 5/ 66، رقم: 2952.

(4) مسند أحمد: 3/ 496، رقم: 2068، وسنن الترمذي: 5/ 65، رقم: 2950. الخبر في البرهان في علوم القرآن: 2/ 156 - 162.

(5) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 209 - 210.

يُعَارِضْ شَوَاهِدَهَا نَصٌّ صَرِيحٌ، وَهَذَا عُدُولٌ عَمَّا تُعُبِّدْنَا بِمَعْرِفَتِهِ مِنَ النَّظَرِ فِي الْقُرْآنِ، فَيَنْسَدُّ بَابُ الِاسْتِنْبَاطِ. وَالْحَدِيثُ إِنْ[1] صَحَّ، فَمَعْنَاهُ: مَنْ تَكَلَّمَ فِي الْقُرْآنِ بِمُجَرَّدِ رَأْيِهِ، وَلَمْ يُعَرِّجْ عَلَى مَا سِوَى لَفْظِهِ وَأَصَابَ الْحَقَّ، فَقَدْ أَخْطَأَ الطَّرِيقَ، وَإِنَّمَا إِصَابَتُهُ اتِّفَاقٌ لَا عِبْرَةَ بِهَا، مِثْلَ تَأْوِيلٍ يُخَالِفُ الشَّرْعَ؛ كَتَأْوِيلِ الْجَاهِلِينَ، مِثْلَ تَأْوِيلِ الرَّوَافِضِ ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾[2]، أَنَّهُ عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ، ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾[3]، يَعْنِي الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا»[4].

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ الْقَوْمَ اخْتَلَفُوا، فَقَالَ قَوْمٌ: لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَعَاطَى تَفْسِيرَ شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ وَإِنْ كَانَ عَالِمًا أَدِيبًا، مُتَّسِعًا فِي مَعْرِفَةِ الْأَدِلَّةِ وَالْفِقْهِ وَالنَّحْوِ وَالْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ، وَلَيْسَ لَهُ إِلَّا أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى مَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ.

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: يَجُوزُ تَفْسِيرُهُ لِمَنْ كَانَ جَامِعًا لِلْعُلُومِ الَّتِي يَحْتَاجُ الْمُفَسِّرُ إِلَيْهَا، وَهِيَ خَمْسَةَ عَشَرَ عِلْمًا:

---

(1) وإن، في قونية.

(2) سورة الرحمان، الآية: 19.

(3) نفسها، الآية: 22.

(4) النص بتصرف في تفسير الماوردي المسمى: النكت والعيون: 1/ 34.

أَحَدُهَا: **اللُّغَةُ**، قال مُجاهِدٌ، لا يَحِلُّ لِأَحَدٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي كِتَابِ اللهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَالِمًا بِلُغَاتِ الْقُرْآنِ، وَلَا يَكْتَفِي بِالْيَسِيرِ مِنْهَا، إِذِ اللَّفْظُ رُبَّمَا يَكُونُ مُشْتَرَكًا، فَيَغْفُلُ عَنْ أَحَدِ الْمَعْنَيَيْنِ، وَالْمُرَادُ ذَلِكَ.

وَثَانِيهَا: **النَّحْوُ**، لِأَنَّ الْمَعْنَى يَتَغَيَّرُ وَيَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْإِعْرَابِ. عَنِ الْحَسَنِ، أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الرَّجُلِ يَتَعَلَّمُ الْعَرَبِيَّةَ يَلْتَمِسُ بِهَا حُسْنَ الْمَنْطِقِ، وَيُقِيمُ[1] بِهَا قِرَاءَتَهُ، فَقَالَ: حَسَنٌ، فَتَعَلَّمْهَا فَإِنَّ الرَّجُلَ يَقْرَأُ الْآيَةَ، فَيَعْيَى بِوَجْهِهَا، فَيَهْلِكُ فِيهَا.

وَثَالِثُهَا: **التَّصْرِيفُ**، لِأَنَّ بِهِ تُعْرَفُ الْأَبْنِيَةُ وَالصِّيَغُ. قَالَ ابْنُ فَارِسٍ: وَمَنْ فَاتَهُ عِلْمُهُ، فَاتَهُ الْمُعْظَمُ، إِذْ كَمْ مِنْ كَلِمَةٍ مُبْهَمَةٍ اتَّضَحَتْ بِمَصَادِرِهَا، كَمَا قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: «وَمِنْ بِدَعِ التَّفَاسِيرِ، قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْإِمَامَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾[2]، جَمْعُ "أُمٍّ"، وَأَنَّ النَّاسَ يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأُمَّهَاتِهِمْ دُونَ آبَائِهِمْ. قَالَ: وَهَذَا غَلَطٌ أَوْجَبَهُ جَهْلُهُ بِالتَّصْرِيفِ، فَإِنَّ "أُمًّا" لَا تُجْمَعُ عَلَى "إِمَامٍ"»[3].

وَرَابِعُهَا: الِاشْتِقَاقُ، لِأَنَّ الِاسْمَ إِذَا اشْتُقَّ مِنْ مَادَّتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ، اخْتَلَفَ الْمَعْنَى بِاخْتِلَافِهِمَا؛ كَالْمَسِيحِ هَلْ هُوَ مِنَ السِّيَاحَةِ أَوِ الْمَسْحِ.

---

(1) ويفهم، في قونية.

(2) سورة الإسراء، الآية: 71.

(3) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 2/ 682.

وَخَامِسُهَا وَسَادِسُهَا وَسَابِعُهَا: الْمَعَانِي وَالْبَيَانُ وَالْبَدِيعُ، لِأَنَّهُ يَعْرِفُ بِالْأَوَّلِ تَوْفِيَةَ خَوَاصِّ تَرَاكِيبِ الْكَلَامِ حَقَّهَا مِنَ الْمَقَامِ، وَبِالثَّانِي مِنْ حَيْثُ تَفَاوُتُهَا بِحَسَبِ زِيَادَةِ وُضُوحِ الدَّلَالَةِ وَنُقْصَانِهَا، وَبِالثَّالِثِ وُجُوهَ تَحْسِينِ الْكَلَامِ. وَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ هِيَ عُلُومُ الْبَلَاغَةِ الَّتِي هِيَ مِنْ أَعْظَمِ أَرْكَانِ الْمُفَسِّرِ.

قَالَ السَّكَّاكِيُّ: «فَالْوَيْلُ كُلُّ الْوَيْلِ لِمَنْ تَعَاطَى التَّفْسِيرَ وَهُوَ فِيهِمَا رَاجِلٌ»[1]، أَرَادَ الْمَعَانِيَ وَالْبَيَانَ. وَأَمَّا الْبَدِيعُ فَمِنْ جِهَاتِ الْحُسْنِ.

قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: «مِنْ حَقِّ مُفَسِّرِ كِتَابِ اللهِ الْبَاهِرِ وَكَلَامِهِ الْمُعْجِزِ، أَنْ يَتَعَاهَدَ بَقَاءَ النَّظْمِ عَلَى حُسْنِهِ، وَالْبَلَاغَةَ عَلَى كَمَالِهَا، وَمَا وَقَعَ بِهِ التَّحَدِّي سَلِيمًا مِنَ الْقَادِحِ»[2].

وَقَالَ غَيْرُهُ: «مَعْرِفَةُ هَذِهِ الصِّنَاعَةِ بِأَوْضَاعِهَا، هِيَ عُمْدَةُ التَّفْسِيرِ الْمُطْلِعِ عَلَى عَجَائِبِ كِتَابِ اللهِ، وَهِيَ قَاعِدَةُ الْفَصَاحَةِ، وَوَاسِطَةُ عِقْدِ الْبَلَاغَةِ»[3].

وَثَامِنُهَا: عِلْمُ الْقِرَاءَاتِ، إِذْ بِهِ يَتَرَجَّحُ بَعْضُ الْوُجُوهِ الْمُحْتَمَلَةِ عَلَى بَعْضٍ.

وَتَاسِعُهَا: أُصُولُ الدِّينِ، إِذْ فِي الْقُرْآنِ مَا لَا يَجُوزُ ظَاهِرُهُ فِي حَقِّهِ تَعَالَى، فَالْأُصُولِيُّ يُؤَوِّلُهُ، وَيَسْتَدِلُّ عَلَى مَا يَسْتَحِيلُ، وَمَا يَجِبُ، وَمَا يَجُوزُ.

---

(1) مفتاح العلوم: 162.

(2) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 1/ 68.

(3) البرهان في علوم القرآن: 1/ 312.

وَعَاشِرُهَا: أُصُولُ الْفِقْهِ، إِذْ بِهِ يُعْرَفُ وَجْهُ اسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ.

وَالْحَادِي عَشَرَ مِنْهَا: أَسْبَابُ النُّزُولِ، إِذْ لَا يُطَّلَعُ عَلَى حَقِيقَةِ الْمَعْنَى إِلَّا بِهَا.

وَالثَّانِيَ عَشَرَ مِنْهَا: النَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ، لِيُعْلَمَ الْمُحْكَمُ مِنْ غَيْرِهِ.

وَالثَّالِثَ عَشَرَ: الْفِقْهُ.

وَالرَّابِعَ عَشَرَ: الْأَحَادِيثُ الْمُبَيِّنَةُ لِتَفْسِيرِ الْمُجْمَلِ وَالْمُبْهَمِ.

وَالْخَامِسَ عَشَرَ: عِلْمُ الْمَوْهِبَةِ، وَهُوَ عِلْمٌ يُورِثُهُ اللهُ لِمَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ، كَمَا أُشِيرَ إِلَيْهِ فِي حَدِيثِ: «مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَرَّثَهُ اللهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ»(1).

فَهَذِهِ هِيَ الْعُلُومُ الَّتِي لَا يُمْكِنُ تَعَاطِي التَّفْسِيرَ بِدُونِ وَاحِدٍ مِنْهَا، وَمَنْ فَسَّرَ كانَ مُفَسِّرًا بِالرَّأْيِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ.

قُلْتُ: وَإِيَّاكَ أَنْ تَسْتَشْكِلَ عِلْمَ الْمَوْهِبَةِ، اغْتِرَارًا بِمَا سَمِعْتَ مِنْ أَقْوَالِ الْمُنْكِرِينَ، فَتَأَمَّلِ الْحَدِيثَ الْمَذْكُورَ، وَحَدِيثَ: «مَنْ أَخْلَصَ للهِ تَعَالَى أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فُجِّرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ»(2).

إِلَّا أَنَّ الزَّمَانَ لَمَّا خَلَا عَنِ الْعِلْمِ وَذَوِيهِ، وَعَنِ الْعِرْفَانِ وَمُنْتَحِلِيهِ، وَبَارَ أَهْلُ الْفَضْلِ، وَكَسَدَ سُوقُ الْقَوْلِ الْفَصْلِ، تَرَأَّسَ الْجُهَّالُ، وَأَكْثَرُوا الْقِيلَ وَالْقَالَ، وَلَكِنْ لِلْحُرُوبِ رِجَالٌ، وَلِلثَّرِيدِ رِجَالٌ.

---

(1) دلائل النبوة للبيهقي: 13، وَالمنقذ من الضلال: 185، وإحياء علوم الدين: 1/ 71.

(2) الموضوعات لابن الجوزي: 3/ 145.

قَالَ ابْنُ النَّقِيبِ: جُمْلَةُ مَا تَحَصَّلَ فِي مَعْنَى حَدِيثِ التَّفْسِيرِ بِالرَّأْيِ خَمْسَةُ أَقْوَالٍ:

الْأَوَّلُ: التَّفْسِيرُ بِلَا تَحْصِيلِ آلَاتِهَا مِنَ الْعُلُومِ.

الثَّانِي: تَفْسِيرُ الْمُتَشَابِهِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ.

الثَّالِثُ: التَّفْسِيرُ الْمُقَرِّرُ لِلْمَذْهَبِ الْبَاطِلِ، بِأَنْ يُجْعَلَ الْمَذْهَبُ أَصْلًا، وَالتَّفْسِيرُ تَابِعًا لَهُ، فَيُرَدَّ إِلَيْهِ بِأَيِّ طَرِيقٍ أَمْكَنَ وَإِنْ كَانَ ضَعِيفًا.

الرَّابِعُ: التَّفْسِيرُ بِأَنَّ مُرَادَ اللهِ كَذَا عَلَى الْقَطْعِ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ.

الْخَامِسُ: التَّفْسِيرُ بِالِاسْتِحْسَانِ وَالْهَوَى.

ثُمَّ قَالَ: **وَاعْلَمْ** أَنَّ عُلُومَ الْقُرْآنِ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ:

الْأَوَّلُ: مَا اسْتَأْثَرَ اللهُ بِهِ مِنْ حَقَائِقِ ذَاتِهِ، وَدَقَائِقِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَتَفَاصِيلِ عِلْمِ غُيُوبِهِ.

الثَّانِي: مَا أَطْلَعَ اللهُ عَلَيْهِ نَبِيَّهُ مِنْ أَسْرَارِ الْكِتَابِ، وَاخْتَصَّهُ بِهِ.

وَالْأَوَّلُ لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ. وَالثَّانِي لَا يَجُوزُ لِغَيْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ هُوَ لَهُ. قِيلَ: وَأَوَائِلُ السُّوَرِ مِنْ هَذَا الْقِسْمِ، وَقِيلَ: مِنَ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ.

الثَّالِثُ: عُلُومٌ عَلَّمَهَا اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ، وَأَمَرَهُ بِتَعْلِيمِهَا، وَهَذَا عَلَى قِسْمَيْنِ:

مِنْهُ: مَا لَا يَجُوزُ الْكَلَامُ فِيهِ إِلَّا بِطَرِيقِ السَّمْعِ، كَأَسْبَابِ النُّزُولِ، وَالنَّاسِخِ، وَالْمَنْسُوخِ، وَالْقِرَاءَاتِ، وَاللُّغَاتِ، وَقَصَصِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ، وَالْحَوَادِثِ الْآتِيَةِ، وَأَحْوَالِ الْحَشْرِ وَالْمَعَادِ.

وَمِنْهُ: مَا يُؤْخَذُ بِطَرِيقِ النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ وَالِاسْتِنْبَاطِ وَالِاسْتِخْرَاجِ مِنَ الْأَلْفَاظِ، وَهُوَ قِسْمَانِ: قِسْمٌ اخْتَلَفُوا فِي جَوَازِهِ، وَهُوَ تَأْوِيلُ الْآيَاتِ الْمُتَشَابِهَاتِ فِي الصِّفَاتِ، وَقِسْمٌ اتَّفَقُوا عَلَيْهِ، وَهُوَ اسْتِنْبَاطُ الْأَحْكَامِ الْأَصْلِيَّةِ، وَالْفَرْعِيَّةِ، وَالْإِعْرَابِيَّةِ، وَكَذَا فُنُونُ الْبَلَاغَةِ، وَضُرُوبُ الْمَوَاعِظِ وَالْحِكَمِ وَالْإِشَارَاتِ[1].

قَالَ أَبُو حَيَّانَ: «وَاعْلَمْ أَنَّ الْقُرْآنَ قِسْمَانِ: قِسْمٌ وَرَدَ تَفْسِيرُهُ بِالنَّقْلِ، وَقِسْمٌ لَمْ يَرِدْ.

وَالْأَوَّلُ إِمَّا أَنْ يَرِدَ عَنِ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَلَيْكَ بِالْبَحْثِ عَنْ صِحَّةِ سَنَدِهِ، أَوْ عَنِ الصَّحَابَةِ، فَانْظُرْ إِنْ فَسَّرَهُ مِنْ حَيْثُ اللُّغَةُ فَاعْتَمِدْهُ، لِأَنَّهُمْ أَهْلُ اللِّسَانِ، وَالْعَارِفُونَ بِقَرَائِنِ الْقُرْآنِ. وَإِذَا تَعَارَضَتِ الْأَقْوَالُ، فَإِنْ أَمْكَنَ الْجَمْعُ فَذَاكَ، وَإِلَّا فَقَدِّمْ ابْنَ عَبَّاسٍ، لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَشَّرَهُ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ». وَرَجَّحَ الشَّافِعِيُّ قَوْلَ زَيْدٍ فِي الْفَرَائِضِ،

---

(1) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 219 ـ 220.

لِحَدِيثِ: «أَفْرَضُكُمْ زَيْدٌ»[1]. أَوْ عَنِ التَّابِعِينَ، فَإِنْ صَحَّ الِاعْتِمَادُ فَكَمَا سَبَقَ، وَإِلَّا وَجَبَ الِاجْتِهَادُ.

وَأَمَّا مَا لَمْ يَرِدْ فِيهِ نَقْلٌ، فَهُوَ قَلِيلٌ. وَطَرِيقُ التَّوَصُّلِ إِلَى فَهْمِهِ فَيُنْظَرُ فِي مُفْرَدَاتِ الْأَلْفَاظِ مِنْ لُغَةِ الْعَرَبِ وَمَدْلُولَاتِهَا، وَاسْتِعْمَالَاتِهَا بِحَسَبِ السِّيَاقِ»[2].

قُلْتُ: وَقَدْ صَنَّفَ الشَّيْخُ جَلَالُ الدِّينِ السُّيُوطِيُّ كِتَابًا فِيهِ تَفَاسِيرُ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليْهِ وَسَلَّمَ، فِيهِ بِضْعَةَ عَشرَ أَلْفَ حَدِيثٍ، مَا بَيْنَ مَرْفُوعٍ وَمَوْقُوفٍ، وَقَدْ تَمَّ فِي أَرْبَعَةِ مُجَلَّدَاتٍ، وَسَمَّاهُ: "**تُرْجُمَانُ الْقُرْآنِ**". قالَ: وَرَأَيْتُ أَنَا فِي أَثْنَاءِ تَصْنِيفِهِ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَامِ، فِي قِصَّةٍ طَوِيلَةٍ، تَحْتَوِي عَلَى بِشَارَةٍ حَسَنَةٍ[3]. جَزَاهُ اللهُ خَيْرَ الْجَزَاءِ، وَأَثَابَهُ الْجَنَّةَ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ بَعْضًا مِنْ فَوَائِدِ هَذا الْبَابِ، قَدْ تَقَدَّمَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ، لَكِنَّ سِيَاقَ الْكَلَامِ اقْتَضَى هَذَا التَّكْرَارَ وَالْإِطْنَابَ، فَالْمَرْجُو مِنَ الْمُحَصِّلِينَ وَالطُّلَّابِ، أَنْ لَا يُعَامِلُوا بِاللَّوْمِ وَالْعِتَابِ، لِأَنَّ مَا دَخَلَ تَحْتَ الِاضْطِرَابِ، لا يُشَنَّعُ عَلَيْهِ وَلَا يُعَابُ، وَمِنَ اللهِ الْوَهَّابِ التَّوْفِيقُ لِلْحَقِّ وَالصَّوَابِ.

(1) سنن ابن ماجه: 1/ 55، رقم: 154، وسنن الترمذي: 6/ 127، رقم: 3790.

(2) البرهان في علوم القرآن: 2/ 172.

(3) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 222.

عِلْمُ مَعْرِفَةِ غَرَائِبِ التَّفْسِيرِ

أَلَّفَ فِيهِ مَحْمُودُ بْنُ حَمْزَةَ الْكَرْمَانِيُّ كِتَابًا فِي مُجَلَّدَيْنِ، سَمَّاهُ: "**الْعَجَائِبُ وَالْغَرَائِبُ**"، ضَمَّنَهُ أَقْوَالًا مُنْكَرَةً ذُكِرَتْ فِي مَعَانِي الْآيَاتِ، بِحَيْثُ لَا يَحِلُّ الِاعْتِمَادُ عَلَيْهَا وَلَا ذِكْرُهَا إِلَّا لِلتَّحْذِيرِ مِنْهَا. مِنْ ذَلِكَ: قَوْلُ مَنْ قَالَ فِي ﴿حم عسق﴾[1]: «إِنَّ الْحَاءَ حَرْبُ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ، وَالْمِيمَ وِلَايَةُ الْمَرْوَانِيَّةِ، وَالْعَيْنَ وِلَايَةُ الْعَبَّاسِيَّةِ، وَالسِّينَ وِلَايَةُ السُّفْيَانِيَّةِ، وَالْقَافَ قُدْرَةُ مَهْدِيٍّ. حَكَاهُ أَبُو مُسْلِمٍ.

قَالَ الْكَرْمَانِيُّ: أَوْرَدْتُ ذَلِكَ لِتَعْلَمَ أَنَّ فِيمَنْ يَدَّعِي الْعِلْمَ أَيْضًا حَمْقَى.

وَمِنْ ذَلِكَ: قَوْلُ مَنْ قَالَ فِي ﴿الم﴾ مَعْنَى "أَلِفٍ" أَلِفَ اللهُ مُحَمَّدًا فَبَعَثَهُ نَبِيًّا، وَمَعْنَى "لام" لَامَهُ الْجَاحِدُونَ وَأَنْكَرُوهُ، وَمَعْنَى "مِيمٍ" الْجَاحِدُونَ الْمُنْكِرُونَ مِنَ الْمُومِ، وَهُوَ الْبِرْسَامُ[2]»[3].

وَمِنْ ذَلِكَ: قَوْلُ مَنْ قَالَ فِي: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾[4] إِنَّهُ قَصَصُ الْقُرْآنِ.

مِنْ ذَلِكَ: ما ذَكَرَهُ **ابْنُ فُورَكَ فِي تَفْسِيرِهِ**[5]، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنْ

---

(1) سورة الشورى، الآية: 1 ـ 2.

(2) الموم والبرسام: داء معروف، كلاهما معرَّب، وقيل: مرض يغير العقل. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم: 250.

(3) غرائب التفسير وعجائب التأويل: 1/ 112.

(4) سورة البقرة، الآية: 179.

(5) "**تَفْسِيرُ ابْنِ فُورَكَ**"، لأبي بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني (ت. 406هـ). طبع جزء منه.

لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[1]، إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ لَهُ صَدِيقٌ، وَصَفَهُ بِأَنَّهُ "قَلْبُهُ"، أَيْ لِيَسْكُنَ هَذَا الصَّدِيقُ إِلَى هَذِهِ الْمُشَاهَدَةِ، إِذَا رَآهَا عِيَانًا.

قال الْكَرْمَانِيُّ: وَهَذَا بَعِيدٌ جِدًّا.

وَمِنْ ذَلِكَ: قَوْلُ مَنْ قَالَ فِي: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾[2]، إِنَّهُ الْحُبُّ وَالْعِشْقُ.

وَقَدْ حَكَاهُ الْكَوَاشِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ.

وَمِنْ ذَلِكَ: قَوْلُ مَنْ قَالَ فِي: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾[3]، إِنَّهُ الذَّكَرُ إِذَا قَامَ.

وَمِنْ ذَلِكَ: قَوْلُ أَبِي مُعَاذٍ النَّحْوِيِّ[4] فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾، أَرَادَ بِالشَّجَرِ الْأَخْضَرِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَبِالنَّارِ النُّورَ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ، ﴿فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾[5]، تَقْتَبِسُونَ الدِّينَ[6].

---

(1) سورة البقرة، الآية: 260.

(2) نفسها، الآية: 286.

(3) سورة الفلق، الآية: 3.

(4) الفضل بن خالد أبو معاذ النحوي المروزي المقرئ اللغوي، له كتاب في القرآن حسن، (ت. 211هـ). الوافي بالوفيات: 24/ 28.

(5) سورة يس، الآية: 80.

(6) النص في الإتقان في علوم القرآن: 4/ 231ـ232.

عِلْمُ مَعْرِفَةِ طَبَقَاتِ الْمُفَسِّرِينَ

اشْتَهَرَ بِالتَّفْسِيرِ مِنَ الصَّحَابَةِ عَشَرَةٌ: الْخُلَفَاءُ الْأَرْبَعَةُ، وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ. وَمِنَ التَّابِعِينَ: مُجَاهِدٌ، وَعَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ، وَعِكْرِمَةُ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَطَاوُسٌ، وَغَيْرُهُمْ. وَهَؤُلَاءِ عُلَمَاءُ مَكَّةَ. وَفِي الْكُوفَةِ أَصْحَابُ ابْنِ مَسْعُودٍ. وَفِي الْمَدِينَةِ: زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، الَّذِي أَخَذَ عَنْهُ ابْنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَالْإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ.

وَمِنَ الْمُبَرِّزِينَ مِنَ التَّابِعِينَ: مُجَاهِدٌ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَعِكْرِمَةُ، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَعَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ، وَعَطَاءُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ الْخُرَاسَانِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ، وَالضَّحَّاكُ بْنُ مُزَاحِمٍ، وَعَطِيَّةُ الْعُوفِيُّ، وَقَتَادَةُ، وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، وَمُرَّةُ الْهَمْذَانِيُّ، وَأَبُو مَالِكٍ، وَيَلِيهِمُ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ. فَهَؤُلاءِ كُلُّهُمْ قُدَمَاءُ الْمُفَسِّرِينَ.

ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الطَّبَقَةِ طَبَقَةٌ أُخْرَى، تَجْمَعُ[1] أَقْوَالَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ؛ كَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَوَكِيعِ بْنِ الْجَرَّاحِ، وَشُعْبَةَ بْنِ الْحَجَّاجِ، وَيَزِيدَ بْنِ هَارُونَ، وعَبْدِ الرَّزَّاقِ، وَآدَمَ بْنِ أَبِي إِيَاسٍ، وَإِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوَيْهِ، وَرَوْحِ بْنِ عُبَادَةَ، وَعَبْدِ بْنِ حُمَيْدٍ، وَسَعِيدٍ، وَأَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ، وَآخَرِينَ.

---

(1) مجمع، في رئيس الكتاب.

وَبَعْدَ هَؤُلَاءِ: ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ، وَكِتَابُهُ أَجَلُّ التَّفَاسِيرِ وَأَعْظَمُهَا، ثُمَّ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَابْنُ مَاجَهْ، وَالْحَاكِمُ، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ، وَأَبُو الشَّيْخِ ابْنُ حِبَّانَ، وَابْنُ الْمُنْذِرِ، فِي آخَرِينَ وَكُلُّهَا مُسْنَدَةٌ إِلَى الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَأَتْبَاعِهِمْ، إِلَّا ابْنَ جَرِيرٍ فَإِنَّهُ يَتَعَرَّضُ لِتَوْجِيهِ الْأَقْوَالِ، وَتَرْجِيحِ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ، وَالْإِعْرَابِ وَالِاسْتِنْبَاطِ، فَهُوَ يَفُوقُهَا بِذَلِكَ.

ثُمَّ أَلَّفُوا تَفَاسِيرَ اخْتَصَرُوا الْأَسَانِيدَ، وَنَقَلُوا الْأَقْوَالَ بَتْرًا، فَدَخَلَ مِنْ هُنَا الدَّخِيلُ، وَالْتَبَسَ الصَّحِيحُ بِالْعَلِيلِ[1].

وَاعْلَمْ أَنَّ هَؤُلَاءِ الطَّبَقَاتِ مَعَ تَرَاجِمِهِمْ قَدْ مَرَّتْ عَلَى وَجْهِ التَّفْصِيلِ.

إِذَا عَرَفْتَ هَذَا، فَقَدْ ظَهَرَ لَكَ أَنَّهُ تَكَمَّلَ بِذَلِكَ فُرُوعُ عِلْمِ التَّفْسِيرِ، وَقَدْ تُنِيفُ عَلَى ثَمَانِينَ. وَللهِ الْحَمْدُ.

هَذَا مَا يَقْتَضِيهِ حُسْنُ التَّرْتِيبِ، حَيْثُ أُدْمِجَ بَعْضُ الْعُلُومِ فِي بَعْضٍ، وَإِلَّا فَلَوْ فُصِلَ مَا يُمْكِنُ فَصْلُهُ، لَزَادَتْ وَاللهُ أَعْلَمُ عَلَى الثَّلَاثِمِئَةِ، وَلَكِنْ خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا.

وَاعْلَمْ أَنَّ هَاهُنَا بَعْضًا مِنَ الْعُلُومِ رَأَيْتُ دَرْجَهَا فِي عُلُومِ التَّفْسِيرِ أَحْسَنَ وَأَوْلَى، لِأَنَّ لَهَا تَعَلُّقًا بِالْحُرُوفِ الَّتِي هِيَ فَوَاتِحُ السُّوَرِ، لِأَنَّ لَهَا خَوَاصَّ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهَا إِلَّا مُتَكَلِّمُهَا وَهِيَ هَذِهِ:

---

(1) الإتقان في علوم القرآن: 4/ 233 ـ 242.

عِلْمُ خَوَاصِّ الْحُرُوفِ

وَاعْلَمْ أَنَّ لِلْحُرُوفِ الْمَذْكُورَةِ فِي فَوَاتِحِ السُّوَرِ، بَلْ لِلْحُرُوفِ مُطْلَقًا خَوَاصَّ جَلِيلَةً، وَمَنَافِعَ جَزِيلَةً، يَعْرِفُهَا أَهْلُهَا. وَقَدْ أَوْرَدَ هذا الْعِلْمَ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْبِسْطَامِيُّ فِي كُتُبِهِ الْمُؤَلَّفَةِ فِي هَذَا الشَّأْنِ.

عِلْمُ الْخَوَاصِّ الرُّوحَانِيَّةِ مِنَ الْأَوْفَاقِ الْعَدَدِيَّةِ وَالْحَرْفِيَّةِ وَالتَّكْسِيرَاتِ الْعَدَدِيَّةِ وَالْحَرْفِيَّةِ.

وَهُوَ عِلْمٌ بَاحِثٌ عَنْ كَيْفِيَّةِ تَمْزِيجِ الْأَعْدَادِ أَوِ الْحُرُوفِ عَلَى التَّنَاسُبِ وَالتَّعَادُلِ، بِحَيْثُ يَتَعَلَّقُ بِوَاسِطَةِ هَذَا التَّعْدِيلِ أَرْوَاحٌ مُتَصَرِّفَةٌ تُؤَثِّرُ فِي الْقَوَابِلِ، حَسَبَ مَا يُرَادُ وَيُقْصَدُ مِنْ تَرْتِيبِ الْأَعْدَادِ وَالْحُرُوفِ وَكَيْفِيَّاتِهَا.

وَمَوْضُوعُهُ: الْأَعْدَادُ أَوِ الْحُرُوفُ.

وَغَايَتُهُ: الْوُصُولُ إِلَى الْمَطَالِبِ الدِّينِيَّةِ أَوِ الدُّنْيَوِيَّةِ أَوِ الْأُخْرَوِيَّةِ.

وَغَرَضُهُ وَغَايَتُهُ وَفَائِدَتُهُ: لَا تَخْفَى.

وَكُتُبُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَغْرِبِيِّ نَافِعَةٌ فِي هَذَا الْبَابِ، وَكَذَا كُتُبُ الشَّيْخِ أَحْمَدَ الْبُونِيِّ(1)، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَشَايِخِ.

---

(1) محيي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن يوسف الْبُونِي القرشي، عالم بعلم الحروف (ت.622هـ).له: "**مفاتيح أسرار الحروف**". ترجمته في: الأعلام: 1/ 169. معجم المؤلفين: 2/ 25.

وَهَذَا الْعِلْمُ يُمْكِنُ جَعْلُهُ مِنْ فُرُوعِ عِلْمِ الْحِسَابِ، مِنْ حَيْثُ تَرْتِيبُ الْأَعْدَادِ، وَمِنْ فُرُوعِ عِلْمِ الْهَنْدَسَةِ، مِنْ جِهَةِ تَعْدِيلِ تِلْكَ الْأَعْدَادِ أَوِ الْحُرُوفِ فِي الْجَدَاوِلِ الْوَفْقِيَّةِ. لَكِنْ لَمَّا أَمْكَنَ جَعْلُهُ مِنْ خَوَاصِّ الْحُرُوفِ بِاعْتِبَارِ جَعْلِ الْوَفْقِ حَرْفِيًّا، ذَكَرْنَاهُ فِي عِلْمِ الْحُرُوفِ الَّتِي هِيَ مِنْ خَوَاصِّ الْقُرْآنِ.

عِلْمُ التَّصَرُّفِ بِالْحُرُوفِ وَالْأَسْمَاءِ

وَهَذَا عِلْمٌ شَرِيفٌ، يُتَوَصَّل بِالْمُدَاوَمَةِ عَلَيْهَا عَلَى شَرَائِطَ مُعَيَّنَةٍ، وَرِيَاضَةٍ خَاصَّةٍ، إِلَى مَا يُنَاسِبُ تِلْكَ الْحُرُوفَ أَوِ الْأَسْمَاءَ مِنَ الْخَوَاصِّ.

وَمَوْضُوعُهُ وَغَايَتُهُ: ظَاهِرَانِ عَلَى الْعَارِفِ.

قِيلَ: وَتَحْتَ هَذَا الْعِلْمِ مِئَةٌ وَثَمَانِيَةٌ وَأَرْبَعُونَ عِلْمًا.

وكُتُبُ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَذْكُورِ، وَالشَّيْخِ أَحْمَدَ الْبُونِيِّ مَشْهُورَةٌ في هَذَا الْعِلْمِ.

عِلْمُ الْحُرُوفِ النُّورَانِيَّةِ وَالظَّلْمَانِيَّةِ

وَاعْلَمْ أَنَّهُمْ جعلُوا بَعْضَ الْحُرُوفِ نُورَانِيًّا، وَبَعْضَهَا ظَلْمَانِيًّا، وَحَكَمُوا بِأَنَّهُ لَيْسَ فِي سُورَةِ الْفَاتِحَةِ وَلَا فِي فَوَاتِحِ السُّوَرِ شَيْئًا مِنَ الْحُرُوفِ الظَّلْمَانِيَّةِ.

وَتَفْصِيلُ هَذَا الْعِلْمِ في كُتُبِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ الْبُونِيِّ، يَجِدُهَا مَنْ يَطْلُبُهَا.

وَمَنْفَعَتُهُ: الْعَمَلُ بِالْحُرُوفِ النُّورَانِيَّةِ فِي أَعْمَالِ الْخَيْرِ، وَبِالظَّلْمَانِيَّةِ فِي أَعْمَالِ الشَّرِّ. وَتِلْكَ الْحُرُوفُ النُّورَانِيَّةُ يَجْمَعُهَا قَوْلُكَ: «نَصٌّ حَكِيمٌ لَهُ سِرٌّ قَاطِعٌ»، وَقَوْلُكَ: «طَرَقَ سَمْعَكَ النَّصِيحَةُ»، وَقَوْلُكَ: «مَنْ قَطَعَكَ سُحَيْرًا صِلْهُ»، وَقَوْلُكَ: «صُنْ سِرًّا يَقْطَعْكَ حَمْلُهُ»، وَقَوْلُكَ: «عَلَى صِرَاطِ حَقٍّ يُمْسِكُهُ»، وَقَوْلُكَ: «سِرٌّ حَصِينٌ قَطَعَ كَلَامَهُ». وَالْأَخِيرُ أَلْيَقُ بِهَذَا الْمَعْنَى. كَذَا فِي "**غَايَةُ الْمَغْنَمِ فِي الِاسْمِ الْأَعْظَمِ**"[1].

عِلْمُ التَّصْرِيفِ بِالِاسْمِ الْأَعْظَمِ

وَهَذَا مِنَ الْعُلُومِ الَّتِي قَلَّمَا وَصَلَ إِلَيْهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ مَا خَلَا الْأَنْبِيَاءَ وَالْأَوْلِيَاءَ الْكَامِلِينَ مِنْ أَرْبَابِ الْكَشْفِ وَالْعِيَانِ، وَلِهَذَا لَمْ يُصَنِّفُوا فِي شَأْنِهِ تَصْنِيفًا يُعَيِّنُ هَذَا الِاسْمَ، لِأَنَّ كَشْفَهُ عَلَى آحَادِ النَّاسِ لَا يَحِلُّ أَصْلًا؛ إِذْ فِي كَشْفِهِ فَسَادُ الْعَالَمِ، وَارْتِفَاعُ نِظَامِ بَنِي آدَمَ.

نَعَمْ جَمَعَ الشَّيْخُ الْيَافِعِيُّ وَغَيْرُهُ الرِّوَايَاتِ الصَّادِرَةِ فِي هَذَا الشَّأْنِ، لَكِنْ لَا بِحَيْثُ يَطْلُعُ الْيَقِينُ مِنْ أُفُقِ الْحُسْبَانِ، كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ فِي كِتَابِ: "**الدُّرُّ النَّظِيمُ فِي فَضَائِلِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ**".

---

(1) "**غاية المغنم في الاسم الأعظم**" أو "**غاية المغنم في اسم الله الأعظم**" لعلي بن محمد بن الدُّرَيْهِمْ أو ابن أبي الخير الموصلي (ت. 762 هـ). كشف الظنون: 2/ 1194.

عِلْمُ الْكَسْرِ وَالْبَسْطِ

عِلْمٌ بِوَضْعِ الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ، بِأَنْ تُقَطَّعَ حُرُوفُ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى، وَتُمْزَجَ مَعَ حُرُوفِ مَطْلُوبِكَ، وَيُوضَعَ فِي سَطْرٍ، ثُمَّ يُعْمَلَ عَلَى طُرُقٍ يَعْرِفُهَا أَهْلُهَا، حَتَّى يُغَيَّرَ تَرْتِيبُ الْحُرُوفِ الْمَوْجودَةِ في السَّطْرِ الْأَوَّلِ فِي السَّطْرِ الثَّانِي، ثُمَّ وَثُمَّ إِلَى أَنْ يَنْتَظِمَ عَيْنُ السَّطْرِ الْأَوَّلِ، فَيُؤْخَذَ مِنْهَا أَسْمَاءُ مَلَائِكَةٍ، وَدَعَوَاتٌ يَشْتَغِلُ بِهَا حَتَّى يَتِمَّ مَطْلُوبُهُ.

عِلْمُ مَعْرِفَةِ الزَّايرجه

وَهُوَ قِسْمٌ مِنَ الْكَسْرِ وَالْبَسْطِ مَعَ طُرُقٍ مَخْصُوصَةٍ، وَأَحْوَالٍ مُعَيَّنَةٍ، حَتَّى تَخْرُجَ حُرُوفٌ تَخْرُجُ مِنْهَا كَلِمَاتٌ دَالَّةٌ عَلَى كَيْفِيَّةِ مُرَادِكَ فِي الِاسْتِقْبَالِ، إِمَّا بِالْحُصُولِ أَوْ عَدَمِهِ، حَتَّى يَخْرُجَ اسْمُ مَنْ يَتِمُّ مَرَامُكَ عِنْدَهُ، وَاسْمُ مَنْ هُوَ الْمَانِعُ لِحُصُولِهِ.

وَرَأَيْتُ بَعْضَ طُرُقٍ يَخْرُجُ مِنْهَا كَلِمَاتُ الْمَطْلُوبِ أَبْيَاتًا مَنْظُومَةً بِالْعَرَبِيَّةِ، عَلَى بَحْرٍ وَاحِدٍ، وَرَوِيٍّ وَاحِدٍ.

وَهَذَا عِلْمٌ عَجِيبٌ، مَوْضُوعٌ فِي جَدَاوِلَ، قَلَّمَا رَأَيْتُ مَنْ يَعْرِفُهُ، وَقَلَّمَا رَأَيْتُ مَنْ يَعْلَمُهُ وَلَا يَبْخَلُ بِهِ. وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ فِي كُلِّ شَأْنٍ.

عِلْمُ الْجَفْرِ وَالْجَامِعَةِ

وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنِ الْعِلْمِ الْإِجْمَالِي بِلَوْحِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، الْمُحْتَوِي عَلَى كُلِّ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ كُلِّيًّا وَجُزْئِيًّا.

وَالْجَفْرُ: عِبَارَةٌ عَنْ لَوْحِ الْقَضَاءِ الَّذِي هُوَ عَقْلُ الْكُلِّ. وَالْجَامِعَةُ لَوْحُ الْقَدَرِ الَّذِي هُوَ نَفْسُ الْكُلِّ. وَقَدِ ادَّعَى طَائِفَةٌ أَنَّ الْإِمَامَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَضَعَ الْحُرُوفَ الثَّمَانِيَةَ وَالْعِشْرِينَ عَلَى طَرِيقَةِ الْبَسْطِ الْأَعْظَمِ فِي جِلْدِ الْجَفْرِ، يُسْتَخْرَجُ مِنْهَا بِطُرُقٍ مَخْصُوصَةٍ، وَشَرَائِطَ مُعَيَّنَةٍ، أَلْفَاظٌ مَخْصُوصَةٌ، يُسْتَخْرَجُ مِنْهَا مَا فِي لَوْحِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ.

وَهَذَا عِلْمٌ تَوَارَثَهُ أَهْلُ الْبَيْتِ، وَمَنْ يَنْتَمِي إِلَيْهِمْ، وَيَأْخُذُ مِنْهُمْ مِنَ الْمَشَايِخِ الْكَامِلِينَ، وَكَانُوا يَكْتُمُونَهُ عَنْ غَيْرِهِمْ كُلَّ الْكِتْمَانِ.

وَقِيلَ: لَا يَقِفُ عَلَى هَذَا الْكِتَابِ حَقِيقَةً إِلَّا الْمَهْدِيُّ الْمُنْتَظَرُ خُرُوجُهُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ. وَوَرَدَ هَذَا فِي كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ السَّالِفَةِ، كَمَا نُقِلَ عَنْ عِيسَى صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ: «نَحْنُ مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ نَأْتِيكُمْ بِالتَّنْزِيلِ، وَأَمَّا التَّأْوِيلُ فَسَيَأْتِي[1] بِهِ الْفَارْقَلِيطُ[2] الَّذِي سَيَأْتِيكُمْ بَعْدِي».

---

(1) فسيأتيكم، في قونية.

(2) أما الفارقليط ففي تفسيره وجهان: أحدهما: أنه الشافع المشفع وهذا أيضا صفته عليه الصلاة والسلام، والثاني: قال بعض النصارى: الفارقليط هو الذي يفرق بين الحق والباطل. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: 3 / 481.

نُقِلَ أَنَّ الْخَلِيفَةَ الْمَأْمُونَ لَمَّا عَهِدَ الْخِلَافَةَ مِنْ بَعْدِهِ إِلَى عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَى، وَكَتَبَ إِلَيْهِ كِتَابَ عَهْدِهِ، كَتَبَ هُوَ فِي آخِرِ ذَلِكَ الْكِتَابِ: نَعَمْ، إِلَّا أَنَّ الْجَفْرَ وَالْجَامِعَةَ يَدُلَّانِ عَلَى أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَتِمُّ. وَكَانَ كَمَا قَالَ؛ لِأَنَّ الْمَأْمُونَ اسْتَشْعَرَ لِأَجْلِ ذَلِكَ فِتْنَةً مِنْ طَرَفِ بَنِي هَاشِمٍ، فَسُمَّ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى الرِّضَى فِي عِنَبٍ عَلَى مَا هُوَ الْمَسْطُورُ فِي كُتُبِ التَّوَارِيخِ.

عِلْمُ دَفْعِ مَطَاعِنِ الْقُرْآنِ

عِلْمٌ بَاحِثٌ عَنْ دَفْعِ شُبُهَاتِ أَرْبَابِ الضَّلَالِ الْمُورَدَةِ عَلَى الْقُرْآنِ بِحَسَبِ لَفْظِهِ، أَوْ بِحَسَبِ مَعْنَاهُ.

وَمَبَادِئُهُ: مَأْخُوذَةٌ مِنَ الْعُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ وَأُصُولِ الْكَلَامِ.

وَالْغَرَضُ مِنْهُ: تَحْصِيلُ الْمَلَكَةِ لِدَفْعِ أَمْثَالِ تِلْكَ الْمَطَاعِنِ.

وَفَائِدَتُهُ: دَفْعُ الْوَهَنِ عَنْ عَقَائِدِ الضُّعَفَاءِ، وَتَثْبِيتُهُمْ عَلَى عَقَائِدِ حَقِّيَّةِ الْقُرْآنِ.

وَمَا ذَكَرَهُ السَّكَّاكِيُّ فِي تَكْمِلَةِ "**مِفْتَاحُ الْعُلُومِ**" كَافٍ فِي هَذَا الْعِلْمِ، وَأَيْضًا فِي **كِتَابِ الْأَعْلَامِ**[1] لِلْمَاوَرْدِيِّ كِفَايَةٌ فِي هَذَا الْعِلْمِ، بَلْ فِيهِ دَفْعُ مَطَاعِنِ النُّبُوَّةِ مُطْلَقًا.

وَاقْتَضَى حُسْنُ التَّرْتِيبِ أَنْ يُجْعَلَ خَاتِمَةَ فُرُوعِ عِلْمِ التَّفْسِيرِ دَفْعُ الْمَطَاعِنِ عَنِ الْقُرْآنِ؛ لِأَنَّهُ نَتِيجَةٌ لِلْعُلُومِ الْمَذْكُورَةِ.

---

(1) **"أعلام النبوة"**، لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي الشافعي (ت.450هـ). الكتاب مطبوع.

الْمَطْلَبُ الرَّابِعُ فِي فُرُوعِ عِلْمِ الْحَدِيثِ

عِلْمُ الْمَوَاعِظِ

وَهُوَ عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ مَا هُوَ سَبَبُ الِانْزِجَارِ عَنِ الْمَنْهِيَّاتِ، وَالِانْزِعَاجِ إِلَى الْمَأْمُورَاتِ، مِنَ الْأُمُورِ الْخَطَابِيَّةِ الْمُنَاسِبَةِ لِطِبَاعِ عَامَّةِ النَّاسِ.

وَمِنْ مَبَادِئِهِ حِكَايَاتُ الْأُمَمِ الْمَرْضِيَّةِ الْأَعْمَالِ، وَالْمَشْكُورَةِ الْأَخْلَاقِ، مِنَ الصُّلَحَاءِ وَالْعُبَّادِ، وَالْمَشَايِخِ وَالزُّهَّادِ، وَالْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ بِعُلُومِهِمْ، رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ، وَكَذَا حِكَايَاتُ الْأَشْرَارِ الْمُبْتَلِينَ بِالْبَلِيَّاتِ بِسُوءِ أَعْمَالِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ، إِذِ الْأَخْيَارُ يَتَأَدَّبُونَ بِصَنِيعِ الْأَشْرَارِ.

وَالْغَرَضُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ، الْحَثُّ عَلَى تَكْمِيلِ النُّفُوسِ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ.

وَغَايَتُهُ: الْفَوْزُ بِالسَّعَادَتَيْنِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ. وَلَمَّا كَانَ جُلُّ[1] مَبَادِئِ هَذَا الْعِلْمِ الْأَحَادِيثَ الْمَرْوِيَّةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جَعَلْنَا هَذَا الْعِلْمَ مِنْ فُرُوعِ عِلْمِ الْحَدِيثِ.

وَمُصَنَّفَاتُ الْإِمَامِ الْغَزَالِيِّ، سِيَّمَا **"الْإِحْيَاءُ"**، كَافٍ فِي هَذَا الْعِلْمِ.

---

(1) أجل، في أنطاليا.

عِلْمُ الْأَدْعِيَةِ وَالْأَوْرَادِ

عِلْمٌ يُبْحَثُ فِيهِ عَنِ الْأَدْعِيَة الْمَأْثُورَةِ، وَالْأَوْرَادِ الْمَشْهُورَةِ، بِتَصْحِيحِهِمَا وَضَبْطِهِمَا، وَتَصْحِيحِ رِوَايَتِهِمَا، وَبَيَانِ خَوَاصِّهِمَا، وَعَدَدِ تَكْرَارِهِمَا، وَأَوْقَاتِ قِرَاءَتِهِمَا، وَشَرَائِطِهِمَا.

وَمَبَادِئُهُ: مُبَيَّنَةٌ فِي الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ.

وَالْغَرَضُ مِنْهُ: مَعْرِفَةُ تِلْكَ الْأَدْعِيَةِ وَالْأَوْرَادِ عَلَى الْوَجْهِ الْمَذْكُورِ، لِيَنَالَ بِاسْتِعْمَالِهِمَا الْفَوَائِدَ الدِّينِيَّةَ وَالدُّنْيَوِيَّةَ.

وَلَمَّا كانَ اسْتِمْدَادُ هَذَا الْعِلْمِ مِنْ كُتُبِ عِلْمِ الْأَحَادِيثِ، جَعَلْنَاهُ مِنْ فُرُوعِهِ.

وَمِنَ الْكُتُبِ النَّافِعَةِ فِيهِ:

كِتَابُ الْأَذْكَارِ[1]، لِلْإِمَامِ النَّوَوِيِّ رَحِمَهُ اللهُ، وَكِتَابُ "**الْحِصْنُ الْحَصِينُ**"، لِمُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْجَزَرِيِّ، وَكِتَابُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْبِسْطَامِيِّ[2]. وَغَيْرُ ذلِكَ مِنَ الْكُتُبِ اللَّطِيفَةِ فِي هَذَا الشَّأْنِ.

---

(1) "**حِلْيَةُ الأَبْرَارِ وَشِعَارُ الأَخْيَارِ فِي تَلْخِيصِ الدَّعَوَاتِ وَالأَذْكَارِ**"، لمحي الدين أبي زكريا يحيى ابن شرف النووي (ت. 676هـ). يعرف أيضا بـ "أذكار النووي". الكتاب مطبوع.

(2) يقصد كتابه: "**مِصْبَاحُ الأَنْوَارِ فِي أَدْعِيَةِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**"، لعبد الرحمن بن محمد البسطامي (ت. 858هـ).

عِلْمُ الْآثَارِ

عِلْمٌ يُبْحَثُ فِيهِ عَنْ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ الرَّاسِخِينَ، مِنَ الْأَصْحَابِ وَالتَّابِعِينَ، وَالسَّلَفِ الصَّالِحِينَ، وَأَفْعَالِهِمْ وَسِيَرِهِمْ فِي أَمْرِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا.

وَمَبَادِئُهُ: أُمُورٌ مَسْمُوعَةٌ مِنَ الثِّقَاتِ.

وَالْغَرَضُ مِنْهُ: مَعْرِفَةُ الْأُمُورِ الْمَذْكُورَةِ، لِيَقْتَدِيَ بِهِمْ، وَيَنَالَ مَا نَالُوهُ. وَهَذَا الْعِلْمُ أَشَدُّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ عِلْمُ الْمَوْعِظَةِ.

وَمِنَ الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَةِ فِي هَذَا الْعِلْمِ: كِتَابُ "**سِيَرُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَالزُّهَّادِ**"[1]، وَكِتَابُ "**رَوْضُ الرَّيَاحِينِ فِي حِكَايَاتِ الصَّالِحِينَ**"[2]، لِلْإِمَامِ الْيَافِعِيِّ. وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ كُتُبِ الْأَحَادِيثِ وَالْآثَارِ.

عِلْمُ الزُّهْدِ وَالْوَرَعِ

عِلْمُ كَيْفِيَّةِ الْإِعْرَاضِ عَنِ الدُّنْيَا، وَالتَّدْقِيقِ فِي التَّحَرُّزِ عَنِ الْحَرَامِ، بِحَيْثُ يَتْرُكُ كَثِيرًا مِنَ الْحَلَالِ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ.

وَقِيلَ: الزُّهْدُ تَرْكُ الشُّبُهَاتِ، خَوْفًا مِنَ الْحَرَامِ، وَالْوَرَعُ تَرْكُ الْحَلَالِ خَوْفًا مِنَ الْوُقُوعِ فِي الشُّبُهَاتِ.

---

(1) "**سِيَرُ الصَّحابَةِ والزُّهَّادِ والْعُلَمَاءِ العُبَّادِ**"، لأبي محمد عبد السلام بن محمد الخوارزمي الأندرسفاني، (ت. في النصف الثاني من القرن 6هـ).

(2) يعرف أيضا بـ "**نُزْهَةُ الْعُيُونِ النَّوَاظِرِ وَتُحْفَةُ الْقُلُوبِ وَالْخَوَاطِرِ**"، وهو مطبوع.

وَاعْلَمْ أَنَّ صَاحِبَ الْوَرَعِ الْمَحْفُوظَ، يَرَى الطَّعَامَ الْحَرَامَ خِنْزِيرًا فِي الْيَقَظَةِ، وَالشَّرَابَ الْحَرَامَ خَمْرًا فِيهَا أَيْضًا، لا يَشُكُّ فِيمَا يَرَاهُ، وَيَرَاهُ جَلِيسُهُ قَرْصَةَ خُبْزٍ طَيِّبَةً، وَيَرَى الشَّرَابَ مَاءً عَذْبًا.

وَكُتُبُ الشَّيْخِ الْإِمَامِ الْغَزَالِيِّ وَافِيَةٌ في هذا الْعِلْمِ، سِيَّمَا كِتَابُ **"الْإِحْيَاءُ"**.

وَلَمَّا كَانَ هذا الْعِلْمُ نَتِيجَةَ عِلْمِ الْحَدِيثِ وَثَمَرَتَهُ جَعَلْنَاهُ مِنْ فُرُوعِهِ، وَسَنَذْكُرُ هَذا الْعِلْمَ فِي الطَّرَفِ الثَّانِي مِنَ الرِّسَالَةِ، لِأَنَّهُ مِنْ مُقَدِّمَاتِ الْعُلُومِ الْكَشْفِيَّةِ، الَّتِي جَعَلْنَا الطَّرَفَ الثَّانِيَ لِبَيَانِهَا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

عِلْمُ صَلَاةِ الْحَاجَاتِ الْوَارِدَةِ في الْأَحَادِيثِ

وَهِيَ كَثِيرَةٌ جِدًّا، أَشْهَرُهَا صَلَاةُ الضُّحَى، والتَّهَجُّدُ، وَصَلَاةُ التَّسْبِيحِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ نَوَافِلِ الصَّلَوَاتِ.

وَقَدْ دَوَّنَهَا الشَّيْخُ فَخْرُ الدِّينِ الرُّومِيُّ فِي كِتَابِ: **"دَعَوَاتُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ"**[1]، يَجِدُهَا مَنْ يَطْلُبُهَا.

(1) سماه حاجي خليفة في كشف الظنون: 1/ 755: **"الدَّعَوَاتُ الْمَأْثُورَةُ"**، للشيخ فخر الدين الرومي (ت. 864هـ)، كان من علماء السلطان ييلديرم بايزيد.

عِلْمُ الْمَغَازِي

وَهَذَا وَإِنْ أَمْكَنَ عَدُّهُ مِنْ فُرُوعِ عِلْمِ التَّارِيخِ، لَكِنْ لَمَّا كَانَ ثُبُوتُهَا بِالْأَحَادِيثِ وَالْآثَارِ، جَعَلْنَاهُ مِنْ فُرُوعِ عِلْمِ الْحَدِيثِ.

وَفِي هَذَا الْعِلْمِ مُصَنَّفَاتٌ كَثِيرَةٌ، أَجَلُّهَا وَأَفْضَلُهَا **تَصْنِيفُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ هِشَامٍ**، وَ**مَغَازِي ابْنِ إِسْحَاقَ**، وَغَيْرُ ذَلِكَ.

الْمَطْلَبُ الْخَامِسُ فِي فُرُوعِ عِلْمِ أُصُولِ الدِّينِ

وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنْ عُلَمَاءِ الْكَلَامِ، لَمَّا رَأَوْا أَنَّ الْغَايَةَ الْقُصْوَى مِنَ الْعُلُومِ مَعْرِفَةُ اللهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ، وَمَا يَتَفَرَّعُ عَلَيْهَا مِنْ أَحْوَالِ النُّبُوَّةِ وَالْمَعَادِ، بَحَثُوا عَنْ هَذِهِ الْأُمُورِ، وَجَعَلُوا الْبَحْثَ عَمَّا تَتَوَقَّفُ هِيَ عَلَيْهِ مِنْ أَحْوَالِ الْمَوْجُودَاتِ بِطَرِيقِ الْمَبْدَئِيَّةِ، عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ، وَلِذَلِكَ تَرَى كُتُبَ الْأَقْدَمِينَ عَنِ السَّلَفِ الصَّالِحِينَ، مَقْصُورَةً عَلَى الْمَبَاحِثِ الْمَذْكُورَةِ.

ثُمَّ إِنَّ مَنْ يَلِيهِمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ، لَمَّا رَأَوْا أَنَّ تِلْكَ الْمَبَادِئَ مِنْ مَسَائِلِ الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ، وَتَحَاشَوْا عَنْ أَنْ يَحْتَاجَ عِلْمُ الْعَقَائِدِ إِلَى عُلُومِ الْفَلَاسِفَةِ، عَمَّمُوا مَوْضُوعَهُ، فَبَحَثُوا عَنْ أَحْوَالِ الْمَوْجُودَاتِ الْخَارِجِيَّةِ مُطْلَقًا، لِيَكُونَ لَهُمْ عِلْمٌ شَرْعِيٌّ بِإِزَاءِ الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ لِلْفَلَاسِفَةِ، وَيَمْتَازَ عَنْهَا بِأَنْ يُبْحَثَ فِي الْكَلَامِ عَلَى قَوَاعِدِ الشَّرْعِ، وَفِي الْإِلَهِيِّ عَلَى مُقْتَضَى الْعُقُولِ، وَافَقَ الْمِلَلَ وَالشَّرَائِعَ أَمْ لَا.

ثُمَّ إِنَّ مَنْ يَلِيهِمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ، لَمَّا رَأَوْا أَنَّ عِلْمَهُمْ هَذَا لَا يَسْتَغْنِي عَنِ الْقَوَاعِدِ الْمَنْطِقِيَّةِ الَّتِي وَضَعَتْهَا الْفَلَاسِفَةُ، وَرَأَوْا أَنَّ احْتِيَاجَ عِلْمٍ شَرْعِيٍّ إِلَى عِلْمٍ غَيْرِ شَرْعِيٍّ، غَيْرُ مُرْضٍ عِنْدَ الْمُتَشَرِّعِينَ، عَمَّمُوا مَوْضُوعَ الْعِلْمِ الْمَذْكُورِ مَرَّةً أُخْرَى، وَجَعَلُوا مَوْضُوعَهُ الْمَعْلُومَ الْمُتَنَاوِلَ لِلْمَوْجُودِ الْخَارِجِيِّ وَالْمَوْجُودِ الذِّهْنِيِّ، الَّذِي هُوَ مَوْضُوعُ الْمَنْطِقِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ

مَوْضُوعَهُ الْمَعْقُولَاتُ الثَّانِيَةُ[1] الْمَوْجُودَةُ فِي الذِّهْنِ فَقَطْ، فَعَلَى هَذَا الَّذِي[2] اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ رَأْيُهُمْ آخِرًا، صَارَ مَوْضُوعُهُ أَعَمَّ الْمَفْهُومَاتِ كُلِّهَا، بِحَيْثُ انْدَرَجَ فِيهَا مَوْضُوعَاتُ جَمِيعِ الْعُلُومِ.

وَقَدْ تَقَرَّرَ فِي مَوْضِعِهِ أَنَّ الْأَصَالَةَ وَالْفَرْعِيَّةَ بَيْنَ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ، أَنْ يَكُونَ مَوْضُوعُ الْفَرْعِ مِنْ أَنْوَاعِ مَوْضُوعِ الْأَصْلِ، فَعَلَى هَذَا يَكُونُ جَمِيعُ الْعُلُومِ، مِنْ فُرُوعِ عِلْمِ الْكَلَامِ، لِأَنَّ مَوْضُوعَهُ أَعَمُّ الْمَوْضُوعَاتِ كُلِّهَا، وَلِهَذَا لَمْ نَتَعَرَّضْ لِفُرُوعِ عِلْمِ الْكَلَامِ أَصْلًا، لَا لِعَدَمِ فُرُوعِهِ.

---

(1) الثابتة، في قونية.

(2) الموجود، في قونية.

الْمَطْلَبُ السَّادِسُ فِي فُرُوعِ عِلْمِ أُصُولِ الْفِقْهِ

عِلْمُ النَّظَرِ

وَهُوَ عِلْمُ الْمَنْطِقِ، الْبَاحِثُ عَنْ أَحْوَالِ الْأَدِلَّةِ السَّمْعِيَّةِ، أَوْ حُدُودِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ.

وَهَذَا مِنْ فُرُوعِ عِلْمِ الْأُصُولِ؛ لِأَنَّ عِلْمَ الْأُصُولِ بَاحِثٌ عَنْ أَحْوَالِ الْأَدِلَّةِ السَّمْعِيَّةِ، مِنْ حَيْثُ اسْتِنْبَاطُ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ مِنْهَا.

وَالْأَدِلَّةُ إِمَّا سَمْعِيَّةٌ، وَهِيَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ، أَوْ عَقْلِيَّةٌ، وَهِيَ الْقِيَاسُ.

ثُمَّ الْبَحْثُ عَنِ الْأَدِلَّةِ السَّمْعِيَّةِ بِطُرُقٍ سَمْعِيَّةٍ، وَعَنِ الْعَقْلِيَّةِ بِطُرُقٍ عَقْلِيَّةٍ بَاحِثَةٍ عَنِ الْأَدِلَّةِ السَّمْعِيَّةِ، وَهُوَ طُرُقُ الْقِيَاسِ، فَالطُّرُقُ الْعَقْلِيَّةُ لَيْسَتْ إِلَّا الْقَوَاعِدَ الْمَنْطِقِيَّةَ، فَهِيَ مِنْ فُرُوعِهِ لَا مَحَالَةَ؛ وَلِهَذَا جَعَلَهَا ابْنُ الْحَاجِبِ مِنْ مَبَادِئِ عِلْمِ الْأُصُولِ. إِلَّا أَنَّ الَّذِي يَكُونُ مَبَادِئَ لِعِلْمِ الْأُصُولِ، لَيْسَ جَمِيعَ قَوَاعِدِ الْمَنْطِقِ مِنْ جِهَةِ الْمَادَّةِ، بَلْ قَوَاعِدُ لَهَا اخْتِصَاصٌ بِالْمَبَاحِثِ السَّمْعِيَّةِ. نَعَمْ، لَا تَفَاوُتَ بَيْنَ السَّمْعِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ مِنْ جِهَةِ الصُّورَةِ، كَمَا لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ مَارَسَ فِي ذَلِكَ الْعِلْمِ.

عِلْمُ الْمُنَاظَرَةِ

وَهُوَ عِلْمٌ بَاحِثٌ عَنْ أَحْوَالِ الْمُتَخَاصِمَيْنِ، لِيَكُونَ تَرْتِيبُ الْبَحْثِ بَيْنَهُمَا عَلَى وَجْهِ الصَّوَابِ، حَتَّى يَظْهَرَ الْحَقُّ بَيْنَهُمَا.

وَهَذَا الْعِلْمُ مِنْ أَنْوَاعِ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ أَيْضًا. وَقَدْ مَرَّ تَفْصِيلُهُ، لَكِنْ لَا مَانِعَ فِيهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ فَرْعًا لِعِلْمِ الْأُصُولِ.

عِلْمُ الْجَدَلِ

وَهُوَ إِثْبَاتُ أَيِّ وَضْعٍ كَانَ، وَهَدْمُ أَيِّ وَضْعٍ.

وَهُوَ أَيْضًا مِنْ أَنْوَاعِ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ، لَكِنَّهُ مِنْ فُرُوعِ عِلْمِ الْأُصُولِ أَيْضًا.

عِلْمُ الْخِلَافِ

وَهُوَ الْجَدَلُ الْوَاقِعُ بَيْنَ أَصْحَابِ الْمَذَاهِبِ الْفَرْعِيَّةِ، كَأَبِي حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيِّ، وَأَمْثَالِهِمَا. وَالْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِلْمِ الْجَدَلِ بِالْمَادَّةِ وَالصُّورَةِ، فَإِنَّ الْجَدَلَ بَحْثٌ عَنْ مَوَادِّ الْأَدِلَّةِ الْخِلَافِيَّةِ، وَالْخِلَافَ بَحْثٌ عَنْ صُوَرِهَا.

وَقَدْ خَرَّجَ الْعُلَمَاءُ بَعْضَهَا مَسَائِلَ عَشْرٍ مِنَ الْخِلَافِيَّاتِ، وَبَعْضَهَا الْمَسَائِلَ الْعِشْرِينَ إِلَى الْأَرْبَعِينَ وَالْخَمْسِينَ، لِيَكُونَ أُنْمُوذَجًا، وَيُعْتَبَرَ بِهَا الْبَوَاقِي.

وَأَحْوَالُ هذهِ الْفُنُونِ وَالتَّصَانِيفِ الْوَاقِعَةِ فِيهَا لِتَقَدُّمِهَا سَابِقًا، تَرَكْنَا فِيهَا التَّطْوِيلَ.

وَكِتَابُ الْمَعَالِمِ[1]، لِلْإِمَامِ فَخْرِ الدِّينِ الرَّازِيِّ جَامِعٌ لِهَذِهِ الْعُلُومِ. وَسَمِعْتُ مِنْ بَعْضِ مَشَايِخِ الْمَغَارِبَةِ كُتُبًا كَثِيرَةً فِي عِلْمَيِ الْجَدَلِ وَالْخِلَافِ، بِحَيْثُ مَا سَمِعْنَا أَسْمَاءَهَا فِي بِلَادِنَا، فَضْلًا عَنْ رُؤْيَتِهَا.

(1) "**الْمَعَالِمُ فِي أُصُولِ الدِّينِ**"، لفخر الدين محمد بن عمر بن الحسن الرازي (ت. 606هـ). الكتاب مطبوع.

الْمَطْلَبُ السَّابِعُ فِي فُرُوعِ عِلْمِ الْفِقْهِ

عِلْمُ الْفَرَائِضِ

عِلْمٌ بَاحِثٌ عَنْ أَحْوَالِ قِسْمَةِ التَّرِكَةِ عَلَى مُسْتَحِقِّيهَا عَلَى فُرُوضٍ مُقَدَّرَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، وَإِجْمَاعِ أُمَّةِ رَسُولِهِ. وَشُهْرَةُ هَذَا الْعِلْمِ أَغْنَتْنَا[1] عَنْ تَفْصِيلِهِ.

وَهَذَا الْعِلْمُ بَابٌ مِنْ عِلْمِ الْفِقْهِ فِي الْأَصْلِ، إِلَّا أَنَّ لِكَثْرَةِ اعْتِنَاءِ الْعُلَمَاءِ بِهِ لِعُسْرِهِ، وَلِزِيَادَةِ شَرَفِهِ، أَفْرَدُوهُ بِالتَّدْوِينِ، حَتَّى عُدَّ عِلْمًا مُسْتَقِلًّا، وَجُعِلَ مِنْ فُرُوعِ عِلْمِ الْفِقْهِ.

وَالْمُصَنَّفَاتُ فِي هَذَا الْعِلْمِ كَثِيرَةٌ، لَكِنْ أَشْهَرُهَا فِي بِلَادِنَا: **"مُخْتَصَرُ السَّجَاوَنْدِيِّ"**[2]، وَشُرُوحُهُ، سِيَّمَا **شَرْحُ**[3] **السَّيِّدِ الشَّرِيفِ**، قُدِّسَ سِرُّهُ اللَّطِيفُ، **وَشَرْحُ**[4] **الْمَوْلَى شَمْسِ الدِّينِ الْفَنَارِيِّ**، عَلَيْهِ رَحْمَةُ الْبَارِي.

---

(1) أغنانا، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(2) **"فَرَائِضُ السَّجَاوَنْدِي"**، ويقال لها: **"الْفَرَائِضُ السِّرَاجِيَّةُ"**، لسراج الدين محمد بن محمود بن عبد الرشيد السجاوندي الحنفي، وعليها شروح كثيرة. كشف الظنون: 2/ 1247.

(3) عنوان الشرح: **"شَرْحُ فَرَائِضِ السَّجَاوَنْدِي"**، للشريف الجرجاني، وهو مطبوع.

(4) **"شَرْحُ فَرَائِضِ السَّجَاوَنْدِي"**، لمحمد بن حمزة شمس الدين الفناري. وهو مطبوع.

عِلْمُ الشُّرُوطِ وَالسِّجِلَّاتِ

وَهُوَ عِلْمٌ يُبْحَثُ فِيهِ عَنْ كَيْفِيَّةِ سَوْقِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْمُعَامَلَاتِ فِي الرِّقَاعِ وَالدَّفَاتِرِ، لِيُحْتَجَّ بِهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا.

وَهَذَا بِاعْتِبَارِ لَفْظِهِ مِنْ فُرُوعِ عِلْمِ الْإِنْشَاءِ، وَبِاعْتِبَارِ مَضْمُونِهِ وَفَحْوَاهُ، مِنْ فُرُوعِ عِلْمِ الْفِقْهِ. وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ فِي فُرُوعِ عِلْمِ الْإِنْشَاءِ.

عِلْمُ الْقَضَاءِ

وَهُوَ عِلْمٌ بَاحِثٌ عَنْ آدَابٍ تَخْتَصُّ بِالْقُضَاةِ، وَقَدِ اعْتَنَى الْعُلَمَاءُ بِشَأْنِ الْقُضَاةِ، فَأَفْرَدُوا آدَابَ الْقَضَاءِ فِي تَصْنِيفٍ مُسْتَقِلٍّ.

وَأَشْهَرُ التَّصَانِيفِ فِي ذَلِكَ **كِتَابُ الْخَصَّافِ**[1]، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْكُتُبِ الْمَشْهُورَةِ الَّتِي يَعْرِفُهَا أَهْلُهَا.

عِلْمُ مَعْرِفَةِ حُكْمِ الشَّرَائِعِ

وَاعْلَمْ أَنَّ الْفُقَهَاءَ اقْتَصَرُوا عَلَى تَعْلِيلِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، إِمَّا بِالسَّمْعِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ، أَوْ بِالْعَقْلِ - وَهُوَ الْقِيَاسُ - إِمَّا لِكِفَايَةِ ذَلِكَ فِي مَقَاصِدِهِمْ، أَوْ لِعَجْزِ الْعِبَادِ عَنْ مَعْرِفَةِ الْحُكْمِ، حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ: [البسيط]

---

(1) يقصد كتابَ: "أَدَبُ الْقَاضِي عَلَى مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ"، لأحمد بن عمرو الشيباني أبو بكر الخصاف الفقيه الحنفي (ت. 261هـ).

لَمْ يُخْلَقِ الْعَقْلُ دَرَّاكًا لِحِكْمَتِهِ لَكِنْ لِيَقْبَلَ مَا يَأْتِيهِ مِنْ حِكَمِ[1]

لَكِنَّ بَعْضًا مِنَ الْفُضَلَاءِ، شَكَرَ اللهُ سَعْيَهُمْ، بَذَلُوا مَجْهُودَهُمْ، فِيمَا لَمْ يَكُنِ الْحُكْمُ فِيهِ تَعَبُّدِيًّا، فِي أَنْ يَسْتَخْرِجُوا الْحُكْمَ فِي الْأَحْكَامِ، لِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُ الْعِبَادِ فِي قَبُولِهِ، وَتَنْشَطَ أَذْهَانُهُمْ بِأَنْ يَطَّلِعُوا عَلَى حِكْمَةِ آمِرِهَا، فَدَوَّنُوا حُكْمَ الشَّرَائِعِ وَمَحَاسِنَهَا حَسْبَمَا قَدَرُوا عَلَى ذَلِكَ.

وَصَنَّفَ فِي هَذَا الْعِلْمِ كِتَابًا نَافِعًا، وَتَأْلِيفًا جَامِعًا مُسَمًّى بِـ "**مَحَاسِنُ الشَّرَائِعِ وَالإِسْلَامِ**"، لِلشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْبُخَارِيِّ[2]، رَوَّحَ اللهُ رُوحَهُ.

عِلْمُ الْفَتَاوَى

وَهُوَ عِلْمٌ تُرْوَى فِيهِ الْأَحْكَامُ الصَّادِرَةُ عَنِ الْفُقَهَاءِ فِي الْوَقَائِعِ الْجُزْئِيَّةِ، لِيَسْهُلَ الْأَمْرُ عَلَى الْقَاصِرِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ.

وَالْكُتُبُ الْمُؤَلَّفَةُ فِي هَذَا الْعِلْمِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى، بَعْضُهَا عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيَّةِ، وَبَعْضُهَا عَلَى مَذْهَبِ الْحَنَفِيَّةِ، وَكَذَا الْمَالِكِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ.

---

(1) لم نعرف قائل البيت.

(2) ورد في المصادر: عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن شيرويه بن أسد القرشي المطلبي النيسابوري البخاري (ت.305هـ). سير أعلام النبلاء: 9/ 180، تذكرة الحفاظ: 2/ 247، وهدية العارفين: 1/ 443.

وَقَدْ ذَكَرْنَا كَثِيرًا مِنْهَا فِي عِلْمِ الْفِقْهِ مِنَ الْمُتُونِ وَالشُّرُوحِ وَالْفَتَاوَى، مَعَ تَرْجَمَةِ مُؤَلِّفِيهَا، لَكِنْ نَذْكُرُ هَاهُنَا عَلَى الْإِجْمَالِ بَعْضًا مِنَ الْكُتُبِ الْمُعْتَبَرَةِ الْوَاقِعَةِ عَلَى مَذْهَبِنَا، وَهِيَ:

الْهِدَايَةُ[1]، وَشُرُوحُ **الْجَامِعِ الصَّغِيرِ**، لِلْحُسَامِيِّ، وَلِلْبُرْهَانِ، وَلِلصَّدْرِ الشَّهِيدِ، وَلِلْعَتَّابِيِّ، وِلِقَاضِي خَان، وَلِلتُّمُرْتَاشِيِّ[2]، وَلِأَبِي اللَّيْثِ؛ وَهَذِهِ شُرُوحٌ سَبْعَةٌ **لِلْجَامِعِ الصَّغِيرِ**[3].

وَمِنْهَا:

"**الْأَجْنَاسُ**" لِلنَّاطِفِيِّ، وَ"**التَّجْنِيسُ**"[4] لِصَاحِبِ **الْهِدَايَةِ**، وَ"**الْمُنْتَقَى**"[5]، لِلْحَاكِمِ الشَّهِيدِ، وَ"**الْوَاقِعَاتُ**" لِلصَّدْرِ الشَّهِيدِ، وَ"**الْأَسْرَارُ**" لِلْقَاضِي أَبِي زَيْدٍ، وَ"**الْكَافِي**"[6] لِلْحَاكِمِ الشَّهِيدِ، وَ"**تُحْفَةُ الْفُقَهَاءِ**" وَشَرْحُهَا:

---

(1) يسمى: "**فَتَاوَى قَارِئِ الْهِدَايَةِ**"، لسراج الدين عمر بن علي الحنفي (ت. 829هـ). وهو مطبوع.

(2) أحمد بن إسماعيل بن أيدغمش ظهير الدين ابن أبي ثابت التُّمُرْتَاشِي، حنفي عالم بالحديث (ت. نحو 610هـ). كشف الظنون: 2/ 1221-1246.

(3) هذه الشروح السبعة لكتاب: "**الجامع الصغير**"، ذكرت بعناوينها في أماكنها في الكتاب، فليرجع إليها، ولا داعي لتكرارها هنا.

(4) عنوانه هو: "**التَّجْنِيسُ والْمَزِيدُ وَهُوَ لِأَهْلِ الْفَتْوَى غَيْرِ عَتِيدٍ**" لبرهان الدين علي بن أبي بكر المرغيناني (ت. 593هـ). كشف الظنون: 1/ 352.

(5) "**الْمُنْتَقَى**" في فروع الحنفية، لِلْحَاكِمِ الشَّهِيدِ أبي الفضل محمد.

(6) عنوان الكتاب: "**الْكَافِي فِي فُرُوعِ الْحَنَفِيَّةِ**"، للحاكِمِ الشَّهِيدِ محمد بن محمد الحنفي (ت. 334هـ). كشف الظنون: 2/ 1378.

"الْبَدَائِعُ"[1]، لِلْكَاشَانِي، وَ"خُلَاصَةُ الْفَتَاوَى"، وَ"قُنْيَةُ الْمُفْتِي"، وَ"مُنْيَةُ الْمُفْتِي"، وَ"الْمَبْسُوطُ"، وَ"الزِّيَادَاتُ"، وَ"الْجَامِعُ الْكَبِيرُ"، وَ"الْأَمَالِي"، وَ"الْمُحِيطُ"، وَ"الْمُلْتَقَطُ فِي شَرْحِ الزِّيَادَاتِ"، لِقَاضِي خَانَ، وَ"النَّوَادِرُ"، وَ"شَرْحُ الطَّحَاوِيِّ"[2]، وَ"غُنْيَةُ الْفُقَهَاءِ"[3]، وَ"عُمْدَةُ الْمُفْتِي"[4]، وَ"التَّجْرِيدُ"، وَ"الذَّخِيرَةُ"[5]، وَ"خِزَانَةُ الْفِقْهِ"[6]، وَ"الْعُيُونُ"، وَ"النَّوَازِلُ"[7]، وَ"الرَّوْضَةُ"[8]، وَ"شَرْحُ الْإِرْشَادِ"، وَ"جَمْعُ الْعُلُومِ"، وَ"جَمْعُ التَّفَارِيقِ"[9]، وَ"الْقُدُورِيُّ"[10]، وَ"الْمَنْظُومَةُ"، وَ"الْوِقَايَةُ"، وَ"الْبِدَايَةُ"، وَ"كِفَايَةُ الْمُنْتَهِي"[11]، وَ"فَتَاوَى أَبِي اللَّيْثِ"[12]، وَ"فَتَاوَى قَاضِي خَانَ"، وَ"الْفَتَاوَى

(1) "بَدَائِعُ الصَّنَائِعِ فِي تَرْتِيبِ الشَّرَائِعِ"، لِأَبِي بَكْرِ ابْنِ مَسْعُودِ بْنِ أَحْمَدَ الْكَاشَانِيِّ.
(2) "شَرْحُ مُخْتَصَرِ الطَّحَاوِي" في فروع الحنفية، لأبي بكرِ الرَّازِي الجَصَّاص. وهو مطبوع.
(3) "غُنْيَةُ الْفُقَهَاءِ"، لِيُوسُفَ بْنِ أَبِي سَعْدِ بْنِ أَحْمَدَ السَّجِسْتَانِيِّ (ت. بعد 638هـ).
(4) "عُمْدَةُ الْمُفْتِي وَالْمُسْتَفْتِي"، لِلصَّدْرِ الشَّهِيدِ عمرَ بْنِ عبدِ العزيزِ حُسَامِ الدِّينِ الحنفي، وهو مخطوط.
(5) "ذَخِيرَةُ الْفَتَاوَى"، لبرهانِ الدِّينِ محمود ابن مَازَه البخاري المرغيناني (ت.616هـ).
(6) "خِزَانَةُ الْفِقْهِ"، رسالة في الفتاوى، لأبي اللَّيْثِ السَّمَرْقَنْدِيِّ (ت. 373هـ)، وهو مطبوع.
(7) "النَّوَازِلُ مِنَ الْفَتَاوَى"، لأَبِي اللَّيْثِ السَّمَرْقَنْدِيِّ (ت. 373هـ). وهو مخطوط.
(8) "الرَّوْضَةُ فِي فُرُوعِ الْحَنَفِيَّةِ"، لِلنَّاطِفِيِّ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ. مر ذكره.
(9) "جَمْعُ التَّفَارِيقِ" فِي الْفُرُوعِ، لِمُحمَّدِ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ الْبَقَّالِي الْحَنَفِي (ت. 586هـ). وهو مطبوع.
(10) يقصد: "مختصرُ الْقُدُورِي"، مر ذكره.
(11) "كِفَايَةُ الْمُنْتَهِي فِي شَرْحِ بِدَايَةِ الْمُبْتَدِي"، لِبُرْهَانِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي بَكْرِ الْمَرْغِينَانِيِّ، مر ذكره.
(12) "فَتَاوَى النَّوَازِلِ"، لأبي الليث السمرقندي. وهو مطبوع.

الظَّهِيرِيَّةِ"[1]، وَ"فَتَاوَى الرُّسْتُفَغْنِيِّ[2]"، وَ"وَاقِعَاتُ الصَّدْرِ الشَّهِيدِ"[3]، وَ"وَاقِعَاتُ الْحَلْوَائِيِّ"[4] وَ"بُغْيَةُ الْمُنْيَةِ" لِصَاحِبِ الْقُنْيَةِ، وَ"الْفَتَاوَى الصُّغْرَى" وَ"فَتَاوَى الْمَرْغِينَانِيِّ"، وَ"الْفَتَاوَى الْكُبْرَى"[5]، وَ"فَتَاوَى حُسَامِ الدِّينِ الرَّازِيِّ"، وَ"الْفَتَاوَى الجلَالِيَّةِ"[6]، وَ"فَتَاوَى شَرَفِ الدِّينِ الْمَكِّيِّ"، وَشَرْحُ شَيْخ الْإِسَلامِ الْمَعْرُوفِ بِخَوَاهِرِ زَادَهْ[7]، وَ"تَتِمَّةُ الْفَتَاوَى"، وَ"فَوَائِدُ الْإِمَامِ أَبِي عَلِيِّ النَّسَفِيِّ"[8]، وَ"فَتَاوَى الْفَقِيهِ أَبِي جَعْفَرِ الْبَلْخِيِّ"، وَ"فَتَاوَى شَمْسِ الْأَئِمَّةِ الْحَلْوَائِيِّ"، وَ"فَتَاوَى بَهَاءِ الدِّينِ الْإِسْبِيجَابِيِّ"، وَ"فَتَاوَى التُّمُرْتَاشِيِّ"، وَ"فَتَاوَى أَبِي الْفَضْلِ الْكَرْمَانِيِّ"[9]، وَ"الْإِيضَاحُ"[10]، وَ"مُخْتَارُ

---

(1) "الْفَتَاوَى الظَّهِيرِيَّةِ"، لظهيرِ الدِّين أبي بكر محمد بن أحمد البخاري (ت. 619هـ). وهو مخطوط.

(2) الرُّسْتُفَغْنِي: نسبة إلى رُسْتُفَغْنَ وهي قرية من قرى سمرقند. الأنساب: 6/ 117.

(3) وتسمى أيضا: "الْوَاقِعَاتُ" أو "الْوَاقِعَاتُ الْحُسَامِيَّةُ"، لِلصَّدْرِ الشَّهِيدِ عمر بن عبد العزيز حُسَامِ الدِّينِ (ت. 536هـ).

(4) "وَاقِعَاتُ الْحَلْوَائِي"="الْوَاقِعَاتُ فِي الْفُرُوعِ"، لِشَمْسِ الْأَئِمَّةِ الْحَلْوَائِي (أو الْحَلْوَانِي).

(5) "الْفَتَاوَى الْكُبْرَى"، لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْحُسَامِ الشَّهِيدِ. مر ذكره.

(6) لعلها: فتاوى جلال الدِّين بن أحمد بن يوسف وقيل اسمه: رسولا التركماني البتاني الحنفي (ت. 793هـ). كشف الظنون: 2/ 1221.

(7) عنوان الشرح:" شَرْحُ مُشْكِلَاتِ الْقُدُورِي"، لمحمد بن محمود بن عبد الكريم الكردي المعروف بخواهر زاده (ت. 651هـ).وهو مطبوع. ترجمته في: الجواهر المضية: 3/ 362.

(8) تعرف بـ: "الْفَوَائِدُ فِي فُرُوعِ الْحَنَفِيَّةِ"، لأبي علي النسفي.

(9) عنوان الكتاب: "جَوَاهِرُ الفتاوى"، لركن الدين أبي الفضل الكرماني الحنفي (ت. 543هـ).

(10) "الْإِيضَاحُ فِي الْفُرُوعِ"، لأَبِي الْفَضْلِ رُكْنِ الدِّينِ عبد الرحمن الْكَرْمَانِيُّ. سبق ذكره.

الْفَتَاوَى"، وَ"**خِيرَةُ الْفُقَهَاءِ**"[1]، وَ"**تُحْفَةُ الْمُلُوكِ**"[2]، وَ"**الْإِرْشَادُ**"، وَ"**فَتَاوَى حَافِظ الدِّين الرَّازِيِّ**"، وَ"**الْفَتَاوَى التَّتَارْخَانِيَّةِ**". وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْفَتَاوَى الْمَبْسُوطَةِ وَالْمُوجَزَةِ.

وَلَا يَذْهَبُ عَلَيْكَ أَنَّ كُتُبَ الْفَتَاوَى أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى، لَكِنْ إِنْ ظَفِرْتَ بِمَا ذَكَرْنَاهُ كُلِّهَا أَوْ جُلِّهَا فَقَدْ فُزْتَ بِالْمَرَامِ.

وَاللهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ وَالْإِعْلَامِ، وَمِنْهُ الْهِدَايَةُ وَالْإِلْهَامُ.

---

(1) ورد في كشف الظنون: 1/ 728: **"خيرة الفتوى"**، للإمام علي بن محمد بن أحمد بن نصير الدين بن ملكان البرتواني الحنفي.

(2) **"تُحْفَةُ الْمُلُوكِ فِي الْفُرُوعِ"**، لزين الدين محمد بن أبي بكر حسن الرازي الحنفي. المصدر نفسه: 1/ 374.

الطَّرَفُ الثَّانِي مِنَ الرِّسالَةِ

في الْعُلومِ الْمُتَعَلِّقَةِ بالتَّصْفِيَةِ الَّتِي هي ثَمَرَةُ الْعَمَلِ بالْعِلْمِ، قالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «مَنْ عَمِلَ بما عَلِمَ، وَرَّثَهُ اللهُ عِلْمَ ما لم يَعْلَمْ».

وَلِهَذا الْعِلْمِ أَيْضًا ثَمَرَةٌ تُسَمَّى عُلومَ الْمُكاشَفَةِ، لا تَكْشِفُ عنها الْعِبارَةُ غَيْرَ الْإِشارَةِ، كما قالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ: «إِنَّ مِنَ الْعِلْمِ كَهَيْئَةِ الْمَكْنونِ لا يَعْرِفُها إِلَّا الْعُلَماءُ بِاللهِ، فإذا نَطَقُوا يُنْكِرُهُ أَهْلُ الْغِرَّةِ»[1].

لا جَرَمَ، رَتَّبْنا هذا الطَّرَفَ مِنَ الرِّسالَةِ على **مُقَدِّمَةٍ، وَدَوْحَةٍ لها شُعَبٌ، وَثَمَرَةٌ لها طَيِّبَةٌ**.

(1) التعرف لمذهب أهل التصوف: 87، قوت القلوب: 1/ 296، الأربعون في التصوف للسلمي: 13، الإحياء: 1/ 20، الفردوس بمأثور الخطاب: 1/ 210، الترغيب والترهيب: 1/ 103.

الْمُقَدِّمَةُ

اِعْلَمْ أَنَّ الْإِنْسانَ مُرَكَّبٌ مِنْ عالَمَيْنِ، لِأَنَّ بَدَنَهُ الْكَثيفَ مِنْ عالَمِ الْأَجْسامِ، وَرُوحَهُ اللَّطيفَ مِنْ عالَمِ الْمَلَكوتِ، ولَمَّا وَجَبَ في التَّرْكيبِ مِنَ الْمُناسَبَةِ بَيْنَ الْأَجْزاءِ، خَلَقَ الله سُبْحانَهُ وتَعالَى في الْبَدَنِ الْكَثيفِ جِسْمًا صَنَوْبَرِيًّا مُسَمًّى بِالْقَلْبِ، وَأَوْدَعَ فيه بُخارًا لَطيفًا، وَصادَ بِذَلِكَ الرُّوحَ اللَّطِيفَ، وَحَبَسَهُ في سِجْنِ هذا الْبَدَنِ الْكَثيفِ، لِأَنَّ ذلِكَ الْبُخارَ لِلَطافَتِها ناسَبَ الرُّوحَ الْعُلْوِيَّ، وَلِنَوْعِ جِسْمِيَّتِهِما ناسَبَ الْبَدَنَ الْكَثيفَ، فَصارَ ذلِكَ الْبُخارُ عَلاقَةً بَيْنَ الرُّوحِ وَالْبَدَنِ، ولَمَّا لم يَتَعَلَّقِ الرُّوحُ بهذا الْبُخارِ طَوْعًا لِنَزاهَتِهِ عنه أَيْضًا رَبَطَهُ الْحَقُّ به قَهْرًا، ولهذا قَدَّرَ مُفارَقَتَهُ عنه بهذا الْعُسْرِ الشَّديدِ الَّذي تَراهُ عند مُفارَقَةِ الرُّوحِ الْبَدَنَ جَزاءً لِما[1] عَصَى رَبَّهُ في النَّفْرَةِ عَمَّا خَلَقَهُ لِأَجْلِهِ.

ثُمَّ إنَّ الرُّوحَ بَعْدَما تَعَلَّقَ بِالْبَدَنِ أَفاضَ قِوًى جُزْئِيَّةً مِنْ مَحَلِّهِ الْأَصْلِيِّ الَّذي هو الْقَلْبُ إلى أَطْرافِ الْبَدَنِ، حَيْثُ أَفاضَ الدِّماغُ قُوَّةً مُدْرِكَةً، وَالْكَبِدُ قُوَّةً نَفْسانِيَّةً، إلى غَيْرِ ذلِكَ من الْقِوَى الْجُزْئِيَّةِ الْحالَّةِ في الْبَدنِ.

ثُمَّ إنَّ طَريقَ الْعِلْمِ بِالرُّوحِ ـ وَيُسَمَّى النَّفْسَ النَّاطِقَةَ ـ إمَّا مِنْ طَريقِ الْقُوَّةِ الْمُدْرِكَةِ الْمُسْتَمَدَّةِ من الْحَوَاسِّ، وَيُسَمَّى الْعِلْمَ الْحُصولِيَّ، أَوْ بِلَا واسِطَةِ تِلْكَ الْقِوَى، وَيُسَمَّى عِلْمًا حُضورِيًّا. وَأَسْبابُ الْعِلْمِ الْحُصولِيِّ الْفِكْرُ

(1) بما، في رئيس الكتاب.

والنَّظَرُ في الْمَحْسوساتِ، وَأَسْبابُ الْعِلْمِ الْحُضورِيِّ تَصْفِيَةُ النَّفْسِ عَنِ الشَّواغِلِ الدُّنْيَوِيَّةِ؛ إذِ النَّفْسُ كَالْمِرْآةِ قد كَدَّرَهَا الشَّواغِلُ الْحِسِّيَّةُ، فإذا صَقَلَهَا الْإِنْسانُ بِقَطْعِها عن تِلْكَ الشَّواغِلِ تَنْتَقِشُ فيها الْمَعْلوماتُ دُفْعَةً بلا حاجَةٍ إلى الْتِقاطِها مِنْ طُرُقِ الْحَواسِّ؛ كَمِرْآةٍ مُصَيْقَلَةٍ[1] حُوذِيَ بها شَطْرُ النُّورِ، وَأَمَّا النَّظَرُ فلا يَصْقُلُ منها إلَّا قَدْرَ ما يَنْتَقِشُ فيها النَّتائِجُ، فلذلِكَ يَكونُ الْعِلْمُ الْحُضورِيُّ أَكْمَلَ وَأَتَمَّ مِنَ الْعِلْمِ **الْحُصولِيِّ**. هذا ثُمَّ إنَّهُ كما أنَّ طَريقَ الْعِلْمِ الْحُصولِيِّ النَّظَرُ، كَذَلِكَ طَريقُ الْعِلْمِ الْحُضورِيِّ التَّصْفِيَةُ، والْأَوَّلُ قَدْ مَرَّ بما لا مَزيدَ عَلَيْهِ، وَأَمَّا طَريقُ **التَّصْفِيَةِ** فَأَمْرانِ:

إمَّا بِقَطْعِ النَّفْسِ عَنِ الْمَأْلوفاتِ بِالرِّياضاتِ والْمُجاهَداتِ، وَيُسَمَّى هذا **عِلْمَ الْباطِنِ**.

وَإِمَّا بِانْجِذابِ النَّفْسِ إلى عالَمِ الْقُدُسِ بَعْدَ التَّصْفِيَةِ بِواسِطَةِ عِشْقِهَا إلى الْعالَمِ الرُّوحانِيِّ، فَيَفيضُ لها الْعُلومُ الْحاصِلَةُ في الرُّوحانِيَّاتِ بِالْمُشاهَدَةِ والتَّحَقُّقِ، وَيُسَمَّى **عِلْمَ الْمُكاشَفَةِ**.

وَالْفَرْقُ بين الْعِلْمَيْنِ لا يُفْهَمُ إلَّا بِمِثالٍ، وَمِثالُ الْعِلْمِ الْحاصِلِ بِالتَّصْفِيَةِ، كَمِرْآةٍ صُقِلَتْ، وَوَصَلَتْ إِلَيْها النُّورُ من كُوَّةٍ تُقابِلُها؛ وَمِثالُ الثَّاني ـ وهو

(1) مَصْقولَةٍ، في أنطاليا.

عِلْمُ[1] الْمُشاهَدَةِ ـ كَمِرْآةٍ مُصَيْقَلَةٍ حُوذِيَ بها قُرْصُ الشَّمْسِ، وَوَصَلَ إلى يَنْبوعِ النُّورِ.

وَلَمَّا كانَ الْعِلْمُ الثَّاني ثَمَرَةً لِلْعِلْمِ الْأَوَّلِ، وَنَتيجَةً له، ذَكَرْنا الْأَوَّلَ في دَوْحَةٍ لها عِدَّةُ شُعَبٍ، والثَّانِي في ثَمَرَةٍ لها.

(1) عالم، في قونية.

الدَّوْحَةُ السَّابِعَةُ من الرِّسالَةِ: في عُلومِ الْباطِنِ

ولها أَرْبَعُ شُعَبٍ: الْعِباداتُ وَالْعاداتُ والْمُهْلِكاتُ والْمُنْجِياتُ

الشُّعْبَةُ الْأُولَى: في الْعِباداتِ

وَتَتَفَرَّعُ هذه عن عَشَرَةِ أُصولٍ

الْأَصْلُ الْأَوَّلُ: الْعِلْمُ

وفيه مَطالِبُ:

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ: في مَعْرِفَةِ فَضْلِ الْعِلْمِ والتَّعَلُّمِ وَالتَّعْلِيمِ

وَقَدْ مَرَّ شَواهِدُ هَذِهِ في صَدْرِ الرِّسالَةِ بما لا مَزيدَ عليه.

الْمَطْلَبُ الثَّانِي: في مَعْرِفَةِ ما يَجِبُ على الْمُسْلِمِ من الْعِلْمِ

قالَ رَسولُ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَريضَةٌ على كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ».

وقال: «اطْلُبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ بِالصِّينِ».

وَاخْتَلَفُوا في الْعِلْمِ الَّذِي هو فَرْضُ عَيْنٍ، وَادَّعَى كُلُّ طائِفَةٍ أَنَّ ما عِنْدَهُ هو ذلِكَ.

فَقالَ الْكَلامِيُّ: الْكَلامُ الَّذِي يُعْرَفُ به ذاتُ اللهِ وَصِفاتُهُ، وَالنُّبُوَّةُ والْمَعادُ.

وَقالَ الْفَقيهُ: الْفِقْهُ الَّذِي يُعْرَفُ به الْحَلالُ والْحَرامُ.

وَقالَ الْمُفَسِّرُ والْمُحَدِّثُ: عِلْمُ الْكِتابِ والسُّنَّةِ الَّتِي يُتَوَصَّلُ بهما إلى كُلِّ الْعُلومِ.

وَقالَتِ الْمُتَصَوِّفَةُ: عِلْمُ الْحالِ من تَحْصيلِ الإِخْلاصِ، وَتَرْكِ الآفاتِ، إذْ بِهِمَا يَتَقَرَّبُ الْعَبْدُ إلى مَوْلاهُ.

وَقالَ بَعْضُهُمْ: هو عِلْمُ الْباطِنِ، وَخَصُّوا الْوُجوبَ على أَقْوامٍ مَخْصوصينَ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ.

وَالصَّحيحُ أنَّ الْمُرادَ به عُلومُ الْمُعامَلَةِ دونَ عُلومِ الْمُكاشَفَةِ، وَهُوَ الْعِلْمُ بِالْمَبانِي الْخَمْسَةِ لِلْإِسْلامِ، كما نَطَقَ به الْحَديثُ، وهو قَوْلُهُ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «بُنِيَ الْإِسْلامُ على خَمْسٍ»[1].

فَأَوَّلُ الْواجِبِ على الْعاقِلِ الْبالِغِ تَعَلُّمُ كَلِمَتَي الشَّهادَةِ، ثُمَّ، وَثُمَّ، وَهَذا يَخْتَلِفُ بِاخْتِلافِ الْأَزْمانِ وَالْأَشْخاصِ، إِذْ يَجِبُ على مَنْ لا يَقْدِرُ على التَّفْصيلِ الْعِلْمُ الْإِجْمالِيُّ بِمَضْمونِ هاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ، وَإِذَا قَدَرَ على التَّفْصيلِ يَجِبُ عليه مِقْدارَ فَهْمِهِ وَإِلَّا فَلَا؛ وَأَيْضًا يَجِبُ على الْبالِغِ تَعَلُّمُ أَرْكانِ الصَّلاةِ قَدْرَ ما تَصِحُّ وَتَفْسُدُ، دونَ الصَّبِيِّ، وكَذَا يَجِبُ على الْغَنِيِّ تَعَلُّمُ أَحْوالِ الزَّكاةِ وَالْحَجِّ دونَ الْفَقيرِ. هذا حالُ الِاعْتِقادِ وَالْعَمَلِ.

وَأَمَّا التَّرْكُ، فلا يَجِبُ على الْأَبْكَمِ تَعَلُّمُ حُرْمَةِ الْكَلامِ، وَلَا على الْأَعْمَى تَعَلُّمُ ما يَحْرُمُ به النَّظَرُ، وعلى هذا الْقِياسُ.

وَبِالْجُمْلَةِ، الْواجِبُ على الْعَبْدِ من الْعِلْمِ، هو قَدْرُ ما يَتَجَدَّدُ عليه من الْوَقائِعِ مِنْ عِباداتِهِ وَمُعامَلاتِهِ، وَذَلِكَ يَخْتَلِفُ باخْتِلافِ الْأَشْخاصِ وَالْأَزْمانِ.

---

(1) صحيح البخاري: 1/ 11، رقم: 8، صحيح مسلم: 1/ 45، رقم: 25.

الْمَطْلَبُ الثَّالِثُ: فِي الْمَحْمودِ من الْعُلومِ والْمَذْمومِ منها

وَاعْلَمْ أنَّ الْعُلومَ إمَّا شَرْعِيَّةٌ تُسْتَفادُ مِنَ الْأَنْبياءِ فَقَطْ، وَإمَّا غَيْرُ شَرْعِيَّةٍ يَسْتَبِدُّ بِإدْراكِها الْعُقَلاءُ. وَغَيْرُ الشَّرْعِيَّةِ إنْ تَوَقَّفَ عَلَيْهِ قِوامُ أُمورِ الدُّنْيا؛ كَالطِّبِّ لِبَقاءِ الْأَبْدانِ؛ وَكَالْحِساب لِقِسْمَةِ الْوَصايَا وَالْمُعامَلاتِ، فَهِيَ مَحْمودَةٌ بِمَنْزِلَةِ الصِّناعاتِ الْجُزْئِيَّةِ، مِنَ الْفِلاحَةِ وَالْحِياكَةِ وَالْحِجامَةِ وَالسِّياسَةِ، فَهَذِهِ مِنْ فُروضِ الْكِفاياتِ، فَكَذَا الْعُلومُ الْمَذْكورَةُ. وإنْ لم يَتَوَقَّفْ عليه قِوامُ الدُّنْيَا، لَكِنْ يَحْسُنُ لِلْإِنْسانِ تَعاطِيهَا، فَهِيَ فَضيلَةٌ؛ كَالتَّعَمُّقِ في دَقائِقِ الْحِسابِ وَالطِّبِّ.

وَأَمَّا إنْ لم يَتَوَقَّفْ عليه شَيْءٌ مِنْ أُمورِ الدُّنْيا، فَإِنْ أَخَلَّ بِبَعْضِ الْأُمورِ فَهِيَ الْعُلومُ الْمَذْمومَةُ؛ كَالسِّحْرِ وَالطِّلَسْمَاتِ والشَّعْوَذَةِ، وَأَمْثالِ ذَلِكَ مِنَ التَّلْبيساتِ، وَإِنْ لم يُخِلَّ بِذَلِكَ فَهِيَ الْعُلومُ الْمُباحَةُ؛ كَالْأَشْعارِ وَالتَّوارِيخِ، وَما يَجْرِي مَجْرَى ذَلِكَ.

وَأَمَّا الْعُلومُ الشَّرْعِيَّةُ، فَهِيَ مَحْمودَةٌ كُلُّها، لَكِنْ قَدْ يَلْتَبِسُ بها ما يُظَنُّ أَنَّها شَرْعِيَّةٌ وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ، فَتَنْقَسِمُ إلى الْمَحْمودَةِ وَالْمَذْمومَةِ.

أَمَّا الْمَحْمودَةُ، فَإِمَّا أُصولٌ؛ كَالْكِتابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْماعِ وَالْقِياسِ. وَإِمَّا فُروعٌ؛ فَهِيَ إمَّا دُنْيَوِيٌّ؛ كَأَكْثَرِ مَسائِلِ الْفِقْهِ، أَوْ أُخْرَوِيٌّ؛ كَبَعْضِ مَسائِلِهَا، وَمَعْرِفَةِ أَحْوالِ الْقَلْبِ مِنْ أَخْلاقِها الْمَحْمودَةِ والْمَذْمومَةِ. وَإِمَّا مُقَدِّماتٌ

تَجْرِي مَجْرَى الْآلاتِ؛ كَاللُّغَةِ والنَّحْوِ والْمَعانِي وَعِلْمِ كِتابَةِ الْخَطِّ، لأَنَّهُ صارَ ضَرورِيًّا في الْغالِبِ لِتَوَقُّفِ حِفْظِ الْعُلومِ الشَّرْعِيَّةِ عليها. وَإِمَّا مُتَمِّماتٌ؛ كَعِلْمِ الْقِراءاتِ، وَالْمَخارِجِ في اللَّفْظِ، وَكَعِلْمِ التَّفْسيرِ في الْمَعْنَى، وَكَمَعْرِفَةِ النَّاسِخِ والْمَنْسوخِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعُلومِ الْقُرْآنِيَّةِ الَّتِي سَبَقَ تَفْصيلُها. وَكَذَا الْحالُ في الْحَديثِ، كَعِلْمِ أَسامِي الرِّجالِ وَأَحْوالِهِمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَأَمَّا الْعُلومُ الْمَذْمومَةُ، فَاعْلَمْ أَوَّلًا أَنَّ الْعِلْمَ لا يُذَمُّ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ عِلْمٌ، وإِنَّما يُذَمُّ لِأُمورٍ:

إِمَّا لِأَنَّهُ لا يَقْدِرُ الْخائِضُ فيه على إِدْراكِهِ، فَيَكونُ مَذْمومًا في حَقِّهِ؛ كَأَكْثَرِ مَنِ اشْتَغَلَ بِالْعُلومِ الْفَلْسَفِيَّةِ، وَلَمْ يَقْدِرْ على تَمْييزِ الْحَقِّ عَنْ خِلافِهِ.

وَإِمَّا لِإِضْرارِهِ بِغَيْرِهِ؛ كَعِلْمِ السِّحْرِ وَالطِّلَسْماتِ، فَإِنَّهُما وَسِيلَةٌ إلى إِضْرارِ الْخَلْقِ، وَالْوَسيلَةُ إلى الشَّرِّ شَرٌّ.

وَإِمَّا لِإِضْرارِهِ بِصاحِبِهِ في غالِبِ الْأَمْرِ؛ كَعِلْمِ النُّجومِ، فَإِنَّهُ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ حِسابٌ لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ غَيْرُ مَذْمومٍ، بَلْ قد وَرَدَ في الْقُرآنِ قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾[1] وَقَوْلُهُ: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾[2]، بَلْ ذَمُّهُ من حَيْثُ بَيانُ الْأَحْكامِ، وَهُوَ مَذْمومٌ.

(1) سورة الرحمن، الآية: 5.

(2) سورة يس، الآية: 39.

قالَ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ: «إِذَا ذُكِرَ الْقَدَرُ فَأَمْسِكُوا، وَإِذَا ذُكِرَ النُّجومُ فَأَمْسِكُوا، وإذا ذُكِرَ أَصْحابِي فَأَمْسِكُوا»[1].

وَقالَ عُمَرُ رَضِيَ الله عنه: «تَعَلَّمُوا مِنَ النُّجومِ ما تَهْتَدُونَ به في الْبَرِّ والْبَحْرِ ثُمَّ أَمْسِكُوا»[2].

وَإِنَّمَا ذُمَّ لِأَحَدِ ثَلاثَةِ أُمورٍ: إِمَّا أَنَّهُ رُبَّما يُوهِمُ الْخَلْقَ أنَّ الْكَواكِبَ هي الْمُؤَثِّرَةُ في الْحَوادِثِ. وَإِمَّا لِأَنَّهُ ظَنٌّ وَتَخْمِينٌ، فَالْحُكْمُ به جَهْلٌ لا عِلْمٌ، وقَدْ كانَ ذلك مُعْجِزَةً لِإِدْرِيسَ عليه السَّلامُ، ثُمَّ انْمَحَى وانْمَحَقَ، وما يَتَّفِقُ مِنَ[3] الْإِصابَةِ على النُّذورِ فَاتِّفاقِيٌّ؛ كَظَنِّ الْإِنْسانِ أَنَّ الْمَطَرَ يَنْزِلُ الْيَوْمَ فَيَقَعُ. وإِمَّا لِأَنَّهُ عِلْمٌ لا يَنْفَعُ، وَجَهْلٌ لا يَضُرُّ[4]، لِأَنَّهُ تَضْيِيعُ الْعُمُرِ بلا فائِدَةٍ.

إذا عَرَفْتَ أَنَّ مِنَ الْعِلْمِ الْمَحْمودَ وَالْمَذْمومَ، فَاعْلَمْ أنَّ مِنَ الْعُلومِ الشَّرْعِيَّةِ ما هو الْمَحْمودُ صورَةً والْمَذْمومُ مَعْنًى.

مِنْهَا الْفِقْهُ، وَقَدْ كانَ يُطْلَقُ الْفِقْهُ على عِلْمِ طَرِيقِ الْآخِرَةِ، وَمَعْرِفَةِ آفاتِ النُّفوسِ وَمَفاسِدِ الْأَعْمالِ، وَالْإِحاطَةِ بِحَقارَةِ الدُّنْيا، وَشَرَفِ نَعيمِ الْآخِرَةِ،

---

(1) مساوئ الأخلاق للخرائطي: 350، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث: 2/ 748، المعجم الكبير للطبراني: 2/ 96، الكامل في ضعفاء الرجال: 8/ 265، الحلية: 4/ 108، التمهيد لابن عبر البر: 4/ 62.

(2) مسند عمر ابن الخطاب للنجاد: 72، مصنف ابن أبي شيبة: 14/ 225، جامع بيان العلم وفضله: 2/ 791، إحياء علوم الدين: 1/ 29.

(3) منه، في قونية.

(4) يضر، في رئيس الكتاب.

وَاسْتِيلاءِ الْخَوْفِ على الْقَلْبِ؛ وَالْآنَ خُصَّ بِمَعْرِفَةِ الْفُروعِ الْغَرِيبَةِ، وَالْفَتاوَى الْعَجِيبَةِ، وَالاِطِّلاعِ على عِلَلِهَا، وَتَتَبُّعِ الْمَقالاتِ الْمُتَعَلِّقَةِ بها، وَالاِسْتِكْثارِ من الْمَسائِلِ الْفَرْعِيَّةِ حتَّى تَفْريعاتِ الطَّلاقِ، وَاللِّعانِ، وَالسَّلَمِ، وَالْإِجارَةِ، سَواءٌ تَجَرَّدَ لِلْأُمورِ الْأُخْرَوِيَّةِ أَوْ لَا. وقَدْ كانَ في الْعَصْرِ الْأَوَّلِ الْأَصْلُ مَعْرِفَةُ أُمورِ الْآخِرَةِ، وَأُمورِ الدُّنْيا بِالتَّبَعِ لها؛ وَالْآنَ انْعَكَسَ الْحالُ، فَتَداخَلَ الذَّمُّ إلى الْفِقْهِ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ، وَإِنْ كانَ مَحْمودًا في الْأَصْلِ.

وَمِنْها الْعِلْمُ، وَقَدْ كانَ يُطْلَقُ على الْعِلْمِ باللهِ تَعالى وَبِآياتِهِ وَأَفْعالِهِ في عِبادِهِ وَخَلْقِهِ، وَخَصَّصُوهُ الْيَوْمَ بِمَنْ يَشْتَغِلُ بِالْمُناظَرَةِ في الْمَسائِلِ الْفِقْهِيَّةِ وَغَيْرِها. وَيُقالُ له: هو الْفَحْلُ في الْعِلْمِ، وَالْعالِمُ على الْحَقيقَةِ، وَمَنْ لم يَكُنْ كَذَٰلِكَ يَعُدُّونَهُ مِنَ الضَّعَفَةِ، وَإِنْ كانَ عارِفًا بِاللهِ تَعالَى وَصِفاتِهِ، وَالْمَبْدَإِ وَالْمَعادِ، وَالتَّفْسيرِ والْأَخْبارِ.

وَمِنْهَا التَّوْحِيدُ، وَقَدْ كانَ يُطْلَقُ على أَنْ يَرَى الْأُمورَ كُلَّهَا مِنَ اللهِ تَعالى رُؤْيَةً تَقْطَعُ الْتِفاتَهُ عَنِ الْأَسْبابِ وَالْوَسائِطِ، فلا يُرَى الْخَيْرُ وَالشَّرُّ إِلَّا مِنْهُ جَلَّ جَلالُهُ؛ وَالْآنَ عِبارَةٌ عن صِناعَةِ الْكَلامِ، وَمَعْرِفَةِ طَريقِ الْمُجادَلَةِ، وَالْإِحاطَةِ بِالْمُناقَضاتِ، وَالْقُدْرَةِ على التَّشَدُّقِ فيها بِتَكْثِيرِ الْأَسْولَةِ، وَإِثارَةِ الشُّبُهاتِ، وَتَأْليفِ الْإِلْزاماتِ، حتَّى لَقَّبَ طَوائِفُ منهُمْ أَنْفُسَهُمْ بِأَهْلِ الْعَدْلِ

وَالتَّوْحيدِ[1]، وَتَسَمَّى الْمُتَكَلِّمونَ الْعُلَماءَ بِالتَّوْحِيدِ، مع أَنَّ أَبْوابَ الْجَدَلِ وَالْمُمارَاةِ كانَ ممَّا يَشْتَدُّ النَّكيرُ عليه في الْعَصْرِ الْأَوَّلِ.

وَمِنْهَا الذِّكْرُ والتَّذْكيرُ، وَقَدْ كانَ في الْعَصْرِ الْأَوَّلِ يُطْلَقُ على التَّكَلُّمِ في عِلْمِ الْآخِرَةِ وَالتَّذْكيرِ بِالْمَوْتِ، وَالتَّنْبِيهِ على عُيوبِ النَّفْسِ، وَآفاتِ النَّفْسِ وَالْأَعْمالِ، وَخَواطِرِ الشَّيْطانِ وَوَجْهِ الْحَذَرِ منها، وَيُذَكِّرُ بِآلَاءِ اللهِ سُبْحانَهُ وَنَعْمائِهِ، وَتَقْصيرِ الْعَبْدِ في شُكْرِهِ، وَيُعَرِّفُ حَقارَةَ الدُّنْيا وَعُيوبَهَا، وَتَصَرُّمَهَا وَقِلَّةَ عَهْدِها، وَخَطَرَ الْآخِرَةِ وَأَهْوالَهَا؛ فَهَذا هو التَّذْكيرُ الْمَحْمودُ شَرْعًا الَّذِي وَرَدَ الْحَثُّ عليه، فَنُقِلَ ذلِكَ الْآنَ إلى ما تَرَى من حالِ الْوُعَّاظِ، وَما يُواظِبونَ عليه من الْقَصَصِ وَالْأَشْعارِ وَالشَّطْحِ وَالطَّامَّاتِ.

أَمَّا الْقَصَصُ فَهُوَ بِدْعَةٌ، وَقَدْ وَرَدَ نَهْيُ السَّلَفِ عنِ الْجُلوسِ إلى الْقُصَّاصِ، لِأَنَّهُمْ إنِ اقْتَصَرُوا على الْقَصَصِ الْوارِدَةِ في الْقُرْآنِ لَأَصابُوا، لَكِنَّهُمْ غَيَّرُوا وَزادُوا وَنَقَصُوا، حَتَّى إنَّ مِنْهُمْ مَنْ سَمَحَ نَفْسَهُ وَضْعَ الْحِكاياتِ الْمُرَغِّبَةِ في الطَّاعاتِ، وَيَزْعُمُ أنَّ قَصْدَهُ فيه دَعْوَةُ الْخَلْقِ إلى الْحَقِّ، وَهَذِهِ مِنْ نَزَغاتِ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّ في الصِّدْقِ مَنْدوحَةً عن الْكَذِبِ.

وَأَمَّا الْأَشْعارُ، فَإِكْثارُها في الْوَعْظِ مَذْمومٌ، إذِ الْمُسْتَمِعُ يُنْزِلُ كُلَّ ما يَسْمَعُهُ على ما يَسْتَوْلِي على قَلْبِهِ، وَمَجالِسُ الْوُعَّاظِ لا تَحْوِي إلَّا أَجْلافَ الْعَوامِّ، وَبَواطِنُهُمْ مَشْحونَةٌ بِالشَّهَواتِ، فَتُحَرِّكُ الْأَشْعارُ الْمُشْتَمِلَةُ على تَواصُفِ

(1) يقصد المعتزلة.

الْعِشْقِ، وَمَدْحِ الْوِصالِ، وَبَثِّ آلامِ الْهَجْرِ ما هِيَ مُسْتَكِنَّةٌ في قُلوبِهِمْ من نِيرانِ الشَّهَواتِ، فَيَزْعَقُونَ، وَيَتَواجَدونَ على تَصَوُّرِ الْفَسادِ، اللَّهُمَّ إلَّا إذا كانَتِ الْأَشْعارُ مُشْتَمِلَةً على الْمَواعِظِ وَالْحِكَمِ[1]، أو كانَتِ الْحُضَّارُ في الْمَجْلِسِ الْخَواصَّ خاصَّةً، فَأولَئِكَ يُنْزِلُونَ الشِّعْرَ الْوارِدَ في الْمَخْلوقِ على ما اسْتَوْلَى على قَلْبِهِمْ مِنْ حُبِّ الْخالِقِ.

وَأَمَّا الشَّطْحُ، فَإِمَّا دَعاوَى طَويلَةٌ عَريضَةٌ في الْعِشْقِ مَعَ اللهِ وَالْوِصالِ الْمُغْنِي عن الْأَعْمالِ الظَّاهِرَةِ، حَتَّى يَنْتَهِيَ قَوْمٌ إلى دَعْوَى الِاتِّحادِ، وَارْتِفاعِ الْحِجابِ، وَالْمُشاهَدَةِ بِالرُّؤْيَةِ، وَالْمُشافَهَةِ بِالْخِطابِ، فَيَقولونَ: قِيلَ لَنا كَذَا، وَقُلْنا كَذَا. وَإِمَّا كَلِماتٌ غَيْرُ مَفْهومَةٍ، لها ظَواهِرُ رائِعَةٌ، وَفيها عِباراتٌ هائِلَةٌ، وَلَيْسَ وَراءَهَا طائِلٌ، وهذا إمَّا أنْ لا يَفْهَمَهُ الْقائِلُ أيْضًا، وإمَّا لِخَبْطٍ في عَقْلِهِ، وَتَشْويشٍ في خَيالِهِ؛ أو تكونَ مَفْهومَةً لِلْقائِلِ، ولا يَقْدِرَ على التَّعْبيرِ لِقِلَّةِ مُمارَسَتِهِ التَّعْبيرَ عن الْمَعانِي بِالْأَلْفاظِ الرَّشِيقَةِ[2].

قالَ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «كَلِّموا النَّاسَ بما يَعْرِفونَهُ، وَدَعوا ما يُنْكِرونَهُ، أَتُريدونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسولُهُ؟!»[3].

وهذا فِيمَا يَفْهَمُهُ صاحِبُهُ، فَكَيْفَ فيما لا يَفْهَمُهُ قائِلُهُ، فإنْ كانَ يَفْهَمُهُ الْقائِلُ دونَ السَّامِعِ فلا يَحِلُّ ذِكْرُهُ.

---

(1) الإحياء: 1/ 36.

(2) المصدر نفسه: 1/ 36.

(3) صحيح البخاري: 1/ 37، رقم: 127 بلفظ: «حَدِّثُوا الناس...»، واللفظ من الإحياء: 1/ 36.

وَأَمَّا الطَّامَّاتُ، فَمِنْهَا ما ذَكَرْناهُ مِنَ الشَّطْحِ. وَأَمْرٌ آخَرُ، وهو صَرْفُ أَلْفاظِ الشَّرْعِ عن ظَواهِرِ الْمَفْهومِ إلى أُمورٍ باطِنَةٍ، لا يَسْبِقُ منها إلى الْأَفْهامِ حَقيقَةٌ يُعْتَمَدُ عليها؛ كَدَأْبِ الْباطِنِيَّةِ في التَّأْويلاتِ، وهذا أَيْضًا حَرامٌ، فَإِنَّ الْأَلْفاظَ إذا صُرِفَتْ عن ظَواهِرِها بِلَا نَقْلٍ من الشَّرْعِ، أو دَليلٍ من الْعَقْلِ، لَبَطَلَ التَّعْويلِ على النُّصوصِ، وَبِهذا تَوَصَّلَ الْباطِنِيَّةُ إلى هَدْمِ الشَّرائِعِ؛ إذِ النُّفوسُ مائِلَةٌ إلى الْأُمورِ الْمُسْتَغْرَبَةِ ومُسْتَلِذَّةٌ له[1].

وَمِنْهَا الْحِكْمَةُ، وقد كانَتِ الْحِكْمَةُ تُعَدُّ خَيْرًا كَثِيرًا؛ كما نَطَقَ به التَّنْزيلُ بِقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[2].

وَقَوْلِهِ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ: «كَلِمَةٌ مِنَ الْحِكْمَةِ يَتَعَلَّمُها الرَّجُلُ خَيْرٌ له من الدُّنْيَا وما فِيهَا»[3].

وَالْآنَ نُقِلَ[4] إلى الطَّبِيبِ والشَّاعِرِ والْمُنَجِّمِ، حَتَّى الَّذِينَ يُدَحْرِجونَ القُرْعَةَ على أَكُفِّ السَّوادِيَّةِ في شَوارِعِ الطُّرُقِ، فَانْظُرْ هذا النَّقْلَ مِنْ أَيْنَ إلى أَيْنَ.

إذا عَرَفْتَ مَثارَ الِالْتِباسِ في الْعُلومِ، فَعَلَيْكَ أَنْ تَنْظُرَ لِنَفْسِكَ فَتَقْتَدِيَ بِالسَّلَفِ، ولا تَتَدَلَّى بِحَبْلِ الْغُرورِ حتَّى تَتَشَبَّهَ بِالْخَلَفِ، فَاعْلَمْ أَنَّ مِنَ الْعِلْمِ ما هو الْمَذْمومُ قَليلُهُ وَكَثيرُهُ، ولا فائِدَةَ فيه دِينًا ودُنْيَا، أو ضَرَرُهُ يَغْلِبُ نَفْعَهُ؛

---

(1) الإحياء: 1/ 37.

(2) سورة البقرة، الآية: 269.

(3) الإحياء: 1/ 66، المدخل لابن الحاجّ: 1/ 66، تخريج أحاديث الإحياء: 48، قال ابن السبكي في طبقات الشافعية:6/ 288: لم أجد له إسنادًا.

(4) تطلق، في أنطاليا.

كَعِلْمِ السِّحْرِ وَالطِّلَسْمَاتِ وَالنُّجومِ. ومنه ما هو الْمَحْمودُ كُلُّهُ؛ كَالْعِلْمِ باللهِ سُبْحانَهُ وَتَعالَى، وَبِصِفاتِهِ[1] وَأَفْعالِهِ، وسُنَّتِهِ في خَلْقِهِ، فإنَّهُ بَحْرٌ لا ساحِلَ له، وما خاضَ فيه إلَّا الْأَنْبياءُ والْأَوْلِياءُ والرَّاسِخونَ في الْعِلْمِ، وَمِفْتاحُهُ أَوَّلًا التَّعَلُّمُ والْجِدُّ وَمُشاهَدَةُ أَحْوالِ الْعُلَماءِ، وَآخِرُهُ الْمُجاهَدَةُ والرِّياضَةُ، وَتَصْفِيَةُ الْقَلْبِ، وَتَفْريغُهُ عن عَلائِقِ الدُّنْيا، والتَّشَبُّهُ بِأَنْبياءِ الله وَأَوْلِيائِهِ[2].

وَأَمَّا الْعُلومُ الَّتِي لا يُحْمَد منها إلَّا قَدْرٌ مَخْصوصٌ فَهِيَ الْعُلومُ الَّتِي هي فُروضُ الْكِفاياتِ، فإنَّ لِكُلِّ عِلْمٍ اقْتِصارًا وَاقْتِصادًا وَاسْتِقْصاءً؛ فإنْ كُنْتَ أَصْلَحْتَ نَفْسَكَ فلا عَلَيْكَ الاِسْتِقْصاءُ فيها لِإِصْلاحِ غَيْرِكَ، وَيَكْفيكَ الاِقْتِصادُ، بل هو الْخَيْرُ، إذْ لا تَفِي الْأَعْمارُ بِالاِسْتِقْصاءِ في كُلِّ الْعُلومِ، فَاسْتِقْصاءُ الْبَعْضِ دونَ الْآخَرِ لَيْسَ بِخَيْرٍ، بل الْأَحْسَنُ منه الاِقْتِصادُ في الْكُلِّ. وإنْ لم تكُنْ أَصْلَحْتَ نَفْسَكَ أَوَّلًا، فَإِيَّاكَ وَإِيَّاكَ أَنْ تَقْصِدَ إِصْلاحَ غَيْرِكَ وَتَتْرُكَ نَفْسَكَ، إذْ لا أَعْظَمَ مِنْهُ خُسْرانًا؛ فَعَلَيْكَ أَنْ تَشْتَغِلَ أَوَّلًا بِتَطْهيرِ نَفْسِكَ مِنْ ظاهِرِ الإِثْمِ وَباطِنِهِ، بِحَيْثُ تَجْعَلُهُ دَيْدَنًا وَعادَةً مُنْتَشِرَةً فيكَ[3].

ثُمَّ اشْتَغِلْ بِفُروضِ الْكِفاياتِ على التَّدْريجِ الَّذي سَنَذْكُرُ لك ذَلِكَ، فَابْتَدِئْ بِكِتابِ اللهِ، ثُمَّ بِسُنَّةِ رَسولِهِ، ثُمَّ بِعِلْمِ التَّفْسِيرِ وَسائِرِ عُلومِ الْقُرْآنِ،

---

(1) وصفاته، في رئيس الكتاب.

(2) الإحياء: 1/ 38.

(3) المصدر نفسه: 1/ 38.

مِنَ النَّاسِخِ وَالْمَنْسوخِ، وَالْمَفْصولِ وَالْمَوْصولِ، وَالْمُحْكَمِ وَالْمُتَشابِهِ، وَكَذَلِكَ في السُّنَّةِ.

ثُمَّ اشْتَغِلْ بِالْفُروعِ من عِلْمِ الْفِقْهِ دونَ الْخِلافِ، ثُمَّ بِأُصولِ الْفِقْهِ، وهَكَذا إلى بَقِيَّةِ الْعُلومِ، بِقَدْرِ ما يَتَّسِعُ له وَقْتُكَ. وَلَا تَسْتَغْرِقْ عُمُرَكَ في واحِدٍ مِنْها طالِبًا لِلِاسْتِقْصاءِ، فإنَّ الْعِلْمَ كَثِيرٌ، وَالْعُمُرَ قَصِيرٌ[1]، وإِنْ طَلَبْتَ الزِّيادَةَ عَلَيْها، وَاتَّسَعَ لَكَ الْوَقْتُ، فَاقْتَصِرْ مِنْ شائِعِ عِلْمِ اللُّغَةِ قَدْرَ ما تَفْهَمُ به كَلامَ الْعَرَبِ وَتَنْطِقُ به، ومِنْ غَرِيبِهَا على غَرِيبِ الْقُرْآنِ وَالْحَديثِ، وَدَعِ التَّعَمُّقَ فيه، وَاقْتَصِرْ من النَّحْوِ على قَدْرِ ما يَتَوَقَّفُ عليه مَعْرِفَةُ الْكِتابِ والسُّنَّةِ[2].

وَتَعَمَّقْ في التَّفْسِيرِ قَدْرَ ما يَعُدُّهُ الْعُلَماءُ وَسِيطًا، ثُمَّ اصْرِفْ ذِهْنَكَ على لَطائِفِهِ وَإِشاراتِهِ. **وفي الْحَديثِ** قَدْرَ تَحْصيلِ ما في الصَّحيحَيْنِ أوِ الصِّحاحِ السِّتَّةِ قَدْرَ ما يُحْتاجُ إليه في الْأَعْمالِ، وَحَصِّلْ نُسْخَةً صَحيحَةً مِنْهُما، أو منها، على رَجُلٍ خَبِيرٍ بِمُتونِ الْحَديثِ، وَدَعْ حِفْظَ أَسامِي الرِّجالِ، وَمَعْرِفَةَ عِلَلِهِمْ؛ لِأَنَّ السَّلَفَ مِنْ جامِعِي الصِّحاحِ قَدْ كُفِينا[3] مُؤْنَتَها؛ **فَأَمَّا الْفِقْهُ فَيَكْفِي فيه حِفْظُ الْبِدايَةِ، أو الْوِقايَةِ، أو الْمَنْظومَةِ، لِلنَّسَفِي.**

---

(1) استعار حاجي خليفة هذا الكلام في مقدمة كتاب كشف الظنون.

(2) الإحياء: 1/ 39-40.

(3) كذا في النسخ الخطية ولعل الصواب: كَفَوْنَا. وأصل الكلام عند الغزالي في الإحياء: 1/ 40: "وأما حفظ أسامي الرجال فقد كُفِيتَ فيه بما تَحَمَّلَهُ عنك مَنْ قَبْلَكَ".

وَأَمَّا الْكَلامُ، فَيَكْفِي فيه قَدْرُ مُحافَظَةِ عَقائِدَ وارِدَةٍ في الْكِتابِ وَالسُّنَّةِ، وإنْ قَدَرْتَ مع ذَلِكَ على دَفْعِ الْمُبْتَدِعَةِ فَأَحْسَنُ وَأَحْسَنُ.

وَأَمَّا الْخِلافِيَّاتُ فَلَا حاجَةَ لَكَ بها على كُلِّ حالٍ، إذِ الْغَرَضُ منها إقْبالُ النَّاسِ، وَوُفورُ الْحُرْمَةِ وَالْحِشْمَةِ عند الْوُلَاةِ. وهذا مِنْ أَخَسِّ الْأَغْراضِ وَأَرْذَلِهَا، سِيَّمَا إذا أَدَّى إلى بَذْلِ الْعِلْمِ في بابِ هَؤُلاءِ، وَسِيَّمَا مَعَ طَلَبِ رِضاهُمْ في الْأَحْكامِ، اللَّهُمَّ عَفْوًا عَفْوًا.

وَأَمَّا الْمَنْطِقُ، فهو داخِلٌ في عِلْمِ الْكَلامِ[1]؛ وَأَمَّا الْعُلومُ الْفَلْسَفِيَّةُ فما كانَ منها مُخالِفًا لِلشَّرْعِ؛ كَأَكْثَرِ مَباحِثِ الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ وبَعْضٍ مِنَ الطَّبِيعِيِّ، فَذَلِكَ في حُكْمِ السِّحْرِ بَلْ أَضَرُّ منه، لأنَّهُ يُؤَدِّي إلى الْكُفْرِ أَسْرَعَ مِنَ السِّحْرِ. وما لم يَكُنْ مُخالِفًا لِلشَّرْعِ؛ كَبَعْضِ مَسائِلِ الْإِلَهِيِّ، وَأَكْثَرِ مَسائِلِ الطَّبِيعِيِّ، وَكُلِّ مَباحِثِ الرِّياضِيِّ، فلا مَنْعَ عَنْهَا. فهو في حُكْمِ عِلْمِ الْحِسابِ، إلَّا أَنْ يُخافَ مِنْ أَنْ يُسْتَدْرَجَ مُشْتَغِلُهُ إلى الْعُبورِ إلى الْبَواقِي، فَيُمْنَعَ منها الْبَعْضُ أَكْثَرَ، وَالْبَعْضُ دونَ ذَلِكَ.

فَالَّذِي يَجِبُ عَلَيْكَ: الْإِقْبالُ بِعُلومِ الْآخِرَةِ، وهي قِسْمانِ: **عُلومُ مُعامَلَةٍ، وَعُلومُ مُكاشَفَةٍ**، وَالْأَوَّلُ طَرِيقٌ لِلثَّانِي.

أَمَّا عُلومُ الْمُعامَلَةِ، فَهِيَ مَعْرِفَةُ أَحْوالِ الْقَلْبِ؛

---

(1) الصحيح أن المنطق داخل في الفلسفة.

أَمَّا ما يُحْمَدُ منها؛ كَالصَّبْرِ، وَالشُّكْرِ، وَالْخَوْفِ، وَالرَّجاءِ، وَالزُّهْدِ، وَالرِّضَا، وَالْقَناعَةِ، وَالتَّقْوَى، وَالْإِحْسانِ، وَالسَّخاءِ، وَحُسْنِ الظَّنِّ وَالْخُلُقِ، وَالْمُعاشَرَةِ، وَالصِّدْقِ، وَالْإِخْلاصِ.

وَأَمَّا ما يُذَمُّ مِنْهَا؛ فَخَوْفُ الْفَقْرِ، وَسَخَطُ الْمَقْدورِ، وَالْغِلُّ، وَالْحِقْدُ، وَالْحَسَدُ، وَالْغِشُّ، وَطَلَبُ الْعُلُوِّ، وَحُبُّ الثَّناءِ، وَحُبُّ الْبَقاءِ في الدُّنْيا، وَالْكِبْرُ، وَالرِّياءُ، وَالْغَضَبُ، وَالْفَخْرُ، وَالْخُيَلاءُ، وَالتَّنافُسُ، وَطولُ الْأَمَلِ، وَالْفَرَحُ بِالدُّنْيَا، وَالْأُنْسُ بِأَهْلِهَا، إلى غَيْرِ ذلِكَ[1].

وَأَمَّا عُلومُ الْمُكاشَفَةِ، فَمَعْرِفَةُ ذاتِ اللهِ سُبْحانَهُ وَتَعالى، وَصِفاتِهِ، وَأَفْعالِهِ، وَحِكْمَتِهِ، وَمَعْرِفَةُ مَعْنَى النُّبُوَّةِ والنَّبِيِّ، وَمَعْنَى الْوَحْيِ والْمَلائِكَةِ وَالشَّياطينِ، وَمَعْرِفَةُ الْجَنَّةِ والنَّارِ، وَعَذابِ الْقَبْرِ، وَالصِّراطِ، وَالْمِيزانِ، وَالْحِسابِ، وَمَعْنَى لِقاءِ اللهِ تَعَالَى وَالنَّظَرِ إلى وَجْهِهِ الْكَريمِ، وَمَعْنَى الْقُرْبِ مِنْهُ وَالنُّزولِ في جِوارِهِ[2]. إلى غَيْرِ ذلكَ مِنَ الْأَحْوالِ، بِأَنْ يَرْتَفِعَ الْغِطاءُ، وَيَتَّضِحَ جَلِيَّةُ الْحَقِّ اتِّضَاحًا يَجْرِي مَجْرَى الْعِيانِ الَّذِي لا يُشَكُّ فيه، وَهَذَا مُمْكِنٌ في جَوْهَرِ الْإِنْسانِ، وَإِنَّمَا يَشْغَلُ عنه كَدَرُ قَاذورَاتِ الدُّنْيَا، فإذا صُقِلَ الْقَلْبُ عنها تَتَجَلَّى له تلك الْعُلومُ بلا شَكٍّ، وَتَتَلَأْلَأُ فيه أَنْوارُ تلك الْحَقائِقِ لا مَحالَةَ. وَهَذِهِ عُلومٌ

(1) الإحياء: 1/ 20-21.

(2) المصدر نفسه: 1/ 20.

لا تُسَطَّرُ في الْكُتُبِ، ولا يَتَحَدَّثُ بها إلَّا مَنْ يَعْرِفُهَا، فلا تَحْقِرُوا عالِمًا آتاهُ اللهُ عِلْمًا، فإنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لم يَحْقِرْهُ إذْ آتاهُ إيَّاهُ[1].

قالَ بَعْضُ الْعارِفينَ: مَنْ لم يَكُنْ له نَصِيبٌ من هذا الْعِلْمِ ـ يَعْنِي عِلْمَ الْمُكاشَفَةِ ـ أَخافُ عليه سُوءَ الْخاتِمَةِ، وَأَدْنَى النَّصيبِ منه التَّصْديقُ به، وَتَسْليمُهُ لِأَهْلِهِ.

وَقالَ آخَرُ: مَنْ كانَ فيه خَصْلَتانِ لم يُفْتَحْ له بِشَيْءٍ مِنْ هذا الْعِلْمِ، وهما: الْبِدْعَةُ وَالْكِبْرُ.

وَقيلَ: مَنْ كانَ مُحِبًّا لِلدُّنْيا، أَوْ مُصِرًّا على هَوًى، لم يَتَحَقَّقْ به، وَقَدْ يَتَحَقَّقُ بِسائِرِ الْعُلومِ. وَأَقَلُّ عُقوبَةِ مَنْ يُنْكِرُهُ أَنْ لا يُرْزَقَ منه شَيْءٌ[2]، وهو عِلْمُ الصِّدِّيقِينَ وَالْمُقَرَّبينَ[3].

الْمَطْلَبُ الرَّابِعُ: في آدابِ الْمُعَلِّمِ وَالْمُتَعَلِّمِ وَوَظائِفِهِمَا

وَقَدِ اسْتَوْفَيْنا هذا الْبابَ في أَوَّلِ الْكِتابِ، فلا نَشْتَغِلُ بِإِمْلالِ الْأَصْحابِ، بِسُلوكِ طَريقِ الْإِسْهابِ.

---

(1) الإحياء: 1/ 20.

(2) كذا في الأصول الخطية، والصواب شيئا.

(3) الإحياء: 1/ 19.

الْمَطْلَبُ الْخامِسُ: في آفاتِ الْعِلْمِ وَبَيانِ عَلاماتِ عُلَماءِ الدُّنْيا وعُلَماءِ الْآخِرَةِ

اِعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ وَرَدَ في شَأْنِ الْعُلَماءِ نُصوصٌ وَأَخْبارٌ، تَدُلُّ على أَنَّهُمْ أَشَدُّ عَذابًا يَوْمَ الْقِيامَةِ إذا لم يَعْمَلُوا بِعِلْمِهِمْ، وَالَّذِينَ يَقْصِدونَ بِعِلْمِهِمُ التَّنَعُّمَ في الدُّنْيا، وَالتَّوَصُّلَ إلى الْجاهِ وَالْمَنْزِلَةِ عند أَهْلِهَا، ولا حاجَةَ إلى ذِكْرِ تِلْكَ الْأَخْبارِ وَالْآثارِ لِشُهْرَتِها عند الْعُلَماءِ.

وَحاصِلُ الْجَميعِ، أنَّ الْعالِمَ الَّذِي هو مِنْ أَبْناءِ الدُّنْيَا أَخَسُّ حالًا، وَأَشَدُّ عَذابًا مِنَ الْجاهِلِ. ثُمَّ إنَّ الْفائِزِينَ الْمُقَرَّبِينَ مِنَ الْعُلَماءِ لهم عَلاماتٌ بها يَمْتازونَ عن عُلَماءِ الدُّنْيَا، فَلْنَذْكُرْ منها مَعَ كَثْرَتِهَا اثْنَتَيْ عَشْرَةَ عَلامَةً:

مِنْهَا: أَنْ لا يَطْلُبَ الدُّنْيَا بِعِلْمِهِ، فَإِنَّ أَقَلَّ دَرَجاتِ الْعالِمِ، أَنْ يُدْرِكَ حَقارَةَ الدُّنْيَا وَانْصِرامَهَا، وَعِظَمَ الْآخِرَةِ وَدَوامَها، وَصَفاءَ نَعيمِهَا، وَجَلالَةَ مُلْكِهَا، وَيَعْلَمَ أَنَّهُمَا كَالضَّرَّتَيْنِ مَتَى أَرْضَيْتَ أَحَدَيْهِما أَسْخَطْتَ الْأُخْرَى، وَكَكَفَّتَيْ مِيزانٍ في رُجْحانِ أَحَدَيْهِمَا خِفَّةُ الْأُخْرَى، وَكَالْمَشْرِقِ والْمَغْرِبِ يَسْتَلْزِمُ قُرْبُ[1] أَحَدِهِما الْبُعْدَ مِنَ الْآخَرِ؛ فإنَّ مَنْ لا يَعْلَمُ كُدُورَةَ الدُّنْيَا، وَامْتِزاجَ لَذَّتِهَا بِأَلَمِهَا، بَلْ يُقالُ: إِنَّ أُمورَ الدُّنْيَا إِمَّا عَيْنُ أَلَمٍ، أو مُقَدِّمَةٌ لِلْأَلَمِ، فهو فاسِدُ الْعَقْلِ، غافِلٌ عَنِ الْمُشاهَدَةِ وَالتَّجْرِبَةِ، فَكَيْفَ يَكونُ مِنَ الْعُلَماءِ مَنْ لا

(1) من قرب، في مراد ملا.

عَقْلَ له؛ وَأَيْضًا مَنْ لا يَعْلَمُ عِظَمَ أَمْرِ الْآخِرَةِ وَدَوامَها، فهو كافِرٌ بِالنُّصوصِ، وَمَنْ لا إيمانَ له لا يَكونُ عالِمًا[1].

وَأَيْضًا مَنْ غَفَلَ عَنْ مُضادَّةِ الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ، وَأَنَّ الْجَمْعَ بَيْنَهُما نَفْخٌ بلا ضَرْمٍ فَهُوَ جاهِلٌ بالشَّرائِعِ كُلِّهَا، بل هُوَ كافِرٌ بِمَا بَيْنَ دَفَّتَي الْمَصاحِفِ كُلِّهَا، فَكَيْفَ يُعَدُّ مِنْ زُمْرَةِ الْعُلَماءِ؟! وَمَنْ عَلِمَ هذا كُلَّهُ، ثُمَّ لَمْ يُؤْثِرِ الْآخِرَةَ على الدُّنْيا، فَهُوَ أَسِيرُ الشَّيْطانِ، قد أَهْلَكَتْهُ شَهْوَتُهُ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ شِقْوَتُهُ، فَكَيْفَ يُعَدُّ مِنْ حِزْبِ الْعُلَماءِ مَنْ هَذِهِ دَرَجَتُهُ[2].

وَقِيلَ: [الوافر]

وَراعِي الشَّاءِ يَحْمِي الذِّئْبَ عَنْهَا فَكَيْفَ إذا الرُّعاةُ لها ذِئابُ؟![3]

وَمِنْها: أَنْ لا يُخالِفَ قَوْلُهُ فِعْلَهُ، بل لا يَأْمُرُ بِالشَّيْءِ ما لَمْ يَكُنْ هو أَوَّلَ عامِلٍ به، ولا يَنْهَى إلَّا عن شَيْءٍ يَنْتَهِي هو عنه أَوَّلًا.

قِيلَ: [البسيط]

يَا وَاعِظَ النَّاسِ قَدْ أَصْبَحْتَ مُتَّهَمًا إِذْ عِبْتَ مِنْهُمْ أُمورًا أَنْتَ تَأْتِيهَا[4]

---

(1) الإحياء: 1/ 60. ببعض التصرف، معيد النعم ومبيد النقم: 57.

(2) المصدر نفسه: 1/ 60.

(3) ورد غير منسوب في عدة مصادر منها: الإحياء: 1/ 61، وسراج الملوك: 51، والدر الفريد وبيت القصيد: 10/ 242، وحياة الحيوان الكبرى: 1/ 504.

(4) البيت لأبي العتاهية وهو في ديوان شعره: 469.

وَقيلَ: [الكامل]

لَا تَنْهَ عن خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ   عارٌ عَلَيْكَ إذا فَعَلْتَ عَظِيمُ[1]

وَالْآياتُ وَالْأَخْبارُ وَالْآثارُ في هذا الْبَابِ أَكْثَرُ مِنْ أنْ تُحْصَى، وَأَشْهَرُ مِنْ أنْ تُذْكَرَ.

وَمِنْها: أَنْ تَكونَ عِنايَتُهُ لِتَحْصيلِ الْعِلْمِ النَّافِعِ في الْآخِرَةِ الْمُرَغِّبِ في الطَّاعَةِ، مُتَجَنِّبًا في الْعُلومِ الَّتِي يَقِلُّ نَفْعُها، وَيَكْثُرُ فيها الْجِدالُ، وَالْقِيلُ وَالْقالُ.

وَمِنْها: أنْ يَكونَ غَيْرَ مائِلٍ إلى التَّرَفُّهِ في الْمَطْعَمِ، وَالتَّنَعُّمِ في الْمَلْبَسِ، والتَّجَمُّلِ في الْأَثاثِ والْمَسْكَنِ، بَلْ يُؤْثِرُ الاِقْتِصادَ في جَميعِ ذَلِكَ، وَيَتَشَبَّهُ فيه بِالسَّلَفِ، وَيَميلُ إلى الاِكْتِفاءِ بِالْأَقَلِّ. وَكُلَّما ازْدادَ إلى طَرَفِ الْقِلَّةِ مَيْلُهُ، ازْدادَ مِنَ اللهِ سُبْحانَهُ وَتَعالى قُرْبُهُ، وَارْتَفَعَ في عُلَماءِ الْآخِرَةِ حِزْبُهُ[2].

وَالتَّحْقِيقُ، أَنَّ التَّزَيُّنَ بِالْمُباحِ لَيْسَ بِحَرامٍ، لَكِنَّ الْخَوْضَ فيه يوجِبُ الْأُنْسَ به، حَتَّى يَشُقَّ تَرْكُهُ. وَاسْتِدامَةُ الزِّينَةِ لا تُمْكِنُ إلَّا بِمُباشَرَةِ أَسْبابٍ في

---

(1) اختلف في نسبة هذا البيت، فقد نسبه سيبويه في الكتاب: 1: 424 للأخطل، وهو من قصيدة طويلة لأبي الأسود الدؤلي ينظر ديوان شعره: 44، ونسب لغيرهما في مصادر أخرى.

(2) الإحياء: 1/ 66.

الْغالِبِ يَلْزَمُ مِنْ مُراعاتِهَا الْمُداهَنَةُ وَمُراعاةُ الْخَلْقِ وَمُراءاتُهُمْ[1]، وَأُمورٌ أُخَرُ مَحْظورَةٌ، فَالْحَزْمُ اجْتِنابُ ذلِكَ[2].

وَمِنْها: أَنْ يَكونَ مُنْقَبِضًا عَنِ السَّلاطِينِ، لا يَدْخُلُ إِلَيْهِمُ الْبَتَّةَ، ما دامَ يَجِدُ عن الْفِرارِ عنهم سَبِيلًا، بل يَنْبَغِي أن يَحْتَرِزَ مِنْ مُخالَطَتِهِمْ وَإِنْ جاؤوا إِلَيْهِ، فَإِنَّ الدُّنْيا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَزِمامَها بِأَيْدِي السَّلاطِينِ، وَالْمُخالِطَ لَهُمْ لا يَنْفَكُّ عَنِ تَكَلُّفٍ في طَلَبِ مَرْضاتِهِمْ، وَاسْتِمالَةِ قُلوبِهِمْ مَعَ أَنَّهُمْ ظَلَمَةٌ. وَيَجِبُ على كُلِّ مُتَدَيِّنٍ الْإِنْكارُ عَلَيْهِمْ، وَتَضْيِيقُ صُدورِهِمْ بِإِظْهارِ ظُلْمِهِمْ، وَتَقْبِيحِ فِعْلِهِمْ؛ فَالدَّاخِلُ عليهم إِمَّا أَنْ يَلْتَفِتَ إلى تَجَمُّلِهِمْ فَيَزْدَرِيَ نِعْمَةَ اللهِ تعالى عليه، أو يَسْكُتَ عن الْإِنْكارِ عليهم فَيَكونَ مُداهِنًا، أو يَتَكَلَّفَ في كَلامِهِ بِمَرْضاتِهِمْ، وَتَحْسينِ حالِهِمْ، وذَلِكَ هو الْبَهْتُ[3] الصَّرِيحُ، أو يَطْمَعَ في أَنْ يَنالَ مِنْ دُنْياهُمْ، وذلِكَ هو السُّحْتُ. **وعلى الْجُمْلَةِ**، فَمُخالَطَتُهُمْ مِفْتاحُ لِعِدَّةِ شُرورٍ، وَعُلَماءُ الْآخِرَةِ طَرِيقُهُمُ الاِحْتِياطُ[4].

وَمِنْهَا: أَنْ لا يَكونَ مُسارِعًا لِلْفَتْوَى، بَلْ يَكونُ مُتَوَقِّفًا مُتَحَرِّزًا ما وَجَدَ إلى الْخَلاصِ سَبِيلًا، فإنْ وَجَدَ عمَّا يَعْلَمُهُ تَحْقيقًا أَفْتَى، وإنْ سُئِلَ عَمَّا يَشُكُّ فيه قالَ: لا أَدْرِي. وإنْ سُئِلَ عمَّا يَظُنُّهُ بِاجْتِهادٍ أو تَخْمِينٍ احْتاطَ، وَدَفَعَ عَنْ

---

(1) كتب بإزائها في نسخة أنطاليا: لعلها: ومداراتهم.

(2) الإحياء: 1/ 67.

(3) البهت: الباطل. اللسان: بهت.

(4) الإحياء: 1/ 68.

نَفْسِهِ، وَأَحالَ على غَيْرِهِ إنْ كانَ في غَيْرِهِ غُنْيَةٌ. هذا هو الْحَزْمُ، لِأَنَّ تَقَلُّدَ خَطَرِ الِاجْتِهادِ عَظيمٌ[1].

وَمِنْهَا: أَنْ يَكونَ أَكْثَرُ اهْتِمامِهِ بِعِلْمِ الْباطِنِ، وَمُراقَبَةِ الْقَلْبِ، وَمَعْرِفَةِ طَرِيقِ الْآخِرَةِ وَسُلوكِهِ. وَصِدْقُ الرَّجاءِ في انْكِشافِ ذَلِكَ مِنَ الْمُجاهَدَةِ والْمُراقَبَةِ، فَإِنَّ الْمُجاهَدَةَ تُثْمِرُ الْمُشاهَدَةَ في دَقائِقِ عِلْمِ الْقُلوبِ، وَالْجُلوسَ مَعَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ في الْخَلْوَةِ مع حُضورِ الْقَلْبِ بِصافِي الْفِكْرِ، وَالِانْقِطاعَ إليه عَمَّا سِواهُ، فَذَلِكَ مِفْتاحُ الْإِلْهامِ، وَمَنْبَعُ الْكَشْفِ. وكَمْ مِنْ مُتَعَلِّمٍ طالَ تَعَلُّمُهُ ولم يَقْدِرْ على مُجاوَزَةِ مَسْموعِهِ بِكَلِمَةٍ. وكَمْ مِنْ مُقْتَصِرٍ على الْمُهِمِّ في التَّعَلُّمِ، وَمُتَوَفِّرٍ على الْعَمَلِ ومُراقَبَةِ الْقَلْبِ، فَتَحَ اللهُ له مِنْ لَطائِفِ الْحِكَمِ ما يَحارُ فيه عُقولُ ذَوِي الْأَلْبابِ[2].

وَمِنْهَا: أَنْ يَكونَ شَديدَ الْعِنايَةِ بِتَقْوِيَةِ الْيَقينِ الَّذِي هو رَأْسُ مالِ الدِّينِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْيَقينَ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمينَ، هُوَ رُجْحانُ أَحَدِ طَرَفَيِ الْحُكْمِ رُجْحانًا لا يَقْبَلُ التَّشْكِيكَ، وهو الَّذِي لا يُتَصَوَّرُ الْإِيمانُ بِدونِ بُلوغِهِ هذه الرُّتْبَةَ. وَعِنْدَ الْفُقَهاءِ والصُّوفِيَّةِ وَأَكْثَرِ الْعُقَلاءِ أَنْ يَسْتَوْلِيَ تِلْكَ الْإِدْراكُ على النَّفْسِ، وَغَلَبَ على الْقَلْبِ، وَهَذا انْفِعالٌ لِلْقَلْبِ عَنْ هذا الْإِدْراكِ، وَنُفوذُهُ في الْقَلْبِ مِثْلُ تَأْثِيرِ الْحِنَّاءِ في الْيَدِ، وَانْفِعالِ الْيَدِ مِنْهُ؛ مَثَلًا يُقالُ: إِنَّ هذا الرَّجُلَ لا يوقِنُ

(1) الإحياء: 1/ 69.

(2) المصدر نفسه: 1/ 71.

بِالْمَوْتِ لِمَا أَنَّهُ يَغْفُلُ عَنْهُ، وَيَسْهُو عن الْعَمَلِ بِمُقْتَضاهُ؛ وَيُقالُ: هذا الرَّجُلُ له قُوَّةُ الْيَقينِ بِالْمَوْتِ، يَعْنِي أَنَّهُ مُسْتَغْرِقُ الْهَمِّ في اسْتِعْدادِهِ، مَعَ أَنَّ كِلَيْهِما مُتَساوِيانِ في الْقَطْعِ بِمَوْتِهِ، وَرُبَّمَا يُعَبَّرُ عن هذا الْمَعْنَى بِالْإِذْعانِ، وَعَنِ الْأَوَّلِ بِالْإِدْراكِ.

وَالتَّحْقيقُ فيه، أَنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ فيما ذَكَرْناهُ مِنَ التَّحْقِيقِ، أنَّ في الْإِنْسانِ قُوَّةً جُزْئِيَّةً، مَحَلُّهَا الدِّماغُ، مِنْ شَأْنِهَا الْإِدْراكُ بِالنَّظَرِ. وَفيهِ قُوَّةٌ كُلِّيَّةٌ مَحَلُّهَا الْأَوَّلُ الْقَلْبُ، فَالْيَقينُ بِالْمَعْنَى الثَّانِي حاصِلٌ فيه، وهُما مُشْتَرِكانِ في مَعْنَى التَّصْديقِ الْجازِمِ الثَّابِتِ الْمُطابِقِ لِلْواقِعِ؛ إلَّا أنَّ الْحاصِلَ في الْقُوَّةِ الْجُزْئِيَّةِ - لِتَوَقُّفِهِ إلى الْتِفاتِ النَّفْسِ إلى ذلِكَ - رُبَّمَا يُسْهَى عنه وَيُغْفَلُ، فلا يُعْمَلُ بِمُقْتَضاهُ، بِخِلافِ الثَّانِي، فَإِنَّهُ الْحاصِلُ في النَّفْسِ لا في الْآيَةِ، فلا يَحْتاجُ إلى الْتِفاتِ النَّفْسِ إلى ذَلِكَ مِثْلَ احْتِياجِهِ في الْأَوَّلِ، لِأَنَّهُ عِلْمٌ حُضورِيٌّ لا يَغِيبُ عن النَّفْسِ، فلا يَغْفُلُ عنه أَصْلًا لَوْلا مُلابَسَةُ الْكُدُوراتِ.

فَالْإِدْراكانِ الْمَذْكورانِ مُتَّحِدانِ، وَالتَّغايُرُ بِحَسَبِ الْمَحَلِّ. ومَنْ نَظَرَ إلى اتِّحادِهِمَا حَقيقَةً يَقولُ: الْإِيمانُ لا يَزيدُ ولا يَنْقُصُ. ومَنْ نَظَرَ إلى مُغايَرَتِهِمَا بِحَسَبِ الْمَحَلِّ يَقولُ بِزِيادَتِهِ وَنَقْصِهِ؛ إِذْ لا يَخْفَى أَنَّ الْإِيمانَ الْحاصِلَ بِطَرِيقِ الْعِلْمِ الْحُضورِيِّ أَقْوَى مِنَ الْحاصِلِ بِطَرِيقِ الْعِلْمِ الْحُصولِيِّ، فَاحْفَظْ هذه الْفائِدَةَ، لأَنَّكَ قَلَّمَا تَجِدُهَا فيما عَهِدْتَ مِنَ الْكُتُبِ.

وَلِذَلِكَ تَرَى أَكْثَرَ الْمُؤْمِنِينَ - لِاقْتِصارِهِمْ بِالْإِيمانِ على الطَّرِيقِ الْأَوَّلِ - يَغْفُلونَ عن كَثِيرٍ مِنْ أَحْكامِهِ. وَأَمَّا الَّذِينَ يُكَمِّلونَهُ على الطَّرِيقِ الثَّانِي تَرَى فيهم الْحَياءَ، وَالْخَوْفَ، والذُّلَّ، وَالاِسْتِكانَةَ، وَالْخُضوعَ، وَغَيْرَ ذلِكَ من الْأَوْصافِ الْمُتَشَعِّبَةِ مِنَ الْإِيمانِ[1].

وَمِنْها: أَنْ يَكونَ الْعالِمُ حَزِينًا مُنْكَسِرًا، مُطْرِقًا صامِتًا، يَظْهَرُ أَثَرُ الْخَشْيَةِ على أَحْوالِهِ، وَيَكونَ نَظَرُهُ مُذَكِّرًا للهِ[2] تعالى والْآخِرَةِ، وَتَكونَ صورَتُهُ دَليلًا على عِلْمِهِ، فَهُمُ الَّذينَ سِيماهُمْ في وُجوهِهِمْ منْ أَثَرِ السُّجودِ[3].

وَمِنْها: أَنْ يَكونَ أَكْثَرُ بَحْثِهِ فيما يَفْسُدُ مِنَ الْأَعْمالِ، وفيما يُشَوِّشُ الْقُلوبَ، وَيُشَوِّشُ الْوَساوِسَ، وَيُثِيرُ الشَّرَّ، ولا يَكونُ مِمَّنْ يَتَّبِعونَ غَرائِبَ التَّفْرِيعاتِ في الْحُكوماتِ وَالْأَقْضِيَةِ، وَيَتَعَنَّوْنَ في وَضْعِ صُوَرٍ يَنْقَضِي الدَّهْرُ ولا تَقَعُ، أو تَقَعُ لِغَيْرِهِ لا له[4]، وإذا وَقَعَتْ فَفِي الْعالِمِينَ بها كَثْرَةٌ يُكْفَوْنَ مُؤْنَتَهُ[5].

---

(1) الإحياء: 1/ 75.

(2) نظره ذكر الله، في مراد ملا. وقد اختصر المصنِّف هنا كلام الغزالي اختصارا مخلًّا، وأصله في الإحياء: 1/ 75: "لا ينظر إليه ناظر إلا وكان نظره مذكِّرا لله تعالى".

(3) وظف المصنف الآية 29 من سورة الفتح لتتميم كلامه. الإحياء: 1/ 75.

(4) لغيرهم لا لهم، في أنطاليا.

(5) الإحياء: 1/ 77.

وَمَا أَبْعَدَ عَنِ السَّعادَةِ مَنْ باعَ مُهِمَّ[1] نَفْسِهِ اللَّازِمَ بِمُهِمٍّ غَيْرِهِ النَّادِرِ إِيثارًا لِلْقَبولِ، أو التَّقَرُّبِ مِنَ الْخَلْقِ على الْقُرْبِ مِنَ اللهِ تَعالَى، وَشَرُّهَا في أَنْ يُسَمِّيَهُ الْبَطَّالونَ مِنْ أَبْناءِ الدُّنْيا فاضِلًا مُحَقِّقًا عالِمًا بِالدَّقائِقِ، وَجَزاؤُهُ مِنَ اللهِ تَعَالى أَنْ لا يَنْتَفِعَ في الدُّنْيَا بِقَبولِ الْخَلْقِ، بَلْ يَتَكَدَّرُ عليه صَفْوُهُ بِنَوائِبِ الزَّمانِ، ثُمَّ يَرِدُ الْقِيامَةَ مُفْلِسًا مُتَحَسِّرًا على ما يُشاهِدُهُ مِنْ رِبْحِ الْعالَمِينَ، وَفَوْزِ الْمُقَرَّبِينَ، وَذَلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ[2].

وَمِنْها: أَنْ يَكونَ اعْتِمادُهُ في عُلومِهِ على بَصيرَتِهِ وَإِدْراكِهِ بِصَفاءِ قَلْبِهِ، لا على الصُّحُفِ، ولا على تَقْليدِ ما يَسْمَعُهُ مِنْ غَيْرِهِ؛ وإِنَّما الَّذي يُقَلَّدُ عليه هو صاحِبُ الشَّرْعِ صَلواتُ الله عليه وَسَلامُهُ فيما أَمَرَ به وَقالَهُ؛ وإِنَّمَا يُقَلَّدُ الصَّحابَةُ مِنْ حَيْثُ إِنَّ فِعْلَهُمْ يَدُلُّ على سَماعٍ مِنْهُ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ.

ثُمَّ إذا قَلَّدَ صاحِبَ الشَّرْعِ صَلواتُ الله عليه وَسَلامُهُ فَيَنْبَغِي أنْ يَحْرِصَ على فَهْمِ أَسْرارِهِ، وَإِلَّا يَكونُ وِعاءً لِلْعِلْمِ لا عالِمًا[3]، ومَنْ كَشَفَ عَنْ قَلْبِهِ الْغِطاءَ صارَ مَتْبوعًا لِمَنْ يَجيءُ بَعْدَهُ، فلا يَنْبَغِي أنْ يُقَلِّدَ الْمُجْتَهِدَ الْآخَرَ، فإذا كانَ الِاعْتِمادُ على الْمَسْموعِ من الْغَيْرِ تَقْليدًا غَيْرَ مَرْضِيٍّ، فَالِاعْتِمادُ

---

(1) فهم، في مراد ملا.

(2) الإحياء: 1/ 77.

(3) تصرف طاش كبري زاده في كلام الغزالي واختصره، وأصله في الإحياء: 1/ 78: "فينبغي أن يكون شديد البحث عن أسرار الأعمال والأقوال، فإنَّهُ إنِ اكتفى بحفظ ما يُقالُ كان وِعاءً للعلم ولا يكون عالمًا، ولذلك كان يقال فلان من أوعية العلم، فلا يُسمى عالمًا إذا كان شأنه الحفظُ من غير اطِّلاع على الحكم والأسرار".

على التَّصانِيفِ أَبْعَدُ، لِأَنَّها مُحْدَثَةٌ بعد الصَّحابَةِ وَصُدورِ التَّابِعينَ، وإنَّمَا حَدَثَتْ بَعْدَ مِئَةٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً مِنَ الْهِجْرَةِ.

وَأَمَّا السَّلَفُ فَقَدِ امْتَنَعُوا عن تَصْنيفِ الْكُتُبِ بل كُتُبِ الْأَحاديثِ، حتَّى إنَّ أبا بَكْرٍ كَرِهَ كَتْبَ الْمَصاحِفِ في مُصْحَفٍ واحِدٍ كما عَرَفْتَ تَفْصيلَهُ[1].

وَكانَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ يُنْكِرُ على مالِكٍ تَصْنيفَهُ **الْمُوَطَّأَ**، وَقالَ: ابْتَدَعَ ما لم يَفْعَلْهُ الصَّحابَةُ.

وَقِيلَ: أَوَّلُ كِتابٍ صُنِّفَ في الْإِسْلامِ: **كِتابُ ابْنِ جُرَيْجٍ في الْآثارِ وَحُروفِ التَّفاسِيرِ** عن مُجاهِدٍ وَعَطاءٍ وَأَصْحابِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِمَكَّةَ؛ ثُمَّ **كِتابُ مَعْمَرِ بْنِ راشِدٍ الصَّنْعانِيِّ** بِالْيَمَنِ، جَمَعَ فيه سُنَنًا شَتَّى مَنْثورَةً مُبَوَّبَةً؛ ثُمَّ **كِتابُ الْمُوَطَّإِ** بِالْمَدينَةِ لِمالِكِ بنِ أَنَسٍ؛ ثُمَّ **جامِعُ سُفْيانَ الثَّوْرِيِّ**. ثُمَّ في الْقَرْنِ الرَّابِعِ حَدَثَتْ مُصَنَّفاتُ الْكَلامِ، وَكَثُرَ الْخَوْضُ في الْجِدالِ، وَالْخَوْضُ في إِبْطالِ الْمَقالاتِ. ثُمَّ مالَ النَّاسُ إليه وإلى الْقَصَصِ والْوَعْظِ، فَأَخَذَ عِلْمُ الْيَقينِ في الاِنْدِراسِ مِنْ ذلِكَ الزَّمانِ، حَتَّى صارَ يُسْتَغْرَبُ عِلْمُ الْقُلوبِ وَالتَّفْتيشِ عن صِفاتِ النَّفْسِ وَمَكائِدِ الشَّيْطانِ، وَأَعْرَضَ عن ذلك إِلَّا الْأَقَلُّونَ، فَصارَ يُسَمَّى الْمُجادِلُ الْمُتَكَلِّمُ عالِمًا، وَالْقاصُّ الْمُزَخْرِفُ كَلامَهُ بِالْعِباراتِ الْمُسَجَّعَةِ عالِمًا، وَأَصْبَحَ عِلْمُ الآخِرَةِ مَطْوِيًّا[2].

---

(1) الإحياء: 1/ 77-78.

(2) المصدر نفسه: 1/ 79.

وَمِنْها: أنْ يَكونَ شَدِيدَ التَّوَقِّي من مُحْدَثاتِ الْأُمورِ، وَإنِ اتَّفَقَ عليه الْجُمْهورُ، ولْيَنْظُرْ هَلْ كانَ أَحْوالَ الصَّحابَةِ وأَعْمالَهُمُ التَّدْريسُ، والتَّصْنيفُ، والْمُناظَرَةُ، والْقَضاءُ، والْوِلايَةُ، وَتَوَلِّي الْأَوْقافِ، وَأَمْوالِ الْأَيْتامِ، وَمُخالَطَةُ السَّلاطِينِ؛ أمِ الْخَوْفُ، وَالْحُزْنُ، وَالتَّفَكُّرُ، وَالْمُجاهَدَةُ، وَمُراقَبَةُ الظَّاهِرِ وَالْباطِنِ، وَاجْتِنابُ دَقِيقِ الْإِثْمِ وَجَلِيلِهِ، إلى غَيْرِ ذلِكَ.

وَأَكْثَرُ مَعْروفاتِ هذه الْأَعْصارِ مُنْكَراتُ عَصْرِ الصَّحابَةِ؛ كَتَزْيِينِ الْمَساجِدِ وَتَنْجِيدِهَا، وَإِنْفاقِ الْأَمْوالِ الْعَظيمَةِ في دَقائِقِ عِماراتِهَا، وَالْفُرُشِ الرَّفيعَةِ فيها، وقد كانَ فُرُشُ الْبَوارِي[1] في الْمَسْجِدِ مِنْ بِدَعِ الْحَجَّاجِ، وَكانُوا لا يَجْعَلونَ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ التُّرابِ حاجِزًا؛ ومِنْ ذلِكَ التَّلْحينُ في الْأَذانِ والْقُرْآنِ، وَمِنْ ذَلِكَ التَّعَسُّفُ في النَّظافَةِ، وَالْوَسْوَسَةُ في الطَّهارَةِ، مَعَ التَّساهُلِ في حِلِّ الْأَطْعِمَةِ وَتَحْريمِهَا إلى غَيْرِ ذَلِكَ[2].

فإذا سَمِعْتَ هَذِهِ الْأَوْصافَ، فَكُنْ مِنْ أَهْلِ الإِنْصافِ، بِأَنْ تَتَّصِفَ بها، أو تُقِرَّ بِتَقْصِيرِكَ فيها، وإِيَّاكَ وَإِيَّاكَ أنْ تَكونَ الثَّالِثَ الشَّقِيَّ، فَتَصيرَ مِنَ الْبَطَّالينَ حتَّى تَلْحَقَ بِزُمْرَةِ الْهالِكينَ.

فَنَعوذُ باللهِ مِنْ خُدَعِ الشَّيْطانِ وبها هَلَكَ الْجُمْهورُ، وَنَسْأَلُ اللهَ تَعالَى أنْ يَجْعَلَنَا مِمَّنْ لا تَغُرُّهُ الْحَياةُ الدُّنْيَا، وَلَا يَغُرُّهُ باللهِ الْغَرورُ.

---

(1) البُورِيّ: هِيَ الْحَصِيرُ الْمَعْمُولُ مِنَ الْقَصَبِ، وَيُقَالُ فيها بارِيَّةٌ وبُورِياء. اللسان: بور.

(2) الإحياء: 1/ 79-80.

الْمَطْلَبُ السَّادِسُ: في الْعَقْلِ وشَرَفِهِ وحَقيقَتِهِ وَأَقْسامِهِ

وَاعْلَمْ أنَّ شَرَفَ الْعَقْلِ مَعْلومٌ بِالضَّرورَةِ، وَلَا سِيَّمَا قد ذَكَرْنَا شَرَفَ الْعِلْمِ، وَالْعَقْلُ مَنْبَعُهُ وَمَطْلَعُهُ وَأَساسُهُ، وَيَجْرِي منه مَجْرَى الشَّجَرِ مِنَ الثَّمَرِ، وَالنُّورِ مِنَ الشَّمْسِ، وَالرُّؤْيَةِ مِنَ الْعَيْنِ، فما يَدُلُّ على شَرَفِ الْعِلْمِ دَليلٌ على شَرَفِ الْعَقْلِ بالضَّرورَةِ، وَكَيْفَ لا يَشْرُفُ وهو وَسيلَةُ السَّعادَةِ في الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أو كَيْفَ يُسْتَرابُ فيه وَأَعْظَمُ الْبَهائِمِ بَدَنًا، وَأَشَدُّهُمْ ضَراوَةً، وَأَقْواهُم سَطْوَةً، إذا رَأَى الْإِنْسانَ احْتَشَمَ وَهابَهُ، لِشُعورِهِ - [بِاسْتِيلائِهِ عليه][1]- بِمَا يَخْتَصُّ به مِنَ الْعَقْلِ الَّذي تَسْهُلُ به الْحِيَلُ، وَلِذَلِكَ تَرَى كَثيرًا مِنَ الْأَكْرادِ[2] وَأَجْلافِ الْعَوامِّ مِنَ الْأَتْراكِ - مع قُرْبِ رُتْبَتِهِمْ مِنَ الْبَهائِمِ - يُوَقِّرونَ مَشايِخَهُمْ بِالطَّبْعِ[3].

ثُمَّ اعْلَمْ أنَّ الْعَقْلَ يُطْلَقُ على مَعانٍ:

أَحَدُها: الْوَصْفُ الَّذِي يُفارِقُ الْإِنْسانُ به سائِرَ الْبَهائِمِ، وبه اسْتَعَدَّ لِقَبولِ الْعُلومِ النَّظَرِيَّةِ، وَتَدْبيرِ الصِّناعاتِ الْخَفِيَّةِ الْفِكْرِيَّةِ. وَهَذا ما قِيلَ في حَدِّهِ إِنَّهُ غَريزَةٌ يُتَهَيَّأُ بها دَرْكُ الْعُلومِ النَّظَرِيَّةِ، وَكَأَنَّهُ نُورٌ يُقْذَفُ في الْقَلْبِ، به يُسْتَعَدُّ لِإِدْراكِ الْأَشْياءِ.

وَثانِيهَا: أَنَّهُ بَعْضُ الْعُلومِ الضَّرورِيَّةِ لِجَوازِ الْجائِزاتِ، وَاسْتِحالَةِ

---

(1) زيادة من أنطاليا.

(2) الأتراك، في رئيس الكتاب والأزهرية ومراد ملا.

(3) الإحياء: 1/ 83.

الْمُسْتَحِيلاتِ؛ وهي الْعُلومُ الَّتِي تَخْرُجُ إلى الْوُجودِ في ذاتِ الطِّفْلِ الْمُمَيِّزِ، وهُوَ أَيْضًا صَحيحٌ، لِأَنَّ هذه الْعُلومَ مَوْجودَةٌ، وَتَسْمِيَتُهَا عَقْلًا ظاهِرٌ؛ إذْ يُقالُ: صارَ الصَّبِيُّ عاقِلًا، وهو بِهَذَا الْمَعْنَى. وَأَمَّا مَنْ أَثْبَتَ هذا وَنَفَى الْمَعْنَى الْأَوَّلَ - أَعْنِي الْغَريزَةَ الْمَذْكورَةَ - فَقَدْ أَخْطَأَ.

وَثالِثُها: عُلومٌ تُسْتَفادُ مِنَ التَّجارِبِ لهِذِهِ الْأَحْوالِ، فَإِنَّ مَنْ هَذَّبَتْهُ التَّجارِبُ، يُقالُ له[1] في الْعُرْفِ عاقِلٌ، وَيُقابِلُهُ غَبِيٌّ غَمْرٌ جاهِلٌ.

وَرابِعُها: أَنْ تَنْتَهِيَ قُوَّةُ تلك الْغَريزَةِ، إلى أَنْ تَعْرِفَ عَواقِبَ الْأُمورِ، وَتَقْمَعَ الشَّهْوَةَ الدَّاعِيَةَ إلى اللَّذَّةِ الْعاجِلَةِ وَتَقْهَرَهَا، وهي الْغَايَةُ الْقُصْوَى لِلْقُوَّةِ الْغَرِيزِيَّةِ الْمَذْكورَةِ. فَالْمَعْنَيانِ الْأَوَّلانِ بالطَّبْعِ لِلإِنْسانِ، وَالْأَخيرانِ بِالاِكْتِسابِ[2].

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ التَّفاوُتَ يَتَطَرَّقُ إلى هذه الْأَقْسامِ سِوَى الثَّانِي مِنْهَا، لِأَنَّ الضَّرورِيَّ لا تَفاوُتَ فيها؛ وَأَمَّا الرَّابِعُ فلا يَخْفَى تَفاوُتُ النَّاسِ فيها، وَذَلِكَ بِالتَّفاوُتِ في الشَّهْوَةِ، إذْ يَغْلِبُ بَعْضُ الشَّهْوَةِ في الْبَعْضِ فلا يَقْدِرُ على تَرْكِهِ، وَيَضْعُفُ في الْآخَرِ فَيَتْرُكُهُ، وقد يَتَفاوَتُ في شَخْصٍ واحِدٍ، فإِنَّ الشَّابَّ لا يَقْدِرُ على تَرْكِ الزِّنَا بِخِلافِ الشَّيْخِ غالِبًا. وَإِمَّا بِالتَّفَاوُتِ في الْعِلْمِ بِغائِلَةِ الشَّهْوَةِ؛ كَالْعامِّيِّ والْعالِمِ في مَعْرِفَةِ ضَرَرِ الْمَعْصِيَةِ. وَأَمَّا الثَّالِثُ فإِنَّ النَّاسَ مُتَفاوِتُونَ في عُلومِ التَّجارِبِ، إذْ قَدْ يَتَفاوَتُ الْإِنْسانُ في الْغَريزَةِ وَالتَّجارِبُ ثَمَرَتُهَا، وَقَدْ

---

(1) يُقالُ إِنَّهُ، في الأزهرية.

(2) الإحياء: 1/ 85-86.

يَتفاوَتُ في الْمُمارَسَةِ فَيَتَفاوَتُ التَّجارِبُ بها. وَأَمَّا الأَوَّلُ ـ أَعْنِي تَفاوُتَ الْغَرائِزِ ـ فلا سَبِيلَ إلى جَحْدِهِ؛ لِأَنَّ مَنْ جَوَّزَ أَنَّ عَقْلَ النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ مِثْلَ عَقْلِ السَّوادِيَّةِ وَأَجْلافِ الْبَوادِي فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِنْسانِيَّةِ عَنْ عُنُقِهِ[1].

وَلَوْلا هذا التَّفاوُتُ لَمَا اخْتَلَفَ النَّاسُ في فَهْمِ الْعُلومِ، وَلَمَا اقْتَسَمُوا إلى بَليدٍ لا يَفْهَمُ إلَّا بَعْدَ تَعَبٍ طَويلٍ، وإلى ذَكِيٍّ يَفْهَمُ بِأَدْنَى رَمْزٍ وإِشارَةٍ، وإلى كامِلٍ تَنْبَعِثُ مِنْ نَفْسِهِ حَقائِقُ الْعُلومِ، يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ[2]. وَذلِكَ مِثْلَ الْأَنْبياءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ، إذْ يَتَّضِحُ لهم في باطِنِهِمْ أُمورٌ غامِضَةٌ مِنْ غَيْرِ تَعَلُّمٍ وَسَماعٍ، وَيُعَبَّرُ عن ذَلِكَ بِالْإِلْهامِ، كما قالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ في رُوعِي»[3].

وَأَمَّا ما تَسْمَعُ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ من ذَمِّ الْعَقْلِ وَالْمَعْقولِ، فَذَلِكَ إِطْلاقٌ خامِسٌ، وهو مَعْنَى الْمُجادَلَةِ وَالْمُناظَرَةِ بِالْمُناقَضَةِ وَالْإِلْزاماتِ، كما هو مَدارُ صَنْعَةِ الْكَلامِ، لا أَنَّهُمْ يَذُمُّونَ نُورَ الْبَصيرَةِ الَّتِي هي أَساسُ الْعُلومِ الشَّرْعِيَّةِ، وإنْ ذُمَّتْ هِيَ فما الَّذِي يُحْمَدُ؟! إلَّا أَنَّهُمْ لم يَقُولوا إنَّكُمْ أَطْلَقْتُمُ الْعَقْلَ على مَعْنًى مَذْمومٍ لِشُيوعِهِ عند النَّاسِ في هذا الْمَعْنَى، لا جَرَمَ ذَمُّوا الْعَقْلَ وَالْمَعْقولَ، لَكِنْ بهذا الْمَعْنَى الْمَذْمومِ، لا بِمَعْنَى كُلِّ الْإِطْلاقاتِ. واللهُ أَعْلَمُ.

---

(1) الإحياء: 1/ 88.

(2) وظف المصنف الآية 35 من سورة النور لتميم كلامه.

(3) الجامع لمعمر بن راشد: 11/ 125، المصنف لعبد الرزاق: 10/ 191، غريب الحديث لأبي عبيد: 1/ 298، التمهيد لابن عبد البر: 1/ 521، والإحياء: 1/ 88.

الأَصْلُ الثَّانِي: **في قَواعِدِ الْعَقائِدِ**

وهي أَصْلُ الأُصولِ، وَمَبْنَى الإِسْلامِ، وَمُقَدِّمَةُ جَمِيعِ الْأَحْكامِ، وَمَبْناهَا تَصْحيحُ مَعْنَى كَلِمَتَيِ الشَّهادَةِ وَتَفْصِيلِهِمَا، وَيَرْجِعُ إلى مَعْرِفَةِ الْمَبْدَإِ وَالْمَعادِ.

وَلَمَّا كانَ تَفْصِيلُهَا خارِجًا عن طَوْقِ هذا الْكِتابِ، وَصارَتْ كُتُبُ السَّلَفِ مَشْحُونَةً بها ضَرَبْنَا عن ذَلِكَ صَفْحًا. وَاللهُ الْمُوَفِّقُ.

وَإِجْمالُ هذا الْكَلامِ، أنَّ هذا الرُّكْنَ مِنَ الْإِسْلامِ على أَرْبَعَةِ أَرْكانٍ، كُلُّ رُكْنٍ عَشَرَةُ أُصولٍ.

الرُّكْنُ الْأَوَّلُ: مَعْرِفَةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَدارُهُ على عَشَرَةِ أُصولٍ؛ وهِيَ الْعِلْمُ بِوُجودِ اللهِ تَعالَى وَقِدَمِهِ وَبَقائِهِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ بِجَوْهَرٍ ولا جِسْمٍ ولا عَرَضٍ، وَأَنَّهُ لَيْسَ مُخْتَصًّا بِجِهَةٍ.

الرُّكْنُ الثَّانِي: في صِفاتِهِ، وهِيَ أَيْضًا عَشَرَةُ أُصولٍ، وهِيَ: الْعِلْمُ بِكَوْنِهِ حَيًّا عالِمًا قادِرًا مُرِيدًا سَمِيعًا بَصِيرًا مُتَكَلِّمًا، مُنَزَّهًا[1] عن حُلولِ الْحَوادِثِ، وَأَنَّهُ قَديمُ الْكَلامِ والْعِلْمِ والْإِرادَةِ[2].

---

(1) متنزها، في ورئيس الكتاب.

(2) والإحياء: 1/ 105.

الرُّكْنُ الثَّالِثُ: في أَفْعالِ الله تَعالَى، وَمَدارُهُ أَيْضًا على عَشَرَةِ أُصولٍ، وهي: أَنَّ أَفْعالَ الْعِبادِ مَخْلوقَةٌ[1] له تَعَالى، وَأَنَّهَا مُكْتَسَبَةٌ لِلْعِبادِ، وَأَنَّهَا مُرادَةٌ لله تَعالَى، وَأَنَّهُ مُتَفَضِّلٌ بِالْخَلْقِ، وَأَنَّهُ له تعالَى تَكْلِيفُ ما لا يُطاقُ، وله إِيلامُ[2] الْبَرِيءِ، ولا يَجِبُ عليه رِعايَةُ الْأَصْلَحِ، وأَنَّهُ لا واجِبَ إِلَّا بِالشَّرْعِ، وَأَنَّ بِعْثَةَ الْأَنْبياءِ جائِزَةٌ، وَأَنَّ نُبُوَّةَ نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ ثابِتَةٌ مُؤَيَّدَةٌ بِالْمُعْجِزاتِ.

الرُّكْنُ الرَّابِعُ: في السَّمْعِيَّاتِ، وَمَدارُهُ أَيْضًا على عَشَرَةِ أُصولٍ؛ وَهِيَ: إِثْباتُ الْحَشْرِ، وَعَذابُ الْقَبْرِ، وَسُؤالُ مُنْكَرٍ وَنكيرٍ، وَالْميزانُ وَالصِّراطُ، وَخَلْقُ الْجَنَّةِ والنَّارِ، وَأَحْكامُ الْإِمامَةِ[3].

وإذا عَرَفْتَ هذا الْإِجْمالَ، فَاطْلُبْ تَفاصيلَهَا مِنْ كُتُبِ الْقَوْمِ. وَالْغَرَضُ بَيانُ [حَالِ][4] عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَأَنَّهُمْ بِأَيِّ عَقِيدَةٍ يَمْتازونَ عَمَّا عَدَاهُمْ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالْأَهْواءِ.

نَسْأَلُ اللهَ تَعالَى كَمالَ الْيَقِينِ، وَالثَّباتَ في الدِّينِ، لنا وَلِكافَّةِ الْمُسْلِمينَ، واللهُ تَعَالَى يُسَدِّدُنا بِتَوْفيقِهِ، وَيَهْدِينَا إلى الْحَقِّ وَتَحْقِيقِهِ، بِمَنِّهِ وَسَعَةِ جُودِهِ.

---

(1) أفعاله تعالى مخلوقة له تعالى، في قونية ورئيس الكتاب والأزهرية.

(2) إيهام، في قونية ورئيس الكتاب والأزهرية.

(3) والإحياء: 1/ 105.

(4) سقط من قونية.

الْأَصْلُ الثَّالِثُ: عِلْمُ أَسْرارِ الطَّهارَةِ

قالَ اللهُ تَعالَى: ﴿وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[1].

وَقالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ: «الطُّهورُ نِصْفُ الْإِيمانِ»[2].

واعْلَمْ أنَّ الطَّهارَةَ لها أَرْبَعُ مَراتِبَ:

الْأُولَى: تَطْهِيرُ الظَّاهِرِ عنِ الْأَحْداثِ والْأَخْباثِ وَالْفَضَلاتِ.

وَالثَّانِيَةُ: تَطْهيرُ الْجَوارِحِ عن الْآثامِ.

وَالثَّالِثَةُ: تَطْهيرُ الْقَلْبِ عن ذَمائِمِ الْأَخْلاقِ.

والرَّابِعَةُ: تَطْهيرُ السِّرِّ عما سِوَى اللهِ تَعالى، وهي طَهارَةُ الْأَنْبِياءِ والصِّدِّيقِينَ.

وَالطَّهارَةُ في كُلِّ رُتْبَةٍ نِصْفُ الْعَمَلِ الَّذِي فيها، إذِ الْمَقْصودُ في السِّرِّ أنْ يَنْكَشِفَ له جَلالُ اللهِ وَعَظَمَتُهُ، ولَنْ يَحُلَّ ذلك فيه إلَّا بأَنْ يَرْتَحِلَ عنه ما سِوَى اللهِ تَعالَى، وَكَذَا الْمَقْصودُ في الْقَلْبِ التَّحَلِّي بِالْأَخْلاقِ الْمَحْمُودَةِ، ولَنْ يَتَيَسَّرَ ذَلِكَ إلَّا بِالتَّخَلِّي عن الْأَخْلاقِ الذَّمِيمَةِ، وكذا الْمَقْصودُ مِنَ الْجَوارِحِ تَزْيِينُهَا بِالطَّاعاتِ، ولا يَتَيَسَّرُ ذلِكَ إلَّا بِتَطْهِيرِهَا عن الْآثامِ؛ وَكَذَا الْحَالُ في الظَّاهِرِ.

---

(1) سورة التوبة، الآية: 108.

(2) في صحيح مسلم 1/ 140، بلفظ: شطر، وهو بهذا اللفظ في: سنن سعيد بن منصور: 7/ 276، الطبقات الكبرى: 6/ 220، المصنف لابن أبي شيبة: 6/ 171، العلل لابن حاتم: 1/ 500، الإحياء: 1/ 125.

فَكُلٌّ من هذِهِ الْمَراتِبِ لا يُمْكِنُ إلَّا بِتَطْهِيرِ ما قَبْلَهَا؛ فَأَصْلُ الْكُلِّ طَهارَةُ السِّرِّ، وَلَكِنْ يَتَوَقَّفُ على طَهارَةِ مُقَدِّماتِهَا، إلى أنْ يَنْتَهِيَ إلى طَهارَةِ الظَّاهِرِ، ولا تَظُنَّنَّ أنَّ هذا يُدْرَكُ بِالْمُنَى، أو يُنالُ بِالْهُوَيْنَى[1].

وَالَّذِي يَهُمُّنا الْآنَ مَعْرِفَةُ أَحْوالِ طَهارَةِ الظَّاهِرِ، وَهِيَ أَقْسامٌ:

ـ طَهارَةٌ عنِ الْخَبَثِ، وَقَدِ اسْتُقْصِيَ الْكَلامُ في ذَلِكَ في كُتُبِ الْفُروعِ.

ـ وَطَهارَةٌ عن الْحَدَثِ، مِنَ الْوُضوءِ، والْغُسْلِ، وَالتَّيَمُّمِ.

أَمَّا الْوُضوءُ فَقَدِ اسْتَوْفَى الْفُقَهاءُ فَرائِضَهُ وَسُنَنَهُ وَآدابَهُ، وَلْنَذْكُرْ هَهُنَا بَعْضًا مِنْ آدابِهِ:

وَهُوَ أَنَّهُ إذا خَرَجَ مِنَ الْغَائِطِ، اشْتَغَلَ بِالْوُضوءِ، «فَلَمْ يُرَ رَسولُ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ قَطُّ خارِجًا من الْغائِطِ إلَّا تَوَضَّأَ»[2]، وَيَبْتَدِئُ بِالسِّواكِ، وَيَنْوِي تَطْهِيرَ فَمِهِ لِقِراءَةِ الْفَاتِحَةِ، وَذِكْرِ الله في الصَّلاةِ؛ وكانَ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ يَسْتاكُ في اللَّيْلَةِ[3] مِرارًا، وكانَ يَقولُ: «عَلَيْكُمْ بِالسِّواكِ، فإنَّهُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ، وَمَرْضاةٌ لِلرَّبِّ»[4].

(1) الإحياء: 1/ 125-126.

(2) صحيح ابن حبان: 6/ 567، علل الدارقطني: 4/ 262، الإحياء: 1/ 132.

(3) الليل، في الأزهرية.

(4) صحيح البخاري: 3/ 31، والنقل من الإحياء: 1/ 133.

وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «السِّواكُ يَزِيدُ في الْحِفْظِ، ويُذْهِبُ الْبُلْغُمَ»[1].

ثُمَّ يَجْلِسُ لِلْوُضوءِ وَيَقولُ: «بسم الله الرَّحْمنِ الرَّحيمِ؛ وَيَقولُ: ﴿أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزاتِ الشَّياطِينِ، وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾[2]»[3].

ثُمَّ يَقولُ عند غَسْلِ يَدَيْهِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْيُمْنَ والْبَرَكَةَ، وَأَعوذُ بِكَ مِنَ الشُّؤْمِ والْهَلَكَةِ»[4].

ثُمَّ يَنْوِي رَفْعَ الْحَدَثِ أو اسْتِباحَةَ الصَّلاةِ، وَيَقولُ عند الْمَضْمَضَةِ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي على تِلاوَةِ كِتابِكَ، وَكَثْرَةِ الذِّكْرِ لَكَ»[5].

وَيَقولُ عند الاِسْتِنْشاقِ: «اللَّهُمَّ أَوْجِدْنِي رائِحَةَ الْجَنَّةِ وَأَنْتَ عَنِّي راضٍ»[6].

وَعِنْدَ الاِسْتِنْثارِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بِكَ من رَوائِحِ النَّارِ، ومِنْ سوءِ الدَّارِ»[7].

---

(1) الإحياء: 1/ 133.

(2) سورة المؤمنون، الآية: 97-98.

(3) مصنف عبد الرزاق: 2/ 84، الإحياء: 1/ 133.

(4) قوت القلوب: 2/ 152، الإحياء: 1/ 133.

(5) المصدر نفسه: 2/ 152، المصدر نفسه: 1/ 133.

(6) المصدر نفسه: 2/ 152، المصدر نفسه: 1/ 133.

(7) المصدر نفسه: 2/ 152، المصدر نفسه: 1/ 133.

وَيقولُ عِنْدَ غَسْلِ الْوَجْهِ: «اللَّهُمَ بَيِّضْ وَجْهِي بِنُورِكَ يَوْمَ تُبَيِّضُ وُجُوهَ أَوْلِيائِكَ، ولا تُسَوِّدْ وَجْهِي بِظَلْمائِكَ يَوْمَ تَسَوِّدُ وُجُوهَ أَعْدائِكَ»(1).

وَيقولُ عِنْدَ غَسْلِ الْيَدِ الْيُمْنَى: «اللَّهُمَّ أَعْطِنِي كِتابِي بِيَمِينِي وَحَاسِبْنِي حِسابًا يَسِيرًا»(2).

وَيقولُ عِنْدَ غَسْلِ الشِّمالِ: «اللَّهُمَّ إنِّي أَعوذُ بِكَ أَنْ تُعْطِينِيَ كِتابِي بِشِمالِي أو مِنْ وَراءِ ظَهْرِي»(3).

وَيقولُ عِنْدَ مَسْحِ الرَّأْسِ: «اللَّهُمَّ غَشِّنِي بِرَحْمَتِكَ، وَأَنْزِلْ عَلَيَّ مِنْ بَرَكاتِكَ، وَأَظِلَّنِي تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِكَ يَوْمَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّكَ»(4).

وَيقولُ عِنْدَ مَسْحِ الْأُذُنَيْنِ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ يَسْتَمِعونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعونَ أَحْسَنَهُ، اللَّهُمَّ أَسْمِعْنِي مُنادِيَ الْجَنَّةِ مَعَ الْأَبْرارِ»(5).

وَيقولُ عِنْدَ مَسْحِ الرَّقَبَةِ: «اللَّهُمَّ فُكَّ رَقَبَتِي مِنَ النَّارِ، وَأَعوذُ بِكَ مِنَ السَّلاسِلِ وَالْأَغْلالِ»(6).

---

(1) الإحياء: 1/ 133.

(2) المصدر نفسه: 1/ 134.

(3) المصدر نفسه: 1/ 134.

(4) قوت القلوب: 2/ 152، الإحياء: 1/ 133.

(5) المصدر نفسه: 2/ 152، المصدر نفسه: 1/ 134.

(6) المصدر نفسه: 2/ 152، المصدر نفسه: 1/ 134.

وَيقولُ عِنْدِ غَسْلِ الرِّجْلِ الْيُمْنَى: «اللَّهُمَّ ثَبِّتْ قَدَمِي على الصِّراطِ يَوْمَ تَزِلُّ الْأَقْدامُ في النَّارِ»[1].

وَيقولُ عِنْدَ غَسْلِ الْيُسْرَى: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بِكَ أنْ تَزِلَّ قَدَمِي عن الصِّراطِ يَوْمَ تَزِلُّ أَقْدامُ الْمُنافِقينَ»[2].

فإذا فَرَغَ مِنَ[3] الْوُضوءِ، رَفَعَ رَأْسَهُ إلى السَّماءِ، وَقالَ: «أَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ له، وَأَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسولُهُ، سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، لا إلَهَ إلَّا أَنْتَ، عَمِلْتُ سوءًا وَظَلَمْتُ نَفْسِي، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتوبُ إِلَيْكَ، فَاغْفِرْ لي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي من التَّوَّابِينَ، وَاجْعَلْنِي من الْمُتَطَهِّرينَ، وَاجْعَلْنِي مِنْ عِبادِكَ الصَّالِحِينَ، وَاجْعَلْنِي صَبورًا شَكورًا، وَاجْعَلْنِي أَذْكُرُكَ كَثيرًا، وَأُسَبِّحُكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا»[4].

يُقالُ: مَنْ قالَ هذا بَعْدَ الْوُضوءِ، خُتِمَ على وُضوئِهِ بِخاتَمٍ، وَرُفِعَ له تَحْتَ الْعَرْشِ، فلم يَزَلْ يُسَبِّحُ اللهَ وَيُقَدِّسُهُ، وَيُكْتَبُ له ثَوابُ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيامَةِ[5].

---

(1) قوت القلوب: 2/ 152، الإحياء: 1/ 134.

(2) المصدر نفسه: 2/ 152، المصدر نفسه: 1/ 134.

(3) عن، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(4) قوت القلوب: 2/ 152، الإحياء: 1/ 134.

(5) المصدر نفسه: 2/ 152، المصدر نفسه: 1/ 134.

وَمَهْمَا فَرَغَ من وُضوئِهِ، وَأَقْبَلَ على الصَّلاةِ، يَنْبَغِي أَنْ يَخطُرَ ببالِهِ أَنَّهُ طَهَّرَ ظاهِرَهُ، وهو مَطْمَحُ نَظَرِ الْخَلْقِ، فَيَنْبَغِي أنْ يَسْتَحْيِيَ من مُناجاةِ اللهِ تَعالَى مِنْ غَيْرِ تَطْهِيرِ قَلْبِهِ، وَهُوَ مَوْقِعُ نَظَرِ الرَّبِّ سُبْحانَهُ؛ وَلَيْسَ تَطْهِيرُهُ إلَّا بِالتَّوْبَةِ وَالْخُلُوِّ على الْأَخْلاقِ الذَّمِيمَةِ. أَلَا تَرَى أنَّ مَنْ قَصَدَ مُناجاةَ مَلِكٍ وَزَيَّنَ ثِيابَهُ مَهْمَا أَمْكَنَ، وَطَهَّرَهُ عن الْأَلْواثِ، ومَعَ ذَلِكَ نَجَّسَ وَجْهَهُ الَّذِي هو مَحَلُّ نَظَرِ الْمَلِكِ، هَلْ يَكونُ جَدِيرًا لِلتَّعَرُّضِ بِالْبَوارِ عند السُّلْطانِ، وَمُتَّصِفًا بِسَخافَةِ الْعَقْلِ عِنْدَ الْإِخْوانِ[1].

وَأَمَّا كَيْفِيَّةُ الْغُسْلِ والتَّيَمُّمِ، فَمَذْكورَةٌ في كُتُبِ الْفُروعِ. وَلْنَذْكُرْ هاهُنَا آدابَ التَّنَظُّفِ عن الْأَوْساخِ والْفَضلاتِ الظَّاهِرَةِ الَّتِي أَهْمَلَهَا الْفُقَهاءُ في كُتُبِ الْفُروعِ. وهي نَوْعَانِ: عَارِضِيٌّ وَطَبِيعِيٌّ.

أَمَّا الْأَوَّلُ فَثمانِيَةٌ:

الْأَوَّلُ: يُسْتَحَبُّ غَسْلُ الرَّأْسِ وَتَرْجِيلُهُ وتَدْهِينُهُ إزالَةً لِلشَّعَثِ غِبًّا.

والثَّانِي: يُزِيلُ ما في مَعاطِفِ الْأُذْنِ وَالصِّماخِ[2] مِنَ الدَّرَنِ وَالْأَوْساخِ، لَكِنْ يُنَظِّفُهُ بِرِفْقٍ عند الْخُروجِ مِنَ الْحَمَّامِ، فَإِنَّ كَثْرَةَ ذَلِكَ رُبَّمَا يَضُرُّ بِالسَّمْعِ.

(1) الإحياء: 1/ 135.
(2) الصِّمَاخُ مِنَ الأذن: اَلْخَرْقُ الْبَاطِنُ الَّذِي يُفضي إِلى الرَّأْسِ، وَالسِّمَاخُ لُغَةٌ فِيهِ. اللسان: صمخ.

وَالثَّالِثُ والرَّابِعُ: [وَكَذَا][1] ما في الْأَنْفِ وما يَجْتَمِعُ على الْأَسْنانِ وأَطْرافِ اللِّسانِ، وَيُزيلُهُ بِالسِّواكِ.

وَالْخامِسُ: ما يَجْتَمِعُ في اللِّحْيَةِ مِنَ الْوَسَخِ والْقُمَّلِ، وَيُزيلُهُ بِالْغَسْلِ والتَّسْرِيحِ بِالْمُشْطِ، ولَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يَكونَ قَصْدُهُ أَنْ لا يَزْدَرِيَهِ الْعَوَامُّ، ولا تَسْتَصْغِرَهُ أَعْيُنُهُمْ، لا التَّزَيُّنَ الَّذِي هو الْمَكْروهُ لِلرِّجالِ، وإِنَّكَ تَرَى رِجالًا من الْعُلَماءِ يَلْبَسونَ الثِّيابَ الْفَاخِرَةَ، وَيَزْعُمونَ أَنَّ قَصْدَهُمْ إِرْغامُ الْمُبْتَدِعَةِ، وَإِذْلالُ الْمُخالِفينَ لا التَّزَيُّنُ، وهذا أَمْرٌ باطِنٌ سَوْفَ يَنْكَشِفُ يَوْمَ تُبْلَى السَّرائِرُ[2]. فَنَعوذُ باللهِ من الْخِزْيِ يَوْمَ الْعَرْضِ الْأَكْبَرِ[3].

والسَّادِسُ: وَسَخُ الْبَراجِمِ، وَهِيَ مَعاطِفُ ظُهورِ الْأَنامِلِ.

والسَّابِعُ: تَنْظيفُ الرَّواجِبِ، وَهِيَ رُؤوسُ الْأَنامِلِ وما تَحْتَ الْأَظْفارِ مِنَ الْوَسَخِ، كُلُّ هذه أَمَرَ رَسولُ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ بِتَنْظِيفِهَا، فَوَقَّتَ لِلنَّاسِ قَلْمَ الْأَظْفارِ، وَنَتْفَ الْإِبْطِ، وَحَلْقَ الْعانَةِ، أَرْبَعينَ يَوْمًا.

وَالثَّامِنُ: الدَّرَنُ في جَميعِ الْبَدَنِ، وَيُزيلُهُ بِالْحَمَّام. وَقَدْ دَخَلَتِ الصَّحابَةُ حَمَّاماتِ الشَّامِ، حتَّى قالَ بَعْضُهُمْ: «نِعْمَ الْبَيْتُ بَيْتُ الْحَمَّامِ، يُطَهِّرُ الْبَدَنَ،

---

(1) زيادة من قونية.

(2) وظف المصنف الآية 9 من سورة الطارق لإتمام كلامه.

(3) الإحياء: 1/ 137-138.

وَيُذَكِّرُ النَّارَ»[1]. رُوِيَ ذَلِكَ عن أبي الدَّرْداءِ وأَبِي أَيُّوبِ الْأَنْصارِيِّ.

وَقالَ بَعْضُهُمْ: بِئْسَ الْبَيْتُ بَيْتُ الْحَمَّامِ، يُبْدِي الْعَوْرَةَ، وَيَذْهَبُ بِالْحَياءِ[2].

فَهَذا تَعَرَّضَ لِآفَتِهِ، وَذَلِكَ لِخَصْلَتِهِ، فَلَا بَأْسَ بِطَلَبِ فائِدَتِهِ، عند الْأَمْنِ من آفَتِهِ، لَكِنْ يَجِبُ عليه وَظائِفُ مِنَ الْواجِباتِ وَالسُّنَنِ.

أَمَّا الْواجِباتُ: أَنْ يَصونَ فَرْجَهُ عَنْ نَظَرِ الْغَيْرِ، وَعَنْ مَسِّهِ لِإِزالَةِ الْوَسَخِ وَغَيْرِهِ، خُصوصًا ما بَيْنَ السُّرَّةِ والْعانَةِ، وَمَا فَوْقَ الرُّكْبَةِ، إِذِ الْعَوَامُّ لا يَتَحاشَوْنَ عن كَشْفِهَا بِناءً على أَنَّهَا لَيْسَتْ بِعَوْرَةٍ غَليظَةٍ، بَلِ التَّحْرِيمُ لِكَوْنِهِ مِنْ حِماهَا فلا يُتَساهَلُ فِي أَمْرِهَا.

وَمِنْها: أَنْ يَغُضَّ بَصَرَهُ عن عَوْرَةِ غَيْرِهِ، وَيَمْنَعَهُمْ عَنْ كَشْفِهَا، لأَنَّ النَّهْيَ عن الْمُنْكَراتِ واجِبٌ. ولِمِثْلِ هذه الْآفاتِ صارَ الْحَزْمُ تَرْكَ الْحَمَّامِ فِي هَذِهِ الْأَوْقاتِ، ولِهَذا يُسْتَحَبُّ تَخْلِيَةُ الْحَمَّامِ لِمَنْ قَدَرَ عليها، وإِنْ لَمْ يَقْدِرْ وَأَوْجَبَتِ الضَّرورَةُ الدُّخولَ، فَلْيَسْتُرْ عَوْرَتَهُ بِإِزارٍ، وَلْيَسْتُرْ عَيْنَيْهِ بِإِزارٍ آخَرَ، لِيَحْفَظَ عَيْنَيْهِ عن عَوْرَةِ غَيْرِهِ[3].

---

(1) مصنف ابن أبي شيبة: 1/ 104، السنن الكبرى للبيهقي: 15/ 165، شعب الإيمان: 10/ 210، الإحياء: 1/ 138.

(2) الإحياء: 1/ 138.

(3) المصدر نفسه: 1/ 138.

وأَمَّا النِّساءُ فَالْأَفْضَلُ مَنْعُهُنَّ عنِ الْحَمَّامِ إذا وُجِدَ في الْبَيْتِ مُسْتَحَمٌّ، وكذا إذا لَمْ يُوجَدْ، وَلَمْ تَقَعْ ضَرورَةٌ، وإذا وَقَعَتْ ضَرورَةٌ؛ كَكَوْنِها[1] مَريضَةً، أو نُفَساءَ، فَلْيَتَزِرْنَ بِمِئْزَرٍ سابِغٍ، وَلْيَتَحَفَّظْنَ مهما أَمْكَنَ لَهُنَّ.

وَأَمَّا السُّنَنُ: فَتَحْسينُ النِّيَّةِ؛ بِأَنْ لا يَدْخُلَها لِلتَّزَيُّنِ وَالْهَوَى، بل لِلتَّنْظِيفِ لِأَجْلِ الصَّلاةِ، وَيُعْطِي الْحَمَّامِيَّ الْأُجْرَةَ قَبْلَ الدُّخولِ وهو الْأَفْضَلُ، لِرَفْعِ الْجَهالَةِ مِنْ أَحَدِ الْعِوَضَيْنِ، وَتَطْيِيبِ لِنَفْسِهِ. وَأَمَّا الْعِوَضُ الْآخَرُ: فَيَسْتَعْمِلُ مِنَ الْماءِ قَدْرَ الْحَاجَةَ، وَمِقْدارُ الْحاجَةِ ما يُعَيِّنُهَا الْعُرْفُ؛ وَيُقَدِّمُ رِجْلَهُ الْيُسْرَى عند الدُّخولِ، وَيَقولُ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، أَعوذُ باللهِ مِنَ الرِّجْسِ النَّجِسِ الْخَبِيثِ الْمُخْبِثِ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ، وَيَدْخُلَ وَقْتَ الْخَلْوَةِ، وَيَجوزُ أنْ يَتَكَلَّفَ التَّخْلِيَةَ لِلضَّرورَةِ، وَإِنْ لم يُمْكِنْ فَلْيَدْخُلْ مَعَ الاِحْتِياطِ التَّامِّ إذا وَقَعَتْ ضَرورَةٌ، وَإِلَّا فَالاِحْتِياطُ في التَّرْكِ[2].

وَمِنْها: أَنْ لا يُسَلِّمَ عند الدُّخولِ، ولا يُجِيبَ بِلَفْظِ السَّلامِ، بَلْ يَقولُ: عافاكَ اللهُ، وَإِنْ أَجابَ غَيْرُهُ يَسْكُتُ، وَلَا بَأْسَ بِأَنْ يُصافِحَ الدَّاخِلَ، وَيَقولَ: عافاكَ اللهُ، لِابْتِداءِ الْكَلامِ. ثُمَّ لا يُكْثِرُ الْكَلامَ في الْحَمَّامِ، ولا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ إلَّا سِرًّا، ولا بَأْسَ بِالِاسْتِعاذَةِ من الشَّيْطانِ جَهْرًا. وَيُكْرَهُ الدُّخولُ بَيْنَ

---

(1) كَكَوْنِهِنَّ، أنطاليا.

(2) الإحياء: 1/ 139.

الْعِشاءَيْنِ، وَقَرِيبًا من الْغُروبِ، فإنَّ ذَلِك وَقْتُ انْتِشارِ الشَّياطِينِ، وَلا بَأْسَ بِأَنْ يُدَلِّكَهُ غَيْرُهُ[1].

وَيَنْبَغِي أَنْ يَتَذَكَّرَ في الْحَمَّامِ حَرَّ جَهَنَّمَ وظُلْمَتَهُ، وَيَتَّعِظَ بِذَلِك. وَمَهْما فَرَغَ مِنَ الْحَمَّامِ شَكَرَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ على هذه النِّعْمَةِ.

وَمِنْ مَنافِعِهِ الطِّبِّيَّةِ ما قِيلَ: إِنَّ الْحَمَّامَ بعد النُّورَةِ أَمانٌ مِنَ الْجُذامِ.

وَقِيلَ: النُّورَةُ[2] في كُلِّ شَهْرٍ مَرَّةً تُطْفِئُ الْحَرارَةَ، وَتُنَقِّي اللَّوْنَ، وَتَزِيدُ في الْجِماعَ.

وَقِيلَ: بَوْلَةٌ في الْحَمَّامِ قائِمًا في الشِّتاءِ، أَنْفَعُ مِنْ شَرْبَةِ دَواءٍ.

وَقِيلَ: نَوْمَةٌ في الصَّيْفِ بعد الْحَمَّامِ تَعْدِلُ شَرْبَةَ دَواءٍ، وَغَسْلُ الْقَدَمَيْنِ بِماءٍ بارِدٍ بعد الْخُروجِ من الْحَمَّامِ أَمانٌ مِنَ النِّقْرِسِ[3]؛ وَيُكْرَهُ صَبُّ الْماءِ الْبارِدِ على الرَّأْسِ عند الْخُروجِ وَكَذَلِكَ شُرْبُهُ[4].

وَأَمَّا التَّنْظِيفُ عن الْفَضَلاتِ الطَّبِيعِيَّةِ فَثَمانِيَةٌ أَيْضًا:

---

(1) الإحياء: 1/ 139.

(2) النورة: الهِناء، وهو من الحجر يحرق ويسوى منه الكلس، ويحلق به شعر العانة. اللسان: نور.

(3) النِّقْرِسُ: دَاءٌ مَعْرُوفٌ يأخذ فِي الرِّجل. اللسان: نقرس.

(4) المصدر نفسه: 1/ 140.

الْأَوَّلُ: حَلْقُ الرَّأْسِ، ولا بَأْسَ به لِلتَّنَظُّفِ، ولا بَأْسَ بِتَرْكِهِ لمن يَدَّهِنُ وَيُرَجِّلُ؛ وأَمَّا الْقَزَعَةُ في الْمَفْرِقِ فَمَمْنوعٌ، لأَنَّهَا مِنْ دَأْبِ أَهْلِ الشَّطارَةِ؛ وَكَذَلِكَ يُمْنَعُ إِرْسالُ الذَّوائِبِ لِغَيْرِ الْأَشْرافِ، لأَنَّهُ مِنْ شِعارِهِمْ فَيَكونُ تَلْبِيسًا.

وَالثَّانِي: قَصُّ الشَّوارِبِ، وَالْأَحادِيثُ فيه كَثِيرَةٌ؛ وأَمَّا حَلْقُهَا فلم يَرِدْ، وَقِيلَ: إِنَّهُ مَكْروهٌ وَبِدْعَةٌ، وَلَا بَأْسَ بِتَرْكِ سِبالِهِ[1] لِبُعْدِهِ عن الْفَمِ.

وَالثَّالِثُ: نَتْفُ الْإِبْطِ في كُلِّ أَرْبَعينَ يَوْمًا. وَذَلِكَ سَهْلٌ على مَنْ تَعَوَّدَ ذلِكَ ابْتِداءً، وَأَمَّا مَنْ لم يَتَعَوَّدْ، وَتَأَلَّمَ بِذَلِكَ فَيَكْفِيهِ الْحَلْقُ، إِذِ الْمَقْصودُ النَّظافَةُ، وَذَلِكَ يَحْصُلُ به.

والرَّابِعُ: حَلْقُ الْعانَةِ، أو اسْتِعْمالُ النُّورَةِ، ولا يَتَأَخَّرُ عن أَرْبَعِينَ يَوْمًا.

والْخامِسُ: قَلْمُ الْأَظْفارِ، وَيُسْتَحَبُّ ذلك لِبَشاعَةِ صورَتِها، وَإِزالَةِ ما يَجْتَمِعُ فيها مِنَ الْأَوْساخِ؛ [وَقَدْ أَمَرَ بذلك رَسولُ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ، وَأَنْكَرَ ما يُرَى تَحْتَ أَظْفارِهِمْ من الْأَوْساخِ][2].

وَالسَّادِسُ وَالسَّابِعُ: قَطْعُ السُّرَّةِ في أَوَّلِ الْوِلادَةِ، وَالْخِتانُ، وَوَقْتُهُ أَنْ يَثَّغِرَ[3] الْوَلَدُ مُخالَفَةً لِلْيَهودِ، فَإِنَّهُمْ يَخْتِنونَ في الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنَ الْوِلادَةِ،

---

(1) السِّبال: شعر اللحية. اللسان: سبل.

(2) سقطت من أنطاليا.

(3) الاثِّغارُ: سُقُوطُ سِنِّ الصَّبِيِّ وَنَبَاتُهَا. اللسان: ثغر.

وَلِأَنَّهُ أَبْعَدُ عن الْخطَرِ، وَقَدْ وَرَدَ في الْحَديثِ: «خِتانُ النِّساءِ مَكْرُمَةٌ»[1].

والثَّامِنُ: ما طالَ مِنَ اللِّحْيَةِ، قالَ الفُقَهاءُ: أَخْذُ ما زادَ على الْقَبْضَةِ لا بَأْسَ به، قد فَعَلَهُ ابْنُ عُمَرَ وجَماعَةٌ مِنَ التَّابِعينَ، واسْتَحْسَنَهُ الشَّعْبِيُّ وابْنُ سِيرينَ والنَّخَعِيُّ[2].

قالَ بَعْضُهُمْ: تَرْكُهَا وإِعْفاؤُها أَحَبُّ، وَاخْتارَهُ الْحَسَنُ وَقَتادَةُ، وَذلِكَ لِقَوْلِهِ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «أَعْفُوا اللِّحَى»[3].

وَالْمُخْتارُ التَّوَسُّطُ، بِأَنْ لا يَنْتَهِي إلى تَقْصِيصِ اللِّحْيَةِ وتَدْوِيرِها من الْجَوانِبِ، وهذا إِفْراطٌ في الْقَصِّ، وأنْ لا يُطَوِّلَ طُولًا مُفْرِطًا يُشَوِّهُ الْخِلْقَةَ، وَيُطْلِقُ أَلْسِنَةَ الْمُغْتابِينَ بِالنَّبْزِ إليه. ولِذَلِكَ قِيلَ: كُلَّمَا طالَتِ اللِّحْيَةُ، تَشَمَّرَ الْعَقْلُ[4].

وَقالَ الشَّاعِرُ: [السَّريع]

هِلَّوْفَةٌ يَحْمِلُهَا مائِقٌ … مَقْلوبُ هَارونٍ بها لَائِقُ[5]

---

(1) ورد في مصنف ابن أبي شيبة 5/ 317 بلفظ: «الْخِتَانُ سُنَّةٌ لِلرِّجَالِ مَكْرُمَةٌ لِلنِّسَاءِ»، وكذلك ورد في مسند أحمد: 34/ 319، والمعجم الكبير: 11/ 330، والسنن الكبرى للبيهقي: 17/ 510 وقال: إسناده ضعيف، والمحفوظ موقوف.

(2) الإحياء: 1/ 140-143.

(3) مسند الإمام أحمد: 9/ 137، التاريخ الكبير: 1/ 140، مسند البزار: 12/ 190، سنن النسائي: 8/ 311.

(4) الإحياء: 1/ 143.

(5) البيت في روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار: 371.

والهِلَّوْفَةُ بِكَسْرِ الْهاءِ، وَتَشْديدِ اللَّامِ الْمَفْتوحَةِ، بَعْدَهَا وَواوٌ ساكِنَةٌ، ثُمَّ فاءٌ مَفْتوحَةٌ، اللِّحْيَةُ الطَّوِيلَةِ؛ وَمَا اشْتَهَرَ بَيْنَ الطُّلَّابِ مِنَ القَافِ بَدَلَ الْفَاءِ فَغَلَطَ؛ وَالْمائِقُ: هو الْأَحْمَقُ، ومَقْلوبُ هارونَ: نُورَةٌ.

وَاعْلَمْ أنَّ اللِّحْيَةَ فيها عَشْرُ خِصالٍ مَكْروهَةٍ، بَعْضُها أَشَدُّ مِنْ بَعْضٍ:

أَحَدُهَا: خِضابُهَا بِالسَّوادِ، فهو مَنْهِيٌّ عنه. وَأَوَّلُ مَنْ خَضَبَ بِالسَّوادِ فِرْعَوْنُ. **وعَنِ** النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ: «الْخِضابُ بِالسَّوادِ خِضابُ الْكُفَّارِ»(1). وَفِي رِوايَةٍ: «خِضابُ أَهْلِ النَّارِ». وَغَيْرُ ذَلِكَ من الْأَحادِيثِ.

تَزَوَّجَ رَجُلٌ على عَهْدِ عُمَرَ رَضِيَ الله عنه، وَاطَّلَعُوا على أَنَّهُ كانَ خَضَبَ لِحْيَتَهُ، فَرَدَّ عُمَرُ نِكاحَهُ، وَأَوْجَعَهُ ضَرْبًا، وَقالَ: غَرَرْتَ الْقَوْمَ بِالشَّبابِ، وَلَبَّسْتَ عَلَيْهِمْ شَيْبَتَكَ، إلَّا أَنْ يَخْضِبَ لِأَجْلِ الْغَزْوِ، فَحِينَئِذٍ يَجوزُ إذا صَحَّتِ النِّيَّةُ ولم يَكُنْ فيه هَوًى ولا شَهْوَةٌ، وقد فَعَلَهُ بَعْضُ الْعُلَماءِ لِلْغَزْوِ.

ثانِيها: تَبْيِيضُهَا بِالْكِبْرِيتِ اسْتِعْجالًا لِإِظْهارِ عُلُوِّ السِّنِّ، تَوَصُّلًا إلى التَّوْقِيرِ، وَقَبولِ الشَّهادَةِ، وَالتَّصْدِيقِ بِالرِّوايَةِ عن الشُّيوخِ، وَإِظْهارًا لِكَثْرَةِ الْعِلْمِ، وَتَرَفُّعًا عن الشَّبابِ؛ وَكُلُّ هذا مَنْهِيٌّ عنه لِلْكَذِبِ والزُّورِ، مَعَ إِظْهارِ الْحُمْقِ في إِظْهارِ الْعِلْمِ، لِأَنَّ كَثْرَةَ الْعِلْمِ لا تَحْصُلُ بِطُولِ السِّنِّ، ولا تَنْقُصُ

---

(1) كتاب الإيمان لأبي عبيد القاسم: 92، قوت القلوب: 2/ 242، الإحياء: 1/ 143.

بِالشَّبابِ، بَلِ الْعِلْمُ غَرِيزَةٌ تَقْوَى بالشَّبابِ؛ وَكانَ عُمَرُ يُقَدِّمُ ابْنَ عَبَّاسٍ على مَشْيَخَةِ الصَّحابَةِ، وَيَسْأَلُهُ دونَهُمْ(1).

وَكانَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُما يَقولُ: ما آتَى اللهُ سُبْحانَهُ عَبْدًا عِلْمًا إلَّا شابًّا، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ في الشَّبابِ. ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعالَى: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾(2). وَقَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾(3). وَقَوْلَهُ تَعالَى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾(4).

وَكانَ أَنَسٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقولُ: «قُبِضَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ وَلَيْسَ في رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عِشْرونَ شَعْرَةً بَيْضاءَ»(5). فَقِيلَ له: يا أَبَا حَمْزَةَ، وَقَدْ أَسَنَّ، فَقالَ: لَمْ يَشِنْهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالشَّيْبِ، فَقِيلَ: أَوَيَشِينُ هو؟ فَقالَ: كُلُّكُمْ يَكْرَهُهُ(6).

وَيُقالُ إنَّ يَحْيَى بْنَ أَكْثَمَ وَلِيَ الْقَضاءَ وَهُوَ ابْنُ إِحْدَى وَعِشْرينَ سَنَةً، فَقالَ له رَجُلٌ في مَجْلِسِهِ: كَمْ(7) سِنُّ الْقاضِي أَيَّدَهُ اللهُ؟ - وَأَرادَ أَنْ يَرْمِيَهُ بِصِغَرِ السِّنِّ - فَقالَ: سِنُّ عَتَّابِ بْنِ أُسَيْدٍ حِينَ وَلِيَ إِمارَةَ مَكَّةَ وَقَضاءَهَا، فَأَفْحَمَهُ.

---

(1) الإحياء: 1/ 143-144.

(2) سورة الأنبياء، الآية: 60.

(3) سورة الكهف، الآية: 13.

(4) سورة مريم، الآية: 12.

(5) الموطأ: 5/ 1345 وهو فيه بلفظ: وَتَوَفَّاهُ اللهُ، كذا ورد أيضا في الصحيحين.

(6) الإحياء: 1/ 144.

(7) ما، في الأزهرية.

قالَ مالِكٌ: قَرَأْتُ في بَعْضِ الْكُتُبِ: لَا تَغُرَّنَّكُمُ اللِّحَى فإنَّ التَّيْسَ له لِحْيَةٌ.

وَقالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ: مَنْ سَبَق إليهِ الْعِلْمُ قَبْلَكَ فهو إِمامُكَ فيه، وَإِنْ كانَ أَصْغَرَ سِنًّا مِنْكَ[1].

الثَّالِثُ: الْخِضابُ بِالْحُمْرَةِ وَالصُّفْرَةِ جائِزٌ لِلْغَزْوِ وَالْجِهادِ، وَأَيْضًا وَرَدَ في الْحَديثِ: «الصُّفْرَةُ خِضابُ الْمُسْلِمينَ، وَالْحُمْرَةُ خِضابُ الْمُؤْمِنينَ»[2].

وَكانَ السَّلَفُ يَخْضِبونَ بِالْحِنَّاءِ لِلْحُمْرَةِ، وَبِالْخَلوقِ[3] وَالْكَتَمِ[4] لِلصُّفْرَةِ، فمن لَبَسَ نَفْسَهُ بِالتَّشَبُّهِ بِالصَّالِحِينَ فهو مَذْمُومٌ، كما أَنَّهُ مَذْمومٌ لِلتَّزَيُّنِ وَبَعْضِ الشَّيْبِ.

الرَّابِعُ: نَتْفُ بَياضِهَا اسْتِنْكافًا مِنَ الشَّيْبِ وهو نورُ الْمُؤْمِنِ، وهذا مَنْهِيٌّ عنه كَالْخِضابِ بِالسَّوادِ في الْعِلَّةِ[5].

الْخامِسُ: نَتْفُها في أَوَّلِ الشَّبابِ تَشَبُّهًا بِالْمُرْدِ، فهو من الْمُنْكَراتِ الْكِبارِ، وَنَتْفُ بَعْضِها بِحُكْمِ الْعَبَثِ وَالْهَوَسِ مَكْروهٌ، وَمُشَوِّهٌ لِلْخِلْقَةِ. وَكانَ رَجُلٌ يَنْتِفُ فَكَّيْهِ، فَرَدَّ عُمَرُ شَهادَتَهُ.

---

(1) الإحياء: 1/ 144.

(2) قوت القلوب: 2/ 242، الإحياء: 1/ 143.

(3) الْخَلوقُ: طِيبٌ مَعْرُوفٌ يُتَّخَذُ مِنَ الزَّعْفَرَانِ وَغَيْرِهِ مِنْ أَنواع الطِّيبِ. اللسان: خلق.

(4)الكَتَمُ، بِالتَّحْرِيكِ: نَبَاتٌ يُخْلَطُ مَعَ الْوَسْمَةِ لِلْخِضَابِ الأَسْوَدِ. الأزهري: اَلْكَتَمُ: نَبْتٌ فِيهِ حُمرة. اللسان: كتم.

(5) الإحياء: 1/ 144.

وَكَذَا رَدَّ ابْنُ أَبِي لَيْلَى قاضِي الْمَدِينَةِ، سِيَّمَا وَاللِّحْيَةُ زِينَةُ الرِّجالِ.

يُقالُ: إنَّ الله تَعالى مَلائِكَةً يُقْسِمونَ "وَالَّذِي زَيَّنَ بَنِي آدَمَ بِاللِّحَى"، وفيها تَعْظيمُ الرَّجُلِ، وَالنَّظَرُ إليه بِعَيْنِ الْعِلْمِ والْوَقارِ، وَالرَّفْعُ في الْمَجالِسِ، وَالاِحْتِشامُ عن التَّعَرُّضِ لِعِرْضِهِ.

قالَ أَصْحابُ الْأَحْنَفِ: وَدِدْنا أنْ نَشْتَرِيَ لِلْأَحْنَفِ لِحْيَةً بِعِشْرِينَ أَلْفًا.

وَقالَ شُرَيْحٌ الْقاضِي: وَدِدْتُ أَنَّ لي لِحْيَةً بِعَشَرَةِ آلافِ دِرْهَمٍ.

وَكانَ الْأَحْنَفُ وَشُرَيْحٌ مِنَ السَّاداتِ الطُّلْسِ، وَهُوَ جَمْعُ الْأَطْلَسِ: وَهُوَ مَنْ لا شَعْرَ له في وَجْهِهِ؛ وَهُمْ أَرْبعَةٌ، وَالْباقِيانِ هُمَا: عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَقَيْسُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عُبادَةَ[1].

السَّادِسُ: تَقْصِيصُهَا كَالتَّعْبِيَةِ طاقَةً على طاقَةٍ، لِلتَّزَيُّنِ لِلنِّساءِ وَالتَّصَنُّعِ، وهذا مَكْروهٌ.

السَّابِعُ: الزِّيادَةُ في اللِّحْيَةِ، وهو أَنْ يَزِيدَ في شَعْرِ الْعارِضَيْنِ مِنَ الصُّدْغِ؛ وهو شَعْرُ الرَّأْسِ؛ حَتَّى يُجاوِزَ عَظْمَ اللَّحْيِ[2]، أو يَنْتَهِيَ إلى نِصْفِ الْخَطِّ[3]، وذَلِكَ يُبايِنُ هَيْئَةَ أَهْلِ الصَّلاحِ.

---

(1) الإحياء: 1/ 144.

(2) اللَّحْيُ: الْعَظْمُ الَّذِي تَنْبُتُ عَلَيْهِ اللِّحْيَةُ مِنَ الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ. مقاييس اللغة: 5/ 240.

(3) الْخَدِّ، في الإحياء: 1/ 145.

الثَّامِنُ: تَسْرِيحُهَا لِأَجْلِ النَّاسِ.

قال بِشْرٌ: في اللِّحْيَةِ شِرْكانِ: تَسْرِيحُها لِأَجْلِ النَّاسِ، وَتَرْكُهَا مُتَفَتِّلَةً لِإِظْهارِ الزُّهْدِ.

التَّاسِعُ وَالْعاشِرُ: النَّظَرُ إلى سَوادِهَا، أَوْ بَيَاضِها بِعَيْنِ التَّعَجُّبِ، وذَلِكَ مَذْمومٌ في جَمِيعِ أَجْزاءِ الْبَدَنِ، بل في جَمِيعِ الْأَخْلاقِ وَالْأَفْعالِ، وَسَيَأْتِي تَفْصيلُ ذلك بِعَوْنِ اللهِ تَعالَى[1].

---

(1) الإحياء: 1/ 144-145.

الْأَصْلُ الرَّابِعُ فِي عِلْمِ أَسْرارِ الصَّلاةِ

وفيها مَطالِبُ.

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ

وَاعْلَمْ أَنَّ لِلصَّلاةِ مَراتِبَ وأَطْوارًا، وَلا تَنْكَشِفُ تَفاصِيلُها إلَّا بِمِثالٍ، وهو أنَّ الْإِنْسانَ لا يَكونُ إِنْسانًا مَوْجودًا كامِلًا إلَّا بِمَعْنًى باطِنٍ، وهو الْحَياةُ وَالرُّوحُ، وَبِأَعْضاءٍ ظاهِرَةٍ يَتَوَقَّفُ عليها الْحَياةُ؛ كَالْقَلْبِ وَالْكَبِدِ وَالدِّماغِ، وَبِأَعْضاءٍ لا تَتَوَقَّفُ عليها الْحَياةُ، لَكِنْ تَفوتُ بِدونِهَا مَقاصِدُ الْحَياةِ؛ كَالْعَيْنِ وَالْيَدِ وَالرِّجْلِ واللِّسانِ. وَبِأَعْضاءٍ لا تَتَوَقَّفُ عليها الْحَياةُ، ولا تَفُوتُ بِدونِهَا مَقاصِدُهَا، وَلَكِنْ يفوتُ بها الْحُسْنُ؛ كَالْحاجِبَيْنِ وَاللِّحْيَةِ وَالْأَهْدابِ وَحُسْنِ اللَّوْنِ، وَبِأَعْضاءٍ لا يَتَوَقَّفُ عليها ما ذُكِرَ كُلُّهَا، وَلَكِنْ يَفوتُ بها كَمالُ الْحُسْنِ؛ كَاسْتِقْواسِ الْحاجِبَيْنِ، وَسَوادِ شَعْرِ اللِّحْيَةِ وَالْأَهْدابِ، وَتَناسُبِ خِلْقَةِ الْأَعْضاءِ، وَامْتِزاجِ الْحُمْرَةِ بِالْبَياضِ في اللَّوْنِ. فَهَذِهِ دَرَجاتٌ خَمْسٌ يُمْكِنُ اعْتِبارُهَا في الْعِباداتِ. فَرُوحُها وَحَيَاتُهَا الْخُشوعُ، وَالنِّيَّةُ، وَحُضورُ الْقَلْبِ، وَالْإِخْلاصِ[1]. وَسَنُبَيِّنُها.

والدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ؛ [كَالرُّكوعِ وَالسُّجودِ وَالْقِيامِ وَالْقِراءَةِ وَالْقَعْدَةِ الْأَخِيرَةِ، إذْ يَفوتُ وُجودُ الصَّلاةِ بِفَواتِهَا.

---

(1) الإحياء: 1/ 158-159.

وَالدَّرَجَةُ الثَّالِثَةُ][1]؛ كَالسُّنَنِ، مِنَ التَّكْبِيرَةِ، وَرَفْعِ الْيَدَيْنِ، وَالتَّشَهُّدِ الْأَوَّلِ، وَقِراءَةِ الْفاتِحَةِ، وَغَيْرِها مِمَّا لا تَفوتُ الصَّلاةُ بِفَواتِها، لَكِنْ تَكونُ خِداجًا ناقِصًا.

وَالدَّرَجَةُ الرَّابِعَةُ: هِيَ الْآدابُ الْمُعْتَبَرَةُ في الصَّلاةِ.

وَالدَّرَجَةُ الْخامِسَةُ: هي لَطائِفُ تِلْكَ الْآدابِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الصَّلاةَ تُحْفَةٌ وَقُرْبَةٌ لك تَتَقَرَّبُ بِهَا إلى حَضْرَةِ مَلِكِ الْمُلوكِ؛ كَوَصِيفَةٍ يُهْدِيهَا طالِبُ الْقُرْبَةِ مِنَ السُّلْطانِ إِلَيْهِ، فَإِذَا حَسُنَتِ الْوَصِيفَةُ في خِلْقَتِهَا وَجَمالِهَا وَآدابِهَا الظَّاهِرَةِ، وَأَخْلاقِهَا الْباطِنَةِ، يَتَقَبَّلُهَا السُّلْطانُ عِنْدَ عَرْضِ حاجَةِ صاحِبِهَا، فَيُعَوِّضُهُ بما يَلِيقُ بِشَأْنِ السُّلْطانِ مِنَ الْكَراماتِ السَّنِيَّةِ وَالْعِزِّ وَالْجاهِ؛ وَكَذَلِكَ الصَّلاةُ، إذا تُقَرَّبُ بها إلى اللهِ تَعالَى تامَّةً في مَعْناهَا وَصورَتِهَا وَفَرائِضِهَا وَسُنَنِهَا، يَتَقَبَّلُهَا الْحَقُّ سُبْحانَهُ وَتَعالَى يَوْمَ الْعَرْضِ الْأَكْبَرِ، فَيُجازِيهَا بما لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ، وإِلَّا تُرَدُّ[2] عَلَيْكَ، وَتَصيرُ هي خَصْمًا عَلَيْكَ، وَتَقولُ: ضَيَّعْتَنِي ضَيَّعَكَ اللهُ[3].

---

(1) ما بين معقوفين سقط من قونية.

(2) تردد، في الأزهرية.

(3) الإحياء: 1/ 159.

فَمُنْتَهى نَظَرِ الْفَقيهِ مِنَ الصَّلاةِ نَظَرُ الطَّبيبِ في الْإِنْسانِ؛ فَإِنَّ الطَّبيبَ في صَدَدِ حِفْظِ صِحَّتِهِ، وَإِبْقاءِ حَياتِهِ، وَإِنْ كانَ مُشَوَّهَ الْخِلْقَةِ، مَذْمومَ الْخَلْقِ؛ كَذَلِكَ الْفَقيهُ يَنْظُرُ في أَحْوالِ الصَّلاةِ مِقْدارَ ما لا تَكونُ الصَّلاةُ صَلاةً إذا لَمْ يُراعِ شَرائِطَ الْفِقْهِ.

وَإِنَّمَا الَّذي يَنْظُرُ إليه أَصْحابُ الْقُلوبِ نَظَرُ مَنْ يُهْدِي الْعَبيدَ إلى السُّلْطانِ، حَيْثُ يَنْظُرُ إلى دَرَجاتٍ يَكْمُلُ بها رُتْبَةُ الْإِنْسانِيَّةِ صورَةً وَمَعْنًى؛ كَذَلِكَ الْعارِفُ يَنْظُرُ إلى الصَّلاةِ مِقْدارَ ما يَكونُ مَقْبولًا عند الْمَلِكِ الدَّيَّانِ، وَسَبَبًا لِلْفَوْزِ مِنَ الرِّضْوانِ.

وَلَمَّا عَرَفْتَ في الْكُتُبِ الْفِقْهِيَّةِ مَرْتَبَةَ نَظَرِ الْفَقِيهِ، فَلْنُبَيِّنْ ها هُنَا الْأَحْوالَ الْمُعْتَبَرَةَ في الصَّلاةِ عِنْدَ الْعارِفِ باللهِ تَعالَى وَصِفاتِهِ.

الْمَطْلَبُ الثَّانِي: في الشُّروطِ الْباطِنَةِ من أَعْمالِ الْقَلْبِ

منها: عِلْمُ الْخُشوعِ، وَحُضورِ الْقَلْبِ؛ قالَ اللهُ تَعالَى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾(1) وَالْغَفْلَةُ ضِدُّ الذِّكْرِ؛ وَقَوْلُهُ تعالَى في حَقِّ السَّكْرانِ: ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾(2)، وَسُكْرُ الْغَفْلَةِ يُشارِكُهُ في هذا الْمَعْنَى؛ وَقَوْلُهُ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا الصَّلاةُ تَمَسْكُنٌ وَتَوَاضُعٌ»(3). وَيُفْهَمُ منه الْحَصْرُ.

وَقَوْلُهُ: «مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلاتُهُ عن الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ لم تَزِدْهُ مِنَ اللهِ إِلَّا بُعْدًا»(4). وَصَلاةُ الْغافِلِ لا تَمْنَعُ مِنْهُمَا.

وَقَوْلُهُ: «كَمْ مِنْ قائِمٍ حَظُّهُ مِنَ الصَّلاةِ التَّعَبُ والنَّصَبُ»(5).

وَقَوْلُهُ: «لَيْسَ لِلْعَبْدِ مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا ما عَقَلَ»(6).

وَأَيْضًا: الشَّرْعُ دَلَّ على أَنَّ الْمُصَلِّيَ مُنَاجٍ رَبَّهُ، وَمِنَ الْمَعْلومِ أَنَّ الْغَفْلَةَ تُنافِي الْمُناجاةَ.

إذا عَرَفْتَ هذا، فَاعْلَمْ أَنَّ طَرِيقَ دَفْعِ الْغَفْلَةِ، هو أَنَّ الصَّلاةَ ذِكْرٌ وَقِراءَةٌ وَرُكوعٌ وَسُجودٌ وَقِيامٌ وَقُعودٌ(7).

---

(1) سورة طه، الآية: 14.

(2) سورة النساء، الآية: 43.

(3) قوت القلوب: 2/ 161، الإحياء: 1/ 150.

(4) العلل لابن أبي حاتم: 2/ 514، المعجم الكبير للطبراني: 11/ 54، الإحياء: 1/ 150.

(5) قوت القلوب: 2/ 171، مسند الشهاب القضاعي: 2/ 309، الإحياء: 1/ 159.

(6) قوت القلوب: 2/ 170، الإحياء: 1/ 159.

(7) الإحياء: 1/ 159-160.

أَمَّا الذِّكْرُ وَالْقِراءَةُ، فَالْمَقْصودُ مِنْهُمَا الْحَمْدُ وَالثَّناءُ، وَالتَّضَرُّعُ وَالدُّعاءُ، وَلَا بُدَّ أَنْ تُخاطِبَ به الْحَقَّ تَعَالَى، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ ذِكْرٌ وَقِراءَةٌ. وَخِطابُهُ تَعَالَى لا يُمْكِنُ بِالْمُشافَهَةِ، فهو بِالْقَلْبِ؛ فَالْغَفْلَةُ تُنافِي الْمَقْصودَ مِنَ الذِّكْرِ وَالْقِراءَةِ. وَأَيْضًا الصَّلاةُ شُرِّعَتْ لِتَصْقِيلِ الْقَلْبِ، وَتَجْدِيدِ ذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَرُسوخِ عَقْدِ الْإِيمانِ فيه، وَلَا نَفْعَ بِمُجَرَّدِ حَرَكَةِ اللِّسانِ فِيمَا ذُكِرَ - وَذَلِكَ ظاهِرٌ - فلا بُدَّ مِنْ حُضورِ الْقَلْبِ.

وَأَمَّا الرُّكوعُ والسُّجودُ، فَالْمَقْصودُ بهما التَّعْظِيمُ، ولو جازَ التَّعْظِيمُ بِمُجَرَّدِ حَرَكَةِ الْبَدَنِ، لم يَبْقَ فَرْقٌ بَيْنَ تَعْظيمِ الْخَلْقِ وَالْخالِقِ، ولم تَكُنِ الصَّلاةُ مِنَ الْأُمورِ الَّتِي يُمْتَحَنُ بها الْمُسْلِمونَ، وَتُجْعَلَ عِمادَ الدِّينِ، وَالْفاصِلَ بين الْكُفْرِ والْإِسْلَامِ. ومن عَرَفَ سِرَّ الصَّلاةِ عَلِمَ أَنَّ الْغَفْلَةَ تُضادُّهَا، وأَنَّ حُضورَ الْقَلْبِ روحُ الصَّلاةِ، وأَنَّ أَقَلَّ ما يَبْقَى به رَمَقُ الصَّلاةِ الْحُضورُ عند التَّكْبيرَةِ، فَالنُّقْصانُ منه هَلَاكٌ، وَبِقَدْرِ الزِّيادَةِ عليه تَنْبَسِطُ الرُّوحُ في أَجْزاءِ الصَّلاةِ[1].

وَأَمَّا أَمْرُ الْفَتْوَى، فَلَمَّا كانَ لِعامَّةِ النَّاسِ بِحَيْثُ لا يُخَصُّ الْبَعْضُ دونَ بَعْضٍ؛ كَمَا قالَ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ في حَقِّ الْفَتْوَى: «حُكْمِي على الْجَماعَةِ حُكْمِي على الْواحِدِ»[2].

---

(1) الإحياء: 1/ 160.

(2) التقريب والإرشاد للباقلاني: 2/ 249، اللمع في أصول الفقه: 22، المستصفى: 235، كشف الخفاء: 1/ 364.

وَلَمَّا عَجَزَ الْكُلُّ عن حُضورِ الْقَلْبِ في جَميعِ أَجْزاءِ الصَّلاةِ، اشْتَرَطوا الْحُضورَ ولو في لَحْظَةٍ، ولَمَّا صارَ الْأَوْلَى بِذَلِكَ تَكْبِيرَةَ الِافْتِتاحِ، لِأَنَّ إِحْكامَ الْأَساسِ إِحْكامٌ لِلْبِناءِ من غَيْرِ عَكْسٍ، اشْتَرَطُوا الْحُضورَ عِنْدَهَا.

وَأَمَّا الْقِيامُ وَالْقُعودُ، فَإِنَّ الْقِيامَ تَنْبيهٌ على إِقامَةِ الْقَلْبِ على نَعْتٍ مِنَ الْحُضورِ، فَالْغَفْلَةُ رَدٌّ لِلْقَلْبِ[1] عن الْإِقامَةِ؛ فَكَمَا أَنَّ الالْتِفاتَ بِالْجَسَدِ يورِثُ الْكَراهَةَ، كَذَلِكَ الْالْتِفاتُ بِالْقَلْبِ، بَلْ ذلِكَ أَشَدُّ كَراهَةً، بل لا تَكونُ صَلاةً عند التَّحْقيقِ، وإنْ لم يَعُدَّهُ الْفُقَهاءُ مِنَ الْمُفْسِداتِ؛ وَذَلِكَ لِبَحْثِهِمْ عَنْ أَفْعالِ الْبَدَنِ دونَ أَفْعالِ الْقَلْبِ، وإِلَّا فَلَوْ سُئِلُوا عن ذلِكَ لَأَجابُوا بما ذَكَرْناهُ، اللَّهُمَّ إِلَّا مَنْ لا يَعْرِفُ مِنَ الْفِقْهِ إِلَّا ظاهِرَهُ وَرَسْمَهُ.

وَكَذَا الْقُعودُ، فَكَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكونَ الْبَدَنُ على وَجْهِ الْأَدَبِ كَقُعودِ[2] النَّاسِ عند السَّلاطِينِ، كَذَلِكَ أَنْ يَكونَ قَلْبُكَ عِنْدَهُ، على أَنْ يَشْكُرَ اللهَ تَعَالَى على تَوْفِيقِهِ لهذا الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَإِتْمامِ هذِهِ الطَّاعَةِ، وَأَنْ يَخافَ منه تَعالى أَنَّهُ فَرَغَ مِنْ فِعْلٍ هَلْ وَقَعَ له مَحَلٌّ في حَضْرَتِهِ، أَمْ رُدَّ وَضُرِبَ به وَجْهُ صاحِبِهِ؛ وَأَنْ يَتَذَكَّرَ في قَلْبِهِ أَنَّهُ مُوَدِّعٌ لِصَلاتِهِ، وَرُبَّمَا لا يَعِيشُ لِمِثْلِهَا.

إذا عَرَفْتَ هذا، فَلْنَذْكُرْ ثَمَراتِهِ.

---

(1) القلب، في أنطاليا.

(2) قُعودَ، في قونية ورئيس الكتاب.

وَاعْلَمْ أَنَّ حُضورَ الْقَلْبِ هو خُلُوُّ الْقَلْبِ عن غَيْرِ مَنْ يُناجِيهِ؛ وَسَبَبُهُ الْهِمَّةُ، فَإِنَّ الْقَلْبَ تابِعٌ لِلْهَمِّ شاءَ صاحِبُهُ أَمْ أَبَى، وَلَا حِيلَةَ في صَرْفِهِ عَنِ الدُّنْيَا، وَحَصْرِ هَمِّهِ في الصَّلَاةِ إِلَّا مُلاحَظَةُ أَنَّ الْغَرَضَ الْأَصْلِيَّ مِنَ الْحَياةِ الْإِيمانُ بِالْمَبْدَإِ وَالْمَعادِ، وَمَعْرِفَةُ أَنَّ الدُّنْيَا أَحْقَرُ مِنْ أَنْ يُتَلَهَّى بها، وأَنَّ الْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى. وَهَذَا الْغَرَضُ لا يَحْصُلُ إِلَّا بِالصَّلاةِ. فَالْمُلاحَظَةُ الْمَذْكورَةُ وَسِيلَةٌ إلى جَعْلِ الصَّلاةِ أَكْبَرَ هَمِّ الْمُصَلِّي، وهذا الْهَمُّ يُثْمِرُ حُضورَ الْقَلْبِ[1].

وَأَمَّا ثَمَراتُ حُضورِ الْقَلْبِ:

فَمِنْها التَّفَهُّمُ، وهو اشْتِمالُ الْقَلْبِ على مُلاحَظَةِ الْمَعْنَى مِنَ اللَّفْظِ، فَكَمْ مِنْ رَجُلٍ يَحْضُرُ قَلْبُهُ مَعَ اللَّفْظِ دونَ الْمَعْنَى؛ وكَمْ مِنْ مَعْنًى لَطِيفٍ يَفْهَمُهُ الْمُصَلِّي في أَثْناءِ الصَّلاةِ، ولم يَكُنْ يَفْهَمُهُ قَبْلَ ذلِكَ، وهَذِهِ هي الصَّلاةُ الَّتِي تَنْهَى عن الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ، لا مَنْ يَقْرَأُ وهو غافِلٌ عن مَعْنَى ما قَرَأَهُ، وسَبَبُهُ ـ بَعْدَ حُضورِ الْقَلْبِ ـ الْإِقْبالُ على الْفِكْرِ، وَالتَّشَمُّرُ لِدَفْعِ الْخَواطِرِ الشَّاغِلَةِ بِالنُّزوعِ عن أَسْبابٍ تَجْذُبُ الْخَواطِرَ إلى الشَّواغِلِ الدُّنْيَوِيَّةِ، فَمَنْ أَحَبَّ شَيْئًا أَكْثَرَ ذِكْرَهُ، وَلِذَلِكَ مَنْ أَحَبَّ غَيْرَ اللهِ لا تَصْفُو له صَلاةٌ عن الْخَواطِرِ[2].

---

(1) الإحياء: 1/ 161.

(2) المصدر نفسه: 1/ 161-162.

وَمِنْها [عِلْمُ][1] **التَّعْظِيم**، وهذا أَمْرٌ وَراءَ ما ذَكَرْناهُ؛ إذْ كَمْ مِنْ رَجُلٍ حاضِرِ الْقَلْبِ والْفَهْمِ إذا خاطَبَ عَبْدَهُ لا يَكونُ مُعَظِّمًا له، فَهُوَ حالَةٌ لِلْقَلْبِ تَتَوَلَّدُ مِنْ مَعْرِفَتَيْنِ، أَحَدُهُمَا مَعْرِفَةُ جَلالِ اللهِ تَعَالَى وَعَظَمَتِهِ. وَثانِيهِمَا مَعْرِفَةُ حَقَارَةِ النَّفْسِ، وَكَوْنِهَا مُسَخَّرًا لِرَبِّهَا. فَيَتَوَلَّدُ مِنْهُمَا الِاسْتِكانَةُ وَالِانْكِسارُ، والْخُشوعُ الْمُعَبَّرُ عنه بِالتَّعْظيمِ[2].

ومنها عِلْمُ الْهَيْبَةِ، وهي أَمْرٌ زائِدٌ على التَّعْظيمِ، مَنْشَؤُهَا خَوْفٌ يَصْدُرُ عن الْإِجْلالِ لا مُطْلَقُ الْخَوْفِ، فإنَّ مَنْ خافَ مِنَ السَّبُعِ لا يُجِلُّهُ ولا يَهابُهُ، وهذِهِ تَتَوَلَّدُ مِنْ مَعْرِفَةِ كَوْنِهِ تَعَالَى غَنِيًّا عن الْعالَمِينَ، بِحَيْثُ لو أَهْلَكَ الْأَوَّلِينَ والآخِرينَ لم يَنْقُصْ من مُلْكِهِ ذَرَّةً، مع نُفوذِ قُدْرَتِهِ، وَغَلَبَةِ سَطْوَتِهِ. وَمَنْ طالَعَ ما يَجْرِي على الْأَنْبِياءِ والْأَوْلِياءِ مِنَ الْمَصائِبِ وَالْبَلاءِ - مع قُدْرَتِهِ على عافِيَتِهِمْ - يَعْرِفُ جَلالَ الله تَعالَى وَقَهْرَهُ، فَيَحْصُلُ من هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ الْهَيْبَةُ[3].

ومنها عِلْمُ الرَّجاءِ، وهذا زائِدٌ على الْهَيْبَةِ، إذْ كَمْ مِنْ واحِدٍ يَهابُ مَلِكًا ولا يَرْجُوهُ. وَالْعَبْدُ يَنْبَغِي له أنْ يَرْجُوَ ثَوابَ اللهِ تَعالَى بِصَلاتِهِ كما أَنَّهُ يَخافُ بِتَقْصِيرِهِ عِقابَ اللهِ تَعالَى. فَسَبَبُهُ مَعْرِفَةُ لُطْفِ اللهِ وَكَرَمِهِ، وَعَمِيمِ إِنْعامِهِ، وَلَطائِفِ صُنْعِهِ، وَمَعْرِفَةُ صِدْقِهِ في وَعْدِهِ الْجَنَّةَ لِلْمُصَلِّي؛ فَمِنَ الْيَقينِ بِلُطْفِهِ،

(1) زيادة من رئيس من رئيس الكتاب وأنطاليا.

(2) الإحياء: 1/ 162.

(3) المصدر نفسه: 1/ 162.

وَصِدْقِ وَعْدِهِ، يَتَوَلَّدُ الرَّجاءُ، وَيَحْمِي إيمانَهُ بَيْنَ الْخَوْفِ والرَّجاءِ، الَّذِي لا مَهْرَبَ عن التَّوَسُّطِ بَيْنَهُمَا.

ومِنْهَا عِلْمُ الْحياءِ، فهو زائِدٌ على الْكُلِّ؛ إذْ يُمْكِنُ تَصَوُّرُ التَّعْظِيمِ وَالْخَوْفِ والرَّجاءِ لِمَنْ لا يَتَوَهَّمُ التَّقْصِيرَ والذَّنْبَ، وَسَبَبُهُ اسْتِشْعارُهُ التَّقْصيرَ في الْعِبادَةِ، وَعِلْمُهُ بِالْعَجْزِ عن الْقِيامِ بِعَظيمِ حَقِّ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، سِيَّمَا إذا عَرَفَ عُيوبَ نَفْسِهِ وَآفاتِهَا، وَقِلَّةَ إِخْلاصِهَا، وَخُبْثَ دَخِيلَتِهَا، وَمَيْلَهَا إلى الْحَظِّ الْعاجِلِ، مع الْعِلْمِ بِعَظِيمِ جَلالِ اللهِ، وَبِأَنَّهُ مُطَّلِعٌ على السَّرِيرَةِ وخَطَراتِ الْقَلْبِ وإنْ دَقَّتْ وَخَفِيَتْ. وهذِهِ الْمَعارِفُ إذا حَصَلَتْ يَقينًا، انْبَعَثَ منها بِالضَّرورَةِ حالَةٌ تُسَمَّى الْحَياءَ[1].

وَإذا عَرَفْتَ أنَّ هذه الثَّمَراتِ أَصْلُهَا حُضورُ الْقَلْبِ، وَأَنَّ سَبَبَهُ دَفْعُ الْخَواطِرِ، وَكانَ ذلك من صِعابِ الْأُمورِ لِلسَّالِكينَ، فلا عَلَيْنا أَنْ نَذْكُرَ هاهُنا بَعْضًا من عِلاجِ دَفْعِ الْخَواطِرِ.

وَاعْلَمْ أنَّ الْخَواطِرَ إمَّا حِسِّيٌّ أو خيالِيٌّ، فَالْأَوَّلُ ما يَشْغَلُهُ مِنْ طُرُقِ الْحَواسِّ الظَّاهِرَةِ، وأَكْثَرُهَا مَنْعًا السَّمْعُ والْبَصَرُ؛ أَمَّا السَّمْعُ، فَكَأَنْ يَشْغَلَ الْمُصَلِّيَ أَصْواتُ الطُّيورِ إذا صَلَّى في حائِطٍ، أو سَمِعَ مَنْ يُنْشِدُ شِعْرًا، أو يَقُصُّ شَيْئًا؛ وأَمَّا الْبَصَرُ، فَكَأَنْ يَشْغَلَهُ مَا لَهُ وَقْعٌ في قَلْبِهِ، وهو بِمَرْأًى في صَلاتِهِ، أو يَشْغَلَهُ شَيْءٌ له بَريقٌ، أو لَمَعانٌ، أو عَلَمٌ. كما رَدَّ رَسولُ اللهِ صَلَّى

(1) الإحياء: 1/ 162.

الله عليه وَسَلَّمَ الْخَمِيصَةَ التي أَتاهُ بها أبو جَهْمٍ وَعَلَيْهَا عَلَمٌ وَقالَ: «اذْهَبُوا بِها إلى أَبِي جَهْمٍ، فَإِنَّهَا أَلْهَتْنِي آنِفًا عن صَلَاتِي، وَائْتُونِي بأَنْبِجَانِيَّةِ أَبِي جَهْمٍ»[1].

وَنَظائِرُ هذه كَثِيرَةٌ في الرِّواياتِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ شُغْلَ الْحِسِّ رُبَّمَا يُؤَدِّي إلى شُغْلِ الْقَلْبِ، فَعِلاجُهُ قَطْعُ هذه الْأَسْبابِ، بِأَنْ يَغُضَّ بَصَرَهُ إِلَّا عن مَوْضِعِ سَجْدَتِهِ، أَوْ لا يَتْرُكَ في الْبَيْتِ ما يَشْغَلُهُ، أو يُصَلِّيَ في بَيْتٍ مُظْلِمٍ. وَكانَ بَعْضُ الْعُلَماءِ يَقْرُبُ مِنْ حائِطٍ عِنْدَ صَلاتِهِ، حَتَّى لا يَتَّسِعَ مَسافَةُ بَصَرِهِ. وَلِهَذَا يُحْتَرَزُ مِنَ الصَّلاةِ على الشَّوارِعِ، وفي الْمَواضِعِ الْمَنْقوشَةِ الْمَصْنوعَةِ، وعلى الْفُرُشِ الْمَصْبوغَةِ، وَالْأَوْلَى لِلْمُبْتَدِئِ اخْتِيارُ الْبَيْتِ الْمُظْلِمِ لِحِفْظِ بَصَرِهِ، وَالصَّغِيرِ لِجَمْعِ هَمِّهِ. وَأَمَّا الْأَقْوِياءُ فَيَحْضُرونَ الْمَساجِدَ، وَيَقْدِرونَ على غَضِّ الْبَصَرِ حَتَّى لا يَعْرِفونَ مَنْ على يَمِينِهِمْ وَشِمالِهِمْ[2].

وَأَمَّا الْأَسْبابُ الْخَيالِيَّةُ فَأَصْعَبُها عِلاجًا، وَأَشَدُّهَا على الْقَلْبِ؛ فَإِنَّ مَنْ تَشَعَّبَتْ به الْهُمومُ في أَوْدِيَةِ الدُّنْيا لم يَنْحَصِرْ فِكْرُهُ في فَنٍّ واحِدٍ، بل لا يَزالُ يَطِيرُ مِنْ أَمْرٍ إلى آخَرَ، وَغَضُّ الْبَصَرِ لا يُغْنِيهِ، فَعِلاجُهُ صَرْفُ النَّفْسِ إلى فَهْمِ ما يَقْرَأُهُ في الصَّلاةِ، وَيَشْغَلُها به عن غَيْرِهِ، وَيَسْتَعِينُ على ذلك بِأَنْ يَذْكُرَ قَبْلَ التَّحْرِيمَةِ[3] أَمْرَ الْآخِرَةِ، وَمَوْقِفَ الْمُناجاةِ[4]، وَخَطَرَ الْمَقامِ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهَوْلَ

(1) صحيح البخاري: 1/ 84، رقم: 373.
(2) الإحياء: 1/ 164.
(3) أي تكبيرة الإحرام.
(4) الإحياء: 1/ 164.

الْمَطْلَعِ، وَأَنْ يَتَذَكَّرَ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «صَلُّوا صَلاةَ مُوَدِّعٍ»[1]. بِأَنْ يَفْرِضَ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ آخِرَ صَلاةٍ يُصَلِّيهَا، وَأَنَّهُ آخِرَ عَمَلٍ يُخْتَمُ به على أَعْمالِهِ.

وَدَفْعُ الْخَواطِرِ مِنْ أَصْعَبِ الْأُمورِ، وَشَبَّهوهَا بِالذُّبابِ، لِأَنَّهُ كُلَّمَا ذُبَّ آبَ، وَلِهَذا سُمِّيَ ذُبابًا، كذلِكَ الْخَواطِرُ، كُلَّمَا أَرَدْتَ دَفْعَهَا تَهْجُمُ عَلَيْكَ مِنْ كُلِّ جانِبٍ، يَعْرِفُها مَنْ يُزاوِلُ عِلاجَهَا، إِلَّا أَنَّ أَصْلَ ذلِكَ كُلِّهُ حُبُّ الدُّنْيَا، الَّذِي هو رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، وَأَساسُ كُلِّ نُقْصانٍ، وَمَنْبَعُ كُلِّ فَسادٍ؛ وَمَنِ انْطَوَى باطِنُهُ على حُبِّ الدُّنْيَا فَلَا يَطْمَعَنَّ[2] في أَنْ تَصْفُوَ له لَذَّةُ الْمُناجاةِ في الصَّلاةِ، وَمَنْ فَرِحَ بِالدُّنْيَا فلا يَفْرَحُ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَبِمُناجاتِهِ، وَهِمَّةُ الرَّجُلِ مع قُرَّةِ عَيْنِهِ، وهذا هو الدَّواءُ الْمُرُّ؛ ولِهَذا اسْتَبْشَعَتْهُ الطِّباعُ، وَبَقِيَتِ الْعِلَّةُ مُزْمِنَةً، وَالدَّاءُ عُضالًا، حتَّى يَئِسَ بَعْضٌ مِنَ الْقاصِرينَ عن دَفْعِها، حَتَّى إِنَّ الْأَكابِرَ اجْتَهَدُوا أَنْ يُصَلُّوا[3] رَكْعَتَيْنِ لا يُحَدِّثونَ أَنْفُسَهُمْ فيها بِأُمورِ الدُّنْيَا فَعَجَزُوا، وإذا كانَ حالُهُمْ كَذَلِكَ، فلا مَطْمَعَ فيه لِأَمْثالِنَا. وَلَيْتَهُ سَلِمَ مِنَ الصَّلاةِ شَطْرُهَا، أَوْ ثُلُثُهَا، لِيَكونَ مِمَّنْ خَلَطُوا عَمَلًا صالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا، وَلَكِنَّ عُلُوَّ الْهِمَّةِ مِنَ الْإِيمانِ. فَعَلَيْكَ أَنْ لا تَتْرُكَ الْمُجاهَدَةَ، وَتُدْخِلَ نَفْسَكَ في زُمْرَةِ الرِّجالِ، وَلِلْحُروبِ رِجالٌ، وَلِلثَّرِيدِ رِجالٌ[4].

---

(1) مصنف ابن أبي شيبة: 7/ 231، مسند الإمام أحمد: 38/ 484، التاريخ الكبير للبخاري: 7/ 266.

(2) يطمع، في قونية.

(3) يصلي، في قونية ورئيس الكتاب وأنطاليا.

(4) الإحياء: 1/ 164-165.

الْمَطْلَبُ الثَّالِثُ: في بَيانِ كَيْفِيَّةِ إحْضارِ الْقَلْبِ عند كُلِّ رُكْنٍ رُكْنٍ وَشَرْطٍ شَرْطٍ

أمَّا الشَّرائِطُ:

فَمِنْهَا الْأذانُ، فإذا سَمِعْتَ النِّداءَ، فَأَحْضِرْ في قَلْبِكَ هَوْلَ النِّداءِ يَوْمَ الْقِيامَةِ، وَتَشَمَّرْ بِظاهِرِكَ وَباطِنِكَ لِلْإِجابَةِ وَالْمُسارَعَةِ، فإنَّ الْمُسَارِعِينَ إليه هُمُ الَّذِينَ يُنَادَوْنَ بِاللُّطْفِ يَوْمَ الْعَرْضِ الْأَكْبَرِ. فإنْ[1] وَجَدْتَ في قَلْبِكَ عند النِّداءِ الْفَرَحَ وَالاِسْتِبْشارَ فَلَكَ الْبُشْرَى بِالْفَوْزِ يَوْمَ الْفَصْلِ[2].

وَمِنْهَا الطَّهارَةُ، فإنَّكَ إذا أُمِرْتَ بِتَطْهِيرِ طَرَفِكَ الْأَبْعَدِ وهو الْمَكانُ، وَطَرَفِكَ الْأَقْرَبِ وهو الثِّيابُ، وَقِشْرِكَ وهو بَدَنُكَ، فَمَا ظَنُّكَ بِلُبِّكَ، وهو مَوْضِعُ نَظَرِ مَعْبودِكَ. فَبادِرْ بِالتَّطَهُّرِ[3] بِالتَّوْبَةِ وَالنَّدَمِ على ما فَرَطَ، وَتَصْمِيمِ الْعَزْمِ على التَّرْكِ في الْمُسْتَقْبَلِ، فَهَذا تَطْهِيرُ باطِنِكَ.

وَمِنْهَا سَتْرُ الْعَوْرَةِ، فإذا وَجَبَ سَتْرُ مَقابِحِ بَدَنِكَ عن الْخَلْقِ، فَكَيْفَ سَتْرُ مَقابِحِ قَلْبِكَ عن الْخالِقِ، وهو مَوْضِعُ نَظَرِهِ، فإذا لم يَسْتُرْ ذَلِكَ عن اللهِ تَعالَى ساتِرٌ، فَعَلَيْكَ بِمَحْوِهَا عن قَلْبِكَ بِالنَّدَمِ وَالْحَياءِ وَالْخَوْفِ، فَتَذِلُّ به نَفْسُكَ،

---

(1) فإذا، في قونية.

(2) الإحياء: 1/ 165.

(3) بالتطهير، في قونية ورئيس الكتاب وأنطاليا.

وَتَسْتَكِنُّ تَحْتَ الْخَجْلَةِ(1)، فتَقومُ بَيْنَ يَدَيْهِ قِيامَ الْعَبْدِ الْمُسِيءِ الْآبِقِ عِنْدَ مَوْلاهُ(2).

وَمِنْهَا الاِسْتِقْبالُ، فهو في الظَّاهِرِ صَرْفُ وَجْهِكَ عن سائِرِ الْجِهاتِ إلى جِهَةِ بَيْتِ اللهِ تَعالَى، فإذا كانَ هذا مَطْلوبًا مِنْكَ أَفتَرَى أنَّ صَرْفَ الْقَلْبِ مِنْ سائِرِ الْأُمورِ إلى أَمْرِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ لَيْسَ مَأْمورًا؟ هَيْهاتَ هَيْهاتَ! فلا مَطْلوبَ منك إلَّا مُطابَقَةُ وَجْهِ قَلْبِكَ وَجْهَ قالَبِكَ. فَكَمَا لا يَتَوَجَّهُ الْوَجْهُ إلى جِهَةِ الْبَيْتِ إلَّا بِصَرْفِهِ عن سائِرِ الْجِهاتِ، كذلك لا يَنْصَرِفُ الْقَلْبُ إلى الله عَزَّ وَجَلَّ إلَّا بِالتَّفْرِيغِ عمَّا سِواهُ.

وَمِنْهَا الاِعْتِدالُ، وَهُوَ مُثولٌ بين يَدَيِ الله عَزَّ وَجَلَّ بِالْقَلْبِ والْبَدَنِ، فَلْيَكُنْ رَأْسُكَ مُطرِقًا مُطَأْطَأً مُسْتكينًا، ذاكِرًا خَطَرَ الْقِيامِ بين يَدَيِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ في هَوْلِ الْمَطْلَعِ عند الْعَرْضِ وَالسُّؤالِ، بَلْ إنَّكَ قائِمٌ بين يَدَيْهِ في الْحالِ، وإنْ كُنْتَ تَعْجِزُ عن مَعْرِفَةِ كُنْهِ جَلالِهِ، فَقَدِّرْ أنَّ رَجُلًا صالِحًا مِنْ أَهْلِكَ، أَوْ مِمَّنْ تَرْغَبُ في أنْ يَعْرِفَكَ بِالصَّلاحِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ كَيْفَ تَخْشَعُ جَوارِحُكَ خِيفَةَ أَنْ يَنْسُبَكَ ذَلِكَ الْعَبْدُ الْعاجِزُ إلى قِلَّةِ الْخُشوعِ، فإذا أَنْصَفَتْ نَفْسُكَ بهذا

---

(1) ويستكين تَحْتَ الْخَجْلَةِ قَلْبُكَ، الإحياء: 1/ 166. الْخَجْلَةُ: الشَّوْرَةُ، شَوَّرْت الرجلَ وَبِالرَّجُلِ فَتَشَوَّر إِذا خَجَّلْته فَخَجِل. اللسان: شور.

(2) الإحياء: 1/ 166.

وَاعْتَرَفَتْ، فَقُلْ لها: إنَّكَ تَدَّعِي مَعْرِفَةَ اللهِ وَحُبَّهُ، أَفَلَا تَسْتَحْيِي منه أنْ تَخْشَيْ عَبْدًا مِنْ عِبادِهِ واللهُ أَحَقُّ أنْ تَخْشاهُ[1].

وَمِنْهَا النِّيَّةُ، فَاعْزِمْ على إِجابَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ في امْتِثالِ أَمْرِهِ، رَجاءً لِثَوابِهِ، وَخَوْفًا مِنْ عِقابِهِ، وَطَلَبًا لِلْقُرْبِ منه، مُتَقَلِّدًا لِلْمِنَّةِ بإِذْنِهِ لَكَ في الْمُناجاةِ مَعَ أَنَّكَ في أَيْنَ مِنْ جَنابِهِ، وَعَظِّمْ في نَفْسِكَ قَدْرَ مُناجاتِهِ، وَانْظُرْ مَنْ تُناجِي، وَكَيْفَ تُناجِي، وبماذا تُناجِي، بِحَيْثُ يَليقُ أنْ يَعْرَقَ جَبِينُكَ مِنَ الْخَجَلِ، وَتَرْتَعِدَ فَرائِصُكَ مِنَ الْوَجَلِ، وَيَصْفَرَّ وَجْهُكَ مِنْ خَوْفِ الزَّلَلِ[2].

وَمِنْهَا التَّكْبِيرُ، فإذا نَطَقَ به لِسانُكَ فَيَنْبَغِي أنْ لا يُكَذِّبَهُ قَلْبُكَ، كَما إذا كُنْتَ أَطْوَعَ لِهَواكَ مِنْكَ لله عَزَّ وَجَلَّ، فَيوشِكُ أَنْ يَكونَ التَّكْبِيرُ كَلامًا مُجَرَّدًا، وما أَعْظَمَ هذا الْخَطَرَ لَوْلا التَّوْبَةُ وَالاِسْتِغْفارُ، وَحُسْنُ الظَّنِّ بِكِبْرِياءِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَفْوِهِ.

ومنها دُعاءُ الاِسْتِفْتاحِ، فإذا قُلْتَ: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾[3]، وإنْ[4] أَرَدْتَ وَجْهَكَ الظَّاهِرَ فقدْ أَثْبَتَّ لله تَعالى جِهَةً، وإنْ أَرَدْتَ وَجْهَ قَلْبِكَ وَأَنْتَ عَنِ اللهِ ساهٍ وغافِلٌ يَكونُ كَذِبًا. فَأَيُّ شَيْءٍ

(1) الإحياء: 1/ 166.

(2) المصدر نفسه: 1/ 166.

(3) سورة الأنعام، الآية: 79. بقية الحديث في صحيح مسلم: 1/ 534، رقم: 771.

(4) فإذا، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

تَطْمَعُ في صَلاةٍ أَوَّلُها كَذِبٌ وَاخْتِلاقٌ، وَإِيَّاكَ وَإِيَّاكَ عن ذَلِكَ، فَاجْتَهِدْ في أنْ تَصْرِفَ وَجْهَ الْقَلْبِ عمَّا سِواهُ إليه، وَإِنْ كانَ في حالِ ذلِكَ الْكَلامِ.

ومنها **الْقِراءَةُ**، فَالنَّاسُ فيها إمَّا رَجُلٌ يَتَحَرَّكُ لِسانُهُ، وَقَلْبُهُ عن لِسانِهِ[1] ذاهِلٌ، وإمَّا رَجُلٌ يَتْبَعُ لِسانَهُ قَلْبُهُ، فَيَفْهَمُ منه كَأَنَّهُ يَسْمَعُهُ مِنْ غَيْرِهِ، وهذه دَرَجَةُ أَصْحابِ الْيَمينِ؛ وَإِمَّا رَجُلٌ سَبَقَ قَلْبُهُ إلى الْمَعانِي، وَيَخْدُمُ لِسانُهُ قَلْبَهُ، ويَكونُ لِسانُهُ تُرْجُمانَ قَلْبِهِ، وَفَرْقٌ بَيْنَ أَنْ يَكونَ لِسانُهُ تُرْجُمانَ قَلْبِهِ، وَبَيْنَ أنْ يَكونَ مُعَلِّمَ قَلْبِهِ، وَهَذِهِ دَرَجَةُ الْمُقَرَّبينَ[2].

وَمِنْها الرُّكوعُ والسُّجودُ، فَيَنْبَغِي أنْ تَجْتَهِدَ عند ذلك في تَرْقِيقِ قَلْبِكَ، وَتَجْدِيدِ خُشوعِكَ، وَتَقْصِدَ تَواضُعًا بهما، سِيَّمَا عِنْدَ السُّجودِ، فَإِنَّهُ أَعْلَى دَرَجَةِ الاِسْتِكانَةِ، فَتُمَكِّنَ أَعَزَّ أَعْضائِكَ وهو الْوَجْهُ مِنْ أَذَلِّ الْأَشْياءِ وهو التُّرابُ، وإنْ أَمْكَنَكَ أنْ لا تَجْعَلَ حائِلًا بَيْنَهُ وبَيْنَ الْأَرْضِ فَافْعَلْ، فإنَّهُ أَدَلُّ على الذُّلِّ، وَأَجْلَبُ لِلْخُضوعِ، فَعِنْدَ ذلك يَظْهَرُ لَكَ أَنَّكَ خُلِقْتَ مِنَ التُّرابِ، وَرُدِدْتَ إلى أَصْلِهِ، فَأَكِّدْهُ بِالتَّكْرارِ، فإنَّ الْمَرَّةَ الْواحِدَةَ ضَعِيفَةُ الْأَثَرِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ فَلْيَصْدُقْ رَجاؤُكَ في رَحْمَةِ رَبِّكَ، فإنَّهَا تَتَسارَعُ إلى الضُّعْفِ والذُّلِّ، لا إلى التَّكَبُّرِ والْبَطَرِ[3].

---

(1) اللسان، في رئيس الكتاب.

(2) الإحياء: 1/ 166-167.

(3) المصدر نفسه: 1/ 169.

وَمِنْهَا التَّشَهُّدُ، فَاجْلِسْ فيه مُتَأَدِّبًا، وَتَأَمَّلْ مَعْنَى التَّشَهُّدِ بِتَمامِها، وَاجْعَلْ مَفْهومَ ذلك حالًا لَكَ، كَأَنَّكَ تَتَحَقَّقُ به؛ ثُمَّ ادْعُ بِالدُّعاءِ الْمَأْثورِ، مَعَ التَّواضُعِ وَالْخُشوعِ وَالضَّراعَةِ وَالابْتِهالِ، وَصِدْقِ الرَّجاءِ بِالْإِجابَةِ؛ وَاقْصِدْ عِنْدَ التَّسْليمِ السَّلامَ على الْمَلائِكَةِ الْحَاضِرينَ، وعلى مَنْ في يَمِينِكَ أو يَسارِكَ مِنْ جَماعَةِ الْمُؤْمِنينَ[1].

فَإِذا أَتْمَمْتَ الصَّلاةَ، فَاشْكُرِ اللهَ تَعالى على التَّوْفِيقِ بِمِثْلِ هذه النِّعْمَةِ الْجَزِيلَةِ، وَأَخْطِرْ بِبالِكَ أَنَّكَ مُوَدِّعٌ لِصَلاتِكَ هذه، وَرُبَّما لا تَعِيشُ لِمِثْلِها؛ قالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ: «صَلِّ صَلاةَ مُوَدِّعٍ».

ثُمَّ كُنْ بَيْنَ خَصْلَتَيْنِ، خَصْلَةِ الْوَجَلِ وَالْحَياءِ مِنَ التَّقْصِيرِ في الصَّلاةِ، [وَخَفْ بِأَنْ لا تُقْبَلَ صَلاتُكَ][2] وَأَنْ تَكونَ مَمْقوتًا بِذَنْبٍ ظاهِرٍ أو باطِنٍ، فَتُرَدَّ صَلاتُكَ في وَجْهِكَ؛ وَخَصْلَةِ الرَّجاءِ في أنْ يَقْبَلَهَا بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ[3].

وَأَمَّا صَلاةُ الْغَافِلينَ، فإنَّها على خَطَرٍ، إلَّا أنْ يَتَغَمَّدَ اللهُ بِرَحْمَتِهِ، فَالرَّحْمَةُ واسِعَةٌ، وَالْكَرَمُ فائِضٌ، فَنَسْأَلُ الله تَعالى أنْ يَغْمُرَنا بِرَحْمَتِهِ، ويَتَغَمَّدَنا بِمَغْفِرَتِهِ، إذ لا وَسيلَةَ لنا إلَّا الاعْتِرافَ بِالْعَجْزِ عن الْقِيامِ بِطاعَتِهِ.

ثُمَّ إذا أَمْكَنَ له الصَّلاةُ على ما وَصَفْناهُ، يَكونُ سَبَبًا لِحُصولِ أَنْوارٍ في الْقَلْبِ تَنْفَتِحُ بها عُلومُ الْمُكاشَفَةِ، فَالْمُكاشَفونَ بِمَلَكوتِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ

---

(1) الإحياء: 1/ 169.

(2) زيادة من أنطاليا.

(3) الإحياء: 1/ 169.

وَأَسْرارِ الرُّبوبِيَّةِ، إنَّما يُكاشَفُونَها في الصَّلاةِ، لا سِيَّما في السُّجودِ، إذْ لا قُرْبَ مِنَ الرَّبِّ أَكْثَرَ منه؛ قالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾[1].

وَتَخْتَلِفُ تِلْكَ الْمُكاشَفَةُ بِالْقُوَّةِ وَالضُّعْفِ، وَالْقِلَّةِ وَالْكَثْرَةِ، وَبِالْجَلاءِ وَالْخَفاءِ، على قَدْرِ صَفاءِ الْمُصَلِّي عن الْكُدوراتِ الْبَشَرِيَّةِ، حَتَّى يَنْكَشِفَ لِبَعْضِهِمْ أَعْيانُ الْأَشْياءِ، وَلِبَعْضِهِمْ مِثالُهَا؛ كَصورَةِ الْجِيفَةِ لِلدُّنْيَا، وَصورَةِ الْكَلْبِ الْجاثِمِ عَلَيْها[2]. وَأَيْضًا تَخْتَلِفُ بِاعْتِبارِ صَرْفِ الْهِمَّةِ، فَمِنْ واحِدٍ يَنْكَشِفُ له مِنْ صِفاتِ اللهِ تَعالى وَجَلالِهِ، وَمِنْ آخَرَ مِنْ أَفْعالِهِ، ومِنْ آخَرَ مِنْ دَقائِقِ عُلومِ الْمُعامَلَةِ، وَيَكونُ لِتَعَيُّنِ تلك الْمَعانِي في كُلِّ وَقْتٍ أَسْبابٌ خَفِيَّةٌ لا تُحْصَى.

وَلَمَّا كانَتِ الْمُكاشَفَةُ بِقَدْرِ صَقالَةِ الْقَلْبِ - ولم يَتَحَقَّقْ ذلك في الْأَكْثَرِينَ - حُرِمُوا عنها، وَمَعَ ذلِكَ لم يَكْتَفُوا بِنَقِيصَةِ الْحِرْمانِ، بَلْ وَقَعُوا في جُبِّ الْإِنْكارِ، لِمَا أَنَّ الطِّباعَ مَجْبولَةٌ على إِنْكارِ غَيْرِ الْحاضِرِ، لَكِنْ إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تُنْكِرَ أَمْثالَ ذَلِكَ، فَإِنَّ مِنَحَ اللهِ تَعالَى خارِجَةٌ عن أَطْوارِ الطِّباعِ وَالْعُقولِ، وَاللهُ تَعالَى هو الْمَسْؤولُ لِنَيْلِ الْمَأْمولِ[3].

---

(1) سورة العلق، الآية: 19.

(2) عليها للدنيا، في رئيس الكتاب وأنطاليا. الحائم للدنيا، في مراد ملا.

(3) الإحياء، 1/ 170.

الْمَطْلَبُ الرَّابِعُ: في عِلْمِ وَظائِفِ الإِمامَةِ

أُولاها: أنْ لا يَتَقَدَّمَ على قَوْمٍ يَكْرَهونَهُ، وإنِ اخْتَلَفُوا فالْأَمْرُ إلى الْأَكْثَرِ، إلَّا أنْ يَكونَ الْأَقَلُّ أَهْلَ الْخَيْرِ وَالدِّينِ. وَأَيْضًا يُكْرَهُ التَّقَدُّمُ على مَنْ هو أَفْقَهُ وَأَقْرَأُ منه إلَّا إذا امْتَنَعَ هو، فإذا حَصَلَ له شَرائِطُ الْإِمامَةِ تُكْرَهُ له الْمُدافَعَةُ.

وَقَدْ قيلَ: إنَّ قَوْمًا تَدافَعُوا الْإِمامَةَ بَعْدَ الْإِقامَةِ فَخُسِفَ بهم. وما رُوِيَ مِنْ[1] مُدافَعَةِ الصَّحابَةِ لِإِيثارِ مَنْ هو أَوْلَى منه، أو خَوْفِهِمْ على أَنْفُسِهِمْ الشُّهْرَةَ، وَخَطَرِ أنَّ الْأَئِمَّةَ ضُمَناءُ، وَرُبَّمَا يَشْتَغِلُ قَلْبُ مَنْ لَمْ يَتَعَوَّدْ ذلِكَ حَياءً مِنَ الْمُتَقَدِّمينَ - سِيَّمَا في الْجَهْرِ بِالْقِراءَةِ - فَيَفوتُهُ الْإِخْلاصُ وَالْخُضوعُ.

وَثانِيَتُها: اخْتِيارُ الْإِمامَةِ على الْأَذانِ إذا خُيِّرَ بَيْنَهُما. وَقيلَ: بَلْ يَخْتارُ الْأَذانَ، وَلَكِنَّ الْجَمْعَ مَكْروهٌ. وَالاِخْتِلافُ بِالنَّظَرِ إلى تَعارُضِ الْأَخْبارِ في فَضائِلِ كُلٍّ مِنْهُما[2].

وَثالِثَتُها: أنْ يُراعِيَ الْإِمامُ الْأَوْقاتَ، فَيُصَلِّيَ في أَوائِلِها، فَفَضْلُ أَوائِلِها على أَواخِرِها كَفَضْلِ الْآخِرَةِ على الدُّنْيا، حَتَّى رَجَّحوهَا على الاِنْتِظارِ لِكَثْرَةِ الْجَماعَةِ، حَتَّى رُوِيَ أنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ تَأَخَّرَ عَنِ صَلاةِ الْفَجْرِ

---

(1) عن، في رئيس الكتاب.

(2) الإحياء، 1/ 173.

فِي سَفَرٍ لِأَجْلِ الطَّهارَةِ، فَقَدَّمَ الصَّحابَةُ عبدَ الرَّحْمنَ بْنَ عَوْفٍ رَضِيَ الله عنه، حَتَّى فاتَتْهُ رَكْعَةٌ فَقامَ يَقْضِيها، حتَّى قالَ: «أَحْسَنْتُم هَكَذا فَافْعَلُوا»[1].

وَقَدْ تَأَخَرَ فِي صَلاةِ الظُّهْرِ، «فَقَدَّمُوا أبا بَكْرٍ رَضِيَ الله عَنْهُ، حَتَّى جاءَ رَسولُ اللهِ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ؛ وَهُمْ فِي الصَّلاةِ؛ فَقامَ إلى جانِبِهِ»[2].

ولا يَنْتَظِرُ الْإِمامُ الْمُؤَذِّنَ ولا غَيْرَهُ، وإِنَّما يَنْتَظِرُ الْمُؤَذِّنُ الْإِمامَ.

وَرابِعَتُها: أَنْ يَؤُمَّ مُخْلِصًا وَمُؤَدِّيًا أَمانَةَ اللهِ تَعالى فِي جَمِيعِ شَرائِطِهِ وَأَرْكانِهِ. وَمِنَ الْإِخْلاصِ أنْ لا يَأْخُذَ عليها أَجْرًا، وَكَذَا الْمُؤَذِّنُ، لَكِنْ هذا إِنْ أَخَذَ الْأَجْرَ مِنَ الْمُعْتَدِينَ[3]، وَإِنْ أَخَذَ رِزْقًا مِنَ الْمَسْجِدِ قَدْ وَقَفَ على مَنْ يَقومُ بِالْإِمامَةِ فِي هذا الْمَوْضِعِ؛ إِمَّا مِنَ السُّلْطانِ أو مِنْ غَيْرِهِ؛ فَلا يُحكَمُ بِحُرْمَتِهِ، وَلَكِنَّهُ يُكْرَهُ. وَلَكِنْ يَكونُ الْأَجْرُ فِي مُقابَلَةِ مُداوَمَتِهِ على حُضورِ الْمَوْضِعِ، وَمُراقَبَتِهِ مَصالِحَ الْمَسْجِدِ فِي إِقامَةِ الْجَماعَةِ لا على نَفْسِ الصَّلاةِ. وَالْفَتْوَى الْيَوْمَ على الْجَوازِ وَالْكَراهَةِ عند الْمَتَوَرِّعِينَ وَالْعامِلِينَ بِالْعَزِيمَةِ.

وَخامِسَتُها: الطَّهارَةُ باطِنًا عن الْفُسوقِ وَالْكَبائِرِ، وَالْإِصْرارُ على الصَّغائِرِ. وَالْقَوْمُ كَالْوَفْدِ، وَهُوَ شَفِيعُهُمْ، فَهُوَ أَوْلَى بهذه. فإِنْ تَذَكَّرَ حَدَثًا فِي أَثْناءِ صَلاتِهِ، فلا يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَحْيِيَ، بل يَسْتَخْلِفُ مَنْ يَقْرُبُ منه، فَقَدْ تَذَكَّرَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ الْجَنابَةَ فَاسْتَخْلَفَ وَاغْتَسَلَ، ثُمَّ رَجَعَ وَدَخَلَ فِي الصَّلاةِ.

---

(1) قوت القلوب: 2/ 354، الإحياء: 1/ 174، تخريج أحاديث الإحياء: 1/ 382.

(2) الإحياء، 1/ 174، تخريج أحاديث الإحياء: 1/ 382.

(3) المقتدين، في قونية ورئيس الكتاب.

وَسادِسَتُها: أنْ لا يُكَبِّرَ حتَّى يُسَوِّيَ الصُّفوفَ، فَلْيَلْتَفِتْ يَمِينًا وَشِمالًا، فإنْ رَأَى خَلَلًا أَمَرَ بِالتَّسْوِيَةِ. وَكانَ السَّلَفُ يَتَحاذَوْنَ بِالْمَناكِبِ، وَيَتَضامُّونَ بِالْكِعابِ، وَالْمُؤَذِّنُ يُؤَخِّرُ الْإِقامَةَ عن الْأَذانِ لِيَتَفَرَّغَ النَّاسُ وَيَسْتَعِدُّوا[1].

وَفِي الْخَبَرِ: لِيَتَمَهَّلِ الْمُؤَذِّنُ بينَ الْأَذانِ وَالْإِقامَةِ، بِقَدْرِ ما يَفْرُغُ الْآكِلُ مِنْ طَعامِهِ، وَالْمُعْتَصِرُ مِنِ اعْتِصارِهِ، لأنَّهُ نُهِيَ عن مُدافَعَةِ الْأَخْبَثَيْنِ، وَأُمِرَ بِتَقْدِيمِ الْعَشاءِ على الْعِشاءِ.

وَسابِعَتُهَا، أنْ يُخَفِّفَ الرُّكوعَ والسُّجودَ، وَلَا يَزِيدَ في التَّسْبِيحاتِ على ثَلاثٍ. هذا إذا كَثُرَ الْجَمْعُ، وَأَمَّا إذا لم يَحْضُرْ إلَّا الْمُتَجَرِّدونَ لِلدِّينِ فلا بَأْسَ بِالتِّسْعَةِ، ولا يَزِيدَ في دُعاءِ التَّشَهُّدِ على الْمَأْثورِ، وَلَا يَخُصَّ في الدُّعاءِ نَفْسَهُ بل يَأْتِي بِصيغَةِ الْجَمْعِ، وَيَنْوِيَ بِالتَّسْليمَتَيْنِ الْقَوْمَ والْمَلَائِكَةَ، وإنْ كانَ خَلْفَهُ نِسْوَةٌ لم يَقُمْ حتَّى يَنْصَرِفْنَ، وإذا وَثَبَ يُقْبِلُ بِوَجْهِهِ على النَّاسِ، ولا يَقومُ الْمَأْمومُ قَبْلَ انْفِتَالِ[2] الإمامِ[3].

وَأَمَّا باقِي الْآدابِ وَالشَّرائِطِ فَمَذْكورَةٌ في كُتُبِ الْفِقْهِ، فَلْتُطْلَبْ منها، فإنَّا لم نَلْتَزِمْ إلَّا ذِكْرَ ما أَهْمَلَهُ الْفُقَهاءُ.

---

(1) الإحياء: 1/ 175.

(2) انفَتَل فُلَانٌ عَنْ صَلاته أَي انْصَرَفَ. اللسان: فتل.

(3) الإحياء: 1/ 175.

الْمَطْلَبُ الْخامِسُ في [عِلْمِ][1] فَضْلِ الْجُمُعَةِ وآدابِهَا وَسُنَنِهَا

وَالْأَحادِيثُ وَالْآثارُ في فَضْلِها كَثِيرَةٌ مَشْهورَةٌ، وَمَآلُ الْكُلِّ إلى أَنَّ هذا يَوْمٌ عَظَّمَ اللهُ تَعالى به الْإِسْلامَ، وَخَصَّصَ به الْمُسْلِمينَ، حَتَّى حَرَّمَ الِاشْتِغالَ بَعْدَ النِّداءِ بِكُلِّ صارِفٍ عن السَّعْيِ إلى الْجُمُعَةِ. وفي الْحَديثِ: «مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةِ ثَلاثًا مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ طَبَعَ اللهُ على قَلْبِهِ»[2]. وفي لَفْظٍ آخَرَ: «فَقَدْ نَبَذَ الْإِسْلامَ على ظَهْرِهِ»[3].

ثُمَّ إنَّهَا تُشارِكُ سائِرَ الصَّلَواتِ في الشُّروطِ، وَتَتَمَيَّزُ عنها **بِسِتَّةِ شُروطٍ**:

أَحَدُهَا الْوَقْتُ، حتَّى لو وَقَعَتِ التَّسْليمَةُ خارِجَ وَقْتِ الظُّهْرِ فاتَتِ الْجُمُعَةُ، فَعَلَيْهِ أنْ يُتِمَّهَا ظُهْرًا، وفي الْمَسْبوقِ خِلافٌ.

وَثانِيها: **الْمَكانُ**، فلا يَصِحُّ إلَّا في الْمِصْرِ - وَقَدْ عَرَفْتَهُ في عِلْمِ الْفِقْهِ - وَيُشْتَرَطُ إِذْنُ السُّلْطانُ.

وَثالِثُها: **تُشْتَرَطُ الْجَماعَةُ** كما في سائِرِ الصَّلَواتِ، وَعِنْدَ بَعْضِهِمْ أَرْبَعونَ ذُكورًا، مُكَلَّفِينَ أَحْرَارًا مُقِيمِينَ، فإنْ نَقَصَ وَاحِدٌ ولو في الْخُطْبَةِ أَوِ الصَّلاةِ تَبْطُلُ.

---

(1) سقط من قونية.

(2) مسند إسحاق بن راهويه: 1/ 413، مسند أحمد: 24/ 255، سنن ابن ماجه: 1/ 357، صحيح ابن خزيمة: 3/ 175، المستدرك للحاكم: 1/ 430.

(3) مصنف عبد الرزاق: 3/ 166، مسند أبي يعلى: 5/ 102، التمهيد لابن عبد البر: 10/ 275، الإحياء: 1/ 178.

وَرابِعُهَا: **اتِّحادُ الْجَماعَةِ**، فَلَوْ صَلَّى أَرْبَعونَ مُتَفَرِّقِينَ لم تَصِحَّ.

وَخامِسُها: **أَنْ لا يَصِحَّ جُمُعَتانِ**، فإِنْ فَعَلُوا فَالصَّحِيحُ ـ وَهُوَ الْأَقْدَمُ ـ تَحْرِيمُهُ، إلَّا أنْ يَقَعَ ضَرورَةٌ(1).

وَسادِسُها الْخُطْبَتانِ، وَقِيلَ: تَصِحُّ بِقَوْلِهِ الْحَمْدُ للهِ؛ وَقِيلَ: لا بُدَّ مِنْ خُطْبَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ يَجْلِسُ بَيْنَهُمَا؛ وَقِيلَ: هُمَا فَرِيضَتانِ، وَالْقِيامُ فِيهِمَا فَرِيضَةٌ، وَكَذَا الْجَلْسَةُ بَيْنَهُمَا.

وَفِي الْخُطْبَةِ الْأُولَى أَرْبَعُ فَرائِضَ: التَّحْمِيدُ وأَقَلُّهُ الْحَمْدُ للهِ، وَالصَّلاةُ على رَسولِ اللهِ صلَّى الله عليه وسَلَّمَ، وَالْوَصِيَّةُ بِتَقْوى اللهِ سُبْحانَهُ وَتَعالَى، وَقِراءَةُ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ؛ وَكَذَا فَرائِضُ الثَّانِيَةِ، إلَّا أَنَّهُ يَجِبُ الدُّعاءُ بَدَلَ الْقِراءَةِ. وَاسْتِماعُ الْخُطْبَةِ واجِبٌ على الْأَرْبَعينَ.

وَأَمَّا السُّنَنُ: فإِنْ زالَتِ الشَّمْسُ وَأَذَّنَ، وَجَلَسَ الْإِمامُ على الْمِنْبَرِ انْقَطَعَتِ الصَّلاةُ سِوَى التَّحِيَّةِ، وَالْكَلامُ لا يَنْقَطِعُ إلَّا بِافْتِتاحِ الْخُطْبَةِ، وَيُسَلِّمُ الْخَطِيبُ على النَّاسِ إذا أَقْبَلَ عليهم بِوَجْهِهِ، وَيَرُدُّونَ عليه السَّلامَ. فَإذا فَرَغَ الْمُؤَذِّنُ، قامَ الْإِمامُ مُقْبِلًا على النَّاسِ بِوَجْهِهِ لا يَلْتَفِتُ، وَيَشْغَلُ يَدَيْهِ بِقائِمَةِ السَّيْفِ أوِ الْعَنْزَةِ كي لا يَعْبَثَ بِهِمَا، أَوْ يَضَعَ إِحْداهُمَا على الْأُخْرَى،

---

(1) الإحياء: 1/ 178- 179.

وَيَخْطُبُ خُطْبَتَيْنِ بَيْنَهُما جَلْسَةٌ خَفِيفَةٌ، ولا يَسْتَعْمِلُ غَرِيبَ اللُّغَةِ، ولا يُمَطِّطُ، ولا يَتَغَنَّى، وَتَكونُ قَصِيرَةً بَلِيغَةً جامِعَةً[1].

وَيُسْتَحَبُّ قِراءَةُ الآيَةِ في الثَّانِيَةِ أَيْضًا، ولا يُسَلِّمُ مَنْ دَخَلَ والْخَطِيبُ يَخْطُبُ، فإنْ سَلَّمَ لم يَسْتَحِقَّ جَوابًا، وَالْإِشارَةُ بِالْجَوابِ أَحْسَنُ، وَلَا يُشَمَّتُ الْعاطِسُ أيْضًا.

هذِهِ شُروطُ الصِّحَّةِ. وَأَمَّا شُروطُ الْوُجوبُ فقد عُلِمَ في الْفِقْهِ.

وَأَمَّا آدابُهَا فهي عَشَرَةٌ.

الْأَوَّلُ: أنْ يَسْتَعِدَّ لها يَوْمَ الْخَمِيسِ عَزْمًا عَلَيْهَا، وَاسْتِقْبالًا لِفَضْلِهَا، فَيَشْتَغِلَ بِالدُّعاءِ وَالاِسْتِغْفارِ، وَالتَّسْبِيحِ بعد الْعَصْرِ، لأَنَّهَا ساعَةٌ قُوبِلَتْ بِالسَّاعَةِ الْمُبْهَمَةِ في يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَيَغْسِلَ ثِيابَهُ، ويَخْتارَ الْبِيضَ، وَيُعِدَّ الطِّيبَ، وَيُفْرِغَ قَلْبَهُ مِنَ الْأَشْغالِ الْمانِعَةِ مِنَ الْبُكورِ إلى الْجُمُعَةِ، وَيَنْوِيَ في هذه اللَّيْلَةِ صَوْمَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فإنَّ له فَضْلًا، لَكِنْ لا مُفْرَدًا فإنَّهُ مَكْروهٌ، بَلْ مَعَ ضَمِّ الْخَمِيسِ أو السَّبْتِ، وَلِيَشْتَغِلْ بِإِحْياءِ هذه اللَّيْلَةِ بِالصَّلاةِ وَخَتْمِ الْقُرْآنِ، فَلَهَا فَضْلٌ كَثِيرٌ، وَيَنْسَحِبُ عليها فَضْلُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ[2].

---

(1) الإحياء: 1/ 179.

(2) المصدر نفسه: 1/ 179- 180.

وَقِيلَ: وَيُجامِعُ أَهْلَهُ في هذهِ اللَّيْلَةِ، وَاسْتَحَبُّوهُ أَخْذًا مِنْ حَدِيثِ: «مَنْ بَكَّرَ وَابْتَكَرَ وَغَسَلَ وَاغْتَسَلَ»[1]. وَقَالوا: مَعْناهُ حَمَلَ أَهْلَهُ على الْغُسْلِ، وَيُرْوَى بالتَّخْفِيفِ: أَيْ غَسْلُ ثِيابِهِ.

وَبِهذِهِ الْآدابِ يَدْخُلُ في زُمْرَةِ الْغَانِمِينَ، وَيَخْرُجُ مِنْ زُمْرَةِ الْغَافِلِينَ؛ كَمَا قالَ بَعْضُ السَّلَفِ: أَوْفَى النَّاسِ نَصِيبًا مِنَ الْجُمُعَةِ مَنِ انْتَظَرَهَا وَرَعاهَا مِنَ الْأَمْسِ، وَأَخَسُّهُمْ نَصيبًا مَنْ أَصْبَحَ فَيَقولُ: إِيشْ الْيَوْمُ؟ وَكانَ بَعْضُهُمْ يَبِيتُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ في الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ لِأَجْلِهَا.

وَالثَّانِي: إذا أَصْبَحَ ابْتَدَأَ بِالْغُسْلِ بَعْدَ طُلوعِ الْفَجْرِ، فإِنْ كانَ لا يُبَكِّرُ فَأَقْرَبُهُ إلى الرَّواحِ أَحَبُّ، لِيَكونَ أَقْرَبَ عَهْدًا بِالنَّظافَةِ. وَهَذا الْغُسْلُ مُسْتَحَبٌّ اسْتِحْبابًا مُؤَكَّدًا، وعِنْدَ الْبَعْضِ سُنَّةٌ، وعِنْدَ آخَرينَ واجِبٌ. وَمَنِ اغْتَسَلَ ثُمَّ أَحْدَثَ لم يَبْطُلْ غُسْلُهُ، وَالْأَحَبُّ أنْ يَحْتَرِزَ.

والثَّالِثُ: الزِّينَةُ، وَهِيَ مُسْتَحَبَّةٌ في هذا الْيَوْمِ؛ وَهِيَ بِالْكِسْوَةِ وَالنَّظافَةِ والطِّيبِ.

أَمَّا الْكِسْوَةُ، فَأَحَبُّها الْبِيضُ مِنَ الثِّيابِ، وَلَا يَلْبَسُ ما فيه شُهْرَةٌ، ولا السَّوادَ، وَلَيْسَ في لُبْسِ السَّوادِ فَضِيلَةٌ فَضْلًا عَنْ كَوْنِهَا سُنَّةً، بل قِيلَ: إِنَّهَا

---

(1) سنن أبي داود: 1/ 95، المعجم الكبير للطبراني: 1/ 215، المستدرك على الصحيحين: 1/ 418، الإحياء: 1/ 180.

بِدْعَةٌ مُحْدَثَةٌ. وَالْعِمامَةُ مُسْتَحَبَّةٌ في هذا الْيَوْمِ، سِيَّمَا مِنْ وَقْتِ السَّعْيِ إلى الْجُمُعَةِ إلى تَمامِ الصَّلاةِ[1].

وأَمَّا النَّظافَةُ، فَبِالسِّواكِ، وَحَلْقِ الشَّعَرِ، وَقَلْمِ الظُّفُرِ، وَقَصِّ الشَّارِبِ، وما يُشابِهُ هذهِ. قالَ ابْنُ مَسْعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه: «مَنْ قَلَّمَ أَظْفارَهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، أَخْرَجَ اللهُ تَعالى منه داءً، وَأَدْخَلَ فيه شِفاءً»[2].

فإِنْ كانَ قد دَخَلَ الْحَمَّامَ في الْخَمِيسِ أو الْأَرْبِعاءِ فقد حَصَلَ الْمَقْصودُ؛ وَلِيَتَطَيَّبْ في هذا الْيَوْمِ بِأَطْيَبِ طِيبٍ عِنْدَهُ، لِيَغْلِبَ به الرَّوائِحَ الْكَرِيهَةَ، وَيُوصِلَ بها الرَّوْحَ وَالرَّائِحَةَ إلى مَشامِّ الْحاضِرِينَ في جِوارِهِ، وَأَحَبُّ طِيبِ الرِّجالِ ما ظَهَرَ رِيحُهُ وَخَفِيَ لَوْنُهُ، وَطِيبِ النِّساءِ ما ظَهَرَ لَوْنُهُ وَخَفِيَ رِيحُهُ[3]. رُوِيَ ذلك في الْأَثَرِ.

قالَ الشَّافِعِيُّ: مَنْ نَظَّفَ ثَوْبَهُ قَلَّ هَمُّهُ، وَمَنْ طابَ رِيحُهُ زادَ عَقْلُهُ.

الرَّابِعُ: الْبُكورُ إلى الْجامِعِ، وَفَضْلُهُ عَظيمٌ، وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقْصِدَ الْجامِعَ مِنْ فَرْسَخَيْنِ وَثَلاثَةٍ، وَيَكونَ سَعْيُهُ إلى الْجُمُعَةِ خاشِعًا مُتَواضِعًا ناوِيًا لِلِاعْتِكافِ فيه، قاصِدًا لِلْمُبادَرَةِ إلى جَوابِ نِداءِ اللهِ، وَالْمُسارَعَةِ إلى مَغْفِرَتِهِ وَرِضْوانِهِ، وَالْفَضْلُ لِمَنْ راحَ إلى الْجُمُعَةِ في السَّاعَةِ الْأُولَى، ثم الثَّانِيَةِ، إلى

---

(1) الإحياء: 1/ 180- 181.

(2) مصنف عبد الرزاق: 3/ 199، مصنف ابن أبي شيبة: 4/ 195، الإحياء: 1/ 181.

(3) المصدر نفسه: 4/ 321، سنن الترمذي: 4/ 488، السنن الكبرى للنسائي: 8/ 345، الإحياء: 1/ 181.

أَنْ خَرَجَ الْإِمامُ، وَحِينَئِذٍ طُوِيَتِ الصُّحُفُ، وَرُفِعَتِ الْأَقْلامُ[1]. وَالْأَخْبارُ في هذا الْبابِ كَثِيرَةٌ.

الْخامِسُ: في هَيْئَةِ الدُّخولِ، يَنْبَغِي أن لا يَتَخَطَّى الرِّقابَ، ولا يَمُرَّ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، وَالْبُكورُ يُسَهِّلُ عليه ذَلِكَ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَجْلِسُوا عند بابِ الْجامِعِ، وفي قُدَّامِ الْجَامِعِ مَوْضِعٌ خالٍ، فإِنَّهُ لا حُرْمَةَ لَهُمْ. كَذَا رُوِيَ عن الْحَسَنِ. وعنه أَيْضًا: إذا لم يَكُنْ في الْمَسْجِدِ إِلَّا مَنْ يُصَلِّي، فَيَنْبَغِي أن لا يُسَلِّمَ، لأَنَّهُ تَكْلِيفُ جَوابٍ في غَيْرِ مَحَلِّهِ.

السَّادِسُ: أَنْ لا يَمُرَّ بين يَدَيِ النَّاسِ، وَلِيَجْلِسْ هُوَ إلى قُرْبٍ من أُسْطُوانَةٍ أو حائِطٍ حَتَّى لا يَمُرَّ بين يَدَيْهِ، فإِنَّ ذلِكَ لا يَقْطَعُ الصَّلاةَ، وَلَكِنَّهُ مَنْهِيٌّ عنه؛ وإِنْ لم يَجِدْ حائِطًا أو أُسْطُوانَةً، فَلْيَنْصِبْ بَيْنَ يَدَيْهِ شَيْئًا طولُهُ قَدْرُ الذِّراعِ، لِيَكونَ ذلِكَ عَلامَةً لِحَدِّهِ[2].

السَّابِعُ: أَنْ يَطْلُبَ الصَّفَّ الْأَوَّلَ، فإِنَّ فَضْلَهُ كَثِيرٌ كما رُوِّيناهُ في الْخَبَرِ: «مَنْ غَسَلَ واغْتَسَلَ، وبَكَّرَ وَابْتَكَرَ، وَدَنَا مِنَ الْإِمامِ واسْتَمَعَ، كانَ له كَفَّارَةَ ما بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ وَزِيادَةِ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ». وفي لَفْظٍ آخَرَ: «غَفَرَ اللهُ له إلى الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى».

إِلَّا أَنَّ في طَلَبِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ شَرائِطَ ثَلاثَةً:

---

(1) صحيح ابن خزيمة: 3/ 134، السنن الكبرى: 6/ 381، الإحياء: 1/ 181.

(2) الإحياء: 1/ 182- 183.

أَحَدُها: أنْ لا يَرَى هُناكَ مِنَ الْإمامِ وَتَوابِعِهِ مُنْكَرًا يَعْجِزُ عن تَغْيِيرِهِ، وإلَّا فَالتَّأَخُّرُ له أَسْلَمُ وأَجْمَعُ لِلْهَمِّ. فَعَلَ ذلك جَماعَةٌ مِنَ الْعُلَماءِ طَلَبًا لِلسَّلامَةِ منهم بِشْرُ بْنُ الْحارِثِ. وَقيلَ: له في التَّأَخُّرِ، قالَ: إنَّمَا يُرادُ قُرْبُ الْقُلوبِ لا قُرْبُ الْأَجْسادِ.

وَثانِيها: أنْ لا يَكونَ عند الْمِنبَرِ مَقْصورَةٌ مُقَطَّعَةٌ من الْمَسْجِدِ لِلسَّلاطِينِ، وَأمَّا الْمَقْصورَةُ فقد كَرِهَ بَعْضُهُمُ الصَّلاةَ فيها، إلَّا أنَّ الْأَقْرَبَ أنَّ الْكَراهَةَ لِأَجْلِ التَّخْصِيصِ والْمَنْعِ وإلَّا فلا كَراهَةَ[1].

وَثالِثُها: أنَّ الْمِنبَرَ يَقْطَعُ بَعْضَ الصُّفوفِ، وإنَّما الصَّفُّ الْأَوَّلُ الْواحِدُ الْمُتَّصِلُ الَّذِي في فِناءِ الْمِنْبَرِ، لأنَّهُ مُتَّصِلٌ، ولأنَّ الْجالِسَ فيه يُقابِلُ الْخَطيبَ وَيَسْمَعُ. وَيُكْرَهُ الصَّلاةُ في الْأَسْواقِ والرِّحابِ الْخارِجَةِ من الْمَسْجِدِ، وكانَ بعضُ الصَّحابَةِ يَضْرِبُ النَّاسَ وَيُقيمُهُمْ مِنَ الرِّحابِ.

الثَّامِنُ: أنْ يَقْطَعَ الصَّلاةَ وَالْكَلامَ عند خُروجِ الْإمامِ، بل[2] يَشْتَغِلُ بِجَوابِ الْمُؤَذِّنِ، ثمَّ بِاسْتِماعِ الْخُطْبَةِ، وإنْ كانَ بَعيدًا قيلَ يَجوزُ أن يَتَكَلَّمَ في الْعِلْمِ وَغَيْرِهِ، لكن الْأَوْلَى السُّكوتُ، إذِ الصَّلاةُ إذا حُرِّمَتْ في ذلِكَ الْوَقْتِ فَحُرْمَةُ الْكَلامِ فيه أَوْلَى.

التَّاسِعُ: أنْ يُراعِيَ في قُدْوَةِ الْجُمُعَةِ ما ذَكَرْناهُ في غَيْرِهِ.

---

(1) الإحياء: 1/ 183-184.

(2) بأن، في قونية.

فإذا فَرَغَ من صَلاةِ الْجُمُعَةِ، قَرَأَ "الْحَمْدُ للهِ" سَبْعَ مَرَّاتٍ قَبْلَ أن يَتكَلَّمَ، وَ"قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ" والْمُعَوِّذَتَيْنِ سَبْعًا سَبْعًا. فقد رُوِيَ عن بعض السَّلَفِ أنَّ مَنْ فَعَلَهُ عُصِمَ مِنَ الْجُمُعَةِ إلى الْجُمُعَةِ، وكانَ حِرْزًا له من الشَّيْطانِ.

وَيُسْتَحَبُّ أنْ يَقولَ بعد صَلاةِ الْجُمُعَةِ: اللَّهُمَّ يا غَنِيُّ يا حَمِيدُ، يا مُبْدِئُ يا مُعِيدُ، يا رَحِيمُ يا وَدودُ، أَغْنِنِي بِحَلالِكَ عن حَرامِكَ، وَبِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِواكَ. يُقالُ: مَنْ داوَمَ على هذا الدُّعاءِ، أَغْناهُ اللهُ سُبْحانَهُ عن خَلْقِهِ، وَرَزَقَهُ مِنْ حيثُ لا يَحْتَسِبُ[1].

ثُمَّ يُصَلِّيَ بَعْدَ الْجُمُعَةِ سِتَّ رَكَعاتٍ، وفي رِوايَةٍ أَرْبَعًا، وفي رِوايَةٍ رَكْعَتَيْنِ، وَالْكُلُّ صَحيحٌ في أَحْوالٍ مُخْتَلِفَةٍ، والْأَكْمَلُ أَفْضَلُ.

الْعاشِرُ: أنْ يُلازِمَ الْمَسْجِدَ حتَّى يُصَلِّيَ الْعَصْرَ، فإنْ وَقَفَ إلى الْمَغْرِبِ فهو أَفْضَلُ، وكانَ لِلْأَوَّلِ ثَوابُ الْحَجِّ، وَلِلثَّانِي ثَوابُ الْعُمْرَةِ. فإنْ لم يَأْمَنْ من التَّصَنُّعِ وَدُخولِ الْآفَةِ عليه مِنْ نَظَرِ الْخَلْقِ إلى اعْتِكافِهِ، أو خافَ الْخَوْضَ فيما لا يَعْنِي، فَالْأَفْضَلُ أنْ يَرْجِعَ إلى بَيْتِهِ، ذاكِرًا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، مُفَكِّرًا في آلائِهِ، شاكِرًا على تَوْفِيقِهِ، خائِفًا من تَقْصِيرِهِ، مُراقِبًا لِقَلْبِهِ وَلِسانِهِ إلى غُروبِ الشَّمْسِ، حتَّى لا تَفوتَهُ السَّاعَةُ الشَّرِيفَةُ. ولا يَنْبَغِي [لِأَحَدٍ][2] أنْ يَتكَلَّمَ في الْجامِعِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْمَساجِدِ بِحَدِيثِ الدُّنْيا فإنَّهُ مَنْهِيٌّ عنه[3].

---

(1) الإحياء: 1/ 184.

(2) زيادة من رئيس الكتاب.

(3) الإحياء: 1/ 184- 185.

بيانُ آدابِ نَهارِ الْجُمُعَةِ

وهي سَبْعَةٌ:

الأَوَّلُ: حُضورُ مَجالِسِ الْعِلْمِ بُكْرَةً، أو بَعْدَ الصَّلاةِ، وَبَعْدَ الْعَصْرِ. ولا يَخْلُو الْمُريدُ في جَميعِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ عن الْخَيْراتِ، حَتَّى تُوافِيَهُ السَّاعَةُ الشَّريفَةُ وهو في خَيْرٍ. وإنْ وَجَدَ عالِمًا يُذَكِّرُ بِأَيَّامِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَيُفَقِّهُ في دِينِ اللهِ يَجْلِسُ إليهِ، وَاسْتِماعُ الْعِلْمِ النَّافِعِ في الْآخِرَةِ أَفْضَلُ مِنَ النَّافِلَةِ. فقد رَوَى أبو ذَرٍّ أنَّ حُضورَ مَجْلِسِ الْعِلْمِ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ رَكْعَةٍ[1]. وكَذا يَزْجُرُ الْقُصَّاصَ، ويُخْرِجُهُمْ مِنَ الْمَسْجِدِ، لأَنَّهُ لا خَيْرَ فيهم، وأَنَّهُ بِدْعَةٌ، وقد كَثُرَ نَكيرُ الصَّحابَةِ في حَقِّ الْقُصَّاصِ[2].

الثَّانِي: أنْ يَكونَ حَسَنَ الْمُراقَبَةِ لِلسَّاعَةِ الشَّريفَةِ. فَفِي الْخَبَرِ الْمَشْهورِ: أنَّ «في الْجُمُعَةِ ساعَةً لا يُوافِقُها عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فيها شَيْئًا إلَّا أَعْطاهُ»[3]. وفي خَبَرٍ آخَرَ: «لا يُصادِفُها عَبْدٌ يُصَلِّي».

وَاخْتُلِفَ فيها، فَقِيلَ: إنَّها عند طُلوعِ الشَّمْسِ. وقِيلَ: عِنْدَ الزَّوالِ. وَقيلَ: مَعَ الْأَذانِ. وَقِيلَ: إذا صَعِدَ الْخَطِيبُ الْمِنْبَرَ وأَخَذَ في الْخُطْبَةِ. وَقِيلَ: إذا قامَ النَّاسُ إلى الصَّلاةِ. وَقِيلَ: آخِرَ وَقْتِ الْعَصْرِ. وَقِيلَ: قُبَيْلَ غُروبِ الشَّمْسِ. وَيُرْوَى هذا

---

(1) الغنية لطالبي طريق الحق: 2/ 102، الإحياء: 1/ 185.

(2) الإحياء: 1/ 185.

(3) صحيح البخاري: 7/ 51، رقم: 5294.

عن فاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عنها تَرْوِيهَا[1] عن أَبِيها صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ[2].

وَقالَ بَعْضُ الْعُلَماءِ: هي مُبْهَمَةٌ في جَمِيعِ الْيَوْمِ مِثْلَ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، حتَّى تَتَوَفَّرَ الدَّواعِي على مُراقَبَتِها. وقد قيلَ: إنَّها تَنْتَقِلُ في ساعاتِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ كَتَنَقُّلِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ.

قالَ الْغَزالِي: وهذا هو الْأَشْبَهُ، وله سِرٌّ لا يَليقُ بِعِلْمِ الْمُعامَلَةِ ذِكْرُهُ؛ وإليه يُشيرُ قَوْلُهُ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «إنَّ لِرَبِّكُمْ في أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحاتٍ أَلَا فَتَعَرَّضُوا لها»[3].

فَيَنْبَغِي أنْ يَكونَ الْعَبْدُ في جَمِيعِ نَهارِهِ مُتَعَرِّضًا له، بِإِحْضارِ الْقَلْبِ، وَمُلازَمَةِ الذِّكْرِ، وَالنُّزوعِ عن وَساوِسِ الدُّنْيا، فَعَساهُ يَحْظَى بِشَيْءٍ مِنْ تِلْكَ النَّفَحاتِ.

الثَّالِثُ: يُسْتَحَبُّ أنْ يُكْثِرَ الصَّلاةَ على رَسولِ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ في هذا الْيَوْمِ، وَيَقولَ: اللَّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَنَبِيِّكَ وَرَسولِكَ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ؛ ولو أَتَى بِالْمَشْهورِ في التَّشَهُّدِ لَكانَ مُصَلِّيًا أيْضًا. وَيَنْبَغِي أنْ يُضِيفَ إليها الاِسْتِغْفارَ فإنَّ ذلِكَ مُسْتَحَبٌّ أيْضًا في ذلِكَ الْيَوْمِ.

الرَّابِعُ: أنْ يُكْثِرَ مِنْ قِراءَةِ الْقُرْآنِ خاصَّةً سورَةَ الْكَهْفِ؛ عن ابْنِ عَبَّاسٍ وأبي هُرَيْرَةَ: «مَنْ قَرَأَ سورَةَ الْكَهْفِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، أو يَوْمَ الْجُمُعَةِ، أُعْطِيَ

(1) بروايتها، في قونية.

(2) شعب الإيمان: 4/ 399، فتح الباري: 2/ 421، عمدة القاري: 6/ 244.

(3) المعجم الكبير للطبراني: 19/ 233، المعجم الأوسط: 3/ 180، إحياء علوم الدين: 1/ 186.

نُورًا مِنْ حَيْثُ يَقْرَأُها إلى مَكَّةَ، وَغُفِرَ له إلى الْجُمَعَةِ الْأُخْرَى، وَفَضْلَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ، وَصَلَّى عليه سَبْعونَ أَلْفَ مَلَكٍ حتَّى يُصْبِحَ، وَعُوفِيَ مِنَ الدَّاءِ وَالدُّبَيْلَةِ وذاتِ الْجَنْبِ[1] والْبَرَصِ وَالْجُذامِ وَفِتْنَةِ الدَّجَّالِ»[2].

وَيُسْتَحَبُّ أنْ يَخْتِمَ الْقُرْآنَ في يَوْمِ الْجُمُعَةِ أو لَيْلَتِهَا إنْ قَدَرَ، وَلْيَكُنْ خَتْمُهُ الْقُرْآنَ في رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ إذا قَرَأَ بِاللَّيْلِ، وفي رَكْعَتَيِ الْمَغْرِبِ وَبَيْنَ الْأَذانِ وَالْإِقامَةِ لِلْجُمُعَةِ، فله فَضْلٌ عَظِيمٌ[3].

وَكانَ الْعُبَّادُ يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يَقْرَأوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ "قُلْ هو اللهُ أَحَدٌ" أَلْفَ مَرَّةٍ؛ يُقالُ: إنَّ مَنْ قَرَأَهَا عَشْرَ رَكَعاتٍ أَوْ عِشْرِينَ فَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ خَتْمِهِ. وَكانُوا يُصَلُّونَ على النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ أَلْفَ مَرَّةٍ، وَيَقولونَ: سُبحانَ اللهِ والْحَمْدُ لله ولا إلَهَ إلَّا اللهُ واللهُ أَكْبَرُ أَلْفَ مَرَّةٍ. وإنْ قَرَأَ الْمُسَبِّحاتِ السِّتَّ في يَوْمِ الْجُمُعَةِ أو لَيْلَتِها فَحَسَنٌ.

وَلَيْسَ يُرْوَى أَنَّهُ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ [كانَ][4] يَقْرَأُ سُورًا بِأَعْيانِها إلَّا في يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَلَيالِيها. وَكانَ يَقْرَأُ في صَلاةِ الْمَغْرِبِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ "قُلْ يا أَيُّها الْكافِرونَ"، وَ"قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ"، وفي الْعِشاءِ الْآخِرَةِ سورَةَ الْجُمُعَةِ وَسورَةَ

---

(1) الدُّبَيْلَةُ: الدُّمَّل الْكَبِيرَةُ الَّتِي تَظْهَرُ فِي بَاطِنِ الجَنْب وتَنْفَجِرُ إلى داخل، وذُو الجَنْبِ: الَّذِي يَشْتَكي جَنْبَهُ بِسَبَبِ الدُّبيلة. اللسان: جنب.

(2) مسند الدارمي: 4/ 2143، قوت القلوب: 1/ 122، فضائل القرآن، للمستغفري: 2/ 562، الإحياء: 1/ 187.

(3) الإحياء: 1/ 186-187.

(4) زيادة من أنطاليا.

الْمُنافِقونَ، وَكانَ يَقْرَأُهُما في رَكْعَتَيِ الْجُمُعَةِ، وَكانَ يَقْرَأُ في صُبْحِ الْجُمُعَةِ سورَةَ لُقْمانَ[1]، وَسورَةَ "هَلْ أَتَى على الْإِنْسانِ".

الْخامِسُ: الصَّلَواتُ، يُسْتَحَبُّ أنْ يُصَلِّيَ إذا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَبْلَ أن يَجْلِسَ أَرْبَعَ رَكَعاتٍ، يَقْرَأُ فيهِنَّ قُلْ هو الله أَحَدٌ مِئَتَيْ مَرَّةٍ، في كُلِّ رَكْعَةٍ خَمْسينَ مَرَّةً. رُوِيَ عن رَسولِ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ «أَنَّهُ مَنْ فَعَلَهُ لم يَمُتْ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، أو يُرَى لَهُ»[2]. وَلا يَدَعُ رَكْعَتَيِ التَّحِيَّةِ وَإِنْ كانَ الْإِمامُ يَخْطُبُ، ولكنْ يُخَفِّفُ وَيُصَلِّيهِما بعد تَصْلِيَةِ الْإِمامِ إلى جانِبَيْهِ، إذْ حِينَئِذٍ يَشْرَعُ في مَدْحِ السَّلاطينِ ولا يَجِبُ اسْتِماعَهُ.

وَيُسْتَحَبُّ في هذا الْيَوْمِ أنْ يُصَلِّيَ أَرْبَعَ رَكَعاتٍ بِأَرْبَعِ سُوَرٍ، سورَةِ الْأَنْعامِ، والْكَهْفِ، وَطَهَ، وَيَس، فإنْ لم يُحْسِنْ قَرَأَ يَس وَسورَةَ لُقْمانَ وسورَةَ الدُّخانِ وَسورَةَ الْمُلْكِ، ولا يَدَعَ قِراءَةَ هذه الْأَرْبَعِ سُوَرٍ من لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ فَفِيهِ فَضْلٌ كَثِيرٌ، ومن لا يُحْسِنُ قَرَأَ ما يُحْسِنُ فهو له بِمَنْزِلَةِ خَتْمَةٍ، وَيُكْثِرَ مِنْ سورَةِ الْإِخْلاصِ[3].

وَيُسْتَحَبُّ أنْ يُصَلِّيَ في هذا الْيَوْمِ صَلاةَ التَّسْبِيحِ؛ وَسَتَعْرِفُها. وكانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يُصَلِّيها بعد الزَّوالِ، وَالْأَحْسَنُ في يَوْمِ الْجُمُعَةِ أنْ يَشْتَغِلَ بِالصَّلاةِ إلى

---

(1) سورة سجدة لقمان، في قونية ورئيس الكتاب والأزهرية.

(2) الإحياء: 1/ 187.

(3) الإحياء: 1/ 187.

الزَّوالِ، وَبَعْدَ الْجُمُعَةِ بِاسْتِماعِ الْعِلْمِ إلى الْعَصْرِ، ثمَّ بِالتَّسْبيحِ والِاسْتِغْفارِ إلى الْمَغْرِبِ.

السَّادِسُ: الصَّدَقَةُ، وَهِيَ تُضاعَفُ في هذا الْيَوْمِ، إلَّا أنْ يَتَصَدَّقَ على مَنْ سَأَلَ وَالإِمامُ يَخْطُبُ لأنَّهُ مَكْروهٌ. وَكَرِهَ بعضُ الْعُلَماءِ التَّصَدُّقَ على السَّائِلِ إذا تَخَطَّى رِقابَ النَّاسِ، إلَّا أن يَسْأَلَ قائِمًا أو قاعِدًا في مَكانٍ.

قالَ كَعْبُ الْأَحْبارِ: مَنْ شَهِدَ الْجُمُعَةَ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَتَصَدَّقَ بِشَيْئَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ من الصَّدَقَةِ، ثُمَّ رَجَعَ، فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ يُتِمُّ رُكوعَهُمَا وَخُشوعَهُما، ثمَّ يَقولُ: اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحيمِ، وَبِاسْمِكَ الَّذِي لا إلَهَ إلَّا هو الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ ولا نَوْمٌ، لم يَسْأَلِ اللهَ شَيْئًا إلَّا أَعْطاهُ.

قالَ بَعْضُ السَّلَفِ: مَنْ أَطْعَمَ مِسْكِينًا يَوْمَ الْجُمُعَةِ، ثُمَّ غَدَا وَابْتَكَرَ، ولم يُؤْذِ أَحَدًا، ثُمَّ قالَ حينَ يُسَلِّمُ الْإِمامُ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحيمِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ، أَسْأَلُكَ أنْ تَغْفِرَ لي وَتَرْحَمَنِي وأنْ تُعافِيَنِي مِنَ النَّارِ، ثمَّ دَعا بما بَدَا له اسْتُجيبَ له(1).

السَّابِعُ: أنْ يَجْعَلَ هذا الْيَوْمَ لِلآخِرَةِ، فَيَكُفَّ فيه عن جَمِيعِ أَشْغالِ الدُّنْيا، وَيُكْثِرَ فيه الْأَوْرادَ، ولا يَبْتَدِئَ فيه السَّفَرَ؛ فقد رُوِيَ أَنَّ مَنْ سافَرَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ دَعا عليه مَلَكاهُ، وَالسَّفَرُ فيه بعد طُلوعِ الْفَجْرِ حَرامٌ إلَّا إذا كانَتِ الرُّفْقَةُ تَفُوتُ.

---

(1) قوت القلوب: 1/ 126، الإحياء: 1/ 187-188.

وَكَرِهَ بَعْضُ السَّلَفِ شِراءَ الْماءِ في الْمَسْجِدِ من السَّقَّاءِ لِشُرْبِهِ، أو لِيُسَبِّلَهُ، حَتَّى لا يَكونَ مُبْتاعًا في الْمَسْجِدِ، وإِنْ لم يَكُنْ منه بُدٌّ قالوا: يُعْطِي الثَّمَنَ خارِجَ الْمَسْجِدِ.

وبِالْجُمْلَةِ، يَزيدُ في هذا الْيَوْمِ في أَوْرادِهِ، وَأَنْواعِ خَيْراتِهِ، فإِنَّ اللهَ سُبْحانَهُ إذا أَحَبَّ عَبْدًا اسْتَعْمَلَهُ في الْأَوْقاتِ الْفاضِلَةِ [بِفَواضِلِ الْأَعْمالِ، فإذا مَقَتَهُ][1] اسْتَعْمَلَهُ في الْأَوْقاتِ الْفاضِلَةِ بِسَيِّئِ الْأَعْمالِ، لِيَكونَ أَوْجَعَ في عِقابِهِ، وَأَشَدَّ لِمَقْتِهِ، وَحِرْمانِهِ بَرَكَةَ الْوَقْتِ، وَانْتِهاكِهِ حُرْمَةَ الْوَقْتِ. ويُسْتَحَبُّ في يَوْمِ الْجُمُعَةِ دَعَواتٌ مَخْصوصَةٌ وَرَدَتْ بها الْآثارُ. وَسَتُعْرَفُ في بابِ الدَّعَواتِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى[2].

(1) زيادة من أنطاليا.

(2) الإحياء: 1/ 188.

الْمَطْلَبُ السَّادِسُ: في عِلْمِ النَّوافِلِ مِنَ الصَّلَواتِ

واعْلَمْ أنَّ ما عَدَا الْفَرائِضَ مِنَ الصَّلَواتِ: إمَّا سُنَنٌ، أوْ مُسْتَحَبَّاتٌ، أو تَطَوُّعٌ.

وَالأَوَّلُ: ما نُقِلَ عنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ وَواظَبَ عليه.

والثَّانِي: ما وَرَدَ الْخَبَرُ بِفَضْلِهِ، ولم تُنْقَلِ الْمُواظَبَةُ عليه.

والثَّالِثُ: ما لم يَرِدِ في عَيْنِهِ أَثَرٌ، وَلَكِنَّهُ تَطَوَّعَ به الْعَبْدُ رَغْبَةً في مُناجاةِ رَبِّهِ، مع وُرودِ الشَّرْعِ بِفَضْلِ الصَّلاةِ مُطْلَقًا.

وَتُسَمَّى هذه الثَّلاثَةُ نافِلَةً مُقابِلَةً لِلْفَرْضِ. وقد يَعْرِضُ لِبَعْضِ السُّنَنِ فَضِيلَةٌ على الْآخَرِ؛ فإنَّ سُنَنَ الْجَماعاتِ أَفْضَلُ مِنْ سُنَنِ الاِنْفِرادِ. وَأَفْضَلُ سُنَنِ الْجَماعَةِ صَلاةُ الْعِيدِ، ثُمَّ الْكُسوفُ، ثُمَّ الاِسْتِسْقاءُ. وَأَفْضَلُ سُنَنُ الْاِنْفِرادِ الْوِتْرُ، ثُمَّ رَكْعَتَا الْفَجْرِ، ثُمَّ الرَّواتِبُ الْأُخَرُ[1].

وَاعْلَمْ أنَّ النَّوافِلَ أَرْبَعَةُ أَقْسامٍ، ما يَتَعَلَّقُ بِأَسْبابٍ، وما يَتَعَلَّقُ بِأَوْقاتٍ، وهذا إمَّا أنْ يَتَكَرَّرَ في الْيَوْمِ واللَّيْلَةِ، أو في الْأُسْبوعِ، أو في السَّنَةِ، وهذِهِ أَرْبَعَةُ أَقْسامٍ:

---

(1) الإحياء: 1/ 192-193.

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: ثَمانِيَةٌ، خَمْسَةٌ منها رَواتِبُ، الصَّلَواتُ الْخَمْسُ، وَثَلاثَةٌ وَراءَهَا، وهي صَلاةُ الضُّحَى، وما بَيْنَ الْعِشاءَيْنِ، وَالتَّهَجُّدُ. أَمَّا رَواتِبُ الصَّلَواتِ الْخَمْسِ فقد عُرِفَتْ في عِلْمِ الْفِقْهِ.

وأَمَّا صَلاةُ الضُّحَى، فَأَكْثَرُ ما نُقِلَ فيها ثَمانِي رَكَعاتٍ، هذا رِوايَةُ أُمِّ هانِئٍ[1]؛ وفي رِوايَةِ عائِشَةَ أَرْبَعًا، وَيَزِيدُ ما شاءَ اللهُ ولم تُحَدَّ الزِّيادَةُ؛ وَرُوِيَ: سِتُّ رَكَعاتٍ، وَقِيلَ: أَقَلُّها رَكْعَتانِ، وَأَعْلاهَا اثْنَتَا عَشْرَةَ رَكْعَةً. هكذا ذَكَرَ السُّهْرَوَرْدِيُّ في **الْعَوارِفِ**[2]. وَوَقْتُها إذا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ وَارْتَفَعَتْ، وكانَتْ في رُبُعِ السَّماءِ مِنْ جانِبِ الشَّرْقِ، وهذا نَظِيرُ وَقْتِ الْعَصْرِ في الرُّبُعِ الْغَرْبِيِّ.

وأَمَّا صَلاةُ ما بَيْنَ الْعِشاءَيْنِ، فهي سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ، ولها فَضْلٌ عَظِيمٌ، وَيُقالُ لها: صَلاةُ الْأَوَّابِينَ، وَعَدَدُهَا سِتُّ رَكَعاتٍ.

وَأَمَّا صَلاةُ التَّهَجُّدِ، وَقْتُها الثُّلُثُ الْأَخِيرُ من اللَّيْلِ إلى طُلوعِ الْفَجْرِ، وَيَنْبَغِي أَنْ لا يَنامَ بينها وبَيْنَ طُلوعِ الْفَجْرِ، وَتَقْلِيلُ هذه الصَّلاةِ بلا نَوْمٍ بَعْدَها أَفْضَلُ مِنْ تَطْوِيلِها مع النَّوْمِ عَقِيبَها. وَاخْتُلِفَ في عَدَدِ رَكَعاتِها، وَأَقَلُّها رَكْعَتانِ إلى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً، وَأَمَّا فَضائِلُها فَخارِجَةٌ عن حَدِّ الْإِحْصاءِ[3].

(1) صحيح البخاري: 2/ 54، رقم: 1103.

(2) عوارف المعارف: 198.

(3) الإحياء: 1/ 193.

الْقِسْمُ الثَّانِي: **هي صَلاةُ أَيامِ الْأُسْبوعِ وَلَيالِيهِ**

يَوْمَ الْأَحَدِ: يُصَلِّي فيه أَرْبَعَ رَكَعاتٍ؛ وفي رِوايَةٍ: خُصَّ وَقْتُها بما بَعْدَ الظُّهْرِ، يَقْرَأُ في كُلِّ رَكْعَةٍ بعد الْفاتِحَةِ ﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾[1] مَرَّةً، وفي رِوايَةٍ يَقْرَأُ في الْأُولَى "تَنْزِيلُ" السَّجْدَةَ، وفي الثَّانِيَةِ تَبارَكَ، ثُمَّ يَتَشَهَّدُ وَيُسَلِّمُ[2]. ثُمَّ يُصَلِّي الْأُخْرَيَيْنِ، وَيَقْرَأُ في كُلٍّ منهما سورَةَ الْجُمُعَةِ، وَكُلُّ هذه السُّوَرِ بعد الْفاتِحَةِ.

وَأَمَّا فَضائِلُها: أَعْطاهُ اللهُ ثَوابَ نَبِيٍّ وَحَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ، وَبِكُلِّ حَرْفٍ مَدينَةً في الْجَنَّةِ مِنْ مِسْكٍ أَذْفَرَ، وَكُتِبَ له بِكُلِّ رَكْعَةٍ أَلْفُ صَلاةٍ، وَأُعْطِيَ له بِعَدَدِ كُلِّ نَصْرانِيٍّ وَنَصْرانِيَّةٍ حَسَناتٌ، وَكانَ حَقًّا على اللهِ أَنْ يَقْضِيَ حاجَتَهُ[3].

يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ: يُصَلِّي فيه رَكْعَتَيْنِ عند ارْتِفاعِ النَّهارِ، يَقْرَأُ في كُلٍّ مِنْهُما بعد الْفاتِحَةِ آيَةَ الْكُرْسِيِّ وَالْإِخْلاصِ والْمُعَوِّذَتَيْنِ مَرَّةً مَرَّةً، وَبَعْدَ السَّلامِ يَسْتَغْفِرُ اللهَ عَشْرَ مَرَّاتٍ، وَيُصَلِّي على النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ عَشْرَ مَرَّاتٍ، غَفَرَ الله له كُلَّ ذُنوبِهِ، رَواهُ جابِرٌ؛ وفي رِوايَةِ أَنَسٍ: اِثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً، يَقْرَأُ في كُلٍّ منها بَعْدَ الْفاتِحَةِ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مَرَّةً، فإذا فَرَغَ، قَرَأَ الْإِخْلاصَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً، وَاسْتَغْفَرَ اللهَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً[4].

---

(1) سورة البقرة، الآية: 285.

(2) تشهد وسلم، في قونية وأنطاليا.

(3) الإحياء: 1/ 197-198.

(4) قوت القلوب: 1/ 53، الإحياء: 1/ 198، تخريج أحاديث الإحياء: 234.

وَفضائِلُها: دُخولُ الْجَنَّةِ مع كَراماتٍ مِنَ الْحُلَلِ والتِّيجانِ، وَتَشْيِيعُ الْمَلائِكَةِ له مع كُلٍّ منهم هَدِيَّةٌ له.

يَوْمَ الثُّلاثاءِ: يُصَلِّي فيه عند انْتِصافِ النَّهارِ عَشْرَ رَكَعاتٍ، وفي رِوايَةٍ: عند ارْتِفاعِ النَّهارِ، يَقْرَأُ في كُلِّ رَكْعَةٍ بَعْدَ الْفاتِحَةِ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مَرَّةً، وَقُلْ هو اللهُ أَحَدٌ ثَلاثَ مَرَّاتٍ؛ رَواهُ أَنَسٌ[1].

وأَمَّا فَضائِلُها: لم تُكْتَبْ عليه خَطيئَةٌ إلى سَبْعِينَ يَوْمًا، وإِنْ ماتَ في هذه الْمُدَّةِ ماتَ شَهيدًا، وَغُفِرَ له ذُنوبُ سَبْعينَ سَنَةً.

يَوْمَ الْأَرْبعاءِ: اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً عند ارْتِفاعِ النَّهارِ، يَقْرَأُ في كُلِّ رَكْعَةٍ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مَرَّةً، وَالْإِخْلاصَ ثَلاثًا، والْمُعَوِّذَتَيْنِ ثَلاثًا. رَواهُ مُعاذٌ[2].

فَضائِلُها: دَفَعَ اللهُ عنه عَذابَ الْقَبْرِ وَضِيقَهُ وَظُلْمَتَهُ وَشَدائِدَ الْقِيامَةِ، وَرَفَعَ له مِنْ يَوْمِهِ عَمَلَ نَبِيٍّ، وَنادَى به مَلَكٌ عند الْعَرْشِ: يا عَبْدَ اللهِ اسْتَأْنِفِ الْعَمَلَ فقد غُفِرَ لك ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ.

يَوْمَ الْخَمِيسِ: رَكْعَتَيْنِ بين الظُّهْرِ والْعَصْرِ، يَقْرَأُ في الْأُولَى بعد الْفاتِحَةِ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِئَةَ مَرَّةٍ، وفي الثَّانِيَةِ بعد الْفاتِحَةِ "قُلْ هو اللهُ أَحَدٌ" مِئَةَ مَرَّةٍ، وَيُصَلِّي على النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ مِئَةَ مَرَّةٍ. رَواهُ ابْنُ عَبَّاسٍ[3].

---

(1) الإحياء: 1/ 198، تخريج أحاديث الإحياء: 234.

(2) المصدر نفسه: 1/ 198، المصدر نفسه: 234.

(3) المصدر نفسه: 1/ 198، المصدر نفسه: 235.

وَفضائِلُها: أَعْطاهُ اللهُ ثَوابَ صَوْمِ رَجَبٍ وَشَعْبانَ وَرَمَضانَ، وَثَوابَ الْحَجِّ، وَكَتَبَ له بِعَدَدِ كُلِّ مَنْ آمَنَ باللهِ وَتَوَكَّلَ عليه حَسَنَةً.

يَوْمَ الْجُمُعَةِ: إذا ارْتَفَعَتِ الشَّمْسُ قَدْرَ رُمْحٍ أَوْ أَكْثَرَ، يُصَلِّي بَعْدَ إِسْباغِ الْوُضوءِ سُبْحَةَ[1] الضُّحى رَكْعَتَيْنِ، مَنْ صَلَّاهَا إِيمانًا وَاحْتِسابًا كَتَبَ اللهُ تَعالى له مِئَتَيْ حَسَنَةٍ، وَمَحا عَنْهُ مِئَتَيْ سَيِّئَةٍ؛ وَمَنْ صَلَّى أَرْبَعَ رَكَعاتٍ رَفَعَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ له في الْجَنَّةِ أَرْبَعَمِئَةِ دَرَجَةٍ؛ وَمَنْ صَلَّى ثَمانِيَ رَكَعاتٍ رَفَعَ الله له في الْجَنَّةِ ثَمانَمِئَةِ دَرَجَةٍ، وَغَفَرَ له ذُنوبَهُ كُلَّهَا؛ ومَنْ صَلَّى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً كَتَبَ اللهُ سُبْحانَهُ له أَلْفًا وَمِئَتَيْ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عنه أَلْفًا وَمِئَتَيْ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ له في الْجَنَّةِ أَلْفًا وَمِئَتَيْ دَرَجَةٍ[2]. رَواهُ عَلِيُّ بْنُ أبي طالِبٍ رَضِيَ الله عنه مَرْفوعًا.

وفي رِوايَةِ ابْنِ عُمَرَ مَرْفوعًا: «مَنْ صَلَّى يَوْمَ الْجُمُعَةِ قَبْلَ صَلاةِ الْجُمُعَةِ قَرَأَ في كُلِّ رَكْعَةٍ "الْحَمْدُ للهِ"، وَ"قُلْ هو الله أَحَدٌ" خَمْسِينَ مَرَّةً، لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ أو يُرَى لَهُ»[3].

يَوْمَ السَّبْتِ: يُصَلِّي أَرْبَعَ رَكَعاتٍ، يَقْرَأُ في كُلٍّ منها فاتِحَةَ الْكِتابِ مَرَّةً، وَ"قُلْ يا أَيُّها الْكافِرونَ" ثَلاثَ مَرَّاتٍ، وَبَعْدَ الْفَراغِ آيَةَ الْكُرْسِيِّ. رَواهُ أبو هُرَيْرَةَ مَرْفوعًا[4].

---

(1) سنة الضحى، في تخريج أحاديث الإحياء: 235.

(2) قوت القلوب: 1/ 54، تخريج أحاديث الإحياء: 1/ 489.

(3) الإحياء: 1/ 199، تخريج أحاديث الإحياء: 235.

(4) المصدر نفسه: 1/ 198، المصدر نفسه: 235.

وَفضائِلُها: كَتَبَ اللهُ له بِكُلِّ حَرْفٍ حَجَّةً وعُمْرَةً، وَرَفَعَ له بِكُلِّ حَرْفٍ أَجْرَ سَنَةٍ صِيامَ نَهارِها وَقِيامَ لَيْلِهَا، وَأَعْطاهُ اللهُ بِكُلِّ حَرْفٍ ثَوابَ شَهِيدٍ، وَكانَ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِ اللهِ تَعالَى مع النَّبِيِّينَ والشُّهَداءِ.

أَمَّا اللَّيالِي: فَلَيْلَةَ الأَحَدِ يُصَلِّي عِشْرينَ رَكْعَةً، يَقْرَأُ في كُلِّ رَكْعَةٍ الْفاتِحَةَ مَرَّةً **والإِخْلاصَ** خَمْسينَ مَرَّةً، **وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ** مَرَّةً مَرَّةً، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ اللهَ مِئَةَ مَرَّةٍ، وَاسْتَغْفَرَ لِنَفْسِهِ وَلِوالِدِيهِ مِئَةَ مَرَّةٍ، وَصَلَّى على النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ مِئَةَ مَرَّةٍ، وَتَبَرَّأَ مِنْ حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ وَالْتَجأَ إلى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ قالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له، وَأَشْهَدُ أَنَّ آدَمَ صَفْوَةُ اللهِ وفِطْرَتُهُ، وإِبْراهِيمَ خَليلُ اللهِ، وَمُوسَى كَليمُ اللهِ، وَعِيسَى روحُ اللهُ، ومُحَمَّدًا حَبِيبُ اللهِ، صَلَواتُ اللهِ وسَلامُهُ عليهم أَجْمَعينَ، كانَ له مِنَ الثَّوابِ بِعَدَدِ مَنْ دَعَا للهِ وَلَدًا، وَمَنْ لم يَدْعُ له وَلَدًا، وَبَعَثَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ مَعَ الْآمِنِينَ، وَكانَ حَقًّا على اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ مَعَ النَّبِيِّينَ. رَواهُ أَنَسٌ رَضِيَ الله عنه[1].

لَيْلَةَ الإِثْنَيْنِ: يُصَلِّي أَرْبَعَ رَكَعاتٍ، يَقْرَأُ في الْأُولَى: "الْحَمْدُ للهِ"، وَ"قُلْ هو اللهُ أَحَدٌ" عَشْرَ مَرَّاتٍ، وفي الثَّانِيَةِ: "الْحَمْدُ للهِ"، وَ"قُلْ هو اللهُ أَحَدٌ" عِشْرينَ مَرَّةً، وَفي الثَّالِثَةِ ثَلاثينَ، وفي الرَّابِعَةِ أَرْبَعِينَ، كِلاهُما بَعْدَ "الْحَمْدُ لله" أَيْضًا، ثُمَّ سَلَّمَ وَقَرَأَ "قُلْ هو اللهُ" خَمْسًا وَسَبْعينَ مَرَّةً، وَاسْتَغْفَرَ اللهَ لِنَفْسِهِ وَلِوالِدَيْهِ خَمْسًا وَسَبْعينَ مَرَّةً، وَصَلَّى على مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ خَمْسًا وَسَبْعِينَ

(1) الإحياء: 1/ 199، تخريج أحاديث الإحياء: 235.

مَرَّةً، ثُمَّ سَأَلَ اللهَ تَعَالَى حاجَتَهُ، كانَ حَقًّا على اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أنْ يُعْطِيَهُ سُؤالَهُ[1] فيما سَأَلَ. وَتُسَمَّى هذه صَلاةَ الْحاجَةِ. رَواهُ أَنَسٌ رَضِيَ الله عنه[2].

لَيْلَةَ الثُّلاثاءِ: يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، يَقْرَأُ في كُلِّ رَكْعَةٍ فاتِحَةَ الْكِتابِ و"قُلْ هو الله أَحَدٌ" والْمُعَوِّذَتَيْنِ خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً، وَيَقْرَأُ بعد التَّسْلِيمِ آيَةَ الْكُرْسِيِّ خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً، وَيَسْتَغْفِرُ اللهَ سُبْحانَهُ خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً.

لَيْلَةَ الْأَرْبعاءِ: يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، يَقْرَأُ في الأولى بَعْدَ الْفاتِحَةِ "قُلْ أَعوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ" عَشْرَ مَرَّاتٍ، وفي الثَّانِيَةِ بعد الْفاتِحَةِ "قُلْ أَعوذُ بِرَبِّ النَّاسِ" عَشْرَ مَرَّاتٍ. وَمَنْ صَلَّاها نَزَلَ له مِنْ كُلِّ سَماءٍ سَبْعونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَكْتُبونَ ثَوابَهُ إلى يَوْمِ الْقِيامَةِ[3].

وَفِي رِوايَةِ فاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالى عنها: سِتُّ رَكَعاتٍ، يَقْرَأُ في كُلِّ رَكْعَةٍ بَعْدَ الْفاتِحَةِ، "قُلِ اللَّهُمَّ مالِكَ الْمُلْكِ"، إلى آخِرِ الْآيَةِ؛ وَبَعْدَ صَلاتِهِ يَقولُ سَبْعينَ مَرَّةً: جَزَى اللهُ مُحَمَّدًا عَنَّا ما هُوَ أَهْلُهُ، غَفَرَ اللهُ له ذُنوبَ سَبْعينَ سَنَةً، وَكَتَبَ له بَراءَةً مِنَ النَّارِ[4].

وَفِي رِوايَةِ عُثْمانَ بْنِ مَظْعونٍ رَضِيَ الله عَنْهُ عَشْرَ رَكَعاتٍ، وَقَرَأَ في كُلِّ منها: "الْحَمْدُ لله"، وَ"آمَنَ الرَّسولُ" إلى آخِرِ السُّورَةِ مَرَّةً، وَالْإِخْلاصُ ثَلاثَ

---

(1) سؤله، في الأزهرية.

(2) الإحياء: 1/ 199، تخريج أحاديث الإحياء: 236.

(3) قوت القلوب: 1/ 56، الإحياء: 1/ 199-200، تخريج أحاديث الإحياء: 236.

(4) الإحياء: 1/ 199-200، تخريج أحاديث الإحياء: 236.

مَرَّاتٍ؛ مَنْ صَلَّاهَا فَكَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ ذُنوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، وإنْ كانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ، وَوَرَقِ الشَّجَرِ، وَعَدَدِ النُّجومِ وَالْأَمْواجِ، وَزَبَدِ الْبِحارِ، وَالْخَلْقِ وَالْخَلائِقِ، وَغَفَرَ الله له ذُنوبَ السِّرِّ وَالْعَلانِيَةِ، وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ في أَوَّلِ زُمْرَةٍ من زُمْرَةِ الْمُتَّقِينَ والْفائِزينَ والْمُقَرَّبينَ دونَ حِسابٍ وَعَذابٍ، وَلَا عَرْضٍ وَسُؤالٍ، وَبَاهَى اللهُ به الْمَلائِكَةَ، وَسَمَّاهُ الْعَتيقَ من النَّارِ.

فَقالَ عُثْمانُ بْنُ مَظْعونٍ رَضِيَ الله عَنْهُ: يا رَسولَ الله إنَّ هذا ثَوابٌ عَظِيمٌ، فَقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: يا عُثْمانُ والَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، إنَّ اللهَ لَيُعْطِي لِمَنْ صَلَّى هذه الصَّلاةَ أَجْرَ مَنْ صَدَّقَ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِيًّا، وَأَجْرَ مَنْ جاهَدَ في اللهِ حَقَّ جِهادِهِ أَلْفَ سَنَةٍ، وَبَنَى اللهُ له في الْجَنَّةِ دارَ السَّلامِ أَلْفَ قَصْرٍ، مع ما له عِنْدَ اللهِ مِنَ الْمَزيدِ.

لَيْلَةَ الْخَميسِ: يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ ما بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشاءِ، يَقْرَأُ في كُلِّ رَكْعَةٍ فاتِحَةَ الْكِتابِ مَرَّةً، وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ خَمْسَ مَرَّاتٍ، وَ"قُلْ هو اللهُ أَحَدٌ" وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ خَمْسَ مَرَّاتٍ؛ فإذا خَرَجَ من صَلاتِهِ اسْتَغْفَرَ اللهَ تَعالَى خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً، وَجَعَلَ ثَوابَهُ لِوالِدَيْهِ، فقد أَدَّى حَقَّهُما وإنْ كانَ عاقًّا لَهُما، وأَعْطاهُ اللهُ تعالى خَيْرَ ما يُعْطِي الصِّدِّيقينَ والشُّهَداءَ. رَوَاهُ أبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ[1].

(1) قوت القلوب: 1/ 56، الإحياء: 1/ 200، تخريج أحاديث الإحياء: 236.

لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ: يُصَلِّي بين الْمَغْرِبِ والْعِشاءِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً، يَقْرَأُ في كُلِّ رَكْعَةٍ بعد الْفاتِحَةِ "قُلْ هو اللهُ أَحَدٌ" إحْدَى عَشْرَةَ مَرَّةً، فَكأَنَّما عَبَدَ اللهَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً صِيامَ نَهارِها وَقِيامَ لَيْلِها. رَواهُ جابِرٌ رَضِيَ اللهُ عنه[1].

وَفِي رِوايَةِ أَنَسٍ رَضِيَ الله عنه يُصَلِّي صَلاةَ الْعِشاءِ الْآخِرَةِ في جَماعَةٍ، وَيُصَلِّي رَكْعَتَيِ السُّنَّةِ، ثُمَّ يُصَلِّي بَعْدَهُما عَشْرَ رَكَعاتٍ، قَرَأَ في كُلِّ رَكْعَةٍ "الْحَمْدُ لله"، وَ"قُلْ هو اللهُ أَحَدٌ"، والْمُعَوِّذَتَيْنِ مَرَّةً مَرَّةً، ثُمَّ أَوْتَرَ بِثَلاثِ رَكَعاتٍ، وَنامَ على جَنْبِهِ الْأَيْمَنِ وَوَجْهُهُ إلى الْقِبْلَةِ، فمن فَعَلَ هذه فَكَأَنَّما أَحْيَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ[2].

وقالَ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ: «أَكْثِرُوا مِنَ الصَّلاةِ عَلَيَّ في اللَّيْلَةِ الْغَرَّاءِ وَالْيَوْمِ الْأَزْهَرِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ»[3].

لَيْلَةَ السَّبْتِ: يُصَلِّي بين الْمَغْرِبِ وَالْعِشاءِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً، مَنْ صَلَّاها بُنِيَ له قَصْرٌ في الْجَنَّةِ، وَكَأَنَّمَا تَصَدَّقَ على كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، وَتَبَرَّأَ مِنَ الْيَهودِ، وَكانَ حَقًّا على اللهِ تعالى أنْ يَغْفِرَ له. رَواهُ أَنَسٌ رَضِيَ الله عنه[4].

---

(1) تخريج أحاديث الإحياء: 1/ 484، الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة: 55.

(2) الإحياء: 1/ 200، تخريج أحاديث الإحياء: 236-237.

(3) كتاب الأم للشافعي: 1/ 239، قوت القلوب: 1/ 57، شعب الإيمان: 3/ 111، الإحياء: 1/ 200، الفائق في غريب الحديث: 2/ 237، لسان الميزان: 6/ 365.

(4) قوت القلوب: 1/ 57، الإحياء: 1/ 200، تخريج أحاديث الإحياء: 236-237.

الْقِسْمُ الثَّالِثُ: **ما يَتَكَرَّرُ بِتَكَرُّرِ السِّنِينَ**

وهي أَرْبَعَةٌ:

الْأَوَّلُ: صَلاةُ الْعِيدَيْنِ، وهي سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ، وَشِعارٌ مِنْ شَعائِرِ الدِّينِ، وَيَنْبَغِي أنْ يُراعَى فيها سَبْعَةُ أُمورٍ:

الْأَوَّلُ: التَّكْبِيرُ.

وَالثَّانِي: يَغْتَسِلُ وَيَتَزَيَّنُ وَيَتَطَيَّبُ يَوْمَ الْعِيدِ.

وَالثَّالِثُ: يَخْرُجُ مِنْ طَرِيقٍ، وَيَرْجِعُ مِنْ آخَرَ.

الرَّابِعُ: الْخُروجُ إلى الصَّحْراءِ، إلَّا في الْمَطَرِ في الْآفاقِ، وإلَّا بِمَكَّةَ وَبِبَيْتِ الْمَقْدِسِ. ويَجوزُ لِلضُّعَفاءِ أن يَتَخَلَّفوا بِالْمَساجِدِ وإنْ كانَ يَوْمَ صَحْوٍ.

الْخامِسُ: رِعايَةُ الْوَقْتِ، وَيُسْتَحَبُّ تَعْجيلُ صَلاةِ الْأَضْحَى لِلذَّبْحِ، وَتَأْخيرُ الْفِطْرِ لِلصَّدَقَةِ.

السَّادِسُ: يَقْرَأُ في الرَّكْعَةِ الْأُولَى سورَةَ "ق" بَعْدَ الْفاتِحَةِ، وفي الثَّانِيَةِ "اقْتَرَبَت" بَعْدَ الْفاتِحَةِ أَيْضًا.

السَّابِعُ: أنْ يُضَحِّيَ بِكَبْشٍ؛ وَمَنْ أَرادَ أن يُضَحِّيَ فلا يُقَلِّمْ أَظْفارَهُ في عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ.

قالَ سُفْيانُ الثَّوْرِيُّ: يُسْتَحَبُّ أنْ يُصَلِّيَ بعد عِيدِ الْفِطْرِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً، وَبَعْدَ عيدِ الْأَضْحَى سِتَّ رَكَعاتٍ؛ وَقالَ: هو من السُّنَّةِ[1].

الثَّانِي: التَّراويحُ، عِشْرونَ رَكْعَةً، وَكَيْفِيَّتُها مَشْهورَةٌ، وهي سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ، وإنْ كانَتْ دونَ الْعِيدَيْنِ؛ والسُّنَّةُ أنْ يُصَلِّيَها مع الْجَماعَةِ، وَتَفْصيلُ هذه في كُتُبِ الْفِقْهِ.

الثَّالِثُ: صَلاةُ رَجَبٍ، عن رَسولِ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ أَنَّهُ قالَ: «ما مِنْ أَحَدٍ يَصومُ أَوَّلَ خَميسٍ مِنْ رَجَبٍ، ثُمَّ يُصَلِّي فيما بَيْنَ الْعِشاءِ والْعَتَمَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةٍ، يَفْصِلُ بَيْنَ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ بِتَسْليمَةٍ، يَقْرَأُ في كُلِّ رَكْعَةٍ بعد الْفاتِحَةِ سورَةَ الْقَدْرِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، وَالْإِخْلاصَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً؛ فإذا فَرَغَ صَلَّى على مُحَمَّدٍ سَبْعينَ مَرَّةً، يَقولُ: اللَّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ وعلى آلِهِ؛ ثُمَّ يَسْجُدُ وَيَقولُ في سُجودِهِ سَبْعينَ مَرَّةً: سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلائِكَةِ والرُّوحِ؛ ثُمَّ يَرْفَعُ رَأْسَهُ وَيَقولُ سَبْعِينَ مَرَّةً: رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ، وَتَجاوَزْ عَمَّا تَعْلَمُ، فإنَّكَ أنْتَ الْعَلِيُّ الْأَعْظَمُ؛ ثُمَّ يَسْجُدُ سَجْدَةً أُخْرى وَيَقولُ فيها مِثْلَما قالَ في السَّجْدَةِ الْأولَى؛ ثمَّ يَسْأَلُ حاجَتَهُ فإنَّها تُقْضَى»[2].

قالَ رَسولُ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «لا يُصَلِّي أَحَدٌ هذه الصَّلاةَ إلَّا غَفَرَ اللهُ تَعالى له جَميعَ ذُنوبِهِ، ولو كانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ وعَدَدِ الرَّمْلِ وَوَزْنِ

---

(1) الإحياء: 1/ 200.

(2) المصدر نفسه: 1/ 202، تخريج أحاديث الإحياء: 240.

الْجِبالِ وَوَرَقِ الْأَشْجارِ، وَيَشْفَعُ يَوْمَ الْقِيامَةِ في سَبْعِمِئَةٍ من أَهْلِ بَيْتِهِ مِمَّنْ قد اسْتَوْجَبَ النَّارَ»[1].

وَهَذِهِ صَلاةٌ مُسْتَحَبَّةٌ، وَطَعَنَ فِيها بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ، وادَّعَوا أَنَّ الْحَديثَ الْوارِدَ فيها مَوْضوعٌ. وقيلَ: خَبَرُ آحادٍ. إِلَّا أَنَّهُ لِمُواظَبَةِ[2] أَهْلِ الْقُدْسِ، بل سائِرِ الْمُسْلِمينَ في الْأَمْصارِ لا يَسْمَحونَ بِتَرْكِها، ولهذا أَحْبَبْتُ إِيرادَها.

الرَّابِعُ: صَلاةُ شَعْبانَ، في اللَّيْلَةِ الْخامِسَةَ عَشْرَةَ منه يُصَلِّي مِئَةَ رَكْعَةٍ بِخَمْسِينَ تَسْليمَةً، يَقْرَأُ في كُلِّ رَكْعَةٍ بَعْدَ فاتِحَةِ الْكِتابِ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ عَشْرَ مَراتٍ؛ وإِنْ شاءَ صَلَّى عَشْرَ رَكَعاتٍ، يَقْرَأُ في كُلِّ رَكْعَةٍ بعد الْفاتِحَةِ "قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ" مِئَةَ مَرَّةٍ[3].

كانَ السَّلَفُ يُصَلُّونَها، وَيُسَمُّونَها صَلاةَ الْخَيْرِ، وَرُبَّما صَلَّوْها جَماعَةً.

رُوِيَ عن الْحَسَنِ رَضِيَ اللهُ عنه أَنَّهُ قالَ: حَدَّثَنِي ثَلاثونَ مِنْ أَصْحابِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ، أَنَّ «مَنْ صَلَّى هَذِهِ الصَّلاةَ في هذه اللَّيْلَةِ، نَظَرَ اللهُ إليه سَبْعِينَ نَظْرَةً، وَقَضَى له بِكُلِّ نَظْرَةٍ سَبْعِينَ حاجَةً أَدْناها الْمَغْفِرَةُ»[4].

---

(1) الإحياء: 1/ 203.

(2) أن مواظبة، في الأزهرية.

(3) مفيد العلوم ومبيد الهموم: 172، الإحياء: 1/ 203، الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة: 113.

(4) الإحياء: 1/ 203.

الْقِسْمُ الرَّابِعُ: ما يَتَعَلَّقُ بِأَسْبابٍ عارِضَةٍ

وهي تِسْعَةٌ:

الْأُولَى: صَلاةُ الْخُسوفِ، وَهَذِهِ مَذْكورَةٌ في كُتُبِ الْفُروعِ.

الثَّانيةُ: صَلاةُ الاِسْتِسْقاءِ، وهي مِثْلَ صَلاةِ الْعِيدِ بلا فَرْقٍ، إلَّا أَنَّهُ يَخْرُجُ فيها بِثِيابٍ بِذِلَّةٍ واسْتِكانَةٍ مُتَواضِعِينَ، بعدما صاموا ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، وَتَقْديمِ صَدَقَةٍ وَتَوْبَةٍ عن الْمَعاصِي، وَالْخُروجِ مِنَ الْمَظالِمِ، ثُمَّ يَخْرُجُ الْيَوْمَ الرَّابِعَ بالصِّبْيانِ والْعَجائِزِ؛ وعند الْبَعْضِ: يُخْرِجُ الدَّوابَّ لمُشارَكَتِهِمْ في الْحَاجَةِ؛ وفي الْحَديثِ: «لَوْلَا صِبْيانٌ رُضَّعٌ، وَمَشايِخُ رُكَّعٌ، وَبَهائِمُ رُتَّعٌ، لَصُبَّ عليكُمُ الْعَذابُ صَبًّا»[1].

وَعِنْدَ الْبَعْضِ: لا يُمْنَعُ أَهْلُ الذِّمَّةِ إذا خَرَجُوا مُتَمَيِّزِينَ، وَالْمُخْتارُ عِنْدَنا مَنْعُهُمْ.

الثَّالِثَةُ: صَلاةُ الْجَنازَةِ، وَتَفْصِيلُها وَكَذَا تَفْصِيلُ صَلاةِ الاِسْتِسْقاءِ مَذْكورٌ في كُتُبِ الْفِقْهِ.

الرَّابِعَةُ: تَحِيَّةُ الْمَسْجِدِ، هي رَكْعَتانِ فَصاعِدًا، سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ، حَتَّى إنَّهُمْ جَوَّزوهَا في الْأَوْقاتِ الْمَكْروهَةِ وَعِنْدَ الْخُطْبَةِ، وَلَوِ اشْتَغَلَ بِفَرْضٍ أو قَضاءٍ تَأَدَّتْ به التَّحِيَّةُ، وَحَصَلَ الْفَضْلُ. وَالْمَقْصودُ عَدَمُ خُلُوِّ ابْتِداءِ دُخولِهِ عن

---

(1) الإحياء: 1/ 204، مختصر زوائد مسند البزار: 2/ 450، تخريج أحاديث الإحياء: 241.

الْعِبادَةِ الْخاصَّةِ بِالْمَسْجِدِ قِيامًا بِحَقِّ الْمَسْجِدِ، ولهذا يُكْرَهُ الدُّخولُ بلا وُضوءٍ، فإنْ دَخَلَ لِعُبورٍ أو جُلوسٍ فَلْيَقُلْ: سُبْحانَ اللهِ والْحَمْدُ للهِ ولا إِلَهَ إِلَّا اللهُ واللهُ أَكْبَرُ، يَقولُها أَرْبَعَ مَرَّاتٍ. يُقالُ: إِنَّها عِدْلُ رَكْعَتَيْنِ في الْفَضْلِ[1].

الْخامِسَةُ: رَكْعَتانِ بعد الْوُضوءِ، مُسْتَحَبَّتانِ، إِذِ الْوُضوءُ مَعْرِضُ الْآفاتِ، فَالْمُبادَرَةُ إلى اسْتِيفاءِ الْمَقْصودِ به أَوْلَى.

السَّادِسَةُ: رَكْعَتانِ عند دُخولِ الْمَنْزِلِ والْخُروجِ منه، يَدْفَعانِ مَدْخَلَ السُّوءِ، وَمَخْرَجَ السُّوءِ؛ وَكَذَلِكَ عند ابْتِداءِ السَّفَرِ في الْمَنْزِلِ، وَعِنْدَ الرُّجوعِ منه في الْمَسْجِدِ؛ كُلُّ ذلِكَ مَأْثورٌ مِنْ فِعْلِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهِ عليه وَسَلَّمَ.

وَكانَ بعضُ الصَّالِحينَ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ إذا أَكَلَ أَكْلَةً، أو شَرِبَ شَرْبَةً، وفي كُلِّ أَمْرٍ يُحْدِثُهُ؛ كَعَقْدِ النِّكاحِ، وَابْتِداءِ النَّصيحَةِ والْمَشورَةِ، وَكانُوا يُقَدِّمونَ في عَقْدِ النِّكاحِ وَالنَّصيحَةِ وَالْمَشورَةِ: "اَلْحَمْدُ للهِ، والصَّلاةُ على النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ"، وَكَذَا عند شِراءِ دارٍ جَديدَةٍ، وَالْخُروجِ مِنْ مَنْزِلٍ والدُّخولِ، فإِنَّهُ نَوْعُ سَفَرٍ خَفيفٍ، وَكَذا عِنْدَ الْإِحْرامِ[2].

السَّابِعَةُ: صَلاةُ الاِسْتِخارَةِ، فَمَنْ هَمَّ بِأَمْرٍ وَكانَ لا يَدْرِي عاقِبَتَهُ، ولا يَعْرِفُ أَنَّ الْخَيْرَ في فِعْلِهِ أو تَرْكِهِ[3]، فقد أَمَرَ رَسولُ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ أن يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ، يَقْرَأُ في الْأُولَى بعد الْفاتِحَةِ "قُلْ يا أَيُّها الْكافِرونَ"، وفي

---

(1) الإحياء: 1/ 204-205.

(2) المصدر نفسه: 1/ 205-206.

(3) بتركه، في رئيس الكتاب.

الثَّانِيَةِ "قُلْ هو اللهُ أَحَدٌ" بعد الْفاتِحَةِ، فإذا فَرَغَ دَعا وَقالَ: «اللَّهُمَّ إنِّي أَسْتَخيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ ولا أَقْدِرُ، وتَعْلَمُ ولا أَعْلَمُ، وأَنْتَ عَلّامُ الْغُيوبِ، اللَّهُمَّ إنْ كنتَ تَعْلَمُ أنَّ هذا الْأَمْرَ خَيْرٌ لي في دِينِي ودُنْيايَ وَعاقِبَةِ أَمْرِي وَعاجِلِهِ وآجِلِهِ، فَقَدِّرْهُ لي، ثُمَّ يَسِّرْهُ لي، وإنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنَّ هذا الْأَمْرَ شَرٌّ لي في دِينِي وَدُنْيايَ وَعاقِبَةِ أَمْرِي وَعاجِلِهِ وَآجِلِهِ، فاصْرِفْنِي عنه وَاصْرِفْهُ عَنِّي وَقَدِّرْ لِيَ الْخَيْرَ أَيْنَما كانَ، ثُمَّ رَضِّنِي به، إنَّكَ على كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ»[1]. رَواهُ جابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ الله عنه.

قالَ: «كانَ رَسولُ اللهِ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنا الِاسْتِخارَةَ في الْأُمورِ كُلِّها كما يُعَلِّمُنا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ»[2].

وَقالَ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «إذا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِأَمْرٍ فَلْيُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ يُسَمِّ الْأَمْرَ»[3]، وَيَدْعو بما ذَكَرْناهُ.

الثَّامِنَةُ: **صَلاةُ الْحاجَةِ**، فَمَنْ ضاقَ عليه الْأَمْرُ، وَمَسَّتْ حاجَتُهُ في صَلاحِ دِينِهِ وَدُنْياهُ إلى أَمْرٍ تَعَذَّرَ عليه، فقد رُوِيَ عن وُهَيْبِ بْنِ الْوَرْدِ أَنَّهُ قالَ: «إنَّ مِنَ الدُّعاءِ الَّذِي لا يُرَدُّ أنْ يُصَلِّيَ الْعَبْدُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً، يَقْرَأُ في كُلِّ رَكْعَةٍ بِأُمِّ الْقُرْآنِ وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ وَ"قُلْ هو اللهُ أَحَدٌ"، فَإِذا فَرَغَ خَرَّ ساجِدًا، ثُمَّ قالَ:

---

(1) صحيح البخاري: 9/ 118، رقم: 7390، والنقل من الإحياء: 1/ 206.

(2) المصدر نفسه: 2/ 56، رقم:1162، 8/ 81، رقم: 6382، والنقل من الإحياء: 1/ 206.

(3) مصنف ابن أبي شيبة: 16/ 205، الإحياء: 1/ 206.

سُبْحانَ الَّذِي لَبِسَ الْعِزَّ وَقالَ به، سُبْحانَ الَّذِي تَعَطَّفَ بِالْمَجْدِ وَتَكَرَّمَ به، سُبْحانَ الَّذِي أَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ بِعِلْمِهِ، سُبْحانَ الَّذِي لا يَنْبَغِي التَّسْبيحُ إلَّا له، سُبْحانَ ذي الْمَنِّ وَالْفَضْلِ، سُبْحانَ ذي الْعِزِّ وَالْكَرَمِ، سُبْحانَ ذي الطَّوْلِ، أَسْأَلُكَ بِمَعاقِدِ الْعِزِّ من عَرْشِكَ، وَمُنْتَهَى الرَّحْمَةِ مِنْ كِتابِكَ، وَباسْمِكَ الْأَعْظَمِ وَجَدِّكَ الْأَعْلَى، وَكَلِماتِكَ التَّامَّاتِ الَّتِي لا يُجاوِزُهُنَّ بَرٌّ ولا فاجِرٌ، أنْ تُصَلِّيَ على مُحَمَّدٍ؛ ثُمَّ يَسْأَلُ حاجَتَهُ الَّتِي لا مَعْصِيَةَ فيها، فَيُجابُ إنْ شاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ»[1]. **قالَ** وُهَيْبٌ: وَبَلَغَنا أَنَّهُ كانَ يُقالُ: لا تُعَلِّموهَا سُفَهاءَكُمْ فيَتَعاوَنوا على مَعْصِيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

التَّاسِعَةُ: صَلاةُ التَّسْبيحِ، وهذه وإنْ لم تَخْتَصَّ بِوَقْتٍ ولا سَبَبٍ، إلَّا أنَّ الْمُسْتَحَبَّ أنْ لا يَخْلُوَ الْأُسْبوعُ عنها مَرَّةً وَاحِدَةً أو الشَّهْرُ، وَلِهذا أَوْرَدْتُها هاهُنَا.

رَوَى عِكْرِمَةُ عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ لِعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: «أَلَا أُعْطِيكَ، أَلَا أَمْنَحُكَ، أَلَا أَحْبوكَ بِشَيْءٍ إذا أَنْتَ فَعَلْتَهُ غَفَرَ اللهُ سُبْحانَهُ لَكَ ذَنْبَكَ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، قَدِيمَهُ وَحَديثَهُ، خَطَأَهُ وَعَمْدَهُ، سِرَّهُ وَعَلانِيَتَهُ، تُصَلِّيَ أَرْبَعَ رَكَعاتٍ، تَقْرَأُ في كُلِّ رَكْعَةٍ بعد الْفاتِحَةِ سورَةً، فإذا فَرَغْتَ من الْقِراءَةِ في أَوَّلِ رَكْعَةٍ وَأَنْتَ قائِمٌ قُلْتَ: سُبْحانَ اللهِ والْحَمْدُ للهِ ولا إلَهَ إلَّا الله واللهُ أَكْبَرُ خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً، ثُمَّ تَرْكَعُ فَتقولُها عَشْرًا، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ فَتَقولُها عَشْرًا، ثُمَّ تَسْجُدُ فَتقولُها عَشْرًا، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ من السُّجودِ فَتَقولُها

---

(1) حلية الأولياء: 8/ 158، الإحياء: 1/ 206-207.

عَشْرًا، ثُمَّ تَسْجُدُ السَّجْدَةَ الثَّانِيَةَ فَتَقولُهَا عَشْرًا، ثُمَّ تَقومُ فَتَقولُها عَشْرًا، فَذلِكَ خَمْسٌ وَسَبْعونَ في كُلِّ رَكْعَةٍ، تَفْعَلُ ذلك في أَرْبَعِ رَكَعاتٍ، وإن اسْتَطَعْتَ أن تُصَلِّيَها في كُلِّ يَوْمٍ فَافْعَلْ، فإنَّ لم تفعَلْ فَفِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةً، فإنْ لم تَفْعَلْ فَفِي كُلِّ شَهْرٍ مَرَّةً، فإنْ لم تَفْعَلْ فَفِي السَّنَةِ مَرَّةً»[1].

وَفِي رِوايَةٍ أُخْرَى أَنَّهُ يَقولُ في أَوَّلِ الصَّلاةِ: سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ وَتَبارَكَ اسْمُكَ وتَعالى جَدُّكَ ولا إلَهَ غَيْرُكَ، ثُمَّ يُسَبِّحُ خَمسَ عَشْرَةَ تَسْبيحَةً قَبْلَ الْقِراءَةِ وَعَشْرًا بَعْدَهَا، وَالْباقِي كما سَبَقَ عَشْرًا عَشْرًا، ولا يُسَبِّحُ بَعْدَ السَّجْدَةِ الْأَخِيرَةِ قاعِدًا وهو الْأَحْسَنُ، وَهُوَ اخْتِيارُ ابْنِ الْمُبارَكِ[2].

وَالْمَجْموعُ مِنَ الرِّوايَتَيْنِ ثَلاثُمِئَةِ تَسْبِيحَةٍ، فإنْ صَلَّاها نَهارًا فَتَسْليمَةٌ واحِدَةٌ، وإنْ صَلَّاها لَيْلًا فَتَسْليمَتانِ أَحْسَنُ، إذْ وَرَدَ أَنَّ صلاةَ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى؛ وإنْ زادَ بَعْدَ التَّسْبِيحِ قَوْلَهُ: ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا باللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ لَكانَ أَحْسَنَ، فَقَدْ وَرَدَ في ذلِكَ بَعْضُ الرِّواياتِ.

وَلا يُسْتَحَبُّ شَيْءٌ من هذِهِ النَّوافِلِ في الْأَوْقاتِ الْمَكْروهَةِ، إلَّا تَحِيَّةُ الْمَسْجِدِ دونَ غَيْرِها، وأَمَّا في مَذْهَبِنا فلا يَجوزُ إلَّا الْفَوائِتُ، وَسَجْدَةُ التِّلاوَةِ، وَصَلاةُ الْجَنازَةِ، وَرَكْعَتَا الطَّوافِ، والَّذِي أَفْسَدَهُ ثُمَّ أَعادَ، واللهُ أَعْلَمُ بالصَّوابِ[3].

---

(1) سنن أبي داود: 2/ 29، سنن ابن خزيمة: 2/ 223، المعجم الكبير للطبراني: 11/ 243، والنقل من الإحياء: 1/ 206-207.

(2) الإحياء: 1/ 207.

(3) المصدر نفسه: 1/ 207.

الأَصْلُ الْخامِسُ: في عِلْمِ أَسْرارِ الزَّكاةِ

وَأَمَّا كَيْفِيَّتُها وَأَنْواعُها فَمَسْطورٌ في كُتُبِ الْفُروعِ.

وفيهِ مَطالِبُ:

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ: في مُراعاةِ شُروطِهِ الظَّاهِرَةِ

وهي خَمْسَةٌ:

الْأَوَّلُ: النِّيَّةُ، وهي أَنْ يَنْوِيَ بِقَلْبِهِ زَكاةَ الْفَرْضِ، أَوْ نَوى التَّوْكيلَ بِأَداءِ الْفَرْضِ.

الثَّاني: الْبِدارُ عَقِيبَ الْحَوْلِ، وَيَجوزُ تَعْجِيلُهُ قَبْلَ الْحَوْلِ.

الثَّالِثُ: أنْ يُخْرِجَ الْمَنْصوصَ عليه، ولا يُبَدِّلَهُ بِقيمَتِهِ وهو الْأَحْوَطُ، وإنْ جازَ ذلِكَ في الْأَصَحِّ.

الرَّابِعُ: أنْ لا يُنْقَلَ إلى بَلَدٍ آخَرَ إلَّا إلى قَريبِهِ، أو إلى أَحْوَجَ من أَهْلِ بَلَدِهِ.

الْخامِسُ: أنْ لا يُخَصَّ بِصِنْفٍ واحِدٍ مِنَ الْأَصْنافِ الْأَرْبَعَةِ، ولا يَتَكَلَّفَ جَميعَ الْأَصْنافِ[1]. وَتَفاصِيلُ هذه الشُّروطِ خارِجٌ عن طَوْقِنا مع اسْتِيفائِها في الْكُتُبِ الْفِقْهِيَّةِ.

---

(1) الإحياء: 1/ 212-213.

الْمَطْلَبُ الثَّانِي: فِي بَيانِ الْآدابِ الْباطِنَةِ لِلزَّكاةِ

وهي ثَمانُ وَظائِفَ:

الْأُولَى: أنْ يَفْهَمَ أنَّ الْغَرَضَ منَ الزَّكاةِ الاِمْتِحانُ بِأنْ لا يَكونَ لها مَحْبوبٌ سِوَى الْواحِدِ الْحَقِّ؛ وَلَها مَراتِبُ[1]:

أَحَدُها: الَّذِينَ نَزَلوا عن جَمِيعِ أَمْوالِهِمْ كما فَعَلَهُ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عنه.

وَثانِيَتُها: الَّذِينَ يَدَّخِرونَ على قَدْرِ الْحاجَةِ، وَصَرْفِ الْفاضِلِ في وُجوهِ الْبِرِّ.

وَثالِثَتُها: الَّذِينَ يَقْتَصِرونَ على أَداءِ الْواجِبِ، وَهَذِهِ أَقَلُّ الرُّتَبِ؛ الثَّانِيَةُ: التَّطْهِيرُ مِنْ صِفَةِ الْبُخْلِ الَّتِي هي مِنَ الْمُهْلِكاتِ، الثَّالِثَةُ: شُكْرُ النِّعْمَةِ الْمالِيَّةِ.

الْوَظِيفَةُ الثَّانِيَةُ: التَّعْجِيلُ وَقْتَ الْأَداءِ، إِظْهارًا لِلرَّغْبَةِ في الاِمْتِثالِ، وَإِيصالِ الْمَسَرَّةِ إلى قُلوبِ الْفُقَراءِ، وَمُبادَرَةً لِعَوائِقِ الزَّمانِ أنْ يَعوقَ مِنَ الْخَيْراتِ، لِأَنَّ في التَّأْخِيرِ آفاتٍ.

الْوَظِيفَةُ الثَّالِثَةُ: الْإِسْرارُ، فَإِنَّ ذلك أَبْعَدُ مِنَ السُّمْعَةِ وَالرِّياءِ.

الْوَظِيفَةُ الرَّابِعَةُ: أنْ يَقْصِدَ اقْتِداءَ النَّاسِ به عِنْدَ الْإِظْهارِ، لِأَنَّ تَأْخِيرَ السَّائِلِ خِيفَةً مِنَ الرِّياءِ غَيْرُ صَحِيحٍ، بل يَنْبَغِي أَنْ يَتَصَدَّقَ، وَيَتَحَفَّظَ عن الرِّياءِ بِقَدْرِ الْإِمْكانِ، اللَّهُمَّ إلَّا أنْ يَتَأَذَّى الْفَقِيرُ بِهَتْكِ سِرِّهِ[2]، فَعِنْدَ ذلِكَ

---

(1) ورد في نسخة رئيس الكتاب: كذا في نسخة المؤلف، إلا أن هذا الموضع لا يخلو عن التشويش.

(2) ستره، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

يُسْتَحْسَنُ الْإِخْفاءُ[1].

الْوَظيفَةُ الخامِسَةُ: أَنْ لا يُفْسِدَ صَدَقَتَهُ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى، كما قالَ تَعالَى: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾[2]. قِيلَ: الْمَنُّ أَنْ يَذْكُرَها، وَالْأَذَى أَنْ يُظْهِرَهَا. وَقيلَ: الْمَنُّ أن يَسْتَخْدِمَهُ بِالْعَطاءِ، وَالْأَذَى أَنْ يُعَيِّرَهُ بِالْفَقْرِ. وَقيلَ: الْمَنُّ أَنْ يَتَكَبَّرَ عليه لِأَجْلِ عَطائِهِ، وَالْأَذَى أن يُوَبِّخَهُ وَيَنْتَهِرَهُ بِالْمَسْكَنَةِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَنَّ وَالْأَذَى يَنْشَآنِ مِنْ رُؤْيَةِ الْمُعْطِي نَفْسَهُ مُحْسِنًا، وَأَنَّهُ ظَنٌّ باطِلٌ، لِمَا عَرَفْتَ من أنَّ الْغَرَضَ منه إظْهارُ حُبِّ اللهِ، وَتَطْهِيرُ نَفْسِهِ عن رَذيلَةِ الْبُخْلِ، وَشُكْرًا لِنِعْمَةِ الْمالِ طَلَبًا لِلْمَزيدِ. فَظَهَرَ منه أَنَّهُ لا مُعامَلَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْفَقيرِ إلَّا فَضْلُ الْفَقيرِ عليه بِقَبولِ أَوْساخِ مالِهِ، وَتَسَبُّبِهِ لِأَداءِ فَرْضِهِ، وَتَحْصيلِهِ الثَّوابَ الْجَزيلَ.

وَمَنْ عَلِمَ فَضْلَ الْفَقْرِ على الْغِنَى، وَأَنَّ صُلَحاءَ الْأَغْنِياءِ يَدْخُلونَ الْجَنَّةَ بعد الْفُقَراءِ بِخَمْسِمِئَةِ عامٍ، وَأَنَّهُ مُسَخَّرٌ له يَكْتَسِبُ الْمالَ لِأَجْلِهِ، وهو يَنْتَفِعُ به بلا حِسابٍ ولا عَذابٍ في طَريقِ كَسْبِهِ، كيف يَطْلُبُ الْمُكافَأَةَ منه بِالشُّكْرِ وَالدُّعاءِ وَالْخِدْمَةِ وَالتَّوْقيرِ في الْمَجالِسِ، وهذا مَعْنَى الْمَنِّ؛ وَكَيْفَ يُعَيِّرُهُ، وَيُخَشِّنُ الْكَلامَ، وَيُقَطِّبُ الْوَجْهَ، وَيَهْتِكُ السِّرَّ بِالْإِظْهارِ وَفُنونِ الاِسْتِخْفافِ، وهذا مَعْنَى الْأَذَى. وهذا الْمَنُّ وَالْأَذَى؛ وإنْ كانا أَمْرَيْنِ باطِنِيَّيْنِ؛ إلَّا أَنَّ لهما عَلامَةً

---

(1) الإحياء: 1/ 213-216.

(2) سورة البقرة، الآية: 264.

ظاهِرَةً، وهو أنَّ الْفَقيرَ لو جُنِيَ عليه بَعْدَ التَّصَدُّقِ، وَيَفْرِضُ هذه الْجِنايَةَ قَبْلَهُ، ثُمَّ يَنْظُرُ هَلْ كانَ اسْتِنْكارُهُ على ما فَعَلَهُ بَعْدَ التَّصَدُّقِ زائِدًا على اسْتِنْكارِهِ على ما فَعَلَهُ قَبْلَ التَّصَدُّقِ، فإنْ كانَ زائِدًا ففي باطِنِهِ الْمَنُّ، ثُمَّ الْأَذى يُلازِمُهُ عادَةً، ولا أَقَلَّ مِنَ الْجَوازِ فيمَنْ جازَ منه الْمَنُّ.

وأمَّا عِلاجُ هاتَيْنِ الرَّذيلَتَيْنِ، إمَّا باطِنًا فَمُلاحَظَةُ الْأُمورِ الْمَذْكورَةِ؛ وإمَّا ظاهِرًا فَالتَّذَلُّلُ لِلْفَقيرِ، وَالْمِنَّةُ له بأنْ يَقْبَلَ صَدَقَتَهُ، حتَّى كانَ بَعْضُهُمْ يَضَعُ الصَّدَقَةَ بين يَدَيِ الْفَقيرِ وَيَمْثُلُ قائِمًا بين يَدَيْهِ، وَيَسْأَلُهُ قَبولَهَا؛ وكانَ بَعْضُهُمْ يَبْسُطُ يَدَهُ لِيَأْخُذَ الْفَقيرُ منه لِتَكونَ يَدُ الْفَقيرِ هي الْعُلْيا. وكانوا لا يَتَوَقَّعونَ منه الدُّعاءَ لأَنَّهُ شِبْهُ الْمُكافَأَةِ، وكانوا يُقابِلونَ الدُّعاءَ بِمِثْلِهِ، فَالْمَذْكورُ أَوَّلًا هو الْعِلْمُ، وَثانِيًا هو الْعَمَلُ، وَالْقَلْبُ يَنْصَبِغُ بِالْأَعْمالِ الْحَسَنَةِ، ولا يُعالَجُ الْقَلْبُ إلَّا بِمَعْجونِ الْعِلْمِ والْعَمَلِ[1].

الْوَظيفَةُ السَّادِسَةُ: أنْ يَسْتَصْغِرَ الْعَطِيَّةَ، وإلَّا داخَلَهُ الْعُجْبُ، وهو مِنَ الْمُهْلِكاتِ، وَيُحْبِطُ الْأَعْمالَ، وهو غَيْرُ الْمَنِّ وَالْأَذى. إذْ في بِناءِ الْمَساجِدِ والرُّبُطِ الْعُجْبُ دونَهُما. وَالدَّواءُ لِلاِسْتِعْظامِ [وَالْعُجْبِ][2]؛ أمَّا الْعِلْمُ، فأَنْ يَسْتَحْيِيَ مِنْ حَيْثُ إنَّهُ بَذَلَ من الْكَثيرِ بِالْقَليلِ، وَقَنِعَ بِأَخَسِّ دَرَجاتِ الْبَذْلِ؛ وَأيْضًا الْمالُ للهِ، وله الْمِنَّةُ إذا أَعْطاهُ إِيَّاهُ، وَوَفَّقَهُ لِبَذْلِهِ، وأيْضًا إنَّهُ يَرْجو في

---

(1) الإحياء: 1/ 216-218.

(2) زيادة من مراد ملا.

الْآخِرَةِ الثَّوابَ، وهو عَوَّضَهُ أَضْعافَ ما أَعْطاهُ، فَكَيْفَ يَسْتَعْظِمُ بما يَنْتَظِرُ ثَوابَهُ؟! وَأَمَّا الْعَمَلُ، فهو أَنْ يَسْتَحْيِيَ مِنْ أَنْ لم يُبْذَلْ كُلُّهُ للهِ ـ وهو الْأَحَبُّ عِنْدَهُ ـ وَالْمالُ كُلُّهُ للهِ، وهو اسْتَعْمَلَ الْبُخْلَ، وَتَرَكَ ما أَحَبَّهُ صاحِبُ الْمالِ.

الْوَظيفَةُ السَّابِعَةُ: أَنْ يَنْتَقِيَ مِنْ مالِهِ أَجْوَدَهُ، وَأَحَبَّهُ إليه، وَأَطْيَبَهُ وَأَحَلَّهُ، وَيَسْتَحْيِيَ مِنْ أَنْ يُؤْثِرَ نَفْسَهُ وَأَهْلَهُ وَعَبِيدَهُ على الله تَعالَى، وَالْمَالُ له تَعالَى، وَأَيْضًا أَنَّهُ يُبْقِي أَطْيَبَهُ لمن يَرِثُهُ مِنْ بَعْدِهِ، ولا يُقَدِّمُ ذلك لِنَفْسِهِ؛ ولَيْسَ له مِنْ مالِهِ إلَّا ما أَكَلَ فَأَفْناهُ، وما لَبِسَ فَأَبْلاهُ، وما تَصَدَّقَ فَأَبْقاهُ[1].

الْوَظيفَةُ الثَّامِنَةُ: أَنْ يَطْلُبَ لِصَدَقَتِهِ مَنْ تَزْكو به الصَّدَقَةُ مِنَ الْأَتْقِياءِ، وَهَؤُلاءِ سِتَّةُ أَصْنافٍ:

الْأَوَّلُ: الْأَتْقِياءُ الْمُتَجَرِّدونَ لِتِجارَةِ الْآخِرَةِ، وَالْمُعْرِضونَ عن الدُّنْيا، فَتكونَ شَريكًا لهم في طاعَتِهِمْ بِإِعانَتِكَ إِيَّاهُمْ.

الثَّاني: الْعُلَماءُ خاصَّةً، فإنَّ في ذَلِكَ إعانَةً لِلْعِلْمِ، وهو أَشْرَفُ الْعِباداتِ مهما صَحَّتْ فيه النِّيَّةُ.

الثَّالِثُ: أَنْ يَكونَ صادِقًا في تَقْواهُ وعِلْمِهِ بالتَّوْحِيدِ؛ مِنْ جُمْلَةِ تَوْحِيدِهِ: أَنْ يَحْمَدَ اللهَ تعالى عند أَخْذِهِ وَيَشْكُرَهُ، وَرَأَى النِّعْمَةَ منه، ولم يَنْظُرْ إلى واسِطَةٍ، لأَنَّهُ مَقْهورٌ مُسَخَّرٌ بِتَسْخيرِ اللهِ تعالى. ومَنْ لم يُصَفِّ باطِنَهُ عن رُؤْيَةِ

(1) الإحياء: 1/ 218.

الْوَسائِطِ ـ إلَّا مِنْ حَيْثُ إنَّهُمْ وَسائِطُ ـ فَكَأَنَّهُ لم يَنْفَكَّ عن الشِّرْكِ الْخَفِيِّ بِسِرِّهِ.

الرَّابعُ: مَنْ يَكونُ مُسْتَتِرًا وَمُخْفِيًا حاجَتَهُ، لا يُكْثِرُ الْبَثَّ وَالشَّكْوَى، أو يَكونُ من أَهْلِ الْمُروءَةِ، أو مِمَّنْ ذَهَبَتْ نِعْمَتُهُ، وَبَقِيَتْ عادَتُهُ، فهو يَتَعَيَّشُ في جِلْبابِ التَّجَمُّلِ؛ قالَ الله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾[1]. وَيَنْبَغِي أنْ يَفْحَصَ هَؤُلاءِ في كُلِّ مَحَلَّةٍ عن أَهْلِ الدِّينِ، فَثوابُ صَرْفِ الْمَعْروفِ إِلَيْهِمْ أَضْعافُ ما يَصْرِفُ إلى الْمُجاهِرينَ بِالسُّؤالِ.

الْخَامِسُ: أنْ يَكونَ مُعيلًا، أو مَحْبوسًا بِمَرَضٍ، أو بِسَبَبٍ مِنَ الْأَسْبابِ؛ قالَ اللهُ تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ﴾[2]. أيْ حُبِسُوا في طَريقِ الْآخِرَةِ؛ إمَّا لِعَيْلَةٍ، أو ضَيْقِ مَعِيشَةٍ، أو إِصْلاحِ قَلْبٍ، لا يَسْتَطِيعونَ ضَرْبًا في الْأَرْضِ، لِأَنَّهُمْ مَقْصوصُو الْجَناحِ، مُقَيَّدُو الْأَطْرافِ بهذه الْأَسْبابِ.

السَّادِسُ: أنْ يَكونَ مِنَ الْأَقارِبِ وَذَوي الْأَرْحامِ، فَيكونَ صَدَقَةً، وَصِلَةَ رَحِمٍ، وفي صِلَةِ الرَّحِمِ من الثَّوابِ ما لا يَخْفَى[3].

---

(1) سورة البقرة، الآية: 273.

(2) السورة نفسها، الآية: 273.

(3) الإحياء: 1/ 219-220.

الْمَطْلَبُ الثَّالِثُ: عِلْمُ آدابِ قابِضِ الصَّدَقَةِ

ولا يَسْتَحِقُّ الزَّكاةَ إلَّا حُرٌّ لا عَبْدٌ، وإلَّا مُسْلِمٌ لا كافِرٌ، ولا يُعْطَى إلى هاشِمِيٍّ، ولا مُطَّلِبِيٍّ، لأنَّ اللهَ تعالى صانَهُما عن أَوْساخِ النَّاسِ، وَأَبْدَلَ منهما خُمُسَ الْغَنائِمِ، فَالْمَصارِفُ ثَمانِيَةٌ: منهمُ الْفُقَراءُ، وهُمُ الَّذِينَ ليس لهم مالٌ ولا قُدْرَةٌ على الْكَسْبِ. ومنهمُ الْمَساكِينُ، وهم الَّذِينَ لا يَفِي دَخْلُهُمْ بِخَرْجِهِمْ. ومنهمُ الْعامِلونَ، وهم السَّاعونَ لِحِفْظِ أَمْوالِ الْمُسْلِمينَ؛ كَالْعَرِيفِ وَالْكاتِبِ والْمُسْتَوْفِي وَالْحافِظِ، ولا يَدْخُلُ فيهم السُّلْطانُ وَالقاضِي. وَمِنْهُمُ الْمُؤَلَّفَةِ قُلوبُهُمْ، وهم سَقَطُوا بِعِزَّةِ الْإِسْلامِ الْيَوْمَ. ومنهم الْمُكاتَبونَ. ومنهمُ الْغارِمونَ في طاعَةٍ أو مُباحٍ. ومنهمُ الْغُزاةُ الَّذينَ ليسَ لهم مَرْسومٌ في دِيوانِ الْمُرْتَزِقَةِ. ومنهمُ ابْنُ السَّبيلِ، وهمُ الْفُقَراءُ الَّذينَ لهم مالٌ في بِلادِهِمْ.

وأمّا وَظائِفُ الْقابِضِ خَمْسٌ:

الْأَوَّلُ: أنْ يَفْهَمَ أنَّ الْمالَ لِأَجْلِ الْمُعاوَنَةِ على عِبادَتِهِ تَعالَى؛ فَالْأَغْنِياءُ يَتْعَبونَ في كَسْبِهِ وَحِفْظِهِ، وَرَكِبوا مَتْنَ الْخَطَرِ، وَصارَ الْمالُ عليهم مِحْنَةً وَفِتْنَةً وَبَلِيَّةً. وَالْفُقَراءُ انْتَفَعوا بِالْمالِ ولم يُقاسُوا شَدائِدَها، وهذا مُنْتَهى النِّعْمَةِ؛ فَلْيَأْخُذوهُ رِزْقًا مِنَ اللهِ وَعَوْنًا على طاعَتِهِ، وَلْيَنْوِ التَّقْوِيَةَ(1) على

(1) تقوية، في رئيس الكتاب وعاطف أفندي. تقديمه، في قونية.

الطَّاعَةِ؛ ومَنْ صَرَفَهُ إلى الْمَعْصِيَةِ كانَ كافِرًا لِلنِّعْمَةِ، مُسْتَحِقًّا لِلْمَقْتِ، وَالْبُعْدِ مِنَ اللهِ تعالى.

الثَّانِي: أنْ يَشْكُرَ الْمُعْطِيَ، فَيَدْعُوَ له، وَيُثْنِيَ عليه، لَكِنْ لِكَوْنِهِ واسِطَةً لا مُنْعِمًا، وَمَعْرِفَتُهُ واسِطَةً لا يَمْنَعُ رُؤْيَةَ النِّعْمَةِ مِنْ اللهِ تعالى[1].

قالَ رَسولُ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللهَ تَعالَى»[2].

فَوَظِيفَةُ الْمُعْطِي الاِسْتِصْغارُ، وَوَظِيفَةُ الْقابِضِ الاِسْتِعْظامُ، وعلى كُلٍّ مِنْهُما الْقِيامُ بِحَقِّهِ.

الثَّالِثُ: أنْ يَنْظُرَ فيما يَأْخُذُهُ، فإنْ لم يَكُنْ مِنْ حِلِّهِ تَوَرَّعَ عنه؛ كَأَمْوالِ الْأَتْراكِ وَالْجُنودِ وَعُمَّالِ السُّلْطانِ[3]، إلَّا إذا ضاقَ عليه الْأَمْرُ، وكانَ ما يُسَلَّمُ إليه لا يَعْرِفُ له مالِكًا مُعَيَّنًا، فله أَنْ يَأْخُذَ بِقَدْرِ الْحاجَةِ.

الرَّابِعُ: أنْ يَتَوَقَّى مَواقِعَ[4] الرِّيبَةِ والاِشْتِباهِ فيما يُقَدِّرُ ما يَأْخُذُهُ، فلا يَأْخُذُ إلَّا الْقَدْرَ الْمُباحَ؛ مَثَلًا يَأْخُذُ بِقَدْرِ دَيْنِهِ إنْ كانَ مَدْيونًا، وإنْ كانَ مُسافِرًا بِقَدْرِ الزَّادِ وَكِراءِ الدَّابَّةِ إلى مَقْصِدِهِ، وإنْ كانَ في مَنْزِلِهِ أَثاثٌ يَسْتَغْنِي عنه، أو عن

---

(1) الإحياء: 1/ 221-222.

(2) مصنف عبد الرزاق: 10/ 45، مسند أحمد: 12/ 472، رقم: 7504، التاريخ الكبير للبخاري: 9/ 51، الأدب المفرد: 85، سنن الترمذي: 3/ 505.

(3) السلاطين، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(4) في مواقع، في رئيس الكتاب.

نَفاسَتِهِ وَجَوْدَتِهِ، فَلْيَحْتَرِزْ عن قبولِهِ فإنَّ الْوَرَعَ في ذَلِكَ. وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُجَوِّزْ أَخْذَ ما زادَ على قُوتِ يَوْمِهِ، وهذهِ مُبالَغَةٌ. وَمِنْهُمْ مَنْ لم يُجَوِّزْ أَخْذَ ما زادَ على شَهْرٍ، وهو أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى، ومنهم مَنْ لم يُجَوِّزْ ما زادَ على قوتِ سَنَةٍ، وهذا أَقْصَى ما يُرَخَّصُ فيه مُسْتَدِلًّا بأنَّ رَسولَ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ ادَّخَرَ لِعِيالِهِ قُوتَ سَنَةٍ، وذلكَ لِأَنَّ السَّنَةَ إذا تَكَرَّرَتْ تَكَرَّرَتْ أَسْبابُ الدَّخْلِ، وَالْأَقْرَبُ إلى الاِعْتِدالِ الْكِفايَةُ إلى السَّنَةِ، وما زادَ على ذَلِكَ فَفِيهِ خَطَرٌ فيما دونَهُ تَضْيِيقٌ[1].

الْخامِسُ: أَنْ يَسْأَلَ صاحِبَ الْمالِ عن قَدْرِ الْواجِبِ عليه، فإنْ كانَ ما يُعْطِيهِ فَوْقَ الثُّمُنِ فلا يَأْخُذُهُ منه، لِأَنَّهُ لا يَسْتَحِقُّ مع شُرَكائِهِ إلَّا الثُّمُنَ، وانْتَقَصَ مِنَ الثُّمُنِ بِمِقْدارِ[2] ما يُصْرَفُ إلى اثْنَيْنِ من صِنْفِهِ، وهذا السُّؤالُ واجِبٌ، والنَّاسُ فيه مُتَساهِلونَ، إلَّا إذا غَلَبَ على ظَنِّهِ عَدَمُ النَّقْصِ عن قَدْرِ الْواجِبِ[3].

---

(1) الإحياء: 1/ 223-224.

(2) بقدر، في الأزهرية.

(3) الإحياء: 1/ 225.

الْمَطْلَبُ الرَّابِعُ: في صَدَقَةِ التَّطَوُّعِ وَفَضْلِها وَآدابِ أَخْذِها وَإِعْطائِها

وَلا حاجَةَ إلى ذِكْرِ فَضائِلِها لِشُهْرَتِهَا وَكَثْرَةِ الْآياتِ والْأَخْبارِ في ذلك.

أَمَّا إِخْفاءُ الصَّدَقَةِ ففيها مَعانٍ:

الْأَوَّلُ: أَنَّهُ أَبْقَى لِلسِّتْرِ على الْآخِذِ، وَأَصْوَنُ لِسِتْرِ مُروءَتِهِ، وَصاروا مِمَّنْ يَحْسِبُهُمُ الْجاهِلُ أَغْنياءَ من التَّعَفُّفِ.

الثَّانِي: أَنَّهُ أَسْلَمُ لِقُلوبِ النَّاسِ وَأَلْسِنَتِهِمْ، فَإِنَّهُمْ رُبَّما يَحْسُدونَ، أو يُنْكِرونَ عليه أَخْذَهُ، وَيَظُنُّونَ أَنَّهُ مُسْتَغْنٍ عنه، وَأَنَّهُ آخِذٌ على زِيادَةِ قَدْرِ الْحاجَةِ، فَفِي الْإِخْفاءِ صِيانَتُهُمْ عن هذه الْجَرائِمِ.

الثَّالِثُ: إعانَةُ الْمُعْطِي على إِسْرارِ الْعَمَلِ؛ لِأَنَّ في السِّرِّ فَضْلًا على الْجَهْرِ، وَالْإِعانَةُ على إِتْمامِ الْمَعْروفِ مَعْروفٌ.

الرَّابِعُ: أنَّ في إظْهارِ الْأَخْذِ ذُلًّا وَامْتِهانًا، وليس لِلْمُؤْمِنِ أنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ.

الْخامِسُ: الِاحْتِرازُ عن شُبْهَةِ الشَّرِكَةِ، قال صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «مَنْ أُهْدِيَ إليه هَدِيَّةٌ وعِنْدَهُ قَوْمٌ فَهُمْ شُرَكاؤُهُ فيها»[1].

وَأَمَّا **الْإِظْهارُ وَالتَّحَدُّثُ** فَفيهِ أَرْبَعَةُ مَعانٍ:

(1) المجروحين لابن حبان: 3/ 25، المعجم الكبير: 11/ 104، المعجم الأوسط: 3/ 53، قوت القلوب: 2/ 339، حلية الأولياء: 3/ 351، الإحياء: 1/ 227.

الْأَوَّلُ: الْإِخْلاصُ والصِّدْقُ والسَّلامَةُ عن[1] تَلْبِيسِ الْحالِ وَالْمُراءاةِ.

الثَّاني: إِسْقاطُ الْجاهِ والْمَنْزِلَةِ، وَإِظْهارُ الْعُبودِيَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ، وَالتَّبَرُّؤُ مِنَ الْكِبْرِياءِ، وَدَعْوَى الاِسْتِغْناءِ، وَإِسْقاطُ النَّفْسِ مِنْ أَعْيُنِ الْخَلْقِ[2].

الثَّالِثُ: أَنَّ الْعارِفَ لا نَظَرَ له إِلَّا إلى الله تَعالى، فلا حاجَةَ إلى الْإِخْفاءِ، وَالسِّرُّ وَالْعَلانِيَةُ عِنْدَهُ سَواءٌ، وإِلَّا لَنَقَصَ في تَوْحيدِهِ.

الرَّابِعُ: أَنَّ الْإِظْهارَ إِقامَةٌ لِسُنَّةِ الشُّكْرِ.

إذا عَرَفْتَ هذا الاِخْتِلافَ، **فَاعْلَمْ** أَنَّ الْحَقَّ أن لا يُجْزَمَ بِفَضيلَةِ الْإِخْفاءِ أو الْإِظْهارِ مُطْلَقًا، بل يَخْتَلِفُ الْحُكْمُ بِحَسَبِ اخْتِلافِ الْأَحْوالِ، وَأَيْسَرُها الْأَخْذُ في الْمَلَإِ، والرَّدُّ في السِّرِّ، إِلَّا أَنْ يَسْتَوِيَ عنده السِّرُّ والْعَلانِيَةُ، وهذا هو الْكِبْريتُ الْأَحْمَرُ[3].

---

(1) من، في قونية.

(2) الإحياء: 1/ 225-227.

(3) المصدر نفسه: 1/ 228-229.

الْمَطْلَبُ الْخامِسُ [بَيانُ من يَأْخُذُ الصَّدَقَةَ أو الزَّكاةَ][1]

كانَ إبْراهيمُ الْخَوَّاصُ والْجُنَيْدُ وجَماعَةٌ يَرَوْنَ الْأَخْذَ مِنَ الصَّدَقَةِ أَفْضَلَ، فَإِنَّ في أَخْذِ الزَّكاةِ مُزاحَمَةَ الْمَساكِينِ، وَرُبَّمَا لا يوجَدُ فيه سَبَبُ الاِسْتِحْقاقِ كما في الْكِتابِ.

وَأَمَّا الْآخَرونَ فَقالوا: يَأْخُذُ الزَّكاةَ لِكَوْنِهِ إعانَةً على الْواجِبِ، وَلَوْ تَرَكَ الْمَساكِينُ أَخْذَ الزَّكاةِ لَأَثِمُوا، وَلِأَنَّهُ لا مِنَّةَ فيها، وإِنَّما هِيَ حَقُّ اللهِ تعالى رِزْقًا لِعِبادِهِ الصَّالِحينَ، وَلِأَنَّهُ أَخْذٌ بِالْحاجَةِ، وَالْحاجَةُ مَعْلومَةٌ، وَأَخْذُ الصَّدَقَةِ أَخْذٌ بِالدِّينِ، فإِنَّ الْغالِبَ إِعْطاءُ الصَّدَقَةِ لِأَهْلِ الدِّيانَةِ، ولأَنَّ مُوافَقَةَ الْمَساكينِ أَدْخَلُ في التَّواضُعِ، وَالصَّدَقَةُ قد تُعْطَى في مَعْرِضِ الْهَدِيَّةِ ولا تَتَمَيَّزُ عنها.

وَالْقَوْلُ الْحَقُّ في هذا، أَنَّهُ مُخْتَلِفٌ بِأَحْوالِ الشَّخْصِ والنِّيَّةِ، فإِنْ كانَ شُبْهَةً في اتِّصافِهِ بِصِفَةِ الاِسْتِحْقاقِ فَلْيَتْرُكِ الزَّكاةَ، وإِنْ كانَ مُسْتَحِقًّا، وكانَ له ضَرورَةٌ يَجوزُ أَخْذُها، فإذا خُيِّرَ بين الزَّكاةِ وَالصَّدَقَةِ، فإِنْ كانَ صاحِبُ الصَّدَقَةِ يَتْرُكُها ـ لو لم يَأْخُذْ هو ـ فَلْيَأْخُذِ[2] الصَّدَقَةَ فَفيهِ تَكْثيرٌ لِلْخَيْرِ، وَتَوْسيعٌ على الْمَساكِينِ، إذِ الزَّكاةُ تَحْصُلُ لهم خاصَّةً، وإِنْ كانَ الْمالُ مُعَرَّضًا لِلصَّدَقَةِ، ولم يَكُنْ في أَخْذِ الزَّكاةِ تَضْييقٌ على الْمَساكينِ، فهو مُخَيَّرٌ. وَأَخْذُ الزَّكاةِ على كُلِّ حالٍ أَشَدُّ في كَسْرِ النَّفْسِ وإِذْلالِها في أَغْلَبِ أَحْوالِها[3].

---

(1) زيادة من أنطاليا.

(2) يأخذ، في قونية ورئيس الكتاب.

(3) الإحياء: 1/ 230.

الْأَصْلُ السَّادِسُ: في عِلْمِ أَسْرارِ الصَّوْمِ

وفيه مَطالِبُ:

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ: في الْواجِباتِ الظَّاهِرَةِ

وهي خَمْسَةٌ:

الْأَوَّلُ: مُراقَبَةُ أَوَّلِ شَهْرِ رَمَضانَ بِرُؤْيَةِ الْهِلالِ أو بِتكْمِيلِ شَعْبانَ.

الثَّانِي: النِّيَّةُ، والْأَفْضَلُ أن يَنْوِيَ كُلَّ لَيْلَةٍ.

الثَّالِثُ: الْإِمْساكُ عن الْمُفْطِراتِ الثَّلاثِ عَمْدًا ذِكْرًا[1] لِصَوْمِهِ.

الرَّابِعُ: الْإِمْساكُ عن الِاسْتِمْناءِ.

الْخامِسُ: الْإِمْساكُ عن إِخْراجِ الْقَيْءِ بِالِاسْتِقاءِ[2].

الْمَطْلَبُ الثَّانِي: في لَوازِمِ الْإِفْطارِ

وهي أَرْبَعَةٌ: الْقَضاءُ، وَالْكَفَّارَةُ، وَالْفِدْيَةُ، وَالْإِمْساكُ بَقِيَّةَ النَّهارِ تَشَبُّهًا بِالصَّائِمِ[3]. وَتَفاصِيلُ هذه في عِلْمِ الْفِقْهِ.

---

(1) ذاكرا، في أنطاليا وعاطف أفندي.

(2) الإحياء: 1/ 232-233.

(3) المصدر نفسه: 1/ 233.

الْمَطْلَبُ الثَّالِثُ: في السُّنَنِ

وهي سِتَّةٌ:

تَأْخيرُ السَّحورِ.

وَتَعْجِيلُ الْإِفْطارِ على التَّمْرِ أو الْماءِ قَبْلَ الصَّلاةِ.

وَتَرْكُ السِّواكِ بعد الزَّوالِ.

وَالْجودُ في شَهْرِ رَمَضانَ.

ومُدارَسَةُ الْقُرْآنِ.

والاِعْتِكافُ في الْمَسْجِدِ، لا سِيَّمَا في الْعَشْرِ الْأَخيرِ، فهي عادَةُ رَسولِ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «كانَ إذا دَخَلَ الْعَشْرُ الْأَواخِرُ، طَوَى الْفِراشَ، وَشَدَّ الْمِئْزَرَ، وَدَأَبَ ودَأَبَ معه أَهْلُهُ»[1]؛ أيْ أَدامُوا النَّصبَ في الْعِبادَةَ، إذْ فيها لَيْلَةُ الْقَدْرِ؛ وَالْأَغْلَبُ أَنَّهُ في أَوْتارِها، وَأَشْبَهُ الْأَوْتارِ إحْدَى وَثلاثٌ وَسَبْعٌ[2]، والتَّتابُعُ في هذا الاِعْتِكافِ أَوْلَى[3].

---

(1) صحيح البخاري: 3/ 47، رقم: 2024.

(2) أي إحدى وعشرين وثلاثة وعشرين وسبعة وعشرين.

(3) الإحياء: 1/ 233-234.

الْمَطْلَبُ الرَّابِعُ: في أَسْرارِ الصَّوْمِ وَشُروطِهِ الْباطِنَةِ

اِعْلَمْ أَنَّ الصَّوْمَ إمَّا صَوْمُ الْعُمومِ، وهو كَفُّ الْفَرْجِ وَالْبَطْنِ عن قَضاءِ الشَّهْوَةِ؛ وَصَوْمُ الْخُصوصِ، وهو كَفُّ الْجَوارِحِ عن الْآثامِ؛ وَصَوْمُ خُصوصِ الْخُصوصِ، وهو كَفُّ الْقَلْبِ عمَّا سِوَى اللهِ تعالى إلَّا دُنْيا تُرادُ لِلدِّينِ.

أَمَّا صَوْمُ الْعُمومِ، فقد عَرَفْتَ شَرائِطَهُ في عِلْمِ الْفِقْهِ.

وَأَمَّا صَوْمُ الْخُصوصِ، وهو صَوْمُ الصَّالِحينَ لا يَتِمُّ إلَّا بِسِتَّةِ أُمورٍ:

الْأَوَّلُ: غَضُّ الْبَصَرِ عن الْمَحارِمِ وَالْمَكارِهِ، وما يُلْهِي عن ذِكْرِ اللهِ.

الثَّانِي: حِفْظُ اللِّسانِ عن الْهَذَيانِ والْكَذِبِ والْغِيبَةِ والنَّميمَةِ والْفُحْشِ وَالْجَفاءِ وَالْخُصومَةِ والْمِراءِ، وإِلْزامُهُ السُّكوتَ، أو شُغْلُهُ بِذِكْرِ الله تعالى وَتِلاوَةِ الْقُرْآنِ، فهذا صَوْمُ اللِّسانِ.

الثَّالِثُ: كَفُّ السَّمْعِ عن الْإِصْغاءِ إلى كُلِّ مَكْروهٍ، لِأَنَّ كُلَّ ما حَرَّمَ الله قَوْلَهُ حَرَّمَ الْإِصْغاءَ إليهِ.

الرَّابِعُ: كَفُّ بَقِيَّةِ الْجَوارِحِ عن الْمَكارِهِ، وَكَفُّ الْبَطْنِ عَنِ الشُّبُهاتِ، وَلَا مَعْنَى لِلصَّوْمِ الَّذِي هو الْإِمْساكُ عن الطَّعامِ الْحَلالِ، ثُمَّ الْإِفْطارُ على الْحَرامِ[1].

---

(1) الإحياء: 1/ 234-235.

الْخامِسُ: أنْ لا يَسْتَكْثِرَ مِنَ الْحَلالِ وَقْتَ الْإِفْطارِ بِحَيْثُ يَمْتَلِئُ، فما مِنْ وِعاءٍ أَبْغَضَ إلى اللهِ تعالى مِنْ بَطْنٍ مُلِئَ مِنْ حَلالٍ[1]، فكيفَ يُسْتَفادُ من الصَّوْمِ قَهْرُ عَدُوِّ اللهِ وَكَسْرُ الشَّهْوَةِ، إذا تَدارَكَ الصَّائِمُ عِنْدَ إِفْطارِهِ ما فاتَهُ ضَحْوَةَ نَهارِهِ؛ وَرُبَّمَا يَزِيدُ من أَنْواعِ الطَّعامِ، حَتَّى اسْتَمَرَّتِ الْعاداتُ بِأَنْ يَدَّخِرُوا لِرَمضانَ جَمِيعَ الْأَقْواتِ، ما لا يُؤْكَلُ مِثْلُهُ في سائِرِ الْأَوْقاتِ.

وَاعْلَمْ أنَّ مَقْصودَ الصَّوْمِ كَسْرُ الشَّهْوَةِ بِالْخَوَى، لِيَتَقَوَّى بذلك على التَّقْوَى، فإذا هاجَتْ شَهْوَةُ النَّفْسِ بِالْجُوعِ طُولَ النَّهارِ، ثُمَّ أُطْعِمَتْ مِنَ اللَّذاتِ وأُشْبِعَتْ، زادَتْ لَذَّتُها وتَضاعَفَتْ قُوَّتُها، وَانْبَعَثَ مِنَ الشَّهَواتِ ما عَساها كانَتْ راكِدَةً لو تُرِكَتْ على عادَتِها، فَرُوحُ الصَّوْمِ وسِرُّهُ تَضْعِيفُ الْقُوَى الَّتِي هي وَسائِلُ الشَّيْطانِ، وذلك لا يَحْصُلُ إلَّا بأنْ يَأْكُلَ أَكْلَتَهُ [الَّتِي كانَ يَأْكُلُها][2] في كُلِّ لَيْلَةٍ في غَيْرِ رَمَضانَ، بل مِنَ الْأَدَبِ أنْ لا يَنامَ في النَّهارِ كَثِيرًا، حَتَّى يُحِسَّ بِجوعِهِ وَعَطَشِهِ، فَيَصْفُوَ عند ذلِكَ قَلْبُهُ، وَيَخِفَّ على أَوْرادِهِ وَتَهَجُّدِهِ، فَعَسى الشَّيْطانُ لا يَحومُ على قَلْبِهِ، فَيَنْظُرَ إلى مَلَكوتِ السَّماءِ، بل الْمُرادُ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ هي اللَّيْلَةُ الَّتِي يَنْكَشِفُ فيها عن شَيْءٍ من الْمَلَكوتِ، وَمَنْ جَعَلَ بين قَلْبِهِ وَصَدْرِهِ مِخْلاةً من الطَّعامِ فهو من مَلَكوتِ السَّماءِ مَحْجوبٌ، وَمَنْ أَخْلى مَعِدَتَهُ فلا يَكْفِيهِ ذلك

(1) ينظر نص الحديث في: المستدرك للحاكم: 4/ 367.

(2) زيادة من أنطاليا.

لِرَفْعِ الْحِجابِ ما لم يُخْلِ هِمَّتَهُ عن غَيْرِ الله، وذلك هو الْأَمْرُ كُلُّهُ، وَمَبْدَأُ الْكُلِّ تَقْليلُ الطَّعامِ.

السَّادِسُ: أن يَكونَ قَلْبُهُ بعد الْإِفْطارِ مُعَلَّقًا مُضْطَرِبًا بين الْخَوْفِ والرَّجاءِ، إذ لَيْسَ يَدْري هل يُقْبَلُ صَوْمُهُ، فهو من الْمُقَرَّبينَ، أو يُرَدُّ، فهو مِنَ الْمَمْقوتينَ[1].

فإنْ قُلْتَ: الصَّوْمُ هو تَرْكُ الْمُفْطِراتِ الثَّلاثِ كما ذَكَرَهُ الْفُقَهاءُ، فمن أَيْنَ أَخَذْتَ هذه الشُّروطَ؟ قُلْتُ: الْفُقَهاءُ يَبْحَثونَ عن الْأَفْعالِ الظَّاهِرَةِ لِلْمُكَلَّفينَ، وأمَّا الْأَفْعالُ الْباطِنَةُ فَخارِجَةٌ عن نَظَرِهِمْ. ولو سُئِلَ فَقيهٌ عن حُرْمَةِ الْغِيبَةِ مَثَلًا، يَحْكُمُ بِحُرْمَتِهِ، بل هو أَشَدُّ من الْإِفْطارِ في نَهارِ رَمَضانَ عَمْدًا، ومع ذلك يَقولُ: إنَّ الْغِيبَةَ غَيْرُ مُفْطِرَةٍ، وذلك لِخُروجِها عن نَظَرِهِ، لا لأنَّها غَيْرُ مُفْطِرَةٍ حَقيقَةً، ولو كانَ مُجَرَّدُ الإِمْساكِ عن الْمُفْطِراتِ الظَّاهِرَةِ كافِيًا، فأيُّ مَعْنًى لِقَوْلِهِ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «كَمْ مِنْ صائِمٍ ليس له من صِيامِهِ إلَّا الْجوعُ والْعَطَشُ»[2].

وَاعْلَمْ أنَّ لِكُلِّ عِبادَةٍ ظاهِرًا وباطِنًا، وَقِشْرًا وَلُبًّا، وَلِقُشورِهِ دَرَجاتٌ، وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ طَبَقاتٌ، فإلَيْكَ الْخِيَرَةُ الْآنَ في أَنْ تَقْنَعَ بِالْقِشْرِ عن اللُّبابِ، أو تَتَحَيَّزَ إلى غِمارِ أَرْبابِ الْأَلْبابِ[3].

---

(1) الإحياء: 1/ 235-236.

(2) مسند أحمد: 1/ / 428، مسند الدارمي: 3/ 1788، مسند ابن ماجه: 2/ 591.

(3) الإحياء: 1/ 236-237.

الْمَطْلَبُ الخامِسُ: في التَّطَوُّعِ بِالصِّيامِ

وَذلِكَ يَتَجَدَّدُ إمَّا في كُلِّ سَنَةٍ، أو في كُلِّ شَهْرٍ، أو في كُلِّ جُمُعَةٍ.

أمَّا السُّنَّةُ بعد أَيَّامِ رَمَضانَ: فَيَوْمُ عَرَفَةَ، وَيَوْمُ عاشوراءَ، وَعَشْرُ ذي الْحِجَّةِ، وَعَشْرُ الْمُحَرَّمِ. ولا يَجوزُ اسْتِقْبالُ رَمَضانَ بِيَوْمٍ أو يَوْمَيْنِ إلَّا أن يُوافِقَ وِرْدًا، وَيَجوزُ وَصْلُ شَعْبانَ كُلِّهِ بِرَمَضانَ.

وَالْأَشْهُرُ الْفاضِلَةُ: ذو الْحِجَّةِ والْمُحَرَّمُ وَرَجَبٌ وَشَعْبانُ؛ وَالْأَشْهُرُ الْحُرُمُ: ذو الْقَعْدَةِ وذو الْحِجَّةِ وَمُحَرَّمٌ وَرَجَبٌ، ثَلاثَةٌ سَرْدٌ، وواحِدُها فَرْدٌ، وَأَفْضَلُها ذو الْحِجَّةِ، لأنَّ فيه الْحَجَّ والْأَيَّامَ الْمَعْلوماتِ، وَالْأَيَّامَ الْمَعْدوداتِ؛ وذو الْقَعْدَةِ من الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ وَأَشْهُرِ الْحَجِّ؛ وَشَوَّالٌ من أَشْهُرِ الْحَجِّ ليس من الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ، والْمُحَرَّمُ وَرَجَبٌ لَيْسا مِنَ أَشْهُرِ الْحَجِّ.

وأمَّا ما يَتَكَرَّرُ في الشَّهْرِ: فَأَوَّلُهُ وَأَوْسَطُهُ وَآخِرُهُ، وَالْأَيَّامُ الْبِيضُ، وهي الثَّالِثَ عَشَرَ والرَّابِعَ عَشَرَ وَالْخامِسَ عَشَرَ.

وأمَّا في الْأُسْبوعِ: فَالإِثْنَيْنِ والْخَميسُ والْجُمُعَةُ.

وأمَّا صَوْمُ الدَّهْرِ: فإنَّهُ شامِلٌ لِلْكُلِّ وَزِيادَةٍ، فَمَنْ كَرِهَهُ نَظَرَ إلى الْأَخْبارِ الْوارِدَةِ في كَراهَتِهِ وَسَبَبِ كَراهَتِهِ.

وأمَّا صَوْمُ الْعِيدَيْنِ وَأَيَّامِ التَّشْرِيقِ، وَالصَّوْمُ فيها حَرامٌ، أو لِتَرْكِهِ الْعَمَلَ بالرُّخْصَةِ الَّتِي فَعَلَها النَّبِيُّ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ؛ إلَّا أنَّ الصَّحيحَ أَنَّ مَنْ رَأى

صَلاحَ نَفْسِهِ فيه فَلْيَفْعَلْ، سِوَى الْأَيَّامِ الْمَنْهِيَّةِ، كما فَعَلَهُ جَماعَةٌ مِنَ الصَّحابَةِ والتَّابِعِينَ رَضِيَ الله عنهم أَجْمَعينَ[1].

وَالْأَفْضَلُ صِيامُ داودَ، وهو: أَنْ يَصومَ يَوْمًا فَيَصْبِرَ، وَيُفْطِرَ يَوْمًا فَيَشْكُرَ؛ وذلِكَ أَشَدُّ على النَّفْسِ وَأَقْوَى في قَهْرِها، وقَدْ وَرَدَ في فَضْلِ ذلك أَخْبارٌ. والْأَفْضَلُ أنْ يُراعِيَ السَّالِكُ أَحْوالَ قَلْبِهِ، وَيُفْطِرَ في وَقْتِ الْحاجَةِ إلى الإِفْطارِ، وَيَصومَ عند الْحَاجَةِ إلى الصَّوْمِ، إذِ الْغَرَضُ مِنَ الْكُلِّ إصْلاحُ الْقَلْبِ لا غَيْرُ[2].

---

(1) الإحياء: 1/ 237-238.

(2) المصدر نفسه: 1/ 238.

الْأَصْلُ السَّابِعُ: في عِلْمِ أَسْرارِ الْحَجِّ

وفيه مَطالِبُ:

الْمَطْلَبُ الأَوَّلُ: في فَضِيلَتِهِ[1] وَفَضيلَةِ الْبَيْتِ وَمَكَّةَ

وهذه الْفَضائِلُ مَذْكورَةٌ في كُتُبِ الْأَحادِيثِ وَالْآثارِ والْأَخْبارِ، فلا نُطَوِّلُ الْكِتابَ بِذِكْرِها.

الْمَطْلَبُ الثَّانِي: في فَضْلِ الْإِقامَةِ بِمَكَّةَ وَكَراهِيَتِهَا

أَمَّا فَضيلَتُها فَأَشْهَرُ مِنْ أَنْ تُذْكَرَ.

وأَمَّا كَراهِيَتُها فَلِما كَرِهَ الْمُحْتاطونَ الْمُقامَ بها لِمَعانٍ:

أَحَدُها: خَوْفُ التَّبَرُّمِ مِنْ جِهَةِ الْغُرْبَةِ، أو حَرِّهَا، أو مَعاشِها، أو الْأُنْسِ بها حتَّى تَسْقُطَ مَهابَةُ الْبَيْتِ مِنْ عَيْنِهِ. ولهذا كانَ عُمَرُ رضِيَ الله عنه يَصْرِفُ الْحُجَّاجَ إذا حَجُّوا، وَيَقولُ: يا أَهْلَ الْيَمَنِ يَمَنكُمْ، ويا أَهْلَ الشَّامِ شامَكُمُ[2].

وثانيها: تَهْييجُ الشَّوْقِ إلى بَلَدِهِ حتَّى تَنْبَعِثَ داعِيَةُ الْعَوْدِ وَالْمُفارَقَةِ.

وثالِثُها: الْخَوْفُ من رُكوبِ الْخَطايا وَالذُّنوبِ بها، فإنَّ ذلك مَحْظورٌ، وَبِالْحَرِيِّ أن يورِثَ مَقْتَ الله لِشَرَفِ الْمَوْضِعِ.

---

(1) فضيلته، في الأزهرية.

(2) قوت القلوب: 2/ 203، الإحياء: 1/ 243.

وعن ابْنِ عَبَّاسٍ: لَأَنْ أُذْنِبَ سَبْعينَ ذَنْبًا بِرُكْبَةَ[1] أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أنْ أُذْنِبَ ذَنْبًا واحِدًا بِمَكَّةَ؛ وَرُكْبَةُ مَنْزِلٌ بين مَكَّةَ والطَّائِفِ.

ولا تَظُنَّنَّ أنَّ كَراهِيَةَ الإِقامَةِ تُنافِي شَرَفَ الْمَوْضِعِ، بل ذلك لِعَجْزِ النَّاسِ عن الْقِيامِ بِحَقِّهِ؛ وَكَيْفَ لا وَأَنَّها أَحَبُّ بِلادِ اللهِ إلى رَسولِ اللهُ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ[2]، وأنَّ «النَّظَرَ إلى الْبَيْتِ عِبادَةٌ»[3]، وأنَّ الْحَسَناتِ تُضاعَفُ فيها[4].

(1) رُكْبة: بضم أوّله، وسكون ثانيه، وباء موحدة بين مكّة والطائف. معجم البلدان: 3/ 63.

(2) مسند أبي يعلى: 5/ 69، أخبار مكة للأزرقي: 2/ 155، التمهيد لابن عبر البر: 4/ 34.

(3) مصنف عبد الرزاق: 5/ 135، مصنف ابن أبي شيبة: 3/ 343، الزهد لأحمد بن حنبل: 293، أخبار مكة للأزرقي: 2/ 9، فضائل مكة للجندي: 116، شعب الإيمان للبيهقي: 5/ 488.

(4) الإحياء: 1/ 243.

الْمَطْلَبُ الثَّالِثُ: في فَضِيلَةِ الإِقامَةِ بِالْمَدِينَةِ

وَهَذِهِ أَيْضًا أَشْهَرُ مِنْ أَنْ تُذْكَرَ، وما مَرَّ في الْإِقامَةِ بِمَكَّةَ جارٍ هاهُنَا أَيْضًا.

وبِالْجُمْلَةِ، الْغَرَضُ الْأَعْظَمُ لِلسَّالِكِ، إِصْلاحُ دينِهِ وَقَلْبِهِ، وإذا صَلُحَ حالُهُ في بَلَدٍ فَيَلْزَمُ الْإِقامَةُ بها، ولا يُسافِرُ إلَّا لِعِلْمٍ أو إِصْلاحِ حالٍ، ولا يَتْرُكُ وَطَنَهُ أيْضًا إلَّا لِمَا ذُكِرَ، وَلْيَخْتَرْ من الْبِلادِ ما هو أَقْرَبُ لِلْخُمولِ، وَأَسْلَمُ لِلدِّينِ، وَأَفْرَغُ لِلْقَلْبِ، وَأَيْسَرُ لِلْعِبادَةِ وَالْمَعاشِ.

وفي الْخَبَرِ: «مَنْ رُزِقَ من شَيْءٍ فَلْيَلْزَمْهُ»[1].

وَفيهِ أَيْضًا: «الْبِلادُ بِلادُ اللهِ، وَالْخَلْقُ عِبادُ اللهِ، فأيُّ مَوْضِعٍ رَأَيْتَ فيه رِفْقًا فَأَقِمْ واحْمَدِ اللهَ تَعالى»[2].

وعن سُفْيانَ الثَّوْرِيِّ أَنَّهُ قالَ: لا أَدْرِي أيَّ الْبِلادِ أَسْكُنُ؛ قيلَ له: خُراسانُ، قالَ: مَذاهِبُ مُخْتَلِفَةٌ، وَآراءٌ فاسِدَةٌ؛ فَقيلَ له: الشَّامُ، قالَ: يُشارُ إليك بِالْأَصابِعِ؛ أَرادَ الشُّهْرَةَ؛ فقيلَ له: فَالْعِراقُ، قالَ: بَلَدُ الْجَبابِرَةِ؛ قيلَ له: فَمَكَّةُ، قال: يُذِيبُ الْكِيسَ وَالْبَدَنَ[3].

---

(1) طبقات المحدثين بأصبهان: 4/ 205، مسند الشهاب القضاعي: 1/ 238، الذريعة إلى مكارم الشريعة: 2/ 66، كنز العمال: 4/ 19.

(2) مسند أحمد: 3/ 37، سنن الدارقطني: 5/ 387، حلية الأولياء: 5/ 274.

(3) الإحياء: 1/ 244-245.

الْمَطْلَبُ الرَّابِعُ: فِي وُجوبِ الْحَجِّ وصِحَّتِهِ وَأَرْكانِهِ وواجِباتِهِ وَمَحْظوراتِهِ

ولَمَّا كانَتْ هذه الْمَسائِلُ مُسْتَوْفاةً في الْكُتُبِ الْفِقْهِيَّةِ اكْتَفَيْنا بها.

الْمَطْلَبُ الْخامِسُ: في تَرْتيبِ الأَعْمالِ الظَّاهِرَةِ مِنْ أَوَّلِ السَّفَرِ إلى الرُّجوعِ

وَهِيَ عَشْرُ جُمَلٍ:

الْجُمْلَةُ الأولى: في السُّنَنِ مِنْ أَوَّلِ الْخُروجِ إلى الْإِحْرامِ

وَهِيَ ثَمانِيَةٌ:

الأولى: في الْمالِ، يَنْبَغِي أن يَبْتَدِئَ بالتَّوْبَةِ، وَرَدِّ الْمَظالِمِ، وَقَضاءِ الدُّيونِ، وَإِعْدادِ النَّفَقَةِ له ولِمَنْ تَلْزَمُهُ نَفَقَتُهُ إلى وَقْتِ الرُّجوعِ، فَيَرُدَّ ما عِنْدَهُ من الْوَدائِعِ، وَيَسْتَصْحِبَ مالًا من حَلالٍ طَيِّبٍ ما يَكْفيهِ لِذَهابِهِ وَإِيابِهِ من غير تَقْتيرٍ، بل قَدْرَ ما يُواسِي به الضُّعَفاءَ والْفُقَراءَ، وَيَتَصَدَّقَ بِشَيْءٍ قَبْلَ خُروجِهِ، وَلْيَشْتَرِ لِنَفْسِهِ دابَّةً قَوِيَّةً على الْحَمْلِ لا تَضْعُفُ، أو يَكْتَرِيها، فإِنِ اكْتَرَى فَلْيُظْهِرْ لِلْمُكارِي كُلَّ ما يُرِيدُ أن يَحْمِلَهُ مِنْ كَثِيرٍ وقَليلٍ، وَيُحَصِّلْ رِضاهُ فيه.

الثَّانيةُ: في الرَّفيقِ، فَيَنْبَغِي أن يَلْتَمِسَ رَفيقًا صالِحًا، مُحِبًّا لِلْخَيْرِ، مُعِينًا عليه، إنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وإنْ ذَكَرَ أَعانَهُ، وإنْ جَبُنَ شَجَّعَهُ، وإِنْ عَجَزَ قَوَّاهُ، وإنْ ضاقَ صَدْرُهُ صَبَّرَهُ. وإذا فارَقَ إخْوانَهُ يُوَدِّعُهُمْ، وَيَلْتَمِسُ أَدْعِيَتَهُمْ، فإنَّ الله تعالى جاعِلٌ في أَدْعِيَتِهِمُ الْبَرَكَةَ.

وَالسُّنَّةُ في الْوَداعِ أَنْ يَقولَ: «أَسْتَوْدِعُ اللهَ دِينكُمْ وَأَمانتكُمْ وخَواتيمَ أَعْمالِكُمْ»(1).

وكان النَّبِيُّ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ يَقولُ لِمَنْ أَرادَ السَّفَرَ: «في حِفْظِ اللهِ وَكَنَفِهِ، زَوَّدَكَ الله التَّقْوى، وَغَفَرَ ذَنْبَكَ، وَوَجَّهَكَ إلى الْخَيْرِ أَيْنَما تَوَجَّهْتَ»(2).

الثَّالثَةُ: في الْخُروجِ من الْمَنْزِلِ، يَنْبَغِي إذا هَمَّ بِالْخُروجِ من مَنْزِلِهِ أن يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ، يَقْرَأُ في الأولى بعد الْفاتِحَةِ قُلْ يا أَيُّها الْكافِرونَ، وفي الثَّانِيَةِ سورَةَ الْإِخْلاصِ.

وإذا فَرَغَ، رَفَعَ يَدَيْهِ، ودَعا اللهَ تعالى عن إِخْلاصٍ صافٍ، وَنِيَّةٍ صادِقَةٍ، وقالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ في السَّفَرِ، وَأَنْتَ الْخَليفَةُ في الْأَهْلِ والْمالِ والْوَلَدِ وَالْأَصْحابِ، احْفَظْنا وإِيَّاهُمْ مِنْ كُلِّ آفَةٍ وَعاهَةٍ. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ في مَسِيرِنا هذا الْبِرَّ والتَّقْوَى، ومِنَ الْعَمَلِ ما تَرْضَى، اللَّهُمَّ إنا نَسْأَلُكَ أن تَطْوِيَ لنا الْأَرْضَ، وَتُهَوِّنَ عَلَيْنَا السَّفَرَ، وأنْ تَرْزُقَنا في سَفَرِنا هذا سَلامَةَ الدِّينِ وَالْبَدَنِ والْمالِ، وأن تُبَلِّغَنا حَجَّ بَيْتِكَ، وَزِيارَةَ قَبْرِ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ. اللَّهُمَّ إِنَّا نَعوذُ بك مِنْ وَعْثاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ، وَسُوءِ الْمَنْظَرِ في الْأَهْلِ

---

(1) أمانتكم وخواتم، في مراد ملا. السنن الكبرى للنسائي: 9/ 192، معرفة الصحابة لأبي نعيم: 4/ 1804، السنن الكبرى للبيهقي: 15/ 38، الإحياء: 1/ 246-247.

(2) مسند الدارمي: 3/ 1747، سنن الترمذي: 5/ 441، صحيح ابن خزيمة: 4/ 138، المعجم الكبير للطبراني: 12/ 292.

وَالْمالِ والْوَلَدِ والْأَصْحابِ. اللَّهُمَّ اجْعَلْنا وإِيَّاهُمْ في جِوارِكَ، ولا تَسْلُبْنا وإِيَّاهُمْ نِعْمَتَكَ، ولا تُغَيِّرْ ما بنا وَبِهِمْ من عافِيَتِكَ»[1].

الرَّابِعَةُ: إذا حَصَلَ إلى بابِ الدَّارِ قالَ: «بِسْمِ الله تَوَكَّلْتُ على اللهِ، لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا باللهِ الْعَلِيِّ الْعَظيمِ. رَبِّ أَعوذُ بك أَنْ أَضِلَّ، أو أُضَلَّ، أو أَزِلَّ أو أُزَلَّ، أو أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ، أو أَجْهَلَ أو يُجْهَلَ عَلَيَّ»[2].

«اللَّهُمَّ إنِّي لم أَخْرُجْ أَشَرًا ولا بَطَرًا، ولا رِياءً ولا سُمْعَةً، بل خَرَجْتُ اتِّقاءَ سُخْطِكَ، وابْتِغاءَ مَرْضاتِكَ، وَقَضاءِ فَرْضِكَ، وَاتِّباعِ سُنَّةِ نَبِيِّكَ، وَشَوْقًا إلى لِقائِكَ»[3].

فإذا مَشَيْتَ فَقُلْ: «اللَّهُمَّ بك انْتَشَرْتُ، وعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وبِكَ اعْتَصَمْتُ، وإلَيْكَ تَوَجَّهْتُ. اللَّهُمَّ أَنْتَ ثِقَتِي، وَأَنْتَ رَجائِي، فَاكْفِنِي ما أَهَمَّنِي وما لا أَهْتَمُّ به، وما أَنْتَ أَعْلَمُ به مِنِّي، عَزَّ جارُكَ، وَجَلَّ ثَناؤُكَ، ولا إلَهَ غَيْرُكَ. اللَّهُمَّ زَوِّدْنِي التَّقْوَى، واغْفِرْ لي ذَنْبِي، وَوَجِّهْنِي لِلْخَيْرِ أَيْنَما تَوَجَّهْتُ»[4].

وَيَدْعُو بهذا الدُّعاءِ في كُلِّ مَنْزِلٍ يَرْحَلُ عنه.

---

(1) صحيح مسلم: 2/ 978، رقم: 1342، والنقل من الإحياء: 1/ 247.

(2) مسند الطيالسي: 3/ 180، مسند الحميدي: 1/ 311، مسند أحمد: 44/ 316، الأدب المفرد للبخاري: 236، سنن ابن ماجه: 2/ 1278، والنقل من الإحياء: 1/ 247.

(3) مسند أبي الجعد: 299، مسند أحمد: 17/ 248، سنن ابن ماجه: 1/ 256، الإحياء: 1/ 247.

(4) مسند أبي يعلى: 4/ 469، الدعاء للمحاملي: 73، المجروحين لابن حبان: 2/ 86، الدعاء للطبراني: 255، الكامل في ضعفاء الرجال: 6/ 123، الإحياء: 1/ 247.

الْخامِسَةُ: في الرُّكوبِ، وإذا رَكِبَ الرَّاحِلَةَ يَقولُ: «بِسْمِ اللهِ وباللهِ واللهُ أَكْبَرُ، تَوَكَّلْتُ على اللهِ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا باللهِ الْعَلِيِّ الْعَظيمِ، ما شاءَ اللهُ كانَ، وما لم يَشَأْ لم يَكُنْ، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (13) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ (14)﴾[1]، اللَّهُمَّ إنِّي وَجَّهْتُ وجْهِي إلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إلَيْكَ، وَتَوَكَّلْتُ في جَميعِ أُمورِي عَلَيْكَ، أنْتَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكيلُ. فإذا اسْتَوى على الرَّاحِلَةِ وَاسْتَوَتْ تَحْتَهُ، قالَ: سُبْحانَ اللهِ والْحَمْدُ للهِ ولا إلَهَ إلَّا اللهُ واللهُ أَكْبَرُ سَبْعَ مَرَّاتٍ، وقالَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ﴾[2]، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْحامِلُ على الظَّهْرِ، وَأَنْتَ الْمُسْتَعانُ على الْأُمورِ»[3].

السَّادِسَةُ: في النُّزولِ، والسُّنَّةُ أنْ لا يَنْزِلَ حتَّى يَحْمَى النَّهارُ، وَيَكونَ أَكْثَرُ مَسيرِهِ في اللَّيْلِ، وَمَهْما أَشْرَفَ على الْمَنْزِلِ فَلْيَقُلْ: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّماواتِ السَّبْعِ وما أَظْلَلْنَ، وَرَبَّ الْأَرَضِينِ السَّبْعِ وما أَقْلَلْنَ، وَرَبَّ الشَّياطِينِ وما أَضْلَلْنَ، وَرَبَّ الرِّياحِ وما ذَرَيْنَ، وَرَبَّ الْبِحارِ وما جَرَيْنَ، أَسْأَلُكَ خَيْرَ هذا الْمَنْزِلِ وَخَيْرَ أَهْلِهِ، وَأَعوذُ بك مِنْ شَرِّ هذا الْمَنْزِلِ وَشَرِّ ما فيه»[4]، اللَّهُمَّ

---

(1) سورة الزخرف، الآية: 13-14.

(2) سورة الأعراف، الآية: 43.

(3) الإحياء: 1/ 247-254.

(4) السنن الكبرى للنسائي: 8/ 117، صحيح ابن حبان: 7/ 406، المعجم الكبير للطبراني: 8/ 33، المستدرك للحاكم: 1/ 614.

اصْرِفْ عَنِّي شَرَّ شِرارِهِمْ. فإذا نَزَلَ الْمَنْزِلَ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قالَ: «أَعوذُ بِكَلِماتِ الله التَّامَّاتِ الَّتِي لا يُجاوِزُهُنَّ بَرٌّ ولا فاجِرٌ من شَرِّ ما خَلَقَ»[1]. فإذا جَنَّ عليه اللَّيْلُ يَقولُ: «يا أَرْضُ، رَبِّي وَرَبُّكِ اللهُ، أَعوذُ باللهِ من شَرِّكَ وَشَرِّ ما فيكِ، وَشَرِّ ما دَبَّ عَلَيْكِ، أَعوذُ باللهِ من شَرِّ كُلِّ أَسَدٍ وَأَسْوَدَ وَحَيَّةٍ وَعَقْرَبٍ، ومِنْ ساكِنِ الْبَلَدِ، وَوالِدٍ وما وَلَدَ»[2]، ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[3].

السَّابِعَةُ: في الْحِراسَةِ، يَنْبَغِي أن لا يَنْفَرِدَ عن الْقافِلَةِ لِئَلَّا يُغْتالَ أو يَنْقَطِعَ، ويَحْتاطَ بِاللَّيْلِ، وَيَفْتَرِشَ ذِراعَهُ إنْ نامَ في أَوَّلِ اللَّيْلِ وَيَنْصُبَهُ، وَيَجْعَلَ رَأْسَهُ في كَفِّهِ إنْ نامَ في آخِرِها، كذا نامَ رَسولُ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ في أَسْفارِهِ، وَذَلِكَ لِئَلَّا يَنامَ فَيَفوتَهُ الْفَجْرُ. وَيُسْتَحَبُّ في اللَّيْلِ أَنْ يَتَناوَبَ الرَّفِيقانِ في الْحِراسَةِ فهو السُّنَّةُ. فإنْ قَصَدَهُ سَبُعٌ أو عَدُوٌّ فَلْيَقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، وَشَهِدَ اللهُ، وسورَةَ الْإِخْلاصِ، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ، وَلْيَقُلْ: «بِسْمِ الله ما شاءَ اللهُ، لا قُوَّةَ[4] إلَّا باللهِ، حَسْبِيَ اللهُ، تَوَكَّلْتُ على اللهِ، ما شاءَ اللهُ، لا يَأْتِي بِالْخَيْراتِ إلَّا اللهُ، ما شاءَ اللهُ، لا يَصْرِفُ السُّوءَ إلَّا اللهُ، حَسْبِيَ اللهُ وَكَفَى، سَمِعَ الله لِمَنْ دَعا، لَيْسَ وَراءَ الله

---

(1) الجامع لمعمر بن راشد: 11/ 35، موطأ الإمام مالك: 5/ 1386، مصنف ابن أبي شيبة: 5/ 51، مسند أحمد: 24/ 202، السنن الكبرى للنسائي: 9/ 349.

(2) مسند أحمد: 10/ 301، السنن الكبرى للنسائي: 7/ 203، صحيح ابن خزيمة: 4/ 152، مكارم الأخلاق للخرائطي: 268، الدعاء للمحاملي: 93، المستدرك للحاكم: 2/ 615.

(3) سورة الأنعام، الآية: 13. النقل من الإحياء: 1/ 247-248.

(4) لا حول ولا قوة، في رئيس الكتاب.

مُنْتَهى، ولا دونَ اللهِ مَلْجأٌ ولا مَنْجى، ﴿كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1]، تَحَصَّنْتُ باللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، وَاسْتَعَنْتُ بِالْحَيِّ الَّذِي لا يموتُ، اللَّهُمَّ احْرُسْنا بِعَيْنِكَ الَّتِي لا تَنامُ، وَاكْنُفْنا بِرُكْنِكَ الَّذِي لا يُرامُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنا بِقُدْرَتِكَ علينا، فلا نَهْلِكُ وَأَنْتَ ثِقَتُنا وَرَجاؤُنا، اللَّهُمَّ أَعْطِفْ علينا قُلوبَ عِبادِكَ وَإِمائِكَ بِرَأْفَةٍ وَرَحْمَةٍ، إِنَّكَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمينَ»[2].

الثَّامِنَةُ: إذا عَلَا شَرَفًا، يُكَبِّرُ ثَلاثًا، ثُمَّ يَقولُ: «اللَّهُمَّ لك الشَّرَفُ على كُلِّ شَرَفٍ، ولَكَ الْحَمْدُ على كُلِّ حالٍ»[3].

وإذا هَبَطَ سَبَّحَ، وَمَهْمَا خافَ الْوَحْشَةَ في سَفَرِهِ قالَ: «سُبْحانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ، رَبِّ الْمَلائِكَةِ والرُّوحِ، جَلَّلْتَ السَّماواتِ بِالْعِزَّةِ والْجَبَروتِ»[4].

---

(1) سورة المجادلة، الآية: 21.

(2) الدعاء للطبراني: 272، حلية الأولياء: 10/ 206، والنقل من الإحياء: 1/ 248.

(3) مسند الإمام أحمد: 19/ 298، مسند أبي يعلى: 6/ 223، الدعاء للطبراني: 267، الإحياء: 1/ 248.

(4) مسند الروياني: 1/ 212، الضعفاء الكبير للعقيلي: 2/ 46، المعجم الكبير للطبراني: 2/ 24، الإحياء: 1/ 248، الترغيب والترهيب: 2/ 197.

الْجُمْلَةُ الثَّانِيةُ: **في آدابِ الإِحْرامِ من الْمِيقاتِ إلى دُخولِ مَكَّةَ**

وَهِيَ خَمْسَةٌ:

الْأَوَّلُ: أَنْ يَغْتَسِلَ عند الإِحْرامِ، وَيَنْوِيَ غَسْلَ الْإِحْرامِ، ثُمَّ يُنَظِّفَ بِتَسْرِيحِ رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ، وَقَصِّ شارِبِهِ، وَقَلْمِ أَظْفارِهِ، وَسائِرِ ما مَرَّ في بابِ الطَّهارَةِ مِنْ أَنْواعِ النَّظافَةِ.

الثَّانِي: يُحْرِمُ فَيَرْتَدِي وَيَأْتَزِرُ بِثَوْبَيْنِ أَبْيَضَيْنِ، وَالْبَياضُ أَحَبُّ الثِّيابِ إلى الله عَزَّ وجَلَّ، وَيَتَطَيَّبُ في بَدَنِهِ وَثِيابِهِ، وَإِنْ بَقِيَ جِرْمُهُ بعد الْإِحْرامِ[1].

الثَّالِثُ: أَنْ يَنْوِيَ الْإِحْرامَ بِالْحَجِّ والْعُمْرَةِ قِرانًا أو إِفْرادًا كما أَرادَ، إذا انْبَعَثَ به راحِلَتُهُ، أو إذا ابْتَدَأَ السَّيْرَ إنْ كانَ راجِلًا، وَيَكْفِي مُجَرَّدُ النِّيَّةِ لاعْتِقادِ الْإِحْرامِ، ولكنَّ السُّنَّةَ أن يَقْتَرِنَ بِالنِّيَّةِ التَّلْبِيَةُ، بأَنْ يَقولَ: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لا شَريكَ لك لَبَّيْكَ، إنَّ الْحَمْدَ والنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لا شَريكَ لَكَ»[2].

وإنْ زادَ فقالَ: «لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، والْخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدَيْكَ، والرَّغْباءُ إِلَيْكَ والْعَمَلُ، لَبَّيْكَ بِحَجَّةٍ حَقًّا، تَعَبُّدًا وَرِقًّا، اللَّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّدٍ»[3].

---

(1) الإحياء: 1/ 248.

(2) صحيح البخاري: 2/ 138، رقم: 1549، صحيح مسلم: 4/ 7، رقم: 1184.

(3) الموطأ: 3/ 479، مسند الحميدي: 1/ 536، الإحياء: 1/ 249.

الرَّابِعُ: إذا انْعَقَدَ إِحْرامُهُ بِالتَّلْبِيَةِ، يُسْتَحَبُّ له أَنْ يَقولَ: «اللَّهُمَّ إنِّي أُريدُ الْحَجَّ فَيَسِّرْهُ لي، وَأَعِنِّي على أَداءِ فَرْضِهِ، وَتَقَبَّلْهُ مِنِّي، اللَّهُمَّ إنِّي نَوَيْتُ أَداءَ فَريضَتِكَ في الْحَجِّ، فاجْعَلْنِي مِنَ الَّذينَ اسْتَجابُوا لَكَ، وَآمَنُوا بِوَعْدِكَ، وَاتَّبَعوا أَمْرَكَ، واجْعَلْنِي من وَفْدِكَ الَّذِينَ رَضيتَ وَارْتَضَيْتَ وَقَبِلْتَ، اللَّهُمَّ فَيَسِّرْ لي أَداءَ ما نَوَيْتُ من الْحَجِّ، اللَّهُمَّ قد أَحْرَمَ لك شَعْرِي وَلَحْمِي وَدَمِي وَعَصَبِي وَمُخِّي وَعِظامِي، وَحَرَّمْتُ على نَفْسِي النِّساءَ والطِّيبَ وَلُبْسَ الْمَخيطِ ابْتِغاءَ وَجْهِكَ وَالدَّارِ الآخِرَةِ»[1].

وَمِنْ وَقْتِ الْإِحْرامِ حَرُمَ عليه الْمَحْظوراتُ السِّتَّةُ الْمَذْكورَةُ في كُتُبِ الْفُروعِ.

الْخامِسُ: يُسْتَحَبُّ له تَجْدِيدُ التَّلْبِيَةِ عند ازْدِحامِ الرِّفاقِ، واجْتِماعِ النَّاسِ، وعند كُلِّ صُعودٍ وَهُبوطٍ، وعند كُلِّ رُكوبٍ وَنُزولٍ، رافِعًا صَوْتَهُ بِحَيْثُ لا يَبُحُّ حَلْقُهُ ولا يَنْبَهِرُ، فإِنَّهُ لا يُنادِي أَصَمَّ ولا غائِبًا، ولا بَأْسَ بِرَفْعِ الصَّوْتِ والتَّلْبِيَةِ في الْمَسْجِدِ الْحَرامِ، وَمَسْجِدِ الْخَيْفِ، وَمَسْجِدِ الْمِيقاتِ، فإِنَّ هذه الْمَساجِدَ مَظِنَّةُ الْمَناسِكِ، وأَمَّا غَيْرُها فلا بَأْسَ فيها بِالتَّلْبِيَةِ من غَيْرِ رَفْعِ الصَّوْتِ[2].

---

(1) الحاوي الكبير: 4/ 82، الإحياء: 1/ 249.

(2) الإحياء: 1/ 249.

الْجُمْلَةُ الثَّالِثَةُ: في آدابِ دُخولِ مَكَّةَ إلى الطَّوافِ

هي سِتَّةٌ:

الْأَوَّلُ: الِاغْتِسالُ بِذِي طَوًى[1] لِدُخولِ مَكَّةَ، وَالِاغْتِسالُ الْمَسْنونُ في الْحَجِّ تِسْعَةٌ: في الْإِحْرامِ من الْمِيقاتِ لِدُخولِ مَكَّةَ لِطَوافِ الْقُدومِ، لِلْوُقوفِ بِعَرَفَةَ، لِلْوُقوفِ بِمُزْدَلِفَةَ، وَثَلاثَةُ اغْتِسالٍ[2] لِلْجَمَراتِ الثَّلاثِ، ولا غُسْلَ لِرَمْيِ جَمَرَةِ الْعَقَبَةِ، ثُمَّ لِطَوافِ الْوَداعِ.

الثَّانِي: أنْ يَقولَ عند الدُّخولِ في أَوَّلِ الْحَرَمِ وهو خارِجَ مَكَّةَ: «اللَّهُمَّ هذا حَرَمُكَ وأَمْنُكَ، فَحَرِّمْ لَحْمِي وَبَشَرِي[3] وَدَمِي على النَّارِ، وَأَمِّنِّي من عَذابِكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبادَكَ، واجْعَلْنِي من أَوْلِيائِكَ وأَهْلِ طاعَتِكَ»[4].

الثَّالِثُ: أن يَدْخُلَ مَكَّةَ من جانِبِ الْأَبْطَحِ، وهي ثَنِيَّةُ كَداءَ بِفَتْحِ الْكافِ[5]، وَيَخْرُجَ من ثَنِيَّةِ كُدًى بِالضَّمِّ، وهي الثَّنِيَّةُ السُّفْلَى، وَالْأولَى الْعُلْيا.

---

(1) ذو طوى: بفتح أوّله، مقصور منوّن، على وزن فعل: واد بمكّة. معجم ما استعجم: 3/ 896.

(2) أَغْسالٍ، في الإحياء: 1/ 249.

(3) ودمي في الإحياء: 1/ 249، والبَشَرُ جمع بَشَرَةٍ، وهو ظاهر الجلد. اللسان: بشر.

(4) المنهاج في شعب الإيمان: 2/ 438، الإحياء: 1/ 249، منحة السلوك في شرح تحفة الملوك: 300.

(5) كَداءُ: بفتح الكاف والمد هي الثنية التي بأعلى مكة وهو معروف، وأما كُدًا بضم الكاف والقصر والتنوين فمن أسفل مكة، هذا هو الصواب المشهور الذي قاله جماهير العلماء من المحدثين وأهل الأخبار واللغة والفقه، وما سوى هذا فليس بشيء، وأما قول الإمام أبي القاسم الرافعي: أن الذي يشعر به كلام الأكثرين أن السفلى أيضا بالمد، ويدل عليه أنهم كتبوها بالألف ومنهم من كتبها بالياء،

الرَّابِعُ: إذا دَخَلَ مَكَّةَ، وَانْتَهى إلى رَأْسِ الرَّدْمِ، فَعِنْدَهُ يَقَعُ بَصَرُهُ على الْبَيْتِ، فَلْيَقُلْ: «لا إِلَهَ إلَّا اللهُ واللهُ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلامُ، وَمِنْكَ السَّلامُ، وَدارُكَ دارُ السَّلامِ، تَبارَكْتَ يا ذا الْجَلالِ والْإِكْرامِ، اللَّهُمَّ إِنَّ هذا بَيْتُكَ عَظَّمْتَهُ وكَرَّمْتَهُ وَشَرَّفْتَهُ، اللَّهُمَّ فَزِدْهُ تَعْظِيمًا، وَزِدْهُ تَشْرِيفًا وَتَكْرِيمًا، وَزِدْهُ مَهابَةً، وَزِدْ مَنْ حَجَّهُ بِرًّا وكَرامَةً، اللَّهُمَّ افْتَحْ لي أَبْوابَ رَحْمَتِكَ، وأَدْخِلْنِي جَنَّتَكَ، وَأَعِذْنِي من الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ»[1].

الْخامِسُ: فَلْيَدْخُلِ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ من بابِ بَنِي شَيْبَةَ، وَلْيَقُلْ: «بِسْمِ اللهِ وبِاللهِ ومِنَ اللهِ وإلى اللهِ، وفي سَبِيلِ اللهِ، وعلى مِلَّةِ رَسولِ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ. فإذا قَرُبَ من الْبَيْتِ قالَ: الْحَمْدُ لله وَسَلامٌ على عِبادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى، اللَّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسولِكَ، وعلى إِبْراهِيمَ خَليلِكَ، وعلى جَمِيعِ أَنْبِيائِكَ ورُسُلِكَ. وَلْيَرْفَعْ يَدَيْهِ وَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ في مَقامِي هذا في أَوَّلِ مَناسِكِي أَنْ تَقْبَلَ تَوْبَتِي، وَتَتَجاوَزَ عن خَطِيئَتِي، وَتَضَعَ عَنِّي وِزْرِي، الْحَمْدُ لله الَّذِي بَلَّغَنِي بَيْتَهُ الْحَرامَ، الَّذِي جَعَلَهُ مَثابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا، وَجَعَلَهُ مُبارَكًا وَهُدًى لِلْعالَمِينَ. اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَالْبَلَدُ بَلَدُكَ،

فليس قوله هذا بشيء. ولا يلزم من كتابتها بالألف مدها، فإن الثلاثي إذا كان من ذوات الواو تعين كتبه بالألف، سواء مد أو قصر كعصا، وإن كان من ذوات الياء وليس منونا كتب بالياء ويجوز بالألف أيضا، وإن كان منونا فمنهم من يقول لا يكتب إلا بالألف، ومنهم من جوزه بالياء. تهذيب الأسماء واللغات: 4/ 123-124.

(1) الإحياء: 1/ 249، تخريج أحاديث الإحياء: 2/ 655.

وَالْحَرَمُ حَرَمُكَ، وَالْبَيْتُ بَيْتُكَ، جِئْتُ أَطْلُبُ رَحْمَتَكَ، أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ الْمُضْطَرِّ الْخائِفِ عُقوبَتَكَ، الرَّاجِي رَحْمَتَكَ، الطَّالِبِ مَرْضاتِكَ»[1].

السَّادِسُ: أَنْ يَقْصِدَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ بعد ذَلِكَ وَيَمَسَّهُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، وَيُقَبِّلَهُ وَيَقولَ: «اللَّهُمَّ أَمانَتِي أَدَّيْتُها، وَمِيثاقِي تَعاهَدْتُهُ، اشْهَدْ لي بِالْوَفاءِ»[2].

فإنْ لم يَسْتَطِعِ التَّقْبيلَ، فَلْيَقِفْ في مُقَابِلَتِهِ وَلْيَقُلْ ذَلِكَ. ثُمَّ لا يُعَرِّجْ على شَيْءٍ دونَ الطَّوافِ - وهو طَوافُ الْقُدومِ - إلَّا الصَّلاةَ الْمَكْتوبَةَ إذا حَضَرَتِ الْجَماعَةُ.

---

(1) الإحياء: 1/ 249، تخريج أحاديث الإحياء: 2/ 655-656.

(2) أخبار مكة للفاكهي: 1/ 85، الإحياء: 1/ 250.

الْجُمْلَةُ الرَّابِعَةُ: في الطَّوافِ إمَّا لِقُدومٍ أو لِغَيْرِهِ

وآدابُهُ سِتَّةٌ:

الأَوَّلُ: شُروطُ الصَّلاةِ مِنَ الطَّهارَةِ وَسَتْرِ الْعَوْرَةِ لِأَنَّهُ صَلاةٌ؛ إلَّا أَنَّهُ يُباحُ فيه الْكَلامُ. وَلْيَضْطَبِعْ أَوَّلًا؛ وهو أن يَضَعَ وسَطَ إزارِهِ تَحْتَ إِبْطِهِ الْأَيْمَنِ، وَيَجْمَعَ طَرَفَيْهِ على مَنْكِبِهِ الْأَيْسَرِ، فَيُرْخِي طَرَفًا وَراءَ ظَهْرِهِ وَطَرَفًا على صَدْرِهِ، وَيَقْطَعَ التَّلْبِيَةَ عند ابْتِداءِ الطَّوافِ، وَيَشْتَغِلَ بالْأَدْعِيَةِ الَّتِي سَنَذْكُرُها.

الثَّانِي: بعد الاضْطِباعِ يَجْعَلُ الْبَيْتَ على يَسارِهِ. وَلْيَقِفْ عند الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ، وَلْيَتَنَحَّ عنه قَليلًا لِيَكونَ الْحَجَرُ قُدَّامَهُ، فَيَمُرَّ بِجَميعِ الْحَجَرِ بِجَميعِ بَدَنِهِ في ابْتِداءِ طَوافِهِ، وَلْيَجْعَلْ بَيْنَهُ وبَيْنَ الْبَيْتِ قَدْرَ ثَلاثِ خُطُواتٍ لِيَكونَ قَريبًا منه، ثُمَّ يَبْتَدِئ الطَّوافَ[1].

الثَّالِثُ: يَقولُ في ابْتِداءِ الطَّوافِ قَبْلَ مُجاوَزَةِ الْحَجَرِ: «بِسْمِ اللهِ واللهُ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ إِيمانًا بِكَ وَتَصْديقًا بِكِتابِكَ، وَوَفاءً بِعَهْدِكَ، وَاتِّباعًا لِسُنَّةِ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ»[2]. وَيَطوفُ.

---

(1) الإحياء: 1/ 250.

(2) مصنف عبد الرزاق: 5/ 33، أخبار مكة للفاكهي: 1/ 101، المعجم الأوسط: 1/ 155، الإحياء: 1/ 250.

فَأَوَّلُ ما يُجاوِزُ الْحَجَرَ يَنْتَهِي إلى بابِ الْبَيْتِ، فَيقولُ: «اللَّهُمَّ إِنَّ الْبيْتَ بَيْتُكَ، وَالْحَرَمَ حَرَمُكَ، والْأَمْنَ أَمْنُكَ، وهذا مَقامُ الْعائِذِ بك من النَّارِ»[1].

وعند ذِكْرِ الْمَقامِ يُشيرُ بِعَيْنَيْهِ إلى مَقامِ إبْراهِيمَ الْخَليلِ عليه السَّلامُ وَيَقولُ: «اللَّهُمَّ بَيْتُكَ عَظيمٌ، وَوَجْهُكَ كَريمٌ، وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمينَ، فَأَعِذْنِي من الشَّيْطانِ الرَّجيمِ، وَحَرِّمْ لَحْمِي وَدَمِي على النَّارِ، وَأَمِّنِّي مِنْ أَهْوالِ يَوْمِ الْقِيامَةِ، وَاكْفِنِي مَؤونَةَ الدُّنْيا والْآخِرَةِ»[2].

ثُمَّ يُسَبِّحُ اللهَ وَيَحْمَدُهُ حتَّى يَبْلُغَ الرُّكْنَ الْعِراقِيَّ، فَعِنْدَهُ يَقولُ: «اللَّهُمَّ إنِّي أَعوذُ بكَ مِنَ الشِّرْكِ والشَّكِّ والْكُفْرِ والنِّفاقِ والشِّقاقِ وَسُوءِ الْأَخْلاقِ وَسُوءِ الْمَنْظَرِ في الْأَهْلِ والْمالِ والْوَلَدِ»[3].

وإذا بَلَغَ الْمِيزابَ فَلْيَقُلْ: «اللَّهُمَّ أَظِلَّنِي تَحْتَ عَرْشِكَ يَوْمَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّ عَرْشِكَ، اللَّهُمَّ اسْقِنِي بِكَأْسِ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ شَرْبَةً لا أَظْمَأُ بعدها أَبَدًا»[4].

(1) كتاب الأم للشافعي: 2/ 243، السنن الكبرى للبيهقي: 10/ 229، الإحياء: 1/ 250.

(2) الإحياء: 1/ 250.

(3) المصدر نفسه: 1/ 250.

(4) المصدر نفسه: 1/ 250.

وَإذا بَلَغَ الرُّكْنَ الشَّامِيَّ فَلْيَقُلْ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ حَجًّا مَبْرورًا وَسَعْيًا مَشْكورًا وَذَنْبًا مَغْفورًا وَتِجارَةً لن تَبورَ، يا عَزيزُ يا غَفورُ، رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وتَجاوَزْ عَمَّا تَعْلَمُ إنَّكَ أنْتَ الأَعَزُّ الْأَكْرَمُ»[1].

فإذا بَلَغَ الرُّكْنَ الْيَمانِيَّ فَلْيَقُلْ: «اللَّهُمَّ إنِّي أَعوذُ بك من الْكُفْرِ، وأَعوذُ بك من الْفَقْرِ، وأَعوذُ بك من عَذابِ الْقَبْرِ، ومن فِتْنَةِ الْمَحْيا والْمَماتِ، وَأَعوذُ بك مِنَ الْخِزْيِ في الدُّنْيا والْآخِرَةِ»[2].

وَلْيَقُلْ بين الرُّكْنِ الْيَمانِيِّ والْحَجَرِ الْأَسْوَدِ: «رَبَّنا آتِنا في الدُّنْيا حَسَنَةً وفي الآخِرَةِ حسَنَةً وقِنا عَذابَ النَّارِ وعَذابَ الْقَبْرِ»[3].

وإذا بَلَغَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ فَلْيَقُلْ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي بِرَحْمَتِكَ، أَعوذُ بِرَبِّ هذا الْحَجَرِ من الدَّيْنِ والْفَقْرِ وضِيقِ الصَّدْرِ وَعَذابِ الْقَبْرِ»[4].

وَعِنْدَ ذَلِكَ قد تَمَّ له شَوْطٌ واحِدٌ، فَيَطوفُ به كَذلِكَ سَبْعَةَ أَشْواطٍ، وَيَدْعُو بهذه الْأَدْعِيَةِ في كُلِّ شَوْطٍ.

---

(1) كتاب الأم للشافعي: 2/ 230، الجامع لعلوم الإمام أحمد: 8/ 81، قوت القلوب: 2/ 156، الإحياء: 1/ 250.

(2) صحيح البخاري: 2/ 99، رقم: 1377، واللفظ من الإحياء: 1/ 250.

(3) مسند الإمام أحمد: 24/ 120، صحيح ابن خزيمة: 2/ 1288، المستدرك للحاكم: 2/ 304، الإحياء: 1/ 250.

(4) الإحياء: 1/ 250.

الرَّابِعُ: أن يَرْمُلَ في الثَّلاثَةِ الْأُوَلِ من الْأَشْواطِ، وَيَمْشِيَ في الْبَواقِي، وَتَفْصيلُهُ في كُتُبِ الْفِقْهِ.

الْخامِسُ: إذا تَمَّ الطَّوافُ سَبْعًا، فَلْيَأْتِ الْمُلْتَزَمَ ـ وهو ما بَيْنَ الْحَجَرِ والْبابِ ومَوْضِعِ اسْتِجابَةِ الدُّعاءِ ـ وَلْيَلْتَصِقْ بِالْبَيْتِ، ولْيَتَعَلَّقْ بِالْأَسْتارِ. وَلْيَضَعْ خَدَّهُ الْأَيْمَنَ، وَلْيَقُلْ: «اللَّهُمَّ يا رَبَّ الْبَيْتِ الْعَتيقِ أَعْتِقْ رَقَبَتِي من النَّارِ، وَأَعِذْنِي من الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ، وَأَعِذْنِي مِنْ كُلِّ سوءٍ، وَقَنِّعْنِي بما رَزَقْتَنِي، وَبارِكْ لي فيما آتَيْتَنِي»[1]. «اللَّهُمَّ إنَّ هذا الْبَيْتَ بَيْتُكَ، وَالْعَبْدَ عَبْدُكَ، وهذا مَقامُ الْعائِذِ بك مِنَ النَّارِ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي من أَكْرَمِ وَفْدِكَ عَلَيْكَ»[2].

وَلْيَحْمَدِ اللهَ كَثِيرًا في هذا الْمَوْضِعِ، وَلْيُصَلِّ على مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ وعلى سائِرِ الْأَنْبِياءِ، وَلْيَدْعُ بِحَوائِجِهِ الْخاصَّةِ، وَيَسْتَغْفِرِ اللهَ من كُلِّ ذَنْبٍ. وَكانَ بَعْضُ السَّلَفِ يَقولُ لِمَواليهِ في هذا الْمَوْضِعِ: تَنَحَّوْا عني حَتَّى أُقِرَّ لِرَبِّي بِذُنوبِي[3].

السَّادِسُ: إذا فَرَغَ مِمَّا ذُكِرَ فَلْيُصَلِّ خَلْفَ الْمَقامِ رَكْعَتَيْنِ، يَقْرَأُ في الْأولَى "قُلْ يا أَيُّها الْكافِرونَ"، وفي الثَّانِيَةِ سورَةَ الْإِخْلاصِ، وَلْيَقُلْ بَعْدَهُما: «اللَّهُمَّ يَسِّرْ لِيَ الْيُسْرَى، وَجَنِّبْنِي الْعُسْرَى، وَاغْفِرْ لي في الْآخِرَةِ والْأولَى، اللَّهُمَّ

---

(1) الإحياء: 1/ 251.

(2) المصدر نفسه: 1/ 251.

(3) المصدر نفسه: 1/ 251.

اعْصِمْنِي بِأَلْطافِكَ حتَّى لا أَعْصِيَكَ، وَأَعِنِّي على طاعَتِكَ بِتَوْفِيقِكَ، وَجَنِّبْنِي مَعاصِيَكَ، وَاجْعَلْنِي مِمَّنْ يُحِبُّكَ وَيُحِبُّ مَلائِكَتَكَ وَرُسُلَكَ، وَيُحِبُّ عِبادَكَ الصَّالِحينَ. اللَّهُمَّ حَبِّبْنِي إلى مَلائِكَتِكَ وَرُسُلِكَ وَعِبادِكَ الصَّالِحينَ. اللَّهُمَّ وكما هَدَيْتَنِي لِلْإِسْلامِ فَثَبِّتْنِي بِأَلْطافِكَ وَدَلالَتِكَ عليه، وَاسْتَعْمِلْنِي بِطاعَتِكَ وطاعَةِ رَسولِكَ، وَأَجِرْنِي مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ»[1].

ثُمَّ لِيَعُدْ إلى الْحَجَرِ وَلْيَسْتَلِمْهُ وَلْيَخْتِمْ به الطَّوافَ.

---

(1) الإحياء: 1/ 251-252.

الْجُمْلَةُ الْخامِسَةُ: في السَّعْيِ

وهو سَبْعَ مَرَّاتٍ يَبْتَدِئُ بِالصَّفا.

فَلْيُقْبِلْ أَوَّلًا على الْبَيْتِ وَيَقولُ: «اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ للهِ على ما هَدَانَا، الْحَمْدُ للهِ بِمَحامِدِهِ كُلِّها على جَمِيعِ نِعَمِهِ كُلِّها، لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له، له الْمُلْكُ وله الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وهو حَيٌّ لا يَموتُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وهو على كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ، لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، صَدَقَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَأَعَزَّ جُنْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزابَ وَحْدَهُ، لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ولا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ مُخْلِصينَ له الدِّينَ ولو كَرِهَ الْكافِرونَ[1]، لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصينَ له الدِّينَ، الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالَمِينَ، فَسُبْحانَ اللهِ حينَ تُمْسونَ وحينَ تُصْبِحونَ وله الْحَمْدُ في السَّماواتِ والْأَرْضِ وَعَشِيًّا وحينَ تُظْهِرونَ، يُخْرِجُ الْحَيَّ من الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ من الْحَيِّ وَيُحْيِي الأَرْضَ بعد مَوْتِها وكذلكَ تُخْرَجونَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إيمانًا دائِمًا، وَيَقينًا صادِقًا، وَعِلْمًا نافِعًا، وَقَلْبًا خاشِعًا، ولِسانًا ذاكِرًا، وأَسْأَلُكَ الْعَفْوَ والْعَافِيَةَ والْمُعافاةَ في الدِّينِ والدُّنْيا والْآخِرَةِ»[2].

---

(1) المشركون، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(2) الإحياء: 1/ 252.

ويُصَلِّي على النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ، وَيَدْعُو اللهَ تَعالى بما شاءَ من حاجَتِهِ.

ثُمَّ يَنْزِلُ، وَيَبْتَدِئُ السَّعْيَ ويقولُ: «رَبِّ اغْفِرْ وارْحَمْ، واعْفُ وَتكَرَّمْ، وَتَجاوَزْ عمَّا تَعْلَمْ، إنَّكَ أنْتَ الْأَعَزُّ الْأَكْرَمُ؛ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»[1].

فإذا سَعى وانْتَهى إلى الْمَرْوَةِ صَعِدَها وَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ على الصَّفا وَدَعا بِمِثْلِ ذلك الدُّعاءِ.

---

(1) كتاب الأم للشافعي: 2/ 230، مصنف ابن أبي شيبة: 9/ 76، الإحياء: 1/ 252.

الْجُمْلَةُ السَّادِسَةُ: في الْوُقوفِ

يَخْرُجُ من مَكَّةَ إلى مِنًى مُلَبِّيًا، فإذا انْتَهَى إلى مِنًى قالَ: «اللَّهُمَّ هذه مِنًى فَامْنُنْ عَلَيَّ فيها بما مَنَنْتَ على أَوْلِيائِكَ وَأَهْلِ طاعَتِكَ».

وَلْيَمْكُثْ هذه اللَّيْلَةَ بِمِنًى، وهو مَبِيتُ مَنْزِلٍ لا نُسُكَ فيه. فإذا أَصْبَحَ سارَ إلى عَرَفاتٍ وَيَقولُ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْها خَيْرَ غُدْوَةٍ غَدَوْتُها قَطُّ، وَأَقْرَبَهَا من رِضْوانِكَ، وَأَبْعَدَها مِنْ سُخْطِكَ. اللَّهُمَّ إِلَيْكَ غَدَوْتُ، وإِيَّاكَ اعْتَمَدْتُ، وَوَجْهَكَ أَرَدْتُ، فَاجْعَلْنِي مِمَّنْ تُباهِي به الْيَوْمَ مَنْ هو خَيْرٌ مِنِّي وَأَفْضَلُ»(1).

ثُمَّ يَأْتِي عَرَفاتٍ وَيَفْعَلُ هُناكَ ما هُوَ مَسْطورٌ في الْكُتُبِ.

لكنَّ أَعْظَمَ أَرْكانِ الْوُقوفِ الدُّعاءُ؛ إذْ في مِثْلِ تلك الْبُقْعَةِ في مِثْلِ ذلك الْيَوْمِ في مِثْلِ ذلك الْجَمْعِ تُرْجَى إِجابَةُ الدُّعاءِ. والدُّعاءُ الْمَأْثورُ عن رَسولِ اللهِ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ في يَوْمِ عَرَفَةَ أَوْلَى ما يَدْعو به وهو هذا: «لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له، له الْمُلْكُ وله الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وهو حَيٌّ لا يَموتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وهو على كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ. اللَّهُمَّ اجْعَلْ في قَلْبِي نُورًا، وفي سَمْعِي نورًا، وفي بَصَرِي نورًا. اللَّهُمَّ اشْرَحْ لي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لي أَمْرِي»(2).

وَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ رَبِّ لك الْحَمْدُ كما نَقولُ، وَخَيْرٌ ما نَقولُ: لكَ صَلاتِي

---

(1) الإحياء: 1/ 253.

(2) مصنف ابن أبي شيبة: 3/ 381، مسند أحمد: 11/ 548، سنن الترمذي: 5/ 541، الإحياء: 1/ 254.

وَنُسُكِي وَمَحْيايَ وَمَماتِي، وَإليك مَآبِي، وإلَيْكَ مَتابِي[1].

اللَّهُمَّ إنِّي أَعوذُ بك من وَساوِسِ الصَّدْرِ، وَشَتاتِ الْأَمْرِ، وَعَذابِ الْقَبْرِ.

اللَّهُمَّ إنِّي أَعوذُ بك مِنْ شَرِّ ما يَلِجُ في اللَّيْلِ، وَشَرِّ ما يَلِجُ في النَّهارِ، ومِنْ شَرِّ ما هَبَّتْ به الرِّياحُ، وَشَرِّ بَوائِقِ الدَّهْرِ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بك مِنْ تَحَوُّلِ عافِيَتِكَ، وَفَجْأَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَميعِ سَخَطِكَ.

اللَّهُمَّ اهْدِنِي بِالْهُدَى، وَاغْفِرْ لي في الْآخِرَةِ والْأُولَى، يا خَيْرَ مَقْصودٍ، وَأَشْرَفَ مَنْزولٍ عليه، وَأَكْرَمَ مَسْؤولٍ ما لَدَيْهِ، أَعْطِنِي الْعَشِيَّةَ أَفْضَلَ ما تُعْطِي أَحَدًا من خَلْقِكَ وحُجَّاجِ بَيْتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمينَ[2].

اللَّهُمَ يا رَفيعَ الدَّرَجاتِ، وَمُنْزِلَ الْبَرَكاتِ، وَفاطِرَ الْأَرَضِينَ والسَّمواتِ، ضَجَّتْ إليكَ الْأَصْواتُ بِضُروبِ اللُّغاتِ يَسْأَلونَكَ الْحاجاتِ، وَحاجَتِي إليكَ أَنْ تَذْكُرَنِي في دارِ الْبِلَى إذا نَسِيَنِي أَهْلُ الدُّنْيا.

اللَّهُمَّ إنَّكَ تَسْمَعُ كَلامِي، وَتَرَى مَكانِي، وَتَعْلَمُ سِرِّي وَإِعْلانِي، ولا يَخْفَى عليك شَيْءٌ مِنْ أَمْرِي، أنا الْبائِسُ الْفَقيرُ الْمُسْتَغيثُ الْمُسْتَجيرُ الْوَجِلُ الْمُشْفِقُ الْمُعْتَرِفُ بِذَنْبِهِ، أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ الْمِسْكينِ، وَأَبْتَهِلُ إِلَيْكَ ابْتِهالَ الْمُذْنِبِ الذَّليلِ، وَأَدْعوكَ دُعاءَ الْخائِفِ الضَّريرِ، دُعاءَ مَنْ خَضَعَتْ لك

---

(1) الدعاء للمحاملي: 100، والنقل من الإحياء: 1/ 254.

(2) الإحياء: 1/ 254.

رَقَبَتُهُ، وفاضَتْ لك عَبْرَتُهُ، وَذَلَّ لك خَدُّهُ، ورَغَمَ لك أَنْفُهُ[1].

اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْنِي بِدُعائِكَ شَقِيًّا، وَكُنْ بي رَؤوفًا رَحيمًا، يا خَيْرَ الْمَسْؤولينَ، وَأَكْرَمَ الْمُعْطِينَ. إِلَهِي مَنْ مَدَحَ إليكَ نَفْسَهُ فإِنِّي لائِمٌ لِنَفْسِي. إِلَهِي أَخْرَسَتِ الْمَعاصِي لِسانِي، فما لي وَسيلَةٌ من عَمَلٍ، ولا شَفيعٌ سوى الْأَمَلِ. إِلَهِي إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ ذُنوبِي لم تُبْقِ لي عِنْدَكَ جاهًا ولا لِلاِعْتِذارِ وَجْهًا، ولكِنَّكَ أَكْرَمُ الْأَكْرَمينَ. إِلَهِي إِنْ لم أَكُ أَهْلًا أَنْ أَبْلُغَ رَحْمَتَكَ فإِنَّ رَحْمَتَكَ أَهْلٌ أن تَبْلُغَنِي، رَحْمَتُكَ وَسِعَتْ كلَّ شَيْءٍ، وأنا شَيْءٌ. إِلَهِي إِنَّ ذُنوبِي وإِنْ كانَتْ عِظامًا فهي صِغارٌ في جَنْبِ عَفْوِكَ، فَاغْفِرْها يا كَريمُ. إِلَهِي أَنْتَ أَنْتَ وأنا أنا، أنا الْعَوَّادُ بالذُّنوبِ، وأَنْتَ الْعَوَّادُ إلى الْمَغْفِرَةِ. إِلَهِي إِنْ كُنْتَ لا تَرْحَمُ إِلَّا أَهْلَ طاعَتِكَ فإلى مَنْ يَفْزَعُ الْمُذْنِبونَ.

إِلَهِي تَجَنَّبْتُ طاعَتَكَ عَمْدًا، وَتَوَجَّهْتُ إلى مَعْصِيَتِكَ قَصْدًا، فَسُبْحانَكَ ما أَعْظَمَ حُجَّتَكَ عَلَيَّ، وَأَكْرَمَ عَفْوَكَ عَنِّي، فَبِوُجوبِ حُجَّتِكَ عَلَيَّ وَانْقِطاعِ حُجَّتِي وَفَقْرِي إِلَيْكَ وَغِناكَ عَنِّي إِلَّا غَفَرْتَ لي، يا أَرْحَمَ الرَّاحِمينَ، يا خَيْرَ مَنْ دَعاهُ داعٍ، وَأَفْضَلَ مَنْ رَجاهُ راجٍ، بِحُرْمَةِ الْإِسْلامِ، وَبِذِمَّةِ مُحَمَّدٍ عليه أَفْضَلُ الصَّلاةِ والسَّلامِ أَتَوَسَّلُ إليك، فَاغْفِرْ لي جَميعَ ذُنوبِي، وَاصْرِفْنِي من مَوْقِفِي هذا مَقْضِيَّ الْحَوائِجِ، وَهَبْ لي ما سَأَلْتُ، وَحَقِّقْ رَجائِي فيما تَمَنَّيْتُ.

---

(1) الإحياء: 1/ 254.

إلَهِي دَعَوْتُكَ بالدُّعاءِ الَّذي عَلَّمْتَنِيهِ، فلا تَحْرِمْنِي [من][1] الرَّجاءِ الَّذي عَرَّفْتَنِيهِ. إلَهِي ما أَنْتَ صانِعٌ الْعَشِيَّةَ بِعَبْدٍ مُقِرٍّ لك بِذَنْبِهِ، خاشِعٍ لك بِذُلِّهِ، مُسْتكينٍ بِجُرْمِهِ، مُتَضَرِّعٍ إليك من عَمَلِهِ، تائِبٍ إليكَ من اقْتِرافِهِ، مُسْتَغْفِرٍ لك من ظُلْمِهِ، مُبْتَهِلٍ إليك في الْعَفْوِ عنه، طالِبٍ إليك في نَجاحِ حَوائِجِهِ، راجٍ لك في مَوْقِفِهِ مع كَثْرَةِ ذُنوبِهِ، فيا مَلْجَأَ كُلِّ حَيٍّ، وَوَلِيَّ كُلِّ مُؤْمِنٍ، مَنْ أَحْسَنَ فَبِرَحْمَتِكَ يَفوزُ، وَمَنْ أساءَ فَبِخَطِيئَتِهِ يَهْلِكُ[2].

اللَّهُمَّ إليك خَرَجْنَا، وَبِفِنائِكَ أَنَخْنَا، وَإِيَّاكَ أَمَّلْنَا، وما عِنْدَكَ طَلَبْنَا، وَلِإِحْسانِكَ تَعَرَّضْنَا، وَرَحْمَتَكَ رَجَوْنا، وَمِنْ عَذابِكَ أَشْفَقْنَا، وَلِبَيْتِكَ الْحَرامِ حَجَجْنَا، يا مَنْ يَمْلِكُ حَوائِجَ السَّائِلينَ، وَيَعْلَمُ ضَمائِرَ الصَّامِتينَ، يا مَنْ ليس معه رَبٌّ يُدْعَى، ويا مَنْ لَيْسَ فَوْقَهُ خالِقٌ يُخْشَى، ويا مَنْ ليس له وَزِيرٌ يُؤْتَى، ولا حاجِبٌ يُرْشَى، يا مَنْ لا يَزْدادُ على السُّؤالِ إلَّا تَكَرُّمًا وَجُودًا، وعلى كَثْرَةِ الْحَوائِجِ إلَّا تَفَضُّلًا وإِحْسانًا، إنَّكَ جَعَلْتَ لِكُلِّ ضَيْفٍ قِرًى، وَنَحْنُ أَضْيافُكَ فَاجْعَلْ قِرانَا منك الْجَنَّةَ[3].

اللَّهُمَّ إنَّ لِكُلِّ وَفْدٍ جائِزَةً، ولِكُلِّ زائِرٍ كَرامَةً، ولِكُلِّ سائِلٍ عَطِيَّةً، ولِكُلِّ راجٍ ثَوابًا، ولِكُلِّ مُلْتَمِسٍ لِمَا عِنْدَكَ جَزاءً، ولِكُلِّ مُسْتَرْحِمٍ عِنْدَكَ رَحْمَةً، ولِكُلِّ داعٍ إليكَ زُلْفَةً، ولِكُلِّ مُتَوَسِّلٍ إليكَ عَفْوًا، وقد وَفَدْنا إلى بَيْتِكَ

---

(1) زيادة من رئيس الكتاب.

(2) الإحياء: 1/ 254.

(3) المصدر نفسه: 1/ 254.

الْحَرامِ، وَوَقَفْنا بهذه الْمَشاعِرِ الْعِظامِ، وشاهَدْنا هذه الْمَشاهِدَ الْكِرامَ، رَجاءً لما عِنْدَكَ فلا تُخَيِّبْ رَجاءَنا.

إِلَهَنَا تَتابَعَتِ النِّعَمُ حتَّى اطْمَأَنَّتِ الْأَنْفُسُ بِتَتابُعِ نِعَمِكَ، وَأَظْهَرْتَ الْعِبَرَ حَتَّى نَطَقَتِ الصَّوامِتُ بِحُجَّتِكَ، وَظاهَرْتَ الْمِنَنَ حتَّى اعْتَرَفَ أَوْلِياؤُكَ بِالتَّقْصِيرِ عن حَقِّكَ، وَأَظْهَرْتَ الْآياتِ حتَّى أَفْصَحَتِ السَّماواتُ والْأَرَضونَ بِأَدِلَّتِكَ، وَقَهَرْتَ بِقُدْرَتِكَ حتَّى خَضَعَ كُلُّ شَيْءٍ لِعِزَّتِكَ، وَعَنَتِ الْوُجوهُ لِعَظَمَتِكَ، إذا أَساءَ عِبادُكَ حَلُمْتَ وَأَمْهَلْتَ، وإذا أَحْسَنوا تَفَضَّلْتَ وَقَبِلْتَ، وإذا عَصَوْا سَتَرْتَ، وإذا أَذْنَبوا غَفَرْتَ، وإذا دَعَوْنَا أَجَبْتَ، وإذا نادَيْنا سَمِعْتَ، وإذا أَقْبَلْنا إليكَ قَرُبْتَ، وإذا وَلَّيْنا عنك دَعَوْتَ[1].

إِلَهِي إِنَّكَ قُلْتَ في كِتابِكَ الْمُبينِ لِمُحَمَّدٍ خاتِمِ النَّبِيئِينَ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾[2]، فَأَرْضاكَ عنهم الْإِقْرارُ بِكَلِمَةِ التَّوْحيدِ بعد الْجُحودِ، وإِنَّا نَشْهَدُ لك بِالْوَحْدانِيَّةِ مُخْبِتينَ، وَلِمُحَمَّدٍ بِالرِّسالَةِ مُخْلِصينَ، فاغْفِرْ لنا بهذه الشَّهادَةِ سَوالِفَ الْإِجْرامِ، ولا تَجْعَلْ حَظَّنَا مِنْكَ أَنْقَصَ من حَظِّ مَنْ دَخَلَ في الْإِسْلامِ.

إِلَهَنَا إِنَّكَ أَحْبَبْتَ التَّقَرُّبَ إليكَ بِعِتْقِ ما مَلَكَتْ أَيْمانُنَا، وَنَحْنُ عَبِيدُكَ، وَأَنْتَ أَوْلَى بِالتَّفَضُّلِ فَأَعْتِقْنا، وإِنَّكَ أَمَرْتَنا أن نَتَصَدَّقَ على فُقَرائِنا، وَنَحْنُ فُقَراؤُكَ،

---

(1) الإحياء: 1/ 254-255.

(2) سورة الأنفال، الآية: 38.

وأنْتَ أحَقُّ بالطَّوْلِ، فتَصَدَّقْ علينا، وَوَصَّيْتَنَا بِالْعفْوِ عَمَّنْ ظَلَمَنَا، وقد ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا، وَأَنْتَ أَحَقُّ بِالْكَرَمِ، فاعْفُ عنَّا. رَبَّنَا اغْفِرْ لنا وَارْحَمْنا أَنْتَ مَوْلانَا. ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[1].

وَلْيُكْثِرْ مِنْ دُعاءِ الْخَضِرِ عليه السَّلامُ، وهو أَنْ يَقولَ: يا مَنْ لا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عن شَأْنٍ، ولا يَشْغَلُهُ سَمْعٌ عن سَمْعٍ، ولا تَشْتَبِهُ عليه الْأَصْواتُ. يا مَنْ لا تُغْلِطُهُ الْمَسائِلُ، ولا تَخْتَلِفُ عليه اللُّغاتُ. يا مَنْ لا يُبْرِمُهُ إِلْحاحُ الْمُلِحِّينَ، ولا تُضْجِرُهُ مَسْأَلَةُ السَّائِلينَ، أَذِقْنا بَرْدَ عَفْوِكَ، وَحَلاوَةَ مَغْفِرَتِكَ.

وَلْيَدْعُ بما بَدا لَهُ، وَلْيَسْتَغْفِرْ لِنَفْسِهِ وَلِوالِدَيْهِ، وَلِجَميعِ الْمُؤْمِنينَ والْمُؤْمِناتِ، وَلْيُلِحَّ في الدُّعاءِ، وَلْيُعَظِّمِ الْمَسْأَلَةَ، فإِنَّ اللهَ سُبْحانَهُ لا يَتَعاظَمُهُ شَيْءٌ.

قالَ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللهِ وهو بِعَرَفَةَ: اللَّهُمَّ لا تَرُدَّ الْجَمْعَ من أَجْلِي.

وقالَ بَكْرٌ الْمُزَنِيُّ: قالَ رَجُلٌ: لَمَّا نَظَرْتُ إلى أَهْلِ عَرفاتٍ ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قد غُفِرَ لَهُمْ لولا أَنِّي كُنْتُ فيهِمْ[2].

(1) سورة البقرة، الآية: 201، والنقل من الإحياء: 1/ 255.

(2) الإحياء: 1/ 255.

الْجُمْلَةُ السَّابِعَةُ: في بَقِيَّةِ أَعْمالِ الْحَجِّ

فإذا بَلَغَ الْمُزْدَلِفَةَ يَغْتَسِلُ بها لِأَنَّهَا مِنَ الْحَرَمِ. ثُمَّ يَقولُ: اللَّهُمَّ هذه مُزْدَلِفَةُ، جَمَعَتْ أَلْسِنَةً مُخْتَلِفَةً، تَسْأَلُكَ حَوائِجَ مُؤْتَلِفَةً، فَاجْعَلْنِي مِمَّنْ دَعاكَ فَاسْتَجَبْتَ له، وَتَوَكَّلَ عَلَيْكَ فَكَفَيْتَهُ. ثُمَّ يَبِيتُ بها تِلْكَ اللَّيْلَةَ. وَإِحْياؤُها سُنَّةٌ لِمَنْ قَدَرَ عليها.

وإذا انْتَصَفَ اللَّيْلُ فَلْيَتَأَهَّبْ لِلرَّحِيلِ. وَلْيَتَزَوَّدْ منها سَبْعِينَ حَصًى، ولا بَأْسَ بالزِّيادَةِ عليها؛ إذْ رُبَّمَا يَسْقُطُ بَعْضُهُ، وَلْيَكُنِ الْحَصَى خِفافًا تَحْتَوِي عليها أَطْرافُ الْبَراجِمِ.

ثُمَّ يَسِيرُ بَعْدَ صَلاةِ الْفَجْرِ، وإذا انْتَهَى إلى الْمَشْعَرِ الْحَرامِ؛ وهو آخِرُ الْمُزْدَلِفَةِ؛ يَقِفُ ويَدْعو بهذا إلى الْإِسْفارِ: اللَّهُمَّ بِحَقِّ الْمَشْعَرِ الْحَرامِ، والْبَيْتِ الْحَرامِ والرُّكْنِ والْمَقامِ، بَلِّغْ روحَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ مِنَّا التَّحِيَّةَ والسَّلامَ، وَأَدْخِلْنا دارَ السَّلامِ، يا ذا الْجَلالِ والْإِكْرامِ. ثُمَّ يَرْمِي الْجَمراتِ في الْمَواضِعِ الثَّلاثَةِ[1] وَيَقُولُ: مع كُلِّ حَصاةٍ منها: الله أَكْبَرُ على طاعَةِ الرَّحْمَنِ ورُغْمِ الشَّيْطانِ، اللَّهُمَّ تَصْدِيقًا بِكِتابِكَ واتِّباعًا لِسُنَّةِ نَبِيِّكَ[2].

ولا يَقِفُ في هذا الْيَوْمِ لِلدُّعاءِ، وَيَقْطَعُ التَّكْبيرَ إلَّا عَقِيبَ الصَّلاةِ من ظُهْرِ يَوْمِ النَّحْرِ إلى صُبْحِ آخِرِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ. وَصِفَةُ التَّكْبِيرِ: اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ

(1) الصحيح أنه ترمى الجمرة الكبرى فقط.

(2) الإحياء: 1/ 255-256.

كَبِيرًا، والْحَمْدُ لله كَثيرًا، وَسُبْحانَ اللهِ بُكْرَةً وأَصيلًا، لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ له، مُخْلِصينَ له الدِّينَ ولو كَرِهَ الْكافِرونَ، لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، صَدَقَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ واللهُ أَكْبَرُ.

ثُمَّ يَقولُ عند ذَبْحِ الْهَدْيِ: بِسْمِ اللهِ واللهُ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ مِنْكَ وَبِكَ ولَكَ، تَقَبَّلْ مِنِّي كما تَقَبَّلْتَ من إبْراهِيمَ خَليلِكَ. ثُمَّ لِيَحْلِقْ، وَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَثْبِتْ بِكُلِّ شَعْرَةٍ حَسَنَةً، وَامْحُ عنِّي بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَيِّئَةً، وَارْفَعْ لي عِنْدَكَ بها دَرَجَةً. ثُمَّ يَحِلُّ له كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا النِّساءُ والصَّيْدُ[1].

ثُمَّ يُفيضُ إلى مَكَّةَ، وَيَطوفُ طَوافَ الزِّيارَةِ، ثُمَّ يَحِلُّ له كُلُّ شَيْءٍ. وَهَذَا الطَّوافُ كما سَبَقَ.

وَالْإِمامُ يَخْطُبُ في هذا الْيَوْمِ بَعْدَ الزَّوالِ، وهي خُطْبَةُ وَداعِ رَسولِ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ؛ ففي الْحَجِّ أَرْبَعُ خُطَبٍ: يَوْمُ السَّابِعِ، يَوْمُ عَرَفَةَ، يَوْمُ النَّحْرِ، يَوْمُ النَّفْرِ الْأَوَّلِ؛ وَكُلُّها بَعْدَ الزَّوالِ وإِفْرادًا، إِلَّا خُطْبَةَ يَوْمِ عَرَفَةَ فإنَّها خُطْبَتانِ بينهما جَلْسَةٌ.

ثُمَّ يَبِيتُ بِمِنًى؛ وهي لَيْلَةُ الْقَرِّ؛ لِقَرارِ النَّاسِ لِأَنَّهُمْ لا يَنْفِرونَ.

وفي صُبْحِ الثَّانِي مِنْ يَوْمِ الْعِيدِ يَغْتَسِلُ لِلرَّمْيِ، فَيَرْمِي الْجَمْرَةَ الْأُولَى سَبْعَ حَصَياتٍ، ثُمَّ إذا تَعَدَّاها انْحَرَفَ عن الْجادَّةِ قَليلًا، وَوَقَفَ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ،

(1) الإحياء: 1/ 256.

وَحَمِدَ اللهَ تَعالى وهَلَّلَ وَكَبَّرَ، وَدَعا مع حُضورِ الْقَلْبِ، وَخُشوعِ الْجَوارِحِ، وَوَقَفَ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ قَدْرَ قِراءَةِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، مُقْبِلًا على الدُّعاءِ؛ ثُمَّ يَرْمِي الْجَمْرَة الثَّانِيَةَ، وَيَقِفُ كما في الْأُولَى؛ ثُمَّ الثَّالِثَةَ ولا يَقِفُ عِنْدَها. ثُمَّ يَبِيتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ بِمِنًى، وهي لَيْلَةُ النَّفْرِ الْأَوَّلِ.

فإذا صَلَّى الظُّهْرَ في الْيَوْمِ الثَّانِي من أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، رَمَى إحْدَى وَعِشْرينَ حَصاةً كَالْيَوْمِ الَّذِي قَبْلَهُ، ثمَّ هو مُخَيَّرٌ بَيْنَ الْمُقامِ بِمِنًى وَالْعَوْدِ إلى مَكَّةَ، لَكِنْ إنْ لم يَخْرُجِ اللَّيْلَ يَلْزَمُهُ الْمَبيتُ بِمِنًى حَتَّى يَرْمِيَ يَوْمَ النَّفْرِ الثَّانِي إِحْدَى وَعِشْرِينَ حَصاةً كَمَا سَبَقَ[1]. والتَّفْصيلُ في كُتُبِ الْفِقْهِ.

---

(1) الإحياء: 1/ 256-257.

الْجُمْلَةُ الثَّامِنَةُ: في صِفَةِ الْعُمْرَةِ

مَنْ أَرادَ ذلك فَلْيَنْوِ عند الْإِحْرامِ وَيُلَبِّي، وَيَقْصِدُ مَسْجِدَ عائِشَةَ، وَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، وَيَدْعُو بما شاءَ، ثُمَّ يَعودُ إلى مَكَّةَ وهو يُلَبِّي، إلى أَنْ يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ، ثُمَّ يَطوفُ وَيَسْعَى كما وَصَفْناهُ في الْحَجِّ، ثُمَّ يَحْلِقُ رَأْسَهُ فَيُتِمُّ عُمْرَتَهُ. وإذا دَخَلَ الْبَيْتَ فَلْيَدْخُلْهُ حافِيًا مُوَقِّرًا، وَلْيُصَلِّ بين الْعَمودَيْنِ وهو الْأَفْضَلُ.

قالَ بَعْضُهُمْ وَقَدْ سُئِلَ عن دُخولِ الْبَيْتِ: واللهِ ما أَرَى هاتَيْنِ الْقَدَمَيْنِ أَهْلًا لِلطَّوافِ حَوْلَ بَيْتِهِ، فَكَيْفَ أَراهُما أَهْلًا لِأَنْ أَطَأَ[1] بهما بَيْتَ رَبِّي، وَقَدْ عَلِمْتُ حَيْثُ مَشَتَا، وإلى أَيْنَ مَشَتَا. وَلْيُكْثِرْ شُرْبَ ماءِ زَمْزَمَ، وَلْيَسْتَقِ الْماءَ بِيَدِهِ إِنْ أَمْكَنَهُ، وَلْيَرْتَوِ منه حَتَّى يَتَضَلَّعَ، وَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ شِفاءً مِنْ كُلِّ داءٍ وسُقْمٍ، وَارْزُقْنا الْإِخْلاصَ والْيَقينَ والْمُعافاةَ في الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ[2].

قَالَ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «ماءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ»[3]. أَيْ يَشْفِي ما قُصِدَ بِهِ.

---

(1) يطاف، في رئيس الكتاب.

(2) الإحياء: 1/ 257-258.

(3) المصنف لابن أبي شيبة: 8/ 261، مسند أحمد: 23/ 140، سنن ابن ماجه: / 1018، المعجم الأوسط للطبراني: 1/ 259.

الْجُمْلَةُ التَّاسِعَةُ: في طَوافِ الْوَداعِ

وَهَذَا أَيْضًا كما سَبَقَ لَكِنْ مِنْ غَيْرِ رَمَلٍ وَاضْطِباعٍ. فإذا فَرَغَ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَلْفَ الْمَقام، وَيَشْرَبُ مِنْ ماءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ يَأْتِي الْمُلْتَزَمَ ويَدْعو ويَتَضَرَّعُ وَيَقولُ: «اللَّهُمَّ الْبَيْتُ بَيْتُكَ وَالْعَبْدُ عَبْدُكَ وابْنُ عَبْدِكَ وابْنُ أَمَتِكَ، حَمَلْتَنِي على ما سَخَّرْتَ لي من خَلْقِكَ حتَّى سَيَّرْتَنِي في بِلادِكَ، وَبَلَّغْتَنِي بِنِعْمَتِكَ حتَّى أَعَنْتَنِي على قَضاءِ مَناسِكِكَ، فإنْ كُنْتَ رَضِيتَ عَنِّي فَازْدَدْ عَنِّي رِضًى، وإلَّا فَمِنَ الآنَ قَبْلَ تَباعُدِي عن بَيْتِكَ، هذا أَوانُ انْصِرافِي إنْ أَرَدْتَ لي غيرَ مُسْتَبْدِلٍ بِكَ، ولا بِبَيْتِكَ، ولا راغِبٍ عَنْكَ، ولا عَنْ بَيْتِكَ [هذا]»(1).

«اللَّهُمَّ اصْحَبْنِي الْعافِيَةَ في بَدَنِي، والْعِصْمَةَ في دِينِي، وَأَحْسِنْ مُنْقَلَبِي، وَارْزُقْنِي طاعَتَكَ ما أَبْقَيْتَنِي، واجْمَعْ لي خَيْرَ الدُّنْيا والْآخِرَةِ، إنَّكَ على كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ»(2).

«اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ هذا آخِرَ عَهْدِي بِبَيْتِكَ الْحَرامِ، وإنْ جَعَلْتَهُ آخِرَ عَهْدِي فَعَوِّضْنِي منه الْجَنَّةَ. وَالْأَحَبُّ أنْ لا تَصْرِفَ بَصَرَكَ عن الْبَيْتِ حَتَّى تَغيبَ عنه»(3).

---

(1) زيادة من أنطاليا.

(2) المهذب في فقه الشافعي: 1/ 423، الإحياء: 1/ 258، سبل الهدى والرشاد: 3/ 243.

(3) الإحياء: 1/ 258.

الْجُمْلَةُ الْعاشِرَةُ: في زِيارَةِ الْمَدينَةِ وآدابِهَا

وَأَمَّا فَضْلُها فَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَى[1]. فَمَنْ قَصَدَها فَلْيُكْثِرْ في طَرِيقِهِ الصَّلاةَ على رَسولِ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ؛ فإِذا وَقَعَ بَصَرُهُ على جِدارِها وَأَشْجارِها فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ هذا حَرَمُ رَسولِكَ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ، فَاجْعَلْهُ لي وِقايَةً من النَّارِ، وَأَمِّنَّا مِنْ الْعَذابِ، وَسوءِ الْحِسابِ. وَلْيَغْتَسِلْ قَبْلَ الدُّخولِ من بِئْرِ الْحَرَّةِ، وَلْيَتَطَيَّبْ، وَلْيَلْبَسْ أَفْضَلَ ثِيابِهِ وَأَنْظَفَها، وَلْيَدْخُلْ مُتَواضِعًا مُعَظِّمًا، وَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللهِ وعلى مِلَّةِ رَسولِ اللهِ، ﴿رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾[2].

ثُمَّ لِيَقْصِدِ الْمَسْجِدَ وَيَدْخُلْهُ، وَيُصَلِّي بِجَنْبِ الْمِنْبَرِ رَكْعَتَيْنِ، بِجَعْلِ عَمودِ الْمِنْبَرِ بِحِذاءِ مَنْكِبِهِ الْأَيْمَنِ، وَيَسْتَقْبِلُ السَّارِيَةَ الَّتِي إلى جانِبِها الصُّنْدوقُ، وَتَكونُ الدَّائِرَةُ الَّتِي في قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ بين عَيْنَيْهِ، فَذَلِكَ مَوْقِفُ رَسولِ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ قَبْلَ أن يُغَيِّرَ الْمَسْجِدَ[3].

ثُمَّ يَأْتِي قَبْرَ النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ فَيَقِفُ عند وَجْهِهِ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَسْتَدْبِرَ الْقِبْلَةَ، وَيَسْتَقْبِلَ الْقَبْرَ على نَحْوِ أَرْبَعَةِ أَذْرُعٍ من السَّارِيَةِ الَّتِي في زاوِيَةِ جِدارِ الْقَبْرِ، وَلْيَجْعَلِ الْقِنْديلَ على رَأْسِهِ. وَلَيْسَ مِنَ السُّنَّةِ مَسُّ الْجِدارِ

(1) يخفى، في أنطاليا.

(2) سورة الإسراء، الآية: 80.

(3) الإحياء: 1/ 258-259.

وَتَقْبِيلُهُ، بلِ الْوُقوفُ من بُعْدٍ أَقْرَبُ إلى الاِحْتِرامِ، فَيَقولُ: السَّلامُ عليكَ يا رَسولَ اللهِ، السَّلامُ عليكَ يا نَبِيَّ اللهِ، السَّلامُ عليكَ يا أَمينَ اللهِ، السَّلامُ عليكَ يا حَبيبَ اللهِ، السَّلامُ عليكَ يا صَفْوَةَ اللهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا خِيرَةَ اللهِ، السَّلامُ عليكَ يا أَحْمَدُ، السَّلامُ عليكَ يا مُحَمَّدُ، السَّلامُ عليكَ يا أبا الْقاسِمِ، السَّلام عليكَ يا ماحِي، السَّلامُ عليكَ يا عاقِبُ، السَّلامُ عليكَ يا بَشيرُ، السَّلامُ عليكَ يا نَذيرُ، السَّلامُ عليكَ يا طَهِرُ، السَّلامُ عليك يا طاهِرُ، السَّلامُ عليكَ يا أَكْرَمَ وَلَدِ آدَمَ، السَّلامُ عليكَ يا سَيِّدَ الْمُرْسَلينَ، السَّلامُ عليكَ يا خاتِمَ النَّبِيئينَ، السَّلامُ عليك يا رَسولَ رَبِّ الْعالَمِينَ، السَّلامُ عليكَ يا قائِدَ الْخَيْرِ، السَّلامُ عليكَ يا فاتِحَ السِّرِّ، السَّلامُ عليكَ يا نَبِيَّ الرَّحْمَةِ، السَّلامُ عليكَ يا سَيِّدَ الأُمَّةِ، السَّلامُ عليكَ يا قائِدَ الْغُرِّ الْمُحَجَّلينَ، السَّلامُ عليكَ وعلى أَهْلِ بَيْتِكَ الَّذِينَ أَذْهَبَ اللهُ عنهم الرِّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهيرًا، السَّلامُ عليكَ وعلى أَصْحابِكَ الطَّيِّبينَ، السَّلامُ عليكَ وعلى أَزْواجِكَ الطَّاهِراتِ أُمَّهاتِ الْمُؤْمِنينَ، جَزاكَ اللهُ عَنَّا أَفْضَلَ ما جَزى نَبِيًّا عن قَوْمِهِ، وَرَسولًا عن أُمَّتِهِ، وَصَلَّى اللهُ عَلَيْكَ كُلَّما ذَكَرَكَ الذَّاكِرونَ، وَغَفَلَ عن ذِكْرِكَ الْغافِلونَ، وَصَلَّى عَلَيْكَ فِي الْأَوَّلينَ والْآخِرينَ أَفْضَلَ وأَكْمَلَ وأَعْلَى وَأَجَلَّ وَأَطْيَبَ وَأَطْهَرَ ما صَلَّى على أَحَدٍ من خَلْقِهِ؛ كما اسْتَنْقَذَنا بِكَ مِنْ الضَّلالَةِ، وَبَصَّرَنا بِكَ مِنَ الْعَمايَةِ، وهَدانا بِكَ من الْجَهالَةِ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ له، وَأَنَّكَ عَبْدُهُ وَرَسولُهُ، وَأَمِينُهُ وَصَفِيُّهُ وَخِيرَتُهُ من خَلْقِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ قد بَلَّغْتَ الرِّسالَةَ، وَأَدَّيْتَ

الْأَمانَةَ، وَنَصَحْتَ الْأُمَّةَ، وَجاهَدْتَ عَدُوَّكَ، وَهَدَيْتَ أُمَّتَكَ، وَعَبَدْتَ رَبَّكَ حَتَّى أَتاكَ الْيَقِينُ، فَصَلَّى الله عَلَيْكَ وعلى أَهْلِ بَيْتِكَ الطَّيِّبِينَ وَكَرَّمَ وَشَرَّفَ وَعَظَّمَ[1].

وَإِنْ كانَ أَوْصَى أَحَدٌ بِتَبْلِيغِ السَّلامِ فَلْيَقُلْ: السَّلامُ عليكَ من فُلانٍ وَفُلانَةٍ.

ثُمَّ لِيَتَأَخَّرْ قَدْرَ ذِراعٍ، وَلْيُسَلِّمْ على أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، لأَنَّ رَأْسَهُ عند مَنْكِبِ رَسولِ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ، وَرَأْسَ عُمَرَ عند مَنْكِبِ أبي بَكْرٍ رَضِيَ الله عَنْهُما. ثمَّ يَتَأَخَّرُ قَليلًا قَدْرَ ذِراعٍ، ويُسَلِّمَ على الْفاروقِ عُمَرَ، وَلْيَقُلْ: السَّلامُ عَلَيْكُمَا يا وَزِيرَيْ رَسولِ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ وَالْمُعاوِنَيْنِ له على الْقِيامِ بِالدِّينِ ما دامَ حَيًّا، وَالْقائِمَيْنِ في أُمَّتِهِ بَعْدَهُ بِأُمورِ الدِّينِ تَتَّبِعانِ في ذَلِكَ آثارَهُ، وَتَعْمَلانِ بِسُنَّتِهِ، فَجَزاكُما الله خَيْرَ ما جَزَي وَزيرَيْ نَبِيٍّ على دِينِهِ[2].

ثُمَّ لِيَرْجِعْ وَيَقِفْ عند رَأْسِ رَسولِ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ بينَ الْقَبْرِ والْأُسْطُوانَةِ الْيَوْمَ، وَلْيَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ، وَلْيَحْمَدِ اللهَ وَيُمَجِّدْهُ، وَلْيُكْثِرْ مِنَ الصَّلاةِ على رَسولِ اللهِ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ، ثُمَّ يَقولُ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ قُلْتَ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ

---

(1) الإحياء: 1/ 259.

(2) المصدر نفسه: 1/ 259.

الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾[1]، اللَّهُمَّ إِنَّا قد سَمِعْنا قَوْلَكَ، وَأَطَعْنا أَمْرَكَ، وَقَصَدْنا نَبِيَّكَ مُسْتَشْفِعِينَ به إِلَيْكَ فِي ذُنوبِنا، وما أَثْقَلَ ظُهورَنا مِنْ أَوْزارِنا، تائِبِينَ مِنْ زَلَلِنا، مُعْتَرِفِينَ بِخَطايانا وَتَقْصِيرِنا، فَتُبِ اللَّهُمَّ علينا، وَشَفِّعْ نَبِيَّكَ هذا فِينَا، وَارْفَعْنا بِمَنْزِلَتِهِ عِنْدَكَ، وَحَقِّهِ عَلَيْكَ. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُهاجِرِينَ وَالْأَنْصارِ، وَاغْفِرْ لِإِخْوانِنا الَّذِينَ سَبَقونَا بِالْإِيمانَ. اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْهُ آخِرَ الْعَهْدِ من قَبْرِ نَبِيِّكَ، وَلَا مِنْ حَرَمِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمينَ.

ثُمَّ لِيَأْتِ الرَّوْضَةَ وَيُصَلِّي فيها، وَيُكْثِرُ مِنَ الدُّعاءِ ما اسْتَطاعَ، وَلْيَدْعُ عِنْدَ الْمِنْبَرِ. وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَضَعَ يَدَهُ على الرُّمَّانَةِ الَّتِي كانَ رَسولُ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ يَضَعُ يَدَهُ عليها عِنْدَ الْخُطْبَةِ.

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَزورَ يَوْمَ الْخَميسِ قُبورَ الشُّهَداءِ بِأُحُدٍ، فَيُصَلِّيَ الْغَداةَ فِي مَسْجِدِ رَسولِ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ، ثُمَّ يَخْرُجَ وَيَعودَ إلى الْمَسْجِدِ لِصَلاةِ الظُّهْرِ، فلا تَفوتَهُ فَريضَةُ جَماعَةٍ فِي مَسْجِدِ رَسولِ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ[2].

وَيُسْتَحَبُّ أن يَخْرُجَ كُلَّ يَوْمٍ إلى الْبَقِيعِ بَعْدَ السَّلامِ على رَسولِ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ، وَيَزورَ قَبْرَ عُثْمانَ، وَقَبْرَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبي طالِبٍ، وفيه أَيْضًا قَبْرُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ومُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، وَجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَيُصَلِّيَ فِي مَسْجِدِ فاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عنها وعَنْهُمْ، ويَزورَ قَبْرَ إِبْراهِيمَ بْنِ رَسولِ الله صَلَّى

(1) سورة النساء، الآية: 64.

(2) الإحياء: 1/ 259-260.

الله عليه وَسَلَّمَ، وقَبْرَ صَفِيَّةَ عَمَّةِ رَسولِ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ، وَذَلِكَ كُلُّهُ بِالْبَقيعِ.

وَيُسْتَحَبُّ أنْ يَأْتِيَ في كُلِّ سَبْتٍ مَسْجِدَ قُباءٍ، وَيُصَلِّيَ فيه، وَيَأْتِيَ بِئْرَ أَريسٍ[1] الَّتِي تَفَلَ فيها رَسولَ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ مِنْ رِيقِهِ، فَيَتَوَضَّأَ منها، وَيَشْرَبَ مِنْ مائِها؛ وَيَأْتِيَ مَسْجِدَ الْفَتْحِ، وهو على الْخَنْدَقِ، وكذا سائِرَ الْمَساجِدِ والْمَشاهِدِ، وهي ثَلاثونَ مَوْضِعًا يَعْرِفُها أَهْلُ الْمَدينَةِ. وَكَذَا يَقْصِدُ طَلَبًا لِلشِّفاءِ سَبْعَةَ آبارٍ الَّتِي تَوَضَّأَ واغْتَسَلَ منها وَشَرِبَ مِنْ مائِها رَسولُ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ[2].

وَاعْلَمْ أَنَّ الإِقامَةَ بِالْمَدينَةِ إنْ أَمْكَنَ فلها فَضْلٌ عَظيمٌ؛ وفي الْحَديثِ: «لا يَصْبِرُ على لأْوائِها وَشِدَّتِها أَحَدٌ إلَّا كُنْتُ له شَفيعًا يَوْمَ الْقِيامَةِ»[3]. وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأَحاديثِ.

وإنْ لم يُمْكِنِ الإقامَةُ، وَعَزَمَ على الْخُروجِ، فَالْمُسْتَحَبُّ أن يَأْتِيَ قَبْرَ النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ، وَيُعيدَ دُعاءَ الزِّيارَةِ كما سَبَقَ، وَيُوَدِّعَ الْقَبْرَ، وَيَسْأَلَ اللهَ أَنْ يَرْزُقَهُ[4] إِلَيْهِ الْعَوْدَةَ، وَيَسْأَلَ السَّلامَةَ في سَفَرِهِ، ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ في

(1) بِئْرُ أَرِيس: بفتح الهمزة، وكسر الراء، وسكون الياء آخر الحروف، وسين مهملة: بئر بالمدينة ثم بقباء مقابل مسجدها. معجم البلدان: 1/ 298.

(2) الإحياء: 1/ 260.

(3) صحيح مسلم: 2/ 1004، رقم: 1377.

(4) يرزق، في قونية ورئيس الكتاب وأنطاليا.

الرَّوْضَةِ الصَّغيرَةِ، وهي مَوْضِعُ مَقامِ رَسولِ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ، قَبْلَ أنْ زِيدَتِ الْمَقْصورَةُ في الْمَسْجِدِ.

فَإذا خَرَجَ يَقَدِّمُ رِجْلَهُ الْيُسْرَى، ثُمَّ يَقولُ: اللَّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّدٍ، ولا تَجْعَلْهُ آخِرَ الْعَهْدِ بِنَبِيِّكَ، وَحُطَّ أَوْزارِي بِزِيارَتِهِ، واصْحَبْنِي في سَفَرِي، وَيَسِّرْ رُجوعِي إلى أَهْلِي، وَاجْعَلْنِي مِنَ السَّالِمينَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمينَ؛ وَلْيَتَصَدَّقْ على جِيرانِ رَسولِ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ بما قَدَرَ عليه، وَلْيَتَتَبَّعِ الْمَساجِدَ الَّتِي بين الْمَدينَةِ وَمَكَّةَ وَيُصَلِّي فيها وهيَ عِشْرونَ مَوْضِعًا[1].

فإذا رَجَعَ إلى بَلَدِهِ، السُّنَّةُ أن يُكَبِّرَ على كُلِّ شَرَفٍ ثَلاثًا وَيَقولَ: «لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ له، له الْمُلْكُ وله الْحَمْدُ، وهو على كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ، آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ سَاجِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزابَ وَحْدَهُ»[2].

وفي رِوايَةٍ: «وكُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ، له الْحُكْمُ وإليه تُرْجَعونَ»[3].

وإذا أَشْرَفَ على مَدينَتِهِ فَلْيُحَرِّكْ دابَّتَهُ ولْيَقُلْ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ لنا بها قَرارًا، وَرِزْقًا حَسَنًا؛ ثُمَّ يُرْسِلُ إلى أَهْلِهِ مَنْ يُخْبِرُهُمْ بِقُدومِهِ كَيْلا يَقْدُمَ عليهم بَغْتَةً، فذلك هو السُّنَّةُ، ولا يَطْرُقُ أَهْلَهُ لَيْلًا.

---

(1) الإحياء: 1/ 260.

(2) صحيح البخاري: 3/ 7، رقم: 1797.

(3) الإحياء: 1/ 261.

فإذا دَخَلَ الْبَلَدَ، فَلْيَقْصِدِ الْمَسْجِدَ أوَّلًا، فَيُصَلِّي فيه رَكْعَتَيْنِ، ثم يَدْخُلُ بَيْتَهُ، ويَقولُ عند دُخولِهِ: تَوْبًا تَوْبًا لِرَبِّنَا أَوْبًا لا يُغادِرُ علينا حَوْبًا[1].

ثُمَّ إذا اسْتَقَرَّ في مَنْزِلِهِ لا يَنْسَى ما أَنْعَمَ الله عليه من زِيارَةِ بَيْتِهِ وَحَرَمِهِ، وَقَبْرِ نَبِيِّهِ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ، ولا يَنْبَغي أَنْ يَكْفُرَ هَذِهِ النِّعْمَةَ، وَيَعودَ إلى الْغَفْلَةِ واللَّهْوِ والْخَوْضِ في الْمَعاصِي، لِأَنَّ عَلامَةَ الْحَجِّ الْمَبْرورِ أَنْ يَعودَ زاهِدًا في الدُّنْيا، راغِبًا في الْآخِرَةِ، مُتَأَهِّبًا لِلِقاءِ رَبِّ الْبَيْتِ، بَعْدَ لِقاءِ الْبَيْتِ[2].

---

(1) الحَوْبَةُ: الحاجَةُ والمَسْكَنَةُ والفَقْرُ. والحَوْبُ: الجَهْدُ والحاجَة. اللسان: حوب.

(2) الإحياء: 1/ 261.

الْمَطْلَبُ السَّادِسُ: فِي الْآدابِ الدَّقيقَةِ والْأَعْمالِ الْباطِنَةِ

وَهِيَ عَشَرَةٌ:

أَحَدُها: أنْ تكونَ النَّفَقَةُ حَلالًا، بلا تِجارَةٍ تَشْغَلُ الْقَلْبَ، وَتُفَرِّقُ الْهَمَّ، بل يَكونُ هَمُّهُ مُجَرَّدَ رِضائِهِ تَعالَى وَذِكْرِهِ وَتَعْظيمِ شَعائِرِهِ، ومِنْ جُمْلَةِ الْحَجِّ لِغَيْرِهِ - وقد تَوَرَّعَ عنه أَرْبابُ الْقُلوبِ - إلَّا أن يَكونَ قَصْدُهُ الْإِقامَةَ بِمَكَّةَ ولم يَكُنْ له ما يُبَلِّغُهُ، فَيَتَوَصَّلَ بِالدُّنْيا إلى الدِّينِ لا عَكْسَهُ، فَيَكونَ قَصْدُهُ زِيارَةَ الْبَيْتِ، وإِسْقاطَ الْفَرْضِ عن أَخيهِ الْمُسْلِمِ. ولستُ أَقولُ: الْأُجْرَةُ حَرامٌ أو مَكْروهٌ؛ بل أَقولُ: الْأَوْلَى أن لا يَفْعَلَ، لِئَلَّا يُعْطِيَ الدِّينَ بالدُّنْيا، ولو أَخَذَهُ لِأَجْلِ التَّوَسُّلِ بِالدُّنْيا إلى الدِّينِ كما سَبَقَ فلا بَأْسَ به.

ثانيها: أنْ لا يُعاوِنَ أَعْداءَ الله بِتَسْليمِ الْمُكوسِ إلى الْعُمَّالِ الظَّلَمَةِ، الْمُتَرَصِّدينَ في الطُّرُقِ، بل يَتَلَطَّفُ في حيلَةِ الْخَلاصِ، لأنَّ في ذلك ذُلًّا وَصَغارًا على الْمُسْلِمينَ بِبَذْلِ جِزْيَةٍ؛ ولا يَحِلُّ الْعَوْنُ عليه ولا الرِّضا به. وَإِنْ أَوَّلَهُ بأَنَّا مُضْطَرُّونَ في ذلك، فَقُلْ له: فَأَيْنَ الاِضْطِرارُ في الْخُروجِ عن الْبَيْتِ، أو تَرْكُ زِيِّ الْفُقَراءِ حتَّى تُطالَبَ بها؟

ثالِثُها: التَّوَسُّعُ في الزَّادِ، وَطِيبُ النَّفْسِ بِالْإِنْفاقِ من غير تَقْتيرٍ، بِأَنْ يَمْنَعَ ما وَجَبَ عن نَفْسِهِ، أو عن قُوتِ ما عليه مَؤونَتُهُ شَرْعًا أو مُروءَةً، ولا إِسْرافَ بِأَنْ يَتَرَفَّهَ بِأَطايِبِ النِّعَمِ وأَنْواعِ الْأَطْعِمَةِ على عادَةِ الْمُتَرَفِّهِينَ.

وَأَمَّا كَثْرَةُ الْخَيْرِ فقد قِيلَ: لا سَرَفَ في الْخَيْرِ، وَلَا خَيْرَ في السَّرَفِ، والدِّرْهَمُ الْوَاحِدُ في طَرِيقِ الْحَجِّ بِسَبْعِمِئَةٍ[1].

ورابِعُها: تَرْكُ الرَّفَثِ والْفُسوقِ وَالْجِدالِ كما نَطَقَ به الْقُرْآنُ، فَيَصونُ لِسانَهُ عن اللَّغْوِ والْخَنا والْفُحْشِ، ويَحْفَظُ الْأَوامِرَ، وَيَتْرُكُ النَّواهِيَ، وَيُلينُ جانِبَهُ، وَيَخْفِضُ جَناحَهُ لِلسَّائِرينَ إلى بَيْتِ الله تَعالَى، وَيُعامِلُهُمْ بِحُسْنِ الْخُلُقِ، وهو احْتِمالُ الْأَذَى لا مُجَرَّدُ كَفِّ الْأَذَى. وَسُمِّيَ السَّفَرُ سَفَرًا لأَنَّهُ يَسْفِرُ عنْ أَخْلاقِ الرِّجالِ.

وَخامِسُها: الْمَشْيُ إنْ قَدَرَ، وله بِكُلِّ خُطْوَةٍ سَبْعُمِئَةِ حَسَنَةٍ من حَسَناتِ الْحَرَمِ، كَذَا وَرَدَ الْأَثَرُ عن ابْنِ عَبَّاسٍ؛ وَسُئِلَ: ما حَسَناتُ الْحَرَمِ؟ قال: الْحَسَنَةُ بِمِئَةِ أَلْفٍ. وَإِنْ أَضافَ إِلَيْهِ الْإِحْرامَ مِنْ دُوَيْرَةِ أَهْلِهِ فَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ مِنْ تَمامِ الْحَجِّ، كما قالَ تَعالَى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾[2].

وَقِيلَ: الرُّكوبُ أَفْضَلُ لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِنْفاقِ والْمَؤونَةِ، وأَبْعَدُ عن الضَّجَرِ وأَذَى الْغَيْرِ، وَأَقْرَبُ إلى سَلامَتِهِ، وَتَمامِ حَجِّهِ.

والتَّحْقيقُ: أَنَّ الْأَوَّلَ لِمَنْ قَدَرَ عليه، وَالثَّانِي لِمَنْ ضَعُفَ عنه وَضَجِرَ، فلا مُخالَفَةَ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ.

---

(1) الإحياء: 1/ 261-263.

(2) سورة البقرة، الآية: 196.

وَسادِسُها: أَنْ يَتَجَنَّبَ[1] عن الْمَحامِلِ فَإِنَّهُ مِنْ زِيِّ الْمُتَرَفِّهينَ. قِيلَ: وَقَدْ أَحْدَثَها الْحُجَّاجُ، وَكانَ الْعُلَماءُ في وَقْتِهِ يَكْرَهُونَهَا.

وَسابِعُها: أنْ يَكونَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، غَيْرَ مائِلٍ إلى التَّفاخُرِ والتَّكاثُرِ، وفي الْحَديثِ: «إنَّمَا الْحاجُّ الشَّعِثُ الْغَبِرُ»[2].

يَقولُ الله تَعالَى: «انْظُرُوا إلى زُوَّارِ بَيْتِي قد جاءونِي شُعْثًا غُبْرًا من كُلِّ فَجٍّ عَميقٍ»[3].

يُرْوَى أَنَّ أَهْلَ الْيَمَنِ على هَذِهِ الْهَيْئَةِ، وَلِهَذَا قِيلَ لَهُمْ: زَيْنُ الْحَجيجِ. وَيَنْبَغِي أَنْ يَجْتَنِبَ الْحُمْرَةَ في زِيِّهِ والشُّهْرَةَ كَيْفَما كَانَتْ على الْعُمومِ.

وَثامِنُها: أَنْ يَرْفُقَ بِالدَّابَّةِ، فلا يُحَمِّلُها ما لا تُطيقُ؛ كَالْمِحْمَلِ، ومنها النَّوْمُ عليها، والْوُقوفُ عليها وُقوفًا طَويلًا. ومِنَ السُّنَّةِ نُزولُهُ عن الدَّابَّةِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، يُرَوِّحُها به، وَيوقِعُ السُّرورَ في قَلْبِ الْمُكارِي.

وقد وَرَدَ في الْخَبَرِ: «إنَّ في كُلِّ كَبِدٍ حَرَّى أَجْرًا»[4].

---

(1) يجتنب، في رئيس الكتاب.

(2) النفث، في الإحياء: 1/ 264، والتَّفِلُ في: مسند ابن أبي شيبة: 3/ 432، وسنن ابن ماجه: 2/ 967، سنن الترمذي: 5/ 102.

(3) قوت القلوب: 2/ 192، الإحياء: 1/ 264، تخريج أحاديث الإحياء: 2/ 672.

(4) مسند أحمد: 11/ 647، سنن ابن ماجه: 2/ 1215، النهاية في غريب الحديث والأثر: 1/ 364.

وَكانَ السَّلَفُ يَشْتَرِطونَ مع الْمُكارِي عَدَمَ النُّزولِ، وَيُوَفُّونَ الْأَجْرَ، ثُمَّ يَنْزِلونَ، لِيَكونَ ذلك في حَسَناتِ أَنْفُسِهِمْ.

وتاسِعُها: أن يَتَقَرَّبَ بِإراقَةِ دَمٍ، وإِنْ لم يَكُنْ واجِبًا عليه؛ وَيَخْتارَ سَمِينَ النَّعَمِ، وَيَأْكُلَ منه في التَّطَوُّعِ دونَ الْواجِبِ، وَالْقَليلُ الْجَيِّدُ خَيْرٌ من الْكَثيرِ الدُّونِ.

وَعاشِرُها: طِيبُ النَّفْسِ بما أَنْفَقَهُ مِنْ نَفَقَةٍ وَهَدْيٍ، وما أَصابَهُ مِنَ الْخُسْرانِ والْمُصيبَةِ في الْمالِ والْبَدَنِ، فإِنَّها مِنْ دَلائِلِ قَبولِ حَجِّهِ؛ ومِنْ أَمارَةِ الْقَبولِ تَبْديلُ إِخْوانِهِ الْبَطَّالينَ إِخْوانًا صالِحينَ، وَمَجالِسِ اللَّهْوِ وَالْغَفْلَةِ، مَجالِسَ الذِّكْرِ وَالْيَقَظَةِ[1].

(1) الإحياء: 1/ 264-265.

الْمَطْلَبُ السَّابِعُ: فِي الْأَعْمالِ الْباطِنَةِ وَطَرِيقُ الإِخْلاصِ فيها

وَذَلِكَ فِي عِدَّةِ أُمورٍ:

الْأَوَّلُ: الْفَهْمُ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا وُصولَ إلى اللهِ تَعالَى إلَّا بِالتَّنَزُّهِ عن الشَّهَواتِ واللَّذَّاتِ، والتَّجَرُّدِ إلى الله تَعالى في جَميعِ الْحَالاتِ. ولهذا انْفَرَدَ الرُّهْبانُ في الْمِلَلِ السَّالِفَةِ عن الْخَلْقِ في قُلَلِ[1] الْجِبالِ، فَتَرَكُوا اللَّذَّاتِ الْحاضِرَةَ، وَاسْتَوْحَشوا عن الْخَلْقِ لِلْأُنْسِ بالله تعالى، فَأَثْنَى اللهُ تَعالَى عَلَيْهِمْ في كِتابِهِ فَقالَ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[2].

فَلَمَّا انْدَرَسَ ذلك، وَأَقْبَلَ النَّاسُ على الشَّهَواتِ، وَفَتَرُوا عن الْعِبادَةِ، بَعَثَ الله تعالى نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ لِهِدايَةِ طَرِيقِ الْآخِرَةِ، فَمَنَعَ النَّاسَ عن الرَّهْبانِيَّةِ في دِينِهِ، فَقالَ: «أُبْدِلْنا بها الْجِهادَ والتَّكْبِيرَ على كُلِّ شَرَفٍ»[3]. يَعْنِي: الْحَجَّ.

وَسُئِلَ عَنِ السَّائِحينَ، فَقَالَ: هُمُ الصَّائِمونَ. وَهَذَا مِنْ عِنايَةِ اللهِ تعالى بِهَذِهِ الْأُمَّةِ، بِحَيْثُ أَعْطَى لهم في النَّاسِ ما حَصَّلوهُ في الْجِبالِ، وجَعَلَ لهم الْحَجَّ رَهْبانِيَّةً بِتَشْرِيفِ بَيْتِهِ الْعَتيقِ، بِأَنْ أَضافَهُ إلى نَفْسِهِ، مَعَ تَنَزُّهِهِ عن أَنْ يَحْوِيَهِ بَيْتٌ، أو يَكْتَنِفَهُ بَلَدٌ؛ ثُمَّ جَعَلَ ما حَوْلَهُ حَرَمًا، وَحَرَّمَ صَيْدَهُ، وَقَطْعَ شَجَرِهِ، وَجَعَلَ

---

(1) القُلَلُ: جمع قُلَّةٍ، والقُلَّة: أعلى الْجَبَلِ. وقُلَّة كُلِّ شَيْءٍ: أعلاه. اللسان: قلل.

(2) سورة المائدة: الآية: 82.

(3) الإحياء: 1/ 266، تخريج أحاديث الإحياء: 2/ 675.

عَرَفاتٍ كَالْمَيْدانِ لِفِناءِ حَرَمِهِ، فَقَصَدَهُ عِبادُهُ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ سَحِيقٍ، شُعْثًا غُبْرًا مُتَواضِعينَ لِرَبِّ الْبَيْتِ، مُسْتَكينِينَ له خُضوعًا لِجَلالِهِ، وَاسْتِكانَةً لِعِزَّتِهِ، حَتَّى تَعَبَّدَهُمْ بِأُمورٍ لا يَفْهَمونَ مَعْناها؛ كَتَرَدُّداتِ السَّعْيِ، وَرَمْيِ الْجِمارِ[1]، تَحْقِيقًا لِمَقامِ الْعُبودِيَّةِ، وَابْتِلاءً لِعِبادِهِ، لِيَمْتازَ الْمُطيعُ عَمَّنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَواهَا، وَعَمِلَ بِمُقْتَضَى الطِّباعِ، واعْتَقَدَها أُمورًا فارِغَةً عن الْحِكْمَةِ، وَلَيْسَ كَذٰلِكَ، بل لها حِكَمٌ وأَسْرارٌ تَغْفُلُ عَنْهَا الْعُقولُ، ولهذا صارَ أَبْلَغَ أَنْواعِ التَّعَبُّداتِ[2].

الثَّانِي: أَنَّهُ يَنْبَعِثُ من الْفَهْمِ الْمَذْكورِ الشَّوْقُ بِأَنَّ الْأَبْصارَ الْفانِيَةَ لَمَّا قَصُرَتْ عن النَّظَرِ إلى وَجْهِ الله تعالى الْكَريمِ، وَصارَ ذلك في دارِ الْقَرارِ، جَعَلَ النَّظَرَ إلى بَيْتِهِ في الدُّنْيا سَبَبًا إلى اسْتِحْقاقِ لِقاءِ رَبِّ الْبَيْتِ في الْآخِرَةِ، بِمُقْتَضَى وَعْدِهِ الْكَريمِ، فَيَشْتاقُ الْمُحِبُّ إلى أَسْبابِ اللِّقاءِ.

الثَّالِثُ: الْعَزْمُ بِأَنْ يُصَحِّحَ عَزيمَتَهُ بِإِخْلاصِهِ، واجْتِنابِ كُلِّ ما فيه رِياءٌ وَسُمْعَةٌ، وَلْيَحْذَرْ عن أَنْ يَقْصِدَ قُرْبَ الْبَيْتِ، وَيَبْعُدَ عن رِضَا رَبِّهِ.

الرَّابِعُ: أَنْ تَقْطَعَ [الْعَلائِقَ][3]، وليسَ مَعْناهُ تَرْكَ الْوَطَنِ وَالْأَهْلِ والْأَوْلادِ والْأَمْوالِ، بَلْ رَدَّ الْمَظالِمِ، والتَّوْبَةَ الْخالِصَةَ لله تَعالَى عن جُمْلَةِ الْمَعاصِي، فإِنَّ كُلَّ مَظْلَمَةٍ عَلاقَةٌ تُنادِي عليه: أَيْنَ تَقْصِدُ وَأَنْتَ مُضَيِّعٌ أَمْرَهُ في مَنْزِلِكَ؟

(1) الحجارة، في رئيس الكتاب.

(2) الإحياء: 1/ 265-266.

(3) زيادة من أنطاليا.

الْخامِسُ: أنْ تَقْطَعَ قَلْبَكَ عن الاِلْتِفاتِ إلى ما وَراءَكَ، كما قَطَعْتَ وَجْهَكَ عن النَّظَرِ إلى ما وَراءَكَ، فَتَوَجَّهْ إليه بِقَلْبِكَ كَتَوَجُّهِكَ بِقالَبِكَ، وإلَّا فَلَيْسَ لك منه إلَّا النَّصَبُ وَالْعَناءُ، وَالتَّعَبُ وَالشَّقاءُ، وَلْيَذْكُرْ عند قَطْعِهِ الْعَلائِقَ الظَّاهِرَةَ وَالْباطِنَةَ تَوَجُّهَهُ إلى سَفَرِ الْآخِرَةِ، وَلْيَكْتُبْ وَصِيَّةً لِأَهْلِهِ وَلِأَوْلادِهِ، إذِ الْمُسافِرُ لَعَلَى خَطَرٍ إلَّا ما وَقَى الله تعالى[1].

السَّادِسُ: يَطْلُبُ الزَّادَ والرَّاحِلَةَ مِنْ مَوْضِعٍ حَلالٍ؛ وَلْيَتَذَكَّرْ أَنَّ الْمُسافِرَ يَطْلُبُ مِنَ الزَّادِ ما لا يَتَغَيَّرُ في أَوَّلِ مَنْزِلٍ، بل لا يَتَغَيَّرُ على طُولِ السَّفَرِ، فَكَذَلِكَ سَفَرُ الْآخِرَةِ لا يَصْلُحُ له زادٌ إلَّا التَّقْوَى، وَمَا عَداهُ يَتَخَلَّفُ عِنْدَ مَوْتِهِ وَكَرْبِهِ؛ وَلْيَذْكُرْ عِنْدَ حُضورِ الرَّاحِلَةِ الشُّكْرَ للهِ تَعالى على أَنْ سَخَّرَها له، تَحْمِلُ عنه الْأَذَى، وَتَدْفَعُ عنه الْمَشَقَّةَ، فَلْيَتَذَكَّرْ عِنْدَهُ مَرْكَبَ الْآخِرَةِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُصْلِحَهُ فَوْقَ ما يَهْتَمُّ لِراحِلَةِ السَّفَرِ.

السَّابِعُ: شِراءُ ثَوْبَيِ الْإِحْرامِ مِنْ مالٍ حَلالٍ، فَلْيَتَذَكَّرْ عِنْدَهُ الْكَفَنَ وَلَفَّهُ فيه، إِذْ لَيْسَ في ثَوْبِ الْإِحْرامِ مَخِيطٌ، فَكَذَا في الْأَكْفانِ.

الثَّامِنُ: الْخُروجُ مِنَ الْبَلَدِ؛ وَلْيَتَذَكَّرْ عِنْدَهُ الْخُروجَ مِنَ الْقَبْرِ، وَالتَّوَجُّهَ إلى الْحَشْرِ، ولا يَدْرِي كَيْفَ حالُهُ، أَيُغْتالُ في الطَّرِيقِ، أم يَصِلُ إلى مَقْصَدِهِ سالِمًا، كَذَلِكَ في الْآخِرَةِ لا يَعْرِفُ مَآلَ أَمْرِهِ.

---

(1) الإحياء: 1/ 267.

التَّاسِعُ: فَلْيَتَذَكَّرْ عند دُخولِ الْبادِيَةِ الْوُقوفَ[1] في الْمَحْشَرِ، وأنَّ ما في الْبادِيَةِ من الْحَيَّاتِ والسِّباعِ نَظيرَ ما في الْحَشْرِ مِنَ الْأَهْوالِ والْمَخاوِفِ. وَأَمَّا الْإِحْرامُ والتَّلْبِيَةُ الَّتِي هي إِجابَةُ نِداءِ اللهِ تَعالى في قَوْلِهِ: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾[2]، نَظيرُ نِداءِ الْخَلْقِ بِالنَّفْخِ في الصُّورِ، وَحَشْرِهِمْ مِنَ الْقُبورِ، وازْدِحامِهِمْ في عَرَصاتِ الْقِيامَةِ[3].

الْعاشِرُ: يَتَذَكَّرُ عند دُخولِ مَكَّةَ الانْتِهاءَ إلى حَرَمِهِ وَأَمْنِهِ، مع خَوْفِهِ مِنْ أَنْ لا يَكونَ مِنْ أَهْلِ الْقُرْبِ. لَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يَغْلِبَ رَجاؤُهُ، إِذِ الْكَرَمُ عَمِيمٌ؛ وَلْيَتَذَكَّرْ عند وُقوعِ الْبَصَرِ على الْبَيْتِ، وَحُضورِ عَظَمَتِهِ في قَلْبِهِ، مُشاهَدَةَ رَبِّ الْبَيْتِ وَعَظَمَتِهِ؛ وَلْيَرْجُ أَنْ يَرْزُقَهُ النَّظَرَ إلى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ في الْعُقْبَى كما رَزَقَهُ النَّظَرَ إلى بَيْتِهِ الْعَظيمِ في الدُّنْيا، وَلْيَتَذَكَّرْ عِنْدَ ذَلِكَ دُخولَ الْجَنَّةِ آمِنِينَ، وَلْيَسْأَلْ ذلك مِنَ اللهِ تَعالى.

الْحادِي عَشَرَ: فَلْيَتَذَكَّرْ عند الطَّوافِ التَّشَبُّهَ بِالْمَلائِكَةِ الْحافِّينَ حَوْلَ الْعَرْشِ، الطَّائِفِينَ حَوْلَهُ؛ وَلْيَعْرِفْ أَنَّ الْمَقْصودَ الْأَعْظَمَ طَوافُ قَلْبِكَ بِذِكْرِ رَبِّ الْبَيْتِ، فلا يَبْتَدِئْ إِلَّا منه، ولا يَخْتِمْ إِلَّا به، كما أَنَّ الطَّوافَ يَبْتَدِئُ بِالْبَيْتِ وَيُخْتَمُ به.

---

(1) الوقف، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(2) سورة الحج، الآية: 27.

(3) الإحياء: 1/ 267-268.

وَاعْلَمْ أَنَّ أَصْلَ الطَّوافِ في عالَمِ الْمَلَكوتِ، وَهُوَ تَطْوافُ الْقَلْبِ بِحَضْرَةِ الرُّبوبِيَّةِ، وَأَنَّ مِثالَهُ في عالَمِ الْمُلْكِ هو الْبَيْتُ؛ فَكَمَا أَنَّ الْقالَبَ يَطوفُ بِالْبَيْتِ كَذَلِكَ الْقَلْبُ يَطوفُ [رَبَّهُ][1]، إِذِ الْمُوازَنَةُ بين عالَمِ الْمُلْكِ وَالْمَلَكوتِ مَعْلومَةٌ لِمَنْ فَتَحَ الله تعالى له هذا الْبابَ، وإلى هَذِهِ الْمُوازَنَةِ وَقَعَتِ الْإِشارَةُ بِأَنَّ الْبَيْتَ الْمَعْمورَ في السَّماءِ بِإِزاءِ الْكَعْبَةِ، وَأَنَّ طَوافَ الْمَلائِكَةِ به كَطَوافِ الْإِنْسِ بهذا الْبَيْتِ. وَلَمَّا قَصُرَتْ رُتْبَةُ أَكْثَرِ الْخَلْقِ عن مِثْلِ ذَلِكَ الطَّوافِ، أُمِرُوا بِالتَّشَبُّهِ بِهِمْ بِحَسَبِ الْإِمْكانِ، وَوُعِدُوا بِأَنَّ مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ، وَالَّذي يَقْدِرُ على مِثْلِ ذَلِكَ الطَّوافِ هو الَّذي يُقالُ إِنَّ الْكَعْبَةَ تَزُورُهُ وَتَطوفُ به، على ما رَواهُ بَعْضُ الْمُكاشِفِينَ لِبَعْضِ أَوْلِياءِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ[2].

الثَّانِي عَشَرَ: فَاعْتَقِدْ عند الاِسْتِلامِ أَنَّكَ مُبايِعٌ للهِ تَعالَى على طاعَتِهِ، فَصَمِّمْ عِنْدَ ذلِكَ على قِيامِكَ بِالْوَفاءِ بِبَيْعَتِكِ، فَمَنْ غَدَرَ في الْمُبايَعَةِ اسْتَحَقَّ الْمَقْتَ؛ أَلَا تَرَى إلى ما وَرَدَ في الْحَديثِ: «أَنَّ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ يَمينُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ في الْأَرْضِ يُصافِحُ بها خَلْقَهُ كما يُصافِحُ الرَّجُلُ أَخاهُ»[3].

وَلْيَذْكُرْ عند التَّعَلُّقِ بِأَسْتارِ الْكَعْبَةِ تَعَلُّقَ الْمُذْنِبِ بِثِيابِ مَنْ أَذْنَبَ إليه الْمُتَضَرِّعُ إليه، الْمُظْهِرُ أَنَّهُ لا مَلْجَأَ له منه إلَّا إليه، ولا مَفْزَعَ له إلَّا عَفْوُهُ

---

(1) سقطت من أنطاليا وعاطف أفندي.

(2) الإحياء: 1/ 268-269.

(3) أخبار مكة للأزرقي: 1/ 324، الإحياء: 1/ 269، كشف الخفاء: 1/ 402.

وكَرَمُهُ، وَأَنَّهُ لا يُفارِقُ ذَيْلَهُ إلَّا بِالْعَفْوِ، وَبَذْلِ الْأَمْنِ في الْمُسْتَقْبَلِ، وَيَرْجُو التَّحَصُّنَ عَنِ النَّارِ في كُلِّ جُزْءٍ يُلاقِي الْبَيْتَ.

الثَّالِثَ عَشَرَ: لِيَتَذَكَّرْ عند السَّعْيِ تَرَدُّدَ الْعَبْدِ لِفِناءِ دارِ الْمُلْكِ، جائِيًا وذاهِبًا مَرَّةً بعد أُخْرَى، إِظْهارًا لِلْخُلوصِ في الْخِدْمَةِ، وَرَجاءً لِلْمُلاحَظَةِ بِعَيْنِ الرَّحْمَةِ؛ وَلِيَذْكُرْ أَيْضًا تَرَدُّدَهُ بَيْنَ كَفَّتَيِ الْمِيزانِ، مُرَدَّدًا بَيْنَ الْعَذابِ وَالْغُفْرانِ.

الرَّابِعَ عَشَرَ: وَلْيَتَذَكَّرْ بِالْوُقوفِ بِعَرَفاتٍ اجْتِماعَ النَّاسِ يَوْمَ الْحَشْرِ في الْعَرَصاتِ مع الْأَنْبِياءِ وَالْأَوْلِياءِ، وَطَمَعَ كُلِّ أُمَّةٍ في شَفاعَةِ هَؤلاءِ، وَتَرَدُّدَهُمْ في الرَّدِّ وَالْقَبولِ بُلوغَ كُلٍّ مِنْهُمْ ما هو الْمَأْمولُ؛ إلَّا أنَّ الْمَوْقِفَ لَمَّا لم يَنْفَكَّ مِنَ الْأَوْتادِ والْأَبْدالِ، وَطَبَقاتِ الصَّالِحينَ وَأَرْبابِ الْقُلوبِ، سِيَّمَا عند اجْتِماعِ الْقُلوبِ بِالضَّراعَةِ والابْتِهالِ، وَارْتَفَعَتْ أَيْدِيهِمْ إلى جَنابِهِ، وَامْتَدَّتْ أَعْناقُهُم نَحْوَ بابِهِ، وشَخَصَتْ أَبْصارُهُمْ نَحْوَ السَّماءِ، فلا تَظُنَّ أنَّ مُجيبَ الدَّعَواتِ يُخَيِّبُ آمالَهُمْ، وَيُضَيِّعُ سَعْيَهُمْ، وَيَدَّخِرُ عنهم رَحْمَةً تَغْمُرُهُمْ.

وَلِذلِكَ قيلَ: إنَّ من أَعْظَمِ الذُّنوبِ أنْ يَحْضُرَ[1] عَرَفاتٍ، وَيَظُنَّ[2] أنَّ اللهَ لم يَغْفِرْ لَهُ[3]، إذْ لا طَريقَ في اسْتِدْرارِ رَحْمَةِ الله عَزَّ وَجَلَّ، مِثْلَ اجْتِماعِ الْهِمَمِ وَتَعاوُنِ الْقُلوبِ في وَقْتٍ واحِدٍ على صَعيدٍ واحِدٍ[4].

---

(1) تحضر، في قونية ورئيس الكتاب.

(2) يظن، في قونية ورئيس الكتاب. تظنن، في أنطاليا.

(3) ويظن أن لن يغفر الله له، في الأزهرية.

(4) الإحياء: 1/ 269-270.

الْخامِسَ عَشَرَ: لِيَقْصِدْ بِرَمْيِ الْجِمارِ إِظْهارَ الْعُبودِيَّةِ، وَالانْتِهاضَ لِمُجَرَّدِ الامْتِثالِ، مِنْ غَيْرِ حَظٍّ لِلْعَقْلِ وَالنَّفْسِ، بل يَقْصِدُ التَّشَبُّهَ بِإِبْراهيمَ النَّبِيِّ صَلَواتُ الله عليه حينَ عَرَضَ له إِبْليسُ في ذلك الْمَوْضِعِ، لِيُدْخِلَ على حَجَّتِهِ شُبْهَةً، أو يَفْتِنَهُ بِمَعْصِيَةٍ، فَأَمَرَ اللهُ تعالى أنْ يَرْمِيَهُ بِالْحِجارَةِ طَرْدًا له، وَقَطْعًا لِأَمَلِهِ. وإنْ خَطَرَ لكَ أنَّ ذلِكَ رَمْيٌ لِأَجْلِ الشَّيْطانِ، وَأَمَّا أنا فَلا فائِدَةَ لي في رَمْيِها، فَاعْلَمْ أنَّ هذا الْخاطِرَ مِنَ الشَّيْطانِ، يَصُدُّكَ بهذا عن امْتِثالِ أَمْرِ الرَّحْمنِ، وَيُلْقِيَ في قَلْبِكَ أنَّ هذا يُضاهِي اللَّعِبَ؛ فَاطْرُدْ هذا عن نَفْسِكَ بِالْجِدِّ في الرَّمْيِ تُرْغِمْ بِذَلِكَ أَنْفَ الشَّيْطانِ، فهو في الصُّورَةِ رَمْيُ الْجِمارِ، وفي الْحَقيقَةِ إِرْغامُ أَنْفِ الشَّيْطانِ بِامْتِثالِ أَمْرِ اللهِ تعالى، وَتَرْكِ حَظِّ النَّفْسِ.

السَّادِسَ عَشَرَ: أنْ تَعْرِفَ أنَّ الْهَدْيَ تَقَرُّبٌ إلى الله تَعالَى بِامْتِثالِ أَمْرِهِ، وَارْجُ عند ذَبْحِهِ أن يَعْتِقَ بِكُلِّ جُزْءٍ منه جُزْءًا من أَجْزاءِ بَدَنِكَ[1] من النَّارِ بِمُقْتَضَى وَعْدِهِ الْكَريمِ، فَكُلَّما كانَ الْهَدْيُ أَعْظَمَ وَأَكْبَرَ كانَ الْفِداءُ مِنَ النَّارِ أَعَمَّ وَأَكْثَرَ.

السَّابِعَ عَشَرَ: إذا وَقَعَ بَصَرُكَ على حِيطانِ الْمَدينَةِ، فَاذْكُرْ فَضيلَةَ هذه الْبَلْدَةِ، وأَنَّها دارُ هِجْرَةِ خَيْرِ الْبَشَرِ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ، وفيها تُرْبَتُهُ الْمُطَهَّرَةُ، وَتُرْبَةُ وَزيرَيْهِ الْقائِمَيْنِ بِالْحَقِّ من بَعْدِهِ. وَضَعْ قَدَمَكَ في تِلْكَ الْبَلْدَةِ على السَّكينَةِ والْوَقارِ، إِذْ طالَمَا تَشَرَّفَ بِقَدَمِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه

---

(1) أجزائك، في مراد ملا.

وَسَلَّمَ في الْعَشِيِّ والْإِبْكارِ؛ وَارْجُ مِنَ الله تعالى أَنْ يَمْنَحَكَ رُؤْيَتَهُ في دارِ الْقَرارِ، كما يَسَّرَ لك رُؤْيَةَ هذه الدِّيارِ، الَّتِي فيها قَبْرُهُ الشَّرِيفُ، وَقَبْرُ أَصْحابِهِ الْكِبارِ. وَاذْكُرْ عند دُخولِكَ مَسْجِدَهُ أَنَّهُ أَوَّلُ عَرْصَةٍ أُقِيمَتْ فيها فَرائِضُ اللهِ تعالى، وَجَمَعَتْ أَفْضَلَ خَلْقِ الله حَيًّا وَمَيِّتًا، وَعَظِّمْ أَمَلَكَ في أَنْ يَرْحَمَكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِسَبَبِ دُخولِكَ إِيَّاها؛ فَادْخُلْ خاشِعًا وَمُعَظِّمًا، وما أَجْدَرَ هذا الْمَكانَ تَعْظِيمًا يَقْدِرُ عليه الْإِنْسانُ[1].

الثَّامِنَ عَشَرَ: إذا زَارَ رَسولَ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ، فَلْيَعْلَمْ أنَّ زِيارَتَهُ مَيِّتًا كَزِيارَتِهِ حَيًّا، وإذا رَأَيْتَهُ حَيًّا فَكَيْفَ تُعَظِّمُهُ. فَاقْدُرْ ذَلِكَ الْقَدْرَ، وَراعِهِ في حَقِّ زِيارَةِ قَبْرِهِ، ولا تَدْنُ مِنْهُ كُلَّ الدُّنُوِّ، ولا تُقَبِّلْهُ، بل قِفْ مِنْ بَعِيدٍ ماثِلًا بَيْنَ يَدَيْهِ كما كُنْتَ تَفْعَلُ لو زُرْتَهُ في حَياتِهِ.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ صَلَّى اللهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عالِمٌ بِحُضورِكَ وَقِيامِكَ وَزِيارَتِكَ، وَأَنَّهُ يَبْلُغُهُ سَلامُكَ وَصَلاتُكَ، فَمَثِّلْ صورَتَهُ الْكَرِيمَةَ في خَيالِكَ، مَوْضوعًا في اللَّحْدِ بِإِزائِكَ، وَأَحْضِرْ عِظَمَ تُرْبَتِهِ في قَلْبِكَ. وإذا أَتَيْتَ مِنْبَرَهُ، تَوَهَّمْ صُعودَهُ وَطَلْعَتَهُ الْبَهِيَّةَ قائِمًا على الْمِنْبَرِ، وقد أَحْدَقَ به الْمُهاجِرونَ وَالْأَنْصارُ، وهو يَحُثُّهُمْ في خُطْبَتِهِ على طاعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَاسْأَلِ اللهَ أَنْ لا يُفَرِّقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ في الْقِيامَةِ.

---

(1) الإحياء: 1/ 270-271.

التَّاسِعَ عَشَرَ: إذا فَرَغْتَ مِنْ هَذِهِ الْأَعْمالِ، فَأَخْطِر بِالْبالِ أَنَّكَ بَيْنَ خَطَرِ رَدِّ الْأَعْمالِ وَبِشارَةِ قَبولِها، وَتَحْزَنُ وَتَخافُ على عَدَمِ مَعْرِفَتِكَ بِأَنَّكَ مِنْ زُمْرَةِ الْمَحْبوبينَ؛ أو رَدِّ حَجَّتِكَ وَأُلْحِقْتَ بِالْمَطْرودِينَ.

الْعِشْرونَ: أَنْ تَمْتَحِنَ قَلْبَكَ بَعْدَ قُدومِكَ وَطَنَكَ، أَنَّكَ قَدِ ازْدَدْتَ تَجافِيًا مِنْ دارِ الْغُرورِ إلى دارِ أُنْسٍ بِاللهِ تعالى، أو زِدْتَ الْقَرارَ في دارِ الذِّلَّةِ وَالْخَسارِ؛ وَوَازِنْ أَعْمالَكَ، فَإِنْ كانَ مِنْ قَبِيلِ الشِّقِّ الْأَوَّلِ دَلَّ على الْقَبولِ، وإلَّا فَيوشِكُ أن يَكُونَ حَظُّكَ من هذه الْأَعْمالِ التَّعَبَ والْعَناءَ والنَّصَبَ والشَّقاءَ[1]؛ نَعوذُ باللهِ من الْحِرْمانِ ومِنْ أَنْ نَنْسَلِكَ[2] في حِزْبِ الشَّيْطانِ.

فَعَلَيْكَ بِمُحاسَبَةِ نَفْسِكَ في كُلِّ غُدْوَةٍ وَعَشِيَّةٍ، وَتَدارَكْ أَمْرَكَ مِنْ قَبْلِ أن تَدْخُلَ في الَّذينَ حِيلَ بينهم وَبَيْنَ ما يَشْتَهونَ، إذْ عِنْدَ ذَلِكَ تَعْظُمُ الْحَسْرَةُ والْخَسارَةُ، ولا يُمْكِنُ التَّدارُكُ بِالتَّوْبَةِ وَالاِسْتِغْفارِ.

نَبَّهَنَا اللهُ تَعَالَى وَإِيَّاكُمْ قَبْلَ حُلولِ الْمَنِيَّةِ، ولا يَحْرِمْنَا بِحُرْمَةِ نَبِيِّهِ عن هَذِهِ الْأُمْنِيَّةِ، صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وَأَصْحابِهِ وذُرِّيَّاتِهِ وأَحْبابِهِ وسَلَّمَ تَسْليمًا.

---

(1) الإحياء: 1/ 271-272.

(2) تنسلك، في رئيس الكتاب وقونية.

الْأَصْلُ الثَّامِنُ: فِي عِلْمِ فَضِيلَةِ الْأَذْكارِ والتِّلاوَةِ وَالْأَوْرادِ

وَفِيهِ مُقَدِّمَةٌ ومَطالِبُ:

الْمُقَدِّمَةُ:

اعْلَمْ أنَّ مِنَ الْمُقَدِّماتِ الْمُقَرَّرَةِ عند الْخَواصِّ بل الْعَوامِّ، أنَّ السَّعادَةَ في لِقاءِ اللهِ الْمَلِكِ الْعَلَّامِ، ولا سَبيلَ إليه إلَّا بِالْحُبِّ له وَالْمَعْرِفَةِ به، وَهُما لا يَحْصُلانِ إلَّا بِدَوامِ الْفِكْرِ فيه وفي صِفاتِهِ وَأَفْعالِهِ، وأنَّ كُلَّ جَمالٍ وَكَمالٍ شُعْبَةٌ من جَنابِ جَلالِهِ وَحَضْرَةِ جَمالِهِ.

ثُمَّ إنَّ النَّفْسَ لَمَّا ابْتُلِيَتْ بِمُصاحَبَةِ هذا الْبَدَنِ لِيُعِينَهَا في بُلوغِ مَطالِبِهِ، وَلَمَّا احْتَاجَ الْبَدَنُ إلى حُسْنِ تَدْبِيرِ النَّفْسِ إيَّاهُ وتَرْبِيَتِهِ، ولن يُسَخَّرَ اللَّطِيفُ لِلْكَثيفِ بِالاِخْتِيارِ حتَّى يُقاسِيَ رِعايَتَهُ وَتَرْبِيَتَهُ، أَوْدَعَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى بَيْنَهُما رابِطَةَ الْحُبِّ لِتَكُونَ تلك الرَّابِطَةُ واسِطَةً لتلك الرِّعايَةِ.

ثُمَّ إنَّ النَّفْسَ الْجاهِلَةَ - بِسَبَبِ شَوْقِها إلى الْبَدَنِ - رُبَّمَا تَمِيلُ إلى شَهَواتِهِ ومُقْتَضَياتِهِ، فَتَنْسَى ما خُلِقَتْ لِأَجْلِهِ، مِنْ مَعْرِفَةِ مَبْدَئِهِ، وَتَدْبِيرِ مَعادِهِ. فلا بُدَّ لِإزالَةِ هذا الْمَيْلِ عنها مِنِ اخْتِيارِ التَّدْريجِ، وذلك التَّدريجُ بِالذِّكْرِ، ثُمَّ الْفِكْرِ، ثُمَّ الشَّوْقِ، ثُمَّ الْعَزْمِ، ثُمَّ قَطْعِ الْعَوائِقِ، ثُمَّ السُّلوكِ إلى الْمَطْلَبِ.

ولَمَّا كانَ أَصْلَ الْكُلِّ الذِّكْرُ الْمُنْتِجُ لِلْفِكْرِ، وَذَلِكَ لا يَحْصُلُ بِالْقَدْرِ الْيَسيرِ منه لِمَا نازَعَتْهُ الشَّهواتُ الْبَدَنِيَّةُ، لا جَرَمَ كانَ الْواجِبَ على الْإِنْسانِ الذِّكْرُ الْمُسْتَغْرِقُ لِلْأَوْقاتِ، حَتَّى يَنْتَهِيَ إلى الْفِكْرِ، وَيَنْزِعَ النَّفْسَ عن الشَّهَواتِ.

وَلَمَّا كانَ اسْتِغْراقُ الْكُلِّ مُتَعَذِّرًا، وَاسْتِغْراقُ الْأَكْثَرِ مُتَعَسِّرًا، لِوُجوبِ الْمَصالِحِ الضَّرورِيَّةِ لِلْبَدَنِ، وَجوازِ الْمَلاذِّ الْمُباحَةِ، لا جَرَمَ لا بُدَّ مِنْ قانونٍ يَنْتَهِي الذِّكْرُ بذلك الْقَدْرِ إلى الْفِكْرِ. فَمَنْ غَلَبَ أَوْقاتُ ذِكْرِهِ فهو ممن يَتَرَجَّحُ[1] كِفَّةُ حَسَناتِهِ؛ وأمَّا مَنْ ساوَى بَيْنَهُما فَأَمْرُهُ إلى اللهِ، مع أَنَّ سَعَةَ الرَّحْمَةِ تُعَظِّمُ الرَّجاءَ في أَمْرِهِ؛ وَأَمَّا الْمُسْتَغْرِقُ جَميعَ أَوْقاتِهِ، فَهؤلاءِ هُمُ الْمُنْتَهونَ الْفائِزونَ بِالْجِنانِ مِنْ غَيْرِ حِسابٍ؛ وَأَمَّا الْمُبْتَدِئُ فلا يُمْكِنُهُ ذَلِكَ إذْ تَدْخُلُهُ السَّآمَةُ وَالْمَلالُ، واللهُ تعالى لا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا. فَلَا بُدَّ في حَقِّهِمْ مِنَ التَّلَطُّفِ وَالتَّدْريجِ مِنْ فَنٍّ إلى فَنٍّ، لِأَنَّ التَّفَنُّنَ يُرَوِّحُ النَّفْسَ وَيُرَغِّبُها في الزِّيادَةِ عليه. فَلَا بُدَّ مِنْ بَيانِ أَوْقاتِ التِّلاوَةِ وَالْأَذْكارِ، آناءَ اللَّيْلِ وَأَطْرافَ النَّهارِ، كما قالَ تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (25) وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (26)﴾[2]؛ وقالَ تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ (39) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ (40)﴾[3]؛ وَقالَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (48) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ

(1) ترجح، في الأزهرية.
(2) سورة الإنسان، الآية: 25-26.
(3) سورة ق، الآية: 39-40.

وَإِدْبَارَ النُّجُومِ (49)﴾[1]. ثُمَّ قالَ في حَقِّ الْفائِزِينَ: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (17) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (18)﴾[2]. وقالَ تعالى: ﴿تتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[3]. إلى غَيْرِ ذلكَ من الْآياتِ.

(1) سورة الطور، الآية: 48-49.
(2) سورة الذاريات، الآية: 17-18.
(3) سورة السجدة، الآية: 16.

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ: في عِلْمِ آدابِ التِّلاوَةِ وفَضيلَتِها

لا تَخْفَى على أَحَدٍ سِيَّما مَنْ سَمِعَ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ ثُمَّ رَأَى أَنَّ أَحَدًا أُوتِيَ أَفْضَلَ مِمَّا أُوتِيَ فَقَدِ اسْتَصْغَرَ ما عَظَّمَهُ اللهُ تَعَالَى»[1].

وَقَوْلَهُ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «لَوْ كانَ الْقُرْآنُ في إِهابٍ ما مَسَّتْهُ النَّارُ»[2].

وَكَذَلكَ لا يَخْفَى ذَمُّ تِلاوَةِ الْغافِلينَ، كما قالَ رَسولُ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «رُبَّ تالٍ لِلْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ يَلْعَنُهُ»[3].

فلا بُدَّ مِنْ ذِكْرِ آدابٍ يَنْجو بها مِنْ نَقيصَةِ الْغَفْلَةِ، وَرَذيلَةِ التَّقْصيرِ.

ثُمَّ إِنَّ الْآدابَ لها ظاهِرٌ وباطِنٌ:

وَالْآدابُ الظَّاهِرَةُ عَشَرَةٌ:

الْأَوَّلُ: في حالِ الْقارِئِ، وهو أَنْ يَكونَ على وُضوءٍ، وَيَقْرَأَ على السُّكونِ والْوَقارِ، إِمَّا قائِمًا، وإِمَّا جالِسًا، مُسْتَقْبِلًا الْقِبْلَةَ، مُطْرِقًا رَأْسَهُ، غَيْرَ مُتَرَبِّعٍ ولا مُتَّكِئٍ، وَيَجْلِسَ جُلوسَهُ عند الْأُسْتاذِ. وَأَفْضَلُ أَحْوالِ الْقِراءَةِ في الصَّلاةِ

---

(1) التاريخ الكبير: 3/ 311، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: 3/ 500، شعب الإيمان: 4/ 179، الإحياء: 1/ 272-273.

(2) فضائل القرآن لأبي عبيد: 54، بلفظ: «ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ مَا احْتَرَقَ»، مسند أحمد: 28/ 627، مسند الدارمي: 2/ 1054، الإحياء: 1/ 273.

(3) الإحياء: 1/ 274.

قائِمًا وَيكونُ في الْمَسْجِدِ، ثُمَّ غَيْرَ مُتَوَضِّئٍ، ثُمَّ الْمُضْطَجِعُ، وَإِنْ لم يَخْلُ عن الْفَضيلَةِ، لكنْ إنْ قَرَأَ مُضْطَجِعًا يَنْبَغِي أن يَضُمَّ إليه رِجْلَيْهِ[1].

الثَّانِي: في الْمِقْدارِ، وله مَراتِبُ: منهم مَنْ يَخْتِمُ في الْيَوْمِ واللَّيْلَةِ مَرَّةً أو مَرَّتَيْنِ، وانْتَهى بَعْضُهُمْ إلى ثَلاثٍ؛ ومنهم مَنْ يَخْتِمُ في ثَلاثٍ، وهذا الْوَسَطُ، وهو الْأَفْضَلُ؛ ومنهم مَنْ يَخْتِمُ في أُسْبوعٍ، وَقَدْ فَعَلَهُ كَثيرٌ من الصَّحابَةِ، كَعُثْمانَ، وَزَيْدِ بنِ ثابِتٍ، وابْنِ مَسْعودٍ وأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ الله عنهم؛ ومنهم مَنْ يَخْتِمُ في كُلِّ شَهْرٍ.

وَالْخَتْمُ في الْيَوْمِ واللَّيْلَةِ مَرَّةً أو مَرَّتَيْنِ أو مَرَّاتٍ مَكْروهٌ، وفي الشَّهْرِ مَرَّةً مُبالَغَةٌ في الاِقْتِصارِ، والْأَحَبُّ بينهما؛ إلَّا أنَّ الْحَقَّ أنَّ الْقارِئَ - إنْ كانَ مِنَ الْعُبَّادِ - يَخْتِمُ في الْأُسْبوعِ مَرَّةً أو مَرَّتَيْنِ، وإنْ كانَ مِنْ أَرْبابِ الْقُلوبِ، أو مِمَّنِ اشْتَغَلَ بِنَشْرِ الْعِلْمِ، ففي الْأُسْبوعِ مَرَّةً، وإنْ كانَ نافِذَ الْفِكْرِ في مَعانِي الْقُرْآنِ، فَفِي الشَّهْرِ مَرَّةً لِكَثْرَةِ حاجَتِهِ إلى تَرْديدِ الْآياتِ وَتَكْريرِها.

الثَّالِثُ: في الْقِسْمَةِ، مَنْ قَسَّمَ الْقُرْآنَ على سَبْعَةٍ، يَفْتَتِحُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ بِالْبَقَرَةِ إلى الْمائِدَةِ؛ وفي اللَّيْلَةِ الثَّانيةِ بِالْأَنْعامِ إلى هودٍ؛ وفي الثَّالِثَةِ بيوسُفَ إلى مَرْيَمَ؛ وفي الرَّابِعَةِ بـ "طه" إلى "طسم"؛ وفي الْخامِسَةِ بِالْعَنْكَبوتِ إلى "ص"؛ وفي السَّادِسَةِ بِـ "تَنْزِيلُ"[2] إلى الرَّحْمنِ، وفي السَّابِعَةِ وهي لَيْلَةُ الْخَميسِ يَخْتِمُ.

---

(1) الإحياء: 1/ 275.

(2) يقصد سورة الزمر التي تبتدئ بقوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾.

وَقيلَ: في السَّبْعَةِ الْأَحْزابِ الْأَوَّلِ ثَلاثُ سُوَرٍ، والثَّانِي خَمْسٌ، والثَّالِثِ سَبْعٌ؛ والرَّابِعِ تِسْعٌ؛ وَالْخامِسِ إحْدَى عَشْرَةَ؛ والسَّادِسِ ثَلاثَ عَشْرَةَ؛ والسَّابِعِ الْمُفَصَّلُ من ق[1]. وهذه تَجْزِئَةُ الصَّحابَةِ، وما سِوَى هذه من الْأَخْماسِ وَالْعَواشِرِ مُحْدَثٌ.

الرَّابِعُ: في الْكِتابَةِ، يُسْتَحَبُّ تَحْسينُ كِتابَةِ الْقُرْآنِ وَتَبْيِينُهُ، ولا بَأْسَ بِالنَّقْطِ وَالْعَلاماتِ بِالْحُمْرَةِ وغَيْرِها، فإنَّ ذلك تَزْيينٌ وَتَبْيِينٌ وصَدٌّ عن الْخَطَإِ واللَّحْنِ. وما نُقِلَ عن السَّلَفِ من الْكَراهَةِ فيها وفي أَمْثالِها، لِخَوْفِهِمْ مِنْ أنْ يُؤَدِّيَ فَتْحُ هذا الْبابِ إلى إِحْدَاثِ زِيادَاتٍ يَطْرُقُ بها التَّغْييرُ إلى الْقُرْآنِ. وَأَمَّا الَّذِي نَحْنُ عليها فلم يَبْلُغْ إلى تلك الدَّرَجَةِ، مع فائِدَةِ الْإِعْرابِ والصَّوْنِ عن اللَّحْنِ والْخَطَإِ، فَهَذِهِ بِدْعَةٌ حَسَنَةٌ[2].

الْخامِسُ: الْبُكاءُ، قالَ النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «اتْلُوا الْقُرْآنَ وَابْكُوا، فإِنْ لم تَبْكُوا فَتَباكَوْا»[3].

وَطَرِيقُ التَّباكِي أن يُلْقِيَ في قَلْبِهِ الْحُزْنَ، ومنه يَنْشَأُ الْبُكاءُ؛ قال النَّبِيُّ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ: «إِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِحُزْنٍ فإذا قَرَأْتُموهُ فَتَحازَنوا»[4].

(1) من ق إلى آخره، في الإحياء: 1/ 276.

(2) الإحياء: 1/ 276.

(3) مسند سعد بن أبي وقاص: 214، مسند ابن المبارك: 79، الإحياء: 1/ 277.

(4) سنن ابن ماجه: 1/ 424، الضعفاء الكبير للعقيلي: 3/ 422، قوت القلوب: 1/ 87، الإحياء: 1/ 277.

وَطَرِيقُ التَّحازُنِ أنْ يَتَأَمَّلَ ما فيه من التَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ، وَالْوَثائِقِ والْعُهودِ، ثُمَّ يَتَأَمَّلَ تَقْصيرَهُ، فَيَحْزَنَ وَيَبْكِيَ لا مَحالَةَ، فإنْ لم يَحْزَنْ بهذه فَلْيَبْكِ على فَقْدِ الْحُزْنِ والْبُكاءِ، فإنَّ ذلك من أَعْظَمِ الْمَصائِبِ.

السَّادِسُ: التَّرْتِيلُ، وَقَدْ عَرَفْتَ أنَّ الْغَرَضَ من الذِّكْرِ الْفِكْرُ، والتَّرْتيلُ مُعِينٌ عليه، وبِذَلِكَ نَعَتَتْ أمُّ سَلَمَةَ قِراءَةَ رَسولِ اللهِ صلَّى الله عليه وسَلَّمَ، سِيَّما إذا كانَ الْقارِئُ أَعْجَمِيًّا لا يَفْهَمُ الْمَعْنَى، فإنَّهُ يُسْتَحَبُّ له التَّرْتيلُ وَالتُّؤَدَةُ، لأنَّ ذَلِكَ أَقْرَبُ إلى التَّوْقيرِ وَالاحْتِرام.

السَّابِعُ: رِعايَةُ حَقِّ الْآياتِ؛ مِثْلَ أن يَسْجُدَ في مَواضِعِها ولو سَمِعَ مِنْ غَيْرِهِ، وَيَسْجُدَ على طَهارَةٍ، وَيُشْتَرَطُ لها شَرائِطُ سَجْدَةِ الصَّلاةِ، مِنَ الطَّهارَةِ، واسْتِقْبالِ الْقِبْلَةِ، وَسَتْرِ الْعَوْرَةِ[1].

الثَّامِنُ: أَنْ يَتَعَوَّذَ قَبْلَ الْقِراءَةِ وَيَقولَ: أَعوذُ باللهِ السَّميعِ الْعَليمِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجيمِ، رَبِّ أَعوذُ بك من هَمَزاتِ الشَّياطينِ، وأَعوذُ بِكَ رَبِّ أن يَحْضُرونَ، وَيَقْرَأَ سورَةَ "قُلْ أَعوذُ بِرَبِّ النَّاسِ"، وَسورَةَ الْفاتِحَةِ. وَلْيَقُلْ عند فَراغِهِ مِنْ كُلِّ سورَةٍ صَدَقَ اللهُ الْعَظيمُ، وبَلَّغَ رَسولُهُ الْكَريمُ، اللَّهُمَّ انْفَعْنا به، وَبارِكْ لنا فيه، وَالْحَمْدُ لله رَبِّ الْعالَمِينَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ. وإذا مَرَّ بآيَةِ تَسْبيحٍ سَبَّحَ وَكَبَّرَ، وإنْ مَرَّ بِآيَةِ اسْتِغْفارٍ اسْتَغْفَرَ وَدَعا، وإنْ مَرَّ بِآيَةِ

(1) الإحياء: 1/ 277-278.

سُؤالِ سَأَلَ، وإنْ مَرَّ بآيَةِ تَخْويفٍ اسْتَعاذَ، يَفْعَلُ ذلك بِلِسانِهِ، أو بِقَلْبِهِ، فَيَقولُ: سُبْحانَ اللهِ [الْعَظيمِ][1]، أَعوذُ باللهِ، اللَّهُمَّ ارْزُقْنا، اللَّهُمَّ ارْحَمْنا.

وإذا فَرَغَ يَدْعو بِدُعاءِ رَسولِ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ عند خَتْمِ الْقُرْآنِ وهو: «اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي بِالْقُرْآنِ الْعَظيمِ، واجْعَلْهُ لي إِمامًا وَنورًا، وهُدًى وَرَحْمَةً، اللَّهُمَّ ذَكِّرْنِي منه ما نَسِيتُ، وَعَلِّمْنِي منه ما جَهِلْتُ، وارْزُقْنِي تِلاوَتَهُ آناءَ اللَّيْلِ وأَطْرافَ النَّهارِ، وَاجْعَلْهُ حُجَّةً لي يا أَرْحَمَ الرَّاحِمينَ»[2].

التَّاسِعُ: [في الْجَهْرِ بالْقِراءَةِ][3]، وَأَدْنَى الْجَهْرِ في حَقِّ الصَّلاةِ وَتَرَتُّبِ الثَّوابِ إِسْماعُ النَّفْسِ، وَمَرْتَبَةُ إِسْماعِ الْغَيْرِ مُسْتَحَبٌّ. وَقَدْ تَعارَضَتِ الْأَخْبارُ في حَقِّ الْجَهْرِ وَالْإِسْرارِ، إِلَّا أَنَّ الْجَمْعَ بينهما أَنَّ الْإِسْرارَ أَفْضَلُ لِمَنْ يُخافُ فيه من الرِّياءِ والتَّصَنُّعِ، وأَمَّا فيمن هو بِخِلافِهِ فَالْجَهْرُ أَفْضَلُ، إِلَّا أَنْ يُشَوِّشَ وَقْتَ مُصَلٍّ آخَرَ، لأَنَّ فيه فَوائِدَ كَثيرَةً ليس في الْإِسْرارِ، لأَنَّهُ خَيْرٌ مُتَعَدٍّ، يُوقِظُ الْقَلْبَ، وَيَجْمَعُ الْهَمَّ إلى الْفِكْرِ، وَيَجْمَعُ إليه سَمْعَهُ، وَيَطْرُدُ النَّوْمَ منه وَمِنْ غَيْرِهِ، وَيَزيدُ في نَشاطِهِ، وَيُقَلِّلُ من كَسَلِهِ. وقد يَبْعَثُ شَوْقَ الْكَسْلانِ إلى الْقِراءَةِ، فَمَهْمَا حَضَرَ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ النِّياتِ فَالْجَهْرُ أَفْضَلُ، وإِنِ اجْتَمَعَ اثْنانِ أو أَكْثَرُ يُضاعَفُ الْأَجْرُ بِقَدْرِهِ[4].

---

(1) زيادة من رئيس الكتاب.

(2) الإحياء: 1/ 278، تخريج أحاديث الإحياء: 2/ 694.

(3) زيادة من أنطاليا.

(4) الإحياء: 1/ 278-279.

الْعاشِرُ: تَحْسِينُ الْقِراءَةِ من غَيْرِ تَمْطِيطٍ بِغَيْرِ النَّظْمِ، كما قالَ رَسولُ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْواتِكُمْ»[1].

وَقالَ: «ما أَذِنَ الله لِشَيْءٍ إِذْنَهُ لِحَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ»[2].

وَقالَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ»[3]. وغير ذلك.

(1) مسند أبي داود الطيالسي: 2/ 103، مصنف ابن أبي شيبة: 5/ 422، مسند أحمد: 30/ 451، والنقل من الإحياء: 1/ 279.

(2) أورده مسلم 1/ 545 بلفظ: «مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ، مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ، يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ». وهذا اللفظ من الإحياء: 1/ 279.

(3) صحيح البخاري: 9/ 154، رقم: 7527.

الْمَطْلَبُ الثَّانِي: فِي الْآدابِ الْباطِنَةِ

وَهِيَ أَيْضًا عَشَرَةٌ:

الْأَوَّلُ: فَهْمُ عَظَمَةِ الْكَلامِ وَعُلُوِّهِ، وَفَضْلِ الله تعالى وَلُطْفِهِ، حيثُ أَنْزَلَهُ عن عَرْشِ جَلالِهِ إلى دَرَجَةِ أَفْهامِ خَلْقِهِ، مع كَوْنِهِ صِفَةً قَدِيمَةً قائِمَةً بِذاتِهِ. ولو اسْتَنَارَ كُنْهُ جَمالِ كَلامِهِ في كِسْوَةِ الْحُروفِ والْأَلْفاظِ لَمَا ثَبَتَ لِسَماعِهِ عَرْشٌ ولا ثَرَى، كما لم يُطِقِ الْجَبَلُ مَبادِئَ تَجَلِّيهِ حَتَّى صارَ دَكًّا، ولولا تَثْبِيتُ اللهِ تعالى موسى لَمَا أَطاقَ سَماعَ كَلامِهِ؛ وَمَثَّلُوا لِذَلِكَ بِتَأْدِيبِ الْحَيواناتِ بِأَصْواتٍ دالَّةٍ على كَلِماتٍ لا يَفْهَمُها الْحَيَوانُ إلَّا بِكِسْوَةِ أَصْواتٍ يُمْكِنُها تَمْيِيزُها مِنَ النَّفِيرِ والصَّفيرِ.

فَالْكَلامُ عالِي الْمَنْزِلَةِ، رَفيعُ الدَّرَجَةِ، قاهِرُ السُّلْطانِ، نافِذُ الْحُكْمِ في الْحَقِّ والْباطِلِ؛ وهو الْقاضِي الْعَدْلُ، وَالشَّاهِدُ الْمُرْتَضَى يَأْمُرُ وَيَنْهَى، ولا طاقَةَ لِلْباطِلِ أنْ يَقومَ قُدَّامَ الْحِكْمَةِ كَالظِّلِّ مع الشَّمْسِ، فهو مَلِكٌ مَحْجوبٌ غائِبٌ وجْهُهُ، ظاهِرٌ أَمْرُهُ، وَشَمْسٌ ظاهِرَةُ الْأَضْواءِ، وَعُنْصُرُها مَكْنونٌ[1].

الثَّانِي: تَعْظيمُ الْمُتَكَلِّمِ، بِأَنْ يَتَفَكَّرَ أَنَّ ظاهِرَ الْجِلْدِ - كما أَنَّهُ مَحْروسٌ عن الْبَشَرِ ما لم يَتَطَهَّرْ عن الْأَحْداثِ وَالْأَخْباثِ - كَذَلِكَ مَعْناهُ مَحْجوبٌ بِحُكْمِ عِزِّهِ وَجَلالِهِ عن باطِنِ الْقَلْبِ ما لم يَتَطَهَّرْ عن الْحَوادِثِ وَالْأَكْوانِ، أو يَتَنَوَّرْ بِنورِ التَّعْظيمِ وَالتَّوْقيرِ، فَيُعَظِّمُ الْجِلْدُ بِتَعْظيمِ الْكَلامِ عن يَدِ غَيْرِ

---

(1) الإحياء: 1/ 280-281.

مُتَطَهِّرٍ، وَالْكَلامُ بِتَعْظِيمِ مُتكَلِّمِهِ عن لِسانِ غَيْرِ مُتَطَهِّرٍ عن الْكَذِبِ والْغِيبَةِ والْبُهْتانِ؛ والْمُتَكَلِّمُ بِالتَّفَكُّرِ في صِفاتِهِ وأَفْعالِهِ بِتَطْهِيرِ الْقَلْبِ عن تَلَوُّثِ الْحَدَثانِ، وَكُدُوراتِ الْمَلَوَانِ[1].

الثَّالِثُ: حُضورُ الْقَلْبِ، وَتَرْكُ حَديثِ النَّفْسِ، وَهَذِهِ الصِّفَةُ تَتَوَلَّدُ عن التَّعْظِيمِ، فإِنَّ الْمُعَظِّمَ لِأَحَدٍ يَسْتَأْنِسُ بِكَلامِهِ، وَيُحْضِرُ إليه قَلْبَهُ، وَيَجْمَعُ إليه هَمَّهُ. وَكانَ بَعْضُ السَّلَفِ إذا لم يُحْضِرْ قَلْبَهُ عِنْدَ قِراءَةِ سورَةٍ أَعادَها.

الرَّابِعُ: التَّدَبُّرُ، وهو وَراءَ إِحْضارِ الْقَلْبِ، فإِنَّهُ قد لا يَتَفَكَّرُ في غَيْرِ الْقُرْآنِ، وقد يَقْتَصِرُ على سَماعِ الْقُرْآنِ، وهو لا يَتَدَبَّرُهُ؛ والْمَقْصودُ مِنَ الْقُرْآنِ التَّدَبُّرُ، ولِذَلِكَ سُنَّ فيه التَّرْتِيلُ، فإذا لم يَتَمَكَّنْ مِنَ التَّدَبُّرِ فَلْيُرَدِّدْ.

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ قالَ: قامَ رَسولُ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ بنا لَيْلَةً فَقامَ بِآيَةٍ يُرَدِّدُها: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[2].

وَقامَ سَعيدُ بْنُ جُبَيْرٍ لَيْلَةً بِهَذِهِ الْآيَةِ يُرَدِّدُها: ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾[3].

وَعَنْ أَبِي سُلَيْمانَ الدَّارانِيِّ قالَ: إِنِّي لَأَتْلُو الْآيَةَ فَأُقِيمُ فيها أَرْبَعَ لَيالٍ، أو خَمْسَ لَيالٍ، ولولا أَنِّي أَقْطَعُ الْفِكْرَ فيها ما جاوَزْتُها إلى غَيْرِها.

---

(1) المَلَوانِ: الليلُ وَالنَّهارُ، وَقِيلَ: المَلَوانِ طَرَفا النَّهارِ. اللسان: ملا.

(2) سورة المائدة، الآية: 118.

(3) سورة يس، الآية: 59.

وَعَنْ بَعْضِ السَّلَفِ: أَنَّهُ بَقِيَ في سورَةِ هودٍ سِتَّةَ أَشْهُرٍ يُكَرِّرُها، ولا يَفْرُغُ من التَّدَبُّرِ فيها.

وَقالَ بَعْضُ الْعارِفِينَ: لي في كُلِّ جُمُعَةٍ خَتْمَةٌ، وفي كُلِّ شَهْرٍ خَتْمَةٌ، وفي كُلِّ سَنَةٍ خَتْمَةٌ، وَلِي في خَتْمَةٍ ثَلاثِينَ سَنَةً ما فَرَغْتُ منها بَعْدُ[1].

الْخامِسُ: التَّفَهُّمُ، وهو أَنْ يَسْتَوْضِحَ مِنْ كُلِّ آيَةٍ ما يَليقُ بها، إذِ الْقُرْآنُ مُشْتَمِلٌ على ذِكْرِ صِفاتِ الله تَعالَى وَأَفْعالِهِ، وَأَحْوالِ أَنْبيائِهِ، وَأَوامِرِهِ وَزَواجِرِهِ، وَالْجَنَّةِ والنَّارِ، فَتَحْتَ هَذِهِ مَعانٍ مَدْفونَةٌ، لا يَصِلُ إليها إلَّا الْمُوَفَّقُونَ. ولِذَلِكَ قالَ عَلِيٌّ رضِيَ الله عنه: لو شِئْتُ لَأَوْقَرْتُ سَبْعِينَ بَعيرًا من تَفْسِيرِ فاتِحَةِ الْكِتابِ[2].

وَقَدْ قِيلَ: لا يَكونُ الْمُريدُ مُريدًا حَتَّى يَجِدَ في الْقُرْآنِ ما يُريدُ، وَيَعْرِفَ النُّقْصانَ مِنَ الْمَزِيدِ، وَيَسْتَغْنِيَ بِالْمَوْلَى عن الْعَبيدِ.

فَالْغَرَضُ مِمَّا ذَكَرْناهُ، التَّنْبِيهُ على طَرِيقِ التَّفَهُّمِ، لِيَنْفَتِحَ بابُهُ، فَأَمَّا الاِسْتِقْصاءُ فلا مَطْمَعَ فيه.

السَّادِسُ: التَّخَلِّي عن[3] مَوانِعِ الْفَهْمِ لِأَسْبابٍ وَحُجُبٍ سَدَلَها الشَّيْطانُ على قُلوبِهِمْ، فَعَمِيَتْ عليهم عَجائِبُ أَسْرارِ الْقُرْآنِ.

---

(1) الإحياء: 1/ 281-282.

(2) قوت القلوب: 1/ 92، الإحياء: 1/ 283، ففيض القدير: 1/ 49.

(3) من، في الأزهرية.

منها: تَحْقيقُ مَخارِجِ الْحُروفِ، وَأَعْظَمُ ضُحْكَةٍ لِلشَّيْطانِ الْقُرَّاءُ الَّذِينَ أَطاعُوا تَلْبِيسَ الشَّيْطانِ، الَّذِينَ يُخَيِّلُ إلِيْهِمُ الشَّيْطانُ أَنَّ الْحُروفَ لم تَخْرُجْ من مَخارِجِها، فَيَصْرِفُهُمْ عن تَكَشُّفِ الْمَعانِي؛ بل الْحَزْمُ في ذلك قَدْرَ الاِقْتِصارِ.

ومنها: التَّقْليدُ لِمَذْهَبٍ مَسْموعٍ له، وَيَتَعَصَّبُ له، فَيُحْرَمُ من غَيْرِهِ ولو كانَ حَقًّا. وإنْ لَمَعَ بَرْقُ الْحَقِّ على بُعْدٍ وَبَدَا له [مَعْنًى من الْمَعانِي إلى تَبايُنِ مَسْموعِهِ][1]، حَمَلَ عليه شَيْطانُ التَّقْليدِ حَمْلَةً، وَقالَ: كَيْفَ يَخْطُرُ هذا بِبالِكَ وهو خِلافُ مُعْتَقَدِ أَسْلافِكَ الَّذِينَ كانوا على الْحَقِّ؟![2]

وَقَوْلُ الصُّوفِيَّةِ: الْعِلْمُ حِجابٌ، أَرَادُوا به هذا النَّوْعَ من الْعِلْمِ، لا الْعِلْمَ الْحَقِيقِيَّ الْمُؤَيَّدَ بِالْبُرْهانِ أو الْعِيانِ؛ مَثَلًا مَنْ غَلَبَ عليه مَذْهَبُ التَّجْسيمِ، وَلاحَظَ مَعْنَى الْقُدُّوسِ أَنَّهُ مُنَزَّهٌ عن كُلِّ ما يَجوزُ لِمَخْلوقاتِهِ، يَكُرُّ عَلَيْهِ الشَّيْطانُ، وَيَصُدُّهُ عَنْ ذَلِكَ بِالتَّقْلِيدِ قَبْلَ أَنْ يَسْتَقِرَّ في قَلْبِهِ.

وَمِنْهَا: أَنْ يَتَراكَمَ على مِرْآةِ قَلْبِهِ صَدَأُ الْمَعاصِي وَالشَّهواتِ، فلا تَنْكَشِفَ له أَسْرارُ الْكِتابِ. ولِذَلِكَ قالَ تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[3]؛ وقالَ تعالى: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾[4].

(1) زيادة من أنطاليا.

(2) الإحياء: 1/ 284.

(3) سورة الرعد، الآية: 19.

(4) سورة ق، الآية: 8.

ومنها: أَنْ يُقَلِّدَ تَفسيرًا ظاهِرًا يُرْوَى عَنْ قَتادَةَ وَمُجاهِدٍ، وَيَعْتَقِدَ أَنَّ ما وَراءَهُ تَفْسِيرٌ بِالرَّأْيُ. وَهَذَا أَيْضًا مِنْ أَعْظَمِ الْحُجُبِ؛ إِذِ الْقُرْآنُ لا تَنْقَضِي عَجائِبُهُ. وَسَتَعْرِفُ التَّفْسِيرَ بِالرَّأْيِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى.

السَّابِعُ: التَّخَصُّصُ، وَذَلِكَ[1] أَنْ يُقَدِّرَ أَنَّ الْمَقْصودَ بِكُلِّ خِطابٍ في الْقُرْآنِ، مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْوَعْدِ وَالْوَعيدِ، وَأَنَّ الْقَصْدَ مِنَ الْقَصَصِ والْأَخْبارِ ليس إلَّا الاِعْتِبارُ، وَكَيْفَ لا وَالْقُرْآنُ لم يُنَزَّلْ على رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ إلَّا لِأَجْلِهِ ولِأَجْلِ أُمَّتِهِ عامَّةً.

الثَّامِنُ: التَّأَثُّرُ بِآثارٍ مُخْتَلِفَةٍ بِحَسَبِ اخْتِلافِ الْآياتِ، فَيَكونُ له بِحَسَبِ كُلِّ فَهْمٍ حالٌ وَوَجْدٌ يَتَّصِفُ به قَلْبُهُ، من الْخَوْفِ والْحُزْنِ والرَّجاءِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ. ومَنْ لم يَتَرَدَّدْ قَلْبُهُ بين هذه الْحالاتِ كانَ حَظُّهُ مِنَ التِّلاوَةِ حَرَكَةَ اللِّسانِ. وَهَذِهِ قَلِيلُ الْجَدْوَى. وَتِلاوَةُ الْقُرْآنِ حَقَّ تِلاوَتِهِ أَنْ يَشْتَرِكَ فيه اللِّسانُ والْعَقْلُ والْقَلْبُ[2].

فَحَظُّ اللِّسانِ تَصْحيحُ الْحُروفِ بِالتَّرْتيلِ؛ وَحَظُّ الْعَقْلِ تَفْسيرُ الْمَعانِي؛ وَحَظُّ الْقَلْبِ الاِتِّعاظُ والتَّأَثُّرُ، والاِنْزِجارُ والاِئْتِمارُ. فَاللِّسانُ [واعِظٌ][3]، وَالْعَقْلُ تَرْجُمانٌ، وَالْقَلْبُ يَتَّعِظُ، فَعِنْدَ الْوَعيدِ وَتَقْييدِ الْمَغْفِرَةِ بِالشُّروطِ؛

(1) وهو، في أنطاليا.

(2) الإحياء: 1/ 284-287.

(3) زيادة من أنطاليا.

كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾[1]؛ يَتَضاءَلُ خُضوعًا من خِيفَتِهِ حَتَّى كأنَّهُ يموتُ.

وَمِنْهُمْ مَنْ ماتَ عند سَماعِ آياتِ الْوَعيدِ، وَمِنْهُمْ مَنْ خَرَّ مَغْشِيًّا عليه؛ وَعِنْدَ التَّوَسُّعِ وَوَعْدِ الْمَغْفِرَةِ يَسْتَبْشِرُ، كَأَنَّهُ يَطيرُ مِنَ الْفَرَحِ؛ وَعِنْدَ ذِكْرِ صِفاتِ اللهِ تعالى وَأَسْمائِهِ يَتَطَأْطَأُ خُضوعًا لِجَلالِهِ، وَاسْتِشْعارًا لِعَظَمَتِهِ؛ وعند ذِكْرِ الْكُفَّارِ ما يَسْتَحيلُ على الله تعالى؛ كَذِكْرِهِمْ لله سُبْحانَهُ وَلَدًا وَصاحِبَةً، يَغُضُّ صَوْتَهُ وَيَنْكَسِرُ في باطِنِهِ حَياءً من قُبْحِ مَقالَتِهِمْ، وعند وَصْفِ الْجَنَّةِ يَنْبَعِثُ بباطِنِهِ شَوْقًا إليها، وَعِنْدَ وَصْفِ النَّارِ تَرْتَعِدُ فَرائِصُهُ خَوْفًا.

التَّاسِعُ: التَّرَقِّي إلى أَنْ يَسْمَعَ الْكَلامَ مِنَ الله عَزَّ وجَلَّ [لا من نَفْسِهِ][2]، فَدَرَجاتُ الْقِراءَةِ ثَلاثٌ، **أَدْناها** أَنْ يُقَدِّرَ الْعَبْدُ نَفْسَهُ كَأَنَّهُ ماثِلٌ بين يَدَيْ مَوْلاهُ، وهو مُسْتَمِعٌ منه، فَيَقْرَأُهُ بِالتَّمَلُّقِ والتَّضَرُّعِ والابْتِهالِ؛ **وَأَوْسَطُها** أَنْ يَشْهَدَ بِقَلْبِهِ كَأَنَّ رَبَّهُ يُخاطِبُهُ بِأَلْطافِهِ وَيُناجِيهِ بِإِنْعامِهِ، فَمَقامُهُ عند هذا الْحَياءُ والتَّعْظيمُ والْإِصْغاءُ وَالْفَهْمُ، وهذه دَرَجَةُ أَصْحابِ الْيَمينِ؛ **وَأَعْلاها** أن يَرَى في الْكَلامِ الْمُتَكَلِّمَ، وفي الْكَلِماتِ الصِّفاتِ، وَيَكونَ مَقْصورَ الْهَمِّ على الْمُتَكَلِّمِ، كَأَنَّهُ مُسْتَغْرِقٌ بِمُشاهَدَتِهِ عن غَيْرِهِ، وَهَذِهِ دَرَجَةُ الْمُقَرَّبينَ. وفي مِثْلِ

(1) سورة طه، الآية: 82.

(2) زيادة من أنطاليا.

هَذِهِ الْحالَةِ تَعْظُمُ الْحَلاوَةُ، وَلَذَّةُ الْمُناجاةِ[1].

الْعاشِرُ: التَّبَرِّي مِنْ حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ، وَأَنْ يُشاهِدَ نَفْسَهُ بِعَيْنِ الرِّضا وَالإلْتِفاتِ إليها بِالتَّزْكِيَةِ؛ فإذا تَلَا آياتِ الْوَعْدِ يَشْهَدُ بِذَلِكَ لِلْمُوقِنِينَ، ولا يَرَى نَفْسَهُ أَهْلًا لها، بَلْ يَتَشَوَّقُ أَنْ يُلْحِقَهُ اللهُ بِهِمْ؛ وَإِذَا تَلَا آياتِ الْمَقْتِ، وَذَمِّ الْعُصاةِ، شَهِدَ نَفْسَهُ هُناكَ، وَقَدَّرَ نَفْسَهُ الْمُخاطَبَ خَوْفًا وَإِشْفاقًا؛ ثُمَّ رُؤْيَتُهُ نَفْسَهُ بِصورَةِ التَّقْصِيرِ، يَكونُ سَبَبَ قُرْبِهِ إلى أَنْ يُجاوِزَ حَدَّ الإلْتِفاتِ إلى نَفْسِهِ، ولم يُشاهِدْ إلَّا اللهَ تعالى في قِراءَتِهِ، فَحِينَئِذٍ انْكَشَفَ له الْمُلْكُ والْمَلَكوتُ؛ وَحَيْثُ يَتْلُو آياتِ الرَّجاءِ، وَيَغْلِبُ على حالِهِ الإسْتِبْشارُ، تَنْكَشِفُ له صورَةُ الْجَنَّةِ فَيُشاهِدُها عِيانًا، وعلى هذا حالُ آياتِ الْخَوْفِ إذ حينَئِذٍ كوشِفَتْ له النَّارُ عِيانًا[2].

---

(1) الإحياء: 1/ 287-288.

(2) المصدر نفسه: 1/ 288.

الْمَطْلَبُ الثَّالِثُ: في فَهْمِ الْقُرْآنِ وَتَفْسيرِهِ بِالرَّأْيِ مِنْ غَيْرِ نَقْلٍ

لَعَلَّكَ تُخْطِرُ بِالْبالِ أَنَّ ما ذَكَرْتُ مِنَ الْمَعانِي يَرْجِعُ إلى التَّفْسِيرِ بِالرَّأْيِ، وَأَنَّهُ مِمَّا أَنْكَرَ عليه الشَّرْعُ، حَتَّى شَنَّعَ الْعُلَماءُ على أَهْلِ التَّصَوُّفِ في تَأْويلِ كَلِماتِ الْقُرْآنِ على خِلافِ ما نُقِلَ عن ابْنِ عَبَّاسٍ وَسائِرِ[1] الْمُفَسِّرِينَ، وَذَهَبوا إلى أَنَّهُ كُفْرٌ صَريحٌ.

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا يَجوزُ التَّهاوُنُ بِالتَّفْسيرِ الظَّاهِرِ أَوَّلًا، ولا مَطْمَعَ في الْوُصولِ إلى الْباطِنِ قَبْلَ إِحْكامِ الظَّاهِرِ، وَهَذَا أَمْرٌ اتِّفاقِيٌّ. وإِنَّمَا الْخِلافُ في أنَّ وَراءَهُ مَعانِيَ أُخَرَ يَفْهَمُها مَنْ أُعْطِيَ فَهْمَهُ أم لا؛ وَالْحَقُّ جَوازُ ذلك عَقْلًا وَنَقْلًا.

أَمَّا نَقْلًا، فَقَوْلُهُ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِلْقُرْآنِ ظَهْرًا وَبَطْنًا وَحَدًّا وَمَطْلِعًا».

وَقالَ عَلِيٌّ رَضِيَ الله عَنْهُ: لو شِئْتُ لَأَوْقَرْتُ سَبْعينَ بَعيرًا من تَفْسِيرِ فاتِحَةِ الْكِتابِ.

وَقَوْلُهُ أَيْضًا: إِلَّا أَنْ يُؤْتِيَ اللهُ عَبْدًا فَهْمًا في الْقُرْآنِ[2].

وَمَعْلومٌ أَنَّ تِلْكَ[3] الْبُطونَ والْحَدَّ لم تُنْقَلْ عن رَسولِ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ، ومَعْلومٌ أَيْضًا أَنَّ وِقْرَ سَبْعينَ بَعيرًا في الْفاتِحَةِ لم يُمْكِنْ بِالنَّقْلِ، وَكَذَا:

---

(1) سائر، في رئيس الكتاب.

(2) الإحياء: 1/ 288-289.

(3) ذلك، في رئيس الكتاب وقونية.

"ما يُؤْتِي اللهُ عَبْدًا فَهمًا" خارِجٌ عن النَّقْلِ، فَظَهَرَ أنَّ في الْقُرْآنِ مَعانِيَ كَثيرَةً وَراءَ النَّقْلِ. وَأَمْثالُ هَذِهِ الْأَخْبارِ وَالْآثارِ كَثيرَةٌ[1].

وَأَمَّا عَقْلًا، فَهُوَ أَنَّ النَّهْيَ عَنِ التَّفْسيرِ بِالرَّأْيِ إمَّا لِحَمْلِهِ على مُعْتَقَدِهِ الْباطِلِ وَهَواهُ؛ وإمَّا بِأَنْ يَعْتَقِدَ على ذَلِكَ جَهْلًا، أو يَعْتَقِدَ على خِلافِهِ، لَكِنْ يُلْبِسُ على خَصْمِهِ؛ وَإِمَّا أن يُفَسِّرَهُ على ظاهِرِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ غَيْرِ نَقْلٍ وَسَماعٍ فيما يَتَعَلَّقُ بِغَرائِبِ الْقُرْآنِ، وما فيه مِنَ الْأَلْفاظِ الْمُبْهَمَةِ والْمُبَدَّلَةِ، وما فِيهِ مِنَ الاِخْتِصارِ وَالْحَذْفِ والْإِضْمارِ، وَالتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخيرِ؛ فمن خَلَصَ فَهْمُهُ عن هَذِهِ الْآفاتِ لا يَشْمَلُهُ الْوَعيدُ الْمَذْكورُ، ثُمَّ تَأَيَّدَ[2] فَهْمُهُ بِنورِ الْكَشْفِ وَالشُّهودِ، فَذَلِكَ ما أَشارَ إليه ابْنُ عَبَّاسٍ: مَنْ أَرادَ عِلْمَ الْأَوَّلينَ وَالْآخِرينَ فَلْيُثَوِّرِ[3] الْقُرْآنَ.

وَلَعَلَّكَ سَمِعْتَ فيما سَبَقَ ما يَفْتَحُ عَلَيْكَ الْإِشْكالَ الْمَذْكورَ، وَاللهُ وَلِيُّ التَّوْفيقِ في كُلِّ الْأُمورِ.

وَلَعَلَّ الْعُمُرَ لو أُنْفِقَ في اسْتِكْشافِ أَسْرارِ الْقُرْآنِ وما يَرْتَبِطُ بِمُقَدِّماتِها ولَوَاحِقِها، لَانْقَطَعَ الْعُمُرُ قَبْلَ اسْتِيفائِها، وما مِنْ كَلِمَةٍ في الْقُرْآنِ إلَّا وَتَحْقيقُها مُحْوِجٌ إلى مِثْلِ ذلِكَ، وإنَّما يَنْكَشِفُ لِلرَّاسِخينَ في الْعِلْمِ مِنْ

---

(1) الإحياء: 1/ 288-289.

(2) يؤيد، في مراد ملا.

(3) ثَوَّرَ القرآنَ: بَحَثَ عَنْ مَعَانِيهِ وَعَنْ عِلْمِهِ. اللسان: ثور.

أَسْرارِهِ بِقَدْرِ غَزارَةِ عُلومِهِمْ، وَصَفاءِ قُلوبِهِمْ، وَتَوْفيرِ دَواعِيهِمْ على التَّدَبُّرِ، وَتَجَرُّدِهِمْ لِلطَّلَبِ، وَيَكونُ لِكُلِّ واحِدٍ حَدٌّ في التَّرَقِّي إلى دَرَجَةٍ منه، وَأَمَّا الاِسْتيفاءُ فلا مَطْمَعَ فيه، ولو كانَ الْبَحْرُ مِدادًا، وَالْأَشْجارُ أَقْلامًا، لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أنْ تَنْفَدَ أَسْرارُ الْقُرْآنِ[1].

(1) الإحياء: 1/ 289-293.

الْمَطْلَبُ الرَّابِعُ: فِي عِلْمِ الْأَذْكارِ

مِنَ التَّسْبيحِ، والتَّحْميدِ، والتَّهْلِيلِ، والتَّكْبِيرِ، والصَّلاةِ على النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ، والْاِسْتِغْفارِ.

وَفِيهِ أَنْواعٌ:

النَّوْعُ الْأَوَّلُ: فَضيلَةُ الذِّكْرِ[1]، قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[2]؛ وَقالَ: ﴿اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾[3]؛ وَقالَ: ﴿وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ﴾[4].

وَقالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «قالَ اللهُ تعالى: إذا ذَكَرَنِي عَبْدِي في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وإذا ذَكَرَنِي في مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ في مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْ مَلَئِهِ، وإذا تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِراعًا، وإذا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِراعًا تَقَرَّبْتُ منه باعًا، وإذا مَشَى إِلَيَّ هَرْوَلْتُ إليه»[5]؛ أَيْ: أَسْرَعْتُ إِجابَتَهُ.

وَقالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ في ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ».

وَذَكَرَ مِنْ جُمْلَتِهِمْ: «رَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خالِيًا فَفاضَتْ عَيْناهُ»[6].

---

(1) الأذكار، في قونية ومراد ملا.

(2) سورة البقرة، الآية: 152.

(3) سورة الأحزاب، الآية: 41.

(4) سورة العنكبوت، الآية: 45.

(5) «إذا تَقَرَّبَ...» في صحيح البخاري: 9/ 157، رقم: 7537، ينظر الحديث بأتمه في الإحياء: 1/ 295، وتخريج أحاديث الإحياء: 2/ 720.

(6) صحيح البخاري: 1/ 133، رقم: 660، صحيح مسلم: 2/ 715، رقم: 1031.

النَّوْعُ الثَّانِي: **فَضِيلَةُ التَّسْبِيحِ والتَّحْمِيدِ**، قالَ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «مَنْ سَبَّحَ دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وَحَمِدَ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وَكَبَّرَ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وَخَتَمَ الْمِئَةَ بِلَا إلَهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له، له الْمُلْكُ وله الْحَمْدُ، [يُحْيِي وَيُمِيتُ][1]، وهو على كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ، غَفَرْتُ ذُنوبَهُ ولو كانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»[2].

وقالَ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «مَنْ قالَ في يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ سُبْحانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، حُطَّتْ خَطاياهُ ولو كانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»[3].

رُوِيَ أَنَّ رَجُلًا جاءَ إلى رَسولِ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ وَقالَ: «تَوَلَّتْ عَنِّي الدُّنْيَا وَقَلَّتْ ذاتُ يَدِي، فَقالَ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ صَلاةِ الْمَلائِكَةِ وَتَسْبِيحِ الْخَلائِقِ وبها يُرْزَقونَ، قالَ: فَقُلْتُ: وَمَاذَا يا رَسولَ اللهِ؟ قَالَ: قُلْ سُبْحانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحانَ اللهِ الْعَظِيمِ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِئَةَ مَرَّةٍ ما بَيْنَ طُلوعِ الْفَجْرِ إلى أَنْ تُصَلِّيَ الصُّبْحَ، تَأْتِيكَ الدُّنْيَا راغِمَةً صاغِرَةً، وَيَخْلُقُ اللهُ تعالى مِنْ كُلِّ كَلِمَةٍ مَلَكًا يُسَبِّحُ الله تَعالى إلى يَوْمِ الْقِيامَةِ لَكَ ثَوابُهُ»[4].

---

(1) زيادة من قونية.

(2) موطأ مالك: 2/ 294، مسند ابن أبي شيبة: 16/ 210، مسند البزار: 15/ 52، السنن الكبرى للنسائي: 9/ 61، الإحياء: 1/ 298.

(3) مسند ابن أبي شيبة: 16/ 210، المستدرك للحاكم: 1/ 699، الإحياء: 1/ 299.

(4) الإحياء: 1/ 299، تخريج أحاديث الإحياء: 2/ 733.

وَقالَ: «ما على الْأَرْضِ رَجُلٌ يَقولُ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ واللهُ أَكْبَرُ وسُبْحانَ اللهِ والْحَمْدُ للهِ ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ، إِلَّا غُفِرَتْ ذُنوبُهُ ولو كانَتْ مِثْلَ زبَدِ الْبَحْرِ»(1).

وقالَ: «كَلِمَتانِ خَفيفَتانِ على اللِّسانِ، ثَقيلَتانِ في الْمِيزانِ، حَبِيبَتانِ إلى الرَّحْمنِ: سُبْحانَ اللهِ وبِحَمْدِهِ، سُبْحانَ اللهِ الْعَظِيمِ»(2).

وقال: «يا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ، أو يا أبا موسَى: أَوَلَا أَدُلُّكَ على كَنْزٍ من كُنوزِ الْجَنَّةِ، قالَ بَلَى، قالَ: قُلْ: لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ الْعَلِيِّ الْعَظيمِ»(3).

وَقالَ: «مَنْ قالَ حينَ يُصْبِحُ: رَضيتُ باللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلامِ دينًا، وَبِمُحَمَّدٍ صلَّى الله عليه وَسَلَّمَ نَبِيًّا، كانَ حَقًّا على الله تعالى أَنْ يُرْضِيَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ»(4).

قالَ مُجاهِدٌ: «إذا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ وَقالَ: بِسْمِ اللهِ، قالَ الْمَلَكُ: هُدِيتَ، فإذا قالَ: تَوَكَّلْتُ على اللهِ، قالَ الْمَلَكُ: كُفيتَ، فإذا قالَ: لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ، قالَ الْمَلَكُ: وُقِيتَ. فَتَتَفَرَّقُ عنه الشَّياطِينُ فَيَقولونَ: لا سَبِيلَ لَكُمْ عَلَيْهِ، قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ»(5).

---

(1) مسند أحمد: 11/ 15، السنن الكبرى للنسائي: 9/ 303، والنقل من الإحياء: 1/ 299.

(2) صحيح البخاري: 8/ 86، رقم: 6406، والنقل من الإحياء: 1/ 300.

(3) صحيح البخاري: 5/ 133، رقم: 4205.

(4) معرفة الصحابة لأبي نعيم: 5/ 2917، الإحياء: 1/ 300-301، تخريج أحاديث الإحياء: 2/ 744.

(5) الجامع لمعمر بن راشد: 11/ 32، سنن ابن ماجه: 5/ 49، الإحياء: 1/ 301.

النَّوْعُ الثَّالِثُ: فَضيلَةُ التَّهْليلِ. قالَ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «أَفْضَلُ ما قُلْتُ أنا وَالنَّبِيُّونَ من قَبْلِي: لا إلَهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ له»[1].

وقالَ: «مَنْ قالَ لا إلَهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ له، له الْمُلْكُ وله الْحَمْدُ وهو على كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ في كُلِّ يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ، كانَ له عِدْلَ عَشْرِ رِقابٍ، وَكُتِبَ له مِئَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عنه مِئَةُ سَيِّئَةٍ، وكانَتْ له حِرْزًا من الشَّيْطانِ يَوْمَهُ حتَّى يُمْسِيَ، ولم يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ ممَّا جاءَ به إلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ من ذَلِكَ»[2].

وقالَ: «ما مِنْ عَبْدٍ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضوءَ، ثُمَّ رَفَعَ طَرْفَهُ إلى السَّماءِ فَقالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إلَه إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ له، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسولُهُ، إلَّا فُتِحَتْ له أَبْوابُ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّها شاءَ»[3].

وَقالَ: «مَنْ تَعارَّ مِنَ اللَّيْلِ فَقالَ: لا إلَهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ له، له الْمُلْكُ وله الْحَمْدُ وهو على كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ، سُبْحانَ اللهِ والْحَمْدُ لله ولا إلَهَ إلَّا اللهُ واللهُ أَكْبَرُ ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا باللهِ الْعَلِيِّ الْعَظيمِ، ثُمَّ قالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي، أو دَعَا اسْتُجيبَ له، فَإِنْ تَوَضَّأَ وصَلَّى قُبِلَتْ صَلاتُهُ»[4].

---

(1) موطأ مالك: 2/ 300، سنن الترمذي: 5/ 541، الإحياء: 1/ 297.

(2) صحيح البخاري: 4/ 126، رقم: 3293، صحيح مسلم: 4/ 2091، رقم: 2691، والنقل من الإحياء: 1/ 297.

(3) صحيح مسلم: 1/ 209، رقم: 234.

(4) صحيح البخاري: 1/ 54، رقم: 1154.

النَّوْعُ الرَّابِعُ: فَضِيلَةُ الصَّلاةِ على رَسولِ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ. قالَ تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(1).

رُوِيَ أَنَّهُ(2) صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ جاءَ ذاتَ يَوْمٍ وَالْبُشْرَى تُرَى في وَجْهِهِ، فَقالَ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ جاءَنِي جِبْرِيلُ عليه السَّلامُ فقالَ: أَمَا تَرْضَى يا مُحَمَّدُ أَنَّهُ لا يُصَلِّي عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلَّا صَلَّيْتُ عليه عَشْرًا، ولا يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلَّا صَلَّيْتُ عليه عَشْرًا»(3).

وقالَ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّتْ عليه الْمَلائِكَةُ ما صَلَّى عَلَيَّ، فَلْيُقَلِّلْ عَبْدٌ من ذَلِكَ أو لِيُكْثِرْ»(4).

وَقالَ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلاةً»(5).

وَقالَ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مِنْ أُمَّتِي كُتِبَ له عَشْرُ حَسَناتٍ، وَمُحِيَتْ عنه عَشْرُ سَيِّئاتٍ»(6).

---

(1) سورة الأحزاب، الآية: 56.

(2) أن رسول الله، في رئيس الكتاب.

(3) مصنف ابن أبي شيبة: 17/ 479، مسند أحمد: 26/ 283، السنن الكبرى للنسائي: 2/ 77.

(4) مسند ابن الجعد: 126، سنن ابن ماجه: 1/ 294، مسند أبي يعلى: 13/ 154، شعب الإيمان للبيهقي: 3/ 126، والنقل من الإحياء: 1/ 309.

(5) مصنف ابن أبي شيبة: 17/ 478، سنن الترمذي: 2/ 354، صحيح ابن حبان: 1/ 353.

(6) مصنف ابن أبي شيبة: 17/ 479، السنن الكبرى للنسائي: 9/ 31، الإحياء: 1/ 309.

وَقالَ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ في كِتابٍ لم تَزَلِ الْمَلائِكَةُ يَسْتَغْفِرونَ له ما دامَ اسْمِي في ذَلِكَ الْكِتابِ»[1].

وَقالَ: «مَنْ قالَ حِينَ يَسْمَعُ الْأَذانَ وَالْإِقامَةَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هذه الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلاةِ الْقائِمَةِ صَلِّ على مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسولِكَ، وَأَعْطِهِ الْوَسيلَةَ وَالْفَضيلَةَ والشَّفاعَةَ يَوْمَ الْقِيامَةِ، حَلَّتْ له شَفاعَتِي»[2].

وَقالَ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «إنَّ في الْأَرْضِ مَلائِكَةً سَيَّاحينَ يُبَلِّغونَنِي عن أُمَّتِي السَّلامَ»[3].

وَقالَ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «لَيْسَ أَحَدٌ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إلَّا رَدَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ»[4].

وَقيلَ: يا رَسولَ اللهِ، كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ فقالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَزْواجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كما بارَكْتَ على إبْراهيمَ إنَّكَ حَميدٌ مَجيدٌ»[5].

---

(1) المعجم الأوسط للطبراني: 2/ 232، الإحياء: 1/ 309، الترغيب والترهيب لقوام السنة: 2/ 330، الشفا لعياض: 2/ 68.

(2) صحيح البخاري: / 126، رقم: 614، واللفظ من الإحياء: 1/ 309.

(3) مسند أحمد: 6/ 183، المعجم الكبير للطبراني: 10/ 219، الإحياء: 1/ 309.

(4) مسند أحمد: 16/ 477، سنن أبي داود: 2/ 169، المعجم الأوسط للطبراني: 3/ 262، السنن الكبرى للبيهقي: 5/ 402، الإحياء: 1/ 309.

(5) صحيح البخاري: 4/ 146، رقم: 3369.

النَّوْعُ الْخامِسُ: **فَضيلَةُ الاِسْتِغْفارِ**، قالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾[2].

وَقالَ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «مَنْ أَكْثَرَ الاِسْتِغْفارَ جعَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ له مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَرَزَقَهُ من حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ»[3].

وَكانَ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ يُكْثِرُ الاِسْتِغْفارَ، يَقولُ: «سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي إنَّكَ أنْتَ التَّوَّابُ الرَّحيمِ»[4].

وَقالَ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «مَنْ قالَ حينَ يَأْوِي إلى فِراشِهِ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظيمَ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هو الْحَيُّ الْقَيُّومُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ؛ غَفَرَ الله ذُنوبَهُ وإِنْ كانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ، أَوْ رَمْلِ عالِجٍ[5]، أو عَدَدِ وَرَقِ الشَّجَرِ، أو عَدَدِ أَيَّامِ الدُّنْيا»[6].

وَقالَ في حَديثٍ آخَرَ: «مَنْ قالَ ذلِكَ غُفِرَتْ ذُنوبُهُ وإِنْ كانَ فارًّا مِنَ الزَّحْفِ»[7].

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 135.

(2) سورة النصر، الآية: 3.

(3) مسند أحمد: 4/ 104، سنن ابن ماجه: 2/ 1254، السنن الكبرى للنسائي: 9/ 171، المعجم الكبير للطبراني: 10/ 281

(4) صحيح البخاري: 6 / 178، رقم: 4967، صحيح مسلم: 1/ 350، رقم: 484.

(5) عالج: بالجيم المعجمة، وهو الذي ينسب إليه رمل عالج، وهو في ديار كلب، ورمل عالج يصل إلى الدّهناء، والدهناء فيما بين اليمامة والبصرة، وهي جبال. معجم ما استعجم: 3/ 913.

(6) مسند أحمد: 17/ 130، سنن الترمذي: 5/ 403، مسند أبي يعلى: 2/ 495، الإحياء: 1/ 311.

(7) المستدرك على الصحيحين: 2/ 128، جمع الجوامع: 9/ 682، كنز العمال: 1/ 482.

وكانَ رَسولُ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ يَقولُ في الاِسْتِغْفارِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي خَطيئَتِي، وَجَهْلِي وَإِسْرافِي في أَمْرِي، وما أَنْتَ أَعْلَمُ به مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي جِدِّي وَهَزْلِي، وَخَطَئِي وعَمْدِي، وكُلُّ ذلِكَ عِنْدِي. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي ما قَدَّمْتُ وما أَخَّرْتُ، وما أَسْرَرْتُ وما أَعْلَنْتُ، وما أَنْتَ أَعْلَمُ به مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ على كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ»[1].

وَقالَ: «مَنْ قالَ: سُبْحانَكَ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَعَمِلْتُ سوءًا، فَاغْفِرْ لي، إِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنوبَ إِلَّا أَنْتَ، غُفِرَتْ ذُنوبُهُ ولو كانَتْ كَمَدَبِّ[2] النَّمْلِ»[3].

وَرُوِيَ أنَّ أَفْضَلَ الاِسْتِغْفارِ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي [لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي][4] وأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا على عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أَعوذُ بك مِنْ شَرِّ ما صَنَعْتُ، أَبوءُ إليكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأَبوءُ على نَفْسِي[5] بِذَنْبِي، فقد ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فاغْفِرْ لي ذُنوبِي ما قَدَّمْتُ منها وما أَخَّرْتُ، إِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنوبَ جَميعًا إِلَّا أَنْتَ»[6].

(1) صحيح مسلم: 4/ 2087، رقم: 2719 والنقل من الإحياء: 1/ 312.

(2) كَذَبِّ، في رئيس الكتاب.

(3) الإحياء: 1/ 312.

(4) زيادة من أنطاليا

(5) لنفسي، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(6) صحيح البخاري: 8/ 67، والنقل من الإحياء: 1/ 312.

الْمَطْلَبُ الْخامِسُ: في أَدْعِيَةٍ مَأْثورَةٍ مَعْزِيَةٍ[1] إلى أَرْبابِها يُدْعَى بها صَباحًا وَمَساءً

وَمِنْهَا: دُعاءُ رَسولِ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ بعد رَكْعَتَي الْفَجْرِ. قالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: بَعَثَنِي الْعَبَّاسُ إلى رَسولِ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ، فَأَتَيْتُهُ مُمْسِيًا، وهو في بَيْتِ خالَتِي مَيْمونَةَ، فَقامَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا صَلَّى الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلاةِ الْفَجْرِ قالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بها قَلْبِي، وَتَجْمَعُ بها شَمْلِي، وَتَلُمُّ بها شَعَثِي، وَتَرُدُّ بها أُلْفَتِي، وَتُصْلِحُ بها دِينِي، وَتَحْفَظُ بها غائِبِي، وَتَرْفَعُ بها شاهِدِي، وَتُزَكِّي بها عَمَلِي، وَتُبَيِّضُ بها وَجْهِي، وَتُلْهِمُنِي بها رُشْدِي، وَتَعْصِمُنِي بها مِنْ كُلِّ سوءٍ؛ اللَّهُمَّ أَعْطِنِي إيمانًا صادِقًا، وَيَقينًا ليس بَعْدَهُ كُفْرٌ، وَرَحْمَةً أَنالُ بها شَرَفَ كَرامَتِكَ في الدُّنْيا والْآخِرَةِ؛ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْفَوْزَ عند الْقَضاءِ، وَمَنازِلَ الشُّهَداءِ، وَعَيْشَ السُّعَداءِ، وَالنَّصْرَ على الْأَعْداءِ، وَمُرافَقَةَ الْأَنْبياءِ؛ اللَّهُمَّ إِنِّي أُنْزِلُ بك حاجَتِي وإِنْ ضَعُفَ رَأْيِي، وَقَصُرَ عَمَلِي، وَافْتَقَرْتُ إلى رَحْمَتِكَ، فَأَسْأَلُكَ يا قاضِيَ الْأُمورِ، ويا شافِيَ الصُّدورِ، كما تُجيرُ بَيْنَ الْبُحورِ أَنْ تُجيرَنِي من عَذابِ السَّعيرِ، ومن دَعْوَةِ الثُّبورِ، ومِنْ فِتْنَةِ الْقُبورِ؛ اللَّهُمَّ ما قَصُرَ عنه رَأْيِي، وَضَعُفَ عنه عَمَلِي، ولم تَبْلُغْهُ نِيَّتِي وأُمْنِيَّتِي، من خَيْرٍ وَعَدْتَهُ أَحَدًا من عِبادِكَ، وَخَيْرٍ أَنْتَ مُعْطِيهِ أَحَدًا من خَلْقِكَ، فَإِنِّي أَرْغَبُ إِلَيْكَ فيه، وَأَسْأَلُكَهُ يا رَبَّ الْعالَمِينَ؛ اللَّهُمَّ اجْعَلْنا هادِينَ مَهْدِيِّينَ، غَيْرَ ضالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ،

(1) كذا في النسخ الخطية والفعل عزا يعزو عزوا فهو مَعْزُوٌّ.

حَرْبًا لِأَعْدائِكَ، وَسِلْمًا لِأَوْلِيائِكَ، نُحِبُّ بِحُبِّكَ النَّاسَ، وَنُعادِي بِعَداوَتِك مَنْ خالَفَكَ من خَلْقِكَ؛ اللَّهُمَّ هذا الدُّعاءُ وعَلَيْكَ الإِجابَةُ، وهذا الْجُهْدُ وعليك التُّكْلانُ، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعونَ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا باللهِ الْعَلِيِّ الْعَظيمِ، ذي الْحَبْلِ الشَّديدِ، والأَمْرِ الرَّشيدِ، أَسْأَلُكَ الأَمْنَ يَوْمَ الْوَعيدِ، وَالْجَنَّةَ دارَ الْخُلودِ، مع الْمُقَرَّبينَ الشُّهودِ، وَالرُّكَّعِ السُّجودِ، وَالْمُوفِينَ بِالْعُهودِ، إنَّكَ رَحيمٌ[1] وَدودٌ، وَأَنْتَ تَفْعَلُ ما تُريدُ، سُبْحانَ الَّذِي تَعَطَّفَ بِالْعِزِّ وقالَ به، سُبْحانَ الَّذِي لَبِسَ الْمَجْدَ وَتكَرَّمَ به، سُبْحانَ الَّذِي لا يَنْبَغِي التَّسْبيحُ إلَّا له، سُبْحانَ ذي الْفَضْلِ والنِّعَمِ، سُبْحانَ ذي الْعِزَّةِ والْكَرَمِ، سُبْحانَ الَّذِي أَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ بِعِلْمِهِ؛ اللَّهُمَّ اجْعَلْ لي نورًا في قَلْبِي، وَنورًا في قَبْرِي، وَنورًا في سَمْعِي، وَنورًا في بَصَرِي، [وَنورًا في شَعْرِي، وَنورًا في بَشَرِي][2]، وَنورًا في لَحْمِي، وَنورًا في دَمِي، وَنورًا في عِظامِي، وَنورًا مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، وَنورًا مِنْ خَلْفِي، وَنورًا عن يَمينِي، وَنورًا عن شِمالِي، وَنورًا من فَوْقِي، وَنورًا من تَحْتِي؛ اللَّهُمَّ زِدْنِي نورًا، وَأَعْطِنِي نورًا، وَاجْعَلْ لي نورًا»[3].

ومِنْها: **دُعاءُ عائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْها**، قالَ رَسولُ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ لِعائِشَةَ: عَلَيْكِ بِالْجَوامِعِ الْكَوامِلِ، قولِي: «اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ

---

(1) رؤوف، في قونية.

(2) زيادة من أنطاليا.

(3) سنن الترمذي: 5/ 419، مسند البزار: 11/ 396، صحيح ابن خزيمة: 2/ 165، المعجم الكبير: 10/ 283، والنقل من الإحياء: 1/ 313-314.

عاجِلِهِ وآجِلِهِ ما عَلِمْتُ مِنْهُ وما لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِ كُلِّهِ عاجِلِهِ وَآجِلِهِ ما عَلِمْتُ مِنْهُ وما لَمْ أَعْلَمْ، وَأَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وما قَرَّبَ إليها مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، وَأَعوذُ بك مِنَ النَّارِ وما قَرَّبَ إليها مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ من الْخَيْرِ ما سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَرَسولُكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ، وَأَسْتَعيذُكَ مِمَّا اسْتَعاذَكَ منه عَبْدُكَ وَرَسولُكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ، وَأَسْأَلُكَ ما قَضَيْتَ لي مِنْ أَمْرٍ أنْ تَجْعَلَ عاقِبَتَهُ رُشْدًا بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمينَ»[1].

وَمِنْها: **دُعاءُ فاطِمَةَ رَضِيَ الله عنها**، قالَ رَسولُ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «يا فاطِمَةُ، ما يَمْنَعُكِ أن تَسْمَعِي ما أُوصِي به، أنْ تَقولِي: يا حَيُّ يا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغيثُ، لا تَكِلْنِي إلى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ شَأْنِي كُلَّهُ»[2].

وَمِنْها: **دُعاءُ أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ**، عَلَّمَهُ رَسولُ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّكَ، وَإِبْراهِيمَ خَليلِكَ، وَموسَى نَجِيِّكَ، وَعيسَى كَلِمَتِكَ وَروحِكَ، وَبِتَوْراةِ موسَى، وَإِنْجيلِ عيسَى، وَزَبورِ داوُدَ، وَقُرْآنِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ، وَبِكُلِّ وَحْيٍ أَوْحَيْتَهُ، أو قَضاءٍ قَضَيْتَهُ، أو سائِلٍ أَعْطَيْتَهُ، أو غَنِيٍّ أَقْنَيْتَهُ، أو فَقيرٍ أَغْنَيْتَهُ، أو ضالٍّ هَدَيْتَهُ، وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَهُ على موسَى، وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي تُثْبِتُ به أَرْزاقَ الْعِبادِ، وَأَسْأَلُكَ

---

(1) مسند أحمد: 42/ 67، الأدب المفرد: 222، سنن ابن ماجه: 2/ 1264، معجم أبي يعلى: 6/ 392، المستدرك: 1/ 702، الإحياء: 1/ 314.

(2) مسند البزار: 13/ 49، السنن الكبرى للنسائي: 9/ 212، المعجم الأوسط للطبراني: 4/ 43، الإحياء: 1/ 314.

بِاسْمِكَ الَّذِي وَضَعْتَهُ على الْأَرْضِ فَاسْتَقَرَّتْ، وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي وَضَعْتَهُ على السَّماواتِ فَاسْتَقَلَّتْ، وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي وَضَعْتَهُ على الْجِبالِ فَرَسَتْ، وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي اسْتَقَلَّ به عَرْشُكَ، وَأَسْأَلُكَ باسْمِكَ الطَّهِرِ الطَّاهِرِ الْأَحَدِ الصَّمَدِ الْوِتْرِ، الَّذِي وَضَعْتَهُ على النَّهارِ فاسْتَنارَ، وعلى اللَّيلِ فَأَظْلَمَ، وَبِعَظَمَتِكَ وَكِبْرِيائِكَ، وَبِنورِ وَجْهِكَ، أَنْ تَرْزُقَنِي الْقُرْآنَ والْعِلْمَ، وَتَخْلِطَهُ بِلَحْمِي وَدَمِي وَسَمْعِي وَبَصَرِي، وَتَسْتَعْمِلَ به جَسَدِي بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ، فإِنَّهُ لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ، يا أَرْحَمَ الرَّاحِمينَ»[1].

وَمِنْها: **دُعاءُ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ**، رُوِيَ أَنَّهُ قالَ له رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ: «يا بُرَيْدَةُ، أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِماتٍ مَنْ أَرادَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ خَيْرًا عَلَّمَهُ إِيَّاها، ثُمَّ لا يَنْساهُنَّ[2] أَبَدًا، قالَ: فَقُلْتُ: بَلَى يا رَسولَ اللهِ، قالَ قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعيفٌ فَقَوِّ فِي رِضاكَ ضُعْفِي، وَخُذْ إلى الْخَيْرِ بِناصِيَتِي، وَاجْعَلِ الْإِسْلامَ مُنْتَهَى رِضائِي؛ اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعيفٌ فَقَوِّنِي، وَإِنِّي ذَليلٌ فَأَعِزَّنِي، وإِنِّي فَقيرٌ فَأَغْنِنِي»[3].

وَمِنْها: **دُعاءُ قَبِيصَةَ بْنِ الْمُخارِقِ**، إِذْ قالَ لِرَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ: «عَلِّمْنِي كَلِماتٍ يَنْفَعُنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بها، فَقَدْ كَبِرَ سِنِّي، وَعَجَزْتُ

(1) قوت القلوب: 1/ 20، الإحياء: 1/ 315، جامع الأصول: 4/ 302، اللآلئ المصنوعة: 2/ 300.

(2) ينسيهن إياه، في قونية ورئيس الكتاب وأنطاليا.

(3) الجامع لمعمر بن راشد: 10/ 444، مصنف ابن أبي شيبة: 16/ 185، المعجم الأوسط للطبراني: 6/ 346، المستدرك للحاكم: 1/ 708، الإحياء: 1/ 315.

عن أَشْياءَ كُنْتُ أعْمَلُهَا، فقالَ له رَسولُ اللهِ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: أَمَّا لِدُنْياكَ فإذا صَلَّيْتَ الْغَداةَ فَقُلْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ: سُبْحانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحانَ اللهِ الْعَظيمِ، لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا باللهِ، فَإِنَّكَ إذا قُلْتَهُنَّ أَمِنْتَ من الصَّمَمِ(1) وَالْجُذامِ والْبَرَصِ والْفالِجِ؛ وَأَمَّا لِآخِرَتِكَ فَقُلْ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي من عِنْدِكَ، وَأَفِضْ عَلَيَّ مِنْ فَضْلِكَ، وَانْشُرْ عَلَيَّ مِنْ رَحْمَتِكَ، وَأَنْزِلْ عَلَيَّ مِنْ بَرَكاتِكَ»(2).

ثُمَّ قالَ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «أَما إنَّهُ إذا وَافَى بِهِنَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ لَمْ يَدَعْهُنَّ فُتِحَ له أَرْبَعَةُ أَبْوابٍ من الْجَنَّةِ»(3).

وَمِنْها: دُعاءُ أَبِي الدَّرْداءِ، قيلَ له: قَدِ احْتَرَقَتْ دارُكَ؛ وَكانَتِ النَّارُ في مَحَلَّتِهِ؛ فَقالَ: ما كانَ اللهُ لِيَفْعَلَ ذلِكَ، فَقيلَ له ذَلِكَ ثَلاثًا فَقالَ: ما كانَ اللهُ لِيَفْعَلَ ذلِكَ. ثُمَّ أَتاهُ آتٍ فَقالَ: إنَّ النَّارَ لَمَّا دَنَتْ مِنْ دارِكَ طَفِئَتْ، قالَ: قَدْ عَلِمْتُ، فَقيلَ له: ما نَدْرِي أَيُّ قَوْلَيْكَ أَعْجَبُ؟! قالَ: إنِّي سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ يَقولُ: «مَنْ قالَ هَذهِ الْكَلِماتِ في لَيْلٍ أو نَهارٍ لم يَضُرَّهُ شَيْءٌ، وَقَدْ قُلْتُهُنَّ، وهي هذه: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إلَهَ إلَّا أَنْتَ، عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ،

(1) الغم، في رئيس الكتاب والأزهرية.

(2) مسند أحمد: 34/ 207، عمل اليوم والليلة لابن السني: 116، الدعاء للطبراني: 233، قوت القلوب: 1/ 17، الإحياء: 1/ 315.

(3) قوت القلوب: 1/ 17، الإحياء: 1/ 315، الترغيب والترهيب لقوام السنة: 2/ 149، جمع الجوامع: 2/ 74، كنز العمال: 2/ 45.

وَأَنْتَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظيمِ، لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ الْعَلِيِّ الْعَظيمِ، ما شاءَ اللهُ كانَ، وما لَمْ يَشَأْ لم يَكُنْ، أَعْلَمُ أنَّ اللهَ على كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ، وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، اللَّهُمَّ إنِّي أَعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، ومِنْ شَرِّ كُلِّ دابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِناصِيَتِها، إنَّ رَبِّي على صِراطٍ مُسْتَقيمٍ»[1].

وَرُوِيَ عن أبي الدَّرْداءِ أَنَّهُ قالَ: مَنْ قالَ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعَ مَرَّاتٍ: «﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[2]، كَفاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ما أَهَمَّهُ مِنْ أَمْرِ آخِرَتِهِ صادِقًا كانَ بها أو كاذِبًا»[3].

وَمِنْهَا: **دُعاءُ إِبْراهيمَ الْخَليلِ عليه السَّلامُ**، كانَ يَقولُ إذا أَصْبَحَ: اللَّهُمَّ هذا خَلْقٌ جَديدٌ فَافْتَحْهُ لي بِطاعَتِكَ، وَاخْتِمْهُ لي بِمَغْفِرَتِكَ وَرِضْوانِكَ، وارْزُقْنِي حَسَنَةً تَقْبَلُها مِنِّي، وَزَكِّها وَضاعِفْها لي، وما عَمِلْتُ فيه مِنْ سَيِّئَةٍ، فَاغْفِرْها لي إِنَّكَ غَفورٌ رَحيمٌ، وَدُودٌ كَريمٌ[4].

قيلَ: مَنْ دَعا بهذا الدُّعاءِ إذا أَصْبَحَ فقد أَدَّى شُكْرَ يَوْمِهِ.

ومنها: **دُعاءُ عيسى عليه السَّلامُ**، كانَ يَقولُ: اللَّهُمَّ إنِّي أَصْبَحْتُ لا أَسْتَطيعُ دَفْعَ ما أَكْرَهُ، ولا أَمْلِكُ نَفْعَ ما أَرْجو، وَأَصْبَحَ الْأَمْرُ بِيَدِ غَيْرِي،

---

(1) مكارم الأخلاق ومعاليها للخرائطي: 283، الدعاء للطبراني: 128، عمل اليوم والليلة لابن السني: 54، الإحياء: 1/ 316.

(2) سورة التوبة، الآية: 129.

(3) قوت القلوب: 1/ 21، الإحياء: 1/ 316.

(4) المصدر نفسه: 1/ 21، المصدر نفسه: 1/ 316، حسن التنبه لما ورد في التشبه: 5/ 208.

وَأَصْبَحْتُ مُرْتَهَنًا بِعَمَلِي، فلا فَقيرَ أَفْقَرُ مِنِّي؛ اللَّهُمَّ لا تُشْمِتْ بي عَدُوِّي، ولا تَسُؤْ بي صَديقِي، ولا تَجْعَلْ مُصيبَتِي في دِينِي، ولا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّي، ولا تُسَلِّطْ عَلَيَّ مَنْ لا يَرْحَمُنِي[1].

ومنها: **دُعاءُ الْخَضِرِ عليه السَّلامُ**، يُقالُ: إنَّ الْخَضِرَ وَإِلْيَاسَ عليهما السَّلامُ إذا الْتَقَيَا في كُلِّ مَوْسِمٍ لم يَفْتَرِقَا إلَّا عن هَذِهِ الْكَلِماتِ: بِسْمِ الله ما شاءَ الله لا قُوَّةَ إلَّا باللهِ، ما شاءَ اللهُ، كُلُّ نِعْمَةٍ فمن اللهِ، ما شاءَ الله، الْخَيْرُ كُلُّهُ بيَدِ اللهِ، ما شاءَ اللهُ، لا يَصْرِفُ السُّوءَ إلَّا اللهُ.

مَنْ قالَها ثَلاثًا إذا أَصْبَحَ أمِنَ مِنَ الْغَرَقِ وَالْحَرَقِ والسَّرَقِ[2].

وَمِنْها: **دُعاءُ مَعْروفٍ الْكَرْخِيِّ** رَحِمَهُ اللهُ، قالَ مُحَمَّدُ بْنُ حَسَّانَ: قالَ لي مَعْروفٌ الْكَرْخِيُّ: أَلَا أُعَلِّمُكَ عَشْرَ كَلِماتٍ، خَمْسٌ لِلدُّنْيا وَخَمْسٌ لِلْآخِرَةِ، مَنْ دَعا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بِهِنَّ وَجَدَ اللهَ تعالى عِنْدَهُنَّ، قُلْتُ: اكْتُبْها لي، قالَ: لا، وَلَكِنْ أُرَدِّدُها عَلَيْكَ كما رَدَّدَها عَلَيَّ بَكْرُ بْنُ حُبَيْشٍ[3]: [حَسْبِيَ اللهُ لِدِينِي، حَسْبِيَ اللهُ لِدُنْيايَ، حَسْبِيَ اللهُ الْكَريمُ ما أَهَمَّنِي][4]، حَسْبِيَ اللهُ الْحَليمُ الْقَوِيُّ لمن بَغَى عَلَيَّ، حَسْبِيَ اللهُ الشَّديدُ لمن كَادَنِي بِسوءٍ، حَسْبِيَ اللهُ

---

(1) الجامع لمعمر بن راشد: 11/ 37، المصنف لعبد الرزاق: 10/ 114، الزهد لأحمد بن حنبل: 79، الإحياء: 1/ 316.

(2) الكامل في ضعفاء الرجال: 3/ 175، قوت القلوب: 1/ 22، الإحياء: 1/ 316.

(3) خنيس، في الأزهرية.

(4) زيادة من أنطاليا.

الرَّحيمُ عند الْمَوْتِ، حَسْبِيَ اللهُ الرَّؤوفُ عند الْمُساءَلَةِ في الْقَبْرِ، حَسْبِيَ اللهُ الْكَريمُ عِنْدَ الْحِسابِ، حَسْبِيَ اللهُ اللَّطيفُ عِنْدَ الْمِيزانِ، حَسْبِيَ اللهُ الْقَوِيُّ عند الصِّراطِ، حَسْبِيَ اللهُ لا إلَهَ إلَّا هو عليه تَوَكَّلْتُ وهو رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظيمِ[1].

وَمِنْها: دُعاءُ عُتْبَةَ الْغُلامِ، وَقَدْ رُئِيَ في الْمَنامِ فَقالَ: دَخَلْتُ الْجَنَّةَ بهذه الْكَلِماتِ: اللَّهُمَّ يا هادِيَ الْمُضِلِّينَ، وَراحِمَ الْمُذْنِبينَ، وَمُقيلَ عَثَراتِ الْعاثِرينَ، ارْحَمْ عَبْدَكَ ذا الْخَطَرِ الْعَظيمِ، وَالْمُسْلِمينَ كُلَّهُمْ أَجْمَعينَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْأَحْياءِ الْمَرْزوقِينَ، مع الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عليهم مِنَ النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَداءِ والصَّالِحينَ، آمينَ يا رَبَّ الْعالَمينَ[2].

وَمِنْها: دُعاءُ آدَمَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، قالَتْ عائِشَةُ: لَمَّا أَرادَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ أَنْ يَتوبَ على آدَمَ عليه السَّلامُ، طافَ بِالْبَيْتِ سَبْعًا ـ وهو يَوْمَئِذٍ ليس بِمَبْنَى؛ رَبْوَةٌ حَمْراءُ[3] ـ ثُمَّ قامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قالَ: اللَّهُمَّ إنَّكَ تَعْلَمُ سِرِّي وعَلانِيَتِي، فَاقْبَلْ مَعْذِرَتِي، وَتَعْلَمُ حاجَتِي فَأَعْطِنِي سُؤْلِي، وَتَعْلَمُ ما في نَفْسِي فَاغْفِرْ لي ذُنوبِي، اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ إيمانًا يُباشِرُ قَلْبِي، وَيَقينًا صادِقًا حَتَّى أَعْلَمَ أَنَّهُ لن يُصِيبَنِي إلَّا ما كَتَبْتَهُ عَلَيَّ، وَرَضِّنِي بما قَسَمْتَهُ لي. فَأَوْحى

(1) قوت القلوب: 1/ 22، الإحياء: 1/ 316.
(2) المنامات لابن أبي الدنيا: 78، قوت القلوب: 1/ 22، حلية الأولياء: 6/ 238، الإحياء: 1/ 316.
(3) في العلل لابن أبي حاتم: 5/ 380: "وهو ربوةٌ حمراءُ".

الله عَزَّ وَجَلَّ إليه: إنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَكَ، ولن يَأْتِيَنِي أَحَدٌ من ذُرِّيَّتِكَ فَيَدْعونِي بِمِثْلِ الَّذِي دَعَوْتَنِي به إلَّا غَفَرْتُ له ذُنوبَهُ، وَكَشَفْتُ غُمومَهُ وهُمومَهُ، وَنَزَعْتُ الْفَقْرَ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْهِ، وَاتَّجَرْتُ[1] له مِنْ وَراءِ كُلِّ تاجِرٍ، وَجاءَتْهُ الدُّنْيا وهي راغِمَةٌ وإنْ كانَ لا يُريدُها[2].

ومنها: دُعاءُ عَلَيِّ بْنِ أَبِي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ عنه، رَواهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ أَنَّهُ قالَ: «إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُمَجِّدُ نَفْسَهُ كُلَّ يَوْمٍ وَيَقولُ: إنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعالَمِينَ، إنِّي أَنَا اللهُ لا إِلَهَ إلَّا أَنا الْحَيُّ الْقَيُّومُ، إنِّي أَنَا اللهُ لا إِلَهَ إلَّا أَنَا الْعَلِيُّ الْعَظيمُ، إنِّي أَنَا اللهُ لا إِلَهَ إلَّا أنا لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، إنِّي أَنَا اللهُ لا إِلَهَ إلَّا أنا الْعَفُوُّ الْغَفورُ، مُبْدِئُ كُلِّ شَيْءٍ وَإليهِ يَعودُ، إنِّي أنا اللهُ لا إلَهَ إلَّا أَنا الْعَزيزُ الْحَكيمُ، الرَّحْمنُ الرَّحيمُ، مالِكُ يَوْمِ الدِّينِ، خالِقُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، خالِقُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، الْواحِدُ الْأَحَدُ، الْفَرْدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لم يَتَّخِذْ صاحِبَةً ولا وَلَدًا، الْفَرْدُ الْوِتْرُ، عالِمُ الْغَيْبِ والشَّهادَةِ، الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ، الْخالِقُ الْبارِئُ الْمُصَوِّرُ الْكَبيرُ الْمُتَعالِ، الْمُقْتَدِرُ الْقَهَّارُ الْحَكيمُ الْكَريمُ، أَهْلُ الثَّناءِ وَالْمَجْدِ، أَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى، الْقادِرُ الرَّزَّاقُ لِلْخَلْقِ والْخَليقَةِ. وَذَكَرَ قَبْلَ كُلِّ كَلِمَةٍ: إنِّي أنا اللهُ لا إلَهَ إلَّا أنا كما أَوْرَدْنا في الْأَوَّلِ. فَمَنْ دَعَا بهذه الْأَسْماءِ فَلْيَقُلْ: إنَّكَ أَنْتَ اللهُ لا إلَهَ إلَّا

(1) وأنجزت، في قونية ورئيس الكتاب.

(2) أخبار مكة للأزرقي: 1/ 44، الإحياء: 1/ 316-317، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام: 1/ 186.

أَنْتَ كَذَا وَكَذَا. فَمَنْ دَعَا بها كُتِبَ من السَّاجِدِينَ الْمُخْبِتينَ، الَّذِينَ يُجاوِرونَ مُحَمَّدًا وَإِبْراهيمَ وموسى وعيسى وَالنَّبِيئِينَ في دارِ الْجَلالِ، وله ثَوابُ الْعابِدينَ في السَّماواتِ وَالْأَرَضينَ[1].

وَمِنْهَا: دُعاءُ أبي الْمُعْتَمِرِ سُلَيْمانَ التَّيْمِيِّ وَتَسْبيحاتُهُ. رُوِيَ أَنَّ يونُسَ بْنَ عُبَيْدٍ رَأَى رَجُلًا في الْمَنامِ مِمَّنْ قُتِلَ شَهيدًا بِبِلادِ الرُّومِ، فَقالَ: ما أَفْضَلَ ما رَأَيْتَ من الْأَعْمالِ؟ قالَ: رَأَيْتُ تَسْبيحاتِ أَبِي الْمُعْتَمِرِ مِنَ اللهِ بِمَكانٍ، وهي هَذِهِ: سُبْحانَ اللهِ، والْحَمْدُ للهِ، ولا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، واللهُ أَكْبَرُ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ الْعَلِيِّ الْعَظيمِ، عَدَدَ ما خَلَقَ، وَعَدَدَ ما هو خالِقٌ، وَزِنَةَ ما خَلَقَ، وَزِنَةَ ما هو خالِقٌ، وَمِلْءَ ما خَلَقَ، وَمِلْءَ ما هو خالِقٌ، وَمِلْءَ سَماواتِهِ وَأَرْضِهِ، وَمِثْلَ ذلِكَ، وَأَضْعافَ ذلِكَ، وَعَدَدَ خَلْقِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمُنْتَهَى رَحْمَتِهِ، وَمِدادَ كَلِماتِهِ، وَمَبْلَغَ رِضاهُ، وحَتَّى يَرْضَى، وإذا رَضِيَ، وَعَدَدَ ما ذَكَرَهُ به خَلْقُهُ في جَميعِ ما مَضَى، وَعَدَدَ ما هم ذاكِروهُ فيما بَقِيَ في كُلِّ سَنَةٍ وشَهْرٍ وَجُمُعَةٍ وَيَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَساعَةٍ من السَّاعاتِ وَنَسَمٍ وَنَفَسٍ، مِنْ أَبَدٍ إلى الْأَبَدِ، أَبَدَ الدُّنْيا وَأَبَدَ الْآخِرَةِ، وَأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ لا يَنْقَطِعُ أُولاهُ، ولا يَنْفَدُ أُخْراهُ[2].

---

(1) الإحياء: 1/ 317، تخريج أحاديث الإحياء: 376.

(2) المنامات لابن أبي الدنيا: 94، قوت القلوب: 1/ 23، الجامع لأخلاق الراوي: 2/ 5، الإحياء: 1/ 317.

ومنها: **دُعاءُ إِبْراهيمَ بنِ أَدْهَمَ** رَضِيَ الله عنه [كذا بِخَطِّهِ][1] رَوَى إبْراهيمُ ابْنُ بَشَّارٍ خادِمُهُ أنَّهُ كانَ يَقولُ هذا الدُّعاءَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إذا أَصْبَحَ وإذا أَمْسَى: مَرْحَبًا بِيَوْمِ الْمَزيدِ، وَالصُّبْحِ الْجَديدِ، وَالْكاتِبِ الشَّهيدِ، يَوْمُنا هذا يَوْمُ عِيدٍ، اكْتُبْ لنا ما نَقولُ: بِسْمِ اللهِ الْحَميدِ الْمَجيدِ، الرَّفيعِ الْوَدُودِ، الْفَعَّالِ في خَلْقِهِ ما يُريدُ، أَصْبَحْتُ بِاللهِ مُؤْمِنًا، وَبِلِقائِهِ مُصَدِّقًا، وَبِحُجَّتِهِ مُعْتَرِفًا، وَمِنْ ذَنْبِي مُسْتَغْفِرًا، وَلِرُبوبِيَّةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ خاضِعًا، وَلِسِوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ في الْإِلَهِيَّةِ جاحِدًا، وإلى اللهِ سُبْحانَهُ وَتَعالى فَقيرًا، وعلى اللهِ مُتَوَكِّلًا، وإلى الله عَزَّ وَجَلَّ مُنيبًا، أُشْهِدُ اللهَ وَأُشْهِدُ مَلائِكَتَهُ وَأَنْبِياءَهُ وَرُسُلَهُ وَحَمَلَةَ عَرْشِهِ ومِنْ خَلْقِهِ وما هو خالِقُهُ بِأَنَّهُ هو اللهُ لا إلَهَ إلَّا هو وَحْدَهُ لا شَريكَ له، وأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسولُهُ، صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ تَسْليمًا، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، والْحَوْضَ حَقٌّ، والشَّفاعَةَ حَقٌّ، وَمُنْكَرًا وَنَكيرًا حَقٌّ، وَوَعْدَكَ [وَوَعيدَكَ][2] حَقٌّ، وَلِقاءَكَ حَقٌّ، والسَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فيها، وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ في الْقُبورِ، على ذلك أَحْيَا، وعَلَيْهِ أَموتُ، وَعَلَيْهِ أُبْعَثُ إنْ شاءَ اللهُ؛ اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا رَبَّ لي إلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأنا عَبْدُكَ على عَهْدِكَ[3] وَوَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أَعوذُ بك اللَّهُمَّ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذي شَرٍّ. اللَّهُمَّ إنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فاغْفِرْ لي إنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنوبَ إلَّا أَنْتَ، واهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلاقِ فَإِنَّهُ لا يَهْدِي لِأَحْسَنِها إلَّا أَنْتَ، واصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَها فإنَّهُ لا يَصْرِفُ سَيِّئَها إلَّا

(1) زيادة من رئيس الكتاب.

(2) زيادة من رئيس الكتاب.

(3) وأنا على عهدك، في الإحياء: 1/ 318.

أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدَيْكَ، أنا لَكَ وإلَيْكَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتوبُ إليكَ، آمَنْتُ اللَّهُمَّ بما أَرْسَلْتَ من رَسولٍ، وآمَنْتُ اللَّهُمَّ بما أَنْزَلْتَ مِنْ كِتابٍ، وصَلَّى اللهُ على مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وعلى آلِهِ وَسَلَّمَ كَثيرًا خاتِمِ كَلامِي وَمِفْتاحِهِ، وعلى أَنْبيائِهِ وَرُسُلِهِ أَجْمَعينَ، آمينَ يا رَبَّ الْعالَمينَ. اللَّهُمَّ أَوْرِدْنا حَوْضَهُ، وَاسْقِنَا بِكَأْسِهِ مَشْرَبًا رَوِيًّا سائِغًا هَنِيئًا لا نَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا، وَاحْشُرْنَا في زُمْرَتِهِ غَيْرَ خَزايَا ولا ناكِثِينَ، ولا مُرْتابِينَ ولا مَفْتونِينَ، ولا مَغْضوبٍ عَلَيْنا ولا ضالِّينَ؛ اللَّهُمَّ اعْصِمْنِي مِنْ فِتَنِ الدُّنْيا، وَوَفِّقْنِي لما تُحِبُّ وَتَرْضَى، وَأَصْلِحْ لي شَأْنِي كُلَّهُ، وَثَبِّتْنِي بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ في الْحَياةِ الدُّنْيَا وفي الْآخِرَةِ، ولا تُضِلَّنِي وإنْ كُنْتُ ظالِمًا، سُبْحانَكَ سُبْحانَكَ يا عَلِيُّ يا عَظِيمُ، يا رَبُّ يا رَحيمُ، يا عَزيزُ يا حَنَّانُ، سُبْحانَ من سَبَّحَتْ له السَّمواتُ بِأَكْنافِها، وَسُبْحانَ من سَبَّحَتْ له الْجِبالُ بِأَصْواتِها، وَسُبْحانَ من سَبَّحَتْ له الْبِحارُ بِأَمْواجِها، وَسُبْحانَ من سَبَّحَتْ له الْحِيتانُ بِلُغاتِهَا، وَسُبْحانَ من سَبَّحَتْ له النُّجومُ في السَّماءِ بِإِبْراقِها، وَسُبْحانَ من سَبَّحَتْ له الشَّجَرُ بِأُصولِها وَنَضارَتِها، وَسُبْحانَ من سَبَّحَتْ له السَّمواتُ السَّبْعُ والْأَرَضونَ السَّبْعُ وَمَنْ فيهِنَّ ومن عَلَيْهِنَّ، سُبْحانَكَ سُبْحانَكَ يا حَيُّ يا حَليمُ، سُبْحانَكَ لا إلَهَ إلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لا شَريكَ لَكَ، تُحْيِي وَتُميتُ، وأَنْتَ حَيٌّ لا تَموتُ، بِيَدِكَ الْخَيْرُ، وَأَنْتَ على كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ[1].

(1) قوت القلوب: 1/ 130-131، حلية الأولياء: 8/ 38، الإحياء: 1/ 317-318.

الْمَطْلَبُ السَّادِسُ: في أَدْعِيَةٍ مَأْثورَةٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ وَالْآلِ والْأَصْحابِ مَحْذوفَةِ الْأَسانيدِ مِمَّا جَمَعَهُ أبو طالِبِ الْمَكِّيُّ وابْنُ خُزَيْمَةَ وابْنُ الْمُنْذِرِ على ما رَوَى الْغَزالِيُّ في **الْإِحْياءِ** رَحِمَهُمُ اللهُ.

وَاعْلَمْ أنَّ مَنْ أَرادَ حَرْثَ الْآخِرَةِ لا بُدَّ له من الذِّكْرِ كما بَيَّنَّاهُ. وَمِنْ أَفْضَلِ الْأَذْكارِ الدَّعَواتُ الْمَأْثورَةُ عن الْأَخْبارِ وَالْآثارِ، فَقُلْ في مُفْتَتَحِ دَعَواتِكَ أَعْقابَ صَلَواتِكَ: «سُبْحانَ رَبِّيَ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى الْوَهَّابِ»[1]. «لا إلَهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ له، له الْمُلْكُ وله الْحَمْدُ، وهو على كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ».

وَقُلْ: «رَضِيتُ باللهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ نَبِيًّا»[2]، ثَلاثَ مَرَّاتٍ.

وَقُلْ: «اللَّهُمَّ فاطِرَ السَّماواتِ والْأَرْضِ، عالِمَ الْغَيْبِ والشَّهادَةِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَليكَهُ، أَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلَّا أَنْتَ، أَعوذُ بك مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطانِ وَشِرْكِهِ»[3].

وَقُلْ: «اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ والْعافِيَةَ في دينِي وَدُنْيايَ وَأَهْلِي وَمالِي؛ اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْراتِي، وَآمِنْ رَوْعاتِي، وَأَقِلْ عَثَراتِي، وَاحْفَظْنِي من بَيْنِ يَدَيَّ

---

(1) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث: 1/ 284، الشريعة للآجري: 3/ 1094، قوت القلوب: 1/ 19، المستدرك للحاكم: 1/ 676، الإحياء: 1/ 318.

(2) صحيح البخاري: 1/ 30، رقم: 30، الإحياء: 1/ 328.

(3) الجامع لمعمر بن راشد: 11/ 35، مسند الطيالسي: 4/ 308، مصنف ابن أبي شيبة: 5/ 322، مسند أحمد: 1/ 221، الإحياء: 1/ 328.

ومِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمينِي وعن شِمالِي، ومن فَوْقِي، وَأَعوذُ بك أنْ أُغْتالَ من تَحْتِي»[1].

«اللَّهُمَّ لا تُؤَمِّنِّي مَكْرَكَ، ولا تُوَلِّنِي غَيْرَكَ، ولا تَنْزِعْ عَنِّي سِتْرَكَ، ولا تُنْسِنِي ذِكْرَكَ، ولا تَجْعَلْنِي من الْغافِلينَ»[2].

وَقُلْ: «اللَّهُمَّ أنْتَ رَبِّي لا إلَهَ إلَّا أنْتَ، خَلَقْتَنِي وأنا عَبْدُكَ على عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أَعوذُ بك مِنْ شَرِّ ما صَنَعْتُ، أبوءُ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأبوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لي إنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنوبَ إلَّا أَنْتَ».

وقُلْ: «اللَّهُمَّ عافِنِي في بَدَنِي، وعافِنِي في سَمْعِي، وَعافِنِي في بَصَرِي، لا إلَهَ إلَّا أَنْتَ»[3]. ثَلاثَ مَرَّاتٍ.

وَقُلْ: «اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ الرِّضا بِالْقَضاءِ، وَبَرْدَ الْعَيْشِ بعد الْمَوْتِ، وَلَذَّةَ النَّظَرِ إلى وَجْهِكَ، وَشَوْقًا إلى لِقائِكَ، من غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، ولا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، وَأَعوذُ بك أَنْ أَظْلِمَ أو أُظْلَمَ، أو أَعْتَدِيَ أو يُعْتَدَى عَلَيَّ، أو أَكْتَسِبَ خَطيئَةً أو ذَنْبًا لا تَغْفِرُهُ»[4].

---

(1) مصنف ابن أبي شيبة: 6/ 35، مسند أحمد: 8/ 403، الأدب المفرد للبخاري: 411، سنن ابن ماجه: 2/ 1273، والنقل من الإحياء: 1/ 318-319.

(2) الجامع لعلوم الإمام أحمد: 20/ 373، قوت القلوب: 1/ 64، والنقل من الإحياء: 1/ 319.

(3) مسند الطيالسي: 2/ 199، مصنف ابن أبي شيبة: 6/ 24، مسند أحمد: 34/ 75، الأدب المفرد: 244.

(4) الدعاء للضبي: 257، المعجم الكبير للطبراني: 5/ 119، الدعاء للطبراني: 121.

«اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ الثَّباتَ في الْأَمْرِ، وَالْعَزيمَةَ على الرُّشْدِ، وأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَليمًا، وَخُلُقًا مُسْتَقيمًا، وَلِسانًا صادِقًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا، وَأَسْأَلُكَ من خَيْرِ ما تَعْلَمُ، وَأَعوذُ بك مِنْ شَرِّ ما تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لما تَعْلَمُ، فإنَّكَ تَعْلَمُ ولا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيوبِ»(1).

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي ما قَدَّمْتُ وما أَخَّرْتُ، وما أَسْرَرْتُ وما أَعْلَنْتُ، فَإنَّكَ أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ على كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ، وعلى كُلِّ غَيْبٍ شَهيدٌ»(2).

«اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ إيمانًا لا يَرْتَدُّ، وَنَعيمًا لا يَنْفَدُ، وقُرَّةَ عَيْنِ الْأَبَدِ، وَمُرافقَةَ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ في أَعْلَى جَنَّةِ الْخُلْدِ»(3).

«اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ الطَّيِّباتِ، وَفِعْلَ الْخَيْراتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَراتِ، وَحُبَّ الْمَساكينِ، أَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ أَحَبَّكَ، وَحُبَّ كُلِّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنِي إلى حُبِّكَ، وَأَنْ تَتوبَ عَلَيَّ، وَتَغْفِرَ لي وَتَرْحَمَنِي، وإذا أَرَدْتَ بِقَوْمٍ فِتْنَةً فاقْبِضْنِي إلَيْكَ غَيْرَ مَفْتونٍ»(4).

---

(1) مصنف ابن أبي شيبة: 6/ 46، مسند أحمد: 28/ 338، سنن الترمذي: 5/ 411.

(2) صحيح البخاري: 8/ 84، رقم: 6398.

(3) مسند الطيالسي: 1/ 266، مصنف ابن أبي شيبة: 6/ 68، مسند أحمد: 6/ 346، المستدرك: 1/ 707.

(4) مسند أحمد: 36/ 423، سنن الترمذي: 5/ 285، مسند البزار: 7/ 110و 10/ 119، قوت القلوب: 1/ 24، والنقل من الإحياء: 1/ 319.

«اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ، وَقُدْرَتِكَ على الْخَلْقِ، أَحْيِنِي ما كانَتِ الْحَياةُ خَيْرًا لي، وَتَوَفَّنِي إذا كانَتِ الْوَفاةُ خَيْرًا لي. أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ في الْغَيْبِ والشَّهادَةِ، وَكَلِمَةَ الْعَدْلِ في الرِّضا والْغَضَبِ، والْقَصْدَ في الْغِنَى والْفَقْرِ، وَلَذَّةَ النَّظَرِ إلى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إلى لِقائِكَ، وَأَعوذُ بك من ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَفِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ. اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الْإِيمانِ، واجْعَلْنا هُداةً مَهْدِيِّينَ»[1].

«اللَّهُمَّ اقْسِمْ لنا من خَشْيَتِكَ ما تَحولُ به بيننا وَبَيْنَ مَعاصيكَ، ومِنْ طاعَتِكَ ما تُبَلِّغُنا به جَنَّتَكَ، ومِنَ الْيَقينِ ما تُهَوِّنُ به علينا مَصائِبَ الدُّنْيا»[2].

«اللَّهُمَّ امْلَأْ وُجوهَنا منك حَياءً، وَقُلوبَنا منكَ خَوْفًا، وَأَسْكِنْ في نُفوسِنا من عَظَمَتِكَ، وَذَلِّلْ جَوارِحَنَا لِخِدْمَتِكَ[3]، وَاجْعَلْكَ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِمَّا سِواكَ، وَاجْعَلْنا أَخْشَى لَكَ مِمَّنْ سِواكَ»[4].

«اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَوَّلَ يَوْمِنا هذا صَلاحًا، وأَوْسَطَهُ فَلاحًا، وآخِرَهُ نَجاحًا، اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَوَّلَهُ رَحْمَةً، وَأَوْسَطَهُ نِعْمَةً، وَآخِرَهُ تَكْرِمَةً»[5].

«الْحَمْدُ لله الَّذي تَواضَعَ كُلُّ شَيْءٍ لِعَظَمَتِهِ، وَذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لِعِزَّتِهِ، وَخَضَع

---

(1) صحيح ابن حبان: 7/ 372، قوت القلوب: 1/ 24، الإحياء: 1/ 319.

(2) السنن الكبرى للنسائي: 9/ 154، المجالسة وجواهر العلم: 3/ 99، الدعاء للطبراني: 535، قوت القلوب: 1/ 24، الإحياء: 1/ 319.

(3) بخدمتك، في رئيس الكتاب.

(4) الإحياء: 1/ 319-320، تخريج أحاديث الإحياء: 380.

(5) قوت القلوب: 1/ 25، الإحياء: 1/ 320، تخريج أحاديث الإحياء: 380.

كُلُّ شَيْءٍ لِمُلْكِهِ، وَاسْتَسْلَمَ كُلُّ شَيْءٍ لِقُدْرَتِهِ، الْحَمْدُ لله الَّذِي سَكَنَ كُلُّ شَيْءٍ لِهَيْبَتِهِ، وَأَظْهَرَ كُلَّ شَيْءٍ بِحِكْمَتِهِ، وَتَصاغَرَ كُلُّ شَيْءٍ لِكِبْرِيائِهِ»[1].

«اللَّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَأَزْواجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، وَبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّدٍ وَأَزْواجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كما بارَكْتَ على إبْراهيمَ وعلى آلِ إبْراهِيمَ في الْعالَمِينَ إنَّكَ حَميدٌ مَجيدٌ»[2].

«اللَّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَنَبِيِّكَ وَرَسولِكَ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ رَسولِ الْأُمِّيِّينَ، وَأَعْطِهِ الْمَقامَ الْمَحْمودَ يَوْمَ الدِّينِ»[3].

«اللَّهُمَّ اجْعَلْنا مِنْ أَوْلِيائِكَ الْمُتَّقِينَ، وَحِزْبِكَ الْمُفْلِحينَ، وَعِبادِكَ الصَّالِحينَ، وَاسْتَعْمِلْنا بما يُرْضيكَ عَنَّا، وَوَفِّقْنا لِمَحابِّكَ مِنَّا، وَصَرِّفْنا بِحُسْنِ اخْتِيارِكَ لنا، نَسْأَلُكَ جوامِعَ الْخَيْرِ وَفَواتِحَهُ وَخَواتِمَهُ، وَنَعوذُ بِكَ مِنْ جَوامِعِ الشَّرِّ وَفَواتِحِهِ وخَواتِمِهِ»[4].

«اللَّهُمَّ بِقُدْرَتِكَ عَلَيَّ تُبْ عَلَيَّ إنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحيمُ، وَبِحِلْمِكَ عَنِّي اعْفُ عَنِّي إنَّكَ أَنْتَ الْغَفَّارُ، وَبِعِلْمِكَ بي اغْفِرْ لي إنَّكَ أَنْتَ الرَّحْمنُ، وَبِمُلْكِكَ لي مَلِّكْنِي نَفْسِي ولا تُسَلِّطْها عَلَيَّ إنَّكَ أَنْتَ الْمَلِكُ الْجَبَّارُ»[5].

---

(1) المعجم الكبير للطبراني: 12/ 424، الدعاء للطبراني: 123، قوت القلوب: 1/ 25، الإحياء: 1/ 320.

(2) صحيح البخاري: 4/ 146، رقم: 3369.

(3) قوت القلوب: 1/ 26، الإحياء: 1/ 320، تخريج أحاديث الإحياء: 380.

(4) المصدر نفسه: 1/ 26، المصدر نفسه: 1/ 320، المصدر نفسه: 380.

(5) المصدر نفسه: 1/ 26، المصدر نفسه: 1/ 320، المصدر نفسه: 381.

«سُبْحانَكَ وبِحَمْدِكَ لا إلَهَ إلَّا أَنْتَ، عَمِلْتُ سوءًا وَظَلَمْتُ نَفْسِي فاغْفِرْ لي ذَنْبِي إنَّكَ أنْتَ رَبِّي إنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنوبَ إلَّا أَنْتَ»(1).

«اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي، وَقِنِي شَرَّ نَفْسِي»(2).

«اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي رِزْقًا حَلالًا لا تُعاقِبُنِي عليه، وَقَنِّعْنِي بما رَزَقْتَنِي، وَاسْتَعْمِلْنِي به صالِحًا تَقْبَلُهُ مِنِّي»(3).

«أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعافِيَةَ وحُسْنَ الْيَقينِ والْمُعافاةَ في الدُّنْيا والْآخِرَةِ، يا مَنْ لا تَضُرُّهُ الذُّنوبُ، ولا تَنْقُصُهُ الْمَغْفِرَةُ، هَبْ لي ما لا يَضُرُّكَ، وَأَعْطِنِي ما لا يَنْفَعُكَ، أَفْرِغْ علينا صَبْرًا وَتَوَفَّنا مُسْلِمينَ، وَتَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحينَ، أَنْتَ وَلِيُّنا فَاغْفِرْ لنا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيرُ الْغافِرينَ، ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ﴾(4)، ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (4) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (5)﴾(5)، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ

---

(1) مصنف ابن أبي شيبة: 6/ 31، السنن الكبرى للنسائي: 9/ 163 قوت القلوب: 1/ 26، الإحياء: 1/ 320.

(2) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: 3/ 199، قوت القلوب: 1/ 26، الإحياء: 1/ 320، تاريخ دمشق: 73/ 121.

(3) المستدرك: 1/ 626، قوت القلوب: 1/ 26، الإحياء: 1/ 320.

(4) سورة الأعراف، الآية: 156.

(5) سورة الممتحنة، الآية: 4-5.

أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[1]، ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾[2]، ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[3]، ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (193) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (194)﴾[4]، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[5]، رَبِّ اغْفِرْ لي وَلِوالِدَيَّ وَارْحَمْهُما كما رَبَّيانِي صَغيرًا، وَاغْفِرْ لِلْمُؤْمِنينَ وَالْمُؤْمِناتِ، والْمُسْلِمينَ والْمُسْلِماتِ، الْأَحْياءِ منهم وَالْأَمْواتِ، رَبِّ اغْفِرْ وارْحَمْ، وتَجاوَزْ عَمَّا تَعْلَمُ، فإِنَّكَ أَنْتَ[6] الْأَعَزُّ الْأَكْرَمُ، وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمينَ، وخَيْرُ الْغافِرينَ، وإِنَّا لله وإِنَّا إليه راجِعونَ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ الَّا باللهِ الْعَلِيِّ الْعَظيمِ، وَحَسْبُنا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكيلُ»[7].

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 147.

(2) سورة الكهف، الآية:10.

(3) سورة البقرة، الآية: 201.

(4) سورة آل عمران، الآية: 193-194.

(5) سورة البقرة، الآية: 286.

(6) فأنت، في قونية ورئيس الكتاب.

(7) قوت القلوب: 1/ 27، الإحياء: 1/ 321، تخريج أحاديث الإحياء: 381.

أَنْواعُ الاِسْتِعاذَةِ الْمَأْثورَةِ عن النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ

«اللَّهُمَّ إنِّي أَعوذُ بك من الْبُخْلِ، وَأَعوذُ بك من الْجُبْنِ، وَأَعوذُ بك من أَنْ أُرَدَّ إلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ، وَأَعوذُ بِكَ من فِتْنَةِ الدُّنْيا، وَأَعوذُ بك من عَذابِ الْقَبْرِ»[1].

«اللَّهُمَّ إنِّي أَعوذُ بك من طَمَعٍ يَهْدِي إلى طَبْعٍ، وَطَمَعٍ مِنْ غَيْرِ طَمَعٍ، وَمِنْ طَمَعٍ حَيْثُ لا مَطْمَعٍ»[2].

«اللَّهُمَّ إنِّي أَعوذُ بك من عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، وَقَلْبٍ لا يَخْشَعُ، وَدُعاءٍ لا يُسْمَعُ، وَنَفْسٍ لا تَشْبَعُ، ومِنْ الْجوعِ فإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجيعُ، ومن الْخِيانَةِ فإِنَّها بِئْسَتِ الْبِطانَةُ، ومِنَ الْكَسَلِ والْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، ومِنَ الْهَرَمِ، وَمِنْ أَنْ أُرَدَّ إلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ، ومِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَعَذابِ الْقَبْرِ، وَفِتْنَةِ الْمَحْيا وَالْمَماتِ؛ اللَّهُمَّ إنَّا نَسْأَلُكَ قُلوبًا أَوَّاهَةً[3] مُخْبِتَةً مُنِيبَةً في سَبِيلِكَ؛ اللَّهُمَّ إنَّا نَسْأَلُك عَزائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَموجِباتِ رَحْمَتِكَ، وَالسَّلامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، وَالْغَنيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ، وَالْفَوْزَ بِالْجَنَّةِ والنَّجاةَ مِنَ النَّارِ»[4].

---

(1) صحيح البخاري: 8/ 78، والنقل من الإحياء: 1/ 321.

(2) لا طمع، في أنطاليا. مسند أحمد: 36/ 351-444، مسند البزار: 7/ 105، المعجم الكبير: 18/ 69، المستدرك: 1/ 716، الإحياء: 1/ 321-322.

(3) أوابة، في رئيس الكتاب ومراد ملا.

(4) المستدرك للحاكم: 1/ 716، الإحياء: 1/ 322، تخريج أحاديث الإحياء: 2/ 800.

«اللَّهُمَّ إنِّي أَعوذُ بك مِنَ التَّرَدِّي، وَأَعوذُ بِكَ من الْهَمِّ والْغَرَقِ وَالْهَرَمِ، وَأَعوذُ بك مِنْ أنْ أَموتَ في سَبِيلِكَ مُدْبِرًا، وَأَعوذُ بِكَ مِنْ أنْ أَموتَ في طَلَبِ دُنْيَا»(1).

«اللَّهُمَّ إنِّي أَعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ ما عَلِمْتُ وما لَمْ أَعْلَمْ»(2).

«اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي مُنْكَراتِ الْأَخْلاقِ والْأَعْمالِ والْأَدْواءِ وَالْأَهْواءِ»(3).

«اللَّهُمَّ إنِّي أَعوذُ بِكَ مِنْ جَهْدِ الْبَلاءِ، وَدَرَكِ الشَّقاءِ، وَسوءِ الْقَضاءِ، وَشَماتَةِ الْأَعْداءِ»(4).

«اللَّهُمَّ إنِّي أَعوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالدَّيْنِ وَالْفَقْرِ، وَأَعوذُ بِكَ مِنْ عَذابِ جَهَنَّمَ، وَأَعوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ»(5).

«اللَّهُمَّ إنِّي أَعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي وَبَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسانِي وَقَلْبِي وَسوءِ ظَنِّي»(6).

---

(1) سنن النسائي: 8/ 282، سنن الكبرى للنسائي: 7/ 238، الإحياء: 1/ 322، تخريج أحاديث الإحياء: 2/ 800.

(2) صحيح مسلم: 4/ 2085، رقم: 2716، الإحياء: 1/ 322.

(3) مصنف ابن ابي شيبة: 16/ 281، صحيح ابن حبان: 7/ 430، المستدرك للحاكم: 1/ 714، الإحياء: 1/ 322.

(4) صحيح البخاري: 8/ 75، رقم: 6347، الإحياء: 1/ 322.

(5) مسند أحمد: 34/ 17، الأدب المفرد للبخاري: 244، سنن أبي داود: 4/ 324، واللفظ من الإحياء: 1/ 322.

(6) مصنف ابن أبي شيبة: 16/ 103، مسند أحمد: 24/ 304، الأدب المفرد للبخاري: 247، سنن النسائي: 8/ 260، الإحياء: 1/ 322، وفيهم جميعا: ومن شرِّ مَنِيِّي.

«اللَّهُمَّ إنِّي أَعوذُ بك مِنْ جارِ السُّوءِ في دارِ الْبَقاءِ فإنَّ جارَ الْبادِي يَتَحَوَّلُ»[1].

«اللَّهُمَّ إنِّي أَعوذُ بك من الْقَسْوَةِ وَالْغَفْلَةِ وَالْعَيْلَةِ وَالذِّلَّةِ والْمَسْكَنَةِ، وَأَعوذُ بِكَ من الْفَقْرِ والْكُفْرِ والْفُسوقِ والشِّقاقِ والنِّفاقِ والسُّمْعَةِ والرِّياءِ، وَأَعوذُ بك من الصَّمَمِ وَالْبَكَمِ والْجُنونِ والْجُذامِ والْبَرَصِ وسَيِّءِ الْأَسْقامِ»[2].

«اللَّهُمَّ إنِّي أَعوذُ بِكَ من زَوالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عافِيَتِكَ، وَمِنْ فُجاءَةِ نِقْمَتِكَ، ومِنْ جَميعِ سَخَطِكَ»[3].

«اللَّهُمَّ إنِّي أَعوذُ بِكَ مِنْ عَذابِ النَّارِ وفِتْنَةِ النَّارِ، ومِنْ عَذابِ الْقَبْرِ، وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَشَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى، وَشَرِّ فِتْنَةِ الْفقْرِ، وَشَرِّ فِتْنَةِ الْمَسيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعوذُ بِكَ من الْمَغْرَمِ والْمَأْثَمِ»[4].

«اللَّهُمَّ إنِّي أَعوذُ بِكَ مِنْ نَفْسٍ لا تَشْبَعُ، وَقَلْبٍ لا يَخْشَعُ، وَصَلاةٍ لا تَنْفَعُ، وَدَعْوَةٍ لا تُسْتَجابُ»[5].

---

(1) مصنف ابن أبي شيبة: 5/ 220، وفيه: جار البادية، وكذلك في: سنن النسائي: 8/ 274، الإحياء: 1/ 322. وفي الأدب المفرد للبخاري: 54: جار الدنيا، وجار البادي في مسند البزار: 15/ 157.

(2) صحيح ابن حبان: 7/ 444، المعجم الصغير للطبراني: 1/ 198، المستدرك للحاكم: 1/ 712، الإحياء: 1/ 322.

(3) صحيح مسلم: 4/ 2097، رقم: 2739، الإحياء: 1/ 322.

(4) صحيح البخاري: 8/ 81، رقم: 6377، الإحياء: 1/ 322-323.

(5) سنن النسائي: 8/ 285، السنن الكبرى للنسائي: 7/ 205، صحيح ابن حبان: 7/ 438، الإحياء: 1/ 323.

«وَأَعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الْعُمُرِ، وَمِنْ ضِيقِ الصَّدْرِ»[1].

«اللَّهُمَّ إنِّي أَعوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الْعَدُوِّ، وَشَماتَةِ الْأَعْداءِ»[2].

(1) الإحياء: 1/ 323، تخريج أحاديث الإحياء: 2/ 805.

(2) مسند أحمد: 11/ 189، الأدب المفرد للبخاري: 249، سنن النسائي: 8/ 265، واللفظ من الإحياء: 1/ 322.

الْمَطْلَبُ السَّابِعُ: فِي الْأَدْعِيَةِ الْمَأْثورَةِ عند كُلِّ حادِثٍ مِنَ الْحَوادِثِ

منها: دُعاءُ الْخُروجِ إلى الْمَسْجِدِ، «اللَّهُمَّ اجْعَلْ في قَلْبِي نورًا، وفي لِسانِي نورًا، وَاجْعَلْ في سَمْعِي نورًا، وَاجْعَلْ في بَصَرِي نورًا، وَاجْعَلْ خَلْفِي نورًا، وَأَمامِي نورًا، وَاجْعَلْ مِنْ فَوْقِي نورًا، اللَّهُمَّ أَعْطِنِي نورًا»[1].

وَقُلْ: «اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلينَ عَلَيْكَ، وَبِحَقِّ مَمْشايَ هذا إِلَيْكَ، لم أَخْرُجْ أَشَرًا ولا بَطَرًا ولا رِياءً ولا سُمْعَةً، خَرَجْتُ اتِّقاءَ سَخَطِكَ، وَابْتِغاءَ مَرْضاتِكَ، فَأَسْأَلُكَ أنْ تُنْقِذَنِي من النَّارِ، وأنْ تَغْفِرَ لي ذُنوبِي، فإنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنوبَ إلَّا أَنْتَ»[2].

وَإِنْ خَرَجْتَ مِنَ الْمَنْزِلِ لِحاجَةٍ فَقُلْ: «بِسْمِ اللهِ رَبِّ أَعوذُ بِكَ أن أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ أو يُجْهَلَ عَلَيَّ»[3].

«بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا باللهِ الْعَلِيِّ الْعَظيمِ، التُّكْلانُ على اللهِ»[4].

---

(1) صحيح البخاري: 8/ 69، رقم: 6316، صحيح مسلم: 1/ 530، رقم: 763، الإحياء: 1/ 323.

(2) مسند ابن الجعد: 299، مصنف ابن أبي شيبة: 6/ 25، مسند أحمد: 17/ 248، سنن ابن ماجه: 1/ 256.

(3) مسند الطيالسي: 3/ 180، مسند الحميدي: 1/ 311، مسند أحمد: 44/ 300، الإحياء: 1/ 323.

(4) الأدب المفرد: 409، سنن ابن ماجه: 2/ 1278، الدعاء للطبراني: 145، الإحياء: 1/ 323.

فإذا انْتَهَيْتَ إلى الْمَسْجِدِ تُريدُ دُخولَهُ فَقُلْ: «اللَّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّدٍ وَسَلِّمْ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ جَميعَ ذُنوبِي، وَافْتَحْ لي أَبْوابَ رَحْمَتِكَ»[1].

وَقَدِّمْ رِجْلَكَ الْيُمْنَى في الدُّخولِ، فإذا «رَأَيْتَ في الْمَسْجِدِ مَنْ يَبيعُ أو يَبْتاعُ فَقُلْ: لَا أَرْبَحَ اللهُ تِجارَتَكَ. وإذا رَأَيْتَ مَنْ يَنْشُدُ ضالَّةً في الْمَسْجِدِ فَقُلْ: لا رَدَّ اللهُ عَلَيْكَ»[2]. أَمَرَ بذلك رَسولُ اللهِ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ.

وَمِنْها: دُعاءٌ بَعْدَ رَكْعَتَي الصُّبْحِ. «اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ رَحْمَةً من عِنْدِكَ تَهْدِي بها قَلْبِي...». الدُّعاءُ إلى آخِرِهِ قد مَرَّ فيما سَبَقَ.

وَمِنْهَا: دُعاءُ الرُّكوعِ، «اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَلَكَ خَشَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، أَنْتَ رَبِّي، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي وَمُخِّي وَعَظْمِي وَعَصَبِي، وما اسْتَقَلَّتْ به قَدَمِي لله رَبِّ الْعالَمينَ»[3].

وإنْ أَحْبَبْتَ فَقُلْ: «سُبْحانَ رَبِّيَ الْعَظيمِ»، ثَلاثًا، أو: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلائِكَةِ والرُّوحِ»[4].

---

(1) صحيح مسلم: 1/ 494، رقم: 713، الإحياء: 1/ 323.

(2) سنن الترمذي: 2/ 586، السنن الكبرى للنسائي: 9/ 77، صحيح ابن خزيمة: 2/ 274، الإحياء: 1/ 323.

(3) صحيح ابن خزيمة: 12/ 306، صحيح ابن حبان: 7/ 163، المعجم الأوسط للطبراني: 5/ 17، الإحياء: 1/ 324.

(4) صحيح مسلم: 1/ 353، رقم: 487، الإحياء: 1/ 324.

فإذا رَفَعْتَ رَأْسَكَ مِنَ الرُّكوعِ فَقُلْ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّماواتِ وَمِلْءَ الْأَرْضِ وَمِلْءَ ما شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّناءِ والْمَجْدِ، كُلُّنا لَكَ عَبْدٌ، لا مانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، ولا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، ولا يَنْفَعُ ذا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»(1).

فإذا سَجَدْتَ فَقُلْ: «اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، فَتَبارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ»(2).

«اللَّهُمَّ سَجَدَ لَكَ سَوادِي وَخَيالِي، وَبِكَ آمَنَ فُؤادِي، أَبوءُ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبوءُ بِذَنْبِي، وهذا ما جَنَيْتُ على نَفْسِي فَاغْفِرْ لي إِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنوبَ إِلَّا أَنْتَ»(3).

أو تَقولُ: سُبْحانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى ثَلاثَ مَرَّاتٍ(4).

فإذا فَرَغْتَ مِنَ الصَّلاةِ فَقُلْ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلامُ، وَمِنْكَ السَّلامُ، تَبارَكْتَ يا ذا الْجَلالِ وَالْإِكْرامِ»(5).

وَتَدْعُوَ بِسائِرِ الْأَدْعِيَةِ الَّتِي ذَكَرْناها؛ هذا عند الشَّافِعِيِّ، وأمَّا عند أبي حَنِيفَةَ فلا يَزيدُ في الرُّكوعِ على أنْ يَقولَ: سُبْحانَ رَبِّيَ الْعَظيمِ، ثَلاثًا أو خَمْسًا أو سَبْعًا أو تِسْعًا؛ وفي السُّجودِ على أن يَقولَ: سُبْحانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى كَذَلِكَ.

(1) صحيح مسلم: 1/ 347، رقم: 477، الإحياء: 1/ 324.
(2) المصدر نفسه: 2/ 185، رقم: 771، المصدر نفسه: 1/ 324.
(3) مسند البزار: 5/ 403، مسند أبي يعلى: 8/ 121، المستدرك للحاكم: 1/ 716، الإحياء: 1/ 324.
(4) صحيح مسلم: 1/ 536، رقم: 537، الإحياء: 1/ 324.
(5) المصدر نفسه: 1/ 414، رقم: 591، المصدر نفسه: 1/ 324.

وَمِنْها: دُعاءُ كَفَّارَةِ الْمَجْلِسِ، «سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أنْ لا إِلَهَ إلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتوبُ إِلَيْكَ، عَمِلْتُ سوءًا وظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لي إِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنوبَ إلَّا أَنْتَ»[1].

وَمِنْها: دُعاءُ دُخولِ السُّوقِ، «لا إِلَهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ له، له الْمُلْكُ وله الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُميتُ، وهو حَيٌّ لا يَموتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وهو على كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ؛ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحيمِ، اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هذا السُّوقِ وَخَيْرَ ما فِيهَا؛ اللَّهُمَّ إنِّي أَعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّها وَشَرِّ ما فيها، اللَّهُمَّ إنِّي أَعوذُ بك أنْ أُصيبَ فيها يَمينًا فاجِرَةً، أو صَفْقَةً خاسِرَةً»[2].

وَمِنْها: دُعاءُ الدَّيْنِ، «اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلالِكَ عن حَرامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِواكَ»[3].

ومِنْهَا: دُعاءٌ عند لُبْسِ الثَّوْبِ الْجَديدِ، «اللَّهُمَّ كَسَوْتَنِي هذا الثَّوْبَ فَلَكَ الْحَمْدُ، أَسْأَلُكَ من خَيْرِهِ وَخَيْرِ ما صُنِعَ له، وَأَعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ ما صُنِعَ له»[4].

---

(1) مصنف ابن أبي شيبة: 6/ 31، السنن الكبرى للنسائي: 9/ 314، الإحياء: 1/ 324.

(2) مسند الرُّوياني: 1/ 79، المستدرك للحاكم: 1/ 723، الإحياء: 1/ 323.

(3) مصنف ابن أبي شيبة: 6/ 70، المراسيل لأبي داود: 362، الإحياء: 1/ 325، الأذكار للنووي: 513.

(4) مسند أحمد: 17/ 348، سنن أبي داود: 4/ 41، السنن الكبرى للنسائي: 9/ 123، الإحياء: 1/ 323.

ومِنْهَا: دُعاءٌ عند التَّطَيُّرِ، «اللَّهُمَّ لا يَأْتِي بِالْحَسَناتِ إِلَّا أَنْتَ، ولا يَذْهَبُ بالسَّيِّئاتِ إِلَّا أَنْتَ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ»[1].

ومنها: دُعاءٌ عند رُؤْيَةِ الْهِلالِ، «اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنا بِالْأَمْنِ وَالْإِيمانِ[2]، والسَّلامَةِ وَالْإِسْلامِ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ»[3]. وَيَقولُ: «هِلالَ رُشْدٍ وَخَيْرٍ، آمَنْتُ بِخالِقِكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هذا الشَّهْرِ، وَخَيْرَ الْقَدَرِ، وَأَعوذُ بك مِنْ شَرِّ يَوْمِ الْحَشْرِ». وَيُكَبِّرُ قَبْلَ الدُّعاءِ أَوَّلًا ثَلاثًا[4].

وَمِنْها: دُعاءُ هُبوبِ الرِّيحِ، «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هذا الرِّيحِ، وَخَيْرَ ما فيها، وَخَيْرَ ما أُرْسِلَتْ به، وَأَعوذُ بِكَ من شَرِّها، وَشَرِّ ما فيها، وَشَرِّ ما أُرْسِلَتْ به»[5].

وَمِنْها: دُعاءٌ إذا بَلَغَكَ وَفاةُ أَحَدٍ، «إِنَّا للهِ وإِنَّا إِلَيْهِ راجِعونَ وإِنَّا إلى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ؛ اللَّهُمَّ اكْتُبْهُ من الْمُحْسِنِينَ، وَاجْعَلْ كِتابَهُ في عِلِّيِّينَ، وَاخْلُفْ على عَقِبِهِ في الْغابِرِينَ؛ اللَّهُمَّ لا تَحْرِمْنا أَجْرَهُ، ولا تَفْتِنَّا بَعْدَهُ»[6].

(1) مسند أحمد: 17/ 348، سنن أبي داود: 4/ 41، السنن الكبرى للنسائي: 9/ 123، الإحياء: 1/ 323.

(2) كذا صححت في نسخة رئيس الكتاب، وكتب بإزائها في الطرة: الأمان كذا في الأصل.

(3) مصنف عبد الرزاق: 4/ 168، مسند أحمد: 3/ 17، مسند الدارمي: 2/ 1050، سنن الترمذي: 5/ 447، الإحياء: 1/ 325.

(4) المعجم الكبير للطبراني: 4/ 276، الدعاء للطبراني: 283، الإحياء: 1/ 325.

(5) صحيح مسلم: 2/ 616، رقم: 899، الإحياء: 1/ 325.

(6) الإحياء: 1/ 325، تخريج أحاديث الإحياء: 2/ 827.

وَمِنْها: دُعاءٌ إذا تَصَدَّقْتَ بِصَدَقَةٍ، «﴿رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[1]»[2].

وَمِنْها: دُعاءٌ عند الْخُسْرانِ، «﴿عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾[3]»[4].

وَمِنْها: دُعاءٌ عند ابْتِداءِ الْأُمورِ، «﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾[5]، ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (26)﴾[6]»[7].

وَمِنْها: دُعاءٌ عِنْدَ النَّظَرِ إلى السَّماءِ، «﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[8]، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾[9]»[10].

---

(1) سورة البقرة، الآية: 127.

(2) الإحياء: 1/ 325.

(3) سورة القلم، الآية: 32.

(4) الإحياء: 1/ 325.

(5) سورة الكهف، الآية: 10.

(6) سورة طه، الآية: 25-26.

(7) الإحياء: 1/ 325.

(8) سورة آل عمران، الآية: 191.

(9) سورة الفرقان، الآية: 61.

(10) الإحياء: 1/ 325.

وَمِنْها: دُعاءٌ عند صَوْتِ الرَّعْدِ، «سُبْحانَ مَنْ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ من خيفَتِهِ»(1).

وَمِنْها: دُعاءٌ عند رُؤْيَةِ الصَّواعِقِ، «اللَّهُمَّ لا تَقْتُلْنا بِغَضَبِكَ، ولا تُهْلِكْنا بِعَذابِكَ، وَعافِنا قَبْلَ ذلِكَ»(2).

وَمِنْها: دُعاءٌ عِنْدَ الْمَطَرِ، «اللَّهُمَّ سَيْبًا(3) هَنِيئًا، وَصَيِّبًا نافِعًا، اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ سَيْبَ رَحْمَةٍ، ولا تَجْعَلْهُ سَيْبَ عَذابٍ»(4).

وَمِنْها: دُعاءٌ عِنْدَ الْغَضَبِ، «اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبِي، وَأَذْهِبْ غَيْظَ قَلْبِي، وَأَجِرْنِي مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجيمِ»(5).

وَمِنْها: دُعاءٌ عند الْخَوْفِ من قَوْمٍ، «اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ في نُحورِهِمْ، وَنَعوذُ بِكَ من شُرورِهِمْ»(6).

(1) موطأ مالك: 5/ 1444، مصنف ابن أبي شيبة: 6/ 27، الأدب المفرد للبخاري: 252، الإحياء: 1/ 325.

(2) مصنف ابن أبي شيبة: 6/ 27، مسند أحمد: 10/ 48، سنن الترمذي: 5/ 446، المستدرك للحاكم: 4/ 318، الإحياء: 1/ 325.

(3) سقيا، في الإحياء: 1/ 325.

(4) السنن الكبرى للنسائي: 9/ 336، عمل اليوم والليلة للنسائي: 513، الإحياء: 1/ 325.

(5) الإحياء: 1/ 325-326، تخريج أحاديث الإحياء: 387.

(6) مسند أحمد: 32/ 494، سنن أبي داود: 2/ 89، السنن الكبرى للنسائي: 8/ 29، صحيح ابن حبان: 7/ 419، الإحياء: 1/ 326.

وَمِنْها: دُعاءٌ عند الْغُزاةِ[1]، «اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي وَنَصيرِي وَبِكَ أُقاتِلُ»[2].

وَمِنْها: دُعاءٌ عند طَنِينِ الْأُذْنِ، صَلِّ أَوَّلًا على مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ وَقُلْ: «ذَكَرَ اللهُ مَنْ ذَكَرَنِي»[3].

وَمِنْها: دُعاءٌ إذا اسْتُجِيبَتْ دَعْوَتُكَ، «الْحَمْدُ لله الَّذِي بِعِزَّتِهِ وجَلالِهِ تَتِمُّ الصَّالِحاتُ، وإذا أَبْطَأَتْ اسْتِجابَةُ دَعْوَتِكَ فَقُلْ: اَلْحَمْدُ للهِ على كُلِّ حالٍ»[4].

وَمِنْها: دُعاءٌ عند أَذانِ الْمَغْرِبِ، «اللَّهُمَّ هذا اسْتِقْبالُ لَيْلِكَ، وَإِدْبارُ نَهارِكَ، وَأَصْواتُ دُعاتِكَ، وَحُضورُ صَلَواتِكَ، أَسْأَلُكَ أن تَغْفِرَ لي»[5].

وَمِنْها: دُعاءٌ إذا أَصابَكَ هَمٌّ، «اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ، ناصِيَتِي بِيَدِكَ، ماضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، نافِذٌ فِيَّ قَضاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ سَمَّيْتَ به نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ في كِتابِكَ، أَو أَعْطَيْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أو اسْتَأْثَرْتَ به في عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبيعَ قَلْبِي، وَنورَ صَدْرِي، وَجِلاءَ غَمِّي، وَذَهابَ حُزْنِي وَهَمِّي»[6].

---

(1) الغزاء، في قونية ورئيس الكتاب وأنطاليا.

(2) المصنف لعبد الرزاق: 5/ 495، مسند أحمد: 20/ 255، سنن أبي داود: 3/ 42، سنن الترمذي: 5/ 540، الإحياء: 1/ 326.

(3) الإحياء: 1/ 326، الموضوعات لابن الجوزي: 3/ 76، جلاء الأفهام لابن قيم الجوزية: 433.

(4) المستدرك للحاكم: 1/ 730، الدعوات الكبير للبيهقي: 1/ 488، الإحياء: 1/ 326.

(5) سنن الترمذي: 5/ 543، شرح صحيح البخاري لابن بطال: 2/ 242، الإحياء: 1/ 326.

(6) مسند ابن أبي شيبة: 1/ 223، مسند أحمد: 6/ 247، الدعاء للطبراني: 314.

قالَ رَسولُ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «ما أَصابَ أَحَدًا حُزْنٌ فقالَ هذا إلَّا أَذْهَبَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ هَمَّهُ وَأَبْدَلَهُ مَكانَهُ فَرَحًا. فَقيلَ: يا رَسولَ الله، أَفَلا نَتَعَلَّمُها، فقالَ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: بَلَى يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَها أَنْ يَتَعَلَّمَها»[1].

وَمِنْها: دُعاءٌ إذا وَجَدْتَ وَجَعًا في جَسَدِكَ أو جَسَدِ غَيْرِكَ، فَارْقِ بِرُقْيَةِ رَسولِ اللهِ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ. كانَ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ إذا اشْتَكَى إنْسانٌ قُرْحَةً أو جُرْحًا وَضَعَ سَبَّابَتَهُ في فيه، وَجَعَلَها على الْأَرْضِ، ثُمَّ رَفَعَها وَقالَ: «بِسْمِ اللهِ تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِريقَةِ بَعْضِنَا، يُشْفَى به سَقيمُنا، بِإِذْنِ رَبِّنَا»[2].

وإذا وَقَعَ في جَسَدِكَ، فَضَعْ يَدَكَ على الَّذِي يَأْلَمُ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ: بِسْمِ اللهِ، ثَلاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: «أَعوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ ما أَجِدُ وَأُحاذِرُ»[3].

وَمِنْها: دُعاءٌ إذا أَصابَكَ كَرْبٌ، «لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَلِيُّ الْحَكيمُ، لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظيمِ، لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَريمِ»[4].

---

(1) مسند أحمد: 6/ 247، مسند البزار: 5/ 363، مسند أبي يعلى: 9/ 196، المستدرك للحاكم: 1/ 690، الإحياء: 1/ 326.

(2) صحيح البخاري: 7/ 133، رقم: 5745، الإحياء: 1/ 326.

(3) صحيح مسلم: 4/ 1728، رقم: 2203، الإحياء: 1/ 326.

(4) مسند أحمد: 5/ 357، الأدب المفرد: 244، سنن الترمذي: 5/ 434، الإحياء: 1/ 326.

وَمِنْها: دُعاءٌ عند النَّوْمِ، فتَوَضَّأْ أَوَّلًا، ثُمَّ تَوَسَّدْ يَمينَكَ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، ثُمَّ كَبِّرِ اللهَ أَرْبَعًا وَثَلاثينَ، وَسَبِّحْهُ ثَلاثًا وَثَلاثينَ، وَاحْمَدْهُ ثَلاثًا وَثَلاثينَ، ثُمَّ قُلْ: «اللَّهُمَّ إنِّي أَعوذُ بِرِضاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعافاتِكَ من عُقوبَتِكَ، وَأَعوذُ بِكَ منك؛ اللَّهُمَّ لا أَسْتَطيعُ أن أَبْلُغَ ثَناءً عَلَيْكَ ولو حَرَصْتُ وَلَكِنْ أَنْتَ كَما أَثْنَيْتَ على نَفْسِكَ»[1].

«اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَحْيا وَأَموتُ»[2].

«اللَّهُمَّ رَبَّ السَّماواتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ[3] وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوى، وَمُنْزِلَ التَّوْراةِ والإِنْجِيلِ وَالْفُرْقانِ، أَعوذُ بِكَ من شَرِّ كُلِّ ذي شَرٍّ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دابَّةٍ رَبِّي آخِذٌ بناصِيَتِها، أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْباطِنُ فَلَيْسَ دونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ، وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ»[4].

«اللَّهُمَّ إنَّكَ خَلَقْتَ نَفْسِي وَأَنْتَ تَتَوَفَّاها، لَكَ مَماتُها وَمَحْياها، اللَّهُمَّ إنْ أَمَتَّها فَاغْفِرْ لها وإِنْ أَحْيَيْتَها فَاحْفَظْها، اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ الْعافِيَةَ»[5].

---

(1) موطأ مالك: 2/ 299، مصنف ابن أبي شيبة: 2/ 99، مسند أحمد: 2/ 147، الإحياء: 1/ 326.

(2) صحيح البخاري: 9/ 119، رقم: 7394، الإحياء: 1/ 326.

(3) الأرضين، في رئيس الكتاب.

(4) مصنف ابن أبي شيبة: 6/ 39، مسند أحمد: 14/ 520، الإحياء: 1/ 326-327.

(5) صحيح مسلم: 4/ 2083، رقم: 2712، الإحياء: 1/ 327.

«بِاسْمِكَ رَبِّي، وَضَعْتُ جَنْبِي، فَاغْفِرْ لي ذَنْبِي؛ اللَّهُمَّ قِنِي عَذابَكَ يَوْمَ تَجْمَعُ عِبادَكَ؛ اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إليكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إليكَ، لا مَنْجَا وَلا مَلْجَأَ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ»(1).

وَيَكونُ هذا آخِرَ دُعائِكَ فَقَدْ أَمَرَ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ بِذَلِكَ.

وَلْيَقُلْ قَبْلَ ذلِكَ: «اللَّهُمَّ أَيْقِظْنِي في أَحَبِّ السَّاعاتِ إِلَيْكَ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِأَحَبِّ الْأَعْمالِ لَدَيْكَ، وَتُقَرِّبُنِي إِلَيْكَ زُلْفَى، وَتُباعِدُنِي مِنْ سَخَطِكَ بُعْدًا، أَسْأَلُكَ فَتُعْطِيَنِي، وَأَسْتَغْفِرُكَ فَتَغْفِرَ لي، وَأَدْعوكَ فَتَسْتَجيبَ لي»(2).

وَمِنْها: دُعاءٌ يُدْعَى به عِنْدَ الصَّباحِ إذا اسْتَيْقَظْتَ من نَوْمِكَ: «الْحَمْدُ لله الَّذِي أَحْيانَا بعد ما أَماتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشورُ»(3).

«أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ للهِ، وَالْعَظَمَةُ والسُّلْطانُ للهِ، وَالْعِزَّةُ والْقُدْرَةُ لله»(4).

«أَصْبَحْنا على فِطْرَةِ الْإِسْلامِ، وَكَلِمَةِ الْإِخْلاصِ، وَدينِ نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ، وَمِلَّةِ أَبِينَا إِبْراهِيمَ عليه السَّلامُ حَنيفًا مُسْلِمًا وما كانَ من الْمُشْرِكينَ»(5).

---

(1) صحيح البخاري: 8/ 69، رقم: 6315، الإحياء: 1/ 327.

(2) الإحياء: 1/ 327، تخريج أحاديث الإحياء: 2/ 840.

(3) صحيح البخاري: 8/ 69، رقم: 6312، الإحياء: 1/ 327.

(4) الإحياء: 1/ 327، تخريج أحاديث الإحياء: 2/ 841.

(5) مصنف ابن أبي شيبة: 5/ 324، مسند أحمد: 24/ 77، الإحياء: 1/ 327.

«اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نموتُ، وإِلَيْكَ النُّشورُ»[1].

«اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أنْ تَبْعَثَنَا في هذا الْيَوْمِ إلى كُلِّ خَيْرٍ، وَنَعوذُ بك أن نَجْتَرِحَ فيه سوءًا، أَوْ نَجُرَّهُ إلى مُسْلِمٍ، فإِنَّكَ قُلْتَ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى﴾[2]»[3].

«اللَّهُمَّ فالِقَ الإِصْباحِ، وَجاعِلَ اللَّيْلِ سَكَنًا، وَالشَّمْسَ والْقَمَرَ حُسْبانًا، أَسْأَلُكَ خَيْرَ هذا الْيَوْمِ وَخَيْرَ ما فيهِ، وَأعوذُ بك مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ ما فيهِ»[4].

«بِسْمِ اللهِ ما شاءَ اللهُ، لا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ، ما شاءَ اللهُ، كُلُّ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ، ما شاءَ اللهُ، الْخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدِ اللهِ، ما شاءَ اللهُ لا يَصْرِفُ السُّوءَ إِلَّا اللهُ».

«رَضيتُ باللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلامِ دينًا، وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ نَبِيًّا».

﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[5].

---

(1) مصنف ابن أبي شيبة: 6/ 37، مسند أحمد: 14/ 290، الأدب المفرد: 411 سنن الترمذي: 2/ 1272، الإحياء: 1/ 327.

(2) سورة الأنعام، الآية:60.

(3) الإحياء: 1/ 327، تخريج أحاديث الإحياء: 2/ 843.

(4) المصدر نفسه: 1/ 327، المصدر نفسه: 390.

(5) سورة الممتحنة، الآية:4.

وَمِنْها: دُعاءٌ يَقولُهُ إذا أَمْسَى، يَقولُ الدُّعاءَ الْمَذْكورَ، إلَّا أنَهُ يَقولُ: أَمْسَيْنا، وَيَقولُ مع ذلكَ: «أَعوذُ بِكَلِماتِ اللهِ التَّامَّاتِ وأَسْمائِهِ كُلِّها مِنْ شَرِّ ما ذَرَأَ وَبَرَأَ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ، ومِنْ شَرِّ كُلِّ دابَّةٍ رَبِّي آخِذٌ بِناصِيَتِها، إنَّ رَبِّي على صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ»[1].

وَمِنْها: دُعاءٌ إذا نَظَرْتَ في الْمِرْآةِ، «الْحَمْدُ للهِ الَّذِي سَوَّى خَلْقِي فَعَدَّلَهُ، وَكَرَّمَ صورَةَ وَجْهِي وَحَسَّنَهَا، وَجَعَلَنِي من الْمُسْلِمِينَ»[2].

وَمِنْها: دُعاءٌ إذا اشْتَرَى خادِمًا أو غُلامًا أو دابَّةً، فَخُذْ بِناصِيَتِهِ وَقُلْ: «اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ ما جُبِلَ عَلَيْهِ، وَأَعوذُ بك مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ ما جُبِلَ عليه»[3].

وَمِنْها: دُعاءٌ إذا هَنَّأْتَ بِالنِّكاحِ، «بارَكَ اللهُ فيكَ، وَبارَكَ عَلَيْكَ، وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا في خَيْرٍ»[4].

(1) الإحياء: 1/ 327، تخريج أحاديث الإحياء: 2/ 845.

(2) كتاب الشكر لابن أبي الدنيا: 42، المعجم الأوسط للطبراني: 1/ 240، الإحياء: 1/ 327.

(3) عمل اليوم والليلة للنسائي: 246، السنن الكبرى للنسائي: 9/ 100، الإحياء: 1/ 327، الأذكار للنووي: 514.

(4) مسند أحمد: 14/ 517، مسند الدارمي: 3/ 1391، سنن أبي داود: 2/ 241، سنن الترمذي: 2/ 385، الإحياء: 1/ 327.

وَمِنْها: دُعاءٌ إذا قَضَيْتَ الدَّيْنَ، فَقُلْ لِلمُقْضَى له: «بارَكَ اللهُ لَكَ في أَهْلِكَ وَمالِكَ، إنَّمَا قالَ رَسولُ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: إنَّما جَزاءُ السَّلَفِ الْحَمْدُ لله وَالْأَداءُ»[1].

فَهَذِهِ أَدْعِيَةٌ لا يَسْتَغْنِي سالِكُ سَبيلِ الْآخِرَةِ عن حِفْظِها، وما سِوَى ذلِكَ من أَدْعِيَةِ السَّفَرِ وَالصَّلاةِ وَالْوُضوءِ ذَكَرْنا ذَلِكَ كُلَّهُ في كِتابِ الطَّهارَةِ وَالصَّلاةِ وَالْحَجِّ.

(1) مسند أحمد: 26/ 336، سنن ابن ماجه: 2/ 809، سنن النسائي: 7/ 314، السنن الكبرى للنسائي: 6/ 86، الإحياء: 1/ 327.

الْمَطْلَبُ الثَّامِنُ: فِي أَدْعِيَةٍ مَأْثورَةٍ

رَواهَا الشَّيْخُ الْإِمامُ الْعَلَّامَةُ تاجُ الدِّينِ عَبْدُ الْوَهَّابِ السُّبْكِيُّ، نَقَلْتُها مِنْ نُسْخَةٍ مَنْقولَةٍ مِنْ نُسْخَةٍ مَنْقولَةٍ مِنْ نُسْخَةٍ مَنْقولَةٍ ثَلاثًا مِنْ خَطِّ السُّبْكِيِّ الْمَذْكورِ، ذَكَرَ ذَلِكَ فِي آخِرِ **طَبَقاتِهِ الْكُبْرى**، رَوَّحَ اللهُ روحَهُ.

عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ: أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُما قالَ له: تَجِدُ فيما تَقْرَأُ من الْكُتُبِ دُعاءً مُسْتَجابًا تَدْعو به عِنْدَ الْكَرْبِ، قالَ: نَعَمْ، قالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يا مَنْ يَمْلِكُ حَوائِجَ السَّائِلينَ، وَيَعْلَمُ ضَمائِرَ الصَّامِتينَ، فَإِنَّ لِكُلِّ مَسْأَلَةٍ مِنْكَ جَوابًا حاضِرًا عَتِيدًا، وَلِكُلِّ صامِتٍ مِنْكَ عِلْمًا مُحيطًا باطِنًا، مَواعيدُكَ الصَّادِقَةُ، وَأَياديكَ الْفاضِلَةُ، وَرَحْمَتُكَ الْواسِعَةُ، أن تَفْعَلَ بي كَذَا وَكَذَا. فَقالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هذا دُعاءٌ عُلِّمْتُهُ في الْمَنامِ ما كُنْتُ أَرَى أَنَّ أَحَدًا يُحْسِنُهُ[1].

وعن أَبِي الْجَلْدِ[2]: أَنَّ الْعَذابَ لَمَّا هَبَطَ على قَوْمِ يونُسَ، وَجَعَلَ يَحومُ على رُؤوسِهِمْ مِثْلَ قِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، مَشَى ذَوُو الْعُقولِ منهم إِلى شَيْخٍ من بَقِيَّةِ عُلَمائِهِمْ فقالوا: إِنَّا نَزَلَ بنا ما تَرَى فَعَلِّمْنا دُعاءً نَدْعو به عَسَى اللهُ

(1) المجالسة وجواهر العلم: 6/ 139، والنقل من الإحياء: 1/ 254.

(2) أَبُو الجلد الجَوْنِيُّ ـ بفتح الجيم وسكون الواو وكسر النون هذه النسبة إلى جون وهو بطن من الأزد ـ الأسدي الْبَصْرِيّ، جِيلانُ بْن أَبِي فروة، كَانَ ثِقَةً. ينظر: الطبقات الكبرى: 7/ 222، التاريخ الكبير: 2/ 251، الكنى والأسماء لمسلم: 1/ 196، المؤتلف والمختلف للدارقطني: 1/ 512.

عَزَّ وَجَلَّ أنْ يَرْفَعَ عَنَّا عُقوبَتَهُ، فَقالَ: قُولُوا: يا حَيُّ حينَ لا حَيَّ، ويا حَيُّ تُحْيِي الْمَوْتَى، ويا حَيُّ لا إلَهَ إلَّا أَنتَ. فَكَشَفَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عنهم[1].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضِيَ الله عَنْهُمَا أنَّ عَلِيًّا رَضِيَ الله عنه سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ - يَعْنِي شَيْئًا مِنَ الدُّنْيا ـ فَقالَ له النَّبِيُّ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، والَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا يا عَلِيُّ ما عِنْدِي لا قَليلٌ ولا كَثيرٌ، ولَكِنِّي أُعَلِّمُكَ شَيْئًا أَتانِي به جِبْريلُ عليه السَّلامُ فَقالَ: يا مُحَمَّدُ هَذِهِ هَدِيَةٌ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لم يُعْطِهَا أَحَدًا من الْأَنْبياءِ قَبْلَكَ، وهي تِسْعَةَ عَشَرَ حَرْفًا لا يَدْعو بها مَلْهوفٌ ولا مَكْروبٌ ولا مَحْزونٌ، ولا سَرَقٌ ولا حَرَقٌ، ولا عَبْدٌ خَافَ سُلْطانًا إلَّا فُرِّجَ عَنْهُ، أَرْبَعَةٌ منها مَكْتوبَةٌ على جَبْهَةِ جِبْريلَ عليه السَّلامُ، وَأَرْبَعَةٌ مَكْتوبَةٌ حَوْلَ الْعَرْشِ، وَأَرْبَعَةٌ حَوْلَ الْكُرْسِيِّ، قالَ: فَكَيْفَ أَدْعو بها يا نَبِيَّ اللهِ؟ قالَ: قُلْ: يا عِمادَ مَنْ لا عِمادَ له، يا سَنَدَ مَنْ لا سَنَدَ له، يا ذُخْرَ مَنْ لا ذُخْرَ له، يا حِرْزَ مَنْ لا حِرْزَ له، يا غِياثَ مَنْ لا غِياثَ له، يا كَريمَ الْعَفْوِ، يا حَسَنَ الْبَلاءِ، يا عَظيمَ الرَّجاءِ، يا عَوْنَ الضُّعَفاءِ، يا مُنْقِذَ الْغَرْقَى، يا مُنْجِيَ الْهَلْكَى، يا مُحْسِنُ، يا مُجْمِلُ، يا مُنْعِمُ، يا مُتَفَضِّلُ، أَنْتَ الَّذِي سَجَدَ لَكَ سَوادُ اللَّيْلِ، وَنورُ النَّهارِ، وَضَوْءُ الْقَمَرِ، وشُعاعُ الشَّمْسِ، وَدَوِيُّ الْماءِ، وَحَفيفُ الشَّجَرِ، يا اللهُ لا شَريكَ لَكَ يا رَبُّ يا رَبُّ».

(1) الزهد لأحمد بن حنبل: 31، حلية الأولياء: 6/ 58.

ثُمَّ تَدْعو بِحاجَتِكَ، وبِما بِكَ، لا تَقومُ مِنْ مَقامِكَ حتَّى يُسْتَجابَ لَكَ(1).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَيُّوبَ، قالَ رَأَيْتُ يَعْقوبَ بْنَ داودَ في الطَّوافِ: قُلْتُ له: أُحِبُّ أَنْ تُخْبِرَنِي كَيْفَ كانَ سَبَبُ خُروجِكَ مِنَ الْمَضِيقِ، قالَ: كُنْتُ في الْمَضيقِ، فَأَتانِي آتٍ في مَنامِي قالَ لي: يا يَعْقوبُ كَيْفَ تَرَى مَكانَكَ؟ فَقُلْتُ: وَمَا سُؤالُكَ أَمَا تَرَى ما أنا فيهِ؟ قالَ: قُمْ فَأَسْبِغِ الْوُضوءَ، وَصَلِّ أَرْبَعَ رَكَعاتٍ، وَقُلْ: يا مُحْسِنُ، يا مُجْمِلُ، يا مُنْعِمُ، يا مُتَفَضِّلُ، يا ذا النَّوافِلِ والنِّعَمِ، يا عَظيمُ، يا ذا الْعَرْشِ الْعَظيمِ، اجْعَلْ لي مِمَّا أنا فيه فَرَجًا وَمَخْرَجًا؛ فَانْتَبَهْتُ فَحَفِظْتُ الدُّعاءَ، فَقُمْتُ وتَوَضَّأْتُ، وَصَلَّيْتُ، وَدَعَوْتُ به، فَلَمَّا أَسْفَرَ الصُّبْحُ، جاءوا فَأَخْرَجونِي(2).

وَعَنْ قُدامَةَ بْنِ عُتْبَةَ الْعَتَكِيِّ(3) ـ وَكانَ من أَصْحابِ عُتْبَةَ ـ قَالَ: رَأَيْتُ عُتْبَةَ الْغُلامَ في النَّوْمِ، فَقُلْتُ: يا عَبْدَ اللهِ ما صَنَعَ اللهُ بِكَ؟ قالَ: دَخَلْتُ الْجَنَّةَ بِتِلْكَ الدَّعَواتِ الْمَكْتوبَةِ في بَيْتِكَ؛ فَلَمَّا أَصْبَحْتُ جِئْتُ إلى بَيْتِي فإِذا بِخَطِّ عُتْبَةَ في الْحائِطِ: يا هادِيَ الْمُضِلِّينَ، ويا رَاحِمَ الْمُذْنِبِينَ، وَيا مُقيلَ عَثَراتِ الْعاثِرينَ.

وَعَنْ بَعْضِهِمْ قَالَ: أَتَى الْحَجَّاجَ رَجُلٌ عَزَمَ على قَتْلِهِ، فَلَمَّا دَخَلَ تَكَلَّمَ بِشَيْءٍ فَخَلَّى سَبِيلَهُ، فَقِيلَ: أَيَّ شَيْءٍ قُلْتَ، قَالَ: قُلْتُ: يا عَزيزُ يا حَمِيدُ، يا ذا

---

(1) زهر الفردوس: 2/ 202.

(2) تاريخ بغداد: 16/ 383، العدة للكرب والشدة: 95.

(3) قُدَامَةُ بْنُ أَيُّوبَ الْعَتَكِيُّ، في التاريخ الكبير للبخاري: 7/ 179، 8/ 340، والخبر بالاسم نفسه في: المنامات لابن أبي الدنيا: 78، وكتاب الديباج للختلي: 65، وحلية الأولياء: 6/ 238.

الْعَرْشِ الْمَجِيدِ، اِصْرِفْ عَنِّي شَرَّ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ[1].

وعَنْ حُصَيْنٍ[2] قالَ: كَانَ سَعيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ يَدْعُو: أَعوذُ بِوَجْهِ اللهِ الْكَريمِ، وَاسْمِهِ الْعَظيمِ، وَكَلِماتِهِ التَّامَّةِ، مِنْ شَرِّ السَّامَّةِ وَالْهامَّةِ، وَمِنْ شَرِّ ما خَلَقْتَ يا رَبُّ، وَمِنْ شَرِّ ما أَنْتَ آخِذٌ بِناصِيَتِها، وَمِنْ شَرِّ الدُّنْيا وما فيها[3].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مُسْلِمِ بْنِ قُتَيْبَةَ قالَ: حَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحابِنا بهذا الدُّعاءِ، قالَ: كانَ الصَّالِحونَ مِنَ التَّابِعينَ يَدْعونَ إذا دَخَلُوا على السُّلْطانِ، فَيُوقَوْنَ به الْبَطْشَ مِنَ السُّلْطانِ وَظُلْمِهِ، وهو: بِسْمِ اللهِ، ﴿أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾[4]، ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[5]، أُخِذَتْ قُوَّتُكَ بِقُوَّةِ اللهِ، بَيْنِي وَبَيْنَكَ سِتْرُ اللهِ الَّذي كانَتِ الْأَنْبِياءُ يَسْتَتِرونَ به مِنَ سَطَواتِ الْجَبابِرَةِ الْفَراعِنَةِ، جِبْريلُ عَنْ يَمِينِكَ، وَمِيكائِيلُ عن شِمالِكَ، ومُحَمَّدٌ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ أَمامَكَ، وَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ مُطَّلِعٌ عَلَيْكَ، يُجِيرُنِي وَيَمْنَعُنِي مِنْكَ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ[6].

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى قالَ: بَيْنَما عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ يَطوفُ بِالْكَعْبَةِ، إذا هُوَ بِرَجُلٍ مُتَعَلِّقٍ بِأَسْتارِ الْكَعْبَةِ يُنادِي: يا مَنْ لا يَشْغَلُهُ سَمْعٌ عن سَمْعٍ، يا مَنْ

---

(1) الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا: 63، الفرج بعد الشدة للتنوخي: 1/ 264.

(2) حسين، في مراد ملا.

(3) الجامع لمعمر بن راشد: 11/ 36، مصنف عبد الرزاق: 10/ 113، الإشراف في منازل الأشراف: 303، واللفظ منه.

(4) سورة مريم، الآية: 18.

(5) سورة المؤمنون، الآية: 108.

(6) عيون الأخبار: 1/ 146، المجالسة وجواهر العلم: 2/ 419.

لا يُغْلِطُهُ السَّائِلونَ، يا مَنْ لا يَتَبَرَّمُ بِإِلْحاحِ الْمُلِحِّينَ، أَذِقْني بَرْدَ عَفْوِكَ، وَحَلاوَةَ رَحْمَتِكَ. قالَ: فقالَ له عَلِيٌّ رضِيَ الله عنه: دُعاؤُكَ هذا؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: وقدْ سَمِعْتَهُ [كذا][1]. قالَ: نَعَمْ، قالَ: فَادْعُ به في دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ[2]. [الصُّبْحِ في مُصَلَّاهُ مِئَةَ مَرَّةٍ فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا باللهِ الْعَلِيِّ الْعَظيمِ، يا قَديمُ، يا دائِمُ، يا حَيُّ، يا فَرْدُ، يا وِتْرُ، يا أَحَدُ، يا صَمَدُ. وكانَ مُقاتِلٌ يَقولُ: مَنْ دَعا بهذا الدُّعاءِ فلم يُسْتَجَبْ له فَلْيَلْعَنْ مُقاتِلًا في قَبْرِهِ][3].

وَعَنْ جَعْفَرِ بنِ مُحَمَّدٍ قالَ: «ما مِنْ نَبِيٍّ إلَّا وَخَلَّفَ في أَهْلِ بَيْتِهِ دَعْوَةً مُجابَةً[4]، وقد خَلَّفَ فينا رَسولُ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ دَعْوَتَيْنِ مُجابَتَيْنِ:

---

(1) زيادة من رئيس الكتاب.

(2) أخبار مكة للفاكهي: 2/ 279، المجالسة وجواهر العلم: 1/ 402، وتتمة الخبر فيه: " فَوَالَّذِي نَفْسُ الْخَضِرِ بِيَدِهِ؛ لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِنَ الذُّنُوبِ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ وَمَطَرِهَا، وَحَصْبَاءِ الْأَرْضِ وَتُرَابِهَا؛ لَغُفِرَ لَكَ أَسْرَعَ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ"، وتتمة الخبر في تاريخ بغداد: 5/ 190: " وَالَّذِي نَفْسُ الْخَضِرِ بِيَدِهِ... لا يَقُولُهُنَّ عَبْدٌ دُبُرَ الصَّلاةِ الْمَكْتُوبَةِ إلا غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ رَمْلِ عَالِجٍ، وَعَدَدِ الْمَطَرِ، وَوَرَقِ الشَّجَرِ".

(3) ما بين معقوفين ألحق بالخبر في قونية ورئيس الكتاب وأنطاليا ولا علاقة له به، وهو دعاء آخر منسوب لمقاتل بن سليمان أورده الخطيب في كتاب المتشابه في الرسم: 1/ 312 بالصيغة الآتية: "عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: قَالَ لِي مُقَاتِلٌ: أَلا أُعَلِّمُكَ دُعَاءً تَدْعُو بِهِ، فَإِنْ لَمْ يُسْتَجَبْ لَكَ فَالْعَنْ مُقَاتِلا حَيًّا كَانَ أَوْ مَيِّتًا، فَلَمْ أَدْعُ بِهِ حَتَّى أَخَذَنِي أَبُو جَعْفَرٍ فَأَلْقَانِي فِي الْمِطْبَقِ، فَدَعَوْتُ بِهِ، فَلَمْ أَفْرَغْ مِنْ دُعَائِي حَتَّى بَعَثَ إِلَيَّ فَأَخْرَجَنِي، فَإِذَا صَلَّيْتَ الْغَدَاةَ فَادْعُ بِهِ مِئَةَ مَرَّةٍ: " بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، يَا قَدِيمُ، يَا دَائِمُ، يَا حَيُّ، يَا قَيُّومُ، يَا وِتْرُ، يَا أَحَدُ، يَا صَمَدُ".

(4) مستجابة، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

أَمَّا الْواحِدَةُ فَلِشَدائِدِنا، وَأَمَّا الْأُخْرَى فَلِحَوائِجِنا. أَمَّا الَّتِي لِشَدائِدِنَا: يا كائِنٌ دائِمًا لم يَزَلْ، يا إِلَهِي وَإِلَهَ آبائِي، يا حَيُّ يا قَيُّومُ، اجْعَلْنِي لَكَ مُخْلِصًا. وَأَمَّا الَّتِي لِحَوائِجِنا: يا مَنْ يَكْفِي من كُلِّ شَيْءٍ ولا يَكْفِي منه شَيْءٌ، يا اللهُ، يا رَبَّ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ»[1]. ثُمَّ تَسْأَلُ حاجَتَكَ.

وعَنِ ابْنِ مَسْعودٍ رَضِيَ الله عنه رَفَعَهُ إلى النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ قالَ: «مَنْ أَرادَ أنْ يُوَعِّيَهُ اللهُ حِفْظَ الْقُرْآنِ فَلْيَكْتُبْ هذا الدُّعاءَ في إناءٍ نَظيفٍ بِعَسَلٍ مَاذِيٍّ، ثُمَّ لِيَغْسِلْهُ بِماءِ الْمَطَرِ قَبْلَ أنْ يَمَسَّ الْأَرْضِ، وَلْيَشْرَبْهُ على الرِّيقِ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، فإِنَّهُ يَحْفَظُهُ بِإِذْنِ اللهِ تَعالَى، وهو: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ مَسْؤولٌ لم يُسْأَلْ مِثْلُكَ، أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ رَسولِكَ ونَبِيِّكَ، وَإِبْراهيمَ خَليلِك وَصَفِيِّكَ، وَموسَى كَلِيمِكَ وَنَجِيِّكَ، وَعيسَى كَلِمَتِكَ وَروحِكَ، وَأَسْأَلُكَ بِصُحُفِ إِبْراهيمَ، وَتَوْراةِ موسَى، وَإِنْجيلِ عيسَى، وَفُرْقانِ مُحَمَّدٍ، وَأَسْأَلُكَ بِكُلِّ وَحْيٍ أَوْحَيْتَهُ، وَبِكُلِّ حَقٍّ قَضَيْتَهُ، وَبِكُلِّ سائِلٍ أَعْطَيْتَهُ، وَبِكُلِّ ضالٍّ هَدَيْتَهُ، وَغَنِيٍّ أَقْنَيْتَهُ[2]، وَفَقيرٍ أَغْنَيْتَهُ، وَأَسْأَلُكَ بِأَسْمائِكَ الَّتِي دَعاكَ بها أَدْعِياؤُكَ وَأَنْبِياؤُكَ فَاسْتُجيبَ لهم، وأَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ أَنْزَلْتَهُ في كِتابِكَ، وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي وَضَعْتَهُ على النَّهارِ فَاسْتَنارَ، وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي وَضَعْتَهُ على اللَّيْلِ فَأَظْلَمَ، وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي وَضَعْتَهُ على الْجِبالِ فَأَرْسَتْ[3]، وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي

(1) أخرجه الدارقطني في المؤتلف والمختلف: 2/ 608-609.

(2) أغنيته، في قونية ورئيس الكتاب.

(3) فرست، في الموضوعات لابن الجوزي: 3/ 175.

وَضَعْتَهُ على الْأَرَضِينَ[1] فَاسْتَقَلَّتْ، وَأَسْأَلُكَ باسْمِكَ الَّذِي اسْتَقَلَّ به عَرْشُكَ، وَأَسْأَلُكَ باسْمِكَ الْواحِدِ الْأَحَدِ الْفَرْدِ الصَّمَدِ، الْعَزيزِ الَّذِي مَلأَ الْأَرْكانَ كُلَّهَا، الطَّاهِرِ الْمُطَهَّرِ، الْمُبارَكِ الْمُقَدَّسِ، الْحَيِّ الْقَيُّوم، نُورِ السَّماواتِ والْأَرْضِ، عالِمِ الْغَيْبِ والشَّهادَةِ، الْكَبيرِ الْمُتَعالِ، وأَسْأَلُكَ بِكِتابِكَ الْمُبارَكِ أَنْ تَرْزُقَنِي حِفْظَ كِتابِكَ الْقُرْآنِ، وَحِفْظَ أَصْنافِ الْعِلْمِ، وَثَبِّتْها في قَلْبِي وسَمْعِي وبَصَرِي، وَتَخْلِطَها بِلَحْمِي وَدَمِي، وَتَسْتَعْمِلَ بها جَسَدِي في لَيْلِي وَنَهارِي، فإِنَّهُ لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا بِكَ»[2].

وَعَنْ أَبِي رَجاءٍ: أَنَّ رَسولَ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ كانَ إذا اشْتَدَّ به حَلْقَةُ الْبَلاءِ، وَكانَتِ الضِّيقَةُ يَقولُ: تَضِيقِي تَنْفَرِجِي، ثُمَّ يَرْفَعُ يَدَيْهِ فَيَقولُ: «بِسْمِ الله الرَّحْمنِ الرَّحيمِ، لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا باللهِ الْعَلِيِّ الْعَظيمِ، إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعينُ، اللَّهُمَّ اكْفِنَا بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّكَ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا»[3].

وَعَنْ نُعَيْمِ بْنِ أَبِي هِنْدٍ قَالَ: كُنْتُ جالِسًا عند يَزِيدِ بْنِ أبي مُسْلِمٍ أَمامَ الْحَجَّاجِ وهو يُعَذِّبُ النَّاسَ، فَذَكَرَ رَجُلًا في السِّجْنِ، فَبَعَثَ إليهِ بِغَيْظٍ وَغَضَبٍ، فَأُتِيَ به، وما أَشُكُّ أَنَّهُ سَيوقِعُ[4] به، فَلَمَّا قامَ بين يَدَيْهِ، رَأَيْتُ الرَّجُلَ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ بِشَيْءٍ لم أَسْمَعْ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقالَ: خَلُّوا سَبِيلَهُ، أو

---

(1) الأرض، في مراد ملا والموضوعات لابن الجوزي.

(2) الموضوعات لابن الجوزي: 3/ 174-175، اللآلئ المصنوعة: 2/ 299.

(3) عيون الأخبار: 1/ 203.

(4) استنفع، في قونية ورئيس الكتاب وأنطاليا.

رُدُّوهُ، فَقُمْتُ إلى الرَّجُلِ، وَذَكَرْتُ له الْقِصَّةَ، وَقُلْتُ له: ما الَّذِي قُلْتَ؟ قالَ: قُلْتُ هذا الدُّعاءَ: اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ بِقُدْرَتِكَ الَّتِي تُمْسِكُ بها السَّماواتِ السَّبْعِ أَنْ يَقَعَ بَعْضُهُنَّ على بَعْضٍ أَنْ تكْفِيَنِيهِ[1].

وَعَنِ الْبَراءِ بْنِ عازِبٍ قالَ: دَخَلْتُ على عَلِيِّ بْنِ أَبِي طالِبٍ ذاتَ يَوْمٍ فَقُلْتُ: يا أَميرَ الْمُؤْمِنينَ، سَأَلْتُكَ باللهِ إلَّا ما خَصَصْتَنِي بِأَعْظَمِ ما خَصَّكَ به رَسولُ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ، ممَّا خَصَّهُ به جِبْرِيلُ عليه السَّلامُ، بما[2] أَرْسَلَ به إليه الرَّحْمنُ عَزَّ وَجَلَّ، فقالَ: لَوْلَا سَأَلْتَ[3] ما نَشَرْتُ ذِكْرَ ما أُرِيدُ أن أَسْتُرَهُ حتَّى أُضَمَّنَ لَحْدِي؛ إذا أَرَدْتَ أَنْ تَدْعُوَ بِاسْمِ اللهِ الْأَعْظَمِ، فَاقْرَأْ من أَوَّلِ الْحَدِيدِ سِتَّ آياتٍ، وَآخِرَ الْحَشْرِ، فإذا فَرَغْتَ فتَكَلَّمْ فَقُلْ: يا مَنْ هو كَذَا[4] افْعَلْ بي كَذَا وَكَذا، فو اللهِ لو دَعَوْتَ به على شَقِيٍّ لَسَعِدَ. قَالَ الْبَراءُ: فَو اللهِ لا أَدْعُو بها لِلدُّنْيا أَبَدًا قالَ عَلِيٌّ رَضِيَ الله عنه: أَصَبْتَ، كَذَلِكَ أَوْصانِي رَسولُ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ، غَيْرَ أَنَّهُ أَذِنَ لي في الْأَمْرِ الْبارِحِ[5].

(1) مسند أبي يعلى: 3/ 56، تاريخ دمشق: 65/ 389.

(2) مما، في دستور معالم الحكم: 91.

(3) لو لا ما سألت، في دستور معالم الحكم: 91.

(4) كذا، في قونية.

(5) الأمور الفادحة، في دستور معالم الحكم: 91. السانِحُ: مَا أَتاكَ عَنْ يَمِينِكَ مِنْ ظَبْيٍ أَو طَائِرٍ أَو غَيْرِ ذَلِكَ، وَالْبَارِحُ: مَا أَتاكَ مِنْ ذَلِكَ عَنْ يَسَارِكَ، فالأول يُتَيَمَّنُ به والثاني يُتَشاءمُ منه. اللسان: سنح.

رُوِيَ أنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طالِبٍ رَضِيَ الله عنه سَمِعَ وهو يَطوفُ بِالْكَعْبَةِ ومعه وَلَداهُ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ رَضِيَ الله عنهما قائِلًا يَقولُ في جَوْفِ اللَّيْلِ:

[البسيط]

يا مَنْ يُجيبُ دُعا الْمُضْطَرِّ في الظُّلَمِ ... يا كاشِفَ الضُّرِّ وَالْبَلْوَى مَعَ السَّقَمِ[1]
قَدْ نامَ وَفْدُكَ حَوْلَ الْبَيْتِ وَانْتَبَهُوا ... وَعَيْنُ جودِكَ يا مَوْلايَ لم تَنَمِ
هَبْ لي بِجودِكَ فَضْلَ الْعَفْوِ عن زَلَلِي ... يَا مَنْ إِلَيْهِ رَجاءُ الْخَلْقِ في الْحَرَمِ
إنْ كانَ عَفْوُكَ لا يَرْجوهُ ذو خَطَإٍ ... فَمَنْ يَجودُ على الْعاصِينَ بِالنِّعَمِ

فَقالَ عَلِيٌّ لِوَلَدِهِ: اُطْلُبْ لي هذا الْقائِلَ، فَأَتاهُ فَقالَ: أَجِبْ أَميرَ الْمُؤْمِنينَ، قالَ: فَأَقْبَلَ يَجُرُّ شِقَّهُ حتَّى وَقَفَ بين يَدَيْهِ، فَقالَ: قَدْ سَمِعْتُ خِطابَكَ فما قِصَّتُكَ؟ قالَ: إنِّي مِنْ أَمْرِي في ضِيقٍ، فَإِنْ تُبْتُ لم تُقْبَلْ تَوْبَتِي، وَإِنْ سَأَلْتُ لم يُقِلْنِي عَثْرَتِي، قالَ له: وَلِمَ ذلِكَ؟ قالَ له: لِأَنِّي كُنْتُ رَجُلًا مَشْهورًا بِالطَّرَبِ وَالْعِصْيانِ، وَكانَ والِدِي يَعِظُنِي وَيُحَذِّرُنِي مَصارِعَ الْجُهَّالِ، وَيَقولُ لِي: إنَّ للهِ سَطَواتٍ وَنَقَماتٍ، وما هي من الظَّالِمينَ بِبَعيدٍ، فَلَمَّا أَلَحَّ في الْمَوْعِظَةِ فَحَلَفَ لَيَدْعُوَنَّ عَلَيَّ، وَيَأْتِي مَكَّةَ مُسْتَغِيثًا إلى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَفَعَلَ وَدَعا، فَلَمْ يُتِمَّ دُعاءَهُ حَتَّى جَفَّ شِقِّي الْأَيْمَنُ، فَنَدِمْتُ على ما كانَ مِنِّي إليهِ، وَدارَيْتُهُ وَراضَيْتُهُ إلى أَنْ ضَمِنَ لي أَنَّهُ[2] يَدْعُو لي حَيْثُ دَعا عَلَيَّ، فَقَدَّمْتُ إليه ناقَةً

(1) الأبيات في الطبقات الشافعية الكبرى: 2/ 328، ثمرات الأوراق في المحاضرات: 2/ 239.
(2) أن، في قونية.

فَأَرْكَبْتُهُ، فَنَفَرَتِ النَّاقَةُ، وَرَمَتْ به بَيْنَ صَخْرَتَيْنِ فَماتَ هُناكَ. فَقالَ لي أَمِيرُ الْمُؤْمِنينَ: أَحَقًّا أَنَّ أَباكَ رَضِيَ عَنْكَ؟ فَقَالَ: اللَّهُمَّ كَذَلِكَ، فَقامَ عَلِيٌّ رَضِيَ الله عنه، وَصَلَّى رَكَعاتٍ، وَدَعا بِدَعواتٍ أَسَرَّها إلى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ قالَ: يا مُبارَكُ قُمْ، فَقامَ وَمَشَى[1]، ثُمَّ عادَ إلى الصِّحَّةِ كما كَانَ، ثُمَّ قالَ: لَوْلا أَنَّكَ حَلَفْتَ أَنَّ أَبَاكَ رَضِيَ عَنْكَ ما دَعَوْتُ لَكَ[2].

عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ قَالَ: عَجِبْتُ بِامْرِئٍ كَيْفَ لا يَقُولُ: مَا شَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، وَاللهُ تَعالَى يَقولُ: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ﴾[3]؛ وَعَجِبْتُ لِمَنْ خافَ قَوْمًا كَيْفَ لا يَقولُ: حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكيلُ، والله تَعالَى يَقولُ: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾[4]؛ وَعَجِبْتُ لِمَنْ مُكِرَ به كَيْفَ لا يَقولُ: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[5]، واللهُ تعالى يَقولُ: ﴿فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾[6]؛ وَعَجِبْتُ لمن أَصابَهُ غَمٌّ كيفَ لا يَقولُ:

---

(1) فمشى، في رئيس الكتاب.

(2) الأبيات في الطبقات الشافعية الكبرى: 2/ 328-329.

(3) سورة الكهف، الآية: 39.

(4) سورة آل عمران، الآية: 173-174.

(5) سورة غافر، الآية: 44.

(6) السورة نفسها، الآية: 45.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[1]، إلى قَوْلِهِ: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾[2].

قالَ سُفْيانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: إِنَّهُ تعالى لَمَّا قالَ: ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾[3]، كانَ وَعْدًا لِكُلِّ مُؤْمِنٍ مَنْ قالَ: ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[4]، أَنْ يُنْجِيَهُ مِنَ الْغَمِّ، وَاللهُ لا يُخْلِفُ الْمِيعادَ.

بِخَطِّ الشَّيْخِ الْقُرْطُبِيِّ رَحِمَهُ اللهُ، قُلْ وَأَنْتَ ساجِدٌ: اللَّهُمَّ يا لَطيفُ يا لَطيفُ بِالْقَوِيِّ والضَّعيفِ، يا لَطيفُ يا لَطيفُ بِالْخَلْقِ أَجْمَعينَ، يا لَطيفُ يا لَطيفُ بِأَهْلِ السَّماءِ وَالْأَرَضينَ، يا لَطيفُ يا لَطيفُ بِجَميعِ عِبادِهِ الْطُفْ بي بِلُطْفِكَ الْخَفِيِّ، الَّذي ما لَطَفْتَهُ بِأَحَدٍ إِلَّا كُفِيَ، ثُمَّ يَرْفَعُ رَأْسَهُ وَيَقولُ: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[5].

وَمِنْ كَلامِ الشَّيْخِ أبي الْحَسَنِ الشَّاذِلِيِّ رَحِمَهُ الله: إِنْ أَرَدْتَ كَرامَتِي فَعَلَيْكَ بِطاعَتِي، وَالْإِعْراضِ عن مَعْصِيَتِي، فإِنْ زَلَلْتَ بِغَلَبَةِ الشَّهْوَةِ، وَعَظيمِ الْقُدْرَةِ، فَاعْلَمْ قُرْبي مِنْكَ، وَنَظَري إِلَيْكَ، وَإِحاطَتِي بِكَ، وَقُدْرَتِي عَلَيْكَ، وَاسْتَنْقِذْ نَفْسَكَ مِنِّي، وَمِنْ عَظيمِ قُدْرَتِي، وَقُلْ: يا مَوْجودُ قَبْلَ كُلِّ مَوْجودٍ، وَهُوَ الآنَ على ما هُوَ عليه مَوْجودٌ، يا أَوَّلُ يا آخِرُ، يا ظاهِرُ يا باطِنُ، ضاقَتْ

(1) سورة الأنبياء، الآية: 87.

(2) السورة نفسها، الآية: 88. والخبر في سراج الملوك: 198.

(3) السورة نفسها، الآية: 88.

(4) سورة الأنبياء، الآية: 87.

(5) سورة البقرة، الآية: 137.

عَلَيَّ الْأَرْضُ بما رَحُبَتْ، وَضاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي، ولا مَنْجَى منكَ إلَّا إليكَ، فَتُبْ عَلَيَّ يا تَوَّابُ، إنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحيمُ[1].

ذَكَرَ الْحافِظُ ضِياءُ الدِّينِ في سِيرَةِ الشَّيْخِ الْعِمادِ إِبْراهيمَ بْنِ عَبْدِ الْواحِدِ الْمَقْدِسِيِّ أَنَّهُ قالَ: ما رَأَيْتُ مِثْلَ هذا الدُّعاءِ أَسْرَعَ إجابَةً: يا اللهُ يا اللهُ أَنْتَ اللهُ بلى واللهِ أَنْتَ اللهُ، لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، اللهُ اللهُ اللهُ واللهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ[2].

قالَ الشَّيْخُ تاجُ الدِّينِ عَبْدُ الْوَهَّابِ السُّبْكِيُّ: سَمِعْتُ الشَّيْخَ الْإمامَ الْوالِدَ - وهو الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْكافِي السُّبْكِيُّ رَحِمَهُ اللهُ - إذا اهْتَمَّ بِأَمْرٍ يَقْرَأُ قَوْلَهُ تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾[3]، إلى قَوْلِهِ: ﴿ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾[4]، تِسْعَ عَشْرَةَ مَرَّةً - عِشْرينَ إلَّا مَرَّةً - ثُمَّ يَدْعو عَقِيبَها، وكانَ الْوالِدُ يَذْكُرُ أنَّ هذا مُجَرَّبٌ لِداهِمِ الْأَمْرِ وَمُعْضِلِهِ.

وَجَدْتُ في بَعْضِ الْمَجاميعِ مَرْوِيًّا بِإِسْنادٍ مَجْهولٍ إلى أبي الْحَسَنِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ قالَ: وَجَدْتُ بِبَلَدِ الْهِنْدِ حَجَرًا مَنْقوشًا بِالْعِبْرانِيَّةِ بِبَلَدِ سَرَنْدِيبَ[5]:

[الوافر]

---

(1) رسالة الأمين في الوصول إلى رب العالمين للشاذلي: 61.

(2) الخبر مفصل في ترجمة العِمادِ المَقْدِسِيِّ الحَنْبَلِيِّ (ت.614هـ) في تاريخ الإسلام: 13/ 395.

(3) سورة آل عمران، الآية: 173.

(4) السورة نفسها، الآية: 174.

(5) سَرَنْديبُ: بفتح أوّله وثانيه، وسكون النون، ودال مهملة مكسورة، وياء مثناة من تحت، وباء موحدة، ديب بلغة الهنود: هو الجزيرة، وسرن لا أدري ما هو، جزيرة عظيمة في بحر هركند بأقصى بلاد الهند. معجم البلدان: 3/ 215-216.

أَنَـا الْمَوْجودُ فَـاطْلُبْنِي تَجِـدْنِي فَإِنْ تَطْلُبْ سِـوايَ فَلَمْ تَجِدْنِي[1]
تَجِـدْنِي أَيْنَ تَطْلُبُنِي عُبَيْـدِي قَريبًـا مِنْـكَ فَـاطْلُبْنِي تَجِـدْنِي
تَجِدْنِي في سَـوادِ اللَّيْلِ عَبْدِي قَريبًـا مِنْـكَ فَـاطْلُبْنِي تَجِـدْنِي
تَجِدْنِي ماجِدًا صَـمَدًا كَريمًـا كَثِيرَ الْبِرِّ فَـاطْلُبْنِي تَجِـدْنِي
تَجِـدْنِي مُسْـتَغِيثًـا بي مُغِيثًـا أَنَـا الْجَبَّارُ فَـاطْلُبْنِي تَجِـدْنِي
إذا اللَّـهْـفـانُ نـاداني كَظـيـمًـا أَقُـلْ لَبَّيْـكَ فَـاطْلُبْنِي تَجِـدْنِي
إذا الْـمُضْـطَـرُّ قـالَ أَلا تَـرانِـي نَظَرْتُ إِليـهِ فَـاطْلُبْنِي تَجِـدْنِي
أَنَـا بِـالْـمَـرْءِ أَرْحَـمُ مـن أَخيـهِ وَمِنْ أَبَوَيْـهِ فَـاطْلُبْنِي تَجِـدْنِي
فـإِنْ هو تـابَ تُبْـتُ عليـه إنِّي أنـا التَّوَّابُ فَـاطْلُبْنِي تَجِـدْنِي
أَتَـذْكُـرُ لَـيْـلَـةَ نـادَيْـتَ سِـرًّا أَلَمْ أَسْـمَعْكَ فَاطْلُبْنِي تَجِـدْنِي
أَنَـا الْجَبَّارُ لا شَـيْءٌ كَمِثْلِي أَنَـا الْغَفَّـارُ فَـاطْلُبْنِي تَجِـدْنِي
أَنَـا الرَّبُّ الَّـذِي يَخْشَـوْنَ مِنِّي جَميعُ الْخَلْقِ فَـاطْلُبْنِي تَجِـدْنِي
وَلَيْسَ يُبِيحُـكَ الْفِرْدَوْسَ غَيْرِي أَنَـا الرَّزَّاقُ فَـاطْلُبْنِي تَجِـدْنِي[2]
أَتَعْرِفُ غـافِرًا لِلـذَّنْـبِ غَيْرِي أَنَـا الْغَفَّـارُ فَـاطْلُبْنِي تَجِـدْنِي
سَـأَغْـفِـرُ لِـلْعِبـادِ وَلَا أُبـالِـي غَدًا في الْحَشْـرِ فَاطْلُبْنِي تَجِدْنِي
وَأُكْـرِمُ مَـنْ أُرِيـدُ بِـغَيْـرِ بُـخْـلٍ أَنـا الْوَهَّـابُ فَـاطْلُبْنِي تَجِـدْنِي
وَأَرْحَـمُ مَنْ يَتوبُ وَكـانَ عِنْـدِي لـه الْإِكْـرامُ فَـاطْلُبْنِي تَـجِـدْنِي

(1) فلا، في قونية. الخبر والقصيدة في تاريخ جرجان: 562-563.

(2) يمنحك، في قونية.

فَمَنْ مِثْلي وَلَمْ يُرَ قَطُّ مِثْلِي[1] وَلَسْتَ تَراهُ فَاطْلُبْنِي تَجِدْنِي

وَلِبَعْضِهِمْ: [الكامل]

وَلَرُبَّ نازِلَةٍ يَضيقُ بها الْفَتَى ذَرْعًا وَعِنْدَ الله مِنْهَا الْمَخْرَجُ[2]

ضاقَتْ فَلَمَّا اسْتَكْمَلَتْ حَلَقاتُهَا فُرِجَتْ وَكانَ يَظُنُّها لا تُفْرَجُ[3]

وَذُكِرَ أَنَّهُ ما رَدَّدَها مَنْ هُوَ في شِدَّةٍ إِلَّا وَفَرَّجَها اللهُ عنه.

وَلِبَعْضِهِمْ: [الكامل]

كَمْ أَعْقَبَتْ نُوَبُ الزَّمانِ جَمِيلَا وَكَفَيْنَ خَطْبًا قَدْ أَهَمَّ خَلِيلَا[4]

لا تَيْأَسَنَّ مِنَ الْإِلَهِ فَروحُهُ إِنْ لَمْ يُغادِكَ بُكْرَةً فَأَصِيلَا

وَأْمُلْ لَطائِفَ صُنْعِهِ فَلَطالَمَا كَشَفَ الْهُمومَ وَبَلَّغَ الْمَأْمولَا

يَا رُبَّ مَكْروهٍ تَعَذَّرَ حَلُّهُ لَيْلًا فَأَصْبَحَ عِقْدُهُ مَحْلولَا

وَمُلِمَّةٍ أَعْيَى نَهَارًا حَلُّهَا أَمْسَتْ يُسَهَّلُ خَطْبُها تَسْهِيلَا[5]

عَنْ جَعْفَرٍ الْخالِدِيِّ قالَ: وَدَّعْتُ الْمُزَنِيَّ، فَقُلْتُ: زَوِّدْنِي شَيْئًا، فَقالَ: إِنْ ضاعَ مِنْكَ شَيْءٌ، أو أَرَدْتَ أَنْ يَجْمَعَ اللهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ إِنْسانٍ فَقُلْ: يا جامِعَ

---

(1) تَرَ، في قونية ومراد ملا.

(2) البيتان لأبي بكر الصولي ينظر: الفرج بعد الشدة للتنوخي: 5/ 15، وأمالي المرتضى: 1/ 486، ومعجم الأدباء: 1/ 81، ووفيات الأعيان: 1/ 46.

(3) استحكمت، في المصادر التي ذكرناها جميعها.

(4) الأبيات كاملة في يتيمة الدهر: 4/ 248-249.

(5) أعنى نهارا، في أنطاليا. نهارا خطبها، في يتيمة الدهر.

النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فيه، اِجْمَعْ بَيْنِي وَبَيْنَ كذا، فما دَعَوْتُ بها في شَيْءٍ إلَّا اسْتُجِيبَ[1].

وَرَوى ابْنُ أَبِي الدُّنْيا أنَّ طاوسًا قالَ: إنِّي لَفِي الْحِجْرِ ذات لَيْلَةٍ، إذْ دَخَلَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، فَقُلْتُ: رَجُلٌ صالِحٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْخَيْرِ، لَأَسْمَعَنَّ اللَّيْلَةَ إلى دُعائِهِ، فَصَلَّى، ثُمَّ سَجَدَ، فَأَصْغَيْتُ بِسَمْعِي إليهِ، فَسَمِعْتُهُ يَقولُ في سُجودِهِ: عُبَيْدُكَ بِفِنَائِكَ، مِسْكينُكَ بِفِنائِكَ، فَقيرُكَ بِفِنائِكَ، سائِلُكَ بِفِنائِكَ. قالَ طاوُسُ: فَحَفِظْتُهُنَّ فما دَعَوْتُ بِهِنَّ في كَرْبٍ إلَّا فُرِّجَ عَنِّي[2].

وَرُوِيَ أَيْضًا عَنِ الْحارِثِ الْكَعْبِيِّ: أنَّ رَجُلًا جاءَ إلى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ يَسْتَعينُ به على عَلِيٍّ في حاجَةٍ، فقالَ له الْحُسَيْنُ: إنَّ أَميرَ الْمُؤْمِنينَ قد خَلَا في بَيْتٍ إذا حَزَنَهُ[3] أَمْرٌ خَلا فيهِ[4]، قالَ: فأَدْنِنِي إلى الْبابِ حتَّى أَسْمَعَ كَلامَ أَميرِ الْمُؤْمِنينَ، قالَ: فَسَمِعْتُهُ يَقولُ: يا كهيعص، يا نورُ، يا قُدُّوسُ، يا حَيُّ، يا اللهُ، يا رَحْمنُ - رَدَّدَها ثَلاثًا - اغْفِرْ لي الذُّنوبَ الَّتِي تُحِلُّ النِّقَمَ، وَاغْفِرْ لي الذُّنوبَ الَّتِي تُغَيِّرُ النِّعَمَ، وَاغْفِرْ لي الذُّنوبَ الَّتِي تُورِثُ النَّدَمَ، وَاغْفِرْ لي الذُّنوبَ الَّتِي تَحْبِسُ السَّقَمَ، وَاغْفِرْ لي الذُّنوبَ الَّتِي تُنْزِلُ الْبَلاءَ، وَاغْفِرْ لي الذُّنوبَ الَّتِي تَهْتِكُ الْعِصَمَ، وَاغْفِرْ لي الذُّنوبَ الَّتِي تُعَجِّلُ الْفَناءَ، وَاغْفِرْ لي

(1) تاريخ بغداد: 8/ 145، صفة الصفوة: 1/ 142.

(2) الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا: 67.

(3) حزبه، في الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا: 63.

(4) أمر خلافته، في قونية وأنطاليا.

الذُّنوبَ الَّتِي تُديلُ[1] الْأَعْداءَ، وَاغْفِرْ لي الذُّنوبَ الَّتِي تَرُدُّ الدُّعاءَ، وَاغْفِرْ لي الذُّنوبَ الَّتِي تُمْسِكُ غَيْثَ السَّماءِ، وَاغْفِرْ لي الذُّنوبَ الَّتِي تُظْلِمُ الْهَواءَ، واغْفِرْ لي الذُّنوبَ الَّتِي تَكْشِفُ الْغِطاءَ[2].

سَمِعْتُ بَعْضَهُمْ يَذْكُرُ أَنَّهُ رَأَى بِخَطِّ مَنْ يُعْتَمَدُ إذا غُلِبَ الْمَرْءُ في واقِعَةٍ، فَلْيَقُلْ في دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ: "رَبِّ إنِّي مَغْلوبٌ فَانْتَصِرْ" مِئَةَ مَرَّةٍ.

وِمِنْ شِعْرِ الشَّيْخِ أبي إِسْحاقَ الشِّيرازِيِّ صاحِبِ التَّنْبِيهِ، وَيُقالُ إِنَّها أَبْياتٌ مُبارَكَةٌ: [البسيط]

لَبِسْتُ ثَوْبَ الرَّجا وَالنَّاسُ قد رَقَدُوا ... وَقُمْتُ أَشْكو إلى مَوْلَايَ ما أَجِدُ[3]

وَقُلْتُ يا عُدَّتِي في كُلِّ نائِبَةٍ ... ومَنْ عَلَيْهِ لِكَشْفِ الضُّرِّ أَعْتَمِدُ

وَقَدْ مَدَدْتُ يَدِيْ وَالضُّرُ مُشْتَمِلٌ ... إِلَيْكَ يا خَيْرَ مَنْ مُدَّتْ إليهِ يَدُ

فَلَا تَرُدَّنَّها يا رَبِّ خائِبَةً ... فَبَحْرُ جودِكَ يَرْوِي كُلَّ مَنْ يَرِدُ

وَلِأَبِي الْقاسِمِ السُّهَيْلِيِّ، وَقيلَ: ما رَدَّدَها ذو حاجَةٍ ثَلاثَ مَرَّاتٍ وَيَدْعو إلَّا اسْتُجِيبَ له: [الكامل]

يا مَنْ يَرَى ما في الضَّميرِ وَيَسْمَعُ ... أَنْتَ الْمُعَدُّ لِكُلِّ ما يُتَوَقَّعُ[4]

---

(1) تدبل، في أنطاليا وفي الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا: 65 مصدر النقل، وتذل، في رئيس الكتاب. ولعل الصَّواب ما رجحنا وهو من الإدالة: الغَلَبة، يُقَالُ: أُدِيل لَنَا عَلَى أعدائنا أي نُصِرْنا عَلَيْهِمْ، وَكَانَتِ الدَّوْلة لَنَا. اللسان: دول.

(2) الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا: 63.

(3) الأبيات في الدر الثمين في أسماء المصنفين: 248، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي: 4/ 225.

(4) الأبيات في وفيات الأعيان: 3/ 143، الوافي بالوفيات: 18/ 102، ونكت الهميان: 169.

يـا مَنْ يُرَجَّى لِلشَّـــدائِـدِ كُلِّهَـا يـا مَنْ إليه الْمُشْـتكَى وَالْمَفْزَعُ
يا مَنْ خَزائِنُ فَضْـــلِهِ فِي قَوْلِ كُنْ امْنُنْ فَـإنَّ الْخَيْرَ عِنْـدَكَ أَجْمَعُ
ما لي سِـوَى فَقْرِي إلَيْكَ وَسيلَةٌ فَبـالافْتِقـارِ إلَيْـكَ فَقْرِيَ أَدْفَعُ
ما لي سِـوَى قَرْعِي لِبابِكَ حِيلَةٌ فَـلَئِـنْ رُدِدْتُ فَـأَيَّ بـابٍ أَقْرَعُ
وَمَنِ الَّذِي أَدْعو وَأَهْتِفُ باسْـمِهِ إنْ كانَ فَضْـلُكَ عن فَقيرِكَ يُمْنَعُ
حاشـا لِفَضْـلِكَ أَنْ تُقَنِّطَ عاصِيًا اَلْفَضْـلُ أَجْزَلُ وَالْمَواهِبُ أَوْسَعُ

وله أَبْياتٌ أُخَرُ.

قالَ تاجُ الدِّينِ السُّبْكِيُّ: كُنْتُ أَسْمَعُ الشَّيْخَ الإمامَ - أَرادَ والِدَهُ تَقِيَّ الدِّينِ السُّبْكِيَّ رَحِمَهُما اللهُ - يُرَدِّدُها، وَيَدْعو عَقِيبَها وَيَقولُ: إنَّ الإجابَةَ عَقِيبَها مُجَرَّبَةٌ، وَإنَّهُ كانَ يَقولُ: ما سَأَلْتُ اللهَ بها في شَيْءٍ إلَّا أَعْطانِيهِ، وهِيَ: [الطويل]

صَـــرَفْتُ إلى رَبِّ الْأَنام مَطالِبِي وَوَجَّهْتُ وَجْهِي نَحْوَهُ وَمَآرِبي[1]
إلى الْمَلِكِ الْأَعْلَى الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ مَلِيكٌ يُرَجَّى سَيْبُهُ في الْمَسـاغِبِ[2]
إلى الصَّـمَدِ الْبَرِّ الَّذِي فاضَ جودُهُ وَعَمَّ الْوَرَى طُرًّا بِجَزْلِ الْمَواهِبِ
مُجِيرِي مِنَ الْخَطْبِ الْمَخوفِ وَناصِرِي مُغِيثِي إذا ضـاقَتْ عَلَيَّ مَذاهِبِي
مُقِيلِي إذا زَلَّـتْ بِيَ النَّعْـلُ عـاثِرًا وَأَسْـــمَحُ غَفَّـارٍ وَأَكْرَمُ واهِـبِ

(1) الأبيات منسوبة لأبي القاسم السهيلي، وهي في الإعلام لمن حل مراكش وأغمات من الأعلام: 8/ 73-72.
(2) المعاتب، في الأزهرية، المتاعب، في أنطاليا.

فَمَا زالَ يُولِينِي الْجَمِيلَ تَلَطُّفًا وَيَدْفَعُ عَنِّي في صُدورِ النَّوائِبِ
وَيَرْزُقُنِي طِفْلًا وَكَهْلًا وَقَبْلَهَا جَنِينًا وَيَحْمِينِي دَنِيَّ الْمَكاسِبِ
إذا أَبْوُبُ الْأَمْلاكِ دُونِي غُلِّقَتْ وَنَهْنَهَ عَنْ غِشْيانِهِمْ زَجْرُ حاجِبِ[1]
فَزِعْتُ إلى بابِ الْمُهَيْمِنِ طارِقًا مُدِلًّا أُنادِي بِاسْمِهِ غَيْرَ هائِبِ[2]
فَلَمْ أُلْفِ حُجَّابًا وَلَمْ أَخْشَ مِنْعَةً وَلَوْ كانَ سُؤْلِي فَوْقَ هامِ الْكَواكِبِ
كَرِيمٌ يُلَبِّي عَبْدَهُ كُلَّمَا دَعَا نَهارًا وَلَيْلًا في الدُّجَى وَالْغَياهِبِ
يَقولُ له لَبَّيْكَ عَبْدِي داعِيًا وإنْ كُنْتُ خَطَّاءً كَثيرَ الْمَعايِبِ
فَمَا ضاقَ عَفْوِي عَنْ جَريمَةِ خَاطِئٍ وَمَا أَحَدٌ يَرْجُو نِدايَ بِخائِبِ
فَلَا تَخْشَ إِمْلالًا وَإِنْ كُنْتَ مُكْثِرًا فَعَفْوِيَ مَبْذولٌ إلَى كُلِّ طالِبِ
سَأَسْأَلُهُ ما شِئْتُ إنَّ يَمِينَهُ تَسِحُّ دِفاقًا في اللُّهَى والرَّغائِبِ
فَحَسْبِيَ رَبِّي في الْهَزاهِزِ مَلْجَأً وَحِرْزًا إذا خِيفَتْ سِهامُ النَّوائِبِ

وَلِأَبِي الْفَضْلِ يوسُفَ بْنِ مُحَمَّدٍ التَّوْزَرِيِّ قَصِيدَةٌ تُسَمَّى: "**الْفَرَجُ بَعْدَ الشِّدَّةِ**"[3]، تَشْتَمِلُ على الْاِسْمِ الْأَعْظَمِ، لِأَنَّهَا جُرِّبَتْ لِاسْتِجابَةِ الدُّعاءِ وهِيَ: [المتدارك]

اِشْتَدِّي أَزْمَةُ تَنْفَرِجِي قَدْ آذَنَ لَيْلُكِ بِالْبَلَجِ[4]
وَظَلامُ اللَّيْلِ له سُرُجٌ حَتَّى يَغْشاهُ أبو السُّرُجِ

---

(1) إذا سُدُدُ، في قونية وأنطاليا. ويمنع عن، في مراد ملا.
(2) كتب بإزائها في الطرة في نسخة رئيس الكتاب: "ضارعا، في نسخة صحيحة".
(3) تعرف أيضا بالمنفرجة، وبأم الْفَرَجِ، وهي لابن النحوي (ت.513هـ).
(4) القصيدة في طبقات الشافعية الكبرى: 8/ 57-59.

وَسَــحابُ الْخَيْرِ لَهَا مَطَرٌ فَــإِذَا جاءَ الإِبَّـانُ تَـجِـي
وَفَـوائِـدُ مَـوْلانَـا جُـمَـلٌ لِسُــروحِ الأَنْـفُسِ والْـمُـهَـجِ
ولَــهـا أَرَجٌ مُـحْـيٍ أَبَـدًا فَـاقْصِـدْ مَـحْيا ذاكَ الأَرَجِ
فَلَرُبَّتَـمَا فاضَ الْـمَـحْيَى بِبُحورِ الْمَوْجِ مِنَ اللُّجَجِ
وَالْـخَـلْـقُ جَـمـيعًا في يَـدِهِ فَـذَوُو سَـعَـةٍ وَذَوُو حَـرَجِ
وَنُـزولُـهُـمُ وَطُـلـوعُـهُـمُ فَـإِلَـى دَرَكٍ وَعَـلَـى دَرَجِ
وَمَـعـايِشُــهُـمْ وَعَـواقِـبُـهُـمْ لَيْسَــتْ في الْمَشْـيِ على عِوَجِ
حِكَمٌ نُسِـجَـتْ بِيَدٍ حَكَمَتْ ثُمَّ انْتَسَـجَـتْ بِالْمُنْتَسِـجِ
فَـإذا اقْتَصَــدَتْ ثُمَّ انْعَرَجَـتْ فَـبِـمُـقْـتَصِـدٍ وَبِـمُـنْـعَـرِجِ
شَــهِدَتْ بِعَجائِبِها حُجَجٌ قـامَـتْ بِـالأَمْرِ عـلى حِجَجِ
وَرِضًــا بِـقَضــاءِ اللهِ حِـجًـى فَـعَـلَـى مَـرْكـوزَتِـهِ فَـعُـجِ
وإذا انْـفَـتَـحَـتْ أَبْـوابُ هُـدًى فَـاعْـجَـلْ لِـخَـزائِـنِـهَـا وَلِـجِ
وإذا حـاوَلْـتَ نِـهـايَـتَـهـا فَـاحْـذَرْ إذْ ذاكَ مِـنَ الْـعَـرَجِ
لِـتَـكـونَ مِـنَ السُّــبَّـاقِ إذا مـا جِـئْـتَ إلـى تِـلْـكَ الْـفُـرَجِ
فَـهُـنـاكَ الْـعَـيْـشُ وَبَـهْـجَـتُـهُ فَـلِـمُـبْـتَـهِـجٍ وَلِـمُـنْـتَـهِـجِ
فَـهِـجِ الأَعْـمـالَ إذا رَكَـدَتْ فـإذا مـا هِـجْـتَ إذًا تَـهِـجِ
وَمَـعـاصِــي اللهِ سَــمـاجَـتُـهَـا تَـزْدانُ لِـذِي الْـخُـلُـقِ السَّــمِـجِ
وَلِـطـاعَـتِـهِ وَصَــبـاحَـتِـهَـا أَنْـوارُ صَــبـاحٍ مُـنْـبَـلِـجِ[1]

(1) ولطاعتها، في قونية ورئيس الكتاب.

مَنْ يَخْطُبْ حُورَ الْخُلْدِ بها … يَظْفَرْ بِالْحورِ وَبِالْغُنُجِ
فَكُنِ الْمَرْضِيَّ لها بِتُقًى … بِرِضاهُ غَدًا وَتَكونُ نَجِي[1]
وَاتْلُ الْقُرْآنَ بِقَلْبٍ ذي … حَزَنٍ وَبِصَوْتٍ فيه شَجِ
وَقِيامُ اللَّيْلِ مَسافَتُهَا … فَاذْهَبْ فيها بِالْفَهْمِ وَجِي
وَتَأَمَّلْها وَمَعانِيَها … تَأْتِ الْفِرْدَوْسَ وَتَنْفَرِجِ
وَاشْرَبْ تَسْنيمَ مُفَجَّرِها … لا مُمْتَزِجًا وَبِمُمْتَزِجِ
مُدِحَ الْعَقْلُ الْآتِيهِ هُدًى … وَهَوًى مُتَوَلٍّ عنه هُجِي
وَكِتابُ اللهِ رِياضَتُهُ … لِعُقولِ الْخَلْقِ بِمُنْدَرِجِ
وَخِيارُ الْخَلْقِ هُداتُهُمُ … وَسِواهُمْ مِنْ هَمَجِ الْهَمَجِ
فَإذا كُنْتَ الْمِقْدامَ فلا … تَجْزَعْ في الْحَرْبِ من الرَّهَجِ
وإذا أَبْصَرْتَ مَنارَ هُدًى … فَاظْهَرْ فَرْدًا فَوْقَ الثَّبَجِ
وَإذا اشْتاقَتْ نَفْسٌ وَجَدَتْ … أَلَمًا بِالشَّوْقِ الْمُعْتَلِجِ
وَثَنايَا الْحَسْنا ضاحِكَةٌ … وَتَمامُ الضِّحْكِ على الْفَلَجِ[2]
وَعِيابُ الْأَسْرارِ اجْتَمَعَتْ … بِأَمانَتِهَا تَحْتَ الشَّرَجِ
فَالرِّفْقُ يَدومُ لِصاحِبِهِ … وَالْخَرْقُ يَصيرُ إلى الْهَرَجِ
صَلَواتُ اللهِ على الْمَهْدِيِّ … الْهادِي النَّاسَ إلى النَّهَجِ
وَأَبِي بَكْرٍ في سِيرَتِهِ … وَلِسانِ مَقالَتِهِ اللَّهِجِ
وأَبِي حَفْصٍ وَكَرامَتِهِ … في قِصَّةِ سارِيَةَ الْخُلُجِ

---

(1) هدى، في قونية وأنطاليا.

(2) البلج، في قونية.

وأبِـي عَـمْـرٍو ذي الـنُّـورَيْـنِ الْمُسْــتَهْدِي الْمُسْــتَحْيِي الْبَهِجِ
وَأَبِـي حَسَـــنٍ في الْـعِـلْـمِ إذا وافَـى بِسَـــحـائِـبِـهِ الْـخُـلُـجِ

قالَ تاجُ الدِّينِ السُّبْكِيُّ: سَمِعْتُ غَيْرَ مَرَّةٍ الشَّيْخَ الْإمامَ رَحِمَهُ الله - يَعْنِي والِدَهُ - يُنْشِدُ لِنَفْسِهِ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ: [الطويل]

إلَهِيَ فَوَّضْــتُ الْأُمورَ جَمِيعَهَا إلَيْكَ فَدَبِّرْها بما شِئْتَ وَالْطُفِ[1]
وَسَلِّمْنِيَ اللَّهُمَّ يا رَبِّ وَارْحَمْنِي وَخُذْ بِيَدِي وَامْنُنْ وَجُدْ وَتَلَطَّفِ[2]

هَذَا ما أَوْرَدَهُ السُّبْكِيُّ مِنَ الدَّعَواتِ فيما وُجِدَ في آخِرِ كتابِهِ **"الدَّعَواتُ"**، حامِدًا اللهَ تعالى خالِقَ الْأَرْضِ وَالسَّماواتِ، وَمُصَلِّيًا على نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ شَفِيعِ الْأُمَّةِ في الْعَرَصَاتِ، وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْمُتَدَرِّجِينَ إلى أَعْلَى الدَّرَجاتِ، وَحَسْبُنا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكيلُ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا باللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

يَقولُ الْفَقيرُ الْمُعْتَرِفُ بِالتَّقْصِيرِ: لَمَّا كَتَبْتُ هذه الْأَدْعِيَةَ الْمَنْظومَةَ، تَذَكَّرْتُ حِرْزًا مَنْظومًا وَضَعَهُ الشَّيْخُ الزَّاهِدُ أبو عِمْرانَ موسى الْفاسِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، وَرَأَيْتُ أَنْ أُثْبِتَ ذلك هاهُنَا، لَمَّا رَأَيْتُ أَنَّ جَمْعَ كُلِّ شَيْءٍ إلى شَكْلِهِ وَنَظِيرِهِ أَحْسَنُ وَأَوْلَى، وَسَمَّاهُ صاحِبُ النَّظْمِ الْمُبارَكِ: **"حِرْزُ الْأَقْسامِ لِجَمِيعِ الْعِلَلِ وَالْأَسْقامِ"**، يُكْتَبُ بِالزَّعْفرانِ، وَيُبَخَّرُ بِاللُّبانِ[3]، وَيُلْوَى عليه

---

(1) البيتان في طبقات الشافعية الكبرى: 10/ 178.

(2) يا رب واحمني... وتعطف، في طبقات الشافعية الكبرى.

(3) اللُّبانُ: ضَرْبٌ مِنَ الصَّمْغ. اللسان: لبن.

بِخَيْطِ حَرِيرٍ أَبْيَضَ، وَتَشُدُّهُ على عَضُدِكَ وأَنْتَ طاهِرٌ نَقِيٌّ، وَتَعْتَصِمُ، وَتُقْضَى الْحاجاتُ إنْ شاءَ اللهُ سُبْحانَهُ وَتعالَى، تَبْدَأُ بِالْبَسْمَلَةِ وَفاتِحَةِ الْكِتابِ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ، وما تَخْتارُ مِنْ آيِ الْقُرْآنِ، ثُمَّ تَكْتُبُ الْحِرْزَ[1]، وهو هذا النَّظْمُ[2] الْمُبارَكُ الشَّافِي: [الطويل]

بَدَأْتُ ببِسْمِ اللهِ في أَوَّلِ السَّطْرِ ... فَأَسْماؤُهُ حِصْنٌ مَنيعٌ مِنَ الضُّرِّ[3]
وَصَلَّيْتُ في الثَّانِي على خَيْرِ خَلْقِهِ ... مُحَمَّدٍ الْمَبْعوثِ بِالْفَتْحِ والنَّصْرِ
تَعَوَّذْتُ بِالرَّحْمنِ في السِّرِّ والْجَهْرِ ... مِنَ الشِّرْكِ وَالشَّيْطانِ ما دُمْتُ في دَهْرِي
إذا اسْتَفْتَحَ الْقُرَّاءُ في مُحْكَمِ الذِّكْرِ ... فَباسْمِكَ يا مَوْلايَ اسْتَفْتَحَ الْمُقْرِي
وَنَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ من فَضْلِكَ الرِّضا ... تَحُلُّ عُقودَ الْعُسْرِ في أَيْسَرِ الْيُسْرِ
تَوَسَّلْتُ بِالْأَقْسامِ أَسْأَلُ راغِبًا ... وَنَرْغَبُ لِلرَّحْمنِ في السِّرِّ وَالْجَهْرِ
وَنَرْغَبُ فيما يَرْغَبُ الْخَلْقُ سُجَّدًا ... إلى مالِكِ الْأَمْلاكِ في النَّفْعِ والضُّرِّ
بِأَسْمائِكَ اللَّهُمَّ أَنْتَ إِلَهُنَا ... بَديعُ السَّماواتِ الْمُدَبِّرُ لِلْأَمْرِ
بِجُمْلَةِ ما أَثْنَى عَلَيْكَ أُولُو النُّهَى ... مِنَ الْمَجْدِ وَالتَّعْظِيمِ وَالْحَمْدِ وَالشُّكْرِ
بما لَكَ رَبِّي في سَماواتِكَ الْعُلَى ... مِنَ الْمُلْكِ وَالسُّلْطانِ وَالْعِزِّ وَالنَّصْرِ
بما سَبَّحَتْكَ الْخَلْقُ بِالْأَلْسُنِ الَّتِي ... تَخَيَّرَتَ لِلتَّسْبيحِ وَالْحَمْدِ وَالشُّكْرِ[4]

---

(1) الحمد، في قونية.

(2) المنظوم، في قونية ومراد ملا.

(3) وجدنا نسخة خطية من القصيدة في مكتبة برلين محفوظة تحت رقم: 891/ 49، فيها زيادات لم ترد في مفتاح السعادة، واختلاف في رواية بعض الأبيات، لكنها غير منسوبة.

(4) تحيرت، في رئيس الكتاب.

بِـذِكْـرِكَ عِـنْـدَ الْعـارِفِـينَ بِقَـدْرِهِ بما قُلْتَ في الْقُرْآنِ بِالشَّفْعِ وَالْوِتْرِ
بِإِحْصــائِكَ الْأَشْــياءَ عَدًّا وَخِبْرَةً بِتَكْسِــيرِ أَمْواجِ الْبِحـارِ وَبِـالْقَطْرِ
بما في السَّــماواتِ الْعُلَى مِنْ مُقَرَّبٍ بِمَنْ في تُخومِ الْأَرْضِ مِنْ مَلِكٍ نَزْرِ[1]
بِـأَنَّـكَ أَنْـتَ اللهُ خـالِقُ مـا يُرَى وما لا يُرَى حَتَّى من الذَّرِّ في النَّفْرِ[2]
سَــميعٌ بَصــيرٌ عـالِمٌ مُتَفَضِّـــلٌ يُجازِي بِإِحْسانٍ وَيَعْفُو عن الْوِزْرِ
بِجُمْلَةِ ما أَنْزَلْتَ في الْكُتْبِ كُلِّها على الرُّسْلِ تِبْيانًا لِمَنْ كانَ ذا حِجْرِ
بِكُتْبِكَ بِـالْأَقْلامِ بِالرُّسْــلِ بِالْبَهَا بِتَقْدِيرِكَ الْأَشْـياءَ بِـالنَّهْيِ وَالْأَمْرِ
بِفَضْلِ صَلاةِ الصُّبْحِ رَبِّ وَبِالضُّحَى بِذِكْرِ غُروبِ الشَّمْسِ بِالظُّهْرِ وَالْعَصْرِ
بِرَضْــوانَ خَزَّانِ النَّعيمِ بِمـالِـكٍ مُعَذِّبِ أَصْحابِ الْجَحيمِ عَلَى الْجَمْرِ
بِجُمْلَـةِ مَنْ لَبَّـاكَ مِنْ ظَهْرِ آدَمٍ مِنَ الْمُؤْمِنينَ الصَّـالِحينَ أُولِي الطُّهْرِ
بمـا نـالَ وَفْدُ اللهِ مِنْ نَصْـرِ رَبِّهِمْ بِزُوَّارِ قَبْرِ الْهاشِـمِيِّ إلى الْحَشْـرِ
بِجاهِ النَّبِيئِينَ الَّـذِينَ اصْـطَفَيْتَهُمْ أُولُوا الْأَيْدِي وَالْأَبْصارِ وَالْعِزِّ وَالْفَخْرِ
بِـآدَمَ إِذْ كَـرَّمْـتَـهُ وَاصْــطَـفَـيْـتَـهُ وَعَلَّمْتَهُ الْعِلْمَ الَّذِي كانَ لا يَدْرِي
بِشِــيثٍ بِإِدْريسٍ بِنوحٍ بِصــالِحٍ بِهودٍ بِلوطٍ بِـالْخَليلِ الَّـذِي يُقْرِي
بِحُرْمَةِ إِسْــماعِيلَ صــادِقِ وَعْدِهِ بِإِسْــحاقَ لَمَّا جاءَ في كِبَرِ الْعُمْرِ
بِيَعْقوبَ بِالْأَسْباطِ بِالْيَسَعِ الرِّضَا بِيوسُفَ أَعْلَى النَّاسِ في أَرْفَعِ الذِّكْرِ
بِيونُسٍ الْأَصْـفَى بِصـاحِبِ مَدْيَنٍ شُعَيْبٍ بِإِلْياسٍ بِذِي الْكِفْلِ بِالْخِضْرِ
بِـأَيُّوبَ ذِي الْبَلْوَى بِـداوودَ بِـابْنِهِ سُلَيْمانَ مَنْ غَلَّ الشَّياطِينَ لِلْحَشْرِ

---

(1) نذر، في مراد ملا. ملك يَذْرِ، في نسخة برلين.

(2) الدر، في مردا ملا. في النقر، في أنطاليا وعاطف أفندي.

بِمَنْ قَدْ قَرَا التَّوْراةَ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِهِ وَهَلْ كانَتِ التَّوْراةُ تُقْرَأُ عَلَى ظَهْرِ
بِـأَيِّ نَـبِـيٍّ كـانَ في أَيِّ أُمَّـةٍ إِلَى أَيِّ ما قَوْمٍ وفي أَيِّ ما عَصْـرِ
وإِذْ نَحْنُ لم نَسْـمَعْ بـه وَبِـذِكْرِهِ وَإِذْ نَحْنُ لم نَعْلَمْ سِـواهُ ولـم نَدْرِ
كَذَا زَكَرِيَّـا إِنَّـهُ كـانَ مُخْلِصًـا بِيَحْيى الْحَصورِ السَّيِّدِ[1] الطَّيِّبِ النَّشْرِ[2]
بِمُوسَى بِهارونٍ بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمٍ بِكُلِّ نَبِيءٍ لَسْـتُ منهُ عَلى خُبْرِ[3]
بِـآخِرِهِـمْ بَعْثًـا بِـأَوَّلِهِـمْ هُـدًى مُحَمَّدٍ الْمَبْعوثِ بِالْفَتْحِ وَالنَّصْـرِ[4]
بِجاهِ خَليلِ الْمُصْـطَفَى وَأَنِيسِـهِ فَنِعْمَ أَنيسُ الْغـارِ كـانَ أَبـا بَكْرِ
بِجاهِ ابْنِ خَطَّابِ أَبِي حَفْصٍ الرِّضَا بِجاهِ الشَّهيدِ الْمُسْتَجابِ أَبِي عَمْرِو
بِجاهِ عَلِيٍّ أَرْفَعِ الْقَوْمِ في الْهُدَى وَمَنْ كَعَلِيٍّ في الْهِدايَـةِ وَالنَّصْـرِ
هُمَا السَّيِّدانِ السَّابِقانِ إلى الْهُدَى شَهيدانِ صِهْراهُ فَيا أَشْرَفَ الصِّهْرِ
بِحَمْزَةَ بِـالْعَبَّاسِ عَمَّيْ نَبِيِّنَـا بِفَخْرِهِمَا الْمَنْسـوبِ في أَرْفَعِ الْفَخْرِ
بِفـاطِمَـةَ الزَّهْراءِ سَـيِّدَةِ النِّسَـا بِسِبْطَيْ رَسولِ اللهِ فَخْرًا على فَخْرِ
بِـآلِ رَسـولِ اللهِ كُـلِّـهِـمُ مَـعًـا بِمَجْدِهِمُ فَوْقَ الْفَراقِـدِ وَالنَّسْـرِ
بِأَصْـحابِهِ بِالطَّاهِراتِ نِسـاؤُهُ بِعائِشَةَ الْمَوْصوفَةِ الذِّكْرِ بِالذِّكْرِ[5]

---

(1) زيادة من نسخة برلين يستقيم بها الوزن.

(2) بيحيى الحصور الصادق السيد البرّ. في نسخة برلين.

(3) يليه في نسخة برلين:

بكل نبيٍّ كان في أي أمـــــة *** وفي أي ما قوم وفي أي ما عصــــر
وإن نحن لم نعلم بهم وبذكرهم *** وإن نحن لم نسمع سواهم ولم ندر

(4) بأولهم بدءا بآخرهم بعثا، في نسخة برلين. بعقب هذا البيت سبعة أبيات لم ترد في المفتاح.

(5) رفيقهم، في قونية.

بِطَلْحَةَ مِنْهُمْ بِالزُّبَيْرِ بِصَحْبِهِ سَعِيدٍ وَسَعْدٍ ذِي الْفَضائِلِ وَالْبِرِّ
وَتاسِعِهِمْ ذاكَ ابْنُ عَوْفٍ رَفيعُهُمْ بِجاهِ ابْنِ جَرَّاحٍ هُوَ الطَّيِّبُ النَّشْرِ[1]
بِمَا كَانَ فيهِمْ مِنْ خِصالٍ رَضِيَّةٍ كَزُهْدِ أَبِي الدَّرْدا وَصِدْقِ أَبِي بَكْرِ
بِأَشْياعِهِمْ بِالتَّابِعينَ اقْتِداؤُهُمْ وَكُلُّهُمُ الْأَخْيارُ كَالْأَنْجُمِ الزُّهْرِ
بِمَا كانَ يَدْعو الْمُصْطَفَى في جِهادِهِ بما كانَ في الْمِحْرابِ يَتْلوهُ مِنْ ذِكْرِ
بما كانَ يَدْعُو أَوَّلَ اللَّيْلِ رَبَّهُ بما كانَ يَدْعُو عِنْدَ مُنْصَدَعِ الْفَجْرِ
بِشَعْبانَ بِالشَّهْرِ الْأَصَمِّ بِقَدْرِهِ بِحُرْمَةِ شَهْرِ الصَّوْمِ بِالْعِيدِ بِالْفِطْرِ
بِحَقِّ ظُنونِ الْواقِفِينَ على مِنًى بِحَقِّ يَقينِ النَّاسِ في ساعَةِ النَّفْرِ
بِميقاتِ موسَى بِالثَّلاثينَ لَيْلَةً بِإِتْمامِها من بَعْدِ ذَلِكَ بِالْعَشْرِ
بِقَدْرِ لَيالِي الْعَشْرِ وَهْيَ فَضيلَةٌ بِأَيَّامِ حَجِّ النَّاسِ بِالْعِيدِ بِالنَّحْرِ[2]
بما تَهَبُ الدَّاعِينَ في يَوْمِ حَجِّهِمْ بما تَهَبُ الدَّاعينَ في لَيْلَةِ الْقَدْرِ
بِعَرْشِكَ بِالْكُرْسِيِّ نَدْعوكَ رَبَّنا بِلَوْحِكَ بِالْأَقْلامِ تَجْرِي بما تَجْرِي
بِالإِنْجِيلِ بِالتَّوْراةِ أَنْزَلْتَها[3] عَلَى كَليمِكَ موسى بِالصَّحائِفِ بِالزُّبْرِ
بِحَقِّ كِتابٍ أَنْتَ بَيَّنْتَ فَضْلَهُ على ما سِواهُ مِنْ كِتابٍ ومِنْ سِرِّ
بِأَوَّلِهِ أُمِّ الْكِتابِ وَخَتْمِهِ أَعوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ نَفْثَةِ السِّحْرِ
بِمَا في أَلِفْ لامْ ميمَ ذَلِكَ قُلْتُهُ وَبِآلِ عِمْرانَ الْمُعَظَّمَةِ الذِّكْرِ[4]

---

(1) والطاهرات نساؤه، في أنطاليا ومراد ملا. والطاهرات نسائه، في عاطف أفندي.

(2) والنحر، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(3) قد أنزلت، في الأزهرية.

(4) ورواية نسخة برلين أجود: بِألم ذَلِكَ الْكِتابُ بِبَعْدِهَا *** ألم الله مُسْتَوْجِبِ الشُّكْرِ.

بِيَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ... بِسُورَةِ أَوْفُوا بِالْعُقودِ وَبِالنَّذْرِ
بِالَانْعامِ بِالْأَعْرافِ بِالتَّوْبَةِ الَّتِي ... تَلَا سورَةَ الْأَنْفالِ كَالسَّطْرِ بِالسَّطْرِ
بِالَانْفالِ وَالْأَنْفالُ كانَتْ لِأَحْمَدٍ ... وَاللهُ رَبِّي عالِمُ السِّرِّ وَالْجَهْرِ
بيونُسَ إِذْ تُتْلَى بِهودٍ بِيوسُفٍ ... بِسورَةِ إِبْراهيمَ بِالرَّعْدِ بِالْحِجْرِ[1]
بِمِقْدارِ ما فِي النَّحْلِ مِنْ ذِكْرِ نِعْمَةٍ ... مَنَنْتَ بها حَقًّا يَقِينًا لِمَنْ يَدْرِي
بِسُبْحانَ مَنْ أَسْرَى بِلَيْلٍ بِعَبْدِهِ ... مِنَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى إِلى الْبَيْتِ وَالْحِجْرِ
بِسورَةِ ذِكْرِ الْكَهْفِ ثُمَّ بِمَرْيَمٍ ... بِطَهَ بِذِكْرِ الْأَنْبِياءِ على الْإِثْرِ
وَبِالْحَجِّ ثُمَّ الْمُؤْمِنِينَ بِإِثْرِهَا ... وَبِالنُّورِ وَالْفُرْقانِ يا جابِرَ الْكَسْرِ
بِحَقِّ طَواسِينَ الثَّلاثِ فَلَمْ يَقِفْ ... سِواكَ على ما فِي الْفَواتِحِ مِنْ سِرِّ
وَبِالرُّومِ ثُمَّ الْعَنْكَبوتِ وَبَعْدَها ... بِلُقْمانَ ذي الْوَعْدِ الصَّدوقِ مَعَ الذُّخْرِ
سَأَلْتُكَ بِالْأَحْزابِ مِنْ بَعْدِ سَجْدَةٍ ... بِأَسْمائِكَ الْحُسْنَى بِآلائِكَ الزُّهْرِ
وَفِي سَبَإٍ وَالْحَمْدُ للهِ فاطِرٍ ... ضِياءٌ يُضيءُ الْقَلْبَ كَالْقَمَرِ الْبَدْرِ
بِسورَةِ يس الْمُعَظَّمِ قَدْرُها ... فما هِيَ إِلَّا كَالْقِلادَةِ فِي النَّحْرِ
وَبِالتَّالِياتِ ثُمَّ ص بَعْدَها ... بِسورَةِ تَنْزِيلِ الْكِتابِ مِنَ الذِّكْرِ
بِسَبْعِ الْحَواميمِ الْكَرِيمِ مَحَلُّها ... فما هِيَّ إِلَّا كَالْعَرائِسِ فِي الْخِدْرِ
وَبِالسُّورَةِ الْمَذْكورِ فيها مُحَمَّدٌ ... وَإِنَّا فَتَحْنا سورَةَ الْفَتْحِ والنَّصْرِ
وَبِالْحُجُراتِ ثُمَّ ق وَطُورِها ... وَبِالذَّارِياتِ الذَّرِّ حامِلَةِ الْوِقْرِ
وَبِالنَّجْمِ وَالرَّحْمنِ نَسْأَلُ راغِبًا ... وَبِاقْتَرَبَتْ أَدْعوكَ يا كاشِفَ الضُّرِّ

(1) والحجر، في قونية.

إذا وَقَعَتْ يُشْــفَى بها كُلُّ مُؤْمِنٍ وَيُشْـفَى بِآياتِ الْحَديدِ وَبِالْحَشْـرِ
بِســورَةِ ذاتِ الإِمْتِحانِ وَفَضْـلِهَا بِقَدْ سَـمِعَ اللَّهُمَّ فَاعْظِمْ بها أَجْرِي
بِسورَةِ ذِكْرِ الصَّـفِّ وَالْحَرْبِ وَاللِّقَا بِبُنْيانِكَ الْمَرْصوصِ في السِّرِّ وَالْجَهْرِ
بِســورَةِ يَوْمِ الْجُمْعَةِ الْأَزْهَرِ الَّتِي يُحَرَّمُ فيها الشُّـغْلُ بِالْبَيْعِ وَالتَّجْرِ
بِسورَةِ أَصْحابِ النِّفاقِ وَفَضْـلِهَا أَعوذُ بِنَفْسِــي مِنْ نِفاقٍ وَمِنْ غَدْرِ
بِسُــورَةِ يَوْمِ الْجَمْعِ يَوْمِ تَغـابُنٍ به يُعْلَمُ الْخَيْرُ الْخَصيصُ مِنَ الشَّرِ
بِفـاتِحَـةِ التَّحْريمِ يـا أَيُّهَـا النَّبِي فيا رَبِّ أَطْلِقْ بِالطَّلاقِ أَخا الْأَسْـرِ
سَأَلْتُكَ يا ذا الْمُلْكِ بِالْمُلْكِ سائِلًا بِنُونٍ بما يَتْلوهُ مِنْ نَفْخَةِ الْحَشْـرِ
بِنوحٍ بِقُلْ اوحِي إِلَى ســالَ ســائِلٌ بِـمُـزَمِّـلٍ ثُـمَّ الْـقِـيـامَـةِ وَالـدَّهْـرِ
بِيَـا أَيُّهـا الْـمُـدَّثِّرُ انْهَضْ مُبَلِّغًـا فَـإِنَّـكَ مَبعوثٌ نَـذِيرٌ مِنَ النُّـذْرِ
وفِي نَبَإٍ وَالْمُرْسَــلاتِ قَوارِعٌ وَســورَةِ ذِكْرِ النَّازِعاتِ مِنَ الذِّكْرِ
وَفِي عَبَسَ الْوَعْظُ الْبَليغُ لَوَ انَّـهُ يُصادِفُ قَلْبَ الْمَرْءِ أَقْسَى مِنْ الْحَجْرِ
وَبِانْفَطَرَتْ أَدْعوكَ بِالشَّمْسِ كُوِّرَتْ وَبِالسَّماءِ انْشَقَّتْ وَأَدْعوكَ بِالْفَجْرِ
بِســورَةِ قَوْمٍ بِـالْمَكـايِيـلِ طَفَّفُوا فَكالُوا عِبادَ اللهِ بِالْبَخْسِ وَالْخُسْـرِ
سَــأَلْتُكَ رَبِّي بِـالْبُروجِ وَطـارِقٍ يُحَطُّ بها وِزْرِي وَيُشْـدَدْ بها أَزْرِي
قَصَــدْتُكَ بِالْأَعْلَى وَبِالْبَلَدِ الَّذِي بها أَقْسَمَ الرَّحْمنُ في مُحْكَمِ الذِّكْرِ
بِغاشِيَةٍ بِالشَّمْسِ بِاللَّيْلِ بِالضُّحَى بما في أَلَمْ نَشْرَحْ مِنَ الشَّرْحِ لِلصَّدْرِ
وَبِـالتِّينِ وَالزَّيْتونِ نَسْــأَلُ راغِبًـا إِلَيْكَ وَبِاقْرَأْ بِاسْـمِ رَبِّكَ وَالْقَدْرِ
بِلَمْ يَكُنِ الْقُصْوَى بِسورَةِ زُلْزِلَتْ بِـأَلْهـاكُمُ وَالْعـادِياتِ وَبِـالْعَصْـرِ

بِســورَةِ أَهْلِ الْفِيلِ وَالْهَمْزِ قَبْلَهَا بِقارِعَةٍ وَالنَّاسُ سَكْرَى مِنَ الذُّعْرِ
بِســورَةِ إيلافٍ بِســورَةِ كَوْثَرٍ وَتَبَّتْ وَبِالْماعونِ بِالْفَتْحِ وَالنَّصْرِ
بِســورَةِ ذِكْرِ الْكافِرينَ بِفَضْلِ قُلْ هُوَ اللهُ رَبِّي خالِقِ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ
وَبِالْفَلَقِ الْعُظْمَى وَبِالنَّاسِ بَعْدَهَا فَحِفْظُهُمَا أَمْنٌ مِنَ الْبَأْسِ وَالضُّرِّ
لَهُ الْحَمْدُ في الْأولَى له الْحَمْدُ في الْأُخْرَى لَهُ الْحَمْدُ إِعْلانًا له الْحَمْدُ في السِّرِّ
لـه الْمَلَكوتُ اللهُ جَلَّ جَلالُهُ يُقِرُّونَ بِالتَّوْحيدِ لِلْواحِدِ الْوِتْرِ
بِمَنْ لَمْ يَزَلْ فَوْقَ الْخَلائِقِ واحِدًا بِمَنْ أَتْقَنَ الْأَشْياءَ في حِكْمَةٍ تَجْرِي
بِمَنْ يَكْشِفُ الشَّكْوَى بِمَنْ يَصْرِفُ الْبَلْوَى بِمَنْ يَعْلَمُ النَّجْوَى وَيَعْفو عَنِ الْوِزْرِ
بِمَنْ قالَ يا موسَى أَنَا اللهُ فَاسْتَمِعْ مُطيعًا لِمَا يُوحَى وَلا تَعْصِ في أَمْري
وَخُذْ هَذِهِ الْأَلْواحَ أَخْذًا بِقُوَّةٍ وَلَا تَسْهُ يا مُوسَى بْنَ عِمْرانَ عنْ ذِكْري
بِرَحْمَتِكَ اللَّهُمَّ وَهْيَ مُحِيطَةٌ بما لَكَ يا رَبِّي مِنَ الْعَفْوِ وَالْغَفْرِ
بِأَسْمائِكَ اللَّهُمَّ وهْيَ كَريمَةٌ تُنَجِّي بها داعِيكَ في الْبَرِّ والْبَحْرِ
تَفَضَّلْ على الْمَرْضَى مِنْ امَّةِ أَحْمَدٍ بِكَشْفِكَ عَنْهُمْ ما شَكَوْهُ مِنَ الضُّرِّ
إِناثًا وَذُكْرانًا كُهولًا وَشُبَّانًا فَطيمًا رَضِيعًا في الذِّراعِ وَفِي الْحِجْرِ
وَفَرِّجْ بِه مِنْ كُلِّ دَاءٍ وَعِلَّةٍ وَمِنْ كُلِّ ما يَشْكوهُ يا كاشِفَ الضُّرِّ
مِنَ الْعِلَلِ الَّتِي خَلَقْتَ جُسُومَهُمْ كَمِثْلِ اتِّجاعِ الْعَيْنِ وَالسِّنِّ وَالظَّهْرِ
وَمِنْ حُمَّةٍ أو حُمْرَةٍ أو شَقِيقَةٍ ومِنْ وَجَعٍ فِي الرَّأْسِ والْجَنْبِ وَالصَّدْرِ
وَمِنْ شَرِّ عَيْنِ الْحاسِدينَ وَبَأْسِهِمْ وَمِنْ شَرِّ إِبْليسَ اللَّعينِ أَخِي الشَّرِّ
وَمِنْ شَرِّ ما يُؤْذِي ومِنْ شَرِّ حاسِدٍ وَمِنْ شَرِّ وَسْواسٍ يُوَسْوِسُ في الصَّدْرِ

وَمِنْ نَظْرَةِ الْمِعْيانِ في الْمالِ كُلِّهِ ... مِنَ الْكَسْبِ وَالْأَنعامِ مِنْ كُلِّ ما يَجْرِي
فَيا نَظْرَةَ الْمِعْيانِ بِاللهِ فاذْهَبِي ... بِحَقِّ الَّذِي نَتْلوهُ مِنْ طَيِّبِ الذِّكْرِ
وَلَا تَقْرَبِي مَنْ عَلَّقَ الْحِرزَ حَوْلَهُ ... بِأَسْماءِ رَبِّي في الْحَديدِ وَالْحَشْرِ
وقَدْ جاءَ أَنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ على النَّبِي ... وَكَمْ صارَ إِنْسانٌ مِنَ الْعَيْنِ في الْقَبْرِ
فَيا رَبِّ نَجِّ الْعَيْنَ عَمَّنْ شَكَا بها ... بِحَقِّ الَّذِي يُتْلَى مِنَ السُّوَرِ الْغُرِّ
وَمَنْ يَشْتَكِي في جِسْمِهِ بِتَوَجُّعٍ ... فَأَنْتَ الَّذِي تُبْلِي وَأَنْتَ الَّذِي تُبْرِي
وَأَنْتَ الَّذِي أَجَبْتَ أَيُّوبَ إِذْ دَعَا ... فَقالَ إِلَهِي مَسَّنِي أَلَمُ الضُّرِّ
فَفَرَّجْتَ عَنْهُ الضُّرَّ مِنْكَ تَفَضُّلًا ... فَأَصْبَحَ أَيُّوبُ النَّبِيُّ بِلَا ضُرِّ
فَإِنْ كانَ بِالطِّفْلِ الصَّغيرِ قَرينَةٌ ... تُخالِطُهُ في الثَّدْيِ وَالْمَهْدِ وَالْحِجْرِ
فَإِنِّي بما أَقْسَمْتُ مِنْ قَسَمِ الرِّضَا ... نَعوذُ بِرَبِّي مِنْ قَرينٍ ومِنْ غَدْرِ
وإِنْ عَسُرَتْ عَنِ الْوِلادَةِ حامِلٌ ... فَيا رَبِّ يَسِّرْ بَعْدَ عُسْرٍ إلى يُسْرِ
وَخَفِّفْ بِهَذا الْحِرْزِ عَنْ كُلِّ مُثْقَلٍ ... مِنَ الْحامِلاتِ الْوالِدَاتِ على طُهْرِ
وَإِنْ كانَ مَصْروعًا مِنَ الْجِنِّ يَشْتَكِي ... عَلَيْهِ وُقوعَ الصَّرْعِ في مُنْتَهَى الشَّهْرِ
فَأَنْقِذْهُ يا ذَا الطَّوْلِ مِنْ شَرِّ صَرْعِهِمْ ... بِحَقِّ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى خاتِمِ النُّذْرِ
وَإِنْ كانَ سُلْطانٌ يُخافُ وَعيدُهُ ... له صَوْلَةٌ في النَّهْيِ مِنْهُ وَفِي الْأَمْرِ
فَإِنِّي بِاسْمِ اللهِ حَصَّنْتُ حامِلًا ... كِتابِيَ هَذا مِنْ عَدُوٍّ ومِنْ قَهْرِ
وإِنْ كَانَ هَذَا الْحِرْزُ عِنْدَ مُسَافِرٍ ... لَهُ سَفَرٌ فِي الْبَرِّ أَوْ لُجَّةِ الْبَحْرِ
فَلَا تَخْلُ مِنْ حِرْزِ الصِّيانَةِ رِحْلَةٌ ... مِنَ السَّارِقِ الْغَاوِي وَفي لَيْلَهِ يَسْرِي
وَإِنْ كانَ هذا الْحِرْزُ في رَحْلِ تاجِرٍ ... فَبارِكْ له فِيمَا يُحاوِلُ مِنْ تَجْرِ

بِفَضْـــلٍ وَرِزْقٍ مِنْكَ لا بِمَشَــقَّةٍ فَإِنَّكَ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ لِمَنْ يَدْرِي
بِكُرْسِــيِّهِ بِالنُّورِ بِالْعَرْشِ بِالْبَهَا وَبِاللَّوْحِ وَالْأَقْلامِ تَجْرِي بِمَا تَجْرِي
بِآياتِهِ الْحُسْـنَى بِمَكْنونِ سِـرِّهِ بِطَـهَ بِيَس الْـمُـعَـظَّـمَـةِ الْـقَـدْرِ
بِمـا جـاءَ فِي الْقُرْآنِ مِنْ كُـلِّ آيَـةٍ إلى الْمُصْطَفَى الْمَبْعوثِ بِالْفَتْحِ وَالنَّصْرِ
تُنَجِّي بها داعِيكَ مِنْ كُـلِّ آفَـةٍ وَمِنْ كُلِّ ما يَعْدُو على الْعَبْدِ وَالْحُرِّ
ومِنْ أَلَمِ الْحُمَّى وَالْبَرْدِ بَعْـدَهَـا يُغَطَّى بِمَا يُغَطَّى فَيُؤْلَمُ بِالضُّــرِّ(1)
فَيَا حامِلَ الْحِرْزِ الْمُبارَكِ وَالدُّعَا نَجَوْتَ بِحَمْدِ اللهِ مِنْ جُمْلَةِ الشَّـرِّ
فَصُـــنْهُ بِمَا صَـــانَ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا وَأَيِّـدْهُ بِـالنَّصْــرِ فِي مُنْتَهَى بَـدْرِ(2)
أَجِبْنَا بما نَدْعوكَ ما قَدْ وَعَدْتَنَا بِكَشْفِكَ بَلْوَاءَيْ لَهِيفٍ وَمُضْـطَرِّ
وَصَـــلِّ على جِبْرِيـلَ فِي كُـلِّ مَرَّةٍ وصَـــلِّ على كُلِّ الْمَلائِكَةِ الطُّهْرِ
وَصَلِّ على الْمُخْتارِ ما ذَرَّ شـارِقٌ وما لاحَ نَجْمٌ فِي السَّماءِ لِمَنْ يَدْرِي

وَهاهُنَا انْتَهَتْ قَصِيدَةُ "حِرْزُ الْأَقْسامِ لِجَمِيعِ الْعِلَلِ وَالْأَسْقامِ"، وَعَدَدُ أَبْياتِها مِئَةٌ وخَمْسَةٌ وَأَرْبَعونَ بَيْتًا.

وَاعْلَمْ أَنَّ الدَّعَواتِ الْمَنْقولَةَ بَيْنَ النَّاسِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى، لَكِنْ لَمْ يُعْرَفْ لنا صِحَّةُ إِسْنادِهَا، وَصِدْقُ رِوايَتِها، وَلْنَذْكُرْ نُبَذًا مِمَّا غَلَبَ عَلَى ظَنِّي صِدْقُهُ تَتْمِيمًا لِلْفائِدَةِ وَإِتْمامًا لِلْمَرامِ، وإِنْ أَدَّى ذَلِكَ إلى التَّطْوِيلِ في الْكَلامِ، واللهُ الْمُوَفِّقُ.

---

(1) ومن شَرِّ ما يجري في البرد وَالْحَرِّ، في نسخة برلين.

(2) ملتقى بدر، في نسخة برلين.

مِنْ ذَلِكَ: دُعاءُ الْخَضِرِ عليه السَّلامُ، ذَكَرَهُ الْعَلَّامِي[1] في تَفْسِيرِهِ[2] قالَ: رُوِيَ عَنِ ابْنِ الْمُهاجِرِ قَالَ: قَدِمَ الْخَلِيفَةُ الْمَنْصورُ مَكَّةَ، فَكانَ يَخْرُجُ مِنْ دارِ النَّدْوَةِ إلى الطَّوافِ في آخِرِ اللَّيْلِ، يَطوفُ وَيُصَلِّي وَلَا يُعْلَمُ بِهِ، فإذا طَلَعَ الْفَجْرُ رَجَعَ إلى دارِ النَّدْوَةِ، وَجاءَ الْمُؤَذِّنونَ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ، وَأُقيمَتِ الصَّلاةُ فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ. فَخَرَجَ ذاتَ لَيْلَةٍ حِينَ أَسْحَرَ، فَبَيْنَما هو يَطوفُ، إِذْ سَمِعَ رَجُلًا عِنْدَ الْمُلْتَزَمِ وَهُوَ يَقولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ ظُهورَ الْبَغْيِ وَالْفَسادِ في الْأَرْضِ، وَمَا يَحولُ بَيْنَ الْحَقِّ وَأَهْلِهِ مِنَ الظُّلْمِ وَالطَّمَعِ. فَأَسْرَعَ الْمَنْصورُ في مَشْيِهِ حتَّى مَلَأَ مَسامِعَهُ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ خَرَجَ فَجَلَسَ ناحِيَةً مِنَ الْمَسْجِدِ، فَأَرْسَلَ إليه فَدَعاهُ، فَأَتاهُ الرَّسولُ فَقَالَ: أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنينَ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، وَاسْتَلَمَ الرُّكْنَ، وَأَقْبَلَ مَعَ الرَّسولِ فَسَلَّمَ عليه، فَقالَ له الْمَنْصورُ: ما هَذَا الَّذِي سَمِعْتُكَ تَقولُ مِنْ ظُهورِ الْبَغْيِ والْفَسادِ في الْأَرْضِ؟ وما يَحولُ بَيْنَ الْحَقِّ وَأَهْلِهِ مِنَ الظُّلْمِ وَالطَّمَعِ؟ فَو اللهِ لَقَدْ حَشَوْتَ مَسامِعِي مَا أَمْرَضَنِي وَأَقْلَقَنِي[3]. فَنَصَحَ لِلْمَنْصورِ وَوَعَظَ، وَذَكَّرَ بما يَطولُ شَرْحُها، حَتَّى بَكَى الْمَنْصورُ بُكاءً شَديدًا، وَنَحَبَ وَارْتَفَعَ صَوْتُهُ، ثُمَّ قالَ: يا لَيْتَنِي لَمْ أُخْلَقْ وَلَمْ أَكُ شَيْئًا! وَجَاءَ الْمُؤَذِّنونَ فَسَلَّمُوا عليه، وَأُقيمَتِ الصَّلاةُ، فَخَرَجَ

---

(1) محمود بن مسعود بن مصلح الفارسيّ، قطب الدين الشيرازي (ت.710هـ).

(2) سَمَّاهُ: "فتح المنان في تفسير القرآن"، المعروف بتفسير العلامي.

(3) الخبر من الإحياء: 2/ 351.

وَصَلَّى بِهِمْ، ثُمَّ قَالَ لِلْحَرَسِيِّ[1]: عَلَيْكَ بِالرَّجُلِ إنْ لم تَأْتِنِي به لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ، وَاغْتاظَ عَلَيْهِ غَيْظًا شَدِيدًا إنْ لم يُوجَدْ. فَخَرَجَ الْحَرَسِيُّ، فَطَلَبَ الرَّجُلَ، فَبَيْنَا هُوَ يَطوفُ، فإذا هُوَ بِالرَّجُلِ يُصَلِّي في بَعْضِ الشِّعابِ، فَقَعَدَ حَتَّى صَلَّى، ثُمَّ قالَ: يا ذا الرَّجُلُ أَمَا تَتَّقِي اللهَ؟ قالَ: بَلَى، قَالَ: أَمَا تَعْرِفُهُ؟ قالَ: بَلَى، قالَ: فَانْطَلِقْ مَعِي، فَقَدْ آلَى أنْ يَقْتُلَنِي إنْ لَمْ آتِهِ بِكَ، قالَ: لَيْسَ إلى ذَلِكَ مِنْ سَبِيلٍ، قالَ: يَقْتُلُنِي، قالَ: وَلَا يَقْتُلُكَ، قالَ: فَكَيْفَ؟ قالَ: تُحْسِنُ تَقْرَأُ، قالَ: لا، فَأَخْرَجَ مِنْ مِزْوَدٍ كانَ مَعَهُ رَقًّا وَفِيهِ مَكْتوبٌ شَيْئًا، قالَ: خُذْهُ فَاجْعَلْهُ في جَيْبِكَ، فإنَّ فيه دُعاءَ الْفَرَجِ، قالَ: وَمَا دُعاءُ الْفَرَجِ؟ قالَ: لا يُرْزَقُهُ إلَّا الشُّهَداءُ، قُلْتُ: رَحِمَكَ اللهُ قَدْ أَحْسَنْتَ إلَيَّ، فإنْ رَأَيْتَ أَنْ تُخْبِرَنِي ما في هَذَا الدُّعاءِ؟ وما فَضْلُهُ؟ قالَ: مَنْ دَعَا به صَباحًا وَمَساءً عُدِمَتْ ذُنوبُهُ، وَدامَ سُرورُهُ، وَمُحِيَتْ خَطاياهُ، وَاسْتُجِيبَ دُعاؤُهُ، وَبُسِطَ له في رِزْقِهِ، وَأُعْطِيَ أَمَلَهُ، وَأُعينَ على عَدُوِّهِ، وَكُتِبَ عِنْدَ الله صِدِّيقًا، ولا يَموتُ إلَّا شَهِيدًا[2].

يَقُولُ: اللَّهُمَّ كما لَطَفْتَ في عَظَمَتِكَ دُونَ اللُّطَفاءِ، وَعَلَوْتَ بِعَظَمَتِكَ على الْعُظماءِ، وَعَلِمْتَ ما تَحْتَ أَرْضِكَ كَعِلْمِكَ ما فَوْقَ عَرْشِكَ، وَكانَتْ وَساوِسُ الصُّدورِ كَالْعَلانِيَةِ عِنْدَكَ، وَعَلانِيَةُ الْقَوْلِ كَالسِّرِّ في عِلْمِكَ، وَانْقَادَ

(1) الْحَرَسِيُّ، بِفَتْحِ الراءِ: وَاحِدُ الحُرَّاس. اللسان: حرس.
(2) الإحياء: 1/ 352-353.

كُلُّ شَيْءٍ لِعَظَمَتِكَ، وَخَضَعَ كُلُّ ذي سُلْطانٍ لِسُلْطانِكَ، وَصارَ أَمْرُ الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ كُلُّهُ بِيَدِكَ؛ وَاجْعَلْ لي مِنْ كُلِّ هَمٍّ أَمْسَيْتُ فِيهِ فَرَجًا وَمَخْرَجًا. اللَّهُمَّ إنَّ عَفْوَكَ عن ذُنوبِي، وَتَجاوُزَكَ عن خَطِيئَتِي، وَسِتْرَكَ عن قَبِيحِ عَمَلِي أَطْمَعَنِي أنْ أَسْأَلَكَ ما لا أَسْتَوْجِبُهُ بما قَصَّرْتُ فيه، أَدْعوكَ آمِنًا، وَأَسْأَلُكَ مُسْتَأْنِسًا، وَإِنَّكَ لَلْمُحْسِنُ[1] إِلَيَّ، وإِنِّي لَلْمُسِيءُ[2] إلى نَفْسِي فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ، تَتَوَدَّدُ إِلَيَّ، وَأَتَبَغَّضُ إِلَيْكَ، وَلَكِنَّ الثِّقَةَ بِكَ حَمَلَتْنِي على الْجُرْأَةِ عَلَيْكَ، فَجُدْ بِفَضْلِكَ وَإِحْسانِكَ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

قَالَ: فَأَخَذْتُهُ فَصَيَّرْتُهُ في جَيْبِي، ثُمَّ لم يَكُنْ لي هَمٌّ غَيْرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنينَ، فَسَلَّمْتُ عليهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ وَتَبَسَّمَ، ثُمَّ قالَ: وَيْلَكَ تُحْسِنُ السِّحْرَ، قُلْتُ: لا واللهِ يا أَميرَ الْمُؤْمِنينَ، ثُمَّ قَصَصْتُ عليه أَمْرِي مَعَ الشَّيْخِ، ثُمَّ أَخَذَ الْوَرَقَ، وَأَمَرَ بِنَسْخِهِ، وَأَعْطانِي عَشَرَةَ آلافِ دِرْهَمٍ، وقالَ: نَجَوْتَ، ثُمَّ قالَ: أَتَعْرِفُهُ؟ قُلْتُ: لا، قالَ: ذَلِكَ الْخَضِرُ عليه السَّلامُ[3].

وَمِنَ الْأَدْعِيَةِ الصَّحِيحَةِ الْإِسْنادِ إلى جَعْفَرٍ الصَّادِقِ رَضِيَ اللهُ عنه دُعاءٌ مُسَمًّى بِدُعاءِ الْجَيْبِ.

---

(1) لمحسن، في قونية.

(2) لمسيء، في قونية.

(3) الإحياء: 2/ 353.

رَوَى ابْنُ فَخْرِ الدِّينِ الرُّومِيُّ في كِتابٍ جَمعَهُ في **عَمَلِ اللَّيْلِ والنَّهارِ** عن الْعَلائِيِّ، ذَكَرَهُ في كِتابِ "**الْعُدَّةُ عِنْدَ الْكَرْبِ والشِّدَّةِ**"، عَنِ ابْنِ أَبِي الدُّنْيَا في كِتابِهِ[1] "**الْفَرَجُ بَعْدَ الشِّدَّةِ**"، عَنِ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ قالَ: حَجَّ الْخَليفَةُ الْمَنْصورُ سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِئَةٍ، فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ قالَ لي: ابْعَثْ إلى جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ - يَعْنِي الصَّادِقَ رَضِيَ الله عَنْهُما- وَقالَ: قَتَلَنِي اللهُ إنْ لم أَقْتُلْهُ، فَأَمْسَكْتُ عنه رَجاءَ أَنْ يَنْساهُ، فَأَغْلَظَ في الثَّانِيَةِ، فَقُلْتُ: هو بِالْبابِ فَقالَ: ائْذَنْ له، فَخَرَجْتُ إليه، فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنَ الْبابِ، قامَ فَحَرَّكَ شَفَتَيْهِ، فَدَخَلَ فَسَلَّمَ، فَقالَ: لا سَلَّمَ اللهُ عَلَيْكَ يا عَدُوَّ اللهِ، تُلْحِدُ [في سُلْطانِي، وَتَبْغِينِي الْغَوائِلَ][2] في مُلْكِي، [قَتَلَنِي الله إنْ لم أَقْتُلْكَ][3]، فَقالَ له: يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنينَ، إنَّ سُلَيْمانَ أُعْطِيَ فَشَكَرَ، وَإِنَّ أَيُّوبَ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ، وَيوسُفَ ظُلِمَ فَغَفَرَ، فَنَكَّسَ طَويلًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ بِاللُّطْفِ وَقالَ: إلَيَّ وَعِنْدِي يا أَبا عَبْدِ اللهِ الْبَرِيءَ السَّاحَةِ، السَّليمَ النَّاحِيَةِ، الْقَليلَ الْغائِلَةِ، جَزاكَ اللهُ مِنْ رَحِمٍ خَيْرًا. فَتناوَلَ يَدَهُ فَأَجْلَسَهُ على مَفْرَشِهِ، فَدَعا بِالْغالِيَةِ[4]، فَطَيَّبَهُ بِيَدِهِ بِحَيْثُ يَقْطُرُ، ثُمَّ قالَ له: في حِفْظِ اللهِ وَكَلاءَتِهِ، يا رَبيعُ أَلْحِقْ أبا عَبْدِ اللهِ جائِزَتَهُ وَكِسْوَتَهُ. فانْصَرَفَ، فَلَحِقْتُهُ بِالْجَوائِزِ السَّنِيَّةِ، فَقُلْتُ له: إنِّي رَأَيْتُ قَبْلَكَ ما لَمْ تَرَ،

(1) كتاب، في أنطاليا.

(2) ما بين معقوفين سقط من أنطاليا.

(3) ما بين معقوفين سقط من أنطاليا.

(4) الْغَالِيَةُ: أخلاط من الطيب كالمسك والعنبر.

وَرَأَيْتُ بَعْدَكَ ما قَدْ رَأَيْتُ، وَرَأَيْتُكَ تُحَرِّكُ شَفَتَيْكَ، فَمَا الَّذِي قُلْتَ؟ قالَ: إِنَّكَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ، وَلَكَ مَحَبَّةٌ وَوُدٌّ، وهو دُعاءٌ أَحْفَظُهُ مِنْ آبائِي عَلَيْهِمُ السَّلامُ، واسْمُهُ دُعاءُ الْجَيْبِ، وَيَنْبَغِي لِمَنْ يَتَوَقَّعُ بَلِيَّةً أو خَوْفًا أَنْ لا يَخْلُو جَيْبُهُ عَنْهُ، وهو:

اللَّهُمَّ احْرُسْنِي بِعَيْنِكَ الَّتِي لا تَنامُ، وَاكْنُفْنِي بِرُكْنِكَ الَّذِي لا يُرامُ، وَارْحَمْنِي بِقُدْرَتِكَ عَلَيَّ، أَنْتَ ثِقَتِي وَرَجائِي، رَبِّ كَمْ نِعْمَةٍ أَنْعَمْتَ بها عَلَيَّ قَلَّ لَكَ عِنْدَها شُكْرِي، وَكَمْ مِنْ بَلِيَّةٍ ابْتَلَيْتَنِي بها قَلَّ لَكَ عِنْدَهَا صَبْرِي، فيا مَنْ قَلَّ عِنْدَ نِعْمَتِهِ[1] شُكْرِي فَلَمْ يَحْرِمْنِي، وَيَا مَنْ قَلَّ عِنْدَ بَلائِهِ صَبْرِي فَلَمْ يَخْذُلْنِي، ويا مَنْ رَآنِي على الْخَطايَا فَلَمْ يَفْضَحْنِي، يا ذا الْمَعْرُوفِ الَّذِي لا يَنْقَضِي أَبَدًا، ويا ذا النِّعَمِ الَّتِي لا تُحْصَى عَدَدًا، أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ على مُحَمَّدٍ وآلِهِ كَمَا صَلَّيْتَ على إِبْراهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ إِنَّهُ عَبْدٌ من عِبادِكَ أَلْقَيْتَ عليه سُلْطانًا من سُلْطانِكَ، فَخُذْ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَقَلْبَهُ إلى ما فِيهِ صَلاحُ أَمْرِي، وَبِكَ أَدْرَأُ في نَحْرِهِ، وَأَعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ. اللَّهُمَّ أَعِنِّي بِدِينِي على دُنْيايَ، وعلى آخِرَتِي بِالتَّقْوَى، وَاحْفَظْنِي فيما غِبْتُ عنه، ولا تَكِلْنِي إلى نَفْسِي فيما حَضَرْتُهُ، يا مَنْ لا يَضُرُّهُ الذُّنوبُ، ولا تُنْقِصُهُ الْمَغْفِرَةُ، اغْفِرْ لي ما لا يَضُرُّكَ، وَأَعْطِنِي ما لا يُنْقِصُكَ، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ. يا إِلَهِي، أَسْأَلُكَ فَرَجًا قَرِيبًا، وَرِزْقًا واسِعًا، وَأَسْأَلُكَ الْعافِيَةَ مِنْ كُلِّ بَلِيَّةٍ، وَأَسْأَلُكَ الشُّكْرَ على الْعافِيَةِ، وَدَوامَ

(1) نعمه، في قونية.

الْعافِيَةِ، وَأَسْأَلُكَ الْغِنَى عن النَّاسِ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ الْعَلِيِّ الْعَظيمِ، بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمينَ[1].

قالَ الرَّبيعُ: فَكَتَبْتُهُ عنه فها هُوَ في جَيْبِي، وَقالَ موسى: فَكَتَبْتُهُ عنه فها هو في جَيْبِي، وَقالَ ابْنُ يَحْيَى: فَكَتَبْتُهُ عنه فها هُوَ في جَيْبِي، وَقالَ مُحَمَّدُ بْنُ هارونَ: فَكَتَبْتُهُ عنه فها هُوَ في جَيْبِي، وَقالَ الْقَطَّانُ: فَكَتَبْتُهُ عَنْهُ فها هو فِي جَيْبِي، [وَقالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ: فَكَتَبْتُهُ عنه فها هُوَ في جَيْبِي، وَقالَ أبو الْحُسَيْنِ بْنُ صَخْرٍ: فَكَتَبْتُهُ عنه فها هُوَ في جَيْبِي][2]، وَقالَ أبو الْحَسَنِ الْعاقُولِيُّ: فَكَتَبْتُهُ عنه فها هُوَ في جَيْبِي، وَقالَ الشَّاشِيُّ: فَكَتَبْتُهُ عنه فها هُوَ في جَيْبِي، وَقالَ: مُحَمَّدُ بْنُ صَدَقَةَ: فَكَتَبْتُهُ عنه فها هُوَ في جَيْبِي، وقالَ عَبْدُ اللهِ الْعُثْمانِيُّ: فَكَتَبْتُهُ عنه فها هُوَ في جَيْبِي، وَقالَ جَعْفَرٌ الْهَمَذانِيُّ: فَكَتَبْتُهُ عنه فها هُوَ في جَيْبِي، وَقالَ أبو الْحُسَيْنِ الْعِراقِيُّ: فَكَتَبْتُهُ عنه فها هُوَ في جَيْبِي، وقالَ شَيْخُ والِدِي وَأُسْتاذُهُ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ الْفِيروزآبادِيُّ: فَكَتَبْتُهُ عنه فها هُوَ في جَيْبِي[3]. وَقالَ شَيْخِي وَأُسْتاذِي وَوالِدِي أبو الْبَرَكاتِ الشَّيْخُ فَخْرُ الدِّينِ الرُّومِيُّ: فَكَتَبْتُهُ عنه فها هُوَ في جَيْبِي.

---

(1) الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا: 69، مناقب الأسد الغالب لابن الجزري: 56-57.

(2) زيادة من مراد ملا.

(3) مناقب الأسد الغالب لابن الجزري: 56-57.

قُلْتُ: وَأَنا الْفَقيرُ الْحَقِيرُ تُرابُ قَدَمِ الْفُقَراءِ، فَكَتَبْتُهُ عنه رِضْوانُ الله عَلَيْهِمْ أَجْمَعينَ، وَقَدْ رَأَيْتُ له أَثَرًا ظاهِرًا، وَانْتَفَعْتُ به عِدَّةً، فَعَلَيْكَ أنْ تَنْخَرِطَ في هذا السِّلْكِ بِشَرْطِ الاِعْتِقادِ الصَّحيحِ الْجازِمِ. انْتَهى.

وَاعْلَمْ يا أَخِي: لَوْلا خَوْفُ الْإِطْنابِ لَمَلَأْتُ الْكِتابَ مِنْ هذا الْبابِ، لَكِنَّهُ يَكْفِيكَ هذا الْقَدْرُ الْآنَ، وَاللهُ الْمُسْتَعانُ في كُلِّ حِينٍ وَأَوانٍ.

الْمَطْلَبُ التَّاسِعُ: فِي فَضِيلَةِ الدُّعاءِ وآدابِهِ

قالَ الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾[1]؛ وَقالَ تَعَالَى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾[2]؛ وَقالَ تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[3].

وَقالَ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «إِنَّ الدُّعاءَ هو الْعِبادَةُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[4]»[5].

وَقالَ: «الدُّعاءُ مُخُّ الْعِبادَةِ»[6].

وَقالَ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ على اللهِ تَعالَى مِنَ الدُّعاءِ»[7].

وَقالَ: «إنَّ الْعَبْدَ لا يُخْطِئُهُ مِنَ الدُّعاءِ إِحْدَى ثَلاثٍ: إمَّا ذَنْبٌ يُغْفَرُ له، وإمَّا خَيْرٌ يُعَجَّلُ له، وإمَّا خَيْرٌ يُدَّخَرُ له»[8].

---

(1) سورة البقرة، الآية: 186.

(2) سورة الأعراف، الآية: 55.

(3) سورة غافر، الآية: 60.

(4) السورة نفسها، الآية: 60.

(5) مسند ابن المبارك: 41، مسند أحمد: 30/ 298، الأدب المفرد للبخاري: 249، سنن ابن ماجه: 2/ 1258، المستدرك للحاكم: 1/ 667.

(6) سنن الترمذي: 5/ 386، نوادر الأصول: 2/ 113، المعجم الأوسط للطبراني: 3/ 293.

(7) مسند الطيالسي: 4/ 311، مسند أحمد: 14/ 360، التاريخ الكبير للبخاري: 2/ 355، الأدب المفرد للبخاري: 249، سنن ابن ماجه: 2/ 1258.

(8) الإحياء: 1/ 304، الفردوس بمأثور الخطاب: 1/ 198، تخريج أحاديث الإحياء: 361، جمع الجوامع: 2/ 365.

وَقالَ: «سَلُوا اللهَ تعالى مِنْ فَضْلِهِ فإِنَّهُ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ، وَأَفْضَلُ الْعِبادَةِ انْتِظارُ الْفَرَجِ»[1].

أَمَّا آدابُ الدُّعاءِ فَهِيَ عَشَرَةٌ:

الْأَوَّلُ: أَنْ يَتَرَصَّدَ لِدُعائِهِ الْأَوْقاتَ الشَّريفَةَ؛ كَيَوْمِ عَرَفَةَ مِنَ السَّنَةِ، وَرَمَضانَ مِنَ الشُّهورِ[2]، وَيَوْمِ الْجُمُعَةِ مِنَ الْأُسْبوعِ، وَوَقْتِ السَّحَرِ مِنْ ساعاتِ اللَّيْلِ.

الثَّانِي: أَنْ يَغْتَنِمَ الْأَحْوالَ الشَّريفَةَ؛ كَزَحْفِ الصُّفوفِ في سَبيلِ اللهِ، إذْ عِنْدَهُ تُفْتَحُ أَبْوابُ السَّماءِ، وَعِنْدَ نُزولِ الْغَيْثِ، وعِنْدَ إِقامَةِ الصَّلاةِ الْمَكْتوبَةِ، وَأَعْقابَ الصَّلَواتِ الْمَفْروضَةِ، وَبَيْنَ الْأَذانِ والإِقامَةِ، وَحالَةَ الصَّوْمِ، وَحالَةَ السُّجودِ.

وَبِالْحَقيقَةِ، يَرْجِعُ شَرَفُ الْأَوْقاتِ إلى شَرَفِ الْحالاتِ؛ إذْ وَقْتُ السَّحَرِ وَقْتُ صَفاءِ الْقَلْبِ، وَيَوْمُ الْجُمُعَةِ وَيَوْمُ عَرَفَةٍ وَقْتُ اجْتِماعِ الْهِمَمِ، وَتَعاوُنِ الْقُلوبِ على اسْتِدْرارِ رَحْمَةِ اللهْ تعالى[3].

---

(1) سنن الترمذي: 5/ 532، المعجم الكبير الطبراني: 10/ 101، المعجم الأوسط الطبراني: 5/ 230، الدعاء للطبراني: 28، الكامل في ضعفاء الرجال: 3/ 27، والنقل من الإحياء: 1/ 304.

(2) الشهر، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(3) الإحياء: 1/ 304.

الثَّالِثُ: أنْ يَدْعُوَ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، وَيَرْفَعَ يَدَيْهِ بِحَيْثُ يُرَى بَياضُ إِبْطَيْهِ، وَيَمْسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ في آخِرِ الدُّعاءِ. وَيَنْبَغِي أنْ يَضُمَّ كَفَّيْهِ، وَيَجْعَلَ بُطونَهُمَا مِمَّا يَلِي وَجْهَهُ، وَيَنْبَغِي أن لا يَرْفَعَ بَصَرَهُ(1) إلى السَّماءِ. قالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «لَيَنْتَهِيَنَّ أقْوامٌ عن رَفْعِ أَبْصارِهِمْ إلى السَّماءِ عند الدُّعاءِ أو لَتُخْطَفَنَّ أَبْصارُهُمْ»(2).

الرَّابِعُ: خَفْضُ الصَّوْتِ بَيْنَ الْمُخافَتَةِ والْجَهْرِ. كَذَا وَرَدَ الْأَثَرُ عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ الله عنها قالَتْ في قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾(3) أَيْ بِدُعائِكَ.

الْخامِسُ: أنْ لا يَتكَلَّفَ السَّجْعَ في الدُّعاءِ، فإنَّ السَّجْعَ تَكَلُّفٌ، ولا يُناسِبُ ذلك في مَحَلِّ التَّضَرُّعِ. وَقيلَ: مَعْنَى قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾(4)، التَّكَلُّفُ لِلْأَسْجاعِ. وَالْأَوْلَى أنْ لا يُجاوِزَ الدَّعَواتِ الْمَأْثورَةَ، لِأَنَّهُ إذا جاوَزَهَا رُبَّمَا اعْتَدَى في دُعائِهِ، فَيَسْأَلُ الله بما لا يَقْتَضيهِ مَصْلَحَتُهُ، فما كُلُّ أَحَدٍ يُحْسِنُ الدُّعاءَ.

---

(1) رأسه، في قونية.

(2) مسند البزار: 14/ 395، الإحياء: 1/ 305، النهاية في غريب الحديث والأثر: 2/ 48.

(3) سورة الإسراء، الآية: 110.

(4) سورة الأعراف، الآية: 55.

وَيُقالُ: إنَّ الْعُلَماءَ وَالْأَبْدالَ لا يَزِيدُ أَحَدُهُمْ في الدُّعاءِ على سَبْعِ كَلِماتٍ فما دُونَهَا؛ وَيَشْهَدُ بِذَلِكَ آخِرُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ: فإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لم يُخْبِرْ في مَوْضِعٍ مِنْ أَدْعِيَةِ عِبادِهِ بِأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ.

وَقالَ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «إِيَّاكُمْ وَالسَّجْعَ فِي الدُّعاءِ، بِحَسْبِ أَحَدِكُمْ أَنْ يَقولَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إليها مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، وَأَعوذُ بِكَ مِنْ النَّارِ وما قَرَّبَ إِلَيْها مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ»[1].

وَاعْلَمْ أنَّ الْمَنْهِيَّ عنه هو التَّكَلُّفُ لِلسَّجْعِ، وَأَمَّا إذا كانَ غَيْرَ مُتَكَلَّفٍ، وَصَدَرَ عَنْ طَبْعٍ فلا نَهْيَ عَنْ ذَلِكَ. وَوَقَعَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «أَسْأَلُكَ الْأَمْنَ يَوْمَ الْوَعيدِ، وَالْجَنَّةَ يَوْمَ الْخُلودِ، مَعَ الْمُقَرَّبينَ الشُّهودِ، وَالرُّكَّعِ السُّجودِ، وَالْمُوفِينَ بِالْعُهودِ، إِنَّكَ رَحيمٌ وَدُودٌ، وَأَنْتَ تَفْعَلُ ما تُرِيدُ»[2]. وَأَمْثالُ ذَلِكَ[3].

وَبِالْجُمْلَةِ، أَصْلُ الدُّعاءِ الضَّراعَةُ وَالابْتِهالُ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَتَحَفَّظَ عَمَّا يُنافِيهِ مِنَ الْكُلْفَةِ مِنَ السَّجْعِ وَغَيْرِهِ، وإِنْ لَمْ يُخِلَّ بها فَلا بَأْسَ.

السَّادِسُ: التَّضَرُّعُ والْخُشوعُ وَالرَّغْبَةُ وَالرَّهْبَةُ كما هُوَ شَأْنُ الدُّعاءِ.

---

(1) مسند أحمد: 3/ 80، مسند أبي يعلى: 2/ 71، الدعاء للطبراني: 37، واللفظ من الإحياء: 1/ 306.

(2) سنن الترمذي: 5/ 419، مسند البزار: 11/ 396، صحيح ابن خزيمة: 2/ 165، المعجم الكبير للطبراني: 10/ 283.

(3) الإحياء: 1/ 305-306.

السَّابِعُ: أَنْ يَجْزِمَ الدُّعاءَ، وَيُوقِنَ بِالْإِجابَةِ، وَيَصْدُقَ رَجاؤُهُ فيه[1]. قالَ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «لا يَقُلْ أَحَدُكُمْ إذا دَعَا اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي إنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إنْ شِئْتَ، فإِنَّهُ لا مُكْرِهَ له»[2].

وَقالَ: «إذا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللهَ تَعالَى لا يَتَعاظَمُهُ شَيْءٌ»[3].

وَقالَ: «ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ موقِنونَ بِالْإِجابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لا يَسْتَجِيبُ دُعاءً مِنْ قَلْبٍ غافِلٍ»[4].

الثَّامِنُ: أَنْ يُلِحَّ فِي الدُّعاءِ، وَيُكَرِّرَهُ ثَلاثًا. «وَكانَ رَسولُ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ إذا دَعَا دَعَا ثَلاثًا، وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلاثًا»[5].

وَيَنْبَغِي أن لا يَسْتَبْطِئَ الْإِجابَةَ فَيَقُولَ: قَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لي، بَلْ يَقولُ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحاتُ إذا تَعَرَّفَ الْإِجابَةَ، وَمَنْ أَبْطَأَ عنه الْإِجابَةَ يَقولُ: الْحَمْدُ للهِ على كُلِّ حالٍ.

---

(1) ويُصَدِّقَ رَجاءَهُ، في قونية وأنطاليا.

(2) صحيح البخاري: 9/ 140، رقم: 7477، صحيح مسلم: 4/ 2063، رقم: 2678.

(3) صحيح مسلم: 4/ 2063، رقم: 2679.

(4) سنن الترمذي: 5/ 465، المعجم الأوسط للطبراني: 5/ 211، الدعاء: 39، الكامل في ضعفاء الرجال: 5/ 95.

(5) صحيح مسلم: 3/ 1418، رقم: 1794، والنقل من الإحياء: 1/ 307.

التَّاسِعُ: يَفْتَتِحُ الدُّعاءَ بِذِكْرِ اللهِ تَعالَى، وَلا يَبْدَأُ بِالسُّؤالِ، «وَكانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ يَسْتَفْتِحُ بِقَوْلِهِ: سُبْحانَ رَبِّيَ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى الْوَهَّابِ».

وَقالَ أبو سُلَيْمانَ الدَّارانِي: «مَنْ أَرادَ أَنْ يَسْأَلَ اللهَ حاجَةً فَلْيَبْدَأْ بِالصَّلاةِ على النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ، ثُمَّ يَخْتِمَ بِالصَّلاةِ عليه، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْبَلُ الصَّلاتَيْنِ، وَهُوَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يَدَعَ ما بَيْنَهُمَا»[1]. كَذا وَرَدَ في الْخَبَرِ أَيْضًا.

الْعاشِرُ: وَهُوَ الْأَدَبُ الْباطِنُ، وَالْأَصْلُ في الْإِجابَةِ أَنْ يَتوبَ عَنِ الذُّنُوبِ، وَيَرُدَّ الْمَظالِمَ، وَيُقْبِلَ على اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِكُنْهِ الْهِمَّةِ، فَذَلِكَ هو السَّبَبُ الْقَرِيبُ في الْإِجابَةِ[2].

---

(1) الإحياء: 1/ 307، الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة: 236، كشف الخفاء: 2/ 34.

(2) الإحياء: 1/ 307.

الْمَطْلَبُ الْعاشِرُ: في فائِدَةِ الدُّعاءِ مَعَ أَنَّهُ لا مَرَدَّ لِلْقَضاءِ

وَاعْلَمْ أنَّ مِنَ الْقَضاءِ رَدَّ الْبَلاءِ بِالدُّعاءِ، فَالدُّعاءُ سَبَبٌ لِرَدِّ الْبَلاءِ، وَاسْتِجْلابِ الرَّحْمَةِ، كما أنَّ التُّرْسَ سَبَبٌ لِرَدِّ السَّهْمِ، وَالْماءَ سَبَبٌ لِخُروجِ النَّباتِ مِنَ الْأَرْضِ؛ فَكَما أَنَّ التُّرْسَ يَدْفَعُ السَّهْمَ فَيَتَدافَعانِ، فَكَذلِكَ الدُّعاءُ وَالْبَلاءُ يَتَعالَجانِ، وَلَيْسَ مِنْ شَرْطِ الاعْتِرافِ بِقَضاءِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أنْ لا يُحْمَلَ السِّلاحُ، وَأَنْ لا تُسْقَى الْأَرْضُ بَعْدَ إِلْقاءِ الْبَذْرِ، فَيُقالُ: إِنْ سَبَقَ الْقَضاءُ بِالنَّباتِ نبتَ، بَلِ اللهُ تعالى رَبَطَ الْأَسْبابَ بِالْمُسَبَّباتِ، وَيُقالُ له: الْقَضاءُ الْأَوَّلُ الَّذِي هو كَلَمْحِ الْبَصَرِ.

وَتَرْتِيبُ تَفْصِيلِ الْمُسَبَّباتِ على تَفاصيلِ الْأَسْبابِ على التَّدْرِيجِ وَالتَّقْديرِ هو الْقَدَرُ، وَالَّذِي قَدَّرَ الْخَيْرَ قَدَّرَهُ بِسَبَبٍ، وَالَّذِي قَدَّرَ الشَّرَّ قَدَّرَهُ بِسَبَبٍ، وَقَدَّرَ لِدَفْعِهِ سَبَبًا أَيْضًا، فلا تَناقُضَ بَيْنَ هَذِهِ الْأُمورِ عِنْدَ مَنِ انْفَتَحَتْ بَصِيرَتُهُ، على أنَّ في الدُّعاءِ في نَفْسِهِ فائِدَةَ الْعِبادَةِ[1]، وَثَوابَ الذِّكْرِ، وَالْخَيْرَ الْعاجِلَ أوِ الْآجِلَ، وَلَا يَخْلو أَصْلًا عن طائِلٍ، وَاللهُ الْمُجيبُ وَأَنا السَّائِلُ، أَسْأَلُ مِنْهُ الاقْتِفاءَ بِأَعْظَمِ الْوَسائِلِ، مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَواتِ، وَأَكْمَلُ التَّحِيَّاتِ، وعلى آلِهِ وأَصْحابِهِ وَذُرِّياتِهِ وَأَحْبابِهِ.

---

(1) الإحياء: 1/ 328-329.

مفتاح السَعادة ومصباح السِيادة
في موضوعات العلوم

لأحمد بن مصطفى بن خليل، الشَّهير بطاش كبري زاده (968هـ/ 1561م)

(المجلّد 4)

حقّقه وعلّق عليه:
أحمد شوقي بنبين، ومحمّد سعيد حنشي، وعبد العالي لمدبّر

مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي
AL-FURQĀN
ISLAMIC HERITAGE FOUNDATION
مركز دراسات المخطوطات الإسلامية
سلسلة النصوص المحقّقة

الْأَصْلُ الْعاشِرُ: في تَقْسِيمِ الْأَوْرادِ وَفَضيلَتِها وَأَحْكامِها

وَاعْلَمْ أنَّ السَّالِكَ لِطَرِيقِ[1] الْآخِرَةِ إمَّا عابِدٌ، أو عالِمٌ، أو مُتَعَلِّمٌ، أو دَالٌّ، أو مُحْتَرِفٌ، أو مُوَحِّدٌ مُسْتَغْرِقٌ بِالْواحِدِ الصَّمَدِ عن غَيْرِهِ.

فَفيهِ مَطالِبُ:

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ: في تَرْتِيبِ أَوْرادِ الْعابِدِ الْمُتَجَرِّدِ لِعِبادَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ

فَلْنَذْكُرْ أَوَّلًا فَضيلَةَ الْأَوْرادِ:

قالَ الله تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[2]؛ ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾[3]؛ وَقالَ تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ (39) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ (40)﴾[4]؛ وقالَ تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[5]، إلى غَيْرِ ذلِكَ مِنَ الْآياتِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ في النَّهارِ سَبْعَةَ أَوْرادٍ؛ ما بَيْنَ طُلوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلوعِ الشَّمْسِ وِرْدٌ، وَمِنْهُ إلى الزَّوالِ وِرْدانِ، وَمِنْهُ إلى الْعَصْرِ وِرْدانِ، وَمِنْهُ إلى الْمَغْرِبِ

---

(1) بطريق، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(2) سورة الإنسان، الآية: 25.

(3) السورة نفسها، الآية: 26.

(4) سورة ق، الآية: 39-40.

(5) سورة هود، الآية: 114.

وِرْدانِ، وَفِي اللَّيْلِ أَرْبَعَةُ أَوْرادٍ؛ مِنَ الْمَغْرِبِ إلى نَوْمِ النَّاسِ وِرْدانِ، وَفِي النِّصْفِ الْأَخيرِ إلى الْفَجْرِ وِرْدانِ، ثُمَّ وِرْدٌ خامِسٌ وهو وِرْدُ النَّوْمِ(1).

وَالْأَوَّلُ: وِرْدُ الصُّبْحِ، وَفَضْلُهُ كَثيرٌ في الْآياتِ؛ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾(2)، وَقَوْلُهُ تَعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾(3)؛ فإذا انْتَبَهَ مِنَ النَّوْمِ يَدْعو بِدُعاءِ الْإِسْتِيقاظِ، وَقَدْ مَرَّ، وَيَلْبَسُ ثَوْبَهُ وهو في الدُّعاءِ، وَيَنْوِي به سِتْرَ عَوْرَتِهِ امْتِثالًا لِأَمْرِ اللهِ تعالى، وَاسْتِعانَةً على عِبادِهِ مِنْ غَيْرِ قَصْدِ رِياءٍ وَرُعونَةٍ، ثُمَّ يُباشِرُ الطَّهارَةَ على ما مَرَّ، ثُمَّ يَسْتَاكُ وَيَتَوَضَّأُ على ما مَرَّ، ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ في مَنْزِلِهِ، ثُمَّ يَدْعُو بِدُعاءِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بها قَلْبِي». إلى آخِرِ الدُّعاءِ، وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ.

ثُمَّ يَخْرُجُ وَيَدْعُو بِدُعاءِ الْخُروجِ، وَقَدْ ذَكَرْناهُ. وَيَمْشِي بِالسَّكينَةِ وَالْوَقارِ، وَيَدْخُلُ الْمَسْجِدَ وَيَذْكُرُ دُعاءَ الدُّخولِ، ثُمَّ يَطْلُبُ الصَّفَّ الْأَوَّلَ إنْ وَجَدَ فُرْجَةً، وَلَا يَتَخَطَّى الرِّقابَ، وَلا يُزاحِمُ. ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ إنْ لم يُصَلِّهِمَا في الْبَيْتِ، وَيَدْعُو بما يُدْعَى به بَعْدَهُما، وَقَدْ سَبَقَ. وإنْ كانَ صَلَّاهُمَا صَلَّى رَكْعَتَيِ التَّحِيَّةِ، وَجَلَسَ مُنْتَظِرًا لِلْجَماعَةِ فإنَّهُ بِمَنْزِلَةِ غَزْوَةٍ في سَبيلِ اللهِ. كذا وَرَدَ في الْآثارِ. وَالْأَحَبُّ التَّغْليسُ عند الشَّافِعِيَّةِ، وَعِنْدَ الْحَنَفِيَّةِ الْإِسْفارُ.

---

(1) الإحياء: 329-331.

(2) سورة ق، الآية: 39.

(3) سورة الإنسان، الآية: 25.

وَيَنْبَغِي أَنْ لا يَتْرُكَ الْجَماعَةَ؛ لِأَنَّها فَرْضُ كِفايَةٍ عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ، وَسُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ عِنْدَنا.

ثُمَّ يَشْتَغِلُ بَعْدَ رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ بِالدُّعاءِ بِالاِسْتِغْفارِ وَالتَّسْبِيحِ إلى أَنْ تُقامَ الصَّلاةُ، فيَقولُ: «أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتوبُ إِلَيْهِ»، سَبْعِينَ مَرَّةً، وَ«سُبْحانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لله ولا إِلَهَ إِلَّا اللهُ واللهُ أَكْبَرُ»، مِئَةَ مَرَّةٍ، ثُمَّ يُصَلِّي الْفَرِيضَةَ مَعَ آدابِهَا الظَّاهِرَةِ وَالْباطِنَةِ، ثُمَّ يَقْعُدُ في مُصَلَّاهُ إلى طُلوعِ الشَّمْسِ[1].

وَيَشْتَغِلُ عِنْدَ ذَلِكَ بِأَرْبَعَةِ أَنْواعٍ:

أَحَدُها: الدُّعاءُ، وَيَقولُ أَوَّلًا: «اللَّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّدٍ، اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلامُ، وَمِنْكَ السَّلامُ، وَإِلَيْكَ يَعودُ[2] السَّلامُ، حَيِّنَا رَبَّنَا بِالسَّلامِ، وَأَدْخِلْنَا دارَ السَّلامِ، تَبارَكْتَ يا ذا الْجَلالِ والْإِكْرامِ»[3].

ثُمَّ يَقُولُ: «سُبْحانَ رَبِّي الْعَلِيِّ الْأَعْلَى الْوَهَّابِ».

«لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له، له الْمُلْكُ وله الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وهو حَيٌّ لا يَموتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ وهو على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ أَهْلُ النِّعْمَةِ وَالْفَضْلِ وَالثَّناءِ الْحَسَنِ، لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ لا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاه مُخْلِصِينَ له

---

(1) الإحياء: 1/ 332-333.

(2) يرجع، في رئيس الكتاب.

(3) صحيح مسلم: 1/ 414، رقم: 591، واللفظ من الإحياء: 1/ 333.

الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكافِرونَ»[1].

ثُمَّ يَبْتَدِئُ وَيَدْعو بِالْأَدْعِيَةِ الْمَذْكورَةِ كُلًّا أو بَعْضًا بِقَدْرِ طاقَتِهِ، وما يَراهُ أَوْفَقَ لِحالِهِ، وَأَرَقَّ لِقَلْبِهِ، وَأَخفَّ على لِسانِهِ.

ثانيها: الْأَذْكارُ الْمُكَرَّرَةُ ثَلاثًا أو سَبْعًا، وَأَكْثَرُها مِئَةٌ أو سَبْعونَ، وَأَوْسَطُها عَشْرٌ، ويُكَرِّرُ بِقَدْرِ فَراغِهِ، وَسَعَةِ وَقْتِهِ، وَفَضْلُ الْأَكْثَرِ أَكْثَرُ إِلَّا أنَّ الْقَليلَ مع الْمُداوَمَةِ أَفْضَلُ وَأَشَدُّ تَأْثيرًا في الْقَلْبِ من كَثيرِها من غَيْرِ مُداوَمَةٍ.

وَتِلْكَ الْأَذْكارُ عَشَرَةٌ:

الْأُولَى: «لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ ولَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُميتُ وهُوَ حَيٌّ لا يَموتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ وهُوَ على كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ».

الثَّانيةُ: «سُبْحانَ اللهِ والْحَمْدُ للهِ ولا إِلَهَ إِلَّا اللهُ واللهُ أَكْبَرُ ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ الْعَلِيِّ الْعَظيمِ».

الثَّالثةُ: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلائِكَةِ والرُّوحِ»[2].

الرَّابعةُ: «سُبْحانَ اللهِ [الْعَظيمِ][3] وَبِحَمْدِهِ».

الخامسةُ: «أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذي لا إِلَهَ إِلَّا هو الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَسْأَلُهُ التَّوْبَةَ».

---

(1) مسند أحمد: 26/ 45، سنن أبي داود: 2/ 82، سنن النسائي: 3/ 69، واللفظ من الإحياء: 1/ 333.

(2) صحيح مسلم: 1/ 353، رقم: 487.

(3) سقط من قونية.

السَّادسةُ: «اللَّهُمَّ لا مانِعَ لِما أَعْطَيْتَ، ولا مُعْطِيَ لِما مَنَعْتَ، وَلا يَنْفَعُ ذا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ».

السَّابعةُ: «لا إِلَهَ إِلّا اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبينُ»[1].

الثَّامِنَةُ: «بِسْمِ اللهِ الَّذِي لا يَضُرُّ مع اسْمِهِ شَيْءٌ في الأَرْضِ ولا في السَّماءِ وهو السَّميعُ الْعَليمُ»[2].

التَّاسعَةُ: «اللَّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَنَبِيِّكِ وَرَسولِكَ النَّبِيِّ الْأُمِيِّ وعلى آلِ مُحَمَّدٍ»[3].

الْعاشِرَةُ: «أَعوذُ بِاللهِ السَّميعِ الْعَليمِ من الشَّيْطانِ الرَّجيمِ[4]؛ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بِكَ مِنْ هَمَزاتِ الشَّياطينِ، وَأَعوذُ بك رَبِّ أَنْ يَحْضُرونِ»[5].

فَهَذِهِ عَشْرُ كَلِماتٍ إذا كَرَّرَ كُلَّ واحِدَةٍ منها عَشْرَ مَرَّاتٍ حَصَلَ له مِئَةُ مَرَّةٍ، فَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ أَنْ يُكَرِّرَ ذِكْرًا واحِدًا مِئَةَ مَرَّةٍ، لأَنَّ لِكُلِّ واحِدَةٍ منها فَضْلًا على حِيالِهَا، وَلِلْقَلْبِ لِكُلٍّ منها نَوْعُ تَلَذُّذٍ وَاسْتِراحَةٍ وَأَمْنٍ مِنَ الْمَلالِ.

---

(1) علل الدارقطني: 3/ 106، حلية الأولياء: 8/ 280، الإحياء: 1/ 334، والنقل منه.

(2) مسند الطيالسي: 1/ 77، مصنف ابن أبي شيبة: 6/ 35، مسند أحمد: 1/ 498، الأدب المفرد للبخاري: 230.

(3) قوت القلوب: 1/ 121، تاريخ بغداد: 15/ 636، الإحياء: 1/ 334، العلل المتناهية: 1/ 468.

(4) اللعين الرجيم، في رئيس الكتاب.

(5) مصنف عبد الرزاق: 2/ 84، نوادر الأصول: 3/ 146، قوت القلوب: 1/ 111، الإحياء: 1/ 334، والنقل منه.

ثالِثُها: الْقِراءَةُ، فَالْأَفْضَلُ أنْ يَقْرَأَ سورَةَ الْحَمْدِ، وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ، وَخاتِمَةَ الْبَقَرَةِ، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾[1]، و﴿شَهِدَ اللهُ﴾[2]، ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾[3] الْآيَتَيْنِ؛ و﴿لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾[4]، إلى آخِرِها؛ و﴿لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾[5]، إلى آخِرِها؛ و﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾[6]، الْآيَة، وَخَمْسَ آياتٍ مِنْ أَوَّلِ الْحَديدِ؛ وَثَلاثَ آياتٍ مِنْ آخِرِ سورَةِ الْحَشْرِ[7].

وَإِنْ أَرادَ أَنْ يَسْتَكْمِلَ الْفَضْلَ فَلْيَقْرَإِ الْمُسَبَّعاتِ الْعَشْرَ، وهي: سورَةُ الْحَمْدِ، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ، وَ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾[8]، و﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾[9]، وَآيَةُ الْكُرْسِيِّ؛ كُلَّ واحِدَةٍ سَبْعَ مَرَّاتٍ. وَيَقولُ سَبْعًا: سُبْحانَ اللهِ وَالْحَمْدُ له ولا إِلَهَ إِلَّا اللهُ واللهُ أَكْبَرُ؛ وَيُصَلِّي على النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ سَبْعًا؛ وَيَسْتَغْفِرُ لِلْمُؤْمِنينَ وَالْمُؤْمِناتِ سَبْعًا، وَتَسْتَغْفِرُ لِنَفْسِكَ[10] وَلِوالِدَيْكَ سَبْعًا،

---

(1) سورة البقرة، الآية: 285.

(2) سورة آل عمران، الآية: 18.

(3) السورة نفسها، الآية: 26.

(4) سورة التوبة، الآية: 128.

(5) سورة الفتح، الآية: 27.

(6) سورة الإسراء، الآية: 111.

(7) الإحياء: 334-335.

(8) سورة الإخلاص، الآية: 1.

(9) سورة الكافرون، الآية: 1.

(10) وتستغفر لك، في مراد ملا.

وَتَقولُ: اللَّهُمَّ افْعَلْ بي وَبِهِمْ عاجِلًا وَآجِلًا في الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ما أَنْتَ له أَهْلٌ، ولا تَفْعَلْ بنا يا مَوْلانا ما نَحْنُ له أَهْلٌ، إنَّكَ غَفورٌ رَحيمٌ سَبْعَ مَرَّاتٍ.

رواها كُرْزُ بْنُ وَبْرَةَ عَنْ إِبْراهيمَ التَّيْمِيِّ أَنَّهُ أَهْداهَا إليه الْخَضِرُ عليه السَّلامُ، وَقالَ: أَعْطانِيها مُحَمَّدٌ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ، وَقالَ: إذا لَقِيتَهُ فَسَلْ عَنْ ثَوابِهِ. فَذَكَرَ إبْراهيمُ التَّيْمِيُّ أَنَّهُ رَأَى ذاتَ لَيْلَةٍ في مَنامِهِ كَأَنَّ الْمَلائِكَةَ جاءَتْهُ، فَاحْتَمَلَتْهُ حتَّى أَدْخَلَتْهُ الْجَنَّةَ، فَرَأَى في الْجَنَّةِ أُمورًا عَظيمَةً، فَقالَ لِلْمَلائِكَةِ: لِمَنْ هذا كُلُّهُ؟ فَقَالوا: لِلَّذِي يَعْمَلُ مِثْلَ عَمَلِكَ. وَذَكَرَ أَنَّهُ أَكَلَ مِنْ ثِمارِهَا، وَسَقَوْهُ مِنْ شَرابِهَا[1].

قالَ: وَأَتانِي النَّبِيُّ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ وَمَعَهُ سَبْعونَ نَبِيًّا، وَسَبْعونَ صَفًّا مِنَ الْمَلائِكَةِ، كُلُّ صَفٍّ مِثْلَ ما بَيْنَ الْمَشْرِقِ والْمَغْرِبِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ، وَأَخَذَ بِيَدِي، فَقُلْتُ: يا رَسولَ اللهِ، إنَّ الْخَضِرَ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ سَمِعَ هذا الْحَديثَ مِنْكَ، فَقالَ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «صَدَقَ الْخَضِرُ، وَكُلُّ ما يَحْكِيهِ فهو حَقٌّ، وهو عالِمُ أَهْلِ الْأَرْضِ، وهو رَئيسُ الْأَبْدالِ، وهو مِنْ جُنودِ اللهِ تعالى في الْأَرْضِ، فَقُلْتُ: يا رَسولَ اللهِ مَنْ فَعَلَ هذا وَعَمِلَهُ وَلَمْ يَرَ مِثْلَ الَّذِي رَأَيْتُ في مَنامِي، [هل يُعْطَى شَيْئًا مما رَأَيْتُهُ؟][2] فَقالَ: وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ إِنَّهُ لَيُعْطَى بهذا وإنْ لَمْ يَرَنِي ولمْ يَرَ الْجَنَّةَ، إنَّهُ لَيُغْفَرُ له جَميعُ الْكَبائِرِ، وَيَرْفَعُ اللهُ سُبْحانَهُ

(1) الإحياء: 335-336.

(2) ما بين معقوفين زيادة من أنطاليا.

عنه غَضَبَهُ وَمَقْتَهُ، وَيُؤْمَرُ صاحِبُ الشِّمالِ أن لا يَكْتُبَ عليه شَيْئًا من السَّيِّئاتِ إلى سَنَةٍ؛ وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ ما يَعْمَلُ بهذا إلَّا مَنْ خَلَقَهُ اللهُ سَعِيدًا، ولا يَتْرُكُهُ إلَّا مَنْ خَلَقَهُ اللهُ شَقِيًّا»(1). وَكانَ إِبْراهيمُ مَكَثَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ لم يَطْعَمْ ولم يَشْرَبْ، ولَعَلَّهُ كانَ بَعْدَ هذِهِ الرُّؤْيَا.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ إِنْ أَضافَ إلى ذَلِكَ ما انْتَهَى إليهِ وِرْدُهُ مِنَ الْقُرْآنِ كانَ أَحْسَنَ وَأَفْضَلَ.

وَرابِعُها: الْأَفْكارُ [الشَّاغِلَةُ له](2)، وَذَلِكَ إمَّا في الْمُعامَلاتِ، بِأَنْ يُحاسِبَ نَفْسَهُ بِأَنْ يَتَفَكَّرَ في تَقْصِيرِهِ، وفي دَفْعِ الصَّوارِفِ وَالْعَوائِقِ عن الْخَيْرِ وَطَرِيقِ الْإِخْلاصِ في النِّيَّاتِ، وإمَّا في الْمُكاشَفاتِ، بِأَنْ يَتَفَكَّرَ في جَلالِ اللهِ تعالى وَنِقْمَتِهِ فَيَزْدادَ خَوْفًا، أو في جَمالِهِ وَنِعْمَتِهِ فَيَزْدادَ(3) شُكْرًا.

وَالْفِكْرُ أَشْرَفُ الْعِباداتِ، لِأَنَّ فِيهِ الذِّكْرَ، وَزِيادَةَ الْمَعْرِفَةِ، إذِ الْفِكْرُ مِفْتاحُ الْمَعارِفِ، وَيَحْصُلُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ التَّعْظِيمُ، ومِنْهُ الْمَحَبَّةُ. وأَيْضًا الذِّكْرُ وَإِنْ أَوْرَثَ الْأُنْسَ الَّذِي هو نَوْعٌ مِنَ الْمَحَبَّةِ، لَكِنَّ الْمَحَبَّةَ الْحاصِلَةَ مِنَ الْفِكْرِ أَقْوَى وَأَثْبَتُ وَأَعْظَمُ، أَلَا تَرَى أَنَّ الْعِشْقَ لِمَنْ تُشاهِدُ جَمالَهُ بِالْعَيْنِ أَقْوَى مِن الْعِشْقِ لِمَنْ كُرِّرَ على السَّمْعِ وَصْفُهُ، إذْ لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْعِيانِ.

---

(1) الإحياء: 1/ 336، تخريج أحاديث الإحياء: 2/ 861.

(2) زيادة من أنطاليا.

(3) ويزداد، في قونية ورئيس الكتاب.

قالَ الشَّاعِرُ: [الوافر]

وَلَكِنْ لِلْعِيانِ لَطيفُ مَعْنًى ... به سَأَلَ الْمُعايَنَةَ الْكَليمُ[1]

وَلِهذَا صارَ يَقينُ الْعارِفينَ الَّذينَ شاهَدُوا ذَلِكَ الْجَمالَ وَالْجَلالَ بِعَيْنِ الْبَصيرَةِ الْباطِنَةِ - الَّتِي هِيَ أَقْوَى مِنَ الْبَصَرِ الظَّاهِرِ - أَجَلَّ وَأَعْظَمَ مِنْ يَقينِ الْعُبَّادِ الْمُواظِبينَ على ذِكْرِ اللهِ بِالْقَلْبِ وَاللِّسانِ، إذْ لَيْسَ مَعَهُمْ مِنْ مَحاسِنِ الصِّفاتِ إلَّا أُمورٌ جَميلَةٌ لا تَشْفِي الْعَليلَ، ولا تَسْقِي الْغَليلَ، إلَّا الْأَقَلَّ مِنَ الْقَليلِ، الَّذينَ قَنِعُوا مِنَ الْيَقينِ بِالدَّليلِ.

وَالْوِرْدُ الثَّانِي: وهو الَّذِي من طُلوعِ الشَّمْسِ إلى ضَحْوَةِ النَّهارِ، وهي مُنْتَصَفُ ما بَيْنَ الطُّلوعِ إلى الزَّوالِ، وَذَلِكَ لِمُضِيِّ ثَلاثِ ساعاتٍ مِنْ نَهارٍ يَكونُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ ساعَةً، إذ هِيَ رُبُعُ النَّهارِ، وفي هذا الرُّبُعِ وَظيفَتانِ:

- **إِحْداهُما**: صَلاةُ الضُّحَى، وهي نَوْعانِ:

أَحَدُهُما: وَقْتُ إِشْراقِ الشَّمْسِ، وَهُوَ وَقْتُ ظُهورِ نُورِهَا بِارْتِفاعِها عن مُوازاةِ الْبُخاراتِ الْأَرْضِيَّةِ الْمانِعَةِ عن إِشْراقِ نُورِهَا، وهذا رَكْعَتانِ، وقد مَرَّ ذِكْرُهُمَا، وَيُسَمَّيانِ صَلاةَ الْإِشْراقِ.

(1) ورد في الإعراب عن الحيرة والالتباس الموجودين في مذاهب أهل الرأي والقياس لابن حزم 1/ 112 منسوبا إليه، وأورده صاحب جذوة المقتبس بالنسبة نفسها: 310، وصاحب مطمح الأنفس: 282.

وَثانيهِمَا: وَقْتُ اشْتِدادِ حَرِّ الشَّمْسِ، إذا رَمِضَتِ[1] الْفِصالُ[2] - وهو الضُّحَى الْأَعْلَى - فَيُصَلِّي عند ذَلِكَ أَرْبَعًا، أو سِتًّا، أو ثَمانِيًا، وَيُسَمَّى ذَلِكَ صَلاةَ الْأَوَّابينَ.

خَرَجَ رَسولُ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ على أَصْحابِهِ وهم يُصَلُّونَ عِنْدَ الْإِشْراقِ، فَنادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: «أَلَا إِنَّ صَلاةَ الْأَوَّابينَ إذا رَمِضَتِ الْفِصالُ»[3]. وَلِذَلِكَ يُقالُ إذا اقْتَصَرَ على واحِدٍ مِنَ النَّوْعَيْنِ فَهَذا الْوَقْتُ أَفْضَلُ[4].

- **وَثانِيَتُهُما**: الْخَيْراتُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِالنَّاسِ الَّتِي جَرَتْ بها الْعادَةُ بُكْرَةً، مِنْ عِيادَةِ مَريضٍ، أو تَشْيِيعِ جَنازَةٍ، وَمُعاوَنَةٍ على بِرٍّ وَتَقْوَى، وَحُضورِ مَجْلِسِ عِلْمٍ، وَقَضاءِ حاجَةٍ لِمُسْلِمٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ. فَإِنْ لم يُوجَدْ شَيْءٌ مِنْ أَمْثالِ هذه عادَ إلى الْوَظائِفِ الْأَرْبَعِ الَّتِي قَدَّمْناهَا، مِنَ الْأَدْعِيَةِ والذِّكْرِ، وَالْقِراءَةِ وَالْفِكْرِ، وَالصَّلاةِ تَطَوُّعًا، إذْ حِينَئِذٍ تَحُلُّ الصَّلاةُ.

الْوِرْدُ الثَّالِثُ: مِنْ ضَحْوَةِ النَّهارِ إلى الزَّوالِ. فَالصَّلاةُ في كُلِّ ساعَةٍ مُسْتَحَبَّةٌ، أو مَفْروضَةٌ، مِنَ الصُّبْحِ إلى الضَّحْوَةِ ثَلاثٌ، وَمِنْهَا إلى الزَّوالِ

---

(1) رَمِضَتْ قَدَمُه مِنَ الرمْضاءِ أَي احترَقَتْ. ورَمِضَتِ الْغَنَمُ تَرْمَضُ رَمَضاً إذا رَعَتْ فِي شدّة الحرِّ فحَبِنَتْ رِئاتُها وأَكْبادُها وأَصابها فِيهَا قَرَحٌ. اللسان: رمض.

(2) الفِصالُ: جمع فصيل، والفَصِيل: وَلَدُ النَّاقَةِ إذا فُصِل عَنْ أُمه. اللسان: فصل.

(3) صحيح مسلم: 1/ 516، رقم: 748.

(4) الإحياء: 1/ 337.

ثَلاثٌ، وكَذَا مِنْهُ إلى الْعَصْرِ، ومِنَ الْعَصْرِ إلى الْمَغْرِبِ، فَالضُّحَى نَظِيرُ الْعَصْرِ، إلَّا أنَّهُ لم يُفْتَرَضْ، لأنَّهُ وَقْتُ اشْتِغالِ[1] النَّاسِ وَمَعاشِهِمْ، فَخُفِّفَ عَنْهُمْ. فَوَظِيفَةُ الْوَقْتِ الْمَذْكورِ اَلْأَقْسامُ الْأَرْبَعَةُ، وَيَزيدُ أَمْرانِ:

أَحَدُهُما: الاِشْتِغالُ بِالْكَسْبِ وَتَدْبيرِ الْمَعاشِ، فإنْ كانَ تاجِرًا يَحْضُرُ السُّوقَ - وَسَنَذْكُرُ شَرائِطَهُ - وَيَقْتَصِرُ مِنَ الْكَسْبِ على قَدْرِ حاجَتِهِ لِيَوْمِهِ.

وَثانيهما: الْقَيْلولَةُ، وهي سُنَّةٌ لِيَسْتَعينَ بها على قِيامِ اللَّيْلِ، كما أَنَّ التَّسَحُّرَ سُنَّةٌ لِيَسْتَعِينَ به على صِيامِ النَّهارِ. فإنْ كانَ لا يَقومُ بِاللَّيْلِ، لَكِنْ كانَ بِحَيْثُ لو لم يَنَمْ لَاشْتَغَلَ بِالتَّحَدُّثِ مَعَ النَّاسِ، فَالنَّوْمُ أَحَبُّ إِلَيْهِ؛ وَكَذَا لو كانَ بِحَيْثُ لا يَنْشَطُ بِدونِ النَّوْمِ لِلْأَذْكارِ وَالْوَظائِفِ الْمَذْكورَةِ، فَنَوْمُهُ على النِّيَّتَيْنِ الْمَذْكورَتَيْنِ يَصِيرُ قُرْبَةً.

وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يَتَنَبَّهَ قَبْلَ الزَّوالِ بِقَدْرِ الاِسْتِعْدادِ لِلصَّلاةِ، وَحُضورِ الْمَسْجِدِ قَبْلَ وَقْتِ الصَّلاةِ، وإنْ لَمْ يَنَمْ ولَمْ يَشْتَغِلْ بِالْكَسْبِ، وَاشْتَغَلَ بِالصَّلاةِ والذِّكْرِ، فهو أَفْضَلُ أَعْمالِ النَّهارِ، لِأَنَّهُ وَقْتُ غَفْلَةِ النَّاسِ واشْتِغالِهِمْ بِهُمومِ الدُّنْيَا، فَالْخِدْمَةُ عند إِعْراضِ الْعَبيدِ عن بابِ مَوْلاهُمْ جَدِيرٌ بأنْ يُزَكِّيَهُ الله تعالى، وَيَصْطَفِيَهِ لِقُرْبِهِ وَمَعْرِفَتِهِ، ولهذا الْمَعْنَى صارَ إحْياءُ اللَّيْلِ قُرْبَةً وَفَضْلًا[2].

---

(1) أشغال، في أنطاليا.

(2) الإحياء: 1/ 337-338.

الْوِرْدُ الرَّابِعُ: ما بَيْنَ الزَّوالِ إلى الْفَراغِ مِنْ صَلاةِ الظُّهْرِ وَراتِبَتِهِ، وهو أَقْصَرُ أَوْرادِ النَّهارِ وَأَفْضَلُها. فإذا حَضَرَ الْمَسْجِدَ قَبْلَ الزَّوالِ، فَلْيَصْبِرْ إلى فَراغِ الْمُؤَذِّنِ عن جَوابِ أَذانِهِ، ثُمَّ لِيَقُمْ إلى إِحْياءِ ما بَيْنَ الْأَذانِ والْإِقامَةِ، وهذا هُوَ الْمُرادُ بِقَوْلِهِ تعالى: ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾[1]. وَلْيُصَلِّ أَرْبَعَ رَكَعاتٍ لا يَفْصِلُ بَيْنَهُنَّ بِتَسْلِيمٍ[2] وَلْيُطَوِّلْها، إِذْ فيها تُفْتَحُ أَبْوابُ السَّماءِ، وَلْيَقْرَأْ فيها سورَةَ الْبَقَرَةِ، أو سُورَتَيْنِ مِنَ الْمِئِينَ، أو أَرْبَعًا مِن الْمَثانِي، فَهَذِهِ ساعَةٌ يُسْتَجابُ فيها الدُّعاءُ. وَأَحَبَّ رَسولُ الله صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ أنْ يُرْفَعَ له فيها عَمَلٌ. ثُمَّ يُصَلِّي الظُّهْرَ بِجَماعَةٍ، ثُمَّ يُصَلِّي بَعْدَهُ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ أَرْبَعًا يَقْرَأُ فيها آيَةَ الْكُرْسِيِّ وَآخِرَ الْبَقَرَةِ، وَالْآياتِ الَّتِي أَوْرَدْناها في الْوِرْدِ الْأَوَّلِ.

الْوِرْدُ الْخامِسُ: ما بَعْدَ ذلِكَ إلى الْعَصْرِ، فَيَعْتَكِفُ ما بَيْنَهُما في الْمَسْجِدِ مُشْتَغِلًا بِالذِّكْرِ وَالصَّلاةِ وَفُنونِ الْخَيْرِ، وَكانَ ذلِكَ سُنَّةَ السَّلَفِ، لِأَنَّهُ وَقْتُ غَفْلَةِ النَّاسِ، لكنْ إنْ كانَ الْبَيْتُ أَسْلَمَ لِدينِهِ، وَأَجْمَعَ لِهَمِّهِ، فَهُوَ أَفْضَلُ. وفي هذا الْوَقْتِ يُكْرَهُ النَّوْمُ، إِذْ يُكْرَهُ نَوْمَتانِ بِالنَّهارِ، وَهَذا الْوَقْتُ هو الْمُرادُ بِالْآصالِ في قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾[3].

---

(1) سورة الروم، الآية: 18.

(2) بتسليمة، في أنطاليا.

(3) سورة الرعد، الآية: 15.

وَاعْلَمْ أَنَّ اعْتِدالَ النَّوْمِ ثَمانِي ساعاتٍ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ اللَّذَيْنِ هما جَميعًا أَرْبَعٌ وَعِشْرونَ ساعَةً، وإِنْ نَقَصَ منه مِقْدارًا اسْتَوْفاهُ بِالنَّهارِ، ولا يَزيدُ عليه، فَحَسْبُ ابْنِ آدَمَ إِنْ عاشَ سِتِّينَ سَنَةً أن يَنْقُصَ مِنْ عُمُرِهِ عِشْرينَ سَنَةً، وهو ثُلُثُ عُمُرِهِ، وَلَكِنْ لا يَنْقُصُ مِنْهُ لِئَلَّا يَخْتَلَّ الْبَدَنُ، فَتَضِيعَ طاعَتُهُ وَكَمالُهُ، إِلَّا أَنْ يَتَعَوَّدَ السَّهَرَ بِالتَّدْريجِ، وَيَتَمَرَّنَ عليه مِنْ غَيْرِ اضْطِرابٍ. وَقَدْ شاهَدْنا ذَلِكَ في بَعْضِ الْعُبَّادِ مَعَ قُوَّةِ أَبْدانِهِمْ في الْعِباداتِ[1].

الْوِرْدُ السَّادِسُ: بَعْدَ دُخولِ وَقْتِ الْعَصْرِ، وَلَيْسَ في ذَلِكَ صَلاةٌ غَيْرُ أَرْبَعِ رَكَعاتٍ بَيْنَ الْأَذانِ والْإِقامَةِ، ثُمَّ يُصَلِّي الْعَصْرَ، ثُمَّ يَشْتَغِلُ بِالْوَظائِفِ الْأَرْبَعِ الْمَذْكورَةِ، وإِنِ اشْتَغَلَ بِالتِّلاوَةِ بِتَدَبُّرٍ كانَ أَفْضَلَ.

الْوِرْدُ السَّابِعُ: وَقْتُ اصْفِرارِ الشَّمْسِ، وَهُوَ الْمُرادُ بِقَوْلِهِ تَعالَى: ﴿فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾[2]. فَيُسْتَحَبُّ فيه الدُّعاءُ والتَّسْبِيحُ والإِسْتِغْفارُ خاصَّةً، وَسائِرُ ما ذُكِرَ في الْوِرْدِ الْأَوَّلِ؛ مِثْلَ أَنْ يَقولَ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هو الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَسْأَلُهُ التَّوْبَةَ، وَسُبْحانَ اللهِ الْعَظيمِ وَبِحَمْدِهِ، وَيَسْتَغْفِرُ وَيَقولُ: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾[3]؛ ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾[4]؛ ﴿رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾[5]، ﴿فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ

(1) الإحياء: 1/ 339-340.

(2) سورة الروم، الآية: 17.

(3) سورة نوح، الآية: 10.

(4) سورة النصر، الآية: 3.

(5) سورة المؤمنون، الآية: 118.

الرَّاحِمِينَ﴾[1]. وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقْرَأَ قَبْلَ الْغُروبِ: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾[2]، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾[3]، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ، وَلْتَغْرُبِ الشَّمْسُ وهو في الاِسْتِغْفارِ كما قالَ تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾[4].

فإذا سَمِعَ الْأَذانَ قالَ: اللَّهُمَّ هذا إِقْبالُ لَيْلِكَ، وَإِدْبارُ نَهارِكَ. الدُّعاءُ كَما سَبَقَ. ثُمَّ يُجيبُ الْمُؤَذِّنَ، ثُمَّ يَشْتَغِلُ بِصَلاةِ الْمَغْرِبِ، وَبِذَلِكَ انْقَضَتْ مَرْحَلَةٌ مِنْ عُمُرِهِ. فَحِينَئِذٍ يُحاسِبُ نَفْسَهُ هَلْ كانَ شَرًّا مِنْ أَمْسِهِ فَكانَ مِنَ الْمَلْعونِينَ، فَعِنْدَ ذلِكَ فَلْيَعْزِمْ على تَلافِي ما سَبَقَ مِنْ تَفْريطِهِ، فَإِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ، وَاللَّيْلُ خِلْفَةُ النَّهارِ، فَيُداوِي تَفْريطَهُ بِاللَّيْلِ؛ أو ساوَاهُ فَكانَ مِنَ الْمَغْبونِينَ، «لِأَنَّ مَنِ اسْتَوى يَوْماهُ فَهُوَ مَغْبونٌ».

قالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ: «لا بورِكَ لي في يَوْمٍ لا أَزْدادُ فيه خَيْرًا».

فَإِنْ رَأَى زِيادَةً في خَيْرِهِ فَلْيَحْمَدِ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَلْيَشْكُرْهُ على تَوْفِيقِهِ وَتَسْديدِهِ إِيَّاهُ لِطَرِيقِهِ، وَلْيُحْضِرْ في قَلْبِهِ أَنَّ نَهارَ الْعُمُرِ له غُروبٌ لا طُلوعَ بَعْدَها، فَيُغْلَقُ بابُ التَّدارُكِ، فَيُبادِرُ إلى الْخَيْراتِ قَبْلَ فَواتِها[5].

---

(1) سورة المؤمنون، الآية: 109.

(2) سورة الشمس، الآية: 1.

(3) سورة الليل، الآية: 1.

(4) سورة غافر، الآية: 55. النقل من الإحياء: 1/ 340.

(5) الإحياء: 1/ 340.

بَيانُ أَوْرادِ اللَّيْلِ:

وهي خَمْسَةٌ:

الْأَوَّلُ: الاِشْتِغالُ بِإِحْياءِ ما بَيْنَ الْعِشاءَيْنِ إلى غَيْبوبَةِ الشَّفَقِ، وَهِيَ الْمُرادُ في قَوْلِهِ تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾[1]. وَلْيَحْذَرْ عَنِ النَّوْمِ في ذَلِكَ الْوَقْتِ. وَيُصَلِّي بَعْدَ الْمَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ يَقْرَأُ فيهِما: قُلْ يا أَيُّها الْكافِرونَ، وَقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، مِنْ غَيْرِ تَخَلُّلِ كَلامٍ وَشُغْلٍ عَقيبَ صَلاةِ الْمَغْرِبِ. ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا يُطيلُهُنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ما تَيَسَّرَ له إلى غَيْبوبَةِ الشَّفَقِ. فإِنْ كانَ مَنْزِلُهُ قَريبًا مِنَ الْمَسْجِدِ فلا بَأْسَ أَنْ يُصَلِّيَ هاتَيْنِ الصَّلاتَيْنِ في بَيْتِهِ، إذا لَمْ يَكُنْ مِنْ قَصْدِهِ الْعُكوفُ في انْتِظارِ الْعَتَمَةِ، وإِنْ قَصَدَ ذَلِكَ فهو أَفْضَلُ إِنْ لم يَدْخُلْهُ التَّصَنُّعُ وَالرِّياءُ.

الْوِرْدُ الثَّانِي: مِنْ وَقْتِ الْعِشاءِ إلى حَدِّ نَوْمِ النَّاسِ، وَهُوَ بِمُراعاةِ أُمورٍ ثَلاثَةٍ:

الْأَوَّلُ: أَنْ يُصَلِّيَ بَيْنَ الْأَذانِ وَالْإِقامَةِ أَرْبَعَ رَكَعاتٍ، وَيُصَلِّيَ بَعْدَ الْفَرْضِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ أَرْبَعًا، وَيَقْرَأَ فيها آخِرَ الْبَقَرَةِ، وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ، وَأَوَّلَ الْحَديدِ، وَغَيْرَها.

الثَّانِي: أَنْ يُصَلِّيَ ثَلاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً آخِرُهُنَّ الْوِتْرُ، وَالْحَزْمُ تَقْديمُهُ على النَّوْمِ، إِذْ رُبَّما لا يَسْتَيْقِظُ، أو يَثْقُلُ عليه الْقِيامُ. إِلَّا أَنْ يَعْتادَ ذَلِكَ فَالتَّأْخيرُ

---

(1) سورة المزمل، الآية: 6.

أَفْضَلُ. وَلْيَقْرَأْ - في هذه الصَّلاةِ قَدْرَ ثَلاثِمِئَةِ آيَةٍ مِنَ السُّوَرِ الَّتِي كانَ رَسولُ الله صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ يُكْثِرُ قِراءَتَها؛ مِثْلَ: سورَةِ يس، وسَجْدَةِ لُقْمانَ، وَسورَةِ الدُّخانِ، وَتَبارَكَ "الْمُلْكُ"، وَالزُّمَرِ والْواقِعَةِ. فإِنْ لم يُصَلِّ فلا يَدَعْ قِراءَةَ هذِهِ السُّوَرِ أو بَعْضِها قَبْلَ النَّوْمِ[1].

رُوِيَ «أَنَّ ما يَقْرَؤُهُ النَّبِيُّ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ في كُلِّ لَيْلَةٍ: السَّجْدَةُ وَتَبارَكَ "الْمُلْكُ"»[2]. وفي رِوايَةٍ: الزُّمَرُ وَبَنُو إِسْرائِيلَ[3]؛ وفي رِوايَةٍ: «كانَ يَقْرَأُ الْمُسَبِّحاتِ كُلَّ لَيْلَةٍ وَيَقولُ: فيها آيَةٌ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ آيَةٍ»[4]. وَبَعْضُ الْعُلَماءِ يَزيدونَ: سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى، لِأَنَّهُ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ كانَ يُحِبُّ هذِهِ السُّورَةَ. «وَكانَ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ يَقْرَأُ في الْوِتْرِ: سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى، وَقُلْ يا أَيُّها الْكافِرونَ، وَسورَةَ الْإِخْلاصِ. فإذا فَرَغَ قالَ: سُبْحانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ»[5].

الثَّالِثُ: الْوِتْرُ قَبْلَ النَّوْمِ، وَالتَّأْخِيرُ أَفْضَلُ لِمَنْ وَثِقَ بِالِانْتِباهِ. وَيَقولُ بعد السَّلامِ مِنَ الْوِتْرِ: «سُبْحانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ رَبِّ الْمَلائِكَةِ وَالرُّوحِ، جَلَّلْتَ

---

(1) الإحياء: 1/ 341-342.

(2) المصدر نفسه: 1/ 342، تخريج أحاديث الإحياء: 150.

(3) سنن الترمذي: 5/ 410، الإحياء: 1/ 342، تخريج أحاديث الإحياء: 150-342.

(4) مسند أحمد: 28/ 392، سنن أبي داود: 4/ 313، سنن الترمذي: 5/ 42-410، فيها جميعا: "فيهن آية...".

(5) مسند أبي داود الطيالسي: 1/ 441، مصنف ابن أبي شيبة: 20/ 322، مسند أحمد: 24/ 76، سنن النسائي: 3/ 244.

السَّماواتِ وَالْأَرَضينَ بِالْعَظَمَةِ والْجَبَروتِ، وَتَعَزَّزْتَ بِالْقُدْرَةِ، وَقَهَرْتَ الْعِبادَ بِالْمَوْتِ».

الْوِرْدُ الثَّالِثُ: النَّوْمُ، وَإِنَّهُ مِنَ الْعِبادَةِ إِنْ رُوعِيَتْ آدابُهُ. وَوَرَدَ في الْحَديثِ: «إذا نامَ الْعَبْدُ على طَهارَةٍ، وَذَكَرَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، يُكْتَبُ مُصَلِّيًا حتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَيَدْخُلُ في شِعارِهِ مَلَكٌ، فإنْ تَحَرَّكَ في نَوْمِهِ فَذَكَرَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ دَعا له الْمَلَكُ وَاسْتَغْفَرَ له»(1).

وَفِي الْخَبَرِ: «إذا نامَ الْعَبْدُ على طَهارَةٍ رُفِعَتْ رُوحُهُ إلى الْعَرْشِ»(2). هذا في الْعَوامِّ، فَكَيْفَ في الْعُلَماءِ وَأَرْبابِ الْقُلوبِ الْمُكاشَفِينَ بِالْأَسْرارِ في النَّوْمِ؛ وَلِذَلِكَ قالَ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ: «نَوْمُ الْعالِمِ عِبادَةٌ، وَنَفَسُهُ تَسْبِيحٌ»(3).

وَآدابُهُ عَشَرَةٌ:

الْأَوَّلُ: الطَّهارَةُ والسِّواكُ، إذْ بِذَلِكَ عَرَجَ بِروحِهِ إلى السَّماءِ فَتَصْدُقُ رُؤياهُ، وإلَّا فَتَصِيرُ أَضْغاثَ أَحْلامٍ، كذا وَرَدَ في الْخَبَرِ. إلَّا أَنَّ الْمُرادَ طَهارَةُ الظَّاهِرِ وَالْباطِنِ جَمِيعًا، لِأَنَّهَا هي الْمُؤَثِّرَةُ في انْكِشافِ حُجُبِ الْغُيوبِ.

---

(1) مسند ابن المبارك: 37، الضعفاء الكبير: 3/ 362، صحيح ابن حبان: 1/ 227، المعجم الكبير للطبراني: 12/ 446، والنقل من الإحياء: 1/ 343.

(2) قوت القلوب: 1/ 67، الإحياء: 1/ 343، تخريج أحاديث الإحياء: 2/ 868.

(3) في الحلية: 5/ 83 "نوم الصائم ..."، واللفظ من: قوت القلوب: 1/ 67، الإحياء: 1/ 343، تخريج أحاديث الإحياء: 408.

الثَّانِي: أَنْ يُعِدَّ عِنْدَ رَأْسِهِ سِواكَهُ وطُهورَهُ، وَيَنْوِيَ الْقِيامَ لِلْعِبادَةِ، وَكُلَّما انْتَبَهَ اسْتاكَ، كَذَا رُوِيَ عن رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ. وإنْ لم يَتَيَسَّرْ له الطَّهارَةُ يَتيَمَّمُ، فإِنْ لم يَجِدْ فَلْيَقْعُدْ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، وَيَشْتَغِلْ بِالذِّكْرِ والدُّعاءِ وَالْفِكْرِ، فَذَلِكَ يَقومُ مَقامَ قِيامِ اللَّيْلِ.

الثَّالِثُ: أَنْ لا يَبِيتَ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتوبَةٌ عِنْدَهُ، فَإِنَّهُ لا يَأْمَنُ الْقَبْضَ في النَّوْمِ. يُقالُ: «مَنْ ماتَ مِنْ غَيْرِ وَصِيَّةٍ لم يُؤْذَنْ له في الْكَلامِ في الْبَرْزَخِ إلى يَوْمِ الْقِيامَةِ»[1]. يَتزاوَرونَ الْأَمْواتُ وَيَتَحَدَّثونَ وهو لا يَتكَلَّمُ، فَيقولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: هذا الْمِسْكِينُ ماتَ مِنْ غَيْرِ وَصِيَّةٍ. وَذَلِكَ مُسْتَحَبٌّ خَوْفًا مِنْ مَوْتِ الْفُجاءَةِ. وَمَوْتُ الْفُجاءَةِ تَخْفِيفٌ إِلَّا لِمَنْ لَيْسَ مُسْتَعِدًّا لِلْمَوْتِ بِكَوْنِهِ مُثْقَلَ الظَّهْرِ بِالْمَظالِمِ[2].

الرَّابِعُ: أَنْ يَنامَ تائِبًا مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، سَليمَ الْقَلْبِ لِجَميعِ الْمُسْلِمينَ، لا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِظُلْمِ أَحَدٍ، ولا يَعْزِمُ على مَعْصِيَةٍ إِنِ اسْتَيْقَظَ.

الْخامِسُ: أنْ لا يَتَنَعَّمَ بِالْفُرُشِ النَّاعِمَةِ، بل يَتْرُكُ ذَلِكَ أو يَقْتَصِدُ فيه. وَكانَ بَعْضُهُمْ يَكْرَهونَ الْفِراشَ الْمُهَيَّأَ لِلنَّوْمِ. وَكانَ أَهْلُ الصُّفَّةِ لا يَتْرُكونَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ التُّرابِ حاجِزًا، وَيَقُولونَ: منها خُلِقْنَا، وَإِلَيْهَا نُرَدُّ، وَكانُوا يَرَوْنَ

---

(1) قوت القلوب: 1/ 65، الإحياء: 1/ 344، الفردوس بمأثور الخطاب: 3/ 505، الترغيب والترهيب: 4/ 333.

(2) الإحياء: 1/ 343-344.

ذَلِكَ أَرَقَّ لِقُلوبِهِمْ، وَأَجْدَرَ لِتَواضُعِ نُفوسِهِمْ، إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ في الْبِلادِ الْبارِدَةِ يُضِرُّ بِالْمِزاجِ. فَالاِقْتِصادُ فيها أَنْ لا يُعَيِّنَ لِلنَّوْمِ فِراشًا، بَلْ يَنامُ على ما يَقْعُدُ عليه في النَّهارِ أيَّ شَيْءٍ كانَ.

السَّادِسُ: أَنْ لا يَنامَ ما لم يَغْلِبْهُ النَّوْمُ، ولا يَتَكَلَّفَ اسْتِجْلابَهُ. وقَدْ كانَ السَّلَفُ نَوْمُهُمْ غَلَبَةً، وَأَكْلُهُمْ فاقَةً، وَكَلامُهُمْ ضَرورَةً، إِلَّا أَنْ يَقْصِدَ به الاِسْتِعانَةَ على قِيامِ اللَّيْلِ. وَإِنْ غَلَبَهُ النَّوْمُ عن الصَّلاةِ وَالذِّكْرِ، وَصارَ لا يَدْرِي ما يَقولُ، فَلْيَنَمْ حَتَّى يَعْقِلَ ما يَقولَ. قالَ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ: «لا تُشادُّوا هذا الدِّينِ فَإِنَّهُ مَتينٌ، فَمَنْ يُشادَّهُ يَغْلِبْهُ، فلا تُبَغِّضْ إليكَ عِبادَةَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»[1].

السَّابِعُ: أنْ يَنامَ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، إِمَّا كَهَيْئَةِ الْمُحْتَضَرِ بِأَنْ يَسْتَلْقِي عَلَى قَفاهُ وَرِجْلاهُ إلى الْقِبْلَةِ، أو كَهَيْئَةِ الْمَقْبورِ بأنْ يَنامَ على جَنْبٍ وَوَجْهُهُ إليها، مَعَ قُبالَةِ بَدَنِهِ إذا نامَ على الْأَيْمَنِ[2].

الثَّامِنُ: الدُّعاءُ عِنْدَ النَّوْمِ، وَقَدْ مَرَّ ذلِكَ. وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقْرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ وَآخِرَ الْبَقَرَةِ، وَغَيْرَها: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾[3]، إلى قَوْلِهِ: ﴿لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[4]؛ يُقالُ: إنَّ مَنْ قَرَأَها عِنْدَ

---

(1) لفظ البخاري: 1/ 17، رقم: 39: "إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ"، واللفظ من الإحياء: 1/ 344.

(2) الإحياء: 1/ 344.

(3) سورة البقرة، الآية: 163.

(4) السورة نفسها، الآية: 164.

النَّوْمِ حُفِظَ عليه الْقُرْآنُ فلم يَنْسَهُ[1]. وَيَقْرَأَ مِنْ سورَةِ الْأَعْرافِ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[2]، وَآخِرَ بني إِسْرائيلَ: ﴿قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾[3]، الْآيَتَيْنِ. فإِنَّهُ يَدْخُلُ في شِعارِهِ مَلَكٌ، يُوَكَّلُ بِحِفْظِهِ، وَيَسْتَغْفِرُ له[4]. وَيَقْرَأَ الْمُعَوِّذَتَيْنِ، وَيَنْفُثَ بهما في يَدَيْهِ، وَيَمْسَحَ بِهِما وَجْهَهُ وَسائِرَ جَسَدِهِ، وذلِكَ مَرْوِيٌّ مِنْ فِعْلِ رَسولِ الله صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ[5]. وَلْيَقْرَأْ عَشْرًا مِنْ أَوَّلِ الْكَهْفِ، وَعَشْرًا مِنْ آخِرِها، وهذه الْآيُ لِلِاسْتِيقاظِ لِقِيامِ اللَّيْلِ.

وَكانَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ يَقولُ: ما أَرَى أَنَّ رَجُلًا مُسْتَكْمِلًا عَقْلَهُ يَنامُ قَبْلَ أَنْ يَقْرَأَ الْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سورَةِ الْبَقَرَةِ. وَلْيَقُلْ خَمْسًا وَعِشْرينَ مَرَّةً: سُبْحانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لله ولا إِلَهَ إِلَّا اللهُ واللهُ أَكْبَرُ، لِيَكونَ مَجْموعُ هذه الْكَلِماتِ الْأَرْبَعِ مِئَةَ مَرَّةٍ[6].

التَّاسِعُ: أَنْ يَتَذَكَّرَ عند النَّوْمِ أَنَّ النَّوْمَ أخو الْمَوْتِ، وَالتَّيَقُّظَ نَوْعُ بَعْثٍ، وَمِثْلَ النَّوْمِ بين الْحَياةِ وَالْمَوْتِ مِثْلَ الْبَرْزَخِ بينَ الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ، فلا بُدَّ لِلنَّائِمِ أَنْ يُفَتِّشَ عن قَلْبِهِ عِنْدَ النَّوْمِ أَنَّهُ على ماذا يَنامُ؟ وما الْغالِبُ عليه؟ حُبُّ اللهِ

---

(1) قوت القلوب: 1/ 64، الإحياء: 1/ 344.

(2) سورة الأعراف، الآية: 54.

(3) سورة الإسراء، الآية: 110.

(4) قوت القلوب: 1/ 64، الإحياء: 1/ 344.

(5) قوت القلوب: 1/ 64، الاستذكار: 8/ 411، الإحياء: 1/ 345.

(6) الإحياء: 1/ 345.

تعالى وَحُبُّ لِقائِهِ، أو حُبُّ الدُّنْيا، وَلْيَتَحَقَّقْ أَنَّهُ يُتَوَفَّى على ما هُوَ الْغالِبُ عليه، وَيُحْشَرُ على ما يُتَوَفَّى عَلَيْهِ، فَإِنَّ الْمَرْءَ مَعَ مَنْ أَحَبَّ، ومَعَ ما أَحَبَّ(1).

الْعاشِرُ: الدُّعاءُ عند التَّنَبُّهِ بما سَبَقَ، وَيَقولُ مَهْمَا تَنَبَّهَ في النَّوْمِ: «لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ، رَبُّ السَّماواتِ وَالأَرْضِ وما بَيْنَهُما الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ»(2). وَلْيَجْتَهِدْ أَنْ يَكونَ آخِرَ ما يَجْرِي على قَلْبِهِ عند النَّوْمِ وأَوَّلَ ما يَجْرِي على قَلْبِهِ عند التَّيَقُّظِ ذِكْرُ الله تعالى، فإِنَّ عَلامَةَ الْحُبّ ذَلِكَ، وَلْيُجَرِّبْ قَلْبَهُ بِذَلِكَ، فإِنَّهَا عَلامَةٌ تَكْشِفُ عن باطِنِ الْقَلْبِ.

الْوِرْدُ الرَّابِعُ: يَقومُ في السُّدُسِ الْأَخيرِ مِنَ اللَّيْلِ إلى التَّهَجُّدِ، وهو اسْمٌ لِمَا بَعْدَ الْهُجودِ وَالْهُجوعِ وَهُوَ النَّوْمُ، إِذْ حينَئِذٍ يَهْتَزُّ الْعَرْشُ، وَتَنْتَشِرُ رِياحُ الْجَنَّةِ الْعَدْنِ، وَيَنزِلُ الْجَبَّارُ سُبْحانَهُ إلى سَماءِ الدُّنْيا كما وَرَدَ في الْخَبَرِ. فَبَعْدَما فَرَغَ مِنْ دُعاءِ الِانْتِباهِ يَتَوَضَّأُ، ثُمَّ يَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ وَيَقُولُ: «اللهُ أَكْبَرُ كَبيرا، وَالْحَمْدُ للهِ كَثيرا، وَسُبْحانَ اللهِ بُكْرَةً وَأَصيلا»(3). ثُمَّ يُسَبِّحُ عَشْرًا، وَيَحْمَدُ عَشْرًا، وَيُهَلِّلُ عَشْرًا، وَيَقولُ: اللهُ أَكْبَرُ ذو الْمُلْكِ وَالْمَلَكوتِ وَالْجَبَروتِ وَالْكِبْرِياءِ وَالْعَظَمَةِ وَالْجَلالِ وَالْقُدْرَةِ(4).

---

(1) الجامع لعلوم الإمام أحمد: 14/ 33، عمل اليوم والليلة للنسائي: 494، السنن الكبرى للنسائي: 7/ 135، صحيح ابن حبان: 7/ 427، المستدرك للحاكم: 1/ 724.

(2) الإحياء: 1/ 345.

(3) صحيح مسلم: 1/ 420، رقم: 601.

(4) الإحياء: 1/ 345-346.

ثُمَّ يَقُولُ هذه الْكَلِماتِ، فَإِنَّهَا مَأْثورَةٌ عن النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ في قِيامِهِ لِلتَّهَجُّدِ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ، [وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّماواتِ والْأَرْضِ][1]، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ بَهاءُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قِيامُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ومَنْ عَلَيهِنَّ، أَنْتَ الْحَقُّ، ومِنْكَ الْحَقُّ، وَلِقاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيئونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ حَقٌّ؛ اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَبِكَ خاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لي ما قَدَّمْتُ وما أَخَّرْتُ، وما أَسْرَرْتُ وما أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْواهَا، وَزَكِّها أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّها وَمَوْلاهَا»[2].

«اللَّهُمَّ اهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَعْمالِ لا يَهْدِي لِأَحْسَنِها إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَها لا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ. أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ الْبائِسِ الْمِسْكينِ، وَأَدْعوكَ دُعاءَ الْمُفْتَقِرِ الذَّليلِ، فلا تَجْعَلْنِي بِدُعائِكَ رَبِّ شَقِيًّا، وَكُنْ بي رَؤوفًا رَحيمًا، يا خَيْرَ الْمَسْؤولِينَ، وَأَكْرَمَ الْمُعْطِينَ»[3].

وَقالَتْ عائِشَةُ رَضِيَ الله عنها: «كانَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ إذا قامَ مِنَ اللَّيْلِ، افْتَتَحَ صَلاتَهُ وَقالَ: اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَئِيلَ وَمِيكائِيلَ وَإِسْرافِيلَ، فاطِرَ

---

(1) زيادة من أنطاليا.

(2) صحيح البخاري: 8/ 70-9/ 117، رقم: 7317-7442، والنقل من الإحياء: 1/ 346.

(3) قوت القلوب: 1/ 68، الإحياء: 1/ 346، تخريج أحاديث الإحياء: 412.

السَّماواتِ وَالْأَرْضِ، عالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبادِكَ فيما كانوا فيه يَخْتَلِفونَ، اهْدِني لِمَا اختلفتُ فيه مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِك، إنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشاءُ إلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ»[1].

ثُمَّ يَفْتَتِحُ الصَّلاةَ، وَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ. ثُمَّ يُصَلِّي مَثْنَى مَثْنَى ما يُسِّرَ له، وَيَخْتِمُ بِالْوِتْرِ إنْ لم يَكُنْ صَلَّاهُ.

وَيُسْتَحَبُّ أن يَفْصِلَ بَيْنَ الصَّلاتَيْنِ عِنْدَ تَسْلِيمِهِ بِمِئَةِ تَسْبِيحَةٍ، لِيَسْتَرِيحَ، وَيَزِيدَ في نَشاطِهِ لِلصَّلاةِ، وَقَدْ صَحَّ في صَلاةِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ بِاللَّيْلِ، أنَّهُ صَلَّى أَوَّلًا رَكْعَتَيْنِ خَفيفَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ طَويلَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ دُونَ الَّتِي قَبْلَهُما، وَهَكذا إلى ثَلاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً بِالتَّدْريجِ[2].

وَسُئِلَتْ عائِشَةُ رَضِيَ الله عنها: «أَكانَ رَسولُ الله صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ يَجْهَرُ في قِيامِ اللَّيْلِ أم يُسِرُّ؟ فَقالَتْ: رُبَّمَا أَسَرَّ، وَرُبَّمَا جَهَرَ»[3].

وَقالَ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ: «صَلاةُ الْمَغْرِبِ أَوْتَرَتْ صَلاةَ النَّهارِ، فَأَوْتِروا صَلاةَ اللَّيْلِ»[4].

---

(1) صحيح مسلم: 1/ 534، رقم: 770.

(2) صحيح البخاري: 8/ 68، رقم: 6310.

(3) مسند أحمد: 40/ 509، سنن أبي داود: 2/ 66، سنن الترمذي: 5/ 44، الجمع بين الصحيحين للحميدي: 4/ 176.

(4) الإحياء: 1/ 347، تخريج أحاديث الإحياء: 413.

الْوِرْدُ الْخامِسُ: السُّدُسُ الْأَخيرُ مِنَ اللَّيْلِ - وهو وَقْتُ السَّحَرِ- فَيُصَلِّي رَكْعَتَي الْفَجْرِ، ثُمَّ يَقولُ: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾[1]. الْآيَةُ. ثُمَّ يَقولُ: وَأَنَا أَشْهَدُ بما شَهِدَ اللهُ به لِنَفْسِهِ، وَشَهِدَتْ مَلائِكَتُهُ، وَأُولُو الْعِلْمِ مِنْ خَلْقِهِ. وَأَسْتَوْدِعُ اللهَ هذه الشَّهادَةَ، وَهِيَ لي وَديعَةٌ عِنْدَهُ، وَأَسْأَلُهُ حِفْظَهَا حَتَّى يَتَوَفَّانِي عليها، اللَّهُمَّ احْطُطْ عَنِّي بها وِزْرًا، وَاجْعَلْ لي بها عِنْدَكَ ذُخْرًا، وَاحْفَظْها عَلَيَّ، وَتَوَفَّنِي عَلَيْها، حَتَّى أَلْقاكَ بها غَيْرَ مُبَدِّلٍ تَبْدِيلًا. فَهَذا تَرْتِيبُ الْأَوْرادِ لِلْعُبَّادِ[2].

وَمَعَ ذَلِكَ فقد كانوا يَسْتَحِبُّونَ أن يَجْمَعوا مع ذلِكَ في كُلِّ يَوْمٍ بَيْنَ أَرْبَعَةِ أُمورٍ: صَوْمٍ، وَصَدَقَةٍ وإِنْ قَلَّتْ؛ حَتَّى الْعَنْبَةُ، وَالْبَصَلَةُ، وَكِسْرَةُ خُبْزٍ. وَعِيادَةِ مَريضٍ، وَشَهادَةِ جَنازَةٍ، إِذْ قَدْ وَرَدَ في فَضْلِ كُلٍّ منها الْأَحادِيثُ وَالْأَخْبارُ وَالْآثارُ[3].

وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَوْلَى مِنْ بَيْنِ الْأَوْرادِ قِراءَةُ الْقُرْآنِ في الصَّلاةِ قائِمًا مَعَ التَّدَبُّرِ، لِأَنَّهُ يَجْمَعُ جَمِيعَ أَنْواعِ الْأَذْكارِ، لَكِنْ رُبَّمَا تَعْسُرُ الْمُواظَبَةُ عَلَيْها، فَيَجوزُ لِلْعابِدِ الِانْتِقالُ مِنْ نَوْعٍ إِلى نَوْعٍ لا يَلْحَقُهُ فيه الْمَلَلُ، إِذِ الْغَرَضُ تَحْصيلُ صَفاءِ الْباطِنِ.

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 18.

(2) قوت القلوب: 1/ 43، الإحياء: 1/ 346.

(3) الإحياء: 1/ 347.

وَالتَّحْقِيقُ، أنَّ أَحْوالَ الْأَشْخاصِ مُتَفاوِتَةٌ، فَمِنْ واحِدٍ يَرَى الصَّفاءَ في نَوْعٍ، وَمِنْ آخَرَ في غَيْرِهِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يُلازِمَ ما وُجِدَ عِنْدَهُ في قَلْبِهِ فَتْحًا وَصَفاءً. وَتَوْزِيعُ الْأَوْرادِ إنَّما هو لِأَجْلِ دَفْعِ الْمَلَلِ، وَتَجْرِبَةٌ لِمَا له فيهِ الصَّفاءُ، فإذا أَصابَهُ فَلْيُواظِبْ عليه، وَذَلِكَ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلافِ الطَّبائِعِ، وَبِتَفاوُتِ الْأَحْوالِ. وَكانَ في الصَّحابَةِ مَنْ وِرْدُهُ في الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ تَسْبيحَةٍ، وَفِيهِمْ مَنْ وِرْدُهُ ثَلاثونَ أَلْفًا، وَفِيهِمْ مَنْ يُصَلِّي ثَلاثَمِئَةِ رَكْعَةٍ إلى سِتِّمِئَةِ رَكْعَةٍ، وإِلَى أَلْفِ رَكْعَةٍ، ولم يَكُنْ أَقَلَّ مِنْ مِئَةِ رَكْعَةٍ، وَكانَ فِيهِمْ مَنْ يَخْتِمُ في الْيَوْمِ مَرَّةً وَمَرَّتَيْنِ، وَمِنْهُمْ مَنْ وِرْدُهُ آيَةٌ واحِدَةٌ يُرَدِّدُها بِالتَّفَكُّرِ. إلى غَيْرِ ذلِكَ[1].

---

(1) الإحياء: 1/ 348.

الْمَطْلَبُ الثَّانِي: الْعَالِمُ الَّذِي يُنْتَفَعُ بِعِلْمِهِ مِنْ فَتْوَى أَوْ تَدْرِيسٍ أَوْ تَصْنِيفٍ

فَتَرْتِيبُ أَوْرادِهِ يُخالِفُ تَرْتيبَ أَوْرادِ الْعابِدِ، لِأَنَّ الْعِلْمَ أَفْضَلُ ما يُشْتَغَلُ به بَعْدَ الْمَكْتوباتِ، وفِيهِ مَنْفَعَةُ الْخَلْقِ وهِدايَتُهُمْ إِلَى طَرِيقِ الْآخِرَةِ، وَرُبَّ مَسْأَلَةٍ واحِدَةٍ يُصْلِحُ بها الْمُتَعَلِّمُ عِبادَةَ عُمُرِهِ.

وَإِنَّمَا الْمُرادُ بِالْعِلْمِ الْعِلْمُ الْمُذَكِّرُ لِلْآخِرَةِ، لا الْعِلْمُ الَّذِي يُتَوَسَّلُ به إلى الْمالِ وَالْجاهِ وَقَبولِ الْخَلْقِ.

فَيَنْبَغِي لِلْعالِمِ أَنْ يُوَزِّعَ أَوْقاتَهُ، وأَلَّا يَلْحَقَهُ الْكَلالُ؛ فَيُخَصِّصُ ما بَيْنَ الْفَجْرِ إلى طُلوعِ الشَّمْسِ [بِالْأَذْكارِ وَالْأَوْرادِ][1]، وَمِنْهُ إلى الضَّحْوَةِ في الْإِفادَةِ والتَّعْليمِ، إنْ كانَ عِنْدَهُ مَنْ يَسْتَفِيدُ عِلْمًا لِأَجْلِ الْآخِرَةِ، وإنْ لم يَكُنْ فَيَصْرِفُهُ إلى الْفِكْرِ وحَلِّ مُشْكِلاتِ الْعُلومِ الدِّينِيَّةِ، فإنَّ صَفاءَ الْقَلْبِ بَعْدَ الْفَراغِ مِنَ الذِّكْرِ وَقَبْلَ الاشْتِغالِ بِهُمومِ الدُّنْيا أَكْثَرُ وَأَوْفَرُ؛ وَمِنْ ضَحْوَةِ النَّهارِ إلى الْعَصْرِ لِلتَّصْنيفِ وَالْمُطالَعَةِ، لا يَتْرُكُهُما إلَّا في وَقْتِ أَكْلٍ، أو طَهارَةٍ، أو مَكْتوبَةٍ، أو قَيْلولَةٍ خَفيفَةٍ إنْ طالَ النَّهارُ؛ ومِنَ الْعَصْرِ إلى الاصْفِرارِ يَشْتَغِلُ بِسَماعِ ما يُقْرَأُ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ تَفْسِيرٍ، أَوْ حَديثٍ، أو عِلْمٍ نافِعٍ؛ وَمِنَ الاصْفِرارِ إلى الْغُروبِ يَشْتَغِلُ بالاسْتِغْفارِ وَالتَّسْبِيحِ.

---

(1) زيادة من أنطاليا.

فَيَكونُ وِرْدُهُ الْأَوَّلُ عَمَلَ اللِّسانِ، وَالثَّانِي عَمَلَ الْقَلْبِ، وَالثَّالِثُ عَمَلَ الْعَيْنِ وَالْيَدِ، وَالرَّابِعُ عَمَلَ السَّمْعِ لِتَتَرَوَّحَ به الْعَيْنُ وَالْيَدُ؛ إذِ الْمُطالَعَةُ وَالْكِتابَةُ بَعْدَ الْعَصْرِ رُبَّمَا أَضَرُّ إلى الْبَصَرِ. وَعِنْدَ الاِصْفِرارِ يَعودُ إلى عَمَلِ اللِّسانِ.

هَذا تَقْسيمُ النَّهارِ[1].

وَأَمَّا تَقْسِيمُ اللَّيْلِ، فَالْأَوْلَى فيه تَقْسيمُ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللهُ؛ حَيْثُ جَعَلَ الثُّلُثَ الْأَوَّلَ لِلْمُطالَعَةِ وَتَرْبِيَةِ الْعِلْمِ، وَالثَّانِي لِلصَّلاةِ، وَالثَّالِثَ لِلنَّوْمِ. إلَّا أنَّ ذَلِكَ رُبَّما لا يَتَيَسَّرُ في لَيالِي الصَّيْفِ إلَّا إذا أَكْثَرَ النَّوْمَ بِالنَّهارِ، وإلَّا فَلْيَجْعَلِ الْمُطالَعَةَ والصَّلاةَ أَقَلَّ مِنَ الثُّلُثِ، وَلِيَضُمَّ ما فَضَلَ مِنْهُما إلى النَّوْمِ، إذِ الْبَدَنُ إذا ضَعُفَ يُفَوِّتُ الْكَمالَ الْكَثيرَ. اللَّهُمَّ إلَّا أَنْ يَعْتادَ ذَلِكَ بِالتَّدْرِيجِ. وَقَدْ شاهَدْنَا مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ[2].

---

(1) الإحياء: 1/ 348-349.

(2) المصدر نفسه: 1/ 349.

الْمَطْلَبُ الثَّالِثُ: في الْمُتَعَلِّمِ

وَالتَّعَلُّمُ أَفْضَلُ مِنَ الاِشْتِغالِ بِالْأَذْكارِ وَالنَّوافِلِ، فَحُكْمُهُ حُكْمُ الْعالِمِ في تَرْتِيبِ الْأَوْرادِ، لَكِنْ يَشْتَغِلُ بِالاِسْتِفادَةِ حَيْثُ يَشْتَغِلُ الْعالِمُ بِالْإِفادَةِ، وبِالتَّعْلِيقِ والنَّسْخِ حَيْثُ يَشْتَغِلُ الْعالِمُ بِالتَّصْنيفِ(1).

الْمَطْلَبُ الرَّابِعُ: في الْمُحْتَرِفِ الَّذِي يَحْتاجُ إلى الْكَسْبِ لِعِيالِهِ

فَلَيْسَ له أَنْ يَسْتَغْرِقَ الْأَوْقاتَ في الْعِباداتِ لِئَلَّا يَضِيعَ له الْعِيالُ، بل وِرْدُهُ في وَقْتِ الصِّناعَةِ حُضورُ السُّوقِ، وَالاِشْتِغالُ بِالْكَسْبِ. لَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ لا يَنْسَى اللهَ عَزَّ وَجَلَّ في صِناعَتِهِ. فَيُواظِبُ على ما أَمْكَنَ جَمْعُهُ مَعَ الْعَمَلِ، فإذا فَرَغَ مِنْ كِفايَتِهِ يَعودُ إلى أَوْرادِهِ(2).

الْمَطْلَبُ الْخامِسُ: في الْوالِي مِثْلَ الْإِمامِ والْقاضِي والْمُتَوَلِّي لِأَمْرٍ من أُمورِ الْمُسْلِمينَ

فَقِيامُهُ بِحاجاتِ الْمُسْلِمينَ على وَفْقِ الشَّرْعِ وَقَصْدِ الْإِخْلاصِ أَفْضَلُ مِنَ الْأَوْرادِ الْمَذْكورَةِ. فَحَقُّهُ أَنْ يَشْتَغِلَ بِأُمورِ النَّاسِ نَهارًا، وَيَقْتَصِرَ على الْمَكْتوبَةِ، وَيُقيمَ الْأَوْرادَ الْمَذْكورَةَ بِاللَّيْلِ، كَما كانَ عُمَرُ رضِيَ الله عنه يَفْعَلُهُ. إذْ قالَ: ما لي وَلِلنَّوْمِ، لو نِمْتُ بِالنَّهارِ لَضَيَّعْتُ أَمْرَ الْمُسْلِمينَ، ولو

---

(1) الإحياء: 1/ 349.

(2) المصدر نفسه: 1/ 350.

نِمْتُ بِاللَّيْلِ لَضَيَّعْتُ نَفْسِي[1]. فَظَهَرَ مِمَّا ذُكِرَ أَنَّ الْعِلْمَ وَالرِّفْقَ بِالْمُسْلِمِينَ مُقَدَّمانِ على كَثيرٍ مِنْ الْعِباداتِ لِتَعَدِّي نَفْعِهِما إلى الْعامَّةِ.

الْمَطْلَبُ السَّادِسُ: الْمُوَحِّدُ الْمُسْتَغْرِقُ بِالْواحِدِ الصَّمَدِ

الَّذِي أَصْبَحَ وَهَمُّهُ هَمٌّ واحِدٌ، فلا يُحِبُّ إلَّا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَلا يَخافُ ولا يَرْجُو إلَّا مِنْهُ. فَمَنْ تَرَقَّتْ[2] رُتْبَتُهُ إلى هذا الْحَدِّ لا يَحْتاجُ إلى تَرْتِيبِ الْأَوْرادِ وَتَوْزِيعِها، لِأَنَّ قَلْبَهُ مع اللهِ في كُلِّ وَقْتٍ، فَلَا مُحَرِّكَ له ولا مُسَكِّنَ إلَّا اللهُ تعالى، وَلا تَتَمَيَّزُ عِنْدَهُ عِبادَةٌ عن عِبادَةٍ، وهو الَّذِي يَسْتَغْنِي عن تَعْلِيمِ الْمُعَلِّمينَ، فَذَلِكَ خارِجٌ عن خِطابِنا في هذا الْبابِ[3]. إلَّا أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْمُرِيدِ أنْ لا يَدَّعِيَ لِنَفْسِهِ تلك الْمَرْتَبَةَ، وَيَتَكاسَلَ عنْ وَظائِفِ الْعِباداتِ، وإنْ أَحاطَ به حُسْنُ الظَّنِّ بِنَفْسِهِ، وَأَلْقاهُ في الْعُجْبِ، فَعَلَيْهِ أنْ يَتَدارَكَ حالَهُ بما سَنَذْكُرُهُ إنْ شاءَ اللهُ تعالى.

---

(1) الإحياء: 1/ 350.

(2) رقت، في الأزهرية.

(3) الإحياء: 1/ 350.

خاتِمَةٌ في قِيامِ اللَّيْلِ

وهُوَ صِنْفانِ، إمَّا قَبْلَ النَّوْمِ، أو بَعْدَهُ:

الْأَوَّلُ: يُسَمَّى صَلاةَ الْأَوَّابينَ، وَهِيَ رَكْعَتانِ، مَنْ واظَبَ عَلَيْهِما بَنَى اللهُ له قَصْرَيْنِ في الْجَنَّةِ[1].

قِيلَ: فَيَقْرَأُ في الْأُولَى بَعْدَ الْفاتِحَةِ عَشْرَ آياتٍ مِنْ أَوَّلِ الْبَقَرَةِ، وَآيَتَيْنِ مِنْ وَسَطِها مِنْ قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (163) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[2]، الآيَةَ؛ و﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾[3] خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً؛ وَيَقْرَأُ في الثَّانِيَةِ بعدَ الْفاتِحَةِ: آيَةَ الْكُرْسِيِّ، وَآيَتَيْنِ بَعْدَها إلى قَوْلِهِ: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[4]؛ وَثَلاثَ آياتٍ مِنْ آخِرِ الْبَقَرَةِ مِنْ قَوْلِهِ تعالى: ﴿للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾[5] إلى آخِرِها، و﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾[6]، خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً، وَوَصَفَ في الْحَديثِ ثَوابَها يَخْرُجُ عن الْحَصْرِ[7]. وفي رِوايَةٍ: «أَرْبَعُ رَكَعاتٍ مَنْ واظَبَها غَفَرَ اللهُ له

(1) قصرا، في عاطف أفندي وأنطاليا.

(2) سورة البقرة، الآية: 163-164.

(3) سورة الإخلاص، الآية: 1.

(4) سورة البقرة، الآية: 39.

(5) السورة نفسها، الآية: 284.

(6) سورة الإخلاص، الآية: 1.

(7) الإحياء: 1/ 352، فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب: 4/ 176.

ذَنْبَ عِشْرينَ أو أَرْبَعينَ سَنَةً»[1]. وفي رِوايَةٍ: «سِتُّ رَكَعاتٍ مَنْ واظَبَها عَدَلَتْ له عِبادَةَ سَنَةٍ»[2]. أو «كَأَنَّهُ صَلَّى لَيْلَةَ الْقَدْرِ»[3]. وَفِي رِوايَةٍ: «عَشْرُ رَكَعاتٍ مَنْ واظَبَها بُنِيَ له قَصْرٌ في الْجَنَّةِ»[4].

وَنُقِلَ عن كُرْزِ بْنِ وَبْرَةَ ـ وَهُوَ مِنَ الْأَبْدالِ ـ قُلْتُ لِلْخَضِرِ عليه السَّلامُ: عَلِّمْنِي شَيْئًا أَعْمَلُهُ في لَيْلَتِي، فَقالَ: إذا صَلَّيْتَ الْمَغْرِبَ فَقُمْ إلى صَلاةِ الْعِشاءِ مُصَلِّيًا من غَيْرِ أنْ تُكَلِّمَ أَحَدًا، وَأَقْبِلْ على صَلاتِكَ الَّتِي أَنْتَ فيها، وَسَلِّمْ مِنْ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ، وَاقْرَأْ في كُلِّ رَكْعَةٍ بَعْدَ الْفاتِحَةَ ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾[5] ثَلاثًا. فإذا فَرَغْتَ مِنْ صَلاتِكَ انْصَرِفْ إلى مَنْزِلِكَ ولا تُكَلِّمْ أَحَدًا، وَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ، اِقْرَأْ في كُلِّ رَكْعَةٍ بَعْدَ الْفاتِحَةِ الْإِخْلاصَ سَبْعًا، ثُمَّ اسْجُدْ بَعْدَ تَسْلِيمِكَ، واسْتَغْفِرِ اللهَ سَبْعًا، وَقُلْ: سُبْحانَ اللهِ والْحَمْدُ لله ولا إِلَهَ إلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا باللهِ الْعَلِيِّ الْعَظيمِ سَبْعًا، ثُمَّ ارْفَعْ رَأْسَكَ مِنَ السُّجودِ، وَاسْتَوِ جالِسًا، وَارْفَعْ يَدَيْكَ وَقُلْ: يا حَيُّ يا قَيُّومُ، يا ذا الْجَلالِ وَالْإِكْرامِ، يا إِلَهَ الْأَوَّلينَ والْآخِرينَ، يا رَحْمانَ الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ وَرَحِيمَهُما، يا رَبِّ يا رَبِّ يا رَبِّ، يا اللهُ يا اللهُ يا اللهُ، ثُمَّ قُمْ وَأَنْتَ رافِعٌ يَدَيْكَ، وَادْعُ بِهَذا الدُّعاءِ، ثُمَّ نَمْ حَيْثُ شِئْتَ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ على يَمِينِكَ، وَصَلِّ على النَّبِيِّ

(1) الإحياء: 1/ 352، تخريج أحاديث الإحياء: 236.

(2) قوت القلوب: 1/ 58، الإحياء: 1/ 351، تخريج أحاديث الإحياء: 419.

(3) المصدر نفسه: 1/ 58، المصدر نفسه: 1/ 352، المصدر نفسه: 236.

(4) الزهد والرقائق لابن المبارك: 446، المعجم الأوسط للطبراني: 1/ 93، الإحياء: 1/ 352.

(5) سورة الإخلاص، الآية: 1.

صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ ، وَأَدِمِ الصَّلاةَ عليه حَتَّى يَذْهَبَ بك النَّوْمُ؛ فَقُلْتُ له: أُحِبُّ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّنْ سَمِعْتَ هذا، فَقالَ: إِنِّي حَضَرْتُ مُحَمَّدًا صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ حَيْثُ عُلِّمَ هذا الدُّعاءَ، وَأُوحِيَ به إِلَيْهِ، وَكُنْتُ عِنْدَهُ، وَكانَ ذلِكَ بِمَحْضَرٍ مِنِّي، فَتَعَلَّمْتُهُ مِمَّنْ عَلَّمَهُ إِيَّاهُ[1].

وَيُقالُ: إِنَّ هذا الدُّعاءَ وَهَذِهِ الصَّلاةَ مَنْ داوَمَ عليها بِحُسْنِ يَقينٍ وَصِدْقِ نِيَّةٍ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ في مَنامِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ من الدُّنْيا. وقَدْ فَعَلَ ذلِكَ بَعْضُ النَّاسِ، فَرَأَى أَنَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَرَأَى فيها الْأَنْبِياءَ، وَرَأَى مُحَمَّدًا صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ، وعلى سائِرِ الْأَنْبِياءِ، وَكَلَّمَهُ وَعَلَّمَهُ[2].

الصِّنْفُ الثَّانِي: الْقِيامُ بَعْدَ النَّوْمِ، وَالْآياتُ وَالْأَخْبارُ وَالْآثارُ في فَضْلِهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى.

وَمِنَ الْآياتِ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ﴾[3]؛ وَقَوْلُهُ تَعالَى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آناءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾[4]. الْآيَة؛ وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾[5].

---

(1) قوت القلوب: 1/ 59-60، الإحياء: 1/ 352، تخريج أحاديث الإحياء: 420.

(2) الإحياء: 1/ 352.

(3) سورة المزمل، الآية: 20.

(4) سورة الزمر، الآية: 9.

(5) سورة الإسراء، الآية: 64.

وَمِنَ الْأَخْبارِ قَوْلُهُ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ: «إنَّ مِنَ اللَّيْلِ ساعَةً لا يُوافِقُها عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا إلَّا أَعْطاهُ إِيَّاهُ»(1).

وَقالَ: «عَلَيْكُمْ بِقيامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحينَ قَبْلَكُمْ، فإنَّ قِيامَ اللَّيْلِ قُرْبَةٌ إلى الله تعالى، وَتَكْفِيرٌ لِلذُّنوبِ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عن الْجَسَدِ، وَمَنْهاةٌ عَنِ الْإِثْمِ»(2).

وَقالَ عَلَيْهِ السَّلامُ لِأَبِي ذَرٍّ: «لَوْ أَرَدْتَ سَفَرًا أَعْدَدْتَ له عُدَّةً، فَكَيْفَ سَفَرُ طَرِيقِ الْآخِرَةِ؟! أَلَا أُنَبِّئُكَ يا أَبَا ذَرٍّ بِمَا يَنْفَعُكَ ذَلِكَ الْيَوْمَ، قالَ: بلى فِداكَ أَبِي وأُمِّي، قالَ: صُمْ يَوْمًا شَديدَ الْحَرِّ لِيَوْمِ النُّشورِ، وَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ في ظُلْمَةِ اللَّيْلِ لِوَحْشَةِ الْقُبورِ، وَحُجَّ حَجَّةً لِعَظائِمِ الْأُمورِ، وَتَصَدَّقْ بِصَدَقَةٍ على مِسْكينٍ، أو كَلِمَةُ حَقٍّ تَقُولُها، أو كَلِمَةُ شَرٍّ تَسْكُتُ عنها»(3).

وَمِنَ الْآثارِ، قِيلَ لِلْحَسَنِ: ما بالُ الْمُتَهَجِّدينَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وُجوهًا؟ قالَ: إِنَّهُمْ خَلَوْا بِالرَّحْمنِ تعالى فَأَلْبَسَهُمْ نُورًا مِنْ نورِهِ.

وَقالَ: إنَّ الرَّجُلَ لَيُذْنِبُ الذَّنْبَ فَيُحْرَمُ قِيامَ اللَّيْلِ.

وَقالَ الْفُضَيْلُ: إذا لَمْ تَقْدِرْ على قِيامِ اللَّيْلِ، وَصِيامِ النَّهارِ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ مَحْرومٌ، وَقَدْ كَثُرَتْ خَطيئَتُكَ(4).

---

(1) صحيح مسلم: 1/ 521، رقم: 757.

(2) سنن الترمذي: 5/ 515، مسند الروياني: 2/ 14، الكامل في ضعفاء الرجال: 5/ 468، السنن الكبرى للبيهقي: 5/ 346.

(3) الإحياء: 1/ 354، صفة الصفوة: 1/ 226، تخريج أحاديث الإحياء: 422.

(4) الإحياء: 1/ 354.

وَاعْلَمْ أَنَّكَ إذا عَرَفْتَ فَضيلَتَها فَعَلَيْكَ أن تَعْرِفَ الْأَسْبابَ الْمُسَهِّلَةَ لِقِيامِ اللَّيْلِ، وَهِيَ إِمَّا ظاهِرَةٌ، أو باطِنَةٌ:

الْأَوَّلُ: أنْ لا يُكْثِرَ الْأَكْلَ فَيُكْثِرَ الشُّرْبَ، فَيَغْلِبَهُ النَّوْمُ، وَيَثْقُلَ عليه الْقِيامُ.

الثَّانِي: أَنْ لا يُتْعِبَ بَدَنَهُ بِالنَّهارِ في الْأَعْمالِ، فإنَّ ذَلِكَ أَيْضًا مَجْلَبَةٌ لِلنَّوْمِ.

الثَّالِثُ: أَنْ لا يَتْرُكَ الْقَيْلولَةَ.

الرَّابِعُ: أَنْ لا يَحْتَقِبَ الْأَوْزارَ بِالنَّهارِ، فَإِنَّهُ يَحولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَسْبابِ السَّعادَةِ.

الثَّانِي أَرْبَعَةٌ أَيْضًا:

الْأَوَّلُ: سَلامَةُ الْقَلْبِ مِنَ الْحِقْدِ على أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمينَ، وَمِنَ الْبِدَعِ، وَمِنَ فُضولِ هُمومِ الدُّنْيَا، لِأَنَّ مَنْ كَثُرَ هَمُّهُ فَنائِمٌ وَإِنِ اسْتَيْقَظَ[1].

الثَّانِي: خَوْفٌ غالِبٌ يَلْزَمُ الْقَلْبَ مَعَ قِصَرِ الْأَمَلِ، لِأَنَّ ذِكْرَ جهَنَّمَ يُطَيِّرُ نَوْمَ الْعابِدينَ.

الثَّالِثُ: أَنْ يَعْرِفَ فَضْلَ قِيامِ اللَّيْلِ، فَيُهَيِّجَهُ الشَّوْقُ لِطَلَبِ الْمَزيدِ وَالرَّغْبَةِ في الْجِنانِ.

الرَّابِعُ: وَهُوَ أَشْرَفُ الْبَواعِثِ، الْحُبُّ لله عَزَّ وَجَلَّ، وَقُوَّةُ الْإِيمانِ، لِأَنَّ مَنْ أَحَبَّ مَوْلاهُ أَحَبَّ الْخَلْوَةَ به، وَالْتَذَّ بِالْمُناجاةِ معه.

---

(1) الإحياء: 1/ 356.

وَاعْلَمْ أنَّ مَحَبَّةَ اللهِ تعالى لا يُنْكِرُها إلَّا مَنْ رانَ قَلْبُهُ بِالْبِدَعِ، أو غَلَبَ عليه حُبُّ الدُّنْيا، وإلَّا فَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ اللَّذائِذِ، ولا لَذَّةَ فَوْقَها، بل لا لَذَّةَ غَيْرُها، وَقَدْ شَهِدَ الْعَقْلُ وَالْنَّقْلُ بِوُجودِها[1].

أمَّا الْعَقْلُ، فإنَّ مَنْ أَحَبَّ شَخْصًا بِسَبَبِ جَمالِهِ، [أَوْ مَلِكًا بِسَبَبِ مالِهِ][2]، أَوْ عالِمًا بِسَبَبِ كَمالِهِ، كَيْفَ يُريدُ رُؤْيَتَهُ، وَسَماعَ كَلامِهِ، وَالْخَلْوَةَ به وَبِمُناجاتِهِ، وَلَيْسَ التَّلَذُّذُ بِالنَّظَرِ إِلَى الْمَحْبوبِ فَقَطْ، بل يَلْتَذُّ مِنْ وَراءِ سِتْرٍ، أو في بَيْتٍ مُظْلِمٍ، ولا بِسَماعِ كَلامِهِ فَقَطْ، إِذْ رُبَّمَا يَلْتَذُّ مَعَ عَرْضِ حالِهِ إلى الْمَحْبوبِ وإنْ لم يَرَ ولم يَتَكَلَّمْ.

وَأَمَّا النَّقْلُ، فَيَشْهَدُ له أَحْوالُ الْمُحِبِّينَ في قِيامِ اللَّيْلِ وَتَلَذُّذِهِمْ بِالْمُناجاةِ، وَمَنْ لم يَتَنَبَّهْ بهذا الْمِقْدارِ، لا يَعْرِفُ[3] بِالتَّطْويلِ والْإِكْثارِ[4].

وَاعْلَمْ أنَّ قِيامَ اللَّيْلِ سَبْعُ مَراتِبَ:

الْأُولَى: إِحْياؤُهُ كُلَّا، وهذا شَأْنُ الْأَقْوِياءِ.

وَالثَّانِيَةُ: قِيامُ نِصْفِهِ، وَالْأَحْسَنُ أَنْ يَنامَ الثُّلُثَ الْأَوَّلَ، وَالسُّدُسَ الْأَخيرَ، وَيَصيرَ قِيامُهُ في الْوَسَطِ.

---

(1) الإحياء: 1/ 356-357.

(2) سقط من قونية.

(3) يعترف، في قونية ورئيس الكتاب.

(4) الإحياء: 1/ 358-359.

وَالثَّالِثَةُ: قِيامُ ثُلُثِهِ، بِأَنْ يَنامَ النِّصْفَ الْأَوَّلَ، وَالسُّدُسَ الْأَخيرَ.

وَبِالْجُمْلَةِ، نَوْمُ آخِرِ اللَّيْلِ مَحْمودٌ، لِأَنَّهُ يُذْهِبُ النُّعاسَ بِالْغَداةِ، وَيُقَلِّلُ صُفْرَةَ الْوَجْهِ الَّتِي هِيَ سَبَبُ الشُّهْرَةِ؛ وَأَيْضًا سَبَبٌ لِكَشْفِ حُجُبِ الْغُيوبِ، كما يُشاهِدُهُ أَرْبابُ الْقُلوبِ. وَقِيامُ ثُلُثِ اللَّيْلِ مِنَ النِّصْفِ الْأَخيرِ وَنَوْمُ السُّدُسِ الْأَخيرِ قِيامُ داودَ صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِ وَسَلامُهُ.

الرَّابِعَةُ: أَنْ يَقومَ سُدُسَ اللَّيْلِ أو خُمُسَهُ، وَأَفْضَلُهُ أَنْ يَكونَ في النِّصْفِ الْأَخيرِ وَقَبْلَ السُّدُسِ الْأَخيرِ.

الْخامِسَةُ: أَنْ لا يُراعِيَ التَّقْديرَ، فإِنَّ ذلِكَ إِنَّما يَتَيَسَّرُ لِنَبِيٍّ يُوحَى إليه، أَوِ لِمَنْ يَعْرِفُ مَنازِلَ الْقَمَرِ. فإذا كَانَ غَيْمٌ يَقومُ أَوَّلَ اللَّيْلِ ثُمَّ يَنامُ، ثُمَّ يَقومُ ثُمَّ يَنامُ، وَهذا أَشَدُّ الْأَعْمالِ وأَفْضَلُها، فَتكونُ له قَوْمَتانِ وَنَوْمَتانِ. وقَدْ كانَ هذا مِنْ أَخْلاقِ رَسولِ اللهِ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ، وهو طَريقَةُ ابْنِ عُمَرَ وَأُولِي الْعَزْمِ مِنَ الصَّحابَةِ وَالتَّابِعينَ.

السَّادِسَةُ: ـ وَهِيَ الْأَقَلُّ – أَنْ يَقومَ قَدْرَ أَرْبَعِ رَكَعاتٍ، أَوْ رَكْعَتَيْنِ، أَوْ يَتَعَذَّرَ عليه الطَّهارَةُ، فَيَجْلِسَ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ ساعَةً، مُشْتَغِلًا بِالذِّكْرِ وَالدُّعاءِ، فَيُكْتَبَ في جُمْلَةِ قُوَّامِ اللَّيْلِ بِرَحْمَةِ اللهِ وَفَضْلِهِ. وقَدْ جاءَ في الْأَثَرِ: «صَلِّ مِنَ اللَّيْلِ ولَوْ قَدْرَ حَلْبِ الشَّاةِ»[1].

---

(1) مصنف ابن أبي شيبة: 2/ 72، الزهد لأحمد بن حنبل: 247، مسند أبي يعلى: 5/ 80، المعجم الكبير للطبراني: 1/ 271، الإحياء: 1/ 360.

السَّابِعَةُ: أنْ يَقومَ بينَ الْعِشاءَيْنِ، ثُمَّ يَقومَ قَبْلَ الصُّبْحِ وَقْتَ السَّحَرِ، وهِيَ أَدْنَى الْمَراتِبِ، وَيَقومَ طَرَفَيِ اللَّيْلِ فَقَطْ.

ثُمَّ اعْلَمْ، أَنَّ اللَّيالِيَ الَّتِي يَحْسُنُ إحْياؤُها خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً في السَّنَةِ، سِتٌّ منها في رَمَضانَ هي أَوْتارُ الْعَشْرِ الْأَخيرِ، إذْ فيها تُطْلَبُ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، وَلَيْلَةُ سَبْعَةَ عَشَرَ مِنْ رَمَضانَ، وَهِيَ الَّتِي صَبيحَتُها يَوْمُ الْفُرْقانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ، فيه كانَتْ وَقْعَةُ بَدْرٍ. وَقيلَ: هِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ. وَأَمَّا الثَّمانِي الْأُخَرُ: فَأَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنَ الْمُحَرَّمِ، وَلَيْلَةُ عاشوراءَ، وَأَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ رَجَبٍ، وَلَيْلَةُ النِّصْفِ منه، وَلَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرينَ منه. وَهِيَ لَيْلَةُ الْمِعْراجِ، وفيها صَلاةٌ مَأْثورَةٌ. قَالَ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ: «لِلْعامِلِ في هَذِهِ اللَّيْلَةِ حَسَناتُ مِئَةِ سَنَةٍ، فَمَنْ صَلَّى فيها اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً، يَقْرَأُ في كُلٍّ منها بَعْدَ الْفاتِحَةِ سورَةً مِنَ الْقُرْآنِ، وَيَتَشَهَّدُ في كُلِّ رَكْعَتَيْنِ، وَيُسَلِّمُ في آخِرِهِنَّ، ثُمَّ يَقولُ: سُبْحانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ ولا إِلَهَ إلَّا اللهُ واللهُ أَكْبَرُ مِئَةَ مَرَّةٍ، وَيَسْتَغْفِرُ اللهَ مِئَةَ مَرَّةٍ، وَيُصَلِّي على النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ مِئَةَ مَرَّةٍ، وَيَدْعو لِنَفْسِهِ ما شاءَ مِنْ أَمْرِ دُنْياهُ وَآخِرَتِهِ، وَيُصْبِحُ صائِمًا، فإِنَّ اللهَ يَسْتَجيبُ دُعاءَهُ كُلَّهُ إلَّا أنْ يَدْعُوَ في مَعْصِيَةٍ»(1).

وَأَمَّا لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبانَ: فَيُصَلِّي فيها مِئَةَ رَكْعَةٍ، يَقْرَأُ في كُلٍّ مِنْهَا بَعْدَ الْفاتِحَةِ سُورَةَ الْإِخْلاصِ عَشْرَ مَرَّاتٍ، كانُوا لا يَتْرُكونَهَا.

---

(1) الإحياء: 1/ 361، تخريج أحاديث الإحياء: 2/ 895.

وَلَيْلَةُ عَرَفَةَ وَلَيْلَةُ الْعِيدَيْنِ: قالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ: «مَنْ أَحْيَا لَيْلَةَ الْعِيدِ لَمْ يَمُتْ قَلْبُهُ يَوْمَ تَموتُ الْقُلوبُ»(1).

وَأَمَّا الْأَيَّامُ الْفاضِلَةُ فهي تِسْعَةَ عَشَرَ، يُسْتَحَبُّ مُواصَلَةُ الْأَوْرادِ فيها؛ يَوْمُ عَرَفَةَ، وَيَوْمُ عاشوراءَ، وَيَوْمُ سَبْعَةٍ وعِشْرينَ من رَجَبٍ له شَرَفٌ عَظِيمٌ. وفي الْحَديثِ: «مَنْ صامَ فيه كَتَبَ اللهُ له صِيامَ سِتِّينَ شَهْرًا، وَهُوَ يَوْمَ هَبَطَ فيه جِبْريلُ بِالرِّسالَةِ على مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ»(2).

وَيَوْمُ سَبْعَةَ عَشَرَ مِنْ رَمَضانَ، وَفِيهِ كانَتْ وَقْعَةُ بَدْرٍ؛ وَيَوْمُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبانَ، وَيَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَيَوْمُ الْعِيدَيْنِ، وَالْأَيَّامُ الْمَعْلوماتُ، وَهِيَ عَشْرُ ذِي الْحِجَّةِ، وَالْأَيَّامُ الْمَعْدوداتُ، وَهِيَ أَيَّامُ التَّشْرِيقِ.

وَمِنْ فَواضِلِ الْأَيَّامِ فِي الْأُسْبوعِ الْإِثْنَيْنِ وَالْخَميسُ، تُرْفَعُ فيهِما الْأَعْمالُ إلى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَاللهُ تعالى أَعْلَمُ بِحَقائِقِ الْأُمورِ(3).

---

(1) سنن ابن ماجه: 1/ 567، المعجم الأوسط للطبراني: 1/ 57، العلل المتناهية: 2/ 72، والنقل من الإحياء: 1/ 361.

(2) فوائد ابن أخي ميمي الدقاق: 217، فضائل شهر رجب للخلال: 76، الإحياء: 1/ 361.

(3) الإحياء: 1/ 361.

الشُّعْبَةُ الثَّانِيَةُ: في الْعَاداتِ

وَيَتَفَرَّعُ ذَلِكَ عن[1] عَشَرَةِ أُصولٍ:

الْأَصْلُ الْأَوَّلُ: في آدابِ الْأَكْلِ

وفيهِ مَطالِبُ:

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ: في أَحْوالِ الْمُنْفَرِدِ

وهِيَ ثَلاثَةُ أَقْسامٍ:

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: في آدابِهِ قَبْلَ الْأَكْلِ

وَهِيَ سَبْعَةٌ:

الْأَوَّلُ: أَنْ يَكونَ الطَّعامُ حَلالًا في الشَّرْعِ في نَفْسِهِ، وَمِنْ جِهَةِ كَسْبِهِ، وَطَيِّبًا في الْوَرَعِ. وَسَتَعْرِفُ مَعْنَى الْحَلالِ الطَّيِّبِ، وهو مِنَ الْفَرائِضِ وَأُصولِ الدِّينِ.

الثَّانِي: غَسْلُ الْيَدِ قَبْلَ الطَّعامِ وَبَعْدَهُ، قالَ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ: «الْوُضوءُ قَبْلَ الطَّعامِ يَنْفِي الْفَقْرَ، وَبَعْدَهُ يَنْفِي اللَّمَمَ»[2].

---

(1) على، في أنطاليا. من، في الأزهرية.

(2) غريب الحديث لابن قتيبة: 1/ 156، قوت القلوب: 2/ 299، مسند الشهاب: 1/ 205، الإحياء: 2/ 3.

الثَّالِثُ: أنْ يُوضَعَ الطَّعامُ على السُّفْرَةِ دونَ الْخِوانِ والْمَوائِدِ، لِأَنَّهُ أَقْرَبُ إلى التَّواضُعِ، وَأَوْفَقُ لِلسُّنَّةِ، وإنْ جازَ الْأَكْلُ على غَيْرِها أَيْضًا.

الرَّابِعُ: أَنْ يُحْسِنَ الْجِلْسَةَ، بِأَنْ يَجْثُوَ على رُكْبَتَيْهِ، وَيَجْلِسَ على ظَهْرِ قَدَمَيْهِ، أو يَنْصِبَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى، وَجَلَسَ[1] على الْيُسْرَى. وكَذَا فَعَلَ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ، وَكانَ يَقولُ: «أَنَا عَبْدٌ آكُلُ كما يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ»[2].

وَيُكْرَهُ [الْأَكْلُ][3] قائِمًا وَمُتَّكِئًا، إلَّا ما يُتَنَقَّلُ به مِنَ الْحُبوبِ، وَالشُّرْبُ مُتَّكِئًا مَكْروهٌ، وَيَضُرُّ الْمَعِدَةَ.

الْخامِسُ: أنْ يَنْوِيَ بِأَكْلِهِ أَنْ يَتَقَوَّى على الطَّاعَةِ، لِيَكونَ أَكْلُهُ عِبادَةً، ولا يَقْصِدَ التَّلَذُّذَ وَالتَّنَعُّمَ، وَيَعْزِمَ على التَّقْليلِ، إذِ الشِّبَعُ يَمْنَعُ الْعِبادَةَ، وبه يُعْرَفُ كَوْنُ نِيَّتِهِ قَصْدَ الْعِبادَةِ بِأَنْ لا يَمُدَّ يَدَهُ إلَّا وهو جائِعٌ. وَيَرْفَعُهُ قَبْلَ الشِّبَعِ. ومَنْ فَعَلَ كَذَلِكَ اسْتَغْنَى عن الطَّبيبِ، وَقَوِيَ[4] على الْعِبادَةِ. وَأَدْنَى دَرَجاتِ الْأَكْلِ وَأَوْسَطُهُ ما وَرَدَ في الْحَديثِ: «ما مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ، حَسْبُ

---

(1) كذا وردت في الأصول الخطية.

(2) الجامع لمعمر بن راشد: 10/ 415، المصنف لعبد الرزاق: 10/ 37، الطبقات الكبرى: 1/ 371، مسند البزار: 12/ 154، والنقل من الإحياء: 2/ 4.

(3) زيادة من أنطاليا.

(4) وأقوى، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

ابْنِ آدَمَ لُقَيْماتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فإنْ لم يَفْعَلْ، فَثُلُثٌ لِلطَّعامِ، وَثُلُثٌ لِلشَّرابِ، وَثُلُثٌ لِلنَّفَسِ»[1].

السَّادِسُ: أنْ يَرْضَى بِالْمَوْجودِ، وَيَقْنَعَ بِالْحاضِرِ، ولا يَنْتَظِرَ الزِّيادَةَ؛ مَثَلًا إذا حَضَرَ الخُبْزُ لا يَنْتَظِرُ الإِدامَ.

السَّابِعُ: أَنْ يَجْتَهِدَ في تَكْثِيرِ الْأَيْدِي على الطَّعامِ، وَلَوْ مِنْ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ، لِأَنَّ فيه الْبَرَكَةَ. «وَكانَ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ لا يَأْكُلُ وَحْدَهُ»[2].

الْقِسْمُ الثَّانِي: في آدابِ حالَةِ الْأَكْلِ

وَهُوَ أَنْ يَبْدَأَ بِبِسْمِ اللهِ، وَيَخْتِمَ بِـ "الْحَمْدُ للهِ"، بَلْ يَقُولُ مَعَ اللُّقْمَةِ الْأُولَى: بِسْمِ اللهِ، وَمَعَ الثَّانِيَةِ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ، [وَمَعَ الثَّالِثَةِ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ][3]، وَلَوْ قالَ مَعَ كُلِّ لُقْمَةٍ: بِسْمِ اللهِ لَكانَ أَحْسَنَ، لِئَلَّا يَصُدَّهُ الشَّرَهُ عن ذِكْرِ اللهِ؛ وَيَجْهَرُ لِيُذَكِّرَ غَيْرَهُ، وَيَأْكُلُ بِالْيَمينِ، وَيَبْدَأُ بِالْمِلْحِ وَيَخْتِمُ به، وَيُصَغِّرُ اللُّقْمَةَ[4]، وَيُجَوِّدُ مَضْغَها، وما لَمْ يَبْتَلِعْها لم يَمُدَّ يَدَهُ إلى الْأُخْرَى، فإنَّ ذَلِكَ عَجَلَةٌ مَذْمومَةٌ.

---

(1) الزهد والرقائق لابن المبارك: 213، الطبقات الكبرى: 1/ 410، مسند أحمد: 28/ 422، سنن ابن ماجه: 2/ 1111، سنن الترمذي: 4/ 188، الإحياء: 2/ 4.

(2) مكارم الأخلاق للخرائطي: 119، الإحياء: 2/ 5، والنقل منه.

(3) سقط من قونية.

(4) اللقم، في الأزهرية.

وَأَنْ لا يَذُمَّ مَأْكولًا، وَأَنْ يَأْكُلَ ممَّا يَليهِ إلَّا الْفاكِهَةَ، لِأَنَّهُ لَيْسَ نَوْعًا واحِدًا، وَأَنْ لا يَأْكُلَ من ذِرْوَةِ الْقَصْعَةِ، ولا مِنْ وَسَطِ الطَّعامِ، بَلْ يَأْكُلُ مِنِ اسْتِدارَةِ الرَّغيفِ، إلَّا إذا قَلَّ الْخُبْزُ فَيَكْسِرُ الْخُبْزَ، [وَلَا يُقَطِّعَهُ ولا اللَّحْمَ بِالسِّكِّينِ.

ولا يَضَعُ على الْخُبْزِ قَصْعَةً ولا غَيْرَها إلَّا ما يُؤْكَلُ به، ولا يَمْسَحُ يَدَهُ بِالْخُبْزِ، إذْ وَرَدَ الْأَمْرُ في الْحَديثِ][1] بِإِكْرامِ الْخُبْزِ، وَأَنَّهُ مِنْ بَرَكاتِ السَّماءِ.

وإذا كانَ بِاللُّقْمَةِ أَذًى فَلْيُمِطْ ذلِكَ وَلْيَأْكُلْ، ولا يَدَعْها لِلشَّيْطانِ، وَأَلَّا يَمْسَحَ يَدَهُ بِالْمِنْديلِ حَتَّى يَلْعَقَ أَصابِعَهُ، فإِنَّهُ لا يَدْرِي في أَيِّ طَعامِهِ الْبَرَكَةَ[2]. وَوَرَدَ النَّهْيُ عن النَّفْخِ في الطَّعامِ الْحارِّ، بل يَصْبِرُ إلى أَنْ يَسْهُلَ أَكْلُهُ[3].

وَيَأْكُلُ مِنَ التَّمْرِ وِتْرًا سَبْعًا أو تِسْعًا أو إِحْدَى عَشْرَةَ أو إِحدى وَعِشْرينَ أو ما اتَّفَقَ، ولا يَجْمَعُ بَيْنَ التَّمْرِ وَالنَّوَى في طَبَقٍ، ولا في كَفِّهِ، بل يَجْمَعُهُ على ظَهْرِ كَفِّهِ ثُمَّ يُلْقِيها، وَكَذا ما لَهُ عَجَمٌ أو ثُفْلٌ[4].

وأنْ لا يُكْثِرَ الشُّرْبَ في أَثْناءِ الطَّعامِ إلَّا إذا غَصَّ بِلُقْمَةٍ أو صَدَقَ عَطَشُهُ. وَيُقالُ: إنَّ ذلِكَ مُسْتَحَبٌّ طِبًّا لِأَنَّهُ دِباغُ الْمَعِدَةِ.

---

(1) ما بين معقوفين سقط من أنطاليا.

(2) البركات، في رئيس الكتاب.

(3) الإحياء: 2/ 5.

(4) ثُفل كلِّ شَيْءٍ وثافِلُه: مَا استقرَّ تَحْتَهُ مِنْ كَدَره. اللسان: ثفل.

وَأَمَّا الشُّرْبُ، فَأَدَبُهُ[1] أَخْذُ الْكُوزِ بِيَمِينِهِ، وَيَقولُ: بِسْمِ اللهِ، وَيَشْرَبُهُ مَصًّا لا عَبًّا، ولا قائِمًا وَمُضْطَجِعًا. وَيُراعِي أَسْفَلَ الْكُوزِ حتَّى لا يَقْطُرَ عليه، وَيَنْظُرُ في الْكُوزِ قَبْلَ الشُّرْبِ، ولا يَتَجَشَّأُ في الْكُوزِ، بل يُنَحِّيهِ عن فِيهِ بِالْحَمْدِ، وَيَرُدُّهُ بِالتَّسْمِيَةِ.

وَيَشْرَبُ في ثَلاثَةِ أَنْفاسٍ، وَيَحْمَدُ كُلَّ مَرَّةٍ في أَواخِرِهَا، وَيُسَمِّي في أَوائِلِها، وَيَقولُ في آخِرِ النَّفَسِ الْأَوَّلِ: الْحَمْدُ لله، وفي الثَّانِي يَزِيدُ: رَبِّ الْعالَمِينَ، وفي الثَّالِثِ يَزِيدُ: الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ؛ وَالْكوزُ وَكُلُّ ما يُدارُ على الْقَوْمِ يُدارُ يُمْنَةً[2]؛ كذا وَرَدَتْ السُّنَّةُ.

وَقالَ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ بَعْدَ الشُّرْبِ: «الْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَهُ عَذْبًا فُراتًا بِرَحْمَتِهِ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ مِلْحًا أُجاجًا بِذُنوبِنا»[3].

الْقِسْمُ الثَّالِثُ: في الْآدابِ بعد الطَّعامِ

وهُوَ أَنْ يَغْسِلَ يَدَهُ بَعْدَ لَعْقِ أَصابِعِهِ، وَيَلْتَقِطَ فُتاتَ[4] الطَّعامِ. قالَ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ: «مَنْ أَكَلَ ما يَسْقُطُ مِنَ الْمائِدَةِ، عاشَ في سَعَةٍ، وَعُوفِيَ في

---

(1) فآدابه، في مراد ملا.

(2) يمينه، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(3) الدعاء للطبراني: 280، حلية الأولياء: 8/ 137، شعب الإيمان للبيهقي: 6/ 273، الإحياء: 2/ 6، والنقل منه.

(4) أفتات، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

وَلَدِهِ»[1]، وَقيلَ: إنَّهُ «مُهورُ الْحُورِ الْعِينِ»[2]. وَيُخَلِّلَ أَسْنانَهُ، وَيَرْمِيَ ما خَرَجَ إلَّا ما يَجْتَمِعُ بَيْنَ أُصولِ أَسْنانِهِ فَخَرَجَ بِلِسانِهِ، وَلْيَتَمَضْمَضْ بَعْدَ الْخِلالِ[3]، وَأَنْ يَلْعَقَ الْقَصْعَةَ، وَأَنْ يَشْكُرَ على الطَّعامِ بِقَلْبِهِ[4].

وَإِنْ أَكَلَ حَلالًا قالَ: الْحَمْدُ لله الَّذي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحاتُ، وَتُنَزَّلُ الْبَرَكاتُ، اللَّهُمَّ أَطْعِمْنا طَيِّبًا، وَاسْتَعْمِلْنا صالِحًا، وإنْ أَكَلَ شُبْهَةً فَلْيَقُلْ: الْحَمْدُ لله على كُلِّ حالٍ، اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْهُ قُوَّةً لنا على مَعْصِيَتِكَ. وَيَقْرَأُ بَعْدَ الطَّعامِ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾[5]، و﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾[6]، وَلَا يَقومُ قَبْلَ رَفْعِ الْمائِدَةِ.

وإِنْ أَكَلَ طَعامَ غَيْرِهِ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بارِكْ له فيما رَزَقْتَهُ، وَيَسِّرْ له أَنْ يَفْعَلَ منه خَيْرًا، وَقَنِّعْهُ بما أَعْطَيْتَهُ، وَاجْعَلْنا وَإِيَّاهُ مِنَ الشَّاكِرِينَ.

وَإِنْ أَفْطَرَ عِنْدَ قَوْمٍ فَلْيَقُلْ: «أَفْطَرَ عِنْدَكُمُ الصَّائِمونَ، وَأَكَلَ طَعامَكُمُ الْأَبْرارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ الْمَلائِكَةُ»[7].

---

(1) قوت القلوب: 2/ 315، الإحياء: 2/ 6، تاريخ دمشق: 51/ 249، لسان الميزان: 1/ 476.

(2) مسند البزار: 15/ 319، الكامل في ضعفاء الرجال: 6/ 49، قوت القلوب: 2/ 303، الإحياء: 2/ 6، الموضوعات لابن الجوزي: 3/ 253.

(3) الخِلَل مَا دَخَلَ بَيْنَ الأسنان مِنَ الطَّعَامِ، والخِلال مَا أخرجته به. اللسان: خلل.

(4) الإحياء: 2/ 6.

(5) سورة الإخلاص، الآية: 1.

(6) سورة قريش، الآية: 1.

(7) مسند أحمد: 19/ 215، سنن ابن ماجه: 1/ 556، سنن أبي داود: 3/ 367، سنن النسائي: 6/ 311، والنقل من الإحياء: 2/ 6.

وَلْيُكْثِرِ الاِسْتِغْفارَ وَالْحُزْنَ على ما أَكَلَ من شُبْهَةٍ، لِيُطْفِئَ بِدُموعِهِ وَحُزْنِهِ حَرَّ النَّارِ الَّتِي تَعَرَّضَ لها بِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ: «كُلُّ لَحْمٍ نَبَتَ مِنْ حَرامٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ»[1].

وَلَيْسَ مَنْ يَأْكُلُ وَيَبْكِي كَمَنْ يَأْكُلُ وَيَلْهُو. وَلْيَقُلْ إذا أَكَلَ لَبَنًا خاصًّا به: «اللَّهُمَّ بارِكْ لنا فيه وَزِدْنا مِنْهُ»[2]. وَخَصَّ رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ هذا الدُّعاءَ بِاللَّبَنِ لِعُمومِ نَفْعِهِ.

وإِنْ أَكَلَ غَيْرَ اللَّبَنِ قالَ: «اللَّهُمَّ بارِكْ لنا فِيما رَزَقْتَنا، وَارْزُقْنا خَيْرًا مِنْهُ»[3].

وَيُسْتَحَبُّ عَقِيبَ الطَّعامِ أَنْ يَقولَ: «الْحَمْدُ لله الَّذِي أَطْعَمَنا وَسَقانَا وَكَفانَا وَآوانَا[4]. سَيِّدَنَا وَمَوْلانا، يا كافِي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، ولا يَكْفِي منه شَيْءٌ، أَطْعَمْتَ مِنْ جوعٍ، وَآمَنْتَ مِنْ خَوْفٍ، فَلَكَ الْحَمْدُ، آوَيْتَ مِنْ يُتْمٍ، وَهَدَيْتَ مِنْ ضَلالَةٍ، وَأَغْنَيْتَ مِنْ عَيْلَةٍ، فَلَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا كَثيرًا دائِمًا طَيِّبًا نافِعًا مُبارَكًا فيه كَمَا أَنْتَ أَهْلُهُ وَمُسْتَحِقُّهُ. اللَّهُمَّ أَطْعِمْنا طَيِّبًا وَاسْتَعْمِلْنا[5] صالِحًا،

---

(1) العلل لابن أبي حاتم: 5/ 211، المعجم الكبير: 1/ 73، المعجم الأوسط: 3/ 140، الكامل في ضعفاء الرجال: 6/ 518، المستدرك للحاكم: 4/ 141، والنقل من الإحياء: 2/ 6.

(2) مسند الطيالسي: 4/ 442، المصنف لعبد الرزاق: 4/ 510، مسند الحميدي: 1/ 432، الطبقات الكبرى: 1/ 396، مسند أحمد: 3/ 440.

(3) سنن ابن ماجه: 2/ 1103، الإحياء: 2/ 6.

(4) صحيح مسلم: 4/ 2085 رقم: 2715 ويقال إذا أوى المرء إلى فراشه.

(5) أطعمتنا طيبا فاستعملنا، في رئيس الكتاب.

اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ عَوْنًا لنا على طاعَتِكَ، وَنَعوذُ بِكَ أنْ نَسْتَعِينَ به على مَعْصِيَتِكَ»[1].

وَأَمَّا كَيْفِيَّةُ غَسْلِ الْيَدِ بِالْأُشْنانِ: أَنْ يَجْعَلَهُ على كَفِّهِ الْيُسْرَى، وَيَغْسِلَ الْأَصابِعَ الثَّلاثَ مِنَ الْيَدِ الْيُمْنَى أَوَّلًا، وَيَضْرِبَ أَصابِعَهُ على الْأُشْنانِ الْيابِسِ، فَيَمْسَحَ به شَفَتَيْهِ، ثُمَّ يُنْعِمَ غَسْلَ الْفَمِ بِأُصْبُعَيْهِ، وَيُدَلِّكَ ظاهِرَ أَسْنانِهِ وَباطِنَها وَالْحَنَكَ وَاللِّسانَ، ثُمَّ يَغْسِلَ أَصابِعَهُ مِنْ ذَلِكَ بِالْماءِ، ثُمَّ يُدلِّكَ بِبَقِيَةِ الْأُشْنانِ[2] الْيابِسِ أَصابِعَهُ ظَهْرًا وَبَطْنًا، وَيَسْتَغْنِي بذَلِكَ عن إِعادَةِ الْأَشْنانِ إلى الْفَمِ، وَإِعادَةِ غَسْلِهِ[3].

---

(1) معاصيك، في رئيس الكتاب. والنقل من الإحياء: 2/ 7.

(2) الأشنان: الحرض، تُغسَل بِهِ الْأَيْدِي على أثر الطَّعَام. تهذيب اللغة: 4/ 121.

(3) الإحياء: 2/ 7.

الْمَطْلَبُ الثَّانِي: في آدابِ الْجَماعَةِ في الْأَكْلِ

وهِيَ سَبْعَةٌ:

الْأَوَّلُ: أَنْ لا يَبْتَدِئَ قَبْلَ مَنْ يَسْتَحِقُّ التَّقْديمَ بِكِبَرِ سِنٍّ، أَوْ زِيادَةِ فَضْلٍ، إِلَّا أَنْ يَكونَ [هو][1] الْمُقْتَدَى فَيُعَجِّلَ لِئَلَّا يَنْتَظِرُوا.

الثَّانِي: أنْ لا يَسْكُتُوا بل يَتَكَلَّمونَ بِالْمَعْروفِ وَحِكاياتِ الصَّالِحينَ في الْأَطْعِمَةِ وَغَيْرِها، وإِنَّمَا السُّكوتُ مِنْ فِعْلِ الْأَعاجِمِ.

الثَّالِثُ: أَنْ لا يَأْكُلَ زِيادَةً على رَفيقِهِ، فإِنَّ ذَلِكَ حَرامٌ إنْ لم يَرْضَ رَفيقُهُ بِه وَالطَّعامُ مُشْتَرَكٌ، بل يَقْصِدُ الْإِيثارَ، ولا يَأْكُلُ تَمْرَتَيْنِ في دُفْعَةٍ إلَّا إذا اسْتَأْذَنَهُمْ وَفعَلَ الْكُلُّ، وَيُنَشِّطُ رَفيقَهُ وَيُرَغِّبُهُ في الْأَكْلِ إنْ قَلَّلَ، وَيَقولُ: "كُلْ"، وَلَا يَزيدُ على ثَلاثٍ لِئَلَّا يَكونَ إِلْحاحًا، ولا يَحْلِفُ عليه بِالْأَكْلِ لِمَا قالَ الْحَسَنُ ابْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ الله عَنْهُما: الطَّعامُ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ يُحْلَفَ عَلَيْهِ.

الرَّابِعُ: أَنْ لا يُحْوِجَ رَفِيقَهُ، إلى أَنْ يَقولَ له: كُلْ، وَيَحْمِلَ عنه مَؤونَةَ الْقَوْلِ، ولا يَدَعَ ما يَشْتَهيهِ، فإِنَّهُ تَصَنُّعٌ وَرِياءٌ، بَلْ يَجْرِيَ على الْمُعْتادِ، ولا يَنْقُصَ عن عادَتِهِ في الْوَحْدَةِ، وَلْيُعَوِّدْ نَفْسَهُ حُسْنَ الْأَدَبِ في الْوَحْدَةِ حَتَّى لا يَحْتاجَ إلى التَّصَنُّعِ عند الاِجْتِماعِ، إلَّا أنْ يُقَلِّلَ إيثارًا لِإِخْوانِهِ، وَنَظَرًا لهم عِنْدَ الْحاجَةِ، لِأَنَّهُ حَسَنٌ.

---

(1) زيادة من أنطاليا.

وإِنْ زادَ في الْأَكْلِ على نِيَّةِ الْمُساعَدَةِ، وَتَحْرِيكِ نَشاطِ الْقَوْمِ فلا بَأْسَ به، بَلْ هُوَ حَسَنٌ[1].

الْخامِسُ: غَسْلُ يَدِهِ في الطَّشْتِ[2]، وَإِذا قَدَّمَهُ إِلَيْهِ غَيْرُهُ إِكْرامًا له فَلْيَقْبَلْهُ، كما قَدَّمَهُ أَنَسٌ إلى ثابِتٍ فَامْتَنَعَ، فَقالَ أَنَسٌ: إذا أَكْرَمَكَ أَخُوكَ فَاقْبَلْ كَرامَتَهُ، ولا تَرُدَّها[3] إِلَيْهِ، فَإِنَّما يُكْرِمُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ.

يُرْوَى أَنَّ الرَّشيدَ صَبَّ على يَدِ أَبِي مُعاوِيَةَ الضَّريرِ، ثُمَّ قالَ: يا أَبَا مُعاوِيَةَ، تَدْرِي مَنْ صَبَّ على يَدِكَ، قالَ: لا، قالَ: صَبَّهُ أَميرُ الْمُؤْمِنينَ، فَقالَ: يا أَميرَ الْمُؤْمِنينَ، إنَّما أَكْرَمْتَ الْعِلْمَ وَأَجْلَلْتَهُ، فَأَجَلَّكَ اللهُ وَأَكْرَمَكَ كما أَجْلَلْتَ الْعِلْمَ وَأَهْلَهُ.

وَيَنْبَغِي أَنْ يَجْمَعُوا الْماءَ في الطَّشْتِ، لِأَنَّهُ أَقْرَبُ إلى التَّواضُعِ، وَأَبْعَدُ عن التَّشَبُّهِ بِالْعَجَمِ. وَأَمَّا الْخادِمُ، فَقَدْ كَرِهَ بَعْضُهُمْ أَنْ يَصُبَّ الْمَاءَ قائِمًا، وَكَرِهَ بَعْضُهُمْ جُلوسَهُ، وَأَمَّا وَضْعُ الْخادِمِ لِذَلِكَ لَيْسَ بِتكَبُّرٍ إذا كانَتْ له نِيَّةٌ صالِحَةٌ، إِذِ الْحاجَةُ قائِمَةٌ، وَالْعادَةُ جارِيَةٌ.

فَفِي الطَّشْتِ سَبْعَةُ آدابٍ: أن لا يَبْزُقَ فيه، وَأَنْ يُقَدِّمَ الْمَتْبوعَ، وَأَنْ يَقْبَلَ الْإِكْرامَ بِالتَّقْديمِ، وأَنْ يُدارَ يُمْنَةً، وَأَنْ يَجْتَمِعَ فيه جَماعَةٌ، وَأَنْ يَجْمَعَ الْماءَ

(1) الإحياء: 2/ 7.

(2) الطست، في رئيس الكتاب والأزهرية.

(3) ترددها، في الأزهرية.

فيه، وَأَنْ يَكونَ الْخادِمُ قائِمًا، وَأَنْ يَمُجَّ الْماءَ مِنْ فِيهِ وَيُرْسِلَهُ مِنْ يَدِهِ بِرِفْقٍ حتَّى لا يَرُشَّ على الْفِراشِ وعلى أَصْحابِهِ. وَيَصُبَّ صاحِبُ الْمَنْزِلِ الْماءَ على يَدِ ضَيْفِهِ، هَكَذَا فَعَلَ مالِكٌ على الشَّافِعِيِّ في أَوَّلِ نُزولِهِ عليه، وَقالَ: لا يَرْدَعُكَ[1] ما رَأَيْتَ مِنِّي فَخِدْمَةُ الضَّيْفِ فَرْضٌ[2].

السَّادِسُ: أَنْ لا يُراقِبَ أَكْلَ صاحِبِهِ، بَلْ يَغُضُّ بَصَرَهُ عَنْهُمْ، وَيَشْتَغِلُ بِنَفْسِهِ لِئَلَّا يَسْتَحْيُوا، وَلا يُمْسِكُ قَبْلَ إِخْوانِهِ إذا كانوا يَحْتَشِمونَ الْأَكْلَ بَعْدَهُ، بَلْ يَتَوَقَّفُ أَوَّلًا ثُمَّ يَأْكُلُ.

السَّابِعُ: أَنْ لا يَفْعَلَ ما يَسْتَقْذِرُهُ غَيْرُهُ، بِأَنْ يَنْفُضَ يَدَهُ في الْقَصْعَةِ، أَوْ يُخْرِجَ شَيْئًا مِنْ فِيهِ، وَإِنِ احْتاجَ إِلَيْهِ، يَصْرِفُ[3] وَجْهَهُ عن الطَّعامِ، وَأَخَذَهُ بِيَسارِهِ، ولا يَغْمِسَ اللُّقْمَةَ الدَّسِمَةَ في الْخَلِّ، وَلَا الْخَلَّ في الدُّسومَةِ، ولا يَغْمِسَ ما قَطَعَهُ بِسِنِّهِ في الْمَرَقَةِ أَوِ الْخَلِّ، ولا يَتَكَلَّمَ بِالْمُسْتَقْذَراتِ[4].

---

(1) لا يَروعُكَ، في الإحياء: 2/ 8.

(2) المصدر نفسه: 2/ 8.

(3) صرف، في المصدر نفسه: 2/ 8.

(4) المصدر نفسه: 2/ 8.

الْمَطْلَبُ الثَّالِثُ: في آدابِ تَقْديمِ الطَّعامِ إلى إِخْوانِهِ الزَّائِرينِ

وَلَهُ فَضْلٌ كَثيرٌ. وفي الْخَبَرِ: لا يُحاسَبُ الْعَبْدُ على ما يَأْكُلُهُ مَعَ إِخْوانِهِ، وَكَذَا على أُكْلَةِ السَّحورِ، وما أَفْطَرَ عليه.

وَكانَ الصَّحابَةُ يَقُولونَ: الاِجْتِماعُ على الطَّعامِ مِنْ مَكارِمِ الْأَخْلاقِ، وَكانُوا يَجْتَمِعونَ على قِراءَةِ الْقُرْآنِ، ولا يَتَفَرَّقونَ إِلَّا عن ذَواقٍ[1].

وَأَمَّا آدابُهُ، فلا يَدْخُلْ وَقْتَ الْأَكْلِ بلا إِذْنٍ. وَفِي الْخَبَرِ: مَنْ مَشَى إلى طَعامٍ لم يُدْعَ إليه مَشَى فاسِقًا، وَأَكَلَ حَرامًا. وَأَمَّا إذا كانَ جائِعًا فَقَصَدَ بَعْضَ إِخْوانِهِ لِيُطْعِمَهُ، وَلَمْ يَتَرَبَّصْ به وَقْتَ أَكْلِهِ فلا بَأْسَ به، إِذْ فيه إِعانَةٌ لِذلِكَ الْمُسْلِمِ على حِيازَةِ ثَوابِ الْإِطْعامِ. وَكانَ ذلِكَ عادَةَ السَّلَفِ. قَصَدَ رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ وأبو بَكْرٍ وَعُمَرُ مَنْزِلَ أبي الْهَيْثَمِ بْنِ التَّيِّهانِ وأَبِي أَيوبَ الْأَنْصارِيِّ لِأَجْلِ طَعامٍ يَأْكُلونَهُ، وَكانُوا جِياعًا، وَكانَ لِعَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْمَسْعودِيِّ ثَلاثُمِئَةٍ وَسِتُّونَ صَديقًا يَدورُ عليهم في السَّنَةِ، وَلِآخَرَ ثَلاثونَ يَدورُ عَلَيْهِمْ فِي الشَّهْرِ، وَلِآخَرَ سَبْعَةٌ، فَكانَ إِخْوانُهُمْ يَعولونَهُمْ بَدَلًا عن كَسْبِهِمْ، وَهُمْ كانوا يَتَبَرَّكونَ بِإِطْعامِهِمْ[2].

---

(1) ضرب الذَّوَاقُ مَثَلًا لِمَا يَنالون عِنْدَهُ مِنَ الْخَيْرِ أَي لَا يَتفرقون إلا عَنْ عِلْمٍ وأَدب يَتعلَّمونه، يَقوم لأَنفسهم وأَرواحهم مَقام الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ لأَجسامهم. اللسان: ذوق.

(2) الإحياء: 2/ 9-10.

فَإِنْ دَخَلَ وَلَمْ يَجِدْ صاحِبَ الدَّارِ - وَكانَ واثِقًا بِصَداقَتِهِ، عالِمًا بِفَرَحِهِ - فَلَهُ أنْ يَأْكُلَ بِغَيْرِ إِذْنِهِ، إِذِ الْمُرادُ مِنَ الْإِذْنِ الرِّضا، لا سِيَّمَا في الْأَطْعِمَةِ؛ وَأَمْرُها على السَّعَةِ، فَرُبَّ رَجُلٍ يُصَرِّحُ بِالْإِذْنِ، وَيَحْلِفُ وهو غَيْرُ راضٍ، فَأَكْلُ طَعامِهِ مَكْروهٌ، وَرُبَّ غائِبٍ لَمْ يَأْذَنْ، وَأَكْلُ طَعامِهِ مَحْبوبٌ. وقالَ تعالى: ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾[1]، وَقَدْ فَعَلَهُ السَّلَفُ.

وَأَمَّا آدابُ التَّقْديمِ، فَتَرْكُ التَّكَلُّفِ أَوَّلًا، وَتَقْدِيمُ ما حَضَرَ، وَلا يَسْتَقْرِضُ لِأَجْلِهِ، وَإِنْ لَمْ تَسْمَحْ نَفْسُهُ فلا يُقَدِّمْ وإنْ رَأَى الْمُحْتاجَ. وَالتَّكَلُّفُ هو أَنْ تَزِيدَ على ما تَأْكُلُهُ في الْجَوْدَةِ والْقِيمَةِ، وإنَّمَا يُكْرَهُ لِأَدائِهِ إلى كَراهَةِ الزَّائِرِ وَمَلَلِهِ وانْقِطاعِهِ عن الْمَجيءِ إِلَيْهِ.

وَمِنَ التَّكَلُّفِ أَنْ يُقَدِّمَ جَمِيعَ ما عِنْدَهُ فَيُؤْذِيَ عِيالَهُ، وَكانَ السَّلَفُ يَقولونَ: لا نَدْرِي أَيُّهُما أَعْظَمَ وِزْرًا، الَّذِي يَحْتَقِرُ ما يُقَدَّمُ إلَيْهِ، أَوِ الَّذِي يَحْتَقِرُ ما عِنْدَهُ أَنْ يُقَدِّمَهُ.

وَمِنَ الْآدابِ: أَنْ لا يَقْتَرِحَ [الزَّائِرُ][2] ولا يَتَحَكَّمَ بِشَيْءٍ بِعَيْنِهِ، فَرُبَّما يَشُقُّ على الْمَزورِ إِحْضارُهُ، فَإِنْ خَيَّرَهُ أَخوهُ بين طَعامَيْنِ فَلْيَخْتَرْ أَيْسَرَهُمَا عليه، كَذَلِكَ السُّنَّةُ، إلَّا إذا عَلِمَ أَنَّهُ يَتَيَسَّرُ له، أو لا يُكْرَهُ له الاِقْتِراحُ.

(1) سورة النور، الآية: 61.

(2) زيادة من أنطاليا.

وَمِنَ الْآدابِ: أَنْ يُشَهِّيَ الْمَزورُ أَخاهُ الزَّائِرَ، وَيَلْتَمِسَ منه الاِقْتِراحَ مهما كانَتْ نَفْسُهُ طَيِّبَةً بِفِعْلِ ما يَقْتَرِحُ، فَذَلِكَ حَسَنٌ، وَفيهِ أَجْرٌ وَفَضْلٌ جَزيلٌ. وَكَذا لا يَقولُ له: هَلْ أُقَدِّمُ لَكَ طَعامًا بَلْ يُقَدِّمُ إنْ كانَ، فإنْ أَكَلَ وَإِلَّا فَارْفَعْ[1].

---

(1) الإحياء: 10-11.

الْمَطْلَبُ الرَّابِعُ: في آدابِ الضِّيافَةِ

وَكانَتِ الضّيافَةُ سُنَّةَ إِبْراهيمَ الْخَليلِ عليه السَّلامُ، وَكانَ يُكْنَى أبا الضِّيفانِ. وَكانَ إذا أَرادَ أَنْ يَأْكُلَ خَرَجَ مِيلًا أَوْ مِيلَيْنِ يَلْتَمِسُ مَنْ يَتَغَذَّى مَعَهُ، وَلِصِدْقِ نِيَّتِهِ فيها دامَتْ ضِيافَتُهُ في مَشْهَدِهِ [إلى يَوْمِنَا هذا][1]. وَنُقِلَ عن قُوَّامِ الْمَوْضِعِ أَنَّهُ لم يَخْلُ إلى الْآنَ لَيْلَةً عن ضَيْفٍ.

وَسُئِلَ رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ: ما الْإِيمانُ؟ فَقالَ: «إِطْعامُ الطَّعامِ، وَبَذْلُ السَّلامِ»[2].

وَفيها سِتَّةُ آدابٍ:

أَحَدُها: الدَّعْوَةُ، فَيَدْعو الْأَتْقِياءَ دونَ الْفُسَّاقِ، وَقَدْ وَرَدَ في الْحَديثِ: «أَكَلَ طَعامَكُمُ الْأَبْرارُ»، في الدُّعاءِ لِمَنْ دَعاهُ. وَيَقْصِدُ الْفُقَراءَ، ولا يَخُصُّ الْأَغْنِياءَ؛ وفي الْحَديثِ: «شَرُّ الطَّعامِ طَعامُ الْوَليمَةِ يُدْعى إليه الْأَغْنِياءُ، وَيُذادُ عنه الْفُقَراءُ»[3].

وَيَنْبَغِي أن لا يُهْمِلَ أَقارِبَهُ في ضِيافَتِهِ، فإِنَّ إِهْمالَهُمْ إِيحاشٌ وَقَطْعُ رَحِمٍ. وَكَذَا يُراعِي التَّرْتِيبَ في أَصْدِقائِهِ ومَعارِفِهِ، لِأَنَّ في تَخْصيصِ الْبَعْضِ إِيحاشَ الْباقِينَ. وَيَنْبَغِي أَنْ لا يَقْصِدَ بِدَعْوَتِهِ الْمُباهاةَ والتَّفاخُرَ، بل اسْتِمالَةَ قُلوبِ الْإِخْوانِ،

---

(1) زيادة من أنطاليا.

(2) صحيح البخاري: 1/ 15، رقم: 27، واللفظ من الإحياء: 2/ 13.

(3) صحيح مسلم: 2/ 1054، رقم: 1432، والنقل من الإحياء: 2/ 13.

وَالتَّسَنُّنَ بِسُنَّةِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ في إِطْعامِ الطَّعامِ، وإِدْخالِ السُّرورِ على قُلوبِ الْمُؤْمِنِينَ. ولا يَدْعُوَ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَشُقُّ الْإِجابَةُ عليه، وإذا حَضَرَ تَأَذَّى بِالْحاضِرينَ بِسَبَبٍ مِنَ الْأَسْبابِ، ولا يَدْعُوَ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ إِجابَتَهُ[1].

وَثانِيها: الْإِجابَةُ، فَهِيَ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ، وَقِيلَ بِوُجوبِهَا في بَعْضِ الْمَواضِعِ؛ وفي الْحَديثِ: «لَوْ دُعِيتُ إلى كُراعٍ لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِراعٌ لَقَبِلْتُ»[2].

وَلها آدابٌ خَمْسَةٌ:

الْأَوَّلُ: أَنْ لا يُمَيِّزَ الْغَنِيَّ بِالْإِجابَةِ عن الْفَقيرِ، لِأَنَّ ذَلِكَ تَكَبُّرٌ، إِلَّا إذا دُعِيَ فَخْرًا أَوْ تَكَلُّفًا فَلْيُعَلِّلْ ولا يُجِيبُ. وَلِذَلِكَ قالَ بَعْضُ الصُّوفِيَّةِ: لا تَجِبُ إِلَّا دَعْوَةُ مَنْ يَرَى أَنَّكَ أَكَلْتَ رِزْقَكَ، وَأَنَّهُ سَلَّمَهُ إِلَيْكَ وَدِيعَةً كانَتْ لَكَ عِنْدَهُ، وَيَرَى لَكَ الْفَضْلَ عليه في قَبولِ تِلْكَ الْوَديعَةِ منه.

الثَّانِي: لا يَمْتَنِعُ عن الْإِجابَةِ لِبُعْدِ الْمَسافَةِ، وَمِقْدارُ مَسافَةِ الْإِجابَةِ مَعْلومٌ مِنَ الْعُرْفِ وَالْعادَةِ. وَقيلَ: يُجِيبُ إذا كانَ قَدْرَ ثَلاثَةِ أَمْيالٍ.

الثَّالِثُ: أَنْ يَحْضُرَ ولو صائِمًا تَطَوُّعًا، وَلْيَنْوِ إدْخالَ السُّرورِ على قَلْبِ أَخيهِ، فإِنَّهُ أَفْضَلُ منه، إِلَّا إذا عَلِمَ مِنَ الدَّاعِي تَكَلُّفًا فَيَتَعَلَّلُ، وَإذا لم يُفْطِرْ فَضِيافَتُهُ الطِّيبُ وَالْحَديثُ الطَّيِّبُ.

---

(1) الإحياء: 2/ 13.

(2) صحيح البخاري: 7/ 25، رقم: 5178.

الرَّابِعُ: أنْ يَمْتَنِعَ مِنَ الْإِجابَةِ إنْ كانَ الطَّعامُ طَعامَ شُبْهَةٍ، أو الْمَوْضِعُ أو الْبِساطُ الْمَفْروشُ، أو كانَ في الْمَقامِ مُنْكَرٌ مِنْ فَرْشِ دِيباجٍ، أو إِناءِ فِضَّةٍ، أو تَصْويرِ حَيَوانٍ، أو سَماعِ الْمَلاهِي، أو الْهَزْلِ واللَّعِبِ، فإنَّ الْإِجابَةَ عند هَذِهِ مُحَرَّمَةٌ أو مَكْروهَةٌ، وكَذَا إذا كانَ الدَّاعِي ظالِمًا أو مُبْتَدِعًا أو فاسِقًا أو شِرِّيرًا، أو مُتكَلِّفًا طَلَبًا لِلْمُباهاةِ وَالْفَخْرِ.

الْخامِسُ: أن لا يَقْصِدَ بِالْإِجابَةِ قَضاءَ شَهْوَةِ الْبَطْنِ بل الاقْتِداءَ بِالسُّنَّةِ[1]. وفي الْحَديثِ: «لو دُعِيتُ إلى كُراعٍ لَأَجَبْتُ».

وَيَنْوِي التَّحَرُّزَ عن الْمَعْصِيَةِ، وفي الْحَديثِ: «مَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ فَقَدْ عَصَى اللهَ»[2].

وَيَنْوِي إِكْرامَ أَخيهِ الْمُؤْمِنِ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ: «مَنْ أَكْرَمَ أَخاهُ الْمُؤْمِنَ فَإِنَّما يُكْرِمُ اللهَ»[3].

وَيَنْوِي إدْخالَ السُّرورِ في قَلْبِهِ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ: «مَنْ سَرَّ مُؤْمِنًا فَقَدْ سَرَّ اللهَ»[4].

وَيَنْوِي أَيْضًا سُنَّةَ الزِّيارَةِ.

---

(1) الإحياء: 2/ 13-14.

(2) المصدر نفسه: 2/ 14، تخريج أحاديث الإحياء: 447.

(3) الضعفاء الكبير للعقيلي: 4/ 29، المعجم الأوسط للطبراني: 8/ 283، الكامل في ضعفاء الرجال: 2/ 230، الإحياء: 2/ 14، الترغيب والترهيب: 1/ 160، المقاصد الحسنة: 626.

(4) الضعفاء الكبير للعقيلي: 4/ 29، حلية الأولياء: 3/ 56، الإحياء: 2/ 15، العلل المتناهية: 2/ 22.

وَثالِثُها: **آدابُ الْحُضورِ**، فَيَدْخُلُ بِلَا تَصَدُّرٍ، بل بِتَواضُعٍ، ولا يُطَوِّلُ عليهم الْإِنْتِظارَ، ولا يُعَجِّلُ بِحَيْثُ يُفاجِئُهُمْ قَبْلَ اسْتِعْدادِهِمْ، ولا يُزاحِمُ الْحاضِرينَ في الْمَكانِ، بل يَجْلِسُ حَيْثُ يَأْمُرُ صاحِبُ الدَّعْوَةِ، وَلا يَجْلِسُ في مُقابَلَةِ بابِ حُجْرَةِ النِّساءِ، ولا يُكْثِرُ النَّظَرَ إلى مَوْضِعِ خُروجِ الطَّعامِ فإِنَّهُ مِنَ الشَّرَهِ، وَيَخُصُّ مَنْ يَقْرُبُ منه بِالتَّحِيَّةِ إذا جَلَسَ.

وإذا باتَ الضَّيْفُ في مَنْزِلِهِ فَلْيُعَرِّفْهُ الْقِبْلَةَ ومَوْضِعَ الطَّهارَةِ وَالْوُضوءِ، وَيَغْسِلُ رَبُّ الْبَيْتِ يَدَهُ أَوَّلًا قَبْلَ الطَّعامِ، وَبَعْدَهُ يَتَأَخَّرُ، وَإِذا رَأَى في الْبَيْتِ مُنْكَرًا غَيَّرَهُ إنْ قَدَرَ، وإِلَّا أَنْكَرَ بِلِسانِهِ وَانْصَرَفَ؛ كَفُرُشِ الدِّيباجِ، وَأَواني الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ وَالتَّصْويرِ وَالْمَلاهِي وَحُضورِ النِّساءِ الْمُكَشَّفاتِ الْوُجوهِ، وَمِنْها سِتْرُ الْحِيطانِ بِالدِّيباجِ، وعِنْدَ الْبَعْضِ لا يَحْرُمُ، إذِ الْحُرْمَةُ لِلرِّجالِ، وَالْجِدارُ لَيْسَ مِنْهُمْ، وَأَمَّا النَّظَرُ فلا يَحْرُمُ كما إذا لَبِسَ الْحَريرَ الْجَوارِي[1].

وَرابِعُها: **إِحْضارُ الطَّعامِ**، وَلهُ آدابٌ خَمْسَةٌ:

الْأَوَّلُ: تَعْجِيلُ الطَّعامِ، فإِنَّ ذلِكَ سُنَّةٌ[2].

الثَّانِي: تَرْتيبُ الْأَطْعِمَةِ، فَتَقْدِيمُ الْفاكِهَةِ أَوْلَى شَرْعًا وَطِبًّا، ثُمَّ اللَّحْمِ وَالثَّرِيدِ، لأَنَّ له فَضْلًا على سائِرِ الْأَطْعِمَةِ؛ وفي الْحَديثِ: «فَضْلُ عائِشَةَ على

---

(1) الإحياء: 2/ 15-16.

(2) فإن ذلك من إكرام الضيف، في أنطاليا.

النِّساءِ؛ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ على سائِرِ الطَّعامِ»[1].

فإنْ جَمَعَ إليهِ حَلاوَةً فَقَدْ جَمَعَ الطَّيِّباتِ، وَتَمامُهَا بِشُرْبِ الْماءِ الْبارِدِ وَ[صَبِّ][2] الْماءِ الْفاتِرِ في غَسْلِ الْيَدِ.

قالَ الْمَأْمونُ: الْماءُ الْمَثْلوجُ يُخْلِصُ الشُّكْرَ للهِ. وَزِينَةُ الْمائِدَةِ بِالْبَقولِ لِخُضْرَتِهَا.

الثَّالِثُ: وَيُسْتَحَبُّ أَيْضًا أَنْ يُقَدِّمَ مِنَ الْأَلْوانِ أَلْطَفَهَا، حَتَّى يَسْتَكْفِيَ منها مَنْ يُرِيدُ ولا يُكْثِرَ الْأَكْلَ بَعْدَهُ. وَعادَةُ الْمُتَرَفِّهينَ تَقْديمُ الْغَليظِ لِيُكْثِرَ مِنَ اللَّطيفِ بَعْدَهُ، وَهُوَ خِلافُ السُّنَّةِ، فإنَّهُ حِيلةٌ في اسْتِكْثارِ الْأَكْلِ. وَمِنْ سُنَّةِ الْمُتَقَدِّمينَ أنْ يُقَدِّمُوا الْأَلْوانَ جُمْلَةً دُفْعَةً لِيَأْكُلَ كُلُّ واحِدٍ مما يَشْتَهِي، وإنْ لم يَكُنْ عِنْدَهُ إلَّا لَوْنٌ واحِدٌ ذَكَرَهُ لِيَسْتَوْفوا منه، ولا يَنْتَظِرُوا أَطْيَبَ مِنْهُ[3].

الرَّابِعُ: أَنْ لا يُبادِرَ إلى رَفْعِ الْأَلْوانِ، بَلْ يُمَكِّنَهُمْ مِنَ الاِسْتيفاءِ حتَّى يَرْفَعُوا الْأَيْدِي. وَأَيْضًا لَا يَرْفَعُ يَدَهُ قَبْلَ الضِّيفانِ بَلْ يَكونُ آخِرَهُمْ أَكْلًا[4].

الْخامِسُ: أنْ يُقَدِّمَ قَدْرَ الْكِفايَةِ، إذِ النَّقْصُ مِنْهُ نَقْصٌ في الْمُروءَةِ، وَالزِّيادَةُ عليه تَصَنُّعٌ، إلَّا أَنْ تَطِيبَ نَفْسُهُ بِأَكْلِهِمُ الْجَميعَ.

---

(1) صحيح البخاري: 7/ 75، رقم: 5419.

(2) زيادة من أنطاليا.

(3) الإحياء: 2/ 16-17.

(4) رفعا، في قونية.

وَفي الْحَديثِ: «أَنَّهُ لا يُحاسَبُ عَلَيْهِ»[1]. وَعَنْ إبْراهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ: لَيْسَ في الطَّعامِ سَرَفٌ[2].

وَيَنْبَغِي أَنْ يَعْزِلَ نَصيبَ أَهْلِ بَيْتِهِ لِئَلَّا تَطْمَحَ أَعْيُنُهُمْ إلى رُجوعِ شَيْءٍ مِنْهُ، فَلَعَلَّهُ لا يَرْجِعُ، فَتَضِيقَ صُدورُهُمْ، وَتَنْطَلِقَ في الضِّيفانِ أَلْسِنَتُهُمْ. وَأَيْضًا رَفْعُ الزَّلَّةِ حَرامٌ، إلَّا إذا صَرَّحَ بِالْإِذْنِ صاحِبُ الطَّعامِ، أَوْ عَلِمَ أَنَّهُ لا يَكْرَهُ ذلِكَ، ومَعَ ذلِكَ أَيْضًا فلا يَخُصُّ نَفْسَهُ بما لا يَرْضَى به رَفيقُهُ.

خامِسُهَا: **الاِنْصِرافُ**، وله آدابٌ ثَلاثَةٌ:

الْأَوَّلُ: مِنْ سُنَّةِ الضَّيْفِ أَنْ يُشَيِّعَ إلى بابِ الدَّارِ، كذا وَرَدَ في الْحَدِيثِ، وَذَلِكَ مِنْ إكْرامِ الضَّيْفِ، وَقَدْ أُمِرْنا به. وَتَمامُ الْإِكْرامِ، طَلاقَةُ الْوَجْهِ، وَطِيبُ الْكَلامِ عِنْدَ الدُّخولِ وَالْخُروجِ، وعلى الْمائِدَةِ[3].

وَالثَّانِي: أنَّ مِنَ التَّواضُعِ أَنْ يَنْصَرِفَ الضَّيْفُ طَيِّبَ النَّفْسِ وإنْ جَرَى في حَقِّهِ تَقْصِيرٌ. يُحْكَى أَنَّ أُسْتاذَ الْجُنَيْدِ دَعاهُ صَبِيٌّ إلى دَعْوَةِ أَبِيهِ، فَرَدَّهُ الْأَبُ في أَرْبَعِ مَرَّاتٍ، وَهُوَ يَرْجِعُ في كُلِّ مَرَّةٍ تَطْيِيبًا لِقَلْبِ الصَّبِيِّ في الْحُضورِ، وَلِقَلْبِ الْأَبِ في الاِنْصِرافِ؛ فَهَذِهِ نُفوسٌ اطْمَأَنَّتْ بِالتَّوْحِيدِ. وَيَرَى الْكُلَّ مِنَ اللهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ، فَيَتَذَلَّلَ له بِالتَّواضُعِ.

---

(1) الإحياء: 2/ 17.

(2) قوت القلوب: 2/ 303، الإحياء: 2/ 17.

(3) الإحياء: 2/ 17-18.

وَالثَّالِثُ: أنْ لا يَخْرُجَ إلَّا بِرِضا صاحِبِ الْمَنْزِلِ وإِذْنِهِ، وَيُراعِي قَلْبَهُ في قَدْرِ الْإِقامَةِ. وإذا نَزَلَ ضَيْفًا فلا يُقيمُ فَوْقَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ، لِئَلَّا يَتبَرَّمَ به، وَيَحتاجَ إلى إِخْراجِهِ، إلَّا إذا أَلَحَّ رَبُّ الْمَنْزِلِ عن خُلوصِ قَلْبٍ فَلَهُ الْمُقامُ إذْ ذاكَ[1].

فَوائِدُ مُتَفَرِّقَةٌ:

الْأَكْلُ في السُّوقِ دَناءَةٌ، وَجَوَّزَهُ الْبَعْضُ، وَالْحَقُّ أَنَّهُ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلافِ الْبِلادِ وَالْعاداتِ، وَتَفاوُتِ أَحْوالِ الْأَشْخاصِ.

قالَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: مَنِ ابْتَدَأَ غِداءَهُ بِالْمِلْحِ أَذْهَبَ الله عنه سَبْعينَ نَوْعًا من الْبَلاءِ. وَمَنْ أَكَلَ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعَ تَمَراتِ عَجْوَةٍ قَتَلَتْ كُلَّ دابَّةٍ في بَطْنِهِ[2]. وَمَنْ أَكَلَ كُلَّ يَوْمٍ إِحْدَى وَعِشْرينَ زَبيبَةً حَمْراءَ لم يَرَ في جِسْمِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ، وَاللَّحْمُ يُنْبِتُ اللَّحْمَ، وَالثَّريدُ طَعامُ الْعَرَبِ، وَالشَّفارْجاتُ[3] تُعَظِّمُ الْبَطْنَ، وَتُرْخِي الْأُنْثَيَيْنِ[4]، وَلَحْمُ الْبَقَرِ داءٌ، وَلَبَنُها شِفاءٌ، وَسَمْنُها دَواءٌ، وَالشَّحْمُ يُخْرِجُ مِثْلَهُ مِنَ الدَّاءِ، وَلَنْ تَسْتَشْفِيَ النُّفَساءُ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنَ الرُّطَبِ، وَالسَّمَكُ يُذيبُ الْجَسَدَ، وَقِراءَةُ الْقُرْآنِ وَالسِّواكُ يُذْهِبُ الْبَلْغَمَ،

---

(1) الإحياء: 2/ 18.

(2) في حديث البخاري: 7/ 80: «مَنْ تَصَبَّحَ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعَ تَمَرَاتٍ عَجْوَةٍ، لَمْ يَضُرَّهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ سُمٌّ وَلَا سِحْرٌ.»، واللفظ من الإحياء: 2/ 19.

(3) والبسقارجات، في الإحياء: 2/ 19 مصدر النقل.

(4) كتب تحتها في نسخة أنطاليا: الأليتين، وهو كذلك في الإحياء: 2/ 19 مصدر النقل.

وَمَنْ أَرادَ الْبَقاءَ - وَلَا بَقاءَ - فَلْيُباكِرِ الْغِداءَ، وَلْيُقَلِّلْ غَشَيانَ النِّساءِ، وَلْيُخَفِّفِ الرِّداءَ وهو الدَّيْنُ[1].

وعَنْ بَعْضِ الْأَطِبَّاءِ: لا تَنْكِحْ إلَّا فَتاةً، ولا تَأْكُلْ إلَّا فَتِيًّا، ولا تَأْكُلْ ما لم يَنْضَجْ طَبْخُهُ، وَلَا تَشْرَبْ دَواءً إلَّا مِنْ عِلَّةٍ، ولا تَأْكُلْ مِنَ الْفاكِهَةِ إلَّا نَضِيجَها، وَلَا تَأْكُلْ طَعامًا إلَّا أَجَدْتَ مَضْغَهُ، وَكُلْ ما أَحْبَبْتَ مِنَ الطَّعامِ وَلَا تَشْرَبْ عليه، فَإذا شَرِبْتَ فلا تَأْكُلْ منه شَيْئًا، ولا تَحْبِسِ الْغائِطَ وَالْبَوْلَ. فإذا أَكَلْتَ بِالنَّهارِ فَنَمْ، وإذا أَكَلْتَ بِاللَّيْلِ فَامْشِ قَبْلَ أَنْ تَنامَ وَلَوْ مِئَةَ خُطْوَةٍ، وفيهِ تَقولُ الْعَرَبُ: تَغَدَّ تَمَدَّ، تَعَشَّ تَمَشَّ؛ كَمَا قالَ تعالى: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾[2]، أَيْ يَتَمَدَّدُ[3].

وَقيلَ: حَبْسُ الْبَوْلِ يُفْسِدُ الْجَسَدَ إِفْسادَ النَّهْرِ ما حَوْلَهُ إذا سُدَّ مَجْراهُ.

وفي الْخَبَرِ: قَطْعُ الْعُروقِ مَسْقَمَةٌ، وَتَرْكُ الْعِشاءِ مَهْرَمَةٌ.

وَمِنَ الْفَوائِدِ الْجَليلَةِ: الْحِمْيَةُ تُضِرُّ بِالصَّحيحِ كَمَا يُضِرُّ تَرْكُها بِالْمَريضِ.

وَقيلَ: الْحِمْيَةُ مُسْتَحْسَنَةٌ، وَالْحَقُّ أَنَّ الْحِمْيَةَ عَنِ الْمُضِرَّاتِ نافِعَةٌ لِلْبَدَنِ بِلَا شَكٍّ، وَإِنَّما الَّتِي تُمْنَعُ هِيَ الْحِمْيَةُ الَّتِي يَعْتادُها الْبَدَنُ، فإذا تَغَيَّرَ عنها ولو بِشَيْءٍ قَليلٍ يَتَضَرَّرُ بها الْبَدَنُ. وَيُسْتَحَبُّ أن يُحْمَلَ الطَّعامُ إلى أَهْلِ الْمَيِّتِ

---

(1) الإحياء: 2/ 19.

(2) سورة القيامة، الآية: 33.

(3) يتمطط، في أنطاليا.

وهو سُنَّةٌ، إلَّا ما يُهَيَّأُ لِلنَّوائِحِ وَالْمُغَنِّياتِ فلا يُؤْكَلُ معهم، وكَذا طَعامُ الظَّلَمَةِ.

وَقِيلَ: إذا صَحَّ التَّوَكُّلُ لا يَضُرُّ حَمْلُ الطَّعامِ معه، وإذا صَحَّتِ النِّيَّةُ لا يَضُرُّ التَّوَسُّعُ في الطَّعامِ، وَقَدْ أَمَرَ أبو عَلِيٍّ الرُّوذَبارِيُّ[1] فَصَنَعوا له الْحَلاوَى مِنْ أَحْمالِ السُّكَّرِ على هَيْئَةِ أَبْنِيَةٍ ومَحاريبَ وَأَعْمِدَةٍ، ثُمَّ أَمَرَ وَانْتَهَبَها[2] الصُّوفِيَّةُ.

قالَ الشَّافِعِيُّ: الْأَكْلُ على أَرْبَعَةِ أَنْحاءٍ: الْأَكْلُ بِأُصْبُعٍ مِنَ الْمَقْتِ، وَبِأُصْبُعَيْنِ من الْكِبْرِ، وَبِثَلاثٍ مِنَ السُّنَّةِ، وبما زادَ مِنَ الشَّرَهِ[3].

وَقالَ: أَرْبَعٌ تُقَوِّي الْبَدَنَ: أَكْلُ اللَّحْمِ، وَالطِّيبُ، وَكَثْرَةُ الْغُسْلِ مِنْ غَيْرِ جِماعٍ، وَلُبْسُ الْكَتَّانِ.

وَأَرْبَعٌ تُوهِنُ الْبَدَنَ: كَثْرَةُ الْجِماعِ، وَكَثْرَةُ الْهَمِّ، وَشُرْبُ الْماءِ على الرِّيقِ، وَكَثْرَةُ أَكْلِ الْحُموضَةِ.

وَأَرْبَعٌ تُقَوِّي الْبَصَرَ: الْجُلوسُ في حُيالِ الْقِبْلَةِ، وَالْكُحْلُ عِنْدَ النَّوْمِ، وَالنَّظَرُ إلى الْخُضْرَةِ، وَتَنْظيفُ الْمَلْبَسِ.

وَأَرْبَعٌ تُوهِنُ الْبَصَرَ: النَّظَرُ إلى الْقَذَرِ، والنَّظَرُ إلى الْمَصْلوبِ، والنَّظَرُ إلى فَرْجِ الْمَرْأَةِ، وَالْقُعودُ في اسْتِدْبارِ الْقِبْلَةِ.

---

(1) محمد بن أحمد بن القاسم، أبو علي الروذباري، فاضل من كبار الصوفية (ت.322هـ).

(2) وانتهبتها، الأزهرية.

(3) الإحياء: 2/ 19-20.

وَأَرْبَعٌ تَزِيدُ في الْجِماعِ: أَكْلُ الْعَصافِيرِ، وَأَكْلُ الإِطْرِيفِلِ[1] الْأَكْبَرِ، وَأَكْلُ الْفُسْتُقِ، وَأَكْلُ الْجَرْجِيرِ.

وَالنَّوْمُ على أَرْبَعِ أَنْحاءٍ: نَوْمُ الْأَنْبِياءِ، وَهُوَ النَّوْمُ على الْقَفَا، يَتَفَكَّرونَ في خَلْقِ السَّمَواتِ وَالْأَرْضِ، وَنَوْمٌ على الْيَمينِ، وهو نَوْمُ الْعُلَماءِ والْعُبَّادِ، وَنَوْمٌ على الشِّمالِ، وهُوَ نَوْمُ الْمُلوكِ لِهَضْمِ طَعامِهِمْ، وَنَوْمٌ على الْوَجْهِ وهو نَوْمُ الشَّياطِينِ.

وَأَرْبَعٌ تَزِيدُ في الْعَقْلِ: تَرْكُ فُضولِ الْكَلامِ، وَالسِّواكُ، وَمُجالَسَةُ الصَّالِحينَ والْعُلَماءِ.

وَأَرْبَعٌ مِنَ الْعِبادَةِ: لا يَخْطُو خُطْوَةً إِلَّا على وُضوءٍ، وَكَثْرَةُ السُّجودِ، وَلُزومُ الْمَساجِدِ، وَكَثْرَةُ قِراءَةِ الْقُرْآنِ.

وَقالَ أَيْضًا: عَجِبْتُ لِمَنْ يَدْخُلُ الْحَمَّامَ على الرِّيقِ ثُمَّ يُؤَخِّرُ الْأَكْلَ بَعْدَ أَنْ يَخْرُجَ كَيْفَ لا يَموتُ، وَعَجِبْتُ لِمَنِ احْتَجَمَ ثُمَّ يُبادِرُ الْأَكْلَ كَيْفَ لا يَموتُ.

وَقالَ: لَمْ أَرَ شَيْئًا أَنْفَعَ في الْوَباءِ مِنَ الْبَنَفْسَجِ يُدَّهَنُ به وَيُشْرَبُ[2].

---

(1) أطريفال: لفظة يونانية معناها الإهليلجات، وهو من أدوية الدماغ وقطع الأبخرة وتقوية الأعصاب والمعدة وقطع البواسير وسلس البول. التذكرة: للأنطاكي: 1/ 48.

(2) الإحياء: 2/ 20.

الْأَصْلُ الثَّانِي: فِي آدابِ النِّكاحِ

وفيها مَطالِبُ:

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ: فِي التَّرْغِيبِ فيه وعنه

وَاخْتُلِفَ فيه، قالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ أَفْضَلُ مِنَ التَّخَلِّي لِعِبادَةِ الله تعالى، وَبَعْضُهُمْ عَكَسَ، لَكِنْ لِمَنْ لَيْسَ له تَوَقانٌ يُشَوِّشُ حالَهُ.

وَقيلَ: الْأَفْضَلُ التَّرْكُ فِي هذا الزَّمانِ. وَبَيانُ الْحَقِّ فيه يَتَوَقَّفُ على تَفْصيلِ أَمْرِ التَّفْضيلِ.

أَمَّا التَّرْغِيبُ فِيهِ فَبِقَوْلِهِ تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ﴾[1]، وَهَذا أَمْرٌ؛ وَبِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ: «النِّكاحُ سُنَّتِي، فَمَنْ رَغِبَ عن سُنَّتِي فَلَيْسِ مِنِّي»[2].

وقالَ: «مَنْ تَرَكَ التَّزْوِيجَ مَخافَةَ الْعَيْلَةِ فَلَيْسَ مِنِّي»[3].

وَكانَ ابْنُ مَسْعودٍ رَضِيَ الله عَنْهُ يَقولُ: «لَوْ لم يَبْقَ مِنْ عُمُرِي إِلَّا عَشَرَةُ أَيَّامٍ، لَأَحْبَبْتُ أَنْ أَتَزَوَّجَ وَلَا أَلْقَى الله عَزَبًا»[4].

---

(1) سورة النور، الآية: 32.

(2) صحيح البخاري: 7/ 2، رقم: 5063، بلفظ: «... لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي». وبهذا اللفظ في: المبسوط للسرخسي: 4/ 193، الإحياء: 2/ 22، جمع الجوامع: 4/ 206.

(3) قوت القلوب: 2/ 396، الإحياء: 2/ 22، طبقات الشافعية الكبرى: 6/ 309، جمع الجوامع: 8/ 791.

(4) قوت القلوب: 2/ 396، الإحياء: 2/ 23.

قالَ سُفْيانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: كَثْرَةُ النِّساءِ لَيْسَ مِنَ الدُّنْيَا، لِأَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ الله عنه كانَ أَزْهَدَ أَصْحابِ رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ، وَكانَ له أَرْبَعُ نِسْوَةٍ وَسَبْعَ عَشْرَةَ سُرِّيَّةً، فَالنِّكاحُ سُنَّةٌ ماضِيَةٌ، وَخُلُقٌ مِنْ أَخْلاقِ الْأَنْبياءِ[1].

وَقيلَ: فَضْلُ الْمُتَأَهِّلِ على الْعَزَبِ كَفَضْلِ الْمُجاهِدِ على الْقاعِدِ، وَرَكْعَةٌ مِنْ مُتَأَهِّلٍ أَفْضَلُ مِنْ سَبْعينَ رَكْعَةً مِنْ عَزَبٍ.

وَأَمَّا التَّرْغِيبُ عنه فَبِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ: «خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ الْمِئَتَيْنِ الْخَفيفُ الْحاذُّ الَّذِي لا أَهْلَ له ولا وَلَدَ»[2].

وفي الْخَبَرِ: «قِلَّةُ الْعِيالِ أَحَدُ الْيَسارَيْنِ، وَكَثْرَتُهُمْ أَحَدُ الْفَقْرَيْنِ»[3].

وَقالَ الْحَسَنُ: إذا أَرادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا لم يَشْغَلْهُ بِأَهْلٍ ولا مالٍ.

وَقَدْ ظَهَرَ لك مِنْ مَساقِ ما قَدَّمْناهُ، أنَّ ما نُقِلَ في التَّرْغِيبِ عنه مَشْرُوطٌ بِشَرائِطَ بِخِلافِ التَّرْغِيبِ فيه.

---

(1) الإحياء: 2/ 23.

(2) الضعفاء الكبير للعقيلي: 2/ 69، الكامل في ضعفاء الرجال: 4/ 115، قوت القلوب: 2/ 398، الإحياء: 2/ 24، الموضوعات للصغاني: 60.

(3) الطبقات الكبرى: 5/ 136، النفقة على العيال لابن أبي الدنيا: 1/ 249، قوت القلوب: 2/ 397، الإحياء: 2/ 24، كشف الخفاء: 492، جمع الجوامع: 6/ 237.

الْمَطْلَبُ الثَّانِي: في فَوائِدِ النِّكاحِ

وَهِيَ خَمْسٌ:

الْأُولَى: الْوَلَدُ، وهو الْأَصْلُ الَّذِي وُضِعَ لِأَجْلِهِ النِّكاحُ، لِئَلَّا يَخْلُوَ الْعالَمُ من جِنْسِ الْإِنْسِ، وإنَّمَا الشَّهْوَةُ لِلتَّلَطُّفِ في السِّياقَةِ إلى اقْتِناصِ الْوَلَدِ. وَلَمَّا اقْتَضَتِ الْحِكْمَةُ الْأَزَلِيَّةُ تَرْتيبَ الْمُسَبَّباتِ على الْأَسْبابِ مع الاِسْتِغْناءِ عَنْهَا، لِعَدَمِ قُصورِ الْقُدْرَةِ الْأَزَلِيَّةِ عن إيجادِ الْأَشْخاصِ بِدونِ الْوِقاعِ، قُدِّرَ الْوَلَدُ بِالاِزْدِواجِ إِتْمامًا لِعَجائِبِ الصَّنْعَةِ، وَتَحْقيقًا لِمَا سَبَقَتْ بِهِ الْمَشيئَةُ، وَحقَّتْ به الْكَلِمَةُ، وَجَرَى به الْقَلَمُ، فَفِي تَحْصِيلِ الْوَلَدِ قُرْبَةٌ مِنْ أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ:

أَحَدُها: فَضْلُ النِّكاحِ وَإِنْ أَمِنَ مِنْ غَوائِلِ الشَّهْوَةِ، وَمُوافَقَةِ مَحَبَّةِ اللهِ في السَّعْيِ لِبَقاءِ جِنْسِ الْإِنْسانِ.

وَثانِيها: طَلَبُ مَحَبَّةِ الرَّسولِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ في تَكْثِيرِ مَنْ يُباهِي بِهِ.

وَثالِثُها: طَلَبُ التَبَرُّكِ بِدُعاءِ الْوَلَدِ الصَّالِحِ له بَعْدَهُ.

وَرابِعُها: طَلَبُ الشَّفاعَةِ بِمَوْتِ الْوَلَدِ الصَّغيرِ إذا ماتَ قَبْلَهُ.

أَمَّا الْوَجْهُ الْأَوَّلُ، فَهُوَ أَدَقُّ الْوُجوهِ وَأَبْعَدُها عَنْ أَفْهامِ الْجَماهِيرِ، وَهُوَ أَقْواهَا عِنْدَ ذَوِي الْبَصائِرِ النَّافِذَةِ في عَجائِبِ صُنْعِ اللهِ وَمَجارِي حِكْمَتِهِ. وَذَلِكَ لِأَنَّ اللهَ تعالى خَلَقَ أَعْضاءَ الْحِراثَةِ، وَأَعْضاءً مُهَيَّأَةً لها[1]، وَخَلَقَ

(1) خلق الإنسان، وسلم إليه البذر وآلات الحراثة، وأرضا مهيأة لها، في أنطاليا.

الْبَذْرَ، وَسَلَّطَ مُتَقاضِيَ الشَّهْوَةِ على كُلِّ واحِدٍ من الزَّوْجَيْنِ، فَمَنْ له بَصِيرَةٌ نافِذَةٌ يَفْهَمُ مِنْ شَواهِدِ الْخِلْقَةِ الْمَكْتوبَةِ على هذه الْأَعْضاءِ بِخَطٍّ إِلَهِيٍّ - لَيْسَ بِرَقْمِ حُروفٍ وَأَصْواتٍ - أَنَّ الصَّانِعَ الْحَكيمَ أَرادَ مِنْ عِبادِهِ الْأَوْلادَ وَالنَّسْلَ[1]. وَلِذَلِكَ عَظَّمَ الشَّرْعُ الْوَأْدَ، سِيَّمَا وَقَدْ صَرَّحَ بِالْأَمْرِ، وَباحَ بِالسِّرِّ بِأَنْ قالَ: «تَناكَحُوا تَكاثَرُوا»[2].

وَإِيَّاكَ أَنْ تَتَوَهَّمَ التَّنافِيَ بَيْنَ مَحَبَّةِ اللهِ تعالى بَقاءَ النَّسْلِ وَإِرادَةَ فَنائِهِمْ، لِأَنَّ إِرادَةَ الْفَناءِ يُمْكِنُ جَمْعُها مَعَ كَراهَتِهِ، كَمَا قالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ حِكايَةً عن رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «ما تَرَدَّدْتُ في شَيْءٍ أنا فاعِلُهُ كَتَرَدُّدِي في قَبْضِ روحِ عَبْدِي الْمُسْلِمِ، هُوَ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَساءَتَهُ ولا بُدَّ مِنْهُ»[3].

فَفِي قَوْلِهِ: «وَلَا بُدَّ مِنَ الْمَوْتِ»، إِشارَةٌ إلى سَبْقِ الْإِرادَةِ وَالتَّقْدِيرِ الْمَذْكورِ في قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ﴾[4]؛ وَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾[5].

وَتَحْقِيقُ هذا الْمَقامِ خارِجٌ عَنْ طَوْقِنَا وَعَنْ طَوْقِ هذا **الْمُخْتَصَرِ**، لِأَنَّهَا داخِلَةٌ في عُلومِ الْمُكاشَفَةِ، وَوَراءَها سِرُّ الْقَدَرِ الَّذِي مَنَعَ الشَّرْعُ عَنْ إِفْشائِهِ.

---

(1) الإحياء: 2/ 24-25.

(2) الحاوي الكبير في فقه الإمام الشافعي: 17/ 238، الذريعة إلى مكارم الشريعة، 221، فتح الباري: 9/ 111.

(3) صحيح البخاري: 8/ 105، رقم: 6502، والنقل من الإحياء: 2/ 25.

(4) سورة الواقعة، الآية: 60.

(5) سورة الملك، الآية: 2.

فَظَهَرَ مِنْ هذا أَنَّ مَنْ رَغِبَ عن النِّكاحِ فَقَدْ ضَيَّعَ نَسْلًا أَدامَ اللهُ وُجودَهُ مِنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ، عَقِبًا بَعْدَ عَقِبٍ إلى أنِ انْتَهى إلَيْهِ، حَتَّى خَتَمَ الْوُجودَ الْمُسْتَدامَ مِنْ وُجودِ آدَمَ على نَفْسِهِ، فَماتَ أَبْتَرَ لا عَقِبَ له[1].

الْوَجْهُ الثَّانِي: مِنْ مَحَبَّةِ الرَّسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلِمُباهاتِهِ بِكَثْرَةِ أُمَّتِهِ حَتَّى قالَ: «خَيْرُ نِسائِكُمُ الْوَدودُ الْوَلودُ»[2].

وَقالَ: «سَوْداءُ وَلودٌ خَيْرٌ مِنْ حَسْناءَ لا تَلِدُ»[3].

هذا يَدُلُّ على أنَّ الْأَصْلَ مِنَ التَّزَوُّجِ الْوَلَدُ دونَ الشَّهْوَةِ، لِأَنَّهَا أَكْمَلُ في الْحَسْناءِ، وَأَنَّها أَصْلَحُ لِلتَّحْصِينِ وَغَضِّ الْبَصَرِ.

الْوَجْهُ الثَّالِثُ: أَنْ يَبْقَى له وَلَدٌ يَدْعُو له كما وَرَدَ في الْخَبَرِ: إنَّ جَميعَ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يَنْقَطِعُ إلَّا ثَلاثًا: «وَلَدٌ صالِحٌ يَدْعو لَهُ»[4]. الْحَديث.

الْوَجْهُ الرَّابِعُ: أنْ يموتَ الْوَلَدُ قَبْلَهُ فَيَكونَ شَفيعًا، وَالْأَخْبارُ في ذَلِكَ كَثِيرَةٌ.

الْفائِدَةُ الثَّانِيَةُ: التَّحَصُّنُ عَنِ الشَّيْطانِ، وَكَسْرُ التَّوَقانِ، وَدَفْعُ غَوائِلِ الشَّهْوَةِ، وَغَضُّ الْبَصَرِ، وَحِفْظُ الْفَرْجِ. وَإِلَيْهِ وَقَعَتِ الْإشارَةُ في الْحَديثِ

(1) الإحياء: 25.

(2) أدب النساء لعبد الملك بن حبيب: 141، قوت القلوب: 2/ 403، السنن الكبرى للبيهقي: 14/ 11، الإحياء: 2/ 26.

(3) الضعفاء الكبير للعقيلي: 3/ 253، المجروحين لابن حبان: 2/ 111، المعجم الكبير للطبراني: 19/ 416، الإحياء: 2/ 26.

(4) صحيح مسلم: 3/ 1255، رقم: 1631.، والنقل من الإحياء: 2/ 26.

بِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ: «مَنْ نَكَحَ فَقَدْ أَحْرَزَ نِصْفَ دِينِهِ، فَلْيَتَّقِ اللهَ فِي الشَّطْرِ الْآخَرِ»(1).

وَاعْلَمْ أَنَّ هذِهِ الْفائِدَةَ دونَ الْفائِدَةِ الأولى، لِأَنَّ الْغايَةَ الْأَخيرَةَ أَشْرَفُ مِنَ الْغايَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَالْغايَةُ الْأَخيرَةُ هِيَ الْوَلَدُ، وَالْمُتَقَدِّمَةُ هي اللَّذَّةُ.

وَمَعَ ذَلِكَ فَفِي اللَّذَّةِ مَصْلَحَةٌ أُخْرَى باطِنَةٌ سِوَى الْمَصْلَحَةِ الظَّاهِرَةِ الَّتِي هِيَ الْوَلَدُ، وَذَلِكَ أَنْ يَسْتَدِلَّ الْمُناكِحُ بِهَذِهِ اللَّذَّةِ الْعَظيمَةِ السَّريعَةِ الِانْقِطاعِ، إلى اللَّذَّةِ الدَّائِمَةِ الَّتِي لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ، لِتَكونَ باعِثَةً على عِبادَةِ اللهِ تعالى.

فَانْظُرْ إلى الْحِكْمَةِ، ثُمَّ الرَّحْمَةِ، ثُمَّ النِّعْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ كَيْفَ غَيَّبَتْ تَحْتَ شَهْوَةٍ واحِدَةٍ حَياتَيْنِ، حَياةً ظاهِرَةً، وَهِيَ بَقاءُ النَّسْلِ، وَحَياةً باطِنَةً، وَهِيَ التَّوَسُّلُ إلى لَذَّةِ الْآخِرَةِ. سُبْحانَ مَنْ لَمْ يَجْعَلْ ذَرَّةً مِنْ ذَرَّاتِ مَلَكوتِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ إلَّا جَعَلَ تَحْتَها مِنْ لَطائِفِ الْحِكَمِ وَعَجائِبِها ما تَحارُ فيها الْعُقولُ، وَإِنَّما يَنْكَشِفُ لِلْقُلوبِ الطَّاهِرَةِ الصَّافِيَةِ الرَّاغِبَةِ عَنْ زَهْرَةِ الدُّنْيا وَغُرورِها وَأَغْوالِها(2).

الْفائِدَةُ الثَّالِثَةُ: النَّظَرُ إلى وَجْهِها وَالْمُلاعَبَةُ مَعَها، لِأَنَّ في ذَلِكَ إراحَةً لِلْقَلْبِ، وَتَقْوِيَةً له على الْعِبادَةِ، فَإِنَّ النَّفْسَ مَلولٌ في الْأُمورِ، وهو عن

---

(1) قوت القلوب: 2/ 399، الإحياء: 2/ 27، العلل المتناهية: 2/ 122، المقاصد الحسنة: 638، كشف الخفاء: 2/ 284.

(2) الإحياء: 2/ 30.

الْحَقِّ[1] نَفورٌ، لِأَنَّهُ على خِلافِ طَبْعِها، فَلَوْ كُلِّفَتِ الْمُداوَمَةَ جَمَحَتْ وَتَأَبَّتْ، وَإِذا رُوِّحَتْ بِاللَّذاتِ[2] الْمُباحَةِ في بَعْضِ الْأَوْقاتِ قَوِيَتْ وَنَشِطَتْ. وفي الاِسْتِئْناسِ بِالنِّساءِ مِنَ الاِسْتِراحَةِ ما يُزيلُ الْكَرْبَ، وَيُرَوِّحُ الْقَلْبَ[3].

وَفي الْخَبَرِ: «على الْعاقِلِ أَنْ يَكونَ له ثَلاثُ ساعاتٍ، ساعَةٌ يُناجِي فيها رَبَّهُ، وَساعَةٌ يُحاسِبُ فيها نَفْسَهُ، وَساعَةٌ يَخْلو فيها بِمَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ، فإِنَّ في هذِهِ السَّاعَةِ عَوْنًا على تِلْكَ السَّاعاتِ»[4].

الْفائِدَةُ الرَّابِعَةُ: تَفْريغُ الْقَلْبِ عَنْ تَدْبيرِ الْمَنْزِلِ، إِذِ التَّكَفُّلُ بِجَميعِ أَشْغالِ الْمَنْزِلِ يُضَيِّعُ أَكْثَرَ الْأَوْقاتِ، وَلَمْ يُفَرِّغْ لِلْعِلْمِ وَالْعَمَلِ. وَلِذَلِكَ قِيلَ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ لَيْسَتْ مِنَ الدُّنْيا.

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقَرَظِيُّ في [مَعْنَى][5] قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾[6]. قالَ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ.

الْفائِدَةُ الْخامِسَةُ: مُجاهَدَةُ النَّفْسِ، وَرِياضَتُها بِالرِّعايَةِ وَالْوِلايَةِ، وَالْقِيامُ بِحُقوقِ الْأَهْلِ، وَالصَّبْرُ على أَخْلاقِهِنَّ، وَاحْتِمالُ الْأَذَى مِنْهُنَّ، وَالسَّعْيُ في

---

(1) الخلق، في رئيس الكتاب.

(2) باللذة، في رئيس الكتاب.

(3) الإحياء: 2/ 27-28.

(4) الجامع لمعمر بن راشد: 11/ 21، الزهد والرقائق لابن المبارك: 105، المصنف لعبد الرزاق: 10/ 99، الإحياء: 2/ 30.

(5) زيادة من أنطاليا.

(6) سورة البقرة، الآية: 201.

إِصْلاحِهِنَّ وَإِرْشادِهِنَّ إلى طَرِيقِ الدِّينِ، وَالاِجْتِهادُ في كَسْبِ الْحَلالِ لِأَجْلِهِنَّ، وَالْقِيامُ بِتَرْبِيَةِ الْأَوْلادِ، إِذْ لَيْسَ مَنِ اشْتَغَلَ بِإِصْلاحِ نَفْسِهِ وَغَيْرِهِ كَمَنِ اشْتَغَلَ بِإِصْلاحِ نَفْسِهِ فَقَطْ، ولا مَنْ صَبَرَ على الْأَذَى كَمَنْ رَفَّهَ نَفْسَهُ وَأَراحَهَا، وَقَدْ قالَ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ: «ما أَنْفَقَ الرَّجُلُ على أَهْلِهِ فَهُوَ صَدَقَةٌ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُؤْجَرُ في رَفْعِ اللُّقْمَةِ إلى في امْرَأَتِهِ».

وَفِي حَديثٍ آخَرَ: «إِنَّ اللهَ تعالى يُحِبُّ الْفَقيرَ الْمُتَعَفِّفَ أَبَا الْعِيالِ»[1].

وَاعْلَمْ أنَّ هذِهِ الْفائِدَةَ لِلْعابِدينَ، وَأَمَّا أَرْبابُ الْقُلوبِ، فَرُبَّما يَشْغَلُهُمُ الْعِيالُ عن الْكَمالِ[2].

---

(1) الزهد لوكيع: 363، سنن ابن ماجه: 2/ 1380، المعجم الكبير للعقيلي: 3/ 474، المعجم الكبير للطبراني: 18/ 242.

(2) الإحياء: 2/ 31-32.

الْمَطْلَبُ الثَّالِثُ: في آفاتِ النِّكاحِ

وَهِيَ ثَلاثٌ:

الْأولَى: وهِيَ أَقْواها الْعَجْزُ عَنْ طَلَبِ الْحَلالِ، فَإِنَّ الْمُتَأَهِّلَ رُبَّمَا يَتَّبِعُ هَوَى زَوْجَتِهِ، وَالْحَلالُ رُبَّمَا يَعِزُّ عليهِ، فَيَبيعُ آخِرَتَهُ بِدُنْياهُ. وَيُقالُ: إنَّ أَهْلَهُ وَعِيالَهُ يَكونونَ خُصَماءَ له في الْقِيامَةِ، بِأَنَّهُ أَطْعَمَنا الْحَرامَ وَنَحْنُ لا نَعْلَمُهُ، وَلِذَا قالَ ابْنُ سالِمٍ: تَرْكُ التَّزَوُّجِ أَفْضَلُ في زَمانِنَا هذا إلَّا لِمَنْ له شَبَقٌ كَشَبَقِ الْحِمارِ، وَلا يَمْلِكُ نَفْسَهُ أَصْلًا.

الْآفَةُ الثَّانِيَةُ: الْقُصورُ عَنِ الْقِيامِ بِحُقوقِهِنَّ، وَالصَّبْرِ على أَخْلاقِهِنَّ، وَاحْتِمالِ الْأَذَى مِنْهُنَّ، وفِي هذا أَيْضًا خطَرٌ، لِأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ راعٍ، وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، إلَّا أنَّ هَذِهِ أَيْسَرُ مِنَ الْآفَةِ الْأُولَى. ومَعَ ذلِكَ فهِيَ آفَةٌ عَظيمَةٌ، لا يَسْلَمُ منها إلَّا حَكيمٌ عاقِلٌ يَتَغافَلُ عنْ زَلَلِهِنَّ، وَيُدارِي أَخْلاقَهُنَّ، إذِ الْأَغْلَبُ عَلَيْهِنَّ السَّفَهُ وَالْفَظاظَةُ وَالْحِدَّةُ وَالطَّيْشُ وَسوءُ الْخُلُقِ، وَعَدَمُ الْإِنْصافِ مَعَ طَلَبِ تَمامِ الْإِنْصافِ.

الْآفَةُ الثَّالِثَةُ: وَهِيَ دونَ الْأُولَيَيْنِ(1)، أَنْ يَكونَ الْوَلَدُ وَالْأَهْلُ شاغِلينَ له عَنِ اللهِ تعالى، وَجاذِبًا إلى طَلَبِ الدُّنْيا، وَتَدْبيرِ حُسْنِ الْمَعيشَةِ لِلْأَوْلادِ بِكَثْرَةِ جَمْعِ الْمالِ، وَادِّخارِهِ لهم، وطَلَبِ التَّفاخُرِ والتَّكاثُرِ. وَلَسْتُ أَعْنِي الْمالَ

---

(1) الأولين، في الأزهرية.

الْحَرامَ، فإنَّ ذلِكَ مِمَّا انْدَرَجَ تَحْتَ الْأُولَيَيْنِ، بَلِ التَّنَعُّمَ بِالْمُباحِ، وَالْإِمْعانَ في مُلاعَبَةِ النِّساءِ وَالْأَوْلادِ، ولا يَتَفَرَّغُ لِلْفِكْرِ في الْآخِرَةِ وَالِاسْتِعْدادِ لها[1].

إذا عَرَفْتَ مَجامِعَ الْفَوائِدِ وَالْآفاتِ في النِّكاحِ، فَاعْتَبِرْ هذِهِ الْفَوائِدَ وَالْآفاتِ، واعْرِضْ نَفْسَكَ عَلَيْها، فَإِنِ انْتفَتْ[2] في حَقِّهِ[3] الْآفاتُ بِأَنْ يَكونَ شابًّا مُحْتاجًا إلى التَّحْصِينِ، وَمُنْفَرِدًا مُحْتاجًا إلى تَدْبِيرِ الْمَنْزِلِ، فَانْظُرْ إِنِ اجْتَمَعَتْ في حَقِّهِ الْفَوائِدُ مِنَ الْمالِ، وَالْخُلُقِ الْحَسَنِ، وَعَدَمِ صَدِّ النِّكاحِ إِيَّاهُ عَنِ الشُّغْلِ بِاللهِ فَعَلَيْهِ النِّكاحُ. فَإِنِ انْتَفَتِ الْفَوائِدُ، وَاجْتَمَعَتِ الْآفاتُ، فَالْعُزوبَةُ أَفْضَلُ له.

وَإِنْ [تَقابَلَ][4] بَعْضُ الْفَوائِدِ مَعَ بَعْضِ الْآفَةِ فَعَلَيْهِ أَنْ يُوزَنَ بِالْمِيزانِ الْقِسْطِ، فَأَيُّهُما رَجَحَ فَالْحُكْمُ له. مَثَلًا مَنْ لَيْسَ له حاجَةٌ إلى كَسْرِ الشَّهْوَةِ، وَكانَ حَظُّهُ الْوَلَدَ فَقَطْ، وَلَمْ يَتَيَسَّرْ له الْكَسْبُ الْحَلالُ، فَالْعُزوبَةُ أَفْضَلُ؛ لِأَنَّ عَدَمَ الْوَلَدِ خَيْرٌ مِنَ الطَّعامِ الْحَرامِ. وَأَمَّا إِنْ خافَ الزِّنَا مَعَ الْكَسْبِ الْحَرامِ فَالنِّكاحُ أَوْلَى.

وَأَمَّا إِنْ خافَ النَّظَرَ الْحَرامَ [مَعَ الْكَسْبِ الْحَرامِ][5] فَالْعُزوبَةُ أَوْلَى، لِأَنَّ النَّظَرَ يَقَعُ أَحْيانًا فَهُوَ أَهْوَنُ الشَّرَّيْنِ، وإِنْ أَمِنَ النَّظَرَ أَيْضًا، لَكِنْ لم يَقْدِرْ على

---

(1) الإحياء: 2/ 33-34.

(2) اتفقت، في قونية ورئيس الكتاب.

(3) في نفسه، في قونية.

(4) زيادة من أنطاليا.

(5) سقط من أنطاليا.

دَفْعِ وَسْواسِ الْجِماعِ فَالْعُزوبَةُ أَوْلَى، لِأَنَّ عَمَلَ الْقَلْبِ أَقْرَبُ إلى الْعَفْوِ من الْقوتِ الْحَرامِ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَنْ أَمِنَ الآفاتِ كُلَّها فَالْأَفْضَلُ له التَّخَلِّي لِلْعِبادَةِ أَوِ النِّكاحِ.

قُلْتُ: يَجْمَعُ بَيْنَهُما إنْ كانَ مِنَ الْعُبَّادِ، لِأَنَّ الْكَسْبَ الْحَلالَ لِأَجْلِ الْعِيالِ عِبادَةٌ، وَإِنْ كانَ مِنْ أَهْلِ الْقُلوبِ، يُشَوِّشُهُ طَلَبُ الْمَعاشِ، فَالتَّخَلِّي أَفْضَلُ له[1].

فَإِنْ قُلْتَ: فَلِمَ تَرَكَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ النِّكاحَ مَعَ فَضْلِهِ؟ وَلِمَ اسْتَكْثَرَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ مِنَ الْأَزْواجِ مَعَ أَنَّ التَّخَلِّيَ لِلْعِبادَةِ أَفْضَلُ؟

قُلْتُ: الْكَلامُ في مِثْلِ هَذِهِ الْمَواضِعِ لا يَليقُ بِأَمْثالِنا، إِلَّا أَنَّ بَعْضًا مِنَ الْعُلَماءِ قالَ: اَلْجَمْعُ أَفْضَلُ لِمَنْ قَوِيَتْ مِنَّتُهُ، وَعَلَتْ هِمَّتُهُ، وَتَشَمَّرَ لِذَلِكَ، كَمَا فَعَلَهُ نَبِيُّنا صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ حَتَّى كانَ يَنْزِلُ عليه الْوَحْيُ وَهُوَ في فِراشِ امْرَأَتِهِ. أَمَّا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ وإنْ كانَ الظَّنُّ به الْقُدْرَةَ على الْجَمْعِ بَيْنَ النِّكاحِ والتَّخَلِّي لِلْعِبادَةِ، لَكِنْ لَعَلَّهُ عَمِلَ بِالْحَزْمِ، وَلَمْ يَتَشَمَّرْ لِذَلِكَ، أو عَزَّ في زَمانِهِ طَلَبُ الْحَلالِ. واللهُ أَعْلَمُ بِأَسْرارِ أَحْوالِهِمْ[2].

---

(1) الإحياء: 2/ 34-35.

(2) المصدر نفسه: 2/ 35-36.

الْمَطْلَبُ الرَّابِعُ: فِي شُروطِ الْعَقْدِ

وهِيَ أَرْبَعَةٌ:

الْأَوَّلُ: إِذْنُ الْوَلِيِّ، فَإِنْ لم يَكُنْ فَالسُّلْطانُ.

الثَّانِي: رِضَا الْمَرْأَةِ.

الثَّالِثُ: الشَّاهِدانِ.

الرَّابِعُ: إِيجابٌ وَقَبولٌ.

وَتَفاصِيلُ هذه الشُّروطِ في كُتُبِ الْفِقْهِ.

وَأَمَّا آدابُهُ، فَتَقْدِيمُ الْخِطْبَةِ مَعَ الْوَلِيِّ بَعْدَ الْعِدَّةِ بِلَا خِطْبَةٍ مِنَ الْغَيْرِ، وَالْخِطْبَةُ قَبْلَ النِّكاحِ، وَمَزْجُ التَّحْمِيدِ وَالصَّلاةِ بِالْإِيجابِ وَبِالْقَبولِ أَيْضًا، وَأَنْ يُلْقَى أَمْرُ الزَّوْجِ إلى سَمْعِ الزَّوْجَةِ، كما يُسْتَحَبُّ نَظَرُ الزَّوْجِ إِلَيْها قَبْلَ النِّكاحِ لِيَكونَ أَحْرَى أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَهُما[1]، وَإِحْضارُ جَمْعٍ مِنْ أَهْلِ الصَّلاحِ سِوَى الشَّاهِدَيْنِ.

وَمِنْها: أَنْ يَنْوِيَ بِالنِّكاحِ إِقامَةَ السُّنَّةِ، وَغَضَّ الْبَصَرِ، وَطَلَبَ الْوَلَدِ، وَسائِرَ الْفَوائِدِ، لا مُجَرَّدَ الْهَوَى لِئَلَّا يَصِيرَ مِنْ عَمَلِ الدُّنْيا[2].

---

(1) مصنف عبد الرزاق: 6/ 156، مصنف ابن أبي شيبة: 4/ 21، مسند أحمد: 30/ 88، سنن ابن ماجه: 1/ 599.

(2) الإحياء: 2/ 36.

الْمَطْلَبُ الْخامِسُ: **فِي أَحْكامِ الْمَنْكوحَةِ**

وهِيَ نَوْعانِ:

الْأَوَّلُ: ما يُعْتَبَرُ فيها لِلْحِلِّ، **وَمَوانِعُهُ تِسْعَةَ عَشَرَ**:

الْأَوَّلُ: أنْ تكونَ مَنْكوحَةً لِلْغَيْرِ.

الثَّانِي: أَنْ تكونَ مُعْتَدَّةً لِلْغَيْرِ.

الثَّالِثُ: أَنْ تكونَ مُرْتَدَّةً.

الرَّابِعُ: أَنْ تَكونَ مَجوسِيَّةً.

الخامِسُ: أَنْ تكونَ وَثَنِيَّةً، أو زِنْدِيقَةً، أو أَهْلَ إِباحَةٍ.

السَّادِسُ: أَنْ تكونَ كِتابِيَّةً قَدْ دانَتْ بِدينِهِمْ بَعْدَ التَّبْديلِ، أَوْ بَعْدَ مَبْعَثِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ، ومَعَ ذَلِكَ فَلَيْسَتْ مِنْ نَسَبِ بَنِي إِسْرائِيلَ، فإذا عُدِمَتْ كِلْتَا الْفَضِيلَتَيْنِ لَمْ يَحِلَّ نِكاحُها، وإِنْ عُدِمَتِ النَّسَبَ فَقَطْ فَفِيهِ خِلافٌ.

السَّابِعُ: أَنْ تكونَ رَقيقَةً، وَالنَّاكِحُ حُرٌّ قادِرٌ على طَوْلِ الْحُرَّةِ.

الثَّامِنُ: أَنْ يَكونَ كُلُّهَا أو بَعْضُها مَمْلوكَةً لِلنَّاكِحِ مِلْكَ يَمِينٍ.

التَّاسِعُ: أَنْ تَكونَ ذاتَ رَحِمٍ مُحَرَّمٍ لِلزَّوْجِ.

الْعاشِرُ: أَنْ تكونَ مُحَرَّمَةً بِالرَّضاعِ.

الْحادِي عَشَرَ: أَنْ تكونَ مُحَرَّمَةً بِالْمُصاهَرَةِ.

الثَّانِي عَشَرَ: أَنْ تكونَ خامِسَةً في النِّكاحِ أو في الْعِدَّةِ.

الثَّالِثَ عَشَرَ: أَنْ تَجْتَمِعَ في النِّكاحِ مَعَ امْرَأَةٍ لو كانَتْ ذَكَرًا حَرُمَتِ الْأُخْرَى عَلَيْهِ.

الرَّابِعَ عَشَرَ: أَنْ لا تَكونَ مُطَلَّقَةً ثَلاثًا لِلزَّوْجِ.

الْخامِسَ عَشَرَ: أَنْ لا تَكونَ مُلاعِنَةً لِلزَّوْجِ.

السَّادِسَ عَشَرَ: أَنْ لا يَكونَ أَحَدُ الزَّوْجَيْنِ مُحَرَّمًا.

السَّابِعَ عَشَرَ: أَنْ تَكونَ ثَيِّبًا صَغِيرَةً، وَفيهِ خِلافُ أَبي حَنِيفَةَ.

الثَّامِنَ عَشَرَ: أَنْ تَكونَ دونَ الْبُلوغِ، وَفيهِ أَيْضًا خِلافُ أَبي حَنِيفَةَ.

التَّاسِعَ عَشَرَ: أَنْ تَكونَ مِنْ أَزْواجِ رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ، لِأَنَّهُنَّ مِنْ أُمَّهاتِ الْمُؤْمِنينَ، وَذَلِكَ مِمَّا لا يوجَدُ في زَمانِنَا هَذَا[1].

النَّوْعُ الثَّانِي: الْخِصالُ الْمُطَيِّبَةُ لِلْعَيْشِ. وَهِيَ ثَمانِيَةٌ:

الْأولَى: أَنْ تَكونَ صالِحَةً ذاتَ دِينٍ، لِأَنَّها إِنْ كانَتْ ضَعِيفَةَ الدِّينِ في نَفْسِها وَفَرْجِهَا أَزْرَتْ بِزَوْجِها، وَسَوَّدَتْ بَيْنَ النَّاسِ وَجْهَهُ، وَتُشَوِّشُ بِالْغَيْرَةِ قَلْبَهُ، وَتُنَغِّصُ بِذَلِكَ عَيْشَهُ؛ وَكَذا إِنْ كانَتْ فاسِدَةَ الدِّينِ بِاسْتِهْلاكِ مالِهِ.

الثَّانِيَةُ: حُسْنُ الْخُلُقِ، وَذَلِكَ أَصْلٌ مُهِمٌّ في طَلَبِ الْفَراغِ وَالِاسْتِعانَةِ على الدِّينِ، فَإِنَّها إذا كانَتْ سَليطَةً، بَذِيئَةَ اللِّسانِ، سَيِّئَةَ الْخُلُقِ، كانَ ضَرَرُها أَكْثَرَ مِنْ نَفْعِها.

---

(1) الإحياء: 2/ 36-37.

الثَّالِثَةُ: حُسْنُ الْوَجْهِ، إِذِ الطَّبْعُ لا يَكْتَفِي بِالذَّمِيمَةِ، فَيُفَوِّتُ غَضَّ الْبَصَرِ. وَالنَّهْيُ عن التَّزَوُّجِ لِلْجمالِ كَوْنُ الْغَرَضِ الْأَصْلِيِّ الْجَمالَ دونَ الدِّينِ لا أَنَّهُ لا يُطْلَبُ أَصْلًا[1].

الرَّابِعَةُ: أَنْ تكونَ خَفيفَةَ الْمَهْرِ، لِأَنَّ ثِقْلَهَا يُفْسِدُ مَقاصِدَ النِّكاحِ، وَأَيْضًا يُخالِفُ السُّنَّةَ.

الْخامِسَةُ: أَنْ تكونَ وَلودًا، وَقَدْ مَرَّ.

السَّادِسَةُ: أَنْ تكونَ بِكْرًا، فَفِيها ثَلاثُ فَوائِدَ: أَحَدُها: أَنَّ الْأَبْكارَ تُحِبُّ أَزْواجَهُنَّ، إِذِ الْحُبُّ لِلْحَبيبِ الْأَوَّلِ؛ وَثانِيها: أَنَّهُنَّ مَرْغوبٌ عِنْدَ الْأَزْواجِ، فإِنَّ بَعْضَ الطِّباعِ تَنْفِرُ عن الَّتِي مَسَّتْهَا يَدٌ غَيْرُ يَدِهِ؛ وَثالِثُهَا: أَنَّ الْبِكْرَ لا تَحِنُّ إِلَّا إلى الزَّوْجِ الْأَوَّلِ لِمَا مَرَّ.

السَّابِعَةُ: أَنْ تكونَ نَسِيبَةً مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الدِّينِ وَالصَّلاحِ؛ إِذْ لِلتَّرْبِيَةِ مَدْخَلٌ عَظيمٌ[2] في حُسْنِ الْأَخْلاقِ.

الثَّامِنَةُ: أَنْ لا تكونَ مِنَ الْقَرابَةِ الْقَريبَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُقَلِّلُ الشَّهْوَةَ، وَمِنْ ذَلِكَ يُخْلَقُ الْوَلَدُ ضاوِيًا أَيْ نَحِيفًا[3].

---

(1) الإحياء: 2/ 37-38، وقد أساء طاش كبري زاده اختصار هذه النقطة، وهي في الإحياء أوضح وألطف.

(2) وردت منصوبة في النسخ الخطية.

(3) الإحياء: 2/ 39-41.

الْمَطْلَبُ السَّادِسُ: في آدابِ الْمُعاشَرَةِ

وهِيَ صِنْفانِ:

الْأَوَّلُ: ما على الزَّوْجِ. وَهِيَ اثْنَا عَشَرَ أَمْرًا:

أَحَدُها: الْوَليمَةُ، وَهِيَ مُسْتَحَبَّةٌ، وَيُسْتَحَبُّ التَّهْنِئَةُ، فَيَقولُ الدَّاخِلُ: «بارَكَ اللهُ لَكَ، وَبارَكَ عَلَيْك، وَجَمَعَ بَيْنَكُما في خَيْرٍ». وَيُسْتَحَبُّ إِظْهارُ النِّكاحِ.

وَفِي الْخَبَرِ: «فَصْلُ ما بَيْنَ الْحَلالِ وَالْحَرامِ الدَّفُّ وَالصَّوْتُ»[1].

وَثانِيهِمَا: حُسْنُ الْخُلُقِ، وَلَيْسَ هُوَ كَفَّ الْأَذَى عَنْهُنَّ، بَلِ احْتِمالُ الْأَذَى مِنْهُنَّ، كما كانَ يَفْعَلُهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ، تَرَحُّمًا عَلَيْهِنَّ لِقُصورِ عَقْلِهِنَّ، وَكانَ آخِرَ ما وَصَّى به رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ الْإِحْسانُ إِلَيْهِنَّ. كَذَا وَرَدَ في الْحَديثِ[2].

وَثالِثُها: أَنْ يَزيدَ على احْتِمالِ الْأَذَى بِالْمُداعَبَةِ وَالْمَزْحِ وَالْمُلاعَبَةِ، فَهِيَ الَّتِي تُطَيِّبُ قُلوبَ النِّساءِ. وَقَدْ كانَ رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ يَمْزَحُ مَعَهُنَّ، وَيَنْزِلُ إلى دَرَجَةِ عُقولِهِنَّ في الْأَعْمالِ وَالْأَخْلاقِ، وَذَلِكَ مَشْهورٌ مَذْكورٌ في كُتُبِ الْأَحاديثِ.

---

(1) مسند أحمد: 24/ 139، سنن ابن ماجه: 1/ 611، سنن الترمذي: 2/ 384، السنن الكبرى للنسائي: S/ 240، الإحياء: 2/ 42.

(2) ينظر صحيح مسلم: 2/ 1091.

وَرابِعُهَا: أَنْ لا يَنْبَسِطَ في الدُّعابَةِ إلى دَرَجَةٍ تُسْقِطُ هَيْبَتَهُ، لِأَنَّ ذَلِكَ يُفْسِدُ خُلُقَها، بَلْ يُراعِي الاِعْتِدالَ فيه، فلا يَدَعُ الْهَيْبَةَ وَالاِنْقِباضَ مَهْمَا رَأى مُنْكَرًا. وَفِي الْحَديثِ: «تَعِسَ عَبْدُ الزَّوْجَةِ»[1].

قالَ الشَّافِعِي: ثَلاثَةٌ إنْ أَكْرَمْتَهُمْ أَهانوكَ، وَإِنْ أَهَنْتَهُمْ أَكْرَموكَ، الْمَرْأَةُ وَالْخادِمُ وَالنَّبَطِيُّ؛ أَرادَ إنْ مَحَّضْتَ الْإِكْرامَ وَلَمْ تَمْزُجْهُ بِالْغِلْظَةِ[2].

وَبِالْجُمْلَةِ، قامَتِ السَّماواتُ وَالْأَرْضُ بِالْعَدْلِ، كُلَّمَا جاوَزَ حَدَّهُ انْعَكَسَ على ضِدِّهِ، وَالْغالِبُ عَلَيْهِنَّ رَكاكَةُ الْعَقْلِ، وَلا يَعْتَدِلُ ذَلِكَ مِنْهُنَّ إلَّا بِنَوْعِ لُطْفٍ مَمْزوجٍ بِسِياسَةٍ.

وَخامِسُها: الاِعْتِدالُ في الْغَيْرَةِ، بِأَنْ لا يَتَغافَلَ عن مَبادِئِ الْأُمورِ الَّتِي تُخْشَى غَوائِلُها، ولا يُبالِغَ في إساءَةِ الظَّنِّ وَالتَّعَنُّتِ وَتَجَسُّسِ الْبَواطِنِ. وَقَدْ نَهَى رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ أنْ يُتَتَبَّعَ عَوْراتُ النِّساءِ. إلَّا أنَّهُ لا يَدْخُلُ عَلَيْهَا الرِّجالُ، ولا هِيَ تَخْرُجُ إلى الْأَسْواقِ، ولا يَخْرُجْنَ إلى الْمَساجِدِ الْآنَ، وقَدْ كُنَّ يَخْرُجْنَ في زَمَنِ رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ، إذِ الزَّمانُ قد تَغَيَّرَ. وَقَدْ أَذِنَ لَهُنَّ أن يَخْرُجْنَ في الْأَعْيادِ خاصَّةً، ولَكِنْ لا يَخْرُجْنَ إلَّا بِرِضا أَزْواجِهِنَّ، لكن يُمْنَعْنَ مِنَ الْخُروجِ إلى النَّظَّاراتِ، وَمَجامِعِ النَّاسِ، لِغَلَبَةِ الْفَسادِ في زَمانِنَا. وإذا خَرَجْنَ يَنْبَغِي أنْ يَغْضُضْنَ أَبْصارَهُنَّ مِنْ وُجوهِ

---

(1) قوت القلوب: 2/ 420، الإحياء: 2/ 44، كشف الخفاء: 2/ 4.

(2) الإحياء: 2/ 42-45.

الرِّجالِ، وَوُجوهُهُمْ في حَقِّهِنَّ كَوَجْهِ الْأَمْرَدِ في حَقِّ الرِّجالِ، حَيْثُ يَحِلُّ النَّظَرُ إذا لم يُحْتَمَلِ الْفِتْنَةُ وَإلَّا يُكْرَهُ.

وَسادِسُها: الاِعْتِدالُ في النَّفَقَةِ والاِقْتِصادُ، فلا يُقَتِّرُ، ولا يُسْرِفُ، وَيَنْبَغِي أن لا يَسْتَأْثِرَ عن أَهْلِهِ بِمَأْكولٍ طَيِّبٍ، لِأَنَّ ذلِكَ خارِجٌ عن الْمُعاشَرَةِ بِالْمَعْروفِ. وإذا أَكَلَ يُقْعِدُ كُلَّ الْعِيالِ على مائِدَتِهِ، ولا يَصِفُ عِنْدَهُمْ طَعامًا لا يُطْعِمُهُمْ. وَيَجِبُ عليه إِطْعامُ عِيالِهِ الْحَلالَ. وَيَجوزُ لِلْمَرْأَةِ التَّصَدُّقُ بِبَقايا الطَّعامِ وما يَفْسُدُ لو تُرِكَ وإنْ لم يَأْذَنْ لها بِذَلِكَ صَريحًا إذِ الْحالُ شاهِدٌ بِالْإِذْنِ[1].

وَسابِعُها: أنْ يُعَلِّمَ زَوْجَتَهُ أَحْكامَ الْحَيْضِ وَأَحْكامَ الصَّلاةِ، وَيُلَقِّنَها اعْتِقادَ أَهْلِ السُّنَّةِ، وإنْ لم يَعْلَمِ الزَّوْجُ ذلِكَ فَعَلَيْهِ أنْ يَنوبَ عنها في السُّؤالِ، فإنْ لم يَفْعَلْ فَعَلَيْها الْخُروجُ لِلسُّؤالِ، وَيَعْصِي الرَّجُلُ بِمَنْعِها. وَبَعْدَ تَعَلُّمِ الْفَرائِضِ لَيْسَ لها طَلَبُ الْفَضْلِ وَحُضورُ مَجْلِسِ الذِّكْرِ إلَّا بِرِضا زَوْجِها.

وَثامِنُها: أَنْ يَعْدِلَ بَيْنَ نِسْوَتِهِ، ولا يَميلَ إلى بَعْضِهِنَّ، وإنْ أَرادَ السَّفَرَ يُقْرِعُ بَيْنَهُنَّ، وَإنْ لم يَعْدِلْ بَيْنَهُنَّ «جاءَ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَأَحَدُ شِقَّيْهِ مائِلٌ»[2]. كذا في الْحَدِيثِ. فَيَعْدِلُ في الْعَطاءِ وَالْمَبيتِ، وَأَمَّا الْحُبُّ وَالْوِقاعُ فلا يَدْخُلُ تَحْتَ الاِخْتِيارِ.

---

(1) الإحياء: 2/ 45-47.

(2) مسند الطيالسي: 4/ 201، مسند أحمد: 14/ 237، سنن ابن ماجه: 1/ 633، السنن الكبرى للبيهقي: 15/ 125، الإحياء: 2/ 148.

وَتاسِعُها: في النُّشوزِ، وهذا إنْ كانَ مِنْ جانِبِهما مَعًا، أو مِنَ الرَّجُلِ، فلا بُدَّ مِنْ حَكَمَيْنِ، أَحَدُهُما مِنْ أَهْلِهِ، وَالْآخَرُ مِنْ أَهْلِها، لِيَنْظُرا بَيْنَهُما، وَيُصْلِحا أَمْرَهُما، و﴿إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا﴾[1]. وإنْ كانَ مِنَ الْمَرْأَةِ خاصَّةً، فَالرِّجالُ قَوَّامونَ على النِّساءِ، فَلَهُ أنْ يُؤَدِّبَها، وَيَحْمِلَها على الطَّاعَةِ قَهْرًا. وَلَكِنْ يَنْبَغِي له التَّدْريجُ في التَّأْدِيبِ، يُقَدِّمُ أَوَّلًا الْوَعْظَ وَالتَّحْذِيرَ وَالتَّخْوِيفَ، فَإِنْ لم يَنْجَحْ وَلَّاها ظَهْرَهُ في الْمَضْجَعِ، أَوِ انْفَرَدَ عَنْها في الْفِراشِ وَهَجَرَها وهُوَ في الْبَيْتِ مِنَ لَيْلَةٍ إلى ثَلاثٍ، وَإِنْ لم يَنْجَعْ ضَرَبَها ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، ولا يَضْرِبُ وَجْهَهَا، وله أَنْ يَهْجُرَها في أَمْرِ الدِّينِ إلى شَهْرٍ أو عَشْرٍ[2].

وَعاشِرُها: في آدابِ الْجِماعِ، وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَبْدَأَ بِاسْمِ الله تعالى، وَيَقْرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾[3] أَوَّلًا، وَيُكَبِّرَ وَيُهَلِّلَ وَيَقولَ: بِسْمِ اللهِ الْعَلِيِّ الْعَظيمِ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ ذُرِيَّةً طَيِّبَةً إنْ كُنْتَ قَدَّرْتَ أن يَخْرُجَ مِنْ صُلْبِي. وَفِي الْحَديثِ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إذا أَتَى أَهْلَهُ قالَ: اللَّهُمَّ جَنِّبْنا الشَّيْطانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطانَ ما رَزَقْتَنا، فَإِنْ كانَ بَيْنَهُما وَلَدٌ لم يَضُرَّهُ الشَّيْطانُ»[4].

وَإِذَا قَرُبْتَ مِنَ الْإِنْزالِ فَقُلْ في نَفْسِكَ ولا تُحَرِّكْ شَفَتَيْكَ: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾[5]، اَلْآيَة.

---

(1) سورة النساء، الآية: 35.

(2) الإحياء: 2/ 48-49.

(3) سورة الإخلاص، الآية: 1.

(4) صحيح البخاري: 1/ 40، رقم: 141، صحيح مسلم: 2/ 1058، رقم: 1434.

(5) سورة الفرقان، الآية: 54.

وَكانَ بَعْضُ أَهْلِ الْحَديثِ يُكَبِّرُ حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتَهُ أَهْلُ الدَّارِ.

وَيَنْحَرِفُ عَنِ الْقِبْلَةِ إِكْرامًا لِلْقِبْلَةِ. وَلْيُغَطِّ نَفْسَهُ وَأَهْلَهُ بِثَوْبٍ، وَيَغُضَّ صَوْتَهُ، وَيأْمُرِ الْمَرْأَةَ بِالسَّكينَةِ.

وفي الْخَبَرِ: «لا يَتَجَرَّدانِ تَجَرُّدَ الْبَعيرِ»[1].

وَلْيُقَدِّمِ التَّلَطُّفَ بِالْكَلامِ وَالتَّقْبِيلِ، ولا يُجامِعْ في ثَلاثِ لَيالٍ مِنَ الشَّهْرِ: الْأَوَّلِ وَالنِّصْفِ وَالآخِرِ، يُقالُ: إِنَّ الشَّيْطانَ يَحْضُرُ الْجِماعَ في هَذِهِ اللَّيالِي، ولا يَقومُ عنها حَتَّى تَقْضِيَ وَطَرَها مِنَ الرَّجُلِ.

وَالْعَدْلُ في الْجِماعِ أنْ يَأْتِيَها في كُلِّ أَرْبَعِ لَيالٍ، ولا حَقَّ لها دونَ الْأَرْبَعِ، إِذْ عَدَدُ النِّساءِ أَرْبَعَةٌ، نَعَمْ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ بِحَسَبِ الْحاجَةِ وَالْقُدْرَةِ. ولا يَأْتِيهَا في الْحَيْضِ لِأَنَّهُ حَرامٌ، وَيورِثُ الْجُذامَ في الْوَلَدِ. وَيَسْتَمْتِعُ بِجَميعِ بَدَنِ الْحائِضِ سِوَى الْمَوْضِعِ الْمَكْروهِ في الْقُبُلِ وَالدُّبُرِ، وَلَهُ أنْ يَسْتَمْنِيَ بِبَدَنِها. وَإِنْ أَرادَ الْعَوْدَ بَعْدَ الْجِماعِ يَغْسِلُ فَرْجَهُ ثُمَّ يَعودُ، وَكَذَا إِنِ احْتَلَمَ وَأَرادَ أَنْ يُجامِعَ. وإِنْ أَرادَ النَّوْمَ جُنُبًا فَلْيَتَوَضَّأْ وُضوءَهُ لِلصَّلاةِ فَإِنَّهُ سُنَّةٌ. وَيُكْرَهُ الْعَزْلُ عَنْهَا، وَإِذَا قَدَّرَ اللهُ وَلَدًا لا يَمْنَعُهُ شَيْءٌ، وَيَحِلُّ الْعَزْلُ في زَوْجَتِهِ بِرِضاهَا وفي أَمَتِهِ مُطْلَقًا[2].

---

(1) المصنف لعبد الرزاق: 6/ 265، مصنف ابن أبي شيبة: 4/ 45، الضعفاء الكبير للعقيلي: 4/ 266، المعجم الكبير للطبراني: 10/ 196، الإحياء: 2/ 50 والنقل منه.

(2) الإحياء: 2/ 50-52.

الْحادِي عَشَرَ منها: آدابُ الْوِلادَةِ، وهِيَ خَمْسَةٌ:

الْأَوَّلُ: أَنْ لا يَكْثُرَ فَرَحُهُ بِالذَّكَرِ وَحُزْنُهُ بِالْأُنْثَى، فَإِنَّهُ لا يَدْرِي الْخَيْرَ في أَيِّهِمَا، سِيَّمَا وفي تَرْبِيَةِ الْبَناتِ فَضائِلُ تُذْكَرُ في الْأَحاديثِ.

الثَّانِي: أَنْ يُؤَذِّنَ في أُذُنِهِ الْيُمْنَى، وَيُقيمَ في أُذُنِهِ الْيُسْرَى؛ وَفي الْحَديثِ: «مَنْ فَعَلَ كَذَلِكَ دُفِعَتْ عنه أُمُّ الصِّبْيانِ»(1). وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يُلَقِّنُوا له أَوَّلَ انْطِلاقِ لِسانِهِ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، لِيَكونَ ذَلِكَ أَوَّلَ حَدِيثِهِ. وَالْخِتانُ في الْيَوْمِ السَّابِعِ وَرَدَ بِهِ الْخَبَرُ.

الثَّالِثُ: أَنْ يُسَمِّيَهُ بِاسْمٍ حَسَنٍ فَذَلِكَ حَقُّ الْوَلَدِ؛ وَفي الْحَديثِ: «أَحَبُّ الْأَسْماءِ إِلى اللهِ عَبْدُ اللهِ وَعَبْدُ الرَّحْمنِ»(2).

وَقالَ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ: «سَمُّوا بِاسْمِي، ولا تَكَنَّوْا بِكُنْيَتِي»(3).

قالَ بَعْضُ الْعُلَماءِ: ذَلِكَ في عَصْرِهِ، إِذْ كانَ يُنادَى يا أَبا الْقاسِمِ. وَكَرِهَ مَنْ يُكْنَى أَبا عِيسَى فَقالَ: «إِنَّ عِيسَى لا أَبَ لَهُ»(4). وَيَنْبَغِي أن يُسَمِّيَ السِّقْطَ،

---

(1) مسند أبي يعلى: 9/ 173، الكامل في ضعفاء الرجال: 9/ 24، شعب الإيمان: 11/ 106، الإحياء: 2/ 53.

(2) صحيح مسلم: 3/ 1682، رقم: 2132، والنقل من الإحياء: 2/ 54.

(3) صحيح البخاري: 8/ 42، رقم: 6178، وفيه: ولا تَكْتَنُوا، صحيح مسلم: 3/ 1683، رقم: 2133، والنقل من الإحياء: 2/ 54.

(4) الجامع لمعمر بن راشد: 11/ 42، المصنف لعبد الرزاق: 10/ 118، العلل لابن أبي حاتم: 5/ 668، والنقل من الإحياء: 2/ 54.

وَيُقالُ: إِنَّهُ يُطالِبُ أَباهُ وَيقولُ: أَنْتَ ضَيَّعْتَنِي وَمَا سَمَّيْتَنِي، وإِنْ لم يَدْرِ أَنَّهُ غُلامٌ أو جارِيَةٌ يُسَمَّى بِاسْمٍ يَجْمَعُهُما؛ كَحَمْزَةَ وَطَلْحَةَ وَعُمارَةَ وَعُتْبَةَ وَعَنْبَسَةَ. وَيُسْتَحَبُّ تَبْديلُ الْأَسْماءِ الْقَبِيحَةِ، بَدَّلَ رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ اسْمَ الْعاصِي بِعَبْدِ اللهِ. وَوَرَدَ النَّهْيُ في مِثْلِ أَفْلَحَ وَبَرَكَةَ[1]، إِذْ يُقالُ: «أَثَمَّ بَرَكَةُ؟ فَيُقالُ: لَا»[2].

الرَّابِعُ: الْعَقيقَةُ، في الْيَوْمِ السَّابِعِ عن الذَّكَرِ بِشاتَيْنِ، وَيَجوزُ شاةٌ واحِدَةٌ، وَعَنِ الْأُنْثَى شاةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَا بَأْسَ أَنْ تكونَ الشَّاةُ ذَكَرًا أو أُنْثَى. وَمِنَ السُّنَّةِ أَنْ يَحْلِقَ رَأْسَهُ الْيَوْمَ السَّابِعَ، وَيَتَصَدَّقَ بِزِنَةِ شَعْرِهِ فِضَّةً أو ذَهَبًا[3].

الْخامِسُ: أَنْ يُحَنِّكَهُ بِتَمْرَةٍ أَوْ حَلاوَةٍ[4].

الثَّانِي عَشَرَ: في آدابِ الطَّلاقِ، وَأَنَّهُ مُباحٌ، لَكِنَّهُ أَبْغَضُ الْمُباحاتِ.

وَلْيُراعِ فيه أَرْبَعَةَ أُمورٍ:

الْأَوَّلُ: أَنْ يُطَلِّقَها في طُهْرٍ لم يُجامِعْها فيهِ.

الثَّانِي: أَنْ يَقْتَصِرَ على طَلاقٍ واحِدٍ، ولا يَجْمَعَ بَيْنَ الثَّلاثِ.

---

(1) ينظر الحديث في صحيح مسلم: 3/ 1686، رقم: 2138.

(2) المنتخب من مسند عبد بن حميد: 2/ 136، مسند أبي يعلى: 3/ 657، سنن أبي داود: 7/ 315، الإحياء: 2/ 53-54.

(3) ينظر الحديث في الطبقات الكبرى: 1/ 135، مصنف ابن أبي شيبة: 5/ 113، سنن الترمذي: 3/ 179، المستدرك للحاكم: 4/ 265، الإحياء: 2/ 54.

(4) صحيح البخاري: 5/ 62، رقم: 3909، الإحياء: 2/ 55.

وَالثَّالِثُ: أَنْ يَتَلَطَّفَ في التَّعَلُّلِ بِتَطْليقِها مِنْ غَيْرِ تَعْنِيفٍ وَاسْتِخْفافٍ، وَيُطَيِّبَ قَلْبَها بِهَدِيَّةٍ على سَبِيلِ الْإِمْتاعِ وَالْجَبْرِ لِمَا فَجَعَها بِهِ مِنْ أَذَى الْفِراقِ.

الرَّابِعُ: أنْ لا يُفْشِيَ سِرَّهَا لا عِنْدَ النِّكاحِ، ولا عِنْدَ الطَّلاقِ، فَقَدْ وَرَدَ في ذَلِكَ وَعِيدٌ عَظِيمٌ[1].

الصِّنْفُ الثَّانِي: في حُقوقِ الزَّوْجِ عَلَيْهَا؛ إِذِ النِّكاحُ نَوْعُ رِقٍّ، فَعَلَيْها طاعَةُ الزَّوْجِ مُطْلَقًا في كُلِّ ما طَلَبَ منها في نَفْسِها مِمَّا لا مَعْصِيَةَ فيهِ. وَقَدْ وَرَدَ في تَعْظِيمِ حَقِّ الزَّوْجِ عليها أَخْبارٌ كَثيرَةٌ، فلا تُعْطِي شَيْئًا مِنْ بَيْتِهِ إلَّا بِإِذْنِهِ، ولا تَصومُ تَطَوُّعًا إلَّا بِإِذْنِهِ، وَإِلَّا لا يُقْبَلُ مِنْها، ولا تَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ إلَّا بِإِذْنِهِ، فإِنْ فَعَلَتْ لَعَنَتْها الْمَلائِكَةُ حَتَّى تَرْجِعَ إلى بَيْتِها أو تَتوبُ.

وَأَهَمُّ الْحُقوقِ أَمْرانِ: أَحَدُهُما السِّتْرُ وَالصِّيانَةُ، وَالْآخَرُ تَرْكُ الْمُطالَبَةِ بما وَراءَ الْحاجَةِ، وَالتَّعَفُّفُ عن كَسْبِهِ إذا كانَ حَرامًا. وَكانَتِ امْرَأَةُ السَّلَفِ وَابْنَتُهُ تَقولُ لِزَوْجِها: إِيَّاكَ وَكَسْبَ الْحَرامِ فَإِنَّا نَصْبِرُ على الْجوعِ وَالضُّرِّ، ولا نَصْبِرُ على [حَرِّ][2] النَّارِ.

ولا تُفَرِّطُ في بَذْلِ مالِهِ إلَّا الَّذِي يَفْسُدُ، فإِنْ أَطْعَمَتْ عن رِضًى كانَ لها مِثْلُ أَجْرِهِ، وإِنْ أَطْعَمَتْ بِلَا رِضاهُ كانَ له الْأَجْرُ، وَعَلَيْها الْوِزْرُ.

---

(1) الإحياء: 2/ 54-55.

(2) زيادة من قونية.

رُوِيَ أَنَّ أَسْماءَ بِنْتَ خارِجَةَ الْفَزارِيَّ قالَتْ لِابْنَتِها عِنْدَ التَّزْوِيجِ: إنَّكِ خَرَجْتِ مِنَ الْعُشِّ الَّذِي مِنْهُ دَرَجْتِ، وَصِرْتِ إلى فِراشٍ لا تَعْرِفِيهِ، وَقَرينٍ لم تَأْلَفِيهِ، فَكُونِي له أَرْضًا، يَكونُ لَكِ سَماءً، وَكونِي له مِهادًا، يَكونُ لَكِ عِمادًا، وَكونِي له أَمَةً، يَكونُ لَكِ عَبْدًا، لا تُلْحِفِي به فَيَقْلَاكِ، ولا تَباعَدِي عنه فَيَنْساكِ، إنْ دَنَا فَاقْرُبِي منه، وَإِنْ نَأَى فَابْعُدِي عنه، وَاحْفَظِي أَنْفَهُ وَسَمْعَهُ وَعَيْنَهُ، لا يَشَمُّ مِنْكِ إلَّا طَيِّبًا، وَلَا يَسْمَعُ إلَّا حَسَنًا، ولا يَنْظُرُ إلَّا جَميلًا[1].

وَمِنْ آدَابِها: أنْ لا تَتَفاخَرَ على الزَّوْجِ بِجَمالِها، ولا تَزْدَرِيَ زَوْجَها لِقُبْحِهِ، وَتُلازِمَ الصَّلاحَ وَالْاِنْقِباضَ في غَيْبَةِ زَوْجِها، وَالرُّجوعَ إلى اللَّعِبِ وَأَسْبابِ اللَّذَّةِ في حُضورِ زَوْجِها، وَلَا تُؤْذِيَ زَوْجَهَا بِحالٍ، وَتَقومُ بِكُلِّ خِدْمَةٍ في الدَّارِ تَقْدِرُ عليها.

وَالْقَوْلُ الْجامِعُ في ذَلِكَ: أَنْ تَكونَ قاعِدَةً في بَيْتِها، لازِمَةً[2] لِمِغْزَلِها؛ لا يَكْثُرُ اطِّلاعُهَا، قَليلَةَ الْكَلامِ لِجيرانِها، لا تَدْخُلُ عَلَيْهِمْ إلَّا وَقْتَ يَجِبُ الدُّخولُ عَلَيْهِمْ عادَةً، ولا تَخْرُجُ بلا إِذْنِ زَوْجِها، وإِنْ أَذِنَ لها فَتَذْهَبُ في الْمَواضِعِ الْخالِيَةِ دونَ الشَّوارِعِ وَالْأَسْواقِ، هِمَّتُها صَلاحُ شَأْنِها، وَتَدْبيرُ بَيْتِها، مُقْبِلَةً على صَلاتِها وَصِيامِها، وَتَكونَ قانِعَةً مِنْ زَوْجِها بما رَزَقَهُ اللهُ،

(1) الإحياء: 2/ 58-59.

(2) ملازمة، في قونية.

وَمُقَدِّمَةً حَقَّهُ على حَقِّ نَفْسِها وَحَقِّ سائِرِ أَقارِبِها، مُتَنَظِّفَةً في جَمِيعِ أَحْوالِها، لِيَسْتَمْتِعَ بها إنْ شاءَ، مُشْفِقَةً على أَوْلادِها، ولا تَسُبُّهُمْ. وإذا ماتَ زَوْجُها تَحِدُّ عليه أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا، وَتَلْزَمُ مَسْكَنَ النِّكاحِ، وَلا تَنْتَقِلُ عن ذَلِكَ إلى أَهْلِها إلى آخِرِ الْعِدَّةِ، ولا تَخْرُجُ إلَّا لِضَرورَةٍ[1].

(1) الإحياء: 2/ 59-60.

الْأَصْلُ الثَّالِثُ: فِي آدابِ الْكَسْبِ وَالْمَعاشِ

وفيه مَطالِبُ:

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ: فِي فَضْلِ الْكَسْبِ وَالْحَثِّ عليه

أَمَّا الْكِتابُ فَقَوْلُهُ تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾[1]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللهِ﴾[2].

وَقالَ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ: «التَّاجِرُ الصَّدوقُ يُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيامَةِ مَعَ الصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَداءِ»[3].

وَقالَ: «مَنْ طَلَبَ الدُّنْيا حَلالًا تَعَفُّفًا عن الْمَسْأَلَةِ، وَسَعْيًا على عِيالِهِ، وَتَعَطُّفًا على جارِهِ، لَقِيَ اللهَ وَوَجْهُهُ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»[4].

إِلَّا أَنَّ فَضْلَ التِّجارَةِ إذا كانَتْ لِقُوتِ الْعِيالِ، وَتَعَفُّفًا عن السُّؤالِ، وَأَمَّا إذا كانَتْ لِلثَّرْوَةِ وَالادِّخارِ فَمَذْمومَةٌ، لِأَنَّهُ إِقْبالٌ على الدُّنْيا الَّتِي حُبُّها رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، فَإِنْ كانَ مَعَ ذلِكَ خائِنًا فَهُوَ ظُلْمٌ وَفِسْقٌ. وَأَيْضًا: التِّجارَةُ أَفْضَلُ،

---

(1) سورة النبأ، الآية: 11.

(2) سورة الجمعة، الآية: 10.

(3) مسند الدارمي: 3/ 1653، سنن ابن ماجه: 3/ 272، سنن الترمذي: 2/ 498، المستدرك للحاكم: 2/ 7، الإحياء: 2/ 61.

(4) كتاب الكسب لابن فرقد الشيباني: 60، مصنف ابن أبي شيبة: 12/ 287، مسند ابن راهويه: 1/ 353، الإحياء: 2/ 61.

وَإِنْ حَصَلَتْ له النَّفَقَةُ بلا سُؤالٍ، لأَنَّهُ يَصيرُ كَلًّا على النَّاسِ. فَالتِّجارَةُ تكونُ أَفْضَلَ. إلَّا أنَّ الْحَقَّ أنَّ قَبولَ صَدَقَتِهِمْ وَالتَّخَلِّيَ لِلْعِبادَةِ أَفْضَلُ، إذْ فيه إِعانَةٌ لِلنَّاسِ على الْخَيْراتِ وَالصَّدَقاتِ[1].

(1) الإحياء: 2/ 61-63.

الْمَطْلَبُ الثَّانِي: **فِي بَيانِ أَحْوالِ الْعُقودِ الْأَرْبَعَةِ**

الْأَوَّلُ: **الْبَيْعُ**، وَقَدْ أَحَلَّهُ اللهُ.

وَلَهُ ثَلاثَةُ أَرْكانٍ:

أَحَدُها: الْعاقِدُ[1]، فلا يُعامِلُ الصَّبِيَّ وَالْمَجْنونَ لِأَنَّهُما غَيْرُ مُكَلَّفَيْنِ[2]، وَالْعَبْدَ الْعاقِلَ بلا إِذْنِ سَيِّدِهِ، وَالْأَعْمَى لِعَدَمِ رُؤْيَتِهِ الْمَبيعَ فَيُوَكِّلُ غَيْرَهُ. أَمَّا الْكافِرُ فَتَجوزُ مُعامَلَتُهُ غَيْرَ بَيْعِ الْمُصْحَفِ مِنْهُ وَالْعَبْدِ الْمُسْلِمِ وَالسِّلاحِ لِلْحَرْبِيِّ مِنْهُمْ، فَإِنْ فَعَلَ فَهُوَ عاصٍ رَبَّهُ. وَأَمَّا الْجُنْدِيَّةُ مِنَ الْأَتْراكِ وَالْأَكْرادِ والْخَوَنَةِ والظَّلَمَةِ وَأَكَلَةِ الرِّبَا وَكُلُّ مَنْ أَكْثَرُ مالِهِ حَرامٌ فلا يَنْبَغِي أَنْ يَتَمَلَّكَ مِنْهُمْ شَيْئًا إِلَّا ما يَعْرِفُ أَنَّهُ حَلالٌ بِعَيْنِهِ.

وَثانِيها: الْمَعْقودُ عليه. فَفيهِ سِتَّةُ شُروطٍ:

الْأَوَّلُ: أَنْ لا يَكونَ نَجِسًا في عَيْنِهِ؛ كَالْكَلْبِ وَالْخِنْزِيرِ وَالْفِيلِ وَالزِّبْلِ وَالْخَمْرِ.

الثَّانِي: أَنْ يَكونَ مُنْتَفَعًا به، فلا يَجوزُ بَيْعُ الْفَأْرِ وَالْحَيَّةِ، وَيَجوزُ بَيْعُ الطُّيورِ الْمَليحَةِ الصُّورَةِ؛ كَالطُّوطِيِّ[3] وَالطَّاوُوسِ، أو مَليحَةِ الصَّوْتِ؛ كَالْبَلابِلِ وَالْقُمارِيِّ، ولا يَجوزُ بَيْعُ الْمَلاهِي وَالْمَزامِيرِ لِحُرْمَتِها.

---

(1) العاقل، في رئيس الكتاب.

(2) مكلف، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(3) الطوطي: الببغاء. حياة الحيوان الكبرى: 2/ 133.

الثَّالِثُ: أَنْ يَكونَ الْمُتَصَرَّفُ فيه مَمْلوكًا لِلْعاقِدِ، أَوْ مَأْذونًا فيه من جِهَةِ الْمالِكِ، فلا يَصِحُّ بَيْعُ مالِ الْوالِدِ مِنَ الْوَلَدِ وَعَكْسُهُ، اعْتِمادًا على أَنَّهُ يَرْضى إذا عَرَفَ، وكذا الزَّوْجُ وَالزَّوْجَةُ، بَلْ يَنْبَغِي تَقَدُّمُ الرِّضا[1].

الرَّابِعُ: أَنْ يَكونَ الْمَعْقودُ عليه مَقْدورَ التَّسْليمِ شَرْعًا وَحِسًّا، فلا يَصِحُّ بَيْعُ السَّمَكِ في الْماءِ، وَالْجَنِينِ، وَعَسْبِ[2] الْفَحْلِ، وَاللَّبَنِ في الضَّرْعِ، وَالْآبِقِ، وَلَا يَجوزُ تَفْريقُ الْوَلَدِ مِنْ أُمِّهِ.

الْخامِسُ: أَنْ يَكونَ الْمَبيعُ مَعْلومَ الْعَيْنِ وَالْقَدْرِ وَالْوَصْفِ. وَتَفْصِيلُهُ في كُتُبِ الْفِقْهِ.

السَّادِسُ: أَنْ يَكونَ الْمَبيعُ مَقْبوضًا عَقارًا أو مَنْقولًا.

وَثالِثُها: لَفْظُ الْعَقْدِ، فلا بُدَّ مِنْ جَرَيانِ إِيجابٍ وَقَبولٍ، مُتَّصِلٍ بِلَفْظٍ دَالٍّ على الْمَقْصودِ مِنْهُمْ[3]، إِمَّا صَريحٍ أَوْ كِنايَةٍ، وَيَجوزُ بِالتَّعاطِي عِنْدَ أبي حَنِيفَةَ في النَّفِيسِ وَالْخَسِيسِ، وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ لا يَجوزُ. وَيَنْبَغِي أن يَحْكُمَ فيه الْحالُ بِأَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ يَرْضى بِالْبَيْعِ، وَإِنْ عَلِمَ الْكَراهَةَ يُصَرِّحُ.

وَأَيْضًا الاِحْتِياطُ التَّصْريحُ في النَّفِيسِ؛ كَالْعَبْدِ وَالْفَرَسِ والدَّارِ، وَالتَّعاطِي في الْخَسيسِ؛ كَالْخُبْزِ واللَّحْمِ وَالْبَقْلِ، وَإِنْ صَحَّ التَّعاطِي في كِلَيْهِما. وَأَمَّا

---

(1) الإحياء: 2/ 64-66.

(2) العَسْبُ: طَرْقُ الفَحْلِ أي ضِرابُه. اللسان: عسب.

(3) مفهم، في رئيس الكتاب.

تَمْيِيزُ النَّفيسِ عن الْخَسيسِ فَبِالْعُرْفِ، وَإِنْ كانَ مُشْتَبِهًا فَعَلَيْهِ الاِحْتِياطُ بِأَنْ يُصَرِّحَ الْإيجَابَ وَالْقَبولَ، هذا مِنْ حَيْثُ الْوَرَعُ، فَيَنْبَغِي فيه أنْ تَسْتَفْتِيَ قَلْبَكَ، إلَّا أنَّ في الشَّرْعِ يَجوزُ في الْكُلِّ التَّعاطِي. هو الصَّحيحُ مِنْ مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ[1].

الْعَقْدُ الثَّانِي: **عَقْدُ الرِّبَا**، وَقَدْ حَرَّمَهُ اللهُ تعالى، وَيَجِبُ الاِحْتِرازُ مِنْهُ على الصَّيارِفَةِ وَباعَةِ الْأَطْعِمَةِ، إذْ لا رِبَا إلَّا فِيهِما، فَالصَّيْرَفِيُّ يَحْتَرِزُ مِنَ النَّسِيئَةِ، بل يَبِيعُ يَدًا بِيَدٍ، وَعَنِ الْفَضْلِ، وَهُوَ التَّفاوُتُ في الْوَزْنِ وَالْكَيْلِ عند اتِّحادِ الْجِنْسِ، ولا يُفيدُ الْجَوْدَةُ وَالرَّداءَةُ.

الْعَقْدُ الثَّالِثُ: **السَّلَمُ**، وله شُروطٌ عَشَرَةٌ:

الْأَوَّلُ: أنْ يَكونَ رَأْسُ الْمالِ مَعْلومًا عِلْمَ مِثْلِهِ.

الثَّانِي: أَنْ يُسَلِّمَ رَأْسَ الْمالِ في مَجْلِسِ الْعَقْدِ قَبْلَ التَّفَرُّقِ.

الثَّالِثُ: أنْ يَكونَ الْمُسَلَّمُ فيه مِمَّا يُمْكِنُ تَعْريفُ أَوْصافِهِ.

الرَّابِعُ: أنْ يَسْتَقْصِيَ الْأَوْصافَ بِأَنْ لا يَبْقَى وَصْفٌ يُتَغابَنُ فيه.

الْخامِسُ: مَعْلومِيَّةُ الْأَجَلِ بِالْأَشْهُرِ وَالْأَيَّامِ.

السَّادِسُ: أنْ يَكونَ الْمُسَلَّمُ فيه مِمَّا يُقْدَرُ على تَسْليمِهِ.

---

(1) الإحياء: 2/ 66-68.

السَّابِعُ: أَنْ يُذْكَرَ مَكانُ التَّسْليمِ.

الثَّامِنُ: أَنْ لا يُعَلِّقَهُ بِعَيْنٍ[1]؛ كَثَمَرَةِ هذا الْبُسْتانِ وَنَحْوِهِ.

التَّاسِعُ: أَنْ لا يَكونَ الْمُسَلَّمُ فيه شَيْئًا نَفيسًا يَعِزُّ وُجودُهُ؛ كَدُرَّةٍ مَوْصوفَةٍ بِمَا يَعِزُّ وُجودُهَا.

الْعاشِرُ: أَنْ لا يُسَلِّمَ في طَعامٍ إذا كانَ رَأْسُ الْمالِ طَعامًا، أو في نَقْدٍ إذا كانَ هو نَقْدًا لِأَنَّهُ عَيْنُ الرِّبَا[2].

الْعَقْدُ الرَّابِعُ: **الْإِجارَةُ**.

وَلَها رُكْنانِ: الْأُجْرَةُ وَالْمَنْفَعَةُ، أَمَّا الْعاقِدُ وَاللَّفْظُ، فَكَما في الْبَيْعِ بِعَيْنِهِ.

أَمَّا الْأُجْرَةُ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكونَ مَعْلومًا وَمَوْصوفًا كَالثَّمَنِ فِي الْبَيْعِ، وَلَا يَجوزُ بِكُلِّ ما يَتَوَقَّفُ حُصولُهُ على عَمَلِ الْأَجِيرِ؛ كَكِراءِ الدَّارِ بِعِمارَتِهَا، وَسَلْخِ الشَّاةِ بِجِلْدِها.

وَأَمَّا الْمَنْفَعَةُ، فَهِيَ الْعَمَلُ وَحَدُّهُ أَنَّ كُلَّ عَمَلٍ مُباحٍ مَعْلومٍ يَلْحَقُ الْعامِلَ فيهِ كُلْفَةٌ، [وَيَتَطَوَّعُ به الْغَيْرُ عَنِ الْغَيْرِ، فَيَجوزُ الِاسْتِئْجارُ عليه.

وَيَنْدَرِجُ تَحْتَهُ أُمورٌ خَمْسَةٌ:

---

(1) بِمُعَيَّنٍ، في الإحياء: 2/ 70.

(2) الإحياء: 2/ 68-70.

الْأَوَّلُ: أنْ يَكونَ مُتَقَوَّمًا فِيهِ كُلْفَةٌ][1] وَتَعَبٌ، فَلَا يَصِحُّ أُجْرَةُ الطَّعامِ، وَأُجْرَةُ الْكَلامِ.

الثَّاني: أَنْ لا يَتَضَمَّنَ اسْتِيفاءَ عَيْنٍ مَقْصودَةٍ؛ كَلَبَنِ الْمَواشِي، وَأُجِيزَ في الْمُرْضِعَةِ اسْتِحْسانًا.

الثَّالِثُ: أَنْ يَكونَ مَقْدورَ التَّسْليمِ حِسًّا وَشَرْعًا، فلا يَجوزُ اسْتِئْجارُ الْأَخْرَسِ على التَّعْليمِ، أوِ الْمُعَلِّمِ على تَعْلِيمِ السِّحْرِ، أو الصَّائِغِ على صِيغَةِ أَوانِي الذَّهَبِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ من الْمُحَرَّماتِ.

الرَّابِعُ: أَنْ لا يَجِبَ الْعَمَلُ على الْأَجِيرِ[2]، فَلَا يَجوزُ أُجْرَةُ الْجِهادِ، وسائِرِ الْعِباداتِ الَّتِي لا نِيابَةَ فيها. وَيَجوزُ عن الحَجِّ، وَغَسْلِ الْمَيِّتِ، وَحَفْرِ الْقُبورِ، وَنَحْوِ ذلِكَ، وفي أُجْرَةِ الْإمامَةِ وَالْأَذانِ وَالتَّدْرِيسِ وَإِقْراءِ الْقُرْآنِ خِلافٌ، وَأَمَّا أُجْرَةُ تَعْلِيمِ مَسْأَلَةٍ أو سورَةٍ بِعَيْنِها لِشَخْصٍ مُعَيَّنٍ فَصَحِيحٌ.

الْخامِسُ: أَنْ تَكونَ الْمَنْفَعَةُ وَالْعَمَلُ مَعْلومًا، فَالْخَيَّاطُ يَعْرِفُ عَمَلَهُ بِالثَّوْبِ، وَالْحَمَّالُ يَعْرِفُ قَدْرَ الْمَحْمولِ، إلى غَيْرِ ذلِكَ[3].

الْعَقْدُ الْخامِسُ: الْقِراضُ.

وَفيهِ ثَلاثَةُ أَرْكانٍ:

---

(1) سقط من أنطاليا.

(2) أن لا يكون العمل واجبا على الأجير، في الإحياء: 2/ 70

(3) الإحياء: 2/ 70-71.

الْأَوَّلُ: أَنْ يَكونَ رَأْسُ الْمالِ مَعْلومًا مُسَلَّمًا إلى الْعامِلِ.

الثَّانِي: الرِّبْحُ، بِأَنْ يَشْرِطَ له الثُّلُثَ، أَوِ النِّصْفَ، أو ما شاءَ مِنْ مِقْدارٍ شائِعٍ، فلا يَجوزُ تَقْدِيرُهُ بِمِقْدارٍ مُعَيَّنٍ كَالْمِئَةِ مَثَلًا.

الثَّالِثُ: الْعَمَلُ الَّذِي على الْعامِلِ، وَشَرْطُهُ أَنْ يَكونَ تِجارَةً غَيْرَ مُضَيَّقَةٍ عليه بِتَعْيِينٍ أو بِتَأْقِيتٍ(1).

الْعَقْدُ السَّادِسُ: **الشَّرِكَةُ**.

وَهِيَ أَرْبَعَةٌ، ثَلاثَةٌ مِنْهَا بَاطِلَةٌ.

الْأولَى: شَرِكَةُ الْمُفاوَضَةِ، وهو أَنْ يَقولَ تَفاوَضْنا في كُلِّ ما لنا وَعَلَيْنا ومَالَاهُمَا مُمْتازانِ.

الثَّانِيَةُ: شَرِكَةُ الْأَبْدانِ، وهي أنْ يَتَشارَطَا الاِشْتِراكَ في أُجْرَةِ الْعَمَلِ وهي باطِلَةٌ.

الثَّالِثَةُ: شَرِكَةُ الْوُجوهِ، وهي أَنْ لا تَكونَ لِأَحَدِهِما حِشْمَةٌ وَقَوْلٌ مَقْبولٌ، فَيَكونَ مِنْ جِهَتِهِ التَّنْفِيذُ، ومِنْ جِهَةِ الْآخَرِ الْعَمَلُ، وهذا أَيْضًا باطِلٌ.

الرَّابِعَةُ: شَرِكَةُ الْعِنانِ، وَهُوَ أَنْ يَخْتَلِطَ مَالَاهُمَا بِحَيْثُ يَتَعَذَّرُ التَّمَيُّزُ(2) إلَّا بِقِسْمَةٍ، وَيَأْذَنَ كُلٌّ مِنْهُما لِصاحِبِهِ في التَّصَرُّفِ، وَحُكْمُهُما تَوْزِيعُ الرِّبْحِ وَالْخُسْرانِ على قَدْرِ الْمَالَيْنِ، وهذا صَحِيحٌ(3).

---

(1) الإحياء: 2/ 71.

(2) التمييز، في المصدر نفسه: 2/ 72.

(3) المصدر نفسه: 2/ 72.

الْمَطْلَبُ الثَّالِثُ: **في الْعَدْلِ في الْمُعامَلَةِ**

وَهَذا قِسْمانِ:

الْأَوَّلُ: ما يَعُمُّ ضَرَرُهُ، وهُوَ أَنْواعٌ:

أَحَدُها: الاِحْتِكارُ، وهو الَّذِي يَدَّخِرُ الطَّعامَ إلى غَلاءِ الْأَسْعارِ، وَهَذا حَرامٌ في الشَّرْعِ. إلَّا أَنَّهُ في أَجْناسِ الْأَقْواتِ، وَأَمَّا في غَيْرِها؛ كَالْأَدْوِيَةِ والْعَقاقِيرِ وَالزَّعْفَرانِ فَلَا، [وَإِنْ كانَ مَأْكولًا، ثُمَّ هُوَ زَمَانَ احْتِياجِ النَّاسِ إلى الْقُوتِ، وَأَمَّا زَمانَ غِنَى النَّاسِ عنه فَلَا][1]. وَلِهَذا قِيلَ: أَوْصَى بَعْضُ التَّابِعينَ رَجُلًا فَقالَ: لا تُسَلِّمْ وَلَدَكَ في صَنْعَتَيْنِ، ولا في بَيْعَتَيْنِ، أَمَّا الْبَيْعَتانِ: فَبَيْعُ الطَّعامِ وَبَيْعُ الْأَكْفانِ، فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى الْغَلاءَ وَمَوْتَ النَّاسِ. وَالصَّنْعَتانِ أَنْ يَكونَ جَزَّارًا، فإنَّها تُقْسِي الْقَلْبَ، أو صَوَّاغًا، فَإِنَّهُ يُزَخْرِفُ الدُّنْيا بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ.

وَثانِيهَا: تَرْويجُ الزَّائِفِ مِنَ الدَّراهِمِ أَثْناءَ النَّقْدِ فَهُوَ ظُلْمٌ، فَيَعُمُّ فيه الضَّرَرُ، فَيَكونُ وِزْرًا له وَلِغَيْرِهِ، لأَنَّهُ فَتَحَ هذا الْبابَ. وَالْوَيْلُ الطَّوِيلُ لِمَنْ ماتَ وَذَنْبُهُ باقٍ إلى مِئَةَ سَنَةٍ أو مِئَتَيْنِ يُعَذَّبُ بها في قَبْرِهِ.

وَاعْلَمْ أنَّ في الزَّائِفِ أُمورًا خَمْسَةً.

الْأَوَّلُ: إذا وَجَدَهُ يَنْبَغِي أَنْ يَطْرَحَهُ في مَوْضِعٍ لا تَنالُهُ الْأَيْدِي.

الثَّانِي: أَنْ يَتَعَلَّمَ طَرِيقَ النَّقْدِ لِيَحْفَظَ دِينَهُ لا لِيَحْفَظَ دُنْياهُ.

---

(1) ما بين معقوفين سقط من قونية.

الثَّالِثُ: أَنَّهُ لا يَبْرَأُ عن الْإِثْمِ بِإِعْلامِ الْمُعامَلِ فَقَطْ، إذْ رُبَّما يُرَوِّجُهُ على غَيْرِهِ.

الرَّابِعُ: إنْ أَخَذَ الزَّيْفَ وَطَرَحَهُ في بِئْرٍ فهو عامَلَ بِخَيْرٍ.

الْخامِسُ: الزَّائِفُ ما لا نُقْرَةَ فيه أَصْلًا، وَأَمَّا الْمَغْشوشُ فإنْ كانَ نَقْدَ الْبَلَدِ فَفِيهِ رُخْصَةٌ، وَإِلَّا فإنْ عَلِمَ مِقْدارَ النُّقْرَةِ فَيَجوزُ، وإِلَّا فَلَا يَجوزُ أَصْلًا[1].

الْقِسْمُ الثَّانِي: ما يَخُصُّ ضَرَرُهُ الْمُعامِلَ، وَالضَّابِطُ فيه أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، وَذَلِكَ أَرْبَعَةٌ:

الْأَوَّلُ: أَنْ لا يُثْنِيَ على سِلْعَتِهِ، فَإِنْ كانَ بما لَيْسَ فيها فهو كَذِبٌ، وَإِنْ قَبِلَ ذَلِكَ فهو ظُلْمٌ وَكَذِبٌ، وَإِلَّا فَهُوَ كَذِبٌ وَإِسْقاطُ مُروءَةٍ، وَإِنْ أَثْنَى على السِّلْعَةِ بما هو فيها فَإِنْ عَرَفَهُ الْمُشْتَرِي فَهُوَ هَذَيانٌ وَكَلامٌ لا يَعْنِيهِ، فما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقيبٌ عَتِيدٌ، وَإِنْ لَمْ يَعْرِفْهُ فلا بَأْسَ به إِنْ كانَ نِيَّتُهُ أَنْ يَعْرِفَ أَخوهُ الْمُسْلِمُ فيَقْضِيَ به حاجَتَهُ، ولا يَحْلِفُ عَلَيْهِ اَلْبَتَّةَ، فإِنَّهُ إِنْ كانَ كاذِبًا فَقَدْ جاءَ بِالْيَمينِ الْغَمُوسِ الَّتِي تَدَعُ الدِّيارَ بَلاقِعَ، مَعَ كَوْنِها مِنَ الْكَبائِرِ، وإِنْ كانَ كاذِبًا[2] فَقَدْ جعَلَ اللهَ عُرْضَةً لِأَيْمانِهِ، وَالدُّنْيا أَخَسُّ مِنْ أَنْ يُذْكَرَ اسْمُ اللهِ لِتَرْويجِها.

(1) الإحياء: 2/ 72-74.

(2) صادقا، في مراد ملا.

وفي الْخَبَرِ: «وَيْلٌ لِلتَّاجِرِ مِنْ بَلَى وَاللهِ لا واللهِ، وَوَيْلٌ لِلصَّانِعِ من غَدٍ أو بَعْدَ غَدٍ»[1].

الثَّانِي: أنْ يُظْهِرَ جَميعَ عُيوبِ السِّلْعَةِ خَفِيَّها وَجَلِيَّها، فَذَلكَ واجِبٌ، وَإِلَّا كانَ غاشًّا، وَالْغِشُّ حَرامٌ، وفي حُكْمِهِ: عَرْضُ الثِّيابِ في الْمَواضِعِ الْمُظْلِمَةِ، وَهَذَا وإنْ نَقَصَ مِنَ الثَّمَنِ لَكِنْ لِذَلِكَ جِهَتَيْ التَّسْلِيَةِ[2]: أَحَدُهُما: أنَّ الدُّنْيَا أَمْرٌ حَقِيرٌ، وَالرِّبْحَ رِبْحُ الْآخِرَةِ. وَثانيهِما: أنَّ صورَةَ الزِّيادَةِ لا اعْتِبارَ لها، إذْ رُبَّما يَهْلِكُ جُمْلَةً، وَالْحَلالُ الْقَليلُ يُنْتَفَعُ به أَكْثَرَ مِنَ الْحَرامِ الْكَثِيرِ، وَلَقَدْ جُرِّبَ ذلِكَ فَوُجِدَ كَذَلِكَ[3].

---

(1) قوت القلوب: 2/ 446، الإحياء: 2/ 75، الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة: 379، كشف الخفاء: 2/ 414.

(2) هذه الكلمة تبدو مشوشة في سياق الكلام ولعل أوفق وجه فيها: هو "التلبيس"، وهو واضح في سياق كلام صاحب الإحياء: 2/ 76: "ولن يَتَيَسَّرَ ذلك على الْعَبْدِ إلَّا بِأَنْ يَعْتَقِدَ أَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنَّ تَلْبِيسَهُ الْعُيُوبَ وَتَرْوِيجَهُ السِّلَعَ لَا يَزِيدُ فِي رِزْقِهِ بَلْ يَمْحَقُهُ وَيَذْهَبُ بِبَرَكَتِهِ ... وَالْمَعْنَى الثَّانِي الَّذِي لَا بُدَّ مِنِ اعْتِقَادِهِ لِيَتِمَّ لَهُ النُّصْحُ وَيَتَيَسَّرَ عَلَيْهِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ رِبْحَ الْآخِرَةِ وَغِنَاهَا خَيْرٌ مِنْ رِبْحِ الدُّنْيَا وَأَنَّ فَوَائِدَ أَمْوَالِ الدُّنْيَا تَنْقَضِي بِانْقِضَاءِ الْعُمُرِ وَتَبْقَى مَظَالِمُها وَأَوْزارُها ...".

(3) الإحياء: 2/ 75-76.

الْمَطْلَبُ الرَّابِعُ: في الإِحْسانِ في الْمُعامَلَةِ

وَقَدْ أَمَرَ اللهُ تعالى بِالْعَدْلِ وَالإِحْسانِ، وذَلِكَ بِواحِدٍ مِنْ سِتَّةِ أُمورٍ:

الْأَوَّلُ: أَنْ لا يُغابِنَ صاحِبَهُ بما لا يُتَغابَنُ به في الْعادَةِ. فَأَمَّا أَصْلُ الْمُغابَنَةِ فَمَأْذونٌ فيه، فإنَّ الْبَيْعَ لِلرِّبْحِ، ولا يُمْكِنُ ذَلِكَ إلَّا بِغَبْنٍ[1] ما. وَلَكِنْ يُراعَى فيه التَّقْريبُ، فإنْ بَذَلَ الْمُشْتَرِي زِيادَةً على الرِّبْحِ الْمُعْتادِ إمَّا لِشِدَّةِ رَغْبَتِهِ[2]، أو لِشِدَّةِ حاجَتِهِ[3] في الْحالِ، فَيَنْبَغِي أن لا يَأْخُذَ، فَذَلِكَ مِنَ الإِحْسانِ، وإنْ جازَ ذلِكَ شَرْعًا، إذْ لَيْسَ فيه ظُلْمٌ مَهْمَا لم يَكُنْ فيه تَلْبيسٌ.

وَقِيلَ لِعَبْدِ الرَّحْمنِ بْنِ عَوْفٍ: ما سَبَبُ يَسارِكَ؟ قالَ: ثَلاثٌ: ما رَدَدْتُ رِبْحًا قَطُّ، وَلا طُلِبَ مِنِّي حَيَوانٌ فَأَخَّرْتُ بَيْعَهُ، ولا بِعْتُ بِنَسيئَةٍ[4].

الثَّانِي: في احْتِمالِ الْمُشْتَرِي الْعَيْبَ إنِ اشْتَرَى مِنْ ضَعيفٍ أو فَقيرٍ فلا بَأْسَ أَنْ يَحْتَمِلَ الْغَبْنَ، وَيَتَساهَلَ وَيَكونَ به مُحْسِنًا؛ وَإِنِ اشْتَرَى مِنَ الْغَنِيِّ التَّاجِرِ فَالْغَبْنُ لَيْسَ بِمَحْمودٍ، بل هُوَ تَضْييعٌ لِلْمالِ مِنْ غَيْرِ أَجْرٍ وَحَمْدٍ.

قِيلَ في وَصْفِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ الله عَنْهُ: كانَ أَكْرَمَ مِنْ أَنْ يُخْدَعَ، وَأَعْقَلَ مِنْ أَنْ يُغْبَنَ[5].

---

(1) الغَبْنُ، بِالتَّسْكِينِ، فِي الْبَيْعِ، والغَبَنُ، بِالتَّحْرِيكِ، فِي الرَّأْيِ. اللسان: غبن.

(2) رغبة، في رئيس الكتاب.

(3) حاجة، في رئيس الكتاب.

(4) النَّسِيئَةُ: التَّأْخِيرُ.

(5) الإحياء: 2/ 79-80.

الثَّالِثُ: في اسْتِيفاءِ الثَّمَنِ وَسائِرِ الدُّيونِ، وَالْإِحْسانُ فيه مَرَّةً بِالْمُسامَحَةِ وَحَطِّ الْبَعْضِ، وَمَرَّةً بِالْإِمْهالِ، [وَمَرَّةً بِالْمُساهَلَةِ][1] في طَلَبِ جَوْدَةِ النَّقْدِ، وكُلُّ ذلِكَ مَنْدوبٌ إِلَيْهِ.

الرَّابِعُ: في تَوْفِيَةِ الدَّيْنِ، ولا يُكَلِّفُهُ أن يَمْشِيَ إليه يَتَقاضاهُ، وَمَهْما كَلَّمَهُ مُسْتَحِقُّ الْحَقِّ بِكَلامٍ خَشِنٍ فَلْيَحْتَمِلْهُ، وَلْيُقابِلْهُ بِاللُّطْفِ، لأنَّ لِصاحِبِ الْحَقِّ مَقالًا. ومَنْ يُصْلِحُ بَيْنَهُما يَنْبَغِي أنْ يَكونَ مَيْلُهُ إلى مَنْ عليهِ الدَّيْنُ لأَنَّهُ الْمُحْتاجُ، وَكَذَا يَمِيلُ في الْمُبايَعَةِ إلى جانِبِ الْمُشْتَرِي، لِأَنَّهُ مُحْتاجٌ إلى السِّلْعَةِ، وَالْبائِعُ راغِبٌ عنها، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَتَجاوَزَ مَنْ عليه الدَّيْنُ حَدَّهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ نُصْرَتُهُ في مَنْعِهِ مِنْ تَعَدِّيهِ.

الْخامِسُ: أنْ يُقِيلَ مَنْ يَسْتَقيلُهُ، وَلَا يَضُرَّ أَخاهُ؛ وفي الْحَدِيثِ: «مَنْ أَقالَ نادِمًا صَفْقَتَهُ أَقالَ اللهُ عَثْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ»[2]. أَوْ كما قالَ.

السَّادِسُ: أَنْ يَقْصِدَ في مُعامَلَتِهِ جَماعَةً مِنَ الْفُقَراءِ بِالنَّسيئَةِ، وهو في الْحالِ عازِمٌ على أَنْ لا يُطالِبَهُمْ إنْ لم يَظْهَرْ لهم مَيْسَرَةٌ، فَهَذِهِ طَرِيقُ تِجاراتِ السَّلَفِ وَقَدِ انْدَرَسَتْ، وَالْقائِمُ بِهَا مُحْيٍ لهذه السُّنَّةِ، وَالتِّجارَةُ مِحَكُّ الرِّجالِ، وبها يُمْتَحَنُ دِينُ الرَّجُلِ وَوَرَعُهُ[3].

---

(1) سقط من قونية.

(2) مصنف عبد الرزاق: 2/ 56، مسند أحمد: 12/ 401، سنن أبي داود: 5/ 328، مسند البزار: 15/ 374، صحيح ابن حبان: 1/ 455.

(3) الإحياء: 2/ 81-82.

الْمَطْلَبُ الْخامِسُ: في شَفَقَةِ التَّاجِرِ على دِينِهِ

وَذَلِكَ بِمُراعاةِ سَبْعَةِ أُمورٍ:

الْأَوَّلُ: حُسْنُ النِّيَّةِ، بِأَنْ يَنْوِيَ بِها الاِسْتِعْفافَ عَنِ السُّؤالِ، وَكَفَّ الطَّمَعَ عَنِ النَّاسِ، واسْتِعانَةً بِكَسْبِهِ على دِينِهِ، وَقِيامًا بِكِفايَةِ عِيالِهِ، لِيَكونَ مِنْ جُمْلَةِ الْمُجاهِدينَ. وَلْيَنْوِ النُّصْحَ لِلْمُسْلِمينَ، وَاتِّباعَ طَرِيقِ الْعَدْلِ وَالْإِحْسانِ، وَلْيَنْوِ الْأَمْرَ بِالْمَعْروفِ وَالنَّهْيَ عن الْمُنْكَرِ في السُّوقِ.

الثَّانِي: أَنْ يَقْصِدَ الْقِيامَ في صَنْعَتِهِ أَوْ تِجارَتِهِ بِفَرْضٍ مِنْ فُروضِ الْكِفاياتِ، فإِنَّهُما سَبَبٌ لِعِمارَةِ الدُّنْيا وَنِظَامِ الْمَعاشِ، إِلَّا ما لا حاجَةَ فِيهِ؛ كَصِناعَةِ النَّقْشِ والصِّياغَةِ، وَتَشْيِيدِ الْبُنْيانِ بِالْجِصِّ، وَغَيْرِ ذلِكَ مما تَتَزَخْرَفُ به الدُّنْيَا.

وَأَمَّا اجْتِنابُ صَنْعَةِ الْمَلاهِي، فَذَلِكَ مِنْ بابِ دَفْعِ الظُّلْمِ؛ وَمِنْها خِياطَةُ الْقِباءِ مِنْ الإِبْريسَمِ لِلرِّجالِ، وَصِياغَةُ مَراكِبِ الذَّهَبِ، أَوْ خَواتيمِ الذَّهَبِ لِلرِّجالِ، وَكُلُّ ذلِكَ مِنَ الْمَعاصِي، وَالْأُجْرَةُ عليها حَرامٌ. وقد مَرَّ بَيْعُ الطَّعامِ وَالْأَكْفانِ، وَحُكْمُ الْجِزارَةِ، وَيُكْرَهُ الدِّباغَةُ وَالْكِناسَةُ لِمُخامَرَةِ النَّجاسَةِ. وَكَرِهَ ابْنُ سِيرينَ الدِّلالَةَ، وَكَرِهَ قَتادَةُ أُجْرَتَها، لِتَضَمُّنِها الْكَذِبَ وَالْمُبالَغَةَ غالِبًا. وَأُجْرَتُها بِقَدْرِ عَمَلِها، لا بِقَدْرِ قيمَةِ الثَّوْبِ وهو الْعادَةُ. وَيُكْرَهُ بَيْعُ

الْحَيَوانِ لِأَنَّهُ يُكْرَهُ قَضاءُ اللهِ وهو الْمَوْتُ. وَالصَّيارِفَةُ أَيْضًا لا يَسْلَمونَ مِنَ الْحِيلَةِ، وإلّا لم يَكُنْ لَهُمُ الرِّبْحُ[1].

وَقَدْ كانَ غالِبُ أَعْمالِ السَّلَفِ عَشْرَ صَنائِعَ، الْخَرْزُ، وَالتِّجارَةُ، وَالْحَمْلُ، وَالْخِياطَةُ، وَالْحَذْوُ، وَالْقِصارَةُ[2]، وَعَمَلُ الْخِفافِ، وَعَمَلُ الْحَديدِ، وَعَمَلُ الْمَغازِلِ، وَمُعالَجَةُ صَيْدِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَالْوِراقَةُ. وَأَرْبَعَةٌ مِنَ الصُّنَّاعِ مَوْسُومُونَ عند النَّاسِ بِضُعْفِ الرَّأْيِ؛ الْحاكَةُ، وَالْقَطَّانونَ، وَالْمَغازِلِيُّونَ، وَالْمُعَلِّمونَ، وذَلِكَ لِكَثْرَةِ مُخالَطَتِهِمْ مَعَ النِّساءِ وَالصِّبْيانِ، وَالْمُخالَطَةُ سَبَبُ السِّرايَةِ، وَكُلُّ قَرينٍ بِالْمُقارَنِ يَقْتَدي[3].

عَنْ مُجاهِدٍ أَنَّ مَرْيَمَ طَلَبَتْ عِيسَى عليه السَّلامُ، فَمَرَّتْ بِحاكَةٍ، فَأَرْشَدوها إلى غَيْرِ الطَّريقِ، فَقالَتْ: اللَّهُمَّ انْزِعِ الْبَرَكَةَ مِنْ كَسْبِهِمْ، وَأَمِتْهُمْ فُقَراءَ، وَحَقِّرْهُمْ في أَعْيُنِ النَّاسِ، فَاسْتُجِيبَ دُعاؤُها. وَكَرِهَ السَّلَفُ أُجْرَةَ الْعِباداتِ؛ كَغَسْلِ الْأَمْواتِ، وَتَعْليمِ الْقُرْآنِ، وَصَلاةِ التَّراويحِ وَالْأَذانِ، فإِنَّ ذلِكَ اسْتِبْدالٌ بِالدُّنْيا عنِ الْآخِرَةِ.

الثَّالِثُ: أَنْ لا يَمْنَعَهُ سوقُ الدُّنْيا عن سوقِ الْآخِرَةِ، وَهِيَ الْمَساجِدُ.

---

(1) الإحياء: 2/ 83.

(2) القَصَّارُ والمُقَصِّرُ: المُحَوِّرُ لِلثِّيابِ لأنه يَدُقُّها بالقَصَرةِ الَّتِي هِيَ القِطْعَة مِنَ الْخَشَبِ، وَحِرْفَتُهُ القِصارَةُ. اللسان: قصر.

(3) عجز بيت لطرفة بن العبد وصدره: عَنِ الْمَرْءِ لا تَسأَلْ وسَلْ عن قَرِينِهِ. ديوان شعره: 32. والبيت يسري مسرى المثل ينظر: مجمع الأمثال: 2/ 427.

الرَّابِعُ: أَنْ يُلازِمَ ذِكْرَ اللهِ تعالى في السُّوقِ، فَذِكْرُ اللهِ تعالى بَيْنَ الْغافِلِينَ أَفْضَلُ. وفي الْحَدِيثِ: «مَنْ قالَ في سُوقٍ مِنَ الْأَسْواقِ: لا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لا شَريكَ له، لَهُ الْمُلْكُ وله الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُميتُ، وهو حَيٌّ لا يَموتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وهُوَ على كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ، كَتَبَ الله له أَلْفَيْ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمَحَى عَنْهُ أَلْفَيْ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَبَنَى له قَصْرًا في الْجَنَّةِ».

الْخامِسُ: أن لا يَكونَ شَدِيدَ الْحِرْصِ على السُّوقِ وَالتِّجارَةِ، بِأَنْ يَكونَ أَوَّلَ داخِلٍ وآخِرَ خارِجٍ، وبِأَنْ يَرْكَبَ الْبَحْرَ في التِّجارَةِ فَهُما مَكْروهانِ. وَكانَ عَمْرُو بْنُ الْعاصِ يَقولُ: «لا تَكُنْ أَوَّلَ داخِلٍ في السُّوقِ، ولا آخِرَ خارِجٍ منها، فإِنَّ بها باضَ الشَّيْطانُ وَفَرَّخَ»[1].

وَيُقالُ: مَنْ رَكِبَ الْبَحْرَ فَقَدِ اسْتَقْصَى في طَلَبِ الرِّزْقِ[2].

وَفِي الْخَبَرِ: «لا يُرْكَبُ الْبَحْرُ إِلَّا لِحَجٍّ أو لِعُمْرَةٍ أو لِغَزْوٍ»[3].

وَبِالْجُمْلَةِ، لا يَحْرِصُ على السُّوقِ، فَيُراقِبُ وَقْتَ كِفايَتِهِ، فإذا حَصَلَتْ، يَنْصَرِفُ وَيَشْتَغِلُ بِتِجارَةِ الْآخِرَةِ.

---

(1) الزهد لهناد بن السري: 2/ 356، المعجم الكبير: 6/ 248، قوت القلوب: 2/ 448، شعب الإيمان: 13/ 194، والنقل من الإحياء: 2/ 83-86.

(2) الإحياء: 2/ 83-86.

(3) سنن سعيد بن منصور: 2/ 186، مصنف ابن أبي شيبة: 4/ 213، التاريخ الكبير للبخاري: 2/ 104، سنن أبي داود: 3/ 6.

السَّادِسُ: أَنْ لا يَقْتَصِرَ على اجْتِنابِ الْحَرامِ بل يَتَّقِي مَواضِعَ الشُّبْهَةِ، وَمَظَانَّ الرَّيْبِ، ولا يَنْظُرَ إلى الْفَتاوَى، بل يَسْتَفْتِي قَلْبَهُ، فما وَجَدَ فيه حَزازَةً اجْتَنَبَهُ، وَأَمْرُ الْفَتْوَى على التَّيْسيرِ لِلْعامَّةِ لا على الشِّدَّةِ.

السَّابِعُ: أَنْ يُراعِيَ وَيُراقِبَ جَميعَ مَجارِي مُعامِليهِ، فَلْيُعِدَّ الْجَوابَ لِيَوْمِ الْحِسابِ وَالْعِتابِ في كُلِّ فِعْلَةٍ وَقَوْلَةٍ، وَيُحاسَبُ عن[1] كُلِّ أَحَدٍ مُحاسَبَةً على عَدَدِ مَنْ عامَلَهُ[2].

(1) على، أنطاليا، وقد سقطت من قونية.

(2) الإحياء: 2/ 86-87.

الْأَصْلُ الرَّابِعُ: في الْحَلالِ وَالْحَرامِ

وفيهِ مَطالِبُ سَبْعَةٌ[1]:

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ: في فَضيلَةِ الْحَلالِ

وذَلِكَ في الْآياتِ كَثيرٌ[2]، وَكَذِلِكَ مَذَمَّةُ الْحَرامِ، وَكَذَا الْحالُ في الْأَخْبارِ وَالْآثارِ.

وَأَمَّا أَصْنافُ الْحَلالِ وَالْحَرامِ فَفِي كُتُبِ الْفِقْهِ على التَّفْصيلِ. وَلْنُبَيِّنْ هاهُنَا على سَبِيلِ الْإِجْمالِ.

فَاعْلَمْ أَنَّ الْحُرْمَةَ في الْمالِ إمَّا في عَيْنِهِ، أو في كَسْبِهِ.

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: أَنَّ الْأَعْيانَ الْمَأْكولَةَ إمَّا مَعادِنُ، أو نَباتٌ، أو حَيَوانٌ، وَالْحُرْمَةُ فيها إمَّا لِأَجْلِ إزالَةِ الْحَياةِ، أو إِزالَةِ الْعَقْلِ، أو إِزالَةِ الصِّحَّةِ، أو الاِسْتِقْذارِ.

الْقِسْمُ الثَّانِي: سِتَّةُ أَقْسامٍ.

الْأَوَّلُ: ما لا يُؤْخَذُ من مَالِكٍ؛ كَالْمَعادِنِ، وَالاِصْطِيادِ، وَالاِحْتِطابِ، والاِسْتِسْقاءِ، فَذلِكَ حَلالٌ إلَّا أَنْ يَسْبِقَها يَدٌ قَبْلَهُ.

---

(1) كذا ورد في الأصل والصحيح أنها ثمانية وهي التي ذكرها.

(2) كثيرة، في رئيس الكتاب.

الثَّانِي: الْمَأْخوذُ قَهْرًا ولا عِصْمَةَ له؛ كَأَمْوالِ الْكُفَّارِ، وذَلِكَ أَيْضًا حَلالٌ بِشُروطٍ ذُكِرَتْ في الْفِقْهِ.

الثَّالِثُ: ما يُؤْخَذُ قَهْرًا لَكِنْ بِالاِسْتِحْقاقِ، وَذَلِكَ حَلالٌ إذا تَمَّ سَبَبُ الاِسْتِحْقاقِ، وَأَسْبابُ ذلِكَ في كُتُبِ الْفِقْهِ[1].

الرَّابِعُ: ما يُؤْخَذُ تَراضِيًا بِمُعاوَضَتِهِ، وذَلِكَ حَلالٌ إذا تُضُمِّنَتْ شَرائِطُهُ الْمَذْكورَةُ في مَواضِعِها.

الْخامِسُ: ما يُؤْخَذُ بِالرِّضا بلا عِوَضٍ؛ كَالْهِبَةِ، وَالْوَصِيَّةِ، والصَّدَقَةِ، وذلِكَ حَلالٌ بِشَرائِطِهِ.

السَّادِسُ: ما يُؤْخَذُ بِغَيْرِ اخْتِيارٍ؛ كَالْإِرْثِ، وَذَلِكَ حَلالٌ إذا كانَ الْمالُ مُكْتَسَبًا مِنْ جِهَةِ الْحَلالِ، وَأُخْرِجَتْ منه سائِرُ الْحُقوقِ الْمَذْكورَةِ في عِلْمِ الْفَرائِضِ، وإِنْ لم تَعْلَمْ فَاسْأَلْ أَهْلَهُ[2].

---

(1) الإحياء: 2/ 92-93.

(2) المصدر نفسه: 2/ 93-94.

الْمَطْلَبُ الثَّانِي: في دَرَجاتِ الْحَلالِ والْحَرامِ

اِعْلَمْ أنَّ الْحَرامَ كُلَّهُ خَبِيثٌ، وَلَكِنَّ بَعْضَهُ أَخْبَثُ مِنْ بَعْضٍ؛ وَالْحَلالُ كُلُّهُ طَيِّبٌ، وَلَكِنَّ بَعْضَهُ أَطْيَبُ مِنْ بَعْضٍ[1]؛ وَمِثالُ ذَلِكَ في الْمَحْسوساتِ أنَّ الْحَرارَةَ وَالْبُرودَةَ نَوْعانِ، وَمَعَ ذلِكَ لهما دَرَجاتٌ أَرْبَعٌ عِنْدَ الْأَطِبَّاءِ، فَكَذَلِكَ لَهُما دَرَجاتٌ أَرْبَعٌ.

الْأُولَى: وَرَعُ الْعُدولِ، وهو الَّذِي يَجِبُ الْفِسْقُ بِتَرْكِهِ، وَيُدْخِلُ في الْعِصْيانِ وَالتَّعَرُّضِ لِلنَّارِ، وهُوَ الْوَرَعُ عَمَّا يُحَرِّمُهُ فَتاوَى الْفُقَهاءِ.

الثَّانِيَةُ: وَرَعُ الصَّالِحينَ، وهو الاِمْتِناعُ عَمَّا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ احْتِمالُ التَّحْريمِ، وَإِنْ رَخَّصَ الْمُفْتِي بِذَلِكَ بِناءً على الظَّاهِرِ.

الثَّالِثَةُ: وَرَعُ الْمُتَّقينَ، وهُوَ ما لا حُرْمَةَ فيه بِحَسَبِ الْفَتْوَى، ولا شُبْهَةَ في حِلِّهِ، لَكِنْ يُخافُ منه أَداؤُهُ إلى مُحَرَّمٍ، وهو تَرْكُ ما لا بَأْسَ به مَخافَةَ ما بِهِ بَأْسٌ.

الرَّابِعَةُ: وَرَعُ الصِّدِّيقِينَ، وهو ما لا بَأْسَ به أَصْلًا، ولا يُخافُ منه أنْ يُؤَدِّيَ إلى ما به بَأْسٌ، ولَكِنَّهُ يُتَناوَلُ لِغَيْرِ اللهِ، ولا على نِيَّةِ التَّقَوِّي به على عِبادَةِ اللهِ تعالى، أو يَتَطَرَّقُ إلى أَسْبابِهِ الْمُسَهِّلَةِ له كَراهِيَةٌ، أو مَعْصِيَةٌ، وَتُعْرَفُ هذه الدَّرَجاتُ بِتَشْدِيداتِ الشَّرْعِ وَوَعِيدِهِ، وَزَجْرِهِ الْبَليغِ وَتَأْكيدِهِ[2].

(1) أطيب منه، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(2) الإحياء: 2/ 94.

الْمَطْلَبُ الثَّالِثُ: في مَراتِبِ الشُّبُهاتِ وَتَمْيِيزِها عن الْحَلالِ والْحَرامِ

قالَ رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ: «اَلْحَلالُ بَيِّنٌ وَالْحَرامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُما أُمورٌ مُتَشابِهاتٌ، لا يَعْلَمُها كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ في الشُّبُهاتِ وَقَعَ في الْحَرامِ؛ كَالرَّاعِي حَوْلَ الْحِمَى يوشِكُ أَنْ يَقَعَ فيهِ»[1].

فَهَذَا الْحَدِيثُ مَدارُ أَمْرِ الشَّرْعِ، وَقُطْبُ أَحْكامِ الدِّينِ، وفيهِ نَصٌّ في إِثْباتِ الْأَقْسامِ الثَّلاثَةِ.

وَالْمُشْكِلُ منها هو الْقِسْمُ الْمُتَوَسِّطُ، الَّذِي لا يَعْرِفُهُ كَثيرٌ مِنَ النَّاسِ، فلا بُدَّ مِنْ كَشْفِ الْغِطاءِ عَنْهُ.

فَنَقولُ: الْحَلالُ الْمُطْلَقُ، هُوَ الَّذِي لا تَتَطَرَّقُ إليه أَسْبابُ التَّحْرِيمِ، أو الْكَراهَةِ؛ كَماءِ الْمَطَرِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ على مُلْكِ أَحَدٍ. وَيُقابِلُهُ الْحَرامُ الْمَحْضُ، وهو إِمَّا حَرامٌ لِعَيْنِهِ بِصِفَةٍ مُجَرَّبَةٍ؛ كَالشِّدَّةِ في الْخَمْرِ، وَالنَّجاسَةِ في الْبَوْلِ، أو حَصَلَ بِسَبَبٍ مَنْهِيٍّ عنه؛ كَالْمُحَصَّلِ بِالظُّلْمِ وَالرِّبا وَنَظائِرِهِ، فَهَذانِ طَرَفانِ ظاهِرانِ. وَيَلْتَحِقُ بِالطَّرَفَيْنِ ما تَحَقَّقَ أَمْرُهُ، وَلَكِنِ احْتَمِلَ بِغَيْرِهِ، وَلَكِنْ لم يَكُنْ لِذَلِكَ الاِحْتِمالِ سَبَبٌ يَدُلُّ عليه؛ مَثَلًا صَيْدُ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَلالٌ، فَيُحْتَمَلُ أن تَفْلِتَ الظَّبْيَةُ مِنْ صَيَّادٍ، وَالسَّمَكُ قَدْ تَزْلَقُ مِنْ خَريطَةِ صَيَّادٍ،

---

(1) صحيح البخاري: 1/ 20، رقم: 52، صحيح مسلم: 3/ 1221، رقم: 1599.

فَالْوَرَعُ فِي أَمْثالِهِ وَسْواسٌ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَدُلَّ عَلَيْهِ دَليلٌ؛ كَالْجُرْحِ فِي الظَّبْيَةِ[1]، وَالْحَلْقَةِ فِي أُذُنِ السَّمَكَةِ.

وَبالْجُمْلَةِ، ما لَمْ يَتَرَجَّحْ أَحَدُ طَرَفَيِ الشَّكِّ لا يُعْتَبَرُ به أَصْلًا، ولا يُعَدُّ ذلِكَ شُبْهَةً، وإِنَّما الشُّبْهَةُ احْتِمالُ حُرْمَةٍ يَسْتَنِدُ إلى دَليلٍ، وَيُعارِضُ أَصْلَ الْحِلِّ[2].

وَمَثاراتُ الشُّبْهَةِ خَمْسَةٌ:

الْمَثارُ الْأَوَّلُ: الشَّكُّ فِي السَّبَبِ الْمُحَلِّلِ وَالْمُحَرِّمِ، فَذَلِكَ أَقْسامٌ أَرْبَعَةٌ:

الْأَوَّلُ: أَنْ يَكونَ التَّحْريمُ مَعْلومًا مِنْ قَبْلُ، ثُمَ يَقَعَ الشَّكُّ فِي الْمُحَلِّلِ، فَهَذِهِ شُبْهَةٌ يَجِبُ اجْتِنابُها، وَيَحْرُمُ الْإِقْدامُ عَلَيْها؛ كَمَنْ رَمَى إلى صَيْدٍ فَجَرَحَهُ، ثُمَّ وَقَعَ فِي الْماءِ، فَصادَفَهُ مَيِّتًا، ولا يَدْرِي أَنَّهُ ماتَ بِالْغَرَقِ، أو بِالْجُرْحِ، فَهَذَا حَرامٌ، لِأَنَّ الْأَصْلَ التَّحْريمُ.

الثَّانِي: أَنْ يَعْرِفَ الْحِلَّ، وَيَشُكَّ فِي الْمُحَرَّمِ، فَالْأَصْلُ الْحِلُّ، وله الْحُكْمُ، كما إذا طارَ طائِرٌ فَقالَ واحِدٌ: إنْ كانَ هذا غُرابًا فَامْرَأَتُهُ طالِقٌ، وَقالَ آخَرُ: إنْ لم يَكُنْ غُرابًا فامْرَأَتُهُ طالِقٌ، وَالْتَبَسَ أَمْرُ الطَّائِرِ، فلا يُقْضَى بِالتَّحْريمِ في واحِدَةٍ منهما، إلَّا أنَّ الْوَرَعَ اجْتِنابُهُما.

---

(1) الظبي، في قونية ومراد ملا.

(2) الإحياء: 2/ 98-99.

الثَّالِثُ: أَنْ يَكونَ الْأَصْلُ التَّحْرِيمَ، وَطَرَأَ عليه سَبَبُ التَّحْليلِ بِظَنٍّ غالِبٍ، فَهُوَ مَشْكوكٌ فيه، وَالْغالِبُ حِلُّهُ، فإنِ اسْتَنَدَ الظَّنُّ إلى سَبَبٍ مُعْتَبَرٍ شَرْعًا فَالْمُخْتارُ الْحِلُّ، إذِ الْأَصْلُ عَدَمُ طَرَيانِ غَيْرِهِ، فَطَرَيانُهُ مَشْكوكٌ فيه. ولا يُرْفَعُ الْيَقينُ بِالشَّكِّ، وَلَكِنَّ اجْتِنابَهُ مِنَ الْوَرَعِ؛ كَمَنْ رَمى إلى صَيْدٍ فَجَرَحَهُ، ثُمَّ غابَ فَوَجَدَهُ مَيِّتًا، وَلَيْسَ عليه أَثَرُ جِراحَةٍ أُخْرَى، الْتَحَقَ بِالْقِسْمِ الْأَوَّلِ؛ إذْ حَصَلَ غَلَبَةُ الظَّنِّ بِأَنَّهُ ماتَ مِنْ جُرْحِهِ، وأَمَّا احْتِمالُ مَوْتِهِ من غَيْرِ جِراحَتِهِ شَكٌّ فيه لا يُعْتَبَرُ، إذْ ذاكَ جَارٍ في كُلِّ مَجْروحٍ، لِاحْتِمالِ أَنَّهُ ماتَ بِغَلَبَةِ مَرَضٍ، وإنْ وَجَدَ جِراحَةً أُخْرَى فَقَدْ تَعارَضَ السَّبَبُ، فَتَعارَضَ الظَّنُّ وَالاِحْتِمالُ فَيَحْرُمُ[1].

الرَّابِعُ: أنْ يَكونَ الْحِلُّ مَعْلومًا، وَلَكِنْ يَغْلِبُ على الظَّنِّ طَرَيانُ مُحَرَّمٍ بِسَبَبٍ مُعْتَبَرٍ في غَلَبَةِ الظَّنِّ شَرْعًا، كما إذا غَلَبَ على ظَنِّهِ نَجاسَةُ أَحَدِ الْإِناءَيْنِ بِعَلامَةٍ مُعَيَّنَةٍ تُوجِبُ غَلَبَةَ الظَّنِّ، فَتوجِبُ تَحْريمَ شُرْبِهِ، وَالَّذِي هو الْمُخْتارُ أنَّ الْأَصْلَ هو الْمُعْتَبَرُ، وَأَنَّ الْعَلامَةَ إذا لَمْ تَتَعَلَّقْ بِعَيْنِ الْمُتَناوَلِ لم يُوجِبْ رَفْعَ الْأَصْلِ.

الْمَثارُ الثَّانِي: الشُّبْهَةُ بِشَكٍّ مَنْشَؤُهُ الاِخْتِلاطُ بَيْنَ الْحَلالِ وَالْحَرامِ. وَيَشْتَبِهُ الْأَمْرُ فلا يَتَمَيَّزُ، فَفِيهِ أَقْسامٌ ثَلاثَةٌ[2]:

(1) الإحياء: 2/ 99-101.

(2) ثلاثة أقسام، في رئيس الكتاب.

الْأَوَّلُ: أَنْ يَسْتَبْهِمَ الْعَيْنَ بِعَدَدٍ مَحْصورٍ؛ كَمَنْ تَزَوَّجَ إِحْدَى الْأُخْتَيْنِ - وَلَمْ تُعْلَمْ بِعَيْنِها - يَجِبُ اجْتِنابُها بِالْإِجْماعِ، إِذْ لا مَجالَ لِلاِجْتِهادِ؛ وإذا اخْتَلَطَتْ بِعَدَدٍ مَحْصورٍ صارَتِ الْجُمْلَةُ كَالشَّيْءِ الْواحِدِ، وَتُقابَلُ فيه جِهَةُ التَّحْليلِ والتَّحْريمِ فَيُجْتَنَبُ؛ وإِنِ اخْتَلَطَ حَلالٌ مَحْصورٌ بِحَرامٍ غَيْرِ مَحْصورٍ فَوُجوبُ الاِجْتِنابِ أَوْلَى.

الثَّانِي: حَرامٌ مَحْصورٌ بِحَلالٍ غَيْرِ مَحْصورٍ؛ كما إذا اخْتَلَطَتْ رَضيعَةٌ أو عَشْرُ رَضائِعَ بِنِسْوَةِ بَلَدٍ كَبيرٍ، فلا يَلْزَمُ بهذا اجْتِنابُ نِكاحِ أَهْلِ الْبَلَدِ، بل له أَنْ يَنْكِحَ مَنْ شاءَ مِنْهُنَّ إِلَّا إذا عَلِمَها بِعَيْنِها. إِلَّا أَنَّ عِلَّةَ الْحِلِّ لَيْسَتْ كَثْرَةَ الْحَلالِ، إِذْ يَلْزَمُ منه جَوازُ النِّكاحِ إذا اخْتَلَطَتْ واحِدَةٌ حَرامٌ بِتِسْعٍ حَلالٍ، بل الْعِلَّةُ الْغَلَبَةُ وَالْحاجَةُ جَميعًا؛ مَثَلًا مَنْ عَلِمَ أَنَّ مالَ الدُّنْيا خالَطَهُ حَرامٌ قَطْعًا لا يَلْزَمُهُ تَرْكُ الشِّراءِ وَالْأَكْلِ، فإِنَّ ذلِكَ حَرَجٌ، وما في الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ. وإذا لم يُشْتَرَطْ هذا في الدُّنْيا لم يُشْتَرَطْ أَيْضًا في بَلَدٍ إِلَّا إذا وَقَعَ بَيْنَ جماعَةٍ مَحْصورِينَ، فاجْتِنابُ أَمْثالِ هذا مِنْ وَرَعِ الْمُوَسْوَسِينَ، إذ لم يُنْقَلْ ذلِكَ عن رَسولِ اللّه صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ ولا عَنْ أَحَدٍ من الصَّحابَةِ، ولا يُتَصَوَّرُ الْوَفاءُ به في مِلَّةٍ من الْمِلَلِ، ولا في عَصْرٍ مِنَ الْأَعْصارِ[1].

وَاعْلَمْ أَنَّ تَمْييزَ الْمَحْصورِ مِنْ غَيْرِ الْمَحْصورِ مُشْكِلٌ، وبِالتَّقْريبِ كُلُّ عَدَدٍ لو اجْتَمَعَ على صَعيدٍ واحِدٍ لَعَسُرَ على النَّاظِرِ عَدَدُهُمْ بِمُجَرَّدِ النَّظَرِ؛

---

(1) الإحياء: 2/ 102-103.

كَالْأَلْفِ وَالْأَلْفَيْنِ فَهُوَ غَيْرُ مَحْصورٍ، وما سَهُلَ كَالْعَشَرَةِ وَالْعِشْرينَ فَهُوَ مَحْصورٌ، وَبَيْنَ الطَّرَفَيْنِ أَوْساطٌ مُتَشابِهَةٌ يُلْحَقُ بِأَحَدِ الطَّرَفَيْنِ بِالظَّنِّ. وَرُبَّما يُفْتِي الْمُفْتِي بِالظَّنِّ، لكِنْ إنْ وَقَعَ عِنْدَكَ الشَّكُّ فَعَلَيْكَ أن تَسْتَفْتِيَ قَلْبَكَ، فَإِنْ حاكَ في صَدْرِكَ شَيْءٌ فهو الْإِثْمُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ، فإنَّ «الْإِثْمِ حَزَّازُ الْقُلوبِ»[1]، ولا يُنْجِيكَ في الْآخِرَةِ فَتْوَى الْمُفْتِي فإنَّهُ يَحْكُمُ بِالظَّاهِرِ، وَاللهُ يَتَوَلَّى السَّرائِرَ.

قالَ رَسولُ اللّه صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ لِوابِصَةَ: «اسْتَفْتِ قَلْبَكَ وإِنْ أَفْتَوْكَ وَأَفْتَوْكَ وَأَفْتَوْكَ»[2].

وَكَذَا الْحالُ في الْأَوْساطِ الْمُتَشابِهَةِ الَّتِي تَقَعُ في الْأَقْسامِ الْأَرْبَعَةِ في الْمَثارِ الْأَوَّلِ.

الثَّالِثُ: أَنْ يَخْتَلِطَ حَرامٌ غَيْرُ مَحْصورٍ بِحلالٍ غَيْرِ مَحْصورٍ؛ كَحُكْمِ الْأَمْوالِ في زَمانِنا هذا. وَقَدْ يُظَنُّ أنَّ هذا مِثْلُ اخْتِلاطِ الْمَحْصورِ بِالْمَحْصورِ في الْحُرْمَةِ، لَكِنَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ، بل هذا غَيْرُ حَرامٍ؛ كَمَنْ يَتَناوَلُ شَيْئًا بِعَيْنِهِ احْتَمَلَ أَنَّهُ حَرامٌ وَأَنَّهُ حَلالٌ، فَتَرْكُهُ وَرَعٌ، وَأَخْذُهُ حَلالٌ، إلَّا أَنْ يَقْتَرِنَ بِتِلْكَ الْعَيْنِ عَلامَةُ الْحُرْمَةِ، فَحِينَئِذٍ يَحْرُمُ. وَيَدُلُّ على ما ذَكَرْنا أَنَّ في زَمَنِ النَّبِيِّ

---

(1) قوت القلوب: 1/ 274، شعب الإيمان: 7/ 307، الإحياء: 2/ 103.

(2) مسند ابن أبي شيبة: 2/ 259، مسند أحمد: 29/ 533، مسند الدارمي: 2/ 831، الإحياء: 2/ 103.

صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ وَقَعَ الْغُلولُ، وَاخْتَلَطَ بِالْأَمْوالِ، وَكَذَا اخْتَلَطَ أَثْمانُ الْخُمورِ في أَيْدِي أَهْلِ الذِّمَّةِ، بَلِ الرِّبا أَيْضًا، وَكَذَا في زَمَنِ الصَّحابَةِ وَالتَّابِعِينَ. وقَدْ نَهَبَ يَزِيدُ الْمَدينَةَ شَرَّفَها اللهُ ثَلاثَةَ أيامٍ، وَلَمْ يَمْتَنِعْ أَحَدٌ مِنَ الصَّحابَةِ عنِ الشِّراءِ في السُّوقِ إِلَّا قَليلٌ[1] يُعَدُّونَ مِنْ أَهْلِ الْوَرَعِ. وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ تَفَطَّنَ مِنَ الشَّرْعِ ما لم يَتَفَطَّنْهُ السَّلَفُ الصَّالِحونَ فَهُوَ مُوَسْوَسٌ مُخْتَلُّ الْعَقْلِ[2].

وَأَيْضًا لو فُتِحَ هذا الْبابُ لَانْسَدَّ بابُ جَميعِ التَّصَرُّفاتِ، وَخَرِبَ الْعالَمُ، إذِ الْفِسْقُ غالِبٌ على النَّاسِ، وَيَتَساهَلونَ في شُروطِ الشَّرْعِ.

فَإِنْ قُلْتَ: ما ذَكَرْتَهُ فيما إذا كانَ الْحَرامُ قَليلًا، وَقَدْ صارَ الْحَرامُ في زَمانِنا أَكْثَرَ.

قُلْتُ: لَيْسَ هو أَكْثَرَ بل هو كَثِيرٌ؛ وَقَوْلُكَ: الْحَرامُ أَكْثَرُ إِمَّا لِكَثْرَةِ الظَّلَمَةِ، أَوْ كَثْرَةِ الْمُعَامَلاتِ الْفاسِدَةِ، أو كَثْرَةِ الْأَيْدِي.

الْأَوَّلُ باطِلٌ: إذِ الظَّلَمَةُ وَهُمُ الْجُنْدِيَّةُ وَذَوُو الْغَلَبَةِ وَالشَّوْكَةِ إذا أُضيفُوا إلى جُمْلَةِ الْعالَمِ لم يَبْلُغوا عُشُرَ عُشُرِهِمْ.

وَكَذا الثَّانِي: إذْ أَكْثَرُ الْمُسْلِمينَ يَتَعامَلونَ بِشُروطِ الشَّرْعِ، وَأَهْلُ الرِّبَا مِنْ بَيْنِهِمْ قَليلٌ فَضْلًا عن كَوْنِهِمْ كَثيرًا أَوْ أَكْثَرَ.

---

(1) قليلين، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(2) الإحياء: 2/ 103-104.

وَأَمَّا الثَّالِثُ: فَلِأَنَّ الْأَمْوالَ إِنَّمَا تَحْصُلُ مِنَ الْمَعادِنِ وَالنَّباتِ وَالْحَيوانِ، وَلَمْ يَبْقَ دِرْهَمٌ واحِدٌ ولا دينارٌ خَرَجَتْ مِنْ مَعْدِنٍ أَوْ دارِ ضَرْبٍ إِلَّا وَتَناوَلَهُ يَدُ الظَّلَمَةِ؛ وَكَذا الْحالُ في الْحَيَوانِ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الصَّيْدُ وَالْحَشيشُ وَالْحَطَبُ في الْمَواتِ.

فَالْجَوابُ عنه: أنَّ هَذِهِ الْغَلَبَةَ لم تَنْشَأْ مِنْ كَثْرَةِ الْحَرامِ الْمَخْلوطِ بِالْحَلالِ، فَالْتَحَقَ بما عَدَّدْناهُ مِنْ قَبْلُ، وهُوَ تَعارُضُ الْأَصْلِ وَالْغالِبِ. فَالْحُكْمُ فيه أنَّ الْغالِبَ الَّذِي لا يَسْتَنِدُ إلى عَلامَةٍ تَتَعَلَّقُ بِعَيْنِ ما فيه النَّظَرُ مُطَّرَحٌ[1]، فلا يُقالُ: أُصولُ الْحَرامِ أَكْثَرُ، بَلْ أُصولُ الْحَلالِ لم تَزَلْ أَكْثَرَ في كُلِّ عَصْرٍ وَزَمانٍ، وَذَلِكَ ظاهِرٌ لِمَنْ تَدَبَّرَ بِإِذْعانٍ وَإِمْعانٍ؛ وَإِنَّمَا الْكَلامُ فيما إذا قُدِّرَ غَلَبَةُ الْحَرامِ، وَاخْتَلَطَ غَيْرُ مَحْصورٍ بِغَيْرِ مَحْصورٍ، وَلَمْ يَكُنْ في الْعَيْنِ الْمُتَناوَلَةِ عَلامَةٌ خاصَّةٌ[2].

وَالَّذِي نَراهُ أَنَّ تَرْكَهُ وَرَعٌ، وَأَخْذَهُ لَيْسَ بِحَرامٍ، لِأَنَّ الْأَصْلَ الْحِلُّ. وَلَا يُرْفَعُ ذلِكَ إِلَّا بِعَلامَةٍ مُعَيَّنَةٍ، كما في طِينِ الشَّوارِعِ وَنَظائِرِهَا، بَلْ نَقولُ: لو طَبَّقَ الْحَرامُ الدُّنْيا ـ على الْفَرْضِ وَالتَّقْديرِ وَالْعِياذُ بِاللهِ مِنْ ذَلِكَ ـ لَكُنَّا نَقولُ: يُعْفَى عَمَّا سَلَفَ، وَيُسْتَأْنَفُ بِتَمْهيدِ الشُّروطِ. بَلْ نَقولُ: ما جاوَزَ حَدَّهُ انْعَكَسَ على ضِدِّهِ، فَمَهْمَا حَرُمَ الْكُلُّ حَلَّ الْكُلُّ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الاحْتِمالاتِ

---

(1) مطرد، في مراد ملا.

(2) الإحياء: 2/ 103-106.

خَمْسَةٌ، لِأَنَّ النَّاسَ إمَّا أنْ يَدَعُوا الْأَكْلَ حتَّى يَموتُوا، أو يَقْتَصِرُوا على سَدِّ الرَّمَقِ، أو يَتَناوَلوا كَيْفَ شاؤوا سَرِقَةً أَوْ غَصْبًا مِنْ غَيْرِ تَمْيِيزٍ بَيْنَ مالٍ وَمالٍ، وَجِهَةٍ وَجِهَةٍ، أو يَتَّبِعوا شُروطَ الشَّرْعِ، وَيَسْتَأْنِفُوا[1] قَواعِدَهُ مِنْ غَيْرِ اقْتِصارٍ على قَدْرِ الْحاجَةِ، أو يَقْتَصِروا على قَدْرِ الْحاجَةِ مَعَ شُروطِ الشَّرْعِ.

أَمَّا الْأَوَّلُ: فلا يَخْفَى بُطْلانُهُ.

وَأَمَّا الثَّانِي: فَباطِلٌ أَيْضًا، لِأَنَّهُمْ إذا اقْتَصَرُوا على سَدِّ الرَّمَقِ، وَزَجوا أَوْقاتَهُمْ مَعَ الضُّعْفِ، فَشَا فيهِمُ الْمَوْتُ، وَبَطَلَتِ الْأَعْمالُ وَالصِّناعاتُ، وَخَرِبَتِ الدُّنْيَا، وفي خَرابِهَا خَرابُ الدِّينِ، لِأَنَّها مَزْرَعَةُ الْآخِرَةِ، بَلْ أَكْثَرُ أَحْكامِ الْفِقْهِ لِحِفْظِ مَصالِحِ الدُّنْيا، لِيَتِمَّ بها مَصالِحُ الدِّينِ.

وأَمَّا الثَّالِثُ: فَهُوَ دَفْعٌ لِسَدِّ الشَّرْعِ بين الْمُفْسِدِينِ، فَتَمْتَدُّ الْأَيْدِي بِالْغَصْبِ وَالسَّرِقَةِ وَأَنْواعِ الظُّلْمِ، ولا يُمْكِنُ زَجْرُهُمْ عنه، فَيُؤَدِّي إلى بُطْلانِ سِياسَةِ الشَّرْعِ.

فلا يَبْقَى إلَّا الاِحْتِمالُ **الرَّابِعُ**: بِأَنْ يُبْقِيَ كُلُّ ذي يَدٍ على ما في يَدِهِ. فَيَصيرُ الاِحْتِمالُ **الْخامِسُ** وهو: الاِقْتِصارُ على قَدْرِ الْحاجَةِ مع الاِكْتِسابِ بِطَرِيقِ الشَّرْعِ مِنْ أَصْحابِ الْأَيْدِي لائِقًا بِالْوَرَعِ لِمَنْ يُريدُ سُلوكَ طَرِيقِ الْآخِرَةِ[2].

---

(1) ويستأنسوا، في رئيس الكتاب.

(2) الإحياء: 2/ 106-109.

الْمَثارُ الثَّالِثُ لِلشُّبْهَةِ: أَنْ يَتَّصِلَ بِالسَّبَبِ الْمُحَلِّلِ مَعْصِيَةٌ. وهذا أَنْواعٌ أَرْبَعَةٌ:

النَّوْعُ الأَوَّلُ: الْمَعْصِيَةُ في الْقَرائِنِ؛ كَالْبَيْعِ وَقْتَ النِّداءِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَكَالذَّبْحِ بِالسِّكِّينِ الْمَغْصوبِ، وَهَذَا مَكْروهٌ، وَلَيْسَ بِحَرامٍ، وَالْوَرَعُ اجْتِنابُهُ. وَهَذِهِ الْكَراهَةُ لها ثَلاثُ دَرَجاتٍ:

الأولَى منها: ما يَقْرُبُ مِنَ الْحَرامِ، وَالْوَرَعُ عنه مُهِمٌّ؛ كَالصَّيْدِ بِكَلْبٍ مَغْصوبٍ.

وَالثَّانِيَةُ: الاِحْتِطابُ بِالْقَدُومِ الْمَغْصوبِ، وَهِذِهِ دونَ الأُولَى في الْكَراهَةِ، وَهِيَ أَيْضًا من الْوَرَعِ.

وَالثَّالِثَةُ: الْبَيْعُ وَقْتَ النِّداءِ، وَهَذِهِ دونَ الثَّانِيَةِ، فإِنَّهُ ضَعيفُ التَّعَلُّقِ بِمَقْصودِ الْبَيْعِ. ولا بَأْسَ بِالْحَذَرِ منه، لَكِنْ لو أَدَّى ما هُوَ دونَ هذا مِنْ عَدَمِ صِحَّةِ نِكاحِ الظَّلَمَةِ - لِتَعَلُّقِ الْحُقوقِ الْواجِبَةِ عَلَيْهِ - لَأَدَّى إلى التَّحَرُّجِ عن نِكاحِ بَناتِهِمْ، وَأَنَّهُ الْوَسْواسُ، وَالْوَرَعُ حَسَنٌ، وَالْمُبالَغَةُ فيه أَحْسَنُ، وَلَكِنْ إلى حَدٍّ مَعْلومٍ.

النَّوْعُ الثَّانِي: الْمَعْصِيَةُ في اللَّواحِقِ. ولها دَرَجاتٌ:

أَعْلاهَا: بَيْعُ الْعِنَبِ مِنَ الْخَمَّارِ، وَبَيْعُ الْغُلامِ مِمَّنْ يُعْرَفُ بِالْفُجورِ بِالْغِلْمانِ. وَالْقِياسُ أَنَّ الْعَقْدَ صَحيحٌ، وَالْمَأْخوذَ حَلالٌ وَلَيْسَ بِحَرامٍ،

وَالرَّجُلَ عاصٍ، إلَّا أنَّ الْمَأْخوذَ مَكْروهٌ كَراهِيَةً شَدِيدَةً، وَتَرْكُهُ مِنَ الْوَرَعِ الْمُهِمِّ.

وَيَليهَا في الرُّتْبَةِ: بَيْعُ الْعِنَبِ مِمَّنْ يَشْرَبُ الْخَمْرَ ولم يَكُنْ خَمَّارًا، لِأَنَّ الاِحْتِمالَ قد تَعارَضَ، وَالْكَراهَةُ فيه أَخَفُّ، وَالْوَرَعُ فيه فَوْقَ الْأَوَّلِ[1].

وَيَلِيهَا في الرُّتْبَةِ: ما هو مُبالَغَةٌ، وَيَكادُ يُلْحَقُ بِالْوَسْواسِ؛ كَمَنْ لا يُجَوِّزُ مُعامَلَةَ الْفَلَّاحينَ بِآلاتِ الْحَرْثِ، لِأَنَّهُمْ يَسْتَعِينُونَ بها على الْحِراثَةِ، وَيَبِيعُونَ الطَّعامَ مِنَ الظَّلَمَةِ، وَهَذا وَرَعُ الْوَسْوَسَةِ.

النَّوْعُ الثَّالِثُ: الْمَعْصِيَةُ في الْمُقَدِّماتِ. ولها أَيْضًا ثَلاثُ دَرَجاتٍ:

الْعُلْيا: ما بَقِيَ أَثَرُهُ في الْمُتَناوَلِ؛ كَالْأَكْلِ مِنْ شاةٍ رَعَتْ مِنْ مَرْعًى حَرامٍ، وهذا الْوَرَعُ [مُهِمٌّ][2] وإنْ لم يَكُنْ واجِبًا.

وَالْوُسْطَى: ما نُقِلَ عن بِشْرٍ[3] مِنِ امْتِناعِهِ عَمَّا يُساقُ في نَهْرِ الظَّلَمَةِ، لِأَنَّ النَّهْرَ مُوصِلٌ إليه، وَقَدْ عَصَى اللهَ بِحَفْرِهِ؛ وامْتِناعِ آخَرَ عن عِنَبِ كَرْمٍ سُقِيَ بِنَهْرٍ مَذْكورٍ، وهو أَبْلَغُ في الْوَرَعِ منه؛ وَأَعْلَى مِنْ ذَلِكَ امْتِناعُ ذي النُّونِ مِنْ طَعامٍ حَلالٍ أُوصِلَ إلَيْهِ بِيَدِ سَجَّانٍ، وَقَوْلُهُ: إنَّهُ جاءَنِي على يَدِ ظالِمٍ.

---

(1) الإحياء: 2/ 111-112.

(2) زيادة من أنطاليا.

(3) يقصد بشر الحافي (ت.227هـ).

وَدَرَجاتُ هَذِهِ الرُّتَبِ لا تَنْحَصِرُ؛ وَالْأَدْنَى منها - وهِيَ قَرِيبَةٌ مِنَ الْوَسْواسِ - أَنْ يَمْتَنِعَ مِنْ حَلالٍ وَصَلَ إليهِ على يَدِ رَجُلٍ زَنَى أو قَذَفَ، وَلَيْسَ هذا كما لو وَصَلَ على يَدَيْ مَنْ أَكَلَ الْحَرامَ، فإِنَّ الْمُوصِلَ قُوَّتُهُ الْحاصِلَةُ مِنَ الْحَرامِ، وَالزِّنا وَالْقَذْفُ لا يَزيدانِ في الْقُوَّةِ، ولو امْتَنَعَ الشُّرْبُ[1] مِنْ كُوزٍ لِأَنَّ صانِعَهُ قَدْ عَصَى اللهَ يَوْمًا بِضَرْبِ إِنْسانٍ أو شَتْمِهِ لَكانَ وَسْواسًا[2].

وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ هذا خارِجٌ عن فَتْوَى الْعُلَماءِ مِنَ الْفُقَهاءِ، لِأَنَّ فَتْواهُمْ يَخْتَصُّ بِالدَّرَجَةِ الْأُولَى الَّتِي يُمْكِنُ بِهَا تَكْلِيفُ الْعامَّةِ، ولو اجْتَمَعُوا عَلَيْها لم يَخْرَبِ الْعالَمُ دونَ ما عَداهُ مِنْ وَرَعِ الْمُتَّقِينَ وَالصَّالِحينَ الَّذِينَ لا يُفْتِيهِمْ إِلَّا قُلوبُهُمْ، لَكِنْ يَخْرُجُ عن هَذَا قَلْبُ الْمُوَسْوَسِ، لِأَنَّهُمْ قَوْمٌ شَدَّدُوا على أَنْفُسِهِمْ، فَشَدَّدَ اللهُ عَلَيْهِمْ كما شُدِّدَ على أَصْحابِ موسى عليه السَّلامُ[3].

النَّوْعُ الرَّابِعُ: الْمَعْصِيَةُ في الْعِوَضِ، وَلَهَا أَيْضًا دَرَجاتٌ:

الْعُلْيا: أَنْ يَشْتَرِيَ شَيْئًا في الذِّمَّةِ، وَيَقْضِيَ ثَمَنَهُ مِنْ غَصْبٍ أو مالٍ حَرامٍ، فإِنْ سَلَّمَ الْبائِعُ إليهِ الطَّعامَ قَبْلَ قَبْضِ الثَّمَنِ بِطِيبِ قَلْبٍ فَأَكَلَهُ قَبْلَ قَضاءِ الثَّمَنِ فَهُوَ حَلالٌ، وَتَرْكُهُ لَيْسَ بِواجِبٍ بِالْإِجْماعِ، ولا هُوَ مِنَ الْوَرَعِ الْكامِلِ، وإِنَّما الْإِثْمُ بِقَضاءِ الثَّمَنِ مِنَ الْحَرامِ، لَكِنْ لا يَنْقَلِبُ الطَّعامُ حَرامًا، فَإِنْ أَبْرَأَهُ

(1) عن الشرب، في الإحياء.

(2) الإحياء: 2/ 112-113.

(3) في أمر البقرة.

الْبائِعُ مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّ الثَّمَنَ حَرامٌ فَقَدْ بَرِئَتْ ذِمَّتُهُ، وَلَمْ يَبْقَ عليه إلَّا مَظْلَمَةُ تَصَرُّفِهِ فِي الْحَرامِ، وَإِنْ أَبْرَأَهُ على ظَنٍّ أَنَّ الثَّمَنَ حَلالٌ فلا تَحْصُلُ له الْبَراءَةُ مِنَ الثَّمَنِ؛ لِأَنَّهُ أَبْرَأَهُ بِشَرْطِ الاِسْتِيفاءِ، ولا يَصْلُحُ الْحَرامُ لِلْإِيفاءِ، وإِنْ لم يُسَلَّمْ إليه بِطِيبَةِ قَلْبٍ[1]، وَلَكِنْ أَخَذَهُ فَأَكَلَهُ[2] حَرامٌ، سَواءٌ أَكَلَهُ قَبْلَ تَوْفِيَةِ الثَّمَنِ مِنْ الْحَرامِ أو بَعْدَهُ؛ إِذْ لِلْمالِكِ حَقُّ الْحَبْسِ حَتَّى يَقْبِضَ الثَّمَنَ، وَإِنَّما يَبْطُلُ حَقُّ حَبْسِهِ بِالْإِبْراءِ وَالاِسْتيفاءِ، ولم يَجْرِ[3] شَيْءٌ مِنْهُما، وَلَكِنَّهُ أَكَلَ مِلْكَ نَفْسِهِ، وهو عاصٍ به عِصْيانَ الرَّاهِنِ لِلطَّعامِ إذا أَكَلَهُ بِغَيْرِ إِذْنِ الْمُرْتَهِنِ، وَبَيْنَهُ وبَيْنَ أَكْلِ طَعامِ الْغَيْرِ فَرْقٌ، وَلَكِنَّ أَصْلَ التَّحْرِيمِ شامِلٌ[4].

أَمَّا إذا أَوْفَى الثَّمَنَ الْحَرامَ أَوَّلًا، ثُمَّ قَبَضَ، فَإِنْ كانَ عالِمًا بِحُرْمَتِهِ وَمَعَ هذا قَبَضَ الْمَبِيعَ بَطَلَ حَقُّ حَبْسِهِ، وَبَقِيَ له الثَّمَنُ في ذِمَّتِهِ، إِذْ ما أَخَذَهُ لَيْسَ بِثَمَنٍ، ولا يَصيرُ أَكْلُ الْمَبِيعِ حَرامًا بِسَبَبِ بَقاءِ الثَّمَنِ. فَأَمَّا إذا لَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ حَرامٌ، وكانَ بِحَيْثُ لو عَلِمَ لما رَضِيَ به ولا أَقْبَضَ الْمَبِيعَ، فَحَقُّ حَبْسِهِ لا يَبْطُلُ بهذا التَّلْبِيسِ، فَأَكْلُهُ حَرامٌ تَحْرِيمَ أَكْلِ الْمَرْهونِ إلى أن يُبْرِئَهُ، أو يُوَفَّى مِنْ حَلالٍ، أو يَرْضَى هو بِالْحَرامِ، وَيُبْرِئَ فَيَصِحَّ إِبْراؤُهُ. ولا يَصِحُّ رِضاهُ بِالْحَرامِ. فهذا مُقْتَضَى الْفِقْهِ، وَبَيانُ الْحُكْمِ في الدَّرَجَةِ الْأُولَى مِنَ الْحِلِّ وَالْحُرْمَةِ.

---

(1) قلبه، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(2) وأكله، في قونية ورئيس الكتاب.

(3) ولم يَجُزْ، في أنطاليا ومراد ملا.

(4) الإحياء: 2/ 113-114.

فَأَمَّا الإمْتِناعُ عنه فَمِنَ الْوَرَعِ الْمُهِمِّ؛ لأنَّ الْمَعْصِيَةَ إذا تَمكَّنَتْ مِنَ السَّبَبِ الْمُوصِلِ تَشْتَدُّ الْكَرَاهَةُ كما سَبَقَ. وَأَقْوَى الْأَسْبابِ الْمُوصِلَةِ الثَّمَنُ، ولو لا الثَّمَنُ الْحَرامُ لَمَا رَضِيَ الْبائِعُ بِتَسْليمِهِ إليهِ، فَرِضاهُ به لا يُخْرِجُهُ عن كَوْنِهِ مَكْروهًا كَراهَةً شَديدَةً، ولكنَّ الْعَدالَةَ لا تَنْخَرِمُ به، وَإِنَّما تَزولُ به دَرَجَةُ التَّقْوَى وَالْوَرَعِ.

وَالدَّرَجَةُ الْوُسْطَى: أنْ لا يَكونَ الْعِوَضُ غَصْبًا ولا حَرامًا، وَلَكِنْ يَتَهَيَّأُ لِمَعْصِيَةٍ، كما لو سَلَّمَ عن الثَّمَنِ عِنبًا والْآخِذُ شارِبُ خَمْرٍ، أو سَيْفًا وهو قاطِعُ طَريقٍ، فَهَذَا لا يوجِبُ تَحْريمًا في الْمَبيعِ، ولَكِنْ يَقْتَضِي فيه كَراهَةً دونَ الْكَراهَةِ الَّتِي في الْغَصْبِ.

وَالدَّرَجَةُ السُّفْلَى: وَهِيَ دَرَجَةُ الْوَسْواسِ، كما إذا حَلَفَ إنْسانٌ على أن لا يَلْبَسَ مِنْ غَزْلِ أَمَتِهِ، فَباعَ غَزْلَها، وَاشْتَرَى به ثَوْبًا، فَهَذا لا كَراهَةَ فيهِ، وَالْوَرَعُ عنه وَسْوَسَةٌ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الدَّرَجاتِ الْمَذْكورَةَ لا تَنْحَصِرُ في عَدَدٍ، وَلَكِنَّ الْمَقْصودَ مِنَ التَّعْديدِ التَّفْهيمُ.

وَاعْلَمْ أنَّ الْإِنْسانَ لا يَنْبَغِي أنْ يَشْتَغِلَ بِدَقائِقِ الْوَرَعِ إلَّا بِحَضْرَةِ عالِمٍ مُتَّقٍ، فَإِنَّهُ إذا جاوَزَ ما رُسِمَ له، وَتَصَرَّفَ بِذِهْنِهِ، كانَ ما يُفْسِدُهُ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُهُ.

الْمَثارُ الرَّابِعُ: الِاخْتِلافُ في الْأَدِلَّةِ، وهذا كَالِاخْتِلافِ في السَّبَبِ، لأَنَّ السَّبَبَ سَبَبٌ لِلْحِلِّ وَالْحُرْمَةِ، وَالدَّليلُ سَبَبٌ لِمَعْرِفَتِها. وهي ثَلاثَةُ أَقْسامٍ[1]:

الْأَوَّلُ: أن تَتَعارَضَ أَدِلَّةُ الشَّرْعِ؛ كَالْعُمومَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ أو السُّنَّةِ، أو قِياسَيْنِ، أو قِياسٍ وَعُمومٍ. وَكُلُّ ذلِكَ يورِثُ الشَّكَّ، وَيُرْجَعُ في مِثْلِهِ إلى التَّرْجيحِ. فإنْ ظَهَرَ التَّرْجيحُ في جانِبِ الْحُرْمَةِ وَجَبَ الْأَخْذُ به، وإِنْ ظَهَرَ في جانِبِ الْحِلِّ جازَ الْأَخْذُ به، وَلَكِنَّ الْوَرَعَ تَرْكُهُ.

ثُمَّ إنَّ الْمُقَلِّدَ يَنْبَغِي له أَنْ يَبْحَثَ عَنْ أَفْضَلِ الْمَذاهِبِ بَيْنَ عُلَماءِ بَلَدِهِ فَيَتَّبِعَهُ، وَلَيْسَ له أَنْ يَتَّبِعَ أَوْسَعَها. نَعَمْ، إنْ إمامُهُ أَفْتاهُ بِشَيْءٍ، وَلَهُ مُخالِفٌ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَتْرُكَ الْخِلافَ إلى مَذْهَبٍ أَجْمَعُوا عَلَيْهِ. وَكَذَا الْمُجْتَهِدُ إذا تَعارَضَتْ عِنْدَهُ الْأَدِلَّةُ، وَرَجَّحَ جانِبَ الْحِلِّ بِحَدْسٍ وَتَخْمِينٍ وَظَنٍّ، فَالْوَرَعُ له الِاجْتِنابُ.

وهَذَا على ثَلاثِ مَراتِبَ:

أُولاهَا: ما يَقْوَى فيه دَليلُ الْمُخالِفِ، وَيَدِقُّ تَرْجيحُ الْمَذْهَبِ الْآخَرِ عليه، فَالْمُسْتَحَبُّ التَّوَرُّعُ عنه، وَإِنْ أَفْتَى الْمُفْتِي أَنَّهُ حَلالٌ، لِأَنَّ التَّرْجِيحَ فيه غامِضٌ.

وَثانِيَتُها: تَزاحُمُ دَرَجَةِ الْوَسْواسِ؛ كَالتَّوَرُّعِ عن أَكْلِ جَنِينٍ ذَكَّى أُمَّهُ[2]، وفي الصِّحاحِ ما يَدُلُّ على حِلِّهِ.

---

(1) الإحياء: 2/ 114-115.

(2) أن يتورع الإنسان عن أكل الجنين الذي يُصادَفُ في بطن الحيوان المذبوح، في الإحياء: 2/ 116.

وَثالِثُها: أَنْ لا يَشْتَهِرَ في الْمَسْأَلَةِ خِلافٌ أَصْلًا، وَلَكِنْ يكونُ الْحِلُّ مَعْلومًا بِخَبَرِ الْواحِدِ، فَيَتَوَرَّعُ عنه لِاخْتِلافِ النَّاسِ في الْخَبَرِ الْواحِدِ، فَهَذَا وَرَعٌ لم يُنْقَلْ عَنِ الصَّحابَةِ إلَّا إذا تَطَرَّقَ شُبْهَةٌ في حَقِّ الرَّاوِي خاصَّةً.

وَمِنْ هذا الْقَبِيلِ خِلافُ النَّظَّامِ[1] في أَصْلِ الْإِجْماعِ بِأَنَّهُمْ غَيْرُ مَعْصومِينَ، فَإِذًا لا طَرَفَ مِنْ أَطْرافِ الشُّبُهاتِ إلَّا وَفيهَا غُلُوٌّ وَإِسْرافٌ[2].

وَالْأَصْلُ: أَنْ تَسْتَفْتِيَ قَلْبَكَ، وَتَدَعَ ما يَرِيبُكَ إلى ما لا يَرِيبُكَ، وَتَتْرُكَ حَزازَةَ الْقُلوبِ وَحَكاكَةَ الصُّدورِ، وَذَلِكَ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلافِ الْأَشْخاصِ وَالدَّواعِي، ولكن يَحْفَظُ قَلْبَهُ عن دَواعِي الْوَسْواسِ حَتَّى لا يَحْكُمَ إلَّا بِالْحَقِّ، ولا يَنْطَوِيَ على حَزازَةٍ في مَظَانِّ الْوَسْواسِ، ولا يَخْلُوَ عن الْحَزازَةِ في مَظانِّ الْكَراهَةِ، وما أَعَزَّ مِثْلَ هذا الْقَلْبِ.

الْقِسْمُ الثَّانِي: أَنْ تَتعارَضَ الْعَلاماتُ الدَّالَّةُ على الْحِلِّ وَالْحُرْمَةِ؛ مَثَلًا يُخْبِرُ عَدْلٌ بِأَنَّ هذا الْمَتاعَ حَلالٌ، وَعَدْلٌ آخَرُ بِأَنَّهُ حَرامٌ، فَإِنْ ظَهَرَ تَرْجِيحٌ حُكِمَ به، فَالْوَرَعُ الاِجْتِنابُ، وإِنْ لَمْ يَظْهَرْ وَجَبَ التَّوَقُّفُ.

الْقِسْمُ الثَّالِثُ: تَعارُضُ الْأَشْباهِ في الصِّفاتِ الَّتِي بها تُناطُ الْأَحْكامُ؛ كَمَنْ أَوْصَى مالَهُ لِلْفُقَهاءِ، فَالْفاضِلُ في الْفِقْهِ داخِلٌ بلا شُبْهَةٍ، وَالْمُتَعَلِّمُ مُنْذُ يَوْمٍ أو شَهْرٍ غَيْرُ داخِلٍ بلا شُبْهَةٍ، وَبَيْنَهُما دَرَجاتٌ لا تُحْصَى يَقَعُ الشَّكُّ فيها،

---

(1) يقصد أبا إسحاق إبراهيم بن سيار النَّظَّام المعتزلي (ت. 231هـ).

(2) الإحياء: 2/ 116.

فَالْمُفْتِي يُفْتِي بِحَسَبِ الظَّنِّ، وَالْوَرَعُ الاجْتِنابُ. وَهَذِهِ أَغْمَضُ مَثاراتِ الشُّبْهَةِ، فإِنَّ فيها صُوَرًا يَتَحَيَّرُ فيها الْمُفْتِي تَحَيُّرًا لازِمًا لا حِيلَةَ له فيه، إِذْ يَكونُ الْمُتَّصِفُ بِصِفَةٍ في دَرَجَةٍ مُتَوَسِّطَةٍ لا يَظْهَرُ له مَيْلُهُ[1] إلى أَحَدِهِما.

وَكَذَلِكَ الصَّدَقاتُ، فإِنَّ الْمُحْتاجَ ما لَيْسَ له شَيْءٌ، وَالْغَنِيَّ مَنْ له مالٌ كَثيرٌ، وأَمَّا مَنْ له دارٌ وَأَثاثٌ وَثِيابٌ وَكِتابٌ فإِنَّ قَدْرَ الْحاجَةِ مِنْهُ وَالزَّائِدَ عليه لا يُمْكِنُ تَحْديدُهُما، وإِنَّما يُدْرَكُ بِالتَّقْريبِ، وَيُنْظَرُ في مِقْدارِ سَعَةِ الدَّارِ وَأَبْنِيَتِها، وَمِقْدارِ قِيمَتِها، لِكَوْنِها في وَسَطِ الْبَلَدِ، أو في طَرَفِهِ، وَوُقوعِ الاكْتِفاءِ بِدارٍ دُونَها؛ وكَذَا الْأَثاثُ، إِمَّا مِنَ الصُّفْرِ، أَوْ مِنَ الْخَزَفِ، وكَذَا في عَدَدِها وَقِيمَتِها، وَكَذَلِكَ ما يَحْتاجُ إليه كُلَّ يَوْمٍ أو سَنَةٍ. وَشَيْءٌ مِنْ هذِهِ الْأُمورِ لا حَدَّ لَهُ، فَإِنْ تَوَقَّفَ الْمُفْتِي فيها فلا وَجْهَ إِلَّا التَّوَقُّفُ، وَإِنْ أَفْتَى الْمُفْتِي بِظَنٍّ وتَخْمِينٍ فَالْوَرَعُ التَّوَقُّفُ، وهُوَ أَعَمُّ مَواضِعِ الْوَرَعِ. وَالْوَجْهُ في مِثْلِ هذا ما قالَهُ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ إِذْ قالَ: «دَعْ ما يَرِيبُكَ إلى ما لا يَرِيبُكَ»[2].

فَهَذِهِ مَثاراتُ الشُّبُهاتِ، وَبَعْضُها أَشَدُّ مِنْ بَعْضٍ، ولو تَظاهَرَتْ شُبُهاتٌ شَتَّى على شَيْءٍ واحِدٍ كانَ الْأَمْرُ أَغْلَظَ؛ مِثْلَ أَنْ يَأْخُذَ طَعامًا مُخْتَلَفًا فيه عِوَضًا عَنْ عِنَبٍ باعَهُ مِنْ خَمَّارٍ بَعْدَ النِّداءِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَالْبائِعُ قد خالَطَ مالَهُ حَرامٌ، لَيْسَ هُوَ أَكْثَرَ مالِهِ، وَلَكِنَّهُ صارَ مُشْتَبِهًا به، فَقَدْ يُؤَدِّي تَرادُفُ

---

(1) ميل، في مراد ملا.

(2) صحيح البخاري: 3/ 53، والنقل من الإحياء: 2/ 117-118.

الشُّبُهاتِ إلى أَنْ يَشْتَدَّ الْأَمْرُ في اقْتِحامِهِ. وَلَيْسَ في قُوَّةِ الْبَشَرِ حَصْرُها، فما اتَّضَحَ مِنْ هذا الشَّرْحِ أُخِذَ به، وما الْتَبَسَ فَلْيُجْتَنَبْ، فإِنَّ الْإِثْمَ حَزَّازُ الْقُلوبِ، وَحَيْثُ قَضَيْنا بِاسْتِفْتاءِ الْقَلْبِ أَرَدْنا به حَيْثُ أَباحَ الْمُفْتِي.

أَمَّا حَيْثُ حَرَّمَهُ فَيَجِبُ الامْتِناعُ، ثُمَّ إنَّ في الاِسْتِفْتاءِ لا يُعَوَّلُ على كُلِّ قَلْبٍ، إذْ رُبَّ مُوَسْوَسٍ يَنْفِرُ عن كُلِّ شَيْءٍ، وَرُبَّ شَرِهٍ مُتَساهِلٍ يَطْمَئِنُّ إلى كُلِّ شَيْءٍ، وَإنَّما الاِعْتِبارُ بِقَلْبِ الْعالِمِ الْمُوَفَّقِ الْمُراقِبِ لِدَقائِقِ الْأَحْوالِ، فَهُوَ الْمِحَكُّ الَّذي يُمْتَحَنُ به خَفايَا الْأُمورِ، وما أَعَزَّ هذا الْقَلْبَ في الْقُلوبِ، فَمَنْ لَمْ يَثِقْ بِقَلْبِهِ فَلْيَلْتَمِسِ النُّورَ مِمَّنْ قَلْبُهُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ، وَلْيَعْرِضْ عَلَيْهِ واقِعَتَهُ[1].

---

(1) الإحياء: 2/ 118.

الْمَطْلَبُ الرَّابِعُ: فِي الْبَحْثِ والسُّؤالِ وَالْهُجومِ وَالْإِهْمالِ وَمَظانِّهِمَا

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لا وَجْهَ لِلتَّفْتِيشِ عَنْ كُلِّ ما أُهْدِيَ إِلَيْكَ، أو وُهِبَ، أو بِيعَ مِنْكَ، وَلَيْسَ لَكَ أَيْضًا أَنْ تَتْرُكَ الْبَحْثَ فَتَأْخُذَ كُلَّ ما تَجِدُهُ، بَلْ لِلتَّفْتِيشِ أَحْوالٌ، فَإِنَّهُ واجِبٌ مَرَّةً، وَحَرامٌ أُخْرَى، وَمَنْدوبٌ إليه مَرَّةً، وَمَكْروهٌ أُخْرَى، فَمَثارُ الشُّبْهَةِ فيها في أَمْرَيْنِ: إمَّا في الْمالِ، أو في صاحِبِهِ.

النَّوْعُ الْأَوَّلُ: أَحْوالُ الْمالِكِ. وهِيَ ثَلاثٌ:

الْحالَةُ الْأولَى: أنْ يَكونَ مَجْهولَ الْحالِ، بِأَنْ لا يَكونَ في زِيِّ الظَّلَمَةِ، ولا في زِيِّ الْعُلَماءِ وَالصُّلَحاءِ، فَإِنْ كُنْتَ غَرِيبًا تُرِيدُ أَنْ تَشْتَرِيَ خُبْزًا ولا تَدْرِي صاحِبَهُ، فلا يَلْزَمُكَ السُّؤالُ، بَلْ يَدُهُ وَإِسْلامُهُ كافِيَتانِ في الْهُجومِ على أَخْذِهِ.

وَقَوْلُكَ: الْفَسادُ غالِبٌ في النَّاسِ وَسْوَسَةٌ وَسوءُ ظَنٍّ بِالْمُسْلِمِ، وَيَدُلُّ عليه أنَّ الصَّحابَةَ كانُوا يَنْزِلونَ الْقُرَى، ولا يَتْرُكونَ الْقِرَى، وَيَدْخُلونَ الْبِلادَ، ولا يَتَحَرَّزونَ مِنَ الْعِبادِ، وَكانَ الْحَرامُ مَوْجودًا في زَمانِهِمْ أَيْضًا. فَلَيْسَ له السُّؤالُ: مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ ومِنْ أَيْنَ حَصَلَ له؟ بل إنْ حَصَلَ له رِيبَةٌ فيه، فَلْيَتَلَطَّفْ في التَّرْكِ، وإنْ كانَ لا بُدَّ له مِنْ أَكْلِهِ، فَلْيَأْكُلْ بِغَيْرِ سُؤالٍ، إِذِ السُّؤالُ إِيذاءٌ، وَهَتْكُ سِتْرٍ وَإِيحاشٌ، وهو حَرامٌ بلا شَكٍّ، وَلَيْسَ الْإِثْمُ في إِيذاءِ مُسْلِمٍ بِأَقَلَّ مِنَ الْإِثْمِ في أَكْلِ شُبْهَةٍ.

ولا يَجوزُ له أَنْ يَسْأَلَ مِنْ حَيْثُ لا يَدْرِي، لِأَنَّ في ذلِكَ إِساءَةَ ظَنٍّ، وَهَتْكَ سِتْرٍ، وَفِيهِ تَجَسُّسٌ، وَفِيهِ تَشْبِيهٌ بِالْغِيبَةِ وإنْ لم يَكُنْ صَريحًا، وَكُلُّ ذلِكَ مَنْهِيٌّ عَنْهُ في آيَةٍ واحِدَةٍ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾[1].

فَكَمْ مِنْ زاهِدٍ جاهِلٍ يُحَسِّنُ[2] الْجاهِلُ عِنْدَهُ ذلِكَ طَلَبًا لِلشُّهْرَةِ بِأَكْلِ الْحَلالِ، ولو كانَ باعِثُهُ الدِّينَ لكانَ خَوْفُهُ مِنْ إيذاءِ مُسْلِمٍ أَشَدَّ مِنْ خَوْفِهِ على أنْ يُدْخِلَ بَطْنَهُ ما لا يَدْرِي، وهو غَيْرُ مُؤاخَذٍ بما لا يَدْرِي. فَطَرِيقُ الْوَرَعِ في أَمْثالِهِ التَّرْكُ دونَ التَّجَسُّسِ، وإذا لم يَكُنْ بُدٌّ فَالْوَرَعُ الْأَكْلُ وَإِحْسانُ الظَّنِّ.

الْحالَةُ الثَّانِيَةُ: أَنْ يَكونَ مَشْكوكًا فيه بِسَبَبِ دَلالَةٍ أَوْرَثَتْ رِيبَةً، إمَّا في خِلْقَتِهِ، بِأَنْ يَكونَ على خِلْقَةِ الْأَتْراكِ وَالْبَوادِي، وَالْمَعْروفِينَ بِالظُّلْمِ وَقَطْعِ الطَّرِيقِ، وَأَنْ يَكونَ طَوِيلَ الشَّارِبِ، وَإِمَّا في زِيِّهِ، بِأَنْ يَكونَ لِباسُهُ على زِيِّ أَهْلِ الْفَسادِ مِنَ الظَّلَمَةِ وَالْأَجْنادِ، وَإِمَّا مِنْ فِعْلِهِ وَقَوْلِهِ، بِأَنْ يُشاهَدَ منه الْإِقْدامُ على أَخْذِ الْحَرامِ. وَالْحُكْمُ فيه جَوازُ الْإِقْدامِ نَظَرًا إلى ضُعْفِ الْأَدِلَّةِ، وَقُوَّةِ الْيَدِ وَالْإِسْلامِ، وَرُجْحانُ التَّرْكِ، لِأَنَّ الْيَدَ دَلالَةٌ ضَعِيفَةٌ، وَقَدْ قَابَلَهَا مِثْلُ هَذِهِ فَأَوْرَثَتْ رِيبَةً.

---

(1) سورة الحجرات، الآية: 12. والنقل من الإحياء: 2/ 118-120.

(2) يحسس، في قونية. والكلام فيه حذف وتحريف لما وقع في الإحياء: "وكم زاهد جاهل يوحش القلوب في التفتيش، ويتكلم الكلام الخشن المؤذي، وإنما يحسن الشيطان ذلك عنده طلبا للشهرة بأكل الحلال". الإحياء: 2/ 120.

وَأَمَّا الْوَرَعُ هو الثَّانِي، وَهُوَ الَّذِي يُخْتارُ وَيُفْتَى به، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ: «دَعْ ما يَرِيبُكَ إلى ما لا يَرِيبُكَ».

ثُمَّ إِنَّ بَيْنَ هذه الدَّلالاتِ تَفاوُتًا، فَإِنَّ طُولَ الشَّارِبِ، وَهَيْئَةَ الْأَجْنادِ، وَكَذَا الْقَوْلُ والْفِعْلُ الْمُتَعَلِّقانِ بِظُلْمِ الْمالِ، وَكَذَا الْأَمْرُ بِالْغَصْبِ وَالظُّلْمِ، أو الْعَقْدُ بِالرِّبا أَقْوَى في الدَّلالَةِ مِمَّنْ شَتَمَ غَيْرَهُ في غَضَبِهِ، أو أَتْبَعَ نَظَرَهُ امْرَأَةً، إِذْ كَمْ مِنْ إِنْسانٍ يَخْرُجُ[1] في طَلَبِ الْمالِ، ولا يَكْسِبُ إِلَّا الْحَلالَ، وَمَعَ ذلِكَ فلا يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ هَيَجانِ الْغَضَبِ وَالشَّهْوَةِ. فلا يُمْكِنُ أن تُضْبَطَ[2] هذِهِ الدَّلالاتُ بِحَدٍّ، فَالْمَرْجِعُ هو الاِسْتِفْتاءُ بِالْقَلْبِ[3].

ثُمَّ إِنَّ ما ذُكِرَ في مَجْهولِ الْمالِ، وَأَمَّا إِنْ رَأَيْتَهُ مِمَّنْ عَرَفْتَهُ بِالْوَرَعِ في الْعِباداتِ يَصيرُ في حُكْمِ الْمالِ كَالْمَجْهولِ لِتَعارُضِ الْأَدِلَّةِ في حَقِّ الْمالِ، إِذْ لا يَلْزَمُ مِنَ الْوَرَعِ في الْعِباداتِ الْوَرَعُ في الْمالِ، فَالْمَرْجِعُ هو حُكْمُ الْقَلْبِ، وَأَيْضًا إِنَّ هَذِهِ الدَّلالَةَ إِنَّمَا تُعْتَبَرُ إذا دَلَّتْ[4] على حُرْمَةِ أَكْثَرِ مالِهِ، وإِنْ دَلَّتْ على حُرْمَةِ أَقَلِّهِ لا يَجِبُ السُّؤالُ، بَلْ يَكونُ السُّؤالُ مِنَ الْوَرَعِ.

الْحالَةُ الثَّالِثَةُ: أَنْ يَكونَ الْحالُ مَعْلومًا بِنَوْعِ خِبْرَةٍ وَمُمارَسَةٍ، بِحَيْثُ يُوجِبُ الظَّنَّ في الْحِلِّ أو الْحُرْمَةِ؛ مِثْلَ أَنْ يَعْرِفَ دِيانَتَهُ وَعَدالَتَهُ في الظَّاهِرِ،

---

(1) يتخرج، في رئيس الكتاب وعاطف أفندي. يتحرج، في أنطاليا. يتحرك، في الأزهرية.

(2) يضبط، في أنطاليا.

(3) الإحياء: 2/ 120.

(4) دل، في قونية ورئيس الكتاب.

واحْتَمَلَ عِنْدَهُ أَنْ يَكونَ الْباطِنُ بِخِلافِهِ، فَهاهُنا لا يَجِبُ السُّؤالُ، ولا يَجوزُ كما في الْمَجْهولِ بل أَوْلَى، وَالْإِقْدامُ هاهُنَا أَبْعَدُ عن الشُّبْهَةِ مِنَ الْإِقْدامِ على طَعامِ الْمَجْهولِ، فإنَّ ذَلِكَ بَعِيدٌ مِنَ الْوَرَعِ وإنْ لم يَكُنْ حَرامًا[1].

النَّوْعُ الثَّاني: **أَحْوالُ الْمالِ**، بِأَنْ يَخْتَلِطَ الْحَرامُ بِالْحَلالِ، كما إذا اشْتَرَى أَهْلُ السُّوقِ أَحْمالًا من طَعامٍ غُصِبَ، فلا يَجِبُ السُّؤالُ عمَّا يَشْتَرِيهِ في ذلِكَ السُّوقِ، وإنَّما التَّفْتِيشُ هو الْوَرَعُ، إلَّا أنْ يَظْهَرَ أنَّ أَكْثَرَ ما في أَيْدِيهِمْ حَرامٌ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَجِبُ السُّؤالُ. وَالدَّليلُ على عَدَمِ وُجوبِ السُّؤالِ ـ إذا لَمْ يَكُنِ الْحَرامُ أَغْلَبَ ـ عَدَمُ امْتِناعِ الصَّحابَةِ عَنِ الشِّراءِ من الْأَسْواقِ مع أنَّ فيها دَراهِمَ الرِّبا، وَغُلولَ الْغَنيمَةِ وَغَيْرَهُما، وإنَّما السُّؤالُ يُنْقَلُ عن آحادِهِمْ نادِرًا في بَعْضِ الْأَحْوالِ، وفي مَحَلِّ الرِّيبَةِ في الشَّخْصِ الْمُعَيَّنِ[2].

(1) كلام الإمام الغزالي في الإحياء: 2/ 121 في هذه المسألة أفصح وأوضح.

(2) الإحياء: 2/ 121.

الْمَطْلَبُ الْخامِسُ: في كَيْفِيَّةِ خُروجِ التَّائِبِ عن الْمَظالِمِ الْمالِيَّةِ

وَعَلَيْهِ في ذلِكَ وَظِيفَتانِ:

الْوَظِيفَةُ الأولَى: في كَيْفِيَّةِ تَمْييزِ الْحَرامِ وَإِخْراجِهِ. فَالْمالُ الْحَرامُ إنْ كانَ مَعْلومَ الْعَيْنِ فَالْأَمْرُ سَهْلٌ، فَإِنْ كانَ مُخْتَلِطًا، فَإِمَّا أَنْ يَكونَ مِنْ ذَواتِ الْأَمْثالِ؛ كَالنُّقودِ وَالْأَدْهانِ، أو مِنْ أَعْيانٍ مُتَمايِزَةٍ؛ كَالْعَبِيدِ وَالثِّيابِ.

فَإِنْ كانَ الْأَوَّلُ، أو كانَ شائِعًا في الْمالِ كُلِّهِ، كَمَنْ خَلَطَ دُهْنًا مَغْصوبًا بِدُهْنِ نَفْسِهِ، فإنْ كانَ مَعْلومَ الْقَدْرِ كَالنِّصْفِ فَعَلَيْهِ تَمْييزُ ذلِكَ الْقَدْرِ، وَإِنْ أَشْكَلَ فَلَهُ طَرِيقانِ: أَحَدُهُما الْأَخْذُ بِالْيَقينِ، وَالْآخَرُ الْأَخْذُ بِغالِبِ الظَّنِّ. فَيَجوزُ الْأَخْذُ بِغالِبِ الظَّنِّ اجْتِهادًا، وَلَكِنَّ الْوَرَعَ في الْأَخْذِ بِالْيَقينِ.

طَرِيقُ الْأَخْذِ بِالْوَرَعِ: أنْ لا يَسْتَبْقِيَ إلَّا الْقَدْرَ الَّذِي تَيَقَّنَ أَنَّهُ حَلالٌ. وَطَرِيقُ الْأَخْذِ بِالْجَوازِ؛ مَثَلًا تَيَقُّنُ أَنَّ النِّصْفَ حَلالٌ، وَالثُّلُثَ حَرامٌ، وَيَشُكُّ في السُّدُسِ، فَيُخْرِجُ الثُّلُثَ، وَيَحْكُمُ في السُّدُسِ بِغالِبِ الظَّنِّ، وَالْوَرَعُ إخْراجُهُ أَيْضًا. وإنْ شَكَّ فيه جازَ له الْإِمْساكُ، وَالْوَرَعُ الْإِخْراجُ أَيْضًا، وَهَذا الْوَرَعُ آكَدُ.

فإنْ قُلْتَ: الَّذِي يُخْرَجُ لا يَدْرِي أَنَّهُ عَيْنُ الْحَرامِ، فَلَعَلَّ الْحَرامَ ما بَقِيَ[1].

قُلْتُ: إنَّهُ غَيْرُ مُضِرٍّ، وَلْنَفْرِضْ في دِرْهَمٍ اشْتَبَهَ بِدِرْهَمٍ آخَرَ أَيُّهُما رُدَّ إلى الْمَالِكِ وَرَضِيَ به فَقَدْ بَرِئَ، أَمَّا الْمَرْدودُ إنْ كانَ عَيْنَ دِرْهَمِهِ فَذاكَ، وإنْ كانَ

(1) الإحياء: 2/ 127-128.

غَيْرَهُ فَقَدْ حَصَلَ لِكُلٍّ مِنْهُما دِرْهَمٌ في يَدِ صاحِبِهِ، فَالاِحْتِياطُ أَنْ يَتَبايَعا بِاللَّفْظِ، فَإِنْ لم يَفْعَلا، وَقَعَ التَّقابُضُ[1] وَالتَّبادُلُ بِمُجَرَّدِ الْمُعاطاةِ، إِذِ الْمَغْصوبُ منه وَإِنْ فاتَ له دِرْهَمٌ في يَدِ الْغاصِبِ، وَعَسُرَ الْوُصولُ إلى عَيْنِهِ، وَاسْتَحَقَّ ضَمانَهُ، لَكِنَّ ما أَخَذَهُ يَقَعُ عَنِ الضَّمانِ، وهذا في جانِبِهِ واضِحٌ، فإِنَّ الْمَضْمونَ له يَمْلِكُ الضَّمانَ بِمُجَرَّدِ الْقَبْضِ مِنْ غَيْرِ لَفْظٍ.

وَالْإِشْكالُ في الْجانِبِ الْآخَرِ أَنَّهُ لم يَدْخُلْ في مِلْكِهِ فَنَقولُ: لِأَنَّهُ أَيْضًا قَدْ سَلَّمَ دِرْهَمَ نَفْسِهِ، فَقَدْ فاتَ له أَيْضًا دِرْهَمٌ هو في يَدِ الْآخَرِ، وَلَيْسَ يُمْكِنُ الْوُصولُ إليهِ فَهُوَ كَالْغائِبِ، فَيَقَعُ هذا بَدَلًا عنه في عِلْمِ اللهِ تَعالَى إِنْ كانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، وَيَقَعُ هذا التَّبادُلُ في عِلْمِ اللهِ سُبْحانَهُ. هذا في ذَواتِ الْأَمْثالِ، فَإِنَّها تَصِحُّ عِوَضًا بلا عَقْدٍ.

وَأَمَّا إذا اشْتَبَهَ دارٌ بِدارٍ، أو عَبْدٌ بِعَبْدٍ، فلا سَبيلَ إِلَّا الْمُصالَحَةُ وَالتَّراضِي، فَإِنْ أَبَى أَنْ يَأْخُذَ إِلَّا عَيْنَ حَقِّهِ، وَأَرادَ أَنْ يَعوقَ عليه جَميعَ مُلْكِهِ، فإِنْ كانَتْ مُتَماثِلَةَ الْقِيمَةِ، [فَالطَّريقُ أَنْ][2] يَبيعَ الْقاضِي جَميعَ الدُّورِ، وَيُوَزِّعَ الثَّمَنَ [عَلَيْهِمْ][3] بِقَدْرِ النِّسْبَةِ، وإِنْ كانَتْ مُتَفاوِتَةً، أَخَذَ مِنْ طالِبِ الدَّفْعِ قِيمَةَ أَنْفَسِ الدُّورِ، وَصَرَفَ إلى الْمُمْتَنِعِ مِنْهُ مِقْدارَ قِيمَةِ الْأَقَلِّ، وَتَوَقَّفَ في قَدْرِ

---

(1) التقاص، في رئيس الكتاب ومراد ملا.

(2) زيادة من أنطاليا.

(3) زيادة من أنطاليا.

التَّفاوُتِ إلى الْبَيانِ أو الاصْطِلاحِ لأنَّهُ مُشْكِلٌ، وإنْ لم يوجَدِ الْقاضِي، فَلِلَّذِي يُرِيدُ الْخَلاصَ وفِي يَدِهِ الْكُلُّ أَنْ يَتَوَلَّى ذَلِكَ بِنَفْسِهِ[1].

الْوَظِيفَةُ الثَّانِيَةُ: في الصَّرْفِ، وَلَهُ أَحْوالٌ ثَلاثَةٌ:

إمَّا أنْ يَكونَ له مالِكٌ مُعَيَّنٌ، فَيَرُدَّهُ إلَيْهِ، أو إلى وَارِثِهِ، أو مالِكٌ غائِبٌ فَيَنْتَظِرَ وُصولَهُ، أو الْإِيصالَ إليه، وَيُعْطِيَهِ رِبْحَ مالِهِ إلى وَقْتِ حُضورِهِ، وإمَّا لِمالِكٍ مُعَيَّنٍ، ولا يُدْرَى أَنَّهُ ماتَ عن وَارِثٍ أم لا، وَرُبَّما لا يُمْكِنُ الرَّدُّ لِكَثْرَةِ الْمُلَّاكِ؛ كَغُلولِ الْغَنِيمَةِ، فإنَّها بَعْدَ تَفَرُّقِ الْغُزاةِ لا يُقْدَرُ على جَمْعِهِمْ؛ وإنْ قَدَرَ فَكَيْفَ يُفَرِّقُ دينارًا واحِدًا على أُلُوفٍ مِنَ الْمُسْلِمينَ، فَحُكْمُ هذا الْمالِ أَنْ يُتَصَدَّقَ به، وإنْ كانَ مِنْ مالِ الْفَيْءِ، وَالْأَمْوالِ الْمُرْصَدَةِ لِمَصالِحِ الْمُسْلِمينَ يَصْرِفُها إلى الْمَساجِدِ وَالْقَناطِرِ والرِّباطاتِ وَمَصانِعِ طَرِيقِ مَكَّةَ، وَأَمْثالِ ذَلِكَ. فإِنْ وَجَدَ قاضِيًا عَدْلًا يُسَلِّم إِلَيْهِ الْمالَ، وَهُوَ يَصْرِفُهُ إلى ما ذُكِرَ، وَإِلَّا يُحَكِّمُ عالِمًا مُتَدَيِّنًا مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ، فَإِنَّ التَّحْكِيمَ أَوْلَى مِنَ الانْفِرادِ، وَإِنْ عَجَزَ عن ذَلِكَ يَتَوَلَّاهُ بِنَفْسِهِ، إذِ الْمَقْصودُ الصَّرْفُ.

فَإِنْ أُخطِرْتَ بِالْبالِ أَنَّ التَّصَدُّقَ بِالْحَرامِ غَيْرُ جائِزٍ ولا أَقَلَّ مِنْ عَدَمِ ثَوابِهِ.

قُلْنَا: ثَبَتَ ذَلِكَ بِالْخَبَرِ وَالْأَثَرِ وَالْقِياسِ.

---

(1) الإحياء: 2/ 128-129.

أَمَّا الْخَبَرُ: فَأَمْرُ رَسولِ اللّه صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ بِالتَّصَدُّقِ بِالشَّاةِ الْمَصْلِيَّةِ[1] الَّتِي قُدِّمَتْ إِلَيْهِ، فَكَلَّمَتْهُ بِأَنَّها حَرامٌ، إِذْ قالَ: أَطْعِموهَا الْأُسارَى.

وَأَمَّا الْأَثَرُ: فَإِنَّ ابْنَ مَسْعودٍ اشْتَرَى جارِيَةً، وَلَمْ يَظْفَرْ بِمالِكِها لِيَنْقُدَهُ الثَّمَنَ، فَطَلَبَهُ كَثيرًا فلم يَجِدْهُ، فَتَصَدَّقَ بِالثَّمَنِ وَقالَ: اللَّهُمَّ هذا عَنْهُ إِنْ رَضِيَ وَإِلَّا فَالْأَجْرُ لي.

وَسُئِلَ الْحَسَنُ عَنْ تَوْبَةِ الْغَالِّ بَعْدَ تَفَرُّقِ الْجَيْشِ، قالَ: يَتَصَدَّقُ به[2].

وَأَمَّا الْقِياسُ، فَهُوَ أَنَّ هذا الْمالَ مُرَدَّدٌ بَيْنَ أَنْ يَضيعَ، وَبَيْنَ أَنْ يُصْرَفَ إِلى خَيْرٍ، إِذْ [قَدْ][3] وَقَعَ[4] الْيَأْسُ عن مالِكِهِ، ولا يَخْفَى أَنَّ صَرْفَهُ إِلى خَيْرٍ يَنْتَفِعُ به مالِكُهُ فِي الْآخِرَةِ خَيْرٌ له مِنْ أَنْ يَنْتَفِعَ به في الدُّنْيا، فَضْلًا عن أَنْ لا يَنْتَفِعَ به أَصْلًا لا في الدُّنْيا ولا في الْأُخْرَى، مع أَنَّ فيه انْتِفاعَ فَقيرٍ، وَسَدَّ حاجَتِهِ. وَحُصولُ الْأَجْرِ لِلْمالِكِ بِغَيْرِ اخْتِيارِهِ لا يُنْكَرُ، إِذْ قَدْ وَرَدَ في الْخَبَرِ الصَّحيحِ أَنَّ لِلزَّارِعِ وَالْغارِسِ أَجْرًا في كُلِّ ما يُصيبُهُ النَّاسُ وَالطُّيورُ مِنْ ثِمارِهِ. وَما يُقالُ: لا يُتَصَدَّقُ إِلَّا الطَّيِّبُ، فَذَلِكَ إِذا طَلَبْنا الْأَجْرَ لِأَنْفُسِنا، وَنَحْنُ نَطْلُبُ الْخَلَاصَ عَنِ الْمَظْلَمَةِ لا الْأَجْرَ، وَتَرَدَّدْنَا بَيْنَ التَّضْييعِ والتَّصَدُّقِ.

---

(1) المَصْلِيَّةُ: المَشْوِيَّةُ. والصِّلاءُ، بالمدِّ والكَسْرِ: الشِّواءُ لأَنَّه يُصْلَى بالنَّارِ. اللسان: صلا.

(2) الإحياء: 2/ 130-131.

(3) زيادة من رئيس الكتاب.

(4) يقع، في قونية.

وَقَوْلُ الْقائِلِ: لا نَرْضَى لِغَيْرِنا ما لا نَرْضاهُ لِأَنْفُسِنا، فَهُوَ كَذَلِكَ، لَكِنَّهُ حَرامٌ عَلَيْنَا، وَحَلالٌ لِلْفَقيرِ، فَرَضينَا له الْحَلالَ.

وَاعْلَمْ أنَّ الْمَالَ إذا كانَ مُخْتَلِطًا مِنَ الْحَرامِ والْحَلالِ، يَخُصُّ الْحَلالَ بِنَفْسِهِ، إذْ لا يَعْذِرُ نَفْسَهُ في الْحَرامِ، وَيُعْطِي الْحَرامَ الْعِيالَ لِأَنَّهُمْ رُبَّمَا يُعْذَرونَ بِعَدَمِ الْعِلْمِ، ثُمَّ إنَّهُ يَخُصُّ بِالْحَلالِ قُوتَهُ وَلِباسَهُ، وَأَمَّا إذا أُرِيدَ تَخْصِيصُ واحِدٍ مِنْهُما، فَيَخُصُّ الْحَلالَ بِالْقوتِ، إذْ يَنْبُتُ لَحْمُهُ وَدَمُهُ مِنْهُ، وَاللِّباسُ إنَّما هُوَ ساتِرٌ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، فَالاهْتِمامُ بِالْأَوَّلِ أَوْلى.

وَقالَ الْحارِثُ الْمُحاسِبِيُّ: يُقَدَّمُ اللِّباسُ لِبَقائِهِ مُدَّةً بِخِلافِ الطَّعامِ، إلَّا أَنَّ الْمُخْتارَ تَقَدُّمُ الْقُوتِ؛ وَلِهَذا تَقَيَّأَ الصِّدِّيقُ رَضِيَ الله عَنْهُ لَبَنًا شَرِبَهُ مَعَ الْجَهْلِ بِحالِهِ لِئَلَّا يَنْبُتَ مِنْهُ لَحْمٌ.

فَإِنْ قِيلَ: بَعْدَما صَرَفَ الْكُلَّ إلى أَغْراضِهِ(1)، لا يَبْقَى الْفَرْقُ بَيْنَ نَفْسِهِ وَغَيْرِهِ.

قُلْنَا: عُرِفَ ذَلِكَ التَّفاوُتُ مِمَّا رُوِيَ أَنَّ رافِعَ بْنَ خَدِيجٍ ماتَ، وَخَلَّفَ ناضِحًا(2) وَعَبْدًا حَجَّامًا، فَسُئِلَ رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ، فَمَنَعَ مِنْ كَسْبِ الْحَجَّامِ، فَروجِعَ مَرَّاتٍ فَمَنَعَ، فَقيلَ: إنَّ له أَيْتامًا، فَقالَ: أَعْلِفوهُ النَّاضِحَ. فهذا يَدُلُّ على الْفَرْقِ بين ما يَأْكُلُهُ هو وَدابَّتُهُ(3).

---

(1) فإنْ قيلَ: فإذا كانَ الكُلُّ مُنْصَرِفًا إلى أَغْراضِهِ، في الإحياء: 2/ 133.

(2) الناضح: هو البعير الذي يُسْتَقَى عليه، فتسقى به الأَرَضون، والأنثى ناضحةٌ. غريب الحديث لأبي عبيد: 4/ 155.

(3) الإحياء: 2/ 131-133، تخريج أحاديث الإحياء: 583.

ثُمَّ إذا تَصَدَّقَ على الْفُقَراءِ الْحَرامَ يُوَسِّعُهُ عَلَيْهِمْ، وإذا أَنْفَقَ على نَفْسِهِ فَلْيُضَيِّقْ ما قَدَرَ، وإنْ أَنْفَقَ على عِيالِهِ فَلْيَقْتَصِدْ. وَأَمَّا الضَّيْفُ، فإنْ كانَ فَقيرًا يُوَسِّعُهُ عَلَيْهِ منه، وَإِنْ كانَ غَنِيًّا فلا يُطْعِمُهُ منه إلَّا في بَرِّيَّةٍ، أَوْ قَدِمَ لَيْلًا وَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا. وإنْ كانَ الضَّيْفُ الْفَقيرُ تَقِيًّا وَرِعًا فَلْيَعْرِضِ الطَّعامَ، وَلْيُخْبِرْهُ جَمْعًا بَيْنَ حَقِّ الضِّيافَةِ، وَتَرْكِ الْخِداعِ، ولا يَقولُ إنَّهُ لا يَدْرِي فلا يَضُرُّهُ، لِأَنَّ الْحَرامَ يُؤَثِّرُ في قَساوَةِ الْقَلْبِ.

وَإِنْ كانَ الْحَرامُ في والِدَيْهِ، فَلْيَمْتَنِعْ مِنْ أَكْلِ طَعامِهِما وإنْ سَخِطَا، إذْ لا طاعَةَ لِمَخْلوقٍ في مَعْصِيَةِ الْخالِقِ. وَإِنْ كانَ شُبْهَةً فَالاِمْتِناعُ لِلْوَرَعِ، فَلْيَتَلَطَّفْ في الاِمْتِناعِ، لِأَنَّ رِضاهُمَا أَيْضًا وَرَعٌ بَلْ واجِبٌ. فإنْ لَمْ يَقْدِرْ، فَلْيُوافِقْ، وَلْيُقَلِّلِ الْأَكْلَ بِأَنْ يُصَغِّرَ اللُّقْمَةَ، وَيُطِيلَ الْمَضْغَ، وَلَا يَتَوَسَّعْ فَإِنَّ ذلِكَ غُرورٌ. وَالْأَخُ والْأُخْتُ قَرِيبٌ مِنْهُما، لِأَنَّ حَقَّهُما أَيْضًا مُؤَكَّدٌ، وَكَذَا إذا أَلْبَسَتْهُ أُمُّهُ ثَوْبًا مِنْ شُبْهَةٍ، وَكانَتْ تَسْخَطُ بِرَدِّهِ، فَلْيَقْبَلْهُ وَلْيَلْبَسْهُ بَيْنَ يَدَيْها، وَلْيَنْزِعْهُ في غَيْبَتِها، وَلَا يُصَلِّي فيه إلَّا عِنْدَ حُضورِها، فَلَا يُصَلِّي فيه إلَّا صَلاةَ الْمُضْطَرِّ[1].

(1) الإحياء: 2/ 133.

الْمَطْلَبُ السَّادِسُ: في إِدْراراتِ[1] السَّلاطِينِ

فَالنَّظَرُ فيها في أَمْرَيْنِ:

النَّظَرُ الْأَوَّلُ: في جِهاتِ الدَّخْلِ. وهِيَ قِسْمانِ:

أَحَدُهُما: مالُ الْفَيْءِ وَالْجِزْيَةِ، وَمالُ الْمُصالَحَةِ، وَهَذا مِنَ الْكُفَّارِ.

وَثانِيهِما: مِنَ الْمُسْلِمينَ، وَهُوَ الْمَوارِيثُ الَّتِي لا وارِثَ لها، وَالْأَمْوالُ الضَّائِعَةُ.

وَأَمَّا الصَّدَقاتُ فلا تُؤْخَذُ في هذا الزَّمانِ، وما عَدَا ذَلِكَ مِنَ الْخَراجِ الْمَضْروبِ على الْمُسْلِمينَ، وَالْمُصادَراتِ، وَأَنْواعِ الرِّشْوَةِ، كُلُّها حَرامٌ.

ثُمَّ مَصارِفُ ما ذُكِرَ ثَمانِيَةٌ:

الْأَوَّلُ: الْجِزْيَةُ، وَأَرْبَعَةُ أَخْماسِها لِلْمَصالِحِ، وَخُمُسُها لِجِهاتٍ مُعَيَّنَةٍ، فَذَلِكَ حَلالٌ إِنِ اجْتَمَعَ شَرائِطُها الْمَذْكورَةُ في الْفِقْهِ.

الثَّانِي: الْمَوارِيثُ، وَالْأَمْوالُ الضَّائِعَةُ، فَهِيَ لِلْمَصالِحِ، وَالنَّظَرُ في حالِ الْمالِ بِأَنَّهُ حَرامٌ أو حَلالٌ كُلُّهُ أو بَعْضُهُ فَقَدْ مَرَّ حالُهُ.

الثَّالِثُ: الْأَوْقافُ، وَالنَّظَرُ فيها كَشَرائِطِ الْمَوارِيثِ مَعَ شَرائِطِ الْوَقْفِ خاصَّةً.

الرَّابِعُ: ما أَحْياهُ السَّلاطِينُ، ولا يُعْتَبَرُ له فيهِ شَرْطٌ، إِذْ له التَّصَرُّفُ الْعامُّ في الْأَراضِي، فَيُعْتَبَرُ فِيهِ ما مَرَّ مِنْ أَحْوالِ الْأَعْواضِ.

---

(1) إِدْراراتُ السَّلاطين: أي صِلاتهم وأُعْطِياتهم.

الْخامِسُ: ما اشْتَراهُ السُّلْطانُ في الذِّمَّةِ مِنْ أَرْضٍ أوْ ثِيابِ خِلْعَةٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَهُوَ حَلالٌ لو كانَ ثَمَنُهُ حَلالًا، وإلَّا فَحَرامٌ[1].

السَّادِسُ: ما عَيَّنَهُ لِلْعُمَّالِ بِأَنْ يَجْمَعُوا مِنْ أَمْوالِ الْقِسْمَةِ وَالْمُصادَراتِ، وَهُوَ الْحَرامُ السُّحْتُ.

السَّابِعُ: ما يُكْتَبُ على بَيَّاعٍ يُعامِلُ السُّلْطانَ، فإنْ كانَ لا يُعامِلُ غَيْرَهُ فَمالُهُ كُلُّهُ حَرامٌ، وإلَّا فَمُخْتَلِطٌ، إمَّا غالِبٌ، أَوْ مُساوٍ، أَوْ قَليلٌ.

الثَّامِنُ: ما يُكْتَبُ على الْخِزانَةِ، أو على عامِلٍ يَجْتَمِعُ عِنْدَهُ مِنَ الْحَلالِ وَالْحَرامِ، فإنْ لم يُعْرَفْ لِلسُّلْطانِ دَخْلٌ حَلالٌ فَهُوَ سُحْتٌ مَحْضٌ، وإنْ لَمْ يُعْلَمْ، فَفيهِ خِلافٌ؛ مِنْهُمْ مَنْ قالَ: الْحَرامُ فيه غالِبٌ فلا يَجوزُ، وَمِنْهُمْ مَنْ قالَ: كُلُّ ما لا أَتيَقَّنُ بِحُرْمَتِهِ فَلِي أَنْ آخُذَهُ. وَالْمُخْتارُ: أَنَّ الْغالِبَ إنْ كانَ حَرامًا حَرُمَ، وإنْ كانَ الْأَغْلَبُ حَلالًا وَفِيهِ يَقِينُ حَرامٍ فَهُوَ مَوْضِعُ تَوَقُّفِنا كَما سَبَقَ.

وَاحْتَجَّ الْمُجَوِّزونَ بِأَخْذِ بَعْضٍ مِنَ الصَّحابَةِ مِنْ مَرْوانَ وَيَزيدَ وَمِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَبَعْضٍ مِنَ التَّابِعينَ؛ كَالشَّعْبِيِّ، وَإِبْراهيمَ، وَالْحَسَنِ، وَابْنِ أَبِي لَيْلَى، وَأَخَذَ الشَّافِعِيُّ مِنَ الرَّشيدِ أَلْفَ دينارٍ في دُفْعَةٍ واحِدَةٍ، وَأَخَذَ مالِكٌ مِنَ الْخُلَفاءِ أَمْوالًا جَمَّةً، وَكانَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ يَقْبَلانِ جَوائِزَ مُعاوِيَةَ.

وَأَمَّا امْتِناعُ آخَرينَ فَيَدُلُّ على الْوَرَعِ دونَ الْحُرْمَةِ.

---

(1) الإحياء: 2/ 135-136.

وَأُجِيبَ: بِأَنَّ الْآخِذينَ أَكْثَرُ مِنَ الْمُمْتَنِعِينَ، فَإِنْ وُجِّهَ الرَّدُّ بِالْوَرَعِ فَكَذَا الْأَخْذُ يُوَجَّهُ بِأَحَدِ أُمورٍ ثَلاثَةٍ، إذِ الاِحْتِمالاتُ أَرْبَعَةٌ:

الْأَوَّلُ: أَنْ لا يَأْخُذَ مِنْ مالِهِمْ شَيْئًا، وَهُوَ أَشَدُّ الْوَرَعِ.

الثَّانِي: أَنْ يَأْخُذَ مِمَّا يُعْلَمُ أَنَّهُ مِنْ جِهَةٍ حَلالٌ، وَعَلَى هذا يُحْمَلُ ما نُقِلَ مِنَ الصَّحابَةِ والتَّابِعينَ[1].

الثَّالِثُ: أَنْ يَأْخُذَ لِيَتَصَدَّقَ به على الْفُقَراءِ، أو يُفَرِّقَهُ على الْمُسْتَحِقِّينَ، فَإِنَّهُ مالٌ لا يَتَعَيَّنُ مالِكُهُ، وَالسُّلْطانُ لا يَصْرِفُهُ في مَحَلِّهِ، فَالْأَخْذُ منه وَتَفْرِيقُهُ في مَحَلِّهِ أَوْلَى من تَرْكِهِ في يَدِهِ، وعلى هذا يُحْمَلُ أَخْذُ كَثيرٍ مِنَ السَّلَفِ.

الرَّابِعُ: أَنْ يَأْخُذَ مِنْ سُلْطانٍ أَكْثَرُ مالِهِ حَلالٌ، وَيَسْتَنْفِقَ، وَهَكَذَا كانَ الْخُلَفاءُ في زَمانِ الصَّحابَةِ وَالتَّابِعينَ بَعْدَ الْخُلَفاءِ الرَّاشِدينَ، ولم يَكُنْ أَكْثَرُ مالِهِمْ حَرامًا، وَلِهَذا قالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عنه: خُذْ ما أَعْطاكَ السُّلْطانُ، فإنَّ ما يَأْخُذُهُ مِنَ الْحَلالِ أَكْثَرُ.

وَأَمَّا مالُ السَّلاطينِ في زَمانِنَا هذا، إِمَّا حَرامٌ كُلُّهَا، أو أَكْثَرُها؛ إِذِ الظُّلْمُ تَداخَلَ جَميعَ أَمْوالِهِمْ أو أَكْثَرَها[2]. وَأَيْضًا كانَ السَّلاطينُ في الْعَصْرِ الْأَوَّلِ يَتَقَلَّدونَ الْمِنَّة بِأَخْذِ الصَّحابَةِ والتَّابِعينَ أَمْوالَهُمْ، وَهُمْ يَأْخُذونَ مِنْ غَيْرِ

---

(1) الإحياء: 2/ 136-138.

(2) أكثرهم، في قونية ورئيس الكتاب وأنطاليا.

إِذْلالٍ وَسُؤالٍ، ولا هُمْ يَسْكُتونَ عن الْحَقِّ لِأَجْلِ عَطائِهِمْ. وفي زَمانِنا هذا انْعَكَسَ[1] الْأَمْرُ كُلُّهُ، فَيُؤَدِّي الْقَبولُ إلى الْمَعْصِيَةِ.

النَّظَرُ الثَّانِي: في قَدْرِ الْمَأْخوذِ، وَصِفَةِ الْأَخْذِ[2].

وَاعْلَمْ أنَّ تَصَرُّفَ السُّلْطانِ في أَمْوالِ الْمَصالِحِ كَأَرْبَعَةِ أَخْماسِ الْفَيْءِ وَالْمَواريثِ صَحيحَةٌ، فَلَهُ أنْ يُعْطِيَ ما شاءَ لِمَنْ شاءَ، وَأَمَّا مَصارِفُها، فَالْغَنِيُّ لَيْسَ مِنْهُمْ إذا[3] لم يَكُنْ فيه مَصْلَحَةٌ لِلنَّاسِ، بَلِ الْمَصْرِفُ مَنْ فيه مَصْلَحَةٌ عامَّةٌ، أو مُحْتاجٌ إلى الْكَسْبِ، فَكُلُّ مَنْ يَتَوَلَّى أَمْرًا لِقَوْمٍ[4] يَتَعَدَّى مَصْلَحَتُهُ إلى الْمُسْلِمينَ، فَلَوْ اشْتَغَلَ بِالْكَسْبِ لَتَعَطَّلَ عليه ما هُوَ فيهِ، فَلَهُ في بَيْتِ الْمالِ حَقُّ الْكِفايَةِ، وَمِنْهُمُ الْعُلَماءُ النَّافِعونَ؛ كَالْفُقَهاءِ، وَالْمُحَدِّثينَ، وَالْمُفَسِّرينَ، وَالْقُرَّاءِ، بَلِ الْمُعَلِّمونَ وَالْمُؤَذِّنونَ[5]، وَكَذَا طَلَبَةُ هذِهِ الْعُلومِ، وَكَذَا ذَرارِي الْعُلَماءِ الْمَذْكورينَ، فَإِنَّهُمْ إنْ لم يُكْفَوْا، لم يَتَمَكَّنُوا مِنَ الطَّلَبِ.

وَأَيْضًا الدِّينُ والْمُلْكُ تَوْأَمانِ، فَيَدْخُلُ فيهم الَّذِينَ تَرْتَبِطُ مَصالِحُ الدُّنْيا بِأَعْمالِهِمْ؛ ومِنْهُمْ: عُمَّالُ بَيْتِ الْمالِ، وَالْأَجْنادُ الْحارِسينَ[6] لِلْمَمْلَكَةِ،

---

(1) يعكس، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(2) الإحياء: 2/ 138-139.

(3) إذ، في أنطاليا ومراد ملا.

(4) يقوم، في قونية ورئيس الكتاب.

(5) المؤدِّبون، في قونية ورئيس الكتاب.

(6) كذا في النسخ الخطية وحقها الرفع.

وَيَدْخُلُ فيهم الْحُسَّابُ وَالْكُتَّابُ، وَالْوُكَلاءُ لِأَعْمالِ الْمالِ الْحَرام، بَلْ عُمَّالُ بَيْتِ الْمالِ على حَسَبِ الشَّرْعِ، وَيَدْخُلُ فيهِمُ الْأَطِبَّاءُ أَيْضًا، لِأَنَّ لَهُمْ مَدْخَلًا في صِحَّةِ الْجَسَدِ الَّذِي لا يَتِمُّ أَمْرُ الدِّينِ إلَّا بِهِ، لَكِنْ مَنْ يُعالِجُ الْمُسْلِمينَ بِغَيْرِ أُجْرَةٍ، وَهَؤُلاءِ الْمَصارِفُ يَجوزُ أن يُعْطَوْا مَعَ الْغِنَى.

وَكَذَا لِلسُّلْطانِ أَنْ يَخُصَّ واحِدًا مِنْهُمْ بِقَدْرِ ما شاءَ، لَكِنْ يَنْبَغِي أنْ يُراعِيَ فيه الْمَصْلَحَةَ، إذْ مَهْمَا خُصَّ عالِمٌ أو شُجاعٌ بِصِلَةٍ كانَ فيه بَعْثُ النَّاسِ وتَحْريضُهُمْ على الاِشْتِغالِ وَالتَّشَبُّهِ بِهِ. هَذا في السُّلْطانِ الْعامِلِ على وَجْهِ الْحَقِّ، وأَمَّا الظَّلَمَةُ فَفِيهِمْ أَمْرانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ بِظُلْمِهِ إمَّا مَعْزولٌ، أو واجِبُ الْعَزْلِ، فكَيْفَ يَجوزُ أنْ يُؤْخَذَ مِنْ يَدِهِ.

وَثانيهِما: أَنَّهُ يَمْنَعُ بَعْضَ الْمُسْتَحِقِّينَ، فلا يَجوزُ الْأَخْذُ لِلْبَواقِي أَصْلًا، وإنْ جازَ فَبِقَدْرِ حِصَّتِهِمْ. وَالْجَوابُ عَنْهُ[1]:

أَمَّا عن الْأَوَّلِ: فَلِأَنَّ السُّلْطانَ مَهْمَا عَسُرَ اسْتِبْدالُهُ، وَكانَ في خَلْعِهِ فِتْنَةٌ ثائِرَةٌ لا تُطاقُ، وَجَبَ تَرْكُهُ وَالطَّاعَةُ له؛ وَأَيضًا أَنَّا نُراعِي الصِّفاتِ وَالشُّروطَ في السَّلاطِينِ تَشَوُّفًا[2] إلى مَزايَا الْمَصالِحِ، وَلَوْ قَضَيْنا بِبُطْلانِ الْوِلاياتِ الْآنَ

---

(1) الإحياء: 2/ 140.

(2) تشوقا، في رئيس الكتاب.

لَبطَلَتِ الْمَصالِحُ رَأْسًا، فَكَيْفَ نُفَوِّتُ[1] رَأْسَ الْمالِ في طَلَبِ الرِّبْحِ، بَلِ الْوِلايَةُ الْآنَ لا تَتْبَعُ إِلَّا الشَّوْكَةَ، أَوْ مَنْ بايَعَهُ صاحِبُ الشَّوْكَةِ وهو الْخَليفَةُ، فَمَنْ اسْتَبَدَّ بِالشَّوْكَةِ وهُوَ مُطيعٌ لِلْخَليفَةِ في أَصْلِ الْخُطْبَةِ وَالسِّكَّةِ فَهُوَ سُلْطانٌ نافِذُ الْحُكْمِ، وَالْقُضاةُ في أَقْطارِ الْأَرْضِ وُلاةٌ نافِذُو الْأَحْكامِ.

وَأَمَّا عن الثَّانِي، فَفيهِ أَرْبَعُ مَراتِبَ:

فَغَلَا بَعْضُهُمْ وَقالَ: الْمُسْلِمونَ كُلُّهُمْ فيه شُرَكاءُ، وَلَا يَدْرِي أنَّ حِصَّتَهُ مِنْهُ دَانَقٌ أو حَبَّةٌ فَلْيَتْرُكِ الْكُلَّ.

وَقالَ قَوْمٌ: له أَنْ يَأْخُذَ قُوتَ يَوْمِهِ، إِذِ الضَّرورَةُ تَنْدَفِعُ بهذا.

وَقالَ قَوْمٌ: له قُوتُ سَنَةٍ، فإنَّ أَخْذَ الْكِفايَةِ كُلَّ يَوْمٍ عَسيرٌ، وهو ذو حَقٍّ فلا يَتْرُكُهُ.

وَقالَ قَوْمٌ: يَأْخُذُ ما يُعْطَى، وَالْمَظْلومُ هم الْبَاقونَ، وَهَذَا هو الْقِياسُ، لِأَنَّ اشْتِراكَ هذا الْمالِ بَيْنَ الْمُسْلِمينَ لَيْسَ بِطَريقِ التَّعْيِينِ، وَإِلَّا لَلَزِمَ الْإِرْثُ فِيمَنْ ماتَ قَبْلَ الْقَبْضِ، وَإِنَّمَا يَتَعَيَّنُ بِالْقَبْضِ، فلا يَسْقُطُ حَقُّ الْباقِي بِظُلْمِ السُّلْطانِ لِلْبَعْضِ مِنْهُمْ[2].

(1) تفوتُ، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(2) الإحياء: 2/ 141.

الْمَطْلَبُ السَّابِعُ: في حُكْمِ مُخالَطَةِ السَّلاطِينِ

وَذَلِكَ لا يَخْلو عن أَحْوالٍ ثَلاثَةٍ:

الْحالَةُ الْأولَى: أنْ تَدْخُلَ عليهم، فَهِيَ مَذْمومَةٌ شَرْعًا، وَفِيهِ تَشْدِيداتٌ وَتَغْليظاتٌ تَوارَدَتْ بها الْأَخْبارُ وَالْآثارُ. ثُمَّ إنَّ في الدُّخولِ ما يَحْرُمُ، وما يُكْرَهُ، وما يُباحُ بِسَبَبِ أُمورٍ ثَلاثَةٍ، إمَّا بِفِعْلِهِ، وإمَّا بِسُكوتِهِ، وإمَّا بِقَوْلِهِ.

أَمَّا الْأَوَّلُ: فَلِأَنَّ الْأَكْثَرَ كَوْنُ دارِهِمْ مَغْصوبَةً، فَيَحْرُمُ الدُّخولُ فيها بِغَيْرِ إذْنِ الْمالِكِ، وَإِنْ لم تَكُنْ دارُهُ حَرامًا، فَلَا يُعْصَى بِالدُّخولِ وَالسَّلامِ، وَلَكِنْ إنْ سَجَدَ، أَوْ رَكَعَ، أَوْ مَثُلَ قائِمًا في سَلامِهِ وَخِدْمَتِهِ، كانَ مُكَرِّمًا لِلظَّالِمِ، فَيَكونُ عاصِيًا، وَالتَّواضُعُ لِغَنِيٍّ غَيْرِ ظالِمٍ مَعْصِيَةٌ، وَفي الْخَبَرِ: نَقَصَ ثُلُثا دِينِهِ[1]، فَكَيْفَ بِالظَّالِمِ.

وَأَمَّا تَقْبِيلُ الْيَدِ وَالِانْحِناءُ في الْخِدْمَةِ فَهُوَ مَعْصِيَةٌ، إلَّا عِنْدَ خَوْفٍ، أوْ لِإِمامٍ عادِلٍ، أو لِعالِمٍ، أو لِمَنْ يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ بِأَمْرٍ دِينِيٍّ. قَبَّلَ أبو عُبَيْدَةَ ابْنُ الْجَرَّاحِ يَدَ عُمَرَ رَضِيَ الله عنه فَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ.

فَإِنْ تَرَكَ جَميعَ ذَلِكَ، وَاقْتَصَرَ بِالسَّلامِ، فلا يَخْلُو مِنَ الْجُلوسِ على بِساطِهِمْ، وإذا كانَ أَغْلَبُ أَمْوالِهِمْ حَرامًا فَلَا يَجوزُ الْجُلوسُ على بِساطِهِمْ.

---

(1) يقصد: "مَنْ تَضَعْضَعَ لِغَنِيٍّ ذَهَبَ ثُلُثَا دِينِهِ"، كتاب الزهد لأحمد بن حنبل: 71، نوادر الأصول: 4/ 99، حلية الأولياء: 3/ 45، شعب الإيمان: 7/ 213.

وَأَمَّا الثَّانِي وَهُوَ السُّكوتُ، فَإِنَّهُ سَيَرَى في مَجْلِسِهِمْ مِنَ الْفُرُشِ الْحَرام، وَالْأَوانِي الْحَرامِ، وَالْمَلْبوساتِ الْمُحَرَّمَةِ عَلَيْهِمْ وعلى غِلْمانِهِمْ، بَلْ يَسْمَعُ مِنْهُمُ الْفُحْشَ وَالْكَذِبَ وَأَمْثالَهُمَا، فَالسُّكوتُ على جَميعِ ذَلِكَ حَرامٌ، فَإِنْ تَرَخَّصَ بِأَنَّهُ يَخافُ فَهَلَّا عَمِلَ بِالْعَزيمَةِ في عَدَمِ الدُّخُولِ، اللَّهُمَّ إلَّا إذا أُكْرِهَ على الدُّخولِ أَيْضًا[1].

وَأَمَّا الثَّالِثُ وهُوَ الْقَوْلُ، فَهُوَ أَنْ يَدْعُوَ له، أو يُثْنِيَ عليه، أو يُصَدِّقَهُ فيما يَقولُ مِنْ باطِلٍ، بِتَصْريحٍ، أو بِتَحْريكِ رَأْسٍ، أو بِاسْتِبْشارٍ في وَجْهِهِ، أو يُظْهِرَ له الْحُبَّ وَالاِشْتِياقَ وَالْحِرْصَ على طولِ عُمُرِهِ وَبَقائِهِ، وَكُلُّ ذلِكَ حَرامٌ، وَقَعَتْ فيه الْأَخْبارُ وَالْآثارُ. فلا يَجوزُ الدُّخولُ عَلَيْهِمْ إلَّا لِعُذْرَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: [الْإِكْراهُ، وَعِلْمُ][2] أَنَّهُ لَوِ امْتَنَعَ أُوذِيَ، أو نَزْعُ الْعَوَامِّ نَفْسَهُمْ عن طاعَةِ الْأُمَراءِ لِاقْتِدائِهِمْ بِامْتِناعِهِ.

وَثانِيهِما: أَنْ يَدْخُلَ لِدَفْعِ ظُلْمٍ عن نَفْسِهِ، أو عَنْ غَيْرِهِ، بِشَرْطِ أن لا يَكْذِبَ، ولا يُثْنِيَ، ولا يَدَعَ النَّصيحَةَ يَتَوَقَّعُ[3] قَبُولَهَا.

الْحالَةُ الثَّانِيَةُ: أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْكَ السُّلْطانُ الظَّالِمُ زائِرًا، فَيَجِبُ السَّلامُ، وَأَمَّا الْقِيامُ فإنْ كانَ بِجَمْعٍ كَثيرٍ يَقومُ لِرِعايَةِ حِشْمَةِ الْوُلاةِ بَيْنَ الرَّعايَا، فإِنَّ

---

(1) الإحياء: 2/ 142-144.

(2) ما بين معقوفين سقط من أنطاليا.

(3) بِتوقُّع، في قونية وأنطاليا.

ذَلِكَ مُهِمٌّ، وإنْ كانَ معه في خَلْوَةٍ، فَيَجوزُ الْقِيامُ مُكافَأَةً لِمَا وَقَعَ مِنْهُ مِنَ الْإِكْرامِ، وَلَكِنَّ الْأَوْلَى أنْ لا يَقُومَ؛ لِيُظْهِرَ به عِزَّ الدِّينِ، وَحَقارَةَ الظُّلْمِ، وَيُظْهِرَ به غَضَبَهُ لِلدِّينِ، وَالْإِعْراضَ عَمَّنْ أَعْرَضَ الله عَنْهُ، ثُمَّ يُخَوِّفَ فيما يَرْتَكِبُهُ مِنَ الْمَعاصِي، وَيُرْشِدَهُ إلى طَرِيقِ الْمَصْلَحَةِ وَالْإِرْشادِ إلى ما هو غافِلٌ عنه بما يُغْنِيهِ عن الظُّلْمِ[1].

الْحالَةُ الثَّالِثَةُ: أَنْ يَعْتَزِلَ عنهم، فلا يَراهُمْ، ولا يَرَوْنَهُ، وَهُوَ الْوَاجِبُ، إذْ لا سَلامَةَ إلَّا فيه، ولا يَسْتَخْبِرَ عن أَحْوالِهِمْ، ولا يَتَقَرَّبَ إلى الْمُتَّصِلينَ بِهِمْ. فإذا خطَرَ بِبالِهِ تَنَعُّمُهُمْ، فَلْيَذْكُرْ ما قالَ أبو حاتِمٍ الْأَصَمُّ: إنَّما بَيْنِي وَبَيْنَ الْمُلوكِ يَوْمٌ واحِدٌ، أمَّا أَمْسِ فَلا يَجِدونَ لَذَّتَهُ، وإنَّا وَإِيَّاهُمْ مِنْ غَدٍ على وَجَلٍ، وإنَّما هُوَ الْيَوْمُ، فَمَا عَسَى أَنْ يَكونَ في الْيَوْمِ.

وَلا بُدَّ أنْ تَكونَ الْجِنايَةُ على الله فَوْقَ الْجِنايَةِ على نَفْسِكَ، فَيَجِبُ أن لا تُحِبَّ الظَّالِمينَ، وما يُقالُ: الْمَحَبَّةُ غَيْرُ اخْتِيارِيٍّ، فَلَيْسَ كَذَلِكَ، لِأَنَّ الْمَحَبَّةَ فَرْعُ مَعْرِفَةِ الْكَمالِ، فَمَنْ أَحَبَّ الله تعالى، أَحَبَّ ما أَحَبَّهُ، وَكَرِهَ ما أَبْغَضَهُ.

وَإِنِ احْتَجَجْتَ بِدُخولِ السَّلَفِ عَلَيْهِمْ فَنَقولُ لَكَ: ادْخُلْ كما دَخَلُوا، لَكِنَّهُ قَريبٌ مِنَ الْمُحالِ في حَقِّنا، أَيْنَ نَحْنُ مِنْ أَحْوالِهِمْ؟ لِأَنَّهُمْ كانوا يُعاتِبونَهُمْ، وَيَعِظونَهُمْ، ولا يَخافونَ في الْحَقِّ لَوْمَةَ لائِمٍ، وَنَحْنُ نَتَقَرَّبُ إلى

---

(1) الإحياء: 2/ 144-145.

قُلوبِهِمْ، فَنَدُلُّهُمْ على الرُّخَصِ فيما يُوافِقُ أَغْراضَهُمْ. وَإِنَّ لنا في ذَلِكَ غُرُورَانِ[1] يَغْتَرُّ بِهِمَا الْحَمْقَى.

أَحَدُهُمَا: أَنْ يُظْهِرَ أَنَّ قَصْدِي إِصْلاحُهُمْ بِالْوَعْظِ، وَإِنَّما الْبَاعِثُ لهم الشُّهْرَةُ، وَرُبَّمَا يُلَبِّسُ أَنْفُسُهُمْ بِذَلِكَ عليهم، وَلْيُمْتَحَنْ بِأَنَّهُ لو تَوَلَّاهُ غَيْرُهُ لَفَرِحَ به، وَلْيَشْكُرْهُ[2] على كِفايَتِهِ هذا الْمُهِمَّ[3].

وَثانِيهِما: أَنْ يَزْعُمَ أَنَّهُ يَقْصِدُ الشَّفاعَةَ لِمُسْلِمٍ في دَفْعِ ظُلامَةٍ، وهَذَا أَيْضًا مَظِنَّةُ الْغُرورِ، وَمِعْيارُهُ ما تَقَدَّمَ[4].

---

(1) كذا في النسخ الخطية، والمقام يقتضي النصب.

(2) ويشكره، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(3) كلام الغزالي في هذا المقام أفصح وأوضح: "وفي هذا غروران يغتر بهم الحمقى، أحدهما: أن يظهر أن قصدي في الدخول عليهم إصلاحهم بالوعظ. وربما يلبسون على أَنْفُسِهِمْ بذلك، وإنما الباعث لهم شهوة خفية للشهرة، وتحصيل المعرفة عندهم، وعلامة الصدق في طلب الإصلاح أنه لو تولى ذلك الوعظ غيره ممن هو من أقرانه في العلم ووقع موقع القبول، وظهر به أثر الصلاح فينبغي أن يفرح به ويشكر الله تعالى على كفايته هذا المهم". الإحياء: 2/ 148.

(4) الإحياء: 2/ 146-148.

الْمَطْلَبُ الثَّامِنُ: **إذا بَعَثَ إلَيْكَ السُّلْطانُ مالًا لِتُفَرِّقَهُ على الْفُقَراءِ**

فإنْ كانَ له مالِكٌ مُعَيَّنٌ فلا يَحِلُّ أَخْذُهُ، وإلَّا فَيَجوزُ أَنْ تَتَوَلَّى بها، لَكِنِ اشْتَرَطَ بَعْضُهُمُ الْأَمانَ عَنْ ثَلاثِ غَوائِلَ:

الْأُولَى: أَنْ يَظُنَّ السُّلْطانُ حِلَّ مالِهِ بِأَخْذِكَ.

الثَّانِيَةُ: أَنْ يَقْتَدِيَ بِكَ[1] غَيْرُكَ، وَيَسْتَدِلَّ بِذَلِكَ على جَوازِهِ، ثُمَّ لا يُفَرِّقونَ، فَهَذَا أَعْظَمُ مِنَ الْأَوَّلِ، كما يَسْتَدِلُّونَ بِأَخْذِ الشَّافِعِيِّ على جَوازِ الْأَخْذِ، وَيَغْفُلونَ عن تَفْرِقَتِهِ، وَأَخْذِهِ على هَذِهِ النِّيَّةِ.

الثَّالِثَةُ: أَنْ يَتَحَرَّكَ قَلْبُكَ[2] إلى حُبِّهِ لِتَخْصِيصِهِ إيَّاكَ، وَإيثارِهِ لَكَ، وَهَذَا هو السُّمُّ الْقاتِلُ، فإنَّكَ إنْ أَحْبَبْتَهُ، تَحْرِصُ عليه، وَتُداهِنُ فيه. وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّهُ يَجِبُ الاِحْتِرازُ عن مُعامَلَتِهِمْ، لِأَنَّ أَكْثَرَ مالِهِمْ حَرامٌ، وَكَذَا عن مُعامَلَةِ قُضاتِهِمْ وَعُمَّالِهِمْ وَخِدْمَتِهِمْ، إذْ أَكْثَرُ أَمْوالِهِمُ الْغَصْبُ، فَمِنْ أَيْنَ يَقَعُ في أَيْدِيهِمْ مالُ مَصْلَحَةٍ وَجِزْيَةٍ وَميراثٍ وَوَجْهِ حَلالٍ حَتَّى تَضْعُفَ شُبْهَةُ الْحَرامِ بِاخْتِلاطِ الْحَلالِ بِمالِهِمْ؟!

وَأَيْضًا: الْأَسْواقُ الَّتِي بَنَى السَّلاطِينُ بِالْمالِ الْحَرامِ تَحْرُمُ سُكْناها، وَإِنْ لم يَحْرُمْ كَسْبُهُ، فإنْ وَجَدوا سُوقًا آخَرَ فلا يَشْتَرِي منهم، فإنَّ ذلِكَ إعانَةٌ لِسُكْناهُمْ، وَتَكْثيرٌ لِكِراءِ حَوانِيتِهِمْ.

---

(1) به، في قونية.

(2) قلبه، في أنطاليا وعاطف أفندي.

وَمِنْهُمْ مَنْ بالَغَ وَجَعَلَ كَسْبَهُمْ حَرامًا، وَلَيْسَ كَذَلِكَ[1].

وَأَمَّا الْقَناطِرُ مِنْ مالِهِمْ، فلا يَجوزُ الْعُبورُ عَلَيْها إلَّا لِلْحاجَةِ، وَالْوَرَعُ الاِحْتِرازُ ما أَمْكَنَ.

وَأَمَّا الْمَساجِدُ، فإنْ كانَ بِناؤُها وَآلاتُها مَغْصوبَةً، أَوْ مِنْ مالٍ لا يُعْرَفُ مالِكُهُ، فلا يَجوزُ الصَّلاةُ فيها، ولا الْجُمُعَةُ، وإنْ أَمْكَنَ اقْتِداءُ الْإِمامِ مِنْ خارِجٍ فَلْيَفْعَلْ. فَالْوَرَعُ الْعُدولُ إلى مَسْجِدٍ آخَرَ إنْ وُجِدَ، وإلَّا فلا يَتْرُكِ الْجُمُعَةَ وَالْجَماعَةَ، وَلْيَنْظُرْ إلى احْتِمالِ أَنْ يَكونَ مِنْ مالِ بانِيهِ، أَوْ أنْ لَا يَكونَ له مالِكٌ مُعَيَّنٌ.

وَكَذا السِّقايَةُ مِنْ مالٍ حَرامٍ، وَالْوَرَعُ الاِحْتِرازُ عنها، إلَّا إذا خافَ فَوْتَ الصَّلاةِ فَيَتَوَضَّأُ.

وَأَمَّا الرِّباطاتُ وَالْمَدارِسُ، فإنْ كانَتْ في الْأَرْضِ الْمَغْصوبَةِ، لا يُرَخَّصُ لِلدُّخولِ فيها، وإنِ الْتَبَسَ الْمالِكُ فَقَدْ أُرْصِدَ لِجِهَةٍ من الْخَيْرِ، فَالْوَرَعُ اجْتِنابُهُ، لكن لا يُفَسَّقُ مُرْتَكِبُهُ.

وهَذِهِ الْأَبْنِيَةُ إنْ صَدَرَتْ عن خَدَمِ السُّلْطانِ، فَالْأَمْرُ فيها أَشَدُّ، إذْ لَيْسَ لَهُمْ صَرْفُ الْأَمْوالِ الضَّائِعَةِ إلى الْمَصالِحِ مَعَ غَلَبَةِ الْحَرامِ على أَمْوالِهِمْ، إذْ لَيْسَ لَهُمْ أَخْذُ مالِ الْمَصالِحِ، وإنَّمَا يَجُوزُ ذَلِكَ لِلْوُلاةِ وَأَرْبابِ الْأَمْرِ[2]. وَالْكَلامُ في هذا يَطولُ، واللهُ أَعْلَمُ.

---

(1) الإحياء: 2/ 146-151.

(2) المصدر نفسه: 2/ 152.

الْأَصْلُ الْخامِسُ: في آدابِ الصُّحْبَةِ وَالْمُعاشَرَةِ مَعَ أَصْنافِ الْخَلْقِ

وَفيهِ مَطالِبُ:

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ: في فَضيلَةِ الْأُخُوَّةِ وَشُروطِها وَدَرَجاتِها وَفَوائِدِها:

فَضِيلَةُ الْأُخُوَّةِ وَالْأُلْفَةِ:

اِعْلَمْ أَنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ يُوجِبُ التَّوافُقَ وَالتَّحابَّ وَيُثْمِرُهُما، وَمَحْمودِيَّةَ الْمُثْمِرِ تُوجِبُ مَحْمودِيَّةَ الثَّمَرَةِ، كما أَنَّ سوءَ الْخُلُقِ يُثْمِرُ التَّباغُضَ وَالتَّدابُرَ.

أَمَّا فَضيلَةُ حُسْنِ الْخُلُقِ فَقَوْلُهُ تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1].

وَقالَ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ: «أَكْثَرُ ما يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ تَقْوَى اللهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ»[2].

وَقالَ: «أَثْقَلُ ما يوضَعُ في الْمِيزانِ خُلُقٌ حَسَنٌ»[3].

وَقالَ: «بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكارِمَ الْأَخْلاقِ»[4].

ثُمَّ إِنَّ الْأُخُوَّةَ في الدُّنْيا، وَالْأُخُوَّةَ في الْآخِرَةِ[5].

---

(1) سورة القلم، الآية: 4.

(2) مسند الطيالسي: 4/ 220، مسند أحمد: 15/ 435، الأدب المفرد للبخاري: 108، سنن الترمذي: 3/ 536، صحيح ابن حبان: 1/ 490.

(3) العلل لابن أبي حاتم: 6/ 70، علل الدارقطني: 6/ 221، تاريخ بغداد: 3/ 514، الإحياء: 2/ 157.

(4) موطأ مالك رواية يحيى: 5/ 1330، الطبقات الكبرى: 1/ 192، مسند أحمد: 14/ 513.

(5) في الدنيا، في قونية وأنطاليا والأزهرية. في الدين، في عاطف أفندي، والنقل من الإحياء: 2/ 157-158.

وَاعْلَمْ أنَّ الصُّحْبَةَ إمَّا اتِّفاقِيٌّ؛ كَالصُّحْبَةِ بِسَبَبِ الْجِوارِ، أو الاِجْتِماعِ في الْمَكْتَبِ وَالْمَدْرَسَةِ، أو السُّوقِ، أو بابِ السُّلْطانِ، أو الْأَسْفارِ، وإمَّا اخْتِيارِيٌّ، وَهِيَ فَرْعُ الْمَحَبَّةِ، وَهِيَ أَرْبَعَةُ أَقْسامٍ:

الْأَوَّلُ: حُبُّكَ الْإِنْسانَ لِذاتِهِ، وَذَلِكَ بِأَنْ تَلْتَذَّ بِرُؤْيَتِهِ وَمَعْرِفَتِهِ وَمُشاهَدَةِ أَخْلاقِهِ لاسْتِحْسانِكَ له، فإنَّ كُلَّ جَميلٍ لَذيذٌ، وَكُلَّ لَذيذٍ مَحْبوبٌ، فَاللَّذَّةُ تَتْبَعُ الاِسْتِحْسانَ، وَيَتْبَعُ هو الْمُناسَبَةَ وَالْمُوافَقَةَ مِنَ الطِّباعِ.

ثُمَّ ذَلِكَ الْمُسْتَحْسَنُ إمَّا أَنْ يَكونَ صورَتَهُ الظَّاهِرَةَ [أَيْ حُسْنَ الْخِلْقَةِ ـ][1] أوِ الْباطِنَةَ ـ أَعْنِي كَمالَ الْعَقْلِ الْمُثْمِرِ غَزارَةَ الْعِلْمِ، وَحُسْنَ الْخُلُقِ الْمُثْمِرِ حُسْنَ الْأَفْعالِ ـ وقد تَكونُ الْأُلْفَةُ بِمُناسَبَةٍ باطِنَةٍ تُوجِبُ الْأُلْفَةَ، فَإِنَّ شِبْهَ الشَّيْءِ مُنْجَذِبٌ إِلَيْهِ، وَتِلْكَ الْمُناسَبَةُ لها أَسْبابٌ دَقيقَةٌ لَيْسَ في قُوَّةِ الْبَشَرِ الاِطِّلاعُ عليها، وَإِلَيْهِ يُشيرُ قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ: «الْأَرْواحُ جُنودٌ مُجَنَّدَةٌ، فما تَعارَفَ منها ائْتَلَفَ، وما تَناكَرَ منها اخْتَلَفَ».

وَكانَ مالِكُ بنُ دِينارٍ يَقُولُ: كُلُّ إِنْسانٍ يَأْنَسُ بِشَكْلِهِ، كما أَنَّ كُلَّ طَيْرٍ مَعَ جِنْسِهِ. فَرَأَى يَوْمًا غُرابًا مع حَمامَةٍ، فَعَجِبَ من ذَلِكَ، فَلَمَّا طارَا فَإِذَا هما أَعْرَجانِ، فَقالَ: مِنْ هاهُنَا اتَّفَقَا[2].

فَقَدْ ظَهَرَ منه أَنَّ الْحُبَّ قد يَكونُ لا لِنَفْعٍ صُورِيٍّ.

---

(1) زيادة من أنطاليا.

(2) قوت القلوب: 1/ 391-392، الإحياء: 2/ 162.

وَيَدْخُلُ فيه الْحُبُّ لِلْجَمالِ بِدُونِ مُلاحَظَةِ الشَّهْوَةِ، فَإِنَّ الصُّورَةَ الْجَميلَةَ مُسْتَلَذَّةٌ في عَيْنِها - وَإِنْ فُرِضَ عَدَمُ الشَّهْوَةِ - كما يُسْتَلَذُّ الْماءُ وَالْخُضْرَةُ وَالْأَزْهارُ، فَهُوَ مَحْمودٌ في نَفْسِهِ. وَإِنِ اتَّصَلَ به غَرَضٌ مَذْمُومٌ مِنَ الشَّهْوَةِ الْحَرَامِ صارَ مَذْمومًا، وَإِنِ اتَّصَلَ به غَرَضٌ مُباحٌ لا يُذَمُّ ولا يُحْمَدُ.

وفي هذا الْقِسْمِ لا يَدْخُلُ حُبُّ الله تعالى لِأَنَّهُ طَبيعِيٌّ، وَحُبُّ اللهِ لَيْسَ كَذَلِكَ[1].

الْقِسْمُ الثَّانِي: لِيَنالَ مِنْ ذاتِهِ غَيْرَ ذاتِهِ، فَيَكونَ الْمَحْبوبُ الْغَيْرَ، وهُوَ وَسيلَةٌ إِلَيْهِ. وَالطَّريقُ إلى الْمَحْبوبِ مَحْبوبٌ، وَمِنْهُ مَحَبَّةُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ. ثُمَّ الْقَصْدُ بِالْوَسيلَةِ إِمَّا إلى الْمالِ أو الْجَاهِ؛ كَحُبِّ الْمُلوكِ والسَّلاطينِ، أو الْعِلْمِ؛ كَحُبِّ التِّلْميذِ الْأُسْتاذَ. وَلَيْسَ في شَيْءٍ منها مَحَبَّةُ الله تعالى، إِذْ يُتَصَوَّرُ كُلُّ ذَلِكَ مِمَّنْ لا يُؤْمِنُ باللهِ تعالى. إِلَّا أَنَّهُ قد يَكونُ مَذْمومًا إذا قُصِدَ التَّوَصُّلُ إلى قَهْرِ الْأَقْرانِ بِالْمالِ، وَحِيازَةِ أَمْوالِ الْيَتامَى بِالْجاهِ، وَظُلْمِ الرَّعايَا بِالْعِلْمِ بِوِلايَةِ الْقَضاءِ أو غَيْرِهِ. وقَدْ يَكونُ مُباحًا كما إذا تَوَسَّلَ إلى الْمُباحِ، إِذِ الْوَسيلَةُ يَكْتَسِبُ الْحُكْمَ والصِّفَةَ مِنَ الْمُتَوَسَّلِ إِلَيْهِ.

الْقِسْمُ الثَّالِثُ: أَنْ يُحِبَّهُ لا لِذاتِهِ بل لِغَيْرِهِ، وَذَلِكَ الْغَيْرُ لَيْسَ راجِعًا إلى حُظوظِهِ في الْآخِرَةِ؛ كَمَنْ يُحِبُّ أُسْتاذَهُ وَشَيْخَهُ، لِأَنَّهُ يَتَوَسَّلُ به إلى تَحْصيلِ الْعِلْمِ، وَتَحْسِينِ الْعَمَلِ، وَمَقْصودُهُ من الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ الْفَوْزُ في الْآخِرَةِ، فَهَذا مِنْ جُمْلَةِ الْمُحِبِّينَ في اللهِ تعالى؛ وَكَذَلِكَ مَنْ يُحِبُّ تِلْميذَهُ، لِأَنَّهُ يَتَلَقَّفُ منه

---

(1) الإحياء: 2/ 162.

الْعِلْمَ، وَيَنالُ بِواسِطَتِهِ رُتْبَةَ التَّعْليمِ، بَلِ الَّذِي يَتَصَدَّقُ بِأَمْوالِهِ[1] تَقَرُّبًا إلى الله تعالى، بَلْ مَنْ أَحَبَّ مَنْ يُواسِيهِ في الْمَطْعَمِ وَالْمَلْبَسِ لِيَتَفَرَّغَ لِلْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، بَلْ مَنْ أَحَبَّ امْرَأَتَهُ الصَّالِحَةَ لِيَتَحَصَّنَ بها مِنْ وَسْواسِ الشَّيْطانِ، وَيَصُونَ بها دِينَهُ، وَيُولَدَ له وَلَدٌ صالِحٌ يَدْعو له، فَكُلُّ مَنْ قَصَدَ هذِهِ الْمَقاصِدَ الدِّينيَّةَ فهو مُحِبٌّ للهِ تعالى[2].

الْقِسْمُ الرَّابِعُ: أنْ يُحِبَّ لله وفي اللهِ، لا لِيَنالَ منه عِلْمًا أو عَمَلًا، أو لِيَتَوَصَّلَ به إلى أَمْرٍ وَراءَ ذاتِهِ، وهذا أَعْلى الدَّرَجاتِ، وَهُوَ أَدَقُّها وَأَعْظَمُها. وَهَذا الْقِسْمُ أَيْضًا مُمْكِنٌ.

وَمِنْ آثارِ هذا الْحُبِّ أَنْ يَتَعَدَّى مِنَ الْمَحْبوبِ إلى من يَتَعَلَّقُهُ ويُناسِبُهُ، ولو مِنْ بُعْدٍ؛ مِنْ مَحْبوبِ مَحْبوبِهِ، ومَنْ يُثْنِي عَلَيْهِ، حَتَّى مَنْزِلِهِ وَمَحَلِّهِ وَجِيرانِهِ، حَتَّى قيلَ: إنَّ الْمُؤْمِنَ إذا أَحَبَّ الْمُؤْمِنَ أَحَبَّ كَلْبَهُ. وَيَشْهَدُ له التَّجْرِبَةُ[3] في أَحْوالِ الْعُشَّاقِ، وَيَدُلُّ عليه أَشْعارُ الشُّعَراءِ. فَكَذَلِكَ حُبُّ الله تعالى إذا غَلَبَ وَاسْتَوْلَى، يَتَعَدَّى إلى كُلِّ مَوْجودٍ سِواهُ، لأَنَّهُ أَثَرٌ مِنْ آثارِ قُدْرَتِهِ؛ كَمَنْ أَحَبَّ خَطَّ حَبِيبِهِ وَصَنْعَتَهُ. وَكَذَلِكَ كانَ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ إذا حُمِلَ إليه باكورَةٌ مَسَحَ بها عَيْنَهُ وَأَكْرَمَها، وَقالَ: إِنَّهُ قَريبُ الْعَهْدِ بِرَبِّهِ.

---

(1) بالأموال، في رئيس الكتاب.

(2) الإحياء: 2/ 162-163.

(3) التجريد، في أنطاليا وعاطف أفندي.

ولو كانَ الْحُبُّ مَقْصورًا على حَظٍّ يُنالُ مِنَ الْمَحْبوبِ في الْحالِ أو الْمَآلِ، لَمَا تُصُوِّرَ حُبُّ الْمَوْتَى مِنَ الْعُلَماءِ والْعُبَّادِ، وَمِنَ الصَّحابَةِ والتَّابِعِينَ، بَلْ مِنَ الْأَنْبِياءِ الْمُنْقَرِضِينَ صَلَواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ. وَحُبُّ جَمِيعِهِمْ مَكْنونٌ في قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ مُتَدَيِّنٍ، وَكُلُّ ذلِكَ حُبٌّ لله تعالى لِأَنَّهُمْ خَواصُّ عِبادِهِ.

وإذا عَرَفْتَ دَرَجاتِ الْحُبِّ، فَقَدِ اتَّضَحَ عِنْدَكَ دَرَجاتُ الْبُغْضِ بِالْمُقايَسَةِ، لأنَّ مَنْ أَحَبَّ لِسَبَبٍ فَبِالضَّرورَةِ يُبْغِضُ لِضِدِّهِ، فَكُلُّ عاصٍ لله تُبْغِضُهُ كما تُحِبُ الْمُطيعَ، وَهذانِ مُتَلازِمانِ. وَكُلٌّ مِنَ الْحُبِّ وَالْبُغْضِ دَفينٌ في الْقَلْبِ، وَإِنَّما يَتَرَشَّحُ عند ظُهورِ أَفْعالِ الْمُحِبِّينَ وَالْمُبْغِضينَ[1].

وَلَكِنْ يُشْكِلُ حالُ مَنِ اخْتَلَطَ فيه الطَّاعَةُ والْمَعْصِيَةُ، إِذْ يَلْزَمُ فيه الْجَمْعُ بَيْنَ الْحُبِّ وَالْبُغْضِ، وهُمَا مُتَضادَّانِ، إِلَّا أَنَّ الْأَمْرَ ظاهِرٌ عند الله تعالى. وَأَمَّا أَنْتَ فَتُبْغِضُ مِنْ جِهَةِ عِصْيانِهِ، وَتُحِبُّ مِنْ جِهَةِ طاعَتِهِ، وَذَلِكَ مُمْكِنٌ، كما إذا كانَ لَكَ وَلَدٌ ذَكِيٌّ خَدُومٌ وَلَكِنَّهُ فاسِقٌ، فإِنَّكَ تُحِبُّهُ مِنَ الْجِهَةِ الْأُولَى، وَتُبْغِضُهُ مِنَ الْجِهَةِ الثَّانِيَةِ.

وَكَذَلِكَ الْحالُ في الْمُسْلِمِ الْعاصِي، فلا تُبالِغْ في إِهانَتِهِ كَإِهانَتِكَ الْكافِرَ، ولا تُبالِغْ في إِكْرامِهِ كَإِكْرامِكَ الْمُسْلِمَ الْمُطيعَ. ثُمَّ يَنْبَغِي أَنْ يَكونَ مَيْلُكَ إلى

(1) الإحياء: 2/ 164-166.

طَرَفِ الْإِهانَةِ عِنْدَ غَلَبَةِ الْمَعْصِيَةِ، وإلى طَرَفِ الْمُجامَلَةِ والْإِكْرامِ عِنْدَ غَلَبَةِ الطَّاعَةِ. وَهَكَذَا حالُ مَنْ يَطْلُبُ رِضا اللهِ وَيَتَجَنَّبُ سُخْطَهُ.

ثُمَّ طَرِيقُ إِظْهارِ الْبُغْضِ إمَّا الْقَوْلُ، أو الْفِعْلُ.

أَمَّا الْقَوْلُ: فَبِتَرْكِ مُكالَمَتِهِ وَمُحادَثَتِهِ مَرَّةً، أو الاِسْتِخْفافِ وَالتَّغْليظِ أُخْرَى.

وَأَمَّا الْفِعْلُ: فَبِعَدَمِ إِعانَتِهِ مَرَّةً، أو بِالسَّعْيِ في إِساءَتِهِ أُخْرَى. وَهَذِهِ مَراتِبُ بَعْضُها أَشَدُّ مِنْ بَعْضٍ، وَيَتَرَجَّحُ بِحَسَبِ دَرَجاتِ الْفِسْقِ والْمَعْصِيَةِ.

أَمَّا دَرَجاتُ الْمَعْصِيَةِ، فَإِمَّا أَنْ يَصْدُرَ بِطَرِيقِ الْهَفْوَةِ، فَالْأَوْلَى فيه الْإِغْماضُ وَالسِّتْرُ، أو بِطَرِيقِ الْإِصْرارِ على الصَّغِيرَةِ أو الْكَبِيرَةِ. فإِنْ كانَتْ مُتَعَدِّيَةً إلى الْغَيْرِ فلا يُسامِحُ فيه، بَلْ يُنْكِرُ بِقَدْرِ ما يَرْتَدِعُ عنه، وَبِقَدْرِ ما أَمْكَنَ لَكَ، وإنْ لم تَكُنْ مُتَعَدِّيَةً إلى الْغَيْرِ، بل مُتَعَدِّيَةً إلَيْكَ فَقَطْ، فَطَرِيقُهُ الْعَفْوُ والصَّفْحُ وإِنْ عَظُمَتْ جَرِيمَتُهُ، كما قَطَعَ أبو بَكْرٍ نَفَقَتَهُ على مِسْطَحٍ حينَ تَكَلَّم في الْإِفْكِ، ثُمَّ أَمَرَهُ اللهُ تعالى بِإِعادَةِ النَّفَقَةِ إليه، وهو قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ﴾[1] الْآيَة. وَأَيَّةُ جَرِيمَةٍ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَتَعَرَّضَ بِحُرَمِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ، وَإِطالَةِ اللِّسانِ في مِثْلِ عائِشَةَ رَضِيَ الله عنها[2].

وَأَمَّا إنْ كانَتْ مَعْصِيَةً لِنَفْسِهِ، فإنْ كانَتْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ فَلَهُ حُكْمٌ مَخْصوصٌ سَنَذْكُرُهُ، وَإِلَّا فَلَا بُدَّ مِنْ إِظْهارِ أَثَرِ الْبُغْضِ بِالْقَوْلِ أو الْفِعْلِ، وما

---

(1) سورة النور، الآية: 22.

(2) الإحياء: 2/ 166-167.

يَنْدَرِجُ تَحْتَهُما مِنَ الْأَنْواعِ بِحَسَبِ مَرْتَبَةِ انْزِجارِهِ. وَأَقَلُّ الدَّرَجاتِ قَطْعُ الرِّفْقِ وَالنُّصْرَةِ عنه، وَأَقْواها إِفْسادُ أَغْراضِهِ عليه، وهذا لا بُدَّ منه فيما يُفْسِدُ عليه طَريقَ الْمَعْصِيَةِ لا في كُلِّ أَمْرٍ. هذا مَذْهَبُ الْبَعْضِ.

وَاخْتارَ بَعْضُهُمْ في الْمَعْصِيَةِ غَيْرِ الْمُتَعَدِّيَةِ النَّظَرَ بِعَيْنِ الرَّحْمَةِ، لِأَنَّهُمْ مَقْهورونَ لِمَا قُدِّرَ لهم، وَالْقَدَرُ لا يَنْفَعُ منه الْحَذَرُ، وَلَكِنْ قد يَلْتَبِسُ الْمُداهَنَةُ ومُراعاةُ الْقُلوبِ بِالرَّحْمَةِ، وَمِحَكُّ ذَلِكَ أَنْ يَنْظُرَ إليه بِعَيْنِ الرَّحْمَةِ إنْ جَنَى على خَاصِّ حَقِّهِ، وَيقولَ: كَيْفَ لا يَفْعَلُهُ وَقَدْ كُتِبَ عليه، وإِنْ كانَ يَغْتاظُ عِنْدَ الْجِنايَةِ على حَقِّهِ، وَيَتَرَحَّمُ عند الْجِنايَةِ على حَقِّ اللهِ فهو مُداهِنٌ مَغْرورٌ بِمَكيدَةٍ مِنْ مَكائِدِ الشَّيْطانِ.

فَإِنْ قُلْتَ: هَلْ يَجِبُ الْإِعْراضُ وَقَطْعُ النَّفَقَةِ والْإِعانَةِ عن الْعاصِي بِحَيْثُ يَأْثَمُ مَنْ يَتْرُكُهُ.

قُلْتُ: لا يَدْخُلُ ذلِكَ في ظاهِرِ الْعِلْمِ تَحْتَ التَّكْليفِ وَالْإِيجابِ، لِأَنَّ الصَّحابَةَ كانوا مُنْقَسِمينَ في حَقِّ أَهْلِ الْمَعاصِي، فَمِنْهُمْ مَنْ يُغْلِظُ الْقَوْلَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكْتَفِي بِالْإِعْراضِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ بِعَيْنِ الرَّحْمَةِ، فَهَذِهِ دَقائِقُ دِينِيَّةٌ تَخْتَلِفُ فيها طَرائِقُ[1] السَّالِكِينَ[2].

---

(1) طرق، في أنطاليا وعاطف أفندي.

(2) الإحياء: 2/ 167-168.

الْمَطْلَبُ الثَّانِي: في أَقْسامِ الْمَعاصِي وَأَحْكامِ كُلٍّ منها

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: الْفَسادُ في الِاعْتِقادِ. وهُوَ نَوْعانِ:

الْأَوَّلُ: الْكُفْرُ، فَالْكافِرُ الْحَرْبِيُّ يُجازَى بِالْقَتْلِ وَالِاسْتِرْقاقِ، وَهَذَا[1] أَقْصَى الْإِهانَةِ؛ وَالذِّمِّيُّ هو الَّذِي مالُهُ وَعِرْضُهُ مَعْصومٌ، لَكِنْ يُعْرَضُ عنه، وَيُحَقَّرُ بِالِاضْطِرارِ إلى أَضْيَقِ الطُّرُقِ، وَبِتَرْكِ الْمُفاتَحَةِ بالسَّلامِ، وَيَقولُ في جَوابِ سَلامِهِ: وَعَلَيْكَ، وَالْأَوْلَى الْكَفُّ عن مُعامَلَتِهِ وَمُخالَطَتِهِ وَمُؤاكَلَتِهِ. وَأَمَّا الِانْبِساطُ مَعَهُ وَالِاسْتِرْسالُ إِلَيْهِ فَمَكْروهٌ كَراهَةً شَديدَةً يَكادُ يَنْتَهِي ما يَقْوَى منها إلى حَدِّ التَّحْريمِ.

وَالثَّانِي: الْمُبْتَدِعُ، وهو إمَّا أَنْ يَدْعُوَ إلى بِدْعَتِهِ، فإنْ كانَتْ بِدْعَتُهُ بِحَيْثُ يُكَفَّرُ بها فَأَمْرُهُ أَشَدُّ مِنَ الذِّمِّيِّ، وإلَّا فَأَمْرُهُ أَخَفُّ مِنَ الذِّمِّيِّ عِنْدَ اللهِ، وَلَكِنْ أَشَدُّ منه عِنْدَ النَّاسِ، لِأَنَّ شَرَّهُ يُخافُ أنْ يَتَعَدَّى إلى الْمُسْلِمِ بِخِلافِ شَرِّ الْكافِرِ.

وَأَمَّا الْمُبْتَدِعُ الَّذِي يَدْعُو إلى بِدْعَتِهِ، وَيَزْعُمُ أَنَّ ما يَدْعُو إِلَيْهِ حَقٌّ فَشَرُّهُ مُتَعَدٍّ، فَالِاسْتِحْبابُ في إِظْهارِ بُغْضِهِ. وَالِانْقِطاعُ عنه وَتَحْقِيرُهُ، والتَّشْنِيعُ عليه بِبِدْعَتِهِ، وَتَنْفِيرُ النَّاسِ عَنْهُ أَشَدُّ. وَأَمَّا رَدُّ سَلامِهِ، فإنْ كانَ عند النَّاسِ فلا يَجوزُ تَنْفيرًا لِلناسِ عنه، وَتَقْبِيحًا لِبِدْعَتِهِ في أَعْيُنِهِمْ، وإنْ كانَ في الْخَلْوَةِ فَإِنْ ظَنَّ أنَّ تَرْكَ الْجَوابِ يَرْدَعُهُ عن بِدْعَتِهِ فَالتَّرْكُ أَوْلَى، وإلَّا فَلَا بَأْسَ بِجَوابِهِ.

---

(1) وهذان، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

وَأَمَّا الْمُبْتَدِعُ الْعامِّيُّ، الَّذِي لا يَقْدِرُ على الدَّعْوَةِ، ولا يُخافُ الاِقْتِداءُ به فَأَمْرُهُ أَهْوَنُ، فَالْأَوْلَى أَنْ يُتَلَطَّفَ به في النُّصْحِ، فإِنَّ قُلوبَ الْعَوامِّ سَريعَةُ التَّقَلُّبِ، فإِنْ لم يَنْفَعِ النُّصْحُ، وَكانَ في الْإِعْراضِ عنه تَقْبيحٌ لِبِدْعَتِهِ في عَيْنِهِ تَأَكَّدَ الاِسْتِحْبابُ في الْإِعْراضِ[1].

الْقِسْمُ الثَّانِي: الْعاصِي بِفِعْلِهِ وَعَمَلِهِ لا بِاعْتِقادِهِ. وَهَذَا على أَقْسامٍ:

أَحَدُها وَهُوَ أَشَدُّها: ما يَتَضَرَّرُ به النَّاسُ؛ كَالظُّلْمِ وَالْغَصْبِ وَشَهادَةِ الزُّورِ وَالْغِيبَةِ والنَّمِيمَةِ، فَالْإِعْراضُ عنهم، وَتَرْكُ مُخالَطَتِهِمْ، وَالاِنْقِباضُ عن مُعامَلَتِهِمْ أَشَدُّ. ثُمَّ إِنَّ فَسادَ هَؤُلاءِ إِمَّا في الدِّماءِ، أو في الْأَمْوالِ، أو في الْأَعْراضِ، وَبَعْضُها أَشَدُّ مِنْ بَعْضٍ، فَالاِسْتِحْبابُ في إِهانَتِهِمْ، وَالْإِعْراضُ عنهم يَتَأَكَّدُ بِحَسَبِ شِدَّةِ الْفَسادِ وَغِلْظَتِهِ.

الْقِسْمُ الثَّانِي: صاحِبُ الْماخورِ الَّذِي يُهَيِّئُ أَسْبابَ الْفَسادِ، وَيُسَهِّلُ طُرُقَهُ على الْفُسَّاقِ، فَهَذَا لا يُؤْذِي الْخَلْقَ في دُنْياهُمْ، لكن يَنْقُصُ بِفِعْلِهِ مِنْ دِينِهِمْ، فهو قَريبٌ من الْأَوَّلِ، وَلَكِنَّهُ أَخَفُّ منه. فإِنَّ الْمَعْصِيَةَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَالرَّبِّ إلى الْعَفْوِ وَالْمَغْفِرَةِ أَقْرَبُ، وَلَكِنَّهُ مِنْ حَيْثُ تَعَدِّيهِ إلى غَيْرِهِ شَديدٌ يَقْتَضِي الْإِهانَةَ وَالْإِعْراضَ وَالْمُقاطَعَةَ، وَتَرْكَ جَوابِ السَّلامِ، إذا ظَنَّ فيه أو في غَيْرِهِ نَوْعًا مِنَ الزَّجْرِ.

---

(1) الإحياء: 2/ 168-169.

الْقِسْمُ الثَّالِثُ: الْفاسِقُ في نَفْسِهِ بِشُرْبِ خَمْرٍ، أو تَرْكِ واجِبٍ، أو مُقارَفَةِ مَحْظورٍ يَخُصُّهُ، فَالْأَمْرُ فيه أَخَفُّ، وَلَكِنَّهُ في وَقْتِ مُباشَرَتِهِ - إنْ صُودِفَ - يَجِبُ مَنْعُهُ بما يَمْتَنِعُ منه، وَلَوْ بِالضَّرْبِ وَالِاسْتِخْفافِ، فَإِنَّ النَّهْيَ عن الْمُنْكَرِ واجِبٌ. وإذا فَرَغَ منه، وَعَلِمَ أَنَّهُ مُصِرٌّ عليه، فإنْ عَلِمَ أَنَّ النُّصْحَ يَمْنَعُهُ مِنَ الْعَوْدِ وَجَبَ النُّصْحُ، وإنْ لَمْ يَتَحَقَّقْ، وَلَكِنَّهُ كانَ يَرْجوهُ، فَالْأَفْضَلُ النُّصْحُ وَالزَّجْرُ لُطْفًا أو تَغْلِيظًا إنْ كانَ هُوَ الْأَنْفَعَ. وإِنْ عَلِمَ إِصْرارَهُ، وَأَنَّ النُّصْحَ لا يَنْفَعُهُ، فَسِيَرُ الْعُلَماءِ فيه مُخْتَلِفَةٌ، فَبَعْضُهُمْ يقولُ: يَنْبَغِي الْإِعْراضُ عن جَوابِ سَلامِهِ، وَالْكَفُّ عن مُخالَطَتِهِ؛ وَبَعْضُهُمْ يَقولُ: الرِّفْقُ وَالنَّظَرُ بِعَيْنِ الرَّحْمَةِ أَوْلَى؛ كَمَا نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ مَنْ لَعَنَ مَنْ شَرِبَ خَمْرًا وَقالَ: «لا تَكُنْ عَوْنًا لِلشَّيْطانِ على أَخيكَ»[1]. أو كما قَالَ.

وَالْحَقُّ أنَّ ذَلِكَ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلافِ نِيّاتِ الرِّجالِ، وَالتَّفاوُتِ في الْأَحْوالِ، وَالْمُفْتِي فيه الْقَلْبُ وَالْبالُ، إذْ لِكُلٍّ مِنَ الطَّرَفَيْنِ خَطَرٌ، إذِ الْعُنْفُ قد يَكونُ عَنْ كِبْرٍ وَعُجْبٍ وَالْتِذاذٍ بِإِظْهارِ الْعُلُوِّ وَالْإِدْلالِ بِالصَّلاحِ، وَالرِّفْقُ قَدْ يَكونُ عَنْ مُداهَنَةٍ وَاسْتِمالَةِ قَلْبٍ[2].

(1) الإحياء: 2/ 170، تخريج أحاديث الإحياء: 625-1014، المقاصد الحسنة: 722.

(2) الإحياء: 2/ 169-170.

الْمَطْلَبُ الثَّالِثُ: **فِي الصِّفاتِ الْمَشْروطَةِ فِيمَنْ تُصاحِبُهُ**

إِذْ ليسَ كُلُّ إِنْسانٍ يَصْلُحُ لِلصُّحْبَةِ، فَالصُّحْبَةُ إِمَّا لِلدُّنْيَا؛ كَالاِنْتِفاعِ بِالْمالِ وَالْجاهِ، أو الاِسْتِئْناسِ بِالْمُشاهَدَةِ والْمُحاوَرَةِ، ولا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ غَرَضُنَا؛ وَإِمَّا لِلدِّينِ، وَذَلِكَ لِأَغْراضٍ مِنْها اسْتِفادَةُ الْعِلْمِ والْعَمَلِ، وَمِنْها اسْتِفادَةُ الْجاهِ تَحَصُّنًا به عَنْ أَذَى مَنْ يُشَوِّشُ الْقَلْبَ وَيَصُدُّهُ عَنْ الْعِبادَةِ، وَمِنْها اسْتِفادَةُ الْمالِ لِلاِكْتِفاءِ به عَنْ تَضْيِيعِ الْأَوْقاتِ في طَلَبِ الْأَقْواتِ، وَمِنْها الاِسْتِعانَةُ في الْمُهِمَّاتِ، فَيَكونُ عُدَّةً في الْمَصائِبِ، وَقُوَّةً في الْأَهْوالِ، وَمِنْها التَّبَرُّكُ بِمُجَرَّدِ الدُّعاءِ، وَمِنْها انْتِظارُ الشَّفاعَةِ في الْآخِرَةِ.

قالَ بَعْضُ السَّلَفِ: اسْتَكْثِرْ مِنَ الْإِخْوانِ، فإِنَّ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ شَفاعَةً.

وَأَيْضًا: يَنْبَغِي فِيمَنْ تُرِيدُ صُحْبَتَهُ خَمْسُ خِصالٍ: الْعَقْلُ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَتَرْكُ الْفِسْقِ وَالاِبْتِداعِ وَالْحِرصِ على الدُّنْيا.

أَمَّا الْعَقْلُ، فَهُوَ رَأْسُ الْمالِ، إِذِ الْأَحْمَقُ يَضُرُّكَ وَهُوَ يُرِيدُ نَفْعَكَ وَإِعانَتَكَ مِنْ حَيْثُ لا يَدْرِي.

وَأَمَّا حُسْنُ الْخُلُقِ، إِذْ رُبَّ عاقِلٍ يَغْلِبُهُ هَواهُ أو غَضَبُهُ أو شَهْوَتُهُ، وَيُخالِفُ ما هُوَ الْمَعْلومُ عِنْدَهُ، لِعَجْزِهِ عَنْ قَهْرِ صِفاتِهِ، وَتَقْوِيمِ أَخْلاقِهِ.

وَأَمَّا الْفاسِقُ الْمُصِرُّ على الْفِسْقِ لا يَخافُ اللهَ، وَمَنْ لا يَخافُ اللهَ لا تُؤْمَنُ غائِلَتُهُ، ولا يُوثَقُ بِصَداقَتِهِ، بل يَتَغَيَّرُ بِتَغُيُّرِ الْأَغْراضِ. وَقالَ تَعالَى: ﴿وَلَا

تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾[1].

وَأَمَّا الْمُبْتَدِعُ، فَفِي صُحْبَتِهِ خَطَرُ سِرايَةِ الْبِدْعَةِ، وهو مُسْتَحِقٌّ لِلْقَطِيعَةِ فَكَيْفَ الصُّحْبَةُ.

وَقَدْ جَمَعَ شَرائِطَ الصُّحْبَةِ عَلْقَمَةُ الْعُطارِدِيُّ [في وَصِيَّتِهِ][2] لِابْنِهِ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفاةُ فَقالَ: يا بُنَيَّ إنْ عَرَضَتْ لَكَ إلى صُحْبَةِ الرِّجالِ حاجَةٌ، فاصْحَبْ مَنْ إذا خَدَمْتَهُ[3] صانَكَ، وإِنْ صَحِبْتَهُ زانَكَ، وإِنْ قَعَدَتْ بِكَ مُؤْنَةٌ مانَكَ، اِصْحَبْ مَنْ إذا مَدَدْتَ يَدَكَ بِخَيْرٍ مَدَّهَا، وإِنْ رَأَى مِنْكَ حَسَنَةً عَدَّهَا، وَإِنْ رَأَى مِنْكَ سَيِّئَةً سَدَّهَا، اِصْحَبْ مَنْ إذا قُلْتَ صَدَّقَ قَوْلَكَ، وَإِنْ حاوَلْتَ أَمْرًا أَمَّرَكَ، وإِنْ تَنازَعْتُما في شَيْءٍ آثَرَكَ. كَأَنَّهُ جَمَعَ في هذا جَمِيعَ حُقوقِ الصُّحْبَةِ. إلَّا أَنَّ مِثْلَ هذا الرَّجُلِ عَزيزٌ أو مَفْقودٌ، وَلِذَلِكَ قِيلَ: أَوْصاهُ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ أَرادَ أَنْ لا يَصْحَبَ ابْنُهُ أَحَدًا.

قالَ بَعْضُ الْأُدَباءِ: لا تَصْحَبْ مِنَ النَّاسِ إلَّا مَنْ يَكْتُمُ سِرَّكَ، وَيَسْتُرُ عَيْبَكَ، وَيَكونُ مَعَكَ في النَّوائِبِ، وَيُؤْثِرُكَ في الرَّغائِبِ، وَيَنْشُرُ حَسَنَتَكَ، وَيَطْوِي سَيِّئَتَكَ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْهُ فلا تَصْحَبْ إلَّا نَفْسَكَ.

وَأَمَّا الْحَرِيصُ على الدُّنْيا فَصُحْبَتُهُ سُمٌّ قاتِلٌ، لِأَنَّ الطِّباعَ مَجْبولَةٌ على التَّشَبُّهِ وَالاِقْتِداءِ، وَالطَّبْعَ يَسْرِقُ مِنَ الطَّبْعِ مِنْ حَيْثُ لا يَدْرِي صاحِبُهُ.

---

(1) سورة الكهف، الآية: 28. والنقل من الإحياء: 2/ 170-171.

(2) زيادة من أنطاليا.

(3) صحبته، في قونية.

الْمَطْلَبُ الرَّابِعُ: في حُقوقِ الصُّحْبَةِ

وهي ثَمانِيَةٌ:

الْأَوَّلُ: في الْمالِ، إذِ الْأُخُوَّةُ اتِّحادٌ مَعْنَوِيٌّ يَقْتَضِي الاِشْتِراكَ في الْمالِ والْجاهِ، وَالْمُساهَمَةَ في السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ. قالَ تَعالَى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[1]، أَيْ كانُوا خُلَطاءَ في الْأَمْوالِ. وَمَراتِبُها ثَلاثٌ:

أُولاهَا: أَدْناها، أَنْ تُنَزِّلَهُ مَنْزِلَةَ خادِمِكَ، فَتَقومَ بِحاجَتِهِ مِنْ فَضْلَةِ مالِكَ.

وَثانِيَتُها: أَنْ تُنَزِّلَهُ مَنْزِلَةَ نَفْسِكَ، وَتُشارِكَهُ في مالِكَ.

وَثالِثَتُها: وَهِيَ الْعُلْيا، أَنْ تُؤْثِرَهُ على نَفْسِكَ. وَهَذِهِ رُتْبَةُ الصِّدِّيقينَ، وَمُنْتَهَى دَرَجاتِ الْمُتَحابِّينَ، وَمِنْ تَمامِ هذِهِ الرُّتْبَةِ إِيثارٌ بِالنَّفْسِ أَيْضًا.

رُوِيَ أَنَّهُ سُعِيَ بِجَماعَةٍ مِنَ الصُّوفِيَّةِ إلى بَعْضِ الْمُلوكِ، فَأَمَرَ بِضَرْبِ رِقابِهِمْ، وَفِيهِمْ أبو الْحَسَنِ النُّورِيُّ، فَبادَرَ هو إلى السَّيَّافِ لِيَكونَ هُوَ أَوَّلَ مَقْتولٍ، فَقيلَ له في ذَلِكَ، فَقالَ: أَحْبَبْتُ أَنْ أوثِرَ إِخْوانِي بِالْحَياةِ في هَذِهِ اللَّحْظَةِ. فَكانَ ذَلِكَ سَبَبَ نَجاةِ جَمِيعِهِمْ في حِكايَةٍ طَويلَةٍ[2].

الثَّانِي: في الْإِعانَةِ بِالنَّفْسِ في قَضاءِ الْحاجاتِ، وَالْقِيامِ بها قَبْلَ السُّؤالِ، وَتَقْدِيمِها على الْحَاجَاتِ[3] الخَاصَّةِ. ولها أَيْضًا دَرَجاتٌ، أَدْناهَا الْقِيامُ

---

(1) سورة الشورى، الآية: 38.

(2) آداب الصحبة للسلمي: 71، حلية الأولياء: 10/ 250.

(3) الحاجة، في الأزهرية.

بِالْحاجَةِ عند السُّؤالِ وَالْقُدْرَةِ، لَكِنْ مَعَ الْبَشاشَةِ وَالاِسْتِبْشارِ، وَإِظْهارِ الْفَرَحِ، وَقَبولِ الْمِنَّةِ[1].

وَكانَ في السَّلَفِ مَنْ يَتَفَقَّدُ عِيالَ أَخيهِ وَأَوْلادَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ أَرْبَعينَ سَنَةً، يَقومُ بِحاجاتِهِمْ، وَيَتَرَدَّدُ كُلَّ يَوْمٍ إِلَيْهِمْ، وَيَمُونُهُمْ مِنْ مالِهِ، فَكانُوا لا يَفْقِدونَ مِنْ أَبيهِمْ إِلَّا عَيْنَهُ، بَلْ كانوا يَرَوْنَ منه ما لا يَرَوْنَ مِنْ أَبيهِمْ في حَياتِهِ.

وَكانَ الْواحِدُ مِنْهُمْ يَتَرَدَّدُ إلى بابِ دارِ أَخيهِ وَيَقولُ: هَلْ لَكُمْ زَيْتٌ، هَلْ لَكُمْ مِلْحٌ، هَلْ لَكُمْ حاجَةٌ، وَكانَ يَقومُ بها مِنْ حَيْثُ لا يَعْرِفُ أَخوهُ.

وَبِالْجُمْلَةِ، يَنْبَغِي أَنْ تكونَ حاجَةُ أَخيكَ مِثْلَ حاجَتِكَ أو أَهَمَّ، وَتَتَقَلَّدَ مِنَّةً بِسَبَبِ قَبولِهِ فَضْلًا عَنْ أن تَرَى لِنَفْسِكَ حَقًّا عَلَيْهِ. ولا يَنْبَغِي أَنْ يَقْتَصِرَ على قَضاءِ الْحاجَةِ، بل يَجْتَهِدُ في الْبِدايَةِ بِالْإِكْرامِ في الزِّيادَةِ، وَالإِيثارِ وَالتَّقْديمِ على الْأَقارِبِ وَالْوَلَدِ.

الثَّالِثُ: وَهُوَ السُّكوتُ عن ذِكْرِ عُيوبِهِ في حَضْرَتِهِ وَغَيْبَتِهِ، بل يَتَجاهَلُ عنه، وَيَسْكُتُ عَنِ الرَّدِّ عَلَيْهِ فيما يَتَكَلَّمُ، ولا يُمارِيهِ ولا يُناقِشُهُ، وَيَسْكُتُ عن أَسْرارِهِ، فلا يَبُثُّهَا إلى غَيْرِهِ ولو أَخَصِّ أَصْدِقائِهِ، وَلَوْ بَعْدَ الْقَطيعَةِ والْوَحْشَةِ، فَإِنَّ ذلِكَ مِنْ لُؤْمِ الطَّبْعِ، وَخُبْثِ الْباطِنِ، وَيَسْكُتُ عَنِ الْقَدْحِ في أَحْبابِهِ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ، وَعَنْ حِكايَةِ قَدْحِ غَيْرِهِ فيه، فَإِنَّ الَّذي سَبَّكَ مَنْ بَلَّغَكَ،

---

(1) الإحياء: 2/ 173-174.

وَلَا يُخْفِي ثَناءَ أَحَدٍ عَنْهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ سُرورٌ لِلْمُبَلِّغِ وَالْقائِلِ، وَإِخْفاؤُهُ عنه مِنَ الْحَسَدِ؛ وَأَيْضًا لا يُفاتِحُ بِسُؤالِ غَرَضِهِ وَمَوْرِدِهِ وَمَصْدَرِهِ، إِذْ رُبَّما يَثْقُلُ عَلَيْهِ ذِكْرُهُ، أو يَحْتاجُ إلى أَنْ يَكْذِبَ فيه.

وَبِالْجُمْلَةِ، يَسْكُتُ عن كُلِّ كَلامٍ يَكْرَهُهُ جُمْلَةً وَتَفْصيلًا، إلَّا في الْأَمْرِ بِالْمَعْروفِ، أو النَّهْيِ عن الْمُنْكَرِ، وَلَمْ يَجِدْ رُخْصَةً في السُّكوتِ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِحْسانٌ إِلَيْهِ وَإِنْ كَرِهَهُ[1].

أَمَّا ذِكْرُ مَساوِئِهِ وَعُيوبِهِ وَمَساوِئِ أَهْلِهِ فهو مِنَ الْغِيبَةِ، وَذَلِكَ حَرامٌ في حَقِّ كُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَزْجُرُكَ عنه أَمْرانِ:

أَحَدُهُمَا: أن تُطالِعَ نَفْسَكَ، فَإِنْ وَجَدْتَ فيه أَمْرًا مَذْمومًا أَنْتَ عاجِزٌ عن تَرْكِهِ فَقِسْ على نَفْسِكَ حالَهُ.

وثانِيهما: أَنَّكَ إِنْ طَلَبْتَ أَحَدًا لا عَيْبَ فيه، لَمْ تَجِدْ من تُصاحِبُهُ، فَأَيُّ الرِّجالِ الْمُهَذَّبُ[2]؟! وَإِنَّما الْكَريمُ مَنْ غَلَبَتْ فيه الْمَحاسِنُ الْمَساوِئَ، فَالْكَريمُ يلاحِظُ مَحاسِنَهُ وَاللَّئيمُ مَساوِئَهُ، ولا يوجَدُ أَحَدٌ لَيْسَ له مَساوِئُ أو مَحاسِنُ، وإنَّما الاِعْتِبارُ لِلنَّظَرِ، فَالْمُحِبُّ يُعْمِي حِسَّهُ عَنْ عُيوبِ الْمَحْبوبِ،

---

(1) الإحياء: 2/ 175-176.

(2) وظف الكاتب في سياق كلامه بيت النابغة الذبياني:

وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أَخًا لا تَلُمَّهُ *** عَلَى شَعَثٍ أَيُّ الرِّجَالِ الْمُهَذَّبُ.

ديوان شعره: 74.

وَالْمُبْغِضُ عَيْنُهُ تُبرِزُ كُلَّ عَيْبٍ[1].

الرَّابِعُ: على اللِّسانِ بِالنُّطْقِ، فَإِنَّ الْأُخُوَّةَ كما تَقْتَضِي السُّكوتَ عن الْمَكارِهِ، تَقْتَضِي أَيْضًا النُّطقَ بِالْمَحابِّ، إذِ الإِخْوانُ إنَّما تُرادُ لِيُسْتَفادَ مِنْهُمْ، لا لِيُتَخَلَّصَ عن أَذاهُمْ. فَعَلَيْهِ أن يَتَوَدَّدَ إليه بِلِسانِهِ، وَيَتَفَقَّدَهُ في أَحْوالِهِ الَّتِي يَجِبُ أن يُتَفَقَّدَ فيها؛ كَالسُّؤالِ عن عارِضٍ إنْ عَرَضَ له، وَإِظْهارِ لِشُغْلِ[2] الْقَلْبِ بِسَبَبِهِ، وَاسْتِبْطاءِ الْعافِيَةِ عنه، وكَذَا جُمْلَةُ أَحْوالِهِ الَّتِي يَكْرَهُها يَنْبَغِي أنْ يُظْهِرَ بِلِسانِهِ وَأَفْعالِهِ كَراهَتَها. وَيَنْبَغِي أنْ يُظْهِرَ السُّرورَ بِلِسانِهِ مُشارَكَةً له في السُّرورِ، فَمَعْنَى الْأُخُوَّةِ الْمُساهَمَةُ في السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ[3].

وفي الْحَديثِ: «إذا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخاهُ فَلْيُخْبِرْهُ»[4]. وَإِنَّما أَمَرَهُ بِالْإِخْبارِ لِيَزْدادَ حُبًّا.

وَمِنْ ذلِكَ: أَنْ تَدْعُوَهُ بِأَحَبِّ أَسْمائِهِ إِلَيْهِ في غَيْبَتِهِ وَحُضورِهِ.

وَمِنْ ذلِكَ: أَنْ تُثْنِيَ عليه، وعلى أَوْلادِهِ وَفِعْلِهِ، حَتَّى على عَقْلِهِ وَخُلُقِهِ وَهِمَّتِهِ وَخَطِّهِ وَشِعْرِهِ وَتَصْنِيفِهِ وَجَميعِ ما يَفْرَحُ به، وَذلِكَ من غَيْرِ كَذِبٍ وَإِفْراطٍ، وَآكَدُ مِنْ ذَلِكَ أن يُبَلِّغَهُ ثَناءَ مَنْ أَثْنَى عَلَيْهِ مَعَ إِظْهارِ الْفَرَحِ بِهِ.

---

(1) اقتبس المصنف في سياق كلامه قولَ عبد الله بن معاوية:

وعين الرِّضا عن كلِّ عيبٍ كليلةٌ *** ولكن عين السخط تُبْدِي المساويا.

الحيوان: 3/ 236.

(2) شغل، في أنطاليا.

(3) الإحياء: 2/ 180.

(4) مسند أحمد: 28/ 408، الأدب المفرد للبخاري: 191، سنن الترمذي: 4/ 199.

وَمِنْ ذَلِكَ: أَنْ يَشْكُرَهُ على صَنِيعِهِ في حَقِّهِ، بل على نِيَّتِهِ وإنْ لم تَتِمَّ، وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ تَأْثِيرًا في جَلْبِ الْمَحبَّةِ الذَّبُّ عنه في غَيْبَتِهِ مَهْما قُصِدَ بِسوءٍ، أو تُعُرِّضَ لِعِرْضِهِ بِكَلامٍ صَرِيحٍ أو تَعْريضٍ، فَحَقُّ الْأُخُوَّةِ التَّشْمِيرُ في الْحِمايَةِ وَالنُّصْرَةِ، وَتَبْكِيتُ الْمُتَعَنِّتِ، وَتَغْليظُ الْقَوْلِ عليه، فَالسُّكوتُ عنه مُوغِرٌ لِلصَّدْرِ، وَمُنَفِّرٌ لِلْقَلْبِ، وَتَقْصيرٌ في حَقِّ الْأُخُوَّةِ. فَلَكَ فيه مَعْنَيانِ[1]:

أَحَدُهُما: أنْ تُقَدِّرَ أنَّ الَّذِي قِيلَ فيه لو قِيلَ فيكَ وكانَ أَخوكَ حاضِرًا ما الَّذِي تُحِبُّ[2] أَنْ يَقولَهُ فيكَ؟ فَيَنْبَغِي أنْ تُقابِلَ الْمُتَعَرِّضَ لِعِرْضِهِ به[3].

وَثانِيهِما: أَنْ تُقَدِّرَ أَنَّهُ حاضِرٌ وَراءَ جِدارٍ يَسْمَعُ قَوْلَكَ، وَيَظُنُّ أَنَّكَ ما تَعْرِفُ حُضورَهُ، فما كانَ يَتَحَرَّكُ في قَلْبِكَ مِنَ النُّصْرَةِ له بِمَسْمَعٍ منه وَمَرْأًى، يَنْبَغِي أنْ تَكونَ في غَيْبَتِهِ كَذَلِكَ. ومَنْ لم يَكُنْ مُخْلِصًا في إخائِهِ فهو مُنافِقٌ، وَالْإِخْلاصُ اسْتِواءُ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ، وَاللِّسانِ وَالْقَلْبِ، وَالسِّرِّ وَالْعَلانِيَةِ، وَالْخَلْوَةِ وَالْجَماعَةِ، وَالاِخْتِلافُ وَالتَّفاوُتُ في شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ مُماذَقَةٌ[4] في الْمَوَدَّةِ، وهُوَ دَخَلٌ في الدِّينِ، وَوَليجَةٌ في طَرِيقِ الْمُسْلِمينَ. وَمَنْ لَمْ يَقْدِرْ مِنْ نَفْسِهِ على هَذا، فَالاِنْقِطاعُ وَالْعُزْلَةُ أَوْلَى به مِنَ الْمُؤاخاةِ وَالْمُصاحَبَةِ، فَإِنَّ حَقَّ الصُّحْبَةِ ثَقِيلٌ ولا يُطِيقُهُ إلَّا مُحَقِّقٌ، ولا جَرَمَ أَجْرُهُ جَزِيلٌ لا ينالُهُ إلَّا بِتَوْفِيقٍ.

---

(1) كتب بإزائها في نسخة أنطاليا: لعلها معياران.

(2) يجب، في قونية.

(3) الإحياء: 2/ 181.

(4) مذَقَ الوُدَّ يَمْذُقه مذْقًا: إذا لم يُخْلِصْه. تاج العروس: مذق.

وَمِنْ ذَلِكَ التَّعْليمُ وَالنَّصيحَةُ، إذِ الْحاجَةُ إلى الْعِلْمِ فَوْقَ الْحاجَةِ إلى الْمالِ، فَإِذَا وَجَبَ مُواساتُهُ[1]، وَجَبَ مُواساةُ الْعِلْمِ بِالطَّريقِ الْأَوْلَى. وَإِنْ لم يَعْمَلْ بَعْدَ تَحْصيلِ الْعِلْمِ بِعِلْمِهِ، فَعَلَيْكَ نُصْحُهُ لَكِنْ في الْخَلْوَةِ لِما ذَكَرْناهُ، ولا تَظُنَّنَّ أنَّ في ذِكْرِ الْعُيوبِ إِيحاشَ الْقَلْبِ، فَلَا يَكونُ مِنْ حُقوقِ الْأُخُوَّةِ، لِأَنَّ الْإِيحاشَ في عَيْبٍ يَعْلَمُهُ صاحِبُهُ [مِنْ نَفْسِهِ][2]، وَإِنْ لم يَعْلَمْ فهو عَيْنُ الشَّفَقَةِ.

وأَمَّا ما يَعْلَمُهُ، وَلا يَقْدِرُ على دَفْعِهِ، فَلَا يَكْشِفُ سِرَّهُ فيه إنْ كانَ يُخْفِيهِ[3]، وَإِنْ كانَ يُظْهِرُهُ فلا بُدَّ فيه مِنَ النُّصْحِ، بِالتَّعْرِيضِ تارَةً، وَبِالتَّصْريحِ أُخْرَى، إلى حَدٍّ لا يُؤَدِّي إلى إيحاشٍ، وَإِنْ عَلِمْتَ أنَّ النُّصْحَ غَيْرُ مُؤَثِّرٍ، وَأَنَّهُ مَجْبورٌ عَلَيْهِ، فَالسُّكوتُ عنه أَوْلَى[4].

وَأَمَّا ما يَتَعَلَّقُ بِتَقْصِيرِهِ في حَقِّكَ، فَالْواجِبُ فيه الِاحْتِمالُ وَالْعَفْوُ والصَّفْحُ وَالتَّعامِي عَنْهُ، فَالتَّعَرُّضُ لِذَلِكَ لَيْسَ مِنَ النُّصْحِ في شَيْءٍ. نَعَمْ إنْ كانَ بِحَيْثُ يُؤَدِّي اسْتِمْرارُهُ عليه إلى الْقَطيعَةِ، فَالْعِتابُ في السِّرِّ خَيْرٌ مِنَ الْقَطيعَةِ، وَالتَّعْريضُ به خَيْرٌ مِنَ التَّصْريحِ، وَالْكِنايَةُ خَيْرٌ مِنَ الْمُشافَهَةِ، وَالْاحْتِمالُ خَيْرٌ مِنَ الْكُلِّ.

(1) مُواساة، في مراد ملا.

(2) زيادة من أنطاليا.

(3) مخفيه، في رئيس الكتاب.

(4) الإحياء: 2/ 182-183.

الْخامِسُ: الْعَفْوُ عَنِ الزَّلَّاتِ والْهَفَواتِ. وَالْهَفْوَةُ إمَّا في دِينِهِ، أو في حَقِّكَ.

أَمَّا الْأَوَّلُ: فَعَلَيْكَ التَّلَطُّفُ في نُصْحِهِ بما يُقيمُ أَوَدَهُ، وَيَجْمَعُ شَمْلَهُ، وَيُعيدُ إلى الْوَرَعِ والصَّلاحِ حالَهُ، فإنْ لم يَقْدِرْ وَبَقِيَ مُصِرًّا، فَقَدِ اخْتَلَفَ فيه الصَّحابَةُ والتَّابِعونَ؛ فَذَهَبَ أبو ذَرٍّ إلى الاِنْقِطاعِ، وَرَأَى ذَلِكَ مِنَ الْبُغْضِ في اللهِ؛ وأَمَّا أبو الدَّرْداءِ وَجَماعَةٌ مِنَ الصَّحابَةِ فَذَهَبُوا إلى خِلافِهِ.

وَقالَ أبو الدَّرْداءِ: إذا تَغَيَّرَ أَخوكَ، وَحالَ عَمَّا كانَ عَلَيْهِ، فَلا تَدَعْهُ لِأَجْلِ ذَلِكَ، فإنَّ أَخاكَ يَعْوَجُّ مَرَّةً، وَيَسْتَقيمُ أُخْرَى.

وَقالَ إبْراهيمُ النَّخَعِيُّ: لا تَقْطَعْ أَخاكَ، ولا تَهْجُرْهُ عِنْدَ الذَّنْبِ يُذْنِبُهُ، فَإِنَّهُ يَرْتَكِبُهُ الْيَوْمَ وَيَتْرُكُهُ غَدًا، وَكَمْ مِنْ أَخٍ زَلَّ وَلَمْ يَتَغَيَّرْ عَلَيْهِ أَخوهُ، حَتَّى صارَ باعِثًا على هِدايَتِهِ، وَلَعَلَّهُ لو تَرَكَهُ لَكانَ باقِيًا على ذَنْبِهِ.

وَأَيْضًا: هذا وَقْتُ حاجَتِهِ، وَعَقْدُ الْأُخُوَّةِ مَرْصَدَةٌ لِوَقْتِ الْحاجَةِ، وَأَيُّ حاجَةٍ أَشَدُّ مِنْ فَقْرِ الدِّينِ. فَهَذِهِ طَرِيقَةُ قَوْمٍ، وَهِيَ أَلْطَفُ وَأَفْقَهُ مِنْ طَريقِ أَبي ذَرٍّ، وَطَريقَتُهُ أَحْسَنُ وَأَسْلَمُ، وَالْأَكْثَرونَ على خِلافِ أبي ذَرٍّ[1]، حَتَّى قالَ الشَّاعِرُ: [الطويل]

وَأَغْفِرُ عَوْراءَ الْكَريمِ ادِّخارَهُ   وَأُعْرِضُ عَنْ شَتْمِ اللَّئيمِ تَكَرُّمًا[2]

---

(1) الإحياء: 2/ 183-184.

(2) البيت من الشواهد النحوية وهو لحاتم الطائي وهو في ديوان شعره: 224.

وَقالَ: [الطويل]

وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أَخًا لا تَلُمَّهُ   عَلَى شَعَثٍ أَيُّ الرِّجالِ الْمُهَذَّبُ

السَّادِسُ: الدُّعاءُ لِلْأَخِ في حَياتِهِ وَمَماتِهِ، فَتَدْعُو له كما تَدْعُو لِنَفْسِكَ فَإِنَّهُ دُعاءٌ لَكَ على التَّحْقِيقِ. وَفِي الْخَبَرِ: «إذا دَعَا الرَّجُلُ لِأَخيهِ في ظَهْرِ الْغَيْبِ قالَ له الْمَلَكُ: وَلَكَ مِثْلُ ذَلِكَ»[1].

وفي الْحَديثِ: «دَعْوَةُ الْأَخِ لِأَخيهِ في الْغَيْبِ لا تُرَدُّ»[2].

وَرُوِيَ عنْ رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ أَنَّهُ قالَ: «مَثَلُ الْمَيِّتِ في الْقَبْرِ مَثَلُ الْغَريقِ يَعْلَقُ بِكُلِّ شَيْءٍ، يَنْتَظِرُ دَعْوَةً مِنْ وَلَدٍ أو وَالِدٍ أو أَخٍ أَوْ قَريبٍ»[3].

السَّابِعُ: الْوَفاءُ وَالْإِخْلاصُ، وَمَعْنَى الْوَفاءِ: الثَّباتُ على الْحُبِّ وَإدامَتُهُ إلى الْمَوْتِ معه، وَبَعْدَ الْمَوْتِ مَعَ أَوْلادِهِ وَأَصْدِقائِهِ، فإنَّ الْحُبَّ أَمْرٌ أُخْرَوِيٌّ، فإنِ انْقَطَعَ قَبْلَ الْمَوْتِ حَبِطَ الْعَمَلُ، وَضاعَ السَّعْيُ. وَمِنْ ثَمَراتِ الْمَوَدَّةِ أَنْ لا يَكونَ مَعَ حَسَدٍ في دِينٍ وَدُنْيا، فَكَيْفَ يَحْسُدُهُ وَكُلُّ ما لِأَخيهِ فَإِلَيْهِ تَرْجِعُ فائِدَتُهُ. وَمِنَ الْوَفاءِ: أَنْ لا يَتَغَيَّرَ حالُهُ في التَّواضُعِ مع أَخيهِ وإنِ ارْتَفَعَ شَأْنُهُ، وَعَظُمَ جاهُهُ، وَالِارْتِفاعُ على الْإِخْوانِ بما يَتَجَدَّدُ مِنَ الْأَحْوالِ لُؤْمٌ[4].

---

(1) سنن أبي داود: 2/ 89، الدعاء للطبراني: 395، علل الدارقطني: 10/ 142، الإحياء: 2/ 186.

(2) الإحياء: 2/ 186، تخريج أحاديث الإحياء: 644.

(3) المصدر نفسه: 2/ 186، المصدر نفسه: 644.

(4) الإحياء: 2/ 186-187.

قالَ الشَّاعِرُ: [البسيط]

إنَّ الْكِرام إذا ما أَسْهَلُوا ذَكَرُوا   مَنْ كانَ يَأْلَفُهُمْ بِالْمَنْزِلِ الْخَشِنِ[1]

وَمِنْ آثارِ الْإِخْلاصِ، وَتَمامِ الْوَفاءِ، أَنْ يَشْتَدَّ جَزَعُهُ مِنَ الْمُفارَقَةِ نُفورَ الطَّبْعِ من أَسْبابِها، وَأَنْ لا يَسْمَعَ بَلاغاتِ النَّاسِ على صَديقِهِ، سِيَّما مَنْ يُظْهِرُ أَوَّلًا أَنَّهُ صَديقُهُ، وَيَنْقُلُ عَنْهُ ما يوغِرُ الصَّدْرَ، فَذَلِكَ مِنْ دَقائِقِ الْحِيَلِ في التَّقْرِيبِ[2]، وَمِنَ الْوَفاءِ: أَنْ لا يُصادِقَ عَدُوَّ صَدِيقِهِ.

الثَّامِنُ: التَّخْفِيفُ وَتَرْكُ التَّكَلُّفِ والتَّكْلِيفِ بِأَنْ لا يُكَلِّفَ على أَخيهِ ما يَشُقُّ عَلَيْهِ، بَلْ يُرَوِّحُ سِرَّهُ عن مُهِمَّاتِهِ وَحاجاتِهِ، وَيُرَفِّهُهُ عن تَحَمُّلِهِ شَيْئًا من أَعْبائِهِ، ولا يَسْتَمِدُّ مِنْهُ مِنْ جاهٍ وَمالٍ، ولا يُكَلِّفُهُ التَّواضُعَ له، وَالتَّفَقُّدَ وَالْقِيامَ بِحُقوقِهِ، بل لا يَقْصِدُ بِمَحَبَّتِهِ إِلَّا اللهَ تعالى، تبَرُّكًا بِدُعائِهِ، وَاسْتِئْناسًا بِلِقائِهِ، وَاسْتِعانَةً به على دينِهِ، وَتَقَرُّبًا إلى الله بِالْقِيامِ بِحُقوقِهِ، وَبِحَمْلِ مُؤْنَتِهِ[3].

وَتَمامُ التَّخْفيفِ على بِساطِ التَّكْلِيفِ أَنْ لا يَسْتَحْيِي مِنْهُ فيما لا يَسْتَحْيِي عن نَفْسِهِ، ولا يَعْتَرِضَ[4] في نَوَافِلِ الْعِباداتِ، وَيُشاوِرَ في كُلِّ ما يَقْصِدُهُ، وَيَقْبَلَ إِشارَتَهُ، ولا يُخْفِيَ عَنْهُ شَيْئًا مِنْ أَسْرارِهِ، وَيَرَى نَفْسَهُ دونَ أَخِيهِ، وَيُحْسِنَ الظَّنَّ

---

(1) أيسروا ذكروا، في قونية. البيت لأبي تمام ينظر معجم الأدباء: 1/ 83، ونسب لدعبل الخزاعي في عيون الأخبار: 3/ 20، والحماسة البصرية: 2/ 3، ونسب في ووفيات الأعيان: 1/ 46 للصولي، ونسب لابن العميد في المحمدون من الشعراء: 251.

(2) التعريف، في قونية. التضريب، في أنطاليا.

(3) مؤنه، في أنطاليا.

(4) يتعرض، في رئيس الكتاب.

بِهِ، وَيُسيءَ بِنفْسِهِ، فإذا رَآهُ خَيْرًا مِنْ نَفْسِهِ فَعِنْدَ ذلِكَ يَكونُ هُوَ خَيْرًا مِنْهُ. وَتُنْزِلَ نَفْسَكَ مَنْزِلَةَ الْخادِمِ لَهُمْ، فَتَخْدُمَهُمْ بِجَميعِ جَوارِحِكَ؛ أَمَّا الْبَصَرُ، فَتَنْظُرَ به إِلَيْهِمْ نَظَرَ الْمَوَدَّةِ يَعْرِفونَهَا مِنْكَ، وَتَنْظُرَ إلى مَحاسِنِهِمْ، وَتَتَعامَى عن عُيوبِهِمْ، ولا تَصْرِفْ بَصَرَكَ عَنْهُمْ في وَقْتِ إِقْبالِهِمْ عَلَيْكَ، وَكَلامِهِمْ مَعَكَ؛ وَأَمَّا السَّمْعُ، فَأَنْ تَسْمَعَ كَلامَهُمْ مُتَلَذِّذًا بِسَماعِهِ، وَمُصَدِّقًا به، وَمُظْهِرًا لِلاِسْتِبْشارِ فيه.

ولا تَقْطَعْ حَديثَهُمْ عليهِ بِمُرَادَّةٍ وَمُنازَعَةٍ، وَمُداخَلَةٍ وَإِعْراضٍ، فَإِنْ أَرْهَقَكَ عارِضٌ اعْتَذَرْتَ إِلَيْهِمْ، وَتَحْرُسُ سَمْعَكَ عَنْ سَماعِ ما يَكْرَهونَهُ؛ وَأَمَّا اللِّسانُ، أنْ لا تَرْفَعَ صَوْتَكَ عَلَيْهِمْ، ولا تُخاطِبَهُمْ إلَّا بما يَفْهَمونَ، وَقَدْ مَرَّ باقِي حُقوقِهِ؛ وَأَمَّا الْيَدانِ، فَأَنْ لا تَقْبِضَهُما عن مَعونَتِهِمْ في كُلِّ ما يُتَعاطَى بِالْيَدِ؛ وَأَمَّا الرِّجْلانِ، فَأَنْ تَمْشِيَ وَراءَهُمْ مَشْيَ الْأَتْباعِ لا مَشْيَ الْمَتْبوعِينَ، وَلَا يَتَقَدَّمُهُمْ إلَّا بِقَدْرِ ما يُقَدِّمونَهُ، ولا يَقْرُبَ مِنْهُمْ إلَّا بِقَدْرِ ما يُقَرِّبونَهُ، وَيَقومَ لهم إذا أَقْبَلُوا، ولا يَقْعُدَ إلَّا بِقُعودِهِمْ، وَيَقْعُدَ حَيْثُ يَقْعُدُ مُتَواضِعًا. وَمَهْما تَمَّ الْإِخاءُ خَفَّتْ جُمْلَةٌ مِنَ هذِهِ الْحُقوقِ؛ مِثْلَ الْقِيامِ وَالاِعْتِذارِ وَالثَّناءِ، فَإِنَّها مِنْ حُقوقِ الصُّحْبَةِ، وَفِي ضِمْنِها نَوْعٌ مِنَ الْأَجْنَبِيَّةِ وَالتَّكَلُّفِ. فإذا تَمَّ الاِتِّحادُ، انْطَوَى بِساطُ التَّكَلُّفِ بِالْكُلِّيَّةِ، فَلَا يَسْلُكُ فيه إِلَّا مَسْلَكَ نَفْسِهِ، وَمَهْما صَفَتِ الْقُلوبُ اسْتُغْنِيَ عن تَكَلُّفِ إِظْهارِ ما فيها[1].

---

(1) الإحياء: 2/ 187- 191.

الْمَطْلَبُ الْخامِسُ: في جُمَلٍ مِنْ آدابِ الْمُجالَسَةِ مَعَ أَصْنافِ الْخَلْقِ مُلْتَقَطَةٍ مِنْ كَلامِ بَعْضِ الْحُكَماءِ

إنْ أَرَدْتَ حُسْنَ الْمَعيشَةِ فَالْقَ صَديقَكَ وَعَدُوَّكَ بِوَجْهِ الرِّضا، مِنْ غَيْرِ ذِلَّةٍ له، ولا هَيْبَةٍ مِنْهُمْ، وَتَوَقُّرٍ[1] في غَيْرِ كِبْرٍ، وَتَواضُعٍ في غَيْرِ مَذَلَّةٍ، وكُنْ مِنْ جَميعِ أُمورِكَ في أَوْسَطِها[2]، فَكِلَا طَرَفَيْ قَصْدِ الْأُمورِ ذَميمٌ.

ولا تَنْظُرْ في عِطْفَيْكَ، ولا تُكْثِرِ الْإِلْتِفاتَ، وَلا تَقِفْ على الْجَماعاتِ، وإذا جَلَسْتَ فلا تَسْتَوْفِزْ، وَتَحَفَّظْ مِنْ تَشْبيكِ أَصابِعِكَ، وَالْعَبَثِ بِلِحْيَتِكَ وَخاتَمِكَ، وَتَخْليلِ أَسْنانِكَ، وَإِدْخالِ إِصْبَعِكَ في أَنْفِكَ، وَكَثْرَةِ بُصاقِكَ وتَنَخُّمِكَ، وَطَرْدِ الذُّبابِ عن وَجْهِكَ، وَكَثْرَةِ التَّمَطِّي والتَّثاؤُبِ في وُجوهِ النَّاسِ وفي الصَّلَواتِ وغَيْرِها.

وَلْيَكُنْ مَجْلِسُكَ هادِئًا، وَحَديثُكَ مَنْظومًا مُرَتَّبًا، وَأَصْغِ إلى الْكَلامِ الْحَسَنِ مِمَّنْ حَدَّثَكَ مِنْ غَيْرِ إِظْهارِ تَعَجُّبٍ مُفْرِطٍ، ولا تَسْأَلْهُ إِعادَتَهُ، وَاسْكُتْ عن الْمَضاحِكِ من الْحِكاياتِ. ولا تُحَدِّثْ عن إِعْجابِكَ بِوَلَدِكَ وَجارِيَتِكَ وَشِعْرِكَ وتَصْنيفِكَ وَسائِرِ ما يَخُصُّكَ.

ولا تُفْرِطْ في الزِّينَةِ كَالْمَرْأَةِ، ولا تتبَذَّلْ كَالْعَبيدِ، وَتَوَقَّ كَثْرَةَ الْكُحْلِ، وَالْإِسْرافَ في الدُّهْنِ.

---

(1) وتوفر، في قونية. وتوقير، في أنطاليا.

(2) أوساطها، في رئيس الكتاب.

ولا تُلِحَّ في الْحاجاتِ، ولا تُشَجِّعْ أَحَدًا على الظُّلْمِ، ولا تُعْلِمْ وَلَدَكَ وَأَهْلَكَ فَضْلًا عن غَيْرِهِمْ مِقْدارَ مالِكَ، فإِنَّهُمْ إِنْ رَأَوْهُ قليلًا هُنْتَ عَلَيْهِمْ، وإِنْ كانَ كَثيرًا لا تَبْلُغُ قَطُّ رِضاهُمْ، واجْفُهُمْ مِنْ غَيْرِ عُنْفٍ، وَلِنْ لَهُمْ مِنْ غَيْرِ ضُعْفٍ، ولا تُهازِلْ أَمَتَكَ ولا عَبْدَكَ فَيَسْقُطَ وَقارُكَ.

وإذا خاصَمْتَ فتَوَقَّرْ، وَتَحَفَّظْ مِنْ جَهْلِكَ، وَتَجَنَّبْ عَجَلَتَكَ، وَتفَكَّرْ في حُجَّتِكَ، ولا تُكْثِرِ الْإِشارَةَ بِيَدِكَ، ولا تُكْثِرِ الاِلْتِفاتَ إلى مَنْ وَراءَكَ، ولا تَجْثُ على رُكْبَتِكَ، وإذا هَدَأَ غَضَبُكَ فتكَلَّمْ[1].

وإنْ قَرَّبَكَ سُلْطانٌ فَكُنْ منه على حَدِّ السِّنانِ، وإِنِ اسْتَرْسَلَ إِلَيْكَ فلا تَأْمَنِ انْقِلابَهُ عَلَيْكَ، وَارْفُقْ به رِفْقَكَ بِالصَّبِيِّ، وَكَلِّمْهُ بما يَشْتَهِيهِ، ولا يَحْمِلَنَّكَ لُطْفُهُ بِكَ إلى أَنْ تَدْخُلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَحَشَمِهِ، فَإِنَّ سَقْطَةَ مَنْ هذا دَأْبُهُ لا تُنْعِشُ[2]، وَزَلَّتَهُ[3] لا تُقالُ.

وَاتْرُكِ الْغِيبَةَ وَالْكَذِبَ، وَاحْفَظِ السِّرَّ، وَأَقْلِلِ الْحَوائِجَ، وَهَذِّبِ الْأَلْفاظَ، وَالْإِعْرابُ في الْخِطابِ أَحْسَنُ، وَذاكِرْ بِأَخْلاقِ الْمُلوكِ، وَأَقْلِلِ الْمُداعَبَةَ وَأَكْثِرِ الْحَذَرَ مِنْهُمْ وإنْ ظَهَرَتِ الْمَوَدَّةُ، ولا تَتَجَشَّأْ بِحَضْرَتِهِ، ولا تَتَخَلَّلْ بعد

---

(1) الإحياء: 2/ 192.

(2) تنعس، في قونية ورئيس الكتاب.

(3) وزلة، في قونية ورئيس الكتاب وأنطاليا. وفي الإحياء 2/ 192: "فإن سقطة الداخل بين الملك وبين أهله سقطة لا تنعش، وزلة لا تقال".

الْأَكْلِ عِنْدَهُ، وعلى الْمَلِكِ أنْ يَتَحَمَّلَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا إِفْشاءَ السِّرِّ، وَالْقَدْحَ فِي الْمَلِكِ[1]، وَالتَّعَرُّضَ لِلْحُرَمِ.

وَإِيَّاكَ وَصَديقَ الْعافِيَةِ فإِنَّهُ أَعْدَى الْأَعْداءِ، ولا تَجْعَلْ مالَكَ أَكْرَمَ مِنْ عِرْضِكَ، وإذا دَخَلْتَ مَجْلِسًا فَابْدَأْ بِالتَّسْليمِ، ولا تَتَخَطَّ لِمَنْ سَبَقَ، وَالْجُلوسُ حَيْثُ اتَّسَعَ، وحَيْثُ تَكونُ أَقْرَبَ إلى التَّواضُعِ أَوْلَى.

وَالْأَدَبُ أنْ تُحَيِّي بِالسَّلامِ مَنْ قَرُبْتَ مِنْهُ عند الْجُلوسِ، ولا تَجْلِسْ على الطَّرِيقِ فإِنْ وَقَعَ فَغُضَّ الْبَصَرَ، وَانْصُرِ الْمَظْلومَ، وَأَغِثِ الْمَلْهوفَ، وَأَعِنِ الضَّعيفَ، وَأَرْشِدِ الضَّالَّ، وَرُدَّ السَّلامَ، وَأَعْطِ السَّائِلَ، وَامُرْ بِالْمَعْروفِ، وانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ، ولا تَبْصُقْ في جِهَةِ الْقِبْلَةِ، ولا عن يَمِينِكَ، وَلكِنْ عَنْ يَسارِكَ، أو تَحْتَ قَدَمِكَ الْيُسْرَى.

ولا تُجالِسِ الْعامَّةَ، فإِنْ فَعَلْتَ فَأَدَبُهُمْ تَرْكُ الْخَوْضِ في حَديثِهِمْ، وَقِلَّةُ الْإِصْغاءِ إلى أَراجِيفِهِمْ، وَالتَّغافُلُ عَمَّا يَجْرِي مِنْ سوءِ أَلْفاظِهِمْ، وَقِلَّةُ اللِّقاءِ لَهُمْ مع الْحاجَةِ إِلَيْهِمْ[2].

وَإِيَّاكَ أنْ تُمازِحَ لَبِيبًا أو غَيْرَ لَبِيبٍ، فإِنَّ اللَّبِيبَ يَحْقِدُ عَلَيْكَ، وَالسَّفِيهَ يَجْتَرِئُ عَلَيْكَ، لِأَنَّ الْمُزاحَ يَخْرِقُ الْهَيْبَةَ، وَيُذْهِبُ ماءَ الْوَجْهِ، وَيُعْقِبُ الْحِقْدَ، وَيَذْهَبُ بِحَلاوَةِ الْوُدِّ، وَيَشِينُ فِقْهَ الْفَقيهِ، وَيُجَرِّئُ السَّفِيهَ، وَيُسْقِطُ

---

(1) للملك، في قونية.

(2) الإحياء: 2/ 192.

الْمَنْزِلَةَ عِنْدَ الْحَكِيمِ، وَيَمْقُتُهُ الْمُتَّقُونَ، وَيُمِيتُ الْقَلْبَ، وَيُبَاعِدُ عن الرَّبِّ، وَيُكْسِبُ الْغَفْلَةَ، وَيورِثُ الذِّلَّةَ[1]، وَبِهِ تُظْلِمُ السَّرائِرُ، وَتَموتُ الْخَواطِرُ، وَبِهِ تَكْثُرُ الْعُيوبُ، وَيَتَبَيَّنُ الْغُيوبُ.

وَقيلَ: لا يُكْثِرُ الْمُزاحَ إلَّا مَنْ سَخُفَ أو بَطِرَ، وَمَنْ بُلِيَ في مَجْلِسٍ بِمُزاحٍ فَلْيَقُلْ قَبْلَ أنْ يَقومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: «سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أنْ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتوبُ إِلَيْكَ»؛ قالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ: «مَنْ قالَهُ قَبْلَ أَنْ يَقومَ مِنْ مَجْلِسِهِ غُفِرَ له ما كانَ في مَجْلِسِهِ ذَلِكَ»[2].

(1) الزلة، في قونية ومراد ملا.

(2) سنن الترمذي: 5/ 131، السنن الكبرى للنسائي: 9/ 153، الضعفاء الكبير للعقيلي: 2/ 155، صحيح ابن حبان: 1/ 390، المستدرك للحاكم: 1/ 720، والنقل من الإحياء: 2/ 192-193.

الْمَطْلَبُ السَّادِسُ: في حَقِّ الْمُسْلِمِ والرَّحِمِ وَالْجِوارِ وَالْمِلْكِ

وَأَخَصُّ الْمُخالَطَةِ الْقَرابَةُ، وَذُو الرَّحِمِ الْمُحَرَّمِ آكَدُ، وَمِنْهُمْ حَقُّ الْوالِدَيْنِ آكَدُ.

وَحَقُّ الصُّحْبَةِ لها دَرَجاتٌ، الصُّحْبَةُ في الدَّرْسِ وَالْمَكْتَبِ آكَدُ، ثُمَّ صُحْبَةُ السَّفَرِ وَالصَّداقَةِ إذا قَوِيَتْ صارَتْ أُخُوَّةً، فإنْ زادَتْ صارَتْ مَحَبَّةً، فإنْ زادَتْ صارَتْ خُلَّةً. وَالْمَحَبَّةُ ما يَتَمَكَّنُ مِنْ حُبِّهِ الْقَلْبُ، والْخُلَّةُ ما يَتَخَلَّلُ الْقَلْبَ.

حُقوقُ الْمُسْلِمِ: أنْ تُسَلِّمَ عليه إذا لَقِيتَهُ، وَتُجيبَهُ إذا دَعاكَ، وَتُشَمِّتَهُ إذا عَطَسَ، وَتعودَهُ إذا مَرِضَ، وَتَشْهَدَ جَنازَتَهُ إذا ماتَ، وَتبَرَّ قَسَمَهُ إذا أَقْسَمَ عليه، وَتَنْصَحَ له إذا اسْتَنْصَحَكَ، وَتَحْفَظَهُ بِظَهْرِ الْغَيْبِ إذا غابَ، وَتُحِبَّ له ما تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَتَكْرَهَ له ما تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ. وَرَدَ في جَمِيعِ ذَلِكَ أَخْبارٌ وَآثارٌ[1].

ولا يُؤْذِيَ أَحَدًا بِفِعْلٍ وَقَوْلٍ، وَيَتَواضَعَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ، ولا يَتَكَبَّرَ عَلَيْهِمْ، ولا يُبَلِّغَ بَعْضَهُمْ ما يَسْمَعُ مِنْ بَعْضٍ، ولا يَزِيدَ في الْهَجْرِ على ثَلاثَةِ أَيَّامٍ، وَيُحْسِنَ إلى كُلِّ مَنْ قَدَرَ على الْإِحْسانِ إِلَيْهِ مِنْهُمْ ما اسْتَطاعَ، ولا يُمَيِّزَ بَيْنَ الْأَهْلِ وَغَيْرِ الْأَهْلِ، ولا يَدْخُلَ على أَحَدٍ مِنْهُمْ إلَّا بِإِذْنِهِ، بل يَسْتَأْذِنُ ثَلاثًا، فإنْ لم يُؤْذَنْ له انْصَرَفَ، وَيُخالِقَ الْجَميعَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ، وَيُعامِلَهُمْ بِحُسْنِ طَرِيقَتِهِ، فإِنَّهُ إنْ أَرادَ لِقاءَ الْجاهِلِ بِالْعِلْمِ، وَالْعامِيِّ بِالْفِقْهِ، وَالْغَبِيِّ بِالْبَيانِ[2]،

---

(1) الإحياء: 2/ 192-196.

(2) والغني باليسار، في قونية ورئيس الكتاب ومراد ملا، وهو تصحيف لما ورد في الإحياء: 2/ 192: "وَالْغَبِيِّ بِالْبَيانِ"، وقد رجحنا ما ورد في نسخة أنطاليا لأنه أقرب للصواب وإن كان هو كذلك صحف الكلمة الأولى.

آذَى وَتَأَذَّى، وَيُوَقِّرَ الْمَشايِخَ، وَيَرْحَمَ الصِّبْيانَ؛ وَمِنْ تَمامِ تَوْقِيرِ الْمَشايِخِ أنْ لا يَتكَلَّمَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ إلَّا بِإِذْنٍ، وَفِي الْخَبَرِ: «ما وَقَّرَ شابٌّ شَيْخًا إلَّا قَيَّضَ اللهُ له في سِنِّهِ مَنْ يُوَقِّرُهُ»[1]؛ وفي هذا إشارَةٌ إلى دَوامِ الْحَياةِ فَلْيُتَنَبَّهْ له، فلا يُوَفَّقُ لِتَوْقِيرِ الشُّيوخِ إلَّا مَنْ قُضِيَ له بِطولُ الْعُمُرِ.

وَيَكونَ مَعَ كافَّةِ الْخَلْقِ مُسْتَبْشِرًا، طَلْقَ الْوَجْهِ، رَفيقًا، ولا يَعِدَ مُسْلِمًا بِوَعْدٍ إلَّا وَيَفِي به، وَأَنْ يُنْصِفَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ، ولا يَأْتِيَ إلَيْهِمْ إلَّا بِمَا[2] يُحِبُّ أنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ، وَأَنْ يَزيدَ في تَوْقِيرِ مَنْ تَدُلُّ هَيْئَتُهُ وَثِيابُهُ على عُلُوِّ مَنْزِلَتِهِ، فَيُنْزِلَ النَّاسَ مَنازِلَهُمْ، وَأَنْ يُصْلِحَ ذاتَ الْبَيْنِ بَيْنَ الْمُسْلِمينَ مَهْما وَجَدَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، وَأَنْ يَسْتُرَ عَوْراتِ الْمُسْلِمينَ كُلِّهِمْ حَتَّى الْحُدودَ، كَمَا قالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ لِماعِزٍ لَمَّا أَخْبَرَهُ: «لَوْ سَتَرْتَهُ بِثَوْبِكَ كانَ خَيْرًا لَكَ»[3].

وَقالَ أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: «لو رَأَيْتُ أَحَدًا على حَدٍّ مِنْ حُدودِ اللهِ ما أَخَذْتُهُ ولا دَعَوْتُ له أَحَدًا حَتَّى يَكونَ مَعِي غَيْرِي»[4].

وَيَنْبَغِي أَنْ يَتَّقِيَ مَواضِعَ التُّهَمِ صِيانَةً لِقُلوبِ النَّاسِ عن سوءِ الظَّنِّ، وَلِأَلْسِنَتِهِمْ عن الْغِيبَةِ، فَإِنَّهُمْ إذا عَصَوا اللهَ بِذِكْرِهِ، وَكانَ هُوَ السَّبَبَ فيه، كانَ شَرِيكًا[5].

---

(1) مكارم الأخلاق للطبراني: 367، تاريخ أصبهان: 2/ 155، الإحياء: 2/ 196، المقاصد الحسنة: 572.

(2) إلا ما، في قونية ورئيس الكتاب.

(3) مسند ابن أبي شيبة: 2/ 161، مسند أحمد: 36/ 218، سنن أبي داود: 4/ 134.

(4) مكارم الأخلاق للخرائطي: 147، السنن الكبرى للبيهقي: 20/ 427، الإحياء: 2/ 201.

(5) الإحياء: 2/ 197-201.

وَأَنْ يَشْفَعَ لِكُلِّ مَنْ له حاجَةٌ مِنَ الْمُسْلِمينَ عِنْدَ مَنْ له مَنْزِلَةٌ عِنْدَهُ، فَيَسْعَى في قَضاءِ حاجَتِهِ بما يَقْدِرُ عليه، وَأَنْ يَبْدَأَ كُلَّ مُسْلِمٍ بِالسَّلامِ قَبْلَ الْكَلامِ، وَيُصافِحَهُ عِنْدَ السَّلامِ، وَأَنْ يَصونَ عِرْضَ أَخيهِ الْمُسْلِمِ وَنَفْسَهُ وَمالَهُ عن ظُلْمِ غَيْرِهِ مَهْمَا قَدَرَ، وَيَرُدَّ عنه، وَيُناضِلَ دونَهُ وَيَنْصُرَهُ، وأن يُشَمِّتَ الْعاطِسَ ثَلاثًا، وإذا زادَ فَهُوَ زُكامٌ، يَقولُ الْعاطِسُ: «الْحَمْدُ للهِ على كُلِّ حالٍ، وَيَقولُ الَّذِي يُشَمِّتُهُ: يَرْحَمُكُمُ اللهُ، وَيَرُدُّ الْعاطِسُ فَيَقولُ: يَهْدِيكُمُ اللهُ وَيُصْلِحُ بالَكُمْ»[1].

وَأَيْضًا إذا بُلِيَ بِذِي شَرٍّ، يَنْبَغِي أَنْ يُجامِلَهُ وَيَتَّقِيَهِ، وأَنْ يَتَجَنَّبَ مُخالَطَةَ الْأَغْنِياءِ، وَيَخْتَلِطَ بِالْمَساكِينِ، وَيُحْسِنَ إلى الْأَيْتامِ، وَيَفْعَلَ النَّصِيحَةَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ، وَالْجُهْدَ فِي إِدْخالِ السُّرورِ على قَلْبِهِ.

قالَ مَعْروفٌ الْكَرْخِيُّ، مَنْ قالَ كُلَّ يَوْمٍ ثَلاثَ مَرَّاتٍ: اللَّهُمَّ أَصْلِحْ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، اللَّهُمَّ فَرِّجْ عَنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ، كَتَبَهُ اللهُ مِنَ الْأَبْدالِ[2].

وَيَنْبَغِي أَنْ يَعُودَ مَرْضاهُمْ، وَالْمَعْرِفَةُ وَالْإِسْلامُ كافٍ في إِثْباتِ هذا الْحَقِّ، وَنَيْلِ فَضْلِهِ. وَأَدَبُ الْعائِدِ: خِفَّةُ الْجَلْسَةِ، وَقِلَّةُ السُّؤالِ، وَإِظْهارُ الرِّقَّةِ، وَالدُّعاءُ بِالْعافِيَةِ، وَغَضُّ الْبَصَرِ عَنْ عَوْراتِ الْمَوْضِعِ. وَأَدَبُهُ عِنْدَ الِاسْتِئْذانِ أَنْ لا يُقابِلَ الْبابَ، وَيَدُقَّ بِرِفْقٍ، ولا يَقولَ: أَنا، إذا قِيلَ: مَنْ، ولا يَقُلْ: يا

(1) صحيح البخاري: 8/ 49، رقم: 6224.

(2) الإحياء: 2/ 208.

غُلامُ، لَكِنْ يَحْمَدُ وَيُسَبِّحُ. وَفي الْحَديثِ: «تَمامُ عِيادَةِ الْمَريضِ أَنْ يَضَعَ أَحَدُكُمْ يَدَهُ على جَبْهَتِهِ، أو على يَدِهِ، وَيَسْأَلَهُ كَيْفَ هُوَ»[1].

قالَ عُثْمانُ رَضِيَ الله عنه: مَرِضْتُ فَعادَنِي رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ فَقالَ: «بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحيمِ، أُعِيذُكَ بِاللهِ الْأَحَدِ الصَّمَدِ، الَّذِي لم يَلِدْ ولم يُولَدْ، ولم يَكُنْ له كُفُوًا أَحَدٌ مِنْ شَرِّ ما تَجِدُ»[2]. قالَهُ مِرارًا.

وَدَخَلَ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ على عَلِيٍّ رَضِيَ الله عنه وَهُوَ مَريضٌ، فَقالَ له: «قُلْ: اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ تَعْجيلَ عافِيَتِكَ، أَوْ صَبْرًا[3] على بَلِيَّتِكَ، أو خُروجًا مِنَ الدُّنْيا إلى رَحْمَتِكَ»[4]. فإنَّكَ سَتُعْطَى إِحْداهُنَّ. وَيُسْتَحَبُّ لِلْعَليلِ أَيْضًا أَنْ يَقولَ: «أَعوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ ما أَجِدُ»[5].

وَقالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إذا اشْتَكَى أَحَدُكُمْ بَطْنَهُ فَلْيَسْأَلِ امْرَأَتَهُ شَيْئًا مِنْ صَداقِها، فَيَشْتَرِي به عَسَلًا فَيَشْرَبُهُ بِماءِ السَّماءِ، فَيُجْمَعُ له الْهَنِيءُ الْمَرِيءُ وَالشِّفاءُ الْمُبارَكُ»[6].

---

(1) مسند أحمد: 36/ 572، سنن الترمذي: 4/ 449، شعب الإيمان: 6/ 539، والنقل من الإحياء: 2/ 209.

(2) المرض والكفارات لابن أبي الدنيا: 153، الضعفاء الكبير للعقيلي: 2/ 8، الإحياء: 2/ 209.

(3) وصبرا، في قونية وأنطاليا.

(4) المرض والكفارات لابن أبي الدنيا: 40، صحيح ابن حبان: 1/ 386، المعجم الأوسط للطبراني: 1/ 293، المستدرك للحاكم: 1/ 703، الإحياء: 2/ 209.

(5) موطأ مالك رواية يحيى: 5/ 1379، مسند الطيالسي: 2/ 251، مسند أحمد: 26/ 196، سنن ابن ماجه: 2/ 1163، سنن أبي داود: 4/ 11، الإحياء: 2/ 209.

(6) مصنف ابن أبي شيبة: 5/ 59، تفسير القرآن للسمعاني التميمي: 1/ 397، الإحياء: 2/ 209، تيسير البيان لأحكام القرآن: 2/ 231.

وَآدابُ الْمَريضِ: حُسْنُ الصَّبْرِ، وَقِلَّةُ الشَّكْوَى وَالضَّجَرِ، وَالْفَزَعُ إلى الدُّعاءِ، وَالتَّوَكُّلُ بَعْدَ الدُّعاءِ على خالِقِ الدَّواءِ.

قالَ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ: «يا أبا هُرَيْرَةَ، أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَمْرٍ هُوَ حَقٌّ، مَنْ تَكَلَّمَ به فِي أَوَّلِ مَضْجَعِهِ مِنْ مَرَضِهِ نَجَّاهُ اللهُ مِنَ النَّارِ، قُلْتُ: بَلَى يا رَسولَ اللهِ، قالَ: تَقولُ: لا إِلَهَ إلَّا اللهُ، يُحْيِي وَيُميتُ، وهو حَيٌّ لا يَموتُ، سُبْحانَ رَبِّ الْعِبادِ والْبِلادِ، وَالْحَمْدُ لله كَثيرًا طَيِّبًا مُبارَكًا فيه على كُلِّ حالٍ، اللهُ أَكْبَرُ، كِبْرِياءُ رَبِّنَا وجَلالُهُ وَقُدْرَتُهُ بِكُلِّ مَكانٍ، اللَّهُمَّ إنْ أَنْتَ أَمْرَضْتَنِي لِتَقْبِضَ روحِي في مَرَضِي هذا فَاجْعَلْ روحِي في أَرْواحِ مَنْ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْكَ الْحُسْنَى، وَباعِدْنِي مِنَ النَّارِ كما باعَدْتَ أَوْلِياءَكَ الَّذينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْكَ الْحُسْنَى»[1].

وَمِنَ الْآدابِ: أنْ يُشَيِّعَ جَنائِزَهُمْ، وأنْ يَزورَ قُبورَهُمْ. وَالْمَقْصودُ الدُّعاءُ وَالاِعْتِبارُ وَتَرْقيقُ الْقَلْبِ.

وَأَدَبُ الْمُعَزِّي: خَفْضُ الْجَناحِ، وَإِظْهارُ الْحُزْنِ، وَقِلَّةُ الْحَديثِ، وَتَرْكُ التَّبَسُّمِ.

وَأَدَبُ تَشْييعِ الْجَنازَةِ: دَوامُ الْخُشوعِ، وَتَرْكُ الْحَديثِ، وَمُلاحَظَةُ الْمَيِّتِ، وَالتَّذَكُّرُ في الْمَوْتِ، وَالاِسْتِعْدادُ له، وَأَنْ يَمْشِيَ أَمامَ الْجَنازَةِ بِقُرْبِهَا، وَالْإِسْراعُ بها.

---

(1) عمل اليوم والليلة لابن السُّنِّي: 499، الإحياء: 2/ 210، الترغيب والترهيب: 4/ 324.

وَجُمْلَةُ الْكَلامِ: أنْ لا تَسْتَصْغِرَ أَحَدًا مِنْهُمْ حَيًّا كانَ أو مَيِّتًا فَتَهْلِكَ، لِأَنَّكَ لا تَدْرِي لَعَلَّهُ خَيْرٌ مِنْكَ، وَإِنْ كانَ فاسِقًا فَلَعَلَّهُ يَخْتِمُ بِالصَّلاحِ، وَتَخْتِمُ أَنْتَ بِمِثْلِ حالِهِ، ولا تَنْظُرْ إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ التَّعْظِيمِ في دُنْياهُمْ، فإِنَّ الدُّنْيَا صَغِيرَةٌ عِنْدَ اللهِ، وإذا عَظُمَتْ تَسْتَحِقُّ الْمَقْتَ، ولا تَبْذُلْ دِينَكَ لِدُنْياهُمْ فَتَصْغُرَ في أَعْيُنِهِمْ، ثُمَّ تُحْرَمَ دُنْياهُمْ، فَإِنْ لم تُحْرَمْ كُنْتَ قَدِ اسْتَبْدَلْتَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ، ولا تَطْمَعْ فيما في أَيْدِيهِمْ فَتَسْتَعْجِلَ الذُّلَّ، ولا تَنَالَ الْغَرَضَ، ولا تَطْمَعْ أن يَكونُوا لَكَ في الْغَيْبِ وَالسِّرِّ كما في الْعَلانِيَةِ، فَذَلِكَ طَمَعٌ كاذِبٌ، وَأَنَّى تَظْفَرُ به، ولا تَتَكَبَّرْ عَلَيْهِمْ لِاسْتِغْنائِكَ عَنْهُمْ، فإِنَّ اللهَ يُلْجِئُكَ[1] إِلَيْهِمْ عُقوبَةً على فِعْلِكَ، وإذا قَضَى أَحَدٌ حاجَتَكَ فَهُوَ أَخٌ مُسْتَفادٌ، فإِنْ لم يَقْضِ فلا تُعاتِبْهُ فَيَصِيرَ عَدُوًّا، ثُمَّ إِنَّكَ لا تَقْدِرُ مُقَاسَاتَهُ[2].

وَلا تَشْتَغِلْ بِوَعْظِ مَنْ لا تَرَى فيه مَخايِلَ الْقَبولِ، فلا يَسْمَعُ مِنْكَ وَيُعادِيكَ، ولا تَعِظْ إِلَّا إِرْسالًا مِنْ غَيْرِ تَنْصِيصٍ عَلَى أَحَدٍ، وإذا رَأَيْتَ مِنْهُمْ خَيْرًا فَاشْكُرِ اللهَ الَّذِي سَخَّرَهُمْ لَكَ، وَاسْتَعِذْ باللهِ أنْ يَكِلَكَ إِلَيْهِمْ، وإذا رَأَيْتَ شَرًّا، أو بَلَغَكَ منهم غِيبَةٌ، أو أَصابَكَ منهم ما يَسوءُكَ، فَكِلْ أَمْرَهُمْ إلى اللهِ، وَاسْتَعِذْ باللهِ مِنْ شَرِّهِمْ، ولا تَشْتَغِلْ بِالْمُكافَأَةِ فَيَزِيدَ الضَّرَرُ، وَيَضيعَ الْعُمُرُ، وَلا تَقُلْ لهم: لِمَ لا تَعْرِفونَ أَمْرِي وَمَوْضِعِي، وَاعْتَقِدْ أَنَّكَ لو اسْتَحْقَقْتَ ذَلِكَ لَجَعَلَ

(1) ملجئك، في رئيس الكتاب.

(2) الإحياء: 2/ 210-211.

اللهُ لَكَ مَوْضِعًا في قُلوبِهِمْ، فَاللهُ الْمُحَبِّبُ وَالْمُبَغِّضُ إلى الْقُلوبِ، وَكُنْ سَميعًا لِحَقِّهِمْ، أَصَمَّ عن باطِلِهِمْ، نَطوقًا بِحَقِّهِمْ، صَموتًا عن باطِلِهِمْ.

وَاحْذَرْ صُحْبَةَ أَكْثَرِ النَّاسِ، فَإِنَّهُمْ إنْ صَحِبوكَ لا يُقيلونَ الْعَثْرَةَ، ولا يَغْفِرونَ الزَّلَّةَ، ولا يَسْتُرونَ الْعَوْرَةَ، وَيُحاسِبونَ على النَّقيرِ[1] والْقِطْميرِ[2]، وَيَحْسُدونَ على الْقَليلِ وَالْكَثيرِ، يَنْتَصِفونَ ولا يُنْصِفونَ، وَيُؤاخِذونَ ولا يَعْفُونَ، يُعَيِّرونَ الإِخْوانَ بِالنَّميمَةِ وَالْبُهْتانِ، فَصُحْبَةُ أَكْثَرِهِمْ خُسْرانٌ، وَقَطِيعَتُهُمْ رُجْحانٌ، إنْ رَضُوا فَظاهِرُهُمُ الْمَلَقُ، وَإِنْ سَخِطُوا فَباطِنُهُمُ الْحَنَقُ، ظاهِرُهُمْ ثِيابٌ، وَباطِنُهُمْ ذِئابٌ، يَقْطَعونَ بِالظُّنونِ، وَيَتَغامَزونَ وَراءَكَ بِالْعُيونِ، وَيَتَرَبَّصونَ بِصَديقِهِمْ مِنَ الْحَسَدِ رَيْبَ الْمَنونِ، يُحْصونَ عَلَيْكَ الْعَثَراتِ في صُحْبَتِهِمْ لِيَجْبَهُوكَ بها في غَضَبِهِمْ وَوَحْشَتِهِمْ[3].

ولا تُعَوِّلْ على مَوَدَّةِ مَنْ لم تَخْبُرْهُ حَقَّ الْخِبْرَةِ، بِأَنْ تَصْحَبَهُ مُدَّةً في دارٍ، أو مَوْضِعٍ واحِدٍ، فَتُجَرِّبَهُ في عَزْلِهِ وَوِلايَتِهِ، وَغِناهُ وَفَقْرِهِ، وَتُسافِرَ معه، أو يُعامِلَكَ في الدِّينارِ وَالدِّرْهَمِ، أو تَقَعَ في شِدَّةٍ فَتَحْتاجَ إِلَيْهِ. فَإِنْ رَضِيتَهُ في هَذِهِ الْأَحْوالِ، فَاتَّخِذْهُ أَبًا لك إنْ كانَ كَبيرًا، أو ابْنًا إنْ كانَ صَغيرًا، أو أَخًا إنْ كانَ مِثْلَكَ[4].

---

(1) النَّقِيرُ: نُقْرَةٌ فِي ظَهْرِ النَّوَاةِ مِنْهَا تَنْبُتُ النَّخْلَةُ. اللسان: نقر.

(2) القِطْمِيرُ والقِطْمارُ: شَقُّ النَّوَاةِ. اللسان: قطمر.

(3) الإحياء: 2/ 211-212.

(4) المصدر نفسه: 2/ 212.

الْمَطْلَبُ السَّابِعُ: حُقوقُ الْجِوارِ

اِعْلَمْ أنَّ لِلْجِوارِ حَقًّا وَرَاءَ ما تَقْتَضِيهِ أُخُوَّةُ الْإِسْلامِ؛ وَفِي الْحَديثِ: «الْجارُ الْمُسْلِمُ ذو الرَّحِمِ له ثَلاثَةُ حُقوقٍ: حَقُّ الْجِوارِ، وَحَقُّ الْإِسْلامِ، وَحَقُّ الرَّحِمِ، وَالْجارُ الْمُسْلِمُ له حَقَّانِ: الْجِوارُ والْإِسْلامُ؛ وَالْجارُ الْكافِرُ له حَقٌّ واحِدٌ لِلْجِوارِ»(1).

وَلَيْسَ حَقُّ الْجِوارِ كَفَّ الْأَذَى فَقَطْ، بَلِ احْتِمالَ الْأَذَى، بل لا بُدَّ مِنَ الرِّفْقِ، وَإِسْداءِ الْخَيْرِ وَالْمَعْروفِ.

يُقالُ: إنَّ الْجارَ الْفَقِيرَ يَتَعَلَّقُ بِجارِهِ الْغَنِيِّ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَيَقولُ: يا رَبِّ سَلْ هذا لِمَ مَنَعَنِي مَعْروفَهُ، وَسَدَّ بابَهُ دونِي؟!

وَجُمْلَةُ حَقِّ الْجارِ، أنْ يَبْدَأَهُ بِالسَّلامِ، ولا يُطيلَ مَعَهُ الْكَلامَ، ولا يُكْثِرَ عن حالِهِ السُّؤالَ، وَيَعودَهُ في الْمَرَضِ، وَيُعَزِّيَهُ في الْمُصيبَةِ، وَيَقومَ مَعَهُ في الْعَزاءِ، وَيُهَنِّئَهُ في الْفَرَحِ، وَيُظْهِرَ الشِّرْكَةَ في السُّرورِ مَعَهُ، وَيَصْفَحَ عن زَلَّاتِهِ، ولا يَتَطَلَّعَ مِنَ السَّطْحِ إلى عَوْراتِهِ، ولا يُضايِقَهُ في وَضْعِ الْجِذْعِ على جِدارِهِ، ولا في مَصَبِّ الْماءِ مِنْ مِيزابِهِ، ولا في مَطْرَحِ التُّرابِ في فِنائِهِ، ولا يُضَيِّقَ طَرِيقَهُ إلى دارِهِ، ولا يُتْبِعَهُ بِالنَّظَرِ فيما يَحْمِلُهُ إلى دارِهِ، وَيَسْتُرَ ما يَنْكَشِفُ له مِنْ عَوْراتِهِ، وَيُعِينَهُ إذا نابَتْهُ نائِبَةٌ، ولا يَغْفُلَ عن تَعَهُّدِ دارِهِ عِنْدَ غَيْبَتِهِ، ولا يَتَسَمَّعَ

---

(1) مكارم الأخلاق للخرائطي: 94، مسند الشاميين للطبراني: 3/ 339، الكامل في ضعفاء الرجال: 6/ 292، شعب الإيمان: 12/ 105، الإحياء: 2/ 212.

عليه كَلامًا، وَيَغُضّ بَصَرَهُ عن حُرَمِهِ، ولا يُديمَ النَّظَرَ إلى خادِمِهِ، وَيَتَلَطَّفَ لِوَلَدِهِ في كَلامِهِ، وَيُرْشِدَهُ إلى ما جَهِلَهُ مِنْ أَمْرِ دينِهِ وَدُنْياهُ. هذا إلى جُمْلَةِ الْحُقوقِ الَّتِي ذَكَرْناها لِلْمُسْلِمينَ عامَّةً[1].

قالَ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ: «أَتَدْرونَ ما حَقُّ الْجارِ؟ إنِ اسْتَعانَ بِكَ أَعَنْتَهُ، وإِنِ اسْتَقْرَضَكَ أَقْرَضْتَهُ، وإنِ افْتَقَرَ جُدْتَ عَلَيْهِ، وَإِنْ مَرِضَ عُدْتَهُ، وَإِنْ ماتَ اتَّبَعْتَ جَنازَتَهُ، وَإِنْ أَصابَهُ خَيْرٌ هَنَّأْتَهُ، وَإِنْ أَصابَتْهُ مُصيبَةٌ عَزَّيْتَهُ، ولا تَسْتَطيلُ عليه بِالْبِناءِ فَتَحْجُبَ عنه الرِّيحَ إلَّا بِإِذْنِهِ، وَإِذَا اشْتَرَيْتَ فاكِهَةً فَأَهْدِ له، فَإِنْ لم تَفْعَلْ فَأَدْخِلْها بَيْتَكَ سِرًّا، ولا يَخْرُجْ بها وَلَدُكَ لِيَغيظَ بها وَلَدَهُ، ولا تُؤْذِهِ بِقَتارِ قِدْرِكَ إلَّا أنْ تَغْرِفَ له منها؛ أَتَدْرونَ ما حَقُّ الْجارِ؟ والَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يَبْلُغُ حَقَّ الْجارِ إلَّا مَنْ رَحِمَهُ اللهُ»[2]. هَكَذا رَواهُ عَمْرو بْنُ شُعَيْبٍ عَنْ أَبيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ.

---

(1) الإحياء: 2/ 212-213.

(2) هو بداية الحديث الذي سبق تخريجه.

الْمَطْلَبُ الثَّامِنُ: حُقوقُ الْأَقارِبِ

قالَ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ: «يَقولُ اللهُ: أنا الرَّحْمنُ، وَهَذِهِ الرَّحِمُ، شَقَقْتُ لها اسْمًا مِنْ اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَها بَتَتُّهُ»[1].

وَقالَ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ: «مَنْ سَرَّهُ أنْ يُنْسَأَ له في أَثَرِهِ، وَيُوَسَّعَ له في رِزْقِهِ، فَلْيَتَّقِ اللهَ وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[2].

رُوِيَ أنَّ عُمَرَ رَضِيَ الله عنه كَتَبَ إلى عُمَّالِهِ: مُرُوا الْأَقارِبَ أَنْ يَتَزاوَروا، ولا يَتَجاوَروا. إنَّما قالَ ذَلِكَ لِأَنَّ التَّجاوُرَ رُبَّما يورِثُ الْقَطيعَةَ[3].

حُقوقُ الْوالِدَيْنِ وَالْوَلَدِ:

اِعْلَمْ أَنَّ آكَدَ الْحُقوقِ الْقَرابَةُ، وَآكَدَها قَرابَةُ الْوِلادِ.

قالَ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ: «بِرُّ الْوالِدَيْنِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّلاةِ والصَّوْمِ وَالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَالْجِهادِ في سَبيلِ اللهِ»[4].

---

(1) مسند الحميدي: 1/ 186، مصنف ابن أبي شيبة: 5/ 207، مسند أحمد: 3/ 213، الأدب المفرد للبخاري: 33، سنن الترمذي: 3/ 471. وفي صحيح البخاري: 8/ 6، رقم: 5989: «الرَّحِمُ شِجْنَةٌ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ».

(2) مسند أبي يعلى: 11/ 496، مكارم الأخلاق: 101، صحيح ابن حبان: 1/ 507، المستدرك للحاكم: 4/ 177، الإحياء: 2/ 215.

(3) الإحياء: 2/ 216.

(4) المصدر نفسه: 2/ 216، تخريج أحاديث الإحياء: 679.

وَقالَ: «بِرُّ الْوالِدَةِ على الْوالِدِ ضِعْفانِ»[1].

وَقالَ: «الْوالِدَةُ أَسْرَعُ إِجابَةً؛ قِيلَ: يا رَسولَ اللهِ وَلِمَ ذلِكَ. قالَ: هِيَ أَرْحَمُ مِنَ الْأَبِ، وَدَعْوَةُ الرَّحيمِ لا تَسْقُطُ»[2].

وَطاعَةُ الْأَبَوَيْنِ واجِبَةٌ في الشُّبُهاتِ، وَإِنْ لم تَجِبْ في الْحَرامِ الْمَحْضِ، وَلَيْسَ لَكَ أنْ تُسافِرَ في مُباحٍ أو نافِلَةٍ إلَّا بِإِذْنِهِمَا، وَالْمُبادَرَةُ إلى الْحَجِّ - الَّذِي هو فَرْضُ الْإِسْلامِ - كَالنَّفْلِ، لِأَنَّهُ على التَّأْخِيرِ، وَالْخُرُوجُ لِطَلَبِ الْعِلْمِ نَفْلٌ، إِلَّا إِذا كُنْتَ تَطْلُبُ عِلْمَ الْفَرْضِ مِنَ الصَّلاةِ وَالصَّوْمِ ولم يَكُنْ في بَلَدِكَ مَنْ يُعَلِّمُكَ.

قالَ أَنَسٌ: قالَ رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ: «الْغُلامُ يُعَقُّ عَنْهُ يَوْمَ السَّابِعِ، وَيُسَمَّى وَيُماطُ عنه الْأَذَى، فإذا بَلَغَ سِتَّ سِنينَ أُدِّبَ، فإذا بَلَغَ تِسْعَ سِنينَ عُزِلَ فِراشُهُ، فَإِذا بَلَغَ ثَلاثَ عَشْرَةَ ضُرِبَ على الصَّلاةِ، فإذا بَلَغَ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً زَوَّجَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ وَقالَ: أَدَّبْتُكَ وَعَلَّمْتُكَ وَأَنْكَحْتُكَ، أَعوذُ بِاللهِ مِنْ فِتْنَتِكَ في الدُّنْيا، وَعَذابِكَ في الْآخِرَةِ»[3].

وَقيلَ: وَلَدُكَ رَيْحانَتُكَ سَبْعًا، وَخادِمُكَ تِسْعًا، ثُمَّ هُوَ عَدُوُّكَ، أو صَديقُكَ[4].

---

(1) الإحياء: 2/ 217، تخريج أحاديث الإحياء: 680.

(2) المصدر نفسه: 2/ 217، المصدر نفسه: 680.

(3) المصدر نفسه: 2/ 217، المصدر نفسه: 681.

(4) الإحياء: 2/ 217.

قالَ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ: «حَقُّ كَبِيرِ الإِخْوَةِ على صَغيرِهِمْ كَحَقِّ الْوالِدِ على وَلَدِهِ»(1).

وَقالَ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ: «إذا اسْتَصْعَبَتْ على أَحَدِكُمْ دابَّتُهُ، وَساءَ خُلُقُ زَوْجَتِهِ، أَوْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ فَلْيُؤَذِّنْ في أُذُنِهِ»(2).

(1) عيون الأخبار: 3/ 101، تاريخ أصبهان: 1/ 158، تاريخ بغداد: 6/ 311، الإحياء: 2/ 219.

(2) الإحياء: 2/ 219، تخريج أحاديث الإحياء: 683، تذكرة الموضوعات للفتي: 128.

الْمَطْلَبُ التَّاسِعُ: حُقوقُ الْمِلْكِ

وَهُوَ إمَّا مِلْكُ النِّكاحِ، وَقَدْ مَرَّ، وَإِمَّا مِلْكُ الْيَمينِ، وَهُوَ آخِرُ ما أَوْصَى به رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ، قالَ: «اتَّقُوا اللهَ فيما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ، أَطْعِموهُمْ مِمَّا تَأْكُلونَ، وَاكْسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ، ولا تُكَلِّفوهُمْ مِنَ الْعَمَلِ ما لا يُطيقونَ، فَمَا أَحْبَبْتُمْ فَأَمْسِكوا، وما كَرِهْتُمْ فَبَدِّلُوا، ولا تُعَذِّبُوا خَلْقَ اللهِ، فَإِنَّ الله مَلَّكَكُمْ إِيَّاهُمْ، وَلَوْ شاءَ لَمَلَّكَهُمْ إِيَّاكُمْ»[1].

وَقالَ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ: «إذا ابْتاعَ أَحَدُكُمُ الْخادِمَ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ شَيْءٍ يُطْعِمُهُ الْحَلْوَى فَإِنَّهُ أَطْيَبُ لِنَفْسِهِ»[2]. رَواهُ مُعاذٌ.

وَقالَ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ: «إذا أَتَى أَحَدَكُمْ خادِمُهُ بِطَعامِهِ[3] فَلْيُمْسِكْهُ فَلْيُؤَكِّلْهُ مَعَهُ، وَإِنْ لم يَفْعَلْ فَلْيُناوِلْهُ»[4]. رَواهُ أبو هُرَيْرَةَ.

فَجُمْلَةُ حَقِّ الْمَمْلوكِ أَنْ يُشْرِكَهُ في طِعْمَتِهِ وَكِسْوَتِهِ، ولا يُكَلِّفَهُ فَوْقَ طاقَتِهِ، ولا يَنْظُرَ إِلَيْهِ بِعَيْنِ الْكِبْرِ وَالازْدِراءِ، وأَنْ يَعْفُوَ عن زَلَّتِهِ، وَيَتَفَكَّرَ عِنْدَ غَضَبِهِ عليه بِهَفَواتِهِ، أو جِنايَتِهِ في مَعاصِيهِ، وَجِنايَتِهِ على حَقِّ اللهِ وَتَقْصِيرِهِ في طاعَتِهِ، مَعَ أَنَّ قُدْرَةَ اللهِ عَلَيْهِ فَوْقَ قُدْرَتِهِ عَلَيْهِ[5].

---

(1) المصنف لعبد الرزاق: 9/ 439، الطبقات الكبرى: 2/ 185، مسند أحمد: 26/ 334، الإحياء: 2/ 219.

(2) مكارم الأخلاق للخرائطي: 170، الإحياء: 2/ 220، تلخيص كتاب الموضوعات: 255.

(3) بطعام، في قونية.

(4) صحيح البخاري: 3/ 150، رقم: 2557، واللفظ من الإحياء: 2/ 221.

(5) الإحياء: 2/ 221.

الْأَصْلُ السَّادِسُ: في آدابِ الْعُزْلَةِ

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ: في فَضْلِها وَكَراهَتِها

وَاخْتارَ الْأَوَّلَ: سُفْيانُ الثَّوْرِيُّ، وَإِبْراهيمُ بْنُ أَدْهَمَ، وَداوُدُ الطَّائِيُّ، وَالْفُضَيْلُ بْنُ عِياضٍ، وَسُلَيْمانُ الْخَوَّاصُ، وَيوسُفُ بْنُ أَسْباطَ، وَحُذَيْفَةُ الْمَرْعَشِيُّ، وَبِشْرُ الْحافِيُّ؛ وَاخْتارَ الثَّانِيَ سَعيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَالشَّعْبِيُّ، وابْنُ أبي لَيْلَى، وَهِشامُ بْنُ عُرْوَةَ، وَابْنُ شُبْرُمَةَ، وَشُرَيْحٌ، وَشَريكُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، وَابْنُ عُيَيْنَةَ، وَابْنُ الْمُبارَكِ، وَالشَّافِعِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ. وَجَماعَةٌ كَثيرَةٌ[1].

---

(1) الإحياء: 2/ 221-226.

الْمَطْلَبُ الثَّانِي: فِي فَوائِدِ الْعُزْلَةِ

وهِيَ سِتٌّ:

الْأولَى: الْفَراغُ لِلْعِبادَةِ وَالْفِكْرِ، وَالِاسْتِئْناسُ بِمُناجاةِ اللهِ تَعالَى عَنْ مُناجاةِ الْخَلْقِ، وَالِاسْتِكْشافُ بِأَسْرارِ اللهِ تَعالى في أَمْرِ الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ، وَمَلَكوتِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ، فَإِنَّ ذلِكَ يَسْتَدْعِي فَراغًا، ولا فَراغَ مَعَ الْمُخالَطَةِ، فَالْعُزْلَةُ وَسِيلَةٌ إِلَيْهِ؛ وَلِذَلِكَ تَبَتَّلَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ في ابْتِداءِ أَمْرِهِ في جَبَلِ حِراءٍ، وَانْعَزَلَ إِلَيْهِ حَتَّى قَوِيَ فيه نورُ النُّبُوَّةِ، فَكانَ الْخَلْقُ بِحَيْثُ لا يَحْجُبونَهُ عن الله تعالى، فَكانَ بِبَدَنِهِ مَعَ الْخَلْقِ، وَبِقَلْبِهِ مُقْبِلًا على اللهِ تَعالى. وَلَنْ يَتَّسِعَ لِلْجَمْعِ بين الْمُخالَطَةِ ظاهِرًا وَالْإِقْبالِ على اللهِ سِرًّا إِلَّا قُوَّةُ النُّبُوَّةِ، فلا يَنْبَغِي أَنْ يَغْتَرَّ كُلُّ ضَعِيفٍ بِنَفْسِهِ فَيَطْمَعَ في ذَلِكَ، ولا يَبْعُدُ أن تَنْتَهِيَ دَرَجَةُ بَعْضِ الْأَوْلِياءِ إليهِ.

وَقَدْ نُقِلَ عن الْجُنَيْدِ أَنَّهُ قالَ: أَنَا أُكَلِّمُ اللهَ مُنْذُ ثَلاثينَ سَنَةً، وَالنَّاسُ يَظُنُّونَ أَنِّي أُكَلِّمُهُمْ. وَهَذا إِنَّما يَتَيَسَّرُ لِلْمُسْتَغْرِقِ بِحُبِّ اللهِ اسْتِغْراقًا لا يَبْقَى لِغَيْرِهِ فيه مُتَّسَعٌ، وهذا غَيْرُ مُنْكَرٍ، إِذِ الْإِنْسانُ رُبَّما يُلْقِي هَمَّهُ[1] في أَمْرٍ مِنْ أُمورِ دُنْياهُ، وَيُخالِطُ النَّاسَ، وَلا يُحِسُّ بِهِمْ، ولا يَسْمَعُ أَصْواتَهُمْ، وَأَمْرُ الْآخِرَةِ أَعْظَمُ عِنْدَ الْعُقَلاءِ مِنْ ذلِكَ.

وَإِذا عَرَفْتَ ذَلِكَ، فَمَنْ تَيَسَّرَ له بِدَوامِ الذِّكْرِ الْأُنْسُ باللهِ، أو بِدَوامِ الْفِكْرِ التَّحَقُّقُ في مَعْرِفَةِ اللهِ، فَالتَّجَرُّدُ له أَفْضَلُ، فَإِنَّ الْمَطْلَبَ الْأَعْلَى أَنْ يموتَ

---

(1) همته، في قونية.

الْإِنْسانُ مُحِبًّا للهِ، وَعارِفًا باللهِ، وَأَصْلُ ذلِكَ الْخَلْوَةُ وَالْعُزْلَةُ[1].

الثَّانِيَةُ: التَّخَلُّصُ بِالْعُزْلَةِ عَنِ الْمَعاصِي الَّتِي يَتَعَرَّضُ الْإِنْسانُ لها غالِبًا بِالْمُخالَطَةِ، وَيَسْلَمُ مِنْها فِي الْخَلْوَةِ، وهِيَ أَرْبَعَةٌ:

أَحَدُها: الْغِيبَةُ، وَهِيَ الَّتِي يَتَفَكَّهُ بها النَّاسُ وَيَتَنَقَّلونَ، فهي طُعْمَتُهُمْ وَلَذَّتُهُمْ، فإنْ[2] وافَقْتَهُمْ أَثِمْتَ، أو سَكَتَّ فَكُنْتَ شَريكًا لهم - وَالْمُسْتَمِعُ أَحَدُ الْمُغْتابِينَ[3] - أو أَنْكَرْتَهُمْ فَأَبْغَضوكَ [وَتَرَكوا ذَلِكَ الْمُغْتابَ][4] وَاغْتابوكَ، فَازْدَادُوا غِيبَةً إلى الْغِيبَةِ، وُرُبَّما انْتَهَوْا إلى الاِسْتِخْفافِ والشَّتْمِ.

وَثانِيها: الْأَمْرُ بِالْمَعْروفِ وَالنَّهْيُ عن الْمُنْكَرِ، فَهُوَ أَصْلٌ مِنْ أُصولِ الدِّينِ، فَإِنْ سَكَتَّ عَصَيْتَ اللهَ تعالى، وإِنْ أَنْكَرْتَ تَعَرَّضْتَ لِأَنْواعٍ مِنَ الضَّرَرِ، وَرُبَّما يَجُرُّهُ طَلَبُ الْخَلاصِ منها إلى مَعاصِيَ هِيَ أَكْثَرُ مِمَّا نُهِيَ عَنْهُ ابْتِداءً.

وَثالِثُها: الرِّياءُ، فَهُوَ الدَّاءُ الْعُضالُ الَّذِي يَعْسُرُ التَّحَفُّظُ منه عَلَى الْأَوْتادِ وَالْأَبْدالِ، وَكُلُّ مَنْ خالَطَ النَّاسَ داراهُمْ، وَمَنْ دارَاهُمْ راءاهُمْ، وَمَنْ راءاهُمْ وَقَعَ فيما وَقَعُوا فيه، وَهَلَكَ كما هَلَكُوا. وَأَقَلُّ ما يَلْزَمُ فيه النِّفاقُ، فَإِنَّكَ إِنْ خالَطْتَ مُتَعادِيَيْنِ ولَمْ تَلْقَ كُلَّ واحِدٍ مِنْهُما بِوَجْهٍ تُوافِقُهُ صِرْتَ بَغيضًا

---

(1) الإحياء: 2/ 226-227.

(2) فإما، في قونية ورئيس الكتاب.

(3) مُسْتَمِعُ الْغِيبَةِ أَحَدُ الْمُغْتابِينَ، مثل عربي أورده الماوردي في الأمثال والحكم: 242.

(4) زيادة من أنطاليا.

إِلَيْهِما جَمِيعًا، وَإِنْ جامَلْتَهُما كُنْتَ مِنْ شِرارَ النَّاسِ[1]. وَأَقَلُّ ما يَجِبُ في مُخالَطَةِ النَّاسِ إظْهارُ الشَّوْقِ والْمُبالَغَةُ فيه، ولا يَخْلُو ذَلِكَ عن كَذِبٍ إمَّا في الْأَصْلِ، أو في الزِّيادَةِ، وَإِظْهارُ الشَّفَقَةِ بِالسُّؤالِ عَنِ الْأَحْوالِ بِقَوْلِكَ[2]: كَيْفَ أَنْتَ؟ وكَيْفَ أَوْلادُكَ؟ وَأَنْتَ فارِغُ الْقَلْبِ مِنْ هُمومِهِمْ، وَذَلِكَ نِفاقٌ مَحْضٌ.

وَرابِعُها: مُسارَقَةُ الطَّبْعِ لِمَا يُشاهِدُهُ مِنْ أَخْلاقِ النَّاسِ وَأَعْمالِهِمْ، فَهُوَ داءٌ دَفِينٌ قَلَّمَا يَتَنَبَّهُ له الْعُقَلاءُ فَضْلًا عَنِ الْغافِلِينَ. وَمَنْ جالَسَ فاسِقًا مُدَّةً يَرَى في نَفْسِهِ أَنَّهُ لا يَسْتَثْقِلُ الْفَسادَ مِثْلَ اسْتِثْقالِهِ قَبْلَ ذلِكَ، إِذْ يَصِيرُ الْفَسادُ بِكَثْرَةِ الْمُشاهَدَةِ هَيِّنًا على الطَّبْعِ، وَيَسْقُطُ اسْتِعْظامُهُ عَنِ الْقَلْبِ، فإذا طالَتْ صُحْبَتُهُ أَوْشَكَ أَنْ تَنْحَلَّ الْقُوَّةُ الرَّادِعَةُ، وَيُذْعِنَ الطَّبْعُ لِلْمَيْلِ إِلَيْهِ أو دُونَهُ، ومَنْ طالَ مُشاهَدَتُهُ لِلْكَبائِرِ اسْتَحْقَرَ الصَّغائِرَ مِنْ نَفْسِهِ، ثُمَّ وَثُمَّ بالِغًا ما بَلَغَ.

الثَّالِثَةُ: الْخَلاصُ مِنَ الْفِتَنِ وَالْخُصوماتِ، وَصِيانَةُ الدِّينِ والنَّفْسِ عَنِ الْخَوْضِ فيها، وَالتَّعَرُّضِ لِأَخْطارِهَا، وَقَلَّمَا يَخلو الْبِلادُ عنها.

الرَّابِعَةُ: الْخَلاصُ مِنْ شَرِّ النَّاسِ مِنَ الْغِيبَةِ لَكَ، وَسوءِ الظَّنِّ بِكَ، وَالتُّهْمَةِ عَلَيْكَ، وَالاِقْتِراحاتِ وَالْأَطْماعِ الْكاذِبَةِ الَّتِي يَعْسُرُ الْوَفاءُ بها، وَرُبَّما يُسِيئُونَ بكَ الظَّنَّ بِسَبَبِ تَوَهُّمِهِمْ، قالَ الْمُتَنَبِّي: [الطويل]

إِذا ساءَ فِعْلُ الْمَرْءِ ساءَتْ ظُنونُهُ ... وَصَدَّقَ ما يَعْتادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ[3]

(1) الإحياء: 2/ 228-229.

(2) يقول لك، في الأزهرية.

(3) شرح ديوان المتنبي: 4/ 142.

وَعـادَى مُحِبِّيـهِ بِقَوْلِ عُـداتِـهِ وَأَصْـبَحَ في لَيْلٍ مِنَ الشَّـكِّ مُظْلِمِ

الْخامِسَةُ: أنْ يَنْقَطِعَ طَمَعُ النَّاسِ عَنْكَ، وَيَنْقَطِعَ طَمَعُكَ عَنْهُمْ[1].

وَأَمَّا انْقِطاعُ طَمَعِهِمْ عَنْكَ، فَفيهِ كُلُّ الْجَدْوَى، لِأَنَّ رِضَا النَّاسِ غايَةٌ لا تُدْرَكُ[2]، فَاشْتِغالُ الْمَرْءِ بِصلاحِ نَفْسِهِ أَوْلَى، وَمَنْ عَمَّمَ النَّاسَ كُلَّهُمْ بِالْحِرْمانِ رَضُوا عنه كُلُّهُمْ، ولو خَصَّصَ اسْتَوْحَشُوا.

وَأَمَّا انْقِطاعُ طَمَعِكَ عَنْهُمْ، [فإنَّ مَنْ نَظَرَ إلى زَهْرَةِ الدُّنْيا وَزِينَتِها تَحَرَّكَ حِرْصُهُ، وَانْبَعَثَ بِقُوَّةِ الْحِرْصِ طَمَعُهُ][3]، ولا يَرَى إلَّا الْخَيْبَةَ في أَكْثَرِ الْأَطْماعِ فَيَتَأَذَّى به، وَمَهْمَا اعْتَزَلَ لم يُشَاهِدْ، وإذا لم يُشاهِدْ لم يَشْتَهِ، ولم يَطْمَعْ. ومَنْ شاهَدَ زِينَةَ الْحياةِ الدُّنْيا، فإمَّا أنْ يَقْوَى دِينُهُ وَيَقينُهُ فَيَصْبِرَ، وَالصَّبْرُ أَمَرُّ من الصَّبِرِ[4]، أو يَحْتالَ في طَلَبِها فَيَهْلِكَ في الدُّنْيا بِالطَّمَعِ الَّذِي يَخِيبُ في أَكْثَرِ الْأَوْقاتِ، وفي الْآخِرَةِ بِإيثارِهِ مَتاعَ الدُّنْيا على ذِكْرِ اللهِ تعالى.

السَّادِسَةُ: الْخَلاصُ مِنْ مُشاهَدَةِ الثُّقَلاءِ وَالْحَمْقَى، وَمُقاساةِ أَخْلاقِهِمْ، فَإِنَّ رُؤْيَةَ الثَّقيلِ هي الْعَمَى الْأَصْغَرُ. وَأَيْضًا في رُؤْيَةِ الثَّقِيلِ خَوْفُ ارْتِكابِ غِيبَتِهِ، وَاسْتِنْكارُ ما هُوَ صُنْعُ اللهِ تعالى. وفي الْعُزْلَةِ أَمانٌ مِنْ جَميعِ هذه الْآفاتِ[5].

---

(1) الإحياء: 2/ 230-234.

(2) الأمثال لعبيد القاسم بن سلام: 277، المستقصى في أمثال العرب: 2/ 100.

(3) ما بين معقوفين سقط من قونية.

(4) الصَّبِرُ: عُصَارة شَجَرٍ مُرٍّ، وَاحِدَتُهُ صَبِرَة وَجَمْعُهُ صُبُور. اللسان: صبر.

(5) الإحياء: 2/ 235.

الْمَطْلَبُ الثَّالِثُ: فِي آفاتِ الْعُزْلَةِ

وهِيَ سَبْعٌ:

الْأولَى: **التَّعْليمُ والتَّعَلُّمُ**، وَهُما أَعْظَمُ الْعِباداتِ، ولا يُتَصَوَّرُ إلَّا بِالْمُخالَطَةِ، وَالْعُزْلَةُ قَبْلَ تَعَلُّمِ الْمَفْروضِ مِنَ الْعِلْمِ عِصْيانٌ، وَفِيمَنْ يَقْدِرُ على التَّبَرُّزِ[1] في عُلومِ الشَّرْعِ وَالْعَقْلِ غايَةُ الْخُسْرانِ، وَلِذَلِكَ قالَ النَّخَعِيُّ وَغَيْرُهُ: تَفَقَّهْ ثُمَّ اعْتَزِلْ.

إلَّا أنَّ الْمُرادَ يَنْبَغِي أنْ لا يَكونَ إِقامَةَ الْجاهِ، وَالِاسْتِكْثارَ بِالْأَصْحابِ وَالْأَتْباعِ، وَالتَّقَدُّمَ على الْأَقْرانِ، وَالتَّقَرُّبَ عند السُّلْطانِ، وَتَوَلِّيَ الْأَعْمالِ، وَاجْتِلابَ الْأَمْوالِ، لأنَّ هذه الْأُمورَ هَلاكُ الدِّينِ.

وَأَيْضًا أنْ يَتَعَلَّمَ عِلْمًا هو سَبَبٌ لِإِثارَةِ الْخَوْفِ مِنَ اللهِ تعالى، لا ما يُتَوَصَّلُ به إلى إِفْحامِ الْأَقْرانِ، وَالْمُنافَسَةِ[2] وَالْمُباهاةِ؛ كَطَلَبِ الْكَلامِ الْجَدَلِيِّ، وَالْفِقْهِ الْخِلافِيِّ، وَالْمَواعِظِ الْمُزَخْرَفَةِ، إِذِ الْعُزْلَةُ خَيْرٌ من تَعَلُّمِ هَذِهِ. فإنْ صودِفَ طالِبٌ للهِ، وَمُتَقَرِّبٌ بِالْعِلْمِ إلى اللهِ، فَالِاعْتِزالُ عنه وَكِتْمانُ الْعِلْمِ عنه أَكْبَرُ الْكَبائِرِ. إلَّا أنَّ مِثْلَ ذلِكَ في بَلَدٍ كَبيرٍ في زَمانِنا هذا واحِدٌ أو اثْنانِ[3].

---

(1) التَّبَرُّزِ هذه اللفظة تستعمل إلى يومنا هذا في معنى التَّبْرِيزِ أي الْبَراعَةِ، وهي تدل على معنى آخر معروف.

(2) والمناقشة، في رئيس الكتاب.

(3) الإحياء: 2/ 236-237.

وَلَقَدْ صَدَقَ أبو سُلَيْمانَ الْخَطَّابِيُّ حَيْثُ قالَ: دَعِ الرَّاغِبِينَ في صُحْبَتِكَ وَالتَّعَلُّمِ مِنْكَ، فَلَيْسَ لَكَ مِنْهُمْ مالٌ ولا جَمالٌ، إِخْوانُ الْعَلانِيَةِ أَعْداءُ السِّرِّ، إذا لَقُوكَ تَمَلَّقوكَ، وإذا غِبْتَ عَنْهُمْ سَلَقُوكَ، وَمَنْ أَتاكَ مِنْهُمْ كانَ عَلَيْكَ رَقِيبًا، وإذا خَرَجَ كانَ عَلَيْكَ خَطِيبًا، أَهْلُ نِفاقٍ وَنَمِيمَةٍ، وَغِلٍّ وَخَدِيعَةٍ، فلا تَغْتَرَّ بِاجْتِماعِهِمْ عَلَيْكَ، فَمَا غَرَضُهُمْ الْعِلْمُ بَلِ الْجاهُ والْمالُ، وَأَنْ يَتَّخِذُوكَ سُلَّمًا إلى أَوْطارِهِمْ، وَحِمارًا في حاجاتِهِمْ، إنْ قَصَّرْتَ في غَرَضٍ مِنْ أَغْراضِهِمْ كانوا أَشَدَّ أَعْدائِكَ، ثُمَّ يَعُدُّونَ تَرَدُّدَهُمْ عَلَيْكَ دالَّةً عَلَيْكَ، وَيَرَوْنَهُ حَقًّا واجِبًا لَدَيْكَ، وَيَعْرِضونَ عَلَيْكَ أَنْ تَبْذُلَ عِرْضَكَ وجاهَكَ وَدِينَكَ لَهُمْ، فَتُعادِيَ عَدُوَّهُمْ، وَتَنْصُرَ قَرِيبَهُمْ، وَخادِمَهُمْ وَوَلِيَّهُمْ، وَتَنْتَهِضَ لهم سَفِيهًا، وَقَدْ كُنْتَ فَقيهًا، وَتَكونَ لهم تابِعًا خَسِيسًا، بَعْدَ أنْ كُنْتَ مَتْبوعًا رَئِيسًا.

وَهَذا كَلامُ حَقٍّ وَصِدْقٍ، رَحِمَ اللهُ مَنْ قالَهُ، فَإِنَّكَ تَرَى الْمُدَرِّسينَ في رِقٍّ دائِمٍ، وَتَحْتَ حَقٍّ لازِمٍ، وَمِنَّةٍ ثَقيلَةٍ مِمَّنْ يَتَرَدَّدُ إِلَيْهِمْ، فَكَأَنَّهُ يُهْدِي تُحْفَةً إِلَيْهِ، فَيَرَى حَقَّهُ واجِبًا عليه، وَرُبَّما لا يَخْتَلِفُ إليه ما لَمْ يَتَكَفَّلْ له على مُساعَدَةِ أَغْراضِهِ الْفاسِدَةِ الذَّميمَةِ.

ثُمَّ الْمُدَرِّسُ الْمِسْكِينُ قد يَعْجِزُ عن الْقِيامِ بِذَلِكَ، وَيَبْذُلُ دِينَهُ[1] وَعِرْضَهُ في أَبْوابِ الظَّلَمَةِ، لِأَجْلِ أَغْراضِهِمِ الذَّمِيمَةِ، وَمَعَ ذَلِكَ نَسَبوهُ إلى الْحُمْقِ وَقِلَّةِ التَّمْيِيزِ، وَالْقُصورِ عن دَرْكِ مَقاديرِ الْفَضْلِ، وَسَلَقَهُ السُّفَهاءُ بِأَلْسِنَةِ

(1) ماله، في أنطاليا.

حِدادٍ، وَثارُوا عَلَيْهِ ثَوَرانَ الْأَساوِدِ وَالْآسادِ، وَمَعَ هذا كُلِّهِ تُمَنِّيهِ نَفْسُهُ بِالْأَباطِيلِ، وَتُدَلِّيهِ بِحَبْلِ الْغُرورِ، وَيَقولُ: إِنَّما أَفْعَلُهُ مُريدًا وَجْهَ الله تعالى، وَإِذاعَةَ شَرْعِ رَسولِهِ، وَناشِرًا عِلْمَ دِينِ اللهِ، وَيَصيرُ الْمِسْكينُ ضُحْكَةَ الشَّيْطانِ، وَيَؤولُ سَعْيُهُ وَجِدُّهُ إلى الْخُسْرانِ، وَكَيْفَ لا وَلَيْسَ فَسادُ الزَّمانِ إِلَّا بِكَثْرَةِ أَمْثالِ هَؤُلاءِ الْفُقَهاءِ أُولِي الضَّلالِ وَالْخِذْلانِ[1].

الثَّانِيَةُ: النَّفْعُ وَالانْتِفاعُ، لأنَّ كُلًّا مِنْهُما بِالْمُخالَطَةِ، فَالْمُحْتاجُ إلى الْكَسْبِ في جِهادِ الْمُخالَطَةِ وما كانَ معه ما يَقْنَعُ به فَالْعُزْلَةُ أَفْضَلُ وَأَوْلَى، إِلَّا أنْ يُريدَ التَّكَسُّبَ لِيَتَصَدَّقَ، فَهُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْعُزْلَةِ لِأَجْلِ النَّوافِلِ، لا لِأَجْلِ التَّحَقُّقِ في مَعْرِفَةِ اللهِ تعالى، وَمَعْرِفَةِ عُلومِ الشَّرْعِ، ولا مِنَ الْعُزْلَةِ لِلْإِقْبالِ بِكُنْهِ الْهِمَّةِ على اللهِ تعالى، وَالتَّجَرُّدِ به لِلذِّكْرِ.

وَأَمَّا النَّفْعُ فإمَّا بِمالِهِ، أو بِبَدَنِهِ، فَيَقومُ بِحاجاتِ الْمُسْلِمينَ حِسْبَةً للهِ على حُدودِ الشَّرْعِ، فَهُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْعُزْلَةِ بِنَوافِلِ الصَّلَواتِ وَالْأَعْمالِ الْبَدَنِيَّةِ. وَأَمَّا الْأَعْمالُ الْقَلْبِيَّةُ مِنَ الْمَعارِفِ فلا مُعادِلَ لها أَصْلًا وَقَطْعًا.

الثَّالِثَةُ: التَّأْدِيبُ وَالتَّأَدُّبُ، بِكَسْرِ النَّفْسِ، وَقَهْرِ الشَّهَواتِ بِتَحَمُّلِ أَذَى النَّاسِ. وَهُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْعُزْلَةِ لِمَنْ لم تَتَهَذَّبْ بَعْدُ أَخْلاقُهُ؛ كَخُدَّامِ الْمُتَصَوِّفَةِ في الزَّمانِ الْأَوَّلِ، إِذْ هُمُ الْيَوْمَ تَوَسَّلُوا بِالْخِدْمَةِ إلى انْتِفاعِ الْمالِ، وَالتَّكَبُّرِ بِالاسْتِتْباعِ. وَأَمَّا التَّأْدِيبُ فَهُوَ حالُ شَيْخِ الْمُتَصَوِّفَةِ مَعَهُمْ، فلا بُدَّ له من

---

(1) الإحياء: 2/ 236-238.

الْمُخالَطَةِ، وَحالُهُ مَعَهُمْ حالُ الْمُعَلِّمِ مع الْمُتَعَلِّمِ، وَحُكْمُهُ حُكْمُهُ، وَيَتَطَرَّقُ إليه مِنْ دَقائِقِ الْآفاتِ ما يَتَطَرَّقُ إلى نَشْرِ الْعِلْمِ كَالرِّياءِ، إلَّا أنَّهُ أَقَلُّ فيهِمْ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَلِذَلِكَ قَلَّ أَهْلُهُ.

الرَّابِعَةُ: **الاِسْتِئْناسُ وَالإِيناسُ**، وَذَلِكَ قد يَكونُ حَرامًا؛ كَمَجالِسِ الْغِيبَةِ وَاللَّهْوِ، وقَدْ يَكونُ مُباحًا في الدِّينِ؛ كَالْأُنْسِ بِالْمَشايِخِ الْمُلازِمِينَ لِسَمْتِ التَّقْوَى. وَيُسْتَحَبُّ إذا كانَ الْغَرَضُ تَرْويحَ الْقَلْبِ، فَإِنَّ الْقُلوبَ إذا أُكْرِهَتْ عَمِيَتْ، وَمَهْما كانَ في الْوَحْدَةِ وَحْشَةٌ، وفي الْمُجالَسَةِ تَرْوِيحُ الْقَلْبِ فَهِيَ أَوْلَى إذا كانَ في بَعْضِ أَوْقاتِ النَّهارِ. وَرُبَّما يَكونُ أَفْضَلَ في حَقِّ الْبَعْضِ دونَ الْبَعْضِ، فَلْيَتَفَقَّدْ فيه أَحْوالَ الْقَلْبِ، وَتَأَمَّلْ أَحْوالَ الْجَليسِ، ثُمَّ اجْلِسْ مَعَهُ[1].

الْخامِسَةُ: **في نَيْلِ الثَّوابِ وإِنالَتِهِ**، أَمَّا النَّيْلُ، فَبِحُضورِ الْجَنائِزِ، وَعِيادَةِ الْمَرْضَى، وَحُضورِ الْعِيدَيْنِ وَالْجُمُعَةِ وَالْجَماعاتِ. وَهُؤلاءِ، سِيَّما حُضورُ الْجُمُعَةِ وَالْجَماعاتِ، وَاجِبٌ، وَلَيْسَ في الْعُزْلَةِ ما يُعادِلُهُ، اللَّهُمَّ إلَّا نادِرًا.

وَأَمَّا الْإِنالَةُ، فَهِيَ فَتْحُ بابِهِ لِلتَّعْزِيَةِ، أو التَّهْنِئَةِ، أو الْعِيادَةِ، وَكَذا الزِّيارَةِ إنْ كانَ عالِمًا. فَفِي هذه الصُّوَرِ يَنْبَغِي أنْ يُوزَنَ ثَوابُ هَذِهِ بِآفاتِها، وَيُرَجَّحَ ما تَرَجَّحَ.

---

(1) الإحياء: 2/ 237-239.

السَّادِسَةُ: التَّواضُعُ، فَإِنَّهُ مِنْ أَفْضَلِ الْمَقاماتِ، ولا يُقْدَرُ عليه في الْوَحْدَةِ، وَقَدْ يَكونُ الْكِبْرُ أَيْضًا سَبَبًا في اخْتِيارِ الْعُزْلَةِ، وَمانِعُهُ عن الْمُخالَطَةِ أَنْ لا يُوَقَّرَ في الْمَحافِلِ ولا يُقَدَّمَ، أو يَرَى التَّرَفُّعَ عن مُخالَطَتِهِمْ أَرْفَعَ لِمَحَلِّهِ، وَأَبْقَى لِطَراوَةِ ذِكْرِهِ بَيْنَ النَّاسِ. وَقَدْ يَعْتَزِلُ خَوْفًا مِنْ أَنْ تَظْهَرَ مَقابِحُهُ؛ فَيَتَّخِذُ مِنْ الْبَيْتِ سِتْرًا عَلَيْها، وَعَلامَةُ ذَلِكَ أَنْ يُحِبَّ أَنْ يُزارَ دُونَ أَنْ يَزورَ، وَيَفْرَحَ بِتَقَرُّبِ الْعَوَامِّ وَالسُّلْطانِ وَاجْتِماعِهِمْ على بابِهِ، وَتَقْبِيلِهِمْ يَدَهُ على سَبِيلِ التَّبَرُّكِ. فلا تَكونُ عُزْلَتُهُ لِلاشْتِغالِ بِنَفْسِهِ؛ وفي ذَلِكَ جَهْلٌ مِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُما: أَنَّ التَّواضُعَ وَالْمُخالَطَةَ لا تَنْقُصُ مِنْ مَنْصِبِ مَنْ هُوَ كَبِيرٌ بِعِلْمِهِ، أو دِينِهِ، وَكانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ وَأَصْحابُهُ يَتَواضَعونَ غايَةَ التَّواضُعِ.

وَثانِيهِما: أَنَّ الْخَلْقَ لا يُغْنونَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، وَأَنَّ ضَرَرَهُ وَنَفْعَهُ بِيَدِ اللهِ، وأَنَّ مَنْ طَلَبَ رِضا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ، سَخِطَ اللهُ عليه، وَأَسْخَطَ عليه النَّاسَ، بَلْ رِضَا النَّاسِ غايَةٌ لا تُدْرَكُ[1].

السَّابِعَةُ: التَّجارِبُ، إِذِ الْعَقْلُ الْغَرِيزِيُّ غَيْرُ كافٍ بها في مَصالِحِ الدِّينِ وَالدُّنْيا، فَيَنْبَغِي أَنْ يَتَعَلَّمَ أَوَّلًا وَيُحَصِّلَ ما يَكْفِيهِ مِنَ التَّجارِبِ ثُمَّ يَعْتَزِلَ. ومِنْ جُمْلَةِ ذلِكَ: الأَخْلاقُ الذَّمِيمَةُ في النَّفْسِ، مِنَ الْحِقْدِ وَالْحَسَدِ وَالْغَضَبِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، فإِنَّها دَفِينَةٌ في النَّفْسِ رُبَّمَا يَسْلَمُ الْمُعْتَزِلُ عنها، وَيَظُنُّ نَفْسَهُ

---

(1) الإحياء: 2/ 240-241.

خالِيَةً عنها، وعِنْدَ الْمُخالَطَةِ تتَحَرَّكُ، وَيَظْهَرُ خُبْثُها، فَلَها في إِظْهارِ الْخَبائِثِ فائِدَةٌ جليلَةٌ.

إذا عَرَفْتَ فَوائِدَ الْعُزْلَةِ وَآفاتِها، فَيَنْبَغِي أَنْ يُنْظَرَ إلى الشَّخْصِ وحالِهِ، وَيُقاسَ الْفائِتُ بِالْحاصِلِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَتَبَيَّنُ الْحَقُّ، وَيَتَّضِحُ الْأَفْضَلُ. وما وَقَعَ في مَدْحِ الْعُزْلَةِ أو مَدْحِ الْمُخالَطَةِ مِنْ كَلامِ الصُّوفِيَّةِ وَالْحُكَماءِ فليس ذلِكَ على إِطْلاقِهِ، بل ذلك حِكايَةُ غالِبِ أَحْوالِهِ، فلا تَغْتَرَّ بِذَلِكَ، إِذْ لِكُلِّ شَخْصٍ حالٌ، وَلِكُلِّ حالٍ حُكْمٌ.

وَأَمَّا آدابُ الْعُزْلَةُ فهِيَ:

أَنْ يَنْوِيَ بِعُزْلَتِهِ كَفَّ شَرِّهِ[1] عَنِ النَّاسِ أَوَّلًا، ثُمَّ طَلَبَ السَّلامَةِ مِنَ الْأَشْرارِ ثانِيًا، ثُمَّ الْخَلاصَ مِنْ آفاتِ الإِخْتِلاطِ ثالِثًا، ثُمَّ التَّجَرُّدَ بِكُنْهِ الْهِمَّةِ لِعِبادَةِ اللهِ تعالى رابِعًا، ثُمَّ لِيَكُنْ في خَلْوَتِهِ مُواظِبًا على الْعِلْمِ والْعَمَلِ وَالذِّكْرِ وَالْفِكْرِ، لِيَجْتَنِيَ ثَمَرَةَ الْعُزْلَةِ، وَلْيَمْنَعِ النَّاسَ عن أن يُكْثِروا غَشَيانَهُ وَزِيارَتَهُ فَيُشَوِّشَ عليه وَقْتَهُ، وَلْيَكُفَّ عَنِ السُّؤالِ عن أَخْبارِهِمْ، والإِصْغاءِ إلى أَراجيفِ الْبَلَدِ، فإِنَّ كُلَّ ذَلِكَ يَنْغَرِسُ في الْقَلْبِ، حَتَّى يَنْبَعِثَ في أَثْناءِ الصَّلاةِ أو الْفِكْرِ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ[2].

---

(1) شر نفسه، في أنطاليا.

(2) الإحياء: 2/ 241-243.

وَبِالْجُمْلَةِ، يَقْطَعُ الْوَساوِسَ الصَّارِفَةَ عَنِ ذِكْرِ اللهِ تعالى، وَلْيَقْنَعْ بِالْيَسِيرِ مِنَ الْمَعيشَةِ وَإِلَّا اضْطَرَّهُ التَّوَسُّعُ إلى النَّاسِ، وَلْيَكُنْ له أَهْلٌ صالِحَةٌ، أو جَليسٌ صالِحٌ لِتَسْتَريحَ نَفْسُهُ إليه عن كَدِّ الْمُواظَبَةِ في الْيَوْمِ ساعَةً، فَفيهِ عَوْنٌ على بَقِيَّةِ السَّاعاتِ. ولا يَتِمُّ له الصَّبْرُ في الْعُزْلَةِ إلَّا بِقَطْعِ الطَّمَعِ عن الدُّنْيَا، وما في أَيْدِي أَهْلِها، وَطَريقُ ذلِكَ أنْ لا يُقَدِّرَ لِنَفْسِهِ عُمُرًا طَويلًا، بل يُصْبِحُ على أنَّهُ لا يُمْسِي، وَيُمْسِي على أَنَّهُ لا يُصْبِحُ، فَيَسْهُلُ عَلَيْهِ صَبْرُ يَوْمٍ واحِدٍ، وإِلَّا فَلَا يَسْهُلُ عليه الصَّبْرُ عِشْرِينَ سَنَةً لو قُدِّرَ تَراخِي الْأَجَلِ.

وَلْيَكُنْ كَثيرَ الذِّكْرِ لِلْمَوْتِ وَوَحْدَةِ الْقَبْرِ مَهْما ضاقَ قَلْبُهُ مِنَ الْوَحْدَةِ، وَلْيَتَحَقَّقْ أنَّ مَنْ لم يَحْصُلْ في قَلْبِهِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَعْرِفَتِهِ ما يَأْنَسُ به فلا يُطيقُ وَحْشَةَ الْوَحْدَةِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَمَنْ أَنِسَ بِذِكْرِ اللهِ ومَعْرِفَتِهِ فلا يُزيلُ الْمَوْتُ أُنْسَهُ، إذْ لا يَهْدِمُ الْمَوْتُ مَحَلَّ الْأُنْسِ وَالْمَعْرِفَةِ، بل يَبْقَى حَيًّا بِمَعْرِفَتِهِ وَأُنْسِهِ، فَرِحًا بِفَضْلِ اللهِ تعالى عليه وَرَحْمَتِهِ؛ كما قالَ تعالى في الشُّهَداءِ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[1]. وَكُلُّ مُتَجَرِّدٍ لله في جِهادِ نَفْسِهِ فهو شَهيدٌ مَهْما أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ، إذِ الْجِهادُ الْأَكْبَرُ جِهادُ النَّفْسِ[2].

(1) سورة آل عمران، الآية: 169-170.

(2) الإحياء: 2/ 243-244.

الْأَصْلُ السَّابِعُ: في آدابِ السَّفَرِ

اِعْلَمْ أنَّ السَّفَرَ إمَّا ظاهِرٌ بِالْبَدَنِ، أو باطِنٌ بِالْقَلْبِ عَنْ أَسْفَلِ السَّافِلينَ إلى مَلَكوتِ السَّماواتِ، وهَذَا أَشْرَفُ مِنَ الْأَوَّلِ، لَكِنْ لَمَّا كانَ فيه خَطْبٌ خَطيرٌ[1] وَغُموضُ السَّبِيلِ، لم يُسْتَغْنَ فيه عن مُرْشِدٍ وَدَليلٍ، وَيَتَوَقَّفُ أَيْضًا على الْقَناعَةِ بِالْعَيْشِ الْقَليلِ، عَنِ الْحَظِّ الْجَزيلِ، انْدَرَسَتْ مَسالِكُهُ، وَانْقَطَعَتْ فيه الرِّفاقُ، وَخَلَتْ عن الطَّائِفِينَ مُتَنَزَّهاتُ الْأَنْفُسِ وَالْآفاقِ، فَنَحْنُ نَذْكُرُ شُروطَهُ وَآدابَهُ في مَطالِبَ[2].

(1) خطر، في رئيس الكتاب ومراد ملا.

(2) الإحياء: 2/ 244-245.

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ: فِي الْآدابِ مِنْ أَوَّلِ النُّهوضِ إلى آخِرِ الرُّجوعِ

وَاعْلَمْ أنَّ لِلسَّفَرِ فَوائِدَ وَأَقْسامًا:

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: طَلَبُ الْعِلْمِ، وَهُوَ إمَّا واجِبٌ، أو نَفْلٌ بِحَسَبِ كَوْنِ الْعِلْمِ واجِبًا أو نَفْلًا؛ وَذَلِكَ إمَّا عِلْمٌ بِأُمورٍ دِينِيَّةٍ. وفي الْخَبَرِ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فيه عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ له طَرِيقًا إلى الْجَنَّةِ».

وإِمَّا عِلْمٌ بِأَخْلاقِهِ في نَفْسِهِ، وَذَلِكَ أَيْضًا مُهِمٌّ في سُلوكِ طَرِيقِ الْآخِرَةِ. ولا يُمْكِنُ الاِطِّلاعُ على أَسْرارِ باطِنِهِ وخَبائِثِ صِفاتِهِ مِثْلَ ما يَطَّلِعُ عليه بِالسَّفَرِ، حَتَّى إنَّهُ سُمِّيَ بِالسَّفَرِ لأنَّهُ يُسْفِرُ عن الْأَخْلاقِ، وَذَلِكَ لأنَّ النَّفْسَ فيما بَيْنَ مَألوفاتِها لا يَظْهَرُ خَبائِثُ أَخْلاقِها، فإذا فارَقَها انْكَشَفَتْ.

وَإِمَّا عِلْمٌ بِآياتِ اللهِ في أَرْضِهِ، إذْ في مُشاهَدَتِهَا فَوائِدُ لِلْمُسْتَبْصِرِ، وذَلِكَ لأَنَّهُ ما مِنْ شَيْءٍ إلَّا وَهُوَ شاهِدٌ للهِ تعالى بِالْوَحْدانِيَّةِ، وَمُسَبِّحٌ له بِلِسانٍ ذَلِقٍ لا يُدْرِكُهُ إلَّا مَنْ أَلْقَى السَّمْعَ وهو شَهِيدٌ[1]، وَأَمَّا الْجاحِدونَ الْمُغْتَرُّونَ بِظاهِرِ زَهْرَةِ الدُّنْيا، فَهُمْ عن السَّمْعِ مَعْزولونَ[2]، وَعَنْ آياتِ رَبِّهِمْ مَحْجوبونَ[3]، يَعْلَمونَ ظاهِرًا مِنَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غافِلونَ[4]؛ وما أُريدُ بِالسَّمْعِ السَّمْعَ الظَّاهِرَ، بل السَّمْعَ الَّذِي يَسْمَعُ كَلامَ

---

(1) وظف المصنف الآية 37 من سورة ق في سياق كلامه.

(2) وظف المصنف الآية 212 من سورة الشعراء لتسوية فواصل سجعه.

(3) وظف المصنف الآية 15 من سورة المطففين لتسوية فواصل سجعه.

(4) وظف المصنف الآية 7 من سورة الروم لإقامة فواصل سجعه.

الْجِدارِ مع الْوَتِدِ، إذْ قالَ الْجِدارُ: لِمَ تَشُقُّنِي؟ قالَ الْوَتِدُ: سَلْ مَنْ يَدُقُّنِي، فَإِنَّ الْحَجَرَ الَّذِي وَرائِي لم يَتْرُكْنِي وَرائِي. وما مِنْ ذَرَّةٍ في الْأَرْضِ وَالسَّماواتِ إلَّا وَلِوَحْدانِيَّةِ صانِعِها شاهِداتٌ، وَلَكِنْ لا تَفْقَهونَ تَسْبِيحَهُمْ[1].

وَمِثْلُ هذا السَّمْعِ واسْتِقْراءُ الْأَسْطُرِ الْمَكْتوبَةِ بِالْخُطوطِ الْإِلَهِيَّةِ على صَفَحاتِ الْكائِناتِ لا يَحْتاجُ إلى السَّفَرِ، بل يُمْكِنُ وَهُوَ في بَيْتِهِ قَعِيدٌ، لِمَنْ أَلْقَى السَّمْعَ وهو به شَهيدٌ[2]. فَاعْتَبِرْ هذا الْمُلْكَ بِمُلْكِ الدُّنْيا فإنَّهُ يَقِلُّ بالْإِضافَةِ إلى كَثْرَةِ الْخَلْقِ طُلَّابُهُ، وَمَهْما عَظُمَ الْمَطْلوبُ قَلَّ الْمُساعِدُ، ثُمَّ الَّذِي يَهْلِكُ أَكْثَرُ مِنَ الَّذِي يَمْلِكُ.

قالَ الْمُتَنَبِّي: [الكامل]

لا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفيعُ مِنَ الْأَذَى حَتَّى يُراقَ على جَوانِبِهِ الدَّمُ[3]

ولا يَتَصَدَّى لِطَلَبِ الْمُلْكِ الْعاجِزُ الْجَبانُ، لِعِظَمِ الْخَطَرِ، وَطُولِ التَّعَبِ.

قالَ الشَّاعِرُ: [الخفيف]

وإذا كانَتِ النُّفوسُ كِبارًا تَعِبَتْ في مُرادِها الْأَجْسامُ[4]

(1) الإحياء: 2/ 245-246.

(2) وظف المصنف ألفاظ الآيتين 17 و 37 من سورة ق لتسوية فواصل سجعه.

(3) شرح ديوان المتنبي: 4/ 125.

(4) البيت للمتنبي وهو في شرح ديوان شعره: 3/ 345.

وما أَوْدَعَ اللهُ الْعِزَّ وَالْمُلْكَ في الدِّينِ والدُّنْيا إلَّا في مَتْنِ الْخَطَرِ، وقد يُسَمِّي الْجَبانُ الْجُبْنَ والْقُصورَ بِاسْمِ الْحَزْمِ وَالْحَذَرِ.

قالَ الشَّاعِرُ: [الوافر]

يَرَى الْجُبَناءُ أَنَّ الْجُبْنَ حَزْمٌ وتِلْكَ خَديعَةُ الطَّبْعِ اللَّئِيمِ[1]

الْقِسْمُ الثَّانِي: **السَّفَرُ لِأَجْلِ الْعِبادَةِ**، إمَّا لِجِهادٍ، أو حَجٍّ، وَقَدْ ذَكَرْنا آدابَهُ. وَقَدْ يَدْخُلُ فيه زِيارَةُ قُبورِ الْأَنْبياءِ وَالصَّحابَةِ وَالتَّابِعينَ وَالْعُلماءِ وَالْأَوْلِياءِ، إذْ كُلُّ مَنْ يُتَبَرَّكُ بِمُشاهَدَتِهِ في حَياتِهِ، يُتَبَرَّكُ بِزِيارَةِ قَبْرِهِ بَعْدَ وَفاتِهِ، وَلِزِيارَةِ الْأَحْياءِ فَوائِدُ بَرَكَةِ الدُّعاءِ وَالنَّظَرِ إِلَيْهِمْ، فإنَّ النَّظَرَ إلى وُجوهِ الْعُلَماءِ وَالصُّلَحاءِ عِبادَةٌ؛ وَفيهِ أَيْضًا تَحْريكُ الرَّغْبَةِ في الاِقْتِداءِ بِهِمْ، وَالتَّخَلُّقِ بِأَخْلاقِهِمْ وآدابِهِمْ، مَعَ ما يُسْتَفادُ مِنْهُمْ مِنْ أَنْفاسِهِمْ وأَفْعالِهِمْ. وأَمَّا الْبِقاعُ، فَالْمَساجِدُ الثَّلاثَةُ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ: «لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلَّا إلى ثَلاثَةِ مَساجِدَ؛ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ، وَمَسْجِدِي هذا، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى».

وَأَيْضًا الثُّغورُ لِلرِّباطِ بها لا غَيْرُ.

الْقِسْمُ الثَّالِثُ: **أَنْ يَكونَ السَّفَرُ لِلْهَرَبِ مِنْ سَبَبٍ مُشَوِّشٍ لِلدِّينِ**، إذِ الْفِرارُ مِمَّا لا يُطاقُ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلينَ. وَمِمَّا يَجِبُ الْهَرَبُ مِنْهُ الْوِلايَةُ وَالْجاهُ، وَكَثْرَةُ الْعَلائِقِ وَالْأَسْبابِ؛ إذِ الدِّينُ لا يَتِمُّ إلَّا بِقَلْبٍ فارِغٍ مِنْ غَيْرِ اللهِ تعالى،

(1) البيت للمتنبي وهو في شرح ديوان شعره: 4/ 120، والنقل من الإحياء: 2/ 246-247.

ولا يُتَصَوَّرُ الْفَراغُ عن الْمُهِمَّاتِ وَالْحاجاتِ الضَّرورِيَّةِ، ولكن يُتَصَوَّرُ تَخْفِيفُها، وَقَدْ نَجا الْمُخِفُّونَ، وَهَلَكَ الْمُثْقِلونَ، وهَذِهِ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ مِنَ اللهِ تعالى لِعِبادِهِ، وله الْحَمْدُ حَيْثُ لم يَجْعَلِ النَّجاةَ في الْفَراغِ الْمُطْلَقِ مِنْ جَميعِ الْأَوْزارِ وَالْأَعْباءِ، بل قَبِلَ الْمُخِفَّ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ. وَالْمُخِفُّ هو الَّذِي لَيْسَتِ الدُّنْيا أَكْبَرَ هَمِّهِ، وذلِكَ لا يَتَيَسَّرُ في الْوَطَنِ لِمَنِ اتَّسَعَ جاهُهُ، وَكَثُرَتْ عَلائِقُهُ، فلا بُدَّ له من الْعُزْلَةِ والْخُمولِ، وقَطْعِ الْعَلائِقِ الَّتِي له عنها بُدٌّ، حَتَّى يُرَوِّضَ نَفْسَهُ مُدَّةً، إلى أنْ يَمُنَّ الله تعالى عليه، حَتَّى يَسْتَوِيَ عِنْدَهُ الْحَضَرُ والسَّفَرُ والْعَلائِقُ وَعَدَمُها، لكنَّ ذلِكَ مِمَّا يَعِزُّ وُجودُهُ جِدًّا.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَهْرُبُ حَذَرًا مِنَ الشُّهْرَةِ إذا أَقامَ في بَلَدٍ[1].

ومِنَ الْمُتَوَكِّلينَ مَنْ يَخْتارُ السَّفَرَ لأَنَّهُ يَرَى في الْإِقامَةِ اعْتِمادًا على الْأَسْبابِ، وَيَراهُ قادِحًا في التَّوَكُّلِ.

الْقِسْمُ الرَّابِعُ: الْهَرَبُ مِمَّا يَقْدَحُ في الْبَدَنِ؛ كَالطَّاعونِ، أو في الْمالِ؛ كَغَلاءِ السِّعْرِ أو ما يَجْرِي مَجْراهُ، ولا حَرَجَ في ذَلِكَ، إذِ الْفِرارُ قَدْ يَجِبُ، وَقَدْ يُسْتَحَبُّ بِحَسَبِ ما يَتَرَتَّبُ عليه مِنَ الْفَوائِدِ، وَلَكِنْ يُسْتَثْنَى عنه الطَّاعونُ لِوُرودِ النَّهْيِ في الْهَرَبِ عنه، وَسَتَعْرِفُ حالَهُ مُفَصَّلًا في قِسْمِ التَّوَكُّلِ.

---

(1) الإحياء: 2/ 247-248.

وإذا عرفْتَ أَقْسامَ الْأَسْفارِ، فَقَدْ ظَهَرَ لكَ منه أنَّ السَّفَرَ إمَّا مَذْمومٌ، وهو قد يَكونُ حَرامًا؛ كَالإِباقِ، وَسَفَرِ الْعاقِّ. وَقَدْ يَكونُ مَكْروهًا؛ كَالْخُروجِ من بَلَدِ الطَّاعونِ. وإمَّا مَحْمودٌ، وهو قد يَكونُ واجِبًا؛ كَالْحَجِّ، وَطَلَبِ الْعِلْمِ. وَقَدْ يَكونُ مَنْدوبًا؛ كَزِيارَةِ الْعُلماءِ، وَالْمَشاهِدِ الْمُتبَرَّكَةِ. وإمَّا مُباحٌ؛ كَطَلَبِ الْمالِ لِلتَّعَفُّفِ عن السُّؤالِ، وَإقامَةِ الْمُروءَةِ في الْعِيالِ.

فاعْلَمْ أنَّ فَضيلَةَ السَّفَرِ وَفَضيلَةَ الْإِقامَةِ مِثْلُ حالِ الْعُزْلَةِ والْخُلْطَةِ، فَيُتَعَرَّفُ أَحْوالُهُمَا مِنْ حالِهِمَا، وَالْأَفْضَلُ مِنْهُما ما هو إلَّا عَوْنٌ في الدِّينِ، والسَّفَرُ لِأَجْلِ التَّعَلُّمِ مَحْمودٌ، وَالْإِقامَةُ لِأَجْلِ الْعَمَلِ مَحْمودٌ، وَأَمَّا السِّياحَةُ على الْأَرْضِ فَمِنَ الْمُشَوِّشاتِ لِلْقَلْبِ إلَّا في حَقِّ الْأَقْوِياءِ، إذِ الشُّغْلُ بِالْحَطِّ وَالتَّرْحالِ مُشَوِّشٌ لِلْأَحْوالِ.

وَأَيْضًا: يَشْغَلُ قَلْبَهُ بِالْخَوْفِ على النَّفْسِ وَالْمالِ، اللَّهُمَّ إلَّا أن يُطْلَبَ الْعِلْمُ، أو شَيْخٌ يُقْتَدَى به في سِيرَتِهِ، وإنْ أَمْكَنَ هذا بِدونِ السَّفَرِ فَالسُّكونُ أَوْلَى، خُصوصًا طَلَبَ شَيْخِ التَّصَوُّفِ، فَإِنَّهُ في زَمانِنَا هذا يَعِزُّ وُجودُهُ على بَسيطَةِ الْأَرْضِ؛ إذْ أَكْثَرُهُمْ تَلَبَّسُوا بِالْمُرَقَّعاتِ، وَاتَّخَذُوا مِنَ الْخانِقاهاتِ مُتَنَزَّهاتٍ[1]، وَلَبَّسُوا على النَّاسِ بما تَلَقَّفُوا أَلْفاظًا مُزَخْرَفَةً من الطَّامَّاتِ، فَيَظُنُّونَ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا، وَيَتَوَهَّمونَ أَنَّ الْمُشارَكَةَ في الظَّواهِرِ توجِبُ

---

(1) الخانقات منزهات، في قونية.

الْمُساهَمَةَ في الْحَقائِقِ، فَهَيْهاتَ ما أَغْزَرَ حَماقَةَ مَنْ لا يُمَيِّزُ بَيْنَ الشَّحْمِ وَالْوَرَمِ.

وَأَمَّا السَّائِحونُ مِنْ غَيْرِ مُهِمٍّ في الدِّينِ والدُّنْيا، بل لِمَحْضِ التَّفَرُّجِ في الْبِلادِ؛ كَالْبَهائِمِ الْمُتَرَدِّدَةِ في الصَّحارِي، فلا بَأْسَ بِسِياحَتِهِمْ ما كَفُّوا عَنِ النَّاسِ شَرَّهُمْ، إذْ لا بَأْسَ بِإِتْعابِ حَيَوانٍ خَسِيسٍ لِحَظٍّ خَسِيسٍ يَليقُ به، وَيَعودُ إِلَيْهِ، وَالْفَتْوَى تَقْتَضِي تَسْيِيبَ[1] الْعَوامِّ في الْمُباحاتِ[2].

(1) تسبب، في مراد ملا.

(2) الإحياء: 2/ 248-250.

الْمَطْلَبُ الثَّانِي: في آدابِ السَّفَرِ مِنْ أَوَّلِ النُّهوضِ إلى آخِرِ الرُّجوعِ

وَهِيَ أَحَدَ عَشَرَ أَدَبًا:

الْأَوَّلُ: أَنْ يَبْدَأَ بِرَدِّ الْمَظالِمِ وَالْوَدائِعِ، وَقَضاءِ الدُّيونِ، وَإِعْدادِ النَّفَقَةِ له وَلِعِيالِهِ مِنَ الْحَلالِ، وَلْيَأْخُذْ قَدْرًا يُوَسِّعُ به لِرُفَقائِهِ.

الثَّانِي: أَنْ يَخْتارَ رَفيقًا؛ لِمَا قِيلَ: الرَّفيقُ ثُمَّ الطَّريقُ(1). وَلْيَكُنْ رَفيقُهُ مِمَّنْ يُعينُهُ على الدِّينِ، فَيُذَكِّرُهُ إذا نَسِيَ، وَيُعينُهُ إذا ذَكَرَ، وَالْمُسافَرَةُ وَحْدَهُ مَنْهِيٌّ عنه؛ قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ: «الثَّلاثَةُ نَفَرٌ»(2).

وَقالَ: «خَيْرُ الْأَصْحابِ أَرْبَعَةٌ»(3).

وقال: «إذا كُنْتُمْ ثَلاثَةً فَأَمِّرُوا أَحَدَكُمْ»(4).

وَلْيُؤَمِّروا أَحْسَنَهُمْ أَخْلاقًا، وَأَرْفَقَهُمْ بِالْأَصْحابِ، وَأَسْرَعَهُمْ إلى الْإِيثارِ، وَطَلَبِ الْمُوافَقَةِ، وإِنَّمَا يُحْتاجُ إلى الْأَميرِ لِأَنَّ الْآراءَ تَخْتَلِفُ في تَعْيِينِ الْمَنازِلِ وَالطُّرُقِ، وَمَصالِحِ السَّفَرِ، وَمَهْمَا كانَ الْمُدَبِّرُ واحِدًا انْتَظَمَ الْأُمورُ،

---

(1) «التمسوا الرفيق قبل الطريق»، «ابتغ ...»: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: 2/ 234، المقاصد الحسنة: 151، كنز العمال: 6/ 715، وهو من الأمثال السائرة. ينظر: كتاب الأمثال في الحديث النبوي لأبي الشيخ الأصبهاني: 273، مجمع الأمثال:/ 172.

(2) قوت القلوب: 2/ 348، الإحياء: 2/ 252، تخريج أحاديث الإحياء: 721.

(3) مسند أحمد: 4/ 451، مسند الدارمي: 2/ 799، مسند أبي يعلى: 4/ 412، الكامل في الضعفاء: 3/ 349، الإحياء: 2/ 252.

(4) المصنف لعبد الرزاق: 4/ 58، قوت القلوب: 2/ 348، تاريخ أصبهان: 1/ 333، الإحياء: 2/ 252.

وَإِنَّمَا انْتَظَمَ أَمْرُ الْعالَمِ لِأَنَّ مُدَبِّرَ الْكُلِّ واحِدٌ، و﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا﴾[1].

وَخَيرُ الرُّفَقاءِ الْأَرْبَعَةُ، لِأَنَّ الرَّجُلَ يَحْفَظُهُ[2] آخَرُ، وَيَحْتاجُ إلى آخَرَ عِنْدَ التَّرَدُّدِ في الْحاجَةِ، ولا بُدَّ لِلْمُتَرَدِّدِ أَيْضًا مِنْ رَفيقٍ. وما فَوْقَ الْأَرْبَعَةِ يَزِيدُ فلا تَجْمَعُهُمْ رابِطَةٌ واحِدَةٌ، فلا يَنْعَقِدُ بَيْنَهُمُ التَّوافُقُ، هذا في الرُّفاقَةِ[3] الْخاصَّةِ؛ وَأَمَّا الرُّفاقَةُ الْعامَّةُ، فَتَحْتاجُ إلى الْجَماعَةِ الْكَثيرَةِ لِلْأَمْنِ من الْمَخاوِفِ.

الثَّالِثُ: أَنْ يُوَدِّعَ رُفَقاءَ الْحَضَرِ وَالْأَهْلَ وَالْأَصْدِقاءَ، وَلْيَدْعُ لَهُمْ، وَلْيَقُلْ: إِنِّي أَسْتَوْدِعُ اللهَ دِينَكَ وَأَمانَتَكَ وَخَواتِمَ عَمَلِكَ؛ وَأَهْلُهُ يَقُولونَ له: زَوَّدَكَ اللهُ التَّقْوى، وَغَفَرَ ذَنْبَكَ، وَوَجَّهَكَ لِلْخَيْرِ حَيْثُ تَوَجَّهْتَ.

الرَّابِعُ: أَنْ يُصَلِّيَ قَبْلَ السَّفَرِ صَلاةَ الاِسْتِخارَةِ، وَقَدْ عَرَفْتَها، ثُمَّ يُصَلِّي في بَيْتِهِ أَرْبَعَ رَكَعاتٍ إذا شَدَّ عليه ثِيابَ سَفَرِهِ، يَقْرَأُ فيهِنَّ بِفاتِحَةِ الْكِتابِ و﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾[4]. ثُمَّ يَقولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي اقْتَرَبْتُ[5] بِهِنَّ إِلَيْكَ فَاخْلُفْنِي بِهِنَّ في أَهْلِي وَمالِي». فَهِيَ خَليفَةٌ في أَهْلِهِ وَمالِهِ، وَحِرْزٌ حَوْلَ دارِهِ، حَتَّى يَرْجِعَ إلى أَهْلِهِ.

---

(1) سورة الأنبياء، الآية: 22.

(2) يحفظ، في قونية.

(3) فِتْيَةٌ رُفَاقَةٌ: أي رُفَقَاءُ، والرفقة بضم الراء وكسرها، الجماعة يترافقون في السفر، والجمع رفاقة. تهذيب الأسماء واللغات: 3/ 124.

(4) سورة الإخلاص، الآية: 1.

(5) كتب تحتها في نسخة أنطاليا لعلها افتقرت، وهي التي وردت في لفظ الحديث في: مكارم الأخلاق للخرائطي: 261، والإحياء: 2/ 253، تخريج أحاديث الإحياء: 723.

الْخامِسُ: إذا حَصَلَ على بابِ الدَّارِ فَلْيَقُلْ: «بِسْمِ اللهِ تَوَكَّلْتُ على اللهِ لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا بِاللهِ، [رَبِّ][1] أَعوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَضِلَّ أو أَزِلَّ، أو أَظْلِمَ أو أُظْلَمَ، أو أَجْهَلَ أو يُجْهَلَ عَلَيَّ»[2].

فإذا مَشَى قالَ: «اللَّهُمَّ بِكَ انْتَشَرْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَبِكَ اعْتَصَمْتُ، وإلَيْكَ تَوَجَّهْتُ؛ اللَّهُمَّ أَنْتَ ثِقَتِي وَأَنْتَ رَجائِي، فَاكْفِنِي ما أَهَمَّنِي وما لا أَهْتَمُّ به، وما أَنْتَ أَعْلَمُ به مِنِّي، عَزَّ جارُكَ، وجَلَّ ثناؤُكَ، ولا إِلَهَ غَيْرُكَ؛ اللَّهُمَّ زَوِّدْنِي التَّقْوَى، وَاغْفِرْ لي ذَنْبِي، وَوَجِّهْنِي لِلْخَيْرِ[3] أَيْنَما تَوَجَّهْتُ»[4]. وَلْيَدْعُ بهذا الدُّعاءِ في كُلِّ مَنْزِلٍ يَرْحَلُ عَنْهُ.

فَإِذَا رَكِبَ فَلْيَقُلْ: «بِسْمِ اللهِ وباللهِ واللهُ أَكْبَرُ، تَوَكَّلْتُ على اللهِ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا باللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، ما شاءَ اللهُ كانَ، وما لَمْ يَشَأْ لم يَكُنْ، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (13) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾[5]».

فإذا اسْتَوَتِ الدَّابَّةُ تَحْتَهُ فَلْيَقُلْ: «﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ﴾[6]، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْحامِلُ على الظَّهْرِ، وَأَنْتَ الْمُسْتَعانُ في الْأُمورِ».

---

(1) زيادة من أنطاليا.

(2) الإحياء: 2/ 253-254.

(3) إلى، في قونية.

(4) مسند أبي يعلى: 4/ 469، الكامل في ضعفاء الرجال: 6/ 123، الإحياء: 2/ 254.

(5) سورة الزخرف، الآية: 13.

(6) سورة الأعراف، الآية: 43.

السَّادِسُ: أَنْ يَرْحَلَ مِنَ الْمَنْزِلِ بُكْرَةً، وَيُسْتَحَبُّ أن يَبْتَدِئَ بِالْخُروجِ يَوْمَ الْخَميسِ. رَوَى جابِرٌ «أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ رَحَلَ يَوْمَ الْخَميسِ وهو يُريدُ تَبوكَ وَبَكَّرَ وَقالَ: اللَّهُمَّ بارِكْ لِأُمَّتِي في بُكورِها»[1].

وَرَوَى كَعْبُ بْنُ مالِكٍ عن أَبيهِ قالَ: «قَلَّمَا كانَ رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ يَخْرُجُ إلى سَفَرٍ إلَّا يَوْمَ الْخَميسِ»[2].

رَوَى أَنَسٌ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ قالَ: «اللَّهُمَّ بارِكْ لِأُمَّتِي في بُكورِها، يَوْمَ السَّبْتِ»[3].

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ: إذا كانَ لَكَ إلى رَجُلٍ حاجَةٌ، فَاطْلُبْها إِلَيْهِ نَهارًا، ولا تَطْلُبْها لَيْلًا، وَاطْلُبْها بُكْرَةً، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسولَ الله صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ يَقولُ: «اللَّهُمَّ بارِكْ لِأُمَّتِي في بُكورِها».

ولا يَنْبَغِي أنْ يُسافِرَ في بُكْرَةِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَيَكونَ عاصِيًا بِتَرْكِ الْجُمُعَةِ، وَالْيَوْمُ مَنْسوبٌ إِلَيْهَا، فَكانَ أَوَّلُهُ مِنْ أَسْبابِ وُجُوبِها. وَالتَّشْيِيعُ لِلْوَداعِ مُسْتَحَبٌّ وهو سُنَّةٌ.

السَّابِعُ: أَنْ لا يَنْزِلَ حَتَّى يَحْمَى النَّهارُ، وهو السُّنَّةُ.

---

(1) مسند الطيالسي: 2/ 574، مسند ابن الجعد: 256، مصنف ابن أبي شيبة: 6/ 534، مسند أحمد: 2/ 439، والنقل من الإحياء: 2/ 254.

(2) صحيح البخاري: 4/ 48، رقم: 2949.

(3) مكارم الأخلاق للخرائطي: 272، الإحياء: 2/ 254، كشف الخفاء: 1/ 213.

وَيَكونُ أَكْثَرُ سَيْرِهِ بِاللَّيْلِ؛ قالَ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ: «عَلَيْكُمْ بِالدُّلْجَةِ فإِنَّ الْأَرْضَ تُطْوَى بِاللَّيْلِ ما لا تُطْوَى بالنَّهارِ»[1].

وَمَهْمَا أَشْرَفَ على الْمَنْزِلِ فَلْيَقُلْ: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّماواتِ السَّبْعِ وما أَظْلَلْنَ، وَرَبَّ الْأَرَضِينِ السَّبْعِ وما أَقْلَلْنَ، وَرَبَّ الشَّياطِينِ وما أَضْلَلْنَ، وَرَبَّ الرِّياحِ وما ذَرَيْنَ، وَرَبَّ الْبِحارِ[2] وما جَرَيْنَ، أَسْأَلُكَ خَيْرَ هذا الْمَنْزِلِ وَخَيْرَ أَهْلِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هذا الْمَنْزِلِ وَشَرِّ ما فيهِ، اصْرِفْ عَنِّي شَرَّ شِرارِهِمْ»[3].

فإذا نَزَلَ الْمَنْزِلَ فَلْيُصَلِّ فيه رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: «أَعوذُ بِكَلماتِ الله التَّامَّاتِ الَّتِي لا يُجاوِزُهُنَّ بَرٌّ ولا فاجِرٌ مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ».

فإذا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ فَيَقولُ: «يا أَرْضُ رَبِّي وَرَبُّكِ اللهُ، أَعوذُ باللهِ مِنْ شَرِّكِ وشَرِّ ما فِيكِ، وَشَرِّ ما دَبَّ عَلَيْكِ، أَعوذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّ كُلِّ أَسَدٍ وَأَسْوَدَ، وَحَيَّةٍ وَعَقْرَبٍ، وَمِنْ ساكِنِ الْبَلَدِ، وَوالِدٍ وما وَلَدَ»، ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[4].

وَمَهْما عَلَا شَرَفًا مِنَ الْأَرْضِ في وَقْتِ السَّيْرِ يَقولُ: «اللَّهُمَّ إِنَّ لَكَ الشَّرَفَ على كُلِّ شَرَفٍ، ولَكَ الْحَمْدُ على كُلِّ حالٍ».

---

(1) الموطأ رواية يحيى: 5/ 1426، مصنف عبد الرزاق: 5/ 160، مسند أحمد: 22/ 179، مسند أبي داود: 3/ 28.

(2) الرياح، في رئيس الكتاب ومراد ملا.

(3) النقل من الإحياء: 2/ 254.

(4) الأنعام: 13.

وَمَهْما هَبطَ سَبَّحَ، وَمَهْما خافَ الْوَحْشَةَ في سَفَرِهِ قالَ: «سُبْحانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ رَبِّ الْمَلائِكَةِ والرُّوحِ، جَلَّلْتَ السَّماواتِ بِالْعِزَّةِ والْجَبَروتِ».

الثَّامِنُ: أن يَحْتاطَ بِالنَّهارِ، فلا يَمْشِيَ مُنْفَرِدًا عن الْقافِلَةِ، لِأَنَّهُ رُبَّما يُغْتالُ، أو يَنْقَطِعُ عن الْقافِلَةِ، وَأَنْ يَتَحَفَّظَ باللَّيْلِ عند النَّوْمِ بِأَنْ يَتَناوَبَ الرُّفَقاءُ في الْحِراسَةِ، وهو السُّنَّةُ، وإذا نامَ آخِرَ اللَّيْلِ نَصَبَ ذِراعَهُ، وَجَعَلَ رَأْسَهُ في كَفِّهِ لِئَلَّا يَسْتَثْقِلَ بِالنَّوْمِ فَتَفوتَهُ الصَّلاةُ[1].

وإذا قَصَدَهُ عَدُوٌّ أو سَبُعٌ فَلْيَقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، وَ﴿شَهِدَ اللهُ﴾[2] الْآيَةَ، وَالْإِخْلاصَ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ، وَلْيَقُلْ: «بِسْمِ اللهِ ما شاءَ اللهُ لا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ، حَسْبِيَ اللهُ، تَوَكَّلْتُ على اللهِ، ما شاءَ اللهُ، لا يَأْتِي بِالْخَيْرِ إِلَّا اللهُ، ما شاءَ اللهُ، لا يَصْرِفُ السُّوءَ إِلَّا اللهُ، حَسْبِيَ الله وَكَفَى، سَمِعَ اللهُ لِمَنْ دَعَا، لَيْسَ وَراءَ الله مُنْتَهَى، ولا دونَ الله مَلْجَأٌ، ﴿كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[3]، تَحَصَّنْتُ بالله الْعَلِيِّ الْعَظيمِ، وَاسْتَعَنْتُ بِالْحَيِّ الَّذِي لا يَموتُ، اللَّهُمَّ احْرُسْنا بِعَيْنِكَ الَّتِي لا تَنامُ، وَاكْنُفْنا بِرُكْنِكَ الَّذِي لا يُرامُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنا بِقُدْرَتِكَ علينا فلا نَهْلِكَ، وَأَنْتَ ثِقَتُنا وَرَجاؤُنا، اللَّهُمَّ أَعْطِفْ علينا قُلوبَ عِبادِكَ وَإِمائِكَ بِرَأْفَةٍ وَرَحْمَةٍ، إِنَّكَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمينَ.

---

(1) الإحياء: 2/ 255.

(2) آل عمران: 18.

(3) سورة المجادلة، الآية: 21.

التَّاسِعُ: أنْ يَرْفُقَ بِالدَّابَّةِ راكِبًا ولا يُحَمِّلَها ما لا تُطيقُ، ولا يَضْرِبَ في وَجْهِها فإنَّهُ مَنْهِيٌّ عَنْهُ، ولا يَنامَ عليها فإنَّهُ يَتَأَذَّى به الدَّابَّةُ، إذْ يَثْقُلُ بِالنَّوْمِ. وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَنْزِلَ عن الدَّابَّةِ غُدْوَةً وَعَشِيَّةً، وفيه فَوائِدُ، تَرْويحُ الدَّابَّةِ، وَإِدْخالُ السُّرورِ على قَلْبِ الْمُكارِي، وَرِياضَةُ الْبَدَنِ، وَالْحَذَرُ مِنْ خَدَرِ[1] الْأَعْضاءِ[2] بِطولِ الرُّكوبِ. وَيَنْبَغِي أنْ يَعْرِضَ كُلَّ ما يَحْمِلُهُ على الْمُكارِي لِئَلَّا يَثورَ بَيْنَهُما نِزاعٌ، فَلْيَتَحَرَّزْ عَنِ اللَّجاجِ وَكَثْرَةِ الْكَلامِ مَعَ الْمُكارِي.

الْعاشِرُ: يَسْتَصْحِبُ سِتَّةَ أَشْياءَ ـ بِذَلِكَ وَرَدَتِ السُّنَّةُ ـ: الْمِرْآةَ، وَالسِّواكَ، وَالْمُكْحُلَةَ، وَالْمُشْطَ، وَالقارورَةَ، وَالْمِقْراضَ. وَزادَ الصُّوفِيَّةُ: الرَّكْوَةَ لِحَمْلِ الْماءِ الطَّاهِرِ، وَالْحَبْلَ لِنَزْعِ الْماءِ وَتَجْفيفِ الثَّوْبِ الْمَغْسولِ، وَزادَ بَعْضُهُمُ الْإِبْرَةَ بِخُيوطِها؛ وَبَعْضُهُمْ اسْتَغْنَوْا عن الرَّكْوَةِ بِالتَّيَمُّمِ، وَبِالطَّهارَةِ مِنَ الْغُدْرانَ ما لم[3] يَتَيَقَّنُوا بِنَجاسَتِها، وَعَنِ الْحَبْلِ بِالْجِبالِ وَالْأَرْضِ فَيَفْرِشونَ الثِّيابَ الْمَغْسولَةَ عَلَيْها[4].

الْحادِي عَشَرَ: في آدابِ الرُّجوعِ مِنَ السَّفَرِ. «كانَ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ إذا قَفَلَ مِنْ غَزْوٍ أو حَجٍّ أو غَيْرِهِ يُكَبِّرُ على كُلِّ شَرَفٍ مِنَ الْأَرْضِ ثَلاثَ تَكْبيراتٍ، وَيَقولُ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له، له الْمُلْكُ وله الْحَمْدُ،

---

(1) الخدر: الكسل والفتور. اللسان: خدر.

(2) الأعصاب، في أنطاليا.

(3) القذر إن لم، في قونية.

(4) الإحياء: 2/ 255-256.

وهو على كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ، آيِبونَ تائِبونَ عابِدونَ ساجِدونَ لِرَبِّنا حامِدونَ، صَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ، وَنَصرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزابَ وَحْدَهُ»[1]. وإذا أَشْرَفَ على مَدِينَتِهِ يَقولُ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ لنا بها قَرارًا وَرِزْقًا حَسَنًا»[2].

ثُمَّ لِيُرْسِلْ إلى أَهْلِهِ مَنْ يُخْبِرُهُمْ بِقُدومِهِ كَيْلَا يَقْدُمَ عَلَيْهِمْ بَغْتَةً فَيَرَى ما يَكْرَهُ. ولا يَنْبَغِي أن يَطْرُقَهُمْ لَيْلًا، فَقَدْ وَرَدَ النَّهْيُ عنه، و«كان صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ إذا قَدِمَ دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ دَخَلَ الْبَيْتَ وقالَ: تَوْبًا تَوْبًا لِرَبِّنَا أَوْبًا لا يُغادِرُ عَلَيْنا حَوْبًا»[3].

وَالسُّنَّةُ أَنْ يَحْمِلَ لِأَهْلِ بَيْتِهِ وَلِأَقارِبِهِ تُحْفَةً مِنْ مَطْعومٍ أَوْ غَيْرِهِ، على قَدْرِ إِمْكانِهِ، لِأَنَّ الْأَعْيُنَ تَمْتَدُّ إلى الْقادِمِ مِنَ السَّفَرِ، وَالْقُلوبَ تَفْرَحُ به، وَبِذَلِكَ يَتَأَكَّدُ فَرَحُهُمْ[4].

(1) صحيح البخاري: 3/ 7، رقم: 1797.

(2) مكارم الأخلاق للخرائطي: 267، الدعاء للمحاملي: 122، الإحياء: 2/ 256، الأذكار للنووي: 227.

(3) مصنف ابن أبي شيبة: 6/ 79، مسند أحمد: 4/ 156، مسند أبي يعلى: 4/ 29، صحيح ابن حبان: 7/ 412، السنن الكبرى للبيهقي: 10/ 521.

(4) الإحياء: 2/ 256-257.

الْمَطْلَبُ الثَّالِثُ: في الْآدابِ الْباطِنَةِ

وَقَدْ ذُكِرَ نُبَذٌ منها، وَجُمْلَةُ ذلِكَ أن لا يُسافِرَ إلَّا لِزِيادَةِ أَمْرٍ دِينِيٍّ، وَيَنْوِيَ في دُخولِ كُلِّ بَلْدَةٍ أَنْ يَرَى شُيوخَها، وَيَجْتَهِدَ أن يَسْتَفيدَ مِنْهُمْ أَدَبًا، أو كَلِمَةً يَنْتَفِعُ بها، لا لِيَحْكِيَ ذلِكَ عَنْهُمْ، وَيُظْهِرَ أَنَّهُ لَقِيَ الْمَشايِخَ، ولا يُقيمَ بِبَلْدَةٍ أَكْثَرَ مِنْ أُسْبوعٍ، أو عَشَرَةِ أَيَّامٍ، إِلَّا أَنْ يَأْمُرَهُ الشَّيْخُ الْمَقْصودُ بِذَلِكَ، ولا يُجالِسَ في مُدَّةِ[1] الْإِقامَةِ إِلَّا الْفُقَراءَ الصَّادِقينَ. وإِنْ زارَ أَخًا له فلا يَزيدُ على ثَلاثَةِ أَيَّامٍ، فَهُوَ حَدُّ الضِّيافَةِ، إِلَّا إذا شَقَّ على أَخيهِ مُفارَقَتُهُ.

وإذا قَصَدَ زِيارَةَ شَيْخٍ فلا يُقيمُ عِنْدَهُ أَكْثَرَ مِنْ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، ولا يَشْتَغِلُ بِالْعِشْرَةِ، فإِنَّ ذَلِكَ يَقْطَعُ بَرَكَةَ سَفَرِهِ. وإِنْ كانَ الشَّيْخُ في بَيْتِهِ، فلا يَدُقُّ عليه بابَهُ، ولا يَسْتَأْذِنُ عليه إلى أَنْ يَخْرُجَ، فإذا خَرَجَ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ بِأَدَبٍ. ولا يَتَكَلَّمُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَّا أنْ يَسْأَلَهُ، فَإِنْ سَأَلَهُ، أَجابَ بِقَدْرِ السُّؤالِ، ولا يَسْأَلُهُ عن مَسْأَلَةٍ ما لم يَسْتَأْذِنْ أَوَّلًا.

وإذا كانَ في السَّفَرِ فلا يُكْثِرْ ذِكْرَ أَطْعِمَةِ الْبُلْدانِ وَأَسْخِيائِهِمْ، وَلا أَصْدِقائِهِ فيها، وَلْيَذْكُرْ مَشايِخَها وَفُقَراءَها، ولا يُهْمِلْ في سَفَرِهِ زِيارَةَ قُبورِ الصَّالِحينَ، وَيُلازِمُ في الطَّرِيقِ الذِّكْرَ، وَقِراءَةَ الْقُرْآنِ، بِحَيْثُ لا يُسْمِعُ غَيْرَهُ. وإذا كَلَّمَهُ إِنْسانٌ فَلْيَسْكُتْ عن الذِّكْرِ، وَلْيُجِبْهُ ما دامَ يُحَدِّثُهُ، ثُمَّ لِيَرْجِعْ إلى ما كانَ عَلَيْهِ.

(1) هذه، في الأزهرية.

فَإِنْ تَبَرَّمَتْ نَفْسُهُ بِالسَّفَرِ أو بِالْإِقامَةِ فَلْيُخالِفْها، فَالْبَرَكَةُ في مُخالَفَةِ النَّفْسِ. وإذا تَيَسَّرَتْ خِدْمَةُ قَوْمٍ صالِحينَ، فلا يَنْبَغِي أنْ يُسافِرَ تَبَرُّمًا بِالْخِدْمَةِ، فَذَلِكَ كُفْرانُ نِعْمَةٍ، وإنْ لم يَحْصُلْ له في السَّفَرِ زِيادَةٌ في الدِّينِ فَلْيَرْجِعْ، إذْ لو كانَ بِحَقٍّ لَظَهَرَ أَثَرُهُ[1].

---

(1) الإحياء: 2/ 257.

الْمَطْلَبُ الرَّابِعُ: فِي رُخَصِ الْمُسافِرِ وَأَدِلَّةِ الْقِبْلَةِ وَالْأَوْقاتِ:

وَالرُّخَصُ سِتٌّ، رُخْصَتَيْنِ[1] في الطَّهارَةِ، الْمَسْحُ على الْخُفِّ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيالِيها، وَالتَّيَمُّمُ، وَرُخْصَتَيْنِ في النَّفْلِ، أَداؤُهُ على الرَّاحِلَةِ، وَأَداؤُهُ ماشِيًا؛ وَرُخْصَةٌ في الصَّلاةِ: وهو الْقَصْرُ؛ وَرُخْصَةٌ في الصَّوْمِ، وهو الْفِطْرُ بِنِيَّةِ الْقَضاءِ في الْفَرْضِ. وَتَفْصيلُ ذلِكَ في عِلْمِ الْفِقْهِ.

وأَمَّا أَدِلَّةُ الْقِبْلَةِ فَثَلاثَةٌ: أَرْضِيَّةٌ؛ كَالاِسْتِدْلالِ بِالْجِبالِ، وَالْقُرَى، وَالْأَنْهارِ. أو **هَوائِيَّةٌ**؛ كَالاِسْتِدْلالِ بِالرِّياحِ، وَهُمَا يَخْتَلِفانِ فَيَصْعُبُ الاِسْتِدلالُ بِهِما.

وأَمَّا السَّماوِيَّةُ، فَالشَّمْسُ في النَّهارِ، فَلا بُدَّ أن يُراعِيَ قَبْلَ السَّفَرِ أنَّ الشَّمْسَ عِنْدَ الزَّوالِ أَيْنَ تَقَعُ مِنْهُ إذا تَوَجَّهَ إلى الْقِبْلَةِ، أَهِيَ على الْعَيْنِ الْيُمْنَى، أو الْيُسْرَى، أو عَلَى الْجَبينِ، وكَذَا بِمَوْقِعِ الْغُروبِ وَبِالْمَشْرِقِ، وَيَعْرِفَ اخْتِلافَ هَذِهِ صَيْفًا وَشِتاءً. فإذا بَعُدَتِ الْبِلادُ، تَتَفاوَتُ هَذِهِ الْأُمورُ، فَيَنْبَغِي أن يَسْأَلَ عن أَهْلِها، أو يُحْرِزَ[2] ذَلِكَ مِنْ مَساجِدِها، فإنْ بَانَ أَنَّهُ أَخْطَأَ فَإِنْ وافَقَ الْجِهَةَ فيها وإلَّا يُعيدُ الصَّلاةَ. وَأَمَّا مُقابَلَةُ الْجِهَةِ فَبِأَنْ تَقَعَ الْكَعْبَةُ بَيْنَ الْخَطَّيْنِ الْخارِجَيْنِ مِنْ جِهَةِ الْمُصَلَّى على هَيْئَةِ ساقِي الْمُثَلَّثِ إلى الْأُفُقِ، فإِنْ كانَتِ الْكَعْبَةُ بَيْنَهُما تَصِحُّ الصَّلاةُ وإلَّا فَلَا[3].

وَأَمَّا أَمْرُ الْأَوْقاتِ فَفِي كُتُبِ الْفِقْهِ مُفَصَّلًا، فَارْجِعْ إِلَيْهَا لَعَلَّكَ تَرْشُدُ بها.

---

(1) كذا في النسخ الخطية، وحقها الرفع.

(2) يتحرى، في أنطاليا.

(3) الإحياء: 2/ 257-265.

الْأَصْلُ الثَّامِنُ: **فِي آدَابِ السَّمَاعِ وَالْوَجْدِ**

وَفِيهِ مَطَالِبُ:

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ: **فِي حِلِّهِ وَحُرْمَتِهِ**

فَقَدْ نُقِلَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَجَمَاعَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ.

وَأَمَّا الْآثَارُ فَمُخْتَلِفَةٌ فِي الْحُرْمَةِ وَالْإِبَاحَةِ، وَمَهْمَا تَعَارَضَتْ يَبْقَى التَّقْلِيدُ إِلَى أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ قُصُورًا، فَيَنْبَغِي أَنْ يُبْحَثَ عَنْ مَدَارِكِ الْحَظْرِ وَالْإِبَاحَةِ.

اعْلَمْ أَنَّ أَمْرَ الْحُرْمَةِ لَا يُعْرَفُ بِمُجَرَّدِ الْعَقْلِ، بَلْ بِالسَّمْعِ، إِمَّا بِالنَّصِّ، وَهُوَ مَا أَظْهَرَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ أَوْ فِعْلِهِ، أَوْ بِالْقِيَاسِ. فَإِنْ لَمْ يُوجَدْ فِيهِ نَصٌّ، وَلَمْ يُوجَدْ فِيهِ قِيَاسٌ بَطَلَ الْقَوْلُ بِتَحْرِيمِهِ، وَبَقِيَ كَسَائِرِ الْمُبَاحَاتِ.

ثُمَّ نَقُولُ: وَقَدْ دَلَّ النَّصُّ وَالْقِيَاسُ جَمِيعًا عَلَى إِبَاحَتِهِ. أَمَّا الْقِيَاسُ؛ فَهُوَ أَنَّ السَّمَاعَ سَمَاعُ صَوْتٍ طَيِّبٍ مَوْزُونٍ مَفْهُومِ الْمَعْنَى مُحَرِّكِ الْقَلْبِ، فَالْوَصْفُ الْأَعَمُّ أَنَّهُ صَوْتٌ طَيِّبٌ. ثُمَّ هُوَ إِمَّا مَوْزُونٌ أَوْ غَيْرُهُ، ثُمَّ الْمَوْزُونُ إِمَّا مَفْهُومٌ أَوْ غَيْرُهُ؛ فَهَذِهِ دَرَجَاتٌ:

الدَّرَجَةُ الْأُولَى: الصَّوْتُ الطَّيِّبُ مِنْ حَيْثُ هُوَ طَيِّبٌ، فَلَا يَحْرُمُ، بَلْ حَلَالٌ بِالنَّصِّ وَالْقِيَاسِ. أَمَّا الْقِيَاسُ فَهُوَ أَنَّهُ يَرْجِعُ إِلَى تَلَذُّذِ حَاسَّةِ السَّمْعِ

بِإِدْرَاكِ مَا هُوَ مَخْصُوصٌ بِهِ، وَهِيَ إِمَّا مُسْتَلَذَّةٌ كَصَوْتِ الْبَلَابِلِ، أَوْ مُسْتَكْرَهَةٌ كَنَهِيقِ الْحَمِيرِ، فَكَمَا لَا حُرْمَةَ فِي مُسْتَلَذَّاتِ سَائِرِ الْحَوَاسِّ فَكَذَا فِيهِ، كَالْأَلْوَانِ الْخَضِرَةِ فِي الْبَصَرِ، وَالْأَطْعِمَةِ الْحُلْوَةِ فِي الذَّائِقَةِ. وَأَمَّا النَّصُّ فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾[1]؛ قِيلَ: هُوَ حُسْنُ الصَّوْتِ، وَقَدِ امْتَنَّ بِذَلِكَ. وَفِي الْحَدِيثِ: «مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا حَسَنَ الصَّوْتِ»[2].

الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: النَّظَرُ فِي الصَّوْتِ الطَّيِّبِ الْمَوْزُونِ، وَالْوَزْنُ وَرَاءَ الْحُسْنِ، فَهِيَ إِمَّا أَنْ تَخْرُجَ مِنْ جَمَادٍ كَصَوْتِ الْقَصَبِ وَالْأَوْتَارِ، أَوْ مِنْ حَيَوَانٍ كَصَوْتِ الْعَنَادِلِ وَالْقَمَارِيِّ، أَوْ مِنْ إِنْسَانٍ كَصَوْتِ النَّغَمَاتِ مِنْ حَنْجَرَةِ الْإِنْسَانِ، فَسَمَاعُ هَذِهِ يَسْتَحِيلُ أَنْ تُحَرَّمَ لِكَوْنِهَا طَيِّبَةً أَوْ مَوْزُونَةً، وَإِلَّا لَحُرِّمَ صَوْتُ الْعَنَادِلِ. وَلَا فَرْقَ بَيْنَ حَنْجَرَةٍ وَحَنْجَرَةٍ، وَلَا بَيْنَ جَمَادٍ وَحَيَوَانٍ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُقَاسَ عَلَيْهِ أَصْوَاتُ الْحُلُوقِ مِنَ الْإِنْسَانِ، وَأَصْوَاتُ الْقَصَبِ وَالدُّفِّ، إِلَّا الْمَلَاهِيَ وَالْأَوْتَارَ. وَلَا شَكَّ أَنَّ حُرْمَتَهَا لَيْسَ لِلَذَّتِهَا، وَإِلَّا لَحُرِّمَ كُلُّ مَا يَسْتَلِذُّهُ الْإِنْسَانُ، بَلْ لَمَّا حُرِّمَتِ الْخُمُورُ اقْتَضَتْ ضَرَاوَةُ النَّاسِ بِهَا الْمُبَالَغَةَ فِي الْفِطَامِ عَنْهَا، حَتَّى انْتَهَى الْأَمْرُ فِي الِابْتِدَاءِ إِلَى كَسْرِ الدِّنَانِ، فَحُرِّمَ مَعَهَا مَا هُوَ شِعَارُ أَهْلِ الشُّرْبِ مِنَ الْأَوْتَارِ وَالْمَزَامِيرِ فَقَطْ. وَكَانَ تَحْرِيمُهَا مِنْ قَبِيلِ الْإِتْبَاعِ، كَتَحْرِيمِ الْخَلْوَةِ لِكَوْنِهَا مُقَدِّمَةً لِلزِّنَا،

---

(1) سورة فاطر، الآية: 1.

(2) العلل الواردة في الأحاديث النبوية للدارقطني: 12/ 135.

وَكَتَحْرِيمِ النَّظَرِ إِلَى الْفَخِذِ لِئَلَّا يُتَسَاهَلَ فِي ذَلِكَ؛ وَيُؤَدِّيَ إِلَى التَّسَاهُلِ فِي السَّوْأَتَيْنِ، وَحُرِّمَ قَلِيلُ الْخَمْرِ وَإِنْ لَمْ يُسْكِرْ، لِأَنَّهُ يَدْعُو إِلَى الْكَثِيرِ، وَمَا مِنْ حَرَامٍ إِلَّا وَلَهُ حَرِيمٌ يُطِيفُ بِهِ، وَحُكْمُ الْحُرْمَةِ يَنْسَحِبُ عَلَى تَحْرِيمِهِ لِيَكُونَ حِمًى لِلْحَرَامِ، أَوْ وِقَايَةً لَهُ، وَحِصَارًا مَانِعًا[1] حَوْلَهُ.

فَظَهَرَ أَنَّ الْأَوْتَارَ وَالْمَزَامِيرَ حُرِّمَتْ لِأَجْلِ تَحْرِيمِ الْخَمْرِ لِثَلَاثِ عِلَلٍ:

إِحْدَاهَا: أَنَّهُ يَدْعُو إِلَى شُرْبِ الْخَمْرِ، فَإِنَّ اللَّذَّةَ الْحَاصِلَةَ بِهَا إِنَّمَا تَتِمُّ بِالْخَمْرِ، وَبِمِثْلِ هَذِهِ الْعِلَّةِ حُرِّمَ قَلِيلُ الْخَمْرِ.

وَثَانِيَتُهَا: أَنَّهَا فِي حَقِّ قَرِيبِ الْعَهْدِ بِشُرْبِ الْخُمُورِ تُذَكِّرُ بِمَجَالِسِ الْأُنْسِ بِالشُّرْبِ فَهُوَ سَبَبُ الذِّكْرِ، وَالذِّكْرُ سَبَبُ انْبِعَاثِ الشَّوْقِ، وَهُوَ إِذَا قَوِيَ سَبَبُ الْإِقْدَامِ، فَمَنْ تَذَكَّرَ بِهَا شُرْبَ الْخَمْرِ فَهُوَ فِي حَقِّهِ حَرَامٌ، وَفِي حَقِّ غَيْرِهِ مَكْرُوهٌ.

وَثَالِثَتُهَا: الِاجْتِمَاعُ عَلَيْهَا لِمَا أَنْ صَارَتْ عَادَةَ أَهْلِ الْفِسْقِ، فَيُمْنَعُ التَّشَبُّهُ بِهِمْ، لِأَنَّ مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ. وَلِهَذَا حُرِّمَتِ الْكُوبَةُ، وَهِيَ: طَبْلٌ مُسْتَطِيلٌ، دَقِيقُ الْوَسَطِ، وَاسِعُ الطَّرَفَيْنِ، وَضَرْبُهَا عَادَةُ الْمُخَنَّثِينَ، وَلَوْلَا مَا فِيهِ مِنَ التَّشَبُّهِ بِهِمْ لَكَانَ مِثْلَ طَبْلِ الْحَجِّ وَالْغَزْوِ. وَلِهَذَا حُرِّمَ الْمِزْمَارُ الْعِرَاقِيُّ وَالْأَوْتَارُ كُلُّهَا، كَالْعُودِ وَالرَّبَابِ وَالْبَرْبَطِ[2] وَغَيْرِهَا؛ وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَلَيْسَ فِي

(1) وخطا رابعا، في الأزهرية ورئيس الكتاب ومراد ملا. (وحظارا مانعا) في الإحياء: 2/ 272.

(2) البربط: العود، أعجمي ليس من ملاهي العرب فأعربته حين سمعت به. اللسان/ برط.

مَعْنَاهَا، كَشَاهِينِ الرُّعَاةِ وَالْحَجِيجِ، وَشَاهِينِ الطَّبَّالِينَ، وَكَالطَّبْلِ وَالْقَضِيبِ، وَكُلِّ آلَةٍ يُسْتَخْرَجُ مِنْهُ صَوْتٌ طَيِّبٌ مَوْزُونٌ سِوَى مَا يَعْتَادُهُ أَهْلُ الشُّرْبِ[1].

بِهَذَا تبَيَّنَ أَنَّهُ لَيْسَ الْعِلَّةُ فِي تَحْرِيمِهِ مُجَرَّدَ الْأَصْوَاتِ الطَّيِّبَةِ، بَلِ الْقِيَاسُ تَحْلِيلُ الطَّيِّبَاتِ كُلِّهَا إِلَّا مَا فِي تَحْلِيلِهِ فَسَادٌ.

الدَّرَجَةُ الثَّالِثَةُ: الْمَوْزُونُ الْمَفْهُومُ؛ وَهُوَ الشِّعْرُ، وَذَلِكَ خَارِجٌ مِنْ حَنْجَرَةِ الْإِنْسَانِ فَيُقْطَعُ بِإِبَاحَتِهِ، وَمَا زَادَ إِلَّا كَوْنُهُ مَفْهُومًا. وَالْكَلَامُ الْمَفْهُومُ غَيْرُ حَرَامٍ، وَكَذَا الصَّوْتُ الطَّيِّبُ الْمَوْزُونُ، فَإِذَا لَمْ يُحَرَّمِ الْآحَادُ فَلَمْ يُحَرَّمِ الْمَجْمُوعُ، إِلَّا أَنْ يُفْهَمَ مِنْهُ أَمْرٌ مَحْظُورٌ، وَذَلِكَ حُرِّمَ نَظْمُهُ وَنَثْرُهُ وَحُرِّمَ التَّصْوِيتُ بِهِ سَوَاءٌ كَانَ بِأَلْحَانٍ أَوْ لَا. وَالْحَقُّ فِيهِ قَوْلُ الشَّافِعِيِّ: «الشِّعْرُ كَلَامٌ فَحَسَنُهُ حَسَنٌ وَقَبِيحُهُ قَبِيحٌ»[2].

وَمَهْمَا كَانَ إِنْشَادُ الشِّعْرِ بِغَيْرِ صَوْتٍ حَسَنٍ حَسَنًا فَمَعَ الْأَلْحَانِ لا يَحْرُمُ، إِذِ الْمُبَاحُ إِذَا انْضَمَّ إِلَى مُبَاحٍ لَمْ يَحْرُمْ، فَكَيْفَ يُنْكَرُ إِنْشَادُ الشِّعْرِ وَقَدْ أُنْشِدَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنْشَدَ هُوَ أَيْضًا، وَكَذَا نُقِلَ عَنِ الصَّحَابَةِ سِيَّمَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَعَنِ التَّابِعِينَ وَالْمُجْتَهِدِينَ سِيَّمَا الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ.

الدَّرَجَةُ الرَّابِعَةُ: النَّظَرُ فِيهِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ مُحَرِّكٌ لِلْقَلْبِ، وَمُهَيِّجٌ لِمَا هُوَ الْغَالِبُ عَلَيْهِ، فَأَقُولُ: لِلَّهِ تَعَالَى سِرٌّ فِي مُنَاسَبَةِ النَّغَمَاتِ الْمَوْزُونَةِ لِلْأَرْوَاحِ،

---

(1) الإحياء: 2/ 268 ـ 272.

(2) أخرجه أبو يعلى في مسنده: 8/ 200 رقم: 4760.

حَتَّى إِنَّهَا لَتُؤَثِّرُ فِيهَا تَأْثِيرَ الْفَرَحِ وَالْحُزْنِ وَالضَّحِكِ وَالطَّرَبِ، حَتَّى النَّوْمِ، حَتَّى قِيلَ: مَنْ لَمْ يُحَرِّكْهُ الرَّبِيعُ وَأَزْهَارُهُ، وَالْعُودُ وَأَوْتَارُهُ، فَهُوَ فَاسِدُ الْمِزَاجِ، لَا يَقْبَلُ الْعِلَاجَ[1].

وَكَيْفَ لَا وَالصَّبِيُّ فِي مَهْدِهِ يُسْكِتُهُ الصَّوْتُ الطَّيِّبُ، وَالْجَمَلُ مَعَ بَلَادَةِ طَبْعِهِ يَتَأَثَّرُ بِالْحُدَاءِ، حَتَّى يَسْتَخِفَّ مَعَهُ الْأَحْمَالَ الثَّقِيلَةَ، وَتَمُدُّ أَعْنَاقَهَا إِلَى جَانِبِ الصَّوْتِ، وَيَتْرُكُ الْمَاءَ وَالْعَلَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ مَعَ شِدَّةِ جُوعِهِ وَعَطَشِهِ، وَرُبَّمَا تُتْلِفُ أَنْفُسَهَا[2] فِي شِدَّةِ السَّيْرِ. [وَقَدْ نُقِلَ؛ أَنَّ الطُّيُورَ كانَتْ تَقِفُ عَلَى رَأْسِ دَاوُدَ لِاسْتِمَاعِ صَوْتِهِ][3].

وَمَهْمَا كانَ النَّظَرُ فِي السَّمَاعِ بِاعْتِبَارِ تَأْثِيرِهِ فِي الْقُلُوبِ، لَمْ يَجُزْ أَنْ يُحْكَمَ مُطْلَقًا بِإِبَاحَتِهِ وَحُرْمَتِهِ، بَلْ يَخْتَلِفُ ذَلِكَ بِاخْتِلَافِ أَحْوَالِ الْقَلْبِ.

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ: «السَّمَاعُ لا يَجْعَلُ فِي الْقَلْبِ مَا لَيْسَ فِيهِ، لَكِنْ يُحَرِّكُ مَا هُوَ فِيهِ»[4].

وَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا، فَاعْلَمْ أَنَّ **مَوَاضِعَ الْغِنَاءِ** لَا تَخْلُو عَنْ سَبْعَةِ [مَوَاضِعَ][5]:

الْأَوَّلُ: غِنَاءُ الْحَجِيجِ [فَإِنَّهُمْ يَدُورُونَ أَوَّلًا فِي الْبِلَادِ][6] بِالطَّبْلِ وَالشَّاهِينِ

---

(1) الإحياء: 2/ 275. وفي رواية: ليس له علاج.

(2) نفسه، في أنطاليا.

(3) ما بين معقوفين سقط من أنطاليا.

(4) الإحياء: 2/ 275.

(5) زيادة من أنطاليا.

(6) زيادة من أنطاليا.

[وَالْغِنَاءِ، وَذَلِكَ مُبَاحٌ لِأَنَّهَا أَشْعَارٌ نُظِمَتْ][1] فِي وَصْفِ الْكَعْبَةِ وَالْمَقَامِ، وَالْحَطِيمِ وَزَمْزَمِ، وَسَائِرِ الْمَشَاعِرِ، وَوَصْفِ الْبَادِيَةِ، وَهَذَا يُهَيِّجُ الشَّوْقَ إِلَى حَجِّ الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَاشْتِعَالِهِ إِنْ كَانَ ثَمَّةَ شَوْقٌ حَاصِلٌ. وَالْحَجُّ مَحْمُودٌ، وَالشَّوْقُ وَمَا يَبْعَثُهُ مِنَ الطَّرِيقِ الْمُبَاحِ أَيْضًا مَحْمُودٌ لَا مَحَالَةَ. وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ الْأَشْعَارُ الَّتِي يُنْشِدُهَا[2] الْوَاعِظُ لِلتَّرْغِيبِ [أَوِ التَّرْهِيبِ][3].

الثَّانِي: مَا يَعْتَادُهُ الْغُزَاةُ لِتَحْرِيضِ النَّاسِ علَى الْغَزْوِ. وَذَلِكَ أَيْضًا مُبَاحٌ، لَكِنْ يُخَالِفُ أَلْحَانَ الْحَاجِّ، لِأَنَّ ذَلِكَ لِلتَّرْغِيبِ وَالتَّشْوِيقِ، وَهَذَا لِلتَّشْجِيعِ وَاسْتِحْقَارِ النَّفْسِ وَالْمَالِ. وَالْأَشْعَارُ الْمُشَجِّعَةُ مِثْلَ قَوْلِ الْمُتَنَبِّي: [الطويل]

فَإِنْ لَا تَمُتْ تَحْتَ السُّيُوفِ مُكَرَّمًا   تَمُتْ وَتُقَاسِ الذُّلَّ غَيْـرَ مُكَرَّمِ[4]

وَقَوْلِهِ: [الوافر]

يَرَى الْجُبَنَـاءُ أَنَّ الْجُبْنَ حَزْمٌ   وَتِلْـكَ خَـدِيعَـةُ النَّفْسِ اللَّئِيمِ[5]

وَأَمْثَالَ ذَلِكَ. فَهَذَا أَيْضًا مُبَاحٌ فِي وَقْتٍ يُبَاحُ فِيهِ الْغَزْوُ، وَمَنْدُوبٌ إِلَيْهِ فِي وَقْتِ اسْتِحْبَابِهِ.

---

(1) زيادة من أنطاليا.

(2) نشرها، في رئيس الكتاب.

(3) سقطت من أنطاليا.

(4) التبيان في شرح الديوان للعكبري: 4/ 34.

(5) المصدر نفسه: 4/ 120. برواية:

يَرَى الْجُبَنَاءُ أَنَّ الْعَجْزَ عَقْلٌ *** وَتِلْكَ خَدِيعَةُ الطَّبْعِ اللَّئِيمِ.

الثَّالِثُ: الرَّجَزِيَّاتُ فِي اللِّقَاءِ بِالْعَدُوِّ، وَالْغَرَضُ مِنْهُ تَشْجِيعُ النَّفْسِ وَالْأَنْصَارِ، وَفِيهِ التَّمَدُّحُ بِالشَّجَاعَةِ وَالنَّجْدَةِ. وَذَلِكَ إِذَا كانَ بِلَفْظٍ رَشِيقٍ وَصَوْتٍ طَيِّبٍ كَانَ أَوْقَعَ فِي النَّفْسِ. وَذَلِكَ إِمَّا مُبَاحٌ أَوْ مَنْدُوبٌ إِلَيْهِ، بِحَسَبِ إِبَاحَةِ الْقِتَالِ أَوْ نَدْبِهِ، وَمَحْظُورٌ إِذَا كانَ فِي قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ الذِّمَّةِ وَكُلِّ قِتَالٍ مَحْظُورٍ، لأَنَّ الدَّاعِيَ إِلَى الْمَحْظُورِ مَحْظُورٌ، وَذَلِكَ مَنْقُولٌ عَنْ شُجْعَانِ الصَّحَابَةِ كَعَلِيٍّ وَخَالِدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَغَيْرِهِمَا.

وَلِذَلِكَ يُمْنَعُ مِنَ الضَّرْبِ بِالشَّاهِينِ فِي مُعْتَرَكِ الْغُزَاةِ، لأَنَّهُ يَحْلُلُ عُقْدَةَ الشَّجَاعَةِ لِكَوْنِ صَوْتِهِ مُرَقَّقًا مُحْزِنًا، فَمَنْ فَعَلَهُ لِيُفَتِّرَ الْقُوَى عَنِ الْقِتَالِ الْمَنْدُوبِ فَهُوَ عَاصٍ، وَعَنِ الْقِتَالِ الْحَرَامِ فَهُوَ مُطِيعٌ.

الرَّابِعُ: أَصْوَاتُ النِّيَاحَةِ وَنَغَمَاتُهَا الْمُهَيِّجَةُ لِلْحُزْنِ وَالْبُكَاءِ، فَذَلِكَ مَذْمُومٌ إِنْ كانَ عَلَى الْأَمْوَاتِ، لِلنَّهْيِ عَنِ التَّأَسُّفِ عَلَى مَا فَاتَ؛ وَأَمَّا الْحُزْنُ عَلَى تَقْصِيرِهِ فِي أَمْرِ دِينِهِ، وَبُكَاؤُهُ عَلَى خَطَايَاهُ، وَالتَّبَاكِي وَالتَّحَازُنُ عَلَيْهِ - كَمَا فَعَلَهُ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَمَحْمُودٌ، حَتَّى كانَتِ الْجَنَائِزُ تُحْمَلُ مِنْ مَجْلِسِ نِيَاحَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَلِهَذَا لَمْ يَحْرُمِ الْبُكَاءُ وَالتَّبَاكِي عَلَى الذُّنُوبِ مِنَ الْوُعَّاظِ وَأَرْبَابِ التَّذَكُّرِ.

الْخَامِسُ: السَّمَاعُ فِي أَوْقَاتِ السُّرُورِ تَأْكِيدًا لَهُ وَتَهْيِيجًا لَهُ، وَهُوَ مُبَاحٌ إِنْ كانَ السُّرُورُ مُبَاحًا، كَالْغِنَاءِ فِي أَيَّامِ الْعِيدِ وَالْعُرْسِ، وَقُدُومِ الْغَائِبِ، وَوِلَادَةِ الْوَلَدِ، وَالْوَلِيمَةِ وَالْعَقِيقَةِ، وَعِنْدَ الْخِتَانِ، وَحِفْظِ الْقُرْآنِ، إِذْ كُلُّ مَا جَازَ

السُّرُورُ بِهِ جَازَ إِثَارَةُ السُّرُورِ فِيهِ. وَيَدُلُّ عَلَى جَوَازِهِ إِنْشَادُهُمْ بِالدُّفِّ وَالْأَلْحَانِ عِنْدَ قُدُومِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [مجزوء الرمل]

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعِ
وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا مَا دَعَا لِلَّهِ دَاعِ

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عِنْدَ مَنْعِ أَبِي بَكْرٍ جَارِيَتَيْنِ تُدَفِّفَانِ وَتَضْرِبَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعْهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ فَإِنَّهَا أَيَّامُ عِيدٍ»(1).

وَكَذَا نَظَرُ عَائِشَةَ إلى الْحَبَشَةِ يَلْعَبُونَ فِي الْمَسْجِدِ، وَالنَّبِيُّ صلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسلَّمَ عِنْدَهَا يَسْتُرُهَا بِرِدَائِهِ(2)، وغيرُ ذَلِكَ.

فَهَذِهِ الْمَقَايِيسُ وَالنُّصُوصُ تَدُلُّ علَى إِبَاحَةِ الْغِنَاءِ وَالرَّقْصِ وَالضَّرْبِ بِالدُّفِّ، وَاللَّعِبِ فِي أَوْقَاتِ السُّرُورِ كُلِّهَا، قِيَاسًا عَلَى يَوْمِ الْعِيدِ مِمَّا يَجُوزُ الْفَرَحُ بِهِ شَرْعًا.

وَمِنْهُ: الْفَرَحُ بِزِيَارَةِ الْإِخْوَانِ وَلِقَائِهِمْ، وَاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى طَعَامٍ أَوْ كَلَامٍ، فَهُوَ أَيْضًا مَظِنَّةُ السَّمَاعِ.

السَّادِسُ: سَمَاعُ الْعُشَّاقِ تَحْرِيكًا لِلشَّوْقِ، وَتَهْيِيجًا لِلْعِشْقِ، وَتَسْلِيَةً لِلنَّفْسِ، فَإِنْ كانَ فِي مُشَاهَدَةِ الْمَعْشُوقِ فَالْغَرَضُ تَأْكِيدُ اللَّذَّةِ، وَإِنْ كانَ مَعَ

---

(1) صحيح البخاري: 2/ 23، رقم: 987. وصحيح مسلم: 2/ 608، رقم: 892.

(2) المصدر نفسه: 7/ 38، رقم: 5236، وسنن النسائي: 3/ 195، رقم: 1595.

الْمُفَارَقَةِ فَالْغَرَضُ تَهْيِيجُ الشَّوْقِ. وَالشَّوْقُ وَإِنْ كَانَ أَلَمًا. فَفِيهِ نَوْعُ لَذَّةٍ إِذَا انْضَافَ إِلَيْهِ رَجَاءُ الْوِصَالِ، وَهَذَا حَلَالٌ إِنْ كَانَ مِمَّنْ يُبَاحُ لَهُ الْوِصَالُ، كَمَنْ يَعْشَقُ زَوْجَتَهُ أَوْ سُرِّيَّتَهُ فَيُصْغِي إِلَى غِنَائِهَا لِتَتَضَاعَفَ لَذَّتُهُ فِي لِقَائِهِمَا، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾[1]، وَهَذَا مِنْهُ.

وَأَمَّا مَنْ يَتَمَثَّلُ فِي نَفْسِهِ صُورَةَ صَبِيٍّ أَمْرَدَ، أَوِ امْرَأَةٍ لَا يَحِلُّ لَهُ النَّظَرُ إِلَيْهَا، فَهَذَا حَرَامٌ، لِأَنَّهُ مُحَرِّكٌ لِلْفِكْرِ فِي الْأَفْعَالِ الْمَحْظُورَةِ، وَمُهَيِّجٌ لِلدَّاعِيَةِ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ الْوُصُولُ إِلَيْهِ، وَهَذَا حَالُ الْفُسَّاقِ وَالسُّفَهَاءِ وَكَثِيرٍ مِنَ الشُّبَّانِ، فَالسَّمَاعُ مَمْنُوعٌ فِي حَقِّهِمْ لِمَا فِيهِ مِنْ تَحْرِيكِ الدَّاءِ الدَّفِينِ، لَا لِأَمْرٍ يَرْجِعُ إِلَى نَفْسِ السَّمَاعِ[2].

السَّمَاعُ: سَمَاعُ مَنْ أَحَبَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَعَشِقَهُ، وَاشْتَاقَ إِلَى لِقَائِهِ، فَلَا يَنْظُرُ إِلَى شَيْءٍ إِلَّا رَآهُ فِيهِ، وَلَا يَقْرَعُ سَمْعَهُ قَارِعٌ إِلَّا سَمِعَهُ مِنْهُ أَوْ فِيهِ، فَالسَّمَاعُ فِي حَقِّهِ مُهَيِّجٌ لِشَوْقِهِ، وَمُؤَكِّدٌ لِعِشْقِهِ، وَمُورٍ زِنَادَ قَلْبِهِ، وَمُسْتَخْرِجٌ مِنْهُ كَمِينَ حُبِّهِ، وَيَحْصُلُ مِنْهُ أَحْوَالٌ مِنَ الْمُكَاشَفَاتِ وَالْمُلَاطَفَاتِ لا يُحِيطُ الْوَصْفُ بِهَا، يَعْرِفُهَا مَنْ ذَاقَهَا، وَيُنْكِرُهَا مَنْ كَلَّ حِسُّهُ عَنْ ذَوْقِهَا.

وَتُسَمَّى تِلْكَ الْأَحْوَالُ عِنْدَهُمْ وَجْدًا أَخْذًا مِنَ الْوُجُودِ، لِأَنَّهُ صَادَفَ مِنْ نَفْسِهِ أُمُورًا لَمْ يَكُنْ يُصَادِفُهَا قَبْلَ السَّمَاعِ، ثُمَّ تَكُونُ تِلْكَ الْأُمُورُ وَالْأَحْوَالُ سَبَبًا

(1) سورة الأنعام الآية: 32.

(2) الإحياء: 2/ 178- 179.

لِرَوَادِفَ وَتَوَابِعَ تُحْرِقُ الْقَلْبَ بِنِيرَانِهَا، وَتُنَقِّيهِ مِنَ الْكُدُورَاتِ كَمَا يُنَقَّى الْإِبْرِيزُ مِنَ الْخَبَثِ، فَيَحْصُلُ لِلْقَلْبِ الصَّفَاءُ وَالنَّقَاءُ، ثُمَّ يَتْبَعُ الصَّفَاءَ مُكَاشَفَاتٌ وَمُشَاهَدَاتٌ هِيَ غَايَةُ مَطَالِبِ الْمُحِبِّينَ لِلَّهِ تَعَالَى، وَنِهَايَةُ ثَمَرَةِ الْقُرُبَاتِ كُلِّهَا، فَالْمُفْضِي إِلَيْهَا مِنْ جُمْلَةِ الْقُرُبَاتِ، لَا مِنْ جُمْلَةِ الْمَعَاصِي وَالْمُبَاحَاتِ.

وَحُصُولُ هَذِهِ الْأَحْوَالِ بِسَبَبِ السَّمَاعِ سِرُّ اللهِ تَعَالَى فِي مُنَاسَبَةِ النَّغَمَاتِ الْمَوْزُونَةِ لِلْأَرْوَاحِ، وَيُثْمِرُ لَهَا شَوْقًا وَفَرَحًا وَانْبِسَاطًا وَانْقِبَاضًا، وَمَعْرِفَةُ السَّبَبِ فِي ذَلِكَ مِنْ دَقَائِقِ عُلُومِ الْمُكَاشَفَاتِ.

وَأَمَّا الْبَلِيدُ الْجَامِدُ الطَّبْعِ، الْقَاسِي الْقَلْبِ، الْمَحْرُومُ عَنْ لَذَّةِ السَّمَاعِ رُبَّمَا يُنْكِرُ ذَلِكَ وَيَتَعَجَّبُ مِنَ الِالْتِذَاذِ وَالْوَجْدِ، وَاضْطِرَابِ الْحَالِ وَالشَّوْقِ، تَعَجُّبَ الْعِنِّينِ[1] مِنْ لَذَّةِ الْمُبَاشَرَةِ، وَتَعَجُّبَ الصَّبِيِّ مِنْ لَذَّةِ الْجَاهِ وَالرِّيَاسَةِ، وَتَعَجُّبَ الْجَاهِلِ مِنْ لَذَّةِ مَعْرِفَةِ اللهِ وَجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَعَجَائِبِ صَنْعَتِهِ. وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ اللَّذَّةَ نَوْعُ إِدْرَاكٍ، فَمَنْ لَمْ تَكْمُلْ قُوَّةُ إِدْرَاكِهِ فِي حَقِّ الْمُتَلَذَّذِ بِهِ لَا يُدْرِكُ اللَّذَّةَ.

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ بَعْضًا مِنَ الْجُهَّالِ، بَلْ بَعْضًا مِمَّنْ تَظُنُّهُ عَالِمًا، وَهُوَ عَالِمٌ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ، وَجَاهِلٌ فِي بَابِ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَلَمْ يَقْدُرِ اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ، رُبَّمَا يُنْكِرُ مَحَبَّةَ اللهِ تَعَالَى، وَأَنْتَ تُقَلِّدُهُ فِي ذَلِكَ، فَوَجَبَ عَلَيْنَا كَشْفُ اللِّثَامِ عَنْ وَجْهِ الْمَحَبَّةِ وَالْعِشْقِ وَالشَّوْقِ إِلَى اللهِ تَعَالَى.

---

(1) العنين: الذي لا يأتي النساء ولا يريدهن. اللسان/ عنن.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَحَبَّةَ مَيْلٌ يَنْشَأُ مِنِ اعْتِقَادِ جَمَالِ الْمَحْبُوبِ، فَإِذَا قَوِيَتِ الْمَحَبَّةُ تُسَمَّى عِشْقًا.

ثُمَّ إِنَّ الْجَمَالَ **إِمَّا صُورِيٌّ**، وَهُوَ تَنَاسُبُ الْخِلْقَةِ، وَصَفَاءُ اللَّوْنِ الْمُدْرَكِ بِحَاسَّةِ الْبَصَرِ.

وَإِمَّا مَعْنَوِيٌّ، وَهُوَ كَمَالُ الْعَظَمَةِ، وَعُلُوُّ الرُّتْبَةِ، وَحُسْنُ الصِّفَاتِ، وَإِرَادَةُ الْخَيْرَاتِ لِكَافَّةِ الْخَلْقِ الْمُدْرَكِ بِحَاسَّةِ الْقَلْبِ[1].

وَقَدْ يُحَبُّ الْإِنْسَانُ لِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْبَاطِنَةِ - وَإِنْ لَمْ يُرَ صَاحِبُهَا - كَمَا يُحِبُّ الْإِنْسَانُ أَبَا حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيَّ لِاعْتِقَادِ الْكَمَالِ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ وَالْأَخْلَاقِ فِيهِمَا، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يُدرِكْ بِجَمَالِهِمَا الصُّورِي أَصْلًا، فَظَهَرَ أَنَّهُ يُمْكِنُ مَعْرِفَةُ الْجَمَالِ الْمَعْنَوِيِّ بِدُونِ رُؤْيَةِ الْجَمَالِ الصُّورِيِّ.

ثُمَّ إِنَّ الْجَمَالَ الْحَقِيقِيَّ فَهُوَ اللهُ تَعَالَى، وَلَا جَمَالَ وَلَا مَحْبُوبَ فِي الْعَالَمِ إِلَّا وَهُوَ حَسَنَةٌ مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَأَثَرٌ مِنْ آثَارِ كَرَمِهِ، وَغَرْفَةٌ مِنْ بَحْرِ جُودِهِ، بَلْ كُلُّ حُسْنٍ وَجَمَالٍ في الْعَالَمِ مِنْ مُبْتَدَإِ الْعَالَمِ إِلَى مُنْقَرَضِهِ، وَمِنْ ذِرْوَةِ الْعُلَى إِلى مُنْتَهَى الثَّرَى، فَهُوَ ذَرَّةٌ مِنْ خَزَائِنِ قُدْرَتِهِ، وَلَمْعَةٌ مِنْ أَنْوَارِ حَضْرَتِهِ، فَلَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ لَا يُعْقَلُ حُبُّ مَنْ هَذَا وَصْفُهُ، وَكَيْفَ لَا يُتَأَكَّدُ عِنْدَ الْعَارِفِينَ بِأَوْصَافِهِ حُبُّهُ حَتَّى يُجَاوِزَ حَدًّا لا يُمْكِنُ إِطْلَاقُ اسْمِ الْعِشْقِ أَيْضًا

(1) الإحياء: 2/ 280.

عَلَيْهِ، لِقُصُورِهِ عَنِ الْإِنْبَاءِ عَنْ فَرْطِ مَحَبَّتِهِ. فَسُبْحَانَ مَنِ احْتَجَبَ عَنِ الظُّهُورِ لِلْأَبْصَارِ لِشِدَّةِ ظُهُورِهِ، وَاسْتَتَرَ عَنِ الْعُيُونِ بِإِشْرَاقِ نُورِهِ، وَلَوْلَا احْتِجَابُهُ بِسَبْعِينَ حِجَابًا مِنْ نُورِهِ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ أَبْصَارَ اللَّاحِظِينَ لِجَمَالِ حَضْرَتِهِ، وَلَوْلَا أَنَّ ظُهُورَهُ سَبَبُ خَفَائِهِ لَبُهِتَتِ الْعُقُولُ، وَذَهَبَتِ الْقُلُوبُ، وَتَجَاذَبَتِ الْقُوَى، وَتَنَاثَرَتِ الْأَعْضَاءُ، وَلَوْ رُكِّبَتِ الْقُلُوبُ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْحَدِيدِ لَأَصْبَحَتْ تَحْتَ مَبَادِئِ أَنْوَارِ تَجَلِّيهِ دَكًّا دَكًّا، فَأَنَّى تُطِيقُ كُنْهَ نُورِ الشَّمْسِ أَبْصَارُ الْخَفَافِيشِ، بَلْ مَحَبَّةُ غَيْرِ اللهِ جَهْلٌ وَقُصُورٌ لِظَنِّهِ أَنَّ فِيهِمْ شَيْئًا مِنَ الْجَمَالِ، بَلِ الْمُتَحَقِّقُ بِالْمَعْرِفَةِ لَا يَعْرِفُ غَيْرَ اللهِ، إِذْ لَيْسَ فِي الْوُجُودِ تَحْقِيقًا إِلَّا اللهُ وَأَفْعَالُهُ، فَكَانَتْ مَحَبَّتُهُ مَقْصُورَةً عَلَى اللهِ غَيْرَ مُجَاوِزَةٍ إِلَى سِوَاهُ، فكانَ اسْمُ الْعِشْقِ عَلَى حُبِّ غَيْرِهِ مَجَازًا مَحْضًا لَا حَقِيقَةَ لَهُ.

نَعَمْ إِنَّ النَّاقِصَ الْقَرِيبَ فِي نُقْصَانِهِ مِنَ الْبَهِيمَةِ قَدْ لَا يُدْرِكُ مِنْ لَفْظَةِ الْعِشْقِ إِلَّا طَلَبَ الْوِصَالِ، الَّذِي هُوَ عِبَارَةٌ عِنْدَهُمْ عَنْ تَمَاسِّ ظَوَاهِرِ الْأَجْسَامِ، وَقَضَاءِ شَهْوَةِ الْوِقَاعِ، فَمِثْلُ هَذَا الْحِمَارِ يَنْبَغِي أَنْ لَا يُسْتَعْمَلَ مَعَهُ لَفْظُ الْعِشْقِ وَالشَّوْقِ وَالْوِصَالِ وَالْأُنْسِ، إِذِ الْأَفْهَامُ الْفَاسِدَةُ السَّقِيمَةُ لَا تُدْرِكُ مِنَ الْأَلْفَاظِ إِلَّا مَا يُلَائِمُ طِبَاعَهَا، فَاسْتَعْمَلَ مَعَهُ مَا يُوَافِقُ طَبْعَهُ مِنْ لَفْظِ الْكَمَالِ وَالتَّلَذُّذِ بِمَعْرِفَتِهِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ[1].

---

(1) الإحياء: 2/ 280 - 281.

الْمَطْلَبُ الثَّاني: في مَوَاضِعِ حُرْمَةِ السَّمَاعِ

وَأَنَّهَا خَمْسَةُ عَوَارِضَ:

الْأُولَى: السَّمَاعُ مِنَ الْمَرْأَةِ الْمُحَرَّمِ النَّظَرُ إِلَيْهَا، وَالْأَمْرَدِ، فَيَحْرُمُ السَّمَاعُ لَا لِنَفْسِهَا بَلْ لِمُحَاوِرِهَا.

وَالثَّانِيَةُ: في الْآلَةِ، بِأَنْ تَكُونَ مِنْ شَعَائِرِ الشَّرْبِ[1] أَوِ الْمُخَنَّثِينَ، كَالْمَزَامِيرِ وَالْأَوْتَارِ، وَطَبْلِ الْكُوبَةِ، وَمَاعَدَا ذَلِكَ يَبْقَى عَلَى الْإِبَاحَةِ، كَالدُّفِّ وَإِنْ كَانَ مَعَهُ الْجَلَاجِلُ، وَكَالطَّبْلِ وَالشَّاهِينِ، وَالضَّرْبِ بِالْقَضِيبِ وَسَائِرِ الْآلَاتِ.

الثَّالِثَةُ: فِي نَظْمِ الصَّوْتِ وَهُوَ الشِّعْرُ؛ فَإِنْ كانَ مِنَ الْخَنَا[2] وَالْفُحْشِ وَالْكَذِبِ وَالْهَجْوِ فَسَمَاعُ ذَلِكَ حَرَامٌ بِأَلْحَانٍ وَغَيْرِ أَلْحَانٍ، وَالْمُسْتَمِعُ شَرِيكُ الْقَائِلِ، وَكَذَلِكَ مَا فِيهِ وَصْفُ امْرَأَةٍ بِعَيْنِهَا. وَأَمَّا هِجَاءُ الْكُفَّارِ وَأَهْلِ الْبِدْعَةِ فَذَلِكَ جَائِزٌ، وَقَدْ فَعَلَهُ حَسَّانُ في مَجْلِسِ الرَّسُولِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَأَمَّا التَّشْبِيبُ وَهُوَ: النَّشِيدُ بِوَصْفِ الْخُدُودِ وَالْقُدُودِ وَالْأَصْدَاغِ وَسَائِرِ أَوْصَافِ النِّسَاءِ فَفِيهِ نَظَرٌ، وَالصَّحِيحُ جَوَازُهُ [وَإِنْشَادُهُ بِصَوْتٍ أَوْ بِغَيْرِ صَوْتٍ][3] إِنْ لَمْ يُنَزِّلْهُ على مُعَيَّنَةٍ، أو نَزَّلَهُ عَلَى مَنْ تَحِلُّ لَهُ مِنْ زَوْجَتِهِ وَجَارِيَتِهِ، وَمَنْ نَزَّلَهُ عَلَى أَجْنَبِيَّةٍ فَهُوَ عَاصٍ بِهَذَا التَّنْزِيلِ، وَمَنْ هَذَا حَالُهُ

---

(1) من شعار أهل الشرف، في الإحياء: 2/ 282.

(2) الخنا: من قبيح الكلام، والخنا: الفحش. اللسان/ خنا.

(3) زيادة من أنطاليا.

يَنْبَغِي أَنْ لَا يَحْضُرَ مَجْلِسَ السَّمَاعِ.

وَأَمَّا الَّذِي يَغْلِبُ عَلَى قَلْبِهِ حُبُّ اللهِ تَعَالَى يَتَذَكَّرُ بِسَوَادِ الصُّدْغِ مَثَلًا ظُلْمَةَ الْكُفْرِ، وَبِنَضَارَةِ الْخَدِّ نُورَ الْإِيمَانِ، وَبِذِكْرِ الْوِصَالِ لِقَاءَ اللهِ، وَبِذِكْرِ الْفِرَاقِ الْحِجَابَ عَنِ اللهِ فِي زُمْرَةِ الْمَرْدُودِينَ، وَبِذِكْرِ الرَّقِيبِ الْمُشَوِّشِ لِرُوحِ الْوِصَالِ عَوَائِقَ الدُّنْيَا وَآفَاتِهَا الْمُشَوِّشَةَ لِدَوَامِ الْأُنْسِ بِاللهِ، وَلَا يَحْتَاجُ فِي تَنْزِيلِ ذَلِكَ عَلَيْهِ إِلَى اسْتِنْبَاطٍ وَتَفَكُّرٍ وَمُهْلَةٍ، بَلْ تَسْبِقُ الْمَعَانِي الْغَالِبَةُ عَلَى الْقَلْبِ إِلَى فَهْمِهِ مع اللَّفْظِ، حَتَّى إِنَّ مَا فَهِمَهُ رُبَّمَا لَا يُوَافِقُ مُرَادَ الشَّاعِرِ[1].

الرَّابِعَةُ: فِي الْمُسْتَمِعِ، بِأَنْ يَكُونَ شَابًّا تَكُونُ الشَّهْوَةُ غَالِبَةً عَلَيْهِ، فَالسَّمَاعُ حَرَامٌ عَلَيْهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ حُبُّ شَخْصٍ مُعَيَّنٍ.

الْخَامِسَةُ: أَنْ يَكُونَ الْمُسْتَمِعُ مِنَ الْعَوَامِّ، وَلَمْ يَغْلِبْ عَلَيْهِ حُبُّ اللهِ، فَيَكُونَ السَّمَاعُ لَهُ مَحْبُوبًا. وَلَوْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الشَّهْوَةُ فَيَكُونُ [فِي حَقِّهِ][2] مَحْظُورًا، وَلَكِنَّهُ أُبِيحَ فِيهِ كَسَائِرِ اللَّذَّاتِ الْمُبَاحَةِ، إِلَّا أَنَّهُ بِالْمُدَاوَمَةِ يَصِيرُ لَهْوًا تُرَدُّ شَهَادَتُهُ، وَبِالْإِصْرَارِ يَصِيرُ كَبِيرَةً. وَنَظِيرُ ذَلِكَ اللَّعِبُ بِالشَّطْرَنْجِ عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ، لِأَنَّ مُدَاوَمَتَهُ مَكْرُوهَةٌ كَرَاهَةً شَدِيدَةً وَإِنْ كانَ أَصْلُهُ مُبَاحًا، إِذْ كَمْ مِنْ مُبَاحٍ يَصِيرُ إِكْثَارُهُ حَرَامًا، كَالْخُبْزِ الْمُبَاحِ إِكْثَارُهُ حَرَامٌ بِأَنْ يُجَاوِزَ حَدَّ الشِّبَعِ[3].

---

(1) الإحياء: 2/ 282.

(2) زيادة من أنطاليا.

(3) الإحياء: 2/ 283.

وَأَمَّا مَا وَرَدَ مِنَ الْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ الدَّالَّةِ عَلَى حُرْمَةِ الْغِنَاءِ، فَإِمَّا لِعَوَارِضَ مُحَرَّمَةٍ كَمَا ذَكَرْنَاهُ، أَوْ يُحْمَلُ عَلَى الْهَرَبِ عَنْ تَمَتُّعِ الدُّنْيَا، أَوْ يُحْمَلُ عَلَى حُرْمَةِ الْأَوْتَارِ، أَوْ عَلَى سَمَاعِهِ عِنْدَ اشْتِغَالِهِ بِمَا هُوَ أَوْلَى مِنْهُ مِنْ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى، وَذِكْرِ صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَأَمْثَالِ ذَلِكَ.

وَأَكْثَرُ اسْتِعْمَالِ السَّلَفِ الْغِنَاءَ فِي أَصْوَاتِ الْقِيَانِ مِنَ الْجَوَارِي الْحِسَانِ، وَلِذَلِكَ قَالَ الْجُنَيْدُ: «الْغِنَاءُ رُقْيَةُ الزِّنَا»[1].

وَمَنْ أَتْقَنَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْقَوَاعِدِ سَهُلَ عَلَيْهِ تَأْوِيلُ أَمْثَالِ ذَلِكَ.

---

(1) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، للثعالبي: 676، وشعب الإيمان للبيهقي: 7/ 112، والإحياء: 2/ 287.

الْمَطْلَبُ الثَّالِثُ: فِي آدَابِ السَّمَاعِ وَثَمَرَاتِهِ

وَفِيهَا مَقَامَاتٌ ثَلَاثَةٌ:

الْأَوَّلُ: فِي الْفَهْمِ، وَهُوَ مُخْتَلِفٌ بِاخْتِلَافِ أَحْوَالِ الْمُسْتَمِعِ، وَهِيَ أَرْبَعَةٌ:

أَحَدُهَا: أَنْ يَكُونَ سَمَاعُهُ لِمُجَرَّدِ الطَّبْعِ، لَا حَظَّ لَهُ إِلَّا اسْتِلْذَاذُهُ الْأَلْحَانَ وَالنَّغَمَاتِ، وَهَذَا مُبَاحٌ، لَكِنَّهُ أَخَسُّ مَرَاتِبِ السَّمَاعِ، إِذْ تُشَارِكُهُ فِيهِ الْإِبِلُ.

ثَانِيهَا: تَنْزِيلُهُ عَلَى صُورَةِ مَخْلُوقٍ إِمَّا مُعَيَّنٍ أَوْ غَيْرِ مُعَيَّنٍ، وَهَذِهِ الْحَالَةُ أَخَسُّ مِنْ أَنْ يُتَكَلَّمَ فِيهَا إِلَّا بِبَيَانِ خِسَّتِهَا وَالنَّهْيِ عَنْهَا.

وَثَالِثُهَا: أَنْ يُنَزَّلَ عَلَى مُعَامَلَتِهِ مَعَ اللهِ، وَهَذَا سَمَاعُ الْمُرِيدِ، وَرُبَّمَا يُمْكِنُ حَمْلُ كَلَامٍ وَاحِدٍ عَلَى مَعْنَيَيْنِ مُتَخَالِفَيْنِ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ حَالِ الْمُسْتَمِعِ[1].

الرَّابِعَةُ: سَمَاعُ مَنْ جَاوَزَ الْأَحْوَالَ وَالْمَقَامَاتِ، وَكَانَ كَالْمَدْهُوشِ الْغَائِصِ فِي عَيْنِ الشُّهُودِ، كَاللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ[2] فِي مُشَاهَدَةِ جَمَالِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَيُعَبِّرُونَ عَنْهُ بِالْفَنَاءِ عَنْ نَفْسِهِ. وَمَهْمَا فَنِيَ عَنْ نَفْسِهِ فَهُوَ عَنْ غَيْرِهِ أَفْنَى، فَكَأَنَّهُ فَنِيَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا عَنِ الْوَاحِدِ الْمَشْهُودِ، وَفَنِيَ أَيْضًا عَنِ الشُّهُودِ، وَلَا خَبَرَ لَهُ عَنْ فَنَائِهِ أَيْضًا؛ مَثَلًا: قَدْ يَعْلَمُ الشَّيْءَ، وَقَدْ يَعْلَمُ الْعِلْمَ بِهِ، فَفِي الثَّانِي يَكُونُ مُعْرِضًا عَنِ الشَّيْءِ. وَمِثْلُ هَذِهِ الْحَالَةِ قَدْ تَطْرَأُ فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِينَ، وَقَدْ تَطْرَأُ فِي حَقِّ الْخَالِقِ، إِلَّا أَنَّهُ يَكُونُ كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ، إِذْ لَوْ

---

(1) الإحياء: 2/ 287.

(2) ﴿مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ سورة يوسف الآية: 50.

دَامَ لَمْ تُطِقْهُ الْقُوَّةُ الْبَشَرِيَّةُ، وَرُبَّمَا تَهْلِكُ فِيهِ نَفْسُهُ، فَهَذِهِ دَرَجَةُ الصِّدِّيقِينَ فِي الْفَهْمِ وَالْوَجْدِ، وَهِيَ أَعْلَى الدَّرَجَاتِ. إِلَّا أَنَّ فِيهِ نَوْعَ قُصُورٍ، وَإِنَّمَا الْكَمَالُ أَنْ يَفْنَى بِالْكُلِّيَّةِ عَنْ نَفْسِهِ، وَعَنْ أَحْوَالِهِ، فَيَسْمَعَ بِاللهِ وَلِلَّهِ وَفِي اللهِ وَمِنَ اللهِ، وَهَذِهِ رُتْبَةُ مَنْ خَاضَ لُجَّةَ الْحَقَائِقِ، وَعَبَرَ سَاحِلَ الْأَحْوَالِ وَالْأَعْمَالِ، وَاتَّحَدَ بِصَفَاءِ التَّوْحِيدِ، وَتَحَقَّقَ بِمَحْضِ الْإِخْلَاصِ، فَلَمْ يَبْقَ فِيهِ مِنْهُ شَيْءٌ أَصْلًا، بَلْ خَمَدَتْ بِالْكُلِّيَّةِ بَشَرِيَّتُهُ، وَفَنِيَ الْتِفَاتُهُ إِلَى صِفَاتِ الْبَشَرِيَّةِ رَأْسًا.

وَلَسْتُ أَعْنِي بِفَنَائِهِ فَنَاءَ جَسَدِهِ، بَلْ فَنَاءَ قَلْبِهِ، لَا اللَّحْمَ الصَّنَوْبَرِيَّ، بَلْ سِرٌّ لَطِيفٌ لَهُ إِلَى الْقَلْبِ الظَّاهِرِ نِسْبَةٌ خَفِيَّةٌ، وَوَرَاءَهَا الرُّوحُ الَّذِي هُوَ مِنْ أَمْرِ اللهِ سُبْحَانَهُ، عَرَفَهَا مَنْ عَرَفَهَا، وَجَهِلَهَا مَنْ جَهِلَهَا. وَلِذَلِكَ السِّرِّ وُجُودٌ، وَصُورَةُ ذلكَ الْوُجُودِ مَا يَحْضُرُ فِيهِ، فَإِذَا حَضَرَ فِيهِ غَيْرُهُ فَكَأَنَّهُ لَا وُجُودَ إِلَّا لِلْحَاضِرِ؛ وَمِثَالُهُ: الْمِرْآةُ الْمَجْلِيَّةُ[1]، إِذْ لَيْسَ لَهَا لَوْنٌ فِي نَفْسِهَا، بَلْ لَوْنُهَا لَوْنُ الْحَاضِرِ فِيهَا، وَلَيْسَ لَهَا فِي نَفْسِهَا صُورَةٌ، بَلْ صُورَتُهَا قَبُولُ الصُّوَرِ، وَلَوْنُهَا هُوَ هَيْئَةُ الِاسْتِعْدَادِ لِقَبُولِ الْأَلْوَانِ.

وَهَذَا مِنْ مَقَامَاتِ عُلُومِ الْمُكَاشَفَةِ؛ مِنْهَا نَشَأَ خَيَالُ مَنِ ادَّعَى الْحُلُولَ وَالِاتِّحَادَ وَقَالَ: أَنَا الْحَقُّ، وَحَوْلَهَا يُدَنْدِنُ كَلَامُ النَّصَارَى فِي دَعْوَى اتِّحَادِ اللَّاهُوتِ بِالنَّاسُوتِ، أَوْ تَذَرُّعِهَا بِهَا، أَوْ حُلُولِهَا فِيهَا، عَلَى مَا اخْتَلَفَ فِيهِ عِبَارَاتُهُمْ، وَهُوَ خَطَأٌ مَحْضٌ يُضَاهِي غَلَطَ مَنْ يَحْكُمُ عَلَى الْمِرْآةِ بِصُورَةِ

(1) الجلية، في الأزهرية ورئيس الكتاب ومراد ملا. والمجلوّة، في الإحياء، 2- 291.

الْحُمْرَةِ، إِذَا ظَهَرَ فِيهَا لَوْنُ الْحُمْرَةِ مِنْ مُقَابَلَتِهَا، وَإِذَا كانَ هَذَا غَيْرَ لَائِقٍ بِعِلْمِ الْمُعَامَلَةِ رَجَعْنَا إِلَى الْغَرَضِ[1].

الْمَقَامُ الثَّانِي الْوَجْدُ:

وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ حَالَةٍ يُثْمِرُهَا السَّمَاعُ، وَهُوَ وَارِدٌ جَدِيدٌ عَقِيبَهُ يَجِدُهُ الْمُسْتَمِعُ مِنْ نَفْسِهِ. وَتِلْكَ حَالَةٌ لَا تَخْلُو مِنْ قِسْمَيْنِ: فَإِنَّهَا إِمَّا أَنْ تَرْجِعَ إِلَى مُشَاهَدَاتٍ وَمُكَاشَفَاتٍ مِنْ قَبِيلِ الْعُلُومِ وَالتَّنْبِيهَاتِ، [وَإِمَّا أَنْ تَرْجِعَ][2] إِلَى أَحْوَالٍ وَتَغْيِيرَاتٍ لَيْسَتْ مِنَ الْعُلُومِ، بَلْ كَالْخَوْفِ وَالشَّوْقِ وَالْحُزْنِ وَالْقَلَقِ وَالسُّرُورِ وَالْأَسَفِ وَالنَّدَمِ وَالْبَسْطِ وَالْقَبْضِ.

فَإِنْ ضَعُفَ وَلَمْ يَظْهَرْ فِي الظَّاهِرِ لَمْ يُسَمَّ وَجْدًا، وَإِنْ ظَهَرَ عَلَى الظَّاهِرِ سُمِّيَ وَجْدًا إِمَّا قَوِيًّا أَوْ ضَعِيفًا. وَقَدْ لَا يَتَغَيَّرُ الظَّاهِرُ لِقُوَّةِ صَاحِبِهِ، وَقَدْ يَكُونُ السَّمَاعُ سَبَبًا لِكَشْفِ مَا لَمْ يَكُنْ مَكْشُوفًا قَبْلَهُ، فَإِنَّ الْكَشْفَ يَحْصُلُ بِأَسْبَابٍ؛ مِنْهَا التَّنْبِيهُ، وَالسَّمَاعُ مُنَبِّهٌ.

وَمِنْهَا: تَغَيُّرُ الْأَحْوَالِ وَمُشَاهَدَتُهَا وَإِدْرَاكُهَا، فَإِنَّ إِدْرَاكَهَا نَوْعُ عِلْمٍ يُفِيدُ إِيضَاحَ أُمُورٍ لَمْ تَكُنْ مَعْلُومَةً قَبْلَ الْوُرُودِ.

وَمِنْهَا: صَفَاءُ الْقَلْبِ، وَالسَّمَاعُ مُؤَثِّرٌ فِي تَصْفِيَةِ الْقَلْبِ، وَالصَّفَاءُ سَبَبُ الْكَشْفِ.

---

(1) الإحياء: 2/ 291 ـ 292.

(2) زيادة من أنطاليا.

وَمِنْهَا: انْبِعَاثُ نَشَاطِ الْقَلْبِ بِقُوَّةِ السَّمَاعِ، فَيَقْوَى بِهِ عَلَى مُشَاهَدَةِ مَا كَانَ تَقْصُرُ عَنْهُ قَبْلَ ذَلِكَ قُوَّتُهُ، بَلِ الْقَلْبُ إِذَا صَفَا رُبَّمَا تَمَثَّلَ لَهُ الْحَقُّ فِي صُورَةِ مُشَاهَدَةٍ، أَوْ فِي لَفْظٍ مَنْظُومٍ يَقْرَعُ سَمْعَهُ يُعَبَّرُ عَنْهُ بِصَوْتِ الْهَاتِفِ إِذا كانَ في الْيَقَظَةِ، وَبِالرُّؤْيَا إِذَا كانَ في الْمَنَامِ، وَذَلِكَ جُزْءٌ مِنَ النُّبُوَّةِ. وَعِلْمُ تَحْقِيقِ ذَلِكَ خَارِجٌ عَنْ عِلْمِ الْمُعَامَلَةِ.

وَرُبَّمَا يُشَاهِدُ بِالْبَصِيرَةِ صُورَةَ الْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّهُ يَتَمَثَّلُ لِأَرْبَابِ الْقُلُوبِ بِصُوَرٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَتَتَمَثَّلُ أَيْضًا الْمَلَائِكَةُ لِلْأَنْبِيَاءِ إِمَّا عَلَى حَقِيقَةِ صُوَرِهَا، وَإِمَّا عَلَى مِثَالٍ يُحَاكِي صُورَتَهَا بَعْضَ الْمُحَاكَاةِ.

وَقَدْ «رَأَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِبْرَائِيلَ مَرَّتَيْنِ فِي صُورَتِهِ، وَأَخْبَرَ عَنْهُ بِأَنَّهُ سَدَّ الْأُفُقَ»(1). وَفِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ مِنَ الصَّفَاءِ يَقَعُ الِاطِّلَاعُ عَلَى ضَمَائِرِ الْقُلُوبِ، وَيُسَمَّى [ذَلِكَ الِاطِّلَاعُ](2) التَّفَرُّسَ، وَفِي الْحَدِيثِ: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ»(3).

وَاعْلَمْ أَنَّ في نَفْسِ الْإِنْسَانِ مُنَاسَبَةً لِلْعَالَمِ الْأَعْلَى، وَاللَّذَّاتِ الَّتِي وُعِدَ بِهَا فِي سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَالْفَرَادِيسِ الْعُلَى. إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُتَخَيَّلْ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ إِلَّا الصِّفَاتُ وَالْأَسْمَاءُ، فَالسَّمَاعُ يُحَرِّكُ مِنْهُ الشَّوْقَ، وَالِاشْتِغَالُ بِالدُّنْيَا قَدْ أَنْسَاهُ

---

(1) الحديث كاملا أخرجه الإمام أحمد في مسنده: 6/ 294، رقم: 3748.

(2) زيادة من أنطاليا.

(3) أخرجه الترمذي في الجامع الكبير: 5/ 200، رقم: 3127، وفي جامع الأصول في أحاديث الرسول: 2/ 205، والإحياء: 2/ 293-294.

نَفْسَهُ وَمُسْتَقَرَّهُ الَّذِي إِلَيْهِ حَنِينُهُ، فَيَتَقَاضَاهُ قَلْبُهُ أَمْرًا لَيْسَ يَدْرِي مَا هُوَ، فَيَدْهَشُ وَيَتَحَيَّرُ وَيَضْطَرِبُ، وَيَصِيرُ كَالْمُخْتَنِقِ الَّذِي لَا يَعْرِفُ طَرِيقَ الْخَلَاصِ.

ثُمَّ إِنَّ الْوَجْدَ قَدْ يَكُونُ بِلَا كُلْفَةٍ، وَيُسَمَّى الْهَاجِمَ، وَقَدْ يَكُونُ بِالْكُلْفَةِ وَيُسَمَّى تَوَاجُدًا. فَمِنْهُ الْمَذْمُومُ، وَهُوَ الَّذِي يُقْصَدُ بِهِ الرِّيَاءُ، وَمِنْهُ مَا هُوَ مَحْمُودٌ، وَهُوَ التَّوَصُّلُ إِلَى اسْتِدْعَاءِ الْأَحْوَالِ الشَّرِيفَةِ وَاكْتِسَابِهَا وَاجْتِلَابِهَا بِالْحِيلَةِ؛ فَإِنَّ لِلْكَسْبِ مَدْخَلًا فِي اجْتِلَابِ الْأَحْوَالِ، وَهُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِ بَعْضِهِمْ: «الْعَادَةُ طَبِيعَةٌ خَامِسَةٌ»[1].

وَلَقَدْ شُوهِدَ فِي الْعَادَاتِ مِنْ تَكَلُّفِ حُبِّ شَخْصٍ وَعِشْقِهِ بِدَوَامِ النَّظَرِ إِلَيْهِ، وَإِكْثَارِ ذِكْرِهِ، حَتَّى خَرَجَ آخِرًا عَنْ حَدِّ اخْتِيَارِهِ، ثُمَّ طَلَبَ الْخَلَاصَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ.

فَإِنْ قُلْتَ: إِذَا كَانَ الْوَجْدُ أَمْرًا مَحْمُودًا، فَمَا بَالُهُمْ يَتَوَاجَدُونَ بِالْأَشْعَارِ، مَعَ أَنَّ الْقُرْآنَ أَحَقُّ بِذَلِكَ.

قُلْتُ: الْوَجْدُ بِالْقُرْآنِ كَانَ غَالِبًا فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ مِنْهَا قَوْلُهُ: «شَيَّبَتْنِي سُورَةُ هُودٍ»[2]، لِأَنَّ الشَّيْبَ الْخَوْفُ مِنَ الْحُزْنِ[3]، وَهُوَ وَجْدٌ.

---

(1) يُضْرَبُ لمن يعتاد شيئا في الحلال أو الحرام حتى يصير عنده عادة، وقد ورد المثل في مجمع الأمثال: 2/ 55. والإحياء: 2/ 296.

(2) العلل الواردة في الأحاديث النبوية: 1/ 206، والشمائل المحمدية: 58 برواية: «شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا».

(3) لأن الشيب من الخوف والحزن، في أنطاليا.

وَمِنْهَا: «أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ لَمَّا قَرَأَ عَلَيْهِ وَانْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً﴾(1)، قالَ: حَسْبُكَ وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ بِالدَّمْعِ»(2).

وَالْبُكَاءُ وَجْدٌ؛ وَإِنَّهُ: «كانَ يُصَلِّي وَلِصَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ»(3)، وَهُوَ مِنَ الْوَجْدِ، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ.

وَكَذَلِكَ وَقَعَ الْوَجْدُ بِالْقُرْآنِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، يُعْرَفُ ذَلِكَ مِنْ تَتَبُّعِ الْأَخْبَارِ؛ وَكَذَا السَّلَفُ كَثِيرًا تَوَاجَدُوا بِالْقُرْآنِ، حَتَّى إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ خَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ وَمَاتَ(4).

وَأَمَّا أَهْلُ زَمَانِنَا هَذَا إِنَّمَا اخْتَارُوا الْغِنَاءَ وَالْأَشْعَارَ لِأَحَدِ أُمُورٍ سَبْعَةٍ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ جَمِيعَ آيَاتِ الْقُرْآنِ لَا تَصْلُحُ لِحَالِ الْمُسْتَمِعِ، فَلَا يُمْكِنُ قِرَاءَةُ الْبَعْضِ وَتَرْكُ الْبَاقِي، وَيُمْكِنُ ذَلِكَ فِي الشِّعْرِ. وَأَمَّا الْكَامِلُونَ فَيَأْخُذُونَ الْوَجْدَ مِنْ كُلِّ آيَةٍ بِقُوَّةِ الْفَهْمِ، إِلَّا أَنَّ أَهْلَ زَمَانِنَا قَاصِرُونَ فِي الْعِلْمِ وَالْحَالِ، فَنَاسَبَ الْأَشْعَارُ حَالَهُمْ.

الثَّانِي: أَنَّ الْقُرْآنَ مُتَكَرِّرٌ عَلَى الْقُلُوبِ وَالْأَسْمَاعِ فَيَضْعُفُ أَثَرُهُ، وَلَمَّا رَأَى الصِّدِّيقُ أَعْرَابًا يَسْمَعُونَ الْقُرْآنَ وَيَبْكُونَ قَالَ: كُنَّا كَمَا كُنْتُمْ ثُمَّ قَسَتْ

(1) سورة النساء الآية: 41.

(2) أخرجه النسائي في فضائل القرآن: 129، رقم: 103.

(3) السنن الكبرى للنسائي: 1/ 292، رقم: 549، وصحيح ابن خزيمة: 2/ 53، رقم: 900.

(4) الإحياء: 2/ 296 ـ 297.

قُلُوبُنَا. وَلَا تَظُنَّنَّ أَنَّ قَلْبَهُ كَانَ أَقْسَى مِنْ قُلُوبِ أَجْلَافِ الْأَعْرَابِ، وَلَكِنَّ التَّكَرُّرَ عَلَى قَلْبِهِ أَوْرَثَ قِلَّةَ التَّأَثُّرِ بِهِ، وَلِذَلِكَ هَمَّ عُمَرُ أَنْ يَمْنَعَ النَّاسَ مِنْ كَثْرَةِ الطَّوَافِ.

الثَّالِثُ: أَنَّ لِوَزْنِ الْكَلَامِ تَأْثِيرًا فِي الْقَلْبِ، وَذَلِكَ فِي الشِّعْرِ.

الرَّابِعُ: أَنَّ الشِّعْرَ الْمَوْزُونَ يُؤَثِّرُ فِي النَّفْسِ بِالْأَلْحَانِ، وَذَلِكَ بِمَدِّ الْمَقْصُورِ تَارَةً، وَقَصْرِ الْمَمْدُودِ أُخْرَى، وَالْقَطْعِ فِي أَثْنَاءِ الْكَلِمَاتِ، وَمِثْلُ هَذَا التَّصَرُّفِ لَا يَحِلُّ فِي الْقُرْآنِ، وَإِنَّمَا الْمَأْمُورُ فِيهِ التَّرْتِيلُ.

الْخَامِسُ: أَنَّ الْأَلْحَانَ الْمَوْزُونَةَ تُؤَكَّدُ بِأَصْوَاتٍ أُخَرَ مَوْزُونَةٍ كَالدُّفِّ وَالْقَضِيبِ، وَالْقُرْآنُ يُصَانُ عَنْ هَذَا الشَّأْنِ.

السَّادِسُ: أَنَّ الْكَلَامَ إِذَا لَمْ يُوَافِقْ حَالَ الْمُسْتَمِعِ يُطْلَبُ تَبْدِيلُهُ إِلَى كَلَامٍ يُوَافِقُ حَالَهُ، لِيَحْصُلَ لَهُ الْوَجْدُ، وَلَا يُمْكِنُ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ.

السَّابِعُ: أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ، وَلَا تُطِيقُهُ الْقُلُوبُ لَوْ سَمِعَتْ حَقَّ السَّمَاعِ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَحْصُلَ بِهِ الْوَجْدُ لِلسَّامِعِ. وَالْأَشْعَارُ تُوَافِقُ حَالَ الْبَشَرِ، وَشَأْنُهُ الْأَدْنَى، لِمُشَاكَلَةِ الْمَخْلُوقِ الْمَخْلُوقَ، وَأَمَّا الْقُرْآنُ فَهُوَ خَارِجٌ عَنْ أَسَالِيبِ الْكَلَامِ وَمِنْهَاجِهِ، وَهُوَ لِذَلِكَ مُعْجِزٌ لَا يَدْخُلُ فِي قُوَّةِ الْبَشَرِيَّةِ لِعَدَمِ مُشَاكَلَتِهِ لِطَبْعِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ[1].

---

(1) الإحياء: 2/ 298 - 301.

الْمَقَامُ الثَّالِثُ: **فِي آدَابِ السَّمَاعِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا**

وَهِيَ خَمْسَةٌ:

الْأَوَّلُ: مُرَاعَاةُ أَحَدِ أُمُورٍ ثَلَاثَةٍ:

الزَّمَانُ: وَمَعْنَاهُ خُلُوُّ الْوَقْتِ عَمَّا يَشْتَغِلُ بِهِ الْقَلْبُ مِنَ الصَّلَاةِ وَالطَّعَامِ وَنَحْوِهِمَا.

وَالْمَكَانُ: بِأَنْ لَا يَكُونَ كَرِيهَ الصُّورَةِ يُشَوِّشُ الْقَلْبَ.

وَالْإِخْوَانُ: بِأَنْ لا يَحْضُرَ مُتَزَهِّدٌ مُنْكِرٌ لِأَحْوَالِ الْقُلُوبِ، أَوْ مُتَوَاجِدٌ مِرَاءً يُمَزِّقُ الثَّوْبَ بِاخْتِيَارِهِ، لِأَنَّ مِثْلَ هَذَا مُشَوِّشٌ لِلْقَلْبِ، فَتَرْكُ السَّمَاعِ عِنْدَ فَقْدِ شُرُوطِهِ أَوْلَى.

الثَّانِي: وَهُوَ نَظَرُ الْحَاضِرِينَ، أَنْ يَحْضُرَ مُرِيدٌ يَضُرُّهُ السَّمَاعُ، وَذَلِكَ أَحَدُ ثَلَاثَةٍ:

أَقَلُّهُمْ دَرَجَةً فِي الضَّرَرِ مَنْ رُتْبَتُهُ الْأَعْمَالُ الظَّاهِرَةُ، وَلَمْ يَحْصُلْ لَهُ ذَوْقُ السَّمَاعِ، فَلَيْسَ هُوَ مِنْ أَهْلِ اللَّهْوِ فَيَلْهُوَ، أَوْ مِنْ أَهْلِ الذَّوْقِ فَيَتَنَعَّمَ، فَهُوَ تَضْيِيعٌ لِزَمَانِهِ.

وَأَوْسَطُهُمْ ضَرَرًا مَنْ لَهُ ذَوْقُ السَّمَاعِ، لَكِنْ فِيهِ بَقِيَّةٌ مِنَ الْحُظُوظِ الْبَشَرِيَّةِ، فَرُبَّمَا يُهَيِّجُ السَّمَاعُ مِنْهُ دَاعِيَةَ اللَّهْوِ وَالشَّهْوَةِ، فَيَصِيرُ ضَرَرُهُ أَكْثَرَ مِنْ نَفْعِهِ.

وَأَعْلَاهُمْ دَرَجَةً فِي حَقِّ الضَّرَرِ: مَنِ انْكَسَرَتْ شَهْوَتُهُ، وَأُمِنَتْ غَائِلَتُهُ، وَانْفَتَحَتْ بَصِيرَتُهُ، لَكِنَّهُ لَمْ يُحْكِمْ ظَاهِرَ الْعِلْمِ، فَرُبَّمَا سَمِعَ لَفْظًا، وَنَزَّلَ الْمَسْمُوعَ عَلَى مَا لَا يَجُوزُ فِي حَقِّهِ تَعَالَى، فَيَكُونُ ضَرَرُهُ ضَرَرَ الْكُفْرِ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ ذَلِكَ، وَلِذَلِكَ قَالَ سَهْلٌ: كُلُّ وَجْدٍ لَا يَشْهَدُ لَهُ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ فَهُوَ بَاطِلٌ[1].

الثَّالِثُ: أَنْ يَكُونَ [بِنَفْسِهِ][2] مُصْغِيًا إِلَى الْقَوَّالِ، [حَاضِرَ الْقَلْبِ، قَلِيلَ الِالْتِفَاتِ إِلَى مَا يَظْهَرُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَحْوَالِ الْوَجْدِ، مُشْتَغِلًا بِنَفْسِهِ وَمُرَاعَاةِ قَلْبِهِ وَمُرَاقَبَةِ][3] مَا يَفْتَحُ اللهُ لَهُ مِنْ رَحْمَتِهِ فِي سِرِّهِ، مُتَحَفِّظًا عَنْ حَرَكَةٍ تُشَوِّشُ عَلَى أَصْحَابِهِ قُلُوبَهُمْ، وَيَحْتَرِزَ[4] عَنِ التَّنَحْنُحِ وَالتَّثَاؤُبِ، وَيَجْلِسَ مُطْرِقًا كَأَنَّهُ مُفَكِّرٌ مُسْتَغْرِقُ الْقَلْبِ، مُتَمَاسِكًا عَنِ التَّصْفِيقِ وَالرَّقْصِ وَسَائِرِ الْحَرَكَاتِ إِلَى أَنْ يَغْلِبَهُ الْوَجْدُ وَيُحَرِّكَهُ بِلَا اخْتِيَارٍ. وَمَهْمَا رَجَعَ إِلَى الِاخْتِيَارِ فَلْيَعُدْ إِلَى هُدُوئِهِ وَسُكُونِهِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْوَجْدَ تَارَةً يُؤَثِّرُ فِي الظَّاهِرِ، وَتَارَةً لا يُؤَثِّرُ. وَعَدَمُ التَّأْثِيرِ إِمَّا لِضُعْفِ الْوَارِدِ مِنَ السَّمَاعِ فَهُوَ نُقْصَانٌ، وَتَارَةً لِكَمَالِ الْقُوَّةِ عَلَى ضَبْطِ الْجَوَارِحِ وَهُوَ كَمَالٌ؛ وَتَارَةً يَكُونُ حَالُ الْوَجْدِ مُصَاحِبًا لَهُ فِي غَالِبِ

---

(1) الإحياء: 2/ 301 ـ 302.

(2) زيادة من رئيس الكتاب.

(3) ما بين معقوفين سقط من الأزهرية.

(4) ويتحرز، في الأزهرية.

الْأَحْوَالِ، فَلَا تُغَيِّرُهُ طَوَارِقُ الْأَحْوَالِ. وَلَعَلَّ مُرَادَ الصِّدِّيقِ بِقَوْلِهِ: قَسَتْ قُلُوبُنَا، أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: قَوِيَتْ وَاشْتَدَّتْ، فَصَارَتْ تُطِيقُ مُلَازَمَةَ الْوَجْدِ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ، فَرُبَّ سَاكِنٍ أَتَمَّ وَجْدًا مِنَ الْمُضْطَرِبِ[1].

الرَّابِعُ: أَنْ لا يَقُومَ، وَلَا يَرْفَعَ صَوْتَهُ بِالْبُكَاءِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى ضَبْطِ نَفْسِهِ، وَلَكِنْ إِنْ رَقَصَ وَتَبَاكَى لِاسْتِجْلَابِ الْحُزْنِ لَا لِلرِّيَاءِ فَهُوَ مُبَاحٌ.

وَأَمَّا تَخْرِيقُ الثَّوْبِ، فَلا رُخْصَةَ فِيهِ عِنْدَ الِاخْتِيَارِ، وَقَدْ يَكُونُ بِالْإِرَادَةِ، لَكِنْ يَكُونُ كَالْمُكْرَهِ، كَاضْطِرَارِ الْمَرِيضِ إِلَى الْأَنِينِ بِاخْتِيَارِهِ، إِذْ لَوْ كُلِّفَ الصَّبْرَ عَنْهُ لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ مَعَ أَنَّهُ اخْتِيَارِيٌّ. فَلَيْسَ كُلُّ فِعْلٍ حُصُولُهُ بِالْإِرَادَةِ يَقْدِرُ الْإِنْسَانُ عَلَى تَرْكِهِ كَالتَّنَفُّسِ وَالزَّعْقَةِ، وَتَمْزِيقُ الثَّوْبِ إِذَا كانَ عَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ لا يُوصَفُ بِالتَّحْرِيمِ.

وَأَمَّا تَمْزِيقُ الصُّوفِيَّةِ الثِّيَابَ الْجَدِيدَةَ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ السَّمَاعِ وَسُكُونِ الْوَجْدِ، فَإِنَّهُمْ يُقَطِّعُونَهَا قِطَعًا صِغَارًا، وَيُفَرِّقُونَهَا عَلَى الْقَوْمِ، وَيُسَمُّونَهَا الْخِرْقَةَ، فَذَلِكَ مُبَاحٌ إِذَا قُطِّعَ خِرَقًا مُرَبَّعَةً يَصْلُحُ لِتَرْقِيعِ الثِّيَابِ وَالسَّجَّادَاتِ، إِذْ لَا حُرْمَةَ فِي قَطْعِ الْكِرْبَاسِ[2] الْجَدِيدِ إِذَا كَانَتْ فِيهِ مَصْلَحَةٌ، فَإِنَّ الْكِرْبَاسَ يُقَطَّعُ، ثُمَّ يُخَاطُ مِنْهُ الْقَمِيصُ، وَإِنَّمَا الَّذِي يُكْرَهُ التَّمْزِيقُ الْمُفْسِدُ لِلثَّوْبِ[3].

---

(1) الإحياء: 2/ 303.

(2) الْكِرْبَاسُ والكِرْبَاسَةُ: ثوب، فارسية، وبيَّاعه كَرَابِيسِي، وقيل: الثَّوْبُ الْغَلِيظُ. اللسان/ كربس.

(3) الإحياء: 2/ 304.

الْخَامِسُ: مُوَافَقَةُ الْقَوْمِ فِي الْقِيَامِ إِذَا قَامَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ فِي وَجْدٍ صَادِقٍ، أَوْ قَامَ اخْتِيَارًا بِلَا إِظْهَارِ وَجْدٍ، فَذَلِكَ مِنْ أَدَبِ الصُّحْبَةِ.

وَبِالْجُمْلَةِ، يُوَافِقُ أَصْحَابَهُ فِي كُلِّ بِدْعَةٍ لَا تُزَاحِمُ سُنَّةً مَأْمُورَةً، أَوْ لَمْ يُنْقَلِ النَّهْيُ عَنْهُ؛ مَثَلًا الْقِيَامُ لِلدَّاخِلِ بِدْعَةٌ لَمْ يَفْعَلْهُ الصَّحَابَةُ لِلنَّبِيِّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَكِنْ لَا بَأْسَ فِي بِلَادٍ جَرَتِ الْعَادَةُ فِيهَا بِإِكْرَامِ الدَّاخِلِ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ أَنْوَاعِ الْمُسَاعَدَةِ إِذَا قُصِدَ بِهَا تَطْيِيبُ[1] الْقَلْبِ، وَاصْطَلَحَ عَلَيْهَا جَمَاعَةٌ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا بَالُ الطِّبَاعِ تَنْفِرُ عَنِ الرَّقْصِ، وَيَسْبِقُ إِلَى الْأَوْهَامِ أَنَّهُ لَهْوٌ بَاطِلٌ، فَلَا يَرَاهُ ذُو جِدٍّ فِي الدِّينِ إِلَّا وَيُنْكِرُهُ.

قُلْتُ: إِنَّ الْجِدَّ لَا يَزِيدُ عَلَى جِدِّ رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يُنْكِرْ رَقْصَ الْحَبَشَةِ لِكَوْنِهِ فِي وَقْتٍ لَائِقٍ بِهِ وَهُوَ الْعِيدُ، وَمِنْ شَخْصٍ لا يَبْعُدُ مِنْهُمُ اللَّهْوُ وَهُمُ الْحَبَشَةُ. فَالْمُنْكِرُ إِمَّا يُنْكِرُ الْإِصْرَارَ، وَهُوَ كَذَلِكَ، أَوْ يُنْكِرُ مِنْ صُدُورِهِ عَنْ شَخْصٍ لَا يَلِيقُ بِهِ اللَّهْوُ، وَهَذَا أَيْضًا حَقٌّ.

أَمَّا إِنْكَارُهُ عَنِ الْعَوَامِّ أَحْيَانًا فَذَلِكَ تَقَشُّفٌ، إِذْ جَوَّزَهُ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ، فَمَا بَالُهُ يُنْكِرُهُ مُطْلَقًا.

وَأَمَّا إِنْكَارُهُ صُدُورَهُ عَنْ شَخْصٍ ذِي عِلْمٍ وَدِينٍ، وَأَهْلِ شَيْبَةٍ وَوَقَارٍ، وَلَكِنْ وَقَعَ مِنْهُ بِدُونِ الِاخْتِيَارِ، فَذَلِكَ مِنَ الْجَهْلِ، إِذْ سُقُوطُ الِاخْتِيَارِ لَا

---

(1) طِيبَةُ، كذا في النسخ الخطية، والتصحيح من الإحياء.

يَدْخُلُ تَحْتَ الْأَحْكَامِ التَّكْلِيفِيَّةِ؛ يَدُلُّ عَلَى جَوَازِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَيْضًا فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ أَنَّ النَّبِيَّ صلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ لِعَلِيٍّ: ««أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ» فَحَجَلَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ وَقَالَ لِجَعْفَرٍ: «أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي»، فَحَجَلَ جَعْفَرٌ؛ وَقَالَ لِزَيْدٍ: «أَنْتَ أَخُونَا وَمَوْلَانَا» فَحَجَلَ زَيْدٌ»[1]. وَالْحَجْلُ: بِفَتْحِ الْمُهْمَلَةِ ثُمَّ الْجِيمِ، بِمَعْنَى الرَّقْصِ، وَقِيلَ: أَنْ يَثِبَ عَلَى إِحْدَى رِجْلَيْهِ، وَهُوَ أَيْضًا نَوْعٌ مِنَ الرَّقْصِ. فَقَدْ خَرَجَ مِنْ هَذَا التَّفْصِيلِ أَنَّ السَّمَاعَ قَدْ يَكُونُ حَرَامًا مَحْضًا، وَقَدْ يَكُونُ مُبَاحًا، وَقَدْ يَكُونُ مَكْرُوهًا، وَقَدْ يَكُونُ مُسْتَحَبًّا.

أَمَّا الْحَرَامُ، فَهُوَ لِأَكْثَرِ النَّاسِ مِنَ الشُّبَّانِ مِمَّنْ غَلَبَتْ عَلَيْهِمْ شَهْوَةُ النِّسَاءِ أَوِ الْغِلْمَانِ.

وَالْمَكْرُوهُ، هُوَ الَّذِي يَجْعَلُهُ دَيْدَنًا، وَيَتَّخِذُهُ عَادَةً لَهُ فِي أَكْثَرِ الْأَوْقَاتِ عَلَى سَبِيلِ اللَّهْوِ.

وَأَمَّا الْمُبَاحُ، فَهُوَ لِمَنْ لَا حَظَّ لَهُ مِنْهُ إِلَّا التَّلَذُّذُ بِالصَّوْتِ الْحَسَنِ.

وَأَمَّا الْمُسْتَحَبُّ، فَهُوَ لِمَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ حُبُّ اللهِ تَعَالَى، وَلَا يُحَرِّكُ السَّمَاعُ مِنْهُ إِلَّا الصِّفَاتِ الْمَحْمُودَةَ[2].

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه: 5/ 141، رقم: 4251، والترمذي في الجامع الكبير: 6/ 81. وأحمد في مسنده: 2/ 213 رقم: 856.

(2) الإحياء: 2/ 305-306.

الْأَصْلُ التَّاسِعُ: فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ: فِي فَضَائِلِهِ

وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ ـ بَعْدَ إِجْمَاعِ الْأُمَّةِ عَلَيْهِ ـ الْآيَاتُ وَالْأَخْبَارُ وَالْآثَارُ.

أَمَّا الْآيَاتُ: فَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾(1). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾(2).

وَمِنَ الْأَخْبَارِ: قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَلَامُ ابْنِ آدَمَ كُلُّهُ عَلَيْهِ لَا لَهُ إِلَّا أَمْرًا بِمَعْرُوفٍ وَنَهْيًا عَنْ مُنْكَرٍ أَوْ ذِكْرًا للهِ»(3). وَفِي الْأَخْبَارِ كَثْرَةٌ إِلَّا أَنَّ الْعِبْرَةَ بِقُوَّةِ الدَّلِيلِ لَا بِكَثْرَتِهَا، وَلِهَذَا آثَرْنَا الِاخْتِصَارَ.

وَمِنَ الْآثَارِ: مَا قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُسَلِّطَنَّ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ظَالِمًا لَا يُجِلُّ كَبِيرَكُمْ، وَلا يَرْحَمُ صَغِيرَكُمْ، وَيَدْعُو عَلَيْهِ خِيَارُكُمْ فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ، وَيَسْتَنْصِرُونَ فَلَا يُنْصَرُونَ، وَيَسْتَغْفِرُونَ فَلَا يُغْفَرُ لَهُمْ»(4). وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَأَنْ تَكُونَ فِيهِمْ جِيفَةُ حِمَارٍ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ مُؤْمِنٍ يَأْمُرُهُمْ وَيَنْهَاهُمْ»(5).

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 104.

(2) السورة نفسها الآية: 110.

(3) ورد في مسند أبي يعلى: 13/ 56، رقم: 7132. وشعب الإيمان: 4/ 246، رقم: 4955.

(4) معالم القربة في طلب الحسبة: 17.

(5) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب: 4/ 208، والإحياء: 2/ 311.

الْمَطْلَبُ الثَّانِي: فِي أَرْكَانِهِ وَشَرَائِطِهِ

وَالْأَرْكَانُ أَرْبَعَةٌ، وَلِكُلٍّ مِنْهَا شُرُوطٌ:

الرُّكْنُ الْأَوَّلُ: الْمُحْتَسِبُ، وَلَهُ شُرُوطٌ:

أَوَّلُهَا: أَنْ يَكُونَ مُكَلَّفًا، إِذْ غَيْرُ الْمُكَلَّفِ لَا يَلْزَمُهُ أَمْرٌ، هَذَا شَرْطُ الْوُجُوبِ، وَإِلَّا فَالصَّبِيُّ إِنْ أَرَاقَ الْخَمْرَ، وَكَسَرَ الْمَلَاهِي، فَلَا يُمْنَعُ عَنْهُ، وَلَهُ بِهِ ثَوَابٌ.

وَثَانِيهَا: وَهُوَ الْإِيمَانُ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ نَوْعُ نُصْرَةٍ لِلدِّينِ، وَلَا يَكُونُ مِنْ عَدُوٍّ لَهُ.

وَثَالِثُهَا: الْعَدَالَةُ، وَقَدِ اعْتَبَرَهَا قَومٌ لِلنَّكِيرِ الْوَارِدِ عَلَى مَنْ يَأْمُرُ بِمَا لَا يَفْعَلُهُ، وَالْحَقُّ أَنَّ لِلْفَاسِقِ أَنْ يَحْتَسِبَ، إِذْ لَا عِصْمَةَ لِجَمِيعِ الْآمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ فِي السَّلَفِ، وَلَمْ يَخُصُّوا مِنْهُمْ أَحَدًا دُونَ أَحَدٍ.

وَتَحْقِيقُ ذَلِكَ، أَنَّ الْحِسْبَةَ إِمَّا وَعْظِيَّةٌ، وَيُشْتَرَطُ فِيهَا الْعَدَالَةُ، وَإِمَّا قَهْرِيَّةٌ، وَلَا يُشْتَرَطُ فِيهَا ذَلِكَ، إِلَّا الذِّمِّيَّ؛ إِذْ لَيْسَ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلٌ.

وَرَابِعُهَا: الْإِذْنُ مِنْ جِهَةِ الْإِمَامِ وَالْوَالِي، وَقَدْ شَرَطَهُ قَوْمٌ، وَلَمْ يُجَوِّزُوا الْحِسْبَةَ لِآحَادِ الرَّعِيَّةِ، إِلَّا أَنَّهُ شَرْطٌ فَاسِدٌ، إِذِ الْآيَاتُ وَالْأَخْبَارُ تَدُلُّ عَلَى وُجُوبِ ذَلِكَ عَلَى الْكُلِّ، فَالتَّخْصِيصُ [بِشَرْطٍ][1] تَحَكُّمٌ لَا أَصْلَ لَهُ. وَمَنْعُ الْكَافِرِ عَنِ التَّسَلُّطِ عَلَى الْمُسْلِمِ لَيْسَ لِأَجْلِ ذِلَّتِهِ حَتَّى يَلْزَمَ مَنْعَ الرَّعَايَا عَنْهُ أَيْضًا، بَلْ ذَلِكَ لِكُفْرِهِ[2].

---

(1) زيادة من أنطاليا.

(2) الإحياء: 2/ 312ـ315.

وَتَفْصِيلُ ذَلِكَ أَنَّ الْحِسْبَةَ لَهَا خَمْسُ مَرَاتِبَ:

الْأُولَى: التَّعْرِيفُ.

الثَّانِيَةُ: الْوَعْظُ بِالْكَلَامِ اللَّطِيفِ. وَهُمَا لَا يَحْتَاجَانِ إِلَى إِذْنِ الْإِمَامِ.

وَالثَّالِثَةُ: السَّبُّ وَالتَّعْنِيفُ، لَا السَّبُّ بِالْفُحْشِ، بَلْ بِقَوْلِهِ: يَا جَاهِلُ، يَا أَحْمَقُ، أَلَا تَخَافُ مِنَ اللهِ. وَهَذِهِ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَلَامُ صِدْقٍ قَدْ يُحْتَسَبُ عِنْدَ الْإِمَامِ فَكَيْفَ يَتَوَقَّفُ عَلَى إِذْنِهِ.

الرَّابِعَةُ: الْمَنْعُ بِالْقَهْرِ بِالْمُبَاشَرَةِ، كَكَسْرِ الْمَلَاهِي، وَإِرَاقَةِ الْخَمْرِ، وَلَا حَاجَةَ فِيهَا إِلَى الْإِذْنِ، إِذِ الْمُسْلِمُونَ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

الْخَامِسُ: التَّهْدِيدُ وَالتَّخْوِيفُ بِالضَّرْبِ، أَوْ مُبَاشَرَتُهُ[1]، وَهُوَ الَّذِي يَحْتَاجُ فِيهَا إِلَى إِذْنِ الْإِمَامِ، وَأَلَّا يَنْجَرَّ إِلَى الْقِتَالِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ.

ثُمَّ إِنَّ فِي تَفَاصِيلِ هَذِهِ الْحِسْبَةِ كَلَامًا؛ مَثَلًا لِلْوَلَدِ الْحِسْبَةُ لِوَالِدِهِ بِالْمَرْتَبَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ فَقَطْ، وَلَيْسَ الْحِسْبَةُ بِالْأُخْرَيَيْنِ؛ وَفِي الثَّالِثَةِ يُنْظَرُ إِلَى قُبْحِ الْمُنْكَرِ وَإِلَى مِقْدَارِ الْأَذَى وَالسُّخْطِ؛ فَإِنْ كَانَ الْمُنْكَرُ فَاحِشًا، وَسُخْطُهُ قَرِيبًا، كَإِرَاقَةِ خَمْرِ مَنْ لَا يَشْتَدُّ غَضَبُهُ، فَالْأَمْرُ ظَاهِرٌ؛ وَإِنْ كانَ الْمُنْكَرُ قَرِيبًا، وَالسُّخْطُ شَدِيدًا، كَكَسْرِ آنِيَةٍ مِنْ بِلَّوْرٍ عَلَيْهَا صُورَةُ حَيَوَانٍ، وَفِي كَسْرِهَا عَظِيمُ خُسْرَانٍ، فَيُكْتَفَى فِيهِ بِالْمَرْتَبَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ.

---

(1) ومباشرة الضرب له، في الإحياء.

وَأَمَّا الرَّعِيَّةُ مَعَ السُّلْطَانِ فَيَتَعَيَّنُ فِيهِ الرُّتْبَتَانِ الْأُولَيَانِ، وَأَمَّا الرُّتْبَةُ الثَّالِثَةُ فَإِلَى اجْتِهَادِ الْمُحْتَسِبِ، إِذْ قَدْ وَرَدَ النَّهْيُ عَنْهُ، وَوَرَدَ النَّهْيُ عَنِ التَّعَرُّضِ لِلسُّلْطَانِ، فَيُنْظَرُ فِيهِ إِلَى تَفَاحُشِ الْمُنْكَرِ وَمِقْدَارِ مَا يُسْقِطُ مِنْ حِشْمَةِ الْإِمَامِ بِسَبَبِ الْهُجُومِ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ مِمَّا لَا يُمْكِنُ ضَبْطُهُ.

وَأَمَّا الْأُسْتَاذُ فَأَمْرُهُ أَظْهَرُ، لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ لَا يَجِبُ عَلَى التِّلْمِيذِ احْتِرَامُهُ[1].

وَخَامِسُهَا: كَوْنُهُ قَادِرًا، إِذِ الْعَاجِزُ حِسْبَتُهُ بِقَلْبِهِ، وَالْعَجْزُ إِنَّمَا هُوَ بِحَسَبِ لُحُوقِ الْمَكْرُوهِ، لَا الْعَجْزُ الْحِسِّيُّ، وَهاهُنَا أَرْبَعَةُ أَحْوَالٍ:

إِحْدَاهَا: أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ كَلَامُهُ، وَيُضْرَبُ إِنْ تَكَلَّمَ، فَلا تَجِبُ عَلَيْهِ الْحِسْبَةُ، بَلْ رُبَّمَا تَحْرُمُ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ. نَعَمْ يَلْزَمُهُ أَنْ لا يَحْضُرَ مَوَاضِعَ الْمُنْكَرِ حَتَّى لا يُشَاهِدَهُ.

وَثَانِيَتُهَا: أَنْ يَنْتَفِيَ عَدَمُ النَّفْعِ وَالضَّرْبِ مَعًا، فَيَجِبُ عَلَيْهِ الْإِنْكَارُ.

وَثَالِثَتُهَا: أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ لا يُفِيدُ وَلا يَخَافُ مَكْرُوهًا، فَلَا يَجِبُ، بَلْ يُسْتَحَبُّ إِظْهَارُ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ، وَتَذْكِيرُ النَّاسِ بِأَمْرِ الدِّينِ.

وَرَابِعَتُهَا: عَكْسُ هَذِهِ، فَهَذَا لَيْسَ بِوَاجِبٍ، وَلَيْسَ بِحَرَامٍ، بَلْ هُوَ مُسْتَحَبٌّ، وَإِنَّمَا الْحَرَامُ تَعْرِيضُ النَّفْسِ لِلْهَلَاكِ مِنْ غَيْرِ أَثَرٍ، وَإِنَّمَا يُسْتَحَبُّ

---

(1) الإحياء: 2/ 315-319.

إِذَا عَلِمَ أَنَّ لَهُ أَثَرًا، لَكِنْ إِنْ عُلِمَ أَنَّهُ يُضْرَبُ مَعَهُ أَصْحَابُهُ أَوْ أَقَارِبه أَوْ رُفَقَاؤُه، فَلا يَجُوزُ لَهُ الْحِسْبَةُ، بَلْ تَحْرُمُ، لِأَنَّهُ دَفْعُ مُنْكَرٍ يُفْضِي إِلَى مُنْكَرٍ آخَرَ أَقْوَى مِنْهُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ قُدْرَةً فِي الْحَقِيقَةِ.

وَلَمَّا كانَ كَوْنُ بَعْضِ الْمُنْكَرِ أَقْوَى مِنْ آخَرَ أَمْرًا لَا يَهْتَدِي بِهِ الْعَوَامُّ، اشْتَرَطَ بَعْضُهُمْ إِذْنَ الْوَالِيِّ لِيُنَصِّبَ مَنْ هُوَ أَهْلٌ لِلْحِسْبَةِ.

ثُمَّ الظَّنُّ كَافٍ فِي إِصَابَةِ الْمَكْرُوهِ، ثُمَّ التَّعْوِيلُ فِي هَذَا الظَّنِّ عَلَى اعْتِدَالِ الطَّبْعِ، لِأَنَّ ذَلِكَ الظَّنَّ [يَقْوَى][1] بِالْجُبْنِ، وَيَضْعُفُ بِالتَّهَوُّرِ، ثُمَّ الْمَكْرُوهُ الْمُتَوَقَّعُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ حَدٍّ.

وَتَحْقِيقُهُ أَنَّ الْمَطَالِبَ مُنْحَصِرَةٌ فِي أَرْبَعَةٍ: فِي النَّفْسِ بِالْعِلْمِ، وَفِي الْبَدَنِ بِالصِّحَّةِ، وَفِي الْمَالِ بِالثَّرْوَةِ، وَفِي الْقُلُوبِ بِالْجَاهِ، فَفَوْتُ كُلٍّ مِنْ هَذِهِ مَكْرُوهٌ. فَالْفَوْتُ إِمَّا مُتَوَقَّعٌ أَوْ بِالْفِعْلِ، وَتَرْكُ الْمُتَوَقَّعِ فِي هَذِهِ الْأَرْبَعِ لَا يَمْنَعُ الْحِسْبَةَ، وإِنَّمَا الضَّرَرُ الْحَقِيقِيُّ الْمَانِعُ مَعَ الْحِسْبَةِ فَوَاتُ الْحَاصِلِ؛ مِثْلَ أَنْ يَكُونَ جَاهِلًا بِمُهِمَّاتِ دِينِهِ بِالْحِسْبَةِ، وَلَمْ يَجِدْ إِلَّا مُعَلِّمًا وَاحِدًا، وَيَقْدِرَ الْمُحْتَسَبُ عَلَيْهِ مَنْعَ الْمُعَلِّمِ عَنْ تَعْلِيمِهِ، أَوْ بِفَوْتِ إِزَالَةِ الْمَرَضِ الْحَاصِلِ عَنْهُ، أَوْ بِقَطْعِ رِزْقِهِ، وَلَا تُوكَلَ لَهُ، وَيَحْتَاجَ إِلَى حَرَامٍ، أَوْ مَاتَ جُوعًا، أَوْ يَزُولَ جَاهُهُ، وَيَبْتَدِئَ أَهْلُ الشَّرِّ بِأَذَاهُ.

(1) سقطت من الأزهرية.

فَهَذِهِ أُمُورٌ مُسْتَثْنَاةٌ عَنِ الْحِسْبَةِ إِذَا ظَهَرَتْ وَقَوِيَتْ، لَكِنْ لَا بُدَّ أَنْ يَزِنَ ظَنَّ زَوَالِهِ بِمِيزَانِ الدِّينِ، لا بِمُوجِبِ الطَّبْعِ وَالْهَوَى، فَإِنْ سَكَتَ بِمُوجِبِ الدِّينِ، تُسَمَّى مُدَارَاةً، وَهِيَ جَائِزَةٌ، وَإِنْ سَكَتَ بِمُوجِبِ الْهَوَى، تُسَمَّى مُدَاهَنَةً. فَعَلَيْكَ بِالنَّقْدِ فِي سَبَبِ السُّكُوتِ، فَإِنَّ النَّاقِدَ بَصِيرٌ، وَسَتَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا عِنْدَ اللهِ، وَلَوْ فِي فَلْتَةِ خَاطِرٍ، وَلَفْتَةِ نَاظِرٍ، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[1].

الرُّكْنُ الثَّانِي؛ مَا فِيهِ الْحِسْبَةُ: وَهُوَ كُلُّ مُنْكَرٍ مَوْجُودٍ فِي الْحَالِ، ظَاهِرٍ بِلَا تَجَسُّسٍ، مَعْلُومٍ كَوْنُهُ مُنْكَرًا بِلَا اجْتِهَادٍ، فَلَهُ شُرُوطٌ أَرْبَعَةٌ:

الْأَوَّلُ: كَوْنُهُ مُنْكَرًا مَحْظُورَ الْوُقُوعِ فِي الشَّرْعِ، سَوَاءٌ كانَ مَعْصِيَةً أَوْ لَا، كَإِرَاقَةِ خَمْرٍ يَشْرَبُهَا الصِّبْيَانُ.

الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ مَوْجُودًا فِي الْحَالِ، وَإِلَّا كَمَنْ يَعْزِمُ على الشُّرْبِ فِي لَيْلَتِهِ، فَعَلَيْهِ الْوَعْظُ إِنْ عُلِمَ النَّفْعُ، وَإِلَّا فَلَا وَعْظَ أَيْضًا.

الثَّالِثُ: أَنْ يَظْهَرَ بِغَيْرِ تَجَسُّسٍ، لِأَنَّهُ مَنْهِيٌّ عَنْهُ، وَلَا يَجِبُ عَلَيْهِ الِاطِّلَاعُ عَلَى مَا فِي الْبُيُوتِ إِلَّا إِذَا ظَهَرَ، بِأَنْ سَمِعَ أَصْوَاتَ الْمَلَاهِي مِنْ خَارِجٍ، فَحِينَئِذٍ يَدْخُلُ وَيُغَيِّرُ. وَقَدْ أُمِرْنَا بِأَنْ نَسْتُرَ مَا سَتَرَهُ اللهُ، وَنُنْكِرَ عَلَى مَنْ أَبْدَى لَنَا صَفْحَتَهُ، وَالْإِبْدَاءُ بِإِحْدَى طُرُقِ الْحَوَاسِّ، إِذِ الْمَقْصُودُ الْعِلْمُ، وَلا يَجِبُ عَلَيْهِ اسْتِعْلَامُ مَا تَحْتَ الذَّيْلِ لِأَنَّهُ تَجَسُّسٌ، إِلَّا إِذَا كانَ خَمْرًا رَائِحَتُهُ فَائِحَةٌ، أَوْ عُودًا تَحْتَ شَيْءٍ دَقِيقٍ، وَعُرِفَ شَكْلُهُ، وَنَحْوَ ذَلِكَ.

---

(1) سورة فصلت الآية: 46.

الرَّابِعُ: أَنْ يُعْلَمَ كَوْنُهُ مُنْكَرًا بِلَا اجْتِهَادٍ، فَلَيْسَ عَلَى الْحَنَفِيِّ أَنْ يُنْكِرَ عَلَى الشَّافِعِيِّ أَكْلَ[1] مَتْرُوكِ التَّسْمِيَةِ، وَالضَّبِّ وَالضَّبُعِ، وَبِالْعَكْسِ فِي شُرْبِ النَّبِيذِ غَيْرِ الْمُسْكِرِ، وَتَوْرِيثِ ذَوِي الْأَرْحَامِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ. وأَمَّا إِنْكَارُ الْمَذَاهِبِ الْمُبْتَدِعَةِ؛ كَقَوْلِ الْمُعْتَزِلِيِّ: إِنَّ الْخَيْرَ مِنَ اللهِ دُونَ الشَّرِّ، وَقَوْلِهِ: كَلامُ اللهِ مَخْلُوقٌ؛ فَوَاجِبٌ، وَذَلِكَ مُهِمٌّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى إِنْكَارِ الِاجْتِهَادَاتِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي الِاعْتِرَاضِ[2] تَحْرِيكُ فِتْنَةٍ بِالْمُقَاتَلَةِ، فَإِذْنُ الْحِسْبَةِ فِي أَمْثَالِ هَذَا إِلَى السُّلْطَانِ، إِذْ هُوَ قَادِرٌ عَلَى دَفْعِ الْفِتْنَةِ فِي أَمْثَالِهِ[3].

الرُّكْنُ الثَّالِثُ؛ الْمُحْتَسَبُ عَلَيْهِ: وَشَرْطُهُ أَنْ يَكُونَ الْفِعْلُ فِي حَقِّهِ مُنْكَرًا بِجِهَةِ كَوْنِهِ إِنْسَانًا. وَلا يُشْتَرَطُ كَوْنُهُ مُكَلَّفًا، لِمَا عَرَفْتَ أَنَّ الصَّبِيَّ يُمْنَعُ عَنِ الشُّرْبِ، وَالْمَجْنُونَ عَنِ الزِّنَا. وَلَا يَجِبُ رَدُّ الْحَيَوَانِ عَنْ إِفْسَادِ الزَّرْعِ بِحَسَبِ الْحِسْبَةِ، إِذِ الْحِسْبَةُ لِلْإِنْسَانِ لَا لِلْحَيَوَانِ. نَعَمْ يَجِبُ عَلَيْهِ مَنْعُ الْحَيَوَانِ أَيْضًا مَهْمَا قَدَرَ عَلَيْهِ، مِنْ غَيْرِ تَعَبٍ فِي بَدَنِهِ، أَوْ خُسْرَانٍ فِي مَالِهِ، أَوْ نُقْصَانٍ فِي جَاهِهِ، إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ بِطَرِيقِ الْحِسْبَةِ، بَلْ لِكَوْنِهِ مِنْ حُقُوقِ الْمُسْلِمِينَ وَهِيَ كَثِيرَةٌ، وَهَذِهِ أَدْنَاهَا[4].

الرُّكْنُ الرَّابِعُ؛ نَفْسُ الِاحْتِسَابِ: وَلَهُ دَرَجَاتٌ وَآدَابٌ:

---

(1) أكله، في أنطاليا.

(2) الاعراض، في أنطاليا.

(3) الإحياء: 2/ 319 ـ 326.

(4) المصدر نفسه: 2/ 327 ـ 328.

الدَّرَجَةُ الْأُولَى: **التَّعَرُّفُ**، وَهُوَ مَنْهِيٌّ عَنْهُ لِأَنَّهُ تَجَسُّسٌ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ؛ مِثْلَ أَنْ يَسْتَرِقَ السَّمْعَ لِصَوْتِ الْمَلَاهِي، أَوْ يَسْتَنْشِقَ لِرَائِحَةِ الْخَمْرِ، أَوْ يَمَسَّ مَا فِي ثَوْبِهِ لِيَعْرِفَ شَكْلَ الْمِزْمَارِ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُخْبِرَ عَدْلَانِ ابْتِدَاءً مِنْ غَيْرِ اسْتِخْبَارٍ، فَحِينَئِذٍ لَهُ أَنْ يَدْخُلَ دَارَهُ.

الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: **التَّعْرِيفُ**، مِثْلَ أَنْ يرَى أَنَّهُ يُصَلِّي بِلَا تَعْدِيلٍ لِجَهْلِهِ، فَعَلَيْهِ التَّعْرِيفُ بِاللُّطْفِ، وَإِلَّا فَرُبَّمَا يَتْرُكُ أَصْلًا الصَّلَاةَ، إِذِ الْجَهْلُ أَقْبَحُ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ لِكَوْنِهِ عَيْبَ النَّفْسِ، فَلا يَرْضَى الْإِنْسَانُ بِظُهُورِ جَهْلِهِ، فَيَتَلَطَّفُ وَيَقُولُ: إِنَّ الْإِنْسَانَ لَمْ يُولَدْ عَالِمًا، وَلَقَدْ كُنَّا جَاهِلِينَ بِأُمُورِ الصَّلَاةِ فَعَلَّمَنَا الْعُلَمَاءُ، وَلَعَلَّ قَرْيَتَكَ كَانَتْ خَالِيَةً مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، أَوْ عَالِمًا مُقَصِّرًا فِي شَرْحِ الصَّلَاةِ وَإِيضَاحِهَا، إِنَّمَا شَرْطُ الصَّلاةِ هَكَذَا، وَيُعَلِّمُ لَهُ مَا أَرَادَ.

الدَّرَجَةُ الثَّالِثَةُ: النَّهْيُ بِالْوَعْظِ وَالنُّصْحِ وَالتَّخْوِيفِ بِاللهِ، كَمَنْ هُوَ عَالِمٌ بِكَوْنِهِ مُنْكَرًا، [وَأَصَرَّ عَلَى ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ عَرَفَ كَوْنَهُ مُنْكَرًا](1)، فَيُوعَظُ لَهُ وَيُخَوَّفُ بِأَخْبَارِ الْوَعِيدِ، وَتُحْكَى لَهُ سِيرَةُ السَّلَفِ، كُلُّ ذَلِكَ بِلُطْفٍ وَشَفَقَةٍ مِنْ غَيْرِ غَضَبٍ وَعُنْفٍ، بَلْ يَنْظُرُ إِلَيْهِ نَظَرَ الْمُتَرَحِّمِ عَلَيْهِ، وَيَرَى ذَلِكَ مُصِيبَةً عَلَى نَفْسِهِ، إِذِ الْمُسْلِمُونَ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ.

لَكِنْ يَحْتَرِزُ(2) عِنْدَ التَّعْرِيفِ عَنْ نَفْسِهِ بِالْعِلْمِ وَذُلِّ غَيْرِهِ بِالْجَهْلِ، فَإِنَّ هَذِهِ

---

(1) ما بين معقوفين سقط من الأزهرية.

(2) يحرز، في رئيس الكتاب.

مُصِيبَةٌ عَظِيمَةٌ فِي الْوَعْظِ وَالتَّذْكِيرِ، وَهَذِهِ غَائِلَةٌ[1] هَائِلَةٌ، وَغُرُورُ الشَّيْطَانِ يَتَدَلَّى بِحَبْلِهِ كُلُّ إِنْسَانٍ، إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللهُ، وَعَرَفَ عُيُوبَ نَفْسِهِ، وَفَتَحَ بَصِيرَتَهُ بِنُورِ هِدَايَتِهِ، وَأَمَّا غَيْرُ هَؤُلَاءِ يَغْتَالُهُمْ لَذَّتَانِ: دَالَّةُ الْعِلْمِ، وَدَالَّةُ الِاحْتِكَامِ وَالسَّلْطَنَةِ، وَهِيَ الشَّهْوَةُ الْخَفِيَّةُ الْمُتَدَاعِيَةُ إِلَى الشِّرْكِ الْخَفِيِّ، وَلَهُ مِحَكٌّ وَمِعْيَارٌ، وَهُوَ إِنْ كَفَى غَيْرَهُ مُؤُونَةَ الْوَعْظِ وَالنُّصْحِ كَانَ أَحَبَّ عِنْدَهُ، إِذْ حَصَلَ الْغَرَضُ، وَلَمْ يَتَحَمَّلْ ثِقْلَ الْوَعْظِ عَلَى الْغَيْرِ، وَإِلَّا فَلْيَتَّعِظْ أَوَّلًا، ثُمَّ لِيَعِظِ النَّاسَ[2].

الدَّرَجَةُ الرَّابِعَةُ: السَّبُّ وَالتَّعْنِيفُ بِالْقَوْلِ، وَذَلِكَ عِنْدَ الْعَجْزِ عَنِ الْمَنْعِ بِاللُّطْفِ، وَظُهُورِ مَبَادِئِ الْإِصْرَارِ بِالِاسْتِهْزَاءِ بِالْوَعْظِ وَالنُّصْحِ، وَلَا يُطْلِقُ لِسَانَهُ بِالْفُحْشِ، بَلْ يَقُولُ: يَا فَاسِقُ، يَا أَحْمَقُ، أَمَا تَخَافُ اللهَ، فَإِنْ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَرْدَعُهُ السَّبُّ وَالتَّعْنِيفُ فَلْيَكْتَفِ بِإِظْهَارِ الْغَضَبِ وَالِاسْتِحْقَارِ.

الدَّرَجَةُ الْخَامِسَةُ: التَّغْيِيرُ بِالْيَدِ، كَكَسْرِ الْمَلَاهِي وَإِرَاقَةِ الْخَمْرِ، وَأَنْ يُجَرَّ بِرِجْلِهِ مِنَ الدَّارِ الْمَغْصُوبَةِ. وَيَنْبَغِي أَنْ لَا يُبَاشِرَ بِالْيَدِ إِذَا أَمْكَنَ بِدُونِهِ، وَلَا يَجُرَّ بِلِحْيَتِهِ إِذَا أَمْكَنَ جَرُّهُ بِرِجْلِهِ، وَأَنْ لَا يُمَزِّقَ ثَوْبَهُ الْحَرِيرَ إِذَا أَمْكَنَ حَلُّ أَزْرَارِهِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ.

الدَّرَجَةُ السَّادِسَةُ: التَّهْدِيدُ وَالتَّخْوِيفُ، كَقَوْلِكَ: دَعْ هَذَا وَإِلَّا لَأَضْرِبَنَّ رَقَبَتَكَ؛ أَوْ: لَأَكْسِرَنَّ رَأْسَكَ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ. وَيَنْبَغِي أَنْ يُقَدِّمَ التَّهْدِيدَ عَلَى

(1) الغائلة: الحقد الباطن، وقيل: الغائلة: كل شيء يقصد به الخداع والتدليس. اللسان/ غيل.

(2) الإحياء: 2/ 329 - 330.

تَحْقِيقِهِ إِنْ أَمْكَنَ، وَأَنْ يُهَدِّدَ بِمَا يَقْدِرُ عَلَى تَحْقِيقِهِ؛ فَلَا يَقُولُ: لَأَنْهَبَنَّ دَارَكَ، وَلَأَسْبِيَنَّ زَوْجَتَكَ، لِأَنَّهُ إِنْ قالَ ذَلِكَ عَنْ عَزْمٍ فَهُوَ حَرَامٌ، وَإِنْ قَالَهُ عَلَى غَيْرِ عَزْمٍ فَهُوَ كَذِبٌ؛ اللَّهُمَّ إِلَّا إِذَا عَرَفَ أَنَّهُ يَرْدَعُهُ بِالْمُبَالَغَةِ، فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ لَيْسَ مِنَ الْكَذِبِ الْمَحْظُورِ، وَهَذَا بِمَنْزِلَةِ إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ وَهُوَ غَيْرُ قَبِيحٍ.

وَمِنْ هَذَا قالَ بَعْضُهُمْ: يَجُوزُ مِنَ اللهِ تَعَالَى أَنْ يَتَوَعَّدَ بِمَا لَا يَفْعَلُ، لِأَنَّ الْخُلْفَ فِي الْوَعِيدِ كَرَمٌ، وَإِنَّمَا يَقْبُحُ أَنْ يَعِدَ بِمَا لَا يَفْعَلُ.

وَهذَا الْقَوْلُ غَيْرُ مُرْضٍ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَى، فَإِنَّ الْكَلَامَ الْقَدِيمَ لَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ الْخُلْفُ، وَعْدًا كانَ أَوْ وَعِيدًا، وَإِنَّمَا ذِكْرُهُ يُتَصَوَّرُ فِي حَقِّ الْعِبَادِ، إِذِ الْخُلْفُ فِي الْوَعِيدِ لَيْسَ بِحَرَامٍ.

الدَّرَجَةُ السَّابِعَةُ: مُبَاشَرَةُ الضَّرْبِ بِالْيَدِ وَالرِّجْلِ بِدُونِ شَهْرِ سِلَاحٍ، وَإِنِ احْتَاجَ إِلَى شَهْرِ سِلَاحٍ فَيَجُوزُ ذَلِكَ عَلَى الْمُحْتَسِبِ، كَتَخْلِيصِ امْرَأَةٍ مِنْ فَاسِقٍ [قَبَضَهَا فَيَأْخُذُ قَوْسَهُ وَيَقُولُ لَهُ: خَلِّ عَنْهَا][1] إِذَا كانَ بَيْنَهُمَا نَهْرٌ حَائِلٌ، فَإِنْ لَمْ يُخَلِّ، فَلَهُ الرَّمْيُ لَكِنْ يَقْصِدُ السَّاقَ وَالْفَخِذَ دُونَ الْمَقْتَلِ.

وَبِالْجُمْلَةِ، يُرَاعِي التَّدْرِيجَ فِي الْكُلِّ، وَأَمَّا الْعَامِّيُّ فَلَيْسَ عَلَيْهِ شَهْرُ السِّلَاحِ بِحَالٍ أَصْلًا.

---

(1) زيادة من أنطاليا.

الدَّرَجَةُ الثَّامِنَةُ: أَنْ لا يَقْدِرَ [عَلَيْهِ][1] بِنَفْسِهِ، وَيَحْتَاجَ إِلَى الْأَعْوَانِ، وَرُبَّمَا يَكُونُ لِلْفَاسِقِ أَيْضًا أَعْوَانٌ، فَيُؤَدِّي إِلَى أَنْ يَتَقَاتَلَ الصَّفَّانِ، وَمِثْلُ هَذَا لَا يَجُوزُ إِلَّا بِإِذْنِ السُّلْطَانِ، إِذْ رُبَّمَا يُؤَدِّي إِلَى هَيَجَانِ الْفَسَادِ، وَخَرَابِ الْبِلَادِ، وَإِلَّا فَإِنَّ الْقِيَاسَ جَوَازُهُ لِلْكُلِّ[2].

(1) زيادة من أنطاليا.

(2) الإحياء: 2/ 331-333.

الْمَطْلَبُ الثَّالِثُ: آدَابُ الْمُحْتَسِبِ

وَهِيَ ثَلَاثٌ:

أَحَدُهَا: أَنْ يَعْلَمَ مَوَانِعَ الْحِسْبَةِ وَمَوَاقِعَهَا.

وَثَانِيهَا: الْوَرَعُ، إِذْ لَيْسَ كُلُّ مَنْ عَلِمَ عَمِلَ بِعِلْمِهِ.

وَثَالِثُهَا: حُسْنُ الْخُلُقِ، إِذِ الْعِلْمُ وَالْوَرَعُ لا يَكْفِيَانِ فِي اللُّطْفِ وَالرِّفْقِ مَا لَمْ يَكُنْ لِصَاحِبِهِمَا حُسْنُ الْخُلُقِ.

وَمِنَ الْآدَابِ تَقْلِيلُ الْعَلَائِقِ حَتَّى لَا يَكْثُرَ خَوْفُهُ، وَيَقْطَعَ الطَّمَعَ حَتَّى تَزُولَ عَنْهُ الْمُدَاهَنَةُ. وَلْنَذْكُرْ هَهُنَا شَيْئًا مِنَ الْآدَابِ الْمَخْصُوصَةِ:

مِنْهَا: مُنْكَرَاتُ الْمَسَاجِدِ، يُمْنَعُ مَنْ قَصَرَ فِي أَمْرِ الصَّلَاةِ عَلَى مَذْهَبِهِ، ويُنَبَّهُ عَلَى لَحْنِ قِرَاءَتِهِ سِيَّمَا الْفَاتِحَةُ، وَإِنْ كانَ قَادِرًا فَلْيَتَعَلَّمْ وَإِلَّا فَمِقْدَارُ مَا قَدَرَ.

وَمِنْهَا: تَرَاسُلُ الْمُؤَذِّنِينَ وَتَغْيِيرُهُمْ كَلِمَاتِ الْأَذَانِ لِرِعَايَةِ الْأَلْحَانِ، وَكَذَا عَدَمُ رِعَايَتِهِمْ الْأَوْقَاتَ.

وَمِنْهَا: لُبْسُ الْخَطِيبِ ثَوْبًا أَسْوَدَ فِيهِ إِبْرِيسِمٌ، أَوْ مُمْسِكًا لِسَيْفٍ مُذَهَّبٍ، وَالْحَرِيرُ حَرَامٌ، وَأَحَبُّ الثِّيَابِ الْبِيضُ، وَالسَّوَادُ لَيْسَ بِحَرَامٍ.

وَمِنْهَا: الْوَاعِظُ الْمُبْتَدِعُ، أَوِ الَّذِي يُكْثِرُ الرَّجَاءَ، إِذِ الْخَلْقُ أَحْوَجُ إِلَى الْخَوْفِ مِنْهُمْ إِلَى الرَّجَاءِ، وَكَذَا حُضُورُ النِّسَاءِ مَجْلِسَهُ وَهُوَ شَابٌّ مُتَزَيِّنٌ

كَثِيرُ الْأَشْعَارِ وَالْإِشَارَاتِ وَالْحَرَكَاتِ. وَيُمْنَعُ النِّسَاءُ مِنْ حُضُورِ الْمَسَاجِدِ لِلصَّلَاةِ وَلِمَجَالِسِ الذِّكْرِ إِذَا خِيفَتِ الْفِتْنَةُ.

وَمِنْهَا: دُخُولُ الْمَجَانِينِ وَالسُّكَارَى إِلَّا أَنْ يُعْلَمَ سُكُونُهُمَا وَسُكُوتُهُمَا، وَلَا بَأْسَ بِدُخُولِ الصَّبِيِّ إِذَا لَمْ يَلْعَبْ.

وَمِنْهَا: مُنْكَرَاتُ الْأَسْوَاقِ، كَالْكَذِبِ وَإِخْفَاءِ الْعَيْبِ وَبَيْعِ الْمَلَاهِي وَالْأَوَانِي الْمُحَرَّمَةِ.

وَمِنْهَا: مُنْكَرَاتُ الشَّوَارِعِ، نَحْوَ تَضْيِيقِ الطَّرِيقِ بِالْأَبْنِيَةِ، وَوَضْعِ الْأَحْمَالِ، وَتَنْجِيسِ الطَّرِيقِ، وَتَرْكِ مِيَاهِ الْمَطَرِ وَالْأَوْحَالِ وَالثُّلُوجِ.

وَمِنْهَا: مُنْكَرَاتُ الْحَمَّامَاتِ، مِنْ صُوَرِ الْحَيَوَانَاتِ، وَكَشْفِ الْعَوْرَاتِ، وَالِانْبِطَاحِ لِتَغْمِيزِ[1] الْأَفْخَاذِ، وَتَنْجِيسِ الْأَوَانِي وَالْمِيَاهِ، وَتَرْكِ الْأَحْجَارِ الْمُزْلِقَةِ، أَوْ جَعْلِهَا مُزْلِقَةً بِغَسْلِ الثِّيَابِ بِالصَّابُونِ وَنَحْوِهِ.

وَمِنْهَا: مُنْكَرَاتُ الضِّيَافَةِ كَالْفُرُشِ الْمُحَرَّمَةِ، وَالْمِبْخَرَةِ الْمُحَرَّمَةِ، وَالْأَشْرِبَةِ الْمُحَرَّمَةِ، وَسُتُورٍ عَلَيْهَا صُوَرٌ، وَسَمَاعِ الْأَوْتَارِ وَالْقَيْنَاتِ، وَنَظَرِ النِّسَاءِ عَلَى الرِّجَالِ الشُّبَّانِ، وَحُرْمَةِ الْأَطْعِمَةِ، وَالِاجْتِمَاعِ مَعَ مَنْ يَلْبَسُ الْحَرَامَ، وَمَعَ أَهْلِ الْبِدَعِ، وَإِنْ كانَ فِيهِ مُضْحِكٌ بِالْفُحْشِ وَالْكَذِبِ يَجِبُ مَنْعُهُ، وَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ فَلَا يَحْضُرْ، وَأَمَّا الْمَزْحُ بِلَا فُحْشٍ وَلا كَذِبٍ فَهُوَ مُبَاحٌ

---

(1) التَّغْمِيزُ من غَمَزَ أصابِعَهُ وَفَقَّعَهَا تَفْقِيعًا إذا غَمَزَ مفاصِلَهَا فَأَنْقَضَتْ، وهي الفَرْقَعَةُ أيضا. اللسان/ غمز.

إِلَّا أَنْ يَتَّخِذَهُ صَنْعَةً، وَذَلِكَ مَكْرُوهٌ، وَالْكَذِبُ الَّذِي لَا يُقْصَدُ بِهِ التَّلْبِيسُ لَيْسَ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ؛ كَقَوْلِكَ: كَلَّمْتُكَ الْيَوْمَ مِئَةَ مَرَّةٍ، أَوْ أَتَيْتُكَ أَلْفَ مَرَّةٍ، إِذْ لَيْسَ يُقْصَدُ بِهِ التَّحْقِيقُ بَلِ الْمُبَالَغَةُ، وَذَلِكَ لَا يَقْدَحُ فِي الْعَدَالَةِ، وَلا تُرَدُّ بِهِ الشَّهَادَةُ؛ وَكَالسَّرَفِ في الطَّعَامِ وَالْبِنَاءِ.

وَمِنْهَا: صَرْفُ الْمَالِ إِلَى الْقَيْنَاتِ وَالْمُغَنِّيَاتِ، وَإِسْرَافُ جَمِيعِ الْمَالِ حَرَامٌ، بِحَيْثُ يُبْقِي عِيَالَهُ بِلَا شَيْءٍ سِيَّمَا فِي الْمُحَرَّمَاتِ، إِلَّا إِذَا أَنْفَقَ فِي وُجُوهِ الْبِرِّ، وَلَهُ قَدَمُ صِدْقٍ فِي وُجُوهِ الْبِرِّ، وَلَهُ قَدَمُ صِدْقٍ في التَّوَكُّلِ.

وَمِنْهَا: مُنْكَرَاتُ الْعَامَّةِ، مِثْلَ أَنْ يَقْعُدَ في بَيْتِهِ، وَلَا يَصْرِفَ مَا فَضَلَ عَنْ فَرْضِ الْعَيْنِ إِلَى فُرُوضِ الْكِفَايَةِ؛ كَأَنْ يَخْرُجَ إِلَى الْقُرَى الْمُجَاوِرَةِ لِبَلَدِهِ وَيُعَلِّمَ أَهْلَهَا أَرْكَانَ الصَّلَاةِ وَشَرَائِطَهَا، وَشَرَائِطَ الطَّهَارَةِ، وَسَائِرَ الْفَرَائِضِ إِلَّا أَنْ يَفْعَلَهُ الْبَعْضُ، وَإِنَّمَا يَجِبُ التَّبْلِيغُ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ، وَإِنْ عَلِمَ مَسْأَلَةً وَاحِدَةً فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِهَا، يَجِبُ تَبْلِيغُهَا. وَالْإِثْمُ في ذَلِكَ عَلَى الْفُقَهَاءِ أَشَدُّ، لِأَنَّ قُدْرَتَهُمْ فِيهِ أَظْهَرُ، لِأَنَّ الْعِلْمَ يَجِبُ الْعِلْمُ بِهِ أَوَّلًا لِنَفْسِهِ، ثُمَّ لِأَهْلِ بَيْتِهِ، ثُمَّ لِأَقَارِبِهِ وَجِيرَانِهِ، ثُمَّ وَثُمَّ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ إِلَى السُّوقِ وَيُغَيِّرَ مُنْكَرَاتِهِمْ. وَإِنْ قَدَرَ عَلَى تَغْيِيرِ الْبَعْضِ فَلَا يَكُونُ عَدَمُ تَغْيِيرِ الْبَوَاقِي عُذْرًا فِي عَدَمِ الْخُرُوجِ، وَيَتَعَدَّى مِنْهُمْ إِلَى أَهْلِ الْقُرَى، ثُمَّ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، وَهَكَذَا إِلَى أَقْصَى الْعَالَمِ. فَإِنْ قَامَ بِهِ الْأَدْنَى سَقَطَ عَنِ الْأَبْعَدِ، وَإِلَّا يَأْثَمُ كُلُّ عَالِمٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ(1).

(1) الكلام لخصه من الإحياء: 2/ 333 ـ 342.

الْمَطْلَبُ الرَّابِعُ: فِي أَمْرِ الْأُمَرَاءِ وَالسَّلَاطِينِ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيِهِمْ عَنِ الْمُنْكَرِ

وَالْجَائِزُ مَعَهُمُ الرُّتْبَتَانِ الْأُولَيَانِ مِنْ دَرَجَاتِ الْحِسْبَةِ، وَهُمَا: التَّعْرِيفُ وَالْوَعْظُ. وَأَمَّا تَخْشِينُ الْقَوْلِ وَالْمَنْعُ بِالْقَهْرِ؛ فَيُهَيِّجُ الْفِتْنَةَ فِي حَقِّهِمْ فَلَا يَجُوزُ، إِلَّا إِذَا اخْتَصَّ الضَّرَرُ بِنَفْسِهِ فَقَطْ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يُنْدَبُ. قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ»[1].

وَقَالَ: «خَيْرُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، ثُمَّ رَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ فِي ذَاتِ اللهِ فَقَتَلَهُ عَلَى ذَلِكَ»[2].

وَلِذَلِكَ كَانَتِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ اجْتَرَأُوا عَلَى الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ، وَلَمْ يُبَالُوا بِبَلِيَّةٍ وَعَذَابٍ، وَأَخْلَصُوا النِّيَّةَ، فَلِهَذَا أَثَّرَ كَلَامُهُمْ فِي الظَّلَمَةِ، وَلَيَّنَ قُلُوبَهُمُ الْقَاسِيَةَ، كَمَا هُوَ مَسْطُورٌ فِي كُتُبِ التَّوَارِيخِ وَالْأَخْبَارِ.

وَأَمَّا الْآنَ فَقَدْ قَيَّدَتِ الْأَطْمَاعُ أَلْسُنَ الْعُلَمَاءِ فَسَكَتُوا، وَإِنْ تَكَلَّمُوا لَمْ تُسَاعِدْ أَقْوَالُهُمْ أَحْوَالَهُمْ فَلَمْ يَنْجَحُوا، وَلَوْ صَدَقُوا اللهَ، وَقَصَدُوا حَقَّ الْعِلْمِ لَأَفْلَحُوا، فَفَسَادُ الرَّعِيَّةِ بِفَسَادِ الْمُلُوكِ، وَفَسَادُهُمْ بِفَسَادِ الْعُلَمَاءِ، وَفَسَادُهُمْ بِاسْتِيلَاءِ حُبِّ الْمَالِ وَالْجَاهِ، وَمَنِ اسْتَوْلَى عَلَيْهِ حُبُّ الدُّنْيَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْحِسْبَةِ عَلَى الْأَرَاذِلِ وَالصَّعَالِيكِ فَكَيْفَ عَلَى الْأَكَابِرِ وَالْمُلُوكِ؟![3]

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده: 17/ 228، وأبو يعلى في مسنده: 2/ 352، رقم: 1101.

(2) ورد في تاريخ بغداد: 6/ 557، رقم: 3031، وفي أحكام القرآن للقشيري: 176.

(3) لخص الكلام من الإحياء: 2/ 343 ـ 357.

اللَّهُمَّ اعْصِمْنَا مِنَ الْعِلْمِ بِلَا عَمَلٍ، وَالْمَيْلِ إِلَى الدُّنْيَا، وَلَا تَخْلِطْ أَعْمَالَنَا بِالسُّمْعَةِ وَالرِّيَاءِ، إِنَّكَ أَنْتَ الْمُسْتَعَانُ يَا كَرِيمُ يَا مَنَّانُ، وَتَفَضَّلْ عَلَيْنَا بِالْإِحْسَانِ وَالْإِنْعَامِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

الْأَصْلُ الْعَاشِرُ: فِي أَخْلَاقِ النُّبُوَّةِ:

لِيَكُونَ أُنْمُوذَجًا لِمَنْ طَلَبَ تَزْكِيَةَ الْأَخْلَاقِ، وَنَتِيجَةً لِمَا ذُكِرَ فِي هَذِهِ الْأَوْرَاقِ. وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرَ الضَّرَاعَةِ وَالِابْتِهَالِ، دَائِمَ السُّؤَالِ مِنَ اللهِ تَعَالَى أَنْ يُزَيِّنَهُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَالْآدَابِ. وَكَانَ دَائِمًا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ حَسِّنْ خَلْقِي وخُلُقِي»(1).

حَتَّى اسْتَجَابَ اللهُ دَعْوَتَهُ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ حَتَّى: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ»(2)، كَمَا هُوَ الْمَأْثُورُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

ثُمَّ رَغَّبَ النَّاسَ فِي حُسْنِ الْخُلُقِ، وَقَالَ: «بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»(3). وَبَيَّنَ لِلنَّاسِ أَنَّ اللهَ تَعَالَى يُحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ، وَيُبْغِضُ سَفْسَافَهَا.

كانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَسَنَ الْعِشْرَةِ، وَكَرِيمَ الصَّنِيعَةِ، وَلَيِّنَ الْجَانِبِ، وَكَانَ يُحِبُّ بَذْلَ الْمَعْرُوفِ، وَإِطْعَامَ الطَّعَامِ، وَإِفْشَاءَ السَّلَامِ، وَعِيَادَةَ الْمَرِيضِ الْمُسْلِمِ بَرًّا كانَ أَوْ فَاجِرًا، وَتَشْيِيعَ جَنَازَةِ الْمُسْلِمِ، وَحُسْنَ الْجِوَارِ لِمَنْ جَاوَرَهُ مُسْلِمًا كَانَ أَوْ كَافِرًا، وَتَوْقِيرَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَإِجَابَةَ الدَّعْوَةِ لِلطَّعَامِ، وَالدُّعَاءَ عَلَيْهِ، وَالْعَفْوَ وَالْإِصْلَاحَ بَيْنَ النَّاسِ، وَالْجُودَ وَالْكَرَمَ

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده: 1/ 665، رقم: 3813، وابن سعد في طبقاته: 1/ 377، والغزالي في الإحياء: 2/ 358.

(2) أخرجه أحمد في مسنده: 41/ 148، رقم: 24601، وابن سعد في طبقاته: 1/ 313.

(3) مسند البزار: 15/ 364، رقم: 8949، والسنن الكبرى للبيهقي: 10/ 323، رقم: 20782.

وَالسَّمَاحَةَ، وَالِابْتِدَاءَ بِالسَّلَامِ، وَكَظْمَ الْغَيْظِ، وَالْعَفْوَ عَنِ النَّاسِ، وَأَذْهَبَ عَنْ دِينِ الْإِسْلَامِ اللَّهْوَ وَالْبَاطِلَ وَالْغِنَاءَ وَالْمَعَازِفَ كُلَّهَا، وَكُلَّ ذِي وَتَرٍ، وَكُلَّ ذِي دَخَلٍ، وَالْكَذِبَ وَالْغِيبَةَ، وَالْبُخْلَ وَالشُّحَّ وَالْجَفَاءَ، وَالْمَكْرَ وَالْخَدِيعَةَ وَالنَّمِيمَةَ، وَسُوءَ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَقَطِيعَةَ الْأَرْحَامِ، وَسُوءَ الْخُلُقِ، وَالتَّكَبُّرَ وَالْفَخْرَ وَالِاخْتِيَالَ وَالِاسْتِطَالَةَ وَالْمَدْحَ، وَالْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ، وَالْحِقْدَ وَالْحَسَدَ وَالطِّيَرَةَ، وَالْبَغْيَ وَالْعُدْوَانَ وَالظُّلْمَ[1].

وَكَانَتْ وَصِيَّتُهُ تَقْوَى اللهِ، وَصِدْقَ الْحَدِيثِ، وَالْوَفَاءَ بِالْعَهْدِ، وَأَدَاءَ الْأَمَانَةِ، وَتَرْكَ الْخِيَانَةِ، وَحِفْظَ الْجَارِ، وَرَحْمَةَ الْيَتِيمِ، وَلِينَ الْكَلَامِ، وَبَذْلَ السَّلَامِ، وَحُسْنَ الْعَمَلِ، وَقِصَرَ الْأَمَلِ، وَلُزُومَ الْإِيمَانِ، وَالتَّفَقُّهَ فِي الْقُرْآنِ، وَحُبَّ الْآخِرَةِ، وَالْجَزَعَ مِنَ الْحِسَابِ، وَخَفْضَ الْجَنَاحِ.

وَنَهَى أَنْ تَسُبَّ حَكِيمًا، أَوْ تُصَدِّقَ كَاذِبًا، أَوْ تُكَذِّبَ صَادِقًا، أَوْ تُطِيعَ آثِمًا، أَوْ تَعْصِيَ إِمَامًا عَادِلًا، أَوْ تُفْسِدَ أَرْضًا، وَأُوصِيكَ بِاتِّقَاءِ اللهِ عِنْدَ كُلِّ حَجَرٍ وَشَجَرٍ وَمَدَرٍ، وَأَنْ تُحْدِثَ لِكُلِّ ذَنْبٍ تَوْبَةً، السِّرُّ بِالسِّرِّ، وَالْعَلَانِيَةُ بِالْعَلَانِيَةِ[2].

وَمِنْ أَخْلَاقِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ كَانَ أَحْلَمَ وَأَشْجَعَ وَأَعْدَلَ وَأَعَفَّ، وَلَمْ تَمَسَّ يَدُهُ يَدَ امْرَأَةٍ لا يَمْلِكُ رِقَّهَا أَوْ عِصْمَةَ نِكَاحِهَا، أَوْ تَكُونُ ذَاتَ رَحِمٍ

---

(1) الإحياء: 2/ 357 ـ 359.

(2) المصدر نفسه: 2/ 359، وتخريج أحاديث الإحياء: 3/ 1384.

مُحَرَّمٍ، وَكَانَ أَسْخَى النَّاسِ لا يَبِيتُ عِنْدَهُ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، وَإِنْ فَضَلَ شَيْءٌ وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يُعْطِيهِ، لَمْ يَأْوِ إِلَى مَنْزِلِهِ حَتَّى يَتَبَرَّأَ مِنْهُ إِلَى مَنْ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ، لَا يَأْخُذُ مِمَّا آتَاهُ اللهُ إِلَّا قُوتَ عَامِهِ فَقَطْ مِنْ أَيْسَرِ مَا يَجِدُ مِنَ التَّمْرِ وَالشَّعِيرِ، وَيُنْفِقُ غَيْرَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، لَا يُسْأَلُ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ، وَرُبَّمَا يُؤْثِرُ مِنْ قُوتِهِ.

وَكَانَ يَخْصِفُ النَّعْلَ، وَيُرَقِّعُ الثَّوْبَ، وَيَخْدُمُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ، وَيُقَطِّعُ اللَّحْمَ مَعَهُنَّ، وَكَانَ أَشَدَّ النَّاسِ حَيَاءً، لَا يُثَبِّتُ بَصَرَهُ فِي وَجْهِ أَحَدٍ، يُجِيبُ دَعْوَةَ الْحُرِّ وَالْعَبْدِ، وَيَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَلَوْ أَنَّهَا جُرْعَةُ لَبَنٍ، أَوْ فَخِذُ أَرْنَبٍ، وَيُكَافِئُ عَلَيْهَا وَيَأْكُلُهَا، وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، وَلَا يَسْتَكْبِرُ عَنْ إِجَابَةِ الْأَمَةِ وَالْمِسْكِينِ، يَغْضَبُ لِرَبِّهِ تَعَالَى لَا لِنَفْسِهِ، وَيُنْفِذُ الْحَقَّ وَإِنْ أَضَرَّ عَلَى نَفْسِهِ.

وَكَانَ يَعْصِبُ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِهِ مِنَ الْجُوعِ، وَيَأْكُلُ مَا حَضَرَ، وَلَا يَرُدُّ مَا وَجَدَ بُرًّا أَوْ شَعِيرًا أَوْ حَلْوَى أَوْ عَسَلًا أَوْ لَبَنًا، لا يَأْكُلُ مُتَّكِئًا وَلَا عَلَى خِوَانٍ[1]، مِنْدِيلُهُ بَاطِنُ قَدَمِهِ، لَمْ يَشْبَعْ مِنْ خُبْزِ بُرٍّ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مُتَوَالِيَةٍ حَتَّى لَقِيَ اللهَ إِيثَارًا عَلَى نَفْسِهِ، لَا فَقْرًا وَلَا بُخْلًا، وَيَمْشِي وَحْدَهُ بَيْنَ أَعْدَائِهِ بِلَا حَارِسٍ. وَكَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ بِشْرًا وَتَوَاضُعًا، وَأَبْلَغَهُمْ فِي غَيْرِ تَطْوِيلٍ، لَا يَهُولُهُ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا، وَيَلْبَسُ مَا وُجِدَ مِنَ الْمُبَاحِ؛ شَمْلَةً[2] وَبُرْدَ حِبَرَةٍ[3] يَمَانِيًّا وَجُبَّةَ صُوفٍ. وَخَاتَمُهُ فِضَّةٌ يَلْبَسُهُ فِي خِنْصِرِهِ الْأَيْمَنِ وَالْأَيْسَرِ. يُرْدِفُ خَلْفَهُ عَبْدَهُ أَوْ غَيْرَهُ، وَيَرْكَبُ مَا أَمْكَنَهُ

(1) الخوان: هو ما يوضع عليه الطعام عند الأكل. اللسان/ خون.

(2) الشَّمْلَةُ أو الشِّمْلَةُ: وَهُوَ كِساءٌ يُتَغَطّى بِهِ ويُتَلَفَّف فِيهِ. اللسان/ شمل.

(3) الْحِبَرَةُ وَالْحَبَرَةُ: ضربٌ من بُرُودِ اليمن مُنَمَّرٌ. اللسان/ حبر.

فَرَسًا وَبَغْلَةً وَحِمَارًا وَبَعِيرًا، وَيَمْشِي رَاجِلًا حَافِيًا بِلَا رِدَاءٍ وَلَا عِمَامَةٍ وَلَا قَلَنْسُوَةٍ، يُحِبُّ الطِّيبَ، وَيَكْرَهُ الرَّائِحَةَ الْكَرِيهَةَ، وَيُجَالِسُ الْفُقَرَاءَ، وَيُؤَاكِلُ الْمَسَاكِينَ، وَيُكْرِمُ أَهْلَ الْفَضْلِ فِي أَخْلَاقِهِمْ، وَيَتَأَلَّفُ أَهْلَ الشَّرَفِ بِالْبِرِّ لَهُمْ، يَصِلُ ذَوِي رَحِمِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُؤْثِرَهُمْ عَلَى مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُمْ، لَا يَجْفُو عَلَى أَحَدٍ، يَقْبَلُ الْمَعْذِرَةَ، يَمْزَحُ وَلَا يَقُولُ إِلَّا حَقًّا، يَضْحَكُ مِنْ غَيْرِ قَهْقَهَةٍ، يَرَى اللَّعِبَ الْمُبَاحَ وَلَا يُنْكِرُهُ، وَيُسَابِقُ أَهْلَهُ، وَتُرْفَعُ الْأَصْوَاتُ عَلَيْهِ فَيَصْبِرُ[1].

وَكَانَ لَهُ لِقَاحٌ وَغَنَمٌ يَتَقَوَّتُ هُوَ وَأَهْلُهُ مِنْ أَلْبَانِهَا، وَكَانَ لَهُ عَبِيدٌ وَإِمَاءٌ لَا يَرْتَفِعُ عَلَيْهِمْ فِي مَأْكَلٍ وَمَلْبَسٍ، يَمْضِي أَوْقَاتَهُ فِي عَمَلِ اللهِ تَعَالَى، أَوْ فِيمَا لَا بُدَّ لَهُ، يَخْرُجُ إِلَى بَسَاتِينِ أَصْحَابِهِ، لَا يَحْتَقِرُ مِسْكِينًا وَلَا يَهَابُ مَلِكًا، يَدْعُو كِلَيْهِمَا إِلَى اللهِ دُعَاءً وَاحِدًا.

قَدْ جَمَعَ اللهُ لَهُ السِّيرَةَ الْفَاضِلَةَ وَالسِّيَاسَةَ التَّامَّةَ، وَهُوَ أُمِّيٌّ لَا يَكْتُبُ وَلَا يَقْرَأُ، نَشَأَ فِي بِلَادِ الْجَهْلِ وَالصَّحَارَى فِي رِعَايَةِ الْغَنَمِ، يَتِيمًا لَا أَبَ لَهُ وَلَا أُمَّ، فَعَلَّمَهُ اللهُ جَمِيعَ مَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ وَالطُّرُقِ الْحَمِيدَةِ، وَأَخْبَارِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَمَا فِيهِ النَّجَاةُ وَالْفَوْزُ فِي الْآخِرَةِ وَالْغِبْطَةُ وَالْخَلَاصُ فِي الدُّنْيَا، وَلُزُومُ الْوَاجِبِ وَتَرْكُ الْفُضُولِ.

وَفَّقَنَا اللهُ لِطَاعَتِهِ وَالتَّأَسِّي بِهِ فِي فِعْلِهِ آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ[2].

---

(1) الإحياء: 2/ 360 ـ 363.

(2) المصدر نفسه: 2/ 364.

وَمِنْ آدَابِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا شَتَمَ أَحَدًا إِلَّا جَعَلَهُ لَهُ كَفَّارَةً وَرَحْمَةً، وَمَا لَعَنَ أَحَدًا، وَكانَ يَقُولُ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً وَلَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا»[1].

وَمَا يَدْعُو عَلَى أَحَدٍ كَافِرًا أَوْ مُسْلِمًا، وَمَا ضَرَبَ بِيَدِهِ أَحَدًا إِلَّا فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ، وَمَا خُيِّرَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ ثَمَّةَ إِثْمٌ أَوْ قَطِيعَةُ رَحِمٍ، وَمَا كانَ يَأْتِيهِ أَحَدٌ حُرٌّ أَوْ عَبْدٌ أَوْ أَمَةٌ إِلَّا قَامَ مَعَهُ فِي حَاجَتِهِ. وَمَا قَالَ لِمَنْ يَخْدُمُهُ: لِمَ فَعَلْتَهُ؟ وَلَا لَامَ أَحَدًا إِلَّا قَالَ: دَعُوهُ إِنَّمَا كَانَ هَذَا بِكِتَابٍ وَقَدَرٍ.

وَرُبَّمَا يَضْطَجِعُ عَلَى الْفِرَاشِ وَعَلَى الْأَرْضِ، وَلَا يَأْخُذُ أَحَدٌ يَدَهُ وَلَا يُكَلِّمُهُ أَحَدٌ إِلَّا يَكُونُ هُوَ الَّذِي يُرْسِلُهَا، أَوْ هُوَ الَّذِي يَنْصَرِفُ أَوَّلًا، وَكَانَ أَكْثَرُ جُلُوسِهِ الْحِبْوَةَ[2]، وَكانَ يَجْلِسُ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ الْمَجْلِسُ، وَيَجْلِسُ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، وَكَانَ يُؤْثِرُ الدَّاخِلَ بِالْوِسَادَةِ الَّتِي تَحْتَهُ، فَإِنْ أَبَى عَزَمَ عَلَيْهِ حَتَّى يَفْعَلَ، وَكَانَ يَدْعُو أَصْحَابَهُ بَلِ النِّسَاءَ وَالصِّبْيَانَ بِكُنَاهُمْ، وَكانَ أَبْعَدَ النَّاسِ غَضَبًا وَأَسْرَعَهُمْ رِضًا، وَكانَ لَا تُرْفَعُ فِي مَجْلِسِهِ الْأَصْوَاتُ. وَكَانَ إِذَا قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ قَالَ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»[3] ثُمَّ يَقُولُ: «عَلَّمَنِيهُنَّ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ»[4].

---

(1) صحيح مسلم: 4/ 2006 رقم: 2599، ومسند أبي يعلى: 11/ 35 رقم: 6174.

(2) الحِبْوَةُ: بكسر الحاء وضمها من الاحتباء وهو ضم ساقيه لبطنه بشيء مع ظهره وقد يكون الاحتباء باليدين عوض الثوب. اللسان/ حبا.

(3) مسند الإمام أحمد: 14/ 416، رقم: 8819، ومسند الدارمي: 3/ 1739، رقم: 2700.

(4) السنن الكبرى: 9/ 164 رقم: 10189، وعمل اليوم الليلة: 321، رقم: 428. والإحياء: 2/ 367.

وَأَمَّا كَلَامُهُ وَضَحِكُهُ، كانَ أَفْصَحَ النَّاسِ مَنْطِقًا، وَأَحْلَاهُمْ كَلَامًا، وَكَانَ لَا يَسْرُدُ الْكَلَامَ، وَكَانَ أَوْجَزَ كَلَامًا، وَكَانَ يَتَكَلَّمُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ، لَا فُضُولَ وَلَا تَقْصِيرَ، وَكانَ بَيْنَ كَلَامِهِ تَوَقُّفٌ، يَحْفَظُهُ سَامِعُهُ وَيَعِيهِ، وَكانَ جَهِيرَ الصَّوْتِ، أَحْسَنَ النَّاسِ نَغْمَةً، وَكانَ طَوِيلَ السُّكُوتِ، لَا يَتَكَلَّمُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ، وَلَا يَقُولُ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ إِلَّا الْحَقَّ، وَكَانَ أَكْثَرَ النَّاسِ تَبَسُّمًا وَضَحِكًا فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ، وَلَرُبَّمَا ضَحِكَ حَتَّى تَبْدُوَ نَوَاجِدُهُ، وَكانَ ضَحِكُ أَصْحَابِهِ عِنْدَهُ التَّبَسُّمَ اقْتِدَاءً بِهِ، وَتَوْقِيرًا لَهُ، وَكانَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ تَبَسُّمًا، وَأَطْيَبِهِمْ نَفْسًا مَا لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهِ قُرْآنٌ، أَوْ يَذْكُرِ السَّاعَةَ، أَوْ يَخْطُبْ بِخُطْبَةٍ عِظَةً. وَكانَ إِذَا سُرَّ وَرَضِيَ فَهُوَ أَحْسَنُ النَّاسِ، وَإِنْ وَعَظ وَعَظَ بِجِدٍّ، وَإِنْ غَضِبَ - وَلَمْ يَكُنْ يَغْضَبُ إِلَّا لِلَّهِ - لَمْ يَقُمْ لِغَضَبِهِ شَيْءٌ، وَكانَ إِذَا نَزَلَ بِهِ الْأَمْرُ فَوَّضَ الْأَمْرَ إِلَى اللهِ، وَتَبَرَّأَ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ[1].

أَمَّا آدَابُهُ فِي الْأَكْلِ، كَانَ يَأْكُلُ مَا وَجَدَ، وَكانَ يُحِبُّ كَثْرَةَ الْأَيْدِي عَلَى الطَّعَامِ، وَكانَ يَجْلِسُ عِنْدَ الْأَكْلِ كَمَا يَجْلِسُ الْمُصَلِّي، إِلَّا أَنَّ الرُّكْبَةَ تَكُونُ فَوْقَ الرُّكْبَةِ وَالْقَدَمَ فَوْقَ الْقَدَمِ، وَكانَ لَا يَأْكُلُ الْحَارَّ، وَيَأْكُلُ مِمَّا يَلِيهِ بِأَصَابِعِهِ الثَّلَاثِ، وَرُبَّمَا اسْتَعَانَ بِالرَّابِعَةِ، وَكَانَ يَأْكُلُ خُبْزَ الشَّعِيرِ غَيْرَ مَنْخُولٍ؛ وَيَأْكُلُ الْقِثَّاءَ بِالرُّطَبِ، وَيُحِبُّ الْبِطِّيخَ وَالْعِنَبَ، وَيَأْكُلُ الْبِطِّيخَ بِالْخُبْزِ وَبِالسُّكَّرِ، وَرُبَّمَا أَكَلَهُ بِالرُّطَبِ، وَيَسْتَعِينُ بِالْيَدَيْنِ جَمِيعًا. وَكانَ يَحْفَظُ نَوَى الرُّطَبِ فِي يَسَارِهِ،

(1) الإحياء: 2/ 367-369.

فَعَرَضَ النَّوَى لِلشَّاةِ فَجَعَلَتْ تَأْكُلُ فِي يَدِهِ الْيُسْرَى، وَهُوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ بِيَمِينِهِ حَتَّى فَرَغَ، وَانْصَرَفَتِ الشَّاةُ. وَ «رُبَّمَا أَكَلَ الْعِنَبَ خَرْطًا يُرَى رُوَالُهُ[1] عَلَى لِحْيَتِهِ كَخَرَزِ اللُّؤْلُؤِ»[2]، وَهُوَ الْمَاءُ الَّذِي يَقْطُرُ مِنْهُ.

وَكَانَ أَكْثَرَ طَعَامِهِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ، وَكَانَ يَجْمَعُ اللَّبَنَ بِالتَّمْرِ وَيُسَمِّيهِمَا الْأَطْيَبَيْنِ، وَكَانَ أَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ اللَّحْمُ، وَيَقُولُ: «هُوَ يَزِيدُ فِي السَّمْعِ، وَهُوَ سَيِّدُ الطَّعَامِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»[3].

وَكَانَ يَأْكُلُ الثَّرِيدَ بِاللَّحْمِ وَالْقَرْعِ[4]، وَيَأْكُلُ الْخُبْزَ وَالسَّمْنَ، وَيُحِبُّ مِنَ الشَّاةِ الذِّرَاعَ وَالْكَتِفَ، وَمِنَ الْقِدْرِ الدُّبَّاءَ، وَمِنَ الصِّبَاغِ الْخَلَّ، وَمِنَ التَّمْرِ الْعَجْوَةَ، وَقَالَ: «الْعَجْوَةُ مِنَ الْجَنَّةِ وَشِفَاءٌ مِنَ السُّمِّ وَالسِّحْرِ»[5].

كَانَ يُحِبُّ مِنَ الْبُقُولِ الْهِنْدَبَاءَ[6] وَالْبَاذَرُوجَ[7] وَالْبَقْلَةَ الْحَمْقَاءَ[8]، وَلَا

(1) الرُّوَالُ بالضم اللُّعابُ، يقال: فلان يسيل رُوَالُهُ. مختار الصحاح: 132.

(2) المغني عن حمل الأسفار في الأسفار: 855.

(3) المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة: 394

(4) القَرْعُ: حمل اليقطين الواحدة قَرْعَةٌ، وأكثر مَا تُسَمِّيهِ الْعَرَبُ الدُّبَّاءُ وقل من يستعمل القرع. اللسان/ قرع.

(5) مسند أحمد: 16/ 234، رقم: 10354، والجامع الكبير للترمذي: 3/ 582، رقم: 2066.

(6) الهِنْدَبَا: بقلة من أحرار البقول، يمد ويقصر. اللسان/ هندب.

(7) البَاذَرُوجُ بفتح الذال: بقلة تقوي القلب جدا، وتقبضُ، إلا أن تصادف فضلة فتسهل. القاموس المحيط: 180.

(8) البقلة الحمقاء: من جنس البقول، وتسمى عندنا في فاس الرجلة، وهو نبات معروف. حديقة الأزهار: 45-46.

يَأْكُلُ الثُّومَ وَالْبَصَلَ وَالْكُرَّاثَ[1]، وَكانَ يَكْرَهُ أَكْلَ الْكُلْيَتَيْنِ لِمَكَانِهِمَا مِنَ الْبَوْلِ. وَكانَ يَعَافُ الْقَلْبَ وَالطِّحَالَ، وَإِنْ عَافَ طَعَامًا تَرَكَهُ وَلَمْ يُبَغِّضْهُ إِلَى غَيْرِهِ، وَكَانَ يَلْعَقُ الصَّحْفَةَ[2] وَيَقُولُ: «آخِرُ الطَّعَامِ أَكْثَرُ بَرَكَةً»[3]. «وَكَانَ يَلْعَقُ أَصَابِعَهُ حَتَّى تَحْمَرَّ»[4]، ثُمَّ يَمْسَحُ بِالْمِنْدِيلِ، وَيَغْسِلُ يَدَيْهِ مِنَ الْخُبْزِ وَاللَّحْمِ خَاصَّةً، ثُمَّ يَمْسَحُ بِالْمَاءِ عَلَى وَجْهِهِ.

وَكَانَ يَمُصُّ الْمَاءَ مَصًّا وَلَا يَعُبُّ[5] عَبًّا، وَيَشْرَبُ فِي ثَلَاثِ دَفعَاتٍ، فِيهَا ثَلَاثُ تَسْمِيَاتٍ، وَفِي أَوَاخِرِهَا ثَلَاثُ تَحْمِيدَاتٍ، وَرُبَّمَا يَشْرَبُ بِنَفَسٍ وَاحِدٍ، وَإِذَا تَنَفَّسَ يَنْحَرِفُ عَنِ الْإِنَاءِ، وَيَدْفَعُ فَضْلَ سُؤْرِهِ[6] إِلَى مَنْ عَلَى يَمِينِهِ، فَإِنْ كانَ مَنْ عَلَى يَسَارِهِ أَجَلَّ رُتْبَةً قَالَ لِلَّذِي عَلَى يَمِينِهِ: السُّنَّةُ أَنْ تُعْطَى، فَإِنْ أَحْبَبْتَ آثَرْتَهُمْ.

وَأُتِيَ بِإِنَاءٍ فِيهِ عَسَلٌ وَلَبَنٌ وَقَالَ: «شَرْبَتَانِ فِي شَرْبَةٍ، وَإِدَامَانِ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ. ثُمَّ قَالَ: وَلَا أُحَرِّمُهُ وَلَكِنِّي أَكْرَهُ الْفَخْرَ وَالْحِسَابَ بِفُضُولِ الدُّنْيَا

---

(1) الكراث: عشبة معمرة ذو بصلة أرضية تخرج منها أوراق مفلطحة ليست جوفاء، والكراث البري منه ينبت في الرمل. اللسان/ كرث.

(2) الصَّحْفَةُ: شِبْهُ قَصْعة مُسْلَنْطِحَة عريضة وجَمْعُها صِحَاف. تهذيب اللغة: 4/ 149.

(3) السنن الكبرى: 6/ 267، رقم: 6736.

(4) الإحياء: 2/ 372.

(5) العَبُّ: شربُ الماءِ مِنْ غَيْرِ مَصٍّ، وقيل: أنْ يَشْرَبَ المَاءَ ولا يتنفس. اللسان/ عبب.

(6) السُّؤْرُ: بقية الشيء، وجمعه أَسْآرٌ. اللسان/ سأر.

غَدًا، وَأُحِبُّ التَّوَاضُعَ، فَإِنَّ مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ»[1].

وَكَانَ فِي بَيْتِهِ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَاتِقِ، لَا يَسْأَلُهُمْ طَعَامًا، وَلَا يَتَشَهَّاهُ عَلَيْهِمْ، إِنْ أَطْعَمُوهُ أَكَلَ، وَمَا أَعْطَوْهُ قَبِلَ، وَمَا سَقَوْهُ شَرِبَ، وَرُبَّمَا قَامَ فَأَخَذَ بِنَفْسِهِ[2].

وَأَمَّا لِبَاسُهُ: فَمَا وَجَدَهُ مِنْ إِزَارٍ أَوْ رِدَاءٍ أَوْ قَمِيصٍ أَوْ جُبَّةٍ، وَيُعْجِبُهُ الثِّيَابُ الْخُضْرُ، وَيُكْثِرُ مِنْ لُبْسِ الْبَيَاضِ، وَكَانَ يَلْبَسُ الْقَبَاءَ[3] الْمَحْشُوَّ لِلْحَرْبِ، وَكَانَتْ ثِيَابُهُ فَوْقَ الْكَعْبَيْنِ وَالْإِزَارُ فَوْقَ ذَلِكَ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، وَكَانَ قَمِيصُهُ مَشْدُودَ الْأَزْرَارِ، وَرُبَّمَا حَلَّ الْأَزْرَارَ فِي الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا.

وَكَانَ لَهُ مِلْحَفَةٌ مَصْبُوغَةٌ بِالزَّعْفَرَانِ، وَرُبَّمَا صَلَّى بِالنَّاسِ فِيهَا وَحْدَهَا، وَرُبَّمَا لَبِسَ الْكِسَاءَ وَحْدَهُ مَا عَلَيْهِ غَيْرُهُ، وَكَانَ لَهُ كِسَاءٌ مُلَبَّدٌ يَلْبَسُهُ وَيَقُولُ: «أَنَا عَبْدٌ أَلْبَسُ كَمَا يَلْبَسُ الْعَبْدُ»[4].

وَكَانَ لَهُ ثَوْبَانِ لِجُمُعَتِهِ خَاصَّةً، وَرُبَّمَا لَبِسَ الْإِزَارَ الْوَاحِدَ لَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، وَكَانَ يَتَخَتَّمُ، وَرُبَّمَا خَرَجَ وَفِي خَاتَمِهِ خَيْطٌ مَرْبُوطٌ يَسْتَذْكِرُ بِهِ الشَّيْءَ، وَكَانَ يَخْتِمُ بِهِ عَلَى الْكُتُبِ، وَكَانَ يَلْبَسُ الْقَلَانِسَ تَحْتَ الْعَمَائِمِ وَبِغَيْرِ عِمَامَةٍ، وَرُبَّمَا نَزَعَ قَلَنْسُوَةً مِنْ رَأْسِهِ فَجَعَلَهَا سُتْرَةً فِي صَلَاتِهِ، وَرُبَّمَا

---

(1) الأخبار الموفقيات للزبير بن بكار: 142، والإحياء: 2/ 373.

(2) الإحياء: 2/ 370-373.

(3) القباء: الذي يلبس، والجمع الأقبية وقيل: الْيَلْمَقُ: الْقَبَاءُ الْمَحْشُوُّ، فارسي معرب. الصحاح: 4/ 1571.

(4) التواضع والخمول لابن أبي الدنيا: 188، رقم: 148، والإحياء: 2/ 374.

لَمْ تَكُنِ الْعِمَامَةُ فَيَشُدُّ الْعِصَابَةَ عَلَى رَأْسِهِ وَعَلَى جَبْهَتِهِ، وَكَانَتْ لَهُ عِمَامَةٌ تُسَمَّى السَّحَابَ[1] وُهِبَهَا مِنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وَكَانَ إِذَا لَبَسَ جَدِيدًا أَعْطَى خَلَقَ[2] ثِيَابِهِ مِسْكِينًا[3].

وَكانَ لَهُ فِرَاشٌ مِنْ أَدَمٍ[4]، حَشْوُهُ لِيفٌ[5]، طُولُهُ ذِرَاعَانِ أَوْ نَحْوُهُ، وَعَرْضُهُ ذِرَاعٌ وَشِبْرٌ أَوْ نَحْوُهُ، وَكانَتْ لَهُ عَباءَةٌ تُفْتَرَشُ لَهُ حَيْثُمَا يَنْتَقِلُ تُثْنَى طَاقَيْنِ تَحْتَهُ، وَكَانَ يَنَامُ عَلَى الْحَصِيرِ لَيْسَ تَحْتَهُ شَيْءٌ غَيْرَهُ.

وَكانَ مِنْ خُلُقِهِ تَسْمِيَةُ دَوَابِّهِ وَسِلَاحِهِ وَمَتَاعِهِ؛ فَكَانَ اسْمَ رَايَتِهِ الْعُقَابُ؛ وَاسْمَ سَيْفِهِ ذُو الْفَقَارِ، وَآخَرَ الْمِخْذَمُ، وَآخَرَ الرَّسُوبُ، وَآخَرَ الْقَضِيبُ. وَكَانَتْ قَبِيعَةُ[6] سَيْفِهِ مِنَ الْفِضَّةِ، وَكانَ يَلْبَسُ الْمِنْطَقَةَ مِنَ الْأَدَمِ، فِيهَا ثَلَاثُ حِلَقٍ مِنْ فِضَّةٍ؛ وَكانَ اسْمَ قَوْسِهِ الْكَتُومُ؛ وَجَعْبَتِهِ الْكَافُورُ؛ وَاسْمَ فَرَسِهِ الْمُرْتَجِزُ، وَنَاقَتِهِ الْقَصْوَاءُ، وَيُقَالُ لَهَا: الْعَضْبَاءُ؛ وَبَغْلَتِهِ الدُّلْدُلُ؛ وَحِمَارِهِ يَعْفُورُ، وَشَاتِهِ الَّتِي يَشْرَبُ لَبَنَهَا عَيْنَةُ[7].

---

(1) وفي الحديث: "كان اسم عمامته السحاب"، سميت به تشبيها بسحاب المطر لانسحابه في الهواء. اللسان/ سحب.

(2) خَلُقَ الثَّوْبُ بالضَّمِّ: إذا بَلِيَ، فهو خَلَقٌ بفتحتين. المصباح المنير/ خلق

(3) الإحياء: 2/ 376.

(4) الأَدَمُ بفتحتين: جمع أديم وهو الجلد المدبوغ أو مطلق الجلد والليف هو ليف النخل.

(5) اللِّيفُ: قِشْرُ النَّخل معروف، القطعة منه لِيفَةٌ. اللسان/ ليف.

(6) قبيعة السيف: رأسه الذي في منتهى اليد إليه، وقيل: قبيعته ما كان على طرف مقبضه من فضة أو حديد. اللسان/ قبع.

(7) تسمى هذه الشاة: غَوْثَةَ أو غَيْثَةَ، في فضل الخيل للدِّمْيَاطِي: 287.

وَكَانَ لَهُ مِطْهَرَةٌ[1] مِنْ فَخَّارٍ يَتَوَضَّأُ وَيَشْرَبُ مِنْهَا، وَيُرْسِلُ النَّاسُ أَوْلَادَهُمُ الصِّغَارَ الَّذِينَ قَدْ مَيَّزُوا فَيَدْخُلُونَ وَيَشْرَبُونَ مِنْهُ، وَيَمْسَحُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ وَأَجْسَادِهِمْ يَبْتَغُونَ بِذَلِكَ الْبَرَكَةَ[2].

وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْلَمَ النَّاسِ وَأَرْغَبَهُمْ فِي الْعَفْوِ مَعَ الْقُدْرَةِ، وَكَانَ رَقِيقَ الْبَشَرَةِ، لَطِيفَ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، يُعْرَفُ فِي وَجْهِهِ غَضَبُهُ وَرِضَاهُ، وَإِذَا اشْتَدَّ وَجْدُهُ أَكْثَرَ مِنْ مَسِّ لِحْيَتِهِ.

وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ [وَأَسْخَاهُمْ، سِيَّمَا فِي رَمَضَانَ، وَمَا سُئِلَ شَيْئًا قَطُّ عَلَى الْإِسْلَامِ إِلَّا أَعْطَاهُ، وَكَانَ أَنْجَدَ النَّاسِ][3] وَأَشْجَعَهُمْ، وَكَانَ الشُّجَاعُ هُوَ الَّذِي يَقْرُبُ مِنْهُ فِي الْحَرْبِ، وَكَانَ أَشَدَّ النَّاسِ تَوَاضُعًا فِي عُلُوِّ مَنْصِبِهِ.

قَالَ ابْنُ عَمَّارٍ: «رَأَيْتُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْمِي الْجَمْرَةَ عَلَى نَاقَةٍ صَهْبَاءَ، لا ضَرْبَ وَلَا طَرْدَ وَلَا إِلَيْكَ إِلَيْكَ»[4].

وَكَانَ يَرْكَبُ الْحِمَارَ مُوكَفًا، عَلَيْهِ قَطِيفَةٌ، وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ يَسْتَرْدِفُ[5].

وَكَانَ أَصْحَابُهُ لَا يَقُومُونَ لَهُ لِمَا عَرَفُوا مِنْ كَرَاهَتِهِ لِذَلِكَ، وَكَانَ يُسَلِّمُ

---

(1) الْمِطْهَرَةُ: هي التي يُتَوَضَّأُ منها أو فيها. اللسان/ وضأ.

(2) الإحياء: 2/ 377.

(3) ما بين معقوفين سقط من الأزهرية.

(4) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده: 2/ 673، رقم: 1435. وابن أبي شيبة في مصنفه: 8/ 153، رقم: 14266، وأحمد في مسنده: 24/ 137، رقم: 15411.

(5) الإحياء: 2/ 380، وتخريج أحاديث الإحياء: 867.

عَلَى الصِّبْيَانِ، وَكانَ لَا يَأْكُلُ عَلَى خِوَانٍ، وَلَا عَلَى سُكُرُّجَةٍ[1] حَتَّى لَحِقَ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ[2]، وَكانَ لَا يَدْعُوهُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وَغَيْرِهِمْ إِلَّا قَالَ: لَبَّيْكَ، وَأُتِيَ بِرَجُلٍ فَأَرْعَدَ مِنْ هَيْبَتِهِ، فَقَالَ لَهُ: «هَوِّنْ عَلَيْكَ فَلَسْتُ بِمَلِكٍ إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ»[3].

وَرُبَّمَا تَكَلَّمَ مَعَ النَّاسِ فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ. وَكَانُوا يَتَنَاشَدُونَ الشِّعْرَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَذْكُرُونَ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فَيَضْحَكُونَ، وَهُوَ يَبْتَسِمُ رِفْقًا بِهِمْ وَتَوَاضُعًا، وَلَا يَزْجُرُهُمْ إِلَّا عَنْ حَرَامٍ[4].

«وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ، وَلَا بِالْقَصِيرِ الْمُتَرَدِّدِ، وَكانَ يُنْسَبُ إِلَى الرَّبْعَةِ، وَرُبَّمَا اكْتَنَفَهُ الرَّجُلَانِ [الطَّوِيلَانِ][5] فَيَطُولُهُمَا، فَإِذَا فَارَقَاهُ نُسِبَا إِلَى الطُّولِ، وَنُسِبَ هُوَ إِلَى الرَّبْعَةِ. كَانَ أَزْهَرَ اللَّوْنِ، لَمْ يَكُنْ بِالْآدَمِ وَلَا الشَّدِيدِ الْبَيَاضِ. وَكانَ رَجِلَ الشَّعْرِ حَسَنَهُ، لَيْسَ بِالسَّبْطِ وَلَا الْجَعْدِ الْقَطِطِ[6]»[7].

---

(1) سُكُرُّجَةٌ: إِنَاءٌ صَغِيرٌ يؤكل فِيهِ الشَّيْءُ الْقَلِيلُ مِنَ الأُدْمِ، وهي فارسية وأكثر مَا يُوضَعُ فِيهَا الكَوامِخُ ونحوها. اللسان/ سركج.

(2) سنن ابن ماجه: 2/ 1065، رقم: 3292، والجامع الكبير للترمذي: 3/ 385، رقم: 1788.

(3) الطبقات الكبرى لابن سعد: 1/ 7، وسنن ابن ماجه: 2/ 1101، رقم: 3312..

(4) المصدر نفسه: 1/ 320، ومسند أبي الجعد: 306، رقم: 2068. والإحياء: 2/ 381.

(5) ما بين معقوفين سقط من الأزهرية.

(6) السَّبْطُ من الشعر: المنبسِطُ المُسْتَرْسِلُ، والقَطِطُ: الشديد الجعودة، أي كان شعره وسطا بينهما. اللسان/ سبط.

(7) صحيح البخاري: 4/ 187، رقم: 3548، وصحيح مسلم: 4/ 1824، رقم: 2347.

وَكَانَ شَعْرُهُ يَضْرِبُ مَنْكِبَيْهِ، وَأَكْثَرُ الرِّوَايَةِ أَنَّهُ إِلَى شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ، وَرُبَّمَا جَعَلَهُ غَدَائِرَ[1] أَرْبَعًا، تَخْرُجُ كُلُّ أُذنٍ مِنْ بَيْنِ غَدِيرَتَيْنِ، وَرُبَّمَا جَعَلَ شَعْرَهُ عَلَى أُذْنِهِ فَتَبْدُو سَوَالِفُهُ تَتَلَأْلَأُ، وَكَانَ شَيْبُهُ فِي الرَّأْسِ وَاللِّحْيَةِ سَبْعَ عَشْرَةَ شَعْرَةً فقطْ.

وَكَانَ وَاسِعَ الْجَبْهَةِ، أَزَجَّ الْحَاجِبَيْنِ وَأَبْلَجَ مَا بَيْنَهُمَا، وَعَيْنَاهُ نَجْلَاوَانِ[2] أَدْعَجهُمَا مَعَ مَزْجِ حُمْرَةٍ فِيهِمَا، وَكَانَ أَهْدَبَ الْأَشْفَارِ، تَلْتَبِسُ مِنْ كَثْرَتِهَا، وَأَقْنَى الْعِرْنِينِ، مُفَلَّجَ الْأَسْنَانِ، إِذَا ضَحِكَ افْتَرَّ عَنْ مِثْلِ سَنَا الْبَرْقِ إِذَا تَلَأْلَأَ، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ عِبَادِ اللهِ شَفَتَيْنِ، وَأَلْطَفِهِمْ خَتْمَ فَمٍ، وَكانَ سَهْلَ الْخَدَّيْنِ صَلْبَهُمَا[3]، لَا بِالطَّوِيلِ الْوَجْهِ وَلَا بِالْمُكَلْثَمِ[4]، كَثَّ اللِّحْيَةِ، وَكانَ يُعْفِي لِحْيَتَهُ، وَيَأْخُذُ مِنْ شَارِبِهِ، وَكانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ عُنُقًا، لَا يُنْسَبُ إِلَى الطُّولِ وَلَا إِلَى الْقِصَرِ، مَا ظَهَرَ مِنْ عُنُقِهِ لِلشَّمْسِ وَالرِّيَاحِ فَكَأَنَّهُ إِبْرِيقُ فِضَّةٍ مُشْرَبٌ ذَهَبًا يَتَلَأْلَأُ فِي بَيَاضِ الْفِضَّةِ وَحُمْرَةِ الذَّهَبِ.

وَكَانَ عَرِيضَ الصَّدْرِ، مَوْصُولَ[5] مَا بَيْنَ لَبَّتِهِ وَسُرَّتِهِ بِشَعْرٍ مُنْقَادٍ

---

(1) الغدائر: واحدتها غديرة وهي الذوائب. اللسان/ غدر.

(2) العين النجلاء: الواسعة الحسنة، والدَّعَجُ: شدة سواد الحَدَقَةِ، لا يكون الدَّعَجُ في شيء إلا في سواد الحدق. دلائل النبوة للبيهقي: 1/ 303.

(3) صَلْتَهُمَا، في دلائل النبوة، وقال: الصَّلت الخد: هو الأسيل الخدِّ المستوي الذي لا يفوتُ بعضَ لَحْمِ بَعْضِهِ بَعْضًا.

(4) المتكلثم مِنَ الْوُجُوهِ القَصِيرُ الحنكِ الدَّانِي الجبهة الْمُسْتَدِيرُ الْوَجْهِ، وقيل: مُسْتَدِيرُ الوجهِ مَعَ خِفَّةِ اللَّحْمِ، قَالَ: وَلَا تَكُونُ الكَلْثَمَة إِلَّا مَعَ كَثْرَةِ اللَّحْمِ. اللسان/ كلثم.

(5) موصل، في الأزهرية.

كَالْقَضِيبِ، لَمْ يَكُنْ فِي صَدْرِهِ وَلَا بَطْنِهِ شَعَرٌ غَيْرَهُ، كَانَتْ لَهُ عُكَنٌ[1] ثَلَاثٌ يُغَطِّي الْإِزَارُ وَاحِدَةً مِنْهَا وَتَظْهَرُ اثْنَتَانِ. وَكَانَ عَظِيمَ الْمَنْكِبَيْنِ [أَشْعَرَهُمَا، ضَخْمَ الْكَرَادِيسِ، أَيْ: رُؤُوسِ الْعِظَامِ مِنَ الْمِرْفَقَيْنِ][2] وَالْوَرِكَيْنِ. وَكَانَ وَاسِعَ الظَّهْرِ، بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ، وَهُوَ مِمَّا يَلِي مَنْكِبَهُ الْأَيْمَنَ، فِيهِ شَامَةٌ[3] سَوْدَاءُ تَضْرِبُ إِلَى الصُّفْرَةِ، حَوْلَهَا شَعَرَاتٌ مُتَوَالِيَاتٌ كَأَنَّهَا مِنْ عُرْفِ[4] فَرَسٍ. وَكَانَ عَبْلَ الْعَضُدَيْنِ وَالذِّرَاعَيْنِ، طَوِيلَ الزَّنْدَيْنِ[5]، رَحْبَ الرَّاحَتَيْنِ، سَائِلَ الْأَطْرَافِ[6].

كَأَنَّ أَصَابِعَهُ قُضْبَانُ الْفِضَّةِ، كَفُّهُ أَلْيَنُ مِنَ الْحَرِيرِ، كَأَنَّ كَفَّهُ كَفُّ عَطَّارٍ طِيبًا، مَسَّهَا بِطِيبٍ أَوْ لَمْ يَمَسَّهَا، يُصَافِحُهُ الْمُصَافِحُ فَيَظَلُّ يَوْمَهُ يَجِدُ رِيحَهَا، وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ الصَّبِيِّ فَيُعْرَفُ مِنْ بَيْنِ الصِّبْيَانِ بِرِيحِهَا عَلَى رَأْسِهِ.

وَكَانَ عَبْلَ مَا تَحْتَ الْإِزَارِ مِنَ الْفَخِذِ وَالسَّاقِ، وَكَانَ مُعْتَدِلَ الْخَلْقِ فِي السِّمَنِ، بَدُنَ[7] فِي آخِرِ زَمَانِهِ، وَكَانَ لَحْمُهُ مُتَمَاسِكًا يَكَادُ يَكُونُ عَلَى الْخَلْقِ

(1) العُكَنُ وَالْأَعْكَانُ: الأَطْواء فِي البَطْن مِنَ السِّمَن، وتَعَكَّنَ البطنُ: صَارَ ذَا عُكَن. اللسان/ عكن.

(2) ما بين معقوفين سقط من الأزهرية.

(3) الشامة: عَلَامَةٌ مُخَالِفَةٌ لِسَائِرِ اللَّوْنِ. وَالْجَمْعُ شاماتٌ وشامٌ. اللسان/ شيم.

(4) عُرْفُ الفرس: منبت الشعر، وأَعْرَفَ الفرس: طال عُرْفُهُ، وَعَرَفْتُ الفَرَسَ: جَزَزْتُ عُرْفَهُ. اللسان/ عرف.

(5) الزَّنْدَانِ: الْعَظْمَانِ اللَّذَانِ فِي ظَاهِرِ السَّاعِدَيْنِ.

(6) دلائل النبوة للبيهقي: 1/ 303-305، والإحياء: 2/ 381-383.

(7) بدن الرجل يبدن بُدْنًا وبَدَانَةً إذا ضخم، فهو بَادِنٌ، وقد بَدَّن تَبْدِينًا إذا أسن وكبر. إصلاح المنطق: 234.

الْأَوَّلِ، لَمْ يَضُرَّهُ السِّنُّ، وَكانَ يَمْشِي كَأَنَّمَا يَنْقَلِعُ مِنْ صَخْرٍ، وَيَنْحَدِرُ مِنْ صَبَبٍ[1] ، يَخْطُو تكَفِّيًا[2]، وَيَمْشِي الْهُوَيْنَا بِغَيْرِ تَبَخْتُرٍ؛ وَالْهُوَيْنَا: تَقَارُبُ الْخُطَى[3].

وَأَمَّا مُعْجِزَاتُهُ وَآيَاتُهُ، فَخَارِجَةٌ عَنِ حَدِّ الْعَدِّ وَالْإِحْصَاءِ، سِيَّمَا الْمُعْجِزَةُ الْكُبْرَى الْبَاقِيَةُ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ تَحَدَّى بِهَا بُلَغَاءَ عَدْنَانَ، وَفُصَحَاءَ قَحْطَانَ. وَجَزِيرَةُ الْعَرَبِ مَمْلُوءَةٌ بِالْآلَافِ مِنْهُمْ، وَنَادَى بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ، أَوْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِنْ مِثْلِهِ، أَوْ بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ إِنْ شَكُّوا، فَعَجَزُوا عَنْ ذَلِكَ عَنْ آخِرِهِمْ، حَتَّى عَرَّضُوا أَنْفُسَهُمْ لِلْقَتْلِ، وَنِسَاءَهُمْ وَذَرَارِيَّهُمْ لِلسَّبْيِ، فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يُعَارِضُوا، وَلَا أَنْ يَقْدَحُوا في حُسْنِهِ وَجَزَالَتِهِ. ثُمَّ انْتَشَرَ ذَلِكَ بَعْدَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَقْطَارِ الْعَالَمِ شَرْقًا وَغَرْبًا، قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ، وَعَصْرًا بَعْدَ عَصْرٍ، فَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ عَلَى مُعَارَضَتِهِ. فَأَعْظِمْ بِحُمْقِ مَنْ رَأَى مُعْجِزَاتِهِ وَأَخْلَاقَهُ وَآدَابَهُ، ثُمَّ في اسْتِمْرَارِ شَرْعِهِ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ خَمْسِينَ وَتِسْعِمِئَةٍ، ثُمَّ فِي انْتِشَارِهِ فِي أَقْطَارِ الْعَالَمِ وَإِذْعَانِ مُلُوكِ الْأَرْضِ لَهُ فِي عَصْرِهِ وَبَعْدَ عَصْرِهِ وَالْمُدَّةِ مَا ذُكِرَ، ثُمَّ يَتَمَارَى بَعْدَ ذَلِكَ فِي صِدْقِهِ، وَخُلُودِ شَرْعِهِ إِلَى انْقِرَاضِ الدُّنْيَا[4].

---

(1) من صبٍّ، في الأزهرية.

(2) يمشي تكفيا: أي إذا مشى رفع رجليه بقوة.

(3) دلائل النبوة للبيهقي: 1/ 306. والإحياء: 2/ 383.

(4) الإحياء: 2/ 387.

فَنَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُوَفِّقَنَا لِلِاقْتِدَاءِ بِهِ فِي الْأَخْلَاقِ وَالْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ [وَالْأَحْوَالِ][1]، إِنَّهُ الْكَرِيمُ ذُو الْجَلَالِ، وَهُوَ الْعَلِيمُ بِكُلِّ الْحَالِ، بِمَنِّهِ وَجُودِهِ.

(1) ما بين معقوفين سقط من الأزهرية.

الدَّوْحَةُ الثَّالِثَةُ: فِي رُبُعِ الْمُهْلِكَاتِ

وَفِيهِ عَشَرَةُ أُصُولٍ، اثْنَانِ مِنْهَا مُقَدِّمَةٌ لِلْبَوَاقِي.

الْأَصْلُ الْأَوَّلُ: شَرْحُ عَجَائِبِ الْقَلْبِ

وَلْنَذْكُرْ أَوَّلًا مَعَانِيَ عِدَّةِ أَلْفَاظٍ نَافِعَةٍ فِي الْبَابِ:

أَحَدُهَا الْقَلْبُ: وَلَهُ مَعْنَيَانِ:

أَحَدُهُمَا: اللَّحْمُ الصَّنَوْبَرِيُّ الْمودَعُ في الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ مِنَ الصَّدْرِ، وَفي بَاطِنِهِ دَمٌ أَسْوَدُ، وَهُوَ مَنْبَعُ الرُّوحِ الْحَيَوَانِيِّ، وَهُوَ مِنْ عَالَمِ الْمُلْكِ وَالشَّهَادَةِ.

وَثَانِيهِمَا: لَطِيفَةٌ رَبَّانِيَّةٌ رُوحَانِيَّةٌ، لَهَا بِهَذَا الْقَلْبِ الْجِسْمَانِيِّ تَعَلُّقٌ، وَهِيَ حَقِيقَةُ الْإِنْسَانِ، وَهِيَ الْمُدْرِكُ الْعَالِمُ، الْعَارِفُ الْمُخَاطَبُ، وَالْمُعَاتَبُ وَالْمُعَاقَبُ وَالْمُطَالَبُ، وَهَذَا مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ، وَقَدْ نُهِينَا عَنْ شَرْحِ حَالِهَا.

الثَّانِي: لَفْظُ الرُّوحِ، وَلَهُ أَيْضًا مَعْنَيَانِ:

أَحَدُهُمَا: [جِسْمٌ لَطِيفٌ مَنْبَعُهُ تَجْوِيفُ الْجِسْمِ الصَّنَوْبَرِيِّ، وَتَنْتَشِرُ بِوَاسِطَةِ الْعُرُوقِ الضَّوَارِبِ إِلَى الْبَدَنِ، وَيَفِيضُ بِسَبَبِهِ قُوَّةُ الْحَيَاةِ وَالْحِسِّ وَالْبَصَرِ وَالسَّمْعِ وَالشَّمِّ.

وَثَانِيهِمَا: ثَانِي مَعْنَيَيِ الْقَلْبِ.

الثَّالِثُ: لَفْظُ النَّفْسِ، وَلَهُ أَيْضًا مَعْنَيَانِ:

أَحَدُهُمَا][1]: الْأَمْرُ الْجَامِعُ لِقُوَّةِ الْغَضَبِ وَالشَّهْوَةِ فِي الْإِنْسَانِ، وَعَلَى هَذَا أَكْثَرُ اصْطِلَاحِ الْمُتَصَوِّفَةِ.

وَثَانِيهِمَا: ثَانِي مَعْنَيَيِ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ.

الرَّابِعُ: الْعَقْلُ، وَلَهُ أَيْضًا مَعْنَيَانِ:

أَحَدُهُمَا: الْعِلْمُ بِحَقَائِقِ الْأُمُورِ.

وَثَانِيهِمَا: الْمُدْرِكُ لِحَقَائِقِ الْأُمُورِ، أَعْنِي: اللَّطِيفَةَ الْمَذْكُورَةَ.

بَيَانُ جُنُودِ الْقَلْبِ.

وَهِيَ ثَلَاثَةُ أَصْنَافٍ: بَاعِثٌ إِمَّا إِلَى جَلْبِ الْمُوَافِقِ النَّافِعِ كَالشَّهْوَةِ، أَوْ إِلَى دَفْعِ الضَّارِّ الْمُنَافِي كَالْغَضَبِ، وَيُسَمَّى هَذَا الْبَاعِثُ إِرَادَةً. وَمُحَرِّكٌ لِلْأَعْضَاءِ إِلَى تَحْصِيلِ هَذِهِ الْمَقَاصِدِ مُسَمًّى بِالْقُدْرَةِ، وَهِيَ أُمُورٌ مَبْثُوثَةٌ فِي سَائِرِ الْأَعْضَاءِ، سِيَّمَا الْعَضَلَاتُ مِنْهَا وَالْأَوْتَارُ. وَمُدْرِكٌ مُتَعَرِّفٌ لِلْأَشْيَاءِ كَالْجَوَاسِيسِ، وَهِيَ مَبْثُوثَةٌ فِي مَوَاضِعَ مُعَيَّنَةٍ، كَالْحَوَاسِّ الظَّاهِرَةِ الْمُسْتَخْدِمَةِ لِلْأَعْضَاءِ الظَّاهِرَةِ الْمُرَكَّبَةِ مِنَ اللَّحْمِ وَالشَّحْمِ وَالدَّمِ وَالْعَظْمِ، وَهَذِهِ مِنْ عَالَمِ الْمُلْكِ وَالشَّهَادَةِ، وَلَهَا حَوَاسُّ بَاطِنَةٌ مِنَ الْحِسِّ الْمُشْتَرَكِ وَالتَّخَيُّلِ وَالتَّفَكُّرِ وَالتَّذَكُّرِ وَالْحِفْظِ، وَالَّذِي يُبْحَثُ عَنْهُ هِيَ الْحَوَاسُّ الْبَاطِنَةُ.

---

(1) ما بين معقوفين سقط من الأزهرية.

وَيُمَثِّلُ الْقَلْبُ مَعَ جُنُودِهِ الْبَاطِنَةِ كَالْمَلِكِ وَالْوَالِي؛ أَعْنِي الرُّوحَ، مَعَ مَمْلَكَتِهِ وَمَدِينَتِهِ؛ أَعْنِي الْبَدَنَ، وَقُوَّتُهُ الْعَقْلِيَّةُ وَزِيرُهُ الْعَاقِلُ، وَشَهْوَتُهُ كَعَبْدِهِ السَّوْءِ الْجَالِبِ لِلْمِيرَةِ[1]. فَمَتَى انْقَادَ لِلْوَزِيرِ خَلَصَ مِنْ مَضَرَّةِ الْعَبْدِ الْمَكَّارِ، وَإِلَّا هَلَكَ؛ وَكَذَا الْغَضَبُ صَاحِبُ شُرْطَتِهِ، فَإِذَا تَبِعَ رَأْيَ الْوَزِيرِ يَأْمَنُ ضَرَرَهُ، وَإِلَّا فَاتَ قَانُونَ الْعَدْلِ فِي الْمَمْلَكَةِ[2].

ثُمَّ إِنَّ الْإِنْسَانَ فِي تَرْكِيبِهِ أَرْبَعُ قُوًى، وَهِيَ: السَّبُعِيَّةُ وَالْبَهِيمِيَّةُ وَالشَّيْطَانِيَّةُ وَالرَّبَّانِيَّةُ. فَهُوَ مِنْ حَيْثُ سُلِّطَ عَلَيْهِ إِحْدَى هَذِهِ الصِّفَاتِ تَتَوَلَّدُ أَخْلَاقٌ رَدِيئَةٌ.

أَمَّا الْأَوَّلُ: فَكَالْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ وَالتَّهَجُّمِ عَلَى النَّاسِ بِالضَّرْبِ وَالشَّتْمِ.

وَأَمَّا الثَّانِي: فَكَالشَّرَهِ وَالْحِرْصِ وَالشَّبَقِ.

وَأَمَّا الرَّابِعُ[3]: فَكَحُبِّ الِاسْتِيلَاءِ وَالِاسْتِعْلَاءِ وَالتَّفَرُّدِ بِالرِّئَاسَةِ، وَالِانْسِلَالِ عَنْ رِبْقَةِ الْعُبُودِيَّةِ وَالتَّوَاضُعِ، وَادِّعَاءِ الْإِحَاطَةِ بِجَمِيعِ الْحَقَائِقِ، وَالِاسْتِيلَاءِ بِالْقَهْرِ عَلَى جَمِيعِ الْخَلَائِقِ، مِنْ أَوْصَافِ الرُّبُوبِيَّةِ؛ وَمِنْ حَيْثُ يَخْتَصُّ عَنِ الْبَهَائِمِ بِالتَّمْيِيزِ مَعَ مُشَارَكَتِهِ لَهَا فِي الْغَضَبِ وَالشَّهْوَةِ حَصَلَتْ شَيْطَانِيَّتُهُ.

---

(1) الميرة: جلب الطعام للبيع. اللسان/ مير.

(2) كلام ملخص من الإحياء: 3/ 2 ـ 9.

(3) كذا في الأصل لم يذكر الثالث.

وَبِالْجُمْلَةِ: إِذَا أُتْبِعَتْ قُوَّةُ الْعِلْمِ عَلَى الشَّهْوَةِ وَالْغَضَبِ صَارَ شَيْطَانًا فِي صُورَةِ إِنْسَانٍ، وَالْحَكِيمُ الَّذِي هُوَ مِثَالُ الْعَقْلِ مَأْمُورٌ بِأَنْ يَدْفَعَ كَيْدَ الشَّيْطَانِ بِبَصِيرَتِهِ، وَيَكْسِرَ شَرَهَ هَذَا الْخِنْزِيرِ بِتَسْلِيطِ الْكَلْبِ عَلَيْهِ، وَهُوَ الْخِنْزِيرُ[1]، وَيَدْفَعَ ضَرَاوَةَ الْكَلْبِ بِتَسْلِيطِ الْخِنْزِيرِ عَلَيْهِ، وَيَجْعَلَ الْكُلَّ مَقْهُورًا تَحْتَ سِيَاسَتِهِ، فَيَحْصُلَ لَهُ صِفَةُ الْعَدْلِ؛ وَإِلَّا فَيَكُونُ دَائِمًا فِي عِبَادَةِ كَلْبٍ وَخِنْزِيرٍ، وَمَعَ ذَلِكَ يُنْكِرُ عَلَى عَبَدَةِ الْأَصْنَامِ عِبَادَتَهُمْ لِلْحِجَارَةِ، وَنَفْسُهُ يَعْبُدُ الْكَلْبَ وَالْخِنْزِيرَ، كَمَا يَرَاهُ الْمُكَاشَفُونَ تَارَةً فِي النَّوْمِ، وَتَارَةً فِي الْيَقَظَةِ عَلَى عُكُوفِهِ فِي عِبَادَةِ هَذَيْنِ.

فَيَحْصُلُ لَهُ مِنْ طَاعَةِ خِنْزِيرِ الشَّهْوَةِ الْوَقَاحَةُ وَالْخُبْثُ وَالتَّبْذِيرُ وَالتَّقْتِيرُ وَالرِّيَاءُ وَالْهَتْكُ وَالْمَجَانَةُ[2] وَالْعَنَتُ وَالْحِرْصُ وَالْجَشَعُ وَالْمَلَقُ[3] وَالْحَسَدُ وَالشَّمَاتَةُ وَنَحْوُهَا؛ وَمِنْ طَاعَةِ كَلْبِ الْغَضَبِ؛ صِفَةُ التَّهَوُّرِ وَالنَّذَالَةِ وَالْبَذْخِ وَالصَّلَفِ وَالِاسْتِشَاطَةِ وَالتَّكَبُّرِ وَالْعُجْبِ وَالِاسْتِهْزَاءِ وَالِاسْتِخْفَافِ، وَتَحْقِيرِ الْخَلْقِ، وَإِرَادَةِ الشَّرِّ، وَشَهْوَةِ الظُّلْمِ وَنَحْوِهَا؛ وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ بِطَاعَةِ الشَّهْوَةِ وَالْغَضَبِ فَيَحْصُلُ مِنْهَا صِفَةُ الْمَكْرِ وَالْحِيلَةِ وَالْخِدَاعِ وَالدَّهَاءِ وَالْجَرَاءَةِ وَالتَّلْبِيسِ وَالتَّضْرِيبِ وَالْغِشِّ وَالْخُبْثِ وَأَمْثَالِهَا.

---

(1) شطبت هذه العبارة في أنطاليا.

(2) الْمَجَانَةُ: أَن لَا يُبالِيَ مَا صَنَع وَمَا قِيلَ لَهُ. اللسان/ مجن.

(3) الْمَلَقُ: الوُدّ وَاللُّطْفُ الشَّدِيدُ. اللسان/ ملق.

وَلَوْ عَكَسَ الْأَمْرَ، وقهر الْجَمِيعَ تَحْتَ سِيَاسَةِ الصِّفَةِ الرَّبَّانِيَّةِ، اسْتَقَرَّ فِي الْقَلْبِ صِفَاتٌ رَبَّانِيَّةٌ مِنَ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ وَالْإِحَاطَةِ بِحَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ كَمَا هِيَ. وَالِاسْتِيلَاءُ عَلَى الْكُلِّ بِقُوَّةِ الْعِلْمِ وَالْبَصِيرَةِ. وَيَحْصُلُ لَهُ مِنْ رَدِّ خِنْزِيرِ الشَّهْوَةِ إِلَى الِاعْتِدَالِ صِفَاتٌ شَرِيفَةٌ: مِنَ الْعِفَّةِ وَالْقَنَاعَةِ وَالْهُدُوءِ وَالزُّهْدِ وَالْوَرَعِ وَالتَّقْوَى وَالِانْبِسَاطِ وَحُسْنِ الْهَيْئَةِ وَالْحَيَاءِ وَالظَّرْفِ وَالْمُسَاعَدَةِ وَأَمْثَالِهَا؛ وَمِنْ[1] كَسْرِ قُوَّةِ الْغَضَبِ وَقَهْرِهَا وَرَدِّهَا إِلَى حَدِّ الْوَاجِبِ: صِفَةُ الشَّجَاعَةِ وَالْكَرَمِ وَالنَّجْدَةِ وَضَبْطِ النَّفْسِ وَالصَّبْرِ وَالْحِلْمِ وَالِاحْتِمَالِ وَالْعَفْوِ وَالثَّبَاتِ وَالنُّبْلِ وَالشَّهَامَةِ وَالْوَقَارِ وَغَيْرِهَا[2].

(1) ويحصل له من.

(2) الإحياء: 3/ 10 ـ 12.

الْمَطْلَبُ الثَّانِي[1]

وَاعْلَمْ: أَنَّ كُلَّ قَلْبٍ فَهُوَ بِالْفِطْرَةِ صَالِحٌ لِمَعْرِفَةِ الْحَقَائِقِ، لِأَنَّهُ أَمْرٌ رَبَّانِيٌّ شَرِيفٌ فَارَقَ سَائِرَ جَوَاهِرِ الْعَالَمِ بِهَذِهِ الْخَاصِّيَّةِ وَالشَّرَفِ، وَتِلْكَ الْخَاصِّيَّةُ قَدْ عَبَّرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهَا بِالْأَمَانَةِ الَّتِي حَمَلَهَا الْإِنْسَانُ، وَأَبَتْ عَنْ حَمْلِهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ، لَكِنْ هُنَاكَ أَسْبَابٌ مَانِعَةٌ مِنْ مَعْرِفَةِ حَقَائِقِ الْعُلُومِ، وَهِيَ خَمْسَةٌ:

أَحَدُهَا: نُقْصَانٌ فِي ذَاتِهِ كَقَلْبِ الصَّبِيِّ، وَمِثَالُ ذَلِكَ فِي الْحِسِّ: الْحَدِيدُ قَبْلَ أَنْ يُدَوَّرَ وَيَتَشَكَّلَ وَيُصْقَلَ.

وَثَانِيهَا: كُدُورَةُ الْمَعَاصِي وَخُبْثُ الشَّهَوَاتِ، مِثَالُهُ: صَدَأُ الْحَدِيدِ وَكُدُورَتُهُ بَعْدَ تَمَامِ شَكْلِهِ.

وَثَالِثُهَا: كَوْنُهُ مَعْدُولًا بِهِ عَنْ جِهَةِ الْحَقِيقَةِ الْمَطْلُوبَةِ، فَإِنَّ الْقَلْبَ وَإِنْ كَانَ صَافِيًا إِلَّا أَنَّ هَمَّ الطَّاعَاتِ الْبَدَنِيَّةِ أَوْ تَهْيِئَةِ أَسْبَابِ الْمَعِيشَةِ رُبَّمَا يَصْرِفُ فِكْرَهُ عَنِ التَّأَمُّلِ فِي حَضْرَةِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَالْحَقَائِقِ الْخَفِيَّةِ الْإِلَهِيَّةِ، فَلَا يَنْكَشِفُ لَهُ إِلَّا مَا هُوَ مُتَفَكِّرٌ فِيهِ مِنْ دَقَائِقِ آفَاتِ الْأَعْمَالِ، وَحَقَائِقِ عُيُوبِ النَّفْسِ، أَوْ مَصَالِحِ الْمَعِيشَةِ؛ مِثَالُهُ: كَوْنُ الْمِرْآةِ الْمَصْقُولَةِ مَعْدُولًا بِهَا عَنْ جَانِبِ الصُّورَةِ.

---

(1) كذا في النسخ الخطية، ولم يذكر المطلب الأول.

وَرَابِعُهَا: أَنْ يَكُونَ الْمُطِيعُ الْقَاهِرُ لِشَهَوَاتِهِ، الْمُتَجَرِّدُ لِلتَّفَكُّرِ في حَقِيقَةٍ مِنَ الْحَقَائِقِ لَا يَنْكَشِفُ لَهُ ذَلِكَ لِكَوْنِهِ مَحْجُوبًا عَنْهُ، بِاعْتِقَادٍ يُسْبَقُ إِلَيْهِ مُنْذُ الصِّبَا عَلَى سَبِيلِ التَّقْلِيدِ وَالْقَبُولِ لِحُسْنِ الظَّنِّ، وَذَلِكَ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَقِّ؛ مِثَالُهُ الْحِجَابُ الْمُرْسَلُ بَيْنَ الصُّورَةِ وَبَيْنَ الْمِرْآةِ الصَّقِيلَةِ الْمُحَاذِيَةِ نَحْوَهَا.

وَخَامِسُهَا: الْجَهْلُ بِالْجِهَةِ الَّتِي مِنْهَا يَقَعُ الْعُثُورُ عَلَى الْمَطْلُوبِ، إِذْ لَا بُدَّ لِكُلِّ عِلْمٍ مِنْ عِلْمَيْنِ سَابِقَيْنِ يَأْتَلِفَانِ فَيَحْصُلُ مِنِ ازْدِوَاجِهِمَا عِلْمٌ ثَالِثٌ؛ وَمِثَالُهُ الْجَهْلُ بِالْجِهَةِ الَّتِي فِيهَا الصُّورَةُ فَلَا يُحَاذِي الْمِرْآةَ بِهَا؛ مَثَلًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُبْصِرَ قَفَاهُ فِي الْمِرْآةِ فَلَا بُدَّ أَوَّلًا أَنْ يَعْرِفَ طَرِيقَهُ، وَإِلَّا لَا يَحْصُلُ مِنْ جِدِّهِ طَائِلٌ، فَإِنَّهُ إِنْ رَفَعَ الْمِرْآةَ حِذَاءَ وَجْهِهِ لَا يُبْصِرُ قَفَاهُ وَإِنْ رَفَعَهَا وَرَاءَ الْقَفَا لا يَرَى الْمِرْآةَ أَصْلًا، فَيَنْبَغِي أَنْ يَرْفَعَ الْمِرْآةَ وَرَاءَ الْقَفَا وَأُخْرَى حِذَاءَ وَجْهِهِ مُقَابِلَةً لِلْمِرْآةِ الْأُخْرَى، فَتَنْتَقِشُ صُورَةُ الْقَفَا فِي مِرْآةٍ تُقَابِلُهَا، ثُمَّ تَنْتَقِشُ مِنْهَا إِلَى الْمِرْآةِ الْمُحَاذِيَةِ لِلْمِرْآةِ الْأُولَى وَلِوَجْهِ الرَّائِي، فَتَرْتَسِمُ صُورَةُ الْقَفَا فِي الْمِرْآةِ الثَّانِيَةِ فَيَرَى قَفَاهُ، فَكَذَلِكَ فِي اقْتِنَاصِ الْعُلُوم طُرُقٌ عَجِيبَةٌ فِيهَا ازْوِرَارَاتٌ[1] وَتَحْرِيفَاتٌ أَعْجَبُ مِمَّا ذَكَرْنَا فِي الْمِرْآةِ، وَيَعِزُّ عَلَى بَسِيطَةِ الْأَرْضِ مَنْ يَهْتَدِي إِلَى كَيْفِيَّةِ الْحِيلَةِ فِي تِلْكَ الِازْوِرَارَاتِ[2].

---

(1) ازورارات مفرده ازْوَرَّ بمعنى عدل عنه وانحرف. اللسان/ زور.

(2) الإحياء: 3/ 12-14.

الْمَطْلَبُ الثَّالِثُ

الْعُلُومُ إِمَّا عَقْلِيَّةٌ: وَهِيَ الَّتِي تَقْضِي بِهَا غَرِيزَةُ الْعَقْلِ بِلَا أَخْذٍ مِنْ تَقْلِيدٍ وَسَمَاعٍ؛ وَهِيَ إِمَّا ضَرُورِيَّةٌ، لَا يُدْرَى مِنْ أَيْنَ حَصَلَتْ، وَكَيْفَ حَصَلَتْ، وَإِمَّا مُكْتَسَبَةٌ، وَهِيَ الْمُسْتَفَادَةُ بِالتَّعَلُّمِ وَالِاسْتِدْلَالِ، وَكِلَاهُمَا قَدْ تُسَمَّى عَقْلًا، وَالْقَلْبُ جَارٍ مَجْرَى الْعَيْنِ، وَغَرِيزَةُ الْعَقْلِ جَارِيَةٌ مَجْرَى قُوَّةِ الْإِبْصَارِ، فكَمَا أَنَّ الإِبْصَارَ يَتَوَقَّفُ عَلَى النُّورِ، كَذَلِكَ قَلْبُ الصَّبِيِّ إِلَى التَّمْيِيزِ وَالْبُلُوغِ، وَفَقْدُ قُوَّةِ الْعَقْلِ عَمًى. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[1].

ثُمَّ الْعُلُومُ: إِمَّا دِينِيَّةٌ، مَأْخُوذَةٌ بِطَرِيقِ التَّقْلِيدِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، إِمَّا بِتَعَلُّمِ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَوْ بِتَعَلُّمِ سُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَالْعُلُومُ الْعَقْلِيَّةُ - وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ كَافِيَةٍ فِي سَلَامَةِ الْقَلْبِ - لَكِنَّهَا مُحْتَاجٌ إِلَيْهَا فِي فَهْمِ الْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ، فَلَا غِنَى بِالْعَقْلِ عَنِ السَّمْعِ، وَلَا بِالسَّمْعِ عَنِ الْعَقْلِ، وَالدَّاعِي إِلَى مَحْضِ السَّمْعِ مَعَ عَزْلِ الْعَقْلِ بِالْكُلِّيَّةِ جَاهِلٌ، وَالْمُكْتَفِي بِمُجَرَّدِ الْعَقْلِ عَنْ أَنْوَارِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ مَغْرُورٌ.

فَإِيَّاكَ [وَإِيَّاكَ][2] أَنْ تَكُونَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ، وَكُنْ جَامِعًا بَيْنَهُمَا، فَالْعُلُومُ الْعَقْلِيَّةُ كَالْأَغْذِيَةِ، وَالشَّرْعِيَّةُ كَالدَّوَاءِ؛ مَنْ ظَنَّ أَنَّ الْعُلُومَ الْعَقْلِيَّةَ مُنَاقِضَةٌ

---

(1) سورة الحج الآية: 46.

(2) زيادة من أنطاليا.

لِلْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ، وَأَنَّ الْجَمْعَ بَيْنَهُمَا غَيْرُ مُمْكِنٍ، فَهُوَ ظَنٌّ [صَادِرٌ][1] مِنْ عَمًى فِي عَيْنِ بَصِيرَتِهِ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْجَهْلِ. وَهَذَا الْقَائِلُ كَيْفَ يَفْعَلُ فِيمَا يُنَاقِضُ عِنْدَهُ بَعْضُ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ لِبَعْضٍ، فَإِمَّا أَنْ يَعْتَرِفَ بِنَفْعِ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ، أَوْ يَعْتَقِدَ نَقْصًا فِي الدِّينِ، وَيَنْسَلَّ مِنَ الدِّينِ انْسِلَالَ الشَّعْرَةِ مِنَ الْعَجِينِ[2].

ثُمَّ الْعُلُومُ الْعَقْلِيَّةُ إِمَّا دُنْيَوِيَّةٌ كَالطِّبِّ وَالْحِسابِ وَالْهَنْدَسَةِ وَالنُّجُومِ، وَسائِرِ الْحِرَفِ وَالصِّنَاعَاتِ. وَإِمَّا أُخْرَوِيَّةٌ: كَعِلْمِ أَحْوَالِ الْقُلُوبِ، وَآفَاتِ الْأَعْمَالِ، وَالْعِلْمِ بِاللهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَهُمَا كَكَفَّتَيِ الْمِيزَانِ، وَرُبَّمَا يُقَالُ: كَالْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَرُبَّمَا يُقَالُ كَالضَّرَّتَيْنِ إِنْ أَرْضَيْتَ إِحْدَاهُمَا أَسْخَطْتَ الْأُخْرَى، وَلِذَلِكَ تَرَى عُلَمَاءَ الدِّينِ جُهَّالًا فِي عُلُومِ الدُّنْيَا وَبِالْعَكْسِ. وَالْجَمْعُ بَيْنَ كَمَالِ الِاسْتِبْصَارِ فِي مَصَالِحِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا لَا يَتَيَسَّرُ إِلَّا لِلْمُؤَيَّدِينَ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ، بِخِلَافِ سَائِرِ الْخَلْقِ، فَإِنَّهَا إِذَا اشْتَغَلَتْ بِأَحَدِهِمَا انْصَرَفَتْ عَنِ الْآخَرِ[3].

---

(1) زيادة من أنطاليا.

(2) الإحياء: 3/ 16 ـ 17.

(3) المصدر نفسه: 3/ 18.

الْمَطْلَبُ الرَّابِعُ

وَاعْلَمْ: أَنَّ الْقَلْبَ له بَابَانِ: بَابٌ مَفْتُوحٌ إِلَى عَالَمِ الْمَلَكُوتِ، وَهُوَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ وَعَالَمُ الْمَلَائِكَةِ؛ وَبَابٌ مَفْتُوحٌ إِلَى الْحَوَاسِّ الْخَمْسِ الْمُتَمَسِّكِ بِعَالَمِ الشَّهَادَةِ وَالْمُلْكِ. وَطَرِيقُ اكْتِسَابِهِ مِنَ الْبَابِ الثَّانِي مَعْلُومٌ لِكُلِّ أَحَدٍ.

وَأَمَّا طَرِيقُ اكْتِسَابِهِ مِنَ الْمَلَكُوتِ، فَهُوَ أَنَّ الْقَلْبَ مُسْتَعِدٌّ لِأَنْ يَتَجَلَّى فِيهِ جَلِيَّةُ الْحَقِّ فِي الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، وَإِنَّمَا حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا بِالْحُجُبِ الْخَمْسَةِ - الَّتِي ذَكَرْنَاهَا - الْمُسْدَلَةِ بَيْنَ مِرْآةِ الْقَلْبِ وَبَيْنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، الَّذِي يُسَطَّرُ فِيهِ حَقَائِقُ الْأَشْيَاءِ وَجَمِيعُ مَا قَضَى اللهُ سُبْحَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، كَمَا يُسَطِّرُ الْمُهَنْدِسُ صُورَةَ أَبْنِيَةِ الدَّارِ فِي بَيَاضٍ ثُمَّ يُخْرِجُهَا إِلَى الْوُجُودِ على وَفْقِ تِلْكَ النُّسْخَةِ.

ثُمَّ إِنَّ الْحِجَابَ بَيْنَهُمَا تَارَةً يَزُولُ بِالْيَدِ، وَأُخْرَى بِهُبُوبِ رِيَاحِ الْأَلْطَافِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ تَارَةً فِي الْمَنَامِ، فَيَظْهَرُ لَهُ مَا سَيَكُونُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَتَارَةً فِي الْيَقَظَةِ، فَيَلْمَعُ غَرَائِبُ الْعُلُومِ، وَتَارَةً كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ، وَأُخْرَى عَلَى التَّوَالِي إِلَى حَدٍّ مَا. وَدَوَامُهُ فِي غَايَةِ النُّدُورِ، فَالْحِجَابُ إِذَا انْكَشَفَ بِاخْتِيَارِ الْعَبْدِ فَهُوَ الِاكْتِسَابُ، وَإِلَّا فَإِلْهَامٌ وَنَفْثٌ فِي الرُّوعِ، وَإِنْ شَاهَدَ مَعَهُ الْمَلَكَ فَهُوَ الْوَحْيُ.

وَهَذَا الِانْكِشَافُ - وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِالِاخْتِيَارِ - إِلَّا أَنَّ أَسْبَابَهُ الْبَعِيدَةَ دَاخِلَةٌ تَحْتَهُ، لِأَنَّ ذَلِكَ بِالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا، وَالتَّبَرُّؤِ مِنْ عَلَائِقِهَا، وَتَفْرِيغِ الْقَلْبِ مِنْ

شَوَاغِلِهَا حَتَّى يَسْتَوِيَ عِنْدَهُ وُجُودُ كُلِّ شَيْءٍ وَعَدَمُهُ، وَالْإِقْبَالِ بِكُنْهِ الْهِمَّةِ عَلَى اللهِ تَعَالَى، فَمَنْ كانَ لِلَّهِ كَانَ اللهُ لَهُ[1].

وَيَنْبَغِي أَنْ لَا يُفَرِّقَ فِكْرَهُ فِي مُطَالَعَةِ تَفْسِيرٍ وَحَدِيثٍ، بَلْ يُدَاوِمَ أَنْ يَقُولَ بِلِسَانِهِ: اللهَ اللهَ، إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى دَرَجَةٍ تَكُونُ الْكَلِمَةُ جَارِيَةً عَلَى اللِّسَانِ بِلَا قَصْدٍ مِنْهُ، ثُمَّ يَنْتَهِي إِلَى أَنْ يُمْحَى أَثَرُهُ عَنِ اللِّسَانِ، فَيُصَادِفَ قَلْبَهُ مُوَاظِبًا عَلَى الذِّكْرِ، ثُمَّ يُوَاظِبَهُ إِلَى أَنْ يَنْمَحِيَ[2] عَنِ الْقَلْبِ صُورَةُ اللَّفْظِ وَحُرُوفُهُ وَهَيْئَةُ الْكَلِمَةِ، وَيَبْقَى مَعْنَى الْكَلِمَةِ مُجَرَّدًا فِي قَلْبِهِ حَاضِرًا فِيهِ، كَأَنَّهُ لَازِمٌ لَهُ لَا يُفَارِقُهُ، ثُمَّ يُسْلَبَ عَنْهُ الِاخْتِيَارُ فِي اسْتِجْلَابِ رَحْمَةِ اللهِ، فَيَبْقَى مُنْتَظِرًا لِمَا يَفْتَحُهُ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ نَفَحَاتِهِ، فَتَلْمَعَ لَوَامِعُ الْحَقِّ فِي قَلْبِهِ كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ، ثُمَّ يَعُودَ وَيَدُومَ زَمَانًا.

---

(1) كلام ملخص من الإحياء: 3/ 19.

(2) يمحى، في الأزهرية ورئيس الكتاب ومراد ملا.

الْمَطْلَبُ الْخَامِسُ

اعْلَمْ أَنَّ أَهْلَ النَّظَرِ لَمْ يُنْكِرُوا وُجُودَ هَذَا الطَّرِيقِ وَإِمْكَانَهُ وَإِفْضَاءَهُ إِلَى الْمَقْصُودِ، لَكِنِ اسْتَوْعَرُوهُ واسْتَبْطَأُوا ثَمَرَتَهُ، وَاسْتَبْعَدُوا اجْتِمَاعَ شُرُوطِهِ، وَزَعَمُوا أَنَّ مَحْوَ الْعَلَائِقِ إِلَى هَذَا الْحَدِّ كَالْمُتَعَذِّرِ، وَإِنْ حَصَلَ فَثَبَاتُهُ أَبْعَدُ مِنْهُ إِذَا دَنَا وَسْوَاسٌ وَخَاطِرٌ يُشَوِّشُ الْقَلْبَ، وَفِي أَثْنَاءِ هَذِهِ الْمُجَاهَدَةِ قَدْ يَفْسُدُ الْمِزَاجُ، وَيَخْتَلِطُ الْعَقْلُ، وَيَمْرَضُ الْبَدَنُ، فَالِاشْتِغَالُ بِطُرُقِ التَّعَلُّمِ أَوْثَقُ وَأَقْرَبُ إِلَى الْغَرَضِ.

إِلَّا أَنَّ الْمَفْهُومَ مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ كَوْنُ عِلْمِ التَّصْفِيَةِ أَفْضَلَ مِنَ الْعِلْمِ الْمُكْتَسَبِ؛ «سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾[1]، مَا هَذَا الشَّرْحُ؟، قَالَ: هُوَ التَّوْسِعَةُ، إِنَّ النُّورَ إِذَا قُذِفَ بِهِ فِي الْقَلْبِ اتَّسَعَ لَهُ الصَّدْرُ وَانْشَرَحَ»[2].

وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَلَوْ وُزِنَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ بِإِيمَانِ الْعَالَمِ سِوَى النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ لَرَجَحَ»[3].

---

(1) سورة الزمر الآية: 22.

(2) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد: 1/ 210، والإحياء: 3/ 24.

(3) فضائل الصحابة لابن حنبل: 1/ 418، رقم: 653، والعلل الواردة في الأحاديث النبوية للدارقطني: 2/ 223، رقم: 236، والإحياء: 3/ 22.

وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ أُمَّتِي مُحَدَّثِينَ وَمُكَلَّمِينَ وَإِنَّ عُمَرَ مِنْهُمْ»(1).

وَالْمُحَدَّثُ: هُوَ الْمُلْهَمُ، وَالْمُلْهَمُ هُوَ الَّذِي انْكَشَفَ لَهُ فِي بَاطِنِ قَلْبِهِ مِنْ جِهَةِ الدَّاخِلِ لَا مِنْ جِهَةِ الْمَحْسُوسَاتِ الْخَارِجَةِ، وَالْقُرْآنُ مُصَرِّحٌ بِأَنَّ التَّقْوَى مِفْتَاحُ الْهِدَايَةِ وَالْكَشْفِ، وَذَلِكَ عِلْمٌ مِنْ غَيْرِ تَعْلِيمٍ.

وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ أَسَرَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْنَا، إِلَّا أَنْ يُؤْتِيَ اللهُ سُبْحَانَهُ عَبْدًا فَهْمًا فِي كِتَابِهِ، وَلَيْسَ هَذَا بِالتَّعَلُّمِ(2).

ثُمَّ إِنَّ الصَّوَابَ لِمَنْ يُرِيدُ طَرِيقَ الْآخِرَةِ أَنْ يُقَدِّمَ تَعَلُّمَ الْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ، ثُمَّ يَبْتَدِئَ طَرِيقَ التَّصْفِيَةِ، [إِذْ رُبَّمَا تَتَشَبَّثُ بِالْقَلْبِ خَيَالَاتٌ فَاسِدَةٌ، وَرُبَّمَا يَبْقَى الصُّوفِيُّ فِي خَيَالٍ وَاحِدٍ عِشْرِينَ سَنَةً، وَيَنْقَضِي عُمُرُهُ](3) دُونَ النَّجَاحِ فِيهِ، فَلَوْ كَانَ قَدْ أَتْقَنَ الْعِلْمَ مِنْ قَبْلُ لَانْفَتَحَ لَهُ وَجْهُ الصَّوَابِ مِنْ ذَلِكَ الْخَيَالِ فِي الْحَالِ.

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَتَعَلَّمِ الْفِقْهَ، وَصَارَ فَقِيهًا بِالْوَحْيِ وَالْإِلْهَامِ فَرُبَّمَا يَنْتَهِي بِالرِّيَاضَةِ إِلَيْهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ، وَضَيَّعَ عُمُرَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ وَإِنْ أَمْكَنَ لِغَيْرِ النَّبِيِّ لَكِنَّهُ بَعِيدٌ جِدًّا فَلَا يُغْتَرَّ بِهِ.

---

(1) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد: 1/ 211، والإحياء: 3/ 24.

(2) الإحياء: 3/ 24.

(3) ما بين معقوفين سقط من الأزهرية.

الْمَطْلَبُ السَّادِسُ

اعْلَمْ أَنَّ الْقَلْبَ تَرِدُ عَلَيْهِ الصُّوَرُ تَارَةً مِنَ الْحَوَاسِّ الظَّاهِرَةِ، وَتَارَةً مِنَ الْحَوَاسِّ الْبَاطِنَةِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا أَدْرَكَ بِالْحَوَاسِّ شَيْئًا حَصَلَ مِنْهَا أَثَرٌ فِي الْقَلْبِ، ثُمَّ إِنَّهُ يَنْتَقِلُ بِسَبَبِ الْآثَارِ الْوَارِدَةِ عَلَيْهِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ دَائِمًا، أَعْنِي الْأَفْكَارَ وَالْأَذْكَارَ، وَهَذِهِ تُسَمَّى الْخَوَاطِرَ لِخُطُورِهَا عِنْدَ غَفْلَةِ الْقَلْبِ عَنْهَا. وَالْخَوَاطِرُ مُحَرِّكَةٌ لِلرَّغْبَةِ، وَهِيَ تُحَرِّكُ [لَهُ][1] الْعَزْمَ وَالنِّيَّةَ، وَالنِّيَّةُ تُحَرِّكُ الْأَعْضَاءَ.

فَالْخَوَاطِرُ مَبْدَأٌ لِلْأَفْعَالِ، وَتَنْقَسِمُ إِلَى: مَا يَدْعُو إِلَى الشَّرِّ، أَيْ يَضُرُّ فِي الْعَاقِبَةِ، وَإِلَى مَا يَدْعُو إِلَى الْخَيْرِ، أَيْ يَنْفَعُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ. فَالْخَاطِرُ الْمَحْمُودُ يُسَمَّى إِلْهَامًا، وَالْخَاطِرُ الْمَذْمُومُ يُسَمَّى وَسْوَسَةً، وَمِنْ سُنَّةِ اللهِ تَعَالَى تَرْتِيبُ الْمُسَبَّبَاتِ عَلَى أَسْبَابِهَا، فَسَبَبُ الْخَاطِرِ الْمَحْمُودِ يُسَمَّى مَلَكًا، وَسَبَبُ الْخَاطِرِ الْمَذْمُومِ يُسَمَّى شَيْطَانًا؛ وَاللُّطْفُ الَّذِي بِهِ يَتَهَيَّأُ الْقَلْبُ لِقَبُولِ إِلْهَامِ الْمَلَكِ يُسَمَّى تَوْفِيقًا، وَالَّذِي يَتَهَيَّأُ لِقَبُولِ وَسْوَاسِ الشَّيْطَانِ يُسَمَّى إِغْوَاءً وَخِذْلَانًا، وَالْقَلْبُ مُتَجَاذَبٌ بَيْنَ الْمَلَكِ وَالشَّيْطَانِ، وَإِنَّمَا يَتَرَجَّحُ أَحَدُ الْجَانِبَيْنِ بِالْمُجَاهَدَةِ، أَوْ بِاتِّبَاعِ الْهَوَى وَالشَّهَوَاتِ الَّتِي هِيَ سِلَاحُ الشَّيْطَانِ، فَلَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ سِلَاحِهِ وَكَيْفِيَّةِ دَفْعِهِ[2].

---

(1) ما بين معقوفين زيادة من الأزهرية ورئيس الكتاب.

(2) الإحياء: 3/ 26 ـ 27.

وَأَمَّا مَعْرِفَةُ صِفَتِهِ وَذَاتِهِ وَحَقِيقَتِهِ، وَكَذَا صِفَةِ الْمَلَكِ وَحَقِيقَتِهِ، فَذَلِكَ مِنْ عُلُومِ الْمُكَاشَفَةِ.

وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ بَعْضَ الْأُمُورِ مَكَائِدُ الشَّيْطَانِ، وَبَعْضَهَا إِلْهَامُ الْمَلَكِ، وَبَعْضَهَا مُتَرَدِّدٌ بَيْنَهُمَا، إِذِ الشَّيْطَانُ يَعْرِضُ الشَّرَّ فِي مَعْرِضِ الْخَيْرِ، وَالتَّمْيِيزُ بَيْنَهُمَا غَامِضٌ، وَبِهِ يَهْلِكُ أَكْثَرُ الْعِبَادِ، إِذْ لا يَقْدِرُ عَلَى دُعَائِهِمْ إِلَى صَرِيحِ الشَّرِّ فَيُصَوِّرُهُ بِصُورَةِ الْخَيْرِ. فَحُقَّ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يُمْعِنَ فِيهِ النَّظَرَ بِعَيْنِ الْبَصِيرَةِ لَا بِهَوًى مِنَ الطَّبْعِ، وَلَا يَطَّلِعَ عَلَيْهِ إِلَّا بِنُورِ التَّقْوَى وَغَزَارَةِ الْعِلْمِ، وَأَلَّا يَتَعَجَّلَ فِيهِ هَلَاكَهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ[1].

وَلَا يُنْجِي مِنْ ذَلِكَ إِلَّا سَدُّ أَبْوَابِ الْخَوَاطِرِ، وَالْعُزْلَةُ، وَقَطْعُ الْعَلَائِقِ، وَدَوَامُ الذِّكْرِ. وَلَا تَنْقَطِعُ هَذِهِ الْمُجَاهَدَةُ إِلَى الْمَوْتِ، فَإِنَّهُ مَا دَامَ حَيًّا فَأَبْوَابُ الشَّيْطَانِ مَفْتُوحَةٌ إِلَى قَلْبِهِ لَا تَنْغَلِقُ.

وَبَابُ الْمَلَكِ بَابٌ وَاحِدٌ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدِ الْتَبَسَ هَذَا الْبَابُ الْوَاحِدُ بِهَذِهِ الْأَبْوَابِ الْكَثِيرَةِ؛ مَثَلًا يَقُولُ لِلْعَالِمِ الْوَاعِظِ: النَّاسُ مَوْتَى مِنَ الْجَهْلِ، هَلْكَى مِنَ الْغَفْلَةِ، أَمَا لَكَ رَحْمَةٌ عَلَى عِبَادِ اللهِ، وَقَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْكَ بِقَلْبٍ بَصِيرٍ، وَلِسَانٍ ذَلِقٍ[2]، وَلَهْجَةٍ مَقْبُولَةٍ، فَكَيْفَ تَكْفُرُ بِنِعْمَةِ اللهِ، وَتَتَعَرَّضُ لِسَخَطِهِ، وَتَسْكُتُ عَنْ إِشَاعَةِ الْعِلْمِ، وَدَعْوَةِ خَلْقِ اللهِ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، إِلَى أَنْ

(1) الإحياء: 3/ 29 ـ 30.

(2) ذَلَقُ اللِّسانِ وَذَلَقَتُهُ حِدَّتُهُ. اللسان/ ذلق.

يَسْتَجِرَّهُ بِلَطَائِفِ الْحِيَلِ إِلَى وَعْظِ النَّاسِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ إِلَى [أَنْ][1] يَتَزَيَّنَ لَهُمْ فِي اللَّفْظِ، وَإِظْهَارِ الْخَيْرِ، حَتَّى يَحْصُلَ لَهُ لَذَّةُ الْجَاهِ، وَقَبُولُ الْخَلْقِ، وَالتَّعَزُّزُ بِكَثْرَةِ الْعِلْمِ، وَالنَّظَرُ إِلَى الْخَلْقِ بِعَيْنِ الِاحْتِقَارِ، فَيَهْلِكَ الْمِسْكِينُ، وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ عِنْدَ اللهِ بِمَكَانٍ.

وَأَمْثَالُ هَذَا التَّلْبِيسِ انْتَشَرَ الْآنَ فِي الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنَ الْخَيْرَاتِ إِلَّا رَسْمُهَا[2].

وَمِنْ أَبْوَابِهِ الْعَظِيمَةِ: الْحَسَدُ وَالْحِرْصُ، إِذِ الْقَلْبُ أَعْمَاهُ حِرْصُهُ وَصَمَّهُ، إِذْ يُحَسِّنُ لَهُ الشَّيْطَانُ كُلَّمَا يُوصِلُهُ إِلَى شَهْوَتِهِ وَإِنْ كَانَ مُنْكَرًا وَفَاحِشًا.

وَمِنْهَا: الْغَضَبُ وَالشَّهْوَةُ، إِذِ الْإِنْسَانُ إِذَا غَضِبَ لَعِبَ بِهِ الشَّيْطَانُ كَمَا يَلْعَبُ الصَّبِيُّ بِالْكُرَةِ.

وَمِنْهَا: حُبُّ التَّزَيُّنِ بِالثِّيَابِ وَالْأَثَاثِ وَالدَّارِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا رَأَى ذَلِكَ غَالِبًا عَلَى قَلْبِ إِنْسَانٍ بَاضَ فِيهِ وَفَرَّخَ، فَلَا يَزَالُ يَصْرِفُهُ مِنْ عِمَارَةِ الْبَاطِنِ إِلَى عِمَارَةِ الظَّاهِرِ، ثُمَّ إِنَّ بَعْضَ ذَلِكَ يَجُرُّهُ إِلَى بَعْضٍ، حَتَّى يَمُوتَ وَهُوَ فِي تَصَرُّفِ الشَّيْطَانِ، فَيُخْشَى عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ الْخَاتِمَةِ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْهُ.

وَمِنْهَا: الشِّبَعُ بِالطَّعَامِ وَإِنْ كَانَ حَلَالًا صَافِيًا، فَإِنَّ الشِّبَعَ يُقَوِّي الشَّهَوَاتِ، وَهِيَ أَسْلِحَةُ الشَّيْطَانِ.

---

(1) ما بين معقوفين سقط من الأزهرية ورئيس الكتاب.

(2) الإحياء: 3/ 30.

وَمِنْهَا: الطَّمَعُ فِي النَّاسِ، فَإِذَا غَلَبَ هُوَ عَلَى الْقَلْبِ لَمْ يَزَلِ الشَّيْطَانُ يُحْسِنُ التَّصَنُّعَ وَالتَّزَيُّنَ لِمَنْ طَمَعَ فِيهِ بِأَنْوَاعِ الرِّيَاءِ وَالتَّلْبِيسِ، حَتَّى يَصِيرَ الْمَطْمُوعُ فِيهِ كَأَنَّهُ مَعْبُودٌ، وَيَدْخُلُ كُلَّ مَدْخَلٍ لِلْوُصُولِ إِلَى ذَلِكَ؛ وَأَقَلُّ أَحْوَالِهِ الثَّنَاءُ عَلَيْهِ بِمَا لَيْسَ فِيهِ، وَالْمُدَاهَنَةُ مَعَهُ بِتَرْكِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ.

وَمِنْهَا: الْعَجَلَةُ وَتَرْكُ التَّثَبُّتِ فِي الْأُمُورِ، إِذِ الْوَاقِعُ بَعْدَ التَّأَمُّلِ يَصِيرُ عَلَى وَجْهِ الصَّوَابِ، وَبِالْعَجَلَةِ يَمْنَعُ الشَّيْطَانُ ذَلِكَ وَيُرَوِّجُ شَرَّهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي.

وَمِنْهَا: [حُبُّ][1] الدَّنَانِيرِ وَالدَّرَاهِمِ وَسَائِرِ الْأَمْوَالِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ مَنْ مَعَهُ قُوَّتُهُ فَقَطْ فَهُوَ فَارِغُ الْقَلْبِ، فَإِذَا وَجَدَ مِئَةَ دِينَارٍ عَلَى الطَّرِيقِ انْبَعَثَ مِنْ قَلْبِهِ عَشْرٌ[2] تَحْتَاجُ كُلُّ وَاحِدَةٍ إِلَى مِئَةِ دِينَارٍ، مَثَلًا: يَشْتَرِي بِهَا دَارًا يَعْمُرُهَا، وَجَارِيَةً وَأَثَاثًا وَثِيَابًا فَاخِرَةً، وَكُلٌّ مِنْ ذَلِكَ يَسْتَدْعِي شَيْئًا آخَرَ يَلِيقُ بِهِ، وَذَلِكَ لَا آخِرَ لَهُ، فَيَقَعُ فِي هَاوِيَةٍ آخِرُهَا الْمَوْتُ، وَكَانَ عِنْدَمَا حَصَّلَ قُوتَهُ فَارِغَ الْقَلْبِ، ثُمَّ إِذَا وَجَدَ دِينَارًا يَظُنُّ أَنَّهُ صَارَ غَنِيًّا بَعْدَ مَا كَانَ فَقِيرًا، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، بَلْ هُوَ عَلَى عَكْسِ ذَلِكَ.

وَمِنْهَا: الْبُخْلُ وَخَوْفُ الْفَقْرِ لِأَنَّهُمَا يَمْنَعَانِ مِنَ التَّصَدُّقِ.

---

(1) زيادة من أنطاليا.

(2) مئة شهوة، في الإحياء.

وَمِنْهَا: التَّعَصُّبُ لِلْمَذَاهِبِ وَالْأَهْوَاءِ، وَهُوَ بِهِ فَرِحٌ مَسْرُورٌ يَظُنُّ أَنَّهُ يَسْعَى فِي الدِّينِ وَهُوَ سَاعٍ فِي اتِّبَاعِ الشَّيْطَانِ، حَتَّى إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَطْعَنُ فِي مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْعَنُ فِي مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ، وَهَذَا مَدْخَلٌ عَظِيمٌ مِنْ مَدَاخِلِ الشَّيْطَانِ أَهْلَكَ اللهُ بِهِ كَثِيرًا مِنَ الْعُلَمَاءِ.

وَمِنْهَا: تَحْرِيضُ الْعَوَامِّ عَلَى التَّفَكُّرِ فِي ذَاتِ اللهِ وَصِفَاتِهِ، حَتَّى يُشَكِّكَهُمْ بِهِ فِي أَصْلِ الدِّينِ، أَوْ يُخَيِّلَ إِلَيْهِمْ فِي اللهِ خَيَالَاتٍ فَاسِدَةً يَتَعَالَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُ، فَيَصِيرَ بِهِ كَافِرًا أَوْ مُبْتَدِعًا وَهُوَ بِهِ فَرِحٌ وَمَسْرُورٌ وَمُبْتَهِجٌ بِمَا وَقَعَ فِي قَلْبِهِ، وَيَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْمَعْرِفَةُ وَالْبَصِيرَةُ، وَانْكَشَفَ لَهُ ذَلِكَ بِذَكَائِهِ وَزِيَادَةِ عَقْلِهِ، وَإِنَّمَا حَقُّ الْعَوَامِّ أَنْ يَشْتَغِلُوا بِعِبَادَتِهِمْ وَمَعَاشِهِمْ، وَيَتْرُكُوا الْعِلْمَ إِلَى الْعُلَمَاءِ.

وَمِنْهَا: سُوءُ الظَّنِّ بِالْمُسْلِمِينَ، إِذْ عِنْدَ ذَلِكَ بَعَثَهُ الشَّيْطَانُ عَلَى أَنْ يُطَوِّلَ فِيهِ اللِّسَانَ بِالْغِيبَةِ فَيَهْلِكَ، أَوْ يُقَصِّرَ عَنِ الْقِيَامِ بِحُقُوقِهِ، أَوْ يَتَوَانَى فِي إِكْرَامِهِ، أَوْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ بِعَيْنِ الِاحْتِقَارِ، وَيَرَى نَفْسَهُ خَيْرًا مِنْهُ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ الْمُهْلِكَاتِ.

فَهَذَا بَعْضُ مَدَاخِلِ الشَّيْطَانِ إِلَى الْقَلْبِ وَلَوْ أَرَدْنَا اسْتِقْصَاءَ جَمِيعِهَا لَمْ نَقْدِرْ عَلَيْهِ، وَفِي هَذَا الْقَدْرِ مَا يُنَبِّهُ عَلَى غَيْرِهِ[1].

---

(1) الإحياء: 2/ 32-36.

ثُمَّ إِنَّ عِلَاجَ ذَلِكَ سَدُّ هَذِهِ الْمَدَاخِلِ، وَذَلِكَ يَطُولُ ذِكْرُهُ، وَسَنَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

ثُمَّ إِنَّ الْقَلْبَ إِذَا غَلَبَتْ عَلَيْهِ الشَّهَوَاتُ يَسْتَقِرُّ الشَّيْطَانُ فِيهِ، وَلَا يَتَمَكَّنُ الذِّكْرُ مِنْ سُوَيْدَائِهِ، بَلْ يَرْجِعُ إِلَى حَوَاشِيهِ، وَأَمَّا إِذَا صَفَا وَخَلَا عَنِ الشَّهَوَاتِ رُبَّمَا يَطْرُقُهَا الشَّيْطَانُ لَا لِلشَّهَوَاتِ بَلْ لِخُلُوِّهَا عَنِ الذِّكْرِ، فَإِذَا ذَكَرَ خَنَسَ الشَّيْطَانُ[1].

---

(1) الإحياء: 3/ 37.

الْمَطْلَبُ السَّابِعُ: فِي أَحْوَالِ الشَّيْطَانِ

الَّذِي صَحَّ بِنُورِ الِاسْتِبْصَارِ، وَشَوَاهِدِ الْأَخْبَارِ، أَنَّ الشَّيَاطِينَ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، وَلِكُلٍّ مِنَ الْمَعَاصِي شَيْطَانٌ يَخُصُّهُ وَيَدْعُو إِلَيْهِ، وَلَا يُمْكِنُ تَفْصِيلُ ذَلِكَ. وَالدَّلِيلُ الْإِجْمَالِيُّ أَنَّ اخْتِلَافَ الْمُسَبَّبَاتِ يَدُلُّ عَلَى اخْتِلَافِ الْأَسْبَابِ.

وَأَمَّا الْمَلَائِكَةُ فَكَذَا يَخْتَصُّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِعَمَلٍ، وَسَيَجِيءُ ذَلِكَ.

ثُمَّ إِنَّ الْمَلَكَ وَالشَّيْطَانَ لَهُمَا صُورَتَانِ حَقِيقِيَّتَانِ لَا يُدْرَكُ ذَلِكَ إِلَّا بِنُورِ النُّبُوَّةِ، كَمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى جِبْرَئِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صُورَتِهِ الْحَقِيقِيَّةِ مَرَّتَيْنِ، وَكَانَ يَرَاهُ فِي صُورَةِ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ غَالِبًا، وَكَانَ رَجُلًا حَسَنَ الْوَجْهِ(1).

وَأَمَّا الْأَوْلِيَاءُ فَإِنَّمَا يُكَاشَفُ لَهُمْ فِي الْيَقَظَةِ مِثْلُ مَا يَرَاهُ النَّائِمُ فِي نَوْمِهِ، وَهُمُ الَّذِينِ انْتَهَوْا إِلَى رُتْبَةٍ لَا يَمْنَعُهُمْ اشْتِغَالُ الْحَوَاسِّ بِالدُّنْيَا عَنْ مُشَاهَدَةِ قَلْبِهِ عَالَمَ الْمَلَكُوتِ، وَهَذَا مِثَالُهُ لَا حَقِيقَتُهُ.

وَتَحْقِيقُهُ أَنَّ عَالَمَ الشَّهَادَةِ كُلَّهَا خَيَالٌ، إِلَّا أَنَّ الْخَيَالَ تَارَةً يَحْصُلُ مِنَ النَّظَرِ إِلَى ظَاهِرِ عَالَمِ الشَّهَادَةِ بِالْحِسِّ، فَحِينَئِذٍ يَرَى الصُّورَةَ دُونَ الْمَعْنَى، وَلِهَذَا قَدْ تُخَالِفُ الصُّورَةُ الْمَعْنَى؛ كَمَا إِذَا رَأَيْتَ شَخْصًا جَمِيلَ الصُّورَةِ قَبِيحَ الْبَاطِنِ.

---

(1) المعجم الكبير للطبراني: 1/ 260، رقم: 758، والإحياء: 3/ 40.

وَيَحْصُلُ تَارَةً مِنْ إِشْرَاقِ عَالَمِ الْمَلَكُوتِ عَلَى بَاطِنِ سِرِّ الْقَلْبِ، فَلَا تَكُونُ إِلَّا مُحَاكِيَةً لِلصِّفَةِ، وَمُوَافِقَةً لَهَا؛ لِأَنَّ الصُّورَةَ فِي عَالَمِ الْمَلَكُوتِ تَابِعَةٌ لِلصِّفَةِ، فَلَا جَرَمَ يَرَى الْمَعْنَى الْقَبِيحَ فِي صُورَةٍ قَبِيحَةٍ، كَرُؤْيَةِ الشَّيْطَانِ فِي صُورَةِ كَلْبٍ وَضِفْدَعٍ وَخِنْزِيرٍ وَغَيْرِهِ، وَيَرَى الْمَلَكَ فِي صُورَةٍ جَمِيلَةٍ، فَتَكُونُ تِلْكَ الصُّورَةُ عُنْوَانَ الْمَعَانِي، وَمُحَاكِيَةً لَهَا بِالصِّدْقِ، وَبِهَذَا الطَّرِيقِ يُمْكِنُ تَعْبِيرُ الرُّؤْيَا[1].

---

(1) الإحياء: 3/ 40.

الْمَطْلَبُ الثَّامِنُ: فِي الْقَدْرِ الْمَعْفُوِّ عَنْهُ مِنَ الْوَسْوَسَةِ

وَاعْلَمْ أَنَّ لَهَا مَرَاتِبَ أَرْبَعَ قَبْلَ الْعَمَلِ بِالْجَوَارِحِ: **أَوَّلُهَا**: الْخَاطِرُ، وَهُوَ حَدِيثُ النَّفْسِ. **وَثَانِيهَا**: الْمَيْلُ وَحَرَكَةُ الشَّهْوَةِ الَّتِي فِي الطَّبْعِ. **وَثَالِثُهَا**: الِاعْتِقَادُ وَالْحُكْمُ بِأَنَّ هَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَفْعَلَ. **وَرَابِعَتُهَا**: الْهَمُّ، وَهُوَ الْعَزْمُ وَجَزْمُ النِّيَّةِ، فَإِمَّا أَنْ يَنْدَمَ فَيَتْرُكَ، أَوْ يَغْفُلَ لِعَارِضٍ فَلَا يَعْمَلَ، أَوْ يَعُوقَهُ عَنْهُ عَائِقٌ.

وَالْأَوَّلَانِ مِنْ هَذِهِ الْأَرْبِعِ لَا يُؤَاخَذُ بِهِمَا الْعَبْدُ لِعَدَمِ دُخُولِهِمَا تَحْتَ الِاخْتِيَارِ، وَيُسَمَّيَانِ: حَدِيثَ النَّفْسِ؛ كَمَا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عُفِيَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ نُفُوسُهَا»[1].

وَأَمَّا الثَّالِثُ: فَهُوَ الِاعْتِقَادُ إِنْ كَانَ اخْتِيَارِيًا يُؤَاخَذُ بِهِ وَإِلَّا فَلَا.

وَأَمَّا الرَّابِعُ: وَهُوَ الْهَمُّ بِالْفِعْلِ، فَإِنَّهُ يُؤَاخَذُ بِهِ، إِلَّا أَنَّهُ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ خَوْفًا مِنَ اللهِ تَعَالَى وَنَدَمًا عَلَى هَمِّهِ كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ؛ لِأَنَّ تَرْكَ السَّيِّئَةِ حَسَنَةٌ؛ لِأَنَّ الْهَمَّ عَلَى وَفْقِ الطَّبْعِ لَا يَدُلُّ عَلَى تَمَامِ الْغَفْلَةِ عَنِ اللهِ تَعَالَى، فَجِدُّهُ فِي الِامْتِنَاعِ عَنْهُ يَدُلُّ عَلَى طَاعَتِهِ لِلَّهِ تَعَالَى، فَكُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ. وَأَمَّا إِنْ عَاقَ عَنْهُ عَائِقٌ، أَوْ تَرَكَهُ عُذْرًا لَا خَوْفًا مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، كُتِبَتْ عَلَيْهِ سَيِّئَةٌ، فَإِنَّ هَمَّهُ فِعْلٌ اخْتِيَارِيٌّ، إِلَّا أَنْ يُكَفِّرَهُ بِحَسَنَةٍ[2].

---

(1) هذه الرواية من الإحياء: 3/ 42، وبلفظ: «إن تجاوزَ عن أمتي ما حدثت به أنفسها...» في صحيح البخاري: 7/ 46، رقم: 5269، وصحيح مسلم: 1/ 116، رقم: 127.

(2) الإحياء: 3/ 42 ـ 43.

الْمَطْلَبُ التَّاسِعُ: فِي بَيَانِ أَنَّ الْوَسْوَاسَ هَلْ يَنْقَطِعُ عِنْدَ الذِّكْرِ بِالْكُلِّيَّةِ أَمْ لَا؟

مِنْهُمْ مَنْ قَالَ بِانْقِطَاعِهِ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: لَا يَنْقَطِعُ، وَلَكِنْ لَا يُؤَثِّرُ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: لَا يَنْقَطِعُ وَيُؤَثِّرُ لَكِنْ عَلَى ضُعْفٍ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: يَنْقَطِعُ بِلَحْظَةٍ، وَالذِّكْرُ وَالْوَسْوَسَةُ يَتَعَاقَبَانِ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: لَا يَنْقَطِعَانِ فِي لَحْظَةٍ أَصْلًا، بَلِ الْقَلْبُ يَكُونُ مَجْرًى لَهُمَا فِي كُلِّ حَالٍ.

وَالْمَذْهَبُ الصَّحِيحُ: أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَقْوَالِ بِالنَّظَرِ إِلَى صِنْفٍ مِنْ أَصْنَافِ الْوَسْوَسَةِ، وَهِيَ ثَلَاثَةٌ:

الصِّنْفُ الْأَوَّلُ: تَلْبِيسُ الْحَقِّ، مَثَلًا يَقُولُ: لَا تَتْرُكِ اللَّذَّاتِ، فَإِنَّ الْعُمُرَ طَوِيلٌ، وَالصَّبْرَ عَنِ الشَّهَوَاتِ أَلَمُهُ عَظِيمٌ، فَعِنْدَ ذَلِكَ إِذَا قَالَ الْعَبْدُ: الصَّبْرُ عَنِ الشَّهَوَاتِ شَدِيدٌ، [وَلَكِنِ][1] الصَّبْرُ عَلَى النَّارِ أَشَدُّ مِنْهُ خَنَسَ الشَّيْطَانُ، إِذْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ: لَيْسَ النَّارُ أَشَدَّ مِنْهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ وِجْدَانِيٌّ، وَلَا أَنْ يَقُولَ: الْمَعْصِيَةُ لَا تُفْضِي إِلَى النَّارِ، فَإِنَّ إِيمَانَهُ بِكِتَابِ اللهِ يَدْفَعُهُ.

وَمَثَلًا يَقُولُ لِلْعُجْبِ: أَيُّ عَبْدٍ يَعْرِفُ اللهَ كَمَا تَعْرِفُهُ وَيَعْبُدُ كَمَا تَعْبُدُهُ، فَمَا أَعْظَمَ مَكَانَكَ عِنْدَ اللهِ، فَإِذَا تَذَكَّرَ الْعَبْدُ أَنَّ مَعْرِفَتَهُ وَقُدْرَتَهُ وَقَلْبَهُ كُلَّهَا مِنْ خَلْقِ اللهِ فَمِنْ أَيْنَ يَعْجَبُ[2] بِهِ خَنَسَ الشَّيْطَانُ، إِذْ لَا يَسْتَطِيعُ إِنْكَارَهُ[3].

---

(1) زيادة من أنطاليا.

(2) تعجب، في أنطاليا والأزهرية.

(3) الإحياء: 3/ 43-44.

الصِّنْفُ الثَّانِي: أَنْ يُوَسْوِسَ بِتَحْرِيكِ الشَّهْوَةِ وَتَهْيِيجِهَا، فَإِنْ عَلِمَ الْعَبْدُ أَنَّ ذَلِكَ مَعْصِيَةٌ يَجِبُ تَرْكُهَا خَنَسَ عَنْ تَهْيِيجٍ يُؤَثِّرُ فِي التَّحْرِيكِ دُونَ أَصْلِ التَّهْيِيجِ، وَإِنْ ظَنَّ أَنَّهُ مَعْصِيَةٌ رُبَّمَا يَبْقَى مُؤَثِّرًا، أَوْ يَحْتَاجُ فِي دَفْعِهِ إِلَى مُجَاهَدَةٍ.

الصِّنْفُ الثَّالِثُ: أَنْ يُوَسْوِسَ بِمُجَرَّدِ الْخَوَاطِرِ، وَتَذَكُّرِ الْأَحْوَالِ الْغَائِبَةِ، وَالتَّفَكُّرِ فِي غَيْرِ الصَّلَاةِ مَثَلًا، فَإِذَا ذَكَرَ اللهَ تَصَوَّرَ أَنْ يَنْدَفِعَ سَاعَةً وَيَعُودَ، وَيَنْدَفِعَ وَيَعُودَ، فَيَتَعَاقَبَانِ، وَبَعِيدٌ أَنْ يَنْدَفِعَ هَذَا الصِّنْفُ بِالْكُلِّيَّةِ، وَلَيْسَ مُحَالًا فِي الْقَلْبِ الَّذِي اسْتَوْلَى عَلَيْهِ حُبُّ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا يَخْطُرُ بِبَالِهِ غَيْرُ حَدِيثِ مَحْبُوبِهِ[1].

(1) الإحياء: 3/ 44-45.

الْمَطْلَبُ الْعَاشِرُ: بَيَانُ سُرْعَةِ تَقَلُّبِ الْقَلْبِ

اِعْلَمْ أَنَّ الْقَلْبَ تَكْتَنِفُهُ الصِّفَاتُ الْمُهْلِكَةُ، وَتَنْصَبُّ إِلَيْهِ الْآثَارُ وَالْأَحْوَالُ مِنَ الْأَبْوَابِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا، فَإِذَا أَثَّرَ فِيهِ أَحَدُهُمَا أَصَابَهُ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ مَا يُضَادُّهُ فَيُغَيِّرُ وَصْفَهُ؛ وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾(1).

وَلِهَذَا كانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرًا مَا يَقُولُ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ؛ قِيلَ: وَتَخَافُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: وَمَا يُؤَمِّنُنِي وَالْقُلُوبُ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ»(2).

وَكَانَ يَحْلِفُ وَيَقُولُ: «لَا وَمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ»(3).

وَالْقُلُوبُ فِي الثَّبَاتِ عَلَى الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَالتَّرَدُّدِ بَيْنَهُمَا ثَلَاثَةٌ:

أَحَدُهَا: قَلْبٌ عَمَرَ بِالتَّقْوَى، وَزَكَا بِالرِّيَاضَةِ، وَطَهُرَ عَنْ خَبَائِثِ الْأَخْلَاقِ، تَنْقَدِحُ فِيهِ خَوَاطِرُ الْخَيْرِ مِنْ خَزَائِنِ الْغَيْبِ، وَمَدَاخِلُ الْمَلَكُوتِ، وَيَمُدُّهُ بِجُنُودٍ لَا تُرَى، وَيَهْدِي بِهِ إِلَى خَيْرَاتٍ أُخَرَ، حَتَّى يَنْجَرَّ الْخَيْرُ إِلَى الْخَيْرِ، وَكَذلِكَ على الدَّوَامِ لَا يَتَنَاهَى إِمْدَادُهُ بِالتَّرْغِيبِ فِي الْخَيْرِ، وَتَيْسِيرِ الْأَمْرِ عَلَيْهِ.

---

(1) سورة الأنعام الآية: 110.

(2) الجامع الكبير للترمذي: 4/ 19، رقم: 2140، والمصنف لابن أبي شيبة: 16/ 121، رقم: 31157، والإحياء: 3/ 46.

(3) صحيح البخاري: 8/ 126، رقم: 6617، والجامع الكبير للترمذي: 3/ 199، رقم: 1540، والإحياء: 3/ 46.

وَفِي مِثْلِ هَذَا الْقَلْبِ يُشْرِقُ نُورُ الْمِصْبَاحِ مِنْ مِشْكَاةِ الرُّبُوبِيَّةِ، حَتَّى لَا يَخْفَى فِيهِ الشِّرْكُ الْخَفِيُّ الَّذِي هُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلَةِ السَّوْدَاءِ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ.

وَثَانِيهَا: قَلْبُ الْمَخْذُولِ، الْمَشْحُونُ بِالْهَوَى، الْمُدَنَّسُ بِالْخَبَائِثِ، الْمُلَوَّثُ بِالأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ، وَيَكُونُ عَقْلُهُ قَدْ أَلِفَ خِدْمَةَ الْهَوَى، وَاسْتَمَرَّ عَلَى اسْتِنْبَاطِ الْحِيَلِ لَهُ، فَيَنْشَرِحُ بِالْهَوَى، وَيُوحِي الْقَلْبُ زُخْرُفًا مِنَ الْقَوْلِ غُرُورًا، فَلَا يَنْكَشِفُ بِعَقْلِهِ أَيْضًا وَجْهُ الصَّوَابِ، فَيَبْقَى فِي ظُلُمَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ. وَإِلَيْهِ يُشِيرُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾، إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَبِيلًا﴾(1).

وَرُبَّمَا يَكُونُ قَلْبُهُ إِلَى بَعْضِ الْأُمُورِ عَلَى التَّقْوَى، وَإِلَى بَعْضِهَا عَلى الْهَوَى؛ كَالَّذِي يَتَوَرَّعُ عَنْ بَعْضِ الْأَشْيَاءِ، وَلَكِنَّهُ إِذَا رَأَى وَجْهًا حَسَنًا لَمْ يَمْلِكْ عَيْنَهُ وَقَلْبَهُ، وَأَذْهَبَ عَقْلَهُ وَلُبَّهُ، وَانْفَتَحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَاهِ وَالرِّئَاسَةِ وَالْكِبْرِ؛ أَوْ كَالَّذِي لَا يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ.

وَثَالِثُهَا: قَلْبٌ يَبْتَدِئُ فِيهِ خَاطِرُ الْهَوَى، فَيَدْعُوهُ إِلَى الشَّرِّ، فَيَلْحَقُهُ خَاطِرُ الْإِيمَانِ فَيَدْعُوهُ إِلَى الْخَيْرِ، وَإِذَا نَصَحَهُ الْعَقْلُ يَرُدُّهُ الشَّيْطَانُ، فَلا يَزَالُ الْقَلْبُ يَتَرَدَّدُ بَيْنَ الْجُنْدَيْنِ، مُتَجَاذِبًا بَيْنَ الْحِزْبَيْنِ، إِلَى أَنْ يَغْلِبَ أَحَدُهُمَا؛ أَمَّا حَاكِمُ

---

(1) سورة الفرقان الآية: 43 ـ 44.

الْعَقْلِ إِنْ غَلَبَ عَلَى الْقَلْبِ جَنَّدَ الصِّفَاتِ الْمَلَائِكِيَّةَ، أَوْ حَاكِمُ الشَّهْوَةِ إِنْ غَلَبَ جَنَّدَ الصِّفَاتِ الشَّيْطَانِيَّةَ.

وَكُلُّ ذَلِكَ تَابِعٌ لِسَابِقِ الْقَضَاءِ، فَمَنْ خُلِقَ لِلْجَنَّةِ يُسِّرَتْ لَهُ الطَّاعَاتُ وَأَسْبَابُهَا، وَمَنْ خُلِقَ لِلنَّارِ يُسِّرَتْ لَهُ أَسْبَابُ الْمَعْصِيَةِ. وَمَعَ ذَلِك يَقُولُ لَهُ الشَّيْطَانُ: إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ فَلَا تُبَالِ، وَإِنَّ الْعُمُرَ طَوِيلٌ فَاصْبِرْ حَتَّى تَتُوبَ غَدًا؛ ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾[1]. فَكُلُّ ذَلِكَ بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾[2]. ﴿فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾[3]، ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[4].

(1) سورة النساء الآية: 120.

(2) سورة الأنعام الآية: 125.

(3) سورة المؤمنون الآية: 116.

(4) سورة الأنبياء الآية: 23. ولخص كلامه من الإحياء: 3/ 47 ـ 48.

الْأَصْلُ الثَّانِي: رِيَاضَةُ النَّفْسِ وَتَهْذِيبُ الْأَخْلَاقِ

وَفِيهِ مَطَالِبُ:

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ

اِعْلَمْ أَنَّ الْخُلُقَ عِبَارَةٌ عَنْ هَيْئَةٍ رَاسِخَةٍ لِلنَّفْسِ، تَصْدُرُ عَنْهَا الْأَفْعَالُ بِسُهُولَةٍ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ وَلَا رَوِيَّةٍ، فَإِنْ صَدَرَتْ عَنْهَا الْأَفْعَالُ الْمَحْمُودَةُ عَقْلًا وَشَرْعًا يُسَمَّى خُلُقًا حَسَنًا، وَإِنْ صَدَرَتْ عَنْهَا الْأَفْعَالُ الذَّمِيمَةُ عَقْلًا وَشَرْعًا كَذَلِكَ يُسَمَّى خُلُقًا سَيِّئًا.

وَأُمَّهَاتُ الْأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ أَرْبَعٌ: اخْتِلَالُ قُوَّةِ الْعِلْمِ، وَقُوَّةِ الْغَضَبِ، وَقُوَّةِ الشَّهْوَةِ، وَقُوَّةِ الْعَدْلِ. وَاعْتِدَالُ هَذِهِ الْقُوَى هِيَ الْأَخْلَاقُ الْحَسَنَةُ.

أَمَّا اخْتِلَالُ قُوَّةِ الْعِلْمِ، إِمَّا بِإِفْرَاطِهَا وَاسْتِعْمَالِهَا فِي الْأَغْرَاضِ الْفَاسِدَةِ، وَيُسَمَّى خِبًّا وَجَرْبَزَةً[1]، أَوْ بِتَفْرِيطِهَا وَيُسَمَّى بَلَهًا. وَاعْتِدَالُهَا هُوَ الْوَسَطُ الَّذِي يُسَمَّى حِكْمَةً، وَذَلِكَ بِأَنْ تَصِيرَ النَّفْسُ بِحَيْثُ يَسْهُلُ بِهَا دَرْكُ الْفَرْقِ بَيْنَ الصِّدْقِ وَالْكَذِبِ فِي الْأَقْوَالِ، وَبَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فِي الِاعْتِقَادَاتِ، وَبَيْنَ الْجَمِيلِ وَالْقَبِيحِ فِي الْأَفْعَالِ؛ وَهِيَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[2].

---

(1) رجل جُرَبِزٌ بَيِّنُ الجَربزة، أي خِبٌّ. اللسان: جربز.

(2) سورة البقرة الآية: 269.

وَاخْتِلَالُ الْقُوَّةِ الْغَضَبِيَّةِ: إِمَّا إِلَى طَرَفِ الزِّيَادَةِ، وَيُسَمَّى تَهَوُّرًا، أَوْ إِلَى طَرَفِ الضُّعْفِ، وَيُسَمَّى جُبْنًا وَخَوَرًا. وَاعْتِدَالُهَا بِأَنْ يَقْتَصِرَ انْقِبَاضُهَا وَانْبِسَاطُهَا عَلَى حَدٍّ مَا تَقْتَضِيهِ الْحِكْمَةُ وَالْعَقْلُ، وَيُسَمَّى شَجَاعَةً.

وَاخْتِلَالُ الْقُوَّةِ الشَّهَوِيَّةِ إِمَّا إِلَى طَرَفِ الزِّيَادَةِ، وَيُسَمَّى شَرَهًا، أَوْ إِلَى طَرَفِ النُّقْصَانِ، وَيُسَمَّى خُمُودًا. وَاعْتِدَالُهَا أَنْ تَكُونَ تَحْتَ إِشَارَةِ الدِّينِ وَالْعَقْلِ، وَيُسَمَّى عِفَّةً.

وَاخْتِلَالُ قُوَّةِ الْعَدْلِ ـ وَهُوَ الْجَوْرُ ـ وَلَيْسَ لَهُ إِلَّا ضِدٌّ وَاحِدٌ، وَاعْتِدَالُهَا ضَبْطُ قُوَّةِ الْغَضَبِ وَالشَّهْوَةِ تَحْتَ إِشَارَةِ الْعَقْلِ وَالشَّرْعِ.

وَالطَّرَفَانِ مِنْ كُلٍّ مِنَ الْقُوَى الْمَذْكُورَةِ رَذِيلَتَانِ [مَذْمُومَتَانِ][1]، «وَخَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا». وَمِنِ اعْتِدَالِ هَذِهِ الْأُمُورِ الْأَرْبَعَةِ تَصْدُرُ الْأَخْلَاقُ الْجَمِيلَةُ كُلُّهَا، وَلَمْ يَبْلُغْ كَمَالَ الِاعْتِدَالِ فِيهَا إِلَّا رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ، وَلِلنَّاسِ بَعْدَهُ دَرَجَاتٌ مُتَفَاوِتَةٌ، فَمَنِ ازْدَادَ اعْتِدَالًا يَكُونُ مَلَكًا مُطَاعًا بَيْنَ النَّاسِ، وَمَنِ اتَّصَفَ بِأَضْدَادِهَا يَكُونُ شَيْطَانًا ذَا وَسْوَاسٍ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْهُ[2].

---

(1) زيادة من أنطاليا.

(2) لخص هذا الفصل من الإحياء: 3/ 48 ـ 55.

الْمَطْلَبُ الثَّانِي: فِي قَبُولِ الْأَخْلَاقِ لِلتَّغْيِيرِ بِطَرِيقَةِ الرِّيَاضَةِ

وَقَدْ أَنْكَرَ التَّغْيِيرَ بَعْضُ مَنْ غَلَبَتِ عليهِ الشِّقْوَةُ وَالْبِطَالَةُ، وَلَمْ تَسْمَحْ نَفْسُهُ بِأَنْ تُجَرِّبَ ذَلِكَ، لِقُصُورِهِ وَنَقْصِهِ، وَاسْتَدَلَّ عَلَيْهِ بِوَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْخُلُقَ الْبَاطِنَ بِمَنْزِلَةِ الْخُلُقِ الظَّاهِرِ، وَإِذْ لَا يَتَغَيَّرُ هَذَا فَلَا يَتَغَيَّرُ ذَاكَ.

وَثَانِيهِمَا: أَنَّ الْغَضَبَ مَثَلًا مِنْ مُقْتَضَى الْمِزَاجِ وَالطَّبْعِ، وَكَذَا الشَّهْوَةُ، فَكَيْفَ يَتَبَدَّلَانِ.

فَنقُولُ: لَوْ لَمْ تَقْبَلِ التَّغْيِيرَ لَبَطَلَتِ الْوَصَايَا وَالْمَوَاعِظُ وَالتَّأْدِيبَاتُ، وَلَمْ يَكُنْ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَسِّنُوا أَخْلَاقَكُمْ»[1]، مَعْنًى، وَإِذَا أَمْكَنَ تَغْيِيرُ أَخْلَاقِ الْبَهَائِمِ فَالْإِنْسَانُ بِذَلِكَ أَوْلَى.

وَكَشْفُ الْغِطَاءِ فِيهِ أَنَّ قَمْعَ الْغَضَبِ وَالشَّهْوَةِ بِالْكُلِّيَّةِ غَيْرُ مُمْكِنٍ أَصْلًا، وَإِنَّمَا الَّذِي يُمْكِنُ لَنَا بِالرِّيَاضَةِ تَعْدِيلُهُمَا وَصَرْفُهُمَا إِلَى مَا خُلِقَا لِأَجْلِهِ. نَعَمْ: الْجِبِلَّاتُ مُخْتَلِفَةٌ بِالسُّرْعَةِ وَالْبُطْءِ فِي التَّغْيِيرِ لِأَمْرَيْنِ[2]:

أَحَدُهُمَا: قُوَّةُ الْغَرِيزَةِ فِي أَصْلِ الْجِبِلَّةِ وَامْتِدَادِ مُدَّةِ الْوُجُودِ.

---

(1) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصبهاني: 98، وميزان العمل للغزالي: 247.

(2) أي لسببين.

وَثَانِيهِمَا: تَأَكُّدُهُ[1] بِكَثْرَةِ الْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهُ، وَرُؤْيَتُهُ مَرْضِيًّا.

وَالنَّاسُ فِيهِ عَلَى أَرْبَعِ مَرَاتِبَ:

الْأَوَّلُ: أَنْ يَخْلُوَ عَنِ الْعِلْمِ بِالْقَبِيحِ وَالْحَسَنِ، وَبَقِيَ عَلَى أَصْلِ فِطْرَتِهِ، فَهَذَا سَرِيعُ الْقَبُولِ لِلْعِلَاجِ، فَإِنْ صَادَفَ مُرْشِدًا يُحَسِّنْ خُلُقَهُ فِي أَقْرَبِ زَمَانٍ.

الثَّانِي: أَنْ يَعْرِفَ الْقَبِيحَ، وَزُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ عَلِمَ تَقْصِيرَهُ، وَهَذَا أَصْعَبُ مِنَ الْأَوَّلِ، إِذْ تَضَاعَفَتْ فِيهِ الْوَظِيفَةُ؛ بِقَلْعِ مَا رَسَخَ فِيهِ أَوَّلًا، وَيَغْرِسُ مَوَادَّ الصَّلاحِ ثَانِيًا.

الثَّالِثُ: أَنْ يَعْتَقِدَ الْأَخْلَاقَ الْقَبِيحَةَ حَقًّا وَجَمِيلًا، وَتَرَبَّى عَلَى ذَلِكَ، فَهَذَا اعْتِقَادٌ تَمْتَنِعُ مُعَالَجَتُهُ، وَلَنْ يُرْجَى صَلَاحُهُ إِلَّا عَلَى النُّدُورِ، وَذَلِكَ لِتَضَاعُفِ أَسْبَابِ الضَّلَالِ.

الرَّابِعُ: أَنْ يَكونَ نَشْؤُهُ على الرَّأْيِ الْفَاسِدِ، وَمَعَ ذَلِكَ يَرَى الْفَضْلَ فِيهِ، وَيَتَبَاهَى بِهِ. وَهَذَا أَصْعَبُ الْمَرَاتِبِ، وَهُوَ الْمُرَادُ بِمَا قِيلَ: «مِنَ التَّعْذِيبِ تَهْذِيبُ الذِّئْبِ»[2].

فَالْأَوَّلُ جَاهِلٌ، وَالثَّانِي جَاهِلٌ وَضَالٌّ، وَالثَّالِثُ جَاهِلٌ وَضَالٌّ وَفَاسِقٌ، وَالرَّابِعُ جَاهِلٌ وَضَالٌّ وَفَاسِقٌ وَشِرِّيرٌ.

---

(1) أي الخُلُق.

(2) يضرب شبيها بالمثل؛ لأنَّ الذِّئبَ لا يُتَصَوَّرُ مِنْهُ التَّعَلُّمَ لِخِيَانَتِهِ. ورد في" ميزان العمل: 250، والإحياء: 3/ 56.

وَإِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ، فَاعْلَمْ أَنَّ مَا قِيلَ: إِنَّ الْآدَمِيَّ مَا دَامَ حَيًّا لَا تَنْقَطِعُ مِنْهُ الشَّهْوَةُ وَالْغَضَبُ فَلَا مَطْمَعَ فِي اسْتِئْصَالِهِمَا، فَغَلِطَ طَائِفَةٌ[1] ظَنُّوا أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنَ الْمُجَاهَدَةِ قَمْعُهُمَا بِالْكُلِّيَّةِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، بَلِ الْمَقْصُودُ تَعْدِيلُهُمَا وَكَيْفَ يُقْمَعَانِ، وَلَوِ انْقَطَعَ عَنِ الْإِنْسَانِ شَهْوَةُ الطَّعَامِ لَهَلَكَ جُوعًا، أَوْ شَهْوَةُ الْوِقَاعِ لَانْقَطَعَ النَّسْلُ، وَلَوِ انْعَدَمَ الْغَضَبُ بِالْكُلِّيَّةِ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى دَفْعِ الْمُهْلِكَاتِ الْبَدَنِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ[2].

---

(1) في الإحياء، 3/ 56: فهذا غلط وقع لطائفة.

(2) المصدر نفسه: 3/ 55 ـ 56.

الْمَطْلَبُ الثَّالِثُ

إِنَّ الِاعْتِدَالَاتِ الْمَذْكُورَةَ قَدْ تَكُونُ فِطْرِيَّةً، بِأَنْ يُخْلَقَ إِنْسَانٌ كَامِلَ الْفِطْرَةِ، وَسُلْطَانُ الشَّهْوَةِ وَالْغَضَبِ فِيهِ يَصِيرُ مُنْقَادًا لِلْعَقْلِ وَالشَّرْعِ، كَالْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ وَقَدْ تَكُونُ بِالرِّيَاضَةِ، بِأَنْ يُؤْمَرَ بِالْبَذْلِ لِمَنْ فِي طَبْعِهِ حُبُّ الْمَالِ، وَبِالتَّوَاضُعِ لِمَنْ فِيهِ الْكِبْرُ وَحُبُّ الْجَاهِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ؛ وهذِهِ الرِّيَاضَةُ إِلَى أَنْ يَصِيرَ الْخُلُقُ الْمَحْمُودُ عِنْدَهُ سَهْلًا لَا مُتَكَلَّفًا.

وَلَمَّا كَانَ بَيْنَ الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ عَلَاقَةٌ عَجِيبَةٌ يَظْهَرُ أَثَرُ كُلٍّ مِنْهُمَا في الْآخَرِ، بِأَنْ يَتَصَوَّرَ الْقَلْبُ الْخُلُقَ الْمَحْمُودَ وَيُكَلِّفَهَا لِلْبَدَنِ، ثُمَّ بِمُوَاظَبَةِ الْبَدَنِ عَلَى ذَلِكَ الْخُلُقِ يَتَأَدَّى أَثَرُهُ إِلَى الْقَلْبِ، إِلَى أَنْ يَنْقَلِعَ عَنْهُ حُبُّ الدُّنْيَا، وَيَتَرَسَّخَ فِيهِ حُبُّ اللهِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ كُلِّ سَعَادَةٍ. وَلَكِنَّ تَأَثُّرَ الْقَلْبِ مِنَ الْأَفْعَالِ إِنَّمَا يَكُونُ إِذَا دَاوَمَ الْبَدَنُ عَلَيْهَا، وَلِهَذَا قِيلَ: «أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ»[1].

ثُمَّ إِنَّ الشَّيْخَ الَّذِي يُطَيِّبُ نُفُوسَ الْمُرِيدِينَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ طَبِيبِ الْأَبْدَانِ، فَإِنَّهُ إِنْ عَالَجَ الْكُلَّ بِعِلَاجٍ وَاحِدٍ أَهْلَكَهُمْ، فَكَذَا الشَّيْخُ يَنْبَغِي أَنْ يَنْظُرَ في مَرَضِ الْمُرِيدِ وَحَالِهِ، وَسِنِّهِ وَمِزَاجِهِ، وَمَا تَحْتَمِلُهُ نَفْسُهُ مِنَ الرِّيَاضَةِ. فَإِنْ كَانَ الْمُرِيدُ جَاهِلًا يُعَلِّمُهُ أَوَّلًا الطَّهَارَةَ والصَّلاةَ وَظَوَاهِرَ الْعِبَادَاتِ، وَإِنْ

---

(1) هذه رواية الإحياء: 1/ 351، وفي صحيح البخاري: 7/ 155، رقم: 5861، وصحيح مسلم: 1/ 541، رقم: 783، برواية: «وإن أحب الأعمال ...».

كَانَ لَهُ مَالٌ حَرَامٌ يَأْمُرُهُ بِتَرْكِهِ، وَإِنْ رَأَى فِيهِ الرُّعُونَةَ وَعِزَّ النَّفْسِ يَأْمُرُهُ بِأَنْ يَخْرُجَ إِلَى السُّوقِ لِلْكَدِّيَّةِ وَالسُّؤَالِ، إِذْ لَا ذُلَّ فَوْقَهُمَا، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ[1].

وَمِنْ لَطَائِفِ الرِّيَاضَةِ أَنَّ الْخُلُقَ الْمَذْمُومَ إِذَا قَوِيَ يَنْتَقِلُ إِلَى خُلُقٍ آخَرَ مَذْمُومٍ، ثُمَّ يَتْرُكُهُ تَدْرِيجِيًّا؛ كَمَنْ يَغْسِلُ الدَّمَ بِالْبَوْلِ، ثُمَّ يَغْسِلُ الْبَوْلَ بِالْمَاءِ إِذَا كَانَ الْمَاءُ لَا يُزِيلُ الدَّمَ؛ مَثَلًا يُرَغِّبُ الصَّبِيَّ أَوَّلًا بِالْكُرَةِ وَالصَّوْلَجَانِ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ مِنَ اللَّعِبِ إلى الزِّينَةِ وَفَاخِرِ الثِّيَابِ، ثُمَّ مِنْهَا إِلَى الرِّيَاسَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَطَلَبِ الْجَاهِ، ثُمَّ مِنْهَا إِلَى رِيَاسَةِ الْعِلْمِ، ثُمَّ مِنْهَا إِلَى رِيَاسَةِ الْآخِرَةِ. وَكُلُّ هَذِهِ الْوَسَائِلِ مَذْمُومَةٌ لَكِنْ يَخْتَارُ لِلتَّدَرُّجِ سُهُولَةَ تَحْصِيلِ الْكَمَالِ[2].

(1) الإحياء: 3/ 60 ـ 61.

(2) المصدر نفسه: 3/ 62.

الْمَطْلَبُ الرَّابِعُ

اِعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ عُضْوٍ فَائِدَةً، وَفَائِدَةُ الْقَلْبِ الْحُكْمُ وَالْمَعْرِفَةُ، وَأَصْلُ الْمَعَارِفِ مَعْرِفَةُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لِأَنَّهُ مُوجِدُهَا وَمُخْتَرِعُهَا، وَعَلَامَةُ الْمَعْرِفَةِ الْمَحَبَّةُ، وَعَلَامَةُ الْمَحبَّةِ أَنْ لَا يُؤْثِرَ الدُّنْيَا عَلَيْهَا، وَلَا غَيْرَهَا مِنَ الْمَحْبُوبَاتِ، وَ «حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ»[1]، فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ حُبُّهَا فَلْيَعْرِفْ أَنَّ قَلْبَهُ مَرِيضٌ فَلْيَشْتَغِلْ بِعِلَاجِهِ.

ثُمَّ مَعْرِفَةُ كُلِّ مَرَضٍ عَلَى الْخُصُوصِ لَا يُمْكِنُ إِلَّا بِأَرْبَعِ طُرُقٍ:

الْأَوَّلُ: أَنْ يُحَكِّمَ شَيْخًا بَصِيرًا بِعُيُوبِ النَّفْسِ، مُطَّلِعًا عَلَى خَفَايَا الْآفَاتِ، وَهَذَا قَدْ عَزَّ وُجُودُهُ فِي هَذَا الزَّمَانِ.

الثَّانِي: أَنْ يَطْلُبَ صَدِيقًا صَدُوقًا، بَصِيرًا مُتَدَيِّنًا، وَيُنَصِّبَهُ رَقِيبًا عَلَى نَفْسِهِ لِيُنَبِّهَ عَلَيْهِ عُيُوبَهُ الْبَاطِنَةَ.

الثَّالِثُ: أَنْ يَسْتَفِيدَ عُيوبَ نَفْسِهِ مِنْ لِسَانِ أَعْدَائِهِ، فَإِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا، وَالِانْتِفَاعَ بِعَدُوٍّ مُشَاحِنٍ رُبَّمَا يَكُونُ أَكْثَرَ مِنَ الِانْتِفَاعِ بِصَدِيقٍ مُدَاهِنٍ.

الرَّابِعُ: أَنْ يُخَالِطَ النَّاسَ، فَكُلُّ مَا يَرَاهُ مَذْمُومًا فِيمَا بَيْنَهُمْ يَنْسُبُهُ إِلَى نَفْسِهِ فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ فَيَتْرُكُهُ.

قِيلَ لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ أَدَّبَكَ؟ قَالَ: مَا أَدَّبَنِي أَحَدٌ، رَأَيْتُ جَهْلَ

---

(1) ورد في الزهد لابن أبي الدنيا: 26، رقم:9، قوت القلوب:1/ 429، وشعب الإيمان: 13/ 102.

الْجَاهِلِ فَجَانَبْتُهُ[1].

وَمُجْمَلُ الْقَوْلِ فِي بَابِ الرِّيَاضَةِ: أَنْ يَتْرُكَ الْإِنْسَانُ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا مَا لَا يُوجَدُ فِي الْقَدْرِ[2] إِلَّا بِقَدْرِ الضَّرُورَةِ، لِئَلَّا تَأْلَفَهَا النَّفْسُ، وَتَتَمَنَّى الْعَوْدَ إِلَى الدُّنْيَا، وَمَنْ يَتَمَنَّى ذَلِكَ لَا حَظَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ.

فَالْقُلُوبُ فِي الْآخِرَةِ أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ:

الْأَوَّلُ: رَجُلٌ اسْتَغْرَقَ ذِكْرُ اللهِ قَلْبَهُ فَهُوَ مِنَ الصِّدِّيقِينَ.

وَالثَّانِي: مَنِ اسْتَغْرَقَ حُبُّ الدُّنْيَا قَلْبَهُ فَهُوَ مِنَ الْهَالِكِينَ.

وَالثَّالِثُ: اشْتَغَلَ بِالدُّنْيَا وَالدِّينِ، وَالْغَالِبُ عَلَيْهِ الدِّينُ، فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ وُرُودِ النَّارِ، إِلَّا أَنَّهُ يَنْجُو مِنْهَا سَرِيعًا بِقَدْرِ غَلَبَةِ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِ.

وَالرَّابِعُ: اشْتَغَلَ بِهِمَا جَمِيعًا، وَالْغَالِبُ عَلَيْهِ الدُّنْيَا، فَهَذَا يَطُولُ مُقَامُهُ فِي النَّارِ لَكِنْ يَخْرُجُ مِنْهَا آخِرًا.

فَإِنْ أَخْطَرْتَ بِالْبَالِ أَنَّ فِي الدُّنْيَا مُبَاحًا فَلَيْسَ فِيهَا مُبَاحٌ.

قُلْتُ: الْكَلَامُ فِي حُبِّهَا، وَالْفَاضِلُ عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ لَمَّا لَمْ يَكُنْ خَالِيًا عَنِ الْحُبِّ - وَإِلَّا لَمَا اقْتَنَاهَا - تَمَكَّنَتْ فِيهِ شُبْهَةُ الْحُبِّ أَيْضًا فَمَنَعُوهُ[3].

---

(1) الإحياء: 3/ 62ـ65.

(2) كذا في النسخ الخطية، (في القبر) في الإحياء: 3/ 67.

(3) المصدر نفسه: 3/ 67ـ68.

الْمَطْلَبُ الْخَامِسُ: فِي رِيَاضَةِ الصِّبْيَانِ

وَاعْلَمْ أَنَّ نُفُوسَهُمْ سَاذَجَةٌ، خَالِيَةٌ عَنْ كُلِّ نَقْشٍ وَصُورَةٍ، فَإِنْ عُوِّدَ الْخَيْرَ يَصِيرُ سَعِيدًا، وَيُثَابُ وَالِدَاهُ، وَإِنْ عُوِّدَ الشَّرَّ يَصِيرُ شَرِيرًا، وَيَصِيرُ الْوِزْرُ لِوَالِدَيْهِ.

فَعَلَى الْأَبِ أَنْ يَحْفَظَهُ مِنَ الْقُرَنَاءِ السُّوءِ، وَلَا يُحَبِّبَ إِلَيْهِ الزِّينَةَ وَالرَّفَاهِيَّةَ فَيَهْلِكَ هَلَاكَ الْأَبَدِ إِذَا كَبِرَ.

وَتُرْضِعُهُ امْرَأَةٌ صَالِحَةٌ مُتَدَيِّنَةٌ تَأْكُلُ الْحَلَالَ، وَإِلَّا انْعَجَنَتْ طِينَتُهُ مِنَ الْخُبْثِ.

وَإِذَا بَلَغَ سِنَّ التَّمْيِيزِ، فَإِنْ رَأَيْتَ فِيهِ الْحَيَاءَ عَنِ الْقَبَائِحِ، فَذَلِكَ دَلِيلُ قُوَّةِ عَقْلِهِ، وَيَدُلُّ عَلَى حُسْنِ أَخْلَاقِهِ.

وَيُقَبَّحُ عِنْدَهُ شَرَهُ الطَّعَامِ، وَأَنْ لَا يَأْخُذَهُ إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَيُسَمِّيَ اللهَ عِنْدَ أَكْلِهِ، وَيَأْكُلَ مِمَّا يَلِيهِ، وَلَا يُبَادِرَ إِلَى الطَّعَامِ قَبْلَ غَيْرِهِ، وَلَا يُحِدَّ النَّظَرَ إِلَى الطَّعَامِ وَإِلَى مَنْ يَأْكُلُ، وَلَا يُسْرِعَ فِي الْأَكْلِ، وَيَمْضَغَ الطَّعَامَ مَضْغًا جَيِّدًا، وَلَا يُوَالِيَ بَيْنَ اللُّقَمِ، وَيُعَوَّدَ الْخُبْزَ حَتَّى يَصِيرَ بِحَيْثُ لا يَرَى الْإِدَامَ حَتْمًا، وَيُقَبَّحَ عِنْدَهُ كَثْرَةُ الْأَكْلِ، وَأَنَّهُ فِعْلُ الْبَهَائِمِ، وَيُذَمَّ عِنْدَهُ الصَّبِيُّ الْكَثِيرُ الْأَكْلِ، وَيُحَبَّبَ عِنْدَهُ إِيثَارُ الطَّعَامِ غَيْرَهُ، وَقِلَّةُ الْمُبَالَاةِ بِهِ، وَيُحَبَّبَ إِلَيْهِ مِنَ الثِّيَابِ الْبِيضُ.

وَيُذَمَّ مَنْ لَبِسَ الْمُلَوَّنَ وَالْإِبْرِيسِمَ، وَيُقَرَّرَ عِنْدَهُ أَنَّ ذَلِكَ شَأْنُ النِّسَاءِ وَالْمُخَنَّثِينَ، وَيَحْفَظَهُ عَنِ الصِّبْيَانِ الْمُتَرَفِّهِينَ.

ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَى الْمَكْتَبِ، وَيُعَلَّمُ الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ وَأَخْبَارَ الصَّالِحِينَ لِيَنْغَرِسَ فِي قَلْبِهِ حُبُّهُمْ، وَيَمْنَعُهُ عَنْ أَشْعَارٍ فِيهَا عِشْقٌ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْعِشْقَ مِنَ الظَّرْفِ وَرِقَّةِ الْقَلْبِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَغْرِسُ فِي قُلُوبِهِمْ بَذْرَ الْفَسَادِ.

ثُمَّ إِذَا ظَهَرَ مِنَ الصَّبِيِّ خُلُقٌ حَسَنٌ يَنْبَغِي أَنْ يُكْرَمَ عَلَيْهِ، وَيُجَازَى عَلَيْهِ بِمَا يَفْرَحُ بِهِ، وَيَمْدَحَهُ بَيْنَ أَظْهُرِ النَّاسِ. فَإِذَا غَفَلَ عَنْهُ فِي وَقْتٍ لَا يَهْتِكُ سِتْرَهُ، بَلْ يَتَغَافَلُ، فَإِنْ عَادَ يُعَاتَبُ عَلَيْهِ سِرًّا، وَيُنَفِّرُهُ عَنِ الْعَوْدَةِ، وَأَلَّا يُفْتَضَحَ عِنْدَ النَّاسِ، وَلَا يُكْثِرَ عَلَيْهِ الْعِتَابَ لِئَلَّا يَعْتَادَ الْمَلَامَةَ.

وَيُمْنَعُ عَنْ نَوْمِ النَّهَارِ؛ لِأَنَّهُ يُؤَدِّيهِ إِلَى الْكَسَلِ، وَلَا يُمْنَعُهُ لَيْلًا، وَلَا يُعَوِّدُهُ الْفُرُشَ الْوَطِيئَةَ حَتَّى يَتَصَلَّبَ أَعْضَاؤُهُ، وَيُعَوِّدُهُ الْمَشْيَ وَالْحَرَكَةَ حَتَّى لَا يَغْلِبَ عَلَيْهِ الْكَسَلُ[1].

وَيَنْبَغِي أَنْ يُعَوِّدَهُ أَنْ لَا يَفْتَخِرَ عَلَى أَقْرَانِهِ بِمَالِ وَالِدِهِ، أَوْ مَلَابِسِهِ، أَوْ لَوْحِهِ وَدَوَاتِهِ، وَيُعَوِّدَهُ التَّوَاضُعَ وَالْإِكْرَامَ وَالتَّلَطُّفَ فِي الْكَلَامِ، وَيَمْنَعَهُ عَنْ أَنْ يَأْخُذَ شَيْئًا مِنْ أَحَدٍ وَأَنَّهُ ذُلٌّ وَلُؤْمٌ، وَأَنَّ الْكَرَمَ وَالرِّفْعَةَ فِي الْعَطَاءِ، وَيُقَبِّحَ إِلَيْهِ حُبَّ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ فَإِنَّ ذَلِكَ مُهْلِكٌ، وَيُعَلِّمَهُ أَنْ لَا يَبْصُقَ فِي مَجْلِسِهِ، وَلَا

(1) إحياء علوم الدين: 3/ 72 ـ 73.

يَتَمَخَّطَ، وَلَا يَتَثَاءَبَ بِحَضْرَةِ غَيْرِهِ، وَلَا يَضَعَ رِجْلًا عَلَى رِجْلٍ، وَلَا يَضْرِبَ كَفَّهُ تَحْتَ ذَقَنِهِ، وَلَا يَعْمِدَ رَأْسَهُ بِسَاعِدِهِ فَإِنَّهُ عَلَامَةُ الْكَسَلِ، وَلَا يَسْتَدْبِرَ غَيْرَهُ، وَلَا يُكْثِرَ الْكَلَامَ فَإِنَّهُ وَقَاحَةٌ، وَإِنَّهُ عَادَةُ أَبْنَاءِ اللِّئَامِ، وَيُمْنَعَ الْيَمِينَ وَلَوْ صِدْقًا حَتَّى لا يَتَعَوَّدَهُ فِي الصِّغَرِ، وَلَا يَتَكَلَّمَ إِلَّا جَوَابًا أَوْ بِقَدْرِ السُّؤَالِ، وَيَسْتَمِعَ لِمَنْ يَتَكَلَّمُ مِمَّنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ سِنًّا، وَأَنْ يَقُومَ لِمَنْ فَوْقَهُ، وَيُوَسِّعَ لَهُ فِي الْمَكَانِ، وَيَجْلِسَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَيُمْنَعَ مِنْ لَغْوِ الْكَلَامِ وَفُحْشِهِ، وَمِنَ اللَّعْنِ وَالسَّبِّ، وَيَمْنَعَهُ مِنَ الْقُرَنَاءِ السُّوءِ.

وَيَنْبَغِي أَنْ لَا يُكْثِرَ الصُّرَاخَ وَالِاسْتِشْفَاعَ إِذَا ضَرَبَهُ الْمُعَلِّمُ بَلْ يَصْبِرُ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الصَّبْرَ مِنْ دَأْبِ الشُّجْعَانِ وَالرِّجَالِ، وَكَثْرَةَ الصُّرَاخِ مِنْ دَأْبِ الْمَمَالِيكِ وَالنِّسْوَانِ. وَيُتْرَكَ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الْمَكْتَبِ يَلْعَبُ لَعِبًا جَمِيلًا لِيَسْتَرِيحَ مِنْ تَعَبِ الْمَكْتَبِ، وَلَا يَدَعَهُ يَتْعَبُ فِي اللَّعِبِ، وَيُعَلِّمَهُ طَاعَةَ وَالِدَيْهِ وَمُعَلِّمِهِ وَمُؤَدِّبِهِ وَمَنْ هُوَ أَكْبَرُ سِنًّا مِنْهُ، وَيَنْظُرَ إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ التَّعْظِيمِ، وَلَا يَلْعَبَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ[1].

وَمَهْمَا بَلَغَ سِنَّ التَّمْيِيزِ لَا يُسَامَحُ فِي تَرْكِ الطَّهَارَةِ وَالصَّلَاةِ، وَيُؤْمَرُ بِالصَّوْمِ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ فِي رَمَضَانَ، وَيُعَلَّمُ كُلَّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ حُدُودِ الشَّرْعِ، وَيُخَوَّفُ مِنَ السَّرِقَةِ وَأَكْلِ الْحَرَامِ وَالْكَذِبِ وَالْخِيَانَةِ وَالْفُحْشِ.

فَإِذَا قَارَبَ الْبُلُوغَ يُذْكَرُ لَهُ أَنَّ الْأَطْعِمَةَ أَدْوِيَةٌ فِي أَنْ يَتَقَوَّى الْإِنْسَانُ بِهَا إِلَى عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى، وَأَنَّ النَّعِيمَ كُلَّهُ يَنْقَطِعُ بِالْمَوْتِ، وَأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ مَمَرٍّ، لَا

---

(1) الإحياء: 3/ 73.

دَارُ مَقَرٍّ، وَأَنَّ الْعَاقِلَ مَنْ عَمِلَ لِلْآخِرَةِ حَتَّى تَعْظُمَ عِنْدَ اللهِ دَرَجَتُهُ، وَيَتَّسِعَ فِي الْجِنَانِ نِعْمَتُهُ.

قَالَ سَهْلٌ التُّسْتَرِيُّ[1]: كُنْتُ أُشَاهِدُ قِيَامَ خَالِي مُحَمَّدِ بْنِ سَوَّارٍ[2] فِي اللَّيَالِي وَأَنَا ابْنُ ثَلَاثِ سِنِينَ، فقالَ لِي خَالِي يومًا: أَلَا تَذْكُرُ اللهَ الَّذِي خلَقَكَ، قُلْتُ: كَيْفَ أَذْكُرُهُ؟ فقالَ: قُلْ بِقَلْبِكَ عِنْدَ تَقَلُّبِكَ فِي ثِيَابِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُحَرِّكَ بِهِ لِسَانَكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: اللهُ مَعِي، اللهُ نَاظِرٌ إِلَيَّ، اللهُ شَاهِدِي، فَقُلْتُ ذَلِكَ لَيَالٍ، فَقَالَ: قُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَقُلْتُهَا لَيَالٍ، قالَ: قُلْ إِحْدَى عَشْرَ مَرَّةً، فَقُلْتُهَا، فَوَقَعَ فِي قَلْبِي حَلَاوَةُ الذِّكْرِ. وَبَعْدَ سَنَةٍ قَالَ لِي خَالِي: احْفَظْ مَا عَلَّمْتُكَ وَدُمْ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ تَدْخُلَ الْقَبْرَ، فَإِنَّهُ يَنْفَعُكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَلَمْ أَزَلْ عَلَى ذَلِكَ سَنَتَيْنِ، فَوَجَدْتُ حَلَاوَتَهُ فِي سِرِّي.

ثُمَّ قالَ لِي خَالِي يَوْمًا: يَا سَهْلُ مَنْ كانَ اللهُ مَعَهُ وَشَاهَدَهُ وَنَاظِرًا إِلَيْهِ أَيَعْصِيهِ؟ إِيَّاكَ وَالْمَعْصِيَةَ. فَكُنْتُ أَخْلُو بِنَفْسِي حَتَّى شَرَطْتُ الْمُعَلِّمَ أَنْ أَذْهَبَ إِلَيْهِ سَاعَةً فَأَتَعَلَّمَ ثُمَّ أَرْجِعَ، حَتَّى حَفِظْتُ الْقُرْآنَ وَأَنَا ابْنُ سِتٍّ أَوْ سَبْعِ سِنِينَ. وَكُنْتُ أَصُومُ الدَّهْرَ وَقُوتِي مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، فَوَقَعَتْ لِي مَسْأَلَةٌ وَأَنَا ابْنُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً حَتَّى أَتَيْتُ الْبَصْرَةَ، وَسَأَلْتُ عُلَمَاءَهَا،

---

(1) سهل بن عبد الله بن يونس التُّسْتَرِي أبو محمد، أحد أئمة الصوفية وعلمائهم، له تفسير (ت. 283هـ). طبقات الصوفية: 166، وحلية الأولياء: 10/ 189، وسير أعلام النبلاء: 13/ 330.

(2) محمد بن سَوَّارِ بن راشد، أبو جعفر، الأزدي الكوفي قدم مصر، محدث، (ت. 248هـ). تاريخ ابن يونس المصري: 2: 207، والثقات لابن حبان: 9/ 125، وتاريخ الإسلام: 5/ 1229.

فَلَمْ يَشْفِ أَحَدٌ عَنِّي شَيْئًا، فَخَرَجْتُ إِلَى أَبِي حَبِيبٍ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْعَبَّادَانِيِّ بِعَبَّادَانَ[1] فَأَجَابَنِي عَنْهَا، فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ مُدَّةً انْتَفَعْتُ بِكَلَامِهِ وَأَدَبِهِ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى تُسْتَرَ[2]، فَجَعَلْتُ أَشْتَرِي فِرْقًا مِنَ الشَّعِيرِ بِدِرْهَمٍ، وَاكْتَفَيْتُ بِهِ سَنَةً، ثُمَّ عَزَمْتُ عَلَى أَنْ أَطْوِيَ ثَلَاثَ لَيَالٍ، ثُمَّ خَمْسًا، ثُمَّ سَبْعًا، ثُمَّ خَمْسًا وَعِشْرِينَ، وَمَرَّتْ عَلَى ذَلِكَ عِشْرُونَ سَنَةً، ثُمَّ خَرَجْتُ أَسِيحُ فِي الْأَرْضِ سِنِينَ، ثُمَّ رَجَعْتُ تُسْتَرَ فَكُنْتُ أَقُومُ اللَّيْلَ كُلَّهُ[3].

---

(1) عَبَّادَانُ: بليدة بنواحي البصرة في وسط البحر، كان يسكنها جماعة من العلماء والزهاد للعبادة والخلوة. الأنساب: 9/ 172، ومعجم البلدان: 4/ 74.

(2) تُسْتَرُ: أعظم مدينة بخوزستان، وهو تعريب شوشتر، وبها قبر البراء بن مالك الأنصاري. معجم البلدان: 2/ 29.

(3) الإحياء: 3/ 74، ومرآة الزمان في تواريخ الأعيان: 16/ 198.

الْمَطْلَبُ السَّادِسُ: فِي شَرَائِطِ السُّلُوكِ

اِعْلَمْ أَنَّ الْمَانِعَ مِنَ الْوُصُولِ عَدَمُ السُّلُوكِ، وَالْمَانِعَ مِنَ السُّلُوكِ عَدَمُ الْإِرَادَةِ، وَالْمَانِعَ مِنَ الْإِرَادَةِ عَدَمُ الْإِيمَانِ، وَالْمَانِعَ مِنَ الْإِيمَانِ عَدَمُ الْهُدَاةِ الْمُذَكِّرِينَ الْمُنَبِّهِينَ عَلَى حَقَارَةِ الدُّنْيَا وَعِظَمِ الْآخِرَةِ، وَالسَّدَّ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْمُرِيدِ أَرْبَعَةٌ:

أَوَّلُهَا: حِجَابُ الْمَالِ، وَيَرْتَفِعُ ذَلِكَ بِتَفْرِيقِهِ إِلَّا قَدْرَ الضَّرُورَةِ، وَمَنْ لَهُ دِرْهَمٌ وَاحِدٌ يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ قَلْبُهُ فَهُوَ مَحْجُوبٌ عَنِ اللهِ تَعَالَى.

وَثَانِيهَا: حِجَابُ الْجَاهِ، وَرَفْعُهُ بِالْبُعْدِ عَنْ مَوْضِعِ الْجَاهِ، وَبِإِيثَارِ الْخُمُولِ، وَأَعْمَالٍ تُنَفِّرُ الْخَلْقَ.

وَثَالِثُهَا: حِجَابُ التَّقْلِيدِ، بِأَنْ يَتْرُكَ التَّعَصُّبَ لِلْمَذَاهِبِ، وَيَدْفَعَ كُلَّ مَعْبُودٍ سِوَى اللهَ سِيَّمَا الْهَوَى[1].

وَبَعْدَ رَفْعِ هَذِهِ الْحُجُبِ يَتَحَصَّنُ بِأُمُورٍ أَرْبَعَةٍ:

أَحَدُهَا: الْجُوعُ، فَإِنَّهُ يَنْقُصُ دَمَ الْقَلْبِ وَيُبَيِّضُهُ، وَفِي بَيَاضِهِ نُورُهُ، وَيُذْهِبُ شَحْمَ الْفُؤَادِ، وَفِيهِ رِقَّتُهُ، وَرِقَّتُهُ مِفْتَاحُ الْمُكَاشَفَةِ. وَمَتَى نَقَصَ دَمُ الْقَلْبِ ضَاقَ مَسْلَكُ الْعَدُوِّ.

(1) الإحياء: 3/ 74ـ75. ويلاحظ أنه ذكر ثلاثة أمور، وأغفل الرابع.

وَثَانِيهَا: السَّهَرُ، فَإِنَّهُ يَجْلِّي الْقَلْبَ وَيُصَفِّيهِ وَيُنَوِّرُهُ، وَإِذَا انْضَافَ إِلَيْهِ صَفَاءُ الْجُوعِ يَصِيرُ الْقَلْبُ كَالْكَوْكَبِ الدُّرِّيِّ وَالْمِرْآةِ الْمَجْلُوَّةِ، فَيَلُوحُ فِيهِ جَمَالُ الْحَقِّ، وَيُشَاهَدُ فِيهِ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ. وَالسَّهَرُ أَيْضًا نَتِيجَةُ الْجُوعِ فَإِنَّهُ مَعَ الشِّبَعِ غَيْرُ مُمْكِنٍ، وَالنَّوْمُ يُقَسِّي الْقَلْبَ وَيُمِيتُهُ، إِلَّا إِذَا كَانَ بِقَدْرِ الضَّرُورَةِ فَيَكُونُ سَبَبَ الْمُكَاشَفَةِ لِأَسْرَارِ الْغَيْبِ.

وَثَالِثُهَا: الصَّمْتُ، وَتُسَهِّلُهُ الْعُزْلَةُ، وَلَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِقَدْرِ الضَّرُورَةِ، فَإِنَّ الْكَلَامَ يَشْغَلُ الْقَلْبَ، وَشَرُّ الْكَلَامِ لِلْقَلْبِ عَظِيمٌ، وَإِنَّهُ يَسْتَرْوِحُ[1] إِلَيْهِ، وَيَسْتَثْقِلُ التَّجَرُّدَ لِلذِّكْرِ وَالْفِكْرِ.

وَرَابِعُهَا: الْخَلْوَةُ، وَفَائِدَتُهَا دَفْعُ الشَّوَاغِلِ، وَضَبْطُ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ، إِلَّا قَدْرَ الضَّرُورَةِ. وَإِذَا سُدَّتِ الْحَوَاسُّ تَتَفَجَّرُ يَنَابِيعُ الْغَيْبِ مِنْ حِيَاضِ الْمَلَكُوتِ، وَيَنْصَبُّ إِلَى الْقَلْبِ، فَلَا بُدَّ فِي الْجُلُوسِ فِي مَكَانٍ مُظْلِمٍ، وَإِلَّا فَلْيَلُفَّ رَأْسَهُ فِي الْجَيْبِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَسْمَعُ نِدَاءَ الْحَقِّ، وَيُشَاهِدُ جَلَالَ حَضْرَةِ الرُّبُوبِيَّةِ[2].

وَبَعْدَ التَّحَصُّنِ بِهَذِهِ الْأُمُورِ، يَشْتَغِلُ بَعْدَهُ بِسُلُوكِ الطَّرِيقِ، وَذَلِكَ بِقَطْعِ عَقَبَاتِ الْقَلْبِ الَّتِي سَبَبُهَا الِالْتِفَاتُ إِلَى الدُّنْيَا. وَإِذَا حَصَلَ قَلْبُهُ مَعَ اللهِ، وَتَجَلَّى لَهُ الْحَقُّ، وَظَهَرَ لَهُ مِنْ لَطَائِفِ رَحْمَةِ اللهِ مَا لَا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ بَلْ

---

(1) يستروح: أي ينشط له والارتياح النشاط.

(2) الإحياء: 3/ 76.

لَا يُحِيطُ الْوَصْفُ بِهِ أَصْلًا، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَعْظَمُ الْقَوَاطِعِ عَلَيْهِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ وَعْظًا وَنُصْحًا، فَلْيَحْذَرْ مِنْهُ، فَإِنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ حَبَائِلِ الشَّيْطَانِ فِي قَطْعِ الطَّرِيقِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُحَرِّكَهُ عَلَى ذَلِكَ هُوَ الْحَقُّ، فَحِينَئِذٍ يَنْبَغِي أَنْ يَعْظُمَ فَرَحُهُ بِهِ، إِلَّا أَنَّهُ عَزِيزُ الْوُجُودِ جِدًّا، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْمُرِيدُ عَلَى حَذَرٍ مِنْهُ.

هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ فِي هَذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ مُعَالَجَةٌ كُلِّيَّةٌ إِلَى طَرِيقِ تَهْذِيبِ الْأَخْلَاقِ، وَأَمَّا تَفْصِيلُهَا فَيَأْتِي فِي الْأُصُولِ الْبَاقِيَةِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى[1].

---

(1) الإحياء: 3/ 77ـ79.

الْأَصْلُ الثَّالِثُ: فِي كَسْرِ الشَّهْوَتَيْنِ شَهْوَةِ الْبَطْنِ وَالْفَرْجِ وَفِيهِ مَطَالِبُ:

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ: فَضِيلَةُ الْجُوعِ

لَا تَخْفَى عَلَى أُولِي الْأَبْصَارِ، وَقَدْ كَثُرَ ذِكْرُهَا فِي الْأَخْبَارِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاءِ مَنْ مَلَأَ بَطْنَهُ»(1).

وَقَالَ: «لَا تُمِيتُوا الْقُلُوبَ بِكَثْرَةِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، فَإِنَّ الْقَلْبَ كَالزَّرْعِ يَمُوتُ إِذَا كَثُرَ الْمَاءُ» (2).

وَقَالَ: «مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ، وَحَسْبُ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَثُلُثٌ لِلطَّعَامِ، وَثُلُثٌ لِلشَّرَابِ، وَثُلُثٌ لِلنَّفَسِ»(3).

ثُمَّ إِنَّ فِي الْجُوعِ عَشْرَ فَوَائِدَ:

الْأُولَى: صَفَاءُ الْقَلْبِ، وَنَفَاذُ الْبَصِيرَةِ؛ فَإِنَّ الشِّبَعَ يُورِثُ الْبَلَادَةَ بِالْأَبْخِرَةِ الْمُتَصَاعِدَةِ إِلَى الدِّمَاغِ، وَيُعْمِي الْقَلْبَ.

---

(1) معجم ابن الأعرابي: 3/ 1091، رقم: 2350، والإحياء: 3/ 80.

(2) الإحياء: 3/ 81، وربيع الأبرار ونصوص الأخيار: 3/ 205.

(3) مسند الإمام أحمد: 3/ 136، رقم: 1946، وسنن ابن ماجه: 2/ 1111، رقم: 3349، الجامع الكبير للترمذي: 4/ 188، رقم: 2380، والإحياء: 3/ 81.

الثَّانِيَةُ: رِقَّةُ الْقَلْبِ وَصَفَاؤُهُ، الَّذِي بِهِ يَتَهَيَّأُ لِإِدْرَاكِ لَذَّةِ الْمُنَاجَاةِ وَالتَّأَثُّرِ بِالذِّكْرِ.

الثَّالِثَةُ: الِانْكِسَارُ وَالذُّلُّ وَزَوَالُ الْفَرَحِ وَالْبَطَرِ[1] وَالْأَشَرِ[2] الَّذِي هُوَ مُبْتَدَأُ الطُّغْيَانِ، وَالْغَفْلَةِ عَنِ اللهِ، وَلَا تَنْكَسِرُ النَّفْسُ وَلَا تَذِلُّ كَمَا تَذِلُّ بِالْجُوعِ، فَإِنَّهُ عِنْدَهُ يَسْكُنُ لِرَبِّهِ، وَيَخْشَعُ لَهُ، وَيَقِفُ عَلَى عَجْزِهِ وَذُلِّهِ لَمَّا ضَاقَتْ حِيلَتُهُ بِلُقْمَةِ طَعَامٍ فَاتَتْهُ، وَأَظْلَمَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا بِشَرْبَةِ مَاءٍ تَأَخَّرَتْ عَنْهُ.

الرَّابِعَةُ: أَنْ لَا يَنْسَى بَلَاءَ اللهِ وَعَذَابَهُ، فَيَتَذَكَّرَ عَذَابَ الْآخِرَةِ وَبَلَاءَهَا.

الْخَامِسَةُ: وَهِيَ أَكْبَرُ الْفَوَائِدِ، كَسْرُ شَهَوَاتِ الْمَعَاصِي كُلِّهَا، [وَالِاسْتِيلَاءُ عَلَى النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ][3] فَإِنَّ مَنْشَأَ الْمَعَاصِي كُلِّهَا الشَّهَوَاتُ، وَتَنْدَفِعُ بِهِ شَهْوَةُ الْكَلَامِ وَآفَاتُهُ، مِنَ الْكَذِبِ وَالْغِيبَةِ وَالْفُحْشِ وَالنَّمِيمَةِ. وَشَهْوَةُ الْفَرْجِ وَالْجُوعِ يُكْفَى شَرَّهَا، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الشَّهَوَاتِ لِلْأَعْضَاءِ الْخَمْسَةِ الْبَاقِيَةِ مِنَ الْأَعْضَاءِ السَّبْعَةِ.

السَّادِسَةُ: دَفْعُ النَّوْمِ وَدَوَامُ السَّهَرِ، فَإِنَّ مَنْ شَبِعَ شَرِبَ كَثِيرًا، وَمَنْ كَثُرَ شُرْبُهُ كَثُرَ نَوْمُهُ، وَمَنْ كَثُرَ نَوْمُهُ ضَاعَ عُمُرُهُ، وَتَبَلَّدَتْ طَبِيعَتُهُ، وَقَسَا قَلْبُهُ.

السَّابِعَةُ: تَيْسِيرُ[4] الْمُوَاظَبَةِ عَلَى الْعِبَادَةِ، فَإِنَّ الْأَكْلَ وَالْمَرَضَ يَمْنَعُ مِنْهَا.

---

(1) البطر: النشاط، وقيل: الطغيان في النعمة: اللسان/ بطر.

(2) الأشر: المرح، وقيل: أشد البطر. اللسان/ أشر

(3) زيادة من أنطاليا.

(4) تيسُّر، في رئيس الكتاب.

الثَّامِنَةُ: صِحَّةُ الْبَدَنِ؛ فَإِنَّ سَبَبَ الْأَمْرَاضِ كَثْرَةُ الْأَكْلِ، وَالْمَرَضُ يُنَغِّصُ الْعَيْشَ، وَيَمْنَعُ مِنَ الذِّكْرِ وَالْفِكْرِ.

التَّاسِعَةُ: خِفَّةُ الْمَؤُونَةِ؛ لِأَنَّ مَنْ تَعَوَّدَ الشِّبَعَ يَتَقَاضَاهُ بَطْنُهُ فَيَقُولُ: مَاذَا تَأْكُلُ الْيَوْمَ؟ فَيَدْخُلُ الْمَدَاخِلَ مِنَ الشُّبُهَاتِ وَالْحَرَامِ، أَوْ يَتْعَبُ فِي الْحَلَالِ، وَيَمُدُّ يَدَ الطَّمَعِ إِلَى الْخَلْقِ.

الْعَاشِرَةُ: أَنْ يَتَمَكَّنَ بِهِ مِنَ الْإِيثَارِ وَالتَّصَدُّقِ بِمَا فَضُلَ مِنَ الْأَطْعِمَةِ إِلَى الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ[1].

---

(1) الإحياء: 3/ 80 ـ 88.

الْمَطْلَبُ الثَّانِي: طَرِيقُ الرِّيَاضَةِ فِي كَسْرِ شَهْوَةِ الْبَطْنِ

وَلِلْمُرِيدِ فِيهِ أَرْبَعُ وَظَائِفَ:

- **الْأُولَى**: أَنْ لَا يَأْكُلَ إِلَّا حَلَالًا، إِذِ الْعِبَادَةُ مَعَ أَكْلِ الْحَرَامِ كَالْبِنَاءِ عَلَى أَمْوَاجِ الْبَحْرِ.

- **الثَّانِيَةُ**: أَنْ يُقَلِّلَ الطَّعَامَ عَلَى التَّدْرِيجِ، إِذِ النَّقْصُ دُفْعَةً رُبَّمَا يُؤَدِّي إِلَى اخْتِلَالِ الْمِزَاجِ، مَثَلًا إِنْ كَانَ يَأْكُلُ رَغِيفَيْنِ كُلَّ يَوْمٍ، يَنْقُصُ كُلَّ يَوْمٍ رُبُعَ سُبُعِ رَغِيفٍ، وَهُوَ إِمَّا جُزْءٌ مِنْ ثَمَانِيَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا، أَوْ مِنْ ثَلَاثِينَ جُزْءًا، فَيَرْجِعُ إِلَى رَغِيفٍ فِي شَهْرٍ، وَلَا يَتَضَرَّرُ بِهِ.

ثُمَّ فِي نَقْصِ الْقُوتِ أَرْبَعُ دَرَجَاتٍ:

- **الْأُولَى**: أَنْ يَرُدَّ نَفْسَهُ إِلَى الْقَدْرِ الَّذِي لَا يَبْقَى دُونَهُ، وَهُوَ عَادَةُ الصِّدِّيقِينَ. وَهُوَ اخْتِيَارُ سَهْلٍ التُّسْتَرِيِّ، وَقَالَ: اسْتَعْبَدَ اللهُ الْخَلْقَ بِثَلَاثٍ: بِالْحَيَاةِ وَالْعَقْلِ وَالْقُوَّةِ، فَإِنْ خَافَ الْعَبْدُ عَلَى الْأَوَّلَيْنِ أَكَلَ وَأَفْطَرَ إِنْ كَانَ صَائِمًا، وَتَكَلَّفَ الطَّلَبَ إِنْ كَانَ فَقِيرًا، وَإِنْ خَافَ عَلَى الْقُوَّةِ فَقَطْ فَيَنْبَغِي أَنْ لَا يُبَالِيَ وَلَوْ ضَعُفَ حَتَّى صَلَّى قَاعِدًا، وَرَأَى صَلَاتَهُ قَاعِدًا مَعَ ضُعْفِ الْجُوعِ أَفْضَلَ مِنْ صَلَاتِهِ قَائِمًا مَعَ قُوَّةِ الْأَكْلِ.

الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: أَنْ يُرَدَّ إِلَى نِصْفِ مُدٍّ في الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، وَهُوَ رَغِيفٌ وَشَيْءٌ مِمَّا يُكَوِّنُ الْأَرْبَعَةُ مِنْهُ مَنًّا[1]، وَيُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مِقْدَارَ ثُلُثِ الْبَطْنِ فِي حَقِّ الْأَكْثَرِ كَمَا ذَكَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ فَوْقَ اللُّقَيْمَاتِ؛ لِأَنَّهَا جَمْعُ قِلَّةٍ وَهُوَ لِمَا دُونَ الْعَشَرَةِ. وكانَ ذَلِكَ عَادَةَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، إِذْ كانَ يَأْكُلُ سَبْعَ لُقَمٍ، أَوْ تِسْعَ لُقَمٍ.

الدَّرَجَةُ الثَّالِثَةُ: أَنْ يَرُدَّ نَفْسَهُ إِلَى مِقْدَارِ مُدٍّ وَهُوَ رَغِيفَانِ وَنِصْفٌ، وَهَذَا يَزِيدُ عَلَى ثُلُثِ الْبَطْنِ فِي حَقِّ الْأَكْثَرِينَ، وَيَكَادُ يَنْتَهِي إِلَى ثُلُثَيْهِ، ويَبْقَى ثُلُثٌ لِلشَّرَابِ، وَلَا يَبْقَى شَيْءٌ لِلذِّكْرِ؛ وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَةِ: ثُلُثٌ لِلذِّكْرِ بَدَلَ النَّفَسِ[2].

الدَّرَجَةُ الرَّابِعَةُ: أَنْ يَزِيدَ عَلَى الْمُدِّ إِلَى الْمَنِّ، وَيُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ مَا وَرَاءَ الْمَنِّ إِسْرَافًا فِي حَقِّ الْأَكْثَرِينَ.

وَهَهُنَا طَرِيقٌ خَامِسٌ: وَهُوَ أَنْ يَأْكُلَ إِذَا صَدَقَ جُوعُهُ، وَيَقْبِضَ يَدَهُ وَهُوَ عَلَى شَهْوَةٍ صَادِقَةٍ بَعْدُ، لَكِنَّهُ غَلَطٌ، إِذْ قَدْ تَشْتَبِهُ الشَّهْوَةُ الْكَاذِبَةُ بِالصَّادِقَةِ؛ لِأَنَّ التَّمْيِيزَ بَيْنَهُمَا مُشْكِلٌ. وَقَدْ ذُكِرَ لِلْجُوعِ الصَّادِقِ عَلَامَاتٌ:

إِحْدَاهَا: أَنْ لَا تَطْلُبَ النَّفْسُ إِدَامًا، بَلْ تَأْكُلُ الْخُبْزَ وَحْدَهُ بِشَهْوَةٍ، أَيَّ خُبْزٍ كَانَ، وَمَهْمَا طَلَبَ خُبْزًا بِعَيْنِهِ أَوْ إِدَامًا فَهُوَ لَيْسَ بِجُوعٍ صَادِقٍ.

---

(1) الْمَنُّ لغة في الْمَنَا الذي يوزن به، وهو رطلان، والجمع أَمْنَانٌ وأَمْنَاءٌ. اللسان/ منن.

(2) الإحياء: 3/ 89.

وَقِيلَ: أَنْ يَبْصُقَ فَلَا يَقَعُ عَلَيْهِ الذُّبَابُ، إِذْ لَا يَبْقَى فِيهِ دُهْنِيَّةٌ وَدُسُومَةٌ، إِلَّا أَنَّ مَعْرِفَةَ هَذِهِ الْعَلَامَاتِ مُشْكِلَةٌ، فَالصَّوَابُ لِلْمُرِيدِ أَنْ يَعْمَلَ بِمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ التَّقْدِيرِ(1).

الْوَظِيفَةُ الثَّانِيَةُ: فِي وَقْتِ الْأَكْلِ وَمِقْدَارِ تَأْخِيرِهِ، فِيهِ أَيْضًا دَرَجَاتٌ:

الْأُولَى: أَنْ يَطْوِيَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَمَا فَوْقَهَا، وَمِنَ الْمُرِيدِينَ مَنْ رَدَّ الرِّيَاضَةَ إِلَى الطَّيِّ لَا إِلَى الْمِقْدَارِ حَتَّى انْتَهَى بَعْضُهُمْ إِلَى ثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَقَعَ ذَلِكَ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ السَّلَفِ. وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَطْوِي سِتَّةَ أَيَّامٍ، [وَعَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ](2).

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: «مَنْ طَوَى أَرْبَعِينَ يَوْمًا ظَهَرَتْ لَهُ قُدْرَةٌ مِنَ الْمَلَكُوتِ»(3) أَيْ كُوشِفَ بِبَعْضِ الْأَسْرَارِ الْإِلَهِيَّةِ.

الدَّرَجَةُ الثَّالِثَةُ: أَنْ يَطْوِيَ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً، وَهَذَا قَرِيبُ الْوُصُولِ، وَمُمْكِنُ الْحُصُولِ.

الدَّرَجَةُ الرَّابِعَةُ: وَهِيَ أَدْنَاهَا، أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى أَكْلَةٍ وَاحِدَةٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ وَمَا جَاوَزَ ذَلِكَ إِسْرَافٌ مَذْمُومٌ.

---

(1) الإحياء: 3/ 90.

(2) ما بين معقوفين سقط من الأزهرية.

(3) قوت القلوب: 2/ 279. والإحياء: 3/ 90.

رَوَى أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ «أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا تَغَدَّى لَمْ يَتَعَشَّ، وَإِذَا تَعَشَّى لَمْ يَتَغَدَّ»(1).

قِيلَ: وَمَنِ اقْتَصَرَ عَلَى أَكْلَةٍ وَاحِدَةٍ فِي الْيَوْمِ فَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَأْكُلَهَا سَحَرًا قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ، فَيَكُونُ أَكْلُهُ بَعْدَ التَّهَجُّدِ وَقَبْلَ الصُّبْحِ، فَيَحْصُلُ لَهُ جُوعُ النَّهَارِ لِلصِّيَامِ وَجُوعُ اللَّيْلِ لِلْقِيَامِ، وَخُلُوُّ الْقَلْبِ لِفَرَاغِ الْمَعِدَةِ، وَرِقَّةُ الْفِكْرِ وَاجْتِمَاعُ الْهَمِّ وَسُكُونُ النَّفْسِ إِلَى الْمَعْلُومِ، فَلَا تُنَازِعُهُ قَبْلَ وَقْتِهِ.

فَإِنْ كَانَتْ نَفْسُهُ تُنَازِعُهُ بِالطَّعَامِ فَيَأْكُلُ نِصْفَهُ بَعْدَ الْمَغْرِبِ، وَنِصْفَهُ بَعْدَ التَّهَجُّدِ. وَمَنْ كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا، فَلَا بَأْسَ أَنْ يَأْكُلَ يَوْمَ فِطْرِهِ وَقْتَ الظُّهْرِ، وَيَوْمَ صَوْمِهِ وَقْتَ السَّحَرِ(2).

الْوَظِيفَةُ الثَّالِثَةُ: فِي نَوْعِ الطَّعَامِ وَتَرْكِ الْإِدَامِ، وَأَعْلَى الطَّعَامِ مُخُّ الْبُرِّ، وَإِنْ نُخِلَ فَهُوَ غَايَةُ التَّرَفُّهِ، وَأَوْسَطُهُ شَعِيرٌ مَنْخُولٌ، وَأَدْنَاهُ شَعِيرٌ لَمْ يُنْخَلْ. وَأَعْلَى الْإِدَامِ اللَّحْمُ وَالْحَلَاوَةُ، وَأَدْنَاهُ الْمِلْحُ وَالْخَلُّ، وَأَوْسَطُهُ الْمُزَوَّرَاتُ بِالْإِدْهَانِ مِنْ غَيْرِ لَحْمٍ.

وَعَادَةُ سَالِكِي طَرِيقِ الْآخِرَةِ الِامْتِنَاعُ عَنِ الْإِدَامِ عَلَى الدَّوَامِ، لِئَلَّا تَأْنَسَ أَنْفُسُهُمْ بِاللَّذَّاتِ، فَيَكْرَهُوا الْمَوْتَ وَلِقَاءَ اللهِ.

---

(1) قوت القلوب: 2/ 283، وحلية الأولياء: 3/ 323، والإحياء: 3/ 91.

(2) الإحياء: 3/ 90.

وَيَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ هَهُنَا أَنَّ مَا وَرَدَ مِنْ مَدْحِ الْجُوعِ تَارَةً وَالْأَمْرِ بِالِاعْتِدَالِ أُخْرَى لَا يَتَضَادَّانِ، بَلِ الطَّبْعُ الْمُعْتَدِلُ الْأَلْيَقُ بِهِ الْجُوعُ الْمُفْرِطُ، لِيَتَعَوَّدَ الِاعْتِدَالَ، وَإِلَّا فَالْجُوعُ الْمُفرِطُ فِي نَفْسِهِ مَذْمُومٌ، وَإِنَّمَا يُمْدَحُ لِتَرْضَى النَّفْسُ بِالِاعْتِدَالِ، وَمَا وَقَعَ في الشَّرْعِ مِنَ الِاخْتِلَافِ فَبِالنَّظَرِ إِلَى اخْتِلَافِ الطَّبَائِعِ.

وَلِهَذَا يَأْمُرُ الشَّيْخُ الْمُرِيدَ بِالْإِفْرَاطِ فِي الْجُوعِ، وَالِاحْتِمَاءِ عَنِ اللَّذَائِذِ، وَهُوَ لَا يَجُوعُ، وَيَتَلَذَّذُ بِالْفَوَاكِهِ، وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يَحْتَرِزَ مِنْهُ أَنْ يَشْتَهِيَ شَيْئًا وَيُخْفِيَهُ عَنِ النَّاسِ، بَلِ الْأَحَبُّ أَنْ يُظْهِرَهَا، إِذِ الْكَذِبُ مَعَ الْإِخْفَاءِ كَذِبَانِ، فَيَكُونُ مُسْتَحِقًّا لِمَقْتَيْنِ، وَلَا يُرْضَى مِنْهُ إِلَّا بِتَوْبَتَيْنِ، وَلِذَلِكَ شُدِّدَ أَمْرُ الْمُنَافِقِينَ؛ لأنَّ سِرَّهُ لِكُفْرِهِ كُفْرٌ آخَرُ؛ لِأَنَّهُ اسْتَخَفَّ بِنَظَرِ اللهِ إِلَى قَلْبِهِ، وَعِظَمِ نَظَرِ الْمَخْلُوقِينَ. وَأَنْ يَحْتَرِزَ أَنْ يَفْرَحَ بِتَرْكِ الشَّهْوَةِ، وَيَشْتَهِرَ بذلك؛ لِأَنَّهُ قَدْ خَالفَ شَهْوَةَ الْأَكْلِ، وَأَطَاعَ شَهْوَةً هِيَ أَشَدُّ مِنْهَا وَهِيَ شَهْوَةُ الْجَاهِ، وَذَلِكَ كَمَنْ هَرَبَ مِنْ عَقْرَبٍ إِلَى حَيَّةٍ، وَشَهْوَةُ الرِّيَاءِ أَضَرُّ بِكَثِيرٍ مِنْ شَهْوَةِ الطَّعَامِ[1].

---

(1) الإحياء: 3/ 91-99.

الْمَطْلَبُ الثَّالِثُ: **فِي شَهْوَةِ الْفَرْجِ**

وَلَهَا فَائِدَتَانِ:

إِحْدَاهُمَا: أَنْ يَقِيسَ بِلَذَّتِهَا لَذَّةَ الْآخِرَةِ فَيَرْغَبَ فِيهَا.

وَثَانِيَتُهُمَا: بَقَاءُ النَّسْلِ وَدَوَامُ الْوُجُودِ.

وَفِيهَا آفَاتٌ إِنْ لَمْ تَعْتَدِلْ؛ أَمَّا إِفْرَاطُهَا بِأَنْ يُجَرَّ إِلَى اقْتِحَامِ الْفَوَاحِشِ، أَوْ بِأَنْ يَصْرِفَ هِمَّتَهُ إِلَى التَّمَتُّعِ بِالنِّسَاءِ وَالْجَوَارِي، فَيُحْرَمَ عَنْ سُلُوكِ طَرِيقِ الْآخِرَةِ.

وَقَدْ يَنْتَهِي بِطَائِفَةٍ إِلَى تَنَاوُلِ الْمُقَوِّيَاتِ فَيُؤَدِّي إِلَى التَّنَعُّمِ، وَبِطَائِفَةٍ أُخْرَى إِلَى الْعِشْقِ، وَهُوَ غَايَةُ الْجَهْلِ بِمَا وُضِعَ لَهُ الْوِقَاعُ، وَيَسْتَسْخِرُ عَقْلَهُ لِخِدْمَةِ الشَّهْوَةِ وَهُوَ مَخْدُومٌ لَهَا لَا خَادِمٌ، وَالْعِشْقُ مَرَضُ قَلْبٍ فَارِغٍ لَا هِمَّةَ لَهُ.

وَإِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ، فَيَنْبَغِي لِلْمُرِيدِ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِ أَنْ لَا يَشْغَلَ نَفْسَهُ بِالتَّزْوِيجِ، لِيَأْمَنَ الْآفَاتِ الْمَذْكُورَةَ، وَلَا يَتَرَخَّصَ بِكَثْرَةِ نِكَاحِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ لَا يَشْغَلُ قَلْبَهُ جَمِيعُ مَا فِي الدُّنْيَا عَنِ اللهِ تَعَالَى، وَكَيْفَ لَا وَكَانَ قَدْ يَخْشَى أَحْيَانًا أَنْ يَسْرِيَ احْتِرَاقُ قَلْبِهِ مِنْ حُبِّ اللهِ تَعَالَى إِلَى قَالَبِهِ، وَيَقُولُ: «كَلِّمِينِي يَا عَائِشَةُ»[1]. لِتَشْغَلَهُ بِكَلَامِهَا عَنْ عَظِيمِ مَا هُوَ فِيهِ.

---

(1) الإحياء: 3/ 101.

كَمَا أَنَّهُ لَا يُطِيقُ الصَّبْرَ عَنِ اللهِ إِذَا جَالَسَ الْخَلْقَ، وَكانَ يَقُولُ إِذَا ضَاقَ صَدْرُهُ لِذَلِكَ: «أَرِحْنَا يَا بِلَالُ»[1].

وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ إِذَا لَمْ تَغْلِبْهُ الشَّهْوَةُ، وَإِنْ غَلَبَتْهُ، فَلْيَكْسِرْهَا بِالْجُوعِ الطَّوِيلِ، وَإِنْ كَانَ مَعَ ذَلِكَ لَا يَقْدِرُ عَلَى حِفْظِ الْعَيْنِ - وَإِنْ قَدَرَ عَلَى حِفْظِ الْفَرْجِ - فَالنِّكَاحُ لَهُ أَوْلَى، وَكَذَا إِنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى حِفْظِ النَّظَرِ عَنِ الصِّبْيَانِ، بَلْ ذَلِكَ أَكْثَرُ الشَّرِّ مِنَ النِّسَاءِ، إِذْ يُمْكِنُ اسْتِبَاحَتُهُنَّ دُونَهُمْ، وَالنَّظَرُ إِلَى الْأَمْرَدِ حَرَامٌ مَا لَمْ يَحْصُلْ عَدَمُ الْفَرْقِ بَيْنَ نَظَرِ الْأَمْرَدِ وَنَظَرِ الْخُضْرَةِ وَالْأَزْهَارِ فِي اللَّذَّةِ، إِذْ لَوْ مَالَ إِلَيْهِمْ أَكْثَرَ مِنْهَا صَارَ النَّظَرُ لِلشَّهْوَةِ لَا لِلْحُسْنِ[2].

(1) هذه الرواية في تاريخ بغداد: 12/ 203، رقم: 5557، ولطائف الإشارات: 2/ 252، وفي المعجم الكبير: 6/ 277، رقم: 6215، والإحياء: 3/ 101 برواية: «أرحنا بها يا بلال»
(2) الإحياء: 3/ 101 ـ 102.

الْأَصْلُ الرَّابِعُ: فِي آفَاتِ اللِّسَانِ

وَفِيهِ مَطَالِبُ:

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ: فِي آفَاتِ الْكَلَامِ فِيمَا لا يَعْنِيكَ

وَهُوَ أَنْ تَتَكَلَّمَ بِكُلِّ مَا لَوْ سَكَتَّ عَنْهُ لَمْ تَأْثَمْ وَلَمْ تَتَضَرَّرْ في حَالٍ أَوْ مَآلٍ، كَمَا إِذَا حَكَيْتَ قَوْمًا أَسْفَارَكَ[1]، وَمَا رَأَيْتَ فِيهَا مِنْ جِبَالٍ وَأَنْهَارٍ وَمَشَايِخِ الْبِلَادِ وَأَحْوَالِهِمْ، فَإِنَّكَ في ذَلِكَ مُضَيِّعٌ أَوْقَاتَكَ، وَأَوْقَاتَ الْمُسْتَمِعِينَ، وَمُحَاسَبٌ عَلَى عَمَلِ لِسَانِكَ، وَإِنْ مُزِجَتْ بِحِكَايَاتِكَ زِيَادَةٌ أَوْ نُقْصَانٌ[2] وَتَزْكِيَةُ نَفْسٍ فَأَنْتَ آثِمٌ وَكَذَا صَاحِبُكَ؛ مَثَلًا إِذَا سَأَلْتَ رَجُلًا أَنْتَ صَائِمٌ، فَإِنْ سَكَتَ تَأَذَّيْتَ، وَإِنْ قالَ: لَا، كَذَبَ، وَإِنْ قَالَ: نَعَمْ، اسْتَبْدَلَ سِرَّ عَمَلِهِ جَهْرًا، فَدَخَلَ عَلَيْهِ الرِّيَاءُ.

وَمِنَ آفَاتِ الْكَلَامِ فُضُولُ الْكَلَامِ، وَهُوَ أَنْ يَزِيدَ عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ، وَهُوَ أَيْضًا مَذْمُومٌ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِثْمٌ وَلَا ضَرَرٌ.

وَمِنَ الْآفَاتِ: الْخَوْضُ في الْبَاطِلِ، وَهُوَ الْكَلَامُ في الْمَعَاصِي، كَحِكَايَاتِ أَحْوَالِ النِّسَاءِ، وَمَجَالِسِ الْخَمْرِ، وَمَقَامَاتِ الْفُسَّاقِ، وَتَنَعُّمِ الْأَغْنِيَاءِ، وَتَجَبُّرِ الْمُلُوكِ وَأَحْوَالِهِمُ الْمَذْمُومَةِ، وَكُلُّ ذَلِكَ حَرَامٌ لَا يَحِلُّ الْخَوْضُ فِيهِ.

---

(1) تذكر لهم أسفارك، في الإحياء: 3/ 113.

(2) لم يمتزج بحكايتك زيادة ولا نقصان، في الإحياء: 3/ 113.

وَأَمَّا الْكَلَامُ فِيمَا لَا يَعْنِي أَوْ أَكْثَرَ فِيمَا يَعْنِي، فَهُوَ تَرْكُ الْأَوْلَى وَلَا تَحْرِيمَ فِيهِ، إِلَّا أَنَّهُ يُكْرَهُ، إِذْ لا يُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْخَوْضُ في الْبَاطِلِ؛ مِثْلَ حِكَايَةِ الْبِدَعِ وَالْمَذَاهِبِ الْفَاسِدَةِ، وَمُحَارَبَاتِ الصَّحَابَةِ عَلَى وَجْهٍ يُوهِمُ الطَّعْنَ فِي بَعْضِهِمْ[1].

وَمِنَ الْآفَاتِ: الْمِرَاءُ وَالْمُجَادَلَةُ، وَذَلِكَ مَنْهِيٌّ عَنْهُ، وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُمَارِ أَخَاكَ وَلَا تُمَازِحْهُ وَلَا تَعِدْهُ مَوْعِدًا فَتُخْلِفَهُ»[2].

وَنَظَائِرُ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ فِي الْأَخْبَارِ.

وَالْمِرَاءُ: اعْتِرَاضٌ عَلَى كَلَامِ الْغَيْرِ بِإِظْهَارِ خَلَلٍ فِيهِ؛ وَتَرْكُهُ تَرْكَ الْإِنْكَارِ وَالِاعْتِرَاضِ؛ وَالْخَلَلُ إِمَّا في اللَّفْظِ، أَوْ في الْمَعْنَى، أَوْ قَصْدِ الْمُتَكَلِّمِ. فَكُلُّ كَلَامٍ سَمِعْتَهُ فَإِنْ كَانَ حَقًّا فَصَدِّقْهُ، وَإِنْ كانَ بَاطِلًا وَلَمْ يَكُنْ مُتَعَلِّقًا بِأُمُورِ الدِّينِ فَاسْكُتْ عَنْهُ. ثُمَّ الْخَلَلُ في اللَّفْظِ تَارَةً يَكُونُ مِنْ قُصُورِ الْمَعْرِفَةِ، وَتَارَةً بِطُغْيَانِ اللِّسَانِ، وَكَيْفَمَا كَانَ فَلَا وَجْهَ لِإِظْهَارِ خَلَلِهِ؛ وَأَمَّا في الْمَعْنَى بِأَنْ يَقُولَ: أَخْطَأْتَ فِيهِ؛ وَأَمَّا في قَصْدِهِ بِأَنْ يَقُولَ: الْكَلَامُ حَقٌّ، وَلَكِنْ قَصْدُكَ مِنْهُ لَيْسَ بِحَقٍّ.

وَهَذَا الْجِنْسُ إِنْ جَرَى فِي مَسْأَلَةٍ عِلْمِيَّةٍ خُصَّ بِاسْمِ الْجِدَالِ، وَهُوَ أَيْضًا مَذْمُومٌ يَجِبُ السُّكُوتُ، أَوِ السُّؤَالُ فِي مَعْرِضِ الِاسْتِفَادَةِ لَا الْمُجَادَلَةِ وَالْعِنَادِ

(1) الإحياء: 3/ 113ـ115.

(2) الأدب المفرد للبخاري: 142، رقم: 394، والجامع الكبير للترمذي: 3/ 531، رقم: 1995، والإحياء: 2/ 180.

وَالْعُنْفِ. وَآيَةُ ذَلِكَ: أَنْ يَكُونَ تَنْبِيهُهُ لِلْحَقِّ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى مَكْرُوهًا عِنْدَهُ، فَالْجَوَابُ: أَنْ يَسْكُتَ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَأْثَمُ بِتَرْكِهِ، وَالْبَاعِثُ عَلَى ذَلِكَ إِظْهَارُ الْفَضْلِ، وَهِيَ مِنْ دَعْوَى الْغُلُوِّ وَالْكِبْرِيَاءِ، وَتَنْقِيصِ الْغَيْرِ، وَهُوَ مُقْتَضَى طَبْعِ السَّبُعِيَّةِ، وَأَشَدُّ ذلكَ مَا وَقَعَ فِي الْمَذَاهِبِ وَالْعَقَائِدِ، إِذْ يَظُنُّ عَلَيْهِ ثَوَابًا، فَيَتَأَكَّدُ الطَّبْعُ بِالشَّرْعِ، وَذَلِكَ خَطَأٌ مَحْضٌ. بَلْ يَنْبَغِي لِلْإِنْسانِ أَنْ يَكُفَّ لِسَانَهُ عَنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، بَلِ اللَّائِقُ أَنْ يَتَلَطَّفَ فِي نُصْحِهِ عَلَى خَلْوَةٍ، بَلْ رُبَّمَا تَسْتَمِرُّ الْبِدْعَةُ فِي قَلْبِهِ بِالْجَدَلِ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَعْرِفَ أَنَّ النُّصْحَ لَا يَنْفَعُهُ اشْتَغَلَ بِنَفْسِهِ وَتَرَكَهُ[1].

وَمِنَ الْآفَاتِ: **الْخُصُومَةُ**، وَهِيَ أَيْضًا مَذْمُومَةٌ، وَهُوَ وَرَاءَ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ. فَالْمِرَاءُ: طَعْنٌ فِي كَلَامِ الْغَيْرِ لِإِظْهَارِ خَلَلٍ فِيهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرْتَبِطَ بِهِ غَرَضٌ سِوَى تَحْقِيرِ الْغَيْرِ وَإِظْهَارِ مَزِيَّةِ الْكِيَاسَةِ.

وَالْجِدَالُ: عِبَارَةٌ عَنْ مِرَاءٍ يَتَعَلَّقُ بِإِظْهَارِ الْمَذَاهِبِ وَتَقْرِيرِهَا.

وَالْخُصُومَةُ: لَجَاجٌ فِي الْكَلَامِ لِيَسْتَوْفِيَ بِهِ مَالًا أَوْ حَقًّا مَقْصُودًا، وَذَلِكَ تَارَةً يَكُونُ ابْتِدَاءً، وَتَارَةً يَكُونُ اعْتِرَاضًا.

وَالْمِرَاءُ لا يَكُونُ إِلَّا بِالِاعْتِرَاضِ على كَلَامٍ سَبَقَ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُخَاصِمَ لِإِظْهَارِ الْحَقِّ بِالشَّرْعِ مِنْ غَيْرِ لَدَدٍ[2] وَإِسْرَافٍ، وَزِيَادَةِ لَجَاجَةٍ عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ فَفِعْلُهُ لَيْسَ بِحَرَامٍ، لَكِنِ الْأَوْلَى تَرْكُهُ مَا وُجِدَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، إِذِ

---

(1) الإحياء: 3/ 117 ـ 118.

(2) لَدَدْتُ فُلانًا أَلُدُّهُ إذا جَادَلْتَهُ فغلبتَهُ، وَأَلَدَّهُ يَلُدُّهُ: خَصَمَهُ. اللسان/ لدد.

الْخُصُومَةُ تُوغِرُ الصَّدْرَ، وَتُهَيِّجُ الْغَضَبَ، وَيَبْقِي الْحِقْدُ بَيْنَهُمَا. وَأَقَلُّ مَا فِيهِ تَشْوِيشُ خَاطِرِهِ حَتَّى فِي صَلَاتِهِ، وَكَذَا الْحَالُ فِي الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ. وَمَنِ اقْتَصَرَ عَلَى الْوَاجِبِ فِي خُصُومَتِهِ سَلِمَ عَنِ الْإِثْمِ، إِلَّا أَنَّهُ عَسِيرٌ جِدًّا؛ فَلِهَذَا يَكُونُ تَارِكًا لِلْأَوْلَى.

وَمِنَ **الْآفَاتِ**: التَّقَعُّرُ فِي الْكَلَامِ؛ بِالتَّشَدُّقِ وَتَكَلُّفِ السَّجْعِ وَالْفَصَاحَةِ وَالتَّصَنُّعِ فِيهِ، وَهُوَ التَّكَلُّفُ الْمَمْقُوتُ، وَمِنْهُ: التَّشْبِيبُ وَالْمُقَدِّمَةُ الْمَصْنُوعَةُ الْمُتَكَلَّفَةُ وَالْأَسْجَاعُ الْمُتَكَلَّفَةُ؛ وَإِنَّمَا مَقْصُودُ الْكَلَامِ تَفْهِيمُ الْغَرَضِ وَوَرَاءَ ذَلِكَ تَصَنُّعٌ مَذْمُومٌ، إِلَّا أَنْ يَقْصِدَ الْوَعْظَ وَتَأْثِيرَ الْقُلُوبِ فَيَأْتِيَ بِالْأَلْفَاظِ الرَّشِيقَةِ[1].

وَمِنَ **الْآفَاتِ**: الْفُحْشُ وَالسَّبُّ وَبَذَاءَةُ اللِّسَانِ، وَهُوَ مَنْهِيٌّ عَنْهُ وَمَذْمُومٌ. وَمَصْدَرُهُ الْخُبْثُ وَاللُّؤْمُ، [وَأَمَّا الْكِنَايَاتُ الَّتِي يَسْتَعْمِلُهَا أَهْلُ الصَّلَاحِ][2] مِثْلَ الْكِنَايَةِ فِيمَا يَقْبُحُ ذِكْرُهُ، كَالْوِقَاعِ وَاللَّمْسِ، وَكَذَا قَضَاءُ الْحَاجَةِ فِي الْكِنَايَةِ عَنِ التَّغَوُّطِ وَالْبَوْلِ، وَنَحْوَ أَنْ يَذْكُرَ زَوْجَتَهُ بِأَنْ يَقُولَ: قَالَتْ أُمُّ الْأَوْلَادِ كَذَا، أَوْ قَالَ مَنْ بِالْحُجْرَةِ، أَوْ مِنْ وَرَاءِ السِّتْرِ كَذَا، وَكَذَا يَقُولُ: الدَّاءُ الَّذِي يَشْكُوهُ، فِي الْجُذَامِ وَالْبَرَصِ وَنَحْوِهِمَا[3].

---

(1) الإحياء: 3/ 119 ـ 120.

(2) زيادة من أنطاليا.

(3) الإحياء: 3/ 121 ـ 122.

وَمِنَ الْآفَاتِ: اللَّعْنُ إِمَّا لِحَيَوَانٍ، أَوْ لِجَمَادٍ، [أَوْ لِإِنْسَانٍ][1]، وَكُلُّ ذَلِكَ مَذْمُومٌ. وَاللَّعْنُ طَرْدٌ وَإِبْعَادٌ عَنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَذَلِكَ غَيْرُ جَائِزٍ إِلَّا عَلَى مَنْ يَتَّصِفُ بِصِفَةٍ تُبْعِدُ مِنَ اللهِ، وَهُوَ الْكُفْرُ أَوِ الظُّلْمُ، بِأَنْ يَقُولَ: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[2]، أَوْ عَلَى الْكَافِرِينَ. وَأَمْرُ اللَّعْنَةِ عَلَى خَطَرٍ، وَلَهُ ثَلَاثُ مَرَاتِبَ:

الْأُولَى: اللَّعْنُ بِالْوَصْفِ الْأَعَمِّ، كَاللَّعْنِ عَلَى الْكَافِرِينَ وَالْمُبْتَدِعَةِ وَالْفَسَقَةِ.

وَالثَّانِيَةُ: اللَّعْنُ بِأَوْصَافٍ أَخَصَّ مِنْهُ، كَاللَّعْنِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسِ وَالْقَدَرِيَّةِ وَالْخَوَارِجِ وَالرَّوَافِضِ وَالزُّنَاةِ وَآكِلِي الرِّبَا وَالظَّلَمَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَكُلُّ ذَلِكَ جَائِزٌ، إِلَّا أَنَّ فِي الْمُبْتَدِعَةِ نَظَراً؛ لِأَنَّ مَعْرِفَةَ الْبِدْعَةِ غَامِضٌ.

وَالثَّالِثَةُ: اللَّعْنُ عَلَى الشَّخْصِ، وَذَلِكَ لَا يَجُوزُ إِلَّا مَنْ ثَبَتَتْ لَعْنَتُهُ شَرْعًا، كَفِرْعَوْنَ وَأَبِي جَهْلٍ. وَأَمَّا اللَّعْنُ عَلَى يَهُودِيٍّ مُعَيَّنٍ بِأَنْ يُقَالَ: لَعَنَهُ اللهُ إِنْ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ فَجَائِزٌ.

وَأَمَّا اللَّعْنُ مُطْلَقًا فَذَلِكَ مُرَدَّدٌ بَيْنَ التَّقْيِيدِ الْمَذْكُورِ وَعَدَمِهِ فَفِيهِ خَطَرٌ؛ لِأَنَّهُ رُبَّمَا يُسْلِمُ فَيَمُوتُ مُقَرَّبًا عِنْدَ اللهِ تَعَالَى فَلَا يَكُونُ مَلْعُونًا، وَلَا يُقَاسُ هَذَا بِقَوْلِكَ: رَحِمَهُ اللهُ لِمُسْلِمٍ، لِأَنَّ مَعْنَاهُ: ثَبَّتَهُ اللهُ عَلَى الْإِسْلَامِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ الرَّحْمَةِ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: ثَبَّتَ اللهُ الْكَافِرَ عَلَى الْكُفْرِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ اللَّعْنَةِ.

---

(1) زيادة من أنطاليا.

(2) سورة هود الآية: 18.

وَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا فِي الْكَافِرِ، فَهُوَ فِي زَيْدٍ الْفَاسِقِ، أَوْ عَمْرٍو الْمُبْتَدِعِ أَوْلَى، إِلَّا أَنْ يَقَعَ اللَّعْنُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وَسَلَّمَ كَأَبِي جَهْلٍ وَأَضْرَابِهِ.

وَعَلَى الْجُمْلَةِ، فَفِي لَعْنَةِ الْأَشْخَاصِ خَطَرٌ فَلْيُجْتَنَبْ. وَلَا خَطَرَ فِي السُّكُوتِ عَنْ لَعْنَةِ إِبْلِيسَ فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِ. وَأَمَّا لَعْنُ يَزِيدَ فَالْأَسْلَمُ عَدَمُهُ، إِذْ لَمْ يَثْبُتْ أَنَّهُ قَتَلَهُ، أَوْ أَمَرَ بِهِ، أَوْ رَضِيَ بِهِ، أَوْ فَرِحَ بِهِ، وَإِنْ ثَبَتَ ذَلِكَ فَلَمْ يَثْبُتْ أَنَّهُ مَاتَ بِلَا تَوْبَةٍ، نَعَمْ؛ إِنْ قَالَ: قَاتِلُ الْحُسَيْنِ إِنْ مَاتَ بِلَا تَوْبَةٍ لَعَنَهُ اللهُ(1).

وَمِنَ الْآفَاتِ: الشِّعْرُ، لِأَنَّهُ كَلَامٌ حَسَنُهُ حَسَنٌ، وَقَبِيحُهُ قَبِيحٌ، إِلَّا أَنَّ التَّجَرُّدَ لَهُ مَذْمُومٌ. نَعَمْ إِنْشَادُهُ وَنَظْمُهُ لَيْسَ بِحَرَامٍ مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ كَلَامٌ مَكْرُوهٌ أَوْ كَذِبٌ، وَأَمَّا الْمُبَالَغَةُ فَمِنْ صَنْعَةِ الشِّعْرِ، وَقَدْ أُنْشِدَ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مَا فِيهِ مُبَالَغَةٌ.

وَمِنَ الْآفَاتِ: الْمُزَاحُ، وَأَصْلُهُ مَذْمُومٌ مَنْهِيٌّ عَنْهُ إِلَّا قَدْرًا يَسِيرًا يُسْتَثْنَى مِنْهُ، وَهُوَ الْمُدَاوَمَةُ؛ لِأَنَّهَا اشْتِغَالٌ بِاللَّعِبِ وَالْهَزْلِ، وَاللَّعِبُ مُبَاحٌ وَلَكِنَّ الْمُوَاظَبَةَ عَلَيْهِ مَذْمُومَةٌ. وَأَمَّا الْإِفْرَاطُ فِيهِ فَإِنَّهُ يُورِثُ كَثْرَةَ الضَّحِكِ الْمُمِيتِ لِلْقَلْبِ، وَيُورِثُ الضَّغِينَةَ أَحْيَانًا، وَيُسْقِطُ الْمَهَابَةَ وَالْوَقَارَ، فَمَا يَخْلُو عَنْ هَذِهِ الْأُمُورِ لَا يُذَمُّ، وَهُوَ الَّذِي يَقَعُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلِهَذَا قَالَ: «إِنِّي لَأَمْزَحُ وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا»(2).

---

(1) الإحياء: 3/ 123 ـ 125.

(2) المعجم الكبير للطبراني: 12/ 391، رقم: 13443، والعلل الواردة في الأحاديث النبوية: 12/ 406، رقم: 2834، والإحياء: 3/ 128.

إِلَّا أَنَّ غَيْرَهُ إِنْ فَتَحَ عَلَيْهِ هَذَا الْبَابَ كَانَ غَرَضُهُ أَنْ يُضْحِكَ النَّاسَ كَيْفَمَا كَانَ فَيُذَمُّ.

وَمِنَ الْآفَاتِ: **السُّخْرِيَةُ وَالِاسْتِهْزَاءُ**، وَهَذَا مُحَرَّمٌ مَهْمَا كَانَ مُؤْذِيًا، وَمَعْنَاهَا: الِاسْتِحْقَارُ وَالِاسْتِهَانَةُ وَالتَّنْبِيهُ عَلَى الْعُيُوبِ وَالنَّقَائِصِ عَلَى وَجْهٍ يُضْحَكُ مِنْهُ، وَقَدْ يَكُونُ بِالْمُحَاكَاةِ فِي الْفِعْلِ وَالْقَوْلِ، وَقَدْ يَكُونُ بِالْإِشَارَةِ وَالْإِيمَاءِ. وَإِذَا كانَ بِحَضْرَةِ الْمُسْتَهْزَئِ بِهِ لَمْ يُسَمَّ ذَلِكَ غِيبَةً، وَفِيهِ مَعْنَى الْغِيبَةِ، وَمِنْهَا الضَّحِكُ عَلى خَطِّهِ وَعلَى كَلَامِهِ وَصَنْعَتِهِ وَصُورَتِهِ وَخِلْقَتِهِ، أَمَّا إِذَا كَانَ الْمُسْتَهْزَأُ بِهِ مِمَّنْ جعَلَ نَفْسَهُ مَسْخَرَةً لَا يَتَأَذَّى بِهِ بَلْ يَفْرَحُ يَكُونُ مِنْ قَبِيلِ الْمُزَاحِ وَفِي حُكْمِهِ.

وَمِنَ الْآفاتِ: **إِفْشَاءُ السِّرِّ**، وَهُوَ مَنْهِيٌّ عَنْهُ لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِيذَاءِ وَالتَّهَاوُنِ بِحَقِّ الْمَعَارِفِ وَالْأَصْدِقَاءِ، وَهُوَ حَرَامٌ إِذَا كَانَ فِيهِ إِضْرَارٌ، وَلُؤْمٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِضْرَارٌ[1].

وَمِنَ الْآفَاتِ: **الْوَعْدُ الْكَاذِبُ**، فَإِنَّ اللِّسَانَ سَبَّاقٌ إِلَى الْوَعْدِ، وَالنَّفْسُ رُبَّمَا لَا تَسْمَحُ بِالْوَفَاءِ، فَيَصِيرُ الْوَعْدُ خُلْفًا، وَذَلِكَ مِنْ أَمَارَاتِ النِّفَاقِ.

وَمِنَ الْآفَاتِ: **الْكَذِبُ فِي الْقَوْلِ وَالْيَمِينِ**، وَهُوَ مِنْ قَبَائِحِ الذُّنُوبِ، وَفَوَاحِشِ الْعُيُوبِ، إِلَّا فِيمَا لَا يُمْكِنُ التَّوَصُّلُ إِلَى أَمْرٍ مَحْمُودٍ إِلَّا بِهِ، فَإِنَّ الْكَلامَ وَسِيلَةٌ إِلَى الْمَقَاصِدِ، فَكُلُّ مَقْصُودٍ مَحْمُودٍ أَمْكَنَ التَّوَصُّلُ إِلَيْهِ بِالصِّدْقِ وَالْكَذِبِ معًا

---

(1) الإحياء: 3/ 131 ـ 132.

فَالْكَذِبُ فِيهِ حَرَامٌ، وَإِنْ أَمْكَنَ التَّوَصُّلُ إِلَيْهِ بِالْكَذِبِ فَقَطْ فَالْكَذِبُ فِيهِ مُبَاحٌ إِنْ كانَ الْمَقْصُودُ مُبَاحًا، وَوَاجِبٌ إِنْ كانَ وَاجِبًا؛ مَثَلًا: إِذَا كانَ فِي الصِّدْقِ سَفْكُ دَمِ مُسْلِمٍ مَظْلُومٍ فَالْكَذِبُ وَاجِبٌ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ إِلَّا بِالْكَذِبِ فَهُوَ مُبَاحٌ. إِلَّا أَنَّهُ لَا يَفْتَحُ هَذَا الْبَابَ إِلَّا بِقَدْرِ الضَّرُورَةِ، لِئَلَّا تَتَعَوَّدَ النَّفْسُ بِذَلِكَ، وَأَيْضًا فِيهِ غُرُورٌ كَثِيرٌ، إِذْ قَدْ يَكُونُ الْبَاعِثُ حَظَّهُ وَغَرَضَهُ. فَلْيَعْلَمْ أَنَّ الْمَقْصُودَ هَلْ هُوَ أَهَمُّ فِي الشَّرْعِ مِنَ الصِّدْقِ أَمْ لَا، وَذَلِكَ غَامِضٌ جِدًّا، فَالْحَزْمُ فِي تَرْكِهِ إِلَّا أَنْ لَا يَجِدَ رُخْصَةً فِي تَرْكِهِ أَصْلًا.

وَمِنْ ذَلِكَ الْقَبِيلِ خَطَأُ مَنْ ظَنَّ جَوَازَ وَضْعِ الْأَحَادِيثِ فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ، وَهَذَا خَطَأٌ عَظِيمٌ، إِذْ هَذَا الْغَرَضُ لَا يُقَاوِمُ مَحْذُورَ الْكَذِبِ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ الَّتِي لَا يُقَاوِمُهَا شَيْءٌ.

ثُمَّ إِنَّ السَّلَفَ قَالُوا: «إِنَّ فِي الْمَعَارِيضِ مَنْدُوحَةً عَنِ الْكَذِبِ»[1]، رُوِيَ ذَلِكَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ، وَكَذَا عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، هَذَا إِذَا دَعَاهُ حَاجَةٌ، وَإِلَّا فَلَا يَجُوزُ التَّصْرِيحُ وَالتَّعْرِيضُ مَعًا. وَلَكِنَّ التَّعْرِيضَ أَهْوَنُ كَقَوْلِكَ: اللهُ يَعْلَمُ، مَا قُلْتُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ، فَيَكُونُ قَوْلُهُ "مَا" حَرْفَ نَفْيٍ عِنْدَكَ مِنَ الْإِبْهَامِ، وَيَتَوَهَّمُهُ الْمُسْتَمِعُ حَرْفَ النَّفْيِ[2].

---

(1) شعب الإيمان: 4/ 204، رقم: 4795، والتمهيد لابن عبد البر: 10/ 285، ونهاية المطلب في دراية المذهب: 18/ 84.

(2) الإحياء: 3/ 139.

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ إِذَا طَلَبَهُ فِي الدَّارِ مَنْ يَكْرَهُ قَالَ لِلْجَارِيَةِ: قُولِي لَهُ اطْلُبْهُ فِي الْمَسْجِدِ، وَكانَ لَا يَقُولُ: لَيْسَ هُوَ هَهُنَا كَيْلَا يَكُونَ كَاذِبًا.

وَكانَ الشَّعْبِيُّ يَخُطُّ خَطًّا وَيَقُولُ لِلْجَارِيَةِ: ضَعِي إِصْبَعَكِ فِيهَا وَقُولِي: لَيْسَ هُوَ هَهُنَا. هَذَا كُلُّهُ فِي مَوْضِعِ الْحَاجَةِ وَإِلَّا فَهُوَ مَكْرُوهٌ لِأَنَّهُ تَفْهِيمُ لِلْكَذِبِ. إِلَّا أَنَّ الْحَاجَةَ فِي الْمَعَارِيضِ خَفِيفَةٌ؛ كَتَطْيِيبِ قَلْبِ الْغَيْرِ بِالْمُزَاحِ، كَمَا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَجُوزٌ»[1]. وَ «فِي عَيْنِ زَوْجِكَ بَيَاضٌ»[2]. وَ «نَحْمِلُكَ عَلَى ابْنِ الْبَعِيرِ»[3]. وَمَا أَشْبَهَهُ.

وَأَمَّا صَرِيحُ الْكَذِبِ مُطَايَبَةً فَلَيْسَ بِفِسْقٍ، وَلَكِنَّهُ يُتْرَكُ، كَمَا يُلَاعِبُ النَّاسُ الْحَمْقَى بِتَغْرِيرِهِمْ بِأَنَّ امْرَأَةً رَغِبَتْ فِي تَزَوُّجِكَ، فَإِنْ كانَ فِيهِ ضَرَرٌ وَإِيذَاءُ قَلْبٍ فَهُوَ حَرَامٌ. وَمِنَ الْكَذِبِ الَّذِي لَا يُوجِبُ الْفِسْقَ قَوْلُهُمْ: طَلَبْتُكَ مِئَةَ مَرَّةٍ، إِذْ لَا يُرِيدُ تَفْهِيمَ الْمَرَّاتِ بَلِ الْكَثْرَةَ، فَإِنْ طَلَبَ كَثِيرًا لَمْ يَأْثَمْ. وَمِنْ ذَلِكَ الْقَبِيلِ قَوْلُهُمْ: لَا أَشْتَهِيهِ، إِذَا قِيلَ لَهُ: كُلِ الطَّعَامَ، وَهُوَ حَرَامٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ غَرَضٌ صَحِيحٌ[4].

وَمِنَ الْآفَاتِ: الْغِيبَةُ، وَقَدْ نَصَّ اللهُ تَعَالَى عَلَى ذَمِّهَا، وَشَبَّهَ صَاحِبَهَا بِآكِلِ لَحْمِ الْمَيْتَةِ، وَقَدْ ذَمَّهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَهِيَ: أَنْ تَذْكُرَ أَخَاكَ

---

(1) أخلاق النبي وآدابه: 1/ 489، والبعث والنشور للبيهقي: 217، رقم: 346، والإحياء: 3/ 140.

(2) الإحياء: 3/ 140، والشفا: 2/ 424.

(3) هذه رواية الإحياء: 3/ 129، وفي الشمائل: 196، رقم: 239، برواية: «إني حاملك على ولد الناقة».

(4) الإحياء: 3/ 140.

بِمَا يَكْرَهُهُ لَوْ بَلَغَهُ؛ سَوَاءٌ ذَكَرْتَ نُقْصَانًا في بَدَنِهِ، أَوْ فِي نَسَبِهِ، أَوْ في خَلْقِهِ، أَوْ في فِعْلِهِ وَقَوْلِهِ، أَوْ في دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، حَتَّى في ثَوْبِهِ وَدَارِهِ وَدَابَّتِهِ. ثُمَّ إِنَّهَا لا تَقْتَصِرُ عَلَى اللِّسَانِ، بَلِ التَّعْرِيضُ فِيهِ كَالتَّصْرِيحِ، وَالْفِعْلُ فِيهِ كَالْقَوْلِ وَالْإِشَارَةِ وَالْإِيمَاءِ وَالرَّمْزِ وَالْغَمْزِ وَالْحَرَكَةِ وَالْكِنَايَةِ، وَكُلِّ مَا يُفْهِمُ الْمَقْصُودَ، وَكُلُّ ذَلِكَ حَرَامٌ.

وَمِنْ ذَلِكَ ذِكْرُ الْمُصَنِّفِينَ شَخْصًا مُعَيَّنًا، وَتَهْجِينُ كَلَامِهِ، اللَّهُمَّ إِلَّا لِعُذْرٍ مُحْوِجٍ إِلَى ذَلِكَ.

وَمِنْ أَخْبَثِ أَنْوَاعِهَا قَوْلُ الْقُرَّاءِ الْمُرَائِينَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَبْتَلِنَا بِالدُّخُولِ عَلَى السُّلْطَانِ، وَالتَّبَذُّلِ[1] فِي طَلَبِ الْحُطَامِ، عِنْدَ ذِكْرِ شَخْصٍ حَالهُ كَذَلِكَ؛ أَوْ يَقُولُ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ قِلَّةِ الْحَيَاءِ، فَإِنَّ في ذَلِكَ ذَمَّ الْغَيْرِ مَعَ الرِّيَاءِ؛ وَكَذَلِكَ رُبَّمَا يَقُولُ: مَا أَحْسَنَ فُلانًا لَوْلَا تَقْصِيرُهُ في الْعِبَادَاتِ، وَلَكِنَّهُ ابْتُلِيَ بِمَا ابْتُلِينَا، فَيَذُمُّ غَيْرَهُ وَيَمْدَحُ نَفْسَهُ بِالتَّشَبُّهِ بِالصَّالِحِينَ فِي ذَمِّ أَنْفُسِهِم، فَيَغْتَابُ وَيُرَائِي وَيُزَكِّي نَفْسَهُ؛ وَكَذَلِكَ يَقُولُ: ذَلِكَ الْمِسْكِينُ قَدِ ابْتُلِيَ بِكَذَا تَابَ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْنَا، فَيُظْهِرُ الدُّعَاءَ، وَيَدَّعِي الِاغْتِمَامَ[2].

وَأَسْبَابُ الْغِيبَةِ أَحَدَ عَشَرَ:

أَحَدُهَا: تَشَفِّي الْغَيْظِ بِذِكْرِ مَسَاوِئِهِ.

---

(1) التبذل: ترك التصاون، والابتذال: ضد الصيانة. اللسان: بذل.

(2) الإحياء: 3/ 143 ـ 145.

وَثَانِيهَا: مُوَافَقَةُ الْأَقْرَانِ وَمُسَاعَدَتُهُمْ، وَيَرَى ذَلِكَ مِنْ حُسْنِ الْمُعَاشَرَةِ.

وَثَالِثُهَا: أَنْ يَسْتَشْعِرَ مِنْ إِنْسَانٍ أَنَّهُ سَيَقْصِدُهُ وَيُطَوِّلُ لِسَانَهُ فِيهِ، أَوْ يُقَبِّحُ حَالَهُ عِنْدَ مُحْتَشِمٍ، فَيُبَادِرُهُ وَيَطْعَنَ فِيهِ لِيُسْقِطَ أَثَرَ شَهَادَتِهِ.

وَرَابِعُهَا: أَنْ يُنْسَبَ إلى شَيْءٍ فَيَذْكُرَ أَنَّ الَّذِي فَعَلَهُ فُلَانٌ، وَتَبَرَّأَ مِنْهُ، مَعَ أَنَّ التَّبَرُّؤَ يَحْصُلُ بِأَنْ لَا يَذْكُرَ الْغَيْرَ بِشَخْصِهِ.

وَخَامِسُهَا: أَنْ يَنْسُبَ النَّقْصَ إِلى غَيْرِهِ، وَيَقْصِدَ بِذَلِكَ إِثْبَاتَ فَضْلِ نَفْسِهِ.

وَسَادِسُهَا: أَنْ يَقْدَحَ عِنْدَ مَنْ يُحِبُّ ذَلِكَ الشَّخْصَ حَسَدًا لِإِكْرَامِهِمْ وَمَحَبَّتِهِمْ.

وَسَابِعُهَا: أَنْ يَقْصِدَ اللَّعِبَ وَالْهَزْلَ وَالْمُطَايَبَةَ وَيُضْحِكَ النَّاسَ عَلَيْهِ.

وَثَامِنُهَا: السُّخْرِيَّةُ وَالِاسْتِهْزَاءُ اسْتِحْقَارًا لَهُ فِي الْغِيبَةِ.

وَتَاسِعُهَا: أَنْ يَتَعَجَّبَ مِنْ فِعْلِهِ الْمُنْكَرِ، وَهذا مِنَ الدِّينِ لَكِنْ أَدَّى إِلَى الْغِيبَةِ بِذِكْرِ اسْمِهِ فَصَارَ مُغْتَابًا مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي.

وَعَاشِرُهَا: أَنْ يَغْتَمَّ لِسَبَبِ مَا يُبْتَلَى بِهِ، فَيَقُولَ: مِسْكِينٌ فُلَانٌ قَدْ غَمَّنِي أَمْرُهُ وَمَا ابْتُلِيَ بِهِ، وَغَمُّهُ وَرَحْمَتُهُ خَيْرٌ لَكِنْ سَاقَهُ إِلَى شَرٍّ، وَهُوَ الْغِيبَةُ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي.

وَالْحَادِي عَشَرَ مِنْهَا: الْغَضَبُ لِلَّهِ عَلَى مُنْكَرٍ قَارَفَهُ إِنْسَانٌ، فَيُظْهِرُ غَضَبَهُ وَيَذْكُرُ اسْمَهُ، وَكَانَ الْوَاجِبُ أَنْ يُظْهِرَ غَضَبَهُ عَلَى فَاعِلِهِ، وَلَا يُظْهِرَهُ عَلَى

غَيْرِهِ، بَلْ يَسْتُرُ اسْمَهُ. وَهَذِهِ الْأَسْبَابُ الثَّلَاثَةُ الْأَخِيرَةُ مِمَّا يَغْمُضُ على الْعُلَمَاءِ فَضْلًا عَنِ الْعَوَامِّ[1].

إِذَا عَرَفْتَ أَسْبَابَ الْغِيبَةِ، فَاعْلَمْ أَنَّ عِلَاجَهُ عَلَى الْجُمْلَةِ أَنْ يَتَذَكَّرَ مَضَرَّةَ الْغِيبَةِ، وَأَنَّهَا تُحْبِطُ حَسَنَاتِهِ وَتُثْقِلُ حَسَنَاتِ غَيْرِهِ، وَتَنْقُلُ إِلَيْهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ فَيَدْخُلُ النَّارَ، وهذا بَعْدَ الْمُطَالَبَةِ وَالسُّؤَالِ وَالْحِسَابِ.

وَعِلَاجُهُ عَلَى التَّفْصِيلِ أَنْ يَنْظُرَ فِي أَسْبَابِهَا، وَيُعَالِجَهُ بِمَا مَرَّ مِنْ مُعَالِجَاتِ الْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ، مِنَ الْغَضَبِ وَالْحَسَدِ وَالرِّيَاءِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ مِنْ أَنْوَاعِ الْغِيبَةِ، الْغِيبَةَ بِالْقَلْبِ، وَهِيَ سُوءُ الظَّنِّ، أَيْ عَقْدُ الْقَلْبِ وَالْحُكْمُ بِالسُّوءِ، وَذَلِكَ حَرَامٌ. وَأَمَّا الْخَوَاطِرُ وَحَدِيثُ النَّفْسِ بَلِ الشَّكُّ فَمَعْفُوٌّ عَنْهُ أَيْضًا.

وَأَمَارَةُ سُوءِ الظَّنِّ وَتَمْيِيزُهَا عَنْ حَدِيثِ النَّفْسِ أَنْ يَتَغَيَّرَ الْقَلْبُ مَعَهُ عَمَّا كانَ، فَيَنْفِرَ عَنْهُ نُفُورًا وَيَسْتَثْقِلَهُ، وَيَفْتُرَ عَنْ مُرَاعَاتِهِ وَإِكْرَامِهِ.

وَمِنْ ثَمَرَاتِ سُوءِ الظَّنِّ: التَّجَسُّسُ، فَيَطْلُبُ التَّحْقِيقَ، وَهُوَ مَنْهِيٌّ عَنْهُ[2].

وَاعْلَمْ أَنَّ لِلْغِيبَةِ أَعْذَارًا مُرَخِّصَةً وَهِيَ سِتَّةٌ:

الْأَوَّلُ: التَّظَلُّمُ، وَذَلِكَ لَا يُمْكِنُ بِدُونِ ذِكْرِ مَسَاوِئِ مَنْ ظَلَمَهُ.

---

(1) الإحياء: 3/ 146 ـ 147.

(2) المصدر نفسه: 3/ 151 ـ 152.

الثَّانِي: الِاسْتِغَاثَةُ[1] لِتَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ وَرَدِّ الْعَاصِي إِلَى مَنْهَجِ الْحَقِّ.

الثَّالِثُ: الِاسْتِغْنَاءُ[2]، حَيْثُ يَقُولُ: ظَلَمَنِي فُلَانٌ وَمَا حُكْمُهُ؟ إِلَّا أَنَّ الْأَوْلَى أَنْ يَقُولَ: مَا تَقُولُ فِيمَنْ ظَلَمَ أَحَدًا بِكَذَا وَكَذَا؟

الرَّابِعُ: تَحْذِيرُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ شَرِّ أَحَدٍ، فَلَا بُدَّ مِنْ ذِكْرِهِ بِاسْمِهِ.

الْخَامِسُ: أَنْ يَكُونَ اسْمُهُ يُعْرِبُ عَنْ عَيْبِهِ، كَالْأَعْرَجِ وَالْأَعْمَشِ، فَلَا إِثْمَ عَلَى مَنْ يَقُولُ. نَعَمْ: لَوْ أَمْكَنَهُ التَّعْرِيفُ بِغَيْرِ ذَلِكَ فَهُوَ أَوْلَى، وَرُبَّمَا يَقُولُونَ لِلْأَعْمَى الْبَصِيرَ عُدُولًا بِهِ عَنِ اسْمِ النَّقْصِ.

السَّادِسُ: أَنْ يَكُونَ مُجَاهِرًا بِالْفِسْقِ[3]، وَلَا يَسْتَنْكِفَ عَنْ ذِكْرِهِ، وَلَا يَكْرَهَ ذَلِكَ، فَلَا إِثْمَ فِي ذِكْرِهِ بِذَلِكَ.

وَأَمَّا كَفَّارَةُ الْغِيبَةِ أَنْ يَنْدَمَ وَيَتُوبَ وَيَتَأَسَّفَ عَلَى مَا فَعَلَهُ، ثُمَّ يَسْتَحِلَّ الْمُغْتَابَ لِيُحِلَّهُ فَيَخْرُجَ عَنْ مَظْلَمَتِهِ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَتَحَلَّلَهُ وَهُوَ حَزِينٌ مُتَأَسِّفٌ نَادِمٌ عَلَى فِعْلِهِ. وَأَمَّا الَّذِي يَسْتَحِلُّ بِلَا نَدَمٍ فَهُوَ مِرَاءٌ، وَذَلِكَ مَعْصِيَةٌ أُخْرَى. وَمَا قِيلَ: الْعِرْضُ لَا عِوَضَ لَهُ كَالْمَالِ، فَلَا يَجِبُ الِاسْتِحْلَالُ، كَلَامٌ ضَعِيفٌ، إِذْ وَجَبَ فِي الْعِرْضِ حَدُّ الْقَذْفِ. ثُمَّ الْمُرَادُ بِتَحْلِيلِ الْغِيبَةِ: الْعَفْوُ عَنِ الْمَظْلَمَةِ، لَا أَنْ يَنْقَلِبَ الْحَلَالُ حَرَامًا كَمَا ظُنَّ. وَقِيلَ: إِنَّ التَّحْلِيلَ غَيْرُ مُمْكِنٍ[4].

---

(1) الاستعانة، في الإحياء: 3/ 152.

(2) الاستفتاء، في المصدر نفسه.

(3) مجاهدا بالنفس، في الأزهرية وهو تحريف شنيع.

(4) الإحياء: 3/ 152ـ153.

وَمِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ النَّمِيمَةُ: وَهِيَ أَنْ يَنِمَّ قَوْلَ الْغَيْرِ إِلَى الْمَقُولِ فِيهِ؛ وَقِيلَ: كَشْفُ مَا يُكْرَهُ كَشْفُهُ سَوَاءٌ كَرِهَهُ الْمَنْقُولُ عَنْهُ أَوِ الْمَنْقُولُ إِلَيْهِ، أَوْ كَرِهَهُ ثَالِثٌ؛ وَسَوَاءٌ كَانَ الْكَشْفُ بِالْقَوْلِ أَوْ بِالْكُنْيَةِ أَوْ بِالرَّمْزِ أَوْ بِالْإِيمَاءِ، وَسَوَاءٌ كَانَ الْمَنْقُولُ مِنَ الْأَعْمَالِ، أَوْ مِنَ الْأَفْعَالِ، أَوْ مِنَ الْأَقْوَالِ، وَسَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ عَيْبًا وَنُقْصَانًا فِي الْمَنْقُولِ عَنْهُ أَوْ لَمْ يَكُنْ، بَلْ حَقِيقَةُ النَّمِيمَةِ إِفْشَاءُ السِّرِّ، وَهَتْكُ السِّتْرِ عَمَّا يُكْرَهُ كَشْفُهُ، بَلْ كُلُّ مَا يَرَاهُ الْإِنْسَانُ مِنْ أَحْوَالِ النَّاسِ فَيَنْبَغِي أَنْ يَسْكُتَ عَنْهُ إِلَّا مَا فِي حِكَايَتِهِ فَائِدَةٌ لِمُسْلِمٍ، أَوْ دَفْعٌ لِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ كانَ مَا يَنِمُّ بِهِ نُقْصَانًا أَوْ عَيْبًا فِي الْمَحْكِيِّ عَنْهُ، فَهُوَ غِيبَةٌ وَنَمِيمَةٌ مَعًا. وَالْبَاعِثُ عَلَى النَّمِيمَةِ إِمَّا إِرَادَةُ السُّوءِ بِالْمَحْكِيِّ عَنْهُ، أَوْ إِظْهَارُ الْحُبِّ لِلْمَحْكِيِّ لَهُ، أَوِ التَّفَرُّجُ[1] بِالْحَدِيثِ، أَوِ الْخَوْضُ فِي الْفُضُولِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ.

وَأَمَّا الَّذِي نَمَّ إِلَيْهِ فَعَلَيْهِ سِتَّةُ أُمُورٍ:

الْأَوَّلُ: أَنْ لَا يُصَدِّقَهُ لِأَنَّ النَّمَّامَ فَاسِقٌ، وَهُوَ مَرْدُودُ الشَّهَادَةِ.

الثَّانِي: أَنْ يَنْهَاهُ عَنْ ذَلِكَ وَيَنْصَحَهُ.

الثَّالِثُ: أَنْ يُبْغِضَهُ فِي اللهِ؛ لِأَنَّهُ بَغِيضٌ عِنْدَ اللهِ، فَلَا يُحِبُّ مَنْ أَبْغَضَهُ اللهُ.

الرَّابِعُ: أَنْ لَا تَظُنَّ بِأَخِيكَ الْغَائِبِ سُوءاً.

الْخَامِسُ: أَنْ لَا يَحْمِلَكَ كَلَامُهُ عَلَى التَّجَسُّسِ وَالْبَحْثِ.

---

(1) التفريج، في الأزهرية.

السَّادِسُ: أَنْ لَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ مَا نَهَيْتَ عَنْهُ النَّمَّامَ فَلَا تَحْكِيَ نَمِيمَتَهُ[1].

وَمِنَ آفَاتِ الْكَلَامِ، كَلَامُ ذِي اللِّسَانَيْنِ؛ الَّذِي يَتكَلَّمُ لِكُلٍّ مِنَ الْمُتَعَادِيَيْنِ بِكَلَامٍ يُوَافِقُهُ، وَذَلِكَ عَيْنُ النِّفَاقِ، وَإِنْ نَقَلَ كَلَامَ وَاحِدٍ إِلَى الْآخَرِ فَهُوَ نَمَّامٌ، وَإِنْ نَقَلَ كَلَامَ كُلٍّ مِنْهُمَا إِلَى الْآخَرِ فَهُوَ ذُو اللِّسَانَيْنِ، وَكَذَلِكَ إِذَا وَعَدَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِأَنْ يَنْصُرَهُ، أَوْ أَثْنَى عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ فِي مُعَادَاتِهِ، وَكَذَلِكَ إِذَا أَثْنَى عَلَى أَحَدِهِمَا وَكانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ يَذُمُّهُ فَهُوَ ذُو لِسَانَيْنِ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَسْكُتَ، أَوْ يُثْنِيَ عَلَى الْمُحِقِّ، وَيُثْنِيَ فِي حُضُورِهِ وَغَيْبَتِهِ وَبَيْنَ يَدَيْ عَدُوِّهِ[2].

وَمِنَ الْآفَاتِ، الْمَدْحُ: وَلَهُ سِتُّ آفَاتٍ: أَرْبَعٌ فِي الْمَادِحِ، وَاثْنَتَانِ فِي الْمَمْدُوحِ.

الْأُولَى: قَدْ يُفْرِطُ فَيَنْتَهِي بِهِ إِلَى الْكَذِبِ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّهُ قَدْ يَدْخُلُهُ الرِّيَاءُ، إِذْ لَا يَكُونُ قَلْبُهُ لِذَلِكَ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّهُ قَدْ يَقُولُ مَا لَا يَتَحَقَّقُهُ، وَلَا سَبِيلَ لَهُ إِلَى الِاطِّلَاعِ عَلَيْهِ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّهُ قَدْ يَمْدَحُ الظَّالِمَ وَالْفَاسِقَ.

الْخَامِسَةُ: أَنْ يُحْدِثَ فِي الْمَمْدُوحِ كِبْرًا وَإِعْجَابًا، وَهُمَا مُهْلِكَانِ.

السَّادِسَةُ: إِنَّهُ إِذَا أَثْنَى عَلَيْهِ بِالْخَيْرِ فَرِحَ بِهِ وَفَتَرَ وَرَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ، فَيَقِلُّ تَشَمُّرُهُ لِلْعَمَلِ؛ لِأَنَّهُ يَظُنُّ أَنَّهُ قَدْ أَدْرَكَ النِّهَايَةَ[3].

---

(1) الإحياء: 3/ 156.

(2) المصدر نفسه: 3/ 158 ـ 159.

(3) المصدر نفسه: 3/ 160.

وَمِنْ آفَاتِ الْكَلَامِ: الْغَفْلَةُ عَنْ دَقَائِقِ الْكَلَامِ، لَا سِيَّمَا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِاللهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ، كَقَوْلِكَ: «مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، وَالصَّوَابُ: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْتَ»[1]؛ لِأَنَّ الْوَاوَ تُفِيدُ التَّسْوِيَةَ بَيْنَ اللهِ تَعَالَى وَعَبْدِهِ؛ وَكَقَوْلِكَ: «مَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَقَدْ غَوَى»[2]. وَالصَّوَابُ: وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ، لِأَنَّ ضَمِيرَ التَّثْنِيَةِ تَسْوِيَةٌ وَجَمْعٌ، وَنَحْوَ ذَلِكَ.

وَمِنَ الْآفَاتِ: سُؤَالُ الْعَوَامِّ عَنِ اللهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ؛ لِأَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى الْكُفْرِ، وَإِنَّمَا شَأْنُ الْعَوَامِّ الِاشْتِغَالُ بِالْعِبَادَةِ، وَالْإِيمَانُ بِمَا وَرَدَ بِهِ الْقُرْآنُ، وَالتَّسْلِيمُ لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، مِنْ غَيْرِ بَحْثٍ، وَسُؤَالُهُمْ عَنْ غَيْرِ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْعِبَادَاتِ سُوءُ أَدَبٍ، يَسْتَحِقُّونَ بِهِ الْمَقْتَ، وَيَتَعَرَّضُونَ لِخَطَرِ الْكُفْرِ[3].

---

(1) الطبقات الكبرى: 8/ 309، ومسند أحمد: 3/ 339، رقم: 1839، وصحيح الأدب المفرد: 292، وسنن ابن ماجه: 1/ 164، رقم: 2117.

(2) مسند الشافعي: 67، ومسند أحمد: 30/ 182، رقم: 18247، وصحيح مسلم: 2/ 594، رقم: 870، وسنن النسائي: 6/ 90، رقم: 3279.

(3) الإحياء: 3/ 162.

الْأَصْلُ الْخَامِسُ: فِي ذَمِّ الْغَضَبِ وَالْحِقْدِ وَالْحَسَدِ

وَفِيهِ مَطَالِبُ:

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ: فِي الْغَضَبِ

وَقَدْ ذَمَّهُ اللهُ تَعَالَى وَرَسُولُهُ وَالصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ.

وَحَقِيقَتُهُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمَّا خلَقَ الْحَيَوَانَ مُعَرَّضًا لِلْفَسَادِ وَالْمَوْتَانِ، أَنَعَمَ عَلَيْهِ بِمَا يَحْمِيهِ مِنَ الْفَسَادِ، وَيَدْفَعُ عَنْهُ الْهَلَاكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى.

ثُمَّ الْفَسَادُ إِمَّا مِنَ الدَّاخِلِ، وَهُوَ أَنَّ فِي دَاخِلِهِ حَرَارَةً وَرُطُوبَةً؛ وَالْحَرَارَةُ تُفْنِي الرُّطُوبَةَ، فَأَمَدَّ اللهُ تَعَالَى الرُّطُوبَةَ بِالْأَطْعِمَةِ، فَخَلَقَ لِأَجْلِهَا شَهْوَةَ الطَّعَامِ؛ وَإِمَّا مِنْ خَارِجٍ، كَالسَّيْفِ وَالسِّنَانِ وَسَائِرِ الْمُهْلِكَاتِ، فَخَلَقَ اللهُ لِدَفْعِهَا الْغَضَبَ مِنَ النَّارِ وَعَجَنَهُ بِطِينَتِهِ، وَإِذَا اشْتَعَلَتْ نَارُ الْغَضَبِ، وَثَارَتْ ثَوَرَانًا، يَغْلِي بِهَا دَمُ الْقَلْبِ، وَيَنْتَشِرُ فِي الْعُرُوقِ، وَيَرْتَفِعُ إِلَى أَعَالِي الْبَدَنِ، ثُمَّ يَنْصَبُّ إِلَى الْوَجْهِ، فَيَحْمَرُّ الْوَجْهُ وَالْعَيْنُ، وَالْبَشَرَةُ بِصَفَائِهَا تَحْكِي لَوْنَ مَا وَرَاءَهَا مِنْ حُمْرَةِ الدَّمِ. هَذَا إِذَا غَضِبَ عَلَى مَنْ دُونَهُ وَقَدَرَ عَلَيْهِ.

أَمَّا إِذَا غَضِبَ عَلَى مَنْ فَوْقَهُ، وَكانَ مَعَهُ يَأْسٌ مِنَ الِانْتِقَامِ، تَوَلَّدَ مِنْهُ انْقِبَاضُ الدَّمِ مِنْ ظَاهِرِ الْجِلْدِ إِلَى بَاطِنِ الْقَلْبِ، وَصَارَ حُزْنًا، وَبِذَلِكَ يَصْفَرُّ اللَّوْنُ.

وَإِنْ كانَ عَلَى نَظِيرٍ يَشُكُّ فِيهِ، تَوَلَّدَ مِنْهُ تَرَدُّدُ الدَّمِ بَيْنَ انْقِبَاضٍ وَانْبِسَاطٍ، فَيَحْمَرُّ وَيَصْفَرُّ وَيَضْطَرِبُ، وَيُسَمَّى فَوْتُ مُقْتَضَى هَذِهِ الْقُوَّةِ الِانْتِقَامَ[1].

ثُمَّ النَّاسُ فِي هَذِهِ الْقُوَّةِ على دَرَجَاتٍ ثَلَاثٍ؛ لِأَنَّهُ إِمَّا مُفَرِّطٌ، وَذَلِكَ مَذْمُومٌ، وَيُقَالُ فِيهِ إِنَّهُ لَا حِمْيَةَ لَهُ، وَقَدْ وَصَفَ اللهُ تَعَالَى الصَّحَابَةَ بِالشِّدَّةِ وَالرَّحْمَةِ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[2]. وَقالَ الشَّافِعِيُّ: «مَنِ اسْتُغْضِبَ فَلَمْ يَغْضَبْ فَهُوَ حِمَارٌ»[3].

وَإِمَّا مُفْرِطٌ، وَهُوَ أَنْ تَغْلِبَ هَذِهِ الصِّفَةُ حَتَّى تَخْرُجَ عَنْ سِيَاسَةِ الْعَقْلِ وَالدِّينِ وَطَاعَتِهِمَا، وَذَلِكَ قَدْ تَكُونُ طَبِيعِيَّةً، وَقَدْ تَكُونُ مُكْتَسَبَةً، بِأَنْ يُخَالِطَ قَوْمًا يَتَبَجَّحُونَ بِتَشَفِّي الْغَيْظِ وَطَاعَةِ الْغَضَبِ، وَيُسَمُّونَ ذَلِكَ شَجَاعَةً وَرُجُولِيَّةً، وَإِنَّمَا الِاعْتِدَالُ - وَهُوَ أَحْسَنُ الدَّرَجَاتِ - أَنْ يَنْتَظِرَ إِشَارَةَ الْعَقْلِ وَالدِّينِ، فَيَنْبَعِثَ حَيْثُ تَجِبُ الْحَمِيَّةُ، وَيَنْطَفِئَ حَيْثُ يَحْسُنُ الْحِلْمُ، وَهُوَ الْوَسَطُ الَّذِي كَلَّفَ اللهُ عِبَادَهُ بِهِ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَهُوَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرِ وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ. فَإِنْ عَجَزَ فَلْيَطْلُبِ الْقُرْبَ مِنْهُ، إِذْ «بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضٍ»[4]، وَبَعْضُ الْخَيْرِ أَرْفَعُ مِنْ بَعْضٍ[5].

---

(1) الإحياء: 3/ 164 ـ 167.

(2) سورة الفتح الآية: 29.

(3) شعب الإيمان: 6/ 527، رقم: 9164، ومناقب الشافعي: 24، والإحياء: 3/ 167.

(4) يُضْرَبُ عِنْدَ ظُهورِ الشَّرَّيْنِ بَيْنَهُمَا تَفَاوُتٌ. ورد في: جمهرة الأمثال: 1/ 67، ومجمع الأمثال: 1/ 94، والمستقصى في أمثال العرب: 2/ 10.

(5) الإحياء: 3/ 169.

وَأَثَرُ هَذَا الْغَضَبِ في الْبَصِيرَةِ أَنَّهُ يُعْمِي صَاحِبَهُ، وَيُصِمُّ عَنْ كُلِّ مَوْعِظَةٍ، بَلْ زادَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَيَتَصَاعَدُ دُخَانٌ مُظْلِمٌ إلى دِمَاغِهِ بَلْ إِلَى مَعَادِنِ الْحِسِّ فَتُظْلِمُ عَيْنُهُ، وَتَسْوَدُّ عَلَيْهِ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا، وَرُبَّمَا تَقْوَى نَارُ الْغَضَبِ فَتُفْنِي الرُّطُوبَةَ الَّتِي بِهَا الْحَيَاةُ، فَيَمُوتُ صَاحِبُهُ غَيْظًا.

وَأَمَّا أَثَرُهُ في الصُّورَةِ: تَغَيُّرُ اللَّوْنِ، وَشِدَّةُ الرِّعْدَةِ فِي الْأَطْرَافِ، وَاضْطِرَابُ الْحَرَكَةِ وَالْكَلَامِ، حَتَّى يَظْهَرَ الزَّبَدُ عَلَى الْأَشْدَاقِ، وَتَحْمَرَّ الْأَحْدَاقُ، وَتَنْفَتِحَ الْمَنَاخِرُ، وَلَوْ رَأَى الْغَضْبَانُ قُبْحَ صُورَتِهِ لَسَكَنَ غَضَبُهُ حَيَاءً مِنْهُ.

وَأَمَّا أَثَرُهُ في اللِّسَانِ: فَالشَّتْمُ وَالْفُحْشُ وَقَبَائِحُ الْكَلَامِ الَّذِي يَسْتَحْيِي مِنْهُ ذَوُو الْعُقُولِ، بَلْ قَائِلُهُ أَيْضًا عِنْدَ فُتُورِ غَضَبِهِ.

وَأَمَّا أَثَرُهُ على الْأَعْضَاءِ: فَالضَّرْبُ وَالتَّهَجُّمُ وَالتَّمْزِيقُ وَالْقَتْلُ وَالْجُرْحُ عِنْدَ التَّمَكُّنِ مِنْ غَيْرِ مُبَالَاةٍ، وَإِنْ عَجَزَ عَنِ التَّشَفِّي رُبَّمَا يُمَزِّقُ ثَوْبَ نَفْسِهِ، وَيَلْطُمُ وَجْهَهُ، وَيَعْتَرِيهِ مِثْلُ الْجِنَّةِ، وَرُبَّمَا يَضْرِبُ الْجَمَادَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ.

وَأَمَّا أَثَرُهُ فِي الْقَلْبِ: فَالْحِقْدُ وَالْحَسَدُ وَإِضْمَارُ السُّوءِ، وَالشَّمَاتَةُ بِالْمَسَاءَةِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ(1).

هَذِهِ آثَارُ الْغَضَبِ، وَأَمَّا آثَارُ عَدَمِ الْحَمِيَّةِ: قِلَّةُ الْأَنَفَةِ مِنَ التَّعَرُّضِ لِلْحُرَمِ، وَاحْتِمَالُ الذُّلِّ مِنَ الْأَخِسَّاءِ، وَصِغَرُ النَّفْسِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ.

---

(1) الإحياء: 3/ 168

الْمَطْلَبُ الثَّانِي: فِي عِلَاجِ الْغَضَبِ

وَاعْلَمْ أَنَّ الْغَضَبَ إِمَّا لِأَخْذِ مَحْبُوبِهِ، أَوْ لِقَصْدِ مَكْرُوهٍ لَهُ، وَمَحْبُوبُ الْإِنْسَانِ ثَلَاثَةٌ:

الْأَوَّلُ: مَا هُوَ ضَرُورِيٌّ لِلْكَافَّةِ، وَهُوَ الْقُوتُ وَالْمَسْكَنُ وَالْمَلْبَسُ وَصِحَّةُ الْبَدَنِ، كَمَا قالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي بَدَنِهِ، وَعِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا». وَالْغَضَبُ عَلَى مَنْ يَتَعَرَّضُ لِهَذَا جَائِزٌ؛ لِأَنَّهَا مِنْ ضَرُورَاتِهِ.

الثَّانِي: مَا لَيْسَ ضَرُورِيًّا لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ؛ كَالْجَاهِ وَالْمَالِ الْكَثِيرِ، وَالْغِلْمَانِ وَالدَّوَابِّ، فَإِنَّ هَذِهِ صَارَتْ مَحْبُوبَةً بِالْعَادَةِ وَالْجَهْلِ بِمَقَاصِدِ الْأُمُورِ، فَالْغَضَبُ عَلَى هَذَا لَيْسَ بِضَرُورِيٍّ؛ لِأَنَّ حُبَّهُ لَيْسَ بِضَرُورِيٍّ، إِلَّا أَنَّ الْجُهَّالَ يُحِبُّونَ هَذِهِ وَيَتَأَلَّمُونَ لِفَوْتِهَا، فَإِذَن اِسْتِكْثَارُهُمْ أَمْثَالَ هَذِهِ جَهْلٌ آخَرُ؛ لِأَنَّهُ اِسْتِكْثَارٌ مِنَ الْغَمِّ وَالْحُزْنِ، إِذِ الدُّنْيَا مَعْرِضُ الْآفَاتِ.

الثَّالِثُ: مَا يَكُونُ ضَرُورِيًّا لِلْبَعْضِ دُونَ الْآخَرِينَ؛ كَالْكِتَابِ لِلْعَالِمِ، إِذْ هُوَ مُضْطَرٌّ إِلَيْهِ، فَيُحِبُّهُ وَيَغْضَبُ على مَنْ يُحْرِقُهُ وَيُغْرِقُهُ، وَكَذَلِكَ أَدَوَاتُ الصِّنَاعَاتِ فِي حَقِّ الْمُكْتَسِبِ، فَإِنَّ مَا هُوَ وَسِيلَةٌ إِلى الْقُوتِ الضَّرُورِيِّ ضَرُورِيٌّ، فَلَا يَمْنَعُ مِنَ الْغَيْظِ اسْتِغْنَاءُ غَيْرِهِ عَنْهُ[1].

---

(1) الإحياء: 3/ 169 ـ 170.

وَإِنَّمَا الْكَلَامُ فِي الْقِسْمِ الثَّانِي، إِذْ يَجِبُ إِخْرَاجُ حُبِّهِ عَنْ قَلْبِهِ، فَإِنَّ الدُّنْيَا مَعْبَرٌ يَعْبُرُ عَلَيْهَا، وَيَتَزَوَّدُ مِنْهَا قَدْرَ الضَّرُورَةِ، وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ وَبَالٌ عَلَيْهِ فِي وَطَنِهِ وَمُسْتَقَرِّهِ، فَيَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا، وَيَنْمَحِي حُبُّهَا عَنْ قَلْبِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: لَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ ضَرُورِيًّا جوازُ الْغَضَبِ عَلَيْهِ، بَلْ يَكْتَفِي[1] بِالتَّأَلُّمِ وَلَا يَغْضَبُ، وَالتَّأَلُّمُ غَيْرُهُ، كَالْفَصْدِ[2] يَتَأَلَّمُ بِهِ وَلَا يَغْضَبُ عَلَى الْفَصَّادِ، وَأَيْضًا: مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ، وَرَأَى الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا مِنَ اللهِ، لَا يَغْضَبُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ؛ مَثَلًا إِذَا وَقَّعَ الْمَلِكُ بِضَرْبِ رَقَبَةِ أَحَدٍ، وَهُوَ لَا يَغْضَبُ عَلَى الْقَلَمِ الَّذِي وَقَّعَ الْمَلِكُ بِهِ، وَكَذَا يَنْدَفِعُ بِأَنَّ اللهَ لَا يُقَدِّرُ لَهُ إِلَّا مَا فِيهِ الْخِيَرَةُ.

قُلْتُ: مَا ذَكَرَهُ مِنَ الِاكْتِفَاءِ بِالتَّأَلُّمِ حَسَنٌ جِدًّا، لَكِنَّ الْكَلَامَ فِي أَنَّ الْغَضَبَ هُنَاكَ مَعْفُوٌّ عَنْهُ، وَصَاحِبُهُ مَعْذُورٌ. وَأَمَّا غَلَبَةُ التَّوْحِيدِ ذَلِكَ فَكَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ، ثُمَّ يَرْجِعُ الْقَلْبُ إِلَى الْوَسَائِطِ، وَكَذَا الْكَلَامُ فِي أَنَّ الْخَيْرَ مَا قُدِّرَ لَهُ[3].

---

(1) يكفى، في أنطاليا ورئيس الكتاب.

(2) الفصد: شقُّ العرق، وقيل: قطع العروق. اللسان/ فصد.

(3) الإحياء: 3/ 170.

الْمَطْلَبُ الثَّالِثُ: فِي مَعْرِفَةِ أَسْبَابِ الْغَضَبِ لِيُعَالَجَ بِإِزَالَتِهَا

وَأَسْبَابُهُ: الزَّهْوُ، وَالْعُجْبُ، وَالْفَخْرُ، وَالْمَزْحُ، وَالْهَزْلُ، وَالتَّعْيِيرُ، وَالْمُمَارَاةُ، وَالْمُضَادَّةُ، وَالْغَدْرُ، وَشِدَّةُ الْحِرْصِ عَلَى فُضُولِ الْمَالِ وَالْجَاهِ، وَهِيَ بِأَجْمَعِهَا أَخْلَاقٌ رَدِيئَةٌ يَجِبُ إِزَالَةُ كُلٍّ مِنْهَا بِمَا ذَكَرْنَاهُ فِي مَوَاضِعِهَا[1].

وَأَمَّا مُعَالَجَةُ الْغَضَبِ بَعْدَ وُقُوعِهِ بِسِتَّةِ أُمُورٍ:

الْأَوَّلُ: مُلَاحَظَةُ الْأَخْبَارِ الْوَارِدَةِ فِي فَضِيلَةِ كَظْمِ الْغَيْظِ.

الثَّانِي: أَنْ يُخَوِّفَ نَفْسَهُ بِعِقَابِ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَيَقُولَ: قُدْرَةُ اللهِ عَلَيَّ أَعْظَمُ مِنْ قُدْرَتِي عَلَى هَذَا الْإِنْسَانِ.

الثَّالِثُ: أَنْ يُحَذِّرَ نَفْسَهُ عَاقِبَةَ الْعَدَاوَةِ وَالِانْتِقَامِ، وَتَشَمُّرَ الْعَدُوِّ لِمُقَاتَلَتِهِ[2]، وَالسَّعْيَ فِي هَدْمِ أَعْرَاضِهِ، وَالشَّمَاتَةَ بِمَصَائِبِهِ[3]، وَهُوَ لَا يَخْلُو عَنِ الْمَصَائِبِ.

وَبِالْجُمْلَةِ، يُسَلِّطُ قُوَّةَ الشَّهْوَةِ عَلَى قُوَّةِ الْغَضَبِ.

الرَّابِعُ: أَنْ يَتَفَكَّرَ فِي قُبْحِ صُورَتِهِ عِنْدَ غَضَبِهِ، وَمُشَابَهَتِهِ لِلْكَلْبِ الضَّارِي، وَالسَّبُعِ الْعَادِي، وَمُشَابَهَةِ الْحَلِيمِ الْهَادِئِ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْحُكَمَاءِ وَالْعُلَمَاءِ.

---

(1) الإحياء: 3/ 172.

(2) لمقابلته، في أنطاليا.

(3) والسماح لمصائبه، في رئيس الكتاب، والسماع لمصائبه، في الأزهرية.

السَّادِسُ[1]: أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ غَضَبَهُ مِنْ تَعَجُّبِهِ مِنْ جَرَيَانِ الْأُمُورِ عَلَى وَفْقِ مُرَادِ اللهِ تَعَالَى، فَكَيْفَ يَقُولُ: مُرَادِي أَوْلَى مِنْ مُرَادِ اللهِ تَعَالَى[2].

ثُمَّ مُعَالَجَةُ الْغَضَبِ بِطَرِيقِ الْعَمَلِ أَنْ تَقُولَ بِلِسَانِكَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَتَقُولَ: «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ اِغْفِرْ لِي ذَنْبِي وَارْحَمْنِي، وَأَذْهِبْ غَيْظَ قَلْبِي وَأَجِرْنِي مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ»[3].

هَكَذَا عَلَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَائِشَةَ عِنْدَ غَضَبِهَا. وَإِنْ لَمْ يَزُلْ بِذَلِكَ فَلْيَجْلِسْ إِنْ كَانَ قَائِمًا، أَوْ يَضْطَجِعْ إِنْ كانَ جَالِسًا، وَيَقْرُبْ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي مِنْهَا خُلِقَ لِيَعْرِفَ بِذَلِكَ ذُلَّ نَفْسِهِ.

وَاطْلُبْ بِالِاضْطِجَاعِ وَالْجُلُوسِ السُّكُونَ، فَإِنَّ سَبَبَ الْغَضَبِ الْحَرَارَةُ، وَسَبَبَ الْحَرَارَةِ الْحَرَكَةُ، وَإِنْ لَمْ يَزُلْ فَلْيَتَوَضَّأْ بِالْمَاءِ الْبَارِدِ أَوْ يَغْتَسِلْ، فَإِنَّ النَّارَ لَا يُطْفِئُهَا إِلَّا الْمَاءُ. كَذَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ[4].

ثُمَّ النَّاسُ فِي الْغَضَبِ أَرْبَعَةٌ: بَعْضُهُمْ كَالْحَلْفَاءِ، سَرِيعُ الْوُقُودِ، سَرِيعُ الْخُمُودِ، وَبَعْضُهُمْ كَالْغَضَا بَطِيءُ الْوُقُودِ، بَطِيءُ الْخُمُودِ، وَبَعْضُهُمْ بَطِيءُ الْوُقُودِ، سَرِيعُ الْخُمُودِ، وَهُوَ أَجْوَدُهُمْ مَا لَمْ يَنْتَهِ إِلَى فُتُورِ الْحَمِيَّةِ وَالْغَيْرَةِ، وَبَعْضُهُمْ سَرِيعُ الْوُقُودِ، بَطِيءُ الْخُمُودِ، وَهُوَ شَرُّهُمْ[5].

---

(1) لم يذكر قبله الأمر الخامس في جميع النسخ الخطية، في حين ورد الأمر الخامس في الإحياء: 3/ 173.

(2) المصدر نفسه: 3/ 172 - 173.

(3) مسند أحمد: 44/ 201، واعتلال القلوب: 1/ 34، رقم: 54، والإحياء: 3/ 174.

(4) الآداب للبيهقي: 55، رقم: 134، وسنن أبي داود: 7/ 162، رقم: 4782.

(5) الإحياء: 3/ 174.

الْمَطْلَبُ الرَّابِعُ: فِي الْحِقْدِ وَالْعَفْوِ وَالرِّفْقِ

اِعْلَمْ أَنَّ الْغَضَبَ إِذَا عَجَزَ صَاحِبُهُ عَنِ التَّشَفِّي فِي الْحَالِ، رَجَعَ إِلَى الْبَاطِنِ، وَاحْتَقَنَ فِيهِ، فَصَارَ حِقْدًا، وَمَعْنَى الْحِقْدِ: أَنْ يَلْزَمَ قَلْبَهُ اسْتِثْقَالُهُ وَالْبِغْضَةُ لَهُ وَالنِّفَارُ مِنْهُ، وَأَنْ يَدُومَ ذَلِكَ وَيَبْقَى. وَالْحِقْدُ يُثْمِرُ ثَمَانِيَةَ أُمُورٍ.

الْأَوَّلُ: الْحَسَدُ، وَهُوَ أَنْ يَحْمِلَكَ الْحِقْدُ أَنْ تَتَمَنَّى زَوَالَ النِّعْمَةِ عَنْهُ، فَتَغْتَمَّ بِنِعْمَةٍ إِنْ أَصَابَهَا، وَتُسَرَّ بِمُصِيبَةٍ إِنْ نَزَلَتْ بِهِ، وَهَذَا مِنْ فِعْلِ الْمُنَافِقِينَ، وَسَتَعْرِفُ ذَمَّهُ.

الثَّانِي: أَنْ تَزِيدَ فِي إِضْمَارِ الْحَسَدِ في الْبَاطِنِ، فَتَشْمَتَ بِمَا أَصَابَهُ مِنَ الْبَلَاءِ.

الثَّالِثُ: أَنْ تَقْطَعَهُ وَتُصَارِمَهُ وَإِنْ أَقْبَلَ عَلَيْكَ.

الرَّابِعُ: وَهُوَ دُونَهُ، أَنْ تُعْرِضَ عَنْهُ اسْتِصْغَارًا لَهُ.

الْخَامِسُ: أَنْ تَتَكَلَّمَ فِيهِ بِمَا لَا يَحِلُّ مِنْ كَذِبٍ وَغِيبَةٍ وَإِفْشَاءِ سِرٍّ، أَوْ هَتْكِ سِتْرٍ وَغَيْرِهِ.

السَّادِسُ: أَنْ تُحَاكِيَهُ اسْتِهْزَاءً بِهِ، وَسُخْرِيَةً مِنْهُ.

السَّابِعُ: إِيذَاؤُهُ بِالضَّرْبِ وَمَا يُؤْلِمُ بَدَنَهُ.

الثَّامِنُ: أَنْ تَمْنَعَهُ حَقَّهُ مِنْ صِلَةِ رَحِمٍ، أَوْ قَضَاءِ دَيْنٍ، أَوْ رَدِّ مَظْلَمَةٍ، وَكُلُّ ذَلِكَ حَرَامٌ[1].

ثُمَّ لِلْحقُودِ ثَلَاثَةُ أَحْوَالٍ عِنْدَ الْقُدْرَةِ:

أَحَدُهَا: أَنْ يَسْتَوْفِيَ حَقَّهُ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَنُقْصَانٍ، وَهُوَ الْعَدْلُ، وَهُوَ اخْتِيَارُ الصَّالِحِينَ.

وَثَانِيهَا: أَنْ يُحْسِنَ إِلَيْهِ بِالْعَفْوِ وَالصِّلَةِ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ وَاخْتِيَارُ الصِّدِّيقِينَ.

وَثَالِثُهَا: أَنْ يَظْلِمَهُ بِمَا لا يَسْتَحِقُّهُ، [وَذَلِكَ هُوَ الْجَوْرُ][2]، وَهُوَ اخْتِيَارُ الْأَرَاذِلِ[3].

ثُمَّ إِنَّ الْعَفْوَ هُوَ أَنْ تَسْتَحِقَّ حَقًّا فَتُسْقِطَهُ وَتَتَبَرَّأَ عَنْهُ؛ مِنْ قَصَاصٍ، أَوْ غَرَامَةٍ، وَهُوَ غَيْرُ الْحِلْمِ وَكَظْمِ الْغَيْظِ، وَفَضِيلَتُهُ لا تَخْفَى على أَحَدٍ، سِيَّمَا وَقَدْ وَرَدَ فِي مَدْحِهِ الْآثَارُ وَالْأَخْبَارُ، حَتَّى مَدَحَهُ الشُّعَرَاءُ وَالْحُكَمَاءُ، بَلِ الْمُتَقَيِّدُونَ بِحُكْمِ الطَّبِيعَةِ. وَبِالْجُمْلَةِ، لَمْ يُنْكِرْ فَضِيلَتَهُ أَحَدٌ مِنَ الطَّوَائِفِ[4].

وَأَمَّا الرِّفْقُ، فَهُوَ نَتِيجَةُ حُسْنِ الْخُلُقِ وَالسَّلَاسَةِ[5]، كَمَا أَنَّ ضِدَّهُ هُوَ الْعُنْفُ، وَالْحِدَّةُ نَتِيجَةُ الْغَضَبِ وَالْفَظَاظَةِ، وَالرِّفْقُ نَتِيجَةُ اعْتِدَالِ قُوَّةِ الشَّهْوَةِ

---

(1) الإحياء: 3/ 181.

(2) زيادة من أنطاليا.

(3) الإحياء: 3/ 181.

(4) المصدر نفسه: 3/ 182.

(5) السلامة، في المصدر نفسه: 3/ 185.

وَالْغَضَبِ. وَلِذَلِكَ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ: «يَا عَائِشَةُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»(1).

ثُمَّ إِنَّ الرِّفْقَ هُوَ التَّوَسُّطُ بَيْنَ الْعُنْفِ وَاللِّينِ، ثُمَّ إِنَّ الْمُشْكِلَ تَمْيِيزُ مَوْضِعِ الْعُنْفِ عَنْ مَوْضِعِ الرِّفْقِ، وَإِذَا لَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ عَلَى التَّمْيِيزِ فَلْيَكُنْ مَيْلُهُ إِلَى الرِّفْقِ، فَإِنَّ النُّجْحَ مَعَهُ فِي الْأَكْثَرِ(2).

(1) مسند ابن الجعد: 495، رقم: 3452، ومسند أحمد: 42/ 153، رقم:25259، وسنن الترمذي: 3/ 541، رقم: 2013، والإحياء: 3/ 185.

(2) الإحياء: 3/ 186.

الْمَطْلَبُ الْخَامِسُ: فِي الْحَسَدِ وَحُكْمِهِ وَأَقْسَامِهِ وَمَرَاتِبِهِ

اِعْلَمْ أَنَّ الْحَسَدَ فَرْعُ الْحِقْدِ، وَهُوَ فَرْعُ الْغَضَبِ. وَلَيْسَ الْحَسَدُ إِلَّا على نِعْمَةٍ، فَإِمَّا أَنْ تُرِيدَ زَوَالَهَا عَنْ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ وَهُوَ حَرَامٌ، إِلَّا نِعْمَةً لِفَاسِقٍ أَوْ ظَالِمٍ جعلَهَا آلَةً لِلشَّرِّ، لَكِنْ لَا تُرِيدُ زَوَالَهَا مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا نِعْمَةٌ، بَلْ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا آلَةُ الْفَسَادِ؛ أَوْ لَا تُرِيدُ زَوَالَهَا، وَلَكِنْ تَشْتَهِي لِنَفْسِكَ مِثْلَهَا، وَهَذَا يُسَمَّى غِبْطَةً، وَهَذِهِ لَيْسَتْ بِحَرَامٍ، بَلْ رُبَّمَا تَكُونُ وَاجِبَةً كَمَا فِي نِعْمَةِ الْعِلْمِ، أَوْ مَنْدُوبَةً كَمَا فِي نِعْمَةِ التَّصَدُّقِ، أَوْ مُبَاحَةً كَمَا فِي النِّعَمِ الْمُبَاحَةِ.

وَمَذَمَّةُ الْحَسَدِ فِي الْآثَارِ وَالْأَخْبَارِ بَلْ فِي الطِّبَاعِ شَهِيرَةٌ لَا يُحْتَاجُ إِلَى تَفْصِيلِهَا؛ وَأَمَّا مَرَاتِبُهُ فَأَرْبَعٌ:

إِحْدَاهَا: أَنْ يُحِبَّ زَوَالَ النِّعْمَةِ عَنْهُ، وَإِنْ كَانَتْ لَا تَنْتَقِلُ إِلَيْهِ، وَهُوَ غَايَةُ الْخُبْثِ، وَأَنَّهُ مَذْمُومٌ مَحْضٌ.

وَثَانِيهَا: أَنْ يُحِبَّ زَوَالَ النِّعْمَةِ إِلَيْهِ، لِرَغْبَتِهِ فِي تِلْكَ النِّعْمَةِ، مِثْلَ رَغْبَتِهِ فِي دَارٍ حَسَنَةٍ، أَوْ وِلَايَةٍ نَافِذَةٍ، وَهَذَا أَيْضًا مَذْمُومٌ.

وَثَالِثُهَا: أَنْ لَا يَشْتَهِي عَيْنَهَا، بَلْ يَشْتَهِي لِنَفْسِهِ مِثْلَهَا، فَإِنْ عَجَزَ عَنْ مِثْلِهَا أَحَبَّ زَوَالَهَا، وَهَذَا أَيْضًا مَذْمُومٌ، إِلَّا أَنَّهُ أَخَفُّ مِنَ الثَّانِي.

وَرَابِعُهَا: أَنْ يَشْتَهِيَ لِنَفْسِهِ مِثْلَهَا، فَإِنْ لَمْ يَحْصُلْ فَلَا يُحِبُّ زَوَالَهَا مِنْهُ، وَهَذَا هُوَ الْمَعْفُوُّ عَنْهُ إِنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا، وَالْمَنْدُوبُ إِلَيْهِ إِنْ كَانَ فِي الدِّينِ[1].

---

(1) الإحياء: 3/ 189 ـ 192.

ثُمَّ إِنَّ لِلْحَسَدِ أَسْبَابًا:

الْأَوَّلُ: الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ، وَهَذِهِ أَشَدُّ أَسْبَابِهِ.

الثَّانِي: التَّعَزُّزُ، وَهُوَ أَنْ يَثْقُلَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَرَفَّعَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، وَلَا يُرِيدَ التَّكَبُّرَ، بَلْ غَرَضُهُ أَنْ يَدْفَعَ كِبْرَهُ، وَهَذَا إِذَا نَالَ بَعْضُ أَقْرَانِهِ وِلَايَةً أَوْ عِلْمًا أَوْ مَالًا، وَهُوَ لَا تَحْتَمِلُ نَفْسُهُ صَلَفَهُ[1] وَتَفَاخُرَهُ فَيَتَعَزَّزُ عَلَيْهِ.

الثَّالِثُ: أَنْ يَكُونَ فِي طَبْعِهِ أَنْ يَتَكَبَّرَ عَلَيْهِ وَيَسْتَصْغِرَهُ وَيَسْتَخْدِمَهُ، وَيَتَوَقَّعَ مِنْهُ الِانْقِيَادَ لَهُ وَالْمُتَابَعَةَ فِي أَغْرَاضِهِ، فَإِذَا نَالَ نِعْمَةً خَافَ أَلَّا يَحْتَمِلَ تَكَبُّرَهُ، وَيَتَرَفَّعَ عَنْ مُتَابَعَتِهِ، أَوْ رُبَّمَا يَتَشَوَّفُ إِلَى مُسَاوَاتِهِ، أَوْ إِلَى أَنْ يَتَرَفَّعَ عَلَيْهِ، فَيَعُودَ مُتَكَبِّرًا بَعْدَ أَنْ كَانَ مُتَكَبَّرًا عَلَيْهِ.

الرَّابِعُ: التَّعَجُّبُ؛ كَمَا أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى عَنِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ إِذْ: ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾[2]، فَتَعَجَّبُوا مِنْ أَنْ يَفُوزَ بِرُتْبَةِ الرِّسَالَةِ وَالْوَحْيِ وَالْقُرْبِ مِنَ اللهِ بَشَرٌ مِثْلُهُمْ، فَحَسَدُوهُمْ، وَأَحَبُّوا زَوَالَ النُّبُوَّةِ عَنْهُمْ، جَزَعًا عَنْ أَنْ يُفَضَّلَ عَلَيْهِمْ مَنْ هُوَ مِثْلُهُمْ فِي الْخِلْقَةِ، لَا عَنْ قَصْدِ تَكَبُّرٍ، وَطَلَبِ رِيَاسَةٍ، وَتَقَدُّمِ عَدَاوَةٍ، وَأَسْبَابٍ أُخَرَ.

الْخَامِسُ: الْخَوْفُ مِنْ فَوْتِ الْمَقَاصِدِ، وَذَلِكَ يَخْتَصُّ بِمُتَزَاحِمَيْنِ عَلَى مَقْصُودٍ وَاحِدٍ، وَذَلِكَ مِثْلَ الضَّرَّاتِ عِنْدَ زَوْجِهِنَّ، وَالتَّلَامِذَةِ عِنْدَ الْأُسْتَاذِ.

---

(1) الصلف: مجاوزة القدر في الظَّرْفِ والبراعة والادعاء فوق ذلك تكبرا. اللسان/ صلف.

(2) سورة يس الآية: 15.

السَّادِسُ: حُبُّ الرِّيَاسَةِ وَطَلَبُ الْجَاهِ لِنَفْسِهِ، مِنْ غَيْرِ تَوَصُّلٍ بِهِ إِلَى مَقْصُودٍ؛ وَذَلِكَ كَتَحَاسُدِ الْعُلَمَاءِ، فَإِنَّ وَاحِدًا مِنْهُمْ لَوْ سَمِعَ نَظِيرَهُ فِي أَقْصَى الْعَالَمِ لَسَاءَهُ ذَلِكَ، وَأَحَبَّ مَوْتَهُ، وَزَوَالَ نِعْمَتِهِ مِنْ غَيْرِ عَدَاوَةٍ وَلَا تَعَزُّزٍ وَلَا تَكَبُّرٍ بَيْنَهُمَا، وَلَا خَوْفٍ مِنْ فَوَاتِ مَقْصُودٍ.

السَّابِعُ: خُبْثُ النَّفْسِ وَشُحُّهَا بِالْخَيْرِ لِعِبَادِ اللهِ. وَإِذَا وُصِفَ لَهُ اضْطِرَابُ أُمُورِ النَّاسِ وَإِدْبَارُهُمْ وَفَوَاتُ مَقَاصِدِهِمْ فَرِحَ بِهِ، فَهُوَ أَبَدًا يُحِبُّ الْإِدْبَارَ لِغَيْرِهِ، وَيَبْخَلُ بِنِعْمَةِ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ؛ كَأَنَّهُمْ يَأْخُذُونَهَا مِنْ مِلْكِهِ وَخِزَانَتِهِ، وَيَخْتَصُّ مِثْلُهُ بِاسْمِ الشَّحِيحِ.

وَقَدْ يَجْتَمِعُ بَعْضُ هَذِهِ الْأَسْبَابِ أَوْ أَكْثَرُهَا أَوْ جَمِيعُهَا فِي شَخْصٍ وَاحِدٍ، فَيَعْظُمُ فِيهِ الْحَسَدُ لِذَلِكَ، وَالْأَكْثَرُ اجْتِمَاعُ الْأَسْبَابِ، وَقَلَّمَا يَنْفَرِدُ وَاحِدٌ مِنْهَا[1].

وَلَمَّا كانَ الْحَسَدُ اقْتَضَى سَابِقَةَ الِارْتِبَاطِ بَيْنَ الشَّخْصَيْنِ، كَثُرَ بَيْنَ الْأَمْثَالِ وَالْأَقْرَانِ وَالْإِخْوَةِ وَبَنِي الْعَمِّ وَالْأَقَارِبِ دُونَ شَخْصَيْنِ فِي بَلْدَتَيْنِ مُتَبَاعِدَتَيْنِ.

ثُمَّ لَمَّا اشْتُرِطَ في الْحَسَدِ التَّزَاحُمُ، حَسَدَ الْعَالِمُ الْعَالِمَ دُونَ التَّاجِرِ، وَالشُّجَاعُ الشُّجَاعَ دُونَ الْإِسْكَافِي، وَنَحْوَ ذَلِكَ.

نَعَمْ مَنْ أَحَبَّ الصِّيتَ رُبَّمَا يُزَاحِمُهُ مَنْ فِي أَقْصَى الْعَالَمِ في هَذَا الْغَرَضِ فَيَحْسُدُهُ، وَأَمَّا أَبْنَاءُ الْآخِرَةِ فَلَا يَقَعُ بَيْنَهُمُ التَّحَاسُدُ. إِذْ لَا مُزَاحَمَةَ بَيْنَهُمْ وَلَا ضِيقَ فِيهَا، وَكَذَا الْعِلْمُ إِذِ الْمَعْلُومُ الْوَاحِدُ يَعْرِفُهُ أَلْفُ إِنْسَانٍ[2].

---

(1) الإحياء: 3/ 192 ـ 194.

(2) المصدر نفسه: 3/ 194 ـ 195.

الْمَطْلَبُ السَّادِسُ: دَوَاءُ الْحَسَدِ

وَهُوَ أَنْ تَعْرِفَ أَوَّلًا أَنَّهُ ضَرَرٌ عَلَيْكَ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَلَا ضَرَرَ بِهِ عَلَى الْمَحْسُودِ فِي الدُّنْيَا وَالدِّينِ، بَلْ يَنْتَفِعُ بِهِ فِيهِمَا جَمِيعًا. أَمَّا ضَرَرُهُ فِي الدِّينِ؛ لِأَنَّهُ سُخْطٌ لِقَضَاءِ اللهِ تَعَالَى، وَكَرَاهَةٌ لِنِعَمِهِ، وَهَذَا قَذًى فِي عَيْنِ الْإِيمَانِ، وَانْضَمَّ إِلَيْهِ غِشُّ الْمُسْلِمِ، وَتَرْكُ نُصْحِهِ، وَمُشَارَكَةُ إِبْلِيسَ، وَهَذِهِ خَبَائِثُ فِي الْقَلْبِ تَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ وَتَمْحُوهَا.

وَأَمَّا فِي الدُّنْيَا، فَهُوَ أَنَّهُ الْأَلَمُ الْحَاضِرُ، وَالْعَذَابُ الدَّائِمُ، وَأَنْتَ تُرِيدُ الْأَلَمَ لِعَدُوِّكَ فَتَنَجَّزْتَ فِي الْحَالِ.

وَأَمَّا أَنَّهُ لَا ضَرَرَ عَلَى الْمَحْسُودِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ فَوَاضِحٌ، لِأَنَّ النِّعْمَةَ لَا تَزُولُ بِحَسَدِكَ.

وَأَمَّا مَنْفَعَتُهُ فِي الدُّنْيَا، فَهُوَ أَنَّ أَهَمَّ مَقَاصِدِ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا إِيصَالُ الْهَمِّ إِلَى أَعْدَائِهِمْ، وَهُوَ حَاصِلٌ بِالْحَسَدِ، وَقَدْ فَعَلْتَ بِنَفْسِكَ مَا هُوَ مُرَادُهُمْ، فَأَنْتَ عَدُوٌّ لِنَفْسِكَ وَصَدِيقٌ لِعَدُوِّكَ، وَمَعَ هذا كُلِّهِ قَدْ أَدْخَلْتَ السُّرُورَ فِي إِبْلِيسَ وَهُوَ أَعْدَى عَدُوِّكَ[1].

وَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَعَلَيْكَ أَنْ تُكَلِّفَ نَفْسَكَ نَقِيضَ الْحَسَدِ، إِذْ كُلُّ مَرَضٍ يُعَالَجُ بِضِدِّهِ؛ مَثَلًا يُكَلِّفُ لِسَانَهُ بِمَدْحِهِ وَثَنَائِهِ، وَيَتَكَلَّفُ التَّوَاضُعَ لَهُ

---

(1) الإحياء: 3/ 196 ـ 197.

وَالِاعْتِذَارَ إِلَيْهِ، وَيُلْزِمُ نَفْسَهُ الْإِنْعَامَ عَلَيْهِ إِنْ قَدَرَ، وَبِهَذِهِ الْأَفْعَالِ يَطِيبُ قَلْبُ الْمَحْسُودِ، وَيُحِبُّ الْحَاسِدَ، وَمَهْمَا ظَهَرَ حُبُّهُ أَحَبَّهُ الْحَاسِدُ، وَتَتَوَلَّدُ مِنْهُ الْمُوَافَقَةُ، وَيَصِيرُ مَا يَتَكَلَّفُهُ أَوَّلًا طَبْعًا آخَرَ.

وَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْ ذَلِكَ قَوْلُ الشَّيْطَانِ إِنَّ هَذَا عَجْزٌ وَنِفَاقٌ وَخَوْفٌ، لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ خُدَعِ الشَّيْطَانِ وَمَكَايِدِهِ، وَهَذَا دَوَاءُ الْحَسَدِ إِلَّا أَنَّهُ مُرٌّ، فَمَنْ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى مَرَارَةِ الدَّوَاءِ لَمْ يَنَلْ حَلَاوَةَ الشِّفَاءِ[1].

ثُمَّ إِنَّ لَكَ فِي أَعْدَائِكَ ثَلَاثَةَ أَحْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنْ تُحِبَّ مَسَاءَتَهُمْ بِطَبْعِكَ، وَتَكْرَهَ حُبَّكَ لِذَلِكَ، وَمَيْلَ قَلْبِكَ إِلَيْهِ بِعَقْلِكَ، وَتَمْقُتَ نَفْسَكَ عَلَيْهِ، وَتَوَدَّ لَوْ كانَ لَكَ حِيلَةٌ فِي إِزَالَةِ ذَلِكَ الْمَيْلِ مِنْكَ، وَهَذَا مَعْفُوٌّ عَنْهُ، لِأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ تَحْتَ الِاخْتِيَارِ أَكْثَرُ مِنْهُ.

الثَّانِي: أَنْ تُحِبَّ ذَلِكَ، وَتُظْهِرَ الْفَرَحَ بِمَسَاءَتِهِ، إِمَّا بِلِسَانِكَ، أَوْ بِجَوَارِحِكَ، فَهَذَا هُوَ الْحَسَدُ الْمَحْظُورُ.

الثَّالِثُ: وَهُوَ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ، أَنْ تَحْسُدَ بِالْقَلْبِ مِنْ غَيْرِ مَقْتِكَ لِنَفْسِكَ عَلَى حَسَدِكَ، وَمِنْ غَيْرِ إِنْكَارٍ مِنْكَ عَلَى قَلْبِكَ، وَلَكِنْ تَحْفَظُ جَوَارِحَكَ عَنْ طَاعَةِ الْحَسَدِ، وَهَذَا مَحَلُّ الْخِلَافِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ لَا يَخْلُو عَنْ إِثْمٍ بِقَدْرِ قُوَّةِ ذَلِكَ الْحُبِّ وَضُعْفِهِ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ لَا رَبَّ سِوَاهُ[2].

---

(1) الإحياء: 3/ 199.

(2) المصدر نفسه: 3/ 200.

الْأَصْلُ السَّادِسُ(1): فِي ذَمِّ الدُّنْيَا

وَفِيهِ مَطْلَبَانِ:

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ:

اِعْلَمْ أَنَّ مَذَمَّةَ الدُّنْيَا لَا تَخْفَى عَلَى أُولِي الْأَلْبَابِ، وَأَكْثَرُ الْقُرْآنِ مُشْتَمِلٌ علَى ذَمِّ الدُّنْيَا، وَصَرْفِ النَّفْسِ عَنْهَا، وَكَذَا مَا فِي الْأَحَادِيثِ وَالْآثَارِ كَثِيرَةٌ لَا يَخْفَى عَلَى أُولِى الْأَلْبَابِ، وَحَقِيقَةُ الدُّنْيَا وَقِسْمَتُهَا إِلَى الْمَذْمُومَةِ وَغَيْرِ الْمَذْمُومَةِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ لِقَلْبِكَ حَالَتَيْنِ؛ فَالْقَرِيبُ الدَّانِي مِنْهَا ـ وَهِيَ مَا قَبْلَ الْمَوْتِ ـ وَتُسَمَّى دُنْيَا، وَالْمُتَأَخِّرُ الْمُتَرَاخِي ـ وَهُوَ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ ـ وَيُسَمَّى آخِرَةً.

ثُمَّ إِنَّ الدُّنْيَا ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ:

الْأَوَّلُ: مَا يَصْحَبُكَ فِي الْآخِرَةِ، وَتَبْقَى مَعَكَ ثَمَرَتُهُ بَعْدَ الْمَوْتِ؛ كَالْعِلْمِ الَّذِي هُوَ لَذَّةٌ دُنْيَوِيَّةٌ عَاجِلَةٌ، وَكَذا الْعِبَادَةُ لِمَنْ يَلْتَذُّ بِهَا، وَهُمَا مَعَ ذَلِكَ لَيْسَا مِنَ الدُّنْيَا، إِذْ يَنْفَعَانِ فِي الْآخِرَةِ.

الثَّانِي: كُلُّ مَا فِيهِ حَظٌّ عَاجِلٌ، وَلَا ثَمَرَةَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ؛ كَالتَّلَذُّذِ بِالْمَعَاصِي وَالْمُبَاحَاتِ.

---

(1) الأصل الخامس، في مراد ملا.

الثَّالِثُ: وَهُوَ مُتَوَسِّطٌ بَيْنَهُمَا، كُلُّ حَظٍّ عَاجِلٍ مُعِينٍ عَلَى أَعْمَالِ الْآخِرَةِ؛ كَالْقُوتِ مِنَ الطَّعَامِ، وَمَا يَسْتُرُ الْعَوْرَةَ، وَيَقِي مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ مِنَ اللِّبَاسِ وَنَحْوِهِمَا، وَهَذَا مُتَرَدِّدٌ بَيْنَ الْقِسْمَيْنِ؛ لِأَنَّهُ إِنْ جَعَلَهُ وَسِيلَةً إِلَى الثَّانِي صَارَ مِنْ أَعْمَالِ الدُّنْيَا.

وَلَا يَبْقَى مَعَ الْعَبْدِ بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَّا صَفَاءُ الْقَلْبِ وَطَهَارَتُهُ، وَذَلِكَ بِالْكَفِّ عَنِ الشَّهَوَاتِ، وَالْأُنْسُ بِاللهِ، وَذَلِكَ لِكَثْرَةِ ذِكْرِ اللهِ، وَالْمَحَبَّةُ لِلَّهِ تَعَالَى، وَذَلِكَ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِالْمَعْرِفَةِ، وَهِيَ تَتَوَلَّدُ مِنَ الْفِكْرِ[1].

وَاعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا عِبَارَةٌ عَنْ أَعْيَانٍ مَوْجُودَةٍ، وَلِلْإِنْسَانِ فِيهَا حَظٌّ، وَلَهُ فِي إِصْلَاحِهَا شُغْلٌ، فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أُمُورٍ:

أَمَّا الْأَعْيَانُ، فَهِيَ الْأَرْضُ وَمَا عَلَيْهَا مِنَ الْمَعَادِنِ وَالنَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ.

أَمَّا الْمَعَادِنُ، فَلِلْآلَاتِ وَالْأَوَانِي كَالنُّحَاسِ وَالرَّصَاصِ، أَوْ لِلنَّقْدِ كَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَأَمَّا النَّبَاتُ، فَلِلِّبَاسِ وَلِلتَّدَاوِي وَالْغِذَاءِ.

وَأَمَّا الْحَيَوَانُ، فَلِلْأَكْلِ وَالرُّكُوبِ وَالزِّينَةِ.

وَأَمَّا الْإِنْسَانُ، فَلِلْخِدْمَةِ كَالْغِلْمَانِ، وَلِلِاسْتِمْتَاعِ كَالْجَوَارِي وَالنِّسْوَانِ، وَأَيْضًا لِطَلَبِ قُلُوبِ الْآدَمِيِّينَ لِلْعِزِّ وَالْجَاهِ. وَمَجْمُوعُ هَذِهِ هِيَ الدُّنْيَا.

---

(1) الإحياء: 3/ 219 ـ 220.

ثُمَّ إِنَّ لِلْعَبدِ مَعَهَا عَلَاقَتَيْنِ:

عَلَاقَتَهُ بِالْقَلْبِ، وَهُوَ حُبُّهُ لَهَا، وَحَظُّهُ مِنْهَا، وَانْصِرَافُ هَمِّهِ إِلَيْهَا، حَتَّى يَصِيرَ قَلْبُهُ كَالْعَبْدِ؛ وَيَتَفَرَّعُ عَنْ هَذِهِ الْعَلَاقَةِ الْأَخْلَاقُ الذَّمِيمَةُ؛ كَالْكِبْرِ وَالْحَسَدِ وَالرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ وَحُبِّ الثَّنَاءِ وَالتَّكَاثُرِ وَالتَّفَاخُرِ.

وَعَلَاقَتَهُ بِالْبَدَنِ، وَهُوَ اشْتِغَالُهُ بِإِصْلَاحِ هَذِهِ الْأَعْيَانِ، وَهِيَ جُمْلَةُ الصِّنَاعَاتِ وَالْحِرَفِ الَّتِي الْخَلْقُ مَشْغُولُونَ بِهَا(1).

وَتَفْصِيلُهُ أَنَّ الْإِنْسَانَ مُضْطَرٌّ إِلَى ثَلَاثٍ: الْقُوتِ وَالْمَسْكَنِ وَالْمَلْبَسِ. **فَالْقُوتُ** لِلْغِذَاءِ وَلِبَقَاءِ النَّوْعِ. وَالْمَلْبَسُ لِسَتْرِ الْعَوْرَةِ، وَلِدَفْعِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ. **وَالْمَسْكَنُ** لِدَفْعِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، وَدَفْعِ أَسْبَابِ الْهَلَاكِ عَنِ الْأَهْلِ وَالْمَالِ.

فَحَدَثَتِ الْحَاجَةُ إِلَى خَمْسِ صِنَاعَاتٍ هِيَ الْأُصُولُ: **الْفِلَاحَةُ** لِتَحْصِيلِ النَّبَاتِ. **وَالرِّعَايَةُ** لِحِفْظِ الْحَيَوَانَاتِ وَاسْتِنْتَاجِهَا. **وَالِاقْتِنَاصُ** لِتَحْصِيلِ مَا خَلَقَهُ اللهُ مِنْ صَيْدٍ، أَوْ مَعْدِنٍ، أَوْ حَشِيشٍ، أَوْ حَطَبٍ. **وَالْحِيَاكَةُ** وَمَا يُحَصِّلُهَا مِنَ الْغَزْلِ وَالْخِيَاطَةِ فَلِلْمَلْبَسِ. **وَالْبِنَاءُ** فَلِلْمَسْكَنِ.

ثُمَّ هَذِهِ الصِّنَاعَاتُ تَفْتَقِرُ إِلَى أَدَوَاتٍ وَآلَاتٍ، وَهِيَ إِمَّا أَنْ تُؤْخَذَ مِنَ النَّبَاتِ، وَهِيَ الْأَخْشَابُ، أَوْ مِنَ الْمَعَادِنِ كَالرَّصَاصِ وَالْحَدِيدِ، أَوْ مِنْ جُلُودِ الْحَيَوَانَاتِ.

---

(1) الإحياء: 3/ 224.

فَاحْتِيجَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ مِنَ الصِّنَاعَاتِ:

النِّجَارَةِ؛ وَهِيَ الْعَمَلُ فِي الْخَشَبِ.

وَالْحِدَادَةِ؛ وَهِيَ الْعَمَلُ فِي الْمَعْدِنِ.

وَالْخَرْزِ؛ وَهِيَ الْعَمَلُ فِي جُلُودِ الْحَيَوَانَاتِ.

فَهَذِهِ هِيَ أُمَّهَاتُ الصِّنَاعَاتِ.

ثُمَّ لَمَّا كانَ الْإِنْسَانُ مَدَنِيًّا بِالطَّبْعِ، احْتَاجَ إِلَى الْمُعَاشَرَةِ الزَّوْجِيَّةِ لِبَقَاءِ النَّسْلِ، وَإِلَى الْمُعَاوَنَةِ فِي الصِّنَاعَاتِ، إِذْ لَا يَتَوَلَّاهَا وَاحِدٌ مِنَ النَّاسِ، وَإِلَّا لَبطَلَتِ الْمَصَالِحُ، إِذِ الطَّعَامُ يَحْتَاجُ إِلَى حَرَّاثٍ وطَحَّانٍ وخَبَّازٍ، وَاللِّبَاسُ إِلَى حِرَاثَةِ الْقُطِنِ وَالْغَزْلِ وَالنَّسْجِ، وَهَكَذَا. وَحَدَثَتْ مِنْ هَذَا الِاجْتِمَاعِ صِنَاعَاتٌ أُخَرُ، مِنْهَا: صِنَاعَةُ الْحُكْمِ وَفَصْلِ الْخُصُومَةِ بِالْعَدْلِ، وَمِنْهَا: صِنَاعَةُ الْجُنْدِيَّةِ لِحِرَاسَةِ الْبَلَدِ بِالسَّيْفِ، وَدَفْعِ اللُّصُوصِ عَنْهُمْ، وَمِنْهَا: الْحَاجَةُ إِلَى الْفِقْهِ، وَهُوَ مَعْرِفَةُ حُدُودِ اللهِ تَعَالَى.

ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ الْحَرْبِ لَوِ اشْتَغَلُوا بِطَلَبِ الْقُوتِ فَاتَهُمْ حِرَاسَةُ الْمُلْكِ، فَمَسَّتِ الْحَاجَةُ إِلَى إِمْدَادِهِمْ بِالْأَمْوَالِ، كَمَالِ الْجِزْيَةِ وَالْخَرَاجِ، فَاحْتِيجَ إِلَى مَنْ يُدَبِّرُ تِلْكَ الْأَمْوَالَ إِلَى الْجُبَاةِ وَالْخزَّانِ وَالْكُتَّابِ وَالْعُمَّالِ وَالْحُسَّابِ، ثُمَّ هَؤُلَاءِ أَيْضًا يَحْتَاجُونَ إِلَى مَعِيشَةٍ، فَاحْتِيجَ إِلَى صَرْفِهِمْ مِنْ مَالِ الْخَرَاجِ شَيْئًا يَكْفِيهِمْ، فَصَارُوا فَرْعًا لِأَهْلِ الْحَرْبِ[1].

---

(1) الإحياء: 3/ 225- 226.

فَانْحَصَرَ النَّاسُ فِي صَنَائِعِهِمْ فِي ثَلَاثٍ:

الْأُولَى: الْفَلَّاحُونَ وَالرُّعَاةُ وَالْمُحْتَرِفُونَ.

وَالثَّانِيَةُ: الْجُنْدِيَّةُ الْحُمَاةُ لَهُمْ بِالسُّيُوفِ.

وَالثَّالِثَةُ: الْمُتَرَدِّدُونَ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ فِي الْأَخْذِ وَالْإِعْطَاءِ، وَهُمُ الْعُمَّالُ وَالْجُبَاةُ وَأَمْثَالُهُمْ.

فَانْظُرْ كَيْفَ ابْتَدَأَ الْأَمْرُ مِنْ حَاجَةِ الْقُوتِ وَالْمَسْكَنِ وَالْمَلْبَسِ وَإِلَى مَاذَا انْتَهَى، وَهَكَذَا أُمُورُ الدُّنْيَا لَا يَنْفَتِحُ مِنْهَا بَابٌ إِلَّا وَيَنْفَتِحُ بِسَبَبِهِ أَبْوَابٌ إِلَى مَا لَا يَتَنَاهَى، كَأَنَّهَا هَاوِيَةٌ لَا قَعْرَ لَهَا، مَنْ وَقَعَ فِي مَهْوَاةٍ مِنْهَا سَقَطَ مِنْهَا إِلَى أُخْرَى، وَهَكَذَا عَلَى التَّوَالِي.

هَذِهِ هِيَ الْأُصُولُ، وَلَا يَتِمُّ كُلٌّ مِنْهَا إِلَّا بِفُرُوعٍ لَا تُحْصَى كَثْرَةً؛ كَالْبَقَرِ آلَةً لِلْحَرْثِ، وَالْفَرَسِ آلَةَ الْحَرْبِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآلَاتِ. وَلَمَّا كَانَ بَيْنَ النَّاسِ مَظَالِمُ بِحُكْمِ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ، احْتَاجُوا إِلَى حَاكِمٍ عَدْلٍ يُصْلِحُ بَيْنَهُمْ لِئَلَّا يَخْتَلَّ النِّظَامُ بِسَبَبِ الْمُنَازَعَاتِ الْوَاقِعَةِ بَيْنَهُمْ[1].

---

(1) الإحياء: 3/ 227.

الْمَطْلَبُ الثَّانِي: فِي الْحِرَفِ الْجَارِيَةِ بَيْنَ النَّاسِ بِاحْتِيَالِهِمْ

مِنْهَا: اللُّصُوصُ وَالطَّرَّارُ[1] وَالسَّلَّالُ[2]، وَأَنْوَاعُ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ.

وَمِنْهَا: الْمُكْدِي[3]، وَهُمْ لِحُبِّهِم الْبِطَالَةَ يَتَكَلَّفُونَ الْعَمَى وَالْعَرَجَ وَنَحْوَهُمَا، وَيَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ.

وَمِنْهَا: أَرْبَابُ السُّخْرِيَةِ وَالْمُحَاكَاةِ، وَأَصْحَابُ الشَّعْوَذَةِ وَالْأَفْعَالِ الْمُضْحِكَةِ، وَصَاحِبُ الْأَشْعَارِ، وَأَصْحَابُ الْقُرْعَةِ وَالْفَأْلِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ. وَكُلُّهُمُ اسْتَنْبَطُوا الْحِيَلَ بِدَقِيقِ الْفِكْرِ لِأَجْلِ مَعَاشِهِمْ، وَلَكِنْ ضَيَّعُوا أَنْفُسَهُمْ[4].

ثُمَّ إِنَّ فَهْمَ النَّاسِ فِي تَصَوُّرِ الْكَمَالِ عَلَى طَبَقَاتٍ:

فَطَائِفَةٌ غَلَبَهُمُ الْجَهْلُ وَالْغَفْلَةُ، فَيَأْكُلُونَ لِيَكْسِبُونَ وَيَكْسِبُونَ لِيَأْكُلُونَ[5]؛ كَمَا هُوَ حَالُ الْفَلَّاحِينَ وَالْمُحْتَرِفِينَ. وَلَيْسَ لَهُمُ التَّنَعُّمُ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ، بَلْ يَتْعَبُونَ نَهَارًا لِيَأْكُلُوا لَيْلًا، وَيَأْكُلُ لَيْلًا لِيَتْعَبَ نَهَارًا. وَمِثَالُهُ سَيْرُ السَّوَانِي[6]، فَهُوَ سَفَرٌ لَا يَنْقَطِعُ إِلَّا بِالْمَوْتِ.

---

(1) الطرار: وهو الذي يشق كم الرجل ويسل ما فيه. اللسان/ طرر.

(2) السلال: السارق، من سل الرجلُ وأسلَّ إذا سَرَقَ. اللسان/ سلل.

(3) المكدي: من الرجال الذي لا يَثُوبُ له مالٌ ولا يَنْمِي. اللسان/ كدى.

(4) الإحياء: 3/ 228.

(5) الصواب: " فيأكلون ليكسبوا ويكسبون ليأكلوا".

(6) مقتطف من مثل: «**سَيْرُ السَّوَانِي سَفَرٌ لا يَنْقَطِعُ**» يضرب مثلا فيما يدوم ولا يكاد ينقص. الصحاح: 6/ 2384، وثمار القلوب في المضاف والمنسوب: 355.

وَطَائِفَةٌ أُخْرَى زَعَمُوا أَنَّ الْكَمَالَ قَضَاءُ الْوَطَرِ مِنَ الشَّهَوَاتِ، كَشَهْوَةِ الْبَطْنِ وَالْفَرْجِ، فَيَصْرِفُونَ هَمَّهُمْ إِلَى اتِّبَاعِ النِّسْوَانِ، وَجَمْعِ لَذَائِذِ الْأَطْعِمَةِ، يَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ، وَبِذَلِكَ شُغِلُوا عَنِ اللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ.

وَطَائِفَةٌ ظَنُّوا أَنَّ الْكَمَالَ فِي جَمْعِ الْمَالِ، فَأَسْهَرُوا لَيْلَهُمْ وَأَتْعَبُوا نَهَارَهُمْ فِي جَمْعِهِ، وَيَتْعَبُونَ فِي الْأَسْفَارِ، وَيَتَرَدَّدُونَ فِي الْأَخْطَارِ طُولَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَلَا يَأْكُلُونَ إِلَّا قَدْرَ الضَّرُورَةِ شُحًّا وَبُخْلًا عَلَيْهَا أَنْ تَنْقُصَ، إِلَى أَنْ يُدْرِكَهُ الْمَوْتُ وَهُوَ كَذَلِكَ، وَكُنُوزُهُ تَحْتَ الْأَرْضِ، أَوْ فِي يَدِ مَنْ يَصْرِفُهُ وَيُسْرِفُهُ فِي الشَّهَوَاتِ، وَعَلَيْهِ تَعَبُهَا وَوَبَالُهَا، وَلِلْآكِلِ لَذَّتُهَا.

وَطَائِفَةٌ ظَنُّوا أَنَّ السَّعَادَةَ فِي حُسْنِ الِاسْمِ، وَكَثْرَةِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ، وَالْمَدْحِ بِالتَّجَمُّلِ وَالْمُرُوءَةِ، فَهَؤُلَاءِ يَتْعَبُونَ فِي الْكَسْبِ، وَيُضَيِّقُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ فِي الْمَطْعَمِ وَالْمَلْبَسِ، وَيَصْرِفُونَ مَالَهُمْ إِلَى الثِّيَابِ الْفَاخِرَةِ وَالدَّوَابِّ النَّفِيسَةِ، وَيُزَخْرِفُونَ أَبْوَابَ دُورِهِمْ، وَمَا يَقَعُ عَلَيْهِ أَبْصَارُ النَّاسِ حَتَّى يُقَالَ: إِنَّهُ غَنِيٌّ وَذُو ثَرْوَةٍ، فَهِمَّتُهُمْ فِي تَعَهُّدِ مَوْقِعِ نَظَرِ النَّاسِ.

وَطَائِفَةٌ ظَنُّوا أَنَّ السَّعَادَةَ فِي الْجَاهِ، وَانْقِيَادِ الْخَلْقِ بِالتَّوَاضُعِ وَالتَّوْقِيرِ لَهُمْ، فَيَطْلُبُونَ الْوِلَايَاتِ، وَتَقَلُّدَ الْأَعْمَالِ السُّلْطَانِيَّةِ، وَيَرَوْنَ أَنَّهُمْ بِذَلِكَ سَعِدُوا سَعَادَةً عَظِيمَةً، وَأَنَّ ذَلِكَ غَايَةُ الْمَطَالِبِ[1].

---

(1) الإحياء: 3/ 228 ـ 229.

وَهَذِهِ طَوَائِفُ وَوَرَاءَهَا طَوَائِفُ لَا يُمْكِنُ حَصْرُهَا - تَزِيدُ عَلَى نَيِّفٍ وَسَبْعِينَ طَائِفَةً ـ كُلُّهُمْ ضَلُّوا وَأَضَلُّوا لِكَثْرَةِ الِاشْتِغَالِ، وَتَدَاعَى الْبَعْضُ إِلَى الْبَعْضِ، فَيَهْلِكُ فِي أَوْدِيَةِ الدُّنْيَا، وَلَوِ اكْتَفَى بِالْقَدْرِ الضَّرُورِيِّ، انْدَفَعَتْ أَشْغَالُهُ، وَفَرَغَ قَلْبُهُ، وَغَلَبَ عَلَيْهِ ذِكْرُ الْآخِرَةِ.

ثُمَّ إِنَّ طَائِفَةً تَنَبَّهَتْ لِهَذِهِ الْآفَاتِ، فَظَنَّ بَعْضُهُمْ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلَاءٍ، وَأَنَّ الْآخِرَةَ دَارُ سَعَادَةٍ سَوَاءٌ تَعَبَّدَ فِيهِمَا أَوْ لَا، فَرَأَوْا أَنَّ الصَّوَابَ فِي أَنْ يَقْتُلُوا أَنْفُسَهُمْ لِلْخَلَاصِ مِنْ مِحْنَةِ الدُّنْيَا، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْهِنْدِ، حَتَّى إِنَّهُمْ يَتَهَجَّمُونَ عَلَى النَّارِ، وَيَقْتُلُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالْإِحْرَاقِ، وَيَظُنُّونَ أَنَّ ذَلِكَ خَلَاصٌ لَهُمْ مِنْ مِحَنِ الدُّنْيَا.

وَبَعْضُهُمْ ظَنَّ أَنَّ الْقَتْلَ لَا يُخَلِّصُ، بَلْ لَا بُدَّ أَوَّلًا مِنْ إِمَاتَةِ الصِّفَاتِ الْبَشَرِيَّةِ، وَقَلْعِهَا عَنِ النَّفْسِ بِالْكُلِّيَّةِ، فَأَقْبَلُوا عَلَى الْمُجَاهَدَةِ، وَشَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، حَتَّى هَلَكَ بَعْضُهُمْ بِشِدَّةِ الرِّيَاضَةِ.

وَبَعْضُهُمْ فَسَدَ عَقْلُهُ، وَبَعْضُهُمْ مَرِضَ وَانْسَدَّتْ عَلَيْهِ طُرُقُ الْعِبَادَةِ، وَبَعْضُهُمْ عَجَزَ عَنْ قَمْعِ الصِّفَاتِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَأَنَّهُ مُحَالٌ، فَظَنَّ أَنَّ مَا كَلَّفَهُ الشَّرْعُ مُحَالٌ، وَأَنَّ الشَّرْعَ تَلْبِيسٌ لا أَصْلَ لَهُ، فَوَقَعَ فِي الْإِلْحَادِ.

وَبَعْضُهُمْ ظَنَّ أَنَّ هَذَا التَّعَبَ كُلَّهُ لِلَّهِ، وَأَنَّهُ مُسْتَغْنٍ عَنْ عِبَادَتِنَا، لَا يُنْقِصُهُ الْعِصْيَانُ، وَلَا تَزِيدُهُ الْعِبَادَةُ، فَسَلَكُوا مَسْلَكَ الْإِبَاحَةِ، وَطَوَوْا بِسَاطَ الشَّرْعِ.

وَبَعْضُهُمْ ظَنَّ أَنَّ الْمَقْصُودَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَالْعِبَادَةَ وَسِيلَةٌ إِلَيْهَا، وَبَعْدَ الْوُصُولِ يُسْتَغْنَى عَنْهَا، فَتَرَكُوا السَّعْيَ وَالْعِبَادَةَ، وَإِنَّمَا التَّكْلِيفُ عَلَى الْعَوَامِّ، وَوَرَاءَ هَذَا مَذَاهِبُ بَاطِلَةٌ، وَضَلَالَاتٌ هَائِلَةٌ، يَطُولُ إِحْصَاؤُهَا إِلَى أَنْ تَبْلُغَ نَيِّفًا وَسَبْعِينَ فِرْقَةً. وَالنَّاجِي مِنْهَا مَا عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ، وَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَهُمْ عَلَى النَّهْجِ الْقَصْدِ، وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ[1].

---

(1) الإحياء: 3/ 230.

الْأَصْلُ السَّابِعُ: فِي ذَمِّ الْمَالِ وَكَرَاهِيَةِ حُبِّهِ وَذَمِّ الْبُخْلِ

وَفِيهِ مَطَالِبُ:

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ

اِعْلَمْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى ذَمَّ الْمَالَ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ، وَمَدَحَهُ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ، وَسَمَّاهُ خَيْرًا، وَقَالَ: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾[1].

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ».

فَلا بُدَّ مِنَ التَّوْفِيقِ بَيْنَهُمَا، وَلَا يُمْكِنُ ذَلِكَ إِلَّا بِبَيَانِ آفَاتِ الْمَالِ وَفَوَائِدِهِ.

اِعْلَمْ أَنَّ الْمَالَ مِثْلُ حَيَّةٍ فِيهَا سُمٌّ وَتِرْيَاقٌ، فَمَنْ عَرَفَ فَوَائِدَهَا وَغَوَائِلَهَا أَمْكَنَهُ أَنْ يَحْتَرِزَ مِنْ شَرِّهَا، وَيَسْتَدِرَّ مِنْهَا خَيْرَهَا[2].

أَمَّا الْفَوَائِدُ، فَإِمَّا دُنْيَوِيَّةٌ يَعْرِفُهَا كُلُّ أَحَدٍ، وَلِهَذَا يَتَهَالَكُونَ عَلَيْهَا؛ وَأَمَّا الدِّينِيَّةُ فَثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ.

الْأَوَّلُ: مَا يُنْفِقُهُ عَلَى نَفْسِهِ؛ إِمَّا فِي الْعِبَادَةِ، كَالْحَجِّ وَالْجِهَادِ، وَهُمَا مِنْ أُمَّهَاتِ الْقُرُبَاتِ؛ أَوْ فِي الِاسْتِعَانَةِ عَلَى الْعِبَادَةِ كَالْمَطْعَمِ وَالْمَلْبَسِ وَالْمَسْكَنِ وَالْمَنْكَحِ وَضَرُورَاتِ الْمَعِيشَةِ، وَمَا لا يُتَوَصَّلُ إِلَى الْعِبَادَةِ إِلَّا بِهِ فَهُوَ عِبَادَةٌ؛ وَأَمَّا حُظُوظُ الدُّنْيَا، مَا يَزِيدُ عَلَيْهَا مِنَ التَّنَعُّمِ وَالتَّلَذُّذِ.

---

(1) سورة البقرة الآية: 180.

(2) الإحياء: 3/ 234 ـ 235.

الثَّانِي: مَا يَصْرِفُهُ إِلَى النَّاسِ، وَهِيَ أَرْبَعَةٌ:

أَحَدُهَا: الصَّدَقَةُ؛ وَقَدْ عَرَفْتَ ثَوَابَهَا.

وَثَانِيهَا: الْمُرُوءَةُ؛ كَالضِّيَافَةِ وَالْهَدِيَّةِ وَالْإِعَانَةِ، وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الْفَوَائِدِ الدِّينِيَّةِ، إِذْ بِهِ يَكْتَسِبُ الْإِخْوَانَ وَالْأَصْدِقَاءَ. وَصِفَةُ السَّخَاءِ وَالْجُودِ وَالْمُرُوءَةِ وَالْفُتُوَّةِ، فَفِيهَا مَثُوبَاتٌ أَيْضًا.

وَثَالِثُهَا: وِقَايَةُ الْعِرْضِ؛ كَدَفْعِ هَجْوِ الشَّاعِرِ، أَوْ ثَلْبِ[1] السُّفَهَاءِ وَقَطْعِ أَلْسِنَتِهِمْ، وَفَائِدَتُهَا دِينِيَّةٌ وَأُخْرَوِيَّةٌ، لِأَنَّ وِقَايَةَ الْعِرْضِ صَدَقَةٌ، لِأَنَّ فِيهَا مَنْعَ الْمُغْتَابِ، وَدَفْعَ آفَةِ الِانْتِقَامِ بَيْنَهُمَا.

وَرَابِعُهَا: الِاسْتِخْدَامُ؛ إِذِ الْإِنْسَانُ إِذَا تَوَلَّى جَمِيعَ مَصَالِحِهِ لَضَاعَتْ أَوْقَاتُهُ؛ كَشِرَاءِ الطَّعَامِ وَطَبْخِهِ، وَكَنْسِ الْبَيْتِ، حَتَّى نَسْخِ الْكِتَابِ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَيْهِ، فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ مَالٍ يَدْفَعُ أَمْثَالَ هَذِهِ الْحَوَائِجِ.

النَّوْعُ الثَّالِثُ: الْخَيْرُ لِلْعَامَّةِ؛ كَبِنَاءِ الْمَسَاجِدِ، وَالْقَنَاطِرِ، وَالرِّبَاطَاتِ، وَدَارِ الْمَرْضَى، وَنَصْبِ الْجِبَابِ فِي الطُّرُقِ، وَأَمْثَالِ ذلك، وَهِيَ مِنَ الْخَيْرَاتِ الْمُؤَبَّدَةِ الدَّارَّةِ بَعْدَ الْمَوْتِ الْمُسْتَجْلِبَةِ بَرَكَةَ أَدْعِيَةِ الصَّالِحِينَ، وَنَاهِيكَ بِهِ خَيْرًا[2].

---

(1) الثَّلْبُ: شدة اللوم والأخذ باللسان. اللسان/ ثلب.

(2) بركة، في رئيس الكتاب.

وَهَذِهِ هِيَ الْفَوَائِدُ الدِّينِيَّةُ، مَعَ ما في الْمَالِ مِنَ الْحُظُوظِ الْعَاجِلَةِ، مِنَ الْخَلَاصِ مِنْ ذُلِّ السُّؤَالِ، وَحَقَارَةِ الْفَقْرِ، وَالْوُصُولِ إِلَى الْعِزِّ، وَالْمَجْدِ بَيْنَ الْخَلْقِ، وَكَثْرَةِ الْإِخْوَانِ وَالْأَعْوَانِ، وَالْكَرَامَةِ وَالْوَقَارِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ[1].

وَأَمَّا الْآفَاتُ؛ فَإِمَّا دِينِيَّةٌ، وَهِيَ ثَلَاثٌ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا اسْتَشْعَرَ مِنْ نَفْسِهِ الْقُدْرَةَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ انْبَعَثَ دَاعِيَةُ الْمَعَاصِي، فَإِنِ اقْتَحَمَ ذَلِكَ هَلَكَ، وَإِنْ صَبَرَ وَقَعَ فِي شِدَّةٍ.

الثَّانِي: أَنَّهُ يَجرُّ إِلَى التَّنَعُّمِ في الْمُبَاحَاتِ ثُمَّ يَأْلَفُهُ، ثُمَّ يَجُرُّ الْبَعْضُ إِلَى الْبَعْضِ، حَتَّى لَا يَفِيَهُ الْمَالُ الْحَلَالُ، فَيَقْتَحِمَ الشُّبُهَاتِ، وَيُتْبِعَهُ أَنْ يُصَانِعَ النَّاسَ بِالرِّيَاءِ وَالْمُدَاهَنَةِ وَالْكَذِبِ وَالنِّفَاقِ؛ لِأَنَّ حَاجَةَ النَّاسِ تُؤَدِّي إِلَى هَذِهِ الْأَخْلَاقِ.

الثَّالِثُ: وَهُوَ الَّذِي لَا يَنْفَكُّ عَنْهُ أَحَدٌ، وَهُوَ أَنَّهُ يُلْهِيهِ عَنْ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى، وَأَنَّهُ خُسْرَانٌ عَظِيمٌ، وَهُوَ الدَّاءُ الْعُضَالُ.

وَأَمَّا آفَاتُهُ الدُّنْيَوِيَّةُ، فَالْخَوْفُ وَالْحُزْنُ وَالْهَمُّ وَالْغَمُّ، وَالتَّعَبُ فِي دَفْعِ الْحُسَّادِ، وَتَجَشُّمُ الْمَصَاعِبِ فِي حِفْظِ الْأَمْوَالِ وَكَسْبِهَا.

فَإِذَنْ تِرْيَاقُ الْمَالِ أَخْذُ الْقُوتِ مِنْهُ، وَصَرْفُ الْبَاقِي فِي الْخَيْرَاتِ، وَمَا عَدَاهُ سُمُومٌ وَآفَاتٌ[2].

---

(1) الإحياء: 3/ 236.

(2) المصدر نفسه: 3/ 237.

الْمَطْلَبُ الثَّانِي: فِي الْحِرْصِ وَالطَّمَعِ وَمَدْحِ الْقَنَاعَةِ

وَاعْلَمْ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا تَشَوَّفَ إِلَى مَا فَوْقَ الْقُوتِ فَاتَهُ عِزُّ الْقَنَاعَةِ، وَتَدَنَّسَ بِذُلِّ الْحِرْصِ، وَجَرَّهُ ذَلِكَ إِلَى مَسَاوِئِ الْأَخْلَاقِ، وَارْتِكَابِ الْمُنْكَرَاتِ الْخَارِقَةِ لِلْمُرُوءَاتِ، فَلَابُدَّ مِنْ عِلَاجِ الْحِرْصِ وَالطَّمَعِ وَمَلَكَةِ الْقَنَاعَةِ، وَذَلِكَ مُرَكَّبٌ مِنْ خَمْسَةِ أُمُورٍ:

الْأَوَّلُ: وَهُوَ الْعَمَلُ؛ الِاقْتِصَادُ فِي الْمَعِيشَةِ، وَالرِّفْقُ فِي الْإِنْفَاقِ، وَيَرُدُّ نَفْسَهُ إِلَى مَا لَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ، وَيَطْلُبُ الِاقْتِصَادَ فِي نَفْسِهِ وَفِي عِيَالِهِ.

الثَّانِي: أَنَّ لَا يَضْطَرِبَ لِلِاسْتِقْبَالِ[1]، وَيَثِقَ بِوَعْدِ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَيَعْرِفَ أَنَّ شِدَّةَ الْحِرْصِ لَيْسَتْ سَبَبَ الرِّزْقِ، وَلَا يُبَالِي بِمَا يَعِدُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْفَقْرِ، بِأَنَّكَ رُبَّمَا تَمْرَضُ وَتَعْجِزُ، وَتَحْتَاجُ إِلَى ذُلِّ السُّؤَالِ، وَتُقَاسِي ذُلَّ التَّعَبِ فِي الْحَالِ، لِتَوَهُّمِ الذُّلِّ فِي الِاسْتِقْبَالِ، مَعَ الْغَفْلَةِ عَنِ اللهِ تَعَالَى.

الثَّالِثُ: أَنْ يَعْرِفَ مَا فِي الْقَنَاعَةِ مِنْ عِزِّ الِاسْتِغْنَاءِ، وَمَا فِي الطَّمَعِ وَالْحِرْصِ مِنَ الذُّلِّ، وَلَيْسَ فِي الْقَنَاعَةِ إِلَّا أَلَمُ الصَّبْرِ عَنِ الْفُضُولِ وَالشَّهَوَاتِ، وَهَذَا الْأَلَمُ لا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ أَحَدٌ، وَفِيهِ ثَوَابُ الْآخِرَةِ؛ وَأَمَّا الطَّمَعُ فَأَلَمٌ لَا نِهَايَةَ لَهُ، مَعَ الْوَبَالِ وَالْمَآثِمِ، وَرُبَّمَا تَلْزَمُهُ الْمُدَاهَنَةُ، وَيَهْلِكُ دِينُهُ.

---

(1) معنى العبارة مضطرب، وهو واضح في الإحياء: 3/ 241: "أنه إذا تيسر له في الحال ما يكفيه فلا ينبغي أن يكون شديد الاضطراب لأجل المستقبل".

الرَّابِعُ: أَنْ يَتَأَمَّلَ فِي عَيْشِ أَعْدَاءِ اللهِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَأَرَاذِلِ النَّاسِ، وَإِلَى أَحْوَالِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَعَامَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَسَائِرِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ.

الْخَامِسُ: أَنْ يَفْهَمَ مَا فِي جَمْعِ الْمَالِ مِنَ الْآفَاتِ، مَعَ مَا يَفُوتُهُ مِنَ الْمُدَافَعَةِ عَنْ بَابِ الْجَنَّةِ إِلَى خَمْسِمِئَةِ عَامٍ[1].

---

(1) الإحياء: 3/ 243.

الْمَطْلَبُ الثَّالِثُ: في السَّخَاءِ

اِعْلَمْ أَنَّ الْمَالَ إِنْ كانَ مَفْقُودًا فَيَنْبَغِي أَنْ يَقْنَعَ وَلَا يَحْرِصَ، وَإِنْ كَانَ مَوْجُودًا فَيَنْبَغِي أَنْ يَخْتَارَ الْإِيثَارَ وَالسَّخَاءَ وَالتَّبَاعُدَ مِنَ الشُّحِّ وَالْبُخْلِ، فَإِنَّ السَّخَاءَ مِنْ أَخْلَاقِ الْأَنْبِيَاءِ، سِيَّمَا الْإِيثَارُ فَإِنَّهُ أَرْفَعُ دَرَجَاتِ السَّخَاءِ، وَهُوَ أَنْ يَجُودَ بِالْمَالِ مَعَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ؛ كَمَا أَنَّ أَعْلَى الْبُخْلِ أَنْ يَبْخَلَ عَلَى نَفْسِهِ مَعَ احْتِيَاجِهِ إِلَيْهِ، وَلَيْسَ بَعْدَ الْإِيثَارِ دَرَجَةٌ فِي السَّخَاءِ. وَقَدْ أَثْنَى اللهُ تَعَالَى عَلَى الصَّحَابَةِ، قَالَ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[1].

وَأَمَّا الْبُخْلُ، فَقِيلَ: هُوَ مَنْعُ الْوَاجِبِ، فَكُلُّ مَنْ أَدَّى مَا يَجِبُ عَلَيْهِ فَلَيْسَ بِبَخِيلٍ، وَهَذَا غَيْرُ كَافٍ، فَإِنَّ مَنْ رَدَّ الْخُبْزَ إِلَى الْخَبَّازِ لِنُقْصَانِ حَبَّةٍ أَوْ نِصْفِهَا فَإِنَّهُ يُعَدُّ بَخِيلًا بِالِاتِّفَاقِ؛ وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي يَسْتَصْعِبُ الْعَطِيَّةَ، وَهَذَا أَيْضًا قَاصِرٌ، إِذْ كَمْ مِنْ بَخِيلٍ لَا يَسْتَصْعِبُ الْعَطِيَّةَ الْقَلِيلَةَ كَالْحَبَّةِ وَمَا يَقْرُبُ مِنْهَا، وَإِنْ أَرَادَ بَعْضَ الْعَطِيَّةِ فَمَا مِنْ جَوَادٍ إِلَّا وَيَسْتَصْعِبُ بَعْضَهَا.

وَأَمَّا الْجُودُ، فَقِيلَ: عَطَاءٌ بِلَا مَنٍّ، وَإِسْعَافٌ بِلَا رَوِيَّةٍ؛ وَقِيلَ: عَطَاءٌ عَلَى رُؤْيَةِ [أَنَّ الْمَالَ لِلَّهِ، وَالْعَبْدَ لِلَّهِ، فَيُعْطِي عَبْدُ اللهِ مَالَ اللهِ عَلَى غَيْرِ رُؤْيَةِ][2] الْفَقْرِ؛ وَقِيلَ: مَنْ أَعْطَى الْبَعْضَ [وَأَبْقَى الْبَعْضَ][3] فَهُوَ صَاحِبُ سَخَاءٍ،

(1) سورة الحشر الآية: 9.
(2) سقطت من الأزهرية.
(3) سقطت من الأزهرية.

وَمَنْ بَذَلَ الْأَكْثَرَ وَأَبْقَى لِنَفْسِهِ الْأَقَلَّ فَهُوَ صَاحِبُ جُودٍ، وَمَنْ قَاسَى الضُّرَّ وَآثَرَ غَيْرَهُ بِالْبُلْغَةِ فَهُوَ صَاحِبُ إِيثَارٍ، وَمَنْ لَمْ يَبْذُلْ شَيْئًا فَهُوَ صَاحِبُ بُخْلٍ.

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ التَّفَاسِيرَ لَا تَفِي بِالْمَقْصُودِ، بَلْ نَقُولُ: الْمَالُ خُلِقَ لِحِكْمَةٍ وَمَقْصُودٍ، فَإِمْسَاكُهُ فِي مَحَلِّ الْبَذْلِ بُخْلٌ، وَبَذْلُهُ فِي مَحَلِّ الْإِمْسَاكِ تَبْذِيرٌ، وَالْوَسَطُ هُوَ الْمَحْمُودُ، فَالسَّخَاءُ وَالْجُودُ عِبَارَةٌ عَنْهُ، وَلَكِنْ يُشْتَرَطُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِطِيبِ الْقَلْبِ.

ثُمَّ تَمْيِيزُ قَدْرِ الْوَاجِبِ عَسِيرٌ جِدًّا.

وَجُمْلَةُ الْكَلَامِ فِيهِ أَنَّهُ قِسْمَانِ: وَاجِبٌ بِالشَّرْعِ، وَوَاجِبٌ بِالْمُرُوءَةِ وَالْعَادَةِ. فَمَنْ مَنَعَ وَاجِبًا مِنْهُمَا فَهُوَ بَخِيلٌ، وَمَانِعُ وَاجِبِ الشَّرْعِ أَبْخَلُ، كَمَانِعِ أَدَاءِ الزَّكَاةِ، أَوْ نَفَقَةِ الْعِيَالِ، أَوْ يُؤَدِّيهَا بِمَشَقَّةٍ وَكُلْفَةٍ.

وَوَاجِبُ الْمُرُوءَةِ، كَتَقْتِيرِ نَفَقَةِ أَوْلَادِهِ وَأَهْلِهِ، وَلَهُ مَرَاتِبُ: إِذْ لَا يَقْبُحُ مِنَ الْفَقِيرِ قَدْرُ مَا يَقْبُحُ مِنَ الْغَنِيِّ، وَيُسْتَقْبَحُ مَعَ الْأَقَارِبِ مَا لَا يُسْتَقْبَحُ مَعَ الْأَجَانِبِ، وَيُسْتَقْبَحُ مَعَ الْجَارِ مَا لَا يُسْتَقْبَحُ مَعَ الْأَبَاعِدِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ.

فَمَنْ أَدَّى وَاجِبَ الشَّرْعِ وَالْمُرُوءَةِ فَقَدْ تَبَرَّأَ مِنَ الْبُخْلِ، وَلَكِنْ لَا يَتَّصِفُ بِصِفَةِ الْجُودِ وَالسَّخَاءِ مَا لَمْ يَبْذُلْ زِيَادَةً عَلَى ذَلِكَ، وَلَكِنْ بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ عَنْ طِيبَةِ نَفْسٍ، وَلَا عَنْ طَمَعٍ وَرَجَاءِ مُكَافَأَةٍ، أَوْ شُكْرٍ أَوْ ثَنَاءٍ أَوْ خَوْفٍ مِنَ

الْهِجَاءِ، أَوْ مَلَامَةِ الْخَلْقِ، لِأَنَّ مَنْ أَعْطَى لِمَا ذُكِرَ مِنَ الْأَحْوَالِ مُعْتَاضٌ[1] لَا جَوَادٌ، وَإِنَّمَا الْجُودُ: الْبَذْلُ مِنْ غَيْرِ عِوَضٍ، وَلِهَذَا لا يُوجَدُ الْجُودُ إِلَّا في حَقِّ اللهِ تَعَالَى، وَفِي الْآدَمِيِّ مَجَازٌ، نَعَمْ، مَنْ فَعَلَهُ لِغَرَضِ الثَّوَابِ، وَتَطْهِيرِ النَّفْسِ عَنْ رَذَالَةِ الْبُخْلِ، يُسَمَّى جَوَادًا فِي بَنِي آدَمَ[2].

(1) معتاض: تعوض منه واعتاض: أخذ الْعِوَضَ. اللسان/ عوض.

(2) الإحياء: 3/ 259 ـ 261.

الْمَطْلَبُ الرَّابِعُ: فِي عِلَاجِ الْبُخْلِ

اِعْلَمْ أَنَّ الْبُخْلَ سَبَبُهُ حُبُّ الْمَالِ، وَحُبُّ الْمَالِ لَهُ سَبَبَانِ:

أَحَدُهُمَا: حُبُّ الشَّهَوَاتِ الَّتِي لَا يُتَوَصَّلُ إِلَيْهَا إِلَّا بِالْمَالِ مَعَ طُولِ الْأَمَلِ، وَإِنْ كَانَ قَصِيرَ الْأَمَلِ قَامَ الْأَوْلَادُ مَقَامَ طُولِ الْأَمَلِ، فَإِذَا انْضَافَ إِلَى ذَلِكَ خَوْفُ الْفَقْرِ وَقِلَّةُ الثِّقَةِ بِمَجِيءِ الرِّزْقِ؛ قَوِيَ الْبُخْلُ لَا مَحَالَةَ.

وَثَانِيهِمَا: أَنْ يُحِبَّ عَيْنَ الْمَالِ حَتَّى لَا يُخْرِجَ زَكَاتَهُ، وَلَا يُدَاوِيَ نَفْسَهُ عِنْدَ الْمَرَضِ، بَلْ يُحِبُّ الْمَالَ، وَيَلْتَذُّ بِوُجُودِهِ، وَهُوَ مَرَضٌ مُزْمِنٌ لَا يُرْجَى عِلَاجُهُ، لا سِيَّمَا فِي كِبَرِ السِّنِّ.

وَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا، فَاعْلَمْ أَنَّ عِلَاجَهُ بِمُضَادَّةِ سَبَبِهِ.

فَيُعَالَجُ حُبُّ الشَّهَوَاتِ بِالْقَنَاعَةِ وَالصَّبْرِ، وَيُعَالَجُ طُولُ الْأَمَلِ بِكَثْرَةِ ذِكْرِ الْمَوْتِ، وَالنَّظَرِ فِي مَوْتِ الْأَقْرَانِ.

وَيُعَالَجُ الِالْتِفَاتُ إِلَى الْوَلَدِ بِأَنَّ الَّذِي خَلَقَهُ خَلَقَ رِزْقَهُ، وَكَمْ مِنْ وَلَدٍ حَسُنَ حَالُهُ وَلَمْ يَرِثْ شَيْئًا، وَكَمْ مِنْ وَلَدٍ وَرِثَ مَالًا عَظِيمًا وَهُوَ فِي شِدَّةٍ. وَيَعْلَمُ أَنَّهُ يَتْرُكُ وَلَدَهُ بِخَيْرٍ وَهُوَ يَنْقَلِبُ إِلَى رَبِّهِ بِشَرٍّ، وَأَنَّ وَلَدَهُ إِنْ كانَ تَقِيًّا فَيَكْفِيهِ اللهُ، وَإِنْ كَانَ فَاسِقًا يُعِينُ بِمَالِهِ عَلَى فِسْقِهِ، فَتَرْجِعُ مَظْلَمَتُهُ إِلَيْهِ.

وَيُعَالَجُ أَيْضًا بِكَثْرَةِ التَّأَمُّلِ فِي الْأَخْبَارِ الْوَارِدَةِ فِي ذَمِّ الْبُخْلِ، وَفِي قَبَائِحِ الْبُخَلَاءِ.

وَمِنْ عِلَاجِهِ: أَنْ يَخْدَعَ نَفْسَهُ بِحُسْنِ الِاسْمِ وَالشُّهْرَةِ بِالسَّخَاءِ، فَيَبْذُلَ رِيَاءً حَتَّى يَكُونَ الْبَذْلُ طَبْعًا. وَبَعْدَ ذَلِكَ يُبَدِّلُهُ إِلَى الْإِخْلَاصِ وَالِاعْتِدَالِ.

وَالصِّفَاتُ الذَّمِيمَةُ قَدْ يُسَلَّطُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، وَيَكْسِرُ سَوْرَةَ بَعْضٍ بِبَعْضٍ[1].

---

(1) الإحياء: 3/ 262.

الْمَطْلَبُ الْخَامِسُ: **فِي وَظَائِفِ الْعَبْدِ فِي مَالِهِ.**

وَهِيَ خَمْسٌ:

الْأَوَّلُ: أَنْ يَعْرِفَ مَقْصُودَ الْمَالِ حَتَّى لَا يَحْفَظَ إِلَّا قَدْرَ الْحَاجَةِ.

الثَّانِي: أَنْ يُرَاعِيَ جِهَةَ الدَّخْلِ، فَيَجْتَنِبَ الْحَرَامَ وَمَا يَقْدَحُ فِي الْمُرُوءَةِ.

الثَّالِثُ: أَنْ لَا يَسْتَكْثِرَ عَلَى الْقَدْرِ الْوَاجِبِ، وَقَدْ عَرَفْتَهُ، وَيُرَاعِيَ الْقَصْدَ فِي الْوَاجِبِ أَيْضًا.

الرَّابِعُ: أَنْ يُرَاعِيَ جِهَةَ الْخَرْجِ[1]، وَيَقْتَصِدَ فِي الْإِنْفَاقِ، وَيَضَعَهُ فِي مَحَلِّهِ.

الْخَامِسُ: أَنْ يُصْلِحَ نِيَّتَهُ فِي الْأَخْذِ وَالتَّرْكِ وَالْإِنْفَاقِ وَالْإِمْسَاكِ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لَوْ أَنَّ رَجُلًا أَخَذَ جَمِيعَ مَا فِي الْأَرْضِ، وَأَرَادَ بِهِ وَجْهَ اللهِ فَهُوَ زَاهِدٌ، وَلَوْ أَنَّهُ تَرَكَ الْجَمِيعَ وَلَمْ يُرِدْ بِهِ وَجْهَ اللهِ فَلَيْسَ بِزَاهِدٍ»[2].

قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ أَبْعَدَ الْحَرَكَاتِ عَنِ الْعِبَادَةِ الْأَكْلُ وَقَضَاءُ الْحَاجَةِ، فَإِذَا كَانَ قَصْدُكَ بِهِمَا التَّهَيُّؤَ لِلْعِبَادَةِ صَارَ ذَلِكَ عِبَادَةً[3].

---

(1) الْخَرْجُ والخَرَاجُ واحد: وهو شيء يُخْرِجُهُ القَوْمُ في السَّنَةِ من مالهم بِقَدْرٍ معلومٍ. اللسان/ خرج.

(2) الذريعة إلى مكارم الشريعة: 282 ـ 283.

(3) الإحياء: 3/ 263 ـ 264.

الْمَطْلَبُ السَّادِسُ: فِي مَدْحِ الْفَقْرِ وَذَمِّ الْغِنَى

وَاخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ، قالَ بَعْضُهُمْ: «الْغَنِيُّ الشَّاكِرُ أَفْضَلُ مِنَ الْفَقِيرِ الصَّابِرِ»[1]، وعَكَسَ الْبَعْضُ. إِلَّا أَنَّ الْمُخْتَارَ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ: أَنَّ الْفَقِيرَ الصَّابِرَ أَفْضَلُ، سِيَّمَا وَقَدْ قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَدْخُلُ صَعَالِيكُ الْمُهَاجِرِينَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِخَمْسِمِئَةِ عَامٍ»[2].

وَاعْلَمْ أَنَّ الْكَلَامَ فِي هَذَا الْمَقَامِ طَوِيلٌ، لَا يُمْكِنُ حَصْرُهُ فِي هَذَا النَّزْرِ الْحَقِيرِ، فَلْيُطْلَبْ فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ، وَإِنَّمَا جُلُّ غَرَضِنَا فِي هَذَا الْكِتَابِ التَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ، وَذَلِكَ فِي جَانِبِ الْفَقْرِ أَوْلَى، قَالَ الشَّاعِرُ: [الطويل]

وَلَسْتُ بِنَظَّارٍ إِلَى جَانِبِ الْغِنَى ... إِذَا كَانَتِ الْعَلْيَاءُ فِي جَانِبِ الْفَقْرِ[3]

وَأَيْضًا مَنْ رَاقَبَ أَحْوَالَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَأَقْوَالَهُمْ، وَمَا وَرَدَ مِنْ آثَارِهِمْ وَأَخْبَارِهِمْ لَمْ يَشُكَّ فِي أَنَّ فَقْدَ الْمَالِ أَفْضَلُ مِنْ وُجُودِهِ وَإِنْ صُرِفَ إِلَى الْخَيْرَاتِ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ[4].

---

(1) المبسوط للسرخسي: 27/ 144، والإحياء: 3/ 264.

(2) الإحياء: 3/ 270، والمغني عن حمل الأسفار في الأسفار: 1177. وأخرجه الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي سعيد بلفظ "الفقراء" مكان "صعاليك".

(3) نسب البيت للشاعر الخريمي في طبقات الشعراء: 293، وبدون نسبة في أمالي القالي: 1/ 221، ومعجم الشعراء للمرزباني: 260، والصناعتين لأبي هلال العسكري: 56.

(4) الإحياء: 3/ 264 ـ 273.

الْأَصْلُ الثَّامِنُ: فِي ذَمِّ الْجَاهِ وَالرِّيَاءِ

وَفِيهِ مَطَالِبُ:

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ: فِي أَنَّ حُبَّ الْجَاهِ أَشَدُّ مِنْ حُبِّ الْمَالِ

وَذَلِكَ لِأَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا لِلتَّوَصُّلِ إِلَى الْمَطَالِبِ، إِلَّا أَنَّ الْمَالَ لَمَّا لَمْ يَأْمَنْ عَنِ الْآفَاتِ، مِنَ السَّرِقَةِ وَالْغَصْبِ وَطَمَعِ الظَّلَمَةِ، وَكانَ الْجَاهُ الَّذِي هُوَ تَسْخِيرُ الْقُلُوبِ وَتَعْظِيمُهَا لَهُ وَطَاعَتُهَا لَهُ مَأْمُونًا عَنِ الْآفَاتِ الْمَذْكُورَةِ، صَارَ الْجَاهُ أَحَبَّ عِنْدَ النَّاسِ؛ وَأَيْضًا لَمَّا كانَ التَّوَصُّلُ بِالْمَالِ أَصْعَبَ مِنَ التَّوَصُّلِ بِالْجَاهِ إِلَى الْمَالِ صَارَ الْجَاهُ أَحَبَّ عِنْدَهُ.

وَأَيْضًا إِنَّ مِلْكَ الْقُلُوبِ يَسْرِي وَيَنْمُو وَيَتَزَايَدُ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى تَعَبٍ وَمُقَاسَاةٍ بِخِلَافِ الْمَالِ.

فَإِنْ قُلْتَ: النُّفُوسُ مَجْبُولَةٌ عَلَى حُبِّ الْجَاهِ، إِذْ لَا يُتَوَصَّلُ إِلَى الْمَحْبُوبِ إِلَّا بِهِ، كَاتِّسَاعِ الْجَاهِ، وَانْتِشَارِ الصِّيتِ.

قُلْتُ: هَذَا الْحُبُّ لَهُ سَبَبَانِ:

أَحَدُهُمَا: وَهُوَ الْجَلِيُّ، أَنَّ الْإِنْسَانَ وَإِنْ كَانَ مَكْفِيًّا فِي الْحَالِ، فَإِنَّهُ طَوِيلُ الْأَمَلِ، وَالْمَالُ فِي مَعْرِضِ الْآفَاتِ، وَفِي الْجَاهِ أَمْنٌ عَنْ هَذَا الْخَوْفِ.

وَثَانِيهِمَا: وَهُوَ الْخَفِيُّ الْأَقْوَى، لِأَنَّ الرُّوحَ أَمْرٌ رَبَّانِيٌّ بِهِ وَصَفَهُ اللهُ تَعَالَى،

وَقَالَ: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[1]، وَلِذَلِكَ كانَ مُحِبًّا بِطَبْعِهِ التَّفَرُّدَ بِالْكَمَالِ، وَلِمَا فِيهِ مِنَ الْأَمْرِ الرَّبَّانِيِّ صَارَ طَبْعُهُ عَلَى حُبِّ صِفَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ، مِنَ الْكِبْرِ وَالْعِزِّ وَالتَّجَبُّرِ وَالِاسْتِعْلَاءِ، إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا عَجَزَتِ النَّفْسُ عَنْ دَرْكِ مُنْتَهَى الْكَمَالِ، لَمْ تَسْقُطْ شَهْوَتُهَا لِلْكَمَالِ، فَهِيَ مُحِبَّةٌ وَمُشْتَهِيَةٌ لَهُ.

ثُمَّ إِنَّ الْكَمَالَ الْحَقِيقِيَّ لِلْمَوْجُودِ؛ أَنْ يَكُونَ وُجُودُ غَيْرِهِ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ، فَلَا أَقَلَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ مُسْتَوْلِيًا عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ نَوْعُ كَمَالٍ.

وَلَمَّا كانَ الْمَوْجُودُ مُنْقَسِمًا إِلَى مَا لَا يَدْخُلُ تَحْتَ اخْتِيَارِ الْإِنْسَانِ: كَالْأَفْلَاكِ وَالْكَوَاكِبِ وَمَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، وَنُفُوسِ الْمَلَائِكَةِ وَالْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ، وَكَالْجِبَالِ وَالْبِحَارِ وَمَا تَحْتَهَا. وَإِلَى مَا يَدْخُلُ تَحْتَهُ كَالْأَرْضِ وَمَا عَلَيْهَا مِنَ الْمَعَادِنِ وَالنَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ، وَقُلُوبِ نَوْعِ الْإِنْسَانِ، وَكانَ طَبْعُ الْإِنْسَانِ الِاسْتِيلَاءَ عَلَى الْكُلِّ، أَحَبَّ أَنْ يَسْتَوْلِيَ على الْقِسْمِ الْأَوَّلِ بِالْعِلْمِ، وَالِاطِّلَاعِ عَلَى أَسْرَارِهَا؛ فَإِنَّ ذَلِكَ نَوْعُ اسْتِيلَاءٍ، إِذِ الْمَعْلُومُ مُحَاطٌ وَالْعَالِمُ مُحِيطٌ بِهِ، فَلِذَلِكَ أَحَبَّ أَنْ يَعْرِفَ اللهَ وَالْمَلَائِكَةَ وَالْأَفْلَاكَ وَالْكَوَاكِبَ، وَجَمِيعَ عَجَائِبِ السَّمَاوَاتِ وَعَجَائِبِ الْبِحَارِ وَالْجِبَالِ وَغَيْرِهَا.

وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي: فَأَحَبَّ أَنْ يَسْتَوْلِيَ عَلَيْهَا بِالْقُدْرَةِ عَلَى التَّصَرُّفِ فِيهَا كَيْفَ يُرِيدُ. وَهِيَ قِسْمَانِ:

أَجْسَادٌ؛ كَالدَّرَاهِمِ وَالدَّنَانِيرِ وَمَا فِي حُكْمِهِمَا، فَيُحِبُّ أَنْ يَتَصَرَّفَ فِيهَا

---

(1) سورة الإسراء الآية: 85.

كَيْفَ يَشَاءُ، لِأَنَّ مَحْبُوبَ النَّفْسِ صِفَاتُ الرُّبُوبِيَّةِ، وَمَا ذُكِرَ مِنَ التَّصَرُّفِ مِنْهَا، فَلِذَلِكَ أَحَبَّ الدَّرَاهِمَ وَالدَّنَانِيرَ، وَلِذَلِكَ أَيْضًا أَحَبَّ اسْتِرْقَاقَ الْعَبِيدِ، وَاسْتِعْبَادَ الْأَحْرَارِ.

وَالْقِسْمُ الْآخَرُ: أَرْوَاحٌ؛ كَنُفُوسِ الْآدَمِيِّينَ وَقُلُوبِهِمْ، وَهِيَ أَنْفَسُ مَا عَلَى الْأَرْضِ، فَيُحِبُّ الِاسْتِيلَاءَ عَلَيْهَا تَحْقِيقًا لِمَا فِي طَبْعِهِ مِنْ مَحَبَّةِ صِفَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ، لِمَا فِيهِ مِنَ الْأَمْرِ الرَّبَّانِيِّ[1].

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ الْكَمَالَ الْحَقِيقِيَّ لِلَّهِ تَعَالَى، وَمَا عَدَا هَذَا الْكَمَالَ وَهْمِيٌّ لَا حَقِيقَةَ لَهُ، وَذَلِكَ مِنْ وُجُوهٍ ثَلَاثَةٍ:

أَحَدُهَا: مِنْ حَيْثُ كَثْرَةُ الْمَعْلُومَاتِ، إِذْ لَا نِهَايَةَ لَهَا.

وَثَانِيهِمَا: مِنْ حَيْثُ كَوْنُ مَعْلُومَاتِهِ مَكْشُوفَةً لَهُ تَعَالَى بِأَتَمِّ أَنْوَاعِ الْكَشْفِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ.

ثَالِثُهَا: مِنْ حَيْثُ بَقَاءُ الْعِلْمِ أَبَدَ الْآبَادِ مَصُونًا عَنِ التَّغَيُّرِ، وَالْعَبْدُ مَتَى كَانَ عِلْمُهُ بِمَعْلُومَاتٍ كَثِيرَةٍ، أَوْ مُنْكَشِفَةٍ، أَوْ بَاقِيَةٍ، كَانَ أَقْرَبَ إِلَى اللهِ تَعَالَى.

ثُمَّ الْمَعْلُومَاتُ إِمَّا مُتَغَيِّرَاتٌ، وَهِيَ الَّتِي يُمْكِنُ انْقِلَابُهَا؛ وَإِمَّا أَزَلِيَّةٌ، وَهِيَ جَوَازُ الْجَائِزَاتِ، وَوُجُوبُ الْوَاجِبَاتِ، وَاسْتِحَالَةُ الْمُسْتَحِيلَاتِ، فَإِنَّ هَذِهِ مَعْلُومَاتٌ أَبَدِيَّةٌ أَزَلِيَّةٌ ثَابِتَةٌ. وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ: مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَا يَجِبُ لَهُ، وَمَا يَسْتَحِيلُ فِي صِفَاتِهِ، وَيَجُوزُ فِي أَفْعَالِهِ، وَحِكْمَتِهِ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاءِ

---

(1) الإحياء: 3/ 281ـ282.

وَالْأَرْضِ، وَتَرْتِيبُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَهَذَا الْقِسْمُ هُوَ الْكَمَالُ الْحَقِيقِيُّ، يُقَرِّبُ مَنْ يَتَّصِفُ بِهِ مِنَ اللهِ تَعَالَى، وَيَبْقَى كَمَالًا لِلنَّفْسِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَيَكُونُ نُورًا يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ، ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾[1]، وَتَنْطَوِي فِيهِ جَمِيعُ الْمَعَارِفِ الْمُحِيطَةِ بِالْمَوْجُودَاتِ، لِأَنَّهَا مِنْ أَفْعَالِهِ تَعَالَى.

وَهَذِهِ الْكَمَالَاتُ وَإِنْ كَانَتْ كَمَالَاتٍ فِي رُتْبَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ لَيْسَتْ كَمَالَاتٍ حَقِيقِيَّةً بِالنِّسْبَةِ إِلَى عِلْمِهِ تَعَالَى لِمَا عَرَفْتَ، وَكَذَا الْقُدْرَةُ، فَلَيْسَ فِيهَا كَمَالٌ حَقِيقِيٌّ لِلْعَبْدِ، بَلْ لِلْعَبْدِ عِلْمٌ حَقِيقِيٌّ، وَلَيْسَ لَهُ قُدْرَةٌ حَقِيقِيَّةٌ، وَإِنَّمَا الْقُدْرَةُ الْحَقِيقِيَّةُ لِلَّهِ تَعَالَى، وَمَا يَحْدُثُ مِنَ الْأَشْيَاءِ عَقِيبَ قُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ وَحَرَكَتِهِ فَهِيَ حَادِثَةٌ بِإِحْدَاثِ اللهِ تَعَالَى. فَكَمَالُ الْعِلْمِ يَبْقَى لِلْعَبْدِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَيُوصِلُهُ إِلَى اللهِ تَعَالَى؛ فَأَمَّا كَمَالُ الْقُدْرَةِ فَلَا. نَعَمْ لَهُ كَمَالٌ مِنْ جِهَةِ قُدْرَتِهِ إِلَى أَسْبَابِ الْعِلْمِ؛ كَسَلَامَةِ أَطْرَافِهِ وَحَوَاسِّهِ، لَكِنْ فِي الْحَالِ، وَبِالْإِضَافَةِ إِلَى الْجُهَّالِ؛ وَإِنَّمَا الْكَمَالُ الْحَقِيقِيُّ لِلْعَبْدِ الْقُرْبُ مِنَ اللهِ تَعَالَى، وَمِنْ مَلَائِكَتِهِ، وَهُوَ إِمَّا بِالْعِلْمِ وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ، أَوْ بِالْحُرِّيَّةِ، وَهِيَ الْخَلَاصُ عَنْ أَسْرِ الشَّهَوَاتِ، وَغُمُومِ الدُّنْيَا. وَالِاسْتِيلَاءِ عَلَيْهَا بِالْقَهْرِ تَشَبُّهًا بِالْمَلَائِكَةِ؛ فَإِذَنْ الْكَمَالَاتُ ثَلَاثَةٌ: الْعِلْمُ وَالْقُدْرَةُ وَالْحُرِّيَّةُ، وَأَنَّ كَمَالَ الْقُدْرَةِ بِالْمَالِ وَالْجَاهِ ظَنِّيٌّ لَا أَصْلَ لَهُ إِلَّا قَدْرَ مَا يَصِلُ إِلَى الْكَمَالِ[2].

---

(1) سورة التحريم الآية: 8.

(2) الإحياء: 3/ 283 ـ 285.

الْمَطْلَبُ الثَّانِي: مَا يُحْمَدُ مِنْ حُبِّ الْجَاهِ وَمَا يُذَمُّ مِنْهُ.

اِعْلَمْ أَنَّهُ كَمَا يَلْزَمُ لِلْإِنْسَانِ مِنْ أَدْنَى مَالٍ يَتَوَسَّلُ[1] بِهِ إِلَى الْآخِرَةِ، كَذَلِكَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَدْنَى جَاهٍ يَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَيْهَا؛ كَخَادِمٍ يُعِينُهُ، وَأُسْتَاذٍ يُرْشِدُهُ وَيُعَلِّمُهُ، وَسُلْطَانٍ يَدْفَعُ عَنْهُ الشَّرَّ. وَحُبُّهُ قَدْرًا مِنَ الْجَاهِ الَّذِي يُتَوَسَّلُ بِهِ إِلَى هَذِهِ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ ضَرُورِيٌّ لَا يُذَمُّ عَلَيْهِ. وَإِنَّمَا الَّذِي يُذَمُّ أَنْ يُجْعَلَ الْقَصْدُ الْأَصْلِيُّ هَذَا الْجَاهَ، وَيُجْعَلَ مَا يُتَوَسَّلُ بِالْجَاهِ إِلَيْهِ وَسِيلَةً إِلَيْهِ؛ كَحُبِّ نَفْسِ الْمَالِ، وَجَعْلِ الْعِلْمِ وَالدِّينِ وَسِيلَةً إِلَيْهِ، وَهُوَ حَرَامٌ، وَإِلَيْهِ يَؤُولُ حُرْمَةُ الرِّيَاءِ.

ثُمَّ الْجَاهُ فِي الْأُمُورِ الْمَذْكُورَةِ إِمَّا بِاعْتِقَادِهِمْ صِفَةً هِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهِ، كَقَوْلِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[2]؛ أَوْ بِإِخْفَاءِ عَيْبٍ مِنْ عُيُوبِهِ، أَوْ مَعْصِيَةٍ مِنْ مَعَاصِيهِ، وَذَلِكَ جَائِزٌ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِتَلْبِيسٍ، بَلْ سَدٌّ لِطَرِيقِ الْعِلْمِ بِمَا لَا فَائِدَةَ فِي الْعِلْمِ بِهِ، كَمَنْ يُخْفِي أَنَّهُ يَشْرَبُ الْخَمْرَ، لَكِنْ لَا يُظْهِرُ أَنَّهُ وَرِعٌ، لِأَنَّ الْإِخْفَاءَ جَائِزٌ؛ وَأَمَّا إِظْهَارُ الْوَرَعِ رِيَاءٌ؛ أَوْ بِأَنْ يَدَّعِيَ صِفَةً لَيْسَتْ هِيَ فِيهِ، بِأَنْ يُظْهِرَ أَنَّهُ عَالِمٌ، أَوْ وَرِعٌ، أَوْ عَلَوِيٌّ، وَذَلِكَ حَرَامٌ قَطْعًا، لِأَنَّهُ رِيَاءٌ مَحْضٌ[3].

---

(1) يتوصل، في أنطاليا.

(2) سورة يوسف الآية: 55.

(3) الإحياء: 3/ 285-286.

الْمَطْلَبُ الثَّالِثُ: فِي أَسْبَابِ حُبِّ الْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ وَبُغْضِ الذَّمِّ وَالنُّفْرَةِ مِنْهُ وَهِيَ أَرْبَعَةٌ:

الْأَوَّلُ: وَهُوَ الْأَقْوَى، شُعُورُ النَّفْسِ بِكَمَالِهَا، فَإِنْ كانَ ذَلِكَ الْكَمَالُ جَلِيًّا ظَاهِرًا كَانَتِ اللَّذَّةُ أَضْعَفَ، كَطُولِ الْقَامَةِ وَبَيَاضِ اللَّوْنِ؛ وَإِنْ كَانَ خَفِيًّا مَشْكُوكًا فِيهِ كَانَتِ اللَّذَّةُ أَعْظَمَ، كَالْعِلْمِ وَالْوَرَعِ، سِيَّمَا إِذَا صَدَرَ الثَّنَاءُ بِهَذَا الْكَمَالِ مِمَّنْ هُوَ خَبِيرٌ بِذَلِكَ لَا يُجَازِفُ فِي الْقَوْلِ، كَثَنَاءِ الْأُسْتَاذِ عَلَى تِلْمِيذِهِ. وَيُعْرَفُ مِنْ لَذَّةِ الْمَدْحِ بُغْضُ الذَّمِّ عِنْدَ الْإِنْسَانِ.

الثَّانِي: أَنَّ الْمَدْحَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ قَلْبَ الْمَادِحِ مَمْلُوكٌ لِلْمَمْدُوحِ، وَمُسَخَّرٌ تَحْتَ مَشِيئَتِهِ، وَلِهَذَا يَتَأَلَّمُ الْقَلْبُ مِنْ ذَمِّ الْأَكَابِرِ.

الثَّالِثُ: أَنَّ الْمَدْحَ سَبَبٌ لِاصْطِيَادِ الْقُلُوبِ، سِيَّمَا إِذَا كانَ مِمَّنْ يُعْتَدُّ بِشَأْنِهِ، وَلِهَذَا تَعظُمُ اللَّذَّةُ فِي مَدْحِ الْأَكَابِرِ فِي الْجَمْعِ الْكَثِيرِ، وَيَعْظُمُ التَّأَلُّمَ مِنَ الذَّمِّ فِي الْمَلَإِ.

الرَّابِعُ: أَنَّ الْمَدْحَ يَدُلُّ عَلَى حِشْمَةِ الْمَمْدُوحِ، وَاضْطِرَارِ الْمَادِحِ إِلَى إِطْلَاقِ اللِّسَانِ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ إِمَّا عَنْ طَوْعٍ، أَوْ عَنْ قَهْرٍ، وَهَذِهِ اللَّذَّةُ تَحْصُلُ وَإِنْ كَانَ الْمَادِحُ لَا يَعْتَقِدُ فِي الْبَاطِنِ مَا مُدِحَ بِهِ، وَلَكِنْ يَتَلَذَّذُ بِهِ الْقَلْبُ لِمَا فِيهِ مِنَ الِاسْتِيلَاءِ وَالْقَهْرِ. ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْأَسْبَابَ كُلًّا أَوْ بَعْضًا رُبَّمَا تَجْتَمِعُ فِي مَدْحِ مَادِحٍ وَاحِدٍ، فَلَا لَذَّةَ فَوْقَهُ.

وَأَمَّا عِلَاجُ هَذِهِ الْأَسْبَابِ؛ أَمَّا الْأَوَّلُ فَبِأَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ غَيْرُ صَادِقٍ فِي مَدْحِهِ، فتَزُولَ لَذَّتُهُ، وَتَبْقَى لَذَّةُ الِاسْتِيلَاءِ عَلَى قَلْبِهِ؛ ثُمَّ إِنْ عَلِمَ أَنَّ الْمَادِحَ لَا يَعْتَقِدُ مَا يَقُولُهُ بَطَلَتِ اللَّذَّةُ الثَّانِيَةُ، وَتَبْقَى لَذَّةُ الِاسْتِيلَاءِ بِالْحِشْمَةِ عَلَى الِاضْطِرَارِ، فَإِنِ اعْتَقَدَ أَنَّ ذَلِكَ عَنْ خَوْفٍ، وَأَنَّهُ يَلْعَبُ بِهِ، بَطَلَتِ اللَّذَّاتُ كُلُّهَا[1].

(1) الإحياء: 3/ 286 ـ 287.

الْمَطْلَبُ الرَّابِعُ: فِي عِلَاجِ حُبِّ الْجَاهِ

اِعْلَمْ أَنَّ مَنْ غَلَبَ عَلَى طَبْعِهِ حُبُّ الْجَاهِ، وَكانَ مَقْصُورَ الْهَمِّ عَلَى مُرَاعَاةِ الْخَلْقِ عَلَيْهِمْ، وَالْمُرَاءَاةِ لِأَجْلِهِمْ، وَلا يَزَالُ مُلْتَفِتًا إلى مَا يُعَظِّمُ جَاهَهُ عِنْدَهُ، وَيَجُرُّ ذَلِكَ إلى التَّسَاهُلِ فِي الْعِبَادَاتِ، وَمُرَاعَاةِ الْقُلُوبِ.

وَعِلَاجُ الْجَاهِ مِنْ حَيْثُ الْعِلْمُ أَنَّ الْجَاهَ وَإِنْ صَفَا وَسَلِمَ لَكَ لَكِنْ آخِرُهُ الْمَوْتُ، بَلْ لَوْ سَجَدَ لَكَ كُلُّ مَنْ عَلَى بَسِيطِ الْأَرْضِ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ فَإِلَى خَمْسِينَ سَنَةً أَوْ سِتِّينَ، لَا يَبْقَى السَّاجِدُ، وَلَا الْمَسْجُودُ لَهُ؛ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَتْرُكَ لَهُ الدِّينَ الَّذِي هُوَ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ.

وَأَمَّا مِنْ حَيْثُ الْعَمَلُ، فَبِمُبَاشَرَةِ فِعْلٍ يَسْقُطُ جَاهُهُ بِهِ عِنْدَ النَّاسِ، حَتَّى إِنَّ بَعْضًا مِنَ الْمَلَامَتِيَّةِ(1) اقْتَحَمُوا صُوَرَ الْفَوَاحِشِ كَذَلِكَ، لَكِنَّهُ لَا يَجُوزُ لِمَنْ يُقْتَدَى بِهِ.

وَالْأَسْلَمُ أَنْ يَسْقُطَ فِي صُورَةِ الْمُبَاحِ، كَالْأَكْلِ الْكَثِيرِ إِنْ عُرِفَ بِقِلَّةِ الْأَكْلِ، وَكَالدَّوَرَانِ فِي الْأَسْوَاقِ إِنْ عُرِفَ بِالْعُزْلَةِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ. وَهَذَا وَأَمْثَالُهُ وَإِنْ كانَ مَمْنُوعًا فِي الْفِقْهِ، لَكِنَّ أَرْبَابَ الْقُلُوبِ يُعَالِجُونَ قُلُوبَهُمْ تَارَةً

---

(1) الْمَلَامَتِيَّةُ: هم أهل الملامة يقومون بأعمال تستوجب ملامة الناس سترا لأسرارهم وصونا لأحوالهم قصدا إلى محاربة دعوى النفس، والاكتفاء بعلم الحق بأحوالهم وحقائقهم. لطائف الإشارات: 1/ 467 هامش رقم: 1.

بِالْمَكْرُوهَاتِ، وَتَارَةً بِالْمُحَرَّمَاتِ، لِيَسْلَمُوا مِمَّا هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ، لِأَنَّ: «بَعْض الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضٍ»[1]، ثُمَّ يَتَدَارَكُونَ ذَلِكَ بِعِلَاجٍ آخَرَ.

ثُمَّ إِنَّ هَهُنَا مَوْضِعَ غُرُورٍ، وَهُوَ أَنَّ الْإِنْسَانَ رُبَّمَا يَعْتَزِلُ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ يَتْرُكُ الْجَاهَ، وَلَكِنَّ غَرَضَهُ تَحْصِيلُ الْجَاهِ بِذَلِكَ، وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ. فَعَلَيْهِ أَنْ يَمْتَحِنَ نَفْسَهُ بِذَلِكَ أَوَّلًا، فَإِنْ جَزِعَ، فَلْيَتَدَارَكْ ذَلِكَ بِالْعِلَاجِ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ لَا يَطْلُبَ الْمَنْزِلَةَ عِنْدَ النَّاسِ مَا طَمَعَ فِي النَّاسِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَدْفَعَ الطَّمَعَ أَوَّلًا بِمَا بَيَّنَّاهُ فِي مَوْضِعِهِ[2].

---

(1) يضرب هذا المثل عند ظهورِ الشَّرَّيْنِ بَيْنَهُمَا تَفَاوُتٌ، وهو مأخوذٌ من قول طرفة بن العبد: [الطويل]

أَبَا مُنْذِرٍ أفْنَيْتَ فاسْتَبْقِ بَعْضَنَا *** حَنَانَيْكَ بَعْضُ الشَّرِّ أهْوَنُ من بَعْضِ

ورد في: جمهرة الأمثال: 1/ 67، ومجمع الأمثال: 1/ 94.

(2) الإحياء: 3/ 288.

الْمَطْلَبُ الْخَامِسُ: **وَجْهُ الْعِلَاجِ فِي حُبِّ الْمَدْحِ وَبُغْضِ الذَّمِّ**

اِعْلَمْ أَنَّ أَكْثَرَ الْخَلْقِ هَلَكُوا لِرَجَائِهِمْ مِنَ النَّاسِ الْمَدْحَ، وَتَوَقِّيهِمْ عَنْ ذَمِّهِمْ، فَلَا بُدَّ مِنْ مُعَالَجَةِ ذَلِكَ الْمَرَضِ.

وَلْنُقَدِّمْ أَوَّلًا أَسْبَابَهُ، ثُمَّ لِنُبَيِّنْ عِلَاجَهُ:

وَالسَّبَبُ الْأَوَّلُ: اسْتِشْعَارُ الْكَمَالِ بِسَبَبِ قَوْلِ الْمَادِحِ؛ وَعِلَاجُهُ أَنَّ صِفَةَ الْمَدْحِ إِنْ لَمْ تَكُنْ فِي الْمَمْدُوحِ فَالْفَرَحُ بِهَا مِنْ غَايَةِ الْجَهْلِ، وَإِنْ كَانَتْ فِيهِ، فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ قَبِيلِ الْجَاهِ وَالْأَغْرَاضِ الدُّنْيَوِيَّةِ، فَالْفَرَحُ بِهَا كَالْفَرَحِ بِنَبَاتِ الْأَرْضِ. قَالَ الْقَائِلُ: [الوافر]

أَشَدُّ الْغَمِّ عِنْدِي فِي سُرُورٍ تَيَقَّنَ عَنْهُ صَاحِبُهُ انْتِقَالَا[1]

وَإِنْ جَازَ الْفَرَحُ بِهَا لَا يَنْبَغِي الْفَرَحُ بِالْمَدْحِ بِهَا، بَلْ بِوُجُودِهَا، وَالْمَدْحُ لَيْسَ هُوَ سَبَبَ وُجُودِهَا؛ وَإِنْ كَانَتْ مِمَّا يُسْتَحَقُّ الْفَرَحُ بِهَا؛ كَالْعِلْمِ وَالْوَرَعِ، فَيَنْبَغِي أَنْ لَا يَفْرَحَ بِهَا أَيْضًا، لِأَنَّ الْخَاتِمَةَ غَيْرُ مَعْلُومَةٍ.

السَّبَبُ الثَّانِي: دَلَالَةُ الْمَدْحِ عَلَى تَسْخِيرِ قَلْبِ الْمَادِحِ، وَكَوْنُهُ سَبَبًا لِتَسْخِيرِ قَلْبٍ آخَرَ، وَذَلِكَ رَاجِعٌ إِلَى حُبِّ الْجَاهِ؛ وَقَدْ عَرَفْتَ عِلَاجَهُ.

السَّبَبُ الثَّالِثُ: الْحِشْمَةُ الَّتِي اضْطَرَّتِ الْمَادِحَ إِلَى الْمَدْحِ، فَهُوَ أَيْضًا رَاجِعٌ إِلَى قُدْرَةٍ عَارِضَةٍ لَا ثَبَاتَ لَهَا، سِيَّمَا وَآفَةُ الْمَدْحِ عَلَى الْمَمْدُوحِ عَظِيمَةٌ.

---

(1) البيت للمتنبي في التبيان في شرح الديوان للعكبري: 3/ 224

وَأَمَّا عِلَاجُ كَرَاهِيَةِ الذَّمِّ، قَدْ سَبَقَ أَنَّ الْعِلَّةَ فِيهَا ضِدُّ الْعِلَّةِ فِي حُبِّ الْمَدْحِ، فَعِلَاجُهُ يُفْهَمُ مِنْهُ.

وَحَاصِلُهُ؛ أَنَّ مَنْ ذَمَّ إِمَّا أَنْ يَكُونَ صَادِقًا، وَقَصَدَ بِهِ النُّصْحَ، فَيَنْبَغِي أَنْ تَتَقَلَّدَ مِنَّتَهُ؛ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ صَادِقًا، وَقَصَدَ الْأَذَى وَالتَّعَنُّتَ، فَأَنْتَ قَدِ انْتَفَعْتَ بِقَوْلِهِ إِذْ أَرْشَدَكَ إِلَى عَيْبِكَ إِنْ كُنْتَ جَاهِلًا، أَوْ ذَكَّرَكَ عَيْبَكَ إِنْ كُنْتَ غَافِلًا، وَقَصْدُهُ التَّعَنُّتُ جِنَايَةٌ مِنْهُ عَلَى دِينِهِ، وَلَا عَلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ؛ وَإِمَّا أَنْ يَفْتَرِيَ عَلَيْكَ بِمَا أَنْتَ بَرِيءٌ مِنْهُ عِنْدَ اللهِ، فَعَلَيْكَ أَنْ تَتَفَكَّرَ فِي ثَلَاثَةِ أُمُورٍ:

أَحَدُهَا: إِنْ خَلَوْتَ مِنْ ذَلِكَ فَلَا تَخْلُو عَنْ أَمْثَالِهِ، وَما يَسْتُرُ اللهُ مِنْ عُيُوبِكَ أَكْثَرُ.

وَثَانِيهَا: أَنَّ ذَلِكَ كَفَّارَةٌ لِبَقِيَّةِ مَسَاوِئِكَ وَذُنُوبِكَ، فَكَأَنَّهُ رَمَاكَ بِذَنْبٍ، وَطَهَّرَكَ عَنْ ذُنُوبٍ.

وَثَالِثُهَا: أَنَّ الْمِسْكِينَ جَنَى عَلَى نَفْسِهِ وَدِينِهِ، وَتَعَرَّضَ لِعِقَابِ اللهِ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ تَغْضَبَ عَلَيْهِ مَعَ غَضَبِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ، فَتُشْمِتَ الشَّيْطَانَ بِهِ وَتَقُولَ: اللَّهُمَّ أَهْلِكْهُ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَصْلِحْهُ، اللَّهُمَّ تُبْ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ.

وَمِنْ جُمْلَةِ مَا يُهَوِّنُ عَلَيْهِ الْمَذَمَّةَ قَطْعُ الطَّمَعِ، فَإِنَّ مَنِ اسْتَغْنَى عَنْهُ لَا يَعْظُمُ عِنْدَهُ الذَّمُّ وَالْمَدْحُ[1].

---

(1) الإحياء: 3/ 289 ـ 291.

الْمَطْلَبُ السَّادِسُ: فِي أَحْوَالِ النَّاسِ فِي الْمَدْحِ وَالذَّمِّ

وَهِيَ أَرْبَعٌ:

الْأُولَى: أَنْ يَفْرَحَ بِالْمَدْحِ، وَيَشْكُرَ الْمَادِحَ، وَيَغْضَبَ مِنَ الذَّمِّ، وَيَحْقِدَ عَلَى الذَّامِّ، وَهِيَ غَايَةُ دَرَجَاتِ الْمَعْصِيَةِ.

الثَّانِيَةُ: أَنْ يَمْتَعِضَ، وَلَكِنْ يُمْسِكُ لِسَانَهُ وَجَوَارِحَهُ عَنْ مُكَافَآتِهِ، وَهَذَا نَاقِصٌ في نَفْسِهِ، كَامِلٌ بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَا قَبْلَهُ.

الثَّالِثَةُ: وَهُوَ أَوَّلُ دَرَجَاتِ الْكَمَالِ، أَنْ يَسْتَوِيَ عِنْدَهُ ذَامُّهُ وَمَادِحُهُ، إِلَّا أَنَّ هَهُنَا مَوْضِعَ غُرُورٍ، وَهُوَ أَنَّ بَعْضَهُمْ يَظُنُّهُ مِنْ نَفْسِهِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يُمْتَحَنَ هَل يَسْتَثْقِلُ جُلُوسَ الذَّامِّ عِنْدَهُ أَكْثَرَ مِمَّا يَجِدُهُ فِي الْمَادِحِ، وَهَلْ يَجِدُ فِي نَفْسِهِ زِيَادَةَ هِزَّةٍ وَنَشَاطٍ في قَضَاءِ حَوَائِجِ الْمَادِحِ، فَوْقَ مَا يَجِدُهُ في قَضَاءِ حَوَائِجِ الذَّامِّ، وَهَلْ يَكُونُ مَوْتُ الْمَادِحِ الْمُطْرِي لَهُ أَشَدَّ نِكَايَةً في قَلْبِهِ مِنْ مَوْتِ الذَّامِّ، وَهَلْ تَكُونُ زَلَّةُ الْمَادِحِ أَخفَّ عَلَى قَلْبِهِ وَفِي عَيْنِهِ مِنْ زَلَّةِ الذَّامِّ، فَمَنِ اسْتَوَيَا عِنْدَهُ في هَذِهِ الْأُمُورِ فَقَدْ نَالَ تِلْكَ الرُّتْبَةَ، وَإِلَّا فَقَدْ أُبْعِدَ عَنْهَا غَايَةَ الْبُعْدِ.

الرَّابِعَةُ: وَهُوَ الصِّدْقُ فِي الْعِبَادَةِ، أَنْ يَكْرَهَ الْمَدْحَ، وَيَمْقُتَ الْمَادِحَ، إِذْ يَعْلَمُ أَنَّهُ فِتْنَتُهُ عَلَيْهِ قَاصِمَةٌ لِلظَّهْرِ، وَالذَّامُّ مُهْدٍ إِلَيْهِ عَيْبَهُ، وَمُرْشِدٌ لَهُ إِلَى مُهِمِّهِ(1).

---

(1) الإحياء: 3/ 291 ـ 292.

ثُمَّ إِنَّ دَرَجَاتِ الْمَدْحِ هُوَ أَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَمَنَّى الْمِدْحَةَ، فَيَتَوَصَّلُ إِلَى نَيْلِهَا بِكُلِّ مُمْكِنٍ، حَتَّى يُرَائِيَ بِالْعِبَادَاتِ، وَلَا يُبَالِي بِمُقَارَفَةِ الْمَحْظُورَاتِ، وَهَذَا مِنَ الْهَالِكِينَ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ يُرِيدُ ذَلِكَ لَكِنْ يَطْلُبُهُ بِالْمُبَاحَاتِ، وَهَذَا عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ، إِذْ يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيمَا لَا يَحِلُّ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُرِيدُ الْمِدْحَةَ وَلَا يَطْلُبُهَا أَصْلًا، وَلَكِنْ إِذَا مُدِحَ سَبَقَ السُّرُورُ إِلَى قَلْبِهِ، وَإِنْ جَاهَدَ إِزَالَتَهُ فَهُوَ فِي خَطَرِ الْمُجَاهَدَةِ، فَتَارَةً يَكُونُ لَهُ، وَأُخْرَى عَلَيْهِ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُسَرُّ بِهِ وَلَا يَغْتَمُّ، وَهَذَا عَلَى خَيْرٍ إِنْ قَارَنَهُ الْإِخْلَاصُ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكْرَهُ الْمَدْحَ إِذَا سَمِعَهُ، لَكِنْ لَا يَنْتَهِي بِهِ إِلَى الْغَضَبِ عَلَى الْمَادِحِ، وَيُنْكِرُ عَلَيْهِ، لَكِنْ بِشَرْطِ الصِّدْقِ فِي غَضَبِهِ، وَإِلَّا صَارَ نِفَاقًا، وَهَذِهِ أَفْضَلُ الدَّرَجَاتِ[1].

---

(1) الإحياء: 3/ 293.

الْمَطْلَبُ السَّابِعُ: فِي الرِّيَاءِ

اِعْلَمْ أَنَّ الرِّيَاءَ حَرَامٌ، وَالْمُرَائِيَ عِنْدَ اللهِ مَمْقُوتٌ، وَقَدْ شَهِدَتْ لِذَلِكَ الْآيَاتُ وَالْآثَارُ وَالْأَخْبَارُ.

وَأَمَّا حَقِيقَتُهُ، فَهِيَ أَنَّ الرِّيَاءَ مُشْتَقٌّ مِنَ الرُّؤْيَةِ، وَالسُّمْعَةَ مِنَ السَّمَاعِ، وَإِنَّمَا الرِّيَاءُ أَصْلُهُ طَلَبُ الْمَنْزِلَةِ فِي قُلُوبِ النَّاسِ بِرُؤْيَتِهِمْ خِصَالَ الْخَيْرِ، وَيَخْتَصُّ بِحُكْمِ الْعَادَةِ بِطَلَبِ الْمَنْزِلَةِ فِي الْقُلُوبِ بِالْعِبَادَاتِ وَإِظْهَارِهَا.

وَحَاصِلُهُ: إِرَادَةُ الْعِبَادِ بِطَاعَةِ اللهِ. وَذَلِكَ خَمْسَةُ أَقْسَامٍ:

الْأَوَّلُ: الرِّيَاءُ فِي الدِّينِ مِنْ جِهَةِ الْبَدَنِ؛ كَإِظْهَارِ النُّحُولِ وَالصُّفَارِ[1]، لِيَدُلَّ بِالنُّحُولِ عَلَى قِلَّةِ الْأَكْلِ، وَبِالصُّفَارِ عَلَى السَّهَرِ وَدَوَامِ الْحُزْنِ؛ وَكَشَعَثِ الشَّعْرِ لِيَدُلَّ عَلَى اسْتِغْرَاقِ الْهَمِّ بِالدِّينِ؛ وَكَخَفْضِ الصَّوْتِ، وَغُؤْرِ[2] الْعَيْنَيْنِ، وَذُبُولِ الشَّفَتَيْنِ، لِيَدُلَّ عَلَى الصَّوْمِ.

الثَّانِي: الرِّيَاءُ بِالزِّيِّ وَالْهَيْئَةِ، كَشَعَثِ الرَّأْسِ، وَحَلْقِ الشَّارِبِ، وَغِلَظِ الثِّيَابِ وَقِصَرِ الْأَكْمَامِ، لِيُظْهِرَ مِنْ نَفْسِهِ اتِّبَاعَ السُّنَّةِ وَالِاقْتِدَاءَ بِعِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ. ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ يَرَى لُبْسَ الْخَشِنِ وَالْمُرَقَّعَاتِ لِيُظْهِرَ الزُّهْدَ عِنْدَ الصُّلَحَاءِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُرِيدُ الْجَمْعَ بَيْنَ قَبُولِ الصُّلَحَاءِ وَقَبُولِ الْمُلُوكِ، وَلَا يَلْبَسُونَ الثِّيَابَ الْفَاخِرَةَ لِئَلَّا يَرَاهُمُ الصُّلَحَاءُ، وَلَا الْمُخَرَّقَةَ لِئَلَّا يَرُدَّهُمُ

---

(1) الصُّفَارُ: صُفْرَةٌ تَعْلُو اللَّونَ والْبَشَرَةَ. اللسان/ صفر

(2) غؤر العينين: غارت عينه تغورُ غورا وغُؤُورًا وَغَوَّرَتْ: دخلت في الرأس. اللسان/ غار.

الْمُلُوكُ، بَلْ يَلْبَسُونَ الْأَكْسِيَةَ الرَّفِيعَةَ مِنَ الْأَصْوَافِ، وَالْمُرَقَّعَاتِ الْمَصْبُوغَةِ، وَقِيمَةُ ثَوْبِهِمْ ثَوْبُ الْأَغْنِيَاءِ(1).

الثَّالِثُ: الرِّيَاءُ بِالْقَوْلِ؛ كَالْوَعْظِ وَالتَّذْكِيرِ وَالنُّطْقِ بِالْحِكْمَةِ وَحِفْظِ الْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ، لِإِظْهَارِ غَزَارَةِ الْعِلْمِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ بِمَشْهَدِ الْخَلْقِ، وَإِظْهَارِ الْغَضَبِ لِلْمُنْكَرَاتِ، وَتَرْقِيقِ الصَّوْتِ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَإِظْهَارِ الْحُزْنِ وَالْخَوْفِ، وَإِظْهَارِ أَنَّهُ مُحَدِّثٌ، حَتَّى يُنْكِرَ عَلَى مَنْ يُبَدِّلُ لَفْظًا بِمُرَادِفِهِ، وَهَذَا بَابٌ لَا تَنْحَصِرُ جُزْئِيَّاتُهُ.

الرَّابِعُ: الرِّيَاءُ بِالْعَمَلِ، كَطُولِ الْقِيَامِ وَتَطْوِيلِ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَإِطْرَاقِ الرَّأْسِ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ الْعِبَادَاتِ، حَتَّى إِنَّهُ يُرَائِي فِي مَشْيِهِ أَيْضًا، مِنْ إِطْرَاقِ الرَّأْسِ وَالْخُشُوعِ فِي حَرَكَتِهِ.

الْخَامِسُ: الْمُرَاءَاةُ بِالْأَصْحَابِ وَالزَّائِرِينَ وَالْمُخَالِطِينَ؛ كَاسْتِزَارَةِ الْعُلَمَاءِ وَالزُّهَّادِ وَالْمُلُوكِ وَعُمَّالِ السَّلَاطِينِ، لِيُقَالَ إِنَّهُمْ يُعَظِّمُونَهُ، وَيَتَبَرَّكُونَ بِهِ، لِعِظَمِ رُتْبَتِهِ فِي الدِّينِ.

ثُمَّ إِنَّ مِنْ أَرْبَابِ الرِّيَاءِ مَنْ لَا يَطْلُبُ مِنَ النَّاسِ الْمَالَ، بَلْ يَقْنَعُ مِنْهُمْ بِحُسْنِ الِاعْتِقَادِ، كَالرُّهْبَانِ السَّاكِنِينَ فِي الْجِبَالِ، فَإِنَّ الْجَاهَ أَمْرٌ لَذِيذٌ فِي نَفْسِهِ كَمَا عَرَفْتَ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ يُرِيدُ مَعَ ذَلِكَ إِطْلَاقَ اللِّسَانِ بِالثَّنَاءِ وَالْحَمْدِ؛

(1) الإحياء: 3/ 297 - 298.

وَمِنْهُمْ مَنْ يُرِيدُ الصِّيتَ فِي الْعَالَمِ لِتَكْثُرَ[1] الرِّحْلَةُ إِلَيْهِ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ يُرِيدُ الِاشْتِهَارَ عِنْدَ الْمُلُوكِ لِتُقْبَلَ شَفَاعَتُهُ، لِيَقُومَ لَهُ بِهِ جَاهٌ عِنْدَ الْعَامَّةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُتَوَسَّلُ بِهِ إِلَى جَمْعِ حُطَامِ الدُّنْيَا، وَلَوْ مِنَ الْأَوْقَافِ، وَهَؤُلَاءِ أَشَرُّ طَبَقَاتِ الْمُرَائِينَ[2].

ثُمَّ **اعْلَمْ** أَنَّ الرِّيَاءَ، مِنْهَا مَا هُوَ مُبَاحٌ؛ كَطَلَبِ قَلِيلٍ مِنَ الْجَاهِ لِيَسْلَمَ بِهِ مِنَ الْآفَاتِ، بِشَرْطِ أَنْ لَا يَرْتَكِبَ الْمَحْظُورَ فِي تَحْصِيلِهِ. وَأَمَّا الْجَاهُ الْكَثِيرُ الْوَاسِعُ مِنْ غَيْرِ حِرْصٍ مُذِلٍّ عَلَى طَلَبِهِ، وَمِنْ غَيْرِ اغْتِمَامٍ بِزَوَالِهِ إِنْ زَالَ فَلَا ضَرَرَ فِيهِ، إِذْ لَا جَاهَ أَوْسَعَ مِنْ جَاهِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ وَالْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ؛ وَمِنْهَا مَا هُوَ مَكْرُوهٌ، كَطَلَبِ الْجَاهِ بِالْمُبَاحَاتِ إِذَا احْتَمَلَ أَنْ يُبَاشِرَ بِهِ مُبَاشَرَةَ مَا لَا يَجُوزُ؛ وَمِنْهَا مَا هُوَ حَرَامٌ، كَطَلَبِ الْجَاهِ بِالْعِبَادَاتِ، وَجَعْلِهَا وَسَائِلَ إِلَى الدُّنْيَا، وَسَيَجِيءُ تَفْصِيلُهُ آنِفًا.

ثُمَّ إِنَّ الرِّيَاءَ بِالْعِبَادَاتِ إِمَّا بِأَنْ يَقْصِدَ الرِّيَاءَ الْمَحْضَ دُونَ الْأَجْرِ، وَهَذَا يُبْطِلُ عِبَادَتَهُ؛ لِأَنَّ الْأَعْمَالَ بِالنِّيَّاتِ، بَلْ يَعْصِي بِذَلِكَ وَيَأْثَمُ، بَلْ هَذَا مِنَ كَبَائِرِ الْمُهْلِكَاتِ، وَقَدْ سَمَّاهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ»[3].

(1) ليكثر، في أنطاليا.

(2) الإحياء: 3/ 299.

(3) حديث الشرك الأصغر أخرجه الإمام أحمد في مسنده: 39/ 39، رقم: 23630، والبزّار في مسنده: 8/ 406، رقم: 3481.

وَوَجْهُ ذَلِكَ أَنَّ الْغَرَضَ مِنَ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ تَعْظِيمُ اللهِ تَعَالَى، حَتَّى لَوْ فَعَلَهُمَا لِغَيْرِهِ تَعَالَى صَارَ مُشْرِكًا شِرْكًا جَلِيًّا، وَإِذَا فَعَلَهُمَا لِلَّهِ صُورَةً، وَأَرَادَ بِهِمَا تَعْظِيمَ الْخَلْقِ ـ لِقَصْدِهِ التَّقَرُّبَ إِلَيْهِمْ - كَانَ مُعَظِّمًا لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَى صُورَةً، فَيَصِيرُ شِرْكًا خَفِيًّا، أَيْ شِرْكًا لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ أَحَدٌ، وَلَمْ تَجْرِ عَلَيْهِ أَحْكَامُ الْكُفْرِ، وَكَيْفَ لَا وَالْغَرَضُ مِنَ الْعِبَادَةِ طَاعَةُ الْقَلْبِ، وَالْبَدَنُ وَسِيلَةٌ إِلَيْهِ. وَكَوْنُ عِبَادَةِ الْبَدَنِ لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَى كُفْرًا، إِنَّمَا هُوَ لِكَوْنِهِ عُنْوَانًا وَدَلِيلًا عَلَى حَالِ الْقَلْبِ، لَا أَنَّ حَالَهُ بِانْفِرَادِهِ مُعْتَبَرٌ فِي نَفْسِهِ، فَهَذَا حَالُ الرِّيَاءِ، وَهُوَ أَصْعَبُ الْمَعَاصِي، وَلَا يَخْلُو قَلْبُ أَحَدٍ عَنْهَا إِلَّا الْأَقَلِّينَ مِنْ عِبَادِ اللهِ الْمُخْلَصِينَ. وَمَعَ كَثْرَتِهِ فَعِلَاجُهُ أَصْعَبُ مِنْ عِلَاجِ سَائِرِ الْمَعَاصِي[1].

رَبَّنَا لَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. وَالْآيَاتُ وَالْأَخْبَارُ فِي شَأْنِ الرِّيَاءِ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ تُذْكَرَ.

---

(1) الإحياء: 3/ 301.

الْمَطْلَبُ الثَّامِنُ: فِي دَرَجَاتِ الرِّيَاءِ

وَهِيَ أَرْبَعٌ:

الْأُولَى: وَهِيَ أَغْلَظُهَا، أَنْ لَا يَكُونَ مُرَادُهُ الثَّوَابَ أَصْلًا، فَهُوَ الْمَمْقُوتُ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

الثَّانِيَةُ: أَنْ يَقْصِدَ الثَّوَابَ قَصْدًا ضَعِيفًا، بِحَيْثُ لَوْ كَانَ فِي الْخَلْوَةِ لَا يَفْعَلُهُ، فَهَذَا قَرِيبٌ مِمَّا قَبْلَهُ، وَشَائِبَةُ قَصْدِ الثَّوَابِ لَا يَنْفِي عَنْهُ الْإِثْمَ وَالْمَقْتَ.

الثَّالِثَةُ: أَنْ يَكُونَ قَصْدُ الثَّوَابِ وَالرِّيَاءِ مُتَسَاوِيَيْنِ، بِحَيْثُ لَوْ خَلَا كُلٌّ مِنْهُمَا عَنِ الْآخَرِ لَمْ يَبْعَثْهُ عَلَى الْعَمَلِ، فَلَمَّا اجْتَمَعَا انْبَعَثَتِ الرَّغْبَةُ، فَيُرْجَى أَنْ يَسْلَمَ رَأْسًا بِرَأْسٍ لَا لَهُ وَلَا عَلَيْهِ، وَظَوَاهِرُ الْأَخْبَارِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَسْلَمُ.

الرَّابِعَةُ: أَنْ يَكُونَ اطِّلَاعُ النَّاسِ مُرَجِّحًا وَمُقَوِّيًا لِنَشَاطِهِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَانَ لَمْ يَتْرُكِ الْعِبَادَةَ، وَلَوْ كانَ قَصَدَ الرِّيَاءَ وَحْدَهُ لَمَا أَقْدَمَ عَلَى الْعَمَلِ، فَالَّذِي نَظُنُّ ـ وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ ـ أَنَّهُ لَا يُحْبِطُ أَصْلَ الثَّوَابِ وَلَكِنْ يَنْقُصُ مِنْهُ، أَوْ يُعَاقَبُ عَلَى مِقْدَارِ قَصْدِ الرِّيَاءِ، وَيُثَابُ عَلَى مِقْدَارِ قَصْدِ الثَّوَابِ[1].

---

(1) الإحياء: 3/ 301 ـ 302.

الْمَطْلَبُ التَّاسِعُ: فِي الرِّيَاءِ بِأُصُولِ الْعِبَادَاتِ وَأَوْصَافِهَا

وَفِيهِ دَرَجَاتٌ:

الْأُولَى: وَهُوَ أَغْلَظُ الرِّيَاءِ بِأَصْلِ الْإِيمَانِ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ ذَلِكَ. وَصَاحِبُهُ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ، وَالْمُرَادُ بِالْمُنَافِقِينَ الْمَذْكُورِينَ فِي الْقُرْآنِ هُوَ هَذَا.

الثَّانِيَةُ: الرِّيَاءُ بِأُصُولِ الْعِبَادَاتِ بَعْدَ الْإِيمَانِ. وَهَذَا أَيْضًا عَظِيمٌ عِنْدَ اللهِ، وَلَكِنَّهُ دُونَ الْأَوَّلِ؛ كَمَنْ يَتْرُكُ الْعِبَادَاتِ كَسَلًا، وَيَنْشَطُ عِنْدَ اطِّلَاعِ الْخَلْقِ، وَمَا أَجْدَرَ صَاحِبَهُ بِالْمَقْتِ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ مُنْسَلٍّ عَنْ أَصْلِ الْإِيمَانِ.

الثَّالِثَةُ: أَنْ يُرَائِيَ بِالنَّوَافِلِ وَالسُّنَنِ، بِأَنْ يَكْسَلَ عَنْهَا فِي الْخَلْوَةِ، وَيَبْعَثَهُ الرِّيَاءُ عَلَى فِعْلِهَا خَوْفًا مِنَ الْمَذَمَّةِ، أَوْ طَلَبًا لِلْمَحْمَدَةِ، وَهَذَا أَيْضًا عَظِيمٌ، لَكِنَّهُ دُونَ مَا قَبْلَهُ. وَهَذَا هُوَ الرِّيَاءُ بِأُصُولِ الْعِبَادَاتِ.

وَأَمَّا الرِّيَاءُ بِأَوْصَافِهَا، فَعَلَى ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ أَيْضًا:

الْأُولَى: أَنْ يُرَائِيَ بِفِعْلِ مَا فِي تَرْكِهِ نُقْصَانُ الْعِبَادَةِ؛ كَالَّذِي غَرَضُهُ أَنْ يُخَفِّفَ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، وَلَا يُطَوِّلَ الْقِرَاءَةَ، فَإِذَا رَآهُ النَّاسُ أَحْسَنَ هَذِهِ، فَهَذَا أَيْضًا مَحْظُورٌ؛ لِأَنَّ فِيهِ أَيْضًا تَقْدِيمَ الْخَلْقِ عَلَى الْخَالِقِ.

الثَّانِيَةُ: أَنْ يُرَائِيَ بِمَا لَا نُقْصَانَ إِنْ تَرَكَهُ، بَلْ فَعَلَهُ لِلتَّكْمِلَةِ وَالتَّتِمَّةِ، كَمَدِّ الْقِيَامِ، وَتَحْسِينِ الْهَيْئَةِ فِي رَفْعِ الْيَدَيْنِ، وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى التَّكْبِيرَةِ الْأُولَى.

الثَّالِثَةُ: أَنْ يُرَائِيَ بِزِيَادَاتِ خَارِجَةٍ عَنْ نَفْسِ النَّوَافِلِ أَيْضًا، كَحُضُورِ الْجَمَاعَةِ قَبْلَ الْقَوْمِ، وَقَصْدِهِ الصَّفَّ الْأَوَّلَ، وَتَوَجُّهِهِ إِلَى يَمِينِ الْإِمَامِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ. وَهَذَا دُونَ مَا قَبْلَهُ إِلَّا أَنَّهُ مَذْمُومٌ أَيْضًا[1].

(1) الإحياء: 3/ 302-304.

الْمَطْلَبُ الْعَاشِرُ: فِي الْمُرَاءَاةِ الْآجِلَةِ[1]

وَلَهُ أَيْضًا دَرَجَاتٌ ثَلَاثٌ:

الْأُولَى: وَهِيَ أَشَدُّهَا وَأَعْظَمُهَا، أَنْ يَكُونَ مَقْصُودُهُ بِالتَّقْوَى وَالْوَرَعِ وَالِامْتِنَاعِ عَنِ الشَّهَوَاتِ التَّمَكُّنَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ؛ كَالْقَضَاءِ أَوْ تَوْلِيَةِ الْأَوْقَافِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يُظْهِرُ زِيَّ التَّصَوُّفِ، وَهَيْئَةَ الْخُشُوعِ، وَكَلَامَ الْحِكْمَةِ، وَقَصْدُهُ التَّحَبُّبُ إِلَى امْرَأَةٍ أَوْ غُلَامٍ، وَهَؤُلَاءِ أَبْغَضُ الْمُرَائِينَ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِذْ جَعَلُوا طَاعَةَ رَبِّهِمْ سُلَّمًا إِلَى فِسْقِهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ.

الثَّانِيَةُ: أَنْ يَكُونَ غَرَضُهُ نَيْلَ حَظٍّ مُبَاحٍ مِنْ حُظُوظِ الدُّنْيَا، مِنْ مَالٍ مُبَاحٍ، أَوْ نِكَاحِ امْرَأَةٍ جَمِيلَةٍ، أَوْ شَرِيفَةٍ، أَوْ بِنْتِ عَالِمٍ، أَوْ عَابِدٍ، فَهَذَا مَحْظُورٌ؛ لِأَنَّهُ طَلَبَ بِطَاعَةِ اللهِ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلَكِنَّهُ دُونَ الْأَوَّلِ، فَإِنَّ الْمَطْلُوبَ بِهَذَا مُبَاحٌ فِي نَفْسِهِ.

الثَّالِثَةُ: أَنْ يُظْهِرَ عِبَادَتَهُ خِيفَةَ أَنْ لَا يُعَدَّ مِنَ الْخَاصَّةِ وَالزُّهَّادِ، كَمَنْ يُظْهِرُ الصَّوْمَ، وَإِذَا غَلَبَ عَلَيْهِ الْعَطَشُ يَقُولُ: أَفْطَرْتُ تَطْيِيبًا لِقَلْبِ فُلَانٍ، أَوْ يَقُولُ: إِنَّ أُمِّي ضَعِيفَةُ الْقَلْبِ، مُشْفِقَةٌ عَلَيَّ، تَظُنُّ أَنِّي لَوْ صُمْتُ يَوْمًا مَرِضْتُ، فَلَا تَدَعُنِي أَنْ أَصُومَ. وَأَمَّا الْمُخْلِصُ فَلَا يُبَالِي كَيْفَ نَظَرَ الْخَلْقُ إِلَيْهِ[2].

---

(1) المرائي لأجله، في الإحياء: 3/ 304.

(2) المصدر نفسه: 3/ 304 ـ 305.

الْمَطْلَبُ الْحَادِي عَشَرَ: فِي بَيَانِ الرِّيَاءِ الَّذِي هُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ

وَاعْلَمْ أَنَّ الرِّيَاءَ إِمَّا جَلِيٌّ كَمَا عَرَفْتَ، وَإِمَّا خَفِيٌّ وَهُوَ لَا يُؤَثِّرُ فِي الْعَمَلِ، وَلَا بِالتَّسْهِيلِ وَالتَّخْفِيفِ؛ وَلَكِنَّهُ يُسَرُّ بِاطِّلَاعِ النَّاسِ عَلَيْهِ، وَيَرْتَاحُ لَهُ، وَيُرَوِّحُ عَنْ قَلْبِهِ شِدَّةَ الْعِبَادَةِ. وَهَذَا السُّرُورُ يَدُلُّ عَلَى رِيَاءٍ خَفِيٍّ فِي الْقَلْبِ، مُسْتَكِنٍّ اسْتِكْنَانَ النَّارِ فِي الْحَجَرِ، [فَإِنْ لَمْ يُقَابِلْ ذَلِكَ السُّرُورَ بِكَرَاهِيَةٍ، يَصِيرُ ذَلِكَ قُوَّةً وَغِذَاءً لِلْعِرْقِ الْخَفِيِّ مِنَ الرِّيَاءِ، حَتَّى يَتَحَرَّكَ حَرَكَةً خَفِيَّةً][1]، حَتَّى يَتَكَلَّفَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ بِالتَّعْرِيضِ دُونَ التَّصْرِيحِ. وَقَدْ يَخْفَى فَلَا يَدْعُو إِلَى التَّعْرِيضِ، بَلْ إِلَى الْإِظْهَارِ بِالشَّمَائِلِ؛ كَإِظْهَارِ النُّحُولِ وَالصُّفَارِ، وَخَفْضِ الصَّوْتِ، وَجَفَافِ الرِّيقِ، وَآثَارِ الدُّمُوعِ، وَغَلَبَةِ النُّعَاسِ الدَّالِّ عَلَى طُولِ التَّهَجُّدِ.

وَأَخْفَى مِنْ ذَلِكَ أَنْ لَا يُرِيدَ اطِّلَاعَ أَحَدٍ عَلَيْهِ، وَلَا يُسَرَّ بِذَلِكَ، لَكِنْ يُحِبُّ أَنْ يَبْدَأُوا بِالسَّلَامِ وَالْبَشَاشَةِ وَالتَّوْقِيرِ، وَأَنْ يُثْنُوا عليه، وَيَنْشَطُوا لِقَضَاءِ حَوَائِجِهِ، وأَنْ يُوَسِّعُوا لَهُ فِي الْمَكَانِ، كَأَنَّهُ يَتَقَاضَى مِنْهُ الِاحْتِرَامَ عَلَى الطَّاعَةِ الَّتِي أَخْفَاهَا، حَتَّى لَوْ لَمْ يَكُنْ قَدْ سَبَقَ مِنْهُ طَاعَةٌ، لَمَا كانَ يَسْتَبْعِدُ تَقْصِيرَ النَّاسِ فِي حَقِّهِ.

---

(1) ما بين معقوفين سقط من أنطاليا.

فَلَمْ يَزَلِ الْمُخْلِصُونَ عَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ مِنَ الرِّيَاءِ الْخَفِيِّ، حَتَّى كَانَ بَعْضُهُمْ يَحْرِصُ عَلَى إِخْفَاءِ أَعْمَالِهِ الصَّالِحَةِ إِخْفَاءَ النَّاسِ فَوَاحِشَهُمْ خَوْفًا مِنَ الرِّيَاءِ الْخَفِيِّ، إِذْ لَا يُجَازِي اللهُ تَعَالَى بِالْأَعْمَالِ إِلَّا إِذَا خَلَصَتْ لَهُ تَعَالَى.

وَاعْلَمْ أَنَّ السُّرُورَ الْحَاصِلَ مِنْ ظُهُورِ الْعِبَادَةِ رُبَّمَا يَكُونُ مَحْمُودًا. وَهُوَ أَرْبَعَةٌ:

الْأَوَّلُ: أَنْ يَعْرِفَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَظْهَرَ طَاعَاتِهِ، وَأَخْفَى مَعَاصِيَهُ، وَهَذَا لُطْفٌ عَظِيمٌ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى عِبَادِهِ، فَيَكُونَ فَرَحُهُ بِجَمِيلِ نَظَرِ اللهِ لَهُ لَا بِحَمْدِ النَّاسِ.

الثَّانِي: أَنْ يَسْتَدِلَّ بِإِظْهَارِ اللهِ الْجَمِيلَ، وَبِسَتْرِهِ الْقَبِيحَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا أَنَّهُ يَفْعَلُ كَذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ.

الثَّالِثُ: أَنْ يَظُنَّ رَغْبَةَ الْمُطَّلِعِينَ عَلَى الِاقْتِدَاءِ بِهِ فِي الطَّاعَةِ، فَيَتَضَاعَفَ بِذَلِكَ أَجْرُهُ؛ أَجْرُ الْعَلَانِيَةِ بِمَا أَظْهَرَ آخِرًا، وَأَجْرُ السِّرِّ بِمَا قَصَدَهُ أَوَّلًا.

الرَّابِعُ: أَنْ يَحْمَدَهُ الْمُطَّلِعُونَ عَلَى طَاعَتِهِ، فَيَفْرَحَ بِطَاعَتِهِمْ لِلَّهِ فِي مَدْحِهِمْ وَمَحَبَّتِهِمْ لِلْمُطِيعِ، وَبِمَيْلِ قُلُوبِهِمْ إِلَى الطَّاعَةِ، فَهَذَا فَرَحٌ بِحُسْنِ إِيمَانِ عِبَادِ اللهِ. وَعَلَامَةُ إِخْلَاصِهِ فِي هَذَا النَّوْعِ أَنْ يَكُونَ فَرَحُهُ بِحَمْدِهِمْ غَيْرَهُ، مِثْلَ فَرَحِهِ بِحَمْدِهِمْ إِيَّاهُ(1).

---

(1) الإحياء: 3/ 305 ـ 307.

الْمَطْلَبُ الثَّانِي عَشَرَ: بَيَانُ مَا يُحْبِطُ الْعَمَلَ مِنَ الرِّيَاءِ الْخَفِيِّ أَوِ الْجَلِيِّ وَمَا لَا يُحْبِطُ

وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَمَلَ إِمَّا أَنْ يَنْعَقِدَ عَلَى الْإِخْلَاصِ، ثُمَّ وَرَدَ وَارِدُ الرِّيَاءِ، أَوْ يَنْعَقِدَ عَلَى الرِّيَاءِ. وَالْأَوَّلُ إِمَّا أَنْ يَرِدَ الرِّيَاءُ بَعْدَ الْفَرَاغِ أَوْ قَبْلَهُ، وَالْأَوَّلُ سُرُورٌ مُجَرَّدٌ بِالظُّهُورِ دُونَ الْإِظْهَارِ، فَهَذَا لَا يُحْبِطُ الْأَعْمَالَ؛ إِذِ الْعَمَلُ قَدْ تَمَّ عَلَى نَعْتِ الْإِخْلَاصِ، فَمَا يَطْرَأُ بَعْدَهُ نَرْجُو أَنْ لَا يَنْعَطِفَ عَلَيْهِ أَثَرُهُ، لا سِيَّمَا إِذَا لَمْ يَتَكَلَّفْ إِظْهَارَهُ وَلَمْ يَتَمَنَّ ذَلِكَ.

نَعَمْ لَوْ ظَهَرَتْ لَهُ رَغْبَةُ الْإِظْهَارِ بَعْدَ تَمَامِ الْعَمَلِ عَلَى الْإِخْلَاصِ فَهَذَا مَخُوفٌ. وَفِي الْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مُحْبَطٌ، لَكِنَّ الْقِيَاسَ أَنْ يُثَابَ عَلَى عَمَلِهِ، وَيُعَاقَبَ عَلَى مُرَاءَاتِهِ بَعْدَ ذَلِكَ.

وَأَمَّا إِذَا وَرَدَ الرِّيَاءُ قَبْلَ الْفَرَاغِ؛ فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ سُرُورًا [مُجَرَّدًا][1] لَا يُؤَثِّرُ فِي الْعَمَلِ، أَوْ يَكُونَ رِيَاءً بَاعِثًا عَلَى الْعَمَلِ. وَالْأَوَّلُ لَا يُفْسِدُ الْعَمَلَ إِذَا لَمْ يَنْعَدِمْ أَصْلُ نِيَّتِهِ، وَالثَّانِي يُحْبِطُ عَمَلَهُ إِنْ خَتَمَ الْعِبَادَةَ بِهِ. وَالْقِسْمُ الثَّانِي، وَهُوَ مَا يَنْعَقِدُ الْعَمَلُ عَلَى الرِّيَاءِ، فَإِنْ تَمَّ عَلَيْهِ فَلَا خِلَافَ فِي أَنَّهُ يَعْصِي، وَإِنْ نَدِمَ عَلَيْهِ فِي أَثْنَاءِ صَلَاتِهِ، وَاسْتَغْفَرَ وَرَجَعَ قَبْلَ التَّمَامِ، فَفِيمَا يَلْزَمُهُ ثَلَاثَةُ أَوْجُهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ صَلَاتَهُ لَمْ تَنْعَقِدْ فَلْيَسْتَأْنِفْ.

---

(1) زيادة من أنطاليا.

وَثَانِيهَا: أَنَّ التَّحْرِيمَةَ عَقْدٌ، وَالرِّيَاءَ خَاطِرٌ فِي الْقَلْبِ لَا يُفْسِدُ الْعَقْدَ، فَلْيَسْتَأْنِفِ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ وَسَائِرَ الْأَفْعَالِ[1].

وَثَالِثُهَا: لَا يَلْزَمُهُ الْإِعَادَةُ أَصْلًا، بَلْ يَسْتَغْفِرُ اللهَ بِقَلْبِهِ، وَيُتِمُّ الْعِبَادَةَ عَلَى الْإِخْلَاصِ، وَالْخَتْمُ عَلَى الْإِخْلَاصِ كَالِابْتِدَاءِ عَلَيْهِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ مَذْهَبَ الْفَرِيقَيْنِ الْأَخِيرَيْنِ خَارِجٌ عَنْ قِيَاسِ الْفِقْهِ. وَإِنَّمَا الْقِيَاسُ أَنْ يُقَالَ: إِنْ كَانَ الْبَاعِثُ فِي ابْتِدَاءِ الْعَقْدِ مُجَرَّدَ الرِّيَاءِ لَمْ يَنْعَقِدِ افْتِتَاحُهُ، وَلَمْ يَصِحَّ مَا بَعْدَهُ، إِذِ النِّيَّةُ إِجَابَةُ بَاعِثِ الدِّينِ، وَهَهُنَا لَا بَاعِثَ وَلَا إِجَابَةَ؛ وَأَمَّا إِذَا كَانَ بَاعِثُ الدِّينِ، ثُمَّ تَجَدَّدَ لَهُ الرَّغْبَةُ لِأَجْلِ النَّاسِ، فَهَاهُنَا بَاعِثَانِ؛ فَهَذَا إِمَّا أَنْ يَكُونَ فِي صَدَقَةٍ أَوْ قِرَاءَةٍ، وَمَا لَيْسَ فِيهِ تَحْرِيمٌ وَتَحْلِيلٌ يُثَابُ بِبَاعِثِ الدِّينِ، وَيُعَاقَبُ بِقَصْدِهِ الْفَاسِدِ، وَلَا يُحْبِطُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ.

وَإِنْ كَانَ فِي صَلَاةٍ أَوْ حَجٍّ يَقْبَلُ الْفَسَادَ بِتَطَرُّقِ خَلَلٍ إِلَى النِّيَّةِ، فَإِنْ كَانَ نَفْلًا فَحُكْمُهُ حُكْمُ الصَّدَقَةِ؛ وَأَمَّا إِنْ كَانَ فَرْضًا وَانْبَعَثَ بِمَجْمُوعِ الْبَاعِثَيْنِ فَهَذَا لَا يُسْقِطُ عَنْهُ الْوَاجِبَ، لِأَنَّ الْإِيجَابَ لَمْ يَنْتَهِضْ بِمُجَرَّدِهِ بَاعِثًا، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ صَلَّى لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَى، وَقَدِ اقْتَرَنَ غَيْرُهُ بِهِ، فَلَمَّا وُجِدَ الْأَوَّلُ سَقَطَ عَنْهُ الْفَرْضُ، وَاقْتِرَانُ[2] غَيْرِهِ بِهِ لَا يَمْنَعُهُ كَالصَّلَاةِ فِي الْأَرْضِ الْمَغْصُوبَةِ.

---

(1) الإحياء: 3/ 308 ـ 309.

(2) واقترن، في أنطاليا.

وَأَمَّا إِنْ كانَ الرِّيَاءُ في الْمُبَادَرَةِ دُونَ أَصْلِ الْفَرْضِ بِأَنَّهُ إِنْ خَلَا كَانَ يُصَلِّي، وَلَكِنْ في آخِرِ الْوَقْتِ أَوْ وَسَطِهِ، فهذا مِمَّا يُقْطَعُ بِصِحَّةِ صَلَاتِهِ، لأَنَّ أَصْلَ الصَّلَاةِ لَمْ يُعَارِضْهُ غَيْرُهُ، بَلْ من حيثُ تَعْيِينُ الْوَقْتِ. هذا كُلُّهُ في رِيَاءٍ يَكُونُ بَاعِثًا على الْعَمَلِ؛ فأمَّا مُجَرَّدُ السُّرورِ بِظُهُورِ الْعَمَلِ فَبَعِيدٌ بِأَنْ يُفْسِدَ الصَّلاةَ، وَالْمَسْأَلَةُ غَامِضَةٌ؛ إِذِ الْفُقَهَاءُ لم يَتَعَرَّضُوا لَهَا أَصْلًا، وَالَّذِينَ تَعَرَّضُوا لَهَا حَكَموا بِبُطْلَانِ الصَّلاةِ بِأَدْنَى خَاطِرٍ، وَلَعَلَّ الْقَصْدَ مَا ذُكِرَ[1].

(1) الإحياء: 3/ 309-310.

الْمَطْلَبُ الثَّالِثَ عَشَرَ: فِي بَيَانِ دَوَاءِ الرِّيَاءِ

لِأَنَّهُ مِنْ كَبَائِرِ الْمُهْلِكَاتِ، وَأَنَّهُ قَدِ انْغَرَسَ فِي قَلْبِهِ وَهُوَ فِي الصِّبَا؛ لِأَنَّهُ يَرَى فِي النَّاسِ التَّصَنُّعَ، فَيَغْلِبُ عَلَيْهِ حُبُّ ذلكَ. وَفِي عِلَاجِهِ طَرِيقَانِ:

الْأَوَّلُ: قَلْعُ عُرُوقِهِ، وَاسْتِئْصَالُ أُصُولِهِ، وَأَصْلُهُ حُبُّ الْمَنْزِلَةِ وَالْجَاهِ، وَأَصْلُهُ ثَلَاثَةٌ: حُبُّ لَذَّةِ الْمَحْمَدَةِ، وَالْفِرَارُ مِنْ أَلَمِ الْمَذَمَّةِ، وَالطَّمَعُ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ. وَعِلَاجُ كُلٍّ مِنْ هَذِهِ قَدْ مَرَّ، وَلَكِنَّا نَذْكُرُ الْآنَ مَا يَخُصُّ الرِّيَاءَ، وَهُوَ أَنَّ رَغْبَةَ الْعَاقِلِ فِي شيءٍ لِظَنِّهِ أَنَّهُ خَيْرٌ لَهُ، وَنَافِعٌ وَلَذِيذٌ حَالًا أَوْ مَآلًا، فَإِنْ عَلِمَ أَنَّهُ لَذِيذٌ حَالًا، وَضَارٌّ مَآلًا، سَهُلَ عَلَيْهِ قَطْعُ الرَّغْبَةِ عَنْهُ؛ كَمَا إِذَا عَلِمَ أَنَّ فِي الْعَسَلِ سُمًّا.

وَلَا يَخْفَى أَنَّ فِي الرِّيَاءِ آفَةً عَظِيمَةً مَآلًا؛ لِأَنَّهُ يُحْرَمُ فِي الدُّنْيَا مِنَ التَّوْفِيقِ، وَفِي الْأُخْرَى مِنَ الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ اللهِ، بَلْ يَسْتَحِقُّ الْبُغْضَ وَالْمَقْتَ عِنْدَ اللهِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا إِحْبَاطُ طَاعَةٍ وَاحِدَةٍ كَانَ كَافِيًا فِي مَعْرِفَةِ ضَرَرِهِ عِنْدَ الْعَاقِلِ، مَعَ مَا يَتَعَرَّضُ لَهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ تَشَتُّتِ الْهَمِّ بِسَبَبِ رِضَا النَّاسِ، مَعَ أَنَّهُ غَايَةٌ لَا تُدْرَكُ، إِذْ كُلُّ ما يَرْضَى بِهِ فَرِيقٌ يَسْخَطُ بِهِ فَرِيقٌ، مَعَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى مُسَخِّرٌ لِقُلُوبِهِمْ بِالْمَنْعِ وَالْإِعْطَاءِ، إِذْ لَا رَازِقَ إِلَّا اللهُ، على أنَّ فِي الطَّمَعِ ذُلًّا لَا يَتَنَاهَى، لَا يَفِي حَاصِلُهُ بِذُلِّهِ، عَلَى أَنَّهُ أَيُّ خَيْرٍ لَكَ فِي مَدْحِهِمْ وَأَنْتَ عِنْدَ اللهِ مَذْمُومٌ، وَأَيُّ شَرٍّ لَكَ فِي ذَمِّهِمْ وَأَنْتَ عِنْدَ اللهِ مَحْمُودٌ؟

هَذِهِ هِيَ الْأَدْوِيَةُ الْعِلْمِيَّةُ. وَأَمَّا الْأَدْوِيَةُ الْعَمَلِيَّةُ، فَهُوَ أَنْ يُعَوِّدَ نَفْسَهُ إِخْفَاءَ الْعِبَادَاتِ، وَإِغْلَاقَ الْأَبْوَابِ دُونَهَا، كَمَا تُغْلَقُ الْأَبْوَابُ دُونَ الْفَوَاحِشِ، حَتَّى

يَقْنَعَ قَلْبُهُ بِعِلْمِ اللهِ، وَاطِّلَاعِهِ عَلَى عِبَادَتِهِ، وَلَا تُنَازِعَهُ النَّفْسُ إِلَى طَلَبِ عِلْمِ غَيْرِ اللهِ بِهِ(1).

ثُمَّ إِنَّ الرِّيَاءَ إِذَا عَرَضَ في أَثْنَاءِ الْعِبَادَةِ فَطَرِيقُ دَفْعِهِ مَجْمُوعُ ثَلَاثَةِ أُمُورٍ: الْمَعْرِفَةُ، وَالْكَرَاهَةُ، وَالْإِبَاءُ. مَثَلًا يَجِبُ أَنْ يَعْرِفَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا كَانَ عَالِمًا بِحَالِكَ، فَأَيُّ فَائِدَةٍ في عِلْمِ غَيْرِهِ؟! فَتُثْمِرُ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ إِذَا رَسَخَتْ فِي قَلْبِهِ كَرَاهَةَ الرِّيَاءِ بِسَبَبِ تَفَكُّرِهِ فِي تَعَرُّضِهِ لِمَقْتِ اللهِ وَعِقَابِهِ الْأَلِيمِ، فَتُنَازِعُ هَذِهِ الْكَرَاهَةُ الشَّهْوَةَ الْكَامِنَةَ في الْقَلْبِ مِنْ حُبِّ الْمَدْحِ وَبُغْضِ الذَّمِّ، ثُمَّ تُثْمِرُ هَذِهِ الْكَرَاهَةُ إِذَا رَسَخَتْ في الْقَلْبِ الْإِبَاءَ عَنِ الرِّيَاءِ. وَأَصْلُ ذلكَ كُلِّهِ حُبُّ الدُّنْيَا، وَهُوَ رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، وَمَنْبَعُ كُلِّ ذَنْبٍ.

فَإِنْ نَازَعَ طَبْعُهُ بَعْدَ تَحَقُّقِ الْكَرَاهَةِ وَالْإِبَاءِ في قَلْبِهِ إِلَى حُبِّ الرِّيَاءِ، وَمَالَ طَبْعُهُ إِلَيْهِ، فَذَلِكَ لا يَكُونُ مِنَ الْمُرَائِينَ؛ لِأَنَّ الطَّبْعَ لَا يَدْخُلُ تَحْتَ الِاخْتِيَارِ، وَلَمْ يُكَلِّفِ اللهُ عَبْدًا إِلَّا مَا في وُسْعِهِ، وَهَذَا كُلُّهُ حَالُ الْمُتَوَسِّطِينَ.

وَأَمَّا الْمُخْلَصُونَ عَنِ الرِّيَاءِ فَلَهُمْ فِي دَفْعِ خَوَاطِرِ الرِّيَاءِ أَرْبَعُ طُرُقٍ:

أَحَدُهَا: أَنْ يُطِيلَ الْجِدَالَ مَعَ الشَّيْطَانِ، وَذَلِكَ في الْحَقِيقَةِ نُقْصَانٌ؛ لِأَنَّهُ اشْتِغَالٌ عَنْ مُنَاجَاةِ اللهِ تَعَالَى، وَعَنِ الْخَيْرِ الَّذِي هُوَ فِيهِ، وَانْصِرَافٌ إِلى قُطَّاعِ الطَّرِيقِ، وَهَذَا نُقْصَانٌ في السُّلُوكِ.

---

(1) الإحياء: 3/ 310 ـ 312.

وَثَانِيهَا: أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى تَكْذِيبِهِ وَدَفْعِهِ، وهذا وَقْفَةٌ في الطَّرِيقِ.

وَثَالِثُهَا: أَنْ يُقَرِّرَ فِي قَلْبِهِ كَرَاهَةَ الرِّيَاءِ، وَكَذِبَ الشَّيْطَانِ، فَيَسْتَمِرَّ على مَا كانَ عَلَيْهِ.

وَرَابِعُهَا: أَنْ يَعْزِمَ أَنَّهُ مَهْمَا نَزَعَ الشَّيْطَانُ إلى أَسْبَابِ الرِّيَاءِ، زَادَ فِيمَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْإِخْلَاصِ، وَالِاشْتِغَالِ بِاللهِ تَعَالَى، وَإِخْفَائِهِ الصَّدَقَةَ وَالْعِبَادَةَ؛ وذلِكَ هو الَّذِي يَغِيظُ الشَّيْطَانَ[1].

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ أَرْبَابَ الْقُلُوبِ اخْتَلَفُوا في طَرِيقِ دَفْعِ مَكَائِدِ الشَّيْطَانِ؛ **مِنْهُمْ** مَنْ قَالَ: ـ وَهُمْ أَهْلُ الْبَصْرَةِ ـ إِنَّ الْأَقْوِيَاءَ انْقَطَعُوا إِلَى اللهِ، وَاشْتَغَلُوا بِحُبِّهِ، أَيِسَ مِنْهُمُ الشَّيْطَانُ، فَلَا حَاجَةَ بِهِمْ إِلَى الْحَذَرِ. **وَمِنْهُمْ** مَنْ قَالَ: - وَهُمْ أَهْلُ الشَّامِ ـ إِنَّ التَّصَرُّفَ بِالنَّفْعِ وَالضَّرِّ إِنَّمَا هُوَ لِلَّهِ تَعَالَى، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي تَدْبِيرِهِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَيْسَ إِلَيْهِ أَمْرٌ، فَالْيَقِينُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ يُغْنِيهِ عَنِ الْحَذَرِ. **وَمِنْهُمْ** مَنْ قال: - مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ـ لَا بُدَّ مِنَ الْحَذَرِ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَقَدْ أَمَرَنَا اللهُ تَعَالَى بِهِ، وَلَا يَسْلَمُ أَحَدٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَمَا ذَكَرَهُ الْبَصْرِيُّونَ مِنِ اسْتِغْنَائِهِمْ عَنِ الْحَذَرِ فَهُوَ غُرُورٌ، إِذِ الْأَنْبِيَاءُ لَمْ تَسْلَمْ مِنْ نَزَعَاتِ الشَّيْطانِ فَكَيْفَ غَيْرُهُمْ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾[2].

---

(1) الإحياء: 3/ 313ـ314.

(2) سورة الحج الآية: 52.

ثُمَّ الْمُشْتَغِلُونَ بِالْحَذَرِ فِرْقَتَانِ، فِرْقَةٌ يَقُولُونَ: لَا أَهَمَّ عَلَيْنَا مِنْهُ، فَلَا نَشْتَغِلُ إِلَّا بِهِ؛ وَفِرْقَةٌ يَقُولُونَ: اشْتِغَالُ الْهَمِّ كُلِّهُ بِالْحَذَرِ مِنْهُ هُوَ مُرَادُ الشَّيْطَانِ لِيَصُدَّنَا بِذَلِكَ عَنْ ذِكْرِ اللهِ، بَلْ لَا بُدَّ مِنَ الْجَمْعِ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ.

وَقَالَ الْمُحَقِّقُونَ: كِلَا الْفَرِيقَيْنِ غَلِطَا؛ أَمَّا الْأُولَى: فَلِأَنَّهُ نَسِيَ ذِكْرَ اللهِ تَعَالَى، وَإِنَّمَا أَمَرَنَا بِالْحَذَرِ لِئَلَّا يَصُدَّنَا عَنْ ذِكْرِ اللهِ، ثُمَّ يُؤَدِّي ذَلِكَ إِلَى خُلُوِّ الْقَلْبِ عَنِ النُّورِ، وَمَنْ خَلَا عَنِ النُّورِ لَا يُمْكِنُهُ الْحَذَرُ عَنِ الشَّيْطَانِ أَصْلًا.

وَأَمَّا الْفِرْقَةُ الثَّانِيَةُ: فَقَدْ جَمَعَ بَيْنَ ذِكْرِ اللهِ، وَذِكْرِ الشَّيْطَانِ، وَبِقَدْرِ ما يَشْتَغِلُ الْقَلْبُ بِذِكْرِ الشَّيْطَانِ يَنْقُصُ مِنْ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى، وَقَدْ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى الْخَلْقَ بِذِكْرِهِ، وَنِسْيَانِ مَا عَدَاهُ؛ إِبْلِيسَ وَغَيْرَهُ.

وَالتَّحْقِيقُ أَنْ يُقَرِّرَ الْإِنْسَانُ أَوَّلًا عَدَاوَةَ الشَّيْطَانِ، وَوُجُوبَ الْحَذَرِ مِنْهُ، ثُمَّ يَشْتَغِلَ بِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وجلَّ، وَيُكِبَّ[1] عَلَيْهِ بِكُلِّ الْهِمَّةِ، وَلَا يَخْطُرَ بِبَالِهِ أَمْرُ الشَّيْطَانِ بَعْدَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ هَذَا يَسْتَكِنُّ[2] فِي قَلْبِهِ، فَيَتَنَبَّهُ فِي أَثْنَاءِ الذِّكْرِ، فَيُشْغَلُ بِهِ عَنْ ذِكْرِ اللهِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا اسْتَكَنَّ فِي قَلْبِهِ أَنْ يَتَيَقَّظَ فِي وَقْتِ الصُّبْحِ لِأَجْلِ مُهِمٍّ لَهُ، رُبَّمَا يَتَنَبَّهُ أَثْنَاءَ نَوْمِهِ مَرَّاتٍ، وَهُوَ غَافِلٌ عَنْهُ بِالنَّوْمِ، وَلَا يَخْفَى أَنَّ ذِكْرَ اللهِ يُحْيِي قَلْبَهُ بِنُورِ الْعِلْمِ وَالْعَقْلِ، وَيُمِيتُ الْهَوَى وَالشَّهَوَاتِ، فَيَكْفِيهِ ذَلِكَ أَمْرَ الْحَذَرِ مِنَ الشَّيْطَانِ[3].

---

(1) أكبَّ الرَّجلُ يُكِبُّ على عمل عَمِلَهُ إذا لَزِمَهُ. اللسان/ كبب.

(2) يسكن، في الأزهرية.

(3) الإحياء: 3/ 315- 317.

الْمَطْلَبُ الرَّابِعَ عَشَرَ: فِي الرُّخْصَةِ فِي إِظْهارِ الطَّاعَاتِ

كَمَا أَنَّ فِي الْإِسْرَارِ فَائِدَةَ الْإِخْلَاصِ، كَذَلِكَ فِي الْإِظْهَارِ فَائِدَةُ الِاقْتِدَاءِ.

وَآفَةُ الرِّيَاءِ وَالْإِظْهارِ قِسْمَانِ:

أَحَدُهُمَا: إِظْهَارُ نَفْسِ الْعَمَلِ؛ كَالتَّصَدُّقِ فِي الْمَلَإِ لِتَرْغِيبِ النَّاسِ فِي الصَّدَقَةِ، وَكَذَا سَائِرُ الْأَعْمَالِ، كَالصَّلاةِ وَالْحَجِّ؛ لَكِنْ بِشَرْطِ أَنْ لا يَكُونَ فِيهِ شَوَائِبُ الرِّيَاءِ، وَبِشَرْطِ أَنْ لا يُؤْذِيَ إِظْهَارُهُ الْخَلْقَ، كَمَا هُوَ الْأَكْثَرُ فِي التَّصَدُّقِ.

ثُمَّ النَّاسُ اخْتَلَفُوا - بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى جَوَازِ الْإِظْهَارِ لِلْقُدْوَةِ وَعَدَمِ جَوَازِ الْإِظْهَارِ بِدُونِ قُدْوَةٍ - أَنَّ السِّرَّ أَفْضَلُ، أَمِ الْإِظْهَارُ لِلْقُدْوَةِ؟ وَالْحَقُّ أَنَّ الْإِظْهَارَ لِيَقْتَدِيَ بِهِ أَفْضَلُ مَا لَمْ يَشُبْهُ الرِّيَاءُ، وَإِذَا خَافَ مِنْ شَوْبِ الرِّيَاءِ فَالْإِسْرَارُ أَفْضَلُ.

ثُمَّ مَنْ يُظْهِرُ الْعَمَلَ لَهُ وَظِيفَتَانِ:

- **إِحْدَاهُمَا**[1]: أَنَّ الْإِظْهَارَ بِنِيَّةِ الْقُدْوَةِ إِنَّمَا يَصِحُّ فِيمَنْ يَقْتَدِي بِهِ النَّاسُ، كَالْعُلَمَاءِ دُونَ غَيْرِهِمْ.

- **وَثَانِيَتُهُمَا**[2]: أَنْ يُرَاقِبَ قَلْبَهُ حَتَّى لَا يُظْهِرَ نِيَّةَ[3] أَنْ يُقْتَدَى بِهِ، وَإِنَّمَا شَهْوَتُهُ التَّجَمُّلُ بِالْعَمَلِ، وَبِكَوْنِهِ مُقْتَدًى بِهِ، وَهذِهِ حَالُ كُلِّ مَنْ يُظْهِرُ أَعْمَالَهُ،

---

(1) أَحَدَيْهِمَا، في النسخ الخطية.

(2) وَثَانِيهِمَا، في النسخ الخطية

(3) نيته، في الأزهرية.

إِلَّا الْأَقْوِيَاءَ الْمُخْلِصِينَ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ. وَالتَّفَطُّنُ لِذَلِكَ غَامِضٌ، وَمِحَكُّ ذلك أَنْ تَعْرِضَ نَفْسَكَ أَنْ تُخْفِيَ الْعَمَلَ حَتَّى يَقْتَدِيَ النَّاسُ بِعَابِدٍ آخَرَ مِنْ أَقْرَانِكَ، وَيَكُونَ لكَ في ذلكَ مِثْلُ أَجْرِ الْإِعْلانِ، فَإِنْ مَالَ قَلْبُهُ إلى أَنْ يكونَ [هُوَ الْمُقْتَدَى بِهِ][1] الْمُظْهِرُ نَفْسَهُ، فَبَاعِثُهُ الرِّيَاءُ[2].

وَثَانِيهِمَا: الْإِخْبَارُ عَنِ الْعَمَلِ. وَالْخَطَرُ فِيهِ أَشَدُّ، لأنَّ النُّطْقَ يَخِفُّ على اللِّسَانِ، وَرُبَّمَا يَزِيدُ إِظْهَارًا لِلدَّعْوَى؛ لِأَنَّ لَذَّةَ النَّفْسِ فيهِ عَظِيمَةٌ.

وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ أَنَّ الرِّيَاءَ الثَّانِيَ لا يُفْسِدُ الْعَمَلَ السَّابِقَ فَهُوَ أَهْوَنُ، إِلَّا أَنَّ مَنْ قَوِيَ قَلْبُهُ، وَاسْتَوَى عِنْدَهُ مَدْحُ النَّاسِ وَقَدْحُهُمْ، وَصَفَتِ النِّيَّةُ وَسَلِمَتْ مِنْ جَمِيعِ الْآفاتِ، يَجُوزُ حِكَايَةُ أَعْمَالِهِ؛ لِأَنَّهُ تَرْغِيبٌ في الْخَيْرِ، وَالتَّرْغيبُ في الْخَيْرِ خَيْرٌ.

قالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: يَنْبَغِي أَنْ لا يَسُدَّ بَابَ إِظْهَارِ الْأَعْمَالِ؛ لأنَّ ذلك سَبَبٌ لِاتِّبَاعِ النَّاسِ، وَاقْتِدَائِهِمْ بِمَنْ يُظْهِرُهَا، إِذْ لَمْ يَعْرِفُوا رِيَاءَهُ، فَفِي ذلك خَيْرٌ كَثيرٌ لِلنَّاسِ، وَإِنْ كانَ شَرًّا لِلْمُرَائِي، «وَإِنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ»[3].

---

(1) زيادة من أنطاليا.

(2) الإحياء: 3/ 318.

(3) مسند أحمد: 8/ 164، رقم: 8077، وصحيح مسلم: 1/ 105، رقم: 178، والسنن الكبرى: 8/ 146، رقم: 8832، والإحياء: 3/ 318 ـ 319.

الْمَطْلَبُ الْخَامِسَ عَشَرَ: فِي الرُّخْصَةِ فِي كِتْمَانِ الذُّنُوبِ

اِعْلَمْ أَنَّ كَتْمَ الذُّنُوبِ لَيْسَ بِرِيَاءٍ، بَلِ الرِّيَاءُ إِظْهَارُ الْوَرَعِ وَالتَّقْوَى، حَتَّى يَجُوزَ الِاغْتِمَامُ بِاطِّلَاعِ النَّاسِ عَلَيْهِ، مِنْ ثَمَانِيَةِ وُجُوهٍ:

الْأَوَّلُ: أَنْ يَفْرَحَ بِسِتْرِ اللهِ عَلَيْهِ، وَإِذَا افْتَضَحَ اغْتَمَّ وَخَافَ أَنْ يُهْتَكَ سِتْرُهُ فِي الْقِيَامَةِ، وَهَذَا غَمٌّ يَنْشَأُ مِنْ قُوَّةِ الْإِيمَانِ.

الثَّانِي: أَنَّهُ قَدْ عَلِمَ أَنَّ اللهَ يَكْرَهُ ظُهُورَ الْمَعَاصِي، وَيُحِبُّ سِتْرَهَا، كَمَا قَالَ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ: «مَنِ ارْتَكَبَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْقَاذُورَاتِ فَلْيَسْتَتِرْ بِسِتْرِ اللهِ»[1]. وَهَذَا أَيْضًا مِنْ قُوَّةِ الْإِيمَانِ.

الثَّالِثُ: أَنْ يَكْرَهَ ذَمَّ النَّاسِ لَهُ؛ لِأَنَّهُ يَشْغَلُ الْقَلْبَ عَنِ الطَّاعَةِ، كَمَا أَنَّ الْحَمْدَ يُكْرَهُ أَيْضًا؛ لِأَنَّهُ أَيْضًا يَشْغَلُهُ عَنِ اللهِ، وَهَذَا أَيْضًا مِنْ حُبِّ الطَّاعَةِ لِلَّهِ تَعَالَى.

الرَّابِعُ: أَنْ يَكْرَهَ ذَمَّ النَّاسِ لِتَأَلُّمِ قَلْبِهِ، وَتَأَلُّمُ الْقَلْبِ بِالذَّمِّ لَيْسَ بِحَرَامٍ، ولا الْإِنْسَانُ بِهِ عَاصٍ، وَإِنَّمَا يَعْصِي إِذَا جَزِعَتْ نَفْسُهُ، وَدَعَتْهُ إِلَى مَا لَا يَجُوزُ حَذَرًا مِنْ ذَمِّهِمْ. نَعَمْ، كَمَالُ الصِّدْقِ فِي أَنْ يَسْتَوِي ذَامُّهُ وَمَادِحُهُ، لِعِلْمِهِ أَنَّ الْعِبَادَ كُلَّهُمْ عَاجِزُونَ، وَذَلِكَ قَلِيلٌ جِدًّا، إِلَّا أَنَّ بَعْضًا مِنَ الذَّمِّ يَجِبُ التَّأَلُّمُ بِهِ؛ كَمَا إِذَا صَدَرَ مِنْ أَهْلِ الْبَصِيرَةِ، فَإِنَّهُمْ شُهَدَاءُ اللهِ، وَذَمُّهُمْ يَدُلُّ على ذَمِّ اللهِ، فَكَيْفَ لا يَغْتَمُّ بِهِ. وَإِنَّمَا الْمَذْمُومُ الْغَمُّ بِالذَّمِّ بِفَوَاتِ الْوَرَعِ؛ كَأَنَّهُ يُحِبُّ

---

(1) كتاب الأم: 4/ 120، وتأويل مختلف الحديث: 275، وسنن البيهقي: 3/ 345، والإحياء: 3/ 320.

أَنْ يُحْمَدَ بِالْوَرَعِ فَيَرْجِعُ إِلَى الرِّيَاءِ؛ وَأَمَّا كَرَاهَةُ الذَّمِّ بِالْمَعْصِيَةِ مِنْ حَيْثُ الطَّبْعُ فَلَيْسَ بِمَذْمُومٍ، فَلَهُ السِّتْرُ حَذَرًا مِنْ ذَلِكَ[1].

الْخَامِسُ: أَنْ يُكْرَهَ الذَّمُّ مِنْ حَيْثُ إِنَّ الذَّامَّ قَدْ عَصَى اللهَ بِهِ، وَهَذَا مِنَ الْإِيمَانِ.

السَّادِسُ: أَنْ يَسْتُرَ ذَلِكَ كَيْ لَا يُقْصَدَ بِشَرٍّ إِذَا عُرِفَ ذَنْبُهُ، وَهَذَا وَرَاءَ أَلَمِ الذَّمِّ.

السَّابِعُ: مُجَرَّدُ الْحَيَاءِ فَإِنَّهُ نَوْعُ أَلَمٍ، وَرَاءَ أَلَمِ الذَّمِّ، وَهُوَ خُلُقٌ كَرِيمٌ يَحْدُثُ فِي أَوَّلِ الصِّبَا مَهْمَا أَشْرَقَ عَلَيْهِ نُورُ الْعَقْلِ، فَيَسْتَحْيِي مِنَ الْقَبَائِحِ، وَهُوَ وَصْفٌ مَحْمُودٌ؛ وَفِي الْحَدِيثِ: «الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ»[2]، وَفِي [حَدِيثٍ آخَرَ][3] «الْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»[4].

ثُمَّ إِنَّ الْحَيَاءَ قَدْ يَعْقُبُهُ الرِّيَاءُ؛ كَمَنْ لَا يُرِيدُ إِقْرَاضَ أَخِيهِ، وَلَكِنْ يَسْتَحْيِي مِنْ رَدِّهِ، فَحِينَئِذٍ إِنْ أَعْطَاهُ لِيَنْتَشِرَ اسْمُهُ بِالسَّخَاءِ أَوْ لَا يَنْسُبُوهُ إِلَى الْبُخْلِ، فَقَدْ أَعْقَبَ الْحَيَاءَ الرِّيَاءُ، وَإِنْ أَعْطَاهُ لِلثَّوَابِ فِي الْإِقْرَاضِ، أَوْ لِإِدْخَالِ

---

(1) الإحياء: 3/ 319-320.

(2) مسند أبي داود الطيالسي: 670، رقم: 382، والمصنف لابن أبي شيبة: 14/ 131، رقم: 26984، وصحيح مسلم: 1/ 64، رقم: 60.

(3) زيادة من أنطاليا.

(4) صحيح البخاري: 1/ 12، رقم: 9، وصحيح مسلم: 1/ 63، رقم: 35. وسنن ابن ماجه: 1/ 22، رقم: 57.

السُّرُورِ عَلَى قَلْبِ أَخِيهِ، فَقَدْ أَعْقَبَهُ الْإِخْلَاصُ، وَإِنْ أَعْطَاهُ لا لِأَجْلِ الْمَحْمَدَةِ، وَلَا خَوْفَ مِنَ الْمَذَمَّةِ، وَلَا رَجاءً لِلثَّوَابِ، فَقَدْ أَعْطَاهُ لِمُجَرَّدِ الْحَيَاءِ، وَيَعْلَمُ ذَلِكَ بِأَنَّهُ لَوْ طَلَبَهُ بِالْمُرَاسَلَةِ لَمَنَعَهُ.

الثَّامِنُ: أَنْ يَخَافَ مِنْ ظُهُورِ ذَنْبِهِ أَنْ يَسْتَجْرِئَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، وَيَقْتَدِي بِهِ، وَبِهَذِهِ الْعِلَّةِ يَنْبَغِي أَنْ يُخْفِيَ الْعَاصِي مَعْصِيَتَهُ عَنْ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ لِئَلَّا يَتَعَلَّمُونَهَا مِنْهُ[1].

وَاعْلَمْ أَنَّ حُبَّكَ مَحَبَّةَ النَّاسِ لَكَ؛ قَدْ يُحْمَدُ إِذَا أَرَدْتَ بِذَلِكَ مَعْرِفَةَ حُبِّ اللهِ لَكَ، وَأَنَّهُ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا حَبَّبَهُ لِقُلُوبِ عِبَادِهِ، وَقَدْ يُذَمُّ إِذَا أَرَدْتَ حُبَّهُمْ عَلَى حَجِّكَ وَغَزْوِكَ وَصَلَاتِكَ، فَإِنَّهُ طَلَبُ عِوَضٍ عَلَى طَاعَةِ اللهِ عَاجِلًا، وَقَدْ يُبَاحُ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ يُحِبُّوكَ بِصِفَاتٍ مَحْمُودَةٍ سِوَى الطَّاعَاتِ[2].

---

(1) الإحياء: 3/ 321.

(2) المصدر نفسه: 3/ 322.

الْمَطْلَبُ السَّادِسَ عَشَرَ: تَرْكُ الطَّاعَاتِ خَوْفًا مِنَ الْآفَاتِ

وَهَذِهِ أَقْسَامٌ:

الْأَوَّلُ: الطَّاعَاتُ اللَّازِمَةُ لِلْبَدَنِ، الَّذِي لَا يَتَعَلَّقُ بِالْغَيْرِ، وَلَا لَذَّةَ فِي عَيْنِهَا؛ كَالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ وَالْغَزْوِ، فَخَطَرَاتُ الرِّيَاءِ فِيهَا ثَلَاثٌ:

أَحَدُهَا: الرِّيَاءُ الْبَاعِثُ على الْعَمَلِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَتْرُكَ الْعَمَلَ عِنْدَ ذَلِكَ، أَوْ يَدْفَعَ الرِّيَاءَ.

وَثَانِيهَا: أَنْ يَعْقِدَ الْعِبَادَةَ عَلَى الْإِخْلَاصِ، ثُمَّ يَعْرِضَ الرِّيَاءُ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَدُومَ عَلَى الْعَمَلِ، وَيُجَاهِدَ فِي دَفْعِ الرِّيَاءِ، وَلَا يَتْرُكَ الْعَمَلَ.

ثَالِثُهَا: أَنْ يَعْقِدَ على الْإِخْلَاصِ فِي أَوَّلِهَا، وَيَعْرِضَ الرِّيَاءُ فِي أَثْنَائِهَا فَيَدُومَ عَلَى الْعَمَلِ أَيْضًا، وَلَكِنْ يُجَاهِدُ فِي أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْإِخْلَاصِ. وَرُبَّمَا قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا فَائِدَةَ لَكَ فِي هَذَا الْعَمَلِ وَاتْرُكْهُ. وَهَذَا غُرُورٌ مِنْهُ؛ لِأَنَّ «مَا لَا يُدْرَكُ كُلُّهُ لَا يُتْرَكُ كُلُّهُ»[1]، وَتَرْكُ الْعَمَلِ لِأَجْلِ ذَلِكَ يَجُرُّ إِلَى الْبِطَالَةِ، وَمَا نُقِلَ عَنِ السَّلَفِ مِنْ تَرْكِ الْعَمَلِ لِلرِّيَاءِ فَذَلِكَ مَحْمُولٌ عَلَى النَّوَافِلِ، أَوِ الْعِلَاجِ لِأَنْفُسِهِمْ بِخِلَافِ الْأَفْضَلِ، لِشِدَّةِ الْخَوْفِ[2].

الْقِسْمُ الثَّانِي: مَا يَتَعَلَّقُ بِالْخَلْقِ، وَتَعْظُمُ فِيهِ الْآفَاتُ وَالْأَخْطَارُ، وَأَعْظَمُهَا الْخِلَافَةُ ثُمَّ الْقَضَاءُ، ثُمَّ التَّذْكِيرُ وَالتَّدْرِيسُ وَالْفَتْوَى، ثُمَّ إِنْفَاقُ الْمَالِ.

---

(1) ورد في كشف الخفاء للعجلوني: 2/ 196، والأمثال والحكم للماوردي: 9.

(2) الإحياء: 3/ 323.

أَمَّا الْخِلَافَةُ وَالْإِمَارَةُ، فَهِيَ مِنْ أَفْضَلِ الْعِبَادَاتِ إِذَا كَانَتْ مَعَ الْعَدْلِ وَالْإِخْلَاصِ، مَعَ مَا فِيهَا مِنْ عَظِيمِ الْخَطَرِ، إِذْ يَغْلِبُ فِيهِ عَلَى النَّفْسِ حُبُّ الْجَاهِ، وَنَفَاذِ الْأَمْرِ، وَهُوَ أَعْظَمُ مَلَاذِّ الدُّنْيَا. وَلِهَذَا وَرَدَ فِي الْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ التَّرْغِيبُ فِيهَا وَالتَّنْفِيرُ عَنْهَا. فَيَجِبُ أَنْ لَا يُمْنَعَ مِنْهَا الْخَوَاصُّ وَالْأَقْوِيَاءُ، وَهُمُ الَّذِينَ لا تُمِيلُهُمُ الدُّنْيَا، وَلَا يَسْتَفِزُّهُمُ الطَّمَعُ، وَلَا يَأْخُذُهُمْ فِي اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ، [وَهُمُ الَّذِينَ لَا][1] يَسْقُطُ[2] الْخَلْقُ مِنْ أَعْيُنِهِمْ. وَلَكِنْ لَا يَدُورُ حَوْلَهَا الضُّعَفَاءُ فَيَهْلِكُوا؛ لِأَنَّهُمْ وَإِنْ صَبَّرُوا عَنِ الْحَقِّ[3] كَافَّةَ أَنْفُسِهِمْ عَنِ الشَّهَوَاتِ فِي غَيْرِ الْوِلَايَةِ، لَكِنْ لَا أَمْنَ لَهُمْ مِنْ أَنْ يَتَغَيَّرُوا إِذَا ذَاقُوا لَذَّةَ الْوِلَايَةِ، وَأَنْ يَسْتَحْلُوا لَذَّةَ الْجَاهِ[4]، وَنَفَاذَ الْأَمْرِ، وَأَنْ يَكْرَهُوا الْعَزْلَ، فَيُدَاهِنُوا خِيفَةً مِنَ الْعَزْلِ. وَلِهَذَا يُمْنَعُ الضُّعَفَاءُ مِنْ تَقَلُّدِ الْوِلَايَةِ عِنْدَ الْأَكْثَرِينَ.

قَالَ بَعْضُهُمْ: يَجُوزُ التَّقَلُّدُ إِذَا أَمِنَ فِي الْحَالِ عَنِ اتِّبَاعِ الْهَوَى، وَلَا يَمْنَعُهُ عَنْهُ الْخَوْفُ عَنْ أَمْرٍ فِي الْمُسْتَقْبَلِ[5].

وَالصَّحِيحُ الْقَوْلُ الْأَوَّلُ، وَهُوَ عَدَمُ التَّقَلُّدِ؛ لِأَنَّ النَّفْسَ خَدَّاعَةٌ، مُدَّعِيَةٌ لِلْحَقِّ، وَاعِدَةٌ بِالْخَيْرِ، فَلَا يُعْتَمَدُ عَلَيْهَا. ثُمَّ إِنَّ الِامْتِنَاعَ عَنْ قَبُولِ الْوِلَايَةِ

---

(1) زيادة من أنطاليا.

(2) وسقط الخلق، في الأزهرية ورئيس الكتاب.

(3) الخلق، في الأزهرية.

(4) الولاية، في رئيس الكتاب والأزهرية.

(5) الإحياء: 3/ 325.

أَهْوَنُ عِنْدَ النَّفْسِ مِنَ الْعَزْلِ؛ لِأَنَّهُ كما قِيلَ: «[الْعَزْلُ][1] طَلَاقُ الرِّجَالِ»[2]، وَالنَّفْسُ لا تَسْمَحُ بِهِ، فَيَمِيلُ إِلَى الْمُدَاهَنَةِ، وَإِهْمَالِ الْحَقِّ، فَيَهْوِي بِهِ فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ، إِلَّا أَنْ يُعْزَلَ قَهْرًا، فَفِيهِ عَذَابٌ عَاجِلٌ.

وَأَمَّا الْقَضَاءُ، فَفِيهِ ثَوَابٌ عَظِيمٌ مَعَ اتِّبَاعِ الْحَقِّ، وَعِقَابٌ أَلِيمٌ مَعَ الْعُدُولِ عَنْهُ، فَهُوَ كَالْإِمَارَةِ وَالْوِلَايَةِ وَفِي مَعْنَاهُمَا، وَإِنْ كانَ في الْحُكْمِ دُونَهُمَا. فَيَنْبَغِي أَنْ يَتْرُكَهُ مَنْ يَخَافُ عَنِ الْعَزْلِ، وَلَا يَفْرَحُ بِدُونِهِ، إِذْ يَلْتَزِمُ خَوْفًا مِنَ الْعَزْلِ اتِّبَاعَ الْهَوَى، فَيَهْوِي مَعَ الظَّلَمَةِ في الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ.

وَأَمَّا الْوَعْظُ وَالْفَتْوَى وَالتَّدْرِيسُ وَرِوَايَةُ الْحَدِيثِ، وَجَمْعُ الْأَسَانِيدِ الْعَالِيَةِ، وَكُلُّ مَا يَتَّسِعُ بِسَبَبِهِ الْجَاهُ، وَيَعْظُمُ بِهِ الْقَدْرُ، فَآفَتُهُ أَيْضًا عَظِيمَةٌ مِثْلَ آفَةِ الْوِلَايَاتِ[3].

فَإِنْ قُلْتَ: مَهْمَا حُكِمَ بِذَلِكَ عَلَى أَهْلِ الْعُلُومِ، تَعَطَّلَتِ الْعُلُومُ وَانْدَرَسَتْ، وَعَمَّ الْجَهْلُ كَافَّةَ الْخَلْقِ.

قُلْتُ: أَمَّا النَّهْيُ فَقَدْ وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليْهِ وَسَلَّمَ، مَعَ مَا في عَدَمِ السَّلْطَنَةِ وَالْإِمَارَةِ مِنَ الْفِتَنِ والْفَسَادِ مَا لا يَخْفَى، ومعَ ذلك النَّهْيِ لَمْ تَتَعَطَّلْ تِلْكَ الْوِلَايَاتُ، لِكَوْنِ النُّفُوسِ مَجْبُولَةً على حُبِّ الرِّئَاسَةِ، وكذلِكَ حُبُّ

---

(1) زيادة من أنطاليا.

(2) التمثيل والمحاضرة: 149، ومجمع الأمثال: 2/ 55، والإحياء: 3/ 325.

(3) الإحياء: 3/ 325-326.

الرِّئَاسَةِ لا يَتْرُكُ الْعُلُومَ تَنْدَرِسُ، فَعَلَى هَذَا لَوْ تَعَدَّدَ الْوَاعِظُ فِي الْبَلَدِ، فَلَيْسَ فِي النَّهْيِ إِلَّا امْتِنَاعُ الْبَعْضِ، إِذْ تَرْكُ الْكُلِّ لَذَّةَ الرِّئَاسَةِ فِي حَدِّ الِامْتِنَاعِ، وَلَوِ انْحَصَرَ فِي وَاحِدٍ وَكانَ وَعْظُهُ نَافِعًا لِلنَّاسِ[1]، فَلَا نَمْنَعُهُ. وَإِنْ قالَ: لَا أَمْلِكُ نَفْسِي، لِأَنَّهُ لَوْ تَرَكَ ذَلِكَ لَهَلَكَ النَّاسُ. بَلْ يُقَالُ لَهُ: اشْتَغِلْ وَجَاهِدْ. وَأَيْضًا لَوْ كانَ غَرَضُهُ الْجَاهَ فَفِي الِاشْتِغَالِ يَهْلِكُ هُوَ وَحْدَهُ، وفِي التَّرْكِ يَهْلِكُ النَّاسُ كُلُّهُمْ، فَنَجْعَلُهُ فِدَاءً لِلْقَوْمِ، فَيَدْخُلُ فِيمَنْ قَالَهُ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِأَقْوَامٍ لَا خَلَاقَ لَهُمْ»[2].

ثُمَّ إِنَّ الْوَاعِظَ هُوَ الَّذِي يُرَغِّبُ فِي الْآخِرَةِ، وَيُزَهِّدُ فِي الدُّنْيَا بِكَلَامِهِ، وَبِظَاهِرِ سِيرَتِهِ، وَأَمَّا مَا أَحْدَثَهُ الْوُعَّاظُ مِنَ الْكَلِمَاتِ الْمُزَخْرَفَةِ وَالْمُسْجَعَةِ الْمَقْرُونَةِ بِالْأَشْعَارِ، فَإِنَّهُمْ نُوَابُ الدَّجَّالِ، وَخُلَفَاءُ الشَّيْطَانِ، يَجِبُ إِخْلَاءُ الْبِلَادِ مِنْهُمْ.

وَبِالْجُمْلَةِ، فَضْلُ الْعِلْمِ عَظِيمٌ، إِلَّا أَنَّ خَطَرَهُ كَثِيرٌ، وَذَلِكَ لَيْسَ لِنَفْسِ الْعِلْمِ، بَلْ لِإِظْهَارِهِ، وَالتَّوَسُّلِ بِهِ إِلَى الرِّيَاءِ، فَالْأَحَبُّ أَنْ لَا يَتْرُكَهُ[3] لِآفَتِهِ، بَلْ يُحَصِّلُهُ، وَيَدْفَعُ الْآفَاتِ بِالْمُجَاهَدَةِ.

ثُمَّ فِي الْوَاعِظِ عَلَامَاتٌ يُعْرَفُ بِهَا صِدْقُهُ وَإِخْلَاصُهُ:

---

(1) للأنام، أنطاليا.

(2) أحاديث عفان بن مسلم: 55، رقم: 80، وشرح مشكل الآثار للطحاوي: 5/ 274، رقم: 2035، والإحياء: 1/ 48 و3/ 327.

(3) يُترك، في أنطاليا.

أَحَدُهَا: أَنَّهُ لَوْ ظَهَرَ عَالِمٌ هُوَ أَغْزَرُ مِنْهُ عِلْمًا، وَالنَّاسُ أَشَدُّ لَهُ قَبُولًا يَفْرَحُ بِهِ وَلَمْ يَحْسُدْهُ، وَإِنْ فَعَلَ فَالْغِبْطَةُ.

وَثَانِيهَا: أَنْ لَا يَتَغَيَّرَ كَلَامُهُ إِذَا حَضَرُوا مَجْلِسَهُ[1].

وَثَالِثُهَا: أَنْ لَا يُحِبَّ اتِّبَاعَ النَّاسِ لَهُ فِي الطَّرِيقِ[2].

وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ الْعَبْدَ رُبَّمَا يَقَعُ بَيْنَ أَظْهُرِ قَوْمٍ يَقُومُونَ لِلتَّهَجُّدِ فَيُوَافِقُهُمْ، فَفِيهِ أَمْرَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ مُوَافَقَتَهُ لَهُمْ إِنْ كانَ بِسَبَبِ دَفْعِ الثَّقَلَةِ[3] بِمُشَاهَدَةِ عِبَادَتِهِمْ، وَدَفْعِ الْأَشْغَالِ الْوَاقِعَةِ فِي بَيْتِهِ، أَوْ لِمُفَارَقَتِهِ النَّوْمَ لِاسْتِنْكَارِهِ الْمَوْضِعَ، أَوْ لِسَبَبٍ آخَرَ، فَيَغْتَنِمُ زَوَالَ النَّوْمِ، فَهَذَا وَأَمْثَالُهُ مِنَ الْأَسْبَابِ لَيْسَ مِنَ الرِّيَاءِ، بَلْ هُوَ تَجَدُّدُ النَّشَاطِ. وَأَمَّا إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ لِأَجْلِ رُؤْيَتِهِمْ، وَخَوْفًا مِنْ مَذَمَّتِهِمْ، لَا سِيَّمَا إِذَا اعْتَقَدَ أَنَّهُمْ يَظُنُّونَهُ يَقُومُ بِاللَّيْلِ، فَلْيَتْرُكْهُ، فَإِنَّهُ مِنَ الرِّيَاءِ.

وَرُبَّمَا يَكُونُ فِعْلُهُ لِبَاعِثِ الدِّينِ مَقْرُونًا بِحُبِّ الْحَمْدِ، فَلا يَتْرُكُ أَيْضًا، وَيَمْتَحِنُ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَرَوْهُ هَلْ يَتْرُكُ الْعَمَلَ، أَوْ يَسْتَثْقِلُهُ أَمْ لَا؟ فَإِنْ كانَ الْأَوَّلُ فَهُوَ مِنَ الرِّيَاءِ، وَإِلَّا فَلَا[4].

---

(1) أن الأكابر إذا حضروا مجلسه لم يتغير كلامه. في الإحياء: 3/ 329.

(2) كلام ملخص من الإحياء: 3/ 327ـ329

(3) الثَّقَلَةُ: وجد في جسده ثَقَلَة أي ثِقَلًا وَفُتُورًا. اللسان/ ثقل.

(4) الإحياء: 3/ 330ـ331.

وَأَصْلُ الْعِلَاجِ فِي هَذَا الْبَابِ الْقَنَاعَةُ بِعِلْمِ اللهِ تَعَالَى فِي جَمِيعِ طَاعَاتِهِ، وَإِذَا خَطَرَ جَانِبُ الْعِبَادِ، يَتَذَكَّرُ عِظَمَ مُلْكِ الْآخِرَةِ، وَنَعِيمَ الْجَنَّةِ، وَدَوَامَهَا أَبَدَ الْآبَادِ، وَعِظَمَ غَضَبِ اللهِ وَمَقْتِهِ. إِلَّا أَنَّهُ لا يَنْبَغِي أَنْ يَيْأَسَ بِأَنْ يَقُولَ: لَا يَنْجُو مِنَ الرِّيَاءِ إِلَّا الْأَقْوِيَاءُ، فَيَتْرُكَ الْمُجَاهَدَةَ فِي الْإِخْلَاصِ، إِذِ الْيَأْسُ عَنْ صَفَاءِ الْمَاءِ بَعْدَ كَدَرِهِ مِنَ الْجَهْلِ بِحَقِيقَةِ الْمَاءِ، وَخُلُوِّ جَوْهَرِهِ عَنِ الْمُكَدِّرَاتِ، وَصَفَائِهَا عَنِ الْمُلَوِّثَاتِ؛ وَمِثَالُ النَّفْسِ مِثَالُ الْمَاءِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى كَرِيمٌ رَحِيمٌ، لَوْ شَاءَ لَأَغْنَى عِبَادَهُ عَنِ التَّعَبِ وَالنَّصَبِ، وَلَكِنْ أَرَادَ أَنْ يَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا، ثُمَّ إِنَّهُ لَا يُضِيعُ سَعْيَ الرَّاجِي وَلَا يُخَيِّبُ أَمَلَ الْمُحِبِّ، وَقَدْ قَالَ: «مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»(1).

وَقَالَ: «لَقَدْ طَالَ شَوْقُ الْأَبْرَارِ إِلَى لِقَائِي، وَأَنَا إِلَى لِقَائِهِمْ أَشَدُّ شَوْقًا»(2).

فَلْيُظْهِرِ الْعَبْدُ جِدَّهُ وَصِدْقَهُ وَإِخْلَاصَهُ، فَلَا يُعْوِزُهُ [مِنَ اللهِ](3) مَا هُوَ اللَّائِقُ بِجُودِهِ وَكَرَمِهِ وَرَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ.

---

(1) مسند أحمد: 16/ 530، رقم: 10909، وتأويل مختلف الحديث: 327، والإحياء: 3/ 335.

(2) الاقتصاد في الاعتقاد: 39، والإحياء: 3/ 335.

(3) زيادة من أنطاليا.

الأَصْلُ التَّاسِعُ: ذَمُّ الْكِبْرِ وَالْعُجْبِ

وَفِيهِ مَطَالِبُ:

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ: فِي ذَمِّ الْكِبْرِ وَالِاخْتِيَالِ وَفَضِيلَةِ التَّوَاضُعِ

وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى ذَمَّ الْكِبْرَ وَالِاخْتِيَالَ، وَمَدَحَ التَّوَاضُعَ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنْ كِتَابِهِ، بِحَيْثُ لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ ذَلِكَ. وَكَذَلِكَ وَقَعَ فِي الْأَحَادِيثِ مَا يُوَافِقُ الْقُرْآنَ أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ، لا يُمْكِنُ حَصْرُهَا مَعَ شُيُوعِهَا عِنْدَ النَّاسِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْكِبْرَ صِفَةٌ فِي النَّفْسِ، وَمَا فِي الظَّاهِرِ مِنْ أَمَارَاتِهَا، وَهُوَ أَنْ يَرَى نَفْسَهُ فَوْقَ الْغَيْرِ فِي صِفَاتِ الْكَمَالِ، فَيَحْصُلُ فِي قَلْبِهِ إِعْزَازٌ وَهِزَّةُ فَرَحٍ، وَرُكُونٌ إِلَى رُؤْيَةِ نَفْسِهِ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَعُوذُ بِكَ مِنْ نَفْخَةِ الْكِبْرِيَاءِ»(1).

وَأَمَّا الْعُجْبُ: فَلَا يُشْتَرَطُ فِيهِ رُؤْيَةُ الْغَيْرِ، بَلْ لَوْ خُلِقَ وَحْدَهُ يَحْصُلُ الْعُجْبُ.

وَأَمَّا الْكِبْرُ، فَيُشْتَرَطُ فِيهِ ذَلِكَ.

وَأَمَّا الْآثَارُ الظَّاهِرَةُ مِنْهُ - وَيُسَمَّى تَكَبُّرًا - أَنْ يَحْقِرَ مَنْ دُونَهُ، وَازْدَرَاهُ وَأَقْصَاهُ عَنْ نَفْسِهِ وَأَبْعَدَهُ، وَتَرَفَّعَ عَنْ مُجَالَسَتِهِ، وَمُؤَاكَلَتِهِ، وَرُبَّمَا يَشْتَدُّ

---

(1) الإحياء: 3/ 344، والمغني عن حمل الأسفار: 1252.

الْكِبْرُ، فَيَسْتَنْكِفُ عَنْ خِدْمَتِهِ أَيْضًا، بَلْ عَنْ خِدْمَةِ عَتَبَتِهِ، وَأَدْنَى مَرَاتِبِهِ أَنْ يَأْنَفَ عَنْ مُسَاوَاتِهِ؛ وَيَأْنَفَ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِ إِنْ نَاظَرَهُ. ثُمَّ إِنَّهُ رُبَّمَا يَنْظُرُ إِلَى الْعَامَّةِ كَأَنَّهُمُ الْحَمِيرُ وَيَسْتَحْقِرُهُمْ، إلى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْوَالِ الْقَبِيحَةِ، قَلَّمَا أَنْ يَنْفَكَّ عَنْهُ الْعُبَّادُ وَالزُّهَّادُ وَالْعُلَمَاءُ فَضْلًا عَنِ الْعَوَامِّ[1].

(1) الإحياء: 3/ 336ـ344.

الْمَطْلَبُ الثَّانِي: في أَقْسَامِ الْكِبْرِ بِاعْتِبَارِ الْمُتَكَبَّرِ عَلَيْهِ وَهِيَ ثَلَاثَةٌ:

الْأَوَّلُ: التَّكَبُّرُ على اللهِ؛ كَمَا فَعَلَهُ نُمْرُودُ وَفِرعَوْنُ، وَهُوَ مِنْ أَفْحَشِ أَنْوَاعِ الْكِبْرِ وَأَقْبَحِهَا وَالْعِيَاذُ بِاللهِ.

الثَّانِي: التَّكَبُّرُ عَلَى الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ وَسَلَامُهُ، مِنْ حَيْثُ تَرَفُّعُهُ عَنِ الِانْقِيَادِ لِبَشَرٍ، وَذَلِكَ تَارَةً مَعَ الْجَهْلِ بِحَقِيقَتِهِ، حَيْثُ يَصْرِفُ الْكِبْرُ عَنِ الْفِكْرِ فِيهِ، وَتَارَةً يَعْرِفُ حَقِيقَتَهُ، وَلَكِنْ لَا تُطَاوِعُهُ نَفْسُهُ بِالِانْقِيَادِ.

الثَّالِثُ: التَّكَبُّرُ عَلَى الْعِبَادِ، بِأَنْ يَتَرَفَّعَ عَلَيْهِمْ وَيَسْتَصْغِرَهُمْ وَيَزْدَرِيَهُمْ. وَهَذَا وَإِنْ كانَ دُونَ الْأَوَّلِ، لَكِنَّهُ عَظِيمٌ أَيْضًا مِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْعِزَّ وَالْكِبْرَ لَا يَلِيقُ إِلَّا بِالْمَلِكِ الْقَادِرِ. وَالْعَبْدُ بِمَعْزِلٍ عَنْ ذَلِكَ.

ثَانِيهِمَا: أَنَّهُ يَدْعُو إِلَى مُخَالَفَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ لِأَنَّهُ رُبَّمَا يَسْمَعُ الْحَقَّ مِنْ عَبْدٍ فَيَأْنَفُ عَنْ قَبُولِهِ، وَيَتَشَمَّرُ لِجَحْدِهِ، كَمَا تُشَاهِدُهُ فِي الْمُنَاظِرِينَ فِي مَسَائِلِ الدِّينِ، كَمَا فَعَلَهُ إِبْلِيسُ حَيْثُ جَرَّهُ كِبْرُهُ إِلَى مُخَالَفَةِ أَمْرِ اللهِ تَعَالَى[1].

---

(1) الإحياء: 3/ 345 ـ 347.

الْمَطْلَبُ الثَّالِثُ: فِي أَقْسَامِ مَا بِهِ الْكِبْرُ

وَهِيَ سَبْعَةٌ:

الْأَوَّلُ: الْعِلْمُ، وَمَا أَسْرَعَ الْكِبْرَ إلى الْعُلَمَاءِ؛ لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ في أَنْفُسِهِمْ كَمَالَ الْعِلْمِ وَجَمَالَهُ، فَيَسْتَعْظِمُونَ أَنْفُسَهُمْ، وَيَسْتَحْقِرُونَ مَنْ عَدَاهُمْ، وَيَتَوَقَّعُونَ مِنْهُمُ الْخِدْمَةَ، وَيَسْتَسْخِرُونَهُمْ في حَوَائِجِهِمْ بِمَنْزِلَةِ عَبِيدِهِمْ. هَذَا في أَمْرِ الدُّنْيَا.

وَأَمَّا في أَمْرِ الْآخِرَةِ، فَيَرَوْنَ أَنْفُسَهُمْ عِنْدَ اللهِ خَيْرًا مِنْهُمْ، فَيَرْجُونَ لِأَنْفُسِهِمْ أَكْثَرَ مِمَّا يَرْجُونَ لَهُمْ، وَيَخَافُونَ عَلَيْهِمْ أَكْثَرَ مِمَّا يَخَافُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، مَعَ أَنَّ الْعِلْمَ الْحَقِيقِيَّ أَنْ يَعْرِفَ الْإِنْسَانُ بِهِ نَفْسَهُ وَرَبَّهُ وَخَطَرَ الْخَاتِمَةِ، وَأَنَّ حُجَّةَ اللهِ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَعْظَمُ مِنْ حُجَّتِهِ عَلَى الْجَاهِلِ، وَذَلِكَ يَقْتَضِي أَنْ يَرَى كُلَّ أَحَدٍ خَيْرًا مِنْهُ.

وَالْكِبْرُ في الْعَالِمِ إِمَّا بِاشْتِغَالِهِ بِمَا لَيْسَ هُوَ يَعْلَمُ؛ كَالطِّبِّ وَالْحِسَابِ وَاللُّغَةِ وَالشِّعْرِ وَالنَّحْوِ، وَطَرِيقِ فَصْلِ الْخُصُومَاتِ وَالْمُجَادَلَاتِ، وَهَذِهِ صِنَاعَاتٌ، وَإِنَّمَا الْعِلْمُ الْحَقِيقِيُّ مَا يُورِثُ الْخَشْيَةَ وَالتَّوَاضُعَ؛ وَإِمَّا بِأَنْ يَشْتَغِلَ بِالْعِلْمِ، لَكِنْ هُوَ خَبِيثُ الدُّخْلَةِ(1)، رَدِيءُ النَّفْسِ، سَيِّءُ الْأَخْلَاقِ، لأَنَّهُ لَمْ يَشْتَغِلْ أَوَّلًا بِتَهْذِيبِ نَفْسِهِ، فإذا خَاضَ في الْعِلْمِ - أَيَّ عِلْمٍ كانَ - صَادَفَ مِنْ قَلْبِهِ مَنْزِلًا خَبِيثًا، فَلَمْ تَطِبْ ثَمَرَتُهُ، وَلَمْ يَظْهَرْ في الْخَيْرِ أَثَرُهُ، وَإِنَّمَا

(1) الدخلة: بطانة الأمر، يقال: إنه لعفيف الدخلة وإنه لخبيث الدخلة أي باطن أمره. اللسان/ دخل.

الْعِلْمُ كَالْغَيْثِ تَشْرَبُهُ الْأَشْجَارُ فَيَزِيدُ الْمُرَّ مَرَارَةً، وَالْحُلْوَ حَلَاوَةً، وَكَذَا الْعِلْمُ يَزِيدُ الْمُتَكَبِّرَ كِبْرًا وَالْمُتَوَاضِعَ تَوَاضُعًا[1].

وَمَا أَعَزَّ على بَسِيطِ الْأَرْضِ عَالِمًا لَمْ يُحَرِّكْهُ عِزُّ الْعِلْمِ، وَلَوْ عَرَفْنَا ذَلِكَ بِأَقْصَى الصِّينِ، لَسَعَيْنَا إِلَيْهِ رَجَاءَ أَنْ تَشْمَلَنَا بَرَكَتُهُ، وَتَسْرِيَ إِلَيْنَا سِيرَتُهُ وَسَجِيَّتُهُ، وَلَكِنَّهُ هَيْهَاتَ أَنَّى يَسْمَحُ آخِرُ الزَّمَانِ بِمِثْلِهِمْ.

الثَّانِي: الْعَمَلُ وَالْعِبَادَةُ؛ بِأَنْ يَرَى غَيْرَهُمْ بِزِيَارَتِهِمْ أَوْلَى مِنْ أَنْفُسِهِمْ بِزِيَارَةِ غَيْرِهِمْ، وَيَتَوَقَّعُونَ قِيَامَ النَّاسِ بِحَوَائِجِهِمْ، وَتَوْقِيرِهِمْ وَالتَّوْسِيعِ لَهُمْ فِي الْمَحَافِلِ، وَذِكْرِهِمْ بِالْوَرَعِ وَالتَّقْوَى، وَكَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ عِبَادَتَهُمْ مِنَّةً عَلَى الْخَلْقِ؛ وَكَذَا فِي الدِّينِ؛ يَرَى النَّاسَ هَالِكِينَ، وَيَرَى نَفْسَهُ نَاجِيًا، إِلَّا أَنَّهُ هُوَ الْهَالِكُ تَحْقِيقًا.

وَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَظُنُّ أَنَّهُ أَكْرَمُ علَى اللهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، حَيْثُ انْتَقَمَ لَهُ مِنْ أَعْدَائِهِ إِذَا أَصَابَهُمْ مَكْرُوهٌ، وَيَزْعُمُ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ كَرَامَاتِهِ، وَكَثِيرٌ مِنْ أَعْدَاءِ الْأَنْبِيَاءِ أَمْهَلَهُمُ اللهُ في الدُّنْيَا، وَرُبَّمَا أَسْلَمَ فَسَلِمَ في الْآخِرَةِ أَيْضًا.

ثُمَّ الْكِبْرُ في الْعُلَمَاءِ إِمَّا أَنْ يَسْتَكِنَّ في قَلْبِهِ وَيَتَوَاضَعَ ظَاهِرًا، أَوْ يَظْهَرَ عَلَى أَفْعَالِهِ أَيْضًا؛ وَأَشَدُّ مِنْهُمَا مَنْ يَظْهَرُ في أَقْوَالِهِ، بِأَنْ يَدَّعِيَ بِالْمُفَاخَرَةِ وَالْمُبَاهَاةِ وَتَزْكِيَةِ النَّفْسِ وَحِكَايَاتِ [الْأَحْوَالِ][2] وَالْأَعْمَالِ وَالْمَقَامَاتِ، وَالتَّشَمُّرِ

---

(1) الإحياء: 3/ 348.

(2) زيادة من أنطاليا.

وَالتَّبَشُّرِ بِغَلَبَةِ الْغَيْرِ فِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ(1).

الثَّالِثُ: التَّكَبُّرُ بِالْحَسَبِ وَالنَّسَبِ. وَذَلِكَ عِرْقٌ دَفِينٌ فِي النَّفْسِ، قَلَّمَا يَنْفَكُّ عَنْهُ نَسِيبٌ وَإِنْ كَانَ عَاقِلًا وَصَالِحًا، إِلَّا أَنَّهُ [قَدْ لَا يَتَرَشَّحُ مِنْهُ عِنْدَ اعْتِدَالِ الْأَحْوَالِ، فَإِنْ غَلَبَهُ غَضَبٌ](2) يُطْفِئُ ذَلِكَ بِنُورِ بَصِيرَتِهِ.

الرَّابِعُ: التَّفَاخُرُ بِالْجَمَالِ، وَأَكْثَرُ مَا يَجْرِي ذَلِكَ بَيْنَ النِّسَاءِ، وَيَدْعُو ذَلِكَ إِلَى الْغِيبَةِ وَذِكْرِ عُيُوبِ النَّاسِ.

الْخَامِسُ: الْكِبْرُ بِالْمَالِ، وَذَلِكَ يَجْرِي بَيْنَ الْمُلُوكِ فِي الْخَزَائِنِ، وَبَيْنَ التُّجَّارِ فِي بَضَائِعِهِمْ، وَبَيْنَ الدَّهَاقِينِ(3) فِي أَرَاضِيهِمْ، وَبَيْنَ الْمُتَجَمِّلِينَ فِي لِبَاسِهِمْ وَخُيُولِهِمْ وَمَرَاكِبِهِمْ، وَكُلُّ ذَلِكَ جَهْلٌ مِنْهُ بِآفَةِ الْغِنَى وَفَضْلِ الْفَقْرِ.

السَّادِسُ: الْكِبْرُ بِالْقُوَّةِ، وَشِدَّةِ الْبَطْشِ، وَالتَّكَبُّرُ بِهِ عَلَى أَهْلِ الضُّعْفِ.

السَّابِعُ: التَّكَبُّرُ بِالْأَتْبَاعِ وَالْأَنْصَارِ وَالتَّلَامِذَةِ وَالْغِلْمَانِ وَالْعَشِيرَةِ وَالْأَقَارِبِ وَالْبَنِينَ. وَمِنْ ذَلِكَ: الْمُكَاثَرَةُ بِالْمُسْتَفِيدِينَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ وَبِالْجُنُودِ بَيْنَ الْمُلُوكِ(4).

---

(1) الإحياء: 3/ 349ـ 351.

(2) زيادة من أنطاليا.

(3) والدِّهْقان والدُّهقان: كلمة كردية أصلها ده وخان ومعناه، الرجل الشريف، دخلت الفارسية. وقيل: هي التَّاجِرُ، فَارِسِيٌّ معرَّب، وَهُمُ الدَّهاقنة والدَّهاقين. اللسان/ دهقن.

(4) الإحياء: 3/ 352ـ 353.

الْمَطْلَبُ الرَّابِعُ: فِي أَسْبَابِ الْكِبْرِ

وَهِيَ أَرْبَعَةٌ:

أَحَدُهَا: الْعُجْبُ، وَأَنَّهُ يُورِثُ الْكِبْرَ الْبَاطِنَ، وَهُوَ يُثْمِرُ التَّكَبُّرَ.

ثَانِيهَا: الْحِقْدُ، لِأَنَّهُ إِذَا رَسَخَ فِي الْقَلْبِ، تَأْنَفُ النَّفْسُ أَنْ تُطَاوِعَ ذَلِكَ، وَأَنْ تَتَوَاضَعَ لَهُ، فَكَمْ مِنْ رَذِيلٍ لَا تُطَاوِعُ نَفْسُهُ أَنْ يَتَوَاضَعَ لِوَاحِدٍ مِنَ الْأَكَابِرِ لِحِقْدِهِ عَلَيْهِ.

وَثَالِثُهَا: الْحَسَدُ، وَهُوَ أَيْضًا يَبْعَثُهُ عَلَى أَنْ يُعَامِلَهُ بِأَخْلَاقِ الْكِبْرِ وَإِنْ لَمْ يَرَ نَفْسَهُ فَوْقَهُ فِي بَاطِنِهِ.

وَرَابِعُهَا: الرِّيَاءُ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَتَكَبَّرُ عَلَى آخَرَ، وَلَا يَسْتَفِيدُ مِنْهُ الْعِلْمَ لِئَلَّا يَقُولَ النَّاسُ إِنَّهُ أَفْضَلُ مِنْهُ.

وَأَمَّا آثَارُ الْمُتَكَبِّرِ فِي الشَّمَائِلِ: صَعَرُ[1] الْوَجْهِ، وَالنَّظَرُ شَزْرًا[2]، وَإِطْرَاقُ الرَّأْسِ، وَالْجُلُوسُ مُتَرَبِّعًا وَمُتَّكِئًا، وَفِي أَقْوَالِهِ تَغَيُّرٌ فِي صَوْتِهِ وَنَغْمَتِهِ وَصِيغَتِهِ فِي الْإِيرَادِ. وَرُبَّمَا يَظْهَرُ فِي مَشْيِهِ وَتَبَخْتُرِهِ وَقِيَامِهِ وَجُلُوسِهِ وَحَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ. وَرُبَّمَا يَجْتَمِعُ الْكُلُّ فِي شَخْصٍ، وَرُبَّمَا يَتَكَبَّرُ شَخْصٌ فِي بَعْضِهَا وَيَتَوَاضَعُ فِي غَيْرِ ذَلِكَ[3].

---

(1) الصَّعَرُ: ميلٌ في الوجه، وقيل: الصَّعَرُ الميْلُ في الخدِّ خاصَّةً. اللسان/ صعر.

(2) نَظَرٌ شَزْرٌ: فِيهِ إِعْرَاضٌ كَنَظَرِ الْمُعَادِي الْمُبْغِضِ، وَقِيلَ: هُوَ نَظَرٌ عَلَى غَيْرِ اسْتِوَاءٍ بِمُؤَخِّرِ الْعَيْنِ. اللسان/ شزر.

(3) الإحياء: 3/ 353-354.

الْمَطْلَبُ الْخَامِسُ: فِي طَرِيقِ مُعَالَجَةِ الْكِبْرِ

وَهِيَ إِمَّا بِاسْتِئْصَالِهِ، أَوْ دَفْعِ الْعَارِضِ مِنْهُ.

أَمَّا الْأَوَّلُ: فَإِمَّا عِلْمِيٌّ، وَهُوَ أَنْ يَعْرِفَ نَفْسَهُ وَرَبَّهُ، إِذْ عِنْدَ ذَلِكَ يَعْرِفُ أَنَّ لَهُ الذُّلَّ وَلِرَبِّهِ الْكِبْرِيَاءَ، وَيَعْرِفُ أَنَّ بَدَنَهُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خُلِقَ، وَإِلَى أَيِّ شَيْءٍ سَيَؤُولُ فِي الْقَبْرِ، وَعِنْدَ الْحَشْرِ وَأَهْوَالِهِ، ثُمَّ هُوَ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ.

وَإِمَّا عَمَلِيٌّ، وَهُوَ التَّوَاضُعُ لِلَّهِ تَعَالَى، وَلِسَائِرِ الْخَلْقِ، بِالْمُوَاظَبَةِ عَلَى أَخْلَاقِ الْمُتَوَاضِعِينَ، وَيَتَذَكَّرُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبِيدُ»[1].

وَأَمَّا الثَّانِي: فَبِدَفْعِ الْأَسْبَابِ السَّبْعَةِ الْمَذْكُورَةِ[2].

وَأَمَّا الْكِبْرُ بِالنَّسَبِ، فَيَدْفَعُهُ بِأَنَّهُ الِاعْتِزَازُ بِكَمَالِ غَيْرِهِ، وَأَنَّ النَّسَبَ الْحَقِيقِيَّ نُطْفَةٌ قَذِرَةٌ، وَجَدُّهُ الْبَعِيدُ تُرَابٌ ذَلِيلٌ، فَمِنْ أَيْنَ جَاءَتِ الرِّفْعَةُ لِوَلَدِهِ، وَأَصْلُهُ يُوطَأُ بِالْأَقْدَامِ، وَفَصْلُهُ تُغْسَلُ عَنْهُ الْأَبْدَانُ.

فَأَمَّا عِلَاجُ الْكِبْرِ بِالْجَمَالِ، فَبِأَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَا فِي بَطْنِهِ مِنَ الْأَقْذَارِ وَالنَّجَاسَاتِ، وَجَرَيَانِهِ أَوَّلًا مِنَ الذَّكَرِ، ثُمَّ قَرَارِهِ فِي الرَّحِمِ، ثُمَّ خُرُوجِهِ مِنْ مَجْرَى الْقَذَرِ.

---

(1) مفيد العلوم ومبيد الهموم: 99، وكتاب دلائل النبوة: 138، رقم: 151، والإحياء: 3/ 360.
(2) الإحياء: 3/ 358 ـ 361.

وَأَمَّا عِلَاجُ الْكِبْرِ بِالْقُوَّةِ، فَبِأَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَا سُلِّطَ عَلَيْهِ مِنَ الْعِلَلِ وَالْأَمْرَاضِ، وَأَنَّهُ لَو تَوَجَّعَ عِرْقٌ مِنْ بَدَنِهِ لَصَارَ أَعْجَزَ مِنْ كُلِّ عَاجِزٍ، وَإِنْ دَخَلَتْ بَقَّةٌ في أَنْفِهِ، أَوْ نَمْلَةٌ فِي أُذْنِهِ قَتَلَتْهُ، وَأَنَّ شَوْكَةً لَوْ دَخَلَتْ في رِجْلِهِ لَأَعْرَجَتْهُ[1]، وَإِنَّ الْحِمَارَ وَالثَّوْرَ وَالْجَمَلَ يَفُوقُكَ في هَذَا، فَأَيُّ فَضْلٍ لَكَ فِيهَا[2].

وَأَمَّا عِلَاجُ الْكِبْرِ بِالْغِنَى وَالْمَالِ وَالْأَتْبَاعِ وَالْأَنْصَارِ، فَعِلَاجُهُ أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ في مَعْرِضِ الْآفَاتِ، وَلَوْ زَالَتْ عَنْكَ، لَبَقِيتَ وَحْدَكَ، فَأَيُّ فَخْرٍ لَكَ فِي ذَلِكَ.

وَأَمَّا عِلَاجُ الْكِبْرِ بِالْعِلْمِ، فَمِنْ أَصْعَبِ الْأُمُورِ وَأَشَدِّهَا؛ لَأَنَّ قَدْرَهُ عَظِيمٌ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ النَّاسِ، فَفِيهِ طَرِيقَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَعْرِفَ أَنَّ حُجَّةَ اللهِ تَعَالَى عَلَى الْعَالِمِ أَوْكَدُ؛ لِأَنَّ عِصْيَانَهُ أَفْحَشُ مِنْ عِصْيَانِ الْجَاهِلِ.

وَثَانِيهِمَا: أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الْكِبْرَ لَا يَلِيقُ إِلَّا بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنَّهُ إِذَا تَكَبَّرَ صَارَ مَمْقُوتًا عِنْدَ اللهِ بَغِيضًا. قَال تَعَالَى لِلْعَالِمِ: إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا قَدْرًا مَا لَمْ تَرَ لِنَفْسِكَ قَدْرًا، [فَإِنْ رَأَيْتَ لِنَفْسِكَ قَدْرًا][3] فَلَا قَدْرَ لَكَ عِنْدَنَا.

وَأَيْضًا أَنَّ الْعَالِمَ إِذَا تَكَبَّرَ فَهُوَ جَاهِلٌ، فَكَيْفَ يَتَكَبَّرُ بِالْعِلْمِ وَهُوَ جَاهِلٌ، فَلَا بُدَّ أَنْ يُصَغِّرَ نَفْسَهُ حَتَّى يَعْظُمَ عِنْدَ اللهِ. فَإِذًا إِنْ نَظَرَ إِلَى جَاهِلٍ يَقُولُ: إِنَّهُ قَدْ

---

(1) لأعجزته، في الإحياء.

(2) الإحياء: 3/ 362.

(3) ما بين معقوفين سقط من الأزهرية.

عَصَى اللهَ بِجَهْلٍ، وَقَدْ عَصَيْتُهُ بِعِلْمٍ فَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي؛ وَإِنْ نَظَرَ إِلَى عَالِمٍ يَقُولُ: إِنَّهُ يَعْلَمُ مَا لَا أَعْلَمُ؛ وَإِنْ نَظَرَ إِلَى كَبِيرٍ يَقُولُ: هُوَ أَكْبَرُ مِنِّي سِنًّا، وَأَطَاعَ اللهَ قَبْلِي؛ وَإِنْ نَظَرَ إِلَى صَغِيرٍ يَقُولُ: إِنَّهُ عَصَى اللهَ بَعْدِي؛ وَإِنْ نَظَرَ إِلَى مُبْتَدِعٍ أَوْ كَافِرٍ يَقُولُ: مَا يُدْرِينِي، لَعَلَّ اللهَ يَخْتِمُ لَهُ بِالْإِسْلَامِ، وَيَخْتِمُ لِي بِمَا هُوَ عَلَيْهِ الْآنَ[1].

وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ لَا يُؤَدِّيَ هَذَا التَّوَاضُعُ إِلَى مُدَاهَنَةِ الْفُسَّاقِ، وَإِطْفَاءِ نُورِ الْغَضَبِ لِلَّهِ، إِذْ عَلَيْكَ عِنْدَ غَضَبِكَ لِلَّهِ مُلَاحَظَةُ مَا سَبَقَ مِنْ ذُنُوبِكَ، وَتَمَيُّزُكَ عَنْهُ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، إِنَّمَا هُوَ نِعْمَةٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى، وَمُلَاحَظَةُ إِبْهَامِ عَاقِبَتِكَ؛ فَبِمُلَاحَظَةِ هَذِهِ الْأُمُورِ لَا يُؤَدِّي الْغَضَبُ لِلَّهِ إِلَى الْكِبْرِ، فَيَجْتَمِعُ عِنْدَ ذَلِكَ مَعَ التَّوَاضُعِ، فَيَكُونُ بَاعِثُ الْغَضَبِ رِضَا مَوْلَاكَ لَا نَفْسِكَ، بِأَنْ تَرَى نَفْسَكَ نَاجِيًا، وَذَلِكَ هَالِكًا.

وَأَمَّا عِلَاجُ التَّكَبُّرِ بِالْوَرَعِ وَالْعِبَادَةِ، فَطَرِيقُهُ طَرِيقُ مُعَالَجَةِ الْكِبْرِ بِالْعِلْمِ.

وَلَا يُنَافِي ذَلِكَ فَضْلَ الْعَابِدِ عَلَى الْفَاسِقِ عِنْدَ اللهِ؛ لِأَنَّهُ وَإِنْ كانَ كَذَلِكَ عِنْدَ اللهِ لَكِنْ لَا شُعُورَ لَهُ بِالْخَتْمِ عَلَى الْعِبَادَةِ وَالْوَرَعِ، فَلَا يَتَكَبَّرُ عَلَى الْفَاسِقِ فَضْلًا عَنِ الْمَسْتُورِ[2].

ثُمَّ إِنَّ مَعْرِفَةَ الْكِبْرِ مِنَ النَّفْسِ قَدْ يَصْعُبُ، إِذْ قَدْ يَسْتَكِنُّ فِي الْقَلْبِ، فَلَا يَشْعُرُ بِهِ صَاحِبُهُ، فَلَهُ امْتِحَانَاتٌ:

---

(1) الإحياء: 3/ 364.

(2) المصدر نفسه: 3/ 365.

أَوَّلُهَا: أَنْ يُذْعِنَ لِلْحَقِّ إِنْ ظَهَرَ فِي وَاحِدٍ مِنْ أَقْرَانِهِ، وَيَشْكُرَ لَهُ عَلَى تَنْبِيهِهِ لِلْحَقِّ، وَإِلَّا فَفِيهِ الْكِبْرُ. وَعِلَاجُهُ أَنْ يَذْكُرَ خِسَّةَ نَفْسِهِ، وَأَنَّ الْكِبْرَ لَا يَلِيقُ إِلَّا بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنْ يُكَلِّفَ نَفْسَهُ مَا ثَقُلَ عَلَيْهِ مِنَ الِاعْتِرَافِ بِالْحَقِّ، وَيَشْكُرَهُ عَلَى الِاسْتِفَادَةِ مِنْهُ، وَيَقُولَ: جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا، قَدْ كُنْتُ غَافِلًا عَنْهُ. وَإِنْ لَمْ يَثْقُلْ ذَلِكَ فِي الْخَلْوَةِ بَلْ فِي الْمَلَإِ فَفِيهِ رِيَاءٌ فَلْيُعَالِجْهُ، وَإِنْ ثَقُلَ فِيهِمَا مَعًا فَفِيهِ الْكِبْرُ وَالرِّيَاءُ جَمِيعًا.

وَثَانِيهَا: أَنْ يُقَدِّمَ الْأَقْرَانَ عَلَى نَفْسِهِ فِي الْمَحَافِلِ، فَلْيُوَاظِبْ عَلَيْهِ إِنْ ثَقُلَ ذَلِكَ عَلَيْهِ حَتَّى يَسْقُطَ عَنْهُ ثِقْلُهُ، وَيَذْهَبَ كِبْرُهُ، إِلَّا أَنَّ هَاهُنَا مَكِيدَةَ الشَّيْطَانِ، وَهُوَ أَنْ يُقَدِّمَ أَقْرَانَهُ، وَيَجْلِسَ هُوَ فِي صَفِّ النِّعَالِ، أَوْ يَجْعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَقْرَانِهِ بَعْضَ الْأَرْذَالِ، وَلَيْسَ هَذَا تَوَاضُعًا، بَلْ هُوَ عَيْنُ الْكِبْرِ، إِذْ يُوهِمُ بِذَلِكَ أَنَّهُ تَرَكَ مَكَانَهُ تَفَضُّلًا، فَيَكُونُ تَكَبُّرًا فِي صُورَةِ التَّوَاضُعِ، بَلِ التَّوَاضُعُ حَقِيقَةً أَنْ يَجْلِسَ تَحْتَ أَقْرَانِهِ، وَلَا يَنْحَطَّ عَنْهُمْ إِلَى صَفِّ النِّعَالِ أَيْضًا.

وَثَالِثُهَا: أَنْ يُجِيبَ دَعْوَةَ الْفَقِيرِ، وَيَمُرَّ فِي حَاجَاتِ الرُّفَقَاءِ وَالْأَقَارِبِ إِلَى السُّوقِ، فَإِنْ ثَقُلَ ذَلِكَ عَلَيْهِ فَهُوَ كِبْرٌ. وَعِلَاجُهُ مَا مَرَّ مِنَ الْمُوَاظَبَةِ عَلَى دَفْعِهِ مَعَ الْمَعَارِفِ الَّتِي تُزِيلُ دَاءَ الْكِبْرِ.

وَرَابِعُهَا: أَنْ يَحْمِلَ حَاجَةَ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَأَقَارِبِهِ وَرُفَقَائِهِ مِنَ السُّوقِ إِلَى الْبَيْتِ، فَإِنْ أَبَتْ نَفْسُهُ ذَلِكَ فَهُوَ كِبْرٌ إِنْ خَلَا الطَّرِيقُ، وَرِيَاءٌ عِنْدَ مُشَاهَدَةِ النَّاسِ، يَجِبُ عِلَاجُ كُلٍّ مِنْهُمَا بِمَا مَرَّ. وَقَدْ أَهْمَلَ النَّاسُ طِبَّ الْقُلُوبِ،

وَاشْتَغَلُوا بِطِبِّ الْأَجْسَادِ، مَعَ أَنَّ الْأَجْسَادَ تَفْنَى الْبَتَّةَ، وَالْقُلُوبَ لَا تُدْرِكُ السَّعَادَةَ إِلَّا بِالسَّلَامَةِ عَنِ الْآفَاتِ.

وَخَامِسُهَا: أَنْ يَلْبَسَ ثِيَابًا بَذِلَةً؛ فَإِنْ نَفَرَ عَنْهَا فِي الْمَلَإِ فَرِيَاءٌ، وَفِي الْخَلَاءِ فَكِبْرٌ، وَقَدْ يَجْتَمِعَانِ. فَاعْرِفِ الْأَمْرَاضَ أَوَّلًا حَتَّى يُمْكِنَ مُدَاوَاتُهَا.

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ التَّوَاضُعَ وَاسِطَةٌ بَيْنَ الْكِبْرِ وَالْمَذَلَّةِ، وَهُمَا مَذْمُومَانِ، وَ «خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا». فَمَنْ يَتَقَدَّمْ عَلَى أَقْرَانِهِ فَهُوَ مُتَكَبِّرٌ، وَمَنْ يَتَأَخَّرْ عَنْ إِسْكَافٍ مَثَلًا وَأَجْلَسَهُ فِي مَجْلِسِهِ، ثُمَّ سَوَّى نَعْلَهُ، وَعَدَا إِلَى بَابِ الدَّارِ خَلْفَهُ فَهُوَ تَذَلُّلٌ وَتَخْسِيسٌ، بَلْ يَكْفِيهِ الْبِشْرُ فِي الْكَلَامِ، وَالتَّعْظِيمُ بِالْقِيَامِ، وَالرِّفْقُ فِي السُّؤَالِ، وَإِجَابَةُ دَعْوَتِهِ؛ وَغَيْرُ ذَلِكَ. وَلْيَحْذَرْ عَنِ الطَّرَفَيْنِ، وَلْيَطْلُبِ الْوَسَطَ مَهْمَا أَمْكَنَ[1].

---

(1) الإحياء: 3/ 367ـ 368.

الْمَطْلَبُ السَّادِسُ: فِي الْعُجْبِ

وَذَمُّهُ مِثْلُ ذَمِّ الْكِبْرِ، وَقَدْ كَثُرَ ذَمُّهُ فِي الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ. وَقَدْ ذَكَرْنَا حَقِيقَتَهُ وَالْفَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكِبْرِ، وَلْنَذْكُرْ آفَاتِهِ، وَهِيَ كَثِيرَةٌ، لأَنَّهُ يَدْعُو إِلَى الْكِبْرِ، وَآفَاتُهُ قَدْ مَرَّتْ.

وَمِنْ آفَاتِهَا: أَنَّهُ يَنْسَى ذُنُوبَهُ، وَيَظُنُّ أَنَّهُ اسْتَغْنَى عَنْ تَفَقُّدِهَا، وَيَسْتَصْغِرُهَا وَلَا يَتَدَارَكُهَا، وَرُبَّمَا يَظُنُّ أَنَّهَا تُغْفَرُ لَهُ. وَأَيْضًا يَسْتَعْظِمُ عِبَادَاتِهِ، وَيَمُنُّ بِهَا عَلَى اللهِ تَعَالَى، وَيَنْسَى نِعْمَةَ اللهِ تَعَالَى بِالتَّوْفِيقِ وَالتَّمْكِينِ مِنْهَا، وَيَعْمَى عَنْ آفَاتِهَا، وَيَغْتَرُّ بِنَفْسِهِ وَرَبِّهِ، وَيَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ وَعَذَابَهُ، وَيَظُنُّ أَنَّهُ عِنْدَ اللهِ بِمَكَانٍ، وَيُخْرِجُهُ الْعُجْبُ إِلَى أَنْ يُثْنِيَ عَلَى نَفْسِهِ، وَيَحْمَدَهَا وَيُزَكِّيَهَا، فَيَسْتَبِدَّ بِرَأْيِهِ وَإِنْ كانَ خَطَأً، وَيَسْتَنْكِفَ عَنْ سُؤَالِ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ، وَلا يَسْتَمِعَ نُصْحَ نَاصِحٍ، وَلَا وَعْظَ وَاعِظٍ، بَلْ يَنْظُرُ غَيْرَهُ بِعَيْنِ الِاسْتِجْهَالِ. وَإِنْ كانَ خَطَأُهُ فِي أُصُولِ الْعَقَائِدِ يَهْلِكُ أَبَدًا[1].

وَاعْلَمْ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِنْ كانَ خَائِفًا عَلَى زَوَالِ نِعَمِهِ مِنْ عِلْمٍ وَمَالٍ فَهَذَا لَيْسَ بِمُعْجَبٍ[2]؛ وَإِنْ كانَ خَائِفًا مِنْ زَوَالِهِ، لَكِنْ يَكُونُ فَرِحًا بِهِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ نِعْمَةٌ مِنَ اللهِ سَبْحَانَهُ عَلَيْهِ، لا مِنْ حَيْثُ إِضَافَتُهُ لِنَفْسِهِ، وَهَذَا أَيْضًا لَيْسَ بِمُعْجَبٍ؛

---

(1) إحياء علوم القرآن: 3/ 369 ـ 370.

(2) رَجُلٌ مُعْجَبٌ: مَزْهُوٌّ بِمَا يَكُونُ مِنْهُ حَسَناً أَو قَبِيحاً. وَقِيلَ: المُعْجَبُ الإنسانُ المُعْجَبُ بِنَفْسِهِ أَو بالشيءِ. اللسان/ عجب.

وَإِنْ كانَ غَيْرَ خَائِفٍ عَلَيْهِ، بَلْ يَكُونُ فَرِحًا بِهِ، مُطَمَئِنًّا إِلَيْهِ، وَيَكُونُ فَرَحُهُ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ كَمَالٌ وَنِعْمَةٌ، وَخَيْرٌ وَرِفْعَةٌ، لَا مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ عَطِيَّةٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى وَنِعْمَةٌ.

وَبِالْجُمْلَةِ، يَكونُ فَرَحُهُ مِنْ حَيْثُ نِسْبَتُهُ إِلَى نَفْسِهِ لَا إِلى اللهِ تَعَالَى، فَهُوَ عُجْبٌ لَا مَحَالَةَ، وَإِنِ انْضَافَ إِلى ذلِكَ أَنَّهُ مُسْتَحِقٌّ لِهذِهِ الْكَرَامَةِ في الدُّنْيَا، لِأَنَّ لَهُ عَلَى اللهِ تَعَالَى حَقًّا، حتَّى اسْتَبْعَدَ أَنْ يَجْرِيَ عَلَيْهِ مَكْرُوهٌ، وَسُمِّيَ هذا إِدْلَالًا بِالْعَمَلِ؛ فَكَأَنَّهُ يَرَى لِنَفْسِهِ عَلَى اللهِ دَالَّةً؛ وَأَيْضًا إِنْ أَعْطَى غَيْرَهُ شَيْئًا فَاسْتَعْظَمَهُ، وَمَنَّ عَلَيْهِ، يَكُونُ مُعْجَبًا؛ وَإِنِ اسْتَخْدَمَهُ، وَاقْتَرَحَ عَلَيْهِ الِاقْتِرَاحَاتِ، أَوْ اسْتَبْعَدَ تَخَلُّفَهُ عَنْ قَضَاءِ حُقُوقِهِ كانَ مُدِلًّا عَلَيْهِ، فَالْإِدْلَالُ وَرَاءَ الْعُجْبِ، فَلَا يُدِلُّ إِلَّا وَهُوَ مُعْجَبٌ، وَرُبَّ مُعْجَبٍ لَا يُدِلُّ، فَإِنْ تَوَقَّعَ إِجَابَةَ اللهِ دَعْوَتَهُ، وَاسْتَنْكَرَ رَدَّهَا بِبَاطِنِهِ وَتَعَجُّبٍ مِنْهُ، كَانَ مُدِلًّا بِعَمَلِهِ، وَهُوَ مِنْ مُقَدِّمَاتِ الْكِبْرِ[1].

(1) الإحياء: 3/ 371.

الْمَطْلَبُ السَّابِعُ: فِي عِلَاجِ الْعُجْبِ

وَالْعُجْبُ جَهْلٌ وَعِلَاجُهُ الْمَعْرِفَةُ؛ مَثَلًا: الْوَرَعُ إِنَّما يَعْجَبُ بِهِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ مَحَلُّهُ وَمَجْرَاهُ، أَوْ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ مِنْهُ وَبِقُدْرَتِهِ وَقُوَّتِهِ. وَالْعُجْبُ بِالْأَوَّلِ جَهْلٌ مَحْضٌ، إِذْ لَا فَخْرَ بِمَا لَيْسَ أَمْرُهُ إِلَيْهِ، وَبِالثَّانِي أَيْضًا كَذَلِكَ. فَيَتَأَمَّلُ فِي قُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ وَسَائِرِ الْأَسْبَابِ الَّتِي بِهَا يَتِمُّ عِلْمُهُ أَنَّهُ مِنْ أَيْنَ كَانَ لَهُ ذَلِكَ، فَإِنْ كانَ جَمِيعُ ذَلِكَ مِنْ نِعْمَةٍ مِنَ اللهِ، مِنْ غَيْرِ حَقٍّ سَبَقَ لَهُ، وَمِنْ غَيْرِ وَسِيلَةٍ يُدْلِي بِهَا، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ إِعْجَابُهُ بِجُودِ اللهِ وَكَرَمِهِ وَفَضْلِهِ، فَكُلُّ كَمَالٍ وَعِلْمٍ وَجَمَالٍ مِنْ فَضْلِ اللهِ، وَإِنَّمَا هُوَ مَحَلٌّ لِفَيَضَانِ فَضْلِهِ وَجُودِهِ، وَالْمَحَلُّ أَيْضًا مِنْ جُودِهِ وَفَضْلِهِ.

فَإِنِ ادَّعَيْتَ أَنَّ كُلَّ ذَلِكَ أَعْمَالِي حَتَّى أَرْجُوَ لَهَا ثَوَابًا، **فَاعْلَمْ** أَنَّكَ وَقُدْرَتَكَ وَإِرَادَتَكَ وَحَرَكَتَكَ؛ كُلُّ ذَلِكَ مِنْ خَلْقِ اللهِ وَاخْتِرَاعِهِ، فَمَا عَمِلْتَ إِذْ عَمِلْتَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾[1]. هَذَا هُوَ الْحَقُّ الصَّرِيحُ الَّذِي انْكَشَفَ لِأَرْبَابِ الْقُلُوبِ بِمُشَاهَدَةٍ أَوْضَحَ مِنْ إِبْصَارِ الْعَيْنِ.

وَأَمَّا كَيْفِيَّةُ الثَّوَابِ فَسَيَجِيءُ فِي كِتَابِ الشُّكْرِ[2].

---

(1) سورة الأنفال الآية: 17.

(2) الإحياء: 3/ 371-372.

وَأَيْضًا مَفَاتِيحُ الْأَعْمَالِ: الْقُدْرَةُ، وَالْإِرَادَةُ، وَالْعِلْمُ، وَهَذِهِ بِيَدِ اللهِ تَعَالَى لَا مَحَالَةَ، فَتَحْرِيكُ الْبَوَاعِثِ، وَصَرْفُ الْعَوَائِقِ، وَتَهْيِئَةُ الْأَسْبَابِ، لَيْسَ شَيْءٌ مِنْهَا إِلَيْكَ، فَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ تُعْجَبَ بِنَفْسِكَ، وَلَا تُعْجَبَ بِمَنْ إِلَيْهِ الْأَمْرُ كُلُّهُ، وَلَا تُعْجَبَ بِجُودِهِ وَفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ فِي إِيثَارِهِ إِيَّاكَ عَلَى الْفُسَّاقِ مِنْ عِبَادِهِ. وَسَيَأْتِي مَا يَسْتَبِينُ بِهِ أَنَّهُ لَا فَاعِلَ إِلَّا هُوَ، وَلَا خَالِقَ سِوَاهُ، وَمَنْ غَفَلَ عَنْ ذَلِكَ رُبَّمَا يَقُولُ: يَا رَبِّ لِمَ أَفْقَرْتَنِي وَأَنَا الْعَاقِلُ؛ لَكِنَّهُ كَلَامُ جَاهِلٍ غَافِلٍ، إِذْ لَوْ جَمَعَ بَيْنَهُمَا لَقَالَ الْفَقِيرُ الْجَاهِلُ: يَا رَبِّ لِمَ جَمَعْتَهُ بَيْنَهُمَا وَحَرَمْتَنِي عَنْهُمَا. فَإِذَا اقْتَضَتِ الْحِكْمَةُ أَنَّ الْعِلْمَ مَتَى ازْدَادَ نَقَصَ مِنَ الْمَالِ، اللَّهُمَّ إِلَّا نَادِرًا، ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[1].

ثُمَّ إِنَّ أَقْسَامَ الْعُجْبِ أَقْسَامُ الْكِبْرِ بِعَيْنِهَا، وَأَنَّ عِلَاجَهَا عِلَاجُهَا، فَاعْتَبِرْ كُلَّ ذَلِكَ هَاهُنَا، وَالْأَمْرُ ظَاهِرٌ لِمَنْ لَهُ بَصِيرَةٌ تَامَّةٌ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ.

---

(1) سورة الأنبياء الآية: 23.

الْأَصْلُ الْعَاشِرُ: فِي ذَمِّ الْغُرُورِ

وَفِيهِ مَطَالِبُ:

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ

قَدْ ذَمَّ اللهُ تَعَالَى وَرَسُولُهُ الْغُرُورَ بِحَيْثُ لَا حَاجَةَ إِلَى ذِكْرِهَا.

وَأَمَّا حَقِيقَتُهُ، فَهُوَ مِنْ أَنْوَاعِ الْجَهْلِ، وَهُوَ سُكُونُ النَّفْسِ إِلَى مَا يُوَافِقُ الْهَوَى، وَيَمِيلُ إِلَيْهِ الطَّبْعُ، مِنْ شُبْهَةٍ وَخُدْعَةٍ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَمَنِ اعْتَقَدَ أَنَّهُ عَلَى خَيْرٍ عَاجِلًا أَوْ آجِلًا مِنْ شُبْهَةٍ أَوْ مُخَيِّلَةٍ فَاسِدَةٍ فَهُوَ مَغْرُورٌ. فَأَكْثَرُ النَّاسِ إِذًا مَغْرُورُونَ وَإِنِ اخْتَلَفَتْ أَصْنَافُهُمْ وَدَرَجَاتُهُمْ؛ مِثْلَ أَنْ يُقَالَ: الدُّنْيَا نَقْدٌ، وَالْآخِرَةُ نَسِيئَةٌ، وَالنَّقْدُ خَيْرٌ مِنَ النَّسِيئَةِ؛ وَأَنْ يُقَالَ: لِذَاتِ الدُّنْيَا يَقِينٌ، وَلِذَاتِ الْآخِرَةِ شَكٌّ، فَلَا يُتْرَكُ الْيَقِينُ بِالشَّكِّ. وَهَذِهِ أَقْيِسَةٌ فَاسِدَةٌ، تُشْبِهُ قِيَاسَ إِبْلِيسَ فِي قَوْلِهِ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ، فَلا يَخْفَى فَسَادُ هذه الْأَقْيِسَةِ، إِذِ النَّقْدُ خَيْرٌ مِنْ نَسِيئَةٍ هِيَ مِثْلُهُ، وَالْيَقِينُ خَيْرٌ مِنْ شَكٍّ هِيَ مِثْلُهُ، لَا مُطْلَقًا[1].

وَأَيْضًا الْآخِرَةُ لَيْسَتْ شَكًّا، بَلْ هِيَ يَقِينٌ عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ. هَذَا غُرُورُ الْكُفَّارِ. وَأَمَّا غُرُورُ الْعُصَاةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَوْلُهُمْ: إِنَّ اللهَ كَرِيمٌ نَرْجُو عَفْوَهُ، وَيُسَمُّونَ تَمَنِّيَهُمْ هَذَا رَجَاءً، وَأَنَّهُ مَحْمُودٌ فِي الدِّينِ، وَأَنَّ رَحْمَةَ اللهِ وَاسِعَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَّا مُؤْمِنُونَ مُوَحِّدُونَ. إِلَّا أَنَّهُ قِيَاسٌ مُمَوَّهٌ، إِذِ «الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ

(1) الإحياء: 3/ 378 ـ 380.

لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْأَحْمَقُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ»[1]، وَمَا ذَكَرُوهُ هُوَ التَّمَنِّي؛ غَيَّرَ الشَّيْطَانُ اسْمَهُ إِلَى الرَّجَاءِ، وَخَدَعَ بِهِ الْجُهَّالَ.

وَأَيْضًا رُبَّمَا يَتَمَنَّوْنَ بِصَلَاحِ الْآبَاءِ، كَاغْتِرَارِ الْعَلَوِيَّةِ، إِلَّا أَنَّ آبَاءَهُمْ مَعَ غَايَةِ الْوَرَعِ وَالتَّقْوَى خَائِفُونَ، فَمَا بَالُهُمْ يَأْمَنُونَ مَعَ فُجُورِهِمْ وَفِسْقِهِمْ، فَكَأَنَّهُمْ أَكْرَمُ عَلَى اللهِ مِنْ آبَائِهِمْ، فَيَغُرُّهُمُ الشَّيْطَانُ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ مَنْ أَحَبَّ إِنْسَانًا أَحَبَّ أَوْلَادَهُ، مَعَ أَنَّ «نَبِيَّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُذِنَ لَهُ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ أُمِّهِ، وَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فِي الِاسْتِغْفَارِ»[2]، فَجَلَسَ يَبْكِي على قَبْرِ أُمِّهِ لِرِقَّتِهِ لَهَا. وَالتَّقْوَى فَرْضُ عَيْنٍ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ، فَلَا يَجْزِي وَالِدٌ فِيهِ عَنْ وَلَدِهِ شَيْئًا، وَكُلُّ ذَلِكَ غُرُورٌ بَاطِلٌ.

وَإِنَّمَا مَوْضِعُ الرَّجَاءِ مَنْ تابَ مِنَ الْمَعَاصِي، وَرَجَا قَبُولَ التَّوْبَةِ، وَيَتَذَكَّرُ أَنَّ اللهَ كَرِيمٌ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ؛ وَمَنِ اقْتَصَرَ بِالْفَرَائِضِ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَرَجَا نَعِيمَ الْآخِرَةِ وَمَا وَعَدَ اللهُ بِهِ الصَّالِحِينَ، فَالْوَاجِبُ مُلَاحَظَةُ أَنَّ اللهَ غَافِرُ الذَّنْبِ، شَدِيدُ الْعِقَابِ، وَأَنَّهُ الْعَفُوُّ وَالْمُنْتَقِمُ. وَأَيْضًا هُوَ الْمُبْتَلِي عِبَادَهُ فِي الدُّنْيَا بِأَنْوَاعِ الْمِحَنِ وَالْآلَامِ، مَعَ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى إِزَالَتِهَا. فَإِذَا كَانَتْ سُنَّةُ اللهِ تَعَالَى عَلَى هَذَا الْمِنْوَالِ فَكَيْفَ يَغْتَرُّ بِهِ عِبَادُهُ، فَالرَّجَاءُ وَالْخَوْفُ قَائِدَانِ يَبْعَثَانِ عَلَى الْعَمَلِ، وَمَا لَا يَبْعَثُ على الْعَمَلِ فَهُوَ غُرُورٌ وَتَمَنٍّ بَاطِلٌ[3].

---

(1) مسند أحمد: 28/ 350، رقم: 17123، وسنن ابن ماجه: 2/ 1423، رقم: 4260، وسنن الترمذي: 4/ 246، رقم: 2459. والإحياء: 2/ 331.

(2) صحيح مسلم: 2/ 671، رقم: 976، وسنن ابن ماجه: 2/ 512، رقم: 1572.

(3) الإحياء: 3/ 384 ـ 386.

الْمَطْلَبُ الثَّانِي: فِي أَصْنَافِ الْمُغْتَرِّينَ

مِنْهُمُ الْعُلَمَاءُ، وَهُمْ سِتَّةُ أَصْنَافٍ:

الْأَوَّلُ: مَنْ أَحْكَمَ الْعُلُومَ الشَّرْعِيَّةَ وَالْعَقْلِيَّةَ، وَتَعَمَّقُوا فِيهَا، وَأَهْمَلُوا مُحَافَظَةَ الْجَوَارِحِ عَنِ الْمَعَاصِي، وَإِلْزَامَهَا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ بِعِلْمِهِمْ عِنْدَ اللهِ بِمَكَانٍ. وَهُمْ مَغْرُورُونَ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ إِمَّا عِلْمُ مُكَاشَفَةٍ، وَيُسَمُّونَهُ عِلْمَ الْمَعْرِفَةِ، وَعِلْمَ التَّصْفِيَةِ، وَهُمْ بِمَعْزِلٍ عَنْهَا؛ وَإِمَّا عِلْمُ الْمُعَامَلَةِ الَّذِي سَمَّوْهُ عِلْمَ الشَّرَائِعِ، فَذَلِكَ لِأَجْلِ الْعَمَلِ، فَلَوْ لَمْ يَعْمَلْ بِهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ قِيمَةٌ لَا عِنْدَ اللهِ، وَلَا عِنْدَ الْخَوَاصِّ، إِذِ الْعِلْمُ بِالدَّوَاءِ لَا يُزِيلُ الْمَرَضَ مَا لَمْ يَسْتَعْمِلْهُ.

الثَّانِي: الَّذِينَ أَحْكَمُوا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ وَتَرَكُوا الْمَعَاصِيَ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يَتَفَقَّدُوا قُلُوبَهُمْ لِيَمْحُوا عَنْهَا الصِّفَاتِ الْمَذْمُومَةَ [عِنْدَ اللهِ تَعَالَى][1] مِنَ الْكِبْرِ وَالْحَسَدِ، وَالرِّيَاءِ وَطَلَبِ الْجَاهِ وَنَحْوِهَا. وَهَؤُلَاءِ أَيْضًا مَغْرُورُونَ، إِذْ لا يَنْجُو فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ.

الثَّالِثُ: الَّذِينَ عَلِمُوا مَذْمُومِيَّةَ هَذِهِ الْأَخْلَاقِ، إِلَّا أَنَّهُمْ لِعُجْبِهِمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُنْفَكُّونَ عَنْهَا، وَأَنَّهُمْ أَرْفَعُ عِنْدَ اللهِ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ بِذَلِكَ؛ وَإِنَّمَا يَبْتَلِي بِهِ الْعَوَامَّ، وَرُبَّمَا يَعْتَذِرُ مِنْ كِبْرِهِ وَيَقُولُ: إِنَّ هَذَا طَلَبُ عِزِّ الدِّينِ، وَإِظْهَارُ شَرَفِ الْعِلْمِ. وَهَؤُلَاءِ أَيْضًا مَغْرُورُونَ، إِذِ الْعُجْبُ مِنْ أَشَدِّ الصِّفَاتِ الْمُهْلِكَاتِ، وَأَيْضًا يَدْخُلُ

---

(1) ما بين معقوفين زيادة من أنطاليا.

إِلَى السَّلَاطِينِ وَيَقُولُ: غَرَضِي نَفْعُ الْمُسْلِمِينَ، وَإِذَا أَخَذَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ يَقُولُ: مَالٌ لَا مَالِكَ لَهُ، وَأَنَا إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ وَعَالِمُهُمْ، وَيَحِلُّ لِيَ الْأَخْذُ بِقَدْرِ الْحَاجَةِ.

وَفِي ذَلِكَ غُرُورَانِ[1]:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ لا مَالِكَ لَهُ، وَكَيْفَ لَا؟ إِنَّهُمْ يَأْخُذُونَ أَمْوَالَ الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ أَوْ وَرَثَتُهُمْ أَحْيَاءٌ، وَخَلْطُهَا بِالْحَلَالِ لَا يَجْعَلُهُ حَلَالًا.

وَثَانِيهِمَا: قَوْلُهُ: أَنَا إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ وَكَيْفَ لَا؟ وَمَنِ انْتَهَى جُرْأَتُهُ فِي أَخْذِ الْحَرَامِ إِلَى هَذِهِ الرُّتْبَةِ فَهُوَ دَجَّالُ الدِّينِ، وَقَوَّامُ مَذْهَبِ الشَّيَاطِينِ.

الرَّابِعُ: الَّذِينَ أَظْهَرُوا الْعُلُومَ، وَطَهَّرُوا الْجَوَارِحَ، وَزَيَّنُوهَا بِالطَّاعَاتِ، وَجَاهَدُوا أَنْفُسَهُمْ فِي التَّبَرِّي مِنْ ذَمَائِمِ الْأَخْلَاقِ؛ إِلَّا أَنَّهُمْ مَغْرُورُونَ، إِذْ بَقِيَتْ فِي زَوَايَا الْقَلْبِ خَفَايَا مِنْ مَكَائِدِ الشَّيْطَانِ، وَخَبَايَا خِدَاعِ النَّفْسِ، فَتَرَاهُ يَسْهَرُ لَيْلَهُ وَيَتْعَبُ نَهَارَهُ فِي التَّصَانِيفِ حِرْصًا عَلَى إِظْهَارِ دِينِ اللهِ، وَنَشْرِ شَرِيعَتِهِ، وَلَعَلَّ بَاعِثَهُ الْخَفِيَّ طَلَبُ الذِّكْرِ، وَانْتِشَارُ الصِّيتِ فِي الْأَطْرَافِ، وَكَثْرَةُ الرِّحْلَةِ إِلَيْهِ مِنَ الْأَكْنَافِ، وَهَذَا الْمِسْكِينُ لَوْ تَغَيَّرَتْ عَلَيْهِ الْقُلُوبُ فَعَسَاهُ يَتَشَوَّشُ عَلَيْهِ قَلْبُهُ، وَتَخْتَلِطُ أَوْرَادُهُ وَوَظَائِفُهُ[2].

الْخَامِسُ: الَّذِينَ اقْتَصَرُوا على عِلْمِ الْفَتَاوَى فِي الْحُكُومَاتِ وَالْخُصُومَاتِ، وَخَصَّصُوا اسْمَ الْفِقْهِ بِهَا، وَضَيَّعُوا الْأَعْمَالَ الظَّاهِرَةَ

---

(1) الإحياء: 3/ 388 ـ 391.

(2) المصدر نفسه: 3/ 391 ـ 392.

وَالْبَاطِنَةَ، وَلَمْ يَمْنَعُوا أَلْسِنَتَهُمْ عَنِ الْغِيبَةِ، وَبُطُونَهُمْ عَنِ الْحَرَامِ، وَرِجْلَهُمْ عَنِ الْمَشْيِ إِلَى السَّلَاطِينِ، وَلَمْ يُزَكُّوا قُلُوبَهُمْ عَنِ الْكِبْرِ وَالرِّيَاءِ وَالْحَسَدِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ. فَهَؤُلَاءِ مَغْرُورُونَ؛ أَمَّا مِنْ حَيْثُ الْعَمَلُ: فَإِنَّهُ اشْتَغَلَ بِفَرْضِ الْكِفَايَةِ إِنْ صَحَّتْ نِيَّتُهُ قَبْلَ الْفَرَاغِ مِنْ فَرْضِ الْعَيْنِ؛ لِأَنَّهُ اشْتَغَلَ بِالْفَتَاوَى - وَهِيَ فَرْضُ كِفَايَةٍ - وَتَرَكَ فَرْضَ الْعَيْنِ وَهُوَ إِصْلَاحُ نَفْسِهِ؛ وَأَمَّا مِنْ حَيْثُ الْعِلْمُ: فَإِنَّهُ ظَنَّ عِلْمَ الْفَتَاوَى عِلْمَ الدِّينِ، وَتَرَكَ عِلْمَ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، وَرُبَّمَا طَعَنَ عَلَى الْمُحَدِّثِينَ بِأَنَّهُمْ نَقَلَةُ أَخْبَارٍ وَحَمَلَةُ أَسْفَارٍ لَا يَفْقَهُونَ[1].

السَّادِسُ: الَّذِينَ اشْتَغَلُوا بِعِلْمِ الْكَلَامِ وَالْمُجَادَلَةِ فِي الْأَهْوَاءِ، وَاعْتَقَدُوا أَنَّ الْعَمَلَ لَا يَصِحُّ إِلَّا بِالْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانَ لَا يَصِحُّ إِلَّا بِمُنَاظَرَاتِهِمْ وَمُجَادَلَاتِهِمْ. ثُمَّ إِنَّهُمْ إِمَّا ضَالَّةٌ؛ وَهُمُ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى غَيْرِ السُّنَّةِ؛ [وَإِمَّا مُحَقِّقَةٌ وَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ][2] وَالْجَمَاعَةِ. وَكُلُّهُمْ مَغْرُورُونَ.

أَمَّا الْأُولَى: فَلِضَلَالِهِمْ وَرُؤْيَتِهِم الشُّبْهَةَ دَلِيلًا.

وَأَمَّا الثَّانِيَةُ: فَلِظَنِّهِمُ الْجِدَالَ مِنْ أَفْضَلِ الْقُرُبَاتِ فِي الدِّينِ، وَأَنَّ مَنْ صَدَّقَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ غَيْرِ بَحْثٍ وَتَحْرِيرٍ فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ، وَلَا بِكَامِلِ الْإِيمَانِ، وَلَا بِمُقَرَّبٍ عِنْدَ اللهِ. إِلَّا أَنَّهُمْ لِالْتِذَاذِهِمْ بِالْغَلَبَةِ وَالْإِفْحَامِ، وَالِانْتِمَاءِ إِلَى الذَّبِّ عَنِ الدِّينِ، عَمِيَتْ بَصِيرَتُهُمْ، فَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى الْقَرْنِ الْأَوَّلِ، حَيْثُ أَرْشَدُوا الضَّالَّ،

---

(1) الإحياء: 3/ 393.

(2) ما بين معقوفين سقط من الأزهرية.

وَهَجَرُوا الْمُصِرِّينَ عَلَى الضَّلَالِ، وَرَأَوْا مِنَ الدِّينِ تَرْكَ الْجِدَالِ. ثُمَّ إِنَّ الْأَكْيَاسَ قَالُوا: إِنَّا نُهِينَا عَنِ الْجِدَالِ، وَلَوْ لَمْ نَنْتَهِ عَنْهُ فَلَا يَنْفَعُنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَعَ أَنَّ الْمُبْتَدِعَ لَا يَتْرُكُ بِدْعَتَهُ بِالْجِدَالِ، بَلْ يَزِيدُهُ التَّعَصُّبَ وَالْخُصُومَةَ. فَالْأَوْلَى بِنَا أَنْ نَتَفَقَّدَ أَنْفُسَنَا، وَنَتَنَزَّهَ عَمَّا يُبْغِضُهُ اللهُ مِنَ الصِّفَاتِ، وَنَتَمَسَّكَ بِمَا يُحِبُّهُ.

وَمِنْهُم: الْوُعَّاظُ، وَأَعْلَاهُمْ رُتْبَةً مَنْ يَتَكَلَّمُ فِي أَخْلَاقِ النَّفْسِ وَصِفَاتِ الْقَلْبِ: مِنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، وَالصَّبْرِ وَالشُّكْرِ، وَالْإِخْلَاصِ وَالصِّدْقِ، وَنَظَائِرِ ذَلِكَ. وَهُمْ مَغْرُورُونَ بِأَنَّ مَنْ تَكَلَّمَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ يَصِيرُ مَوْصُوفًا بِهَا، وَأَنَّهُمْ مَا تَبَحَّرُوا فِي عِلْمِ الْمَحَبَّةِ إِلَّا وَهُمْ مُحِبُّونَ لِلَّهِ، وَمَا قَدَرُوا عَلَى تَحْقِيقِ دَقَائِقِ الْإِخْلَاصِ إِلَّا وَهُمْ مُخْلِصُونَ.

وَالْمِسْكِينُ يَرَى أَنَّهُ خَائِفٌ مِنَ اللهِ وَهُوَ آمِنٌ، وَيَرَى أَنَّهُ مِنَ الرَّاجِينَ وَهُوَ مِنَ الْمُغْتَرِّينَ، وَيَرَى أَنَّهُ مِنَ الْمُخْلِصِينَ وَهُوَ مِنَ الْمُرَائِينَ، وَهُمْ يُحْسِنُونَ بِأَنْفُسِهِم الظُّنُونَ، وَإِذَا كُشِفَ عَنْهُمُ الْغِطَاءُ يَفْتَضِحُونَ، بَلْ «تَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُمْ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ بِهَا أَحَدُهُمْ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى»[1]، كَمَا وَرَدَ بِهِ الْخَبَرُ. وَإِنَّمَا سَبَبُ غُرُورِهِمْ مُصَادَفَتُهُمْ فِي قُلُوبِهِمْ شَيْئًا ضَعِيفًا مِنْ أُصُولِ هَذِهِ الْمَعَانِي؛ مِنْ حُبِّ اللهِ، وَالْخَوْفِ مِنْهُ، وَالرِّضَا بِفِعْلِهِ، فَظَنُّوا أَنَّهُمُ اتَّصَفُوا بِهَا، فَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، وَلَا يَخْلُو عَنْ هَذَا الْقَدْرِ أَحَدٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ، وَإِنَّمَا الْكَمَالُ أَمْرٌ آخَرُ يَعْرِفُهُ أَهْلُهُ[2].

---

(1) ورد برواية: " فتندلق أقتاب بطنه..." في صحيح مسلم: 4/ 2290، رقم: 2989.

(2) الإحياء: 3/ 394 ـ 396.

وَصِنْفٌ مِنْهُمْ عَدَلُوا عَنِ الْمِنْهَاجِ الْوَاجِبِ إِلَى الشَّطْحِ وَالطَّامَّاتِ[1]، وَتَلْفِيقِ كَلِمَاتٍ مُخَالِفَةٍ لِلشَّرْعِ لِلْإِغْرَابِ.

وَصِنْفٌ آخَرُ مِنْهُمْ شُغِفُوا بِتَسْجِيعِ الْأَلْفَاظِ، وَذِكْرِ الْفِرَاقِ وَالْوِصَالِ، لِيَكْثُرَ فِي مَجْلِسِهِمْ التَّوَاجُدُ وَالزَّعَقَاتُ، فَهَؤُلَاءِ شَيَاطِينُ الْإِنْسِ، ضَلُّوا وَأَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، فَيَزِيدُ كَلَامُهُمْ جُرْأَةً عَلَى الْمَعَاصِي، وَرَغْبَةً فِي الدُّنْيَا، لَا سِيَّمَا إِذَا تَزَيَّنَ بِالثِّيَابِ وَالْخُيُولِ.

وَصِنْفٌ مِنْهُمْ حَفِظُوا كَلَامَ الزُّهَّادِ فِي ذَمِّ الدُّنْيَا، وَيُؤَدُّونَهَا فِي الْمَسَاجِدِ وَالْمَنَابِرِ، وَيَظُنُّونَ أَنَّهُمْ قَدْ أَفْلَحُوا بِهَذَا، وَصَارُوا آمِنِينَ مِنْ عِقَابِ اللهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَحْفَظَ ظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ عَنِ الْآثَامِ.

وَصِنْفٌ مِنْهُمُ اسْتَغْرَقُوا أَوْقَاتَهُمْ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ، وَطَلَبِ الْأَسَانِيدِ الْغَرِيبَةِ الْعَالِيَةِ، وَلَهُمْ غُرُورٌ مِنْ وُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُمْ حَمَلَةُ الْأَسْفَارِ يَظُنُّونَ أَنَّ ذَلِكَ يَكْفِيهِمْ.

وَثَانِيهَا: أَنَّهُمْ إِذَا لَمْ يَفْهَمُوهَا لَمْ يَعْمَلُوا بِهَا.

وَثَالِثُهَا: أَنَّهُمْ يَتْرُكُونَ مَا هُوَ فَرْضُ عَيْنٍ، وَهُوَ مُعَالَجَةُ الْقَلْبِ.

وَرَابِعُهَا: أَنَّهُمْ لَا يُرَاعُونَ شُرُوطَ السَّمَاعِ أَيْضًا، وَهِيَ السَّمَاعُ، ثُمَّ التَّفَهُّمُ، ثُمَّ الْحِفْظُ، ثُمَّ الْعَمَلُ، ثُمَّ النَّشْرُ وَالْبَيَانُ. [وَهُمْ يَقْتَصِرُونَ عَلَى السَّمَاعِ][2]،

---

(1) الطَّامات: مفردها طَامَّةٌ وهي الصَّيحة التي تَطِمُّ على كل شيء. اللسان/ طمم.

(2) ما بين معقوفين سقطت من الأزهرية.

وَيُقَصِّرُونَ فِي السَّمَاعِ أَيْضًا، إِذْ رُبَّمَا يَحْضُرُ الصَّبِيُّ وَالشَّيْخُ، وَالصَّبِيُّ يَلْعَبُ، وَالشَّيْخُ يَنَامُ، وَالْبَالِغُ الْحَاضِرُ رُبَّمَا يَغْفُلُ وَلَا يُصْغِي، ثُمَّ يَكْتُبُ الشَّيْخُ اسْمَ الْكُلِّ فِي الْإِجَازَةِ، وَيَتَصَدَّى كُلٌّ مِنْهُمْ لِرِوَايَةِ كُلِّ مَا قَالَهُ الشَّيْخُ وَلَمْ يَسْمَعْ بَعْضَهُ، إِلَّا أَنَّ لِلْمُحَدِّثِينَ فِي ذَلِكَ جَاهًا، فَخَافَ الْمَسَاكِينُ إِنِ اشْتَرَطُوا ذَلِكَ أَنْ يَقِلَّ جَمْعُهُمْ[1].

وَمِنْهُمُ الْمُشْتَغِلُونَ بِاللُّغَةِ وَغَرِيبِهَا، وَالشِّعْرِ وَالنَّحْوِ، وَاغْتَرُّوا بِهِ، وَزَعَمُوا أَنَّهُمْ مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ، إِذْ قِوَامُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِمَا ذُكِرَ[2]، فَأَفْنَى هَؤُلَاءِ أَعْمَارَهُمْ فِي دَقَائِقِ النَّحْوِ وَغَرَائِبِ اللُّغَةِ. وَفِي حُكْمِهِمْ مَنْ ضَيَّعَ الْعُمُرَ فِي تَصْحِيحِ مَخَارِجِ الْحُرُوفِ فِي الْقُرْآنِ، وَاقْتَصَرَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُمُ اتَّخَذُوا الْقِشْرَ مَقْصُودًا فَاغْتَرُّوا بِهِ.

وَمِنْهُمُ: الْمَغْرُورُونَ بِوَضْعِ الْحِيَلِ فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، فِي دَفْعِ الْحُقُوقِ، وَتَأْوِيلِ الْأَلْفَاظِ الْمُبْهَمَةِ، وَاغْتَرُّوا بِالظَّوَاهِرِ وَأَخْطَأُوا فِيهَا، وَهَذَا غُرُورٌ لَا يُجْدِي فِي الْآخِرَةِ يَوْمَ الْفَصْلِ وَالْقَضَاءِ.

وَمِنْهُمْ: مَنْ أَهْمَلُوا الْفَرَائِضَ، وَاشْتَغَلُوا بِالنَّوَافِلِ، وَرُبَّمَا تَعَمَّقُوا فِي الْفَضَائِلِ حَتَّى غَلَبَتْ عَلَيْهِمُ الْوَسْوَسَةُ فِي الطَّهَارَةِ، وَفِي نِيَّةِ الصَّلَاةِ، وَيَظُنُّونَ أَنَّهُمْ عَلَى خَيْرٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ. وَرُبَّمَا تَغْلِبُ عَلَيْهِ الْوَسْوَسَةُ فِي إِخْرَاجِ حُرُوفِ

(1) الإحياء: 3/ 396 ـ 397.

(2) إذ قوام الدين الكتاب والسنة، وقوام الكتاب والسنة بعلم النحو واللغة، في أنطاليا.

الْفَاتِحَةِ وَسَائِرِ الْأَذْكَارِ مِنْ مَخَارِجِهَا؛ كَالْفَرْقِ بَيْنَ الضَّادِ وَالظَّاءِ، وَالِاحْتِيَاطِ فِي التَّشْدِيدَاتِ حَتَّى لا يُفَكِّرَ فِي الصَّلَاةِ إِلَّا فِيمَا ذُكِرَ.

وَرُبَّمَا يُوَسْوِسُ أَحَدُهُمْ فِي خَتْمِ الْقُرْآنِ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ مَرَّةً، فَأَلْسِنَتُهُمْ تَجْرِي، وَقُلُوبُهُمْ فِي أَوْدِيَةِ الْأَمَانِي. وَهُوَ مَغْرُورٌ بِهِ، إِذْ يَظُنُّ أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنَ التِّلَاوَةِ الْهَمْهَمَةُ بِالْقُرْآنِ، مَعَ الْغَفْلَةِ عَنِ الِانْزِجَارِ بِزَوَاجِرِهِ، وَالِاتِّعَاظِ بِمَوَاعِظِهِ، وَالِاعْتِبَارِ بِمَوَاضِعِ الِاعْتِبَارِ فِيهِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ. وَرُبَّمَا يَكُونُ لَهُ صَوْتٌ طَيِّبٌ وَيَلْتَذُّ بِهِ، وَهُوَ يَظُنُّ بِغُرُورِهِ أَنَّهُ يَلْتَذُّ بِمُنَاجَاةِ اللهِ تَعَالَى وَسَمَاعِ كَلَامِهِ[1].

وَمِنْهُمُ: الْمُغْتَرُّونَ بِصَوْمِ الدَّهْرِ، أَوْ صَوْمِ الْأَيَّامِ الشَّرِيفَةِ، وَرُبَّمَا يُصَلِّي فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ مِئَةَ رَكْعَةٍ، أَوْ أَلْفَ رَكْعَةٍ، وَيَفْرَحُ بِصَلَاةِ الضُّحَى، وَصَلَاةِ اللَّيْلِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ، مَعَ أَنَّ أَلْسِنَتَهُمْ فِي الْغِيبَةِ، وَخَوَاطِرَهُمْ فِي الرِّيَاءِ، وَإِفْطَارَهُمْ مِنَ الْحَرَامِ، وَذَلِكَ غَايَةُ الْغُرُورِ وَمَكِيدَةُ الشَّيْطَانِ.

وَمِنْهُمُ: الْمُغْتَرُّونَ بِالْحَجِّ، مَعَ مَالٍ حَرَامٍ، وَمَعَ الرَّفَثِ وَالْخِصَامِ، وَتَرْكِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ، وَمَعَ عَدَمِ دَفْعِ الْمَظَالِمِ، وَاسْتِرْضَاءِ الْوَالِدَيْنِ، وَأَمْثَالِ ذَلِكَ.

وَرُبَّمَا يَغْتَرُّونَ بِمُجَاوَرَةِ مَكَّةَ، مَعَ تَلَوُّثِ ظَاهِرِهِمْ وَبَاطِنِهِمْ بِالْقَبَائِحِ. وَقَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِبِلَادِهِ، وَلَكِنَّهُ يَخْتَارُهُ لِيُقَالَ إِنَّهُ قَدْ جَاوَرَ بِمَكَّةَ سِنِينَ كَثِيرَةً.

وَمِنْهُمُ: الْمُغْتَرُّونَ بِالْحِسْبَةِ، مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، يَأْمُرُ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَى نَفْسَهُ، وَطَلَبَ الرِّئَاسَةَ وَالْعِزَّ، وَيُغْلِظُ فِي الْقَوْلِ وَيُنْكِرُ

---

(1) الإحياء: 3/ 399- 400.

عَلَى مَنْ خَالَفَهُ لِلرِّئَاسَةِ وَالْعِزِّ. وَرُبَّمَا يَغْتَرُّ بَعْضُهُمْ بِأَنْ يُقَالَ لَهُ: مُؤَذِّنُ الْمَسْجِدِ الْفُلَانِيِّ، أَوْ إِمَامُ الْجَامِعِ الْفُلَانِيِّ[1].

وَمِنْهُمْ: مَنْ زَهِدَ في الْمَالِ، وَيَسْكُنُ فِي الْمَسَاجِدِ لِيَظُنَّ أَنَّهُ أَدْرَكَ رُتْبَةَ الزُّهَّادِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ رَاغِبٌ في الرِّئَاسَةِ وَالْجَاهِ، إِمَّا بِالْعِلْمِ، أَوْ بِالْوَعْظِ، أَوْ بِمُجَرَّدِ الزُّهْدِ وَتَرْكِ الْمَالِ، وَهُوَ أَهْوَنُ، وَأَخَذَ أَطَمَّ[2] الْأَمْرَيْنِ ـ أَعْنِي الْجَاهَ ـ حَتَّى إِنَّهُ رُبَّمَا يَتَطَاوَلُ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ، وَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ الِاسْتِحْقَارِ، وَيَرْجُو لِنَفْسِهِ أَكْثَرَ مِمَّا يَرْجُو لَهُمْ، وَيُعْجَبُ بِعَمَلِهِ. وَرُبَّمَا لَا يَقْبَلُ الْمَالَ خَوْفًا مِنْ أَنْ يُقَالَ بَطَلَ زُهْدُهُ. وَكُلُّ ذَلِكَ غُرُورٌ وَخُدْعَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ[3].

وَمِنْهُمْ: مُتَصَوِّفَةُ أَهْلِ الزَّمَانِ، اغْتَرُّوا بِالزِّيِّ وَالْهَيْئَةِ وَالْمَنْطِقِ مِنَ الْأَلْفَاظِ وَالِاصْطِلَاحَاتِ، وَفِي أَحْوَالِهِمْ مِنَ الطَّهَارَةِ وَالصَّلَاةِ وَالرَّقْصِ وَالسَّمَاعِ، وَإِدْخَالِ الرَّأْسِ فِي الْجَيْبِ، وَخَفْضِ الصَّوْتِ، وَتَنَفُّسِ الصُّعَدَاءِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

وَلَمْ يُتْعِبُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الْمُجَاهَدَةِ وَمُرَاقَبَةِ الْقَلْبِ، وَتَطْهِيرِ الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ مِنَ الْآثَامِ الْخَفِيَّةِ وَالْجَلِيَّةِ، بَلْ تَرَاهُمْ يَتَكَالَبُونَ عَلَى الْحَرَامِ وَالشُّبُهَاتِ، وَيَتَحَاسَدُونَ عَلَى النَّقِيرِ[4] وَالْقِطْمِيرِ[5]. وَغُرُورُ هَؤُلَاءِ أَظْهَرُ مِنْ أَنْ يَخْفَى.

---

(1) الإحياء: 3/ 402.

(2) أطم: أصله من طمَّ الشيءُ إذا عظم، وطَمَّ الماءُ إذا كَثُرَ. اللسان/ طمم.

(3) الإحياء: 3/ 403.

(4) النَّقير: النُّكْتَةُ التي في ظهر النَّواةِ. اللسان/ نقر.

(5) القِطْمِيرُ والقِطْمَارُ: شقُّ النَّواةِ، وقيل: الفُوقَةُ التي في النَّواة. اللسان/ قطمر.

وَبعْضٌ مِنْهُمْ مَنْ يُغَيِّرُ الزِّيَّ لَا إِلى الْخَشِنِ، وَلَا إِلى الْخَزِّ وَالْإِبْرِيسِمِ، بَلْ إِلَى الْمُرَقَّعَاتِ النَّفِيسَةِ، وَالسَّجَّادَاتِ الْمَصْبُوغَةِ، وَلِبَاسٍ هُوَ أَرْفَعُ قِيمَةً مِنَ الْخَزِّ وَالْإِبْرِيسِمِ. وَهَؤُلَاءِ أَشَدُّ شَرًّا مِنَ الْأَوَّلِينَ، إِذْ يُظْهِرُونَ أَنَّ التَّصَوُّفَ يَجْتَمِعُ مَعَ شَهَوَاتِ النَّفْسِ، وَرُبَّمَا يَقْتَدِي بِهِمُ الْعَوَامُّ، فَيَتَعَدَّى شَرُّهُمْ إِلَيْهِمْ[1].

وَمِنْهُمْ: مَنْ يَدَّعِي عِلْمَ الْمَعْرِفَةِ وَمُشَاهَدَةَ الْحَقِّ، وَالْوُصُولَ إِلَى الْقُرْبِ، وَالْمُلَازَمَةَ فِي عَيْنِ الشُّهُودِ، وَلَا يَدْرِي هذه الْأُمُورَ إِلَّا بِالْأَسَامِي، وَهُوَ يَنْظُرُ فِي الْعِبَادِ بِعَيْنِ الْإِزْرَاءِ، وَيَقُولُ لِلْعِبَادِ: إِنَّهُمْ أُجَرَاءُ مَتْعُوبُونَ، وَلِلْعُلَمَاءِ: إِنَّهُمْ بِالْعِلْمِ لَمَحْجُوبُونَ، حَتَّى إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ وَقَعَ فِي الْإِبَاحَةِ، وَطَوَى بِسَاطَ الشَّرْعِ، وَيَقُولُونَ: أَعْمَالُ الْجَوَارِحِ وَسِيلَةٌ إِلَى مَحَبَّةِ اللهِ تَعَالَى، وَنَحْنُ وَالِهُونَ فِي حُبِّهِ عَاكِفُونَ فِي حَضْرَةِ الرُّبُوبِيَّةِ، فَلَا حَاجَةَ بِنَا إِلَيْهَا. وَهَؤُلَاءِ مَغْرُورُونَ حُرِمُوا الِاغْتِنَامَ بِخِدْمَةِ شَيْخٍ صَالِحٍ عَالِمٍ، فَوَقَعُوا فِي حِزْبِ الشَّيْطَانِ، وَأَمْثَالُ هَؤُلَاءِ كَثِيرَةٌ. ثُمَّ إِنَّ بَعْضًا مِنْ هَؤُلَاءِ تَجَاوَزَتْ حَدَّهُمْ، وَأَحْسَنُوا الْأَعْمَالَ، وَطَلَبُوا الْحَلَالَ، وَاشْتَغَلُوا بِتَفَقُّدِ الْقَلْبِ، وَصَارَتْ تَدَّعِي الْمَقَامَاتِ، مِنَ الزُّهْدِ وَالتَّوَكُّلِ وَالرِّضَا وَالْحُبِّ، مِنْ غَيْرِ وُقُوفٍ عَلَى حَقِيقَةِ هَذِهِ الْمَقَامَاتِ وَشُرُوطِهَا، وَعَلَامَاتِهَا وَآفَاتِهَا. وَإِنَّ مِنْهُمْ من يُخَيِّلُ فِي اللهِ خَيَالَاتٍ هِيَ بِدْعَةٌ أَوْ كُفْرٌ، فَيَدَّعِي حُبَّ اللهِ قَبْلَ مَعْرِفَتِهِ[2].

---

(1) الإحياء: 3/ 404.

(2) المصدر نفسه: 3/ 405.

وَمِنْهُمْ: مَنْ يَخُوضُ فِي الْبَرَارِي مِنْ غَيْرِ زَادٍ لِتَصْحِيحِ التَّوَكُّلِ، وَذَلِكَ بِدْعَةٌ؛ إِذِ السَّلَفُ كَانُوا يَأْخُذُونَ الزَّادَ وَيَتَوَكَّلُونَ. وَبَعْضُ هَؤُلَاءِ ضَيَّقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فِي أَمْرِ الْقُوتِ، وَأَهْمَلُوا تَفَقُّدَ الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ.

وَفِرْقَةٌ أُخْرَى ادَّعَوْا حُسْنَ الْخُلُقِ، وَالتَّوَاضُعَ وَالسَّمَاحَةَ، فَتَصَدَّوْا لِخِدْمَةِ الصُّوفِيَّةِ، فَجَمَعُوا قَوْمًا، وَتَكَفَّلُوا بِخِدْمَتِهِمْ، وَاتَّخَذُوا ذَلِكَ شَبَكَةً لِلرِّئَاسَةِ وَجَمْعِ الْمَالِ حَتَّى مِنَ السَّلَاطِينِ.

وَأُخْرَى مِنْهُمْ اشْتَغَلُوا بِتَهْذِيبِ الْأَخْلَاقِ، وَالْفَحْصِ عَنْ عُيُوبِ النَّفْسِ وَآفَاتِهَا، وَيَقُولُونَ: هَذِهِ عَيْبٌ، وَالْغَفْلَةُ عَنْ كَوْنِهِ عَيْبًا عَيْبٌ، وَالِالْتِفَاتُ إِلَى كَوْنِهِ عَيْبًا عَيْبٌ، وَيَشْتَغِلُونَ بِكَلِمَاتٍ مُسَلْسَلَةٍ تَضِيعُ الْأَوْقَاتُ فِي تَلْفِيقِهَا. وَمِثَالُهُ مَنْ فَاتَهُ الْحَجُّ لِاشْتِغَالِهِ بِعَوَائِقِهِ وَآفَاتِهِ.

وَفِرْقَةٌ تَجَاوَزُوا عَنْ حَدِّ هَؤُلَاءِ، وَانْفَتَحَتْ لَهُمْ بَابُ الْمَعْرِفَةِ، فَتَعَجَّبُوا مِنْهَا، وَفَرِحُوا بِهَا، فَتَقَيَّدَتْ قُلُوبُهُمْ بِالِالْتِفَاتِ إِلَيْهَا، وَالتَّفَكُّرِ فِي كَيْفِيَّةِ انْفِتَاحِ بَابِهَا عَلَيْهِمْ، فَيُحْرَمُ بِذَلِكَ عَنِ الْمَقْصِدِ.

وَفِرْقَةٌ أُخْرَى جَاوَزُوا حَدَّ هَؤُلَاءِ، حَتَّى قَارَبُوا أَوْ وَصَلُوا إِلَى حَدِّ الْقُرْبَةِ، فَظَنُّوا أَنَّهُمْ وَصَلُوا إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَوَقَفُوا وَغَلِطُوا، فَإِنَّ لِلَّهِ سَبْعِينَ حِجَابًا مِنْ نُورٍ لَا يَصِلُ السَّالِكُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهَا، إِلَّا وَيَظُنُّ أَنَّهُ وَصَلَ إِلَى الْمَقْصِدِ، وَهَذَا غُرُورٌ عَظِيمٌ.

وَمِنْهُمُ الْمُغْتَرُّونَ مِنْ أَرْبَابِ الْأَمْوَالِ؛ كَأَنَّ بَعْضًا مِنْهُمْ يَبْنُونَ الْمَسَاجِدَ وَالرِّبَاطَاتِ لِيَتَخَلَّدَ ذِكْرُهُمْ. إِلَّا أَنَّ لَهُمْ غُرُورَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: بِنَاؤُهُمْ مِنَ الْمَالِ الْحَرَامِ أَوِ الشُّبُهَاتِ.

وَثَانِيهِمَا: أَنَّهُمْ يَظُنُّونَ الْإِخْلَاصَ وَلَيْسَ كَذَلِكَ، إِذْ لَا يَرْضَى بِإِنْفَاقِ دِينَارٍ إِذَا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُهُ، وَرُبَّمَا يُنْفِقُ الْحَلَالَ لَكِنْ يَطْلُبُ الثَّنَاءَ وَالرِّيَاءَ؛ وَلِذَلِكَ يَصْرِفُ إِلَى الْمَسَاجِدِ لِأَنَّ بَانِيَهَا مَذْكُورٌ عِنْدَ النَّاسِ. وَأَيْضًا يُزَخْرِفُهَا وَيُزَيِّنُهَا بِالنُّقُوشِ الشَّاغِلَةِ لِقُلُوبِ الْمُصَلِّينَ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَغْتَرُّ بِهِ، وَيَرَى أَنَّهُ مِنَ الْخَيْرَاتِ، وَيَرَى الْمُنْكَرَ مَعْرُوفًا.

وَأَنَّ بَعْضًا مِنْهُمْ يُنْفِقُونَ الْأَمْوَالَ عَلَى الْفَقِيرِ، لَكِنْ فِي الْمَحَافِلِ لِيُذْكَرَ وَلِيَشْكُرَ بِهِ النَّاسُ، وَبَعْضٌ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ يُمْسِكُونَ الْأَمْوَالَ عَنْ مَصَارِفِهَا، ثُمَّ يَشْتَغِلُونَ بِالْعِبَادَاتِ الْبَدَنِيَّةِ الَّتِي لَا يَحْتَاجُ فِيهَا إِلَى نَفَقَةٍ، كَصِيَامِ النَّهَارِ، وَقِيَامِ اللَّيْلِ، وَخَتْمِ الْقُرْآنِ، وَلَوْ قَلَعُوا صِفَةَ الْبُخْلِ عَنْهُمْ وَهُمْ إِلَيْهِ أَحْوَجُ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ. وَمِنْ قَبَائِحِهِمْ: الْحِيَلُ فِي الزَّكَاةِ، وَالتَّوَسُّلُ بِهَا إِلَى الْأَغْرَاضِ الْفَاسِدَةِ.

وَمِنْهُمْ: غُرُورُ الْعَوَامِّ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ وَالْفُقَرَاءِ بِحُضُورِهِمْ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، وَأَنَّهُ يُغْنِيهِمْ وَيَكْفِيهِمْ مِنْ غَيْرِ عَمَلٍ وَاتِّعَاظٍ، كَمَرِيضٍ يَحْضُرُ مَجَالِسَ الْأَطِبَّاءِ وَلَا يَتَدَاوَى، وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الْغُرُورِ[1].

---

(1) الإحياء: 3/ 406 - 409.

الْمَطْلَبُ الثَّالِثُ

اِعْلَمْ أَنَّ مَدَاخِلَ الْغُرُورِ إِذَا عَرَفْتَهَا فَلَعَلَّكَ تَسْتَحِيلُ الْخَلَاصَ عَنْهَا، وَتَحْكُمُ بِاسْتِحَالَتِهِ، لَكِنْ لَا يَخْفَى عَلَيْكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا فَتَرَتْ هِمَّتُهُ فِي شَيْءٍ أَظْهَرَ الْيَأْسَ مِنْهُ، وَاسْتَعْظَمَ الْأَمْرَ، وَاسْتَوْعَرَ الطَّرِيقَ، وَأَمَّا إِذَا صَحَّ مِنْهُ الْجِدُّ، وَقَوِيَ الْعَزْمُ، اهْتَدَى بِالْحِيَلِ إِلَى مَطْلُوبِهِ، حَتَّى إِنَّهُ يَقْتَنِصُ الْوُحُوشَ الْمُنْطَلِقَةَ فِي الْبَرَارِي، وَيَسْتَخْرِجُ الْحِيتَانَ مِنَ الْبِحَارِ، وَالذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ مِنْ تَحْتِ الْجِبَالِ، وَيَسْتَسْخِرُ الْفِيلَةَ، وَيَعْبَثُ بِالْأَفَاعِي، وَيَسْتَخْرِجُ مِنْهَا التِّرْيَاقَ، وَيَعْرِفُ مَقَادِيرَ الْكَوَاكِبِ وَعَرْضَهَا وَطُولَهَا وَهُوَ عَلَى الْأَرْضِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، فَلَا يَصْعُبُ عَلَيْهِ إِصْلَاحُ قَلْبِهِ إِنْ كانَ هَمُّهُ هَذَا الْهَمَّ فَقَطْ.

وَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا، فَاعْلَمْ: أَنَّ أَسْبَابَ الْخَلَاصِ مِنَ الْغُرُورِ ثَلَاثَةٌ:

أَحَدُهَا: الْعَقْلُ، وَهُوَ الْفِطْرَةُ الْغَرِيزِيَّةُ وَصَفَاؤُهُ، وَهَذِهِ نِعْمَةٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى فِي أَصْلِ الْفِطْرَةِ، فَإِنْ فَاتَتْ بِبَلَادَةٍ وَحَمَاقَةٍ فَلَا تَدَارُكَ لَهَا. وَالْعَقْلُ أَصْلُ كُلِّ خَيْرٍ، وَلَا يُرْجَى بِدُونِهِ الْخَيْرُ أَصْلًا، شَهِدَتْ بِذَلِكَ الْأَخْبَارُ وَالْآثَارُ[1].

الثَّانِي: الْمَعْرِفَةُ، أَعْنِي مَعْرِفَةَ أَرْبَعَةِ أُمُورٍ: يَعْرِفُ نَفْسَهُ بِالْعُبُودِيَّةِ وَالذُّلِّ، وَبِكَوْنِهِ غَرِيبًا فِي هَذَا الْعَالَمِ، وَأَجْنَبِيًّا عَنْ هَذِهِ الشَّهَوَاتِ، وَإِنَّمَا يُوَافِقُ طَبْعَهُ مَعْرِفَةَ اللهِ وَالنَّظَرَ إلى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَيَعْرِفُ رَبَّهُ وَلَا يُمْكِنُ ذَلِكَ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ

---

(1) الإحياء: 3/ 410.

نَفْسِهِ. وَلَقَدْ أَسْلَفْنَا مَا يَبْعَثُكَ إِلَى هَذِهِ. وَيَعْرِفُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ بِمَا مَرَّ فِي كِتَابِ ذَمِّ الدُّنْيَا وَفِي كِتَابِ ذِكْرِ الْمَوْتِ.

ثُمَّ إِنَّ الْعَبْدَ بَعْدَمَا دَفَعَ عَنْ نَفْسِهِ شَوَائِبَ الْغُرُورِ، بِأَنْ يُهَذِّبَ أَخْلَاقَهُ، وَرَاقَبَ الْقَلْبَ حَتَّى صَفَا عَنْ جَمِيعِ الْكُدُورَاتِ، وَاسْتَوَى عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَصَغُرَتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُ إِلَّا هَمٌّ وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ تَعَالَى، رُبَّمَا يُخَافُ عَلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَهُ الشَّيْطَانُ مِنْ جِهَةِ الدِّينِ، وَيَدْعُوهُ إِلَى الرَّحْمَةِ عَلَى خَلْقِ اللهِ، فَيَرَاهُمْ فِي دِينِهِمْ سُكَارَى، وَفِي أُمُورِهِمْ حَيَارَى، صُمًّا عُمْيًا، قَدِ اسْتَوْلَى عَلَيْهِمُ الْمَرَضُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ، وَفَقَدُوا مَعَ ذَلِكَ الطَّبِيبَ، وَأَشْرَفُوا عَلَى الْعَطَبِ، انْبَعَثَ مِنْ ذَاتِهِ الِاشْتِغَالُ بِنُصْحِهِمْ، ثُمَّ يَدْعُوهُ إِلَى الرِّئَاسَةِ دُعَاءً خَفِيًّا، أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ، لَا يَشْعُرُ بِهِ الْمُرِيدُ. فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبُهُ حَتَّى دَعَاهُ إِلَى التَّصَنُّعِ وَالتَّزَيُّنِ بِتَحْسِينِ الْأَلْفَاظِ وَالنَّغَمَاتِ، وَالتَّصَنُّعِ فِي الزِّيِّ وَالْهَيْئَةِ، حَتَّى أَقْبَلَ النَّاسُ يُعَظِّمُونَهُ وَيُبَجِّلُونَهُ وَيُوَقِّرُونَهُ مِثْلَ الْمُلُوكِ بَلْ أَزْيَدَ، إِذَا رَأَوْهُ شَافِيًا لِدَائِهِمْ مِنْ غَيْرِ طَمَعٍ، فَصَارَ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ، وَصَارُوا لَهُ خَوَلًا كَالْخَدَمِ وَالْعَبِيدِ، وَحَكَّمُوهُ عَلَى السَّلَاطِينِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ ارْتَاحَتْ نَفْسُهُ وَذَاقَتْ لَذَّةً يَا لَهَا مِنْ لَذَّةٍ، حَتَّى يَغْضَبَ عَلَى مَنْ يَرُدُّ عَلَيْهِ خَطَأَهُ، ثُمَّ يُخَيِّلُ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ أَنَّ ذَلِكَ غَضَبٌ لِلَّهِ تَعَالَى، وَرُبَّمَا يَقَعُ فِي الْوَقِيعَةِ فِيمَنْ يَرُدُّ عَلَيْهِ، وَهَكَذَا يَسُوقُهُ الشَّيْطَانُ وَيُوقِعُهُ فِيمَا هَرَبَ عَنْهُ قَلِيلًا قَلِيلًا وَهُوَ لَا يَشْعُرُ[1].

---

(1) الإحياء: 3/ 411ـ412.

وَأَمَّا عَلَامَةُ صِدْقِهِ فِي النُّصْحِ لِلنَّاسِ: أَنْ يَوَدَّ أَنْ يُوجَدَ أَحَدٌ يَهْتَدُونَ بِهِ، وَلَا يَطْمَعَ فِي ثَنَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَاسْتَوَى عِنْدَهُ مَدْحُهُمْ وَذَمُّهُمْ؛ إِذْ لَا يَنْفَعُهُ مَدْحُهُمْ إِذَا لَمْ يَحْمَدِ اللهَ، وَلَا يَضُرُّهُ ذَمُّهُمْ إِذَا اقْتَرَنَ بِهِ حَمْدُ اللهِ، وَيَنْظُرَ إِلَى النَّاسِ كَمَا يَنْظُرُ إِلَى السَّادَاتِ مِنْ حَيْثُ يَرَى كُلَّهُمْ خَيْرًا مِنْ نَفْسِهِ، وَكَمَا يَنْظُرُ إِلَى الْبَهَائِمِ مِنْ حَيْثُ قَطْعُ طَمَعِهِ عَنْ[1] طَلَبِ الْمَنْزِلَةِ فِي قُلُوبِهِمْ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَنْ بَلَغَ هذه الرُّتْبَةَ في الْخَلْقِ أَعَزُّ مِنَ الْكِبْرِيتِ الْأَحْمَرِ، فَإِذَا مُنِعَ النَّاسُ عَنِ الْوَعْظِ لَانْسَدَّ بَابُ النُّصْحِ.

قُلْتُ: إِنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَمَّ بَابَ الدُّنْيَا، وَلَمْ يَمْتَنِعِ النَّاسُ عَنْهَا، لِشِدَّةِ الدُّنْيَا فِي قُلُوبِهِمْ مَحَبَّةً وَمَيْلًا، وَكَذَا رِئَاسَةُ الْوَعْظِ لَيْسَتْ أَمْرًا يَتْرُكُهَا النَّاسُ بِهَذَا الْقَدْرِ مِنَ التَّقْبِيحِ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُصْلِحُ خَلْقًا كَثِيرًا بِإِفْسَادِ شَخْصٍ وَاحِدٍ وَأَشْخَاصٍ، وَ «إِنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ هَذا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ»[2]، وَ«بِأَقْوَامٍ لَا خَلَاقَ لَهُمْ»[3].

فَإِنْ قُلْتَ: إذا فَعَلَ مَا ذَكَرْتَ مِنَ الْأُمُورِ، وَتَرَكَ النُّصْحَ أَوْ فَعَلَهُ، وَرَاعَى طَرِيقَ الصِّدْقِ وَالْإِخْلَاصِ، هَلْ يَبْقَى بَيْنَ يَدَيْهِ أَخْطَارُ الِاغْتِرَارِ؟

---

(1) من، في الأزهرية.

(2) سنن الدارمي:3/ 1636، والسنن الكبرى للنسائي: 8/ 146، رقم: 8832، كشف الخفاء للعجلوني: 2/ 50.

(3) الإحياء: 3/ 413.

قُلْتُ: نَعَمْ، قَوْلُ الشَّيْطَانِ: قَدْ أَعْجَزْتَنِي، وَأَفْلَتَّ مِنِّي بِذَكَائِكَ وَكَمَالِ عَقْلِكَ، وَقَدْ قَدَرْتُ عَلَى جُمْلَةٍ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ وَالْكُبَرَاءِ، وَمَا أَعْظَمَ عِنْدَ اللهِ مَحَلَّكَ، إِذْ قَوَّاكَ عَلَى قَهْرِي؛ فَعِنْدَ ذَلِكَ يُعْجَبُ بِنَفْسِهِ فِي فِرَارِهِ مِنَ الْغُرُورِ كُلِّهِ، وَالْعُجْبُ أَعْظَمُ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَإِذَا خَلَصَ مِنَ الْعُجْبِ الْمَذْكُورِ فَأَيُّ شَيْءٍ يُخَافُ عَلَيْهِ؟

قُلْتُ: يُخَافُ عَلَيْهِ مِنَ الْغُرُورِ بِفَضْلِ اللهِ، وَالثِّقَةِ بِكَرَمِهِ، وَالْأَمْنِ مِنْ مَكْرِهِ، حَتَّى يَظُنَّ أَنَّهُ يَبْقَى عَلَى هَذِهِ الْوَتِيرَةِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَيَأْمَنَ مَكْرَ اللهِ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِهِ تَعَالَى خُسْرَانٌ عَظِيمٌ، بَلِ اللَّائِقُ أَنْ يَرَى الْكُلَّ مِنْ فَضْلِ اللهِ، وَلَا يَأْمَنَ مِنْ مَكْرِ اللهِ، وَلَا يَغْفُلَ عَنْ خَطَرِ الْخَاتِمَةِ، وَهَذَا خَطَرٌ لَا مَحِيصَ عَنْهُ، وَخَوْفٌ لا نَجَاةَ مِنْهُ إِلَّا بَعْدَ مُجَاوَزَةِ الصِّرَاطِ. فَنَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى حُسْنَ الْخَاتِمَةِ، فَإِنَّ الْأُمُورَ بِخَوَاتِمِهَا. وَالسَّلَامُ(1).

(1) الإحياء: 3/ 414.

الدَّوْحَةُ الرَّابِعَةُ: فِي رُبُعِ الْمُنْجِيَاتِ

وَفِيهَا عَشَرَةُ أُصُولٍ أَيْضًا:

الْأَصْلُ الْأَوَّلُ: فِي التَّوْبَةِ

وَفِيهِ مَطَالِبُ:

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ: فِي التَّوْبَةِ وَبَيَانِ وُجُوبِهَا

اِعْلَمْ أَنَّ التَّوْبَةَ: مَجْمُوعُ أُمُورٍ ثَلَاثَةٍ:

أَحَدُهَا: مَعْرِفَةُ عِظَمِ ضَرَرِ الذُّنُوبِ، وَكَوْنِهَا حِجَابًا بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ كُلِّ مَحْبُوبٍ.

وَثَانِيهَا: الْحَالُ، وَذَلِكَ لِأَنَّ مَعْرِفَةَ فَوَاتِ الْمَحْبُوبِ تُورِثُ أَلَمًا لِلْقَلْبِ، وَالْأَلَمُ عَلَى الْمَاضِي يُسَمَّى نَدَمًا، ثُمَّ يَنْبَعِثُ مِنْهُ حَالَةٌ أُخْرَى تُسَمَّى إِرَادَةً وَقَصْدًا.

وَثَالِثُهَا: الْفِعْلُ، وَذَلِكَ لِأَنَّ النَّدَمَ الْمُثْمِرَ لِلْإِرَادَةِ عَلَى فِعْلٍ؛ إِمَّا فِي الْحَالِ فَبِتَرْكِ الذَّنْبِ؛ أَوْ بِالِاسْتِقْبَالِ فَبِالْعَزْمِ عَلَى التَّرْكِ، أَوْ بِالْمَاضِي فَبِتَلَافِي مَا فَاتَ.

ثُمَّ هَذِهِ الْأُمُورُ الثَّلَاثَةُ؛ أَعْنِي الْمَعْرِفَةَ وَالنَّدَمَ وَالْعَزْمَ تُسَمَّى تَوْبَةً.

ثُمَّ مَا ذُكِرَ فِي حَدِّ التَّوْبَةِ أَكْثَرُهَا قَاصِرٌ عَنِ الْإِشَارَةِ إِلَى هَذِهِ الْأُمُورِ، فَالْحَدُّ الْجَامِعُ مَا يَجْمَعُ هَذِهِ الْأُمُورَ.

ثُمَّ فَضِيلَةُ التَّوْبَةِ لا تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ، وَمَا ذُكِرَ في فَضْلِهَا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ فَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَى، وَأَشْهَرُ مِنْ أَنْ يَخْفَى.

وَأَمَّا كَيْفِيَّةُ وُجُوبِهَا، فَهِيَ أَنَّهُ لَا مُبْعِدَ عَنِ اللهِ تَعَالَى إِلَّا اتِّبَاعُ الشَّهَوَاتِ، وَلَا مُقَرِّبَ إِلَيْهِ تَعَالَى إِلَّا الِانْقِطَاعُ عَنِ الذُّنُوبِ، وَلَا يُمْكِنُ الِانْقِطَاعُ عَنْهُ إِلَّا بِالْمَعْرِفَةِ وَالنَّدَمِ وَالْعَزْمِ الْمُعَبَّرِ عَنْ مَجْمُوعِهَا بِالتَّوْبَةِ[1].

فَإِنْ قُلْتَ: مَرْجِعُ التَّوْبَةِ إِلَى الْأَلَمِ وَهُوَ لَا يَدْخُلُ تَحْتَ الِاخْتِيَارِ، فَكَيْفَ يُوصَفُ بِالْوُجُوبِ.

قُلْتُ: سَبَبُ الْأَلَمِ الْحَاصِلِ مِنَ النَّدَمِ، وَهُوَ الْمَعْرِفَةُ الَّتِي لَهَا أَسْبَابٌ اخْتِيَارِيَّةٌ.

فَإِنْ قُلْتَ: أَلَيْسَ لِلْعَبْدِ اخْتِيَارٌ فِي الْفِعْلِ وَالتَّرْكِ؟

قُلْتُ: نَعَمْ، لِلْعَبْدِ اخْتِيَارٌ، مَعَ أَنَّ الْكُلَّ مَخْلُوقٌ لَهُ تَعَالَى؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى لا يَخْلُقُ حَرَكَةَ الْيَدِ بِكِتَابَةٍ؛ مَا لَمْ يَخْلُقْ فِيهَا صِفَةَ الْقُدْرَةِ وَالْحَيَاةِ وَالْإِرَادَةِ. وَالْإِرَادَةُ الْمَجْزُومَةُ مُتَفَرِّعَةٌ على الدَّاعِيَةِ، وَهِيَ على الْعِلْمِ، وَلَهُ أَيضًا أَسْبَابٌ أُخَرُ مُتَرَتِّبَةٌ، وَكُلُّ هَذِهِ مِنِ اخْتِرَاعِ اللهِ تَعَالَى. وَلَكِنَّ بَعْضَ هَذِهِ شَرْطٌ لِلْبَعْضِ، وَالْعَبْدُ يَجْرِي تَحْتَ هَذِهِ الْحَوَادِثِ الْمُرَتَّبَةِ فِي قَضَاءِ اللهِ الَّذِي هُوَ وَاحِدٌ كَلَمْحِ الْبَصَرِ تَرْتِيبًا كُلِّيًّا لَا يَتَغَيَّرُ، إِنَّمَا ظُهُورُهَا عَلَى التَّفْصِيلِ مُقَدَّرَةٌ بِقَدَرٍ.

---

(1) الإحياء: 4/ 2-4.

فَإِذَا ظَهَرَتْ مِنْ بَاطِنِ الْمَلَكُوتِ الْأُمُورُ الْمَذْكُورَةُ عَلَى جِسْمِ عَبْدٍ مُسَخَّرٍ تَحْتَ قَهْرِ التَّدْبِيرِ، سَبَقَ أَهْلُ عَالَمِ الْمُلْكِ وَالشَّهَادَةِ إِلَى أَنَّ الْعَبْدَ قَدْ تَحَرَّكَ، فَحِينَئِذٍ يُنَادَى مِنْ وَرَاءِ سُرَادِقَاتِ الْمَلَكُوتِ: أَيُّهَا الْعَبْدُ ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾[1]، وَعِنْدَ هَذَا تَتَحَيَّرُ عُقُولُهُمْ. فَمِنْ وَاحِدٍ قَالَ **بِالْجَبْرِ**، وَمِنْ آخَرَ قَالَ **بِالِاخْتِرَاعِ**، وَمِنْ مُتَوَسِّطٍ بَيْنَهُمَا مَائِلٍ إِلَى **الْكَسْبِ**؛ إِلَّا أَنَّهُمْ لَوْ نَظَرُوا إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ وَالْمَلَكُوتِ، لَظَهَرَ لَهُمْ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الطَّرَائِقِ الْمَذْكُورَةِ صَادِقٌ فِي مَذْهَبِهِ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُحِطْ عِلْمُهُ بِجَوَانِبِهِ، إِلَّا أَنَّ الْقَاصِرِينَ يَفْهَمُونَ مِنَ هَذَا الْكَلَامِ صِدْقَ الْأَقْوَالِ الْمُتَضَادَّةِ، وَيَقُولُونَ إِنَّهُ بَاطِلٌ جَزْمًا. إِلَّا أَنَّ تَحْقِيقَ هَذَا الْمَقَامِ يُنَاطِحُ عُلُومَ الْمُكَاشَفَةِ، وَيُحَرِّكُ أَمْوَاجَهَا، وَلَسْنَا نَتَكَلَّمُ فِيهَا هَهُنَا[2].

(1) سورة الأنفال الآية: 17.

(2) الإحياء: 4/ 5-7.

الْمَطْلَبُ الثَّانِي فِي وُجُوبِ التَّوْبَةِ عَلَى الْفَوْرِ

وَاعْلَمْ أَنَّ الْإِيمَانَ إِمَّا بِعُلُومِ الْمُكَاشَفَةِ؛ كَمَعْرِفَةِ اللهِ تَعَالَى، وَصِفَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، أَوْ بِعُلُومِ الْمُعَامَلَةِ؛ كَمَعْرِفَةِ الطَّاعَاتِ وَالْمَعَاصِي، فَمَنْ فَقَدَ هَذَا الْإِيمَانَ رُبَّمَا يُنْفَى عَنْهُ اسْمُ الْإِيمَانِ، كَقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ»[1]؛ أَيْ يَنْفِي عَنْهُ [الْإِيمَانَ بِكَوْنِ الزِّنَا مُبْعِدًا عَنِ اللهِ تَعَالَى، وَإِلَّا لَمَا فَعَلَهُ الْعَاقِلُ، لِأَنَّ الْإِيمَانَ بِعُلُومِ الْمُكَاشَفَةِ مَنْفِيٌّ عَنْهُ][2]. فَالْعَاصِي بِالضَّرُورَةِ نَاقِصُ الْإِيمَانِ، بِمَعْنَى عَدَمِ التَّصْدِيقِ بِعُلُومِ الْمُعَامَلَةِ، وَإِلَّا لَمَا فَعَلَ ذَلِكَ الْفِعْلَ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ أَنْ تَنْقَلِعَ شَجَرَةُ إِيمَانِهِ عِنْدَ مُقَدِّمَةِ قُدُومِ مَلَكِ الْمَوْتِ، وَخِيفَ عَلَيْهِ سُوءُ الْخَاتِمَةِ.

وَإِذَا كَانَتِ الْمَعَاصِي بِمَنْزِلَةِ السُّمُومِ الْمُهْلِكَةِ، وَكَانَ الْعَاقِلُ يَتَجَنَّبُهَا فِي الْحَالِ، كَذَلِكَ يَجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَتَجَنَّبَ عَنِ الْمَعَاصِي عَلَى الْفَوْرِ، بَلْ ذَلِكَ أَوْلَى، لِأَنَّهَا هَلَاكُ الْأَبَدِ. وَلَا يَخْفَى أَنَّ وُجُودَ الْأَصْلِ وَإِنْ لَمْ يَتَوَقَّفْ عَلَى وُجُودِ الْفَرْعِ، لَكِنْ رُبَّمَا يَتَوَقَّفُ بَقَاؤُهُ عَلَيْهِ، فَلَا يَنْبَغِي الْإِهْمَالُ فِي شَأْنِ الْأَعْمَالِ أَيْضًا[3].

ثُمَّ إِنَّ عُمُومَ النَّاسِ مُحْتَاجُونَ إِلَى التَّوْبَةِ، إِذِ الشَّهَوَاتُ جُنُودُ الشَّيْطَانِ، وَالْعُقُولُ جُنُودُ الْمَلَائِكَةِ، وَبَيْنَهُمَا قِتَالٌ دَائِمًا، إِلَّا أَنَّ قُوَّةَ جُنُودِ الْعَقْلِ بَعْدَ

---

(1) صحيح البخاري: 3/ 136، رقم: 2475، وصحيح مسلم: 1/ 76، رقم: 57.

(2) ما بين معقوفين سقط من أنطاليا.

(3) الإحياء: 4/ 8-9.

الْأَرْبَعِينَ، وَإِلَى زَمَانِ قُوَّتِهِ تَقْوَى جُنُودُ الشَّيَاطِينِ.

وَإِذَا قَوِيَ جُنُودُ الْعَقْلِ يَكُونُ أَوَّلَ عَمَلِهِمْ قَمْعُ الْجُنُودِ الشَّيْطَانِيَّةِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا بِالتَّوْبَةِ الْوَاجِبَةِ لِكُلِّ آدَمِيٍّ نَبِيًّا كانَ أَوْ غَبِيًّا، بَلْ هُوَ حُكْمٌ أَزَلِيٌّ مَكْتُوبٌ عَلَى جِنْسِ الْإِنْسِ لَا يُمْكِنُ فَرْضُ خِلَافِهِ مَا لَمْ تَتَبَدَّلِ السُّنَّةُ الْإِلَهِيَّةُ الَّتِي لَا مَطْمَعَ فِي تَبْدِيلِهَا. وَلَمَّا لَمْ يَخْلُ كُلُّ إِنْسَانٍ عَنِ الْخَطَإِ وَالنِّسْيَانِ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَآنٍ، وَجَبَتْ عَلَيْهِ الْمُوَاظَبَةُ عَلَى التَّوْبَةِ فِي كُلِّ زَمَانٍ، إِذْ لَا يَتِمُّ حَالُهُ بِعَدَمِ الذَّنْبِ فِي الِاسْتِقْبَالِ، بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يُزِيلَ آثَارَ الْمَعَاصِي فِي الزَّمَانِ الْمَاضِي، فَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا بِالْمُوَاظَبَةِ عَلَى التَّوْبَةِ.

وَأَمَّا وُجُوبُهَا: فَلَيْسَ بِمَعْنَى الْوُجُوبِ الشَّرْعِيِّ؛ أَيِ الْوَاجِبِ فِي فَتْوَى الشَّرْعِ. بَلِ الْوُصُولُ إِلَى الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ فِي جِوَارِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَاجِبٌ لِكُلِّ عَاقِلٍ بِحُكْمِ التَّقْوَى وَالتَّوْبَةِ، مِمَّا لَا يَتِمُّ ذَلِكَ إِلَّا بِهِ فَتَكُونُ وَاجِبَةً. نَظِيرُ ذَلِكَ وُجُوبُ الطَّهَارَةِ لِمَنْ يُرِيدُ صَلَاةَ التَّطَوُّعِ، فَإِنَّهُ لَا يُوصَلُ إِلَيْهَا إِلَّا بِهَا؛ وَأَمَّا مَنْ رَضِيَ بِالنُّقْصَانِ وَالْحِرْمَانِ فَلَا يَجِبُ عَلَيْهِ لِأَجْلِهَا.

فَمَنْ يُرِيدُ التَّوْبَةَ فَعَلَيْهِ بِأَمْرَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ يُعَجِّلَ حَتَّى لَا تَصِيرَ الْمَعَاصِي رَيْنًا[1] وَطَبْعًا لَا يَقْبَلُ الْمَحْوَ.

وَالثَّانِي: أَنْ يُعَاجِلَهُ قَبْلَ مُبَادَرَةِ الْمَوْتِ أَوِ الْمَرَضِ[2].

---

(1) الرَّيْنُ: الطَّبَعُ وَالدَّنَسُ، وقيل: كالصَّدَإِ يغشى القلبَ. اللسان/ رين.

(2) الإحياء: 4/ 11-12.

الْمَطْلَبُ الثَّالِثُ: فِي أَنَّ التَّوْبَةَ الْمُسْتَجْمِعَةَ لِشَرَائِطِهَا مَقْبُولَةٌ لا مَحالَةَ

لَا يَشُكُّ فِيهِ أَرْبَابُ الْبَصَائِرِ؛ لِأَنَّهُمْ عَلِمُوا بِنُورِ الْبَصِيرَةِ أَنَّ كُلَّ قَلْبٍ خُلِقَ سَلِيمًا، ثُمَّ اغْبَرَّ بِالذُّنُوبِ، وَعَلِمُوا أَيْضًا أَنَّ مَاءَ الدُّمُوعِ وَحُرْقَةَ النَّدَمِ يُزِيلُ وَسَخَ الْقَلْبِ، وَأَنَّ كُلَّ قَلْبٍ طَاهِرٍ زَكِيٍّ مَقْبُولٌ لَا مَحَالَةَ.

فَمَنْ تَوَهَّمَ أَنَّ التَّوْبَةَ تَصِحُّ وَلَا تُقْبَلُ، كَمَنْ تَوَهَّمَ أَنَّ الشَّمْسَ تَطْلُعُ وَالظَّلَامَ لَا يَزُولُ؛ وَهَذَا الْكَلَامُ مَقْبُولٌ عِنْدَ ذَوِي الْبَصَائِرِ مَعَ مَا يَعْضُدُهُ مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ، الَّتِي مَا بَلَغَتْ كُلُّهَا حَدَّ الشُّهْرَةِ؛ وَلَكِنْ لَيْسَ هَذَا الْوُجُوبُ مَا يَقُولُهُ الْمُعْتَزِلَةُ مِنَ الْوُجُوبِ عَلَى اللهِ، بَلْ مَا ذَكَرْنَاهُ وُجُوبٌ بِمُوجِبِ إِرَادَتِهِ وَمُقْتَضَى تَقْدِيرِهِ.

وَأَمَّا الشَّكُّ في قَبُولِ التَّوْبَةِ فَلَا يُنَافِي وُجُوبَ الْقَبُولِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ شَكٌّ فِي اسْتِجْمَاعِهِ الشَّرَائِطَ[1].

---

(1) الإحياء: 4/ 13-15.

الْمَطْلَبُ الرَّابِعُ: فِي أَقْسَامِ الذُّنُوبِ

وَتَنْحَصِرُ أُصُولُهَا فِي أَرْبَعِ صِفَاتٍ: رُبُوبِيَّةٍ، وَشَيْطَانِيَّةٍ، وَبَهِيمِيَّةٍ، وَسَبُعِيَّةٍ، وَقَدْ مَرَّ تَفْصِيلُهَا. وَأَيْضًا الذُّنُوبُ إِمَّا بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ اللهِ، أَوْ بَيْنَ الْعِبَادِ.

وَالْأَوَّلُ: إِمَّا شِرْكٌ أَوْ غَيْرُهُ. وَالشِّرْكُ لَا يُغْفَرُ، وَكَذَا مَا بَيْنَ الْعِبَادِ. وَأَمَّا غَيْرُهُ فَيُرْجَى أَنْ يُغْفَرَ.

وَأَيْضًا الذُّنُوبُ إِمَّا كَبَائِرُ، أَوْ صَغَائِرُ، وَاخْتُلِفَ فِي حُدُودِهِمَا وَعَدَدِ الْكَبَائِرِ اخْتِلَافًا شَدِيدًا. وَالْحَقُّ أَنَّ ذَلِكَ مِمَّا لَا يُعْلَمُ إِلَّا مِنْ جِهَةِ الشَّرْعِ، وَلَمْ يَرِدْ فِيهِ حَدُّ الْكَبِيرَةِ وَعَدَدُهَا، فَلَا مَطْمَعَ فِي مَعْرِفَتِهَا.

وَرُبَّمَا قَصَدَ الشَّرْعُ إِبْهَامَهُ، لِيَكُونَ الْعِبَادُ مِنْهُ عَلَى وَجَلٍ، كَمَا أَبْهَمَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ لِيَعْظُمَ جِدُّ النَّاسِ فِي طَلَبِهَا، سِيَّمَا إِذَا لَمْ يَتَعَلَّقْ بِهِ حُكْمُ الدُّنْيَا، بَلْ يُعْلَمُ حُكْمُهَا فِي الْأُخْرَى، فَيَجُوزُ أَنْ يَتَطَرَّقَ إِلَيْهِ الْإِيهَامُ، إِلَّا حُدُودًا عَيَّنَهَا بِأَسَامِيهَا، مِنَ الزِّنَا، وَالسَّرِقَةِ، وَشُرْبِ الْخَمْرِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْحُدُودِ[1].

---

(1) الإحياء: 4/ 16ـ19.

الْمَطْلَبُ الْخَامِسُ: فِي كَيْفِيَّةِ تَوَزُّعِ الدَّرَكَاتِ وَالدَّرَجَاتِ فِي الْآخِرَةِ إِلَى السَّيِّئَاتِ وَالْحَسَنَاتِ فِي الدُّنْيَا.

وَاعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا مِنْ عَالَمِ الْمُلْكِ وَالشَّهَادَةِ، وَالْآخِرَةَ مِنْ عَالَمِ الْمَلَكُوتِ وَالْغَيْبِ. وَعَالَمُ الْمُلْكِ نَوْمٌ بِالْإِضَافَةِ إِلَى عَالَمِ الْمَلَكُوتِ، وَلِذَلِكَ لَمْ يَتَكَلَّمِ الْأَنْبِيَاءُ مَعَ الْخَلْقِ إِلَّا بِضَرْبِ الْأَمْثَالِ، إِذِ النَّائِمُ لَا يَنْكَشِفُ لَهُ أَمْرٌ إِلَّا بِمَثَلٍ. وَمِنَ التَّكَلُّمِ بِطَرِيقِ الْمَثَلِ أَصَابِعُ الرَّحْمَنِ وَصُورَتُهُ، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ، فَيُوصِلُونَ الْمَعَانِيَ إِلَى أَفْهَامِهِمْ بِالْأَمْثِلَةِ حِكْمَةً مِنَ اللهِ، وَلُطْفًا لِعِبَادِهِ، وَتَيْسِيرًا لِإِدْرَاكِهِ.

وَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَاعْلَمْ أَنَّ تَعْرِيفَ تَوْزِيعِ الدَّرَجَاتِ وَالدَّرَكَاتِ عَلَى الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَا يُمْكِنُ إِلَّا بِضَرْبِ مِثَالٍ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَلِكَ إِذَا اسْتَوْلَى عَلَى إِقْلِيمٍ يَقْتُلُ مَنْ يَجْحَدُ فِي أَصْلِ مُلْكِهِ، وَيُخَلِّي مَنْ لَا يَجْحَدُهُ وَلَا يَخْدُمُ، وَيَخْلَعُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَيَخْدُمُهُ.

وَالنِّعَمُ أَيْضًا مُتَفَاوِتَةٌ بِتَفَاوُتِ دَرَجَاتِ خِدْمَتِهِمْ. فَكَذَلِكَ النَّاسُ فِي الْآخِرَةِ: إِمَّا هَالِكُونَ أَوْ مُعَذَّبُونَ، إِمَّا سَنَةً، أَوْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَى سَبْعَةِ آلَافِ سَنَةٍ، وَذَلِكَ آخِرُ مَنْ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ، أَوْ نَاجُونَ مِنْهَا، أَوْ فَائِزُونَ، إِمَّا إِلَى جَنَّاتِ عَدْنٍ، أَوْ جَنَّاتِ الْمَأْوَى، أَوْ جَنَّاتِ الْفِرْدَوْسِ، وَهَذِهِ أَرْبَعُ رُتَبٍ:

أَوَّلُهَا: الْهَالِكُونَ، وَهُمُ الْآيِسُونَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ؛ كَالْجَاحِدِينَ، وَالْمُكَذِّبِينَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَكُتُبِهِ، وَالْمُتَجَرِّدِينَ لِلدُّنْيَا. وَأَعْظَمُ الْعَذَابِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَصَائِرِ نَارُ الْحِجَابِ مِنَ اللهِ تَعَالَى، وَهِيَ أَحَرُّ مِنْ نَارِ الْجَحِيمِ. وَلَا بُعْدَ فِي ذَلِكَ، إِذِ الصَّبِيُّ رُبَّمَا يَعُدُّ الْبُعْدَ عَنِ السُّلْطَانِ أَهْوَنَ مِنَ الْبُعْدِ عَنِ الْكُرَةِ وَالصَّوْلَجَانِ(1).

وَثَانِيَتُهَا: رُتْبَةُ الْمُعَذَّبِينَ، وَهُمُ الْمُوَحِّدُونَ الْقَاصِرُونَ. فَلَهُمْ نَارَانِ: نَارُ الْفِرَاقِ عَنِ الْكَمَالِ الَّذِي قَصُرُوا عَنْهُ، وَنَارُ جَهَنَّمَ. وَيَتَفَاوَتُ لَهُمُ الْعَذَابُ شِدَّةً وَخِفَّةً، وَطُولًا وَقِصَرًا، بِحَسَبِ قُوَّةِ الْإِيمَانِ وَضُعْفِهِ، وَكَثْرَةِ اتِّبَاعِ الْهَوَى وَقِلَّتِهِ. وَأَضْعَفُ دَرَجَاتِ الْعَذَابِ: الْمُنَاقَشَةُ فِي الْحِسَابِ، وَفَوْقَهُ الْوُرُودُ عَلَى النَّارِ كَبَرْقٍ خَاطِفٍ، ثُمَّ اللَّحْظَةُ إِلَى أَنْ يَبْلُغَ سَبْعَةَ آلَافِ سَنَةٍ، وَبَيْنَهُمَا دَرَجَاتٌ لا تَتَنَاهَى. وَلَا يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ إِلَّا مُوَحِّدٌ؛ وَهُوَ مَنْ لَا يَرَى الْأُمُورَ كُلَّهَا إِلَّا مِنَ اللهِ تَعَالَى. وَعَلَامَتُهُ أَنْ لَا يَغْضَبَ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ، إِذْ لَا يَرَى الْوَسَائِطَ؛ وَإِنَّمَا يَرَى مُسَبِّبَ الْأَسْبَابِ. وَهَذَا التَّوْحِيدُ لَهُ مَرَاتِبُ أَمْثَالُ الْجِبَالِ وَالْمِثْقَالِ وَالْخَرْدَلَةِ وَالذَّرَّةِ(2).

وَثَالِثَتُهَا: رُتْبَةُ النَّاجِينَ مِنَ الْعَذَابِ فَقَطْ؛ كَالصِّبْيَانِ وَالْمَجَانِينِ وَالْبُلْهِ، وَمَنْ لَيْسَ لَهُمْ مَعْرِفَةٌ وَلَا جُحُودٌ وَلَا طَاعَةٌ وَلَا مَعْصِيَةٌ، فَهُمْ يَنْزِلُونَ فِي مَنْزِلَةِ

---

(1) الإحياء: 4/ 24 ـ 25.

(2) المصدر نفسه: 4/ 26 ـ 29.

بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ، وَهِيَ الْأَعْرَافُ. إِلَّا أَنَّ فِي كَوْنِ الصِّبْيَانِ مِنْ أَهْلِهَا شَكٌّ، وَلَا يُعْلَمُ يَقِينًا إِلَّا مِنْ مِشْكَاةِ النُّبُوَّةِ، وَالْأَخْبَارُ فِيهِمْ مُتَعَارِضَةٌ[1].

وَرَابِعَتُهَا: الْفَائِزُونَ، وَهُمُ الْمُقَرَّبُونَ السَّابِقُونَ. وَلَا يُمْكِنُ التَّعْبِيرُ عَنْ حَالِهِمْ وَمَقَامِهِمْ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[2]؛ وَقَوْلُهُ: «أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»[3].

وَهُمْ لَا يَقْنَعُونَ بِالْحُورِ وَالْقُصُورِ، وَاللَّبَنِ وَالْعَسَلِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ؛ وَلَا يَطْلُبُونَ إِلَّا لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ، فَهِيَ غَايَةُ السَّعَادَاتِ، وَنِهَايَةُ اللَّذَّاتِ[4].

---

(1) الإحياء: 4/ 30 ـ 31.

(2) سورة السجدة الآية: 17.

(3) صحيح البخاري: 4/ 1794، رقم: 4501، وصحيح مسلم: 4/ 2174، رقم: 2824.

(4) الإحياء: 4/ 31 ـ 32.

الْمَطْلَبُ السَّادِسُ: فِيمَا تَعْظُمُ بِهِ الصَّغَائِرُ

مِنْهَا: الْإِصْرَارُ وَالْمُوَاظَبَةُ؛ كَالْقَطْرَةِ تُؤَثِّرُ فِي الْحَجَرِ إِنْ دَامَ، وَلَا يُؤَثِّرُ السَّيْلُ، كَمَا أَنَّ «خَيْرَ الْأَعْمَالِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ»[1].

وَأَيْضًا الْكَبَائِرُ قَلَّمَا تَقَعُ مِنْ غَيْرِ سَوَابِقَ وَمُقَدِّمَاتٍ مِنَ الصَّغَائِرِ؛ مَثَلًا الزَّانِي يُقَدِّمُ عَلَى الزِّنَا الْمُرَاوَدَةَ وَالْقُبْلَةَ وَاللَّمْسَ وَنَحْوَهَا، وَلَوْ وَقَعَتِ الْكَبِيرَةُ بَغْتَةً لَرُبَّمَا يُرْجَى عَفْوُهُ، إِذْ هُوَ حِينَئِذٍ بِالْخَطَإِ أَشْبَهُ.

وَمِنْهَا: أَنْ يُسْتَصْغَرَ الذَّنْبُ، إِذِ الذَّنْبُ كُلَّمَا اسْتُعْظِمَ صَغُرَ عِنْدَ اللهِ، وَكُلَّمَا اسْتُصْغِرَ عَظُمَ عِنْدَ اللهِ؛ لِأَنَّ اسْتِعْظَامَهُ لِنُفُورِ الْقَلْبِ، وَاسْتِصْغَارَهُ لِإِلْفِ الْقَلْبِ بِهِ.

وَمِنْهَا: السُّرُورُ بِالصَّغِيرَةِ، وذلكَ كَثِيرٌ؛ كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ: أَمَا رَأَيْتَنِي كَيْفَ مَزَّقْتُ عِرْضَهُ، وَكَيْفَ فَضَحْتُهُ، وَنَحْوَ ذَلِكَ.

وَمِنْهَا: أَنْ يَتَهَاوَنَ بِسِتْرِ اللهِ عَلَيْهِ، وَحِلْمِهِ عَنْهُ، وَإِمْهَالِهِ لَهُ، وَلَا يَدْرِي أَنَّهُ يُمْهَلُ مَقْتًا لِيَزْدَادَ إِثْمًا، فَيَأْمَنَ مَكْرَ اللهِ، وَيَجْهَلَ مَكَامِنَ الْغُرُورِ بِاللهِ.

وَمِنْهَا: أَنْ يُظْهِرَهُ بِأَنْ يَذْكُرَهُ بَعْدَ إِتْيَانِهِ، أَوْ يَأْتِيَهُ بِمَشْهَدِ غَيْرِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ جِنَايَةٌ مِنْهُ على سِتْرِ اللهِ الَّذِي أَسْبَلَهُ عَلَيْهِ، وَتَحْرِيكٌ لِلشَّرِّ فِيمَنْ أَسْمَعَهُ، أَوْ أَشْهَدَهُ، سِيَّمَا إِذَا رَغِبَ الْغَيْرُ فِيهِ.

---

(1) سنن أبي داود: 7/ 156، ومعالم السنن: 4/ 106، وجامع الأصول: 11/ 689.

وَمِنْهَا: أَنْ يَكُونَ الْمُذْنِبُ عَالِمًا يُقْتَدَى بِهِ؛ كَلُبْسِ الْعَالِمِ الْإِبْرِيسَمَ، وَدُخُولِهِ عَلَى السَّلَاطِينِ، وَاشْتِغَالِهِ بِعُلُومٍ يَقْصِدُ بِهَا الْجَاهَ؛ كَالْجَدَلِ وَالْمُنَاظَرَةِ، فَإِذًا ذَنْبُ الْعَالِمِ ضِعْفٌ، كَمَا أَنَّ عِبَادَتَهُمْ ضِعْفٌ، بِسَبَبِ اقْتِدَاءِ الْغَيْرِ بِهِمْ[1].

---

(1) الإحياء: 4/ 32-33.

الْمَطْلَبُ السَّابِعُ: فِي تَمَامِ التَّوْبَةِ وَشُرُوطِهَا وَآدَابِهَا

أَمَّا الْعِلْمُ: فَمِنْ أَسْبَابِ التَّوْبَةِ، وَسَتَعْرِفُهُ. وَأَمَّا النَّدَمُ؛ فَعَلَامَتُهُ طُولُ الْحَسْرَةِ وَالْحُزْنِ وَالدَّمْعِ الدَّائِمِ، وَأَنْ تَتَمَكَّنَ مَرَارَةُ الذَّنْبِ مِنْ قَلْبِهِ بَدَلًا عَنْ حَلَاوَتِهَا؛ كَمَنْ عَلِمَ أَنَّ عَسَلًا فِيهِ سُمٌّ كَيْفَ يَكْرَهُهُ بَعْدَ أَنْ كَانَ مُشْتَهًى عِنْدَهُ، بَلْ يَكْرَهُ كُلَّ عَسَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ، فَكَذَا التَّائِبُ يَدُومُ نَدَمُهُ عَلَى كُلِّ ذَنْبٍ.

وَأَمَّا الْقَصْدُ الَّذِي يَنْبَعِثُ مِنْهُ فَيُوجِبُ تَرْكَ كُلِّ مَحْظُورٍ هُوَ مُلَابِسٌ لَهُ، وَأَدَاءَ كُلِّ فَرْضٍ هُوَ مُتَوَجِّهٌ عَلَيْهِ فِي الْحَالِ، وَيَتَدَارَكُ مَا فَرَطَ بِالْمُسْتَقْبَلِ، وَهُوَ دَوَامُ الطَّاعَةِ، وَدَوَامُ تَرْكِ الْمَعْصِيَةِ إِلَى الْمَوْتِ.

وَشَرْطُ صِحَّتِهِ فِي الْمَاضِي أَنْ يَتَأَمَّلَ فِي كُلِّ طَاعَةٍ تَرَكَهَا أَوْ قَصَّرَ فِيهَا، فَيَقْضِيَهَا فِي الْحَالِ، وَإِنْ شَكَّ فِي قَدْرِهِ، فَيَأْخُذُ بِغَالِبِ ظَنِّهِ، وَكَذَا يَتَأَمَّلُ كُلَّ مَعْصِيَةٍ فَعَلَهَا فِي سَاعَاتِ عُمُرِهِ، فَيَتُوبُ عَنْهَا بِالنَّدَمِ وَالتَّحَسُّرِ عَلَيْهَا، وَيَحْسُبُ عَدَدَهَا، وَيَعْمَلُ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً لِتَمْحُوَهَا، لَكِنْ حَسَنَةٌ مِنْ جِنْسِهَا وَتُضَادُّهَا. وَكَذَا فِي مَظَالِمِ الْعِبَادِ، يَفْعَلُ مَكَانَ ظُلْمٍ مِنْهَا حَسَنَةً لِصَاحِبِهَا؛ كَالْإِعْتَاقِ مَكَانَ الْقَتْلِ، وَالْغِيبَةِ بِالثَّنَاءِ لَهُ وَنَحْوِ ذَلِكَ(1).

وَأَمَّا الْقِصَاصُ وَحَدُّ الْقَذْفِ، فَيَعْمَلُ فِيهِمَا بِحُكُومَةِ عَدْلٍ، وَإِنْ كَانَ مَظْلَمَةَ مَالٍ يَرُدُّهُ على صَاحِبِهِ، وَإِنْ لَمْ يُمْكِنْ وِجْدَانُهُ يَسْتَكْثِرُ مِنَ الْحَسَنَاتِ حَتَّى يَقْتَصَّ مِنْهُ، أَوْ يَتَصَدَّقُ مِقْدَارَ ذَلِكَ الْمَالِ. وَيَسْتَحِلُّ مِنْ مَظَالِمِ الْعِرْضِ

---

(1) الإحياء: 4/ 34 ـ 36.

صَاحِبَهُ، وَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَيُكْثِرُ مِنَ الْحَسَنَاتِ لِتَكُونَ عِوَضًا، وَمَنْ وَجَدَهُ فَلْيَتَذَكَّرْ خُصُوصَ جِنَايَتِهِ، وَلَا يُبْهِمْ؛ لِأَنَّ الْإِبْهَامَ لَا يَكْفِي، وَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى بَيَانِهِ، كَزِنَاهُ بِجَارِيَتِهِ، أَوْ أَهْلِهِ، فَلْيَسْتَحِلَّهُ مُبْهِمًا، ثُمَّ يَجْبُرُهُ بِالْحَسَنَاتِ[1].

وَأَمَّا الْعَزْمُ بِأَنْ لَا يَعُودَ أَصْلًا إِلَى الذُّنُوبِ، وَلَا إِلَى أَمْثَالِهَا. وَلَا يَتِمُّ ذَلِكَ إِلَّا بِالْعُزْلَةِ وَالصَّمْتِ، وَقِلَّةِ الْأَكْلِ وَالنَّوْمِ، وَإِحْرَازِ قُوتٍ حَلَالٍ.

وَأَمَّا النَّدَمُ وَالتَّوْبَةُ عَلَى بَعْضِ الذُّنُوبِ - وَإِنْ أَفَادَ قِلَّةَ الذُّنُوبِ - لَكِنْ لَا يُبَلِّغُهُ رُتْبَةَ التَّائِبِينَ مَا لَمْ يَتُبْ عَنْ جَمِيعِ الذُّنُوبِ.

أَمَّا التَّوْبَةُ عَنِ الْكَبَائِرِ دُونَ الصَّغَائِرِ فَمُمْكِنٌ ذَلِكَ؛ إِذِ الصَّغَائِرُ أَقْرَبُ إِلَى الْعَفْوِ، وَكَذَا يُمْكِنُ التَّوْبَةُ عَنْ بَعْضِ الْكَبَائِرِ لِغِلْظَتِهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْآخَرِ، وَقَدْ يَنْدَمُ عَلَى صَغِيرَةٍ أَوْ صَغَائِرَ دُونَ الْكَبَائِرِ، لِغَلَبَةِ شَهْوَتِهِ هُنَاكَ عَلَى خَوْفٍ مِنَ اللهِ تَعَالَى.

فَإِنْ قُلْتَ: نِسْيَانُ التَّائِبِ ذَنْبَهُ أَفْضَلُ أَمِ الْمُجَاهَدَةُ فِيهِ، أَوْ سُكُونُ نَفْسِهِ عَنِ النُّزُوعِ إِلَيْهِ أَفْضَلُ أَمِ الْمُجَاهَدَةُ فِيهِ؟

قُلْتُ: اخْتُلِفَ فِيهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ رَجَّحَ الْأَوَّلَيْنِ، وَمِنْهُمْ مَنْ رَجَّحَ الْآخِرَيْنِ. إِلَّا أَنَّ الْحَقَّ أَنَّ السُّكُونَ وَالنِّسْيَانَ إِنْ كَانَا مِنَ التَّأَدُّبِ بِأَدَبِ الشَّرْعِ فَهُمَا أَفْضَلُ، وَإِنْ كَانَا مِنَ الطَّبْعِ فَالْمُجَاهَدَةُ أَفْضَلُ[2].

---

(1) الإحياء: 4/ 37.

(2) المصدر نفسه: 4/ 38 ـ 42.

الْمَطْلَبُ الثَّامِنُ: فِي طَبَقَاتِ التَّائِبِينَ

وَهِيَ أَرْبَعٌ:

الْأُولَى: الَّذِينَ يَسْتَقِيمُونَ عَلَى التَّوْبَةِ إِلَى آخِرِ الْعُمُرِ، وَلَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِالْعَوْدِ إِلَى ذُنُوبِهِ، إِلَّا الزَّلَّاتِ الَّتِي لَا يَنْفَكُّ عَنْهَا الْبَشَرُ عَادَةً، سِوَى الْأَنْبِيَاءِ وَمَنْ يَقْرُبُ مِنْ رُتْبَتِهِمْ. وَهَذِهِ هِيَ التَّوْبَةُ النَّصُوحُ، وَهَذِهِ النَّفْسُ هِيَ **النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ**. وَلِهَؤُلَاءِ أَيْضًا رُتَبٌ مِنْ حَيْثُ النُّزُوعُ إِلَى الشَّهَوَاتِ كَثْرَةً وَقِلَّةً وَطُولَ زَمَانٍ وَقِصَرَهُ.

الثَّانِيَةُ: الَّذِينَ سَلَكُوا طَرِيقَ الِاسْتِقَامَةِ فِي أُمَّهَاتِ الطَّاعَاتِ وَكَبَائِرِ الْفَوَاحِشِ كُلِّهَا، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنْفَكُّ عَنْ ذُنُوبٍ تَعْتَرِيهِ، لَا عَنْ عَمْدٍ وَتَجْدِيدِ قَصْدٍ، بَلْ كُلَّمَا أَقْدَمَ عَلَيْهَا لَامَ نَفْسَهُ، وَجَدَّدَ عَزْمَهُ عَلَى أَسْبَابِ الِاحْتِرَازِ. وَهَذِهِ النَّفْسُ هِيَ اللَّوَّامَةُ. وَهَذِهِ أَيْضًا رُتْبَةٌ عَالِيَةٌ، وَإِنْ كَانَتْ دُونَ الْأُولَى، وَهِيَ أَغْلَبُ أَحْوَالِ التَّائِبِينَ.

الثَّالِثَةُ: أَنْ يَسْتَمِرَّ عَلَى الِاسْتِقَامَةِ مُدَّةً، ثُمَّ تَخْطَفُهُ الشَّهْوَةُ الْمُعَيَّنَةُ لِعَجْزِهِ عَنْ قَهْرِهَا، إِلَّا أَنَّهُ مُوَاظِبٌ عَلَى الطَّاعَاتِ، وَمُجْتَنِبٌ عَنِ الشَّهَوَاتِ الْبَاقِيَةِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَنْدَمُ عَلَى فِعْلِهَا، وَيُجَاهِدُ فِي قَهْرِ نَفْسِهَا، لَكِنَّهُ تُسَوِّفُ نَفْسُهُ تَوْبَتَهُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، وَيَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ. وَهَذِهِ تُسَمَّى **النَّفْسَ الْمُسَوِّلَةَ**، وَهُمُ الَّذِينَ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا، فَأَمْرُهُ مِنْ حَيْثُ مُوَاظَبَتُهُ عَلَى

الطَّاعَاتِ وَكَرَاهَتُهُ لِمَا يَتَعَاطَاهُ مَرْجُوٌّ، فَعَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِ. وَعَاقِبَتُهُ مُخْطِرَةٌ[1] لِاحْتِمَالِ أَنْ يُخْطَفَ بِالتَّسْوِيفِ قَبْلَ التَّوْبَةِ.

وَيَقَعُ أَمْرُهُ فِي الْمَشِيئَةِ؛ فَإِنْ تَدَارَكَهُ اللهُ بِفَضْلِهِ، وَجَبَرَ كَسْرَهُ، [وَامْتَنَّ عَلَيْهِ بِالتَّوْبَةِ][2] الْتَحَقَ بِالسَّابِقِينَ، وَإِنْ غَلَبَتْ شِقْوَتُهُ، وَقَهَرَتْهُ شَهْوَتُهُ، فَيُخْشَى أَنْ يَحِقَّ عَلَيْهِ فِي الْخَاتِمَةِ ما سَبَقَ عَلَيْهِ مِنَ الْقَوْلِ فِي الْأَزَلِ على أَنَّ كُلَّ نَفَسٍ فَهُوَ خَاتِمَةٌ، إِذْ يُمْكِنُ اتِّصَالُ الْمَوْتِ بِهِ، فَلْيُرَاقِبْ ذَلِكَ، وَلْيَتَدَارَكْهُ بِالتَّوْبَةِ، وَإِلَّا دَامَتِ الْحَسَرَاتُ حِينَ لَا تَنْفَعُهُ الْحَسْرَةُ.

الرَّابِعَةُ: أَنْ يَسْتَقِيمَ مُدَّةً، ثُمَّ يَعُودَ إِلَى مُقَارَفَةِ الذُّنُوبِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُحَدِّثَ نَفْسَهُ بِالتَّوْبَةِ، وَمِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَأَسَّفَ عَلَى فِعْلِهِ. وَهَذِهِ هِيَ **النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ**، الْفَرَّارَةُ مِنَ الْخَيْرِ، وَيُخَافُ عَلَيْهَا سُوءُ الْخَاتِمَةِ.

وَأَمْرُهُ فِي مَشِيئَةِ اللهِ؛ فَإِنْ خُتِمَ لَهُ بِالسُّوءِ يَشْقَى شَقَاءَ الْأَبَدِ، وَإِنْ خُتِمَ لَهُ بِالْحُسْنَى ـ وَهُوَ التَّوْحِيدُ ـ يُرْجَى لَهُ الْخَلَاصُ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ، وَلَا يَسْتَحِيلُ أَنْ يَشْمَلَهُ عُمُومُ الْعَفْوِ بِسَبَبٍ خَفِيٍّ لَا نَطَّلِعُ عَلَيْهِ.

إِلَّا أَنَّ الْعَجَبَ كُلَّ الْعَجَبِ مَنْ يَقُولُ: اللهُ كَرِيمٌ، وَيَتَقَاعَدُ عَنْ كَسْبِ فَضَائِلِ الْأَعْمَالِ؛ ثُمَّ إِذَا قِيلَ لَهُ: اللهُ كَرِيمٌ فَاقْعُدْ عَنْ كَسْبِ الْمَالِ، يُحَمِّقُ مَنْ يَقُولُهُ، وَيَقُولُ: سُنَّةُ اللهِ تَعَالَى أَنْ يَرْزُقَ بِالْكَسْبِ، وَلَا يَدْرِي هَذَا الْأَحْمَقُ

---

(1) الْمُخطِرُ: الذي يجعلُ نفسَهُ خطرًا لِقِرْنِهِ فيُبارِزُهُ ويُقاتِلُهُ. اللسان/ خطر.

(2) زيادة من أنطاليا.

الْغَافِلُ أَنَّ رَبَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاحِدٌ، وَسُنَّتَهُ فِيهِمَا وَاحِدَةٌ، فَمَا بَالُهُ يَغْتَرُّ بِكَرَمِهِ فِي الْآخِرَةِ دُونَ الدُّنْيَا، فَمَا هَذَا إِلَّا انْتِكَاسٌ عَلَى أُمِّ الرَّأْسِ، وَفِي ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ انْغِمَاسٌ. فَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ دَوَاعِي الْجَهْلِ وَالِارْتِيَابِ، إِلَى سُوءِ الْمُنْقَلَبِ وَعُسْرِ الْمَآبِ[1].

(1) الإحياء: 4/ 44ـ46.

الْمَطْلَبُ التَّاسِعُ: فِي تَدَارُكِ التَّائِبِ إِذَا جَرَى عَلَيْهِ ذَنْبٌ إِمَّا عَنْ قَصْدٍ أَوْ بِاتِّفَاقٍ

وَاعْلَمْ أَنَّ الْوَاجِبَ عَلَيْهِ التَّوْبَةُ وَالنَّدَمُ، وَالِاشْتِغَالُ بِالتَّكْفِيرِ بِحَسَنَةٍ تُضَادُّهَا، فَإِنْ لَمْ تُسَاعِدْهُ نَفْسُهُ عَلَى الْعَزْمِ عَلَى التَّرْكِ فَقَدْ فَاتَهُ أَحَدُ الْوَاجِبَيْنِ، فَلا يَنْبَغِي أَنْ يَفُوتَهُ الْوَاجِبُ الْآخَرُ، وَهُوَ مَحْوُهَا بِالْحَسَنَةِ، لِيَكُونَ مِمَّنْ خَلَطَ عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا. وَتِلْكَ الْحَسَنَاتُ: **إِمَّا بِالْقَلْبِ**: فَالتَّضَرُّعُ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَطَلَبُ الْعَفْوِ وَالْمَغْفِرَةِ، وَيَتَذَلَّلُ تَذَلُّلَ الْعَبْدِ الْآبِقِ، بِحَيْثُ تَظْهَرُ ذِلَّتُهُ لِسَائِرِ الْعِبَادِ. **وَإِمَّا بِاللِّسَانِ**: وَهُوَ الِاعْتِرَافُ بِالظُّلْمِ، وَالِاسْتِغْفَارُ، لَكِنْ لَا بِاللِّسَانِ فَقَطْ فَإِنَّهُ تَوْبَةُ الْكَذَّابِينَ، بَلْ بِالْقَلْبِ. وَقَدْ مَرَّ فِي كِتَابِ الدَّعَوَاتِ كَيْفِيَّةُ الِاسْتِغْفَارِ. **وَإِمَّا بِالْجَوَارِحِ**: فَبِالطَّاعَاتِ وَالصَّدَقَاتِ وَأَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ.

وَذُكِرَ فِي الْآثَارِ ثَمَانِيَةُ أَعْمَالٍ يُرْجَى بِهَا الْعَفْوُ؛ أَرْبَعَةٌ لِلْقَلْبِ، وَهِيَ: التَّوْبَةُ وَالْعَزْمُ عَلَى التَّرْكِ، وَحُبُّ الْإِقْلَاعِ عَنْهُ، وَخَوْفُ الْعِقَابِ عَلَيْهِ، وَرَجَاءُ الْمَغْفِرَةِ لَهُ؛ وَأَرْبَعَةٌ مِنْ أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ وَهِيَ: أَنْ يُصَلِّيَ عَقِبَ الذَّنْبِ رَكْعَتَيْنِ؛ يَسْتَغْفِرُ اللهَ بَعْدَهُ سَبْعِينَ مَرَّةً، وَيَقُولُ: سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ مِئَةَ مَرَّةٍ، ثُمَّ يَتَصَدَّقُ بِصَدَقَةٍ، ثُمَّ يَصُومُ يَوْمًا. وَفِي بَعْضِ الْآثَارِ يُسْبِغُ الْوُضُوءَ، وَيَدْخُلُ الْمَسْجِدَ، وَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ. وَفِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ[1].

---

(1) الإحياء: 4/ 46ـ47.

الْمَطْلَبُ الْعَاشِرُ: فِي طَرِيقِ حَلِّ الْإِصْرَارِ عَلَى الذُّنُوبِ مِنَ الْقَلْبِ

وَلَهُ عِلَاجَانِ:

أَحَدُهُمَا: الْعِلْمُ بِأَنَّ الذُّنُوبَ مِنَ الْقَلْبِ، وَلَهُ عِلَاجَانِ: أَحَدُهُمَا الْعِلْمُ بِأَنَّ الذُّنُوبَ مُضِرَّةٌ يَجِبُ تَرْكُهَا. وَذَلِكَ أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ:

الْأَوَّلُ: أَنْ يَذْكُرَ إِنْذَارَاتِ الْقُرْآنِ وَالْأَخْبَارِ لِلْعُصَاةِ.

الثَّانِي: حِكَايَاتُ الْأَنْبِيَاءِ وَالسَّلَفِ، وَمَا جَرَى عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَصَائِبِ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ.

الثَّالِثُ: خَوْفُ تَعْجِيلِ الْعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا - وَنُفُوسُ الْعَوَامِّ أَكْثَرُ انْزِجَارًا بِعُقُوبَةِ الدُّنْيَا - حَتَّى «إِنَّ الْعَبْدَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ»(1)، وَكَذَلِكَ الْفَقْرُ وَالْمَرَضُ.

الرَّابِعُ: أَنْ يُنْهِيَ كُلَّ صِنْفٍ مِنَ الذَّنْبِ بِنَوْعٍ مِنَ الْعُقُوبَةِ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَطِبَّاءِ الْأَرْوَاحِ، فَعَلَيْهِمْ أَنْ يُخَوِّفُوا كُلَّ ذَنْبٍ بِنَوْعِ عُقُوبَةٍ، وَيُوصِيهِمْ بِنَوْعِ وَصِيَّةٍ تَكُونُ سَبَبًا لِزَوَالِهَا(2).

وَثَانِيهِمَا: الصَّبْرُ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الذَّنْبَ إِمَّا بِسَبَبِ الْغَفْلَةِ، وَطَرِيقُ عِلَاجِهِ الْعِلْمُ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ. أَوْ بِسَبَبِ غَلَبَةِ الشَّهْوَةِ، وَطَرِيقُ عِلَاجِهِ الصَّبْرُ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ فِي رِيَاضَةِ النَّفْسِ. فَتَرْكُ الذَّنْبِ بِالصَّبْرِ، وَهُوَ بِمَعُونَةِ الْخَوْفِ،

---

(1) مسند أحمد: 37/ 111، قوت القلوب: 1/ 311، الإحياء: 4/ 53.

(2) الإحياء: 4/ 51-54.

وَالْخَوْفُ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِالْعِلْمِ بِضَرَرِ الذَّنْبِ، فَأَصْلُ الْكُلِّ الْعِلْمُ. وَاعْلَمْ أَنَّ سَبَبَ وُقُوعِ الذَّنْبِ أُمُورٌ:

أَحَدُهَا: أَنَّ الْعِقَابَ الْمَوْعُودَ غَيْبٌ وَلَيْسَ بِحَاضِرٍ، وَالنَّفْسَ تَأَثُّرُهَا بِالْحَاضِرِ قَوِيٌّ، وَبِالْمَوْعُودِ ضَعِيفٌ.

الثَّانِي: أَنَّ الشَّهَوَاتِ لَذَّاتِهَا نَاجِزَةٌ، وَالنُّزُوعَ عَنْ لَذَّةِ الْعَاجِلِ لِخَوْفِ الْآجِلِ شَدِيدٌ عَلَى النَّفْسِ.

الثَّالِثُ: أَنَّهُ مَا مِنْ مُسْلِمٍ مُذْنِبٍ إِلَّا وَهُوَ عَازِمٌ على التَّوْبَةِ غَالِبًا، إِلَّا أَنَّ النَّفْسَ تُسَوِّفُ بِمَا يَغْلِبُ عَلَى طَبْعِهِ مِنْ طُولِ الْأَمَلِ.

الرَّابِعُ: أَنَّهُ مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَهُوَ مُعْتَقِدٌ أَنَّ الذَّنْبَ لَا يُوجِبُ الْعُقُوبَةَ إِيجَابًا لَا يُمْكِنُ الْعَفْوُ عَنْهَا، فَهُوَ يُذْنِبُ وَيَنْتَظِرُ الْعَفْوَ اتِّكَالًا عَلَى فَضْلِ اللهِ تَعَالَى.

وَهُنَاكَ **قِسْمٌ خَامِسٌ** لَكِنَّهُ كُفْرٌ، وَهُوَ الشَّكُّ فِي صِدْقِ الرُّسُلِ(1).

إِذَا عَرَفْتَ هَذِهِ الْأَسْبَابَ، فَاعْلَمْ أَنَّ عِلَاجَ السَّبَبِ الْأَوَّلِ بِأَنْ يُلَاحِظَ أَنَّ كُلَّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ، وَأَنَّ الْمَوْتَ أَقْرَبُ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ.

وَعِلَاجُ التَّسْوِيفِ التَّذَكُّرُ بِأَنَّ أَكْثَرَ صِيَاحِ أَهْلِ النَّارِ مِنَ التَّسْوِيفِ، وَلَعَلَّهُ لَا يَبْقَى إِلَى الْغَدِ، وَإِنْ بَقِيَ لَعَلَّهُ لَا يَقْدِرُ، إِذْ عَجْزُهُ فِي الْحَالِ لِغَلَبَةِ الشَّهْوَةِ، [وَالشَّهْوَةُ لَا تُفَارِقُهُ غَدًا، بَلْ تَتَأَكَّدُ بِالِاعْتِيَادِ، وَأَنَّ الْأَيَّامَ مُتَشَابِهَةٌ فِي مَشَقَّةِ تَرْكِ الشَّهَوَاتِ](2).

---

(1) الإحياء: 4/ 56-58.

(2) ما بين معقوفين سقط من الأزهرية.

وَأَمَّا عِلَاجُ الِانْتِظَارِ[1] إِلَى رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى إِنْ كانَ بَعْدَ الْعَمَلِ فَحَسَنٌ، وَإِنْ كَانَ بِلَا عَمَلٍ فَحُمْقٌ، وَهُوَ كَمَنْ لَا يُلْقِي الْبَذْرَ وَيَنْتَظِرُ الزَّرْعَ، وَهَذَا وَإِنْ كَانَ مُمْكِنًا، لَكِنَّهُ لِكَوْنِهِ خَرْقًا لِلْعَادَةِ يُعَدُّ حُمْقًا وَخَرْقًا، إِذِ الِاعْتِمَادُ عَلَى أَمْرٍ مُمْكِنٍ خَارِقٍ لِلْعَادَةِ فِي مِثْلِ هَذَا الْأَمْرِ الْخَطِيرِ الْعَظِيمِ الَّذِي لَا يُمْكِنُ تَدارُكُهُ ثَانِيًا مِمَّا لا يَقْبَلُهُ الْعُقَلَاءُ[2].

وَأَمَّا عِلَاجُ الْخَامِسِ، وَهُوَ الْكُفْرُ، فَمَا عَرَفْتَهُ مِنْ أَسْبَابِ صِدْقِ الرُّسُلِ، وَلَكِنْ هُنا أَمْرٌ إِلْزَامِيٌّ يَكْفِي فِي دَفْعِهِ، وَهُوَ أَنَّ رَجُلًا قَدْ جَرَّبْتَ كَذِبَهُ مِرَارًا، إِذَا أَخْبَرَكَ بِأَنَّ هَذَا الطَّعَامَ قَدْ وَلَغَ فِيهِ الْحَيَّةُ، وَأَلْقَى فِيهِ سُمَّهَا، فَلَعَلَّكَ تَقُولُ: هَذَا الرَّجُلُ وَإِنْ كانَ كَاذِبًا لَكِنَّ الْكَذُوبَ قَدْ يَصْدُقُ.

وَعَلَى الْجُمْلَةِ، فَالشَّكُّ حَاصِلٌ فِي خَبَرِهِ هَذَا، وَإِنِّي إِنْ تَرَكْتُ هَذَا الطَّعَامَ لَيْسَ لِي إِلَّا الصَّبْرُ عَنِ شَهْوَةِ الطَّعَامِ، وَإِنْ أَكَلْتُ ذَلِكَ، فَالْهَلَاكُ مُحْتَمَلٌ، فَالْفِرَارُ عَنِ الشَّهْوَةِ الْحَقِيرَةِ لِأَجْلِ الْهَلَاكِ الْمَوْهُومِ أَحْسَنُ.

ثُمَّ إِنَّكَ كَيْفَ لا تُذْهِبُ هَذَا التَّعْلِيلَ فِي أَخْبَارِ الْأَنْبِيَاءِ، لَمْ تُجَرِّبْ كَذِبَهُمْ، بَلْ جَرَّبْتَ صِدْقَهُمْ مِرَارًا، لَكِنْ لَا تَدعُكَ عَصَبِيَّتُكَ إِلَى الْإِذْعَانِ بِالْحَقِّ. وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، إِنَّهُ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

---

(1) أي انتظار عفو الله.

(2) الإحياء: 4/ 58.

وَقالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي بَعْضِ مَنْ كَانَ شَاكًّا: إِنْ صَحَّ مَا قُلْتَ فَقَدْ تَخَلَّصْنَا جَمِيعًا، وَإِلَّا فَقَدْ تَخَلَّصْنَا وَهَلَكْتَ.

وَقالَ أَبُو الْعَلَاءِ الْمَعَرِّي: [الكامل]

قَالَ الْمُنَجِّمُ وَالطَّبِيبُ كِلَاهُمَا   لَا تُحْشَرُ الْأَمْوَاتُ قُلْتُ إِلَيْكُمَا[1]

إِنْ صَحَّ قَوْلُكُمَا فَلَسْتُ بِخَاسِرٍ   أَوْ صَحَّ قَوْلِي فَالْخَسَارُ عَلَيْكُمَا[2]

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ مَا ذُكِرَ مِنَ الْأُمُورِ وَإِنْ كَانَتْ جَلِيَّةً، لَكِنَّ النَّفْسَ لَا تَتَفَكَّرُ فِيهَا لِأَمْرَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ فِكْرَهَا يُؤْلِمُ الْقَلْبَ، وَفِكْرَ الدُّنْيَا يَلَذُّ لَهَا فَتَمِيلُ إِلَيْهِ.

وَثَانِيهِمَا: أَنَّ هذا الْفِكْرَ يَمْنَعُهُ عَنْ لَذَائِذِ الدُّنْيَا، إِذِ الْإِنْسَانُ لا يَخْلُو عَنْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا سَاعَةً أَصْلًا.

فَعِلَاجُ الْأَمْرِ الْأَوَّلِ فَأَنْتَ تَتَأَلَّمُ مِنْ مُلَاحَظَتِهِ، فَكَيْفَ الْأَلَمُ إِذَا وَقَعَ وَأَنْتَ عَاجِزٌ عَنْ تَدَارُكِهِ.

وَالْأَمْرُ الثَّانِي: أَنْ يَتَذَكَّرَ عِظَمَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ، وَحَقَارَةَ لَذَّاتِ الدُّنْيَا، وَسُرْعَةَ زَوَالِهَا. وَتَرْكُ الْعَظِيمِ وَالْبَاقِي لِأَجْلِ الْحَقِيرِ وَالزَّائِلِ لَا يَصْدُرُ عَنْ عَاقِلٍ[3].

---

(1) لزوم ما لا يرزم: 2/ 300.

(2) عيكما، في لزوم ما لا يلزم.

(3) الإحياء: 4/ 59-60.

الْأَصْلُ الثَّانِي: فِي الصَّبْرِ وَالشُّكْرِ

وَفِيهِ مَطَالِبُ:

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ: فِي فَضِيلَةِ الصَّبْرِ وَحَقِيقَتِهِ

وَأَمَّا فَضِيلَتُهُ: فَقَدْ وَرَدَتْ فِي الْآيَاتِ وَالْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ بِحَيْثُ لَا يُحْتَاجُ إِلَى ذِكْرِهَا.

وَأَمَّا حَقِيقَتُهُ وَمَعْنَاهُ: فَهُوَ مَقَامٌ مِنْ مَقَامَاتِ الدِّينِ، وَمَنْزِلٌ مِنْ مَنَازِلِ السَّالِكِينَ. وَذَلِكَ مَعْرِفَةٌ تَتْبَعُهَا حَالَةٌ، ثُمَّ تُثْمِرُ كِلَاهُمَا الْمُسَمَّى بِالصَّبْرِ عَمَلًا.

وَتَفْصِيلُ ذلكَ، أَنَّ لِلْبَهَائِمِ شَهْوَةً بِلَا عَقْلٍ. وَلِلْمَلَائِكَةِ عَقْلًا بِلَا شَهْوَةٍ، وَلِلْإِنْسَانِ كِلَاهُمَا مَعًا، وَالصَّبْرُ مُقَاوَمَةُ الْعَقْلِ الشَّهْوَةَ، فَهُوَ مَخْصُوصٌ بِالْإِنْسَانِ دُونَ الْبَهَائِمِ لِنُقْصَانِهَا، وَدُونَ الْمَلَائِكَةِ لِكَمَالِهِمْ، فَالصَّبْرُ ثَبَاتُ الْقُوَّةِ الْمُضَادَّةِ لِلشَّهْوَةِ فِي مُقَاوَمَتِهَا[1].

ثُمَّ إِنَّ الصَّبْرَ نِصْفُ الْإِيمَانِ؛ لِأَنَّ التَّصْدِيقَ بِالْمَعَارِفِ وَالْأَعْمَالِ هُوَ الْإِيمَانُ، وَحَاصِلُ التَّصْدِيقِ بِالْمَعَارِفِ الْيَقِينُ، وَحَاصِلُ التَّصْدِيقِ بِالْأَعْمَالِ الصَّبْرُ، إِذْ لَا يُمْكِنُ تَرْكُ الْمَعْصِيَةِ وَالْمُوَاظَبَةُ عَلَى الطَّاعَةِ إِلَّا بِالصَّبْرِ، فَهُوَ نِصْفُ الْإِيمَانِ بِهَذَا الِاعْتِبَارِ.

---

(1) الإحياء: 4/ 60 ـ 63.

أَيْضًا رُبَّمَا يُطْلَقُ الْإِيمَانُ على الْأَحْوَالِ الْمُثْمِرَةِ لِلْأَعْمَالِ لَا الْمَعَارِفِ؛ وَالْأَعْمَالُ إِمَّا ضَارٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَوْ نَافِعٌ فِيهِمَا، وَلَهُ الصَّبْرُ في الْأَوَّلِ، وَالشُّكْرُ في الثَّانِي. وَلِهَذَا قالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «الْإِيمَانُ نِصْفَانِ نِصْفٌ صَبْرٌ، وَنِصْفٌ شُكْرٌ»[1]. وَقَدْ يُرْفَعُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَأَيْضًا لَمَّا كانَ الصَّبْرُ مُقَاوَمَةَ بَوَاعِثِ الْهَوَى، وَكانَ الْهَوَى قِسْمَيْنِ: الشَّهْوَةَ وَالْغَضَبَ، وَصَارَ الصَّوْمُ دَافِعًا لِلشَّهْوَةِ دُونَ الْغَضَبِ. قالَ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الصَّوْمُ نِصْفُ الصَّبْرِ»[2]. فَيَكُونُ الصَّوْمُ رُبُعَ الْإِيمَانِ. فَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ تُفْهَمَ تَقْدِيرَاتُ الشَّرْعِ لِحُدُودِ الْأَعْمَالِ، وَالْحُدُودُ لَيْسَ تِلْكَ التَّقْدِيرَاتُ مِمَّا يُرْمَى بِهِ جِزَافًا كَمَا تَوَهَّمَهُ الْجَهَلَةُ أَرْبَابُ الضَّلَالِ[3].

ثُمَّ إِنَّ الصَّبْرَ يُسَمَّى بِأَسْمَاءٍ مُخْتَلِفَةٍ، فَيَظُنُّ الْجُهَّالُ أَشْيَاءَ مُتَغَايِرَةً؛ مَثَلًا: الصَّبْرُ عَنْ شَهْوَةِ الْفَرْجِ يُسَمَّى عِفَّةً؛ وَعَنِ الْمُصِيبَةِ يُخَصُّ بِاسْمِ الصَّبْرِ، وَيُضَادُّهُ الْجَزَعُ وَالْهَلَعُ؛ وَعَنِ الْغِنَى يُسَمَّى ضَبْطَ النَّفْسِ، وَيُضَادُّهُ الْبَطَرُ؛ وَعَنِ الْقِتَالِ وَالْحَرْبِ يُسَمَّى شَجَاعَةً، وَيُضَادُّهُ الْجُبْنُ؛ وَعَنِ الْغَضَبِ حِلْمًا، وَيُضَادُّهُ التَّكَبُّرُ؛ وَعَنْ إِفْشَاءِ الْكَلَامِ يُسَمَّى كِتْمَانَ السِّرِّ؛ وَعَنْ فُضُولِ الْعَيْشِ يُسَمَّى زُهْدًا، وَيُضَادُّهُ الْحِرْصُ؛ وَعَنِ الْعَيْشِ الْيَسِيرِ يُسَمَّى قَنَاعَةً، وَيُضَادُّهُ

---

(1) مسند القضاعي: 1/ 127، ونوادر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم: 1/ 201، وشعب الإيمان: 7/ 123، رقم: 9713، والإحياء: 4/ 60.

(2) مسند أحمد: 30/ 219، رقم: 18287، الإحياء: 4/ 66.

(3) الإحياء: 4/ 66.

الشَّرَهُ. فَأَكْثَرُ أَخْلَاقِ الْإِيمَانِ دَاخِلٌ فِي الصَّبْرِ، وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا سُئِلَ عَنِ الْإِيمَانِ: «هُوَ الصَّبْرُ»[1].

وَذَلِكَ لِأَنَّهُ أَكْثَرُ أَعْمَالِهِ وَأَعَزُّهَا، وَقَدْ جَمَعَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الْأَقْسَامَ وَسَمَّاهَا صَبْرًا فَقَالَ: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ﴾ أَي: الْمُصِيبَةِ ﴿وَالضَّرَاءِ﴾ أي: الْفَقْرِ ﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾؛ أي: الْمُحَارَبَةِ، ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[2].

(1) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا: 31، رقم: 61. ومسند ابن أبي يعلى: 3/ 380، رقم: 1854. والإحياء: 4/ 67.

(2) سورة البقرة الآية: 177.

الْمَطْلَبُ الثَّانِي: فِي أَقْسَامِ الصَّبْرِ بِحَسَبِ الْقُوَّةِ وَالضُّعْفِ[1]

وَهِيَ ثَلَاثَةٌ:

أَحَدُهَا: أَنْ يَقْهَرَ دَاعِيَ الْهَوَى، فَلَا يَبْقَى لَهُ قُوَّةُ الْمُنَازَعَةِ، وَأَصْحَابُ هَذَا هُمُ الصِّدِّيقُونَ الْمُقَرَّبُونَ.

وَثَانِيهَا: أَنْ يَغْلِبَ دَاعِي الْهَوَى، وَتَسْقُطَ بِالْكُلِّيَّةِ مُنَازَعَةُ بَاعِثِ الدِّينِ، فَيُسَلِّمَ نَفْسَهُ إِلى جُنْدِ الشَّيْطَانِ، وَهَؤُلاءِ هُمُ الْغَافِلُونَ، وَهُمُ الَّذِينَ غَلَبَتْ عَلَيْهِمْ شِقْوَتُهُمْ، وَاسْتَرَقَّتْهُمْ شَهَوَاتُهُمْ. وَهَذِهِ الْحَالَةُ عَلَامَتُهَا الْيَأْسُ وَالْقُنُوطُ، وَالْغُرُورُ بِالْأَمَانِيِّ، وَهُوَ غَايَةُ الْحُمْقِ.

وَثَالِثُهَا: أَنْ يَكُونَ الْحَرْبُ سِجَالًا بَيْنَ الْجُنْدَيْنِ، فَتَارَةً لَهُ الْيَدُ عَلَيْهَا، وَتَارَةً لَهَا عَلَيْهِ، وَهَذَا مِنَ الْمُجَاهِدِينَ لَا مِنَ الْفَائِزِينَ، وَهُمُ الَّذِينَ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا.

وَأَقْسَامُهُ بِاعْتِبَارِ عَدَدِ مَا يُصْبَرُ عَنْهُ ثَلَاثَةٌ أَيْضًا؛ لِأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يَغْلِبَ جَمِيعَ الشَّهَوَاتِ، أَوْ بَعْضَهَا دُونَ بَعْضٍ، أَوْ لَا يَغْلِبَ شَيْئًا مِنْهَا، وَهَذَا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ.

وَأَقْسَامُهُ بِاعْتِبَارِ الْيُسْرِ وَالْعُسْرِ: إِلَى مَا يَشُقُّ على النَّفْسِ، وَلَا يُمْكِنُ الدَّوامُ عَلَيْهِ إِلَّا بِجُهْدٍ جَهِيدٍ، وَتَعَبٍ شَدِيدٍ، وَيُسَمَّى تَصَبُّرًا، وَإِلَى خِلَافِ مَا ذُكِرَ وَيُسَمَّى صَبْرًا.

---

(1) هذا المطلب سقط من الأزهرية.

قال بَعْضُ الْعَارِفِينَ: أَهْلُ الصَّبْرِ عَلَى ثَلَاثِ مَقَامَاتٍ؛ أَوَّلُهَا: تَرْكُ الشَّكْوَى، وَهَذِهِ دَرَجَةُ التَّائِبِينَ، وَالثَّانِيَةُ: الرِّضَا بِالْمَقْدُورِ، وَهَذِهِ دَرَجَةُ الزَّاهِدِينَ، وَالثَّالِثَةُ: الْمَحَبَّةُ لِمَا يَصْنَعُ بِهِ مَوْلَاهُ، وَهَذِهِ دَرَجَةُ الصِّدِّيقِينَ.

وَأَيْضًا الصَّبْرُ إِمَّا فَرْضٌ؛ كَالصَّبْرِ عَنِ الْمُحَرَّمِ، وَنَفْلٌ؛ كَالصَّبْرِ عَنِ الْمَكَارِهِ، وَمَكْرُوهٌ؛ وَهُوَ الصَّبْرُ عَلَى أَذًى يَنَالُهُ بِجِهَةٍ مَكْرُوهَةٍ فِي الشَّرْعِ، وَمُحَرَّمٌ؛ كَالصَّبْرِ عَلَى الْأَذَى الْمَحْظُورِ[1].

(1) الإحياء: 4/ 67- 69.

الْمَطْلَبُ الثَّالِثُ: فِي أَنَّ الْعَبْدَ لَا يَسْتَغْنِي عَنِ الصَّبْرِ فِي كُلِّ حَالٍ

وَذَلِكَ لِأَنَّ الصَّبْرَ إِمَّا عَلَى مَا يُوَافِقُ الْهَوَى، وَهُوَ الصِّحَّةُ وَالْمَالُ وَالْجَاهُ، وَاتِّسَاعُ الْأَسْبَابِ، وَكَثْرَةُ الْأَتْبَاعِ وَالْأَنْصَارِ، وَمَا أَحْوَجَ الْعَبْدَ إِلَى الصَّبْرِ عَلَى هَذِهِ الْأُمُورِ، إِذْ لَوْ أَرْسَلَ نَفْسَهُ إِلَى الْمَلَاذِّ الْمُبَاحَةِ أَخْرَجَهُ ذَلِكَ إِلَى الْبَطَرِ وَالطُّغْيَانِ؛ وَأَمَّا عَلَى مَا لَا يُوَافِقُ الْهَوَى وَالطَّبْعَ، وَذَلِكَ إِمَّا مُخْتَارٌ لِلْعَبْدِ كَالْمَعَاصِي وَالطَّاعَاتِ، أَوْ لَيْسَ مُخْتَارًا لَهُ كَالْمَصَائِبِ وَالنَّوَائِبِ؛ أَوْ لَا يَكُونُ أَوَّلُهُ مُخْتَارًا، وَلَكِنْ يَقْدِرُ عَلَى إِزَالَتِهِ كَالتَّشَفِّي بِالِانْتِقَامِ.

وَالضَّرْبُ الْأَوَّلُ: إِنْ كانَ طَاعَةً يَحْتَاجُ الْعَبْدُ إِلَى الصَّبْرِ عَلَيْهَا؛ لِأَنَّ النَّفْسَ تَنْفِرُ عن الْعُبُودِيَّةِ، وَتَشْتَهِي الرُّبُوبِيَّةَ، حتَّى قيلَ: مَا مِنْ نَفْسٍ إِلَّا وَهِيَ مُضْمِرَةٌ مَا أَظْهَرَهُ فِرْعَوْنُ، إِلَّا أَنَّهُ لا يَجِدُ مَجَالًا وَقَبُولًا.

ثُمَّ الصَّبْرُ على الطَّاعَةِ، إِمَّا قَبْلَهَا، وَذَلِكَ فِي تَصْحِيحِ النِّيَّةِ وَتَحْصِيلِ الْإِخْلَاصِ، وَذَلِكَ مِنْ أَشَدِّ الصَّبْرِ؛ وَإِمَّا حَالَةُ الْعَمَلِ؛ فَيُلَازِمُ الصَّبْرَ عَنْ دَوَاعِي الْفُتُورِ، وَعَنْ كَوْنِهَا لِغَيْرِ اللهِ؛ وَإِمَّا بَعْدَ الْفَرَاغِ عَنِ الْعَمَلِ؛ بِأَنْ يَصْبِرَ عَنْ إِفْشَائِهِ وَالْعُجْبِ.

ثُمَّ الطَّاعَاتُ إِمَّا فَرْضٌ، أَوْ نَفْلٌ، وَيَحْتَاجُ إِلَى الصَّبْرِ عَلَيْهِمَا[1].

وَالضَّرْبُ الثَّانِي: الْمَعَاصِي، وَمَا أَحْوَجَ الْعَبْدَ إلى الصَّبْرِ عَنْهَا، سِيَّمَا الَّتِي صَارَتْ مَأْلُوفَةً بِالْعَادَةِ.

---

(1) الإحياء: 4/ 69 ـ 70.

وَالضَّرْبُ الثَّالِثُ: مَا لا يَكُونُ هُجُومُهُ بِاخْتِيَارِهِ، وَلَكِنْ لَهُ اخْتِيَارُ دَفْعِهِ؛ كَمَا لَوْ أُوذِيَ فَصَبَرَ عَلَيْهِ، وَهَذَا الصَّبْرُ يَكُونُ وَاجِبًا تَارَةً وَفَضِيلَةً أُخْرَى.

وَالضَّرْبُ الرَّابِعُ: مَا لَا يَدْخُلُ تَحْتَ الِاخْتِيَارِ أَوَّلُهُ وَآخِرُهُ؛ مِثْلَ مَوْتِ الْأَعِزَّةِ، وَهَلَاكِ الْأَمْوَالِ، وَزَوَالِ الصِّحَّةِ بِالْمَرَضِ وَالْعَمَى؛ فَالصَّبْرُ على هذه الْأُمُورِ مِنْ أَعْلَى الْمَقَامَاتِ. إِلَّا أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى الْمَصَائِبِ بِتَرْكِ الْجَزَعِ، وَشَقِّ الْجُيُوبِ، وَضَرْبِ الْخُدُودِ، وَإِظْهَارِ الْكَآبَةِ، وَالْمُبَالَغَةِ فِي الشَّكْوَى؛ وَهَذِهِ دَاخِلَةٌ تَحْتَ اخْتِيَارِهِ. وَلَا يُخْرِجُهُ عَنْ حَدِّ الصَّابِرِينَ تَوَجُّعُ الْقَلْبِ، وَفَيَضَانُ الْعَيْنِ بِالدَّمْعِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مُقْتَضَى الْبَشَرِيَّةِ. فَظَهَرَ مِمَّا ذُكِرَ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَخْلُو عَنِ الصَّبْرِ فِي حَالٍ مِنْ أَحْوَالِهِ[1].

(1) الإحياء: 4/ 71ـ72.

الْمَطْلَبُ الرَّابِعُ: فِي مُعَالِجَاتٍ مُؤَدِّيَةٍ إِلَى الصَّبْرِ[1]

وَلْنُورِدْ مِثَالَيْنِ، ثُمَّ قِسْ بَوَاقِيَهَا عَلَيْهَا؛ مَثَلًا بَاعِثُ الْجِمَاعِ يُعَالَجُ بِأُمُورٍ ثَلَاثَةٍ:

ـ **أَحَدُهَا**: قَطْعُ مَادَّتِهَا، كَالْأَغْذِيَةِ الْمُهَيِّجَةِ لِشَهْوَةِ الْوِقَاعِ فَيَتْرُكُهَا سِيَّمَا اللَّحْمُ.

ـ **وَثَانِيهَا**: قَطْعُ أَسْبَابِهِ الْمُهَيِّجَةِ لَهُ فِي الْحَالِ، كَالنَّظَرِ إِلَى الصُّوَرِ الْمُشْتَهَاةِ، وَالْفِرَارُ مِنْهَا بِالْكُلِّيَّةِ.

ـ **وَثَالِثُهَا**: تَسْلِيَةُ النَّفْسِ بِالْمُبَاحِ الَّذِي تَشْتَهِيهِ، كَالنِّكَاحِ، وَمِلْكِ الْيَمِينِ.

وَأَيْضًا مِنْ أَشَدِّ أَنْوَاعِ الشَّهَوَاتِ حَدِيثُ النَّفْسِ، وَوَسْوَاسُ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّمَا يَشْتَدُّ ذَلِكَ عَلَى مَنْ تَفَرَّغَ لِقَطْعِهِ، وَلَا عِلَاجَ لَهُ الْبَتَّةَ إِلَّا قَطْعُ الْعَلَائِقِ كُلِّهَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، بِالِاعْتِزَالِ إِلَى زَاوِيَةٍ بَعْدَ إِحْرَازِ قَدْرٍ يَسِيرٍ مِنَ الْقُوتِ، وَبَعْدَ الْقَنَاعَةِ بِهِ، ثُمَّ لا يُمْكِنُ لَهُ ذَلِكَ إِلَّا بِأَنْ يَجْعَلَ هُمُومَهُ هَمًّا وَاحِدًا وَهُوَ اللهُ.

وَمَعَ ذَلِكَ إِذَا غَلَبَ عَلَى الْقَلْبِ، لَا يَكْفِي مَا ذُكِرَ مَا لَمْ يُحَصِّلْ مَلَكَةَ الْفِكْرِ، وَالسِّرَّ الْبَاطِنِ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَعَجَائِبِ صُنْعِ اللهِ، وَسَائِرِ أَبْوَابِ مَعْرِفَةِ اللهِ. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ سِرٌّ فِي الْبَاطِنِ فَلَا يُنْجِيهِ إِلَّا الْأَوْرَادُ الْمُتَوَاصِلَةُ الْمُتَرَتِّبَةُ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ مِنَ الْقِرَاءَةِ، وَالْأَذْكَارُ وَالصَّلَوَاتُ. وَيَحْتَاجُ معَ ذلكَ إلى تَكْلِيفِ الْقَلْبِ الْحُضُورَ، وَإِذَا انْتَظَمَ كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَسْلَمْ لَهُ مِنَ الْأَوْقَاتِ إِلَّا بَعْضُهَا[2].

---

(1) هذا المطلب سقط من الأزهرية.

(2) الإحياء: 4/ 75 ـ 77.

الْمَطْلَبُ الْخَامِسُ: فِي الشُّكْرِ

وَفَضِيلَتُهُ فِي الْآيَاتِ وَالْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ لَا تَخْفَى عَلَى أُولِي الْأَبْصَارِ.

وَأَمَّا حَقِيقَتُهُ، فَتُعْلَمُ مِنْ عِلْمٍ يُورِثُ حَالًا، وَحَالٍ يُورِثُ عَمَلًا.

أَمَّا الْعِلْمُ، فَبِمَعْرِفَةِ النِّعْمَةِ وَالْمُنْعِمِ وَالْمُنْعَمِ عَلَيْهِ، هَذَا فِي حَقِّ غَيْرِ اللهِ تَعَالَى؛ وَأَمَّا فِي حَقِّهِ تَعَالَى فَلَا يَتِمُّ إِلَّا بِأَنْ يَعْرِفَ أَنَّ النِّعَمَ كُلَّهَا مِنَ اللهِ، وَالْوَسَائِطَ مُسَخَّرُونَ مِنْ جِهَتِهِ، وَهَذِهِ الْمَعْرِفَةُ تَتْبَعُ التَّوْحِيدَ، إِذْ لَا مَوْجُودَ إِلَّا مِنْهُ تَعَالَى، فَتَنْحَصِرُ النِّعْمَةُ فِيهِ أَيْضًا، كَمَا أَنَّ التَّوْحِيدَ يَتْبَعُ التَّقْدِيسَ؛ إِذْ لَا مُقَدَّسَ إِلَّا وَاحِدٌ، وَلَا مُقَدَّسَ غَيْرُهُ. وَعَنْ هَذِهِ الْأُمُورِ عَبَّرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ قَالَ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ فَلَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَلَهُ عِشْرُونَ حَسَنَةً، وَمَنْ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ فَلَهُ ثَلَاثُونَ حَسَنَةً»[1]، إِلَّا أَنَّ الْمُرَادَ تَأْثِيرُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ بِالْقَلْبِ، لَا مُجَرَّدُ تَحْرِيكِ اللِّسَانِ بِهَا.

ثُمَّ إِنَّ الْمَعْرِفَةَ الْمَذْكُورَةَ تُسْتَثْمَرُ حَالًا، وَهُوَ الْفَرَحُ بِالْمُنْعِمِ، مَعَ هَيْئَةِ الْخُضُوعِ وَالتَّوَاضُعِ، وَهُوَ شُكْرٌ. كَمَا أَنَّ الْمَعْرِفَةَ شُكْرٌ، لَكِنْ كَوْنُهُ شُكْرًا مَشْرُوطٌ بِأَنْ يَكُونَ الْفَرَحُ بِالْمُنْعِمِ لا بِالنِّعْمَةِ وَالْإِحْسَانِ وَالْإِنْعَامِ.

وَبِالْجُمْلَةِ، الْفَرَحُ بِالنِّعْمَةِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا مَالٌ لَيْسَ مِنَ الشُّكْرِ أَصْلًا، وَالْفَرَحُ بِهَا مِنْ حَيْثُ يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى عِنَايَةِ الْمُنْعِمِ، وَنَيْلِ الْمَحَلِّ وَالْقَبُولِ

---

(1) قوت القلوب في معاملة المحبوب: 1/ 343. والإحياء: 4/ 82.

عِنْدَهُ، وَهَذَا شُكْرُ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ اللهَ تَعَالَى، وَيَشْكُرُونَهُ خَوْفًا مِنْ عِقَابِهِ، وَرَجَاءً لِثَوَابِهِ.

وَأَمَّا الْفَرَحُ بِالنِّعْمَةِ مِنْ حَيْثُ إِنَّ لَهُ مَحَلًّا عِنْدَ الْمَلِكِ، لَكِنْ لَا يَقْنَعُ بِهَذَا الْقَدْرِ؛ بَلْ يَفْرَحُ مِنْ حَيْثُ يَتَدَرَّجُ بِهِ إِلَى الْقُرْبِ مِنْهُ، وَيَكُونُ مَحَلَّ نَظَرِ الْمُنْعِمِ، وَيَتَوَسَّلُ بِذَلِكَ إِلَى النَّظَرِ إِلَى وَجْهِ الْمُنْعِمِ، وَالنُّزُولِ فِي جِوَارِهِ، فَهِيَ الرُّتْبَةُ الْعُلْيَا لِلشُّكْرِ. وَأَمَارَتُهُ أَنْ يَفْرَحَ مِنَ الدُّنْيَا لِكَوْنِهَا مَزْرَعَةً لِلْآخِرَةِ، وَيَحْزَنَ بِكُلِّ نِعْمَةٍ تُلْهِيهِ عَنْ ذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَصُدُّهُ عَنْ سَبِيلِهِ(1).

ثُمَّ الْفَرَحُ الْمَذْكُورُ؛ لَهُ عَمَلٌ بِمُوجِبِهِ، وَذَلِكَ الْعَمَلُ إِمَّا بِالْقَلْبِ، وَهُوَ قَصْدُ الْخَيْرِ، وَإِضْمَارُهُ لِكَافَّةِ الْخَلْقِ؛ وَإِمَّا بِاللِّسَانِ، فَإِظْهَارُ الشُّكْرِ لِلَّهِ بِالتَّحْمِيدَاتِ الدَّالَّةِ عَلَيْهِ؛ وَإِمَّا بِالْجَوَارِحِ، فَاسْتِعْمَالُ نِعَمِ اللهِ فِي طَاعَتِهِ، وَالتَّوَقِّي مِنَ الِاسْتِعَانَةِ بِهَا عَلَى مَعْصِيَتِهِ، حَتَّى إِنَّ شُكْرَ الْعَيْنَيْنِ أَنْ يَسْتُرَ كُلَّ عَيْبٍ يَرَاهُ لِمُسْلِمٍ، وَشُكْرَ الْأُذُنَيْنِ أَنْ يَسْتُرَ كُلَّ عَيْبٍ يَسْمَعُهُ. وَالشُّكْرُ بِاللِّسَانِ إِظْهَارُ الرِّضَا عَنِ اللهِ، وَهُوَ مَأْمُورٌ بِهِ، وَهَكَذَا فِي كُلِّ عُضْوٍ. فَهَذِهِ هِيَ حَقِيقَةُ الشُّكْرِ(2).

وَأَمَّا الْحُدُودُ الْوَاقِعَةُ فِيهِ، فَأَكْثَرُهَا قَاصِرٌ عَنْ أَدَاءِ مَجْمُوعِهِ؛ مَثَلًا قَوْلُ مَنْ قَالَ: الشُّكْرُ هُوَ الثَّنَاءُ عَلَى الْمُحْسِنِ بِذِكْرِ إِحْسَانِهِ نَظَرٌ إِلَى مُجَرَّدِ عَمَلِ

---

(1) الإحياء: 4/ 80 - 83.

(2) المصدر نفسه: 4/ 84.

اللِّسَانِ. وَقَوْلُ بَعْضِهِمْ: الِاعْتِرَافُ بِنِعْمَةِ الْمُنْعِمِ عَلَى وَجْهِ الْخُضُوعِ، نظرٌ إِلى فِعْلِ اللِّسَانِ وَبَعْضِ أَحْوَالِ الْقَلْبِ.

وَقَوْلُ حَمْدُونَ الْقَصَّارِ[1]: «شُكْرُ النِّعْمَةِ أَنْ تَرَى نَفْسَكَ فِيهَا طُفَيْلِيًّا»[2] إِشَارَةٌ إلى أَنَّ الْمَعْرِفَةَ مَعْنًى مِنْ مَعَانِي الشُّكْرِ فَقَطْ.

وَقَوْلُ الْجُنَيْدِ: «أَنْ لَا تَرَى نَفْسَكَ أَهْلًا لِلنِّعْمَةِ»، إِشَارَةٌ إِلَى حَالٍ مِنْ أَحْوَالِ الْقَلْبِ عَلَى الْخُصُوصِ.

وَالْحَدُّ الْأَقْرَبُ إِلَى جَمْعِ أَكْثَرِ الْمَعَانِي قَوْلُ الْقَائِلِ: الشُّكْرُ؛ الِاعْتِكَافُ عَلَى بِسَاطِ الشُّهُودِ بِإِدَامَةِ حِفْظِ الْحُرْمَةِ، وَإِنَّمَا يَشُذُّ مِنْ ذَلِكَ عَمَلُ اللِّسَانِ فَقَطْ[3].

---

(1) حمدون القصار بن أحمد بن عمارة النيسابوري، أبو صالح، شيخ الصوفية (ت. 271هـ). المنتظم: 5/ 82، وسير أعلام النبلاء: 13/ 51، والوافي بالوفيات: 13/ 101.

(2) الرسالة القشيرية: 1/ 312.

(3) الإحياء: 4/ 85.

الْمَطْلَبُ السَّادِسُ: فِي الشُّكْرِ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَى[1]

قَالَ بَعْضُهُمْ: الشُّكْرُ مُحَالٌ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَى لِوَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الْحُظُوظِ وَالْأَغْرَاضِ، مُقَدَّسٌ عَنِ الْحَاجَةِ إِلَى الْخِدْمَةِ وَالثَّنَاءِ، وَتَكْثِيرِ سَوَادِ الْخَدَمِ مِنَ الرَّاكِعِينَ وَالسَّاجِدِينَ.

وَثَانِيهِمَا: أَنَّ جَمِيعَ مَا نَتَعَاطَاهُ بِاخْتِيَارِنَا، مِنْ جَوَارِحِنَا وَقُدْرَتِنَا وَإِرَادَتِنَا وَدَاعِيَتِنَا، وَسَائِرِ أَسْبَابِ حَرَكَاتِنَا، مِنْ خَلْقِ اللهِ وَنِعْمَتِهِ، فَكَيْفَ نَشْكُرُ نِعْمَةً بِنِعْمَةٍ. وَإِذَا كَانَ طَرِيقُ الشُّكْرِ نِعْمَةً أُخْرَى تَحْتَاجُ إِلَى شُكْرٍ آخَرَ، وَإِذَا احْتَاجَ الشُّكْرُ إِلَى شُكْرٍ آخَرَ فِي كُلِّ مَرْتَبَةٍ يُؤَدِّي إِلَى أَنْ يَكُونَ الشُّكْرُ مُحَالًا فِي حَقِّ اللهِ مِنْ هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ.

وَقَدْ خَطَرَ هَذَا الْخَاطِرُ لِدَاوُدَ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَقَالَ كُلٌّ مِنْهُمَا: يَا رَبِّ كَيْفَ أَشْكُرُكَ وَأَنَا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَشْكُرَكَ إِلَّا بِنِعْمَةٍ ثَانِيَةٍ مِنْ نِعَمِكَ؟ وَفِي لَفْظٍ آخَرَ: وَشُكْرِي لَكَ نِعْمَةٌ أُخْرَى مِنْكَ تُوجِبُ عَلَيَّ الشُّكْرَ لَكَ. فَأَوْحَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ: «إِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَقَدْ شَكَرْتَنِي»[2].

وَفِي خَبَرٍ آخَرَ: «إِذَا عَرَفْتَ أَنَّ النِّعَمَ مِنِّي رَضِيتُ مِنْكَ بِذَلِكَ شُكْرًا»[3].

---

(1) هذا المطلب سقط من الأزهرية.

(2) قوت القلوب في معاملة المحبوب: 1/ 342، والإحياء: 4/ 85، ومعيد النعم ومبيد النقم: 15.

(3) المصادر نفسها.

إِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ، لَعَلَّكَ تَفْهَمُ اسْتِحَالَةَ الشُّكْرِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَعْجِزُ عَنْ دَرْكِ كَوْنِ الْعِلْمِ بِاسْتِحَالَةِ الشُّكْرِ شُكْرًا، فَتَقُول: إِنَّ مَنْ نَظَرَ بِعَيْنِ التَّوْحِيدِ الْمَحْضِ يَعْرِفُ أَنَّهُ الشَّاكِرُ وَالْمَشْكُورُ وَالْمُحِبُّ وَالْمَحْبُوبُ.

وَنَظَرُ مَنْ لَمْ يَبْلُغْ هَذِهِ الرُّتْبَةَ؛ وَهَؤُلَاءِ قِسْمَانِ:

قِسْمٌ لَمْ يُثْبِتُوا إِلَّا وُجُودَ أَنْفُسِهِمْ، فَأَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ رَبٌّ يُعْبَدُ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْعُمْيَانُ الْمَنْكُوسُونَ، وَهَؤُلَاءِ جَاحِدُونَ.

وَقِسْمٌ لَيْسَ بِهِمْ عَمًى، وَلَكِنْ بِهِمْ عَوَرٌ، يُبْصِرُونَ بِإِحْدَى الْعَيْنَيْنِ وُجُودَ الْمَوْجُودِ الْحَقِّ، وَلَا يَرَى بِأُخْرَاهَا فَنَاءَ مَا سِوَاهُ[1].

وَبِالْحَقِيقَةِ، هَذَا مُشْرِكٌ؛ إِذْ أَثْبَتَ مَوْجُودًا يُمَاثِلُ وُجُودَ الْحَقِّ. لَكِنْ لَمَّا أَثْبَتَ التَّفَاوُتَ بَيْنَ الْأَوَّلِ بِأَنَّهُ رَبٌّ، وَالْآخَرِ بِأَنَّهُ عَبْدٌ، دَخَلَ بِهَذَا التَّفَاوُتِ فِي حَدِّ التَّوْحِيدِ، لَكِنْ لَا تَخْلُو عَيْنُهُ عَنْ عَمَشٍ؛ لَكِنْ إِنْ كَحَّلَ بَصَرَهُ بِأَنْوَارِ الْحَقِّ، يَظْهَرُ لَهُ نُقْصَانُ مَا عَدَاهُ، وَهَكَذَا تَتَفَاوَتُ الدَّرَجَاتُ إِلَى أَنْ يَرَى مَا سِوَاهُ فَانِيًا، وَلَا يَرَى فِي الْوُجُودِ إِلَّا اللهَ تَعَالَى.

ثُمَّ هذَا قَدْ يَلُوحُ لِبَعْضِهِمْ كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَثْبُتُ لَهُ ذَلِكَ، وَلَكِنْ لَا يَدُومُ، وَالدَّوَامُ فِيهِ عَزِيزٌ. [الطويل]

وَكُلٌّ إِلَى شَــأْوِ الْعُلَى حَرَكَاتُهُ وَلَكِنْ عَزِيزٌ فِي الرِّجَالِ ثَبَاتُهُ[2]

---

(1) إحياء علوم الدين: 4/ 85-86.

(2) ورد البيت بدون نسبة في يتيمة الدهر: 5/ 136، وفي الإحياء: 4/ 87 برواية:

(لكل إلى شَأْوِ العُلا حركات *** ولكن عزيز في الرجال ثبات).

ولَمَّا أُمِرَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِطَلَبِ الْقُرْبِ، فَقِيلَ لَهُ: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾[1] قالَ فِي سُجُودِهِ: «أَعُوذُ بِعَفْوِكَ مِنْ عِقَابِكَ»[2]. حَيْثُ لَمْ يَرَ إِلَّا اللهَ وَأَفْعَالَهُ، وَاسْتَعَاذَ بِفِعْلِهِ مِنْ فِعْلِهِ، ثُمَّ اقْتَرَبَ، وَقَالَ: «وَأَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ»؛ حَيْثُ تَرَقَّى مِنْ مُشَاهَدَةِ الْأَفْعَالِ إِلَى مُشَاهَدَةِ الصِّفَاتِ، ثُمَّ اقْتَرَبَ، وَقَالَ: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ»، حَيْثُ تَرَقَّى مِنْ مُشَاهَدَةِ الصِّفَاتِ إِلَى الْفِرَارِ مِنْهُ إِلَيْهِ، مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةِ فِعْلٍ وَصِفَةٍ، لَكِنَّهُ رَأَى نَفْسَهُ، ثُمَّ اقْتَرَبَ حَتَّى فَنِيَ عَنْ مُشَاهَدَةِ نَفْسِهِ، إِذْ رَأَى ذَلِكَ نُقْصَانًا، وَاقْتَرَبَ، فَقَالَ: «لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ».

فَقَوْلُهُ: «لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ»، تَعْبِيرٌ عَنْ فَنَاءِ نَفْسِهِ؛ وَقَوْلُهُ: «أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»، بَيَانُ أَنَّهُ الْمُثْنِي وَالْمُثْنَى عَلَيْهِ، وَأَنَّ الْكُلَّ مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ، فكانَ أَوَّلُ مَقَامِهِ نِهَايَةَ مَقَامَاتِ الْمُوَحِّدِينَ، وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ يَرَى كُلَّ مَرْتَبَةٍ بُعْدًا بِالْقِيَاسِ إِلَى مَا بَعْدَهُ، وَلِذَلِكَ قَالَ: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي»[3]. وَكَانَ أَوَّلُ مَرَاتِبِهِ آخِرَ مَقَامَاتِ الْمُوَحِّدِينَ. هَذَا نَظَرُ التَّوْحِيدِ، وَأَمَّا نَظَرُ غَيْرِهِ فَفِيهِ الشَّاكِرُ وَالْمَشْكُورُ وَالشُّكْرُ[4].

ثُمَّ إِنَّ نِعَمَ اللهِ تَعَالَى آلَاتٌ، إِنِ اسْتَعْمَلَهَا فِي الطَّاعَةِ شَكَرَ؛ لِمُوَافَقَتِهِ مَحَبَّةَ

---

(1) سورة العلق الآية: 19.

(2) السنن الكبرى: 7/ 240، رقم: 7920، وسنن الدارقطني: 1/ 261، رقم: 515، والإحياء: 4/ 87.

(3) صحيح مسلم: 4/ 2075، رقم: 2702.

(4) الإحياء: 4/ 87.

مَوْلَاهُ، وَإِنْ لَمْ يَسْتَعْمِلْهَا فِي الطَّاعَةِ، أَوِ اسْتَعْمَلَهَا فِي الْمَعْصِيَةِ كَفَرَ بِالنِّعْمَةِ؛ لِلتَّضْيِيعِ. وَكُلُّ مَا فِي الدُّنْيَا خُلِقَ آلَةً لِلْعَبْدِ يَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى سَعَادَةِ الْآخِرَةِ، وَنَيْلِ الْقُرْبِ مِنَ اللهِ؛ فَالْمَعْصِيَةُ وَالطَّاعَةُ تَشْمَلُهُمَا الْمَشِيئَةُ، وَلَكِنْ لَا تَشْمَلُهُمَا الْمَحَبَّةُ وَالْكَرَاهَةُ، بَلْ رُبَّ مُرَادٍ مَحْبُوبٍ، وَرُبَّ مُرَادٍ مَكْرُوهٍ.

وَإِذَا عَرَفْتَ هَذِهِ الْمُقَدِّمَاتِ، فَقَدْ ظَهَرَ لَكَ تَوْجِيهُ الْإِشْكَالَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالشُّكْرِ لَيْسَ إِلَّا انْصِرَافَ نِعْمَةِ اللهِ فِي جِهَةِ مَحَبَّةِ اللهِ، فَإِذَا انْصَرَفَتِ النِّعْمَةُ فِي جِهَةِ الْمَحَبَّةِ بِفِعْلِ الْعَبْدِ لِفِعْلِ اللهِ فَقَدْ حَصَلَ الْمُرَادُ، وَفِعْلُكَ عَطَاءٌ مِنَ اللهِ.

وَمِنْ حَيْثُ إِنَّهُ فِعْلُهُ فَقَدْ أَثْنَى عَلَيْكَ، وَثَنَاؤُهُ نِعْمَةٌ أُخْرَى مِنْهُ إِلَيْكَ، فَهُوَ الَّذِي أَعْطَى، وَهُوَ الَّذِي أَثْنَى، وَصَارَ أَحَدُ فِعْلَيْهِ سَبَبًا لِانْصِرَافِ فِعْلِهِ الثَّانِي إِلَى جِهَةِ مَحَبَّةِ اللهِ، فَلَهُ الشُّكْرُ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

وَأَنْتَ مَوْصُوفٌ بِأَنَّكَ شَاكِرٌ بِمَعْنَى عَالِمٍ وَعَارِفٍ، وَلَا بِمَعْنَى أَنَّكَ خَالِقُ الْعِلْمِ وَمُوجِدُهُ، بَلْ بِمَعْنَى أَنَّكَ مَحَلٌّ لَهُ، وَقَدْ وُجِدَ بِالْقُدْرَةِ الْأَزَلِيَّةِ فِيكَ، فَوَصْفُكَ بِأَنَّكَ شَاكِرٌ إِثْبَاتُ مَشِيئَةٍ لَكَ. فَقَوْلُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اعْمَلُوا، وَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»(1)، يُرِيدُ بِهِ أَنَّ الْخَلْقَ مَجَارِي قَدَرِ اللهِ، ومَحَلُّ أَفْعَالِهِ، وَإِنْ كَانُوا هُمْ أَيْضًا مِنْ أَفْعَالِهِ، وَلَكِنْ بَعْضُ أَفْعَالِهِ مَحَلٌّ لِلْبَعْضِ؛ وَقَوْلُهُ: اعْمَلُوا، وَإِنْ كانَ جَارِيًا على لِسَانِ رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ

(1) صحيح مسلم: 4/ 2041، رقم: 2649.

وَسَلَّمَ، فَهُوَ فِعْلٌ مِنْ أَفْعَالِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ سَبَبٌ لِعِلْمِ الْخَلْقِ بِأَنَّ الْعَمَلَ نَافِعٌ، وَأَنَّ عِلْمَهُمْ فِعْلٌ مِنْ أَفْعَالِ اللهِ.

وَالْعِلْمُ سَبَبٌ لِانْبِعَاثِ دَاعِيَةٍ جَازِمَةٍ إِلَى الْحَرَكَةِ بِالطَّاعَةِ، وَانْبِعَاثُ الدَّاعِيَةِ أَيْضًا مِنْ فِعْلِ اللهِ، وَهُوَ سَبَبٌ لِحَرَكَةِ الْأَعْضَاءِ، وَهِيَ أَيْضًا مِنْ أَفْعَالِ اللهِ، وَلَكِنْ بَعْضُ أَفْعَالِهِ كَانَ سَبَبًا لِبَعْضِ أَفْعَالِهِ؛ أَيِ الْأَوَّلُ شَرْطٌ لِلثَّانِي؛ أَيْ أَنَّهُ لَا يَسْتَعِدُّ لِقَبُولِ الْعِلْمِ إِلَّا ذُو حَيَاةٍ، وَلَا لِقَبُولِ الْإِرَادَةِ إِلَّا ذُو عِلْمٍ. فَيَكُونُ بَعْضُ أَفْعَالِهِ سَبَبًا لِلْبَعْضِ بِهَذَا الْمَعْنَى، لَا بِمَعْنَى أَنَّ بَعْضَ أَفْعَالِهِ مُوجِدٌ لِغَيْرِهِ، بَلْ مُمَهِّدٌ شَرْطَ الْحُصُولِ لِغَيْرِهِ. وَهَذَا إِذَا حُقِّقَ يَرْتَقِي إِلَى دَرَجَةِ التَّوْحِيدِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ.

وَاعْلَمْ أَنَّ هذا التَّمْهِيدَ مِمَّا لَا تَجِدُهُ فِي كُتُبِ أَحَدٍ، فَلَا تَغْفُلْ عَنْ تَحْصِيلِهِ وَإِذْعَانِهِ.

ثُمَّ إِنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ، لَعَلَّكَ تَتَّبِعُ شَيْطَانَ الْوَهْمِ، وَتَقُولُ: وَإِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَيْنَا شَيْءٌ، بَلْ رَجَعَ الْكُلُّ إِلَى اللهِ، فَلَا نُذَمُّ أَصْلًا، فَلَا حَاجَةَ إِلَى الطَّاعَةِ.

فَنَقُولُ: اعْلَمْ أَنَّ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: (اعْمَلُوا) سَبَبٌ لِحُصُولِ اعْتِقَادٍ فِينَا بِوُجُوبِ الْعَمَلِ، وَذَلِكَ سَبَبٌ لِهَيَجَانِ الْخَوْفِ، وَهُوَ سَبَبٌ لِتَرْكِ الشَّهَوَاتِ، وَالتَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ، وَذَلِكَ سَبَبٌ لِلْوُصُولِ إِلَى جِوَارِ اللهِ، [وَاللهُ][1]

(1) سقط من أنطاليا.

مُسَبِّبُ الْأَسْبَابِ وَمُرَتِّبُهَا. فَمَنْ سَبَقَ لَهُ فِي الْأَزَلِ السَّعَادَةُ يُسِّرَتْ لَهُ هَذِهِ الْأَسْبَابُ حَتَّى تَقُودَهُ بِسِلْسِلَتِهَا إِلى الْجَنَّةِ.

وَيُعَبَّرُ عَنْ مِثْلِهِ بِأَنَّ كُلًّا مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، وَمَنْ لَمْ يَسْبِقْ مِنَ اللهِ لَهُ الْحُسْنَى بَعُدَ عَنْ سَمَاعِ كَلَامِ اللهِ، وَكَلَامِ رَسُولِهِ، وَكَلَامِ الْعُلَمَاءِ؛ فَإِذَا لَمْ يَسْمَعْ لَمْ يَعْلَمْ، وَإِذَا لَمْ يَعْلَمْ، لَمْ يَخَفْ، وَإِذَا لَمْ يَخَفْ، لَمْ يَتْرُكِ الرُّكُونَ إِلَى الدُّنْيَا، وَإِذَا لَمْ يَتْرُكِ الرُّكُونَ إِلَى الدُّنْيَا بَقِيَ فِي حِزْبِ الشَّيْطَانِ ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1].

وَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا تَعَجَّبْتَ مِنْ قَوْمٍ يُقَادُونَ إِلَى الْجَنَّةِ بِالسَّلَاسِلِ، فَمَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَهُوَ مَقُودٌ إِلَى الْجَنَّةِ بِسَلَاسِلِ الْأَسْبَابِ، وَهُوَ تَسْلِيطُ الْعِلْمِ وَالْخَوْفِ عَلَيْهِ، وَمَا مِنْ مَخْذُولٍ إِلَّا وَهُوَ مَقُودٌ إِلَى النَّارِ بِالسَّلَاسِلِ، وَهُوَ تَسْلِيطُ الْغَفْلَةِ وَالْأَمْنِ وَالْغُرُورِ عَلَيْهِ. فَالْمُتَّقُونَ يُسَاقُونَ إِلَى الْجَنَّةِ قَهْرًا، وَالْمُجْرِمُونَ يُقَادُونَ إِلَى النَّارِ قَهْرًا، وَلَا قَاهِرَ إِلَّا الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، وَلَا قَادِرَ إِلَّا الْمَلِكُ الْجَبَّارُ. وَعِنْدَ مُعَايَنَةِ هَذَا، يَسْمَعُ نِدَاءَ: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[2]، وَذَلِكَ كُلَّ يَوْمٍ، لَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عَلَى الْخُصُوصِ، وَلَكِنَّ الْغَافِلِينَ لَا يَسْمَعُونَهُ إِلَّا ذَلِكَ الْيَوْمَ عَلَى الْخُصُوصِ.

نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْجَهْلِ وَالْعَمَى، فَإِنَّهُ أَصْلُ أَسْبَابِ الْهَلَاكِ، وَالْعِيَاذُ بِاللهِ[3].

---

(1) سورة الحجر الآية: 43.

(2) سورة غافر الآية: 16.

(3) الإحياء: 4/ 89 ـ 90.

الْمَطْلَبُ السَّابِعُ

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا بُدَّ فِي تَحْصِيلِ الشُّكْرِ مِنْ مَعْرِفَةِ مَا خُلِقَ كُلُّ شَيْءٍ لَهُ، وَطَرِيقُهُ إِمَّا الْآيَاتُ وَالْأَخْبَارُ، وَذَلِكَ ظَاهِرٌ؛ وَإِمَّا النَّظَرُ بِعَيْنِ الِاعْتِبَارِ، وَهَذَا عَسِيرٌ جِدًّا، وَلِهَذَا احْتِيجَ إِلَى إِرْسَالِ الرُّسُلِ.

مَثَلًا كُلُّ شَيْءٍ فِي الْعَالَمِ لَهُ حِكْمَةٌ؛ إِمَّا جَلِيَّةٌ، كَالضِّيَاءِ مِنَ الشَّمْسِ، وَالْمَطَرِ مِنَ الْغَيْمِ؛ أَوْ دَقِيقَةٌ، كَالْحِكْمَةِ مِنَ الْكَوَاكِبِ السَّيَّارَةِ وَغَيْرِهَا.

ثُمَّ كُلُّ ذَرَّةٍ لا تَخْلُو عَنْ حِكَمٍ كَثِيرَةٍ مِنْ وَاحِدٍ إِلَى عَشْرٍ، بَلْ إِلَى أَلْفٍ. فَمَنِ اسْتَعْمَلَ شَيْئًا فِيمَا خُلِقَ لَهُ مِنَ الْحِكْمَةِ صَارَ شُكْرًا، وَإِلَّا صَارَ كُفْرًا؛ مَثَلًا الْيَدُ خُلِقَتْ لِيَدْفَعَ بِهَا عَنْ نَفْسِهِ مَا يُهْلِكُهُ، وَيَأْخُذَ مَا يَنْفَعُهُ، لَا لِيُهْلِكَ بِهَا غَيْرَهُ، فَمَنْ ضَرَبَ غَيْرَهُ بِيَدِهِ فَقَدْ كَفَرَ نِعْمَةَ الْيَدِ؛ وَكَذَا لَوْ اسْتَنْجَى بِالْيَمِينِ فَقَدْ كَفَرَ مَا خُلِقَتْ لَهُ الْيَمِينُ مِنِ اسْتِعْمَالِهَا فِي أَشْرَفِ الْأُمُورِ، وَكَذَا الْبَصَرُ مَثَلًا؛ إِنَّمَا خُلِقَتِ الْعَيْنَانِ لِيَنْظُرَ بِهِمَا مَا يَنْفَعُهُ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَيَتَّقِيَ بِهِمَا مَا يَضُرُّهُ فِيهِمَا، فَمَنْ نَظَرَ إِلَى وَجْهِ غَيْرِ الْمَحْرَمِ فَقَدْ اسْتَعْمَلَهُمَا فِي غَيْرِ مَا أُرِيدَتَا لَهُ، فَقَدْ كَفَرَ نِعْمَةَ الْإِبْصَارِ. وَهَكَذَا فِي سَائِرِ الْأَعْضَاءِ، وَسَائِرِ الْأُمُورِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ.

وَتَمَامُ تَفْصِيلِهَا خَارِجٌ عَنْ طَوْقِنَا[1].

---

(1) الإحياء: 4/ 90.

فَإِنْ قُلْتَ: إِذَا كَانَ الْكُلُّ رَاجِعًا إِلَى فِعْلِ اللهِ تَعَالَى فَكَيْفَ يَكُونُ الْعَبْدُ مَوْصُوفًا بِالشُّكْرِ وَالْكُفْرَانِ؟

فَاعْلَمْ أَنَّ تَمَامَ تَحْقِيقِ هَذَا الْمَقَامِ لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا مَنْ عُلِّمَ مَنْطِقَ الطَّيْرِ، وَلَا يَجْهَلُهُ إِلَّا مَنْ عَجَزَ عَنِ الإِيضَاعِ[1] فِي السَّيْرِ.

وَإِجْمَالُ هَذَا هُوَ: أَنَّ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى أَجَلُّ وَأَعْلَى مِنْ أَنْ تَلْمَحَهَا عَيْنُ وَاضِعِ اللُّغَةِ، حَتَّى يُعَبَّرَ عَنْهَا بِعِبَارَةٍ تَدُلُّ عَلَى كُنْهِ جَلَالِهَا، فَانْخَفَضَتْ عَنْ ذِرْوَتِهَا أَبْصَارُهُمْ، فَاسْتَعَارُوا مِنْ حَضِيضِ الْبَشَرِيَّةِ أُمُورًا لَهَا، مُنَاسِبَةً مَعَهَا تَنَاسُبًا ضَعِيفًا جِدًّا، فَاسْتَعَارُوا لَهَا اسْمَ الْقُدْرَةِ مَثَلًا وَكَذَا الْمَشِيئَةِ، مَعَ قُصُورِ هَذَيْنِ اللَّفْظَيْنِ عَنْ كُنْهِ جَلَالِ ذَيْنِكَ الْوَصْفَيْنِ.

ثُمَّ الْأَفْعَالُ الصَّادِرَةُ عَنِ الْقُدْرَةِ إِمَّا أَنْ يَنْسَاقَ إِلى غَايَةِ حِكْمَتِهَا، أَوْ يَقِفَ دُونَهَا. ثُمَّ إِنَّ هَذَيْنِ مِنْ حَيْثُ نِسْبَةُ الْمَشِيئَةِ إِلَى الْأَوَّلِ يُسَمَّى مَحْبُوبًا، وَإِلَى الثَّانِي مَكْرُوهًا.

ثُمَّ تَعَلُّقُ صِفَةِ الْمَشِيئَةِ فِي الْأَزَلِ إِلَى بُلُوغِ شَخْصٍ نِهَايَةَ حِكْمَتِهِ بِتَسْلِيطِ دَوَاعِيهِ عَلَيْهِ قَهْرًا يُسَمَّى رِضًى، وَتَعَلُّقُهَا فِي الْأَزَلِ إِلَى وُقُوفِهِ دُونَ نِهَايَتِهَا بِاسْتِيقَافِ دَوَاعِيهِ عَنْ ذَلِكَ قَهْرًا يُسَمَّى غَضَبًا[2].

---

(1) الإيضاع: سيرٌ مثل الخَبَبِ، وقيل: الإيضاعُ أن يُعْدِيَ بعيرَهُ ويحمِلَهُ على العَدْوِ الحَثِيثِ. اللسان/ وضع.

(2) الإحياء: 4/ 95-96.

ثُمَّ إِذَا ظَهَرَ هَذَا التَّقْدِيرُ الْأَزَلِيُّ في الشَّخْصِ: أَمَّا فِي الْأَوَّلِ فَيُسَمَّى الشُّكْرَ، وَيُرْدِفُهُ بِالثَّنَاءِ.

وَأَمَّا فِي الثَّانِي فَيُسَمَّى بِالْكُفْرَانِ، وَيُتْبِعُهُ نِقْمَةَ اللَّعْنِ وَالْمَذَمَّةِ زِيَادَةً فِي النَّكَالِ.

فَحَاصِلُهُ: إِنْ أَعْطَى الْجَمَالَ فَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَأَعْطَى النَّكَالَ فَقَبَّحَهُ؛ كَمَلِكٍ أَعْطَى لِمَمْلُوكِهِ الثِّيَابَ النَّفِيسَةَ، وَكَسَا هُوَ إِيَّاهُ، ثُمَّ وَصَفَهُ الْمَلِكُ بِالْجَمَالِ، وَكَذَا فِي ضِدِّهِ، فَهُوَ الْمُثْنِي وَالْمُثْنَى عَلَيْهِ بِكُلِّ حَالٍ، فَكَأَنَّهُ أَثْنَى عَلَى نَفْسِهِ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى، وَلَيْسَ الْعَبْدُ إِلَّا هَدَفَ الثَّنَاءِ مِنْ حَيْثُ الظَّاهِرُ وَالصُّورَةُ، وَهَكَذَا تَسَلْسَلَتِ الْأَسْبَابُ وَالْمُسَبَّبَاتُ بِتَقْدِيرِ رَبِّ الْأَرْبَابِ، وَمُسَبِّبِ الْأَسْبَابِ.

وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عَنِ اتِّفَاقٍ وَبَحْثٍ، بَلْ عَنْ إِرَادَةٍ وَحِكْمَةٍ وَحُكْمٍ حَقٍّ وَأَمْرٍ جَزْمٍ اسْتُعِيرَ لَهُ لَفْظُ الْقَضَاءِ، فَهُوَ كَلَمْحِ الْبَصَرِ؛ ثُمَّ اسْتُعِيرَ لِتَرْتِيبِ آحَادِ الْمَقْدُورَاتِ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ لَفْظُ الْقَدَرِ؛ فَالْقَضَاءُ إِجْمَالٌ وَأَمْرٌ وَاحِدٌ كُلِّيٌّ، وَالْقَدَرُ تَفْصِيلُ ذَلِكَ.

وَأَمَّا إذا خطَرَ بِبَالِكَ أَنَّ الْقِسْمَةَ لِمَاذَا يَكُونُ على هَذَا؟ فَتُلْجِمُ عِنْدَ ذَلِكَ لِسَانَكَ بِلِجَامِ الْمَنْعِ، وَيُقَالُ لَكُمْ: اسْكُتُوا [فَمَا لِهَذَا خُلِقْتُمْ][1]، ﴿لَا يُسْأَلُ

(1) زيادة من أنطاليا.

عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[1]. وَيُقَالُ: «إِذَا ذُكِرَ الْقَدَرُ فَأَمْسِكُوا»[2]، وَتَأَدَّبُوا بِأَدَبِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّ لِلْحِيطَانِ آذَانًا[3].

وَغَايَةُ خَطَإِكَ أَنَّكَ تَقُولُ: فِعْلِي، وَأَضَفْتَ ذَلِكَ إِلَى نَفْسِكَ، بَلْ هُوَ الَّذِي صَرَفَ دَاعِيَتَكَ، ثُمَّ جَعَلَهُ عَلَى وَجْهِ الْعَدْلِ حَيْثُ خَصَّ الْفِعْلَةَ الْمَحْبُوبَةَ بِالشَّخْصِ الْمَحْبُوبِ، وَالْمَكْرُوهَ بِالْمَكْرُوهِ، وَإِنَّمَا مِثْلُكَ مِثْلُ صَبِيٍّ يَرَى الْمُشَعْوِذَ، فَيَرَى حَرَكَةَ الصُّوَرِ فِي اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ مِنَ الصُّوَرِ لَا مِنَ الْمُشَعْوِذِ.

وَظَهَرَ بِمَا مَرَّ أَنَّ أَشْكَرَ الْعِبَادِ أَحَبُّهُمْ إِلَى اللهِ، وَذَلِكَ كَالْمَلَائِكَةِ فِي السَّمَاءِ وَالْأَنْبِيَاءِ فِي الْأَرْضِ. وَأَعْلَى الْمَلَائِكَةِ إِسْرَافِيلُ، وَأَعْلَى الْأَنْبِيَاءِ مُحَمَّدٌ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ؛ إِذْ أَعْطَى لَهُ الدِّينَ وَالْمُلْكَ وَالسَّلْطَنَةَ وَلَمْ يُعْطِ هَذِهِ كُلَّهَا إِلَّا لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَأَيْضًا أَكْمَلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ، وَخَتَمَ بِهِ النَّبِيِّينَ.

وَيَلِيهِمُ الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّهُمْ صَلُحُوا وَصَلُحَ بِهِمُ النَّاسُ. ثُمَّ يَلِيهِمُ السَّلَاطِينُ بِالْعَدْلِ؛ لِأَنَّ صَلَاحَ الدُّنْيَا بِهِمْ، كَمَا أَنَّ صَلَاحَ الْآخِرَةِ بِالْعُلَمَاءِ. ثُمَّ يَلِيهُمُ الَّذِينَ أَصْلَحُوا أَنْفُسَهُمْ فَقَطْ مِنَ الصُّلَحَاءِ غَيْرِ الْعُلَمَاءِ. وَمَنْ عَدَا هَؤُلَاءِ الطَّوَائِفَ فَهَمَجٌ رَعَاعٌ.

(1) سورة الأنبياء الآية: 23.

(2) الناسخ والمنسوخ: 21، والكامل في ضعفاء الرجال: 8/ 265، والتمهيد لابن عبد البر: 4/ 62، والإحياء: 4/ 97.

(3) الإحياء: 4/ 97.

وَاعْلَمْ أَنَّ السُّلْطَانَ لِكَوْنِهِ قِوَامَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا لَا يَنْبَغِي أَنْ يُسْتَحْقَرَ وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا فَاسِقًا؛ وَفِي الْحَدِيثِ: «سَيَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ يُفْسِدُونَ وَمَا يُصْلِحُ اللهُ بِهِمْ أَكْثَرُ، فَإِنْ أَحْسَنُوا فَلَهُمُ الْأَجْرُ وَعَلَيْكُمُ الشُّكْرُ، وَإِنْ أَسَاؤُوا فَعَلَيْهِمُ الْوِزْرُ وَعَلَيْكُمُ الصَّبْرُ»[1].

قَالَ سَهْلٌ: مَنْ أَنْكَرَ إِمَامَةَ السُّلْطَانِ فَهُوَ زِنْدِيقٌ، وَمَنْ دَعَاهُ السُّلْطَانُ فَلَمْ يُجِبْ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ، وَمَنْ أَتَاهُ مِنْ غَيْرِ دَعْوَةٍ فَهُوَ جَاهِلٌ[2].

---

(1) الإحياء: 4/ 99، وتخريج أحاديث إحياء علوم الدين: 5/ 2149.

(2) إحياء علوم الدين: 4/ 98-99.

الْمَطْلَبُ الثَّامِنُ: فِي حَقِيقَةِ النِّعْمَةِ وَأَقْسَامِهَا(1)

اِعْلَمْ أَنَّ كُلَّ لَذَّةٍ وَخَيْرٍ وَسَعَادَةٍ، بَلْ كُلَّ مَطْلُوبٍ وَمُؤَثِّرٍ، نِعْمَةٌ وَسَعَادَةٌ. وَهِيَ إِنْ كَانَتْ نَافِعَةً فِي الدَّارَيْنِ فَهِيَ النِّعْمَةُ حَقِيقَةً؛ كَالْعِلْمِ، وَحُسْنِ الْخُلُقِ. وَإِنْ كَانَ ضَارًّا فِيهِمَا فَهُوَ الْبَلَاءُ تَحْقِيقًا؛ كَالْجَهْلِ وَسُوءِ الْخُلُقِ. وَإِنْ كَانَ نَافِعًا فِي الْحَالِ، وَضَارًّا فِي الْمَآلِ، فَهُوَ الْبَلَاءُ عِنْدَ ذَوِي الْأَبْصَارِ، وَالنِّعْمَةُ عِنْدَ ذَوِي الْجَهْلِ؛ كَالشَّهَوَاتِ. وَإِنْ كَانَ بِالْعَكْسِ فَبِالْعَكْسِ؛ كَمُخَالَفَةِ الشَّهَوَاتِ(2).

ثُمَّ إِنَّ الْأُمُورَ الدُّنْيَوِيَّةَ إِمَّا نَفْعُهُ أَكْثَرُ مِنْ ضَرِّهِ؛ كَقَدْرِ الْكِفَايَةِ مِنَ الْمَالِ، أَوْ بِالْعَكْسِ؛ كَالْمَالِ الْكَثِيرِ وَالْجَاهِ الْوَاسِعِ؛ وَإِمَّا ضَرَرُهُ يُكَافِئُ نَفْعَهُ، وَهَذَا يَخْتَلِفُ بِالْأَشْخَاصِ، إِذْ رُبَّ إِنْسَانٍ لَا يَتَضَرَّرُ بِالْأَمْوَالِ الْعَظِيمَةِ، وَبَعْضٌ مِنْهُمْ يَتَضَرَّرُ بِأَقَلَّ مِنْهَا.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْخَيْرَاتِ إِمَّا أَنْ تُؤَثَّرَ لِذَاتِهَا، أَوْ لِغَيْرِهَا، أَوْ لَهُمَا مَعًا. وَالْأَوَّلُ: النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللهِ تَعَالَى؛ وَالثَّانِي: كَالدَّرَاهِمِ وَالدَّنَانِيرِ فَإِنَّهَا وَسَائِلُ فَقَطْ، وَإِلَّا فَهِيَ وَالْحَصَى سَوَاءٌ؛ الثَّالِثُ: كَالصِّحَّةِ وَالسَّلَامَةِ.

وَاعْلَمْ أَيْضًا أَنَّ الْخَيْرَاتِ إِمَّا نَافِعَةٌ، وَإِمَّا جَمِيلَةٌ، أَوْ لَذِيذَةٌ، فَاللَّذِيذُ هُوَ الَّذِي تُدْرَكُ رَاحَتُهُ فِي الْحَالِ، وَالنَّافِعُ الَّذِي يُفِيدُ فِي الْمَآلِ، وَالْجَمِيلُ هُوَ الَّذِي يُسْتَحْسَنُ فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ، وَكَذَا الشُّرُورُ إِمَّا ضَارٌّ، أَوْ قَبِيحٌ، أَوْ مُؤْلِمٌ.

---

(1) هذا المطلب سقط من الأزهرية.

(2) الإحياء: 4/ 99.

ثُمَّ إِنَّهُ قَدْ تَجْتَمِعُ هَذِهِ الْأَوْصَافُ إِمَّا فِي الْخَيْرِ؛ فَكَالْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ، فَإِنَّهَا نَافِعَةٌ وَلَذِيذَةٌ وَجَمِيلَةٌ عِنْدَ أَهْلِهَا؛ وَكَذَا ضِدُّهُ وَهُوَ الْجَهْلُ فِي جَمِيعِ الْأَوْصَافِ الثَّلَاثَةِ لِلشَّرِّ، فَإِنَّهُ ضَارٌّ وَمُؤْلِمٌ وَقَبِيحٌ.

وَقَدْ يَجْتَمِعُ بَعْضُ هَذِهِ مَعَ بَعْضٍ كَقَطْعِ الْإِصْبَعِ الْمُتَآكِلَةِ، وَالسَّلْعَةِ[1] الْخَارِجَةِ مِنَ الْبَدَنِ، فَإِنَّ هَذَا نَافِعٌ مُؤْلِمٌ. وَقَدْ يَكُونُ شَيْءٌ نَافِعًا مِنْ وَجْهٍ، وَضَارًّا مِنْ وَجْهٍ آخَرَ؛ كَإِلْقَاءِ الْمَالِ فِي الْبَحْرِ لِنَجَاةِ صَاحِبِهِ[2].

وَأَيْضًا النَّافِعُ إِمَّا ضَرُورِيٌّ؛ كَالْإِيمَانِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ، أَوْ غَيْرُ ضَرُورِيٍّ؛ كَالسَّكَنْجَبِينِ فِي تَسْكِينِ الصَّفْرَاءِ، إِذْ رُبَّمَا يَقُومُ غَيْرُهُ مَقَامَهُ.

ثُمَّ إِنَّ اللَّذَّةَ إِمَّا عَقْلِيَّةٌ؛ كَلَذَّةِ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ، وَهِيَ أَشْرَفُ اللَّذَّاتِ عِنْدَ مَنْ يَعْرِفُهَا، كَمَا عَرَفْتَ عِنْدَ ذِكْرِنَا فَضِيلَةَ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ، وَأَظْهَرُ شَرَفِهَا أَنَّهُ الْبَاقِي أَبَدَ الْآبَادِ، وَلَا يَمْتَدُّ إِلَيْهَا أَيْدِي الْغَاصِبِينَ، وَلَا يَنَالُهَا أَلْسُنُ السَّلَاطِينِ بِالْعَزْلِ.

وَإِمَّا بَدَنِيَّةٌ، وَهِيَ إِمَّا مُشْتَرَكَةٌ مَعَ بَعْضِ الْحَيَوَانَاتِ؛ كَلَذَّةِ الرِّئَاسَةِ وَالْغَلَبَةِ وَالِاسْتِيلَاءِ، وَذَلِكَ مَوْجُودٌ فِي الْأَسَدِ وَالنَّمِرِ وَغَيْرِهِمَا، أَوْ مَعَ جَمِيعِهِمَا[3]؛ كَلَذَّةِ الْبَطْنِ وَالْفَرْجِ، وَهَذَا أَكْثَرُهَا وَأَخَسُّهَا، وَلِذَلِكَ شَارَكَ الْكُلُّ فِيهَا.

---

(1) والسَّلْعة، بِالْفَتْحِ: الشَّجَّةُ فِي الرأس كَائِنَةً مَا كَانَتْ. اللسان/ سلع.

(2) الإحياء: 4/ 100 ـ 101.

(3) أي الإنسان والحيوان، كذا في أنطاليا، جميعها، في رئيس الكتاب.

ثُمَّ شَرَهُ الْبَطْنِ وَالْفَرْجِ مِمَّا يَقْوَى عَلَيْهِ الصَّالِحُونَ، وَشَهْوَةُ الرِّئَاسَةِ لَا يَقْوَى عَلَى قَهْرِهَا إِلَّا الصِّدِّيقُونَ، حَتَّى قِيلَ: «آخِرُ مَا يَخْرُجُ مِنْ قُلُوبِ الصِّدِّيقِينَ [حُبُّ][1] الرِّئَاسَةِ»[2]. فَقَمْعُ شَهْوَةِ الرِّئَاسَةِ بِالْكُلِّيَّةِ لَا يَقَعُ، وَإِنْ وَقَعَ فَفِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ عِنْدَ غَلَبَةِ لَذَّةِ مَعْرِفَةِ اللهِ تَعَالَى[3].

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ الْقُلُوبَ أَرْبَعَةٌ:

قَلْبٌ لَا يُحِبُّ إِلَّا اللهَ تَعَالَى، وَهَذَا فِي غَايَةِ النُّدْرَةِ.

وَقَلْبٌ لا يَلْتَذُّ إِلَّا بِالرِّئَاسَةِ وَالشَّهَوَاتِ، وَلَا يَدْرِي غَيْرَهَا، وَهَذَا كَثِيرٌ.

وَقَلْبٌ يَغْلِبُ عَلَيْهِ التَّلَذُّذُ بِالصِّفَاتِ الْبَشَرِيَّةِ.

وَقَلْبٌ يَغْلِبُ عَلَيْهِ التَّلَذُّذُ بِمَعْرِفَةِ اللهِ تَعَالَى.

وَهَذَانِ فِي غَايَةِ النُّدُورِ، وَمَعَ نُدْرَتِهِمَا تَتَفَاوَتُ قِلَّةً وَكَثْرَةً، لِأَنَّ ذَلِكَ يَقِلُّ إِذَا بَعُدَتِ الْأَعْصَارُ عَنْ عَصْرِ النُّبُوَّةِ، وَيَزْدَادُ قِلَّةً إِلَى أَنْ تَقْرُبَ السَّاعَةُ، وَيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا.

وَسَبَبُ قِلَّةِ هَذَا الْقَلْبِ أَنَّ عَالَمَ الشَّهَادَةِ مِرْآةٌ لِعَالَمِ الْغَيْبِ[4]، وَتَابِعٌ لَهُ؛ كَمَا أَنَّ الصُّورَةَ فِي الْمِرْآةِ تَابِعَةٌ لِلشَّخْصِ، وَثَانِيَةٌ لَهُ فِي رُتْبَةِ الْوُجُودِ، إِلَّا أَنَّهَا

---

(1) زيادة من أنطاليا.

(2) ميزان العمل للغزالي: 308، والإحياء: 3/ 275، والاعتصام للشاطبي: 1/ 197.

(3) الإحياء: 4/ 102.

(4) الآخرة، في أنطاليا.

مُتَقَدِّمَةٌ عَلَيْهِ فِي الْمَعْرِفَةِ. كَذَلِكَ عَالَمُ الشَّهَادَةِ مُتَقَدِّمٌ عَلَى عَالَمِ الْغَيْبِ فِي الْمَعْرِفَةِ، وَإِنْ كانَ تَابِعًا لَهُ فِي الْوُجُودِ.

فَلِذَلِكَ كانَ أَكْثَرُ النَّاسِ مَقْصُورَ النَّظَرِ عَلَى[1] مَا هُوَ مُقَدَّمٌ فِي الْمَعْرِفَةِ وَقَرِيبًا مِنْهُ، أَعْنِي: عَالَمَ الشَّهَادَةِ. وَقَلِيلٌ مِنْهُمْ يَعْبُرُ مِنْهُ إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ، وَيَسْتَدِلُّ بِالصُّورَةِ عَلَى الْأَصْلِ، وَهَذَا الَّذِي يُسَمَّى عِبْرَةً عِنْدَ الْعُلَمَاءِ[2].

وَاعْلَمْ أَنَّ النِّعْمَةَ تَنْقَسِمُ أَيْضًا إِلَى نِعْمَةٍ هِيَ غَايَةُ الْغَايَاتِ، وَذَلِكَ سَعَادَةُ الْآخِرَةِ، وَهِيَ أَرْبَعٌ: بَقَاءٌ لَا فَنَاءَ لَهُ، وَسُرُورٌ بِلَا غَمٍّ، وَعِلْمٌ لَا جَهْلَ مَعَهُ، وَغِنًى لَا فَقْرَ مَعَهُ، وَهِيَ النِّعْمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ؛ وَإِلَى وَسَائِلَ وَهِيَ أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ:

أَحَدُهَا: الْأَقْرَبُ وَالْأَخَصُّ؛ كَالْفَضَائِلِ النَّفْسَانِيَّةِ وَهِيَ: الْإِيمَانُ وَحُسْنُ الْخُلُقِ. وَالْأَوَّلُ؛ عُلُومُ الْمُكَاشَفَةِ، وَالثَّانِي؛ عُلُومُ الْمُعَامَلَةِ. وَهِيَ: إِمَّا تَرْكُ مُقْتَضَى الشَّهْوَةِ وَالْغَضَبِ، وَاسْمُهُ الْفِقْهُ؛ وَأَمَّا مُرَاعَاةُ الْعَدْلِ فِي الْكَفِّ عَنِ الشَّهَوَاتِ حَتَّى لَا تُخْسِرَ الْمِيزَانَ، وَلَا تَطْغَى فِيهِ، وَاسْمُهُ الْعِفَّةُ. فَهَذِهِ أَرْبَعَةٌ: عِلْمُ مُكَاشَفَةٍ، وَعِلْمُ مُعَامَلَةٍ، وَعِفَّةٌ، وَعَدَالَةٌ.

وَثَانِيهَا: الْفَضَائِلُ الْبَدَنِيَّةُ، وَهِيَ مُتَمِّمَةٌ لِلنَّوْعِ الْأَوَّلِ. وَهِيَ أَيْضًا أَرْبَعٌ: الصِّحَّةُ وَالْقُوَّةُ وَالْجَمَالُ وَطُولُ الْعُمُرِ.

---

(1) مقصورا على، في أنطاليا.

(2) الإحياء: 4/ 102.

وَثَالِثُهَا: وَهِيَ النِّعَمُ الْخَارِجَةُ عَنِ الْبَدَنِ. وَهِيَ أَيْضًا أَرْبَعٌ -[وَمُتَمِّمَةٌ لِلنَّوْعِ الثَّانِي - الْمَالُ وَالْأَهْلُ وَالْجَاهُ][1] وَكَرَمُ الْعَشِيرَةِ.

وَرَابِعُهَا: الْأَسْبَابُ الَّتِي تَجْمَعُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا يُنَاسِبُ الْفَضَائِلَ النَّفْسِيَّةَ الدَّاخِلَةَ. وَهِيَ أَرْبَعَةٌ أَيْضًا: هِدَايَةُ اللهِ، وَرُشْدُهُ، وَتَسْدِيدُهُ، وَتَأْيِيدُهُ.

ثُمَّ إِنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ فَوَائِدَ الْمَالِ وَالْأَهْلِ فِيمَا مَرَّ. وَكَذَا الْغُرُورُ وَالْجَاهُ يُمْكِنُ أَنْ تَسْتَعِينَ بِهِ النَّفْسُ إِلَى طَرِيقِ الْآخِرَةِ، إِذْ يَدْفَعُ عَنِ الْإِنْسَانِ الظُّلْمَ وَالضَّيْمَ الشَّاغِلَيْنِ عَنِ الْمَعْرِفَةِ. وَلِذَلِكَ كانَ عُلَمَاءُ الدِّينِ طَلَبُوا الْجَاهَ قَدْرَ مَا يُسْتَعَانُ بِهِ فِي أَمْرِهِ وَمَطْلَبِهِ[2].

وَأَمَّا ذَمُّ الْمَالِ وَالْجَاهِ في الْأَحَادِيثِ وَالْأَخْبَارِ فَلَا يُنَافِي مَا ذُكِرَ، إِذِ الْحَيَّةُ فِيهَا تِرْيَاقٌ وَسُمٌّ، فَكَذَا الْمَالُ وَالْجَاهُ. وَلَعَلَّكَ قَدْ نُبِّهْتَ على التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْقَدْرِ النَّافِعِ وَالْقَدْرِ الضَّارِّ فِيمَا سَبَقَ. وَكَذَا كَرَمُ الْعَشِيرَةِ، وَلِذَلِكَ جُعِلَتِ «الْأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ»، لَكِنَّ الْمُرَادَ عَشِيرَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالصُّلَحَاءِ، لا عَشِيرَةُ الْمُلُوكِ وَالظَّلَمَةِ. وَكَذَلِكَ لَا خَفَاءَ في الْحَاجَةِ إِلَى الصِّحَّةِ وَالْقُوَّةِ وَطُولِ الْعُمُرِ.

وَأَمَّا الْجَمَالُ، فَإِنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى الْإِجَابَةِ، وَجَاهُهُ في الصُّدُورِ أَوْسَعُ، فَصَارَ بِمَنْزِلَةِ الْجَاهِ وَالْمَالِ، وَأَيْضًا الْجَمَالُ في الْأَكْثَرِ دَالٌّ على فَضِيلَةِ النَّفْسِ؛ لِأَنَّ

---

(1) مقصورا على، في أنطاليا.

(2) الإحياء: 4/ 105-106.

نُورَ النَّفْسِ إِذَا تَمَّ إِشْرَاقُهُ تَأَدَّى إِلَى الْبَدَنِ، فَالْمَنْظَرُ وَالْمَخْبَرُ كَثِيرًا مَا يَتَلَازَمَانِ، وَعَلَى هَذا يُبْتَنَى عِلْمُ الْفِرَاسَةِ.

وَأَمَّا التَّوْفِيقُ، فَلَا يَسْتَغْنِي عَنْهُ أَحَدٌ، لِأَنَّهُ عِبَارَةٌ عَنِ التَّأْلِيفِ بَيْنَ إِرَادَةِ الْعَبْدِ، وَبَيْنَ قَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ مِنْ حَيْثُ وُصُولُهُ إِلَى السَّعَادَةِ: [الطويل]

إِذَا لَمْ يَكُنْ عَوْنٌ مِنَ اللهِ لِلْفَتَى   فَأَكْثَرُ مَا يَجْنِي عَلَيْهِ اجْتِهَادُهُ[1]

وَأَمَّا الْهِدَايَةُ، فَلَا سَبِيلَ لِأَحَدٍ إِلَى طَلَبِ السَّعَادَةِ إِلَّا بِهَا، إِذِ الْإِنْسَانُ لَا يَقْدِرُ عَلَى تَمْيِيزِ الصَّلَاحِ مِنَ الْفَسَادِ إِلَّا بِالْهِدَايَةِ. وَهِيَ ثَلَاثُ مَرَاتِبَ:

الْأُولَى: مَعْرِفَةُ طَرِيقِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[2]. وَقَدْ أَنْعَمَ اللهُ تَعَالَى بِهَذِهِ الْهِدَايَةِ عَلَى كَافَّةِ عِبَادِهِ؛ بِالْعَقْلِ تَارَةً، وَبِالسَّمْعِ أُخْرَى.

الثَّانِيَةُ: الَّتِي يُمِدُّ اللهُ تَعَالَى بِهَا الْعَبْدَ حَالًا بَعْدَ حَالٍ، وَهِيَ ثَمَرَةُ الْمُجَاهَدَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[3].

الثَّالِثَةُ الَّتِي وَرَاءَ الثَّانِيَةِ: وَهِيَ النُّورُ الَّذِي يُشْرِقُ فِي عَالَمِ النُّبُوَّةِ وَالْوِلَايَةِ بَعْدَ كَمَالِ الْمُجَاهَدَةِ، فَيَهْتَدِي بِهِ إِلَى مَا لَا يَهْتَدِي إِلَيْهِ بِالْعَقْلِ، وَهُوَ الْهَدْيُ الْمُطْلَقُ[4].

---

(1) ورد البيت بدون نسبة في اللباب في الفقه الشافعي: 207، والتمثيل والمحاضرة: 10، والإحياء: 4/ 107.

(2) سورة البلد الآية: 10.

(3) سورة العنكبوت الآية: 69.

(4) الإحياء: 4/ 107.

وَأَمَّا الرُّشْدُ، فَنَعْنِي بِهِ الْعِنَايَةَ الْإِلَهِيَّةَ الَّتِي تَتَعَيَّنُ لِلْإِنْسَانِ عِنْدَ تَوَجُّهِهِ إِلَى مَقَاصِدِهِ، فَتُقَوِّيهِ عَلَى مَا فِيهِ صَلَاحُهُ وَتُفَتِّرُهُ عَمَّا فِيهِ فَسَادُهُ، وَيَكُونُ ذَلِكَ مِنَ الْبَاطِنِ. فَالرُّشْدُ عِبَارَةٌ عَنْ هِدَايَةٍ بَاعِثَةٍ إِلَى جِهَةِ السَّعَادَةِ لَكِنْ بِشَرْطِ أَنْ تُحَرِّكَ دَاعِيَتَهُ إِلَيْهَا، وَلَوِ اهْتَدَى إِلَى تِلْكَ الْجِهَةِ وَلَمْ يَتَحَرَّكْ إِلَيْهَا يُسَمَّى مَهْدِيًّا لَا رَشِيدًا، فَالرُّشْدُ أَكْمَلُ مِنْ مُجَرَّدِ الْهِدَايَةِ، وَذَلِكَ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ.

وَأَمَّا التَّسْدِيدُ، فَهُوَ تَوْجِيهُ حَرَكَاتِهِ إِلَى صَوْبِ الْمَطْلُوبِ، وَتَيْسِيرُهَا عَلَيْهِ لِيَتَسَدَّدَ فِي صَوْبِ الصَّوَابِ فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ، فَإِنَّ الرُّشْدَ أَيْضًا لَا يَكْفِي، بَلْ لَا بُدَّ مِنْ تَيْسِيرِ الْحَرَكَاتِ بِمُسَاعَدَةِ الْأَعْضَاءِ وَالْآلَاتِ حَتَّى يَتِمَّ الْمُرَادُ. فَالْهِدَايَةُ مَحْضُ التَّعْرِيفِ، وَالرُّشْدُ هُوَ تَنْبِيهُ الدَّاعِيَةِ لِيَتَحَرَّكَ، وَالتَّسْدِيدُ عِنَايَةٌ وَنُصْرَةٌ بِتَحَرُّكِ الْأَعْضَاءِ فِي صَوْبِ السَّدَادِ.

وَأَمَّا التَّأْيِيدُ، فَكَأَنَّهُ جَامِعٌ لِلْكُلِّ. وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ تَقْوِيَةِ أَمْرِهِ بِالتَّبْصِرَةِ مِنْ دَاخِلٍ، وَبِقُوَّةِ الْبَطْشِ وَمُسَاعَدَةِ الْأَسْبَابِ مِنْ خَارِجٍ، وَهُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾[1].

وَيَقْرُبُ مِنْهُ **الْعِصْمَةُ**، وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ وُجُودٍ إِلَهِيٍّ يَسْبَحُ فِي الْبَاطِنِ يَقْوَى بِهِ الْإِنْسَانُ عَلَى تَحَرِّي الْخَيْرِ، وَيَجْتَنِبُ الشَّرَّ، حَتَّى يَصِيرَ كَمَانِعٍ مِنْ بَاطِنِهِ غَيْرَ مَحْسُوسٍ. وَهِيَ الْمُرَادُ بِالْبُرْهَانِ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ

(1) سورة البقرة الآية: 87.

وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾[1].

فَهَذِهِ هِيَ مَجَامِعُ النِّعَمِ، وَلَنْ يَسْتَبِدَّ بِهَا إِلَّا مَنْ خَوَّلَهُ اللهُ مِنَ الْفَهْمِ الصَّافِي الثَّاقِبِ، وَالسَّمْعِ الْوَاعِي، وَالْقَلْبِ الْبَصِيرِ الْمُتَوَاضِعِ الْمُرَاعِي، وَالْمُعَلِّمِ النَّاصِحِ، وَالْمَالِ الزَّائِدِ عَلَى مَا يَقْصُرُ عَنْ الْمُهِمَّاتِ بِقَلْبِهِ الْقَاصِرِ عَمَّا يَشْغَلُ عَنِ الدِّينِ بِكَثْرَتِهِ، وَالْعِزِّ الَّذِي يَصُونُهُ عَنْ سَفِلَةِ السُّفَهَاءِ، وَظُلْمِ الْأَعْدَاءِ.

وَيَسْتَدْعِي كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَسْبَابِ سِتَّةَ عَشَرَ سَبَبًا، وَتَسْتَدْعِي تِلْكَ الْأَسْبَابُ أَسْبَابًا، إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ بِالْآخِرَةِ إِلَى دَلِيلِ الْمُتَحَيِّرِينَ، وَمَلْجَإِ الْمُضْطَرِّينَ، وَذَلِكَ رَبُّ الْأَرْبَابِ، وَمُسَبِّبُ الْأَسِبَابِ[2].

وَلَوْ أَرَدْتَ أَنْ تَسْتَقْصِيَ أَسْبَابَ نِعْمَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ النِّعَمِ: كَنِعْمَةِ الْأَكْلِ مَثَلًا، وَكَسَرْتَ عَلَيْهَا الْمُجَلَّدَاتِ، لَبَقِيَ ذِهْنُكَ فِي حَيِّزِ الْحَيْرَةِ حَسِيرًا؛ لِأَنَّهَا تَتَوَقَّفُ عَلَى مَعْرِفَةِ قُوَّةِ الشَّهْوَةِ وَالْغَضَبِ الْمُتَوَقِّفَتَيْنِ عَلَى الْآلَاتِ الْبَدَنِيَّةِ الَّتِي لَا يَفِي بِذِكْرِ شَمَّةٍ مِنْهَا وَمِقْدَارِ مَا يُمْكِنُ أَنْ تُحِيطَ الْعُقُولُ بِهَا كَثِيرٌ مِنَ الْمُجَلَّدَاتِ.

وَكَذَا كَيْفِيَّةُ تَوَلُّدِ الْبَدَنِ عَنْ الْمَنِيَّيْنِ فِي رَحِمِ الْأُمِّ، وَأَطْوَارُ خِلْقَةِ الْجَنِينِ هُنَاكَ، لَا تَفِي لِذِكْرِهَا الْمُجَلَّدَاتُ.

---

(1) سورة يوسف الآية: 24.

(2) الإحياء: 4/ 109.

وَكَذَا كَيْفِيَّةُ تَكَوُّنِ الْأَغْذِيَةِ النَّبَاتِيَّةِ أَوِ الْحَيَوَانِيَّةِ، وَتَرْتِيبِهَا بِالْآبَاءِ الْعُلْوِيَّةِ وَالْأُمَّهَاتِ السُّفْلِيَّةِ لَا تَتِمُّ فِي عِدَّةِ مُجَلَّدَاتٍ. وَكَذَا كَيْفِيَّةُ طَبْخِهَا وَإِصْلَاحِهَا، وَاحْتِيَاجِهَا إِلَى آلَاتٍ مِنَ الْحَدِيدِ وَالْحَطَبِ وَالنَّارِ، وَاحْتِيَاجِ هَذِهِ الْآلَاتِ إِلَى الصُّنَّاعِ الْمُحتَاجِينَ إِلَى آلَاتٍ أُخَرَ لَا تَتَنَاهَى، لَا يُمْكِنُ ذِكْرُ شَمَّةٍ مِنْهَا إِلَّا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمُجَلَّدَاتِ[1].

وَكَذَا كَيْفِيَّةُ مَضْغِ الْأَطْعِمَةِ، وَكَيْفِيَّةُ تَوَلُّدِ الرِّيقِ الْمُعِينِ لِإِزْلَاقِ اللُّقْمَةِ الْمُتَوَلِّدِ مِنْ تَحْتِ اللِّسَانِ، وَكَيْفِيَّةُ جَذْبِ الْمَعِدَةِ ذَلِكَ، ثُمَّ طَبْخُهَا فِي الْمَعِدَةِ، ثُمَّ فِي الْكَبِدِ، ثُمَّ وُصُولُهَا إِلَى الْبَدَنِ، وَانْقِسَامُ فَضَلَاتِهَا إِلَى طَرِيقٍ آخَرَ، لَا يُمْكِنُ تَفْصِيلُهَا فِي مُجَلَّدَاتٍ.

وَلَوِ ارْتَقَيْتَ إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَوَاسِّ الْمُعِينَةِ إِلَى مَعْرِفَةِ مَضَارِّ الْأَطْعِمَةِ وَمَنَافِعِهَا، وَكَيْفِيَّةِ تَحْصِيلِهَا. وَمِنْ جُمْلَتِهَا الْبَصَرُ، وَأَنَّ جِرْمَهَا الَّذِي هُوَ مِقْدَارُ جَوْزَةٍ عَشْرُ طَبَقَاتٍ مُرَكَّبَةٍ، بَعْضُهَا رُطُوبَاتٌ، وَبَعْضُهَا أَغْشِيَةٌ، وَبَعْضُ تِلْكَ الْأَغْشِيَةِ كَالْمَشِيمَةِ[2]، وَبَعْضُهَا كَأَنَّهَا نَسْجُ الْعَنْكَبُوتِ، وَبَعْضُ تِلْكَ الرُّطُوبَاتِ كَأَنَّهَا بَيَاضُ الْبَيْضِ، وَبَعْضُهَا كَأَنَّهُ الْجَمْدُ. وَكَذَا أَحْوَالُ سَائِرِ الْحَوَاسِّ، بِحَيْثُ لا يُمْكِنُ لِلْعَقْلِ إِحَاطَةُ جُمَلِهَا، وَلا لِلِّسَانِ بَيَانُ قَدْرِ مَا أَحَاطَ مِنْهَا كَمَا هُوَ حَقُّهَا، وَلَا لِلْبَنَانِ كِتَابَةُ مَا جَرَى مِنْهَا عَلَى اللِّسَانِ[3].

---

(1) الإحياء: 4/ 118 ـ 119.

(2) الْمَشِيمَةُ: هي للمرأة الجلدة التي يخرج فيها الولد. اللسان/ شيم.

(3) الإحياء: 4/ 111.

وَهكَذَا يَتَوَقَّفُ عَلَى أَسْبَابٍ وَأَسْبَابٍ، إِلَى حَيْثُ يَعْجِزُ الْعَقْلُ عَنْ ضَبْطِ أَنْوَاعِ أَسْبَابِ فِعْلٍ وَاحِدٍ؛ أَعْنِي الْأَكْلَ، فَضْلًا عَنْ ضَبْطِ أَفْرَادِهَا أَوْ أَسْبَابِ سَائِرِ الْأَفْعَالِ، وَعِنْدَ ذَلِكَ تَفْهَمُ مَعْنَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا﴾(1).

إِلَّا أَنَّكَ أَيُّهَا الْمِسْكِينُ لا تَعْرِفُ مِنَ النِّعَمِ إِلَّا نَفْسَ الْأَكْلِ، وَهِيَ أَخَسُّهَا، ثُمَّ لَا تَعْرِفُ مِنْهَا إِلَّا أَنَّكَ تَجُوعُ فَتَأْكُلُ، وَتَتْعَبُ وَتَنَامُ، ثُمَّ تَشْتَهِي وَتُجَامِعُ وَتَسْتَرِيحُ. وَهَذَا أَيْضًا حَالُ الْحِمَارِ وَأَنْتَ فِي رُتْبَتِهَا. فَلَا تَغْفُلْ أَيُّهَا الْمِسْكِينُ عَنِ النَّظَرِ فِي مَلَكُوتِ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَعَجَائِبِ صُنْعِهِ، وَحِكْمَةِ تَصْنِيفِهِ؛ لِأَنَّ الْعَالَمَ كُلَّهُ مِنْ تَصْنِيفِهِ، بَلْ تَصْنِيفُ الْمُصَنِّفِينَ مِنْ تَصْنِيفِهِ الَّذِي صَنَّفَهُ بِوَاسِطَةِ قُلُوبِ عِبَادِهِ؛ إِلَّا أَنَّكَ تَغْفُلُ غَفْلَةَ الْبَهَائِمِ مَعَ أَنَّكَ مِنْ زُمْرَةِ الْمَلَائِكَةِ، لَكِنْ أَلْقَى إِلَى هَذِهِ الرُّتْبَةِ جَهْلُكَ وَحُمْقُكَ وَعَجْزُكَ. فَسُبْحَانَ مَنْ أَلْحَقَ ذَوِي الْأَبْصَارِ بِالْعُمْيَانِ. جَلَّ جَلَالُهُ، وَعَمَّ نَوَالُهُ.

وَلْنَتْرُكِ اسْتِقْصَاءَ هَذَا الْبَابِ فَإِنَّهُ طَمَعٌ فِي غَيْرِ مَطْمَعٍ(2).

---

(1) سورة النحل الآية: 18.

(2) الإحياء: 4/ 118 ـ 123.

الْمَطْلَبُ التَّاسِعُ: فِي السَّبَبِ الصَّارِفِ لِلْخَلْقِ عَنِ الشُّكْرِ وَعِلَاجِهِ

وَاعْلَمْ أَنَّ سَبَبَهُ الْجَهْلُ وَالْغَفْلَةُ عَنْ مَعْرِفَةِ النِّعَمِ، وَإِنْ عَرَفَهَا فَيَظُنُّ أَنَّ شُكْرَهَا أَنْ يَقُولَ بِلِسَانِهِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، الشُّكْرُ لِلَّهِ. وَأَيْضًا سَبَبُهُ - بَعْدَ مَعْرِفَتِهَا - غَلَبَةُ الشَّهْوَةِ، وَاسْتِيلَاءُ الشَّيْطَانِ.

أَمَّا الْغَفْلَةُ عَنِ النِّعَمِ فَلَهَا أَسْبَابٌ:

أَحَدُهَا: عُمُومُ النِّعْمَةِ لِلْخَلْقِ كَافَّةً، فَإِنَّهُمْ لا يَعُدُّونَهَا نِعْمَةً، أَلَا تَرَاهُمْ لَا يَشْكُرُونَ الْهَوَاءَ مَثَلًا وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ؛ إِذْ لَا يُمْكِنُ التَّعَيُّشُ بِدُونِهَا وَلَوْ سَاعَةً، وَهَذَا جَهْلٌ عَظِيمٌ، حَيْثُ لا يَعُدُّونَ النِّعْمَةَ الدَّائِمَةَ نِعْمَةً، وَيَعُدُّونَ مَا يَنْقَطِعُ سَاعَةً ثُمَّ يَعُودُ نِعْمَةً، مَعَ أَنَّ الدَّائِمَ أَحَقُّ بِالشُّكْرِ مِنَ الْمُنْقَطِعِ أَحْيَانًا. وَطَرِيقُ مَعْرِفَةِ النِّعْمَةِ فَرْضُ انْقِطَاعِهَا، فَحِينَئِذٍ يَظْهَرُ لِأَهْلِ الْغَفْلَةِ حَالُهَا[1].

رُوِيَ أَنَّ ابْنَ السَّمَّاكِ قالَ لِبَعْضِ الْخُلَفَاءِ - وَفِي يَدِهِ مَاءٌ يَشْرَبُهُ، وَقَالَ عِظْنِي: لَوْ لَمْ تُعْطَ هَذِهِ فَهَلْ تَبْذُلُهُ؟ قال: نَعَمْ. قالَ: وَإِنْ لَمْ تَخْرُجْ مِنْ بَدَنِكَ بَعْدَ شُرْبِهَا هَلْ تَتْرُكُ نِصْفَهُ الْآخَرَ؟ قال: نَعَمْ. قالَ: فَلَا تَفْرَحْ بِمُلْكٍ لَا يُسَاوِي شَرْبَةَ مَاءٍ وَلَا دَفْعَهَا عَنْ بَدَنِكَ. وَبِهَذَا تَبَيَّنَ أَنَّ شَرْبَةَ مَاءٍ عِنْدَ الْعَطَشِ أَعْظَمُ مِنْ مُلْكِ[2] الْأَرْضِ كُلِّهَا.

---

(1) الإحياء: 4/ 123.

(2) تلك، في الأزهرية.

على أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَظُنُّ أَنَّهُ يُخَصُّ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ بِعَقْلٍ لَا يُشَارِكُهُ فِيهِ النَّاسُ، وَيَظُنُّ أَنَّهُ عَلَى خُلُقٍ كَرِيمٍ لَا يَشُوبُهُ الْعَيْبُ بِخِلَافِ سَائِرِ النَّاسِ، وَأَيْضًا يَعْتَقِدُ فِيهِ عِلْمًا امْتَازَ بِهِ عَنِ النَّاسِ.

ثُمَّ إِنْ كانَ هذا الظَّنُّ وَاقِعًا فِي نَفْسِهِ يَلْزَمُهُ الشُّكْرُ لَا مَحَالَةَ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ وَاقِعًا إِلَّا أَنَّ اللهَ تَعَالَى سَتَرَ قَبِيحَهُ عَنِ النَّاسِ، وَأَظْهَرَ لَهُمُ الْجَمِيلَ مِنَ الْعَقْلِ وَالْخُلُقِ وَالْعِلْمِ، فَكَذَلِكَ يَلْزَمُهُ الشُّكْرُ.

ثُمَّ نَقُولُ: إِنَّ كُلَّ أَحَدٍ رَزَقَهُ اللهُ تَعَالَى أُمُورًا لَوْ أُعْطِيَ مَا خُصِّصَ بِهِ غَيْرُهُ لكانَ لَا يَرْضَى بِهِ مِنْ صُورَتِهِ، أَوْ شَخْصِهِ، أَوْ أَخْلَاقِهِ، أَوْ صِفَاتِهِ، أَوْ أَهْلِهِ، أَوْ وَلَدِهِ، أَوْ مَسْكَنِهِ، أَوْ بَلَدِهِ، أَوْ رَفِيقِهِ، أَوْ أَقَارِبِهِ، أَوْ عِزِّهِ، أَوْ جَاهِهِ، أَوْ سَائِرِ مَحَابِّهِ، فَإِذًا لِلَّهِ عَلَيْهِ نِعْمَةٌ لَيْسَتْ لَهُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ سِوَاهُ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَشْكُرَهَا[1].

وَأَيْضًا مِنَ النِّعَمِ مَا فِيهِ عُمُومٌ، وَلَكِنْ لَوْ بُدِّلَتْ بِأَضْدَادِهَا لَمْ يَرْضَ بِهَا؛ مِثْلَ أَنْ جَعَلَهُ مُؤْمِنًا لَا كَافِرًا، وَحَيًّا لَا جَمَادًا، وَإِنْسَانًا لَا بَهِيمَةً، وَذَكَرًا لَا أُنْثَى، وَصَحِيحًا لَا مَرِيضًا، وَسَلِيمًا لَا مَعِيبًا.

وَأَيْضًا عَدَدُ الْمَغْبُوطِينَ عِنْدَهُ أَقَلُّ مِنْ غَيْرِهِ بِكَثِيرٍ، فَكَيْفَ لَا يَنْظُرُ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ حَتَّى لَا يَزْدَرِيَ نِعَمَ اللهِ، كمَا أَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى مَنْ دُونَهُ فِي الدِّينِ، وَيَتَعَذَّرُ بِكَثْرَةِ الْفُسَّاقِ، مَعَ أَنَّ دُنْيَاهُ لَا تُسَاوِي دِينَهُ.

---

(1) الإحياء: 4/ 124 ـ 125.

فَعَلَيْكَ أَنْ تَتَأَمَّلَ كَلَامَ أَفْصَحِ مَنْ نَطَقَ بِالضَّادِ، حَيْثُ قالَ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَصْبَحَ مُعَافًى في بَدَنِهِ، آمِنًا في سِرْبِهِ، وَلَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا»[1].

سِيَّمَا زُمْرَةُ الْعُلَمَاءِ، فَإِنَّ نِعْمَةَ الْعِلْمِ أَعْظَمُ النِّعَمِ، حَتَّى إِنَّ بَعْضًا مِنْهُمْ لَوْ بُدِّلَ نِصْفُ عِلْمِهِ، بَلْ عُشُرُ أَعْشَارِ عِلْمِهِ بِمُلْكِ الْأَرْضِ مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ، لَأَنِفَ مِنْ ذَلِكَ، وَأَنْكَرَ عَلَى قَائِلِهَا.

وَلا تَظُنَّنَّ أَنَّ الْمُعْرِضَ عَنِ الدُّنْيَا في أَلَمِ الصَّبْرِ عَنْهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِأَكْثَرَ مِنْ أَلَمِ الصَّبْرِ عَلَيْهَا، فَإِنَّ آلَامَ الْأَغْنِيَاءِ أَضْعَافُ أَضْعَافِ أَلَمِ الْفُقَرَاءِ، وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ بِسَبَبِ حَذَرٍ[2] حَاصِلٍ في طَبِيعَتِهِمْ، فَإِذَا زَالَ ذَلِكَ بِالْمَوْتِ يَشْعُرُونَ بِذَلِكَ لَكِنْ حِينَ لَا يَنْفَعُهُمُ الْعِلْمُ.

ثُمَّ إِنَّ عِلَاجَ الْقُلُوبِ الْفَاقِدَةِ لِلشُّكْرِ؛ فَإِنْ كانَ بَصِيرًا فَعِلَاجُهُ التَّأَمُّلُ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ أَصْنَافِ النِّعَمِ، وَإِنْ كانَ غَيْرَ ذَلِكَ فَبِالنَّظَرِ إلى مَنْ دُونَهُ. وَكانَ بَعْضُهُمْ يَحْضُرُ كُلَّ يَوْمٍ دَارَ الْمَرْضَى لِيَعْرِفَ نِعْمَةَ الصِّحَّةِ، وَيَحْضُرُ الْمَقَابِرَ لِيَعْرِفَ قَدْرَ الْحَيَاةِ، وَيَحْضُرُ مَوْضِعَ الْعُقُوبَاتِ لِيَعْرِفَ قَدْرَ الْعِصْمَةِ مِنَ الْجِنَايَاتِ. وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ تُعَالَجَ بِهِ الْقُلُوبُ غَيْرُ الشَّاكِرَةِ، أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ

---

(1) صحيح ابن حبان: 5/ 374، رقم: 4578، والمعجم الأوسط: 2/ 230، رقم: 1828، وشعب الإيمان: 7/ 293، رقم: 10354، والإحياء: 4/ 126.

(2) خدر، في رئيس الكتاب.

النِّعْمَةَ إِذَا لَمْ تُشْكَرْ زَالَتْ وَلَمْ تَعُدْ. قالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[1]، وَفِي الْخَبَرِ: «مَا عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللهِ عَلَى عَبْدٍ إِلَّا كَثُرَتْ حَوَائِجُ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَمَنْ تَهَاوَنَ بِهِمْ عَرَّضَ تِلْكَ النِّعْمَةَ لِلزَّوَالِ»[2]. قالَ الْفُضَيْلُ: «عَلَيْكُمْ بِمُدَاوَمَةِ الشُّكْرِ عَلَى النِّعَمِ، فَقَلَّ نِعْمَةٌ زَالَتْ عَنْ قَوْمٍ فَعَادَتْ إِلَيْهِمِ»، وَقالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «النِّعَمُ وَحْشِيَّةٌ فَقَيِّدُوهَا بِالشُّكْرِ»[3].

(1) سورة الرعد الآية: 11.

(2) المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين: 1/ 384، وشعب الإيمان: 6/ 118، رقم: 7663، والإحياء: 4/ 127.

(3) قوت القلوب: 1/ 349، والإحياء: 4/ 127.

الْمَطْلَبُ الْعَاشِرُ: فِيمَا يَشْتَرِكُ فِيهِ الصَّبْرُ وَالشُّكْرُ[1]

اِعْلَمْ أَنَّ لِلَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ شَيْءٍ نِعْمَةً يَجِبُ عَلَيْهَا الشُّكْرُ. وَكَذَا فِي كُلِّ شَيْءٍ بَلَاءٌ، إِذِ الْبَلَاءُ فَقْدُ النِّعْمَةِ.

[ثُمَّ إِنَّ النِّعْمَةَ إِمَّا مُطْلَقَةٌ، وَهِيَ فِي الْآخِرَةِ سَعَادَةُ الْعَبْدِ بِالنُّزُولِ][2] فِي جِوَارِ اللهِ، وَفِي الدُّنْيَا الْإِيمَانُ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَمَا يُعِينُ عَلَيْهِمَا؛ وَإِمَّا مُقَيَّدَةٌ، وَهِيَ نِعْمَةٌ مِنْ وَجْهٍ دُونَ وَجْهٍ؛ كَالْفَقْرِ وَالْخَوْفِ وَالْمَرَضِ، فَإِنَّهَا نِعْمَةٌ دِينًا، وَبَلَاءٌ فِي الدُّنْيَا.

وَكَذَا الْبَلَاءُ إِمَّا مُطْلَقٌ؛ كَالْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، وَإِمَّا مُقَيَّدٌ؛ كَالْفَقْرِ وَالْمَرَضِ كَمَا ذُكِرَ. فَالشُّكْرُ لِلنِّعَمِ وَاجِبٌ.

وَأَمَّا الصَّبْرُ فَعَلَى الْبَلَاءِ الْمُقَيَّدِ؛ وَأَمَّا الْبَلَاءُ الْمُطْلَقُ فَلَا يَجُوزُ الصَّبْرُ عَلَيْهِ بَلْ يَجِبُ إِزَالَتُهُ مَهْمَا أَمْكَنَ، وَإِنَّمَا الصَّبْرُ عَلَى أَلَمٍ لَيْسَ لِلْعَبْدِ إِزَالَتُهُ؛ مَثَلًا لَوْ تَأَلَّمَ بِطُولِ الْعَطَشِ حَتَّى عَظُمَ أَلَمُهُ لَا يَصْبِرُ عَلَيْهَا بَلْ يُزِيلُهَا إِنْ قَدَرَ[3].

ثُمَّ إِنَّ النِّعْمَةَ يَجُوزُ أَنْ تَصِيرَ بَلَاءً وَبِالْعَكْسِ، وَلِهَذَا يُمْكِنُ أَنْ يَجْتَمِعَ الصَّبْرُ وَالشُّكْرُ فِي مَادَّةٍ وَاحِدَةٍ؛ مَثَلًا الْفَقْرُ نِعْمَةٌ فِي حَقِّ مَنْ إِذَا اسْتَغْنَى وَكَثُرَ مَالُهُ بَطَرَ وَطَغَى، مَعَ أَنَّهُ بَلَاءٌ أَيْضًا فِي نَفْسِهِ، فَيَشْكُرُ مِنْ حَيْثُ كَوْنُهُ نِعْمَةً، وَيَصْبِرُ مِنْ حَيْثُ كَوْنُهُ بَلَاءً.

---

(1) هذا المطلب سقط من الأزهرية.

(2) ما بين معقوفين سقط من أنطاليا.

(3) الإحياء: 4/ 127.

ثُمَّ إِنَّ الْمَعْرِفَةَ الَّتِي هِيَ نِعْمَةٌ مُطْلَقَةٌ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ بَلَاءً فِي حَقِّ بَعْضِ النَّاسِ، فَتَكُونَ النِّعْمَةُ فِي ضِدِّهَا؛ مَثَلًا مَعْرِفَةُ الْإِنْسَانِ أَجَلَهُ بَلَاءٌ يُنَغِّصُ عَيْشَهُ، وَيُطِيلُ غَمَّهُ، فَيَكُونُ جَهْلُهُ بِهِ نِعْمَةً؛ وَكَذَلِكَ مَعْرِفَةُ أَحْوَالِ قُلُوبِ النَّاسِ بَلَاءٌ، إِذْ لَوْ رُفِعَ السِّتْرُ لَطَالَ أَلَمُهُ وَحِقْدُهُ وَحَسَدُهُ، وَاشْتِغَالُهُ بِالِانْتِقَامِ، بِسَبَبِ اطِّلَاعِهِ عَلَى مَا يُضْمِرُهُ الْخَلْقُ، فَيَكُونُ الْجَهْلُ بِهَا نِعْمَةً؛ وَكَذَلِكَ جَهْلُهُ بِالْخِصَالِ الْمَحْمُودَةِ فِي غَيْرِهِ نِعْمَةٌ، إِذْ رُبَّمَا يُضْطَرُّ إِلَى إِيذَائِهِ وَإِهَانَتِهِ، وَفِعْلُ ذَلِكَ بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ إِثْمٌ عَظِيمٌ؛ وَمِنْهَا الْجَهْلُ بِالْقِيَامَةِ، وَلَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَسَاعَةِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَبَعْضِ الْكَبَائِرِ؛ لِأَنَّ هَذَا الْجَهْلَ يُوَفِّرُ دَوَاعِيَكَ عَلَى الطَّلَبِ وَالِاجْتِهَادِ. وَهَذِهِ وُجُوهُ نِعَمِ اللهِ فِي الْجَهْلِ فَكَيْفَ فِي الْعِلْمِ.

وَإِنْ أَخْطَرْتَ بِبَالِكَ أَنَّ جَمْعَ الصَّبْرِ وَالشُّكْرِ جَمْعٌ بَيْنَ الضِّدَّيْنِ، إِذِ الْأَوَّلُ يَسْتَلْزِمُ الْفَرَحَ، وَالثَّانِي الشُّكْرَ، وَهُمَا ضِدَّانِ.

قُلْنَا: يَجُوزُ جَمْعُ الْفَرَحِ وَالْغَمِّ مِنْ وَجْهَيْنِ؛ إِذْ فِي كُلِّ فَقْرٍ وَمَرَضٍ وَخَوْفٍ وَبَلَاءٍ فِي الدُّنْيَا أُمُورٌ خَمْسَةٌ يَجِبُ الْفَرَحُ بِهَا عِنْدَ الْعَاقِلِ: عَدَمُ كَوْنِهَا زَائِدًا عَلَى مَا وَقَعَ، وَعَدَمُ كَوْنِهَا فِي الدِّينِ، وَتَعْجِيلُ عُقُوبَتِكَ فِي الدُّنْيَا فَلَا تُعَاقَبُ فِي الْآخِرَةِ ثَانِيًا؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا فَأَصَابَتْهُ شِدَّةٌ أَوْ بَلَاءٌ فِي الدُّنْيَا فَاللهُ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُعَذِّبَهُ ثَانِيًا»[1].

(1) الإحياء: 4/ 129، وتخريج أحاديث إحياء علوم الدين: 5/ 2165.

وَأَيْضًا هَذِهِ الْعُقُوبَةُ كَانَتْ مَكْتُوبَةً فِي أُمِّ الْكِتَابِ، فَقَدْ وَقَعَتْ وَانْقَضَتْ، وَهَذِهِ أَيْضًا نِعْمَةٌ. وَأَيْضًا إِنَّ ثَوَابَهَا فِي الْآخِرَةِ أَكْثَرُ مِنْ هَذِهِ الْعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا[1].

ثُمَّ إِنَّكَ بَعْدَمَا سَمِعْتَ فَضْلَ الْبَلَاءِ فَإِيَّاكَ أَنْ تُجَوِّزَ طَلَبَ الْبَلَاءِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ ذَلِكَ وَقَالَ: «سَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ، فَمَا أُعْطِيَ عَبْدٌ أَفْضَلَ مِنَ الْعَافِيَةِ إِلَّا الْيَقِينَ»[2].

وَأَشَارَ بِالْيَقِينِ إِلَى عَافِيَةِ الْقَلْبِ مِنْ مَرَضِ الْجَهْلِ وَالشَّكِّ، فَعَافِيَةُ الْقَلْبِ أَعْلَى مِنْ عَافِيَةِ الْبَدَنِ. وَنَظِيرُ ذَلِكَ فِي الْأَحَادِيثِ وَالْآثَارِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَى.

أَمَّا مَا صَدَرَ مِنْ أَهْلِ الْمَحَبَّةِ مِنْ طَلَبِ الْبَلَاءِ، فَإِنَّمَا نَشَأَ مِنْ فَرْطِ الْمَحَبَّةِ، لِأَنَّ مَنْ شَرِبَ مِنْ كَأْسِ الْمَحَبَّةِ سَكِرَ، وَمَنْ سَكِرَ تَوَسَّعَ فِي الْكَلَامِ، وَلَوْ زَايَلَهُ سُكْرُهُ عَلِمَ أَنَّ مَا غَلَبَ عَلَيْهِ كَانَتْ حَالَةً لَا حَقِيقَةَ لَهَا، وَكَلَامُ الْعُشَّاقِ يُسْتَلَذُّ سَمَاعُهُ، وَلَكِنْ لَا يُعَوَّلُ عَلَيْهِ.

وَيُحْكَى أَنَّ فَاخِتَةَ قَالَتْ لِزَوْجِهَا: مَا الَّذِي يَمْنَعُكَ عَنِّي، وَلَوْ أَرَدْتَ أَنْ أَقْلِبَ قَصْرَ سُلَيْمَانَ ظَهْرًا لِبَطْنٍ لَفَعَلْتُهُ لِأَجْلِكَ، فَسَمِعَهُ سُلَيْمَانُ وَعَاتَبَهُ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ كَلَامُ الْعُشَّاقِ لَا يُحْكَى، وَهُوَ كَمَا قَالَ[3].

---

(1) الإحياء: 4/ 127ـ129.

(2) قوت القلوب: 1/ 352، والإحياء: 4/ 134، وتلقيح فهوم أهل الأثر: 422.

(3) الإحياء: 4/ 134ـ135.

الْمَطْلَبُ الْحَادِي عَشَرَ

قَالَ بَعْضُهُمْ: الصَّبْرُ أَفْضَلُ مِنَ الشُّكْرِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ بِالْعَكْسِ، وَقَالَ آخَرُونَ: هُمَا سِيَّانِ، وَقَالَ آخَرُونَ: يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَفْهُومَ مِنَ الْأَحَادِيثِ وَالْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ أَفْضَلِيَّةُ الصَّبْرِ عَلَى الشُّكْرِ؛ لِأَنَّ الصَّبْرَ حَالُ الْفَقْرِ، وَالشُّكْرَ حَالُ الْغِنَى، وَفِي ذَلِكَ مَقْنَعٌ لِلنَّاسِ كَافَّةً. إِلَّا أَنَّ أَهْلَ التَّحْقِيقِ مِنْهُمْ رُبَّمَا يَكْشِفُونَ حَقِيقَةَ الْحَالِ بِتَفْصِيلِ ذَلِكَ؛ وَهُوَ أَنَّ الْعُلُومَ الظَّاهِرَةَ تُرَادُ لِلْأَحْوَالِ، وَالْأَحْوَالُ لِلْأَعْمَالِ؛ وَأَمَّا الْعُلُومُ الْبَاطِنَةُ فَإِنَّمَا تُرَادُ الْأَحْوَالُ لِأَجْلِهَا، وَالْأَعْمَالُ لِأَجْلِ الْأَحْوَالِ. فَأَفْضَلُ الْكُلِّ مَعْرِفَةُ اللهِ تَعَالَى، وَإِنَّمَا يُتَوَسَّلُ إِلَيْهَا بِأَحْوَالِ الْقَلْبِ فِي تَصْفِيَتِهِ عَنِ الْمُكَدِّرَاتِ.

ثُمَّ الْأَعْمَالُ إِمَّا بِأَنْ تَجْلُبَ ظُلْمَةَ الْقَلْبِ وَهِيَ الْمَعَاصِي، أَوْ صَفَاءَهَا وَهِيَ الطَّاعَاتُ. ثُمَّ إِنَّ الْمَعَاصِيَ وَالطَّاعَاتِ مُتَفَاوِتَةٌ وَمُخْتَلِفَةٌ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ؛ مَثَلًا مَنْ غَلَبَهُ الشُّحُّ فَلَيْسَ لَهُ صَوْمُ النَّافِلَةِ، بَلْ إِخْرَاجُ دِرْهَمٍ وَاحِدٍ لَهُ أَفْضَلُ مِنْ صَوْمِ النَّافِلَةِ، وَكَذَا مَنْ غَلَبَتْهُ شَهْوَةُ الْبَطْنِ فَلَهُ الصَّوْمُ دُونَ إِخْرَاجِ الْمَالِ[1].

وَأَمَّا مَا وَرَدَ فِي الشَّرْعِ مِنْ فَضْلِ الصَّدَقَةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَفَضْلِ الصَّوْمِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، فَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَوْ قِيلَ: الصَّدَقَةُ لِمَنِ ابْتُلِيَ بِمَرَضِ الشُّحِّ، وَالصَّوْمُ

---

(1) الإحياء: 4/ 135 ـ 137.

لِمَنِ ابْتُلِيَ بِمَرَضِ الشَّهْوَةِ الْبَطْنِيَّةِ أَوِ الْفَرْجِيَّةِ لَرُبَّمَا قَالَتِ النَّفْسُ: لَيْسَ فِيَّ هَذَا الْمَرَضُ؛ لِأَنَّ شَأْنَ النَّفْسِ إِنْكَارُ أَمْرَاضِهَا، فَيَتْرُكُ مُعَالَجَتَهَا فَتَهْلِكُ. انْظُرْ إِلَى رَحْمَةِ الشَّارِعِ عَلَى الْعِبَادِ، وَحَذَاقَتِهَا في مُعَالَجَةِ أَمْرَاضِ قُلُوبِكُمْ.

ثُمَّ إِنَّ الصَّبْرَ وَالشُّكْرَ قَدْ يَجْتَمِعَانِ في مَحَلٍّ وَاحِدٍ كَمَا بَيَّنَّاهُ، فَهُنَاكَ لَا يُتَصَوَّرُ فَضِيلَةُ أَحَدِهِمَا عَلَى الْآخَرِ. وَأَمَّا إِذَا تَغَايَرَ مَحَلُّهُمَا فَإِنْ كَانَتِ النِّعْمَةُ ضَرُورِيَّةً؛ كَالْعَيْنَيْنِ مَثَلًا، فَمَنْ فَقَدَهُمَا فَصَبْرُهُ بِأَنْ لَا يُظْهِرَ الشَّكْوَى، وَيُضْمِرَ الرِّضَا بِقَضَاءِ اللهِ تَعَالَى. وَالْبَصِيرُ إِمَّا أَنْ يَسْتَعْمِلَهُمَا فِي طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى فَقَدْ شَكَرَ وَصَبَرَ أَيْضًا عَلَى الطَّاعَةِ، وَكَذَا إِنْ كَفَّهُمَا عَنِ الْحَرَامِ فَقَدْ شَكَرَ وَصَبَرَ أَيْضًا عَنِ الْحَرَامِ.

وَلَا يَخْفَى أَنَّ الْأَعْمَى فِيهِ فَضِيلَةُ الصَّبْرِ فَقَطْ، وَفِي الْبَصِيرِ الْمُتَّقِي عَنِ الْحَرَامِ أَوِ الْمُسْتَعْمَلِ فِي الطَّاعَةِ فَضِيلَةُ الصَّبْرِ وَالشُّكْرِ مَعًا. فَالْبَصِيرُ الْمَذْكُورُ أَفْضَلُ مِنَ الْأَعْمَى الْمَذْكُورِ، وَالْأَعْمَى الْمَذْكُورُ أَفْضَلُ مِنَ الْبَصِيرِ الْغَيْرِ الْغَاضِّ بَصَرَهُ عَنِ الْحَرَامِ[1].

وَإِنْ كَانَتِ النِّعْمَةُ غَيْرَ ضَرُورِيَّةٍ وَلَمْ تَكُنْ فَاضِلَةً عَلَى الْحَاجَةِ، فَفِي الصَّبْرِ عَنِ الزِّيَادَةِ مُجَاهَدَةٌ، وَهَذَا الصَّبْرُ أَتَمُّ وَأَقْوَى مِنْ صَبْرِ الْغَنِيِّ عَلَى الِاقْتِصَارِ عَلَى الْمُبَاحِ، وَيُمْسِكُ مَالَهُ عَلَى الْفُقَرَاءِ.

(1) الإحياء: 4/ 138 ـ 139.

وَأَمَّا الْغَنِيُّ الَّذِي يَصْرِفُ مَالَهُ إِلَى الْخَيْرَاتِ، وَلَا يَسْتَعْمِلُهَا فِي الْمَعْصِيَةِ، فَفِيهِ الشُّكْرُ وَالصَّبْرُ؛ وَلَا يَخْفَى أَنَّ مَجْمُوعَ الْأَمْرَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ أَحَدِهِمَا، وَإِنْ كَانَ صَبْرُ الْفَقِيرِ أَفْضَلَ مِنْ جِهَةِ صَبْرِ هَذَا الْغَنِيِّ أَيْضًا.

وَبِالْجُمْلَةِ، الْفَقِيرُ الصَّابِرُ أَفْضَلُ مِنَ الْغَنِيِّ الصَّابِرِ فَقَطْ، [وَمِنَ الْغَنِيِّ الشَّاكِرِ فَقَطْ، وَإِنْ كَانَ الْغَنِيُّ الصَّابِرُ الشَّاكِرُ أَفْضَلَ مِنَ الْفَقِيرِ الصَّابِرِ فَقَطْ.][1] وَمَا قِيلَ: الْغَنِيُّ الشَّاكِرُ أَفْضَلُ مِنَ الْفَقِيرِ الصَّابِرِ، فَذَلِكَ لِعَدَمِ انْفِكَاكِ الشُّكْرِ عَنِ الصَّبْرِ.

وَمَا وَرَدَ فِي الْأَخْبَارِ مِنْ فَضِيلَةِ الصَّبْرِ عَلَى الشُّكْرِ فَإِنَّمَا فَضِيلَتُهُ عَلَى الشُّكْرِ بِحَسَبِ مُتَفَاهَمِ عُرْفِ الْعَامَّةِ، وَهُوَ أَنَّ النِّعْمَةَ عِنْدَهُمُ الْمَالُ فَقَطْ، وَالْمُتَبَادِرُ مِنَ الشُّكْرِ عِنْدَهُمْ قَوْلُهُمْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، الشُّكْرُ لِلَّهِ، إِلَّا أَنَّ التَّفْصِيلَ الْكَاشِفَ لِلشُّبْهَةِ هُوَ مَا ذَكَرْنَاهُ. وَاللهُ أَعْلَمُ[2].

---

(1) ما بين معقوفين سقط من الأزهرية.

(2) الإحياء: 4/ 140 ـ 141.

الْأَصْلُ الثَّالِثُ: فِي الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ[1]

وَفِيهِ مَطَالِبُ:

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ: فِي حَقِيقَةِ الرَّجَاءِ

وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مَا يُلَاقِيكَ مِنْ مَكْرُوهٍ أَوْ مَحْبُوبٍ إِمَّا مَوْجُودٌ فِي الْحَالِ، أَوْ فِي الْمَاضِي، أَوْ فِي الِاسْتِقْبَالِ. فَإِذَا خَطَرَ بِبَالِكَ الْأَوَّلُ سُمِّيَ ذِكْرًا، وَإِذَا خَطَرَ الثَّانِي يُسَمَّى وَجْدًا وَذَوْقًا وَإِدْرَاكًا، وَإِنَّمَا سُمِّيَ وَجْدًا لِوُجُودِهَا في نَفْسِهِ، وَإِذَا خَطَرَ الثَّالِثُ وَغَلَبَ عَلَى قَوْلِكَ يُسَمَّى انْتِظَارًا وَتَوَقُّعًا.

ثُمَّ إِنْ كانَ الْمُنْتَظَرُ مَكْرُوهًا حَصَلَ مِنْهُ أَلَمٌ يُسَمَّى خَوْفًا وَإِشْفَاقًا، وَإِنْ كانَ مَحْبُوبًا حَصَلَ مِنْهُ شَوْقٌ يُسَمَّى رَجَاءً؛ إِنْ كانَ انْتِظَارُهُ لِأَجْلِ حُصُولِ أَكْثَرِ أَسْبَابِهِ، وَغُرُورًا إِنْ كانَ مَعَ انْخِرَامِ أَسْبَابِهِ وَاضْطِرَابِهَا، وَإِنْ لَمْ يُعْلَمْ وُجُودُ أَسْبَابِهِ وَلَا انْتِفَاؤُهَا يُسَمَّى تَمَنِّيًا.

فَاسْمُ الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ لَا يُطْلَقُ إِلَّا عَلَى مَا يُتَرَدَّدُ فِيهِ، إِذْ لَا يُقَالُ: أَرْجُو طُلُوعَ الشَّمْسِ، وَأَخَافُ غُرُوبَهَا، بَلْ يُقَالُ: أَرْجُو نُزُولَ الْمَطَرِ، وَأَخَافُ انْقِطَاعَهُ.

وَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا، فَاعْلَمْ أَنَّ انْتِظَارَ الْمَغْفِرَةِ إِنَّمَا سُمِّيَ رَجَاءً إِذَا تَمَهَّدَتْ جَمِيعُ أَسْبَابِهِ الدَّاخِلَةِ تَحْتَ اخْتِيَارِ الْعَبْدِ - مِنْ بَثِّ بَذْرِ الْإِيمَانِ، وَسَقْيِهِ بِمَاءِ

---

(1) هذا الأصل سقط من الأزهرية.

الطَّاعَاتِ، وَتَطْهِيرِ الْقَلْبِ مِنْ شَوْكِ الْأَخْلَاقِ الرَّدِيئَةِ- وَانْتَظَرَ مِنْ فَضلِ اللهِ تَعَالَى الثَّبَاتَ عَلَيْهِ إِلَى الْمَوْتِ، وَحُسْنَ الْخَاتِمَةِ عِنْدَ الْمَوْتِ، كانَ انْتِظَارُهُ رَجَاءً حَقِيقِيًّا مَحْمُودًا فِي نَفْسِهِ، وَإِنْ خَالَفَ[1] مَا ذُكِرَ مِنَ الشَّرَائِطِ، ثُمَّ انْتَظَرَ الْمَغْفِرَةَ فَانْتِظَارُهُ حُمْقٌ وَغُرُورٌ[2].

(1) خاف، في رئيس الكتاب.

(2) الإحياء: 4/ 142-143.

الْمَطْلَبُ الثَّانِي: فِي فَضِيلَةِ الرَّجَاءِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ﴾[1].

وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ»[2].

وَقَالَ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ»[3].

وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ[4].

وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّجُلَ إِمَّا أَنْ يَغْلِبَ عَلَيْهِ الْيَأْسُ فَتَرَكَ الْعِبَادَةَ، أَوْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْخَوْفُ فَأَسْرَفَ فِي الْمُوَاظَبَةِ عَلَى الْعِبَادَةِ حَتَّى أَضَرَّ بِنَفْسِهِ، فَهُمَا مَائِلَانِ إِلَى طَرَفَيِ الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ، فَيَحْتَاجَانِ إِلَى دَوَاءٍ.

وَأَمَّا الْعَاصِي الْمَغْرُورُ الْمُتَمَنِّي عَلَى اللهِ تَعَالَى، مَعَ الْإِعْرَاضِ عَنِ الْعِبَادَةِ، فَأَدْوِيَةُ الرَّجَاءِ فِي حَقِّهِ سُمُومٌ مُهْلِكَةٌ، بَلْ لَا يُبْرِئُهُ مِنْ مَرَضِهِ إِلَّا أَدْوِيَةُ الْخَوْفِ. فَمَنْ كانَ وَاعِظًا يَنْبَغِي أَنْ يُرَاعِيَ الْأَمْرَاضَ الْمَذْكُورَةَ، وَيُدَبِّرَ عِلَاجَهَا بِحَسَبِ الْأَمْرَاضِ، وَأَلَّا يُؤَدِّيَ إِلَى الْهَلَاكِ. وَعَلَيْهِ أَنْ يَقْتَدِيَ بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، حَيْثُ اشْتَمَلَا عَلَى الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ جَمِيعًا.

---

(1) سورة الزمر الآية: 53.

(2) كتاب الزهد والرقائق: 318، رقم: 909، ومسند أحمد: 25/ 398، رقم: 16016، صحيح ابن حبان: 1/ 460، رقم: 663.

(3) مسند أبي داود الطيالسي: 3/ 330، رقم: 1888، وصحيح مسلم: 4/ 2206، رقم: 2877.

(4) الإحياء: 4/ 144 ـ 145.

وَبِالْجُمْلَةِ، الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا هُوَ الْوَسَطُ، وَهُوَ الْجَادَّةُ، فَمَنْ مَالَ عَنْهَا يُرَدُّ إِلَى الْجَادَّةِ لَا إِلَى الطَّرَفِ الْآخَرِ.

ثُمَّ إِنَّ طَرِيقَ الْعِلَاجِ إِمَّا اسْتِقْرَاءُ الْآيَاتِ وَالْأَخْبَارِ، وَذَلِكَ مَعْلُومٌ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ، كَمَا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ أَنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي»(1).

وَفِي الْحَدِيثِ: «لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَخَلَقَ اللهُ تَعَالَى خَلْقًا يُذْنِبُونَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ»(2).

وَفِي الْخَبَرِ: «لَيَغْفِرَنَّ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْفِرَةً مَا خَطَرَتْ قَطُّ عَلَى قَلْبِ أَحَدٍ حَتَّى إِنَّ إِبْلِيسَ لَيَتَطَاوَلُ لَهَا رَجَاءَ أَنْ تُصِيبَهُ»(3)، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ.

وَأَمَّا اعْتِبَارُ الْعَقْلِ، وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ أَعَدَّ لِلْإِنْسَانِ كُلَّ مَا هُوَ ضَرُورِيٌّ لَهُ فِي دَوَامِ وُجُودِهِ؛ كَآلَاتِ الْغِذَاءِ، وَمَا هُوَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ؛ كَالْأَظْفَارِ وَالْأَصَابِعِ، وَمَا هُوَ زِينَةٌ لَهُ؛ كَاسْتِقْوَاسِ الْحَاجِبَيْنِ، وَاخْتِلَافِ أَلْوَانِ الْعَيْنَيْنِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَنْثَلِمُ بِفَقْدِهِ غَرَضٌ مَقْصُودٌ، وَإِنَّمَا كَانَ يَفُوتُ بِهِ مَزِيَّةُ جَمَالٍ، فَمَا ظَنُّكَ

---

(1) صحيح مسلم: 4/ 2108، رقم: 2751، وسنن ابن ماجه: 2/ 1435، رقم: 4295، وسنن الترمذي: 5/ 511، رقم: 3543.

(2) حلية الأولياء: 7/ 204، والإحياء: 4/ 151، ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد: 10/ 215، رقم: 17624.

(3) المعجم الكبير للطبراني: 3/ 168، رقم: 3022، والمعجم الأوسط للطبراني: 5/ 250، رقم: 5227.

بِإِعْدَادِ مَا هُوَ أَهَمُّ الْأُمُورِ عِنْدَهُ وَغَايَةُ الْغَايَاتِ وَأَصْلُ كُلِّ السَّعَادَاتِ ـ أَعْنِي سَعَادَةَ الْآخِرَةِ ـ فَالْعِنَايَةُ الْإِلَهِيَّةُ إِذَا لَمْ تَرْضَ لِعِبَادِهِ بِفَوَاتِ أَمْثَالِ هَذِهِ، فَكَيْفَ تَرْضَى بِسِيَاقَتِهِمْ إِلَى الْهَلَاكِ الْمُؤَبَّدِ.

وَإِذَا كانَ حَالُ أَكْثَرِ الْخَلْقِ فِي الدُّنْيَا الْغَالِبَ عَلَيهَا الْخَيْرُ وَالسَّلَامَةُ، فَسُنَّةُ اللهِ لَا تَجِدُ لَهَا تَبْدِيلًا، فَالْغَالِبُ أَنَّ أَمْرَ الْآخِرَةِ هَكَذَا يَكُونُ، لِأَنَّ مُدَبِّرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاحِدٌ، وَهُوَ غَفُورٌ رَحِيمٌ، لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ، مُتَعَطِّفٌ عَلَيْهِمْ.

وَأَيْضًا مَنْ نَظَرَ فِي حِكْمَةِ الشَّرِيعَةِ، وَوَجْهِ الرَّحْمَةِ بِهَا عَلَى الْعِبَادِ، حَتَّى أَنْزَلَ آيَةً طَوِيلَةً لِبَيَانِ حَالِ الْمُدَايَنَةِ لِيَهْتَدِيَ بِهَا إِلَى حِفْظِ دَيْنِهِ، فَمَنْ هَدَاهُمْ طَرِيقَ حِفْظِ دُنْيَاهُمْ فَكَيْفَ لَا يَحْفَظُ لَهُمْ طَرِيقَ دِينِهِمْ، الَّذِي لَا عِوَضَ لَهُمْ مِنْهُ[1].

(1) لخص كلامه من الإحياء: 4/ 146 ـ 147.

الْمَطْلَبُ الثَّالِثُ: فِي الْخَوْفِ

وَقَدْ عَرَفْتَ حَقِيقَتَهُ، وَهِيَ تَأَلُّمُ الْقَلْبِ بِسَبَبِ تَوَقُّعِ مَكْرُوهٍ فِي الِاسْتِقْبَالِ. فَالْخَوْفُ مِنَ اللهِ تَارَةً يَكُونُ بِمَعْرِفَةِ اللهِ، وَمَعْرِفَةِ صِفَاتِهِ، وَأَنَّهُ لَوْ أَهْلَكَ الْعَالَمِينَ لَمْ يُبَالِ، وَلَمْ يَمْنَعْهُ مَانِعٌ؛ وَتَارَةً يَكُونُ لِكَثْرَةِ الْجِنَايَةِ مِنَ الْعَبْدِ؛ وَتَارَةً يَكُونُ بِهِمَا جَمِيعًا. فَأَخْوَفُ النَّاسِ لِرَبِّهِ أَعْرَفُهُمْ بِنَفْسِهِ وَبِرَبِّهِ، وَكَذَلِكَ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا أَخْوَفُكُمْ لِلَّهِ [وَأَعْرَفُكُمْ بِهِ][1]».

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[2].

ثُمَّ إِذَا كَمُلَتِ الْمَعْرِفَةُ، أَوْرَثَتْ حَالَ الْخَوْفِ، وَاحْتِرَاقَ الْقَلْبِ، ثُمَّ يَفِيضُ أَثَرُهُ عَلَى الْبَدَنِ وَالْجَوَارِحِ وَالصِّفَاتِ.

أَمَّا فِي الْبَدَنِ، فَالنُّحُولُ وَالصُّفَارُ وَالْغَشْيَةُ وَالزَّعْقَةُ وَالْبُكَاءُ، وَقَدْ تَنْفَتِقُ بِهِ الْمَرَارَةُ، فَيُفْضِي إِلَى الْمَوْتِ، أَوْ يَصْعَدُ إِلَى الدِّمَاغِ فَيُفْسِدُ الْعَقْلَ، أَوْ يَقْوَى فَيُورِثُ الْقُنُوطَ وَالْيَأْسَ.

وَأَمَّا فِي الْجَوَارِحِ، فَيَكُفُّهَا عَنِ الْمَعَاصِي، وَيُقَيِّدُهَا بِالطَّاعَاتِ.

وَأَمَّا فِي الصِّفَاتِ، فَيَقْمَعُ الشَّهَوَاتِ، وَيُكَدِّرُ اللَّذَّاتِ، فَتَصِيرُ الْمَعَاصِي الْمَحْبُوبَةُ عِنْدَهُ مَكْرُوهَةً، وَتَتَأَدَّبُ الْجَوَارِحُ، وَيَحْصُلُ فِي الْقَلْبِ الذُّلُّ

(1) ما بين معقوفين سقط من رئيس الكتاب.

(2) سورة فاطر الآية: 28.

وَالْخُشُوعُ، وَيُفَارِقُهُ الْكِبْرُ وَالْحَسَدُ وَالْحِقْدُ، بَلْ يَصِيرُ مُسْتَوْعِبَ الْهَمِّ بِخَوْفِهِ، وَالنَّظَرِ فِي خطَرِ عَاقِبَتِهِ، وَلَا يَكُونُ لَهُ شُغْلٌ إِلَّا الْمُرَاقَبَةَ وَالْمُحَاسَبَةَ وَالْمُجَاهَدَةَ وَالضِّنَّةَ بِالْأَنْفَاسِ وَالْخُطُوَاتِ، وَمُؤَاخَذَةَ النَّفْسِ فِي الْخَطَرَاتِ وَالْخُطُوَاتِ وَالْكَلِمَاتِ. وَهَذَا كَانَ حَالَ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ.

وَأَقَلُّ دَرَجَاتِ الْخَوْفِ مِمَّا يَظْهَرُ أَثَرُهُ فِي الْأَعْمَالِ أَنْ يَمْنَعَ مِنَ الْمَحْظُورَاتِ، وَيُسَمَّى وَرَعًا. فَإِنْ زَادَتْ قُوَّتُهُ حَتَّى كَفَّ عَمَّا لَا يُتَيَقَّنُ حُرْمَتُهُ، يُسَمَّى تَقْوَى؛ وَهُوَ أَنْ يَتْرُكَ مَا يَرِيبُهُ إِلَى مَا لَا يَرِيبُهُ. وَقَدْ يُزَادُ عَلَيْهِ، فَيَتْرُكُ مَا لَا بَأْسَ بِهِ مَخَافَةَ مَا بِهِ بَأْسٌ، فَهُوَ الصِّدْقُ فِي التَّقْوَى؛ فَإِذَا انْضَمَّ إِلَيْهِ التَّجَرُّدُ فِي الْخِدْمَةِ، بِأَنْ لَا يَصْرِفَ إِلَى غَيْرِ اللهِ مِنَ الْمَأْكَلِ وَالْمَلْبَسِ نَفَسًا مِنْ أَنْفَاسِهِ بِأَنْ لَا يَلْتَفِتَ إِلَى غَيْرِ اللهِ أَصْلًا فَهُوَ الصِّدْقُ، وَصَاحِبُهُ جَدِيرٌ بِأَنْ يُسَمَّى صِدِّيقًا، وَالصِّدِّيقُ يَتَضَمَّنُ التَّقْوَى وَالْوَرَعَ وَالْعِفَّةَ[1].

ثُمَّ إِنَّ الْخَوْفَ لَيْسَ كُلَّمَا كَانَ أَقْوَى كَانَ أَحْمَدَ، بَلْ قَدْرَ مَا يَسُوقُ الْعَبْدَ إِلَى الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ. وَأَمَّا مَا خَرَجَ إِلَى حَدِّ الْيَأْسِ فَيُسَمَّى الْقُنُوطَ لَا الْخَوْفَ، وَقَدْ يَخْرُجُ إِلَى حَدِّ الْمَرَضِ وَالضُّعْفِ وَالْوَلَهِ وَالدَّهْشَةِ وَزَوَالِ الْعَقْلِ، بَلِ الْمَوْتِ، وَكُلُّ ذَلِكَ مَذْمُومٌ.

وَأَيْضًا الْخَوْفُ الْقَاصِرُ الَّذِي يَعْقُبُهُ الْغَفْلَةُ قَلِيلُ الْجَدْوَى، ضَعِيفُ النَّفْعِ؛ كَمَنْ يَسْمَعُ آيَةً وَيَخَافُ مِنْهَا، وَيَرِقُّ رِقَّةَ النِّسَاءِ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى الْغَفْلَةِ؛ وَمِثْلُ

---

(1) الإحياء: 4/ 155 ـ 156.

ذَلِكَ يُسَمَّى حَدِيثَ النَّفْسِ دُونَ الْخَوْفِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَنْ مَاتَ مِنَ الْخَوْفِ يَكُونُ شَهِيدًا، فَكَيْفَ يُذَمُّ؟

قُلْتُ: مَحْمُودِيَّةُ الشَّهَادَةِ بِالْإِضَافَةِ إِلَى أَنْ لَوْ مَاتَ بِلَا شَهَادَةٍ، وَأَمَّا بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَا لَوْ عُمِّرَ وَصَلَ بِوَاسِطَةِ الْخَوْفِ الْمَحْمُودِ دَرَجَاتِ الْوِلَايَةِ فَكَلَّا، بَلْ لَهُ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ رُتْبَةُ شَهِيدٍ وَشُهَدَاءَ(1).

ثُمَّ الْخَوْفُ إِمَّا مِنَ الْمَكْرُوهِ لِذَاتِهِ؛ كَنَفْسِ النَّارِ، أَوْ لِغَيْرِهِ؛ كَالْمَوْتِ قَبْلَ التَّوْبَةِ، أَوْ خَوْفِ نَقْضِ التَّوْبَةِ، وَزَوَالِ الرِّقَّةِ مِنَ الْقَلْبِ، أَوْ خَوْفِ أَنْ يَكِلَهُ اللهُ إِلَى حَسَنَاتِهِ، أَوْ خَوْفِ الِاسْتِدْرَاجِ بِتَوَاتُرِ النِّعَمِ، أَوْ خَوْفِ الْخَاتِمَةِ، وَإِنْ كانَ حَالُ الْعَارِفِينَ خَوْفَ السَّابِقَةِ؛ لِأَنَّ الْخَاتِمَةَ تَتْبَعُ لَهَا. وَهَذِهِ كُلُّهَا مَخَاوِفُ الْعَارِفِينَ، وَلِكُلٍّ مِنْهَا طَرِيقُ الْحَذَرِ(2).

وَأَيْضًا الْخَوْفُ إِمَّا مِنَ الْمَعْصِيَةِ، وَهَذَا خَوْفُ الصَّالِحِينَ، أَوْ مِنَ اللهِ تَعَالَى وَهَذَا خَوْفُ الْمُوَحِّدِينَ وَالصِّدِّيقِينَ؛ لِأَنَّ هَذَا الْخَوْفَ لَا يَزُولُ عِنْدَ الطَّاعَةِ أَيْضًا؛ لِأَنَّ مَنْ عَرَفَ أَنَّ الطَّاعَةَ وَالْمَعْصِيَةَ كِلَاهُمَا بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ، وَأَنَّهُ تَعَالَى خَلَقَ هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ وَلَا يُبَالِي، وَخَلَقَ هَؤُلَاءِ لِلنَّارِ وَلَا يُبَالِي، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ الْإِرَادَةَ الْجَازِمَةَ وَالْقُدْرَةَ التَّامَّةَ لِلْمُطِيعِ وَالْعَاصِي، وَلَمْ يَعْرِفْ مَا الَّذِي أَوْجَبَ تَخْصِيصَ هَذَا بِإِرَادَةِ الطَّاعَاتِ، وَتَخْصِيصَ ذَاكَ بِتَسْلِيطِ

(1) الإحياء: 4/ 157.

(2) المصدر نفسه: 4/ 158.

دَوَاعِي الْمَعْصِيَةِ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَعْرِفْ كَيْفِيَّةَ إِحَالَةِ ذَلِكَ عَلَى الْعَبْدِ. فَإِذَا كَانَتِ الْحَوَالَةُ تَرْجِعُ إِلَى الْقَضَاءِ الْأَزَلِيِّ مِنْ غَيْرِ جِنَايَةٍ، وَلَا وَسِيلَةٍ، فَالْخَوْفُ مِمَّنْ يَقْضِي بِمَا شَاءَ، وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ، جَزْمٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَوَرَاءَ هَذَا الْمَعْنَى سِرُّ الْقَدرِ الَّذِي لَا يَجُوزُ إِفْشَاؤُهُ[1].

ثُمَّ إِنَّ الْخَائِفَ مِنْ نَفْسِ الْمَكْرُوهِ؛ مِنْ أَحْوَالِ الْمَوْتِ وَالْقَبْرِ، أَوْ أَهْوَالِ الْمَطْلَعِ وَالْحَشْرِ، وَالْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ، وَالْخَوْفِ مِنَ السُّؤَالِ، أَوِ الصِّرَاطِ وَالْمِيزَانِ، وَالْخَوْفِ مِنَ الْحِرْمَانِ عَنِ الْجِنَانِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ. وَهَذَا خَوْفُ الْعَابِدِينَ وَالزَّاهِدِينَ. وَأَعْلَى مَا ذُكِرَ مِنَ الْمَخَاوِفِ هُوَ خَوْفُ الْفِرَاقِ وَالْحِجَابِ عَنِ اللهِ تَعَالَى، وَهُوَ خَوْفُ الْعَارِفِينَ[2].

(1) المصدر نفسه: 4/ 159.

(2) الإحياء: 4/ 160.

الْمَطْلَبُ الرَّابِعُ

اِعْلَمْ أَنَّ فَضِيلَةَ الْخَوْفِ ثَابِتَةٌ بِالنَّقْلِ وَالْعَقْلِ. أَمَّا النَّقْلُ، فَمِنْ حَيْثُ إِنَّهُ تَعَالَى جَمَعَ لِلْخَائِفِينَ مَجَامِعَ مَقَامَاتِ أَهْلِ الْجِنَانِ مِنَ الْهُدَى وَالرَّحْمَةِ وَالْعِلْمِ وَالرِّضْوَانِ. قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾[1]؛ وَقالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[2]، فَوَصَفَهُمْ بِالْعِلْمِ لِخَشْيَتِهِمْ؛ وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾[3].

وَرُوِيَ أَيْضًا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِرِوَايَةِ الْفُضَيْلِ، وَقِيلَ: هُوَ مَوْقُوفٌ عَلَى الْفُضَيْلِ: «مَنْ خَافَ اللهَ خَافَهُ كُلُّ شَيْءٍ، وَمَنْ خَافَ غَيْرَ اللهِ خَافَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»[4].

وَأَمَّا الْعَقْلُ، فَلِأَنَّ فَضِيلَةَ الشَّيْءِ بِقَدْرِ إِعَانَتِهِ فِي الْإِفْضَاءِ إِلَى سَعَادَةِ لِقَاءِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا شَيْءَ أَنْفَعُ فِي الْوُصُولِ إِلَى هَذِهِ السَّعَادَةِ إِلَّا بِمَحَبَّتِهِ تَعَالَى، وَالْأُنْسِ بِهِ فِي الدُّنْيَا، وَلَا تَحْصُلُ الْمَحَبَّةُ إِلَّا بِالْمَعْرِفَةِ، وَلَا تَحْصُلُ هِيَ إِلَّا بِدَوَامِ الْفِكْرِ.

---

(1) سورة الأعراف الآية: 154.

(2) سورة فاطر الآية: 28.

(3) سورة البينة الآية: 8.

(4) التمثيل والمحاضرة: 13، والإحياء: 4/ 162، وسنده ضعيف جدا.

وَأَيْضًا حُصُولُ الْأُنْسِ بِالْمَحَبَّةِ وَدَوَامِ الذِّكْرِ، وَلَا يُمْكِنُ الْمُوَاظَبَةُ عَلَى الذِّكْرِ وَالْفِكْرِ إِلَّا بِانْقِلَاعِ حُبِّ الدُّنْيَا مِنَ الْقَلْبِ، وَلَا يَنْقَلِعُ ذَلِكَ إِلَّا بِتَرْكِ لَذَّاتِ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا، وَلَا يُمْكِنُ تَرْكُ الْمُشْتَهَيَاتِ إِلَّا بِقَمْعِ الشَّهَوَاتِ، وَلَا تَنْقَمِعُ الشَّهَوَاتُ بِشَيْءٍ كَمَا تَنْقَمِعُ بِنَارِ الْخَوْفِ؛ فَإِذًا هُوَ أَصْلٌ لِأَسْبَابِ السَّعَادَةِ. وَأَيْضًا كُلُّ مَا وَرَدَ فِي مَذَمَّةِ الْأَمْنِ فَهُوَ فَضِيلَةُ الْخَوْفِ[1].

وَاعْلَمْ أَنَّ النَّاسَ اخْتَلَفُوا فِي أَنَّ الْأَفْضَلَ غَلَبَةُ الْخَوْفِ، أَوْ غَلَبَةُ الرَّجَاءِ، أَوْ مُسَاوَاتُهُمَا؟ وَالْجَوَابُ الْحَقُّ فِيهِ: أَنَّ الْخَوْفَ وَالرَّجَاءَ دَوَاءٌ، وَفَضْلُ الدَّوَاءِ بِحَسَبِ الدَّاءِ الْمَوْجُودِ، فَإِنْ كَانَ الْغَالِبُ دَاءَ الْأَمْنِ فَالْخَوْفُ أَفْضَلُ فِي حَقِّهِ، وَإِنْ كَانَ الْغَالِبُ هُوَ الْيَأْسُ فَالرَّجَاءُ أَفْضَلُ؛ وَكَذَلِكَ إِنْ كانَ الْغَالِبُ عَلَى الْعَبْدِ الْمَعْصِيَةَ فَالْخَوْفُ أَفْضَلُ؛ وَأَمَّا الْعَبْدُ التَّقِيُّ الَّذِي تَرَكَ ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ، وَخَفِيَّهُ وَجَلِيَّهُ، فَالْأَصْلَحُ لَهُ أَنْ يَعْتَدِلَ خَوْفُهُ وَرَجَاؤُهُ[2].

وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: الْخَوْفُ أَفْضَلُ مُطْلَقًا، لَكِنْ بِتَأْوِيلِ أَنَّ مَرَضَ الْمَعْصِيَةِ وَالِاغْتِرَارِ أَغْلَبُ فِي النَّاسِ؛ وَأَمَّا إِنْ نَظَرَ إِلَى أَنَّ مَطْلَعَ الْخَوْفِ بَحْرُ الْغَضَبِ، وَمَطْلَعَ الرَّجَاءِ بَحْرُ الرَّحْمَةِ، يُقَالُ: الرَّجَاءُ أَفْضَلُ؛ لِأَنَّ مَنْ نَظَرَ إِلَى صِفَاتِ الرَّحْمَةِ وَاللُّطْفِ يَعْقُبُهُ الْمَحَبَّةُ الَّتِي هِيَ مُنْتَهَى الْمَقَامَاتِ، وَلا كَذَلِكَ النَّظَرُ إِلَى صِفَاتِ الْقَهْرِ وَالْغَضَبِ.

---

(1) الإحياء: 4/ 162.

(2) المصدر نفسه: 4/ 165.

وَلكِنْ لَا تَتَوَهَّمْ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْأَفْضَلَ غَلَبَةُ الرَّجَاءِ لِلْعَبْدِ، إِذْ لَا يَلْزَمُ مِنْ فَضْلِ الرَّجَاءِ فِي نَفْسِهِ فَضِيلَتُهُ لِلْعِبَادِ الْمُبْتَلِينَ بِالْأَمْرَاضِ، بَلِ اللَّائِقُ بِهِمُ الْخَوْفُ لِئَلَّا يَقَعُوا فِي الْغُرُورِ فَيَهْلِكُوا، إِذِ الرَّجَاءُ لِلْعُصَاةِ غُرُورٌ. وَأَمَّا الصَّالِحُونَ وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُ حَالِهِمُ الرَّجَاءَ، لَكِنْ دَقَائِقُ الصِّفَاتِ الذَّمِيمَةِ الدَّفِينَةِ فِي الْقَلْبِ وَجَهَالَةُ حَالِ الْعَاقِبَةِ يُعَارِضُ ظَاهِرَ أَحْوَالِهِمْ، فَيَتَسَاوَى لَهُمُ الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ.

فَالْخَوْفُ غَالِبٌ لِلْعُصَاةِ، وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ مُتَسَاوِيَانِ لِلصَّالِحِينَ، وَلَا يُمْكِنُ غَلَبَةُ الرَّجَاءِ بِحَالٍ إِلَّا عِنْدَ الْمَوْتِ، إِذْ لَا حَاجَةَ لَهُ إِلَى سَوْطٍ يَبْعَثُهُ عَلَى الْعَمَلِ لِانْقِطَاعِ احْتِمَالِ الْعَمَلِ عَنْهُ؛ وَأَيْضًا لَا يُطِيقُ أَسْبَابَ الْخَوْفِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَقْطَعُ نِيَاطَ قَلْبِهِ، وَيُعِينُ عَلَى تَعْجِيلِ مَوْتِهِ؛ فَإِذًا يَضُرُّهُ دَوَاءُ الْخَوْفِ، بَلِ الدَّوَاءُ لَهُ الرَّجَاءُ، فَإِنَّهُ يُقَوِّي قَلْبَهُ، وَيُحَبِّبُ إِلَيْهِ رَبَّهُ، وَمَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ؛ لِأَنَّ غَايَةَ السَّعَادَةِ أَنْ يَمُوتَ الْعَبْدُ وَهُوَ مُحِبٌّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[1].

(1) الإحياء: 4/ 167.

الْمَطْلَبُ الْخَامِسُ: فِي دَوَاءٍ يُسْتَجْلَبُ بِهِ الْخَوْفُ

وَاعْلَمْ أَنَّ أَوَّلَ مَقَامَاتِ الدِّينِ الْيَقِينُ، وَهَذَا يُهَيِّجُ خَوْفَ النَّارِ، وَرَجَاءَ الْجَنَّةِ، وَهُمَا يُقَوِّيَانِ عَلَى الصَّبْرِ؛ فَإِنَّ «الْجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ»[1]، فَلَا يَصْبِرُ عَلَى تَحَمُّلِهَا إِلَّا بِقُوَّةِ الرَّجَاءِ. وَالنَّارُ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، فَلَا يَصْبِرُ عَلَى قَمْعِهَا إِلَّا بِقُوَّةِ الْخَوْفِ.

ثُمَّ يُؤَدِّي الصَّبْرُ الْمُسْتَفَادُ مِنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ إِلَى مَقَامِ الْمُجَاهَدَةِ وَالتَّجَرُّدِ لِذِكْرِ اللهِ، وَالْفِكْرِ فِيهِ عَلَى الدَّوَامِ، وَيُؤَدِّي دَوَامُ الذِّكْرِ إِلَى الْأُنْسِ، وَدَوَامُ الْفِكْرِ إِلَى كَمَالِ الْمَعْرِفَةِ، وَيُؤَدِّي كَمَالُ الْمَعْرِفَةِ وَالْأُنْسِ إِلَى الْمَحَبَّةِ، وَيَتْبَعُهَا مَقَامُ الرِّضَا وَالتَّوَكُّلِ، وَسَائِرُ الْمَقَامَاتِ.

ثُمَّ إِنَّ الْخَوْفَ يَحْصُلُ بِطَرِيقَيْنِ؛ أَضْعَفُهُمَا الْخَوْفُ مِنَ النَّارِ، وَرَجَاءُ الْجَنَّةِ بِالْإِيمَانِ التَّقْلِيدِيِّ، وَلَا يُدْرَى وَجْهُ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ؛ وَأَعْلَاهُمَا أَنْ يَخَافَ الْبُعْدَ وَالْحِجَابَ عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَرْجُوَ الْقُرْبَ مِنْهُ. وَهَذَا الْخَوْفُ هُوَ خَوْفُ الْعُلَمَاءِ وَأَرْبَابِ الْقُلُوبِ.

وَقَدْ تَقَدَّمَ كَيْفِيَّةُ الْخَوْفِ مِنَ اللهِ تَعَالَى، بِأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ خَلَقَ لِلْعَذَابِ أَسْبَابًا، وَلِلثَّوَابِ أَسْبَابًا، وَخَلَقَ لِكُلٍّ أَهْلًا يَسُوقُهُمُ الْقَدَرُ الْمُتَفَرِّعُ عَنِ الْقَضَاءِ الْحَزْمِ الْإِلَهِيِّ إِلَى مَا خُلِقُوا لَهُ، وَسُخِّرُوا لِأَسْبَابِهَا شَاءُوا أَمْ أَبَوْا.

---

(1) الخراج الأبي يوسف: 18، والمصنف لابن أبي شيبة: 19/ 329، رقم: 37247، مسند ابن راهويه: 1/ 408.

فَهَذِهِ مَخَاوِفُ الْعَارِفِينَ بِسِرِّ الْقَدَرِ. وَكانَ خَوْفُ نَبِيِّنَا صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ، وَهُوَ سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ[1].

وَأَيْضًا حِكَايَاتُ الصَّحَابَةِ فِي بَابِ الْخَوْفِ مَذْكُورَةٌ فِي كُتُبِ الْمَنَاقِبِ، حَتَّى إِنَّ بَعْضًا مِنْهُمْ صَاحَ صَيْحَةً، وَمَرِضَ مُدَّةً، وَبَعْضًا مِنْهُمْ شَهِقَ شَهْقَةً حَتَّى مَاتَ.

ثُمَّ إِنَّ أَكْثَرَ خَوْفِ الْعَارِفِينَ مِنْ سُوءِ الْخَاتِمَةِ، وَإِنَّ سَبَبَهُ أُمُورٌ مُقَدَّمَةٌ، مِنْهَا الْبِدَعُ، وَمِنْهَا الْمَعَاصِي، وَمِنْهَا النِّفَاقُ، وَمَتَى يَخْلُو الْعَبْدُ عَنْ جُمْلَةِ ذَلِكَ؟! وَإِنْ ظَنَّ أَنَّهُ قَدْ خَلَا عَنْ ذَلِكَ فَهُوَ النِّفَاقُ، إِذْ قِيلَ: «مَنْ أَمِنَ النِّفَاقَ فَهُوَ مُنَافِقٌ»[2].

أَمَّا سُوءُ الْخَاتِمَةِ فَلَهَا رُتْبَتَانِ:

أَحَدُهُمَا: وَهُوَ أَعْظَمُهُمَا[3] أَنْ يَغْلِبَ عَلَى الْقَلْبِ عِنْدَ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ إِمَّا الشَّكُّ وَإِمَّا الْجُحُودُ، فَتُقْبَضَ الرُّوحُ فِي تِلْكَ الْحَالِ، فَيَكُونَ حِجَابًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ أَبَدًا، وَذَلِكَ يَقْتَضِي الْبُعْدَ الدَّائِمَ، وَالْعَذَابَ الْأَلِيمَ الْمُخَلَّدَ.

وَثَانِيهِمَا: أَنْ يَغْلِبَ عِنْدَ الْمَوْتِ حُبُّ أَمْرٍ مِنَ أُمُورِ الدُّنْيَا، وَشَهْوَةٍ مِنْ شَهَوَاتِهَا، وَيَسْتَغْرِقَ قَلْبَهُ، وَلَا يَبْقَى مُتَّسَعٌ لِغَيْرِهِ، فَيَتَّفِقَ قَبْضُ رُوحِهِ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ، فَيَكُونَ اسْتِغْرَاقُ قَلْبِهِ بِهِ، مُنَكِّسًا رَأْسَهُ إِلَى الدُّنْيَا، وَصَارِفًا وَجْهَهُ إِلَيْهَا، فَيَحْصُلَ لَهُ الْحِجَابُ، فَيَنْزِلَ عَلَيْهِ الْعَذَابُ؛ إِذْ لَا يُمْكِنُ اكْتِسَابُ صِفَةٍ أُخْرَى

(1) الإحياء: 4/ 167 ـ 169.

(2) المصدر نفسه: 4/ 173، وتخريج أحاديث الإحياء: 5/ 2226.

(3) أعظمها، في أنطاليا.

لِلْقَلْبِ بَعْدَ الْمَوْتِ تُضَادُّ الصِّفَةَ الْغَالِبَةَ عَلَيْهِ؛ إِذْ لَا تَصَرُّفَ فِي الْقُلُوبِ إِلَّا بِأَعْمَالِ الْجَوَارِحِ، وَقَدْ بَطَلَتِ الْجَوَارِحُ بِالْمَوْتِ، فَلَا مَطْمَعَ فِي عَمَلٍ، وَلَا فِي رُجُوعٍ إِلَى الدُّنْيَا لِيَتَدَارَكَ، وَعِنْدَ ذَلِكَ تَعْظُمُ الْحَسْرَةُ. إِلَّا أَنَّ أَصْلَ الْإِيمَانِ وَحُبَّ اللهِ إِذَا كانَ قَدْ رَسَخَ فِي الْقَلْبِ مُدَّةً طَوِيلَةً؛ وَتَأَكَّدَ ذَلِكَ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَإِنَّهُ يَمْحُو عَنِ الْقَلْبِ هَذِهِ الْحَالَةَ الَّتِي عَرَضَتْ لَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ. فَإِنْ كَانَ إِيمَانُهُ قَوِيًّا يُخْرِجُهُ مِنَ النَّارِ فِي زَمَانٍ أَقْرَبَ، وَإِنْ كانَ أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ طَالَ مُكْثُهُ، وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ فَلَا بُدَّ أَنْ يُخْرِجَهُ وَلَوْ بَعْدَ آلَافِ سِنِينَ.

ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْعَذَابَ لَا يُؤَخَّرُ إِلَى الْحَشْرِ، بَلْ يُعَذَّبُ فِي الْقَبْرِ، بِمَا هُوَ مَذْكُورٌ فِي الْأَخْبَارِ؛ ثُمَّ فِي الْحَشْرِ وَعِنْدَ السُّؤَالِ، وَعِنْدَ الصِّرَاطِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ. وَأَمَّا مَحَلُّ الْإِيمَانِ فَهُوَ الرُّوحُ لَا يَفْنَى، فَيُعَادُ إِلَيْهِ الْأَجْزَاءُ الْأَصْلِيَّةُ لِلْبَدَنِ، ثُمَّ يُحْشَرُ وَيُعَذَّبُ إِلَى أَنْ يَغْلِبَ حُكْمُ الْإِيمَانِ[1].

ثُمَّ إِنَّهُمْ حَصَرُوا أَنْوَاعَ أَسْبَابِ سُوءِ الْخَاتِمَةِ فِي نَوْعَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: الْخَتْمُ عَلَى الشَّكِّ وَالْجُحُودِ، وَإِنْ كَانَتْ أَعْمَالُهُ صَالِحَةً، وَذَلِكَ نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا: إِمَّا بِأَنْ يَعْتَقِدَ بِدْعَةً، إِمَّا بِعَقْلِهِ الْقَاصِرِ، أَوْ بِتَقْلِيدِ مُبْتَدِعٍ، فَإِذَا وَقَعَ فِي سَكَرَاتِ الْمَوْتِ بَدَا لَهُ بُطْلَانُ اعْتِقَادِهِ، وَرُبَّمَا ظَنَّ أَنَّ جَمِيعَ عَقَائِدِهِ

---

(1) الإحياء: 4/ 173 ـ 174.

بَاطِلَةٌ، أَوْ مَشْكُوكٌ فِيهَا، فَإِنْ خُتِمَ قَبْلَ أَنْ يَتَثَبَّتَ وَيَعُودَ إِلَى أَصْلِ الْإِيمَانِ، خُتِمَ بِالسُّوءِ وَالْعِيَاذُ بِاللهِ.

وَلِهَذَا مَنَعَ السَّلَفُ مِنَ الْبَحْثِ وَالنَّظَرِ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ. وَالْبُلْهُ بِمَعْزِلٍ عَنْ هَذَا الْخَطَرِ، وَلِهَذَا قِيلَ: «أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْبُلْهُ»[1]؛ لِأَنَّ الْبَحْثَ عَنِ الصِّفَاتِ عَظِيمٌ، وَعَقَبَاتِهَا كَؤُودَةٌ، وَمَسَالِكَهَا وَعْرَةٌ، وَالْعُقُولَ عَنْ دَرْكِ جَلَالِ اللهِ مُتَحَيِّرَةٌ، وَمَا ذَكَرَهُ الْبَاحِثُونَ بِبِضَاعَةِ عُقُولِهِمْ مُضْطَرِبَةٌ وَمُتَعَارِضَةٌ، سِيَّمَا فِي هَذَا الزَّمَانِ، قَدِ اسْتَرْخَى الْعِنَانُ، وَفَشَا الْهَذَيَانُ، وَاكْتَفَى كُلُّ أَحَدٍ بِظَنٍّ وَحُسْبَانٍ، وَيَعْتَقِدُ أَنَّ ذَلِكَ عِلْمٌ وَاسْتِيقَانٌ، وَأَنَّهُ صَفْوُ الْإِيمَانِ، وَيَظُنُّ أَنَّ مَا قَنَعَ بِهِ مِنْ حَدْسٍ وَتَخْمِينٍ هُوَ عِلْمُ الْيَقِينِ، [وَعَيْنُ الْيَقِينِ][2]، ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾[3]. وَيَنْبَغِي أَنْ يُنْشَدَ فِي هَؤُلَاءِ عِنْدَ كَشْفِ الْغِطَاءِ قَوْلُ الشَّاعِرِ: [البسيط]

أَحْسَنْتَ ظَنَّكَ بِالْأَيَّامِ إِذْ حَسُنَتْ ... وَلَمْ تَخَفْ سُوءَ مَا يَأْتِي بِهِ الْقَدَرُ[4]
وَسَالَمَتْكَ اللَّيَالِي فَاغْتَرَرْتَ بِهَا ... وَعِنْدَ صَفْوِ اللَّيَالِي يَحْدُثُ الْكَدَرُ

(1) الزهد للموصلي: 246، رقم: 106، وغريب الحديث لابن قتيبة: 1/ 331، رقم: 47، والإحياء:4/ 175.

(2) زيادة من أنطاليا.

(3) سورة ص الآية: 88.

(4) نسب البيتان لسعيد بن حميد في الزهرة للأصبهاني: 231، وروي فيها الشطر الثاني من البيت الثاني: (وحين تصفو الليالي تحدث الغيرُ)، ونسبا لسعيد بن وهب في: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء: 2/ 399.

وَثَانِيهِمَا: ضُعْفُ الْإِيمَانِ فِي الْأَصْلِ، ثُمَّ اسْتِيلاءُ حُبِّ الدُّنْيَا عَلَى الْقَلْبِ، إِذْ يُورِثُ ذَلِكَ الِانْهِمَاكَ فِي الشَّهَوَاتِ، حَتَّى يُظْلِمَ الْقَلْبُ، وَيَسْوَدَّ وَيَقْسُو. وَلَا يَزَالُ يُطْفَأُ نُورُ الْإِيمَانِ حَتَّى يَصِيرَ طَبْعًا وَرَيْنًا[1]، فَإِذَا جَاءَ[2] الْمَوْتُ، وَاسْتَشْعَرَ فِرَاقَ الدُّنْيَا وَهِيَ الْمَحْبُوبُ الْأَغْلَبُ عَلَى الْقَلْبِ، فَيَتَأَلَّمُ الْقَلْبُ بِاسْتِشْعَارِهِ فِرَاقَ الدُّنْيَا، وَيَرَى ذَلِكَ مِنْ اللهِ تَعَالَى، فَيَخْتَلِجُ ضَمِيرُهُ بِإِنْكَارِ مَا قُدِّرَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ وَكَرَاهَتِهِ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ مِنَ اللهِ تَعَالَى، فَيَخْشَى أَنْ يَثُورَ مِنْ بَاطِنِهِ بُغْضُ اللهِ بَدَلَ الْحُبِّ، فَإِنِ اتَّفَقَ زُهُوقُ رُوحِهِ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ فَقَدْ خُتِمَ لَهُ بِالسُّوءِ، وَهَلَكَ هَلَاكًا مُؤَبَّدًا، فَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ حُبُّ الدُّنْيَا الَّذِي هُوَ رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، وَهُوَ الدَّاءُ الْعُضَالُ الَّذِي عَمَّ أَصْنَافَ الْخَلْقِ مِنَ الْجُهَّالِ[3].

النَّوْعُ الثَّانِي مِنْ أَنْوَاعِ سُوءِ الْخَاتِمَةِ الَّذِي هُوَ دُونَ الْأَوَّلِ، وَلَيْسَتْ مُقْتَضِيَةً لِلْخُلُودِ فِي النَّارِ، فَلَهَا أَيْضًا سَبَبَانِ:

- **أَحَدُهُمَا**: كَثْرَةُ الْمَعَاصِي وَإِنْ قَوِيَ الْإِيمَانُ.

- **وَالْآخَرُ**: ضُعْفُ الْإِيمَانِ وَإِنْ قَلَّتِ الْمَعَاصِي. وَذَلِكَ لِأَنَّ الْقَلْبَ إِلَى مَأْلُوفِهِ أَمْيَلُ، فَإِنْ كَانَ مَأْلُوفُهُ الْمَعَاصِيَ يَتَقَيَّدُ بِذَلِكَ، وَيَصِيرُ مَحْجُوبًا عَنِ اللهِ تَعَالَى، وَهَذَا الْمَيْلُ يَتَفَاوَتُ بِقِلَّةِ الْمَعَاصِي وَكَثْرَتِهَا، وَبِتَوَاتُرِ الْمَعَاصِي سَاعَةً

---

(1) زينا، في رئيس الكتاب.

(2) طاف، في أنطاليا.

(3) الإحياء: 4/ 175 ـ 176.

فَسَاعَةً، وَبِفَضْلِهَا بِزَمَانٍ كَثِيرٍ. وَقَدْ ظَهَرَ لَكَ بِهَذَا أَنَّ الْأَمْنَ مِنْ سُوءِ الْخَاتِمَةِ بِأَنْ يَرَى الْأَشْيَاءَ كَمَا هِيَ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ جَهْلٍ، وَيَرَى جَمِيعَ الْعُمُرِ فِي طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ.

وَمَعَ ذَلِكَ فَأَعْمَالُ الْعُمُرِ كُلُّهَا ضَائِعَةٌ إِنْ لَمْ تَسْلَمْ فِي النَّفَسِ الْأَخِيرِ الَّذِي عَلَيْهِ خُرُوجُ الرُّوحِ، فَإِنَّ سَلَامَتَهُ مَعَ اضْطِرَابِ أَمْوَاجِ الْخَوَاطِرِ مُشْكِلٌ جِدًّا[1].

فَاشْتَغِلْ بِالِاسْتِعْدَادِ لِذَلِكَ، وَوَاظِبْ عَلَى ذِكْرِ اللهِ، وَأَخرِجْ مِنْ قَلْبِكَ حُبَّ الدُّنْيَا، وَاحْرُسْ عَنْ فِعْلِ الْمَعَاصِي جَوَارِحَكَ، وَعَنِ الْفِكْرِ فِيهَا قَلْبَكَ، وَاحْتَرِزْ مِنْ مُشَاهَدَةِ الْمَعَاصِي وَمُشَاهَدَةِ أَهْلِهَا جُهْدَكَ.

وَإِيَّاكَ أَنْ تُسَوِّفَ وَتَقُولَ: سَأَسْتَعِدُّ لَهُ إِذَا جَاءَتِ الْخَاتِمَةُ، فَإِنَّ كُلَّ نَفَسٍ خَاتِمَتُكَ، يُمْكِنُ أَنَّ تُخْتَطَفَ فِيهِ رُوحُكَ، فَرَاقِبْ قَلْبَكَ فِي كُلِّ نَظَرٍ، وَإِذَا نِمْتَ فَإِيَّاكَ أَنْ تَنَامَ إِلَّا عَلَى طَهَارَةِ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، وَأَنْ يَغْلِبَكَ النَّوْمُ إِلَّا بَعْدَ غَلَبَةِ ذِكْرِ اللهِ عَلَى قَلْبِكَ، لَسْتُ أَقُولُ عَلَى لِسَانِكَ، فَإِنَّ حَرَكَةَ اللِّسَانِ بِمُجَرَّدِهَا ضَعِيفَةُ الْأَثَرِ.

وَاعْلَمْ قَطْعًا أَنَّهُ لا يَغْلِبُ عَلَى قَلْبِكَ عِنْدَ النَّوْمِ إِلَّا مَا كانَ غَالِبًا قَبْلَهُ، وَلَا يَغْلِبُ فِي النَّوْمِ إِلَّا مَا كَانَ غَالِبًا عِنْدَهُ، فَالْمَوْتُ وَالْبَعْثُ شِبْهُ النَّوْمِ وَالْيَقَظَةِ،

---

(1) الإحياء: 4/ 177 ـ 178.

وَلَا يَمُوتُ الْمَرْءُ إِلَّا عَلَى مَا عَاشَ عَلَيْهِ، وَلَا يُحْشَرُ إِلَّا عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَغْفُلَ عَنِ اللهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَنْتَ إِذَا لَمْ تَغْفُلْ عَنْهُ سَاعَةً فَفِي خَطَرٍ عَظِيمٍ، فَكَيْفَ إِذَا غَفَلْتَ عَنْهُ يَوْمًا أَوْ أَيَّامًا. وَلَا يُمْكِنُ ذَلِكَ إِلَّا بِأَنْ تَكْتَفِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِقَدْرِ الضَّرُورَةِ، وَتَتْرُكَ الْفُضُولَ مِنَ الْمَآكِلِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَسَاكِنِ[1].

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْنَا، وَيَخْتِمَ لَنَا بِالْخَيْرِ، وَيَقِينَا سُوءَ الْخَاتِمَةِ. إِنَّهُ كَرِيمٌ رَحِيمٌ.

---

(1) الإحياء: 4/ 179.

الْأَصْلُ الرَّابِعُ: فِي الْفَقْرِ وَالزُّهْدِ

وَفِيهِ مَطَالِبُ:

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ: فِي حَقِيقَةِ الْفَقْرِ

اِعْلَمْ أَنَّ الْفَقْرَ عِبَارَةٌ عَنْ فَقْدِ مَا هُوَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ، وَأَمَّا فَقْدُ مَا لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ فَلَا يُسَمَّى فَقْرًا. وَإِنْ كَانَ الْمُحْتَاجُ إِلَيْهِ مَقْدُورًا عَلَيْهِ مَوْجودًا، لَمْ يَكُنِ الْمُحْتَاجُ فَقِيرًا. وَإِذَا فَهِمْتَ هَذَا لَمْ تَشُكَّ فِي أَنَّ كُلَّ مَوْجُودٍ سِوَى الله تَعَالَى فَهُوَ فَقِيرٌ؛ لِأَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ فِي دَوَامِ الْوُجُودِ فِي ثَانِي الْحَالِ: ﴿وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾[1]، إِلَّا أَنَّ الْمَبْحُوثَ عَنْهُ فِي هَذَا الْبَابِ هُوَ الْفَقْرُ فِي الْمَالِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ فَاقِدَ الْمَالِ لَهُ خَمْسَةُ أَحْوَالٍ:

أَحَدُهَا: الزُّهْدُ، وَهُوَ أَنْ يَتَأَذَّى بِوُجُودِ الْمَالِ، وَيَهْرُبَ مِنْ أَخْذِهِ، وَيُبْغِضَهُ وَيَتَحَرَّزَ مِنْ شُغْلِهِ.

وَثَانِيهَا: الرِّضَاءُ، وَهُوَ أَنْ لَا يَفْرَحَ بِحُصُولِهِ، وَلَا يَكْرَهُهُ كَرَاهَةً يَتَأَذَّى بِهِ، وَلَكِنْ يَزْهَدُ فِيهِ لَوْ أَتَاهُ.

وَثَالِثُهَا: الْقَنَاعَةُ، وَهِيَ أَنْ لَا يَنْهَضَ لِطَلَبِهِ، وَإِنْ أَتَاهُ عَفْوًا صَفْوًا أَخَذَهُ وَفَرِحَ بِهِ.

---

(1) سورة محمد الآية: 38.

وَرَابِعُهَا: **الْحِرْصُ**، وَهُوَ أَنْ يَرْغَبَ فِيهِ رَغْبَةً لَوْ وَجَدَ سَبِيلًا إِلَى طَلَبِهِ لَطَلَبَهُ وَلَوْ بِالتَّعَبِ.

وَخَامِسُهَا: **الِاضْطِرَارُ**، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ مُضْطَرًّا إِلَى مَا فَقَدَهُ مِنَ الْمَالِ؛ كَالْجَائِعِ الْفَاقِدِ لِلْخُبْزِ، وَقَلَّمَا يَنْفَكُّ هَذَا عَنِ الرَّغْبَةِ إِمَّا الضَّعِيفَةِ أَوِ الْقَوِيَّةِ[1].

وَأَعْلَى هَذِهِ الدَّرَجَاتِ الزُّهْدُ، سِيَّمَا إِذَا انْضَمَّ إِلَيْهِ الِاضْطِرَارُ، فَهُوَ أَقْصَى الدَّرَجَاتِ. وَوَرَاءَ هَذِهِ الدَّرَجَاتِ مَرْتَبَةٌ أَعْلَى مِنْ جَمِيعِهَا، وَيُخَصُّ بِاسْمِ الْمُسْتَغْنِي، وَهُوَ الْغَنِيُّ عَنْ دُخُولِ الْمَالِ فِي يَدِهِ، وَعَنْ بَقَائِهِ فِي يَدِهِ، وَعَن خُرُوجِهِ مِنْ يَدِهِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ يَتَأَذَّى بِهِ لِيَحْتَاجَ إِلَى إِخْرَاجِهِ، وَلَيْسَ يَفْرَحُ بِهِ لِيَحْتَاجَ إِلَى الْبَقَاءِ، وَلَيْسَ فَاقِدًا لَهُ لِيَحْتَاجَ إِلَى الدُّخُولِ فِي يَدِهِ، فَهُوَ إِلَى الْغِنَى الَّذِي هُوَ وَصْفُ اللهِ سُبْحَانَهُ أَقْرَبُ.

وَلَا نُسَمِّيهِ غَنِيًّا بَلْ مُسْتَغْنِيًا، إِذِ الْغِنَى الْمُطْلَقُ هُوَ الْغِنَى عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ يَخْتَصُّ بِاللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَأَمَّا هَذَا الْعَبْدُ فَإِنَّمَا يَسْتَغْنِي عَنِ الْمَالِ وُجُودًا وَعَدَمًا، لَا عَنْ أَشْيَاءَ أُخَرَ سِيَّمَا تَوْفِيقُ اللهِ تَعَالَى الَّذِي زَيَّنَ هَذَا فِي قَلْبِهِ.

وَهَكَذَا كَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، إِذْ أَتَاهَا مِئَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ مِنَ الْعَطَاءِ، فَأَخَذَتْهَا وَفَرَّقَتْهَا فِي يَوْمِهَا، فَقَالَتْ لَهَا خَادِمَتُهَا: لَوِ اشْتَرَيْتِ لَنَا لَحْمًا بِدِرْهَمٍ، فَقَالَتْ: لَوْ ذَكَّرْتِنِي لَفَعَلْتُ. فَمَنْ هَذَا حَالُهُ لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا كُلُّهَا فِي يَدِهِ

---

(1) الإحياء: 4/ 190 ـ 191.

وَخِزَانَتِهِ لَمْ تَضُرَّهُ، إِذْ هُوَ يَرَى الْأَمْوَالَ فِي خَزَائِنِ اللهِ لَا فِي يَدِ نَفْسِهِ، فَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ فِي يَدِ نَفْسِهِ، أَوْ فِي يَدِ غَيْرِهِ.

إِلَّا أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ لَا يَنْظُرَ إِلَى الدُّنْيَا أَصْلًا لَا بِنَظَرِ الْمَحَبَّةِ، وَذَلِكَ ظَاهِرٌ؛ إِذْ لَا يَجْتَمِعُ فِي الْقَلْبِ مَحَبَّتَانِ، وَلَا بِنَظَرِ الْبُغْضِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ أَيْضًا الْتِفَاتٌ عَنِ الْمَحْبُوبِ إِلَى غَيْرِهِ، بَلِ الْكَمَالُ أَنْ لَا يَلْتَفِتَ إِلَى غَيْرِهِ بُغْضًا وَحُبًّا؛ فَإِنَّهُ كَمَا لَا يَجْتَمِعُ حُبَّانِ فِي قَلْبٍ وَاحِدٍ، كَذَلِكَ لَا يَجْتَمِعُ حُبٌّ وَبُغْضٌ؛ إِذِ الْمَشْغُولُ بِبُغْضِ الدُّنْيَا غَافِلٌ عَنِ اللهِ تَعَالَى كَالْمَشْغُولِ بِحُبِّهَا، وَإِنَّمَا الْفَرْقُ أَنَّ الْغَافِلَ بِحُبِّهَا سَالِكٌ طَرِيقَ الْبُعْدِ، وَالْغَافِلَ بِبُغْضِهَا سَالِكٌ طَرِيقَ الْقُرْبِ، إِذْ يُمْكِنُ أَنْ يَتَوَسَّلَ بِذَلِكَ إِلَى أَنْ تَتَبَدَّلَ هَذِهِ الْغَفْلَةُ بِالشُّهُودِ[1].

وَإِنَّمَا الْكَمَالُ فِي أَمْرِ الْمَالِ أَنْ يَسْتَوِيَ عِنْدَكَ الْمَاءُ وَالْمَالُ، إِذْ لَا تُؤْذِيكَ كَثْرَةُ الْمَاءِ فِي جِوَارِكَ بِأَنْ تَكُونَ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ، وَلَا قِلَّتُهُ إِلَّا فِي قَدْرِ الضَّرُورَةِ، مَعَ أَنَّ الْمَالَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ كَالْمَاءِ. فَلَا يَكُنْ قَلْبُكَ مَشْغُولًا بِالْفِرَارِ عَنْ جِوَارِ الْمَاءِ، وَلَا تُبْغِضِ الْمَاءَ الْكَثِيرَ، بَلْ تَقُولُ: أَشْرَبُ مِنْهُ بِقَدْرِ حَاجَتِي، وَأَسْقِي مِنْهُ عِبَادَ اللهِ بِقَدْرِ حَاجَتِهِمْ، وَلَا أَبْخَلُ بِهِ عَلَى أَحَدٍ.

وَإِذَا عَرَفْتَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَوَثِقْتَ بِتَدْبِيرِهِ الَّذِي دَبَّرَ بِهِ الْعَالَمَ، عَلِمْتَ أَنَّ قَدْرَ حَاجَتِكَ مِنَ الْخُبْزِ يَأْتِيكَ لَا مَحَالَةَ مَا دُمْتَ حَيًّا، كَمَا يَأْتِيكَ قَدْرُ

---

(1) الإحياء: 4/ 192.

حَاجَتِكَ مِنَ الْمَاءِ وَأَنْتَ لَا تَضْطَرِبُ لِلْمَاءِ، فَلِأَيِّ شَيْءٍ تَضْطَرِبُ لِلْقُوتِ مَعَ أَنَّ الْمُدَبِّرَ فِي كِلَيْهِمَا وَاحِدٌ[1].

ثُمَّ إِنَّكَ لَعَلَّكَ تَقُولُ: إِنَّ مَذَمَّةَ الدُّنْيَا فِي الْآيَاتِ وَالْأَخْبَارِ تُوجِبُ الْبُغْضَ وَالْفِرَارَ عَنْهَا، وَأَنْتَ قُلْتَ: الْفِرَارُ وَالْبُغْضُ أَيْضًا شُغْلٌ بِغَيْرِ اللهِ.

فَنَقُولُ: الْبُغْضُ وَالْفِرَارُ لِمَنْ يُخَافُ عَلَيْهِ أَنْ يَخْدَعَهُ الْمَالُ، وَيَدْعُوَهُ إِلَى الشَّهَوَاتِ، كَمَا هُوَ حَالُ الضُّعَفَاءِ، وَهُمُ الْأَكْثَرُونَ، وَإِلَّا فَالْأَقْوِيَاءُ لَا يَلْزَمُهُمُ الْفِرَارُ، وَلَا يَجِبُ عَلَيْهِمُ الْبُغْضُ؛ فَمَنْ يَكُونُ أَقْوَى مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فَأَخَذُوهَا، وَوَضَعُوهَا فِي مَوَاضِعِهَا، وَمَا هَرَبُوا مِنْهَا، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ حُبُّهَا، وَلَا الِاشْتِغَالُ بِبُغْضِهَا، وَإِنَّمَا اسْتَوَى عِنْدَهُمُ الْمَاءُ وَالْمَالُ وَالذَّهَبُ وَالْحَجَرُ، وَمَا يُنْقَلُ مِنَ الْفِرَارِ عَنِ الْأَقْوِيَاءِ فَإِنَّمَا ذَلِكَ لِئَلَّا يَقْتَدِيَ فِي الْأَخْذِ الضُّعَفَاءُ فَيَهْلِكُوا.

فَظَهَرَ مِمَّا سَبَقَ أَنَّ الْمَرَاتِبَ سِتٌّ، وَأَنَّ أَعْلَاهَا الْمُسْتَغْنِي، ثُمَّ الزَّاهِدُ، ثُمَّ الرَّاضِي، ثُمَّ الْقَانِعُ، ثُمَّ الْحَرِيصُ. وَأَمَّا الْمُضْطَرُّ فَيُتَصَوَّرُ فِي حَقِّهِ أَيْضًا الزُّهْدُ وَالرِّضَا وَالْقَنَاعَةُ، وَدَرَجَتُهُ مُخْتَلِفَةٌ بِاخْتِلَافِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ[2].

---

(1) الإحياء: 4/ 192.

(2) المصدر نفسه: 4/ 193.

الْمَطْلَبُ الثَّانِي: فِي فَضِيلَةِ الْفَقْرِ

أَمَّا بِالْآيَاتِ وَالْأَخْبَارِ فَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى.

وَأَمَّا فَضِيلَتُهُ عَلَى الْغِنَى مُطْلَقًا، فَقَدْ لَا يَسْتَرِيبُ[1] فِي ذَلِكَ أَحَدٌ مِمَّنْ قَرَأَ الْأَخْبَارَ وَالْآثَارَ، لَكِنْ لَا بُدَّ فِيهِ مِنْ تَفْصِيلٍ، وَهُوَ أَنَّ الشَّكَّ هَهُنَا فِي مَقَامَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: فَقِيرٌ صَابِرٌ قَانِعٌ، وَغَنِيٌّ مُنْفِقٌ مَالَهُ فِي الْخَيْرَاتِ، لَيْسَ حَرِيصًا عَلَى إِمْسَاكِ مَالِهِ. وَأَمَّا الْغَنِيُّ الْمُتَمَتِّعُ بِالْمُبَاحَاتِ فَلَا يُتَصَوَّرُ أَنْ يُفَضَّلَ عَلَى الْفَقِيرِ الْقَانِعِ أَصْلًا.

ثُمَّ النَّاسُ اخْتَلَفُوا، قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْغَنِيَّ أَفْضَلُ، لِأَنَّهُمَا مُتَسَاوِيَانِ فِي ضُعْفِ الْحِرْصِ، وَيُفَضَّلُ الْغَنِيُّ بِالْخَيْرَاتِ.

وَقَالَ آخَرُونَ: الْفَقِيرُ أَفْضَلُ، لِأَنَّهُمْ لَا يَنْفَكُّونَ فِي الْقُدْرَةِ عَلَى الْمَالِ عَنْ أُنْسٍ بِالدُّنْيَا، وَتَمَتُّعٍ بِالْقُدْرَةِ عَلَيْهَا، وَاسْتِشْعَارِ رَاحَةٍ فِي بَذْلِهَا؛ وَالْعَبْدُ بِقَدْرِ اسْتِئْنَاسِهِ بِصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ سِوَى صِفَةِ الْمَعْرِفَةِ بِاللهِ تَعَالَى يَسْتَوْحِشُ مِنَ اللهِ وَمِنْ حُبِّهِ، وَمَهْمَا انْقَطَعَتْ أَسْبَابُ الْأُنْسِ بِالدُّنْيَا، تَجَافَى الْقَلْبُ عَنِ الدُّنْيَا وَزَهْرَتِهَا إِلَى مَحَبَّةِ اللهِ تَعَالَى، إِذْ لَا يُتَصَوَّرُ قَلْبٌ فَارِغٌ، وَلَيْسَ فِي الْوُجُودِ إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَغَيْرُهُ، فَيَكُونُ إِقْبَالُ الْقَلْبِ عَلَى أَحَدِهِمَا بِقَدْرِ تَجَافِيهِ عَنِ الْآخَرِ، وَقُرْبُهُ مِنْ أَحَدِهِمَا بِحَسَبِ بُعْدِهِ عَنِ الْآخَرِ؛ فَإِذًا الْمَانِعُ عَنْ مَحَبَّةِ اللهِ

(1) استربتُ به إذا رأيتَ منه ما يَرِيبُكَ. اللسان/ ريب.

تَعَالَى هُوَ مَحَبَّةُ الدُّنْيَا. وَالْمَحَبَّةُ قَدْ تَكُونُ مَعَ وُجُودِهَا كَمَا فِي مَحَبَّةِ الْغَنِيِّ الدُّنْيَا، وَقَدْ تَكُونُ مَعَ فَقْدِهَا كَمَا فِي مَحَبَّةِ الْفَقِيرِ الدُّنْيَا. فَإِذًا الْفَقْرُ قَدْ يَكُونُ مِنَ الشَّوَاغِلِ؛ إِذْ قَدْ يَطْلُبُهَا، وَيَشْتَغِلُ بِطَلَبِهَا، كَمَا أَنَّ الْغِنَى مِنَ الشَّوَاغِلِ لِأَجْلِ طَلَبِهَا[1].

فَإِذًا إِنْ فَرَضْتَ فَارِغَيْنِ عَنْ حُبِّ الْمَالِ؛ أَحَدُهُمَا فَاقِدٌ، وَالْآخَرُ وَاجِدٌ، فَهُمَا مُتَسَاوِيَانِ، إِذْ كُلُّ وَاحِدٍ غَيْرُ مُتَمَتِّعٍ إِلَّا بِقَدْرِ الْحَاجَةِ. إِلَّا أَنَّ هَذَا الْمَفْرُوضَ نَادِرٌ فِي الْوُجُودِ، وَإِنَّمَا الْأَكْثَرُ افْتِتَانُ الْفَقِيرِ بِالضَّرَّاءِ، وَالْغَنِيِّ بِالسَّرَّاءِ.

فَقَدْ ذَكَرَ الْمُحَقِّقُونَ أَنَّ الْفَقْرَ أَبْعَدُ عَنِ الْخَطَرِ، إِذْ فِتْنَةُ السَّرَّاءِ أَشَدُّ مِنْ فِتْنَةِ الضَّرَّاءِ، وَقَالُوا: «إِنَّ مِنَ الْعِصْمَةِ أَنْ لَا يَقْدِرَ»[2]. وَلَمَّا كَانَ خِطَابُ الشَّرْعِ مَعَ الْكُلِّ لَا مَعَ ذَلِكَ الْفَذِّ النَّادِرِ زَجَرَ عَنِ الْغِنَى وَذَمَّهُ، وَفَضَّلَ الْفَقْرَ وَمَدَحَهُ.

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الْفَضْلَ بَيْنَهُمَا بِحَسَبِ تَعَلُّقِ الْقَلْبِ بِالْمَالِ وَعَدَمِهِ، حَتَّى إِنْ تَسَاوَيَا فِيهِ تَسَاوَتْ دَرَجَتُهُمَا، فَاعْلَمْ أَنَّ هَهُنَا مَزَلَّةَ قَدَمٍ، وَمَوْضِعَ غُرُورٍ، وَهُوَ أَنَّ الْغَنِيَّ رُبَّمَا يَظُنُّ أَنَّهُ مُنْقَطِعُ الْقَلْبِ عَنْ حُبِّ الْمَالِ، وَيَكُونُ حُبُّهُ دَفِينًا فِي بَاطِنِهِ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ بِهِ، فَلْيُجَرِّبْ نَفْسَهُ بِتَفْرِيقِهِ، أَوْ إِذَا سُرِقَ مِنْهُ، فَإِنْ وَجَدَ لِقَلْبِهِ إِلَيْهِ الْتِفَاتًا فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ كَانَ مَغْرُورًا؛ وَهَذَا حَالُ كُلِّ الْأَغْنِيَاءِ سِوَى

(1) الإحياء: 4/ 193 ـ 203.

(2) هذا ليس بحديث، بل هو من كلام الصوفية. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: 8/ 3241.

الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ. فَظَهَرَ مِنْهُ أَنَّ الْفَقْرَ أَصْلَحُ لِكَافَّةِ الْخَلْقِ وَأَفْضَلُ، وَلِهَذَا وَرَدَ فَضْلُ الْفَقْرِ فِي الْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ وَكَلِمَاتِ الْمَشَايِخِ(1).

[**الْمَقَامُ الثَّانِي**: فِي نِسْبَةِ الْفَقِيرِ الْحَرِيصِ إِلَى الْغَنِيِّ الْحَرِيصِ؛ فَإِنْ كانَ مَطْلُوبُهُمَا قَدْرَ الْحَاجَةِ فِي أَنْ يَسْتَعِينَ بِذَلِكَ عَلَى طَرِيقِ الدِّينِ فَحَالُ الْوَاجِدِ أَفْضَلُ، لِأَنَّ الْفَقْدَ يَشْغَلُهُ بِالطَّلَبِ؛ وَإِنْ كانَ مَطْلُوبُهُمَا فَوْقَ الْحَاجَةِ، أَوْ كانَ الْمَطْلُوبُ قَدْرَ الْحَاجَةِ وَلَكِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَقْصُودُ الِاسْتِعَانَةَ بِهِ عَلَى طَرِيقِ الدِّينِ، فَحَالُ الْفَقْرِ أَفْضَلُ وَأَصْلَحُ؛ لِأَنَّهُمَا وَإِنِ اسْتَوَيَا فِي الْحِرْصِ وَحُبِّ الْمَالِ، وَفِي عَدَمِ الِاسْتِعَانَةِ عَلَى الدِّينِ، وَفِي عَدَمِ التَّعَرُّضِ لِلْمَعَاصِي بِسَبَبِ الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَلَكِنِ افْتَرَقَا فِي أَنَّ الْوَاجِدَ يَأْنَسُ بِمَا وَجَدَهُ، فَيَتَأَكَّدُ حُبُّهُ فِي قَلْبِهِ وَيَطْمَئِنُّ إِلَى الدُّنْيَا؛ وَالْفَاقِدَ الْمُضْطَرَّ يَتَجَافَى قَلْبُهُ عَنِ الدُّنْيَا، وَتَكُونُ الدُّنْيَا عِنْدَهُ مِثْلَ السِّجْنِ الَّذِي يَنْبَغِي الْخَلَاصُ مِنْهُ.

وَأُنْسُ الْوَاجِدِ أَكْثَرُ مِنْ أُنْسِ الْفَاقِدِ وَإِنْ كانَ حَرِيصًا؛ فَإِذًا الْفَقْرُ هُوَ الْأَشْرَفُ وَالْأَفْضَلُ وَالْأَصْلَحُ لِكَافَّةِ الْخَلْقِ، إِلَّا بِمِثْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا حَيْثُ اسْتَوَى عِنْدَهَا الْغِنَى وَالْعَدَمُ، وَإِلَّا لِلْفَقِيرِ عَنْ مِقْدَارِ الضَّرُورَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَكَادُ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا(2)](3).

---

(1) الإحياء: 4/ 203.

(2) المصدر نفسه: 4/ 205.

(3) سقطت من نسخة مراد ملا.

الْمَطْلَبُ الثَّالِثُ: فِي آدَابِ الْفَقِيرِ فِي فَقْرِهِ

أَمَّا بَاطِنًا فَأَنْ لَا يَكْرَهَ الْفَقْرَ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ فِعْلُ اللهِ، وَإِنْ كانَ يَكْرَهُ الْفَقْرَ كَمَنْ يَكْرَهُ الْحِجَامَةَ، وَيَتَقَلَّدُ عَلَى الْحَجَّامِ مِنَّةً على فِعْلِهِ. وَأَرْفَعُ مِنْ هَذَا أَنْ لَا يَكْرَهَ الْفَقْرَ أَيْضًا. وَأَرْفَعُ مِنْهُ أَنْ يَطْلُبَهُ وَيَفْرَحَ بِهِ، لِعِلْمِهِ بِغَوَائِلِ الْغِنَى، وَيَتَوَكَّلَ فِي بَاطِنِهِ عَلَى اللهِ، وَاثِقًا بِهِ فِي قَدْرِ ضَرُورَتِهِ، وَأَنَّهُ يَأْتِيهِ لَا مَحَالَةَ، وَيَكْرَهَ الزِّيَادَةَ عَلَى الْكَفَافِ.

وَأَمَّا ظَاهِرًا، فَأَنْ يُظْهِرَ التَّعَفُّفَ وَالتَّجَمُّلَ، وَلَا يُظْهِرَ الشَّكْوَى وَالْفَقْرَ، بَلْ يَسْتُرُ فَقْرَهُ، وَيَسْتُرُ أَنَّهُ يَسْتُرُهُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾[1].

وَأَنْ لَا يَتَوَاضَعَ لِغَنِيٍّ لِغِنَاهُ، بَلْ يَتَكَبَّرُ عَلَيْهِ، وَلَا يُخَالِطَ الْأَغْنِيَاءَ، وَلَا يَسْكُتَ عَنْ ذِكْرِ الْحَقِّ مُدَاهَنَةً لِلْأَغْنِيَاءِ، وَطَمَعًا فِي الْعَطَاءِ، وَأَنْ لَا يَفْتُرَ بِسَبَبِ فَقْرِهِ عَنْ عِبَادَتِهِ، وَلَا يَمْنَعَ بَذْلَ قَلِيلِ مَا يَفْضُلُ عَنْهُ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ جُهْدُ الْمُقِلِّ، وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ صَدَقَةٍ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَأَنْ لَا يَدَّخِرَ مَالًا، بَلْ يَأْخُذُ قَدْرَ الْحَاجَةِ وَيُخْرِجُ الْبَاقِيَ.

وَفِي الِادِّخَارِ ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ:

دَرَجَةُ الصِّدِّيقِينَ: أَنْ لَا يَدَّخِرَ إِلَّا لِيَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ.

وَدَرَجَةُ الْمُتَّقِينَ: وَهِيَ أَنْ يَدَّخِرَ لِأَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَمَا زَادَ عَلَيْهِ دَاخِلٌ فِي طُولِ الْأَمَلِ، وَقَدْ فَهِمُوا ذَلِكَ مِنْ مِيعَادِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَيْثُ فَهِمُوا

---

(1) سورة البقرة الآية: 273.

الرُّخْصَةَ في أَمَلِ أَصْلِ الْحَيَاةِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا.

وَدَرَجَةُ الصَّالِحِينَ: وَهُوَ أَنْ يَدَّخِرَ لِسَنَةٍ، وَمَنْ زَادَ في الِادِّخَارِ عَلَى السَّنَةِ فَهُوَ وَاقِعٌ في غِمَارِ الْعُمُومِ، خَارِجٌ عَنْ حَيِّزِ الْخُصُوصِ بِالْكُلِّيَّةِ[1].

وَأَمَّا آدَابُهُ في قَبُولِ الْمَالِ بِغَيْرِ سُؤَالٍ؛ فَأَمَّا في نَفْسِ الْمَالِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ حَلَالًا خَالِيًا عَنِ الشُّبُهَاتِ، وَأَمَّا في الْمُعْطِي، فَإِنْ كَانَ غَرَضُهُ تَطْيِيبَ قَلْبِهِ، وَهِيَ الْهَدِيَّةُ، أَوْ طَلَبَ الثَّوَابِ، وَهِيَ الصَّدَقَةُ وَالزَّكَاةُ، أَوِ الذِّكْرَ وَالرِّيَاءَ وَالسُّمْعَةَ، إِمَّا مُجَرَّدًا أَوْ مَمْزُوجًا بِبَقِيَّةِ الْأَمْرَاضِ.

أَمَّا الْهَدِيَّةُ، فَلَا بَأْسَ بِقَبُولِهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ سُنَّةٌ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِيهَا أَوْ فِي بَعْضِهَا مِنَّةٌ، فَيَتْرُكَ ذَلِكَ، أَوْ قَدْرَ مَا فِيهِ مِنَّةٌ.

وَأَمَّا الثَّوَابُ، فَإِنْ كَانَ زَكَاةً فَلْيَنْظُرْ أَنَّهُ مُسْتَحِقٌّ لِذَلِكَ أَمْ لَا، أَوْ فِيهِ شُبْهَةٌ، وَقَدْ مَرَّ أَحْكَامُهُ فِي كِتَابِ الزَّكَاةِ؛ وَإِنْ كانَ صَدَقَةً وَيُعْطِيهَا الْمُتَصَدِّقُ لِدِينِهِ فَلْيَنْظُرْ إِنْ فِيهِ أَمْرٌ خَفِيٌّ لَوْ عَلِمَهُ الْمُتَصَدِّقُ لَنَفَرَ عَنْهُ، فَهَذَا حَرَامٌ أَخْذُهُ؛ وَأَمَّا الرِّيَاءُ وَالسُّمْعَةُ فَيَنْبَغِي أَنْ يَرُدَّهُ عَلَيْهِ.

وَأَمَّا آدَابُهُ في الْأَخْذِ، فَبِأَنْ يَنْظُرَ أَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ، فَالْأَفْضَلُ لَهُ الْأَخْذُ إِنْ سَلِمَ مِنَ الْآفَاتِ الْمَذْكُورَةِ في الْمُعْطِي، أَوْ زَائِدٌ عَلَى قَدْرِ حَاجَتِهِ. فَإِنْ كَانَ الْآخِذُ مُشْتَغِلًا بِنَفْسِهِ فَلَا وَجْهَ لِأَخْذِهِ وَإِمْسَاكِهِ إِنْ كَانَ طَالِبًا لِطَرِيقِ الْآخِرَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مَحْضُ اتِّبَاعِ الْهَوَى.

---

(1) الإحياء: 4/ 206ـ 207.

ثُمَّ هُوَ إِمَّا أَنْ يَأْخُذَ عَلَانِيَةً وَيَرُدَّ سِرًّا، وَهَذَا مَقَامُ الصِّدِّيقِينَ، وَهُوَ شَاقٌّ عَلَى النَّفْسِ، لَا يُطِيقُهُ إِلَّا مَنِ اطْمَأَنَّتْ نَفْسُهُ بِالرِّيَاضَةِ؛ وَإِمَّا أَنْ يَتْرُكَ وَلَا يَأْخُذَ لِيَصْرِفَهُ صَاحِبُهُ إِلَى مَنْ هُوَ أَحَقُّ مِنْهُ، أَوْ يَأْخُذَ وَيُوصِلَهُ إِلى مَنْ هُوَ أَحْوَجُ إِلَيْهِ مِنْهُ.

ثُمَّ هُوَ إِمَّا أَنْ يَفْعَلَ كِلَاهُمَا فِي السِّرِّ، أَوْ فِي الْعَلَانِيَةِ؛ وَقَدْ ذَكَرْنَا الْأَفْضَلَ مِنْ هَذِهِ الْأَقْسَامِ فِي كِتَابِ **"أَسْرَارُ الزَّكَاةِ"**. فَالِامْتِنَاعُ عَنِ الْقَبُولِ هُوَ الزُّهْدُ. وَأَخْذُهُ وَصَرْفُهُ إِلَى مُحْتَاجٍ هُوَ غَايَةُ الزُّهْدِ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا الصِّدِّيقُونَ[1].

وَأَمَّا إِنْ تَعَهَّدْتَ جَمَاعَةً مِنَ الْفُقَرَاءِ، فَخُذْ مَا زَادَ عَلَى حَاجَتِكَ، فَإِنَّهُ غَيْرُ زَائِدٍ عَلَى حَاجَةِ الْفُقَرَاءِ، وَبَادِرْ بِهِ إِلَى الصَّرْفِ إِلَيْهِمْ، وَلَا تُمْسِكْهُ وَلَوْ لَيْلَةً وَاحِدَةً، إِذْ رُبَّمَا تَسْتَحْلِيهِ فَتُمْسِكُهُ أَزْمَانًا كَثِيرَةً إِلَى أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى فِتْنَةٍ عَظِيمَةٍ. وَقَدْ تَصَدَّى لِخِدْمَةِ الْفُقَرَاءِ جَمَاعَةٌ، وَتَوَسَّلُوا بِهَا إِلَى التَّنَعُّمِ فِي الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ، وَذَلِكَ هُوَ الْهَلَاكُ.

وَيَجُوزُ لَهُمْ الِاسْتِقْرَاضُ لِلْفُقَرَاءِ طَلَبًا لِلثَّوَابِ، لَكِنْ لَا عَلَى اعْتِمَادِ أَمْوَالِ السَّلَاطِينِ الظَّلَمَةِ، بَلْ عَلَى حُسْنِ الظَّنِّ بِاللهِ تَعَالَى؛ فَإِنْ مَاتَ قَبْلَ الْقَضَاءِ، قَضَى اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَى غُرَمَاءَهُ، وَلَكِنْ بِشَرْطِ أَنْ يَكْشِفَ حَالَهُ عِنْدَ الْمُقْرِضِ لِئَلَّا يَغُرَّهُ، وَلَا يَخْدَعَهُ بِالْمَوَاعِيدِ، وَدَيْنُ مِثْلِ هذا الرَّجُلِ يَجِبُ أَنْ يُقْضَى مِنْ بَيْتِ الْمَالِ مِنَ[2] الزَّكَوَاتِ[3].

---

(1) إحياء علوم القرآن: 4/ 208.

(2) ومن، في أنطاليا.

(3) الإحياء: 4/ 209.

الْمَطْلَبُ الرَّابِعُ: فِي تَحْرِيمِ السُّؤَالِ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ

وَقَدْ وَرَدَتْ أَخْبَارٌ فِي تَحْرِيمِهِ وَجَوَازِهِ. وَالتَّوْفِيقُ بَيْنَهُمَا: أَنَّهُ حَرَامٌ فِي الْأَصْلِ، مُبَاحٌ لِلضَّرُورَةِ، أَوْ لِأَمْرٍ قَرِيبٍ مِنْهَا.

أَمَّا حُرْمَتُهُ فَلِأُمُورٍ: إِظْهَارُ الشَّكْوَى مِنَ اللهِ تَعَالَى بِالسُّؤَالِ، لِأَنَّهُ إِظْهَارٌ لِقُصُورِ نِعْمَةِ اللهِ تَعَالَى عَنْهُ، وَأَيْضًا هُوَ إِذْلَالُ النَّفْسِ لِغَيْرِ اللهِ، وَلَيْسَ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ، وَذَلِكَ فِي الذِّلَّةِ لِغَيْرِ مَوْلَاهُ؛ وَأَمَّا هِيَ فَعِزَّةٌ حَقِيقَةً. وَأَيْضًا فِيهِ إِيذَاءُ الْمَسْؤُولِ غَالِبًا، وَهُوَ حَرَامٌ، إِذْ رُبَّمَا لَا تَسْمَحُ نَفْسُهُ بِمَا يَبْذُلُهُ عَنْ طِيبَةِ قَلْبٍ، وَإِنْ بَذَلَهُ رِيَاءً أَوْ حَيَاءً، فَأَخْذُهُ حَرَامٌ عَلَيْهِ[1].

وَأَمَّا وَجْهُ إِبَاحَتِهِ، إِمَّا اضْطِرَارُهُ؛ كَسُؤَالِ الْجَائِعِ الْخَائِفِ مِنَ الْمَوْتِ، أَوِ الْمَرَضِ، وَسُؤَالِ الْعَارِي، وَلَيْسَ مَعَهُ مَا يُوَارِي بَدَنَهُ؛ وَإِمَّا احْتِيَاجُهُ حَاجَةً مُهِمَّةً لَا تَبْلُغُ حَدَّ الِاضْطِرَارِ؛ كَمَنْ لَهُ جُبَّةٌ لَكِنَّهُ يَتَأَذَّى بِالْبَرْدِ، وَكَمَنْ يُرِيدُ الْكِرَاءَ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى الْمَشْيِ لَكِنْ بِتَعَبٍ، وَهَذَا الْمُحْتَاجُ يَحِلُّ لَهُ السُّؤَالُ أَيْضًا وَلَا يُكْرَهُ.

وَأَمَّا الْحَاجَةُ الْخَفِيفَةُ؛ كَمَنْ يُرِيدُ ثَوْبًا عَلَى ثِيَابِهِ، يُرِيدُ سَتْرَ خُرُوقِهَا عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ، أَوْ كَمَنْ يَسْأَلُ لِأَجْلِ الْأُدْمِ وَلَهُ خُبْزٌ؛ وَكَمَنْ يَكْتَرِي الْفَرَسَ وَهُوَ وَاجِدٌ كِرَاءَ حِمَارٍ. وَهَذَا إِنْ أَظْهَرَ حَاجَةً غَيْرَ هَذِهِ فَهُوَ حَرَامٌ، وَإِلَّا فَالسُّؤَالُ مُبَاحٌ مَعَ الْكَرَاهَةِ، بِشَرْطِ أَنْ لَا تَصْحَبَهُ الْمَحْذُورَاتُ الثَّلَاثُ؛ مِنَ الشَّكْوَى،

(1) الإحياء: 4/ 210.

أَوِ الذُّلِّ، أَوِ الْإِيذَاءِ، وَإِنْ صَحِبَهُ هَذِهِ الْأُمُورُ فَيَحْرُمُ، لِأَنَّ الْمَصْلَحَةَ الْمَذْكُورَةَ لَا يُبَاحُ بِهَا هَذِهِ الْمَحْذُورَاتِ.

فَإِنْ قُلْتَ: هَلْ يُمْكِنُ الْخُلُوُّ عَنْ هَذِهِ الْمَحْذُورَاتِ[1]؟

قُلْتُ: يُمْكِنُ؛ أَمَّا عَنِ الشَّكْوَى، بِأَنْ يُظْهِرَ الشُّكْرَ لِلَّهِ وَيَقُولُ: أَنَا مُسْتَغْنٍ حَقِيقَةً، لَكِنَّ رُعُونَةَ النَّفْسِ تُطَالِبُنِي بِثَوْبٍ فَوْقَ ثِيَابِي هَذِهِ، وَهُوَ فَضْلَةٌ عَنِ الْحَاجَةِ. وَأَمَّا الذُّلُّ، فَبِأَنْ يَسْأَلَ قَرِيبَهُ، أَوْ صَدِيقَهُ، أَوْ كَرِيمًا يَفْرَحُ بِمِثْلِ هَذَا، وَيَتَقَلَّدَ مِنَّةً لِقَبُولِهِ؛ وَأَمَّا الْإِيذَاءُ؛ فَبِأَنْ يُلْقِيَ الْكَلَامَ عَرَضًا، أَوْ يَسْأَلَ مَنْ لَا يَسْتَحْيِي، فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِمَّا يُؤْذِي، حَتَّى إِنْ عَلِمَ أَنَّهُ أَعْطَاهُ لِأَجْلِ الْحَيَاءِ، فَذَلِكَ الْمَالُ حَرَامٌ، بَلْ هُوَ بِمَنْزِلَةِ الْأَخْذِ بِالضَّرْبِ؛ لِأَنَّ سُوءَ الْبَاطِنِ الْحَيَاءُ وَخَوْفُ الْمَلَامِ، وَهَذَا أَشَدُّ نِكَايَةً مِنْ ضَرْبِ الظَّاهِرِ بِالسِّيَاطِ، وَرِضَا الظَّاهِرِ، وَإِنْ كَانَ عُذْرًا فِي الْقَضَاءِ لِعَدَمِ إِمْكَانِ الِاطِّلَاعِ على الْبَوَاطِنِ؛ وَأَمَّا الَّذِي يَكُونُ الْقُلُوبُ عِنْدَهُ كَالْأَلْسِنَةِ وَهُوَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ، فَلَا يُفِيدُ الظَّاهِرُ عِنْدَهُ شَيْئًا، وَيَجِبُ رَدُّهُ عَلَى صَاحِبِهِ عِنْدَهُ. فَلَا تَنْظُرْ فِي مِثْلِ هَذَا إِلَّا إِلَى قَلْبِكَ وَإِنْ أَفْتَوْكَ وَأَفْتَوْكَ، وَلِكَوْنِ حالِ الْقَلْبِ خَفِيًّا تَوَرَّعَ عَنِ السُّؤَالِ الْمُتَّقُونَ، إِلَّا إِذَا بَلَغَ حَدًّا يَحِلُّ فِيهِ الْخِنْزِيرُ وَالْمَيْتَةُ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَثِقُ بِبَصِيرَتِهِ فِي الِاطِّلَاعِ عَلَى قَرَائِنِ الْأَحْوَالِ، فَيَأْخُذُونَ مِنْ بَعْضٍ دُونَ بَعْضٍ.

---

(1) الإحياء: 4/ 212.

وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَأْخُذُ إِلَّا مِنْ أَصْدِقَائِهِ، أَوْ عِنْدَ بُلُوغِ الْحَالِ حَدَّ الِاضْطِرَارِ.

وَبِالْجُمْلَةِ، الْأَخْذُ بِالرِّضَا بِأَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الْمَسْؤُولَ لَوْ عَلِمَ لَابْتَدَأَ بِالْعَطَاءِ، فَلَا يَكُونُ مِنْكَ إِلَّا إِعْلَامُ حَاجَتِكَ فَهُوَ حَلَالٌ، وَالْأَخْذُ بِالْحَيَاءِ حَرَامٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ، فَاسْتَفْتِ فِيهَا قَلْبَكَ[1].

وَاعْلَمْ أَنَّ مِقْدَارَ الْغِنَى الْمُحَرِّمِ لِلسُّؤَالِ يَتَوَقَّفُ عَلَى تَفْصِيلٍ، وَهُوَ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «لَا حَقَّ لِابْنِ آدَمَ إِلَّا في ثَلَاثٍ، طَعَامٍ يُقِيمُ بِهِ صُلْبَهُ، وَثَوْبٍ يُوَارِي عَوْرَتَهُ، وَبَيْتٍ يَسْكُنُهُ فَمَا زَادَ فَهُوَ حِسَابٌ»[2]. هَذِهِ أَجْنَاسُهَا.

وَأَمَّا أَقْدَارُهَا، فَالثَّوْبُ مَثَلًا يُرَاعَى فِيهِ مَا يَلِيقُ بِذَوِي الدِّينِ، وَهُوَ ثَوْبٌ وَاحِدٌ، قَمِيصٌ وَمِنْدِيلٌ وَسَرَاوِيلُ وَمَدَاسٌ[3]. وَكَذَا أَثَاثُ الْبَيْتِ لَا يُطْلَبُ كَوْنُ الْأَوَانِي مِنَ النُّحَاسِ وَالصُّفْرِ، فِيمَا يَكْفِي فِيهِ الْخَزَفُ، فَيَقْتَصِرُ مِنَ الْعَدَدِ عَلَى وَاحِدٍ، وَمِنَ النَّوْعِ عَلَى أَخَسِّ أَجْنَاسِهِ، مَا لَمْ يَكُنْ في غَايَةِ الْبُعْدِ عَنِ الْعَادَةِ.

وَأَمَّا الطَّعَامُ فَقَدْرُهُ فِي الْيَوْمِ مُدٌّ، وَهُوَ مَا قَدَّرَهُ الشَّرْعُ، وَنَوْعُهُ مَا يُقْتَاتُ وَلَوِ الشَّعِيرُ، وَالْأُدْمُ على الدَّوَامِ فَضْلَةٌ، وَقَطْعُهُ بِالْكُلِّيَّةِ إِضْرَارٌ، وفي طَلَبِهِ في بَعْضِ الْأَحْوَالِ رُخْصَةٌ.

وَأَمَّا الْمَسْكَنُ فَأَقَلُّهُ مَا يَجْزِي مِنْ حَيْثُ الْمِقْدَارُ، ذلكَ مِنْ غَيْرِ زِينَةٍ.

---

(1) الإحياء: 4/ 213.

(2) مسند ابن الجعد: 465، وقوت القلوب: 2/ 332، والإحياء: 4/ 214.

(3) المداس: ضرب من الأحذية وقد تكسر الميم، والجمع أمدسة. المعجم الوسيط: 1/ 303.

ثُمَّ هذه الْأُمُورُ مِمَّا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ حَقِيقَةً. ثُمَّ الْحَاجَةُ إِلَيْهَا إِمَّا في الْحَالِ، مِنْ طَعَامِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، أَوْ ثَوْبٍ يَلْبَسُهُ، أَوْ مَأْوَى يَسْكُنُهُ، فَلَا شَكَّ في حِلِّ السُّؤَالِ لَهُ؛ وَإِمَّا في الْمُسْتَقْبَلِ فَثَلَاثُ دَرَجَاتٍ: أَمَّا مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ في غَدٍ، أَوْ بَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ خَمْسِينَ، أَوْ بَعْدَ سَنَةٍ، فَالسَّائِلُ الَّذِي لَهُ وَلِعِيَالِهِ قُوتُ سَنَةٍ فَسُؤَالُهُ حَرَامٌ، لِأَنَّ ذَلِكَ غَايَةُ الْغِنَى.

وَأَمَّا مَا دُونَ السَّنَةِ فَلَا يَحِلُّ لَهُ السُّؤَالُ إِنْ كانَ غَنِيًّا فِي الْحَالِ، إِلَّا أَنْ يَخَافَ فَوْتَ الْفُرْصَةِ في الِاسْتِقْبَالِ، بِأَنْ لَا يَجِدَ مَنْ يُعْطِيهِ إِذَا أَخَّرَ، لأَنَّ الْبَقَاءَ سَنَةً مُمْكِنٌ عادَةً. وَإِنْ كَانَ لِعِلَّةِ خَوْفِ الْعَجْزِ في الْمُسْتَقْبَلِ ضَعِيفًا، وَكانَ مَا لِأَجْلِهِ السُّؤَالُ خَارِجًا عَنْ مَحَلِّ الضَّرُورَةِ، لَمْ يَخْلُ سُؤَالُهُ عَنْ كَرَاهَةٍ.

وَبِالْحَقِيقَةِ جَانِبُ تَرْكِ السُّؤَالِ أَعْلَى؛ لِأَنَّ السُّؤَالَ مِنْ ضُعْفِ الْيَقِينِ، وَالْإِصْغَاءِ[1] إِلى تَخْوِيفِ الشَّيْطَانِ. وَحَالُ مَنْ يَسْأَلُ الْحَاجَةَ وَرَاءَ يَوْمِهِ، وَحَالُ مَنْ مَلَكَ مَالًا مَوْرُوثًا وَادَّخَرَهُ لِحَاجَةٍ وَرَاءَ السَّنَةِ سِيَّانِ، في كَوْنِهِمَا حُبَّ الدُّنْيَا، وَطُولَ الْأَمَلِ، وَعَدَمَ الثِّقَةِ بِفَضْلِ اللهِ تَعَالَى، وَإِنْ كَانَا مُبَاحَيْنِ في الْفَتْوَى الظَّاهِرَةِ. وَاللهُ أَعْلَمُ[2].

(1) والإضعاف، في رئيس الكتاب.

(2) الإحياء: 4/ 215.

الْمَطْلَبُ الْخَامِسُ: فِي حَقِيقَةِ الزُّهْدِ وَفَضِيلَتِهِ

وَهُوَ انْصِرَافُ الرَّغْبَةِ عَنِ الشَّيْءِ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ، فَكُلُّ مَنْ عَدَلَ عَنْ شَيْءٍ إِلَى غَيْرِهِ بِمُعَاوَضَةٍ وَبَيْعٍ وَغَيْرِهِ فَحَالُهُ بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْمَعْدُولِ عَنْهُ يُسَمَّى زُهْدًا، وَبِالْإِضَافَةِ إِلَى الْمَعْدُولِ إِلَيْهِ يُسَمَّى رَغْبَةً وَحُبًّا؛ فَلَا بُدَّ فِي الزُّهْدِ مِنْ مَرْغُوبٍ عَنْهُ وَمَرْغُوبٍ فِيهِ. وَيُشْتَرَطُ أَنْ يَكُونَ الْمَرْغُوبُ عَنْهُ مَرْغُوبًا فِيهِ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ؛ فَتَارِكُ التُّرَابِ وَالْحَجَرِ مَثَلًا لَا يُسَمَّى زَاهِدًا، وَيُشْتَرَطُ أَنْ يَكُونَ الْمَرْغُوبُ فِيهِ خَيْرًا مِنَ الْمَرْغُوبِ عَنْهُ عِنْدَهُ، فَالْمُشْتَرَى خَيْرٌ مِنَ الْمَبِيعِ عِنْدَهُ. فَكُلُّ مَنْ بَاعَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَبِالْعَكْسِ فَهُوَ زَاهِدٌ فِي وَضْعِ اللِّسَانِ، إِلَّا أَنَّ الْعُرْفَ جَرَى بِتَخْصِيصِهِ بِالْأَوَّلِ.

وَالَّذِي يَرْغَبُ عَنْ كُلِّ مَا سِوَى اللهِ تَعَالَى فَهُوَ زَاهِدٌ مُطْلَقٌ؛ وَالَّذِي يَرْغَبُ عَنِ الدُّنْيَا، بَلْ طَمَعَ فِي الْحُورِ وَالْقُصُورِ فَهُوَ زَاهِدٌ أَيْضًا، وَلَكِنَّهُ دُونَ الْأَوَّلِ؛ وَالَّذِي يَتْرُكُ بَعْضًا مِنْ حُظُوظِ الدُّنْيَا - كَمَنْ يَتْرُكُ الْمَالَ دُونَ الْجَاهِ - فَلَا يَسْتَحِقُّ اسْمَ الزُّهْدِ مُطْلَقًا، وَإِنْ جَازَ إِطْلَاقُهُ عَلَيْهِ. كَمَا أَنَّ إِطْلَاقَ التَّوْبَةِ عَلَى مَنْ يَتُوبُ عَنْ بَعْضِ الْمَعَاصِي - وَإِنْ كَانَتْ تَوْبَةً - لَكِنِ التَّائِبُ مُطْلَقًا مَنْ تَرَكَ كُلَّهَا. ثُمَّ إِنَّ الْمُقْتَصِرَ عَلَى تَرْكِ الْمَحْظُورَاتِ لَا يُسَمَّى زَاهِدًا، بَلِ الْعُرْفُ خَصَّهُ بِتَرْكِ الْمُبَاحَاتِ.

فَظَهَرَ مِنْ هَذَا كُلِّهِ، أَنَّ الزُّهْدَ رَغْبَةٌ عَنِ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ، أَوْ عَنْ غَيْرِ اللهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَهِيَ الدَّرَجَةُ الْعُلْيَا.

ثُمَّ إِنَّهُ يُشْتَرَطُ فِي الْمَرْغُوبِ عَنْهُ أَنْ يَكُونَ مَقْدُورًا عَلَيْهِ، كَمَا يُشْتَرَطُ فِي الْمَرْغُوبِ فِيهِ أَنْ يَكُونَ خَيْرًا عِنْدَهُ.

وَلِذَلِكَ قِيلَ لِابْنِ الْمُبَارَكِ: يَا زَاهِدُ، فَقَالَ: «الزَّاهِدُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، أَتَتْهُ الدُّنْيَا رَاغِمَةً فَتَرَكَهَا»(1)، وَأَمَّا أَنَا فَفِي مَاذَا زَهِدْتُ؟

هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ هُوَ الْحَالُ الْمُسَمَّى بِالزُّهْدِ. وَإِنَّ هُنَاكَ عِلْمًا مُثْمِرًا لِهَذِهِ الْحَالِ، [وَعَمَلًا يُثْمِرُهُ الْحَالُ](2).

أَمَّا الْعِلْمُ، فَهُوَ مَعْرِفَةُ كَوْنِ الْمَتْرُوكِ حَقِيرًا بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْمَأْخُوذِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ مَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ، وَأَنَّ الْآخِرَةَ هِيَ خَيْرٌ وَأَبْقَى، وَهَذِهِ الْمَعْرِفَةُ وَإِنْ كَانَتْ كَافِيَةً فِي نَفْسِهَا فِي كَوْنِهَا مُثْمِرَةً لِلزُّهْدِ، لَكِنْ قَدْ لَا يُثْمِرُهُ(3)، إِمَّا لِضُعْفِ عِلْمِهِ وَيَقِينِهِ، أَوْ لِاسْتِيلَاءِ الدُّنْيَا وَالشَّهْوَةِ عَلَيْهِ فِي الْحَالِ، بِكَوْنِهِ مَقْهُورًا فِي يَدِ الشَّيْطَانِ، وَإِمَّا لِاغْتِرَارِهِ بِالتَّسْوِيفِ يَوْمًا فَيَوْمًا.

وَأَمَّا الْعَمَلُ الصَّادِرُ عَنِ الزُّهْدِ، فَهُوَ تَرْكٌ وَأَخْذٌ وَاسْتِبْدَالٌ لِلَّذِي خَيْرٌ بِالَّذِي هُوَ أَدْنَى. وَأَمَّا إِذَا لَمْ تَقْدِرْ عَلَى الدُّنْيَا لَمْ يُتَصَوَّرْ مِنْكَ الزُّهْدُ، لِأَنَّ التَّرْكَ بَعْدَ الْقُدْرَةِ، إِلَّا أَنَّ الشَّيْطَانَ رُبَّمَا يُخَيِّلُ إِلَيْكَ أَنَّكَ زَاهِدٌ وَتَارِكٌ لِلدُّنْيَا إِذَا أَتَاكَ، وَهَذَا غُرُورٌ بَاطِلٌ فَلَا تَثِقْ بِالْقُدْرَةِ [عَلَى التَّرْكِ](4) قَبْلَ التَّجْرِبَةِ.

---

(1) مسند أحمد رقم: 22143، وقوت القلوب: 1/ 415، والإحياء: 4/ 217.

(2) ما بين معقوفين سقط من رئيس الكتاب.

(3) يثمر، في أنطاليا.

(4) زيادة من أنطاليا.

ثُمَّ إِنَّ الزَّاهِدَ تَرَكَهَا لِحَقَارَتِهَا لَا لِأَجْلِ السَّخَاءِ وَاسْتِمَالَةِ الْقُلُوبِ، وَعَلَى سَبِيلِ الطَّمَعِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ مِنْ مَحَاسِنِ الْعَادَاتِ، وَلَا مَدْخَلَ لَهَا فِي الْعِبَادَاتِ.

بَلِ الزَّاهِدُ مَنْ أَتَتْهُ الدُّنْيَا رَاغِمَةً عَفْوًا صَفْوًا، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى التَّنَعُّمِ بِهَا - مِنْ غَيْرِ نُقْصَانِ جَاهٍ، وَقُبْحِ اسْمٍ، وَفَوَاتِ حَظٍّ آخَرَ لِلنَّفْسِ - فَتَرَكَهَا خَوْفًا مِنْ أَنْ يَأْنَسَ بِهَا، فَيَكُونُ مُشْرِكًا فِي حُبِّ اللهِ، أَوْ تَرَكَهَا طَمَعًا فِي ثَوَابِ الْآخِرَةِ، فَتَرَكَ التَّمَتُّعَ بِمَلَاذِّ الدُّنْيَا طَمَعًا فِي طَيِّبَاتِ الْجَنَّةِ، لِئَلَّا يُقَالَ لَهُ: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾[1]، الآية.

وَأَمَّا فَضِيلَةُ الزُّهْدِ، فَمَذْكُورَةٌ فِي الْآيَاتِ وَالْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ بِحَيْثُ لَا يُحْتَاجُ إِلَى تَفْصِيلِهَا، بَلْ كُلُّ فِطْرَةٍ سَلِيمَةٍ تَحْكُمُ بِفَضِيلَتِهَا إِذَا خُلِّيَتْ وَنَفْسَهَا[2].

---

(1) سورة الأحقاف الآية: 20.

(2) الإحياء: 4/ 216 ـ 219.

الْمَطْلَبُ السَّادِسُ: فِي دَرَجَاتِ الزُّهْدِ وَأَقْسَامِهِ

أَمَّا دَرَجَاتُهُ فَثَلَاثٌ:

السُّفْلَى مِنْهَا: لِلْمُتَزَهِّدِينَ، وَهُوَ أَنْ يَزْهَدَ فِي الدُّنْيَا وَقَلْبُهُ مُشْتَهٍ لَهَا، وَلَكِنَّهُ يُجَاهِدُهَا وَيَكُفُّهَا. وَهَذَا عَلَى خَطَرٍ، إِذْ رُبَّمَا تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ فَيَسْتَرِيحُ إِلَيْهَا فِي قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ.

وَالْعُلْيَا مِنْهَا: أَنْ يَزْهَدَ طَوْعًا، وَيَزْهَدَ فِي زُهْدِهِ فَلَا يَرَى زُهْدَهُ، إِذْ لَا يَرَى أَنَّهُ تَرَكَ شَيْئًا، إِذِ الدُّنْيَا لَا شَيْءَ عِنْدَهُ، أَلَا يَرَى أَنَّ مَنْ تَرَكَ خُنْفُسَاءَ وَأَخَذَ جَوْهَرَةً لَا يَرَى نَفْسَهُ أَنَّهُ تَرَكَ شَيْئًا؟ وَالدُّنْيَا بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْآخِرَةِ أَخَسُّ مِنْ خُنْفُسَاءَ بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْجَوْهَرَةِ؛ وَمِثْلُ ذَلِكَ بِأَنْ أَلْقَى لُقْمَةً إِلَى كَلْبٍ مَنَعَهُ عَنِ الدُّخُولِ إِلَى بَابِ الْمَلِكِ، وَشَغَلَهُ بِهَا، وَدَخَلَ وَنَالَ الْقُرْبَ عِنْدَهُ، وَالدُّنْيَا أَقَلُّ مِنْ لُقْمَةٍ عِنْدَ اللهِ، فَكَيْفَ لَا تُلْقِيهَا إِلى شَيْطَانٍ يَمْنَعُكَ عَنِ الْقُرْبِ إِلَى اللهِ تَعَالَى.

وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الْوُسْطَى: فَهِيَ أَنْ يَرَى الدُّنْيَا شَيْئًا، وَلَكِنْ يَحْتَقِرُهَا بِالْإِضَافَةِ إلى الْآخِرَةِ، وَيَتْرُكُهَا لِأَجْلِهَا، كَالَّذِي يَتْرُكُ دِرْهَمًا لِدِرْهَمَيْنِ، وَإِنْ كَانَ مُنْتَظِرًا انْتِظَارًا قَلِيلًا. وَهَذَا الزَّاهِدُ يَرَى زُهْدَهُ وَيَلْتَفِتُ إِلَيْهِ، وَيَظُنُّ نَفْسَهُ أَنَّهُ تَرَكَ مَا لَهُ قَدْرٌ لِمَا هُوَ أَعْظَمُ قَدْرًا مِنْهُ، وَهَذَا أَيْضًا نُقْصَانٌ[1].

---

(1) الإحياء: 4/ 225-226.

ثُمَّ إِنَّ لِلزُّهْدِ دَرَجَاتٍ ثَلَاثًا بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْمَرْغُوبِ فِيهِ أَيْضًا:

الْأُولَى: وَهِيَ السُّفْلَى، أَنْ يَكُونَ الْمَرْغُوبُ فِيهِ النَّجَاةَ مِنَ النَّارِ وَسَائِرِ الْأَهْوَالِ، وَهَذَا زُهْدُ الْخَائِفِينَ.

الثَّانِيَةُ: أَنْ يَرْغَبَ فِي الثَّوَابِ وَالنَّعِيمِ، وَهَذَا زُهْدُ الرَّاجِينَ.

الثَّالِثَةُ: وَهِيَ الْعُلْيَا، أَنْ يَرْغَبَ فِي اللهِ تَعَالَى وَفِي لِقَائِهِ، وَلَا يَلْتَفِتَ إِلَى الْآلَامِ لِيَقْصِدَ الْخَلَاصَ مِنْهَا، وَلَا إِلَى اللَّذَّاتِ لِيَقْصِدَ نَيْلَهَا، بَلْ هُوَ مُسْتَغْرِقُ الْهَمِّ بِاللهِ تَعَالَى، وَهُوَ الَّذِي أَصْبَحَ وَهُمُومُهُ هَمٌّ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْمُوَحِّدُ الَّذِي لَا يَطْلُبُ غَيْرَ اللهِ. وَهَذَا زُهْدُ الْمُحِبِّينَ وَالْعَارِفِينَ.

وَأَمَّا أَقْسَامُهُ بِاعْتِبَارِ الْمَرْغُوبِ عَنْهُ فَأَرْبَعَةٌ:

أَحَدُهَا: أَنْ يَزْهَدَ عَنْ كُلِّ مَا سِوَى اللهِ حَتَّى عَنْ نَفْسِهِ.

وَثَانِيهَا: أَنْ يَزْهَدَ فِي كُلِّ صِفَةٍ لِلنَّفْسِ فِيهَا مُتْعَةٌ، مِنَ الشَّهْوَةِ وَالْغَضَبِ وَالْكِبْرِ وَالْجَاهِ، وَنَحْوِهَا.

وَثَالِثُهَا: أَنْ يَزْهَدَ فِي الْمَالِ وَالْجَاهِ وَأَسْبَابِهِمَا، لِأَنَّهُمَا مَرْجِعُ جَمِيعِ الْحُظُوظِ.

وَرَابِعُهَا: أَنْ يَزْهَدَ فِي الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ، لِأَنَّ الدِّينَارَ وَالدِّرْهَمَ [بِهِمَا][1] يَجْمَعُ جَمِيعَ الْأَمْوَالِ.

---

(1) زيادة من أنطاليا.

وَهَذَا إِجْمَالٌ، وَتَفْصِيلُهُ مِمَّا يَفُوقُهُ الْحَصْرُ. وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى سَبْعَةً مِنْهَا فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَالَ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[1]؛ ثُمَّ رَدَّهَا إِلَى خَمْسَةٍ فِي آيَةٍ أُخْرَى فَقَالَ: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾[2]؛ ثُمَّ رَدَّهَا إِلَى اثْنَيْنِ فِي آيَةٍ أُخْرَى فَقَالَ: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾[3]؛ ثُمَّ رَدَّ ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَى وَاحِدٍ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فَقَالَ: ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾[4]، لِأَنَّ الْهَوَى يَجْمَعُ الْكُلَّ. وَلَا يَذْهَبْ عَلَيْكَ أَنْ لَا مُخَالَفَةَ بَيْنَ هَذِهِ التَّفَاصِيلِ، بَلِ الْبَعْضُ دَاخِلٌ فِي الْبَعْضِ، وَلِذَلِكَ اخْتَلَفَ فِيهِ عِبَارَاتُ السَّلَفِ، إِذْ كُلٌّ مِنْهُمْ ذَكَرَ مَا عِنْدَهُ فِي الْحَالِ. وَلَا أَجْمَعَ مِمَّا ذَكَرَهُ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ إِذْ قَالَ: الزُّهْدُ تَرْكُ كُلِّ شُغْلٍ يَشْغَلُكَ عَنِ اللهِ تَعَالَى[5].

وَأَمَّا أَقْسَامُ الزُّهْدِ بِالْإِضَافَةِ إِلَى أَحْكَامِهِ: إِمَّا فَرْضٌ وَهُوَ الزُّهْدُ فِي الْحَرَامِ، أَوْ نَفْلٌ، وَهُوَ الزُّهْدُ فِي الْحَلَالِ، أَوْ سَلَامَةٌ، وَهُوَ الزُّهْدُ فِي الشُّبُهَاتِ.

وَأَمَّا دَرَجَاتُ الزُّهْدِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا فَلَا حَصْرَ لَهَا؛ وَأَعْلَاهَا زُهْدُ عِيسَى

---

(1) سورة آل عمران الآية: 14.

(2) سورة الحديد الآية: 20.

(3) سورة الأنعام الآية: 32.

(4) سورة النازعات الآية: 40.

(5) الإحياء: 4/ 227ـ229.

عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَيْثُ تَرَكَ حَجَرًا تَحْتَ رَأْسِهِ، وَزُهْدُ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيْثُ لَبِسَ مُسُوحًا تَنَقَّبَ مِنْهَا جِلْدُهُ، وَجَلَسَ أُوَيْسٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي قَوْصَرَّةٍ[1] لِلْعُرْيِ.

وَقَالَ قَوْمٌ: الزُّهْدُ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الْحَلَالِ، وَلَمْ يَبْقَ حَلَالٌ فِي الْأَمْوَالِ، فَلَا يُتَصَوَّرُ الزُّهْدُ في الْحَالِ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْف يُتَصَوَّرُ الزُّهْدُ مَعَ أَنَّكَ تَأْكُلُ وَتَشْرَبُ وَتَلْبسُ وَتُخَالِطُ النَّاسَ؟

قُلْتُ: الْغَرَضُ مِنَ الزُّهْدِ الِانْصِرَافُ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِكُلِّ الْقَلْبِ، فَالِاسْتِعَانَةُ بِالْأُمُورِ الْمَذْكُورَةِ لِلْعِبَادَةِ لَيْسَ اشْتِغَالًا بِغَيْرِ اللهِ تَعَالَى.

فَإِنْ قُلْتَ: فَأَنْتَ تَتَلَذَّذُ بِهَا؟ قُلْتُ: التَّلَذُّذُ لَا يَضُرُّ إِنْ كَانَ قَصْدُكَ الِاسْتِعَانَةَ لِلْعِبَادَةِ، دُونَ التَّلَذُّذِ بِالْأُمُورِ الْمَذْكُورَةِ[2].

(1) الْقَوْصَرَّةُ بالتشديد والتخفيف: وعاء التمر يتخذ من قصب. وقولهم: وإنما تسمى بذلك ما دام فيها التمر. المغرب/ قصر.

(2) الإحياء: 4/ 229.

السَّابِعُ: فِي تَمْيِيزِ قَدْرِ الْحَاجَةِ عَنِ الْفُضُولِ لِيَزْهَدَ فِيهَا

وَاعْلَمْ أَنَّ قَدْرَ الْحَاجَةِ سِتَّةُ أُمُورٍ:

الْأَوَّلُ: الْمَطْعَمُ، وَلَهُ طُولٌ وَعَرْضٌ، فَلَا بُدَّ مِنْ قِصَرِهِمَا حَتَّى يَتِمَّ بِهِ الزُّهْدُ.

أَمَّا طُولُهُ: فَجُمْلَةُ الْعُمُرِ، وَقِصَرُهُ: دَفْعُ الْجُوعِ عِنْدَ شِدَّةِ الْجُوعِ، وَخَوْفُ الْمَرَضِ، وَلَا يَدَّخِرُ أَصْلًا، وَهِيَ الدَّرَجَةُ الْعُلْيَا؛ أَوْ أَنْ يَدَّخِرَ لِشَهْرٍ، أَوْ لِأَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَهَذِهِ أَوْسَطُهَا؛ أَوْ يَدَّخِرَ لِسَنَةٍ فَقَطْ، وَهَذِهِ أَضْعَفُهَا. وَلَيْسَ وَرَاءَ السَّنَةِ شَيْءٌ مِنْ مَرَاتِبِ الزُّهْدِ.

وَأَمَّا عَرْضُهُ: فَبِالْمِقْدَارِ، وَأَقَلُّ دَرَجَاتِهِ: فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ نِصْفُ رَطْلٍ، وَأَوْسَطُهَا: رَطْلٌ، وَأَعْلَاهَا: مُدٌّ وَاحِدٌ، وَهُوَ مَا قَدَّرَهُ اللهُ تَعَالَى فِي إِطْعَامِ الْمِسْكِينِ، وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ إِشْبَاعُ الْبَطْنِ.

وَأَمَّا بِالْجِنْسِ: فَأَقَلُّهُ: كُلُّ مَا يَقُوتُ، وَلَوِ الْخُبْزُ مِنَ النُّخَالَةِ، وَأَوْسَطُهَا: خُبْزُ الشَّعِيرِ وَالذُّرَةِ، وَأَعْلَاهَا: خُبْزُ الْبُرِّ غَيْرَ مَنْخُولٍ، وَالْمَنْخُولُ وَالْحُوَّارَى[1] مِنَ التَّنَعُّمِ.

وَأَمَّا الْأُدْمُ: فَأَقَلُّهُ الْمِلْحُ أَوِ الْبَقْلُ أَوِ الْخَلُّ؛ وَأَوْسَطُهُ: الزَّيْتُ وَيَسِيرٌ مِنَ الْأَدْهَانِ أَيَّ دُهْنٍ كَانَ؛ وَأَعْلَاهَا: اللَّحْمُ أَيَّ لَحْمٍ كَانَ، وَذَلِكَ فِي الْأُسْبُوعِ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، فَإِذَا صَارَ دَائِمًا وَأَكْثَرَ مِنْ مَرَّتَيْنِ دَخَلَ فِي التَّنَعُّمِ.

---

(1) الْحُوَّارى من الدقيق سمي به لأنه ينقى من لُباب البرّ. اللسان/ حور.

وَأَمَّا بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْوَقْتِ: فَأَقَلُّهُ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ مَرَّةً، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ صَائِمًا؛ وَأَوْسَطُهُ: أَنْ يَصُومَ وَيَشْرَبَ لَيْلَةً وَلَا يَأْكُلَ، أَوْ يَأْكُلَ لَيْلَةً وَلَا يَشْرَبُ، وَأَعْلَاهُ: أَنْ يَطْوِيَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، أَوْ أُسْبُوعًا، وَمَا زَادَ عَلَيْهِ(1).

الثَّانِي مِنَ الْأُمُورِ السِّتَّةِ [الْمُهِمَّةِ](2): الْمَلْبَسُ.

وَأَقَلُّ دَرَجَاتِهِ: مَا يَدْفَعُ الْحَرَّ وَالْبَرْدَ، وَيَسْتُرُ الْعَوْرَةَ، وَهُوَ كِسَاءٌ يَتَغَطَّى بِهِ؛ **وَأَوْسَطُهُ**: قَمِيصٌ وَقَلَنْسُوَةٌ وَنَعْلَانِ؛ **وَأَعْلَاهُ**: أَنْ يَكُونَ مَعَهُ مِنْدِيلٌ وَسَرَاوِيلُ، وَمَا زَادَ عَلَيْهِ فَهُوَ خَارِجٌ عَنِ الزُّهْدِ. وَيُشْتَرَطُ أَنْ لَا يَجِدَ آخَرَ إِذَا غَسَلَ وَاحِدًا مِنْهَا، فَلَا يَكُونُ صَاحِبَ قَمِيصَيْنِ وَمِنْدِيلَيْنِ.

أَمَّا الْجِنْسُ: فَأَقَلُّهُ: الْمُسُوحُ الْخَشِنَةُ؛ وَأَوْسَطُهُ: الصُّوفُ الْخَشِنُ؛ وَأَعْلَاهُ: الْقُطْنُ الْغَلِيظُ.

وَأَمَّا مِنْ حَيْثُ الْوَقْتُ: فَأَقْصَاهُ: مَا يَسْتُرُ سَنَةً؛ وَأَقَلُّهُ: مَا يَبْقَى يَوْمًا كَرَقْعِ الثَّوْبِ بِوَرَقِ الشَّجَرِ؛ وَأَوْسَطُهُ: مَا يَتَمَاسَكُ عَلَيْهِ شَهْرًا أَوْ مَا يُقَارِبُهُ(3).

الثَّالِثُ مِنْهَا: الْمَسْكَنُ.

أَعْلَاهَا: أَنْ لَا يَطْلُبَ لِنَفْسِهِ مَوْضِعًا خَاصًّا، وَيَقْنَعَ بِزَوَايَا الْمَسَاجِدِ، كَأَصْحَابِ الصُّفَّةِ؛ وَأَوْسَطُهَا: أَنْ يَطْلُبَ مَوْضِعًا خَاصًّا، مِثْلَ كُوخٍ مَبْنِيٍّ مِنْ

---

(1) الإحياء: 4/ 230

(2) زيادة من أنطاليا.

(3) الإحياء: 4/ 231 ـ 232.

سَعَفٍ، أَوْ خُصٍّ[1]، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ؛ وَأَدْنَاهَا: أَنْ يَطْلُبَ حُجْرَةً مَبْنِيَّةً إِمَّا بِشِرَاءٍ أَوْ إِجَارَةٍ.

وَأَمَّا التَّشْيِيدُ وَالتَّجْصِيصُ وَالسَّعَةُ وَارْتِفَاعُ السَّقْفِ أَكْثَرَ مِنْ سِتَّةِ أَذْرُعٍ فَقَدْ جَاوَزَ بِالْكُلِّيَّةِ حَدَّ الزُّهْدِ.

وَاخْتِلَافُ جِنْسِهِ بِالْجَصِّ، أَوِ الطِّينِ، أَوِ الْقَصَبِ، وَاخْتِلَافُ قَدْرِهِ بِالسَّعَةِ وَالضِّيقِ، وَاخْتِلَافُ طُولِهِ بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْأَوْقَاتِ، بِأَنْ يَكُونَ مَمْلُوكًا، أَوْ مُسْتَأْجَرًا، أَوْ مُسْتَعَارًا[2].

الرَّابِعُ مِنْهَا: أَثَاثُ الْبَيْتِ.

وَأَقَلُّ دَرَجَاتِهِ: الْخَزَفُ، وَلَا يُبَالِي بِأَنْ يَكُونَ مَكْسُورَ الطَّرَفِ إِذَا حَصَلَ بِهِ الْمَقْصُودُ. وَكَانَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَصْحَبُهُ مُشْطٌ وَكُوزٌ، فَرَأَى إِنْسَانًا يَمْشُطُ لِحْيَتَهُ بِأَصَابِعِهِ فَرَمَى الْمُشْطَ، وَرَأَى آخَرَ يَشْرَبُ بِكَفَّيْهِ فَرَمَى الْكُوزَ؛ وَأَوْسَطُهَا: أَنْ يَكُونَ لَهُ أَثَاثٌ بِقَدْرِ الْحَاجَةِ: بِأَنْ يَسْتَعْمِلَ الْآلَةَ الْوَاحِدَةَ فِي مَقَاصِدَ؛ مِثْلَ: أَنْ يَشْرَبَ مِنْ قَصْعَةٍ، وَيَأْكُلَ الثَّرِيدَ فِيهَا، وَيَحْفَظَ الْمَتَاعَ فِيهَا؛ وَأَعْلَاهَا: أَنْ يَكُونَ لَهُ آلَةٌ بِعَدَدِ كُلِّ حَاجَةٍ مِنَ الْجِنْسِ الْخَسِيسِ النَّازِلِ[3].

---

(1) الخُصُّ: بيتٌ من شجر أو قصبٍ، والجمع أخصاص وخِصاص وقيل خصوص. اللسان: خصص.

(2) الإحياء: 4/ 235.

(3) المصدر نفسه: 4/ 237.

الْخَامِسُ: الْمَنْكَحُ.

وَذَلِكَ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ. وَالْأَصْلُ: الِاشْتِغَالُ عَنِ اللهِ تَعَالَى، فَمِنْهُمْ مَنْ تَشْغَلُهُ الْمَرْأَةُ عَنِ اللهِ تَعَالَى فَيَتْرُكُهَا، وَمِنْهُمْ مَنْ تَشْغَلُهُ الْعُزُوبَةُ فَيَتَزَوَّجُ، وَمِنْهُمْ مَنْ لا يَشْغَلُهُ أَكْثَرُ مِنْ وَاحِدَةٍ، فَيَجُوزُ لَهُ كَمَا فَعَلَهُ خَيْرُ الزَّاهِدِينَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَكانَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ أَزْهَدَ الْأَصْحَابِ، وَكانَ لَهُ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ بَعْدَ وَفَاةِ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وَبِضْعَ عَشْرَةَ سُرِّيَّةً[1].

السَّادِسُ: مَا يَكُونُ وَسِيلَةً إِلَى هَذِهِ الْخَمْسَةِ، وَهُوَ الْمَالُ وَالْجَاهُ. وَقِيلَ: لَا بُدَّ مِنْ قَدْرِ جَاهٍ لِيَنْتَفِعَ بِهِ فِي عِبَادَتِهِ؛ كَالْجَاهِ عِنْدَ خَادِمِهِ وَأَقَارِبِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَلِيَتَمَكَّنَ بِهِ مِنْ دَفْعِ مَضَارِّهِ.

إِلَّا أَنَّ الْحَقَّ أَنَّ طَلَبَ الْجَاهِ هَاوِيَةٌ لا قَعْرَ لَهَا، «وَمَنْ حَامَ حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ»[2]، بَلِ الِاشْتِغَالُ بِالدِّينِ وَالْعِبَادَةِ يُمَهِّدُ لَهُ مِنَ الْمَحَلِّ فِي الْقُلُوبِ مَا يَدْفَعُ بِهِ عَنْهُ الْأَذَى، وَلَوْ كَانَ بَيْنَ الْكُفَّارِ فَكَيْفَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ. وَأَمَّا التَّوَهُّمَاتُ وَالتَّقْدِيرَاتُ الْمُحْوِجَةُ إِلَى زِيَادَةٍ فِي الْجَاهِ فَهِيَ أَوْهَامٌ كَاذِبَةٌ[3].

---

(1) المصدر نفسه: 4/ 238. سُرِّيَّةٌ: مأخوذة من السر وهو النكاح، فالضم وهو على غير قياس، والحرة إذا نُكِحَتْ سرًّا يقال لها سِرِّيَّةٌ بالكسر على القياس، وقيل من السُّرِّ بالضم بمعنى السرور، لأن مالكها يُسَرُّ بها. المصباح المنير: 1/ 273، مادة سرر.

(2) ورد في المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: 1/ 157.

(3) الإحياء: 4/ 239.

الْأَصْلُ الْخَامِسُ: فِي التَّوَكُّلِ[1]

وَفِيهِ مَطَالِبُ:

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ

لَا يَخْفَى عَلَيْكَ فَضِيلَةُ التَّوَكُّلِ، سِيَّمَا مَنْ تَتَبَّعَ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[2]؛ وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[3]؛ وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[4]. وَأَعْظِمْ بِمَقَامٍ مَوْسُومٍ بِمَحَبَّتِهِ تَعَالَى صَاحِبُهُ، وَمَضْمُونٍ بِكِفَايَتِهِ.

وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللهِ حَقَّ التَّوَكُّلِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا تُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا».

وَفِي الْأَحَادِيثِ كَثْرَةٌ يَعْرِفُهَا أَهْلُهَا. وَكَذَا الْآثَارُ فِي حَقِّ التَّوَكُّلِ[5].

وَأَمَّا حَقِيقَتُهُ، فَلَا يَذْهَبْ عَلَيْكَ أَنَّ التَّوَكُّلَ حَالٌ يَنْبَعِثُ مِنْ عِلْمٍ ثُمَّ يُثْمِرُ عَمَلًا.

أَمَّا الْعِلْمُ، فَهُوَ التَّوْحِيدُ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الْإِيمَانِ، الَّذِي تَرْجَمَتُهُ قَوْلُكَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ، أَعْنِي قَوْلَكَ: لَهُ الْمُلْكُ،

---

(1) الأصل الخامس والسادس سقطا من نسخة مراد ملا.

(2) سورة المائدة الآية: 23.

(3) سورة الطلاق الآية: 3.

(4) سورة آل عمران الآية: 159.

(5) الإحياء: 4/ 243ـ244.

وَبِالْجُودِ وَالْحِكْمَةِ، وَهُوَ قَوْلُكَ: وَلَهُ الْحَمْدُ.

ثُمَّ إِنَّ أَصْلَ التَّوْحِيدِ مِنْ عِلْمِ الْمُكَاشَفَةِ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ بَعْضُهَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَعْمَالِ بِوَاسِطَةِ الْأَحْوَالِ، وَلَا يَتِمُّ عِلْمُ الْمُعَامَلَةِ إِلَّا بِهَا، وَجَبَ التَّعَرُّضُ لَهُ قَدْرَ مَا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ عِلْمُ الْمُعَامَلَةِ، وَإِلَّا فَهُوَ الْبَحْرُ الْخِضَمُّ الَّذِي لَا سَاحِلَ لَهُ.

فَنَقُولُ: مَرَاتِبُ التَّوْحِيدِ أَرْبَعٌ: لُبٌّ، وَلُبُّ اللُّبِّ، وَقِشْرٌ، وَقِشْرُ الْقِشْرِ.

فَالْمَرْتَبَةُ الْأُولَى: قَوْلُ الْإِنْسَانِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ بِلِسَانِهِ، وَقَلْبُهُ عَنْهُ غَافِلٌ، أَوْ جَاحِدٌ. وَحُكْمُهُ أَنَّهُ مُوَحِّدٌ بِمُجَرَّدِ اللِّسَانِ، وَيَعْصِمُهُ فِي الدُّنْيَا عَنِ السَّيْفِ وَالسِّنَانِ.

وَالثَّانِيَةُ: أَنْ يُصَدِّقَ بِقَلْبِهِ مَعْنَى اللَّفْظِ، وَهُوَ الِاعْتِقَادُ؛ وَهَذَا حَالُ عُمُومِ الْمُسْلِمِينَ، لَيْسَ فِيهِ انْشِرَاحٌ وَانْفِسَاحٌ. وَحُكْمُهُ أَنَّهُ يَحْفَظُهُ فِي الْآخِرَةِ عَنْ عِقَابٍ إِنْ تُوُفِّيَ عَلَيْهِ، وَلَمْ يُضْعِفْ بِالْمَعَاصِي عُقْدَتَهَا. وَتَحْلِيلُهَا بِالْقَصْدِ يُسَمَّى بِدْعَةً، وَصَاحِبُهُ مُبْتَدِعًا. وَقَصْدُ إِحْكَامِهَا وَشَدِّهَا يُسَمَّى كَلَامًا، وَصَاحِبُهُ مُتَكَلِّمًا.

وَالثَّالِثَةُ: مُوَحِّدٌ، بِمَعْنَى لَمْ يُشَاهِدْ إِلَّا فَاعِلًا وَاحِدًا إِذَا انْكَشَفَ لَهُ الْحَقُّ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ، إِذْ لَا فَاعِلَ بِالْحَقِيقَةِ إِلَّا وَاحِدٌ.

الرَّابِعَةُ: مُوَحِّدٌ بِمَعْنَى أَنَّهُ لَمْ يَحْضُرْ في شُهُودِهِ غَيْرُ الْوَاحِدِ، فَلَا يَرَى الْكُلَّ إِلَّا مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ وَاحِدٌ، وَهَذِهِ هِيَ الْغَايَةُ الْقُصْوَى فِي التَّوْحِيدِ[1].

فَالْأَوَّلُ كَالْقِشْرَةِ الْعُلْيَا مِنَ الْجَوْزِ، وَالثَّانِي كَالسُّفْلَى مِنْهُ، وَالثَّالِثُ كَاللُّبِّ مِنْهُ، وَالرَّابِعُ كَلُبِّ اللُّبِّ مِنْهُ، وَهُوَ الدُّهْنُ مِنَ الْجَوْزِ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ يُمْكِنُ مُشَاهَدَةُ هَذِهِ الْكَثْرَةِ وَاحِدًا وَهِيَ كَثِيرَةٌ في نَفْسِهَا.

فَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا غَايَةُ عُلُومِ الْمُكَاشَفَةِ، الَّتِي قَالَ الْعَارِفُونَ لِعُسْرِهَا وَغُمُوضِهَا وَبُعْدِهَا عَنْ مَدَارِكِ الْخَلْقِ: إِفْشَاءُ سِرِّ الرُّبُوبِيَّةِ كُفْرٌ. فَلَا يَجُوزُ أَنْ تُسَطَّرَ فِي كِتَابٍ إِلَّا قَدْرَ مَا يَكْسِرُ سَوْرَةَ اسْتِبْعَادِكَ، بِأَنْ تُلَاحِظَ أَنَّ الْإِنْسَانَ مَعَ كَثْرَتِهَا مِنْ حَيْثُ بَدَنُهَا، وَرُوحُهَا، وَقِوَاهَا الظَّاهِرَةُ وَالْبَاطِنَةُ، لَهُ جِهَةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ الْإِنْسَانِيَّةُ، فَلَا تَنَافِي بَيْنَ هَاتَيْنِ الْجِهَتَيْنِ. وَهَذَا الْمِثَالُ لِأَجْلِ التَّنْبِيهِ عَلَى مُجَرَّدِ عَدَمِ التَّنَافِي بَيْنَ الْجِهَتَيْنِ لَا أَنَّهُ يُطَابِقُ الْمُمَثَّلَ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ. فَعَلَيْكَ أَنْ تُصَدِّقَ بِهَذِهِ الْحَالَةِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ تُشَاهِدُهَا. وَالْمُشَاهَدَةُ أَيْضًا لَا تَدُومُ لِأَهْلِهَا، بَلْ تَظْهَرُ كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ، وَالدَّوَامُ نَادِرٌ عَزِيزُ الْوُجُودِ[2].

وَلَمَّا كَانَتِ الرُّتْبَةُ الرَّابِعَةُ بَعِيدَةً عَنِ الْأَفْهَامِ، لَا جَرَمَ بَنَيْنَا التَّوَكُّلَ عَلَى الرُّتْبَةِ الثَّالِثَةِ. وَلْنَذْكُرْ مِنْهَا قَدْرَ مَا يَرْتَبِطُ التَّوَكُّلُ بِهِ، وَهُوَ أَنَّهُ إِذَا انْفَتَحَتْ لَكَ أَبْوَابُ الْمُشَاهَدَةِ، يَتَّضِحُ عِنْدَكَ أَنَّ لَا فَاعِلَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ كُلَّ فِعْلٍ مِنَ التَّخْلِيقِ

---

(1) الإحياء: 4/ 245.

(2) المصدر نفسه: 4/ 246 ـ 247.

وَالتَّرْزِيقِ، وَالْمَنْعِ وَالْإِعْطَاءِ، وَالْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ كُلُّهَا مِنْ إِبْدَاعِ فَاعِلٍ وَاحِدٍ وَاخْتِرَاعِهِ، وَهُوَ اللهُ تَعَالَى لَا شَرِيكَ لَهُ فِيهَا، وَمَا سِوَاهُ مُسَخَّرُونَ تَحْتَ قُدْرَتِهِ، لا اسْتِقْلَالَ لَهُمْ أَصْلًا في مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَوْ بِتَحْرِيكِ ذَرَّةٍ، فَعِنْدَ مَعْرِفَةِ هَذَا الْأَمْرِ لَمْ تَنْظُرْ غَيْرَهُ، بَلْ يَصِيرُ إِلَيْهِ خَوْفُكَ وَرَجَاؤُكَ، وَثِقَتُكَ وَاتِّكَالُكَ.

وَإِنَّمَا يَصُدُّكَ الشَّيْطَانُ عَنْ هَذَا فِي مَقَامَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: الِالْتِفَاتُ إِلَى الْجَمَادَاتِ؛ كَاشْتِرَاطِ الْغَيْمِ فِي الْمَطَرِ، أَيْ: بِأَنْ يُؤَثِّرَ فِيهِ، وَهَذَا شِرْكٌ فِي التَّوْحِيدِ، وَجَهْلٌ بِحَقَائِقِ الْأُمُورِ، بَلِ الْمُؤَثِّرُ وَاحِدٌ لَا غيرُ.

وَثَانِيهِمَا: الِالْتِفَاتُ إِلَى اخْتِيَارِ الْحَيَوَانَاتِ، بِأَنَّ هَذَا الشَّخْصَ يَقْدِرُ أَنْ يُعْطِيَ رِزْقَكَ وَيَمْنَعَهُ أَيْضًا، وَعِنْدَ هَذَا زَلَّ أَقْدَامُ الْأَكْثَرِينَ، إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ، الَّذِينَ لَاسُلْطَانَ عَلَيْهِمْ لِلشَّيْطَانِ. وَمَنْ لَمْ يَنْشَرِحْ بِنُورِ اللهِ صَدْرُهُ، قَصُرَتْ بَصِيرَتُهُ عَنْ مُلَاحَظَةِ جَبَّارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمُشَاهَدَةِ كَوْنِهِ قَهَّارًا وَرَاءَ الْكُلِّ، وَالَّذِينَ يَسْمَعُونَ مِنْ كُلِّ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ تَقْدِيسَهَا [وَتَسْبِيحَهَا][1] لِلَّهِ، وَشَهَادَتَهَا عَلَى نَفْسِهَا بِالْعَجْزِ بِلِسَانٍ ذَلْقٍ يَتَكَلَّمُ بِلَا حَرْفٍ، وَلَا صَوْتٍ، لَا بِالسَّمْعِ[2] الظَّاهِرِ الَّذِي يُشَارِكُكَ فِيهَا

---

(1) سقطت من رئيس الكتاب.

(2) أعني به السمع، في أنطاليا.

الْحِمَارُ، بَلْ سَمْعًا يُدْرَكُ بِهِ كَلَامٌ لَيْسَ بِحَرْفٍ وَلَا صَوْتٍ، وَلَا هُوَ عَرَبِيٌّ وَلَا عَجَمِيٌّ يَشْهَدُونَ وَيُشَاهِدُونَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ بِالْعَجْزِ، وَأَنْ لَا قُدْرَةَ إِلَّا مِنْ مُبْدِعِ الْكُلِّ وَخَالِقِهَا، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْهُ وَلَمْ يُشَاهِدْهُ الَّذِينَ هُمْ عَنِ السَّمْعِ مَعْزُولُونَ[1].

وَكَيْفِيَّةُ الْمُنَاجَاةِ مَعَ الْجَمَادَاتِ فِي السِّرِّ أَمْرٌ لَا يُمْكِنُ كَشْفُهَا؛ إِمَّا لِأَنَّ إِفْشَاءَ السِّرِّ غَيْرُ جَائِزٍ، إِذْ: «صُدُورُ الْأَحْرَارِ قُبُورُ الْأَسْرَارِ»[2]؛ أَوْ لِعَدَمِ تَنَاهِي تِلْكَ الْكَلِمَاتِ عَنْ حَدِّ الْحَصْرِ وَالنِّهَايَةِ، وَ ﴿لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾[3].

وَمِثَالُ ذَلِكَ؛ أَنَّ سَائِلًا سَأَلَ عَنِ الْكَاغِدِ: مَا بَالُ وَجْهِكَ أَسْوَدَ وَقَدْ كَانَ أَبْيَضَ؟ قال: مَا فَعَلْتُهُ عَنْ نَفْسِي، سَلْ عَنْ ذَلِكَ الْحِبْرَ، فَإِنَّهُ سَوَّدَ وَجْهِي قَهْرًا وَعُدْوَانًا، قالَ: صَدَقْتَ. فَسَأَلَ الْحِبْرَ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: كُنْتُ سَاكِنًا فِي الْمِحْبَرَةِ - وَهِيَ وَطَنِي - عَازِمًا أَلَّا أُفَارِقَهَا، فَاعْتَدَى عَلَيَّ الْقَلَمُ وَفَرَّقَ شَمْلِي، وَبَدَّدَنِي عَلَى صَفَحَاتِ الْأَوْرَاقِ، فَالسُّؤَالُ عَلَيْهِ لَا عَلَيَّ، قَالَ: صَدَقْتَ. ثُمَّ سَأَلَ الْقَلَمَ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: كُنْتُ نَابِتًا عَلَى شَاطِئِ الْأَنْهَارِ، ذَلِكَ وَطَنِي وَمَنْبِتِي، وَمَسْقِطُ رَأْسِي، فَجَاءَتْنِي الْيَدُ، وَنَحَّانِي عَنْ وَطَنِي، ثُمَّ بَرَانِي

---

(1) اقتبس معنى الآية الكريمة: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ سورة الإسراء الآية: 212.

(2) ورد المثل في الأمثال المولدة: 120، والتمثيل والمحاضرة للثعالبي: 317، والإحياء: 4/ 248.

(3) سورة الكهف الآية: 109. وانظر الإحياء: 4/ 248.

وَشَقَّ رَأْسِي، وَغَمَسَنِي فِي بَحْرِ الْحِبْرِ، وَأَمْشَانِي عَلَى قُنَّةِ رَأْسِي، فَحَصَلَ مِنْهُ هَذَا الْأَمْرُ، فَسَلْ عَمَّنْ قَهَرَنِي، فَقَالَ: صَدَقْتَ. ثُمَّ سَأَلَ الْيَدَ عَنْ تَعَدِّيهَا عَلَى الْقَلَمِ، فَقَالَتْ: أَنَا مَرْكَبٌ مُسَخَّرٌ، رَكِبَنِي فَارِسُ الْقُدْرَةِ، فَاسْتَخْدَمَنِي كَيْفَ شَاءَ، فَسَلِ الْقُدْرَةَ عَنْ شَأْنِي فَإِنَّ بِيَدِهَا عِنَانِي، فقالَ: صَدَقْتِ. ثُمَّ سَأَلَ الْقُدْرَةَ عَنِ اسْتِخْدَامِهَا الْيَدَ، قَالَتْ دَعْ عَنْكَ لَوْمِي، وَقَدْ كُنْتُ فِي نَوْمِي، حَتَّى جَاءَنِي مُوَكَّلُ الْإِرَادَةِ وَأَزْعَجَنِي وَأَرْهَقَنِي إِلَى مَا تَرَاهُ مِنِّي، فقالَ: صَدَقْتِ. ثُمَّ سَأَلَ الْإِرَادَةَ فَقَالَتْ: لا تَعْجَلْ عَلَيَّ، فَلَعَلَّ لِي عُذْرًا وَأَنْتَ تَلُومُ، فَإِنِّي مَا انْبَعَثْتُ وَلَا كُنْتُ عَلَيْهِ بِعَازِمَةٍ إِلَّا بِحُكْمٍ قَاهِرٍ، وَأَمْرٍ جَازِمٍ، فَإِنِّي مُسَخَّرٌ تَحْتَ قَهْرِ الْعِلْمِ، الْوَارِدِ مِنْ حَضْرَةِ الْقَلْبِ، عَلَى لِسَانِ الْعَقْلِ، فَانْزَعَجْتُ بِقَهْرٍ مِنْهُ، فَقَالَ: صَدَقْتِ(1).

وَأَقْبَلَ عَلَى الْعَقْلِ وَالْعِلْمِ وَالْقَلْبِ مُطَالِبًا لَهُمْ، وَمُعَاتِبًا إِيَّاهُمْ، فَقالَ الْعَقْلُ: أَمَّا أَنَا فَسِرَاجٌ مَا اشْتَعَلْتُ بِنَفْسِي، وَلَكِنِّي أُشْعِلْتُ، وَقالَ الْقَلْبُ: أَمَّا أَنَا فَلَوْحٌ مَا انْبَسَطْتُ بِنَفْسِي وَلَكِنِّي بُسِطْتُ، وَقال الْعِلْمُ: إِنَّمَا أَنَا نَقْشٌ نُقِشْتُ فِي بَيَاضِ لَوْحِ الْقَلْبِ لَمَّا أَشْرَقَ سِرَاجُ الْعَقْلِ، فَسَلْ قَلَمًا يَنْقُشُنِي.

فَلَمَّا سَمِعَ السَّائِلُ حَدِيثَ اللَّوْحِ وَالسِّرَاجِ وَالْخَطِّ وَالْقَلَمِ تَحَيَّرَ، إِذْ كانَ لَمْ يَعْرِفْ هذه الْأُمُورَ إِلَّا فِي الْأَجْسَامِ، فَعِنْدَ ذلكَ رَحِمَهُ الْعِلْمُ، وقالَ: قَدْ تَعِبَتْ نَفْسُكَ فِي السُّؤَالِ، فَلَا تَنْقَلِبْ خَاسِرًا، فَأَلْقِ سَمْعَكَ إِلَيَّ وَأَنْتَ شَهِيدٌ.

---

(1) الإحياء: 4/ 249.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَوَالِمَ إِمَّا عَالَمُ الْمُلْكِ وَالشَّهَادَةِ، وَقَدْ قَطَعْتَهَا بِسُهُولَةٍ، وَإِمَّا عَالَمُ الْمَلَكُوتِ وَفِيهَا الْبِحَارُ الْمُغْرِقَةُ، وَلَا يَسْلَمُ مِنْهَا إِلَّا الْأَقَلُّونَ، وَهُوَ وَرَائِي. وَإِمَّا عَالَمُ الْجَبَرُوتِ، وَهُوَ وَاسِطَةٌ بَيْنَ هَذَيْنِ الْعَالَمَيْنِ، وَذَلِكَ مِثْلُ سَفِينَةٍ هِيَ بَيْنَ الْمَشْيِ عَلَى الْأَرْضِ، وَالْمَشْيِ عَلَى الْمَاءِ. فَعَالَمُ الْمُلْكِ مِنَ الْحِبْرِ إِلَى الْقُدْرَةِ، وَمِنْهَا إِلَى الْقَلَمِ الَّذِي يُكْتَبُ بِهِ الْعِلْمُ: عَالَمُ الْجَبَرُوتِ، وَمِنْهُ مَبْدَأُ عَالَمِ الْمَلَكُوتِ. وَمَنْ جَاوَزَ عَالَمَ الْجَبَرُوتِ وَقَرَعَ أَوَّلَ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَلَكُوتِ كُوشِفَ بِالْقَلَمِ، وَلِذَلِكَ صَارَ أَوَّلُ ما نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُورَةَ الْقَلَمِ(1).

ثُمَّ إِنَّكَ أَيُّهَا السَّائِلُ إِنْ جَمَعْتَ ضَوْءَ عَيْنَيْكَ، وَحَدَّقْتَهُ نَحْوَ عَالَمِ الْمَلَكُوتِ، يُرْجَى لَكَ أيضًا كَشْفُ ذَلِكَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى كَمَا لَا تُشْبِهُ ذَاتُهُ سَائِرَ الذَّوَاتِ، كَذَلِكَ لَا تُشْبِهُ يَدُهُ سَائِرَ الْأَيْدِي، وَلَا قَلَمُهُ سَائِرَ الْأَقْلَامِ، وَلَا كَلَامُهُ سَائِرَ الْكَلَامِ، وَلَا خَطُّهُ سَائِرَ الْخُطُوطِ، وَإِنَّمَا هَذِهِ أُمُورٌ إِلَهِيَّةٌ مِنْ عَالَمِ الْمَلَكُوتِ.

فَعِنْدَ ذَلِكَ اشْتَعَلَ زَيْتُ السَّائِلِ بِنُورِ الْعِلْمِ، وَفتَحَ بَصَرَهُ فَانْكَشَفَ لَهُ الْقَلَمُ الْإِلَهِيُّ، فَإِذَا هُوَ لَا مِنْ خَشَبٍ وَلَا مِنْ قَصَبٍ، وَلَا لَهُ رَأْسٌ وَلَا ذَنَبٌ، وَلَهُ في

---

(1) الإحياء: 4/ 250.

كُلِّ قَلْبٍ رَأْسٌ يَكْتُبُ، وَلَا رَأْسَ لَهُ، وَإِنَّهُ الْعَجَبُ. وَقال السَّائِلُ: نِعْمَ الْمُعَلِّمُ أَنْتَ أَيُّهَا الْعِلْمُ جَزَاكَ اللهُ عَنِّي خَيْرًا. فَعِنْدَ هَذَا وَدَّعَ الْعِلْمَ وَشَكَرَهُ.

ثُمَّ سَافَرَ إِلَى حَضْرَةِ الْقَلَمِ، وَسَأَلَهُ عَنْ نَقْشِهِ فِي الْقُلُوبِ، فَقَالَ: إِنَّ عَالَمَ الْمَلَكُوتِ مُوَازِنٌ لِعَالَمِ الْمُلْكِ، وَإِنْ كانَ فِي الثَّانِي صُوَرٌ دُونَ الْأَوَّلِ، فَكَمَا أَنَّ قَلَمَ عَالَمِ الشَّهَادَةِ مُسَخَّرَةٌ في يَمِينِ الْكَاتِبِ، فَكَذَا أَنَا مُسَخَّرٌ وَمَقْهُورٌ تَحْتَ يَمِينِ الْمَلِكِ، فَقَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾[1]؛ فقالَ: هِيَ الَّتِي تُرَدِّدُنِي.

فَسَافَرَ إِلَى حَضْرَةِ الْيَمِينِ، وَرَأَى فِيهَا الْعَجَبَ الْعُجَابَ، بِحَيْثُ لا تَحْوِي عُشْرَ عُشْرِ عَجَائِبِهِ مُجَلَّدَاتٌ، وَرَأَى أَنَّهَا يَمِينٌ لَا كَالْأَيْمَانِ، وَيَدٌ لَا كَالْأَيْدِي، وَأُصْبُعٌ لَا كَالْأَصَابِعِ، وَالْقَلَمُ فِي قَبْضَتِهِ. ثُمَّ سَأَلَ عَنِ الْيَمِينِ فَأَحَالَهُ عَلَى الْقُدْرَةِ.

فَسَافَرَ إِلَى عَالَمِ الْقُدْرَةِ، فَرَأَى فِيهَا مِنَ الْعَجَائِبِ، اسْتَحْقَرَ فِيهَا مَا رَأَى قَبْلَهَا، فَسَأَلَ عَنْهَا مَا أَشْكَلَ عَلَيْهِ، فَقَالَتْ: أَنَا صِفَةٌ فَاسْأَلِ الْقَادِرَ الْمَوْصُوفَ.

وَعِنْدَ هَذَا كادَ أَنْ يَزِيغَ، وَيُطْلِقَ بِالْحَيْرَةِ لِسَانَ السُّؤَالِ، فَثُبِّتَ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ، وَنُودِيَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِ سُرَادِقَاتِ الْحَضْرَةِ ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[2]. فَغَشِيَتْهُ هَيْبَةُ الْحَضْرَةِ، فَخَرَّ صَعِقًا يَضْطَرِبُ فِي غَشْيَتِهِ مُدَّةً.

---

(1) سورة الزمر الآية: 67.

(2) سورة الأنبياء الآية: 23.

فَلَمَّا أَفَاقَ قالَ: سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ شَأْنَكَ، تُبْتُ إِلَيْكَ، وَتَوَكَّلْتُ عَلَيْكَ، وَآمَنْتُ بِأَنَّكَ الْمَلِكُ الْجَبَّارُ، الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، فَلَا أَخَافُ غَيْرَكَ، وَلَا أَرْجُو سِوَاكَ، وَلَا أَعُوذُ إِلَّا بِعَفْوِكَ مِنْ عِقَابِكَ، وَبِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَمَالِي إِلَّا أَنْ أَسْأَلَكَ، وَأَتَضَرَّعَ إِلَيْكَ، وَأَبْتَهِلَ بَيْنَ يَدَيْكَ، فَأَقُولَ: اشْرَحْ لِي صَدْرِي لِأَعْرِفَكَ، وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي لِأُثْنِيَ عَلَيْكَ. فَنُودِيَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِ الْعِزَّةِ: إِيَّاكَ أَنْ تَطْمَعَ فِي الثَّنَاءِ، وَقَدْ قَالَ سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ: «سُبْحَانَكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»[1]. فَارْجِعْ، وَمَا آتَاكَ فَخُذْهُ، وَمَا نَهَاكَ عَنْهُ فَانْتَهِ عَنْهُ، وَمَا قَالَهُ فَقُلْهُ.

ثُمَّ قالَ السَّالِكُ: إِلَهِي إِنْ لَمْ يَكُنْ لِلِسَانِي جُرْأَةٌ عَلَى الثَّنَاءِ عَلَيْكَ، فَهَلْ لِلْقَلْبِ مَطْمَعٌ فِي مَعْرِفَتِكَ، فَنُودِيَ: إِيَّاكَ أَنْ تَتَخَطَّى رِقَابَ الصِّدِّيقِينَ، وَقَدْ قَالَ الصِّدِّيقُ الْأَكْبَرُ: «الْعَجْزُ عَنْ دَرْكِ الْإِدْرَاكِ إِدْرَاكٌ»[2]، فَيَكْفِيكَ نَصِيبًا مِنْ حَضْرَتِنَا أَنْ تَعْرِفَ أَنَّكَ مَحْرُومٌ عَنْ حَضْرَتِنَا، عَاجِزٌ عَنْ مُلَاحَظَةِ جَمَالِنَا وَجَلَالِنَا.

فَعِنْدَ ذَلِكَ رَجَعَ السَّالِكُ، وَاعْتَذَرَ عَنْ أَسْوِلَتِهِ وَمُعَاتَبَاتِهِ لِلْقَلَمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْعِلْمِ بِأَنِّي كُنْتُ غَرِيبًا، وَلِكُلِّ غَرِيبٍ دَهْشَةٌ، وَمَا كَانَ إِنْكَارِي إِلَّا عَنْ قُصُورٍ وَجَهْلٍ؛ وَالْآنَ قَدِ اتَّضَحَ عِنْدِي عُذْرُكُمْ، وَأَنَّ الْمُنْفَرِدَ بِالْمُلْكِ

---

(1) لطائف الإشارات: 2/ 352، والإحياء: 4/ 252.

(2) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى: 54.

وَالْمَلَكُوتِ وَالْعِزَّةِ وَالْجَبَرُوتِ هُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، وَهُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ، وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ، أَيْ: أَوَّلٌ فِي الْوُجُودِ، وَآخِرٌ في الْمُشَاهَدَةِ، وَبَاطِنٌ لِلسَّاكِنِينَ تَحْتَ حُجُبِ عَالَمِ الشَّهَادَةِ، وَظَاهِرٌ لِمَنْ تُنَوَّرُ بَصِيرَتُهُ بِأَنْوَارِ عَالَمِ الْمَلَكُوتِ.

إِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَلَعَلَّ التَّوَكُّلَ مَخْصُوصٌ بِمَنْ يَفْهَمُ حَقِيقَةَ التَّوْحِيدِ، وَلَا يُوجَدُ فِي غَيْرِهِ الْمُتَوَكِّلُ.

وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ لَا يَفْهَمُ التَّوْحِيدَ إِمَّا جَاحِدٌ، فَلَا يَقْبَلُ الْعِلَاجَ، وَهَؤُلَاءِ فِي إِنْكَارِ عَالَمِ الْمَلَكُوتِ بِمَنْزِلَةِ الْحَشْوِيَّةِ الْمُنْكِرِينَ لِعَالَمِ الْجَبَرُوتِ أَيْضًا، حَيْثُ حَصَرُوا الْعِلْمَ في الْحَوَاسِّ الْخَمْسِ، وَأَنْكَرُوا الْعِلْمَ وَالْقُدْرَةَ وَالْإِرَادَةَ كَمَا أَنْكَرَ السُّفسْطَائِيَّةُ الْحَوَاسَّ أَيْضًا[1].

وَإِمَّا جَاهِلٌ غَيْرُ جَاحِدٍ، فَيَنْظُرُ إِنْ كَانَتْ عَيْنُ بَصِيرَتِهِ صَحِيحَةً يُعَالِجُونَ مَرَضَهَا، وَإِلَّا فَيَتَكَلَّمُونَ مَعَهُمْ بِقَدْرِ عُقُولِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ أَنَّ الْمَنْزِلَ يَفْسُدُ بِصَاحِبَيْنِ، وَالْبَلَدَ يَفْسُدُ بِأَمِيرَيْنِ. فَيُقَالُ لَهُمْ عَلَى حَدِّ عَقْلِهِمْ: إِلَهُ الْعَالَمِ وَمُدَبِّرُهُ وَاحِدٌ، إِذْ ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا﴾[2]. فَيَكُونُ ذَلِكَ عَلَى وَفْقِ مَا رَآهُ في عَالَمِ الشَّهَادَةِ، فَيَنْغَرِسُ فِي قَلْبِهِ اعْتِقَادُ التَّوْحِيدِ بِهَذَا الطَّرِيقِ اللَّائِقِ بِقَدْرِ قَلْبِهِ.

---

(1) الإحياء: 4/ 252.

(2) سورة الأنبياء الآية: 22.

ثُمَّ إِنَّ هَذَا الِاعْتِقَادَ إِذَا قَوِيَ عَمِلَ عَمَلَ الْكَشْفِ في إِثَارَةِ التَّوَكُّلِ وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ، إِلَّا أَنَّهُ فِي الْغَالِبِ يَضْعُفُ، وَيُسَارِعُ إِلَيْهِ الِاضْطِرَابُ وَالتَّزَلْزُلُ. وَلِهَذَا احْتِيجَ إِلَى عِلْمِ الْكَلَامِ لِيَحْرُسَ بِهِ الْعَقِيدَةَ الَّتِي تَلَقَّفَهَا مِنْ أَبَوَيْهِ، أَوْ أُسْتَاذِهِ، أَوْ أَهْلِ بَلَدِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَوْنُ الْأَسْبَابِ مُسَخَّرَاتٍ ظَاهِرٌ إِلَّا في حَرَكَاتِ الْإِنْسَانِ، فَإِنَّهُ يَتَحَرَّكُ أَوْ يَتْرُكُ إِنْ شَاءَ.

قُلْتُ: نَعَمْ، الْحَرَكَةُ لَازِمَةٌ لِلْقُدْرَةِ، وَالْقُدْرَةُ لِلْمَشِيئَةِ، لَكِنَّ الْمَشِيئَةَ تُحْدِثُ ضَرُورَةً فِي الْقَلْبِ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾[1]. فَالْمَشِيئَةُ إِنْ كَانَتْ ضَرُورِيَّةً فَمَا بَعْدَهَا مِنَ الْقُدْرَةِ وَالْحَرَكَةِ مُتَرَتِّبَةٌ عَلَيْهَا ضَرُورَةً، فَهُوَ مُضْطَرٌّ فِي الْجَمِيعِ. وَيُسَمَّى هَذَا جَبْرًا، لَكِنْ لَا جَبْرًا مَحْضًا كَالْجَمَادَاتِ، بَلْ جَبْرًا فِي عَيْنِ الِاخْتِيَارِ[2].

وَتَفْصِيلُ ذَلِكَ، أَنَّ لِلْإِنْسَانِ فِعْلًا طَبِيعِيًّا؛ كَخَرْقِ الْمَاءِ إِذَا وَقَفَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يَنْزِلُ بِثِقْلِهِ إِلَى قَعْرِهِ فَيَخْرِقُهُ، وَفِعْلًا إِرَادِيًّا؛ كَتَنَفُّسِهِ، وَفِعْلًا اخْتِيَارِيًّا؛ كَكِتَابَتِهِ. ثُمَّ إِنَّ الِاخْتِيَارِيَّ رُبَّمَا يَكُونُ اضْطِرَارِيًّا لِبَعْضِ الْأَسْبَابِ؛ مَثَلًا طَبْقُ الْأَجْفَانِ إِرَادِيٌّ، وَلَوْ قُصِدَ عَيْنُ الْإِنْسَانِ بِإِبْرَةٍ يَكُونُ اضْطِرَارِيًّا، إِذْ لَا يَقْدِرُ عَلَى فَتْحِهِ فِي تِلْكَ الْحَالِ، فَيَلْتَحِقُ بِالطَّبِيعِيِّ في تِلْكَ الْحَالِ.

---

(1) سورة الإنسان الآية: 30.

(2) الإحياء: 4/ 253.

وَإِنَّمَا مَوْضِعُ الِالْتِبَاسِ الْفِعْلُ الِاخْتِيَارِيُّ؛ كَالْكِتَابَةِ وَالنُّطْقِ، إِذْ يَظُنُّ أَنَّهُ إِنْ شَاءَ فَعَلَ، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ. وَتَارَةً يَشَاءُ، وَتَارَةً لَا يَشَاءُ. لَكِنْ هَذَا الظَّنُّ مِنَ الْجَهْلِ بِمَعْنَى الِاخْتِيَارِ.

وَبَيَانُهُ: أَنَّ الْقُدْرَةَ تَبَعٌ لِلْإِرَادَةِ، وَهِيَ تَبَعٌ لِلْعِلْمِ الَّذِي يَحْكُمُ بِأَنَّ الشَّيْءَ مُوَافِقٌ لَكَ.

ثُمَّ إِنَّ الْخَيْرِيَّةَ قَدْ تُعْلَمُ بِتَرَدُّدٍ وَتَوَقُّفٍ؛ كَمَنْ أَرَادَ سَفَرًا مَثَلًا، وَقَدْ يُعْلَمُ بِلَا تَرَدُّدٍ؛ كَمَا فِي حَرَكَةِ الْأَجْفَانِ عِنْدَ الْقَصْدِ بِالْإِبْرَةِ، وَحَرَكَةِ الْيَدِ بِدَفْعِ السَّيْفِ، إِذْ تَظْهَرُ خَيْرِيَّةُ الْحَرَكَتَيْنِ دُفْعَةً، وَهُوَ عَيْنُ الِاخْتِيَارِ الْمُشْتَقِّ مِنَ الْخَيْرِ، إِلَّا أَنَّهُ ظَهَرَ عَلَى الْبَدِيهَةِ لِثُبُوتِ خَيْرِيَّتِهِ بِتَجَارِبَ كَثِيرَةٍ وَبِمُشَاهَدَاتٍ دَائِمَةٍ. وَلِذَلِكَ قِيلَ: الْعَقْلُ يَحْتَاجُ إِلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَ خَيْرِ الْخَيْرَيْنِ، وَشَرِّ الشَّرَّيْنِ. وَالْأَوَّلُ كَمَنْ يَتَرَدَّدُ بَيْنَ كِتَابَةِ كِتَابَيْنِ كِلَاهُمَا خَيْرٌ لَهُ، وَالثَّانِي كَمَنْ يَرْمِي نَفْسَهُ مِنَ السَّطْحِ هَرَبًا مِنَ السَّيْفِ.

وَأَمَّا بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلَا يَتَرَدَّدُ أَصْلًا؛ كَمَنْ غَمَّضَ عَيْنَيْهِ لِلْإِبْرَةِ، فَالْحَرَكَةُ فِي الْإِنْسَانِ مُسَخَّرَةٌ لِقُدْرَتِهِ، وَقُدْرَتُهُ لِإِرَادَتِهِ، وَإِرَادَتُهُ لِدَاعِيَتِهِ، وَهِيَ الْأَمْرُ الْحَاصِلُ مِنَ الْعِلْمِ بِكَوْنِ شَيْءٍ خَيْرًا؛ فَإِذًا مَعْنَى كَوْنِهِ مَجْبُورًا أَنَّ جَمِيعَ هَذِهِ الْأُمُورِ حَاصِلَةٌ فِيهِ مِنْ غَيْرِهِ لَا مِنْهُ، إِذِ الْخَالِقُ لِلْكُلِّ هُوَ اللهُ تَعَالَى[1].

(1) الإحياء: 4/ 254.

وَمَعْنَى كَوْنِهِ مُخْتَارًا أَنَّهُ مَحَلٌّ لِإِرَادَةٍ حَدَثَتْ فِيهِ جَبْرًا بَعْدَ حُكْمِ الْعَقْلِ بِكَوْنِ الْفِعْلِ خَيْرًا، وَحَدَثَ الْحُكْمُ أَيْضًا جَبْرًا؛ فَإِذَا هُوَ مَجْبُورٌ عَلَى الِاخْتِيَارِ. فَفِعْلُ النَّارِ فِي الْإِحْرَاقِ مَثَلًا جَبْرٌ مَحْضٌ، وَفِعْلُ اللهِ تَعَالَى يُسَمَّى اخْتِيَارًا مَحْضًا بِشَرْطِ أَنْ لَا يُفْهَمَ مِنْهُ إِرَادَةٌ بَعْدَ تَحَيُّرٍ وَتَرَدُّدٍ، وَفِعْلُ الْإِنْسَانِ عَلَى مَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ فَإِنَّهُ جَبْرٌ عَلَى الِاخْتِيَارِ.

فَطَلَبَ أَهْلُ الْحَقِّ لِهَذَا عِبَارَةً ثَالِثَةً فَسَمَّوْهُ كَسْبًا، وَهُوَ جَامِعٌ بَيْنَ الْجَبْرِ وَالِاخْتِيَارِ عِنْدَ مَنْ فَهِمَهُ.

ثُمَّ إِنَّ تَرَتُّبَ[1] الْأُمُورِ الْمَذْكُورَةِ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ، لَيْسَ بِأَنَّ الْمُتَأَخِّرَ حَدَثَ عَنِ الْمُتَقَدِّمِ بِالتَّوْلِيدِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ جَهْلٌ مَحْضٌ، بَلْ حَوَالَةُ جَمِيعِ ذَلِكَ على الْقُدْرَةِ الْأَزَلِيَّةِ؛ الَّتِي لَمْ يَقِفْ عَلَى حَقِيقَةِ مَعْنَاهَا إِلَّا الرَّاسِخُونَ، وَإِنَّمَا يَقِفُ مَنْ وَقَفَ عَلَى مُجَرَّدِ لَفْظِهَا، مَعَ قِيَاسِهَا عَلَى قُدْرَتِنَا الْقَاصِرَةِ، وَهُوَ بَعِيدٌ عَنِ الْحَقِّ.

وَلَا يُمْكِنُ تَفْهِيمُ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ الصَّوَابِ. وَالْقَدْرُ الْمُمْكِنُ مِنْ ذَلِكَ هُوَ: أَنَّ تَرَتُّبَ بَعْضِ الْمَقْدُورَاتِ عَلَى الْبَعْضِ فِي الْحُدُوثِ، إِنَّمَا هُوَ تَرَتُّبُ الْمَشْرُوطِ عَلَى الشَّرْطِ؛ وَدَرَجَاتُ تَرْتِيب الشُّرُوطِ كَثِيرَةٌ لَا تَظْهَرُ لِلْعَوَامِّ، وَبَعْضُهَا لَا تَظْهَرُ إِلَّا لِلْخَوَاصِّ الْمُكَاشَفِينَ بِنُورِ الْحَقِّ.

---

(1) ترتيب، في رئيس الكتاب.

وَبِالْجُمْلَةِ، فَلَا يَتَقَدَّمُ مُتَقَدِّمٌ وَلَا يَتَأَخَّرُ مُتَأَخِّرٌ عَبَثًا وَاتِّفَاقًا، بَلْ ذَلِكَ بِطَرِيقِ الْحَقِّ وَاللُّزُومِ؛ وَكَذَلِكَ جَمِيعُ أَفْعَالِهِ تَعَالَى، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾[1]. فَكُلُّ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ حَادِثٌ عَنْ تَرْتِيبٍ وَاجِبٍ، وَحَقٍّ لَازِمٍ، لَا يُتَصَوَّرُ أَنْ يَكُونَ إِلَّا كَمَا حَدَثَ، وَعَلَى التَّرْتِيبِ الَّذِي وُجِدَ، فَمَا تَأَخَّرَ مُتَأَخِّرٌ إِلَّا لِانْتِظَارِ شَرْطِهِ، وَالْمَشْرُوطُ قَبْلَ الشَّرْطِ مُحَالٌ، وَالْمُحَالُ لَا يُوصَفُ بِكَوْنِهِ مَقْدُورًا، فَإِذًا لَا بُدَّ مِنْ بَيَانِ كَوْنِهِ مَوْقُوفًا عَلَى الشَّرْطِ، مَعَ كَوْنِهِ مَقْدُورًا، وَأَنَّ الْقُدْرَةَ مَوْجُودَةٌ[2].

وَلَا يُمْكِنُ تَفْهِيمُ ذَلِكَ لِذَوِي الْأَفْهَامِ الضَّيِّقَةِ إِلَّا بِمِثَالٍ؛ وَهُوَ: أَنْ نُقَدِّرَ إِنْسَانًا مُحْدِثًا مُنْغَمِسًا فِي الْمَاءِ إِلَى رَقَبَتِهِ، فَإِنَّ الْحَدَثَ لَا يَرْتَفِعُ عَنْهُ إِلَّا عِنْدَ غَسْلِ الْوَجْهِ، فَقَبْلَ غَسْلِهِ نَقُولُ: لَمْ يَرْتَفِعِ الْحَدَثُ عَنْ يَدِهِ وَرِجْلِهِ مَثَلًا لِتَوَقُّفِهِ عَلَى غَسْلِ الْوَجْهِ عَلَى مُلَاقَاةِ الْمَاءِ، الَّذِي هُوَ السَّبَبُ الْحَقِيقِيُّ فِي رَفْعِ الْحَدَثِ؛ فَإِذًا الْمَاءُ بِمَنْزِلَةِ الْقُدْرَةِ الْأَزَلِيَّةِ الْمُتَعَلِّقَةِ لِلْأَشْيَاءِ، وَلَكِنَّ تَأْثِيرَهُ فِي الْمَقْدُورِ مُتَوَقِّفٌ عَلَى شَرْطٍ، وَهُوَ غَسْلُ الْوَجْهِ، فَعِنْدَ حُصُولِ الشَّرْطِ يَكُونُ رَفْعُ الْحَدَثِ عَنِ الْيَدِ بِالْمَاءِ لَا بِغَسْلِ الْوَجْهِ.

إِلَّا أَنَّ الْجَاهِلَ لِتَرَتُّبِ رَفْعِ الْحَدَثِ عَنِ الْيَدِ عَلَى غَسْلِ الْوَجْهِ رُبَّمَا يَتَوَهَّمُ أَنَّ الْمُؤَثِّرَ فِيهِ غَسْلُ الْوَجْهِ لَا الْمَاءُ، كَذَلِكَ يَتَوَهَّمُ الْقَاصِرُونَ مِنْ تَرَتُّبِ

---

(1) سورة الدخان الآية: 38-39.

(2) الإحياء: 4/ 255.

الْأَفْعَالِ الْإِلَهِيَّةِ بِالشُّرُوطِ تَأْثِيرَ الشُّرُوطِ فِيهَا دُونَ الْقُدْرَةِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، كَمَا لَا يَخْفَى عَلَى ذِي خِبْرَةٍ تَامَّةٍ، وَأُولِي بَصِيرَةٍ نَافِذَةٍ نَاقِدَةٍ.

فَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُفْهَمَ صُدُورُ الْمَقْدُورَاتِ عَنِ الْقُدْرَةِ الْأَزَلِيَّةِ، مَعَ أَنَّ الْقُدْرَةَ قَدِيمَةٌ، وَالْمَقْدُورَاتِ حَادِثَةٌ. وَهَذَا قَرْعٌ لِبَابِ عَالَمِ الْمَلَكُوتِ. وَهَذَا مِنْ عُلُومِ الْمُكَاشَفَاتِ، لَا يُمْكِنُ التَّعْبِيرُ عَنْهَا، فَلْنَتْرُكْهَا؛ إِذْ لَا يَفِي بِاسْتِيفَاءِ قَدْرِ مَا أَمْكَنَ مِنْهَا عُمُرُ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَلْنَقْتَصِرْ عَلَى مَا هُوَ الْمَقْصُودُ، وَهُوَ التَّنْبِيهُ عَلَى طَرِيقِ التَّوْحِيدِ فِي الْفِعلِ، وَهُوَ الْمَقَامُ الثَّالِثُ مِنْ مَقَامَاتِ التَّوْحِيدِ، وَأَنَّ الْفَاعِلَ بِالْحَقِيقَةِ وَاحِدٌ، فَهُوَ الْمَخُوفُ وَالْمَرْجُوُّ، وَعَلَيْهِ التَّوَكُّلُ وَالِاعْتِمَادُ. وَهَذِهِ الْمَعَانِي كُلُّهَا مُنْطَوِيَةٌ تَحْتَ قَوْلِكَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَهُوَ خَفِيفٌ عَلَى اللِّسَانِ، سَهْلٌ اعْتِقَادُ مَفْهُومِهِ فِي الْجَنَانِ. وَأَمَّا حَقِيقَتُهُ، فَأَعَزُّ عَلَى الْعُلَمَاءِ الرَّاسِخِينَ أُولِي الْكَشْفِ وَالْعِيَانِ.

فَإِنْ قُلْتَ: إِذَا كَانَتِ الْأَفْعَالُ مَخْلُوقَةً لِلَّهِ تَعَالَى، فَإِمَّا أَنْ يُقَالَ: إِنَّهَا لَيْسَ فِعْلًا لِلْعَبْدِ أَصْلًا، فَيَبْطُلُ الشَّرْعُ، أَوْ يُقَالَ: إِنَّهُ فِعْلٌ لِلْعَبْدِ أَيْضًا، فَيَلْزَمُ مَفْعُولٌ بَيْنَ فَاعِلَيْنِ، وَإِنَّهُ مُحَالٌ.

فَأَقُولُ: الْمَفْعُولُ بَيْنَ فَاعِلَيْنِ جَائِزٌ إِذَا كَانَ لِلْفَاعِلِ مَعْنَيَانِ؛ كَمَا يُقَالُ: قَتَلَ فُلَانًا الْأَمِيرُ وَالْجَلَّادُ، إِذِ الْجَلَّادُ فَاعِلٌ صُورَةً وَالْأَمِيرُ مَعْنًى. وَكَذَا الْخَالِقُ تَعَالَى فَاعِلٌ لِأَفْعَالِ الْعِبَادِ، بِمَعْنَى أَنَّهُ مُخْتَرِعٌ وَمُوجِدٌ، وَالْعَبْدُ فَاعِلٌ لَهَا،

بِمَعْنَى أَنَّهُ مَحَلٌّ لِخَلْقِ اللهِ تَعَالَى فِيهِ الْقُدْرَةَ بَعْدَ أَنْ خلَقَ فِيهِ الْإِرَادَةَ، بَعْدَ أَنْ خلَقَ فِيهِ الْعِلْمَ. فَارْتَبطَتِ الْقُدْرَةُ بِالْإِرَادَةِ، وَالْحَرَكَةُ بِالْقُدْرَةِ ارْتِبَاطَ الشَّرْطِ بِالْمَشْرُوطِ، وَارْتِبَاطَ الْمَعْلُولِ بِالْعِلَّةِ، أَوِ ارْتِبَاطَ الْمُخْتَرَعِ بِالْمُخْتَرِعِ. وَكُلُّ مَا لَهُ ارْتِبَاطٌ بِقُدْرَةٍ فَإِنَّ مَحَلَّ الْقُدْرَةِ يُسَمَّى فَاعِلًا لَهُ كَيْفَمَا كَانَ الِارْتِبَاطُ.

وَلِأَجْلِ تَطَابُقِ ذَلِكَ وَتَوَافُقِهِ نَسَبَ اللهُ تَعَالَى الْأَفْعَالَ فِي الْقُرْآنِ إِلَى الْمَلَائِكَةِ مَرَّةً، وَمَرَّةً إِلَى الْعِبَادِ، وَنَسَبَهَا بِعَيْنِهَا مَرَّةً أُخْرَى إِلَى نَفْسِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي الْمَوْتِ: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ﴾[1]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ﴾[2].

وَأَمَّا وَاضِعُ اللُّغَةِ فَقَدْ وَضَعَ اسْمَ الْفَاعِلِ لِلْمُخْتَرِعِ، فَمَنْ ظَنَّ أَنَّ الْمُخْتَرِعَ هُوَ الْعَبْدُ يَجْعَلُهُ حَقِيقَةً فِي الْعَبْدِ، وَيَلْزَمُهُ أَنْ يَكُونَ مَجَازًا فِيمَنْ لَهُ الْإِقْدَارُ وَالتَّمْكِينُ؛ مِثْلَ نِسْبَةِ الْقَتْلِ إِلَى الْأَمِيرِ فَإِنَّهُ حَقِيقَةٌ فِي الْجَلَّادِ عِنْدَهُمْ.

وَأَمَّا الَّذِينَ انْكَشَفَ الْحَقُّ لَهُمْ عَرَفُوا أَنَّ الْأَمْرَ بِالْعَكْسِ، وَأَنَّ الصِّيغَةَ حَقِيقَةٌ فِي حَقِّهِ تَعَالَى، لِأَنَّهُ الْمُخْتَرِعُ حَقِيقَةً، فَلَا فَاعِلَ إِلَّا هُوَ، فَيَكُونُ مَجَازًا فِي الْعَبْدِ، بِمَعْنَى أَنَّهُ كَاسِبٌ، وَمَحَلٌّ لِلْفِعْلِ؛ كَمَا أَنَّ مَنْ عَرَفَ أَنَّ حَقِيقَةَ الْقَتْلِ مِنَ الْأَمِيرِ يَجْعَلُ نِسْبَتَهُ إِلَى الْجَلَّادِ مَجَازًا لِكَوْنِهِ مُظْهِرًا لَهُ، كَمَا تَقَرَّرَ تَحْقِيقُ هَذَا الْمَقَامِ فِي عِلْمِ الْمَعَانِي. وَلِهَذَا عَرَّفُوا الْمَجَازَ الْحُكْمِيَّ بِغَيْرِ مَا هُوَ لَهُ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِ لَا مُطْلَقًا.

---

(1) سورة السجدة الآية: 11.

(2) سورة الزمر الآية: 42. وانظر الإحياء: 4/ 256.

فَإِنْ قُلْتَ: فَإِذَا ظَهَرَ أَنَّ الْكُلَّ فِعْلُ نَفْسِهِ، فَكَيْفَ يَغْضَبُ عَلَيْهِ وَيَرْضَى لَهُ؟

فَاعْلَمْ أَنَّ سِرَّ ذَلِكَ قَدْ مَرَّ فِي كِتَابِ الشُّكْرِ، فَارْجِعْ إِلَيْهِ، فَهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ مِنْ بَحْرِ التَّوْحِيدِ هُوَ الَّذِي يُورِثُ حَالَ التَّوَكُّلِ؛ لَكِنَّهُ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِالْإِيمَانِ بِالرَّحْمَةِ وَالْحِكْمَةِ؛ فَإِنَّ التَّوْحِيدَ يُورِثُ النَّظَرَ إِلَى مُسَبِّبِ الْأَسْبَابِ، وَالْإِيمَانَ بِالرَّحْمَةِ وَسَعَتِهَا هُوَ الَّذِي يُورِثُ الثِّقَةَ بِمُسَبِّبِ الْأَسْبَابِ، وَلَا يَتِمُّ حَالُ التَّوَكُّلِ كَمَا سَيَأْتِي إِلَّا بِالثِّقَةِ بِالْوَكِيلِ، وَطُمَأْنِينَةِ الْقَلْبِ إِلَى حُسْنِ نَظَرِ الْكَفِيلِ، وَهَذَا الْإِيمَانُ أَيْضًا بَابٌ عَظِيمٌ مِنْ أَبْوَابِ الْإِيمَانِ، وَحِكَايَةُ طَرِيقِ الْمُكَاشَفِينَ فِيهِ طَوِيلٌ.

وَحَاصِلُهُ: أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَوْ خَلَقَ آحَادًا مُشْتَمِلِينَ عَلَى جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْكَمَالِ، وَأَصْنَافِ الْقُدْرَةِ التَّامَّةِ، وَمَعَ ذَلِكَ لَوْ تَظَاهَرُوا عَلَى زِيَادَةِ ذَرَّةٍ وَاحِدَةٍ أَوْ نَقْصِهَا فِي الْعَالَمِ لَمَا قَدَرُوا عَلَى ذَلِكَ، وَلَمَا وَجَدُوا فِي خَلْقِهِ تَعَالَى مِنْ قُصُورٍ، وَإِنْ أَمْعَنُوا فِي ذَلِكَ أَنْظَارَهُمْ، وَرَجَّعُوا فِيهَا أَبْصَارَهُمْ.

وَأَيْضًا كُلُّ مَا قَسَّمَ اللهُ بَيْنَ عِبَادِهِ مِنْ كَمَالٍ وَفُتُورٍ، وَعَجْزٍ وَسُرُورٍ، وَرِزْقٍ وَأَجَلٍ، وَإِقْدَامٍ وَوَجَلٍ، وَطَاعَةٍ وَعِصْيَانٍ، وَكُفْرٍ وَإِيمَانٍ، كُلُّهُ عَدْلٌ مَحْضٌ لَا جَوْرَ فِيهِ، وَحَقٌّ صِرْفٌ لا ظُلْمَ فِيهِ، بَلْ هُوَ عَلَى التَّرْتِيبِ الْوَاجِبِ، وَالْأُسْلُوبِ الْحَقِّ، وَالْقَدْرِ اللَّائِقِ، وَلَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ أَصْلًا أَحْسَنُ مِنْهُ وَلَا أَتَمُّ وَأَكْمَلُ.

وَلَوْ كَانَ وَادَّخَرَهُ مَعَ الْقُدْرَةِ لَكَانَ بُخْلًا يُنَاقِضُ الْجُودَ، وَظُلْمًا يُنَاقِضُ الْعَدْلَ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ قَادِرًا لَكَانَ عَجْزًا يُضَادُّ[1] الْأُلُوهِيَّةَ، بَلْ كُلُّ ضُرٍّ وَفَقْرٍ

(1) يناقض، في أنطاليا.

فَهُوَ نُقْصَانٌ فِي الدُّنْيَا، وَزِيَادَةٌ فِي الْآخِرَةِ. وَكُلُّ نَقْصٍ فِي الْآخِرَةِ بِالْإِضَافَةِ إِلَى شَخْصٍ فَهُوَ نَعِيمٌ بِالْإِضَافَةِ إِلَى غَيْرِهِ، إِذْ لَوْلَا اللَّيْلُ لَمَا عُرِفَ قَدْرُ النَّهَارِ، وَلَوْلَا النَّارُ لَمْ يَعْرِفْ أَهْلُ الْجَنَّةِ قَدْرَ النِّعْمَةِ.

وَأَيْضًا فِدَاءُ أَرْوَاحِ الْأُنْسِ بِأَرْوَاحِ الْبَهَائِمِ، وَتَسْلِيطُهُمْ عَلَى ذَبْحِهَا لَيْسَ بِظُلْمٍ، بَلْ تَقْدِيمُ الْكَامِلِ عَلَى النَّاقِصِ عَيْنُ الْعَدْلِ، فَكَذَلِكَ تَفْخِيمُ النِّعَمِ عَلَى سُكَّانِ الْجِنَانِ بِتَعْظِيمِ الْعُقُوبَةِ عَلَى أَهْلِ النِّيرَانِ فِدَاءٌ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ بِأَهْلِ الْكُفْرَانِ عَيْنُ الْعَدْلِ، وَمَا لَمْ يُخْلَقِ النَّاقِصُ كَالْبَهَائِمِ لَمْ يُعْرَفِ الْكَامِلُ كَالْإِنْسَانِ. وَكَذَلِكَ الْأَمْرُ فِي التَّفَاوُتِ فِي الْقِسْمَةِ بَيْنَ الْخَلْقِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَكُلُّ ذَلِكَ عَدْلٌ لَا جَوْرَ فِيهِ، وَحَقٌّ لَا لَعِبَ فِيهِ.

وَهَذَا الْآنَ بَحْرٌ آخَرُ عَظِيمٌ غَرِقَ فِيهِ الْأَكْثَرُونَ، قَرِيبٌ فِي السَّعَةِ مِنْ بَحْرِ التَّوْحِيدِ، وَلَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ. وَوَرَاءَ هَذَا الْبَحْرِ سِرُّ الْقَدَرِ، الَّذِي تَحَيَّرَ فِيهِ الْأَكْثَرُونَ، وَمُنِعَ مِنْ إِفْشَاءِ سِرِّهِ الْمُكَاشِفُونَ.

وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ مَقْضِيٌّ بِهِ، وَمَا قَضَى اللهُ وَاجِبُ الْحُصُولِ بَعْدَ سَبْقِ الْمَشِيئَةِ، فَلَا رَادَّ لِحُكْمِهِ، وَلَا مُعَقِّبَ لِقَضَائِهِ وَأَمْرِهِ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ. وَإِنَّمَا أَطْنَبْنَا فِي هَذَا الْمَطْلَبِ، لِأَنَّ هَذَا الْبَابَ غَايَةُ كُلِّ الْعُلُومِ، وَإِلَيْهِ يَنْتَهِي أَصْلُ كُلِّ سَعَادَةٍ، فَلَا تَغْفَلْ[1].

---

(1) الإحياء: 4/ 257 ـ 259.

الْمَطْلَبُ الثَّانِي: فِي بَيَانِ حَالِ التَّوَكُّلِ

وَمَا ذَكَرْنَاهُ أَصْلُ التَّوَكُّلِ، وَهُوَ الْعِلْمُ، وَهَذَا حَالُهُ وَهُوَ حَقِيقَتُهُ، ثُمَّ نَذْكُرُ ثَمَرَتَهُ وَهُوَ الْعَمَلُ.

فَنَقُولُ: التَّوَكُّلُ مُشْتَقٌّ مِنَ الْوَكَالَةِ، وَهِيَ تَفْوِيضُ الْأَمْرِ إِلَى الْغَيْرِ، وَالِاعْتِمَادُ عَلَيْهِ فِيهِ. وَيُسَمَّى الْمُوَكَّلُ إِلَيْهِ وَكِيلًا، وَالْمُفَوِّضُ إِلَيْهِ مُتَّكِلًا وَمُتَوَكِّلًا. فَالتَّوَكُّلُ عِبَارَةٌ عَنِ اعْتِمَادِ الْقَلْبِ عَلَى الْوَكِيلِ وَحْدَهُ.

ثُمَّ إِنَّ التَّوَكُّلَ لَا يَتِمُّ فِي الْإِنْسَانِ إِلَّا بِأَنْ يَعْتَقِدَ فِي وَكِيلِهِ أَرْبَعَةَ أُمُورٍ: مُنْتَهَى الْهِدَايَةِ إِلَى الْمَصَالِحِ وَالْمَفَاسِدِ، وَمُنْتَهَى الْقُدْرَةِ، بِأَنْ لَا يَخَافَ وَلَا يَجْبُنَ وَلَا يَسْتَحِيَ، وَمُنْتَهَى الْفَصَاحَةِ بِأَنْ لَا يَكِلَّ مِنَ الْكَلَامِ، وَمُنْتَهَى الشَّفَقَةِ، إِذِ الْأُمُورُ الْمَذْكُورَةُ لَا تُفِيدُ إِلَّا إِذَا قَارَنَتِ الشَّفَقَةَ[1].

ثُمَّ الْمُوَكِّلُ إِنْ كانَ شَاكًّا فِي هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ، أَوْ فِي وَاحِدٍ مِنْهَا، أَوْ جَوَّزَ أَنْ يَكُونَ خَصْمُهُ أَكْمَلَ فِي هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ مِنْهُ، لَمْ تَطْمَئِنَّ نَفْسُهُ إِلَى وَكِيلِهِ. وَعَلَى هَذَا الْقِيَاسِ لَا بُدَّ لِمَنْ يَتَوَكَّلُ عَلَى اللهِ تَعَالَى أَنْ يَعْتَقِدَ اعْتِقَادًا جَازِمًا أَنَّهُ لَا فَاعِلَ غَيْرُهُ، وَاعْتَقَدَ مَعَهُ تَمَامَ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ، ثُمَّ تَمَامَ الْعَطْفِ وَالْعِنَايَةِ وَالرَّحْمَةِ بِجُمْلَةِ الْعِبَادِ. فَإِنْ لَمْ يَعْتَقِدْ بِأَحَدِ هَذِهِ الْأُمُورِ لَمْ يَتِمَّ تَوَكُّلُهُ، وَذَلِكَ إِمَّا لِضُعْفِ يَقِينِهِ، أَوْ ضُعْفِ الْقَلْبِ وَاسْتِيلَاءِ الْجُبْنِ عَلَيْهِ، بِسَبَبِ الْأَوْهَامِ الْغَالِبَةِ عَلَيْهِ، لِأَنَّ لِلْوَهْمِ تَأْثِيرًا قَوِيًّا؛ كَمَا يَخَافُ الْإِنْسَانُ مِنْ أَنْ يَبِيتَ مَعَ

---

(1) الإحياء: 4/ 259.

الْمَيِّتِ فِي قَبْرٍ أَوْ فِرَاشٍ، مَعَ أَنَّهُ لَا يَشُكُّ أَنَّهُ جَمَادٌ وَلَا يُحْشَرُ الْآنَ عَلَى مَا جَرَتْ عَادَةُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِ. وَإِنَّمَا يَتِمُّ التَّوَكُّلُ بِقُوَّةِ الْيَقِينِ وَقُوَّةِ الْقَلْبِ مَعًا[1].

ثُمَّ إِنَّ الْمُتَوَكِّلَ بِحَسَبِ الْقُوَّةِ وَالضُّعْفِ ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ:

الْأُولَى: أَنْ يَكُونَ حَالُهُ مَعَ اللهِ تَعَالَى كَحَالِ الطِّفْلِ فِي حَقِّ أُمِّهِ، إِذْ لَا يَعْرِفُ غَيْرَهَا، وَلَا يَفْزَعُ إِلَى سِوَاهَا، وَلَا يَعْتَمِدُ إِلَّا إِيَّاهَا، وَإِنْ نَابَهُ أَمْرٌ فِي غَيْبَتِهَا لَا يَسْبِقُ إِلَى لِسَانِهِ إِلَّا يَا أُمَّاهُ، وَإِذَا غَضِبَتْ عَلَيْهِ أُمُّهُ لَا يَفْزَعُ إِلَّا إِلَيْهَا.

الثَّانِيَةُ: أَنْ يَكُونَ حَالُهُ [مَعَ اللهِ تَعَالَى][2] كَصَبِيٍّ مُمَيِّزٍ، وَثِقَ بِكَفَالَةِ أُمِّهِ وَشَفَقَتِهَا، وَلَا يَطْلُبُ مِنْهَا شَيْئًا، وَلَا يَخْطُرُ فِي قَلْبِهِ إِلَّا أُمُّهُ دُونَ ضَمَانِهَا وَكَفَالَتِهَا عَلَيْهِ.

الثَّالِثَةُ: وَهِيَ أَعْلَاهَا، أَنْ يَكُونَ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ تَعَالَى فِي حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ مِثْلَ الْمَيِّتِ بَيْنَ يَدَيِ الْغَاسِلِ؛ مِثَالُهُ صَبِيٌّ عَلِمَ أَنَّ أُمَّهُ تَتَكَفَّلُهَا وَإِنْ لَمْ تُطَالِبْ مِنْهَا. وَهَذَا الْمَقَامُ فِي التَّوَكُّلِ يُثْمِرُ تَرْكَ الدُّعَاءِ وَالسُّؤَالِ مِنْهُ ثِقَةً بِكَرَمِهِ وَعِنَايَتِهِ، وَيَنْفِي التَّدْبِيرَ رَأْسًا، بَلْ يَبْقَى صَاحِبُهُ كَالْمَبْهُوتِ.

كَمَا أَنَّ الْمَقَامَ الثَّانِيَ يُثْمِرُ تَرْكَ السُّؤَالِ دُونَ الدُّعَاءِ، وَيَنْفِي كُلَّ تَدْبِيرٍ إِلَّا مِنْ حَيْثُ الْفَزَعُ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِالدُّعَاءِ؛ وَالْأَوَّلُ يُثْمِرُ تَرْكَ السُّؤَالِ مِنْ غَيْرِهِ فَقَطْ، وَلَا يَنْفِي أَصْلَ التَّدْبِيرِ بَلْ بَعْضَ التَّدْبِيرَاتِ.

---

(1) الإحياء: 4/ 260.

(2) زيادة من أنطاليا.

وَالْمَقَامُ الْأَوَّلُ يُمْكِنُ وُجُودُهُ، وَالثَّانِي وَالثَّالِثُ نَادِرُ الْوُجُودِ، وَإِنْ وُجِدَا فَلَا يَدُومَا.

فَظَهَرَ مِنْ ذَلِكَ: أَنْ لَيْسَ مِنْ شَرْطِ التَّوَكُّلِ تَرْكُ كُلِّ تَدْبِيرٍ وَعَمَلٍ، بَلْ يَظْهَرُ أَنَّ مُلَابَسَتَهُ كُلَّ تَدْبِيرٍ وَعَمَلٍ يُنَافِي التَّوَكُّلَ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ حَوْلُ الْمُتَوَكِّلِ وَقُوَّتُهُ. وَأَمَّا مُبَاشَرَةُ التَّدْبِيرِ بِحَوْلِ الْوَكِيلِ وَقُوَّتِهِ وَأَمْرِهِ بِالتَّدْبِيرِ فَلَا يُخِلُّ التَّوَكُّلَ أَصْلًا[1].

(1) الإحياء: 4/ 261.

الْمَطْلَبُ الثَّالِثُ: بَيَانُ أَعْمَالِ الْمُتَوَكِّلِين

وَقَدْ عَرَفْتَ الْعِلْمَ الْمُثْمِرَ لِحَالِ التَّوَكُّلِ، ثُمَّ عَرَفْتَ حَالَ التَّوَكُّلِ. وَالْآنَ نَذْكُرُ عَمَلًا يُثْمِرُهُ حَالُ التَّوَكُّلِ؛ وَهُوَ أَنَّ عَمَلَ الْعَبْدِ إِمَّا جَلْبُ نَافِعٍ مَفْقُودٍ، أَوْ حِفْظُ نَافِعٍ مَوْجُودٍ، أَوْ دَفْعُ ضَارٍّ لَمْ يَنْزِلْ، أَوْ قَطْعُ ضَارٍّ نَزَلَ.

فَلْنَذْكُرْ شَرْطَ التَّوَكُّلِ وَدَرَجَاتِهِ فِي كُلٍّ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ الْأَرْبَعَةِ:

الْأَوَّلُ: **جَلْبُ النَّافِعِ**، وَأَسْبَابُهُ عَلَى ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ:

الدَّرَجَةُ الْأُولَى: الْمَقْطُوعُ؛ كَمَدِّ الْيَدِ إِلَى الطَّعَامِ الْمَوْضُوعِ بَيْنَ يَدَيْكَ، فَإِنَّهُ مِنَ الْأَسْبَابِ الْمَقْطُوعِ بِهَا بِتَقْدِيرِ اللهِ وَمَشِيئَتِهِ. فَتَرْكُ مِثْلِ هذهِ الْأَسْبَابِ مُنْتَظِرَ حُصُولِ الْمَطْلُوبِ جَهْلٌ وَحُمْقٌ، وَلَيْسَ مِنَ التَّوَكُّلِ فِي شَيْءٍ، لَكِنْ عِنْدَ مُبَاشَرَةِ الْأَسْبَابِ تَعْلَمُ أَنَّ الْحَوْلَ وَالْقُوَّةَ مِنَ اللهِ تَعَالَى لَا مِنْ يَدِكَ وَأَسْنَانِكَ[1].

الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: الْأَسْبَابُ الْمَظْنُونُ بِهَا؛ كَمَنْ سَافَرَ فِي الْبَرَارِي فَإِنَّ الْغَالِبَ فِيهِ عَدَمُ وُجُودِ الطَّعَامِ، وَإِنِ احْتَمَلَ احْتِمَالًا بَعِيدًا فَلَيْسَ تَرْكُ حَمْلِ الزَّادِ فِيهَا مِنَ التَّوَكُّلِ الْمَقْبُولِ عِنْدَ الْمُتَوَسِّطِينَ، وَإِنْ كَانَ جَائِزًا عِنْدَ الْخَوَاصِّ. وَإِنْ حَمَلَ الزَّادَ يَنْبَغِي أَنْ يَعْتَمِدَ على فَضْلِ اللهِ تَعَالَى لَا عَلَى الزَّادِ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَكَيْفَ يُجَوِّزُهُ الْخَوَاصُّ وَهُوَ إِلْقَاءُ النَّفْسِ فِي التَّهْلُكَةِ؟

---

(1) الإحياء: 4/ 265.

قُلْتُ: ذَلِكَ لَيْسَ بِإِلْقَاءِ النَّفْسِ فِي التَّهْلُكَةِ لِأَحَدِ شَخْصَيْنِ؛

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَعْتَادَ تَرْكَ الطَّعَامِ مِقْدَارَ أُسْبُوعٍ، مِنْ غَيْرِ ضَيْقِ قَلْبٍ، وَتَشْوِيشِ خَاطِرٍ، وَجَاهَدَ نَفْسَهُ عَلَيْهِ، وَأَنْ تَطِيبَ نَفْسُهُ بِالْمَوْتِ إِنْ لَمْ يَأْتِهِ رِزْقُهُ، عِلْمًا بِأَنَّ رِزْقَهُ الْمَوْتُ وَالْجُوعُ، وَهُوَ وَإِنْ كَانَ نُقْصَانًا فِي الدُّنْيَا، فَهُوَ زِيَادَةٌ فِي الْآخِرَةِ.

وَثَانِيهِمَا: أَنْ يَقْدِرَ عَلَى التَّقَوُّتِ بِالْحَشَائِشِ وَالْأَشْيَاءِ الْخَسِيسَةِ، إِذْ لَا تَخْلُو الْبَوَادِي مِنْ أَنْ يَلْقَاهُ آدَمِيٌّ، أَوْ حَشِيشٌ يَتَقَوَّتُ بِهِ، أَوْ يَنْتَهِي إِلَى قَرْيَةٍ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ، حَتَّى إِنَّهُمْ قَالُوا: الْحَبْلُ وَالرَّكْوَةُ[1] وَالْإِبْرَةُ وَالْمِقْرَاضُ لَا يَمْنَعُ التَّوَكُّلَ، إِذْ يَنْدُرُ وُجُودُ هَذِهِ فِي الْبَوَادِي، وَلَا يَقُومُ شَيْءٌ مَقَامَهَا مَعَ أَنَّهَا مِنَ الضَّرُورِيَّاتِ[2].

الدَّرَجَةُ الثَّالِثَةُ: الْأَسْبَابُ الْمَوْهُومَةُ؛ كَالتَّدْبِيرَاتِ الدَّقِيقَةِ فِي الِاكْتِسَابِ، وَإِنْ كَانَ بِطَرِيقٍ مُبَاحٍ، إِذِ الطَّرِيقُ الَّتِي فِيهَا شُبْهَةٌ فَذَلِكَ دَاخِلٌ فِي حَدِّ الْحِرْصِ. وَلَا يَخْفَى أَنَّ مُبَاشَرَةَ مِثْلِ هَذِهِ الْأَسْبَابِ يُخِلُّ التَّوَكُّلَ؛ كَالرُّقْيَةِ وَالطِّيَرَةِ وَالْكَيِّ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ.

ثُمَّ الْمُتَوَكِّلُونَ: **إِمَّا خَوَاصُّ**؛ فَهُمْ يَتْرُكُونَ أَكْثَرَ الْأَسْبَابِ الْمَقْطُوعَةِ؛ كَمَا يَدُورُونَ فِي الْبَوَادِي، مَعَ أَنَّ عَدَمَ الزَّادِ مَقْطُوعٌ بِهِ فِيهَا، إِلَّا مِثْلَ عَدَمِ مَدِّ الْأَيْدِي إِلَى طَعَامٍ عِنْدَهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنَ التَّوَكُّلِ كَمَا عَرَفْتَ.

---

(1) الرَّكْوَةُ: إناءٌ صغيرٌ من جلد يُشْرَبُ فيه الماءُ، والجمع رَكَوَاتٌ. اللسان/ ركا.

(2) الإحياء: 4/ 266.

وَإِمَّا مُتَوَسِّطُونَ؛ وَهُمُ الْقَاعِدُونَ فِي الْأَمْصَارِ، الْمُتَقَاعِدُونَ عَنِ الْكَسْبِ وَالْأَسْبَابِ الظَّاهِرَةِ ثِقَةً بِكَفَالَةِ اللهِ تَعَالَى.

وَإِمَّا عَوَامٌّ؛ يَكْتَسِبُونَ، وَلَكِنْ لَا يَعْتَمِدُونَ عَلَى الْكَسْبِ، بَلْ عَلَى اللهِ تَعَالَى، فَيَكُونُ مُكْتَسِبًا بِبَدَنِهِ، وَمُنْقَطِعًا إِلَى اللهِ بِقَلْبِهِ، حَتَّى قَالُوا: إِنَّ الْمُعِيلَ يَتَرَجَّحُ لَهُ هَذَا الْقِسْمُ مِنَ التَّوَكُّلِ عَلَى الْقِسْمِ الَّذِي فَوْقَهُ؛ كَمَا اكْتَسَبَ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بَعْدَمَا بُويِعَ الْخِلَافَةَ[1].

وَأَيْضًا الْمُتَجَرِّدُ[2] عَنِ الْعِيَالِ إِنِ اسْتَشْرَفَ نَفْسَهُ عَلَى مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ فَالْكَسْبُ لَهُ أَفْضَلُ.

ثُمَّ إِنَّ النَّفْسَ لَهُ مَوْضِعُ غُرُورٍ، إِذْ يَظُنُّ أَنَّهُ مِنَ الْمُتَوَكِّلِينَ، وَلَا اتِّكَالَ لَهُ عَلَى بِضَاعَتِهِ. وَامْتِحَانُ ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا سُرِقَ مَتَاعُهُ أَوْ ضَاعَ هَلْ يَتَأَسَّفُ أَمْ لَا، فَإِنْ تَأَسَّفَ فَلَيْسَ لَهُ تَوَكُّلٌ أَصْلًا، إِذِ الرَّازِقُ كَثِيرًا مَا يَرْزُقُ عِبَادَهُ بِغَيْرِ بِضَاعَةٍ. وَإِنِ ابْتُلِيَ أَحَدٌ بِالِاتِّكَالِ عَلَى مَتَاعِهِ، فَعِلَاجُهُ أَنْ يَعْرِفَ أَنَّ سُوءَ الظَّنِّ تَلْقِينُ الشَّيْطَانِ، وَحُسْنَ الظَّنِّ تَلْقِينُ الرَّحْمَنِ[3].

وَاعْلَمْ أَنَّ تَوَكُّلَ الْمُعِيلِ يُخَالِفُ تَوَكُّلَ الْمُنْفَرِدِ، إِذْ دُخُولُ الْبَوَادِي، وَتَرْكُ الْعِيَالِ، أَوِ الْقُعُودُ عَنِ الِاهْتِمَامِ بِأَمْرِهِمْ تَوَكُّلًا فِي حَقِّهِمْ فَحَرَامٌ، وَقَدْ يُفْضِي

---

(1) الإحياء: 4/ 267 ـ 268.

(2) المتجردون، في رئيس الكتاب.

(3) الإحياء: 4/ 269 ـ 270.

إِلَى هَلَاكِهِمْ، فَيُؤَاخَذُ بِهِمْ. إِلَّا أَنَّ التَّحْقِيقَ أَنَّ عِيَالَهُ إِنْ سَاعَدُوهُ عَلَى الصَّبْرِ عَلَى الْجُوعِ، وَعَلَى الْمَوْتِ بِالْجُوعِ، فَعَلَيْهِ التَّوَكُّلُ؛ وَكَذَا نَفْسُهُ وَعِيَالُهُ، فَإِذَا نَازَعَتْهُ نَفْسُهُ، وَلَمْ تُسَاعِدْهُ عَلَى الْأُمُورِ الْمَذْكُورَةِ، فَهُوَ حُكْمُ الْمُعِيلِ الَّذِي لَا يَصْبِرُ عِيَالُهُ، فَيَجِبُ لَهُ الْكَسْبُ، فَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْمُنْفَرِدِ وَالْمُعِيلِ فِي وُجُوبِ التَّوَكُّلِ[1].

(1) الإحياء: 4/ 272.

الْمَطْلَبُ الرَّابِعُ: فِي مَرَاتِبِ الِادِّخَارِ

فَمَنْ حَصَلَ لَهُ مَالٌ بِإِرْثٍ، أَوْ كَسْبٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، فَلَهُ أَحْوَالٌ ثَلَاثَةٌ:

إِمَّا أَنْ يَأْخُذَ قَدْرَ الْحَاجَةِ مِنَ الْمَأْكَلِ وَالْمَلْبَسِ وَالْمَسْكَنِ، وَيُفَرِّقَ الْبَاقِيَ فِي الْحَالِ، وَلَا يَدَّخِرَهُ إِلَّا لِمُحْتَاجٍ؛ وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَ لِسَنَةٍ فَمَا فَوْقَهَا، وَهَذَا خَارِجٌ عَنْ حَدِّ التَّوَكُّلِ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَ لِأَرْبَعِينَ يَوْمًا فَمَا دُونَهَا، قِيلَ: إِنَّهُ خَارِجٌ عَنِ التَّوَكُّلِ، وَقِيلَ: لَا. وَالْحَقُّ أَنَّ أَصْلَ الِادِّخَارِ مُنَافٍ لِلتَّوَكُّلِ، وَأَمَّا التَّقْدِيرُ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَا مُدْرَكَ لَهُ.

وَالتَّقْدِيرُ بِأَرْبَعِينَ لِمِيعَادِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَكُنْ لِطُولِ الْأَمَلِ أَوِ قِصَرِهِ، بَلْ لِسِرٍّ جَرَتْ بِهِ وَبِأَمْثَالِهِ سُنَّةُ اللهِ تَعَالَى فِي تَدْرِيجِ الْأُمُورِ.

فَالتَّوَكُّلُ تَرْكُ الِادِّخَارِ؛ وَذَلِكَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِقِصَرِ الْأَمَلِ. وَأَقَلُّ دَرَجَاتِهِ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ فَمَا دُونَهُ، وَأَكْثَرُهُ مَا يُتَصَوَّرُ أَنْ يَكُونَ عُمُرَ الْإِنْسَانِ، وَبَيْنَهُمَا دَرَجَاتٌ لَا حَصْرَ لَهَا. وَكُلُّ أَمْرٍ لَهُ مَرَاتِبُ، وَلَهُ بِدَايَةٌ وَنِهَايَةٌ، وَأَصْحَابُ النِّهَايَاتِ يُسَمَّى السَّابِقُونَ[1]، وَأَصْحَابُ الْبِدَايَاتِ يُسَمَّى أَصْحَابَ الْيَمِينِ. وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ أَيْضًا عَلَى دَرَجَاتٍ، فَلَا يُتَصَوَّرُ التَّقْدِيرُ فَوْقَ هَذَا فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْمَرَاتِبِ، فَالْأَفْضَلُ أَنْ لَا يَدَّخِرَ أَصْلًا.

ثُمَّ كُلَّمَا قَلَّ ادِّخَارُهُ كَانَ فَضْلُهُ أَكْثَرَ، وَلَكِنْ هذا فِي حَقِّ مَنْ لَا يَنْزَعِجُ قَلْبُهُ بِتَرْكِ الِادِّخَارِ، بَلْ لَا يَلْتَفِتُ قَلْبُهُ إِلَّا إِلَى الْوَكِيلِ الْحَقِّ، وَإِلَّا فَالِادِّخَارُ لَهُ أَوْلَى؛ لِأَنَّ

(1) كذا في النسخ الخطية وصوابه: يُسَمَّوْنَ السَّابِقِينَ.

الْمَقْصُودَ تَجَرُّدُ الْقُلُوبِ بِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى، وَرُبَّ شَخْصٍ شَغَلَهُ وُجُودُ الدُّنْيَا، وَرُبَّ شَخْصٍ شَغَلَهُ عَدَمُهَا. وَالْمَحْذُورُ مَا يَشْغَلُ عَنِ اللهِ، وَإِلَّا فَالدُّنْيَا فِي عَيْنِهَا غَيْرُ مَحْذُورَةٍ، لا وُجُودُهَا وَلَا عَدَمُهَا؛ وَلِذَلِكَ لَمْ يَمْنَعِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التُّجَّارَ عَنْ تِجَارَتِهِمْ، بَلْ دَعَا الْكُلَّ إِلَى اللهِ تَعَالَى فَقَطْ. هَذَا حُكْمُ الْمُنْفَرِدِ[1].

وَأَمَّا الْمُعِيلُ، فَلَهُ ادِّخَارُ قُوتِ سَنَةٍ لِعِيَالِهِ، جَبْرًا لِضُعْفِهِمْ، وَتَسْكِينًا لِقُلُوبِهِمْ، وَمَا فَوْقَ ذَلِكَ مُبْطِلٌ لِلتَّوَكُّلِ؛ لِأَنَّ الْأَسْبَابَ تَتَكَرَّرُ عِنْدَ تَكَرُّرِ السِّنِينَ، فَادِّخَارُ مَا يَزِيدُ عَلَيْهِ سَبَبُهُ ضُعْفُ الْقَلْبِ، وَالْمُتَوَكِّلُ عِبَارَةٌ عَنْ مُوَحِّدٍ قَوِيِّ الْقَلْبِ، مُطْمَئِنِّ النَّفْسِ إِلَى فَضْلِ اللهِ، وَاثِقٍ بِتَدْبِيرِهِ، دُونَ وُجُودِ الْأَسْبَابِ الظَّاهِرَةِ. وَقَدِ ادَّخَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعِيَالِهِ قُوتَ سَنَةٍ[2] لِيُبَيِّنَ ذَلِكَ لِضُعَفَاءِ أُمَّتِهِ. وَكَيْفَ لَا وَقَدْ نَهَى بِلَالًا عَنِ الِادِّخَارِ فِي كِسْرَةَ خُبْزٍ ادَّخَرَهَا لِيُفْطِرَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: «أَنْفِقْ بِلَالًا، وَلَا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا»[3].

وَذَلِكَ لِأَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَ «إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخَصُهُ كَمَا يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى عَزَائِمُهُ»[4]، تَطْيِيبًا لِقُلُوبِ الضُّعَفَاءِ، لِئَلَّا يَتْرُكُوا

---

(1) الإحياء: 4/ 276ـ278.

(2) ورد الحديث في صحيح البخاري: 5/ 2048، رقم: 5042 بلفظ: «وَيَحْبِسُ لِأَهْلِهِ قُوتَ سَنَتِهِمْ».

(3) مسند البزار: 17/ 227، رقم: 9893، والمعجم الكبير للطبراني: 1/ 342، رقم: 1025، بلفظ: «أَنْفِقْ بِلَالُ...».

(4) المصنف لابن أبي شيبة: 14/ 463، رقم: 28168، ومسند أحمد: 10/ 108، رقم: 5867، ومسند البزار: 12/ 250، رقم: 5998، والمعجم الأوسط للطبراني/ 8/ 82، رقم: 8032.

الْمَيْسُورَ عَلَيْهِمْ، لِعَجْزِهِمْ عَنْ مُنْتَهَى الدَّرَجَاتِ[1].

ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ يَخْتَلِفُ حَالُهُمْ، فَمِنْ وَاحِدٍ يَلِيقُ بِحَالِهِ الرُّخْصَةُ، وَمِنْ آخَرَ يَتَضَرَّرُ بِالرُّخْصَةِ.

وَبِالْجُمْلَةِ، الْغَرَضُ فَرَاغُ الْقَلْبِ عَمَّا سِوَى اللهِ تَعَالَى، سَوَاءٌ أَمْكَنَ ذَلِكَ بِالْعَزِيمَةِ، أَوْ بِالرُّخْصَةِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَسْبَابَ الدَّافِعَةَ لِلضَّرَرِ تَجِبُ الْمُبَاشَرَةُ بِهَا إِنْ كَانَتْ مَقْطُوعًا بِهَا، وَالِاحْتِرَازُ عَنْهَا إِنْ كَانَتْ مَوْهُوبَةً، وَالْمَظْنُونَةُ رُبَّمَا تَكُونُ فِي حُكْمِ الْمَقْطُوعِ بِهَا بِالتَّجَارِبِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ، فَالِاحْتِرَازُ عَنْهَا أَيْضًا أَفْضَلُ؛ مَثَلًا: الصَّبْرُ عَلَى أَذَى السِّبَاعِ وَالْحَيَّاتِ لَيْسَ مِنَ التَّوَكُّلِ إِذْ لَا فَائِدَةَ فِيهِ.

فَعَلَيْكَ الِاحْتِرَازُ عَنْ أَمْثَالِهَا، وَلَا تَغْتَرَّ بِمَنْ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى الْأَسَدِ وَلَمْ يَضُرَّ بِهِ، لِأَنَّ ذَلِكَ خَرْقُ الْعَادَةِ، وَلِكُلِّ مَقَامٍ رِجَالٌ، وَإِنْ ظَنَّ ذَلِكَ الْمَقَامَ أَحَدٌ فَلْيُجَرِّبْ بِأَنَّ الْكَلْبَ الَّذِي فِي بَدَنِهِ؛ أَعْنِي الْقُوَّةَ الْغَضَبِيَّةَ؛ هَلْ تُطَاوِعُهُ أَمْ لَا، فَإِنْ سُخِّرَ لَكَ ذَلِكَ تَرْتَقِي مِنْهُ إِلَى أَنْ يُسَخَّرَ لَكَ كَلْبُ دَارِكَ، ثُمَّ تَرْتَقِي إِلَى تَسْخِيرِ كَلْبِ الْبَوَادِي.

وَأَيْضًا لَا تَظُنَّ أَنَّ أَخْذَ السِّلَاحِ، وَغَلْقَ الْبَابِ، يُنَافِي التَّوَكُّلَ، إِذَا أَخَذَ السِّلَاحَ، وَعَرَفَ الدَّفْعَ مِنَ اللهِ تَعَالَى، وَأَغْلَقَ الْبَابَ، وَعَرَفَ الْحِفْظَ مِنَ اللهِ

---

(1) الإحياء: 4/ 278.

تَعَالَى، إِذْ كَمْ مِنْ صَاحِبِ سِلَاحٍ يُقْتَلُ، وَكَمْ مِنْ بَابٍ مُغْلَقٍ يُفْتَحُ وَيُنْهَبُ مَا فِي دَاخِلِهِ.

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَكُونُ رَاضِيًا بِمَا يَقْضِي اللهُ تَعَالَى فِي نَفْسِهِ مِنَ الْقَتْلِ وَالْجُرْحِ، وَفِي بَيْتِهِ مِنَ السَّرِقَةِ وَالْغَصْبِ، فَلَا يَكُونُ تَحَصُّنُهُ وَتَحَفُّظُهُ إِلَّا لِلْجَرْيِ عَلَى سُنَّةِ اللهِ تَعَالَى فِي تَرْتِيبِ الْأَسْبَابِ، مَعَ الثِّقَةِ بِمُسَبِّبِ الْأَسْبَابِ.

وَلا تَتَوَهَّمْ أَنْ لَيْسَ لِلْمُتَوَكِّلِ مَالٌ، إِذْ هُوَ لَا يَسْتَغْنِي عَنْ ضَرُورِيَّاتِ الْإِنْسَانِ، مِنَ الْقَصْعَةِ وَالْكُوزِ وَالْعَصَا، وَقَدْ يَجِدُ مَالًا وَيَحْفَظُهُ لِيَدْفَعَ إِلَى الْمُحْتَاجِ[1].

وَلَا تَتَوَهَّمْ أَنَّ الضَّرُورِيَّاتِ يَجِبُ أَنْ يُتَأَلَّمَ بِفَقْدِهَا، فَكَيْفَ يُمْكِنُ عَدَمُ التَّأَلُّمِ، لِأَنَّ الْأَسْبَابَ لِتَيْسِيرِ خِدْمَةِ الْحَقِّ تَعَالَى، وَإِنَّمَا يُمْسِكُهُ طَلَبًا لِرِضَاهُ. وَإِذًا فَقَدْ يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ: الْخَيْرُ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي فَقْدِهِ لَمَا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِ اللِّصَّ، فَلِي عِوَضُ ثَوَابٍ مِنْ ذَلِكَ. فَيَنْبَغِي أَنْ يَفْرَحَ بِفَقْدِهَا فَضْلًا عَنِ التَّأَلُّمِ، إِذِ الْخَيْرُ مَا اخْتَارَهُ اللهُ تَعَالَى، وَلَا يَدْرِي الْإِنْسَانُ الْخَيْرَ لِنَفْسِهِ فِي أَيِّ شَيْءٍ حَاصِلٍ، إِذْ كَمْ مِنْ غَنِيٍّ يُبْتَلَى بِمَالِهِ بَلَاءً يَكُونُ سَبَبًا لِهَلَاكِهِ، حَتَّى يَقُولَ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ فَقِيرًا، وَذَلِكَ يَقَعُ كَثِيرًا[2].

---

(1) الإحياء: 4/ 279ـ280.

(2) المصدر نفسه: 4/ 281.

الْمَطْلَبُ الْخَامِسُ: فِي آدَابِ الْمُتَوَكِّلِينَ

أَمَّا فِي مَتَاعِ بَيْتِهِ، فَأَنْ يُغْلِقَ الْبَابَ وَلَا يَسْتَقْصِيَ؛ مِثْلَ أَنْ يُوصِيَ جَارَهُ بِالْحِفْظِ، وَأَنْ يَجْمَعَ أَغْلَاقًا كَثِيرَةً. وَكَانَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ يَشُدُّ بَابَهُ بِشَرِيطٍ وَيَقُولُ: لَوْلَا الْكِلَابُ مَا شَدَدْتُهُ. وَأَنْ لَا يَتْرُكَ فِي بَيْتِهِ مَتَاعًا يَحْرِصُ عَلَيْهِ السُّرَّاقُ، فَيَكُونَ سَبَبَ مَعْصِيَتِهِمْ، كَذَا قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ.

وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ: هَذَا مِنْ ضُعْفِ قُلُوبِ الصُّوفِيَّةِ، هُوَ قَدْ زَهِدَ فِي الدُّنْيَا فَمَا عَلَيْهِ مَنْ أَخَذَهَا.

وَأَيْضًا إِنَّ مَا يُضْطَرُّ إِلَى تَرْكِهِ فِي الْبَيْتِ يَنْبَغِي أَنْ يَنْوِيَ عِنْدَ خُرُوجِهِ الرِّضَا بِمَا يَقْضِي اللهُ تَعَالَى فِيهِ، مِنْ تَسْلِيطِ سَارِقٍ، وَيَقُولَ: مَا يَأْخُذُهُ سَارِقٌ فَهُوَ فِي حِلٍّ مِنْهُ، أَوْ هُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا فَهُوَ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ. وَإِنْ لَمْ يَشْتَرِطِ الْفَقْرَ فَهُوَ أَوْلَى، إِذْ رُبَّمَا يَسْتَغْنِي بِهِ، فَيَتَوَانَى عَنِ السَّرِقَةِ بَعْدَهُ؛ وَقَدْ زَالَ عِصْيَانُهُ بِجَعْلِهِ فِي حِلٍّ.

وَأَيْضًا يَفْدِي بِمَالِهِ مَالَ مُسْلِمٍ آخَرَ. فَنِيَّتُهُ دَفْعُ الْمَعْصِيَةِ عَنْ مُسْلِمٍ، أَوْ فِدَاءُ مَالِ مُسْلِمٍ آخَرَ بِمَالِ نَفْسِهِ، نُصْحٌ لِلْمُسْلِمِينَ.

ثُمَّ إِنَّهُ إِذَا وَجَدَ الْمَالَ مَسْرُوقًا، يَنْبَغِي أَنْ لَا يَحْزَنَ، بَلْ يَفْرَحُ إِنْ أَمْكَنَهُ، وَيَقُولُ: لَعَلَّ الْخَيْرَ فِي تَلَفِهِ.

ثُمَّ إِنَّهُ إِذَا وَجدَ مَالَهُ الَّذِي جَعَلَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ يَتْرُكُ طَلَبَهُ، فَإِنَّهُ قَدَّمَهُ ذَخِيرَةً لِنَفْسِهِ إِلَى الْآخِرَةِ، وَإِنْ قَبِلَهُ جَازَ فِي ظَاهِرِ الْعِلْمِ، لَكِنَّهُ غَيْرُ مُسْتَحَبٍّ عِنْدَ الْمُتَوَكِّلِينَ[1].

وَأَيْضًا يَنْبَغِي أَنْ لَا يَدْعُوَ عَلَى السَّارِقِ، وَإِلَّا بَطَلَ تَوَكُّلُهُ وَزُهْدُهُ. وَأَيْضًا يَبْطُلُ أَجْرُهُ بِالدُّعَاءِ عَلَيْهِ. وَأَيْضًا يَنْبَغِي أَنْ يَغْتَمَّ لِعِصْيَانِ السَّارِقِ لَا لِمَالِهِ، وَأَنْ يَشْكُرَ اللهَ تَعَالَى إِذْ جَعَلَهُ مَظْلُومًا لَا ظَالِمًا، وَجَعَلَ النُّقْصَانَ فِي دُنْيَاهُ لَا فِي دِينِهِ.

(1) الإحياء: 4/ 281 ـ 282.

الْمَطْلَبُ السَّادِسُ: فِي الْأَسْبَابِ الْمُزِيلَةِ لِلضَّرَرِ

وَهِيَ إِمَّا مَقْطُوعٌ بِهَا؛ كَالْمَاءِ فِي دَفْعِ الْعَطَشِ، وَالْخُبْزِ فِي دَفْعِ الْجُوعِ، وَتَرْكُ هَذِهِ الْأَسْبَابِ حَرَامٌ فَضْلًا عَنْ كَوْنِهِ تَوَكُّلًا.

أَوْ مَظْنُونٌ بِهَا؛ كَالْفَصْدِ وَالْحِجَامَةِ وَسَائِرِ أَسْبَابِ الطِّبِّ، وَهَذَا لَا يُنَاقِضُ التَّوَكُّلَ.

أَوْ مَوْهُومَةٌ؛ كَالْكَيِّ وَالرُّقْيَةِ وَالطِّيَرَةِ.

فَشَرْطُ التَّوَكُّلِ تَرْكُهُ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ غَايَةِ التَّعَمُّقِ فِي مُلَاحَظَةِ الْأَسْبَابِ. وَقَدْ وَصَفَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُتَوَكِّلِينَ بِهَا.

وَأَمَّا التَّدَاوِي بِالْأَدْوِيَةِ الطِّبِّيَّةِ، فَقَدْ وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنْ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، إِلَّا أَنَّ بَعْضًا مِنَ الْأَدْوِيَةِ الطِّبِّيَّةِ قَدْ يُلْحَقُ بِالْمَقْطُوعِ بِهَا؛ كَالسَّكَنْجَبِينِ فِي دَفْعِ الصَّفْرَاءِ، فَحُكْمُهَا حُكْمُهَا فِي التَّجْرِبَةِ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَحْرُمُ تَرْكُهَا، إِمَّا لِأَنَّ مَعْرِفَتَهُ يَخْتَصُّ بِبَعْضِ النَّاسِ، وَلَيْسَ مِمَّا يُدْرِكُهُ الْكَافَّةُ؛ كَالْخُبْزِ فِي دَفْعِ الْجُوعِ، وَالْمَاءِ فِي إِزَالَةِ الْعَطَشِ. أَوْ لِأَنَّ لِذَلِكَ أَسْبَابًا بَاطِنَةً يُمْكِنُ تَخَلُّفُهَا، وَلَا كَذَلِكَ الْخُبْزُ وَالْمَاءُ[1].

فَإِنْ قُلْتَ: الْكَيُّ أَيْضًا مِنَ الْأَسْبَابِ الظَّاهِرَةِ النَّفْعِ.

قُلْتُ: لَيْسَ كَذَلِكَ، وَإِلَّا لَعَرَفَهُ كُلُّ أَحَدٍ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ، وَذَلِكَ لَا يُعْهَدُ إِلَّا فِي الْأَتْرَاكِ وَالْأَعْرَابِ، مَعَ أَنَّ الْكَيَّ جُرْحٌ مُخَرِّبٌ لِلْبِنْيَةِ، مَحْذُورُ السِّرَايَةِ،

---

(1) الإحياء: 4/ 283 ـ 285.

مَعَ الِاسْتِغْنَاءِ عَنْهُ، إِذْ مَا مِنْ وَجَعٍ يُعَالَجُ بِالْكَيِّ إِلَّا وَلَهُ دَوَاءٌ يُغْنِي عَنْهُ، بِخِلَافِ الْفَصْدِ وَالْحِجَامَةِ.

رُوِيَ أَنَّ عِمْرَانَ بْنَ الْحُصَيْنِ كانَ يَرَى نُورًا، وَيَسْمَعُ صَوْتًا وَتُسَلِّمُ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ، وَلَمَّا اكْتَوَى زَالَ عَنْهُ مَا رَآهُ وَسَمِعَهُ، ثُمَّ تابَ مِنْهُ وَأَنَابَ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَقالَ بَعْدَ ذَلِكَ: فَرَدَّ تَعَالَى عَلَيَّ مَا كُنْتُ أَجِدُهُ مِنْ أَمْرِ الْمَلَائِكَةِ[1].

وَاعْلَمْ أَنَّ التَّدَاوِيَ نُقِلَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَنْ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ أَيْضًا عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَأُمِرُوا أَيْضًا بِالتَّدَاوِي. وَكَذَا نُقِلَ تَرْكُ التَّدَاوِي عَنِ الصَّحَابَةِ وَالسَّلَفِ.

وَالتَّوْفِيقُ بَيْنَ هَذِهِ الْأُمُورِ: هُوَ أَنَّ لِتَرْكِ التَّدَاوِي أَسْبَابًا، وَلَعَلَّ مَنْ تَرَكَهُ إِنَّمَا تَرَكَهُ لِأَجْلِهَا، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ أَفْضَلِيَّةُ التَّرْكِ، بَلِ الْأَفْضَلُ الْفِعْلُ لِمَا فَعَلَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَتِلْكَ الْأَسْبَابُ سِتَّةٌ:

أَحَدُهَا: أَنَّ الْمَرِيضَ قَدْ كُوشِفَ لَهُ دُنُوُّ أَجَلِهِ، وَأَنَّ الدَّوَاءَ لَا يَنْفَعُهُ. وَلَعَلَّ مَا قالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -حِينَ قِيلَ لَهُ: «لَوْ دَعَوْنَا لَكَ طَبِيبًا»: «الطَّبِيبُ قَدْ نَظَرَ إِلَيَّ، وَقَالَ: إِنِّي فَعَّالٌ لِمَا أُرِيدُ[2]»[3] مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ.

---

(1) الإحياء: 4/ 286.

(2) يريد، في رئيس الكتاب.

(3) الإحياء: 4/ 286.

وَكَذَا قَوْلُ أَبِي الدَّرْدَاءِ؛ إِذْ قِيلَ لَهُ فِي مَرَضِهِ: «مَا تَشْتَكِي؟ قالَ: ذُنُوبِي، قِيلَ: فَمَا تَشْتَهِي؟ قالَ: مَغْفِرَةَ رَبِّي، قالُوا: أَلَا نَدْعُو لَك طَبِيبًا، قالَ: الطَّبِيبُ أَمْرَضَنِي»[1].

وَثَانِيهَا: أَنْ يَشْتَغِلَ الْمَرِيضُ بِحَالِ عَاقِبَتِهِ فَلَا يَتَفَرَّغَ قَلْبُهُ لِلتَّدَاوِي. وَعَلَيْهِ يَدُلُّ كَلَامُ أَبِي ذَرٍّ، وَقَدْ رَمَدَتْ عَيْنَاهُ، وَقِيلَ لَهُ: لَوْ دَاوَيْتَهُمَا، فَقَالَ: «إِنِّي عَنْهُمَا مَشْغُولٌ، فَقِيلَ: لَوْ سَأَلْتَ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكَ، فَقَالَ: أَسْأَلُهُ فِيمَا هُوَ أَهَمُّ عَلَيَّ مِنْهُمَا»[2].

ثَالِثُهَا: أَنْ تَكُونَ الْعِلَّةُ مُزْمِنَةً، وَالدَّوَاءُ[3]مَوْهُومَ النَّفْعِ، جَارِيًا مَجْرَى الْكَيِّ وَالرُّقْيَةِ، فَيَتْرُكَهُ الْمُتَوَكِّلُ. وَإِلَيْهِ يُشِيرُ قَوْلُ الرَّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ[4] إِذْ قالَ: ذَكَرْتُ عَادًا وَثَمُودَ وَفِيهِمُ الْأَطِبَّاءُ، فَهَلَكَ الْمُدَاوِي وَالْمُدَاوَى؛ أَيْ: أَنَّ الدَّوَاءَ غَيْرُ مَوْثُوقٍ بِهِ.

وَرَابِعُهَا: أَنْ يَتْرُكَ التَّدَاوِيَ لِيَنَالَ ثَوَابَ الْمَرَضِ بِحُسْنِ الصَّبْرِ. وَقَدْ وَرَدَ فِي ثَوَابِ الْمَرَضِ مَا يَكْثُرُ ذِكْرُهُ[5].

---

(1) قوت القلوب في معاملة المحبوب: 2/ 36، والإحياء: 4/ 286.

(2) المصادر نفسها.

(3) والتداوي، في رئيس الكتاب.

(4) الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمِ بن عائذ الثوري التميمي الكوفي، من العباد السبعة، يروي عن ابن مسعود، وروى عنه أهل الكوفة (ت. 63 هـ). ترجمته في: الأنساب: 3/ 154، وتاريخ الإسلام: 2/ 1093.

(5) الإحياء: 4/ 287.

وَخَامِسُهَا: أَنْ يَكُونَ لَهُ ذُنُوبٌ فَيَرْجُو تَكْفِيرَهَا بِالْمَرَضِ. وَفِي الْحَدِيثِ: «حُمَّى يَوْمٍ كَفَّارَةُ سَنَةٍ»[1]، قِيلَ: لِأَنَّهَا تَهْدِمُ قُوَّةَ سَنَةٍ[2].

وَسَادِسُهَا: أَنْ يَسْتَشْعِرَ مِنْ نَفْسِهِ مَبَادِئَ الْبَطَرِ وَالطُّغْيَانِ بِطُولِ الصِّحَّةِ، فَيَتْرُكَ التَّدَاوِيَ لِئَلَّا يَزُولَ الْمَرَضُ، قَبْلَ اسْتِئْصَالِ الْبَطَرِ وَالْغَفْلَةِ، وَطُولِ الْأَمَلِ مِنْ نَفْسِهِ.

وَإِذَا ظَهَرَ لَكَ أَنَّ تَرْكَ التَّدَاوِي لِهَذِهِ الْأَسْبَابِ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْكَ أَنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنْهُ عَدَمُ فَضِيلَةِ التَّدَاوِي عِنْدَ انْتِفَاءِ هَذِهِ الْأَسْبَابِ، كَمَا في تَدَاوِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَأَيْضًا لَوْ كانَ تَرْكُ التَّدَاوِي مِنْ شَرْطِ التَّوَكُّلِ لَمَا فَعَلَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ سَيِّدُ الْمُتَوَكِّلِينَ.

وَأَيْضًا إِنَّ فَضْلَ تَرْكِ التَّدَاوِي إِنْ كانَ فِيمَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ لِيُكَفِّرَهَا، أَوْ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ الطُّغْيَانَ مِنَ الْعَافِيَةِ، أَوِ احْتَاجَ إِلَى نَيْلِ ثَوَابِ الصَّبْرِ، وَأَمْثَالِ ذَلِكَ.

وَهَذِهِ الْأُمُورُ وَإِنْ كَانَتْ كَمَالًا بِالْإِضَافَةِ إِلَى بَعْضِ الْخَلْقِ، فَهُوَ نُقْصَانٌ بِالْإِضَافَةِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَلْ كانَ أَعْلَى مِنْ هَذِهِ الْمَقَامَاتِ كُلِّهَا، فَلِهَذَا لَمْ تَضُرَّهُ مُبَاشَرَةُ أَسْبَابِ التَّدَاوِي، وَلِهَذَا فَعَلَهُ[3].

---

(1) أخرجه تمام الرازي في فوائده: 2/ 121، رقم: 1315، والغزالي في الإحياء: 4/ 288.

(2) الإحياء: 4/ 287 ـ 288.

(3) المصدر نفسه: 4/ 290 ـ 291.

وَأَيْضًا رُجُوعُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنَ الطَّاعُونِ وَعَدَمُ دُخُولِهِ إلى الشَّام، وَاتِّفَاقُ الصَّحَابَةِ عَلَيْهِ، وَقَوْلُهُ: «نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللهِ إِلَى قَدَرِ اللهِ»[1]، فِي جَوَابِ مَنْ قَالَ: أَتَفِرُّ مِنَ قَدَرِ اللهِ؟ دَلِيلٌ قَوِيٌّ عَلَى أَنَّ التَّدَاوِيَ لا يُخِلُّ بِالتَّوَكُّلِ، وَكَيْفَ لَا وَالصَّحَابَةُ لَا يُسَامِحُونَ فِي أَمْرِ التَّوَكُّلِ أَصْلًا، سِيَّمَا عُمَرُ، وَهُوَ فِي بَابِ التَّوَكُّلِ آيَةٌ، سِيَّمَا وَقَدْ رَوَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي هَذَا الْأَمْرِ حَدِيثًا، وَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْوَبَاءَ فِي أَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِنْ وَقَعَ فِي أَرْضٍ وَأَنْتُم بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ»[2].

ثُمَّ إِنَّ نَهْيَ الدُّخُولِ فِي بَلَدِ الطَّاعُونِ فَسَبَبُهُ ظَاهِرٌ، وَهُوَ إِلْقَاءُ النَّفْسِ فِي التَّهْلُكَةِ، مَعَ أَسْبَابٍ مَظْنُونٍ بِهَا. وَأَمَّا سَبَبُ نَهْيِ الْخُرُوجِ لِلْخَلَاصِ فَلَعَلَّهُ لِكَوْنِهِ سَبَبًا وَهْمِيًّا، إِذْ رُبَّمَا يَسْتَحْكِمُ ضَرَرُ اسْتِنْشَاقِ الْهَوَاءِ الْمُتَعَفِّنِ فِي بَدَنِهِ قَبْلَ ذَلِكَ، فَبَعْدُ يَكُونُ الْخُرُوجُ إِلَى الْهَوَاءِ الصَّحِيحِ عِلَاجًا وَهْمِيًّا لِسَبْقِ تَأْثِيرِ الْهَوَاءِ الْعَفِنِ فِي الْبَدَنِ، سِيَّمَا وَقَدِ انْضَمَّ إِلَى ذَلِكَ أُمُورٌ يُكْرَهُ مَعَهَا الْخُرُوجُ، وَهُوَ خُرُوجُ الْأَصِحَّاءِ، وَفَقْدُ الْمُتَعَهِّدِينَ لِلْمَرْضَى مِمَّنْ يَسْقِيهِمُ الْمَاءَ، وَيُطْعِمُهُمُ الطَّعَامَ.

وَيَظْهَرُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ لَوْ دَخَلَ مَوْضِعَ الطَّاعُونِ لِتَعَهُّدِ الْمُسْلِمِينَ لَا يَأْثَمُ، لِأَنَّ الضَّرَرَ فِي حَقِّ نَفْسِهِ مَوْهُومٌ، وَرَجَاءَ دَفْعِ الضَّرَرِ عَنْ بَقِيَّةِ الْمُسْلِمِينَ أَمْرٌ مُحَقَّقٌ.

---

(1) صحيح البخاري: 5/ 2163، رقم: 5397، وصحيح مسلم: 4/ 1740، رقم: 2219.

(2) مسند أحمد: 3/ 214، رقم: 1682، وصحيح البخاري: 5/ 2163، رقم: 5397، وصحيح مسلم: 4/ 1740، رقم: 2219.

وَتَسْمِيَةُ الْفِرَارِ مِنَ الطَّاعُونِ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ بِالْفِرَارِ مِنَ الزَّحْفِ لِمَا أَنَّ فِيهِ كَسْرًا لِقُلُوبِ بَقِيَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَسَعْيًا فِي إِهْلَاكِهِمْ.

وغَلَطُ الزُّهَّادِ وَالْعُبَّادِ فِي ظَوَاهِرِ الْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ كَثِيرٌ. وَإِنَّمَا شَرَفُ الْعِلْمِ وَفَضِيلَتُهُ لِأَجْلِ ذَلِكَ، حَيْثُ يَحْمِلُهَا عَلَى مَحَامِلَ لَطِيفَةٍ دَقِيقَةٍ، وَيَسْتَخْرِجُ فِي كُلٍّ مِنْهَا سَبَبَ النَّهْيِ، وَعِلَّةَ الْأَمْرِ، وَمَرَاتِبَ كُلٍّ مِنْهُمَا فِي الْحُرْمَةِ وَالْوُجُوبِ، فَيَرْتَفِعُ التَّنَاقُضُ الْمُتَوَهَّمُ فِي ظَوَاهِرِ الْأَخْبَارِ. وَاللهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الْحَالِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ كِتْمَانَ الْمَرَضِ وَالْفَقْرِ وَأَنْوَاعِ الْبَلَاءِ مِنْ كُنُوزِ الْبِرِّ، وَهُوَ مِنْ أَعْلَى الْمَقَامَاتِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَالْإِظْهَارُ لَا بَأْسَ بِهِ إِذَا صَحَّتْ فِيهِ النِّيَّةُ وَالْمَقْصِدُ، وَذَلِكَ فِي ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنْ يَصِفَ لِلطَّبِيبِ حِكَايَةً لَا شِكَايَةً.

وَثَانِيهَا: أَنْ يَذْكُرَهُ لِمَنْ يَتَعَلَّمُ مِنْهُ حُسْنَ الصَّبْرِ، بَلِ الشُّكْرَ بِأَنْ يَرَاهُ نِعْمَةً.

وَثَالِثُهَا: أَنْ يُظْهِرَ بِذَلِكَ عَجْزَهُ وَافْتِقَارَهُ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَذَلِكَ مِمَّنْ يُرْجَى مِنْهُ الْقُوَّةُ وَالشَّجَاعَةُ، وَيُسْتَبْعَدُ مِنْهُ الْعَجْزُ، فَيَذْكُرُهُ دَفْعًا لِاحْتِمَالِ التَّجَلُّدِ، وَإِظْهَارًا لِعَجْزِهِ وَافْتِقَارِهِ[1].

---

(1) الإحياء: 4/ 292.

الْأَصْلُ السَّادِسُ: فِي الْمَحَبَّةِ وَالشَّوْقِ وَالْأُنْسِ وَالرِّضَا وَفِيهِ مَطَالِبُ:

المَطْلَبُ الْأَوَّلُ: في الْمَحَبَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى

وَهِيَ مِنْ أَعْلَى الْمَقَامَاتِ. وَكُلُّ مَقَام يَتَقَدَّمُهَا فَهُوَ مُقَدِّمَةٌ مِنْ مُقَدِّمَاتِهَا؛ كَالتَّوْبَةِ، وَالصَّبْرِ، وَالزُّهْدِ، وَغَيْرِهَا. وَكُلُّ مَقَامٍ بَعْدَهَا مِنْ ثَمَرَاتِهَا؛ كَالشَّوْقِ، وَالْأُنْسِ، وَالرِّضَا، وَأَخَوَاتِهَا. وَسَائِرُ الْمَقَامَاتِ؛ وَإِنْ عَزَّ فَلَمْ تَخْلُ الْقُلُوبُ مِنَ الْإِيمَانِ بِإِمْكَانِهَا.

وَأَمَّا مَحَبَّةُ اللهِ تَعَالَى فَقَدْ عَزَّ الْإِيمَانُ بِهَا، حَتَّى أَنْكَرَ بَعْضُهُمْ إِمْكَانَهَا، وَقالَ: لَا مَعْنَى لَهَا إِلَّا الْمُوَاظَبَةُ عَلَى طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى.

وَأَمَّا حَقِيقَةُ الْمَحَبَّةِ فَمُحَالٌ إِلَّا مَعَ الْجِنْسِ وَالْمِثَالِ، فَلَزِمَهُمْ إِنْكَارُ لَوَازِمِ الْحُبِّ مِنَ الْأُنْسِ وَالشَّوْقِ وَلَذَّةِ الْمُنَاجَاةِ. إِلَّا أَنَّ الْأُمَّةَ مُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ الْحُبَّ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ فَرْضٌ، فَيَكُونُ وُجُودُهَا مُجْمَعًا عَلَيْهِ. وَجَعْلُهَا مَجَازًا عَنِ الطَّاعَةِ لا حَاجَةَ إِلَيْهِ، وَكَيْفَ لَا وَالطَّاعَةُ ثَمَرَةُ الْمَحَبَّةِ، وَالْقَوْلُ بِالطَّاعَةِ يَسْتَلْزِمُ وُجُودَ الْمَحَبَّةِ.

وَأَيْضًا مَحَبَّةُ اللهِ تَعَالَى في الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كَثِيرَةُ الذِّكْرِ، وَكَذَا في الْآثَارِ وَكَلِمَاتِ الْمَشَايِخِ بِحَيْثُ لَا يُمْكِنُ الْإِنْكَارُ عَلَيْهَا، وَحَمْلُ كُلِّهَا عَلَى

الْمَجَازِ، يُؤَدِّي إِلَى اللَّجَاجِ وَالْعِنَادِ[1].

وَاعْلَمْ أَنَّ الْحُبَّ فَرْعُ الْمَعْرِفَةِ وَالْإِدْرَاكِ، وَلِهَذَا لَا يَتَّصِفُ الْجَمَادُ بِالْحُبِّ.

ثُمَّ الْمُدْرَكُ إِنْ كَانَ مُلِذًّا فَهُوَ مَحْبُوبٌ، وَإِنْ كَانَ مُؤْلِمًا فَهُوَ مَبْغُوضٌ، وَمَا لَا يَكُونُ مُؤْلِمًا وَلَا مُلِذًّا فَهُوَ لا يَكُونُ مَحْبُوبًا وَلَا مَكْرُوهًا. فَالْحُبُّ عِبَارَةٌ عَنْ مَيْلِ الطَّبْعِ إِلَى الشَّيْءِ الْمُلِذِّ، فَإِنْ تَأَكَّدَ ذَلِكَ الْمَيْلُ وَقَوِيَ يُسَمَّى[2] عِشْقًا. وَالْبُغْضُ عِبَارَةٌ عَنْ نَفْرَةِ الطَّبْعِ عَنِ الْمُؤْلِمِ الْمُتْعِبِ، فَإِذَا قَوِيَ يُسَمَّى مَقْتًا.

ثُمَّ لَمَّا كانَ الْحُبُّ تَابِعًا لِلْإِدْرَاكِ، وَكانَ ذَلِكَ مُنْقَسِمًا إِلَى الْحَوَاسِّ، صَارَتْ لِكُلٍّ مِنْهَا لَذَّةٌ مَخْصُوصَةٌ؛ فَلَذَّةُ الْعَيْنِ فِي الصُّوَرِ الْجَمِيلَةِ، وَلَذَّةُ الْأُذْنِ فِي النَّغَمَاتِ الطَّيِّبَةِ الْمَوْزُونَةِ[3].

وَهَكَذَا لَا يَخْفَى أَنَّ الْبَصِيرَةَ الْبَاطِنَةَ أَقْوَى مِنَ الْبَصَرِ الظَّاهِرِ، وَالْقَلْبَ أَشَدُّ إِدْرَاكًا مِنَ الْعَيْنِ، وَجَمَالَ الْمَعَانِي الْمُدْرَكَةِ بِالْعَقْلِ أَعْظَمُ مِنْ جَمَالِ الصُّوَرِ الظَّاهِرَةِ لِلْأَبْصَارِ، فَإِنَّ لَذَةَّ الْقُلُوبِ فِي إِدْرَاكِ الْأُمُورِ الْإِلَهِيَّةِ أَتَمُّ وَأَبْلَغُ، وَيَكُونُ مَيْلُ الطَّبْعِ السَّلِيمِ وَالْعَقْلِ الصَّحِيحِ إِلَيْهِ أَقْوَى، وَلَا مَعْنَى لِلْحُبِّ إِلَّا الْمَيْلُ إِلَى مَا فِي إِدْرَاكِهِ لَذَّةٌ كَمَا عَرَفْتَ، فَإِذًا لَا يُنْكِرُ حُبَّ اللهِ إِلَّا مَنْ لَمْ يَتَجَاوَزْ إِدْرَاكُهُ رُتْبَةَ الْبَهَائِمِ، وَقَعَدَ فِي رُتْبَةِ الْحَوَاسِّ[4].

---

(1) الإحياء: 4/ 293 ـ 294.

(2) سمي، في رئيس الكتاب.

(3) الإحياء: 4/ 296.

(4) المصدر نفسه: 4/ 297.

الْمَطْلَبُ الثَّانِي: **فِي أَقْسَامِ الْمَحَبَّةِ وَأَسْبَابِهَا**

وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ حَيٍّ يُحِبُّ دَوَامَ وُجُودِهِ، وَيَكْرَهُ الْمَوْتَ وَالْقَتْلَ، وَيُحِبُّ أَيْضًا كَمَالَ وُجُودِهِ، وَيَكْرَهُ نَقْصَهُ. وَلَمَّا تَوَقَّفَ كَمَالُ الْوُجُودِ وَدَوَامُهُ عَلَى سَلَامَةِ الْأَعْضَاءِ يُحِبُّهَا أَيْضًا، وَلَمَّا كانَ الْمَالُ آلَةً فِي دَوَامِ وُجُودِهِ يُحِبُّهُ أَيْضًا، وَكَذَلِكَ لَمَّا كانَ الْوَلَدُ يَخْلُفُهُ فِي الْوُجُودِ يُحِبُّهُ أَيْضًا، وَذَلِكَ لِفَرْطِ حُبِّهِ لِبَقَاءِ نَفْسِهِ، لَمَّا عَجَزَ أَنْ يَطْمَعَ فِي بَقَاءِ نَفْسِهِ طَمَعَ فِي أَنْ يَبْقَى جُزْءٌ مِنْهُ، وَكَذَلِكَ الْأَقَارِبُ وَالْعَشَائِرُ لَمَّا كَانُوا وَسَائِلَ إِلَى كَمَالِهِ يُحِبُّهُمْ.

فَإِذًا الْمَحْبُوبُ عِنْدَ كُلِّ حَيٍّ ذَاتُهُ، وَكَمَالُ ذَاتِهِ، وَدَوَامُ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَالْمَكْرُوهُ عِنْدَهُ ضِدُّ ذَلِكَ كُلِّهِ. فَهَذَا هُوَ أَوَّلُ الْأَسْبَابِ.

وَالسَّبَبُ الثَّانِي: الْإِحْسَانُ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ عَبْدُ الْإِحْسَانِ، وَقَدْ جُبِلَتِ الْقُلُوبُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا، وَبُغْضِ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهَا. وَهَذَا بِالْحَقِيقَةِ يَنْدَرِجُ فِي حُبِّ دَوَامِ الْوُجُودِ أَوْ كَمَالِهِ بِالْمَالِ، إِلَّا أَنَّهُ سَبَبٌ بَعِيدٌ، وَالْمَالُ سَبَبٌ قَرِيبٌ.

الثَّالِثُ: أَنْ يُحِبَّ الشَّيْءَ لِذَاتِهِ، لَا لِحَظٍّ يُنَالُ مِنْهُ، بَلْ تَكُونُ ذَاتُهُ عَيْنَ حَظِّهِ؛ كَحُبِّ الْجَمَالِ وَالْحُسْنِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ كَذَلِكَ، لَا لِأَنْ يَنْتَفِعَ بِصَاحِبِهِ بِقَضَاءِ الشَّهَوَاتِ(1).

---

(1) الإحياء: 4/ 298.

السَّبَبُ الرَّابِعُ: أَنَّ الْحُسْنَ وَالْجَمَالَ غَيْرُ مُنْحَصِرٍ في الْمَحْسُوسَاتِ، بَلْ هُوَ في غَيْرِ الْمَحْسُوسَاتِ أَعْظَمُ وَأَقْوَى؛ كَمَا يُقَالُ: هَذَا خُلُقٌ حَسَنٌ، وَعِلْمٌ حَسَنٌ، وَهَذِهِ سِيرَةٌ حَسَنَةٌ، وَأَخْلَاقٌ جَمِيلَةٌ. أَلَا تَرَى أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ مَحْبُوبُونَ بِالطَّبْعِ عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ، وَكَذَا النَّاسُ يُحِبُّونَ أَبَا حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيَّ وَمَالِكًا مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْهُمْ، وَإِنَّمَا حُبُّهُمْ لِصِفَاتِهِم الْبَاطِنَةِ مِنَ الْعِلْمِ وَالدِّينِ وَالتَّقْوَى[1].

السَّبَبُ الْخَامِسُ: الْمُنَاسَبَةُ الْخَفِيَّةُ بَيْنَ الْمُحِبِّ وَالْمَحْبُوبِ، إِذْ رُبَّ شَخْصَيْنِ تَتَأَكَّدُ الْمَحَبَّةُ بَيْنَهُمَا، لا بِسَبَبِ جَمَالٍ، أَوْ حَظٍّ، بَلْ بِمُجَرَّدِ تَنَاسُبِ الْأَرْوَاحِ، كَمَا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ»[2].

ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْأَسْبَابَ إِذَا اجْتَمَعَتْ في شَخْصٍ كانَ حُبُّهُ أَشَدَّ وَأَقْوَى وَأَكْمَلَ. وَأَيْضًا يَتَفَاوَتُ بِحَسَبِ قُوَّةِ هَذِهِ الْخِصَالِ وَضُعْفِهَا فِيهِ.

ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْأَسْبَابَ كُلَّهَا مُجْتَمِعَةٌ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَى عَلَى وَجْهِ الْقُوَّةِ وَالْكَمَالِ، فَلَا مَحَبَّةَ فَوْقَ مَحَبَّتِهِ عَزَّ وَجَلَّ[3].

وَتَفْصِيلُ ذَلِكَ، أَنَّ الْحُبَّ لِأَجْلِ دَوَامِ الْوُجُودِ وَكَمَالِهِ وَبَقَائِهِ مَوْجُودٌ في

---

(1) الإحياء: 4/ 299.

(2) مسند أحمد: 13/ 319، رقم: 7935، وصحيح البخاري: 3/ 1213، رقم: 3158، وصحيح مسلم: 4/ 2031، رقم: 2638.

(3) الإحياء: 4/ 301.

حَقِّ اللهِ تَعَالَى عَلَى وَجْهِ الْكَمَالِ؛ إِذْ لَيْسَ وُجُودُهُ، وَلَا دَوَامُ وُجُودِهِ، وَلَا كَمَالُ وُجُودِهِ إِلَّا مِنَ اللهِ تَعَالَى وَبِاللهِ وَإِلَى اللهِ، فَهُوَ الْمُخْتَرِعُ وَالْمُبْقِي وَالْمُكَمِّلُ، إِذِ الْعَبْدُ عَدَمٌ صِرْفٌ لَوْلَا إِيجَادُهُ تَعَالَى، وَهَالِكٌ مَحْضٌ لَوْلَا إِبْقَاؤُهُ تَعَالَى، وَنَاقِصٌ لَوْلَا تَكْمِيلُهُ تَعَالَى.

وَكذَا الْحُبُّ لِلْإِحْسَانِ[1] فَلَيْسَ إِلَّا اللهُ تَعَالَى، فَإِنَّهُ الَّذِي أَنْعَمَ بِخَلْقِكَ، وَخَلْقِ مَالِكَ، وَخَلْقِ قُدْرَتِكَ وَإِرَادَتِكَ وَدَاعِيَتِكَ. وَكَذَا كُلُّ مَالٍ يَصِلُ إِلَيْكَ فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ اللهِ تَعَالَى بِالذَّاتِ. وَالْيَدُ الظَّاهِرَةُ وَسِيلَةٌ مُضْطَرَّةٌ اضْطِرَارَ مَجْرَى الْمَاءِ فِي جَرَيَانِ الْمَاءِ فِيهِ، فَهُوَ الْمُنْفَرِدُ بِالْجُودِ وَالْإِحْسَانِ، وَالطَّوْلِ وَالِامْتِنَانِ.

وَكَذَا حُبُّ شَخْصٍ لِذَاتِهِ لَا إِحْسَانِهِ؛ مِثْلَ أَنْ تَسْمَعَ فِي الشَّرْقِ مَلِكًا عَالِمًا عَابِدًا عَادِلًا، مُتَلَطِّفًا بِالنَّاسِ، فَإِنَّكَ تَمِيلُ إِلَيْهِ - وَهُوَ الْحُبُّ - مَعَ أَنَّكَ آيِسٌ مِنْ خَيْرِهِ؛ وَكَذَا إِذَا سَمِعْتَ مَلِكًا بِضِدِّ ذَلِكَ، فَإِنَّكَ تَنْفِرُ عَنْهُ - وَهُوَ الْبُغْضُ - مَعَ أَنَّكَ آمِنٌ مِنْ شَرِّهِ.

وَلَا يَخْفَى أَنَّ الْمُسْتَحِقَّ بِمِثْلِ هَذِهِ الْمَحَبَّةِ لَيْسَ إِلَّا الله تَعَالَى، إِذْ هُوَ الْمُحْسِنُ إِلَى الْكَافَّةِ، الْمُتَفَضِّلُ عَلَى أَصْنَافِ الْخَلَائِقِ، أَوَّلًا بِإِيجَادِهِمْ، ثُمَّ بِتَكْمِيلِهِمْ بِالْأَعْضَاءِ وَالْأَسْبَابِ الضَّرُورِيَّةِ، ثُمَّ بِتَنْعِيمِهِمْ بِخَلْقِ الْأَسْبَابِ

(1) للإنسان، في رئيس الكتاب.

الْمُحْتَاجِ إِلَيْهَا وَإِنْ لَمْ تَكُنْ ضَرُورِيَّةً، ثُمَّ بِتَجْمِيلِهِمْ بِالْمَزَايَا وَالزَّوَائِدِ الَّتِي هِيَ مَظِنَّةُ زِينَتِهِمْ؛ كَالثِّيَابِ الْجَمِيلَةِ، وَالْمَرَاكِبِ الْحَسَنَةِ[1].

أَمَّا مَحَبَّةُ شَخْصٍ لِجَمَالِهِ[2] الْمَعْنَوِيِّ مِنَ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ فَلَيْسَ أَحَقَّ بِتِلْكَ الْمَحَبَّةِ مِنَ اللهِ تَعَالَى.

أَمَّا الْعِلْمُ، فَأَيْنَ عِلْمُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ مِنْ عِلْمِ اللهِ الَّذِي يُحِيطُ بِالْكُلِّ، حَتَّى لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، بَلْ نِسْبَةُ عِلْمِ اللهِ تَعَالَى إِلَى أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ؛ أَكْثَرُ مِنْ نِسْبَةِ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَى أَجْهَلِ أَهْلِ الْأَرْضِ؛ لِأَنَّ زِيَادَتَهُ بِقَدْرٍ مُتَنَاهٍ، وَزِيَادَةَ عِلْمِ اللهِ تَعَالَى غَيْرُ مُتَنَاهِيَةٍ.

وَأَمَّا الْقُدْرَةُ، فَلَا قُدْرَةَ وَلَا قَادِرَ إِلَّا وَهُوَ أَثَرٌ مِنْ آثَارِ قُدْرَتِهِ، فَلَهُ الْجَمَالُ وَالْبَهَاءُ، وَالْعَظَمَةُ وَالْكِبْرِيَاءُ، وَالْقَهْرُ وَالِاسْتِيلَاءُ. فَإِنْ كَانَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يُحِبَّ قَادِرًا لِكَمَالِ قُدْرَتِهِ فَلَا يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ أَحَدٌ سِوَاهُ.

وَأَمَّا التَّنَزُّهُ عَنِ الْعُيُوبِ، الَّذِي هُوَ أَحَدُ مُوجِبَاتِ الْحُبِّ، فَلَا يُتَصَوَّرُ عَلَى وَجْهِ الْكَمَالِ إِلَّا لِلْوَاحِدِ الْحَقِّ، الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ، ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، إِذْ كُلُّ مَخْلُوقٍ وَإِنْ كانَ مُنَزَّهًا عَنِ النَّقَائِصِ وَالْعُيُوبِ، فَلَا يَخْلُو عَنْ نَقْصٍ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ، بَلْ عَنْ نَقَائِصَ، وَلَا أَقَلَّ كَوْنَهُ عاجِزًا مَخْلُوقًا، مُسَخَّرًا مُضْطَرًّا، وَلَا كَمَالَ إِلَّا لِلَّهِ وَحْدَهُ[3].

---

(1) الإحياء: 4/ 302 ـ 303.

(2) بجماله، في رئيس الكتاب.

(3) الإحياء: 4/ 404- 305.

وَأَمَّا الْمَحَبَّةُ لِأَجْلِ الْمُنَاسَبَةِ وَالْمُشَاكَلَةِ، لِأَنَّ شِبْهَ الشَّيْءِ مُنْجَذِبٌ إِلَيْهِ، وَالشَّكْلَ إِلَى الشَّكْلِ أَمْيَلُ. وَالْمُنَاسَبَةُ إِمَّا فِي مَعْنًى ظَاهِرٍ، وَذَلِكَ لَا يَخْفَى؛ وَقَدْ يَكُونُ لِأَمْرٍ بَاطِنٍ. وَذَلِكَ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَى إِمَّا مُمْكِنُ التَّعْبِيرِ، بِأَنْ يَقْرُبَ مِنَ اللهِ تَعَالَى فِي الصِّفَاتِ الَّتِي أَمَرَنَا بِأَنْ نَتَخَلَّقَ بِهَا، حَتَّى قِيلَ: «تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللهِ»[1]، وَذَلِكَ مِثْلَ الْعِلْمِ وَالْإِحْسَانِ وَالْبِرِّ، وَالرَّحْمَةِ عَلَى الْخَلْقِ، وَإِفَاضَةِ الْخَيْرِ، وَإِرْشَادِهِمْ إِلَى الْحَقِّ، وَنَحْوِ ذَلِكَ؛ وَإِمَّا غَيْرُ مُمْكِنِ التَّعْبِيرِ، بَلْ يُشَارُ إِلَيْهِ بِالرَّمْزِ فَقَطْ، مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[2]، وَقَوْلِهُ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾[3]؛ إِذْ لَمْ يَسْتَحِقَّ آدَمُ خِلَافَةَ اللهِ إِلَّا بِتِلْكَ الْمُنَاسَبَةِ. وَإِلَيْهِ يَرْمُزُ قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»[4].

وَمِنْ تِلْكَ الْمُنَاسَبَةِ مَا سَمَّوْهُ قُرْبَ النَّوَافِلِ بَعْدَ كَمَالِ الْفَرَائِضِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِكَايَةً عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «لَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَلِسَانَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ»[5].

وَهَذَا مَوْضِعٌ يَجِبُ فِيهِ كَفُّ عِنَانِ الْقَلَمِ، إِذِ النَّاسُ تَحَزَّبُوا حِزْبَيْنِ؛

---

(1) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي: 5، والمقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى للغزالي: 150.

(2) سورة الإسراء الآية: 85.

(3) سورة ص الآية: 26.

(4) الضعفاء الكبير: 2/ 251، رقم: 806، وتأويل مختلف الحديث: 320، والإحياء: 4/ 307.

(5) المفردات في غريب القرآن: 891، وميزان العمل للغزالي: 400، والإحياء: 4/ 327.

قَاصِرُونَ مَائِلُونَ إِلَى التَّشْبِيهِ الظَّاهِرِ، وَمُغَالُونَ مُسْرِفُونَ تَجَاوَزُوا حَدَّ الْمُنَاسَبَةِ إِلَى الِاتِّحَادِ وَالْحُلُولِ، حَتَّى ضَلَّ النَّصَارَى وَقَالُوا فِي عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ الْإِلَهُ. وَقالَ بَعْضُهُمْ: تَدَرَّعَ النَّاسُوتُ بِاللَّاهُوتِ. وَقَالَ آخَرُونَ: اتَّحَدَ بِهِ. وَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ: أَنَا الْحَقُّ.

وَأَمَّا الَّذِينَ انْكَشَفَ لَهُمُ اسْتِحَالَةُ التَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ، وَاسْتِحَالَةُ الِاتِّحَادِ وَالْحُلُولِ، وَاتَّضَحَ لَهُمْ مَعَ ذَلِكَ حَقِيقَةُ السِّرِّ، فَهُمُ الْأَقَلُّونَ، وَهَذِهِ الْمُنَاسَبَةُ هِيَ أَقْوَى أَسْبَابِ الْحُبِّ وَأَعْظَمُهَا، وَأَبْعَدُهَا وَأَعَزُّهَا، وَأَقَلُّهَا وُجُودًا[1].

(1) الإحياء: 4/ 307.

الْمَطْلَبُ الثَّالِثُ

وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ قُوَّةٍ فِي الْإِنْسَانِ لَمْ تُخْلَقْ عَبَثًا، بَلْ لِأَجْلِ إِدْرَاكِ مَا يُلَائِمُهَا، وَإِنَّمَا لَذَّتُهَا في الْوُصُولِ إِلَى مُدْرَكِهَا.

ثُمَّ إِنَّ في الْإِنْسَانِ قُوَّةً رَبَّانِيَّةً هِيَ الْعَقْلُ، وَلَذَّتُهَا إِدْرَاكُ الْعُلُومِ. وَلَا يَخْفَى أَنَّ اللَّذَّةَ الْعِلْمِيَّةَ أَقْوَى مِنَ اللَّذَّةِ الْحِسِّيَّةِ، إِذِ الْإِنْسَانُ لَا يَصْبِرُ عَنِ الْعِلْمِ، وَالتَّمَدُّحِ بِهِ، وَلَوْ فِي الشَّيْءِ الْحَقِيرِ؛ كَالشَّطْرَنْجِ مَثَلًا. وَلَوْ ذَكَرَ أَحَدٌ فِي مُقَابَلَتِهِ لَذَّةَ الْأَكْلِ، لَرُبَّمَا نُسِبَ أَهْلُهُ إِلَى الْبَهِيمِيَّةِ وَعَابُوهُ.

ثُمَّ لا يَخْفَى أَنَّ لَذَّةَ الْعِلْمِ بِحَسَبِ شَرَفِ الْمَعْلُومِ، فَمَعْرِفَةُ اللهِ تَعَالَى أَلَذُّ مِنْ جَمِيعِ الْمَعَارِفِ، إِذْ لَا مَعْلُومَ أَشْرَفُ مِنْ ذَلِكَ.

وَأَيْضًا هِيَ أَبَدِيَّةٌ سَرْمَدِيَّةٌ لَا يَقْطَعُهَا الْمَوْتُ، إِذْ مَحَلُّهَا الْأَمْرُ الرَّبَّانِيُّ، الَّذِي هُوَ بَاقٍ لَا يَفْنَى. وَلَعَمْرِي طُلَّابُ الْعُلُومِ يَجِدُونَ عِنْدَ انْكِشَافِ الْمُشْكِلَاتِ لَذَّةً عَظِيمَةً يَعْرِفُهَا أَهْلُهَا، فَكَيْفَ حَالُهَا إِذَا كانَ الِانْكِشَافُ فِي جَمَالِ اللهِ تَعَالَى وَجَلَالِهِ، إِذْ يَعْرِضُ لَهُ حِينَئِذٍ مِنَ الْفَرَحِ مَا يَكَادُ يَطِيرُ بِهِ، حَتَّى يَتَعَجَّبَ مِنْ نَفْسِهِ في ثَبَاتِهِ، وَاحْتِمَالِهِ لِقُوَّةِ فَرَحِهِ وَسُرُورِهِ. وَهَذَا مِمَّا لَا يُدْرِكُهُ إِلَّا مَنْ ذَاقَهَا، وَلَعَلَّ مَنْ لَمْ يَذُقْهَا يُنْكِرُ ذَلِكَ كَمَا يُنْكِرُ الصَّبِيُّ لَذَّةَ السَّلْطَنَةِ.

وَلَيْتَ شِعْرِي مَنْ لَا يَفْهَمُ إِلَّا حُبَّ الْمَحْسُوسَاتِ كَيْفَ يُؤْمِنُ بِلَذَّةِ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِ اللهِ تَعَالَى، وَلَيْسَ لَهُ صُورَةٌ وَلَا شَكْلٌ، مَعَ أَنَّ الرُّؤْيَةَ الْأُخْرَوِيَّةَ أَكْمَلُ الِانْكِشَافَاتِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُدْرَكَاتِ الْمُتَخَيَّلَةَ إِدْرَاكُهَا حَالَ الرُّؤْيَةِ أَتَمُّ مِنْ إِدْرَاكِهَا حَالَ التَّخَيُّلِ، وَالدُّنْيَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْآخِرَةِ بِمَنْزِلَةِ الْخَيَالِ[1].

فَإِذَا ارْتَفَعَ حِجَابُ الْبَدَنِ، فَإِنْ لَمْ يَبْقَ فِي النَّفْسِ كُدُورَاتُ الدُّنْيَا، يُشَاهِدُ رَبَّهُ فِي الْحَالِ، وَإِنْ بَقِيَ فِيهَا كُدُورَاتٌ، لَا تَنْفَكُّ عَنْهَا أَصْلًا، فَهَؤُلَاءِ هُمُ الْمَحْجُوبُونَ عَنْ رَبِّهِمْ أَبَدَ الْآبَادِ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْهُمْ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْقَى فِيهِ أَثَرٌ ضَعِيفٌ، فَيُعْرَضُ على النَّارِ لِتَزْكِيَتِهَا بِقَدْرِ الْحَاجَةِ إِلَى التَّزْكِيَةِ، وَأَقَلُّهَا لَحْظَةٌ خَفِيفَةٌ، وَأَقْصَاهَا فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِينَ سَبْعَةُ آلَافِ سَنَةٍ. فَإِذَا تَطَهَّرَتِ النَّفْسُ عَنِ الْكُدُورَاتِ يَتَجَلَّى لَهُ الْحَقُّ تَجَلِّيًا، يَكُونُ تَجَلِّيهِ بِالْإِضَافَةِ إِلَى عِلْمِهِ كَانْكِشَافِ الْمَرْئِيَّاتِ بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْمُتَخَيَّلَاتِ؛ وَهَذِهِ الْمُشَاهَدَةُ وَالتَّجَلِّي تُسَمَّى رُؤْيَةً، لَكِنْ لَا بِصُورَةٍ مَخْصُوصَةٍ، وَلَا بِجِهَةٍ وَمَكَانٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَتَعَالَى عَنْهُ رَبُّ الْأَرْبَابِ. وَلَا يَكُونُ بَيْنَ الْمُشَاهَدَةِ فِي الْآخِرَةِ وَالْمَعْلُومِ فِي الدُّنْيَا فَرْقٌ إِلَّا مِنْ حَيْثُ زِيَادَةُ الْكَشْفِ وَالْوُضُوحِ. فَيَظْهَرُ مِنْهُ أَنَّ مَنْ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ فِي الدُّنْيَا كَيْفَ يَرَاهُ فِي الْآخِرَةِ.

وَلَمَّا كَانَتِ الْمَعْرِفَةُ عَلَى دَرَجَاتٍ كَانَ التَّجَلِّي أَيْضًا عَلَى دَرَجَاتٍ مُتَفَاوِتَةٍ، إِذْ تَخْتَلِفُ بِقِلَّتِهَا وَكَثْرَتِهَا وَقُوَّتِهَا وَضُعْفِهَا وَجِنْسِهَا، وَلِذَلِكَ قَالَ

---

(1) الإحياء: 4/ 308ـ310.

النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَتَجَلَّى لِلنَّاسِ عَامَّةً، وَلِأَبِي بَكْرٍ خَاصَّةً»[1].

وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمَّا فَضَلَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا بِسِرٍّ وَقَرَ فِي صَدْرِهِ فُضِّلَ لَا مَحَالَةَ بِتَجَلٍّ انْفَرَدَ بِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ تُقَاسُ لَذَّةُ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ تَعَالَى بِلَذَّةِ الْمَعْرِفَةِ فِي الدُّنْيَا وَهِيَ ضَعِيفَةٌ؟

فَاعْلَمْ أَنَّ اسْتِحْقَارَ لَذَّةِ الْمَعْرِفَةِ لِلْخُلُوِّ عَنِ الْمَعْرِفَةِ، وَإِلَّا فَلَذَّتُهَا فَوْقَ سَائِرِ اللَّذَائِذِ، بَلْ لِلْعَارِفِينَ لَذَائِذُ لَمْ يَسْتَبْدِلُوا بِهَا فِي الدُّنْيَا الْجَنَّةَ، مَعَ أَنَّ هَذِهِ اللَّذَّةَ لَا نِسْبَةَ لَهَا أَصْلًا إِلَى لَذَّةِ اللِّقَاءِ وَالْمُشَاهَدَةِ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَهَلْ مَحَلُّ الرُّؤْيَةِ فِي الْآخِرَةِ الْقَلْبُ أَوِ الْعَيْنُ؟

فَاعْلَمْ أَنَّ أَرْبَابَ الْبَصَائِرِ مَطْمَحُ نَظَرِهِمْ الرُّؤْيَةُ بِأَيِّ آلَةٍ وَقَعَتْ، وَأَمَّا أَهْلُ النَّظَرِ فَقَدِ اخْتَلَفُوا، وَالْحَقُّ أَنَّهَا بِالْعَيْنِ، كَمَا هُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، لِيَكُونَ لَفْظُ الرُّؤْيَةِ وَالنَّظَرِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ مِمَّا وَرَدَ فِي الشَّرْعِ مُجْرًى عَلَى ظَاهِرِهِ، إِذْ لَا يَجُوزُ صَرْفُ الْأَلْفَاظِ عَنِ الظَّوَاهِرِ إِلَّا لِضَرُورَةٍ[2].

---

(1) المستدرك على الصحيحين: 3/ 83، رقم: 4463، والكامل في ضعفاء الرجال: 6/ 370 والموضوعات لابن الجوزي: 1/ 305، والإحياء: 4/ 313.

(2) الإحياء: 4/ 311-314.

الْمَطْلَبُ الرَّابِعُ: فِي أَسْبَابِ مَحَبَّةِ الْعَبْدِ لِلَّهِ تَعَالَى

وَاعْلَمْ أَنَّ أَسْعَدَ النَّاسِ حَالًا، وَأَكْمَلَهُمْ لَذَّةً فِي الْآخِرَةِ، أَقْوَاهُمْ حُبًّا لِلَّهِ تَعَالَى. وَأَصْلُ الْحُبِّ لَا يَنْفَكُّ عَنْهُ مُؤْمِنٌ، إِذْ لَا يَنْفَكُّ عَنْ أَصْلِ الْمَعْرِفَةِ؛ وَأَمَّا قُوَّةُ الْحُبِّ الْمُنْتَهِي إِلَى رُتْبَةِ الْعِشْقِ فَذَلِكَ يَنْفَكُّ عَنْهُ الْأَكْثَرُونَ.

وَإِنَّمَا طَرِيقُ تَحْصِيلِهِ قَطْعُ عَلَائِقِ الدُّنْيَا، وَإِخْرَاجُ حُبِّ غَيْرِ اللهِ مِنَ الْقَلْبِ، وَكَمَالُ الْحُبِّ فِي أَنْ يُحِبَّهُ بِكُلِّ قَلْبِهِ، فَبِقَدْرِ مَا يَشْتَغِلُ بِغَيْرِ اللهِ يَنْقُصُ مِنْهُ. وَمِنْهُ حُبُّ الْمَالِ وَالْأَهْلِ وَالْوَلَدِ وَالْأَقَارِبِ وَالْعَقَارِ وَالدَّوَابِّ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَمِنْ جُمْلَةِ طُرُقِهِ: قُوَّةُ مَعْرِفَةِ اللهِ تَعَالَى، وَاتِّسَاعِهَا وَاسْتِيلَائِهَا عَلَى الْقَلْبِ، وَذَلِكَ بَعْدَ تَطْهِيرِ الْقَلْبِ مِنْ شَوَاغِلِ الدُّنْيَا وَعَلَائِقِهَا، وَهِيَ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ الَّتِي أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ(1). وَلَا يُوصِلُ إِلى هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ إِلَّا الْفِكْرُ الصَّافِي، وَالذِّكْرُ الدَّائِمُ.

وَالْوَاصِلُونَ إِلَى هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ إِمَّا أَقْوِيَاءُ، يَعْرِفُونَ اللهَ أَوَّلًا، ثُمَّ يَعْرِفُونَ غَيْرَهُ بِهِ، وَإِمَّا ضُعَفَاءُ، يَعْرِفُونَ الْأَفْعَالَ أَوَّلًا، ثُمَّ يَتَرَقَّوْنَ مِنْهَا إِلَى الْفَاعِلِ. وَهَذَا الطَّرِيقُ هُوَ الْأَسْهَلُ عَلَى الْأَكْثَرِ، وَالْأَوْسَعُ عَلَى السَّالِكِ، وَذَلِكَ يَحْصُلُ بِالتَّفَكُّرِ(2) فِي عَجَائِبِ الْآفَاقِ وَالْأَنْفُسِ، وَمَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؛ إِذْ

---

(1) اقتبس هنا كلامه من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ سورة إبراهيم الآية: 24.

(2) بالفكر، في أنطاليا ورئيس الكتاب.

لَا يَبْلُغُ فَهْمُنَا إِلَى اسْتِقْصَائِهَا، وَمَا بَلَغَ إِلَيْهِ فَهْمُنَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا فِي عِلْمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ كَقَطْرَةٍ مِنْ بَحْرٍ، وَكَذَا لَا نِسْبَةَ لِعُلُومِهِمْ إِلَى مَا اسْتَأْثَرَ اللهُ تَعَالَى بِعِلْمِهِ. فَإِذَا اسْتَغْرَقْتَ فِي هَذَا الْفِكْرِ ازْدَادَتْ مَحَبَّتُكَ جِدًّا[1].

ثُمَّ إِنَّ تَفَاوُتَ النَّاسِ فِي الْمَحَبَّةِ كَتَفَاوُتِهِمْ فِي الْمَعْرِفَةِ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ لَمْ يَعْرِفُوا اللهَ تَعَالَى إِلَّا بِالصِّفَاتِ وَالْأَسْمَاءِ.

ثُمَّ إِنَّ بَعْضًا مِنْهُمْ آمَنُوا بِهَا إِيمَانَ تَسْلِيمٍ، وَتَرَكُوا الْبَحْثَ وَهُمْ أَهْلُ السَّلَامَةِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَخَيَّلُ لَهَا مَعَانِيَ يَتَعَالَى عَنْهَا رَبُّ الْأَرْبَابِ، وَهُمُ الضَّالُّونَ، وَالْعَارِفُونَ بِحَقَائِقِهَا هُمُ الْمُقَرَّبُونَ، وَحُبُّهُمْ حُبٌّ لِذَاتِهِ تَعَالَى، فَلَا يَتَغَيَّرُ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ.

وَأَمَّا مَنْ أَحَبَّهُ تَعَالَى لِإِنْعَامِهِ وَإِحْسَانِهِ، فَرُبَّمَا يَتَغَيَّرُ حُبُّهُ عِنْدَ الْبَلَاءِ، أَوْ يَنْقُصُ؛ وَأَمَّا مَنْ أَحَبَّهُ تَعَالَى لِعَجَائِبِ صُنْعِهِ، وَاسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى عَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ، فَذَلِكَ لَا يَتَغَيَّرُ، بَلْ يَزْدَادُ مَتَى ازْدَادَتْ مُطَالَعَتُهُ صُنْعَ اللهِ تَعَالَى وَعَجَائِبَ قُدْرَتِهِ[2].

وَأَمَّا سَبَبُ قُصُورِ النَّاسِ فِي مَعْرِفَةِ اللهِ تَعَالَى فَأَمْرَانِ:

---

(1) الإحياء: 4/ 315 ـ 317.

(2) المصدر نفسه: 4/ 318 ـ 319.

أَحَدُهُمَا: الِانْهِمَاكُ فِي الشَّهَوَاتِ، وَالِاشْتِغَالُ بِأَحْوَالِ نُفُوسِنَا؛ إِذْ مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ. فَمَهْمَا اشْتَغَلَ بِذَلِكَ غَفَلَ عَنْ مَعْرِفَةِ اللهِ تَعَالَى.

وَثَانِيهِمَا: شِدَّةُ ظُهُورِهِ تَعَالَى وَتَنَاهِيهِ فِي وُضُوحِهِ، فَيَصِيرُ [ظُهُورُهُ][1] سَبَبَ خَفَائِهِ. وَتَفْصِيلُ ذَلِكَ هُوَ: أَنَّ الْإِدْرَاكَ وُصُولُ الْمُدْرِكِ بِالْمُدْرَكِ وَإِحَاطَتُهُ بِهِ، فَلَا بُدَّ فِي الْوُصُولِ مِنْ تَمَيُّزِ الْمُدْرَكِ عَنْ غَيْرِهِ عِنْدَهُ، فَمَنْ كَانَ وُجُودُهُ أَخْفَى يَكُونُ تَمْيِيزُهُ عَسِيرًا، فَيَتَعَسَّرُ إِدْرَاكُهُ؛ كَأَحْوَالِ الزَّمَانِ مَثَلًا، فَإِنَّ حَقِيقَةَ الزَّمَانِ لِكَوْنِ وُجُودِهِ أَخْفَى، بِسَبَبِ كَوْنِهِ عَرَضًا وَغَيْرَ قَارٍّ يَعْسُرُ إِدْرَاكُهُ، وَكَذَا مَنْ كانَ وُجُودُهُ أَظْهَرَ وَأَشَدَّ وَأَقْوَى لَا يُمْكِنُ تَمْيِيزُهُ عَنْ غَيْرِهِ، وَلَا إِحَاطَةُ الْمُدْرِكِ بِهِ، فَيَتَعَذَّرُ إِدْرَاكُهُ؛ كَالنُّورِ مَثَلًا، فَإِنَّهُ لِظُهُورِهِ عِنْدَ الْحِسِّ يَعْسُرُ إِدْرَاكُهُ، حَتَّى لَوْ لَمْ يَعْقُبْ ضِدَّهُ أَعْنِي الظُّلْمَةَ لَمْ يُمْكِنْ تَمْيِيزُهُ أَصْلًا.

فَحِينَئِذٍ حَقِيقَةُ الْوَاجِبِ تَعَالَى لَمَّا كَانَ فِي الْعَقْلِ بِمَنْزِلَةِ النُّورِ بِالْقِيَاسِ إِلَى الْبَصَرِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ضِدٌّ يَتَبَيَّنُ بِسَبَبِهِ، لَمْ يَكُنْ لِلْعَقْلِ تَمْيِيزُهُ عَنْ غَيْرِهِ. وَأَيْضًا لِقُوَّتِهِ وَإِحَاطَتِهِ بِالْكُلِّ، تَعَذَّرَ لِلْعَقْلِ إِحَاطَتُهُ وَمَعْرِفَتُهُ، «فَسُبْحَانَ مَنِ احْتَجَبَ بِإِشْرَاقِ نُورِهِ، وَاخْتَفَى عَنِ الْبَصَائِرِ وَالْأَبْصَارِ بِظُهُورِهِ»[2]. وَقِيلَ: [البسيط]

لَقَدْ ظَهَرْتَ فَمَا تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ ... إِلَّا عَلَى أَكْمَهٍ لَا يَعْرِفُ الْقَمَرَا[3]

---

(1) سقطت من رئيس الكتاب.

(2) الإحياء: 4/ 321، ومختصر منهاج القاصدين: 346.

(3) ورد البيتان بدون نسبة في نفح الطيب: 5/ 300، والأول منهما أيضا غير منسوب في قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر: 5/ 258.

لَكِنْ بطَنْتَ فَمَا أَظْهَرْتَ مُحْتَجِبًا فَكَيْفَ يُعْرَفُ مَنْ بِالْعِزَّةِ اسْـتَتَرَا

فَهَذَا هُوَ السَّبَبُ في قُصُورِ الْأَفْهَامِ عَنْ مَعْرِفَةِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَام.

إلَّا أَنَّ مَنْ قَوِيَتْ بَصِيرَتُهُ، وَلَمْ تَضْعُفْ مِنَّتُهُ في حَالِ اعْتِدَالِ أَمْرِهِ، لا يَرَى إِلَّا اللهَ، وَلَا يَعْرِفُ غَيرَ اللهِ، وَيَعْرِفُ أَنَّهُ لَيْسَ في الْوُجُودِ إِلَّا اللهُ، وَأَفْعَالُهُ أَثَرٌ مِنْ آثَارِ قُدْرَتِهِ، فَهِيَ تَابِعَةٌ لَهَا، وَلَا وُجُودَ لَهَا بِالْحَقِيقَةِ، وَإِنَّمَا الْوُجُودُ لِلْوَاحِدِ الْحَقِّ فَقَطْ. فَعِنْدَ ذَلِكَ لَا تَحْتَاجُ مَعْرِفَتُهُ إِلَى تَمْيِيزِهِ عَنْ غَيْرِهِ، إِذْ لا غَيْرَ لَهُ، فَلَا يَكُونُ نَاظِرًا إِلَّا في اللهِ، وَلَا عَارِفًا إِلَّا بِاللهِ، وَلَا مُحِبًّا إِلَّا لِلَّهِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَى نَفْسِهِ أَيْضًا، بَلْ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ عَبْدُ اللهِ، فَهَذَا هُوَ الَّذِي فَنِيَ فِي التَّوْحِيدِ عَنْ نَفْسِهِ. وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِ مَنْ قَالَ: كُنَّا بِنَا فَفَنَيْنَا عَنَّا فَبَقِينَا بِلَا نَحْنُ[1].

وَإِذَا عَرَفْتَ مَحَبَّةَ اللهِ تَعَالَى، فَاعْلَمْ أَنَّ الْمَحَبَّةَ مُسْتَتْبِعَةٌ لِلشَّوْقِ، فَلَعَلَّ مَنْ أَنْكَرَهَا يُنْكِرُهُ أَيْضًا.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُدْرَكَ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ لَا يُشْتَاقُ إِلَيْهِ، وَكَذَا مَا لَمْ يُدْرَكْ أَصْلًا، وَإِنَّمَا الشَّوْقُ لِمَنْ أُدْرِكَ مِنْ وَجْهٍ، وَلَمْ يُدْرَكْ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ. فَاللهُ تَعَالَى وَإِنْ كَانَ مُدْرَكًا لِلْعَارِفِينَ لَكِنَّهُ غَيْرُ مُدْرَكٍ لَهُمْ مِنْ وَجْهَيْنِ:

(1) الإحياء: 4/ 320 ـ 322.

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْخَيَالَ فِي هَذَا الْعَالَمِ لَا يَفْتُرُ عَنِ التَّمْثِيلِ وَالْمُحَاكَاةِ لِجَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ، وَهِيَ مُكَدِّرَاتٌ لِلْمَعَارِفِ، فَلَا تَتَضِّحُ الْمَعْلُومَاتُ لِأَجْلِهَا غَايَةَ الِاتِّضَاحِ.

وَثَانِيهِمَا: أَنَّ مَا انْكَشَفَ لِكُلِّ عَبْدٍ بَعْضٌ مِنَ الْأُمُورِ، وَإِلَّا فَالْأُمُورُ الْإِلَهِيَّةُ لا نِهَايَةَ لَهَا، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَشْتَاقُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَى مَعْرِفَةِ اللهِ تَعَالَى مِنْ جِهَةِ الِاتِّضَاحِ، وَمِنْ جِهَةِ الزِّيَادَةِ وَالشَّوْقِ. الْأَوَّلُ يَنْدَفِعُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ بِالْمَعْنَى الَّذِي يُسَمَّى رُؤْيَةً وَمُشَاهَدَةً وَلِقَاءً؛ وَأَمَّا الشَّوْقُ الثَّانِي فَيُشْبِهُ أَنْ لَا يَنْتَهِيَ فِي الْآخِرَةِ أَيْضًا، إِذِ الْأُمُورُ الْإِلَهِيَّةُ لَا تَتَنَاهَى، إِلَّا أَنَّ هَذَا الشَّوْقَ لَمَّا كانَ فِي عَيْنِ الْوِصَالِ لَا يَظْهَرُ فِيهِ أَلَمٌ. وَالْآيَاتُ وَالْأَخْبَارُ فِي إِثْبَاتِ الشَّوْقِ أَكْثَرُ وَأَشْهَرُ[1].

(1) الإحياء: 4/ 323-324.

الْمَطْلَبُ الْخَامِسُ: فِي مَحَبَّةِ اللهِ تَعَالَى لِلْعَبْدِ

وَقَدْ وَرَدَ ذَلِكَ فِي الشَّرْعِ. إِلَّا أَنَّ الْمَحَبَّةَ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَى مَعْنًى مَجَازِيٌّ لَهَا؛ لِأَنَّ الْمَحَبَّةَ مَيْلٌ لِلنَّفْسِ إِلَى مَا يُوَافِقُهَا، فَلَا بُدَّ فِيهَا مِنْ عَدَمِ مَا يُوَافِقُهَا، وَذَلِكَ مُحَالٌ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَى؛ إِذْ كُلُّ جَمَالٍ وَكَمَالٍ حَاصِلٌ لَهُ تَعَالَى بِالْفِعْلِ، بَلْ مَحَبَّتُهُ لَيْسَ إِلَّا إِلَى ذَاتِهِ تَعَالَى وَأَفْعَالِهِ، وَلَيْسَ فِي الْوُجُودِ شَيْءٌ غَيْرَ ذَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، فَهُوَ لَا يُحِبُّ إِلَّا ذَاتَهُ، وَمَا وَرَدَ مِنْ حُبِّهِ لِعِبَادِهِ فَمُؤَوَّلٌ، وَيَرْجِعُ مَعْنَاهُ إِلَى كَشْفِهِ الْحِجَابَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى يَرَاهُ بِقَلْبِهِ، وَإِلَى تَمْكِينِهِ إِيَّاهُ مِنَ الْقُرْبِ مِنْهُ، وَإِلَى إِرَادَتِهِ ذَلِكَ بِهِ فِي الْأَزَلِ. فَحُبُّهُ لِمَنْ أَحَبَّهُ أَزَلِيٌّ إِنْ نُسِبَ إِلَى قُدْرَتِهِ الْأَزَلِيَّةِ، وَحَادِثٌ بِحُدُوثِ السَّبَبِ الْمُقْتَضِي لَهُ إِذَا أُضِيفَ إِلَى فِعْلِهِ، كَمَا قَالَ: «وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ».

إِلَّا أَنَّهُ قُرْبٌ بِالصِّفَةِ لَا بِالْمَكَانِ، إِلَّا أَنَّ هَذَا التَّغَيُّرَ عَلَى الْعَبْدِ لَا عَلَى الرَّبِّ، وَالْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ بِقَدْرِ قُرْبِهِ وَكَمَالِهِ، وَإِذْ لَا نِهَايَةَ لِلْكَمَالِ فَلَا نِهَايَةَ فِي دَرَجَاتِ الْقُرْبِ[1].

ثُمَّ إِنَّ لِمَحَبَّةِ اللهِ لِلْعَبْدِ عَلَامَاتٍ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا ابْتَلَاهُ، فَإِنْ أَحَبَّهُ الْحُبَّ الْبَالِغَ اقْتَنَاهُ، قِيلَ: وَمَا اقْتِنَاؤُهُ؟ قَالَ: لَمْ يَتْرُكْ لَهُ مَالًا وَلَا أَهْلًا»[2].

---

(1) الإحياء: 4/ 327 ـ 328.

(2) قوت القلوب في معاملة المحبوب: 1/ 405، والإحياء: 4/ 329.

فَعَلَامَةُ مَحَبَّةِ اللهِ لِلْعَبْدِ أَنْ يُوحِشَهُ مِنْ غَيْرِهِ، وَيَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ. وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا جَعَلَ لَهُ وَاعِظًا مِنْ نَفْسِهِ، وَزَاجِرًا مِنْ قَلْبِهِ، يَأْمُرُهُ وَيَنْهَاهُ»[1]، فَأَخَصُّ عَلَامَاتِهِ حُبُّهُ لِلَّهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى حُبِّ اللهِ.

وَأَمَّا الْفِعْلُ الدَّالُّ عَلَى كَوْنِهِ مَحْبُوبًا فَهُوَ أَنْ يَتَوَلَّى اللهُ أَمْرَهُ، ظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ، سِرَّهُ وَجَهْرَهُ، فَيَكُونَ هُوَ الْمُشِيرَ إِلَيْهِ، وَالْمُدَبِّرَ لِأَمْرِهِ، وَالْمُزَيِّنَ لِأَخْلَاقِهِ، وَالْمُسْتَعْمِلَ لِجَوَارِحِهِ، وَالْمُسَدِّدَ لِظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ، وَالْجَاعِلَ هُمُومَهُ هَمًّا وَاحِدًا، وَالْمُبَغِّضَ الدُّنْيَا فِي قَلْبِهِ، وَالْمُوحِشَ لَهُ مِنْ غَيْرِهِ، وَالْمُؤْنِسَ لَهُ بِلَذَّةِ الْمُنَاجَاةِ فِي خَلَوَاتِهِ، وَالْكَاشِفَ لَهُ عَنِ الْحُجُبِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ[2].

وَأَمَّا عَلَامَاتُ مَحَبَّةِ الْعَبْدِ لِلَّهِ تَعَالَى فَهِيَ كَثِيرَةٌ، إِلَّا أَنَّ وُجُودَهَا أَعَزُّ مِنَ الْكِبْرِيتِ الْأَحْمَرِ، وَإِنْ كَثُرَ مُدَّعِيهَا.

مِنْهَا: حُبُّ لِقَائِهِ فِي دَارِ السَّلَامِ، وَإِذَا عَلِمَ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ بِدُونِ الْمَوْتِ فَيُحِبُّ الْمَوْتَ لِأَجْلِهِ.

وَمِنْهَا: حُبُّ الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللهِ. وَأَمَّا مَنْ لَا يُحِبُّ الْمَوْتَ - كَمَا هُوَ حَالُ أَكْثَرِ النَّاسِ - فَإِمَّا لِمَحَبَّةِ الْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ وَالْمَالِ، فَذَلِكَ الْقَلْبُ خَالٍ لَا مَحَالَةَ عَنْ مَحَبَّةِ اللهِ تَعَالَى؛ وَإِمَّا لِأَنَّهُ يُحِبُّ هَؤُلَاءِ حُبًّا مَا، لَا بِكُلِّ قَلْبِهِ،

---

(1) حلية الأولياء: 10/ 99، والإحياء: 4/ 329، وتخريج أحاديث الإحياء: 5/ 2359.

(2) الإحياء: 4/ 329.

فَمَحَبَّةُ اللهِ فِيهِ ضَعِيفَةٌ؛ وَإِمَّا لِأَنَّهُ لَا يُحِبُّهُ لِعَدَمِ اسْتِعْدَادِهِ الْآنَ لِلِقَاءِ اللهِ، فَذَلِكَ مِنْ أَمَارَاتِ[1] الْمَحَبَّةِ[2].

وَمِنْهَا: أَنْ يُؤْثِرَ مَا أَحَبَّهُ اللهُ عَلَى مَا يُحِبُّهُ في ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ، فَيَتَجَنَّبَ اتِّبَاعَ الْهَوَى، وَيُعْرِضَ عَنْ دَعَةِ الْكَسَلِ، وَلَا يَزَالَ مُوَاظِبًا عَلَى طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى، وَمُتَقَرِّبًا إِلَيْهِ بِالنَّوَافِلِ، وَطَالِبًا عِنْدَهُ مَزَايَا الدَّرَجَاتِ. وَأَمَّا الْعِصْيَانُ، فَإِنْ لَمْ يَضُرَّ أَصْلَ الْمَحَبَّةِ؛ إِذْ قَدْ يَأْكُلُ الْمَرِيضُ مَا يَضُرُّهُ وَإِنْ عَلِمَ ضَرَرَهُ، لَكِنْ تَضْعُفُ مَعْرِفَتُهُ، فَيَعْجِزُ عَنِ الْقِيَامِ بِحَقِّ الْمَحَبَّةِ.

وَمِنْهَا: حُبُّ ذِكْرِهِ، لِأَنَّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا أَكْثَرَ ذِكْرَهُ، وَحُبُّ كَلَامِهِ وَهُوَ الْقُرْآنُ، وَحُبُّ رَسُولِهِ وَكُلِّ مَا يُنْسَبُ إِلَيْهِ، بَلْ عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ لِأَنَّهُمْ حَبِيبُهُ، بَلْ حُبُّ كُلِّ الْخَلْقِ لِأَنَّهُمْ خَلْقُهُ، وَمَنْ أَحَبَّ أَحَدًا يُحِبُّ كُلَّ مَا في مَحَلَّتِهِ. وَحُبُّ الْأَشْيَاءِ الْمَذْكُورَةِ مِنْ حَيْثُ نِسْبَتُهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى لَيْسَ مَحَبَّةً لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَى بَلْ مَحَبَّةٌ لَهُ تَعَالَى.

وَمِنْهَا: أَنْ يَتَلَذَّذَ بِالْخَلْوَةِ مَعَهُ، وَبِمُنَاجَاتِهِ فِي اللَّيَالِي، وَبِتِلَاوَةِ كِتَابِهِ، فَيُوَاظِبَ عَلَى التَّهَجُّدِ، وَيَغْتَنِمَ هُدُوءَ اللَّيْلِ، وَصَفَاءَ الْوَقْتِ[3].

وَمِنْهَا: أَنْ لَا يَأْسَفَ عَلَى مَا يَفُوتُهُ مِمَّا سِوَى اللهِ، وَيَعْظُمَ تَأَسُّفُهُ عَلَى فَوْتِ سَاعَةٍ خَلَتْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَطَاعَتِهِ.

---

(1) آثار، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(2) الإحياء: 4/ 330.

(3) الإحياء: 4/ 331-332.

وَمِنْهَا: أَنْ يَتَنَعَّمَ بِالطَّاعَةِ، وَلَا يَسْتَثْقِلَهَا، وَيَسْقُطَ عَنْهُ تَعَبُهَا.

وَمِنْهَا: أَنْ يَكُونَ مُشْفِقًا عَلَى جَمِيعِ عِبَادِ اللهِ، شَدِيدًا عَلَى جَمِيعِ أَعْدَاءِ اللهِ، وَعَلَى كُلِّ مَنْ يُقَارِفُ شَيْئًا مِمَّا يَكْرَهُهُ اللهُ، وَلَا يَصْرِفُهُ عَنِ الْغَضَبِ لِلَّهِ صَارِفٌ.

وَمِنْهَا: أَنْ يَكُونَ فِي حُبِّهِ خَائِفًا مُتَضَائِلًا تَحْتَ الْهَيْبَةِ وَالتَّعْظِيمِ. وَإِدْرَاكُ الْعَظَمَةِ يُوجِبُ الْهَيْبَةَ كَمَا أَنَّ إِدْرَاكَ الْجَمَالِ يُوجِبُ الْمَحَبَّةَ.

وَلِلْمُحِبِّينَ مَخَاوِفُ فِي مَقَامِ الْمَحَبَّةِ؛ فَأَوَّلُهَا: خَوْفُ الْإِعْرَاضِ، وَأَشَدُّ مِنْهُ خَوْفُ الْحِجَابِ، وَأَشَدُّ مِنْهُ خَوْفُ الْإِبْعَادِ، إِلَّا أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْظُمُ فِي قَلْبٍ أَلِفَ الْقُرْبَ وَذَاقَهُ وَتَنَعَّمَ بِهِ.

ثُمَّ أَهْلُ الْخُصُوصِ رُبَّمَا يَحْجُبُهُمْ عَنِ الْمَزِيدِ مُجَرَّدُ الدَّعْوَى وَالْعُجْبِ، وَالرُّكُونُ إِلَى مَا ظَهَرَ مِنْ مَبَادِئِ اللُّطْفِ، وَذَلِكَ هُوَ الْمَكْرُ الْخَفِيُّ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَى الِاحْتِرَازِ عَنْهُ إِلَّا ذَوُو الْأَقْدَامِ[1] الرَّاسِخَةِ.

وَمِنْهَا: كِتْمَانُ الْحُبِّ، وَاجْتِنَابُ الدَّعْوَى، وَالتَّوَقِّي مِنْ إِظْهَارِ الْوَجْدِ وَالْمَحَبَّةِ، تَعْظِيمًا لِلْمَحْبُوبِ، وَإِجْلَالًا لَهُ، وَهَيْبَةً مِنْهُ، وَغَيْرَةً عَلَى سِرِّهِ؛ فَإِنَّ الْحُبَّ سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِ الْحَبِيبِ؛ وَلِأَنَّهُ قَدْ يَدْخُلُ فِي الدَّعْوَى مَا يَتَجَاوَزُ حَدَّ الْمَعْنَى وَيَزِيدُ عَلَيْهِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ مِنَ الِافْتِرَاءِ، وَتَعْظُمُ الْعُقُوبَةُ عَلَيْهِ فِي

---

(1) الأقلام، في رئيس الكتاب.

الْعُقْبَى، وَتَتَعَجَّلُ عَلَيْهِ الْبَلْوَى فِي الدُّنْيَا، إِلَّا أَنْ يَغْلِبَ عَلَيْهِ سُكْرٌ اضْطَرَّهُ إِلَى إِظْهَارِهِ فَيُعْذَرَ. وَإِنَّمَا يَقْبُحُ التَّظَاهُرُ بِالْحُبِّ لَا إِظْهَارُهُ، لِمَا فِي التَّظَاهُرِ مِنَ الدَّعَاوَى وَالِاسْتِكْبَارِ.

وَحَقُّ الْمُحِبِّ[1] أَنْ تَنِمَّ عَلَى حُبِّهِ الْخَفِيِّ أَعْمَالُهُ وَأَحْوَالُهُ، دُونَ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يُظْهِرَ حُبَّهُ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ إِلَى الْإِظْهَارِ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَصْدُهُ إِطْلَاعَ الْحَبِيبِ فَقَطْ؛ فَأَمَّا إِرَادَتُهُ[2] إِطْلَاعَ غَيْرِهِ فَشِرْكٌ فِي الْحُبِّ وَقَادِحٌ فِيهِ، إِلَّا إِذَا غَلَبَ سُكْرُ الْحُبِّ، فَانْطَلَقَ اللِّسَانُ، وَاضْطَرَبَتِ الْأَعْضَاءُ، فَلَا يُلَامُ فِيهِ صَاحِبُهُ[3].

(1) الحب، في قونية.

(2) إرادة، في قونية ورئيس الكتاب.

(3) الإحياء: 4/ 333 ـ 338.

الْمَطْلَبُ السَّادِسُ: فِي الْأُنْسِ وَالرِّضَا وَالشَّوْقِ

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ كُلَّهَا مِنْ ثَمَرَاتِ الْمَحَبَّةِ، إِلَّا أَنَّ الْمُحِبَّ إِذَا تَطَلَّعَ إِلَى مُنْتَهَى الْجَمَالِ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِ الْغَيْبِ، وَاسْتَشْعَرَ قُصُورَهُ عَنِ الِاطِّلَاعِ عَلَى كُنْهِ الْجَلَالِ، انْزَعَجَ قَلْبُهُ لِلطَّلَبِ وَهَاجَ إِلَيْهِ، فَتُسَمَّى هَذِهِ الْحَالَةُ فِي الِانْزِعَاجِ شَوْقًا، وَهُوَ بِالْإِضَافَةِ إِلَى أَمْرٍ غَائِبٍ. وَإِذَا غَلَبَ عَلَيْهِ الْفَرَحُ بِالْقُرْبِ، وَمُشَاهَدَةِ الْحُضُورِ بِمَا هُوَ حَاصِلٌ مِنَ الْكَشْفِ، وَغَيْرَ مُلْتَفِتٍ إِلَى مَا لَمْ يُدْرِكْهُ بَعْدُ، اسْتَبْشَرَ الْقَلْبُ بِمَا يُلَاحِظُهُ، فَيُسَمَّى اسْتِبْشَارُهُ أُنْسًا.

وَإِنْ كَانَ نَظَرُهُ إِلَى صِفَاتِ الْعَجْزِ وَالِاسْتِغْنَاءِ، وَعَدَمِ الْمُبَالَاةِ، وَخَطَرِ إِمْكَانِ الزَّوَالِ وَالْبُعْدِ، تَأَلَّمَ قَلْبُهُ بِهَذَا الِاسْتِشْعَارِ، فَيُسَمَّى تَأَلُّمُهُ خَوْفًا.

وَأَمَّا عَلَامَةُ الْأُنْسِ فَضِيقُ الصَّدْرِ مِنْ مُعَاشَرَةِ الْخَلْقِ، وَالتَّبَرُّمُ بِهِمْ، وَاسْتِهْتَارُهُ بِعُذُوبَةِ الذِّكْرِ، حَتَّى إِنَّهُ إِنْ خَالَطَ الْخَلْقَ يَكُونُ كَمُنْفَرِدٍ فِي جَمَاعَةٍ، وَمُجْتَمِعٍ فِي خَلْوَةٍ، وَغَرِيبٍ فِي حَضَرٍ، وَحَاضِرٍ فِي سَفَرٍ، وَشَاهِدٍ فِي غَيْبَةٍ، وَغَائِبٍ فِي حُضُورٍ، وَمُخَالِطٍ بِالْبَدَنِ، مُنْفَرِدٍ بِالْقَلْبِ.

وَبَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ أَنْكَرُوا الْأُنْسَ وَالْحُبَّ وَالشَّوْقَ، وَظَنُّوا أَنَّ هَذِهِ تَشْبِيهٌ، وَذَلِكَ لِجَهْلِهِمْ أَنَّ جَمَالَ الْمُدْرَكَاتِ بِالْبَصَائِرِ أَكْمَلُ مِنْ جَمَالِ الْمُبْصَرَاتِ، وَإِنْكَارُ ذَلِكَ مِنَ الْقُصُورِ. وَأَنْكَرَ بَعْضُهُمْ مَقَامَ الرِّضَا وَقَالَ:

لَيْسَ إِلَّا الصَّبْرُ، وَهَذَا أَيْضًا كَلَامٌ قَاصِرٌ، يَقْتَصِرُ مِنَ الْمَقَامَاتِ عَلَى الْقُشُورِ، وَهَؤُلَاءِ مَعْذُورُونَ، إِلَّا أَنَّ عُذْرَهُمْ غَيْرُ مَقْبُولٍ[1].

وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُنْسَ إِذَا دَامَ غَلَبَ وَاسْتَحْكَمَ، وَلَمْ يُشَوِّشْهُ قَلَقُ الشَّوْقِ، وَلَمْ يُنَغِّصْهُ خَوْفُ التَّغَيُّرِ وَالْحِجَابِ، فَإِنَّهُ يُثْمِرُ نَوْعًا مِنَ الِانْبِسَاطِ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ مَعَ اللهِ تَعَالَى.

وَقَدْ يَكُونُ مُنْكَرَ الصُّورَةِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْجَرَاءَةِ وَقِلَّةِ الْهَيْبَةِ، وَلَكِنَّهُ مُحْتَمَلٌ مِمَّنْ أُقِيمَ فِي مَقَامِ الْأُنْسِ. وَمَنْ لَمْ يَقُمْ فِيهِ، وَتَشَبَّهَ بِهِ فِي الْفِعْلِ وَالْكَلَامِ هَلَكَ بِهِ، وَأَشْرَفَ عَلَى الْكُفْرِ.

يُحْكَى أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ خَرَجَ يَسْتَسْقِي فِي سَبْعِينَ أَلْفًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِ: كَيْفَ أَسْتَجِيبُ لَهُمْ وَهُمْ يَدْعُونَنِي عَلَى غَيْرِ يَقِينٍ، وَيَأْمَنُونَ مَكْرِي؟ ارْجِعْ إِلَى عَبْدِي بَرْخٍ[2] ـ وَهُوَ عَبْدٌ أَسْوَدُ ـ حَتَّى أَسْتَجِيبَ لَهُمْ، فَسَأَلَ عَنْهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَمْ يُعْرَفْ. وَقَدِ اسْتَقْبَلَهُ عَبْدٌ أَسْوَدُ وَبَيْنَ[3] عَيْنَيْهِ تُرَابٌ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ، فِي شَمْلَةٍ[4] قَدْ عَقَدَهَا عَلَى عُنُقِهِ، فَعَرَفَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِنُورِ النُّبُوَّةِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَطَلَبَ مِنْهُ الدُّعَاءَ. فَقَالَ فِي كَلَامِهِ: «مَا هَذَا مِنْ فِعَالِكَ، وَلَا هَذَا مِنْ حِلْمِكَ، وَمَا الَّذِي بَدَا لَكَ،

---

(1) الإحياء: 4/ 339 ـ 340.

(2) بزخ، في أنطاليا.

(3) بين، في رئيس الكتاب أنطاليا.

(4) الشَّمْلَةُ عند العرب، مئزر من صوف أو شعر يُؤْتَزَرُ به. اللسان/ شمل.

أَنَقَصتْ عَلَيْكَ عُيُونُكَ، أَمْ عَانَدَتْكَ الرِّيَاحُ عَنْ طَاعَتِكَ، أَمْ نَفِدَ مَا عِنْدَكَ، أَمِ اشْتَدَّ غَضَبُكَ عَلَى الْمُذْنِبِينَ، أَلَسْتَ كُنْتَ غَفَّارًا قَبْلَ خَلْقِ الْخَطَّائِينَ، وَأَمْثَال ذَلِكَ». فَمَا بَرِحَ حَتَّى اخْضَلَّتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِالْمَطَرِ، وَأَنْبَتَ اللهُ تَعَالَى الْعُشْبَ فِي نِصْفِ يَوْمٍ حَتَّى بَلَغَ الرُّكَبَ. قَالَ بَرْخٌ: كَيْفَ رَأَيْتَ يَا مُوسَى حِينَ خَاصَمْتُ رَبِّي كَيْفَ أَنْصَفَنِي، فَهَمَّ بِهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ أَنَّ بَرْخًا يُضْحِكُنِي كُلَّ يَوْمٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِنَ الْمُحِبِّينَ كَثِيرَةٌ[1].

---

(1) الإحياء: 4/ 341.

الْمَطْلَبُ السَّابِعُ: في الرِّضَا

وَهِيَ مِنْ أَعْلَى الْمَقَامَاتِ. وَقَدْ أَنْكَرَهَا طَائِفَةٌ لِغُمُوضِهَا، وَقَالُوا: إِنْ أَمْكَنَ الرِّضَا بِكُلِّ شَيْءٍ لِأَنَّهُ مِنْ أَفْعَالِ اللهِ تَعالَى فَيَنْبَغِي أَنْ يَرْضَى بِالْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي. وَانْخَدَعَ قَوْمٌ فَرَأَوا التَّسْلِيمَ بِالْفُجُورِ وَالْفِسْقِ، وَتَرْكِ الْإِنْكَارِ مِنْ بَابِ الرِّضَا، وَلَيْسَ كَذَلِكَ.

وَبَيَانُ الْحَقِّ فِيهِ: أَنَّ فَضِيلَةَ الرِّضَا ثَابِتَةٌ بِالْآيَاتِ نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[1]؛ وَقَوْلِهِ: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾[2]. وَمُنْتَهَى الْإِحْسَانِ رِضَا اللهِ تَعَالَى عَنْ عَبْدِهِ، وَهُوَ ثَوَابُ رِضَا الْعَبْدِ عَنْهُ. وَنَحْوُ ذَلِكَ فِي الْآيَاتِ وَالْأَخْبَارِ كَثِيرَةٌ[3].

وَأَمَّا حَقِيقَتُهُ: فَإِنَّ الرِّضَا مِمَّا تُثْمِرُهُ[4] الْمَحَبَّةُ، وَذَلِكَ لِوَجْهَيْنِ:

إِمَّا أَنْ لَا يُحِسَّ الْأَلَمَ، وَلَا يُدْرِكَهُ، لِاسْتِغْرَاقِهِ بِمُشَاهَدَةِ مَحْبُوبِهِ.

وَإِمَّا أَنْ يُحِسَّ بِهِ، وَيُدْرِكَ الْأَلَمَ، وَلَكِنْ يَرْضَى بِهِ بَلْ يَرْغَبُ فِيهِ، مُرِيدًا بِعَقْلِهِ، وَإِنْ كانَ كَارِهًا بِطَبْعِهِ؛ كَمَنْ يَجِدُ أَلَمَ الْفَصْدِ وَيَرْضَى بِهِ، بَلْ يَشْكُرُ الْفَصَّادَ.

---

(1) سورة المائدة الآية: 119.

(2) سورة الرحمن الآية: 60.

(3) الإحياء: 4/ 344.

(4) يثمر، في قونية.

وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ لِطَلَبِ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ، وَقَدْ يَكُونُ لِكَوْنِ رِضَا حَبِيبِهِ مَطْلُوبًا، وَمُرَادًا عِنْدَهُ[1].

وَأَمَّا الْفِسْقُ وَالْفُجُورُ وَالْمَعَاصِي، فَلَهَا وَجْهَانِ:

وَجْهٌ إِلَى اللهِ تَعَالَى مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ فِعْلُهُ وَاخْتِيَارُهُ وَإِرَادَتُهُ، فَيَرْضَى بِهِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، تَسْلِيمًا لِلْمَلِكِ إِلَى مَالِكِ الْمُلْكِ، وَرِضًا بِمَا يَفْعَلُهُ فيهِ.

وَوَجْهٌ إِلَى الْعَبْدِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ كَسْبُهُ وَوَصْفُهُ، وَعَلَامَةُ كَوْنِهِ مَمْقُوتًا وَبَغِيضًا عِنْدَ اللهِ تَعَالَى، فَهُوَ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ مُنْكَرٌ وَمَذْمُومٌ. فَالسُّكُوتُ عَنْهُ وَتَسْمِيَتُهُ حُسْنَ خُلُقٍ؛ جَهْلٌ مَحْضٌ.

وَلَا يَخْفَى أَنَّ الرِّضَا وَالْكَرَاهَةَ ضِدَّانِ لَا يَجْتَمِعَانِ مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَكِنْ مِنْ جِهَتَيْنِ فَجَائِزٌ، وَبِهَذَا يَتَقَرَّرُ كَيْفِيَّةُ الْجَمْعِ بَيْنَ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ، وَبَيْنَ الْبُغْضِ فِي اللهِ، وَالْحُبِّ فِي اللهِ، وَالتَّشْدِيدِ وَالتَّغْلِيظِ عَلَى الْكُفَّارِ، وَالْمُبَالَغَةِ فِي مَقْتِهِمْ.

وَبِالْجُمْلَةِ، الْخَيْرُ وَالشَّرُّ كِلَاهُمَا مِنَ اللهِ تَعَالَى، وَمَنْ قَالَ: الشَّرُّ لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ جَاهِلٌ، وَكَذَا مَنْ قَالَ: إِنَّ كِلَيْهِمَا مِنْهُ بِوَجْهٍ وَاحِدٍ؛ بَلِ الشَّرُّ مُرَادٌ مَكْرُوهٌ، وَالْخَيْرُ مُرَادٌ مُرْضٍ، وَوَرَاءَ هَذَا سِرُّ الْقَدَرِ الَّذِي مُنِعَ عَنْ إِفْشَائِهِ[2].

---

(1) الإحياء: 4/ 347.

(2) الإحياء: 4/ 352 ـ 353.

وَأَمَّا الدُّعَاءُ لِلْبَلَاءِ مَعَ وُجُوبِ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ، فَلِأَنَّ الدُّعَاءَ يَسْتَخْرِجُ مِنْهُمْ صَفَاءَ الذِّكْرِ، وَخُشُوعَ الْقَلْبِ، وَرِقَّةَ التَّضَرُّعِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ جَلَاءً لِلْقَلْبِ، وَمِفْتَاحًا لِلْكَشْفِ، وَسَبَبًا لِتَوَاتُرِ مَزَايَا اللُّطْفِ، فَيَكُونُ الدُّعَاءُ مِنْ قَبِيلِ مُبَاشَرَةِ الْأَسْبَابِ. وَلَا يَخْفَى أَنَّ الرِّضَا مِنْ بَابِ التَّوَكُّلِ، وَقَدْ عَرَفْتَ أَنْ لَا مُنَافَاةَ بَيْنَ مُبَاشَرَةِ الْأَسْبَابِ وَالتَّوَكُّلِ.

وَأَمَّا الْفِرَارُ مِنْ بِلَادٍ تَكْثُرُ فِيهَا الْمَعَاصِي فَلَا يُخَالِفُ الرِّضَا، وَلَيْسَ ذَلِكَ فِرَارًا مِنَ الْقَضَاءِ، بَلْ مِنَ الْقَضَاءِ الْفِرَارُ مِمَّا لَا بُدَّ مِنَ الْفِرَارِ مِنْهُ.

وَأَمَّا نَهْيُ الْفِرَارِ عَنْ بَلَدِ الطَّاعُونِ، فَذَلِكَ لَيْسَ لِحُرْمَةِ الْخُرُوجِ، بَلْ لِئَلَّا يُهْمَلَ أَمْرُ الْمَرْضَى فَيَهْلِكُونَ هَزْلًا وَضُرًّا. وَقَدْ عَرَفْتَ تَفْصِيلَ ذَلِكَ[1].

---

(1) الإحياء: 4/ 354-355.

الْأَصْلُ السَّابِعُ: فِي النِّيَّةِ وَالْإِخْلَاصِ وَالصِّدْقِ

وَفِيهِ مَطَالِبُ:

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ: فِي النِّيَّةِ

أَمَّا فَضِيلَتُهَا: فَبِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾[1]؛ وَالْمُرَادُ بِالْإِرَادَةِ: النِّيَّةُ.

وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»، وَنَحْوَ ذَلِكَ.

وَأَمَّا حَقِيقَتُهَا: فَاعْلَمْ أَنَّ النِّيَّةَ وَالْإِرَادَةَ وَالْقَصْدَ عِبَارَاتٌ مُتَوَارِدَةٌ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ، وَهُوَ صِفَةٌ لِلْقَلْبِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْإِنْسَانَ يُوَافِقُهُ بَعْضُ الْأُمُورِ وَيُخَالِفُهُ بَعْضُهَا فَافْتَقَرَ أَوَّلًا إِلَى مَعْرِفَةِ الْمُلَائِمِ أَيِ النَّافِعِ، وَالضَّارِّ أَيِ الْمُنَافِرِ. فَخَلَقَ اللهُ فِيهِ الْهِدَايَةَ وَالْمَعْرِفَةَ لِأَجْلِ ذَلِكَ، وَجَعَلَ لَهَا أَسْبَابًا، وَهِيَ الْحَوَاسُّ الظَّاهِرَةُ وَالْبَاطِنَةُ، ثُمَّ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ لَا تَكْفِي فِي حُصُولِ أَمْرٍ إِنْ لَمْ يَشْتَهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ، فَخَلَقَ اللهُ تَعَالَى لَهُ الْمَيْلَ وَالرَّغْبَةَ وَالْإِرَادَةَ، أَعْنِي نُزُوعًا فِي نَفْسِهِ إِلَيْهِ، وَتَوَجُّهًا فِي قَلْبِهِ إِلَيْهِ.

ثُمَّ ذَلِكَ لَا يَكْفِيهِ إِنْ عَجَزَ عَنْ تَحْصِيلِهِ، فَخَلَقَ اللهُ تَعَالَى لَهُ الْقُدْرَةَ وَالْأَعْضَاءَ لِلْحَرَكَةِ، فَالْعُضْوُ لَا يَتَحَرَّكُ إِلَّا بِالْقُدْرَةِ، وَهِيَ تَنْتَظِرُ الدَّاعِيَةَ الْبَاعِثَةَ، وَهِيَ تَنْتَظِرُ الْعِلْمَ وَالْمَعْرِفَةَ، أَوِ الظَّنَّ وَالِاعْتِقَادَ. فَالنِّيَّةُ عِبَارَةٌ عَنِ

---

(1) سورة الأنعام الآية: 52.

الصِّفَةِ الْمُتَوَسِّطَةِ، وَهِيَ إِرَادَةُ وَانْبِعَاثُ النَّفْسِ بِحُكْمِ الرَّغْبَةِ وَالْمَيْلِ إِلَى مَا هُوَ مُوَافِقٌ لِلْغَرَضِ إِمَّا في الْحَالِ، أَوْ فِي الْمَآلِ[1].

ثُمَّ إِنَّ انْتِهَاضَ الْقُدْرَةِ لِلْعَمَلِ قَدْ يَكُونُ بِبَاعِثٍ وَاحِدٍ، وَقَدْ يَكُونُ بِبَاعِثَيْنِ، إِمَّا بِالِاجْتِمَاعِ فِي التَّأْثِيرِ، أَوْ تَأْكِيدِ التَّأْثِيرِ، فَهَاهُنَا أَقْسَامٌ أَرْبَعَةٌ:

الْأَوَّلُ: أَنْ يَنْفَرِدَ الْبَاعِثُ الْوَاحِدُ؛ كَهُجُومِ السَّبُعِ فِي الْهَرَبِ، فَلَا نِيَّةَ لَهُ غَيْرُهُ. وَهَذِهِ تُسَمَّى خَالِصَةً، وَالْعَمَلُ بِمُوجِبِهَا إِخْلَاصًا.

الثَّانِي: أَنْ يَجْتَمِعَ بَاعِثَانِ كُلٌّ مِنْهُمَا كَافٍ بِالِانْتِهَاضِ لَوِ انْفَرَدَ؛ كَأَنْ يَتَصَدَّقَ لِقَرِيبِهِ الْفَقِيرِ لِفَقْرِهِ وَقَرَابَتِهِ، وَيُسَمَّى هَذَا مُرَافَقَةَ الْبَوَاعِثِ.

الثَّالِثُ: أَنْ يَقْوَى مَجْمُوعُهَا عَلَى الِانْتِهَاضِ دُونَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا؛ كَالتَّصَدُّقِ عِنْدَ النَّاسِ لِغَرَضِ الثَّوَابِ وَالثَّنَاءِ مَعًا، حَتَّى لَوْ كانَ الطَّالِبُ فَاسِقًا لَكَانَ لَا يُعْطِيهِ، أَوْ كانَ صَالِحًا وَطَلَبَهُ فِي الْخَلْوَةِ لَا يُعْطِيهِ أَيْضًا. وَيُسَمَّى هَذَا الْجِنْسُ مُشَارَكَةً.

الرَّابِعُ: أَنْ يَسْتَقِلَّ أَحَدُهُمَا لَوِ انْفَرَدَ، وَالْآخَرُ لَا يَسْتَقِلُّ، وَلَكِنْ لَمَّا انْضَافَ إِلَيْهِ لَمْ يَنْفَكَّ عَنِ تَأْثِيرٍ بِالْإِعَانَةِ وَالتَّسْهِيلِ؛ مِثْلَ: أَنْ يَتَصَدَّقَ عِنْدَ النَّاسِ، وَلَكِنْ عَلِمَ أَنَّهُ لَوْ كانَ خَالِيًا لَمْ يَفْتُرْ عَنْ عَمَلِهِ، وَلَكِنْ صَارَ الْفِعْلُ أَخَفَّ عَلَيْهِ بِسَبَبِ مُشَاهَدَتِهِمْ. وَيُسَمَّى هَذَا الْجِنْسُ الْمُعَاوَنَةَ.

---

(1) الإحياء: 4/ 361 ـ 365.

وَاعْلَمْ: أَنَّ قَوْلَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نِيَّةُ الْمَرْءِ[1] خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ»[2].

قِيلَ: مَعْنَاهُ أَنَّ النِّيَّةَ سِرٌّ، وَلِعَمَلِ السِّرِّ فَضْلٌ. وَهَذَا صَحِيحٌ، إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ بِمُرَادٍ، إِذْ يَقْتَضِي عُمُومُ الْحَدِيثِ أَنْ تَكُونَ نِيَّةُ ذِكْرِ اللهِ خَيْرًا مِنْ ذِكْرِهِ بِقَلْبِهِ.

قِيلَ: إِنَّ النِّيَّةَ تَدُومُ إِلَى آخِرِ الْعُمُرِ دُونَ الْعَمَلِ، وَهُوَ ضَعِيفٌ: إِذْ مَعْنَاهُ أَنَّ الْعَمَلَ الْكَثِيرَ خَيْرٌ مِنَ الْقَلِيلِ، مَعَ أَنَّ النِّيَّةَ لَمْ تَكُنْ إِلَّا فِي لَحَظَاتٍ، فَلَا تَكُونُ خَيْرًا، وَقَدْ دَلَّ عُمُومُ الْحَدِيثِ عَلَى خَيْرِيَّتِهِ.

وَقَدْ يُقَالُ: إِنَّ جِهَةَ النِّيَّةِ فَقَطْ خَيْرٌ مِنْ جِهَةِ الْعَمَلِ فَقَطْ، وَهُوَ كَذَلِكَ، لَكِنَّهُ بَعِيدٌ أَنْ يَكُونَ مُرَادًا، إِذِ الْعَمَلُ بِلَا نِيَّةٍ لَا خَيْرَ فِيهِ أَصْلًا، مَعَ أَنَّ الْمَفْهُومَ مِنَ الْحَدِيثِ اشْتِرَاكُهُمَا فِي أَصْلِ الْخَيْرِيَّةِ.

وَالْحَقُّ أَنَّ الْمُرَادَ أَنَّ لِكُلٍّ مِنَ النِّيَّةِ وَالْعَمَلِ أَثَرًا فِي الْخَيْرِيَّةِ، لَكِنَّ أَثَرَ النِّيَّةِ أَكْثَرُ مِنْ أَثَرِ الْعَمَلِ[3].

---

(1) المؤمن، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(2) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة: 224، وقوت القلوب في معاملة المحبوب: 2/ 269، وشعب الإيمان: 5/ 343، رقم: 6860، والإحياء: 4/ 366.

(3) الإحياء: 4/ 366.

الْمَطْلَبُ الثَّانِي: فِي تَفْضِيلِ الْأَعْمَالِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالنِّيَّةِ

وَالْأَعْمَالُ ثَلَاثَةٌ:

أَحَدُهَا: الْمَعَاصِي، وَهِيَ لَا تَتَغَيَّرُ عَنْ مَوْضُوعَاتِهَا بِالنِّيَّةِ، بَلِ النِّيَّةُ بِهَا شَرٌّ آخَرُ، فَالْقَائِلُ بِهِ إِمَّا مُعَانِدٌ لِلشَّرْعِ، وَإِمَّا جَاهِلٌ عَاصٍ بِجَهْلِهِ، إِذْ طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ؛ مِثَالُ ذَلِكَ مَنْ بَنَى مَسْجِدًا أَوْ مَدْرَسَةً بِمَالٍ حَرَامٍ وَقَصْدُهُ الْخَيْرُ، أَوْ عَلَّمَ عِلْمًا لِمَنْ يَجْعَلُهُ آلَةَ شَرٍّ وَفَسَادٍ، وَقَصَدَ بِذَلِكَ نَشْرَ الْعِلْمِ، فَإِنِ اسْتَعْمَلَهُ هُوَ فِي الْفَسَادِ فَهُوَ الْمُعَاتَبُ لَا أَنَا، إِلَّا أَنَّهُ تَلْبِيسُ الشَّيْطَانِ(1).

وَثَانِيهَا: الطَّاعَاتُ، وَهِيَ مُرْتَبِطَةٌ بِالنِّيَّاتِ فِي أَصْلِ صِحَّتِهَا، وَفَضْلِ طَاعَتِهَا، فَإِنَّ الطَّاعَةَ الْوَاحِدَةَ يُمْكِنُ أَنْ يُنْوَى بِهَا خَيْرَاتٌ كَثِيرَةٌ؛ مِثْلَ أَنْ يَقْعُدَ فِي الْمَسْجِدِ لِلِاعْتِكَافِ، وَلِانْتِظَارِ الصَّلَاةِ، وَلِكَفِّ الْحَوَاسِّ عَنِ الْمَعَاصِي، وَلِلُزُومِ السِّرِّ لِلْفِكْرِ، وَدَفْعِ الشَّوَاغِلِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَلِلتَّجَرُّدِ لِذِكْرِ اللهِ، أَوِ اسْتِمَاعِهِ، وَلِإِفَادَةِ عِلْمٍ، وَلِأَنْ يَسْتَفِيدَ أَخًا فِي اللهِ، وَلِأَنْ يَتْرُكَ الذُّنُوبَ حَيَاءً مِنَ اللهِ تَعَالَى فِي أَنْ يَفْعَلَ الْمَعَاصِيَ فِي بَيْتِهِ(2).

وَثَالِثُهَا: الْمُبَاحَاتُ، وَتَصِيرُ بِالنِّيَّةِ مِنَ الْقُرُبَاتِ، فَمَا أَعْظَمَ خُسْرَانَ مَنْ يَغْفُلُ عَنْهَا؛ مَثَلًا إِنْ تَطَيَّبَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِلتَّلَذُّذِ فَهُوَ حَلَالٌ، إِلَّا أَنَّهُ يُحَاسَبُ عَلَيْهِ، وَيَنْقُصُ مِنْ نَعِيمِ الْآخِرَةِ بِقَدْرِهِ، وَأَمَّا إِذَا تَطَيَّبَ لِدَفْعِ النَّتْنِ عَنْ عِبَادِ

(1) الإحياء: 4/ 368 ـ 369.

(2) المصدر نفسه: 4/ 370 ـ 372.

اللهِ فَيَكُونُ عِبَادَةً، وَإِنْ تَطَيَّبَ لِلتَّفَاخُرِ، أَوْ لِلتَّمَكُّنِ فِي قُلُوبِهِمْ، أَوْ تَوَدُّدٍ إِلَى النِّسَاءِ الْأَجْنَبِيَّاتِ يَكُونُ مَعْصِيَةً.

فَإِيَّاكَ وَإِيَّكَ أَنْ تَسْتَحْقِرَ شَيْئًا مِنْ حَرَكَاتِكَ، فَلَا تَحْتَرِزَ مِنْ شُرُورِهَا وَغُرُورِهَا، وَلا تُعِدَّ الْجَوَابَ يَوْمَ الْحِسَابِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى مُطَّلِعٌ عَلَيْكَ وَشَهِيدٌ: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[1].

ثُمَّ إِنَّ النِّيَّةَ غَيْرُ دَاخِلَةٍ تَحْتَ الِاخْتِيَارِ، فَلَا تَظُنَّ أَنَّ قَوْلَكَ: نَوَيْتُ أَنْ أَدْرُسَ لِلَّهِ، أَوْ أَتَّجِرَ لِلَّهِ نِيَّةً، بَلْ ذَلِكَ حَدِيثُ نَفْسٍ، أَوْ لِسَانٍ، أَوْ فِكْرٍ، أَوِ انْتِقَالٍ مِنْ خَاطِرٍ إِلَى خَاطِرٍ. وَإِنَّمَا النِّيَّةُ انْبِعَاثُ النَّفْسِ وَتَوَجُّهُهَا[2] وَمَيْلُهَا إِلَى مَا ظَهَرَ لَهَا أَنَّ فِيهِ غَرَضَهَا، إِمَّا عَاجِلًا وَإِمَّا[3] آجِلًا. وَالْمَيْلُ إِذَا لَمْ يَكُنِ اخْتِرَاعُهُ وَاكْتِسَابُهُ بِمُجَرَّدِ الْإِرَادَةِ بَلْ ذَلِكَ كَقَوْلِكَ: نَوَيْتُ أَنْ أَشْتَهِيَ الطَّعَامَ، وَأَمِيلَ إِلَيْهِ، بَلْ لَا طَرِيقَ إِلَى اكْتِسَابِهِ إِلَّا بِاكْتِسَابِ أَسْبَابِهِ، وَذَلِكَ مِمَّا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَقَدْ لَا يَقْدِرُ، وَذَلِكَ يَجْرِي مَجْرَى الْفُتُوحِ مِنَ اللهِ تَعَالَى[4].

نَعَمْ مَنْ كَانَ الْغَالِبُ عَلَى قَلْبِهِ أَمْرَ الدِّينِ يَتَيَسَّرُ عَلَيْهِ إِحْضَارُ النِّيَّةِ فِي أَكْثَرِ الْأَحْوَالِ، وَذَلِكَ إِمَّا لِلْخَوْفِ، أَوْ لِلرَّجَاءِ، أَوْ لِذَاتِهِ تَعَالَى وَجَلَالِهِ لَا لِأَمْرٍ سِوَاهُ.

---

(1) سورة ق الآية: 18.

(2) توجيهها، في قونية.

(3) أو، في قونية ورئيس الكتاب.

(4) الإحياء: 4/ 373.

الْمَطْلَبُ الثَّالِثُ: فِي الْإِخْلَاصِ

وَفَضِيلَتُهُ: كَثِيرَةٌ مَذْكُورَةٌ فِي الْآيَاتِ وَالْأَخْبَارِ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[1]؛ وَقَالَ: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾[2]؛ وقَالَ: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[3]. وَالْأَحَادِيثُ وَالْآثَارُ في هَذَا الْبَابِ كَثِيرَةٌ[4].

وَأَمَّا حَقِيقَةُ الْإِخْلَاصِ: فَكُلُّ مَنْ خَلَصَ عَنْ[5] شَوْبِ غَيْرِهِ سُمِّيَ[6] خَالِصًا، وَالْفِعْلُ إِخْلَاصًا. وَيُضَادُّهُ الْإِشْرَاكُ، فَكَمَا أَنَّ الشِّرْكَ جَلِيٌّ وَخَفِيٌّ كَذَا الْإِخْلَاصُ.

ثُمَّ إِنَّ الْإِخْلَاصَ هُوَ النِّيَّةُ بِشَرْطِ كَوْنِ الْبَاعِثِ وَاحِدًا فَقَطْ، فَمَنْ تَصَدَّقَ وَغَرَضُهُ مَحْضُ التَّقَرُّبِ إِلَى اللهِ تَعَالَى فَهُوَ مُخْلِصٌ، وَكَذَا مَنْ تَصَدَّقَ وَغَرَضُهُ مَحْضُ الرِّيَاءِ فَهُوَ مُخْلِصٌ أَيْضًا لُغَةً، إِلَّا أَنَّ الْعُرْفَ يُخَصِّصُ الْإِخْلَاصَ بِالْأَوَّلِ؛ كَمَا أَنَّ الْإِلْحَادَ هُوَ الْمَيْلُ مُطْلَقًا، وَالْعُرْفُ خَصَّصَهُ بِالْمَيْلِ عَنِ الْحَقِّ.

ثُمَّ إِنَّ مَنِ انْبَعَثَ لِقَصْدِ الْقُرْبَةِ وَلَكِنِ امْتَزَجَ بِخَاطِرٍ آخَرَ مِنْ حُظُوظِ النَّفْسِ؛ كَمَنْ صَامَ لِلْقُرْبَةِ وَقَصَدَ مَعَهُ الْحِمْيَةَ، أَوْ حَجَّ لِلْقُرْبَةِ مَعَ قَصْدِ صِحَّةِ

---

(1) سورة الأعراف الآية: 29.

(2) سورة الزمر الآية: 3.

(3) سورة الكهف الآية: 110.

(4) الإحياء: 4/ 376.

(5) من، في رئيس الكتاب.

(6) يسمى، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

الْمِزَاجِ بِحَرَكَةِ السَّفَرِ، أَوْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ لِلَّهِ مَعَ قَصْدِ الْعِزِّ بَيْنَ الْعَشِيرَةِ، أَوْ كَتَبَ مُصْحَفًا لِلْقُرْبَةِ، وَقَصَدَ أَنْ يُجَوِّدَ خَطَّهُ بِالْمُوَاظَبَةِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ الْخَطَرَاتِ الَّتِي يَخِفُّ مَعَهَا الْعَمَلُ، فَقَدْ خَرَجَ بِهَذِهِ عَنِ الْإِخْلَاصِ، وَتَطَرَّقَ إِلَيْهِ الشِّرْكُ. وَلَمَّا كَانَ الْإِنْسَانُ قَلَّمَا يَنْفَكُّ عَنْ أَمْثَالِ هَذِهِ الْحُظُوظِ قِيلَ: مَنْ سَلِمَ لَهُ فِي عُمُرِهِ لَحْظَةٌ وَاحِدَةٌ خَالِصَةٌ لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَى نَجَا.

ثُمَّ إِنَّ هذه الْبَوَاعِثَ إِمَّا أَنْ تَكُونَ مِثْلَ الْقُرْبَةِ، أَوْ أَقْوَى مِنْهُ، أَوْ أَضْعَفَ. وَالْإِخْلَاصُ تَجَرُّدُ النِّيَّةِ عَنْ هَذِهِ الْبَوَاعِثِ كُلِّهَا، حَتَّى يَتَجَرَّدَ فيهِ قَصْدُ الْقُرْبَةِ عَنْ بَاعِثِ غَيْرِهِ، وَهَذَا لَا يُتَصَوَّرُ إِلَّا مِنْ مُحِبٍّ لِلَّهِ تَعَالَى، حَتَّى لا يُحِبَّ الْأَكْلَ وَالشُّرْبَ إِلَّا لِيَتَقَوَّى بِهِمَا عَلَى عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى، فَلَا يَكُونَ لَهُ هَمٌّ إِلَّا اللهُ. وَمَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ، فَبَابُ الْإِخْلَاصِ فِي الْأَعْمَالِ مَسْدُودٌ عَلَيْهِ إِلَّا عَلَى النُّدُورِ. فَعِلَاجُ ذَلِكَ كَسْرُ حُظُوظِ النَّفْسِ، وَالتَّجَرُّدُ لِلْآخِرَةِ. وَغَلَبَ ذَلِكَ عَلَى الْقَلْبِ.

ثُمَّ إِنَّ الْإِنْسَانَ رُبَّمَا يَتْعَبُ فِي الْأَعْمَالِ، وَيَظُنُّهَا خَالِصَةً، وَلَيْسَ كَذَلِكَ. فَهَاهُنَا مَوْضِعُ غُرُورٍ قَلَّمَا يَسْلَمُ مِنْهُ أَحَدٌ، وَقَلَّمَا يَتَنَبَّهُ لَهُ سِيَّمَا الْعُلَمَاءُ، إِذِ الْبَاعِثُ لِلْأَكْثَرِينَ عَلَى نَشْرِ الْعِلْمِ لَذَّةُ الِاسْتِيلَاءِ وَالِاسْتِبْشَارِ بِالْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّ غَرَضَهُ نَشْرُ دِينِ اللهِ، وَالنِّضَالُ عَنْ شَرْعِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَذَا الْحَالُ فِي الْوَاعِظِ[1].

---

(1) الإحياء: 4/ 379ـ380.

وَرُبَّمَا يَظُنُّ الْعَالِمُ أَنَّ نَشْرَهُ لِلْعِلْمِ لِوَجْهِ اللهِ، حَتَّى يَظُنَّ مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ لَوْ قَامَ أَحَدٌ مَقَامَهُ فِيهِ لَفَرِحَ بِهِ وَلَمْ يَغْتَمَّ، إِلَّا أَنَّهُ غُرُورٌ بَاطِلٌ، إِذْ لَا عِبْرَةَ بِوَعْدِ النَّفْسِ قَبْلَ نُزُولِ الْأَمْرِ. فَمَعْرِفَةُ حَقِيقَةِ الْإِخْلَاصِ وَالْعَمَلِ بِهِ بَحْرٌ عَمِيقٌ، يَغْرَقُ فِيهِ الْأَكْثَرُونَ، إِلَّا الشَّاذَّ النَّادِرَ، وَالْفَرْدَ الْفَذَّ[1].

وَالْكَلَامُ فِي تَفْسِيرِ الْإِخْلَاصِ كَثِيرٌ، إِلَّا أَنَّ الْبَيَانَ الشَّافِيَ مَا وَقَعَ عَنْ سَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ سُئِلَ عَنِ الْإِخْلَاصِ، فَقَالَ: «أَنْ تَقُولَ رَبِّيَ اللهُ ثُمَّ تَسْتَقِيمَ كَمَا أُمِرْتَ»[2]؛ أَيْ لَا تَعْبُدْ هَوَاكَ وَنَفْسَكَ، وَلَا تَعْبُدْ إِلَّا رَبَّكَ، وَتَسْتَقِيمُ فِي عِبَادَتِكَ كَمَا أُمِرْتَ. وَهَذِهِ إِشَارَةٌ إِلَى قَطْعِ كُلِّ مَا سِوَى اللهِ عَنِ النَّظَرِ، وَهُوَ الْإِخْلَاصُ حَقًّا.

ثُمَّ بَيَانُ دَرَجَاتِ الشَّوَائِبِ الْمُكَدِّرَةِ لِلْإِخْلَاصِ عَلَى مَرَاتِبَ: جَلِيٍّ، أَوِ خَفِيٍّ ضَعِيفٍ مَعَ الْجَلَاءِ، وَقَوِيٍّ مَعَ الْخَفَاءِ. وَأَظْهَرُ مُشَوِّشَاتِهَا الرِّيَاءُ، مِثْلَ أَنْ يَدْخُلَ دَاخِلٌ وَهُوَ يُصَلِّي فَحَسَّنَ صَلَاتَهُ لِأَجْلِ أَنْ يَقُولَ لَهُ إِنَّهُ صَالِحٌ، أَوْ لَا يَتْبَعُ الشَّيْطَانَ فِي ذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ يُحَسِّنُ لِيُقْتَدَى بِهِ، وَيَتَأَسَّى غَيْرُهُ بِهِ، فَيَكُونَ لَهُ مِثْلَ ثَوَابِ أَعْمَالِهِمْ، أَوْ لَا يَتْبَعُ الشَّيْطَانَ فِي ذَلِكَ أَيْضًا، فَيُحَسِّنُ فِي الْخَلْوَةِ وَالْمَلَإِ مَعًا، وَهَذَا أَيْضًا مَكْرٌ، لِأَنَّ هَذِهِ التَّسْوِيَةَ مِنَ النَّظَرِ إِلَى الْخَلْقِ، أَوْ لَا يَتَّبِعُ الشَّيْطَانَ فِي ذَلِكَ أَيْضًا، إِلَّا أَنَّهُ إِذَا حَضَرَ أَحَدٌ وَهُوَ فِي صَلَاتِهِ يَقُولُ لَهُ

---

(1) الإحياء: 4/ 381.

(2) ورد الحديث في صحيح مسلم: 1/ 65، رقم: 62، بلفظ: «قل آمنت بالله فاستقم».

الشَّيْطَانُ: تَفَكَّرْ فِي عَظَمَةِ اللهِ وَجَلَالِهِ، وَاسْتَحْيِ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ اللهُ إِلَى قَلْبِكَ وَأَنْتَ غَافِلٌ عَنْهُ، فَيَظُنُّهُ الْمِسْكِينُ إِخْلَاصًا، فَيَتْبَعُهُ وَهُوَ عَيْنُ الْمَكْرِ وَالْخِدَاعِ، فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ إِخْلَاصًا لَكَانَتْ هَذِهِ الْخَطْرَةُ[1] تُلَازِمُهُ فِي الْخَلْوَةِ. وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْخَلْوَةِ وَالْمَلَإِ مِنْ شَوْبِ الرِّيَاءِ الْخَفِيِّ[2].

وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَمَلَ إِذَا كانَ مَحْضَ رِيَاءٍ يَسْتَحِقُّ صَاحِبُهُ الْمَقْتَ وَالْعِقَابَ، وَإِذَا كانَ خَالِصًا لِوَجْهِ اللهِ يَسْتَحِقُّ الثَّوَابَ. وَإِنَّمَا الْخِلَافُ في الْعَمَلِ الْمَشُوبِ. وَالْمَفْهُومُ مِنْ ظَوَاهِرِ الْأَخْبَارِ أَنْ لَا ثَوَابَ لَهُ أَصْلًا، وَقَدْ تُعَارِضُ فِيهِ بَعْضُ الْأَخْبَارِ بَعْضًا.

فَالَّذِي يَنْقَدِحُ لَنَا فِيهِ - وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ - أَنْ نَنْظُرَ إِلَى قَدْرِ قُوَّةِ الْبَاعِثِ الدِّينِيِّ وَالْبَاعِثِ النَّفْسِيِّ، فَإِنْ تَسَاوَيَا تَسَاقَطَا، فَالْعَمَلُ لَا لَهُ وَلَا عَلَيْهِ، وَإِنْ قَوِيَ الْبَاعِثُ النَّفْسِيُّ فَالْعَمَلُ غَيْرُ نَافِعٍ، بَلْ مُقْتَضٍ لِلْعِقَابِ، وَإِنْ كَانَ أَخَفَّ مِنْ عِقَابِ الرِّيَاءِ الَّذِي لَمْ تَمْتَزِجْ فِيهِ جِهَةُ قُرْبٍ أَصْلًا، وَإِنْ قَوِيَ الْبَاعِثُ الدِّينِيُّ فَلَهُ ثَوَابٌ بِقَدْرِ زِيَادَتِهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾[3]؛ وَلِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾[4].

فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَضِيعَ قَصْدُ الْخَيْرِ، بَلْ إِنْ كانَ غَالِبًا عَلَى الرِّيَاءِ حَبِطَ مِنْهُ

---

(1) الْخَطْرَةُ: أخطرَ الله بباله أمر كذا، وما وَجَدَ له ذكرًا إلا خَطْرَةً. اللسان/ خطر.

(2) الإحياء: 4/ 382-383.

(3) سورة الزلزلة الآية: 7.

(4) سورة النساء الآية: 40.

الْقَدْرُ الَّذِي يُسَاوِيهِ، وَيَبْقَى لَهُ الْفَضْلُ ثَوَابًا، وَإِنْ كانَ مَغْلُوبًا مُحِيَ مِنَ الْوِزْرِ مَا كانَ يُسَاوِيهِ، وَيَبْقَى لَهُ الْبَاقِي وِزْرًا، فكَمَا لَا يَضِيعُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالدَّوَاءِ عَنْ أَثَرٍ فِي الْجَسَدِ بِحُكْمِ سُنَّةِ اللهِ تَعَالَى، فَكَذَلِكَ لَا يَضِيعُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ عَنْ تَأْثِيرٍ فِي إِنَارَةِ الْقَلْبِ وَتَسْوِيدِهِ، وَفِي تَقْرِيبِهِ مِنَ اللهِ تَعَالَى وَتَبْعِيدِهِ.

وَأَمَّا مَا وَرَدَ فِي الْأَخْبَارِ مِنْ أَنَّ الرِّيَاءَ مُحْبِطٌ لِلْعَمَلِ مُطْلَقًا، فَالْمُرَادُ بِهِ الرِّيَاءُ الْمَحْضُ، أَوِ الْغَالِبُ عَلَى الْخَيْرِ، فَلَا تَنَاقُضَ أَصْلًا[1].

---

(1) الإحياء: 4/ 384 ـ 385.

الْمَطْلَبُ الرَّابِعُ: فِي الصِّدْقِ

وَفَضِيلَتُهُ: مَذْكُورَةٌ فِي كُلِّ طَبْعٍ وَلَا حَاجَةَ إِلَى التَّنْبِيهِ عَلَيْهَا.

وَأَمَّا حَقِيقَتُهُ وَمَرَاتِبُهُ: فَاعْلَمْ أَنَّ الصِّدْقَ يُسْتَعْمَلُ فِي سِتَّةِ مَعَانٍ، صِدْقٌ فِي الْقَوْلِ، وَفِي النِّيَّةِ، وَفِي الْإِرَادَةِ، وَفِي الْعَزْمِ، وَفِي الْوَفَاءِ بِالْعَزْمِ، وَفِي الْعَمَلِ، وَفِي تَحْقِيقِ مَقَامَاتِ الدِّينِ كُلِّهَا. وَالْمُتَّصِفُ بِالصِّدْقِ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ يُسَمَّى صِدِّيقًا، لِأَنَّهُ مُبَالَغَةٌ فِي الصِّدقِ.

[وَهُوَ أَيْضًا عَلَى دَرَجَاتٍ][1]:

الْأَوَّلُ: أَعْنِي صِدْقَ اللِّسَانِ، لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الْأَخْبَارِ أَوْ فِيمَا يَتَضَمَّنُهَا، فَالْخَبَرُ إِمَّا مَاضٍ، أَوْ مُسْتَقْبَلٌ، ويَدْخُلُ فِيهِ الْوَفَاءُ بِالْوَعْدِ وَالْخُلْفُ فِيهِ. وَهَذَا الصِّدْقُ الْوَاقِعُ فِي اللِّسَانِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ وَلَهُ كَمَالَانِ:

أَحَدُهُمَا: الِاحْتِرَازُ عَنِ الْمَعَارِيضِ، لِأَنَّهُ في حُكْمِ الْكَذِبِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ تَفْهِيمُ الشَّيْءِ عَلَى خِلَافِ مَا هُوَ عَلَيْهِ، وَإِنْ صَلُحَ لِغَيْرِهِ أَيْضًا إِلَّا أَنَّهُ قَدْ يَتَرَجَّحُ عَلَى الصِّدْقِ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ، وَفِي تَأْدِيبِ الصِّبْيَانِ وَالنِّسْوَانِ، وَمَنْ يَجْرِي مَجْرَى هَؤُلَاءِ، وَفِي الْحَذَرِ مِنَ الظَّلَمَةِ، وَفِي قِتَالِ الْأَعْدَاءِ، وَالِاحْتِرَازِ عَنْ إِطْلَاعِهِمْ عَلَى أَسْرَارِ الْغُزَاةِ. وَالصِّدْقُ هَاهُنَا يَتَحَوَّلُ إِلَى النِّيَّةِ.

---

(1) زيادة من أنطاليا.

وَالْكَمَالُ الثَّانِي: أَنْ يُرَاعِيَ مَعْنَى الصِّدْقِ فِي أَلْفَاظِهِ الَّتِي يُنَاجِي بِهَا رَبَّهُ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾[1]، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَلْبُهُ مُتَوَجِّهًا إِلَيْهِ عِنْدَ كَلَامِهِ، وَكَذَا إِذَا قُلْتَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، يَنْبَغِي أَنْ لَا تُشْرِكَ أَحَدًا فِي عِبَادَتِهِ[2].

الصِّدْقُ الثَّانِي: فِي النِّيَّةِ وَالْإِرَادَةِ، وَيَرْجِعُ ذَلِكَ إِلَى الْإِخْلَاصِ، فَكُلُّ صَادِقٍ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُخْلِصًا.

الصِّدْقُ الثَّالِثُ: صِدْقُ الْعَزْمِ، مِثْلَ أَنْ تَقُولَ: إِنْ رَزَقَنِيَ اللهُ مَالًا تَصَدَّقْتُ بِجَمِيعِهِ أَوْ شَطْرِهِ، أَوْ إِنْ أَعْطَانِي اللهُ وِلَايَةً عَدَلْتُ فِيهَا وَلَمْ أَظْلِمْ أَحَدًا. فَصِدْقُهَا بِأَنْ لَا يَكُونَ تَرَدَّدَ عِنْدَ هَذَا الْقَوْلِ فِي عَزْمِهِ، بَلْ يَكُونُ عَزْمُهُ جَزْمًا صَادِقًا، وَإِنْ كَانَ مَعَ مَيْلٍ وَتَرَدُّدٍ وَضُعْفٍ لَا يَكُونُ عَزْمُهُ صَادِقًا قَطْعًا.

الصِّدْقُ الرَّابِعُ: فِي الْوَفَاءِ بِالْعَزْمِ، إِذِ النَّفْسُ قَدْ تَسْخُو بِالْعَزْمِ وَالْوَعْدِ، إِذْ لَا مُؤْنَةَ فِيهِ، لَكِنْ إِذَا آنَ أَوَانُ تَحْقِيقِهِ قَدْ يَنْحَلُّ عَزْمُهُ فَيَكْذِبُ، أَوْ يَتَحَقَّقُ فَيَصْدُقُ.

الصِّدْقُ الْخَامِسُ: فِي الْأَعْمَالِ، وَهُوَ أَنْ لَا تَدُلَّ أَعْمَالُهُ الظَّاهِرَةُ عَلَى أَمْرٍ فِي بَاطِنِهِ لَا يَتَّصِفُ هُوَ بِهِ، لَا[3] بِأَنْ يَتْرُكَ الْأَعْمَالَ، وَلَكِنْ بِأَنْ يَسْتَجِرَّ الْبَاطِنُ

---

(1) سورة الأنعام الآية: 79.

(2) الإحياء: 4/ 387 ـ 388.

(3) إلا، في قونية ورئيس الكتاب.

إِلَى تَصْدِيقِ الظَّاهِرِ؛ مَثَلًا يَتَخَشَّعُ فِي الْأَعْمَالِ وَقَلْبُهُ فِي السُّوقِ وَإِنْ لَمْ يَقْصِدِ الرِّيَاءَ، فَهَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرِّيَاءِ. **وَبِالْجُمْلَةِ،** مُسَاوَاةُ السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ مِنْ أَحَدِ أَنْوَاعِ الصِّدْقِ.

الصِّدْقُ السَّادِسُ: وَهُوَ أَعْلَى الدَّرَجَاتِ وَأَعَزُّهَا، الصِّدْقُ فِي مَقَامَاتِ الدِّينِ كَالصِّدْقِ فِي الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ وَالتَّعْظِيمِ وَالزُّهْدِ وَالرِّضَا وَالْحُبِّ وَالتَّوَكُّلِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَإِنَّ لِهَذِهِ الْأُمُورِ مَبَادِئَ هِيَ ظُهُورُهَا، وَغَايَاتٍ هِيَ حَقَائِقُهَا. وَإِذَا غَلَبَ الشَّيْءُ وَتَمَّتْ حَقِيقَتُهُ يُسَمَّى صَاحِبُهُ صَادِقًا فِيهِ؛ كَمَا يُقَالُ: الْخَوْفُ الصَّادِقُ، وَالشَّهْوَةُ الصَّادِقَةُ؛ مَثَلًا كُلُّ مُؤْمِنٍ يَخَافُ مِنَ النَّارِ، لَكِنَّ صِدْقَ ذَلِكَ أَنْ يَصْفَرَّ لَوْنُهُ، وَيَتَنَغَّصَ عَلَيْهِ عَيْشُهُ، وَيَسْتَبْدِلَ بِالْأُنْسِ وَحْشَةً، وَبِالرَّاحَةِ تَعَبًا. فَالصَّادِقُ فِي جَمِيعِ الْمَقَامَاتِ عَزِيزٌ جِدًّا.

ثُمَّ دَرَجَاتُ الصِّدْقِ لَا نِهَايَةَ لَهَا، وَقَدْ يَكُونُ لِلْعَبْدِ صِدْقٌ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ دُونَ آخَرَ. فَإِنْ كَانَ صَادِقًا فِي الْجَمِيعِ فَصَاحِبُهُ يُسَمَّى صِدِّيقًا، وَذَلِكَ نَادِرٌ عَزِيزُ الْوُجُودِ جِدًّا[1].

---

(1) الإحياء: 4/ 389 ـ 391.

الْأَصْلُ الثَّامِنُ: فِي الْمُحَاسَبَةِ وَالْمُرَاقَبَةِ

وَاعْلَمْ أَنَّ التَّاجِرَ يَسْتَعِينُ بِشَرِيكِهِ فَيُشَارِطُهُ أَوَّلًا، ثُمَّ يُرَاقِبُهُ ثَانِيًا، ثُمَّ يُحَاسِبُهُ ثَالِثًا، ثُمَّ يُعَاتِبُهُ رَابِعًا. كَذَلِكَ الْعَقْلُ هُوَ التَّاجِرُ فِي مَتَاعِ الْآخِرَةِ، وَشَرِيكُهُ النَّفْسُ، فَعَلَيْهِ أَنْ يُحَاسِبَهَا، لِأَنَّ كُلَّ نَفَسٍ مِنْ أَنْفَاسِ الْعُمُرِ جَوْهَرَةٌ نَفِيسَةٌ لَا عِوَضَ لَهَا، يُمْكِنُ أَنْ يُشْتَرَى بِهَا كَنْزٌ مِنَ الْكُنُوزِ لَا يَتَنَاهَى أَبَدَ الْآبَادِ. فَيَقُولُ لِلنَّفْسِ فِي صَبِيحَةِ كُلِّ يَوْمٍ: مَا لِي بِضَاعَةٌ إِلَّا الْعُمُرُ، فَمَهْمَا فَنِيَ [فَقَدْ فَنِيَ][1] رَأْسُ الْمَالِ، وَوَقَعَ الْيَأْسُ عَنِ التِّجَارَةِ، وَهَذَا الْيَوْمُ الْجَدِيدُ قَدْ أَمْهَلَنِي اللهُ تَعَالَى فِيهِ، وَأَنْسَانِي أَجَلِي، وَأَنْعَمَ عَلَيَّ بِهِ، وَلَوْ تَوَفَّانِي لَكُنْتُ أَتَمَنَّى أَنْ يُرْجِعَنِي إِلَى الدُّنْيَا يَوْمًا وَاحِدًا أَعْمَلُ فِيهِ صَالِحًا، وَاحْسَبِي أَنِّي تَوَفَّيْتُ ثُمَّ رُدِدْتُ، فَإِيَّاكِ ثُمَّ إِيَّاكِ أَنْ تُضَيِّعِي هَذَا الْيَوْمَ، فَإِنَّ كُلَّ نَفَسٍ مِنَ الْأَنْفَاسِ جَوْهَرَةٌ لَا قِيمَةَ لَهَا. فَهَذِهِ وَصِيَّتُهُ لِنَفْسِهِ فِي أَوْقَاتِهِ.

ثُمَّ يَسْتَأْنِفُ لَهَا وَصِيَّتَهُ في أَعْضَائِهِ السَّبْعَةِ[2]، وَيُسَلِّمُهَا إِلَيْهَا، فَإِنَّهَا رَعَايَا خَادِمَةٌ لَهَا في هَذِهِ التِّجَارَةِ، وَبِهَا تَتِمُّ أَعْمَالُ هَذِهِ التِّجَارَةِ، وَإِنْ لَمْ يَحْفَظْ هَذِهِ الْأَعْضَاءَ صَارَتْ أَبْوَابًا سَبْعَةً لِجَهَنَّمَ.

أَمَّا الْعَيْنُ، فَيَحْفَظُهَا عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ، بَلْ عَنِ الْفُضُولِ، فَإِنَّهَا مَسْؤُولَةٌ عَنِ الْفُضُولِ كَالْكَلَامِ، ثُمَّ يَأْمُرُ بِصَرْفِهَا إِلَى مَا خُلِقَتْ هِيَ لَهُ.

---

(1) سقطت من رئيس الكتاب.

(2) ورد بإزائها في طرة بنسخة أنطاليا: وهي: العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل.

وَكَذَا اللِّسَانُ، يُحْفَظُ مِنَ الْغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَالْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ وَعَنْ فُضُولِ الْكَلَامِ، وَيَأْمُرُ لَهُ الْعِلْمَ وَالْأَذْكَارَ وَسَائِرَ الْخَيْرَاتِ. وَكَذَا الْأُذُنُ وَالْبَطْنُ وَالْيَدُ وَالرِّجْلُ وَالْفَرْجُ[1].

ثُمَّ إِنَّ الْعَقْلَ بَعْدَمَا شَرَطَ لِلنَّفْسِ هَذِهِ الْأُمُورَ، يَنْبَغِي أَنْ يُرَاقِبَهَا عِنْدَ الْعَمَلِ. وَلَا يَخْفَى أَنَّ الْمُرَاقَبَةَ مِنْ مَبَادِئِ مَرْتَبَةِ الْإِحْسَانِ، فَفَضْلُهَا ظَاهِرٌ.

وَأَمَّا حَقِيقَتُهَا: فَهِيَ مُرَاعَاةُ الْقَلْبِ لِلرَّقِيبِ، وَاشْتِغَالُهُ بِهِ، وَالْتِفَاتُهُ إِلَيْهِ، وَلَا يَتِمُّ هَذَا إِلَّا بِمَعْرِفَةٍ؛ وَهِيَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى مُطَّلِعٌ عَلَى الضَّمَائِرِ، عَالِمٌ بِالسَّرَائِرِ، رَقِيبٌ عَلَى أَعْمَالِ الْعِبَادِ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾[2].

وَإِذَا اسْتَوْلَتْ عَلَى الْقَلْبِ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ، لا جَرَمَ مَالَ الْقَلْبُ إِلَى جَانِبِ مُلَاحَظَةِ الرَّقِيبِ، وَالْمُوقِنُونَ بِهَذِهِ الْمَعْرِفَةِ هُمُ الْمُقَرَّبُونَ، الْمُنْقَسِمُونَ إِلَى الصِّدِّيقِينَ، وَإِلَى أَصْحَابِ الْيَمِينِ.

وَأَمَّا مُرَاقَبَةُ الصِّدِّيقِينَ، فَهِيَ مُرَاقَبَةُ التَّعْظِيمِ وَالْإِجْلَالِ، بِأَنْ يَسْتَغْرِقَ قَلْبُهُ فِي مُلَاحَظَةِ ذِي الْجَلَالِ، وَيَصِيرَ مُنْكَسِرًا تَحْتَ الْهَيْبَةِ، فَلَا يَبْقَى مَعَهُ مُتَّسَعٌ لِلْغَيْرِ أَصْلًا، وَتَبْقَى جَوَارِحُهُ مُتَعَطِّلَةً عَنِ التَّلَفُّتِ إِلَى الْمُنَاجَاةِ، فَضْلًا عَنِ الْمَحْظُورَاتِ، فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى مُدَبِّرٍ فِي حِفْظِهَا عَلَى سَنَنِ السَّدَادِ. وَهَذَا هُوَ الَّذِي صَارَ هَمُّهُ هَمًّا وَاحِدًا، فَكَفَاهُ اللهُ سَائِرَ الْهُمُومِ. وَمِثْلُ هَذَا يَغْفُلُ عَنِ

---

(1) الإحياء: 4/ 394ـ395.

(2) سورة الفجر الآية: 14.

الْخَلْقِ كُلِّهِمْ، حَتَّى لَا يُبْصِرَ مَنْ عِنْدَهُ، وَعَيْنُهُ نَاظِرَةٌ إِلَيْهِ، وَلَا يَسْمَعَ الْكَلَامَ، وَلَيْسَ بِهِ صَمَمٌ، وَقَدْ يَمُرُّ عَلَى ابْنِهِ فَلَا[1] يُكَلِّمُهُ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِمَنْ عَاتَبَهُ عَلَى عَدَمِ الِالْتِفَاتِ: إِذَا مَرَرْتَ بِي فَحَرِّكْنِي. وَمِثْلُ هذا لَا يَحْتَاجُ إِلَى مُرَاقَبَةِ لِسَانِهِ وَجَوَارِحِهِ، إِذْ لَا يَتَحَرَّكُ إِلَّا بِمَا هُوَ فِيهِ[2].

وَأَمَّا مُرَاقَبَةُ الْوَرِعِينَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، وَهُمْ قَوْمٌ غَلَبَتْ مُطَالَعَةُ جَمَالِ اللهِ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَبَوَاطِنِهِمْ وَظَوَاهِرِهِمْ، وَلَكِنْ لَمْ يُدْهِشْهُمْ ذَلِكَ، بَلْ بَقِيَتْ قُلُوبُهُمْ عَلَى حَدِّ الِاعْتِدَالِ، مُتَّسِعَةً لِلتَّلَفُّتِ إِلَى الْأَحْوَالِ وَالْأَعْمَالِ، وَهُمْ يَجْمَعُونَ بَيْنَ مُمَارَسَةِ الْأَعْمَالِ وَالْمُرَاقَبَةِ بِغَلَبَةِ الْحَيَاءِ مِنَ اللهِ تَعَالَى فَيَتَثَبَّتُ فِيهِ، وَيَفِرُّ مِنَ الْفَضَاحَةِ فِي الْقِيَامَةِ، فَيَنْظُرُ قَبْلَ الْعَمَلِ أَنَّهُ لِلَّهِ تَعَالَى فَيُمْضِيهِ، أَوْ لِغَيْرِ اللهِ فَيَسْتَحِي مِنَ اللهِ تَعَالَى فَيَكُفُّ عَنْهُ، ثُمَّ يَلُومُ نَفْسَهُ عَلَى رَغْبَتِهَا فِيهِ، وَهَمِّهَا بِهِ، وَمَيْلِهَا إِلَيْهِ؛ وَعَرَّفَهَا سُوءَ فِعْلِهَا، وَأَنَّهَا عَدُوَّةُ نَفْسِهَا إِنْ لَمْ يَتَدَارَكْهَا اللهُ بِعِصْمَتِهِ، وَعِنْدَ الشُّرُوعِ فِي الْعَمَلِ فِي كَيْفِيَّةِ الْعَمَلِ، لِيَقْضِيَ حَقَّ اللهِ فِيهِ، وَيُحَسِّنَ النِّيَّةَ فِي إِتْمَامِهِ، وَيُكَمِّلَ صُورَتَهُ، وَيَتَعَاطَاهُ عَلَى أَكْمَلِ مَا يُمْكِنُهُ. وَهَذَا مُلَازِمٌ لَهُ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ مِنْ حَرَكَةٍ وَسُكُونٍ.

فَإِذَا رَاقَبَ اللهَ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ، قَدَرَ عَلَى عِبَادَةِ اللهِ فِيهَا بِالنِّيَّةِ، وَمُرَاعَاةِ الْأَدَبِ، وَحُسْنِ الْفِعْلِ. فَمُرَاقَبَتُهُ فِي الطَّاعَةِ بِالْإِخْلَاصِ وَالْإِكْمَالِ، وَمُرَاعَاةِ

---

(1) ولا، في رئيس الكتاب.

(2) الإحياء: 4/ 398-399.

الْآدَابِ، وَحِرَاسَتِهَا عَنِ الْآفَاتِ.

وَإِنْ كَانَ فِي مَعْصِيَةٍ فَمُرَاقَبَتُهُ بِالتَّوْبَةِ وَالنَّدَمِ، وَالْإِقْلَاعِ وَالْحَيَاءِ، وَالِاشْتِغَالِ بِالتَّكْفِيرِ. وَإِنْ كَانَ فِي مُبَاحٍ، فَمُرَاقَبَتُهُ بِمُرَاعَاةِ الْأَدَبِ، ثُمَّ بِشُهُودِ الْمُنْعِمِ فِي النِّعْمَةِ، وَبِالشُّكْرِ عَلَيْهَا[1].

ثُمَّ النَّاسُ فِي حَقِّ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ عَلَى أَرْبَعِ مَرَاتِبَ:

قِسْمٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا بِعَيْنِ الِاعْتِبَارِ، فَيَنْظُرُونَ فِي عَجَائِبِ صَنْعَتِهَا، وَكَيْفِيَّةِ ارْتِبَاطِ قِوَامِ الْحَيَوَانَاتِ بِهَا، وَكَيْفِيَّةِ تَقْدِيرِ اللهِ لِأَسْبَابِهَا، وَخَلْقِ الشَّهْوَةِ الْبَاعِثَةِ عَلَيْهَا، وَخَلْقِ الْآلَاتِ الْمُسَخَّرَةِ لِلشَّهْوَةِ، وَهَذَا مَقَامُ ذَوِي الْأَلْبَابِ.

وَقِسْمٌ يَنْظُرُونَ بِعَيْنِ الْمَقْتِ وَالْكَرَاهَةِ، وَيَوَدُّونَ لَوِ اشْتَغَلُوا عَنْهَا، إِلَّا أَنَّهُمْ مُضْطَرُّونَ إِلَيْهَا، وَهَذَا مَقَامُ الزَّاهِدِينَ.

وَقِسْمٌ يَرَوْنَ فِي الصَّنْعَةِ الصَّانِعَ وَصِفَاتِهِ، فَيَنْفَتِحُ لَهُ أَبْوَابُ الْفِكْرِ، وَهُوَ أَعْلَى الْمَقَامَاتِ، وَهُوَ مِنْ مَقَامِ الْعَارِفِينَ وَالْمُحِبِّينَ، وَذَلِكَ عَزِيزٌ جِدًّا.

وَقِسْمٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا بِعَيْنِ الرَّغْبَةِ وَالْحِرْصِ، فَيَتَأَسَّفُونَ عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنْهَا، وَيَفْرَحُونَ بِمَا حَضَرَهُمْ مِنْ جُمْلَتِهَا، وَيَذُمُّونَ مَا لَا يُوَافِقُ طَبْعَهُمْ، وَيَعِيبُونَ الطَّبِيخَ وَالطَّبَّاخَ مَعَ أَنَّ مَنْ ذَمَّ شَيْئًا مِنْ خَلْقِ اللهِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ فَقَدْ ذَمَّ اللهَ تَعَالَى، وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ»[2].

---

(1) الإحياء: 4/ 400 ـ 403.

(2) مسند أحمد: 15/ 70، رقم: 9137، وصحيح مسلم: 4/ 1763، رقم: 2246، والإحياء: 4/ 404.

وَإِذَا عَرَفْتَ مُحَاسَبَةَ النَّفْسِ وَمُرَاقَبَتَهَا عِنْدَ الْعَمَلِ، **فَاعْلَمْ** أَنَّ مُحَاسَبَتَهَا بَعْدَ الْعَمَلِ، وَهِيَ النَّظَرُ في رَأْسِ الْمَالِ، وَفِي الرِّبْحِ وَالْخُسْرَانِ، لِيَتَبَيَّنَ لَهُ الزِّيَادَةُ مِنَ النُّقْصَانِ، فَإِنْ فَضَلَ حَاصِلُهُ شَكَرَهُ، وَإِلَّا طَالَبَهُ بِضَمَانِهِ، وَكَلَّفَهُ تَدَارُكَهُ في الْمُسْتَقْبَلِ.

ثُمَّ إِنَّ رَأْسَ مَالِ السَّالِكِ فِي دِينِهِ الْفَرَائِضُ، وَرِبْحَهُ النَّوَافِلُ، وَخُسْرَانَهُ الْمَعَاصِي، وَمَوْسِمَ التِّجَارَةِ جُمْلَةُ النَّهَارِ. فَلْيُطَالِبْ نَفْسَهُ الْأَمَّارَةَ بِالسُّوءِ، فَلْيُحَاسِبْهَا عَلَى الْفَرَائِضِ، إِنْ أَدَّاهَا عَلَى وَجْهِهَا شَكَرَ اللهَ تَعَالَى عَلَيْهِ، وَرَغَّبَهَا في مِثْلِهَا، وَإِنْ فَوَّتَهَا مِنْ أَصْلِهَا، طَالَبَهَا بِالْقَضَاءِ، وَإِنْ أَدَّاهَا نَاقِصَةً، كَلَّفَهَا الْجُبْرَانَ بِالنَّوَافِلِ، وَإِنِ ارْتَكَبَ مَعْصِيَةً، اشْتَغَلَ بِعِقَابِهَا وَتَعْذِيبِهَا وَمُعَاتَبَتِهَا، لِيَسْتَوْفِيَ مِنْهَا مَا يَتَدَارَكُ بِهِ مَا فَرَطَ.

ثُمَّ إِنَّه يُحَاسِبُهَا عَنْ نَظَرِهِ، بَلْ عَنْ خَوَاطِرِهِ وَأَفْكَارِهِ وَقِيَامِهِ وَقُعُودِهِ وَأَكْلِهِ وَشُرْبِهِ وَنَوْمِهِ، وَحَتَّى عَنْ سُكُوتِهِ لِمَ سَكَتَ، وَعَنْ سُكُونِهِ لِمَ سَكَنَ[1].

ثُمَّ إِنَّهُ بَعْدَ مُحَاسَبَتِهَا يَنْبَغِي أَنْ لَا يُهْمِلَ تَقْصِيرَهَا، وَإِلَّا عَسُرَ فِطَامُهَا بَعْدَ ذَلِكَ، وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ هَلَاكِهَا، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يُعَاقِبَهَا عَلَى ذَلِكَ، مَثَلًا إِذَا أَكَلَ لُقْمَةً بِشُبْهَةٍ يُعَاقِبُهَا بِالْجُوعِ، وَإِذَا نَظَرَ إِلَى غَيْرِ مَحْرَمٍ يُعَاقِبُ الْعَيْنَ بِمَنْعِ النَّظَرِ، وَهَكَذَا. وَإِذَا كُنْتَ عَاقَبْتَ أَهْلَكَ وَعَبْدَكَ وَأَمَتَكَ وَوَلَدَكَ عَلَى تَقْصِيرِهِمْ في أَمْرٍ يُؤَدِّي إِلَى ضَرَرٍ في الدُّنْيَا، فَلِأَيِّ شَيْءٍ لَا تُعَاقِبُ جَوَارِحَكَ

(1) الإحياء: 4/ 405.

وَهِيَ أَخَصُّ بِكَ مِمَّا ذُكِرَ مَعَ أَنَّ ضَرَرَهَا فِي الْآخِرَةِ.

ثُمَّ إِذَا أَتْمَمْتَ أَمْرَ الْمُحَاسَبَةِ فَعَلَيْكَ بِالْمُجَاهَدَةِ، بِأَنْ تُعَاقِبَهَا بِالْعُقُوبَاتِ، مَثَلًا إِنْ رَآهَا تَتَوانَى فِي وِرْدٍ مِنْ أَوْرَادِهَا فَيُعَاقِبُهَا بِتَثْقِيلِ الْأَوْرَادِ عَلَيْهَا، وَيُلْزِمُهَا فُنُونًا مِنَ الْوَظَائِفِ جَبْرًا لِمَا فَاتَ، وَتَدَارُكًا لِمَا فَرَطَ. وَلَعَمْرِي مَا أَعْظَمَ حَسْرَةَ مَنْ لَا يَمْنَعُ نَفْسَهُ أَيَّامًا قَلَائِلَ عَنْ شَهَوَاتٍ مُكَدِّرَةٍ، ثُمَّ يَأْتِيهِ الْمَوْتُ، وَيُحَالُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهِيهِ أَبَدَ الْآبَادِ. نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ ذَلِكَ.

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ أَعْدَى عَدُوِّكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ، وَقَدْ خُلِقَتْ أَمَّارَةً بِالسُّوءِ، وَأُمِرْتَ بِمَنْعِهَا عَنْ شَهَوَاتِهَا، وَفِطَامِهَا عَنْ لَذَّاتِهَا، فَإِنْ أَهْمَلْتَهَا شَرَدَتْ وَجَمَحَتْ، وَإِنْ عَاتَبْتَهَا كَانَتْ نَفْسُكَ هِيَ النَّفْسُ اللَّوَّامَةُ، وَرَجَوْتَ أَنْ تَصِيرَ مُطْمَئِنَّةً. فَلَا تَغْفُلْ عَنْ وَعْظِهَا سَاعَةً، وَقُلْ لَهَا: أَنْتِ تَدَّعِينَ الْحِكْمَةَ وَالذَّكَاءَ وَالْفِطْنَةَ وَأَنْتِ أَحْمَقُ وَأَجْهَلُ، أَمَا تَعْرِفِينَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَأَنَّكِ صَائِرَةٌ إِلَى إِحْدَاهُمَا، فَمَالَكِ تَشْتَغِلِينَ بِاللَّهْوِ.

أَمَا تَعْلَمِينَ أَنَّ كُلَّ آتٍ قَرِيبٌ؛ وَأَيْضًا أَنَّهُ يَأْتِي بَغْتَةً، وَلَا أَقَلَّ مِنْ أَنَّ الْمَرَضَ يَأْتِي بَغْتَةً، فَعِنْدَ ذَلِكَ لَا يَنْفَعُكِ النَّدَمُ؛ وَأَيْضًا مَا أَجْرَأَكِ عَلَى الْمَعَاصِي. إِنْ قُلْتِ: إِنَّ اللهَ لَا يَرَاكِ فَمَا أَعْظَمَ كُفْرَكِ، وَإِنْ قُلْتِ: إِنَّهُ يَرَاكِ فَمَا أَشَدَّ وَقَاحَتَكِ، وَإِنِ اغْتَرَرْتِ بِمَكْرِهِ وَفَضْلِهِ فَمَالَكِ لَا تَغْتَرِّينَ بِهِمَا فِي أَمْرِ الدُّنْيَا وَأَنَّ رَبَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاحِدٌ، ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾[1]،

(1) سورة النجم الآية: 39.

وَلَا تَظُنِّينَ أَنَّكِ إِذَا مِتِّ انفَلَتِّ وَتَخَلَّصْتِ، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، كَيْفَ تُكَذِّبِينَ أَنْبِيَاءَ اللهِ، فَإِنْ صَدَّقْتِهِمْ فَمَا بَالُكِ تُسَوِّفِينَ الْعَمَلَ وَالْمَوْتُ لَكِ بِالْمِرْصَادِ، فَبِمَاذَا أَمِنْتِ اسْتِعْجَالَ الْأَجَلِ؟ وَمَا الْبَاعِثُ لَكِ عَلَى التَّسْوِيفِ؟ أَفَتَنْتَظِرِينَ يَوْمًا لَا يَعْسُرُ فِيهِ مُخَالَفَةُ الشَّهَوَاتِ، فَهَذَا مِنْ أَقْبَحِ الْجَهَالَاتِ، «إِذِ الْجَنَّةُ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ، وَالنَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»، مَعَ أَنَّ شَجَرَةَ الشَّهْوَةِ تَقْوَى وَتَرْسَخُ مَهْمَا طَالَ الزَّمَانُ، سِيَّمَا وَالْقُوَّةُ مَهْمَا تَأَخَّرَتْ تَكُونُ فِي النُّقْصَانِ، إِذْ رِيَاضَةُ الْهَرِمِ مِنَ الْعَنَاءِ، وَالْقَضِيبُ إِذَا غَلُظَ لَا يَقْبَلُ الِانْحِنَاءَ، وَإِنْ لَمْ تَصْبِرِي عَنْ مُقَارَفَةِ الشَّهَوَاتِ فَتَأَمَّلِي أَنَّ أَلَمَ الصَّبْرِ عَنْهَا أَعْظَمُ أَمْ أَلَمُ الصَّبْرِ عَلَى النَّارِ[1].

فَإِذَا عَرَفْتِ هَذَا، فَلَعَلَّكِ لَا تَتَوَانَيْنَ عَنِ النَّظَرِ لِنَفْسِكِ إِلَّا لِضُعْفِ يَقِينِكِ بِيَوْمِ الْحِسَابِ، وَهُوَ الْكُفْرُ الْخَفِيُّ، أَوِ اعْتِمَادِكِ عَلَى كَرَمِ اللهِ تَعَالَى وَعَفْوِهِ مِنْ غَيْرِ الْتِفَاتِكِ إِلَى اسْتِدْرَاجِهِ وَمَكْرِهِ، وَاسْتِغْنَائِهِ عَنْ عِبَادَتِكِ، وَهَذَا هُوَ الْحُمْقُ الْجَلِيُّ، وَإِنَّمَا كَرَمُ اللهِ تَعَالَى فِي تَعْرِيفِ أَسْبَابِ الْخَلَاصِ، لَا فِي أَنْ يَدْفَعَ عَنْكِ الْعِقَابَ بِدُونِ التَّحَصُّنِ بِحِصْنِهِ، أَعْنِي التَّوْحِيدَ وَالطَّاعَاتِ.

وَيْحَكِ! فَاحْسَبِي أَنَّكِ غَافِلَةٌ عَنْ عَذَابِ اللهِ وَثَوَابِهِ، أَمَا تَعْلَمِينَ أَنَّكِ تُفَارِقِينَ الدُّنْيَا بِالْمَوْتِ، فَلَا يَبْقَى لَكِ إِلَّا حَسْرَةُ مُفَارَقَتِهَا، تَعْمُرُهَا وَأَنْتِ تَرْتَحِلِينَ عَنْهَا، وَتُخَرِّبِينَ آخِرَتَكِ وَأَنْتِ تَصِيرِينَ إِلَيْهَا، وَلَعَلَّكِ أَسْكَرَكِ حُبُّ الْجَاهِ، وَحَاصِلُهُ مَيْلُ قُلُوبِ النَّاسِ إِلَيْكِ، فَاحْسَبِي أَنَّ كُلَّ مَنْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ سَجَدُوا لَكِ

(1) الإحياء: 4/ 407 ـ 418.

وَأَطَاعُوكِ، أَمَا تَعْرِفِينَ أَنَّهُ بَعْدَ خَمْسِينَ سَنَةً لَا يَبْقَى السَّاجِدُ وَلَا الْمَسْجُودُ لَهُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا رُبَّمَا يَفْضُلُكَ فِيهَا الْمَجُوسُ وَالْيَهُودُ، فَيَا حَسْرَةً عَلَيْكِ، إِنَّ الْمَوْتَى يَتَمَنَّوْنَ الرَّجْعَةَ إِلَى الدُّنْيَا لِيَشْتَغِلُوا بِتَدَارُكِ مَا فَرَطَ مِنْهُمْ، وَأَنْتِ فِي أُمْنِيَّتِهِمْ غَافِلَةٌ عَنْهَا ذَاهِلَةٌ.

أَفَتَظُنِّينَ أَنَّهُمْ دُعُوا إِلَى الْآخِرَةِ وَأَنْتِ مِنَ الْخَالِدِينَ، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، سَاءَ مَا تَظُنِّينَ، مَا أَنْتِ إِلَّا فِي هَدْمِ عُمُرُكِ مُنْذُ سَقَطْتِ مِنْ بَطْنِ أُمِّكِ، أَمَا تَخَافِينَ إِذَا بَلَغَتِ النَّفْسُ مِنْكِ التَّرَاقِيَ، وَتُبَشَّرِينَ بِالْعَذَابِ، فَهَلْ يَنْفَعُكِ حِينَئِذٍ النَّدَمُ، أَوْ يُقْبَلُ مِنْكِ الْحُزْنُ، أَوْ يُرْحَمُ مِنْكِ الْبُكَاءُ.

[فَانْظُرِي][(1)] بِأَيِّ قَلْبٍ تَقِفِينَ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ، وَبِأَيِّ لِسَانٍ تُجِيبِينَ، وَأَعِدِّي لِلسُّؤَالِ جَوَابًا، وَلِلْجَوَابِ صَوَابًا، فَلَا مَذْهَبَ وَلَا مَطْلَبَ، وَلَا مُسْتَغَاثَ وَلَا مَهْرَبَ، وَلَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى إِلَّا إِلَيْهِ، لَا مُعَوَّلَ إِلَّا عَلَيْهِ، قَدْ ضَاقَتْ بِكِ السُّبُلُ، وَانْقَطَعَتْ مِنْكِ الْحِيَلُ، وَلَا يُجِيبُ دَعْوَةَ الْمُضْطَرِّ إِلَّا هُوَ، وَلَا يُغِيثُ الطَّالِبَ الْمُتَلَهِّفَ إِلَّا هُوَ، فَقُولِي: يَا رَحْمَانُ يَا رَحِيمُ، يَا عَظِيمُ يَا كَرِيمُ، أَنَا الْبَائِسُ الْفَقِيرُ، وَالضَّعِيفُ الْحَقِيرُ، هُنَا مَقَامُ الْمُتَضَرِّعِ الْمِسْكِينِ، وَالذَّلِيلِ الْمَهِينِ، فَعَجِّلْ إِغَاثَتِي وَفَرَجِي، وَأَرِنِي آثَارَ رَحْمَتِكَ، وَأَذِقْنِي بَرْدَ عَفْوِكَ، وَشَرَابَ مَغْفِرَتِكَ، وَارْزُقْنِي قُوَّةَ عِصْمَتِكَ، وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ[(2)].

(1) سقطت من رئيس الكتاب.

(2) الإحياء: 4/ 419 ـ 421.

الْأَصْلُ التَّاسِعُ: فِي التَّفَكُّرِ

وَفِيهِ مَطْلَبَانِ:

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ: فِي فَضِيلَةِ التَّفَكُّرِ

وَذَلِكَ شَائِعٌ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى وَالْأَخْبَارِ بِحَيْثُ لَا حَاجَةَ إِلَى تَفْصِيلِ ذَلِكَ.

وَأَمَّا حَقِيقَتُهُ: فَهِيَ إِحْضَارُ[1] مَعْرِفَتَيْنِ فِي الْقَلْبِ، لِيَسْتَثْمِرَ مِنْهُمَا مَعْرِفَةً ثَالِثَةً، وَهَذَا إِمَّا بِالتَّقْلِيدِ، أَوْ بِالْفِكْرِ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ، إِمَّا بِالْعِلْمِ وَالْمُمَارَسَةِ ـ وَهُوَ الْأَكْثَرُ، أَوْ بِنُورٍ إِلَهِيٍّ فِي الْفِطْرَةِ، كَمَا كانَ لِلْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَذَلِكَ عَزِيزٌ جِدًّا.

وَقَدْ يُسَمَّى تَفَكُّرًا وَاعْتِبَارًا وَتَذَكُّرًا وَنَظَرًا وَتَأَمُّلًا وَتَدَبُّرًا، وَقَدْ يُخَصُّ اسْمُ الِاعْتِبَارِ لِلْعُبُورِ عَنِ الْمَعْرِفَتَيْنِ إِلى مَعْرِفَةٍ ثَالِثَةٍ، وَاسْمُ التَّذَكُّرِ بِالْعُثُورِ عَلَى الْمَعْرِفَتَيْنِ فَقَطْ، فَكُلُّ مُتَفَكِّرٍ مُتَذَكِّرٌ بِدُونِ عَكْسٍ كُلِّيٍّ.

ثُمَّ إِنَّ ثَمَرَةَ الْفِكْرِ الْعِلْمُ، يَحْصُلُ مِنْهُ فِي الْقَلْبِ تَغَيُّرٌ يُسَمَّى حَالًا، وَيَلْزَمُ هَذَا الْحَالَ تَغَيُّرٌ فِي الْجَوَارِحِ يُسَمَّى عَمَلًا. فَالْفِكْرُ هُوَ مِفْتَاحُ الْخَيْرَاتِ كُلِّهَا، وَلِذَلِكَ قِيلَ: «تَفَكُّرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ»[2].

---

(1) اختصار، في قونية.

(2) الإحياء: 4/ 423ـ426. وورد الحديث في تنبيه الغافلين: 22، وقوت القلوب: 1/ 29، وميزان العمل: 229.

فَهَاهُنَا خَمْسُ دَرَجَاتٍ:

أَوَّلُهَا: التَّذَكُّرُ، وَهُوَ إِحْضَارُ الْمَعْرِفَتَيْنِ فِي الْقَلْبِ، مِثْلَ أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ الْأَبْقَى أَوْلَى بِالْإِيثَارِ، وَأَنَّ الْآخِرَةَ أَبْقَى.

وَثَانِيهَا: التَّفَكُّرُ، وَهُوَ طَلَبُ الْمَعْرِفَةِ الْمَقْصُودَةِ مِنْهُمَا.

وَالثَّالِثَةُ: حُصُولُ الْمَعْرِفَةِ الْمَطْلُوبَةِ وَاسْتِنَارَةُ الْقَلْبِ بِهَا، وَهِيَ قَوْلُكَ: الْآخِرَةُ أَوْلَى بِالْإِيثَارِ.

وَالرَّابِعَةُ: تَغَيُّرُ حَالِ الْقَلْبِ عَمَّا كَانَ بِسَبَبِ حُصُولِ نُورِ الْمَعْرِفَةِ؛ مِثْلَ تَغَيُّرِ الْقَلْبِ إِلَى الرَّغْبَةِ فِي الْآخِرَةِ وَالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا.

وَالْخَامِسَةُ: خِدْمَةُ الْجَوَارِحِ لِلْقَلْبِ بِسَبَبِ مَا يَتَجَدَّدُ لَهُ مِنَ الْحَالِ؛ وَذَلِكَ مِثْلَ تَغَيُّرِ أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ فِي اطِّرَاحِ الدُّنْيَا وَالْإِقْبَالِ عَلَى الْآخِرَةِ[1].

---

(1) الإحياء: 4/ 427.

الْمَطْلَبُ الثَّانِي: فِي مَجَارِي الْفِكْرِ

اِعْلَمْ أَنَّ الْفِكْرَ إِمَّا فِي أَمْرِ الدِّينِ، أَوْ فِي غَيْرِهِ، وَإِنَّمَا غَرَضُنَا هُوَ الْأَوَّلُ. وَالْمُرَادُ مِنْهُ الْمُعَامَلَةُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَالرَّبِّ، فَجَمِيعُ أَفْكَارِ الْعَبْدِ إِمَّا أَنْ يَتَعَلَّقَ بِالْعَبْدِ وَصِفَاتِهِ وَأَحْوَالِهِ، أَوْ بِالْمَعْبُودِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ سُبْحَانَهُ.

وَمَا يَتَعَلَّقُ بِالْعَبْدِ، إِمَّا أَنْ يَكُونَ نَظَرًا فِيمَا هُوَ مَحْبُوبٌ عِنْدَ الرَّبِّ، أَوْ فِيمَا هُوَ مَكْرُوهٌ، وَلَا حَاجَةَ إِلَى الْفِكْرِ فِي غَيْرِهِمَا.

وَمَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَعْبُودِ، إِمَّا أَنْ يَكونَ نَظَرًا فِي ذَاتِهِ [وَصِفَاتِهِ][1] وَأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، وَإِمَّا أَنْ يَكونَ نَظَرًا في أَفْعَالِهِ وَمُلْكِهِ وَمَلَكُوتِهِ، وَجَمِيعِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا.

وَإِنَّمَا انْحَصَرَ الْفِكْرُ فِيمَا ذُكِرَ، لِأَنَّ الْمُحِبَّ إِذَا اسْتَغْرَقَ في حُبِّهِ لَمْ يَتَّسِعْ فِكْرُهُ إِلَّا مُلَاحَظَةَ مَحْبُوبِهِ وَمُلَاحَظَةَ أَحْوَالٍ[2] مِنْ نَفْسِهِ، يُرْضِي مَحْبُوبَهُ، أَوْ يُسْخِطُهُ عَلَيْهِ، وَلَا مُتَّسَعَ لِغَيْرِهِمَا، فَصَارَ مَحَلُّ التَّفَكُّرِ أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ:

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: التَّفَكُّرُ في صِفَاتِ نَفْسِهِ وَأَفْعَالِهِ لِيُمَيِّزَ الْمَحْبُوبَ مِنْهَا عَنِ الْمَكْرُوهِ. وَطَرِيقُ الْفِكْرِ فِي أُمُورٍ ثَلَاثَةٍ:

الْأَوَّلُ: أَنَّهُ هَلْ هُوَ مَكْرُوهٌ عِنْدَ اللهِ أَمْ لَا، إِذْ رُبَّمَا تَشْتَبِهُ جِهَةُ الْكَرَاهَةِ.

---

(1) زيادة من قونية.

(2) أحواله، في رئيس الكتاب.

الثَّانِي: جِهَةُ الِاحْتِرَازِ عَنِ الْمَكْرُوهِ.

الثَّالِثُ: أَنَّ الْمَكْرُوهَ إِمَّا فِي الْحَالِ فَيَتْرُكُهُ، أَوْ فِي الِاسْتِقْبَالِ فَيَحْتَرِزُ عَنْهُ، أَوْ فَارَقَهُ فِيمَا مَضَى مِنَ الْأَحْوَالِ فَيَتَدَارَكُهُ. وَقِسْمُ الْمَحْبُوبِ أَيْضًا يَنْقَسِمُ إِلَى هَذِهِ الْأُمُورِ.

ثُمَّ هَذِهِ الْأُمُورُ إِمَّا طَاعَاتٌ وَمَعَاصٍ ظَاهِرَةٌ، إِمَّا فِي الْأَعْضَاءِ السَّبْعَةِ، أَوْ غَيْرِهَا، أَوْ صِفَاتٌ مُنْجِيَاتٌ وَمُهْلِكَاتٌ بَاطِنَةٌ.

النَّوْعُ الْأَوَّلُ: الْمَعَاصِي، فَيُحَاسِبُ الْإِنْسَانُ صَبِيحَةَ كُلِّ يَوْمٍ أَعْضَاءَهُ السَّبْعَةَ، بَلْ جَمِيعَ بَدَنِهِ، فَإِنْ كانَ مُلَابِسًا فِي الْحَالِ فَيَتْرُكُهَا، أَوْ لَابَسَهَا بِالْأَمْسِ فَيَتَدَارَكُهَا بِالتَّرْكِ وَالنَّدَمِ، أَوْ هُوَ مُتَعَرِّضٌ لَهَا فِي نَهَارِهِ، فَيَسْتَعِدُّ لَهَا بِالِاحْتِرَازِ وَالتَّبَاعُدِ، فَيُفَتِّشُ كُلَّ عُضْوٍ عُضْوٍ عَلَى الِانْفِرَادِ[1].

النَّوْعُ الثَّانِي: الطَّاعَاتُ، فَيَنْظُرُ أَوَّلًا فِي الْفَرَائِضِ كَيْفَ أَكْمَلَهَا، أَوْ جَبَرَ نُقْصَانَهَا بِالنَّوَافِلِ، ثُمَّ يُفَتِّشُ كُلَّ عُضْوٍ فَيَتَفَكَّرُ فِي صَرْفِهِ فِيمَا يُحِبُّهُ اللهُ.

النَّوْعُ الثَّالِثُ: فِي الصِّفَاتِ الْمُهْلِكَةِ الَّتِي مَحَلُّهَا الْقَلْبُ، مِنَ الشَّهْوَةِ وَالْغَضَبِ وَالْبُخْلِ وَالْكِبْرِ وَالْعُجْبِ، فَيَتَأَمَّلُ فِي كُلِّ مَا ذَكَرْنَا فِي الْمُهْلِكَاتِ، فَيَمْتَحِنُ قَلْبَهُ، وَيَسْتَشْهِدُ بِالْعَلَامَاتِ، وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى ادِّعَاءِ النَّفْسِ بِالتَّنَزُّهِ عَنْهَا، ثُمَّ يُبَاشِرُ عِلَاجَهُ. وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ فِي مَوْضِعِهِ.

---

(1) الإحياء: 4/ 427 ـ 428.

النَّوْعُ الرَّابِعُ: فِي الصِّفَاتِ الْمُنْجِيَاتِ، مِنَ التَّوْبَةِ وَالنَّدَمِ وَالصَّبْرِ وَالشُّكْرِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَلْيَتَفَكَّرْ كُلَّ يَوْمٍ فِي قَلْبِهِ، وَمَا الَّذِي يُعْوِزُهُ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ الْمُقَرِّبَةِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، فَإِذَا افْتَقَرَ إِلَى شَيْءٍ مِنْهَا فَلْيَعْلَمْ أَنَّهَا أَحْوَالٌ لَا يُثْمِرُهَا إِلَّا عُلُومٌ، وَأَنَّ الْعُلُومَ لَا يُثْمِرُهَا إِلَّا الْأَفْكَارُ[1].

وَأَنْفَعُ الْأُمُورِ فِي هَذَا قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ بِالتَّدَبُّرِ وَالتَّفَكُّرِ، وَيُرَدِّدُ الْآيَةَ الَّتِي هُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى التَّفَكُّرِ فِيهَا مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى وَلَوْ مِئَةَ مَرَّةٍ، وَيَتَوَقَّفُ فِي التَّأَمُّلِ وَلَوْ لَيْلَةً وَاحِدَةً، فَإِنَّ تَحْتَ كُلِّ كَلِمَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ أَسْرَارًا لَا تُحْصَى؛ وَكَذَلِكَ مُطَالَعَةُ الْأَحَادِيثِ؛ لِأَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «قَدْ أُوتِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ»[2]، وَكُلُّ كَلِمَةٍ مِنْ كَلِمَاتِهِ بَحْرٌ مِنْ بِحَارِ الْحِكْمَةِ، وَلَوْ تَأَمَّلَهُ الْعَالِمُ حَقَّ تَأَمُّلِهِ[3] لَمْ يَنْقَطِعْ فِيهِ نَظَرُهُ طُولَ عُمُرِهِ. فَهَذَا هُوَ طَرِيقُ التَّفَكُّرِ.

وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْمُبْتَدِئُ مُسْتَغْرِقَ الْوَقْتِ فِي هَذِهِ الْأَفْكَارِ حَتَّى يَصِلَ إِلَى الْمَقَامَاتِ الشَّرِيفَةِ.

وَهَذَا التَّفَكُّرُ مَعَ أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ سَائِرِ الْعِبَادَاتِ فَلَيْسَ هُوَ غَايَةَ الْمَطْلَبِ، بَلْ هُوَ مَحْجُوبٌ عَنْ مَطْلَبِ الصِّدِّيقِينَ؛ وَهُوَ التَّفَكُّرُ فِي جَلَالِ اللهِ وَجَمَالِهِ، وَاسْتِغْرَاقُهُ فِيهِ بِحَيْثُ يَفْنَى عَنْ نَفْسِهِ، وَالْفَنَاءُ فِي الْوَاحِدِ الْحَقِّ هُوَ غَايَةُ مَقْصِدِ الطَّالِبِينَ.

---

(1) الإحياء: 4/ 429-430.

(2) الحديث مع زيادة في لفظه في صحيح مسلم: 1/ 372، رقم: 523، وفي سنن الترمذي: 3/ 212، رقم: 1553.

(3) التأمل، في رئيس الكتاب.

وَالَّذِي ذَكَرْنَاهُ هُوَ عِمَارَةُ الْبَاطِنِ، وَهُوَ وَسِيلَةٌ إِلَى الْفَنَاءِ. يُرْوَى أَنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ مَنْصُورٍ لَقِيَ الْخَوَّاصَ وَهُوَ يَدُورُ في الْبَوَادِي، فَقَالَ: فِيمَ أَنْتَ؟ قَالَ: أُصَحِّحُ حَالِي فِي التَّوَكُّلِ، فَقَالَ: أَفْنَيْتَ عُمُرَكَ في عُمْرَانِ بَاطِنِكَ فَأَيْنَ الْفَنَاءُ في التَّوْحِيدِ؟!

وَبِالْجُمْلَةِ، تَعْمِيرُ الظَّاهِرِ بِالْعِبَادَاتِ لَا يُثْمِرُ إِلَّا الْجَنَّةَ دُونَ الْمُجَالَسَةِ، وَتَعْمِيرُ الْبَاطِنِ بِالصِّفَاتِ الْمُنْجِيَاتِ يُثْمِرُ الِاسْتِعْدَادَ لِلِّقَاءِ. وَأَصْلُ السَّعَادَةِ هُوَ الْفَنَاءُ لِأَنَّهُ يُثْمِرُ اللِّقَاءَ[1].

وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مُرِيدٍ يَنْبَغِي أَنْ يَكْتُبَ الصِّفَاتِ الْمُهْلِكَاتِ وَالْمُنْجِيَاتِ فِي جَرِيدَةٍ، فَمَهْمَا كُفِيَ وَاحِدَةً مِنَ الْمُهْلِكَاتِ خَطَّ عَلَيْهَا. وَيَدَعُ التَّفَكُّرَ فِيهَا، وَيَشْكُرُ اللهَ تَعَالَى عَلَى كِفَايَتِهِ إِيَّاهَا، وَتَنْزِيهِ قَلْبِهِ مِنْهَا، وَهَكَذَا حَتَّى يَفْعَلَ عَلَى الْجَمِيعِ. وَكَذَا يَفْعَلُ بِالْمُنْجِيَاتِ وَالْمُهْلِكَاتِ، وَالْمُنْجِيَاتُ وَإِنْ كَانَتْ لَا تَقْبَلُ الْإِحْصَاءَ إِلَّا أَنَّهُ يَكْفِي مِنْ كُلٍّ مِنْهَا عَشَرَةٌ، وَهِيَ الْأُصُولُ، وَهِيَ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا فِي هَذَا الْكِتَابِ[2] فَتَدَبَّرْ فِيهَا. وَهَكَذَا حَالُ الْمَعَاصِي وَالطَّاعَاتِ الظَّاهِرَةِ، إِلَّا أَنَّ كُلَّ صِنْفٍ مِنَ النَّاسِ مُبْتَلُونَ بِنَوْعٍ مِنَ الْمَعَاصِي فَيَكْفِي فِي حَقِّهِمُ التَّفَكُّرُ في ذَلِكَ النَّوْعِ[3].

---

(1) الإحياء: 4/ 431.

(2) الباب، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(3) الإحياء: 4/ 432.

الْقِسْمُ الثَّانِي: الْفِكْرُ فِي جَلَالِ اللهِ تَعَالَى وَعَظَمَتِهِ وَكِبْرِيَائِهِ.

وَفِيهِ مَقَامَانِ:

الْأَوَّلُ: الْفِكْرُ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ [وَمَعَانِي أَسْمَائِهِ، فَالصَّوَابُ أَنْ لَا يَتَعَرَّضَ لِمَجَارِي الْفِكْرِ فِي ذَاتِ اللهِ وَصِفَاتِهِ][1]، فَإِنَّ أَكْثَرَ الْعُقُولِ لَا تَحْتَمِلُهُ، بَلِ الْقَدْرُ[2] الْمُمْكِنُ مِنْ مَعْرِفَتِهِ أَنَّهُ تَعَالَى مُقَدَّسٌ عَنِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ، وَلَا مُتَّصِلٌ بِالْعَالَمِ وَلَا مُنْفَصِلٌ عَنْهُ، قَدْ حَيَّرَ عُقُولَ أَقْوَامٍ حَتَّى أَنْكَرُوهُ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْعُقُولَ تَتَحَيَّرُ فِيهِ، فَلَا يُطِيقُ مَدَّ الْبَصَرِ إِلَيْهِ إِلَّا الصِّدِّيقُونَ، ثُمَّ إِنَّهُمْ لَا يُطِيقُونَ دَوَامَ النَّظَرِ إِلَيْهِ؛ مَثَلًا عُقُولُ أَكْثَرِ النَّاسِ بِالْإِضَافَةِ إِلَيْهِ تَعَالَى كَإِبْصَارِ الْخَفَافِيشِ حَيْثُ لَا يُطِيقُ نُورَ الشَّمْسِ أَصْلًا. وَعُقُولُ الصِّدِّيقِينَ كَإِبْصَارِ الْإِنْسَانِ حَيْثُ يُطِيقُونَ النَّظَرَ، وَلَا يُطِيقُونَ دَوَامَهُ، وَلِذَلِكَ قِيلَ: تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللهِ، وَلَا تَفَكَّرُوا فِي ذَاتِهِ.

الْمَقَامُ الثَّانِي: وَهُوَ النَّظَرُ إِلَى أَفْعَالِهِ، وَعَجَائِبِ صُنْعِهِ، وَبَدَائِعِ أَمْرِهِ فِي خَلْقِهِ، فَإِنَّهَا تَدُلُّ عَلَى جَلَالِهِ وَكِبْرِيَائِهِ وَتَقَدُّسِهِ وَتَعَالِيهِ، وَتَدُلُّ عَلَى كَمَالِ عِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَعَلَى نَفَاذِ مَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، فَنَنْظُرُ[3] إِلَى صِفَاتِهِ مِنْ آثَارِ صِفَاتِهِ، فَالنَّظَرُ إِلَيْهَا مِنْ مَصْنُوعَاتِهِ؛ كَالنَّظَرِ إِلَى الشَّمْسِ فِي الطَّسْتِ،

---

(1) ما بين معقوفين سقط من قونية.

(2) بالقدر، في رئيس الكتاب.

(3) فينظر، في رئيس الكتاب.

فَالْأَفْعَالُ وَاسِطَةٌ فِي مُشَاهَدَةِ الْفَاعِلِ، فَهَذَا سِرُّ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللهِ، وَلَا تفَكَّرُوا فِي ذَاتِ اللهِ»(1).

فَالتَّفَكُّرُ فِي خَلْقِ اللهِ إِمَّا فِيمَا لَا نَعْرِفُ أَصْلَهَا، فَلَا يُمْكِنُ أَصْلًا، قالَ تَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾(2).

وَإِمَّا فِيمَا نَعْرِفُ أَصْلَهَا وَجُمْلَتَهَا، وَلَا نَعْرِفُ تَفْصِيلَهَا، فَيُمْكِنُنَا أَنْ نَتَفَكَّرَ فِي تَفْصِيلِهَا.

ثُمَّ هُوَ إِمَّا غَيْرُ مُدْرَكٍ بِالْبَصَرِ؛ كَالْمَلَائِكَةِ وَالْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ، فَمَجَالُ الْفِكْرِ فِيهِ مِمَّا يَغْمُضُ، فَلْنَعْدِلْ إِلَى الْأَقْرَبِ إِلَى الْأَفْهَامِ؛ وَهِيَ الْمُدْرَكَاتُ بِالْبَصَرِ؛ كَالسَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرَضِينَ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَكَذَا الْمَوْجُودَاتُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْمَوْجُودَاتُ عَلَى الْأَرْضِ وَفِي الْأَرْضِ.

وَلِكُلِّ هَذِهِ الْأَجْنَاسِ أَنْوَاعٌ، وَلِكُلِّ نَوْعٍ مِنْهَا أَقْسَامٌ، وَلِلْأَقْسَام أَصْنَافٌ، وَلِكُلٍّ مِنْهَا صِفَاتٌ وَهَيْئَاتٌ وَمَعَانٍ ظَاهِرَةٌ وَبَاطِنَةٌ. وَجَمِيعُ ذَلِكَ مَجَالٌ لِلْفِكْرِ(3)، فَلَا تَتَحَرَّكُ ذَرَّةٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا وَفِي حَرَكَتِهَا حِكْمَةٌ أَوْ حِكْمَتَانِ، أَوْ عَشَرَةٌ أَوْ أَلْفُ حِكْمَةٍ، كُلُّ ذَلِكَ شَاهِدٌ لِلَّهِ تَعَالَى بِالْوَحْدَانِيَّةِ،

---

(1) الزهد: 2/ 469، والإبانة عن أصول الديانة: 434، وتاريخ بغداد: 18/ 147، رقم: 694، والإحياء: 4/ 435.

(2) سورة يس الآية: 36.

(3) الفكر، في رئيس الكتاب.

دَالٌّ عَلَى جَلَالِهِ وَكِبْرِيَائِهِ.

وَقَدْ وَرَدَ الْقُرْآنُ بِالْحَثِّ عَلَى التَّفَكُّرِ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[1]. وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ فِي الْقُرْآنِ قَوْلَهُ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾، كُلُّ ذَلِكَ مُشْتَمِلٌ عَلَى الْعِبَرِ الْكَثِيرَةِ لِلْمُتَفَكِّرِينَ[2].

وَلْنَضْرِبْ لَكَ مِثَالًا أَمْكَنَكَ أَنْ تَحْذُوَ الْبَوَاقِي[3] حَذْوَهُ، وَهُوَ أَنَّ أَقْرَبَ الْأَشْيَاءِ إِلَيْكَ نَفْسُكَ، وَهِيَ مَخْلُوقَةٌ مِنْ نُطْفَةٍ هِيَ قَطْرَةٌ مِنَ الْمَاءِ، أَخْرَجَهَا رَبُّ الْأَرْبَابِ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ، وَلِإِخْرَاجِهَا مِنْ صُلْبِ الرَّجُلِ إِلَى رَحِمِ الْمَرْأَةِ أَلْقَى الْأُلْفَةَ وَالْمَحَبَّةَ بَيْنَهُمَا، وَقَادَهُمَا بِسِلْسِلَةِ الشَّهْوَةِ إِلَى الِاجْتِمَاعِ. ثُمَّ خَلَقَ مِنَ النُّطْفَةِ مَوْلُودًا بِأَنْ جَعَلَهَا عَلَقَةً، وَهِيَ بَيْضَاءُ مُشْرِقَةٌ، ثُمَّ جَعَلَهَا مُضْغَةً، ثُمَّ مَعَ تَشَابُهِ أَجْزَائِهَا قَسَّمَهَا إِلَى الْعِظَامِ وَالْأَعْصَابِ وَالْعُرُوقِ وَالْأَوْتَارِ وَاللَّحْمِ، ثُمَّ رَكَّبَ مِنْ هَذِهِ الْأَعْضَاءِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، فَقَدَّرَ[4] الرَّأْسَ، وَشَقَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْأَنْفَ وَالْفَمَ وَسَائِرَ الْمَنَافِذِ، ثُمَّ مَدَّ الْيَدَ وَالرِّجْلَ، وَقَسَّمَ رُؤُوسَهَا بِالْأَصَابِعِ، [وَقَسَّمَ الْأَصَابِعَ][5] بِالْأَنَامِلِ،

---

(1) سورة آل عمران الآية: 190.

(2) الإحياء: 4: 435.

(3) الباقي، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(4) فدوَّرَ، في أنطاليا.

(5) العبارة من أنطاليا، وقسمها، في قونية. وقد سقطت من رئيس الكتاب.

وَوَضَعَ فِيهَا الْأَظْفَارَ. ثُمَّ رَكَّبَ الْأَعْضَاءَ الْبَاطِنَةَ مِنَ الْقَلْبِ وَالْمَعِدَةِ وَالْكَبِدِ وَالطِّحَالِ وَالرِّئَةِ وَالرَّحِمِ وَالْمَثَانَةِ وَالْأَمْعَاءِ، كُلٌّ وَاحِدٍ عَلَى شَكْلٍ مَخْصُوصٍ، وَقَدْرٍ مَخْصُوصٍ، بِعَمَلٍ مَخْصُوصٍ.

ثُمَّ لَوْ ذَهَبْنَا نُفَصِّلُ أَحْوَالَ كُلٍّ مِنْهَا لَفَنِيَتِ الْقُوَى، وَتَحَيَّرَتِ النُّهَى؛ مَثَلًا كَيْفِيَّةُ إِبْصَارِ الْعَيْنِ وَطَبَقَاتُهَا، وَكَذَلِكَ كَيْفِيَّةُ السَّمْعِ وَالذَّوْقِ، لَدَهِشَتْ مِنْ عَجَائِبِهَا الْعُقُولُ. فَانْظُرْ إِلَى الْحَدَقَةِ وَهِيَ مِقْدَارُ عَدَسَةٍ كَيْفَ تُحِيطُ [بِنِصْفِ السَّمَاءِ دُفْعَةً][1] مَعَ عِظَمِهَا، وَانْظُرْ إِلَى السَّمْعِ كَيْفَ يُدْرِكُ الْأَصْوَاتَ، وَيُمَيِّزُ بَيْنَ الْحُرُوفِ، وَيُفَرِّقُ بَيْنَ جِهَاتِ الصَّوْتِ مَعَ أَنَّ الْمَدْخَلَ وَاحِدٌ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعَجَائِبِ. مَثَلًا مَجْمُوعُ عِظَامِ الْبَدَنِ مِئَتَا عَظْمٍ وَثَمَانِيَةٌ وَأَرْبَعُونَ عَظْمًا، سِوَى الْعِظَامِ الصِّغَارِ، وَلَوْ تَكَلَّمْنَا فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا لَمْ نَقْضِ مِنْ حِكْمَةِ وَاحِدٍ مِنْهَا عُشُرَ أَعْشَارِهَا فَضْلًا عَنْ سَائِرِ حِكَمِهَا[2].

إِلَّا أَنَّ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ مِنَ النَّظَرِ فِي الْحِكَمِ لَسْنَا نُرِيدُ بِهِ نَظَرَ الطَّبِيبِ فِي حِكَمِ خَوَاصِّ هَذِهِ الْأَجْزَاءِ، لِيَنْكَشِفَ وَجْهُ الْعِلَاجِ فِيهَا إِنْ زَالَ عَنْ مِزَاجِهَا الطَّبِيعِي، بَلْ نُرِيدُ بِهِ نَظَرَ أَهْلِ الْبَصَائِرِ الَّذِينَ يَسْتَدِلُّونَ بِحِكَمِهَا عَلَى جَلَالَةِ خَالِقِهَا وَمُصَوِّرِهَا، فَشَتَّانَ بَيْنَ النَّظَرَيْنِ. فَسُبْحَانَهُ سُبْحَانَهُ مَا أَعْظَمَ شَأْنَهُ وَأَظْهَرَ بُرْهَانَهُ!

---

(1) سقطت من رئيس الكتاب..

(2) الإحياء: 4/ 436.

فَهَذِهِ نُبَذٌ مِنْ عَجَائِبِ بِدَنِكَ الَّتِي لَا يُمْكِنُ اسْتِقْصَاؤُهَا، وَأَنْتَ غَافِلٌ عَنْهَا مَشْغُولٌ بِبَطْنِكَ وَفَرْجِكَ، لَا تَعْرِفُ مِنْ نَفْسِكَ إِلَّا أَنْ تَجُوعَ فَتَأْكُلَ، وَتَشْبَعَ فَتَنَامَ، وَتَشْتَهِيَ فَتُجَامِعَ، وَتَغْضَبَ فَتُقَاتِلَ. وَيُشَارِكُكَ فِي ذَلِكَ الْبَهَائِمُ وَالسِّبَاعُ كُلُّهُمْ. وَإِنَّمَا خَاصِّيَّةُ الْإِنْسَانِ مَعْرِفَةُ اللهِ تَعَالَى بِالنَّظَرِ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَعَجَائِبِ الْآفَاقِ وَالْأَنْفُسِ، إِذْ بِهَا يَدْخُلُ الْعَبْدُ فِي زُمْرَةِ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، وَيُحْشَرُ فِي زُمْرَةِ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ، مُقَرَّبًا مِنْ حَضْرَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُجَنِّبَنَا مَزَلَّةَ أَقْدَامِ الْجُهَّالِ[1].

---

(1) الإحياء: 4/ 437 ـ 448.

الْأَصْلُ الْعَاشِرُ: فِي ذِكْرِ الْمَوْتِ وَالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ.

وَفِيهِ مَطَالِبُ

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ: فِي ذِكْرِ الْمَوْتِ وَالتَّرْغِيبِ فِيهِ

اِعْلَمْ أَنَّ الْمُنْهَمِكَ فِي الدُّنْيَا، وَالْمُحِبَّ لِشَهَوَاتِهَا، يَغْفُلُ قَلْبُهُ لَا مَحَالَةَ عَنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ، وَإِنْ ذُكِّرَ بِهِ كَرِهَهُ وَنَفَرَ مِنْهُ.

ثُمَّ النَّاسُ؛ إِمَّا مُنْهَمِكٌ فَلَا يَذْكُرُ الْمَوْتَ، وَإِنْ ذَكَرَهُ فَيَذْكُرُهُ لِلتَّأَسُّفِ[1] عَلَى دُنْيَاهُ.

وَإِمَّا تَائِبٌ فَإِنَّهُ يُكْثِرُ ذِكْرَ الْمَوْتِ لِيَنْبَعِثَ مِنْ قَلْبِهِ الْخَوْفُ، فَيَفِي بِتَمَامِ التَّوْبَةِ، وَرُبَّمَا يَكْرَهُهُ خِيفَةً مِنْ أَنْ يَخْتَطِفَهُ قَبْلَ تَمَامِ تَوْبَتِهِ، وَقَبْلَ إِصْلَاحِ الزَّادِ. وَلَا يَدْخُلُ هَذَا تَحْتَ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ»[2]، فَإِنَّ هَذَا لَا يَكْرَهُ لِقَاءَ اللهِ بَلْ يَكْرَهُ فَوْتَ لِقَائِهِ.

وَإِمَّا عَارِفٌ يَذْكُرُ الْمَوْتَ دَائِمًا، لِأَنَّهُ مَوْعِدُ لِقَائِهِ لِحَبِيبِهِ، وَهَذَا فِي الْأَكْثَرِ يَسْتَبْطِئُ الْمَوْتَ لِيَتَخَلَّصَ مِنْ دَارِ الْعَاصِينَ، وَيَنْتَقِلَ إِلَى جِوَارِ رَبِّ الْعَالَمِينَ[3].

---

(1) ليتأسف، في رئيس الكتاب.

(2) مسند أحمد: 15/ 269، رقم: 9454، وصحيح مسلم: 4/ 2065، رقم: 2683، وسنن الترمذي: 2/ 366، رقم: 1066.

(3) الإحياء: 4/ 448-449.

وَهَهُنَا دَرَجَةٌ هِيَ مَقَامُ التَّسْلِيمِ وَالرِّضَا، وَهِيَ أَعْلَى مِنَ الْكُلِّ، وَصَاحِبُهَا يُفَوِّضُ أَمْرَهُ إِلَى مَوْلَاهُ، فَلَا يَخْتَارُ لِنَفْسِهِ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً، بَلْ يَكُونُ الْأَحَبُّ إِلَيْهِ مَا هُوَ الْأَحَبُّ لِمَوْلَاهُ.

وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، فِي ذِكْرِ الْمَوْتِ ثَوَابٌ، حَتَّى إِنَّ الْمُنْهَمِكَ رُبَّمَا يَسْتَفِيدُ بِهِ التَّجَافِيَ عَنِ الدُّنْيَا، لِأَنَّهُ يُكَدِّرُ عَلَيْهِ اللَّذَّاتِ وَالشَّهَوَاتِ، فَيَكُونُ مِنْ أَسْبَابِ النَّجَاةِ، وَلِذَلِكَ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هَادِمِ اللَّذَّاتِ»[1]. أَيْ: نَغِّصُوا بِذِكْرِهِ اللَّذَّاتِ، حَتَّى يَنْقَطِعَ رُكُونُكُمْ إِلَيْهَا، فَتُقْبِلُونَ عَلَى اللهِ تَعَالَى.

وَمَا وَرَدَ فِي فَضِيلَةِ الْمَوْتِ مِنَ الْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ كَثِيرَةٌ جِدًّا فَلَا نُطَوِّلُ بِذِكْرِهَا الْكَلَامَ.

إِلَّا أَنَّ ذِكْرَ الْمَوْتِ إِنَّمَا لَا يُؤَثِّرُ فِي الْقُلُوبِ لِذِكْرِكُمْ إِيَّاهُ بِظَاهِرِ قُلُوبِكُمْ وَعُذُوبَةِ أَلْسِنَتِكُمْ، وَإِلَّا فَلَوْ ذَكَرُوهُ بِقَلْبٍ فَارِغٍ عَنِ الشَّهَوَاتِ، وَإِذْعَانٍ لِحَالِ الْأَمْوَاتِ، وَإِلَى مَا صَارَ حَالُهُ بَعْدَ طُولِ فَرَحِهِمْ وَسُرُورِهِمْ بِالدُّنْيَا، وَغُرُورِهِمْ بِالْجَاهِ وَالْمَالِ وَالْأَعْوَانِ وَالْأَنْصَارِ، حَتَّى أَيْتَمُوا أَوْلَادَهُمْ، وَأَرْمَلُوا نِسَاءَهُمْ، وَتَصَرَّفَ بِأَمْوَالِهِمْ أَيْدِي النَّاسِ، بَلْ أَيْدِي أَعْدَائِهِمْ، وَكَيْفَ خَلَتْ مِنْهُمْ مَجَالِسُهُمْ وَبُيُوتُهُمْ، وَانْقَطَعَتْ آثَارُهُمْ، وَنُسِيَتْ أَسْمَاؤُهُمْ، لِأَثَرِ ذِكْرِ الْمَوْتِ فِي قُلُوبِهِمْ، وَجَعَلُوهُ نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ[2].

---

(1) مسائل الإمام أحمد: 409، رقم: 1921، وسنن ابن ماجه: 2/ 1422، رقم: 4258، والإحياء: 4/ 450.

(2) الإحياء: 4/ 451 ـ 452.

ثُمَّ إِنَّ قِصَرَ الْأَمَلِ دَيْدَنُ الْعُلَمَاءِ وَأَرْبَابِ الْقُلُوبِ. وَفَضِيلَتُهُ مَذْكُورَةٌ فِي الْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ، وَأَنَّهُ أَصْلُ كُلِّ سَعَادَةٍ، إِلَّا أَنَّ الْقُلُوبَ مُبْتَلُونَ بِطُولِ الْأَمَلِ، وَعَمَّتْ هَذِهِ الْبَلِيَّةُ الْكَافَّةَ. وَلَهُ سَبَبَانِ:

أَحَدُهُمَا: الْجَهْلُ حَيْثُ يَسْتَبْعِدُ الْمَوْتَ مَعَ الصِّحَّةِ وَالشَّبَابِ، وَلَا يَدْرِي أَنَّ مَشَايِخَ الْبَلَدِ أَقَلُّ مِنْ شُبَّانِهِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِكَثْرَةِ الْمَوْتِ فِي الشُّبَّانِ، وَالصِّبْيَانِ أَكْثَرُ، فَإِلَى أَنْ يَمُوتَ شَيْخٌ يَمُوتُ أَلْفُ صَبِيٍّ وَخَمْسُمِئَةِ شَابٍّ.

وَأَيْضًا: لَا يَدْرِي أَنَّ الْمَوْتَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَجْأَةً لَكِنِ الْمَرَضُ فَجْأَةً غَيْرُ بَعِيدٍ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْوَهْمَ لَا يُعْرَفُ مَا لَمْ يَأْلَفْهُ، فَالْإِنْسَانُ أَلِفَ مَوْتَ غَيْرِهِ وَلَمْ يَرَ مَوْتَ نَفْسِهِ أَصْلًا، فَلِذَلِكَ يَسْتَبْعِدُهُ. إِلَّا أَنَّ مَنْ لَهُ عَقْلٌ يَعْرِفُ أَنَّ الْأَجَلَ قَدَرٌ، وَالْإِنْسَانَ كُلَّ يَوْمٍ وَسَاعَةٍ فِي الْقُرْبِ إِلَيْهِ، وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ.

وَثَانِيهِمَا: حُبُّ الدُّنْيَا، فَإِنَّهُ أَنِسَ بِشَهَوَاتِهَا، فَيَشُقُّ عَلَيْهِ مُفَارَقَتُهَا، وَكُلُّ مَنْ كَرِهَ شَيْئًا دَفَعَهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَيَتَمَنَّى مَا يُوَافِقُ هَوَاهُ، فَلَا يَزَالُ يَتَوَهَّمُ الْبَقَاءَ فِي الدُّنْيَا وَأَسْبَابَهُ، إِلَى أَنْ يَتَقَرَّرَ عِنْدَهُ ذَلِكَ، وَلَا يَخْطُرَ بِبَالِهِ الْمَوْتُ، وَإِذَا خَطَرَ بِبَالِهِ الْمَوْتُ يُسَوِّفُهُ إِلَى الْكُهُولَةِ، ثُمَّ إِلَى الشَّيْخُوخَةِ، ثُمَّ إِلَى الرُّجُوعِ مِنْ سَفَرِهِ، أَوْ إِلَى الْفَرَاغِ مِنْ تَدْبِيرِ وَلَدِهِ، أَوْ جِهَازِ ابْنَتِهِ، أَوْ قَهْرِ عَدُوِّهِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَمَانِي الْبَاطِلَةِ.

وَهَكَذَا يُفْضِي بِهِ شُغْلٌ إِلَى شُغْلٍ آخَرَ أَوْ إِلَى أَشْغَالٍ، إِلَى أَنْ تَخْطَفَهُ الْمَنِيَّةُ فِي وَقْتٍ لَا يُحِبُّهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَعْظُمُ حَسْرَتُهُ وَنَدَمُهُ حِينَ لَا يَنْفَعُهُ النَّدَمُ،

وَالْمِسْكِينُ يُقَدِّرُ أَنَّهُ سَيَفْرُغُ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا، وَهَيْهَاتَ مَا فَرَغَ مِنْهَا إِلَّا مَنِ اطَّرَحَهَا، وَلَا يَزِيدُ التَّسْوِيفُ إِلَّا قُوَّةً وَرُسُوخًا، وَأَكْثَرُ حُزْنِ أَهْلِ النَّارِ وَصِيَاحِهِمْ مِنْ سَوْفَ، يَقُولُونَ: وَاحُزْنَاهُ مِنْ سَوْفَ. وَنِعْمَ مَا قِيلَ: [الوافر]

وَلَسْــتُ بِمُـدْرِكٍ مَـا فَـاتَ مِنِّي ... بِلَهْفِ وَلَا بِلَيْـتَ وَلَا لَوَ انِّي[1]

إِذَا عَرَفْتَ أَنَّ سَبَبَ طُولِ الْأَمَلِ التَّسْوِيفُ، وَسَبَبُهُ الْجَهْلُ الْمَحْضُ، أَوْ حُبُّ الدُّنْيَا، فَاعْلَمْ أَنَّ عِلَاجَهُ إِنْ كانَ مِنَ الْجَهْلِ يَنْدَفِعُ بِالْفِكْرِ الصَّافِي مِنَ الْقَلْبِ الْحَاضِرِ، وَبسَمَاعِ الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ مِنَ الْقُلُوبِ الطَّاهِرَةِ.

وَإِنْ كانَ مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا، فَعِلَاجُهُ شَدِيدٌ، وَهُوَ الدَّاءُ الْعُضَالُ الَّذِي أَعْيَا الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ عِلَاجُهُ، وَلَا عِلَاجَ لَهُ إِلَّا الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِمَا فِيهِ مِنْ عَظِيمِ الْعِقَابِ، وَجَزِيلِ الثَّوَابِ. وَمَهْمَا حَصَلَ لَهُ الْيَقِينُ بِذَلِكَ ارْتَحَلَ عَنْ قَلْبِهِ حُبُّ الدُّنْيَا، فَإِنَّ حُبَّ الْخَطِيرِ يَمْحُو عَنِ الْقَلْبِ حُبَّ الْحَقِيرِ، فَإِذَا رَأَى حَقَارَةَ الدُّنْيَا وَنَفَاسَةَ الْآخِرَةِ اسْتَنْكَفَ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَى الدُّنْيَا كُلِّهَا، وَإِنْ أُعْطِيَ مُلْكَ الْأَرْضِ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ. فَمَنْ كَانَ مُسْتَعِدًّا لِلْآخِرَةِ[2] فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا، وَمَنْ كَانَ مَغْرُورًا بِطُولِ الْأَمَلِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا[3].

---

(1) البيت من الشواهد النحوية وهو بدون نسبة في: الخصائص 3/ 135، والأشباه والنظائر 2/ 63، 179، والإنصاف 1/ 390، وأوضح المسالك 4/ 37، وخزانة الأدب 1/ 131.

(2) إلى الآخرة، في قونية.

(3) الإحياء: 4/ 456-457.

هَذَا، ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ مُتَفَاوِتُونَ فِي طُولِ الْأَمَلِ:

مِنْهُمْ: مَنْ يَأْمُلُ الْبَقَاءَ، وَيَشْتَهِي ذَلِكَ أَبَدًا، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[1].

وَمِنْهُمْ: مَنْ يَأْمُلُ إِلَى سَنَةٍ، وَإِنَّمَا يَسْتَعِدُّ فِي الشِّتَاءِ لِلصَّيْفِ، وَفِي الصَّيْفِ لِلشِّتَاءِ، وَإِذَا جَمَعَ مَا يَكْفِي لِسَنَةٍ اشْتَغَلَ بِالْعِبَادَةِ.

وَمِنْهُمْ: مَنْ يَأْمُلُ الصَّيْفَ فَقَطْ، أَوِ الشِّتَاءَ فَقَطْ، فَلَا يَسْتَعِدُّ فِي أَحَدِهِمَا لِلْآخَرِ.

وَمِنْهُمْ: مَنْ يُرْجِعُ أَمَلَهُ إِلَى يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَلَا يَسْتَعِدُّ لِغَدٍ. قَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا تَهْتَمُّوا بِرِزْقِ غَدٍ، فَإِنْ يَكُنْ غَدًا مِنْ آجَالِكُمْ فَسَتَأْتِي فِيهِ أَرْزَاقُكُمْ مَعَ آجَالِكُمْ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ آجَالِكُمْ فَلَا تَهْتَمُّوا لِأَرْزَاقِ غَيْرِكُمْ.

وَمِنْهُمْ: مَنْ لَا يُجَاوِزُ أَمَلُهُ سَاعَتَهُ، كَمَا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عَبْدَ اللهِ إِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالْمَسَاءِ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالصَّبَاحِ»[2].

وَمِنْهُمْ: مَنْ لَا يَقْدِرُ الْبَقَاءَ أَيْضًا سَاعَةً. كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «يَتَيَمَّمُ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى الْمَاءِ قَبْلَ مُضِيِّ سَاعَةٍ وَيَقُولُ: لَعَلِّي لَا أَبْلُغُهُ».

---

(1) سورة البقرة الآية: 96.

(2) الزهد والرقائق لابن المبارك: 5، ومصنف ابن أبي شيبة: 19/ 250، رقم: 37022، وسنن الترمذي: 4/ 158، رقم: 2333، وشعب الإيمان للبيهقي: 7/ 262، رقم: 10245.

وَمِنْهُمْ: مَنْ يَكُونُ الْمَوْتُ نُصْبَ عَيْنَيْهِ، كَأَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِ، وَهُوَ يَنْتَظِرُهُ، وَيُصَلِّي صَلَاتَهُ صَلَاةَ مُوَدِّعٍ، كَمَا رُوِيَ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَأَلَ مُعَاذًا عَنْ حَقِيقَةِ إِيمَانِهِ، قَالَ: مَا خَطَوْتُ خُطْوَةً إِلَّا ظَنَنْتُ أَنِّي لَا أُتْبِعُهَا أُخْرَى»[1].

وَهَذِهِ مَرَاتِبُ النَّاسِ فِي الْأَمَلِ، وَلَيْسَ مَنْ أَمَلُهُ مَقْصُورٌ عَلَى شَهْرٍ كَمَنْ أَمَلُهُ شَهْرٌ وَيَوْمٌ، وَدَرَجَاتُهُمَا عِنْدَ اللهِ تَعَالَى أَيْضًا مُتَفَاوِتَةٌ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾.

ثُمَّ إِنَّ عَلَامَةَ قِصَرِ الْأَمَلِ الْمُبَادَرَةُ فِي الْعَمَلِ قَبْلَ حُلُولِ الْأَجَلِ، وَمَنِ ادَّعَى قِصَرَ الْأَمَلِ وَهُوَ يَعْتَنِي بِالدُّنْيَا فَهُوَ كَاذِبٌ فِي دَعْوَاهُ. فَالتَّوْفِيقُ عَلَامَتُهُ أَنْ يَكُونَ الْمَوْتُ نُصْبَ الْعَيْنِ لَا يَغْفُلُ عَنْهُ سَاعَةً. فَيَسْتَعِدُّ لِلْمَوْتِ الَّذِي يَرِدُ عَلَيْهِ فِي الْوَقْتِ، فَإِنْ عَاشَ إِلَى الْمَسَاءِ شَكَرَ اللهَ عَلَى طَاعَتِهِ، وَفَرِحَ بِأَنَّهُ لَمْ يُضَيِّعْ نَهَارَهُ بَلِ اسْتَوْفَى مِنْهُ حَظَّهُ، [وَادَّخَرَهُ[2] لِنَفْسِهِ][3]، ثُمَّ يَسْتَأْنِفُ مِثْلَهُ إِلَى الصَّبَاحِ، وَهَكَذَا إِذَا أَصْبَحَ. وَلَا يَتَيَسَّرُ هَذَا إِلَّا لِمَنْ قَلْبُهُ فَرَغَ عَنِ الْغَدِ وَمَا يَكُونُ فِيهِ، فَمِثْلُ هَذَا إِذَا مَاتَ سَعِدَ وَغَنِمَ، وَإِنْ عَاشَ سُرَّ بِحُسْنِ الِاسْتِعْدَادِ وَلَذَّةِ الْمُنَاجَاةِ، فَالْمَوْتُ لَهُ سَعَادَةٌ، وَالْحَيَاةُ لَهُ مَزِيدٌ[4].

---

(1) حلية الأولياء: 1/ 242، والإحياء: 4/ 458، والمغني عن حمل الأسفار في الأسفار: 1836.

(2) وادخر، في رئيس الكتاب.

(3) ما بين معقوفين سقط من أنطاليا.

(4) الإحياء: 4/ 458.

الْمَطْلَبُ الثَّانِي: دَوَاهِي الْمَوْتِ

وَهِيَ أَرْبَعٌ:

الْأَوَّلُ: في شِدَّةِ النَّزْعِ

وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَلَمَ الْمُصِيبَ لِلْبَدَنِ إِنَّمَا يُدْرَكُ بِوَاسِطَةِ الرُّوحِ، وَإِذَا وَصَلَ الْأَلَمُ إِلَى نَفْسِ الرُّوحِ فَلَا تَسْأَلْ عَنْ كُرَبِهِ وَأَلَمِهِ، حَتَّى قَالُوا: إِنَّهُ أَشَدُّ مِنْ ضَرْبٍ بِالسُّيُوفِ، وَنَشْرٍ بِالْمَنَاشِيرِ، وَقَرْضٍ بِالْمَقَارِيضِ، وَإِنَّمَا لَا يَقْدِرُ عَلَى الصِّيَاحِ مَعَ شِدَّةِ أَلَمِهِ لِزِيَادَةِ الْكَرْبِ، حَيْثُ قَهَرَ كُلَّ قُوَّةٍ، وَضَعُفَ كُلُّ جَارِحَةٍ، فَلَمْ يَبْقَ لَهُ قُوَّةٌ [إِلَّا][1] الِاسْتِغَاثَةُ. أَمَّا الْعَقْلُ فَقَدْ غَشِيَهُ وَشَوَّشَهُ، وَأَمَّا اللِّسَانُ فَقَدْ أَبْكَمَهُ، وَأَمَّا الْأَطْرَافُ فَقَدْ ضَعَّفَهَا، حَتَّى إِنْ بَقِيَتْ فِيهِ قُوَّةٌ سَمِعْتَ لَهُ خُوَارًا وَغَرْغَرَةً مِنْ صَدْرِهِ وَحَلْقِهِ، حَتَّى يَبْلُغَ بِهَا إِلَى الْحُلْقُومِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَنْقَطِعُ نَظَرُهُ عَنِ الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا، وَتُغْلَقُ دُونَهُ أَبْوَابُ التَّوْبَةِ، وَتُحِيطُ بِهِ الْحَسْرَةُ وَالنَّدَامَةُ، قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تُقْبَلُ تَوْبَةُ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ»[2].

فَلَا تَسَلْ عَنْ عِظَمِ مَرَارَةِ الْمَوْتِ وَكُرَبِهِ عِنْدَ تَرَادُفِ سَكَرَاتِهِ، وَلِذَلِكَ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَى مُحَمَّدٍ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ»[3].

---

(1) سقطت من قونية.

(2) شعب الإيمان: 5/ 396، رقم: 7064، والإحياء: 4/ 462.

(3) ورد في مسند أحمد: 40/ 415، رقم: 24356، وسنن الترمذي: 2/ 298، رقم: 978، وعمل اليوم والليلة للنسائي: 588، رقم: 1091 بلفظ: «اللهم أعني على سكرات الموت».

وَالنَّاسُ إِنَّمَا لَا يَسْتَعِيذُونَ مِنْهُ وَلَا يَسْتَعْظِمُونَهُ لِجَهْلِهِمْ بِهِ، حَتَّى أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لِمَعْرِفَتِهِمْ بِهِ يَخَافُونَ مِنْ ذَلِكَ خَوْفًا شَدِيدًا[1].

الثَّانِيَةُ: مُشَاهَدَةُ [صُورَةِ][2] مَلَكِ الْمَوْتِ، وَدُخُولُ الرَّوْعِ مِنْهُ عَلَى الْقَلْبِ، فَلَوْ رَأَى صُورَتَهُ الَّتِي يَقْبِضُ عَلَيْهَا رُوحَ الْعَبْدِ الْمُذْنِبِ أَعْظَمُ الرِّجَالِ قُوَّةً لَمْ يُطِقْ رُؤْيَتَهُ، إِلَّا أَنَّ الْمُطِيعَ يَرَاهُ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ وَأَجْمَلِهَا.

الثَّالِثَةُ: مُشَاهَدَةُ الْعُصَاةِ مَوَاضِعَهُمْ مِنَ النَّارِ، وَلَنْ تَخْرُجَ أَرْوَاحُهُمْ مَا لَمْ يَسْمَعُوا نَغْمَةَ مَلَكِ الْمَوْتِ بِإِحْدَى الْبُشْرَيَيْنِ، إِمَّا أَبْشِرْ يَا عَدُوَّ اللهِ بِالنَّارِ، أَوْ أَبْشِرْ يَا وَلِيَّ اللهِ بِالْجَنَّةِ.

الرَّابِعَةُ: خَوْفُ سُوءِ الْخَاتِمَةِ، وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ فِي الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ فَلَا نُعِيدُهُ[3].

ثُمَّ الْمُسْتَحَبُّ لِلْمُحْتَضَرِ عِنْدَ الْمَوْتِ هُوَ صَوْتُ الْهُدُوءِ وَالسُّكُونِ، وَمِنْ لِسَانِهِ أَنْ يَكُونَ نَاطِقًا بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَمِنْ قَلْبِهِ أَنْ يَكُونَ حَسَنَ الظَّنِّ بِاللهِ.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ارْقُبُوا الْمَيِّتَ عِنْدَ ثَلَاثٍ: إِذَا رَشَحَ جَبِينُهُ، وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، وَيَبِسَتْ شَفَتَاهُ، فَهِيَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ قَدْ نَزَلَتْ بِهِ، وَإِذَا غَطَّ غَطِيطَ الْمَجْنُونِ، وَاحْمَرَّ لَوْنُهُ، وَأَزْبَدَتْ شَفَتَاهُ، فَهِيَ مِنْ عَذَابِ اللهِ قَدْ نَطَقَ بِهِ، وَأَمَّا انْطِلَاقُ لِسَانِهِ بِالشَّهَادَةِ فَهِيَ مِنْ عَلَامَةِ الْخَيْرِ»[4].

---

(1) الإحياء: 4/ 463.

(2) سقطت من رئيس الكتاب.

(3) الإحياء: 4/ 464.

(4) نوادر الأصول في أحاديث الرسول: 1/ 414، والإحياء: 4/ 465.

إِلَّا أَنَّ الْمُلَقِّنَ لَا يُلِحُّ عَلَيْهِ، إِذْ رُبَّمَا يَسْتَثْقِلُهُ لِشِدَّةِ حَالِهِ، وَيُخْشَى أَنْ يُفْضِيَ إِلَى سُوءِ الْخَاتِمَةِ.

وَإِنَّمَا مَعْنَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ أَنْ يَمُوتَ الرَّجُلُ وَلَيْسَ فِي قَلْبِهِ غَيْرُ اللهِ، فَإِنْ لَمْ يَبْقَ غَيْرُ اللهِ تَعَالَى فَهُوَ فِي النَّعِيمِ الدَّائِمِ، وَإِنْ كانَ مَشْغُوفًا بِالدُّنْيَا، وَمُتَأَسِّفًا عَلَى لَذَّاتِهَا، كَانَ أَمْرُهُ إِلَى خطرِ الْمَشِيئَةِ، فَإِنَّ مُجَرَّدَ حَرَكَةِ اللِّسَانِ قَلِيلُ الْجَدْوَى، إِلَّا أَنْ يَتَفَضَّلَ اللهُ بِالْقَبُولِ، وَإِنَّمَا الْوَاجِبُ عَلَى الْعَبْدِ حُسْنُ الظَّنِّ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ[1].

(1) الإحياء: 4/ 466.

الْمَطْلَبُ الثَّالِثُ: فِي حَقِيقَةِ الْمَوْتِ وَأَحْوَالِ الْمَيِّتِ

اِعْلَمْ أَنَّ لِلنَّاسِ فِي أَحْوَالِ الْمَوْتِ ظُنُونًا فَاسِدَةً، ظَنَّ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ هُوَ الْعَدَمُ، وَلَا حَشْرَ وَلَا نَشْرَ، بَلِ الْمَوْتَى كَالنَّبَاتِ وَجَفَافِهَا، هَذَا رَأْيُ الْمَلَاحِدَةِ وَكُلِّ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ. وَظَنَّ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ يَنْعَدِمُ بِالْمَوْتِ، لَا يَتَنَعَّمُ وَلَا يَتَأَلَّمُ إِلَى أَنْ يُعَادَ فِي وَقْتِ الْحَشْرِ. وَقَالَ آخَرُونَ: الْأَرْوَاحُ بَاقِيَةٌ وَهِيَ الْمُثَابُ وَالْمُعَاقَبُ دُونَ الْأَجْسَادِ[1]، وَأَنَّهَا لَا تُبْعَثُ وَلَا تُحْشَرُ أَصْلًا. وَكُلُّ هَذِهِ ظُنُونٌ فَاسِدَةٌ، وَمَائِلَةٌ عَنِ الْحَقِّ.

وَالْحَقُّ الَّذِي نَطَقَتْ بِهِ الْآيَاتُ وَالْأَخْبَارُ أَنَّ الْمَوْتَ تَغَيُّرُ حَالٍ، لَا عَدَمٌ، وَأَنَّ الرُّوحَ بَاقِيَةٌ بَعْدَ مُفَارَقَةِ الْجَسَدِ، إِمَّا مُعَذَّبَةٌ أَوْ مُنَعَّمَةٌ، وَمَعْنَى مُفَارَقَتِهَا لِلْجَسَدِ انْقِطَاعُ تَصَرُّفِهَا فِي الْجَسَدِ، وَلا يَبْعُدُ أَنْ تُعَادَ إِلَى الْجَسَدِ فِي الْقَبْرِ قَدْرَ مَا يُدْرِكُ اللَّذَّةَ وَالْأَلَمَ، وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يُؤَخَّرَ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ. وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا حَكَمَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ[2].

وَأَمَّا نَفْسُهُ وَرُوحُهُ، فَهِيَ بَاقِيَةٌ، نَعَمْ تُغَيَّرُ حَالُهَا مِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ بِالْمَوْتِ سُلِبَ عَنْ أَمْوَالِهِ وَأَهْلِهِ وَسَائِرِ أَحْوَالِهِ إِلَى عَالَمٍ آخَرَ لَا يُنَاسِبُ هَذَا الْعَالَمَ، إِمَّا سَعِيدُ الْحَالِ، أَوْ شَقِيُّ الْبَالِ.

---

(1) الأجسام، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(2) الإحياء: 4/ 493

وَثَانِيهِمَا: أَنَّهُ يَنْكَشِفُ لَهُ مَا يَضُرُّهُ، أَوْ مَا يَنْفَعُهُ مِنْ حَسَنَاتِهِ وَسَيِّئَاتِهِ، وَ«النَّاسُ نِيَامٌ فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهُوا»[1]. فَإِمَّا يَتَنَعَّمُ أَوْ يَتَأَلَّمُ، وَهَذِهِ أَحْوَالٌ تَهْجُمُ عَلَيْهِ قَبْلَ الدَّفْنِ.

وَأَمَّا بَعْدَ الدَّفْنِ فَقَدْ تُرَدُّ رُوحُهُ، إِمَّا لِنَوْعٍ آخَرَ مِنَ الْعَذَابِ، أَوْ لِنَوْعٍ آخَرَ مِنَ الثَّوَابِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَّا الْخِزْيُ وَالِافْتِضَاحُ وَهَتْكُ السِّرِّ عِنْدَ الْمَوْتِ لَكَفَاهُ، وَلَكِنْ وَرَاءَهُ أُمُورٌ أُخَرُ لا يَكَادُ تُعَبِّرُ عَنْهُ الْأَلْسِنَةُ[2].

وَأَمَّا إِنْ كانَ مِنْ أَهْلِ التَّنْعِيمِ، يَنْكَشِفُ لَهُ عَقِيبَ الْمَوْتِ مِنْ سَعَةِ جَلَالِ اللهِ مَا تَكُونُ الدُّنْيَا بِالْإِضَافَةِ إِلَيْهِ كَالسِّجْنِ وَالْمَضِيقِ، وَيَكُونُ مِثَالُهُ كَالْمَحْبُوسِ فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ، فُتِحَ لَهُ بَابٌ إِلَى بُسْتَانٍ وَاسِعِ الْأَكْنَافِ، لا يَبْلُغُ طَرْفُهُ أَقْصَاهُ، فِيهِ أَنْوَاعُ الْأَشْجَارِ وَالْأَزْهَارِ وَالطُّيُورِ وَالثِّمَارِ، فَلَا يَشْتَهِي الْعَوْدَةَ إِلَى السِّجْنِ الْمُظْلِمِ[3].

ثُمَّ فِي أَحْوَالِ الْقَبْرِ ثَلَاثَةُ مَقَامَاتٍ:

أَحَدُهَا؛ وَهُوَ الْأَسْلَمُ، أَنْ يُصَدِّقَ بِوُجُودِهَا، وَلَا يُفَتِّشَ عَنْ كَيْفِيَّتِهَا.

وَثَانِيهَا: أَنْ يُفَتِّشَ عَنْ أَحْوَالِهِ، وَيَقِيسَ ذَلِكَ إِلَى نَائِمٍ يَرَى فِي نَوْمِهِ مَا يَخَافُهُ أَوْ يَتَنَعَّمُ مِنْهُ، وَلَا يَقِفُ عَلَيْهِ مَنْ يُجَاوِرُهُ وَلَوْ فِي فِرَاشٍ وَاحِدٍ، وَلَا

---

(1) كشف الخفاء للعجلوني: 2/ 388، وتخريج أحاديث الإحياء: 5/ 2094، والإحياء: 4/ 494.

(2) الإحياء: 4/ 495.

(3) المصدر نفسه: 4/ 496 - 497.

يَخْفَى أَنَّ النَّوْمَ أَخُو الْمَوْتِ.

وَثَالِثُهَا: أَنَّ الْحَيَّةَ لا تُعَذِّبُ بَلِ السُّمُّ، وَكَذَا السُّمُّ لَا يُعَذِّبُ بَلِ الْمُؤْلِمُ أَثَرُهُ، وَخَلْقُ الْأُمُورِ بِدُونِ أَسْبَابِهَا الْعَادِيَّةِ جَائِزَةٌ فِي قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى، وَكَذَا الْحَالُ فِي اللَّذَّةِ.

ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ الْبَصَائِرِ قَدْ حَكَمُوا بِإِمْكَانِ هَذِهِ الطُّرُقِ الثَّلَاثِ، فَصَدِّقْ بِهِمْ تَقْلِيدًا، وَأَمَّا مَنْ يَعْرِفُ ذَلِكَ تَحْقِيقًا فَيَعِزُّ عَلَى بَسِيطَةِ الْأَرْضِ.

وَعَلَيْكَ أَنْ لَا تَشْتَغِلَ بِمَعْرِفَةِ تَفَاصِيلِ الْعَذَابِ، بَلِ اللَّائِقُ بِكَ الِاشْتِغَالُ بِالتَّدْبِيرِ فِي دَفْعِ الْعَذَابِ[1].

وَإِنْ أَرَدْتَ مَعْرِفَةَ كَيْفِيَّاتِ الْعَذَابِ، فَعَلَيْكَ بِمُطَالَعَةِ الْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ، إِذْ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ فِي هَذَا الْعَالَمِ لَا يُمْكِنُ إِلَّا بِمُشَاهَدَةٍ بِعَيْنٍ أُخْرَى غَيْرِ عَيْنٍ يُشَاهَدُ بِهَا عَالَمُ الْمُلْكِ وَالشَّهَادَةِ، وَلَكِنَّ الْإِنْسَانَ جَعَلَ غِشَاوَةً عَلَى عَيْنِهِ الَّتِي يُشَاهِدُ بِهَا عَالَمَ الْغَيْبِ مِنْ شَهَوَاتِهِ وَأَشْغَالِهِ الدُّنْيَوِيَّةِ، فَصَارَ لَا يُبْصِرُ بِهَا. وَلَمَّا كَانَتْ أَعْيُنُ الْأَنْبِيَاءِ مُنْقَشِعَةً عَنِ الْغِشَاوَةِ، شَاهَدُوا تِلْكَ الْأَحْوَالَ، وَأَخْبَرُوا بِهَا، فَتَتَبَّعْ ذَلِكَ مِنْ أَخْبَارِهِمْ. وَمِنْ هَذِهِ الْمُشَاهَدَةِ حَالُ الرُّؤْيَا الَّتِي نَرَاهَا فِي الْمَنَامِ، إِذْ كَثِيرٌ مِنْهَا تُوجَدُ صَحِيحَةً.

---

(1) الإحياء: 4/ 500 ـ 501.

وَالْقَوْلُ فِي حَقِيقَةِ الرُّؤْيَا مِنْ دَقَائِقِ عِلْمِ الْمُكَاشَفَةِ، وَهِيَ أَمْرٌ عَظِيمٌ، لَكِنَّ النَّاسَ غَافِلُونَ عَنْهَا.

وَإِجْمَالُ الْقَوْلِ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ كَالْمِرْآةِ. وَلَوْحُ اللهِ تَعَالَى مَكْتُوبٌ فِيهَا جَمِيعُ مَا كانَ وَمَا سَيَكُونُ، لَا عَلَى لَوْحٍ مِنْ خَشَبٍ أَوْ حَدِيدٍ، بَلْ عَلَى شَيْءٍ مُجَرَّدٍ، لَا بِكِتَابَةٍ مَعْهُودَةٍ، بَلْ بِنَقْشٍ مَعْنَوِيٍّ.

ثُمَّ الْحَوَاسُّ إِذَا تَعَطَّلَتْ بِالنَّوْمِ، ارْتَفَعَ حِجَابُ النَّفْسِ، إِذْ لَا حِجَابَ لَهَا غَيْرُ الِالْتِفَاتِ إِلَى الْمَحْسُوسَاتِ، فَحِينَئِذٍ يَتَقَابَلُ اللَّوْحُ وَمِرْآةُ النَّفْسِ، فَتُنْتَقَشُ فِيهَا صُوَرُ اللَّوْحِ. إِلَّا أَنَّ النَّوْمَ لَا يَمْنَعُ الْخَيَالَ عَنْ عَمَلِهِ، فَيُحَاكِي الْمَعَانِيَ بِمِثَالٍ يُقَارِبُ ذَلِكَ الْمَعْنَى، فَالْمُعَبِّرُ إِنَّمَا يُعَبِّرُ عَنِ الصُّورَةِ الْخَيَالِيَّةِ إِلَى الْمَعْنَى الْمَأْخُوذِ مِنَ اللَّوْحِ فَيَحْكُمُ بِجَلِيَّةِ الْحَالِ.

وَلْنَذْكُرْ مِثَالًا مِنَ التَّعْبِيرِ، وَهُوَ أَنَّ رَجُلًا ذَكَرَ لِابْنِ سِيرِينَ: رَأَيْتُ كَأَنَّ بِيَدِي خَاتَمًا أَخْتِمُ بِهِ أَفْوَاهَ الرِّجَالِ وَفُرُوجَ النِّسَاءِ، فَقَالَ: أَنْتَ مُؤَذِّنٌ تُؤَذِّنُ قُبَيْلَ الصُّبْحِ فِي رَمَضَانَ، فَقَالَ: صَدَقْتَ.

فَانْظُرْ أَنَّ رُوحَ الْخَتْمِ الْمَنْعُ، وَالنَّفْسَ لَمَّا انْتَقَشَ حَالُهُ مِنَ اللَّوْحِ بِأَنَّهُ يَمْنَعُ النَّاسَ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْجِمَاعِ، وَلَكِنَّ الْخَيَالَ أَلِفَ الْمَنْعَ عِنْدَ الْخَتْمِ بِالْخَاتَمِ فَتَمَثَّلَهُ بِالصُّورَةِ الْخَيَالِيَّةِ، ثُمَّ لَا يَبْقَى فِي الْحِفْظِ إِلَّا هَذِهِ الصُّورَة، فَالْمُعَبِّرُ إِذَا سَمِعَهَا يَعْرِفُ الْمُنَاسَبَةَ بَيْنَ هَذِهِ الصُّورَةِ وَمَعْنَاهَا، فَيُعَبِّرُ عَنِ الصُّورَةِ إِلَى الْمَعْنَى.

فَهَذِهِ نُبْذَةٌ يَسِيرَةٌ مِنْ بَحْرِ عِلْمِ الرُّؤْيَا الَّتِي لَا تَنْحَصِرُ عَجَائِبُهُ.

ثُمَّ إِنَّ الْإِنْسَانَ عِنْدَ مَوْتِهِ يَنْكَشِفُ لَهُ الْحِجَابُ، فَيَرَى نَفْسَهُ إِمَّا مَحْفُوفَةً بِالْمَخَازِي وَالْأَنْكَالِ وَالْفَضَائِحِ - نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ ذَلِكَ - أَوْ مَكْنُوفًا بِنَعِيمٍ مُقِيمٍ، وَبِمُلْكٍ كَبِيرٍ لَا آخِرَ لَهُ[1].

فَأَعْلَمُ الْعُلَمَاءِ وَأَحْكَمُ الْحُكَمَاءِ يَنْكَشِفُ لَهُ عَقِيبَ الْمَوْتِ مِنَ الْعَجَائِبِ وَالْآيَاتِ مَا لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِهِ قَطُّ، وَلَا اخْتَلَجَ بِهِ ضَمِيرُهُ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِلْعَاقِلِ هَمٌّ وَلَا غَمٌّ إِلَّا التَّفَكُّرَ فِي خَطَرِ تِلْكَ الْحَالَةِ لَكَانَ ذَلِكَ كَافِيًا فِي اسْتِغْرَاقِ جَمِيعِ الْعُمُرِ.

وَالْعَجَبُ مِنْ غَفْلَتِنَا وَهَذِهِ الْعَظَائِمُ بَيْنَ أَيْدِينَا، وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ فَرَحُنَا بِأَمْوَالِنَا وَأَهْلِينَا وَأَسْبَابِنَا وَدَوَابِّنَا، بَلْ بِأَعْضَائِنَا وَأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا، مَعَ أَنَّا نَعْلَمُ مُفَارَقَةَ جَمِيعِ ذَلِكَ يَقِينًا، وَلَكِنْ أَيْنَ مَنْ يَنْفُثُ رُوحَ الْقُدُسِ فِي رُوعِهِ، فَيَقُولُ لَهُ مَا قَالَ سَيِّدُ الْبَشَرِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحْبِبْ مَا أَحْبَبْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَعِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ»[2].

فَلَا جَرَمَ لَمَّا كَانَ ذَلِكَ مَكْشُوفًا لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَيْنِ الْيَقِينِ، كَانَ فِي الدُّنْيَا كَعَابِرِ سَبِيلٍ، لَمْ يَضَعْ لَبِنَةً عَلَى لَبِنَةٍ، وَلَا قَصَبَةً عَلَى قَصَبَةٍ، وَلَمْ

---

(1) الإحياء: 4/ 505.

(2) الحديث بلفظ آخر في المعجم الأوسط للطبراني: 5/ 119، رقم: 4845، وشعب الإيمان للبيهقي: 7/ 349، رقم: 10541.

يُخَلِّفْ دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَلَمْ يَتَّخِذْ حَبِيبًا وَلَا خَلِيلًا، نَعَمْ قَالَ: «لَوْ كُنْتُ مَتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا؛ وَلَكِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ».

فَبَيَّنَ أَنَّ خُلَّةَ الرَّحْمَنِ تَخَلَّلَتْ بَاطِنَ قَلْبِهِ، وَأَنَّ حُبَّهُ تَمَكَّنَ مِنْ حَبَّةِ قَلْبِهِ، فَلَمْ يَتْرُكْ فِيهِ مُتَّسَعًا لِخَلِيلٍ وَلَا حَبِيبٍ.

وَقَدْ قالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأُمَّتِهِ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾(1). وَإِنَّمَا أُمَّتُهُ مَنِ اتَّبَعَهُ، وَمَا اتَّبَعَهُ إِلَّا مَنْ أَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا وَأَقْبَلَ عَلَى الْآخِرَةِ، فَإِنَّهُ مَا دَعَا إِلَّا إِلَى اللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَمَا صَرَفَ إِلَّا عَنِ الدُّنْيَا وَالْحُظُوظِ الْعَاجِلَةِ، فَبِقَدْرِ مَا أَعْرَضْتَ عَنِ الدُّنْيَا، وَأَقْبَلْتَ عَلَى الْآخِرَةِ، فَقَدْ سَلَكْتَ سَبِيلَهُ، وَبِقَدْرِ مَا سَلَكْتَ سَبِيلَهُ اتَّبَعْتَهُ، وَبِقَدْرِ مَا اتَّبَعْتَهُ صِرْتَ مِنْ أُمَّتِهِ؛ وَبِقَدْرِ مَا أَقْبَلْتَ عَلَى الدُّنْيَا عَدلْتَ عَنْ سَبِيلِهِ، وَرَغِبْتَ عَنْ مُتَابَعَتِهِ، وَالْتَحَقْتَ بِالَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾(2).

وَلَوْ أَنْصَفْتَ مِنْ نَفْسِكَ وَأَنْتَ مِنْ حِينِ تُصْبِحُ إِلَى حِينِ تُمْسِي لَا تَسْعَى إِلَّا فِي الْحُظُوظِ الْعَاجِلَةِ، لَمْ(3) تَطْمَعْ أَنْ تَكُونَ غَدًا مِنْ أُمَّتِهِ وَأَتْبَاعِهِ، فَإِنْ

---

(1) سورة آل عمران الآية: 31.

(2) سورة النازعات الآية: 37 ـ 38 ـ 39.

(3) ثم، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

ظَنَنْتَ هَذَا فَأَنْتَ مُصِرٌّ عَلَى مَا فَعَلْتَ، فَمَا أَبْعَدَ ظَنَّكَ، وَمَا أَبْرَدَ طَمَعَكَ: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[1].

فَنَرْجُو اللهَ تَعَالَى أَنْ لَا يُعَامِلَنَا بِمَا نَسْتَحِقُّهُ، وَيَتَفَضَّلَ عَلَيْنَا بِمَا هُوَ أَهْلُهُ بِمَنِّهِ وَسَعَةِ جُودِهِ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ، وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِي التَّابِعِينَ، وَرَضِيَ اللهُ عَنَّا وَعَنْ آبَائِنَا وَأُسْتَاذِينَا، وَعَنْ أَصْحَابِ الْحُقُوقِ عَلَيْنَا، وَعَنْ أَقَارِبِنَا وَعَشَائِرِنَا، وَعَنْ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ. آمِينْ آمِينْ.

---

(1) سورة القلم الآية: 35 ـ 36. والإحياء: 4/ 506.

مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي
تأسست 1988 ESTABLISHED
AL-FURQĀN
ISLAMIC HERITAGE FOUNDATION



مفتاح السعادة ومصباح السيادة
في موضوعات العلوم

لأحمد بن مصطفى بن خليل، الشَّهير بطاش كبري زاده (968هـ/ 1561م)

(المجلد 5)

حقّقه وعلّق عليه: أحمد شوقي بنبين، ومحمّد سعيد حنشي، وعبد العالي لمدبّر

مركز دراسات المخطوطات الإسلامية
سلسلة النصوص المحققة

مفتاح السَعادة ومصباح السِيادة
في موضوعات العلوم

لأحمد بن مصطفى بن خليل، الشَّهير بطاش كبري زاده (968هـ/ 1561م)

(المجلّد 5)

حقّقه وعلّق عليه:

أحمد شوقي بنبين، ومحمّد سعيد حنشي، وعبد العالي لمدبّر

مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي
مركز دراسات المخطوطات الإسلامية
سلسلة النصوص المحقّقة

العنوان الأصلي للكتاب: مفتاحُ السّعادة ومصباحُ السِيادة، في موضوعات العلوم/
Miftāḥ al-Saʿāda wa Miṣbāḥ al-Siyyāda fī Mawḍūʿāt al-ʿUlūm (The Key to Happiness and the Lamp of Sovereignty in the Subjects of Science).

الموضوعات: المراجع الببليوغرافية، علم تصنيف العلوم، النصوص المحقّقة، السير والأعلام، تحقيق المخطوطات

الطبعة الأولى: 1445 هـ/ 2024م

ردمك المجموعة: 978-1-78814-564-0
ردمك المجلد 5: 978-1-78814-569-5

طبع في بيروت- لبنان

22A Old Court Place
London W8 4PL, UK
+44 (0) 203 130 1530
info@al-furqan.com
www.al-furqan.com

مفتاح السَعادة ومصباح السِيادة
في موضوعات العلوم

لأحمد بن مصطفى بن خليل، الشّهير بطاش كبري زاده (968هـ/ 1561م)

(المجلّد 5)

حقّقه وعلّق عليه:

أحمد شوقي بنبين، ومحمّد سعيد حنشي، وعبد العالي لمدبّر

مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي

ESTABLISHED 1988

AL-FURQĀN

ISLAMIC HERITAGE FOUNDATION

مركز دراسات المخطوطات الإسلامية

سلسلة النصوص المحقّقة

الفهارس العامة للكتاب

فهرس الآيات القرآنية الكريمة(1)

الآية	السورة	الآية	الصفحة
﴿الحمد لله رَبِّ الْعَالَمِينَ ...﴾	الفاتحة	1ـ3	(3):1190، 1416، 1483
﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾	الفاتحة	4	(3):1218، 1416، 1483
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	الفاتحة	5	(3):1293، 1416، 1483
﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	الفاتحة	6	(3):1245، 1416، 1483، 1484
﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ...﴾	الفاتحة	7	(2):718، (3): 1414، 1474، 1484، 1499
﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ﴾	البقرة	2	(3):1251
﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾	البقرة	3	(3):1332
﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ...﴾	البقرة	4	(3):1163
﴿أُولَئِكَ على هُدًى...﴾	البقرة	5	(3):1161، 1246، 1263
﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ...﴾	البقرة	6	(3): 1366
﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ...﴾	البقرة	7	(3):1292
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا...﴾	البقرة	8	(3): 1402، 1496
﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾	البقرة	10	(3): 1379
﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾	البقرة	17	(3):1448
﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾	البقرة	18	(3):1335
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا﴾	البقرة	21	(3): 1373

(1) ـ القرآن الكريم برواية حفص.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ...﴾	البقرة	22	(2):728، (3): 1394
﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِن مِثْلِهِ﴾	البقرة	23	(1):290، (3):1307، 1369
﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾	البقرة	24	(3):1311
﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾	البقرة	25	(3):1272، 1283
﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾	البقرة	30	(3) :1367، 1386
﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ﴾	البقرة	31	(3):1166
﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا...﴾	البقرة	32	(2): 926
﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ﴾	البقرة	35	(3):1303، 1474
﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾	البقرة	37	(3):1230
﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ...﴾	البقرة	39	(4):1874
﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ...﴾	البقرة	44	(1):81
﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ..﴾	البقرة	45	(3):1261
﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ...﴾	البقرة	48	(3):1328، 1337، 1354
﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾	البقرة	59	(3):1356
﴿كُونُوا قِرَدَةً﴾	البقرة	65	(3): 1369
﴿يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾	البقرة	67	(2):721
﴿لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ...﴾	البقرة	68	(3):1448
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ...﴾	البقرة	86	(3):1163
﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ...تَقْتُلُونَ﴾	البقرة	87	(3): 1407، (4):2349
﴿فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾	البقرة	88	(1):215
﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ...﴾	البقرة	96	(4):2507
﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾	البقرة	98	(3):1356
﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ...﴾	البقرة	101	(3):1328

﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ﴾	البقرة	102	(3): 1340
﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا...﴾	البقرة	106	(3): 1296
﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ...﴾	البقرة	111	(3): 1392
﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾	البقرة	115	(3): 1192
﴿كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾	البقرة	116	(3): 1247
﴿وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ...﴾	البقرة	117	(3): 1262، 1370
﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ..﴾	البقرة	121	(1): 47
﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾	البقرة	124	(3): 1396
﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ ...﴾	البقرة	125	(3): 1195
﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ...﴾	البقرة	127	(3): 1791
﴿نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ ...﴾	البقرة	133	(3): 1378
﴿عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى﴾	البقرة	135	(3): 1498
﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ...﴾	البقرة	137	(3): 1810
﴿صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ...﴾	البقرة	138	(2): 1092، (3): 1393، 1441
﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾	البقرة	152	(3): 1755
﴿صَلَوَاتٌ مِن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾	البقرة	157	(2): 731
﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ﴾	البقرة	158	(3): 1192
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا...﴾	البقرة	159	(3): 1246
﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ...﴾	البقرة	163	(3): 1501، (4): 1863، 1874
﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	البقرة	164	(3): 1343، (4): 1863
﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	البقرة	169	(3): 1528
﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ...﴾	البقرة	171	(3): 1333
﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ...﴾	البقرة	176	(3): 1497

﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ...﴾	البقرة	177	(3): 1351، 1358، 1403، (4): 2323
﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾	البقرة	178	(3): 1292
﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾	البقرة	179	(2): 722، (3): 1536
﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ...﴾	البقرة	180	(3): 1339، (4): 2213
﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾	البقرة	184	(3): 1340
﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي...﴾	البقرة	186	(3): 1837
﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ...﴾	البقرة	187	(3): 1300
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ...﴾	البقرة	189	(3): 1275، 1276، 1289، 1476، 1512
﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾	البقرة	196	(3): 1724
﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً...﴾	البقرة	201	(3): 1710، 1781، (4): 1913
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ...﴾	البقرة	204	(3): 1474
﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا...﴾	البقرة	209	(3): 1408
﴿وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى...﴾	البقرة	213	(3): 1378
﴿مَتَى نَصْرُ اللهِ﴾	البقرة	214	(3): 1367
﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا...﴾	البقرة	216	(3): 1447
﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي...﴾	البقرة	237	(3): 1254
﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ...﴾	البقرة	238	(3): 1353
﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ...﴾	البقرة	245	(3): 1366
﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ...﴾	البقرة	249	(3): 1447
﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ...﴾	البقرة	255	(2): 724، (3): 1294، 1326، 1367، 1487

﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾	البقرة	257	(3): 1269
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ...﴾	البقرة	258	(3): 1457
﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾	البقرة	259	(3): 1379، 1474
﴿أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ...﴾	البقرة	260	(2): 723، (3): 1449، 1491، 1437
﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ...﴾	البقرة	264	(3): 1667
﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ...فَاحْتَرَقَتْ﴾	البقرة	266	(3): 1359
﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ...﴾	البقرة	269	(3): 1274، 1287، 1516، 1576، (4): 2146
﴿لِلْفُقَرَاءِ... يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ..﴾	البقرة	273	(1): 215، 455، (3): 1670، (4): 2389
﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ﴾	البقرة	281	(3): 1185
﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا..﴾	البقرة	282	(3): 1357، 1370
﴿للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي...﴾	البقرة	284	(4): 1874
﴿آمَنَ الرَّسُولُ...﴾	البقرة	285	(3): 1188
﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا...﴾	البقرة	286	(2): 723، (3): 1447، 1537، 1781
﴿إِنَّ اللهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ...﴾	آل عمران	5	(2): 456
﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ...﴾	آل عمران	7	(3): 1221، 1286
﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ...أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾	آل عمران	8	(3): 1288، 1371، 1409
﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ...﴾	آل عمران	13	(3): 1334
﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ...﴾	آل عمران	14	(4): 2401
﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ...﴾	آل عمران	18	(1): 9، (2): 1059، (3): 1450

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ...﴾	آل عمران	26	(3):1332، 1355، 1502، (4): 1850
﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾	آل عمران	31	(3):1341، (4):2517
﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾	آل عمران	37	(3): 1465
﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ﴾	آل عمران	39	(3): 1468
﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾	آل عمران	52	(3):1441
﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ﴾	آل عمران	54	(3): 1393
﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا...﴾	آل عمران	67	(2): 828
﴿إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللهِ﴾	آل عمران	73	(3): 1246
﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ...﴾	آل عمران	83	(3):1502
﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ﴾	آل عمران	85	(3): 1499
﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا...﴾	آل عمران	92	(3):1446
﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا﴾	آل عمران	93	(3): 1370
﴿اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾	آل عمران	102	(3):1289
﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ...﴾	آل عمران	104	(4): 2087
﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ...﴾	آل عمران	106	(3): 1393، 1496
﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ...﴾	آل عمران	110	(4): 2087
﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ...﴾	آل عمران	117	(3):1309
﴿شَهِدَ اللهُ...﴾	آل عمران	118	(4): 1850، 1868، 2054
﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ...﴾	آل عمران	131	(3):1496
﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً...﴾	آل عمران	135	(3):1761
﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا ذُنوبَنَا، وَإِسْرافَنا...﴾	آل عمران	147	(3): 1781
﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ﴾	آل عمران	154	(3):1498

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ...﴾	آل عمران	159	(3):1355، (4): 2406
﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ﴾	آل عمران	167	(3):1328
﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا...﴾	آل عمران	170	(3): 1372، (4): 2041
﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ...﴾	آل عمران	173	(3):1809، 1811
﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ...﴾	آل عمران	174	(2): 922
﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ...﴾	آل عمران	185	(2):720
﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ...﴾	آل عمران	187	(1):16، 72
﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ...﴾	آل عمران	190	(4): 2500
﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا...﴾	آل عمران	191	(2): 523، (3): 1383، 1791
﴿رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي...﴾	آل عمران	193	(3): 1781
﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا...﴾	آل عمران	194	(3):1457
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾	النساء	1	(3):1302
﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا...﴾	النساء	3	(3):1288، 1289
﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ...﴾	النساء	5	(1):70
﴿حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ...﴾	النساء	6	(3): 1248
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ...﴾	النساء	10	(3):1301
﴿يُوصِيكُمُ اللهُ...يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾	النساء	11	(3):1271، 1292
﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ﴾	النساء	18	(3):1254
﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾	النساء	23	(3):1162، 1271،
﴿يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ...﴾	النساء	26	(3):1494
﴿وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ...﴾	النساء	27	(3):1495
﴿يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾	النساء	28	(3):1495
﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾	النساء	31	(3):1495

﴿إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ...﴾	النساء	35	(4):1925
﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَو آمَنُوا﴾	النساء	39	(3): 1366
﴿إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾	النساء	40	(3):1495، (4): 2479
﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ...﴾	النساء	41	(4): 2080
﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾	النساء	43	(3): 1617
﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾	النساء	48	(3):1492، 1495
﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ ...﴾	النساء	64	(3):1718
﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ... وَالصَّالِحِينَ﴾	النساء	69	(3):1291، 1474
﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي...يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾	النساء	78	(3): 1247، 1379
﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾	النساء	79	(3): 1346
﴿أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ﴾	النساء	83	(3): 1387
﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ...﴾	النساء	90	(3):1340
﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾	النساء	92	(3): 1350
﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى﴾	النساء	95	(3):1338
﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا﴾	النساء	100	(3): 1474
﴿فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ﴾	النساء	102	(3): 1369
﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا...﴾	النساء	110	(3):1495
﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ...﴾	النساء	120	(4):2145
﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾	النساء	123	(3):1449، 1491، 1495
﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾	النساء	143	(3): 1387
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ...﴾	النساء	152	(3):1495
﴿وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ...﴾	النساء	162	(3):1256، 1351
﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ...﴾	النساء	166	(3): 1408

﴿إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾	النساء	176	(3): 1333
﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ...﴾	المائدة	3	(3): 1185، 1327، 1441
﴿وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ﴾	المائدة	6	(3): 1330
﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ...﴾	المائدة	8	(3): 1260
﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ...﴾	المائدة	23	(3): 1306، (4): 2406
﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	المائدة	34	(3): 1408
﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾	المائدة	38	(3): 1293
﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾	المائدة	44	(3): 1394
﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ...﴾	المائدة	45	(3): 1267، 1385
﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُمْ بِمَا...الْفَاسِقُونَ﴾	المائدة	47	(2): 584
﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً...﴾	المائدة	48	(1): 74.
﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ...﴾	المائدة	54	(3): 1358
﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ﴾	المائدة	63	(3): 1496
﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾	المائدة	64	(3): 1311
﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ...مِنَ النَّاسِ﴾	المائدة	67	(3): 1186، 1302، 1303
﴿لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى...﴾	المائدة	68	(3): 1496
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ...﴾	المائدة	69	(3): 1257
﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ...﴾	المائدة	82	(3): 1727
﴿جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾	المائدة	97	(3): 1329
﴿لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾	المائدة	100	(3): 1447
﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾	المائدة	101	(3): 1371
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ﴾	المائدة	106	(3): 1497
﴿كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾	المائدة	117	(3): 1263

﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن...﴾	المائدة	118	(3):1746
﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾	المائدة	119	(4): 2468
﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾	الأنعام	3	(2): 845
﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ...﴾	الأنعام	10	(3): 1409
﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي...﴾	الأنعام	13	(3):1332، 1691، (4):2053
﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾	الأنعام	26	(3): 1387
﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا...﴾	الأنعام	27	(3):1306
﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ...﴾	الأنعام	32	(4): 2068، 2401
﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ...﴾	الأنعام	38	(3): 1430، 1442
﴿أَغَيْرَ الله تَدْعُونَ إِنْ كُنتُمْ...﴾	الأنعام	41	(3):1318
﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ...﴾	الأنعام	52	(4): 2471
﴿هُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ...﴾	الأنعام	60	(3):1797
﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ﴾	الأنعام	67	(3):1446
﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾	الأنعام	73	(3):1326
﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ...﴾	الأنعام	75	(3): 1391
﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي...﴾	الأنعام	79	(3):1627، (4): 2482
﴿أَتُحَاجُّونِي فِي اللهِ﴾	الأنعام	80	(3):1330
﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾	الأنعام	82	(3):1515
﴿كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا...﴾	الأنعام	84	(3):1317
﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾	الأنعام	90	(3): 1246
﴿وَمَا قَدَرُوا...خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾	الأنعام	91	(1): 50، (3):1503، 1521
﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ...﴾	الأنعام	97	(2):489
﴿انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾	الأنعام	99	(3): 1371

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ...﴾	الأنعام	103	(3): 1408
﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾	الأنعام	110	(4):2143
﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ...﴾	الأنعام	121	(3):1340
﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾	الأنعام	122	(2):457، (3): 1394
﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ...ضَيِّقًا حَرَجًا﴾	الأنعام	125	(3): 1344، (4):2145
﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾	الأنعام	141	(3): 1369
﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ﴾	الأنعام	142	(3): 1370
﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ...﴾	الأنعام	143	(3):1455
﴿أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ...﴾	الأنعام	145	(3):1263، 1284
﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ...﴾	الأنعام	151	(3):1199
﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ...﴾	الأنعام	153	(3):1269
﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾	الأنعام	162	(3): 1353
﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾	الأعراف	4	(3): 1366
﴿وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ...﴾	الأعراف	19	(3): 1345
﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾	الأعراف	22	(3):1439
﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ...﴾	الأعراف	29	(3):1454
﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ...﴾	الأعراف	31	(3):1437، 1497
﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾	الأعراف	34	(3):1273
﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ...﴾	الأعراف	40	(3): 1394، 1458
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا...﴾	الأعراف	43	(1):6، (3):1690، (4):2051
﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ﴾	الأعراف	53	(3): 1367
﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ...﴾	الأعراف	54	(3):1501، 1503، (4): 1863

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾	الأعراف	55	(3): 1837، 1839
﴿آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾	الأعراف	75	(3): 1393
﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ...﴾	الأعراف	118	(3): 1504
﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ...﴾	الأعراف	148	(3): 1440
﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾	الأعراف	151	(3): 1369
﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾	الأعراف	152	(3): 1337
﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ...﴾	الأعراف	154	(4): 2372
﴿وَاخْتَارَ مُوسَى...أَتُهْلِكُنَا...﴾	الأعراف	155	(2): 720، (3) 1339، 1367
﴿وَاكْتُبْ لَنَا... إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾	الأعراف	156	(3): 1247، 1780
﴿فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ...﴾	الأعراف	158	(3): 1350، 1356
﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾	الأعراف	163	(3): 1300، 1474
﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾	الأعراف	170	(3): 1405
﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي...﴾	الأعراف	175	(3): 1391
﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي...﴾	الأعراف	183	(3): 1379
﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ...﴾	الأعراف	189	(3): 1311، 1221
﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا...﴾	الأعراف	190	(3): 1221
﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا...﴾	الأعراف	195	(3): 1293
﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾	الأعراف	199	(3): 1436
﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ وَإِخْوَانُهُمْ...﴾	الأعراف	201	(3): 1411
﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾	الأعراف	204	(3): 1369
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ...﴾	الأنفال	1	(2): 628
﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾	الأنفال	5	(3): 1251
﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾	الأنفال	8	(3): 1342

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ...﴾	الأنفال	17	(3):1441، (4):2280، 2301
﴿وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ...﴾	الأنفال	23	(1):70، (3):1447
﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا...﴾	الأنفال	38	(3):1494، 1709
﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا...﴾	الأنفال	60	(3):1441، 1527
﴿أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ...﴾	التوبة	3	(1):220، (3):1330
﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾	التوبة	5	(3):1289
﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ...﴾	التوبة	6	(3):1338
﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ...أَتَخْشَوْنَهُمْ...﴾	التوبة	13	(3): 1367
﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾	التوبة	14	(2): 1097، 1378
﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾	التوبة	37	(3):1289، 1512
﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾	التوبة	40	(3): 1475
﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ...﴾	التوبة	51	(2):946
﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾	التوبة	60	(3):1248
﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ...﴾	التوبة	61	(3):1456
﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾	التوبة	91	(3):1447
﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ...﴾	التوبة	102	(3):1334، 1492
﴿وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾	التوبة	108	(3):1597
﴿جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ﴾	التوبة	109	(3): 1387
﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾	التوبة	112	(3):1199
﴿رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾	التوبة	117	(3): 1406
﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ...﴾	التوبة	122	(1):14
﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾	التوبة	128	(3):1190، 1207، (4): 1850
﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ...﴾	التوبة	129	(3):1768

﴿لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾	يونس	5	(2): 554
﴿ائْتِ بِقُرْآنٍ...مَا يَكُونُ لِي أَنْ ...﴾	يونس	15	(3):1277
﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ...وَجَرَيْنَ﴾	يونس	22	(2):1005، (3):1269
﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا﴾	يونس	24	(3):1273
﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ...﴾	يونس	31	(3):1292، 1383، 1390
﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ...﴾	يونس	34	(3):1278
﴿قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾	يونس	53	(3):1450
﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾	يونس	57	(2): 1097
﴿أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ...﴾	يونس	78	(3):1305
﴿أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾	يونس	80	(3): 1370
﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى...﴾	يونس	81	(3):1503
﴿أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا...﴾	يونس	87	(3):1304، 1305
﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾	يونس	91	(3):1447
﴿أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾	هود	1	(2): 845
﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾	هود	3	(3):1267
﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا...﴾	هود	13	(3): 1381
﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾	هود	17	(3):1476
﴿أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾	هود	18	(4):2177
﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾	هود	19	(3): 1345
﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾	هود	37	(3): 1378، 1439
﴿بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا...﴾	هود	41	(3):1503
﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾	هود	42	(3):1260
﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ...عَلَى الْجُودِيِّ﴾	هود	44	(3):1312، 1390، 1396

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ...﴾	هود	57	(3): 1342
﴿قَالُوا سَلَامًا قَالَ... بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾	هود	69	(3):1282، (3):1440
﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ...﴾	هود	71	(3): 1468
﴿رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ...﴾	هود	73	(3): 1373
﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾	هود	78	(3):1264
﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾	هود	81	(3):1446
﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ...﴾	هود	87	(1):215، (3): 1368
﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ...﴾	هود	105	(3): 1389
﴿فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾	هود	108	(3): 1344
﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا...﴾	هود	114	(4):1845
﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾	هود	123	(3):1199
﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾	يوسف	2	(3):1241
﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا...﴾	يوسف	4	(3): 1346، 1404
﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾	يوسف	16	(3):1280
﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا...﴾	يوسف	17	(3): 1388
﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ...﴾	يوسف	18	(3):1273
﴿يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ﴾	يوسف	19	(3): 1471
﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا...﴾	يوسف	24	(3):1291، (4):2349
﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ﴾	يوسف	29	(3):1325
﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾	يوسف	32	(3):1327
﴿أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا﴾	يوسف	36	(3):1440
﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾	يوسف	40	(3):1260
﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ...﴾	يوسف	41	(3):1446

﴿سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾	يوسف	43	(3): 1351
﴿فَأَرْسِلُونِ يُوسُفُ أَيُّهَا...﴾	توسف	46	(3): 1342
﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾	يوسف	51	(3): 1392، 1446
﴿وَأَنَّ اللهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ...﴾	يوسف	52	(3): 1247
﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ...﴾	يوسف	53	(3):1356
﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾	يوسف	55	(4):2229
﴿وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾	يوسف	72	(3):1273
﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾	يوسف	76	(1):4، 34، 55، 120
﴿ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا...﴾	يوسف	81	(3): 1395
﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾	يوسف	82	(3): 1300
﴿تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ...﴾	يوسف	85	(3): 1381
﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي...﴾	يوسف	86	(3): 1352
﴿أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ...﴾	يوسف	90	(3):1277
﴿فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي...﴾	يوسف	93	(3): 1379
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾	يوسف	109	(3):1497، (4):2253
﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ...﴾	الرعد	6	(3):1493
﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾	الرعد	7	(3): 1246
﴿الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾	الرعد	9	(3): 1401
﴿إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ...﴾	الرعد	11	(4): 2356
﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ...﴾	الرعد	12	(3): 1383
﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ...﴾	الرعد	15	(4): 1856
﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾	الرعد	19	(3):1748
﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ...﴾	الرعد	21	(3):1272

﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ...﴾	الرعد	24	(3): 1337
﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾	الرعد	25	(2): 1052
﴿اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾	الرعد	26	(3): 1316
﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾	الرعد	35	(3): 1336
﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾	الرعد	38	(3): 1377
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ...﴾	إبراهيم	4	(3): 1452
﴿قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾	إبراهيم	10	(3): 1458
﴿إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾	إبراهيم	11	(3): 1458
﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ...﴾	إبراهيم	15	(2): 502
﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ...﴾	إبراهيم	27	(2): 1009
﴿قُلْ تَمَتَّعُوا﴾	إبراهيم	30	(3): 1370
﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ... وَلَا خِلَالٌ﴾	إبراهيم	31	(3): 1340، 1404
﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا...﴾	إبراهيم	35	(1): 103
﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾	إبراهيم	52	(3): 1403
﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾	إبراهيم	45	(3): 1444
﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ...﴾	الحجر	43	(4): 2337
﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾	الحجر	46	(3): 1370
﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا...﴾	الحجر	49	(3): 1379
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾	الحجر	75	(2): 455
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي...﴾	الحجر	87	(3): 1246، 1353
﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾	الحجر	94	(3): 1498
﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ﴾	النحل	1	(3): 1273
﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ...﴾	النحل	6	(3): 1292

﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ...﴾	النحل	8	(3): 1292
﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً﴾	النحل	14	(3): 1440
﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾	النحل	16	(3): 1246
﴿إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ...﴾	النحل	18	(3): 1262، (4): 2352
﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا...﴾	النحل	24	(3): 1279
﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ...﴾	النحل	30	(3): 1279، 1327
﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ...﴾	النحل	38	(3): 1454
﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ...﴾	النحل	43	(1): 14
﴿لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾	النحل	51	(3): 1350
﴿شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ...﴾	النحل	69	(2): 1097، (3): 1437
﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا...﴾	النحل	80	(3): 1331
﴿وَجَعَلَ لَكُمْ...تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾	النحل	81	(3): 1331
﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ...﴾	النحل	89	(3): 1430
﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ...﴾	النحل	90	(3): 1322، 1491
﴿نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾	النحل	92	(3): 1439
﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ...﴾	النحل	98	(3): 1226
﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾	النحل	101	(3): 1295
﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ...﴾	النحل	116	(3): 1336
﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ...﴾	النحل	125	(1): 16، 420، (2): 820
﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا...﴾	النحل	126	(3): 1304
﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ...﴾	النحل	127	(3): 1304
﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا...﴾	الإسراء	12	(3): 1438
﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...﴾	الإسراء	13	(3): 1401

﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾	الإسراء	23	(3): 1301
﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً...﴾	الإسراء	29	(3): 1449
﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾	الإسراء	36	(3): 1528
﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾	الإسراء	37	(3): 1371
﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ﴾	الإسراء	44	(3): 1268
﴿حِجَابًا مَسْتُورًا﴾	الإسراء	45	(3): 1405
﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾	الإسراء	48	(3): 1370
﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا...﴾	الإسراء	64	(4): 1876
﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾	الإسراء	69	(3): 1407
﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾	الإسراء	71	(2): 732، (3): 1530
﴿رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ...﴾	الإسراء	80	(3): 1716
﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ...﴾	الإسراء	81	(3): 1357
﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ...﴾	الإسراء	82	(2): 1097
﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾	الإسراء	84	(3): 1447، 1493
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ...﴾	الإسراء	85	(3): 1277، (4): 2226، 2450
﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ...﴾	الإسراء	88	(3): 1424، 1430
﴿هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾	الإسراء	93	(3): 1413
﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ...﴾	الإسراء	101	(3): 1449، 1839
﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾	الإسراء	105	(3): 1354
﴿قُلِ ادْعُوا اللهَ...تُخَافِتْ بِهَا﴾	الإسراء	110	(3): 1504، (4): 1864
﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا...﴾	الإسراء	111	(3): 1199، 1504، (4): 1850
﴿أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ...﴾	الكهف	1	(1): 214، (3): 1288
﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً...﴾	الكهف	10	(3): 1781، 1791

﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾	الكهف	13	(3): 1610
﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾	الكهف	18	(3): 1280
﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن...﴾	الكهف	28	(4): 2002
﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ...﴾	الكهف	29	(3): 1378
﴿لَكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّي﴾	الكهف	38	(3): 1331
﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا...﴾	الكهف	39	(3): 1264، 1809
﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ...﴾	الكهف	46	(3): 1389
﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ...﴾	الكهف	49	(3): 1294، 1366
﴿لَا أَبْرَحُ حَتَّى﴾.	الكهف	60	(3): 1498
﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا...﴾	الكهف	62	(1): 35
﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾	الكهف	78	(1): 37
﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ...﴾	الكهف	79	(3): 1336، (3): 1440
﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾	الكهف	96	(3): 1439
﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾	الكهف	104	(3): 1386
﴿لَوْ كَانَ الْبَحْرُ...بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾	الكهف	109	(3): 1342، (4): 2411
﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ...﴾	الكهف	110	(3): 1191، (4): 2476
﴿كهيعص﴾	مريم	1	(3): 1349
﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ﴾	مريم	4	(3): 1339
﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ...﴾	مريم	7	(3): 1468
﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾	مريم	12	(3): 1610
﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾	مريم	17	(3): 1469
﴿أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِنْ ...﴾	مريم	18	(3): 1471، 1803
﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾	مريم	28	(3): 1326

﴿وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾	مريم	33	(3): 1346
﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾	مريم	38	(3): 1371
﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ﴾	مريم	42	(3):1306، 1373
﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾	مريم	51	(3): 1350
﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾	مريم	64	(3):1363، 1405
﴿وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾	مريم	76	(3): 1246
﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾	مريم	79	(3):1273
﴿طَهَ﴾	طه	1	(3): 1405
﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾	طه	5	(3): 1375
﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾	طه	12	(2):726
﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾	طه	14	(3): 1617
﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾	طه	17	(3):1276، 1368
﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا...﴾	طه	18	(3):1276
﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي...﴾	طه	26	(3): 1354، 1791
﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي...﴾	طه	34	(2): 587
﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ...﴾	طه	39	(3):1263
﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾	طه	40	(2): 955
﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ...﴾	طه	48	(3):1493
﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾	طه	49	(3):1304، 1305
﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ...﴾	طه	50	(3): 1247
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾	طه	54	(3): 1403
﴿إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾	طه	63	(3):1253، 1256
﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ...﴾	طه	66	(3):1309

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً...﴾	طه	67	(3): 1261، 1401
﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ﴾	طه	69	(3): 1504
﴿بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾	طه	70	(3): 1401
﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾	طه	74	(3): 1363
﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ...﴾	طه	82	(3): 1750
﴿يَا ابْنَ أُمَّ لَا...بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾	طه	94	(3): 1306، 1388
﴿مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾	طه	96	(3): 1341
﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ...﴾	طه	99	(2): 845
﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ...﴾	طه	113	(3): 1346
﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾	طه	114	(1): 4، 34
﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ...﴾	طه	117	(3): 1403
﴿لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾	طه	119	(3): 1395
﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ﴾	طه	121	(3): 1260
﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾	طه	123	(3): 1246
﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ...﴾	طه	129	(3): 1405
﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾	طه	131	(3): 1371
﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا...﴾	الأنبياء	10	(3): 1305
﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ...﴾	الأنبياء	22	(3): 1434، (4): 2050، 2416
﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ...﴾	الأنبياء	23	(4): 2145، 2281، 2341، 2414
﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾	الأنبياء	33	(1): 383، (3): 1390
﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾	الأنبياء	36	(3): 1368
﴿وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾	الأنبياء	47	(2): 554

﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ.. ﴾	الأنبياء	60	(3): 1610
﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾	الأنبياء	63	(3):1279، 1312
﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ﴾	الأنبياء	78	(3): 1389
﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ...﴾	الأنبياء	79	(3):1294
﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ...﴾	الأنبياء	87	(3):1505، 1810
﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ...﴾	الأنبياء	88	(3):1810
﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ﴾	الأنبياء	97	(3):1265
﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾	الأنبياء	104	(3):1454
﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا...﴾	الأنبياء	108	(3):1314
﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ﴾	الحج	6	(3):1453
﴿وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾	الحج	7	(3):1452
﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾	الحج	10	(3):1446
﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾	الحج	27	(3):1730
﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ﴾	الحج	39	(3):1497
﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا...وَمَسَاجِدُ﴾	الحج	40	(3): 1247، 1382
﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ...﴾	الحج	46	(3):1265، (4):2126
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا...يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ﴾	الحج	52	(3):1295
﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ...﴾	الحج	61	(3): 1383، 1390
﴿اللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾	الحج	69	(3):1497
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ...﴾	الحج	73	(3): 1373، (3):1448
﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾	الحج	77	(3):1292
﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ...خَالِدُونَ﴾	المؤمنون	1 ـ 11	(3):1200
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ...﴾	المؤمنون	13	(3):1262

﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ﴾	المؤمنون	35	(3): 1339
﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾	المؤمنون	36	(3): 1344
﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ﴾	المؤمنون	51	(3): 1304
﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾	المؤمنون	53	(3): 1447
﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا...﴾	المؤمنون	91	(3): 1457
﴿أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ...﴾	المؤمنون	98	(3): 1599
﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ﴾	المؤمنون	108	(3): 1303، 1372، 1803
﴿فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ...﴾	المؤمنون	109	(4): 1858
﴿فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ﴾	المؤمنون	113	(2): 554
﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾	المؤمنون	115	(3): 1505
﴿فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾	المؤمنون	116	(3): 1501، (4): 2145
﴿رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ...﴾	المؤمنون	118	(4): 1857
﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾	النور	2	(3): 1293
﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾	النور	4	(3): 1271
﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو...يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ﴾	النور	22	(3): 1367، 1475، 1492، (4): 1996
﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا...﴾	النور	29	(3): 1432
﴿وَقُل لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ...﴾	النور	31	(3): 1260، 1271، 1373
﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ﴾	النور	32	(4): 1907
﴿الْمِصْبَاحُ...يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ..﴾	النور	35	(3): 1394، 1440
﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ...﴾	النور	37	(3): 1280
﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾	النور	39	(3): 1309
﴿فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ﴾	النور	40	(3): 1500

﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ...لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾	النور	44	(3): 1386
﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾	النور	45	(3):1294
﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ...﴾	النور	48	(3): 1396
﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾	النور	50	(3): 1368
﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾	النور	54	(3):1447
﴿أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ...﴾	النور	61	(3):1271
﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ...﴾	الفرقان	5	(3):1335، 1428
﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى...﴾	الفرقان	27	(3): 1390
﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللهُ رَسُولًا﴾	الفرقان	41	(3):1337
﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ...﴾	الفرقان	44	(4):2144
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ...﴾	الفرقان	45	(3): 1246، 1366
﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾	الفرقان	54	(4):1925
﴿وَتَوَكَّلْتُ عَلَى الْحَيِّ...﴾	الفرقان	58	(3):1504
﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ...﴾	الفرقان	61	(3):1791
﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا...قَوَامًا﴾	الفرقان	67	(3):1437، 1448
﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾	الفرقان	74	(3): 1404
﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾	الشعراء	22	(3):1338
﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾	الشعراء	23	(3):1276
﴿أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ...﴾	الشعراء	63	(3):1336، 1382
﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾	الشعراء	78	(3):1281
﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾	الشعراء	80	(2): 1097، (3): 1386
﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾	الشعراء	81	(3): 1383
﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ...﴾	الشعراء	101	(3):1270

﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾	الشعراء	149	(3):1441
﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ...﴾	الشعراء	163	(2):1202
﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ...﴾	الشعراء	227	(3):1233
﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ...﴾	النمل	12	(3):1334
﴿مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾	النمل	20	(3):1365
﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا﴾	النمل	21	(3):13412
﴿أَلَّا يَسْجُدُوا﴾	النمل	25	(3):1373
﴿فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾	النمل	35	(3):1251
﴿صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ﴾	النمل	44	(3):1440
﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾	القصص	18	(1):214
﴿أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾	القصص	22	(3):1247
﴿أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾	القصص	30	(2):1108
﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ﴾	القصص	38	(3):1440
﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾	القصص	51	(3):1476
﴿إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ﴾	القصص	57	(3):1246
﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ...﴾	القصص	62	(3):1341
﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾	القصص	70	(3):1380
﴿جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ...﴾	القصص	73	(3):1393
﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ...﴾	القصص	77	(1):111
﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾	القصص	88	(1):115
﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا...﴾	العنكبوت	3	(3):1403
﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ...﴾	العنكبوت	8	(3):1476
﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا...﴾	العنكبوت	14	(3):1275، 1382

﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ...﴾	العنكبوت	19	(3):1355
﴿كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾	العنكبوت	41	(3):1439
﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا...﴾	العنكبوت	43	(3):1444، 1517
﴿وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ﴾	العنكبوت	45	(3):1755
﴿آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا...﴾	العنكبوت	46	(3):1338
﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا...﴾	العنكبوت	69	(1):114، (3):1521، (4):2348
﴿الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي...﴾	الروم	3 1	(2): 759، (3): 1499
﴿فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾	الروم	16	(3): 1382
﴿فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾	الروم	17	(4): 1857
﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾	الروم	18	(4): 1856
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا﴾	الروم	24	(3):1338
﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾	الروم	40	(3):1302
﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾	الروم	41	(3):1448
﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾	الروم	43	(3): 1388
﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ...﴾	الروم	60	(3):1237
﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾	لقمان	13	(3):1515
﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ﴾	لقمان	16	(3):1306
﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَارَيْبَ فِيهِ...﴾	السجدة	2	(3):1253
﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ﴾	السجدة	11	(4): 2422
﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ...﴾	السجدة	16	(3):1738
﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ...﴾	السجدة	17	(4):2308
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلَا تُطِعِ...﴾	الأحزاب	1	(3):1305
﴿مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ...﴾	الأحزاب	4	(1):27، (3):1316

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ...﴾	الأحزاب	21	(3):1233
﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا...﴾	الأحزاب	23	(3): 1208
﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ...﴾	الأحزاب	35	(3):1200، 1260، 1292
﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا...﴾	الأحزاب	37	(3):1496
﴿اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾	الأحزاب	41	(3):1755
﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾	الأحزاب	49	(3): 1345
﴿إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾	الأحزاب	50	(3):1356
﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ ...﴾	الأحزاب	56	(3):1330، 1759
﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾	سبأ	10	(3):1439
﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ...الشَّكُورِ﴾	سبأ	13	(3): 1379، (3):1447
﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾	سبأ	17	(3):1493
﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى...﴾	سبأ	24	(3):1248
﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾	سبأ	54	(3):1446
﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾	فاطر	1	(4): 2061
﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ...﴾	فاطر	3	(3):1280
﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ...﴾	فاطر	10	(1):114
﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ...﴾	فاطر	11	(3): 1385
﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾	فاطر	14	(2): 549، (3):1447
﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ...﴾	فاطر	27	(3):1291، (3):1384، 1441
﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ...﴾	فاطر	28	(4): 2368، 2372
﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ...﴾	فاطر	32	(3): 1389
﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي...﴾	فاطر	35	(1):32
﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ...﴾	فاطر	43	(3):1446

﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾	يس	15	(4): 2200
﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ...﴾	يس	20	(3): 1357
﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾	يس	30	(3): 1373
﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ...﴾	يس	36	(4): 2499
﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ...﴾	يس	37	(3): 1409
﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾	يس	39	(3): 1339، 1571
﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا...﴾	يس	40	(3): 1340، 1438
﴿قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾	يس	58	(3): 1500
﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾	يس	59	(3): 1746
﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ...﴾	يس	60	(3): 1365
﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ...﴾	يس	69	(1): 295
﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا...﴾	يس	78	(3): 1278، 1446
﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِنَ الشَّجَرِ...﴾	يس	80	(2): 723، (3): 1537
﴿أَوَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ...﴾	يس	81	(3): 1454
﴿وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾	الصافات	5	(3): 1332
﴿عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾	الصافات	9	(3): 1412
﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾	الصافات	10	(3): 1412
﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾	الصافات	11	(3): 1412
﴿لَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ...﴾	الصافات	57	(3): 1382
﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾	الصافات	61	(2): 714، (3): 1448
﴿فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾	الصافات	102	(3): 1371
﴿وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ...﴾	الصافات	118	(3): 1410
﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ...﴾	الصافات	125	(3): 1388، 1471

﴿سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾	الصافات	130	(3): 1466
﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ...﴾	الصافات	138	(3): 1413
﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾	الصافات	165	(3): 1263
﴿صَ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾	ص	1	(3): 1342
﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾	ص	5	(3): 1405
﴿أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾	ص	8	(3): 1367
﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ...﴾	ص	23	(2): 955، (3): 1311
﴿وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾	ص	24	(3): 1448
﴿إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً...﴾	ص	26	(4): 2450
﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ...﴾	ص	32	(3): 1261، 1337، 1382
﴿كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾	ص	37	(3): 1440
﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا...﴾	ص	44	(3): 1338
﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾	ص	88	(4): 2378
﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾	الزُّمَرُ	3	(4): 2476
﴿أَمَّنْ هُوَ...قُلْ هَلْ يَسْتَوِي...﴾	الزُّمَر	9	(1): 10، (4): 1876
﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ...﴾	الزُّمَر	17	(3): 1317
﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ...﴾	الزُّمَر	19	(3): 1368
﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ...﴾	الزُّمَر	22	(4): 2130
﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي...﴾	الزُّمَر	27	(3): 1444
﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ...﴾	الزُّمَر	33	(3): 1475
﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ...﴾	الزمر	42	(3): 1389، (4): 2422
﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا...﴾	الزُّمَر	53	(3): 1306، 1491، 1492، (4): 2365

﴿يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ...﴾	الزُّمَر	56	(1): 104
﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى...﴾	الزُّمَر	60	(3): 1368
﴿أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِّي﴾	الزُّمَر	64	(3): 1317
﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ...﴾	الزُّمَر	65	(3): 1237
﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾	الزُّمَر	67	(4): 2414
﴿وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ...﴾	الزُّمَر	74	(3): 1355
﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ...﴾	غافر	4	(3): 1497
﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ...﴾	غافر	8	(3): 1457
﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ...﴾	غافر	16	(4): 2337
﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾	غافر	19	(3): 1392
﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ...﴾	غافر	29	(3): 1473
﴿يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تُوَلُّونَ...﴾	غافر	33	(3): 1379
﴿إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي...﴾	غافر	37	(3): 1263
﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ...﴾	غافر	39	(3): 1346
﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ...﴾	غافر	44	(3): 1809
﴿فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾	غافر	45	(3): 1809
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾	غافر	53	(3): 1246
﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ...﴾	غافر	55	(4): 1858
﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ ...﴾	غافر	60	(3): 1837
﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي...﴾	فصِّلت	9	(3): 1299
﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا...﴾	فصِّلت	11	(3): 1306
﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾	فصِّلت	28	(3): 1384
﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا...﴾	فصِّلت	30	(3): 1495

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا...﴾	فصّلت	40	(2): 724، (3): 1369
﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى...﴾	فصّلت	44	(2): 1097
﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ...﴾	فصّلت	46	(3): 1335، 1363، (4): 2092
﴿لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ...﴾	فصلت	49	(3): 1336
﴿حم عسق﴾	الشورى	2 1	(2): 721، (3): 1536
﴿فَاللهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾	الشورى	9	(3): 1315
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾	الشورى	11	(1): 75، (3): 1288
﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾	الشورى	17	(3): 1372
﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾	الشورى	23	(1): 64
﴿فَإِنْ يَشَإِ اللهُ يَخْتِمْ عَلَى...﴾	الشورى	24	(3): 1356
﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ...﴾	الشورى	30	(3): 1494
﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا...﴾	الشورى	38	(4): 2003
﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾	الزخرف	3	(2): 844
﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ...﴾	الزخرف	9	(3): 1278
﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا...﴾	الزخرف	13	(1): 45، (3): 1690، (4): 2051
﴿وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾	الزخرف	22	(3): 1247
﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ...﴾	الزخرف	45	(3): 1198
﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾	الزخرف	51	(3): 1365
﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ...﴾	الزخرف	67	(1): 63
﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ﴾	الزخرف	68	(3): 1373
﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ...﴾	الزخرف	84	(3): 1267
﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى﴾	الدخان	13	(3): 1368
﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ...﴾	الدخان	39	(4): 2420

﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾	الدخان	49	(3): 1303، 1369
﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾	الجاثية	23	(3): 1290
﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾	الأحقاف	4	(1): 125، (3): 1439
﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ...﴾	الأحقاف	11	(1): 44
﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي...﴾	الأحقاف	20	(4): 2398
﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾	الأحقاف	25	(3): 1378
﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى...﴾	الأحقاف	30	(3): 1272
﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ...﴾	الأحقاف	35	(3): 1493، 1507
﴿وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾	محمد	38	(4): 2382
﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ...﴾	الفتح	4	(3): 1470
﴿الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ...﴾	الفتح	6	(3): 1355
﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا... لِتُؤْمِنُوا﴾	الفتح	9 8	(3): 1306
﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ...﴾	الفتح	25	(3): 1476
﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ...﴾	الفتح	27	(3): 1360، (4): 1850
﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ...أَشِدَّاءُ...﴾	الفتح	29	(3): 1358، 1498، (4): 2190
﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ...﴾	الحجرات	2	(2): 922
﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى...﴾	الحجرات	5	(1): 38
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾	الحجرات	10	(1): 63، (3): 1271
﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ...﴾	الحجرات	12	(1): 311، (4): 1970
﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ...﴾	الحجرات	13	(2): 893
﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾	الحجرات	14	(3): 1381
﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾	الحجرات	17	(3): 1339
﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾	ق	8	(3): 1748

﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾	ق	15	(3):1454
﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ...﴾	ق	18	(4):2475
﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾	ق	24	(3):1304
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى...﴾	ق	37	(1):36
﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ...﴾	ق	40	(3):1737، (4):1845
﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ...﴾	الذّاريات	18	(3):1738
﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ...﴾	الذّاريات	22	(2): 848، (3):1268
﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ...﴾	الذّاريات	23	(3): 1392، (3):1450
﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾	الذّاريات	47	(3): 1376
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ...﴾	الذّاريات	56	(1):110
﴿وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾	الطور	2 1	(3): 1411، 1413
﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾	الطور	16	(3): 1370
﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ﴾	الطور	22	(3):1273
﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ...﴾	الطور	49	(3):1738
﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ...﴾	النجم	2 1	(3): 1405، 1412
﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾	النجم	3	(3):1296
﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾	النجم	9	(3):1341
﴿قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾	النجم	22	(3): 1403
﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ...﴾	النجم	23	(3): 1246
﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾	النجم	25	(3): 1401
﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ...﴾	النجم	39	(3):1232، (4): 2489
﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾	النجم	43	(3): 1394
﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾	النجم	49	(3): 1384

﴿وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ﴾	النجم	51	(1): 215
﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ...﴾	النجم	58	(3): 1446
﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾	القمر	16	(3): 1402
﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾	القمر	20	(3): 1402
﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ...﴾	القمر	41	(3): 1401
﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ...﴾	القمر	45	(3): 1196
﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾	الرحمن	5	(3): 1571
﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾	الرحمن	13	(3): 1411
﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾	الرحمن	19	(2): 722، (3): 1529
﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾	الرحمن	22	(2): 722، (3): 1261، 1529
﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى...﴾	الرحمن	27	(3): 1261، 1380
﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾	الرحمن	29	(2): 906
﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾	الرحمن	31	(3): 1496
﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ...﴾	الرحمن	46	(3): 1360، 1404
﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾	الرحمن	48	(3): 1404
﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ...﴾	الرحمن	54	(3): 1360، 1388
﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ...﴾	الرحمن	60	(3): 1267، 1447، (4): 2468
﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا...﴾	الواقعة	27	(3): 1347
﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ وَطَلْحٍ...﴾	الواقعة	28	(3): 1411
﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ﴾	الواقعة	60	(4): 1910
﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾	الواقعة	63	(3): 1439
﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ...﴾	الواقعة	76	(3): 1360
﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾	الواقعة	79	(3): 1175

﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾	الواقعة	89	(3): 1388
﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾	الحديد	1	(3):1268
﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ...﴾	الحديد	3	(3):1292، 1351، 1507
﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ...﴾	الحديد	16	(2): 967، (3):1365
﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا...﴾	الحديد	20	(4): 2401
﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ...﴾	الحديد	22	(1):29
﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ...﴾	الحديد	23	(1):31
﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ ...﴾	المجادلة	11	(1):9
﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا...﴾	المجادلة	19	(3):1355
﴿كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي...﴾	المجادلة	21	(3):1692، (4): 2054
﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾	الحشر	2	(3):1448
﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ...﴾	الحشر	7	(3):1431
﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ...﴾	الحشر	9	(4):2218
﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ...﴾	الحشر	14	(3):1447
﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ...﴾	الحشر	23	(3): 1385
﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا، وإِلَيْكَ أَنَبْنَا...﴾	الممتحنة	4-5	(3): 1780، 1797
﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي...﴾	الصف	6	(3): 1468
﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾	الصف	13	(3):1283
﴿وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللهِ﴾	الجمعة	10	(4):1932
﴿وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ...﴾	المنافقون	1	(3):1450
﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ...﴾	المنافقون	8	(3):1456
﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا...﴾	المنافقون	9	(1):103
﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْسًا...﴾	المنافقون	11	(3):1432

﴿فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ...﴾	التغابن	2	(3): 1293
﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ...﴾	التغابن	14	(3): 1293
﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾	التغابن	15	(1): 103
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾	الطلاق	1	(3): 1302، 1305
﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ...﴾	الطلاق	3	(4): 2406
﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ...﴾	الطلاق	12	(3): 1268، 1411
﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ...﴾	التحريم	5	(3): 1195
﴿لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ...﴾	التحريم	6	(3): 1358
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	التحريم	7	(3): 1303
﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ...﴾	التحريم	8	(4): 2228
﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾	الملك	1	(4): 1910
﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾	الملك	3	(3): 1351
﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ﴾	الملك	5	(3): 1500
﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾	القلم	1	(1): 128، 125
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾	القلم	4	(4): 1991
﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ...﴾	القلم	11	(3): 1351
﴿عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا...﴾	القلم	32	(3): 1791
﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ...﴾	القلم	36	(4): 2518
﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾	المعارج	1	(3): 1200
﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا...﴾	المعارج	22	(3): 1354
﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ...﴾	المعارج	33	(3): 1200
﴿بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾	المعارج	40	(3): 1438
﴿الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ﴾	الحاقة	1ـ2	(3): 1347

﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾	الحاقة	7	(3): 1402
﴿عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾	الحاقة	21	(3): 1406
﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ...﴾	الحاقة	29	(1):104
﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾	الحاقة	30	(3): 1412
﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾	الحاقة	41	(1):295
﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ...﴾	المعارج	40	(3):1270
﴿وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾	نوح	7	(3):1271
﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾	نوح	10	(4): 1857
﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾	نوح	12	(1):102
﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ للهِ وَقَاراً...﴾	نوح	13	(3): 1409
﴿وَاللهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾	نوح	17	(3): 1345
﴿أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾	نوح	25	(3): 1394
﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً﴾	نوح	27	(3):1449
﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾	نوح	3	(3):1501
﴿فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾	الجن	14	(3): 1402
﴿لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾	الجن	16	(3):1274
﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾	الجن	18	(2): 951
﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً﴾	الجن	28	(3):1254
﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾	المزمل	4	(3):1160، 1227
﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾	المزمل	6	(4): 1859
﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾	المزمل	8	(3): 1345
﴿أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً...﴾	المزمل	16	(3):1267
﴿فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ...عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرًا﴾	المزمل	20	(3):1264، 1298، (4):1876

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ﴾	المدثر	1 ـ 2	(3): 1189، 1412
﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾	المدثر	3	(1): 383، (3): 1390
﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾	المدثر	4	(3): 1441
﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾	المدثر	28	(2): 731
﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾	المدثر	38	(3): 1447
﴿وَمَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾	المدثر	42	(3): 1499
﴿إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ...﴾	القيامة	28	(3): 1337، 1411
﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ...﴾	القيامة	30	(3): 1386
﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾	القيامة	33	(4): 1904
﴿هَلْ أَتَى على الْإِنسَانِ﴾	الإنسان	1	(3): 1645
﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ﴾	الإنسان	2	(3): 1379
﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾	الإنسان	8	(3): 1358
﴿دَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا...﴾	الإنسان	14	(3): 1379
﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا﴾	الإنسان	21	(3): 1273
﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا...﴾	الإنسان	25	(3): 1737، (4): 1845، 1846
﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللهُ﴾	الإنسان	30	(4): 2417
﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾	المرسلات	16	(3): 1366
﴿انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي...﴾	المرسلات	30	(3): 1391، 1438
﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾	النبأ	11	(4): 1932
﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ...﴾	النبأ	30	(3): 1492، 1496
﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾	النبأ	40	(1): 104، (3): 1373
﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾	النازعات	1	(3): 1342
﴿أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾	النازعات	27	(3): 1299

﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ...﴾	النازعات	30	(3):1299
﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ...﴾	النازعات	37	(4):2517
﴿ونَهى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾	النازعات	40	(4): 2401
﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا...﴾	النازعات	46	(3):1262، 1506
﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ...﴾	الانفطار	13	(3): 1410
﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾	البروج	6	(1):214
﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾	البروج	13	(3):1264
﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾	الطارق	9	(3):1256
﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ﴾	الطارق	17	(3): 1344
﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾	الأعلى	1	(3):1198، 1252
﴿أَخْرَجَ الْمَرْعَى فَجَعَلَهُ...﴾	الأعلى	5	(3): 1406
﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشعة﴾	الغاشية	2	(3):1339
﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾	الغاشية	8	(3):1339
﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ...﴾	الغاشية	13	(3): 1409
﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾	الغاشية	15	(3): 1410
﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ...﴾	الغاشية	25	(3):1234، 1410
﴿وَالْفَجْرِ﴾	الفجر	1	(3):1498
﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾	الفجر	4	(3):1325، 1401
﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾	الفجر	14	(3):1511، (4): 2485
﴿دَكًّا دَكًّا﴾	الفجر	21	(3): 1344
﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾	الفجر	22	(3):1273، 1327
﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾	الفجر	23	(3):1273
﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَأَنْتَ...﴾	البلد	1ـ2	(3):1196

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾	البلد	10	(4): 2348
﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِينًا...﴾	البلد	15	(3): 1493
﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾	الشمس	1	(4): 1858
﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾	الشمس	9	(3): 1340
﴿نَاقَةَ اللهِ وَسُقْيَاهَا﴾	الشمس	13	(3): 1373
﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾	الليل	1	(4): 1858
﴿نَارًا تَلَظَّى﴾	الليل	14	(3): 1330
﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾	الليل	19	(3): 1406
﴿وَالضُّحَى﴾	الضحى	1	(3): 1498
﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾	الضحى	3	(3): 1326، 1403
﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾	الضحى	5	(3): 1492
﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾	الشرح	1	(3): 1340
﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ...﴾	الشَّرْح	5-6	(3): 1266
﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾	التين	2	(3): 1407
﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾	العلق	1	(3): 1189
﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ ...﴾	العلق	3-5	(1): 125، (3): 1440
﴿لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾	العلق	19	(2): 1094، (3): 1630، (4): 2334
﴿رَسُولٌ مِنَ اللهِ﴾	البَيِّنَةُ	2	(3): 1328
﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ...﴾	البَيِّنَةُ	8	(4): 2372
﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾	الزلزلة	5	(3): 1406
﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ...﴾	الزلزلة	7-8	(3): 1491، (4): 2479
﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ...﴾	العاديات	6-8	(3): 1377، 1387

﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ...﴾	القارعة	1ـ2	(3): 1347
﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ نَارٌ...﴾	القارعة	10	(3): 1335
﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ...﴾	التكاثر	3ـ4	(3): 1337
﴿وَالْعَصْرِ﴾	العصر	1	(3): 1499
﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾	الهُمَزَةُ	1	(3): 1387
﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾	الفيل	1	(3): 1274
﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾	قريش	1	(3): 1210، 1415، (4): 1888
﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾	الماعون	5	(3): 1249
﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ ...﴾	الكوثر	1ـ3	(3): 1186، 1274، 1475
﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾	الكافرون	1	(3): 1507، (4): 1850
﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ...﴾	النصر	3	(3): 1761، (4): 1857
﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾	المسد	1	(3): 1311، 1479، 1480
﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾	المسد	4	(3): 1351
﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ﴾	الإخلاص	1ـ2	(3): 1265، 1323، 1354، 1479، 1480، (4): 1850، 1874، 2050
﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾	الإخلاص	4	(3): 1401
﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾	الفلق	1	(3): 1507
﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾	الفلق	3	(2): 723، (3): 1537
﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾	الفلق	4	(2): 511
﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾	الناس	1	(3): 1357، 1507
﴿مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ﴾	الناس	2ـ3	(3): 1253

فهرس الأحاديث والآثار

حرف الألف

حرف الباء

«بِسْمِ اللهِ تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا، يُشْفَى به سَقِيمُنا...»: **(3)**:1794

«بِسْمِ الله تَوَكَّلْتُ على اللهِ، لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ...»: **(3)**:1689، **(4)**:2051

«بِسْمِ اللهِ رَبِّ أَعوذُ بِكَ أن أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ...»: **(3)**: 1786

«بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحيمِ، أُعِيذُكَ باللهِ الْأَحَدِ الصَّمَدِ...»: **(4)**: 2020

«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ؛ لَمْ تَنزِلْ عَلَى نَبِيٍّ...»: **(3)**:1199

«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ولا حول ولا قوة إلا بالله...»: **(3)**: 1786

«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ؛ ويقول: أعوذ ...»: **(3)**:1599

«بِسْمِ اللهِ الَّذِي لا يَضُرُّ مع اسْمِهِ شَيْءٌ في الأَرْضِ...»: **(4)**:1849

«بِسْمِ الله ما شاءَ اللهُ لا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ حَسْبِيَ اللهُ...»: **(3)**:1691، 1769، 1797، **(4)**: 2054

«بِسْمِ الله وبالله والله أَكْبَرُ، تَوَكَّلْتُ على اللهِ...»: **(3)**:1690، **(4)**:2051

«بِسْمِ اللهِ وبِاللهِ ومِنَ اللهِ وإلى اللهِ، وفي سَبِيلِ اللهِ...»: **(3)**:1696

«بِسْمِ اللهِ واللهُ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ إِيمانًا بِكَ وَتَصْدِيقًا...»: **(3)**:1698

«بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»: **(4)**:1991، **(4)**:2103

«الْبِلادُ بِلادُ اللهِ، وَالْخَلْقُ عِبادُ اللهِ، فأَيُّ مَوْضِعٍ...»: **(3)**:1686

«بَلَغَنا أَنَّ الْبَرْقَ مَلَكٌ لَهُ أَرْبَعَةُ وُجُوهٍ: وَجْهُ إِنْسَانٍ...»: **(3)**: 1469

«بَلَغَنا أَنَّهُمْ قَالُوا: يا رَسُولَ اللهِ، لِمَ خُلِقَتِ الْأَهِلَّةُ...»: **(3)**:1276

«بَلَغَنِي أَنَّ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ شِفَاءٌ مِنَ السِّحْرِ، تُقْرَأُ فِي...»: **(3)**:1503

«بُنِيَ الْإِسْلامُ على خَمْسٍ»: **(3)**:1569

«بَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا...»: (3):1186

حرف التاء

«تَأْلِيفُ اللهِ خَيْرٌ مِنْ تَأْلِيفِكُمْ»: **(3)**: 1230

«التَّاجِرُ الصَّدوقُ يُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيامَةِ...»: **(4)**:1932

«تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللهِ»: **(4)**: 2450

«تَضِيقِي تَنْفَرِجِي، ثُمَّ يَرْفَعُ يَدَيْهِ فَيَقولُ: بِسْمِ الله الرَّحْمنِ الرَّحيمِ...»: **(3)**:1806

«تَذَاكُرُ الْعِلْمِ بَعْضَ لَيْلَةٍ أَحَبُّ إِليَّ من إِحْيائِهَا»: **(1)**:13

«التَّرْتِيلُ تَجْوِيدُ الْحُرُوفِ، وَمَعْرِفَةُ الْوُقُوفِ»: **(3)**:1160

«تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ...»: **(1)**:103

«تَعِسَ عَبْدُ الزَّوْجَةِ»: **(4)**:1923

«تَعَلَّمُوا أَبَا جَادٍ، فَقِيلَ: مَا أَبَا جَادٍ؟ قَالَ: الْأَلِفُ...»: **(3)**:1166

«تَعَلَّمُوا مِنَ النُّجومِ ما تَهْتَدُونَ به...»: **(3)**:1572

«تَفَكُّرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ»: **(4)**: 2492

«تفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللهِ، وَلَا تَفَكَّرُوا فِي ذَاتِ اللهِ»: **(4)**: 2499

«تُقْبَلُ تَوْبَةُ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ»: **(4)**:2509

«تَمامُ عِيادَةِ الْمَرِيضِ أَنْ يَضَعَ أَحَدُكُمْ يَدَهُ على جَبْهَتِهِ...»: **(4)**: 2020

«تَناكَحُوا تكاثَرُوا»: **(4)**:1910

«تَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُمْ في النَّارِ، فَيَدُورُ بِهَا أَحَدُهُمْ...»: **(4)**:2287

«تَنَوَّقَ رَجُلٌ فِي بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَغُفِرَ لَهُ»: **(3)**:1169

«تَوَلَّتْ عَنِّي الدُّنْيَا وَقَلَّتْ ذاتُ يَدِي...»: **(3)**:1756

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

«قَلَّمَا كانَ رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ يَخْرُجُ إلى سَفَرٍ...»: **(4)**:2052

«قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَزْواجِهِ...»: **(3)**:1760

حرف الكاف

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبِي، وَأَذْهِبْ غَيْظَ قَلْبِي...»: (3):1792

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي بِرَحْمَتِكَ، أَعوذُ بِرَبِّ هذا الْحَجَرِ...»: (3):1700

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي خَطيئَتِي، وَجَهْلِي وَإِسْرافِي...»: (3): 1762

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي ما قَدَّمْتُ وما أَخَّرْتُ، وما أَسْرَرْتُ...»: (3):1777

«اللَّهُمَّ إِنِّي اقْتَرَبْتُ بِهِنَّ إِلَيْكَ فَاخْلُفْنِي بِهِنَّ في أَهْلِي وَمالِي»: (4):2050

«اللَّهُمَّ اقْسِمْ لنا من خَشْيَتِكَ ما تَحولُ بِهِ ...»: (3):1778

«اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلالِكَ عن حَرامِكَ...»: (3):1789

«اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي، وَقِنِي شَرَّ نَفْسِي»: (3):1780

«اللَّهُمَّ أَمانَتِي أَدَّيْتُها، وَمِيثاقِي تَعاهَدْتُهُ...»: (3):1697

«اللَّهُمَّ امْلَأْ وُجوهَنا منك حَياءً، وَقُلوبَنا منكَ خَوْفًا...»: (3):1778

«اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ في نُحورِهِمْ، وَنَعوذُ بِكَ من شُرورِهِمْ»: (3):1792

«اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَبْعَثَنا في هذا الْيَوْمِ إلى كُلِّ خَيْرٍ...»: (3):1797

«اللَّهُمَّ إِنَّ الْبَيْتَ بَيْتُكَ، وَالْحَرَمَ حَرَمُكَ...»: (3):1699

«اللَّهُمَّ أَنْتَ الْحامِلُ على الظَّهْرِ، وَأَنْتَ الْمُسْتَعانُ في الْأُمورِ»: (4):2051

«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي...»: (3):1762، 1776

«اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلامُ، وَمِنْكَ السَّلامُ...»: (3):1788

«اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ في السَّفَرِ، وَأَنْتَ الْخَليفَةُ...»: (3):1688

«اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي وَنَصيرِي وَبِكَ أُقاتِلُ»: (3):1793

«اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ سِرِّي وعَلانِيَتِي، فَاقْبَلْ...»: (3): 1770

«اللَّهُمَّ إِنَّكَ خَلَقْتَ نَفْسِي وَأَنْتَ تَتَوَفَّاها...»: (3):1795

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بِكَ أنْ تَزِلَّ قَدَمِي...»: (3):1601

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بِكَ أَنْ تُعْطِينِي كِتابِي بِشِمالِي...»: (3): 1600

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بك من الْبُخْلِ، وَأَعوذُ بك...»: (3): 1782

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بك مِنَ التَّرَدِّي...»: (3): 1783

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بك مِنْ جارِ السُّوءِ في دارِ الْبَقاءِ...»: (3): 1784

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بِكَ مِنْ جَهْدِ الْبَلاءِ...»: (3): 1783

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بِكَ مِنْ رَوائِحِ النَّارِ...»: (3):1599

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بِكَ من زَوالِ نِعْمَتِكَ...»: (3): 1784

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي وَبَصَرِي...»: (3): 1783

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بكَ مِنَ الشِّرْكِ والشَّكِّ...»: (3): 1699

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ ما عَلِمْتُ وما لَمْ أَعْلَمْ»: (3): 1783

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بك مِنْ طَمَعٍ يَهْدِي إلى طَبْعٍ...»: (3): 1782

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بِكَ مِنْ عَذابِ النَّارِ وفِتْنَةِ النَّارِ...»: (3): 1784

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بك من عِلْمٍ لا يَنْفَعُ...»: (3): 1782

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الْعَدُوِّ...»: (3): 1785

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بك من الْقَسْوَةِ وَالْغَفْلَةِ وَالْعَيْلَةِ...»: (3): 1784

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بك من الْكُفْرِ، وأَعوذُ بك...»: (3):1700، 1782

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالدَّيْنِ وَالْفَقْرِ...»: (3): 1783

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بِكَ مِنْ نَفْسٍ لا تَشْبَعُ...»: (3): 1784

«اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بِكَ مِنْ هَمَزاتِ الشَّياطينِ...»: (4):1849

«اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بك مِنْ وَساوِسِ الصَّدْرِ...»: (3): 1706

«اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِنُورِ قُدُسِكَ، وبَرَكَةِ...»: (2): 1060

«اللَّهُمَّ إنِّي عَبْدُكَ وابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ...»: (3):1793

«اللَّهُمَّ إنِّي لم أَخْرُجْ أَشَرًا ولا بَطَرًا...»: (3):1689

«اللَّهُمَّ اهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَعْمالِ لا يَهْدِي لِأَحْسَنِها...»: (4):1866

«اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنا بِالْأَمْنِ وَالْإِيمانِ...»: (3):1790

«اللَّهُمَّ أَوْجِدْنِي رائِحَةَ الْجَنَّةِ...»: (3):1599

«اللَّهُمَّ أَيْقِظْنِي في أَحَبِّ السَّاعاتِ إِلَيْكَ...»: (3):1796

«اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَحْيَا وَأَموتُ»: (3):1795

«اللَّهُمَّ بارِكْ لِأُمَّتِي في بُكورِها يَوْمَ السَّبْتِ»: (4):2052

«اللَّهُمَّ بارِكْ لنا فِيما رَزَقْتَنا، وَارْزُقْنا خَيْرًا مِنْهُ»: (4):1889

«اللَّهُمَّ بارِكْ لنا فيه وَزِدْنا مِنْهُ»: (4):1889

«اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ، وَقُدْرَتِكَ على الْخَلْقِ...»: (3):1778

«اللَّهُمَّ بِقُدْرَتِكَ عَلَيَّ تُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ...»: (3):1779

«اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنا، وَبِكَ نَحْيَا...»: (3):1797

«اللَّهُمَّ بِكَ انْتَشَرْتُ، وعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ...»: (3):1689، (4):2051

«اللَّهُمَّ الْبَيْتُ بَيْتُكَ وَالْعَبْدُ عَبْدُكَ...»: (3):1715

«اللَّهُمَّ بَيْتُكَ عَظيمٌ، وَوَجْهُكَ كَريمٌ...»: (3):1699

«لَوْلَا صِبْيانٌ رُضَّعٌ، وَمَشايِخُ رُكَّعٌ، وَبَهائِمُ رُتَّعٌ...»: (3):1660

«لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَخَلَقَ اللهُ تَعالَى خَلْقًا يُذْنِبُونَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ»: (4): 2366

«لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنْ عُمُرِي إلَّا عَشَرَةُ أَيَّامٍ، لَأَحْبَبْتُ...»: (4):1907

«لَوْ نُهِيَ النَّاسُ عَنْ فَتِّ الْبَعْرِ لَفَتُّوا، وَقالُوا: ما نُهِينَا...»: (1):68

«لَوْ وُزِنَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ بِإِيمَانِ الْعَالَمِ سِوَى النَّبِيِّينَ...»: (4):2130

«لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَضْرِبُونَ فِيهِ أَكْبَادَ الْإِبِلِ...»: (2):920

«لَيْسَ أَحَدٌ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللهُ...»: (3):1760

«لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ على اللهِ تعالَى مِنَ الدُّعاءِ»: (3):1837

«لَيْسَ لِلْعَبْدِ مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا ما عَقَلَ»: (3): 1617

«لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ»: (3):1744

«لَيَغْفِرَنَّ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْفِرَةً مَا خَطَرَتْ قَطُّ...»: (4): 2366

«لِيَلِيَنِّي مِنْكُمْ أُولُو الْأَحْلَامِ والنُّهَى، ثُمَّ الَّذِينَ...»: (1): 121

«لَيَنْتَهِيَنَّ أقْوامٌ عن رَفْعِ أَبْصارِهِمْ إلى السَّماءِ عند الُّدعاءِ...»: (3):1839

«لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ يا أبا الْمُنْذِرِ»: (2): 691

حرف الميم

«الْمَاءُ بِالْقِبْطِيَّةِ: مُو، وَالشَّجَرُ: سَا، وَإِنَّمَا سُمِّيَ مُوسَى...»: (3):1462

«ماءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ»: (3):1714

«ما أَحَدٌ مِنْ أَصْحابِي إِلَّا وَقَدْ أَخَذْتُ عليه...»: (1):227

«ما أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ إِذْنَهُ لِحَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ»: (3):1744

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

«وَكانَ النبي صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ يستفتح بقوله: ...»: (**3**):1842

«وَكانَ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ يَقْرَأُ في الْوِتْرِ...»: (**4**): 1860

«وَكَانَ يَلْعَقُ أَصَابِعَهُ حَتَّى تَحْمَرَّ»: (**4**): 2110

«وَلَدٌ صالِحٌ يَدْعو لَهُ»: (**4**):1911

«واللهِ ما نَزَلَتْ آيَةٌ، إلَّا وَقَدْ عَلِمْتُ فيمَ أُنْزِلَتْ...»: (**2**): 682

«ولَمَّا هاجَرَ إلى الْمَدينَةِ وقارَبها، سَمِعَ مُنادِيًا يُنادِي...»: (**2**): 501

«وَمَنْ حَامَ حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ»: (**4**): 2406

«وَيْلٌ لِلتَّاجِرِ مِنْ بَلَى وَاللهِ لا واللهِ، وَوَيْلٌ لِلصَّانِعِ...»: (**4**):1942

«وَيْلٌ لِلْجَاهِلِ مَرَّةً، ولِلْعَالِمِ سَبْعِينَ مَرَّةً»: (**1**):82

حرف الياء

«يا أبا هُرَيْرَةَ، أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَمْرٍ هُوَ حَقٌّ، مَنْ تَكَلَّمَ به...»: (**4**): 2021

«يا أَرْضُ رَبِّي وَرَبُّكِ اللهُ، أَعوذُ باللهِ من شَرِّكَ...»: (**3**):1691، (**4**):2053

«يا أَهْلَ الْيَمَنِ يَمَنكُمْ، ويا أَهْلَ الشَّامِ شامَكُمْ»: (**4**):1684

«يا بُرَيْدَةُ، أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِماتٍ مَنْ أَرادَ اللهُ بِهِ خَيْرًا...»: (**3**):1766

«يَا حَمْرَاءُ غُرِّي غَيْرِي، وَيَا بَيْضَاءُ غُرِّي غَيْرِي»: (**1**): 104

«يَا عَائِشَةُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ...»: (**4**):2198

«يا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ، أو يا أبا موسَى: أَوَلَا أَدُلُّكَ...»: (**3**):1757

«يَا عَبْدَ اللهِ إِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ...»: (**4**):2507

«يا فاطِمَةُ ما يَمْنَعُكِ أن تَسْمَعِي ما أُوصِي به، أنْ تَقولِي: يا حَيُّ يا قَيُّومُ...»: (**3**):1765

«يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ...»: (**4**):2143

فهرس الكتب الواردة في المتن

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

فهرس العلوم المذكورة في الكتاب

18. عِلْمُ الِاحْتِسابِ: (2): 588

19. عِلْمُ الِاخْتِلاجِ: (2): 497

20. عِلْمُ الِاخْتِيارَاتِ: (2): 498

21. عِلْمُ الإِخْفَاءِ: (2): 514

22. عِلْمُ الأَدْعِيَّةِ وَالأَوْرَادِ: (3): 1547

23. عِلْمُ الأَدْوارِ والأَكْوارِ: (2): 547

24. عِلْمُ الأَسارِيرِ: (2): 484

25. عِلْمُ الِاسْتِحْضارِ: (2): 512

26. عِلْمُ الِاسْتِعانَةِ بِخَواصِّ الأَدْوِيَةِ والْمُفْرَداتِ: (2): 517

27. عِلْمُ الِاشْتِقَاقِ: (1): 195

28. عِلْمُ الأَطْعِمَةِ وَالْمُزَوَّراتِ: (2): 478

29. عِلْمُ الأَكْتافِ: (2): 485

30. عِلْمُ الأُكَرِ الْمُتَحَرِّكَةِ: (2): 541

31. عِلْمُ الأُكَرِ: (2): 541

32. عِلْمُ الآلاتِ الْحَرْبِيَّةِ: (2): 531

33. عِلْمُ الآلاتِ الرَّصْدِيَّةِ: (2): 539

34. عِلْمُ الآلاتِ الظِّلِّيَّةِ: (2): 540

35. عِلْمُ الآلاتِ الْعَجِيبَةِ كَالْعودِ والْمَزاميرِ والْقَانُونِ: (2): 568

36. عِلْمُ الآلاتِ الْمَبْنِيَّةِ على ضَرورَةِ عَدَمِ الْخَلاءِ: (2): 534

189. عِلْمُ طَبَقاتِ الْقُرَّاءِ: (1): 389

190. عِلْمُ طَبَقاتِ الْمَالِكِيَّةِ: (1): 390

191. عِلْمُ طَبَقاتِ الْمُحَدِّثينَ: (1): 389

192. عِلْمُ طَبَقاتِ الْمُفَسِّرينَ: (3): 1538

193. عِلْمُ طَبَقاتِ النُّحاةِ: (1): 391

194. عِلْمُ عُقودِ الأَبْنِيَةِ: (2): 527

195. عِلْمُ عِلَلِ الْقِرَاءَاتِ: (3):1164

196. عِلْمُ عَمَلِ الأُسْطُرْلابِ: (2): 552

197. عِلْمُ عَمَلِ رُبُعِ الدَّائِرَةِ: (2): 552

198. عِلْمُ غَرَائِبِ لُغَاتِ الْحَدِيثِ: (3):1179

199. عِلْمُ قَرْضِ الشِّعْرِ: (1):301

200. عِلْمُ قَلْعِ الآثارِ من الثِّيابِ: (2):478

201. عِلْمُ قَوانينِ الْكِتابَةِ: (1):140

202. عِلْمُ قَوْدِ الْعَسَاكِرِ والْجُيوشِ: (2): 589

203. عِلْمُ قَوْسِ قُزَحَ: (2):454

204. عِلْمُ قِيافَةِ الأَثَرِ، وَيُسَمَّى عِلْمَ الْعِيافَةِ: (2):486

205. عِلْمُ قِيافَةِ الْبَشَرِ: (2):486

206. عِلْمُ كِتابَةِ التَّقاويمِ: (2): 538

207. عِلْمُ كَشْفِ الدَّكِّ وإيضاحُ الشَّكِّ: (2): 516

227. عِلْمُ مَعْرِفَةِ الآيَاتِ الْمُشْتَبِهَاتِ: (3): 1421

228. عِلْمُ مَعْرِفَةِ الإِيجَازِ وَالإِطْنَابِ: (3): 1320

229. عِلْمُ مَعْرِفَةِ الْبُرْدِ وَمَسافاتِها: (2): 544

230. عِلْمُ مَعْرِفَةِ الْحَصْرِ وَالِاخْتِصَاصِ: (3):1313

231. عِلْمُ مَعْرِفَةِ الْحَضَرِيِّ وَالسَّفَرِيِّ: (3):1185

232. عِلْمُ مَعْرِفَةِ الْخَبَرِ وَالإِنْشَاءِ: (3):1361

233. عِلْمُ مَعْرِفَةِ الزَّايرجَه: (3): 1543

234. عِلْمُ مَعْرِفَةِ الشَّوَاذِّ، وتَفْرِقَتِهَا مِنَ الْمُتَوَاتِرِ: (3):1159

235. عِلْمُ مَعْرِفَةِ الصَّيْفِيِّ وَالشِّتَائِيِّ: (3):1185

236. عِلْمُ مَعْرِفَةِ الْعَالِي وَالنَّازِلِ مِنْ أَسَانِيدِهِ: (3): 1214

237. عِلْمُ مَعْرِفَةِ الْعُلُومِ الْمُسْتَنْبَطَةِ مِنَ الْقُرْآنِ: (3): 1430

238. عِلْمُ مَعْرِفَةِ الْفِرَاشِيِّ وَالنَّوْمِيِّ: (3):1186

239. عِلْمُ مَعْرِفَةِ الْمُتَوَاتِرِ وَالْمَشْهُورِ وَالآحَادِ وَالشَّاذِّ وَالْمَوْضُوعِ: (3):1216

240. عِلْمُ مَعْرِفَةِ الْمُحْكَمِ وَالْمُتَشَابِهِ: (3):1285

241. عِلْمُ مَعْرِفَةِ الْمَدِّ وَالْقَصْرِ: (3):1222

242. عِلْمُ مَعْرِفَةِ الْمَعادِ: (1):436

243. عِلْمُ مَعْرِفَةِ الْمَكِّيِّ وَالْمَدَنِيِّ: (3):1183

244. عِلْمُ مَعْرِفَةِ الْمَلائِكَةِ: (1):436

245. عِلْمُ مَعْرِفَةِ النُّفوسِ الإِنسانِيَّةِ: (1):436

فهرس الأعلام البشرية[1]

حرف الألف

---

(1) لم نراع في ترتيب الأعلام البشرية: ابن، وأبو، وذو، وأل. وميَّزنا الأعلام المترجمين في الكتاب بخط بارز مع وضع رقم صفحة ترجمته بين قوسين.

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

فهرس البلدان والأماكن

فهرس المساجد والمدارس والزوايا والأضرحة

فهرس الأمم والقبائل

فهرس الفرق والمذاهب

فهرس الأبيات الشعرية

أول البيت	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
آباءُ	التَّلَفِ	البسيط	؟	2	(1):39
أَبَاحَ	والسُّكْرُ	الطويل	أبو نواس	2	(1):91
أبو حامد	بِمِغْزَلِ	الطويل	الْيَافِعِي	5	(2): 1123
أَبوهُ	الدُّرِّي	الطويل	؟	2	(2): 655
أَتوعِدُ	عَنيدُ	الوافر	الوليد بن يزيد	2	(2): 502
اثْنَانِ	السُّؤْدَدِ	الكامل	؟	3	(2): 939
أُحاجِيكَ	الْبَلَدْ	المتقارب	؟	2	(1): 378
اِحْرِصْ	كَسَلَا	البسيط	؟	3	(1):6، 44
أَحْسَنْتَ	الْقَدَرُ	البسيط	سعيد بن حميد	2	(4): 2378
إِذَا تَغَلْغَلَ	خَواطِرُهُ	البسيط	المتنبي	1	(2): 1150
إذا سَاءَ	تَوَهُّمِ	الطويل	المتنبي	2	(1):92، (4): 2033
إِذَا كُنْتَ	مُغْرَمُ	المتقارب	ابن فارس	2	(1): 172، (2): 587
إذا كُنْتَ	مُغْرَمُ	المتقارب	الطُّرْطُوشِي	2	(2): 586
إِذَا لَمْ	مَا تَسْتَطِيعُ	الوافر	ابن معد كرب	1	(2): 1070
إِذَا لَمْ	لا يَنْفَعُ	المتقارب	محمد بن بشير	2	(1): 57
إِذَا لَمْ	اجْتِهَادُهُ	الطويل	؟	1	(4):2348

إذا هَجَعَ	الشِّعْرِ	الطويل	الشافعي	3	(1): 28
أَرَى	بِلِمْ لَمْ	الوافر	؟	2	(1): 420
رَأَيْتُ	الشَّاطِبِيِّ	الوافر	أبو شامة	2	(2): 662
أُسْ	أَسَا	مجزوء الرجز	الْحَرِيرِي	1	(1): 383
اِسْتَشْعَرَ	الْأَيَّامُ	الكامل	؟	2	(1): 139
اسْمُ	الصَّوْمِ	الخفيف	؟	1	(1): 378
أَشَدُّ	انْتِقَالَا	الوافر	المتنبي	1	(4): 2234
اِشْتَدِّي	بِالْبَلَجِ	المتدارك	لابن النَّحوي	40	(3): 1817
أَصالَةُ	الْعَطَلِ	البسيط	الطُّغرائي	1	(1): 335
أَضَاعُونِي	ثَغْرِ	الوافر	العرجي	1	(1): 41، (2): 909
أَضْحَى	جَمْعَهْ	البسيط	؟	2	(1): 57
أَظَلُومُ	ظُلْمُ	الكامل	العرجي	1	(1): 200
أَعْيَا	الذَّهَبَ	البسيط	؟	2	(2): 470
أَقُولُ	وهَاشِمِ	الطويل	؟	1	(1): 215
أَقُولُ	والْقَنَاطِرِ	الطويل	الزهري	1	(1): 216
أَقُولُ	بِمُنْكَرِ	الطويل	أبو حنيفة	2	(2): 902
أَقيمُوا	لَأَمْيَلُ	الطويل	الشنفرى	1	(1): 335
أَلَا خُذْ	ذَيْنِ	الوافر	؟	3	(1): 377
أَلَا صَلَّى	قَنْبَرْ	الوافر	الزمخشري	2	(1): 226
أَلَا كُلُّ	عَرِيقِ	الطويل	أبو نواس	2	(1): 333
أَلَا يَا	بَنِي عَمْرِو	الطويل	ابن المنذر	2	(3): 1167

إِلَهِيَ	وَالْطُفِ	الطويل	السبكي	2	1820:(3)
أَنَا فِي	ثَمودِ	الخفيف	المتنبي	1	327:(1)
أَنَا	تَجِدْنِي	الوافر	؟	18	1812:(3)
إِنَّ التَّفَاسِيرَ	كَشَّافِي	البسيط	الزمخشري	2	743:(2)
إِنْ رُمْتَ	وَمَنْطِقِ	الكامل	الفيومي	2	394 :(1)
إِنَّ الصَّغَانِيَّ	والْحِكَمْ	مجزوء الرجز	؟	2	175 :(1)
إِنَّ الْعَرَانِينَ	حُسَّادَا	البسيط	عُمَرُ بْنُ لَجَإٍ	1	1038 :(2)
إِنَّ الْكِرام	الْخَشِنِ	البسيط	؟	1	2011:(4)
إِنَّ للهِ	الْفِتَنَا	الرمل	الشافعي	3	585 :(2)
إِنَّمَا	يُنْتَفَعْ	الرمل	الكسائي	6	213:(1)
إِنَّ الْمُعَلِّمَ	يُكْرَمَا	الكامل	؟	2	37:(1)
أَنْثُرُ	النَّعَمْ	الطويل	الشافعي	4	71:(1)
إِنِّي	فَيَفْتَتِنَا	البسيط	علي زين العابدين	4	76:(1)
إِنَّ الْهِدَايَةَ	كُتُبِ	البسيط	؟	2	994 :(2)
إِنْ يَحْسُدُونِي	مَحْسُودِ	البسيط	مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ	1	1038 :(2)
إِنْ يَحْسُدُونِي	حُسِدُوا	البسيط	بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ	2	1037 :(2)
إِنْ يَحْسُدُونِي	مَحْسُودِ	البسيط	معن بن زائدة	2	1037 :(2)
إِنْ يَخْدُمِ	الأُمَمُ	البسيط	؟	2	128:(1)
أَوْحَى	تُوعَدُونَ	السريع	؟	2	1234:(3)
أُولَئِكَ	الْمَجَامِعُ	الطويل	الْفَرَزْدَقُ	1	918:(2)
أُولَئِكَ	الْمَنَاقِبُ	الطويل	؟	1	918:(2)

أَوَّلُهُ	ثانِيهِ	السريع	؟	2	(1): 378
بَدَأْتُ	الضُّرِّ	الطويل	لأبي عمران الفاسي	145	(3):1821
بَدَا لِيَ	جَائِيَا	الطويل	زهير بن أبي سلمى	1	(3):1283
باللهِ	فَاكْ	السريع	ابن منظور	2	(1): 189
تَرَكْتُ	مَنْزِلِ	الطويل	ابن العربي	2	(2): 1127
تَكَثَّرْ	غفورَا	الوافر	أبو نواس	3	(1): 333
تَمُرُّ	تَنْظُرُ	الطويل	ابن كثير	2	(1): 347
تُنَاضِلُهُ	تُصِيبُهُ	الطويل	؟	1	(1):30
جَزاكَ	الْخَلِيلِ	الوافر	سراجُ الدِّين الورَّاق	2	(1):297
جَمِيعُ	الرِّجَالِ	الوافر	ابن عباس	1	(1): 7، (3): 1433
حَسَدُوا	وَخُصُومُ	الكامل	أبو الأسود الدؤلي	2	(2): 1038
حَلَّتْ	التَّشْبِيهِ	الكامل	الغزالي	2	(2): 1120
حَلَقُوا	وَشُحًا	الخفيف	أَبُو نُوَاسٍ	2	(2): 960
الْخَيْلُ	الْقَلَمُ	البسيط	المتنبي	1	(1):327
دَعْ	مُغْرِقِ	الكامل	الفيومي	2	(1): 394
رَأَيْتُ	مُسْلِمِ	الطويل	؟	2	(1):40
سَتُبْدِي	تُزَوِّدِ	الطويل	طرفة بن العبد	1	(1):150
السَّلْسَبِيلُ	وَكَافُورُ	البسيط	ابن السبكي	5	(3):1243
سَلِ اللهَ	يُكْتَسَبْ	المتقارب	محمد بن يزيد	2	(3):1236

سَهْمٌ	مَرْماكِ	البسيط	الشريف الرضي	1	(1): 351
السَّيْفُ	اللَّعِبِ	البسيط	أبو تمام	5	(2): 856
الشَّافِعِيُّ	حَرَامِ	الكامل	؟	6	(1):90
شَكَوْتُ	الْمَعَاصِي	الوافر	الشافعي	2	(2): 978
شَيْئَانِ	الصِبْيَانِ	الكامل	أبو عثمان المازني	2	(1):201
شَيْخٌ	الْهَوَسِ	المنسرح	لابن جكينا	1	(1):308
صَرَفْتُ	وَمَآرِبِي	الطويل	السهيلي	16	(3):1816
طَلَعَ	الْوَدَاعِ	مجزوء الرمل	؟	2	(4): 2067
عَابَ	ضَرَرِ	البسيط	منصور بن إسماعيل	2	(1): 393
عَافَتِ	سَخِينَا	الخفيف	؟	1	(1):216
عَجِبْتُ	غَائِبُ	الطويل	أبو تمام	2	(2): 1127
عَسَى	عَثُورُ	الطويل	الفضل بن الربيع	2	(2): 1058
عَلِمْتَ	لِلْعَمَلِ	البسيط	الشيرازي	1	(1):80
عِنْدَ الْإِلَهِ	رُجْحَانُ	البسيط	ابن العربي	2	(1): 124
عَنِ الْمَرْءِ	يَقْتَدِي	الطويل	طرفة	1	(1): 83
غَيْرِي	الْمُتَنَدِّمِ	الكامل	ابن شرف القيرواني	1	(2): 826
فَأَبْدَانُنَا	وَمُبَرِّد	الطويل	؟	1	(1): 232

فإذا	لا تُمَارِي	الخفيف	؟	3	(1):74
فَازْدَادَ	الْحَسَدِ	البسيط]	؟	1	(2): 1038
فَانْظُرْ	ضائِرِي	السريع	الأعشى	1	(2):484
فَإِنْ كُنْتَ	الْوَقَائِعُ	الطويل	الغزالي	8	(2): 1121
فَإِنْ لاَ	مُكَرَّمِ	الطويل	المتنبي	1	(4): 2065
فَذانِ	دانِقَهْ	الطويل	الطُّغْرائِيُّ	1	(2): 469
فِرْعَوْنُ	قَارُونَا	البسيط	؟	1	(1):219
فَسَادٌ	مُتَنَسِّكُ	الطويل	؟	2	(1):65
فَالْعِلْمُ	الْعَالِي	الكامل	؟	1	(1): 36
فُقَهَاؤُنَا	لِلنَّاسِ	الكامل	الغزالي	2	(2): 1121
فَكَانَ	الْخَبَرِ	البسيط	ابن المعتز	1	(1): 74، 338
فَوَا أَسَفًا	مُعَوَّلِ	الطويل	طاش كبري زاده	1	(1):86
قادَ	أَشْغالِ	الكامل	؟	2	(2): 581
قَالَ	إِلَيْكُمَا	الكامل	المعري	2	(4): 2320
قَدْ ضَيَّعَ	وَالْبَقَرِ	البسيط	المخيم الراسي	1	(1):71
قَدْ جُمِعَ	بالْواحِدِي	السريع	؟	1	(2): 687
قُلْ	حَزَنَا	الرمل	الغزالي	23	(2): 1125
قَوْمٌ	الْمَنِيَّاتِ	البسيط	؟	2	(1): 129
كِتَابُ	الْعَمَى	المتقارب	عماد الدين	2	(2): 994
كَبِّرْ	هائِمْ	مخلع البسيط	عبد القاهر الجرجاني	2	(1): 249

كَجَوْهَرِ	طَلَبَهْ	المنسرح	أبو إسْحاقَ المَغْرِبي	1	(2): 470
كلِّ العلومِ	الدِّينِ	البسيط	الشافعي	2	(1): 7
كَلَمْنْ	الْمَحَلَّهْ	مجزوء الرمل	ابن الجوزي	3	(3): 1167
كَمْ أَعْقَبَتْ	خَليلَا	الكامل	؟	5	(3): 1813
كَناطِحٍ	الْوَعِلُ	البسيط	الأَعْشَى	1	(2): 1037
كَيْفَ	حُتوفُ	الكامل	الشافعي	2	(2): 566
لا تَعْجَبوا	مَنْشَاهَا	المنسرح	السَّرِيُّ الرَّفاء	2	(2): 582
لا تَقْنَطَنَّ	الْفَرَجَا	البسيط	؟	1	(1): 218
لا تَنْهَ	عَظِيمُ	الكامل	الأخطل	1	(1): 81، 99، (3): 1584
لا تُهينَنَّ	رَفَعَهْ	المنسرح	الأضبع بن قريع	1	(1): 387
لا يَسْلَمُ	الدَّمُ	الكامل	المتنبي	1	(4): 2044
لَا يُمَلُّ	يُمَلُّ	يُمَلُّ	ابْنُ حَمْدِيس	1	(1): 43
لَبِسْتُ	ما أَجِدُ	البسيط	أبو إسْحاق الشِّيرازِي	4	(3): 1815
لِجامِعٍ	بِالزَّيْنِ	الطويل	ابن حجر	2	(1): 363
لَضِيقُ	غَمِّي	الطويل	ابْنُ سُرَيْجٍ	3	(1): 43
لَقَدْ	الْقَمَرَا	البسيط	؟	2	(4): 2458
لَقَدْ	الْمَعالِمِ	الطويل	؟	2	(1): 77

لَقَدْ	كَثِيرِ	الوافر	ابن عربي الحاتمي	2	(1): 122
لَقَدْ طُفْتُ	الْمَعَالِمِ	الطويل	لابن سينا	2	(1):439
لَقَدْ	الْإِسْكَنْدَرِيَّه	الوافر	ابن الحاجب	1	(2): 760
اللهُ	وَرِضْوَانَا	البسيط	؟	2	(2): 968
للهِ	إِجِلَالَا	البسيط	؟	3	(1): 51
لَمَّا	الْهَيْجَاءَ	الكامل	أعصر بن سعد	1	(1):216
لَمْ يُخْلَقِ	حِكَمِ	البسيط	؟	1	(3): 1558
لَنَا طبيب	فِيهِ	البسيط	ابن أفلح العبسي	2	(1): 414
لَوْ كَانَ	بالْيَاسِ	السريع	؟	2	(1): 178
لَوْ كانَتِ	جَاهِلُ	الكامل	؟	1	(1): 401
لَوْ لَمْ	خَبَرِ	البسيط	عبد الله بن رواحة	1	(1):21، (2): 568
لَيْسَ	الْمُتَغَابِي	الكامل	أبو تمام	1	(2): 580
لَيْسَتْ	الْجَوْهَرِ	مجزوء الرجز	؟	2	(1): 180
ما أَنْتَ	هاجِيهَا	البسيط	؟	3	(2): 569
مَا حَوَى	سَنَهْ	الرمل	الشافعي	2	(1):7
مَاذَا	الْحَضَرِ	الكامل	؟	1	(2): 1123
مَا ضَرَّ	بَصَرِ	البسيط	منصور بن إسماعيل	1	(1): 45

مَا ضَرَّنِي	النُّقْصَانِ	الكامل	عُمَارَةُ بْنُ عَقِيلٍ	2	(2): 1039
مَا لِي	الْقَهْقَهَهْ	السريع	أبو زيدٍ الدَّبُوسِي	2	(1): 422، (2): 868
مَا يَضُرُّ	بِحَجَرْ	الرمل	عبد الله بن طاهر	1	(2): 1038
مَجَازٌ	تَهُنْ	المتقارب	تقي الدين الحسيني	2	(3):1237
محمَّدُ	هَبَطْ	مجزوء الكامل	؟	1	(1): 340
مَدارِسُ	الْعَرَصاتِ	الطويل	دِعْبِلُ الخُزَاعِي	1	(1):342
الْمَرْءُ	يُفْتَقَدُ	البسيط	؟	1	(2):772
مَضَى	يَخْلُفُهُ	البسيط	الأَبِيوَرْدِي	1	(2): 1126
الْمُلْكُ	الْأَرْبَابُ	الكامل	الرافعي	3	(3):1236
مَنْ ذا	فَقَطْ	مجزوء الكامل	ابن الفارض	1	(1):340
مَنْ طَلَبَ	الرَّشَادِ	مُخَلَّعُ البسيط	أبو حَنِيفَةَ	2	(1):66
مَوَدَّتُهُ	تَدومُ	الوافر	الْقَاضِي الْأَرْجانِيِّ	1	(1): 382
مَوْلَايَ	بِمُنْكَرِ	الكامل	؟	2	(1): 181
نَظَرُوا	اسْتَقْبَحُوا	الكامل	الرِّضَى الْمُوسَوِيُّ	2	(2): 1039

نَعَمْ	الرَّاءِ	البسيط	أبو محمد الخازن	1	(2): 834
نَهانِي	تُصْفِرُ	الطويل	؟	1	(1): 376
هَبْنِي	أَزْهَرِ	الكامل	الغزالي	2	(2): 1121
هَذَا	وَالْأَواخِرْ	مجزوء الكامل	؟	2	(2):470 :
هَذَا	الْمَغْبُونَا	الكامل	؟	2	(1): 43
هَذَا كِتَابُ	الْأَدَبِ	المنسرح	إِسْماعيلُ بْنُ عَبْدوسٍ	2	(1): 177
هَذَّبَ	خَلَاصَهْ	مجزوء الرمل	عمرو بن عبد العزيز	2	(2): 1118
هِلَّوْفَةٌ	لَائِقُ	السريع	؟	1	(3):1608
هِيَ الدُّنْيَا	الذَّلِيلِ	الوافر	؟	2	(1):66
وَارْغَبْ	غُرُورِ	الكامل	ابن البواب	2	(1):138
وَأَخْرَسُ	أَجْوَفُ	المتقارب	؟	2	(1): 127
وَإِذَا	جُنْدُبُ	الكامل	ضمرة بن جابر	1	(2):903
وإذا	الْأَجْسامُ	الخفيف	المتنبي	1	(4): 2044
وَأَغْفِرُ	تَكَرُّمَا	الطويل	حاتم الطائي	1	(4):2009
وإنَّ	غُرورِ	الطويل	؟	1	(1):226
وَبَيْتٍ	يَرْعَفُ	الطويل	؟	1	(1): 376
وَحَقِّكَ	كَتَبْتَهُ	الطويل	زهير	2	
وَذَكَرْتُ	الْإِحْسَاسَا	الكامل	؟	3	(1): 57
وَراعِي	ذِئابُ	الوافر	؟		(3):1583

وَزِدْتُ	مَذْكُورُ	البسيط	ابن حجر	4	(3): 1243
وَزِدْتُ	مَشْهُورُ	البسيط	السيوطي	11	(3): 1243
وَصَبيحَةٍ	بِدَائِهَا	الكامل	ابْنُ الْخَلَّالِ	3	(1): 377
وَعَيْنُ	الْعُيوبَا	الوافر	؟	1	(1): 286
وَفَتْحُكَ	رَجَبِ	البسيط	أبو المعالي	1	(2): 759
وَقَائِلَةٍ	سِمْطَيْنِ	الطويل	الزمخشري	2	(2): 742
وَقَاضِي	فَيَنْطِقُ	الطويل	؟	2	(1): 376
وكَانَ	الْخَبَرِ	البسيط	ابن المعتز	1	(1): 74، 338، 434،(2): 1116
وَكَانَ	بِالْجَمِيعِ	الوافر	أبو محمد الريولي	1	(2): 1140
وَكُلٌّ	ثَبَاتُهُ	الطويل	؟	1	(4): 2333
وَلَرُبَّ	الْمَخْرَجُ	الكامل	أبو بكر الصولي	2	(3): 1813
ولَسْتُ	ولا لَوَ انّي	الوافر	؟	1	(1): 59، (4): 2506
وَلَسْتُ	الْفَقْرِ	الطويل	الخريمي	1	(4): 2224
وَلَسْتَ	الْمُهَذَّبُ	الطويل	حاتم الطائي	1	(4): 2010
ولَضَرْبَةٌ	حُسَامِ	الكامل	؟	2	(1): 129
وَلَكِنْ	الْكَلِيمُ	لوافر	؟	1	(4): 1853
وَلَمَّا	سُلَّمَا	الطويل	المزني	4	(2): 935
وَلَوْ	مَوَالِيَا	الطويل	الفرزدق	1	(1): 224
وَلَوْلا	وَيَاقُوتُ	الطويل	الطُّغْرائِيُّ	1	(2): 469
وَلِي	عَمُّهَا	المقارب	؟	3	(1): 378

وَلَيْسَ	وَاحِدِ	السريع	أبو نواس	1	(2): 1059، 1152
وَمَا أَرَى	أَحَدِ	البسيط	؟	1	(2): 1099
ومَا حاكِمٌ	بِالْفَضْلِ	الطويل	؟	1	(1): 376
وَمَا عَلَيَّ	عُدْوَانَا	البسيط	ابن السبكي	9	(2): 1151
وما غُلامٌ	جَارِي	السريع]	؟	2	(1): 375
وَمَا انْتَسَبُوا	تُسَالَا	الوافر	؟	2	(1): 48
وَمَا مِنْ	يَدَاهُ	الوافر	ذو النون المصري	2	(1):138
وَمَنْ	يَمْدَحُوهُ	المتقارب	؟	1	(1):10
وَمَنْ	الزُّلَالَا	الوافر	المتنبي	1	(1): 44
وَمَنْ	واحِدُ	الطويل	ابن نُبَاتَةَ	1	(1):336
ومِنْ قبلُ	مُحَمَّدَا	الطويل	الْعَبَّاسُ بْنُ مِرْداسٍ	1	(1): 218
وَمَنْ	بِوَصْلِهَا	الطويل	علي بن وفا	1	(2): 566
وَمَنْ ذَا	وَقِيلُ	الطويل	أَبُو الْعَتَاهِيَةِ	1	(2): 1037
وَمُنْبِجٍ	الضَّوَى	الرجز	ابن دريد	2	(1): 377
وَناطِقَةٍ	تُخْبِرُ	الطويل	ابْنُ الزّبلاقِ	2	(1): 376
وَالنَّجْمُ	الصِّغَرِ	البسيط	المعري	1	(3): 1420
ويا دارَهَا	أَهْوالُ	الطويل	؟	1	(2): 469
وَيْحَ	كَالإِغْرَاءُ	الخفيف	؟	1	(1):217
يا ابْنَ	خَاشِفِ	الكامل	ابن عيين	6	(2): 770
يَا أَيُّهَا	التَّعْلِيمُ	الكامل	؟	5	(1):80

يا ذا	واجِبُ	الكامل]	؟	2	(2): 586
يَا صَاحِبِ	نَائِي	الكامل	؟	2	(1):218
يَا كَعْبُ	حُسَّادَا	البسيط	حاتم الطَّائي	1	(2): 1039
يَا مَنْ	اعْتَرَفْ	الرجز	عبد القاهر بن طاهر	2	(2): 1094، (3):1235
يا مَنْ	السَّقَمِ	البسيط	؟	4	(3):1808
يا مَنْ يَرَى	ما يُتَوَقَّعُ	الكامل	السهيلي	7	(3):1815
يَا نَاطِحَ	الْجَبَلِ	البسيط	الْحَسَنُ بْنُ حُمَيْدٍ	1	(2): 1037
يا وَاعِظَ	تَأْتِيهَا	البسيط	أبو العتاهية	1	(1):81، (3):1583
يُدَبِّرُ	ما يُرِيدُ	الوافر	؟	1	(2): 504
يَرَى	اللَّئِيمِ	الوافر	المتنبي	1	(4): 2045، 2065
يَرْمُونَ	الرُّقَبَاءِ	الكامل	؟	1	(3):1321
يَقُولُونَ	مُرَائِي	الطويل	الباخرزي	2	(2): 963
الْيَوْمَ	تَبَعًا	البسيط	؟	1	(2): 966

فهرس أنصاف الأبيات

شطر البيت	الشاعر	الصفحة
إذا جادَتِ الدُّنْيا عَلَيْكَ فَجُدْ بِها	؟	(1): 53
أَرَانَا الْإِلَهُ هِلَالًا أَنَارَا	؟	(1): 382
إنَّ يَوْمَ الْأَعْجَزِينَ غَدٌ	البحتري	(1): 56
بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضٍ	طرفة بن العبد	(4):2190، 2233
السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً من الْكُتُبِ	أبو تمام	(1):129
عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ	المتنبي	(2): 1150
فَالدُّبُّ فِي الصَّحْراءِ مَا أَفْهَمَهْ	الدَّبُوسي	(1):422، (2):868
كُلُّ شَيْءٍ من الْمَلِيحِ مَلِيحُ	؟	(2): 568
كَمَا تُضِرُّ رِياحُ الْوَرْدِ بِالْجُعَلِ	المتنبي	(1):32
كَمْ تَرَكَ الْأَوَّلُ لِلْآخِرِ	أبو تمام	(2): 864
لَلُبْسُ عَبَاءَةٍ وَتَقَرَّ عَيْنِي	ميسون بنت بحدل الكلبية	(1):217
وَكُلُّ إِنَاءٍ بالَّذي فيهِ يَنْضَحُ	ابن الصيفي	(1):54
وَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارَنِ يَقْتَدِي	طرفة بن العبد	(4):1946

فهرس الأمثال والحكم

لائحة المصادر والمراجع

القرآن الكريم، برواية حفص.

الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، لأبي الحسنات محمد عبد الحي بن محمد عبد الحليم الأنصاري اللكنوي الهندي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، مكتبة الشرق الجديد، بغداد.

الإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق أبي موسى الأشعري، تحقيق: فوقية حسين محمود، دار الأنصار، القاهرة، الطبعة الأولى: 1397هـ.

أبجد العلوم، لأبي الطيب محمد صديق خان القَنُّوجِي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى: 1423هـ-2002م.

إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: مركز خدمة السنة والسيرة، ومجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة الأولى: 1415هـ-1994م.

الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974م.

الآحاد والمثاني، لأبي بكر بن أبي عاصم أحمد بن عمرو بن الضحاك الشيباني، تحقيق: باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى: 1411هـ-1991م.

أحكام القرآن، لمحمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري المالكي، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة: 1424هـ-2003م.

إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت.

أخبار أبي حنيفة وأصحابه، لأبي عبد الله الحسين بن علي الصَّيْمَري الحنفي، عالم الكتب بيروت، الطبعة الثانية: 1405هـ ـ 1985م.

إِخْبار العلماء بأَخْبار الحكماء، لجمال الدين علي بن يوسف القفطي، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1426هـ ـ 2005م.

أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، لأبي عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي المكي، دراسة وتحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، الطبعة الرابعة: 1424هـ ـ 2003م.

أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار، لأبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس للنشر، بيروت.

أخبار النَّحويِّين، لأبي طاهر عبد الواحد بن عمر ابن أبي هاشم المقرئ، تحقيق: مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث، طنطا، الطبعة الأولى: 1410هـ ـ 1989م.

أخبار النَّحويِّين البصريين، لأبي سعيد الحسين بن عبد الله السيرافي، تحقيق: طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم خفاجي، الناشر: مصطفى البابي الحلبي، سنة: 1373هـ ـ 1966م.

أخلاق النبي وآدابه، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني، تحقيق: صالح بن محمد الونيان، دار المسلم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: 1998م.

أدب الإملاء والاستملاء، لعبد الكريم بن محمد السمعاني المروزي، تحقيق: ماكس فايسفايلر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1401هـ ـ 1981م.

أدب الدُّنيا والدِّين، لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي، دار مكتبة الحياة، سنة: 1986م.

الأدب المفرد، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى: 1419هـ ـ 1998م.

أدب النساء الموسوم بكتاب العناية والنهاية، لأبي مروان عبد الملك بن حَبِيب الإلبيري القرطبي، تحقيق: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى: 1412هـ-1992م.

الأذكار، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، طبعة جديدة منقحة: 1414هـ-1994م.

إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع العلوم، لابن الأكفاني محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري، تحقيق وتعليق: عبد المنعم محمد عمر، مراجعة: أحمد حلمي عبد الرحمن، دار الفكر العربي، القاهرة.

أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، لأبي العباس المقري التلمساني، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد العظيم شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، سنة: 1358هـ-1939م.

أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود جار الله الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1419هـ-1998م.

الأسامي والكنى، لأبي أحمد الحاكم الكبير محمد بن محمد بن أحمد النيسابوري الكرابيسي، تحقيق: أبو عمر محمد بن علي الأَزهري، دار الفاروق للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى: 1436هـ-2015م.

الاستذكار، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: 1421هـ-2000م.

الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى: 1412هـ ـ 1992م.

الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة المعروف بالموضوعات الكبرى، لعلي بن (سلطان) محمد أبي الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، تحقيق: محمد الصباغ، دار الأمانة، مؤسسة الرسالة، بيروت.

الاشتقاق، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1411هـ ـ 1991م.

الإشراف في منازل الأشراف، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان ابن أبي الدنيا، تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى: 1411هـ ـ 1990م.

الاعتصام، لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق ودراسة: محمد بن عبد الرحمن الشقير، سعد بن عبد الله آل حميد، هشام بن إسماعيل الصيني، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1429هـ ـ 2008م.

اعتلال القلوب، لمحمد بن جعفر الخرائطي، تحقيق: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، السعودية، الطبعة الثانية: 1420هـ ـ 2000م.

الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية: 1995م.

الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، للعباس ابن إبراهيم، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور مؤرخ المملكة المغربية بالرباط، سنة: 1397هـ ـ 1977م.

أعيان العصر وأعوان النَّصر، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: علي أبو زيد، نبيل أبو عشمة، محمد موعد، محمود سالم محمد، دار الفكر المعاصر بيروت، لبنان، دار الفكر دمشق، سوريا، الطبعة الأولى: 1418هـ-1998م.

الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، شرحه وكتب هوامشه: عبد الأمير علي مهنا، وسمير يوسف جابر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة: 1422هـ-2002م.

إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرِّجال، لعلاء الدين مُغُلْطَايْ بن قْليج، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد، أبو محمد أسامة بن إبراهيم، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى: 1422هـ.

إكمالُ المُعْلِمِ بفوائد مسلم، لأبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى: 1419هـ-1998م.

الأمالي، لأبي علي إسماعيل بن القاسم بن عيذون القالي، عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية: 1344هـ-1926م.

الأُمُّ، لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية: 1403هـ-1983م.

الأمثال المولدة، لأبي بكر محمد بن العباس الخوارزمي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، سنة: 1424هـ.

الأمثال والحكم، لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي، تحقيق ودراسة: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1420هـ-1999م.

إنباء الغمر بأبناء العمر، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر: 1389هـ-1969م.

إِنباهُ الرُّواة على أَنْبَاهِ النُّحاة، لعلي بن يوسف القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى: 1424هـ - 2004.

الانتخاب لكشف الأبيات المشكلة الإعراب، لعلي بن عَدْلان بن حماد بن علي الربعي الموصلي، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية: 1405هـ-1985م.

الأنساب، لأبي سعد عبد الكريم السَّمْعَاني، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى: 1382هـ-1962م.

أنساب الأشراف، لأحمد بن يحيى البَلَاذُرِي، تحقيق: سهيل زكار، ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى: 1417هـ-1996م.

أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل= تفسير البيضاوي، لناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى: 1418هـ.

إيضاح المكنون في الذَّيل على كشف الظُّنون عن أسامي الكتب والفنون، لإسماعيل باشا البغدادي، منشورات مكتبة المثنى بغداد، 1951م.

البحر المحيط في التَّفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، سنة: 1420هـ.

البداية والنِّهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: 1418هـ-1997م.

البدر الطَّالع بمحاسن من بعد القرن السَّابع، لمحمد بن علي الشَّوكاني، دار المعرفة، بيروت.

البُدور المضيَّة في تراجم الحنفيَّة، لمحمد حفظ الرحمن بن محب الرحمن الكُمِلَّائي، دار الصالح، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية: 1439هـ-2018م.

البديع في البديع، لعبد الله بن محمد المعتز بالله العباسي، دار الجيل، الطبعة الأولى: 1410هـ-1990م.

البُرصان والعُرجان والعُميان والحُولان، لأبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى: 1410هـ.

برنامج الوادي آشي، لأبي عبد الله محمد بن جابر الوادي آشي الأندلسي، تحقيق: محمد محفوظ، دار المغرب الإسلامي، أثينا، بيروت، الطبعة الأولى: 1400هـ-1980م.

البُرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى: 1376هـ-1957م.

بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية، لمحمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان، وأبي سعيد الخادمي الحنفي، مطبعة الحلبي، سنة: 1348هـ.

بصائر ذوي التَّمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمحمد بن يعقوب الفيروزاباذى، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

البصائر والذَّخائر، لأبي حيان علي بن محمد التوحيدي، تحقيق: وداد القاضي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى: 1408هـ-1988م.

البعث والنشور للبيهقي، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: الشيخ عامر أحمد حيدر، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى: 1406هـ-1986م.

بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، للحارث بن أبي أسامة، تحقيق: حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى: 1413هـ-1992م.

بغية الطَّلب في تاريخ حلب، لكمال الدين عمر بن أحمد ابن العديم الحلبي، تحقيق: المهدي الرواضية، طبعة مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 2016م.

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزاباذي، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: 1421هـ ـ 2000م.

البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة لجنة التأليف للترجمة والنشر، القاهرة، سنة: 1380هـ ـ 1960م.

تاجُ التَّراجم، لأبي الفداء قاسم بن قُطْلُوبغَا السودوني، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى: 1413هـ ـ 1992.

تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تحقيق: جماعة من المختصين، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، تاريخ النشر: (1385هـ ـ 1422هـ)، (1965م ـ 2001م).

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، حققه: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى 1424هـ- 2003م.

تاريخ أصبهان=أخبار أصبهان، لأبي نعيم الأصبهاني، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1410هـ ـ 1990م.

تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: 1422هـ ـ 2002م.

تاريخ التراث العربي، لفؤاد سزكين، نقله إلى العربية: محمود فهمي حجازي، راجعه: عرفة مصطفى، وسعيد عبد الرحيم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سنة: 1411هـ - 1991م.

تاريخ جرجان، لأبي القاسم حمزة بن يوسف بن إبراهيم الجرجاني، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الرابعة: 1407هـ - 1987م.

تاريخ دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسن ابن عساكر، تحقيق: محب الدين عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، سنة: 1995م.

تاريخ علماء الأندلس، لعبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر ابن الفرضي، تحقيق: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية: 1408هـ-1988م.

التَّاريخ الكبير، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد، الدكن، سنة: 1362هـ.

تاريخ مختصر الدول، لغريغوريوس بن توما الملطي، أبو الفرج المعروف بابن العبري، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، دار الشرق، بيروت، الطبعة الثالثة: 1992م.

تاريخ ابن يونس المصري، لأبي سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدفي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: 1421هـ.

تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي)، لأبي منصور محمد بن محمد الماتريدي، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1426هـ - 2005م.

تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة الدينوري، المكتب الإسلامي، مؤسسة الإشراق، الطبعة الثانية، مزيدة ومنقحة: 1419هـ - 1999م.

التِّبيان في آداب حملة القرآن، ليحيى بن شرف النووي، حققه وعلق عليه: محمد الحجار، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة مزيدة ومنقحة: 1414هـ-1994م.

تجارب الأمم وتعاقب الهمم، لأبي علي مسكويه الرازي، تحقيق: أبو القاسم إمامي، دار سروش للطباعة والنشر، طهران، سنة: 2000م، 2002م.

التَّحبير في المعجم الكبير، لعبد الكريم بن محمد السمعاني المروزي، تحقيق: منيرة ناجي سالم، رئاسة ديوان الأوقاف، بغداد، الطبعة الأولى: 1395هـ-1975م.

تحقيق الفوائد الغيَّاثية، لشمس الدين محمد بن يوسف الكرماني، تحقيق: علي بن دخيل الله بن عجيان العوفي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1424هـ.

تخريج أحاديث الإحياء= المُغني عن حمْل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، لزين الدين العراقي، دار ابن حزم، بيروت: 2002م.

التَّدوين في أخبار قزوين، لأبي القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني، تحقيق: عزيز الله العطاردي، دار الكتب العلمية، سنة: 1408هـ-1987م.

تذكرة الحفَّاظ، لشمس الدين الذهبي، وضع حواشيه: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1419هـ-1998م.

التذكرة الحمدونية، لمحمد بن الحسن بن محمد أبي المعالي البغدادي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى: 1417هـ.

تذكرة الموضوعات، لمحمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي، إدارة الطباعة المنيرية، الطبعة الأولى: 1343هـ.

ترتيب المدارك وتقريب المسالك، لأبي الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: ابن تاويت الطنجي، عبد القادر الصحراوي، محمد بن شريفة، سعيد أحمد أعراب، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، الطبعة الأولى.

التَّرغيب والتَّرهيب، لزكي الدين المنذري، تحقيق: مصطفى محمد عمارة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر. الطبعة الثالثة: 1388هـ ـ 1968م.

تصحيح التَّصْحيف وتحرير التَّحْريف، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: السيد الشرقاوي، راجعه: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى: 1407هـ ـ 1987م.

تصنيف العلوم بين نصير الدين الطوسي وناصر الدين البيضاوي، دراسة وتحقيق: عباس محمد حسن سليمان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى: 1996م.

التَّعرُّف لمذهب أهل التصوف، لأبي بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي، دار الكتب العلمية، بيروت.

تفسير الماوردي = النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

تفسير مقاتل بن سليمان، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى: 1423هـ.

التفسير والمفسرون، لمحمد السيد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة.

التقريب والإرشاد، للقاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، قدم له وحققه وعلق عليه: عبد الحميد بن علي أبو زنيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية: 1418هـ ـ 1998م.

التَّقييد لمعرفة رواة السُّنن والمسانيد، لمحمد بن عبد الغني ابن نقطة البغدادي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: 1408هـ ـ 1988م.

التَّكملة لكتاب الصِّلة، لابن الأبار محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، سنة: 2011م.

التَّكملة لوفيات النَّقلة، لزكي الدين أبي محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية: 1401هـ - 1981م.

تكملة المعاجم العربية، لرينهارت بيتر آن دُوزِي، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي، وجمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة الأولى:1979م إلى 2000م.

التَّكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، للحسن بن محمد بن الحسن الصغاني، تحقيق: مجموعة من العلماء، مطبعة دار الكتب، القاهرة.

التَّمثيل والمحاضرة، لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثانية: 1401هـ - 1981م.

التَّمهيد في علم التجويد، لابن الجزري، تحقيق: علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى: 1405هـ - 1985م.

التَّمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأبي عمر بن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق: بشار عواد معروف، وآخرون، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، الطبعة الأولى: 1439هـ - 2017م.

تنبيه الرَّجل العاقل على تمويه الجدل الباطل، لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، تحقيق: علي بن محمد العمران، ومحمد عزير شمس، دار عطاءات العلم الرياض، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الثالثة: 1440هـ - 2019م.

التَّنبيه على حدوث التَّصحيف، لحمزة بن الحسن الأصفهاني، تحقيق: محمد أسعد طلس، مراجعة: أسماء الحمصي، عبد المعين الملوحي، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية:1412هـ - 1992م.

تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين، لأبي الليث نصر بن محمد السَّمرقندي، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الثالثة: 1421هـ ـ 2000م.

تهذيب الأسماء واللغات، لمحيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى: 1326هـ.

تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لجمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى: 1980م ـ 1992م.

تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى: 2001م.

التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لسراج الدين عمر بن علي ابن الملقن، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث بإشراف خالد الرباط، جمعة فتحي، تقديم: أحمد معبد عبد الكريم، دار النوادر، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى: 1429هـ ـ 2008م.

توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، لمحمد بن عبد الله ابن ناصر الدين الدمشقي، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى: 1993م.

تيسير البيان لأحكام القرآن، لابن نور الدين محمد بن علي بن عبد الله اليمني الشافعي، بعناية: عبد المعين الحرش، دار النوادر، سوريا، الطبعة الأولى: 1433هـ ـ 2012م.

الثِّقات، لأبي حاتم محمد بن حبان البستي، دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد، الدكن الهند، سنة: 1973م.

ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، دار المعارف، القاهرة.

ثمرات الأوراق (مطبوع بهامش المستطرف في كل فن مستظرف للشهاب الأبشيهي)، لابن حجة الحموي، مكتبة الجمهورية العربية، مصر.

جامع الأصول في أحاديث الرسول، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، بشير عيون، مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، الطبعة الأولى 1969م.

جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمر يوسف بن عبد البر، تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الأولى: 1414هـ-1994م.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار التربية والتراث، مكة المكرمة.

الجامع الكبير= سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى الترمذي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه؛ بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، سنة: 1996م.

الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق: محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض.

الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة: الطبعة الثانية: 1384هـ-1964م.

الجامع (مطبوع آخر مصنف عبد الرزاق)، لمعمر بن راشد الأزدي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، الهند، توزيع المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية: 1403هـ-1983م.

الجامع في الحديث، لأبي محمد عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي، ضبط وتخريج وتحقيق: مصطفى حسن حسين محمد أبو الخير، دار ابن الجوزي، الرياض، الطبعة الأولى: 1416هـ ـ 1995م.

جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، لأحمد ابن القاضي المكناسي، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط: 1973م.

جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، لأبي عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الميورقي الحُمَيْدِي، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، سنة: 1966م.

الجرح والتعديل، لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد التميمي الرازي ابن أبي حاتم، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، بحيدر آباد الدكن، الهند، الطبعة الأولى: 1271هـ ـ 1952م.

جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، دار العروبة، الكويت، الطبعة الثانية: 1407هـ ـ 1987م.

جمال القراء وكمال الإقراء، لأبي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري علم الدين السخاوي، تحقيق: مروان العطيَّة، ومحسن خرابة، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى:1418هـ ـ 1997م.

الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، لمحمد بن فتوح بن عبد الله الميورقي الحميدي، تحقيق: علي حسين البواب، دار ابن حزم، لبنان، بيروت، الطبعة الثانية: 1423هـ ـ 2002م.

جمع الجوامع المعروف بـ (الجامع الكبير)، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: مختار إبراهيم الهائج، عبد الحميد محمد ندا، حسن عيسى عبد الظاهر، الأزهر الشريف، القاهرة، جمهورية مصر العربية، الطبعة الثانية: 1426هـ ـ 2005م.

جمهرة الأمثال، لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري، دار الفكر بيروت، لبنان.

الجواهر الحسان في تفسير القرآن، لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، تحقيق: محمد علي معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى: 1418هـ.

جواهر القرآن، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: محمد رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الثانية: 1406هـ ـ 1986م.

الجواهر المضيَّة في طبقات الحنفية، لمحيي الدين أبي محمد عبد القادر بن محمد القرشي، تحقيق: عبد الفتاح محمد لحلو، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الثانية: 1413هـ ـ 1993م.

الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي= شرح مختصر المزني، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد الماوردي، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1419هـ ـ 1999م.

الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه، لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق: مروان قباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: 1406هـ/ 1986م.

حركة التَّجديد والتَّحديث في القرن العاشر الهجري، المولى طاشكبري زاده أنموذجا، مع تحقيق مجموعة من رسائله، لعمر يوسف عبد الغني حمدان، مجمع القاسمي للغة العربية، أكاديمية القاسمي، الطبعة الأولى: 1439هـ ـ 2018م.

حسن التنبه لما ورد في التشبه، لنجم الدين الغزي محمد بن محمد العامري الغزي الدمشقي الشافعي، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، الطبعة الأولى: 1423هـ ـ 2011م.

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني، مطبعة السعادة، القاهرة: 1394هـ-1974م.

الحماسة البصرية، لأبي الحسن علي بن أبي الفرج البصري، تحقيق: مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت.

حياة الحيوان الكبرى، لمحمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية:1424هـ.

الحيوان، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية: 1424هـ.

الخراج، لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبتة، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، وسعد حسن محمد، طبعة جديدة مضبوطة.

خريدة القصر وجريدة العصر، لعماد الدين الكاتب الأصبهاني، تحقيق: محمد بهجة الأثري، جميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، سنة: 1375هـ-1955م.

خزانة الأدب وغاية الأرب، لابن حجة الحموي، تحقيق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، دار البحار، بيروت، سنة: 2004م.

خزانة الأدب ولبُّ لباب لسان العرب، لعبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة: 1418هـ-1997م.

الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة.

الخلاصة في معرفة الحديث، للحسين بن محمد بن عبد الله، شرف الدين الطيبي، تحقيق: أبو عاصم الشوامي الأثري، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، الرواد للإعلام والنشر، الطبعة الأولى: 1430هـ-2009م.

الدَّارسُ في تاريخ المدارس، لعبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: 1410هـ ـ 1990م.

الدِّراية في تخريج أحاديث الهداية، لأحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الله هاشم اليماني المدني، دار المعرفة، بيروت.

درّة الحجال في أسماء الرّجال، ذيل وفيات الأعيان، لأبي العبّاس أحمد بن محمّد المكناسي الشّهير بابن القاضي، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث القاهرة، المكتبة العتيقة، تونس، الطبعة الأولى: 1391هـ ـ 1971م.

الدُّرر الكامنة في أعيان المائة الثَّامنة، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الهند، الطبعة الثانية: 1392هـ.

الدُّعاء للطَّبراني، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: 1413هـ.

الدُّعاء، لأبي عبد الله البغدادي الحسين بن إسماعيل بن محمد المَحَامِلِي، تحقيق: عمرو عبد المنعم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر، مكتبة العلم، جدة، السعودية، الطبعة الأولى: 1414هـ.

الدُّعاء، لمحمد بن فضيل بن غزوان بن جرير الضبي، تحقيق: عبد العزيز بن سليمان بن إبراهيم البعيمي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى: 1419هـ ـ 1999م.

الدَّعوات الكبير، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى: 2009م.

دلائل النُّبوة ومعرفة أحوال صاحب الشَّريعة، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، الطبعة الأولى: 1408هـ ـ 1988م.

دمية القصر وعصرة أهل العصر، لأبي الحسن علي بن الحسن بن علي الباخرزي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى: 1414هـ.

الدِّيباج المُذْهَبُ في معرفة أعيان علماء المَذْهَبِ، لابن فرحون، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.

ديوان أبي الأسود الدؤلي، صنعه أبو سعيد الحسن السكري، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية: 1418هـ-1998م.

ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، شرح وتحقيق: محمد حسين، الناشر: مكتبة الآداب بالجماميز، المطبعة النموذجية.

ديوان أبي تمام، بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزَّام، دار المعارف بمصر، القاهرة سنة: 1965م.

ديوان ابن حَمديس، صححه وقدم له: إحسان عباس، دار صادر بيروت.

ديوان دعبل بن علي الخُزاعي، جمعه وحققه وقدم له: عبد الصاحب الرجلي الخزرجي، مطبعة الآداب النجف، سنة: 1382هـ-1962م.

ديوان الشَّافعي، لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، الطبعة الثانية، مزيدة ومنقحة: 1405هـ-1985م.

ديوان الشَّنفرى عمرو بن مالك، جمعه وحققه وشرحه: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية: 1417هـ-1996م.

ديوان طرفة بن العبد، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة: 1423هـ-2002م.

ديوان الطُّغرائي، تحقيق: علي جواد الطاهر، ويحيى الجبوري، مطبعة الدوحة الحديثة، الدوحة، قطر، الطبعة الثانية: 1406هـ-1986م.

ديوان أبي الطيب المتنبي، بشرح أبي البقاء العكبري المسمى: **بالتبيان في شرح الديوان**، ضبطه وصححه ووضع فهارسه: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

ديوان عبد الله بن رواحة، ودراسة في سيرته وشعره، لوليد قصاب، دار العلوم للطباعة والنشر، الطبعة الأولى: 140هـ/ 1981م.

ديوان العرجي، رواية أبي الفتح ابن جني، شرحه وحققه: خضر الطائي، رشيد العبيدي، الشركة الإسلامية للطباعة والنشر المحدودة، بغداد، الطبعة الأولى: 1375هـ/ 1956م.

ديوان عُمارة بن عقيل، جمعه وحققه: شاكر العاشور، وزارة الإعلام، بغداد، العراق، الطبعة الأولى: 1973م.

ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه وقدم له: علي فاعور. دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى سنة: 1407 هـ - 1987م.

ديوان ابن المعتز، لعبد الله بن المعتز، تقديم: كرم البستاني، دار صادر، بيروت، لبنان.

ديوان ابن نباتة المصري، لجمال الدين بن نباتة المصري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

الذخيرة، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق: محمد حجي، سعيد أعراب، محمد بو خبزة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: 1994م.

الذَّخيرة في محاسن أهل الجزيرة، لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني، تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس.

الذَّريعة إلى تصانيف الشِّيعة، لمحمد محسن الشهير بالشيخ آغا بزرك الطهراني، نزيل النجف، سنة: 1355م.

الذَّريعة إلى مكارم الشَّريعة، لأبي القاسم الحسين بن محمد الرَّاغب الأصفهاني، تحقيق: أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام، القاهرة، سنة: 1428هـ-2007م.

ذيل مرآة الزَّمان، لقطب الدين اليونيني، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة الثانية: 1413هـ-1992م.

الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشي، تحقيق: إحسان عباس، ومحمد بن شريفة، وبشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، الطبعة الأولى: 2012هـ.

ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، لمحمود جار الله الزمخشري، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى سنة: 1412هـ.

رسالة في العلوم الشرعية والعربية، للطف الله بن حسن التوقاتي، تقديم وضبط وتعليق: رفيق العجم، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى: 1994م.

الرِّسالة القُشيرية، لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: 1415هـ.

روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار، لمحمد بن قاسم بن يعقوب الأماسي الحنفي، دار القلم العربي، حلب، الطبعة الأولى: 1423هـ.

الرَّوض الأُنُف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى: 1421هـ-2000م.

الرَّوض النَّضر في ترجمة أدباء العصر، لعصام الدين عثمان بن علي بن مراد العمري، تحقيق: سليم النعيمي، المجمع العلمي العراقي ـ بغداد، الطبعة الأولى: 1395هـ ـ 1975م.

الزهد، لأحمد بن محمد بن حنبل، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1420هـ ـ 1999م.

الزهد، لأبي سفيان وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى: 1404هـ ـ 1984م.

الزهد والرقائق لابن المبارك، لعبد الله بن المبارك المروزي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، قام بنشره: محمد عفيف الزعبي، بإذن خطي من محققه حبيب الرحمن الأعظمي، ووكيل مجلس إحياء المعارف بـ(ماليكاون) ناسك (الهند).

زهر الآداب وثمر الألباب، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحُصْرِي القيرواني، دار الجيل بيروت.

زهر الأكم في الأمثال والحكم، للحسن بن مسعود اليوسي، تحقيق: محمد حجي، محمد الأخضر، الشركة الجديدة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى: 1401هـ ـ 1981م.

زهر الفردوس= الغرائب الملتقطة من مسند الفردوس، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: مجموعة من العلماء، جمعية دار البر، دبي، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى: 1439هـ ـ 2018م.

سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1414هـ ـ 1993م.

سراج الملوك، لأبي بكر محمد بن محمد بن الوليد الطُّرْطُوشِي، من أوائل المطبوعات العربية، مصر، سنة: 1289هـ-1872م.

سلم الوصول إلى طبقات الفحول، لمصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني حاجي خليفة، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي، مكتبة إرسيكا، إستانبول، تركيا، سنة: 2010م.

السُّلوك في طبقات العلماء والملوك، لأبي عبد الله محمد بن يوسف بهاء الدين الجَنَدي، تحقيق: محمد بن علي بن الحسين الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الثانية: 1995م.

السُّلوك لمعرفة دول الملوك، لأحمد بن علي تقي الدين المقريزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية لبنان، بيروت، الطبعة الأولى: 1418هـ-1997م.

سنن الدَّارقطني، لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني، حققه: شعيب الأرنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1424هـ-2004م.

سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى: 1430هـ-2009م.

سنن سعيد بن منصور، لسعيد بن منصور، تحقيق: فريق من الباحثين، دار الألوكة للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1433هـ-2012م.

السُّنن الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة: 1424هـ-2003م.

السُّنن الكبرى، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت سنة: 2001م.

سنن ابن ماجه، لابن ماجه أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.

سير أعلام النُّبلاء، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، تقديم: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة: 1405هـ ـ 1985م.

سِيَرُ السَّلف الصَّالحين، لإسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني، تحقيق: كرم بن حلمي بن فرحات بن أحمد، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.

شذرات الذَّهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى: 1406هـ ـ 1986م.

شرح أدب القاضي، لأبي بكر أحمد بن عمر الخصاف، شرح: عمر بن عبد العزيز الحسام الشهيد، تحقيق: أبو الوفاء الأفغاني، وأبو بكر محمد الهاشمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1414هـ ـ 1994م.

شرح ديوان الشَّريف الرضي، لمحمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى: 1368هـ ـ 1949م.

شرح طيبة النَّشر في القراءات العشر، لأبي القاسم النُّوَيْري، تقديم وتحقيق: مجدي محمد سرور سعد باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1424هـ ـ 2003م.

شرح لامية العجم، لكمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدَّمِيري، تحقيق: جميل عبد الله عويضة، طبعة سنة: 1429هـ ـ 2008م.

الشريعة، لأبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي، تحقيق: عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن، الرياض، الطبعة الثانية: 1420هـ ـ 1999م.

شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1421هـ-2000م.

شعر زهير بن أبي سلمى، صنعة: **الأعلم الشنتمري**، تحقيق: فخر الدين قباوة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثالثة: 1400هـ-1980م.

الشعر والشعراء، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الحديث، القاهرة، سنة: 1423هـ.

شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، لأبي الطيب تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الفاسي المالكي، حققه أصوله وعلق حواشيه: لجنة من كبار العلماء والأدباء، مكتبة النهضة الحديثة، بمكة المكرمة، طبع بدار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، سنة: 1956م.

الشَّقائق النُّعمانية في علماء الدَّولة العثمانية، لطاشكبري زاده، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، تحقيق: سيد بن عباس الجليمي، المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى: 1413هـ-1993م.

صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، لأحمد بن علي بن أحمد القلقشندي، دار الكتب العلمية، بيروت.

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة: 1407هـ-1987م.

صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، الطبعة السلطانية بالمطبعة الأميرية ببولاق، 1311-1313هـ.

صحيح ابن خزيمة، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مراجعة: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.

صحيح مسلم، لأبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي القاهرة، 1374هـ - 1955م.

صفة الصَّفوة، لابن الجوزي، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث القاهرة، مصر، سنة: 1421هـ - 2000م.

صلة التَّكملة لوفيات النَّقلة، لعز الدين أحمد بن محمد الحسيني، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1428هـ - 2007م.

الصناعتين، الكتابة والشعر، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، بيروت، سنة: 1419هـ.

الضعفاء الكبير، لأبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: 1404هـ - 1984م.

الضَّوء اللَّامع لأهل القرن التاسع، لشمس الدين السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

طبقات خليفة بن خياط، لأبي عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري، رواية: أبي عمران موسى بن زكريا بن يحيى التستري، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، سنة: 1414هـ - 1993م.

طبقات الشَّافعية الكبرى، لتاج الدين ابن السبكي، تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الثانية: 1413هـ.

طبقات الشَّافعية، لتقي الدين ابن قاضي شُهْبَة، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، 1407هـ.

طبقات الشافعية، لجمال الدين الإِسْنَوِي، تحقيق: عبد الله الجبوري، بغداد: 1970م، وطبعة دار الفكر، بيروت: 2001م.

طبقات الشعراء، لعبد الله بن محمد ابن المعتز العباسي، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة.

طبقات الفقهاء، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، هذبه: ابن منظور الإفريقي، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1970م.

الطَّبقات الكبرى، لابن سعد، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى: 1377هـ - 1957م.

طبقات المفسِّرين للدَّاودي، لشمس الدين محمد بن علي الداودي، دار الكتب العلمية، بيروت.

العاقبة في ذكر الموت، لابن الخراط الأندلسي، تحقيق: خضر محمد خضر، مكتبة دار الأقصى، الكويت، الطبعة الأولى: 1406هـ ـ 1986م.

طبقات النَّحويين واللُّغويِّين، لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة الثانية.

الطُّيُورِيَّاتُ، لصدر الدين أبي طاهر السِّلَفي، دراسة وتحقيق: دسمان يحيى معالي، عباس صخر الحسن، مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى: 1425هـ ـ 2004م.

العبر في خبر من غبر، لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: صلاح الدين المنجد، الكويت: 1960م.

عجائب المقدور في أخبار تيمور، لأبي محمد أحمد بن محمد ابن عربشاه، طبعة كلكتا.

العدة للكرب والشدة، لضياء الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي، تحقيق: ياسر بن إبراهيم بن محمد، دار المشكاة للبحث والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى: 1414هـ-1994م.

عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، لأحمد بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1423هـ-2003م.

العقد الفريد، لأحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى سنة: 1404هـ.

العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم، لعلي بن بالي بن محمد منق، (طبع مع الشقائق النعمانية)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة: 1395هـ-1975م.

العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، تحقيق: إرشاد الحق الأثري، إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، باكستان، الطبعة الثانية: 1401هـ-1981م.

العلل الواردة في الأحاديث النبوية، لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله السلفي، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى: 1405هـ-1985م.

عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العينى، عنيت بنشره: مجموعة من العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، لصاحبها ومديرها محمد منير عبده أغا الدمشقي.

عمل اليوم والليلة، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية: 1406هـ.

عمل اليوم والليلة سلوك النبي مع ربه عز وجل ومعاشرته مع العباد، لابن السُّنِّي أحمد بن محمد، تحقيق: كوثر البرني، دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن، جدة، بيروت.

العناية شرح الهداية، لمحمد بن محمد جمال الدين البابرتي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى: 1389هـ-1970م.

عيون الأخبار، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة: 1418هـ.

عيون الأنباء في طبقات الأطباء، لأبي العباس ابن أبي أصيبعة، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت.

عُيُون الْمَسَائِل، لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي، تحقيق: صلاح الدِّين الناهي، الناشر: مطبعة أسعد، بغداد، سنة: 1386هـ.

الغاية في اختصار النهاية، لعز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، تحقيق: إياد خالد الطباع، دار النوادر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1437هـ-2016م.

غاية النهاية في طبقات القراء، لشمس الدين ابن الجزري، تحقيق: ج. برجستراسر، القاهرة، عام: 1351هـ.

غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، لأبي العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، مؤسسة قرطبة، مصر، الطبعة الثانية: 1414هـ-1993م.

غرائب التفسير وعجائب التأويل، لأبي القاسم محمود بن حمزة الكرماني، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت.

غريب الحديث، لأبي عُبيد القاسم بن سلَّام الهروي، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الطبعة الأولى: 1384هـ-1964م.

الغُصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السَّابعة، لأبي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار المعارف، مصر.

غُنْيَة الملتمس إيضاح الملتبس، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: يحيى بن عبد الله البكري الشهري، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، الطبعة الأولى: 1422هـ - 2001م.

الفائق في غريب الحديث والأثر، لأبي القاسم محمود بن عمرو جار الله الزمخشري، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، الطبعة الثانية.

فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة بيروت: 1379هـ.

فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب للإمام المنذري، لأبي محمد حسن بن علي بن سليمان البدر الفيومي، قدم له: عبد الله بن محمد الغنيمان، تحقيق: محمد إسحاق محمد آل إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1439هـ - 2018م.

فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، (حاشية الطيبي على الكشاف)، لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، تحقيق: إياد محمد الغوج، جميل بني عطا، محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة الأولى: 1434هـ - 2013م.

فتوح مصر والمغرب، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم المصري، مكتبة الثقافة الدينية، سنة: 1415هـ.

الفرج بعد الشدة للتنوخي، للمحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود التنوخي البصري، تحقيق: عبود الشالجى، دار صادر، بيروت، سنة: 1398هـ-1978م.

فضائل الصحابة، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى: 1403هـ-1983م.

فضائل القرآن، لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى: 1415هـ-1995م.

فضائل القرآن، لأبي العباس جعفر بن محمد بن المعتز المستغفري، تحقيق: أحمد ابن فارس السلوم، دار ابن حزم، الطبعة الأولى: 2008م.

فضائل القرآن، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي، تحقيق: فاروق حمادة، دار إحياء العلوم، دار الثقافة، بيروت، الدار البيضاء، لطبعة الثانية: 1413هـ-1992م.

فضائل مكة، لأبي سعيد المفضل بن محمد الجندي، تحقيق: أبو عبيدة جودة محمد، جميع الحقوق محفوظة للمحقق الطبعة الأولى: 1441هـ.

الفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي، تحقيق: عادل بن يوسف الغرازي، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الثانية: 1421هـ.

الفهرست، لأبي جعفر محمد بن إسحاق النديم، قابله بأصوله وأعده للنشر: أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة: 1435هـ-2014م.

فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، لعبد الحي ابن عبد الكبير الكتاني، باعتناء د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي بيروت، الطبعة الثانية: 140هـ-1982م.

الفوائد، لأبي القاسم تمام بن محمد بن عبد الله البجلي الرازي الدمشقي، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى: 1412هـ.

الفوائد البهية في تراجم الحنفية، لمحمد بن عبد الحي اللكوني، تحقيق: محمد بدر الدين النعساني، مطبعة دار السعادة، القاهرة، الطبعة الأولى: 1324هـ.

فوات الوفيات، لصلاح الدين محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت، لبنان.

فيض القدير شرح الجامع الصغير، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي القاهري، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى: 1356هـ.

القاموس المحيط، لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفِيرُوزاباذي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة: 1426هـ-2005م.

قَانون التَّأويل، لمحمد بن عبد الله أبي بكر بن العربي المعافري، تحقيق: محمّد السّليماني، دار القبلة للثقافة الإسلاميَّة، جَدّة، مؤسَّسَة عُلوم القرآن، بيروت، الطبعة الأولى: 1406هـ-1986م.

قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان= عقود الجمان في شعراء هذا الزمان، لأبي البركات المبارك بن الشعار الموصلي، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 2005م.

قلادة النَّحر في وفيات أعيان الدهر، لأبي محمد الطيب بن عبد الله بامخرمة الهجراني، عُنِيَ به: بو جمعة مكري، خالد زواري، دار المنهاج، جدة، الطبعة الأولى: 1428هـ-2008م.

قواعد العقائد، لأبي حامد الغزالي، تحقيق: عبد الكريم بن محمد الحسن بكار، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى: 1406هـ - 1986م.

قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، لأبي طالب المكي، تحقيق: عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية: 1462هـ - 2005م.

الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علوم القرآن، جدة، الطبعة الأولى: 1413هـ - 1992م.

الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي الجرجاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1418هـ - 1997م.

الكامل في اللغة والأدب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة: 1417هـ - 1997م.

كتاب المجروحين من المحدثين، لابن حبان، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1420هـ - 2000م.

كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، لمحمد بن علي الحنفي التهانوي، تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى: 1996م.

الكشّاف عن حقائقِ غوامضِ التَّنزيلِ، لمحمود جار الله الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة: 1407هـ.

كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، لعلاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري، شركة الصحافة العثمانية، إسطنبول، الطبعة الأولى: 1308هـ - 1890م.

كشف الخفاء ومُزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، لإسماعيل بن محمد العجلوني الدمشقي، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، الطبعة الأولى سنة: 1420هـ ـ 2000م.

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبد الله حاجي خليفة، منشوات مكتبة المثنى بغداد، سنة: 1951م.

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبد الله حاجي خليفة، حققه وعلق عليه: أكمل الدين إحسان أغلو، بشار عواد معروف، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، الطبعة الأولى: 1443هـ ـ 2021م.

الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأبي إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي، أشرف على إخراجه مجموعة من الباحثين، دار التفسير، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1436هـ ـ 2015م.

الكمال في أسماء الرجال، لأبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي، دراسة وتحقيق: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، الهيئة العامة للعناية بطباعة ونشر القرآن الكريم والسنة النبوية وعلومها، الكويت، الطبعة الأولى: 1437هـ ـ 2016م.

الكنى والأسماء، لمسلم بن الحجاج، تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشقري، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى: 1404هـ ـ 1984م.

كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان الشهير بالمتقى الهندي، تحقيق: بكري حياني، صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة: 1401هـ ـ 1981م.

الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، لأحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1429هـ ـ 2008م.

لسان العرب، لجمال الدين ابن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة: 1414هـ

لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، لبنان، الطبعة الثانية: 1390هـ ـ 1971م.

لطائف الإشارات= تفسير القشيري، لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة الثالثة.

اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة، دار لكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: 1417هـ ـ1996م.

اللباب في تهذيب الأنساب، لعز الدين ابن الأثير، دار صادر، بيروت.

المؤتَلِف والمختَلِف، لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: 1406هـ ـ1986م.

المبسوط، لمحمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي، تصحيح: جمع من أفاضل العلماء، مطبعة السعادة، مصر.

المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين ابن الأثير الكاتب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، سنة: 1420هـ.

المجالسة وجواهر العلم، لأبي بكر أحمد بن مروان بن محمد الدينوري، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية (البحرين، أم الحصم)، دار ابن حزم (بيروت ـ لبنان)، الطبعة الأولى: 1419هـ ـ 1998م.

مجمع الآداب في معجم الألقاب، لكمال الدين عبد الرزاق بن أحمد ابن الفوطي الشيباني، تحقيق: محمد الكاظم، مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، الطبعة الأولى: 1416هـ.

مجمع الأمثال، لأبي الفضل الميداني النيسابوري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لعلي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، سنة: 1414هـ-1994م.

محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهانى، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى: 1420هـ.

مختار الصَّحاح، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت. الطبعة الخامسة: 1420هـ-1999م.

المختصر النَّصيح في تهذيب الكتاب الجامع الصَّحيح، للمهلب بن أحمد بن أبي صفرة، تحقيق: أحمد بن فارس السلوم، دار التوحيد، دار أهل السنة، الرياض، الطبعة الأولى: 1430هـ-2009م.

المخصص، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى: 1417هـ-1996م.

المدخل لابن الحاجِّ، لأبي عبد الله محمد بن محمد ابن الحاجِّ الفاسي، دار التراث.

مرآة الزَّمان في تواريخ الأعيان، لسبط ابن الجوزي، تحقيق: مجموعة من الأساتذة، دار الرسالة العالمية، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى: 1434هـ-2013م.

المراسيل، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السَّجِسْتاني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى: 1408هـ.

مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، لصفي الدين عبد المؤمن القطيعي البغدادي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى: 1412هـ.

مُرشد الزوار إلى قبور الأبرار، لموفق الدين أبي محمد بن عبد الرحمن، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى: 1415هـ.

المزهر في علوم اللغة وأنواعها، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1418هـ-1998م.

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، لشهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الطبعة الأولى: 1423هـ.

المُستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت: 1411هـ-1990م.

المستصفى، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: 1413هـ-1993م.

المُستقصى في أمثال العرب، لجار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية: 1408هـ-1987م.

المُستملح من كتاب التكملة، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، حققه: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1429هـ-2008م.

مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: 1421هـ-2001م.

مسند البزار= البحر الزخار، لأبي بكر أحمد بن عمرو، تحقيق: مجموعة من الأساتذة، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى: بدأت 1988م، وانتهت 2009م.

مسند ابن الجَعْدِ، لعلي بن الجَعْد بن عبيد الجَوْهَري البغدادي، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مؤسسة نادر، بيروت، الطبعة الأولى: 1410هـ-1990م.

مسند الحُمَيْدِي، لأبي بكر عبد الله بن الزبير الحميدي، تحقيق: حسن سليم أسد الدَّارَانيّ، دار السقا، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى: 1996م.

مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1412هـ-2000م.

مسند أبي داود الطيالسي، لأبي داود سليمان بن داود الطيالسي، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، الطبعة الأولى: 1419هـ-1999م.

مسند الرُّوياني، لأبي بكر محمد بن هارون الرُّوياني، تحقيق: أيمن علي أبو يماني، مؤسسة قرطبة، القاهرة، الطبعة الأولى: 1416هـ.

مسند الشاميين، لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى: 1405هـ-1984م.

مسند الشِّهاب القُضاعي، لأبي عبد الله محمد بن سلامة القُضاعي، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية: 1407هـ-1986م.

مسند ابن المبارك، لأبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى: 1407هـ.

مسند أبي يعلى الموصلي، تخريج وتعليق: سعيد بن محمد السناري، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى:1434هـ-2013م.

مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السّوَرِ= المَقْصِدُ الأَسْمَى فِي مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى، لإبراهيم بن عمر أبي بكر البقاعي، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى: 1408هـ-1987م.

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأبي العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.

المصنَّفُ، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق: سعد بن ناصر بن عبد العزيز أبو حبيب الشثري، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى: 1436هـ-2015م.

المُصَنَّفُ، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، الهند، توزيع المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية: 1403هـ-983م.

المطالع البدرية في المنازل الرومية، لبدر الدين محمد بن محمد الغزي، تحقيق: المهدي عيد الرواضيّة، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الطبعة الأولى:2004م.

مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، لأبي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان الإشبيلي، تحقيق: محمد علي شوابكة، دار عمار، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: 1403هـ-1983م.

المعارف، لعبد الله بن مسلم بن قتيبة، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية، 1424هـ-2003م.

المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، لمحمد بن محمد حسن شُرَّاب، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى: 1411هـ.

معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، لأبي سليمان الخطابي، المطبعة العلمية، حلب، الطبعة الأولى: 1351هـ-1932م.

معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، لأبي الفتح عبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، لجلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1408هـ-1988م.

معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، لياقوت بن عبد الله الحموي الرومي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1414هـ.

المعجم الأوسط، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، سنة: 1415هـ-1995م.

معجم البلدان، لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، دار صادر بيروت، طبعة: 1995م.

معجم الشعراء، لأبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، تصحيح وتعليق: ف. كرنكو، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية: 1402هـ-1982م.

معجم الشيوخ، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تخريج: شمس الدين أبي عبد الله بن سعد الصالحي الحنبلي، تحقيق: بشار عواد، رائد يوسف العنبكي، مصطفى إسماعيل الأعظمي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى: 2004هـ.

معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ (قم)، الطبعة الأولى: 1412هـ.

المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية.

معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة: 1403هـ.

معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

معجم المطبوعات العربية والمعربة، ليوسف بن إليان بن موسى سركيس، مطبعة سركيس بمصر 1346 هـ-1928م.

المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار)، دار الدعوة.

معجم أبي يعلى، لأبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى، تحقيق: إرشاد الحق الأثري، إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، الطبعة الأولى: 1407هـ.

معرفة الصحابة، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى: 1419هـ - 1998م.

معرفة علوم الحديث، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري المعروف بابن البَيِّع، تحقيق: السيد معظم حسين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية: 1397هـ - 1977م.

معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: 1417هـ - 1997م.

مُعيدُ النِّعم ومُبِيدُ النِّقَمِ، لتاج الدين ابن السبكي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1407هـ - 1986م.

المغني، لابن قدامة المقدسي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، عبد الفتاح محمد الحلو، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة: 1417هـ - 1997م.

مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لجمال الدين ابن هشام الأنصاري، تحقيق: مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، الطبعة السادسة: 1985م.

مفاتيح الغيب= التفسير الكبير، لفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة: 1420هـ.

مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

مفتاح السعيدية في شرح الألفية الحديثية، لشمس الدين محمد بن عمار المصري المعروف بابن عمار، دراسة وتحقيق: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية، صنعاء، اليمن، الطبعة الأولى: 1433هـ-2011م.

المفردات في غريب القرآن، للرَّاغب الأصفهانى، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى: 1412هـ.

مفيد العلوم ومبيد الهموم، ينسب لأبي بكر الخوارزمي محمد بن العباس، المكتبة العنصرية، بيروت، سنة: 1418هـ.

المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، للسخاوي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى: 1405 هـ - 1985م.

مقامات الحريري، لأبي محمد القاسم بن علي الحريري، مطبعة المعارف، بيروت، لبنان.

مقدمة في أصول التفسير، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، سنة: 1490هـ-1980م.

المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، الجفان والجابي، قبرص، الطبعة الأولى: 1407هـ-1987م.

المقفى الكبير، لتقي الدين المقريزي، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية: 1427هـ-2006م.

مكارم الأخلاق، لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، كتب هوامشه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1409هـ-1989م.

مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها، لأبي بكر محمد بن جعفر بن محمد الخَرَائِطِي، تقديم وتحقيق: أيمن عبد الجابر البحيري، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى: 1419هـ - 1999م.

الملل والنحل، لأبى بكر أحمد الشهرستاني، مؤسسة الحلبي.

مناقب الأسد الغالب مُمزق الكتائب ومُظهر العجائب ليث بن غالب أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لشمس الدين أبي الخير ابن الجزري، تحقيق: طارق الطنطاوي، مكتبة القرآن، الطبعة الأولى: 1994م.

مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه، لشمس الدين الذهبي، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، أبو الوفاء الأفغاني، لجنة إحياء المعارف النعمانية، حيدر آباد الدكن، الطبعة الثالثة: 1408هـ.

مناقب الشافعي للبيهقي، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، الطبعة الأولى: 1390هـ - 1970م.

المنامات، للحافظ ابن أبي الدنيا، تحقيق وتعليق: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

المنتخب من كتاب (السياق لتاريخ نيسابور، لعبد الغافر الفارسي)، انتخبه: تقي الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الصيرفيني، ضبط نصه: خالد حيدر، دار الفكر، بيروت، سنة: 1414هـ - 1993م.

المنتخب من مسند عبد بن حميد، لأبي محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر الكَسّي (أو الكشي)، تحقيق: مصطفى العدوي، دار بلنسية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: 1423هـ - 2002م.

المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، لأبي الفرج ابن الجوزي، حيدر آباد سنة: 1357هـ.

المنقذ من الضلال، لأبي حامد الغزالي، بعناية: عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة، مصر.

منهاج البلغاء وسراج الأدباء، لحازم القرطاجني، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة: 1986م.

المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ليوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، تحقيق: محمد محمد أمين، تقديم: سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

المهذب في فقه الإمام الشافعي، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، دار الكتب العلمية

المهمات في شرح الروضة والرافعي، لجمال الدين عبد الرحيم الإسنوي، اعتنى به: أبو الفضل الدمياطي، أحمد بن علي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، دار ابن حزم بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1430هـ ـ 2009م.

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، لأحمد بن علي تقي الدين المقريزي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: 1418هـ.

الموضوعات، لرضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني، تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الثانية: 1405هـ.

الموضوعات، لأبي الفرج ابن الجوزي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى سنة: 1966م ـ 1968م.

الموطأ، للإمام مالك بن أنس، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبو ظبي، الإمارات، الطبعة الأولى: 1425هـ ـ 2004م.

ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1382هـ- 1963م.

ميزان العمل، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، الطبعة الأولى: 1964م.

نثر الدر في المحاضرات، لمنصور بن الحسين الرازي أبي سعد الآبى، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1424هـ-2004م.

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ليوسف بن تغري بردي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.

نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لأبي البركات الأنباري، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الطبعة الثالثة: 1405هـ- 1985م.

نزهة الألباب في الألقاب، لأبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد العزيز محمد بن صالح السديري، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى: 1409هـ- 1989م.

نسب قريش، لمصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة.

نشر طيّ التَّعريف في فضل حملة العلم الشَّريف والرَّدِّ على ماقتهم السَّخيف، لمحمد بن عبد الرحمن جمال الدين الحبيشي الوَصَابي، دار المنهاج، جدة، الطبعة الأولى سنة: 1417هـ/ 1997م.

النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى.

نظم العقيان في أعيان الأعيان، لجلال الدين السُّيوطي، تحرير: فليب حتِّي، المطبعة السورية الأمريكية في نيويورك، سنة: 1928م.

نفح الطِّيب من غصن الأندلس الرَّطيب، وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، لشهاب الدين أحمد بن محمد المَقَّرِي التِّلمساني، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، سنة: 1997م.

نكت الهميان في نكت العميان، لخليل بن أيبك الصفدي، ضبطه: أحمد زكي بك، طبعة دار المدينة، 1329هـ - 1911م.

نهاية الأرب في فنون الأدب، لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة الثانية: 1423هـ.

نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبنانيين، بيروت، الطبعة الثانية: 1400هـ ـ 1980م.

النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت: 1399هـ ـ 1979م.

نهاية المطلب في دراية المذهب، لإمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، تحقيق: عبد العظيم محمود الدّيب، دار المنهاج، الطبعة الأولى: 1428هـ ـ 2007م.

نوادر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، للحكيم الترمذي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، لبنان.

نيل الابتهاج بتطريز الديباج، لأحمد بابا التنبكتي، تحقيق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، الطبعة الثانية: 2000م.

نيل الأمل في ذيل الدول، لزين الدين عبد الباسط بن أبي الصفاء الظاهري الملطيّ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1422هـ-2002م.

هدية العارفين (أسماء المؤلفين وآثار المصنفين)، لإسماعيل باشا البغدادي، منشورات مكتبة المثنى، بغداد، 1951 م.

الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: نخبة من الأساتذة، الطبعة الثانية.

الوفيات، لتقي الدين محمد بن هجرس بن رافع السلامي، تحقيق: صالح مهدي عباس، د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى: 1402هـ.

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، لشمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1403هـ-1983م.

فهرس محتويات الكتاب